معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

1992 - 1413

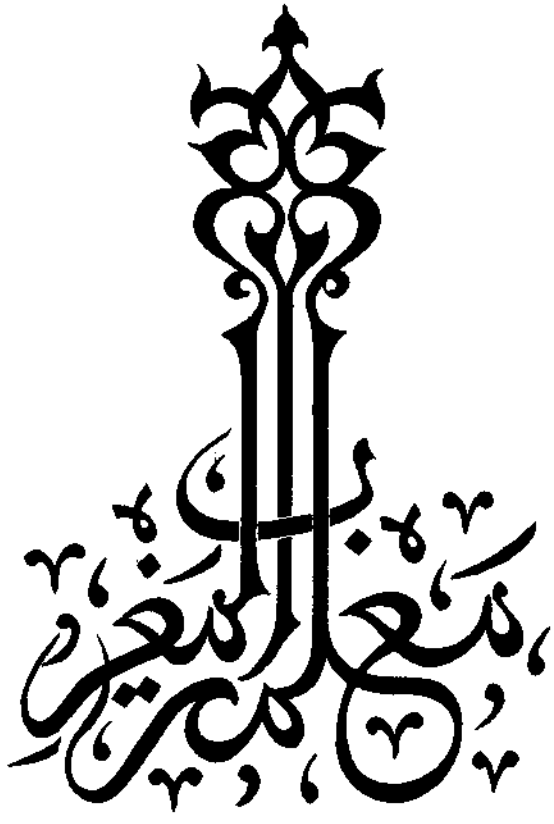

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

جميع حقوق النقل والترجمة ـ جزئياً أو كلياً بأي شكل كان ـ محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

ردمك 7 - 000 - 03 - 9981 (المجموعة)
ردمك 6 - 006 - 03 - 9981 (الجزء 6)

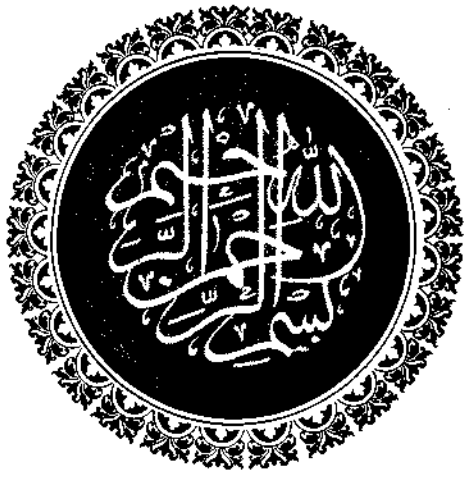
بسم الله الرحمن الرحيم

تشكر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر
مؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج
والشركة الشريفة للبترول
على دعمهما لإنجاز المادة العلمية لهذا الجزء

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الانسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
محمد زنيبر، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي و أستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت.	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في تحرير مواد هذا الجزء

محمد **أبو طالب**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الفتاح **أبو العز**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية.
أ. ح. **أسادّن**، طبيب بفاس.
سعيد **أعراب**، أستاذ سابق بمعهد التعليم الأصيل بتطوان.
الحسين **أفا**، كلية الآداب، أكادير.
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **أكرير**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط.
أحمد **أمزال العسري**، وزارة الاعلام.
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية.
حسن **أميلي**، كلية الآداب، المحمدية.
حمدي **أنوش**، كلية الآداب، أكادير.
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش.
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية، مراكش.
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية.
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط.
عبد اللطيف **البريني**، كلية الآداب، بني ملال.
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **البقالي بدري**، باحث.
عبد السلام **البكاري**، باحث.
محمد **بلعربي**، باحث.
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة.
البيضارية **بلكامل**، كلية الآداب، الرباط.
محمد الأمين **بلغناوي**، باحث.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب، الرباط.
رقية **بلمقدم**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **بنبراهيم**، كلية الآداب، وجدة.
أحمد **بنجلون**، باحث.
ماجدة **بنحبريط علمي**، كلية الآداب، بني ملال.
حسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أكادير.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية.
عبد اللطيف **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب، الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا.
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال.
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط.
عثمان **بناني**، كلية الآداب، الرباط.
لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس.
عبد المجيد **بنيوسف**، وزاوة الشؤون الثقافية.
محمد **بوخبزة**، محافظ سابق في قسم المخطوطات بخزانة تطوان.
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط.
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية.
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية.
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، المحمدية.
عبد الله **بوصحابة**، مهندس، الرباط.
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب، مكناس.
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة.
العربي بن الحسن **بوعيادة**، باحث.
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية.
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط.
محمد **بن تاويت**، كلية الآداب، الرباط.
جامع **بيضا**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط.
عبد العزيز **توري**، مديرية التراث بوزارة الثقافة، الرباط.
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط.
محمد **جادة**، خزانة كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحيم **الجلدي**، باحث.
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية، مراكش.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية.
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط.
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب، تطوان.
محند أيت **الحاج**، وزارة التربية الوطنية.
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة.
فاطمة **الحراق**، كلية الآداب، الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس.
محمد **حمام**، كلية الآداب، الرباط.
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط.
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط.
أحمد **الخنبوبي**، باحث، بوردو.
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب، الجديدة.
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم، الرباط.
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة.
حفيظة **الدازي**، كلية الآداب، القنيطرة.
محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة.
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب، القنيطرة.

محمد رابطة الدين، كلية الآداب، مراكش.
محمد رزوق، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.
مبارك رضوان، كلية الآداب، أكادير.
محمد الرقاص، كلية الآداب، الرباط.
محمد رمضاني، المعهد العلمي، الرباط.
محمد زروهوني، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.
محمد زنيبر، كلية الآداب، الرباط.
رشيد السلامي، كلية الآداب، مراكش.
عبد اللطيف الشاذلي، عمادة جامعة مولاي إسماعيل، مكناس.
الميلود شاكر، كلية الآداب، الرباط.
أحمد الشرقاوي إقبال، باحث، مراكش.
أحمد ابن الشرقي، باحث، مراكش.
مصطفى شويكي، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
محمد الشياظمي، باحث، الرباط.
عبد الحق الصدق، كلية الآداب، وجدة.
عبد الرزاق الصدّيقي، كلية الآداب، المحمدية.
علي صدقي أزايكو، كلية الآداب، الرباط.
محمد حجاج الطويل، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
عبد الرحمان الطيبي، باحث.
عبد العزيز بن عبد الجليل، وزارة الشؤون الثقافية.
أحمد عزاوي، كلية الآداب، القنيطرة.
محمد ابن عزوز حكيم، باحث، الرباط.
عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب، الرباط.
عز الدين العلام، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير.
إسماعيل العلوي، كلية الآداب، الرباط.
محمد العلوي الأوفوسي، باحث.
حسن علوي حافظي، كلية الآداب، مراكش.
هاشم العلوي القاسمي، كلية الآداب، فاس.
أحمد العماري، كلية الآداب، فاس.
أحمد عمالك، كلية الآداب، مراكش.
صفية العمراني، كلية الآداب، مراكش.
عبد الله العمراني، باحث، تطوان.
عبد الله العوينة، كلية الآداب، الرباط.
مصطفى عياد، كلية الآداب، الرباط.
حياة الفراس، باحثة.
أحمد الغزالي، كلية الآداب، فاس.
عبد الإله الفاسي، كلية الآداب، القنيطرة.
عبد اللطيف فضل الله، كلية الآداب، الرباط.
حسن الفكيكي، كلية الآداب، القنيطرة.
مصطفى فنيتير، باحث.
عبد الرحمان القادري، كلية الحقوق، الرباط.
محمد مصطفى القباج، أكاديمية المملكة المغربية.
محمد القبلي، عمادة جامعة عبد الملك السعدي، تطوان.
عبد المجيد قدوري، كلية الآداب، الرباط.
محمد كربوط، كلية الآداب، الرباط.
عبد القادر كميوا، كلية الآداب، الدار البيضاء 1.
محمد حسن كفناني، باحث.
العربي كنيتح، المدرسة العليا للأساتذة، فاس.
محمد الكير، وزارة التربية الوطنية.
ميشال لافون، باحث.
محمد لبحر، كلية الآداب، فاس.
محمد اللحية، كلية الآداب، أكادير.
علي لغزيوي، كلية الآداب، فاس.
أحمد لقمهري، كلية الآداب، الرباط.
سيمون ليفي، كلية الآداب، الرباط.
حسن ليمان، محافظ آثار وليلي.
محمد المازوني، كلية الآداب، أكادير.
محمد ماكامان، كلية الآداب، مراكش.
الملكي المالكي، وزارة التربية الوطنية.
أحمد متفكر، باحث، مراكش.
محمد مجدوب، كلية الآداب، المحمدية.
الحسن المحداد، كلية الآداب، أكادير.
علي المحمدي، كلية الآداب، الرباط.
محمد مرزاق، وزارة التربية الوطنية.
محمد مزين، كلية الآداب، فاس.
أحمد مزيان، كلية الآداب، فاس.
محمد مستاوي، باحث.
محمد مطيع، كلية الآداب، مراكش.
آمنة معطى الله، وزارة التربية الوطنية.
محمد مفراوي، كلية الآداب، أكادير.
محمد مقدون، كلية الآداب، فاس.
محمد المنصور، كلية الآداب، الرباط.
محمد المنوني، كلية الآداب، الرباط.
محمد منيوي، المعهد العلوي، الرباط.
المصطفى مولاي رشيد، كلية الآداب، الرباط.
مصطفى ناعمي، المعهد الجامعي للبحث العلمي.
إدريس الناقوري، كلية الآداب، الدار البيضاء 2.
زهراء النظام، كلية الآداب، المحمدية.
الشيخ النواوي، باحث.
محمد الحبيب نوحي، كلية الآداب، أكادير.
محمد عبد الجليل الهجراوي، متحف الآثار، الرباط.
المختار الهراس، كلية الآداب، الرباط.
عثمان هناكا، كلية الآداب، أكادير.
أحمد هوزالي، كلية الآداب، مراكش.
علي واحدي، كلية الآداب، فاس.
أحمد الوارث، كلية الآداب الجديدة.
جمعة واركي، باحث.
محمد حمادي الورياغلي، باحث.
عبد الرحيم وطفة، باحث.
مصطفى يعرف، باحث.
سالم يفوت، كلية الآداب، الرباط.
عبد الرحمان اليوبي، كلية الآداب، بني ملال.

أهم المصادر والمراجع المشار إليها مع اختصارها

م. **أبو طالب،**

- *مواقف بريطانيا في مغرب القرن التاسع عشر، ضمن أعمال ندوة الاصلاح والمجتمع المغربي*، الرباط، 1983.

أ. **أحضري،**

- *ديوان الأمداح النبوية وذكر النغمات والطبوع*، مخطوط. (ديوان الأمداح النبوية).

م. **أيت حمزة،**

- *ملامح التحولات السسيومجالية بحوض أسيف أمكون*، د. د. ع، الرباط، 1986.

ب. **باسكون،**

- *إعادة شراء أراضي تازروالت من طرف دار إليغ*، أبحاث، ع 4، 1984.
- *اغتيال هاشم زعيم دار إليغ*، أبحاث، ع 3، 1983.

ك. **الباعمراني،**

- *شهادة المقاوم كريم محمد بن إبراهيم الباعمراني*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

محمد الأمين البزاز،

- *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، الرباط، 1992 (*تاريخ الأوبئة*).

ع. **بن منصور البزيوي،**

- *مجموعة من الرسائل في البونعماني إلى أسرته*، مخطوط.

ب. **البستاني،**

- *محيط المحيط*، بيروت، 1944 - 1979.

م. **البصري،**

- *مع الفقيد عبد الرحيم بين أول لقاء وآخر لقاء*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

ر. **بلمقدم،**

- *الأوقاف بمكناس في عهد مولاي إسماعيل 1082 - 1139 / 1672 - 1727*، د. د. ع كلية الآداب، الرباط، 1991 (*الأوقاف بمكناس*).

أ. **بنجلون،**

- *من تاريخ أسفي*، مخطوط

ع. **بنجلون،**

- *عبد الرحيم : الزعيم المرشد*، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. بنشريفة،

ـ علاقة مكناس بالأندلس والأندلسيين حتى نهاية العصر المريني، أعمال ندوة الحاضر الاسماعيلية، 1988.

ـ الفقيه الكانوني ومؤلفاته، كتاب أسفي، دراسات تاريخية وحضارية، أسفي، 1989.

ـ الماجريون، ضمن كتاب أبو محمد صالح : المناقب والتاريخ، الرباط، 1990.

ـ الماجريون، المناظرة، ع 2.

بنك المغرب،

ـ دراسات وإحصاءات، ع 12، نونبر 1960.

بورصة القيم،

ـ التقرير العام لسنة 1990، الدار البيضاء، 1990.

ع. بن بوزيد،

ـ تقييد في نسب آل بوزيد السلويين، بنقل أ. الصبيحي، كتاب التراجم، مخطوط، خ ص.

أ. بوشرب،

ـ عرض حول كتاب المؤرخ البرتغالي فيغاني، نشر ضمن أعمال ندوة أكادير الكبرى، أكادير، 1990.

م. بوشعراء،

ـ الاستيطان والحماية بالمغرب، ج 3 و4، الرباط.

إ. بوطالب،

ـ الذاكرة أساس العقل، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

ح. بوعشرين،

ـ رحلة ضمن كتاب : التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب، مخطوط.

م. البوعصامي،

ـ إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع أو نزهة القوافي في حدائق الأغاني، مخطوط، خ ح ع 11333 مجموع 14.

ط. البواب،

ـ مذكرات، مخطوط.

ج. بيضا،

ـ سقوط أكادير تحت الاحتلال الفرنسي وسياسة القواد الكبار في عهد ليوطي، أعمال ندوة أكادير الكبير، 1990.

ـ قضية الجوازيط الأجنبية بطنجة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، مجلة دار النيابة، ع 18، ربيع 1988.

ل. ت. بيندو،

ـ ديوان، مخطوط.

م. **التازي سعود،**

- *سكان أرض المغارب في عصور التاريخ القديم، مجلة كلية الآداب فاس*، ع 2 ـ 3، 1979 ـ 1980.

- *التصميم التوجيهي لتهيئة المجموعة الحضرية للناظور*، الرباط، 1988.

- *تقييد عن شرفاء بني عمران بالقبائل الهبطية*، مخطوط، خ. ع.

ع. **التمسماني خلوق،**

- *حول علاقات المدينة المغربية بأحوازها في بداية القرن العشرين مثال حصار جبالة لتطوان، 1903 ـ 1904*، الباحث، ع 4، أبريل 1982.

أ. **التوفيق،**

- *أبو الحسن علي بن سليمان البوجمعوي الدمنتي ورسالته إلى آفاق الاسلام*، ضمن كتاب : *في النهضة والتراكم*، الدار البيضاء، 1986.

غ. **الجائي،**

- *دوحة المجد والتمسك في وزارة ونسب العالمين ابني العشرين*، مخطوط.

ع. **الجراري،**

- *أبو إسحاق إبراهيم التادلي*، الرباط، 1980.

- *المجالس الأدبية*، مخطوط، د. د.ع الرباط.

م. **جسوس،**

- *ما تعلمته من السي عبد الرحيم، الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **الحجوي،**

- *الرحلة الوجدية*، مخطوط، خ ع 123 ح.

ابن حرزوز،

- ثبت، مخطوط، خ ح بمراكش.

م. **الحضيكي،**

- مناقب، مخطوط.

ب. **حميش،**

- *عبد الرحيم الرمز المضيء، الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

س. **الحوات،**

- *الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة*، مخطوط *(الروضة المقصودة)*.

ل. **ابن الخطيب،**

- *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار*، الرباط، *198*.

أ. **بن صالح الدرعي،**

- *الدرر المحمولة في شرح الهدية المقبولة*، مخطوط، خ ح 12030. *(الدرر المحمولة)*.

م. **الدلائي،**

درة التيجان، ولقطة اللؤلؤ والمرجان، مخطوط خ ع 598 د *(درة التيجان)*.

م. ب. ع. **الدلائي،**

ـ فتح الأنوار فيما يعين على مدح النبي المختار، مخطوط (فتح الأنوار).

الراشدي،

ـ الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، قسنطينة، 1973.

ا. م. **روزلي،**

ـ اه لو عرفنا من يكون هؤلاء الرجال، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. **ابن ريسون،**

ـ فتح العليم الخبير، مخطوط.

م. **ابن زاكور،**

ـ الاستشفاء من الألم بذكرى صاحب العلم، مخطوط. (الاستشفاء).

م. **الزيادي،**

ـ دوحة البستان ونزهة الاخوان في مناقب الشيخ علي بن عبد الرحمن، مخطوط، خ ع د 390، 2339 ك.

ـ سلوك الطريقة الوارية بالشيخ والمريد والزاوية، مخطوط، خ ح 12444، خ ع 190.

م. **الزروالي،**

ـ شمس القلوب لكل محبوب، مخطوط، خ ع د 3694.

ع. **زمامة،**

ـ باب بوجلود بفاس، المناهل، ع 13، 1978.

م. **زنيبر،**

ـ شباب مشوب بالعزيمة المتقدمة، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

أ. **الزياني،**

ـ تكميل الترجمان في خلافة مولانا عبد الرحمن، مخطوط، خ ح 2746.

م. **الزياني،**

ـ دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، مخطوط.

م. **السباعي،**

ـ البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولاي الحسن، مخطوط خ ع، د 1346.

ع. **السجلماسي الحجرتي،**

ـ الروض الطيب العرف، مخطوط.

أ. **السطاتي،**

ـ عبد الرحيم رمز الشموخ الوطني، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

ابن السكاك،

ـ نصح ملوك الاسلام، فاس (د. ت).

ع. **السكرادي،**

ـ تحلية الطروس وبهجة النفوس في مناقب أعيان سوس (تحلية الطروس)، مخطوط.

ع. **سكيرج،**

ـ نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان (نزهة الاخوان)، مخطوط.

ع. **السوسي السملالي،**

ـ منتهى النقول، مخطوط خ ع 633 د.

ـ السي عبد الرحيم بوعبيد، القائد الرائد، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. **شاكر،**

ـ دراسة جيومرفلوجية للهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست : ممر تاوريرت، العيون، د.د.ع. الرباط، 1985.

ع. **الشاوي،**

ـ عبد الرحيم بوعبيد : تجربة الرهان الديمقراطي، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. **شفيق،**

ـ في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية، البحث العلمي، ع 27، يناير ـ يوليوز، 1977.

أ. **الصبيحي،**

ـ مسودة كتاب أعلام سلا، مخطوط، خ ص.

ـ كناشة علمية، مخطوطة خ ص.

ع. **صدقي أزايكو،**

ـ زاوية تاسافت، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع 16، 1991.

ـ عرض مذكرات المؤرخ البرتغالي المجهول، نشر ضمن أعمال ندوة أكادير الكبرى، أكادير، 1990.

ابن **صعد،**

ـ النجم الثاقب، مخطوط، خ ح 2491.

ـ صفرو بين غنى الماضي واهتمامات الحاضر، الملتقى الثقافي الأول لصفرو، فاس، 1987.

م. **الضوء السباعي،**

ـ رجالات گسيمة، مخطوط.

م. **طوليدانو،**

ـ عبد الرحيم بوعبيد واحد من آخر العظماء، الاتحاد الاشتراكي، 16 فبراير 1992.

م. ابن **عهاد،**

ـ الرسائل الصغرى، بيروت، 1976.

ـ الرسائل الكبرى، فاس 1320 / 1902.

محمد سالم بن الحبيب بن عبد الحي،
- *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. م. ناعمي، الرباط، 1991. *(جوامع المهمات)*.
ابن عجيبة،
- *شرح تائية البوزيدي*، مخطوط، خ. ت.
م.ابن عزوز حكيم،
- *حصار مولاي إسماعيل لمدينة سبتة من سنة 1106 / 1649 إلى سنة 1139 / 172*.
- *مشروع الدليل الدبلوماسي المغربي*، مرقون.
ع. العزوزي،
- *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط.
م. العمري،
- *فهرسة*، مخطوط.
ع. بن علي عواد،
- *كناشة*، مخطوطة خ ص.
ن. العوفي،
- *قراءة سريعة في التجربة التاريخية لسي عبد الرحيم بوعبيد، 1958 - 1960 : تقعيد الاقتصاد وشروط التاريخ*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.
ز. الفاسي،
- *الفقيه بودميعة الحسن بن علي*، *الإرشاد*، ع 2، س 15، 1983.
ع. الحفيظ الفاسي،
- *الآيات البينات*، الرباط، (د. ت) ج 1.
ع. فجال،
- *النمو الحضري بمركز المنزل : مظاهره ونتائجه بالتنمية المحلية وتهيئة المجال بالمغرب، صفرو ومنطقتها نموذجا*، الملتقى الثقافي الثاني لصفرو، فاس، 1989.
أبو النصر الفرابي،
- *الدرة المنتخبة فيما صح من الأدوية المجربة*، مخطوط، خ ح 2995.
ابن فضل الله العمري،
- *مسالك الأبصار*، الدار البيضاء، 1988.
ح. الفكيكي،
- *مليلة حاضرة قلوع كرط*، دار النيابة، ع 7 و9.
أ. القادري،
- *عبد الرحيم بوعبيد : رجل وطني صادق وسياسي ماهر*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.
ع. القادري،
- *مسيرة عبد الرحيم النضالية : عبد الرحيم المناضل القدوة*، *الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **القادري،**

ـ *الطرفة في اختصار التحفة*، مخطوط، خ ح 1271.

م. **القرشاوي،**

ـ *السي عبد الرحيم صحفيا ، الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

القلصادي،

ـ *رحلة*، تح. أبو الأجفان، تونس، 1978.

د. **الكرامي،**

ـ *بشارة الزائرين*، مخطوط.

إ. **كردية،**

ـ *القائد الوزير عيسى بن عمر العبدي*.

م. **كرم،**

ـ *السي عبد الرحيم : المحامي، الانسان، الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

كوستي ـ عشاش،

ـ *بيوتات مدينة سلا*، تح. نجاة المريني، سلا، 1992.

ع. **اللجائي،**

ـ *دوحة المجد والتمكين في وزارة ونسب العالمين النبي عشرين*، مخطوط خاص.

م. **اللحية،**

ـ *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر*، د.د.ع، الرباط، 1984.

ع. **لغزيوي،**

ـ *أضواء على قبيلة بني يازغة وبعض أعلامها بصفرو ومنطقتها : بيئة، تاريخ، مجتمع*، الملتقى الثقافي الثالث لصفرو، ج 1، الدار البيضاء، 1990.

ح. **ليمان،**

ـ *حصيلة البحث الأثري بمنطقة العنصر، صفرو ومنطقتها : بيئة، تاريخ، مجتمع، فكر*، الملتقى الثقافي الثالث، مدينة صفرو، الدار البيضاء، 1990.

م. **مجدوب،**

ـ *مملكة الموريين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، د. د. ع. كلية الآداب فاس، 1990.

مجهول،

ـ *تقييد نسب قبيلة قلعية*، مخطوط، خ ع.

ـ *الروضة الغناء في أصول الغناء*، مخطوط، خ ع 192 د.

ـ *كناشة : تقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة*، خ ع، 2721 ك.

ـ *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ ح.

ع. **المزريوي،**

ـ *مذكرة المزريوي*، مخطوط.

م. **المشرفي،**

ـ *الحسام المشرفي*، مخطوط.

أ. **معنينو،**

ـ *جلالة الملك عبد العزيز، دعوة الحق*، سنة 23، ع 1، 1982.

ـ *الدبلوماسية المغربية ومقاومة أطماع الاستعمار في العهد العزيزي، البحث العلمي*، يوليو ـ ديسمبر، 1976، ع 26.

م. **المنوني،**

ـ *التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور، مجلة الثقافة المغربية*، 7، 1972.

ـ *حياة فقد المغرب المختار السوسي، الإيمان*، ع 13، 1982.

ت. **موساتوفا،**

ـ *روسيا ـ المغرب : ماضي بعيد وقريب في نفس الوقت*، موسكو، 1990 (باللغة الروسية).

م. **الناصري،**

ـ *عبد الرحيم بوعبيد : رجل التراضي والحسم، الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **المكي الناصري،**

ـ *طليعة الدعة في تاريخ وادي درعة*، مخطوط.

م. **ناعمي،**

ـ *أهمية علاقات الرحل والمستقرين في التطور التاريخي لمجموع اتحادية تكنة، البحث العلمي*، ع 38، 1988.

ع. **نجمي،**

ـ *الملامتية، مجلة تاريخ المغرب*، ع 1، 1981.

أ. **النميشي،**

ـ *الشعر والشعراء بفاس*، فاس، 1343 هـ.

م.ع. **الهجراوي،**

ـ *الحضارة الايبروموروزية، معلمة المغرب*، ج 3، الرباط.

ع. **الهواري،**

ـ *النور الحنفي في مناقب الشيخ سيدي محمد الحنفي*، مخطوط.

م. **الوديع الأسفي،**

ـ *شهادات للتاريخ عن المناضل السي عبد الرحيم بوعبيد، الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

ق. **الورطاسي،**

ـ *إلى رياض الخلود، العلم*، 23 دجنبر 1991.

ـ *وصية الفقيد العزيز، الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

م. **الولاتي الشنقيطي،**

ـ *الرحلة الحجازية*، تح. محمد حجي، بيروت، 1990.

ف. **ولعلو،**

ـ *عبد الرحيم بوعبيد مرجع اقتصادي لا محيد عنه، الاتحاد الاشتراكي*، 16 فبراير 1992.

Supplément
à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations

AKOKA, A.G. - *Le medical du XXème siècle, Enc. med.*, Paris, 1980.

ALCALA GALIANO, P. - *Desquerias y comercio en la costa N.O. de Africa*, Madrid, 1900.

ARDANT, H. - *Introduction à l'étude des banques et des opérations de banque*, Paris, 1954

ARIE, R. - *L'Espagne musulmane au temps des Nasrides, 1232 - 1492*, Paris, 1973.

ARQUES - GIBERT - *Los Mogataces*, Ceuta ; Tetuan, 1928.

AZAM, P. - *Tagounit du Ktaoua quarante trois ans plus tard, La Koumia*, n° 115, Déc. 1989.

BALDOUI, J. - *Artisanat marocain à la foire de Marrakech, Hesp.*, XIX.

BARTHELEMY, A. - *Tazra : tapis et bijoux de Ouarzazate*, Casablanca, 1990.

BEAUBRUN, P. C., *Catalogue raisonné des poissons des mers marocaines, B.I.P.M.*, n° 23, 1978.

BEAUBRUN, P. C. - THEVENOT, M. - *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc, Janvier 1986 - 87 - 88*, Rabat, 1988.

BEL FAIDA, A. - *Le culte des divinités des eaux en Afrique du Nord à l'époque romaine*, Thèse 3ème cycle, Bordeaux, 1987.

BELTRANLLORIS - *El Comercio del aceite en el Valle del Ebro a finales de la Republica y colienzos del imperio in producion y comercio del aceite in la antiguedad, I Congreso internacional*, Madrid, 1980.

BENABDELJALIL, A. - SIJILMASSI, A. - AYAD, M. - *Etudes d'architectures régionales : région du centre*, Rabat, 1985.

BENOTHMANE, M.L. - *La profession bancaire au Maroc*, Rabat, 1985.

BENS, - *Mis memorias : 22 años en el deseirto*, Madrid, 1947.

BENTER, A. - *Os Sefardim Hakitia*, Belim (Brésil), 1981.

BERCQUART, M. - *Porte ce festin aux pauvres*, Paris, 1970.

BERRADA, M. A. - *Les techniques de banque et de crédit au Maroc*, Casablanca, 1985.

BESSIS, S. - *Abderrahim Bouabid : un démocrate d'état*, J. A., 24 Janv. 1992.

BIANCHI, G. - *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

BIDWELL, R. - *French administration of tribal areas, 1912 - 1956*, London, 1973.

BOHUMIL, S. - *Les plantes sauvages*, Paris, 1973.

BOLIVAR, I. - *Dermaptera y ortopteras de España, Hist. Nat.*, 8, 1914.

BONELLI, E. - *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara, B.S.G* (Madrid), 18, 1885.

BONS, J. - *Les lacertiliens du Sud-Ouest marocain*, Rabat, 1959.

BOUBE, J. - *Amphores préromaines trouvées en mer au voisinage de Rabat, B.A.M.*, XII, 1979.

BOUBE, J. - *Supplément II au catalogue des marques de potiers, B.A.M*, VIII, 1968.

BOULLE, - *La France et les Beni Snassen : campagne du général Lyautey, Archives historiques de Vincennes.*

BRANGER, J. - *Les techniques bancaires*, Paris, 1975.

BREHM, A.E. - *La vie des animaux illustrée : les oiseaux 1910.*

BRUNSCHVIG, R. - *La Berbérie orientale sous les Hafsides : des origines à la fin du XVème siècle*, Paris, 1940 - 1947.

BRUNSCHVIG, R. - *Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVème siècle*, Paris, 1936.

BUNIS - *History of later Rome empire from the death of Theodosius I to the death of Justinian, A.D. 395 to A.D. 565*, London, 1931.

CAMPS, G. - *Les derniers rois numides : Massinissa 2 et Arabion, B.C.T.H. Nelle Ser.*, fasc. 17 B, 1981.

CANO MARTIN, - *Bu Hamara y Melilla*, Melilla, 1989.

CHAINEAU, A. - *Mécanismes et politiques monétaires*, Paris, 1973.

CHASSIN, C. M. - *Bélisaire généralissime byzantin, 504 - 565*, Paris, 1957.

CHATELAIN, L. - *Inscriptions et fragments inédits de Volubilis et de Banasa, B.C.T.H.*, 1916.

CLAUDE, H. - *Histoire événementielle abrégée de Moulay Abdelaziz Ibn El Hassan, in Corpus des monnaies Alaouites*, Vol. 1, Rabat, 1988.

Codex Justinianus, Ed. Krüger, Berlin, 1877.

COELLO - *Mapa de las posesiones españolas en Africa*, Madrid, 1850.

COLIN, G.S. - *Baniqa, EI 2*.

COLIN, H. - *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977.

COLLES, [et al...] - *L'épave de Port-Vendres II et le commerce de la Bétique à l'époque de Claude, Archaemantica*, II, 1977.

COURSIMAUT, - *Ttata, A.B.*, Vol. 2, fasc. 3, 1917.

CRAVIOTO, C.G. - *La Costa Africana del Estrecho, siglos 15 - 16, C.B.E.T.* n° 21.

DAILLIERS, J. - *Enquête sur les associations agricoles et la situation économique et sociale des populations rurales, secteur de Fès - sud*, C.H.E.A.M., n° 4336.

DAVADIE, C. - *Etude de la baleine d'Europe et d'Afrique*, Paris, 1963.

DAVEAU, S. - *L'itinéraire de Tamdult à Aoudaghost*, in *Tegdaoust*, I, Paris, 1970.

DELBREL, G. - *Geografia general de la provincia del Rif*, Melilla, 1911.

DESANGES, J. - *L'Afrique romaine et libycoberbère, in Rome et la méditerranée occidentale*, T. 2, Paris, 1978.

DESSAU, H. - *Benta, Real - Encyclopädie*, col. 277.

Dictionnaire des personnalités passées et contemporaines : livre d'or, Casablanca, 1934.

DUCY, R. - *Les problèmes du Khamessa au Maroc*, C.H.E.A.M., n° 2575.

DUFOURCQ, C.E. - *L'Espagne catalane et le Maghrib aux 13ème et 14ème siècles : de la bataille de Las Navas de Tolosa, 1212 à l'avènement du sultan Abul-Hasan*, Paris, 1966.

DUNN, R. - *Resistance in the desert : Moroccan response to French imperialism, 1881 - 1912*, Wisconsin, 1977.

EL GHARBAOUI, A. - *La terre et l'homme dans la péninsule Tingitane*, Rabat, 1980.

EMBERGER, L-MAIRE, R. - *Catalogue des plantes du Maroc*, Alger, 1941.

Emergence de la province de Beni Mellal en tant que futur pôle de développement, Casablanca, 1985.

EUZENNAT, M. - MARION, J. - *L'Archéologie marocaine de 1958 à 1960, B.A.M.*, IV.

EUZENNAT, M. - *Recherches récentes sur la frontière de l'Afrique, 1964 - 1974, Studien Zu du Militurgensen*, Roma, 2, *vorträge des 10 internationalum lines kongrassen in suddentschland*, Koln, Bonn.

FERNANDEZ DURO, C. - *Exploracion de una parte de la costa noreste de Africa, Bol. Soc. Geog.* Madrid, marzo 1879, n° 3.

FEVRIER, J. G. - *Bocchus le jeune et les Sosii, Sémitica*, 11, 1961.

FIGANIER, J. - *Historia de Santa Cruz do Cabo de Gue, Agadir, 1505 - 1541*, Lisbonne, 1945.

FISCHER, W. - SCHNEIDER, M. - BAUCHOT, M. L. - *Méditerranée et Mer noire*, in *Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987.

GAHIZ - *Le livre de la couronne : Kitab at-Tag fi ahlaq al-muluk*, trad. par C.Pellat, Paris, 1954.

GAHIZ - *Le livre des avares*, trad. franc. C. Pellat, Paris, 1951.

GARCIA ARENAL, M. - *The Revolution of Fas in 869 = 1465 and the death of Sultan Abd al-Haqq al Marini, B.S.O.A.S.*, XLI.

GARCIA - BELLIDO, A. - *Fenicios y carthagineses en occidente*, Madrid, 1942.

GASCOU, J. - *Inscription antiques du Maroc, 2 : inscriptions latines*, Paris, 1982.

GASCOU, J. - *La population de Volubilis à l'époque romaine, B.A.M.*, IV, 1960.

GENEVOIS, H. - *Un rite d'obtention de la pluie : la fiancée d'Anzar, Actes du IIème congr. int. d'études des cultures de la médit. occid.*, Alger, 1975.

GIRARD, S. - *Banasa préromaine : un état de la question, Ant. Afr.*, 20, 1987.

GOMEZ MORENO, P. - *Pozos del Sahara*, Madrid, 1956.

GUASLLE, P. - *La evolucion de las exportaciones beticos durante el imperio, I Congreso internacional : produccion y comercio del aceite en la antiguedad*, Madrid, 1980.

GUERARD, M. - *Contribution à l'étude de l'art de la broderie au Maroc, H.T.*, 1969.

HADDOU, A. - *L'odyssée des Aït Hammou de Talsint, Lamalif*, n° 143, fév. - mars. 1983.

AL HAROCHI, R.M. - *Introduction et évolution religieuse et spirituelle de la confrérie Qadiriya au Maroc*, Mém. maitrise, 1986.

HARRISION, C. - *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977.

HEINZEL, H. - FITTER, R. - PARSLOW, J. - *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984.

HERPIN, E. - *Géographie du Maroc Oriental, B.E.P.M.*, 234, 1956.

HESNARD - LENOIR - *Les amphores du Cécube et du Falerne : prospection, typologie, analyse, M.E.F.R.A.*, 93, 1981.

HESNARD - *Un dépôt angustéen d'amphores à la Longarine, Ostie, in Roman Seabonne Commerce, M.A.A.R.*, (Rome), 1980.

Informe reservado sobre los fostatos de Bukraa en el Sahara Español, Madrid, 1970.

Informe sobre los puntos de agua existentes en el Sahara Español, El Ayun, 1943.

JAHIZ, - *Le kitab at-Tarbia` wat-t-tadwir*, introd., glos., table de fréquence, index, par C. Pellat, Damas, 1955.

JODIN, A. - *Bijoux et amulettes du Maroc punique, B.A.M*, VI, 1966.

JODIN, A. - *Les établissements du Roi Juba II aux iles purpuraires, Mogador*, Rabat, 1967.

JODIN, A. - *Mogador : comptoir phénicien du Maroc atlantique*, Rabat, 1966.

JOLEAUD, L. - *Gravures rupestres et rites de l'eau en Afrique du Nord, J.S.A*, II, 1933.

JUSTINARD, L. - *Le Kennach : une expédition du Sultan Ahmad el Mansour dans le Sous, 985 / 1580, A.M.*, vol. 29, 1933.

JUSTINARD, C. - *Le Tazerwalt et les Oulad Jerrar, A.M.*, 23.

KERBOUT, M. - *Quelques aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen Atlas et le bassin de la Moulouya, R.G.M.*, vol. 12, n° 1, 1988.

KOCHER, L. - *Catalogue commenté des coléoptères du Maroc*, Rabat, 1956 - 1962.

LABADIE - LAGRAVE, H. - *Le mensonge marocain : contribution à l'histoire vraie du Maroc*, Casablanca, [1925].

LACOMBE, - *Le Khamessat au Maroc occidental*, C.H.E.A.M., n° 854.

LANÇON, - *Les dernières étapes de la pacification marocaine, 1931 - 1933, Revue militaire française*, Août - décembre 1934.

LANCRE, P. - *Répertoire alphabétique des agglomérations de la zône française de l'Empire Chérifien : résultats du recensement du 8 mars 1936*, Casablanca.

LAPIE - *Recueil des itinéraires anciens*, Paris, 1844.

LECOINTRE, G. - DELEPIN, G. - *Etudes géologiques dans la région paléozoïque comprise entre Rabat et Tiflet, Sehal et Belkacem, Notes et mem. Serv. geol. Maroc*, n° 28.

LESSARD, J. M. - *Sijilmassa : la ville et ses relations commerciales au IIème siècle d'après El Bakri, H.T.*, 10, 1er - 2 ème fasc, 1969.

LUQUET, A. - *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Le Maroc punique, B.A.M.*, IX, 1973 - 1975.

MARCY, G. - *L'alliance par colectation, tad'a, chez les berbères du Maroc central*, Alger; 1936.

MARMOL, - *Historia del rebelion y castigo de los Moriscos del Reino de Granada*, Madrid, 1797.

MARTINEZ, J. - *Portulano*, Messina, 1579.

MARTINEZ CAMPOS, C. - *España belica : el siglo XX*, Madrid, 1972.

MAYET, E. - *Marques d'amphores de Maurétanie Tingitane : Banasa, Thamusida, Volubilis, M.E.F.R.A.*, 90 - 1, 1978.

MEAKIN, B. - *The Moorish empire : a historical epitome*, London, 1899.

MENIOUI, M. - *Contribution à la connaissance des peuplements infralittoraux superficiels de la côte méditerranéenne*, Thèse Doct. Univ., Mohammed V.

MENOUILLARD - *Mœurs et coutumes indigènes pratiques pour solliciter la pluie, R.T.*, 1910, n° 79.

MERAUD, M. - *Histoire des A.I, La Koumia*, 1990, Tome 2.

MEUNIE, J. - *Bijoux et bijoutiers du sud marocain, C.A.T.A.N.*, VI, 1960 - 1962.

MEUNIE, J. - ALLAIN, C. - *La forteresse almoravide de Zagora, Hesp.* 33, 1956.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Le Bniqat ech-chikayat de Moulay Hafid, R.M.M.*, Juin 1908.

MINISTERE DE L'INTERIEUR - *Monographie de la province de Figuig*, Figuig, 1986.

MONCHICOURT, C. - *Les rogations pour la pluie, R.T.*, n° 108, 1915.

MULLER, C. - *Numismatique de l'ancienne Afrique*, Copenhague , 1960.

AL-MUQADDASI, Chams ad-Dîn, - *Description de l'occident musulman au IV - Xème siècle*, trad., introd., notes et index par C. Pellat, Alger, 1950.

NALLINO, C. A. - *La littérature arabe des origines à l'époque de la dynastie umayyade*, trad. franc. C. Pellat, Paris, 1950.

PAJARES, - *Apellidos y nombres de lugar hispano-marroquies*, Madrid, 1918.

PASCON, P. - *La maison d'Iligh et l'histoire sociale de Tazerwalt*, Rabat, 1984.

Les pays inaccessibles du Haut Draa, R.G.M., 1929.

PEDECH, P. - *Notes sur la digraphie de polybe, Les études classiques*, XXIX, n° 2.

PELLAT, C. - *L'arabe vivant : mots arabes groupés d'après le sens et le vocabulaire fondamental de l'arabe moderne*, Paris, 1952.

PELLAT, C. - *Etudes sur l'histoire socio-culturelle de l'Islam au VII - XVème S.*, Londres, 1976.

PELLAT, C. - *Introduction à l'arabe moderne*, Paris, 1956.

PELLAT, C. - *Langue et littérature arabes*, Paris, 1952.

PELLAT, C. - *Le milieu basrien et la formation de Gahiz*, Paris, 1953.

PELLAT, C. - *Nemrod et Abraham dans le parler arabe des juifs de Debdou, Hesp.*, T. 39, 1 - 2ème trim., 1952.

PELLAT, C. - *Textes berbères dans le parler des Aït Seghrouchen de la Moulouya*, Paris, 1955.

PELLAT, C. - *Une charge contre les secrétaires d'états attribuée à Gahiz, Hesp.*, 1er - 2ème trim., 1956.

PEREDA ROIG, G. - *Capaz en la pacificacion de Gomara*, Ceuta, 1939.

PEREDA ROIG, G. - *El raid de Capaz por Gomara*, Tetuan, 1949.

PEYRE, C. - *Quelques aspects de la végétation du Massif du Bou-Iblane, in Etude de certains milieux du Maroc et de leur évolution récente*, Paris, 1973.

PEYRE, C. - *Recherches sur l'étagement de la végétation dans le massif du Bou-Iblane, Moyen Atlas Oriental*, Thèse 3ème cycle, Aix-Marseille, 1979.

PICARD, - *Les religions de l'Afrique antique*, Paris, 1954.

PICARD, G. ET C. - *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970.

PIERSUIS, - *Etudes sur les communautés rurale des Beni Ahsen*, Rabat, 1947.

PINTOINE, M. - *Coléoptères carabiques du Maroc*, Rabat, 1955 - 1961.

PLINIO EL VIEJO, - *Naturae historiarum*, Leypzig, 1906.

PONSICH, M. - *A propos d'une lampe grecque trouvée à Banasa, B.A.M.*, VI.

PONSICH, M. - *Fours de potiers puniques en Maurétanie Tingitane, in Acta del Congreso Nacional de Arqueolagia*, Saragosse; 1969.

PONSICH, M. - *Nouvelles perspectives sur l'olivier du Bas- Guadalquivir, in produccion y comercio del aceite en la antiguedad, I, Congreso internacional*, Madrid, 1980.

PONSICH, M. - DOUAS, M. - *Port antique et carrefour des voies de Maurétanie Tingitane, B.A.M.*, VII, 1967.

POTOCKI, J. - *Voyage en Turquie, en Egypte, en Hollande et au Maroc*, Paris, 1980.

El pozo fuente de vida capital en el Sahara, El Ayun, 1948.

AL-QAYRAWANI, Muhammad Ibn Charaf, - *Questions de critique littéraire : masâ'il al-intiqâd*, texte arabe établi et trad. avec introd. et notes par C. Pellat, Alger, 1953.

QUEZEL, P. - SANTA, S. - *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

QUEZEL, P. - VINDT, J. - *Flore du Maroc analytique, descriptive et illustrée*, Rabat, 1953.

Rapport sur l'étude des parcours dans la province de Figuig, Oujda, 1984.

READE, W. - HOSKING, E. - *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids*, Paris, 1968.

RIVET, D. - *Ethnographie et conquête du Moyen Atlas, 1912 - 1913, in Sciences de l'homme et conquête coloniale*, Paris,.

ROCHE, J. - *L'atérien de la grotte de Taforalt, Maroc oriental, B.A.M.*, VII, 1967.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt, L'anthropologie*, 57, 1953.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt, B.S.H.M.*, 3, 1970 - 71.

ROCHE, J. - *La grotte de Taforalt : note préliminaire sur la grotte de Taforalt, Maroc oriental, Hesp.*, T. 40, 1953.

ROCHE, J. - *Les industries paléolithiques de la grotte de Taforalt, Maroc oriental : méthode d'étude, évolution technique et typologique, Quaternaria* (Rome), XI, 1969.

ROGE, J. - *Recherche sur l'organisation du commerce maritime en Méditerranée sous l'Empire*, Paris, 1966.

SAIDI, E. K. - *Etude géomorphologique de la région de Tiflet et des conditions morphostructurales et sédimentologiques de genèse de la formation de la Mamora*, Thèse 3ème cycle, Rabat, 1974.

SAULAY, J. - *Zaïd ou Ahmed : le dernier dissident de l'Atlas central marocain, 1934 - 1936, Bull. de la Koumia*, Déc. 1979.

Schéma d'armature rurale : région du centre, Rabat, 1972.

Schéma directeur d'urbanisme du groupement du grand El-Jadida : rapport de synthèse, Rabat, 1983.

Schéma directeur de la ville de Beni-Mellal, Hambourg, London, 1978.

SCHOUTEN, J. - RAMDANI, M. - *Fish of the Nifiss Lagonn and the Tarfaya coast*, Rabat, 1988.

SEGONDS - *La Chaouia et sa pacification*, Paris, [s.d.].

SEMACH, Y. D. - *Yahas de Fès, Hesp.*, XIX, 1934.

SERYOUHI, I. - *Le Moyen Atlas plissé, in Ressources en eaux du Maroc, T. 3 : domaines atlasique et sud atlasique*, Rabat, 1977.

SHATZMILLER, M. - *L'historiographie mérinide*, Leiden, 1982.

SHATZMILLER, M. - *Marinides, E.I.*, Nlle éd., vol VI.

SIMONEAU, A. - *La région rupestre de Tazzarine, R.G.M.*, n° 20, 1971.

SLOUSCH, N. - *Notes sur l'histoire des juifs du Maroc, A.M.*, VI, 1905.

SORIANO, R. - *Geografia del Kert*, Melilla, 1941.

SOUVILLE, G. - *Beni Gorfet, in Atlas préhistorique du Maroc*, Paris, 1973.

TARRADELL, M. - *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : région de Tetouan, B.A.M.*, 4, 1960.

TARRADELL, M. - *Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955*, Tamuda, IV, 1956.

TARREDELL, M. - *La necropolis punico-mauretania del Cerro de San Lorenzo en Melilla, I Congreso Arqueologico del Marruecos español*, Tetuan 1953, Tetouan, 1956.

TARRADELL, M. - *El Poblamiento antiquo del Valle del Rio Martil, Tamuda*, 5, 1957.

TCHERNIA, A. - *Les amphores romaines et l'histoire économique, J.S.S*, 1967.

TERRASSE, C. - *Médersas du Maroc*, Paris, 1927.

THEVENOT - BERGIER - BEAUBRUN - *Compte-rendu d'ornithologie marocaine : statut, répartition et écologie, Annales CEEP*, n° 3, 1987.

THOUVENOT, R. - *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens, B.E.P.M.*, n° 215, 1951.

THOUVENOT, R. - *Rapport sur l'activité du Service des Antiquités du Maroc, 1948, B.C.T.H.*, 1950 et 1951.

THOUVENOT, R. - *Rapport sur l'activité de l'Inspection des Antiquités du Maroc pendant le second trimestre 1954, B.C.T.H.*, 1955 - 56.

THOUVENOT, R. - *Une colonie romaine : Valentia Banasa*, Paris, 1914.

THOUVENOT, R. - *L'urbanisme romain dans le Maroc antique, Revista de la Universidad Complutensis*, T. 18, 118.

TIANO, A. - *La politique économique et financière du Maroc indépendant*, Paris, 1963.

TOFIÑO DE SAN MIGUEL - *Derrotero de las Costas de España*, Madrid, 1847.

TURBET - *Le droit coutumier des Beni Ouarain, Cheraga, R.A.T.M.L.J.*, T. 47, 1931.

Vademecum de la intervencion territorial de Gomara, 1946.

Vademecum de la intervencion territorial del Kert, 1948.

Vademecum de la intervencion territorial del Lukus, 1948.

Vademecum de la intervencion territorial del Rif, 1946.

Vademecum de la intervencion territorial de Yebala, 1948.

VIENNET, Cap. - *Trouvaille à Banasa, B.C.T.H.*, 1912.

VOLLERIE, P. - *La pénétration militaire au Maroc*, Paris, 1934.

WARMINGTON, B. - *Histoire et civilisation de Carthage*, Paris, 1961.

WORTHE, Ch. - *Les routes et le trafic commercial dans l'Empire romain*, Paris, 1938.

Yebala y el bajo Lucus, 1934, [s. l.], 1935.

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*

E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabes*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles ... Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

بوعبيد، عبدالرحيم بن موسى السلاوي، ولد بسلا عام 1920/1339، وبها تابع دراسته الابتدائية، في مدرسة أبناء الأعيان، والثانوية بكوليج مولاي يوسف بالرباط، ثم انخرط في سلك التعليم، والتحق بقسم المعلمين للتكوين البيداغوجي، فعين مدرسا في فاس سنة 1938، واستطاع باجتهاده، واعتماده على نفسه، أن يحصل على شهادتي البكالوريا الأولى والثانية.

وفي سنة 1942 التحق معلماً بمدرسة أبناء الأعيان بسلا إلى أن صدر أمر باعتقاله يوم 30 يناير 1944 في أعقاب أعظم مظاهرة شعبية عرفتها مدينة سلا يوم 29 يناير، احتجاجا على الاتهامات التي ألصقت بزمرة من قادة الحركة الوطنية، وعلى سياسة القمع التي قرر المقيم العام گابريال پيو شنها ضد قادة حزب الاستقلال بالخصوص، الذين أقدموا على المطالبة بالاستقلال، في وقت كانت فيه فرنسا ما تزال تتجرع مرارة احتلالها من طرف القوات النازية.

وبعد استسلام المانيا، يوم 8 مايو 1945، أفرج عنه وعن جميع الوطنيين داخل المغرب، وبعد ذلك ببضعة شهور التحق عبدالرحيم بوعبيد بباريز، لمتابعة دراسته الجامعية، وتمثيل حزب الاستقلال في فرنسا وربط الاتصال مع النخبة ومكونات الطبقة السياسية للتعريف بالقضية المغربية، وللاضطلاع كذلك بمهمة الإشراف على شؤون الطلبة، وتنظيم الجالية المغربية وتعزيز دور من سبقوه في هذا المجال.

تجلى منذ ذلك التاريخ، أن الرجل يجسد فضائل الكرامة، والجرأة، والتفاني في خدمة الصالح العام، والابتعاد عن أي شبهة، وظل طيلة حياته متصفا بهذه الخصال كمسؤول وكمناضل.

لقد حبا الله ذلك الوطني الفذ بموهبة النضج وبعد النظر، منذ بداية العقد الثالث من عمره، فاستأثر باهتمام من كانوا يكبرونه سنا من القادة الوطنيين، الذين سارعوا بالاقتراع عليه للانضمام إلى "الطائفة"، أهم جهاز للقرار آنذاك، الجهاز السري الذي لم يكن يعرف مجموع أعضائه إلا القليل من الناس.

واشتهر أيضا بالافتتاحيات التي كان يكتبها باستمرار، عندما عهد إليه بالإشراف على جريدة الحزب الأسبوعية : *الاستقلال Al-Istiqlal* مدشنا بذلك حرب القلم، وأبلى فيها البلاء الحسن. كانت تلك الافتتاحيات تتطلب منه وقتاً كبيراً، باذلاً قصارى الجهود لصيانة جمال اللغة، التي يتوجه بها إلى الخصم، منتقدا بالحجة والأرقام برنامج الإصلاحات الفرنسية، ومبرزاً الطابع الاستعماري للسياسة الفرنسية في المغرب، ومنددًا بانتهاج الدولة الحامية، سياسة الإدارة المباشرة، خرقاً لمحتوى معاهدة الحماية الموقعة

في 30 مارس 1912، إضافة إلى التمادي في سياسة التجهيل والتفقير ونزع الملكية بدون قانون، والاستيلاء على المزيد من الأراضي، واستسلام السلطات العمومية في فرنسا أمام اللوبي الاستعماري المتألف من كبار المعمرين والصناع وأرباب العمل ومساندتها لتيار المتخلفين فكريا.

فتحليلاته والعناية الفائقة بالمقالات التي كان يحررها، والتي كانت تجمع بين الأسلوب الرصين والتعمق في التفكير والنقد اللاذع، كل هذه الخصال دفعت الملك الراحل، محمد الخامس، إلى اتخاذ قرار بإلحاقه بالثلة التي كان يعهد إليها بإعداد أهم مذكرة قدمت إلى رئيس الجمهورية الفرنسية ڤانسان أوريول، في النصف الأول من أكتوبر سنة 1950، خلال الزيارة الرسمية التي قام بها جلالة الملك الراحل لفرنسا، والتي طرح فيها مسألة تقييم طبيعة العلاقات، بين المغرب وفرنسا، وبالتالي ضرورة التخلي عن

معاهدة سنة 1912، وتعويضها باتفاقية جديدة، تأخذ بعين الاعتبار ما تمّ إنجازه منذ أربعة عقود، ومؤكداً، في نهاية محادثاته مع رئيس الحكومة ووزير الخارجية أيضاً، بأن مغرب أواخر 1950 ليس هو مغرب 1912.

كما أشرف عبدالرحيم بوعبيد على تنظيم العمال، في الدارالبيضاء أكبر ميناء في المغرب، وفي أسفي أعظم ميناء للصيد البحري آنذاك، لاقتناعه بأن حزب الاستقلال، الذي يناضل في صفوفه وأصبح من أبرز قادته منذ بداية الأربعينيات، لن يرقى إلى حزب جماهيري ذي مصداقية، بالنسبة للخصم أيضاً، وذي تأثير فعلي، إلا إذا تمكن من تأسيس نقابة عمالية قوية، نقابة وطنية لا تنتمي عضويا لا للكونفيديرالية العامّة للشغل ولا للقوة العمالية الفرنسيتين.

وستبرز شخصية عبدالرحيم بوعبيد، كمفاوض، يجمع بين الذكاء وبعد النظر والتركيز على الجوهر ـ عند انطلاق مفاوضات إيكس لي بان في غشت 1955 ـ فلقد كان الناطق باسم الوفد الرباعي لحزب الاستقلال، المتألف منه ومن المرحومين محمد اليزيدي وعمر بن عبدالجليل والمهدي بن بركة، كما أشيد باعتداله ونبوغه السياسي من طرف من كانوا لا يعرفونه إلا سطحياً، ومن بينهم أنطوان پيني، وزير الشؤون الخارجية الفرنسي، الذي كان من كبار قادة الحركة المعروفة بوسط المستقلين والمزارعين.

وسيتجلى بوعبيد كخبير في الشؤون الفرنسية، وكمفاوض قدير، يعي أبعاد سياسة الخصم، عندما تمكن من إعادة صياغة البلاغ المشترك، المغربي ـ الفرنسي، المؤرخ في 16 ـ 11 ـ 1955 الذي لم يكن في صيغته الأولى يشير صراحة إلى الإلغاء الضمني، لمعاهدة الحماية، واستطاع بذلك إفشال مخطط انطوان پيني رئيس الدبلوماسية الفرنسية.

وتأكد تكوينه السياسي، بالنسبة لرجالات المغرب، في أواسط الخمسينات، عند انعقاد المؤتمر الاستثنائي لحزب الاستقلال، قبيل تشكيل أول حكومة مغربية في عهد الاستقلال، ذلك أنه تقدم أمام أعضاء المؤتمر ببرنامج شامل ومشرِّف، يعود عادةً إعداده إلى من يضطلع بمهام الرئيس الفعلي للحكومة في الأقطار الديمقراطية.

يتطرق ذلك البرنامج لانشغالات واهتمامات النخبة الواعية والملتزمة في البلاد، مركزاً أولا، والمغرب يستعد لتدشين عهد جديد في علاقاته مع فرنسا، على ضرورة إلغاء معاهدة الحماية الذي لا تراجع فيه، ويحدد مضمون هذه العلاقات التي وإن كانت تشيد بالتعاون المتبادل مستقبلا بين البلدين، فإنه يرى لزاما أن تكون مقيدة باحترام كامل لسيادة كل قطر من القطرين المقبلين على إبرام اتفاقيات جديدة بينهما، في مختلف مجالات التعاون الثقافي والاقتصادي والتجاري وتكوين الأطر.

لكن الحكومة الأولى ـ التي ستتشكل، في سابع دجنبر 1955، طالبت أيضا ـ وعرض عبدالرحيم لأواخر نونبر يشير إلى ذلك ـ بإعطاء الأولوية للشؤون الداخلية. وهكذا كان التقرير يتضمن ما يلي :

ـ إلغاء الظهائر والقرارات الوزارية التي حاول الفرنسيون من خلالها تكريس السيادة المزدوجة.

ـ إصلاح القضاء عن طريق إحداث محاكم جديدة، وإعداد قانون أساسي للقضاة، وتوحيد مختلف المحاكم القائمة.

ـ مضاعفة عدد المستوصفات في الأحياء داخل المدن الكبرى، وإقرار برنامج للتكوين السريع، بالنسبة للممرضين.

ـ الاعتماد على تجنيد جميع الطاقات لتشييد أكبر عدد ممكن من المدارس.

ـ تعميم الحق النقابي لكي يشمل أيضاً العمال المزارعين.

ـ إحداث نواة للضمان الاجتماعي، والعمل من أجل الزيادة في الأجور.

ـ مواجهة مشكلة السكن، والعناية بالعالم القروي.

أما فيما يخص الجانب المتعلق بدمقرطة المؤسسات، فيقترح التقرير الذي أعده بوعبيد في نهاية نونبر 1955، والذي يجعل منه بمثابة البرنامج الذي ينبغي للحكومة المزمع تشكيلها بعد أيام على انعقاد المؤتمر المذكور، إقراره:

ـ إحداث مجالس محلية منتخبة، مع تأمين نزاهة الانتخابات وتجنب تدخل الجهاز الإداري.

ـ إحداث مجلس استشاري مؤقت تتلخص اختصاصاته فيما يلي :

ـ الإدلاء بالرأي حول مشاريع القوانين التي يعرضها جلالة الملك عليه.

ـ تمكين الحكومة من الاطلاع على آراء المجلس الاستشاري ومقترحاته حول مشاريع الإصلاح التي تعرضها عليه، وعند الحاجة، القيام باتخاذ توصيات تتعلق بالشؤون العامة.

ـ الشروع في دراسة وإعداد مشروع للدستور المغربي الذي يعود إلى جلالة الملك، وإلى المجلس الوطني المنتخب، العمل بهذا الدستور أو تعديل جانب من مقتضياته أو رفضه. وإن من شأن إحداث هذا الجهاز الموقت، الذي لا يجسد الكمال، في هذه المرحلة الانتقالية، يقول عبدالرحيم بوعبيد في أواسط الخمسينيات، أن يسهم في إشراك شرائح واسعة من الشعب المغربي، في تدبير شؤون البلاد، وخلق حياة سياسة عامة في المغرب.

لقد كان عبدالرحيم بوعبيد واعياً، بصفته أحد رموز القيادة الوطنية، بضرورة الاستجابة لمطالب المواطنين المحكمة التي كانت تكتسي طابع الاستعجال، فأدرجها ضمن أولويات برنامج أول حكومة في عهد الاستقلال، لكنه كان مقتنعا، في نفس الوقت، بأن الجهاز التنفيذي لن يكون منسجماً ولن يكون نصيب الحزب الرئيسي فيه ـ وهو ينتمي إلى صفوفه منذ الإعلان عن تأسيسه في نهاية سنة 1943 ـ نصيباً يتفق وتمثيليته، التي لا ينازع فيها أحد،

ودوره الطليعي في محاربة الاستعمار الفرنسي، والتضحيات التي تكبدها في سبيل ذلك، انطلاقا من الأحداث التي أعقبت صدور الظهير البربري في مستهل الثلاثينيات، وإرغام المخاطب الفرنسي بالرغم من مكابرته، في نهاية المطاف، على الاعتراف بطامح الشعب المغربي في الحرية والاستقلال.

ولتكوين فكرة عن سلوك عبدالرحيم بوعبيد كرجل دولة، تجدر الإشارة إلى أنه قد تمكن، ما بين 26 أكتوبر 1956 و20 مايو 1960، عند اضطلاعه بمهام وزير الاقتصاد الوطني والمالية ثم نائب لرئيس الحكومة، مع الاحتفاظ بحقيبة الوزارة السابق ذكرها، في عهد كل من حكومات مبارك البكاي وأحمد بلافريج وعبدالله إبراهيم، من إحداث مجموعة من المؤسسات نذكر من بينها : البنك المغربي للتجارة الخارجية، والبنك الوطني للإنماء الاقتصادي، ومكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية، ومكتب الدراسات والمساهمات الصناعية.

كانت تلك المبادرات الجريئة تهدف إلى وضع الأسس الضرورية التي من شأنها أن تجعل المغرب يتوفر على اقتصاد عصري ديناميكي، وتحقيق استقلاله الاقتصادي الذي بدونه لن يكون هناك استقلال سياسي فعلي للبلاد.

واعتقد عبدالرحيم جازماً، ومنذ نهاية الخمسينيات، أن المصلحة العليا للوطن تقتضي التفكير جديا في إنجاز إصلاح زراعي، في أقرب الآجال، وذلك لجعل المغرب يؤمّن اكتفاءه الذاتي من الحبوب الرئيسية : القمح الطري، القمح الصلب، الشعير، الذرة ... وكأنه كان يتوقع ومنذ أكثر من ربع قرن، ما حدث بالفعل، ومنذ بداية الثمانينيات بالخصوص، عندما لجأت الدول الغربية ـ الولايات المتحدة وفرنسا على سبيل المثال ـ إلى استعمال سلاح التغذية كوسيلة ناجحة لفرض التبعية على الأقطار التي لا يكفي إنتاجها الداخلي لإرضاء احتياجاتها من هذه المواد الحيوية، ومن بينها أقطار في الوطن العربي وفي إفريقيا، ذلك أنه منذ إقصائه من الحكومة، في 20 مايو 1960، اختارت الحكومات المغربية المتتالية إعطاء الأولوية للصادرات من الخوامض، غير واعية بالمستقبل وباحتمال منافسة شرسة من طرف إسبانيا، في حالة انضمامها، طال الزمن أم قصر، إلى مجموعة السوق الأوربية المشتركة.

لقد كان يعتقد أن مصلحة البلاد تكمن في تعميم عمليات الحرث التي دشنت، انطلاقاً من خريف 1957، على مختلف الأقاليم وتشجيع تعاونيات المزارعين لمضاعفة الإنتاج الفلاحي، وصولاً إلى الاكتفاء الذاتي المنشود بالنسبة للحبوب.

وظل عبد الرحيم طيلة العقد المنصرم، عقد الثمانينيات، يعبر بمرارة عن خيبة أمله وعن حسرته أمام استسلام الحكومات المتتالية ورضوخها لأوامر صندوق النقد الدولي، القاضية بتقوية القطاع العمومي والتضحية بالقطاعات المنتجة في البلاد.

وتنبغي الإشارة كذلك إلى نضاله من أجل وحدة فصائل المعارضة الوطنية التي تشرّف بقيادتها منذ أواسط الستينيات، وموقفه من قضية الوحدة الترابية لبلادنا ومباركته للتجارب الوحدوية التي عاشتها وتعيشها أقطار المغرب العربي.

فبالنسبة للنقطة الأولى، فبمجرد الإعلان عن مشروع الدستور الجديد الذي عرض على الاستفتاء بتاريخ 24 يوليوز 1970 بادر بالاجتماع بالمرحوم الأستاذ علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال ورئيسه، وبعد ذلك اللقاء التاريخي، بعد قطيعة دامت أكثر من عشر سنوات، تمّ الاتفاق على تأسيس الكتلة الوطنية، التي كانت بحق، حدثا في نضال الحركة الوطنية، كما أنها أعطت المعارضة نفَساً ومصداقية كانت في أمس الحاجة إليها، وعجلت بنهاية التجربة البرلمانية الثانية حيث إنها لم تتجاوز السنة وطويت صفحتها في مستهل أكتوبر 1971.

أما فيما يخص قضية الأقاليم الجنوبية المحررة فيمكن أن نؤكد بأنه منذ 14 يوليوز 1974، كان الاتحاد الاشتراكي قد قرر تلبية لرغبة جلالة الملك الحسن الثاني المشاركة في حملة واسعة لتحسيس الرأي العام الدولي، بشأن نزاع المغرب مع إسبانيا، حول استكمال وحدته الترابية وتصفية الاستعمار في أقاليمه الصحراوية.

اضطلع عبدالرحيم بهذه المهمة، مبرهنا عن اقتناعه الراسخ أمام رجالات السياسة والصحافيين بأحقية المغرب في مطلبه مدافعاً بكل ما أوتي من حماس واطلاع واسع وقدرة على الإقناع، ومعرِّفاً بالملف المغربي، في معظم الأقطار الأسيوية والأوروبية التي زارها طيلة شهر غشت 1974، وكذلك في هيأة الأمم المتحدة. ولقد تمكن في خريف نفس السنة، من إفشال مخطط خصوم المغرب بفضل الاتفاق الذي وقعه مع السيد ولد مكناس وزير الشؤون الخارجية الموريطاني آنذاك في نيويورك.

ولقد كان أيضا من المتتبعين للتجارب الوحدوية التي تعرفها منطقة المغرب العربي، منذ بداية الثمانينيات. وهنا لا بد لي أن أدلي بشهادة حول هذه النقطة بالذات : فعبدالرحيم بوعبيد اغتنم فرصة انعقاد دورة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، أعلى هيأة تقريرية بالنسبة للحزب الذي كان كاتبه الأول ما بين 12 يناير 1975 إلى وفاته بتاريخ 8 يناير 1992، فركز على حدث لم يكن مسجلا في جدول أعمال دورة 19 غشت 1974، التي كان من المفروض، أن تخصص لدراسة جواب الحكومة آنذاك، حول الضمانات التي كانت تطالب بها الأحزاب الوطنية لإجراء الانتخابات التشريعية، بعد الحوادث الجسيمة ليونيه 1983 التي عجلت بإنهاء عهد حكومة السيد المعطي بوعبيد، في أعقاب الانتخابات الجماعية لتلك السنة.

فعبدالرحيم بوعبيد اعتقد بصدق، في تلك الدورة أن من الضروري أن تعطي الأسبقية للحدث المتعلق بالاتحاد العربي الإفريقي، ذلك الاتحاد الذي تم الاتفاق على الإعلان

عن ميلاده في أعقاب اللقاء التاريخي الذي جمع جلالة الملك الحسن الثاني بالرئيس الليبي معمر القذافي في وجدة بتاريخ 13 غشت 1984. وتم التوقيع على تلك المعاهدة، بحضور عبدالرحيم بوعبيد، الذي طلب منه جلالة الملك أن يرافقه إلى وجدة، لإقناع الشخصية الثانية في القيادة الليبية السيد عبدالسلام جلود الذي لم يكن مقتنعا بجدوى الاتفاقية المزمع إبرامها آنذاك.

فخلال عرضه أمام أعضاء اللجنة المركزية يوم 19 غشت 1984، الذي كان بمثابة محاضرة في القانون الدولي تتسم بالتعمق والشمولية، حول إشكال الاتحادات : الاتحاد الشخصي، الاتحاد الفيدرالي، الاتحاد الكونفدرالي، تجلى لنا جميعاً أنه كان متحمساً جداً لتلك الخطوة الوحدوية، مقتنعاً بأن تحييد ليبيا في النزاع حول الصحراء المغربية حدثٌ بالغ الأهمية، من شأنه أن يعود بفوائد جمة على المغرب، بل قد يؤدي إلى تصفية الانفصاليين لأنهم سيُحرمون من المعونات الضخمة التي كانت تتدفق عليهم من ليبيا، منذ 28 فبراير 1976، تاريخ التوقيع على الاتفاق المغربي ـ الإسباني حول الأقاليم الجنوبية المسترجعة.

كما سجل عبدالرحيم بوعبيد بتفاؤل صادق الخطوات الأولى، لاتحاد المغرب العربي، منذ الإعلان عن تأسيسه في مراكش، بتاريخ 17 فبراير 1989، متمنيا أن يستخلص أعضاؤه الخمسة، الدروس من التجارب الوحدوية في الماضي، على الصعيدين العربي والإفريقي، والتي لم توت ثمارها، وأن تقتنع الجزائر بأن من مصلحتها العليا أن تسهم في تدعيم هذا الوليد، وأن تحترم جميع فصول المعاهدة، وأن تكف، في نفس الوقت، عن مساندة موقف خصوم وحدتنا الترابية في منظمة الوحدة الإفريقية، وعن شن حملة مغرضة ضد المغرب الذي كان بجانبها في أحلك الظروف التي مرت بها طوال حرب التحرير التي خاضتها ضد فرنسا، ما بين فاتح يونيو 1954 و19 مارس 1962.

لقد ناضل عبدالرحيم بوعبيد كذلك من أجل التنسيق والتعاون بين فصائل المعارضة الوطنية في بلاده وظل يومن إيماناً راسخاً، طيلة عقدين، بضرورة تحقيق هذا الهدف، مشترطاً أن يكون العمل الوحدوي جاداً وعقلانياً لتأمين نجاحه، وبالفعل تم اجتياز خطوات واعدة في سبيل ذلك، تجلت عند مناقشة ملتمس رقابة ضد الحكومة في ماي 1990 وبالخصوص منذ الإعلان عن ميلاد الكتلة الديمقراطية وتقديم مذكرتين حول الإصلاحات الدستورية في أكتوبر 1991 ويونيه 1992 إلى جلالة الملك.

لقد أدرك المواطنون جسامة الفاجعة، عندما بلغهم نعي عبدالرحيم بوعبيد، وشاركوا بمآت الآلاف من معظم أقاليم المغرب، في تشييع جنازته التي لم تشهد الرباط نظيراً لها، إلا في ثلاث مناسبات : 28 فبراير 1961، 15 مايو 1974 وأخيراً 9 يناير 1992، فهؤلاء المواطنون من مختلف الشرائح الاجتماعية ومختلف الأعمار أبوا إلاّ أن يشاركوا في وداعه لمثواه الأخير، لأن عبدالرحيم بوعبيد جسّد الوفاء للمبادئ، التي ناضل من أجلها طيلة نصف قرن، فكان باستمرار بجانب المستضعفين، أنصفهم عندما كان في الحكم ما بين 1956 و1960، مخصصاً قسماً كبيراً من العروض التي كان يتقدم بها، أمام اللجنة المركزية للحزب الذي ينتمي إليه ـ الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية ـ للوضعية المأساوية التي تعاني منها فآت واسعة من المجتمع المغربي، من المسحوقين ـ حسب تعبيره ـ مستدلا بإحصائيات لا يمكن الطعن فيها إطلاقاً لأنها تستند إلى وثائق ومستندات صادرة عن معاهد ومؤسسات متخصصة، حول تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وشاعراً كوطني له غيرة كبيرة على بلاده، بهول المديونية الخارجية التي تفرغ، يوماً بعد يوم، السيادة الوطنية من محتواها.

لقد ظلت الجماهير الوفية لقادتها النزهاء تردد اسمه، على طول المسافة، التي تفصل ما بين مسجد السنة بالرباط ومقبرة الشهداء، تردده بتقدير كبير وبتأثر بالغ، مجددة له العهد على الاستمرار في الطريق، الذي اختاره، مرددة شعارات كلها إشادة بتضحياته والتزام متجدد، لأنه بحق كان القدوة، ولأنه رفض مقايضة حريته في التعبير وفي النقد البناء، وفي التوجيه وفي التحذير أحيانا أخرى، أيا كان المخاطب. لقد رفض بإباء أن يقايض حريته بالمال، فلم يضعف أمام المال، أو الجاه، لأن الرائد القدوة يحرص كل الحرص على الحفاظ على كرامته، والكرامة فضيلة ثمينة جداً، لا يمكن لمن يحترم نفسه أن يضحي بها أيا كان الثمن وأيا كانت العواقب.

عبد الرحمان القادري

** بعض ما كُتب عن عبد الرحيم بوعبيد :

ك. الباعمراني، *شهادة المقاوم كريم محمد بن إبراهيم الباعمراني*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 37 ؛ م. البصري، *مع الفقيد عبد الرحيم بين أول لقاء وآخر لقاء*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 21 ؛ ع. بنجلون، *عبد الرحيم : الزعيم المرشد*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 23 ؛ إ. بوطالب، *الذاكرة أساس العقل*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 32 ؛ م. جسوس، *ما تعلمته من السي عبد الرحيم*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 16-17 ؛ ب. حميش، *عبد الرحيم : الرمز المضيء*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 14 ؛ أ. م. روزلي، *آه لو عرفنا من يكون هؤلاء الرجال*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 33 ؛ م. زنيبر، *شباب مشوب بالعزيمة المتقدمة*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 31 ؛ أ. السطاتي، *عبد الرحيم رمز الشموخ الوطني*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 12 ؛ ع. الشاوي، *عبد الرحيم بوعبيد : تجربة الرهان الديمقراطي*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 26 ؛ م. طوليدانو، *عبد الرحيم بوعبيد واحد من آخر العظماء*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد

خاص، 16.2.1992، ص. 30 ؛ ن. العوفي، *قراءة سريعة في التجربة التاريخية لسي عبد الرحيم بوعبيد، 1958.1960، تقعيد الاقتصاد وشروط التاريخ*، الاتحاد الاشتراكي، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 13.14 ؛ أ. القادري، *عبد الرحيم بوعبيد : رجل وطني صادق وسياسي ماهر*، الاتحاد الاشتراكي، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 23 ؛ع. القادري، *مسيرة عبد الرحيم النضالية : عبد الرحيم المناضل القدوة*، الاتحاد الاشتراكي، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 5.7 ؛ م. القرشاوي، *السي عبد الرحيم صحفيا*، الاتحاد الاشتراكي، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 22 ؛ م. كرم، *السي عبد الرحيم : المحامي، الانسان*، الاتحاد الاشتراكي، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 24 ؛ م. الناصري، *عبد الرحيم بوعبيد رجل التراضي والحسم*، الاتحاد الاشتراكي، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 19 ؛ م. الوديع الأسفي، *شهادات للتاريخ عن المناضل السي عبد الرحيم بوعبيد*، الاتحاد الاشتراكي، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 28.30 ؛ ف. ولعلو، *عبد الرحيم بوعبيد مرجع اقتصادي لا محيد عنه*، الاتحاد الاشتراكي، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 8.11 ؛ *السي عبد الرحيم بوعبيد القائد الرائد*، الاتحاد الاشتراكي، عدد خاص، 16.2.1992، ص. 48 ؛ *وصية الفقيد العزيز*، الاتحاد الاشتراكي، عدد خاص، 16.2.1992، ص 2.

S. Bessis, *Abderrahim Bouabid : un démocrate d'état*, *J. A*, 24 Janv. 1992.

من كتابات عبد الرحيم بوعبيد (مرتبة ترتيباً زمنياً) :

أ ـ في جريدة *Al-Istiqlal* :

Après l'indépendance : l'unité, n° 3, 13 Avr. 1956 ; *Nous qui voulons sortir du drame*, n° 6, 4 mai 1956 ; *Ce que nous voulons*, n° 11, 8 Juin 1956 ; *Préserver l'esprit de confiante coopération entre français et marocains*, n° 24 bis, 21 Sept. 1956 ; *M. Bouabid ouvre devant l'assemblée consultative le débat sur l'économie nationale*, n° 36, 7 Déc. 1956 ; *Exposé devant l'assemblée nationale consultative sur le budget de l'année 1957*, n° 43, 25 Jan. 1957 ; *Lemaigre - Dubreuil : un symbole*, n° 58, 11 mai 1957 ; *Il est essentiel pour la France d'avoir le Maroc comme partenaire dans la zône franc*, n° 62, 8 Juin 1957 ; *La lutte contre le chômage et le sous-emploi*, n° 63, 15 Juin 1957 ; *(Opération - labour)*, n° 75, 12 Oct. 1957 ; *(Economie nationale)*, n° 85, 14 Déc. 1957 ; *Unifions le Maghreb*, n° 99, 30 mars 1958 ; *L'Egypte a dégagé des crédits pour ses secteurs productifs grâce à la politique d'austérité mais aussi par des réformes administratives*, n° 102, 20 Avr. 1958 ; *La politique économique du gouvernement*, n° 120, 11 Oct. 1958 ; *(Complot contre le parti et le pays)*, n° 122, 25 Oct. 1958 ; *Le franc marocain après la dévaluation française*, n° 134, 17 Jan. 1960, p. 8 - 9.

ب ـ في جريدة *Libération* :

Les fondements économiques de l'unité maghrébine, n° 15, 16 Déc. 1964, p. 6 - 7 ; *Pour un gouvernement responsable*, n° 38, 26 mai - 1 juin 1965, p. 12 ; *Libération et démocratie : deux termes d'un même processus*, n° 65, 10 sept. 1976, p. 2 - 5 ; *Notre choix est clair : la démocratie et le socialisme : intervention au comité central de l'USFP*, n° 70, 15 oct. 1976, p. 3 ; *Le Polisario est d'abord une invention du régime franquiste : le processus démocratique est absolument irréversible*, n° 72, 29 oct. 1976 ; *L'U.S.F.P, toujours debout et pousuivant la lutte pour la démocratie*, n° 74, 11 Nov. 1976 ; *L'option démocratique : un choix populaire, un engagement national et international : intervention devant le comité central de l'U.S.F.P*, n° 77, 3 Déc. 1976 ; *Nous ne sommes pas disposés à cautionner un jeu démocratique à sens unique et falsifié*, n° 89, 18 fév. 1977, p; 4 - 5 ; *La démocratie c'est l'expression libre et conscience des masses : interview au journal Al-Mouharrir*, n° 92, 11 mars 1977, p. 2 - 7 ; *Nous demandons à la gauche française d'observer un minimum de réserve et de prudence*, n° 105, 22 mai 1977, p. 2 ; *Approfondissons la lutte pour la démocratie*, n° 106, 23 mai 1977, p. 2 ; *La société nouvelle que nous voulons pour notre pays ne peut être qu'une société socialiste*, n° 108, 25 mai 1977 ; *Oui, nous nous réclamons du socialisme*, n° 113, 10 mai 1977 ; *Votre résolution est un motif d'espoir*, n° 116, 2 Juin 1977 ; *Le prochain gouvernement comme les précédents : parlementaires U.S.F.P dans l'opposition*, n° 133, 23 Sept. 1977 ; *Le sursaut palestinien a donné une dimension nouvelle au problème*, n° 134, 30 Sept. 1977 ; *L'expérience nous a appris que les problèmes du Maroc ne peuvent être résolus du jour au lendemain*, n° 137, 14 oct. 1977, p. 2 - 3 ; *Nous nous sommes rendus à Madrid en tant que militants et en tant que patriotes marocains : la position de l'I.S risque d'être le point de départ à d'autres positions*, n° 138, 21 Oct. 1977, p. 2 - 3 ; *Une position à partir de trois considérations : intervention au comité central*, n° 146, 16 Déc. 1977 ; *Nous ne serons jamais d'accord sur un accord séparé : déclaration à Baghdad*, n° 147, 23 Déc. 1977, p. 5 ; *Nous agissons comme si le dossier était véritablement clos : interview*, n° 157, spécial Sahara, 28 fév. - 3 mars 1978, p. 2 - 5 ; *Eviter le bureaucratisme : intervention au séminaire de l'USFP sur la formation sociale au Maroc*, n° 178, 28 Juil. 1978, p. 5 ; *Jean Dresch : précurseur militant de la décolonisation*, n° 192, 3 Nov. 1978, p. 8 - 9 -10 ; *Pour que cessent les crimes de la junte (chilienne)*, n° 192, 3 Nov. 1978 ; *Le premier gouvernement marocain était destiné à rassurer l'opinion française : il n'était pas le reflet du courant d'opinion marocaine*, n° 193, 10 Nov. 1978 ; *Enthousiasme, vigilance et conscience : discours à la clôture du troisième congrès de l'USFP, Casablanca, décembre 1978*, n° 198, 15 Déc. 1978, p. 6 - 7 ; *Le peuple doit se tenir prêt pour défendre sa cause sacrée : intervention devant la commission administrative nationale de l'U.S.F.P*, n° 203, 19 Jan. 1979 ; *On ne nous aura pas à l'usure : interview accordée à Jeune Afrique*, n° 213, 28 mars 1979, p. 13; *Nous tirons notre enseignement de la volonté populaire*, n° 219, 10 mai 1979, p. 2 - 3 ; *Situation générale : l'échec est partout, Sahara, le maintien sur le terrain ne suffit pas*, n° 234, 5 Oct. 1979 ; *La Maroc d'aujourd'hui n'est pas celui de 1944 ou de 1956*, n° 248, 11 Jan. 1980, p. 3 ; *Le gouvrenement est devant deux choix : accepter la démocratisation ou revenir au pouvoir absolu, dans les deux cas, le parti n'en sortira que renforcé*, n° 257, 14 mars 1980, p. 8 et 15 ; *Le Sahara est marocain ; la Palestine est arabe*, n° 262, 18 avr. 1980.

ج ـ في جرائد مختلفة :

Interview : les changements en cours, *Lamalif*, n°

65, Sept. 1974, p. 20 - 23 ; *Impératifs qui commandent le développement de l'économie marocaine, Confluent*, n° 6, Mars - Avril 1960, p. 185 - 197 ; *Les rapports du Maghreb avec les organismes européens*, in *Industrialisation au Maghreb*, Paris, Maspéro, 1963, p. 241 - 260, (Coll. Les textes à l'appui) ; *La gauche et le conflit du Moyen-Orient, Démocratie Nouvelle*, n° 21, Mars 1968, p. 57 - 61 ; *L'Elargissement du Marché Commun Européen : un accord d'association peu propice à l'épanouissement de l'économie du Maroc, Le Monde Diplomatique*, n° 184, Juil. 1969, p. 6 ; *L'U.S.F.P et le problème du Sahara : interview* réalisée par Jean Wolf, *Remarques africaines*, n° 458 - 459, 28 Fév. 1975 ; *Interview, propos recueillis* par Jean Wolf, Remarques africaines, n° 480 - 481, 29 fév. - 15 mars 1976, p. 100 - 101 ; *Interview au journal Erraï El Am, L'Avant - Garde*, n° 60, 9 Avril 1960, p. 2; *Le Maroc et le Tiers-Monde, L'Avant - Garde*, n° 504, 5 Déc. 1970, p. 1 et 2 ; *Il arrivera peut-être un moment où l'on dévoilera tout l'historique de la rencontre entre le mouvement national et le regretté Mohammed V, L'opinion*, n° 1983, 12 Jan. 1971 ; *Nous l'appelions Moha Ou Zitoune, J. A.*, n° 820, 24 Sept. 1976, p. 40.

د ـ تصريحات وكتابات متنوعة :

تصريح السي عبد الرحيم أمام الشرطة في سنة 1973، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 35 ؛ *شهادة مناضل*، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 13، شتنبر 1985، ص. 17 ـ 22 ؛ *في الذكرى الأربعينية للمرحوم علال الفاسي*، *الاتحاد الاشتراكي*، عدد خاص، 16 فبراير 1992، ص. 36 ـ 37.

Interview de M. Abdelkader Benjelloun, et de M. Abderrahim Bouabid, France Observateur, 15 Août 1955, p. 12 - 13.

G. Delanaoe, *Lyautey, Juin, Mohammed V : fin d'un protectorat, mémoires historiques, avec une annexe de Abderrahim Bouabid*, ancien ministre, T. 1, Paris, L'Harmattan, 1988, p. 223; R. La Haye, *Les entreprises publiques au Maroc : essai d'analyse des formes d'action médicale de la puissance publique*, Préf. A. Bouabid, Rabat, 1961 ; M. Lahbabi, *Les années 80 de notre jeunesse*, Préf. A. Bouabid, Casablanca, 1970 ; F. Nataf, *L'indépendance du Maroc: témoignage d'action*, 1950 - 1956, Préf. A. Parodi, Av. prop. A. Bouabid, Paris, 1975 ; F. Oualalou, *L'assistance étrangère face au développement économique du Maroc*, Préf. A. Bouabid, Casablanca, 1969 ; *Tableaux économiques du Maroc, 1915 - 1959*, Présent. A. Bouabid, Rabat, 1959.

عبد المجيد بنيوسف

بوعبيد، (وَلَد ـ) **محمد** الشاوي، ينتمي إلى فخذة أولاد محمد المشهورة بصلابتها وجهادها ضد الاحتلال الفرنسي للشاوية. وهي من فرقة الأعشاش التي بدورها تنتمي إلى قبيلة أمزاب إحدى القبائل الكبرى المكونة لاتحادية الشاوية.

كان ولد بوعبيد زعيماً ومقدماً روحياً للأعشاش خاصة، ولامزاب عامة. برزت زعامته أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، خاصة في عهد مولاي عبدالعزيز، زمن الفتن التي عرفتها القبيلة عقب وفاة السلطان الحسن الأول (1312 / 1894)، وتأكدت قيادته الحربية لامزاب خلال انتفاضة قبائل الشاوية وجهادها ضد التدخل الأجنبي في العقد الأول من القرن العشرين، فكانت امزاب عامة تقف عند أمره ونهيه، يقودهم في الحرب ويتفاوض باسمهم بالرغم من كونه لم يكن قائداً رسمياً معيناً من طرف المخزن. وإنما نال هذه المكانة، نظراً لشجاعته ولاستقامته وصدقه، وخدمته لمصالح إخوانه، ودفاعه عن كرامتهم بنفسه وماله.

وقد أشارت التقارير العسكرية إلى دوره أثناء قيادة القبيلة في معارك الدارالبيضاء وخاصة في معركة دار بوعزة (28 غشت 1907).

ولما حل مولاي عبدالحفيظ بمشرع الشعير، قرب الشاوية، كان ولد بوعبيد من بين زعماء الشاوية الذين انضموا إليه فأقره سلطان الجهاد قائداً على إخوانه ويقال إنه سلّمه ظهير القيادة. وانتقل ولد بوعبيد، كغيره من زعماء الجهاد إلى فاس صحبة مولاي عبدالحفيظ، لما تخلى هذا الأخير عن قتال فرنسا وقرر متابعة المساعي الدبلوماسية لإخراج جيش الاحتلال من الدارالبيضاء والشاوية. وظل المجاهد الشاوي بعيداً عن إخوانه الذين فُرض عليهم الاحتلال بالقوة، إلى أن توفي بفاس في ظروف غامضة حوالي عام 1328 / 1910، وتقول بعض الروايات إنه مات مسموما. وعلى كل حال فقد حضر الجم الغفير من الناس جنازته ومنهم المرابط محمد بن الطيب البوعزاوي، وهو الذي صلى عليه (*نشر المحاسن*، 39).

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء واحتلال الشاوية*.

Archives de guerre, Chateau de Vincennes, Paris (A.G.V.) ; Mege, *Les Achache et les Mzab, A.B.* Vol. 3, 1918, p. 187 - 257.

علال الخديمي

بوعبيدي، بوعزة بن أحمد بن المعطي، مقاوم ولد سنة 1916 ببني سمير بأحواز وادي زم، إقليم خريبگة. شارك في حوادث الانتفاضة الشعبية الكبرى التي نظمت يوم 20 غشت 1955. وقام أثناءها بتنفيذ عدة عمليات فدائية أصيب في إحداها برصاص جنود الاحتلال الفرنسي فسقط شهيداً في ساحة المعركة.

كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

بوعشمان، (سيدي ـ) دائرة ومركز وجماعة قروية بإقليم قلعة السراغنة مساحتها 568 كلم2 وسكانها 18.939ن (1982)، تنتشر فوق جزء من الجبيلات الوسطى التي تمثل سلسلة جبال هرسينية، تمتد من الشرق إلى الغرب فاصلة بين سهلي الحوز والبحيرة طولها 170 كلم وعرضها 10 إلى 20 كلم. أثرت عليها عوامل التعرية المتغايرة فكونت أحواضا وشعاباً واسعة بالصخور الهشة : شيست، وگرانيت وأعراف طويلة تطابق الصخور الصلبة : كوارتزيت، ديوريت ... أعلى قمة تگزيم 1.060 م تندس بها عروق اندفاعية وبركانية مما وفر مكامن معدنية أهمها بيروتين

قطّارة وبارتين إيغُودْ،ومكامن صغيرة للرصاص والزنگ. استُغل بعضها في عهد الاستعمار، ومحاجر لصخور البناء وترصيف الطرق. وهي جبال جرداء لا يظهر ببعض جوانبها سوى نباتات شوكية قصيرة وأعشاب متباعدة إثر سقوط الأمطار، وبها مناطق تشجير عديدة : أوكالبتوس وصبير ينبع منها بعض المسيلات العرضية كما تضم الجماعة جزءاً من سهل البحيرة وهو سهل رسوبي رباعي مغلق. ينتمي سكانها إلى مجموعات من قبائل الرحامنة : الغرابة وسلام العرب، يمارسون الرعي الواسع للأغنام وزراعة يناصيبية للشعير بالأماكن المحظوظة. لكن وفرة المياه الجوفية تعوض قلة الأمطار 250 ملم. كما تتوفر الجماعة على إمكانيات معدنية، وأدى موقعها على محور مهم للمواصلات بين مراكش والدارالبيضاء وجوار المدينة الكبيرة مراكش إلى تحولات مجالية، بحيث تعرف زراعتها حالياً توسع السقي الحديث باستعمال الضخ الآلي والأدرع المتحركة بجزئها السهلي، وتنتج مقادير متزايدة من القمح والخضر، كما تتوسع زراعة الأشجار خاصة الزيتون والمشمش، لكن معظم السكان مازالوا يحترفون الرعي وزراعة مقلالة للحبوب.

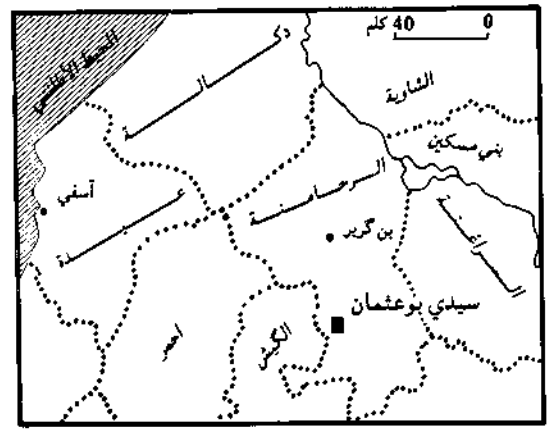

موقع سيدي بوعثمان

مركز سيدي بوعثمان، هو نزالة قديمة على طريق مدينة مراكش نحو الشمال، يبعد عنها بـ 35 كلم، علوه 524 م، معدل أمطاره 204 ملم في السنة. يقع بالمخرج الشمالي لممر عريض بالجبيلات أفرغ في صخور هشة من الشيست، كانت به قرية وسوق قديم بجانب ضريح الولي سيدي بوعثمان الموجود داخل مقبرة، ولا يعرف عنه السكان المحليون شيئاً، ربما لانقطاع التعمير وتبدل السكان عدة مرات خلال القرون الأخيرة. اشتهر المكان في التاريخ المعاصر بمعركة دارت بين جيوش الاستعمار وجيوش مولاي أحمد الهيبة ابن ماء العينين. استفاد الموقع كثيراً من مرور الطريق الوطني رقم 7 وخط السكك الحديدية بين مراكش والدارالبيضاء، لكن جفاف المنطقة وقرب مراكش يؤثر على نموه الديموغرافي إذ يسلبه فائض سكانه بالهجرة. استغل قربه منجم للرصاص ومعمل لتركيزه ظهر إلى جانبه قرية عمالية لكن نشاطه توقف سنة 1962. وعند تطبيق سياسة اللامركزية في بداية الثمانينات وتقوية التجهيزات الحضرية ببعض المراكز ذات الموقع الحساس، استفاد سيدي بوعثمان من ذلك، فصار تابعاً للإقليم الجديد قلعة السراغنة، وأنشئ به قيادة ومركز دائرة وعدد من المنشآت الإدارية التابعة لمختلف الوزارات، وأخيراً إعدادية سنة 1986. إلا أن الكثير من الموظفين مازالوا يسكنون بمراكش، ولتشجيعهم على السكن به أنشئت تجزئة سكنية للموظفين (40 منزلا) دعمت الحي الإداري ثم أضيف إليها تجزئتان بإحداهما 40 منزلا للجماعة القروية، كما ازداد سكان الدواوير القديمة. ومن المشاريع التي أنعشت سوق الشغل افتتاح محجر كبير على منحدر قريب من الجبيلات للسكك الحديدية لاستخراج وتصنيع مواد تدعيم أرضية السكك الحديدية يشتغل به حوالي مائة عامل.

يتكون مركز سيدي بوعثمان اليوم من أربع وحدات : هي دوار النزالة القديم بغرب الطريق الرئيسي، ودوار ايگود شرقه، والحي الإداري الذي يتوفر على منظر حضري، والمجمع التجاري الإداري المرتبط بالطريق الرئيسي، ويتكون من مقاهي ودكاكين أعيد بناؤه وتجميله لأنه يصير في طريق التحول إلى محطة طريقية. ويتوفر المركز على تجهيزات أساسية : كهرباء وماء، شروب ومحطة بنزين. ويعقد بسيدي بوعثمان سوق أسبوعي يوم الاثنين يتجاوز نشاطه المجال الرسمي المحدد بسور ليشمل كل دكاكين ومنشآت مركز سيدي بوعثمان التي تعرف في صباح هذا اليوم نشاطاً اقتصادياً واجتماعياً كبيراً لتوقف كثير من الحافلات والسيارات به وقدوم سكان قسم كبير من سهل البحيرة والجبيلات والحوز الشمالي لقضاء حاجياتهم.

بحث ميداني ؛ كتب عامة لجغرافية المغرب.

أحمد هوزالي

البوعثماني، محمد بن عبدالعزيز الواويزغتي، حفيد الشيخ الصوفي سعيد بن علي السوسي الهشتوكي تلميذ الشيخ عبدالله بن حسين التمصلوحتي (ممتع، 187). ويرجع الزبادي نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (*دوحة*، 58).

أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ الحسن بن مسعود اليوسي، وحين توفي هذا الأخير زار البوعثماني تامگروت، حيث تلقن الورد الناصري عن الشيخ أحمد ابن ناصر الذي أذن له في تلقين الأوراد، فتصدّر للمشيخة. ولاقى قبولا حسناً لدى سكان تلك المنطقة التي عمتها آنذاك موجة التصوف ؛ لا سيما وأنه كان "مجتهدا في عبادة ربه، وفي نصح عباده، يصوم النهار ويقوم الليل" (*الدرة الجليلة*، 363). مما أهله لأن يصير ممن تعقد معهم المحبة، فأعطى العهود ولقن الأذكار والأوراد.

إلا أننا لا نعرف شيئا عن مستواه العلمي ؛ إذ لم يرد في تحليته ما ينبئ عن ذلك. يقول مترجمه مَحمد بن عبدالله الخليفتي : "الشيخ الفياض، الولي الكامل،الصالح الرباني..." (*الدرة الجليلة*، 358).

يتضح مما سبق أنه شيخ صوفي، أو أن التصوف هو الغالب عليه. وقد بلغ درجة عالية من الصلاح في تلك المنطقة التي كانت من بين مجالات عبور أيت عطا. بل إن واويزغت كانت من أهم مستوطناتهم ؛ إذ استقرت بعض فرقهم بها مبكراً (*الدرة الجلية*، 358، هامش 942). ولقد لعب الشيخ البوغشماني دورا مهما في فض النزاعات والتحكيم بين المستقرين هنالك، أو بين هؤلاء وبين الرحل، وخاصة بين أيت عطا الطارئين وأيت بوزيد الأصليين.

واشهر مثال يساق للتدليل على ذلك، توسطه بين الباشا أحمد العتابي - أحد قواعد المولى إسماعيل - وبين أيت عطا. فقد حرك الممثل المخزني إلى واويزغت، وضرب الحصار على أيت عطا، ولم يرفعه إلا بعد ما تدخل البوعثماني.

كل ذلك جعل أمر هذا الشيخ يشتهر ليصير مقصوداً بالزيارة من طرف سكان مختلف القبائل كأيت خليفت وأيت عتاب وأيت بوزيد. وكانت قبائل تلك الجهات تقدم له مختلف الخدمات، وتقوم بالأعمال المشتركة لصالحه : (التويزة مثلا). فاتسعت ممتلكاته في المنطقة حتى اجتمعت - ذات مرة - كل أزواج الحرث التي يملكها أيت بوزيد لحراثة أراضيه (*الدرة الجليلة*، 361). ولم يكتف بالوساطة والفصل في النزاعات القبلية، بل صار مقصودا كذلك من أجل قضاء بعض المآرب، إذ كان يمد الناس هنالك بالميرة وعلف الدواب وغيرها... مما يفضي إلى القول إن تلك الزاوية الصغيرة، في عهد البوعثماني، قد صارت مركزاً يعيد توزيع الثروة في تلك الجهات.

توفي البوعثماني بواويزغت سنة 1133/1724. ودفن بالقرب من مشهد جده سعيد بن علي الهشتوكي.

م. القادري، *نشر المثاني* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

M. Morsy, *La Relation de Thomas Pellow ; Les Ahansala.*

أحمد عمالك

بوعَجّارة، محمد الجبلي الغماري ثم الفاسي. وليٌّ صالح مجذوب غائب عن حسه ساقط التكليف، تُنسب إليه كرامات ويعتقده الناس. توفي عام 1189 / 75 . 1776 ودفن بزاوية الشيخ بسقاية الدمناتي. وإليه تنسب عرصة بوعجارة الشهيرة بفاس التي أصبحت اليوم حياً سكنياً كبيراً قرب باب الجديد.

ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1189.

محمد حجي

بوعجيبة، مكان قرب واد تاساوت، عند التقائه بسهل الحوز، غير بعيد عن قبيلة مسفيوة. جرت به معركة شديدة وفاصلة بين السلطان مولاي عبدالعزيز وقوات أخيه الثائر مولاي عبدالحفيظ. وقد نشبت معركة بوعجيبة في يوم الأربعاء 21 رجب عام 1326 / 19 غشت سنة 1908، وانتهت بعد قتال شديد بانهزام القوات العزيزية التي تحول تراجعها إلى فرار وفوضى شاملة نتج عنها نهب مخيم السلطان بكامله. فكانت هزيمة بوعجيبة الضربة القاضية على السلطان عبدالعزيز، واضطر على إثرها إلى اللجوء إلى الشاوية، حيث قوات الاحتلال الفرنسية، ومن ثم تنازل عن العرش وانتقل إلى طنجة.

ع. الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء*، 1985.

علال الخديمي

بوعراقية، (سيدي -) أو بوعراقية **الخضراء**، **محمد** الحاج البقال من أكبر أولياء مدينة طنجة، ينتمي إلى الشرفاء الأدارسة الحسنيين الذين يتصل نسبهم بسيدي علال الحاج البقال، مؤسس زاوية الحرائق بين قبيلة اغصاوة والأخماس من جبال الهبط، والمتوفى عام 944 / 1537. وقد اشتهر بلقبه "بوعراقية الخضراء" لما كان يتوج به رأسه من قلنسوة منسوبة إلى القطر العراقي، رمزا لانتسابه إلى دفين النجف الإمام علي بن أبي طالب. ولد بقبيلة بني حسان، ومنها انتقل إلى قبيلة الأخماس، ونزل ببني جبارة حيث تلقى دراسته الإسلامية. وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل (1082 . 1141 / 1672 . 1727) تحركت همته للجهاد، فقصد مع شقيقه سيدي الحاج الغزواني مدينة طنجة المحتلة وقتذاك من طرف الانجليز. وهناك التقى بالمجاهد علي بن عبدالله الريفي وولده القائد أحمد، فحاصر معهم المدينة بالمجاهدين المتقاطرين من جبال الريف، وقد تولى المجاهد علي الريفي وولده أحمد الزعامة السياسية، بينما تولى المترجم مع شقيقه القيادة الدينية، ونجحوا في شد الخناق على العدو وإرغامه على الجلاء. وإلى هذا الدور الذي لعبه في حركة الجهاد يرجع الفضل في الصيت الكبير الذي حظي به في طنجة وفي سائر المنطقة الشمالية الغربية من البلاد، بعد تحرير هذه المدينة.

أقبل المترجم على نشر التعاليم الإسلامية بين المجاهدين وتهذيب اخلاقهم، وقد زهد في الدنيا وزخرفها، إلى ان توفي بطنجة سنة 1130 /1717 . 1718 في داره الكائنة قرب الجامع الكبير، ودفن في مغرسة له كما يستشف ذلك من الوصية التي تركها بخط يده والمؤرخة في 20 جمادى الثانية 1126 /3 يوليوز 1714. وكان ضريحه، الواقع خارج باب الفحص، يتكون من مجرد "حوش" يحيط بقبره. وفي وقت متأخر، قد يرجع إلى بداية القرن الرابع عشر (20 م)، بنى عليه أتباعُه قبة كبيرة تحف بها قباب أخرى أصغر منها، ثم بُني به مسجد أصبحت تلقى فيه خطبة الجمعة. وكان ضريحه، وما يزال، قبلة للزوار من طنجة وخارجها، يحرص حتى السلاطين على زيارته عند حلولهم بالمدينة. وقد زاره السلطان الحسن الأول يوم الثلاثاء 28 محرم عام 1307 / 24 شتنبر 1889. كما كان يقصده الحجاج للتبرك قبل إبحارهم في اتجاه الديار المقدسة، لذلك عرف بـ"مصيفط" (مرسل) الحجاج. أما موسمه، الذي يقام يوم السابع من عيد المولد النبوي، فكان إلى عهد قريب يوما مشهوداً في حياة المدينة.

لوحة كبيرة بضريح المترجم تتضمن نبذة عن حياته.

Villes et Tribus du Maroc, vol VII : *Tanger et sa zone.*

محمد الأمين البزاز

بُوعَرْفَة، مدينة منجمية تحولت إلى مدينة إدارية. وهو مثال فريد من نوعه في المغرب، ذلك أنها نشأت فجائيا على مشارف الصحراء الكبرى واستطاعت أن تستفيد بسرعة من الأزمة التي سببها توقف استغلال مناجمها، لتحتضن مقرّ المصالح الإدارية لإقليم فگيگ، نظرا لموقعها المتطرف على الحدود المغربية الجزائرية.

توجد مدينة بوعرفة على بعد 75 كلم من تانْدْرارة و107 كلم من فگيك و280 كلم من وجدة، على فجّ يخترق الشريط الجبلي البارز وسط الهضاب العليا الشاسعة، بين جبل بوعرفة 1885 م وجبل حُزَام الأحمر 1759 م. وما يبرّر هذا الموضع في منطقة قارية وقاحلة لا يتعدى فيها حجم التساقطات 100 ملم سنويا هو معدن المنغنيز (على بعد 4 كلم شمال المدينة) الذي يتخلل دولوميت الليماسي على شكل جيوب متقطعة من الأكداس المتفتتة.

من أجل نقل المنغنيز وتصديره عبر ميناء الغزوات الجزائري، عمدت السلطات الفرنسية إلى بناء سكة حديدية عادية سنة 1929 تربط بين وجدة وبوعرفة، وقد مدّتها إلى بشّار بالجزائر سنة 1941 ثم إلى القنادسة سنة 1948، لكن العمل بهذا الخط توقف منذ نهاية الستينات، بعد إغلاق المنجم، وكذلك الشأن بالنسبة للمحطات الحديدية الموجودة شمال وجنوب المدينة. منذ ذلك الوقت، أصبح كل الرّواج داخل الإقليم وخارجه يمر أساساً عبر الطريق الرئيسية رقم 19 نحو وجدة (الشمال) وفگيگ (الجنوب الشرقي) والرشيدية (الجنوب الغربي) والطريق الثانوية نحو تالْسينْت (الغرب) والطريق الثلاثية نحو واحة إشْ (الشرق).

وفضلا عن موقع مفترق الطرق الذي تحظى به المدينة فإنها تتوسط مجموعة من القبائل المنتمية إلى اتحاد بني گيل (أولاد بلحسن، أولاد مَحمد بن إبراهيم، أولاد عبدالكريم، أولاد مسعود، أولاد حاجي، أولاد العْمُور...)، وكلها قبائل رحل تتخذ محاطاً لها في الجنوب منخفض تامْلكْت الصحراوي وفي الشمال الهضاب العليا الملتوية محليا وشطّ تيگْري، وهو أكبر شط في المغرب وأرطب وأغنى واحد بالإقليم.

استقر جزء من أفراد هذه القبائل بمدينة بوعرفة لأسباب اقتصادية وأخرى اضطرارية، بصفة خاصة بعد سنة 1971، حيث توالت على المنطقة عدة سنوات من القحط؛ مما يفسر نموها السكاني السريع والمطرد ابتداءً من هذا التاريخ حيث تلعب الهجرة دوراً بنسبة 61.3٪ بين 1971 و1982 بالمقارنة مع مدينة فگيگ التي تشهد نمواً بطيئاً.

	1960	1971	1982
بوعرفة	8775	6181	13471
فگيگ	12108	13660	14542

إن هذه المعطيات الإحصائية وفترات تعداد السكان السابقة تبرز أن النزوح (والنزوح المضاد) يمثل العامل الرئيسي في النمو الديمغرافي، بارتباط وثيق مع الأنشطة الأساسية الثلاثة التي يمارسها سكان المدينة وأهل المنطقة.

ولما كانت بوعرفة عبارة عن واحة جدّ متواضعة وسوق صغير للماشية، فإن التنقيبات عن المعادن أخذت تتكشف منذ سنة 1920. وشرع سنة 1930 في استخراج المنغنيز ومعالجته محليا معالجة أولية لتركيز حمولته المعدنية بنسبة 33٪ ثم تصديره عبر ميناء الغزوات لاستعماله في صناعة بعض الأنواع الخاصّة من الفولاذ.

نتيجة لذلك، قفز عدد السكان في فترة الثلاثينات إلى زهاء ألف نسمة، لكن التطور الحضري الحقيقي سيتم خلال الأربعينات، مع تزايد إنتاج المنغنيز والشروع سنة 1950 في استغلال منجم النحاس بجبل الكْلَخ (على بعد حوالي 20 كلم نحو الشمال الشرقي)، وهو منجم قديم كان يزوّد الصناعة النحاسية بفاس، في تلك السنة وصل عدد سكان المدينة إلى 4755 نسمة. وفي نفس الفترة وضعت السلطات الاستعمارية مشروعاً اقتصاديا ضخماً يحمل اسم "منطقة التنظيم الصناعي بإفريقيا" (ZOIA) ويشمل المغرب الشرقي والصحراء الجزائرية الدنيا، لخلق منطقة صناعية كبرى تتوفر على الفحم بجرادة والقنادسة ومعادن متنوعة ببوبْكر وتويسِّيت وبوعرفة وتربطها سكة حديدية بين الغزوات ووجدة وبوعرفة وبشار والقنادسة.

إلا أن هذا المشروع لم ير النور لأسباب متعددة. كما أن نزول الأثمان في السوق العالمية وحدة المنافسة من طرف منغنيز إميني والاتحاد السوفياتي، وكذا ارتفاع تكاليف الإنتاج وصعوبة التسويق، كلها عوامل أدت إلى انخفاض إنتاج المنغنيز (بينما كان أوج الإنتاج بين سنتي 1950 و1956 بمقدار 80.000 طن سنويا)، بل وإلى إغلاق منجم بوعرفة ومنجم جبل الكْلَخ في نهاية الستينات، مما جعل عدد السكان يتراجع سنة 1971 بأكثر من 25٪. أما الآن، فيقتصر النشاط المنجمي على استغلال بعض المعادن بطريقة تقليدية في إطار تعاونيات تسوّق منتجاتها إلى "شركة الشراء والتنمية المعدنية لتافيلالت".

لم تمر سوى بضع سنين على الأزمة الاقتصادية والانهيار الديمغرافي حتى انتعشت المدينة من جديد بعد اختيارها مقراً لإقليم فگيگ سنة 1974، فتضاعف عدد سكانها أكثر من مرتين بين 1971 و1982.

من جهة أخرى، وبما أن الزراعة شبه منعدمة في جماعة بوعرفة (حوالي 1500 هكتار فقط مزروعة تمثل 0.2٪ من المساحة الإجمالية)، فقد أصبحت مدينة بوعرفة محطّ توافد القبائل الرّحل التي ضعفت مراعيها (الحلفاء والشيح) وتقلصت تنقلاتها الشتوية (نحو وادي ملوية الوسطى) والربيعية (نحو هضاب الظهرة وفي الأودية المحلية) والصيفية (نحو مرتفعات الأطلس الكبير الشرقي) بسبب توالي سنوات الجفاف، وما زال بعض من استقر بها يمارسون الرعي والانتجاع داخل الإقليم بواسطة الشاحنات.

تنحصر المدينة حاليا داخل مثلث يتألف من ضلع شرقي (واد بوعرفة) وآخر غربي (مجرى موسمي) وقاعدة جنوبية في مستوى المحطة الحديدية القديمة لتامللت والحد الشمالي للمطار الصغير. وتتخذ تصميماً مروحياً تشع فيه ثلاثة محاور رئيسية نحو الجنوب (شارع المنكوب وزنقة وشارع المسيرة) يقطعها في الوسط محور رئيسي يتجه نحو فكيك والرشيدية.

أما توزيع الوحدات الحضرية فيعكس بالفعل أن الأمر يتعلق بمدينة إدارية بالدرجة الأولى، حيث تتجمّع المرافق الإدارية الإقليمية في معظم الأحياء.

1 ـ المركز المنجمي : لا زالت آثار التجهيزات المهجورة في الشمال بارزة بين المحطتين الحديديتين. وقد استوطنت حولها بعض المؤسسات المتنوعة : ثكنة القوات المساعدة والدرك ومركز نسوي ومدرسة ومنزل العامل ومنزل القائد ومصلحة فلاحية وورشة العمالة وخزان الماء....

2 ـ المدينة القديمة : تحتل النواة الحضرية الأصلية الجزء الغربي الشمالي والوسط، وهي عبارة عن حي سكني هش : حي الجبل في الشمال وحي الطوبة في الوسط، يفصل بينهما السوق المركزي.

3 ـ التوسع الأول : امتدت المدينة أولا بين شارع المنكوب في الغرب وشارع المسيرة في الوسط، وأفرزت نسيجاً حضرياً متنوعاً يضم بعض المصالح الإدارية والاقتصادية والاجتماعية : السوق الأسبوعي والشرطة والشبيبة والرياضة والمجازر... لكن المندوبيات والمصالح الإقليمية تتركز أكثر في الجزء الوسط الشرقي، على امتداد شارع المسيرة : البريد والدرك والقوات المسلحة والمسجد والمكتب الوطني للنقل والأشغال العمومية والمركز الصحي والإنعاش الوطني ومقر الجماعة ومدرسة ابن تاشفين والمكتب الوطني للكهرباء والتعاون الوطني والسينما... وفي الركن الجنوبي الشرقي من هذه الوحدة الحضرية بني حي سكني يحمل اسم الورد.

4 ـ التوسع الثاني : توسعت المدينة مؤخرا على مساحة شاسعة جنوب طريق فكيك والرشيدية على مسافة كيلومترين. تنتشر في الجزء الغربي بعض المرافق الاجتماعية (ملعب ومدرسة المنجم ومركز التربية والتشغيل وثانوية ومستشفى ...)، لكن الحي الإداري الحديث في الجزء الشرقي هو الذي يتوفر على جل التجهيزات المتنوعة: الأشغال العمومية والدرك والمعادن ومندوبية التعليم والعمالة وسكنى العامل ومصلحة الضرائب وقاعة الحفلات والمحكمة والمديرية الإقليمية للفلاحة والخزينة العامة والتجهيزات والإنعاش الوطني ودار الطالب والمسجد والقباضة المالية ومصلحة تربية المواشي... وأخيراً تتجه المدينة نحو السكة الحديدية في الجنوب التي تفصلها عنها فراغات تتسع تدريجيا وبنايات عسكرية (ثكنة كبيرة ومجموعات سكنية لأعضاء الجيش والقوات المساعدة...).

الإحصاء العام للسكان والسكنى، مديرية الإحصاء، وزارة التخطيط، 1960، 1971، 1982 ؛ ع. بنرابح، *مدينة بوعرفة، دراسة مونغرافية*، بحث إجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس 1984 ـ 1985 ؛ جماعي، *دراسة اجتماعية للمناطق الصحراوية المغربية وتنسيقها بين العوائق والحوافز*، بحث إجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1979 ـ 1980 ؛ ع. عيساوي، و م. بابا، *النشاط الرعوي بجنوب المغرب الشرقي*، بحث إجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986 ـ 1987.

Bouarfa, Carte Topographique, 1/100.000, Service Topographique, Ministère de l'Agriculture, Rabat, 1967 ; *Etude pour l'aménagement des terrains de parcours du Maroc Oriental*, M.A.R.A., ERES, Paris, 1972, 2 vol ; E. Herpin, *Géographie du Maroc Oriental*, *B.E.P.M*, 234, 43e année, Rabat, Fév. 1956, pp. 5 - 28 ; *Monographie de la province de Figuig*, Ministère de l'Intérieur, 1986 ; *Rapport sur l'étude des parcours dans la province de Figuig*, D.P.A., Oujda, 1984.

مصطفى عيّاد

بُوعَرْگ، أو بوعارگ (سبخة) تعتبر أكبر بحيرة ساحلية بالمغرب وأبرز عنصر جغرافي لموضع مدينة الناظور طولها 24 كلم ومساحتها 114 كلم^2. حجم المياه المتجمعة بها يقدر بحوالي 340.000 م^3. أما العمق فهو قليل إذ يقدر متوسطه بأربعة أمتار ولا يتعدى ثمانية أمتار.

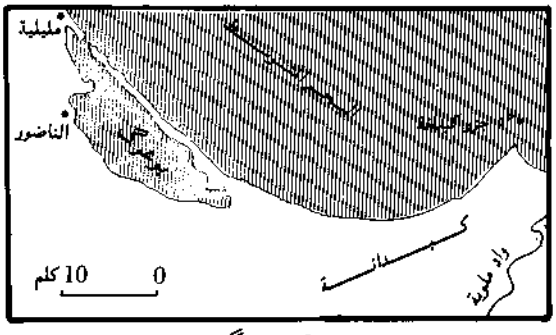

موقع بوعرگ

يفصلها عن البحر المتوسط سهم رملي ساحلي يصل طوله إلى 27 كلم بينما يتراوح عرضه ما بين 500 و1.500 م. ويتكون هذا السهم من كثبان رملية متصلبة ترتكز عليها كثبان رملية حديثة حية. ينفتح هذا السهم في جزئه الشمالي ـ الغربي ليصل بين مياه البحر ومياه البحيرة عبر ممر مائي.. وهكذا فإن البحيرة هي عبارة عن منظومة بيئية خاصة ترتكز على المزج بين مياه البحر ومياه القارة. غير أن هذا الممر ينغلق باستمرار نتيجة العواصف البحرية التي تحمل كميات هامة من الرمال. فقد كان اتساع هذا الممر لايتعدى 50 م سنة 1399 / 1978. ثم انغلق نتيجة عواصف شتاء نفس السنة ودامت الوضعية كذلك حتى سنة 1403 / 1982 حيث انفتح من جديد من جراء عواصف عنيفة جداً جعلت عرضه يصل إلى 200 م وزادت بذلك في حجم المياه وعنف التيارات القادمة من البحر. وبالطبع فإن نتائج هذه التغيرات تقلبات مهمة على مستوى المنظومة البحيرية التي تسجل تطورات من حيث نوعية وكمية الحيوانات والنباتات التي تعيش بالبحيرة. ونظراً لأهمية استمرار الاتصال بين البحر والبحيرة فقد تمت تقوية الممر الذي انفتح سنة 1982 بإقامة تجهيزات اصطناعية لمنع انغلاقه من جديد.

ورغم أن استغلال البحيرة مازال لم يصل إلى المستوى المرغوب فيه فإنه يلعب دوراً اقتصادياً لا بأس به على الصعيد المحلي. يعتبر الصيد بالبحيرة نشاطاً اقتصادياً تقليدياً إذ يوفر سنوياً للصيادين المحليين البالغ عددهم 2.000 صياد، ما يقرب من 600 طن من الأسماك والقشريات. كما أن هناك نشاطاً ثانوياً لاستخراج الملح.

وتتلخص الأنشطة المستقبلية لسبخة بوعرگ في تربية الأسماك والسياحة. فبالاضافة إلى المياه الهادئة والدافئة يعتبر السهم الرملي أكبر شاطئ رملي للمنطقة. وهو ذو واجهتين : واجهة بحرية وأخرى بُحيرية. ويستقطب هذا الشاطئ العديد من السواح المغاربة غير أن هذه المؤهلات السياحية المهمة مازالت لم تستغل استغلالا حديثاً.

وما من شك أن تعثر الإعداد السياحي بالمنطقة يفسر بتطور نشاط تربية الأسماك، هذا النشاط الذي ينافس القطاع السياحي. فقد خلصت دراسات تقنية أقيمت ما بين سنة 1981 وسنة 1984 همت كل البحيرات الساحلية وبعض الخلجان (مولاي بوسلهام، الوليدية، بوعرگ، طرفاية، بوجدور، الداخلة) إلى إمكانية إنشاء مؤسسة عصرية لتربية الأسماك والصدفيات بسبخة بوعرگ. وهكذا أسست سنة 1406 / 1985 شركة حرة (ماروست) تابعة "لأمنيوم شمال افريقيا"، عُهد إليها باستغلال 12.000 هكتار من مساحة البحيرة لتطوير تربية الأسبوريات (كسمك المرجان) والقاروس والسلور، وكذا الصدفيات والأربيان. تشغّل شركة ماروسط حاليا 240 عاملا دائماً بالاضافة إلى عدد مهم من العمال الموسميين، كما تُنتج سنوياً 230 طناً من الأسماك الأسبورية و200 طناً من الصدفيات و80 طناً من السلور وطناً واحداً من الأربيان. وتخطط الشركة، التي مازالت في مرحلتها الانتاجية الأولى لكي يصل انتاجها إلى 1.500 طن من الأسماك تحتاج إلى 600 عامل دائم. ويسوق جل الإنتاج إلى أوربا (إيطاليا، إسبانيا).

غير أن توسع هذا النشاط الحديث يضع مشكلين أساسيين، الأول اجتماعي والثاني بيئي. فتصنيع 120 كلم^2 من مساحة البحيرة يقع على حساب الأنشطة الأخرى كالصيد التقليدي الذي فقد هذه المساحات. أما وجود تجمع حضري ضخم بجوار بحيرة ساحلية شبه مغلقة فيطرح مشكل مراقبة تلوث هذا الوسط الذي يتلقى المياه الفاسدة القادمة من مدينة الناظور. من أجل هذه المراقبة أقيمت بمدينة الناظور محطة لمعالجة الماء الحار تعتبر من المحطات القلائل بالمغرب التي تسير سيراً عادياً ومرضياً. وقد شُرع في استغلال هذه المحطة من طرف المصالح التقنية للبلدية منذ سنة 1980 ثم تَم توسيعها في أواخر الثمانينات قصد تفويت تسييرها إلى وكالة توزيع الماء الصالح للشرب. غير أن طاقة المحطة ستعجز بسرعة عن معالجة كل المياه الفاسدة التي تنتجها مدينة الناظور. فقد قدرت الدراسات التقنية تطور صبيب المياه الفاسدة لمدينة الناظور وحدها على هذا الشكل :

1990	14.540	متر مكعب في اليوم
1995	19.560	" " " "
2000	26.100	" " " "
2005	23.200	" " " "

بينما ستصل طاقة المحطة بعد الانتهاء من توسيعها إلى معالجة 10.000 م^3 في اليوم. هذا في وقت يقترح فيه التصميم المديري للتجمع الحضري لمدينة الناظور ربط شبكة الواد الحار لمركز أزغَنْغان بشبكة مدينة الناظور والزيادة بالتالي في حجم المياه الفاسدة التي يجب معالجتها قبل الالقاء بها بالبحيرة. وينتج عن هذا التفاوت بين طاقة المحطة وحجم التدفقات الحضرية توصل البحيرة بمياه معالجتها غير كافية إذ ما زالت غنية بمواد أزوطية ملوثة. هذا ويجب إضافة مصادر تلوث أخرى تهدد البحيرة كبعض الأحياء التي تلقي بمياهها الفاسدة مباشرة بالبحيرة والعديد من الدور التي تستعمل الحُفر والآبار الغير المرتبطة بشبكة الواد الحار والتي تتصل حمولتها بمياه البحيرة عن طريق التسرب ومياه الأمطار السائلة التي تصل إلى السبخة بعد عبور المزبلات المنتشرة بضواحي المدينة وأخيراً واد سلوان الذي يتلقى المياه الفاسدة لمركزي سلوان وجبل العروي وخاصة مياه معمل كبير لتصبير السمك لينقلها بدوره إلى السبخة. ويساهم النشاط الفلاحي كذلك في هذا التلوث عن طريق وصول المخصبات كالأسمدة ومواد معالجة النباتات كالمبيدات المستعملة بكثرة بالقطاع السقوي لبوعرگ القريب جداً من البحيرة.

التصميم التوجيهي لتهيئة المجموعة الحضرية للناظور، مديرية التعمير وإعداد التراب الوطني والبيئة 1988 ؛ *شركة ماروسط*، استجواب أكتوبر 1990.

محمد بريان

من الناحية التاريخية هناك وثائق إسبانية تشهد بأن الاسبانيين منذ احتلالهم لمدينة مليلية سنة 1797/903 وهم يفكرون في الاستيلاء على بحيرة بوعرگ، ولعل أول رسم لها هي الخريطة التي وضعتها المصلحة المختصة التابعة للبحرية العسكرية الإسبانية سنة 1564/971، وعلى إثر هذه الخريطة وضع في البلاط الملكي الإسباني مشروع بتاريخ 20 أكتوبر 1571 يقضي "بضرورة العمل على احتلال البحيرة وضمها إلى الممتلكات الإسبانية بأرض افريقيا".

وكما تعرف البحيرة بسبخة بوعرگ تُعرف أيضاً بسبخة الگرت، ونجد ذكرها في خريطة الملاحة التي وضعها بيطروس فيسكونطي Petrus Vesconte سنتي 1311 و1318 م باسم مملحة Salline وفي خريطة هومين Homen لسنة 1572 م باسم مملحة Salini كما نجدها في خريطة خوان مرطينير Juan Martiner الموضوعة سنة 1579 م باسم بورطو نوفو Porto Novo أي الميناء الجديد، وأما اليوم فإنها تعرف عند الإسبان بمارشيكا Marchica (البحر الصغير).

وهناك شبه جزيرة بُوعَرگ على شكل لسان يفصل

بحيرة بوعرگ عن البحر المتوسط طوله عشرون كيلومتراً وعرضه نحو ثلاثمائة متر، وقد أطلق عليه الإسبان اسم فرضة طوفينيو Restinga de Tofiño وطوفينيو هذا هو اسم الخبير الإسباني في الشؤون البحرية Vicente Tofiño الذي سمح له السلطان سيدي محمد بن عبدالله بوضع خريطة لشواطىء المغرب الموالية للبحر المتوسط ولتخليد الجولة التي قام بها البحار المذكور أطلق الإسبان اسمه على شبه جزيرة بوعرگ سنة 1786 م.

وبهذه الجزيرة أنشأ الروگي بوحمارة سنة 1908 م حصناً باتفاق مع بعض المغامرين الفرنسيين الذين كانوا يزودونه بالسلاح والمعدات الحربية، وقد أطلق عليه اسم "المحمدية" وسماه الإسبانيون بحصن الفرضة Fuerte Restinga ويقول عنه صاحب *معلمة المدن والقبائل* (ص 258 و356) ـ خطأ ـ إنهم أطلقوا عليه اسم "مارتشيكا" (يعني Marchica أو البحر الأحمر) وذلك لأن Marchica هو اسم البحيرة لا اسم شبه الجزيرة ولا الحصن.

وعندما قررت إسبانيا القيام باعتداء جديد على التراب المغربي بناحية مليلة اختارت حصن بوعرگ فقامت باحتلاله يوم 9 محرم 14/1326 فبراير 1908 وبالرغم من الاحتجاجات الشديدة التي قامت بها حكومة المغرب آنذاك فإن الجيش الإسباني لم ينسحب من الحصن المذكور إلا في شهر ذي القعدة 1375/يونيو 1956.

ع. بنعبدالله، *معلمة المدن والقبائل*، 258 ، 356.

Petrus Vesconte, *Carta marinera 1311 y 1318* ; *Homen Portulado*, Venecia 1572 ; J. Martinez, *Portulano*, Messina 1579 ; Coello, *Mapa de las posesiones españolas en Africa*, Madrid, 1850 ; G. Delbrel, *Geografia general de la provincia del Rif*, Melilla 1911 ; Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos historicos de Marruecos*, Madrid, 1913 ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 47 ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan 1951, p. 62; Comision historica de las campañas de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa) Madrid, 1936 ; Tofiño de San Miguel, *Derrotero de Las Costas de España*, Madrid, 1847.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوعَرْوة، (سيدي ـ) أو أبوعروة الزبير بن أحمد بن محمد (ثلاث مرات من قبيلة سفيان، قدم أجداده إلى دكالة في عهد السلطان الموحدي يعقوب بن يوسف. كان سيدي بوعروة غزير العلم مقداما في الحرب، ساهم في المعارك التي شُنّت على البرتغاليين أيام السلطان السعدي عبد الله الغالب ابن محمد الشيخ، وبعد انصراف تلك الجيوش ظل سيدي بوعروة مرابطا يحارب البرتغاليين المحتلين لمدينة البريجة إلى أن توفي سنة 971 / 1563 ودفن بالهمامدة بالقرب من الجديدة ؛ وعلى قبره بناء متواضع.

سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، ج 10، دكالة، تر. م. الشياظمي.

محمد الشياظمي

البوعزاوي، أسرة نبيلة تنتسب إلى الولي الشهير مولاي بوعزة (أبي يعزى ت. 572 / 76 ـ 1177) دفين تاغية بالأطلس المتوسط بين وادزم وخنيفرة. يوجد البوعزاويون في عدة مدن وبوادٍ مغربية، وبخاصة فاس وسلا، وهم ذوو مروءة واستقامة، وفيهم فقهاء وعدول وتجار وحرفيون.

البوعزاوي، أحمد بن محمد المهدي بن محمد بن العباس بن صابر الفاسي. كان قبيلُه يعرفون بأولاد ابن صابر، ثم صاروا يعرفون بأولاد ابن العباس، لذلك كثيراً ما يكتب اسمه أحمد بن العباس البوعزاوي، فقيه أديب لغوي مشارك واعية. ولد بمدينة فاس عام 1271 / 54 . 1855، وبها حفظ القرآن وتعلم مبادئ اللغة والدين قبل أن يلتحق بالقرويين للأخذ عن أعلامها أمثال المدني ابن جلون، ومحمد بن عبد الرحمن العلوي قاضي الجماعة بفاس، ومحمد ابن المدني گنون، وعبد الرحمن الشرفي، وأحمد بناني كلا وغيرهم كثير ممن اشتملت عليهم مجموعة *إجازاته*.

انقطع أحمد البوعزاوي للعلم منذ صباه إلى مماته، لا يكاد يفتر عن المطالعة والتقييد والتأليف، إلا أنه كان قليل التدريس لضيق في عبارته. وأُسندت إليه مهمة الإشراف على خزانة القرويين فكان القيم عليها مدة، نظّم أسفارها، وكمّل نقص بعض مخطوطاتها نسخاً بخطه المليح الدقيق. وقد تحامل عليه ـ زوراً وبهتاناً ـ أحمد النميشي في مسامرته *الشعر والشعراء* بفاس ورماه بالعبث بكتب القرويين إبان إشرافه عليها. وأبان عبد السلام ابن سودة في *سل النصال* أسباب هذا التحامل المادية النفعية، وأكد بناء على حضوره بيع خزانه البوعزاوي بعد موته بالمزاد العلني أنه لم يوجد فيها شيء من كتب القرويين.

ألف أحمد البوعزاوي عدداً من الكتب في مختلف الموضوعات، منها *كتاب في ترجمة جده الشيخ أبي يعزى* في ثلاثة أجزاء، ومجموعة *فتاوى* أثبت فيها أجوبته وأجوبة غيره من معاصريه الفقهاء، في ثمانية أجزاء، ومجموعة *إجازاته*، وهي شبه فهرس لشيوخه الكثيرين الفاسيين وغيرهم، لأنه كان شغوفاً بالرواية والسند، *واختصار البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية*، لسليمان الحوات.

وانتسخ بخطه الدقيق الجميل عدداً كثيراً من مؤلفات المغاربة، لا سيما الصغيرة، وهو من العلماء الفاسيين الذين ساعدوا المطبعة الحجرية بالنسخ والتصحيح. وأشرف على طبع *المعيار* للونشريسي وتصحيحه عام 1315 / 1897 في اثني عشر جزءاً (4289 صفحة)، وكتب ترجمة المؤلف الونشريسي في بداية الجزء الأول موثقة منسوبة في أربع صفحات، كما كتب خاتمة في صفحتين مبيناً قيمة الكتاب، وما بذله من جهد في البحث عن مخطوطاته العتيقة الجيدة للاعتماد عليها في الطبع والمقابلة، فكانت بذلك نسخة *المعيار* المطبوعة "أحسن وأصح وأنفع" واعتذر عما بقي فيه من نقص وتصحيف بقصيدة من صنف نظم الفقهاء مشتكياً من صروف الدهر وتراكم الخطوب.

توفي بفاس صبيحة يوم الأربعاء عاشر ذي الحجة عام 1337 / 3 شتنبر 1919 ودفن بداخل روضة الشيخ محمد ابن

عباد بكدية البراطيل داخل باب الفتوح.

معيار الونشريسي، الطبعة الحجرية، ج 1، التقديم، ج 12، الخاتمة ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 175 ؛ أ. النميشي، *الشعر والشعراء بفاس* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1337 ؛ *سل النصال*، الترجمة 32.

البوعزاوي، محمد بن بناصر السلوي. من رجال البحر المجاهدين، ورد اسمه تحت عدد 25 في قائمة "الطبجية الواقفين على باب الجهاد بمحروسة سلا" الذين نالوا صلة ملكية بتاريخ 28 ذي الحجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894، كما ورد اسمه في لائحة الطبجية السلويين الموجهين للحركة السلطانية في 2 ذي الحجة عام 1318 / 23 مارس 1901 بصفته أحد نائبي قائدي المائة الطاهر بن دحمان والحاج عبد الله بن دحمان.

البوعزاوي، محمد بن بوعزة الفاسي، فقيه أستاذ، وشيخ صالح، من حفده الشيخ مولاي بوعزة دفين تاغيا. أخذ مباشرة عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وتربّى به حتى صار من الأولياء الكبار، وقضى حياته في التدريس والوعظ وتربية المريدين، قال عنه معاصره الشيخ جعفر الكتاني : "صاحب جد واجتهاد ومعرفة بطريق القوم ذوقاً ووجداً، حسن السياسة والتعليم للجاهل، والتنبيه للغافل".

توفي بفاس يوم الخميس عشري ربيع الأول عام 1270 / 21 دجنبر 1853 ودفن بروضة أولاد الهزاز بباب الحمراء داخل باب الفتوح.

ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*، طبعة حجرية بفاس، 24 ـ 25 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1270 ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 222 ـ 260.

محمد حجي

البوعزاوي، محمد بن الطيب شيخ الطريقة البوعزاوية في الشاوية. تختلف المصادر حول أصله. لكنها تتفق على أنه من حفدة الشيخ الكبير مولاي بوعزة دفين تاغيا، وأن ظهوره كان بقبيلة مزاب ثم هاجر قبيلته، بعد ذلك، واستقر في قبيلة أولاد سعيد بالشاوية حيث أسس زاويته المشهورة.

ولد محمد بن الطيب البوعزاوي ـ حسب بعض الروايات ـ في دوار أولاد شبانة أو دوار البهالة بقبيلة مزاب، وبعد تعلمه أصبح كاتبا عند القائد الحاج أحمد بأولاد ابن عريق. وتضيف هذه الرواية أن وظيفته ساعدته على ربط علاقات مع بعض كتّاب السلطان، وبفضل هذه العلاقات انتقل إلى فاس حيث عاش وسط رجال المخزن إلى حدود عام 1308/1890 ـ 1891. ولما رجع إلى مسقط رأسه اشتهر بصلاحه وتدينه وبدأ يفكر في تأسيس طريقة صوفية خاصة. وتشير رواية أخرى إلى أن الشيخ البوعزاوي، كان حوالي عام 1294 / 1877 يدرس بفاس، ولما أنهى دراسته، رجع إلى بلاده حيث اشتهر وأسس الزاوية البوعزاوية (Martin, *Quatre siècles*).

ومهما يكن من أمر، فمن مقابلة الروايات المختلفة التي تعرضت لذكر الشيخ البوعزاوي ونشاطه بالشاوية، بما في ذلك الرواية الشفوية التي تلقيناها من سكان المنطقة، يظهر أن محمد بن الطيب البوعزاوي أكمل تعليمه بفاس وأنه كان معاصراً للشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني وأخيه عبدالحي الكتاني. ونستفيد من بعض الإشارات، التي وردت في الوثائق الرسمية للمخزن، أن محمد بن الطيب البوعزاوي، كان مدرساً محسوباً على المخزن، إذ تنعته تلك الوثائق بالأستاذ، وينفذ له المخزن بعض ما يحتاج إليه.

يعني كل هذا أن الشيخ البوعزاوي كان قادراً على أن يتولى وظيفاً رسمياً لو سعى إليه، لكنه فضّل البقاء بين ذويه يتعاطى التعليم. ثم تبين له أن بإمكانه أن يلعب دوراً اجتماعياً ودينياً أكبر في وسطه البدوي، بتأسيس طائفة دينية يكون زعيمها الروحي.

الدور الديني للبوعزاوي : يظهر أن دعاية البوعزاوي لطائفة جديدة في الشاوية عامة، وقبيلة مزاب الكبرى التي كانت تضم قبيلة الأعشاش بصفة خاصة، لم تصادف نجاحاً في بدايتها. ذلك أن هذه القبائل كانت مسرحاً لاضطرابات قُبيل وعقب وفاة السلطان مولاي الحسن مباشرة 1311/ 1894. لقد تعرضت قبيلة مزاب لهجومات متوالية من طرف إخوانهم الأعشاش تارة، ومن طرف قبائل أولاد حريز والمذاكرة تارة أخرى. وخلال هذه الفتن يظهر أن الزاوية التي أسسها محمد بن الطيب في البداية بمزاب تعرضت للضرر، أي أن مشروع الشيخ في مسقط رأسه قد فشل. ولهذا انتقل البوعزاوي المدرس إلى قبيلة أولاد سعيد التي توجد غرب مدينة سطات، وهناك طاب له المقام وأسس زاويته المعروفة. وفي هذه الزاوية اشتهر أمرُه وذاع صيته بين قبائل الشاوية والقبائل المجاورة، وتكاثر مريدوه. ذكر القاضي العربي العزوزي، أن الشيخ البوعزاوي الذي كان في ابتداء أمره مشتغلا بالتدريس مال إلى طريق الصوفية وتبحر في فهم علومها وأنه "أفنى عمره في إرشاد الخلق وتلقين الأوراد".

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ البوعزاوي، تعاطى التأليف أيضاً، ومن المؤلفات التي تنسب إليه، *رسالة المريد في منهل أهل التجريد* ؛ *والنحو المطلوب في شمائل النبي المحبوب*. وله كذلك *قصائد* يحفظها مريدوه.

وبالجملة أخذت الطريقة البوعزاوية، ابتداء من سنة 1321 / 1903، تكتسح منطقة الشاوية على الخصوص على حساب الطوائف الأخرى، حين بدأ الشيخ البوعزاوي يظهر على مسرح الأحداث وارتبط ذكره بفتن الشاوية واضطراباتها وبأحداثها الاجتماعية والسياسية.

وإذا كانت تلك الاضطرابات في حقيقتها تمثل ردود فعل شعبية ضد الاستغلال الأجنبي واستبداد قواد المخزن في ظروف فتنة بوحمارة، فإن دور المرابط الشاوي فيها تعدى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى المساهمة في توجيهها، عن طريق تأثيره المباشر على بعض زعماء الانتفاضة الذين كان عدد منهم واقفاً عند إشارته (1903.

1907) لأن معظمهم كانوا مقدمين في قبائلهم يجمعون بين الزعامة العسكرية والدينية، أي أنهم كانوا مجاهدين يقودون فرقهم للدفاع عن مصالح الجماعة. وهم الذين قادوا قبائلهم في الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي ابتداء من غشت سنة 1907.

البوعزاوي والدعوة للجهاد : الواقع أن دعاية المرابط الشاوي المضادة للتدخل الأجنبي لم تتضح إلا في صيف سنة 1906. ففي تلك السنة بدأت تقارير القناصل الأجانب بالدارالبيضاء، وخاصة تقارير القنصل الفرنسي، تتحدث عن نشاط الشيخ البوعزاوي بالشاوية. وأشارت إلى أنه سيتزعّم حركة عامة ضد الدارالبيضاء. اتهم القنصل الفرنسي الشيخ البوعزاوي بالتعصب، كما اتهم قائد الدارالبيضاء أبا بكر بن بوزيد بالعجز والتعصب أيضا. وإذا كنا نتفهم اتهامات القنصل الفرنسي التي كانت تجري ضمن مخطط استعماري مدروس لإظهار عجز المغرب عن حماية الأمن، بهدف التمهيد للتدخل الفرنسي، فالجدير بالإشارة أن تحرك الشاوية سنة 1906 ـ 1907 وتردد كلمة الجهاد بها كان يجري في إطار حركة شعبية عامة معارضة لمقررات مؤتمر الجزيرة، ورافضة لمظاهر التدخل الأجنبي في الشؤون المغربية، ومن أبرز مؤشرات هذه الحركة، زيارة الشيخ ماء العينين الشنقيطي للسلطان مولاي عبدالعزيز بفاس صيف سنة 1906، ومروره بالشاوية ودعوته إلى معارضة الأطماع الفرنسية. واستدعاء الشيخ البوعزاوي من طرف مولاي عبدالحفيظ حيث استقبله بمراكش بين ماي ويونيو سنة 1906.

يستنتج من كل ذلك أنّ نشاط الشيخ البوعزاوي لم يكن نشاط رجل دين متعصب ضد النصارى، بل إنه نشاط لم يزد على أن ساهم ـ كغيره من زعماء الشاوية ـ في تيار شعبي متحرك. ودعا إلى الاتحاد والائتلاف بين جميع القبائل ضد تدخل الأجانب وأطماعهم في المغرب.

ولقد اتضح دور البوعزاوي في جهاد الشاوية منذ نزول القوات الفرنسية بالدارالبيضاء في غشت سنة 1907 إذ ساهم في تنظيم المجاهدين وإمدادهم بالمشورة وبالسلاح، خاصة لما أصبح ممثلا للسلطان مولاي عبدالحفيظ، الذي أعلن الجهاد بعد عزل أخيه وعسكر قرب الشاوية للحصول على جلاء القوات الفرنسية عنها.

ولما تمكن الفرنسيون من بسط سيطرتهم على بلاد الشاوية، هاجر الشيخ البوعزاوي إلى مدينة مراكش. وعلى الرغم من ذلك ظل الفرنسيون يعدُّونه من بين أعدائهم، مثلُه في ذلك مثلُ زعماء الجهاد الذين هاجروا إلي مراكش أو إلى فاس مع مولاي عبدالحفيظ.

إن نشاط الشيخ البوعزاوي المعارض للاحتلال الفرنسي قد زاد من شهرته ومن أعداد مريدي طريقته، على عكس بعض الطوائف الأخرى التي تعاونت مع المحتلين مما أدي إلى أفول نجمها بالشاوية.

وخلال أحداث سنتي 1911 ـ 1912، حيث تبين أن الفرنسيين في طريقهم للسيطرة على المغرب كله، سعى الشيخ البوعزاوي إلى الحصول على الحماية الألمانية فنالها سنة 1912، على الرغم من احتجاجات الفرنسيين، لكنه لم يلبث أن توفي بمراكش عام 1333 / 1914، فخلفه ابنه الحاج محمد المهدي، على رأس الزاوية البوعزاوية.

وثائق رسمية مغربية، وأخرى من الخريبة الفرنسية ؛ ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهر*، مخطوط ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة المغربية بالمغرب* 1894 ـ 1910 ؛ حادثة الدارالبيضاء واحتلال الشاوية، 1991 ؛ الكوكب الضاوي، مخطوط.

E. Mège, *Les Mzab et les Achaches, A. M. ; Villes et tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, T. I - II, 1918 ; A.G.P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*, 192.

علال الخديمي

البوعزاوي، محمد بن محمد السلاوي، فقيه عدل موثق، كان منتصباً للشهادة بمسقط رأسه، وكان يشهد أيضاً في الرباط أيام السلطان المولى سليمان حسبما جاء في *تاريخ الدولة السعيدة*. ولعل ذلك في فترة من الفترات التي كان فيها قاض واحد للعدوتين معاً.

توفي بعد عام 1248 / 1832.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، 366 ؛ م. بوشعرا، *ملاحق الاتحاف الوجيز*، 154.

محمد حجي

البوعزاوية، طريقة صوفية تنتسب إلى الشيخ محمد بن الطيب البوعزاوي الشاوي سابق الترجمة. وقد ظهرت هذه الطريقة عندما أسس الشيخ المذكور زاوية بقبيلة مزاب حوالي عام 1316/1898 ثم بقبيلة أولاد سعيد غرب مدينة سطات. وعرفت نمواً سريعاً وانتشاراً واسعاً في قبائل الشاوية خاصة. واقترن هذا الانتشار بالاضطرابات التي شهدتها بلاد الشاوية منذ 1903، وازداد انتشار الطريقة البوعزاوية على حساب الطرق الأخرى مثل الشرقاوية والكتانية، خلال فترة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي ابتداء من سنة 1906. لأن الشيخ البوعزاوي كان من زعماء الجهاد بالشاوية كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

لقد أحصى الفرنسيون، خلال الحرب العالمية الأولى، عدد المريدين والمقدمين التابعين للطائفة البوعزاوية، فوجدوا أن عددهم يصل إلى 2235 مريد و51 مقدماً بقبيلتي مزاب والأعشاش فقط، وهذا عدد كثير إذا قورن مثلا بعدد مريدي الطوائف الأخرى، فالكتانيون مثلاً لم يكن لهم بهاتين القبيلتين سوى مقدمين. وكذلك الطائفة الشرقاوية التي كانت منتشرة انتشاراً واسعاً قبل الاحتلال الفرنسي تراجعت.

كان مقدمو الطريقة البوعزاوية يجنِّدون الأتباع، وينشرون مبادئ الطريقة، لكنهم لم يكن من حقهم منح الأوراد التي كان الشيخ وحده المؤهل لإدخال المريد رسمياً في الطائفة عن طريق منحه الورد خلال زياراته المتكررة.

للطريقة البوعزاوية عدة أوراد : ورد للعامة وأوراد للخاصة. وكان المريدون يجتمعون كل يوم جمعة، في أماكن

معينة، مثل الأضرحة أو عند مقدميهم لقراءة الورد البوعزاوي وللتحدث عن الطائفة وأحوال أعضائها، وحول الأمور السياسية الوقتية.

فقد أشارت الروايات الفرنسية إلى أن البوعزاويين بالرغم من مظهرهم المسالم للاحتلال الفرنسي فإنهم منطوون على كراهية الفرنسيين، وأن دعواتهم كانت تنتهي دائماً بهذه العبارة : "اللهم ارم الفرنسيين وراء البحر واجعل علم الإسلام خفاقاً وحده فوق المغرب".

والملاحظ أن الورد البوعزاوي للعامة بسيط كما يفهم من الإجازة التالية المنسوبة إلى الشيخ محمد المهدي الذي خلف أباه الشيخ محمد بن الطيب البوعزاوي، على رأس الطائفة بعد وفاته سنة 1333 / 1914 : "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. يُعلم من هذا أننا أذنّا لأخينا في الله والمحب من أجله سيدي [فلان] ذكر الله وجميع أوراد والدنا وخصوصاً ورده للعامة وهو :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثلاثاً (3) أستغفر الله مائتين (200) اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلّم مائتين (200) لا إله إلا الله ستمائة (600) وعلى رأس كل مائة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم...".

وتجدر الإشارة إلى أن الطريقة البوعزاوية، انتشرت في القبائل المجاورة للشاوية كدكالة وزعير. لكن أتباعها في زعير محدودون في القبائل المجاورة للشاوية مثل الرواشد والخلاليف والغوالم والنغامشة.

وأن الخلاف الحاد نشب بين شيخ الطريقة البوعزاوية وشيخ الطريقة الكتانية اللذين كان كلاهما من أتباع الطريقة الدرقاوية في البداية. الأمر الذي دفع عبدالحي الكتاني إلى العمل على إغلاق الزاوية البوعزاوية واعتبارها قد اتُّخذت ضراراً للزاوية الكتانية.

E. Mège, *Les Mzab et les Achaches, A. B.*, 1918 ; *Villes et Tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia*, T. I - II ; *Les Doukala*, p. 116, *Rabat et sa région*, p. 160 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, 1951, p. 103 et 272.

ـ علال الخديمي

بوعزة (مولاي ـ)، بهذا الاسم يعرفه عامة الناس. هو صاحب الضريح المزار في أعلى جبل تاغيا الذي يصعد إليه من خنيفرة أو من وادزم أو من الرباط. عاش في القرنين الخامس والسادس الهجريين، وتوفي في فاتح شوال عام 572 / أبريل 1177، بعد أن عمر مائة عام وثلاثين سنة على الأقل. كان له ولد اسمه إعَزّ أو يعْزّى وهي صيغة أمازيغية في العزيز. أما اسمه عند كتاب مناقبه فهو يلـنُّورْ (إلـَ النور) أي ذو النور. ولا شيء يؤكد أن هذا الاسم هو اسمه قبل أن تلوح أنواره، أي قبل أن يصير شيخا مقصودا معتقدا فيه. ولكن المؤكد هو أنه لم يدع الانتساب إلى الشرف ولم ينسبه إليه معاصروه، وإنما تكفل بذلك أهل القرون المتأخرة الذين قدموا اسمه بلقب "مولاي".

وينسب إلى الطلعاء عبد الحي الكتاني رسالة في نفي هذه النسبة عن المترجم عنوانها *الاستهزا بمن يدعي الشرف لأبي يعزى*.

اشتهر أبو يعزى وكَتَب مناقبَه معاصرُه محمد بن عبد الكريم التميمي المتوفى بفاس عام 603 أو عام 604 هـ في كتابه *المستفاد في ذكر الصالحين والعُبّاد بفاس وما يليها من البلاد*. قال إنه رأى أبا يعزى في زيارة قام بها هذا الشيخ إلى فاس، وكان التميمي ولدا صغيرا حمله والده ليتبرك بأبي يعزى. ورآه ثانية بمراكش لما استدعاه عبد المومن الموحدي للتحقيق السياسي لما كثر اجتماع الناس عليه وتوجههم إليه فحبسه مدة بصومعة الجامع الكبير ثم سرحه. أما المرة الثالثة التي لقي فيها التميمي الشيخ أبا يعزى فكانت في مقر الشيخ بجبل إرُوگّانْ، وهذا هو الاسم الذي عرف به الجبل الذي به ضريحه اليوم. أقام التميمي أياما عند الشيخ وراقب أحواله وكتب عنه مشترطا ألا يذكر إلاّ ما شاهده هو بنفسه وسماه بشيخ المغرب، وذكر شهرته بإجابة الدعوة والفراسة الصادقة. يكتفي في مأكله بالحشائش وأوراق الدفلى ودقيق البلوط. كان مقامه بالجبل يتكون من دار ومسجد ولا يجاوره أحد. كان يداوي المصروعين ويتكلم على الخاطر. لا يحفظ من القرآن غير ما يصلي به ولا يتكلم إلا باللسان الغربي (لسان البربر)، وكل من لا يعرف هذا اللسان من زواره احتاج معه إلى مترجم. كان أسود اللون لا يلبس إلا جبة من الشعر المطرق وشاشيته من العزف وقد احترقت رجلاه من ثلج الجبال لما كان سائحاً بها قبل النزول إلى السهل ليخدم أبا شعيب السارية الذي بأزمور وغيره من الشيوخ. وقد ذكر التميمي كثرة زوار أبي يعزى وعناية القبائل التي على الطريق إليه بأولئك الزوار، وذكر أن الشعراء التي تحيط بداره مليئة بالسباع ولكنها لا تعتدي على زوار أبي يعزى ولا تخيفهم.

بلغ صيت هذا الشيخ بلاد المشرق فقيل إن معاصره الشيخ عبدالقادر الجيلاني سئل عن قرين له في المقام فقال: رجل عجمي بالمغرب يحمل شاشيته من العزف. وبلغ ذكره الأندلس حيث يشير إليه صاحب *السر المصون* الذي ذكر أن عمره عند ذلك مائة وخمسة وعشرون عاما وأن أخبار كراماته طبقت الآفاق.

كتب يوسف التادلي مناقب أبي يعزى في كتابه *التشوف*، وهو لم يدرك الشيخ حيث ألف تلك الأخبار عام 617 هـ ولكنه أخذها رواية بالسند عمن أدركوا أبا يعزى أو أدركوا أصحابه. وفي ما جاء عند التادلي أن هذا الشيخ من هسكورة أهل الجبل المطل على دمنات. أورد يوسف ابن الزيات هذا اخباراً لم ترد عند التميمي تخص احوال ابي يعزى ولكنها لا تضيف شيئا ذا بال إلى ما ورد عند التميمي. ولكن يستفاد من مزيد الكرامات التي نسبها إليه أن أبا يعزى كان له أسلوب في التعامل متناسب مع مقضيات إدماج أهل القبائل في حياة الامتثال للشرع برهبة

الدعاء وهيبة الكرامة وسطوة المكاشفة.

كان لأبي يعزى زوار وأصحاب ولم يرد ما يدل بوضوح على أنه كان صاحب إذن في أوراد، ويحتاج سند الأخذ عنه إلى مزيد تحقيق. بل يرجح أنه كان شيخ تبرك ينال رضاء بالخدمة وامتثال الشرع، مع إسداء النفع والإكرام وموافقة المعتقدات المحسوسة للعامة بمثل رقية الطعام وإصلاح ذات البين وما يماثل تلك المبادرات. وكان هؤلاء الزوار يأتون من الأقاصي والأداني من سوس وسبتة وسلا وفاس الخ. وكان يطعمهم ويعاملهم على قدر مراتبهم، إذ كان يقصده جلة العلماء كما كان يرد عليه الحكام والكافة.

عظم صيت أبي يعزى وقدره بعد وفاته حتى إن قاضي سبتة أبا العباس العزفي المتوفى عام 633 هـ قد ألف في مناقبه كتابا سماه *دعامة اليقين في زعامة المتقين*. جمع فيه بنوع من التوسع كرامات أبي يعزى بأسانيد ولا سيما من أشهر أصحابه وهو أبو الصبر أيوب السبتي.. وألف في مناقبه في القرون التالية آخرون أشهرهم أحمد بن أبي القاسم التادلي الصومعي صاحب الكتاب الذي عنوانه *المعزى في مناقب أبي يعزى*، في القرن العاشر الهجري (16م). ولا شك أن أخبار أبي يعزى قد وقع تضخيمها وأضيفت إليها ألوان من الغلو وهي في أصلها منقبية محبرة حتى على لسان معاصريه. وقد شاهد الحسن الوزان في القرن السادس عشر جموعا غفيرة من أهل القبائل يتوجهون لزيارة ضريح أبي يعزى.

وهناك مناقب شفوية تتواتر على لسان أهل القبائل المجاورة لمقام أبي يعزى وبعضها يتغنى به، ولا صلة لها بالذي كتبه جهابذة الرواة الذين تحدثوا عنه. وقد زكّى السلاطين العلويون هذا التعظيم الشعبي لأبي يعزى، فشيد المولى رشيد والمولى إسماعيل قبته الحالية ومسجده الفخم، وأظهر المولى الحسن من جهته عناية بهذا الضريح، وزاره المولى يوسف عام 1918. ولا شك أن إضافة "مولاي" إلى اسم بوعزة قد وقعت في العهد السعدي أو في العهد العلوي.

م. التميمي، *المستفاد*، (قطعة منه يشتغل بتحقيقها محمد بنشريفة وأحمد التوفيق) ؛ *السر المصون*، (قطعة منه بمكتبة برلين تشتغل بتحقيقها حليمة فرحات) ؛ ي. التادلي، *التشوف*، ط. كلية الآداب بالرباط، 1948 (يتضمن هامش بداية الترجمة لائحة بأسماء المصادر التي ذكرت أبا يعزى) ؛ أ. العزفي، *دعامة اليقين*، تح. أ. التوفيق، الرباط، 1989 ؛ أ. التادلي الصومعي، *المعزى*، تح. علي الجاوي، مرقون بمكتبة كلية الآداب بالرباط ؛ أ. التوفيق، *التاريخ وأدب المناقب من خلال مناقب أبي يعزى*، ضمن منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 1، بعنوان *التاريخ وأدب المناقب*، ص. 80.82 . منشورات عكاظ، 1989، انظر المراجع باللغة الفرنسية في :

A. Faure, *Abu Ya'zâ*, in *Encyclopédie Berbère*, 1, Edisud, 1984.

أحمد التوفيق

** وحول ضريح مولاي بوعزة يوجد مركز صغير بداخل الهضبة الوسطى، والقيادة تمثل إحدى جماعات دائرة خنيفرة وتمتد على مساحة 1030 كلم^2 على مسافة 50 كلم شمال ـ جنوب، و40 كلم غرب ـ شرق. وتحدها جماعات أُلماس من الشمال الشرقي وتيدّاس من الشمال الغربي وزرحليكة من الغرب وجماعات أولاد فنان، براكسا وشگرات من الجنوب، وأگلموس من جهة الشرق.

ينتمي مركز مولاي بوعزة للهضبة الوسطى، وبالضبط إلى الجهة الداخلية منها، تلك المكونة من هضاب عليا متقطعة، تعلوها أعراف متشخصة. ويتراوح الارتفاع بين 300 م في أعمق الأودية و1.200 م عند أعلى القمم. هذا ما يجعل تضاريس المنطقة تتخذ شكلا جبليا، رغم سيادة المساحات العليا المنضوية، ورغم تواضع الارتفاعات العامة.

تشتمل تضاريس المركز على أشكال مختلفة : في القمة أعراف متوازية أعلاها جبل إغيرأ ُورومي بارتفاع 1.220 م وتتكون هذه الأعراف من أشرطة كوارتزيتية ضيقة، تعتبر أشكالا أبلاشية ناتجة عن التعرية الانتقائية، داخل صخور رسوبية أولية متفاوتة الصلابة. وتمتد عند قدم هذه الأعراف على ارتفاع 1.000 م هضبة فوغال المستوية. وتمتاز برتابة سطحها المكون من متون محدبة القمة، تقطع صخوراً تمتاز بالتجانس والصلابة.

ـ تحت ووسط مجال الاعراف، توجد بعض الأحواض، تمتاز بموقعها المعلق، لكن تمتاز بالخصوبة. وأهمها حوض بلاد مسرسر، الذي تمتد الزراعة فوق كل نواحيه.

ـ تتكون المنطقة كذلك من طفوح بركانية مسطحة وحديثة، تعلوها براكين مخروطية واضحة، مثلا بركان بولكراكر.

ـ وأخيرا تتعمق في المنطقة أودية هامة. خاصة مجرى كسيكسو وگرو اللذين يحيطان بهضبة فوغال. واد كسيكسو متعمق بمعدل 300 إلى 400 م تحت الأعراف الكوارتزيتية، وتمتاز سفوحه بتغطية نباتية مستمرة، تدل على اعتدال ورطوبة بيئته، بينما گرو يعتبر واديه منفتحا، مكوناً أساساً من سلسلة من الأحواض، الشيء الذي يتحكم في بيئته، من جهة بسبب نزعة مناخه نحو الجفاف، من جهة ثانية أهمية استغلال الغطاء النباتي انطلاقاً من المنخفضات محدثاً بذلك اجتثاثا متقدماً وبالتالي تعرية نشيطة للتربة.

يسكن جماعة مولاي بوعزة حالياً ما يفوق 25.000 نسمة (حوالي 11.000 سنة 1936، و19.000 سنة 1971 و24.333 سنة 1982). ويتوزع هؤلاء السكان كالتالي : 16٪ منهم يقطنون مركز مولاي بوعزة، والباقي سكان ريفيون. وينتمي السكان لقبيلة بوحسوسن، التي تضم ست فخذات، أربع منها من أصل بربري، واثنتان من أصل عربي هم البوعزاويون والمباركيون. وكل فخذة تشغل ميدانا خاصاً بها.

يعيش السكان من عدد من الثروات على رأسها الغابة

التي تغطي 70٪ من الأراضي، أهم أشجارها البلوط الأخضر. إلا أن الغابة جد مندهورة قلما يكون انتاجها الخشبي مفيداً، بحيث يطغى بها الاستغلال الرعوي. والرعي المتنقل هو السبب الأول في تدهور الغطاء النباتي. الثروة الحيوانية للجماعة تتألف من 60.000 من الماعز، 50.000 من الغنم و12.000 من البقر. وترعى هذه الماشية في الغابة 66.000 هكتار وفي مراعي عشبية تقدر مساحتها بـ 20.000 هكتار. ولذا فالتدجين هو النشاط الأول للسكان، إضافة إلى استغلال ثروات الغابة من خشب وفواكه، ووحيش.

أما الزراعة، فلا تغطي سوى 10.000 هكتار، ويمتاز مردودها بالتواضع (معدل 8 إلى 10 قناطير في الهكتار من الشعير)، والمغروسات لا تغطي سوى 500 هكتار، بينما لا تقام الزراعة المسقية إلا على ما يعادل 100 هكتار.

الانشطة الإضافية جد هزيلة : صناعة استخراجية للرصاص متوقفة منذ 1961 ويتم البحث حاليا عن سبل لإعادة تنشيطها، وتجارة إقليمية تقوم على تبادل المواد الزراعية أساساً، في أسواق ريفية أسبوعية أهمها سوق أحد بوحسوسن وسوق أربعاء مولاي بوعزة.

عبدالله العوينة

بُوعَزَّة، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الريف، ولعلها قبيلة مزوجة، وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 25.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوعزة، بن أحمد، مقاوم ولد سنة 1912 ببني سمير وادي زم، إقليم خريبكة، ومنذ شبابه عرف بالاستقامة ونقاوة الضمير وثبات الجأش. وانخرط في صفوف التشكيلة التي كان يرأسها ممدوح بوشعيب وكان من بين الذين نظموا المظاهرة التي عرفتها وادي زم يوم 20 غشت سنة 1955. وفيها قتل رحمه الله.

بوعزة، بن حمو، مقاوم من مواليد سنة 1344 / 1925 بدوار لقوارة قبيلة أولاد بحر الصغار. اختار العمل المسلح، وفي مظاهرة 20 غشت 1955 كان من بين الأوائل الذين تصدوا للمستعمرين وظل مشاركاً في المظاهرة طيلة النهار. وفي اليوم الموالي 21 غشت 1955 توفي متأثراً بجراح أصيب بها من جراء قصف جوي للمنطقة.

ابن **بوعزة الفشار**، بوعزة بن العربي السفياني الأصل، نزيل مكناس. ينسب إلى جده بوعزة ويلقب بالفشار، من جيش البخاري. كان ذكياً حازماً استخدمه السلطان عبد الرحمن بن هشام كفراش في القصر، وترقى في عمله إلى أن أصبح أمين بيت المال وتقلد مناصب سامية أخرى في الدولة.

توفي بمكناس يوم الأحد 22 حجة عام 1300 / 24 أكتوبر 1883. ودفن بجامع الأقواس بحومة بني العراش.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 77 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1300.

ابن **بوعزة، محمد**، مقاوم ولد بدوار اطرش بأولاد عياد السماعلي ناحية خريبكة سنة 1327 / 1909. شارك في مظاهرة 20 غشت 1955 وقتل برصاص المستعمر في ذلك اليوم المشهود.

ابن **بوعزة، المكي** بن علي، مقاوم ولد سنة 1327 / 1909 بقبيلة السماعلة بنواحي وادي زم. كرّس حياته وماله وأهله لقضية الوطن. وعند اندلاع انتفاضة وادي زم التاريخية، خرج إلى جانب رفاقه في تلك المظاهرة العارمة رافعاً شعارات معادية للمستعمر ورامياً القوات الاستعمارية بالحجارة ومشعلا النار في مصالح المعمّرين وممتلكاتهم، إلى أن استشهد برصاص العدو بتاريخ 20 غشت 1955 بمدينة وادي زم.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة : كتاب *شهداء الاستقلال*، ج 2.

عزالدين العلام

بوعزة، مول الشربيل (أي صاحب الحذاء النسوي) أحد رؤساء جيش العبيد في عهد المولى إسماعيل، كان يُدعى الباشا ويُعتبر من أهم رجال الدولة في ذلك العهد. قال عنه عبدالكريم الريفي صاحب *زهر الأكم* إنه "كان قديم الخدمة لأمير المومنين مولانا إسماعيل، عارفاً بأمور الخلافة والسياسة، ذا رأي وحزم ونجدة وشجاعة وتدبير". لكن الباشا بوعزة لم يظهر على الساحة السياسية بشكل جلي إلا خلال الاضطرابات التي تلت وفاة المولى إسماعيل في سنة 1140 / 1727.

كان هذا القائد يترأس فرقة من جيش العبيد عرفت باسم "عبيد الزنقة" وهي التي ساندت المولى عبدالله بن إسماعيل ضد أخيه المستضيء الذي كان يحظى بدعم فرقة أخرى من العبيد بقيادة فاتح الدكالي. وبوعزة مول الشربيل هو الذي تزعم خلع المستضيء سنة 1164 / 1750 ومُبايعة المولى عبدالله مكانه. وبعد أن انحاز العبيد إلى جانب المستضيء مرة أخرى في سنة 1154 / 1741 عادوا لمبايعة المولى عبدالله في سنة 1156 / 1743، وكان المترجم من متزعمي هذه المبايعة الجديدة. وفي تلك السنة بالذات استطاع مولاي عبدالله أن يهزم أخاه المستضيء ويضع حداً لتمرد أهم حليف كان يسانده وهو الباشا أحمد بن علي الريفي.

توفي بعد سنة 1156 / 1743.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ت. أ. العماري، الرباط 1986.

محمد المنصور

بوعزة، ولد آخره (الحاج)، ويكنيه العامة "بولذ لاخيريه" أصله من قبيلة مديونة، كان يسكن مدينة الدارالبيضاء قبل الاحتلال الفرنسي لها سنة 1907 واشتهر

بالغنى وكثرة الإنفاق على العلماء والفقراء، وفي سبل الخير عامة.

قام الحاج بوعزة ولد آخره، بدور هام في مقاومة الاحتلال الفرنسي، إذ تذكر الرواية الشفوية أنه كان يعلم المجاهدين بأحوال الفرنسيين وكان وسيطا بين التجار الألمان والمجاهدين في الحصول على السلاح والذخائر. ويبدو أنه كان محمياً ألمانياً، أو حصل على الحماية الألمانية بعد الاحتلال، وظل يقدم مساعدته لإخوانه ويتعاون مع الجالية الألمانية في تهريب السلاح للمجاهدين. ولما ثبت الاحتلال الفرنسي للشاوية، فضل الهجرة إلى الديار الحجازية، حيث جاور في البيت الحرام. وظل على عادته في الإحسان وبذل المعروف إلى أن وافته المنية هناك في تاريخ غير محدد.

ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر* : الرواية الشفوية.

علال الخديمي

بوعْزيزْ، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر، وكان من بين أفرادها :

بوعْزيزْ، أحمد، عالم توفي بتطوان في أواخر القرن الثالث عشر الهجري، وحل محله ابنه.

بُوعْزيزْ، محمد بن أحمد خطيب مسجد السوق الفوقي المتوفى سنة 1898/1316.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 8 ؛ 6 : 115 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوعسرية، (سيدي ـ) أحمد بن عبد الله الصنهاجي صالح يزار، قبره بجانب قرية قديمة كانت تسمى تيماسَنْ، وهي من قرى صنهاجة أزمور التي انمحت آثارها. وكانت وفاته سنة 899 / 92 . 1493، ودفن بالهمامدة في دكالة وعلى قبره قبة.

سلسلة مدن وقبائل المغرب، ج 10، دكالة، تر. م. الشياظمي.

محمد الشياظمي

بُوعْسل، أسرة تطوانية اشتهر أفرادها بمهارتهم في المدفعية حيث نجد البعض منهم ينتمون إلى حامية تطوان مثل :

بُوعْسل، أحمد بن **التهامي** سنة 1884/1301.

بُوعْسل، أحمد بن **عبد الخالق** سنة 1875/1291.

بُوعْسل، عبدالسلام بن أحمد سنة 1868/1285.

وكانت هذه الأسرة من الأسر التي غادرت تطوان قبل احتلالها من طرف الجيش الإسباني سنة 1860/1276 حيث هاجرت إلى شفشاون.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 . 163 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، 5 : 228 ؛ 8 : 213 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوعشرة، (أولاد ـ) ينتمون إلى مجموعة أيت النص التابعة لقبيلة أيت براهيم التكنية (انظر أيت براهيم وأيت بوهو). وتقيم بمدشر تيدالت الذي يعد ملكها كما تتوفر على مجموعة من المنازل بتاغجيجت (انظر أيت بلة).

مصطفى ناعمي

بوعَشْرَة، اسم تحمله شخصيتان مختلفتان ومتباعدتان، كان ظهورهما واختفاؤهما فجأة على مسرح الأحداث السياسية في كل من حاحة وإداوتّنانْ أيام الحسن الأول :

بوعشرة، عبدالرحمان الگيلُولي، كان شيخاً كبيراً (أمغار) في قبيلته إداگيلُول تحت قيادة الحاج عبدالله أ ُبيهي، وكان من خدامه المخلصين إلى أن توفي القائد عام 1867/1284 وتولى ابنه محمد أمعدور (الأبله) الذي قيل إنه كان رجلاً جائراً طائشاً لا يستقر على حال، فسفهه معظم أعيان القبائل وشيوخها ماعدا الشيخ بوعشرة عبدالرحمان فإنه قد ظل على العهد وفياً لروح القائد الراحل فأخلص في خدمة خلفه أمعدور الذي سما في نظره بوعشرة حتى اتخذه مستشاره في الملمات وخليفته عند الغياب، إذ لم تمض إلا شهور على وفاة القائد الكبير حتى اشتعلت نار الصراعات بين قبائل حاحة التي كانت مضغوطة بقوته وهيبته، كما استيقظت أطماع الجيران المتوگيين ـ الأعداء التقليديين لحاحة ـ فصاروا يغذون الفتن الداخلية بمناوشاتهم على الحدود، فحاول محمد أمعدور حسم المشاكل بالعنف فالقى القبض على مآت الأعيان والشيوخ ورمى بهم في سجن موكادور الذي لم يخرجوا منه إطلاقا. وبينما كان القائد محمد أمعدور، ذات مرة، بمراكش صحبة الخليفة عبدالرحمان بوعشرة الگيلُولي، اجتمع رؤساء حاحة على نزع القيادة من أمعدور وطرده، فتمردت كل القبائل الشمالية وتحالفت مع متوگة. عاد الخليفة بوعشرة من مراكش بسرعة مكلّفاً من طرف القائد أمعدور بإخماد الثورة، فجمع إداگيلُول وقبائل الجنوب واستنجد بقبيلة هوارة من سوس، لأنهم أخوال القائد أمعدور واستطاع بواسطتهم إخماد الثورة ولو مؤقتا، وطرد المتوگيين من إيداوزمزم المتنازع عليها. وتجدد النزاع بين عامل حاحة القائد محمد أمعدور وعامل متوگة القائد الحاج عمر ابن سعيد المتوگي سنة 1287 واستمر إلى خامس عشر ربيع الثاني عام 1271/1288. حيث انهزمت محلة حاحة أمام متوگة وفر محمد أمعدور فخرب المتوگيون قصبته بأزغار. (*إيقاظ السريرة*، 1 : 101) فأثار ذلك قلق السلطان محمد بن عبدالرحمان وقرر أن يبعث ابنه المولى الحسن على رأس جيش كثيف إلى حاحة لتسكين الفتن فعسكر ببوريقي، وبينما الأمير منهمك هو وأعيان القبيلة في تسوية الخلافات وتدعيم ممثلي المخزن، فإذا بنعي والده

يصله من مراكش عام 1873/1290. فبايعه أعيان حاحة الذين عينهم شيوخا (إيغارن) على فرقهم وهم :

1 ـ الشيخ مبارك أنفلوس على نكنافة وقبائل حاحة الشمالية، وكان كاتباً خاصاً للقائد السابق.

2 ـ الشيخ الحاج علي بن القاضي الويساري على ايداوسارن الذي سمي قائداً على إيداوسارن.

3 ـ الشيخ عبدالرحمان بوعشرة على إيداكيلول وإيداوتْغمّا، والذي سمي قائداً فيما بعد.

4 ـ الشيخ الحاج الحسن أوتكزيرين على قبيلة أيت أمر، والذي سمي قائداً فيما بعد.

5 ـ الشيخ محمد بويفنزى البوزيادي على قبيلة إداويوزيا، والذي سمي قائداً فيما بعد.

6 ـ الشيخ محمد بن زيان الكزوتي على قبيلة إيداوكازو، الذي ظل شيخا إلى أن توفي.

7 ـ الفقيه السيد محمد بن بلا المجرادي على أمكراد الذي ظل شيخا إلى أن توفي. وكلهم قبلوا بالسمع والطاعة (*لب الوقائع على تولية حاحة والبدائع*، لمجهول، مخ، ص 71). وبعد تربُّع المولى الحسن الأول على عرش أسلافه بمراكش (توجه إليه جماعة من أعيان حاحة بالبيعة والهدية على العادة عام 1875/1292. وفي ذلك الحين ولى عليهم ثلاثة قواد : القائد مبارك أنفلوس (في شمال حاحة). والقائد عبدالرحمان بوعشرة (في الوسط) والقائد الحاج الحسن أوتكزيرين (في الجنوب). وهذا التقسيم إن كان يخدم سياسة السلطان الجديد الرامية إلى تقسيم مناطق النفوذ، فإنه لم يرض أحدا من هؤلاء القواد الذين يحلمون بتحقيق الهيمنة التامة التي كانت لحاحة في عهد الحاج عبدالله أُبيهي، والتي ما زالت ذكراها ماثلة في أذهانهم، فسعى كل واحد في بناء الوحدة بالقوة من جديد، ولكن لصالحه فقام الصراع بين مبارك أنفلوس الذي حل محل ولد بيهي في الشمال، وبين بوعشرة عبدالرحمان المهيمن على مداخل الطريق التجارية بين الصويرة والجنوب عامة، فتمكن أنفلوس من قطع الطرق ليعزل بوعشرة عبدالرحمان حينا ثم تخلص منه بأن دس إليه من قتله غدراً حوالي عام 1878/1295. وبذلك اختفى بوعشرة عبدالرحمان الحاحي فلم تبق له إلا أخبار وحكايات طريفة يرويها الشيوخ الثقات، ودار أثرية لا تزال ماثلة بقبيلة إيداگيلول.

بوعشرة مبارك التناني، كان طالب قرآن وأنفلوساً (ممثلا) لفخذته أويركا من قبيلة أيت واعزون التنانية، ثم عينه السلطان الحسن الأول قائداً على جميع التنانيين بعد "أن زحف إليهم مرجعه من سوس عام 1885/1303. فأدار بهم الجيوش من كل جهة... حتى استولى على قمة الجبال في بسيط إيقى المشهور، فساحت الجيوش حتى أطلت على الشعاب والأوطئة، فلم يجد التنانيون مناصا من الانقياد، فقدموا الهدايا ودفعوا المؤن، ثم لم يلبث السلطان أن ذهب بغتة إلى حال سبيله بعدما جعل لهم رئيساً قائداً على جميع التنانيين يسمى أبا العشرة ثم غادره وحده بلا جند يدعمه، فلم يكد السلطان يذهب حتى أجلاء التنانيون ثم قُتل بعد ذلك فرجعت هيف إلى أديانها، وقد ترك السلطان في منزله كثيرا مما قدم مؤونة لجيشه" (*خلال جزولة*، 4 : 88). ومما يحكى بالتواتر أن بوعشرة كان له صديق حميم يدعى علي أتَنَانْ يترأس غارات إداوتنان من الجبال على قوافل المخزن والتجار في عهد الحاج عبدالله أُبيهي الذي استنفذ جميع الحيل والإمكانيات المتوفرة لديه دون إخضاع إداوتنان لحكمه، فألزم شيخه بوعشرة عبدالرحمان بأن يُحضر إليه رأس صديقه علي أُتنان حياً أو ميتا، وإلا حل محله في العقاب، فطلب بوعشرة من القائد أن يساعده في مهمته بإلقاء القبض على جميع الشيوخ (إمغارن) مثله فشاع خبر ذلك بين الناس، فلاذ بوعشرة بالفرار ملتجئاً إلى صديقه في إداوتنان : علي أتنان متظاهراً بالخوف، وبعد بضعة أيام طلب منه أن يذهب معه ليساعده على ترحيل أولاده وأمتعته إلى إداوتنان، فاصطحبه هو وأخوه محند أتَنَانْ وثلة من أصحابه إلى حاحة وعندما وصلوا دار بوعشرة ليلا، حيث حضّر له كمينا إزاء قاعة الضيافة فيه أربعة رجال مسلحين، وحتى يُشغله عنهم أكثر أخرج له صندوقاً من الحديد، ادعى أن مفاتيحه قد ضاعت منه، فطلب منه هو وأخوه أن يعملا على فتحه لإخراج ما به من ذخائر ريثما يجمع هو ما خلف من أمتعته، وبينما كان عليّ أتَنان وأخوه منهمكين في فتح القفل فإذا بالجماعة المختبئة في الكمين تطلق عليهما سربا من الرصاص مستهدفة علياً أكثر لأنه شجاع مهاب لا يُغلب في المبارزة. ويحكى أنه أخرج خنجره من غمده ودار في الغرفة فلم يظهر له أحد فغرسه بقوة في عمود خشبي وسط الغرفة وذلك تحت تأثير حرارة الموت ثم سقط صريعا. فحز بوعشرة رأسه وأسرع به إلى القائد الذي حدّق فيه متفحصا ملامحه، فوجده نحيلا لا لحية له إلا بعض الشعيرات في الذقن فقال مستغربا ومستصغراً إياه : "هذا هو الرأس الذي أثار قلق المخزن عدة سنوات !" ثم أمر بتعليقه فوق باب قصبته أزَغارْ ليكون عبرة لأمثاله كالعادة، وألقى بأخيه محند أتنان سجينا في مطمورة. (وقد سمعنا هذه الحكاية من عدة شيوخ موثوق بهم وأوردناها للاستئناس).

مجهول، *لب الوقائع على تولية حاحة والبدائع*، مخطوط مبتور عند ورثة المختار السوسي، فيه بعض أخبار رؤساء حاحة من 1171هـ إلى 1294 هـ ؛ الصديقي، *إيقاظ السريرة* ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4 ؛ *روايات شفوية*.

محند أيت الحاج

بوعشرين، هكذا جرى على الألسنة اليوم وفي الكتابات المتأخرة تخفيفاً للكنية القديمة بني عشرين أو أبي عشرين التي اشتهرت بها الأسرة الأنصارية الخزرجية الأندلسية المعروفة.

وكان أولَ من خرج منهم من الأندلس إلى العُدوة أبو الحجاج يوسف ابن عشرين البياسي، من سادات زمانه علماً ودِيناً وضخامة قدر وجلالة جاه، انتقلوا إلى تونس ثم إلى فاس، حيث اشتهر ذكرهم ونمت فروعهم. ومنها خرجوا إلى

سلا ثم إلى مكناس. قال عنهم عبدالرحمان الفاسي في تأليفه عن *مشاهير بيوتات فاس* "... ومنهم بيت بني عشرين الخزرجيين، بيت علم وأصالة، ومنهم فقهاء أئمة، كالفقيه علي بن عشرين، كان فقيها حافظاً محصّلا مستبحراً في الفقه، وتفقه عليه فقهاء المغرب، وكان يحفظ *المدونة*، ومن صَدْره نُقلت بعد أن أحرقها ملوك الموحدين بني عبد المومن بن علي. يُروى أنها لما جبذت (نزعت) من صدره في أول الدولة المرينية، قوبلت بعد ذلك مع نسخة وجدت، فوجدوها كهي، لا خلاف بينهما إلا في واو أو فاء...".

لم تنقطع شهرة بني عشرين على مر العصور، وهذا ما أكده أخيراً صاحب *الحسام الشرفي* في القرن الماضي : "...فرفعةُ قدر بني عشرين بالعلم والعدالة، وشهرة بيتهم الرفيع العماد في القرن الثامن أظهر من نار على علم، وامتدت إلى قرننا هذا".

بوعشرين، إبراهيم بن الطيب، كان وزيراً لمولاي عثمان ابن السلطان الحسن الأول وخليفته بمراكش، وتوفي في 3 صفر الخير عام 14/1312 يوليوز 1894. ودفن بزاوية درقاوة بمدينة مراكش.

بوعشرين، إدريس بن الطيب، ولد بمدينة مكناس في فاتح سنة 1844/1260 وتربى في كنف أبيه آتي الترجمة، وأخذ عنه في بداية أمره مع بقية إخوته، ففضل أبوه عدم إبقائه بمكناس ونقله إلى فاس "ليبقى متعاطياً للعلم تعلماً بها وتعليماً". ولما شب وترعرع، وأخذ من علوم عصره ما يكفي حتى صار "كاتبا بارعاً مترسلا عارفاً بالإنشاء بليغاً" أخذ أبوه يقرّبه من الأوساط المخزنية، وقبل وفاته بقليل أوصى به جناب السلطان.

تولى إدريس الوزارة بعد وفاة أبيه سنة 1869/1286 لفترة ما تبقى من حكم السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان وكانت توليته بإشارة من الحاجب موسى بن أحمد الذي زادت سطوته وتوسعت دائرة نفوذه، ولم يكن ذلك منه "نصيحة صريحة، ولا مودة صحيحة، بل ليلاً تخرج سياسته عن مناطها، وتنحل حيلته عن رباطها (*فواصل الجمان*، 72-73) فلم تكن توليته إذن للصدارة إلا صوريّة، ولما مات السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان عام 1873/1290 وبويع السلطان مولاي الحسن أبقاه في منصبه. لكن أمر الحاجب ازداد نفوذاً وشهرة، واستتب له على رؤساء الدولة اثرة وامرة، وحظي بثقة السلطان، فظهرت سطوته "وصارت أنوار الوزير الصدر إدريس بوعشرين تنطفي، وأزهاره تذبل وتختفي، إلى أن لم يبق اسم له ولا مُسمّى، فضاق ذرعه" (*التنبيه المعرب*، ص 30)، فاستقال إدريس وأقاله السلطان مولاي الحسن، وتصدر محله موسى ابن أحمد، وذلك سنة 1876/1293، وكانت مدة توليه الوزارة لا تتعدى سبع سنوات، أربع سنوات منها في عهد السلطان سيدي محمد، وثلاث سنوات في عهد السلطان مولاي الحسن.

استقر إدريس بوعشرين بمدينة مراكش بداره المعروفة بدار الزليج الكائنة بروض الزيتون، ثم ضاقت به الأحوال من شدة سطوة الحاجب الوزير أحمد بن موسى، فقرّر الهجرة والرحيل، وتاقت نفسه للجوار بالمدينة المنورة ورتّب أموره بعد أن فوت عرصته الشهيرة بمراكش "عرصة بوعشرين" للحاجب الوزير، وجعل الأمين محمد بن المدني بنّيس قيماً على أملاكه مقدماً على بعض عياله وأولاده، وذلك سنة 1876/1293، فرحل إلى الحج بأهله وذويه، وأقام بمكة إلى فاتح عام 1879/1297 فانتقل إلى المدينة المنورة. ولبست لدينا معلومات كثيرة عن مرحلة استقراره بالشرق، سوى إشارات متفرقة تبين أنه تنقل في بعض دول المشرق، فزار مصر سنة 1884/1302 "ودخل الاستانة العظمى لمعالجة ألم ألمّ به، فلقي من السلطان عبدالحميد ورجال دولته تكرمة وإجلالا، ثم عاد إلى المدينة". وبعد تسع سنوات عاد إلى المغرب لإحياء صلة رحم قرابته، وقضاء مهامّه، فوجد السلطان بالثغر الرباطي "فأجله واعتنى بشأنه، ورافق جنابه العلي إلى الحضرة المكناسية، فراوده وألحّ عليه في المقام في وظيفة فاعتذر واستعفى وأبى إلاّ العودة لجوار المصطفى، فساعده الإسعاد بالمساعدة، وعاد لمدينة خير رسول معرضاً عن كل ما يشبطه ويلهيه، وأقبل على عبادة ربه" (*الاتحاف*، 2 : 27).

وفي سنة 1886/1304 أتم بناء روضه الشهير بالمدينة المنورة، واستقر به إلى أن وافاه الأجل يوم 5 رجب 18/1305 مارس 1888 وصلى عليه بعد فريضة الظهر من يومه بالروضة الشريفة، ودفن بالبقيع، وخلف بالمدينة أولاداً وداراً.

بوعشرين، الحسن بن الطيب، كان عضواً في سفارة الأمين بناصر غنام، سفير السلطان عبدالعزيز إلى الجزائر، وكتب عن هذه الرحلة كتابا سماه رحلة بوعشرين كما أنه كتب تأليفاً في التاريخ سماه *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، وكان بقيد الحياة سنة 1906/1324.

بوعشرين، الطيب بن اليماني، من المحتمل أن تكون ولادته حوالي سنة 1796/1211 بمكناسة الزيتون، ونشأ داخل أسرة علمية أحاطته بكل رعاية، فقرأ على والده اليماني بوعشرين منذ صباه وأخذ عنه جملة من المتون في مختلف الفنون، كما أخذ عن أكابر المشايخ ممن يشار إليهم بالرسوخ والاتقان "واعتكف على طلب العلم، فنبغ فيه بالحفظ والفهم" (*الإتحاف*، 3 : 97)، وبعدما اكتمل تكوينه انتقاه السلطان المولى عبدالرحمان بن هشام لتعليم أبنائه، فكان الطيب بن اليماني بمثابة المرشد والموجه لمحمد بن عبدالرحمان. وإقراراً بفضله وعلمه ووجاهة رأيه تمسك به وجعله وزيراً له عندما تولى خلافة أبيه، فكان خير معين له في كل أمور الخلافة.

ولما عقد السلطان مولاي عبد الرحمان لولده وخليفته محمد بن عبدالرحمان على الجيش المغربي لمواجهة التحرشات الفرنسية على الحدود المغربية ـ الجزائرية سنة

1844/1260، كان الطيب بوعشرين آنذاك مرافقاً له ملازما لحجابته، قائماً بكتابته. ولما وقع ما وقع في إسلي، نُسب إليه وإلى كبراء الجيش التهاون وسوء التدبير. ويذكر الناصري في *الاستقصا* (9 : 51) أنه في الليلة التي وقعت الحرب صبيحتها "جاء رجلان من أعراب تلك الناحية، وطلبوا الدخول إلى الحاجب وهو الفقيه السيد الطيب بن اليماني المدعو بأبي عشرين فدخلا عليه وقالا : إن العدو عازم على أن يُصبّحكم غداً إن شاء الله، فاستعدُّوا له وأعلموا الأمير، فيقال إن الحاجب قال : إن الأمير الآن نائم ولست بالذي أوقظه. ثم جاء عقب ذلك أربعة أناس آخرون يُعلمون بأمر العدو فكان سبيلهم سبيل الأولين، ولما طلع الفجر وصلّى الخليفة الصبح، جاء عشرة من الخيل قبل من الأعراب، وقبل من حرس الخليفة، فأعلموا بمجيء العدو وأنهم تركوه قد أخذ في الرحيل".

ولما وقعت الواقعة وانهزمت الجيوش المغربية في موقعة إسلي الشهيرة حمّل الخليفة محمد بن عبدالرحمان الطيب ابن اليماني جانباً من المسؤولية. "لذلك نسب إليه وإلى كبراء الجيش التهاون وسوء التدبير في ذلك الحدث الكبير، ووضعت يد الإحصاء والتثقيف، على مالهم من تليد وطريف، ولولا الشفاعة لصوت في لحاهم الجلم، وصاروا في التنديد أشهر من نار على علم " (*فواصل الجمان*، 71.72). وتعرض بسبب ذلك إلى محنة دامت خمس سنوات عاشها الطيب بن اليماني في عناء وشدة بمدينة مكناس ما بين سنة 1260 / 1844 وسنة 1266 / 1849.

وبعد ذلك أعاد إليه الخليفة سيدي محمد بن عبدالرحمان الاعتبار، فأرجعه إلى سابق خدمته، حيث استمر ملازماً له إلى حين مبايعته كسلطان على المغرب سنة 1859/1276، "فنظر إلى حقوق قضاها، وخدمة في نفعه أمضاها، فأسند إليه أمر الصدارة".

واجه الطيب بوعشرين منذ تولّيه أمر الصدارة ظروفاً سياسية صعبة، عرفها المغرب خلال حرب تطوان وبعدها، وعُرف عنه أنه كان في مقدمة المتحمسين للحرب والمقتنعين بقوة الحكومة المخزنية وتفوق قوتها على قوة الإسبان، كما صرح بذلك لوفد تطوان. ولما اعتزم السلطان استفتاء أهل العلم ورجال الرأي على الطريقة التي يقع بها الحصول على المال المطلوب، ألقى عليهم سؤالا كان من إنشاء الوزير الطيب بوعشرين. ورغم ما كان للوزير الصدر من حظوة لدى السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان، فإنه لم ينج من مضايقة أقرانه، وبالأخص منهم الحاجب موسى بن أحمد، الذي كان يناصبه العداء، بل أصبح يزاحمه في تدبير شؤون الوزارة، حتى شاركه ...في الجليل والحقير، ومكث يراوغ الأيام، ويعالج الأسقام". ونسوق في هذا الصدد رواية أوردها صاحب *البستان* مفادها أن السلطان كان يستشير الوزير الصدر في أمور كثيرة، ويثق برأيه السديد في بادئ الأمر، فحينما قبض على عامل مراكش أحمد بوستة وعزم على تولية أحمد ابن داوود المراكشي، أظهر له الوزير الصدر عدم الاستحسان". فساعده السلطان على مقتضى نتيجة المشاورة، وولّى قائد مشوره السعيد القايد الجيلالي بن حمّ البخاري المكناسي على عمالة مراكش، ثم لم يلبث أن عزله وولى مكانه أحمد بن الطاهر الأزموري إلى حين وفاته. وكان الحاجب موسى بن أحمد ورفيقه عبدالسلام البقالي آنذاك من المتحمسين لتولية أحمد بن داوود المراكشي لمنصب عمالة مراكش "فتعاونا وأبديا ما لديهما في ذلك من رَدٍّ رأي السيد الطيب بوعشرين، فتقوّى بذلك ما كان عزم عليه السلطان من توليته قبلُ، فولاه عمالة مراكش. فشعر الوزير الصدر بتقلب الأحوال وتزايد خطورة أحمد بن موسى لدى السلطان، فتخوف على أهله وذويه، وكتب إلى السلطان يتشفع إليه بإسدال ظهير التوقير والاحترام على أبنائه، فاستجاب السلطان لطلبه، وأصدر ظهير التوقير والاحترام في حق أبنائه أينما كانوا ساكنين مجتمعين أو متفرقين.

استمر الطيب بوعشرين في منصب الوزارة مدة عشر سنوات، لا شك أنه كان يشكو خلالها من مرض لازمه طوال هذه المدة، فقد عثرنا في سجلاته ورسائله على ما يفيد ذلك. وقد وقفت على رسائل شخصية بعثها إلى محمد برگاش يستفسره عن بعض الأدوية. أولى هذه الرسائل تعود لسنة 1859/1276 وآخرها لسنة 1868/1285. وفي الرسالة الأخيرة التي جاءت سنة واحدة قبل وفاته تحمل أخباراً بوصول "الحقنات" لكن حاملها لم يكن يتحفظ عليها. ولعل هذا المرض هو الذي كان سبباً في وفاته، فقد أشار في *الاستقصا* (9 : 122) إلى "أنه كان به داء الحصر فدخل المبضأة التي بمشور أبي الخصيصات من دار السلطان بحضرة مراكش، فيقال إن مثانته تمزّقت" فمات على إثر ذلك عن سن تناهز خمساً وسبعين سنة وذلك عشية يوم الخميس الرابع عشر من شهر شعبان سنة 19/1286 نوفمبر 1869، وصُلي عليه بعد الجمعة بمسجد المواسين، وحضر جنازته الجم الغفير، ودفن عن يمين الداخل لضريح الشيخ عبد الله الغزواني بحومة القصور بمدينة مراكش، وترك الطيب بوعشرين بعد وفاته أحد عشر ولداً موزعين على مراكش ومكناس وفاس.

بوعشرين، محمد بن **إدريس**، ولد بالمدينة المنورة عام 1879/1297 أي سنة انتقال والده إلى الشرق، فتلقى تعليمه هناك، ولم يرجع إلى المغرب إلاّ بعد وفاة الحاجب أحمد بن موسى حوالي سنة 1905/1323، وكان عمره آنذاك لا يتعدى السادسة والعشرين. وبعد وصوله إلى مدينة فاس، نظم قصيدة في مدح السلطان مولاي عبدالعزيز لقيت منه استحسانا وقبولا، وطاب مُقام محمد بوعشرين في المغرب، واهتم برعاية مصالح أسرته تاركاً في القاهرة أخاه مصطفى بن إدريس.

تقلد محمد بوعشرين مناصب مخزنية ككاتب للعدلية بعد عودته من الشرق، ثم نائب الوزير الصدر المدني الأگلاوي في عهد السلطان مولاي عبدالحفيظ. وبعد فرض

الحماية على المغرب تقلد مناصب إدارية جديدة منها منصب مفتشية الأحباس بمدينة الرباط، ثم انتقل ناظراً لأحباس

مدينة مكناس زرهون، قبل أن يصبح خليفة أول لباشا فاس الجديد، فرئيساً للمحكمة العليا الشريفة بالرباط، فنائب مندوب السلطان بمدينة طنجة، وأخيراً قائداً لأولاد مطاع.

وتوفي عام 1961/1381.

بوعشرين، محمد بن **بوشعب** (الحاج) الأنصاري، ولد بفاس حوالي 1882/1300. وبها حفظ القرآن ثم أخذ العلم على أشهر شيوخ عصره، أمثال عبدالسلام الهواري، وعبدالعزيز بناني، وأحمد بن الجيلالي، وأحمد بن الخياط، ومحمد القادري وأحمد بن المامون البلغيثي. ولما استد ساعده العلمي اشتغل مدة في التدريس بالقرويين وغيرها من مساجد فاس ومدارسها، وانتفع به عدد كثير من الطلبة.

وفي عام 1916/1335 عين قاضياً بزعير ثم بالزيايدة وأولاد سعيد حيث قضى زهاء ثلاثين سنة في القضاء، اشتهر خلالها بالضبط والحزم والنزاهة. ولم ينقطع عن التدريس في أيام القضاء فنمت معلوماته واتسعت مداركه، وألف عدداً من الكتب في الفقه والحديث والكلام والمنطق، طبع بعضها، ومعظمها شروح وحواش، وله أيضا *تقييد في التشنيع على طوائف عيساوة وحمادشة* وغيرهما، وهو مطبوع، وآخر في *الحض على صرف قسط من الزكاة في تشييد المدارس*.

وأدركته الوفاة بمدينة سطات حيث كان يقيم أيام قضائه بأولاد سعيد وذلك يوم الخميس 12 جمادى الثانية عام 1944/1364 ودفن قبالة باب سيدي الغنيمي.

بوعشرين، مصطفى بن إدريس، كل ما نعرف عنه أن أخاه محمد بن إدريس تركه بالقاهرة حوالي سنة 1905/1323، وأنه كان مدرساً بجامع الأزهر.

بوعشرين، اليماني بن أحمد المكناسي، عاش في عهد السلطان مولاي سليمان، واشتغل في بادئ الأمر نساخاً ثم أصبح كاتباً فرئيساً للكتبة، قال عنه صاحب *الحسام المشرفي* : "وعلى يده كتبة الديوان، وأمناء الصرح والإيوان، سوى قرينه في الصدارة، جليل المفاخر تحفة المجالس وحضرة الإمارة، أبو اليمن والبركة، الموفق في السكون والحركة، الكاتب الأشهر، الكبريت الأحمر، بقية الأماني عزيز الكَتَبة السيد اليماني".

وقد أهله علمه ومكانته ليحتل موقعاً داخل الجهاز المخزني، فكان "...للوزير الصالح القائد أحمد (مول أتاي) به اعتناءٌ زائد، خارق للعوائد، لا يفارق جنبه الأيمن في صدر الديوان، لأنه لا يتلون بغير الصدق والعفاف والمروءة بشيء من الألوان" (*الجيش*، 2 : 156) وكان أكنسوس من بين الكتبة الذين اشتغلوا معه وتأثروا به وأثنوا عليه.

ونظراً لطبيعة العلاقة الوطيدة التي كانت تربط أكنسوس باليماني بوعشرين استطاع أن يدقق في كثير من المعطيات المتصلة ببيته، وكانت وفاة اليماني عام 1825/1241.

م. أكنسوس، *الجيش*، ج 2 ؛ *حسام الانتصار في وزارة بني العشرين الأنصار*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ غ. الجاني، *درحة المجد والتمسك في وزارة ونسب العالمين ابني العشرين*، مخطوط ؛ *درحة المجد والنسرين في نسب أبناء أبي العشرين* ؛ م. غريط، *فواصل الجمان* (ط ١ بفاس 1346) ؛ بوعشرين الحسن بن الطيب المراكشي، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، أشار في أحد أبوابه إلى نسب أسرته ووزارة أبيه ؛ *رحلة بوعشرين*، كتبها عن رحلته إلى الجزائر عضوا في سفارة الأمين بناصر غنام سفير السلطان مولاي عبدالعزيز ؛ م. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط ؛ م. السباعي، *البستان الجامع*، مخطوط خ. ع 1346 د ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 128 ـ 135.

مصطفى فنيتير

البوعصامي، أسرة فيلالية أصلها من قصر تابوعصامت الشهير بالقرب من مدينة سجلماسة المندثرة. انتقل بعض أفراد هذه الأسرة إلى مكناس في أواسط القرن الحادي عشر (17 م) وتكاثروا فيها. كما استقر بعضهم بفاس والرباط وغيرهما، وأنجبوا عدداً من الفقهاء والأدباء. ولعل محمد البهلول البوعصامي آتي الترجمة هو أول من انتقل إلى مكناس أيام المولى مَحمد بن الشريف لطلب العلم واستقر بها، ولا ندري هل بقي اليوم من أفراد هذه الأسرة من يسكن مدينة مكناس، فابن زيدان عند تحقيقه في بداية هذا القرن لأحساب وأنساب ساكني الحاضرة المكناسية (*المنزع اللطيف*، 265) لم يذكر منهم آل البوعصامي.

البوعصامي، أحمد بن عبدالرحمان، بهلول متبرك به "كان أحد أدباء عصره، وفريد وقته ومصره، له سجية في نظم الشعر، وله أنظام عجيبة، وأساليب غريبة، في مدح الأولياء والعلماء والكتب. نحويّ قرأ *ألفية* ابن مالك. وله

مراسلات بأنظام مستحسنة، جلبُها هنا يطول، وخبره شهير غير مبطول". بهذا حلاه محمد بن الطيب القادري في *نشر المثاني*، ولم يذكر ـ للأسف ـ نماذج من شعره، ولا أخبار تعلمه وتعليمه، بل لم يتحقق لديه حتى تاريخ وفاته، وإنما حشره في خاتمة الكتاب ضمن أشياخ القرن الثاني عشر (18م). ولم نقف له على ترجمة في كتاب آخر.

م. القادري، *نشر*، 4 : 200.

محمد حجي

البوعصامي، الفقيه. ولد بمدينة مكناس واختار طريق النسك والفقر منذ صغره، فارتحل إلى مدينة فاس وأخذ طريق القوم على يد الشيخ العربي بن عبدالله معن الأندلسي، وبهذه المدينة كانت وفاته سنة 1780/1195.

البوعصامي، محمد البهلول بن عبدالرحمان. عرف بالبهلول لقباً. من فقهاء مكناس ومن العلماء الذين درّسوا فيها أيام السلطان مولاي إسماعيل، ولا نعرف شيوخه في العلم. وفي *مباحث الأنوار* (ص 78) أن البهلول البوعصامي كان بالزاوية الدلائية أيام محمد الحاج الدلائي، لكنه لم يذكر بأي صفة كان هناك، والراجح أن البوعصامي كان كثير التجوّل قبل أن يستقر بمدينة مكناس ويرتبط بالسلطان مولاي إسماعيل.

وبالرغم من كونه كان ضريراً فقد شهد له تلامذته بالحذق وجودة الإدراك، وأجمع من ترجموا له على علو كعبه في عدة فنون، فهو أديب ماهر، ونحوي مدرس نفّاع، تخرج عليه كثير من العلماء المكناسيين، كأبي القاسم بن سعيد العميري، ومحمد العربي بصري وغيرهما. وإليه انتهى التحقيق في كثيرمن المعارف. وفي ذلك يقول :

وقالوا قد عميت فقلتُ كلاّ فإني اليومَ أبصرُ من بصيرِ
سوادُ العين زاد سواد قلبي ليجتمعا على فهم الأمـــور

كانت وفاته بمدينة مكناس عام 1714/1126، ودفن بها قرب ضريح أحمد الحارثي.

البوعصامي، محمد بن أبي بكر فقيه وأديب رباطي، اشتغل كاتباً بدار المخزن، ووجهه السلطان مولاي عبدالحفيظ سفيراً لبعض الدول، وهو صهر الفقيه محمد بن عزوز، ثم استوطن مراكش ومات بها سنة 1919/1338 ودفن بمقبرة باب دكالة.

البوعصامي، محمد بن محمد، عالم، فقيه مدرس بالجامع الأعظم بمدينة مكناس وحسب ابن زيدان (*الإتحاف*، 3 : 303) أنه كان يقبض المرتب العلمي كما وقف على ذلك بحسابات النظار.

كان على قيد الحياة عام 1641/1151 ولم نقف على سنة وفاته.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 290 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 3 : 118. 127 ؛ م. العلمي، *الأنيس المطرب*، مخطوط، خ. ح. 3493 ؛ م. العميري، *فهرسة*، 343، مخطوط ؛ م. بصري، *منحة الجبار*، 138، مخطوط ؛ م. دينية، *مجالس الإنبساط*، 325.

عبدالعزيز بوعصاب

البوعصامي، محمد الموسيقي أحد أدباء العهد الإسماعيلي، تتلمذ عليه الأديب محمد بن الطيب العلمي، وترجم له في كتاب *الأنيس المطرب* وتردد ذكره ـ أديبا وشاعراً وموسيقيا ـ في مصادر أخرى منها : *الروضة الفنا*ء، *وتاريخ الضعيف*، *وديوان الأمداح النبوية*.

وبالرجوع إلى هذه المصادر يتبين أن البوعصامي عاش في الفترة المتراوحة بين أواخر القرن الحادي عشر وأواسط القرن الثاني عشر للهجرة : فقد أخذ عنه العلمي المتوفى عام 1133 هـ وخدم السلطان المولى عبدالله وكان من جملة شعرائه بعد بيعته الأولى عام 1141، وعاصر جملة من أعلام الأدب كان من بينهم المؤرخ محمد الصغير الإفراني المتوفى عام 1151 هـ.

أما عن ثقافته فيخبرنا العلمي أنه رحل إلى الشرق حيث أخذ علوم العربية حتى "بلغ درجة فاق بها معاصريه.. ونودي باسمه فارتفع بالإفراد والعلمية" كما أخذ علوم المنطق والبيان والتفسير، وأصبح له في مجال الشعر ضلع ضليع، وإلى ذلك فقد "أخذ علم الموسيقى قراءة وإجازة عن عدة أشياخ من علماء مصر والقاهرة وشهدوا له فيه بالتقديم" حتى أتى في الموسيقى بكل خارق وأنسى ذكر الموصلي ومخارق، "وأصبح له في هذه الصنعة قدم راسخة، ومكانة مكينة شامخة".

وقد وقفت أخيراً على كناشة مخطوطة بعنوان *إيقاد الشموع* لمؤلف مجهول. يتبين من قراءة القسم الأول منها أنها هي الدروس الموسيقية التي أثبتها العلمي في *الأنيس* نقلا عن أستاذه محمد البوعصامي، ومن هنا يتجلى واضحاً أن الكناشة هي من تأليف البوعصامي.

وقد قسم المؤلف *الكناشة* إلى قسمين : يحتوي القسم الأول على مقدمة عرف فيها المؤلف بعلم الموسيقى وحقيقته وفائدته، ثم تحدث عن النغمات الثمان التي عليها مدار الألحان، وطريقة استخراجها من أوتار العود بواسطة ثمانية حروف أبجدية اتخذها بمثابة علامات لدرجات السلم الطبيعي وهي : أ ب ج د هـ و ز ح. وبعد ذلك بين طريقة تسوية العود وترتيب الأوتار في محلها وختم القسم بذكر الطبوع الأصول والفروع وعلاقتها بالطبائع مورداً في الموضوع منظومة العالم أحمد الونشريسي.

وضمّن القسم الثاني ديوان الأشعار التي تنشد على الطبوع الموسيقية ابتداء من طبع الأصبهان. وقد أصاب هذا القسم بترٌ في وسطه وآخره مما أدى إلى ضياع جزء كبير من الديوان شكل بعضا من نوبة الماية وسائر ميازين نوبات الاستهلال ورصد الذيل ورمل الماية وعرق عجم وغريبة الحسين.

ومما تتميز به كناشة البوعصامي احتواؤها على ميزانَيْ قائم ونصف الحجاز المشرقي وقائم ونصف الرصد، وهما مما سكت عنه محمد بن الحسين الحايك في مجموعه الشهير. ويدل وجود هذين الميزانين في المخطوطة على أنهما كانا حتى عهد السلطان مولاي عبدالله في النصف الأول من

القرن الثاني عشر ما يزالان قيد التداول بين أرباب "الآلة" ومن هنا لا يسع الباحث إلا أن يتساءل ـ باستغراب ـ عن أسباب ضياعهما خاصة وأن الفترة الفاصلة بين هذا التاريخ وبين تاريخ جمع كناش الحايك 1214 هـ لا تتجاوز ـ في أقصى الحالات ـ ثمانية عقود من السنين.

إن الكشف عن نسبة كناشة *إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع* إلى محمد البوعصامي سيكون من نتائجه حث الباحث المختص على إعادة النظر في كثير من مسلمات موسيقى "الآلة". وسوف يكون في مقدمة ما يهتدى إليه : ـ أن أول إنجاز في مجال تجميع أشعار الآلة تَمَّ على الأرجح ـ في النصف الأول من القرن الثاني عشر للهجرة، أي قبل عهد محمد بن الحسين الحايك بما لا يقل عن ثمانين سنة وهي الفترة الفاصلة بين سنة 1133 / 1720 تاريخ وفاة محمد بن الطيب العلمي الذي ترجم للبوعصامي في *الأنيس المطرب* وبين عام 1214 / 1799 تاريخ انتهاء الحايك من إنجاز كناشه.

ـ إن ترتيب النوبات الإحدى عشرة المتداولة بيننا اليوم قد جرى ـ هو أيضا ـ على عهد المولى إسماعيل على الأقل وليس على عهد المولى سليمان الذي شهد نهاية جمع *كناشه الحايك*.

م. البوعصامي، (مؤلف مجهول)، *إيقاد الشموع للذة المسموع بنغمات الطبوع أو نزهة القوافي في حدائق الأغاني*، مخطوط خ. ح. عدد 11333 مجموع (14) ؛ م. العلمي، *الأنيس المطرب*، ص من 168 إلى 193 ؛ مؤلف مجهول، *الروضة الغناء في أصول الغناء*، مخطوط، خ. ع. 192 د، ص 197 ـ 198 ـ 199 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أ. العماري، ص 112 ؛ أ. أحضري، *ديوان الأمداح النبوية وذكر النفحات والطبوع* ؛ م. بن العربي الدلائي، *فتح الأنوار فيما يعين على مدح النبي المختار*، مخطوط ؛ ع. بن إبراهيم، *الاعلام عند ترجمته لأحمد أحضري* ؛ ع. بن زيدان، *إتحاف*، ج 4، ص 118 و303 و304 ؛ ع. الخطابي، *فهارس الخزانة الحسنية*، المجلد الرابع، ص 63.

عبدالعزيز بن عبدالجليل

بوعطية، (أولاد ـ) اسم كان يطلق على نصف الشاوية. فقد كانت قبائل الشاوية مقسمة إلى قسمين كبيرين : أولاد بورزق وأولاد بوعطية. وإذا كنا لا نعرف متى بدأ هذا التقسيم، فيظهر أنه حدث تبعاً لعوامل جبائية وإدارية وربما عرقية. كانت بلاد الشاوية منذ القرن الثاني عشر (18 م)، وخاصة منذ القرن الثالث عشر (19 م)، مقسمة إلى قسمين كبيرين، على أساس عدد الدواوير والخيام، بهدف توزيع الجبايات والتحملات. يضم أولاد بوعطية داخله مجموعة متميزة هي مجموعة الشهاونة. وبما أن الشاوية وزعت إلى مائة دوار وبما أن الدوار كان يضم مائة خيمة، فإن أولاد بوعطية كانوا يمثلون خمسين دواراً أي 5.000 خيمة. كانت مجموعة أولاد بوعطية، تضم القبائل الاتية : أولاد حريز، المذاكرة، أولاد عليّ، مديونة، أولاد زيان، مزاب، الأعشاش، الزيايدة، بني وري.

وكانت هذه المجموعة مقسمة إلى قسمين متميزين : أولاد بوعطية، يضم القسم مجموعة قبائل مزاب والأعشاش وأولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي. ثم الشهاونة، مديونة وأولاد زيان والزيايدة وبني وري. وكان كل قسم من هذين القسمين يضم 25 دواراً أي ربع الشاوية. ويكوّن القسمان كما ذكرنا نصف الشاوية ويطغى عليهما اسم أولاد بوعطية. ففي سنة 1307/1889 ـ 1890 كان أولاد بوعطية موزعين في ديوان المخزن إلى القيادات والدواوير الآتية :

القيادة	القبيلة	عدد الدوايز
عبدالسلام برشيد	أولاد حزيز المذاكرة أولاد علي	12.5
أحمد بن العربي المديوني	مديونة أولاد زيان	18
محمد بن أحمد المزابي	مزاب، الأعشاش	12.5
الزيادي	الزيايدة وبني وري	07
المجموع		50

ومن الملاحظات التي ينبغي إبداؤها، أن قبائل أولاد بوعطية، تحتل مواقع استراتيجية هامة داخل الشاوية، زيادة على أهميتها الاقتصادية. فهي تتحكم في المواصلات بين الرباط والدارالبيضاء والحوز، كما تمتلك أهم المناطق الجبلية والغابات بالشاوية، حيث أهم الملاجئ التي كان السكان يلتجئون إليها لمقاومة المغيرين، وخاصة لمقاومة المحتلين الفرنسيين خلال سنتي 1325 ـ 1326 / 1907 ـ 1908. ونظراً لهذا الموقع، نمت بها مراكز حضرية هامة مثل برشيد، مديونة، ابن أحمد، الكارة، بن سليمان، بوزنيقة، وأخيراً مدينة الدارالبيضاء التي تقع في أرض قبيلة مديونة.

وقد قام أولاد بوعطية، بدور كبير خلال جهاد الشاوية، وساعدتهم جبال المذاكرة والزيايدة على الصمود في وجه جيش الاحتلال حيث دامت الحرب أكثر من سنة بين الطرفين. وكانت أراضي المذاكرة والأعشاش آخر ما احتله الفرنسيون في إطار إخضاعهم قبائل الشاوية.

مجهول، *مراحل رحلات السلطان مولاي الحسن*، مخطوط، خ. ح ؛ ع. العزوزي، *نشر المحاسن والمآثر*، مخطوط ؛ هـ. المعروفي، *عبير الزهور* ؛ ع. الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء*.

Villes et Tribus du Maroc, Casablanca et les Chaouia, T. 1 - 2.

علال الخديمي

بوعقبة ← **مشرع بوعقبة**

بوعكّاز (باب ـ) بمراكش ← **البستان** (باب ـ)

بُوعلْية، رأس يقع جنوب رأس خوبي Cabo Juby بإقليم طرفاية، ويعد من المعالم الجغرافية المَغربية القليلة التي احتفظ الإسبان بأسمائها الأصلية.

I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 33.

محمد ابن عزوز حكيم

بوعَلّو، أو بُوعَلُّ، أسرة سلوية معروفة أصلها من تلمسان، انتقل جدهم المدعو محمد الصيني أيام السلطان مولاي إسماعيل، وكان عالماً مدرساً، فأقام مدة بمكناس ثم انتقل إلى مدينة سلا واستوطنها هو وأولاده. وقد أنعم عليهم السلطان المذكور بدار وفرن ورحى قرب المسجد، وأنعم عليهم بأخذ أعشار وزكوات قبيلة عامر (بني عامر) بالضاحية، وقسط من دخل الفلك الجارية بين سلا والرباط. وقد تورط آلُ بوعلّو باعتبارهم من أعيان سلا في الفتن السياسية التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل، فهاجمهم جيش الأوداية واستولى على أمتعتهم، ثم عفا عنهم السلطان عبدالله بن إسماعيل وأصدر سنة 1734/1147 ظهيراً بردّ ما ضاع منهم، وجدد لهم في السنة التالية ظهير التوقير والاحترام الذي عندهم من قبل أبيه.

بوعلّو، إبراهيم من فقهاء سلا، ذكر معاصره الضعيف الرباطي في *تاريخ الدولة السعيدة* (ص 371) أنه كان عدلاً أيام السلطان المولى سليمان، وكاتبا بالأسطول.

بوعلّو، أحمد بن عبدالرحمن، من فقهاء مدينة سلا، عينه السلطان عبدالعزيز في 16 صفر عام 17/1315 يوليوز 1897 مكلفاً بالنظر في المواريث والنيابة عن المخزن في استيفاء تركة من مات ولا وارث له خلفاً للفقيه أبي بكر بن بوزيد وهو والد الأديب عبدالكريم بوعلو آتي الترجمة.

توفي أحمد بوعلو بمسقط رأسه حوالي سنة 1922/1314.

بوعلّو، عبدالرحمن، كان أمينا للخرص أيام السلطان عبدالرحمن بن هشام (1238 ـ 1822/1276 ـ 1859) فهو لذلك من أهل الخبرة بالفلاحة بقدر الزكوات والأعشار الواجبة على الفلاحين.

بوعلّو، عبدالكريم بن أحمد، ولد بسلا يوم سابع شوال عام 5/1323 دجنبر1905، من السابقين إلى دراسة اللغة

الفرنسية بمسقط رأسه، ثم بالثانوية اليوسفية بالرباط، فكان معدودا في طليعة الشباب العصري بالمدينة، عضواً مؤسساً للنادي الأدبي السلوي، ورئيسا له. وقد مثل النادي الأدبي، أوائل الثلاثينات، صحبة ممثل جمعية المحافظة على القرآن الكريم بسلا، في تهنئة الملك محمد الخامس بأحد الأعياد الدينية، فنالا من الحظوة والرعاية ما عدّ في طليعة صلات الشباب المغربي بصاحب العرش. وبعد ذلك تقلد بوعلو مناصب إدارية عديدة، منها رآسة تحرير جريدة *السعادة* اليومية.

توفي بسلا في 23 ربيع الثاني عام 6/1378 نونبر 1958.

وتعدّد اسم محمد في آل بوعلو، وتذكر الوثائق منهم :

بوعلّو، محمد، فقيه كان يشتغل بالعدالة في سلا عام 1766/1180.

بوعلّو، محمد بن إبراهيم، كان فقيها أستاذا يعلم الأطفال القرآن الكريم في كتّاب بحومة زناتة. توفي في 18 ربيع عام 1336/فاتح يناير 1918.

بوعلّو، محمد (الحاج.) من كبار الفلاحين من هذه الأسرة، كان يتعاطى الفلاحة ببلاد دكالة أوائل عهد الحماية.

بوعلّو، محمد بن عبدالله، فقيه انتصب للشهادة في سماط العدول بسلا، وكان يزاول هذه الخطة عام 1832/1248.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، 371 ؛ ج. كوستي، وعشاش، *بيوتات مدينة سلا*، تح. فجاة المريني، 119. 121 ؛ بوبكر الصبيحي، كناشة، مخطوطة خ. ص ؛ م. بوشعراء، *ملحق الاتحاف الرجيز*، 152 ؛ *التعريف*، 2 : 240 ـ 241 ؛ أ. معنينو، *ذكريات*، 2 : 21 ـ 22 ؛ *رسوم عدلية قديمة* عند العدل السيد عبدالنبي النجاري السلاوي.

محمد حجي

بوعلي، أسرة أصلها من قبيلة جبل حبيب يرجع تاريخ وجودها بتطوان إلى أوائل القرن العاشر الهجري (16 م). حيث نجد من أعيان هذه المدينة شخصين يحمل كل منهما اسم أحمد :

1 ـ أحمد بُوعلي، مجاهد، كان يملك عدداً من الأسرى الإسبانيين، تم افتداؤهم من طرف جماعة من مواطنيهم الإسبان في شهر رمضان عام 929/ غشت 1523.

وتدل الوثائق التي نتوفر عليها على أن معظم آل بوعلي التطوانيين كانوا من المجاهدين يشاركون في عمليات الحصار التي تقام على الغزاة البرتغاليين في مدينتي سبتة وطنجة.

2 ـ أحمد بوعلي، الذي كان ينافس حاكم تطوان المقدم عبدالله النقسيس، ومن أجل ذلك التحق بالمجاهد العياشي الذي عينه مقدما على رباط الخرُّوب بقبيلة جبل حبيب وأسند إليه أمر محاربة المقدم النقسيس، وقد استطاع أحمد بوعلي أن يتغلب على المقدم المذكور.

وهناك مجاهد ثالث من هذه الأسرة هو : عبدالرحمن بوعلي، كان على قيد الحياة بتطوان سنة 1641/1051.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 13 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 229 ـ 288 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم،

Revista Mauritania, Tanger, n° 182, Enero 1943 ; Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوعلي، (القائد .) بن إدريس الدكالي الفرجي، نسبة إلى قبيلة أولاد فرج، أحد قواد دكالة المشهورين في العهد العزيزي. اشتهر خاصة بعلاقته بأحداث انتفاضة القبائل.

ذلك أن بوعلي، تولى عام 1319 / 1901 قيادة قبائل أولاد فرج والحوزية وشتوكة والشياظمة والغربية. ويبدو أن سيرته لم تحمدها تلك القبائل، كما لم تحمد سيرة خليفته.

ونتيجة لكراهية السكان لحكم القائد بوعلي وخليفته، لم يزد حكمه للقبائل المذكورة على عامين اثنين. ففي الوقت الذي ذهب فيه القائد بوعلي على رأس حركة إخوانه لمساعدة السلطان على مواجهة ثورة بوحمارة شرق فاس، انتفضت قبيلة القائد أولاد فرج، وهاجم المنتفضون قصبة القائد وخربوها. فكانت الشرارة التي انطلقت منها الانتفاضة إلى القبائل المجاورة بالشاوية ودكالة ثم إلى الحوز.

وهكذا انتهى حكم بوعلي في بداية عام 1321 / 1903، حيث عين على كل قبيلة زعيم منها، فنجد مثلا أن قبيلة الحوزية عين عليها القائد محمد ولد التريعي. وكذلك القبائل الأخرى.

وإذا لم يكن في إمكاننا الآن تأكيد أو نفي عودة القائد بوعلي إلى حكم إخوانه، فإننا نستطيع أن نؤكد أنه تمكن من أن يتولى باشوية مدينة أزمور، ولعل ذلك حدث بتدخل النفوذ الفرنسي سنة 1328 / 1910.

Villes et Tribus du Maroc, Les Doukkala, T.2 ; *Azemmour et sa banlieue*, 1936.

علال الخديمي

بُوعمامة، أسرة جزائرية، كانت بتطوان إلى أن انقرضت في أوائل هذا القرن.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 18 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد أبن عزوز حكيم

بوعمامة، محمد بن العربي البوشيخي، نسبة إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ التي قُسّمت إلى مجموعتين بمقتضى اتفاقية مغنية حول الحدود سنة 1261 / 1845، فصار اولاد سيدي الشيخ "الشراگة" تابعين للجزائر المحتلة آنذاك، وكان موطنهم بالبيّض جنوب وهران، بينما صار أولاد سيدي الشيخ "الغرابة" ضمن القبائل المغربية، وإلى هذه المجموعة ينتمي بوعمامة الذي ولد بواحة فگيگ سنة 1256 / 1840.

اشتهر بوعمامة في مرحلة أولى بالدعوة إلى الجهاد ضدّ الفرنسيين، 1292 . 1302 / 1875 . 1884، فتزعّم ثورة كبرى سنة 1299 / 1881 تعدّ استمراراً لما قام به أولاد سيدي الشيخ ضد الفرنسيين منذ سنة 1281 / 1864. وبعد فشل هذه الثورة ظل يتنقل بين واحات جنوب شرق المغرب، فأظهر الولاء لسلطان المغرب تارة، وتنكّر له تارة أخرى، وفي الوقت ذاته تطلّع إلى مهادنة الفرنسيين والتقرّب منهم تارة، ودعا إلى مقاتلتهم ومقاتلة أتباعهم تارة أخرى، هذا ما أضفى على حركته تعقيداً وغموضا بسبب ازدواجية خطابه مع هذا الجانب أو ذاك. هذا الغموض نفسه أفضى إلى مواقف متباينة من حركته بين المؤرخين المغاربة والجزائريين، فقد اعتبره الجزائريون بطلا تحريرياً حمل مشعل المقاومة ضد المستعمر في نهاية القرن الثالث عشر (19 م)، غير أنهم التزموا الصمت عن نشاط حركته في مطلع القرن العشرين، وهي الفترة التي انكشف خلالها تعاون بوعمامة مع الفرنسيين. أما الاسطوغرافية المغربية فقد اعتبرته زعيما دينياً ورئيس ثورة من أصل مغربي، حاول بسط نفوذه على منطقة ضعُفت فيها سلطة الدولة بسبب بعدها عن المركز ونظراً لتلاعب الفرنسيين في ما يخص تحديد معالم الحدود الجنوبية بين المغرب والجزائر.

في مطلع القرن العشرين وبعد أن توسّع الفرنسيون في جنوب شرق المغرب تقلّص مجال تحرّك بوعمامة في الجنوب، فاتجه إلى الشمال نحو منطقة التّل وحط رحاله قرب عين بني مطهر، وصادف ذلك قيام ثورة بوحمارة وزحفه نحو شمال شرق المغرب 1321 . 1324 / 1903 . 1906، فأعلن موالاته له، ودعا أتباعه إلى نصرة الثائر، وبعد انسحاب بوحمارة من "عمالة وجدة" وشروع الجيش الفرنسي في احتلال المنطقة (29 مارس 1907) تقاعس بوعمامة عن مقاومة الفرنسيين إلى جانب قبائل بني إزناسن، فافتضح أمره باعتباره أحد المتعاونين مع المستعمر، واستغل نفوذه الروحي لتوسيع منطقة الاحتلال إلى قصبة العيون، التي صارت موطناً له ولأهله وأتباعه.

وقد تظاهر بوعمامة طيلة حياته بالزهد والتصوف باعتباره وريثاً للزاوية البوشيخية الأم، فاستمال إليه كثيراً من الأتباع والمريدين من بين القبائل المغربية والجزائرية بمنطقة التخوم الجنوبية، خصوصاً بعد أن أسس زاوية، مدّعياً تجديد طريقة أسلافه. وفي نهاية سنة 1323 / 1905 استقرت الزاوية العمامية (نسبة إلى بوعمامة) قرب قصبة العيون حيث وافته المنية يوم 12 رمضان عام 1326 / 8 أكتوبر 1908.

أ. مزيان، فجيج. *مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر* 1845 . 1903، ص 480 . 500، الدارالبيضاء، 1988 ؛ ع. بنمنصور، *أعلام المغرب العربي*، 2 : 72 . 93 ؛ ع. زوزو، *ثورة بوعمامة، جانبها العسكري*، الجزائر، 1981 ؛ *ثورة بوعمامة، جانبها السياسي*، الجزائر، 1983 ؛ *نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر* 1830 . 1900، الجزائر، 1984.

La Martinière et Lacroix, *Documents, Nord-Ouest*, T. 2 ; A. Bernard, *Bou-Amama, Questions diplomatiques et coloniales*, 1901, Vol. XI, p. 622 - 626 ; L. Voinot, *La situation sur la frontière algéro-marocaine du Tell lors de l'insurrection des Ouled Sidi Cheikh dans l'Oranais*, 1864 - 1870, *R. A.* 1919, p. 399 - 465 ; *La menace des Ouled Sidi Cheikh contre le Tell algérien et les dangers de leurs intrigues au Maroc, 1870 - 1873*, *R. A.* 1920, p. 62 - 133 ; *Confréries et Zaouias au Maroc, Les*

établissements religieux du Maroc Oriental Nord, B.S.G.A.O., 1936, p. 44 - 47 ; S. E. Howe, *Les Héros du Sahara*, Paris, 1931, p. 21 - 28 ; D. Sari, *L'insurrection de 1881 - 1882*, Alger, 1981.

عكاشة برحاب

بوعمايِر، (باب ـ) أحد الأبواب الشمانية التي بناها السلطان مولاي إسماعيل بمكناس (*الإتحاف*، 1 : 230) وتنسب هذه الباب إلى الوادي الذي يمر بين المدينتين القديمة والحديثة، كان هذا الوادي غزير المياه جميل المنظر مما أوحى لمحمد بن يحيى بن محمد بن جابر الغساني المتوفى سنة 1423/827 بالقول في أرجوزته المسماة *بنزهة الناظر عن وادي أبي العمائر* ما يلي :

فلن ترى في سائر العمائر مثل محاسن أبي العمائر

يقع باب بوعماير خارج باب الحجر في اتجاه حمرية ـ المدينة الجديدة ـ ومنها إلى الطريق المؤدية إلى فاس شرقا، ويقابل هذا الباب، باب دار البارود التي كانت معدة لتصفية ملحه، وبقي باب بوعماير قائماً إلى أن هدمته الإدارة الفرنسية المستعمرة يوم فاتح 14 جمادى الأولى عام 1330 / ماي 1912 لتسهيل حركة النقل وسير العربات والسيارات الداخلة إلى المدينة القديمة والخارجة منها، وسميت الساحة الكائنة بين باب الحجر وباب بوعماير بساحة الجنرال دالبيز Dalbiez الحاكم العسكري لإقليم مكناس (1911 - 1914) وتعرف الآن بساحة بوعماير.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : *دراسة ميدانية*.

بوشتى بوعسرية

البوعمراني، أسرة شريفة بوادي دادس، ينتسبون إلى مولاي بوعمران، دفين قرية بوادي دادس الأوسط تعرف باسمه إلى اليوم (أيت بوعمران). يقال إنه من أحفاد مولاي إدريس الأصغر. تقول الرواية الشفوية المتداولة بين أوساط السكان بوادي دادس إنه حكم منطقة دادس وغيرها من المناطق المجاورة خلال فترة يصعب معرفتها معرفة دقيقة نظراً لانعدام الوثائق المكتوبة. وحسب نفس الرواية، فإن مولاي بوعمران عندما غزا هذه المنطقة اصطحب معه إليها جيشا مكونا من أيت سدرات الذين يعتقد أن أصلهم من ضواحي مكناس أو فاس. وقد شدت قبائل أيت سدرات عضد مولاي بوعمران بهذه المناطق. ويظهر أن دادس شهد انقلاباً سياسياً وبشرياً على إثر ذلك الاستيطان.

كثر نسل مولاي بوعمران فانتشر في عدة أماكن بنفس المنطقة، فنجد الشرفاء البوعمرانيين في قصور تاوريرت زگاغن وتَـلْـتْـنَمَرْت وأيت لحسن أ بُوزيد وتيمـيـشًا، وإماسين. كما نجدهم أيضا في سكورة (هسكورة) وفي بُومَحْشَاد (أيت عبدالقادر) وتَمَسْنَنْت (أيت ادريس).

وإلى يومنا هذا يقام موسم سنوي بزاوية مولاي بوعمران تؤمه قبائل المنطقة.

G. Couvreur, *La Vie pastorale* ; M. Hammam, *Coutumes inédites des Qsurs-s Ayt Ihya : Groupe de Qsur-s Ayt Sedrate de l'Oued Dades 1881*, *H. T.*, Vol. XXV, 1987, p. 91 - 106.

محمد حمام

البوعمري، أسرة مراكشية ماجدة، تنتسب إلى الشيخ الكبير أبي عمرو القسطلّي الأندلسي المراكشي (ت. 974/ 1566) صاحب الضريح المشهور بروض العروس. تتكون الأسرة البوعمرية من فرعين : أبناء الشيخ أبي عمرو بمراكش ؛ وأبناء أخيه الشيخ الوالي القاطنين بزعير.

وقد أوصى الشيخ أبو عمرو بتقسيم المهام بينهم، وذلك بأن يُختار المقدمون من حفدة أبي عمرو المنحدرين من صُلب ابنه محمد الكبير، وأن يكون لهم الحق وحدهم في التصرّف في الفتوحات ودخْل أملاك الزاوية. وفي مقابل ذلك حبّس أبو عمرو على أبناء أخيه الوالي أرض الگفيان الشاسعة بزعير التي تعدل كل أملاكه بمراكش.

وهكذا اشتغل آل بوعمري زعير بالفلاحة والرعي، بينما تفرغ آل بوعمري مراكش لخدمة الزاوية ورواداها من مريدين وطلبة وفقراء، وكانوا يتوارثون الإشراف على الزاوية أباً عن جد. وكثيراً ما كانوا يضطرون إلى الاستنجاد بالمرابطين وأعيان المدينة لحل النزاعات القائمة بينهم حول المواريث والمستحقات والمداخيل أو التقديم. وكثيراً ما كان يُرفع ذلك إلى السلطان أو خليفته في المدينة أو إلي الباشا. (محفظة *الوثائق البوعمرية*، وثيقة 8 و14).

وقد احتُرمت بنود وصية الشيخ خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر (17 - 18 م) ومع ارتفاع مداخيل الزاوية واتساع أملاكها (أراض شاسعة باغواطيم ومراكش. ودور سكنية، وحوانيت تجارية، وفنادق، ودرازات وأفرنة وطاحونات...) أبدى حفدة الشيخ الوالي طمعاً فيها، فطالبوا بنصيب من أملاك الزاوية سنة 1813/1228 م، وتكررت هذه المطالبات خلال سنوات 1866/1283 م، 1303 / 1885 م، 1886/1304 م، 1887/1305 م، 1888/1306 م، وكانوا كل مرة يواجَهون برغبة المحبِّس، مع إنعام أبناء عمومتهم عليهم بهبات وعطايا إلى أن حسم الأمر سنة 1908/1326 م، في نازلة الشريف بن بوعزة حيث سمح لحفدة الوالي بالدخول في القسمة المعهودة بين حفدة محمد الكبير لكل من جاوز مُقامُه بمراكش ثلاث سنوات وكان متأهلا (وثيقة 86 من المحفظة).

لم تشتهر الأسرة البوعمرية بالعلم، ولم يُعدّ منهم من العلماء إلا محمد الكامل بن أبي عمرو، وعرف أخيراً مَحمد البوعمري بولعه بالشعر الملحون، وكان معاصراً للباشا الأگلاوي. وخلّف ديواناً يشتمل على زهاء أربع وعشرين قصيدة.

انصرف البوعمريون إلى استغلال أملاكهم والعيش على ريعها، ومنهم من كان يمارس تجارة الشاي والشمع والصوف في بداية القرن، وهناك وثائق وسجلات تجارية تحدد معاملاتهم مع كبار تجار المغرب ومع بعض اليهود (*وثائق*، 25. 72. 104 ؛ *وكناش*، 1. 2 من المحفظة).

واتجهوا مؤخراً نحو استغلال عرصاتهم بمراكش بعدما بلغها المد العمراني، فأقاموا تجزئات سكنية أهمّها تجزئة سيدي عباد. ويبلغ عدد أفراد الأسرة البوعمرية اليوم بمراكش حوالي ثلاثمائة فرد يتقاسمون بالتساوي مداخيل المبيعات والأكرية لا فرق بين كبير وصغير.

البُوعَمْرِيَّة، (الزاوية ـ) بمراكش، فتح الشيخ أبو عمرو القسطلّي زاويته بحومة حمام الذهب حي (زاوية الحضر) بمراكش حوالي سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، فنهضت بأدوار علمية وتربوية واجتماعية وسياسية مهمة، حتى قيل إن عدد المتخرجين على أبي عمرو بلغ حوالي سبعة عشر ألف مريد (*الإعلام*، 1 : 342). ترجع هذه الكثرة إلى ما اشتهرت به من نشاط علمي ولقربها من جامع ابن يوسف الذي يقصده طلبة العلم، وكذا لما كانت تقدمه من أصناف الأطعمة لزوارها من المريدين والطلبة. وكانت الكتب المقروءة بها مزيجاً من كتب الفقه والتصوف، إضافة إلى أوراد وصلوات في مختلف أوقات النهار، (*شمس المعرفة*، 210.216). ومن أشهر الصوفية المتخرجين من الزاوية البوعمرية أبناء الشيخ : محمد الكبير ومحمد الكامل. وهذا الأخير هو الذي تولى أمر الزاوية بعد والده ؛ وأبو بكر المجاطي الدلائي مؤسس الزاوية البكرية الدلائية في الأطلس المتوسط، ومحمد بن مبارك الزعري التستاوتي مؤسس زاوية زعير وغيرهم.

وقد تحدثت المصادر عما كان يقدّم في الزاوية البوعمرية من أصناف الطعام، فلاحظت أن الشيخ أبا عمرو كان يطعم الناس بحسب مكانتهم وما ألفوا تناوله، فجعلهم ثلاث طبقات لكل واحدة وجباتها الخاصة بها (*دوحة*، 108).

واكتست هذه العادة أهمية كبيرة خلال سنوات الجفاف والمجاعة التي عرفتها المدينة في القرن الحادي عشر، وكذا في فترات الاضطرابات السياسية والاجتماعية كصراع أبناء المنصور على الحكم، وحكم الشبانات للمدينة...

وعلى المستوى السياسي ساندت الطرق الجزولية (والبوعمرية منها) الدولة السعدية ضداً على الدولة الوطاسية. ومع ذلك لم يخل العصر من امتحان للزوايا، ومعاقبتهم كيفما كان اتجاههم إذا تجاوزوا المهام المنوطة بهم وأصبحوا يهددون الحكام. كما كان شيوخ الزوايا شديدي الانتقاد للمخزن.

وعلى العموم كانت الزاوية البوعمرية تمثل في مراكش الزوايا الموالية للمخزن السائرة في خطه السياسي، ولم تعرف اصطدامات حقيقية معه، أو محاولات لتأطير الناس وتاليبهم ضده لهدف مّا. وفي المقابل وجدنا شيوخها ومقدميها ـ وعلى رأسهم أبو عمرو ـ يتلقون ظهائر التوقير والاحترام والإنعام من السعديين : من عبدالله الغالب المعاصر لأبي عمرو، وأحمد العباس بن محمد الشيخ آخر السعديين. وكذلك كانت علاقتهم بالعلويين ممتازة حتى في الفترات التي أصبحت فيها الزوايا موضع اتهام أو مضايقة.

ففي عهد المولى الرشيد الذي واجه الزوايا الدلائية والإلغية وزوايا الشمال والجنوب، بعث إلى زاوية البوعمريين ظهير توقير واحترام وإعفاء من التكاليف المخزنية، وأنعم عليهم بأرض زراعية في ضاحية مراكش (وثيقة 110 من محفظة الوثائق البوعمرية) و المولى سليمان مع ما عرف عنه من منع للمواسم ومحاربة البدع والطرقية وانتقاد صريح لزيارة سبعة رجال مراكش، أعطاهم ثلاثة ظهائر للتوقير والاحترام (*محفظة الوثائق*).

تتناول الظهائر العلوية المضامين التالية :

ـ التوقير والاحترام الموجه للزاوية وشيوخها وتجديد كل سلطان له.

ـ تعيين مقدم الزاوية أو إقراره في منصبه.

ـ حل الخصومات الواقعة فيما بينهم أو مع منازعيهم.

ـ الإنعام عليهم واحترام أملاكهم والدعوة إلى صيانتها.

ـ إسقاط التكاليف المخزنية عنهم.

ـ اعتبار الزاوية وحيّ حمام الذهب وضريح أبي عمرو بروض العروس حرما من دخله أمن على نفسه وماله.

جعلهم هذا يبتعدون عن الخوْض في الأمور السياسية ويتجهون توجها تربوياً تعليمياً اجتماعياً مستغلين الأراضي الزراعية الشاسعة التي يملكونها داخل مراكش وفي ضاحيتها.

محفظة وثائق الزاوية البوعمرية، تضم زهاء 120 وثيقة، خزانة خاصة بمراكش ؛ *كناشات محاسبات الزاوية البوعمرية*، خزانة خاصة بمراكش ؛ م. الزروالي، *شمس القلوب لكل محبوب*، مخطوط، خ.ع. رقم 3694 د ؛ ق. الحلفاوي، *شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *متع الأسماع* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، ط. الرباط ؛ ح. جلاب، *وثائق حول الزاوية البوعمرية بمراكش*، البحث العلمي عدد 38/1988 ؛ *ظهائر سعدية في توقير واحترام شيوخ الزاوية البوعمرية بمراكش*، دار النيابة، عدد 21، شتاء 1989 ؛ *ظهائر علوية لرعاية الزاوية البوعمرية بمراكش*، دعوة الحق، عدد 278 / مارس 1990.

حسن جلاب

بُوعْنان، اسم أسرتين تطوانيتين : الأولى أصلها من قبيلة بني حزمر انقرضت ولم يبق ما يذكّر بها في تطوان سوى العين التي تحمل اسمها وتقع بالمكان المعروف بالمرس بجبل غرغيز. وأما الأسرة الثانية فأصلها من الريف ومازالت لحد الآن بتطوان.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، عائلات تطوان.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوعْنان، قصر صحراوي قديم ما زال يعرف بالاسم نفسه. يقع في الجزء الشرقي من الشريط الواحي المحاذي للأعراف والسفوح الجنوبية للأطلس الكبير والهامش الشمالي للصحراء الكبرى، على الضفة اليمنى لوادي بوعنان الرافد الأكبر لوادي گير، زاره صاحب كتاب وصف *إفريقيا* الحسن الوزان سنة 1513/918.

وقد اتسع استعمال اسم بوعنان ليشمل مركزاً إدارياً شيد سنة 1326 / 1908 مع بداية الاحتلال الفرنسي على بعد كيلومترين من القصر القديم نحو السافلة على الضفة

اليسرى، وتمر بهذا المركز الطريق الرئيسية رقم 32 التي تربط بين فكيك وأگادير، على مسافة 135 كلم جنوب غرب بوعرفة و150 كلم شرق الرشيدية، وهي الطريق المعبدة، الوحيدة التي تخترق هذه المنطقة. وتعد بوعنان حاليا إحدى الجماعات القروية السبع التي يشتمل عليها إقليم فكيك، وتمتد على مساحة تبلغ 5052 كلم2.

ظلت جماعة بوعنان ضمن دائرة قصر السوق (إقليم قصر السوق = الرشيدية حاليا) إلى حدود سنة 1394 / 1974 حيث أضحت تابعة لبني تاجيت وصارت دائرة ضُمت إلى إقليم فكيك المحدث آنذاك.

تشتمل هذه الجماعة على عدد من قصور وديار ترتحل حولها قبيلة أولاد الناصر بين المنگوب شرقا وبوذنيب غربا والظهر شمالا والقنادسة جنوبا. وتنتشر هذه التجمعات السكنية في واحات حول ضفتي وادي بوعنان باستثناء عين الشعير التي تقع بعيداً على مسافة 67 كلم نحو الشرق، ويحتل معظمها مصاطب رباعية على ارتفاعات تتراوح بين 850 م و980 م، تشرف على بعضها أعراف كلسية جوراسية حادة لا يتجاوز ارتفاع أعلاها 1.500 م.

يتميز المحيط البيئي لواحات بوعنان بقحولة واضحة تتجلى في تساقطات قليلة يبلغ معدلها السنوي حوالي 100 مم، غير منتظمة التوزيع الزمني والمجالي، إلى جانب حرارة مرتفعة صيفا ومنخفضة شتاء تزيد القارية من حدة مداها. وينعكس هذا المناخ القاحل على التربات الفقيرة إذ تكاد تنحصر في الطمي الصلصالي أو الرملي في المصاطب وفي قعور المنخفضات. وتتعرض هذه التربات لعملية التذرية باستمرار، وخاصة مع هبوب رياح "الشرگي" الجافة والحارة. أما الغطاء النباتي فصحراوي لا يشمل عموما سوى أحراش تضم خاصة نباتات شوكية تتكيف مع شدة التبخر والنتح، إلى جانب أشرطة دائمة الاخضرار بقعور بعض المجاري المائية حيث يستفيد النخيل والدفلى وبعض النباتات الملحية مباشرة من المياه الجوفية القريبة ومن الجريان الخشيفي، ولا سيما بوادي بوعنان ذي الجريان الدائم وأهم صبيب بالمنطقة، إذ يصل معدله السنوي إلى 5.3 م3/ثا.

جماعة بوعنان ذات كثافة سكانية ضعيفة لا تتعدى 1.8 نسمة /كلم2، وهذا هو متوسط كثافة سكان إقليم فكيك نفسها. وحتى داخل التجمعات السكنية تبقى الكثافة ضعيفة نسبيا ويرتبط ذلك بالتوسع السكني الأفقي، ذلك أن أغلب المساكن لا تحتوي إلا على طابق أرضي يؤوي البشر والماشية والدواب على السواء، أما بالنسبة للرحل فالكثافة ضعيفة جداً نظراً لهزال الغطاء النباتي الطبيعي بصفته المورد الأساس الذي تتوقف عليه حركية الترحال.

اتسم تطور عدد سكان جماعة بوعنان خلال العقود الثلاثة الأخيرة ببطء شديد إذ بلغ حسب إحصاءات سنوات 1960 و1971 و1982 على التوالي 9211 نسمة ثم 9295 نسمة وأخيراً 10.126 نسمة. ويعزى هذا النمو الديمغرافي البطيء، رغم التحسن النسبي لبعض الخدمات الطبية، إلى احتداد وتيرة الهجرة. وقد استقطب مركز بوعنان نسبة من النازحين من بعض القصور، فيما غادر المنطقة آخرون بمن فيهم بعض سكان المركز نحو مناطق أخرى داخل الوطن ومن ضمنهم قلة هاجرت إلى الخارج.

يتكون سكان الجماعة حسب إحصاء سنة 1982 من رحل بنسبة 41٪ وهم أولاد الطالب وأولاد صغير وكلاهما من قبيلة أولاد الناصر، ومن مستقرين يمثلون باقي النسبة موزعين على مركز بوعنان (1839 ن) وعين الشعير (1233 ن) وقصر بوعنان (481 ن) وتكوميت (445 ن) وقصر بني يطي (337 ن) وقصر الحيرش (329 ن) وزاوية الحجوي (268 ن) وقصر أولاد العباس (253 ن) وقصر أورير (194 ن). ويتألف هؤلاء السكان من عرب (أولاد الناصر بصفة رئيسية) وإمازيغين (قصر أورير وقصر بني يطي بصفة خاصة) اندمجت معهم مجموعات من "الحراطين". أما اليهود فقد استوطنوا مركز بوعنان تجاراً وحرفيين خلال فترة الحماية، وغادرها آخرهم سنة 1977.

يتميز مركز بوعنان عن باقي قصور الجماعة بتنظيم هندسي لبعض أحيائه، ولا سيما "حي بنت خطاب" الذي يشمل تجزئة قروية حديثة في الجزء الجنوبي بشوارع متسعة ومساكن عصرية أحياناً بمستويين استعملت في بنائها مواد حديثة (الآجر والاسمنت والحديد ...) وفي الجزء الغربي يمتد "حي طابق الكلب" على هامش الضفة اليسرى لوادي بوعنان، بأزقته الضيقة والمنعرجة ومساكنه التقليدية ذات الطابق الأرضي والمبنية بالطوب والأخشاب ويقطنها بصفة خاصة أعراب أولاد الناصر. أما من الجهة الشرقية فيمتد "حي الجنانات" ببساتينه حيث بنيت مساكن تقليدية وأخرى عصرية يملكها النازحون من قصر تكوميت حيث استفادوا من توزيع قطع أرضية فلاحية خلال فترة الحماية. وفي القصور لا تكاد تظهر سوى مساكن تقليدية بعضها مهجور، بخلاف عين الشعير الذي يشتمل أيضا على حي حديث ذي تخطيط هندسي ظهرت به مساكن عصرية من حيث مرافقها ومواد بنائها.

يحتوي مركز بوعنان على مسجد واحد شأنه شأن بقية القصور، وإن كانت هذه تضم أضرحة وزوايا ذات أهمية اجتماعية ودينية كزاوية سيدي بن عبدالرحمان السهلي

بقصر تكوميت وهي فرع لزاوية قصر السهلي (جماعة بوذنيب) حيث مدفن الولي، وهي ذات نفوذ شاسع، وكزاوية الحجوي حيث مدفن وليها سيدي عبدالرحمان بن يحيى وكزاوية سيدي محمد بن بوزيان بقصر الحيرش وهي فرع لزاوية القنادسة الشهيرة.

تتركز جل الخدمات والتجهيزات والمصالح الجماعية بمركز بوعنان، وتتمثل أساساً في سوق أسبوعية تنعقد أيام الأربعاء، وفي مركز صحي بطبيب واحد وبضعة أعوان، وفي مستودع للأدوية، إلى جانب محطة بنزين وحمام ومطحنة، وكذلك إدارات محلية لقطاعات مختلفة، وإعدادية ملحقة ببني تاجيت، أما المدارس فيكاد لا يخلو من وجود بعض أقسامها أي تجمع سكني، وينفرد المركز بشبكة أنابيب توزيع الماء الشروب وقنوات المجارير، ويحتوي أيضا على مولد كهربائي حراري محلي يشتغل لمدة بضع ساعات كل مساء، كما هو الشأن بالنسبة لمعظم قصور الجماعة.

تقوم اقتصاديات السكان أساساً على فلاحة سقوية معاشية عموماً بالنسبة للمستقرين في الواحات، وتعتمد على مياه العيون والخطارات وعلى مياه سدود تقليدية تقام على وادي بوعنان وتشمل هذه الفلاحة النخيل والزيتون وبعض الأشجار المثمرة الأخرى والحبوب (وخاصة الذرة) والبقول التي تسوق منها كميات هامة في بعض المراكز مثل بوعرفة وبني تاجيت. وتعتني الساكنة أيضا بتربية الماشية وخاصة منها الغنم والماعز بالنسبة للرحل، إضافة إلى بعض الأبقار بالنسبة للمستقرين، ويهتم السكان أيضا ببعض الزراعات البورية الاحتمالية التي تشمل الحبوب، وبعض الصناعات التقليدية التي تشمل إنتاج أدوات متنوعة تستعمل محليا، كما يشتغل عدد منهم عمالا موسميين بصفة عامة في قطاع التعدين بمناجم البارتين والرصاص والزنك بجبل زلو وجبل بوظهر.

استطلاعات ميدانية وروايات شفوية.

عبدالرحمان الحرادجي

بوعنان المعطي بن محمد، مقاوم ولد سنة 1332 / 1913 بقبيلة السماعلة ناحية وادي زم. وكان معروفاً بوطنيته ومعاداته للاستعمار. وشارك بحماس في مظاهرة وادزم الشهيرة فسقط شهيداً في ساحة المعركة في نفس اليوم 20 غشت 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، ج 2.

عزالدين العلام

البوعناني، أسرة شريفة تنتسب إلى داود بن إدريس ابن إدريس الأكبر، انتشر أفرادها في فاس ومكناس وتطوان وغيرها من الحواضر والقرى. وكان التواصل بين البوعنانيين المكناسيين والتطوانيين مستمراً، كما تدل على ذلك قصة قاضي الحضرة الإسماعيلية البوعناني الذي توفي بتطوان عندما كان يقوم بإحدى زياراته لها في أواسط القرن الثاني عشر (18 م)، وقد بين الفقيه الرهوني (5 : 217) أن هذا القاضي هو محمد الطالب بن عبدالواحد البوعناني.

وقد تعرض النسابة إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* لذكر البيت البوعناني فقال : "وتقدمت لهم صدر الدولة العلوية ولايات خصوصا خطة القضاء، فقد تداولها عدد منهم وتصدوا للإفتاء والتدريس..." ومما يؤكد كلام الفضيلي أن المؤرخ الضعيف الرباطي يذكر أن البوعنانيين كانوا من علماء فاس الذين ناصروا المولى الرشيد في حركته عند دخوله فاس في محرم عام 1076 / يوليوز ـ غشت 1665 "فسرّ بهم وبقي يرعاهم ... وهذا من أسباب تولية أحفادهم القضاء من قبل مولانا إسماعيل رحمه الله لما يعلم فيهم من تقرير محبة الإمارة".

ويعرف من بين أفراد أسرة البوعنانيين التطوانيين :

البوعناني، أحمد بن عبد العزيز الذي تولى خطة العدالة بالمدينة من سنة 1789/1203 إلى سنة 1796/1210.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 3 : 101 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 57 ؛ 5 : 217 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم وعبدالاله الفاسي

البوعناني، التهامي، بن علي، صوفي صالح، من مريدي الشيخ الطيب الوزاني بواسطة مقدمه قاسم ابن فرحون. وبعد موت هذا الأخير ولاه الشيخ مولاي الطيب على أصحابه الفقراء بزاوية الشرشور، فعرفت له كرامات ومكاشفات. ذكر صاحب *نشر المثاني* أنه أنفق على روضة سيدي قاسم بن رحمون ثلث ماله وأوقف عليها الكثير. وعندما توفي بالطاعون عام 1154 / 1741 دفن قرب سيدي قاسم، ومازال أهل فاس حتى اليوم يعظمون قبره ويزورونه بزقاق الحجر بدرب منية.

م. القادري، *نشر*، 4 : 248 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 106 ـ 107.

البوعناني، عبد الواحد بن **علي**، ولي قضاء مدينة تازا والخطابة والإمامة بمسجدها الأعظم أول دولة السلطان المولى عبدالله بن إسماعيل، ثم أقيل من ذلك ورجع إلى فاس، وبها توفي قبل أبيه آتي الترجمة سنة 1738/1151.

البوعناني، عبد الواحد بن **مَحمد ـ فتحا ـ**، ولي الفتوى بفاس ودرّس بجامعها الأعظم، وتولى قضاء فاس الجديد، رحل إلى الجزائر بأمر السلطان فلقي جماعة من مشايخها، أخذ عن والده، وعبدالقادر الفاسي، وولده مَحمد ـ فتحا ـ. له *فتاو* تدل على اطلاع واسع، وتضلع في فقه النوازل. توفي عام 1694/1106.

البوعناني، علي بن **عبد الواحد**، فقيه مدرس وجيه، ولي القضاء بفاس والخطابة والإمامة بجامعها الأعظم، كتب أهل فاس إلى السلطان المولى إسماعيل سنة 1123 يحمدونه على تولبته عليهم ويشكرونه على ذلك.

توفي عام 1750/1153، ودفن ببيت سيدي أحمد بن عمر.

م. القادري، *نشر* ؛ *التقاط الدرر* ؛ م. الكتاني، *سلوة*.

محمد مزين

البوعناني، محمد بن حمدون، فقيه أستاذ مشهور بقبيلة أولاد سعيد بالشاوية أسس زاوية ـ مدرسة لتلقين العلوم القرآنية. واشتهر بالكرم والإنفاق على الطلبة وهكذا كانت مدرسته تضم حوالي مائة طالب يدرسون ويعيشون على نفقته.

اشتهرت مدرسة الفقيه البوعناني بالشاوية والقبائل المجاورة فكان يفد إليها طلاب العلم من تلك القبائل فيجدون فيها الغذاء الروحي والمادي.

وقد أشار القاضي العربي العزوزي إلى مكرمة أخرى اشتهر بها الفقيه البوعناني، هي أن الناس كانوا يقصدونه للتداوي بأدويته التي كانت مجربة في شفاء بعض العلل. توفي عام 1926/1344.

العربي العزوزي، *نشر المحاسن*، مخطوط.

علال الخديمي

البوعناني، محمد الطالب بن عبدالواحد بن محمد، تولى قضاء مكناس حسبما ذكره محمد بوجندار في *الاغتباط* اعتماداً على رسوم تدل على ذلك معززة بإمضاء القاضي. فقد صادف فيها تحليته بـ : "قاضي الحضرة الإمامية الهاشمية" وعلى الرغم من عدم وجود رسوم مماثلة تدل على توليته قضاء الرباط، فإن الكثير من خطاباته تدل على أنه تولى قضاء الرباط بعد سنة 1120 / 1708 ولا يعرف هل جاء بدل القاضي قبله أو كان بينهما آخر. وكانت وفاته بتطوان أواسط القرن الثاني عشر (18 م).

البوعناني، محمد العربي : بن محمد ـ فتحا ـ المتقدم الذكر، فقيه أديب، أخذ عن الشيخ عبدالقادر الفاسي وغيره، تولى إمامة مسجد الأندلس وخطبته، ودرس بالقرويين، ثم تولى قضاء تازا، توفي قبل أبيه بالطاعون عام 1678/1089، ودفن مع البوعنانيين بروضتهم.

البوعناني، مَحمد بن **مَحمد** ـ بفتح الميم فيهما ـ ابن سليمان ابن منصور، عالم مقرئ محدث، سمع من الشيخ القصار وعبد الرحمن العارف الفاسي وأحمد المقري والجنان وسواهم.

وأخذ القراءات عن أحمد الفشتالي، ومحمد المريي، وأحمد بن شعيب الأندلسي صاحب كتاب *الصنعة*. ومن تلاميذه الشيخ ميارة وعبد الرحمان الفاسي وأبو سالم العياشي وآخرون.

من آثاره : *فهرس* شيوخه. ولم نقف عل تاريخ وفاته.

م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

البوعناني، مَحمد بن مَحمد بن مَحمد بن سليمان، مقرئ خطيب، تولى الخطابة بجامع الأندلس، ثم الإمامة والخطابة بجامع القرويين، وولي قضاء فاس الجديد والخطابة بجامعها الأعظم، وكان فصيحاً بليغاً، مقرئاً مجوداً، له وجاهة عند العامة والخاصة. أخذ عن والده وغيره. توفي عام 1686/1098.

م. القادري، *نشر* ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

البوعناني، يوسف بن محمد الطالب، وصف بالعلم والفضل. وعندما بلغ سن العشرين ولي قضاء فاس سنة 1153 / 1740 بتعيين من السلطان عبدالله بن إسماعيل. وقد فوض له أمر القضاة والأئمة والخطباء والنظار والمحتسبين، ثم عزله وولى مكانه القاضي بوخريص عام 1159 / 1746، ثم رجع لقضاء فاس بعد أزيد من ثلاثين سنة، ونقل إلى قضاء مكناس فلم يلبث إلا شهوراً وعزل، ثم ولي قضاء فاس الجديد، فقضاء الرباط مشتركاً مع القاضي قبله العربي القسمطيني. وكان من أهل الصرامة في الأحكام، وهو الذي سجن الفقيه محمد بن عبدالرحمان الفيلالي.

توفي بفاس في 22 ربيع الثاني عام 16/1206 دجنبر 1791 ودفن بروضة أولاد بوعنان داخل باب الجيسة.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، 54. 61. 63. 65. 75 ؛ م. الكتاني، *سلوة* ؛ م. بوجندار، *تعطير البساط*، 9. 10. 18. 19 ؛ *الاغتباط*، 313. 474 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*، ص، 122، د. د. ع. كلية آداب الرباط 1988.

عبدالاله الفاسي

البوعنانية بسلا، مدرسة طبية من إنشاء السلطان أبي عنان المريني، غلب عليها اسم المارستان لكثرة من كان يعالج بها من المرضى. تقع برأس حي باب حسايَن في حارة كان يسكنها اليهود أيام المرينيين ومازالت حتى اليوم تدعى الملاح القديم. كان موقع هذا المارستان فندق زيت، ويسكن في أحد بيوته بأقصى يسار الداخل الشيخ الصوفي أبو موسى الدكالي صاحب الضريح الشهير بشاطئ البحر شمالي المدينة (سيدي موسى).

أراد أبو عنان أن تكون هذه المؤسسة العلمية مارستاناً يعمل به أطباء مهرة يمارسون عملية التعليم والتمريض معاً، وعيَّن لهذا الغرض أوقافاً عظيمة لرواتب الأطباء ومؤن المرضى. وقد وصف المؤرخ السلوي محمد بن علي الدكالي هذا المارستان في *الإتحاف الوجيز* (ص. 61) اقتباساً من *مقامات البلدان* لابن الخطيب المعاصر لفترة التأسيس الذي أقام بسلا وكتب عن مشاهدة : "وهو ـ أي المارستان ـ حفيل مشتمل على بيوت كثيرة لاستقرار المرضى والمجانين والحمقى بها، وأجرى له الماء لشدة الحاجة إليه من الماء الداخل على سور أبيه... وعين له أطباء مهرة من الذين يعانون العلم قراءةً وعلاجاً. وكان مرتَّباً لهم الجرايات والصلات على ما يعانون، فكان سوق الطب كسائر المعارف رائجاً بأقطار المغرب لاعتناء الملوك به".

وتحدث ابن الحاج النميري في *فيض العباب* (ص. 43)

عن زيارة أبي عنان لمارستان سلا بعد انتهاء أشغال بنائه عام 758 / 1356 ووصفه بقوله : "... فلا سقيم إلا وحديث برئه ليس بالسقيم، وكتاب *الشفا* منه يروى عن الحاضر والمقيم، بعد أخذ التنبيهات والمدارك لكن عن الحكيم. فالمقيم به كالمسافر يصح ويغنم، وباقتبال الأجر والعافية ينعم".

ومن أشهر أطباء البوعنانية بسلا الشيخ عمر ابن غيات الذي يسميه العامة سيدي مغيث. ومن المتخرجين على يده الفقيه الطبيب محمد بن قاسم القوري المكناسي ثم الفاسي (ت. 872 / 1467 ـ 1468).

ويظهر أن بوعنانية سلا كانت مركزاً طبياً وبيطرياً في نفس الوقت، وحين تدهور أمر هذا المارستان بعد أفول نجم المرينيين وخلت بيوته من المرضى وأصبح ـ كما كان من قبل ـ يستعمل لأغراض تجارية ويدعى فندق أسكُّور، بقيت الحيوانات تساق إليه للعلاج، وبخاصة الطائر اللقلاق "بلارج" الذي كان يستوقف أنظارنا ونحن صغار، فنراه في ساحة الفندق أعرج أو مكسور الجناح، حتى إذا عوفي طار ورجع إلى عشه في أعالي الأبراج أو القباب الخضراء.

وفي عهد الحماية وقع ترميم البوعنانية وصارت مقراً للمحكمة الشرعية. وإذا كانت بعض معالمها الداخلية قد تغيرت فإن بابها الشامخ ظل صامداً أمام زوابع الدهر محتفظاً بزخرفه ونقوشه المشتملة "على رسم بانيه أبي عنان، وعلى تسميته بالمارستان، مكتوب ذلك في الزليج الأسود الملصق على تاج الباب".

م. ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، تح. م. ابن شقرون، ص. 43؛ م. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، ط. فضالة، ص. 152 ؛ *نفاضة الجراب*، السفر الثالث المخطوط ؛ م. ابن علي الدكالي السلوي، *الاتحاف الوجيز*، 61.

محمد حجي

البوعنانية بفاس، مدرسة أخذت اسمها من اسم مؤسسها أبي عنان المريني (751 ـ 758 / 1350 ـ 1356). وتعرف في بعض الكتابات بالمتوكّلية تبعاً للقب نفس السلطان "المتوكّل على الله". وهي أول مدرسة شيدها أبو عنان، وكانت الغاية منها مؤازرة جامع القرويين وربما منافسته، حيث إن المدرسة تحتل موقعاً وسطا بين فاس الجديد مقر السلطان والمدينة القديمة حيث جامع القرويين. ويظهر أن اختيار هذا الموقع لم يكن عفوياً خصوصاً بعد أن أقر أبو عنان العَلَم الأبيض والفنار فوق الصومعات للإعلان عن حلول وقت الصلاة، وكان لا بد من جامع تسمح صومعته برؤية العلم أو الفنار من فاس الجديد. وقد رويت أساطير متعددة لتفسير اختيار أبي عنان لهذا الموقع.. ذكر الجزنائي في جني *زهرة الآس* أن السلطان ارتكب فاحشة تجاه أبيه أبي الحسن وأخذ يبحث عن وسيلة يكفّر بها عن ذنوبه فشيد مدرسة فخمة، كما أرجع بعضهم سبب البناء إلى رغبة السلطان في تكريم أحد قضاته المشهورين، محمد المقري التلمساني منشئ عقد بيعته بتلمسان.

وتتفق جل المصادر على أن الشروع في بناء المدرسة البوعنانية كان يوم 28 رمضان عام 751 / 29 نونبر 1350. وأشرف على البناء ـ حسبما جاء في الحوالة الحبسية "المدرسة المتوكلية"ـ الناظر في الحبس بالحضرة أبو الحسن ابن أحمد بن الأشقر.

ودام البناء خمس سنوات حيث انتهى العمال من الأشغال آخر شعبان سنة 8/756 شتنبر 1355. وقد ذكر الحسن الوزان نقلاً عن بعض أساتذته "أنه عندما تم بناء المدرسة أُطلع أبو عنان على سجل تكاليف هذه المدرسة، ولما تصفح بضع صفحات وجد ما مجموعه أربعون ألف مثقال، فأنشد قائلا :

لابأس بالغالي إذا قيل حَسَنْ ليس لما قرّتْ به العينُ ثَمَنْ

وكان هناك ناظر يدعى ابن الحاج ضبط هذه المصاريف ووجد أن مجموعها بلغ أربعمائة وثمانين ألف مثقال" (*وصف افريقيا*، ا : 179).

وقد أوقف عليها أبو عنان عدداً من الحمامات والأرحية والأفران والحوانيت وغيرها. وكلها متصلة بالمدرسة أو قريبة منها. ويظهر أن جل هذه العقارات بُنيت مع المدرسة. ويستعمل ريعها لإصلاح المدرسة وتوفير مرتبات المدرسين والطلبة المقيمين بها.

وقد استمرت المدرسة البوعنانية تستقبل الطلبة إلى عهد قريب. وما زالت اليوم تستعمل كمسجد للصلاة، كما أنها تخضع اليوم كباقي مدارس مدينة فاس المرينية لعملية الإصلاح والإنقاذ.

أ. الجزنائي، *جني زهرة الآس* ؛ م. ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، لبنان، ط 3، 1981 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج ا ؛ أ. باب السوداني، *نيل الابتهاج*، ص 250.

A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès*, J. A. T. XI, p. 363 - 364, 1918.

محمد مزين

** من الناحية الأثرية تعد المدرسة البوعنانية من أكبر وأشهر المعالم بحاضرة فاس. وهي آخر المنشآت التعليمية المرينية، والوحيدة بحاضرة فاس التي تحمل اسم منشئها.

لكن مميزاتها الأساسية تكمن في عناصر أخرى، منها أنها تجمع بين وظيفة التدريس ووظيفة المسجد ـ الجامع، إذ اشتملت منذ نشأتها على منبر للخطبة يعتبر آية في الجمال، وعنواناً للابداع في القرن الثامن (14 م)، ولا يزال هذا المنبر إلى الآن تحفة من التحف الفنية البالغة الجمال. وتأكيداً لدور الجامع، شيدت بالمدرسة صومعة شاهقة روعي في علوها تمكن المؤذن من رؤية كل من صومعة جامع القرويين وصومعة جامع الأندلس وبذلك أصبحت البوعنانية ثالث الجوامع الأساسية بالمدينة، تحمل نداء الصلاة وإشارات الصيام والافطار في رمضان إلى سكان الأحياء العليا من فاس.

وقد ذهب ألفريد بيل A. Bel في معالجته لمسألة الجمع ما بين التدريس والصلاة (وخاصة صلاة الجمعة) في البوعنانية إلى أن ما أملاهما على المنشئ هو أن سابقيه من السلاطين والأمراء أحدثوا مدارسهم بالقرب من الجوامع الكبرى. فلم يجد أبو عنان لتنفيذ رغبته هو أي مكان فارغ بالقرب من هذه الأخيرة، فعزم على جعل مدرسته بناية تجمع ما كان متفرقا عند سابقيه. ونحن نرى أن هذا الرأي على وجاهته، أنما هو اجتهاد لإيجاد تفسير مقنع لهذا الحدث الغير المألوف. ونعتقد من جهتنا أن أبا عنان كان في قراره هذا مُخلصاً لشخصيته وللسمعة التي أحاطت به منذ أن تولى أمور الدولة، إذ كان في كل قراراته خارجاً عن القاعدة المتبعة، من ذلك على وجه الخصوص أخذه لقب أمير المؤمنين ـ وهو أمر له أكثر من دلالة على الرجل ونواياه ـ وهو العارف بعمق المسألة بل وبخطورة القرار من وجهة نظر سياسية. لذلك لا نستبعد بتاتاً أن يكون عقد العزم على إنشاء مدرسته بالكيفية التي أنجزت بها لا لكونه لم يجد مكاناً فارغاً بالقرب من أحد الجوامع الكبيرة وإنما لغاية إعطائها الصورة التي رسمها لها والتي أراد بها تمييزه عن سابقيه. ويكفينا تأكيداً لذلك أن نشير إلى أن هذه النية تظهر جلية في نص الرخامة الحاملة لتاريخ التأسيس وللأحباس التي حبست على المدرسة حيث نعتت هذه الأخيرة بكونها "معدة لتدريس العلم وإقراء القرآن، المفضلة بإقامة فرض الجمعة". ومسألة التفضيل هنا تشير، مما لا يدع مجالا للشك، إلى سمو البوعنانية في ذهن منشئها مقارنة مع مثيلاتها من المدارس التي لا تقام فيها صلاة الجمعة.

من الناحية المعمارية تعتبر المدرسة البوعنانية مجمعاً معمارياً يضمّ مجموعة أولى من البنايات متداخلة فيما بينها ومكملة بعضها البعض، وعدداً آخر لا تمت وظيفتها بأية صلة لوظيفة "المدرسة ـ الجامع"، لكنها جد هامة لضمان وجود هذه الأخيرة. فمن المجموعة الأولى نذكر :

ـ "المدرسة ـ الجامع" نفسها وتتكون أساساً من قاعتين للتدريس، وقاعة كبرى للصلاة وغرف لإيواء الطلبة.

ـ مقصورة الامام وبابها إلى يسار المحراب.

ـ جامع الجنائز وراء جدار القبلة، يُنزل إليه من بيت الصلاة بدرج من عدة درجات.

ـ بيت وضوء داخلي يقع في الزاوية الشمالية من

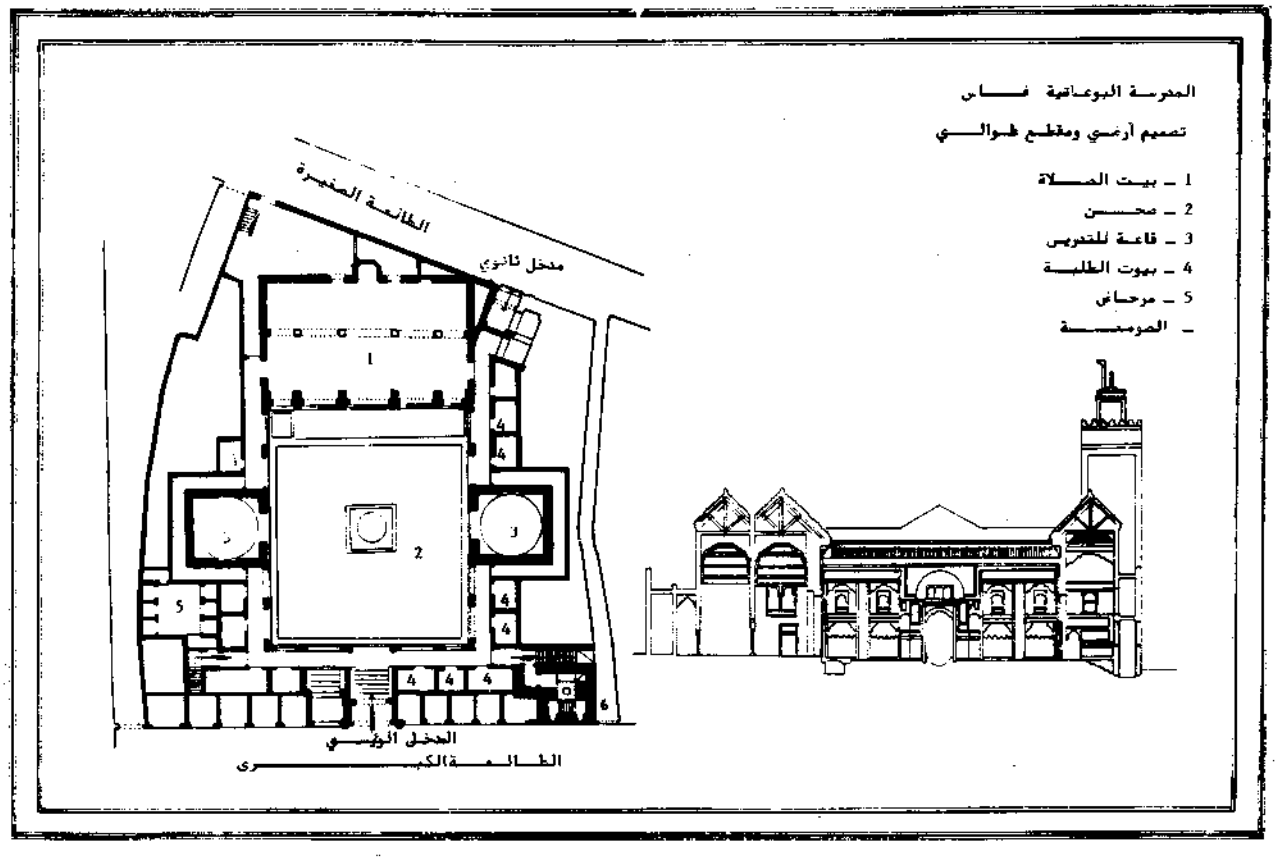

المدرسة.

- كتّاب صغير لتعليم القرآن الكريم للأطفال يقع في جهة الجنوب الغربي.

- بيت وضوء خارجي، يعتبر بدوره تحفة معمارية بارزة، يقع خارج البناية الأم، مواجهاً لها، يفصل بينهما زقاق الطالعة الكبرى.

- الساعة الجدارية العظيمة المعروفة "بالمكانا" وبنايتها محادية لبيت الوضوء السالف الذكر، وهي الآن معطلة لم يبق منها إلا بعض الآثار.

أما المجموعة الثانية فتتكون من العقارات المختلفة التي أنشأها أبو عنان وجعلها حبساً على المدرسة أو التي كانت موجودة وحبسها عليها. وقد ذُكرت كلها في رخامة التحبيس ومما جاء في هذه الأخيرة كما أتى بذلك "ألفريد بيل" ما نصه :

"حبس أيده الله على هذه المدرسة إرفاقا لطلبة العلم وإرفادا، وإعانة لهم على طلبه وإسعادا، جميع ما ينقسم من الربع وذلك الحمام المعروف بحمام الشطارة والدويرة المتصلة من حقوقه بأعلى حلق النعام، قبلي المدرسة المباركة، والرحا المتصلة بالمدرسة من جهة الشرق، والرحا الثانية المعروفة برحا الحطا، بين التي بها معدة الماء المجلوب منها الماء إلى المدرسة ودار الوضوء بها، والفرن الذي بالزنقة الفاصلة بينه وبين المدرسة، والروآن الاثنان أحدهما بالزنقة جنب الفرن وتتصل بالحوانيت الجدد المحبسة على المدرسة، والآخربزنقة ابن نوار وتتصل بدار الوضوء

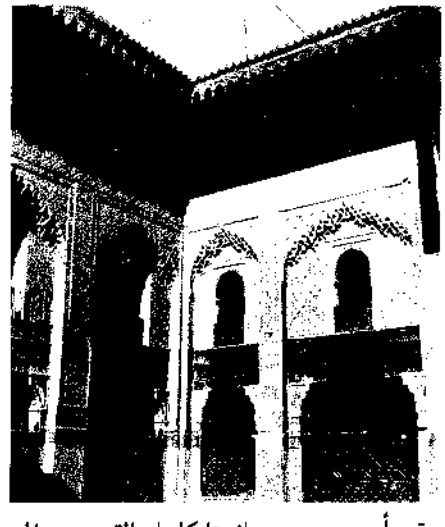

المذكورة، وأربع وسبعون حانوتا كلها بالقرب من المدرسة، بحقوق ذلك كله ومنافعه أجمعها لتصرف فوائده في إصلاح المدرسة ومرتبات المقرئين والطلبة القومين (يعني القيمين) بها تحبيسا تاما ثابت الحكم لا تبديل لرسمه إن شاء الله".

بالنظر إلى التصميم العام للمدرسة نجد بناياتها الأساسية تتوزع حول صحن كبير مربع الشكل طول كل ضلع منه 18 متراً، أرضيته مكسوة بقطع من المرمر الابيض تتوسطه بركة ماء مربعة الشكل (5 م x 5 م) ومغطاة بالمرمر الأبيض.

تنتصب في جانبي الصحن يمينا وشمالا قاعتان كبيرتان متقابلتان مربعتا الشكل (25 x 25 م) يسفتح على كل واحدة منها باب عظيم مزخرف في قسمه الأعلى بنقوش جصية وفي قسمه الأسفل بقطع الزليج المختلفة الألوان.

أما بيت الصلاة فشيد شمال الصحن، تفصل بينه وبين هذا الأخير قناة مكشوفة يناهز عرضها المترين وتجري بها دوما مياه شعبة من "واد فاس". وقد نصبت على طول القناة من جهة الصحن درج من علو يناهز الثلاثين سنتيما يجلس عليها من يريد التوضؤ من جانبي القناة، وضعت قطعتان مرمريتان عريضتان تمكن المصلين من المرور من الصحن إلى داخل بيت الصلاة.

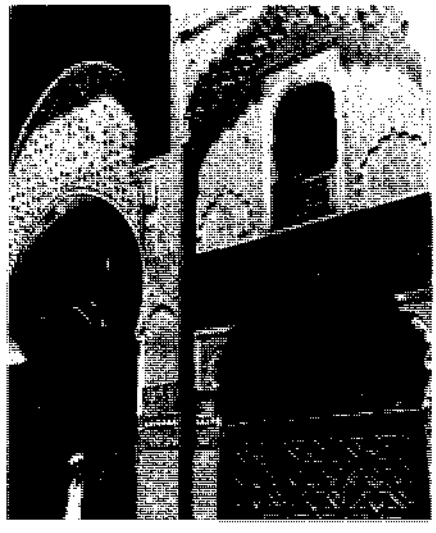

بيت الصلاة هذا مستطيل الشكل يتكون من بلاطين أفقيين، أي موازيين لجدار القبلة، تفصل بينهما مجموعة أقواس غير متساوية المقاييس حيث إن القوسين الجانبيين أقل اتساعاً من الأقواس الوسطى. ومما يسترعي الانتباه كون السواري الست التي تحمل الأقواس الفاصلة بين البلاطين كلها من المرمر، تعلوها تيجان من نفس المادة، مزخرفة بزخارف محكمة الصنع وبكتابات نقشت بخط أندلسي جميل. فالقوسان الأوسطان يحملان ما نصه :

أمر ببناء هذه المدرسة المباركة مولانا أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عنان ابن مولانا أمير المسلمين أبي الحسن ابن الخلفاء الراشدين أيده الله.

أما الأقواس الأربعة الباقية فتحمل العبارة التالية :

النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي عنان أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين...

يتوسط جدار القبلة محراب زينت جدرانه بنقوش جصية تجمع ما بين عناصر نباتية الشكل، وأخرى هندسية، وكتابات قرآنية نقش أغلبها بخط أندلسي جميل، ونقشت إحداها بخط كوفي مزخرف بوريقات نباتية. هذه الأخيرة تجري على الإطار المحيط بزخارف قوس المحراب، ومجموع كتابات المحراب سور قرآنية.

ومما يميز المدرسة البوعنانية عن سائر المدارس المرينية، بل ومجموع المدارس المغربية المعروفة، وجود قاعتين للتدريس متقابلتين ومتساويتي المساحة (5 أمتار x 5 أمتار في كل واحدة)، إحداهما على يمين الواقف بصحن المدرسة، والثانية على شماله.

وهذا التصميم يذكرنا بعنصر "الإيوان" في العمارة الشرقية، التي انتشرت في بلاد الرافدين، ثم منها إلى مصر، حيث ظهر نفس النمط في مدارس القرن الثامن (14م). وأهم هذه المدارس "المدرسة ـ الجامع" المعروفة بمدرسة حسن بالقاهرة وهي معاصرة للبوعنانية. فتكون هذه الأخيرة باختيارها للتصميم المذكور، إنما انساقت مع طريقة البناء التي سادت في عهدها، والتي لم يكتب لها بعدها الازدهار والتطور بل وحتى البقاء في العصور التي تلت.

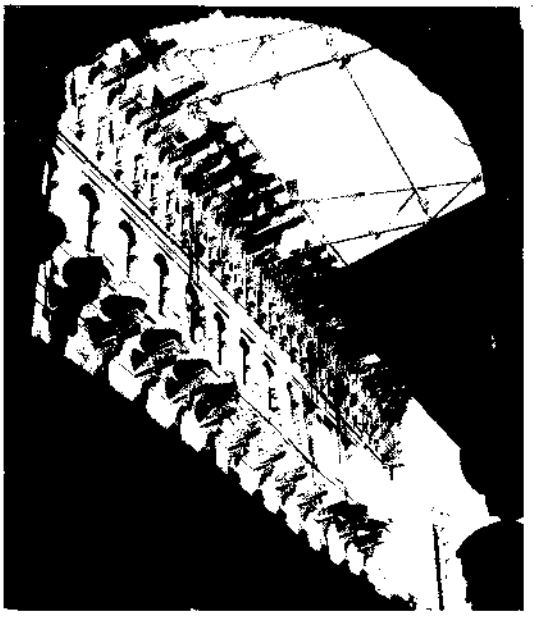

وعلى غرار كل المدارس العتيقة، تحتوي البوعنانية على مجموعة كبيرة من الغرف، لسكنى طلبة العلم بها، شيدت على مستويين : مستوى أرضي، وآخر بالطابق العلوي. وقد وزعت هذه الأخيرة بكيفية محكمة بحيث لا تعلو المرافق الأساسية للمدرسة كبيت الصلاة، وغرفتي التدريس، والمدخلين.

ومن مميزات البوعنانية كذلك "الساعة الحائطية" العظيمة، الواقعة قبالة المدخل الرئيسي للمدرسة، وبمحاذاة بيت وضوئها الأكبر الواقع خارجها بصحن الطالعة الكبرى. ولقد كُتب الكثير عن هذه المعلمة الفنية وعن تقنية عملها، كان آخرها ما جاء به العالم دونالد ـ ر ـ هيل Donald R. Hill. مع ذلك لا تزال هذه الساعة من قبيل ما يثير الفضول بل وحتى الاستغراب. وإذ لا يتسع المجال لإعطاء تفاصيل عما تم الكشف عنه بخصوص ميكانيزماتها، فتكفي الاشارة إلى أن هذه الأخيرة كانت تعتمد على عنصر الماء (فالساعة مائية إذاً) يتم توزيعه بكيفية ميكانيكية دقيقة عبر أنابيب وَصَفَها بروسبير ريكار P. Ricard بأنها كانت مصنوعة من خشبيات سمكها سنتيم واحد، ونعتقد من جهتنا أن هذه الأخيرة لم تكن سوى غشاء خشبي لأنابيب رصاصية. ومهما يكن فإن الماء يمر منها لينزل بقطرات فوق الأجراس البرونزية التي لا يزال بعضها قائماً شاهداً على محكم الصنع وعظمة الابداع.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ص. 225 ـ 227 ؛ ابن الاحمر، *بيرتات فاس الكبرى*، طبعة 1972، ص. 65.

A. Bel, *Inscriptions arabes de Fès*, Paris, 1919 (extrait du *Journal Asiatique*, 1917 - 1919) ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954, p. 291 - 294 ; P. Ricard, *L'horloge de la médersa Bou-Anania de Fès* ; Ch. Terrasse, *Médersas du Maroc*, Paris, 1927.

عبد العزيز توري

بوعنفير، اسم من أسماء نهر شيشاوة عندما يعبر أراضي أولاد بو السباع. ولما كان منبع هذا النهر في جبال أيت عبدالله بسكساوة غربي الأطلس الكبير الغربي فإنه يسمى هناك واد سكساوة. وفي مقدمة سهل الحوز تصب فيه ثلاثة روافد : غرباً واد أمزناج المنحدر من مرتفعات متوكة، وواد إيمي ـ ن ـ تانوت النابع من شعاب نفيفة، وشرقاً واد صيّاد النابع من أيت بايعقوب بجبال مزوضة. وعند اجتيازه لقبيلة إدْويرانْ يحمل اسم واد القيهْرا، ثم يصبح واد بوعنفير عندما يشطر قبيلة أولاد بو السباع شطرين، وبعد ذلك يحتفظ باسم واد شيشاوة إلى أن يصب في واد تانسيفت بقبيلة أحمر.

بوعنفير، (أهل ـ) مجموعة من السكان كانوا يستقرون بنزالة على الضفة اليسرى لواد بوعنفير، لعلها كانت تشكل فريقاً من قبيلة مزوضة، ولا نعرف شيئاً عن الأسباب والظروف التي جعلت أفرادها يتفرقون في القبائل المجاورة. وقد أنعم عليهم السلطان مولاي إسماعيل بظهير التوقير والاحترام، وأمرهم بتعمير نزالتهم. ولم يعودوا تابعين لا إلى أهل شيشاوة ولا إلى أهل مزوضة. وجدد لهم السلطان مولاي عبدالله بن إسماعيل ظهير أبيه وأمرهم بجمع إخوانهم المتفرقين في القبائل وعيّن عليهم شيخاً يسمى إبراهيم بن مسعود ليجمع كلمتهم ويهتم بشؤونهم. وأصدر أوامره إلى القبائل المجاورة لهم بتوقيرهم وعدم الاعتداء عليهم (الظهير 1) وقد عاملهم السلطان محمد بن عبدالله معاملة أسلافه، وصار يلزمهم في عهده بما كان يلزم إخوانهم القاطنين في إنْشَادْنْ وأمْزْلْدان بأگدال في قبيلة مزوضة.

بوعنفير، (مدرسة ـ) بناها الشيخ أحمد بن مبارك الرسموكي في نزالة بوعنفير قبل سنة 1277 / 1860 وذلك بعدما أتم دراسته في المدرسة النحلية بمزوضة وأجازه شيخه محمد بن محمد الهلالي الإرغي (*المعسول*، 18 : 274 ـ 277 ؛ *النور الحنفي*، 20). وكانت مدرسة بوعنفير تستقبل الطلبة القادمين إليها من مختلف القبائل (*الإلغيات*، 2 : 221) فتؤويهم وتطعمهم وتهذب سلوكهم وتلقنهم علوما دينية ولغوية متنوعة وتحثهم على اتباع الطريقة الناصرية وحفظ أذكارها.

تعدّ مدرسة بوعنفير من فروع مدرسة تِيمْگَدْشْتْ

السوسية، بحكم دراسة مؤسسها احمد بن مبارك في الزاوية النحلية التابعة لتيمكدشت، وحصل على إجازة الشيخ أحمد التيمكدشتي يأذن له بتعليم العلم ونشره وإجازة مَن توسم فيه الأهلية للقيام بنفس المهمة (*العسول*، 15 : 273 ـ 284 ؛ *جواهر الكمال*، 1 : 96 ؛ *الإجازة*) كما كان يتلقى رسائل من فقهاء تيمكدشت توصيه بالاجتهاد في نشر السنة وهدم أركان البدعة والحفاظ على الطريقة الناصرية.

ولما توفي أحمد بن مبارك سنة 1864/1312 خلفه ابنه الحسن، فقام بشؤون المدرسة أحسن قيام وتقدمت في عهده تقدما ملحوظاً. وتوفي هو الآخر سنة 1942/1361، وصار الخلف يعوض السلف. وما زالت المدرسة قائمة تؤدي رسالتها حتى وقتنا الحاضر، تخرج منها فقهاء وعدول وقضاة وعمل بعضهم على بناء مدارس في قبائلهم كعبد المعطي السباعي مؤسس مدرسة أولاد عبدالمولى بالقبيلة السباعية.

وقد حافظ فقهاء مدرسة بوعنفير على عادة قراءة *صحيح البخاري* طيلة شهر رمضان وختمه في مناسبة خاصة صارت موسماً دينياً وتجارياً ينعقد كل سنة ويسمى "بخاري بوعنفير" على غرار "بخاري سيد احماد أُعلي" بمزوضة.

وبالإضافة إلى الوظيفة العلمية والتربوية لعبت المدرسة عدة أدوار كحماية اللاجئ إليها، وحل بعض مشاكل السكان، وإصلاح ذات البين بين القبائل المتجاورة، وتهييء الأدوية للمرضى وغير ذلك من الأعمال الاجتماعية، لذلك استحق شيوخها التوقير والاحترام.

خرائط إيمي ـ ن ـ تانوت وشيشاوة، مقياس 1/100.000 ؛ الهواري علي بن محمد (1370/1289)، *النور الحنفي في مناقب الشيخ سيدي محمد الحنفي*، مخطوط ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، ج.1 ؛ م. المختار السوسي، *العسول* ؛ *الإلغيات* ؛ *مجموعة ظهائر* ؛ *مجموعة رسائل* أقدمها مؤرخة بـ 12 صفر 1279 ؛ *نسخة الإجازة*، مؤرخة في 1 ذي القعدة عام 1277 ؛ م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. بكلية الآداب بالرباط، 1988.

م. حسن كفناني

بوعوّادة، عمرو (سيدي ـ) بن الفقيه محمد العثماني، وصفه ابن زيدان في *الإتحاف* (ج. 5) بأنه : "ولي صالح معتقد فالح". وسماه "عمر" والصحيح هو "عمرو" حسب ما ورد في *الحوالات الحبسية* الإسماعيلية الخاصة بمكناس، وكذا في *المنزع اللطيف*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط (ج. 595)، ص. 291، وهو المشهور عند العامة. أخذ عن شيخه سعيد بن أبي بكر المشنزائي دفين مكناس. وتوفي أوائل المائة الحادية عشرة، ودفن بحومة حمام الحرة بمكناس وقبره مزارة مشهورة.

حوالة الاحباس الصغرى بمكناس، رقم 4 بنظارة الاوقاف بمكناس، ص. 160 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الجزء الخامس ؛ ر. بلمقدم، *الأوقاف بمكناس في عهد مولاي إسماعيل (1082 ـ 1139 / 1672 ـ 1727)*، د.د.ع كلية الآداب، الرباط، 1991، (مرقون) ص. 162 و227.

رقية بلمقدم

بوعيش، أحمد علال، مقاوم ولد سنة 1345 / 1926 في بني توزين إقليم الناضور. انخرط في صفوف جيش التحرير وشارك في عدة معارك بتيزي وسكي ضمن الوحدة التي كان يرأسها الحاج أحمد بلخريف. وفي إحدى الاشتباكات المسلحة مع العدو قرب تايناست بضواحي تازا استشهد يوم 28 مارس 1956.

كتاب شهداء الاستقلال، ج 2. عزالدين العلام

بوعيطة، (أولاد ـ)، تنتمي هذه القبيلة ككل القبائل المرابطية إلى الغور اللمطي القديم جنوبي الأطلس الصغير. وهي تنتسب إلى عبدالله بن إدريس الأصغر أو حفيده الثالث عيسى. أما جدها الأقرب فهو علي بوعيطة الذي غادر رگراگة خلال القرن العاشر (16 م) ليستقر بمنطقة أگجگال. وهي رواية تخالف مقولتهم بالاستقرار بتاگرتيلت منذ القرن الثالث (9 م) حيث عاينوا ازدهار نول لطة ثم انحطاطها وتطور تگاوصت إلى أن خلفتها گليميم. هذه القبيلة المرابطية القليلة العدد تعد تابعة عسكريا لاتحادية تكنة. وهي تلتصق بالمنطقة الساحلية الفاصلة بين المحيط غربا ووادي أساكا شمالا والخط الواصل بين بن كركور إلى رأس الطارف شرقا فوادي أوريورة جنوبا. وهو مجال استراتيجي ينقسم إلى وادي بوايسافن الذي يحد بين هضبة تاگرتيلت (2.600 م) وبوسمارة والشاطئ الأبيض غير بعيد عن بسيط لدهام. فهضبة تاگرتيلت تحاذي الشاطئ من وادي أساكا إلى وادي تكسبة ممتدة جنوبا عبر هضبات بوشامة وبويزيرت وبودارو. هذه الهضبات تعد في حد ذاتها ممراً أساسيا للقوافل والمجموعات البشرية المتجهة نحو الجنوب أو الشمال. أما تارگيلت فهي عبارة عن مجموعة من الشعاب والهضبات الساحلية المشرفة على المحيط. بينما نجدها تقف شامخة أمام المحيط نراها تنحدر تدريجيا وبشكل منسجم نحو بسيط بوسمارة. هذا الأخير هو بدوره عبارة عن معدر تتجمع فيه مياه الأمطار التي تمد رأس الطارف وتارگيلت. ويعد بسيط بوسمارة من أغنى الأراضي الفلاحية الصالحة للرعي بوادي نون. وهو ما يؤدي بجيران أولاد بوعيطة إلى محاولة منافستهم محلياً. أما الشاطئ الأبيض فيمتد حتى أوريورة تتخلله مجموعة من الكثبان والهضاب الرملية الغنية بالعشب. كما أن بسيط لدهام تتخلله بعض الگرارات وبعض المنحدرات الضعيفة.

يتضح بذلك دور المحيط في تطبيع المناخ حيث تأخذ الرياح عموما اتجاه غرب ـ شمال ـ غرب أو جنوب ـ شرق. وهذا ما يجعل التساقطات المطرة قليلة ونادرة مما يزيد من حدة الجفاف المستمر وقلة العشب وغلبة الرمال على الغطاء النباتي. على أن هذه القبيلة لا تتجاوز وادي درعة جنوبا إلا خلال السنوات الشديدة الجدب مكتفية بالانتجاع تحت حماية تكنة ما بين إفني وتندوف، ولتقدير المميزات

الاستراتيجية لهذا المجال لابد من الإشارة إلى دور التحالفات القبلية التي تفترضها أهمية الموقع : تعتبر فصيلة اصبويا الباعمرانية الجارة الشمالية المباشرة لأولاد بوعيطة. وهو ما يجعل كلا الطرفين يعقد معاهدات حسن الجوار وتبادل المصالح. أما في حالة بروز اختلافات بين الطرفين، فاللجوء يتم عادة إلى قضاة المدعى عليه، ومعلوم أن فصيلة اصبويا قد عرفت بتحالفها الدائم مع أيت بلة التكيني المجاور لأيت الجمل شرقا، وفي هذه المسألة تجاوز لأيت الجمل القريبين من اصبويا مما يكشف عن طبيعة العلاقة مع قبيلة أيت لحسن. هذه الأخيرة تعد سيدة لف أيت الجمل والجارة الأولى لأولاد بوعيطة. وتعد الفصائل الحسنة إنجورن وأيت ساعد والزكاري المجاورة الفعلية لأولاد بوعيطة من الناحية الشرقية. وهو ما أدى إلى صياغة العلاقة بين أيت لحسن وأولاد بوعيطة على صيغة حامين ومحميين. يزيد من أهمية هذا التحالف أن تراب أولاد بوعيطة يعد مسرحاً تاريخيا لأبرز الأحداث التي ميزت علاقة تكنة بالتجار الأوربيين عبر الساحل المجاور، فالصراعات المسلحة والاتفاقيات المبرمة وحركية المبادلات والهجمات الإيبيرية علاوة على كل مظاهر ومضاعفات الصراع بين القافلة والسفينة الشراعية قد ارتبط بهذه المنطقة. لقد عايش أولاد بوعيطة من حيث انتماؤهم للغور السكاني القديم مجمل التطورات التي عرفتها المنطقة. فنجدهم يواكبون حركة مجاهدي الساقية الحمراء خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م) ضد المد المسيحي. وقد شكل حضورهم في حملات المواجهة المعلنة سببا في تعامل السعديين معهم. فقد اشتركوا يومها في تجارة القوافل كما تثبت ذلك بعض الوثائق المحلية. كما نجدهم من ضمن الوفود التي استقبلت المنصور لدى وصوله إلى تگاوصت عاصمة تراب أيت لحسن. على أن الضربة القاضية على تجارتهم ورواجهم الفكري والاقتصادي ستتجسد في مضاعفات بناء ميناء الصويرة. فقد حول هذا الميناء منذ سنة 1179 / 1765 قوافل وادي نون وإليغ إلى مراكش القريبة منه. فتجلت المقاومة المعلنة في مساندة كل محاولات بيروك وأبنائه بإنشاء ميناء في أحد الرؤوس البحرية المتميزة بترابهم. وهكذا تدلنا الوثائق الأروبية على أن مجمل المفاوضات قد اقتضت تعيين رأس الطارف أو رأس گيلمة أو رأس أساكا أو رأس أوريورة خلال القرن الثالث عشر (19 م) كنقط صالحة لتأسيس الميناء. وهي حركية سيحد منها بشكل حاسم الدور الذي قام به الشيخ ماء العينين ضد كل المحاولات السرية والمعلنة. ندرك من هنا لماذا اضطرت فصائل أهل سيدي مسعود وأهل عليوة وأهل بلعيد من أولاد بوعيطة إلى الدخول تحت الحماية الفرنسية والاستقرار جنوب أگادير منذ سنة 1339 / 1920. وقد ساهموا في تطبيع العلاقات بين باقي فصائل القبيلة وفرنسا بحكم انقراض فترة المحاولات اليائسة ومرحلة ما قبل الاستعمار.

Cne De La Paillonne, *Notice sur la Tribu des Aouled Bou Aita*, mémoire du CHEAM, N° 304, 15 p ; Cne Meric, *Etude sur le Bureau des Affaires Indigènes de Tata*, CHEAM, mémoire N° 541, Vol. 22.

مصطفى ناعمي

بُوعيّاد، أسرة أصلها من فاس كانت بتطوان وانقرضت في تاريخ لم نستطع تحديده. وقد كان من بين أفرادها فقيه اسمه :

بوعياد، أحمد بن الحسن، زاول خطة العدالة بتطوان سنة 1319/1901.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوعيّاد، الحسن (الحاج.) بن العربي بن عبدالسلام ابن البشير بن الحسن، ولد بمنشستر في انگلترا يوم الأربعاء 8 ربيع الثاني 22/1322 يونيو 1904 لتعاطي والده التجارة هناك كشريك للحاج المدني التازي. وقد عاد إلى المغرب وهو يبلغ من العمر تسعة أشهر.

وفي بداية طفولته التحق بكتّاب الأقواس بالقرب من درب القليدي، ثم كُتّاب الصفارين المقابل للسواقي، وكتّاب السبيطريين الأسفل، فكتّاب باب مولاي إدريس. وبعد هذه الفترة واجه والده ضغوط الإدارة الإنجليزية في إنشاء مدرسة تابعة لهم تخص أبناء الحمايات وكل المخالطين للإنجليز، فامتنع عن انتساب ابنه لهذه المدرسة مفضلا أن يلقنه تعليماً عربياً أصيلاً.

ولما أنشئت مدرسة درب الطويل الحرة بفاس - على غرار المدارس التي أنشئت في مدن أخرى - التحق الحسن بوعياد بصفوفها سنة 1339/1921 بتشجيع من أخيه السيد أحمد بوعياد، وموافقة أستاذه العلامة محمد الدخيسي الذي كان يعمل على الحفاظ على مستواه العلمي بكتّاب القطّانيين، فسهر على تكوينه بمدرسة درب الطويل. وكان أبرز مدرسيه الأستاذ محمد بن عبدالرحمان العراقي الذي كان يشجع تلامذته بإعطائهم دروساً إضافية في جامع درب جنيارة وفي بيته حتى حبب إليه العلم حبّاً جمّاً. وكان له الفضل في انتساب الحسن بوعياد لجامعة القرويين مع بعض زملائه. ومن جملة مشايخه فيها أيضاً الشيخ الحسين العراقي الذي درس عليه البلاغة، والشيخ محمد بناني الذي درس عليه النحو، ثم الشيخ بوشتى الصنهاجي وأخوه محمد اللذان لقّناه النحو بجامع الرصيف.

وبطلب من مجموعة صغيرة من طلبة القرويين ـ من بينهم الحسن بوعياد ـ وافق الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي أن يلقنهم علم الأصول والبلاغة والمنطق والأدب العربي لمدة سنتين كاملتين بمنزله الموجود بالمنية وبجامع باب المنية بفاس.

وأثناء هذه الظروف التحق الحسن بوعياد بصفوف الحركة الوطنية التحريرية، حيث كانت الاجتماعات سرية في إطار الجماعة التي أسست بالزاوية الدباغية المقابلة للزاوية الناصرية بفاس، وكان الأعضاء يطلعون على مجلات من الشرق من جملتها *مجلة المنار* لمحمد رشيد رضا. وكان الحاج المهدي الحبابي يسافر إلى مصر ويأتي بكتب ومجلات جديدة يمدّ بها الشباب المتعطش، حتى تعرفوا على بعض رجالات العصر : أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ورشيد رضا، وعلى الحركة السلفية وغيرها من الحركات المسلمة المعاصرة. وفي هذا الإطار تعرّف المترجم على جامعة الأزهر من خلال المطالعة وإمكانية الانتساب إليها وشجعه على ذلك الحاج المهدي الحبابي ـ رحمه الله ـ.

كما أخذ الحديث عن الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي كان يأتي من الرباط للتدريس بالقرويين رفقة زميله الحاج عبدالرحمان بن عبدالله. وقد حاول هذا الشيخ إقناع الوالد بإرسال ابنه الحسن إلى مصر لمتابعة الدراسة بها، لكنه استصعب مفارقته بعد أن كان يميل لتعاطيه التجارة. إذ ذاك فرّ الحسن بوعياد من المغرب تجاه المشرق سنة 1926/1344 لطلب العلم مصحوباً برسالتين من الحاج المهدي الحبابي إلى شريكه بمصر السيد محمد الزين، وإلى الشيخ محمد المصمودي التطواني الذي كان يدرس بجامع الأزهر. فلقي منهما عناية خاصة عند وصوله إلى القاهرة، حيث ساعده الشيخ محمد المصمودي على الانتساب إلى الأزهر في نفس السنة.

وبعد سنتين رحل والده لأداء فريضة الحج، وتوقف بالقاهرة لتفقد أحوال ابنه الطالب، فاطمأن شديد الاطمئنان وشجعه على المضي في هذا النهج. ومن جملة مشايخه بالأزهر الشيخ محمد أحمد العدوي الذي أخذ عنه الحديث، والشيخ محمد السملوطي والشيخ يوسف الدحوي اللذان أخذ عنهما التفسير، والشيخ عبدالله دراز الذي أخذ عنه الأصول، والشيخ عبداللطيف دراز، والشيخ عبدالجليل عيسى وغيرهم.

ورغم وجوده بالأزهر، فإنه لم ينج من متابعة فرنسا له، ولغيره من المغاربة والجزائريين من الطلبة عن طريق جواسيس عرب، بتواطؤ مع السفارة الفرنسية بمصر.

عاد الحسن بوعياد إلى المغرب سنة 1929/1348 وتمت بذلك رحلته الأولى التي مكنته من التعرف على شخصيات إسلامية مهمة كأحمد تيمور باشا، وأحمد زكي باشا ومشايخ الأزهر السالفي الذكر، ومحمد الخضر التونسي الذي صار فيما بعد شيخاً للأزهر، والشيخ محمد رشيد رضا صاحب *مجلة المنار*، والأستاذ محب الدين الخطيب صاحب *مجلة الفتح الإسلامي* وغيرهم كثير من صحفيين وأساتذة. وكان تعرّفه على هؤلاء الأساتذة ذخيرة هيأها الله سبحانه له عند رجوعه لمصر للمرات الموالية، حيث استفاد من مكانتهم وعطفهم.

وعندما أصدرت فرنسا الظهير البربري في أواخر سنة 1348/ماي 1930 اهتدى الناس إلى الاحتجاج في المساجد بذكر اللطيف، هذه الفكرة التي اهتدى إليها السيد عبداللطيف الصبيحي السلوي. ثم وصلت الفكرة إلى فاس. وفي يوم الجمعة 21 صفر 18/1349 يوليوز 1930 م افتتح الحاج العربي بوعياد ذكر اللطيف بصوت مرتفع وسط رحاب مسجد القرويين وإلى جانبه السيد حمزة الطاهري ليستمر الاحتجاج بهذه الطريقة إلى المساء.

وفي يوم 28 ربيع الأول 23/1349 غشت 1930 م تكونت أول جماعة "للكفاح" من عشرة أعضاء أطلق عليها اسم "الطائفة" بدار السيد أحمد بن الحاج الطاهر مكوار، بهدف نيل الحرية والاستقلال. ومن بين أعضاء الطائفة ثلاثة من أسرة بوعياد وهم : الحاج العربي بوعياد وابناه أحمد والحسن ـ رحمهم الله جميعا ـ.

وأمام تدهور الحالة بالمغرب بعد الصدام الطويل الذي دام صيف 1930/1349 ظهرت من جديد للحاج الحسن فكرة الرحلة إلى مصر، وعمل شيء هناك للتعريف بقضية المغرب. فنفذ خطته في حذر شديد، وتكتم فائق حتى لا تشعر الإدارة الفرنسية به.

وهكذا نجحت خطته في الفرار إلى الشرق، فكانت رحلته الثانية التي شكلت لونا آخر من جهاده خارج المغرب، وطد خلالها علاقته بالرجال الذين سبق أن تعرف عليهم، كما تعرف على غيرهم، ومن بينهم الأستاذ حسن أحمد البنا بالإسماعلية. وتفانى في التشهير بالظهير البربري بالشرق، وبتأثير الجهاد المتواصل أصيب بداء عضال في صدره سنة 1931/1350 مما أرغمه على العودة فوراً إلى المغرب ووزنه لا يتعدى ثلاثين كيلو غراماً، ومن المغرب ذهب إلى سويسرا رأساً قصد الاستشفاء بمصحة قريبة من "لوزان" مكث بها ما يزيد عن سنتين ونصف كان اتصاله فيها بالأمير شكيب أرسلان وثيقاً. لم يمنعه ذلك وهو طريح الفراش من متابعة أحوال بلده وأمته، حيث كاتبَ مرات عديدة *مجلة الفتح الإسلامي*، ورجالات الحركة الوطنية والإسلامية في داخل المغرب وخارجه. وبعد إجراء عملية استئصال لإحدى الرئتين وهبه الله العافية، وعاش بقية عمره برئة واحدة.

عاد الحسن بوعياد إلى المغرب سنة 1933/1352 وتزوج من بيت السيد محمد ابن عبدالله من القصر الكبير سنة 1934/1353. وفي هذا الإبّان أسندت إليه مسؤولية تسيير مدرسة حرة بفاس ساهمت في تكوين جيل آخر من المجاهدين الذين يؤمنون بقيمة الحرية. كما تزعم خلال هذا الوقت ـ وهو عضو بالمجلس البلدي بفاس مع الزعيم علال

الفاسي والسيد أحمد مكوار ـ حركة الاحتجاج على تحويل وادي فاس وروافده نحو ضيعات المعمرين.

وعلى إثر حوادث سنة 1937/1356 أُجلي عن المغرب من طرف الإنجليز ويتحالف مع الفرنسيين تاركاً أهله وقد رزق بآول مولود، فاستقر به المقام بالشام، ومنها نظم نشاطه حول مصر والحجاز.

عاد بعد ذلك سنة 1940/1359 إلى المغرب لينهي رحلته الثالثة ويلتحق بالمجاهدين في وطنه، وليكون ممن وقعوا على وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944/1363. وقد بلغ من مضايقات الاستعمار وضيق المعيشة عليه أن وجد نفسه مضطراً لبيع أربع خزانات من الكتب النفيسة ومن المخطوطات النادرة الشرقية منها والهندية. وظلّ على حالته هاته وهو عضو بالمجلس الوطني لحزب الاستقلال حتى حقق المغرب استقلاله.

وبسبب ما تلا فترة الاستقلال من اضطرابات ومكائد بين المغاربة وبسبب موقف الحسن بوعياد من منهجية الحزب الجديد في قبول الأعضاء الجدد في إطاره، وبسبب التجاوزات والتناقضات التربوية والحركية المتصلة في نظره بإنشاء الشبيبة الاستقلالية، لم يجد الحاج الحسن بوعياد بداً من توقيف نشاطه بهذا الحزب، وكله أسى وحسرة لما آلت إليه الأوضاع.

وقد تقلد مسؤولية تسيير مدرسة حرة بباب الحمراء بفاس مباشرة بعد الاستقلال، ثم أسندت إليه مسؤولية إدارة المعهد الإسلامي بالجديدة سنة 1957/1376 ثم نظارة أحباس القرويين من سنة 1958/1377 إلى 1978/1397، حيث أحيل رحمه الله على التقاعد وأصدر كتاباً سنة 1979/1399 *حول الظهير البربري*، وكان رحمه الله قد خطط لثلاثة مؤلفات أخرى. أولها عن الحركة الوطنية منذ سنة 1907/1324، وثانيها عن ماء وادي فاس، وثالثها عن الأوقاف بالمغرب. لكن الأقدار حالت دون إصدارها.

وقد أصيب سنة 1982/1402 بمرض الشلل النصفي الذي ألزمه الفراش وهو في كامل وعيه يخص أبناءه وكل من زاره بتوجيهاته إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء 12 ذي القعدة 6/1410 يونيو 1990 ودفن بروضة العلويين بـ "القبب" بفاس بجوار أستاذه مولاي أحمد بن المامون البلغيتي بوصية منه.

معرفة شخصية ووثائق عائلية. العربي بن الحسن بوعياد

بُوعياد، عبدالقادر، من عدول الرباط، كان خطيباً بالمسجد الأعظم. لكن القاضي عبدالرحمان البريبري أخره عن الشهادة لما أصبح قاضياً وأخره عن الخطابة أيضاً لسبب غير معروف، فلزم داره ولم يعد يغادرها إلى أن توفي في تاريخ غير محدّد. وكان ما زال بقيد الحياة عام 1846/1263.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، 172.

عبدالاله الفاسي

البوعياشي، أحمد بن عبد السلام بن الحاج محمد الريضاوي، يتصل نسبه بالمرابط سيدي موسى بن حدو المدفون في قرية أكاونو من أسرة أحدوثان بجبل حمام من بني وريا غل. ينتسب أهله إلى الشرفاء الأدارسة، وقد ذكر أحمد البوعياشي في كتابه *حرب الريف التحريرية* (رقم 1/238) قال: "وعلى ما يوخذ من مخطوط لدينا أن أحد أجداده ـ أي المرابط موسى بن حدو ـ من الأشراف الأدارسة نزل في قبيلة قلعية منطقة الناظور بالموضع المعروف بالحيانا من قبيلة بني سدال، وهو المحل الذي نزل فيه فرع من الشرفاء الورياشيين، ولا نعلم هل هما نسب واحد أم لا. ومن هناك تفرعت فروعهم، ففرع نزل بجبل عيسى، وفرع نزل بجبل حبيب في طريق تطوان ـ العرائش، وفرع نزل بجبل حمام ببني وريا غل وهو الفرع الذي ينتسب إليه المرابط موسى المذكور.

ولد أحمد البوعياشي في قرية الريضة فوق مدينة النكور التاريخية بالريف، وتوجد هذه القرية حالاً ضمن قيادة بني بوعياش دائرة أجدير إقليم الحسيمة، في العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي، وتربى تربية قومه، فحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى مسجد القرية يتعلم في بلده، ابتداء على الفقيه محمد بن محمادي التوزاني الحساني في النحو والفقه والتوحيد، والفقيه الموقت بوشعيب التسماني في النحو والفقه والتوحيد أيضاً، ثم انتقل إلى فاس على عادة أهل المنطقة في عصره، فأخذ عن شيخ الجماعة ورئيس المجلس العلمي بفاس مولاي عبد الله الفضيلي العلوي، ووزير العدل عبد الرحمن بن القرشي الفيلالي، ومحمد أقصبي وغيرهم. وفي عام 1355 / 1936 اضطرب الجو السياسي في اسبانيا، وقام أنصار فرانكو بالانقلاب على الشيوعيين بالمنطقة الخليفية بشمال المغرب في بداية الحرب الأهلية الاسبانية، وفي هذه الظروف أعلن أنصار فرانكو بهذه المنطقة حالة الطوارئ وجمعوا بعض زعماء القبائل الذين كانوا قادة مع المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في منطقة الريف، ومنهم والد المترجم السيد عبد السلام بن الحاج محمد، استدعوه من البادية لمدينة الحسيمة وفرضوا عليه الإقامة الإجبارية فيها وضغطوا عليه ليرجع ولده أحمد الطالب من فاس، لما كان يتسم به من نشاط وديناميكية بين الشباب في الجد والمثابرة والتحصيل، فكتب إليه والده أن يرجع من فاس إلى بلده بإقليم الحسيمة، فرجع، وأطلقوا سراح والده وسمحوا له

بالرجوع إلى بلده بالبادية وولّوا ولده أحمد ابتداء من 20 / 2 / 1937 القضاء في قبيلة سماتة في المنطقة الجبلية جهة مدينة العرائش. وفي سنة 1357 / 1938 استدعوه إلى مدينة تطوان، وعينوه عضواً في المجلس الأعلى للتعليم، وبقي في تطوان يمارس هذ الوظيفة ويعطي دروساً في الجامع الكبير في النحو والفقه والأصول حتى انتهت الحرب الأهلية الاسبانية سنة 1358 / 1939، فرجع إلى القضاء مرة ثانية في منطقة الريف، وبقي متنقلا في القضاء بين الوطاء وبني بوعياش إلى سنة 1378 / 1958، فأعفي من القضاء وأخذ يمارس التدريس بالحسيمة. وذكر هو في سبب الإعفاء أنه وقت ادماج الموظفين بالشمال مع الموظفين بالجنوب بعد الاستقلال وجدت وزارة العدل بالرباط قائمة القضاة بالشمال أكثر مما تدعو إليه الحاجة، وهذا صحيح لأن الإسبانيين كانوا جعلوا لكل قبيلة قاضيا فكثر القضاة بكثرة القبائل، فكتبت إلى المسؤولين عن الشمال آنئذ ان يختزلوا من القضاة، وتدخلت عوامل غير موضوعية رجحت كفة بعض القضاة وأبقتهم في القضاء وأدمجتهم مع قضاة الجنوب، وأعفت الآخرين.

وفي 16 يناير سنة 1961 عين قائداً في العيون عمالة وجدة، وفي 20 أبريل سنة 1963 رقي في وظيفته الجديدة إلى درجة قائد ممتاز، ونقل من العيون إلى تطوان وعين قائد دائرة جبالة، وفي 23 فبراير سنة 1966 رجع إلى العدلية نائب وكيل الدولة في المحكمة الاقليمية بتطوان، ثم نائب رئيس المحكمة فيها ،ونقل بهذه الصفة إلى طنجة، وبقي يمارس هذه الوظيفة كنائب رئيس المحكمة في الاستئناف إلى أن بلغ سن التقاعد، فتحول يعمل محاميا ببلده الاصلي مدينة الحسيمة وظل يمارس هذه المهنة إلى أن وافاه أجله المحتوم يوم الاثنين 8 أبريل 1985 في دارة بالحسيمة، ودفن في مقبرة المجاهدين في أجدير، خلف من آثاره العلمية كتبا وأبحاثا شتى، منها :

1 ـ *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال*، في جزئين، جزء في علماء وصلحاء وشرفاء الريف والمنطقة الخليفية كلها، ومعالم الحضارة عامة في هذه المنطقة، وجزء في تاريخ حرب الريف التحريرية ضد اسبانيا بالشمال حيث وقعت معركة أنوال الشهيرة بقيادة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي.

2 ـ *الريف بعد الفتح الاسلامي*.

3 ـ *الثائر المهزوم* في حوادث بوحمارة وانهزامه في قبيلة بني ورياغل بالريف الأوسط.

4 ـ *الفدائية في الاسلام*.

5 ـ بحث مستفيض في *حدود الصحراء المغربية*.

6 ـ *ميثاق قبائل الريف في سبيل العرش العلوي*، وغير ذلك من أبحاث وندوات ومحاضرات.

أ. البرعباشي نفسه، *كتيبه المذكورة : معرفة شخصية ورواية شفوية*.

محمد حمادي الوريغلي

بُوغابَة، أسرة تطوانية أصلها من قبائل الريف، وكان من بين أفرادها بتطوان جنود ينتمون إلى حامية المدينة سنة 1288 /1871 أمثال :

بوغابة، بوطاهر العامل في المدفعية.

بوغابة، حدّو.

بوغابة، عمر بن أحمد.

بوغابة، محمد بن علال.

بوغابة، المختار.

بوغالب، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الخلط، كان من بين أفرادها بتطوان : أحمد بوغالب بن المهدي الفقيه الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1891/1308. وجلول بوغالب فقيه كان يزاول نفس الخطة سنة 1889/1306. ومازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 12 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوغالب، أسرة شريفة في فاس ومكناس، من بني عبدالواحد بن محمد بن علي بن حمود حفيد إدريس بن إدريس. قال في حقهم النسابة عبدالسلام القادري في *الدر السني* : "ومن الشعب الجوطية القاطنين اليوم بفاس أيضا الشرفاء الغالبيون، وهم من الشرفاء المشاهير، والأدارسة الجماهير. ونسبتهم هذه التي يُدْعَون بها نسبة إلى جدهم السيد أبي غالب. وهم من الشعب التي بمكناسة الزيتون من بني عبدالواحد".

وذكر بعد ذلك أن جدهم الذي يدعون به هو أبو غالب أول من حل منهم بفاس، "وكان له داران إحداهما بمكناسة، والأخرى بفاس يتناوبهما، وكان عالماً عاملا عابداً صالحاً". فهل هو سيدي بوغالب علي بن جمال آتي الترجمة ؟ والسياق التاريخي يقبله، ولو أن صاحب *السلوة* أبدى تحفظاً حول المصدر الذي نقل عنه معظم أخباره، وهو تقاييد غير معزوّة. ولعل ذلك ما جعل الفضيلي يعرض عنها في *الدرر البهية*، ويقتصر على كنيته أبي غالب. ومما يرجّح كونه الجدّ المعني أنه عاش في القرن الثامن الذي رجع فيه الأدارسة إلى فاس، وأن أبا الحسن المريني أو ابنه أبا عنان اعتبر ضريح سيدي علي بوغالب داخل باب فتوح مشهداً إدريسياً فصرف فتوحاته للطالبيين بعد أن حرمهم من فتوحات إدريس الأزهر ونفّذها لبعض بني عمهم. وعلى أي حال فإن عدد الغالبيين بفاس ظل قليلاً جداً بحيث لم يكن منهم بفاس عام 1679/1090 سوى فرد واحد، كما قال في *الدر السني*، هو "الشريف الفقيه العدلُ الأمجد أبو الحسن السيد علي". ومنه تفرعوا بفاس وانتشروا، إذ ترك ثلاثة أولاد أنجبوا كذلك وتكاثروا فيما بعد.

ع. القادري، *الدر السني* ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 28. 30.

بوغالب، عبدالسلام بن الطايع بن حمُّ الحسني الإدريسي الفاسي، ويفصّح فبكتب أبو غالب، لعله من أحفاد سيدي علي بوغالب آتي الترجمة. حلاه تلميذه جعفر الكتاني في *الشرب المحتضر* بقوله : "العالم العلامة، المحقق المدقق الفهامة، الزاهد الورع، الولي الصالح... كان مشاركاً متضلعاً في علوم البلاغة والمنطق وأصول الدين، ثاقب الذهن جيد الإدراك، سليم الطبع طيب النفس ليّن الجانب، إلى القده الراسخ في الورع والزهد. عرض عليه قضاء عدة حواضر من المغرب فأبى، وأجبر على ذلك بإزالة ما بيده من الوظائف وصبر". يعني بالوظائف التي كانت بيده خراج الأحباس للأئمة والمدرسين. ولما وقع ذلك صار معاصره الصالح العربي بن إبراهيم الدرقاوي يمشي في الأسواق يسأل الناس، ويحمل ما يجتمع له من مال إلى الشيخ عبدالسلام بوغالب، وظل على ذلك إلى أن رُد عليه خراجه.

قرأ على كبار شيوخ فاس في عصره، أمثال حمدون ابن الحاج، ومحمد بن عمر الزروالي، ومحمد بن محمد ابن منصور، والطيب ابن كيران. ولما اشتغل بالتدريس أخذ عنه جم غفير من طبقة الشيخ جعفر الكتاني.

توفي بفاس ثامن عشر ذي القعدة، عام 7/1290 يناير 1874، ودفن بضريح سيدي بوجيدة.

ج. الكتاني، *الشرب المحتضر*. مطبوع على الحجر، 37. 38 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1290.

بوغالب، علي (**سيدي**.) بن جمال بن عدُّو الحسني الصّاريوي أو الساريوي الفاسي. من نسل الأدارسة الذين خرجوا من فاس تحت ضغط موسى بن أبي العافية ونزلوا بالوداغير، ثم استوطن أحد أجداده مدشر صَاريوَة في قبيلة بني يازغة، ودخل أبوه جمال إلى مدينة فاس واستقر بحي صاريوة المعروف اليوم بالقليعة داخل باب فتوح حيث ولد له عليّ بوغالب. ويذكرون أنه نشأ يتيماً فقيراً فعلمته أمه حرفة الحجامة وعلاج الجراح والقروح، فبرع فيها وتعلم ذلك على يده خلق كثير حتى أصبح شيخ الحجامين في حياته ورمزهم بعد مماته.

وقع اضطراب في تحديد عصر سيدي علي بوغالب، والأكثر على أنه من رجال القرن الثامن (14 م) وأنه تصوّف وأخذ عن الشيخ علي الهيري الواريتني دفين زاويته بالفخارين جوار حي صاريوة، وهذا أخذ عن الشيخ الكومي دفين القليعة داخل باب فتوح. وفي نوازل الجنائز من *المعيار* (1 : 330) سؤال حول الاستشفاء بتراب المقابر وحمله على وجه التبرك. أجاب عنه الفقيه أحمد بن بكوت بالجواز بدليل ما تعارف عليه المسلمون قديماً من حمل تراب قبر حمزة سيد الشهداء، وعقب مؤلف *المعيار* على هذه الفتوى بقوله : "قلت ومن هذا القبيل ما جرى عليه عمل العوامّ في نقل تراب ضريح الشيخ أبي يعزى وتراب ضريح الشيخ أبي غالب الساريوي للاستشفاء من الأمراض والقروح المعضلة".

وتذكر كتب التاريخ أن أبا الحسن المريني أو ولده أبا عنان أخرج ـ بتدخُّل من الفقيه ابن مرزوق ـ الشرفاء الطالبيين من دار القبطون وأسكنها فرقة أخرى من أصهاره الأدارسة أطلق يدهم في التصرف في فتوحات جدهم المولى إدريس الأزهر، ونقل الطالبيين إلى دار حبيسة وصرف لهم فتوحات ضريح الشيخ سيدي علي بوغالب. وهذا يدل على أن وفاة سيدي علي بوغالب سبقت منتصف القرن الثامن، وأن ضريحه كان مشيداً في عهد هذين السلطانيين (731. 760/1330. 1358) وأن تحديد وفاته بسنة 801/1398 غير صحيح.

كيفما كان الحال فإن سيدي علي بوغالب يعدّ من أكابر صلحاء مدينة فاس، وضريحه داخل باب فتوح من أشهر أضرحتها. زاره السلطان محمد الحاج الدلائي (1046. 1079/1636. 1668) وأصلحه وصرف (من جديد) فتوحاته إلى الشرفاء الطالبيين. ثم بنيت قبة الضريح عام 1090، وأنشأ قائد فاس بوجيدة المجدولي سقاية أنيقة خارج الضريح وصفها الأديب الصوفي عبدالمجيد المنالي بقصيدة مطلعها :

سقايةُ الشيخ أبي غالبٍ شافيةٌ للضرر الغالبِ

وفي *السلوة* إشارات إلى قصائد ومقطعات لشعراء فاسيين وغيرهم في مدح الشيخ سيدي علي بوغالب والتوسل به إلى الله تعالى، أمثال الأستاذ عبْدالرحمن ابن القاضي، والأديبين عبدالله بن عبدالسلام جسوس، ومحمد بن إدريس العمراوي.

وذكر لوطورنو في *فاس قبل الحماية* (ص 775) أن الحلاقين الفاسيين كانوا ينظمون كل سنة في يوم أربعاء من فصل الخريف موسمهم الطائفي بضريح وليهم سيدي علي بوغالب، فيمضون أمسية وليلة في قراءة الأذكار والترنّم بالأمداح النبوية. وفي الصباح الباكر من يوم الغد يقومون في صحن الضريح بختان جميع الأطفال الذين يعرضون عليهم بالمجان، فيمر بين أيديهم ذلك اليوم مآت وربما آلاف الأطفال، ويمكثون بالضريح العشية كلها لمراقبة الجراح.

أ. الونشريسي، *المعيار*، 1 : 330 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ م. القادري، *النقاط*، 216. 217 ؛ *نشر*، 4 : 222 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 17. 24 ؛ ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، الترجمة العربية، 2 : 773. 776.

بوغالب، علي (**مولاي**.) بن خلف القرشي الشلبي ثم القصري، يقال إنه ولد ونشأ بشلب Silbes ودرس بقرطبة، ثم حل بفاس قبل أن ينتقل إلى القصر الكبير ويصبح فيه مدرساً وخطيباً بالمسجد الأعظم. وأكثر ما كان يدرّس كتب الحديث، وبخاصة *سنن الترمذي*. وما زال حتى اليوم أحد أبواب هذا الجامع يعرف بباب مولاي علي بوغالب. وهو من تلامذة الصوفي الشهير أحمد ابن العريف، لذلك غلب عليه جانب التصوف فكان بالأحرى مربياً روحياً، ومن الآخذين عنه أبو مدين الغوث دفين العباد

بتلمسان.

توفي بالقصر الكبير عام 567 / 1171 ودفن بباب سبتة خارج المدينة، وبنى على ضريحه في القرن الحادي عشر (17 م) القائدُ المجاهد أحمد بن حدو البطيوي قبة فنية عجيبة جددت نقوشها وزخارفها أكثر من مرة.

ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن عبدالحليم، *القرطاس* ؛ المجلس البلدي، *مدينة القصر الكبير*، 1989، ص 77 ـ 81.

محمد حجي

بوغربال، أحمد بن الحسن بن قاسم المراكشي، ابتدأ تعليمه بفاس حيث كان أبوه مُرحَّلا إليها بعد أن ثار على عامل مراكش العربي الهداجي ولم يتقبل ولايته أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام. وكان الحسن بن قاسم ذا حظ من العلم، كثير التقييد حسن الخط، وقف عباس ابن إبراهيم المراكشي مؤلف *الإعلام* على كتب نفيسة بخطه.

وبعد رجوعه إلى مراكش أخذ أحمد بوغربال عن شيوخها أمثال الحسن الفيلالي المراكشي وأحمد بن الطاهر المراكشي. وقد تخرج متمكناً في النحو والفقه مشاركاً في غيرهما. وأوتي براعة فائقة في التدريس لحسن تفهيمه وسلاسة عبارته، فكانت حلقة تدريسه غاصة دائماً بالطلبة. وقد أخذ القاضي محمد بن عبد الواحد الدويري يدرس النحو فلم يحضر مجلسه أحد، وعلم أن المتعلمين يجتمعون حول بوغربال الذي كان يدرس *الألفية* في نفس الوقت، فأمره القاضي بأن يُغير وقت تدريسه ففعل.

توفي بمراكش عام 1291 / 1874، ودفن بروضة باب أغمات.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 418 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1291.

محمد حجي

بوغزوان ← الشراردة

بوغنّام، (أولاد ـ) تجمُّع قروي من خلط إقليم الغرب القاطنين بأزغار جنوب مجرى واد اللكوس، مندرج في فرقة العوامرة الشرقية الحالية، إلى جانب قرى برواگة والمجاهدين والفريحيين، مما يجاور دهس القصر الكبير.

بوغنام الخلطي، مجاهد كبير، اشتهر بكنية قبيلته، ولم تذكر المصادر اسمه، كان أحد مساعدي طلحة العروسي، قائد القصر الكبير الذي اختاره سنة 1509/915 مقدماً على مجاهدي قبيلة أهل سريف الهبطية، ووضع تحت تصرفه خمسين فارساً، علاوة على مائة أخرى تقدمها له قرى أهل الجبل. وكانت أدق مهامه حراسة ممر قنطرة الغراف الموضوعة على مجرى واد المخازن، مما يقابل مدشر الغراف من أهل سريف. فمن هذا الممر اعتاد برتغاليو أصيلا العبور إلى القرى الجبلية، لا سيما قرية بوجديان، وقد استشهد بوغنام في معركة ضد البرتغاليين في نفس السنة.

كان لبوغنام الخلطي ولد يدعى أيضا بوغنام. نشأ مثله مجاهداً واختاره أحمد بن طلحة العروسي قائد القصر الكبير مساعداً له في حركاته الجهادية ضد أصيلا. وكلف بالاتصال بأصيلا المحتلة للتباحث في افتكاك أسرى القصر الكبير، وبقي في تلك المهمة إلى ما بعد سنة 937 / 1530، وأصبح معروفاً في أصيلا بحسن تصرفه ولباقته في انجاز مهمته، وقام بدور بارز لتدبير فرار بعض الأسرى، أمثال الفقيه عمر الكيكي، قيدوم أسرى أصيلا، وأبي حسون علي الوطاسي، إلى عدد آخر من الأسيرات.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 516 ـ 518.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 1 : 313 - 314 - 360 - 392 - 435 ; 2 : 36.

حسن الفگيگي

بوغَنْبُور، (سيدي ـ) سعيد بن عبد القادر الركراكي العبدي. وليٌّ صالح عاش في القرن الحادي عشر (17 م). يقصد الناس ضريحه الذي يبعد بنحو خمسة كيلوميترات غرب سبت گزولة بضاحية أسفي. ذكره محمد الكانوني في القسم المخطوط من مؤلفه جواهر الكمال في تراجم الرجال، قائلا : "الولي الشهير، العلم المنير. كان من أكابر الرجال فضلا وديناً وصلاحاً ونفعاً للناس، لقيه الإمام الحسن اليوسي في أعوام الستين من القرن الحادي عشر، وذكره في آخر *المحاضرات* فيمن لقيه وتبرك به ممن اتسم بالخير واشتهر بالصلاح، وكان كثير الحياء لا يرفع كساءه عن وجهه فلقب بأبي غنبور، ويقال إن الذي لقبه بذلك السلطان المولى إسماعيل في بعض ملاقاته إياه".

ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، 2 : 675 ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، ج 2، مخطوط.

عبدالرحيم العطاوي

بُوفاديس، مرسى بشاطئ قبيلة كبدانة الموالي للبحر المتوسط تمتد من رأس سيدي البشير بمحاداة مصب وادي ملوية إلى شبه جزيرة بوعرگ، وقد كانت المرسى المذكورة مسرحاً لعدة اعتداءات قام بها الأسطول الإسباني على أرض المغرب من أجل الاستيلاء على قبيلة كبدانة من سنة 1908/1326 إلى سنة 1913/1331.

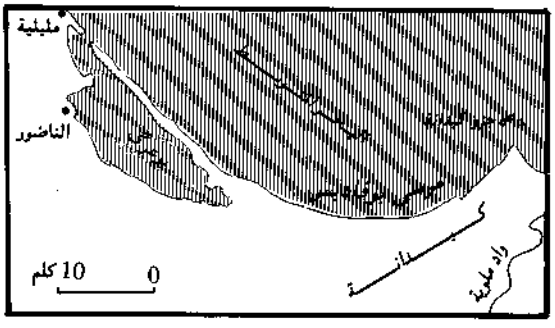

مرسى بوفاديس

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951.

محمد ابن عزوز حكيم

بوفاس، إحدى قرى قبيلة الغريبة بحوز أصيلا الشمالي. تحتل الدور كدية صغيرة، لذلك يضاف إلى اسم القرية لفظ "ظهر". وهي تابعة لفرقة أولاد سبيتة، يجاورها هنا مدشر اعراوة وأولاد فارس وسيدي بوقنادل. يستفيد السكان من مجاورتهم لواد الخروب الأوسط، المعروف هناك بالواد الكبير.

تعرف جنود أصيلا على هذه القرية وعدوها من القرى الخاضعة الداخلة بحوز أصيلا، واهتموا بموقعها المقابل لجبل حبيب وممر بني مصور. وتعود أول معرفتنا بوجود هذا الاسم إلى سنة 919 / 1515.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية. ص 50.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 120 - 133 - 427 - 489 ; 2 : 148 - 254 - 265.

حسن الفگيگي

بُوفَتّاس، أسرة سوسية عريقة بالأطلس الصغير، وهي متشعبة، ورد ذكر شخصيات منها ترجع إلى القرن السابع (13 م). البلد الأصلي لهذه الأسرة حالياً بقبيلة أمانوز على بعد اثنين وثلاثين كيلومتراً من مدينة تافراوت.

من معاني "فتاس" الجود والكرم، أو الافتخار الزائد، ويرجح البعض أن الكلمة قد تسمى بها أحد أجداد العائلة، بوفطاس بالطاء، أو فطاسين ابن گلدوان بن فلول بن تاصموت أو تازموت بالزاي المشمومة بالصاد. وأقدم من عُرف بهذه الكنية هو محمد بن عبدالله بوفتاس الحفيد السابع للولي الصالح صاحب المزارة في الزاوية عيسى بن صالح بن موسى بن عبدالعزيز بن عمر دفين إزربي. ويعتقد البوفتاسيون أن هذا الأخير هو عمرو بن نعمان بن فطاسين. أما الجد تازموت فله زاوية بهذا الاسم في إداوسملال، كما تتصل أنساب بوفتاس بأنساب الگرسيفيين الذين يقولون بالتقاء الأسرتين في جدهم عمرو بن النعمان، فالگرسيفيون من أبناء أبي بكر بن عمرو، والبوفتاسيون من أبناء عبدالعزيز بن عمرو. وقد لاحظ صاحب *المعسول* اضطراباً في سلسلة الأنساب هذه بالزيادة والنقصان.

ورغم ذلك فإن الگرسيفيين يرفعون نسبهم إلى عثمان ابن عفان متغاضين عن الأسماء الأمازيغية القحة الواردة في نسبهم أعلاه، والناس مصدقون في أنسابهم، إلا أننا نجد أحد أجدادهم الكبار ينسب إلى قبيلة مصمودة هكذا : أبو الوفاء خالد بن يحيى المصمودي كما عند ابن عسكر في *دوحة الناشر* (ص 113).

والمشهور عند البوفتاسيين أن أحد جدودهم انتقل من زاوية تازموت إلى قبيلة أمانوز في القرن السابع (13 م)، ثم اشتهرت هذه العائلة هناك بشهرة سيدي عيسى بن صالح في القرن الثامن (14 م)، وقد نعته الحضيكي بقوله: "كان من أولياء الله الصالحين المشهورين بالخير والبركة".

وكانت الرآسة قديمة في هذه الأسرة على قبيلة أمانوز منذ أجيال فخاضت حروبا عديدة من أجل استمرار تلك الزعامة فيها، من ذلك انخراط قبيلة أمانوز في لف القائد البشير التمنارتي ضد محمد أُهاشم التمگيديشتي فقامت الحرب بين الطرفين وفني فيها من الفريقين خلق كثير، وفيها قتل رؤساء أمانوز مثل أمغار بلق (= بلقاسم) بن علي بن محمد بن بني بوفتاس، وذلك من سنة 1347 إلى 1352 هـ. وكانت هذه الفتنة هي التي أقضّت مضاجع القبائل السوسية، حيث قتل أبطالها، وسئمت العامة تلك الأهوال، مما سهل على فرنسا الوصول إلى قمم تلك الجبال.

ورغم تلك الفتن والخسائر التي قتل فيها رؤساء أمانوز فإن عائلة بوفتاس استطاعت أن تحافظ على مشيخة القبيل بشكل متوارث، إلى أن عزلت فرنسا الشيخ بلقاسم بن الحسن بوفتاس، عندما رفض التوقيع على نفي السلطان محمد بن يوسف وفرضت عليه الإقامة الإجبارية، كما صودرت بعض ممتلكاته. ومع ذلك ظل مركز هذه العائلة ثابتا في ازدياد. ولدينا وثيقة تنص على عقد حلف بين عائلة بوفتاس وبين آل زاوية إزربي، يداً واحدة على من سواهم، مؤرخة بسنة 1330 / 1911 كما عثرنا على وثيقة أخرى لنفس العائلة بتاريخ 1274 / 1857. ولا يستبعد اشتغال أهلها بالتجارة على نطاق واسع من قديم، ولدينا ما يؤكد ذلك، إذ كانت تستفيد من معدن النحاس، في منجم تَاوْرِيرْتْ أُوَانَاسْ (كدية النحاس) على بعد خمسة عشر كيلومتراً من قرية إزْربي، حيث كان يذوَّبُ النحاس. ويرجح البعض أن سوق الأربعاء بإزربي إنما أسس لأهمية النحاس الذي تُصنع منه الأواني الضرورية.

تحكم البوفتاسيون في طريق القوافل التجارية، التي تربط بين إزربي وتمنارت، زيادة على أهمية المدرسة ـ الزاوية التي كان لها طلبة ومريدون، لذلك كانت تستقطب أعشار القبيلة وهدايا المحسنين، كما نالت احترام الناس لما تقوم به من دور تعليمي وتصوفي، وهذا ما يفسر وجود عدد من الأضرحة والمزارات في عين المكان، منها قبر سيدي الطاهر بن نعمان، المنحرف عن القبلة، ولا تفسير لذلك إلا إذا أرجعناه إلى بداية دولة الموحدين.

وفي بلاد بوفتاس مدرسة على رأسها فقيه يدرس العلم لطلبته بالإضافة إلى الطالب الذي يعلم القرآن، وتجاور المدرسة زاوية المريدين، وقد لعبت المدرسة العتيقة دوراً هاماً في تعليم أبناء قبيلة أمانوز والقبائل المجاورة لامكانياتها الواسعة.

وانطلاقاً من سنة 1370 / 1950 بدأ تجديد تلك المدرسة، فعثر في إحدى سواري المسجد على حجرة منقوش عليها اسم مؤسس المدرسة وتاريخ تأسيسها، وفيها خزانة كتب يوجد بين مخطوطاتها تاريخ عبدالله بن جعفر المرابطي بالاضافة إلى كتب أخرى دينية ترجمت إلى الأمازيغية. ويقال حالياً إن عبدالله إمّل المشارط في تلك المدرسة لمدة اثنتين وثلاثين سنة هو الذي أخذ بعض الكتب المحبسة.

أخذت المدرسة ـ الزاوية بل قرية إزربي بكاملها تستعيد مكانتها في الآونة الأخيرة، فأصبحت مبنية على الطراز

الحديث، والمسجد الجامع له صومعتان قديمة وحديثة، وساعد على ذلك مد الطريق المعبدة إلى عين المكان.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ م. الحضيكي، *المناقب*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 3 ؛ *وثيقة وكناشة* عند الحاج عثمان بوفتاس ؛ *قائمة كتب الزاوية*.

الحسين جهادي

بُوفْراح، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني بوفراح الريفية، وكانت من بين الأسر التي غادرت تطوان قبل احتلالها من طرف الجيش الإسباني سنة 1860/1276، وهي غير أسرة البوفراحي، وقد انقرضت بتطوان سنة 1919/1337.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 5 : 229 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion. *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

بُوفْراح، نهر يوجد منبعه بجبل بني گميل ومياهه تسقي أراضي قبيلة بني بوفراح وتصب بالبحر المتوسط بالقرب من قرية أبراج القلعة Torres de Alcala.

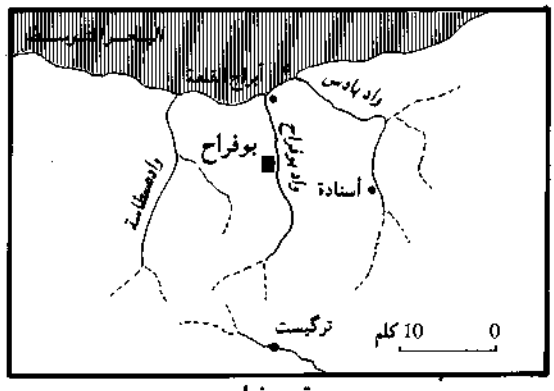

موقع بوفراح

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 88 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 88 ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos (protectorados y posesiones de España en Africa)*, Madrid, 1936.

البوفراحي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني بوفراح الريفية، وكان من بين أفرادها بتطوان : محمد بن بوشعيب، فقيه كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1918/1336، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البوفراحي، عبد العزيز بن محمد، الفقيه الصوفي الصالح. ولد سنة 804/ 1402. كان إماماً وخطيباً بجامع القرويين، تقدم لذلك سنة ثمانين وثمانمائة وبقي خطيباً إلى أن توفي. وكان الشيخ زروق معاصراً له فكان يثني عليه ويقول إن الصلاة تغبط خلفه.

له تآليف عديدة، منها تلويحات في طريق القوم : *الأمر المهم الأكيد فيما يلزم الإنسان من حسن الجواب والتسديد* ؛ *رسالة في قوله تعالى : "يمحو اللهُ ما يشاء ويُثبّت"*. *رسالة في قول ابن عطاء الله : "الكونُ كله ظلمة"*. وتوجد مجموعة تآليف بخطه في خزانة أزاريف.

توفي بفاس سنة 899 /1494 ودفن خارج باب الجيسة.

أ. الونشريسي، *وفيات*، 153 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، 58 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 452 ؛ *درة الحجال*، 3 : 128 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، د. د. ع. 369 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 131 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 4 : 26 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 505 ؛ ع. التازي، *جامع القرويين*، 2 : 505.

زهراء النظام

بوفكران، (واد، وقصبة، ومركز) كلمة "فكران" تحريف لإفكران الأمازيغية التي تعني السلاحف. فمعنى "بوفكران" ذو السلاحف.

تتكون مياه وادي بوفكران من تجمع عدة عيون، كما يحمل هذا الوادي أسماء أخرى حسب المناطق التي يجري فيها، حيث يبلغ طول مجراه من منبعه بعيون معروف إلى مصبه بوادي ردم حوالي 50 كلم. ويبقى الاسم الشائع هو بوفكران ومن أسمائه القديمة : فلفل، وأبو عمائر، حسبما ذكره ابن غازي في *الروض الهتون*، وعنه أخذ عبد الرحمان بن زيدان في *الإتحاف* (1 : 53) أسماء هذا الوادي مضيفاً إليها وادي عين عروف، ودردورة.

وبغض النظر عن الاختلاف في تسمية الوادي، فالمحقق أنه ينبع من حافة الأطلس المتوسط الشمالية ـ غرب مدينة الحاجب ـ على بعد 30 كلم من مدينة مكناس، من الكهف الواقع بجبل بوزگو الموجود بإقماشن من أيت بورزوين وهي فخذة من قبيلة بني مطير، ويعرف هذا الكهف بكهف الريح الكائن بالمحل المسمى بـ "مزعتوال" الذي يعني بالأمازيغية منفر البقر.

ومصدر مياه هذا الوادي متعددة، فإضافة إلى المنابع التي تعرف بعيون معروف، تُغذيه عيون أخرى تعتبر بمثابة روافد صغيرة له، مثل عين بوجاوي، وعين بوفكران، وعين بوخيار، وعين تاگما، وعين معزة، وعين عتروس، وعين عمايرة، ومن بين روافده من الأودية، وادي أملاح ووادي الرحى.

تدخل مياه وادي بوفكران إلى مدينة مكناس عبر سرير طبيعي ابتداء من معمل الكهرباء الحالي مروراً بأسفل ضريح سيدي بوزكري إلى ان تصل إلى المحل الذي يحمل اسم الشريشرة، ومنه توزع داخل المدينة على مختلف المرافق. وكان المكلف بهذا التوزيع نظارة أحباس كبرى مكناس قبل سنة 1912، حيث حول جزء من هذه المياه عبر ساقية الجبابرة التي تخترق جنان باب القزدير وحي الزيتون إلى الأحياء الغربية من المدينة، أما الساقية الثانية التي تخترق الأسوار الشرقية المحيطة بجنان باب القزدير فتوجه إلى الأحياء الشرقية عبر أگدال وقصبة هدراش وصولاً إلى قصبة سيدي عمرو الحسيني ومنها إلى المدينة العتيقة التي بنيت في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين. هذا فضلا عن الساقية الموجهة إلى القصر السلطاني. ويملأ الجزء الثاني من مياه بوفكران الوادي الفاصل بين المدينتين القديمة

والحديثة المعروفة بوادي بوعمايز، إلى أن تصل هذه المياه ـ سواء فيض المدينة القديمة أو مياه بوعمايز ـ إلى وادي ردم على بعد عشرة كيلومترات شمال مدينة مكناس.

كانت مياه وادي بوفكران تستعمل للشرب والسقي معا، إلا أنه بعد احتلال القوات الفرنسية لمكناس سنة 1911، وفرض معاهدة الحماية سنة 1912، قام التقنيون بإدارة الأشغال العمومية بدراسات عديدة لمجرى مياه وادي بوفكران وأقاموا عدة قنوات وأسرة اصطناعية على طول مجرى الوادي بغرض تحويل جزء من هذه المياه لصالح الأجانب المقيمين في المدينة الحديثة المعروفة بحمرية ولصالح أراضي المعمرين بأحواز مكناس وأرباضها، وخاصة الأراضي القريبة من حي الزيتون المعروفة بـ "تانوت" التي كان يسيطر عليها أربعة مستوطنين فرنسيين، فكان ذلك أحد أسباب الاصطدامات الدموية بين أهالي مكناس والقوات الاستعمارية، التي جرت أطوارها في قلب المدينة بساحة الهديم في بداية شهر شتنبر عام 1937، وعرفت في التاريخ بمعركة أو أحداث بوفكران نسبة إلى هذا الوادي.

أما قصبة بوفكران التي تبعد عن مدينة مكناس بسبعة عشر كليومترا في اتجاه مدينة الحاجب. فقد بناها الأسرى المسيحيون أيام السلطان المولى إسماعيل عام 1147 / 1734 واستقرت بها فرقة من جنود عبيد البخاري مع مجموعة من الشرفاء.

تحولت قصبة بوفكران خلال الحماية الفرنسية إلى مركز استيطاني مشهور، وحاليا صارت "مدينة" صغيرة نظراً لتكاثر عدد سكانها وزيادة عمرانها.

م. ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية*، *البحث العلمي*، السنة 14، ع 27، يناير ـ يوليوز، 1971 ؛ بو. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس*، الرباط، 1990.

بوشتى بوعسرية

** وهناك أحداث بوفكران التاريخية عام 1356 / 1937، تضافرت عدة عوامل لتكون وراء اندلاع هذه الأحداث التي ارتبط اسمها بالوادي الرئيسي الذي يزود مدينة مكناس بالمياه المعروفة بـ "الماء الحلو"، وكان أبرز هذه العوامل مدُّ يَد السلطات الفرنسية إلى جزء من مياه هذا الوادي وإعطائه للمعمرين المستقرين بأراضي تانوت القريبة من حي الزيتون، وللمرافق العسكرية والمدينة الفرنسية الجديدة المعروفة بحمرية. حدث هذا في الوقت الذي كانت فيه حاجة الأهالي إلى هاته المياه متزايدة مع تكاثر عددهم في وقت اشتد فيه الجفاف طيلة سنوات سابقة. وقد تزامن إقدام المسؤولين الفرنسيين على فعلهم هذا مع بداية تبلور الوعي عند ثلة من الوطنيين المكناسيين الذين كانوا على اتصال دائم بقيادة الحركة الوطنية في أهم المدن المغربية وخاصة بفاس، فاستغل هؤلاء الوطنيون تذمر السكان من جراء النقص الحاصل في المياه لقيادتهم بهدف مقاومة المخططات الاستعمارية داخل المدينة. وكان هذا السبب كافياً لإلهاب حماس الجماهير.

وبالإضافة إلى مشكل المياه، عانى المجتمع المكناسي في الثلاثينات من هذا القرن من مشاكل أخرى، أهمها الأزمة الاقتصادية التي مست جل الفئات الاجتماعية فأدت إلى ارتفاع ثمن المواد الاستهلاكية الأساسية كالقمح والزيت والسكر، وكان سبب هذه الأزمة التي وصلت إلى ذروتها سنة 1356 / 1937 الجفاف واستيلاء المعمرين على الأراضي الخصبة بأحواز مكناس ومزاحمة التجار الأجانب للحرفيين المكناسيين بما كانوا يبيعون من بضائع ومنتجات فاقت في جودتها ورخص ثمنها مثيلاتها المحلية التي تدهورت بعض أنواعها بعدما قل إقبال السكان عليها.

ومن بين المشاكل التي عانت منها الفئات المستضعفة داخل المجتمع المكناسي، كثرة الضرائب التي أثقلت كاهلها، لدرجة أن بعض أفرادها كان يبيع ملابسه لتأدية ما فرضت الإدارة الفرنسية عليه من ضرائب تخضع في جبايتها لقوانين صارمة.

وإضافة إلى ما سبق ذكره، هناك الأزمة الصحية والمحسوبية، فضلا عن انتشار الأمراض الاجتماعية كالبغاء العلني والسري، وشرب الخمر ومضايقة البوليس اليومية للسكان، كل هذه الظواهر كانت تمس المكناسيين في كرامتهم واعتقاداتهم.

وفي المقابل كانت الجالية الأوربية تنعم في بحبوحة من العيش بما تقدمه لها الإدارة الفرنسية من تسهيلات ومساعدات لتنمية مصادر ثروتها المعتمدة أساساً على الفلاحة، وذلك باستيلاء المستوطنين على أجود وأخصب أراضي سايس مكناس، وتوفير الوسائل والأدوات لفلح الأرض وريّها. ولتحقيق هذا الهدف الأخير، أقدمت السلطات الفرنسية على تحويل جزء من مياه وادي بوفكران لفائدة أربعة معمرين بأراضي تانوت السالفة الذكر. وبهم الأمر كلا من فرانس France وبيري Perret وإكسبوزيطو Exposito ودوستاديو Destadieu إضافة إلى ما أخذه المعمرون الآخرون، وكان هذا التحويل السبب الرئيسي الذي فجر أحداث بوفكران التي صارت تعرف عند العامة والخاصة من المكناسيين بـ : "گرة الماء لحلو"، نظراً لهولها.

إن استغلال مياه وادي بوفكران وما تولد عنه من مشاكل بين السلطة الفرنسية وأهل مكناس أدى إلى الاصطدام الدموي ما بين الطرفين، وقد قامت عدة شخصيات فرنسية ومكناسية بدور بارز في هذه الأحداث، سواء على المستوى القيادي بالنسبة للأهالي أو القمعي بالنسبة للإدارة الاستعمارية، فظهرت في المقدمة أسماء خمسة من الوطنيين المكناسيين الذين اختلفت انتماءاتهم السياسية وقدرتهم النضالية في التصدي للسياسة الفرنسية، و"الزعماء" المشار إليهم هم : محمد بن أحمد برادة من الحركة القومية، ومحمد بنعزو وأحمد بنشقرون من

الحزب الوطني، ومولاي إدريس المنوني ومحمد مدان السلاوي بدون انتماء، ولو أن بعض الوثائق جعلتهم ينتمون للحزب الوطني.

ألقت السلطات القبض على هؤلاء الوطنيين بتهمة تحريض السكان على التظاهر يوم الأربعاء 24 جمادى الثانية عام 1356 / فاتح شتنبر 1937، ولم يقتصر الأمر على هؤلاء الأعضاء الخمسة في قيادة الجماهير المكناسية لمقاومة المخططات الاستعمارية جملة وتفصيلا بهدف نزع خيراتها التي تعتمد عليها في تلبية حاجياتها الأساسية ومنحها للأجانب، ولكن برز قادة آخرون قاموا بدور أكبر بكثير مما نسب لمن سبق ذكرهم، أمثال إبراهيم الهلالي ومحمد الطاهري ومحمد العيساوي المسطاسي والعلمي الصنهاجي والجيلالي المزوار والعربي المجذوبي وعبدالرحمان بنشقرون ومحمد بن احماد الديغوسي وغيرهم.

كما كان لبعض الشخصيات المخزنية والفرنسية بمكناس مساهمة بارزة في هذه الأحداث، منهم الباشا أحمد السعيدي، وناظر الأحباس أحمد الصبيحي، والقاضي محمد السوسي، والقائد العسكري للمدينة والإقليم الجنرال كايو Caillaut ورئيس المصالح البلدية برونيل Brunel.

منذ احتلال الجنود الفرنسيين لمدينة مكناس يوم الخميس 10 جمادى الثانية عام 1329 / 8 يونيه 1911، طرحت مسألة توزيع مياه بوفكران بحدة، فعمدت إدارة الحماية إلى إصدار عدة قرارات وعقدت عدة اجتماعات لدراسة هذه المسألة، ودفعت المخزن إلى إصدار ظهائر وقرارات تنظيمية لمياه وادي بوفكران، مما أرغم نظارة الأحباس على التحرك ومطالبتها السلطات الفرنسية بالاحتفاظ لها بحق الإشراف على تسيير مياه هذا الوادي كما كان الشأن في سالف العهود، لكن السلطات رفضت بشدة هذا الطلب، فدخلت الإدارات الفرنسية مع الأحباس في صراع انتهى لصالح تلك الإدارات.

وأمام تعنت المسؤولين الفرنسيين ورفضهم طلب الوطنيين بالعدول عن مخططاتهم الهادفة إلى حرمان الأهالي من كمية هائلة من مياه بوفكران التي هم في حاجة ماسة إليها، أقدم هؤلاء الوطنيون على إعداد خطة تلك الأحداث في سرية تامة، سواء بالنسبة للمظاهرة السلمية، وهي مسيرة احتجاجية على إبعاد السلطات الفرنسية والمخزنية لممثلي المكناسيين عن المشاركة في أعمال اللجنة المكلفة بتوزيع مياه وادي بوفكران التي اجتمعت يوم الأربعاء 24 جمادى الثانية عام 1356 / فاتح شتنبر 1937.

على إثر هذه المظاهرة، اجتمع القائد العسكري للإقليم والباشا ورئيس المصالح البلدية إضافة إلى شخصيات أخرى للنظر في المضاعفات التي قد تسفر عنها هذه المسيرة، وبعد مناقشات مطولة دامت إلى الساعات الأولى من صباح يوم الخميس التالي، تم الاتفاق على اعتقال المحرضين الرئيسيين الذين حصر عددهم في خمسة، وتوزيع القوات الفرنسية صباح ذلك اليوم في أهم المواقع الإستراتيجية للمدينة تحسباً لأي طارىء، وتكلف الباشا باستدعاء المتهمين وإصدار الحكم عليهم بثلاثة أشهر سجنا نافذة، كما تولى الجنرال كايو مهمة تسيير القوات الفرنسية بالمدينة يوم الخميس 2 شتنبر 1937.

ـ أما المرحلة الثانية فكانت هي المعركة الدموية التي اندلعت مباشرة بعد إصدار باشا المدينة حكمه بالسجن على خمسة من الوطنيين بمكناس، واستمرت هذه المعركة من الساعة التاسعة صباحاً إلى الثانية عشرة ونصف ظهراً.

كان رد فعل السكان سريعاً، فمباشرة بعد نقل المحكوم عليهم إلى سجن سيدي سعيد، أسرع باقي الوطنيين إلى الأسواق والأحياء لإخبار السكان بما وقع لإخوانهم، ومطالبتهم بالالتحاق بالمسجد الأعظم، وتكونت لجنة وطنية للاتصال بالباشا لاستفساره عن المخالفة التي اقترفها المحكوم عليهم، وبسببها أودعوا السجن، فلم تسمح قوات القمع المرابطة أمام المحكمة لأعضاء تلك اللجنة بمقابلة الباشا، وردتهم بالقوة بعدما ضربتهم بسرائر البنادق، فلم تملك الجماهير الغفيرة المجتمعة قبالة المحكمة أعصابها فاندفعت في اتجاه القوات الاستعمارية وخرج باقي الأهالي المتظاهرين من المسجد الأعظم قاصدين ساحة الهديم عبر الأزقة المؤدية لها كسيدي عمر بوعوادة، والصباغين، والعدول، بينما التحق آخرون بنفس الساحة من أحياء أخرى كسيدي عمرو الحصيني وقصبة هدراش وبني مَحمد وأگدال... فوصل عدد المشاركين من الأهالي ما بين 4.000 و15.000 بمن فيهم سكان الأحواز الذين كانوا بمكناس يوم المعركة لقضاء أغراضهم بالمدينة وبسوقها الأسبوعي المنعقد كل يوم خميس بساحة الهديم. كانت الجماهير المحتشدة في ساحة الهديم وبالأزقة الموصلة إليها تطوف في هذه الساحة مرددة شعاراً كتب على لافتة حملها شخصان : "نريد إطلاق سراح إخواننا، الماء ماؤنا تفديه أرواحنا"، تدخلت القوات الأجنبية المزودة بشتى أنواع الأسلحة : السيوف والبنادق والمدافع والطائرات، لتفريق المتظاهرين وإرهابهم بأسلحتها المتطورة، في الوقت الذي لجأ فيه الأهالي إلى استعمال الحجارة والعصي والفؤوس والقضبان الحديدية، وبعدما فشلت الجيوش الفرنسية في إيقاف المتظاهرين أطلقت عليهم النار وضربتهم بالسيوف، فسقط عدد من الضحايا في صفوفهم، ولم يزدهم ذلك إلا حماساً ومواجهة دون أن يتمكنوا من قتل أي جندي فرنسي. دامت المعركة ـ غير المتكافئة بين الطرفين ـ أزيد من ثلاث ساعات تمكنت بعدها قوات القمع الفرنسية من السيطرة على الموقف ظهر يوم الخميس الدامي 25 جمادى الثانية عام 1356 / 2 شتنبر 1937، دون أن تفقد هذه القوات أي فرد من أفرادها في الوقت الذي قتل فيه مالا يقل عن عشرين من المتظاهرين المكناسيين إضافة إلى إصابة ما يزيد عن مائة شخص بجروح متفاوتة الخطورة، هذا فضلا عن الخسائر المادية، الأمتعة منها والبضائع التي كانت في ملكية التجار اليهود والمسلمين. كما جرح أربعة وخمسون فرداً من قوات حفظ

النظام الفرنسية، وضاع بعض أسلحتها. كان لأحداث بوفكران بمكناس صدى قوي داخل المغرب الذي تضامن سكان مدنه مع المكناسيين، سواء بما جمعه أعضاء الحركة الوطنية من تبرعات مالية للمتضررين، أو بتنظيم يوم مكناس في هذه المدن وأهمها : فاس والرباط والدارالبيضاء وسلا ومراكش ووجدة ... حيث أعلنت قيادتها الوطنية عن شن إضراب عام والتحاق السكان بالمساجد للترحم على أرواح شهداء مكناس، فكان يوم الاثنين 29 جمادى الثانية عام 1356 / 6 شتنبر 1937 يوماً تضامنياً لم يشهد مغرب القرن العشرين مثله على حد تعبير أحد المسؤولين الفرنسيين الرئيسيين، ولم يقتصر الأمر على جمع التبرعات والترحم، بل نظمت مظاهرات في كل المدن السالفة الذكر، أسفرت عن اصطدامات بين المغاربة والقوات الأجنبية أدت إلى جرح الكثير من أفرادها.

تجاوز صدى أحداث بوفكران حدود المجال الوطني إلى بعض المدن العربية كتلمسان والجزائر وتونس والقاهرة ودمشق، والأجنبية كباريس ونيويورك ومدريد وروما... فقد أبرق المغاربة القاطنون في باريس ونيويورك إلى وزير العلاقات الخارجية الفرنسية يحتجون على ما قامت به القوات الفرنسية من جرائم في حق المكناسيين، في حين عهدت إسبانيا وإيطاليا إلى بث برامج إذاعية موجهة إلى أهالي مكناس والمغاربة عموماً، تحثهم على مواصلة التمرد ومقاومة الإدارة الفرنسية، ودام إرسال هذه البرامج عدة أسابيع. وندد مناضلو بعض الأحزاب اليسارية الفرنسية - في فرنسا وفي المغرب - وخاصة الحزب الشيوعي، وكذا بعض المثقفين، بما قامت به فرنسا في مكناس، وعموما وقع الإجماع من قبل الهيآت السياسية والحركات النقابية والمثقفين الفرنسيين على إدانة حكومة الجبهة الشعبية بباريس التي وقعت الأحداث في عهدها، وإدانة القيادة العسكرية بمكناس، على ما ارتكبته الجيوش الفرنسية من أعمال فظيعة في حق أهالي مكناس.

كانت المسألة المائية حاسمة وذات اهمية كبرى بالنسبة للسكان، مما جعلهم يتمردون بدون استثناء على السلطات الفرنسية دون تردد أو تخوف.

وبسبب أحداث بوفكران تغيرت استراتيجية حكومة الحماية الفرنسية، فصارت منذئذ تولي عناية خاصة للتطورات العامة التي أخذت تجري بالحواضر المغربية إذ بدأ أهاليها بدورهم في التصدي للمخططات الاستعمارية بأسلوب مغاير لما كانت عليه المقاومة المغربية بالبادية قبل سنة 1934.

ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران*، الرباط 1990.

Archives du Ministère des Affaires Etrangères (Nantes) Maroc, 1912 - 1956 ; Archives du Protectorat du Maroc, Direction de l'Intérieur, Carton 528 ; Hydraulique 1935 - 1946. Direction des Affaires Indigènes, Carton 320 ; Hydraulique 1922 - 1939, Région de Meknès, Carton 250, émeute de Meknès, 1937.

بوشتى بوعسرية

بوڤي، هنري Beauvais Henri معمر فرنسي اشتغل كمحرر بجريدة *"لابريس ماروكين La Presse Marocaine"* الصادرة بالدارالبيضاء قبل أن يؤسس بنفس المدينة صحيفة سياسة ساخرة تحمل عنوان : *"لوكري دو كازا Le Cri de Casa"* أي "صرخة الدارالبيضاء". ظهر عددها الأول في 12.10.1919، في وقت توترت فيه العلاقات بين المعمرين والإقامة العامة بسبب الأزمة النقدية المعروفة بـ "أزمة الحسني".

سخّر بوڤي جريدته للتهجم على بعض ذوي النفوذ من شخصيات فرنسية وأنگليزية تنتمي إلى عالمي السياسة والأعمال. ولما قرر الماريشال ليوطي كبح جماح الصحافة بالمغرب، كان بوڤي ضمن ثلاثة صحفيين طردوا من البلاد بموجب قرار صادر عن الإقامة العامة يوم 24.11.1919.

بعض أعداد جريدة *"لوكري دوكازا"* ؛ *وثائق محفوظة بوزارة الخارجية الفرنسية* (باريس).

جامع بيضا

البُوفَيَّة، (الزاوية -)، أو زاوية أولاد سيدي بن يَفُّو، تقع بجماعة اثنين الغربية بقيادة الوليدية التابعة لدائرة الزمامرة بدكالة.

أسس هذه الزاوية سيدي عبدالعزيز ابن يفو الذي يرجع أصله إلى قبيلة أ ُربكة بحوز مراكش. ولا يعرف بالضبط الوقت الذي ظهر فيه بدكالة، هو وأخوه سيدي علي بن يفو متحلين بالورع والتقوى والعلم.

تحتوي هذه الزاوية على قبتي هذين الأخوين، وعلى مسجد صغير ومدرسة لتعليم القرآن الكريم.

ويروى أنه كان لسيدي عبدالعزيز القُدرة على علاج عدة أمراض منها الأمراض العقلية، وتوجد في الزاوية حجرات صغيرة لإيواء المرضى تظل دائماً عامرة تقريباً. وكان من أعيان هذه العائلة الفقيه أحمد بن كرّوم الذي كان مقدماً للمجموعة ومحمد ولد البغلي.

يكون أولاد سيدي بن يفو أربع مجموعات، هي :

1 - أهل الزاوية الذين يضمون عدداً من الخدام الأجانب.

2 - أهل تيمگرتْ المدعوون بأولاد سيدي عبدالعزيز.

3 - الدّهاهْجة والطيّور.

4 - أولاد سيدي علي، موالين الكدية.

وينتسب البوفيون جُلهم إلى الطائفة الدرقاوية.

وإلى هذه العائلة ينتسب شاعر الملحون الكبير أبو عسرية البوفي، صاحب القصيدة الشهيرة في مدح "أيت أمغار"، والتي حَرْبتها هي :

حاشا يَنْكَدْ منْ هُو يْحبّكُمْ ياكْنوزْ البرهان كرامينْ الضّيفان

يامَوْلايْ اسْماعينْ بن جَعفر وشامَخْ القدرْ مُولاي عبداللـــه

وإلى هذه الزاوية التجأ الولي الصالح أحمد بن المهدي ابن محمد بن أحمد حَدّادو التطواني مع والده وأهله، بعد احتلال تطوان من قبل الإسبان سنة 1276 / 1859، وبها توفي سنة 1336 / 1917.

ومنذ عدة سنوات، اعتاد سكان الغريبة تنظيم موسم سنوي حول ضريح سيدي عبدالعزيز، صاحب الزاوية البوفية، عند نهاية الموسم الفلاحي.

م.الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة* (مخطوط) ؛ *مدن وقبائل المغرب، ناحية دكالة*، تر. م. الشياظمي (مخطوط) ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال*، 1.

محمد الشياظمي

بوقاع، وتكتب في بعض الوثائق، "أبو قاع" أسرة سلوية عريقة، كان لها جاه ونفوذ وثروة عظيمة في القرن الحادي عشر (17 م). وما زال حتى اليوم الحي الذي كانوا يسكنونه بجوار السوق الكبير يحمل اسمهم (درب بوقاع). وبعد أن نكبوا أيام المولى إسماعيل تفرقوا في المدن، ويعيش بعضهم اليوم في فاس بينما لا يكاد يعرف منهم أحد بمدينة سلا.

وقد نقل المؤرخ محمد بن علي في هامش كتابه *الاتحاف الوجيز* نص ظهير إسماعيلي مؤرخ بأوائل ربيع الأول عام 1124/أبريل 1712 حبّس السلطان بمقتضاه جميع أملاك أولاد بوقاع على مسجد قصبة گناوة المحدثة بجوار سيدي موسى خارج باب سبتة من مدينة سلا، وتشمل هذه الأملاك "دوراً وحوانيت وأرضين وأجنّات وسواني وفندقاً ودور عمل الصابون داخل سلا وخارجها من ملاليح وغيرها". وبعد أن خربت قصبة گناوة في الفتن التي أعقبت وفاة المولى إسماعيل، حُبِّست أملاك بوقاع على مسجد سيدي أحمد حجي.

بوقاع، أحمد بن عبدالله، قائد سلا أيام السلطان المولى إسماعيل، كان له اعتقاد ومحبة في الشيخ المجاهد أحمد حجي، وحبّس على زاويته نسخة جيدة خماسية من *صحيح البخاري*، بخط مغربي جميل مجوهر ملون ما زالت حتى اليوم بخزانة الزاوية، وعلى أول ورقة من الجزء الرابع وثيقة التحبيس مؤرخة في منتصف ذي الحجة متم عام سبعة عشر ومائة وألف. وقد نشرتُ في كتاب *الزاوية الحجية* صورة هذه الوثيقة، وذكرتُ القصة الغريبة التي كانت سبب اعتقاد هذا القائد في الجد، والتي ما زالت الذاكرة الشعبية السلوية تحتفظ بها.

لم نقف على سنة وفاة أحمد بوقاع، ولعلها كانت قبل عام 1712/1124.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، 62 و152 ؛ *وثيقة تحبيس صحيح البخاري*.

محمد حجي

بوقة أو بوگا، أو بوغا، ويدعى أيضاً تاغزالت، نوع من الأسماك البحرية الصغيرة، من العظميات ومن فصيلة الأسبوريات Sparidas. يسمى علميا Boops (box) bouops ويدعى بالفرنسية وبالأنجليزية Bogue وبالإسبانية Boga. يسمى بوكا وتاغزالت في كل من طنجة والعرائش وأصيلا ومهدية وآسفي وأگادير وطرفاية، ويسمى في المحمدية حمريدا.

جسمه مغزلي الشكل ومضغوط بعض الشيء في مقدمته، الفم صغير والشفتان رقيقتان. تتكون الزعنفة الظهرية من 13 ـ 15 شوكة ومن 12 ـ 16 شعاع، وتضم الزعنفة الشرجية 3 شوكات و14 ـ 16 شعاع كلها هشة. الزعنفة الذيلية مقوسة جدا. الظهر أزرق مخضر والجوانب بيضاء فضية اللمعان تتخللها خطوط مذهبة اللمعان. توجد قرب الزعنفة الصدرية بقعة بنية داكنة. لا يتعدى طوله 36 سم وشائع ما بين 10 و20 سم.

موطنه البحر المتوسط والبحر الأسود والمحيط الأطلنطي الشرقي من سواحل الدول الإسكندنافية إلى سواحل انگولا والغربي منذ سواحل الكرايب إلى خليج المكسيك. يعيش على الرمال والحشائش والصخور غير بعيد من السواحل، وينتقل وسط مجموعات متعددة الأفراد، يصعد إلى سطح البحر غالبا بالليل ويغوص في أعماق لا تتعدى 350 متراً خلال النهار.

يتوالد في السواحل المغربية ما بين أبريل ومايو ويصير بالغا بعد سنة. يبلغ طوله آنذاك 13 سم. إنه سمك خنثى Hermaphrodite وقارت، أغلب الصغار لاحمة وأغلب الكبار عاشبة.

صيده تقليدي في المغرب ويصاد منه كل سنة ما بين 2900 إلى 4000 طن وذلك بواسطة الشباك المختلفة المستعملة سواء للأسماك الأوقيانوسية أو لأسماك الأعماق. يوجد باستمرار في أسواق الأسماك المغربية وكثيرا ما يستعمل طعمة في الصنارة لصيد الأسماك.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Nifiss lagonn and the Tarfaya coast*. Trav. Inst. Sci. Rabat, Mémoires hors série, 1988, p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M. L. Bouchot, *Méditerranée et Mer noire*, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, 1987 ; G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique Marocaine*, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche, Rome, 1984.

محمد رمضاني

** البوقة أقل انتشاراً من سمك البوري وأحسن منه طعماً. أولى الإشارات عنه انفرد بها ابن أبي زرع في *القرطاس* ونقلها عنه الجزنائي في جنى *زهرة الآس* في معرض حديثه عن مميزات وادي فاس، لكن انفراد ابن أبي زرع بذكره لا يعني أن وجود هذا النوع من السمك حديث في النهر بل إن تسميته هي الحديثة، مثل العديد من الأنواع التي لها أسماء غير عربية، وقال عنها بعض الدارسين إنها انقرضت ولم يبق منها إلا البوري والبوقة (تعليق في *القرطاس*، 35). والواقع أنها لم تنقرض كلها بل تغيرت أسماؤها كاللبيس والسيناح، وإن صحّ الانقراض، ففي وادي فاس بسبب ما لحقه من تغيير طبيعي وبشري. ولا أدل على ذلك من أن البوري والبوقة والقُرب والشولي (الصول) وغيرها أسماء تاريخية لأنواع لاتزال تستهلك حتى اليوم.

معظم أسماء الأسماك إما إسبانية أو برتغالية، وأطلقت على تلك الأنواع حسب مميزاتها، فالبوقة حسبما

أورده دوزي Dozy هي العين وأطلقت على السمك الذي نحن بصدده Boga لكبر عينيه وبروزهما. أما الذين أتوا بعد ابن أبي رزع الفاسي واهتموا بتصنيف خيرات المغرب الطبيعية وجردها، كالحسن الوزان، فإنهم لم يذكروا هذا النوع. ولا يعني ذلك انقراضه بالضرورة، فالبوقة لا تزال كثيرة في المناطق الشمالية من المغرب. إلا أنها تصاد في إطار الصيد الساحلي، مما يعني أن البوقة كانت بحرية وتصعد في الأنهار آنذاك وبتغير المعطيات الطبيعية الملائمة توقفت عن العيش في الماء الحلو ولم تعد تصعد في نهر سبو ثم وادي فاس، أو العكس.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزناني، *جني زهرة الآس*.

محمد حجاج الطويل

بوقدور، محمد التمسماني (القائد)، ينتمي إلى مدشر أُشْتَنْ من الربع الأعلى لقبيلة تمسمان الممتدة على شاطئ البحر المتوسط، المجاورة لقبيلة بني ورياغل من الناحية الشرقية. كان من أعيان القبيلة وأغنيائها، تقلد منصب قيادة قبيلة تمسمان في عهد مولاي عبدالعزيز وعهد مولاي عبدالحفيظ وما زال أحفاده يحتفظون بظهائر توليته.

استطاع هذا القائد بفضل ذكائه أن يلعب دوراً مزدوجاً في سياسته بعد عقد الحماية سنة 1912، شأنه شأن سائر الأعيان المحليين بمنطقة الريف الذين كانوا يتحركون من أجل الحفاظ على توازنهم السياسي. ربطت معه إسبانيا علاقة ودية معتقدة أنه الرجل الملائم لتمرير مخططها التوسعي في القبيلة. لكنه تفطن لمقاصدهم وداراهم إلى ما قبيل اندلاع الحرب الريفية بقيادة محمد بن عبدالكريم الخطابي (1921 ـ 1926).

وحسب التقارير الإسبانية أظهر القائد بوقدور ذكاء وخبرة سياسية لا نظير لها أثناء المراسلات التي كانت بينه وبين الحكام الإسبانيين، حيث قال فيه أحد الضباط : إنه رجل مثقف، له مظهر مقبول وخطيب مقتدر يمكن الاعتماد عليه في قيادة قبيلته. (*رسالة* من حاكم جزيرة الحسيمة إلى حاكم مليلة، بتاريخ 16 سبتمبر 1918).

وكان القائد بوقدور التمسماني ينتظر مثل هذه الفرص، إذ طلب من إسبانيا سنة 1918 تعيينه قائداً على قبيلته ليتمكن من الحفاظ على المكانة التي كان يتمتع بها سابقاً بين الجماعات. إلا أن الإسبان تحفظوا من إسناد القيادة إليه رغم صلاحيته، واشترطوا عليه مقابل ذلك أن يبرهن لهم عن مدى قدرته على كسب تأييد ومساندة القبائل الريفية له لتنفيذ مخططهم التوسعي في المنطقة بالإضافة إلى إظهار مدى علاقته بالمتعاملين مع الإسبان من أعيان قبيلة بني ورياغل.

ونظرا لنماء الجناح المعارض للمتعاملين مع الإسبان، انضم عدد لا يستهان به من العملاء إلى المعارضة التي أصبح يتزعمها ابن عبدالكريم الخطابي. وقد تجاهل القائد بوقدور ذلك الضغط المفروض من طرف المناهضين لسياسة التوسع الإسباني، وفضل الاستمرار في التعامل مع الإسبان. لكنه رفض الانضمام إلى الاتفاق الذي وقعه الإسبان علانية مع بعض الشيوخ التمسمانيين القاضي بالتعاون معهم من أجل السيطرة على القبيلة.

ومنذ اندلاع الحرب الريفية، غير القائد بوقدور موقفه وانضم إلى المجاهدين التمسمانيين والتوزانيين بمركز تافرسيت في 21 جمادى الأولى عام 1340 / 20 يناير 1922، وأسندت إليه مهمة القيادة في حكومة محمد بن عبدالكريم ثم عمل قابضاً للضرائب أيضا.

ومع انتهاء الحرب التحريرية فضل الانعزال عن السياسة والعيش في مأمن مع عائلته بقبيلة تمسمان إلى أن أدركته الوفاة سنة 1927/1346.

م. م. عمر القاضي، *أسد الريف : محمد بن عبدالكريم الخطابي*، تطوان 1979.

Servicio Historico Militar, *Historia de las campañas de Marruecos*, T. 3, Madrid, 1981, (Apendice 1), p. 621 ; S. H. M. Melilla, Lej. 5, Politica de Buquaddur ; Lej. 18, Operaciones, Resumen del dia 22 Abril 1921 : Lej. 20, Resumen del dia 20 Enero 1927.

عبدالرحمان الطيبي

بوقصيبة، ويدعى أيضاً "بوساق"، طائر مائي من طوال الساق القواطع ومن فصيلة النكاتيات Curvirostridas. يسمى علميا himatopus Himantopus وبالفرنسية Echasse blanche وبالانجليزية Black-winged stilt يدعى بوقصيبة في المغرب لطول ساقيه الرقيقتين. ويسمى في مصر والشرق العربي أبا مَغازل وأبا مِغْزَل وبوساق وطوّل.

يتميز بمنقار طويل أسود غير معقوف، وبساقين ورديتين طويلتين يتراوح طولها ما بين 20 و26 سم. ريشه أسود جهة الجناحين والظهر و أبيض جهة الصدر والبطن. يزن ما بين 140 و160 غرام ولا يتعدى طوله 38 سم وتبلغ بسطة جناحيه 75 سم.

إنه من الطيور المهاجرة، يتوالد معظمه في أوروبا الجنوبية والشرقية وفي آسيا، وتوجد في المغرب مجموعات متعددة الأفراد تستقر في معظم البحيرات الساحلية والقارية ومصبات الأنهار وتضاف إليها عدة مجموعات أوروبية ابتداءً من فصل الخريف و تغادر المغرب في فصل الربيع.

توضع الأعشاش متقاربة بين الحشائش المجاورة للبحيرات ومصبات الأنهار، وتلد الأنثى ما بين أبريل وماي من 3 إلى 5 بيضات بنية مصفرة وملطخة ببقع سوداء ورمادية. يبلغ قطرها الكبير 44 ملم وقطرها الصغير 31 ملم. تحضن بالتناوب من طرف الزوجين لمدة تتراوح ما بين 24 و26 يوما. تهجر الصغار الأوكار مباشرة بعد التفقيس وتحسن السباحة والمشي في سن مبكر. تغادر أبويها بعد أربعة أسابيع.

يعيش بوقصيبة مزدوجا أو وسط مجموعات تتكون من عشرة إلى عشرين فرداً ويسير ببطء داخل المياه ليبحث بمنقاره عن الديدان والقشريات الصغيرة والحشرات التي تكوِّن قوته اليومي. يوجد بكثرة في كل من بحيرة مولاي بوسلهام وبحيرة سيدي بوغابة وسيدي موسى والوليدية.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P. C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc*, Janvier 1986 - 87 - 88. Documents de l'Institut Scientifique, 11, Rabat, 1988 ; W. Reade et E. Hosking, *Les Oiseaux, leurs œufs et leurs nids, Reproduction, œuf et jeunes*, Paris, 1968, p. 191 - 192 ; C. Harrision, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Multiguide nature, Paris, 1977, 430 p ; H. Heinsel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رمضاني

بوقفطان، محمد (الحاج ـ) بن عمر أحد حفدة الشيخ أبي محمد صالح الماكري، ولد سنة 1890/1308 بأسفي، وتولى نقابة الرباط الصالحي مباشرة بعد وفاة والده. وأدى فريضة الحج سنة 1933/1352، وتوقف أثناء رحلته إلى المشرق في مصر حيث سهر على طبع كتاب *المنهاج الواضح في تحقيق كرامات الشيخ أبي محمد صالح*، وأنفق عليه من ماله الخاص. ومعلوم أن كتاب الفقيه محمد الكانوني *أسفي وما إليه* قد طبع في نفس السنة وفي مصر كذلك، وقد يكون الحاج مَحمد بوقفطان هو الذي تكفل بطبعه أيضاً.

توفي سنة 1975/1395، ودفن أمام باب قبة جده الشيخ أبي محمد صالح.

م. بنشريفة، *الفقيه الكانوني ومؤلفاته*، في كتاب *أسفي، دراسات تاريخية وحضارية*، 1989.

عبدالرحيم العطاوي

بُوقْلِيْنَة، أسرة تطوانية لعل أصلها من الأندلس، وكلمة قلينة تعني أنثى قلين، وهو حيوان يشبه الأرنب أصله من الأندلس، ومنها انتقل إلى المغرب، وربما كانت قلين مأخوذة من الإسبانية Conejo. وتوجد اليوم بإسبانيا أسر تحمل اسم Conejo وConejero.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان حوالي سنة 1870/1287.

Delegacion, *Familias* : M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوقنادل، (سيدي ـ) أو أبوالقناديل صالح لا تعرف له ترجمة، ويوجد ضريحه بضاحية سلا على بعد حوالي عشرة كيلومترات شمال شرقي المدينة في مكان ترعرع فيه مركز حضري صغير. وارتبط نمو هذا المركز بعدة عوامل اقتصادية ادت إلى توافد السكان إليه وانتشار المباني، خاصة منذ الستينات.

ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى محاولات من طرف الفرنسيين لتنمية مركز بهذا المكان يكون مقراً للمعمرين الذين استولوا تدريجيا على مساحات مهمة من الأراضي الفلاحية في ضواحي سلا. كما فتحت هنا عدة محاجر لإنتاج مواد البناء. غير أن الانطلاقة الحقيقية للمركز لم تكن إلاّ على يد شركة إنتاج أنابيب الماء الاسمنتية التي استقرت بمحاذاة المحاجر المحلية، بين الطريق الرئيسية وخط السكك الحديدية اللذين يربطان سلا بالقنيطرة. ووفرت هذه الوحدة الصناعية عدة فرص للشغل مما أدى إلى ظهور تجمعات من الأكواخ يسكنها عمال الشركة انضم إليهم عمال المحاجر وبعض المشتغلين في الضيعات الفلاحية الأوربية المجاورة.

وفي سنة 1355 / 1936، بلغ عدد هؤلاء سكان المركز 437 نسمة من بينهم 53 أوربياً. ولم يتزايد هذا العدد إلا ببطء نظراً لعدم نمو أنشطة المركز بالإيقاع المطلوب وعدم نجاحه كمقر للتأطير الفلاحي المحلي. ففي سنة 1380 / 1960 لم يتعد عدد سكان بوقنادل 640 نسمة.

ورغم ارتقائه إلى رتبة مقر جماعة قروية، أصبحت تدعى جماعة بوقنادل، فإن المركز لم يعرف نمواً مماثلا لما شهده مركز تمارة في جنوب الرباط مثلا، بل ظل عبارة عن تجمع ضخم من الأكواخ يعيش أساساً على مصنع القنوات، إضافة إلى بعض الدور والدكاكين المبثوثة على طول الطريق ويقطن الكل 1106 نسمة حسب إحصاء 1971.

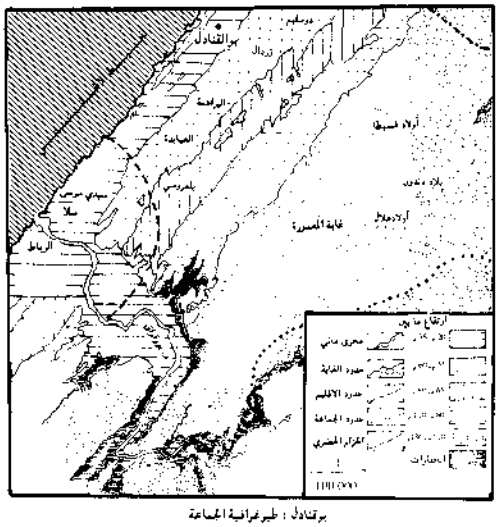

بوقنادل : طبوغرافية الجماعة

وساهم تفاقم أزمة السكن والشغل بسلا وتوالي سنوات الجفاف بالأرياف خلال السبعينات في احتدام ظاهرة الهجرة إلى ضاحية سلا ومن ثمة إلى مركز بوقنادل الذي شهد استقرار بعض الوحدات الصناعية والحرفية، وكذا بعض التجهيزات الاجتماعية وتدعيم السوق الأسبوعية المحلية

التي تعقد يوم الأحد مع انطلاق تجهيز شاطئ السباحة القريب (شاطئ الأمم) والوحيد بين سلا والمهدية، إضافة إلى تعدد الضيعات المتخصصة في إنتاج الخضروات. كل هذا وفر العديد من فرص العمل، وجعل عدد السكان يرتفع إلى 1523 نسمة في سنة 1978 ثم 2485 في سنة 1982. فيكون المركز قد نما بمعدل 2.2٪ سنويا بين 1936 و1960 و5.1٪ بين 1960 و1971 ثم 7.6٪ بين 1971 و1982.

وبسبب انتظام الوحدات التضاريسية الممتدة بموازاة الساحل من جهة وتسطير طرق المواصلات وموقع المقالع من جهة ثانية فإن مركز بوقنادل يتخذ شكلا طولياً في توسعه بحيث تصطف البنايات على جانبي الطريق الرئيسية، على مسافة تزيد عن الكيلومتر، ذلك أن امتداد السكة الحديدية وتعدد المقالع بمحاذاة الطريق من جهة الشرق، ثم انتشار المبقلات من جهة الغرب، تؤلف عراقيل أساسية تحول دون توسع المركز نحو الداخل ونحو البحر، بل بشكل واضح في اتجاه سلا التي يربطه بها خط نقل عمومي بالحافلات وحركة دائبة من سيارات الأجرة.

يمكن التمييز بين وحدتين سكنيتين مختلفتين ببوقنادل: من جهة دوار ضخم، يتألف من أكواخ الصفيح التي بدأت جدران العديد منها تتحول إلى البناء بالطوب في السنوات الأخيرة. يقع هذا الدوار محصورا بين الطريق ومصنع القنوات وسكة الحديد والمقالع، ويؤوي نحو ثلث سكان المركز، ومن جهة أخرى، تنتشر المنازل الجيدة البناء نسبياً وبعض الدكاكين والمقاهي والمصالح العمومية على جانبي الطريق، وعلى سفح التل الموالي من جهة البحر. وقد سعت سلطات الجماعة وكذا بعض المبادرات الحرة، خلال السنوات الأخيرة، إلى فتح تجزئات صغيرة وتجهيزها قصد المساعدة على تراجع سكنى الصفيح من جهة وتمكين سكان آخرين من الاستقرار بالمركز.

يتوفر مركز بوقنادل في الجملة على عدة عوامل يمكن أن تساعد على نموه، من أهمها الوحدات الصناعية (قنوات الماء والري، التجارة والأثاث، صهر الحديد، النسيج، الزرابي...) والمقالع ومحطة السكة الحديدية والسوق الأسبوعية ومجال فلاحي متنوع غني الانتاج، إضافة إلى كونه سهل الاتصال بالقنيطرة والرباط ـ سلا. غير أنه يظل مركزاً ناقص التجهيز، لا من حيث محلات التجارة والخدمات ولا من حيث عدد ونوعية المصالح الإدارية والتعليمية والصحية. ويُعزى هذا الضعف في التجهيز بالأساس إلى كون بوقنادل لا يمثل القلب الحقيقي لجماعته القروية، إذ أن تسعة أعشار سكان هذه الجماعة يتركزون في الجهات الجنوبية منها، أي في الهالة المحيطة مباشرة بسلا. وهذا ما جعل المرافق الإدارية المسيرة للجماعة تستقر بهذه المدينة وليس بمركز بوقنادل.

تنتسب لسيدي بوقنادل جماعة قروية كبيرة تنتشر على مساحة 290 كلم2 وحدودها لها اتصال بعدة أقاليم فمن الشمال إقليم القنيطرة ومن الشرق إقليم الخميسات وجماعتا أربعاء السهول وعين العودة، ومن الغرب مدينتا الرباط وسلا. من الناحية الطبوغرافية أراضي الجماعة عبارة عن سطح هضبي متموج قليل الارتفاع ينحدر من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي حيث يوافق الميل العام للمسطحة وأقصى الارتفاعات لا تتعدى 170 م وهي وحدة متميزة بتكوينها الرباعي وغطائها النباتي الدائم (غابة المعمورة).

الوحدات التضاريسية الكبرى : الوحدة الساحلية، وتوجد في شمال غرب الجماعة، عبارة عن ساحل يتسم بالاستقامة وينعرج شبئا ما في الجنوب وتحف به كثبان رملية تتراوح ارتفاعاتها ما بين 60 و70 م. ومن خصائص هذا الشريط ضيقه وتباين تكوينه، وكذا منظره العام. ففي الشمال شريط رملي، أما في الجنوب فإن الساحل عبارة عن أجراف صخرية عالية ومتصلة تبلغ ارتفاعاتها 50 م.

المجموعة التلّيّة : عبارة عن تلال منعزلة تتسم بالانخفاض وكذا الشكل الطولي وتجري بها أحياناً بعض المجاري الموسمية في الفترات الرطبة.

السطح الهضبي : ويوجد في شرق المجموعة التلية التي تمتاز بسطحها المتموج كما تتخللها وهاد ذات شكل طولي ومغلقة تغمرها مياه مكونة ضايات متسعة. وفي حدود الجماعة يصبح سطح الهضبة كتلبا وهذه المجموعة عبارة عن هضاب متدرجة الارتفاع بين 20 و60 م.

الشبكة المائية : لا وجود لمجرى دائم باستثناء نهر أبي رقراق الذي يوجد في القسم الجنوبي وهو أهم مجرى مائي بالمنطقة. وعند اختراقه أراضي الجماعة يتصل بروافد واد "گرو" حيث يتبع النهران طريقاً متوازياً تقريباً واتجاهات أبي رقراق متعددة، وعند وصوله لأراضي الجماعة يصبح اتجاهه شرقي غربي لينعرج بعنف نحو الشمال ثم إلى الشمال الغربي عند المصب في المحيط الأطلسي.

أما المجاري الموسمية : فمنها واد الفوارات، مجرى ضيق يكتسي طابع الموسمية ليصبح دائماً عند مغادرته أراضي الجماعة. كما توجد بالجماعة عدة ضايات وعيون نذكر منها عين البربيري وعين البركة وعين الحوالة. والآبار وجودها مكثف بالساحل بسبب أهمية الفرشة المائية الباطنية.

التربة : متنوعة مع غلبة تربة الرمل، وهذا النوع يشكل شريطاً طولياً يوازي امتداد الشاطئ الأطلسي. أما على طول مجرى نهر أبي رقراق فتنتشر تربة سوداء تعتبر مجالا للأعشاب البرية، وتتميز هذه التربة بارتفاع نسبة الملوحة خاصة قرب الوجلة، وباستثناء الضايات فإننا لا نجد سوى التربة الرملية الحمراء غير كاملة التكوين وفقيرة أحيانا من حيث التكوينات العضوية، أما التربة الدبالية فمجالها منفرجات الغابة.

المناخ : يمتاز بالاعتدال ويتأثر بعوامل محيطية فهو دافئ رطب في الشتاء حار جاف في الصيف.

التساقطات : تتراوح ما بين 450 و600 مم سنويا.

الحرارة : لا تنزل عن 10 درجات في مجموع شهور السنة ولا تتعدى 23 درجة صيفاً، كما أن المدى الحراري ضعيف والصقيع منعدم بالإضافة إلى عامل أهمية التشميس، أما أيام الضباب فتصل إلى 66 يوماً في السنة وتتراوح أيام الشرقي ما بين 32 و35 يوماً في السنة.

الغطاء النباتي : تعد غابة المعمورة الغطاء النباتي الدائم بالمنطقة، وتنتشر فوق تربة رملية، وتتكون أشجارها من السنديان الفليني، ويلاحظ عدم اقتراب هذا الغطاء النباتي من الساحل، ويعزى هذا إما لعامل الاجتثاث أو للحساسية الكبرى التي تعرفها عروق السنديان وأوراقه تجاه الملوحة. ما عدا الغطاء الغابوي لا نصادف أي نوع من النبات باستثناء ضفاف مجرى أبي رقراق حيث تصطف الأعشاب البرية وبعض الحشائش القصيرة التي تندثر في فترات الجفاف والحرارة.

البنية الجيولوجية : تغطي الجماعة صخور رباعية وثلاثية متنوعة حيث نجد بها رواسب بحرية وقارية، ومن خلال التاريخ الجيولوجي عرفت المنطقة عدة تذبذبات بحرية حيث كان البحر يغطي هذا المجال إلى بداية الزمن الجيولوجي الرابع ثم غمرها في الميوسين والبليوسين. وبهذا فقد ترسبت على القاعدة القديمة صخور مختلفة منها الرواسب البحرية في الزمن الثالث والرابع ثم أتت فوقها تغطية قارية تعرضت لحركات باطنية.

أما على مستوى التطبق فنجد سطح تنافر بين المستوى الأسفل لطبقة الطَّفْل التي تنتمي إلى الميسيني والطبقات العليا المنتمية إلى الزمن الأول، سمك الطبقات العليا متفاوت أهمها الطَّفْل الميوسيني، كما أنها تختلف من حيث الصلابة والنفاذية. وانتشار الرواسب الرباعية في جهات مختلفة من الجماعة على شكل توضعات نهرية أو قارية كالغرين الأحمر السلطاني أو الثلثرنشي في المناطق المرتفعة من أهمها تكوينات الكثبان الرملية، ويمكن تفسير وجود العيون بالمنطقة داخل التكوينات الرباعية التي تمتاز بالنفاذية.

تتقاسم هذا المجال مجموعتان بشريتان، هما قبيلة عامر المنتشرة بين سلا وبوقنادل، وقبيلة حصين المتمركزة في الجهة الجنوبية الواقعة أساساً بين الطريق الرئيسية ونهر أبي رقراق. كان عدد هؤلاء السكان لا يتعدى ثلاثة إلى أربعة آلاف نسمة في بداية القرن العشرين، يعيشون على شبه الترحال متنقلين بمواشيهم بين الساحل والغابة وسهل الغرب. وقد أدى دخول الاستعمار إلى استقرارهم تدريجيا مع ممارسة أكبر لزراعة الحبوب. وأصبح عددهم حوالي 6.100 نسمة حسب إحصاء 1936، لينتقل إلى 13.500 في 1971 ثم زهاء 37.000 في 1982 ونحو 52.000 في 1990. بمعنى أن وتيرة النمو الديموغرافي انتقلت من 3،3٪ سنويا بين 1936 و1960 إلى 4،1٪ بين 1960 و1971 ثم 5،2٪ في العقد التالي، وتكون الكثافة السكانية قد تضاعفت تسع مرات في ظرف نصف قرن، حيث قفزت من 20 إلى 180 نسمة في الكلم2 بين 1936 و1990. غير أن هذه الكثافة في الواقع تفوق 500 إذا ما اعتبرنا فقط المساحة الزراعية.

تمتد الأراضي الزراعية على حوالي 10.000 هكتار، أي نحو 35٪ من مجموع مساحة الجماعة. ولم تعد الأراضي الجماعية، التي كانت هي السائدة في الماضي متلائمة مع الحياة القبلية، تمثل سوى نسبة ضعيفة جداً من الأراضي الفلاحية، منتشرة بالخصوص داخل غابة المعمورة وعلى هوامشها. كذلك تندر هنا ملكية الدولة، بينما توجد مساحات لا بأس بها من أراضي الأحباس خاصة بالقرب من سلا التي كان لها إشعاع روحي هام. وهكذا تبقى الهيمنة لنظام الملك الخاص ممثلا، بصفة رئيسية، في ضيعات تمتلكها أسر حضرية تقطن سلا والرباط وسعت هنا قاعدتها العقارية القديمة عن طريق شراء أراضي المعمرين الأوربيين (حوالي 2000 هـ) والجزء الأكبر من أراضي الفلاحين المحليين.

نظراً لكثرة الأسر الفلاحية، فإن جل الحيازات صغيرة، بحيث إن ثلثيها تقل المساحة فيها عن عشرة هكتارات، الشيء الذي لا يمنع من وجود ضيعات كبيرة وأحيانا شاسعة. وبحكم وجود هذه الأراضي في ضاحية الرباط ـ سلا، ونظراً لوفرة رؤوس الأموال، فإن أثمنة الأرض هنا جد مرتفعة مما يوجب ممارسة زراعات غنية ذات مردودية عالية، وبالتالي اللجوء إلى السقي. ويسمح ضخ المياه الباطنية بري أزيد من 1500 هـ، تزرع فيه أساساً الخضروات، والأشجار المثمرة المختلفة، وعلى الخصوص البرتقال، ثم الموز (في البيوت المغطاة) خلال السنوات الأخيرة، وكذا الزهور. ولا يزال عدد كبير من صغار الفلاحين يمارسون زراعة الحبوب وبعض القطنيات مع تربية الأغنام.

غير أن تربية الأبقار المستوردة والهجينة عرفت منذ الستينات ازدهاراً كبيراً في هذه الضاحية من أ إنتاج الألبان على الخصوص، كما شهدت تربية الدجاج انتشاراً هائلا وسريعاً، في عشرات الوحدات الانتاجية، بعضها ضخم وجد متطور.

إلى جانب هذا الإنتاج الفلاحي الهام والمتنوع الذي يلبي جزءاً من الحاجيات الغذائية لثاني تجمع سكاني بالمغرب (أي أزيد من مليون نسمة) تتوفر جماعة بوقنادل على العديد من الوحدات الصناعية المتنوعة، جد متفاوتة الأحجام، تهتم بإنتاج مواد البناء وبالغزل والنسيج والنجارة والمصنوعات المعدنية وغير ذلك ... كما تحتضن الجماعة بعض التجهيزات الكبرى ذات الأهمية الوطنية مثل مطار الرباط ـ سلا، قاعدة عسكرية كبيرة، دار السكة، المركز الوطني للشباب، مركز تدريب الشرطة، الحدائق الغربية الخ....

وقد عملت كل هذه الأنشطة الفلاحية والصناعية والتجارية والخدماتية والسياحية على توفير الشغل لأعداد متزايدة من السكان الذين تجمع الجزء الأكبر منهم في مراكز هامة مصطفة على طول الطريق الرئيسية الرابطة بين سلا

وبوقنادل وكذا على الطريق الثانوية الواصلة بين طريق مكناس ووادي أبي رقراق.

خريطة طبوغرافية لبوقنادل مقياس 1/100.000 ؛ *نشرات مصلحة الأرصاد الجوية* بالدارالبيضاء سنوات 83 . 84 . 85 ؛ *تحريات ميدانية*.

عبداللطيف فضل الله ومحمد بلعربي

بوالقنادل، (سيدي ـ) صالح يقع ضريحه عند المدخل الشمالي لمدينة أگادير على سفح جبل الأطلس الكبير فوق ميناء المدينة، قرب حصن (فونتي) التاريخي القديم. يقول عنه المختار السوسي : "سيدي بوالقنادل المدفون في فونتي قديم، يقول الدغوغيون والوجانيون إنه منهم، وقد رأيت ظهائر تتعلق بأولاده، ويزعم الركراگيون أنه منهم والله أعلم (*خلال جزولة*، 1 : 51).

يتكون ضريح سيدي بوالقنادل من قبة بيضاء أنيقة تترجم ما لدفينها من حرمة وجلال وهيبة دينية في نفوس سكان المدينة ونواحيها، وبجانب القبة مسجد وأبنية لإيواء الزوار من الرجال والنساء الذين يتقاطرون عليه صيفا وشتاء للاستشفاء والاستعانة ببركته على قضاء مآربهم. ويعتقد العامة أنه من رجال ركراگة المجاهدين ضد البرتغاليين المحتلين لحصن فونتي قبيل العصر السعدي، استشهد في معارك تحرير المدينة فبنى عليه السكان ضريحاً ليكون رمزاً للتضحية والاستشهاد في سبيل الله. وتحول هذا التعظيم على مر العصور إلى اعتقاد أسطوري بأن سيدي بوالقنادل حامي المدينة وحارس أهلها يحميهم من كل أذى ظاهر وباطن، وعلى القادم إليها أن يطلب منه التسليم والحماية، مثَلُه في ذلك مثَلُ (سيدي أسِيدي) بمدينة تارودانت، و(سيدي عبدالرحمان) بمدينة تيزنيت و(سيدي مگدول) بمدينة الصويرة، و(سيدي بلبوط) بمدينة الدارالبيضاء، وهلم جراً. وكان من عادة الزوار أن يوقدوا "القناديل" والشموع ليلاً بضريح هذا السيد فيهتدي بها البحارون الصيادون لتحديد اتجاههم وموقعهم من ميناء المدينة على البحر، وذلك قبل بناء برج الضوء الحالي، وربما كان ذلك سبب تسميته بسيدي بوالقنادل فاشتهر بها شهرة أنست العامة اسمه الحقيقي إلى اليوم.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 1 : 51 ؛ *رواية شفوية*.

محند أيت الحاج

بوالقنادل، (سيدي ـ) **عبد السلام** بن أحمد بن عبد المومن بن عبد الرحمان بن علي بن عبد العظيم بن الشيخ أمغار، وضريحه شهير جنوب مدينة الجديدة. كان سيدي بوالقنادل يعيش في مغارة، ويتردد عليه تلاميذه في تلك المغارة فيجدونها ساطعة الأنوار، رغم أنه لم يكن لديه أي قنديل، فلقب بأبي القناديل. توفي في وسط القرن الثامن (14 م)، ودفن في حوش بزاوية تيط بدكالة.

بوالقنادل، (سيدي ـ) **عبد الله** بن ويجلان أو ويحلان، من مدينة أغمات، عاصر الشيخ عبد الجليل بن ويجلان أو ويحلان الأريكي الأغماتي الشهير بأبي النور عبد الله الأغماتي الدكالي. وضريحه معروف جنوبي مدينة الجديدة.

توفي عام 553 / 57 . 1158. ودفن في حوش بزاوية تيط بدكالة أيضا.

سلسلة مدن وقبائل المغرب، ج 10، تر. م. الشياظمي.

محمد الشياظمي

بوالقنادل، بن عمرو، أو بوالقناديل أُعْمَر الشياظمي قائد حكم قبيلته الشياظمة في عهد الحسن الأول ما بين سنوات 1292 و1295 / 1875 . 1878، فقد جاء في كتاب *أزمور وضواحيها* أن القائد بوالقنادل بن عمرو كان يمارس قيادة الشياظمة التي ينحدر منها، ولم يمض على بوالقنادل في وظيفه إلا سنتان حتى شكاه إلى السلطان أهل قبيلته الذين يسلبهم أموالهم، فسجن أولاً بمراكش ثم بفاس طيلة اثنتي عشرة سنة، وبعد خروجه من السجن رجع إلى عائلته ولم يلبث أن قضى نحبه.... وعين السيد محمد بن الحاج عمور الهشتوكي، خلفا لبوالقنادل، بعد أن أبدى أعيان القبيلة الذين استدعُوا إلى مراكش موافقتهم على هذا التعيين، وكان ظهير تعيينه على هشتوكة والشياظمة بتاريخ 13 محرم عام 17/1295 يناير 1878.

م. الشياظمي، ت. *مدن وقبائل المغرب*، *أزمور وضواحيها*، سلا 1989.

محند أيت الحاج

بوالقنادل، (سيدي ـ) **يحيى** بن إبراهيم، ثالث صلحاء دكالة بهذا الاسم، أصله من قبيلة هسكورة المصمودية، تتلمذ على الشيخ أبي مدين الغوث دفين تلمسان، وكان يخدمه أيام إقامته ببجاية. توفي عام 601 / 3 . 1204. ودفن عند الجواولة بدكالة، وعلى قبره حوش.

سلسلة مدن وقبائل المغرب، ج 10، تر. محمدالشياظمي.

محمدالشياظمي

بُوقُوَيْقة، جنس طيور مائية من فصيلة دجاجيات الأرض Scolopacidae ورتبة طوال الساق تشمل دجاجة الأرض والكروان والطيطوي. لفظة بوقويقة عامية في مصر ودخلت إلى المغرب، كما يطلق عليها أيضاً "بَارْج" المأخوذ من الفرنسية Bage. وهو من الطيور القواطع التي يشتو نوعان منها في المغرب :

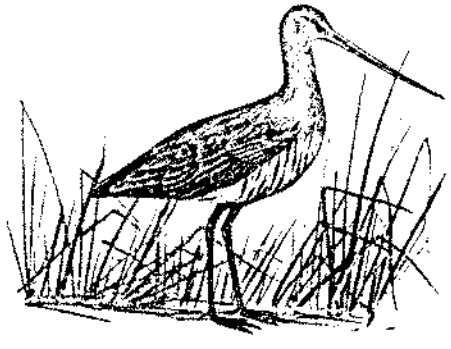

- بوقويقة سوداء الذيل Limosa limosa، طويلة الساق، منقارها طويل ومستقيم، مؤخرة الذيل سوداء، العنق والصدر أشقر في الصيف وأشهب في الشتاء. يبلغ طولها 40 سم وطول بسطة الجناحين 70 ـ 75 سم وتزن ما بين 230 ـ 340 غرام. تعيش على الشواطئ وبجانب البحيرات والوديان وتتغذى من الحشرات والديدان والقشريات الصغيرة.

تبيض في شمال أوروبا وشرقها في مايو ـ يونيه وتضع 4 بيضات تحضنها 24 يوما. أكثر من 5.000 طائر من نوع بوقويقة هذا تشتو في المغرب ما بين شتنبر وأبريل من كل سنة، وتوجد بكثرة في بحيرة مولاي بوسلهام والوليدية وسيدي موسى وفم ملوية وفم سوس وباقي السدود المغربية.

- بوقويقة شقراء Limosa lapponica وهي أصغر من الأولى، يبلغ طولها 38 سم وطول بسطة جناحيها 63 ـ 68 سم ويزن الذكر 160 ـ 235 غ والأنثى 255 ـ 290 غ. السيقان قصيرة نسبياً، المنقار طويل ومعوج شيئاً ما إلى الأمام. الذيل أبيض مخطط بريش أسمر.

تعيش وسط مجموعة عديدة الأفراد على الشواطئ الأطلسية والمتوسطية وكثيراً ما تعيش وسط أنواع أخرى من الطيور المائية تقتات من الحيوانات الصغيرة التي تبحث عنها وسط الوحل.

تبيض من 3 إلى 4 بيضات في الربيع وسط الحشائش الكثيفة في أوروبا، وتأتي إلى المغرب في فصل الخريف والشتاء. توجد بكثرة في سبخة بوعرگ وفم ملوية وعلى طول الساحل الأطلسي (سوس ـ مولاي بوسلهام ـ الوليدية ـ سيدي موسى) وعددها أقل بكثير من سابقتها.

صيد هذين النوعين مقنّن.

M. Thevenot (et al.), *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, *Doc. Inst. Sci.*, N° 6, 1981.

محمد رمضاني

بُوكَا گْراندي، Boca Grande أي "الفم الكبير" اسم أطلقه الإسبان على فم الشبكة، وهو مصب وادي الشبيكة، أي النهر ذي الفم الكبير، لأن عرض مصبه يبلغ كيلومترين، ولاشك أنه كان يوجد بهذا المكان البرج الذي بناه الإسبان سنة 880/1476 وأطلقوا عليه اسم سانطا كروث ذي مار بِّيكينيا Santa Cruz de Mar Pequeña (الصليب المقدس للبحر الصغير) وقد احتفظوا به إلى سنة 930/1524 حيث طُردوا منه، ثم طالبوا به على إثر الحرب المغربية الإسبانية سنة 1276/1860 وافقهم السلطان سيدي محمد بن عبدالرحمان على ذلك بمقتضى الفصل الثامن من معاهدة الصلح المبرمة بتطوان يوم 26 أبريل 1890، غير أنهم لم يتمكنوا من الحصول عليه إلا سنة 1934.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، 1 : 42.

محمد ابن عزوز حكيم

بوگافر، (جبل ومعركة) يطلق جبل بوگافر على القسم الأعلى من صَغْرُو الذي هو امتداد طبيعي لبنية الأطلس الصغير وباني نحو الشمال الشرقي، ويفصله عنهما انكسار وادي درعة في المنطقة الوسطى بين أگدز وورزازات (المدينة). وهو لفظ مركب يعني "صاحب الأحراش".

جبل بوگافر متوسط الارتفاع، تبلغ أعلى قممه (أمالو نو منصور) 2712 متراً. وهذا المرتفع ينتمي إلى الزمن الجيولوجي الأول. أما صخوره فهي من التكوينات الاندفاعية المتحولة Irruptives métamorphiques. وقد أطلق على هذا المجال تمييزاً له عن المجالات الجرداء المحيطة به فهو بمثابة أگدال، أي المراعي الصيفية بالنسبة لأيت عطا الجنوبيين (ايلمشان وأيت بويكنيفن وأيت خبّاش). وصغرو جبل يسوده المناخ الشبه الجاف، وتسقط به الثلوج، أحياناً، في فصل الشتاء. ولا يزال الرعي هو النشاط الاقتصادي السائد ولا تقوم به الزراعة إلا قليلا (المازوزي).

ينتمي بوگافر إدارياً إلى جماعة ايكنوون التي بلغ عدد سكانها سنة 1982 : 15.356 نسمة.

خريطة المغرب العامة : خريطة كثافة السكان، 1984 ؛ *رواية شفوية*.

Géographie du Maroc, Paris, 1968.

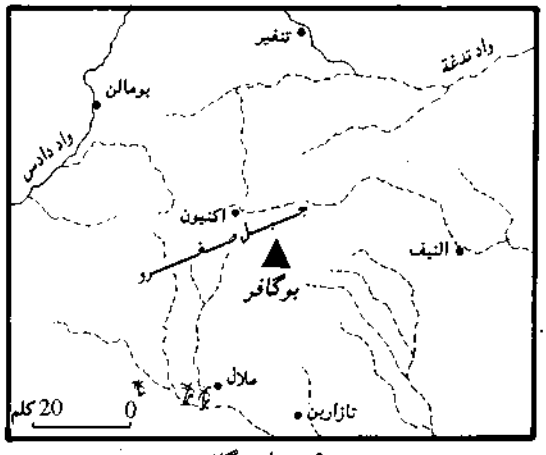

موقع جبل بوگافر

** اشتهر جبل بوگافر بمعركة تحمل اسمه، وذلك أنه بعد احتلال إقليم تافيلالت والمناطق المجاورة له (بوذنيب وتُدغة...) ووصول الجيوش الفرنسية إلى مناطق درعة ودادس (1923 ـ 1929) عبر ورزازات، ودخول كل قبائل المنطقة تحت سيطرة الأگلاويين والإدارة الفرنسية المباشرة، بقي جبل صَغْرو وحده خارج إطار السيادتين (باسم السلطان)، وشكّل بذلك خطراً على طرق المواصلات (تافيلالت ـ مراكش. ودمنات ـ درعة)، ومجالا واسعاً يلوذ به كل الأشخاص والجماعات التي لا تريد الدخول ضمن السيادة الجديدة. ذلك لأن القبيلة التي تسكنه لها امتداد مجالي نحو الشرق يصل إلى الحدود الجزائرية (تهديد إنجاز مشروع الخط الحديدي عبر الصحراء). وكون جبل صغرو (موطن أيت عطا) لم يحتل بعدُ جعل القبائل التي احتُلّت أراضيها حديثاً تطمح في القيام بكل عمل من شأنه أن يبعد التهامي الأگلاوي والقوات الفرنسية عن مجالاتها.

وأصبح جبل صغرو موقعاً استراتيجياً من الناحية العسكرية أكثر من الناحية الاقتصادية.

عندما وصلت القوات الفرنسية، وفرسان التهامي الأگلاوي إلى واد دادس ودرعة وتُدغة (1929 ـ 1932) طبقوا الحصار الاقتصادي على إلْمشان وأيت خباش ومنعوهم من الوصول إلى الأسواق المجاورة حيث يتبادلون ويبيعون سلعهم من الأنعام والأصواف مقابل الحبوب والمواد الضرورية لهم. (بومالن، تينغير، تازارين).

كان الهدف من ذلك استخدام الضغط الاقتصادي وإضعاف قوات ومعنويات قبائل صَغْرو بغية الوصول إلى استسلامها دون مقاومة (خريف 1932). وكانت نتائج هذا الحصار وخيمة وبليغة لكون جبل صغرو لا ينتج الكميات الضرورية لعيش سكانه من المواد الأساسية (الحبوب). ولما علم الجنرال هوري Huré بوقع سياسة الحصار الاقتصادي ضد إلْمشان (مفرده إلْمش) وتعني الخيمة المنسوجة من شعر الماعز أو الصوف الأسود ـ وقد تكون لها علاقة بالتصنيف الخلدوني لصناعة التي ينتمي إليها أيت عطا (أهل الوبر)ـ أرسل إلى شيخ إلْمشان عسُّو بَسْلام رسالة يحثه فيها على أن يعلن استسلام قبيلته دون مقاومة ودخولها تحت طاعة المخزن دون شروط. لكن زعيم أيت عطا أجاب حامل الرسالة بقوله "على الذي كتب هذا أن يأتي ليأخذ الجواب".

ورغم كل الاستعدادات العسكرية من الجهة الفرنسية وضخامة جيوشها التي بلغت أكثر من ثمانين ألف مقاتل مجهزين بأحدث الأسلحة ومعززين بالطيران الحربي ومؤطرين من طرف أشهر الجنرالات المعروفين آنذاك بتجربتهم الحربية سواء في أوربا أو في المستعمرات مثل كاترو وجيرو وهوري والعقيد بورنازيل إضافة إلى فرسان ومقاتلي التهامي الأگلاوي والقبائل الخاضعة له، فإن أيت عطا رفضوا الخضوع والاستسلام في وقت لم يتجاوز عدد مقاتليهم اثني عشر ألفاً بين فارس (وهم قلة) وراجل. كما أن القبائل العطاوية المجاورة لهم دخلت نهائيا في إطار السلطة الجديدة وتخلت عن تحالفاتها الدموية والمصلحية (طاضا) مما جعل من صغرو في خريف سنة 1932 وشتاء سنة 1933 شبه جزيرة وسط محيط معاد. ولن ينفع أهلها إلاّ معرفتهم بأساليب حرب العصابات وراء الخطوط الأمامية للعدو. كما أن معرفتهم الدقيقة بالمجال الطبيعي ساهمت في التشبث بروح المقاومة والجهاد دفاعاً عن مجالهم القبلي والحضاري. وقد كان بذلك سكان صغرو آخر من دافع بالسلاح ضد كل سلطة غير شرعية ودخيلة رغم الظروف الغير المواتية. (انظر بَسْلام).

رواية شفوية، عن بعض المسنين والمشاركين في هذه المعركة.

A. Guillaume, *Les Berbères* ; C. Spillmann, *Les Aït Atta* ; J. D'Esme, *Bournazel* ; A. Huré, *La pacification du Maroc : dernière étape, 1931 - 1934* ; D. Hart, *Assu ù Bâ Slam, Les Africains*, T. V.

محمد أوجامع

البوگافري، هناك بوگافريون متعددون برزوا على الساحة السياسية في الشمال أيام الحسن الأول، ولعبوا أدوارا مهمة كقواد وأمناء، وتميز بعضهم بالاخلاص في تطبيق سياسة المخزن القاضية بالسهر على الحدود وخاصة مليلة، ومحاربة تهريب الماشية إلى الجزائر المحتلة. ومعلوم أن بني بوگافر تعد جزءا من قلعية الكبرى الموزعة من الوجهة الادارية إلى خمسة أقسام، كل واحد يدعى الخُمُس، وهو بمثابة قبيلة، فهناك خمس بني شكر، قائده في هذه الفترة محمد بن الهادي الشكري، وخمس مزوجة قائده لحسن بن محمد المزوجي، وخمس الگعدة يديره حَمُّ بن محمد بن الحسين الفَكْلاني، ثم الخضر بن محمد من بعده، وعلى خمس بني بويفْرور القائد حميدة بن شلال.

وتعد مساحة أرض بني بوگافر أصغر مساحات باقي الأخماس، وهي ممتدة بين أراضي بني شكر، مما يلي الشرق، نقطة اللقاء بين الحدين مدينة غساسة الأثرية ومصب واد كرط من جهة الغرب. أغلب أراضيهامن تلك الجهة تمثلها هضبة سوق الثلاثاء، وامتداد كثبان سمّار الساحلية. وتشرف على أراضي بني بوگافر الداخلية الممتدة على طول منخفض يجري فيه واد بُوحَوا (بوحمزة الحالي)، فرقة جواوة التي يحكمها القائد المختار ألغم، وذلك من جهة الجنوب الشرقي، كما تُطل عليها قرية أغيل أمَطْغَر (مطغرة) من فرقة بني فَكْلان الداخلة ضمن خمس الگعدة.

كان خمس بني بوگافر مؤلفا من ثلاث فرق، مثلما هو اليوم، نوردها بالتقديرات السكانية التي صرح بها أمينها محمد بن الحاج محمد العادگ، آتي الترجمة :

- إحْبْصاتْن : عدد سكانها 600 نسمة
- إمهيّاتْن : " " 400 نسمة
- بُوحـوا : " " 100 نسمة

ولا شك أن المداشر الحالية المكوِّنة لكل فرقة من الفرق الثلاث هي نفسها التي كانت موجودة آنذاك، بناء على ما بينته المراجع الإسبانية العائدة إلى بداية القرن الحالي. وبهذا يمكن لنا تفسير فرقة إحْبْصاتن على رأس الفرق من حيث عدد السكان إذ أنها تألفت من ستة مداشر (إعزّانن، أولاد عـمـر أحَبْص، إفـران وَرُويْ، إشـمْلالْن، تَغْدمـيّة، سمّار)، بينما تشكلت فرقة إمهيّاتن (مهاية) من خمسة مداشر (بوحمزة، يَفَسُّور، إعْزْراتْن، إحْنانْن، بَجُّوا) فبعدد سكانها البالغ أربعمائة ساكن احتلت المرتبة الثانية. أما فرقة بوحوا فهي أصغرها آنذاك وإلى اليوم، لأنها مكونة من ثلاثة مداشر فقط. (زرُّورَة، أولاد أحَمُّو، تمزْرينْت).

وسنلخص تاريخ هذه المنطقة على عهد الحسن الأول من خلال تراجم خمسة من القواد والأمناء البوگافريين.

البوگافري، عمر بن **محمد** العادگ، تولى منصب أمين خمس بني بوگافر مكان والده. المتوفى في 5 ذي القعدة عام 26/1304 يوليوز 1887 وذلك بواسطة أمين مزوجة الفقير ميمون بن المختار الفرخاني.

عمل عمر بن محمد العادگ إلى جانب القائد عمر بن

موسى البوگافري منذ البداية إلى أن انتهى عمله بانتهاء مهمة القائد المذكور بعد شوال 1306/يونيه 1889. والظاهر أن العلاقات بين القائد والأمين البوگافريين كانت هادئة، على خلاف ما لوحظ من عادة توتر العلاقات بين العمال والأمناء. ويبدو انسجام تلك العلاقة حينما رفضت قرية إعزّانَن، التابعة لفرقة إحَبْصاتَن أداء ما وجب عليها من التكاليف المخزنية، بحجة المساواة بين الفقراء والأغنياء في المقادير المطلوبة. فلم تبد منه أي معارضة في الوقت الذي طلب فيه عمر بن موسى المدد العسكري من قائد إدالة قلعية آنذاك مبارك بن الطاهر الرحماني (25 ربيع الثاني عام 1306) للزحف نحو القرية.

وشهد عمر بن محمد العادگ إلى جانب قائد بني بوگافر دخول القبيلة في سلسلة من الاضطرابات ضد حاكمها وقائد إدالة قلعية، حينما رفضت الفرق الثلاث تقديم نصيبها الواجب عليها من رجالها ضمن المساهمة المطلوبة من قلعية في حركة الحسن الأول إلى الغرب، مثلما هو مبين في ترجمة البوگافري عمر بن موسى. وكان رفض بني بوگافر لتلك المساهمة، واعتذار الأمين عمر بن محمد العادگ عن التوجه إلى الغرب من أسباب عزله، وتولية أخيه محمد مكانه. وذلك بعد شوال عام 1306 / 1688.

وثائق خ. ح ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية : 99.

البوگافري، عمر بن موسى، قائد بني بوگافر، ومنافس محمد بن العربي البوگافري، أثناء نزاع هذا الأخير مع الأمين محمد العادگ البوگافري، حسبما هو آت في ترجمة كل منهما. يظهر أنه استغل ذلك النزاع ليقدم على محاولة شخصية للتوصل إلى غرضه، بناء على ما أخبر به مبارك بن علي الدّويلالي، رئيس إدالة قلعية منذ بداية عام 1883/1301. إذ أنه أخبر في 23 رمضان من نفس السنة بتردد الرجل عليه، طالباً سعيه لتوليته على بني بوگافر، وعلى استعداده لتقديم قدر من المال هدية.

وسرعان ما نقلت تلك الرغبة إلى الحسن الأول. وعلم بها محمد الأمراني، قائد الحركة الموجهة إلى قلعية بمجرد حلوله بقصبة سلوان يوم 28 رمضان من نفس السنة. وهذا هو ما يفسر سبق محمد الأمراني إلي اقتراح عمر بن موسى على الوفد البوگافري، المكون من الأمين محمد العادگ ومن معه من الأعيان والأشياخ، حين جاء إلى لقائه بمخيم الگعدة، طالبا إبعاد محمد بن العربي.

تبين لمحمد الأمراني مما شرحه الوفد أن طلب العزل صادر فقط من ثلثي بني بوگافر، أي من فرقتي بوحَوّا وإمْهياتن. أما الثلث الباقي المتمثل في فرقة إحَبْصاتَن فقد فضل الاستمرار مع قائد بني بوگافر السابق. وبتلك البيانات كتب محمد الأمراني إلى السلطان، مما ترتب عنه تعيين عمر بن موسى على الفرقتين الموالييتن للأمين العادگ. وقد تأكد تعيينه بصدور ظهير 16 شوال عام 1301.

يظهر أن أحوال بني بوگافر الناتجة عن التقسيم لم يكتب لها الاستقرار. سواء لمصالح هذا الطرف أو ذاك، إذ أن النزاعات عادت إلى تعكير أجوائها، بالاقتتال الذي جرى بين أنصار عمر بن موسى والأمين محمد العادگ من جهة (بوحوّا وإمْهياتن) وأتباع محمد بن العربي (إحَبْصاتن) من جهة ثانية.

وعلمنا من جهة أخرى بامتناع خمس بني بوگافر عن أداء ما بذمتهم من الواجبات المخزنية (4 جمادى الأولى 1303)، مما دفع عمر بن موسى إلى طلب المدد العسكري من قائد إدالة جنادة فرخانة مبارك بن علي الدويلالي. وسرعان ما زحف هذا الأخير بعسكر وقوات قواد قلعية جميعهم لإعادة المتمردين إلى الجادة والصواب.

وتأزمت وضعية عمر بن موسى بمجرد رفض خمس بني بوگافر المساهمة برجاله المحاربين في الحركة التي طلبها السلطان من قلعية، أثناء اعتزامه التوجه نحو الغرب. وبلغ النصيب المطلوب من قلعية آنذاك 1.300 محارب. فإذا كان التقسيم متساوياً على الأقسام الخمسة يكون نصيب بني بوگافر 260 محارباً. وكان على القائد عمر أن يقدم 174 منهم، وقد جعل ذلك الرفض كلا من القائد وأمينه عمر بن الحاج محمد العادگ خلف والده يعتذران للسلطان عن اللحاق بباقي عمال قلعية المشاركين في الحركة (7 شوال 1306).

وفي غالب الاعتقاد أن السلطان لم يغفر لبني بوگافر وقائدها مثل ذلك التأخير عن تلبية دعوته، ففرض على الخمس ذعيرة قوية، ثم عزل عمر بن موسى، ليلحق الخمس بإيالة حمان السعيدي، كبير المحلة المخزنية، الوارد على قلعية يوم 4 رمضان 24/1307 أبريل 1890.

وثائق خ. ح ؛ كنانيش خ. ح ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، 92.

البوگافري، محمد العادگ، من فرقة بُوحوّا أول من نعرف من أمناء مخزن الحسن الأول بخمس بني بوگافر. أبرزت ذلك مراسلة مؤرخة في 26 جمادى الثانية عام 4/1300 ماي 1883 متعلقة بإجماع أمناء قلعية الخمس على اتهام عمال القبيلة بتهريب الماشية والأبقار خاصة إلى الجزائر المحتلة. لذلك نرى أن انخراطه في السلك المخزني كان قبل ذلك دون تحديد. وسيستمر في نفس المهمة مع القائد محمد بن العربي البوگافري إلى أن يتم عزل هذا الأخير عن فرقتي بوحوّا وإمهياتن فيتابع هو عمله مع قائد الفرقتين الجديد الحاج عمر بن موسى البوگافري السابق الذكر إلى حين وفاته يوم 5 ذي القعدة 25/1304 يوليوز 1887.

لم يكن محمد العادگ من هواة المراسلة المخزنية، وأغلب الأخبار عنه جاءتنا من المشاركة في مراسلات أمناء قلعية إلى الحسن الأول. وهذا يعود بالطبع إلى الحجم الصغير الذي كانت تمثله مشاكل بني بوگافر، وارتباط تلك المشاكل بالجاري آنذاك بالقبيلة.

ولما كانت العلاقات بين العمال والأمناء على غير مايرام دائما، نتيجة التنازع على الاختصاصات المالية، وكون كل طرف كان عينا على الطرف الآخر، فان تضامن محمد العادگ مع باقي الأمناء بارز من خلال المراسلات، وأول ما نعرف مما شغل باله، مسألة تفاحش تهريب الماشية خاصة الأبقار إلى الجزائر المحتلة، وهو موضوع سيحرك الحسن الأول إلى البحث فيه وتوبيخ العمال وكبير المحلة بقلعية آنذاك الطالب حميدة الشرگي على تساهله وغفلته بحثاعن إيقاف هذا الخطر وسد ثغراته.

وحسب رسالة مؤرخة في 26 جمادى الثانية عام 1300، فإن تهريب الأبقار كان قد بدأ قبل هذا الوقت، ولكن قائد كبدانة المشهور عمر هرفوف توصل إلى الحد منه، إذ أن أراضي قبيلته كانت ممر الماشية إلى الحدود الجزائرية الساحلية المجاورة لها. و بوفاة عمر هرفوف تفاحشت المسألة على يد عمداء العمال، "حتى لم تبق ماشية في قلعية ولا بناحية الريف والغرب" حسبما جاء في المراسلة.

لم تكن مهام الأمناء بقلعية مقتصرة فقط على ما وكل إليهم النظر فيه من الشؤون المالية وما اتصل بذلك من استقامة أمور القبيلة، بل إن المخزن حرص دائما على إشراكهم فيما يقوم من مشاكل الحدود مع مليلة المحتلة. وهذا هو ما استدعى انتداب محمد العادگ للمساهمة في حل ما ترتب عن حوادث كان من ورائها رجال من مزوجة وبني شكر. وأولى المراسلات التي دعته إلي المشاركة تحمل تاريخ 26 رجب 2/1300 يونيه 1883 قصد الفصل في دعاوي الحدود المسجلة آنذاك.

وأهم ما يميز فترة تولية الأمين محمد العادگ، فيما يخص علاقته بقائد خمس بني گافر محمد بن العربي، هو وقوفه الصارم ضد المس برجاله، مهما كانت الأسباب، مما سبق تفصيله في ترجمة القائد المذكور. ونضيف إلى ذلك أن محمد العادگ تمكن من جمع أنصار عديدين من البوگافريين كانوا أغلب سكان الخمس، سيما من فرقة بوحوا وإمهياتن. وتبين في الأخير أن الأغلبية الساحقة كانت في صف المعارضة معه. وبفضل ذلك تمكن من انتزاع الفرقتين السابقتين من نفوذ محمد بن العربي وجعلهما في يد القائد عمر بن موسى البوگافري ابتداء من 16 شوال عام 1300. وكان محمد العادگ وراء القبض على عامل بني بوگافر بمساعدة ولديه عمر ومحمد. وهذان توليا الأمانة بعد وفاته يوم 5 قعدة 1304.

وثائق خ. ح ؛ كنانيش خ. ح 12/351 ؛ 27/352 ؛ 25/353. 28. 135. 162 ؛ 96/348. 120 ؛ *وثائق خاصة*، الطويلي ؛ *ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية* : 99.

البوگافري، محمد بن العربي، من مدشر بُوحوا أيضاً، أولُ من نعرف من قواد خمس بني بوگافر في ظل النظام الإداري التعددي، المطبق داخل القبيلة الواحدة. وأغلبُ الاعتقاد أن محمد بن العربي من القواد الأوائل، إن لم يكن أولهم، الذين خلفوا القائد المختار أَلْغَم الجواوي على بني بوگافر، قائد قبيلة قلعية كلها منذ عام 1874/1291، إذ أننا وجدناه يمارس مهامه في 9 شوال 4/1298 شتنبر 1881، بمناسبة الدعوة السلطانية الموجهة إليه وإلى جاره المختار أَلْغَم قصد إصلاح ذات البين بين جماعات بني سعيد المتنازعة : جماعتا محمد أُقْشيش السعيدي والمرابط محمد أَحَضْري، ضد جماعة الأمين الحاج بوزيان السعيدي.

حكم القائد محمد بن العربي البوگافري خلال الفترة الممتدة ما قبل شوال 1298 ـ وما بعد رجب 1330. وبتقييم هذه الفترة نشير إلى العناصر التالية :

مشكل الحدود مع مليلة : من المعلوم أن الإسبان المحتلين للمدينة منذ عام 1497/903 حققوا آخر توسع للحدود المرتبطة بأرض قبيلة بني شكر ومزوجة وعلى حسابهما سنة 1859/1276، بناءً على الاتفاق الذي أبرموه مع السلطان محمد بن عبدالرحمن في بداية حكمه. وبلغت تلك الحدود إلى الوضع الذي لا تزال عليه اليوم. ونشير بالذات مما يهمنا إلى نقطة الحدود بفرخانة، في جانبها الغربي. فهي تقف عند مبنى قبة سيدي ورياش لتحوگ اتجاهها نحو الشمال مخترقة خانق واد المدور، ومدشر إحَجيوْن (حجُّيوة أيضا) وهذه النقطة هي الممر المتصل بمليلَة، وهو نفسه المتجه إلى بني بوگافر، عبر وادي المدور وهضبة أَهَيْدُوم ووادي حلْويَة وغساسة (إغْساسن).

وعلى الرغم من بعد بني بوگافر النسبي عن نقطة حدود فرخانة، فإن العلاقات التجارية وما كان لبعض البوگافريين من أراض فلاحية بها، علاوة على وجود قيادة عسكرية بها متمركزة في قصبة جنادة، جعل محمد بن العربي البوگافري غير بعيد عن جميع المشاكل التي ما فتئت تلك الحدود تثيرها في وجه القلعيين.

ومن أكثر مشاكل الحدود أهمية بالنسبة لبني بوگافر على عهد القائد محمد بن العربي ما رددته رسائل متبادلة بين حاكم مليلة والنائب السلطاني محمد برگاش، وبين هذا الأخير والحسن الأول ومراسلات كبير المحلة بقلعية، سواء الصادرة عنه أو الواصلة إليه وإلى عمال قلعية وأمنائها. بدأ المشكل بفرار أحد مساجين مليلة الإسبان إلى محمد بن العربي، وحينما امتنع قائد بني بوگافر عن رده، عمد حاكم مليلة إلى القبض على البوگافريين الداخلين إلى مليلة، ومن جملتهم أخو القائد. وكان هذا كافيا لإثارة محمد بن العربي ودفعه إلى إعلان الجهاد ضد الإسبان في سوق ثلاثاء بني بوگافر متوعدا كل من رد مسجونا، أو صادف نصرانيا بالحدود ولم يقتله، بالقتل ومصادرة أمواله.

وإذا كان السلطان قد تمكن من كبح جماح البوگافري، نتيجة إلحاحه على قائد إدالة الحدود وكبير المحلة بها آنذاك الطالب حميدة الشرگي، فإن عدم العثور على الإسباني الفار ظل معلقا ما بين محرم ورجب 1300/نونبر 1882 ـ ماي 1883 بعد أن أكد قائد بني بوگافر على فراره مرة إلى ناحية

سوس وأخرى إلى فاس. ولم يُنس المسألة سوى تفاقم مشكل حوادث الحدود على يد بني شكر ومزوجة هذه المرة. مما سياتي في مكانه.

- متروك محمد أُحَمُّ الفكلاني : جرت عادة المخزن محاسبة العمال والأمناء المتوفين منهم أو المعزولين عن السلطة على أملاكهم التي اكتسبوها خلال مدة حكمهم. ونجد المثال مما يهم الموضوع فيما تركه أمين قلعية محمد بن حمّ الفكّلاني. فحينما عزل قبل 5 شوال 1299/1881 بعث السلطان كبيرمحلته الطالب حميدة الشجعي، لبيع ما تم جمعه من أملاكه والبحث عن الباقي وجمعه و إحصاء ما كان بذمته من دين.

- خلاف محمد بن العربي مع أمين بني بوگافر الحاج محمد العادگ البوگافري حسبما رددته رسالة 26 رجب 1300/2 يونيه 1883 من احتفاظ القائد بستمائة ريال المدفوعة إليه من طرف القبيلة، مما كان عليها من دين محمد أحمّ الفكلاني. وإثر رجوعه من زيارة السلطان بفاس، تلقى في 13 رمضان عام 1300 / 19 يوليوز 1883 رسالة سلطانية متضمنة لشكوى بني سعيد باسم قائدها محمد أقشيش السعيدي من اعتراض البوگافريين طريق تجار بني سعيد، ونهب مال قاضيها أحمد زرّو الزّيزاوي. وكان المراد بذلك الإشارة إلى الملتفين حول الأمين محمد العادگ، بدليل معارضته لكل محاولة للمس بهم. واشتد النزاع حينماوفق القائد للقبض على بعضهم. وتحيّن الأمين فرصة انعقاد سوق الثلاثاء الأسبوعي فأوعز إلى رجاله بالقبض على أتباع محمد بن العربي، مما أدى إلى القتال و"كسر السوق" كما يقال.

ويظهر أن قضاة قلعية وأمناءها، وعلى رأسهم الأمين ميمون بن المختار المزوجي، بمرافقة أعيان قلعية، توجهوا ثانية إلى بني بوگافر، وتوصلوا إلى تحديد شروط الصلح وتهدئة الوضع، إلا أن الهدنة لم تكتمل بسبب ترصد محمد ابن العربي لرجال الأمين والقبض عليهم، وبذلك تجددت الفتنة، وتقدمت جماعة من المناهضين لقائد بني بوگافر واعتصمت بضريح الولي سيدي ورياش المقابل لجنادة فرخانة، مصممة العزم على تلبية رغبة القبيلة بعزل محمد ابن العربي وتولية المختار ألغم، قائد فرقة جواوة المجاورة لها، وعلى استعداد لتقديم ألف ريال لقاء ذلك. وبيدهم إشهاد القبيلة تزكية لتلك الرغبة. كان ذلك في 2 رجب 28/1301 أبريل 1884.

ولم يحسم النزاع بين الطرفين حتى بعد أن قبض بنو بوگافر على محمد بن العربي ومن كان معه في شوال عام 1302/يوليوز - غشت 1885. إذ نجد في رسالة سلطانية موجهة إليه بتاريخ 22 رجب 26/1303 أبريل 1886 فيها تنبيه وإلحاح لمضاعفة الحراسة على مرسى سيدي مسعود الغساسي، ومنع ما كان يصل إليه من تجارة التهريب.

وثائق قسم المخطوطات بتطوان ؛ *وثائق خ. ح* ؛ *كنانيش خ. ح*. 12/353 ؛ 201/153 ؛ 212/351 ؛ 109.96.78/348 ؛ *وثائق خاصة*.

الهادين ؛ الطويلي : *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 99.

M. Nehlil, *Lettres Chérifiennes*, N° LXIII, Paris, 1915.

البوگافري، محمد بن محمد العادگ، أمين بني بوگافر بعد أخيه عمر، لم يظهر في الوثائق المخزنية إلا في 7 ربيع الثاني عام 1/1307 دجنبر 1889 بمناسبة توقيعه للمراسلة المشتركة الصادرة عن أمناء قبيلة قلعية الذين كانوا في رفقة والده، باستثناء الأمين الحاج محمد المحرق البويفروري المتوفى قبل تلك السنة. وتنص المراسلة على تقييد الأمناء ما كان بذمة قائد إدالة قلعية مبارك بن الطاهر الرحماني من نتاج الأرض المخزنية المحروثة ببلاد قصبة سلوان.

ويمكن متابعة أخبار محمد بن محمد العادگ منذ تلك السنة إلى غاية سنة 1901/1319 ليتضح لنا أن المهام التي شارك فيها أمناء وقته لم تختلف عما سردناه عن والده، لتشابه مشاكل ذلك العصر واستمراريتها. ومن أجلّ تلك المهمات ما انتدب إليه للمشاركة في حلّ معضلة الحدود مع مليلة.

لم يكن مشكل إرساء الحدود مع المدينة المحتلة قد انتهى، بما كان يتطلبه من وضع العلامات، بدءاً من نقطة الحدود الحالية ببني انصار، المعروفة آنذاك بدرع الزيات، ومرورا بجوار قبة سيدي ورياش بفرخانة، لتتجه نحو برج تفرّست بجوار الساحل من أرض بني شكر. ففي رمضان عام 1308/أبريل - ماي 1891، كان رسم تلك الحدود في مرحلته الأخيرة. وفي ذي القعدة من تلك السنة اكتشف أهل قلعية محاولة غش الإسبان في الرسم، فكانت المناسبة التي طالب فيها السلطان نائبه بطنجة محمد برگاش بإخبار القنصل الإسباني بذلك. وحينما استدعى السلطان للبحث والمعاينة عمال قلعية وأمناءها وقضاتها وأشياخها، إلى جانب بعض عمال الريف وقضاته، تبين أن حاكم مليلة اختلس من تلك الحدود ما مقداره مائتي متر. وهذا ما أوضحه الأمناء في مراسلاتهم إلى الحسن الأول.

ومما وفق فيه محمد بن محمد العادگ، دون غيره ما حققه لفرقته بني بوحوا من رفع حيف سوء توزيع الواجبات المخزنية المفروضة على فرق بني بوگافر الثلاث. ومعلوم أن فرقة بني بوحوا هي أصغرها. إذ كان عدد رجالها آنذاك مائة نسمة، بالمقارنة مع فرقتي إحَبْصاتَن (600 ن) وإمهياتن (400 ن). وكانت العادة قبل ذلك توزيع المفروض من تلك الواجبات بالتساوي على الفرق الثلاث، وعلى من كان بها من الأغنياء والفقراء على السواء.

ففي 14 شعبان عام 14/1309 مارس 1892 كاتب السلطان في هذا الشأن مقترحا توزيع الكلف على عدد الرؤوس. ووصل الجواب السلطاني إلى عامل بني بوگافر بإجراء الواجبات على مقتضى طلب الأمين.

ثم اختفت عنا أخبار محمد بن محمد العادگ منذ عام 1891/1309.

وثائق خ. ح ؛ *كنانيش خ. ح*، 657 / 109 . 110 ؛ 1/409.

حسن الفگيگي

بوكبّة (الفقيه ـ) ← **البرنوصي أحمد بن محمد**

بوگدرة، (سيدي ـ) أحمد بن مبارك العامري، من الأولياء الصالحين بعبدة (إقليم أسفي)، دفين الجماعة القروية التي تحمل اسمه : ثلاثاء سيدي بوگدرة. ذكره الفقيه محمد الكانوني في *جواهر الكمال* وقال عنه : "الشيخ المربي المرشد الداعي إلى الله ... من أهل صدر القرن الحادي عشر الهجري...".

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، 42.

عبدالرحيم العطاوي

بوگدرة (سيدي ـ)، جماعة قروية ← **أسفي** (إقليم ـ)

بُوكْر، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة الحوز المجاورة لتطوان، وكان من بين أفرادها :

بُوكْر، أحمد بن عبدالصمد الذي توفي بتطوان سنة 1838/1254.

بُوكْر، محمد الفقيه العدل الذي كان حيا سنة 1215/ 1800.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوكْراعْ، أسرة باعمرانية تدعي أنها من أولاد بوعشرة الصحراويين، ويذكر البعض بأنهم من آل بوعيطة. وكان جدهم محمد الملقب بوكراع معدوداً من قبيلة أيت عبلاً الباعمرانية.

بُوكْراعْ، الحسين (الحاج ـ) بن محمد بن أحمد، ابن محمد الملقب بُوكْرَاع، كان بُهْتَةً من البُهَم بين فرسان القبيلة لا يُصطلى له بنار، وكان رجلا شهماً شجاعاً لا يهاب الموت، لذلك عُدَّ من مائة شجاع الباعمرانيين الذين استشهدوا في معركة تيزي ضد حملة الجنرال دولاموط سنة 1917 م.

بوكراع، بن **عبيد** بن **إبراهيم** السباعي، صالح شهير بالساقية الحمراء ينتهي نسبه إلى سيدي عمرو ولد سيدي عامر الهامل جد السباعيين، وينتمي إلى العبيدات، إحدى فرق أولاد إبراهيم التابعة لفخذ سيدي عمرو، شأنه في ذلك شأن الولي سيدي المختار دفين تاغسريت بقبيلة أولاد بوالسباع في الحوز، وصار هذا الاسم يطلق على المنطقة التي يوجد بها ضريحه والتي يستخرج منها حالياً الفوسفاط في الصحراء المغربية.

م. ح. كفناني، *قبيلة أولاد أبي السباع في ق 19*، د. د. ع. الرباط، 1988 ؛ *رواية شفوية* عن السيد الباقر مولاي علي السباعي أحد المهتمين والعارفين بأنساب السباعيين (سوق الزربية بمراكش).

م. حسن كفناني

بُوكْراعْ، عُبيد (الحاج ـ) **الخلفي**. رجل حرب وصراع، فهو إما طاردٌ أو مُطارَدٌ، إلى أن قتل في إحدى المعارك سنة 76/1190 ـ 1777. وانتهب متاعه، ولم ينج إلا ابناه بوكْراع الحاج الحسين وبُوكْراع الحاج محمد، فنزلا على قبيلة إيمْسْتِيتْنْ في أمْزْدُوغْ وسط مدينة سيدي إفني حالياً، فكان الرايسْ محمد الراسلوادي الخلفي هو الذي آواهما وزوّج الحاج الحسين ابنته سنة 1191 هـ وهناك بدأت عائلة بوكراع تنمو ماديا وبشرياً، فأخذت تشتري العقارات وتتوسع، عن طريق المصاهرة والإرث، ومن هذه العائلة المقاوم الحاج مبارك بن محمد بن الحسين الخلفي الذي غير لقب بوكراع حالياً بالباعمراني، وقد ساهم في جيش التحرير، وشارك مشاركة فعالة ومحمودة في حرب تحرير أيت باعمران، تقبل الله منه.

ح. جهادي الباعمراني، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

بوكراع، محمد بن الحاج الحسين، أخذ عن أبيه وعن غيره القرآن الكريم ثم أخذ الأمهات العربية عن الفقيه المؤرخ الأگراري، واستكمل تعليمه في مدرسة إلغ وخاصة على يد بلقاسم التجرمونتي ثم نال إجازة من الأستاذ علي الإلغي عند تخرجه من مدرسة إلغ سنة 1327 / 1909، ووصفه صاحب *المعسول* بأنه كان ذا همة كبرى في الميدان الأدبي، ووصفه غيره بالتقعر في شعره واستعمال الغريب في اللغة، وهو كذلك في الشعر والنثر معاً، كان يشارك العلماء في مثافنة المعاني والأدباء في المناضلة بالقوافي.... وقد أورد له صاحب *المعسول* (10 : 213) ما يدل على أنه أديب، وفضّله عبدالرحمان البوزاكرني على كثير من أقرانه، وعطف عليه القاضي سيدي محمد أُبلوش بمثل ذلك من الثناء، ولم يبق من أدبه إلا ما حُفظ ضمن المراسلات، وتوفي في نواحي الحوز غريباً، فاراً من قبيلته التي كانت مرتعا للحروب والفتن لمدة سبع وعشرين سنة.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 9 ص 14 + 17، ، ج 10 ص 213.

الحسين جهادي

بُوكراع، منجم الفوسفاط بالصحراء، يقع على بعد مائة كلم جنوب شرقي مدينة العيون، وهو من أكبر مناجم

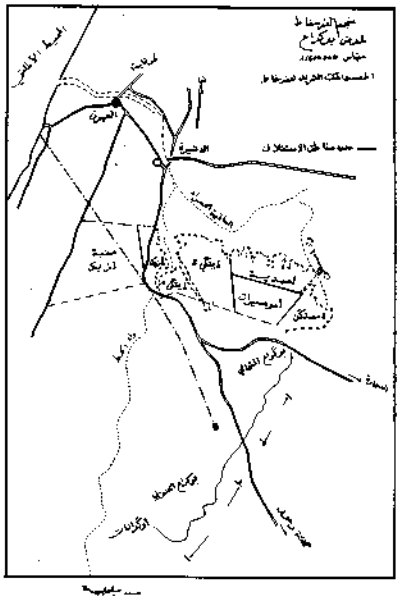

الفوسفاط في العالم، حيث تقدّر مدخراته بمائة مليار من أطنان الفوسفاط ذي نسبة 32٪. طوله 75 كلم وعرضه من كيلوميتر واحد إلى خمسة عشر كيلومترا، ومساحته الإجمالية 250 كيلومتر مربع.

اكتشف هذا المنجم سنة 1947 ولم يشرع في استغلاله إلا سنة 1969، ولإيصال الفوسفاط إلى الشاطئ الذي يوجد على بعد 18 كلم من العيون يستعمل بساط متحرك طوله مائة كلم يحمل ألفي طن في الساعة.

Direction General de Marruecos y Colonias, *Informe reservado sobre los fosfatos de Bukraa en el Sahara Espanol*, Madrid, Diciembre de 1970 ; Gaudio, *Sahara Espagnol : Fin d'un mythe colonial*, Rabat, 1973, p. 34.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوكراع، نوع من السفن الشراعية الصغيرة من فصيلة الشواني galères يسمى بالفرنسية Chebec وبالإيطالية Sciabecco كانت تستعمل بالأساس كمركب صيد بالبحر المتوسط، ثم حولت إلى سفينة حربية متميزة بجؤجؤ مختوم بجبهة عريضة حادة يتقدمها قضيب متجه نحو الأمام على هيأة سمك السيف، مع كوثل بارز بارتفاعه، كما كانت تضم ثلاثة صواري، أكبرها في الوسط، وقلوعها كلاسيكية بعضها مربعة، مع إمكان استخدام المحاذيف، ولهذه الغاية أنشئت فتحات في جوانب هيكل السفينة بين كوات المدافع. ولتباين أحجام هذا النوع كان تجهيزه للجهاد البحري يتراوح ما بين 4 إلى 24 قطعة مدفعية ويتوفر عموماً على ثلاثين مجذافاً، وطاقم يتركب من ستين إلى مائتي رجل، ويمتاز بسرعته العالية، وتكيفه الجيد مع سطح الماء رغم تقلص حمولته التي لم تكن تبلغ في أكبر أشكاله مائتي طناً.

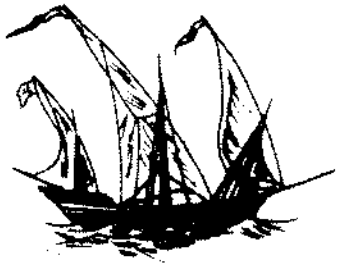

ولقد كان بوكراع يمثل النوع المثالي لسفن الجهاد البحري المغربي، يجهّز عدد من قطعه في مصب أبي رقراق في القرن الحادي عشر (17 م)، وفي قاعدتي تطوان والعرائش على عهد سيدي محمد بن عبدالله في نهاية القرن الثاني عشر (18 م).

L. Brunot, *La mer dans les traditions*, p. 250 ; R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 90 ; L. Chenier, *Journal du Consulat général au Maroc*, p. 103 - 142.

حسن إميلي

البوكراعي، محمد بن الحسين بن محمد بن أحمد، ومحمد جده هو الملقب بوكراع لأنه كان أعرج. ينتمي إلى قبيلة أيت عبلاً إحدى قبائل أيت باعمران، ووالده الحسين من حفظة القرآن، وأحد فرسان القبيلة المشاهير، طبقت شهرته الآفاق بما عرف عنه من بطولة ورجولة، إذ استشهد في معركة ضد جيش الجنرال الفرنسي لاموط الموجه إلى أيت باعمران، على إثر مقتل القائد حيدة مايس على يد محاربي تلك الناحية.

ولد المترجم سنة 1303 / 1885 وتلقى مبادئ التعليم وحفظ القرآن الكريم في بداية حياته، شأن أقرانه وأترابه، لكن لا يعرف له أستاذ على وجه التحديد في بلده. أما في فترة تلقيه المعارف الرائجة في سوس، فالمعروف أنه أخذ أولا عن الفقيه محمد بن أحمد الإيگراري (ت. ليلة 11 / 9 / 1358 هـ) ثم عن الأديب علي بن عبد الله الإلغي (ت. 1347هـ) عميد مدرسة دو أگدير التي حطّ بها رحاله أوائل العقد الثالث من القرن الرابع عشر. وفيها أخذ أيضاً عن أبي القاسم التجرمونتي (ت. 1364 هـ) وسرعان ما اندمج في البيئة العلمية بهذه المدرسة، حيث ظل يتابع دراسته وينهل من المعارف المتداولة بها إلى عام 1327 / 1909.

وقبل مغادرته المدرسة أجازه عميدها علي الإلغي بإجازة جاء فيها أنه "حصل في ذلك أوفر نصيب، وأسام سوام أفهامه من الأدب بمرعى خصيب" ومنها توجه إلى بلده (أيت عبلا) الباعمرانية.

وبعد هذا الفصل المهم من حياته، دخل في فصل آخر اتّسم بنوع من الغموض، كما في أوائل حياته، إلا أن المعروف أن البوكراعي بعد مغادرة المدرسة الإلغية، شارط في مدرسة دون طموحه. حيث كان يعلّم الأطفال ويحفّظهم القرآن الكريم بكتّاب يوجد بتافراوت نايت داو بأيت داود، وهكذا حالت ظروفه دون تحقيق آماله في نيل المناصب التي يتوق إليها أمثاله كالقضاء والتدريس في المعاهد العلمية المرموقة.

أما إنتاجه فيتشمل في مجموعة من *القصائد* أثبتها له المختار السوسي في بعض مؤلفاته، *ورسائل* تدل على أنه أديب لا يقل عن كثير من معاصريه، وإن اعتبره المختار السوسي "متقعّراً في أقواله" لكنه حلاه مع ذلك بأنه "عالم جيد عربي أديب..." (*رجالات العلم*، 178).

ومن إنتاجه الشعري قصيدة في السلطان عبد الحفيظ وأخرى في وصف الربيع، وغيرهما من الآثار الأدبية، التي يرجع الفضل في إثباتها إلى الأديب القاضي محمد بن عبد الله بلوش الباعمراني. وإلى الأديب عبد الرحمن البوزكارني (ت. 1380 / 1961).

وله مواقف بالنسبة لتوجيه بعض نبهاء قبيلته من الطلبة إلى مدرسة دو أگدير وذلك من وفائه لها، فهو صاحب الفضل في ذهاب الأديب قاضي قضاة أيت باعمران محمد بن عبد الله بلوش المذكور، في بداية دراسته، إلى المدرسة المذكورة بعد أن كان يهم بالتوجه إلى غيرها.

ولم يلبث البوكراعي أن مات معتبطا في ريعان شبابه، سنة 1340 / 1921 أو قبلها.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس*، 178 رقم 120؛ *المعسول*، 4 : 213 وما بعدها ؛ 9 : 17 و30.

عبد الحميد محي الدين الباعمراني

بوگرفا، الكلمة عربية بالجيم، معناها صاحب الجرف، وتعني الجرف المطل على سهل تاگراگرا الذي تنساب مياه السيول من أعلاه على ارتفاع حوالي ستين مترا على شكل شلال، وقد ظهرت في أسفل ذلك الجرف عين ماء بسيطة تزعم النساء أنها صالحة لأمراض جلدية، كما يزعم أبناء الصالح "بوگرفا" أن جدهم إبراهيم هو الذي ضرب الجرف بعصاه فانبجست تلك العين، لكنه أمرها بالتوقف خوفا من صراع أبنائه عليها.

وفي بوگرفا، مدرسة عتيقة تلتزم قبيلة أيت إعزّى بتعميرها منذ القديم، وكثيراً ما تقوم هذه المدرسة بتدريس الروايات والأمهات العربية، ومن أشهر من درس فيها أحمد الدريوش التدرارتي وأحمد زكرياء ومحمد أُبلاّ الضحاكي اليوسفي الباعمراني المتوفى عام 1325 هـ وهو آخر من تخرج على يده الجيل الذي أتقن الروايات السبع، وأناف عدد طلبته على أربعين مقرئاً يتقنون فن القراءات الذي أوشك الآن على الانقراض.

وثائق وتقاييد خاصة.

البوگرفاوي، إبراهيم أُعَبّلاّ السملالي ويقال له أيضاً بوگرفا الصالح صاحب القبة المزارة هناك تحت ذلك الجرف، ومتى أطلقت كلمة بوگرفا فإنها تنصرف إلى هذا الصالح. قال عنه الحضيكي في *المناقب* : "إبراهيم بن عبدالله السملالي من غابة الطير، الرجل الصالح، العارف بالله الكبير العابد الخاشع، كان رضي الله عنه من كبار العارفين المخصوصين ويؤثر عليه من الكرامات ما يبهر العقل وما لا يحصى".

ترك هذا الصالح ذرية كثيرة يعرفون في الوثائق بالمرابطين البوگرفاويين، ولهم شجرة أنساب يلتقون فيها مع سيدي أحمد بن موسى التّازروالتي في جدهم الأعلى جندوز. ومن الشائع أن والد هذا الصالح عبدالله بن يحيى صاحب القبة في تانگارفا هو النازل من غابة الطير في سملالة بالأطلس الصغير، وأنه قدم إلى المدرسة العتيقة بتانگارفا كمدرس ومتصوف. أما ابنه "بوگرفا" هذا فلم يكن عالماً ولا حافظاً للقرآن، وإنما أدرك ما أدرك بالزهد والعبادة، وقد نزل في عين المكان على العلامة إبراهيم بن إبراهيم (مكرر) صاحب ضريح ومدرسة إسك من أصحاب الولي الكبير عبدالله بن سعيد بن عبدالمنعم الحاحي، وهذا الصالح هو الذي أنزل سيدي إبراهيم بن عبدالله تحت ذلك الجرف المعروف به.

توفي إبراهيم البوگرفاوي عام 1009/1600 . 1601.

البُوگرفاوي، أحمد أنْجّار بن إبراهيم حفيد الشيخ إبراهيم بُوگرْفا المشهور بأيت باعمران. ولد بقرية إگرارْ في بيفُورْنا من قبيلة أيت النص الباعمرانية، وأخذ القرآن بروايتي وَرْش وقالون عن سيدي محمد بن إبراهيم بمسجد مُوليلي، ثم برواية ابن كثير في مدرسة بونعمان التي غادرها سنة 1795/1210 عازما على الاشتغال بالأمهات العربية، بعد أن أتقن الروايات السبع. ويذكر البعض أنه أخذ نفس الروايات بمصطلح موافق على موافق في جهة جبالة شمال المغرب. ونحن نعلم أنه كان معاصراً للأستاذ محمد أعْجُلي البعقيلي، وكلاهما رفع راية الروايات السبع.

ولأحمد أنْجّار هذا حظ في المعارف أخذ بعضها في مدرسة بونعمان نفسها وبعضها في مدرسة تيمگيدّيشت على يد أحمد بن محمد التيمگيدّيشتي المَيْموني لمدة ثمان سنوات إلى أن مات شيخه بأگلو "مدرسة سيدي وگاگ" فحل محله في تلقين الروايات السبع. وهناك دفن وقبره مشهور، وشاع عنه أنه يعرف علم الجدول.

والآخذون عن البوگرفاوي أحمد أنْجّار كثيرون جداً. لا مجال لتتبعهم هنا. ومن مؤلفاته : *منظومة في كيفية ترتيب القراء عند القراءة بالجمع* ، وشروط ذلك في عطف موافق على موافق واجتناب عيوب القراءة والترتيب ؛ *أرجوزة في ذكر مَجاعة وقعت سنة 1266 / 1844* ؛ *منظومة في عرف سَقْي سقاية قبيلة أگلو* ؛ *منظومة في التضرع إلى الله بأسمائه الحسنى وبسيد الوجود* ؛ *فتاوي في أحكام القراءات والآداب التي يحتاج إليها المقرئ* ؛ *مؤلف في الطب والتداوي بالأعشاب وخصائص علم الحرف وأسمائه الحسنى تعالى* ؛ *ترتيب قراءة الشامي* أبي عامر مع الكسّائي وعاصم وحمزة مُجرّدة عن البصري والمكّي ونافع. ولهَ نظم سمّاه *بستانة* عدد أبياته 240 بيتا.

ومن جملة ما اطلعت عليه في خزانته بخطه *ألفية الغريب* لمحمد بن العالم الزجلاوي بلدا التواتي إقليما، في ألف بيت تتناول تفسير ألفاظ القرآن. والباقي في خزانته نحو مائتي مخطوط في القراءات هي الآن في ذمة حفيده محمد البوگرفاوي فقيه زاوية سيدي وگاگ الذي تفضل وأطلعني على ما ذكرناه من آثار هذا الأستاذ الكبير.

م. الحضيكي، *مناقب*، مخطوط ؛ *تقاييد محمد البوگرفاوي عن جده المترجم* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 294 ؛ 18 : 126 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط.

الحسين جهادي

البوگريني، العربي بن مبارك السرغيني المراكشي، يُنسب إلى گرينة فخذ من بلاد الرحامنة، أخذ العلم عن علماء فاس ومراكش. وتصدر للتدريس بجامع ابن يوسف، وأقبل الطلبة على دروسه. وأمّ بجامع درب تيشنباشت، ودرّس به بين العشاءين بعد موت السيد الفاضل بن عبدالمجيد. اشتهر في الأوساط المراكشية بالتدين والصلاح.

توفي يوم الاثنين حادي عشر شعبان عام 5/1332 يوليوز 1914.

م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، 1 : 54 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 40.

أحمد متفكر

بوگلماس، إحدى قرى أنجرة المندثرة نتيجة الوجود البرتغالي بالقصر الصغير (1458 . 1550). أغار عليها جنود

الاحتلال بعد 20 نوفمبر 1461. وتحدد موقعها في أعلى مجرى واد أليان، أي بالموقع الذي توجد فيه حالياً القشلة، وكانت القرية طريق البرتغاليين إلى جبل تافغالت ورصافة أنجرة وإلى قرية الرمان.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 242، 243، 244 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 38.

حسن الفكيكي

بوگليب، التسمية التي كان المغاربة في القرن الثالث عشر (19 م) يطلقونها عادةً على وباء الكوليرا، ولعل أصلها يرجع إلى ما كان يعتري قلب الضحية وأمعاءه من أوجاع وآلام، مما كان يجعله يصيح : "گليبي، گليبي" (قليبي بالتصغير). بيد أن الوباء عُرف أيضا بالكوليرا و"الريح الأصفر". يقول صاحب *الابتسام* عن كوليرا سنة 1250 / 1834 : "وهو ريح ما سمعوا به، قاتل من حينه، يسمونه عندنا في المغرب بأسماء الكوليرا والريح الأصفر وبوقليب" (ص 87). ومما هو جدير بالذكر أن كثيراً من المصادر المغربية نعتت أوبئة الكوليرا في مغرب القرن الثالث عشر (19 م) بالطاعون، كما نجد عند صاحب *سلوة الأنفاس* من بين آخرين. وقد أصبحنا نجد هذا الخلط حتى في بعض الدراسات الحديثة. والواقع أن آخر طاعون عرفه المغرب في القرن الماضي يرجع إلى سنتي 1234 . 1236 / 1818 . 1820. وبعد انقطاعه، لم يعد إلى الظهور إلا في بداية القرن العشرين. أما الكوليرا، فقد ظهرت به سنتي 1249 . 1251 / 1834 . 1835، ثم تجدد ظهورها في سنوات 1271 . 1272 / 1854 . 1855 ؛ 1276 . 1277 / 1859 . 1860 ؛ 1285 . 1295 / 1868 . 1878 ؛ 1313 . 1314 / 1895 . 1896. كما أنها عادت إلى الظهور في القرن العشرين ولو أنها ظلت محدودة بفضل التقدم الحاصل في الميدان الطبي. ولم يكن هذا الوباء متوطنا، بل كان وافدا ، وقد انتقل إلى المغرب في سنوات 1834، 1854، 1868، من الحدود الشرقية. كما انتقل إليه في سنتي 1859 . 1860 مع الحملتين العسكريتين، الإسبانية على تطوان، والفرنسية على بني إزناسن. أما كوليرا عام 1878 فقد اندلعت من مكناس وفاس، وقد تكونت من بقايا جيوب وباء 1868. ونظراً لانعدام التجهيز الطبي ووسائل الوقاية، فقد كانت الكوليرا تخلف خسائر بشرية مرتفعة، وإن كانت أقل نسبياً من الخسائر التي كان يخلفها الطاعون. نقرأ في رسالة بتاريخ 6 صفر 1285/29 ماي 1868: "بلغنا أن الألم المعروف عند العامة ببوگليب وصل لفاس وكثر موت الناس به حتى بلغ عدد الموتى به نحو الثلاثمائة ونصف في اليوم".

م. الأمين البزاز، *أوبئة ومجاعات المغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر*، دكتوراه الدولة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1989 . 1990، 2 : 306 وما بعدها.

محمد الأمين البزاز

بوگماز، (أيت ـ) ـ بكاف معقودة ـ قبيلة كبيرة من قبائل السفح الشمالي للأطلس الكبير الأوسط، تقع مواطنها شمال وشمال غربي مگونة وسكورة، وغربي إحنصالن وأيت بُويكنيفن أهل تالمست، وشرقي أيت عباس وجنوبي أيت مصّاض. وتتركز فرقها حوالي منابع الوادي الأخضر، وحوالي بحيرة إيزوغار (*المجتمع المغربي*، 97) وتكوّن قرية تَبَانْتْ ـ اليوم ـ أهم مراكز بُوگماز وهي بعيدة عن مدينة أزيلال بخمسة وستين كيلوميتراً إلى جهة الشرق.

ينتمي أيت بوگماز إلى مجموعة قبائل صنهاجة الظل ويشتركون معهم في نمط العيش المنبني على الرعي والتنقل، وفي اللغة الأمازيغية، وينحدرون من قبيل أيت واستر المنحل. يبدو أن هذه القبيلة من أقدم القبائل التي استوطنت المنطقة، نظراً لما يوفر وادي بوگماز من إمكانيات سواء على مستوى الرعي أو الزراعة. وقد أكد فوجيرول (Fougerolles, *Le Haut Atlas Central*) وجود نقوش عثر عليها في جبل أزوكي المشرف على بوگماز من الناحية الجنوبية الشرقية تدل على أن الاستقرار قديم في وادي بوگماز. وأول إشارة لبوگماز وردت في كتاب *الأنساب*، حيث رتبهم ضمن صنهاجة الظل (*Esquisse*, P. 165, N°. 6) كما ورد ذكرهم عرضا في كتاب *ممتع الأسماع* (ص 158) في أثناء ترجمة موسى البوگمازي دفين تَانَغْمَلْتْ ومن ثم فإن عدداً منهم صاروا أتباعا لزاوية تانغملت، حيث ما تزال وفودهم تترى على الزاوية حتى اليوم. ويشير "دراگ" إلى أن بعض أيت بوگماز من أتباع إحنصالن (ص 174). تتكون قبيلة أيت بوگماز ـ حسب إحصاء سنة 1936 ـ من ست فخذات هي : أيت حَكْمْ وهي أكبرها، وأيت مِيحْيَا، وأيت وانُوگْدالْ، وأيت وْرِيعَاتْ، وأهل إبَقْلِيُون، وأهل سْرَمْت.

وبحكم موقع القبيلة اعتبرت منذ القديم مرحلة في طريق القوافل التجارية، عبر تيزي نايت إمي وتيزي نْتَرْغْسْت. ففي أثناء حديث التوفيق عن الطرق المَوصلة إلى دمنات (*المجتمع المغربي*، 100) ذكر أن بوگماز كانت مرحلة في الطريق الجبلية القصيرة الرابطة بين تُدغة ودمنات. وقد أسهب في ذلك قائلاً : "أما طريق تدغة فكانت تبتدئ من دمنات إلى جبل تامادوت إلى ضفة تاسوت الفوقية، إلى وادي عروس، إلى أكرض نْـوَزْرو، إلى وادي بوگماز إلى ضفة تاسوت الفوقية، إلى وادي العبيد إلى ايفرغس إلى تيغريست، إلى وادي بوگماز إلى إيزروغار فأوسيكيس فتدغة".

وتردد ذكر أيت بوگماز كثيراً في بداية القرن الرابع عشر الهجري نهاية (19 م) حيث صارت أسواقهم مناطق جذب وإشعاع للمراكز الجبلية الكبرى كدمنات ومگونة وتُدغة. وعدّها التوفيق، في أثناء تصنيفه للعلاقات بين القبائل والمخزن، من ضمن القبائل التي كانت تقر بالتبعية للمخزن بعد عراك طويل. في هذا السياق حاول السلطان مولاي الحسن تطويع أيت بوگماز، فضمهم إلى نظر عامله على دمنات الحاج الجيلالي، عند توسيع إيالته بعد سنة 1890/1308. وفي ذلك يقول الغجدامي : "وكان بوگماز قبل

ذلك فوضى لا تنالهم الأحكام المخزنية... وكان السلطان المذكور (مولاي الحسن) ولّى الحاج الجيلالي الدمناتي على أيت بوگماز..." (*التسلي*، 58.59).

وعلى الرغم من خضوع أيت بوگماز فإن علاقتهم مع المخزن لم تكن دائماً على أحسن ما يرام. فبمناسبة مرور حملة العامل الدمناتي عبر أيت بوگماز، للحوق بالسلطان في تافيلالت سنة 1894/1311، وتقديم المؤونة للمحاركين ومبيتهم وسط البلد في أمان، فقد أمر العامل بإلقاء القبض على بعض أيت بوگماز وبعثهم مصفدين إلى سجن دمنات (*التسلي*، 59) لذلك فلا غرابة إذا كان أيت بوگماز من بين القبائل التي انتفضت على إثر وفاة السلطان مولاي الحسن.

ولعلهم ظلوا كذلك حتى بعد توقيع الحماية، حيث نجدهم من بين من شهروا السلاح بزعامة الشيخ أولعيد أوحساين، ضد أگلاوة والفرنسيين. وقد أبلوا البلاء الحسن في مقاومة التوغل الفرنسي في تلك الجهات، بزعامة زاوية أگديم الحنصالية، ولم يتم إخضاعهم إلا بعدما استسلم محا الحنصالي في 27 يونيو 1923 (*Esquisse*, 177).

وبمقتضى ظهير 27 جمادى الأولى عام 1353 / 7 شتنبر 1934 صارت أيت بوگماز إلى نظر محا الحنصالي الذي وُلي قيادة المنطقة (*Esquisse*, 178). فأضحى البوگمّازيون تابعين إدارياً لمركز أزيلال الذي كان يديره ضابط للشؤون الأهلية، تابع بدوره لرئيس منطقة الأطلس المركزي. وبموجب قرار الإقامة العامة الصادر في 16 شعبان عام 1359 / 19 شتنبر 1940 تم إلغاء منطقة الأطلس المركزي ابتداء من فاتح أكتوبر، وبذلك أُلحقت أزيلال بمنطقة مراكش (*Répertoire*, 466).

م. المهدي الفاسي، *متع الأسماع* ؛ الفجدمي، *التسلي*... مخطوط ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي* ... ؛ *التحري الميداني*.

Répertoire alphabétique ; G. Drague, *Esquisse*.

البُوگمازي، موسى بن يعقوب ويفصح فيكتب البوجمازي. يعتقد حفدته اليوم أن نسبه ينتهي إلى علي بن أبي طالب عن طريق إدريس بن عبدالله. وقد انتقل إلى أيت بوگماز بالأطلس الكبير الأوسط قادما إليها من فگيگ في فترة غير معروفة. ترجم له صاحب *متع الأسماع* (ص 161) فذكر أنه كان تاجراً. وسبب انخراطة في سلك الصلاح أنه "ذهب يتسبب مرة في حمل زيت على دابة له في قافلة فازدحمت دابته مع دواب غيره من أهل القافلة في مضيق فانكسرت، فأعطى زيته أهل القافلة وفرقه عليهم، وذهب قائلا في نفسه : "هذا السبب قد تعذر علي فمالي إلا أن أذهب إلى الحج أو الغزو".

توجه البوگمازي إلى سلوك طريق القوم على يد الصالح سعيد بن علي السوسي الهشتوكي دفين واويزغت، الذي يعتبر من أوائل من أدخل التصوف إلى تلك البلاد (*دوحة البستان*، 58) وحين أخذ عن الشيخ المذكور احتفى به : "ثم أخرج شاة فناولها مقدم الزاوية، وقال له : اذهب بالبوگمازي فاذبح نفسه معها، فذهب فأجلسه وذبح الشاة قدامه فذبحت نفسه وصار من أولياء الله". لازم البوگمازي شيخه مدة طويلة وخدمه بنفسه حتى وفاته. بعد ذلك توجه إلى شيخ شيخه عبدالله بن حسين صاحب تامصلوحت، فعينه هذا الأخير قيماً على شؤون زاوية شيخه السابق. "فقال لهم الشيخ من يقوم لنا بأولاد أبي عثمان بزاويته ؟ فقال أبو عمران : "أنا يا سيدي أقوم بذلك، فتكفل بهم" (*متع*، 162). أي أنه أصبح مقدما على فقراء زاوية واويزغت ولم ينقطع عن التردد إلى الشيخ عبدالله بن حسين إلى أن مات، فوقف نفسه على خدمة الزاوية. ولا تذكر المصادر تاريخ وفاته، ولا باقي تنقلاته. لكن صاحب *متع الأسماع* ومن نقلوا عنه يذكرون أنه دفن بتانغملت (*متع*، 161).

وقد شهدت منطقة واويزغت قدوم شخصية صوفية أخرى، لا يقل شأنها عن شأن موسى البوگمازي. ويتعلق الأمر بالشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي، المتوفى سنة 1652/1062 (*دوحة البستان*، 31.32 ؛ *صفوة*، 83 ؛ *متع*، 187) ولعل قدوم هذا الأخير جعل البوگمازي يرتحل إلى مكان آخر، خاصة وأن صيت الدادسي كان أكثر علوا، بالاضافة إلى أن السياحة كانت أمراً اعتيادياً في حياة المتصوفة. فقد يكون البوگمازي تلقى الإذن بالتلقين، فانطلق يبحث عن مكان آخر لإيجاد مريدين وأتباع. لذلك فمن الممكن أن يكون قد توجه إلى تانغملت، حيث استقر إلى وفاته، أو أن المطاف انتهى به إليها في أثناء سياحته فتوفي بها. وقد أضفَتْ وفاتُه هناك أهمية ما على ذلك المكان فيما بعد، وما يزال ضريحه الذي يتوسط زاوية تانغملت قائماً يزار حتى الآن.

م. المهدي الفاسي، *متع الأسماع* ؛ م. الزيادي، *دوحة البستان* ؛ م. الافراني، *صفوة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط* ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*.

أحمد عمالك

بوگنُّون، (عين، واد، وقرى). تقع عين بوگنون جنوب أصيلا على بعد أربعة كيلومترات، وتعرف بعرصة بوگنون، نسبة إلى أحد الگنونيين المجهولين. ومن المياه المنسابة من المنبع يتكون مجرى واد بوگنون، ليصبح رافداً من روافد واد لحلو، ويتصل بمجراه الأدنى قرب عين القصب.

أصبح مجرى واد بوگنون خلال الوجود البرتغالي بأصيلا موقعا هاما بميدانها الحربي، شكل بالنسبة لأصيلا المحتلة طالعا مشرفا على "قبيلة الساحل" الشمالي في اتجاه طالعي الحمر وتندافل. كما أن طالع بوگنون طريق الجنود إلى جبل حبيب وبني گرفط. وقد اعتاد المغاربة من رجال المقاومة احتلال هذا الطالع أثناء محاصرة المدينة.

وهناك ثلاث قرى مندرجة في قبيلة الخلط الهبطية تعرف بأولاد گنون. تسمى الأولى أولاد بوگنون بونقاب، مجاورة للدرابلة والعمايرة البويض. ثم أولاد بوگنون

الأحرش، وأولاد بوگنون الطلاية. القريتان مجاورتان لأولاد بنعياد والزنابلة من نفس الفرقة.

ح. الفكيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 491 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 53.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 74 - 132 - 143 - 145 - 149 - 166 ; 2 : 29 - 45 - 79 - 81 - 95.

حسن الفكيگي

بوكوس، نعرف باسم بوكوس أو بكوس Bocchus ملكين موريين، حكما المغرب القديم الذي كان يدعى بموريطانية Mauretania أو موروسية Maurusia.

بوكوس الأول : هو ثاني ملك موري، نعرفه بواسطة النصوص، وكان له دور بارز في حرب يُوغُرْطَة، ويُوغرطة كان صهراً لبوكوس الأول، على أن الأول تزوج ابنة الثاني.

لا ندري متى تولى بوكوس الأول الحكم بالضبط، لأن الكتاب القدماء تطرقوا له خلال حرب يوغرطة. أهم هؤلاء الكتاب هو المؤرخ اللاتيني سالوست Salluste، الذي يؤكد أن بوكوس الأول كان معاصراً للملك النوميدي ميكيسا Micipsa الذي توفي سنة 118 ق.م.

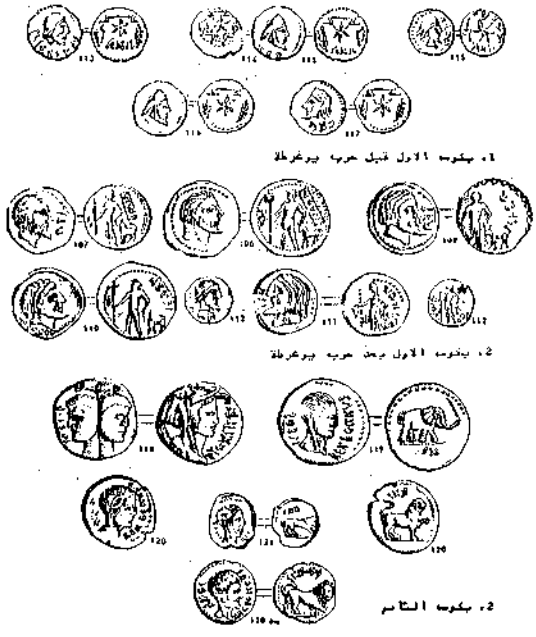

١. بوكوس الأول قبل حرب يوغرطة

٢. بوكوس الأول بعد حرب يوغرطة

٣. بوكوس الثاني

كما لا نعلم هل تولى بوكوس الأول الحكم مباشرة بعد الملك الموري باگا Baga، أم حكم بينهما ملك آخر. والثابت أن حدود المملكة الموريه في عهد هذين الملكين كانت تمتد بين المحيط غربا ونهر ملوية شرقاً، وبين المضيق شمالا وجبال الأطلس جنوباً، ولقد عرفت موريطانية في عهد بوكوس الأول ازدهاراً عمرانياً واقتصادياً.

وكل ما نعرفه من الإشارات في النصوص، ومن حصيلة البحث الأثري بالمغرب، أن الملك بوكوس الأول سار على النهج الذي سلكه الملك الموري باگا في التعامل مع الخارج، حيث إن الموريين في عهد الملكين التزموا سياسة الحيطة والحذر من التوسع الروماني. وسلكوا سياسة اقتصادية قوامها الاستغناء عن استيراد السلع الرومانية من أمفورات وخزف. ولم تكن للموريين في عهد الملكين أية صلة مع الرومان، ولم يتورطوا في الصراع القرطاجي ـ الروماني.

وهذا ما نستفيده من قول سالوست : "كان الموريون تحت سلطة الملك بوكوس، الذي كان يجهل كل شيء عن الشعب الروماني، وكذلك نحن لم تكن لنا معه أية علاقة، لا سلمية ولا عدائية" (سالوست، حرب *يوغرطة*، الفصل 19).

ونفس الموقف نستشفه من الخبر الذي نقله سترابون : (Strabon, II : 3, 4) عن بوسيدونيوس Posidonius، وهو يتحدث عن أودوكس الكوزيكي Eudoxe de Cyzique، الذي طلب من الملك بوكوس أن يشرف على الرحلة البحرية التي كان ينوي القيام بها إلى الهند عبر المحيط الأطلسي، لكن رعايا بوكوس رفضوا هذا المشروع، وهم بموقفهم هذا لا يقبلون التعامل مع الرومان.

وخلال حرب يوغرطة، اشتهر الملك بوكوس لدى الكتاب الاغريقيين واللاتينين، نظرا للدور الحاسم الذي قام به الملك في هذه الحرب، وذلك بتواطئه مع رومة ضد صهره يوغرطة. وحينئذ اعترفت رومة بسيادته على غرب نوميدية، ونال لقب صديق وحليف الشعب الروماني. ومنذ سنة 105 امتدت سيادة بوكوس على غرب نوميدية إلى حدود مجهلها لأن النصوص لم تشر إليها.

ونتيجة لتعامل بوكوس الأول مع الرومان، وفتح أسواق موريطانية للتجارة الرومانية، احتدت التناقضات الداخلية في موريطانية، وثار عليه رعاياه، وهي الأحداث الأخيرة التي وردت في النصوص حول بوكوس الأول.

ففي سنة 91 ق. م. نعلم أن بوكوس تمكن من إحباط الثورة التي قامت ضده في موريطانية، فأعدم ماكدولسا Magudulsa، وبعث الملك إلى رومة في نفس التاريخ تماثيل ذهبية لآلهة النصر تحمل شعار الغلبة Des Victoires de Trophées porteuses، ومعها تماثيل أخرى ذهبية تمثله وهو يسلم يوغرطة لسولا، وقد حفز ذلك القائد الروماني سولا إلى صناعة طابع يؤشر به على وثائقه الرسمية، ويداخله صورة بوكوس يسلم له يوغرطة. وكانت للملك بوكوس علاقة حميمة مع سولا، وقد بعث الملك إليه مائة أسد مع من يروضها.

وبعد ذلك تختفي عنا أخبار بوكوس الأول، ونعتقد أنه توفي في تاريخ بين سنة 90 و83 ق. م، لأن سنة 82 ق. م شهدت أحداثا خطيرة في موريطانية، لم يرد فيها ذكر لبوكوس الأول، بل أصبح ملك موريطانيا هو أسكاليس Ascalis ابن يفتاس Iphtas. وفي نفس الظروف وردت إشارة إلى بوگود Bogud ابن بوكوس الأول في شرق نوميدية، وقد انضم إلى القائد الروماني بومبيوس الأكبر Pompeus Magnus لمساعدته في القضاء على الملك النوميدي هيارباس Hiarbas، في مدينة بولة ركية Bulla Regia، وإرجاع الحكم النوميدي للملك همبسال Hiempsal.

ونختم الحديث عن الملك بوكوس الأول بالإشارة إلى

العملة التي يمكن نسبتها إليه. فهناك صنف من النقود كتب عليها اسم بوكوس واسم مدينة شمش بالحروف البونية، ونعتقد أنها عملة لبوكوس الأول قبل حرب يوغرطة. والراجح أن تخصيص مدينة شمش، وهي لكسوس Lixus، بطبع اسمها على العملة، يمثل دلالة على أن بوكوس اتخذ من هذه المدينة عاصمة له.

والصنف الثاني من العملة التي يمكن نسبتها لبوكوس الأول تحمل اسمه واسم مدينة سيگة Siga. ونعتقد أن الملك أصدر هذا الصنف من العملة بعد حرب يوغرطة، ليؤكد سيادته على غرب نوميدية، التي تقع فيها هذه المدينة، التي كانت عاصمة الملك سيفكس Syphax، أشهر ملوك الماسيسويين Masaesyles.

بوكوس الثاني : ملك ينتمي إلى الموريين، لا نعرف تاريخ توليته الحكم. والثابت في المصادر أن بوكوس الثاني كان ملكا على القسم الشرقي من المملكة المورية، والقسم الغربي منها كان تحت سيادة الملك الموري بوگود Bogud المعاصر له. وكان نهر ملوية يفصل بين المملكتين، وبذلك يكون بوكوس الثاني قد نال الحكم في القسم الذي ضمه بوكوس إلى مملكته من الأراضي النوميدية. والحدود الشرقية لمملكة بوكوس الثاني لا نعرفها عند تولية الحكم. والغالب أنها كانت تطابق المجال الذي خضع لبوكوس الأول بعد حرب يوغرطة في غرب نوميدية.

وأهم ما يميز بوكوس الثاني عن الملوك الموريين، هو معرفتنا لنسبه، فهو ابن للملك الموري ماستانيسوسوس Mastanesosus الذي حكم المملكة المورية في أقصى توسعها بعد الملك بوكوس الأول، وله عملة تحمل اسمه بالبونية على الصيغة التالية : Mstnsn.

ولقد تأكد لدينا نسب بوكوس الثاني لوالده ماستانيسوسوس بذكره لاسم والده مختصراً على عملته التي ورد عليها باللاتينية ما يلي : Rex Bocchus Sosi.F. ومعناه : الملك بوكوس بن سوسي، وسوسي هنا اختصار لماستانيسوسوس.

وأهم ما يميز هذه العملة هو كونها تمثل فترة استفحال التأثيرات الرومانية في افريقيا، وهو مؤشر عن رومنة ملوكها الذين حكموا في النصف الثاني من القرن الأخير قبل الميلاد. ويتعلق الأمر بالملكين الموريين بوكوس الثاني وبگون، والملك النوميدي يوبا الأول Iuba، وهم جميعاً كتبوا أسماءهم باللاتينية على عملاتهم.

أول إشارة في النصوص تعرفنا ببوكوس الثاني وردت في الكتب المنسوبة ليوليوس قيصر Iulius Caesar، تحت عنوان *الحروب الأهلية Guerres Civiles*. ورد في هذا الكتاب أن القائد الروماني يوليوس قيصر اعترف بالملكين الموريين بوكوس وبگون كصديقين، في حين اتخذ الملك النوميدي يوبا الأول، المعاصر لهما، عدوا عموميا. وقد حدث ذلك في أوائل سنة 49 ق. م، عند اندلاع الحروب الأهلية الرومانية بين يوليوس قيصر وبومبيوس الأكبر.

وحينها تحول الملكان الموريان من الولاء لبومبيوس إلى التحالف مع قيصر. أما الملك النوميدي يوبا الأول، فقد ظل مخلصاً لقضية بومبيوس، ومات ضحية لذلك.

يستفاد من هذا النص أن مجال نفوذ الموريين المترامي الأطراف بين أواسط نوميدية و المحيط، منذ نهاية حرب يوغرطة، أدت ظروف خاصة تجهلها إلى تقسيمه إلى مملكتين يفصل بينهما نهر ملوية، ويرجع هذا التقسيم في تقديرنا إلى تفاقم التناقضات الداخلية في مجال نفوذ الموريين بعد وفاة ماستانيسوسوس والد بوكوس الثاني، فنال هذا الأخير القسم الشرقي من المملكة المورية. ونعلم أن جذور هذه التناقضات ومارافقها من صراعات داخلية في موريطانية، ترجع إلى أواخر حكم بوكوس الأول نتيجة تحالفه مع الرومان خلال حرب يوغرطة. ونعتقد أن القائد الروماني بومبيوس الأكبر كان له دور في تقسيم هذه المملكة، بين بوكوس الثاني وبگون، علما أن الموريين كانوا موالين لبومبيوس إلى أن قام الصراع بينه وبين قيصر، فتحالفوا مع هذا الأخير.

وأهم ما نعرفه عن الملك بوكوس الثاني، هو دوره الفعال في حرب أفريقيا، التي قامت بين قيصر و أبناء بومبيوس خلال سنتي 47 و46 ق.م في ولاية أفريقيا. فقد أفادنا كاتب مجهول لكتاب حرب افريقيا *Bellum Africanum*، والمؤرخ أبيانوس Appianus، عن النشاط العسكري الذي قام به بوكوس الثاني لتدعيم قيصر، وهو يحارب أعداءه في افريقيا.

فقد هاجمت قوات بوكوس الثاني بقيادة ستيوس Sittius مملكة جاره يوبا الأول المتحالف مع أبناء بومبيوس. وأسفر هذا الهجوم عن احتلال العاصمة النوميدية قرطة Cirta. ولم يتمكن يوبا الأول من استرجاعها رغم المحاولات التي قام بها.

وبعد انتصار قيصر في افريقيا سنة 46 ق. م، وانتحار يوبا الأول، كافأ القائد الروماني الملك بوكوس الثاني، فأقطعه القسم الغربي من مملكة يوبا الأول، وضم بوكوس الثاني هذا القسم إلى ممتلكاته في نوميدية، وامتدت حدوده إلى نهر الامبساگا Ampsaga.

وبعد ذلك برز أمير نوميدي على مسرح الأحداث، يدعى أربيو Arabio ابن شخص يدعى ماسنيسا Massinissa، وليس هو ماسنيسا المشهور الذي توفي سنة 148 ق. م، فقامت حرب بين أربيو وبوكوس الثاني، تمكن خلالها أربيو من انتزاع الأراضي النوميدية التي حازها بوكوس الثاني سنة 46 ق. م. غير أن مقتل أربيو سنة 40 ق. م. سمح لبوكوس الثاني باسترجاع الأراضي التي طرده منها أربيو.

وآخر الأحداث التي برز فيها بوكوس الثاني ترتبط بالصراع الذي قام بين القائدين الرومانيين أونطونيوس Antonius وأوكتافيوس Octavius. فقد تحالف بوكوس الثاني مع هذا الأخير، بينما أعلن الملك الموري بوگود ولاءه

لأونطونيوس.

وفي سنة 38 ق. م شارك بوكوس الثاني إلى جانب قوات أوكتافيوس القادمة من إسبانيا، في غزو موريطانية والاطاحة بالملك بكود الذي فر إلى أنطونيوس. وحينئذ سمح القائد الروماني أوكتافيوس للملك بوكوس الثاني بضم مملكة بكود. إثر ذلك أصبح بوكوس الثاني الملك الوحيد في افريقيا، على مجال نفوذ الموريين الذي كان يمتد من المحيط غربا إلى نهر الأمبساگا شرقاً. واستمرت سيادة بوكوس الثاني على هذه المملكة المترامية الأطراف حتى وفاته سنة 33 ق. م.

وأخيراً نشير إلى أن بوكوس الثاني اتخذ من مدينة يول Iol عاصمة له. وهو الملك الموري الوحيد، قبل يوبا الثاني، الذي أشارت النصوص إلى عاصمته. والجدير بالذكر أن يوبا الثاني اتخذ نفس مدينة يول عاصمة له، لكنه أعطاها اسم قيصرية Caesarea.

م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م*، د. د. ع. كلية الآداب، فاس، 1990.

G. Camps, *Les derniers rois numides : Massinissa 2 et Arabion*, *B.C.T.H.*, N.S. Fasc. 17 B, 1981, Paris, 1984, p. 303 - 310 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, 10e éd., Paris, 1948 ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité : Histoire et civilisation, des origines au 5e S. ap. J.C*, Paris, 1981 ; J. Desanges, *L'Afrique romaine et libycoberbère*, In *Rome et la Méditerranée occidentale*, T. 2, sous la direction de C. Nicolat, Paris, 1978 ; J. G. Fevrier, *Bocchus le Jeune et les Sosii*, *Sémitica*, 11, 1961, p. 9 - 15 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. 5 et 7 - 8, Paris, 1912 - 1928 ; A. Jodin, *Volubilis Regia Iubiae : Contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique préclaudéen*, Paris, 1987 ; Ch. A. Julien, *L'Histoire de l'Afrique du Nord, T. I, des origines à la conquête arabe*, 5e éd., Paris, 1975 ; J. Marion, *Les Monnaies de Shemesh et des villes autonomes de la Maurétanie Tingitane au Musée Louis Chatelain à Rabat*, *Ant. Afr.*, 6, 1972, p. 59 - 127; J. Mazard, *Corpus Nummorun Numidiae Maurétaneaque*, Paris, 1955 ; C. Muller, *Numismatique de l'ancienne Afrique*, T. 3, Copenhague, 1960.

محمد مجدوب وعلي واحدي

بوگود Bogud، أول شخص نعرفه بهذا الاسم في تاريخ المغرب القديم، الذي كان يدعى بموريطانية، هو بوگود ابن الملك الموري بوكوس الأول Bocchus، برز هذا الأمير في الأحداث التي شهدها الشمال الإفريقي سنة 82 ق. م، حيث انتقل الصراع بين القائدين العسكريين الرومانيين سيلا Sylla وماريوس Marius إلى ولاية إفريقيا الرومانية.

فقد تدخل پومبيوس Pompeius عسكريا في هذه الولاية لصالح سيلا وحارب أتباع ماريوس. وفي هذه الظروف يتحدث أوروسيوس (Orosius, V : 21-14) عن مشاركة بوگود بن بوكوس ملك الموريين، إلى جانب پومبيوس في مواجهة الملك النوميدي هيارباس Hiarbas، الذي انتزع مملكة نوميدية من عاهلها هيمبسال Hiempsal. ولقد تمكن پومبيوس وبوگود من محاصرة هيارباس في مدينة بولة ريگية Bulla Regia. وبعد مقتل هيارباس في هذه المواجهة أرجع پومبيوس حكم نوميدية لهيمبسال.

بعد هذه الأحداث لا نعرف شيئا عن مصير الأمير الموري بوگود بن بوكوس الأول. ومما لا شك فيه أن هذا الأمير لم يعتل عرش موريطانية في هذه الظروف. فلقد شن پومبيوس حملة على موريطانية بعد تسوية شؤون نوميدية، إن كاتب حرب إفريقيا هو الذي يشهد بتدخل پومبيوس في موريطانيا (*Bellum Africanum*, XXII) وغرض پومبيوس من تدخله هذا هو القضاء على أتباع ماريوس الذين وطدوا نفوذهم في موريطانية بعد تدخل سير طوريوس في ناحية طنجة قادماً من إسبانيا. وهكذا أنهى پومبيوس تسوية شؤون موريطانية بتولية الملك الموري ماستا نيسوسوس Mastanesosus.

أما الشخصية الثانية التي نعرفها بهذا الاسم فهو الملك الموري بوگود، الذي لا نعرف نسبه، بينما نعرف أنه تولى عرش موريطانية في الفترة التي انقسمت فيها مملكة الموريين إلى مملكتين. يفصل بينهما نهر ملوية الحالي. فتولى بوگود حكم المملكة الغربية، التي تمتد بين نهر ملوية والمحيط، بينما تولى معاصره بوكوس الثاني حكم المملكة الشرقية التي قامت في غرب نوميدية منذ تحالف بوكوس الأول مع الرومان ضد يوغرطة. وأهم إشارة عن سيادة الملكين الموريين المتعاصرين وردت عند المؤرخ ديون كاسيوس (Dion Cassius, XLI, 42)، وهو يتحدث عن تحالف الملكين مع القائد الروماني يوليوس قيصر في صراعه ضد پومبيوس سنة 49 ق. م.

لا نعرف شيئا هاما عن أحوال مملكة الموريين في ظل بوگود، اللهم إلا إشارة سترابون (Strabon, XVII, 3-5) لحملة عسكرية شنها الملك ضد جيرانه الاثيوبيين جنوب البلاد، ومن جهة أخرى نتوفر على أخبار عن تحالف الملك الموري مع القائد الروماني يوليوس قيصر في مواجهته لأبناء پومبيوس بإسبانيا بين سنة 49 و45 ق. م.

تدخل بوگود في إسبانيا سنة 48 ق. م. لمساعدة كاسيوس Cassius حاكم قيصر في إحدى الولايتين الإسبانيتين (César, *Guerre d'Alexandrie*, LIX et LXII) وفي سنة 45 ق. م. تدخل بوگود للمرة الثانية عسكريا في إسبانيا لمؤازرة قيصر نفسه في معركة موندة Munda، وكان للملك الموري دور فعال في جعل النصر ينتهي لصالح قيصر (Dion Cassius, XLIII, 38). وبعد ذلك يخبرنا سويتونيوس (Suetonius, *César*, 52) عن المكافأة المالية التي سلمها قيصر لبوگود وزوجته الإغريقية أونوي Eunoé.

وخلال الصراع بين القائدين الرومانيين أنطونيوس Antonius وأوكتافيوس Octavius، بعد مقتل قيصر سنة 44 ق. م، نعلم بواسطة كيكرون (Ciceron, *Lettres*, X, 30 - 1 - 32 ; 3)، أن الملك بوگود كان مواليا لأنطونيوس سنة 43 ق. م. وكان الملك الموري على اتصال مع قوات أنطونيوس في إسبانيا. بينما تحالف الملك بكوس الثاني مع أوكتافيوس.

يوضح ديون كاسيوس (XLVII, 45) كيف استطاع أوكتافيوس أن يسقط حكم بوگود سنة 38 ق.م، لما شن هذا الأخير حملة على إسبانيا، فثار ضده رعاياه في مدينة

طنجية، فتدخلت قوات أوكتافيوس وجيوش الملك بوكوس الثاني في موريطانية، وهكذا عجز بوگود عن استرجاع مملكته التي استولى عليها بوكوس الثاني بموافقة أوكتافيوس. وبعد ذلك التحق بوگود بقوات حليفه أنطونيوس في الشرق، وظل معه إلى أن قتله أگريپا Agrippa في معركة أكتيوم Actium سنة 31 ق. م : (Strabon, VIII, 4,3 ; Dion Cassius, L, 11).

ومن الشواهد الأثرية على حكم بوگود وجود نقود تحمل اسمه باللاتينية على الصيغة التالية : Rex Bocvt. وانطلاقا من هذه الوثيقة الأثرية، يتضح أن الاسم الرسمي للملك هو بوكوت، وبذلك فإن النصوص تناقلت اسمه محرفا باستبدال الكاف گافا والتاء دالا. وعند بلينيوس الشيخ (Plinius, V, 19) نلاحظ احتفاظ الكاتب بحرف التاء بقوله إن المملكة المورية المغربية كانت تدعى البگوتية Bogutiana نسبة إلى ملكها بگود.

والجدير بالذكر أن اسم بوكوت كما ورد في النقود ظل متداولا في عهد السيطرة الرومانية بموريطانية الطنجية، وكان يطلق على مجموعة قبلية تدعى البكواتيين Bakouatai (Ptolemaeus, IV, 1 - 5) وقد ورد ذكرهم في النقائش اللاتينية كما يلي : (Gens Baquatium) انظر (Euzennat et Marion, p. 349-350).

وهنا نتساءل عن مدى الترابط بين الملك بوگود أو بوكوت وقبائل البكواتيين، الغالب على الظن أنهم عشيرته.

م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتهم مع روما لغاية سنة 33 ق.م*، د. د. ع. كلية آداب فاس، 1990.

S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. 8 ; J. Mazard, *Corpus Nummurum Numidiae Mauretaneaque*, Paris, 1955 ; J. Desanges, *L'Afrique romaine et libycoberbère*, in *Rome et la Méditerranée Occidentale*, T. 2, Paris, 1978 ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, Paris, 1981.

محمد مجدوب

بوگُوار، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر. وبُوگُوار اسم حشرة صغيرة جدا تنتفش عند الخطر مثل القنفذ.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

بُوكيطا ذيلْ كُوسكو، Boquita del Cosco اسم أطلقه الإسبان على فم اعْگي الذي هو مصب وادي أعگيك الواقع جنوب مصبّ نهر الشّبيكة المعروف عند الإسبان بالفم الكبير بوكا گراندي Boca Grande. وكلمة بوكيطا Boquita مصغر لكلمة بوكا Boca أي الفم.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 29.

بُوكيطا ديلْ مورّو، Boquita del Morro أي "الفم الصغير لأنف الجَبل" اسم أطلقه الإسبان على فم وارْ الذي هو مصب وادي وار. يبلغ عرض المصب نصف كيلومتر، ويوجد على بعد عشرة كيلومترات جنوب مصب وادي أم فاطمة.

A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, p. 51 - 61.

محمد ابن عزوز حكيم

بوكيل (سيدي ـ)، بهذا الاسم يعرف على ألسنة أهل تادلا، وهو في المصادر أبو وكيل ميمون بن سحنون الجراوي التادلي. رحل إلى مراكش وصاحب بها الشيخ عبدالغفور ابن يوسف الأيلاني (ت. 586) فكان يخرج من مراكش لزيارته في أغمات حافيا كما ذكر ذلك رفيقه محمد بن خالص الأنصاري. وزاد قائلا : "لقيت أبا وكيل فقلت له ادع لي فصاح علي وقال لي أتجعل بينك وبينه حجابا وتقول : ادع لي !". وأخبر عنه الولي المراكشي الشهير أحمد ابن عبدالرحمن الجباب "أنه ـ أبا وكيل ـ محدّثٌ لا يفعل شيئا إلاّ بأمر وما يتوقف إلاّ ليُؤمر بما يفعل" (*التشوف*، 290).

وقد رجع سيدي بوكيل إلى مسقط رأسه بتادلا حيث توفي في تاريخ غير محدد أواخر القرن السادس أو أوائل القرن السابع الهجري، وضريحه عند سدٍّ مدينة قصبة تادلا.

ي. التادلي، *التشوف*، 290 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 312 ؛ م. عربوش، *من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، 142 . 143.

محمد حجي

البوكيلي، أسرٌ متعددة، منهم من ينتسب لأبي وكيل دفين واد زيز الشهير، يرجع أصلهم إلى واد زا بسجلماسة، وهم صلحاء مرابطون لاحظ لهم في الانتساب إلى البيت النبوي حسبما ذكره جميع النسابين، مثلُهم في ذلك مثلُ أولاد أبي وكيل دفين أيت سماحة، وأولاد أبي وكيل الصنهاجي دفين دكالة، وأولاد أبي وكيل ميمون بالصحراء.

أما البوكيليون الشرفاء فهم بَواد زيز، موطنهُم به وببني إزناسن وبعيون سيدي ملّوك بين تازا ووجدة، ويُعرفون أيضاً بأولاد سيدي مخوخ. ومن هؤلاء الشرفاءُ البوكيليّون بمدينة مراكش، غير أننا لا نعرف متى انتقلوا إلى هذه المدينة، ولا أول من انتقل منهم إليها. وكل ما نعرف هو أن أفراداً منهم شغلوا مناصب مخزنية سامية كأمناء النفقات بدار المخزن، أو أمناء مكلفين ببيع غلل الأملاك المخزنية، وأخيراً أمناء المستفاد، ولعل هذا ما جعل هذه الأسرة تحتكر منصب الحسبة في مراكش خلال القرن الثالث عشر (19 م) في شخص محتسبين هما : مولاي إبراهيم البوكيلي وابنه مولاي عبدالله البوكيلي.

البوكيلي، إبراهيم (مولاي ـ) الملقب بـ"السوارت" أي المفاتيح. أسند إليه السلطان مولاي عبدالرحمان حسبة مدينة مراكش حوالي سنة 1844/1260 وعهد إليه بمهام أخرى، كإسعاف المنكوبين بمدينة الصويرة بعد هجوم الأسطول الفرنسي عليها في نفس السنة، كما أمره بعد ذلك بالوقوف على إصلاح جامع الكتبيين بمراكش. في سنة 1847/1269 عين امين الصائر (النفقات) ببنيقة مراكش داخل دار المخزن، ولعل هذا ما جعله يلقب بـ "السوارت".

البوكيلي، إدريس بن محمد الفاسي ثم الجديدي. ولد بفاس عام 1280 / 1863 وبها نشأ ودرس على كبار علماء القرويين في عصره، أمثال محمد بن التهامي الوزاني، وهو عمدته، ومحمد گنون وعبد الملك العلوي الضرير وعبد الواحد ابن المواز. كما أخذ عن الشيخ الصوفي صالح بن المعطي الشرقي التادلي. قال عنه في *إتحاف المطالع* "العلامة المشارك المطلع، الكاتب المقتدر".

انخرط إدريس البوكيلي في خدمة المخزن، فكان كاتباً في البنيقة الكبرى مع الحسن الأول ثم مع ابنه عبد العزيز. وأفاد أنه جرت العادة بهذه البنيقة إذا صدر الأمر بكتابة رسالة أو ظهير أحيل الأمر على كاتب ينشئ ذلك كما طلب منه في الحين دون مبيضة، وإذا زاد أو نقص أو تذبدب فلا يعد كاتباً وربما عزل في الحال.

وقد كلفه السلطان عبدالعزيز بمهمة نائب أشغال وزارة الخارجية، وتفيد إحدى الرسائل الصادرة عن محمد بن العربي الطريس ببعض المعطيات في هذا الصدد (*كناش*، خ. ع. رقم 2721 ورقة 210) فقد بعث له برسالة مؤرخة في 26 ربيع الثاني عام 17/1326 ماي 1909 يقول فيها :

"...كتب لنا سيدنا، دام عزه، بأنه قد أنعم عليك بالتكليف بأشغال الوزارة الخارجية وأقره بإعلام نواب الدول هنا بذلك ليكونوا يخاطبونك في مكاتبهم التي يوجهونها للحضرة الشريفة، وقد أعلمناهم بذلك، ويزيد الفرح نهنّئ جنابك بهذه الترقية لتلك الرتبة السامية. التي أنت أهل لها ...".

بعد ذلك أسند إليه قضاء عدد من المدن آخرها مدينة الجديدة، حيث بلغ سن التقاعد وأحيل على المعاش، وأدركته الوفاة بها عام 1366 / 1946 وأقبر بها.

كناش مخزني رقم 2721 خ ع ورقة 210 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 12366 ؛ *سل النصال*، الترجمة 48.

البوكيلي، عبدالله (مولاي.) الملقب بسيدي الكبير، أحد أبناء المحتسب مولاي إبراهيم البوكيلي. تمرّس بجانب أبيه على مهمات الأمانة والحسبة، وشغل نفس المنصب الذي كان يشغله أبوه بعد وفاته، وهو منصب محتسب مراكش. وإلى نظره كان يسند أمر باقي الأمناء، فهو الذي يُقرّهم في مناصبهم ويحدد طبيعة مهامّهم ويفصل في القضايا المطروحة عليهم قبل أن تصل إلى المخزن. لهذا كان محتسب مراكش مولاي عبدالله البوكيلي، بفعل موقعه وحنكته، يشرف على كل العمليات المالية والتجارية، ويتكلف من طرف المخزن بشؤون أملاكه وتنظيم صوائر داره إلى غير ذلك من الأمور التي تدخل في دائرة اختصاصه. وحينما كان المخزن يعتزم القيام بأي مشروع يدخل في إطار الحق العام للدولة، فإن مسؤولية تنفيذه على المستوى الجهوي يكلف بها المحتسب، نظراً لأمانته وتجربته من جهة، ولشمولية مسؤولياته واختصاصاته من جهة أخرى.

وفي هذا الإطار لما اعتزم السلطان مولاي الحسن القيام بمشروع بناء معمل صنع القرطوش بأگدال مدينة مراكش، عهد إلى محتسب المدينة مولاي عبدالله البوكيلي بمهمة الإشراف على بنائه، وذلك بتاريخ 12 شعبان 1304 / 6 ماي 1887 (*مظاهر يقظة*، 1 : 95) فاضطلع بكل عمليات الصرف من أجل البناء.

وكان المحتسب مولاي عبدالله البوكيلي كذلك خبيراً في الشؤون الاقتصادية العامة، لأن له من المعطيات ما يساعده على تقييم الوضع الاقتصادي، وضبط التوازنات الاقتصادية بين مكونات كل جهة على حدة حفاظاً على الاستقرار والأمن. وفي هذا الإطار، لما أُحدث سوق الخميس بين تكانة واگلاوة، واحتكر السوق بيع منتجات درعة، وقصده الناس فراراً من العطاء، وكان من شأن ذلك أن يحدث خللا في التوازنات الاقتصادية، وأن يضر بمداخيل الخزينة وبمصالح التجار بالمدينة، جعل السلطان يستشير المحتسب عبدالله البوكيلي في أمر ذلك. وتفيد رسالة السلطان مولاي الحسن إلى المحتسب بتاريخ 10 ربيع الأول 14/1306 نونبر 1888 أنه أقر رأيه، تقول الرسالة "... وأشرت إلى الأمر بتركه، لأن ما يباع به يدخل لمراكش، ويحصل منه النفع، وصار بالبال، فقد ساعدناك على ما أشرت إليه، وقد كتبنا للأگلاوي بتركه".

كما أن المحتسب مولاي عبدالله البوكيلي كان قادراً على تقييم طبيعة المبادلات وحجمها وتوزيعها بين مختلف الجهات الواقعة في دائرة اختصاصه. وعثرنا في هذا الاتجاه على رسالة أخرى بتاريخ 23 شعبان 5/1305 ماي 1888 بعثها السلطان مولاي الحسن إلى البوكيلي تفيد أن حجم مبادلات دمنات في فترة الانتعاش كان قريبا من عُشر المبادلات في مراكش.

كما كان المخزن يعتمد على هذا المحتسب لضبط المكاييل وتحقيق سعتها، ولما أراد السلطان مولاي الحسن تحديد المكيال الذي كانت تدفع به العولة للدار السلطانية بمراكش، بعث إليه المحتسب مولاي عبدالله البوكيلي "معلماً" رحويا، تأكد بعد قيامه بكل التحريات أنّ الخرّوبة المراكشية كانت تساوي ستة أمداد ونصف مكناسية وثمانية أمداد فاسية (*إيولتان*، ص 310). ورغم ما كان يحظى به البوكيلي من ثقة السلطان، وما كان يجب أن يتوفر فيه من أمانة وصدق، فإنه أحيانا كان يحتكر لنفسه صلاحيات تجعل باقي الأمناء بعيدين عن ممارسة مهامهم. فقد حاول إبعاد أحد أمناء الصائر بدار المخزن وهو الأمين الصبان في إحدى المعاملات المتعلقة بصفقة بيع منتجات وغلل أملاك المخزن بمراكش، مما دفع بالأمين المذكور إلى رفع شكاية للسلطان، فأمر المحتسب بعدم التطاول على مهام وصلاحيات الأمين، وأمره كذلك بأن لا يعقد شيئاً إلا بحضوره، وألزمه بتقديم جميع الوثائق والمستندات المتعلقة ببيع الغلل والفواكه خلال المدة الماضية (المصدر السابق 284).

وطبيعي أن المحتسب كانت له من صفات المروءة

والنزاهة ما يجعله فوق كل الشبهات، بعيداً عن كل المحرمات، وكان هذا المبدأ هو أساس اختياره لمنصب الحسبة، إلا أن ظروفا أخرى، كضعف أجرته، كانت تدفع به إلى أن يزيغ عن هذا الطريق، ويندمج في الجو العام الذي كان يحيط به، من أخذ الأعطيات والهدايا مقابل القيام بخدمات وتدخلات لدى المخزن، وغير ذلك من الأشياء التي كان بإمكان المحتسب أن يقوم بها، وما أكثرها !. ونسوق في هذا الصدد رواية أوردها السباعي في كتابه (*البستان الجامع*، ص 121)، تقول : إن السلطان الحسن الأول قبض على عامل مسفيوة، وهو إبراهيم بن حسين، بوشاية العامل الآخر بواسطة الوزير ابن العربي وصاحبه المحتسب البوكيلي، ومن أجل ذلك قدّم لهما العامل المذكور أعطيات وهدايا "فأعطاهما عطاءً جزيلاً" ومن جملة ما أعطى المحتسب مولاي عبدالله البوكيلي وحده "فندق السويري بباب الفتوح، والحوانيت الخارجة عنه، مظهرين للناس البيع صورة، ولا بيع في الحقيقة، وتنوّراً لنضج الخبز، وخيلا وبغالا، ودلّسا على السلطان ـ أيده الله ـ تدليساً صدّقهما فيه، فقبض على ذلك العامل مع حسن خدمته واستقامته".

ومازلنا نفتقر إلى معطيات أخرى حول المحتسب مولاي عبدالله البوكيلي، فلم نقف على مدة بقائه في منصب الحسبة ولا تاريخ عزله إلى غير ذلك. وما تحتفظ به الذاكرة الشعبية بمراكش يفيد أن أسرته كانت تسكن بحي القصور من مدينة مراكش.

ونعثر في وثيقة عدلية على معلومات تفيد أن عبدالله البوكيلي كان وصياً على أخته من الأب السيدة فاطنة بنت مولاي إبراهيم البوكيلي، وبعد وفاته حوالي سنة 1938/1357 لم يوصِ عليها أحداً، فتولى رعاية شؤونها أخوها للأب عبدالرحمان بن مولاي إبراهيم البوكيلي وذلك بتاريخ 19 شعبان 1359 موافق 14 سبتمبر 1940.

أ. الشباني الإدريسي، *مصابيح البشرية في أبناء خير البرية* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج 1 ؛ ن. التوزاني الهراج، *الأمناء بالمغرب*؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، ط 2 (إنولتان، 1850-1912) ؛ ع. السباعي، *البستان الجامع لكل نوع حسن وفنّ مستحسن*، مخطوط، خ. ع. رقم 1346 ؛ كتاشة : *تقييد المكاتب الموجهة للحضرة الشريفة*، خ. ع. رقم 2721 ك.

المصطفى فنيتير

پولاكر Polacre، من أنواع السفن الرئيسية التي اعتمدها مجاهدو مصب أبي رقراق في أسطولهم البحري، ويوجد بينها وبين نوع البينك Pinque تشابه كبير، إذ يحتوي نوع البولاكر على ثلاثة صوار، وهو من النوع المتوسطي المتطور على نوع بوكراع Chebec الذي يلتقي معه في عدة خصوصيات، في كوثله المرتفع الممتد بواسطة جناحين يدعمان قاعدة خفيفة من الألواح، وفي مقدمته الحادة، لكنه يتميز بكونه من السفن ذات القعر المسطح، والحمولة المرتفعة نسبيا بحيث تتراوح ما بين مائتي وثلاثمائة طنة، وبالتالي بروزه أكثر ثقلا وأقل سرعة من نوع بوكراع. ولكونه أحد الأنواع الأساسية الموجهة للجهاد في عمليات أعالي البحار، فقد أخضعه المجاهدون لتعديلات جعلته يستجيب بالخصوص للشروط المطلوبة لسفن الجهاد السلاوي، فجهزوه مثل البينك بحوالي عشرين قطعة مدفعية، وطاقم يصل إلى مائتي رجل في المتوسط. ويبدو أن استعمال هذا النوع دام طوال القرن

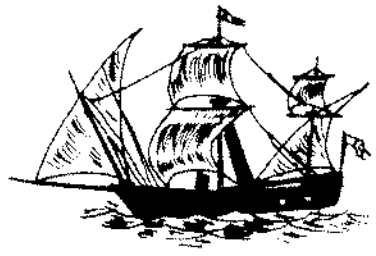

الحادي عشر (17 م)، ولا يوجد له ذكر في أسطول سيدي محمد بن عبدالله في القرن التالي.

R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 92 et 98.

حسن أميلي

بولانوار ← **بولنوار**

بُولَمَن، أسرة تطوانية تجهل كل شيء عنها سوى أنه كان لبعض أفرادها داران بحومة التّرنكات سنة 1841/1257 حسب ما جاء في الإحصاء الذي جرى بالمدينة في السنة المذكورة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 351 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vedemecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بولحية، طائر من سباع الطيور بين النسر والعقاب ينتمي إلى رُتبة الجوارح وفصيلة العقبان. اسمه العلمي : Gypaetus barbatus، وعند العرب كاسر العظام. وفي المغرب : بولحية والعقاب، وفي مصر بُلتْ وسَتل ومكلفة وفينة، وفي السودان : أبو ذقن وأبو لحية. ورد ذكره في التوراة، وهو الأنوق في الترجمة العربية.

رأسه أبيض تحيط به لفافة سوداء تمر على العينين وتنتهي تحت المنقار بباقة من الشعر الأسود يُذكّر باللحية. أسود الظهر والجناحين والرجلين، صدره وبطنه بيضاوان

مصفران. المنقار أسود معقوف قوي، المخالب سوداء قوية جداً. يبلغ طوله 102 ـ 114 سم، الجناحان طويلان وحادان، الذيل طويل مكتف.

إنه أكثر العقبان نشاطا، حادّ البصر، يحلق عدة ساعات في الفضاء بدون تعب. يعيش مزدوجا ولا يسمح للآخرين بالاقتراب من مكان معيشته الذي يقدر بمساحات شاسعة، ويسكن أعالي الجبال البعيدة عن الإنسان ولا يقترب إلا نادرا من المدن والقرى. يحمل كل عظم فيه مخّ حتى إذا كان في كبد السماء أرسله على صخرة أو صفا فينكسر فيهبط ليبتلع مخه. يفعل ذلك أيضا بالسلاحف ليسهل عليه أكلها. يأكل الطيور والقواضم والزواحف وأحيانا لحوم المَيْتة، وله ميل شديد إلى العظام.

يبني عشه الضخم في أعالي الصخور الصعبة التسلق، مكوناً من الأغصان ومفروشاً بالعظام. تبيض الأنثى بيضة أو بيضتين كل سنة، مصفرة اللون ومزركشة بنقط بنية. تبلغ من الطول 85 × 66 ملم. تدوم مدة الحضانة 53 يوما وتغادر الصغار عشها بعد ثلاثة أشهر ونصف، وقد كساها ريش أسود على سائر جسدها، وتصير بالغة بعد أربع سنوات.

تقلص عدد هذا الطائر في المغرب في النصف الأخير من القرن العشرين، ويقدر حالياً ببضع عشرات من الأزواج تعيش في جبال الأطلس. وانقرض في جبال الريف بعد أن كان يعيش قرب الشاون وتطوان وجبل موسى.

يعيش حاليا في أكلموس ومولاي بوعزة وأُلماس وعين اللوح وأزرو وتامدا وأزيلال ومنابع أم الربيع وجبل بوبيلان. نجده في الأطلس الكبير بالمناطق التالية : تيزي نتاست وأكاميدن وتُبكال وسروا وتيزي ن تيشكا وورزازات وقلعة مگونة وجبل أزوركي وبومالن دادس وتنجداد وزيز وجبل العياشي وميدلت وصَغْرو وتينغير. وفي الأطلس الصغير نجده في إغرم وطاطا وتافراوت وجبل غير وعوينة آيت أُسا وفم الحصن وبويزاكارن.

إنه نادر بالمغرب الشرقي قرب فگيگ وجبل گروزوماعز، ومفقود بالمناطق الصحراوية. وهو من الطيور القارة، وغالبا ما يعيش في نفس المكان طول حياته. يقتصر توزيعه الجغرافي على جنوب أوروبا وشمال افريقيا والشرق والأوسط.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، ص 143.

H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *Les Oiseaux d'Europe, d'Afrique du Nord et du Moyen Orient*, Lausanne, 1972 ; Thevenot, Berger et Beaubrun, *Compte rendu d'ornithologie marocaine : statut, répartition et écologie*, *Annales CEEP*, N° 3, 1987.

محمد رمضاني

بولدْوين، إ. ف. Boldwin, E. F مبشر أمريكي استوطن بأهله وأولاده مدينة طنجة سنة 1287 / 1870 ثم انتقل إلى الصويرة سنة 1298 / 1888 حيث كان يتعاطى التبشير بالديانة المسيحية مستقلا عن البعثات البروتيستانتية. وفي سنة 1308 / 1890 رحل إلى الشام لمواصلة عمله هناك.

م. خالدي و ع. فروخ، *التبشير والاستعمار في البلاد العربية*، 43؛ *الوثائق المغربية* ؛ م. بوشعراء، *الاستطيان*، 4 : 1401 ـ 1415.

بُولْطن، م. Miss Bolton مبشرة أنجليزية من هيأة "نورث أفريكا ميشن" استوطنت مدينة تطوان سنة 1306 / 1888 وفتحت بها مدرسة للتعليم. ولها تقارير عن المغرب نشرتها بمجلة "*نورث أفريكا*". وهناك بُولطن، و. ت. Bolton, W. T مبشر أنجليزي ينتمي كذلك إلى هيئة "نورث أفيركا ميشن" حل بتطوان سنة 1315 / 1897 وأخذ يباشر نشاطه بها، وكان مراسلاً لجريدة البعثة.

م. بوشعراء، *الاستطيان*، 4 : 1405.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 148 ; *Les Missions protestantes au Maroc*, 42.

مصطفى بوشعراء

بولعْجال، إبراهيم (سيدي ـ) صالح مشهور عند جميع قبائل الأعراب المحيطة بسلا، وبخاصة قبيلة عامر التي يقع ضريحه في بلادها، على بعد نحو عشرة كيلوميترات شمالي شرقي المدينة. ولا تعرف له ترجمة، إلا أن الذاكرة الشعبية تقول إنه عاش ناسكاً زاهداً في هذه المنطقة منذ مدة طويلة، وظهرت له كرامات عديدة في حياته. وظل الناس يستشفون بترابه بعد مماته. لذلك تساق إليه هدايا ونُذُور طوال أيام السنة.

وقد جُدد ضريح سيدي إبراهيم بولعجال منذ نحو خمسين سنة، وصُرفت فتوحاته لإحدى الشريفات بمدينة الرباط.

بولعجول، أسرة سلوية أصلها من قبيلة دكالة فرقة عواد، عرفوا بالاشتغال بالفلاحة والدباغة، وكان منهم مجاهدون في البحر، طبجية وبحارة، طوال القرن الثالث عشر (19 م) ومازالوا حتى الآن في مدينة سلا.

بولعجول، أحمد، من المجاهدين البحريين الذين أنعم عليهم الحسن الأول بصلة في 19 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، ورقمه في القائمة 207.

بولعجول، محمد، مجاهد بحري كذلك نال الصلة الملكية في التاريخ أعلاه ورقمه 157 كما يوجد اسمه في قائمة الصلة التي أنعم بها الحسن الأول في ثامن وعشري ذي الحجة عام 1311 / 2 يوليوز 1894 على من سمتهم الوثيقة "البحرية الواقفين على وظائف الأمور الجهادية". ورقمه فيها 148.

بولعجول، محمد بن بنعاشر، كان في بداية أمره من رجال المدفعية الطبجية وبهذه الصفة توجه في جملة الحركة السلطانية في ثاني ذي الحجة عام 1318 / 23 مارس 1901. وبعد قضاء الحماية على بقايا مظاهر الجهاد البحري بسلا أصبح محمد بولعجول يتعاطى مهنة الدباغة إلى أن توفي قبيل عام 1344 / 1925 مخلفا ولدين : بنعاشر وعبد الله كما جاء في رسم إرائته.

بولعجول، المفضل، من المجاهدين البحريين الذين

أنعم عليهم الحسن الأول بصلة في 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875، ورقمه في القائمة 235.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 153، 227، 228، 260 ؛ *رسوم عدلية عند العدل السيد عبد النبي النجاري السلوي : معلومات شفوية*.

محمد حجي

بولعوان، أو بولاعوان أو بوالأعوان، منطقة فلاحية بجنوب دكالة اشتهرت بتربتها الرملية التي تستغل في غراسة الكروم بشكل تقليدي. ويُعتقد أن الكروم قد أدخلت إلى دكالة من طرف البرتغاليين في القرن العاشر (16 م)، غير أن ما هو أكيد أنها غراسة مفيدة على التربة السائدة، وموافقة لمحاولة السكان استغلال أقصى ما يمكن من المجال الفلاحي تحت تأثير الضغط السكاني الملاحظ منذ القديم، كما أنه يمكن استغلال عدد من الزراعات التقليدية فيها إلى جانب الكروم مثل القمح والشعير والذرة... ومع تطور النقل وتطور صناعة الخمور في الحقبة الاستعمارية توسعت غراسة الكروم بدكالة، وخصوصا بالمنطقة الشرقية، وهذا ما يفسر شهرة مصنع خمور بولعوان.

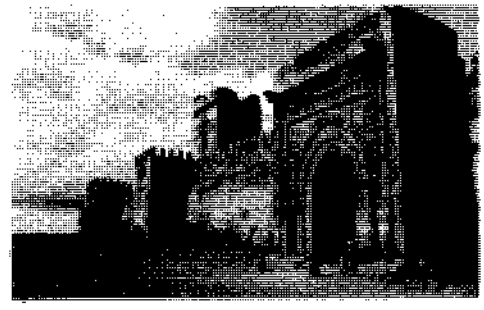

وتشتهر بولعوان أيضا، بأهمية الأملاك المخزنية بها، ففي سنة 1336 / 1917 قدر گولفن مجال بولعوان بـ 7.000 هكتار (*دائرة*، 132) وبعد الاستقلال بقليل قدره بول بّاسكون بـ 4.464 هكتار (*البنيات*، 24).

ويجهل السبب الذي جعل قصبة بولعوان الإسماعيلية تكون حاليا مهجورة خالية من السكان رغم الإمكانيات الفلاحية المتوفرة بالمنطقة، غير أن گولفن حاول أن يعطي لذلك تفسيراً مرتبطاً بمحاولة المولى إسماعيل تأبيد ذكرى وفاة زوجته المفضلة، حليمة غشاوة التي كانت تسكن بقصر القصبة، فأمر بإخلائها بعد موتها، وأغلق قصبة بولعوان، ولم يعد إليها قط، وبعد سنوات من ذلك وأثناء احتضاره، أكّد إخلاء القصبة نهائيا لتأبيد ذكرى هذه المرأة..." (*دائرة دكالة*، 405).

غير أن هذا التفسير، وهو غير مؤكد، يهدف إلى إبراز حدث شخصي يمس السلطان المذكور، ذلك أن المغرب بشكل عام ومنطقة دكالة بشكل خاص، شهدت فترة من عدم الاستقرار السياسي بعد وفاة المولى إسماعيل، الشيء الذي قد يكون وراء تخريب القصبة وهجرتها. وفي سنة 1147/1734.1735 مثلا، وبعد ثورة عبيد الرمل على السلطان مولاي عبدالله، فرّ هذا الأخير إلى قصبة بولعوان حيث إنه "...قصد مرس بوالأعوان، فنزل عليه وأباحه للقبائل ليستعينوا به على ما هم فيه من المسغبة" (*التقاط*، 364). وتحت حكم السلطان مولاي عبدالله أيضا، فر المولى المستضيء الذي كان يحاصر مدينة الرباط، إلى قبائل دكالة فتبعه إليها المولي عبدالله سنة 1157/1744.1745، فلما نزل قصبة بوالأعوان ونزلت عساكره أمامه بذلك البسيط من دكالة، فر أهلها مع المولى المستضيء إلى التلول ونزلوا قرب دمنات، وشرعت عساكر المخزن في انتشال الحبوب من

الأمراس واستخراج الدفائن من الهميل وتخريب القرى وتقطيع الأشجار، وكلما فرغت من ناحية انتقلت إلى غيرها متقلبة في ذلك البسيط نحو السنة، والسلطان مقيم بالقصبة إلى أن اكتسح أرض دكالة وتركها أنقى من الراحة ليس بها ما يأكله الطير أو يتظلل الحائر ..." (*الاستقصا*، 7: 168).

وخلال سنتي 1969 . 1970 تم تجهيز قطاع بولعوان وسقيه في إطار مشروع الإعداد الهيدرو فلاحي لدائرة دكالة المسقية، وتجدر الإشارة إلى أن بولعوان هو أول قطاع يسقى بطريقة الرش في المغرب، وذلك على مساحة 1100 هكتار من الأراضي المسترجعة، تم توزيعها إلى 220 تجزئة من مساحة 5 هكتارات لكل عائلة منتفعة، في إطار عشر تعاونيات للإصلاح الزراعي (*تحول* : 91).

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7 ؛ إ. خباطي، *تحول البنيات الفلاحية في القطاعات المسقية. نظام الأكارة في سهل دكالة المسقي*. د. د. ع. شعبة الجغرافيا، الرباط، 1988.

J. Goulven, *Le cercle des Doukkala au point de vue économique*, Paris, 1917 ; E. Michaux-Bellaire, *Villes et tribus du Maroc*, Vol. 10 : *Région des Doukkala*, T. 1 ; *Les Doukkala*, Paris, 1932 ; P. Pascon, Rapporteur, *Les structures agraires dans le perimètre des Doukkala*, O.N.I., Rabat, 1961 (Ronéo).

إسماعيل الخباطي

** وتذكر كتب التاريخ بولعوان مدينة صغيرة من مدن دكالة القديمة في منتصف الطريق بين فاس ومراكش محتوية على خمسمائة بيت، يعيش أهلها في بحبوحة ورغد، ويكرمون ضيوفهم أيّما إكرام، نظراً لخصوبة أراضيهم ووفرة أنعامهم.

ولقد شمل هذه البلدة الاحتلال البرتغالي، في أوائل القرن العاشر (16 م)، فعاث المعتدي فساداً في أراضيها وأخضع أهلها للأسْر والاستعباد، كما عانى سكانها من الإتاوات المفرطة والجبايات الباهظة من قبل البرتغاليين والوطاسيين على السواء، الأمر الذي جعلهم يغادرون بلدتهم ويلتجئون إلى جبال تادلا.

يبدو أن مدينة بولعوان ظلت مهملة، بعد أن انجلى عنها البرتغال، إلى أن شيّد بها السلطان المولى إسماعيل قصبة عسكرية لحراسة الطرق التي كانت تربط عاصمته مكناس بمختلف نواحي المملكة.

تجثم قصبة بولعوان على قمة شاهقة من الصخر، تنزل عموديا على أضيق نقطة في مُنعطف مَجرى نهر أم الربيع. وتشرف على المنعطف المذكور من كلتا واجهتيه ولا تربطها بالسهل المجاور إلا بقعة ضيقة من الأرض، ويعتبر هذا المكان من أكثر الأماكن توحشا. وعندما يرى الإنسان هذه القصبة من بعيد، تبدو له بأبراجها الشاهقة وأسوارها المسننة، عظيمة الهيكل، هائلة البنيان.

لقد كان لهذه القصبة في الماضي، باعتبار موقعها الذي يتحكم في أحد الممرات الرئيسية بين مراكش وفاس على نهر أم الربيع، أهمية استراتيجية لا تُنكر، بالإضافة إلى أن موقعها على الحدود المشتركة بين ثلاثة تجمعات قبلية عظمى هي دكالة والشاوية والرحامنة كان يجعل منها، من الناحية السياسية، مركزاً ممتازاً للمراقبة. ولئن اختفت الآن أهمية هذه القصبة من الناحية العسكرية والسياسية، فإن أهميتها الأثرية ما زالت قائمة، نظراً لما تتوفر عليه من الخصائص الجديرة بالعناية، من الناحية المعمارية، إذ أن الموقع الذي اختير لتشييدها والبرج الذي أقيم فيها وكذلك باب السرّ والحصن الأمامي المُنحدر والمُغطّى، المُفضي إلى النهر، وأبراج الدّعم الجناحي التي تتوفر عليها والتي أُحْكم بناؤها بدقّة ومهارة، كلّ ذلك يدل على أن تصميم هذه القصبة كان من وضع بعض المهندسين الماهرين في فنّ الهندسة العسكرية ؛ وبذلك فهي تمتاز عن مثيلاتها باستحكاماتها الدّفاعية.

أما بناية هذه القصبة فمستطيلة الشكل، محصنة بسبعة أبراج للمراقبة وموجّهة من شماليّ الشمال الشرقيّ إلى جنوبيّ الجنوب الغربيّ كما أن لها دَرَجا مُغطى يَرْقب سُداسيّ الشكل مزوّد بكُوات للرمي، يسْمح بالمرور من داخل القصبة إلى جانب النهر حيث ما تزال بعض آثار مَسْبح ماثلةً للعيان.

وبعد عبور الباب الرئيسي والرواق الدّاخليّ، تظهر في الجهة اليمنى آثار دار السلطان مولاي إسماعيل، وكانت ما تزال إلى عهد قريب في حالة لا بأس بها، وهي فسيحة الأرجاء مربعة الشكل تزينها صفوف من الأعمدة الأنيقة العالية وفناء داخلي يفضي إلى أربع غرف انهارت إحداها واحْتفظت الغُرف الثلاث الأخرى التي كانت لا تزال اثنتان منها مفتوحتين بآثار فسيفساء متعددة الألوان وزخارف عربية منقوشة على الجص.

بعد ذلك يأتي برج مربع عظيم يحتضن القصبة كلها ويناهز علوه عشرة أو اثني عشر متراً، وهو ملتصق بفناء الدار الداخليّ الذي يصله به باب واحد، غير أن الدرج الداخلي أصبح في حالة انهيار جزئي منذ بضع سنوات، بحيث لم يَعُد، مع الأسف، يمكّن من الوصول إلى سطح هذا البرج الذي كان ولا شك يُتيح للمُشرف منه أن يتمتع بأحد المناظر الرائعة.

أما رأس الصخرة التي شيدت عليها قصبة بولعوان، فيَبرزُ داخل الأسوار بشكل بيّن إلى حدّ أن نتوءه يكاد يُلامس قمّة القصبة، في الجزء الشماليّ الشرقيّ من السور؛ وعلى كلا جانبي هذا النتوء توجد، في منخفضين عظيمين، كهوف ضخمة كانت تستعمل في القديم لخزن المحصول الفلاحي.

ولقد ظل مولاي إسماعيل يستعمل هذه القصبة أثناء تنقلاته بين فاس ومكناس ومراكش. وكان لمولاي عبدالله ابن السلطان مولاي إسماعيل دار بهذه القصبة نزل بها في عام 1744/1157 حين مطاردته لأخيه المستضيء، فمكث بها سنة كاملة.

م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *مدن وقبائل المغرب*، *ناحية دكالة*، تر. م. الشياظمي، مخطوط.

J. Goulven, *Le Cercle des Doukkala*, 1917.

محمد الشياظمي

** تعتبر بولعْوان من الناحية الأثرية نموذجاً للقصبات المحصنة، وتسجل الكتابة التي تعلو الباب الرئيسي تاريخ تأسيسها، وهو عام 1710/1122 ونصها كما يلي :

السطر الأول : النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا إسماعيل المجاهد في سبيل رب العالمين أيده الله ونصره.

السطر الثاني : على يد وصيفه السعيد بالله الرشيد أبو عثمان الباشا سعيد بن الخياط وفقه الله عام اثنين وعشرين ومائة وألف.

قصبة بولعوان من أهم القلاع الإسماعيلية وأكبرها، لم يفت كل من عاصر المولى إسماعيل أن يشير إليها ويصفها وصفا يبرز دورها وأهميتها، سواء كان مغربياً (الزياني) أو أجنبياً (طوماس بيلو، مووبط). ولعل ما يميزها لأول وهلة احتلالها لموقع منيع محصن بطبيعته، فهي تقع فوق ربوة صخرية على الضفة اليسرى لنهر أم الربيع، تعلوه بعدة أمتار، مما يمكّن من مراقبة كل تحرك في السهل المجاور ومن حراسة المجاز الوحيد في هذه الجهة حراسة مشددة وسهلة.

واحتلالها لهذا الموقع جعل تصميمها رباعيا غير متساوي الأضلاع، حيث لا يتعدى طول السور الشمالي 55 مترا بينما طول الجنوبي 105 أمتار، والشرقي 124 متراً والغربي 131 متراً (انظر التصميم).

أما الأبراج فيختلف عددها من سور إلى آخر كما يختلف تصميمها باختلاف مكان تشييدها. فأما من حيث العدد فالسور الجنوبي هو الذي يتوفر على أكبر عدد وهو خمسة أبراج (أوسطها يضم المدخل الرئيسي)، بينما لا يتوفر السور الشمالي سوى على اثنين يحتلان زاويتيه، أما الواجهتان الشرقية والغربية فيتوسط كلا منهما برج واحد. وإذا استثنينا برجي السور الجنوبي المحيطين ببرج الباب،

فإن ما تبقى من الأبراج يختلف عن بعضه : نصف دائري في الغرب، مستطيل في الشرق، ما بين مربع ومستطيل ورباعي غير متساوي الأضلاع في الزوايا.

وتحاذي البرج الشرقي بنايات خارجية تضم بابا سرياً يُفتح على دهليز طويل غير مغطى ومُلتو. يحده جدار عال من كل جانب، يؤدي مباشرة إلى النهر. لكن عند نهايته نكتشف صهاريج كبيرة رأى فيها دوتي Doutté أنها كانت تستعمل لسقي البهائم.

بنيت أسوار قصبة بولعوان بالحجر المتوسط الحجم، ولم يستعمل الحجر المنجور إلا في الزوايا وفي بعض الجهات الهامة كالباب الرئيسي مثلا. وكان هذا الأخير في الأصل بابا من عطف واحد، لكنهُ اليوم مستو بسبب التغييرات التي مسته ؛ على أن واجهته وعرضه (8.60 م) وقوسه وزخارفه لم تتغير بشكل عميق، وإنما احتفظ بطابعها العام وبزخارفها الأصلية ـ وإن انمحت بعض أجزائها ـ أهمها الإفريز الحامل لنص التشييد السالف الذكر.

بعد اجتياز المدخل الرئيسي، نكتشف مجموعة هامة من البنايات، أهمها تلك التي بالزاوية الجنوبية الشرقية، وتلك التي تحاذي السور الشرقي في قسمه الأوسط.

أما المجموعة الأولى فعبارة عن مسكن يتكون من غرف تحيط بساحة مربعة الشكل وتفصلها عنها أروقة مغطاة. ويحتل زاويته الجنوبية ـ الشرقية برج مستطيل الشكل (7.40 م على 7 م). يرجح أنه كان يستعمل للسكن والنزهة أيام الراحة، وللحراسة أيام الشدة. ومما يثير الانتباه أن الأهالي يعرفون مجموع هذا المسكن بدار السلطان والبرج بالمنزه. وقد كان المسكن يحتوي كذلك على حمام وبيت للوضوء بزاويته الجنوبية الغربية، لم يبق منهما اليوم سوى بعض الآثار.

أما المجموعة الثانية فمطامير هائلة مفصلة على النحو المعروف في عهد المولى إسماعيل أي أجنحة (Nefs) بحنايا عظيمة ومتساوية تضيئها ثقب فتحت في سقوفها.

ومن البنايات التي توجد بداخل السور كذلك مسجد بُني بالزاوية الجنوبية ـ الغربية ويضم قبر صالح يعرف بسيدي منصور، وصومعة عالية وصهريج ماء. أما البنايات المندثرة التي بالزاوية الشمالية الغربية فمن المرجح أن تكون بقايا إسطبلات.

أ. الزياني، *الترجمان*.

M. Morsy, *Moulay Ismail et l'armée de métier*, *R.H.M.C.*, XIV, 1967, p. 97 - 122 ; M. Barrucand, *Remarques sur l'architecture militaire alaouite au Maroc*, *R.E.I.*, XLVIII, 1980, p. 177 - 206.

عبدالعزيز توري

** اشتهر بولعوان كذلك بمعركة تاريخية، فبعد دخول البرتغاليين إلى أزمور في خريف عام 919 / 1513، شرعوا في شن الغارات الخاطفة والوحشية على قبائل الشاوية ودكالة للحصول على الغنائم والأسرى، ولإكراه السكان على الرضوخ لهم ودفع الضرائب والإقبال على أسواق أزمور. وأمام هذه الوضعية، قرر أعيان المنطقة الالتحاق بفاس لحث السلطان الوطاسي على تحمل مسؤوليته في حماية رعاياه. وبالفعل، أمر السلطان أخاه الناصر بالتحرك نحو دكالة لمحاصرة أزمور، وكان هذا التحرك سبب معركة عرفت "بمعركة بولعوان" أو "وقعة الجمعة" لوقوعها يوم الجمعة 18 صفر عام 920 / 14 أبريل 1514.

شارك في هذه المعركة من الجانب البرتغالي حاميتا أزمور وأسفي وبحيى أ'تعفوفت، الذي جنّد قبائل الغربية وعبدة الخاضعة له. وكان الجانب المغربي ممثلا في قائدين من قواد الناصر سبقاه إلى بولعوان بينما بقي هو بالشاوية يستكمل جمع قواه. وقد قرر البرتغاليون مهاجمة القائدين اللذين كانا على رأس أربعة آلاف فارس وعدد كبير من المشاة منهم ثمانمائة من الرماة. وانتهى الصدام بتراجع المغاربة الذين حُصد رماتهم حسب شهادة الوزان الذي عاين المعركة. وقد بالغت المصادر البرتغالية بشأن عدد القتلى من الجانب المغربي (بين 2600 و4000 حسب الروايات) بينما لم تذكر إلا عدداً قليلا بالنسبة للبرتغاليين (بين 32 و50).

وقد نتج عن هذه الهزيمة هروب سكان بولعوان إلى جبال تادلا، غير أن القرية انتعشت بعد تحرير أزمور في خريف عام 948 / 1541، إلا أنها بقيت في مستوى القرية المتواضعة.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 122 ـ 123 ؛ مارمول، *إفريقيا*، 2 : 103.

R. Ricard, trad., *Les Portugais au Maroc...*, p. 117 - 122 ; *S.I.H.M., 1ère série, Portugal*, I, p. 540 - 541.

أحمد بوشرب

بُولعَيْد، أو بوالعيد، أسرة أصلها من قبيلة الساحل كانت بتطوان إلى غاية سنة 1890/1307، ينتمي جل أفرادها إلى الجندية حيث نجد بعضهم ينتمون لحامية تطوان سنة 1841/1257 ومنهم بولعيد أحمد مدفعي ! وبولعيد بوشتى ابن عمه، إضافة إلى الجنود من آل بولعيد أحمد بن عبدالنبي، ومحمد بن المهدي، وسلاّم.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Vademęcum ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

بُولعيش، أسرة إدريسية من أولاد قاسم بن إدريس الثاني دفين ما بين طنجة وأصيلا، وفرع هذه الأسرة الذي يوجد بتطوان أصله من مدشر بولعيش بفرقة البرقوقيين من قبيلة أنجرة، ومازالت هذه الأسرة بتطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 20 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بولعَيْش، أسرة يهودية، منها صمويل بولعيش الذي بعثه الملك السعدي زيدان في مهمة لدى الأمير موريس

دوناصو أمير هولندة، وذلك عام 1017 / 1608.

The Jewish Encyclopedia, T. 2, p. 659 ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs*.

سيمون ليفي

بولگيد، (صاحب القيد) أحمد الأخصاصي أخذ عن العلامة بيبيس وعن مسعود المعذري ثم ظهر في التدريس والقضاء والفتوى، وشهرته العلمية وسطى، توفي سنة 1352 / 1933.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس*.

الحسين جهادي

بُولأن السلوي ← **النجّار** محمد بن محمد

بُوللّيف، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس كانت تزاحم الباشا أحمد الريفي على عمالة تطوان وناحيتها، حيث نجد المجاهد محمد بن الحسن بُوللّيف يقود ثورة الجبليين ضد الباشا المذكور في شهر رجب 1139/مارس 1727 تضامنا مع أهالي تطوان.

وقد وصف لنا الكاتب الانجليزي برايطوايط Braithwaite الذي كان يوجد آنذاك بتطوان دخول المجاهد بُوللّيف للمدينة المذكورة يوم 25 صفر 12/1140 أكتوبر 1727 قائلا : "إن المستر روسل تقبل زيارة بوللّيف قائد جبالة الذي دخل المدينة مع جمع كبير من جنوده ليلة يوم وصول الباشا، وبما أن هذا المغربي كان أول من رفع علم الحرية العامة في هذه الناحية فقد كان لنا شرف كبير برؤيته، ولم يكن في الإمكان أن يقدم له شراب غير الأتاي، وهو رجل جميل القوام في نحو الأربعين من عمره، ربع القامة جم الأدب، حسن الذوق حتى إنه لا يظن أنه مغربي فضلا عن أن يكون جبليا فيما لو شوهد في بلد آخر غير المغرب".

كما نجده يقول : " وفي صباح يوم 12 من شهر نوفمبر وصل إلى معسكرنا قائد جبالة بوللّيف هاربا من الباشا أحمد قاصداً النجاة بنفسه إلى مكناس، واستقبله الباشا بوشفرة وأفراد حاشيته استقبالا عظيما، وكان الناس يتسابقون إلى تحيته ويتمسحون بأذياله، وكان هو بدوره يرد عليهم التحية فيعانقهم".

وفي يوم 4 ربيع الثاني/18 نوفمبر : "بعد تناول الغذاء خرجنا قاصدين مكناس برفقة الباشا بوشفرة وجميع الحاشية التي أتت معنا من تطوان باستثناء القائد بُوللّيف الذي تأخر عن الركب، وتلقى الباشا بوشفرة أنباء من البلاط المكناسي تؤكد له أن سمعة خصمه الباشا أحمد صارت لها مكانة عظيمة، والظاهر أن عميل الباشا أحمد كان يفكر في اعتقال القائد بوللّيف وقتله".

ولم نقف على تاريخ وفاة المجاهد بوللّيف.

سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 1 : 272 ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 136، 137 ؛ 2 : 25 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 155 ؛ 3 : 18 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Braithwaite, *Revolution* ; Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بُولمَان، اسم أطلق أصلا على ذلك التجمع السكني الصغير الواقع غرب جبل تشُوكت بالأطلس المتوسط الملتوي وعلى الطريق الرئيسي رقم 20 الرابط بين فاس والرشيدية مروراً بصفرو. وأصبح اسماً لدائرة من دوائر فاس إلى حدود السبعينات حيث أصبح اسما لإقليم من أقاليم المنطقة الاقتصادية الوسطى الشمالية.

تحد إقليم بولمان الأقاليم التالية : فاس وتازا من الشمال، ووجدة وفگيگ من الشرق، وفگيگ والرشيدية من الجنوب، وأخيراً خنيفرة ويفرن من الغرب. تُغطي أراضيه مساحة شاسعة تقدر بـ 14.395 كلم2. وينقسم إداريا إلى ثلاث دوائر هي بولمان ووطاط الحاج وميسور تشتمل على 13 جماعة قروية (جدول تطور السكان).

المميزات الطبيعية العامة للإقليم : يتميز هذا الإقليم من الناحية الطبيعية بتباين كبير في تضاريسه وفي مناخه، الشيء الذي يفسر اختلاف التربة والغطاء النباتي وتفاوت الموارد المائية. فهو يشمل جزءا كبيراً من الأطلس المتوسط الشمالي وعلى وجه الخصوص الجزء الشرقي الملتوي منه حيث يصل ارتفاع جبل تشوكت 2794 م وحيث أودية ضيقة مثل سَرغينة ومْدَاز وگيگو الأسفل بالقرب من سكورة. وتنفرد هذه المنطقة بالانتشار الواسع للصخور الكلسية (الدلوميتية) المنفذة التي تعود إلى الزمن الثاني والمستقرة فوق تكوينات التریاس غير المنفذة (مثل الطفل) وكذلك بانتشار تكوينات من الزمنيْن الثالث والرابع بالمنخفضات كما هو الحال بسكورة والنجيل (طفل وكلس بحيري وإرسابات غرينية...).

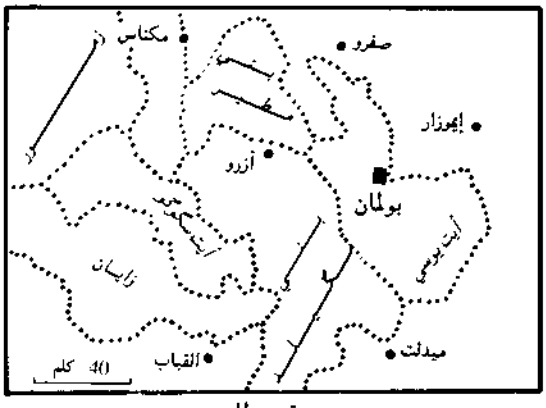

موقع بولمان

ونظراً لموقع هذا الجزء ولطبيعته الجبلية وأهمية الارتفاعات به، فهو يتوصل سنويا بكميات من التساقطات تقدر بـ 513 مم ببُولمان وبـ 356 مم بسكورة وتأتي أحيانا على شكل ثلوج تكسو كتلة تشوكت من أكتوبر إلى ماي. وتعمل هذه التساقطات على تغذية الفرشات المائية وعدد من المجاري المائية التي لا تجف في الصيف. وهذا ما يسمح منذ القديم بقيام زراعة مسقية بقعور الأودية وبالمنخفضات.

أما المنطقة الطبيعية الثانية فتشمل الجزء الأكبر من أراضي الإقليم الواقعة وراء جبل تشوكت من جهة ملوية. فهي تتقدم في مرحلة أولى على شكل تضاريس متقطعة ضعيفة الارتفاع (صورة بولمان 1) تتخللها منخفضات منبسطة القعر أحيانا وعلى شكل سهول بجوار واد ملوية حيث يتراوح الارتفاع بين 700 و900 م في مرحلة ثانية. تنتشر بها تكوينات متنوعة من الثلاثي والرباعي تشترك معظمها في كونها منفذة.

ومما يوحد بين أجزاء هذه المنطقة الطابع الجاف لمناخها. فموقعها المحمي من المؤثرات الشمالية الغربية الرطبة من طرف سلسلة الأطلس هو الذي يفسر ندْرة التساقطات التي لا تتجاوز 200 مم إلا نـادراً (198 مم بميسور و157 مم بوطاط الحاج) وهذا ما يفسر بدوره ندْرة الموارد المائية وهزالة الغطاء النباتي وضعف النشاط الزراعي.

السكان وخصائص تطورهم الحديث : تسكن إقليم بولمان مجموعات بشرية متعددة أهمها أيت يُوسي وأيت سغروشن سيدي علي ومرموشة وأولاد الحاج والشرفاء (بالقصابي). وإذا كانت ظروف وتاريخ استقرار هذه المجموعات بالمنطقة مختلفة، فيبدو عموماً أن استيطانها تم خلال القرون القليلة الأخيرة إما في إطار ما يعرف بـ "حركة أيت أمالو" أو بتدخل من السلطة المركزية بغية استتباب الأمن ومراقبة الطرق التجارية والسلطانية (أيت يوسي على الطريق بين صفرو والرشيدية). وهي مجموعات كان يوحد بين أسر كل واحدة منها هاجس الأمن أكثر من روابط الدم.

وقد فرض هذا الهاجس نوعا من التدْبير الجماعي للشؤون وللموارد والمجال وقيام عدد من التحالفات على مستويات مختلفة (بين القبائل وبين الفخذات بل وبين الأسر) عرفت تحت تسميات كثيرة مثل تاضاً والمزراگ.... وقد ساد هذا الوضع حتى زحفت جيوش الاستعمار على المنطقة بين 1914 و1926. وإذا كان سكان الإقليم قد قاوموا الاستعمار بشدة عند دخوله، فهم قد ساهموا بشكل كبير في حرب التحرير وخاصة قبيلة أيت سغروشن التي أبلت البلاء الحسن في معركة أكتوبر سنة 1955 ضد المعمرين.

ويبدو أن لمحدودية الإمكانيات الاقتصادية بسبب قساوة الظروف الطبيعية مساهمة كبيرة في قلة سكان الإقليم، وليست هذه الظاهرة بحديثة العهد كما نستشف ذلك من وصف الوزان في نهاية القرن السادس عشر ومن وصف Ch. De Foucauld في نهاية القرن الماضي، وكذلك من خلال مقال R. Raynal حول الأرض والإنسان بحوض ملوية الأعلى وأطروحة D. Noin حول سكان الأرياف بالمغرب وأخيراً من خلال معطيات الإحصاءات السكانية الرسمية. فحسب النشرة الإحصائية السنوية للمغرب لسنة 1988 لم يكن متوسط الكثافة السكانية بالإقليم سوى 10.1 ن للكلم^2، في الوقت الذي وصل فيه 61.1 ن للكلم^2 بالنسبة للمنطقة الوسطى الشمالية.

وبالرغم من المجهودات الرامية إلى تحسين ظروف العيش عن طريق تحسين القطاع الفلاحي وخلق عدد من التجهيزات ذات الطابع الاجتماعي وعدد من المصالح الإدارية منذ خلق الإقليم، فتطور السكان بطيء كما يظهر من المعطيات التالية.

تطور سكان إقليم بولمان بين سنوات 1960 و1982

الجماعة القروية	1960	1971	1982	معدل النمو / سنة ٪ 1970-1960	1982-1971
أيت بازة	3.031	3.761	3.668	1.98	0.22
أيت المان	3.442	3.413	4.099	0.07	1.67
أليش مرموشة	1.954	2.376	2.350	1.79	0.09
بولمان	10.472	12.571	16.717	1.67	2.62
المرس	5.168	5.768	5.660	1.00	0.17
النجيل	7.763	9.741	11.566	2.08	1.57
سكورة	4.847	5.979	6.896	1.92	1.30
تالزمت	3.537	4.277	4.381	1.74	0.21
القصابي	5.522	6.779	7.851	1.88	1.34
ميسور	11.159	13.888	19.354	2.00	3.06
فريطسة	10.353	13.896	20.555	2.71	3.62
وطاط الحاج	11.847	15.372	19.808	2.39	2.33
أولاد علي	7.108	8.508	8.565	1.64	0.06
مجموع الإقليم	86.203	106.329	131.470	1.93	1.95

فخلال عقدين من الزمن لم يتزايد عددهم سوى بـ 45.267 نسمة أي بوتيرة 1.93٪ سنويا. وهو معدل دون المعدل الوطني في نفس الفترة 2.64٪. ويرجع هذا البطء في نظر نوان ورينال R. Raynal و D. Noin إلى ضعف التجهيز الصحي والهجرة التي تقوت منذ السبعينات مما قد ينتج عنه تباعد فترات الحمل.

ومن مميزات ساكنة الإقليم أنها ظلت ريفية إلى السبعينات حيث ارتقت بعض التجمعات إلى مستوى مراكز في إطار التقسيمات الإدارية الجديدة آنذاك وبغية إنعاش اقتصاد المنطقة وخلق الرواج داخلها. لكن مازالت نسبة التمدين ضعيفة ؛ فعدد سكان هذه المراكز لم يقدر سوى بـ 18.000 ن سنة 1987 أي 12.4٪ من مجموع سكان الإقليم. وهي نسبة دون معدل المنطقة الوسطى الشمالية 33.1٪ والمعدل الوطني 49٪.

وتتوزع هذه الساكنة على ثلاثة مراكز :

المراكز	1971	1982
بولمان	2.084	4.820
وطاط الحاج	1.800	4.143
ميسور	1.635	5.055

وإذا كان لخلق المصالح الإدارية دور كبير في تفسير ارتفاع عدد السكان الحضريين، ففي غياب قاعدة اقتصادية

متينة يبدو من الصعب تصور استمرار تطور هؤلاء بوتيرة سريعة اللهم في حالة استمرار تهجير المهاجرين لأمرهم والبعث إليهم بالإمكانيات الضرورية للعيش.

على كل حال يطرح تزايد السكان - بالرغم من بطء وتيرته - وتمدينهم مشكل الحاجيات من غذاء وتجهيز وشغل الشيء الذي لا يتوفر في عين المكان بالشكل المطلوب. وهذا ما يدفع بالعديد من السكان إلى النزوح.

اقتصاد يرتكز على النشاط الرعي - زراعي وعلى موارد الهجرة : تبقى الإمكانيات الاقتصادية لإقليم بولمان محدودة بالرغم من اتساع مساحته 1.439.500 هـ، فمن الناحية الفلاحية لا شك أن الطابع الجبلي لجزء من الأراضي والجفاف للجزء الآخر قد قلصا من الإمكانيات الزراعية لفائدة النشاط الرعوي. فالغابات تكسو 640.000 هـ أي 44.5٪ من مساحة الإقليم. تضاف إليها الأراضي المكسوة بالحلفاء وكذلك العارية.

وتستعمل كل هذه الأراضي الشاسعة كمراعي خاصة للأغنام وللماعز التي وصل عدد رؤوسها سنة 1987، 473.030 للأغنام و148.490 للماعز في الوقت الذي لم تتعد فيه رؤوس الأبقار 11.210.

ومما لا جدال فيه أنّ قطاع الماشية يشكل مورداً رئيسياً بالنسبة للسكان، لكن بقاء هذا النشاط معتمداً على ما تجود به السماء وعدم ترشيد استغلال المراعي يجعلان القطيع عرضة للضياع كلما قلت الأمطار. ويظهر هذا الارتباط واضحاً من خلال تطور أعداد الماشية خلال الثمانينات حيث عم الجفاف في السنوات الأولى منها. فقد نزل عدد الأبقار بالإقليم فيما بين سنوات 1979 و1987 من 25.000 رأس إلى 11.210 رأس، وعدد الأغنام من 580.000 رأس إلى 473.030 رأس، وعدد الماعز من 173.000 رأس إلى 148.000 رأس.

أما الأراضي الزراعية فلا تشمل سوى مساحة محدودة لا تتجاوز 100.000 هـ أي 7٪ من المساحة الإجمالية للإقليم (من تقديراتنا). يُسقى منها حوالي 15.000 هـ موزعة بين "واحات" ملوية وأودية ومنخفضات الأطلس المتوسط. لكن السقي الدائم لا يهم سوى نصف هذه الأراضي، والباقي يخضع للسقي بالتناوب السنَتَيْني أو بمياه الفيضانات في فصلي الشتاء والربيع.

وبالرغم على بعض المجهودات المبذولة في عهد الحماية وخاصة منذ الاستقلال في ميدان تجهيز بعض القطاعات المسقية (سكورة، القصابي، أليس مرموشة، ميسور) وفي ميدان تحسين المراعي وكذلك في ميدان الإرشاد بحيث ينتشر بالإقليم حاليا أربعة مراكز للأشغال وستة مراكز ثانوية للأشغال (Sous. CT) تابعة للمديرية الإقليمية للفلاحة ... وبالرغم من كل هذه المجهودات لم تسجل تحولات جدرية على النظام الزراعي والرعوي.

ففيما يخص الزراعة يلاحظ أن الأراضي البورية التي تتركز بالجزء الجبلي بالأساس عرفت بعض التوسع عن طريق الاجتثاث لكنها ما زالت تُشغل كما كان الحال في الماضي بالحبوب والقطاني مع إخضاع جزء كبير منها لنظام الراحة. وما زالت الأراضي المسقية في هذا الجزء تخضع بدورها إلى نظام للاستعمال يعتمد على الذرة (صورة بولمان رقم 2) التي تتناوب مع الحبوب في إطار نظام السقي بالتناوب السنَتَيْني. ومنذ عقد، يلاحظ انتشار بعض المزروعات مثل اللوبياء وأشجار الورديات التي يُهدف منها التسويق. أما الأراضي المسقية بسهول ملوية، فنظام استغلالها شبيه بالنظام الواحي لكن بدون نخيل بحيث تتعدد المزروعات وتتنوع الأشجار بها ويتوالى استعمالها بدون راحة. وهو مظهر قديم ورد في وصف ش. دوفوكو Ch. De Foucauld.

وفيما يخص تربية المواشي، كان لتدخل الاستعمار فيما بين سنة 1914 وسنة 1926 بالمنطقة وللإجراءات التي أقدم عليها لمراقبة حركات الرحل وكذلك لتقوية تيار الهجرة وللتمدرس في عهد الاستقلال دور فعال في تفسير تلاشي حركة الترحال وتقليص حجم القطيع والإقبال على تربية نوع جديد من الماعز (الرومي) نظراً لارتفاع مردوديته وسهولة حراسته في وقت قل فيه الرعاة.

ولعل من أسباب الجمادية النسبية للبنيات الزراعية بالإقليم، العزلة وضيق الأراضي الزراعية مما يُبقي على الطابع المعاشي للفلاحة بصفة عامة.

وإذا كانت الفلاحة تشكل أهم مورد اقتصادي محلي فلا يجوز إغفال مساهمة الغطاء النباتي الطبيعي الذي يستغل لصنع الفحم الخشبي بالنسبة للغابة ولجمع نبات الحلفاء التي تصدر خارج الإقليم. ولا يمكن كذلك إغفال بعض الصناعات التقليدية المنزلية مثل زرابي مرموشة. وأخيراً لا بد من الإشارة إلى استغلال معدن الغاسُول السفريوي بتامدفلت الذي يعرف بعض الركود. فقد نزل به الإنتاج من 6.037 طن سنة 1983 إلى 4.981 طن سنة 1987، وقيمة الإنتاج من 4.513.000 درهم إلى 3.726.000 درهم وعدد المستخدمين من 267 إلى 160 (1986). وإذا كان جزء من هذا المعدن يستعمل بالمغرب فجزء كبير منه يصدر نحو الخارج.

وعلى الرغم من تنوع هذه الموارد المحلية فهي لا تكفي حاجيات السكان التي تنوعت وازدادت كمّاً، ومن ثم فقد تزايد الاعتماد على موارد خارجية تتمثل في ما تنفقه الدولة على موظفيها بالإقليم الذين وصل عددهم 2085 في سنة 1987 وفي ما تستثمره في مشاريع التنمية من جهة وفي ما تعود به الهجرة من جهة ثانية. ومعلوم أن هذه الظاهرة حديثة بالمنطقة بحيث يرى R. Raynal أنها كانت ضعيفة إلى حدود الستينات، ولم يكن يغادر المنطقة سوى بعض العمال الفصليين والمنخرطين في الجيش الذين يعودون بعد فترة معينة.

ومما لا شك فيه أن زيادة أهمية هذه الحركة مرتبطة بزعزعة التوازن الاجتماعي - المجالي والاقتصادي بسبب زحف جيوش الاستعمار على المنطقة وإدخال عدد كبير من

أبنائها في "الگوم". وعلى سبيل المثال كانت كل أسرة من بين أسرتين بجماعة أيت ألمان القروية تحتضن متقاعداً في سنة 1987. وقد شكل هؤلاء المتقاعدون منذ خدمتهم في الجيش الفرنسي رمز النجاح في الحياة بالنسبة لمن مكثوا في "البلاد".

ومنذ الاستقلال عملت ظروف معينة مثل التمدرس واسترجاع الأقاليم الجنوبية وجفاف الثمانينات على تنشيط الحركة. فعلى سبيل المثال وصل متوسط عدد الجنود لكل أسرة جنديين بجماعة أيت ألمان ومجموع المهاجرين القاطنين خارج دائرة بولمان بمفردها 544 شخصا.

وسواء تعلق الأمر بالمتقاعدين (جيل المهاجرين الأولين) أو بالموظفين والجنود وغيرهم من مهاجري الجيل الثاني، فهم من مصدر حقنات مالية على شكل معاشات وحوالات تساهم بشكل كبير في اقتصاد الإقليم، وذلك بتنمية النشاط التجاري وتنشيط حركة البناء خاصة بالمراكز الحضرية مما يعمل على رفع نسبة التمدين بالإقليم، وأخيراً عن طريق الاستثمار في بعض المشاريع الصغيرة.

Direction de la Statistique, Rabat, *Recensements de la population et de l'habitat de 1960 - 1970 et 1982 ; Annuaires statistiques du Maroc 1982 - 1988* ; Ch. Eisenmerger, *Région de la Moyenne Moulouya, B.S.G.M.*, T. 2, Fasc. 4, 4ème trim. 1920; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc (1883 - 1884)*, Paris, 1888 ; M. Kerbout, *Quelques aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen Atlas et le bassin de la Moulouya, R.G.M.* Vol. 12, n° 1, 1988, p. 33 - 49 ; Ministère des Travaux Publics et des Communications, (D.R.E.), *Ressources en eau du Maroc*, T. 1 et 3, Rabat, 1971 - 1977 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc : Etude géographique*, Thèse d'Etat Es-Lettres, 2 tomes, Paris, 1970 ; R. Raynal, *La Terre et l'homme en Haute Moulouya, BESM*, n° 86 - 87, p. 281 - 344.

محمد كربوط

بُولنوار، (سيدي ـ) **الرباطي**، يوجد ضريحه بباب الجديد، وهو صالح لا تعرف له ترجمة، لكن يدل الاحتفاء في بنائه على أنه كان من أعلام الرباط، وصلحائه المرموقين.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 279.

عبدالاله الفاسي

بُولنوار، (سيدي ـ) **السباعي**، ويكتب أيضاً بولانوار، من الأولياء السباعيين. ينتمي إلى فخذ أولاد عمرو ويوجد ضريحه في مرتفعات تسمّى اجْبَايل، وهي منطقة توجد في تغسريت أي الجزء الغربي من قبيلة أولاد بوالسباع. وهذا الولي مشهور بكراماته وخاصة شفاء داء البرص، ويقصد لذلك من مختلف القبائل.

رواية شفوية عن الباقر مولاي علي أحد العارفين والمهتمين بأنساب السباعيين ويشرّون القبيلة تاجر بسوق الزربية بمراكش.

م. حسن كفناني

بُولو Boulhaut. ضابط فرنسي برتبة ملازم، كان من جملة ضباط جيش الاستعمار الذي نزل بالشاوية في صيف سنة 1907 وصار يمهد للحماية، سقط قتيلاً في معركة برابح (16 ـ 17 فبراير 1908) على أيدي مجاهدي قبيلة الزيايدة، بمكان يوجد على بعد عشرة كيلومترات جنوب غربي مدينة بن سليمان، ولما تمت الغلبة لجيش الاحتلال، أحدث الجنرال داماد D'Amade قائد تلك الجيوش، ثكنة بتلك المدينة أطلق عليها اسم الضابط بولو، فغطى اسمه على اسم بن سليمان لفترة الحماية (انظر بن سليمان).

ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب 1894 ـ 1910، حادثة الدارالبيضاء واحتلال الشاوية*.

Général D'Amade, *Campagne 1908 - 1909* ; Grasset, *A travers la Chaouia avec le corps de débarquement de Casablanca*, Paris, 1991 ; Segonds, *La Chaouia et sa pacification*, Paris, [s.d] ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

إبراهيم بوطالب

البُولُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Polo. والكلمة بالإسبانية معناها القطب، والجدير بالذكر أن أسرة الطريس Torres الحالية كانت تعرف في الماضي بأسرة البولو Polo وكان من بين أفرادها : البُولو، فقيه إمام الزاوية الريسونية المتوفى سنة 1824/1240.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50 ؛ 6 : 173 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 138 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بُولُوقات، (سيدي ـ) ضريح ودرب بمراكش، فصيحه أبو الأوقات يزعم العامة أن صاحب الضريح سمي بذلك لمحافظته على أوقات الصلاة أو لاشتغاله بعلم التوقيت. معلوماتنا عنه قليلة لا تتعدى ما قاله عنه ابن المؤقت في *السعادة الأبدية* : "الولي الشهير الذكر المعروف عند العامة بسيدي أبي الأوقات بنيت عليه قبة صغرى، وقبره مزارة مشهورة". وقد نقل عباس بن إبراهيم في *الإعلام* الترجمة بنصها وأضاف إليها "لم أقف على تاريخ وفاته". والحقيقة أننا نجهل حتى اسمه الكامل وكل ما يتصل بحياته على وجه العموم والفترة التي عاش فيها. لا توجد في ضريحه شاهدة يمكن الاستعانة بها في هذا الباب، وقبة ضريحه قديمة بيضاء مستديرة، إلى جانبها قبة كبرى مغطاة بالقرميد الأخضر خاصة بأسرة ماء العينين بنيت في أواخر القرن الماضي بأمر من الوزير أحمد بن موسى.

وقد سمي الدرب الذي يقع فيه الضريح والروضة التابعة له بدرب سيدي بولوقات. وهو أحد دروب حي روض الزيتون القديم بمراكش.

ويرجع تاريخه عموماً إلى العصر السعدي، حيث حل به الأندلسيون القادمون من Argila وTavernas، وفي *النزهة* أن أندلسيّي رباط سلا نزحوا إلى مراكش من مضايقات المجاهد العياشي وأصحابه. وفي عدد من المصادر إشارات إلى أن أندلسيّي مراكش اعتمروا هذا الدرب وبنوا فيه الدور والقصور، وغرسوا خلف الأسوار جنات معروشات.

وكان الحي ـ كسائر أحياء المدينة ـ وحدة سكنية مستقلة تتوفر على بنياتها الأساسية : المسجد، الولي، الحمام،

الفران، السويقة، المسيد عند باب الحي الذي يتحول ليلاً إلى مخفر للحرس. ويعتبر ـ مثل حي القصور والمواسين ـ من أحياء الفئة الموسرة بالمدينة.

عرف الحي في مطلع القرن العشرين تحولا اجتماعياً واقتصادياً كبيراً بحكم موقعه الاستراتيجي وسط المدينة، فهو مفتوح من جهة على ساحة جامع الفناء بزوارها ورواجها التجاري، ومن جهة أخرى على حي الملاح وصاغة الذهب، الشيء الذي جعله ممراً رئيسياً بين أكبر أسواق المدينة فازدهرت به مجموعة من الصناعات المتوسطة والصغيرة.

وكاد درب سيدي بولوقات التابع للحي أن يحقق استقلالا عنه بعد فتح سوره من جانب على الساحة المذكورة من جهة، وعلى شارع باب أگناو المؤدي إليها من الجهة المقابلة. وتحولت دوره لذلك إلى عدد من الفنادق البسيطة والاقتصادية وما يتبع ذلك من مرافق خاصة بالسياحة ومن تحول على المستوى الاجتماعي. فكان ذلك من أسباب حدوث تحول على مستوى نوعية الفئات التي تسكن الدرب، وأدّى إلى ارتفاع قيمة المنازل وازدهار حركة البناء فيه.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، ط الرباط 42 ؛ أ. العياشي، *الرحلة*، 2 : 372 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، 270 ؛ م. المكي الناصري، *الرياحين الوردية*، مخطوط ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، 1 : 100 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1 : 196.

Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, 1 : 424.

حسن جلاب

بُولُوقْت، (أبو الوقت) أسرة علمية بتيزنيت. والأصل في هذا كثرة اشتغال رجالات الأسرة بمهنة المؤذنين بالمساجد، ونظراً لارتباط الأذان بعنصر الوقت، تسمى أحدهم ببولوقت. وترفع وثيقة خاصة نسبهم إلى إبراهيم بن علي التناني. ويذكر المختار السوسي شرفاء آخرين يلتقون معهم في النسب كأيت محمد التيزنيتيين وأيت عمرو الوجّانيين. وكلاهما يلتقيان في سيدي موسى بن محمد بن يعقوب دفين منطقة "إسگ" بأيت باعمران (*المعسول*، 13 : 199 ـ 200). لا تسعفنا المصادر والرواية الشفوية بمعلومات كافية عن ماضي الأسرة، ما عدا ما يحكيه بعضهم من أن العناصر الأولى هاجرت من أيت باعمران إلى أزغار تيزنيت، ثم نحو إيداوتّنان حيث بقوا مدة من الزمن قبل رجوع قسم منهم إلى تيزنيت مرة ثانية. فاستقروا نهائياً ضمن فخذ أيت محمد كعناصر طارئة، إلا أنهم تمكنوا من امتلاك الأرض والماء وفرضوا وجودهم داخل البلدة.

البولوقتي، أحمد بن عبدالسلام، وهناك عدد من العلماء والأساتذة والمدرسين تخرجوا من هذه الأسرة، منهم أحمد هذا، وهو أستاذ فقيه أخذ عن إبراهيم المقدمي بمدرسة تيزنيت، ثم عن محمد بن عمر التامودیزتي بمدرسة أدوز، درس أخيراً بجامع ابن يوسف بمراكش. وكان من اهتماماته علم القراءات والتفسير. توفي عام 1913/1332.

البولوقتي، أحمد بن علي، كان يشارط بمدرسة الكرَيْمَة (الساحل)، ومن مخلفاته عدة محررات في الفقه والفتاوى والأمثال المحلية وكلها ما تزال مخطوطة. توفي سنة 1882/1299.

البولوقتي، أحمد بن محمد، أخذ عن إبراهيم المقدسي التيزنيتي، ثم عن محمد بن مسعود بمدرسة بونعمان. ولتوسيع مداركه شد الرحلة إلى الرباط ولازم دروس شيخ الإسلام أبي شعيب الدكالي. واهتم الاستاذ أحمد بعد ذلك بالتدريس فشارط بمسجد اغرغار في إداوتّنان، ثم قرية "دومنت" بأيت أمر، فزاوية الشيخ سيدي إبراهيم ابصير. لم يقصر اهتماماته على مجرد التدريس، وإنما زاول التجارة مدة من الزمن بتيزنيت وزعير. توفي سنة 1951/1371.

البولوقتي، الحسين بن محمد بن أحمد بن مبارك، بدأ فترة تحصيله بمسجد قرية أيت محمد ثم بمدرسة بونعمان عند الأستاذ مسعود المعدري. بعدها شارط بمسجد بأيت باعمران ثم بقبيلة أيت براييم. كان متواضعاً بعيداً عن مخالطة قواد تيزنيت. ويعد من أبرز علماء هذه المدينة الذين تركوا مجموعة من النوازل والأحكام. كما ساهم أيضا بمؤلفات في ميدان اللغة والنحو والشعر. توفي سنة 1920/1339.

البولوقتي، محمد بن أحمد بن علي، حفظ القرآن بقريته. ثم انخرط في سلك الحلقات التعليمية التي تقام بمدرسة بونعمان عند الأستاذ مسعود المعدري، وأخذ التفسير والحديث عن الشيخ أبي العربي الأدوزي بمدرسة أدوز. زاول مبكراً التدريس بمدرسة ويجّان. وكان من بين العلماء الذين اتصلوا بالسلطان الحسن الأول سنة 1303/ 1886، فأنعم عليه بظهير يحرره من الكلف المخزنية. كما كان يتمتع بمكانة مهمة لدى القائد هَمُّو التيزنيتي. ومن آثاره العلمية *كتابان في المسائل الشرعية وفتاوى*. توفي سنة 1897/1315.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 201، 202، 203، 244، 248، 249، 252.

أحمد بومزگر

پوليب Polybe، يكتنف حياة الرحالة والمؤرخ الاغريقي غموض كثير. فإذا كانت مدينته معروفة وهي ميگالوبوليس Megalopolis الأركادية فإن تاريخ ولادته بها مازال محط اختلاف كبير بين الباحثين المعاصرين. يرجعه بعضهم لحوالي سنة 210 ق. م ويؤخره آخرون لحوالي سنة 198 ق. م.

تذكر المصادر القديمة أنه ينتمي لعائلة ثرية، احتلت مكانة رفيعة برجالاتها ومنهم والد بوليب، ولعبت أدوار أساسية في تاريخ المدينة.

تُجمع المصادر على قولها إن پوليب عمر طويلاً ولكن تاريخ وفاته ما زال هو أيضاً محل نقاش حاد بين

الباحثين المعاصرين، يرجعه فريق لسنة 125 ق. م. وآخرون لسنة 116 ق.م.

والمعروف أن پوليب اضطلع بمهام مختلفة سياسية وعسكرية ببلاده وبروما بعد أن تحول من عدوها الألد إلى صديقها الأول. وقد اشتهر بتآليفه ومنها كتابه *التواريخ* الذي تضمن أربعين كتابا لم يصل إلينا منها إلا خمسة أجزاء. ومن بعض الشذرات نعرف أنه في ترحاله اعترضته مخاطر كثيرة وهو يزور إسبانيا وغاليا وإفريقيا، وتعود بعض رحلاته للضفة الغربية من البحر المتوسط لسنة 151 ق. م. وشكلت الحرب البونية الثالثة فرصة ليعرف افريقيا معرفة أكبر وليكشف عن شواطئها الممتدة وراء أعمدة هرقل. وللأسف لم تصل إلينا الفقرات التي يروي فيها رحلته وراء الأعمدة بالبحر الخارجي (المحيط الأطلنتي)، فلا نعرف عنها إلا نتفا نقلها لنا الموسوعي پلين القديم Pline L'Ancien في الفقرتين 9 و10 من مؤلفه *التاريخ الطبيعي*، الكتاب 5. يقول فيڤيان دوسان مارتان Vivien de Saint Martin عن هاتين الفقرتين : "يبدو أن هاته النسخة قد كتبت في وقت غفلة أو شبه نوم" وبالفعل فالإشارات الغير الواضحة كثيرة بهاتين الفقرتين. وتتداخل فيها أيضاً أقوال كتاب مختلفين منهم أگريپا Agrippa. ويتبين من أول السطور التي رواها پلين القديم بأن رحلة پوليب تندرج في إطار الرحلات الرسمية. فالرحلة قام بها بتفويض من القائد الروماني سيپيون الإيميلي Scipion L'Emilien عندما كان هذا الأخير يقود حملته بإفريقيا، ويلزم استبعاد التاريخ الذي كان فيه سيپيون خائضا لغمار الحرب بقرطاج في ربيع سنة 147 ق. م. لأنه لا يعقل أن يستغني وهو محاصر لقرطاج عن خدمات مساعده پوليب المشهور كخبير عسكري. ولذا ستكون هذه الرحلة قد تمت بلا ريب مباشرة بعد الاستيلاء على قرطاج في أبريل سنة 146 وقبيل محاصرة كورينثة Corinthe في شهر سبتمبر من نفس السنة. وهذا الرأي يؤمن به أكثرُ من باحث.

الفترة الممتدة بين حصار قرطاج وحصار كورينثة وهي خمسة أشهر كافية بالنسبة لپوليب ليكتشف ما وراء الأعمدة. فالمدة التي قضاها الرحالة سيلاكس المزعوم Pseudo Scylax (ق 4 ق. م) من قرطاج إلى سرني (هوگادور) ومن سرني إلى قرطاج لم تتعد شهرين.

ولكن هل الحافز العلمي هو المحرك الوحيد لرحلة پوليب؟ (اكتشاف أبعاد هذه القارة؟) يظهر أنه ليس الحافز الوحيد. ونفهم الدوافع الأخرى عندما نربط الرحلة بحدث تدمير قرطاج. فروما بسيطرتها على قرطاج أصبحت تعتبر نفسها وريثة شرعية لها، ولهذا يجب عليها أن تعرف ممتلكات الإمبراطورية القرطاجية لتعمل بعد ذلك على إلحاقها ثم استغلال مواردها. وهذا ما سيحصل بالفعل وبالتدريج بعد سنة 146 ق.م. ألم تعتبر إفريقيا مزرعة روما؟...

بدأ پوليب حديثه عن المناطق الموجودة على الساحل الأطلسي من الجنوب عوض أن يبدأ من الشمال من أعمدة هرقل كما سار على ذلك معظم الكتّاب القدماء الذين سبقوه (حانون، سيلاكس المزعوم، أوتيمين...) أو الذين جاءوا بعده (أودوكس من سزيك (Eudoxe de Cyzique) ولذا تعرف رحلته باسم الرحلة المقلوبة *Periple controversé*.

ويوافق أطلس پوليب عند پلين القديم الأطلس الكبير الغربي الذي يظهر انطلاقاً من رأس غير، وهو السفح الذي سبق أن تحدث عنه پلين القديم في الفقرة 6 من كتابه 5. ومسافة 496 ميلا التي كانت أول رقم يرد بالنص تضارب الباحثون المعاصرون في شرحها. فحسب جوهان دوزانج J. Desanges إذا قدرت المسافة انطلاقا من الأطلس الكبير الغربي الذي يظهر عند رأس غير إلى حدود أناتيس Anatis الذي يوافق نهر أم الربيع لن نجد سوى 340 كلم وليس 745 كلم وهي المسافة بالكيلومترات التي تعادل 496 ميلا.

ويرى پديش Pedech بأنه يلزم البحث عن مسافة 496 ميلا انطلاقا من أطلس صفرو حتى نهر أم الربيع، ولكن هذا التقدير يرتبط بمسلك داخلي، والرحلة البوليبية - كما نعرف جميعا - هي رحلة بحرية. وليبرر بديش فرضيته يسند الخبر ليوبا الثاني وليس لپوليب، ولكن پلين القديم لم يشر إلى يوبا الثاني في الفقرتين 9 و10. أما توڤنو R. Thouvenot فيعتبر بأن نص پوليب وصل إلينا ناقصاً ويمكن أن نفترض بأن پلين القديم أو نساخه الذين جمعوا المعطيات حول أقصى المعمور نقلوا إلينا بعض المعلومات الخاطئة، ونستند في ذلك على أگريبا صهر أغسطس وعلى معلوماته حول طول الموريطانيتين، فطولهما يعادل عنده 477 ميلا، ونلاحظ بأنه رقم قريب من 496 ميلا. وباقي الأرقام الواردة في الرحلة البوليبية هي التي ستدفعنا للاحتفاظ بـ 477 ميلا بدل 497 ميلا، وهذه هي : 112 ميلا و224 ميلا ثم 616 ميلا، وتشكل هذه السلسلة أضعافا لرقم 56 ميلا (هي 112 × 2 = 224 هي 56 × 4...) وهذه الأرقام لا يمكن أن تشكل هكذا بمحض الصدفة، فهي تمثل بلا شك أيام الإبحار. وإذا عرفنا بأن ميلا واحدا يساوي ثمان سطادات /ف 56 × 8 حاصلة 448 أي 450 ميلا وعليه فـ 477 وهو رقم أگريبا يساوي 8 سطادات ونصف (56 × 8.5 = 576 ميلا).

ونقسم 477 ميلا للمسافات الجزئية التالية : يومان من المضيق إلى ليكسوس ويعادلان 112 أو 56 × 2 و4 أيام من ليكسوس إلى ميناء رُتيبيس Rutubis وتعادل 224 ميلا أي 56 × 4. والباقي وهو يومان ونصف ويعادلان 140 ميلا أي 56 × 2.5 و140 ميلا هي المسافة التي تفصل ميناء رتيبيس عن الأطلس عند نقطة رأس غير.

ويبقى أن نفسر لماذا فضل پلين أو نساخه 496 ميلا عوض 477 ميلا.

إذا نقصنا 477 ميلا من 496 ميلا سنحصل على رقم 19، وهذا الرقم هو نفسه الذي سنحصل عليه إذا قمنا بنفس

العملية فنقصنا من 224 رقم 205، أي إذا نقصنا من مسافة ليكسوس ـ رتيبيس 224 مسافة ليكسوس ـ أناتيس 205 ونخرج بنتيجة وهي أن رقم 19 ليس موضوعا بحض صدفة فهو يشكل في واقع الأمر المسافة الفاصلة بين نهر أناتيس وميناء رتيبيس الذي يقع بعد هذا النهر.

ونلاحظ أن رقم 205 ليس من أضعاف 56، ولذا نرجعه لاگريبا وليس لپوليب. وقد يكوّن هذا الرقم بنقص 19 وهي مسافة أناتيس ـ رتيبيس من 224 وهي مسافة ليكسوس ـ رتيبيس ويشكل رقم 205 مسافة ليكسوس ـ أناتيس نخرج من هذه العمليات بسلسلتين متباينتين من الأرقام نسند إحداها لپوليب والثانية لاگريبا. والسلسلتان على النحو التالي :

1 ـ پوليب : يقدر 112 (من مضيق الأعمدة إلى ليكسوس) + 224 (من ليكسوس إلى رتيبيس) + 140 (من رتيبيس إلى الأطلس)، وحاصل هذا الجمع هو 477 ميلا.

2 ـ أكريپا : يقدر 112 (من مضيق الأعمدة إلى ليكسوس وهذه المسافة متفق عليها في أكثر من مصدر + 205 (من ليكسوس إلى نهر أناتيس وبذلك يقع نهر أناتيس قبل ميناء رتيبيس بـ 19 ميلا) + 160 ميلا (من أناتيس إلى الأطلس وبعبارة الأرقام 19 + 140) والحاصل من هذا الجمع هو رقم 477 ميلا.

إذن نعتبر رقم 496 ميلا الوارد في النص رقما خاطئاً تشكل بخلط أرقام الكاتبين القديمين پوليب وأگريپا. وتم الخلط على النحو التالي :

112	224 +	160+	
↓	↓	↓	
مسافة	مسافة	مسافة	المجموع
متفق عليها	پوليب	أگريپا	496 ميلا
(المضيق ـ ليكسوس)	(ليكسوس ـ رتيبيس)	(أناتيس ـ أطلس)	

أي يلزمنا أن ننقص رقم 19 من 224 لنحصل على أرقام أگريپا، أو ننقصها من 160 لنحصل على أرقام پوليب).

والمثير للانتباه هو كون نهر ليكسوس اعتبر قطب الرحى، فقد ورد من خلال كلا المصدرين كنقطة أساسية للعَدّ. وتعريف هذا النهر لا يطرح أي إشكال فهو النهر الذي احتفظ باسمه إلى اليوم ويجرى بالقرب من مدينة العرائش والمسافة منه إلى المضيق متفق عليها وتعادل بالفعل ومن خلال معظم المصادر القديمة يومي إبحار بمعدل 56 ميلا في كل يوم. وبعد هذا النهر جاء الحديث في الرحلة عن خليج ساجيجي Sagigi وهذا المصطلح لم يرد بأي مصدر آخر وقد يوافق الخليج الأمبوري Le Golfe Emporique الذي مَوضَعَه پطوليمي Ptolémée جنوب نهر ليكسوس، ويوافق من خلال الباحثين المعاصرين، ومنهم دوزانج، المرجات التي تمتد شمال وجنوب وادي سبو. أما رأس موليلاشا Mulelacha فيتفق معظم الباحثين على مطابقته لمولاي بوسلهام. أما سبوبا Sububa عند الرحالة پوليب فهو واد سبو، وسلات Salat يوافق حالياً نهر أبي رقراق. وهكذا

ويتتبع أوصاف الرحالة پوليب نجد بسهولة أسماء أهم الأنهار المغربية التي تصب بالمحيط الأطلسي. وبعضها ما زال يحتفظ إلى يومنا بتسميته القديمة.

وإذا احتفظنا بتعريف أناتيس على أنه نهر أم الربيع (انظر مادة أناتيس *بالمعلمة*) وهو تعريف يشجع على تبنيه الرحالة پوليب، إذ أن مسافة 224 ميلا تصل بنا إلى أبعد من النهر ومسافة 205 هي التي تصل بنا إلى أم الربيع فسنجد 19 ميلا أو 28 كلم عند موقع تيط (انظر مادة تيط *بالمعلمة*) على بعد 30 كلم من مصب النهر وليست مازيغن (الجديدة) التي لا تبعد عن نهر أم الربيع إلا بحوالي 16 كلم. ويوافق رأس سوليس Solis وهذه تسميته الرومانية رأس سلوييس Soloeis الوارد عند الكتاب الإغريق على أنه من الرؤوس المشهورة التي تقع وراء أعمدة هرقل. وحمل عند پطوليمي Ptolemée (ق 2 م). اسم هليو أپوص Heliou Opos نسبة لإله الشمس هليوس Helios أو صول Sol. ويوافق حاليا رأس كانتان (بدوزة) وتعني تسميته الإغريقية Soloeis والمحلية Cantin رأس الصخور. يموضع الرحالة پوليب بعد رأس الشمس ميناء ريزادير Rhysaddir ويتركب هذا المصطلح من كلمتين بونيتين وهما: Rus وAddir ومعناهما : الرأس القوي. ويوافق هذا الميناء عند باحثين أگادير وعند آخرين موگادور وعند دوزانج الميناء الواقع عند رأس غير. وسمي كذلك Rhysaddir نسبة لرأس غير.

وبعد ريزادير ينتقل المؤلف لصنف ثالث من المعلومات يتحدث هذه المرة عن قبائل الأطولول الجيتولية (انظر مادة أطولول *بالمعلمة*) وبحديثه هذا يتراجع إلى الوراء لأن معظم المصادر القديمة تحدد موطن الأطولول بين سلا وموگادور. وكان من المفروض بعد أن وصل الرحالة لرأس غير أن يتحدث عن نقط متقدمة من الساحل الأطلسي والظاهر أن مصدر هذه المعلومات ـ وكما ذهب إلى قول هذا مجموعة من الباحثين ـ أگريپا وليس پوليب، لأن الحديث عن قبائل الجيتول وبالأساس الجيتول الدرعيين الذين يستوطنون داخل البلاد لا يمكن أن يكون مصدره بحريا بل يلزم أن يكون صاحب الأخبار قد توغل في الداخل (كما فعل أعوان أگريپا أو يوبا الثاني وحاشيته).

وبعد هذه القبائل ذكر الرحالة پوليب واديا تحت اسم كوسينوم quosenum، وأصل المصطلح يحتاج لمزيد من البحث، فهل يتعلق الأمر بواد سوس الذي لا نعرف اسمه القديم ؟ أم هل يلزمنا أن نقرب كوص quos أي الشطر الأول من المصطلح ـ وكما فعل دوزانج ـ من مصطلح كوزة Kousa الوارد عند پطوليمي قبل رأس الشمس، على كل فواد كوز وارد بالمصادر الإسلامية ويوافق حاليا واد تانسيفت الذي كان من المفروض أن يذكره الرحالة قبل ذكره لميناء ريزادير.

وتطرق الرحالة لقبائل أخرى تستوطن وراء واد كوسينوم، ويسهل تعريف بعضها. فشعب المساتيس

Masates يستمد اسمه من واد ماسة الذي يقيمون على ضفافه، أما شعب السيلاتيت Selatites فكل ما نعرف عنهم أنهم محصورون بين وادي كوسينوم وماساتات Masatat.

بعد واد ماساتات يذكر الرحالة اسم نهر جنوبي مهم وهو نهر درعة، يحمل عنده اسم درعات Darat وهو دراس Daras عند بطوليمي. ووجود تماسيح به أمر أكده معظم الكتاب القدماء. (انظر مادة بامبتوم Bambotum *بالمعلمة*).

والملاحظ أن المعلومات التي سيسوقها الرحالة بعدما انتهى من حديثه عن درعة وعن تماسيحه تشكل رجعة جديدة للوراء، وسنصل بعدها لنهر درعة، ويتبنى هذا الرأي دوزانج ولكن لا يؤمن به بديش وتوفنو، بل إن توفنو يصل بالرحالة إلى السينغال بمطابقته لنهر بامبتوم بنهر السينغال.

ويظهر أن تقرير پوليب تعرض لتغيير عميق، والتحريف حصل بلا شك قبل پلين القديم. وهكذا فالخليج من 616 ميلا يبتدئ من رأس سرنتيوم Surrentium، هذا الرأس الذي يتشكل بدوره من امتداد جبل براكة، ويوافق هذا الجبل السلسلة الأطلسية وبالأساس الأطلس الكبير الغربي (انظر مادة براكة Braca *بالمعلمة*)، وتقرب سرنتيوم من مصطلح ريزاديرون Rusadeiron البطوليمي ويوافق المصطلحان رأس غير.

وإذا كان رأس سرنتيوم يشكل بداية الخليج فإن رأس هسريان يشكل نهايته ويمتد هذا الخليج لمسافة 11 يوما من الإبحار بعد رأس غير أو 616 ميلا.

وبعد ذكر پوليب لتشكلة رأس غير ذكر اسم واد سالسوم Salsum، واسم هذا الوادي لا يثنى، ويعني مالح، ويطابق بلا ريب واد سوس. ويوافق مجال سكنى الاثيوبيين البرورسيين وكما حدده الرحالة مع أطراف السلسلة الأطلسية وعاصمة الاثيوبيين البرورسيين Ethiopiens Perorses هي پروريوس Perories. والفاروزيون Pharusiens كسابقيهم عناصر سمراء تستوطن الحواشي الصحراوية للأطلس المغربي، ويمكن تحديد موطنهم بشيء من التدقيق بين واد غير وواد درعة، وهذا لا يمنع من وجود بعضهم بالشمال حيث منطقة سكنى العناصر الجيتولية.

وهكذا فالرحالة پوليب ميز بين درعيين جيتول Getules Dariens ودرعيين أثيوبيين Daratites Ethiopiens، فكلاهما كان يستوطن نهر درعة، ولكن الجيتول (البيض) يوافق مقرهم منبع وأوسط الوادي. أما الأثيوبيون (السمر) فيستقرون عند مصبه.

وبعد ذكر الرحالة لهذين العنصرين تحدث عن واد بامْبُتوم Bambotum خاصيته أنه مزدان بالتماسيح وأفراس النهر. وله اسم على مسمى ويعنى "النهر الذي توجد به كل الأشياء الحية" وقد حمل نهر بامبتوم في فقرة سابقة اسم درعات Darat، وقال عنه پول أوروز Paul Orose بأنه النيل قريب من منبعه وبأنه توجد به كل وحيشة النيل وعرف أيضا تحت اسم نوهول Nuhul (انظر مادة بامبتوم *بالمعلمة*).

ومطابقة البامبتوم بدرعة لا يتفق عليها إلا باحثون قلائل، أما معظمهم فيطابقه بنهر السينغال، ويدعو آخرون لموافقته بوادي الساقية الحمراء.

ويأتي الرحالة، بعد ذكره للبامبتوم، بمصطلحات يرتبط بعضها بالرحلة الحانونية مثل مصطلح عمود الآلهة Theon Ochema ورأس هسبريوم Hesperium ويغلق هذا الرأس الأخير الخليج من 616 ميلا ويوافق بلا ريب رأس جوبي Cap Juby القريب من جزر كناري.

وإذا كان پوليب في آخر الفقرة قد حدد الأطلس في مجال أوسط. فتحديده هذا لا يلزمنا بالغوص في المعادلات الرياضية لإيجاد وسط ذهبي، فبتحديده هذا يكون قد قصد بأن الأطلس (الكبير المغربي) يقع على بعد 8.5 من المضيق و11 يوما من رأس جوبي. والمعروف أن الإبحار في الطور الأول سهل قد يتحقق بمعدل 56 ميلا في كل يوم وهو صعب في الطور الثاني ولن يتم إلا بمعدل 30 ميلا في اليوم. وصعوبة الملاحة بعد نهر درعة يؤكدها أكثر من مصدر، وبذلك تكون المسافة التي قطعها الرحالة من المضيق إلى رأس غير معادلة في أيام الإبحار للمسافة التي استغرقتها الرحلة من رأس غير إلى رأس جوبي، ويشكل الأطلس وسطا بين المسافتين.

وهكذا يكون الرحالة پوليب بالرغم من غموضه وكثرة أخطائه (أو بغموض وأخطاء من نقلوا عنه) قد كتب تقريراً قيما لرحلته التي شملت ساحل المغرب الأطلسي من المضيق إلى رأس جوبي، وقد حافظ لنا پلين على جزئياتها وأضاف لها من مصادر أخرى، فأمدّتنا الورقة بمعلومات دقيقة عن أهم الوديان المغربية التي تصب في المحيط الأطلسي : ليكسوس، سبويا (سبو)، سلات (أبو رقراق)، أناتيس (أم الربيع)، كوسينوم (تانسيفت)، سالسوم (سوس ؟)، مساتات (ماسة)، درعات (درعة) وهو أيضا البامبتوم، وأفادتنا باستحضار أسماء مدن مغربية من القرن الثاني ق. م. ومنها ملولاشا (في موقع مولاي بوسلهام)، رتيبيس (تيط)، ريزادير (ميناء عند قدم رأس غير) كما أن هذه الورقة رسمت لنا لوحة بمواضع أهم القبائل المستوطنة وراء الليمس الروماني وهي العناصر الجيتولية والأثيوبية.

والملاحظ أن المعلومات المتعلقة بخط المضيق ـ رأس غير أوضح وأوفر من المعلومات المتعلقة برأس غير ـ درعة وهذه أهم من المعلومات الخاصة بمجال درعة ـ رأس جوبي. وإذا كان پوليب قد أوقف رحلته عند رأس جوبي فهذا المدى معقول لم يتجاوزه أي رحالة بعده، والمصادر الوسيطية اعتبرت الإبحار وراء درعة ضربا من المخاطرة ولم يتم تكسير هذا الحاجز إلا سنة 1434 مع الرحالين البرتغاليين.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie Tingitane, A.M.* I, 1904, p. 342 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil*, Dakar, 1962, p. 208 - 211 - 230 - 234 - 246 - 248 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de*

l'Afrique, VIe av-IV ap J.C., Rome, 1978, p. 121 - 147 ; R. Mauny, *Autour d'un texte bien controversé : le periple de Polybe, 146 av. J.C., Hesp.*, XXXVI, 1949, p. 47 - 67 ; P. Pedech, *Un texte discuté de Pline : Le voyage de Polybe en Afrique* (H.N.V., 9 - 10), *R.E.L.*, XXXIII, 1955, p. 318 - 332 ; *Notes sur la digraphie de Polybe, Les études classiques*, XXIX, n° 2, p. 145 - 156 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, (Hannon, Pseudo Scylax, Pline l'Ancien, Ptolémée) ; *Index de Topographie antique du Maroc, P.S.A.M.*, IV, 1938, p. 67 - 68 ; R. Thouvenot, *La Connaissance de la montagne marocaine chez Pline, Hesp.* XXVI, 1939, p. 117 ; *Défense de Polype, Hesp.* XXXV, 1948, p. 79 - 92 ; R. Thouvenot, *La côte océanique du Maroc : ce qu'en ont connu les anciens, B.E.P.M.* n° 215, 1951, p. 46 ; *Le Témoignage de Pline sur le périple africain de Polype, R.E.L.*, XXXIV, 1956, p. 88 - 92 ; Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1976, p. 118 - 119 ; Vivien de Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine*, Paris, 1863, p. 337.

البيضاوية بلكامل

بُـولِيزاريو ← جبهة

بوليسليفسكي، كارل ريطر فون Boleslewski. K. Ritter von، عين قنصلا عاما للأمبيريال (الأمبراطورية النمساوية الهنغارية) بطنجة من سنة 1890 إلى 1896.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 594.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 127.

مصطفى بوشعراء

بوليفة، محمد بن صالح، مقاوم ولد سنة 1920 بأولاد زيان من عائلة متوسطة الحال. وأثناء اشتداد المقاومة المغربية انضم إلى منظمة اليد السوداء بأسفي وشارك في عدة عمليات فدائية، منها اغتيال بائع الدخان بسوق الغزل وجلب الأسلحة وتوزيع المناشير.

وخلال مشاركته في المظاهرة الشعبية التي نظمت يوم 20 غشت بمدينة أسفي سقط شهيداً رمياً برصاص المستعمر.

كتاب شهداء الاستقلال، ج 1.

عزالدين العلام

بُوليلي، أسرة إيطالية الأصل كانت من رعايا دولة الڤاتيكان استوطنت الصويرة منذ منتصف القرن التاسع عشر. وكان أفرادها يتجرون فيها ويمثلون عدداً من الدول، منهم :

بوليلي، أنطونيو الذي كان سنة 1875 نائباً عن إيطاليا والبرتغال.

بوليلي، كارلوس المتوفى سنة 1880.

بوليلي، گايطو المتوفى سنة 1892.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1103.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 337.

مصطفى بوشعراء

البُوم، أو مُوكَا، طائر من كواسر الليل ومن فصيلة البوميات Strigidae التي تضم 120 نوعاً في العالم، تعيش ثمانية منها في المغرب. "موكة" هو اسمها الشائع في شمال افريقيا ولها أسماء كثيرة في الشرق العربي كالهامة والصدى والقياد.

تتميز بمنقار قوي معقوف ومخالب طويلة مركبة مما يقربها من الكواسر النهارية. الرأس مستدير وكبير، العينان أماميتان، حادة البصر وشديدة الإحساس حتى لأضعف الأنوار. ويُحتمل أنها لا تميز الألوان. حاسة السمع قوية تساعدها في أغلب الحالات على صيد فريستها.

يكسو الجسم ريش ناعم مكشف يميل لونه إلى البني وكثير الشبه بألوان الصخور وأغصان الأشجار، وهذا يساعدها على عدم مشاهدتها. يتكون قوتها من حيوانات حية كالضفادع والزواحف والقنافذ والفيران والجرذان والخفافيش والطيور الصغيرة والأسماك والحشرات التي تشكل نسبة قوية في غذائها. تصيد فريستها في أوائل النهار وأواخره وتتوقف عن النشاط طول النهار.

تعيش في أماكن مظلمة كالمغاور وداخل الصخور وجذوع الأشجار وجدران الديار المهجورة ونادراً المسكونة. يعرف وجودها بصوتها الحزين وبكتلات بقايا الأكل التي تتراكم عادة في مكان مبيتها. كثيراً ما تساعد كتلات قيئها الغنية بالعظام على معرفة نوع البوم ونوع معيشته.

تضع عشها في أماكن مظلمة وتبيض من 2 إلى 5 بيضات، حسب الأنواع، وتدوم مدة الحضانة ما بين 24 و29 يوماً ويطير الصغار بعد شهرين.

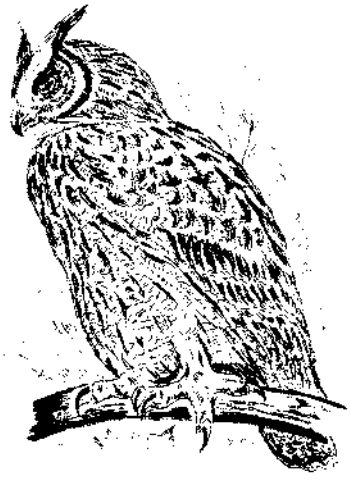

من الأنواع الشائعة في المغرب نذكر البومة الصماء Athene noctua التي تعيش في أغلب مناطق المغرب منذ الصخور الشاطئية إلى المرتفعات التي لا تتعدى 2.500 م. يبلغ طولها 21 سم وتبيض داخل الجدران المهجورة وفي جذوع الأشجار. تقتات خاصة من الحشرات ومن الثدييات الصغيرة. تبيض عادة في بداية شهر أبريل من 3 إلى 5 بيضات ونادراً 2 أو 6 . 8 بيضات وتدوم الحضانة 28 . 29 يوما.

تعيش الهامة Tyto alba في معظم مناطق المغرب إلا أن عددها ضعيف ولا تحتمل العيش في المناطق الجبلية. ريشها ناعم أبيض مصفر يتراوح طول هذا النوع ما بين 33 و39 سم وطول بسطة جناحه ما بين 90 و95 سم ووزنه ما بين 290 و360 غ. يبيض من 4 إلى 7 بيضات ابتداء من مارس وتدوم الحضانة 30 . 34 يوما.

تصيد الهامة فريستها ليلا، ونادرا في النهار.

البومة القرناء Bubo bubo ascalaphus وبالعامية عتروس الليل. عرف عدد هذا النوع انخفاضاً محسوساً في المغرب بعد أن كان قبل 1970 موزعا في معظم مناطق البلاد. إنه من أكبر أنواع البوم، يبلغ طوله 62.72 سم وطول بسطة جناحية 155.180 سم ويزن ما بين 2 و3.2 كلغ. يبيض عادة بيضتين أو ثلاثاً، تزن كل بيضة 74.78 غ. تدوم مدة الحضانة 34.36 يوما وتغادر الصغار الأوكار بعد أربعة عشر أسبوعاً.

يقتات من الأرانب والقواضم والعصافير وباقي الثدييات الصغيرة وهو تحت الحماية في المغرب وأوروبا حتى لا ينقرض.

بومة الشّبح والخبل : يعيش الشبح Asio Scops والخبل Strix aluco في المناطق الغابوية من البلاد ويفتقدان في المناطق العارية والصحراوية والجبلية التي يتعدى ارتفاعها 2.500 م.

يعد الشبح من الطيور القواطع حيث يقضي فصل الصيف في أوروبا الوسطى والجنوبية ويشتو في جنوب الصحراء. يتوالد في المغرب وتونس وجنوب إيطاليا والإغريق وتركيا ولبنان. يلد من 4 إلى 5 بيضات في أواخر فبراير وتدوم الحضانة 25.30 يوماً، يبلغ طوله 19 سم.

يبلغ طول الخبل 38 سم ويبيض من بيضتين إلى أربع بيضات ابتداء من مارس.

البومة الأذناء Asio otus يعيش هذا النوع في السهول والهضاب المشجرة شمال الأطلس الكبير وهو شائع في أوروبا وفي إفريقيا الشمالية. يبلغ طوله 35.36 سم. يبيض ابتداء من مارس 4.5 بيضات وتدوم الحضانة 27 يوما.

بومة المناقع Asio flameus، تعيش وتتوالد في أوروبا إلا أن بعض أفرادها تشتو في شمال المغرب ابتداء من أكتوبر ثم تعود لتتوالد في أوروبا ابتداء من فبراير. يبلغ طولها 38 سم.

بومة المناقع الإفريقية Asio capeusis، يقتصر توزيعها الجغرافي العالمي على الشمال الغربي من المغرب. تعيش في سهول الغرب وحوض اللكوس غير بعيدة عن المستنقعات. تتغذى من الحشرات المختلفة، لونها بني داكن جهة الظهر والرأس وفاتح جهة البطن والوجه. يبلغ طولها 30 سم.

تنعت أنواع البوم بالشؤم والكآبة والحزن وذلك لمنظرها المخيف، إلا أنها في الواقع تؤدي خدمات جمة للإنسان تتجلى في أكلها للحشرات والفيران المضرة بالمزارع. تبقى اتهاماتها بالشؤم مجرد خرافات لا أساس لها من الصحة.

يحث القانون على حماية جميع أنواع البوم في المغرب وفي سائر أنحاء العالم.

H. Heinzel, R. Fitter, et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, Lausanne, 1972, p. 320 ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux leurs œufs et leurs nids*, Paris, 1968, 298 p ; M. Thevenot, P. Bergier et P. C. Beaubrun, *Compte rendu d'ornithologie marocaine*, Doc. Ins. Sci. Rabat, n° 6, 1981, 95 p.

محمد رمضاني

بومالن دادس، يطلق على أربع وحدات إدارية مجالية مختلفة الأبعاد والمحتوى. فهو اسم لإحدى الدوائر الثلاث المكونة لإقليم ورزازات، وفي ذات الوقت يطلق على جماعة قروية ومركز قروي ودوار أدمج إحصائيا ضمنه.

تقع دائرة بومالن دادس شمال شرق إقليم ورزازات، يحدها شرقا إقليم الرشيدية، وشمال إقليم أزيلال وجنوباً دائرة زاگورة وغرباً دائرة ورزازات.

تضم الدائرة إحدى عشرة جماعة قروية، تقدر مساحتها الإجمالية بحوالي 7.140 كلم2. بلغ عدد سكانها سنة 1982 حوالي 145.782 نسمة. ينتمي أغلبهم إلى عشائر أيت عطا وأيت يافلمان وأيت سدرات وأهل دادس وأهل تدغة وأهل مگونة.

وسنخصص هذا المبحث لمركز هذه الدائرة : بومالن دادس.

يقع مركز بومالن دادس على الضفة اليسرى لوادي دادس، على الطريق الرئيسي رقم 32، شرق مدينة ورزازات بحوالي 113 كلم.

استقر المركز على سفح منبسط القمة يكوِّن جزءاً من هضبة "أنبد" التي بدورها تكون الجزء الشرقي من المنخفض التكتوني لجنوب الأطلس.

إن هذا الموقع الأوسط بين قمم الأطلس الكبير الأوسط شمالا وقمم صغرو جنوباً أعطى المنطقة مميزات طبيعية خاصة. فالأمطار قليلة وغير منتظمة (حوالي 150 ملم) والمدى الحراري مرتفع مما يحد من تطور الحياة البيولوجية. غير أن الأهمية التخزينية للصخور الكلسية وتساقط الثلوج على قمم الأطلس جادت على المنطقة بنهر دادس.

جذب هذا النهر السكان منذ القدم، فاستقروا حوله في قصور متجمعة وتعاطوا لفلاحة معاشية قوامها زراعة مسقية وتربية واسعة للماشية. كما أن هذا المنخفض كون منذ القدم الطريق الرئيسي بين درعة وتافيلالت، ومرا هاما بين تخوم الصحراء وشمال المغرب عبر مسالك الأطلس.

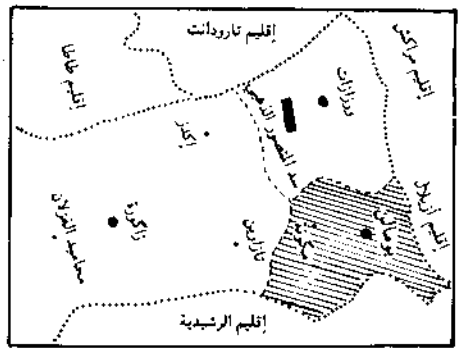

موقع بومالن دادس

أُحدث المركز الإداري ببومالن دادس في دجنبر سنة 1930 استجابةً لاستراتيجية المعمر في تطويق القبائل "السائبة" وكسر شوكتها. بلغ عدد سكان المركز سنة 1936 حوالي 167 نسمة، منهم 140 مغربيّاً و27 أجنبيّاً.

أُحدث المركز إذن منذ البداية لأغراض استراتيجية،

فقد أنشئت فيه ثكنتان إحداهما لإيواء رجال القوات المسلحة والثانية لرجال القوات المساعدة، كما أنشئ مقر للدائرة وإيواء رجال السلطة عند قمة سفح يطل على المجرى المائي ومجال السوق الأسبوعي الذي ينعقد يوم الأربعاء.

أهم ما يميز المركز الناشئ أنه بُني بعيداً عن السكان المحليين على مقربة من المطار، ليتمكن أساساً من استقبال العتاد والعدة ومواجهة قبائل أيت عطا.

إن هذا الانعزال كان ضروريا لأن كل الدواوير المحيطة بالمركز تربطها بهذه القبائل قرابة دموية (أيت بولان، أيت سليلو، أيت عبدالرحيم، أيت أُنير ببومالن...).

بلغ عدد سكان المركز سنة 1982 حوالي 4.820 نسمة بينما لم يكن سنة 1971 يتجاوز 2.100 نسمة، بزيادة مطلقة قدرها 2.720 نسمة. ويرجع النمو الديمغرافي المرتفع الذي عرفه المركز خلال العقود الأخيرة إلى ثلاثة عوامل أساسية:

- توسيع دائرة المركز، حيث امتص الدواوير المحيطة به كدواري "أقبوب" و"بومالن".

- هجرة قوية من الأرياف المجاورة بل حتى البعيدة (صغرو والأطلس) نتيجة الكوارث الطبيعية المتكررة (فيضانات 1956 - 1968 وجفاف العقدين الأخيرين) ونتيجة تمركز بعض الخدمات الاقتصادية الاجتماعية داخل المركز (التطبيب - التعليم).

- الزيادة الطبيعية للسكان داخل المركز.

إن هذا التوسع العددي لسكان المركز لم يوازه تطور كيفي، حيث ظل هؤلاء يحتفظون بأهم سماتهم الريفية، مثل أهمية العائلات الكبرى (معدل حجم الأسر 1982 هو 6.7 شخص) وارتفاع نسبة الأمية (67.6٪) وارتفاع نسبة العاطلين.

فعلا، فبعد أن فقد المركز وظيفته العسكرية ظل - حتى الآونة الأخيرة - يعرف مشاكل، حيث تقلص دوره وانكمشت أنشطته ليصبح مركزاً إدارياً عادياً، فكان لظهور إعدادية بالمركز منذ سنة 1964 دور إيجابي حيث استقبلت تلاميذ الدائرة بأكملها، فأحدث ذلك رواجاً خاصة في ميدان العقار وتجارة التقسيط.

أما عقد السبعينات فقد شهد بناء مؤسسة فندقية فخمة تابعة لشركة الضيافة لكنها ظلت أجنبية عما حولها. كما ظهرت بنايات تابعة لمركز الاستثمار الفلاحي (CMU 607) الذي يمتد مجال خدماته إلى كل الدائرة.

استجابة لحاجيات القاطنين والوافدين الجدد أحدثت تجزئة جنوب شرق المركز على سطح الهضبة، لكن بعدها عن النواة النشيطة (السوق) وعن التجهيزات (الماء) جعل السكان ينفرون منها مفضلين الالتصاق بالسفوح المطلة على الوادي رغم قوة الانحدار.

هكذا توسع المركز ليلتحم بالدواوير المجاورة له، كما انفجرت هذه بدورها لتزحف نحوه، فتأثر بالنمط الحضري في البنايات والاستهلاك وبعض الأنشطة (التجارة) لكن هذه التمركزات الحديثة تنقصها حيوية اقتصادية وتقاليد وتجهيزات ليسمح بتسميتها بالمراكز الحضرية.

لقد بُذل مجهود مؤخراً لتعميم التجهيزات الكهربائية وإيصال الشبكة المائية، لكن المركز يفتقر إلى تصميم مديري يعطي للتجهيزات الاجتماعية والاقتصادية مكانتها.

م. أيت حمزة، *ملامح التحولات السسيومجالية بحوض أسيف امكون*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1986 ؛ مديرية الإحصاء بالرباط، *نتائج إحصاء السكان والسكنى* 1936 - 1971 - 1982.

Roche, *Note provisoire sur la condition juridique des eaux dans les tribus du Moyen Dadés, R.G.M.*, fasc. 2, 1933 ; P. Lancre, *Répertoire alphabétique des agglomérations de la zone française de l'Empire Chérifien : Résultats du recensement du 8 Mars 1936*, Imp. J. Thevenin ; M. El Madani, *Collectivités traditionnelles et espaces ruraux montagnards dans les zones d'arrière-pays atlasiques méridionaux : Le cas des Ayt Seddrate de Dadés*, Thèse 3ème cycle en Géographie, Aix - en - Provence, 1986, 2 T.

محمد أيت حمزة

** وفي الجانب التاريخي أُطلق اسم بومالن في الأصل على قرية صغيرة قد يكون مؤسسوها هم الحراطين، لكن وصول أيت عطا إلى منطقة دادس جعل من بومالن مركز أيت بويكنيفن حين استيلائهم على السوق الأسبوعي (الأربعاء) وكذا على الأسواق الموسمية، وبنوا به إغْرَم للدفاع والسكن والسيطرة على الماء الضروري لماشيتهم. وقد تكون هذه هي الوظائف الأساسية والضرورية التي كان هذا الموقع يؤديها.

القبائل المجاورة لبومالن بعضها قديم مثل الحراطين، ويأتي بعدهم أيت دادس ثم أيت سدرات، وآخر من استقر منهم أيت عطا. وهذا المجال هو امتداد للمجال الصنهاجي نحو الغرب. وكانت منطقة بومالن مسرحاً لعديد من المعارك والحروب القبلية بين المستقرين والرحل، ولعدة تحالفات داخلية وخارجية من أجل السيطرة على الماء والأسواق والطرق. وقد تكون هذه الظرفيات هي السبب في وجود عدد من القبائل ذات الأصول المختلفة والتي يُوجد أخواتُها في مجالات بعيدة نسبياً عن مجال دادس.

ومنذ القرن الثالث عشر (19 م) كانت الغلبة لأيت عطا (أيت أُنير، بويكنيفن، أيت بولمان) بزعامة أسرة فاسكا. وكانت لها صراعات ضد الأگلاويين حين حاول القائد المدني ضم ما تبقى من قبائل ومجالات الفايجة إلى إيالته. ومع بداية القرن دخل الشيخ موحداش بن فاسكا تحت سيادة عائلة المزوارين، وانتهت بذلك الصراعات والتحالفات حول بومالن. وعندما تقدمت القوات الفرنسية في هذه المنطقة عبر ورزازات في العشرينات اختارت بومالن كمركز إداري وعسكري بين تُدغة وورزازات، وتأسس به مكتب للشؤون الأهلية لواد دادس سنة 1931.

وبعد الاستقلال أصبح بومالن دادس دائرة إدارية ضمن إقليم ورزازات تتبعه كل القبائل الموجودة شرق هذا الإقليم إلى حدود تافيلالت (قصر السوق - الرشيدية). ويضم حاليا الجماعات القروية لمگونة (القلعة) وتينغير وأمسمرير وإكْنيون.

عرف بومالن دادس إلى جانب الرعي والزراعة تحولاً نوعياً في الأنشطة الاقتصادية، وقد نتج ذلك عن استثمار رؤوس أموال أبنائه من العمال المهاجرين خارج الوطن، وهم أعداد كثيرة بالمقارنة مع كثافة السكان. كما أن المنطقة أصبحت مجالا سياحياً مشهوراً على المستوى الوطني والدولي نظراً لوجود المضايق النهرية والقصبات إغْرْمان التقليدية إلى جانب الفنون الغنائية والموسيقية.

وبلغ عدد سكان بومالن حسب الإحصاء العام لسنة 1982 : 4.820 نسمة بالنسبة للجماعة القروية، في حين أن مجموع سكان الدائرة بلغ 533.892 نسمة، وهي معدلات كبيرة بالنسبة للإقاليم الشبه الجافة.

الخريطة الطوبوغرافية : كثافة السكان (خريطة إحصاء 1982. وزارة التخطيط 1984) : أ. الناصري، *الاستقصاء*، ج 7. 8. 9 ؛ المهدي الناصر، *الفطريس*... مخطوط ؛ *رواية شفوية*.

A. Guillaume, *Les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas central, 1912 - 1933*, Paris, 1946 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa*, Rabat, 1936 ; Carte des Tribus, 1977.

محمد أوجامع وصفية العمراني

بُومَخْيَط، أو أبو منقار حسب المعاجم، جنس أسماك بحرية من رتبة الأسقمريات Beloniformes Scomberesocoides ومن فصيلة البراك Belonoides التي تضم حوالي ستين نوعا يعيش معظمها في بحار المناطق الحارة والمعتدلة وبعضها يعيش في المياه العذبة. تعرف لغويا بالخرمان والبراك وأبي منقار.

تعيش ثلاثة أنواع منه في البحار المحيطة بالمغرب تسمى بومخيط في أسواق الأسماك المغربية وتدعى Orphie وAiguillat بالفرنسية وGarfish بالأنجليزية.

إنها أسماك زرقاء مخضرة،طوال دقاق لها مناقير طويلة وزعانف خالية من الشوك. كلها حيوانات لاحمة تأكل صغار الأسماك والأنشوفة والسردين وكثيرا ما تقوم بقفزات خارج الماء أثناء تنقلاتها. يجلبها النور أثناء الليل فتقترب من البواخر وسفن الصيد.

- Belone belone gracilis طوله شائع ما بين 30 و60 سم ولا يتعدى 90 سم وهو سمك أوقيانوسي يعيش غير بعيد عن سطح البحر وقريباً من الشواطئ. يصير بالغاً ما بين 5 و6 سنوات. يلتصق بيضه بالنباتات والأشياء العائمة.

نادر في أسواق الأسماك المغربية نظراً لقلة الإقبال عليه، ويوجد بكثرة وبانتظام في أسواق إسبانيا وتركيا وصقلية. يصاد مع باقي الأسماك بواسطة الشباك وطعمه لذيذ.

- Belone Svetovidovi يدعى بالإسبانية Aigujilla وبالفرنسية Orphie de Svetovodovi وبالأنجليزية Garfisch. كثير الشبه بالنوع الأول وجسمه طويل ومضغوط بعض الشيء من جهة الجوانب. طوله شائع ما بين 30 و40 سم ولا يتعدى 80 سم. نادر في البحر المتوسط ومفقود في سواحل المحيط الأطلنطي المغربي.

- Tylosurus acus imperialis جسمه غير مضغوط وطوله شائع ما بين 60 و90 سم ولا يتعدى 180 سم. يعيش في بعض المناطق من السواحل المتوسطية الشرقية والأوروبية وفي السواحل الأطلنطية المغربية.

نادر في الأسواق المغربية ويصاد مع باقي الأسماك بواسطة الشباك.

أ. المعروف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

J. Schouten, et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagonn and the Tarfaya coast*, Trav. Inst. Sci. Rabat, Mémoires hors série, 1988, p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M. L. Bouchot, *Méditerranée et Mer Noire, Fiches FAO d'identification pour les besoins de la pêche*, 1987 ; G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

محمد رمضاني

بومزگيدا، (ثورة ـ) اسم بربري، يعني صاحب المسجد، ولعله لقب لهذا الشخص اكتسبه بعد أن كثر أتباعه وتمكنت في الناس دعوته فيكون المعنى الأقرب إلى العربية الفقيه أو صاحب الزاوية. ورد الاسم بالتاء عند ابن أبي زرع في *القرطاس* (192).

صنفه البيذق في *أخبار المهدي* بن تومرت (ص 124) ضمن الثائرين على عبدالمومن الموحدي بعد تحويله الحكم إلى عقبه بجعله وراثياً، ورتب ثورة بومزگيدا في الدرجة العاشرة : "والعاشر بومزگيدا بحومة أفندغل، خرج إليه أبو سعيد يخلف آتيجي وعبدالله بن فاطمة وبدداه وساقا غنائمه...".

هذه الثورات العشر أرجعت بعض المصادر التقليدية أسبابها إلى اتخاذ الملوك الموحدين لقباً من ألقاب آل البيت "أمير المومنين".

قد يكون هذا السبب من بين أسباب ثورات كثيرة قامت ضد الموحدين إلا أن ثورة بومزگيدا تختلف عنها، فقد استغلت نفس الظرف، غير أن لها أسبابها الموضوعية الخاصة بها. فمجال بومزگيدا هو ساحل تامسنا. فحومة أفندغل تقع ضمن الهضبة الوسطى، وثورته بها تعني اختيار الموقع الاستراتيجي في أدغال الهضبة الوسطى ـ آنذاك ـ حومة أفندغل من أحواز عين اغبولة (*أخبار المهدي*، 83 والهامش بنفس الصفحة).

ـ فلمجاله الجغرافي ـ ساحل تامسنا وعين غبولة ـ أهمية قصوى في الربط ما بين شمال المغرب وجنوبه، ومبايعة برغواطة له وقبائل كثيرة من البربر لها دلالة كبيرة، فالموحدون قد اعتبروا أرض غير الموحدين ـ حتى ولو كانوا مصامدة ـ ملكاً لهم وأهلها مجرد متصرفين فيها بأمر الموحدين، لذلك كانت ثورة برغواطة أكثر صلابة وخطراً على الدولة الموحدية، فقد هزموا في عدة معارك أكبر قواد عبدالمومن بل وهزموه هو نفسه (*القرطاس*، 190) ثم استعدّ لهم وأعاد الكرة في نفس السنة 1149/543 ـ 1150 فانتقم منهم شر انتقام. "فأجال فيهم السيف ولم يبق منهم إلا من

لم يبلغ الحلم" (*القرطاس*، 190). بعد بضعة أشهر 1150/544 . 1151 ثار بومزگيدا والتفت حوله قبائل البربر وبرغواطة للأخذ بالثأر من الموحدين وأساسا ضد انتزاع أراضيهم من طرف المخزن الموحدي الذي شرع في إقامة بنياته التحتية وأسسه المالية والأمنية بانتزاع الأراضي، واستعمال التكسير ورسم الطرق والمحلات والمنازل، وتأمين تموينها بالماء والزاد والعلف. في هذا الإطار جاء تركيز عبدالمومن على المنطقة الاستراتيجية لبرغواطة، فحاول انتزاع منطقة عين غبولة باعتبارها محطة ضرورية قبل الوصول إلى الرباط عند القدوم من مراكش، إضافة إلى رغبته في تزويد رباط الفتح بالماء، وأقرب المياه وأغزرها مياه عين اغبولة، لذلك سارع عبدالمومن بمجرد القضاء على ثورة بومزگيدا سنة 1150/544 . 1151 إلى جر مياه عين اغبولة إلى رباط الفتح 1151/545 . 1152 (*أخبار المهدي*، 73) ففي ذلك أكبر دليل على أن أسباب ثورة بومزگيدة غير أسباب الثورات الأخرى، ومما يزيد الأمر تأكيداً، أن الخليفة الموحدي أشرف بنفسه على عملية جر المياه، إذ مكث قائما على الأشغال مدة خمسة أشهر، أي أنه كان يرغب في أن تتم العملية على وجه السرعة، مما يعني، أن الزعم القائل بالقضاء على برغواطة وإبادتهم مبالغ فيه، فها هو الخليفة خائف من غاراتهم المفاجئة، وبالفعل فقد تعطل جريان مياه عين غبولة وانقطع عدة مرات في عهد ابنه من بعده (*المن بالإمامة*، 448).

ثورة بومزگيدا إذن، ليست إلا حلقة من الصراع المرير بين الموحدين والبرغواطيين أو لنقل بين مصامدة الجبل ومصامدة السهل، فمصامدة الجبل وبيدهم السلطة يعتبرون أنفسهم أقوى من جيرانهم وأبناء عمومتهم، إلا أن البرغواطيين برصيدهم التاريخي وملاحمهم لم يرضخوا للمخزن الموحدي، بل إنهم أذاقوه الهزائم تلو الهزائم، وما ثورة بومزگيدا إلا نموذجا من انتصاراتهم. فحتى إذا أخذنا العبارات المقتضبة التي أشار بها البيذق إليها، أو نهاية الثورة التي أشار إليها *روض القرطاس* فإنها تنم عن موقف مقصود للتقليل من أهميتها مما يجعلنا نشك في قوله "...وبقي مدة يحارب الموحدين إلى أن ظُفر به فقتل وحمل رأسه إلى مراكش، وقتل معه خلق كثير من البربر".

فصاحب *القرطاس* يوهمنا أن الثورة قامت وانتهت في نفس السنة إلا أن العبارات التي استعملها لا تسير في نفس الاتجاه. فالمدة الواردة في النص غير محددة، وكذلك المعارك لم تحدد ولم يحدد من الذي ظفر به، يضاف إلى ذلك أن الصراع البرغواطي ـ الموحدي استمر في عهد خلفاء عبدالمومن ولم يقض عليهم إلا حفيده يعقوب المنصور الذي يمكن القول إنه اتبع في إبادتهم ما يعرف عسكرياً بسياسة الأرض المحروقة.

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*.

محمد حجاج الطويل

بومسهول، أو البومسهوليّون، أسرة شريفة من سلالة أبي عمران، حفيد إدريس الثاني الذي يوجد قبره بقرية (أيت بوعمران بوادي دادس الأوسط) جدهم أحمد بن عبدالقادر بومسهول لذلك يقال لهم أيضا البوعمرانيون والبعمرانيون. كانت الأسرة تقطن بقرية إيماسين بأسافل وادي دادس في تراب قبائل أيت سَكْرِي المغرانية الهسكورية (مجال مصمودة). وخلال العقد الأخير من القرن الماضي انتقل البومسهوليون في ظروف غامضة من زاويتهم الأولى بإيماسين إلى مكان قريب من قرية تِرگوُنْتْ الموجودة ضمن تراب أيت إحْيا السدراتيين (مجال صنهَاجة) فأسسوا به زاوية جديدة تعرف بزاوية مولاي عبدالملك نسبة إلى مؤسسها.

وكون موقع زاويتهم الأولى بإيماسين والثانية بأيت إحيا أمرٌ مهم، إذ هو موقع يوجد بين مجموعات قبلية مهمة هي اتحاديات إمْغْران و إمكُونْ (مكُونة) وأيت سدرات. ونظراً لوجود هذه القبائل في ما وراء الأطلس، وهي منطقة ذات مناخ شبه صحراوي، فإن هذه القبائل كانت دوما تتنافس في السيطرة على أماكن الرعي وخاصة في جبل صغرو المحاذي لترابها. ومن ثمة كانت الصراعات تقوم على أشدها فيما بينها واستمرت إلى عهد قريب. لذلك ظلت هذه المنطقة مرتعا خصباً لتحرك الزوايا والمرابطين (إگرَامْن) والصلحاء. ولكل قبيل من هذه القبائل زاويته وصلحاؤه الذين يحتكم إليهم كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وكانت زاوية البومسهوليين بإيماسين من بين هذه الزوايا التي كان لها دور أساسي خاصة لدى قبائل أيت سَكْرِي خلال القرن الثالث عشر (19 م).

بومسهول، أحمد بن عبدالقادر، تبين المراسلات المخزنية التي في حوزة حفدته بزاوية مولاي عبدالمالك بدادس دور الوساطة الذي كان يلعبه بين السلطة المخزنية بمراكش وقبائل إمغران ونواحي إمليل. وذلك على مدى سبع وثلاثين سنة ما بين سنتي 1258 / 1842 . 1295 / 1878. بيد أن مولاي المامون الذي لا نعرف عنه أي شيء هو الذي كان على رأس زاوية إيماسين إلى حدود سنة 1842/1258 ورد اسمه في رسالة مخزنية بهذا التاريخ تشير إلى "كافة الشرفاء العمرانيين بإماسين لوقوفهم وراء مولاي المامون فيما يخص الأمور المخزنية" إلا أن شخصية مولاي أحمد مافتئت تذكر في الأحداث منذ ذلك التاريخ.

فقد جاء في رسالة من مولاي عبدالرحمان بتاريخ فاتح جمادي الثانية سنة 1258 يخاطبه بقوله : "محبنا الناصح الشريف مولاي أحمد البعمراني".

وفي سنة 1844/1260 حثه السلطان ليتدخل ضد أيت عطا في نزاعهم مع أحد شيوخ هذه المناطق وهو إبراهيم السُّومر. وله مراسلات مع خليفة السلطان بمراكش. وإحدى هذه المراسلات وهي مؤرخة في يوم 6 محرم الحرام سنة 1268 هـ تخبره بأن السلطان محمد بن عبدالرحمان قد استدعاه لحضرته للقاء به "لكون الحاجة دعت إليه".

وفي 26 ربيع النبوي سنة 1272 هـ أمر السلطان هذا الأخير بالتدخل لدى شرفاء أيت بوعمران لكونهم "دخلوا فتنة مغرانة". ويبدو أن تدخله لديهم كان مجدياً (وذلك هو مضمون رسالة مؤرخة في فاتح جمادى الأولى عام 1272 هـ).

واضح مما سبق، أن أحمد بن عبدالقادر بومسهول منذ ظهوره على مسرح الأحداث في سنة 1842/1258 ظل شخصية مرهوبة الجانب يحسب لها حسابها لما له من تأثير على القبائل من جهة وما له من علاقات حسنة مع المخزن من جهة ثانية. ورغما عن ذلك، لم يكن الحظ حليفه ليحظى بتمثيل المخزن بصورة رسمية بهذه المناطق.

وكان وصول مولاي الحسن الأول إلى الحكم فرصة أخرى لأحمد بومسهول فبعث إليه أخاه وولده اللذين لم تكشف المراسلة عن اسميهما وبمعيتهما.

لم يتمكن أحمد بومسهول من تحقيق أمنيته السياسية نظراً لظهور منافس له في عائلته بإيماسين وهو محمد بن عبدالرحمان، ومن جهة أخرى نظراً للوضعية العامة التي كانت سائدة آنذاك في مناطق ما وراء الأطلس والتي كانت تعمل لصالح أسرة قوية هي أسرة الأگلاويين التي بدأت تحركاتها صوب دمنات والمناطق الجنوبية الموالية لها كإمغران ودادس ودرعة.

بومسهول، عبدالسلام بن عبدالمالك. خلف أباه آتي الترجمة في الزاوية وتبنى الطريقة التجانية مخالفا بذلك أباه الذي كان درقاويا. وفي عهده عرفت الزاوية ازدهاراً كبيراً نظراً لكثرة الموارد والأملاك. وكانت تتقاطر عليها القبائل من إمغران ودادس ومگونة لفض النزاعات وإصلاح ذات البين فيما بينها. واعتباراً لهذا الدور الأساسي الذي كانت تلعبه الزاوية أسندت خطة القضاء بهذه المناطق لزعيمها عبدالسلام بن عبدالمالك منذ سنة 1355 / 1936 ولم

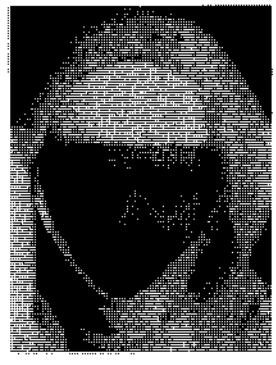

يشغله منصبه عن الاهتمام بشؤون الزاوية، فأحضر إليها عدداً من فقهاء هذه المناطق أمثال محمد بن السعيد الدادسي ومحمد بن الحبيب الدرعي ومحمد بن عبدالله التِّزَاراني ومحمد بن أبي الدنيا المغراني، وألقيت بالزاوية دروس كانت تختم سنويا في الأسبوع الثاني من شهر محرم، وكان طلبة القبائل وفقهاؤها والزوار يفدون على الزاوية لحضور حفل الاختتام الذي يستمر خمسة عشر يوماً تتعاقب خلاله حلقات الطلبة على تلاوة القرآن الكريم، كما يستمعون كل يوم صباح مساء إلى دروس دينية يقوم بإلقائها فقهاء الزاوية. واستمر الحال هكذا إلى أن توفي الشيخ عبدالسلام سنة 1956/1375 تاركاً أمر الزاوية في يدي ابنه محمد المختار الذي يتعاون اليوم مع أولاد عمه في تدبير شؤونها.

بومسهول، عبدالملك بن أحمد بن عبدالقادر، ولد حوالي 1821/1236، وخلف أباه بعد وفاته على زاوية إماسين. كان صوفيا عزوفا عن الدنيا وزخرفها، ولأسباب لم تكشف عنها الوثائق المكتوبة اضطر عبدالمالك إلى الرحيل من زاويته بإماسين إلى بومحشاد في هسكورة التي استقر بها مدة لا تقل عن عامين. وبعد ذلك نزح إلى ترگوت بأيت إحيا السدراتيين (قلعة مگونة) فبنى بمكان قريب من هذه القرية زاوية لا تزال تعرف باسمه. وقد تم ذلك في غضون العقد الأخير من القرن الماضي، وربما كان هذا الرحيل الاضطراري نتيجة الاضطرابات التي شهدتها القبائل بعد وفاة الحسن الأول. ولا يستبعد كذلك أن يكون ذلك الجو المضطرب قد أجج من جديد الصراعات القديمة بين عظم بومسهول الذي ينحدر منه عبدالملك، وعظم أعمامه أيت عبدالله. وتتحدث الرواية الشفوية عن وقائع حدثت بين الطرفين كانت فيها اليد الطولى لمحمد الابن الأكبر لعبدالمالك. ويبدو أن هذا الأخير تأسف كثيراً لما وقع بزاويته فأقسم أن يغادر إماسين بحثا عن مكان جديد ينزوي فيه.

وهكذا حظي عبدالملك بعناية سكان قبيلة ترگوت الذين رحبوا به وسمحوا له ببناء زاويته فوق ترابهم. وحسب وثيقة يعود تاريخها إلى سنة 1897/1314 فإن بعض سكان قبيلتي إقَدَّارْن وأيت تَزَرِين المجاورتين لقرية ترگوت وقفوا بدورهم أراضي فلاحية على الزاوية الجديدة التي سرعان ما امتد نفوذها ليشمل دادس وقبائل إمگون إضافة إلى إمغران. والذي لا مراء فيه أن ظهور زاوية عبدالمالك بهذه المناطق يشكل أهم حدث سياسي وديني عرفه وادي دادس في نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين، أي قبل أن تصل إليه سلطة الأگلاويين بشكل مكثف ما بين سنتي 1920 و1930 وهي معززة من طرف القوات الفرنسية.

ومما يدل على الأهمية التي كانت لهذه الزاوية الجديدة بالمنطقة أن الأگلاوي قام بمجرد وصوله إليها بإلقاء القبض على مؤسسها عبدالمالك فسجنه بمراكش مدة سنتين ونيف. وكان ذلك سنة 1919/1337، وبعد إطلاق سراحه التحق بزاويته حيث توفي سنة 1923/1341.

وثائق ومراسلات مخزنية في حوزة الحاج محمد بن عبدالسلام البومسهولي بزاوية عبدالمالك ؛ م. حمام، "*وثائق غميسة حول زاوية اتسفال*"، *مجلة دار النيابة*، ع 6 ربيع 1985، ص 51، ص 57.

محمد حمام

بُومعزة، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر انقرضت في أوائل القرن الحالي، ومن الأمثال التطوانية : هَوَّل السوق

بومعزة.

وهناك رأس بومعزة، بشاطئ قبيلة أنجرة الموالي لبوغاز جبل طارق، يقع بين مصب وادي ألْيان ورأس قنقوش، وقد احتفظ له الإسبان باسمه الحقيقي Punta Maaza في جميع خرائطهم.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 6 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* ; A. Domenech Lafuente, *Zona Norte*, p. 50.

محمد ابن عزوز حكيم

بومعيلقة ـ حسب النطق الدارج بالمغرب ـ أو أبوملعقة أو ملاعقي في اللسان الفصيح. جنس طيور مائية من طوال الساق القواطع تتميز بمناقيرها الكبيرة الملعقية الشكل. تنتمي إلى رتبة اللقلاقيات Ciconiformes وفصيلة Threskiornithidae وجنس Platalea الذي يضم ستة أنواع، منها نوع واحد يعيش في شمال افريقيا وأوروبا وآسيا يسمى علميا Platalea Leucorodia ويدعى بالفرنسية Spatule européenne وبالانجليزية Spoonbill. يعرف في المغرب أيضاً "صْبَاتُولْ" المأخوذة من الفرنسية. ومن أسمائه في الشرق العربي دواس ومدواس.

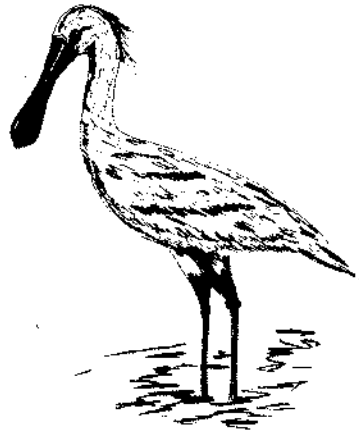

الريش أبيض والمنقار أسود طويل يشبه الملعقة، الأرجل سوداء طويلة. تظهر على الرأس قبعة في فصل الصيف. يمتد العنق إلى الأمام والأرجل إلى الخلف أثناء الطيران. تتوالد في أواخر فصل الربيع وتضع الأعشاش متقاربة مع بعضها بين القصب والحشائش المحاطة بالمستنقعات والبحيرات. تضع الأنثى من 3 إلى 5 بيضات منقطة بالأسود تزن كل منها 38 غراما. تدوم الحضانة 28 يوما. يطعم الزوجان صغارهما إلى أن تغادر الأوكار بعد خمسة أسابيع. يكسو الصغار ريش أبيض وتصير بالغة بعد ثلاث سنوات. يبلغ طولها 90 سم وتزن بين 1.4 و1.7 كلغ. تتراوح بسطة الجناحين ما بين 130 و140 سم.

إنه طائر اجتماعي يعيش وسط مجموعات كبيرة مكونة من أنواع مختلفة من الطيور المائية. يقضي النهار فوق الأشجار وعلى جانب المياه الغير العميقة ويرمي بمنقاره في الماء ليتغذى من الديدان والحشرات والأسماك والرخويات التي يصادفها. يقوم الزوجان برقصات وبحركات غريبة قبل التزاوج.

يوجد في عدة بحيرات مغربية منذ فصل الخريف إلى أواخر فصل الربيع، نذكر منها بحيرة مولاي بوسلهام، ضاية سيدي بُوغابة، بحيرة سيدي موسى، الوليديّة، بحيرة خنفيس، بحيرة العيون، وجميع مصبات الأنهار الأطلنطية والمتوسطية وبعض السدود.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc, Janvier 1986 - 87 - 88, Doc. Inst. Sc.*, 11, Rabat, 1988 ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids; Reproduction, œufs et jeunes*, Paris, 1968, p. 191 - 192 ; C. Harrision, *Les nids : les œufs et les poussins d'Europe en couleur. Multiguide nature*, Paris, 1977, 430 p ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رمضاني

بُومْقَيْص، هكذا يسمى في المغرب، وفي القواميس أبومقص والنُّهيك، دويبة من الحشرات Insectes لها في المؤخرة ما يُشبه المقص وتعرف أيضا بثاقبة الأذن إلا أنها لا علاقة لها بذلك، وسميت هكذا لأنها تحمل في مؤخرة البطن مَلاقط كُلابية كثيرة الشبه بالآلة الطبية التي تستعمل لثقب أذن الإنسان. يزعمون أنها تدخل الأذن وتثقبها، وأن مقصها يقطع ذكر الصبيان.

تنتمي هذه الحشرة إلى رتبة جلديات الأجنحة الرواكض Dermapteres وفصيلة النهيكيات أو ثاقبات الأذن Forficulidae يسمى علميا Forficula auricularia وبالانجليزية Earwig وForficule وبالفرنسية Perce-Oreilles.

الجسم مفلطح مستطيل سداسي القوائم. الملاقط الكلابية Forceps مقوسة عند الذكور ومستقيمة عند الإناث. يتراوح طوله ما بين 8 و20 ملم. يختلف اللون حسب الأنواع، فمنها الصفراء والسوداء والبنية. الأجنحة قصيرة جداً ولا تستعمل للطيران. يوجد منه 1293 نوعاً موزعة في المناطق الحارة من العالم، منها 15 نوعا تعيش في المغرب كلها ليلية النشاط، تختفي نهاراً بين الأعشاب

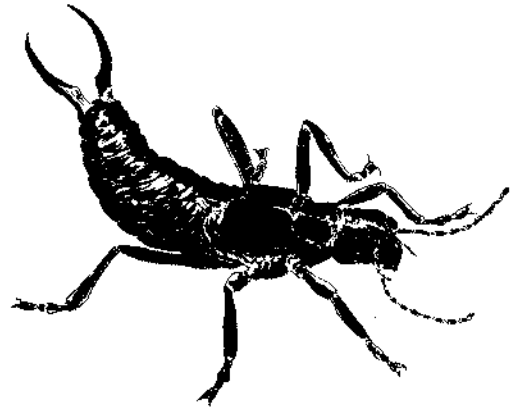

وتحت أوراق الأشجار المتساقطة وتحت الأحجار وبين شقاق الجدران والصخور وتحت قشرات جذوع الأشجار. تفضل العيش في الأماكن الرطبة وهي حيوانات قارتة تأكل الديدان والحشرات ورؤوس البراعم والنُّبَيْتَات مما يجعلها

تخلف خسائر في المزارع المغطاة (Serres).

إن نوع Labidura riparia truncata يفضل أكل الديدان وخاصة منها دود الفراشة الليلية التي تضر بنبات القطن مما يرغب في وجود بومقيص داخل هذه المزارع. وهناك أنواع أخرى تأكل الأرقة Puceron مما يرغب فيها داخل حقول الحوامض.

يبتدئ التوالد في أواخر فصل الربيع ويدوم التزاوج بضع دقائق ثم تحفر الأنثى غاراً صغيراً تنظفه ثم تضع فيه ما بين 30 و80 بيضة تعتني بها كثيراً مما يميزها عن باقي أنواع الحشرات الأخرى. تلحس البيض مراراً وتقلبه لتحميه من الجراثيم ومن الفطريات التي تفتك به وتمنعه من التفقيس في حالة اعتزال الأم. تنظف الأنثى اليرقات بعد خروجها من البيض وتدوم مدة التطور عدة أيام تمر اليرقات خلالها من خمس مراحل قبل أن تصير بالغة.

من بين الحيوانات التي تأكل بومقيص الطيور والقنافذ والضفادع، وكثيراً ما يتطفل عليها عدة أنواع من الخيطيات (Nématodes).

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques: Zoologie II, 41 - 42 ; I. Bolivar, *Dermaptera y Ortoptéras de Esp. Hist. Nat.* 8 - 1914, 157 - 239.

نجاة الخياطي

بومنينة، (سيدي ـ) دفين خارج شالة حيث يوجد فوق التل المعروف بجبل سيدي بومنينة ثلاث قباب قديمة إحداها غربية والأخرى جنوبية والثالثة شمالية. أما القبة الشمالية فهي التي تحتضن رفات سيدي بومنينة الذي لا يعرف عنه سوى ما تتداوله الروايات الشفوية، إذ يقال إنه من قبيلة السوالم، لذلك كان السالميون يتصرفون في "فتوحاته".

ويذكر الضعيف في حوادث سنة 1205 أنه وقع قتال بين قبيلتي الشاوية والصبّاح قرب سلا "على المكاز" وقتل من الشاوية نحو المائتين من خيارهم منهم إدريس ولد بومنينة ومحمد بن الحطاب. وربما كان إدريس المذكور هو صاحب الضريح. لكن محمد بن علي دينية يقول إنه وجد ببعض التقاييد أن اسم صاحب الضريح علي وليس إدريس.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، 58 ـ 63 ؛ *روايات شفوية*.

عبدالاله الفاسي

بومنشار، أو أبومنشار، والمنشار، وسمك المنشار، ويسمى أيضا في المعاجم، اللّخْم، جنس أسماك بحرية من الغضروفيات Chondrychthyens. تنتمي إلى رتبة Hypotremata وردف رتبة Rajiformes وفصيلة Prestidas. تتميز بخرطوم طويل مصفح كالمنشار يحمل على كل جانب عدة أسنان حادة. شكله قريب الشبه من سمك القرش، الفتحات الخيشومية والفم على السطح البطني للجسم، يحمل الظهر زعنفتين كبيرتين متساويتين، الزعنفة الذيلية عمودية وكبيرة، تكسو الجسم عدة أسنان جلدية صغيرة. الظهر والجوانب بُنية إلى رمادية مصفرة، البطن أبيض لامع.

تتكون الفصيلة من جنس واحد Fristis يضم عشرة أنواع تعيش كلها في مياه المناطق الحارة، نوعان منها يعيشان في السواحل الأطلنطية المغربية و نادرة جدا في البحر المتوسط :

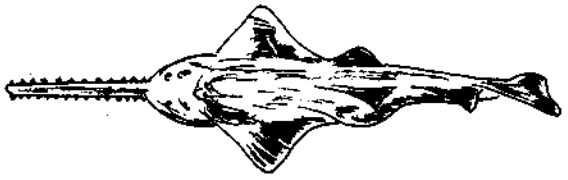

ـ Pristis pristis يدعى بالفرنسية Poisson-scie tident وبالأنجليزية Smalltooth sawfish و بالاسبانية Pejepeine. يتميز بخرطوم يحمل من 15 إلى 20 سنا في كل جانب. يعيش في كل من السواحل الأطلنطية البرتغالية والإسبانية والإفريقية منذ طنجة إلى الجنوب. يبلغ طوله أربعة أمتار ونصف.

ـ Pristis pectinata يدعى بالفرنسية Poisson-scie commun وبالإنجليزية Common sawfish وبالإسبانية Pez sierra comun. يتميز بخرطوم طويل يحمل من 24 إلى 32 سنا في كل جانب. يعيش في السواحل الأطلنطية الإفريقية منذ طنجة إلى الجنوب. يبلغ طوله خمسة أمتار.

كل الأنواع ولودة تتكاثر بالنسل وغير سُخْدية، تعيش وسط مجموعات غير بعيد عن سطح البحر والشواطئ، وتدخل أحيانا البحيرات الساحلية ومصبات الأنهار. تستعين بالمنشار للبحث عن الحيوانات الصغيرة داخل

الحشائش والرمال والوحل، وكثيرا ما يخشاها البحارة.

يصاد بواسطة الشباك ويستهلك طريا ومجمدا ومجففا مملحا، وكثيرا ما يصاد ليباع منشاره كتذكار. نادر في أسواق الأسماك المغربية.

G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1984, p. 65 - 66 ; W. Fischer, M. Schneider et M. L. Bauchot, *Méditerranée et Mer Noire, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987, p. 1128 - 1131, 1419 - 1420.

محمد رمضاني

بُومْهَاوْت، يطلق في أسواق الجنوب المغربي وخاصة في أسواق دادس على الشخص الذي له خبرة ومعرفة بشؤون البهائم. يستشيره الناس عند بيع أو شراء بهيمة ما في السوق. ويبدو أن كلمة بومهاوت محرفة عن بومهاود ـ بالدال ـ مشتقة من الكلمة العربية المهاودة (من فعل هاود) التي تعني المساومة والتوسط بين التجار لتحديد أثمان البضائع المراد بيعها أو شراؤها. وقد ورد أيضاً عند دوزي : "تهاودوا على السومة" أي اتفقوا على الثمن.

وهكذا، فبومهاوت هو ذلك الخبير الذي يُقرّب بين البائع والمشتري لتحديد ثمن البهيمة المبيعة. ومقابل

وساطته يتقاضى من الطرفين واجباً مادياً عن طريق المكارمة يتباين باختلاف الأثمنة والناس. وإذا كانت لبومهاوت دراية بشؤون البهائم، فإن بمقدوره أن يحدد نوع فصيلتها، وعمرها، وأن يشخص مرضها إذا كانت مصابة بمرض. ومن ثَمَّ فهو "طبيب بيطري" تقليدي يقوم بعلاج البهائم المريضة. وكثيراً ما يلجأ في علاجه إلى طريقة الكَيّ المعروفة محلياً بـ تيقَّدْ، جمع تيقَّادْ.

وتجدر الملاحظَة إلى أن عَدداً قليلا من الأشخاص هم الذين يزاولون هذه "المهنة" إلا أن تجربتهم تختلف من شخص إلى آخر. فهناك مَن له تجربة واسعة في جميع أنواع البهائم من بقر وبغال وحمير إلخ ... بينما هناك من له تجربة خاصة بنوع خاص من هذه البهائم دون غيرها. وعادة ما ينفرد شخص في المنطقة بتجربته الواسعة ويكتسب شهرة ويحضر كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

بطرس البستاني، *محيط المحيط*، مكتبة لبنان، 1944 ـ 1979، ص 947 ؛ *تحريات ميدانية*.

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, T. 2, Beyrouth, 1981, p. 770.

محمد حمام

بومهدي، أبو **بكر** بن محمد. ولد بالدار البيضاء في 11 صفر عام 1336 / 26 نونبر 1917 وبها تعلم تعليماً أصيلا وعصريا قبل أن يلتحق بفرنسا وينال الإجازة في القانون من جامعة بوردو.

خاض غمار الكفاح السياسي وهو مازال طالباً بفرنسا، وترأس تحرير جريدة *الاستقلال* التي كانت تصدر باللغة الفرنسية، وباشر مهنة المحاماة بمكتب الأستاذ عبد الرحيم بوعبيد، ثم التحق بديوانه حين عين وزير دولة مكلفاً بالمفاوضات وأسهم بذلك في تحرير الاتفاقيات الجديدة التي

قامت عليها العلاقات المغربية الفرنسية، وقد أسندت إليه بعد ذلك مهمات ومناصب سامية في الداخل والخارج قام بها أحسن قيام، وعين سفيراً للمغرب في دكار ثم في أديس أبيبا، وساحل العاج ورومانيا. واشتهر بدماثة الأخلاق وسعة الافق ورحابة الصدر والجد في العمل.

توفي بالرباط يوم ثاني ربيع الأول عام 1413 / 31 غشت 1992.

ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 280 ـ 281 ؛ *جريدة العلم*، 2.9.1992.

محمد حجي

بومهدي، قرية تنتمي منذ القديم وإلى غاية الوقت الراهن إلى قبيلة بني عروس الهبطية، مندرجة ضمن فرقة بني ومراس. يقترن اسم القرية بوجود كدية (204 م). وعين غزيرة المياه تدعى بالحمامات، تتدفق مياهها بقرية الجنتل. ويتوسط موقع قرية بومهدي الطرق المؤدية إلى جبل حبيب وبني حمايد وبني عروس الجبلية بني گرفط. وفي بداية القرن السابع (13 م) كانت القرية "عزيبا" خاصا بالشيخ مولاي عبدالسلام بن مشيش العلمي الإدريسي، ولا تزال بالمكان آثار تنسب إليه كعين الحمامات، وكانت داره بازائها وبجانبها مسجده. وما تزال أغلب أراضي القرية في ملك حفدة الشيخ العلمي إلى اليوم.

استغل برتغاليو أصيلا موقع القرية التي غادرها أهلها منذ احتلال المدينة، فاتخذوا منه طالعاً لمراقبة الطرق النافذة إلى القبائل المجاورة. ولم يعد أهل القرية من نقط التجائهم ببني عروس الجبلية إلا بعد الجلاء البرتغالي عن أصيلا سنة 957 / 1550.

ج. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة* 2: 345 ـ 349 ـ 410 ـ 413 ـ 491 ؛ الطاهر اللهيوي، *حصن السلام بين يدي أولاد عبدالسلام*، ص 421 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 56.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 1 : 52 - 210 - 303.

حسن الفگيگي

بومية، (قصبة قديمة، وجماعة قروية، ومركز حضري حديث). كان بومية يطلق في الأصل على قصبة لأيت سعيد أُحْسين إحدى فرق أيت بوگمّان وأصبح في الوقت الراهن يطلق على إحدى جماعات إقليم خنيفرة وعلى مركزها المنتميين إدارياً إلى دائرة ميدلت.

تمتد هذه الجماعة القروية على مساحة 828 كلم2 وتحدها جماعات إدْزَر وأيت أُمغار من الشرق وتُونفيت من الجنوب وكرُّوشن والقباب من الغرب وموحى أُحمو الزياني وعين اللوح من الشمال.

تشكل بومية من الناحية الطبيعية جزءاً من حوض ملوية الأعلى الواقع على ارتفاع يتراوح بين 1.500م و1.600م. وكسائر أراضي هذا الحوض تتميز أراضيها بالانبساط وبالرتابة التي لا يحد منها سوى واد ملوية وروافده القادمة من الأطلسين الكبير جنوبا والمتوسط شمالاً و مخروط بُرگا تُورگتْجيت المشرف على بومية.

تتكون هذه السهول من تشكيلات نيوجينية قارية (طفل، رصيص، كلس بُحيري ...)، أخذت شكلها في الزمن الرابع. وإلى نفس الزمن تعود المواد البركانية المنتشرة قرب بومية.

توضعت هذه التشكيلات الحديثة العهد فوق تكوينات طفلية وكلسية أو حتية من الكريتاسي تعْلو هي الأخرى

تكوينات دُولُوميتية وطفلية من الجوراسي.

ونجد تحت الجوراسي تكوينات برموترياسية تستقر فوق القاعدة الهرسينية المكونة من الگرانيط والشيت التي تبرز بما يسمى بكتلة بومية.

وتفسر هذه الظروف الجيومرفلوجية انحصار التربات المتطورة والحصبة داخل مساحات محدودة وعلى طول المجاري حيث تكونت مدرجات نهرية. كما يفسر تعاقب الطبقات الصخرية المنفذة وغير المنفذة وجود فرشات مائية متفاوتة العمق.

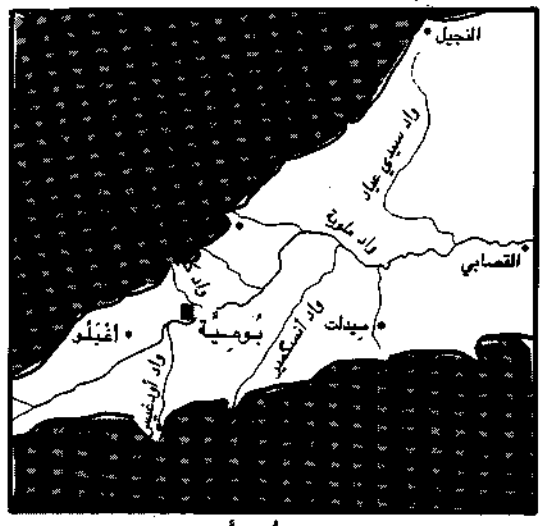

موقع بُومِيَّة

وقد لعب المناخ دوراً كبيراً في إعطاء المنطقة معالمها الجيومرفلوجية وهو الذي يفسر طبيعة الغطاء النباتي "الشبه سُهُوبية". والموقع بين جبلين مشرفين (الأطلس الكبير جنوباً والمتوسط شمالا) هو المسؤول عن الخصائص المناخية. مناخ قاري جاف يتميز بشتاء بارد ضعيف الرطوبة وبصيف حار جاف. ويسجل معدل الحرارة القصوى في يوليوز ما بين 32.9 د و33.8 د. أما معدل الحرارة الدنيا فيسجل ما بين 0.2 د إلى 1.3 د في يناير. ويتراوح معدل الحرارة السنوي بين 13 د و14 د.

أما كميات التساقطات، فتسجل معدلاً في حدود ما يسمح بقيام زراعة بورية (300 مم في السنة). لكن هذا المعدل يخفي تفاوتات زمنية أحيانا كبيرة وتباينات مجالية تتمثل بالأساس في نقصان هذه الكميات من الغرب نحو الشرق. ففي إدْزَر يصل هذا المعدل 362 مم بينما لا يصل في ميدلت شرقا سوى 235 مم. وقد تأتي هذه التساقطات على شكل ثلوج تكسو سطح الأرض لبعض الأيام خلال الشتاء. وعلى شكل عواصف خلال الصيف. ويعتبر مناخ حوض ملوية الأعلى مناخا جافاً ذا نزعة جبلية واضحة. فالتبخر يقدر بـ 777 مم بينما لا يصل معدل التساقطات سوى 266 مم. ومما يعزز الطابع الجاف لمناخ هذه المنطقة، هبوب رياح الشرگي.

وبديهي أن تكون قيمة الماء مع هذه الخصائص المناخية مرتفعة. فهو الوسيلة الأولى والعامل الأساسي للاستقرار وللإنتاج. وحظوظ ملوية العليا، التي تنتمي إليها جماعة بومية، من هذا المورد الطبيعي الهام كبيرة نسبيا بالمقارنة مع باقي حوْض ملوية. فعلاوة على التساقطات التي تمكن من الزراعة البورية، تعْبُر المنطقة مجموعة من الوديان والمجاري المائية القادمة من الأطلسين المتوسط والكبير في اتجاه واد ملوية الذي يشكل المصرف الرئيسي وهي عموماً مجاري دائمة. أمّا باطن الأرض فيختزن كميات كبيرة من المياه توجد بالنسبة لجماعة بومية على عمقين : 13، 15 م بجوار مجرى ملوية و300 م في باقي الأجزاء. لكن تبقى هذه الفرشة الثانية مالحة.

وباعتبار الطابع الجاف للمناخ يمكننا فهم طبيعة الغطاء النّباتي شبه السهوبية. فمعظم نباتات المنطقة تتمثل في النباتات الشوكية الخفيفة وفي الشيح. كما أنه باعتبار الخصائص الجيومرفلوجية والمناخية والنباتية يمكن تفسير طابع الفقر الذي يميز تربات المنطقة. وبالرغم من الجوانب السلبية التي يتميز بها الوسط الطبيعي في هذا الجزء من حوض ملوية الذي تنتمي إليه بومية، فإمكانيات الاستقرار وقيام أنشطة رعي ـ زراعية وتجارية متوفرة.

ترتبط ظروف تعمير بومية بظروف تعمير باقي حوض ملوية الأعلى. فقد تم هذا التعمير في إطار ما يعرف "بحركة أيت أُمالُو" ويعني ذلك انزلاق القبائل المكونة لما كان يعرف بحلف إدْرَاسَن وبحلف أيت أمالو وأخيراً بحلف أيت يَفْلْمان من الجنوب والجنوب الشرقي نحو الشمال والشمال الغربي، عمّر بعضها مرغما وبعضها بحثا عن الأراضي والمراعي الغنية. تم هذا الانزلاق بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر على وجه الخصوص. وخلال منتصف القرن الأخير تمددت مواقع الكيانات القبلية بعد صراعات فيما بينها وتدخلات من طرف المخزن (الناصري ؛ Cdt Bouverot ; R. Raynal).

يتشكل سكان جماعة بومية إجمالا من قبيلتي أيت بوگمان وأيت مسعود المنتميتين إلى مجموعات قبائل بني مگيلد، وهي مجموعة كانت تتشكل من لفّيْن : لف أيت عبدي ولف أيت أُمْناصفْ الذي ينقسم بدوره إلى لفين ثانويين، أيت أگادير وأيت بوگمان ضد أيت مسعود. وعندما وصل جيش الاحتلال الفرنسي سنة 1917 إلى المنطقة قاومه سكان بومية وأدى بهم ذلك إلى التخلي عن أرضهم وقصباتهم بما في ذلك قصبة بومية واعتصامهم عند جيرانهم أيت يحيى بأطلس تونفيت.

وإذا سلمنا بأن جماعة بومية تتشكل من أراضي أيت مسعود وأيت بوگمان فبإمكاننا تقدير عدد سكانها عام 1920 ـ بالنظر إلى ما أورده Cdt Bouverot حول عدد الخيمات والدّور والقصبات ـ بـ 5.000 إلى 6.000 ن بكثافة 9 إلى 10 ن/كلم2.

ومنذ هذا التاريخ والسكان في تزايد متواصل بالرغم من اختلاف وتيرة النمو حسب الفترات. "فإذا كانت نزعة تطور السكان الريفيين على الخصوص بحوض ملوية العليا

خلال الأربعينات والخمسينات هي الثبات أو النقصان، فعند القبائل التي تعرف التوافد مثل أيت بوگمان وأيت مسعود يلاحظ ارتفاع في عدد الأطفال مما يغيّر نزعة التطور المذكور" (R. Raynal, 299) .

وحسب إحصاء سنة 1982، وصل عدد سكان الجماعة إلى 18.724 نسمة موزعين على 12 فخذة تتكون من 43 دواراً ومركز بومية. وقد مر عددهم من 11.490 نسمة سنة 1960 إلى 15.277 نسمة سنة 1971. وتدل هذه المعطيات على أن وتيرة النمو الديموغرافي كانت أسرع في العشرية الأولى (2.62٪ في السنة) بالمقارنة مع العشرية الثانية (1982 . 1971) 1.86٪ فقط.

ويبدو أن سبب هذا الاختلاف راجع إلى كون الجماعة شأنها في ذلك شأن باقي حوض ملوية العليا كانت تستقطب عددا من المهاجرين الذين كانوا يعملون في الفلاحة. فحسب Raynal, p. 300 وصلت نسبة المتوافدين الذين استقروا عند أيت بوگمان وأيت مسعود خلال جيل (أي بين 1920 و1950) إلى 10٪ من السكان.

أما التلاشي الحاصل في وتيرة النمو بعد سنة 1971 فلا يمكن عزله عن ظاهرة النزوح التي سجلت بالمنطقة بسبب ندرة فرص الشغل إثر توسع الأراضي الزراعية التي قلصت من إمكانيات الرعي وظهور استغلاليات عصرية تعتمد على الآلات.

وبالرغم من التباطؤ في وتيرة النمو الديموغرافي بالجماعة، فالزيادة المتواصلة في العدد المطلق عن طريق الولادات أعطت للساكنة بنية تتميز بالفتوة حيث يشمل الذين لا يتعدى سنهم خمس عشرة سنة 40.3 ٪. وجعلت الكثافة السكانية ترتفع من 14 ن /كلم2 في سنة 1952 (R. Raynal) إلى 22.61 ن/كلم2 في سنة 1982. ويتسبب هذا التطور في طرح مشكل الحاجيات ومشكل التشغيل.

الفلاحة كركيزة أساسية في اقتصاد الجماعة : قام اقتصاد سكان جماعة بومية منذ استقرارهم، وكغيرهم من سكان حوض ملوية العليا، على الزراعة وتربية الماشية. ونظراً لعجز هذا القطاع عن تغطية الحاجيات في الوقت الحاضر فقد أصبح هؤلاء يعتمدون على موارد أخرى.

ففيما يخص الفلاحة، يلاحظ أنها تشكل الركيزة الأولى في اقتصاد السكان. ومما ساعد على ذلك وجود ظروف طبيعية أكثر ملاءمة مما هو عليه الحال بالجماعات الواقعة نحو الشرق. فالأراضي الزراعية تغطي من نصف إلى ثلثي المساحة العامة، وما بقي يستعمل كمراع. وأهم أراضي الرعي تتجمع بسهل العريض الذي كان يشكل المرعى الشتائي عند أيت بوگمان وعلى مقربة من أغْبالو نْسَرْدان بالنسبة لأيت مسعود، ويخضع سهل العريض منذ بعض السنين لاستعمال منظم بهدف تحسين المردودية، يرعاه باحثو المعهد الزراعي بالرباط.

وإذا كانت الملكية الجماعية للأراضي هي السائدة قبل مجيء الاستعمار فتخوف السكان من إقدام إدارة الحماية على إدْخال أراضيهم في أراضي الدولة أو من استيلاء المعمرين عليها مباشرة دفعهم إلى اجتثاث كل ما هو ممكن وتوزيعه فيما بينهم.

وهكذا لم يتم تحديد سوى 6.250 هـ كأراض جماعية منها 5.000 هـ في أُوملوگّو عند أيت بوگمان (R. Raynal) . وتتجاوز حصة أراضي الملك اليوم نصف الأراضي عند أيت بوگمان و(4/5) أربعة أخماس الأراضي عند أيت مسعود.

وإذا كانت معظم أراضي الجماعة الزراعية تتشكل من البور فالأراضي السقوية بالرغم من ضيقها تمثل أهمية خاصة عند السكان. فهي تنتشر على طول واد ملوية وروافده : كيس، گجيج، آزَرْزُو وادْ غيس.

وسواء تعلق الأمر بالقطاع البوريّ أو بالقطاع المسقي، فالمساحة المزروعة قد شهدت توسعا ملحوظاً منذ أواخر الثلاثينات يقدر بخمس مرات على الأقل. ومما دفع إلى هذا التوسع خطر إدخال الأراضي في أملاك الدولة من جهة وتزايد حاجيات السكان من جهة أخرى.

تخضع هذه الأراضي إلى نظام زراعي يرتكز على زراعة الحبوب. ونميز في هذه الزراعة بين الحبوب البكرية الخريفية (أمَنْزو) التي تشمل القمح والشعير، والحبوب الربيعية المازوزية (أمَازُوزْ) التي تشمل الذرة. وإذا كان النوع الأول يقام بالبور على وجه الخصوص، فالنوع الثاني يتم بالأراضي المسقية. وفي كلتا الحالتين كان الفلاحون يطبقون دورة زراعية الهدف منها إراحة الأرض. لكن منذ الخمسينات عرف هذا النظام تحولات واضحة تتمثل في إدخال مزروع الفصة والخضر (البطاطس) وبشكل أوسع أشجار الورديات التي يُسقى جزء كبير منها بواسطة مضخات نصبت على الآبار. فعدد هذه الآبار المجهزة وصل بجوار بومية فقط إلى عشرين سنة 1984 (SCET). وقد كان لمركز الأشغال ببومية ولصندوق القرض الفلاحي بميدلت دور كبير في هذا التحول. كذلك شكلت النتائج الإيجابية المحصل عليها بالنسبة لإنتاج التفاح عند أيت عياش حافزاً أساسياً دفع بالعديد من ذوي الأموال حتى من خارج المنطقة لاستثمارها في هذا القطاع.

وفي قطاع البور سجل استعمال متزايد للآلات. فعدد الجرارات وصل إلى 20 في بومية خلال سنة 1984.

وإذا كان جزء من إنتاج الحبوب يُسوَّق منذ مطلع هذا القرن، فإنتاج التفاح والإجاص يُسوَّق بأكمله. أما إنتاج الخضر، إذا ما استثنينا البطاطس، فلا يغطي حاجيات السكان.

وفيما يخص تربية الماشية، يلاحظ أن أراضي جماعة بومية توفر مؤهلات كبيرة نسبياً أمام تربية الماشية. فمناخها وموقعها يجعلان إمكانيات الرعي متنوعة ومتكاملة. فعلاوة على كون الأراضي غير الزراعية تغطي ما بين ثلث ونصف المساحة العامة وتستعمل للرعي، فالأراضي الزراعية، وعلى وجه الخصوص البورية منها،

مفتوحة أمام الماشية عندما تكون مستريحة وبعد جمع المحاصيل في إطار الرعي البهرج. يضاف إلى هذا كون جزء كبير من الماشية كانت ترعى لعدة شهور من السنة خارج أرض الجماعة في إطار حركة الانتجاع في اتجاه أزغار بالأطلس المتوسط وهوامش الهضبة الوسطى. وتتشكل ماشية بومية حسب الأهمية من الأغنام (91٪) والماعز (6٪) والأبقار (3٪).

وتظهر أهمية هذا القطاع في حياة واقتصاد السكان من كون متوسط عدد رؤوس الأغنام قد وصل 7.6 لكل فرد أي 3 مرات المُعدل الوطني ومتوسط عدد رؤوس الماعز 2.3 لكل فرد أي ضعف المعدل الوطني (R. Raynal).

ويبدو أن توسع المساحة المزروعة والمغروسة وتلاشي حركة الانتجاع بسبب القيود التي فرضتها سلطات الحماية والرفض الواضح لسكان أزغار لاستقبال قطعان أيت مسعود وأيت بوگمان فوق أراضيهم عملا على "الإبطاء" بحركة تزايد الأعداد.

ويمكن تقدير عدد رؤوس الماشية بالجماعة بـ 60.000، لكن هذا العدد يتغير بسرعة تمشيا مع تقلبات المناخ.

وقد لوحظ منذ الثلاثينات زيادة كبيرة في عدد الخيْليات وبالأخص في عدد البغال. وهذا شيء بديهي إذا علمنَا أن الأراضي الزراعية قد توسعت وحرثها يحتاج إلى قوة للجر متزايدة.

و لا يقتصر دور الماشية على تغطية الحاجيات الغذائية فقط، بل يشمل تغطية المصاريف الأخرى. وهذا ما يفرض التسويق. والظاهرة قديمة وقد جعلت اليوم من سوق بومية أحد أهم أسواق الماشية على المستوى الوطني.

إن توسع النشاط الزراعي وتنوعه وعصرنته المتزايدة، لا يعني توفير حاجيات كل السكان وضمان تشغيلهم. فمنذ الأربعينات سجل R. Raynal تركزا للملكية مما يعني حرمان العديد من الأسر من الأرض التي تشكل عاملاً للإنتاج وميداناً للتشغيل. وأما توسيع الأرض المحروثة والمغروسة وتلاشي حركة الإنتاج فقد عملا على حصر إمكانيات قطاع الماشية. وفي الأخير لا بد من الإشارة إلى كون الاعتماد المتزايد على الآلات للقيام بالأشغال الزراعية قد قلص الطلب على اليد العاملة. وأمام غياب أنشطة أخرى بعين المكان ـ إذا ما استثنينا بعض العاملين في الغابة وفي التجارة ـ لم يعد هناك بديل عن النزوح. وتهم هذه الحركة النازحين من الدواوير نحو بومية ومن مجموع الجماعة القروية نحو الخارج. وهي حديثة العهد بحيث كانت الجماعة ككل أراضي حوض ملوية العليا تستقطب البرانيين إلى حدود الخمسينات. ومما يؤكد أهمية الحركة، الفرق الكبير بين عدد الذكور المتراوح سنهم بين 15 و44 سنة (2.621) وعدد الإناث في نفس السن 3.125 (1971). وإذا نحن سلمنا بأن وضعية الجماعة تشبه وضعية الجماعات المجاورة حيث حصلنا على بعض المعطيات في الموضوع (م. كريوط، م ج. م 1988). فستكون نسبة النازحين بها 13٪ من السكان. وإذا كانت الهجرة تساهم في موارد الجماعة فهي تشكل عاملاً لتطور مركز بومية.

نشأ مركز بومية بالقرب من ملتقى واد كيس بواد ملوية نحو العالية، وكان ذلك على شكل قصبة لأيت سعيد أحسين، إحدى "فخذات" أيت بوگمان. كان ينعقد بها سوق قبل مجيء الاستعمار. وقد أخلاها أهلها عندما اقترب الجيش الفرنسي منها سنة 1917. وبعد عودتهم استأنف السوق نشاطه الذي تقوى بفضل تحسين ظروف المواصلات وبسبب ارتفاع عدد السكان وتطور اقتصادهم. وأصبحت أهميته كبيرة ليس بالنسبة للجماعة وللمركز فقط بل لكل منطقة ملوية العليا. ويتم انعقاده يوم الخميس من كل أسبوع. ويتجلى نشاطه الرئيسي في تسويق الماشية. ففي الخمسينات نعته R. Raynal (ص 325)، بأنه أكثر الأسواق نشاطا.

وبعد ذلك توسع نشاطه، بحيث صنفه J. F. Troin في بداية السبعينات في الصف الحادي عشر سواء من حيث عدد رؤوس الماشية المسوقة به سنويا (98.000 من كل الأنواع) أو من حيث قيمة البيع كل أسبوع (260.000 درهم). ويصل عدد الأغنام المسوقة به سنويا 70.000 أي 71.4٪ من مجموع الماشية المسوقة. أما عدد الماعز المسوقة به سنوياً فوصل 15.500 الشيء الذي جعله يحتل الصف 7 (ص 207 و209).

وتتجلى أهمية هذا السوق علاوة على الماشية، في كونه يمكن سكان الجماعة والمنطقة من تسويق حبوبهم ودواجنهم ومن اقتناء السلع الأخرى التي يحتاجون إليها. فهو يجلب السواقة والتجار من جهات مختلفة. فالفلاليون يقصدونه بالتمور ويعودون بالبطاطس والمواشي، ويقصده أهل تادلا وخريبگة لشراء نصف الماشية المعروضة به سنويا. أما تجار صفرو وأزرو ومكناس فيشترون خُمُس الماشية المعروضة به.

ويتنافس تجار المنطقة وتجار مكناس على شراء الدواجن والبيض ويتقاسم شراء الحبوب المعروضة بالسوق 30 تاجراً (حناط) من عين المكان و25 من مكناس وصفرو والصحراء.

وإذا كان لهذا السوق دور هام في بلورة بومية "كمركز حضري" فخلق القيادة وعدد من المصالح به وتزويده بالكهرباء وبشبكة لتوزيع الماء الشروب ساهما بشكل ملموس في هذا التطور. فبومية يتوفر اليوم على مستوصف ومركز للأشغال ومجموعة مدارس ابتدائية من عشرين قسماً ومحكمة شرعية وإعدادية ومكتب للبريد....

عمل هذا التطور على جعل بومية يفرض إشعاعه على الأرياف المجاورة ويستقطب بعض السكان المهاجرين منها. وهذا ما يفسر سرعة وتيرة نمو سكانه. فبعدما كان عددهم 2.565 ن في سنة 1971 أصبح 4.292 ن في سنة 1982 وهذا يعني أن نموهم خلال هذه الفترة تم بمعدل 4.6٪ كل سنة. وبين سنوات 1971 و1984 ارتفع عدد الأسر به بـ 48٪ في الوقت الذي انخفض فيه بالدواوير المجاورة (SCET, 22).

ويطرح هذا التطور بعض المشاكل كتنظيم التوسع

المجالي وتوفير التجهيزات الضرورية وتشغيل الذين هم في سن العمل. وإذا كانت الفلاحة ما زالت تشكل ركيزة اقتصادية تضمن العيش والعمل لنسبة كبيرة من السكان، فأهمية التجارة والخدمات ما فتئت تتزايد مع توسع وظائف المركز وإشعاعه. وأخيراً لا يجب إغفال دور الهجرة ودور بعض الأنشطة "الطفيلية" التي تشكل مورد عدد من الأسر.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 4.

(Cdt) Bouverot, *Ras Moulaya*, *B.S.G.M.*, T 2, Fasc 1, 1er trim. 1920, p. 31 - 58 ; M. Kerbout, *Quelques aspects de l'évolution quantitative du peuplement dans le Moyen-Atlas et le Bassin de la Moulouya*, *R.G.M.*, vol 12, n° 1, 1988, p. 33 - 39 ; Ministère des Travaux Publics et des Communications, Direction de l'Hydraulique, *Ressources en eau du Maroc : Domaines du Rif et du Moyen Oriental*, Rabat, 1971 ; Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire. D. P. A. de Khénifra. *Etude d'aménagement hydro-agricole des périmètres Aït Mouli-Boumia*, SCET, Maroc, Mai 1984 ; Ministère de l'Intérieur, Province de Khénifra. *Monographie de la province de Khénifra*, Déc. 1987 ; Projet DECOR, *Délimination des communes rurales du Maroc (1978 - 1980)*, Cadastre National ; R. Raynal, *La terre et l'homme en Haute Moulouya*, *BESM*, n° 86 - 87, p. 281 - 344 ; *Résultats des recensements généraux de la population et de l'habitat 1960, 1970 et 1982* ; J. F. Troin, *Les Souks marocains : marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*, Aix-en-Provence 1975, 2 tomes.

محمد كربوط

بوميي، أوگوست، Beaumier, A ولد بمرسيليا سنة 1823 وعمل قنصلا لفرنسا بالصويرة من سنة 1865 إلى سنة 1875. ثم سمي قنصلا لبلاده بالرباط، ثم انقطع عن العمل للتفرغ لترجمة كتاب *الأنيس المطرب بروض القرطاس* لابن أبي زرع، ونشر الترجمة بعنوان : *Histoire des souverains du Maroc*. له عدد من التقارير تحتوي على دراسات عن المغرب طيلة الثلاثين سنة التي قضاها فيه. ولما كان مستعربا استعان به المخزن والمفوضية الفرنسية في إنجاز أشغال متنوعة، وتوفي ببوردو في 30 يناير 1876.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1109 - 1111.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 70 ; J. Caille, *La petite histoire du Maroc*, 42 - 47 ; *Hesp*, 1950, n° 37.

مصطفى بوشعراء

بُونارو، أسرة كانت بتطوان لا يعرف أصلها ويقول عنها الفقيه الرهوني إن أول من سُمي بهذا الاسم كان معلم قرآن.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 18.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوناصر، جبل عال يقع بالحاشية الشرقية من الأطلس المتوسط بين عالية حوض ملولو غربا وحوض ملوية شرقاً. ويمتد من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي على شكل سلسلة جبلية متصلة تضم أعلى قمة بالأطلس المتوسط يبلغ علوها 3.340 م فوق مستوى سطح البحر.

يتميز بوناصر ببنية جيولوجية بسيطة تتجلى من خلال التجانس الكبير والمثير لركيزته الصخرية. فأهم السحنات المنتشرة بالمجال تتمثل من جهة في صخور الطفل والنضيد المنتمية للياس الأعلى والتي تبرز في المنخفضات وعلى طول السفوح، ومن جهة ثانية في صخور الدولومي المنتمية للجوراسي الأوسط، وهي ذات سمك كبير وتشكل الدعامة الرئيسية للتضاريس بالجبل.

وبالمقارنة مع الجبال الالتوائية المجاورة فإن هذه السلسلة من الأطلس المتوسط تنفرد بخاصية أساسية تتمثل في كونها تعطي طابعاً على أنها ظلت مرتبطة إلى حد ما بالكتل المستقرة بنائياً للهضبة الشرقية. فلم يبدأ تأثير الحركات البنائية يتضح بجبل بوناصر إلا مؤخراً، نظراً لعدم تأثره بالمراحل الجنيئية خلال الياس الأعلى. أما بالنسبة للحركات البنائية البيرينية الألبية، فإننا لا نلاحظ بالجبل تداخلاً بين الحوادث الانكسارية والطيات القديمة المرنة.

مقطع جيولوجي بجبل بوناصر

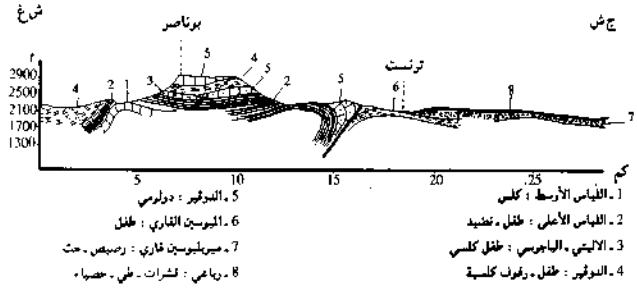

ويتكون بوناصر من عدة طيات عمقية وصدوع غربية شرقية، وغربية شمالية ـ غربية ـ شرقية جنوبية شرقية قد تكون لها علاقة مع البنائية الريفية الحديثة، هذا ويتكون الشكل المورفو بنيوي للجبل من محور مقبب، مسطح نسبيا أو به طية يتقعر به في عاليته، بينما تنحدر جوانبه بميل قوي جداً، مما يعطيه طابع طية عمقية محددة بليات في جوانبه مع عدم تماثل واضح بين جوانب الليات نتيجة الميل السريع للطبقات في الجهة المشرفة على سهل ملوية أدت محلياً إلى بروز طية منقلبة.

ولقد لعبت التعرية دوراً أساسيا في تطور التضاريس بجبل بوناصر، إذ أدت إلى إفراغ قبة المحدب، نتج عنها تكون بهرات عميقة بعدة مئات من الأمتار في الصخور الرخوة للطفل المنتمي للياس الأعلى، أهمها بهرة لعنوصر.

خلال الزمن الرابع تأثرت المنطقة بظروف شبه جليدية وجليدية، خاصة خلال الفترة المطيرة المزامنة للفورم. وتتمثل الأشكال الجليدية الموروثة في الحلبات والجلادات التي مازالت آثارها واضحة في المجال، وكذا في بقايا الأمهودات مع أو بدون ركام. أما التأثيرات القرب جليدية فتشمل المهيلات المفروشة، وتوضعات السفوح الناتجة عن التصدع الجمدي والكرست الثلجي.

في السفح الشرقي من السلسلة شهدت المنطقة تطوراً مورفولوجيا مهما خلال الرباعي مع تدرج العديد من الأشكال الرباعية من بينها الحادورات الكبيرة التي تكونت على أنقاض سطح تسوية بليوسيني، وتضم حادوراً ميلا فرنشياً، وآخر ينتمي للرباعي القديم، والرباعي الأوسط والرباعي الحديث. كما تشتمل الأشكال الرباعية على

مجموعة من الدرجات النهرية المتداخلة، من أهمها الدرجات المنتمية للرباعي الأوسط والحديث والتي ما زالت بقاياها واضحة في الميدان ومن خلال ملاحظة التوضعات المجاورة لجوانب التحديدات تظهر مجموعة من الركامات المتباينة من حيث تركيبها الحبيبي، ذلك أن الجلاميد تتداخل مع الحصيم في المقاطع، والمسكات تأخذ شكل رفوف متتالية تتخللها كدس مختلطة تعطي طابعاً شبه جليدي. كل هذه التكوينات توضعت قبل أن تتعرض لعملية التلحيم بصفة عامة.

إن هذه المواد التي توضعت على طول السفح الشرقي لبوناصر تعرضت للتعديل بشكل مستمر خلال الزمن الرابع عن طريق تدخل نظم تحاتية متنوعة ضمن مناخات رطبة إلى حد ما، لكنها ترجع إلى فترة ما قبل آخر فترة مطيرة من الرباعي.

وعلى الرغم من ارتفاعاته العالية، فإن جبل بوناصر لا يعتبر مجالا رطبا نظراً لامتداده إلى الجنوب من جبل بويبلان الذي يقوم بحجز نسبة عالية من الرطوبة التي تحملها الكتل الهوائية القادمة من المحيط. والأجزاء الغزيرة مطراً بالجبل لا تتجاوز بها متوسطات التساقطات السنوية 900 مم، وذلك ابتداء من ارتفاع 2.500 م. أما المنخفضات الشمالية المجاورة لجبل بوناصر فإنها لا تتلقى سوى 350 مم كمتوسط سنوي (منخفض بركين مثلا)، بينما تتناقص كمية التساقطات بشكل مفاجئ إلى الواجهة الشرقية، إذ لا تتجاوز متوسطاتها السنوية 200 مم.

ومع هذا التباين في كمية التساقطات تتنوع التشكيلات النباتية وتتدرج حسب عامل الارتفاع. والغابة لا تنتشر إلا بمجالات محدودة تبعا لتدخل عدة عوامل جغرافية أهمها تأثير "القطب" البارد لجبل بوناصر، تأثيرات ظاهرة المخبأ الطوبوغرافي ورياح الشرقي.

والتشكيلات النباتية المنتشرة بالجبل تتكون من شجيرات قصيرة في المناطق المنخفضة ومن نباتات شوكية في الأعالي. ويلعب عامل الارتفاع دوراً أساسياً في تدرج الغطاء النباتي من سافلة الجبل نحو عاليته، لكن مع اختلافات بينة بين السفح الشمالي الغربي، والسفح الجنوبي الشرقي.

في الواجهة الجنوبية الشرقية من الجبل، تبرز عدة مستويات نباتية هي :

- نباتات من فصيلة السرمقيات (Chénopodialées) ما بين 700 و900 م.
- الحلفا والشيح من 900 إلى1000 م.
- أزير من 1000 إلى 1100 م.
- العفصية ما بين 1100 و1200 م.
- العرعر الأحمر، الصنوبر الحلبي والسنديان الأخضر ما بين 1200 و1900 م.
- السنديان الأخضر مختلط مع الصنوبر البحري ما بين 1900 و2400 م.
- غابة الأرز الجافة ما بين 2400 و2500 م.
- أخيراً، مستوى ما فوق المجال الغابوي ابتداء من 2500 م، والمكون أساساً من نباتات قزمية شوكية.

أما بالنسبة للسفح الشمالي الغربي للجبل، فتظهر المستويات التالية :

- مستوى ما فوق المجال الغابوي (2200. 3330 م) ينقسم إلى قسمين :
  - جفافيات شوكية دون نباتات نفضية (2700. 3330م).
  - جفافيات شوكية مختلطة مع نباتات نفضية (2200. 2700 م).
- غابات مختلطة للأرز والسنديان الأخضر ما بين 2000 و2200 م.
- غابات السنديان الأخضر والصنوبر البحري من 1900 إلى 2000 م.
- السنديان الأخضر والبقس ما بين 1800 و1900 م.
- أخيراً يختفي السنديان الأخضر، ويظهر البقس بمفرده على شكل أيك (Matorral) متدهور ما بين 1600 و1800 م.

R. Raynal, *Plaines et piedmonts du Bassin de la Moulouya, Maroc Oriental : Etude géomorphologique*, 1961, p. 44 - 46 ; J. Despois et R. Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, 1975, p. 375 - 378 ; L. Nabil, *Le Haut Bassin de Sif ou Lout, Moyen Atlas Oriental : Approche géosystémique d'une montagne méditerranéenne en crise*. Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Université de Toulouse-Le Mirail, pp. 22 ; 57 - 59 et 61 - 88.

محمد لبحر

بونافع، أسرة فاسية ربما يرجع نسبها إلى الصالح سيدي بونافع آتي الترجمة، وهي ما زالت موجودة حتى اليوم بفاس، منهم من سكن مدة بزقاق الرمان بدرب الحنش. ويقول أفرادها إنهم من أقدم الأسر بالمدينة مع أن اسم هذه الأسرة لم يرد في كتب الأنساب والبيوتات القديمة بفاس. ولم يذكرها سوى عبدالسلام بن سودة في كتابه *قبائل فاس*.

بونافع، (سيدي ـ) صالح مدفون بالقرب من أحد أبواب فاس الجديد الذي كان يسمى باب الجيَف، لما كان يُرمى خارجه من أشلاء البهائم الميتة، فاستُبدِل به اسمُ هذا الصالح، وأصبح يدعى باب سيدي بونافع.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاگماذرتية*، تح. كولان ؛ ع. ابن سودة، *قبائل فاس*، مرقون ؛ لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي و م. الأخضر ؛ م. مزين، *فاس وبادیتها*، الرباط 1986.

محمد مزين

بوناگة، أسرة عريقة في قبيلة تانكرت التنانيّة. توالت المشيخة والرآسة فيها أجيالاً، منذ أواسط القرن الثاني عشر (18 م) حيث ولّى السلطان مولاي سليمان أحد مشاهيرها المسمى أهدار أحمد بوناگة قائداً على قبائل إداوتنان كلها فحاصرته القبيلة في داره فوق الغدير في (أزّيّار) فلما تمكنوا منه ألقوه من أعلى برج هناك فهلك وذلك عام 1798/1213. ففرّ كل من له به صلة نسب، ومنهم محمد بُوناگة الذي استقر مدة في أيت خميس لاجئاً بقبيلة

أيت أمْرْ المجاورة لتانكرت، وبعد حين رجع إلى بلدته خائفا فصار يلتجئ إلى السكنى في بحبوحة الجبال إلى أن توفي، فتمكن أحفاده من استرجاع مجد أسرتهم، ومنهم :

بوناگة، الحسن (الحاج ـ) بن محمد (الحاج ـ) بن عبد الله، من مواليد عام 1883/1301. أتقن حفظ القرآن على يد الأستاذ الحسين التامجوطي العمراني، ثم أخذ العلوم العربية عن فقيهين استقدمهما والده إلى مدرسته المجاورة لداره بأغري وهما المحفوظ النظيفي الشهير بمدرسة المحصر وعلي بن عبدالله الهواري. وبينما كان يأخذ عنه الاستعارات وينسخ بيده شرحها، إذا بالرصاصة التي فتكت بصدر أبيه طرقت مسمعه عند جملة فيها، فكان ذلك آخر عهده بالتعليم، فنهض بمسؤولية الرآسة لقبيلته تانكرت منذ ذلك الحين، فأحسن إجراء السفينة وإرساءها بين تقلبات العواصف، حتى جاء الاحتلال الفرنسي في شعبان عام 1345/ فبراير 1927. فاتصل بالحكومة على يد خاله القائد سعيد بن الحاج الحسن التكزيريني، فتعين رئيسا (أمغار بمثابة قائد في إداوتنان) على أهل تانكرت، ثم زيد له بعض فريق (ايفسفاسن)، فاتسعت بذلك منطقة نفوذه، وكانت كلمته مسموعة لدى الحكومة، كما كان مهاب الجانب لدى العامة، لأنه يعرف كيف يداري إدارة الحماية ويحافظ على حسن تدينه ومروءته، فكان يحكم بين الناس بما وصل إليه علمه من قوانين الشريعة الإسلامية، واتخذ في داره مدرسة لتدريس القرآن والعلوم الشرعية يستقدم إليها فقهاء أجلاء لتعليم أولاده وأولاد جيرانه، كما اعتاد تنظيم دروس رمضانية في منزله يستدعي إليها علماء حاحة وإداوتنان فيتسابقون لنيل عطاياه لأنه يشمل المشاركين بعناية فائقة ويغدق عليهم من النعم ما يقل نظيره عند غيره في تلك الجبال، حتى أصبح مضرب الأمثال في الجود والكرم. وقد اتضح لإدارة الحماية الفرنسية أنه متعاطف مع الحركة الوطنية إبان أزمة سنة 1953 فاغتاله أحد الفرنسيين ليلا في داره قبيل إعلان الاستقلال عام 1954/1374.

بوناگة، محمد (الحاج ـ) بن عبدالله الذي استطاع أن يعيد مجد أسرته، فظهر على مسرح الأحداث مع الرئيس ابن عمه المشهور بالطيبي، وبَنَى داره الحالية بقرية أغْري في قبيلة تانكرت، وهي واقعة في شعب أمنع من عقاب الجو، وأضيق من بلعوم النعامة. تألق نجمه في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) فكان رجلاً مُشرياً ذا شهرة ونفوذ، فتزوج بنت القائد الحاج الحسن التكزيريني التامري الذي ارتحل إليه مرتين ملتجئاً من أعدائه، إلا أن تلك الشهرة والمناعة أوغرت صدور أعدائه من الرؤساء الگيلوليين بتمنار، فأخذوا يسربون إليه من يفتك به، ويبذلون مالا عظيما في ذلك حتى قتله تناني صبيحة يوم جمعة في رمضان عام 1316 / يناير ـ فبراير 1899 أمام باب داره وهو جالس على دكة.

م. م. السوسي، *خلال جزولة : رواية شفوية عن أهل المترجم وجيرانه*.

محند أيت الحاج

البُونْبَة، (دار.) أو البُومْبَة، يعرف بهذا الاسم معمل قنابل المدفع الذي كان بتطوان ويقع بالزنقة التي تحمل هذا الاسم، والمعمل من إنشاء السلطان مولاي إسماعيل سنة 1672/1083 لصنع القنابل المعدة لمهاجمة الإسبانيين بسَبْتة ومن المعلوم أن هذا السلطان قام بمحاصرة المدينة المذكورة مرتين : الأولى من سنة 1673/1084 إلى سنة 1689/1100 والثانية من سنة 1694/1106 إلى سنة 1727/1139.

ويستفاد من بحث جرى بتطوان سنة 1841/1257 أن هذا المعمل كان يعرف بدار البونباجي في أول الأمر ثم أصبح يسمى بدار البونبة، وكلمة بونبة أو بومبة مأخوذة من الإسبانية بمعنى القنبلة Bombe.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 268 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *حصار مولاي إسماعيل لمدينة سبتة من سنة 1694/1106 إلى سنة 1727/1139*.

محمد ابن عزوز حكيم

پونتيو، أو پونتيون Pontion، مدينة ورد اسمها عند الرحالة سيلاكس المزعوم Pseudo-Scylax (القرن 4 ق.م) في الفقرة 112 من رحلته، وكان هذا الرحالة أول وآخر من تكلم عنها، وقد وطنها وراء أعمدة هرقل عند البحر الخارجي (المحيط الأطلسي)، وسط خليج كبير، وبالقرب من بحيرة كبيرة تتميز بتعدد جزرها، ووفرة نباتها، وطيورها. وعرَّفنا الرحالة باسم البحيرة فهي تحمل اسم سفرياس Cephisias وأعطانا أيضا اسم الخليج الذي تحتل پونتيو وسطه، فهو خليج كوتيس حسب التسمية المحلية وأمبلوزيا Ampeleuisa حسب التسمية الإغريقية (رأس سبارطيل).

وتوافق پونتيو عند مجموعة من الباحثين، ومنهم ميلر Muller وبارث Barth وموفار Movers، موقع تينياثريون Thyniaterion الوارد ذكرها عند الرحالة القرطاجي حانون (القرن 5 ق. م) كأبرز المستعمرات القرطاجية وراء أعمدة هرقل.

وذكر فيفْيان دوسان مارتان Vivien de Saint Martin بأن پونتيو توجد على بعد ستة أو سبعة أميال جنوب راس سبارطيل. وأضاف أن البحث في هذه الجهة سيعرفنا ما إذا كانت توجد مآثر حول ما سماه القدماء بحيرة سفزياس. وكان بذلك من منصفي الرحالة سيلاكس المزعوم.

ودعا تيسو Tissot لنفس الأمر عندما اعتد بمعلومات الرحالة سلاكس المزعوم فاعتبرها معلومات مفصلة ودقيقة. وعاتب المؤلفين الذين اهتموا بالجغرافية المقارنة للمغرب. ففي نظره لم يأخذوا بعين الاعتبار نص الرحالة أو نعتوه بارتكاب الأخطاء. وردد فكرة فيفيان الذي يرجع الخطأ للمعلقين أنفسهم الذين لم يكونوا يعرفون المنطقة بما فيه الكفاية، ولذا دعا كسابقه فيفيان إلى البحث في الجهة

الموصوفة، فالبحث وحده هو الكفيل بأن يعرفنا على المواقع التي ذكرها الرحالة في نفس أماكنها.

وهكذا فالمنطقة المأهولة والمدينة التي نعتها الرحالة تحت اسم پونتيو تضم حسب تيسو وبزنيي Besnier تلال المريّس وهاجرين وأيضا هضبة شرف العقاب، وهي مواجهة للساحل من جهة ولمرجات الداخل من جهة ثانية. أما المقابر الميجاليتية التي عثر عليها تيسو بكثرة خصوصاً بالمريس فتؤكد أن المنطقة عرفت تجمعاً سكانيا مهماً يمت بصلة لماض سحيق لم يحدد الباحث مداه. واعتبر مصطلح المريّس تصغيراً لمرسى ومقابله بالفرنسية : Port. بل وذهب إلى القول بأن پونتيو بدورها تشكل مؤسسة بحرية خاصة بالصيادين. وكما هو بديهي فالصيد مربح بهذا الخط من الساحل الموريطاني. وأكد بزنيي بدوره على سهولة ونجاح الصيد بهذه النقطة مما يفسر بدون ريب تسمياتها : پونتيو، ومريّس Port.

ويتبين من استعراض الدراسات التي اهتمت بالمصطلح أن مدينة پونتيون Pontion هي مجمع مهم للصيد البحري. وجدت بين رأسين هامين : كوتيس Cotes الذي يوافق حالياً رأس سبارطيل، وهرمس Hermès الذي يوافق حالياً رأس الأقواس. وكلها نقط تقع شمال نهر اللوكوس. وپونتيون مدينة مستغلة منذ القديم تدل على ذلك كثرة المقابر الميجاليتية التي وجدت بها ووجدت بالقرب من بحيرة سفزياس المميزة بنباتاتها ووحيشتها وتوافق البحيرة بلا شك الحوض الواسع لتهدّرات الذي يعبره نهر المهرهر والخروب فيحددان معالمه.

Vivien de Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine*, Paris, 1863, p. 352 ; M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1876, p. 57 - 59 et 61 ; M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie Tingitane, A.M.* I, 1904, p. 334 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924, p. 18 - 20.

البيضاوية بلكامل

بُونْجُون، فرانسوا، Bonjean, François فرنسي عاش في مصر والمغرب. وظهر في كتاباته أثر حضارة هذه البلاد، ففي روايته منصور (بالفرنسية) صور واقع مصر في بداية هذا القرن بأسلوب العالم والأديب والمفكر، واصفاً الصراع الحضاري بين مُثل البيئة الأصلية المحافظة وبين مُثل الغرب المستوردة.

وفي مؤلفه *طائر أخضر وطائر أصفر* (حكايات للأثريا) يورد حكايات من الفولكلور المغربي سمعها من زوجته المغربية التي عاش معها إلى أن مات عام 1962، ففي هذا المتن تظهر براعة بونجون في الترجمة وقدرته على نقل التراث مع المحافظة على طرافة المبنى والمعنى.

ولبونجون أعمال روائية أخرى لم تنشر مثل *الملكة إزا العاشقة ويامنا* وغيرهما من الأعمال التي تدور كلها على تمجيد الحياة العربية الإسلامية.

إن بونجون قد ركز على قضية الإنسان الذي يكبر في بيئة مّا وتكبر معه أسئلة وجودية حول مهمته وعلاقاته، وفي اعتقاد بونجون أن أجوبة هذه الأسئلة واردة في سياق الحياة الإسلامية التي ترقّي المدارك وتسمو بالإنسان في أجواء الحقائق النورانية عندما يدرك أن الثابت هو مشيئة الله وكل شيء ما خلاها زائل.

تعهد بونجون إحساسه المسيحي المتأثر بالرهبانية لكنه سرعان ما تشبع بفكر صوفي إنساني يكرع من منابع لا تعرف الحدود والانتماءات.

F. Bonjean, *Mansour : Histoire d'un enfant du pays d'Egypte*, Paris, 1924 ; *Cheikh Abdou l'égyptien*, Paris, 1929 ; *Notes et réflexions 1958 - 1961*, Paris, 1968 ; *L'âme marocaine vue à travers les croyances et la politesse*, Paris, 1948 ; *Le Maroc en roulotte*, Paris, 1950 ; *Les contes de Lalla Touria* ; *Oiseau Jaune et Oiseau Vert*, Casablanca, 1952 ; *Reine Iza Amoureuse*, Paris, 1947 ; *Yamna*, éd. Blanville sur mer, 1969 ; *Confidences d'une fille de la nuit*, 3ème éd., Alger, 1942.

محمد أديوان

بُونْزَال، ستيفن Bonsal, S. Jr صحافي أمريكي أقام بالمغرب سنوات عديدة ودخل فاسا مع إيوان سميت وزير بريطانيا المفوض بالمغرب سنة 1892. وتوفي سنة 1951. خلف كتابا عن المغرب عنوانه المغرب كما هو *Morocco as it is* طبع بلندن سنة 1893.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1540.

J. L; Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 79.

مصطفى بوشعراء

بُونْزَال، مكان بالقرب من قنطرة وادي بوصفيحة بأرض فرقة الوسطي من قبيلة وادراس الجبلية، ويعرف عند الإسبانيين بالانتظار Esperada حيث إن هناك انتظر رئيس الجيش الإسباني الجنرال أودونيل O'donnell الأمير مولاي العباس بن السلطان مولاي عبدالرحمان، وعند وصوله أبرم معه يوم فاتح رمضان عام 1276 / 23 مارس 1860 اتفاقية الهدنة التي بمقتضاها انتهت الحرب المغربية الإسبانية، وجرى ذلك تحت شجرة زيتون تعرف لحد الآن بزيتونة بن سالم.

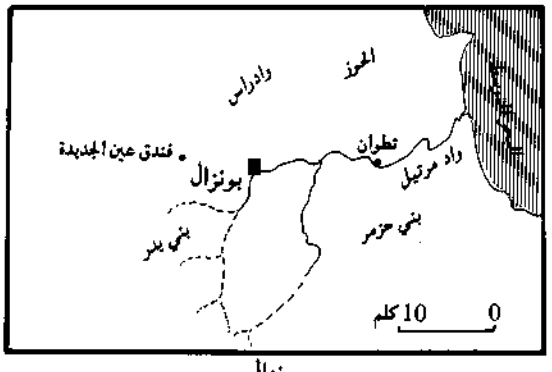

بونزال

وشاء القدر أن يكون المكان المذكور هو الذي احتضن اللقاء الذي تم بين المقيم العام الإسباني الجنرال گوميث خوردانا Gomez Jordana وزعيم المقاومة المغربية الشريف مولاي أحمد الريسوني يوم 17 رجب 20/1334 ماي 1916 من أجل إبرام اتفاقية هدنة.

Campañas, T. 2, p. 703 - 705 - 808 ; C. Martinez Campos, *España belica. El siglo XX, (Marruecos)*, Madrid, 1972, p. 167.

محمد ابن عزوز حكيم

پُونْصُو، هنري، Ponsot Henri، موظف من السلك

الدبلوماسي الفرنسي كان مقيماً عاماً بالمغرب من يوليوز 1933 إلى مارس 1936، وكان من أحذق وألبق من شغل ذلك المنصب طيلة فترة الحماية. ولد سنة 1877 ودخل باكراً الوظائف الدبلوماسية فمر بالسيّام ثم بألمانيا ثم بتونس، وعُيّن مندوبا ساميا لفرنسا بسوريا ولبنان سنة 1926 فأقام هنالك سبع سنوات يحاول ضمد الجراح التي ألحقت بالشعبين الشقيقين على إثر ثورة الدروز سنة 1925، ويسعى في تطبيق الدستورين الممنوحين لكل واحد من القطرين، واستقطاب بعض من اقتنع من الوجهاء بالتعامل مع الانتداب الفرنسي. ومع أنه عجز عن كسب مساندة الوطنيين السوريين واللبنانيين لفائدة الاستعمار، إلا أنه أثار انتباههم بحسن سلوكه ودماثة أخلاقه، ولذلك وقع الاختيار عليه سنة 1933 ليعوض بالرباط لوسيان سان Lucien Saint الذي كانت إقامته فيما بين 1929 و1933 وقد اقترنت بفضيحة الظهير البربري وبما ترتبت عليها من قيام الحركة الوطنية، كما تميزت ببداية تجند المعمرين للاحتجاج على مضاعفات الأزمة المالية ومطالبة الإدارة الاستعمارية بتحمل مسؤولية تبعاتها. فكان على هنري بونصو أن يسلك سبيلاً وسطاً بين تلك المتناقضات العنيفة، وظنت الحكومة الفرنسية أن اعتدال مزاجه من شأنه أن يجعل حداً للغليان الشامل، وأدرك بونصو من توّه أن قضايا الجماهير المغربية بصفة كونها أغلبية ساحقة، كانت مقدمة على قضايا طائفة المعمرين وإن ارتفعت أصواتهم بالكلام الرصين وغير الرصين سواء بالرباط أو بباريس، ورأى أن تلبية رغبات الشعب المغربي أفيد للاستعمار الفرنسي في المدى البعيد من تعزيز المصالح الضيقة لطائفة المعمرين في المدى القريب، ولقد نقل محمد بن الحسن الوزاني عنه أنه قال في مايو 1934 لدى وجوده بباريس : "منذ جئت لباريس، سجلت مراراً التأكيد المكرر على ضرورة قيام علائق مستمرة وودية مع الشعب المغربي وإني لأشاطر تماما وجهة النظر هذه، وأضيف أننا إذا لم نطبق سياسة مغربية حسنة مفيدة، فإن عملنا في المغرب سيكون معرضاً للاندثار، فيجب أن نمنح المسلمين في المغرب ما هو حق لهم ويلزم في هذا المجال اتخاذ حلول مرضية بتوافق وانسجام، كما يتحتم أن تعاد الثقة بفرنسا في سائر الأوساط المغربية".

لم يكتف بونصو بالقول وإنما رام إخراج هذه الخطة إلى حيز التنفيذ، ففي مقيميته قفزت الحركة الوطنية قفزة نوعية بيّنة إلى الأمام، فخرجت من مجرد قراءة اللطيف احتجاجا على الظهير البربري إلى مرحلة تحبير المقال الوطني ووضع اللبنات الأولى لمنظمات النضال السياسي، وذلك بإصدار جريدة *عمل الشعب* ابتداء من 4 غشت 1933 التي كانت بمثابة مختبر اختبرت فيه أفكار الوطنيين وقدراتهم على الكفاح، وفي 18 نونبر 1933 احتفل الشباب الوطني لأول مرة بعيد العرش، وكان ذلك ابتكاراً موفقاً جعل للشعب المغربي عيداً وطنيا يتذكر فيه هويته وأمجاده كل سنة، وفي شهر ماي 1934 كان الاستقبال الرائع لسيدي محمد بن يوسف من قبل سكان فاس، حيث جددت الجماهير العهد مع العرش الثابت وتأكد العاهل من تعلق الشعب بشخصه، وكان من الطبيعي أن تقلق سلطات الحماية من حماس كان يُنمّ عن يقظة خطيرة على مصالحهم، فأقدمت على إيقاف جريدة *عمل الشعب* يوم 11 مايو 1934، ولكن هنري بونصو كان قد أمضى شهراً قبل ذلك يوم 8 أبريل 1934، الظهير المعدل للظهير البربري الصادر بتاريخ 16 ماي 1930، من حيث إنه ألحق القضايا الجنائية الواقعة بالمناطق البربرية بالمحكمة العليا الشريفة، وكانت موكلة في الظهير المشؤوم بالمحاكم الفرنسية، كما وقع بونصو بعد الصدر الأعظم آنذاك محمد المقري على القرار الوزيري المثبت شرعية الاحتفاء بعيد العرش يوم 18 نونبر من كل سنة. ثم إنه أمر بالإيحاء لمحمد بن الحسن الوزاني، لما جاء يحتج لدى بعض مساعديه على منع الصحافة الوطنية من الصدور، بأن تصاغ المطالب الوطنية صياغة منهجية شاملة موحدة، وحتى إن فرضنا أن ذلك الاقتراح كان يرمي إلى إرجاء المطالب وإلى التخلص من الوطنيين إلى حين، فيبقى مع ذلك أن الفكرة أوحت للوطنيين بما أوحت وأكسبتهم مصداقية ومشروعية تمخض عنهما دفتر *مطالب الشعب المغربي* الذي عرض على أنظار الملك والمقيم العام بالرباط وعلى أنظار المسؤولين الفرنسيين بباريس في شهر دجنبر 1934. ولقد قال بونصو عن تلك المطالب إنها أطروحة في الحقوق جيدة، مشيراً في آن واحد إلى ما كان يسيطر عليها من آثار الأسلوب الجامعي أو المدرسي وإلى تقديره لها وعدم استهانته بالوطنيين الذين حرروها على لسان الجماهير المغربية السائرة نحو التخلص من الركود. ولا مبالغة في الجزم بأن هنري بونصو هو المقيم العام الوحيد الذي حصل بينه وبين الوطنيين المغاربة نوع من ذلك التواطؤ الذي تفرزه المعطيات التاريخية الموضوعية في ظروف معينة، ودليل ذلك حيثيات النزاع الحاد الذي قام بين المقيم العام والجالية الاستعمارية القاطنة بالمغرب، على اختلاف مشاربها وهيئاتها، لأن هنري بونصو ظل متشبثا بمفهوم الحماية الأصلي القاضي بالأخذ بيد المخزن التقليدي ومراقبة أعماله على درب التحديث، بينما رأى المعمرون أن قد جاء وقت إلحاق المغرب بالتراب الفرنسي وآن الوقت لتجاوز مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء لتبقى السوق المغربية حكراً عليهم دون سواهم، وزاد في اشتداد أطماعهم وافتضاح جشعهم انهيار آخر حصون المقاومة المسلحة في جبل صغرو سنة 1933 وفي الصحراء الغربية سنة 1934، وتأثر الاقتصاد المغربي في تلك الآونة بمضاعفات الأزمة العالمية. وفوجئ بونصو أول الأمر بمطالب المعمرين الذين أصبحوا يعانون من ركود التجارة الدولية فصاروا يصيحون بوجوب التخفيف من ديونهم بإعفائهم من الضرائب أو إرجائها على الأقل، وطالبوا بإلغاء مقررات الجزيرة الخضراء، ليحْمى إنتاجهم وتطبق عليهم قوانين الجمارك المعمول بها ضمن الأمبراطورية الفرنسية. وحتى لا يغيب أمرهم عن أحد،

جعلوا شعاراً لهم حلق رؤوسهم ليقرّروا بذلك أنهم يجزون مثلما تجزّ الشياه ! ولما لم يُصغ بونصو إلى حماقاتهم، خرجوا متظاهرين بالرباط في نظام شبه عسكري، شأنهم في ذلك شأن كل الهيئات الفاشستية التي تكاثرت في العقد الثلاثيني هنا وهناك بأوربا، فلم يتردد المقيم من إصدار الأمر بقمعهم وتشتيت صفوفهم على يد فرقة من الصبايحية المغاربة، مما ضاعف من شعورهم بالإهانة، فصمموا العزم على الإطاحة به بأي وجه من الوجوه، سيما وأن صفوفهم تعززت بانضمام موظفي إدارة الحماية إليهم إذ نقموا على المقيم العام عزمه على التخفيض من مرتباتهم وامتيازاتهم الهائلة التي كانت تستنفد 50٪ من الميزانية العامة، وكانت الميزانية في حاجة ماسة إلى التعديل في تلك السنوات المتأزمة، كما انضم إليهم في التمرد على سلطة المقيم أرباب التجارات والصناعات الذين تبنوا شعار المطالبة بمراجعة النظام الجمركي وإلغاء مقررات الجزيرة الخضراء، واحتدم النزاع وانفجر في دجنبر سنة 1935 عند مناقشة مشروع ميزانية سنة 1936 في مجلس شورى الحكومة، حيث استقال أعضاء الهيئات الثلاث الممثلة للطائفة الاستعمارية، الأولى نيابة عن غرف الفلاحة، والثانية نيابة عن غرف التجارة والصناعة، والثالثة نيابة عن الموظفين والمهن الحرة، ورفعوا شعار تخويل ذلك المجلس (الذي كان ليوطي قد أنشأه بقرار مقيمي سنة 1919 بقصد الاستئناس بآراء المعمرين) إلى مجلس منتخب له حق القرار، وكان ذلك أول مطالبة من الأوساط الاستعمارية باختراق مجال السيادة الوطنية المغربية من تحت ستار الشكليات الديمقراطية. ولما وقف بونصو من كل ذلك موقفا كان يمليه عليه القانون الدولي وسلامة الضمير، طالب المعمرون برأسه، كما قال محمد بن الحسن الوزاني، الذي أورد في الجزء الرابع من كتابه *مذكرات حياة وجهاد* تفاصيل ما قامت به الحركة الوطنية الناشئة لفضح "المجزوزين" والموظفين المدللين وأرباب الأعمال المستغلين لليد العاملة المغربية بكل وقاحة، مماكان لا يزيد الأوساط الاستعمارية إلا نفورا من مقيم عام كان يتكلم بكلام لا يتنافى مع أقوال الوطنيين المغاربة.

وكانت الحكومة الفرنسية قد رامت تعويض بونصو مرة أولى في سنة 1934 فعينت خلفاً له شياپ Chiappe رئيس شرطة باريس، الذي كان قد أرغم على الاستقالة غداة مظاهرات أحزاب اليمين بباريس يوم 6 فبراير احتجاجاً على المؤسسات الديمقراطية في البلاد، وكان قد بدا للجميع تواطؤ شياپ المذكور مع المتظاهرين وبقي عاطلاً عن الوظيف إلى أن فكر بعض أصحابه من رجال الحكومة في تعيينه بالإقامة العامة بالرباط، لكن قرار التعيين سرعان ما ألغي فبقي بونصو بمنصبه إلى أن تفاقمت خصومته مع المعمرين فمارسوا كل أنواع الضغط على الحكومة لإقالته فأقيل في شهر مارس سنة 1936 وخلفه بالرباط مارسيل بيروطون المقيم العام بتونس الذي كان من أنصار الاستعمار الضيق وأساليب العنف.

أما هنري بونصو فإنه عاد إلى الوظائف الدبلوماسية المحضة فعين سفيراً بتركيا ثم سفيراً فيما بعد بألمانيا إلى أن حل عليه سن التقاعد فأحيل على المعاش.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ ردم لاندو Rom Landau، *أزمة المغرب الأقصى*، تر : إسماعيل علي وحسن الحوت ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، ج 3 و4. الرباط 1982.

J. Ladreit De La Charrière, *Le différend marocain, A. F.*, Décembre 1935, p. 765 ; Janvier 1936, p. 20 ; W. A. Hoisington, Jr, *The Casablanca connection : French colonial Policy 1936 - 1943*, (University of North Carolina Press) ; J. Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Paris, 1962 ; R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane*, 1920 - 1961, paris, 1962 ; R. Gallissot, *La Patronnat européen au Maroc*, Rabat, 1964 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978.

إبراهيم بوطالب

پونطا پيسكادُور، Punta Pescador أي "رأس صياد السمك" أطلقه الإسبان على رأس تيسكين الواقع بشبه جزيرة الداخلة، وهو الذي أطلق عليه الأنجليز اسم Ficherman Point.

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 81 ; I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 151 - 153.

محمد ابن عزوز حكيم

بونعمان، قرية على بعد حوالي 25 كلم جنوب غرب مدينة تيزنيت، في منطقة التقاء الجزء الغربي من الأطلس الصغير مع سهل "أزغار تيزنيت" وتقع بين خط العرض 29 و32، وخط الطول 9 و40. يحد مركز بونعمان من الجهة الشرقية أولاد جرار، ومن الناحية الشمالية تيزنيت وأگلو، ومن الجهة الجنوبية الأخصاص، أما في الجهة الغربية فنجد أيت باعمران.

وردت أقدم إشارة إلى بونعمان عند ابن خلدون، ففي معرض حديثه عن تحركات القبائل العربية المعقلية في بداية القرن السابع (13 م) بالجنوب المغربي، وضمن استنجاد علي بن يدر بفروع منهم، يذكر "أولاد بني نعمان في القبلة على سائر البحر" (*العبر*، 6 : 69). ولم يحدد هنا ما إذا كان يقصد الجهة التي تحمل نفس الاسم حاليا، أم أنه يقصد به منطقة واسعة بالساحل الجنوبي للسوس الأقصى.

كما ورد الاسم في كتاب *ديوان قبائل سوس* على عهد المنصور السعدي المؤرخ بنهاية القرن العاشر (16 م) بصيغتي "أولاد إبراهيم البنعمانيون وأهل بونعمان" (ص 110، 114) مما يفيد أن الاسم يرمز إلى كيان قبلي أو مجموعة بشرية تنتسب إلى جد مشترك. وفي هذا الإطار يشير المختار السوسي إلى أن "بني نعمان" من أهل إعزّى وهدّى البكريين (*المعسول*، 13 : 9، 10) إلا أنه يبقى تاريخ ظهور التسمية مجهولا وأنها تحيل على اسم علم مجهول أيضا لا يستبعد أن يكون شكله الحقيقي (بني نعمان) ثم وصل إليها وقد اعتراه تحول في النطق.

يكوّن سكان بونعمان فخذاً من أفخاذ قبيلة أيت خلوف

"ضمن قبائل أيت براييم" وكانت جماعة فخذ بونعمان تسمى "أيت بونعمان" وتنقسم إلى عدة أسر كبيرة، وهي الساكنة بالقرى المتفرقة وسط بساتين ساقية بونعمان، مركزها عامر تقام به سوق أسبوعية كل يوم جمعة. تدل أخبار بونعمان المستقاة أساساً من الرواية الشفوية على ازدهار تجاري عريق، إذ تشمل المنطقة مركزاً تجارياً ومحطة التقاء الطريق التجارية القادمة من وسط أيت باعمران والمناطق الجنوبية عبر ممر تيزي مع الطريق القادمة من الصويرة عبر تيزنيت. وقد أهلها للقيام بهذا الدور موقعُها الاستراتيجي عند قدم الجبل وسهولة المرور عبر ممر "تيزي" الجبلي، كما يشهد وجود الفندق والسوق الأسبوعي العتيقين بها على ما كانت تعرفه المنطقة من نشاط تجاري مهم في الماضي. وقد كانت المنطقة مجالاً لاضطرابات خطيرة أواخر القرن الماضي خاصة في سنوات 1884/1301. 1891/1309. 1899/1317 (*المجتمع الباعمراني*، ص 179 ؛ *المعسول*، 2 : 118) حيث تتعارض فيها مصالح القبائل المجاورة، وبالخصوص أيت تيزنيت وأهل أگلو، وحلفاؤهما في الاتفاقين المتعارضين (تحگات وتاگوزولت). وعادة ما يكون الصراع حول المنطقة تحت غطاء مبررات هامشية، فاحتلت العيون المائية والأراضي الزراعية ورغبةُ كل طرف في مراقبة هذا المسلك المهم حيزاً رئيسياً ضمن هذه المبررات.

وبعد دخول الفرنسيين مباشرة إلى مدينة تيزنيت، تحولت بونعمان على غرار مركز "ميرغت" إلى قاعدة عسكرية أمامية لمراقبة المسالك الجبلية المشرفة على أزغار تيزنيت (*La Colonne*, 131 - 132).

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس*، ت. عمر أفا 1988 ؛ م.المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ *المعسول*، 12. 13 ؛ ع. المحمدي، *مساهمة في دراسة المجتمع الباعمراني*، د. د. ع. 1984.

H. Dugard, *La Colonne du Sous, 1917*, Paris, 1918 ; P. Pascon et M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa 1821 - 1894 . La correspondance politique de la maison d'Iligh*, Paris, 1988.

أحمد بومزگو

البونعماني، الحسن بن أحمد بن مسعود الطالبي، أحد عمالقة الشعر العربي في سوس، علا شأنه في الحركة الأدبية المعاصرة على امتداد الوطن. تسمى أسرته آل الطالب إعَزّى، والطالب إعزّى هو محمد بن مَحمد ـ فتحاً ـ والد مسعود، الفقيه المعروف عندهم بـ : "بولْحِيلات" أي صاحب الحيل المتوفي بتامنارت عام 1830/1246.

مسعود الطالبي ـ جد الشاعر ـ أول من نبغ في هذه الأسرة، "فرفع لها راية المعارف، وغرس فيها من المجد العلمي ما لا يزال إلى الآن يؤتي أكله غضّاً طرياً (*المعسول*، 3 : 8) وأصل الأسرة من سملالة، انتقل إعزّى إلى تاجّاجت بإمَجّاط، ثم إلى تيمجاض بأيت برِّيسيم، وهناك وُلد مسعود نزيل المعدر الذي تنتسب إليه أسرة البونعماني، ويرتفع نسبهم إلى الحسن المثلث. وقيل من الأدارسة (*المعسول*، 13).

تحدث الحسن البونعماني عن نسبه في رسالة خطية إلى عبدالله بن العباس الجراري، الذي أدرجها في كتابه *المجالس الأدبية* (مخطوط) يقول فيها : "ترفع أسرتنا نسبهم إلى إبراهيم بن عبدالله الكامل، وقد التقى نسبنا مع نسب الشيخ سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي، صاحب *دليل الخيرات*، ومع نسب الشيخ سيدي أحمد بن موسى الجزولي في بعض أجداد سملالة".

ولد الحسن البونعماني حوالي سنة 1909/1327، بقرية المَعْدَر الواقعة شمال تيزنيت بحوالي 25 كلم، وبعد أن ترعرع فيها انتقل مع أبيه إلى قرية بونعمان جنوب مدينة تيزنيت بقبيلة أيت بريم، وبها مدرسة عامرة، "مشهورة بالقراءات إلى أن آل أمرها إلى سيدي مسعود المعدري عام 1862/1279. فردها علمية، ثم لم تلبث أن كبر شأنها فزخرت بالطلبة... تولاها أبناء مسعود فزادوها شرفا إلى شرف خصوصاً في عهد الأستاذ محمد بن مسعود المتوفى عام 1911/1330 الذي خلّفه والده بها المتوفى 1901/1319 في عهد الشيخ أحمد أخيه، وما يزال أحفاد المسعوديين فيها... (*سوس العالمة*، 165).

لا يعرف أحد أصل هذه المدرسة، وقد جاء في *المعسول*، (9 : 13) أنها تنتسب إلى بني نعمان : "وكان بنونعمان من أهل إعزّى وهْدَى البكريين، وكانت زاويتهم هناك لها شهرة بين القرن السابع والثامن، حتى بلغ صيتها مسامع مؤرخ ذلك العصر، عبدالرحمان بن خلدون فجرى ذكرها في موضع من تاريخه الطويل وسماها : (زوايا بني نعمان). ثم لم نعلم ما صنع الدهر بتلك الزوايا بعد ذلك، ولم نجد ما يدل عليها إلا قبابا مشيدة لكثير من رجالاتها مجهولين عندنا، ولم يبق إلا أسماؤهم ببقاء قبابهم الكثيرة هناك، ولعل ما وجده القرن الماضي من صبابة من الاهتمام بالعلم وبالقراءات انْحدر من تلك الزوايا، ولم تقم شهرة هذه المدرسة إلا على يد مسعود المعدري الذي غيّر وجهتها من مدرسة للقراءات إلى مدرسة علمية، وضربت شهرتها الآفاق، فأصبحت قبلة الطلبة السوسيين والصحراويين، لسمعة الشيخ وورعه وعلمه الغزير من جهة، وحسن موقع المدرسة من جهة أخرى، "فأصبحت أكبر من كل مدارس سوس اتساعا وكثرة بيوت، كما كانت أحفلها أحياساً".

نشأ الحسن البونعماني بالمعدر في وسط عائلي تقي

ورع فاضل، وفي سن مبكر أدخله والده الكتّاب بنفس القرية قبل أن ينتقل إلى بونعمان للالتحاق بمدرستها، خلفا لأخيه الشيخ أحمد.

وبعد حفظ القرآن تحقق ما يصبو إليه والده، حيث أظهر نبوغا متميزاً واهتماماً خاصاً باللغة العربية وآدابها، وأقبل عليها بشغف يدرسها ويحفظ متونها على أساتذها الفطاحل بمدارس سوس، مبتدئاً بمدرسة والده "بونعمان" "فأمرنا الوالد أن نلتحق به في المدرسة المذكورة لمتابعة الدروس العلمية، فشرعنا على يده، ثم اتخذ لنا تلميذاً له ولعمنا الأستاذ العلامة الشاعر المرحوم سيدي الحسين بن إبراهيم العيني الجراري (ت 1348 هـ) وهو من نجباء تلامذة المدرسة البونعمانية، فقرأنا عليه بعض المبادئ في النحو والصرف والفقه واللغة والأدب، وكان - رحمه الله - حريصاً على تعليمنا وتهذيبنا..." (تقييد مخطوط للشاعر).

وفي هذه المرحلة المبكرة، كان الحسن البونعماني مولعا بقرض الشعر وتذوقه وحفظه، ومتابعة أخبار الشعراء، وما ينشرونه من الشعر وخاصة من أبناء سوس. "ثم قضيت مدة - يقول الشاعر في تقييده - فوطدت العزم على الاشتغال بالعلم، وكنت طلبت من الوالد رحمه الله أن يساعدني على الانتقال إلى مدرسة إفران". إلا أن والده، على ما يظهر، لم يستجب لرغبته، ولم يعرف عنه أنه التحق بهذه المدرسة، مع شدة إعجابه بشعر شيخها الطاهر الإفراني وذكر من أساتذته في العلوم العربية الأستاذ الأديب الشاعر الحسين ابن إبراهيم العيني الجراري - المذكور آنفا - والأستاذ الورع إبراهيم بن الحسين الساحلي الأنكضائي، وهما من أجلة تلامذة والده أحمد بن مسعود، كما أخذ عن مفخرة السلف الصالح مبارك بن مسعود البعقيلي الوسلامي، وولده الحسن بن مبارك الوسلامي، وعن الأستاذ مبارك البعقيلي بمدرسة أخريب.

وبعد ذلك التحق بمدرسة إغيلالن بقبيلة أيت عباس بمسگينة في السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الكبير بجوار مدينة أگادير، حيث تصدر للتدريس بها الأستاذ مسعود الوفقاوي، وقضى بهذه المدرسة فترة تعتبر بالنسبة إليه من أغزر الفترات علما ومعرفة، عاش فيها مع جلة من العلماء الأفذاذ أمثال رشيد المصلوت ومحمد هرماس وأحمد الوفقاوي وغيرهم الذين كان لهم باع طويل في توجيه الحركة العلمية في منطقة سوس. ثم التحق بالعلامة الأديب الشاعر داود بن عبدالمنعم الرسموكي بمدرسة تيوت بضواحي تارودانت فأخذ من علمه الغزير ما تيسر له قبل أن يخرج من سوس لينتقل عبر حواضر المغرب ولم يتجاوز عمره بعدُ الواحد والعشرين، حيث لقي عبدالرحمان بن منصور البزيوي (القاضي فيما بعد) ومحمد المختار السوسي، وكان لقاؤهما في البداية لقاء تمهيديا تمخّضت عنه فيما بعد، حياة قوامها الود والإخلاص واعتماد الأدب والأصالة والعروبة وإحياء مجد سوس التاريخي والعلمي. وكان هذا اللقاء التاريخي في إحدى ليالي رمضان من عام 1348 / فبراير 1930. وفي مراكش استأنف البونعماني دراسته في جامع ابن يوسف على يد الفقيه الحاج الحسن الشاوي وبلديه بوشعيب الشاوي والأديب مولاي مبارك العلوي في مسجد المواسين وشيخ الجماعة إذ ذاك الفقيه الحاج العربي الرحماني ومن في طبقته.

ورغم انقطاعه للدراسة ودأبه على حضور حلقات الدروس فإنه لم يغفل عن متابعة الحركة الشعرية وتتبع أخبار الشعراء وارتياد المجالس الأدبية ومعاشرة الأدباء والشعراء، وله معهم مطارحات ومساجلات.كما تعرّف على شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم المراكشي الذي عرّفه بدوره بمجموعة من الأدباء والشعراء الشبان بمراكش، وطبقت شهرته أرجاء الحمراء وتناقلت أخباره عبر المنتديات والمجالس وتألق نجمه بسرعة في سماء الشعر.

هذه الوضعية التي عاشها البونعماني في مراكش أيقظت ما كان دفينا عند صديقه المختار السوسي الذي انقطع إلى التدريس والتربية والتوجيه فلم يكن يعبأ بالقريض ولا يحفل بمجالاته، وكان لوجود البونعماني معه ومعاشرته إياه فضل في رجوعه إلى القوافي والاهتمام بقول الشعر.

ثم رحل البونعماني إلى فاس وأخذ في جامع القرويين عن علمائها الأجلاء أمثال محمد بن عبدالمالك الرسموكي والراضي الحنش ومحمد بن سعيد الزرهوني. ورجع إلى مراكش وبقي على هذه الحال، بين أصدقائه وخلانه. وحاول أن يلج ميدان العمل وطرق من أجل ذلك أبواباً متعددة، فتيسرت له وظائف ومهام أعرض عنها جميعاً، لأنها لا تناسب مقامه العلمي ولا تستجيب لطموحاته لما يتسم به من أنفة وإباء وشموخ في الهمة. وقد ذكر لي القاضي سيدي عبدالرحمان بن منصور البزيوي أنه حصل على وظائف للاشتغال بالتحرير في بعض المؤسسات المخزنية والعدلية فرفضها، لأنه يرى فيها قيداً لحريته وكبحًا لجماحه الأدبي.

وفي الفترة بين 1351 - 1355 لم يعرف البونعماني مستقراً في مدينة معينة، بل تنقل في عدد من الحواضر المغربية كبني ملال والدارالبيضاء والرباط ومكناس، وربما انقطع في فترة من هذه المدة إلى نقيب الشرفاء المؤرخ عبدالرحمن ابن زيدان بمكناس كما يقول في قصيدة :

أيا قَطرَ الفضاءِ عرج إلى مكـــناسَ حيث العلوم تزدادُ فيضاً
تنتحي المربع الزيداني حيث الـــرّوضُ راق العيونَ طولا وعرضاً
يابن زيدانَ يابن ناسٍ عظامٍ أنت ربُّ اليراعِ نثراً وقرضـــا

وفي سنة 1355 / 1936 عُرض عليه القيام بمهمة التدريس كأستاذ بثانوية مولاي يوسف بالرباط فقبلها وقضى فيها أربع سنوات عين بعدها كأول رئيس لمحكمة السداد بمراكش عندما أحدثت هذه المحكمة لأول مرة، وكان التحاقه بها عام 1364 / 1944 استغرق عمله فيها أزيد من ثماني سنوات، كانت خلالها علاقته بالباشا الأگلاوي غير طيبة، ويظهر أنه تعب في هذا المنصب بسبب هذا الخلاف، وقد

ورد في إحدى قصائده العرشيات للسلطان محمد الخامس ما يدل على ذلك :

أديبٌ بني نعمـــانَ جاشت عـدائُه وكان يروّي في صدورهمُ البتـــرا
(...)وأحتل في أعلى المعالي مكانةً تجازي بها الاخلاص والخدمة الغـرا
وليس ببـدعٍ أن أُقلَّدَ منصبـــاً بعزٍّ يكفيني "المفوّض" في الحمـــرا
وأنت الذي عوّدتـني العطف كلما يُؤخّرني دهـري تُبوّؤني صـــدْرا

وفي سنة 1371 / 1952 عين عضواً في مجلس الاستئناف الشرعي فبقي فيه حتى أشرف الاستقلال فعين أول باشا بعد الاستقلال لمدينة أگادير، فظل بهذا المنصب إلى ما بعد وفاة محمد الخامس حيث نقله الحسن الثاني إلى القصر الملكي كمحافظ للخزانة الملكية بالرباط. وأثناء توليته هذه المهمة الجديدة لوحظ عليه انزواء شديد، وانقطاع عن معاشرة الناس ومخالطتهم بشكل غير عادي، وقد صادفت هذه الفترة وفاة المختار السوسي، (29 جمادي الثانية 17/1383 نوفمبر 1963)، وتأثر لوفاته تأثراً شديداً. وبقي في هذه الوظيفة إلى أن أحيل على المعاش في بداية السبعينات، فانتقل إلى أگادير ليقضي بقية أيام عمره مترددا بينها وبين تيزنيت والمعدر مسقط رأسه، وعاش هكذا وحيداً فريداً بدون زوجة ولا أولاد، بعد فشله في تجربته الأولى في الزواج في بداية الاستقلال، إلى أن وافاه الأجل المحتوم يوم الثلاثاء 14 ربيع الثاني عام 16/1402 فبراير 1982 وهو بتيزنيت، ونقل جثمانه إلى بونعمان حيث دفن بجوار والده.

للحسن البونعماني إنتاج شعري غزير، لكنه لم يعتن بجمعه في *ديوان* خاص، ولم يحتفظ منه في خزانته إلا بقصائد تعد على رؤوس الأصابع، حسب ما صرح به بعض أفراد عائلته، وظل شعره موزعاً بين أصدقائه في مختلف جهات المغرب في الحواضر والبوادي، إضافة إلى ما نشر منه محمد المختار السوسي في الجزء الثالث عشر من *المعسول* الذي خصصه للأسرة المسعودية، كما أورد له عبدالله الجراري مجموعة من القصائد والمقطعات في *المجالس الأدبية* وفي كتابه الآخر *شعراء المغرب الأقصى وأدباؤه المعاصرون*.

تميز الحسن البونعماني بميزة خاصة تتمثل في غيرته الكبيرة على سوس وولائه له، وطغى هذا الولاء على شعره فأصبح يلهج به في كل مناسبة، فهو القائل في الإشادة بسوس :

قطري المفدّى "سوس" يعرفُ محتدي وتحنُّ نحوي إن أغبْ جدرانُـهُ
وتقرُّ لي ولتَالـدي أشبـاحُـهُ ولطـار في بين الورى شيّانُهُ
لـو استطاعتْ أن تسيرَ ديـارُهُ شـوقاً إليَّ لجاء "بونعمانُـهُ"

ويقول في الإشادة بأمجاد المغرب :

نسوسُ بالعدل والباس الشديد ومَن في العدل والباس مَن كانوا يوازينـا
أسد الزلاقة لما اشتدّ موقعُها والأرك خضنا وغَاها والمخازينـا
فليعلم الثقلان أنّ رايتَنـا سيستظلّ بها حتى أعادينـا
سيستظل بها عـدلاً ومكرمـةً ونحن في الحق لا يُخْشَى تسامينـا

ويقول في مساندة الشعب المغربي للجزائر في محنتها ضد الاستعمار :

هذي الجزائر قد أضنتْ نوائبُها لم تُبق للعين دمعاً من مآقينا
وليس يشفي غليل النفس إلاّ إذا جالت لنا ثمّ جُرْدٌ من مَذاكينا

ويقول في تجاوب المغاربة مع الأشقاء المصريين في نكبة العدوان الثلاثي :

هنا قلوبٌ تناجي من محبتها قناةَ مصرَ كما كانت تُناجينا
فاضت هُنالكَ أرواحٌ مقدسةٌ نكادُ نلحقُها لولا تأسّينا

ويقول في فلسطين :

وطهّر بفلسطين أقدسَ مسجدٍ فأنت على تطهيره أيّ قـادرِ
وشتّت جيوش المعتدي وحماته وللظالم اقطعْ عاجلاً كل دابـرِ
فأين البنادقُ التي قد عرفتها قد استُبدلت في جيلنا بالمخاصرِ

هذا الإحساس نلمسه كذلك على مستوى النثر، فقد كان محرراً في جريدة *السعادة* في السنوات الثلاثين من هذا القرن وكتب على أعمدتها سلسلة من المقالات معظمها عن سوس وعن الأدب في سوس، والتعريف بأعلامها، بالإضافة إلى مقالات في مجلات وجرائد أخرى منها :

1 ـ ترجمة عمه محمد بن مسعود البونعماني في حلقتين : (*السعادة*، ع 4590 و4591 في غشت 1938).

2 ـ *الأدب الأندلسي في سوس الأقصى*، أو *المدرسة الإلغية*، (*السعادة*، ع 4607 في 20 سبتمبر 1938).

3 ـ *أيام عكاظ بتازروالت* في حلقتين : (مجلة *الثقافة المغربية*، أكتوبر ـ دجنبر 1942).

يضاف إلى هذا سعيه الجدي للتأليف عن سوس وتاريخ رجالاته. وقام بجولة علمية في جبال جزولة استغرقت وقتاً طويلاً، جمع خلالها من المخطوطات وتراجم العلماء وأخبار الأسر العالمة مادة غزيرة لم تسعفه ظروف وظيفته للتفرغ للتأليف فيها، فجاءت الفرصة فوضعها بين يدي صديقه الحميم محمد المختار السوسي لتدخل ضمن مواد *المعسول*.

وقد قرأت في مقيدة مخطوطة أنه ألّف عن أسرته المسعودية كتابا مخطوطا أسماه : *بدر السعود في مناقب آل مسعود*، ولكننا لم نقف على هذا المخطوط، وأسرته لم تكشف بعد عما بخزانته من كنوز، سواء من إنتاجه الشخصي من الشعر والنثر أو ما تحويه من الذخائر النفيسة من مؤلفات الأسرة المسعودية العالمة. وأطول قصيدة له في الشعر الصوفي سماها *التوسل*، بلغ عدد أبياتها قرابة سبعمائة بيت، وهي آخر ما أبدعه قبل رحيله عن الدنيا.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 13 ؛ *الإلغيات*، ج 3 ؛ *سوس العالمة* ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المعهد الإسلامي والمدارس العتيقة بسوس*، ج 1 ؛ ع. الجراري، *المجالس الأدبية*، مخطوط موضوع د. د. ع. بالرباط ؛ *شعراء المغرب الأقصى وأدباؤه المعاصرون*، مرقون ؛ ع. بن منصور البزيوي، *مجموعة من الرسائل من البونعماني إلى أسرته*، مخطوط ؛ شهادة شفوية ومقابلات شخصية مع أصدقائه وأقاربه.

البونعماني، محمد بن مسعود بن محمد الطالبي، من الشخصيات السوسية الفذة التي كان لها أثر لا ينكر في الثقافة والأدب في سوس أوائل القرن الهجري الرابع عشر (19 م)، استلهم تعاليم والده الشيخ مسعود التي

أكسبته الاعتداد بالنفس، والشموخ في الهمة، والتواضع في المعاملات، وهو يمثل الصورة الكاملة لروح العصر في وقته بما فيها من براءة وما تنطوي عليه من فطنة وذكاء إضافة إلى نفسيته الشاعرة التي تستشف من جمال الكون وعظمته ما يكسبه رؤية تنير له السبيل وتكسو الوجود حوله جمالا يبعث على القناعة والاطمئنان. ويتمتع بروحانية الصوفي الزاهد الذي يؤمن إيماناً راسخاً بأن كل ما يقوم به ويمارسه من تعليم ونشر المعرفة وما يبثه من إرشاد ووعظ في الحلقات الدراسية ومجالس المريدين هو عمل خالص لوجه الله.

ولد محمد بن مسعود البونعماني عام 1282 / 1865 في بلدة "تمجّاض" من قبيلة أيت بريِّم، على بعد أربعين كيلومتراً من مدينة تيزنيت، من الجهة الجنوبية موطن والده، وهو من أسرة آل مسعود السملالية العالمة المعروفة منذ أن تصدر مسعود المعدري للتدريس في المدرسة البونعمانية حوالي سنة 1279 / 1862.

كان المترجم أكبر إخوته عند والده فرباه تربية علمية. وكان ينظر إليه منذ صغره نظرة متيقن أن آماله ستتحقق لا محالة. فحفظ القرآن تحت رعاية والده، واستكمل حفظه على يد الحاج محمد السرسيفي، وكان في أول تعليمه ميالا إلى اللعب والرياضة ولوعا بلعب كرة القدم واشتهر بحبه لها واتقانه لعبتها. وكانت المدرسة البونعمانية من المدارس السوسية التي تتوفر على ملاعب يرتاض فيها الطلبة في أوقات الراحة والعطل.

انقضت مدة من "تزمن"، وهو يتلقى المبادئ الصحيحة للتعليم على يد والده، فأهلته أن يعتمد على نفسه في المطالعة والمراجعة، وانقطع إلى الدراسة في محله وانقلبت أحواله وانزوى عن الناس إلا عمن يستفيد منهم أو من يستفيدون منه، وصار يحرر ما يحضره من الدروس المختلفة في مجلس والده العامر، يقضي سحابة يومه في الاشتغال ويسهر الليل إلا أقله، بحيث لا يوجد فراغ في أوقاته (*السعادة*، 9.8.1938).

أخذ عن والده العربية لغة ونحواً وتصريفاً، كما أخذ عنه الفقه بفروعه، ثم استتم هو بنفسه بمدارسة كتب اللغة والأدب. كما أخذ المنطق والحساب عن أستاذه أحمد بن إبراهيم الاكراري المنطقي الحيسوبي، ومحمد بن العربي الأدوزي. كما عاصر جلة من العلماء وأخذ عنهم، دراية أو رواية، ومنهم بالإضافة إلى من تقدم ذكرهم الشيخ الحاج ياسين السملالي الجزولي والحاج أحمد بن عبدالرحمان التملي الجشتيمي، المدفون بتبوت، والشيخ الحسن بن مبارك البعقيلي التيمدزتي.وأخذ التصوف عن علي بن أحمد الإلغي مؤسس الزاوية الإلغية الدرقاوية والد محمد المختار السوسي، فانصرف إلى الزهد والنسك. كما أخذ عن الشيخ علي بن عبدالله الإلغي والحسن بن أحمد بن إبراهيم السملالي ومحمد بن أحمد بن حسين الأكلوبي التمكتشتي الكرسيفي أصلا وإبراهيم بيرعمان (ذي الجمال) أخذ عنه الحساب والفرائض، وعمر الدهوز البريمي نزيل العوينة أخذ عنه علم الفرائض. وقد أجازه العديد من الشيوخ معترفين له بطول الباع في العلوم والآداب.

لما قطع المراحل الأولى من حياته العلمية صار يتطلع إلى ما كان يتوسمه فيه والده ويتفرسه، وأدرك أن الغاية التي خلق من أجلها هي أن يخلد مثل والده خدمة علمية دينية، ويبني مجداً على مجد آبائه الأولين، فكرس نفسه للعلم والمعرفة، وتصدر للتدريس في مدرسة والده، مع بعض الطلبة.

وفي سنة 1309 / 1891، غادر مدرسة بونعمان بعد أن قضى فيها متصدراً للتدريس، ثلاثين سنة، بسبب خلاف وقع بين البريميين والمعدريين، فتدخل الشيخ الأستاذ للصلح بينهم، فخذله بعض البريميين، فغادر بذلك مدرستهم إلى مدرسة سيدي مزال أ'هارون ثم إلى المعدر. فخلفه حينئذ ابنه محمد ابن مسعود في المدرسة ابتداء من هذا التاريخ، وهو ابن سبع وعشرين سنة، والمدرسة وقتئذ عامرة بالطلبة، مما اضطر معه الأستاذ الجديد إلى إضافة جناح آخر إلى المدرسة ليستوعب أفواج الطلبة الذين يتقاطرون عليها في أول عهده بها (*السعادة*، 9.8.1938).

وقد تميزت حياة محمد بن مسعود في هذه المدرسة بمرحلتين متميزتين.

الأولى : من سنة 1309 إلى 1316، انقطع إلى التدريس بجدية متواصلة.

الثانية : من سنة 1316 إلى وفاته سنة 1330، حيث خالط التدريس بالتصوف، مخللاً فترات التدريس بجولات صوفية في القرى والمداشر بمنطقة سوس، مع العلم أنه لم يتصل بالحواضر قط، ولم يتجاوز بلاد جزولة. وقد جمع وهو في المدرسة بين الرآستين : القضاء والتدريس والإفتاء.

تناولت دروسه كتب التفسير والحديث والأصول والفقه والتوحيد والمنطق والوضع واصطلاح الحديث والسير والنحو والصرف والبيان والبديع واللغة والأدب والعروض والتنجيم والحساب والتصوف. هذه العلوم يدرسها مع جميع التلاميذ، والتاريخ والطب والفلسفة يدرسها مع كبار تلاميذه في أوقات خاصة، وكان يناقش التلاميذ في الدروس ويبث فيهم حرية التفكير ويعلمهم أدب البحث والمناظرة، ويقبل السؤال والمناقشة. كما يناقش المؤلفين ويعلق على كلامهم وينتقده إذا اقتضى الحال. وما من كتاب درسه أو طالعه إلا وعمّر حواشيه بتعاليقه وتخريجاته (*السعادة*، 11.8.1938). وكان يجول مع طلبته في هذه الفنون من صباح السبت إلى عصر يوم الأربعاء، مهتما في نفس الوقت بالتأليف وتخميس القصائد المشهورة وتشطيرها، فكان أفضل عالم سوسي خاض في كل العلوم المعروفة في عصره (*المعسول*، 13 : 11). وله عدد كثير من التلاميذ، منهم إخوته أحمد والطاهر وإبراهيم أبناء مسعود والأديب محمد بن محمد الحضيكي المتوفى في تونس ومحمد ابن أحمد أ'عمو القاضي

التيزنيتي وغيرهم، إذ قصده طلبة العلم من جميع نواحي سوس والصحراء لا يتسع المجال لذكر أسمائهم، وقد عد منهم المختار السوسي خمسة وستين ممن عرف أسماءهم (*المعسول*، 17 : 115). والذين أخذوا عنه الطريقة الشاذلية لا يحصون.

ومن آثاره العلمية : *نظم رسالة الدردير في البيان* ؛ *وتعليق كالشرح على منظومة السلم في المنطق* ؛ ومجلد ضخم في السلسلة الشاذلية ألمّ فيه بتراجم رجالها أسماه *المنهل الصافي* ؛ وتأليف جمع فيه أجوبة فقهية أجاب بها بعض علماء وقته سماه *تحفة الأكياس* ؛ *واختصار رحلة العيني السوسي* ؛ *واختصار كتاب أزهار الرياض للمقري* طلبه منه بعض التجار أن يطبعه في تونس وذهب به فبقي هناك بخط المؤلف. *والتصدير والتعجيز لقصيدة البردة*؛ *وشرحاها* الكبير والصغير ؛ *وتشطير قصيدة بانت سعاد* ؛ *واختصار المدخل لابن الحاج* ؛ *وترجمة الشيخ سعيد بن إبراهيم السملالي المعدري* ؛ *ومنظومة في العروض* ؛ *وشرحها* ـ لم يتم ـ ؛ *وبحث في أمّا بَعد* ؛ *وشرح لامية الطغرائي* ؛ *وحاشية* يناقش فيها العلامة الأدوزي شارح *أيسر المسالك* في النحو ؛ *ونظم رجال البخاري* ـ لم يتم ـ. وألف في *الفقه باللهجة السوسية* للأميين والنساء ليفقههم في الدين، وله تأليف في *مسألة الأذان وإقامة الصلاة* ؛ وله *ديوان شعر* ؛ وكراسة عبارة عن *فهرسة* ذكر فيها شيوخه الذين أخذ عنهم دراية ورواية بعبارة مختصرة. ولا يوجد كتاب في خزانته، كيفما كان موضوعه، إلا وملأ طرره بأبحاثه القيمة، سواء كان من الكتب التي تدرس أم لا. وقد عدّ له المختار السوسي أربعة وأربعين مؤلفا بين منظوم ومنثور (*المعسول*، 13 : 117 ؛ *السعادة*، 11، 8، 38).

لقد دخل محمد بن مسعود البونعماني في طور من التصوف منذ سنة 1316 / 1898 بسبب اتصاله بالشيخ علي بن أحمد الإلغي الدرقاوي الذي صار له فيه اعتقاد راسخ وكشف من اتصاله بالفقراء وقيامه معهم بالسياحة ودأب على عقد مجالس للذكر والوعظ والإرشاد. وتخلى نتيجة لذلك عن التدريس وأناب بعض طلبته ليتفرغ لجولاته الصوفية مع فقراء المنطقة في القرى والمداشر بكل أرجاء سوس إلى أن توفي بعد مرض يوم الخميس 18 ربيع الأول 1330 / 7 مارس 1912 وهو في أول كهولته لم يتجاوز ثماناً وأربعين سنة، ودفن بالمعدر بجانب قبر والده.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 5 وما بعدها ؛ *سوس العالمة*، 207 ؛ *خلال جزولة*، 4 : 24 ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، 3 : 167 ؛ ح. البونعماني، *ترجمة شيخ الإسلام محمد بن مسعود البونعماني*، جريدة *السعادة*، 9، 11 / 8 / 1938.

البونعمانية، مدرسة تقع بقبيلة أيت بريّم، جنوب مدينة تيزنيت، بعيدة عنها بحوالي عشرين كيلومتراً، يؤدي إليها طريق معبد من تيزنيت. وهي في مقر جماعة بونعمان بموضع يسمى : "أكْرُورْ" في وسط قرية بونعمان، شرق سوق الجمعة بسفح جبل : "إنْتْرْ" وهي مشهورة بالعلم والصلاح، عامرة بطلاب العلم، تعد ـ حسب م. المختار السوسي ـ من بقايا زوايا بني نعمان أهل إعَزّى وبِهدَى البكريين.

كانت شهرة المدرسة البونعمانية قبل أواخر القرن الثالث عشر (19 م) قائمة على القراءات، وتعاقب على التدريس بها جلة من العلماء، منهم أحمد أُجمل الأمزالي وأحمد أضرضور وبعدهما مبارك إيحبصْر المعدري ومحمد بن حسين الأگلويي، الجد لأبت حسين، ومحمد الماسي ثم التاكنسي. هؤلاء الأساتذة يتفاوتون في درجات اهتمامهم بالتدريس، فكان بعضهم يهتم بالقراءات، كما كان بعض المقرئين يشارط فيها أحيانا. وكانت المدرسة بهم بين مد وجزر ولم تقم شهرتها إلا بعد أن قيض الله لها مسعود البونعماني وأولاده وأحفاده من بعده.

التحق مسعود بالمدرسة البونعمانية في مفتتح رجب من عام 1278، وحمل فيها راية العلم فقسم المتون كلها إلى دروس وعيّن لكل متن القدر الذي تجب دراسته من فنون النحو والفقه والبيان والأصول والفرائض والحساب والتصريف وعلم المصطلح والحديث والتفسير، ووزعها على أيام الأسبوع الخمسة من صبيحة يوم السبت إلى عشية يوم الأربعاء بعد صلاة العصر، فوضع للدراسة نظاماً قاراً لا يخالفه رغم اشتغاله بأموره الدنيوية الأخرى غير التدريس، هذه الأشغال يباشرها ابتداء من بعد صلاة عصر يوم الأربعاء إلى صبيحة يوم السبت، فلا تكاد شمس السبت تشرق حتى يستوي على منصة التدريس (*المعسول*، 13 : 11).

ونتيجة لهذا التنظيم المحكم في أمور الدراسة وسمعة الشيخ مسعود الطيبة، تقاطر الطلبة على المدرسة البونعمانية. وقد أغرتهم بونعمان، إضافة إلى سمعة الشيخ الأستاذ العلمية، بحسن موقعها وطيب هوائها. فقد كانت للمدرسة أملاك وأشجار ومياه بساقية بونعمان، تعتبر مورداً لإعالة الطلبة ويقوم الأستاذ والطلبة أنفسهم بإدارتها، وقد تولتها الآن وزارة الأوقاف بينما تمول المدرسة من أعشار أهل القرية والأجرة السنوية للأستاذ. ونتيجة لهذه العوامل أقبل عليها الطلبة السوسيون والصحراويون على السواء.

ولما كثر الإقبال عليها اهتم الشيخ مسعود بتوسيعها والزيادة في عدد حجراتها لتستوعب الأعداد المتزايدة من الطلبة حتى بلغت أضعاف ما كانت عليه يوم دخلها، وبلغ عدد الطلبة في أيامه قرابة مائتين لم تستوعبهم أبنية المدرسة رغم توسعها المستمر، وبذلك غدت المدرسة البونعمانية أكبر كل مدارس سوس اتساعا وكثرة بيوت، وأحفلها أحياساً، وأصبحت البونعمانية بعد مفتتح القرن الرابع عشر أواخر (19 م) لا يماثلها إلا المدرسة الأدوزية تحت رعاية الأستاذ العربي الأدوزي.

مكث مسعود المعدري بهذه المدرسة ثلاثين سنة بدون انقطاع (1278 ـ 1309 / 1861 ـ 1891) ثم غادرها إلى مدرسة

سيدي أمزال أ'هارون التي كان بها قبل أن يلتحق بالبونعمانية، للسبب المذكور آنفاً.

تولى محمد بن مسعود التدريس بالمدرسة البونعمانية بعد أن غادرها والده عام 1309 بأمر من والده، وعمره سبع وعشرون سنة. ثم التحق أخوه أحمد بن مسعود بالمدرسة البونعمانية بعد وفاة محمد بأربعة أشهر، فسار على منواله وبقي على ذلك من سنة 1330 / 1911 إلى سنة 1352 / 1933 وهو على هذا النحو من الجدية والمثابرة في التدريس، وتخرج على يده كثير من الطلبة، وبعد هذا التاريخ انزوى عن الناس، ولوحظ في نشاطه فتور إلى أن توفي سنة 1363 / 1943. فعرفت المدرسة البونعمانية تعثراً، وبدأ إشعاعها ينطفئ شيئاً فشيئاً. وكان آخر من تولى التدريس بها من أسرة آل مسعود أحمد بن محمد بن أحمد بن مسعود، الذي تخلى عن المدرسة بعد سنة 1379 / 1959، وانقطعت بها الدراسة العلمية إلى أن انبعثت مع الحاج سعيد توفيق المجاطي الذي التحق بها عام 1393 / 1973 فأحيا مجدها العلمي وعمرها بالطلبة من جديد، وما زالت تؤدي دورها العلمي حتى الآن.

م. المختار السوسي، *العسول*، ج 13 ؛ *المدارس العتيقة بسوس* ؛ *خلال جزولة*، 4 : 24 ؛ ع. المتوكل الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، 167.

الحسين أفا

بونوار، (سيدي ـ) مركز حضري صغير، احتل المرتبة السابعة والثمانين وسط المراكز الحضرية المغربية من حيث عدد السكان، استناداً إلى إحصاء سنة 1982. إذ بلغ حجم هؤلاء 8.753 نسمة.

يقع مركز سيدي بونوار عند الضاحية الجنوبية الشرقية لمدينة خريبگة على بعد حوالي أربعة كيلوميترات منها. ينتمي إدارياً إلى إقليم خريبگة ويدخل في الدائرة الترابية لجماعة أولاد إبراهيم التابعة لدائرة خريبگة.

وهو من المراكز التي خلقها المكتب الشريف للفوسفاط بهضبة أولاد عبدون مع بداية العقد الثاني من هذا القرن، وهي خريبگة و بوجنيبة وسيدي بونوار وحتان وفم تيزي، وذلك قصد إيواء اليد العاملة القادمة من مناطق بعيدة وتشجيعها على الاستقرار بصفة نهائية حتى يتم ضمان إنتاج معدني منتظم وكاف لسد حاجيات السوق العالمية الفوسفاطية المتزايدة، خاصة وأن السكان المحليين لم يظهروا التجاوب الكافي مع العمل داخل المناجم الباطنية.

لقد تم اختيار موقع سيدي بونوار عند الهامش الجنوبي الشرقي لهضبة خريبگة في المكان المعروف باسم "بلاد كف العبيوض"، داخل مجال قبائل أولاد بحر الكبار، قريباً جداً من مقبرة وضريح أحد الأولياء الصالحين وهو سيدي بونوار. وتم تشييد المركز فوق عنصر هضبي ضيق متوسط ارتفاعه 760 م، يشرف على شعبتين تكونان منطلق واد الدربة الذي يقطع رتابة واستواء "گعدة" خريبگة.

وقد اعتمدت الإدارة في اختيار هذا الموقع بالذات خلال السنوات الأولى من بداية استغلال مناجم أولاد عبدون الفوسفاطية على عناصر تقنية وأخرى اجتماعية وسياسية. ذلك أن هذا المركز شيد في موقع يتوسط مركزي الاستخراج رقم 1 و2 بشكل يسمح للعمال بالذهاب إلى مقرات عملهم بوسائلهم الخاصة، وبذلك يتم تجنب مصاريف نقلهم، وفي نفس الوقت يجعلهم بعيدين عن المنشآت المنجمية في حالة وقوع أي اضطراب سياسي أو اجتماعي بالمنطقة (انظر الخريطة).

وعلى غرار المراكز الأخرى التي تم إنشاؤها بالمنطقة انطلق البناء في البداية بخلق مجموعة من النقط المائية، تجمع حولها السكان المحليون داخل بيوتهم الخاصة المكونة أساساً من الخيام والنواويل، وخضعوا للعمل داخل المناجم عن طريق "التويزة". ثم في مرحلة ثانية قصد توفير اليد العاملة بشكل منتظم. وفي مرحلة ثالثة مع ارتفاع الطلب على الفوسفاط في السوق العالمية تم اللجوء إلى المناداة على اليد العاملة في مناطق مختلفة من التراب الوطني، الأمر الذي دعا إلى بناء بيوت عصرية، فأصبحت المدينة الناشئة تتكون من ثلاثة أحياء رئيسية هي : حي السجن في الوسط وحوله الحيان الشمالي والجنوبي. وقد بلغ عدد البيوت التي شيدت إلى غاية سنة 1958 حوالي 1.220 مسكن. تطورت حولها مجموعة من أحياء الصفيح استفادت من البنية التحتية التي تم توفيرها، وقد ظهرت لتوفر خدمات القطاعين الثاني والثالث إذ لم تستطع الإدارة تنظيمها أو مراقبتها. من بين هذه الأحياء نذكر مثالي دوار الصويلحة ودوار علي بن الجيلالي. ومع مرور الوقت ظهرت أحياء سكنية خاصة خارجة عن ملكية المكتب الشريف للفوسفاط شيدها إما متقاعدون أو أفراد من أبناء المنطقة.

السنوات			التزايد السنوي	التزايد السنوي
* 1959	1971	1982	1971.59	1982.71
5.106	8.530	8.753	٪ 4.3	٪ 0.2

* تطور سكان مركز سيدي بونوار

وهكذا فمركز سيدي بونوار خلق أصلاً لتكون له وظيفة أساسية هي إيواء العمال الذين يشتغلون بمراكز استخراج الفوسفاط القريبة منه، لكن نضوب المركزين الأول والثاني وتوقفهما عن العمل جعل العمال القاطنين بسيدي بونوار مجبرين على التنقل يوميا وعلى مسافات بعيدة أحياناً للاشتغال في مراكز مثل رقم 10 أو مركز "لمرح لحرش" المكشوف، مستعملين في تنقلهم حافلات شركة النقل الجهوي التابعة بدورها للمكتب. وقد كان لهذا التطور آثار واضحة على تطور سكان سيدي بونوار.

بلغ عدد سكان المركز سنة 1982 حوالي 8.750 نسمة (8.530 سنة 1971). وتبين هذه المقارنة أن نسبة النمو السنوي خلال هذه الفترة كانت هزيلة لم تتجاوز 0.2٪. وإذا ما قارنا هذه النسبة مع فترات سابقة سنجد أن مركز سيدي

بونوار كان يعرف خلال فترة 1959 . 1971 نسبة نمو عالية جداً وصلت إلى 4.3٪، ويعتبر هذا الرقم قياسياً بالمقارنة مع المراكز الأخرى المجاورة والمشابهة مثل مركز بوجنيبة (2٪ فقط).

إن هذه الوتيرة السلبية التي سجلتها ساكنة سيدي بونوار بين الفترتين المذكورتين ترتبط بهجرة السكان إلى مدينة خريبگة، حيث تتوفر المرافق الأقتصادية والاجتماعية التي لم يستطع مركز سيدي بونوار توفيرها خاصة بعد ابتعاد مراكز الاستخراج عنه.

G. Lazarev (et al...), *Les villages miniers de la région de Khouribga, Notes marocaines*, 1960, 14 - 39 - 59 ; Ministère du Plan, *Population légale du Maroc*, Rabat, 1982.

الحسن المحداد

بونوالة، مرابط بدأت تقارير جيش الاحتلال الفرنسي تتحدث عنه فجأة سنة 1908، بمناسبة المذابح التي ارتكبها هذا الجيش ضد عدد من الدواوير التي تجمعت حول زاوية الغنيميين، بقبيلة أولاد سعيد إلى الغرب من مدينة برشيد بحوالي 45 كلم.

ولد محمد بن زروال، المعروف ببونوالة، بدوار الغنيميين، وهو فخذ صغير من فرقة هدامي إحدى فرق قبيلة أولاد سعيد الخمس (أولاد عريف، موالين الحفرة، أولاد عبو، هدامي، مْزورة).

وقد تعاطى منذ صغره لقراءة القرآن وحفظه والاشتغال به، لذلك عندما بلغ سن الشباب أصبح طالباً متنوراً ينصح الناس ولا يشاركهم في أعمالهم. وهكذا عندما بدأ الاحتلال الفرنسي للشاوية لم نسمع بأي نشاط نُسب إلى بونوالة. وتذكر الرواية المحلية التي اعتمدتها البعثة العلمية الفرنسية في جمع مواد مؤلفاتها حول مدن وقبائل المغرب أن بونوالة لم يشارك في قتال الفرنسيين، بينما ترك أباه وإخوته الثلاثة، عبدالملك وعبدالقادر والغنيمي، يدعون الناس للجهاد باسم بونوالة. وهنا نلاحظ ملاحظة أولية، هي أن صاحبنا لم يكن له اتصال مباشر بالناس. فهل كان يكتفي بالجلوس في نوالته ويدفع بالمقربين منه إلى الدعاية له ولذلك سماه الناس ببونوالة، دون أن ينادوه باسمه مثلما فعلوا مع المرابط الشهير بالشاوية محمد بن الطيب البوعزاوي ؟.

على كل حال، فبمناسبة العمليات الحربية التي قرر الجنرال داماد، قائد قوات الشاوية، أن يقوم بها في شهر مارس من سنة 1908، لإرهاب مجاهدي الشاوية وحسم الموقف لصالح القوات الفرنسية، نلاحظ أن قيادة جيش الاحتلال بدأت تتحدث عن المسمى بونوالة وعن العدد الكثير من الخيام التي تجمعت حوله. وقد كان هذا التطور المزعوم كافياً ليقوم الجنرال داماد على رأس قواته بمهاجمة السكان الآمنين قرب ضريح سيدي الغنيمي، بدوار الغنيميين، و يرتكب مذبحة فظيعة ضد النساء والأطفال والرجال ويحرق جميع الخيام الموجودة.

كان لهذه المذبحة صدى واسع في الشاوية وفي فرنسا، إذ نددت بها صحافة الحزب الاشتراكي واتهمت الجنرال داماد بذبح أكثر من 1.500 من الآمنين بدون مبرر.

وقد اعترف داماد بارتكاب المذبحة في تقريره حول قضية سيدي الغنيمي، فذكر أن الفرنسيين احتلوا أولاد سعيد بسهولة، لكن نظراً لتمكن "شريف مجهول يسمى محمد بن عبدالله" ويدعى ببونوالة من جمع عدد كبير من "المتعصبين" و"العصاة" حوله، تقررت مهاجمة مخيم بونوالة. وأضاف أن الهجوم كان سريعاً وعنيفاً، بحيث وصل الجيش إلى المخيم وأحرقه، وأن الدرس كان قاسياً دفع كثيراً من القبائل إلى الاستسلام ! ودون أن نهتم بتزييف الجنرال الفرنسي للحقيقة، تجدر الإشارة إلى أن ما قام به داماد ضد خطر مخيم بونوالة المزعوم، كان الهدف منه - في واقع الأمر - هو إثبات جدارة الجنرال داماد بقيادة جيش الاحتلال. في وقت بدأت فيه الحكومة الفرنسية تتساءل عن كفاءة الرجل، وعينت بعثة تفتيشية برآسة الجنرال ليوطي توجهت للشاوية لبحث الوسائل الناجعة للتغلب على المغاربة.

وعلينا أن نتساءل، بعد هذا، عما كان مصير بونوالة ؟ لم يتحدث تقرير داماد لا عن إلقاء القبض على الرجل ولا عن قتله. ولكن أخبار البعثة العلمية ذكرت أنه بعد مذبحة 15 مارس 1908، هرب بونوالة وبقي مختفياً مدة ثلاثة أيام. ثم التجأ لضريح سيدي البهلول بأمزاب. ومن هناك ذهب لمولاي بوعشرة ثم انتقل إلى فاس فطنجة ومنها سافر إلى مكة فتوفي بها عام 1328 / 1910.

هكذا تُبرز لنا رواية جيش الاحتلال مرابطاً يدعو للجهاد ويجمع حوله مآت الخيام، وبعملية عسكرية مدمرة تحرق الخيام بعد قتل ساكنيها وينتهي الكلام عن بونوالة بابتعاده إلى الشرق وموته بمكة !.

وإذا صدقنا الرواية الفرنسية فإن عُمُر بونوالة كان حوالي 25 سنة. عندما شرع الفرنسيون في احتلال المنطقة، أي في سنة 1907 . 1908. ومعنى هذا أن بونوالة توفي وعمره لا يتعدى 28 سنة ! أما أبوه الذي تسميه رواية البعثة العلمية زروال بن بوشعيب، (V. T. 2 : 184) ويسميه تقرير داماد ومؤرخ عمليات الاحتلال (Paul Azan, 356) عبد الله، وكذا إخوته، فلم يتحدثوا عنهم بشيء منذ ذلك الحين !.

كل هذا التضارب، يدفع بنا إلى الشك في حقيقة وجود المرابط بونوالة. وإذا كنا لا نستطيع الجزم بوجوده أو عدم وجوده، فإن الظهور المفاجئ والغياب الغامض لبونوالة يجعلنا - على الأقل - نتوقف ملياً أمام الرواية الفرنسية للوقائع المرتبطة بالمرابط بونوالة، ويدفعنا هذا التوقف إلى التساؤل عن إمكانية افتعال جيش الاحتلال الفرنسي لوجود بونوالة أو تآمره على الأبرياء بهدف إرهاب قبائل الشاوية ودفعها إلى الاستسلام. إن تساؤلنا مستوحى من رواية شفوية لرجل مسن من المنطقة، كان أبوه فيما يبدو يتعامل مع جيش الاحتلال، قال : إن أباه حمل رسالة من

قائد الجيش إلى المرابط المزعوم وأنه سلمها له دون أن يرى وجهه، لكنه لاحظ أن اليد الممتدة من تحت ستار كانت شقراء ! فهل يتعلق الأمر ببونوالة مغربي أم فرنسي ؟ ذلك أمر قد توضحه الأيام.

ع.الخديمي، *حادثة الدارالبيضاء*، 1985.

Archives de guerre, Vincennes, 3H. 86 : *Villes et Tribus du Maroc : Casablanca et les Chaouia*, T. 1 - 2 ; P. Azan, *Souvenirs de Casablanca*, Paris, 1911.

علال الخديمي

بُونيف، إبراهيم الشرادي من شراردة بوغزوان الساكنين بفاس الجديد. اشتهر كأحد أرباب القوافل الجمّالة الذين لعبوا دوراً مهماً في نقل البضائع التجارية بين فاس والعرائش أواخر القرن الثالث عشر (19 م).

كان على قيد الحياة سنة 1900/1317 حيث ذكره الحجوي في مقدمة مخطوطه *تقاييد تاريخية*، ضمن الجمالة الشرادة الواردين بصناديق أتاي وسكنجبير من العرائش إلى فاس.

م. الحجوي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط خ. ع. 128 ح.

آمنة معطى الله

بُونيفاس، فيليب Boniface, Philippe نموذج الموظف الفرنسي بالمستعمرات نشأ من لا شيء، لكن الاستعمار أعلى من شأنه حتى صار يتصرف بسلطات الحماية الفرنسية بالمغرب طيلة العقد الأخير من عهدها، سعياً في جعلها قطعة من التراب الفرنسي لفائدة كمشة من المعمرين.

وهو أصلا من جزيرة كورسيكا، شأنه في ذلك شأن طائفة غير هينة من صعاليك المعمرين، انتقل سلفه إلى الجزائر فولد بوهران في الثمانينات من القرن التاسع عشر، وتعلم العربية حتى صار قادراً على ولوج سلك الإدارة الاستعمارية كترجمان، ثم دخل المغرب بهذه الصفة سنة 1913، ولما أُنشئت هيئة المراقبين المدنيين سنة 1925 انخرط فيها فتنقل عبر البلاد وخَبَر أقاليمها. ويذكر له أنه كان مراقبا مدنياً بالحاجب ورام إدخال أساليب الإنتاج التعاضدي في قبيلة بني مطير، غير مبالٍ بما كان قد فوّت من أراضيها لصالح المعمرين.

ثم التحق فيما بعدُ بالإدارة المركزية تحت إمرة المقيم العام الجنرال نوگيس Noguès. ولما نزلت الأساطيل الأمريكية بشواطئ المغرب، انحاز بونفاس إلى حزب دو گول فأمر نوگيس الذي كان من أنصار بيتان بإلقاء القبض عليه وكاد أن يعدمه بتهمة الخيانة، إلا أن تفوق الجيش الأمريكي على جيوش المقيم العام سرعان ما انتهى بإيقاف إطلاق النار وصدور العفو على كل من كان قد أمد الحلفاء بيد المساعدة، وكان ذلك من أسباب ارتقاء فليب بونفاس، لأن نوگيس أرغم على الاستقالة ومغادرة المغرب في شهر يونيه 1943 بسبب انتصار حزب دوگول الذي بادر إلى تعيين گابرييل پيو G. Puaux مقيما عاما بالرباط، فتصدر بونيفاس إدارة الشؤون السياسية التي كانت بمثابة إدارة الداخلية مع واسع السلطات وأدوات القمع، ولم يتردد في استعمالها بسخاء لإيقاف تيار حركة المطالبة بالاستقلال الذي انفجر غداة تقديم وثيقة 11 يناير 1944، وساهم في ممارسة أبشع الضغوط على سلطان البلاد سيدي محمد بن يوسف، وتقمص من يومئذ أدوار ألد أعداء حرية المغاربة وأخبث خصم لملكهم المفدى، وأبى إلا أن يحتل مركز الطليعة في صفوف عصابة الاضطهاد والإرهاب الممنهج.

ولما أبعد پيو وحل محله المقيم العام إيريك لابون Eirik Labonne في شهر مارس سنة 1946، وجاء بإرادة التفاهم مع الوطنيين، كان من قراراته الأولى للتقرب منهم في نظره، إبعاد بونفاس عن إدارة الشؤون السياسية وتعيينه عوضا عن ذلك رئيسا لناحية الدارالبيضاء، فكان كمن جاء يداوي فأعمى، لأن بونفاس وجد في منصبه الإقليمي مرتعاً لا مثيل له ومجالاً للتخلص من كل مراقبة لا من جهة الرباط ولا من جهة باريس بالأحرى. فازداد نفوذه ثبوتا لدى الأوساط الاستعمارية بصفة كونه المدافع المفوّه المقتدر عن مصالح الرأسمال الاستعماري وعن جهازه الإداري بالمغرب وأيضا عند صعاليك المعمرين المعروفين في أدبيات الاستعمار "بصفار البيضان" الذين لا سبيل لديهم لستر خسّتهم إلاّ من جهة العجرفة العنصرية. وكانت محاولة المَقيم إيريك لابون للتقرب من الوطنيين مما لا يستطيع بونفاس وشيعته الماكرة أن يستسيغوه فباتوا يتربصون الدوائر للإطاحة به ووجدوا الفرصة سانحة في رحلة الملك سيدي محمد إلى طنجة التي كان المقيم العام قد استحسنها، ورأى فيها أقطاب الاستعمار تشجيعاً خطيراً للوطنية المغربية (أبريل 1947). وحاك بونفاس مؤامرة في الخفاء كان من مفعولها إطلاق السبيل لجماعة من مرتزقة الجيش الاستعماري السينغاليين ليصوبوا نيران بنادقهم في جماهير الدارالبيضاء وذلك في اليوم الثاني من رحلة الملك إلى الشمال، فكانت مذبحة جديدة من تدابير بونفاس، وكان من نتائجها إبعاد إيريك لابون وتعيين الجنرال ألفونس جوان A. Juin مقيماً عاماً عوضاً عنه، وكان جوان من مواليد الجزائر أيضاً، فعم الارتياح صفوف المعمرين وطاب العيش لبونفاس الذي أصبح عضواً مرموقاً في العصابة التي أحاطت بجوان وكانت تسمى بـ"فريق قسنطينة"، نسبة إلى نشأة جل أعضائها بأرض الجزائر المستعمرة، وهؤلاء ومن جملتهم بونفاس هم الذين صاروا يتناوبون على السيادة المغربية ويمارسون كل أنواع الضغط على ملك البلاد سيدي محمد بن يوسف ليتبرأ من الوطنيين وليمضي ظهائر كان من شأنها أن تُفوّت سيادة المغرب لكمشة المعمرين. وكان برنامج تلك العصابة ما صدع به بونفاس لبعض الصحفيين قائلا : "أعتبر المغرب أرضاً فرنسية، أو إن شئتم أرضاً فرانكو ـ مغربية، ونريد لهذا البلد أن يكون فرنسا جديدة، لما في ذلك من فائدة لسكانه ولعظمة فرنسا". ولما عبر الشعب المغربي عن تشبثه بهويته الوطنية من خلال الإضراب العام احتجاجا على اغتيال الزعيم التونسي فرحات حشاد يوم 8 دجنبر 1952، لم يتردد في

بونفاس للمرة الثالثة في أقلّ من عشر سنوات في تدبير وسائل المكر بالوطنيين والإيقاع بهم في مخالب زبانية القمع، وكان المقيم العام آنذاك الجنرال گيوم الذي أضحى ألعوبة طيعة في يد بونفاس وأمثاله، وترتب على الإضراب العام مذبحة الكاريير سانترال أيام 9 و10 و11 دجنبر 1952، تلاها بعد أسابيع قليلة شروع حزب الاستعمار في تنفيذ مؤامرة عزل السلطان الشرعي عن عرشه التي تم إنجازها يوم 20 غشت 1953، وكان بونفاس قد آلى على نفسه أمام الملأ أن لا يترك الوظيف للتقاعد في شهر أكتوبر سنة 1953 إلا وسيدي محمد بن يوسف مبعد عن عرشه. وكان من علامات ما بلغ بونفاس من النفوذ أنه كان قد حلّ عليه التقاعد منذ سنة 1946، لكنه استطاع أن يرجئ ذلك سنة بعد أخرى حتى أتمّ ما كان قد صمّم عليه العزم من الانتقام من زعماء الوطنية المغربية، وحتى بعد إحالته على المعاش لم يغادر الدارالبيضاء لانخراطه في بعض مقاولات إيميل روش Emile Roche أحد كبار المستثمرين الاستعماريين بالمغرب، لكن ما أن استجمعت الحكومة الفرنسية ما كان لديها من النفوذ وأدركت عواقب سياسة بونفاس وأضرابه الوخيمة على المصالح الفرنسية بالمغرب في الحال والاستقبال، حتى عاد الملك الشرعي من منفاه وكان الاستقلال وخرج بونفاس من المغرب بلا سبيل إلى الرجوع فعاد إلى جزيرة كورسيكا وبها مات حتف أنفه في طليعة الستينات.

R. Barrat, *Justice pour le Maroc*, Paris, 1953 ; S. Bernard, *Maroc 1943 - 1956*, Bruxelles, 1963 ; R. Bidwell, *Morocco under Colonial Rule : French Administration of Tribal 1912 - 1956*, London, 1973 ; A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; *L'Afrique du Nord en marche*, Paris, 1952 ; P. July, *Une république pour un Roi*, Paris, 1974.

إبراهيم بوطالب

البونيقية، (الكتابة ـ) يستعمل علماء النقوش كلمة بونيقية Punique للتعبير عن الكتابة الرسمية التي استعملها القرطاجيون. وتتكون هذه الكتابة من اثنين وعشرين حرفا تُكتب أفقياً وتُقرأ من اليمين إلى اليسار وتتميز بغياب الحركات.

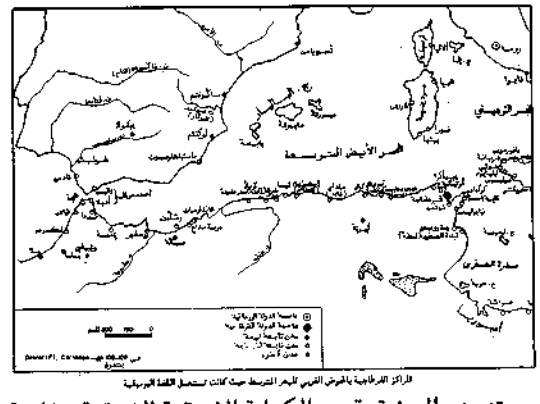

تنحدر البونيقية من الكتابة الفنيقية الشرقية، خاصة كتابة مدينة بيبْل Byblos، نشرها الصوريون في مناطق عديدة من الحوض الغربي للبحر المتوسط. وحلت محل هذه الكتابة تدريجياً بعد سقوط قرطاجة في أيدي الرومان سنة 146 ق. م. كتابة جديدة تسمى بالبونيقية الحديثة Néopunique، التي أضيفت إليها حروف صوامت Consonnes تلعب دور الحركات (J. Ferrier, *I. A. M.*, 1 p. 94) وذلك للإشارة إلى الحركات الممدودة. ويحدد الإبيغرافيون فترة المرور من الكتابة البونيقية إلى الكتابة البونيقية الحديثة ما بين 100 و80 ق. م.

وقد استعمل المغاربة القدماء كلتا الكتابتين، بحيث تم العثور على آثارهما في العديد من المدن المغربية القديمة، إما منقوشة على الصخور، وهي عبارة عن شواهد قبور، أو مكتوبة على قطع وشقوف خزفية أو على النقود.

ففيما يتعلق بالكتابة البونيقية، وهي الأقدم، تَمّ العثور على خمس نقائش بمدينة وليلي Volubilis، محفورة على صخور قطعت من جبل زرْهون. نشرت أربع منها في كتاب النقوش المغربية القديمة الجزء الأول (*I. A. M.*, T. 1)، وتؤرخ هذه النقائش ما بين النصف الثاني من القرن 2 ق. م. وبداية القرن 1 ق. م. والخامسة نشرها أندري جودان André Jodin في كتابه حول وليلي. ونجد في اثنتين من هاته النقائش اسم الشوفيت (suffète) وهو منصب إداري نقله الوليليون عن القرطاجيين على ما يبدو.

كما تم العثور على نقيشتين بونيقيتين بمدينة ليكسوس Lixus، الأولى مزدوجة بونيقي ليبي، تعود للقرن 2 ق. م، وتوجد حالياً بمتحف مدينة تطوان. والثانية بونيقية تعود لما قبل القرن 2 ق. م.

أما فيما يخص الكتابة البونيقية الحديثة فقد كانت أوسع انتشارا، إذ تشمل تقريبا جل المراكز المغربية القديمة. فقد عثر في وليلي على نقيشة بالمعبد ـ ب ـ تعود إلى عهد الملك يوبا Juba II. ونجد عليها اسم Mr'wz، الذي قرأه مورسان بـ Mauroussii ؛ أي من موروسيا (H. Morestin, *Le temple B*, p. 111). كما وجدت نقيشة أخرى بعين شكور شمال وليلي.

إلى جانب هاتين النقيشتين في الكتابة البونيقية الحديثة عثر على شقوف خزفية وفخارية عديدة بوليلي وتاموسيدا Thamusida، وبناسا Banasa، وروسادير (مليلة). وهناك أربعة شقوف بالمتحف الأثري بالرباط تحمل هاته الكتابة، ولكن لا يعرف مصدرها.

بالإضافة إلى هذا نجد الكتابة البونيقية الحديثة على نقود المدن المغربية القديمة، مثل تمودا وليكسوس وطنجة، وعلى نقود بعض ملوكها مثل نقود بكوس Bocchus.

G. Marcy, *Les inscriptions Libyques bilingues de l'Afrique du Nord, Cahiers de la Société Asiatique*, vol. 5, 1936, pp. 90 - 102 ; J. M. Solà Solé, *La inscripcion punico-Libica de Lixus, Sefarad*, T. XIX, 1959, pp. 371 - 378 ; M. Tarradell, *Marruecos punico*, Tetuan, 1960, pp. 114 ; 176 - 177 ; J. Fevrier, *Les Inscriptions puniques et néopuniques, I. A. M.*, T. 1, Paris, 1966, pp. 83 - 129 ; J. Marion, *Les monnaies de Shemes et les villes autonomes de Maurétanie Tingitane au Musée Louis Chatelain à Rabat, Ant. Afr.*, T. 6, 1976, p. 59 ; H. Morestin, *Le temple B de Volubilis*, Paris, 1980 ; A. Jodin, *Volubilis : Regia Iubae*, Paris, 1987 ; M. Gras, (et al...), *L'univers phénicien*, Paris, 1989.

عبدالعزيز أكرير

البونيقيون، Puniques. بونيقي Poeni تسمية أطلقها

الرومان على خصومهم القرطاجيين وهم حفدة الفينيقيين الذين استوطنوا الساحل اللبناني منذ حوالي بداية الألف الثالث قبل الميلاد (*L'univers*, pp. 25 - 28). من العسير الحسم في سبب هذه التسمية لكن الثابت أن المصريين القدماء كانوا يطلقون عليهم اسم فِنْخو Fenkhou أي "الأسيويين"، وأن الشاعر الإغريقي هوميروس Homerus استعمل ألفاظ "فنيقيا Phoinike" للدلالة على البلاد، و"فنيقي Phoinix" أو "فنيقيون Phoinikes" للدلالة على سكانها.

ميز الرومان بين بقايا الفينيقيين الأصليين سكان الشرق وفينيقيي الغرب الذين أصبحوا يتمتعون باستقلال سياسي واقتصادي شبه تام، بعد اضمحلال صور (Tyr) في أعقاب غزوات الكلدانيين (626 - 539 ق. م) والفرس، وخاصة غزوة الإسكندر المقدوني الذي أخضع المدينة سنة 332 ق. م. وأطلقوا على الغربيين اسم "بونيقي Poeni" بدلا من فينيقي، كما سموهم أحيانا بالقرطاجيين Carthaginienses وهم لا يقصدون بذلك سكان قرطاجة فقط إذ أخذ هؤلاء يمتزجون بالسكان المحليين (F. Decret, *Carthage*, pp. 16 - 17).

تذكر الرواية أن مدينة قرطاجة تأسست على يد مستوطنين فينيقيين قدموا من صور (Tyr) تحت قيادة عليشة Elissa انظر (Justin, 18 : 4-6) وذلك حوالي 814 ق. م. حسب رأي معظم الباحثين.

ومما لا شك فيه أن تأسيس هذه المدينة كان شديد الصلة بالسياسة التجارية التي كانت تنهجها المدينة الأم في حراسة وحماية طرق تجارة المعادن المؤدية نحو طرشيش Tartessos والمناطق الواقعة خلف أعمدة هرقل. ويبدو ذلك جلياً من استراتيجية المكان، فهي تراقب السفن العابرة لمضيق صقلية وتعمل على استقبالها أو إبعادها حسب ما تفرضه مصلحتها التجارية، تساعدها في ذلك المراكز الواقعة بجزيرة مالطة والساحل الغربي لصقلية.

سرعان ما استد ساعد قرطاجة وصارت تعمل لحسابها الخاص متبنية المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي ومحتكرة الطرق التجارية أمام خصومها، تقف عائقاً في وجه كل من يسعى إلى اقتحام أسواقها. وترجع أولى الإشارات حول النشاط الاستعماري البونيقي إلى حوالي 654 - 653 ق. م، عندما قام البونيقيون بتأسيس مستعمرة لهم بجزيرة يابسة Ebtsos إحدى جزر الباليار (Diodore, 5 : 16, 2 - 3)، وعندما أصبحوا يلعبون دوراً هاما في السياسة الدولية مستفيدين من انهيار صور.

وصل الفينيقيون إلى السواحل الإفريقية منذ قرون قبل أن يصل إليها الإشعاع البونيقي الذي انتظر أن يكوّن شعب قرطاجة بشمال تونس الحالية دولة متواضعة الأبعاد لكن ذات بأس شديد وبنية قوية لدرجة تحمل عبء الإمبراطورية البحرية دون ارتخاء، مضيفة إليها الحوض الغربي، بطرقه وجزره، والمستعمرات التي ضاعفت عددها في إسبانيا وعلى طول سواحل إفريقيا الشمالية إلى المحيط (J. Carcopino, *Le Maroc antique*, p. 56).

لم تستطع الأبحاث الأثرية التي أجريت بمراكز الساحل الإفريقي التمييز بكيفية واضحة ومضبوطة بين ما هو فينيقي وما هو قرطاجي، ويرجع ذلك إلى كون الحضارة البونيقية احتفظت بكل سمات الحضارة الفينيقية وعملت على تطويرها لدرجة جعلت علماء الآثار يحتارون أمام بعض اللقى لا يدرون مصدرها وهل تنتسب إلى البونيقيين أم إلى الفينيقيين (G. Heurgon, *Rome et la Méditerranée*, pp. 136 - 137) يبقى الاعتماد على المصادر الأدبية هو السبيل الوحيد لتحديد تاريخ تبعية المحطات البونيقية لقرطاجة، ويلاحظ بالنسبة للمغرب أن البونيقيين أخذوا في تعويض الفينيقيين بمراكزه الساحلية وبصفة تدريجية منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد (A. Jodin, *Volubilis*, p. 293)، فإذا ما صدقنا هيرودوت (4 : 42 - 44) أقررنا بأن البونيقيين قاموا بأول طواف بحري حول القارة الإفريقية لحساب فرعون المصري نخاو الثاني (Néchao II, 610-594). ومما لاشك فيه أنهم نزلوا ببعض مراكزه الساحلية على الضفة الأطلسية، ولاسيما بتنجس (Tingis) وليكسوس (Lixus) إبان هذه الرحلة البحرية. وفي الفترة اللاحقة قامت قرطاجة برحلات بحرية استكشافية أخرى فيما وراء أعمدة هرقل، كانت إحداها (رحلة حنون) تستهدف السواحل الغربية لإفريقيا، وقد وصل البونيقيون خلالها حسب اعتقاد بعض الدارسين إلى السنغال وخليج غينية.

ومن خلال أولى المعاهدات التي عقدتها قرطاجة مع روما والتي قدم لنا المؤرخ اليوناني بوليبيوس Polybius بنودها (3 : 1 - 22)، نستشف، أن العاصمة البونيقية كانت في نهاية القرن السادس قبل الميلاد تهيمن على السواحل الإفريقية الواقعة غرب رأس سيدي المكي (Beau Promontoire). وقد منعت الرومان من الاتجار معها ولو اضطراراً، إذ لا يمكنهم "بيع أو شراء أي شيء ما عدا ما يمكن من إصلاح السفينة ... أو تقديم قربان". وأصبحت قرطاجة تعتبر القطر الافريقي منطقة نفوذ خاصة بها بموجب المعاهدة الثانية المبرمة في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد (Polybe, 3 : 1-24) وتمنع الرومان من النزول بها منعا باتاً. وعند حديثه عن دوافع الصراع الروماني القرطاجي، صرح المؤرخ اليوناني بأن القرطاجيين كانوا يبسطون نفوذهم على كل السواحل الإفريقية (Polybe, I, 1-10).

ويبدو أن السيطرة استغرقت سنوات عديدة استقطبت خلالها العاصمة البونيقية الأسواق الفينيقية القديمة وأحدثت أخرى استجابة للضرورة التجارية والملاحية. وإذا ما ركزنا اهتمامنا على المغرب يصح لنا أن نتساءل عن طبيعة العلاقات البونيقية ـ المورية (المغربية) وعما إذا كان الأمر يتعلق بمخطط بونيقي يرمي إلى السيطرة على المراكز المغربية.

ومما لا شك فيه أن البونيقيين فكروا في الوصول إلى المغرب لموقعه الاستراتيجي القريب من إيبيريا الغنية بوفرة معادنها، وكذلك لتنوع مواده الفلاحية والمعدنية ووقوعه في طريق الذهب الإفريقي. فما هي الدلائل التي تؤكد الوجود البونيقي في بعض جهات المغرب ؟.

إن ما كتبه القدماء حول الوجود البونيقي في المغرب قليل جداً، يشوبه الغموض ويغلب عليه الطابع الأسطوري، مما يصعب معه اتخاذ أي موقف حاسم في أي مشكل في غياب الدلائل الأثرية.

1 ـ رحلة حنون : الهدف منها إحياء المراكز الفينيقية القديمة وإقامة مراكز أخرى جديدة على الساحل الأطلسي المغربي (انظر نص الرحلة في J. Desanges, *Recherches*, pp. 392 - 396). ورغم ما يكتنف نص الرحلة من شكوك فإن هذا النص ذو أهمية كبيرة لما يزودنا به من معلومات عن قرطاجه وعن الرحلات البحرية القديمة. إن عددا كبيرا من الباحثين قالوا بأن الرحلة، وقعت حقيقة. واتفقوا على أن النص الإغريقي (للرحلة) مأخوذ عن أصل بونيقي كان منقوشا على لوح من البرونز ومعروضا بمعبد كرونوس لكنه اختفى مع تدمير قرطاجة سنة 146 ق. م.

أشار النص في الفقرات من الثانية إلى الثامنة إلى إنشاء مراكز بونيقية على الساحل الأطلسي المغربي، إلا أن معظم الباحثين الذين حاولوا تحديد مواقع هذه المراكز انطلقوا من معطيات نظرية حول الرحلة واعتمدوا على النصوص اللاحقة وعلى بعض المعطيات الجغرافية المستنبطة من نص الرحلة. والراجح في اعتقادنا أن المراكز البونيقية التي أقامها حنون، شأنها في ذلك شأن المراكز الفينيقية السالفة، بنيت على أنقاض بعض المراكز المحلية على الشريط الساحلي الممتد بين طنجة (Tingis ou Tingi) ومصب نهر اللكوس، كما نرجّح من جهة أخرى أن جزيرة كرني Cerné الواردة في النص هي جزيرة الصويرة (موگادور) نظراً لخصوصيات هذه الجزيرة القريبة من البابسة (على بعد 900 متر) ولوجود بعض البقايا الأثرية كالخزف الفينيقي والخزف الأتيكي ـ نسبة لأتيكا ببلاد اليونان القارية ـ انظر (F. Villard, *Céramique grecque*, p. 17).

وإلى جانب نص رحلة حنون هناك إشارات أخرى قديمة تميط اللثام عن الوجود البونيقي بالمغرب القديم. فهيرودوت (Hérodote, 4 : 196) يشير إلى تجارة الذهب الصامتة التي كانت تتم بين البونيقيين وسكان ليبيا ممن هم خلف أعمدة هرکليس (مضيق جبل طارق). ولا يستبعد أن تكون هذه التجارة قد تمت في جزيرة الصويرة (كرني) (انظر A. Jodin, *Mogador*, p. 29).

ويشير بسودو سكيلاكس (*Périple du Pseudo Scylax* 111 F 94) في نص رحلته إلى أن كل المراكز الواقعة على طول الساحل المتوسطي من قرطاجة إلى أعمدة هرکليس كانت تحت سيطرة العاصمة البونيقية، خصوصاً وأن المراكز الفينيقية بهذه الجهات كانت في حاجة إلى من يدافع عنها (انظر S. Gsell, *H.A.A.N.*, T. 1, p. 457) وهو ما يفسر الحروب التي خاضها حنون في بلاد الموريين والنوميديين حسب ما أورده جوستينوس، (انظر Picard, *Vie et mort*, p. 89 ; Warmington, *Civilisation*, p. 73). ويضيف ديون كريزوستوم (Dion Chrysostome, *Discours*, 25) بهذا الصدد أن حنون هذا "حوّل القرطاجيين من صوريين إلى ليبيين، وأصبحوا بفضله يعيشون بإفريقيا بدلا من فينيقيا... وحازوا أسواقاً وموانئ عديدة... وبسطوا سيطرتهم على البر والبحر".

وبالإضافة إلى هذا يشير جو ستينوس (Justin, XXI, 4) إلى أن أحد الملوك الموريين (المغاربة) لبى دعوة حنون القرطاجي لتعزيز قواته العسكرية في بداية القرن الرابع قبل الميلاد. كما يذكر ديودور الصقلي في عدة أماكن (Diodore, 13 : 44 ; 13 : 80) أن الجيش البونيقي كان يضم في نهاية القرن الخامس عناصر ليبية بوصفهم جنوداً نظاميين لا مرتزقة، كما أشار إلى اندلاع ثورات قام بها ليبيو القطر البونيقي عند بداية القرن الرابع قبل الميلاد.

إن التنقيبات والحفريات التي قام بها علماء الآثار ببعض مواقع الساحل المتوسطي المغربي لم تكشف عن كثير من الآثار القديمة عموما والبونيقية على الخصوص، وذلك راجع إلى طبيعة الساحل الصخرية التي تحول دون وجود خلجان تساعد على رسو السفن وبالتالي قلة عدد المراكز الأثرية، وترجع ضآلة هذه الآثار من جهة أخرى إلى ضعف وقلة الأبحاث الأثرية بالمنطقة.

* روسادير Rusaddir (مليلة) هي أولى المراكز على الساحل المغربي ذكرها كل من بلينيوس القديم (Pline, 5: 9) وبطوليمايوس (Ptolémée, 4 : 1-3)، وتعني الكلمة باللغة الفينيقية "الرأس الكبير". البقايا البونيقية قليلة جداً في هذا المركز، وتنحصر في مقبرة سان لورنزو (San Lorenzo) التي عثر بها على مواد تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد.

* في ناحية تطوان توجد ثلاثة مراكز تعود إلى الفترة البونيقية : إمسا Emsa شرق رأس مزاري على مصب نهر إمسا، وهو عبارة عن مركز صغير يعود إلى حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، ضبط علماء الآثار موقعه، غير أنهم لم يتمكنوا من التعرف على اسمه القديم فأطلقوا عليه اسم النهر القريب منه، شأنه في ذلك شأن موقع سيدي عبدالسلام دلْبحر على مصب واد مارتيل حيث عثر طراديل على الخزف الفينيقي ذي الطلاء الأحمر وعلى الأمفورات البونيقية أو أمفورات الأقواس العتيقة، (انظر M. Tarradell, *El Poblamiento ; Marruecos*, p. 81 et 92) وهي نفس اللقى المستخرجة من الموقع السابق إلا فيما يخص الخزف ذا الطلاء الأحمر الذي قد يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

وثالث هذه المراكز هي تمودا Tamuda الواقعة على الضفة اليمنى لوادي مرتيل الذي كان قابلا للملاحة في

القديم. ويبدو من خلال البقايا التي عثر عليها المنقبون أن تمودا لم تكن موجودة قبل القرن الثاني قبل الميلاد، (انظر P. Cintas, *Contribution*, p. 68) أما فيما يخص الوجود البونيقي بها فيتضح من خلال بعض الأبحاث التي أجريت بعين المكان أنه غير وارد باستثناء بعض قطع النقود ذات الطابع البونيقي (A. Quintero, *Excavaciones*, p. 12).

إذا ما استثنينا طنجي (طنجة) المعروفة كمركز فينيقي ثم بونيقي لموقعها الهام على المضيق الفاصل بين البحرين المتوسط والمحيط، نجد أقرب مركز لها على الواجهة الأطلسية هو "القواس". ولا يستبعد أن يكون القواس أحد المراكز الحنونية التي أشار إليها نص رحلة حانون (Ponsich, Kouas, p. 404).

ليكسوس Lixus على الضفة اليمنى لنهر اللكوس. وحسب ما هو وارد في رحلة سكيلاكس، فقد كانت مدينة فينيقية على مقربة من مركز محلي، وكانت تسمى كذلك "ليكش" حسب النقوش النقدية بالحروف البونيقية المتأخرة Néopuniques. ويبدو من خلال الحفريات التي أجراها طراديل Tarradell بالمدينة أنها عرفت خمسة مستويات للتعمير، أقدمها المستوى الخامس الذي يحتوي على المخلفات الفينيقية ـ البونيقية، ثم المستوى الرابع الذي عثر فيه على مصباح بونيقي.

وعلى العموم أثبتت الأركيولوجيا أن البقايا الفينيقية في المركز تعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، وأن المرحلة الفينيقية ـ البونيقية توقفت في نهاية القرن الثالث أو بداية الثاني لتبدأ مرحلة جديدة سماها طراديل بالمرحلة البونيقية ـ الموريطانية (Punico-maurétanienne).

وفيما يخص الشريط الساحلي الممتد بين ليكسوس وجزيرة الصويرة (موگادور) أسفرت التنقيبات به عن بعض البقايا البونيقية كما هو الحال في مولاي بوسلهام. وتبقى هذه المخلفات ضئيلة إذا ما قورنت مع مثيلاتها بباقي المناطق والمراكز.

ويرجع الفضل في الكشف عن التاريخ القديم لجزيرة الصويرة إلى الأبحاث الأثرية، لأن النصوص القديمة لم تتحدث عنها، ولم تنل حظاً مما كتبه الأقدمون. فقد انطلق التنقيب بها منذ بداية الاستقلال تحت إشراف كوبرلي Koeberlé ثم حل محله جودان Jodin الذي نشر نتائج حفرياته (*Les établissements du roi Juba II...*, 1967) وقسم تاريخ الجزيرة إلى مرحلتين أساسيتين :

ـ المرحلة الأولى من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن الخامس.

ـ المرحلة الثانية تبدأ مع عهد يوبا الثاني (30 ق. م ـ حوالي 24 م).

وتفصل بين المرحلتين حقبة يرى الباحثون أن المركز شهد خلالها فراغاً قبل أن يعرف الازدهار على عهد يوبا الثاني الذي أقام به صناعة الأرجوان. ومن الصعب جداً القول إن البونيقيين استقروا بموگادور بناء على المعطيات الأثرية التي توصل إليها المنقبون إلى وقتنا هذا وإن بعض الدارسين يرون أنها جزيرة كرني التي تحدث عنها نص رحلة حنون. انظر : (A. Jodin, *Mogador*, p. 29).

عثر على بعض البقايا البونيقية وخاصة النقائش في تموسيدا ويناسا ولا سيما بوليلي التي احتضنت العديد من هذه النقائش وبعض سمات الحضارة البونيقية التي تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد. انظر : (J. P. Fevrier, *Inscriptions puniques*, *I.A.M.*, 1, p. 83 - 100).

وهكذا كشفت الأبحاث الأثرية التي أجريت بوليلي في مختلف الحقب عن وجود أربعة نصب جنائزية (Stèles Funéraires) ونصب نذري (Stèle Votive) كلها منقوشة باللغة والحروف البونيقية (Jodin, *Volubilis*, p. 48 - 49) وهو دليل مادي على وجود البونيقيين بالمدينة بحكم وجود مدفنهم، خصوصا إذا ما علمنا أن نصبين اثنين من بين هذه النصب يضفيان على صاحبيهما صفة "قاض" أو "شوفيط Sufète"، بل إن أحدهما يشير إلى وجود نظام الشوفيط كمؤسسة بونيقية بوليلي. وتضمّ هذه النقيشة أربعة أسطر على الشكل التالي :

... SWYTMKN S PTHSETMKL...
BN HYMLL BN MLWYTNK HSPT BN R...(BN)
RS HSPT BN YMSTN HSPT BN MKLL...
... BN SNT S (SM) WSBE LM YSHB

ويمكن ترجمة وتأويل النص إلى ما يلي :

"هذا نصب قبر SWYTNKN الشوفيط الذي أقامه MKL d بن HYMLL بن MLWYTNK الشوفيط بن R بن RS الشوفيط بن YMSTN الشوفيط بن MKLL... بن SNT عمره سبع وستون سنة. لا ينقل (النصب). (انظر : A. Jodin, *Volubilis*, p. 210 - 211).

ويبدو من خلال هذه النقيشة أن منصب الشوفيط كان وراثيا أو أن هذه الأسرة مارست هيمنتها على الأهالي منذ منتصف القرن الثالث قبل الميلاد اقتداء بالقرطاجيين (A. Jodin, *Volubilis*, p. 211 - 212). ومما يرجح ذلك العثور بفوروم وليلي سنة 1915 على نقيشة لاتينية يتضح من خلالها أن انتقال السلطة التنفيذية إلى الرومان بالحاضرة المورية كان تدريجياً وأنها استمرت في قبضة نفس الأسرة على ما يبدو. فماركوس فاليريوس سيفروس Marcus Valerius Severus كان خلال ثورة أيديمون Aedemon حوالي منتصف القرن الأول الميلادي يتقلد منصب الشوفيط بالمدينة وهو ما يمكن استنتاجه من نص النقيشة :

M. VAL. BOSTRIS
F. GAL. SEVERO
AED SVFETI II VIR
FLAMINI PRIMO
IN MVNICIPIO SVO
PRAEF AVXILIOR ADVERSVS AEDEMO

"إلى ماركوس فاليريوس سيفروس، ابن بوستار، من قبيلة گاليريا العمدة، الشوفيط، ثاني الحاكمين، الكاهن الأول في مستلحقته، قائد الجيوش المساعدة التي تصدت لأيديمون ...الخ".

وأسفرت الاستبارات التي أجريت بوليلي ما قبل الرومانية عن وجود فخار بونيقي أوذي سمات بونيقية تم صنعه محليا، كما يلاحظ من الناحية المعمارية أن منازل هذا الجزء من المدينة متأثرة بتصاميم المنازل القرطاجية المتميزة بترتيب بيوتها حول ممر أو ساحة، وبعدم توفرها على نوافذ تطل على الخارج (A. Jodin, p. 157 - 178 - 256 - 257).

ومن خلال ما سبق يتضح أن البقايا البونيقية كانت متميزة وواضحة في المغرب سواء على الساحل أو في الداخل فهل يمكن من خلالها الحديث عن وجود سيطرة بونيقية على المغرب كما يدعي البعض ؟ (Picard, *Vie et mort*, p. 89).

إذا كانت اللقى البونيقية التي عثر عليها بداخل المغرب وخاصة بوليلي لا تعود إلى الفترة السابقة للقرن الثالث قبل الميلاد، فمعنى هذا أن الوجود القرطاجي على السواحل الإفريقية قبل اندلاع الحروب البونيقية كانت الغاية الأساسية منه هو خلق مراكز لتوقف الأساطيل التجارية المتجهة نحو مصادر المعادن الثمينة بإيبيريا وشمال غرب أوربا (cassitérides) من جهة، وبغرب إفريقيا من جهة ثانية، وتعميرها.

وإذا ما لاحظنا أن الهدف الرئيسي من رحلة حنون (يعتقد أنها وقعت عقب انهزام البونيقيين في معركة هيميرا سنة 480 ق. م) هو تعمير الساحل الأطلسي المغربي في إطار السياسة التوسعية التي كان ينهجها الماگونيون بعد انهزامهم أمام إغريق الغرب، فإن هزيمة البونيقيين أمام الرومان واستقبال قرطاجة للمزيد من مواطنيها المطرودين من جزر صقلية وسردينية وكرسيكة وهي في حالة اقتصادية مزرية من جراء الخسائر الناجمة عن مواجهة الرومان ثم المرتزقة من جيوشها، أدت بأهل برقة ولا شك إلى البحث عن أماكن جديدة لإيوائهم وتعويض خسائرهم.

حقيقة أن القطر الذي وقع عليه الاختيار لهذه الغاية هو إيبيريا، لكن يبدو أن الضفة الجنوبية للمضيق الفاصل بين أوربا وإفريقيا لم تبق بعيدة عن اهتمامات البرقيين، لا سيما وأنها تضم طنجة وليكسوس أقدم المستعمرات الفينيقية ـ القرطاجية بالمنطقة. فلا شك إذن أن البونيقيين كانوا على اتصال وثيق بسكان المدينتين وبمختلف شرائح الموريين بالمغرب القديم، ويتضح ذلك جلياً من خلال ما ذكره بوليبيوس (3 : 33.1) عند حديثه عن الاحتياطات التي اتخذها حنيبعل برقة قبل مهاجمته لروما، فقد كان جل جنوده من أصل شمالي إفريقي من بين النوميديين Massyles والماسيسوليين Massaesyles والموريين Maures، ويضيف أن الجنود الإيبيريين الذين أرسلهم إلى إفريقيا استقر معظمهم بميتاگونيا Métagoniun، وأن حنيبعل جند أربعة آلاف محارب من بين الميتاگونيين وأرسلهم إلى قرطاجة لتقوية الحامية العسكرية بها واستعمالهم كرهائن لضمان ولاء بلادهم.

وإذا ما صدقنا سترابون (3 : 170) الذي نقل عن إراتوستين Eratosthène الجغرافي المعاصر لحنيبعل، فإن عمود هيراكليس الإفريقي (أبيلا) ينتصب فوق أراضي الميتاگونيين أي بشمال المغرب بين طنجة وجبال الريف. وعلى هذا قد يكون البرقيون فرضوا سيطرتهم على جزء من موروسيا المتاخمة للساحل الأطلسي على حد قول بوليبيوس (3 : 33.1) وميتاگونيا المتاخمة للساحل المتوسطي على حد تعبير إيراتوستين، ولربما أدى هذا إلى إثارة حقد الموريين الذين ساندوا سيفكس في حربه ضد البونيقيين سنة 213 ق.م. (Tite-Live, 29 : 30-1-4). كما ساعدوا ماسنيسا على الوصول إلى بلاده عند عبوره من إيبيريا إلى إفريقيا بهدف مواجهة البونيقيين وقد صار حليفا للرومان (Tite-Live, 29 : 30-1-4)، فما هي الأخطار التي خشيها مسنيسا هذا عند عبوره أراضي المغرب القديم ؟ هل يتعلق الأمر بالوجود البونيقي في الشمال ؟ لا سيما وأن المؤرخ الروماني يذكر أن القوات المورية اكتفت بمرافقة الأمير الماسيسولي إلى حدود بلاده.

ووجود النقائش البونيقية إلى جانب النقائش الليبية بوليلي خير شاهد على ازدواجية ساكنة المدينة وتركيبها من الأهالي والبونيقيين منذ القرن الثالث قبل الميلاد على الأقل، مما يحمل على الاعتقاد أن بعض الرواد البونيقيين انطلقوا من ليكسوس وبناسا نحو الجنوب الشرقي حيث أسسوا المدينة عند قدم زرهون (Jodin, *Volubilis*, p. 229 - 299 - 300 ; A. Luquet, *Le Maroc punique*, p. 240 - 250 - 257 - 293).

وإذا ما أخذنا بالرأي القائل بعدم وجود سيطرة بونيقية على بعض أجزاء المغرب القديم خلال النصف الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد، فلا يمكننا أمام الدلائل الأثرية إنكار وجود جاليات بونيقية على الأقل بالمراكز الساحلية وبعض المدن الداخلية لجأت إليها في أعقاب الحرب البونيقية الأولى فراراً من الغزو الروماني لصقلية وكرسيكة وسردينية والفاقة التي أصبحت تعيشها قرطاجة، فضلا عن الاكتظاظ السكاني الذي أصبحت تعرفه الأراضي البونيقية بتونس الحالية.

H. Basset, *Les influences puniques chez les berbères*, R. A., 1921, p. 340 - 374 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, 2ème éd., Paris, 1948 ; P. Cintas, *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique*, Rome, 1978 ; J. P. Desjacques, P. Koeberle, *Mogador et les Iles Purpuraires*. *Hesp.*, XLII, 1955, p. 193 - 202 ; M. Euzennat, *Héritage punique et influences gréco-romaines au Maroc à la veille de la conquête romaine*, in *Actes du VIIIème congrès international l'archéologie classique*, Paris, 1963, p. 261 - 278 ; M. Fantar, *Phénicien et punique en Méditerranée occidentale*, R. A., 1973, p. 182 - 183 ; J. P. Fevrier, *Inscriptions puniques du Maroc*, *BCTH* (1955 - 1956), 1958, p. 29 - 35 ; *I.A.M.*, 1, p. 83 - 100 ; *Volubilis* ; *Inscriptions puniques et néo-puniques*, in *Inscriptions antiques du Maroc*, Paris, 1966, p. 81 - 132, T. 1 ; Garcia y A. Bellido, *Fenicios y carthagineses en occidente*, Madrid, 1942 ; Gras (et al...), *L'Univers Phénicien*, Paris, 1989 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Osnabruck, T. 1 et 2, 1970 ; A. Jodin, *Mogador : Comptoir phénicien du Maroc atlantique*, Rabat, 1966 ; *Bijoux et amulettes du Maroc punique*,

BAM, VI, 1966, p. 55 - 90 ; *Les établissements du Roi Juba II aux Iles Purpuraires, Mogador*, Rabat, 1967 ; *Volubilis Regia Iubae*, Paris, 1987 ; A. Luquet, *Contribution à l'Atlas Archéologique du Maroc : le Maroc punique*, *BAM*, T. IX, 1973 - 1975, p. 237 - 293; G. et C. Picard, *Vie et mort de Carthage*, Paris, 1970 ; M. Ponsich, *Fours de potiers puniques en Maurétanie Tingitane*, *Acta del Congreso Nacional de Arqueologia* (Mahòn 1967), Saragosse 1969, p. 270 - 279 ; *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région*, Paris, 1970; J. M. Sola Sole, *La inscripcion punico-Libica de Lixus*, *Sefarad*, XIX, 1959, p. 371 - 378 ; M. Tarradell, *Las excavaciones de Tamuda de 1949 a 1955*, *Tamuda*, IV, 1956, p. 71 - 85 ; *La necropolis punico-mauretania del Cerro de San Lorenzo en Melilla*, *I Congreso Arqueologico del Marruecos español, Tetuan 1953*, Tetouan, 1956, p. 253 - 266; *El poblamiento antiquo del Valle del Rio Martil*, *Tamuda*, T. 5, 1957 ; *Marruecos punico : Historia de Marruecos*, Tetouan, 1960 ; *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : Region de Tetouan*, *BAM*, VI, 1966, p. 425 - 443 ; F. Villard, *Céramique grecque du Maroc*, *BAM*, T. 4, 1960 ; B. Warmington, *Histoire et civilisation de Carthage*, Paris, 1961.

عبدالرحمان اليوبي وعبداللطيف البرينسي

بونيلي، هيرناندو، إميليو Bonelli, Hernando Emilio

عسكري إسباني، ولد بسرقسطة سنة 1854. وفي سنة 1871 انتقل مع أبويه إلى طنجة حيث تعلم اللغة العربية الدارجة ثم قام بجولة استطلاعية عبر شواطئ المغرب الموالية للمحيط الأطلنتي خلال ثلاث سنوات. وفي سنة 1874 التحق بالأكاديمية العسكرية في مدريد حيث تخرج برتبة ضابط صف سنة 1878، وفي سنة 1882 كلف بمهمة سرية من طرف حكومته قام خلالها بزيارة مدن الرباط وفاس ومكناس والقصر الكبير والعرائش وطنجة رُقِّي على اثرها لدرجة ملازم.

Don Emilio Bonelli.

وفي سنة 1884 أحيل على فرقة الجيش الاحتياطية بطلب من الشركة الإسبانية للمستفرقين والمستعمرين Sociedad Española Africani التي كلفته بالقيام بعملية استطلاعية بشاطئ الصحراء المغربية الموالي للجزر الخالدات، فقام بجولة بحرية وبرية من رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة)، فاختار ثلاث بقع بذلك الشاطئ أقام فوق كل واحدة منها كوخاً من خشب وضع عليه راية إسبانية، وأصدرت الحكومة الإسبانية في 26 ديسمبر من نفس السنة بلاغا بقرارها بسط حمايتها على شاطئ الصحراء الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض.

وفي شهر يناير من سنة 1885 شرع بونيلي في بناء مركز الداخلة بالحجارة، فهاجم السكان المركز يوم 9 مارس وحطموا البناء وأحرقوا الكوخ ونهبوا الامتعة وقتلوا بعض الإسبانيين وأسروا البعض الآخر، بحيث لم ينجُ منهم إلا من كان على ظهر السفينة الراسية بمياه الداخلة تمكنوا من الفرار واللجوء إلى الجزر الخالدات، وعرف نفس المصير كوخ سينطرا Cintra وكوخ الگويرة.

وبعد ثلاثة أشهر أُذن لبونيلي في العودة إلى الداخلة معززاً بكتيبة يرأسها القبطان خوسى شاكون Jose Chacon.

وفي يوم 10 يوليوز عين بونيلي مندوبا ملكيا Conusario بالشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض. وفي 10 أكتوبر سلمت شركة المستفرقين حصن بيبا سيسنيروس إلى الحكومة الإسبانية التي قامت باحتلاله عسكريا يوم 16 ديسمبر سنة 1885.

وقد استقبل بونيلي بالداخلة يوم 14 ماي 1886 البعثة التي أرسلتها الشركة الجغرافية الإسبانية Sociedad geografica española. فوصلت إلى أدرار التمار وسبخة إيجيل، حيث زعمت أنها حصلت على موافقة أمراء أدرار على وضع إماراتهم تحت حماية إسبانيا في وثيقة حررت يوم 12 يوليوز 1886.

ونظرا للهجومات المتوالية التي تعرض لها حصن الداخلة قررت الحكومة الإسبانية يوم 6 أبريل 1887 إلحاق الشاطئ الصحراوي الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض بالقيادة العسكرية العامة بالجزر الخالدات، فأصبح بونيلي يحمل لقب نائب الحاكم السياسي والعسكري لوادي الذهب.

وفي سنة 1899 أُعفي بونيلي من منصبه حيث عين نائباً لرئيس عصبة المستفرقين الإسبانيين وعضواً في الجمعية الجغرافية الإسبانية بمدريد إلى أن مات سنة 1926، وكان قد ألف كتاباً بعنوان *الصحراء* *El Sahara* طبع بمدريد سنة 1887.

E. Bonelli, *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara*, *Bol. Soc. Geogr.*, Madrid XVIII, 1885, 333 - 354 ; *El Sahara*, Madrid, 1887 ; J. Cervera, *Epedicion al Sahara : De Rio de Oro a Iyil*. *Rev. geogr. comercial* II num. 25 - 30, Madrid, Julio-septiembre 1886, 1- 6; F. Quiroga, *El Sahara occidental y sus moradores*, *Rev. Geogr. comercial* II num. 25 - 30 (Madrid, Julio-septiembre 1886) 66 - 72 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña : Ifni-Sahara*, Madrid, 1941.

محمد ابن عزوز حكيم

البُونيَّة، وتسمى أيضا (بُونداف) : عبارة عن جلباب قصير جداً يشبه المعطف يصنع من الصوف الخشن، ظهر شمال المغرب حوالي القرن الحادي عشر (17 م) أو بعده بقليل حسب الإشارات التي لمّحت إليه في بعض كتب التراجم، وانقرضت البونية نهائيا خلال الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري، عندما سيطر المعطف الأوربي Les trois quarts بالأسواق المغربية.

كانت البونية تحاك وتستعمل بالخصوص بمنطقة المثلث الجغرافي لشمال المغرب الواقع بين مدن فاس وتازا ووزان، وكانت مدينة فاس تعتبر مركز إنتاج وتصدير البونية إلى

الأسواق المجاورة لها داخل المثلث المذكور.

كانت المادة التي تعتمد عليها معامل الدرازة (الحياكة) في إنتاج البونيّة هي خيوط الصوف الخشنة التي تتجاوز في خشونتها ضعف سمك الخيط الذي تحاك منه بطانية الصوف التقليدية أحياناً. فخيط البونية الصوفي خيط تقليدي تغزله النساء، فكانت الصوف والغزل والحياكة كلها أصلية محلية تشغّل المجتمع برجاله ونسائه في البيوت والمعامل.

لم يكن يتجاوز طول البونية (بونداف) مستوى الركبة تقريباً ولها كمان قصيران لا يتجاوزان المرفق إلا بقليل، يضيقان أو ينحرفان إلى الضيق عند نهايتهما الخارجية، بالإضافة إلى "قُبّ" صغير.

وإذا كان اسم (بونداف) يدل على الخشونة حسب التعبير المحلي، فإن اسم (البونية) قد يدل على الأصل مثل اسم الفاسية والمراكشية والوجدية، وكذلك البونية على ما يظهر. فهل تكون البونية نسبة إلى بونة في الجزائر ؟.

إن الجزائريين لا يستعملون غطاء الرأس "القب" فهل يكون أهل المغرب الأقصى طوروها بعدما استوردوا شكلها الأصلي من بونة ؟.

على أن هناك شكلا مماثلا للبونية سواء في مادته الصوفية وخشونتها أو شكله القصير دون "قبّ" ما يزال مستعملا - وإن كان نادراً - بمدينة شفشاون يقال له (الوَنْديّة). لقد كانت الوندية منتشرة في شمال المغرب كله بمدنه وقراه. ثم انقرضت بدورها تقريبا، ولم يبق منها اليوم إلاّ نماذج قليلة عند بعض الشاونيين الذين يحبون التشبث باللباس الأصيل. والوندية ليس لها كمان أو "قبّ"، وإنما هي عبارة عن معطف صوفي قصير جداً يشبه (البدعية) غير مفتوح من الأمام، وإنما يقف عند الكتفين عرضا وعند الركبتين طولا. وربما كانت الوندية هي أصل البونية، فهما معاً كانتا تلبسان في الفصول الباردة عند القيام بالأشغال التي تتطلب الحزم والقوة كالحروب والحراثة والصناعات التي تقتضي خفة الحركة والجهد والانضباط.

ورد في ترجمة الشيخ علي التسولي مديدش (ت 1258هـ) أنه كان يلبس (بونداف) فوق القفطان، كما كان يلبسه غيره من العلماء والصالحين من رجال التصوف كرمز للاستعداد للجهاد والأعمال المنتجة المفيدة.

أخذ لباس البونية يتقلص منذ الحرب العالمية الثانية لحساب انتشار المعاطف الأوربية التي اكتسحت الأسواق المغربية مع غيرها من الملابس الإفرنجية التي كانت تنتشر بسرعة مع فكرة العصرنة والانقلاب الذي أحدثته في ذوق المغاربة وعاداتهم (حيث أصبحت العصرنة ترادف تقريباً الفرنجة)، وكان ذلك يدل على الانقلاب السائر في نظام الاقتصاد المغربي برمته الذي أصبح يخرج من وضعيته الأصلية المستقلة إلى وضعية أجنبية تبعية (افرنجية)، وانتهت حياكة البونية نهائياً خلال الستينات من هذا القرن.

ع. اللجائي، *الفاخر العلية*، مخطوط ؛ م. الكتاني: *سلوة روايات شفوية*.

أحمد العَماري

بُوهَاشم، جبل بأرض قبائل بني عروس وبني يَسَفْ وبني ليت وألأخماس، يعدُّ صلة وصل بين جبل العلم وجبل

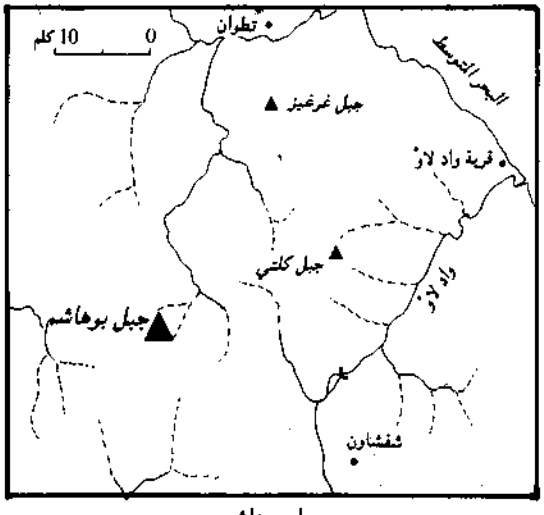

جبل بوهاشم

السكنة ويقدر ارتفاعه بـ 1597 م. توجد به منابع وادي المخازن أحد روافد نهر اللوكوس. وبجبل بُوهَاشم اعتصمت الفئة الأخيرة من المجاهدين الريفيين إلى أن أرغمتهم الغارات الجوية للطيران الإسباني على الاستسلام في شهر يوليوز سنة 1927 م.

ع. بنعبدالله، *معلمة المدن والقبائل*، 15.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 30 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 70.

بُوهَاني، أسرة أصلها من غمارة كانت بتطوان سنة 1901/1319، ومن بين أفرادها حدّاد ماهر يصنع أنابيب المكاحل يدعى عبد السلام بُوهاني، وقد توفي سنة 1901/1319.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

بوهاني، من قرى بني گرفط الرئيسية، واقعة على السفح الغربي من الجبل، بين قريتي الخطوط ولهرة. دُورها موزعة على منابع واد تركونت من روافد واد المخازن الثانوية. وفي آخر القرن التاسع (15 م) احتلت المكانة الأولى ضمن قرى القبيلة الگرفطية، إلا أنها فقدت تدريجياً أهلها بسبب ضغط جنود أصيلا عليها، مما دفع بالسكان إلى التراجع نحو جبال بني عروس شرقا، شأنهم في ذلك شأن أهل سائر القرى المعرضة آنذاك للغزو البرتغالي.

وحتى بداية القرن العاشر كانت ما تزال آهلة، وتعرضت للغزو باستمرار ولسنوات متوالية ممتدة خلال الوجود

البرتغالي بأصيلا، غير أن هذا لم يؤثر على السكان إلى درجة إخلاء القرية نهائياً. وقد استقرت بها أسر إدريسية، كأولاد عيسى الشريف وأولاد هرار. وتسمي *حوليات أصيلا* القرية باسم : Agoni.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، ص 55 ؛ *تقييد عن شرفاء بني عمران بالقبائل الهبطية*، ص 8، مخطوط خ. ع.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 29 - 55 - 56 - 207 - 208 ; 2: 66 - 83 - 86 - 129.

حسن الفكيكي

البوهالي، بن **القائد** بن أحمد، مقاوم ولد سنة 1934 بدوار الروامش بالسماعلة، إقليم خريبكة. شارك في صفوف المقاومة السرية المغربية وعمل ضمن منظمة "أسود التحرير" تحت مسؤولية المناضل علي بن سعيد بمدينة الدارالبيضاء من 25 شتنبر 1954 إلى 23 غشت 1955.

ساهم في تنفيذ عدة عمليات فدائية مع إخوانه المجاهدين المنتمين إلى خلية فتح الله، كالهجوم على مركز المياه والغابات لأخذ السلاح، وإضرام النيران في عدة مراكز للمعمرين إلى أن استشهد يوم 23 غشت 1955 إثر إصابته برصاصة قاتلة.

كتاب شهداء الاستقلال، ج 2.

بُوهَرْوَال، صالح بن البشير، مقاوم ولد سنة 1920 باغواطم، وانخرط بإحدى فرق المقاومة بتاحنّاوت ناحية مراكش، وعمل تحت مسؤولية لحسن بن محمد السكليس، إلى أن تم اعتقاله على إثر عملية وضع قنبلة، تعرض لأنواع التعذيب على يد الدرك الفرنسي إلى أن لفظ أنفاسه خلال شهر أكتوبر من سنة 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، ج 1.

عزالدين العلام

بوهلال، أسرة فاسية عريقة، انتقل بعض أفرادها في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) إلى كل من تطوان، والرباط، والصويرة. أول من استوطن تطوان من أولاد بوهلال الحاج الطيب بن الحسن لأجل الخدمة المخزنية، وتزوج بها امرأة من آل الحسن وأنجب الأولاد.

أما أولاد بوهلال الرباطيون فهم فريقان، الأول أبناء عبد المجيد وهم السابقون إلى سكنى الرباط، والثاني أبناء محمد بن علال، وهو فقيه ناسك وتاجر نبيه، تجاني الطريقة، جاء إلى الرباط لزيارة الصالح سيدي العربي ابن السايح، وكان له فيه محبة واعتقاد كبير، فرغّبه هذا الشيخ في إطالة المقام عنده، وكلما استأذنه في العودة إلى فاس طلب منه مزيداً من الانتظار وانتهى الأمر بمحمد بن علال إلى الاستقرار نهائياً بمدينة الرباط، ونقل إليها أولاده ومتاعه. وأسند إليه منصب أمين صندوق المرسى وأداء أجور الموظفين. ولما توفي سيدي العربي بن السائح عام 1306 / 1888 أشرف محمد بن علال بوهلال على بناء ضريحه المعروف بحي العلو مع المسجد الملحق به. وبقي أبناء محمد ابن علال بوهلال، بعد وفاته، على سننه في خدمة هذا الضريح. ومازالوا حتى اليوم سدنة ضريح سيدي العربي ابن السائح قائمين على شؤونه. وقد تكاثر أولاد بوهلال بالرباط وأصبحت لهم وجاهة ونباهة، وساباط بوهلال معروف في حي بوقرون.

وهناك فريق آخر من أولاد بوهلال انتقل إلى مرسى الصويرة في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) كذلك للقيام بالتجارة أو التعليم وتولي الخطط الشرعية.

بوهلال، أحمد (الحاج.) بن **عبد السلام** بن الطيب، فاسيّ الأصل، انتقل إلى الصويرة للاشتغال بالتجارة فيها، وأقرضه المخزن لذلك مالاً ذا بال. اشتهر بالاستقامة والنسك ومواساة المحتاجين وإكرام أهل العلم والدين. كان يلازم مجالس العلماء ويذاكرهم حتى أصبح من المتفقهين في أمور الدين. وقد ذكر عبد السلام ابن سودة في *إتحاف المطالع* أنه توفي بالصويرة في 28 قعدة عام 1300. وأظن ذلك سبق قلم، لأنه مخالف لرسالة نائب الصدر الأعظم المهدي غريط المؤرخة في 4 حجة عام 1334 (انظر صورتها) وهي تتعلق ببيع جزء مما خلفه الحاج أحمد بوهلال لاستيفاء ما بذمته للمخزن. وقد وقفت على أصل تركته عند صهره العدل السيد عبد النبي النجاري بسلا مؤرخة في أوائل رمضان عام 1335 / يونيه 1917، وفيها قائمة العقارات الكثيرة التي تركها ما بيع منها لسداد دين المخزن وما بقي للورثة.

بوهلال، أحمد بن المعطي الرباطي، معدود في طليعة الشبان المتعلمين الواعين، درس اللغة العربية بالمدرسة الحرة التي أسسها والده بدرب والزاهرا، واللغة الفرنسية في المدرسة العصرية. ثالث ثلاثة تلاميذ مغاربة درسوا في "ليسي گورو" الذي كان حكراً على أبناء الفرنسيين، دخله سنة 1925 ـ كما سياتي في ترجمة والده ـ وبعد إنهاء مرحلة التعلم الثانوي التحق بفرنسا سنة 1932

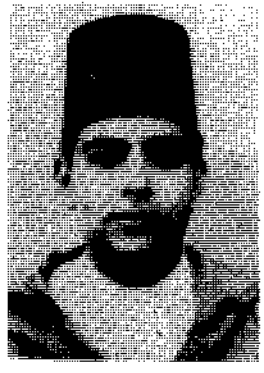

ودخل مدرسة اللغات الشرقية ودرس الحقوق والصحافة. شارك هناك في نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وفي الكتابة في "مجلة مغرب" *"Maghreb"* التي كان يصدرها بباريز المحامي الاشتراكي الحر لونگي، وأسس جمعية خيرية تُعنى بشؤون الطلبة المعوزين، وتعمل في نفس الوقت على نشر الأفكار الوطنية.

ولما رجع إلى المغرب أصدر جريدة الشباب المغربي بالفرنسية *Le Jeune Maghrébin* وأسس جمعية رياضية حرة سماها "الكوكب اللامع". ويعد من المؤسسين الأولين للكشفية الحسنية وهو مازال يومئذ تلميذاً في ليسي گورو، ثم للكشفية العبدلاوية.

أسهم أحمد بوهلال إسهاماً فعالاً في الكفاح الوطني، داخل المغرب وخارجه، إلا أنه لم يكن ينضبط داخل التنظيمات الحزبية، فضاعت معظم أخباره ولم ينل ما يستحقه من العناية. ألف كتاباً عن الجيش المغربي، ومذكرات مازالت مخطوطة.

توفي بالرباط عام 1402 / 1981.

بوهلال، عبد الحفيظ بن عباس الرباطي، مهندس طبوغرافي عمل سنين طويلة في قسم الخرائطية بمديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية بالرباط، معروفاً بالجد ودماثة الأخلاق. وقد نعاه مكتب الجمعية الوطنية للمهندسين الطبوغرافين مشيداً بخصاله المهنية والانسانية.

توفي بالرباط يوم الثلاثاء 18 دجنبر 1990.

بوهلال، عبد الكريم بن محمد الرباطي، من السباقين إلى ولوج المدارس العصرية، ولما أنهى دراسته بثانوية مولاي يوسف بالرباط، ترأس مدة جمعية قدماء هذه الثانوية. وبعد الاستقلال عين مديراً لإدارة الجمارك (الديوانة) إلى أن مات في حادثة سير أواسط الستينات.

بوهلال، محمد بن الخياط، فاسيّ الأصل. انتقل إلى الصويرة مع عمه الحاج أحمد سابق الترجمة في جملة من كان المخزن يشجعهم على تعميرها والقيام فيها بالتجارة أو التعليم. اشتغل محمد بوهلال مدة طويلة بالعدالة مع عدد من القضاة الذين تعاقبوا على هذا الثغر، وعرف بالاستقامة والنزاهة، وكان ذا حظوة ومكانة عند المخزن وإليه وجهت مراسلة نائب الصدر الأعظم المهدي غريط المنشورة قبل هذا.

توفي بالصويرة في ربيع الأول عام 1349 / يوليوز - غشت 1930.

م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، 190 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1300 ؛ *رسوم عدلية، ومراسلات* بحوزة العدل عبد النبي النجاري السلوي ؛ *رواية شفوية* عن محمد الأمين بلگناوي، جريدة العلم. *Le Jeune Maghrébin*.

محمد حجي

بوهلال، محمد بن الطيب بن الحسن التطواني، ولد سنة 1278 / 1861. وفي عهد السلطان عبد العزيز اشتغل أمينا للمستفاد بمراكش ثم بديوانتي أسفي ومليلة ثم ببنيقة دار عديل بفاس ؛ وفي عهد الحماية زاول بتطوان منصب المحتسب ثم ناظر الأحباس الكبرى.

وعندما حررت الهيأة الوطنية السرية بتطوان عريضة مطالب الأمة يوم 13 ذي الحجة عام 1349 / فاتح ماي 1931 وتألف وفد وطني عهد إليه أمر تقديم العريضة إلى رئيس الجمهورية الإسبانية بمدريد عُيِّن بوهلال على رأس الوفد. وفي يوم 3 يونيو توجه إلى العاصمة الإسبانية رفقة الأعضاء أحمد غيلان وعبد السلام حجاج وأحمد بن عبد الكريم اللبادي، فاستقبلوا من طرف الرئيس ألكالا ثامورا يوم 8 من نفس الشهر، وعند عودة الوفد إلى تطوان يوم 17 استقبل استقبالاً حماسياً من طرف المدينة عن بكرة أبيها. وبعد يومين تألفت بتطوان "هيأة وفد مطالب الأمة" حيث أسندت رآستها إلى بوهلال ؛ وعندما تأسست "الهيأة الوطنية بشمال المغرب" يوم 24 ذي القعدة عام 1350 / فاتح أبريل سنة 1932 برآسة الحاج محمد الصفار كان بوهلال من بين أعضائها البارزين، وهذا ما جعله يكون من بين أعضاء اللجنة الوطنية التي تفاوضت مع المقيم العام لوبيث فيرير في أمر تطبيق المطالب من يوم 25 أبريل إلى يوم 5 ماي من نفس السنة.

توفي محمد بوهلال بتطوان يوم الخميس 18 محرم عام 1353 / 3 ماي 1934 وأبّنه الأستاذ الطريس ووصفه بـ"شيخ الوطنية". وفي يوم 11 يونيو أقامت له جمعية الطالب المغربية حفلة تأبينية كانت الأولى من نوعها بتطوان.

الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 21، 55 ؛ داود، *مختصر*، 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية ؛ يوميات زعيم الوحدة*، 1 : 167، 222، 223 ، 334 ؛ *في شمال المغرب*، ج 1 : 18، 20، 22، 137، 157، 243.

محمد ابن عزوز حكيم

بوهلال، محمد بن المعطي الرباطي. درس - كأخيه سابق الترجمة - اللغة العربية بالمدرسة الحرة التي أسسها والده بدرب الزاهرا واللغة الفرنسية بالمدارس العصرية، وهو من قدماء تلاميذ الثانوية اليوسفية. ولوع بالتمثيل والموسيقى، شديد الغيرة الوطنية إلا أنه لم يتابع دراسته العليا، وعمل في المحافظة العقارية إلى أن أدركته الوفاة في أوائل الخمسينات.

بوهلال، المعطي بن محمد بن علال الرباطي. فلاح متنور، ووطني غيور، من الأولين الذين كانوا يجلبون الصحف الشرقية وغيرها بواسطة قناصل الدول الأجنبية المقيمين بالرباط، يقرؤها وينشرها في أوساط المتعلمين المغاربة لإيقاظ الوعي وإذكاء الروح الوطنية، كما يعد في طليعة المؤسسين للتعليم العربي الحر بمسقط رأسه حيث باع داره وقدم ثمنها لتؤسس مدرسة درب والزهرا، وأنشأ مكتبة بشارع القناصل لتساعد ضعاف التلاميذ. عرضت عليه باشوية الدارالبيضاء فرفضها، وتمكن من خرق الحاجز الذي وضعه رجال الحماية حتى لا يلج التلاميذ المغاربة "ليسي گورو" فدخله ابنه أحمد سابق الترجمة بعد جدال عنيف مع الفرنسيين المسؤولين عن السياسة الأهلية.

توفي بالرباط في ربيع الأول عام 1375 / نونبر عام 1955.

تقاييد، و*رواية شفوية* عن محمد الأمين بلگناوي الرباطي.

محمد حجي

بُوهو، (أيت ـ). في إطار تجمع القبائل حول قبيلة أيت براهيم التابعة للفّ أيت عثمان باتحادية تكنة. تنقسم صغريات القبائل إلى قسمين حسب النطق اللغوي الأمازيغي أو الحساني. وقد جاء هذا الانقسام سبباً في تسمية أيت النص (النصاص). ومن بين صغريات القبائل الناطقة بالأمازيغية تندرج قبيلة أيت بوهو. تقيم هذه القبيلة بمدشر ثيكلبت ـ ن ـ أيت بوهو الذي وصفه الرحالة الفرنسي M. Vieuchange في رحلته إلى اسمارة سنة 1930. كما أنها تتوفر على بعض المنازل بتاغجيجت عاصمة تراب أيت النص (انظر أيت براهيم). وقد تميزت قبيلة أيت بوهو بتخصصات فلاحية وتجارية تؤكد انتماءها إلى الغور السكاني الأقدم (انظر أيت بلة).

M. Vieuchange, *Chez les dissidents du Sud marocain et du Rio de Oro, Smara : Carnets de route*, Paris, 1932.

مصطفى ناعمي

بُوهية، إبراهيم، ولد بوفوس اليانسي الأخصاصي، كان من بين الأشياخ الذين رشحوا الشيخ علي بن مسعود الأخصاصي الباعمراني لمنصب القيادة على قبيلة الأخصاص سنة 1299 / 1881. ولي بوهية قائداً على قبيلة الأخصاص بطلب من صهره علي بن مسعود الأخصاصي، وذلك أثناء الزيارة الثانية التي قام بها السلطان مولاي الحسن لسوس الأقصى سنة 1304 / 1886.

م. الأكراري، *روضة الأفنان*، 78، د. د.ع. الرباط، رقم : 120 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 : 180 ـ 181 ؛ *رسالة* من ق. إبراهيم بوفوس إلى السلطان بتاريخ 15 جمادى الثانية 1304.

علي المحمدي

البوّاب، أسرة فاسية معروفة، وتحمل اسماً مماثلاً أسرة أخرى من اليهود. يظن أن هؤلاء الأخيرين قدموا إلى المغرب أواخر القرن التاسع (15م) ذلك أن الربّي حسرفاتي صاحب *"يهاس فاس"* أي "أخبار فاس" المكتوبة بالعبرية والتي نشرها سماش بالفرنسية في مجلة هسبريس، عدد 19، عام 1934، ذكر من بين الأسر اليهودية التي استوطنت فاس قادمة من إسبانيا، أسرة أبواب التي قد تكون هي التي تطورت كتابتها لتصبح "البواب". لا غرابة فيالأمر، إذ أن بعض الأسر المغربية المسلمة واليهودية تحمل نفس الاسم، مثل عاشور، وينحيون، والكوهن، وبنسعيد، وغير ذلك.

يكاد وجود آل البواب المسلمين يكون منعدما اليوم بفاس، وبالفعل، بدأت الأسرة تتقلص هناك خلال الربع الأخير من القرن الفارط، لكن هذا التقلص عوضه وجودهم المتزايد بأسفي منذ أن رحل إليها

البواب، أحمد بن حسن، انتقل من فاس عام 1297 / 1880، واستقر بأسفي من أجل التجارة في الثياب ولا سيما في "الملف" الانجليزي الذي تعودت عليه المدينة منذ قرون، فكان أحمد بن حسن البواب التاجر الوحيد الذي يبيعه بأسفي، وكان له ثلاثة عشر ولداً بين ذكور وإناث، منهم :

البواب، الطاهر (الحاج ـ) من مواليد عام 1316 / 1899 بأسفي. شد في ريعان شبابه الرحلة إلى فاس، وبعد مدة التحق بمجلسها البلدي ولم يكن نصيبه في العلم آنذاك أكثر من نصيب طلبة الكتاب القرآني. غير أنه شُغف بالعلم فجعل منه رجلا عصاميا. كان يقضي نهاره في وظيفته، ويسهر ليله في دراسة العلم على يد أساتذة اتخذهم لتعليمه العلوم الأولية التقليدية. وما هي إلا فترة وجيزة حتى تفتق ذهنه وبرزت مواهبه وأخذ يلتهم بنهم شديد القديم والحديث في ميدان الثقافة العامة.

كوّن خزانة علمية ذات أهمية في مختلف الموضوعات، وكانت له عناية خاصة بها وخصص لها في بيته مكانا مرموقاً.

ومن حبه في العلم وأهله، أن كانت خزانته مفتوحة في وجه طلبة القرويين وإكراماته متواصلة لذوي الحاجة منهم. كما كان بيته بالليل بمثابة مجلس أدبي يضم مثقفين يشاركهم في الأخذ والعطاء.

وحوالي سنة 1369 / 1950 رجع إلى مسقط رأسه أسفي واشتغل بالفلاحة التي كان له ولوع خاص بها. وكان في سلوكه العام ذا أخلاق عالية مع جميع الناس، عذب الحديث، حلو الفكاهة، وبيته مفتوح لجميع أعضاء عائلته، لم يبق أحد من ضعفائهم إلا و ناله إحسانه. أما الفلاحون المجاورون له فكان لهم خير جار، يُمدّهم بكل ما يحتاجون إليه حتى اشتهر بينهم بالمحسن الكبير.

واعتباراً لما كان يتمتع به من حسب وتقدير في وسطه، انتخب عضواً بالمجلس البلدي بأسفي وكان ينوب عن رئيسه، كما فاز بالعضوية البرلمانية وأصبح رئيساً للمجلس الإقليمي وعضواً بالغرفة الفلاحية.

توفي سنة 1402 / 1983 وأوصى بدفنه في ضيعته الواقعة بحوز أسفي، وحبس جزءاً منها لدفن جيرانه.

البواب، العربي بن أحمد، ولد بأسفي سنة 1309 / 1891، وكان من تجارها المشهورين ومن أعيانها، ذا سمت حسن ورزانة ووقار، عرف بحس مرهف وذوق رفيع ودقة وضبط وبعد نظر وخبرة واسعة في شؤون الحياة العامة، فكان رائد عائلته وسندها ومحط استشارة أكابر القوم ووجهائهم. اشتهر بالاحسان الكثير لذوي الحاجات، وتوفي سنة 1348 / 1930 ولم يتجاوز الأربعين.

البواب، محمد بن أحمد، ولد بأسفي عام 1306 / 1889، وكان من فقهاء المدينة ومدرّسيها، تولى نظارة الأوقاف بأسفي، واشتهر بعلم التوقيت، فكان يضع حصصا سنوية لأسفي وما وافقها في عرضها. تلقى عنه هذا العلم كثير من الطلبة. ومما تميز به طريقة التدريس ووضوح العبارة ونفاذها إلى الذهن في سهولة ويسر.

كان خصب الخيال، تحفة المجالس، ذا موهبة كبيرة في ابتداع الفكاهات المتسلسلة النادرة في مجالس أهل العلم والأدب.

توفي سنة 1379 / 1960.

أ. بنجلون، *من تاريخ أسفي*، مخطوط : الطيب البواب، *مذكرات*، مخطوط.

أحمد بنجلون

بُووكْرَا، جبل يتميز بشكله الدائري الذي يشبه شكل الكَسْكاس ولهذا سُمي بهذا الاسم (أكْرا بالأمازيغية يعني الكَسْكاس). يوجد هذا الجبل في منطقة إمْليلْ الواقعة بدير السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط بين منطقتي دادس وإمْغْران، وقد أقيمتْ ببعض التلال المحيطة بهذا الجبل ملاجئ على شكل مغارات تسمى إفْرانْ، يأوي إليها الرُّحل بماشيتهم خاصة في فصل الشتاء أثناء نزولهم من الأطلس الكبير في اتجاه جبل صَغْرُو. غير أن هناك من الرُّحل من يمكث بهذه المناطق مدة ثلاثة أشهر إلى ستة كلما توفرت إمكانية الرعي بها. ويبدو أن تلك الملاجئ أقامتها أسَر أو قبائل أيت إحْيَا السدراتية ـ التي لا تبعد عنها إلا ببضعة كيلومترات ـ كي تستفيد من غبار الماشية الذي يتجمع بها، وهكذا تقوم بنقله إلى فدادينها على ظهور البغال طيلة فصل الشتاء.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

بويا، بن أحمد بن سيدي أحمد، مقاوم ولد عام 1350 / 1931 بالساقية الحمراء، وانخرط في جيش التحرير سنة 1956 بالمقاطعة الثامنة في مركز الساقية الحمراء تحت قيادة الهاشمي. شارك في عدة معارك منها معركة تكل الكبرى ومعركة الروضة التي استشهد فيها بتاريخ 21 رجب عام 1377 / 11 فبراير 1958.

وثائق الندوية السامية للمقاومة.

عزالدين العلام

بويا عمر، هو عمر بن عبدالعزيز بن الشيخ الشهير سيدي رحال البودالي الكوش. صوفي صالح، تتلمذ على أحمد الخليفة ابن الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي. ولا يعرف له شيوخ في العلم، إلا أن الرواية الشفوية السائدة في واد تساوت تقول إنه كان يقوم بتدريس العلوم الدينية.

إذا كان أتباع الجد سيدي رحال البدالي قد عرفوا حتى الآن بالقيام بأعمال مدهشة كأكل الحيات، ودخول بيت النار، ووضع الحديد المحمي في الأفواه، وشرب الماء عند شدة غليانه.. فإن حفيده بويا عمر اشتهر بإبراء المجانين والمصروعين بإذن الله تعالى.

لا يعرف تاريخ ولادة بويا عمر ولا وفاته، إنما يُذكر شائعا بين سكان قبيلة زمران أنه ولد وعاش في وسط القرن الحادي عشر (17 م) بالقرب من ضريح جده سيدي رحال إلى أن أدركته الوفاة في أواخر هذا القرن ودفن بشاطئ وادي تساوت، على الجانب الأيمن من دوار الطواهرية الموجودة خلف الوادي.

يتميز هذا الولي بكثرة الوافدين عليه من جميع أنحاء المغرب، وكذا من بعض الدول العربية كالسعودية والجزائر وليبيا وتونس للتداوي من الأمراض العقلية وخاصة الصرع. وتضم الزاوية بعض التجهيزات منها حوالي ثلاثين بيتاً، ودار للضيافة ومسجد للصلاة.

أما العطاءات التي تتلقاها الزاوية فتقدر بحوالي ستين مليون سنتيم سنوياً فضلا على الهبات والصدقات التي توزع على الفقراء والمحتاجين الذين يعيشون بالقرب من الضريح.

وقد احتفظت هذه الزاوية بالطابع الديني الصرف الذي أضفاه عليها هذا الولي الصالح، إذ يقام بها موسم ديني بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف يحضره رواد كثيرون يأتون من كل أنحاء المغرب من أجل الاحتفال بهذا العيد، حيث يصل عددهم في هذا الموسم الذي يدوم ثلاثة أيام إلى أكثر من مائة ألف زائر وزائرة، أما زواره خارج هذا الموسم فيتراوح عددهم ما بين ثمانمائة وتسعمائة زائر في الأسبوع.

وقد أقامت لجنة ثقافية تابعة لعمالة إقليم السراغنة ندوة علمية من 27 إلى 30 يونيه سنة 1990 في موضوع : علم النفس الحديث وظاهرة الاستشفاء ببويا عمر، شارك فيها عشرة من الأساتذة الجامعيين وأربعة أطباء نفسانيين بإلقاء عروض مفيدة حول هذه الاستشفائية الروحانية وقد نشرت بعض أعمالها.

كتيب عمالة إقليم سراغنة لتقديم أعمال ندوة علم النفس وظاهرة الاستشفاء ببويا عمر، 1990.

أحمد التوفيق

البويباه، (مقبرة ـ) توجد بمنطقة تافيلالت على ضفاف وادي غريس على بعد عشرة كيلومترات غرب مدينة أرفود (انظر الرسم رقم 1) وتعتبر من أهم وأكبر المقابر القديمة المعروفة بالمغرب اكتشفها وقام بالتنقيب فيها الباحثان ماركات وكامو خلال سنة 1957.

إن أقدم تقاليد الدفن المعروفة والمدروسة بالمغرب تعود إلى الحضارة الإيبيروموروزية (*معلمة المغرب*، ج 3) وتعتبر المدافن التلية والمدافن ذات البنايات المعبدية من المخلفات الأثرية التي ما زال الكثير من أسرارها غير معروف.

صنّف كامبُس، عند دراسته للمعتقدات الجنائزية القديمة لشمال افريقيا، مدافن المنطقة إلى اثنين وعشرين صنفا. في حين لم يشر الباحثان ماركات وكامو (1957) إلا إلى ثلاثة أصناف بمقبرة البويباه. وذلك حسب شكلها الخارجي وحجمها. ولهذه الأصناف الثلاثة مميزات متشابهة وأخرى خاصة بكل واحد منها. فجميعها محاطة بسور مبني بعدة أحجار موضوعة الواحدة فوق الأخرى متماسكة فيما بينها وبداخلها بيت جنائزي. كما تتوفر على مدخل واحد أو عدة مداخل متجهة نحو الشرق تؤدي إلى ممر واحد أو عدة ممرات يتفرع عنها أحياناً بيت أو عدة بيوت، وفي

جميع الحالات لم تسجل أية علاقة بين هذه الممرات والبيت الجنائزي حاليا. أما فيما يخص حجم وشكل المدفن وكذا شكل البيت الجنائزي فيختلف من مدفن إلى آخر.

أ ـ الصنف الأول : (انظر الرسم البياني رقم 2). هذا النوع من المدافن هو عبارة عن كراكير صغيرة أو متوسطة الحجم يتراوح قطرها ما بين أربعة إلى ثمانية أمتار مخروطة الشكل ذات قاع مستدير. ويعد هذا الصنف الأكثر انتشاراً. ويشكل البيت الجنائزي في هذه الحالة البناية الوحيدة بالمدفن بحيث يكون عامة مستطيل الشكل محاطاً بسور قد يصل طوله إلى أربعة أمتار وعرضه 2,30 وعلوه 1,10.

ب ـ الصنف الثاني : (انظر الرسم البياني رقم 3). هذه المدافن تكون كبيرة الحجم دائرية الشكل بحيث يتراوح قطرها ما بين عشرة وخمسة عشر مترا. يوجد خلف الباب ممر قد يفوق طوله ثلاثة أمتار، أما علوه وعرضه فقد يصل إلى المتر الواحد، وتحيط بجميع جوانبه ألواح، كما يتفرع عنه بيتان صغيران.

ج ـ الصنف الثالث : (انظر الرسم البياني رقم 4). يعد هذا النوع من المدافن الأقل انتشاراً بالمقبرة ويتميز بكبر حجمه وبشكله المربع أو المستطيل ويتراوح طوله ما بين

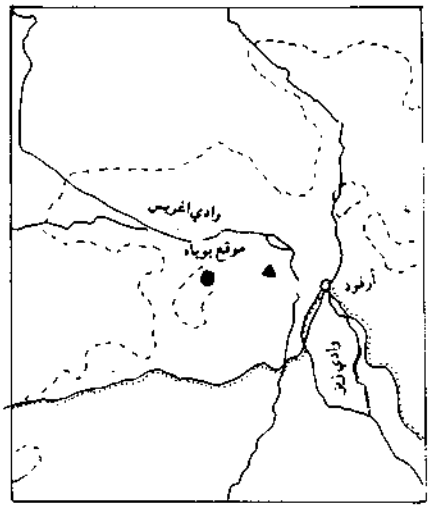

رسم 1 : الموقع الجغرافي لمقبرة البويباه

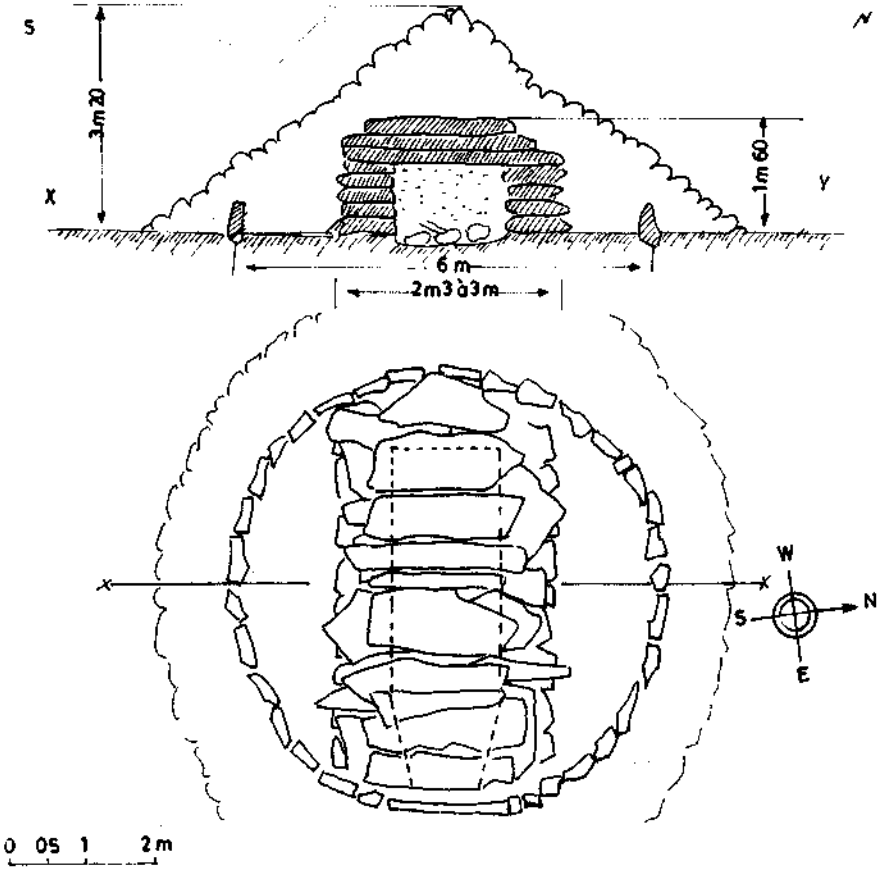

رسم 2 : الصنف الأول لمقبرة البويباه
ـ مارگان وكامو 1958 ـ 1959 ـ

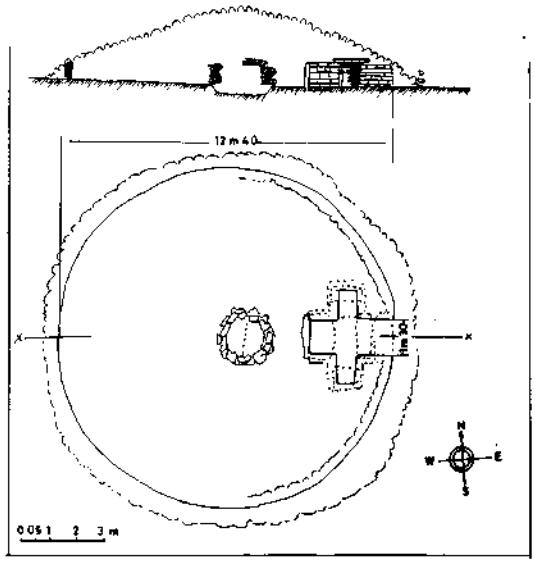

رسم 3 : الصنف الثاني لمدافن مقبرة البرياه
ـ مارگان وكامو 1958 ـ 1959 ـ

عشرة وخمسة عشر متراً. وهذا الصنف يتوفر في بعض الحالات على ثلاثة أبواب مختلفة الأحجام كل واحدة تؤدي إلى ممر خاص لكن متوازنة فيما بينها، كما نجد ممرات ثانوية توصل ما بينها. أما البيت الجنائزي فيوجد خلف الممرات على بعد متر واحد ويكون مستطيل الشكل.

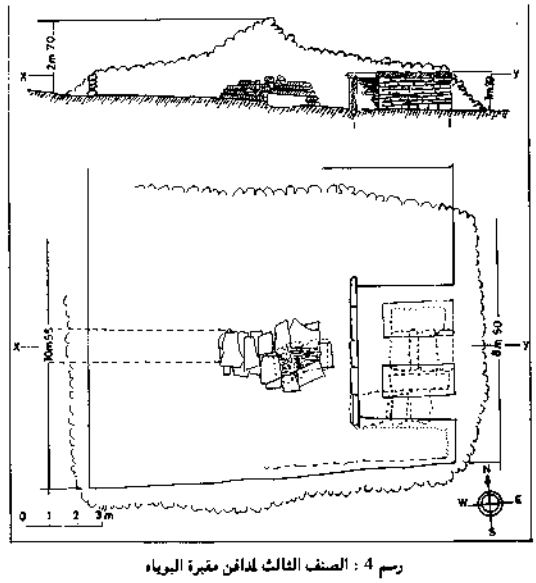

رسم 4 : الصنف الثالث لمدافن مقبرة البرياه
ـ مارگان وكامو 1958 ـ 1959 ـ

وفيما يخص الأدوات الجنائزية التي تم العثور عليها بجانب الهياكل العظمية فهي جد قليلة وتتجلى في بعض أنواع الحلي وكذا بعض الأدوات البرونزية.

لعل الكثير ممن درسوا هذه المدافن أو قرأوا عنها تخطر ببالهم تساؤلات كثيرة كتاريخ بنائها وأصلها وسر اختلاف أحجامها وشكلها، وكذا عدد البيوت التي تتفرع عن الممرات ووظيفتها. لكن في غياب أبحاث جديدة مبنية على وسائل التأريخ الحالية والتنقيب الحديث يبقى الجواب عن جلها مجرد احتمالات وفرضيات.

ففيما يخص تاريخ بنايتها وأصلها لا يمكننا أن نجيب عن ذلك بصفة دقيقة لأن ذلك يستلزم الاعتماد على وسائل التأريخ الحالية، وكذا مقارنة المدافن التلية بجميع المناطق المعروفة بها. أما الممرات والبيوت فربما كانت تلعب دور القربان من الميت، وذلك بوضع المأكولات والمشروبات بها، وربما كانت كذلك أماكن للعبادة يتم من خلالها الاتصال بالعالم الروحاني والخارجي للميت. أما اختلاف الاحجام وعدد البيوت فربما كان ذلك راجعاً إلى الفوارق الاجتماعية آنذاك.

م. ع. الهجراوي، *الحضارة الإيبيروموروزية*، معلمة المغرب، ج 3.

J. Margat et A. Camus, *La nécropole de Bouïa au Tafilalet*. *B.A.M.* T. 3, p. 25, 1958 - 1959.

محمد عبدالجليل الهجراوي

بُوبَيْلان، جبل عال بالأطلس المتوسط الشرقي، يأتي بعده جبل بوناصر ويمتد على مسافة تفوق سبعين كيلومتراً من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي متخذا شكل عرف متصل له قمة حادة يصل ارتفاعها إلى 3.190 م بقمة موسى أُصالح.

وهو جبل ذو طابع كتلي، يتميز بارتفاعات جد متباينة، وسفوح شديدة الانحدار سواء في واجهته الشمالية أو الجنوبية. يشرف بوبيلان نحو الشمال الغربي على مناطق منخفضة، من بينها منخفضا تافرت وتامتروشت حيث لا يتجاوز الارتفاع 1.900 م. وتنحدر من السفح الشمالي مجموعة من الوديان الدائمة الجريان من أهمها واد ملولو الذي يعتبر من أهم روافد واد ملوية، وكذا واد زلول أحد روافد واد سبو ويطل الجبل نحو الجنوب بانحدارات قوية على منخفضات يقل ارتفاعها عن 1.600 م من بينها تامجيلت (1.600 م) وبركين (1.300 م)، اللذان تغذيهما مياه واد بني منصور وواد زبزيط في اتجاه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي.

وتتكون بنيته الجيولوجية من صخور متنوعة تشتمل على الكلس الدولوميتي الذي يبرز في غضن المحدب، وعلى الكلس الطفلي الذي يغطي الجوانب. أما المنخفضات المجاورة فتنتشر بها صخور الطفل النضيدي بصفة خاصة. وللصخور الكلسية السائدة بالمنطقة أهمية هيدروجيولوجية تتمثل في اختزان مياه التساقطات الغزيرة، وبروز العديد من العيون التي تغذي مجموعة من الوديان التي تنبع من الجبل.

ترجع نشأة بوبيلان إلى الحركات البنائية المتلاحقة التي تميزت بضعفها خلال الزمن الثاني ووصلت حدتها خلال المرحلة الأطلسية للزمن الثالث وانتهت بالتسنم في أواخر الثلاثي. نتج عنها نمط بنائي جوراسي بالنسبة للغطاء المنتمي للزمن الثاني، مع بروز غضن محدب جبل بوبيلان الذي تعرض على طول سفحه الشمالي لحدوث انكسار قوي متجه من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي.

يعتبر بويبلان من الجبال المغربية الموجهة مباشرة نحو التأثيرات المحيطية، لكنه في نفس الوقت يشكل حاجزا حقيقيا يحول دون تقدم الكتل الهوائية الرطبة في اتجاه الجنوب. وهذا ما يعلل تدرجات مناخية قوية على طول السفوح، وكذا وجود تعارض قوي بين السفح الشمالي المطير، والسفح الجنوبي الواقع في ظل المطر.

وعلى الرغم من ارتفاعاته العالية، فإن المناخ بجبل بويبلان يظل متوسطيا حسب التعريف العام المقترح من طرف أومبرجي L. Emberger تبعا لوضوح الفصل الجاف في المجال بأكمله.

من حيث التساقطات، فإن الجهات الأغزر مطراً تقع في الواجهة الغربية من السلسلة حيث تصل متوسطات التساقطات السنوية إلى 1.300 مم، وكذا فوق القمم العالية. أما الواجهة الشرقية من الجبل فإنها تعتبر عكس الأولى منطقة جافة مع تساقطات سنوية لا تتجاوز 400 مم في متوسطها بالمنخفضات.

تتحكم درجات الحرارة المنخفضة جدا في الأجزاء المرتفعة من بويبلان في وجود مناخ خاص يسمى المناخ المتوسطي لأعالي الجبال، والمتميز بفصل جاف واضح لا يطابق الفصل الحار، وبوجود فترة طويلة باردة جدا تعقب الفصل الجاف. لذا، فإن الفترة الرطبة والمعتدلة التي تلائم نمو الغطاء النباتي بهذه المرتفعات تنحصر في ثلاثة أو أربعة شهور سنويا فقط، مما يجعلها تشكل مناخاً سهوبياً لأعالي الجبال.

وبصفة عامة، يمكن التمييز في جبل بويبلان بين أربعة بيو مناخات رئيسية حسب عاملي التوجيه والارتفاع : البيومناخ الشبه الجاف، الشبه رطب، الرطب، ثم بيو مناخ أعلى الجبل. وداخل هذه المستويات يتوزع الغطاء النباتي المشكل أساساً من الغابات والسهوب ويشمل العديد من الأنواع النباتية التي تبرز مدى تنوع الظروف المناخية المحلية بجبل بويبلان، وكل نوع رئيسي يشكل ذروة خاصة. ومن أهم الأنواع التي تنتشر بالمجال، نذكر على الخصوص :

- ذروة العرعر الأحمر Le Climax à Juniperus Phoenicea. ينمو العرعر الأحمر بالمستوى النباتي المتوسطي المعتدل الأعلى ضمن البيو مناخ الشبه جاف الحاد والمتوسط. وهذا النوع له امتداد مهم نسبيا في الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية من جبل بويبلان، مما يدل على تأثر هذه الواجهة من الجبل بالمؤثرات الجافة الشرقية.

- ذروة الصنوبر الحلبي Le Climax à Pinus halepensis.

بالرغم من امتداد الصنوبر الحلبي في مجال واسع بين المستوى النباتي المتوسطي المعتدل، والمستوى الجبلي المتوسطي الأسفل، فإن نموه يرتبط بصفة خاصة بصخور الطفل النضيدي حيث يجد ظروف تصريف ضرورية لاستقراره. لذا فإن ذروة هذا النوع لا ترتبط بظروف مناخية صرفة. فهو من جهة، ينمو ببركين حيث متوسط التساقطات السنوية لا يتجاوز 325 مم. ومن جهة ثانية ينحصر نحو الأسفل بسبب غياب صخور الطفل النضيدي في منطقة تامجيلت، بينما تعتبر حدوده في اتجاه أعلى الجبل مناخية، إذ يبرز الطفل النضيدي بعيداً عن مجال امتداده وذلك ضمن مناخ يعتبر غير ملائم لاستقراره ونموه.

- ذروة البقس Le Climax à Buxus balearica. ينحصر توزيع البقس في جبل بويبلان ضمن مناخ جاف نسبيا، بارد وضوئي، يتميز بانعكاسات حرارية مهمة، وحرارة مرتفعة خلال فصل الصيف. والبقس له خصائص فيزيولوجية متميزة تساعده على تحمل الاختناق في التربة الصلصالية المشبعة بالماء خلال الفصل المطير، وكذا التجفاف المفرط لها خلال الفصل الجاف، كما يتحمل البرودة والرياح. وهذه المرونة الفيزيولوجية تسمح لهذا النوع بالتداخل مع أنواع نباتية أخرى ببويبلان كالعرعر الأحمر والسنديان الأخضر والأرز. ويستطيع البقس أن يتجاوز الأرز من حيث امتداده تبعاً للارتفاع بالجبل ليمتزج مع الجفافيات الشوكية شريطة أن يظل المناخ قارياً وضوئياً.

- ذروة السنديان الأخضر Le Climax à cluercus rotundifilia. يحتل السنديان الأخضر مجالا مهما بجبل بويبلان، وذلك انطلاقا من المستوى النباتي المتوسطي المعتدل الأعلى والمستوى الجبلي المتوسطي الأسفل. والصنوبر البحري ببويبلان يحتل المجال الرطب، لكن مع إضاءة مهمة وكثيفة، وانسحاب سريع للغيوم بعد مرور الاضطرابات الجوية.

- ذروة الأرز Le Climax à Cedrus atlantica. لا ينتشر الأرز إلا بمجال جد محدود كالصنوبر البحري. وبالرغم من كونه لا يكترث بطبيعة الصفرة، فإنه يشكل بقعا غير متصلة من المناطق الأكثر رطوبة بجبل بويبلان، وذلك ضمن المستوى الجبلي المتوسطي الأعلى. ويكوّن الأرز ثلاث تشكيلات نباتية رئيسية بالمنطقة هي غابة الأرز المحيطية في الجهة الغربية من السلسلة وغابة الأرز الشبه قارية ثم غابة الأرز القارية التي تتحمل شدة البرودة خلال فصل الشتاء.

- ذروة العرعر الفواح Le Climax à Juniperue thurifera. في جبل بويبلان يقتصر امتداد العرعر الفواح على الجهة الغربية فوق مجال امتداد الأرز، وذلك ضمن مناخ رطب نسبيا، لكن بارد ومضيء. ويشغل هذا النوع مجالا ضيقا في المرتفعات العالية في مستوى نباتي انتقالي بين الجبلي المتوسطي الأعلى، والمتوسطي الجبلي الأسفل.

- ذروة الجفافيات الشوكية Le Climax à Xérophyte épineux. تنتشر الجفافيات الشوكية بجبل بويبلان ضمن المناخ المتوسطي السهوبي لأعالي الجبال، إذ تعقب التشكيلات الغابوية في الأجزاء المرتفعة من الجبل، وخاصة منها الأرز ابتداء من ارتفاع 2.100 م في السفح الشمالي و2.500 م من السفح الجنوبي. ويعتبر عامل البرودة العامل

الرئيسي في اختفاء الغابة مع الارتفاع، وتعويضها بالجفافيات الشوكية.

C. Peyre, *Quelques aspects de la végétation du massif du Bou-Iblane*, in *Etude de certains milieux du Maroc et de leur évolution récente*, C.N.R.S. Trav. RCP 249, 1973, p. 129 - 131 ; I. Seryouhi, *Le Moyen Atlas plissé*, in *Ressources en eaux du Maroc, T. 3. Domaines atlasique et sud atlasique*. Rabat, 1977, p. 67 - 71 ; C. Peyre, *Recherches sur l'étagement de la végétation dans le massif du Bou-Iblane, Moyen Atlas Oriental*. Thèse de Doctorat de 3ème cycle, Université du Droit, d'Economie et des Sciences d'Aix Marseille, Faculté des Sciences et Techniques St Jérôme, 1979, p. 136 - 145.

محمد لبحر

بُويحلبان ← بوضاض

البُوَيْحيَاوي، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني بويحيى الكرتية (انظر ما علاقتها بأيت بويحيى من هنتيفة)، انتقلت أول مرة إلى غمارة ومنها إلى تطوان حيث ما زالت موجودة لحد الآن.

Delegacion, *familias* ; Isidoro, *familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البويحياوي، محمد بن عبد الرحمان، التنانتي الأصل، التنغملتي الدار والمدفن. نسبة إلى أيت بويحيى، وهم فرقة من هنتيفة، توجد بعض أسرهم اليوم بتنانت شرقي دمنات. ويعتقد البعض أنهم من أوائل من استوطن تانغملت. وقد ترجم له محمد بن عبدالله الخليفتي قائلا : "الصالح الصوام القوام المجتهد في عبادة ربه، كثير التلاوة لكتاب الله والتنفل به، كثير الذكر..." (*الدرة الجليلة*، 290).

كان البويحياوي متصوفا، تتلمذ على الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي، فنسج على منواله واقتفى أثره. كما أخذ عن شيوخ ناصريين آخرين، إذ كان كثير التردد على تامگروت. وقد التقى به فيها مؤلف *الدرة الجليلة* ذات مرة أثناء زيارته ليوسف الناصري. وكانت علاقته وثيقة مع متصوفة المنطقة، خاصة عبدالله الخليفتي مقدم الطائفة الناصرية بأيت خليفت (أزيلال حالياً) وانتسب إلى متصوفة تانغملت، كل ذلك جعله يكتسب مكانة لدى سكان تلك الجهات. وكانت وفاته سنة 1757/1170 بتانغملت وبها دفن.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*... مخطوط.

أحمد عمالك

البويحياوي، محمد بن محمد من قواد الحسن الأول على فرقة أولاد سالم المنتمية إلى بني بويحيى منذ ما قبل سنة 1300 / 1882، وما بعد سنة 1309 / 1891. يكنى هذا القائد بالحرش وبأمزيان (الصغير)، تمّ تعيينه على الفرقة إثر استحداث التنظيم الإداري الجديد على عهد الحسن الأول القاضي بتقسيم القبيلة الواحدة إلى مجموعة من القيادات. وقرارات أولاد سالم في ثلاثة مواطن : اثنان منهما بقبيلة المطالسة، والثالث في بني بويحيى واقع بين الموطنين السالفين وجنوب أوليشك وأولاد عبد الدايم. وهو نصيب البويحياوي الحرش الذي ظهر كأهم قائد بالقبيلة.

تعرض البويحياوي لنزاعات أثارتها أطماعه بالقبيلة كانت لها انعكاسات أوقدت عليه عداوة جيرانه من بني بويحيى والمطالسة. فحينما توفي البويحياوي محمد بن عمر، قائد فرقة أولاد عبد الدايم، أسندت إليه قيادة الفرقة. إلا أن أعيانها كانوا راغبين في البويحياوي محمد بن أحمد المدعو المعاش. وسرعان ما اتسع نطاق الخلاف حينما أضيفت إلى قيادته جماعة بني وكيل، أهل زاوية جبل كركر، التي استقر رأيها على اختيار الشريف المدعو محمد بن حامد الوكيلي، ثم على الشريف محمد بن أحمد الوكيلي، وبذلك نشأ حلف بويحياوي ضد الحرش. وقد بحث هذا الحلف عن المساعدة الخارجة عن القبيلة، فوجدها عند أولاد عبد الدايم في المطالسة، بينما استعان بنو وكيل بالقائد بوصفية الكبداني وشرفاء واد كرط.

استغرق النزاع طيلة فترة حكم الحرش. بلغ أشده سنة 1307 / 1889 ووجدناه سنة 1309 / 1891 خارج موطنه بعد الهزيمة التي تعرض لها ضد المطالسة، فلم يسعه سوى التوجه إلى فاس لطلب المساعدة المخزنية في 11 ربيع 1309 / 15 أكتوبر 1891.

مراسلات مخزنية خاصة.

حسن الفگيگي

البُوبِرْطُو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Puerto والكلمة معناها بالإسبانية الميناء أو المرسى. وكان من بين أفراد هذه الأسرة بتطوان :

البُوبِرْطُو، محمد، وهو عالم كان حيا سنة 1120/ 1708.

البُوبِرْطُو، محمد بن أحمد، فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1739/1151. وهذه الأسرة غير أسرة البُورْطُو.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 17 ؛ 3 : 49 ؛ 4 : 95 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

پويرطو بادیا Puerto Badia، اسم أطلقه الإسبانيون على الكوخ الخشبي الذي وضعه الملازم إميليو بونيلي Emilio Bonelli أواخر العقد الثامن من القرن التاسع عشر في المكان المعروف عند المغاربة بخليج الرأس الأكحل وعند البرتغاليين والإسبانيين بخليج ثينطرا Bahia de Cintra، وثينطرا هذا هو البحار البرتغالي المغامر گونثالو ذي ثينطرا Gonzalo de Cintra الذي قتله المغاربة سنة 849 / 1445 بخليج أرگين جنوب الرأس الأبيض. وأما خليج الرأس الأكحل فيوجد جنوب شبه جزيرة الداخلة.

في أواخر سنة 1301 / 1884 كلفت شركة المستفرقين والمستعمرين الإسبانيين Sociedad de Africanistas y Colonistas Españoles الملازم اميليو بونيلي Emilio Bonelli بالقيام بعملية استطلاعية للشاطئ الصحراوي المغربي الموالي للجزر الخالدات، فقام بجولة بحرية وبرية من

رأس بوجدور (خط العرض 27 درجة) إلى الرأس الأبيض (خط العرض 20 درجة)، وأقام فوق ثلاث بقع أكواخا من خشب وضع فوقها العلم الإسباني، الأولى بشبه جزيرة الداخلة وسماها بيبائيسنيروس Villa Cisneros والثانية بخليج الرأس الأكحل Cintra وسماها پويرطو باديا، والثالثة بالگويرة (الرأس الأبيض) وسماها پويرطو أو مدينة گاطيي Puerto Medina Gatell، فأعلنت إسبانيا حمايتها على المنطقة.

وقد فر الإسبانيون على إثر الهجوم السريع الذي قام به المغاربة ضد هذه المراكز، ولم يعودوا إليها إلا بعد أكثر من نصف قرن، وبعد المعاهدة المبرمة بين إسبانيا وفرنسا يوم 28 صفر عام 1318 / 27 يونيو 1900 التي نصت على أن الخليج المذكور من نصيب إسبانيا.

وبعد استرجاع المغرب لصحرائه تبعاً لاتفاقية مدريد بايع سكان وادي الذهب ملك المغرب يوم 9 رمضان عام 1398 / 13 غشت 1979 حيث عاد الخليج ضمن إقليم وادي الذهب.

بقي أن نقول إن اختيار اسم باديا Badia لهذه المدينة الوهمية يرجع سببه إلى كون الملازم بونيلي أراد أن يخلد اسم المغامر الإسباني Dominigo Badia Leblich المعروف بباديبا العباسي (انظر ترجمته في *المعلمة*).

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre el Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; E. Bonelli, *El Sahara*, Madrid, 1887 ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña-Ifni-Sahara*, Madrid, 1941 ; E. Bonelli, *Nuevos territorios españoles en la costa del Sahara*. Bol. Soc. Geografica, Madrid XVIII, 1885, 333 - 354 ; Bens, *Mis memorias,22 años en el desierto*.

پويرطوكاپات ← **الجَبْهة** (مدينة.)

پويرطو كانْسادو، Puerto Cansado أي "الميناء المتعب" اسم أطلقه الإسبان على خليج الگراعن المعروف كذلك بخليج الخُنيفس الذي يقع على بعد خمسين كيلومتراً جنوب مصب وادِ أم فاطمة، وبه تصب مياه نهر امكيريم، ويبلغ عرض الخليج 900 متر، وبه أنشأ الانجليزي جورج گلاس Jorge Glass سنة 1764 المركز التجاري الذي سماه هيلسبوروغ Hilsboroug.

T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña-Ifni-Sahara*, Madrid, 1941, p. 46 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, p. 61 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 96 y 148.

پويرطو مدينة گاطيي ← **الگويرة** (مدينة.)

پويرطو نْويبُو، Puerto Nuebo أي "الميناء الجديد" وقد أطلقه الإسبان على مرسى إمُوراغن الواقعة شمال الرأس الأبيض بالصحراء، وتعرف عندهم كذلك بمرسى كوريي Corey.

A. Domenech Lafuente, *Algo Sobre el Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 84 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946, p. 65.

محمد ابن عزوز حكيم

بُوبْزكارْن، مدينة صغيرة تقع بالقدم الجنوبي للأطلس الصغير الغربي عند اتصال هضبة الأخصاص بحوض گلميم، في أحد المنخفضات الهامشية التي تفصل الأطلس الصغير عن أعراف باني الملتوي، وسط معدر مشكل من حادورات تراكم صغيرة تخترقها أودية موسمية تصب في واد بويزگان أحد روافد واد نون ـ أساكا، عند مخرج عين ترتبط بالجريان الكارستي لهضبة الأخصاص الكربوناتية وتعتبر الأصل في رستاق بويزكارن السقوي التقليدي ؛ وعند ملتقى طريقين هامين، الطريق الرئيسية الرابطة بين تيزنيت وگلميم في اتجاه الأقاليم الصحراوية والطريق المتجهة شرقا نحو واحات درا.

ويعتبر هذا المركز بوابة إقليم گليمم وثاني مركز حضري به، وقد رقي إلى رتبة مدينة منذ سنة 1971 واضطلع بوظيفة مركز إداري لجماعة ودائرة في نفس الوقت، ضمت 38.592 نسمة سنة 1982.

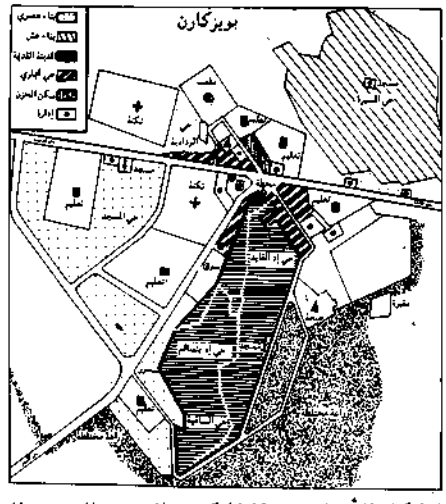

وإذا كان الأصل في هذا المركز هو التجمع البشري الصغير المكون من دواوير الساقية وإدبنسالم وإدالقايد الذي أحيط بسور من طرف القائد المدني أحد قواد قبيلة الأخصاص خلال نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، فإن توسعه قد ارتبط خلال فترة الحماية بإنشاء ثكنة عسكرية، وخلال فترة الاستقلال بتعزيز وظيفته العسكرية بإقامة ثكنتين إضافيتين أملاهما تزايد أهمية موقعه الاستراتيجي بعد سنة 1975، ثم بظهور ثلاثة أحياء جديدة خارج الحيز المسور، المسيرة والودادية والمسجد، اقترنت نشأتها، من جهة بإرادة السلطة في تجميع السكان الرحل المنتشرين بالإقليم، نظراً للظروف المستجدة بالأقاليم الجنوبية بعد سنة 1975، ومن جهة أخرى، بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية العامة التي شهدتها المنطقة منذ استرجاع إفني من يد الإسبان سنة 1969، والأهمية التي اكتساها موقعه الطريقي بعد استعادة الساقية الحمراء ووادي الذهب والتي كانت وراء استقطابه لأنشطة تجارية وحرفية وخدماتية خاصة واكبت ظهور منشآت إدارية واجتماعية ثقافية ساهمت كلها في تدعيم شخصيته وتجذره في محيطه.

وقد تزايد سكانه بين سنتي 1971 و1982 بوتيرة متوسطة حيث مر عددهم من 2.342 إلى 4.746 نسمة، أي بمعدل سنوي يقدر بـ 5.06٪. وقد لعب التوافد دوراً ملحوظا في تعمير هذا المركز، حيث نجد أن 5.66٪ من مجموع أرباب الأسر

قدموا إليه بعد سنة 1975، وإن كانت حصة المولودين به اليوم تصل إلى 50.5٪ من مجموع سكانه. على أن معظم الوافدين قد نزحوا من الأقاليم المجاورة، وعلى الخصوص في دائرته، بالإضافة إلى دوائر الأخصاص وگلميم وأسا، إلى جانب العناصر الحضرية القادمة من مختلف المدن المغربية وخاصة الأطلنتية منها (الصويرة، أگادير، الدارالبيضاء...).

وهكذا نلاحظ أن سنة 1975 كانت حاسمة في تطور هذا المركز. فازدياد أهمية موقعه، ابتداء من هذا التاريخ، لم يكن لها الأثر الواضح فقط على تدعيم وظائفه بل أيضا على بنياته الديموغرافية والاقتصادية والمجالية. إن تركيب سكانه يكشف عن المميزات التالية :

- وجود تفاوت واضح بين نسبتي الذكور والإناث (بالتوالي 53.46٪ و46.53٪).
- هرم سكاني فتي، ذو قاعدة عريضة حيث تستحوذ فئة (0 . 14 سنة) على 45٪ من مجموع السكان. ويفوق فيه عدد الذكور عدد الاناث لدى فئة (30 . 39 سنة).
- سيادة الأسر ذات الحجم الكبير (أزيد من ستة أفراد) والتي تمثل 60.48٪ من مجموع الأسر.
- تفشي الأمية (40.50٪ من مجموع البالغين عشر سنوات فأكثر) وخاصة لدى الاناث (62.71٪) وضعف المستوى التعليمي حيث إن 40.48٪ ممن يعرف القراءة والكتابة لا يتوفر على أي شهادة مدرسية أو مهنية.
- ضعف نسبة النشاط الاجمالية التي لا تتجاوز 26.51٪، تمثل فيها نسبة البطالة 5.71٪.

وإلى جانب هذا، يظهر توزيع سكانه حسب المهن الرئيسية الملاحظات التالية :

- يشغل القطاع الأول 12.86٪ من النشيطين، ورغم أهمية هذه النسبة فلا بد من الإشارة إلى التراجع الهام الذي سجله القطاع الفلاحي بهذا المركز والذي يعزى إلى تقلص صبيب مياه العين التي لم تعد تكفي حاليا إلا لتزويد المركز بحاجياته من الماء الشروب. وقد انعكس هذا بوضوح في المشهد الزراعي حيث تقلصت مساحة المشهد الواحي. إلا أن هذا لم يحل دون استمرار الزراعة البورية بأراضي المعدر والاستغلال الرعوي بالجبال المحيطة.
- أما القطاع الثالث، فيعتبر قطاعاً منتفخا يركز 68.79٪ من مجموع النشيطين. ويرتبط تضخمه هذا بسيادة ثلاثة فروع من الأنشطة : التعليم والادارة (12.91٪)، والأنشطة التجارية والخدماتية الخاصة (20.61٪)، وأخيرا الجندية (32.6٪) من مجموع النشيطين، هذا دون حساب القاطنين بالثكنات العسكرية الذين لا يدخلون في هذا الإحصاء.

وإذا كانت سيادة هذا النشاط الأخير ترتبط بوظيفة المركز العسكرية التقليدية التي أملاها موقعه الاستراتيجي منذ وقت مبكر والتي تعززت أكثر بعد سنة 1975، فإن أهمية أنشطته الإدارية والتعليمية تعود إلى رتبته الإدارية باعتباره مقر مركز جماعة ودائرة في نفس الوقت وبالتالي بالدور المنوط به كقطب محلي للتنمية. كما ترجع مكانة أنشطته التجارية والخدماتية الخاصة إلى موقعه الطريقي الذي يجعل منه ممراً إجبارياً لكل من يتجه صوب واحات درا والأقاليم الصحراوية، وإلى دوره باعتباره أهم قطب تجاري بالنسبة لجزء هام من قبائل تكنة وأيت باعمران والأخصاص، كما يعكس ذلك تجهيزه التجاري والخدماتي الذي يتوزع كالتالي :

- التغذية 38.6٪.
- اللباس والتجهيز 26.3٪.
- المواد الريفية 6.2٪.
- الخدمات المطعمية والفندقية 8.9٪.
- خدمات النقل 8٪.
- أنشطة أخرى 11.9٪.

ومن خلال كل هذا نستنتج أن بُويزكارن تتميز بتنوع وظائفها رغم صغر حجمها. كما تنفرد أيضا بنسيج غير متجانس يتكون أساساً من نواة أصلية كثيفة الأبنية، تتخذ شكلاً مستطيلاً يمتد بين رستاق المركز الزراعي شرقا والطريق المؤدية لگلميم غرباً حيث توجد إحدى الثكنات وبعض المؤسسات التعليمية، ومن الأحياء الجديدة التي ظهرت بعد سنة 1975، المسجد والودادية والمسيرة. يمتد الحي الأول على يمين مدخل المدينة من جهة تيزنيت، وهو عبارة عن حي سكني يتكون من أبنية من نمط السكن المغربي الحديث تندرج في إطار ذاتي رأسمالي.

وينطبق هذا أيضا على الحي الثاني الودادية الواقع على الطرف الآخر من الطريق والمتضمن لثكنة عسكرية وملعب رياضي ومؤسسات تعليمية. أما حي المسيرة فيوجد شمال شرق المدينة، يقطن به السكان الرحل الذين تم تجميعهم هنا بعد سنة 1975. ويتكون من دور متباعدة فيما بينها تغلب عليها الأبنية من النوع الهش. ويتوسط المركز مجال تجاري متميز يوجد عند تقاطع طريق طاطا- تيزنيت وطريق گلميم، على طرفي حي إدالقايد وحي الودادية، ويتكون من مساكن من نوع المدينة الحديثة حيث يخصص الطابق الأرضي للأنشطة المهنية.

إلا أن بويزكارن رغم كل هذه الملامح ذات الطابع الحضري فهي مازالت بحكم موقعها وحداثة نشأتها وأصول سكانها تتصف ببعض سمات البداوة الطاغية على محيطها كما يظهر من بعض تجهيزات المساكن بها، حيث نجد 61.47٪ من الدور غير مرتبطة بالشبكة العمومية للماء الصالح للشرب، وتعتمد في سد حاجياتها على ماء البئر أو العين. و36.55٪ من المساكن غير مرتبطة بالشبكة العمومية للكهرباء، بالإضافة إلى أن 27.19٪ من المنازل بها حظيرة للماشية.

وهكذا نستخلص أن بُويْزكارن تعتبر نموذجا للتمدين بالمنطقة الصحراوية الواقعة جنوب الأطلس الصغير الذي

احتدم بشكل ملحوظ، نتيجة الأهمية الاستراتيجية التي اكتستها المنطقة الجنوبية بعد سنة 1975 والتي أصبحت معها هذه المدينة الصغيرة، على غرار باقي المراكز الصحراوية، نقطة ارتكاز إدارية وعسكرية وقطبا محليا للتنمية.

تحريات شخصية : أبحاث ميدانية قام بها طلبة الإجازة بكلية الآداب بأگادير.

عثمان هناكا

** و من الناحية التاريخية لم تكن بويزكارن خلال القرن الثاني عشر (18 م) إلا قرية كباقي قرى قبيلة الأخصاص، إلا أنها ما لبثت أن لعبت دوراً هاماً بعد تولية القائد المدني الأخصاصي أمور القبيلة حيث جعل من قريته مركزاً إدارياً لكل القبائل التي يتحكم فيها. ففيها يعقد "النقض والإبرام" كما يقال عوض كردوس التي كانت تؤوي مُربّيه ربه من آل الشيخ ماء العينين، هذا ما دفع بالقائد المدني بأن يحيط بويزكارن التي اتسعت في عهده بسور ذي أبراج وأبواب عديدة. وبعد سقوط هذه المدينة في يد الحماية سنة 1933 سار الفرنسيون على نفس المنوال حيث أرسوا بصفة نهائية الصبغة الإدارية والعسكرية للمدينة نظراً لموقعها الجغرافي الاستراتيجي. ولنفس الاعتبار أيضا جعل منها جيش التحرير للجنوب قاعدته الخلفية ومركزاً لقيادته خلال المعارك التي خاضها ضد الاستعمارين الفرنسي والاسباني بالصحراء المغربية وموريطانيا وأيت باعمران.

يمكن القول إن بويزكارن بقيت حقبة طويلة من الزمان بدون أن تشهد تطوراً كبيراً إلى أن دخل المغرب مرحلة جديدة من تحرير صحرائه سنة 1975. فمنذ ذلك الوقت إلى الآن ونظراً للدور الاقتصادي والديمغرافي الذي أصبحت تلعبه الصحراء، شهدت بويزكارن نمواً اقتصاديا وعمرانيا لم تعرف له مثيلا من قبل وأصبحت تحتل اليوم مكانة شبيهة بالتي تحتلها بعض المدن الصغيرة بل المتوسطة كصفرو على سبيل المثال.

بحث ميداني.

البويزكارني، عبدالرحمان بن الحاج محمد بن أحمد ابن محمد. يقال إن هذا الأخير أول وارد إلى قبيلة الأخصاص وإن عائلته شريفة مشيشية، غير أن المختار السوسي حاول تحقيق هذا النسب ولم يتمكن من ذلك.

ولد حوالي سنة 1303 / 1885 ببويزكارن التي كانت آنذاك من أهم قرى قبيلة الأخصاص، وتلقى تعليمه الأولي من أبيه الذي كان فقيها قاسياً في تربية أبنائه، الشيء الذي كان له تأثير بليغ في تربيتهم. وقد ظهر هذا التأثير في النزاعات التي قامت بين عبد الرحمان وأبيه وفي عدم الاستقرار الذي عم مسيرة حياته. فتابع تعليمه في أشهر المدارس العتيقة بسوس مثل تانكرت والمدرسة الأغشانية والأزاريفية وإلخ إلخ....

لم يكن عبد الرحمان البويزكارني معروفاً كعالم وفقيه فحسب، بل اشتهر أكثر برقته الأدبية حيث اعتبر المختار السوسي (*المعسول*، 10 : 91) أن عبدالرحمان "أصبح عند عارفيه علماً مرفرفاً من أعلام الأدب الكبرى... فيتموج إليك بالأدبيات الشعرية... ويدهشك منه أنه مجاريك في أي فن كنت أنت من متقنيه، كنت نحوياً أو لغوياً..."

توفي البويزكارني إثر حادثة سير سنة 1381 / 1961 بالرباط ودفن هناك بمقبرة علال بن عبدالله.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 10.

محمد ألحيان

بُوْيِـزَّم، أو بيزّم، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني سلمان الغمارية، وكان من بين أفرادها :

بُوْيِـزَّمْ، عبدالسلام بن المختار الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1787/1201.

بُوْيِـزَّمْ، محمد، فقيه كان حياً سنة 1761/1175.

وما زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 345 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البويضماني، القايد عقا أحسن المطيري. مجاهد ضد الغزو الفرنسي لشمال غرب الأطلس المتوسط الممتد حتى نواحي مكناس، وذلك بين تاريخ ظهوره كزعيم مناهض للاستعمار عام 1329 / 1911 إلى تاريخ نفيه عام 1333 / 1914.

كان ذا نفوذ في بني مطير وتزعم ثورة قبيلته إلى جانب زعماء القبائل الأمازيغية المجاورة منذ ثورة فاس سنة 1912 عقب إبرام عقد الحماية.

ومنذ سنة 1911/1329 أصبحت مدن مكناس وفاس معرضتين للتهديد الأجنبي، وحينئذ تحركت القبائل الأمازيغية لنجدتها وكان في طليعتها قبائل بني مطير وگروان وزمور الذين شاركوا في معركة 6 ربيع الأول 1329 / 7 مارس 1911 بقيادة القايد عقا البويضماني المطيري التي مهدت لحصار فاس من قبل القبائل الثائرة ضد التدخل الأجنبي.

ولما استغاث السلطان عبدالحفيظ بطابور موانيي وحضر أمام العاصمة زاد ذلك في غضب السكان. وشارك المطيريون مع الزرهوني يوم 4 جمادى الثانية /2 يونيو في معركة رأس الما، حيث تمكنوا من قتل الدكتور أوڤير Dr Auvert، وكذلك مع أيت يوسي في معركة البهاليل قرب صفرو.

جرب عقا البويضماني أساليب مناورة مع الفرنسيين لخداعهم. وفي 27 جمادى الثانية /25 يونيو بعث بنو مطير بجماعاتهم أمام طوابير الفرنسيين وقبلوا جميع شروط أمانهم. وفي 26 حاول الفرنسيون ألا يضيّعوا فرصة مماثلة وأن يستخرجوا منها فوراً جميع المنافع، فاتجهت طوابير گورو وبرولار نحو الحاجب مع مندوبي بني مطير واحتلوا يوم 28 القصبة التي أطلق عليها الغزاة اسم حصن ديفرير

Desfrères والتي تقرر مواصلة احتلالها نكاية في جميع هجمات أمازيغيي الجبل.

كان بنو مطير فخورين منذ البداية لتوفرهم على زعيم حرب شجاع هو عقا البويضماني الذي سعى ليزيد من عدد المجاهدين على الرغم من نشاط منافسه السياسي القايد الجيلالي. ولم يستطع استعراضُ القوة من قبل طابور صفرو في شوال / شتنبر، ولا تأسيسُ معسكر أگوراي تعطيلَ نشاط الجهاد الذي حرض عليه زعيم بني مطير والذي تطلب من الفرنسيين في صفر 1330/يناير 1912 تشكيل طابور جديد بقيادة الجنيرال دالبيي قام بغارات حتى أنوصر وقصبة سيدي رحو.

وقد تسببت الأحداث الجديدة بفاس في جمادى الثانية/ ماي المتمثلة في رفض الحماية وزادت في تفاقم الوضعية. وفي 15 جمادى الأولى/3 ماي كان بنو مطير المجاهدون قد استأنفوا بعين معروف صراعهم المفتوح ضد الفرنسيين والتحقت ثلاثمائة خيمة بالثورة بعد أن كانت في حُكم المنضمِّين. وكانت الحركة الكبيرة التي هاجمت الحاجب للمرة الأولى ليلة 9 و10 جمادى الثانية/26 و27 ماي قد أكدت على اعتبار بني مطير محاربين وسط الزيانيين وبني مگيلد التابعين ليوسف بن برّي. وتطابق هذا الهجوم مع الانقضاض على فاس من طرف القبائل. وجاءت تعزيزات عسكرية فرنسية متلاحقة في اتجاه العاصمة إثر الأحداث التي كانت مسرحاً لها، لكنها لم تتمكن إلاّ بشكل متأخر جداً من تعطيل حركة الثورة التي قادها بنو مطير بزعامة عقا البويضماني والذين كان عددهم يتزايد في كل يوم.

وعلى الرغم من احتفاظ الجنيرال دالبيي خلال شعبان/ يوليوز بجيش متنقل منظم بالحاجب فان هذا الإجراء لم يوقف حركة الثورة. وكان بنو مطير في عز فترة الانتجاع قد تنفسوا فوق هضابهم نسيم الحرية وانتشوا من جديد برائحة البارود. وعلى الرغم من استكمال حصادهم لنضوجه في السهل فإنه لم يكن مشكلاً بالنسبة لهم أن يقدموا خضوعهم المؤقت على سبيل المناورة. وعلى الرغم من التزام بعض القواد بالهدنة مع الفرنسيين وهم الجيلالي أوعلاّ وإدريس أورحو في رمضان وشوال وذي القعدة 1330/غشت وشتنبر وأكتوبر 1912 فإن عدد الثائرين تزايد يوماً عن يوم خصوصاً من جانب بني مطير الشرقيين الذين دفعوا بغزواتهم حتى واد النجا يومي 16 و17 ذي القعدة/27 و28 أكتوبر على خط المراحل وعرضوا أمنه للخطر.

ظل بعض بني مطير المجاهدين المثل الأعلى لبني مگيلد لأنهم أحبطوا جهود الغزاة الفرنسيين. وبدأوا بدورهم في ذي القعدة /نونبر في اتخاذ موقف هجومي واضح ضد الفرنسيين. ومنذئذ شاركوا في جميع الغارات التي باشرها بنو مطير ضد الدواوير الخاضعة. تكاثرت الهجمات من هذا النوع وكانت في 29 ذي القعدة/ 10 نونبر ضد گروان وأيت يازم. وفي 30 /11 ضد بني مطير أيت علاّ بضاية كشتان. وفي ليلة 26 و27 ذي الحجة /25 و26 نونبر بقصبة بوفكران التي نهبت، وفي 26 ضد أگوراي. وقد قطع الخط التيليغرافي مراراً وتكراراً في السهل. وكان الروگي وسيدي رحو وعلي أمهاوش وموحى البّا زعيم حرب بني مگيلد وموحى أُحمو الزياني وعقا البويضماني بمثابة زعماء ملهمين لهذه المقاومة النشيطة. وكانت جرأة المجاهدين قد تزايدت في نفس الوقت الذي عجز فيه الفرنسيون عن الانتقام.

وبعد تدويخ مجاهدي بني مطير لجيش الغزو خلال أول اتصال، بتعاون مع باقي مجاهدي الأمازيغيين المجاورين، وإلحاقهم به الهزائم تلو الأخرى، جرّب الفرنسيون نوعاً آخر من الاتصال تمثل في المحادثات الشخصية التي كانت في الحقيقة امتداداً للحرب وأسلوباً للتخفيف من حدة ضغط المجاهدين. وشُرع فيها في قلب البلاد المستنهضة من قبل الملازم پيزاني S. L. Pisani مع زعيم حرب بني مطير عقا البويضماني من 16 إلى 129 صفر 1331 /25. 28 يناير 1913 وقد بقيت بدون نتائج لأن الفرنسيين تعنتوا ورفضوا سحب جنودهم، وفي نفس الوقت كان نفوذ الروگي وسيدي رحو في تزايد وذلك من باب الاحتياط.

لم تكن نوايا الفرنسيين سَلْمية ولا سليمة، فزادوا في ضغطهم على عقا البويضماني الذي قبل شروط الأمان وحضر عند إيطو واستسلم في منتصف دجنبر سنة 1914، وقررالفرنسيون نفيه بإرساله للإقامة الإجبارية بالرباط.

وتسبب استسلام عقا البويضماني في تهدئة شبه كلية لبلاد بني مطير، غير أن خلفاءه من زعماء القبائل المجاهدة الأخرى واصلوا المعركة.

Rapport Mensuel du Protectorat, Janvier 1914, p. 2 - 3 ; *R.G.M.* N° 2, 1ère année, Oct., Nov., 1923, p. 88 - 93.

الملكي المالكي

بويعقوب، (سيدي ـ) مؤذن صومعة مدينة داي المندثرة بالقرب من مدينة بني ملال اليوم. هكذا اشتهر اسمه على الألسنة "سيدي بو يعقوب" وهو في كتب التراجم أبو يعقوب يوسف بن علي المؤذن. قال عنه بلديُّه يوسف بن الزيات التادلي : "كان عبداً صالحاً ورعاً كثير البكاء والاجتهاد، صلى حتى تفطرت قدماه... وسمعت أبي رحمه الله يقول : كان أبو يعقوب رجلا طويلا جهير الصوت يُسمع صوته على بُعد فإذا كان في السحر ينشد فوق الصومعة :

ياطويلَ الرُّقاد والغفـلات ... كثرةُ النوم تورثُ الحسرات
إنّ في القبر إن دُفعتَ إليه ... لرُقاداً يطولُ بعد المـات
ومِهاداً مُمهّداً لك فيـه ... بذنوب عملتَ أو حسنـات

ثم يبكي فلا يسمع أحد صوته إلاّ بكى لبكائه... وأكره على ولاية الحسبة ببلد داي فدخل على أهله وهو يبكي ويقول : لو أراد الله بي خيراً ما عرفني أحد، فامتنع عن أكل اللحم من السوق إلى أن أُعفي من تلك الولاية.

توفي في رمضان عام 557 /غشت ـ شتنبر 1162، وضريحه اليوم مهمل بين البساتين على يسار الذاهب من

بني ملال إلى عين أسردون قبل الوصول إليها بكيلومترين، تنبع من ضريحه عين تحمل اسمه وتجري بجانبه ساقية عين أسردون.

عينُ سيدي بويعقوب صغيرة لكنها جارية صافية "أُقيم عليها حمامان عبارة عن حائط دائري في كل منهما بدون سقف يعتبران كمسبحين قليلي العمق ... وقد بدأت أهميتها في الآونة الأخيرة أيام فصل الشتاء عندما يتعكر ماء عين أسردون، وأجريت عليها مؤخراً دراسات أثبتت أن بمقدورها أن تضاعف من كمية تدفق مائها" (م. عريوش، 1 : 56).

ي. التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، 167 ؛ أبو النعيم، *حلية الأولياء*، 7 : 219 ؛ م. عريوش، *من أعلام منطقة إقليم تادلة وبني ملال*، 1 : 56 و2 : 18 ـ 21.

محمد حجي

البويفروري، حميدة بن شلال. من مواليد مدشر إعلاطن، وأحد أعيان فرقة گزولة وقائد الحسن الأول على خمس بني بويفرور فيما بين سنوات 1299 / 1881 و1306 / 1888 على أقل تقدير. وإذا كنا غير قادرين على ضبط تاريخ التولية بدقة، وحصر الكيفية التي تم بها تعيينه، فإننا نرى أن وصوله إلى الحكم لم يكن بعيداً عن الأحداث التي اجتازتها قبيلة بني بويفرور، حسبما عبرت عنه مراسلة متم صفر عام 1298 / 31 يناير 1881. ففي تلك الأثناء كانت القبيلة تابعة لقيادة المختار ألغم الجواوي الگعداوي، وهي في حالة تمرد على قائدها، مما تطلب لإسكات تلك الفتنة الاستعانة بقواد قلعية جميعهم، بناء على أوامر سلطانية صارمة، والقبض على رؤساء الفتنة العشرة من فرقة گزولة، اثنان منهم من مدشر إعلاطن موطن حميدة بن شلال. (عمر بن محمد بن الهادي العلاطي، وأخوه علال). واستوجب في الأخير لرد الأمور إلى مجاريها وصول المحلة المخزنية في شوال 1299، بقيادة الطالب حميدة الشرگي واستقراره بقصبة سلوان من أراضي بني بويفرور.

ومثل هذا التمرد القائم ضد المختار ألغم لم يكن يرمي سوى إلى المطالبة بعزله والبحث عن شخص جديد ممن سيرأس القبيلة من أبنائها، مما ألفنا حدوثه أثناء تتبع الطريقة التي تفككت بها قيادة قبيلة قلعية على قائدها ألغم وابنه المختار. وحسب نظري فإن التمرد أسفر عن اختيار خمس بني بويفرور، وعلى رأسه فرقة گزولة، لحميدة بن شلال. فهذا هو ما يفسر لنا وجوده في منصبه يوم 26 جمادى الثانية عام 1300 / 4 ماي 1883، حينما تم استدعاء جميع قواد قلعية للاتصال برئيس المحلة المخزنية حميدة الشرگي للنظر في الطارئ من مشاكل الحدود مع مليلة المحتلة، بمساعدة أمين نفس الخمس الحاج محمد المحرّق آتي الترجمة.

تمتد أراضي خمس بني بويفرور بين الگعدة ومزوجة، خمسي قبيلة قلعية الآخرين. وتشمل المساحة الجبلية الشاملة للسفح الجنوبي من كتلة جبل أگرگور (جبل تازوطا) إلى آخر منحدراته المتصلة بمنخفض وادي أزغنغان. وتستمر أراضيه نحو الجنوب لاحتضان كتلة جبل وكسان إلى مجرى واد سلوان. (انظر التفاصيل في : *قلعية*، 1 : 120 وما بعدها). وحسب المستخرج من الوثائق المعاصرة لحميدة بن شلال، ومقارنة ما جاء فيها عن تقسيمات بني بويفرور بالوارد في *تقييد نسب قبيلة قلعية* لمجهول (سجل عام 939 / 1533)، فإن الخمس كان مؤلفاً من ثلاث فرق :

1 ـ بني بومْحَمّد، وهم الجماعات المستقرة بحوض أزغنغان حول واد "إحَركاشن" الأدنى، الذي تشرف عليه گعدة إثْلاثَن. ويدعون أيضا بأهل أزغنغان، حيث نجد من المداشر إجُهْرتَن وإكَسْرُوَن وإمَشْرُوبَن وإبُوبَن، من شرفاء أولاد داود التازوطيين. ويدخل ضمن أراضي الفرقة جميع الشعاب الجبلية الممتدة في اتجاه قمة تازوطا، من أراضي تُغاغَتْ وتَغَنمينْ.

2 ـ أهل جَبَل وكْسان (ويسان أيضا = جبل الفرسان) الكتلة الجبلية المعدنية المعروفة بقلعية. ومن المداشر الداخلة في هذه الفرقة مدشر "العمال"، إشارة إلى القرية العمالية المشتغلة في استخراج فلزات الحديد منذ القديم. ثم مدشر إبُگرنَن فأولاد حمُّ المطالسي والعساري وإحْبُشاتن (بني يحبش) وأغْمير.

3 ـ فرقة گزّولة أهم الفرق الثلاث لاستقرار أهلها في حوض واد خميس گزولة من أعلاه إلى أوسطه. تألفت بعض مداشرها من أسر عربية هلالية الأصل مثل إخرباشن، أحمر، الهداج، الجرامنة، ومن المهاجرين من بني توزين مثل أولاد يحيى العلاطي، ويدعى المدشر بإعلاطن وهو واقع جنوب قرية أفْرا. وإلى مدشر إعلاطن ينتمي صاحب الترجمة كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ونضيف من المداشر أولاد زكري وإسُلْطانَن وإبَركانَن وإبَروديَن (*قلعية*، 120).

تلك هي الفرق الثلاث وتجمعاتها الصغرى المسندة إلى القائد حميدة بن شلال البويفروري، في تاريخ قدرناه بسنة 1299 / 1881. برز البويفروري إلى غاية عزله خلال الأشهر الأخيرة من عام 1306 / 1888 أقوى شخصية ببني بويفرور إلى جانب باقي عمال قلعية الآخرين، أمثال محمد بن الهادي الشكري (بني شكر)، محمد بن العربي البوگافري سابق الترجمة (بني بوگافر) والمختار ألغم (جواوة وبني وكيل) والخضر بن محمد القائد الگعداوي (الگعدة) ولحسن المزوجي ومحمد بن قدور المزوجي (مزوجة).

كان من الضروري اشتراك حميدة بن شلال في مسألة الحدود مع مليلة، مثله مثل باقي قواد قعلية وأمنائها وأعيانها، والنظر في العواقب المترتبة عنها، سواء كان ذلك بدافع التضامن مع أهل قلعية أو تلبية للأوامر المخزنية الواردة عليه. ويهمنا هذا الصنف الأخير، إذ أن قائد بني بويفرور استدعي إلى قصبة جنادة فرخانة في مناسبتين هامتين :

1 ـ استدعي في 8 شوال 1299 / 1881 للاتصال بالطالب حميدة الشرگي، لحضور الاجتماع الذي ضم جميع قواد قلعية وأمنائها للنظر في حل مشاكل الحدود المتمثلة في التعرض للسفن القاصدة مليلة وضربها بالبارود ؛ ضعف القواد وعجزهم للحيلولة دون تلك الحوادث ؛ عدم ضبط عسة حد فرخانة بما يجب من الحزم والصرامة ؛ إحجام القلعيين عن إدخال الأقوات إلى مليلة طبقاً لما سبق الاتفاق عليه من الشروط. ومعلوم أن الحسن الأول كان حريصاً على تطبيق ما جاء في اتفاق عام 1276 / 1859 المبرم مع السلطان محمد بن عبد الرحمن.

2 ـ وحينما عاد مشكل الحدود إلى الضغط على مخزن الحسن الأول في رجب 1300 / 1882، بسبب الأحداث التي خلقها رجال مزوجة وبني شكر خاصة، نجد حميدة بن شلال من المبادرين إلى الإخبار بما يفهم من الجواب السلطاني : "وصل كتابك بقتل مزوجة وفرخانة نصرانيا قرب الحدادة، وكتب حاكم مليلة لخديمنا الطالب حميدة الشرگي (قائد إدالة قلعية) في ذلك، وإجابته له بما سكن روعته واشتغال المذكورين بالقطع ونهب زروع أهل مليلة وبحايرهم.. 27 رجب 1300". وبعد ذلك تم استدعاؤه إلى جنادة فرخانة للوقوف على ضبط العسة ومساعدة كل من قائدي مزوجة وبني شكر اللذين يعنيهما الأمر قبل غيرهما ويتحملان المسؤولية المباشرة في تلك الحوادث.

وإذا كان حميدة بن شلال على وفاق مع قواد قلعية، فإنه لم يكن كذلك مع المختار ألغم قائد فرقة جواوة وبني وكيل. ولا ننس أنه انتزع منه بني بويفرور في غضون سنة 1299. وفوق ذلك فإن حد قيادته إن لم يحاذ جواوة الگعداوية فإنه يجاور من جهة الجنوب بني وكيل العساري المستقرين آنذاك وإلى اليوم بالسهب الفاصل بين "عْرَوَات" (جبل العَرْوي حالياً) وسلوان، على الضفة اليسرى من واد "تْياوْت"، الذي هو واد سلوان. وكان بنو وكيل يقصدون سوق خميس گزولة بني بويفرور، وعليهم أن يخترقوا طريقاً ماراً بأراضيهم إذا أرادوا الوصول إلى سوق جمعة أهل الناظور أو الاتجاه إلى فرخانة.

ظهر الخلاف مع المختار ألغم حينما طلب عمال قلعية من الحسن الأول إبعاده عن القيادة، بحجة استمراره في إقلاق راحة العمال وخاصة القائد الخضر بن محمد حاكم فرق خمس الگعدة المنتزعة منه على يد قائدها الأول الحاج حم بن محمد بن الحسين الفكلاني، وبقي النزاع معلقا على مداشر إلحْيانَن (اللحاينة) وإدراجَنْ وأولاد غانم. فإلى عمال قلعية انضم حميدة بن شلال، وكان أول الموقعين للرسالة التي رُد الجواب عليها في 25 رجب 1300.

وسارت به الأمور إلى أبعد من هذا حينما لم ينصف المختار ألغم فيما نهبه بنو بويفرور لبني وكيل وأولاد زيد من الأمتعة ورؤوس الأغنام بعد أن طلب منه ذلك عدة مرات، مما اضطر ألغم إلى تقديم شكواه للسلطان. وهذا ما تحمله الرسالة السلطانية إلى حميدة بن شلال بتاريخ 26 رمضان 1300.

ومن المشاكل التي ظلت معلقة طيلة فترة قيادة حميدة ابن شلال مطالبة الحسن الأول إياه بتسديد ما كان بذمته من دين المخزن المترتب عن متابعة جمع وبيع أملاك أمين قلعية السابق لعام 1299، محمد بن حم الفكلاني، المشار إليه في ترجمة البوگافري محمد بن العربي، وما صاحب تلك المطالبة من الخلاف مع أمين بني بويفرور الحاج محمد المحرق والمواجهة في الأخير مع كبراء القبيلة نفسها.

تعرفنا على مشكل حميدة بن شلال الناتج عن دين محمد بن حم أول مرة بتاريخ 7 رمضان 1300. حينما ادعى على الأمين محمد المحرق تسلمه منه مقدار 1.200 ريال من تسديدات الدين، بقصد دفعها لأمين ديوانة مليلة، آنذاك الطالب محمد بن أحمد العسري. وبعد أن تبين لقائد بني بويفرور أن المبلغ لم يصل إلى مكانه طالب به محمد المحرق. وهذا أنكر توصله بالمقدار المذكور. والنتيجة انشطار الخلاف إلى قسمين : خلاف ابن شلال مع المخزن من جهة ونزاعه مع الأمين من جهة ثانية.

اشترى حميدة بن شلال، على ما يظهر، جميع أملاك محمد بن حم الفكلاني من المخزن، بناء على الأمر السلطاني الصادر في 5 شوال 1299 / 20 غشت 1882 إلى قائد إدالة قلعية حميدة الشرگي. تتألف من أرض سقوية بجوار وادي سلوان وأرض بورية، وهي أفضل ما في تلك الجهة من الأملاك، بلغت قيمتها حسب تقويم أمناء قلعية آنذاك 2.500 ريال. ويظهر أن قائد بني بويفرور سدد جزءاً من ذلك الدين، فلم يبق عليه حسب رسالة 21 شوال 1300 سوى 1.672 ريالاً. تجددت مطالبة السلطان بها إياه إثر تكليف أمناء قلعية بحيازتها منه. وارتفع هذا العدد إلى 1.900 ريال لدواع غير معروفة لدينا (8 رمضان 1301).

وقد عرف حميدة بن شلال طريقة التملص من الأداء ورد مطالبة المخزن بشتى الطرق بادعاء دفع نصيب من الدين، تارة إلى الأمين محمد المحرق (1.200 ريال)، وتارة أخرى إلى قائد إدالة قلعية حميدة الشرگي (21 شوال 1300) بعد أن تم نقل هذا الأخير إلى قصبة عيون سيدي ملوك (العيون الحالية بالمغرب الشرقي)، ليحل مكانه مبارك بن علي الدويلالي في فاتح محرم 1301. ثم ادعى بعد ذلك أنه سيدفع ما عليه من الدين بفاس قبل رمضان عام 1301 مما حمل محمد بن حم الخارج من السجن آنذاك على قيادة الغارات على ابن شلال، ولم ينفع هذا الأخير اتهام خصمه بالتعامل مع إسبان مليلة والتفاهم معهم لبيع قلعة غساسة قصد إعادته إلى السجن وإبعاده عنه.

وفي الوقت الذي توصل فيه ابن شلال بعزله في أواخر عام 1306، كان دين محمد بن حم لا يزال معلقاً، وحميدة بن شلال رافض لدفعه بحجة من الحجج، وسيرث ابنه محمد نفس المشكل كما سيتضح في ترجمته الآتية.

والظاهر أن من أسباب خلاف حميدة بن شلال مع قبيلته

بني بويفرور مشكل دين الأمين محمد بن حم. فأملاك هذا الأخير التي كان من المقرر بيعها بالمزاد العلني للقبيلة تحايل ابن شلال للاحتفاظ بها لنفسه، مما لا يتعارض مع نظر المخزن، إلا أنه طلب مساعدة الأعيان على شرائها لتسديد ثمنها البالغ نحو 2.500 ريال. ومن أجل ذلك استلف من الأعيان 400 ريال باستثناء مدشر إعلاطن الذي امتنع عن دفع 100 ريال إلا بعد حيازة الأرض (17 رمضان 1300). وقد ظل أرباب الدين يطالبونه بالتسديد مما كان له الأثر على انحيازهم إلى صف الأمين المحرق.

لكن انفجار التوتر بين حميدة بن شلال وبني بويفرور يعود إلى اتهامهم إياه برفضه الجلوس للمحاسبة معهم فيما قبضه من منال المخزن. ونفهم من هذا أن ما قبضه من الواجبات والزكاة والأعشار أكثر مما تبين لهم تسليمه للأمناء، مما دفعهم إلى الاحتجاج والمطالبة بالإنصاف، سواء من السلطان أو من قائد إدالة قلعية والأمناء، وقاد بني بويفرور إلى إعلان الحرب على قائدها أول مرة حسبما تشير إليه رسالة 19 ربيع الأول 1302 / 6 يناير 1885. وقد تجدد الاقتتال بين الطرفين في ربيع الثاني بناء على ما أدلى به مبارك بن علي الدويلالي الذي أخبر بسريان الفوضى إلى جهات أخرى من قلعية، مما أدى إلى الهجوم على قصبة سلوان وهدم بعض دورها. وقد اتهم بن شلال الأمين محمد المحرق بتلك الاضطرابات والوقوف وراءها (28 ربيع الثاني 1303).

وأغلب الاعتقاد أن الأمور لم تستقم لحميدة بن شلال منذ ذلك الوقت. ويصعب تأكيد ذلك أو نفيه بصفة قطعية لاختفاء اسمه من المراسلات المخزنية التي عثرنا عليها، ما بين 1303 و1306. وآخر علمنا باستمراره على رأس القبيلة يعود إلى 15 رمضان عام 1306 / 15 ماي 1889، حينما علمنا بتوصله، كباقي العمال، بالدعوة إلى المشاركة في حركة الحسن الأول إلى الغرب. تلك الحركة التي كلف بها قائد إدالة قلعية الجديد مبارك بن الطاهر الرحماني خلفاً لمبارك بن علي الدويلالي.

ظهر حميدة بن شلال خارج نطاق فترة القيادة في الوثائق إلى غاية 1315 / 1897. وتبين تلك الوثائق متابعة المخزن إياه فيما كان يبده من أرض محمد بن حم ببني بويفرور إلى أن اضطر للتنازل عنها حسب رسالة 25 رجب 1309. وحاسبه المخزن كذلك على نتاج أرض قصبة سلوان التي كانت توزع على قبيلة قلعية بالمزاد (السهمة). وهي تغطي المساحة الواقعة بين القصبة وقبة سيدي علي الحساني مما يلي الشرق. وحينما أصبحت سهمة بني بويفرور من نصيبه خلال سنتي 1309 و1310 كان عليه أن يؤدي ستين ريالاً، لقاء ما جمعه من الزرودية (الجزر) والفول والحبوب (22 محرم ؛ 22 جمادى الأولى ؛ 8 جمادى الثانية 1310).

وفي 15 محرم 1315 كان حميدة بن شلال لا يزال على قيد الحياة، إذ قبض عليه أولا ثم تم تسريحه. وسبب الإشارة إليه ما جاء في رسالة حم بن الهادي القلعي، قائد الگعدة، وهي تكشف عن الأملاك التي استولى عليها من عقار الأمين محمد بن حم الفكلاني.

توفي حميدة بن شلال بعد عام 1315 / 1897.

تقييد نسب قبيلة قلعية لمجهول، مخطوط خ. ع. تاريخه 939 هـ ؛ *وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ ح. الفگيگي، *قلعية*، 1 : 132. 133.

البويفروري، محمد بن حدُّ بن محمد أبرودي. من مدشر إبَرودِيّن (أولاد البرودي) التابع لفرقة أهل جبل وكسان. كان أبوه حدّ (أحمد) مقدم مدشره الواقع بجوار أغْسير وأصبح هو قائد قسم من بني بويفرور إلى جانب حميدة بن شلال منذ ما قبل 1306 إلى غاية الأشهر الأولى من عام 1307 / 1889.

والواقع أن الوثائق فاجأتنا حين أخبرت عنه بتحمله مسؤولية قيادة ثلاث فرق، بدءاً من رسالة 26 جمادى الأولى 1306 / 28 يناير 1889، هي فرقة بني بومحمد وجماعة إبويَنْ وأخرى لم تصرح الوثائق باسمها، ربما كانت المعنية هي جماعة إكسرون لادعائها الشرف، وامتناع أهلها عن أداء ما بذمتهم من الواجبات المخزنية، بعد أن نعتتهم الوثيقة الأولى المذكورة بإخوان محمد بن حد أبرودي. من أجل ذلك نؤكد أن الفرقة التي أخذت من حميدة بن شلال لتسند إلى القائد أبرودي هي فرقة بني بومحمد بما تتوفر عليه من الجماعات والمداشر (إمُبْهرتَن، إكسْرِوَن، إمَشْروبَن، وإبويَن) من أهل أزغنغان.

وربما عرفت فرقة بني بومحمد وملحقاتها بعض الهدوء قبل 1306، لكننا وجدناها أثناء تلك السنة في تمرد على محمد أبرودي وعلى مطالب المخزن. فقد أعلنت وثيقة 26 جمادى الأولى 1306 أنها مازالت ممتنعة عن أداء الواجبات المخزنية وتقديم المؤونة للعسكر ورافضة للمفروض عليها من الذعيرة البالغة 1.500 ريال. مما استدعى إرسال محلة برآسة القائد مسعود الراشدي ونشره الفزع والرعب بين بني بويفرور. الأمر الذي دفع بمحمد أبرودي إلى طلب الرأفة والعفو من السلطان لأهل قيادته (5 رجب 1306).

ويمكن أن نضيف إلى ذلك التوتر ما وصل من أمر التعبئة المطلوبة من الحسن الأول لقيادة حركته إلى الغرب، إذ كان على عمال قلعية الحضور إلى فاس بحصصهم من الرجال في أوائل شعبان عام 1306، بما مجموعه 1.300 محارب. ونعلم أن بني بويفرور خاصة، وقلعية بصفة عامة، لم تشارك في تلك الحركة. فقد طلب منها في البداية أداء غرامة عالية جداً ثم خفضت على سبيل الرحمة والرأفة مرتين. فإذا أخذنا مثال بني بويفرور، نجد أن زمام فاتح ربيع الثاني 1307 فرض على محمد أبرودي ما مجموعه 23.071 ريالاً، موزعاً على الواجبات (22.071 ريال) والذعائر (1.000 ريال) وتدنت الذعيرة في 13 ربيع الثاني إلى 6.000 ريال بالنسبة لأقسام قلعية الخمسة.

ولما كنا موقنين من أن قلعية لم تضخع للضغط المخزني المرافق لاستيفاء تلك الأموال فإننا لم نستغرب ما صدر في حق المختار ألغم قائد جواوة وبني وكيل ومحمد بن أحمد

الكبداني، قائد كبدانة ومحمد أبرودي من القبض عليهم ومحاسبتهم في أملاكهم (10 جمادى الأولى 1307) ونقلهم إلى سجن المصباحي بالعرائش (6 رجب 1307). وتكلف بإدارة شؤون بني بويفرور كلها قائد إدالة قلعية مبارك بن الطاهر الرحماني.

ويمكن تتبع أخبار محمد أبرودي البويفروري من خلال مراسلته التي بعثها من السجن بالاشتراك مع المحتجزين الآخرين يشتكون من قلة ما يصلهم من الأقوات. وظل بالسجن مدة طويلة إلى ما بعد 28 شعبان عام 1315 / 22 يناير 1898.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ كنانيش خ. ح. بالرباط : 162 / 28. 29 ؛ 468 / 280 ؛ ح. الفكيكي، قلعية، 1 : 132. 133.

البويفروري، محمد بن حميدة بن شلال. لا نعرف عنه أي شيء قبل 12 جمادى الأولى عام 1319 / 27 غشت 1901. وفي هذا التاريخ تبين أنه كان على رأس بني بويفرور، دائباً على حرث بلاد محمد بن حم الصائرة إلى المخزن في حياة والده، مما استوجب كتابة السلطان إليه ونهيه عن ذلك. وتذكر رسالة 2 ذي الحجة 1320 / 2 مارس 1903 بسابق توليته على القبيلة البويفرورية وأهل الگعدة الذين كانوا تحت نظر حم بن الهادي الگعداوي. وفي السنة التالية كان على استعداد لتقبل طاعة الروگي بوحمارة وقيادة حركته بقلعية. وهذا هو ما تم بالفعل باحتلاله لقصبة فرخانة في 6 محرم 1321 / 5 أبريل 1903 وقصبة سلوان في 19 منه.

وليس للباحث من سبيل لإبراز دور محمد بن شلال في حركة بوحمارة سوى الالتجاء إلى الرواية الشفوية، إذ أنه أصبح قائد قلعية بعد انسحاب الروگي إلى تازا. ويعبر عن مكانته في الحركة ما جاء في رسالة بوحمارة الجوابية الموجهة إليه بتاريخ 21 ربيع الثاني 1325 / 3 يونيه 1907.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ وثائق خ. ت.

البويفروري، محمد المحرّق، أمين بني بويفرور، من قبيلة قلعية على عهد الحسن الأول، عمل إلى جانب القائد حميدة بن شلال البويفروري السابق الذكر، ما بين 1299 / 1881 و7 ربيع الثاني 1307 / 1 دجنبر 1889 على أقل تقدير. أشير إليه في مراسلات أمناء قلعية إلى السلطان لأول مرة في 26 جمادى الثانية عام 1300، بمناسبة اتهام العمال بتهريب الماشية إلى الجزائر المحتلة. وقد كشف الأمناء واستغربوا اشتغاله بالتهريب ومساعدته العاملين فيه.

ولم تختلف المهام المخزنية التي شارك فيها محمد المحرق، عما ذكرناه من مهام أمناء قلعية عامة، وأمين بني بوگافر الحاج محمد العادگ خاصة. هذا ما يظهر من المراسلات التي تحمل توقيعه إلى جانب الأمناء ميمون بن المختار الفرخاني المزوجي (مزوجة) ومحمد بن عبد الله الشكري (بني شكر) ومحمد العادگ (بني بويفرور) وعلال بن المختار الفكلاني (الگعدة). هكذا نجده من المشاركين في فصل دعاوي حدود مليلة المحتلة بفرخانة في رجب عام 1300 / ماي ـ يونيه 1883، مما تمت الإشارة إليه في تراجم البوگافريين السابق ذكرهم، وفي ترجمة البويفروري حميدة بن شلال.

وأهم ما يميز سنوات وجود الأمين محمد المحرق على رأس أمانة بني بويفرور هو ذلك الصراع المرير الذي تعرض له على يد القائد حميدة بن شلال استمر طوال فترة حكمهما. بدأ نزاعهما حينما ادعى عليه قائد بني بويفرور توصله بمقدار ألف ومائتي ريال مما جمع من مال ذعيرة محمد بن حم الفكلاني أمين قلعية قبل سنة 1299. وقد أشرنا إلى ما كان ببني بويفرور من أملاك هذا الأمين في ترجمة البويفروري حميدة بن شلال. وقد طلب الحسن الأول بحث المسألة من قاضي قلعية الفقيه محمد بن علال الورياشي.

سيظل هذا المشكل معلقاً بين الرجلين طيلة حياتهما دون أن يعرف الحل. ذلك أن الحل يتأتى، حسب قرار قاضي قلعية، إما بالإثبات أو أداء اليمين، ما داء الأمين ينكر توصله بذلك المقدار من خصمه من جهة، ويرفض تأدية اليمين من جهة أخرى. والنتيجة أن حميدة بن شلال لجأ إلى استعمال القوة، مما اضطر محمد المحرق للالتجاء إلى قائد بني شكر آنذاك محمد بن الهادي الشكري والبقاء تحت حمايته ما بين رمضان وذي القعدة من سنة 1300. تمكن أثناء تلك المدة من التوجه إلى فاس وتقديم شكواه والعودة برسالة مساندة لرجوعه إلى منزله في أمان (17 و18 قعدة 1300).

لم تنج عودة محمد المحرق إلى مقره ببني بويفرور تحت حماية إدالة قلعية وقائدها مبارك بن علي الدوبلالي من مطاردة حميدة بن شلال. فحسب عدد من المراسلات، أولاها رسالة المختار ألغم قائد جواوة وبني وكيل، فإن القائد البويفروري تمكن من تدبير هجوم على دار الأمين المحرق بمساعدة الخضر بن محمد قائد الگعدة المجاورة له (16 ربيع الأول 1301). ونعرف وقائع ذلك الهجوم وآثاره التي استمرت إلى غاية ربيع الثاني من رسالة التضامن التي حررها أمناء قلعية الخمسة المعروفون لدينا لصالح المحرق في 21 ربيع الأول عام 1301.

والواقع أن أمثال تلك الوقائع تكررت عدة مرات واستمر التوتر بين الخصمين طوال ما تبقى من شهور تلك السنة، وحرص المحرق على متابعة ابن شلال في دين محمد بن حم الفكلاني (11 قعدة 1301)، وعلى رد ما أخذه من كبدانة (400 ريال) وعلى ضرورة تقديم الحساب بما أخذه من القبيلة من التكاليف المخزنية وواجباتها (29 ربيع الأول 1302). أضف إلى ذلك أن الأمين البويفروري تمكن من جلب القبيلة إلى صفه علاوة على ما كان له من أنصار يفوقون ما تضمنه ثمانون داراً (16 ربيع الأول عام 1301). ولذلك دأب حميدة بن شلال، من جهته على اتهامه بالمشاكل التي كان يعانيها من جراء خلافاته مع بني بويفرور، سيما إثر

هجوم هؤلاء الأخيرين على قصبة سلوان وهدمها مما زعمه هو وأنكره الأمين (26 جمادى الثانية و6 شعبان عام 1302). وخلال السنة التالية كان الخلاف ما يزال قائماً بين الطرفين (28 ربيع الثاني 1303).

ولا نعرف بالضبط ما وقع بعد ذلك لاختفاء كل من اسم حميدة بن شلال ومحمد المحرق من المراسلات المخزنية ما بين سنوات 1303 و1306، باستثناء رسالة 15 رمضان عام 1306 الدالة على استمرار ابن شلال في منصبه. ولكننا لا نعلم من رسالة أمناء قلعية الصادرة في 7 ربيع الثاني عام 1307، أنه كان مكلفاً في العام الفارط ببلاد المخزن التي بقصبة سلوان، وهي نفس الرسالة التي أعلنت عن وفاة محمد المحرق أثناء غيابه في طريق عودته من الحج.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ كناش خ. ح. بالرباط، رقم 353 / 177.

حسن الفكيكي

بُويَفْغْرَان، عبدالله بن حمو بن الحاج حدو، مقاوم ولد سنة 1318 / 1900 بدوار تلايوسف بنواحي مدينة الحسيمة، وانخرط في صفوف جيش التحرير بمركز بوزينب. كان يقوم بعملية صنع القنابل إلى أن توفي على إثر انفجار قنبلة كان بصدد صنعها سنة 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، ج ١.

عزالدين العلام

بُويفَنْزي، القائد علال بن القائد محمد البوزياوي، ينحدر من أسرة اشتهرت بقبيلة إداوْبوزيًا الحاحية بالرئاسة، ففي عهد القائد الحاج عبد الله أُبيهي أُمُولود (1256 - 1284 هـ) الذي توحدت قبائل حاحة الاثنتا عشرة تحت نفوذ حكمه الممتد إلى سوس، كان بويفنزي شيخا (أمغار) على قبيلته إداوْبوزيًا فكانت له السلطة المطلقة في فرض التسخيرات وتحصيل الجبايات التي يوفر منها لنفسه جزءا مهما اغتنى به فأصبح مؤهلا لتولي القيادة على قبيلته بعد موت القائد الكبير الحاج عبدالله أُبيهي، وتنحية ابنه محمد أمعضور، وخراب أزغار (قصبته)، فصادف ذلك كله تولية السلطان الحسن الأول حكم المغرب 1290 / 1873 فنهج سياسة تقسيم الإيالات الكبرى بين عدة قواد لإضعاف نفوذهم، وتسهل مراقبتهم بواسطة الأمناء، فعين على حاحة عدة قواد منهم القائد محمد بويفنزي أثناء مروره بحاحة في حركته إلى سوس عام 1889/1299. وبذلك أحكم بويفنزي قبضته على قبيلته رغم أنف خصومه، لأن قبيلة إداوبوزيا تتكون من فرقتين كبيرتين هما أيت سرحان في الجهة الشرقية وفرقة أمكثر الموالية لجهة الغرب، وإليها ينتمي القائد محمد بويفنزي. وكثيرا ما وقع الصراع بين الفرقتين على الرئاسة، كما حدث في أواخر العقد الثاني من القرن الرابع عشر (20 م) عندما قام بوتمناي بطرد القائد علال بعد وفاة والده مباشرة حوالي عام 1315 / 1897 فالتجأ إلى قبيلة إيداوْتغمًا عند أسرة المغاريين إلى أن واتته الفرصة فعاد إلى مقر قيادة أبيه بمساعدة القائد سعيد الگيلولي ففتك بقبيلته فتكة مشهورة "إذ أمر باحضار رؤسائهم فاجتمعوا في ضيافته فأمر بنطفية في وسط داره فأُوقدت حتى صارت أتون الجحيم، فصار يستدعيهم واحداً فواحداً ويلقيهم فيها حتى أهلكهم بها أجمعين" (المختار السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مرقونة، ص 29). وبعد ذلك أعاد القائد علال بناء قصبته الواقعة على بعد أربعة كيلومترات شرق مركز أيت داود وتدعى : بأكادير نْ بُويفَنْزي، وقد اقتصر في حكمه على هذه القبيلة الجبلية الغنية بأشجارها المثمرة وغاباتها الشاسعة سواء في عهد ما قبل الحماية أو بعدها، فهو من المنقادين للاحتلال الفرنسي وعياً منه بأنه لن يستطيع وحده وقف زحفه، وقد اشتهر بالحكمة والتبصر في تدبير شؤون القبيلة فنعمت قبيلة إيداوبوزيا في عهده بالسلم لأنه قانع بما في يده، وكذلك كان والده "إذا لاقى رجال الحكومة يَتَبَالَهُ فينجو من أمور كثيرة بِبَلَهِه الظاهر الذي يعذر به معه" (المختار السوسي، *من الحمراء إلى إيليغ*، ص 29).

ومن حسناته تشجيع الحركة الثقافية في إيالته حيث قام بتجديد بناء مدرسة بيرامَانْ واستقدم إليها علماء أجلاء للتدريس بها أمثال محمد بن محمد المغاري والحاج سعيد بوستة البوزياوي المتخرج بالسعيدات فضمه القائد علال إلى مجلسه واتخذه مستشاراً له، وزوّجه ببنت أخته إكراماً للعلم والعلماء، فقام الفقيه بوسته بمهمة التدريس حسب ما تسمح به ظروف الحماية فتخرج عليه من مدرسة بيرامان علماء يمثلون زينة عصرهم في الثقافة العربية الاسلامية. وفي حوالي عام 1945/1365 قدّم القائد علال ولده الحاج محمد قائداً على القبيلة خلفا له لأنه أحس بالشيخوخة تدب في أوصاله، بينما القيادة في عهد الحماية أصبحت تتطلب المزيد من اليقظة لمسايرة مستجدات الإدارة الحديثة. فقام ولده هذا بذلك أحسن قيام إلى نهاية عهد الحماية، فعاش أبوه معززاً مكرما في كنف خليفته إلى أن توفي عام 1953/1373 مخلفاً ثلاثة عشر ولدا تلقى المتأخرون منهم بالخصوص تعليمهم بالمدرسة الحديثة التي أنشأها بداره منذ عام 1946/1366 في إطار تنفيذ مخطط (لابون) الفرنسي الهادف إلى القضاء على الأمية لدى الأطفال المغاربة خاصة في البوادي، وقد استطاع أولاد القائد علال بامكانيات والدهم أن يلتحقوا بالتعليم الثانوي في المدن كالصويرة ومراكش فأصبحوا اليوم موظفين في الإدارات العمومية. ومع بداية عهد الاستقلال تغير نظام تعيين القواد فأبعد القائد الحاج محمد بويفنزي عن قبيلته فترة ثم عاد إلى مقر أسرته حيث عاش إلى أن توفي عام 1972/1392. وبذلك انتهت الرئاسة في أسرة بويفنزي البوزياوى الحاحي.

م. م. السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مخطوط ؛ *رواية شفوية* عن أقارب المترجم وأعوانه.

محند أيت الحاج

بويكندي، ورد هذا الاسم هكذا في كتاب *أخبار المهدي* للبيذق (ص 67) دون المصادر المعاصرة له. ويبدو من

القرائن والأوصاف التي يقدّمها عنه وعن دعوته أنه هو نفسه ابن هود السلوي المشهور بالماسي الثائر في أول دولة الموحدين. (انظر مادة : الماسي).

أحمد عزاوي

بويكنيفن (أيت ـ)، جذع من خمس أيت واحليم، أحد الفروع المكوِّنة لاتحادية أيت عطا. وهذا الجذع ينتمي إليه كل من أيت بويكنيفن، وأيت بْراهيم أ يُوسف، وأيت علي أ سعيد، وأيت سعيد أ داود، وأيت بْراهيم أ يعقوب.

أخذ أيت بويكنيفن اسمهم هذا من "أكناف" وهو مفرد مذكر وجمعه إيكنيفن وتعني الأحشاء وأيكنيف الشِّواء. وقد يكون هذا المعنى مرتبطاً بعادة خاصة في كيفية طهي أحشاء الأنعام أمام كل من سيأكل منها مخافة الاتهام بوضع السُّم، وهذه عادة ما تزال معروفة لديهم إلى اليوم.

يشمل موطن أيت بويكنيفن الرقعة الجغرافية الممتدّة بين جبل صَغْرُو جنوباً إلى حدود مواطن أيت مسّاض بالأطلس الكبير الأوسط (تالمست) ومن تُدغة شرقاً إلى دادس غرباً (بومالن). ويمثل هذا المجال المرحلة الوسطى لترحال وانتقال أيت عطا بين الصحراء والأطلس وتادلا (أ مالو).

لم يعرف تاريخ لهذه الفرقة قبل القرن الثالث عشر (19 م)، وكانت الأخبار عنها متضمنة في سياق التاريخ العام لأيت عطا. وقد يكون استقرار هذه الجماعة بهذا المجال حديث العهد (القرن الماضي)، لكن لا كمستقرين بل كرُحّل وأنصاف رحّل بفعل انقسام الوحدة العائلية بين الرعي والزراعة والتجارة والإقامة بالمنازل (إغرمان) على الضفة اليسرى لواد دادس وإميغْر. وهذه المرحلة هي التي عرفت صراعات الرحل ضد المستقرين حول مياه وادي دادس الدائمة الجريان وحول الطرق التجارية تافيلالت ـ تدغة ورزازات ـ تلوات ـ دمنات ـ مراكش، وطريق تدغة ـ درعة (*الاستقصا*، 7 : 60).

وعلى عادة أيت عطا وعرفهم تيعَقّيدين المشتقة من الكلمة العربية العقود، وهي في الصيغة الأمازيغية جمع مؤنث لمجموعة من الأعراف المكتوبة والمودعة بإغرم امزدار القصر السفلي الموجود بتاغيا جنوب صَغْرُو (انظر تيعقدين في *المعلمة*). وفي أواخر القرن الماضي بدأت محاولات القائد المدني الأگلاوي من أجل ضم قبائل أيت سدرات ودادس إلى قيادته، تطبيقا لمقتضى الظهير السلطاني الذي عُيِّن به منذ سنة 1281 / 1864. وبعد مقاومة هذه القبائل لهذا التوسع مدةً غيّرت من خطتها بالتحالف مع القائد المدني ضد أيت عطا وأيت بويكنيفن بصفة خاصة لأجل إخراجهم وإبعادهم عن المجالات التي استولوا عليها. وأمام هذا الضغط الخارجي فضل الشيخ مُوحْداش بن الحاج فاسكا الدخول في طاعة عائلة الأگلاوي، إذ أن ذلك سوف يكسبه الاحتفاظ بالأراضي والمنافذ التجارية (السوق الأسبوعي ببومالن والأسواق الموسمية) وباستغلال مياه واد دادس والتحكم فيه، إضافة إلى أن تحالف أيت دادس وأيت سدرات ضده سوف يتخلى عنه القائد المخزني (المدني) حالما يدخل تحت طاعته. وكانت هذه الخطة إيجابية بالنسبة لمستقبل أيت بويكنيفن، لكنها أدت إلى انشطار التعاضد الداخلي لأيت عطا لكون إحدى فرقهم دخلت تحت قيادة غير قيادة الشيخ العام الذي يختار من بين شيوخ الفروع والأخماس الذي كان يحاور المخزن والسلاطين باسم الاتحادية.

استمر الشيخ موحداش في زعامة أيت بويكنيفن إلى بداية الثلاثينات من هذا القرن. فعندما وصلت القوات الفرنسية في العشرينات إلى مناطق دادس وأيت سدرات بقي هذا الشيخ وفياً لسياسته السالفة في الدفاع عن مصالح جماعته الصغرى والتخلي عن تحالفات أيت عطا. وقد لعب دوراً خطيراً أثناء الإعداد لمعارك بوگافر بجبل صَغْرو ضد ايلمشان وأيت عيسى أ براهيم في خريف سنة 1932 وشتاء سنة 1933 (فبراير). وبعد ذلك بقيت الزعامة في أسرته إلى سنة حصول المغرب على الاستقلال 1956.

وأيت بويكنيفن تابعون اليوم لمركز بومالن دادس ودائرته بإقليم ورزازات.

م. كربخال، *افريقيا*، ج 2، 1984 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 7، 8، 9 ؛ المهدي الناصري، *الغطريس*، مخطوط ؛ *الرواية الشفوية*.

Carte des Tribus, 1977 ; A. Guillaume, *Les Berbères*, 1946 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta*...., 1936.

محمد أوجامع وصفية العمراني

پويمِيرُو، جوزيف Poeymirau, Joseph، ولد في مدينة پُو Pau بفرنسا عام 1869، وتخرج من المدرسة العسكرية بسان سير Saint Cyr، قدّم خدمات عسكرية بالجزائر وفي عام 1905 التحق بليوطي في عين الصفراء. شارك في غزو وجدة عام 1907، ثم في غزو الشاوية، وكان في طاقم ليوطي بعد تعيينه مقيماً عاماً بالمغرب فصار مديراً لديوانه، وشارك گورو في غزو أحواز فاس، وكلف بالربط العسكري بين غرب المغرب وشرقه.

وفي سنة 1914 شارك في الحرب العظمى بأوربا (معارك المارن)، لكنه استدعي إلى المغرب في دجنبر سنة 1915 حين اشتدت معارك الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، وأسندت إليه مهمة مساعد القائد العسكري لفاس، ثم عين قائداً عسكرياً لمدينة مكناس يوم 21 مارس 1916، وفي هذه المدينة قدم خدمات جلى للأوربيين. من ذلك تعمير مدينة جديدة خاصة بسكنى الأوربيين بهضبة حمرية وتشجيع المعمرين على امتلاك أخصب الأراضي بنواحي مكناس ومدهم بوسائل استغلالها.

اتخذ پوميرو مكناس منطلقا لعمليات حربية ضد الأطلس المتوسط، فاحتل تاغزوت بَقْريتْ وغيرها عام 1917 عبر تيمحْضيتْ، وقد وصل إلى تافيلالت للقضاء على ثورة نفروتن، وحاصر أرفود في دجنبر 1918، وواجه ثمانية آلاف من المجاهدين في معارك أولاد سعيد وقصر السوق وتيرمات وغيرها.

أجبر پوميرو قبيلة زيّان على الاستسلام سنة 1922 بعد معارك صاخبة احتلت بعدها منابع أم الربيع، وفي هذه السنة رقي إلى رتبة جنيرال. وقام بغزو وزان وتازا وسير عمليات الفلاقين وأولاد غلال وباب حسين وتروال الخ.... وفي عام 1923 ترأس پوميرو عمليات تمكن بها من ربط الاتصال بين مناطق ملوية ومناطق وادي سبو. وهكذا لم يعرف پوميرو الراحة إلى أن توفي في يناير سنة 1924، وقد قام المقيم ستيك بتدشين تمثال برونزي لپوميرو نصب بمكناس في 24 أبريل سنة 1927، وقد ظل قائماً إلى الاستقلال عام 1956.

بوشتى بوعسرية

بُويّن، أنطوني، Boyn. A، أمريكي من مواليد فيلاديلفيا، استوطن الدارالبيضاء حوالي سنة 1880 وكانت له خلطة شديدة مع المغاربة الذين كانوا يسمونه "المعلم طونيو" لأنه كان محترفاً عدة مهن. وأسرته من أقدم الأسر الأمريكية المستقرة بطنجة والجديدة منذ سنة 1833.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 849.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 486.

پوينْطي، فرانسيسكو، Puente, F نائب قنصلي لإسبانيا بالرباط سنة 1873 إلى أن نقل إلى الصويرة قنصلا سنة 1875. وكان من مراقبي المراسي المغربية منذ سنة 1863.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 775.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 156.

مصطفى بوشعراء

پوينْو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث ما زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم، والكلمة معناها طيّبٌ أو جيّدٌ. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1735/1147، لكننا نجد داراً بحومة الترنكات منسوبة إليها في الإحصاء الذي جرى بالمدينة سنة 1841/1257.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 350 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

البُويهَات، فخذة من قبائل الركيبات الكواسم سكان الصحراء المغربية تتكون من الفرق التالية : أهل دادا، أهل القاضي، أهل سيدي أحمد بن يحيى، أهل حيون، أهل سيدي عبدالله بن موسى، أهل الصيبة، العيايْشة، المرازكية (انظر رقم 2 بالخريطة).

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1 : 114 و413.

I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 215 ; A. Domenech Lafuente, *Algo Sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 149.

محمد ابن عزوز حكيم

البُويهي، أحمد بن ابريك، مقاوم ولد سنة 1352 / 1933 بمدينة القنيطرة وشارك ضمن خلية الهلال الأسود بنفس المدينة مع المسؤول عبدالسلام بن محمد، وكان بيته مركزاً لإخفاء السلاح الذي يتم الحصول عليه بوسائل مختلفة ويستعمل سيارته لهذا الغرض متنقلا بين مدينتي الرباط والدارالبيضاء. وظل يكافح إلى أن استشهد في 12 مارس سنة 1956.

كتاب شهداء الاستقلال، 1 : 9.

عزالدين العلام

البيئة، موضوع حيوي صار يعتبر أحد مواضيع الساعة. فبعد أن كان الاهتمام بالبيئة يقتصر على أقلية تنادي بالرجوع إلى الطبيعة وحماية الوسط الطبيعي، أصبح الآن يعم فئات واسعة من المجتمع. هذا الموضوع أصبح مركز اهتمام الجمعيات الثقافية والأحزاب السياسية ورجال الدولة، وينتج هذا الاتساع عن جسامة المشاكل المطروحة خاصة على إثر سلسلة من الكوارث هزت العالم بأسره.

وفي المغرب انطلق الاهتمام بالموضوع ـ كما حدث ذلك في سائر دول العالم ـ في إطار محدود لا يتعدى عدداً من الجمعيات والأندية. ثم أبدت السلطات الحكومية انشغالها بالموضوع، فتم إسناد هذا الحقل إلى الادارة المكلفة بإعداد التراب الوطني، كما أكدت على ضرورة تعميم تدارس الموضوع والبحث عن الحلول الناجعة للمشاكل المستعصية، واتضح هذا من خلال التشجيعات التي قدمت للجمعيات الجهوية لكي تعقد مناظرة دولية في الموضوع، في ربيع سنة 1990، الهدف منها نشر الوعي بأخطار التلوث والاستفادة من تجارب الدول الأخرى، وقد أصدرت هذه المناظرة تصريحاً هاما، يدعى "إعلان شالة"، مؤرخاً في 17 ماي 1990، يعتبر احدى اللبنات الأساسية لتحضير ميثاق وطني حول البيئة والتلوث، ومن المنتظر أن يضم هذا الميثاق في نفس الوقت وصفاً دقيقاً للوضع البيئي الحالي في المغرب وتحليلا للمشاكل الكبرى المطروحة، وأخيراً قوانين أساسية تسعى إلى الحد من تدهور البيئة وتحول دون تعميم أخطار التلوث.

يتسم الوضع البيئي في المغرب بالهشاشة والحساسية، وذلك لعدة أسباب :

ـ أولا : أسباب طبيعية، تتمثل في موقعه الانتقالي بين المجالين المعتدل الرطب من جهة، والجاف الصحراوي من

جهة أخرى، الشيء الذي ينتج عنه في كثير من الحالات خصاص مائي، هشاشة للغطاء النباتي، حساسية مرتفعة تجاه عمليات الانجراف، تهديد مجالات واسعة بخطر التصحر.

- ثانيا: أسباب جغرافية حيث موقع المغرب على مقربة من البلدان الأوربية وعلى سواحل بحرين يعرفان نشاطا مستمراً للملاحة والصيد، وهو سبب في التهديد الدائم الذي يصيب الثروات البحرية وبيئة الساحل، والذي قد يساهم في عرقلة التطور العمراني والصناعي والسياحي لكل المجال الشاطئي.

- ثالثا : أسباب بشرية تتلخص في التزايد المطرد للضغط البشري على الثروات خاصة في عدد من الأوساط الهشة كالمجالات الجبلية، وفي اتساع الرقعة الحضرية على حساب الأرياف بشكل يدعو إلى تعدد كل المشاكل الناتجة عن التكدس البشري المفرط.

المشاكل البيئية بالمغرب إذن عديدة ومتنوعة، بعضها لها ارتباط وثيق بالجوانب الاقتصادية وهو الذي يتمثل في الأعراض التي تهدد مستقبل الثروات، والبعض الآخر يتعلق أكثر بظروف العيش وجودة الإطار. وفي حديثنا هذا لن نتطرق لجميع هذه المشاكل، وإنما سنكتفي بأهمها وأخطرها.

1 - البيئة والثروات الطبيعية. يتمثل تدهور الوسط الطبيعي في ظهور خلل يمس التوازنات الطبيعية ويهدد بانقراض عدد من الثروات وبفساد ظروف عيش السكان. هذا الخلل تفسره فعلا هشاشة البيئة الطبيعية، لكنه ناتج قبل كل شيء عن أسباب بشرية وتاريخية جعلت ظروف استغلال الثروات تتغير في الفترات الأخيرة بشكل صار يمنع من توفير الظروف الملائمة لاستمرار التوازن ولضمان تجدد الموارد بشكل عادي.

وهناك فكرة عامة تلخص الأوضاع المسؤولة عن إتلاف المحيط الطبيعي وهي أن السلوك البشري تجاه الثروات صار يتميز بالإفراط في الاستغلال والاستهلاك. إلا أنه من الواجب الفصل بين وضعيتي إفراط متناقضتين :

- إفراط يتسبب فيه البحث عن المزيد من الانتاج ومن الدخل ويستخدم التكنولوجيا الصناعية الحديثة للوصول إلى هذه الغاية، وفي كثير من الحالات دون هضم كل الجوانب المتعلقة بهذه التكنولوجيا. ثقل التقنيات من جهة وعدم التحكم في بعضها من جهة أخرى، كثيراً ما يحدث إتلافا وتدهوراً قد يؤدي في النهاية إلى تناقص في المردود. وهكذا فإن البحث عن الكم، على حساب الكيف، قد ينتج وضعيات تُناقض الغايةَ المستهدفة، بالإضافة إلى أشكال تدهور غير منتظرة وعادة شديدة الخطورة.

- إفراط يرتبط بالخصاص والتخلف، وينتج عنه استهلاك جائر لموارد شديدة الحساسية تتجدد تلقائيا في ظروف الاستغلال المتزن والعقلاني، وعكس ذلك تتراجع بسرعة وبدون أمل في التعويض والتجدد كلما تم اقتلاعها بشكل مفرط، مثلا من طرف ساكنة فقيرة لا تتمكن من ضمان قوتها اليومي إلا عبر الاستغلال المباشر للمصادر الطبيعية، كخشب الوقود والرعي في الغابة وتمديد الاجتثاث من أجل إقامة فلاحة الخ....

وبين هذين النوعين المختلفين من الافراط ارتباط عضوي وثيق ؛ ذلك أن كليهما ناتج عن مسلسل تاريخي واحد. فكما أن هناك علاقة وطيدة بين المظاهر التي يكتسبها إتلاف الثروات (اجتثاث الغطاء النباتي - انجراف التربة - انقراض عدد من الأنواع النباتية والحيوانية - زحف الرمال وتصحر مجالات نصف جافة)، هناك علاقة كذلك بين الظروف والأسباب المسؤولة عن هذا التدهور، تتمثل في التحولات الجذرية التي عرفتها الأرياف في المراحل الحديثة من تاريخها.

تتلخص هذه التحولات في التدخل الاستعماري، بداية القرن العشرين، الذي أدى بعد استحواذ المعمرين على أجود أراضي السهول إلى تقليص المجال العقاري لعدد من القبائل. وقد أدى هذا إلى الإفراط في استنزاف موارد المجالات الهامشية والمتميزة بهشاشتها، بينما أدخل المعمرُ في المجالات التي استحوذ عليها تقنيات وأنظمة إنتاجية جديدة كان للبعض منها أسوأ الأثر على البيئة، من بينها الافراط في استخراج المياه الباطنية وبالتالي تهديد مساحات شاسعة بشبح التصحر.

الموارد الطبيعية لها علاقات متنوعة مع معطيين بشريين، وهما النمو الديمغرافي من جهة، والانماط الفلاحية من جهة ثانية.

أ - العلاقة مع النمو السكاني. معلوم أن النمو الديمغرافي المسجل حديثاً، منذ بداية القرن، يعني التزايد في وتيرة الحاجيات، وبالتالي يتسبب في اقتلاع جائر لعدد من الثروات، كما يتسبب في البحث عن تقنيات ووسائل أكثر فعالية تسمح بالرفع من الانتاج، لكن كثيراً ما تكون مضرة بالوسط الطبيعي.

يفوق التزايد السكاني حاليا 2.6٪ ويطرح بالحاح إشكال الخصاص المائي على المستوى الوطني. فحالياً يتم استعمال أكثر من ثلث الموارد المتوفرة، ويمكن القول إن ما تبقى من مصادر مائية، لا يمكن تعبئته إلا باستعمال تقنيات ثقيلة، تعني ارتفاعاً هاما في التكلفة. وهذا يعني أن التزايد في طلب الماء، قد يدعو إلى تحويل قسط من الثروات عن غايتها الطبيعية المعتادة، والمتمثلة في الحفاظ على التوازن النباتي والانتاجي لعدد من المجالات الفلاحية، الشيء الذي يهدد هذه المناطق بالتحول إلى مساحات جرداء قاحلة. ولا يخفى أن الطلب الحضري للماء الشروب، ربما يكتسي من الإلحاح ما يجعله يسبق الطلب بغاية الري، أو بالأحرى الطلب الذي يسعى للحفاظ بالنسبة لمنطقة ما على توازن حيوي.

كما أن التزايد السكاني يهدد الثروة الغابوية. ونعلم أن داخل الغابات وبجوارها يعيش حوالي ربع سكان البلاد.

ويتسبب الاقتلاع المفرط في ضياع مساحة غابوية مقدارها 10.000 هكتار سنويا، بينما لا يتم تشجير سوى أقل من 50٪ مما يضيع عن طريق الاجتثاث والحرائق.

وساهم تزايد الضغط السكاني على المجالات المنحدرة في توسيع الرقعة التي يهمها أو يهددها الانجراف. كما ترتفع وتيرة إتلاف الأتربة نتيجة تفاقم خطورة الآليات المسؤولة عن التعرية وخاصة منها الآليات الهدروغرافية.

لكننا عندما نعتبر أن النمو الديمغرافي سبب في الضغط على الموارد وتقلصها، فإننا نعتبر كذلك أنه لا سبيل إلى الحد من التزايد السكاني السريع دون الرفع من مستوى عيش السكان، أي دون توفير موارد إضافية. فتصبح المعادلة إذن شديدة التعقيد إذا اعتبرنا أن في كثير من النواحي صار من الصعب الرفع من الإنتاج دون الإخلال بموازين البيئة الطبيعية.

كما تجب الإشارة إلى أن كل إفراغ مفاجئ لمنطقة لها حساسية مرتفعة، ـ مثلا بسبب الهجرة القروية التي صارت حتمية على إثر استنزاف كل إمكانيات الرفع من الإنتاج ـ لا يمكنه إلا أن يمثل تهديداً تجاه توازن البيئة، ذلك أن التخلي كثيراً ما يسرع من فعالية عدد من الآليات. والسبب هو أن الإنسان يتوقف عن الوقاية التلقائية التي كان يقوم بها وعن العلاج المستمر الذي يقدمه حفاظاً على البيئة والثروات. وتوقف هذا الحرص بسبب التخلي عن المجالات الحساسة قد يخلق ميكنزمات لم تكن منتظرة.

ب ـ العلاقة مع النمو الفلاحي. ترمي السياسة الفلاحية إلى غايتين : من جهة إشباع المتطلبات الغذائية للبلاد وبذلك يتأثر ضمان الكفاية ؛ ومن جهة أخرى الاستجابة لحاجيات الفلاحين أنفسهم وتكثيف الفلاحة قصد الرفع من المردودية يتطلب عادة اللجوء إلى عدد من المواد الكيماوية كالمخصبات والأدوية، وإلى مكننة تزداد ضخامة، وكذلك إلى الرفع من الحصة المائية المخصصة للري.

مثل هذا التطور تكون له نتائج سلبية واضحة : تفقير التربة ـ إنهاك الموارد المائية ـ تلويث الفرشات الباطنية. كما أن المكننة المفرطة تساهم في تهشيش التربة وجعلها عرضة للتعرية المائية والريحية، وبالتالي الوصول إلى التصحر.

هكذا نرى أن البحث عن إنتاج أقوى مثل البحث عن القوت وإشباع الحاجيات الأساسية للفلاح، كلاهما قد يقود إلى نفس النتيجة، يعني إتلاف الثروات وتدهور إمكانات النمو في المستقبل، وذلك لان تدهور البيئة يعني في نفس الوقت إتلاف الموارد وبالتالي الدخول في مسلسل يؤدي إلى تعميق التخلف.

2 ـ الصناعة والتجهيز وقضايا التلوث. المشاريع الصناعية هي كذلك تبحث عن انتاجية متزايدة، وبالتالي تستعمل وسائل وموارد أكثر تعقيداً، كثيراً ما تكون شديدة التلويث. والمواقع الصناعية ليست دائماً مدروسة بطريقة تسمح بتلافي أهم الأخطار المحدقة بالمستوطنات البشرية، وفي بعض الحالات بمظاهر حضارية لها قيمة خاصة.

وتتسبب الصناعة والتجهيزات غير المراقبة في تلويث الموارد المائية. وهذا موضوع شديد الحساسية، لأن المغرب في وضع خصاص يتطلب منه تعبئة مصادر إضافية، الشيء الذي يقتضي تكاليف باهظة تنفق على الخصوص لتشييد السدود وإنشاء محطات التصفية وشبكات التوزيع. ومنذ سنة 1970 أوضحت الدراسات أن مياه الأنهار الكبرى لم تعد قادرة على التصفية الذاتية لمجموع الواردات الملوثة الواصلة إليها، وخاصة منها التلويث الناتج عن معامل السكر. كما أن المياه الباطنية نفسها لم تبق في مأمن من هذه الأخطار، الشيء الذي يحتم اللجوء إلى وسائل لدرء أخطار التلوث قبل وقوعها، حفاظا على جودة المياه.

3 ـ الميدان البحري والساحلي. يوجد المغرب عند ملتقى الممرات البحرية الدولية، وفي موطن اقتراب تيار بارد مياهه غنية بالعلق من الشاطئ. ويكسبه هذا موقعاً استراتيجياً واقتصادياً ذا أهمية بالغة وعلى الخصوص في الميادين التالية : ميدان الثروات الحيوية، ميدان النقل البحري، ميدان التطور العمراني والسياحي الساحلي.

وتعد الامكانات الحيوية للمحيط والبحر المتوسط هائلة، تلعب دوراً أساسياً في النمو الاقتصادي والاجتماعي، حيث يشغل هذا القطاع حوالي مائة ألف عامل ويمثل 12٪ من الصادرات الإجمالية للمغرب، أي 40٪ من الصادرات المتعلقة بالمواد الغذائية.

ويوجد المغرب أمام بحار تجتازها السفن التجارية بكثافة جد عالية، ومن بينها السفن المحملة بالنفط. فالمحيط تجتازه يومياً حوالي مائتين وخمس وستين باخرة وشاحنة بترولية محملة بما معدله مليون طن. كما تمر عبر المضيق مائتا باخرة في اليوم، ينقل بعضها مواد كيماوية شديدة الخطورة.

ولذا فالثروات الحيوية البحرية، وكذلك بيئة السواحل، مهددة باستمرار. من جهة بالإفراط في استهلالك الموارد، ومن جهة ثانية بحدوث كوارث قد يكون لها أسوأ الأثر. ويجب التذكير بالحادثة التي هددت الساحل المغربي في شتاء سنة 1990. هذا المجال يتطلب بالإضافة إلى دراسة دقيقة للإمكانات الحيوية قصد العمل على وقايتها من الاستنزاف، يتطلب كذلك الرقابة المستمرة للساحل ووسائل تقنية مجهزة للإنقاذ، وأخيراً وسائل قانونية متعددة تتوخى الوقاية، من بينها العمل على تطوير التعاون الدولي.

4 ـ المستوطنات البشرية. النمو الحضري السريع وربما المفرط والمرتبط بنموذج تنمية غير متواز يفسر المرور من عادات استغلال متزن للمجال إلى حالة استهلاك مفرط لمساحات كانت تعتبر منتجة ومخضرة، تعوضها مبان تفتقر في غالب الأحوال إلى الجانب الجمالي اللازم للحفاظ على جودة محيط عيش السكان. كما أن الإفراط في الاستهلاك يصيب كذلك الثروة المائية وينتج تلويثاً له أسوأ الأثر على صحة السكان. ويمكن كذلك اعتبار مظاهر أخرى هي من

نتائج التكدس، كتراكم الأزبال والنفايات واكتساب عادات قبيحة وفاسدة لها آثار اجتماعية سالبة، كمظاهر التشرد والوسخ والتخلف الاجتماعي.

ومن أهم النتائج السلبية للتمدن السريع والمفرط تفاقم وضعية تلوث المياه بسبب رداءة شبكات الماء الحار. فهي في مجموعها لا تهم سوى 2.5 مليون ساكن، أي فقط ربع سكان المدن. ولا يحتوي المغرب إلا على 13 محطة للتصفية، بحيث نجد الماء الحار يقذف به كما هو في الأنهار بالنسبة للمناطق الداخلية، وفي البحر بالنسبة للمدن الساحلية. وكثيراً ما تكون هذه الشبكة في حالة وجودها متدهورة، ينتج عنها تسرب مواد عضوية إلى الفرشات الباطنية وبالتالي انتشار الأمراض. وهكذا نجد التلوث الحضري ينضاف إلى التلوث الصناعي والفلاحي ليجعل من الأنهار المغربية مجاري في وضع رديء يتطلب التدخل السريع لمعالجتها.

خاتمة. يتطلب إصلاح الأوضاع البيئية في المغرب، تدخلات جريئة، لا تقتصر على التوعية والتحسيس، رغم الأهمية البالغة لهذا الجانب، بل تعمل كذلك في الحقل الاقتصادي والاجتماعي والقانوني. فالقوانين البيئية المغربية متفرقة جلها قديم، لا تضبط المعايير البيئية التي يجب احترامها ومستويات التلوث التي يجب تجنبها. ولذا لا بد من جهاز قانوني متكيف مع البيئة المغربية ومع الوضع الاقتصادي المغربي، ويجب هنا التذكير بمشروع القانون الأساسي الذي وضعته مديرية تهيئة التراب الوطني والبيئة والذي ما زال لم يمر إلى حيز التطبيق. كما يجب التذكير كذلك بالمجهود القانوني الذي تقوم به مختلف المصالح المختصة، والتي تهيء مشاريع لا بد من الإسراع في البدء في تطبيقها كمشاريع قوانين البحر والماء والتعمير. ويتطلب الحفاظ على البيئة كذلك مجهوداً مالياً حقيقياً، فتمويل البيئة إلى الآن جد محدود لا يمثل سوى 0.3٪ من الميزانية العامة للتصميم الحالي. والأساس في العمل البيئي يتمثل في التوفيق بين هدف الحفاظ على بيئة متوازنة خالية من آثار التلوث الفاحش، وهدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية للسكان، وذلك ضمانا في نفس الوقت لإطار مريح وظروف عيش رغيد.

عبدالله العوينة

بَيَانُو، من التقاليد المعروفة بوادي دادس أنه في ليلة عاشوراء من كل سنة، يجتمع الأطفال الذين تقل أعمارهم عن خمس عشرة سنة في حفل خاص يقومون خلاله بالطواف عبر أزقة القصر (القرية المسورة في مناطق الواحات) المعروف محليا بإغْرْمْ. وأثناء ذلك الطواف يطرقون أبواب منازل القصر منشدين بصوت عال :

"بَيَانُو، بَيَانُو، فْكَفْتدْ أللاَّ أُو تْلاَّ مَقَارْ إگاتيلاَّمْبْ، تيلاَّنْ مْكَفْتدْ أُورْتْكيتْ أللاَّ أُو تْلاَّ أدَوْنْ إگُرْ رَبِّي يَانْ أغَرْدَايْ سْتَقْدُوحْتْ تْكْسَمْتدْ سُوضَارْ نُوغْيُولْ".

وهكذا، يُغَنُّون جماعة هذه الأبياتَ عدة مرات طالبين من ربات البيوت أن يُزَوِّدْنَهم بما تيسّر لديهن من الدقيق. وحينما ينتهي الطواف يتفرقون وينصرف كل واحد إلى منزل والديه على أن يجتمعوا مجدداً صباح يوم عاشوراء. وعند اجتماعهم صبيحة ذلك اليوم يطلبون من إحدى نساء القصر أن تُهيئ لهم خبزاً من ذلك الدقيق الذي جمعوه بالأمس. وفي انتظار إحضار ذلك الخبز الذي سيأكلون منه جميعاً يمرحون ويلعبون في أزقة القصر.

بَيْدَ أن احتفال بَيَانُو بقصر أيت وَدَّارْ المنتمي لأيت سدرات السهل يختلف عما هو شائع بقصور دادس عموماً. ففي هذا القصر يقوم السكان سنوياً في ليلة عاشوراء بإحضار الطعام إلى باب القصر، على شكل أطباق من الكسكسو يعلوها الكرداس أي القديد المسمى محلياً تيكُرْ داسينْ (مفرد تَكُرْدَاسْتْ). وكل طبق من تلك الأطباق يحتوي على عدد معين من الكرداس يُطابق عدد أفراد الأسرة. إذ أن كل كرداس واحد يمثل عضواً واحداً من أعضاء الأسرة. وهكذا تتباين الأطباق بتباين الأسر المكونة لذلك القصر. ومهما يكن من أمر، فحينما يتم إحضار جميع أطباق الطعام تنطلق "مباراة الكرداس" بين سكان القصر لأخذ أكثر ما يمكن من الكرداس. وبطبيعة الحال فالذي يغامر ويحاول أخذ الكرداس من تلك الأطباق يطارده أقرانه بالماء عبر أزقة القصر المظلمة أو خارجه. فإذا نجا من تلك المطاردة يُعتبر من أبطال القصر. ويتخلل ذلك الاحتفال صُياح الرجال والأطفال وزغاريد النساء. وحينما تنتهي "معركة الكرداس"، يشارك الجميع في تناول الطعام. وفي ذلك إيذان بحلول عاشوراء. ويبْدأ حينئذ التراشق بالماء بين الرجال والنساء. وهذه عادة ما زالت مستمرة بوادي دادس، إلا أن حدتها خفّت بعض الشيء في السنوات الأخيرة.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

بيباس، Bibas لقب من أصل إسباني حمله عدد من الربيين بالمغرب منذ النكبة الأندلسية عام 899 / 1492. في عام 1530، كان بفاس ربي يدعى حييم بيباس هَا. زَكَانْ (الولد الكبير في أسرته) فانتقل إلى تطوان، وخلفه بفاس ربيون آخرون يسمون بيباس، وكذلك عُرفوا من القرن السادس عشر إلى القرن العشرين بتطوان وطنجة وسلا. وفي القرن 17 كان الربي يعقوب بيباس وابنه يوسف صاحب كتاب *سفر الزمانيم* "كتاب التواريخ" في موضوع حساب الأعوام. أما بالصويرة فمن الربيين الأوائل الذين اشتغلوا بها بعد نشأتها في القرن الثامن عشر، كان أحدهم يسمى يعقوب بيباس، قدم إليها من الرباط

نير همعرب ؛ لاريدو، *أسماء اليهود*، ص 415. 420.

Y. M. Toledano, *Ner Hama'arab* ; A. Laredo, *Les Noms des Juifs*.

سيمون ليفي

البيباني، محمد بن يوسف بن عبدالرحمان المراكشي

المالكي. من ذرية الشيخ مَحمد (فتحاً) الجزولي صاحب *دلائل الخيرات*.

ولد عام 1851/1267 بدمشق ودرس على علمائها وأظهر نباهة وحذقا وتميز بين أقرانه بشدة المحافظة، حيث استطاع أن يحفظ *الصحيحين* غيباً بأسانيدهما ونحو عشرين ألف بيت من متون العلوم المختلفة.

انقطع للعبادة والتدريس، وكان يقرأ في كل جمعة بعد الصلاة *صحيح البخاري* في جامع بني أمية وازدحم الناس على دروسه. وله حجرة في مدرسة دار الحديث قريبة من مقام ابن أبي عصرون لا تكاد تجدها في وقت خالية من درس في فن من الفنون، وهو لا ينفك في يومه عن صيامه ولا في ليله عن قيامه، كثير الذكر قليل الكلام دائم الصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ. وقد عينت له الدولة في كل شهر ألفا ومائتي قرش صاغاً. واستطاع بعلمه وورعه أن يحتل مكانة عالية عند الحكام وعامة الناس وأصبحت كلمته مسموعة. ففي أثناء الثورة ضد الاحتلال الفرنسي في سوريا كان الشيخ محمد البيباني يطوف المدن السورية، متنقلاً من بلدة إلى أخرى، حاثاً على الجهاد وحاضا عليه. ومن شدة زهده وإعراضه عن الدنيا وزخرفها أن عرض عليه جماعة من الناس البيعة بالخلافة والثورة معه ضد الاتحاديين من رجال الترك في خلال الحرب العالمية الأولى، فزجرهم وزاد في انزوائه واعتكافه.

ذكروا أنه ألّف نحو أربعين كتاباً قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره، لكن يُجهل مصير هذه الكتب. وذكر خيرالدين الزركلي من مؤلفاته ـ رواية عن طاهر الأتاسي ـ الكتب التالية : *شرح البخاري*، *شرح الشمائل*، *شرح الشفا*، *الدرر البهية في شرح البيقونية* في المصطلح، *حاشية على شرح مختصر ابن الحاجب ـ في الأصول ـ حاشية على عقائد النسفي*، *شرح نظم السنوسية*، *شرح الخلاصة* في الحساب، *حواشي على شروح : الشذور والقطر*، *والجامي* في النحو. *شرح مغني اللبيب*، *شرح لامية الأفعال*، *شرح السلم* في المنطق، *حاشية على المطول*، *رسالة* في سنده لصحيح البخاري، *شرح قصيدة* "غرامي صحيح" في مصطلح الحديث.

توفي بدمشق عام 1935/1354.

خ. الزركلي، *الأعلام*، 7 : 158، *مجلة المجمع العلمي العربي*، 13 : 297.

البيباني، يوسف بن عبدالرحمان بن عبدالوهاب بن عبدالله الملقب ببدرالدين، الشهير بالمغربي، المراكشي محتداً ومولداً، المصري منشأ، المالكي مذهبا كما في *روض البشر*. أما الزركلي فيعتبره من فقهاء الشافعية. نزل دمشق واشتهر بالمغربي، وأخذ عن بعض علمائها كالشيخ عبدالرحمان الكزبري، والشيخ سعيد الحلبي وغيرهما.

كان غيوراً على دينه، جريئاً على الحكام، لا تأخذه في الله لومة لائم. وله حلقات دروس في الجامع الأموي وفي غيره. حضر دروسه العلماء والطلاب، وأثني عليه معاصروه كالعلامة البيطار في كتابه *حلية البشر*. لم يستمر في التدريس لكثرة أمراضه وأسفاره. من مؤلفاته : *فتح القدير على ألفاظ مولد الشهاب الدردير*، *والتحديث عن نازلة دار الحديث*. وهي قصيدة في 400 بيت.

توفي يوم الخميس التاسع عشر من جمادى الآخرة عام تسعة وسبعين ومائتين وألف / 12 دجنبر 1862، ودفن بمقبرة الباب الصغير قريبا من قبور بني الكزبري.

روض البشر، ص 260 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 8 : 237 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 454.

أحمد متفكر

بيباي، Bebay إسحاق، كان ربياً بفاس، توفي حوالي 1617. صاحب كتاب عن *التوراة* وعن سِفر الجامعة، عنوانه *قوهيليت*. (بنايم : مالك ربنام).

Y. Benaïm, *Malki Rabbanam*.

سيمون ليفي

البيبليوغرافيا الوطنية، عبارة عن مجموع الجذاذات التي تستعمل "للحجة التامة" فيما يتعلق بمطبوعات بلد معين، والتي يتم نشرها مطبوعة (أو على شكل فهارس أو أشرطة تسجيل صوتي الخ...) بصفة منتظمة وفي آجال متقاربة. والمقصود بجذاذات الحجة التامة كونها تصدر عن جهاز مسؤول وتتضمن أكبر قدر من المعلومات تمكّن من إنجاز أعمال ببليوغرافية متنوعة.

يحدد حجم المطبوعات الوطنية اختيار الوثائق التي يتم إدراجها ضمن قائمة البيليوغرافيا الوطنية، فبالنسبة للدول النامية من المهم أن تكون البيبليوغرافيا الوطنية أكثر شمولا طبقاً لما ينص عليه الإيداع القانوني الذي يرتبط بعلاقة مباشرة بالببليوغرافيا الوطنية.

تتولى مهمة نشر البيبليوغرافيا الوطنية في البلدان المتقدمة، بصفة دورية في أغلب الأحيان وكالة ببليوغرافية وطنية يمكن أن تكون تابعة لمصالح المكتبة الوطنية أو مستقلة عنها. وبالنسبة للعالم الثالث، قليل هي البلدان التي لها وكالة ببليوغرافية وطنية.

إذا كانت البيبليوغرافيا الوطنية تشكّل الوسيلة الأساسية للتعرف على الانتاج الفكري والعلمي لبلد مّا، فالبنسبة لحوض البحر المتوسط يلاحظ أنه باستثناء فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وفي بعض الحالات البرتغال ومصر ولبنان، لا يتم التعريف والتعرف على منشورات البلدان الثلاث عشرة الأخرى بما فيه الكفاية. وقد أحصى مؤتمر باريز لسنة 1977 المتعلق بالبيبليوغرافيا الوطنية ما لا يقل عن ستة وثلاثين من أشكال الوثائق وورق البنك والأفلام والميكروفيلم، الخ.... كما أوصى هذا المؤتمر، فيما يتعلق باللغة، أن تحصى البيبليوغرافيا الوطنية الوثائق في كل اللغات والكتابات التي كتبت بها هذه المنشورات، وأن تحرر الجذاذات باللغات التي ظهرت بها هذه المنشورات في الأصل.

وفيما يتعلق بالمغرب، يمكن القول إن سنة 1321 / 1904

تشكل بداية البيبليوغرافيا المغربية. فابتداءً من هذه السنة تولت البعثة العلمية للمغرب بطنجة نشر لائحة للمقتنيات (مخطوطات ومطبوعات تهم المغرب) ضمن سلسلتها *الوثائق المغربية* *Les Archives Marocaines* (1904. 1936).

ثم ظهرت البيبليوغرافيا المغربية بمجلة هسبريس *Hespéris* سنة 1921 التي كان يصدرها معهد الأبحاث العليا المغربية. وابتداء من سنة 1923 تم التعاون مع الخزانة العامة بالرباط لإنجاز هذا العمل، حيث أصبحت القائمة تحوي الكتب والتقارير، وكذا المقالات التي تهم المغرب، ويتم توزيعها على ما لا يقل عن أربعين مادة، تهم المغرب وحضارته وتشكل مادة أساسية لكل بحث يتعلق بالمغرب العربي بصفة عامة، وبالمغرب الأقصى بصفة خاصة.

يهم مجموع ما نشرته مجلة هسبريس في باب البيبليوغرافيا المغربية من سنة 1921 إلى سنة 1955 المنشورات المتعلقة بالمغرب الصادرة فيما بين سنوات 1921 و1951. وتأخر نشر البيبليوغرافيا المغربية لسنتي 1952 و1953 بمجلة هسبريس *تمودا* إلى الجزء الثالث سنة 1962.

أصدرت الخزانة العامة بالرباط وبموازاة مع ما سبق، دورية بيبليوغرافية أسبوعية بعنوان أنباء البيبلوغرافيا المغربية *Les Informations bibliographiques marocaines* تتضمن قائمة الكتب والمقالات الصادرة في الخارج التي تهم المغرب في مختلف المجالات. وأصبحت هذه الدورية الأسبوعية شهرية ابتداء من سنة 1947 ثم اختفت سنة 1961.

وبعد ذلك تكونت بالخزانة العامة بالرباط شعبة تهتم بفرز المجلات العربية واستمر طبع البيبليوغرافيا الوطنية المغربية من سنة 1962 إلى سنة 1963 ثم توقفت لتستأنف عملها سنة 1982. وهي تعتمد على الإيداع القانوني وتطبع على استانسيل.

عبدالمجيد بن يوسف ومحمد جادة

البيبوج، ورد هذا الاسم بهاته الصيغة في عدد من المصادر القديمة مثل *المن بالإمامة* لابن صاحب الصلاة و*المعجب* للمراكشي و*البيان المغرب* لابن عذاري. وهو مأخوذ من كلمة El Baboso التي معناها كثير اللعاب وهو لقب لفرناندو الثاني ملك مملكة ليون الناشئة عن تقسيم مملكة قشتالة الكبرى. وقد ظل ملكا عليها حتى وفاته سنة 1188م. وكانت له علاقات متينة مع الموحدين.

والذي يهمنا في هاته المادة ليس هو تقديم ترجمة كاملة للبيبوج ملك مملكة ليون الإيبيرية، وإنما علاقاته بالدولة الموحدية. فقد أمضى عقد صلح وتحالف مع الخليفة يوسف ابن عبد المومن، ليستطيع الوقوف في وجه ألفونسو هنريكيز ملك البرتغال ويحول بينه وبين مزيد من التوسع في الأراضي القشتالية. وقد تمكن الموحدون بفضل هذا التعاون من أن يخترقوا بجيوشهم أرض قشتالة ويصلوا إلى حدود أستورياس المسامتة لجبال البيريني.

وظهرت فائدة الحلف بعد ذلك حينما حاول ألفونسو هنريكيز الاستيلاء على مدينة بطليوس Badajoz وظلت قصبتها الحصينة تقاوم تحت قيادة واليها عمر بن تمصليت، منتظرا وصول المدد الموحدي من أشبيلية. لكن الذي أنقذ الموقف كان هو البيبوج في سنة 564 / 1169، حين هب نحو المدينة وتعاون مع ابن تمصليت فهاجموا البرتغاليين داخل بطليوس وهزموهم. وفي تلك الواقعة كسرت ساقه، وكان البيبوج وفيا للموحدين إذ سلم المدينة لابن تمصليت وترك الغنائم لهم. وتجدد الخطر على بطليوس في سنة 566 وجاء فرناندو مرة أخرى لصد الهجوم عنها والتقى هنالك بالسيد أبي سعيد، حيث أكدا الصداقة والتعاون بينهما، وانصرف ملك ليون إلى حال سبيله بينما استولى أبو سعيد على حصن جلمانية لتعزيز الدفاع عن بطليوس.

استمرت هاته العلاقات سلمية وودية إلى آخر سنة 569 / 1174 فانقلبت إلى عداوة، حيث فاجأ فرناندو البيبوج الموحدين بعدوانه على أراضي الأندلس، مما دفع بالخليفة يوسف إلى رد الهجوم وقاد الجيش أخوه السيد أبو حفص سنة 570 / 1175 ووصل إلى عاصمة ليون مدينة ردريگو المعروفة في المصادر العربية باسم السبطاطو فاحتل بعض الحصون هنالك. وتجدد عدوان البيبوج على الأندلس في سنة 573 / 1177 فغزا فحص أشبيلية ونزل إلى شريش، لكن الموحدين استطاعوا أن يهزموه ويقضوا على قواته. ودخل فرناندو بعد ذلك في التحالف النصراني، وكان يهاجم الأندلس في الوقت الذي كان فيه البرتغاليون يتأهبون للدفاع عن شنترين. ثم جاء على رأس قواته ليساندهم، وذلك في الحادثة التي انتهت بوفاة يوسف سنة 580 / 1184 وتوفي البيبوج بعد ذلك بأربع سنوات.

ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1964 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، القاهرة، 1949 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

بيبي، أو الديك الرومي، بهذا يعرف في المغرب ويسمى في مصر الديك الحبشي، وفي الشام الديك الهندي وهو طائر أهلي من فصيلة مليياگرددي Meléagrididae ورتبة الدجاجيات Galliformes. يسمى علميا Meleagris gallapavo. مهده الأصلي أمريكا الوسطى والشمالية حيث كان يعيش متوحشا مع نظيره Meleagris ocellata. يسمى ديكا هنديا نسبة إلى أمريكا التي كانت تسمى الهند الغربية وكان اليونانيون يطلقونه على الغرغز Guineafowl لا على هذا الطائر الذي كان مجهولا قبل اكتشاف أمريكا.

في هذا الجنس أنواع منها الديك الرومي الأهلي "بيبي" الذي يربى وله سلالات.

الرأس صغير وخال من الريش، يحمل عدة نُتُوءات لحمية وفوق منقاره القصير القوي توجد حدبة نعوضة على شكل خرطوم صغير. يكسو الجسم ريش أسود معدني اللمعان. الأصابع طويلة، الجناحان دائريان، الذيل دائري ويتكون من 18 ريشة عريضة وطويلة، العينان صفراء والأرجل بنفسجية سوداء. يتراوح طول الجسم ما بين 110

و120 سم ويبلغ طول بسطة جناحيه 146 ـ 165 سم. طول جناحه 50 سم وطول ذيله 40 سم. الأنثى أقل حجما وطولا من الذكر ولا يتعدى طولها 96 سم. يتراوح وزنه ما بين 7 و18 كلم.

يصنع عشه على الأرض بواسطة أعشاب جافة وتضع الأنثى من عشر إلى عشرين بيضة تحضنها مدة ثمانية وعشرين يوماً.

وقد أدخل إلى أوروبا منذ القرن السادس عشر وبعد ذلك انتشر في إفريقيا وآسيا. ويكثر اليوم في البادية المغربية يربى مع الدجاج والإوز الأهلي وكثيرا ما يُخلط بيضه مع بيض الدجاج فتحضنها الدجاجة وتربي الصغار مع فراخ الدجاج.

A.E. Brehm, *La vie des animaux illustrée : les oiseaux*. Edit. Baillière, 1910 ; *Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques III, Les oiseaux*.

محمد رمضاني

بيبي، (سيدي ـ) صالح يسمى أحمد بابَ ولد محمد ابن عبدالله السباعي مدفون قرب ساحل تيزنيت. ينتمي إلى فرقة أولاد البكّار السباعية. كان فقيها عالما يدرس بقبيلة اشتوكة في سوس، ولعله عاش في أواخر عهد الدولة السعدية. وقد أشتهر عند أهل سوس بأسم سيدي بيبي تحريفاً لسيدي بابَ. ويبعد ضريحه عن مركز أيت ملّولَ في طريق تيزنيت بحوالي أحد عشر كيلومتراً. ويقام إزاءه موسم ديني وتجاري كلّ سنة وسوقٌ كل أسبوع.

روايات شفوية عن السيد الباقر مولاي علي السباعي أحد المهتمين والعارفين بأنساب السباعيين بسوق الزربية بمراكش.

م. حسن كفناني

بيبي لَخْلاَ، أو أبو منجل، طائر من فصيلة اللقالق، وهي طيور من رتبة طوال الساق Geronticus erenita وهو اسمه العلمي، ويعرف في المغرب تحت اسم بيبي لَخْلاَ لكثرة شبهه بالدجاج الرومي "بيبي".

يبلغ طوله 75 سم وتتراوح بسطة جناحيه ما بين 125 و135 سم. يبلغ طول الجناح 42 سم. وطول الذيل 22 سم وطول المنقار 14 سم. يكسوه ريش أسود ناعم يميل إلى الاخضرار المعدني عند انعكاس النور. منقاره ورأسه ورجلاه حمراء. يتميز عن باقي الطيور بمنقاره المنحني وبرأسه المنعدم الريش.

يتغذى بالضفادع والثعابين والعضايا والأسماك والحشرات والعناكب والرخويات وصغار الطيور أحيانا.

يعيش وسط مجموعات عديدة الأفراد ويبني عشه على الانحدارات الجبلية والساحلية البعيدة عن السكان. يبعد كل عش عن الآخر بنحو خمسة أمتار، ويساهم الزوجان في تكوينه ابتداء من شهر فبراير. تبيض الأنثى في مدة تتراوح ما بين شهر مارس إلى غاية منتصف شهر أبريل ما بين بيضة وأربع بيضات، ونادراً خمس أو ست بيضات. تبتدئ الحضانة منذ ولادة البيضة الأولى وتدوم 24 يوما وأحياناً 28 يوما. تزن البيضة 65 غراماً ويبلغ قطرها الطويل 63 ملم وقطرها الصغير 44 ملم. لونها أزرق مصفر مزركش بنقط صغيرة بُنّية.

تبقى الصغار داخل الأوكار زهاء خمسين يوماً، يكسوها زغب رمادي ومنقارها برتقالي محمر. ترافق الكبار أثناء تنقلاتها ولا تصل سن البلوغ إلا بعد ثلاث سنوات.

تبتدئ الهجرة نحو الشرق منذ بداية غشت وتعود إلى المغرب في بداية فبراير. عرف هذا الطائر تقلصاً كبيراً في عدده، ويعد من الطيور المهددة بالانقراض في العالم حيث لم يبق منه إلا مجموعتان : مجموعة تعيش في تركيا ومجموعة تعيش في المغرب.

توجد حاليا بالمغرب ثمان وحدات تتكون من أفراد يتراوح عددها ما بين تسعة واثنين وسبعين. منها ثلاث وحدات تعيش في الأطلس الكبير، واحدة في الحوز وأربع تعيش على الساحل الأطلسي قرب ماسة.

تقضي هذه الوحدات فصل الشتاء على الساحل الأطلسي قرب أگادير وذلك بداخل المخلف الإحيائي بماسة.

M. Thevenot, P. Bergier et P. Beaubrun, *Compte rendu d'ornithologie marocaine, Doc. Ins. Sc.*, N° 6, 1981 ; H. Colin, *Les nids , les œufs et les poussins d'Europe*, Paris, 1977 ; H. Heinzel, R. Fitter, and J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle East* , edit. Collins, 1972.

محمد رمضاني

بيبيس، ـ بتخفيف الباء ين ـ الحسن بن عمر، أخذ هذا اللقب عن عائلته القديمة "إد بيبيس" من فخذة أيت علي بقبيلة الأخصاص السوسية، فعرف بذلك اللقب. تحدث عنه صاحب *المعسول* في غير ما موضع، ووصفه في *رجالات العلم العربي في سوس* (ص 179) بقوله : "من أفذاذ العلماء المشاهير في جنوب سوس في عهد طويل برز في الميادين العلمية كلها، فدرّس وخرّج وقضى وأفتى... وينسب إلى الشيخ محمد بن بيدير دفين تاغلولو بالأطلس الصغير.

أخذ بيبيس القرآن عن الأستاذ الحسين بن أحمد امزووگ" الأخصاصي، والعلم عن إبراهيم الگادزني، ثم استتم معلوماته على يد سعيد الشريف الكثيري، الذي أجازه إجازة عامة مطلقة بشرطها المعتبر عام 1278 / 1861.

تعلن إجازة الشريف الكشيري عن مكانة العلامة الحسين بيبيس منذ تخرجه، يضاف إلى ذلك جده واجتهاده وصبره الطويل. وقد تخرج على يده كثير من الفقهاء وكوّن خزانة من المخطوطات معظمها بخطه، أضف إلى ذلك حفظه الغزير ومزاولته للنوازل والفصل بين الناس، بل كانت تستأنف لديه أحكام غيره من القضاة فيفصل فيها.

وقد ذكر لي السيد الهادي بن بلقاسم الأخصاصي أن بيبيس "أضاف إلى أعماله العلمية والشرعية تدخله في إصلاح ذات البين كلما وقع نزاع في قبيلة الأخصاص عامة بحيث لا يستطيع أحد أن يتخطى قوله وحكمه، إذ كانت العامة تعتقد فيه وتحترمه" ووصفه الأكراري بـ "الفقيه العالم المدرس الحيسوبي، ولا يفارق التدريس من *الشيخ خليل والألفية وابن عاصم والسملالية* والأمهات الصغار، ولا يحوم حول الأصول والمعاني والعروض والمنطق ولا يعرف في أي قبيل هو". توفي عام 1339 / 1920.

م. المختار السوسي، *العسول*، 8 : 40 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، 179 ؛ *إجازة سعيد الكشيري*، مخطوطة.

الحسين جهادي

بيبيط، طائر من طوال الساق يألف ضفاف الأنهار والمناقع والبحيرات القارية والساحلية. وهو اسمه الشائع في المغرب، ويسمى في المعاجم بوطيط وأبوطيط.

ينتمي إلى رتبة Charadriiformes وفصيلة Charadriidae ويسمى علميا Vannellus وبالفرنسية Vanneau huppe. يتميز عن باقي الطيور بقبعة سوداء طويلة فوق رأسه. يبلغ طوله 30 سم ويزن ما بين 170 و260 غ. تبلغ بسطة جناحيه 72 سم. الجناحان دائريتان أسفلها أبيض محفوف بالأسود. الظهر والعنق والرأس سوداء معدنية اللمعان. الذيل أبيض ينتمي في مؤخرته بخط أسود.

يتوالد بين مارس ويونيه ويضع عشه بين الأعشاب الكثيفة المحاطة بالمناقع والبحيرات. تضع الأنثى أربع بيضات منقطة بالأوسط يتراوح وزنها ما بين 20 و30 غ وتحضنها 27 يوماً لتعطي صغاراً سريعة المشي تغادر الأوكار مباشرة بعد التفقيس. كثيراً ما توضع الأعشاش متقاربة في مكان واحد.

إنه من الطيور القواطع يأتي إلى المغرب من أوروبا ابتداء من دسمبر. ونجده بكثرة في البحيرات الساحلية الشمالية مثل مولاي بوسلهام وبحيرة سمير قرب تطوان وسبخة بوعرگ قرب الناظور. يفوق عدده 200 فرد في معظم البحيرات القارية الموجودة بالأطلس المتوسط ونجده أيضا في جنوب المغرب في مصب وادي ماسة ووادي درعة ووادي شبيكة، وذلك ما بين دجنبر وفبراير.

يتغذى من الحشرات والديدان والحبوب. يعود إلى أوروبا ليتوالد في أواخر فصل الربيع ويبقى في شمال المغرب (بحيرة مولاي بوسلهام) ما بين 100 و200 فرد تتوالد هناك كل سنة وذلك منذ إنشاء المخلف الإحيائي بهذه المنطقة.

P. C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc : janvier 1986 - 87 - 88. Doc. Inst. Sc.* n° 11, Rabat, 1988 ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids : reproduction, œufs et jeunes*, Paris, 1968, p. 191 - 192 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East.*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رمضاني

بيت المال، مصطلح يدل على المكان الذي تودع فيه أموال الدولة، وهو ما يصطلح على تسميته الخزينة العامة في عصرنا الحالي. ليست لنا أوصاف دقيقة عنه في المصادر، وإنما ترد الإشارة إليه عرضا في روايات المؤرخين. وفي وصف مسجد دمشق عند البشاري المقدسي في كتابه *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم* إشارة إلى كون هذا المسجد كان يحتضن جناحاً خاصاً بإيداع الأموال العمومية، وذلك حين يقول : "وعلى الميمنة في الصحن بيت مال على ثمانية عمد مرصعة حيطانه بالفسيفساء"، مما يدل على أن المسجد في عهوده الأولى ربما كان يتخذ مكاناً تنشأ في بعض جهاته بناية خاصة تدعى "بيت المال" وذلك نظراً لحرمته وكون مثل هاته المؤسسة ستصبح تحت مراقبة سائر المسلمين. وكثيراً ما ترد هاته العبارة في النصوص "بيت مال المسلمين".

وعلى أي، فالمؤسسة قديمة قدم الاسلام. فمنذ عهد الرسول عليه السلام، بدأت الموارد المالية تتكاثر شيئا فشيئا في يد الجماعة الإسلامية الأولى تبعا لتوسع رقعة الإسلام وما كان يجنيه المسلمون من الغنائم إثر غزواتهم المتعددة. وكان من حق الرسول أن يحتفظ بخمس الغنائم تطبيقا للآية القرآنية : *"واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل"* (سورة الأنفال، 8 : 48).

فهذه الأموال التي تجمعت من الغنائم اقتضت أخذ الحيطة لتدبيرها لصالح جماعة المسلمين، سيما وتجندهم لنشر الدعوة الإسلامية ومجابهة الأعداء في ساحات القتال كانت تتطلب منهم الاستعداد بالسلاح والدواب. مما يترتب عنه تخصيص حصة من الأموال المكتسبة لنفقات الجماعة. وسيظل الجيش في تاريخ الإسلام هو المخصوص بأكبر حصة من موارد الدولة المالية.

ومع استحداث نظام الخلافة وتوسع اختصاصاتها وامتداد سلطاتها في امبراطورية آخذة في النمو السريع مع انتشار الفتوح في كل الاتجاهات أنشئت حكومة منظمة تشتمل على عدة دواوين، كان من بينها دواوين خاصة بالمالية نذكر من بينها على الخصوص ديوان الخراج الذي كان يتولى الإشراف على جبايات الدولة. وفي عهد العباسيين تعددت الدواوين المكلفة بالشؤون المالية، واستحدث بيتان للمال : بيت المال العمومي وبيت مال الخاصة الذي هو بيت مال خاص بالخليفة يتصرف فيه حسب مشيئته.

وكان يُميَّزُ في الأندلس بين خزانة المال التي هي بيت المال العمومي وبين بيت المال الذي كان تحت عهدة القاضي ويستمد موارده من الأوقاف. تختص ذخائر بيت المال هذا بالشؤون الدينية ويوجد مبناه داخل المسجد الجامع بقرطبة والقاضي وحده هو الذي له حق التصرف فيه.

وأما خزانة المال فكانت توجد بقصر السلطان في حجرات محصنة ومقفلة بإحكام. وإلى جانبها نجد أيضا بيت مال الخاصة الذي هو مستقل عنها تمام الاستقلال وكان يتغذى من مكس يدعى زكاة السوق ومن المستخلص الذي يعني مردود الضياع السلطانية. ويظل تحت التصرف المطلق للأمير أو الخليفة.

كان لا بد من هاته المقدمة لننتقل إلى الحديث عن المغرب الذي استفاد كثيرا من النموذجين المشرقي والأندلسي، سيما إذا وضعنا في الاعتبار الاتصال الوثيق الذي وقع بين المغرب والأندلس منذ عهد المرابطين ودخول عدد من الأندلسيين في جهاز الدولة المغربية كرجال لهم خبرة واختصاص في الشؤون الإدارية.

ومن دون شك، أن بيت المال وجد في المغرب منذ عهد الأدارسة، لكن مصادرنا لا تتحدث عن ذلك، معتبرة أنه من المؤسسات الطبيعية التي لا تحتاج إلى إشارة وتنصيص. ونجد الإشارة إلى وجود بيت المال بالمغرب في جملة وردت في *روض القرطاس* وهو يتحدث عن يوسف بن تاشفين، ذاكراً "أنهم وجدوا في بيت المال بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربع من الورق وخمسة آلاف وأربعين من دنانير الذهب" (ص. 137) وإحصاء دقيق بهاته الصورة يفترض وجود بيت مال منظم. ونفس المصدر عند حديثه عن يوسف بن المومن الموحدي يذكر أنه عين الفقيه القاضي أبا عبد الله بن الصقر على "الخزائن وبيوت الأموال" (ص. 207) دالا بهذا الجمع على التوسع الذي عرفته المؤسسة وعلى احتياج الدولة إلى فقيه وقاض من أعلى مستوى لتطويقه بهاته المهمة. وتأتي الإشارة بعد ذلك إلى بيت المال وخازن المال في جملة من المصادر، فابن عذاري، مثلا، في فصله المعنون "سطوة الخليفة أبي يعقوب بعمال مدينة فاس وأنظارها" يذكر من بين الموظفين الذين قبض عليهم مشرف فاس عبد الرحمن بن يحيى" و"خازنه على المال الذهبي وخازنه أيضا على الطعام الطرحوقي" (ص. 158) وفي مكان آخر يشير إلى المخازن حين قدم أبو الحسن إلى تلمسان "ومكن يده في المخازن بوجوه الإمكان" وعند تعرضه لحركة الناصر إلى الأندلس تطرق إلى الحديث عن الضائقة التي كان يعاني منها المغرب في تلك الآونة وعما صادفه الخليفة من صعوبات مادية في طريقه حيث "لم يبق منها لمخازن السلطان الوافرة أثر، ولا يتضح لخازنها دليل ولا نظر، واستولى على عموم المحلة الإقتار" (ص. 259) وكلمة "مخزن" ترد في هذا المصدر غير ما مرة. فأبو إسحاق براز كان صاحب المخزن ويقرض عبد المومن الطلبة من مال المخزن، وعندما تقع مصادرة يدفع مالها للمخزن. هكذا تكون كلمة مخزن أو مخازن تدل في الغالب على بيت أو بيوت المال. وفي نفس المصدر (ص.251) نجد في مقطوعة شعرية هذا البيت تنديدا بأحد الكتاب المكلفين بالأشغال.

ويد ابن عمرو أصبحت لعلية ترمي وبيت المال بئس المعتل

وابن خلدون في مقدمته يحدثنا، هو أيضا، عن الإدارة المالية في الدولة الإسلامية في فصل عنوانه "ديوان الأعمال والجبايات" ويوضح أهمية هذا الديوان بقوله : "وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك، بل هي ثالثة أركانه، لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه" (ص. 433). ويوضح شروط الخطة والمكلف بها. وهي على نوعين:

- شروط قانونية : يلخصها ابن خلدون بقوله : "وأما ما يتعلق بهذه الوظيفة من الأحكام الشرعية مما يختص بالجيش أو بيت المال في الدخل والخرج وتمييز النواحي بالصلح والعنوة، وفي تقليد هذه الوظيفة لمن يكون، وشروط الناظر فيها والكاتب وقوانين الحسبانات، فأمر راجع إلى كتب الأحكام السلطانية، وهي مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا". وهكذا، فإن بيت المال كان يخضع، على الأقل من الوجهة النظرية، لجملة من الأحكام الشرعية.

- شروط إدارية : تتميز بها هاته الخطة عن غيرها وتنصب على اختيار الشخص المناسب لها. ويضرب ابن خلدون المثل بدولة الموحدين فيقول : "وأما في دولة الموحدين، فكان صاحبها إنما يكون من الموحدين يستقل بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها، ثم تنفيذها على قدرها وفي مواقيتها. وكان يعرف بصاحب الأشغال، وكان ربما يليها في الجهات غير الموحدين ممن يحسنها" (ص. 434) برز اتجاه الموحدين، إذن، في توحيد السلطة المالية وإسنادها لمسؤول من رجالهم. ومن المنطقي أن يكون خزان الأموال داخلين في هاته البنية الإدارية الموحدة.

واستمرت تلك السلطة على صورتها الموحدة في عهد بني مرين كما يشهد بذلك معاصرهم ابن خلدون : " وأما دولة بني مرين لهذا العهد، فحسبان العطاء والخراج مجموع لواحد. وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسبانات كلها، ويرجع إلى ديوانه ونظره معقب بنظر السلطان أو

الوزير". ويقدم لنا ابن مرزوق في كتابه *المسند الصحيح الحسن* معلومات مفيدة في هذا الصدد. فهو يتحدث عن نقل المال من "المودع البراني" لإحصائه وشده في بيت المال. ويكون المال في الخرائط "وفي كل خريطة ألف دينار ذهباً". والخريطة هنا معناها كما ورد في *المصباح* شبه كيس يُشرج من أديم وخرق. ويشتغل الشدادون بشد تلك الأموال (*المسند*، ص 310) وفي مكان آخر يتحدث ابن مرزوق عن شهود بيت المال، مشيراً إلى تعيين السلطان لشخص في هذا المنصب بقوله : "فعينه مولانا في شهداء البيت، وهي أشرف خطط العدالة، يشهدون على الحاصل في بيوت الأموال، الداخل والخارج ويرجع إليهم سائر الأعمال وترفع لهم الجرائد" (ص. 314)، كما نستفيد من نفس المصدر تعدد بيوت الأموال. فقد وعظ ابن الإمام أبا الحسن المريني قائلا في جملة ما قال له : "إن الله عز وجل قد استرعاك رعية وجعلك وكيلا على من استرعاك عليهم، وللمسلمين عليك حق كما لك عليهم. وهل هذه البيوت، بيوت الأموال التي تجمعونها والجبايات التي تجبونها، إلا مرصدة لما يحتاج إليه المسلمون ..." (ص. 162).

كانت هنالك مراقبة صارمة على بيت المال، كما يظهر من تعدد النكبات التي تعرض لها المشرفون والعمال والخزانون في عهد الموحدين. وكما يحصل اليوم، كان هنالك بعض المكلفين الذين يخونون الأمانة فيترامون على مال الدولة، كما وقع لذلك الفقيه الخطيب الذي تحدث عنه ابن مروزق والذي "تلفت أموال المسلمين من يديه" وعرض على لجنة فيها عبد المهيمن الحضرمي والقاضي وغيرهما (انظر القصة في *المسند*، ص. 231).

ومن دون شك أن بني وطاس حافظوا على النظام الذي ورثوه عن أبناء عمهم بني مرين، إلا أن سلطتهم كانت، كما هو معلوم، محصورة في بعض الأقاليم بالشمال، وغلبت على عهدهم الفوضى والاضطرابات، وكانوا أحوج ما يكون إلى المال لمواجهة العدوان البرتغالي المكثف على شواطئ المغرب.

ومع قيام الدولة السعدية استرجع المغرب وحدته وطرد الأجانب من أكثر الجيوب المحتلة وانتعشت طرق المواصلات القافلية عبر الصحراء، وتمكن المنصور الذهبي من إخضاع جزء كبير من السودان لسيطرته، فاغتنت الدولة وكثرت مواردها المالية. فسبكت بكثرة الدنانير الذهبية والدراهم الفضية وعمد المنصور إلى تنظيم إدارته المالية تنظيماً محكماً، وجعل على رأسها صاحب خزائن الدار المؤتمن في القصر السلطاني على أموال المخزن، وعين الأمناء في المدن والأقاليم وعمال الخراج المتخصصين في الجبايات عن العقارات الزراعية، وعمال مخازن الأقوات وحفظة أخماس الغنائم والمكلفين بدواوين أرزاق الجند. وهكذا بنيت الإدارة المالية في عهد المنصور على كثير من الضبط والإحكام واعتبرت من المهام الأساسية في المخزن كما يفهم ذلك من نص تعيين مسؤول كبير عن الأموال : "وفوض له الإشراف على ما يورده الجباة والعمال ببيوت الأموال ومخازن الأقوات، وافتقادها في كل الأوقات، ومحاسبة حفظة الغنائم... وضبط دواوين أرزاق الجند والخراج" (ع. كريم، *المغرب*، 269).

لكن، هل حافظت الإدارة المالية على نظامها المحكم بعد وفاة المنصور وقيام الفتنة بين أولاده وظهور تحركات سياسية من جهات مختلفة ؟ من الواضح أن المكاسب التي تمت في عهده وقع ضياع أكثرها، فتقلصت السلطة وتناقصت مداخيل المخزن واستمرت الأزمة إلى قيام الدولة العلوية، متمثلة في اقتسام الأرض المغربية بين عدة سلطات : السعديين في مراكش ونواحيها ؛ السملاليين في سوس ؛ الدلائيين في تادلا والأطلس المتوسط ؛ العياشي في الشمال الغربي.

أعاد قيام الدولة العلوية إلى المغرب وحدته. وبفضل ما أظهره كل من مولاي رشيد (1666 . 1672) ومولاي إسماعيل (1672 . 1727) من إرادة قوية في إعادة بناء الدولة وتقوية مؤسساتها، امتلأت الخزائن بالأموال وأمكن لمولاي إسماعيل تأسيس عاصمة جديدة، وتجهيز البلاد بعشرات من القصبات، وتكوين جيش نظامي من العبيد، والقيام بجملة من العمليات العسكرية إما لتحرير الجيوب المحتلة من لدن الأجانب وإما لنشر الأمن في سائر ربوع المغرب. لكن يجب أن نلاحظ بأن الدولة لم تعد تكتفي بالضرائب الشرعية لتزويد بيت المال، بل أصبحت تلجأ إلى تدابير استثنائية، من قبيل التدخل في التجارة الخارجية وفرض ضرائب استثنائية على سكان المدن، واللجوء إلى المكوس. وفي هذا الصدد يشهد القادري في *نشر المثاني* "وفي آخر ذي الحجة عام 1106 هـ، وضعت المكوس في جميع البلدان المغربية بطلبها من بعض العمال" (3 : 73) واستمرت سياسة المكوس سواء في عهد الأزمة أو في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أو عهد المولى سليمان بل وطوال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى قيام الحماية سنة 1912. وليس من موضوعنا أن ندرس السياسة المالية ونتعمق في تحليل الجبايات، وإنما قصدنا أن نبين الموارد الجديدة التي أصبحت تغذي بيت المال في وقت تطورت فيه أحوال العالم وغدا المغرب يجابه مصاريف متزايدة للحفاظ على استقلاله.

والحقيقة أن اللجوء إلى المكوس لم يكن ظاهرة خاصة بعهد الدولة العلوية بل إننا نجد أثرها منذ عهد المرابطين. وأصبح الفقهاء في كتاباتهم يميزون بين الضرائب الشرعية التي تشتمل على الزكاة والأعشار والجزية والخراج وبين الضرائب غير الشرعية ويعترضون في فتاواهم على الدولة كلما لجأت إلى هاته الأخيرة. وقد أورد صاحب *الاستقصا* في آخر كتابه تحليلا لموقف الفقهاء الذين لم يكونوا كلهم على رأي واحد في هاته القضية. والحقيقة أن "الضريبة الشرعية" لم تعد كافية لتغطية مصاريف الدولة الإسلامية، بعد توسع رقعتها واحتياجها إلى جيش نظامي قوي وبيئة

إدارية مكثفة. لذلك فإن محاولة الاقتصار عليها لم يطل أمدها، فنجد اللجوء إلى المكوس في المغرب يقع منذ عهد علي بن يوسف المرابطي، على الأقل، مع اشتهاره بالتدين والتقوى.

ومن جملة الضرائب غيرالشرعية التي كانت تغذي بيت المال منذ تلك العهود القديمة، نذكر، على الخصوص، مكوس الأبواب وضرائب التجارة والقبالة والخفارج والمصادرات والفريضة والنايبة والغرامة والمعونة والوزيعة الخ...

انتهى بيت المال التقليدي، بالطبع، مع قيام نظام الحماية ودخول المغرب في اقتباس الأنظمة العصرية، فحلت محله الخزينة العامة والبنك المخزني المغربي الذي أصبح يسمى اليوم بنك المغرب. ومهما لاحظنا من ملاحظات على مؤسسة بيت المال، فلا ننس أنها هي التي احتضنت الأموال العمومية المغربية طوال مدة تناهز اثنى عشر قرناً.

أ. البكري، *المغرب في ذكر أفريقية* ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، بيروت، 1965 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1956. 1959 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*، مجلة "البحث العلمي" عدد أول 64 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر، 1981 ؛ أ. الونشريشي، المعيار، بيروت ؛ م. المنوني، *ورقات في الحضارة المرينية*، الرباط، 1979 ؛ علاش، *نظام الحكم عند الموحدين*، مخطوط ؛ ع. موسى، *الموحدون في المغرب الاسلامي*، بيروت 1991 ؛ ح. الجنحاني، *دراسات في التاريخ الاقتصادي*، بيروت 1986 ؛ هويكنز، *النظم الاسلامية في المغرب*، تونس 1980.

E. Levi-Provençal, *Histoire de l'Espane musulmane*, Paris, 1967 ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, Casablanca, 1947 ; G. Marçais, *La Berbérie musulmane*, Paris, 1946 ; E. Michaux-Bellaire, *Les impôts marocains, A. M. I* ; *L'organisation des finances, A. M. II*.

محمد زنيبر

پيتان، فيليپ Petain Philippe، ضابط فرنسي وقع مصير المغرب بيده مرتين خلال النصف الأول من القرن العشرين، مرة أولى كقائد أعلى للجيوش الفرنسية المرابطة بالمغرب لإخماد الثورة الريفية سنة 1925، ومرة ثانية كرئيس للدولة الفرنسية بعد انهزام الجيوش الفرنسية أمام الجيوش الألمانية في ربيع سنة 1940.

لم يكن فيليپ پيتان شيئاً مذكوراً في الجيش الفرنسي إلى حدود اندلاع الحرب العالمية الأولى، فإنه كان قد ناهز الستين من عمره وأوشك على التقاعد برتبة كولونيل، لكن ما أن اشتعلت الحرب ونزل إلى ميدان القتال حتى تسلق أعلى الدرجات العسكرية وذاع صيته بعد دفاعه الرتيب عن مدينة فردان Verdun الواقعة على الحدود بين فرنسا وألمانيا (فبراير 1916)، وازداد شهرة وشعبية لما استطاع أن يخمد موجة خطيرة من العصيان تفشّت في صفوف الجنود لما أصابهم من الوهن الجسدي والمعنوي من هول سكون الحرب بالخنادق، حيث أنزل شديد العقاب بدعاة التخاذل والشغب لكنه اجتهد أيضا لتحسين الأوضاع الصحية ووسائل التموين لكافة المقاتلين، فتجلت عبقريته القيادية وبات مشهوداً له بالفضل لدى الجميع لما كان يُبديه من رباطة الجأش ومن صلب الإرادة عند استعمال أدوات الفتك. ولما أعاد روح الانضباط إلى الصفوف سنة 1917 بات من الممكن خوض معارك الانتصار سنة 1918، سيما وأن الجيوش الأميريكية كانت قد تدخلت في المعركة وأمدت القيادة الفرنسية بوسائل الدمار فعجز الجيش الألماني في ظرف وجيز عن الصمود لها.

هكذا خرج پيتان من الحرب العالمية الأولى بسمعة الأبطال ومنح لأجل ذلك رتبة مارشال التي هي أعلى رتبة في السلم الفرنسي (دجنبر 1918) تخول صاحبها، بحكم القانون، منصب خليفة رئيس المجلس الأعلى للدفاع، أو الناظر العسكري الأول في كل ما يتصل بأمن الدولة الفرنسية في الداخل والخارج، كما تخوله سلطة معنوية من شأنها أن تخرج من حيز القوة إلى حيز الفعل كلما اقتضت الأحداث ذلك. ولجأت الحكومة إلى پيتان بصفة كونه أعلى سلطة عسكرية في البلاد في صيف سنة 1925، يوم اضطربت الأوضاع بالحماية الفرنسية بالمغرب من جراء عجز المارشال ليوطي المقيم العام آنذاك عن مواجهة الثورة الريفية بحيَله الفائتة، فجاء پيتان إلى المغرب مزوداً بما لا قبل لأحد قبله من ضباط غزو المستعمرات من أعداد الجنود التي ناهزت 400.000 مقاتل، وبآخر ما جد في صناعة القتال من المدفعية الثقيلة والدبابات والطائرات التي صارت تقصف الريف، قممه ووهاده، مجاهديه وغير مجاهديه، بوابل من النار، واقتحمت الحصون الريفية من كل جهة، بعد اتفاق پيتان مع دكتاتور اسبانيا آنذاك خوسي أنطونيو پريمو دي ريبيرا José Antonio Primo de Reviera على شن هجوم مزدوج إسباني من الشمال وفرنسي من الجنوب ضد قبيلة بني ورياغل قبيلة محمد بن عبدالكريم، فاستحال على المقاومة الريفية أن تصمد أزيد من بضعة أشهر (أكتوبر 1925 - أبريل 1926) ووفق پيتان بذلك إلى إرساء الحماية الأوربية الثنائية بالمغرب فازداد الاقتناع بعبقريته رسوخا لدى جميع الأوساط الفرنسية وثبت في الأذهان أنه منقذ البلاد بلا منازع، ولما بدأ الخطر الألماني يلوح في الأفق من جديد بعد انتخاب آدلف هتلر Adolf Hitler مستشاراً للحكومة الألمانية سنة 1932، لم يعره الرأي العام الفرنسي كبير انتباه ليقينه بأن من يتوفر على فيليب پيتان لا يخشى شيئاً من الخصوم، وقد كان المارشال أشار منذ سنة 1929 بإقامة جدار محصن على الحدود مع ألمانيا يعرف بجدار ماجينو Maginot باسم وزير الدفاع تلك السنة، وأسندت مهام وزارة الدفاع لپيتان مرتين خلال سنتي 1934 و1935 واعتبر ذلك بمثابة إشارة للألمان ليتذكروا، مع أن المارشال كان قد بلغ الثمانين من العمر وأصابه الصمم. ثم أسندت إليه سفارة فرنسا بإسبانيا سنة 1939 لإقناع الجنرال فرانكو بالكف عن التحالف مع ألمانيا النازية. ولما اندلعت

الحرب العالمية الثانية وافتضح ضعف الجيوش الفرنسية أمام خصومها، أسندت وزارة الدفاع لپيتان من جديد في شهر ماي سنة 1940 ليقين كل الأوساط الفرنسية أنه قادر رغم كبر سنه على إنقاذ البلاد، لكن الهزائم توالت على الجيش الفرنسي بدون انقطاع، وانهارت بانهيارها كل السلطاتُ الشرعية، وعمَّ الذهول والفزع فالتحمت الصفوف تلقائياً حول "بطل فردان"، وتخلى حكام فرنسا له عن طيب خاطر عن كل مسؤولية، إلا ما كان من الجنرال دي گول الذي لجأ إلى أنجلترا لمتابعة المقاومة. أما پيتان فإنه التمس الهدنة من هتلر وسانده في ذلك كبار المسؤولين عن المستعمرات وفي طليعتهم الجنرال نوگيس Noguès المقيم العام بالمغرب يومئذ، وكان التوقيع على الهدنة يوم 22 يوليوز سنة 1940.

كانت غاية پيتان منها : 1 ـ وقاية الشعب الفرنسي من ويلات مقاومة يائسة، 2 ـ إرساء الجيوش الألمانية داخل ما احتلوه من التراب الفرنسي حتى لا تمتد أيديهم إلى باقي البلاد وبالأحرى إلى المستعمرات، 3 ـ تحميل مسؤولية الهزيمة لنظام الجمهورية الثالثة حتى لا تلصق تبعة ذلك بالقيادة العليا للجيش بعد افتضاح تخاذلها وعجزها. 4 ـ إشباع رغبته في الاستبداد بالحكم التي ظل پيتان يضمرها إلى أن سمحت الظروف ببلورتها وكذلك خرف الشيخوخة، وهكذا تحولت الحكومة الفرنسية التي كانت قائمة على الشورى والانتخاب إلى نظام مقتبس من الإيديولوجيات الفاشستية والنازية، شعاره الشغل والأسرة والوطن وروحه العجرفة والعنصرية والرجعية التي كانت من صميم تقاليد اليمين بأوربا. ولما كان الجنرال نوگيس المقيم بالمغرب قد التزم بطاعة نظام پيتان، فإنه رام أن ينقل شيئا من تشريعات المارشال إلى المغرب، وكان ممن ساعده على وضعها وزير پيتان في الداخلية من غشت إلى دجنبر سنة 1940 مارسيل پيروتون Marcel Peyrouton المقيم العام سابقاً بتونس والمغرب المعروف بمعاداته لمبادئ الحرية والديمقراطية. وكان من الطبيعي أن تنشط دعاية پيتان وأنصاره بالمغرب، فإنها كانت تتفق وما يشير به عليه المعمرون وكبار موظفي الحماية من الاستبداد والجبروت.

إلا أن نفوذ پيتان بالمغرب لم يتجاوز تاريخ نزول القوات الأميريكية بشواطئ البلاد يوم 8 نونبر سنة 1942، ولما توحدت صفوف المقاومة الفرنسية بقيادة دي گول في ربيع سنة 1943 وَفَرَّ الجنرال نوگيس من الرباط، انتقلت سلطة فرنسا بالمغرب نهائيا من يد المارشال إلى يد منافسه دي گول الذي كان من أقرب الضباط إليه قبل الحرب. ولما نزلت جيوش الحلفاء بفرنسا ابتداء من يونيه سنة 1944 وتقهقرت أمامها الجيوش النازية، تقهقر معها المارشال پيتان بالرغم منه، وظل أسيراً لديها بألمانيا إلى أن استطاع الفرار إلى سويسرا، ومن سويسرا أبى إلا أن يعود إلى فرنسا من تلقاء نفسه ليواجه المحكمة، فألقي عليه القبض بمجرد عبوره للحدود بين سويسرا وفرنسا وعرض على المحكمة فحكمت عليه بالإعدام، إلا أن الجنرال دي گول حول ذلك إلى سجن مؤبد، وبالسجن مات فيليب پيتان في شهر فبراير 1951، وهو موضوع نقاش بين الفرنسيين ما زال في تمام الحدة إلى يومنا هذا.

H. Amouroux, *Quarante millions de pétainistes*, Paris, 1977; J. P. Azéma et M. Winock, *La Troisième République*, Paris, 1978; R. Lohman, *Pétain*, Paris, 1984 ; O. Paxton, *La France de Vichy 1940- 1944*, Paris, 1973 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du Protectorat au Maroc*, Paris, 1988 ; J. R. Tournoux, *Pétain et de Gaulle*, Paris, 1964.

إبراهيم بوطالب

بُيتشو، لقب اللاعب المغربي الممتاز لكرة القدم مصطفى شكري الذي يمثل جيلا رائدا من الأجيال التي عرفتها كرة القدم المغربية كجيل الأب جيگو وأحمد الشهود والعربي بن مبارك وفرس وغيرهم.

كان بُيتشو نابغة الكرة فكسب جمهوراً من المحبين الذين كثيراً ما استمتعوا بتقنياته ولعبه الأنيق. كان قليل الكلام، كثير العطاء، صعب المزاج، متمتعاً بمواصفات حميدة تتجلى في إخلاصه وحبه لفريقه. تربّى بين أحضان فريق الرجاء البيضاوي وأعطى جمهوره الشيء الكثير وحصل مع هذه الفرقة على كأس العرش في موسم سنة 1973 ـ 1974.

لقد كان بُيتشو اللاعب رقم واحد داخل الميدان، هدافاً يقتنص الإصابات ويصنعها بحيث احتل المرتبة الثالثة سنة 1973 بتسجيله ثلاثة عشر هدفاً، كما احتل رتباً متميزة في سنوات أخرى، وترك بصمات واضحة في تاريخ كرة القدم المغربية سواء ضمن فريقه الأصلي أو ضمن النخبة الوطنية التي لعب لها ثلاثاً وثلاثين مرة، بحيث كان ضمن النخبة المغربية التي مثلت أفريقيا في كأس العالم بالمكسيك سنة 1970.

لعب بُيتشو أيضاً ضمن صفوف فريق الوداد البيضاوي المنافس الخطير للرجاء، ثم اغترب في الديار المقدسة حيث لعب مع فريق الوحدة السعودي لمدة سنة واحدة (1978) حيث وافاه الأجل المحتوم بالديار المقدسة في 22 صفر عام 1399 / 22 يناير 1980.

جريدة *السياسة الكويتية*، 23. 4. 1990 ؛ *سجلات خاصة*.

عبد العزيز بلفايدة

پيتون (دو ـ) **پيير** Pierre de Piton لا نعرف أين ولا متى ولد، كان ضابطا في الجيش الفرنسي برتبة عقيد وبعدما ثبتت في حقه جريمة قتل غير متعمد، أوفده فرنسوا الأول ملك فرنسا على رأس سفارة لدى ملك فاس أحمد الوطاسي في غضون شهر ماي عام 1533. والجدير بالذكر أن هذه السفارة تقررت على إثر رحلة تجسسية قام بها إلى المغرب أيمون دو مولون Aymond de Molon. فوصف بعدها لملك فرنسا ما يزخر به المغرب من خيرات وثراء.

برح پيير، دو پيتون فرنسا على متن مركب يقوده ربان جنوي، رفقة خمسة من نبلاء بلده من بينهم إيمون دو مولون الذي تستّر تحت قناع التاجر وحمل معه هدايا تتألف من

ساعات ومرايا وأمشاط وغير ذلك من جملة منتجات التزين وأدوات الصيد البري، وكل هذه الهدايا كانت موجهة إلى شقيق الملك وإلى صهره إبراهيم.

وفي عرض البحر نشب خلاف حاد بين البعثة الفرنسية وربان المركب، ولما نزل پيير دو پيتون بالعرائش فر الربان الجنوي على ظهر سفينة أخرى قاصداً البرتغال حيث أبلغ إلى حكام هذا البلد أن السفير الفرنسي نقل إلى ملك فاس عتاداً حربياً.

على إثر المقابلة التي تمت بين پيير دو پيتون والملك الوطاسي رخص هذا الأخير للسفن الفرنسية بالملاحة في المياه الإقليمية المغربية. بعد ذلك بأيام ولّى پيير دو پيتون ورفاقه عائدين إلى فرنسا ومعهم هدايا وخيول، لكن عاصفة هوجاء دفعت سفينتهم نحو شواطئ إسبانيا فماتوا تباعاً بمرض غريب، ولم ينج منهم إلا واحد تمكن من النزول ببر فرنسا في أواخر شتنبر من نفس السنة 1533.

S.I.H.M.

أحمد بنجلون

پيتيجان Petitjean، قبطان فرنسي من الفرقة الرابعة للمتطوعين التونسيين، قتل يوم 19 ماي سنة 1911 على بعد كيلومتر واحد شمال غربي القنبطرة على أيدي مجاهدي زمور وبني حسن الذين كانوا يرومون قطع الإمدادات عن جيش الجنرال موانيه Moinier الذي زحف في اتجاه مكناس وفاس، فلما قتل پيتيجان أمر موانيه بإطلاق اسمه على المعسكر الذي أقيم بجوار سيدي قاسم فطغى على اسم تلك المدينة لمدة الحماية. (انظر : سيدي قاسم).

P. Azan, *L'expédition de Fès*, Paris, 1924 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939.

إبراهيم بوطالب

بيتيكا، Bétique والمغرب القديم. لم يشكل مضيق جبل طارق أي حاجز بين موريطانيا ـ المغرب الحالي ـ وبيتيكا (جنوب إسبانيا)، بل كان عكس ذلك أحد عوامل الربط ؛ هذا ما يفسر اختيار الفينيقيين لموقعي قادس وليكسوس للتحكم في الطرق التجارية العابرة للمضيق منذ أواخر الألف الثانية قبل الميلاد. ويشير شالوس إلى قدم هذه العلاقات (حرب يوغرطة).

إن قلة النصوص تدفع إلى الاعتماد على نتائج الحفريات لإثبات نوعية هذه العلاقات. كشفت الحفريات التي أجريت في مختلف جهات المغرب عن وجود كميات كبيرة من المنتجات الصناعية البيتيكية في المدن المغربية القديمة وخصوصا الأمفورات والمواد الخزفية، غير أننا لن نستطيع إعطاء أرقام دقيقة عن مختلف المواد التي كان المغرب يصدرها لبيتيكا ولا نشك في وجودها وبكميات كبيرة. سنحاول إعطاء نظرة عن المنتجات البيتيكية اعتماداً على اللقى الأثرية، في حين أننا لن نتمكن من إعطاء نظرة عن المواد المغربية المصدرة إلى بيتيكا لقلة المصادر وربما لانعدامها.

نستقي المعلومات المتعلقة بالأمفورات (جرات كبيرة) من نتائج الحفريات التي قام بها الباحثون الفرنسيون والإسبانيون والمغاربة في العديد من المراكز الأثرية المغربية. لن نهتم بجوانبها التقنية وإنما نكتفي بجوانبها الاقتصادية. تعتبر الأمفورات من أهم المواد التي تعتمد عليها الدراسات الحديثة في تسليط الضوء على العلاقات التجارية بين مختلف جهات العالم القديم. ولا يمكننا في هذا البحث أن نتناول بتفصيل كل المواد الامفورية التي عثر عليها في مختلف الجهات. وإنما سنختار نماذج صنعت في بيتيكا وهي صالحة لنقل السمك ونقيعه Garum والزيوت والخمور.

ـ فبالنسبة للامفورات الصالحة لنقل الخمور فهي من نوع Dressel 1A، ووجودها في المراكز الأثرية المغربية دليل على استيراد هذه المادة من بيتيكا وإن كانت نسبتها قليلة بالمقارنة مع الأنواع الأمفورية الأخرى. ونعطي مثالا على ذلك من وليلي : فمن 323 شقفة من الأمفورات نجد 24 فقط من نوع Dressel 1 A أي بنسبة 7.43٪ انظر : (Mayet, *Marques d'amphores*, p. 360 - 362).

ـ أما أمفورات الأسماك المملحة ونقيعها فقد اصطلح على تسميتها بالامفورات الإجاصية الشكل Piriforme وهي مصنفة إلى ثلاثة أنواع صنعت كلها في بيتيكا، ووجودها في بناسا ووليلي وتموسيدا وسوق أربعاء الغرب وسلا دليل واضح على العلاقات التجارية المغربية البيتكية، وهذه الأنواع هي : Pompei VIII, Dressel 7 - 13, Beltran II B.

دلت الأبحاث الحديثة على أن النوع الأول صنع في بيتيكا وقد اكتشفت أفران صنعه في پُويرتو ريال (Mayet, Puerto Réal, *Marques d'amphores*, p. 361 - 362). بالقرب من مدينة قادس وإيل رينكو نشيو بضواحي الجزيرة الخضراء (Mayet, op. cit., p. 362 notes 23). وقد عثر على هذا النوع في طنجة (Ponsich, *Recherches archéologiques*, p. 250 fig. 62) وفي وليلي (Mayet, op. cit., pp. 363 - 364) وفي بناسا وتموسيدا وسلا (Boube, *Marques d'amphores*, p. 172). وفي زيليل (المستوطنة الرومانية التي أسسها أغسطس ما بين 33 و25 ق. م) الواقعة شرقي أصيلا، انظر (Akerraz (et al...), *Dchar Jdid*, *BAM* : XIV).

النوع الثاني وهو Dressel 3 - 13 صنع بدوره في بيتيكا وله نفس الاستعمال. ظهر استخدام هذه الأمفورات منذ عهد أغسطس واستمر حتى القرن الثاني الميلادي (Mayet, op. cit., p. 362, Damilla, astia III, p. 512 - 513 ; Hesnard, Congarina, p. 146 - 148) وجدت نماذج من هذا النوع في جهات متعددة من المغرب القديم وخصوصا وليلي وبناسا وتموسيدا وسلا. أما النوع الثالث وهو Pompei فنسبتها قليلة جداً بالمقارنة مع النوعين الأولين.

إن الأنواع المذكورة تصلح لنقل الأسماك المملحة

ونقيعها وهي مصنوعة في إسبانيا. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو كيف نفسر وجود معامل هامة لتمليح السمك في كل من ليكسوس وكوتا؟ وتعتبر معامل ليكسوس من أكبر المعامل المعروفة لحد الآن في الحوض الغربي للمتوسط. فهل كان المغاربة القدماء أو الرومانيون أو المتروْمنون يستوردون أسماكاً من إسبانيا رغم وجود مصانع محلية؟ أيا ما كان الحال فإمكانية استيراد جزء من أسماك إسبانيا أمر محتمل غير أن قرب معامل ليكسوس من وليلي وتموسيدا وبناسا يفرض التزود من مصانعها بهذه المادة الغذائية الضرورية. خصوصا وأن أفرانا لصناعة الامفورات اكتشفت في مراكز الأقواس (شمال أصيلا الحالية).

- امفورات نقل الزيوت (Dressel 20). يُجمع كل المهتمين بدراسة هذه العينة من الامفورات على أن أصلها من بيتيكا وأنها استخدمت لنقل زيت الزيتون. اكتشفت بقايا هذه الأمفورات في مختلف المراكز الأثرية المغربية مما يبين ترويج الزيت (Tekennia, *Amphores romaines*, p. 224). ونعتمد على أبحاث كل من Boube وMayet لدراسة توزيع هذه الأمفورة المصنفة إلى ثلاثة أنواع هي Dressel 20 A وDr 20 B وDr 20 C.

فمن بين 57 خاتماً لأنواع Dr 20 التي تناولها بوب بالتحليل في "سلا" هناك تسعة أختام أي 17.78٪ من هذا المجموع من شأنها أن تسلط بعض الضوء على العلاقات التجارية بين إسبانيا والمغرب. وتدل هذه النسبة على أن كمية من الزيت جلبت من بيتيكا خلال النصف الأول من القرن الميلادي الأول (Boube, *Marques d'amphores*, p. 163 - 235).

يتضح من دراسة مايي Mayet أن من بين 115 قطعة من Dr 20 يوجد 12 من النوع Dr 20 A أي 10.43٪ الشيء الذي يسجل انطلاقة مهمة لتصدير الزيت "الأندلسية" إلى موريطانيا. وهذه الامفورات موزعة في المراكز الأثرية على الشكل التالي :

وليلي	46 خاتما	٪ 40
بناسا	50 خاتما	٪ 43.48
تموسيدا	14 خاتما	٪ 12.18
سوق أربعاء الغرب	4 خاتما	٪ 3.48
سلا	1 خاتما	٪ 0.86
المجموع	115 خاتما	٪100

إن أغلبية الأمفورات اكتشفت في بناسا، وهذا شيء طبيعي بالنظر إلى فقر ناحيتها من مغارس الزيتون، فقد اكتشفت بها لحد الآن سبع معاصر للزيتون (Akerraz, Lenoir, *Huileries*, p. 95, note 75). ولكونها مستوطنة رومانية يتحتم عليها تلبية حاجيات سكانها الغذائية باستيراد بعض المواد التي يأتي الزيت على رأسها. وكانت وليلي عكس ذلك تلبي حاجياتها وربما كانت تصدر الفائض لباقي جهات العالم الروماني خصوصاً وأن منطقتها غنية بمغارس الزيتون، وتشهد البقايا المادية على ذلك (61 معصرة داخل المدينة وحوالي 20 في باديتها).

يستنتج مما سبق أن الروابط الاقتصادية تعود إلى عهد بعيد وخاصة عندما أخضعت رومة لسلطتها أهم الأراضي الخصبة الواقعة في الأقسام الجنوبية والشرقية من إسبانيا.

فقد أخذت هذه البلاد بدخولها في مجال النفوذ الروماني تلعب دور الوسيط التجاري بين موريطانيا وإيطاليا. ومما يدعم هذا الرأي وجود طريق تجارية بحرية عاملة بانتظام إذ يستفاد من كيفية توزيع المناطق البحرية التي عرفت فيها سفن قديمة.

Guasde, *Exportaciones Beticas*, pp. 233 - 242 ;
Ponsich, *Recherches Archéologiques*, p. 190 - 200;
Boube, *Amphores préromaines*, p. 99 - 109 ;
Colls (et al...), *Port-Vendres* II ;
Hesnard, Lemoine, *Cécube et Falerne*, p. 244, n° 2.

زيادة عن وجود الأفران المنتجة للامفورات في أودية نهري الوادي الكبير (Bétis) والإيبرو والساحل الإسباني الشرقي. وهذه الطريق تنطلق من الصويرة محاذية للشاطئ الأطلنتي المغربي وضفتي البوغاز والسواحل الإسبانية الجنوبية والشرقية والساحل المتوسطي الغالي لتصل في نهاية المطاف إلى الساحل الإيطالي الغربي. (Beltran, *El Commercio*, p. 193, fig. 4).

يسوغ لنا اعتماداً على ما وصفناه آنفا أن هذه العلاقات تكون قد بدأت خلال العهد الجمهوري وبالضبط إثر احتلال المناطق المتوسطية المغربية وأنها استمرت حتى منتصف أو متم القرن الثالث الميلادي، وقتئذ ما بين سنة 50 ق.م وسنة 250 م. واستمرت هذه العلاقات مع المناطق الشمالية لموريطانيا حتى نهاية الأمبراطورية الرومانية في القرن الخامس.

إذا كانت قضية إنتاج الخمر والسمك المملح في موريطانيا مازالت تثير لدى الباحثين تساؤلات وشكوكا عديدة، فإن أغلبيتهم تكاد تجمع على أن جل سكان هذه البلاد تعاطوا غراسة الزيتون وإنتاج الزيت منذ أمد بعيد استناداً إلى نتائج الدراسات المناخية والبيومناخية والأثرية (Fabur, *Olivier et huile* ; Ponsich, *Atlas Lixus*).

تشير بعض النصوص القديمة إلى رداءة الزيت الافريقية (Pline, HN, XV, 3) لكن هذا الادعاء لم يتبلور إلا نتيجة قيام حملة دعائية لصالح استهلاك الزيت البيتيكية في أرجاء الغرب الروماني بفضل دقة تنظيم تجارتها التي احتكرها رجال الأعمال في الجنوب الإسباني من سنة 50 ق.م إلى سنة 150 م. فكيف نقر بحقيقة هذا الأمر إذن ونحن نعلم أن الظروف العامة الطبيعية والبشرية والتقنية لغراسة الزيتون وإنتاج الزيت في إسبانيا وموريطانيا المتوسطتين تكاد تكون متشابهة؟ وحتى لو سلمنا بوجود منطقة أو أكثر من موريطانيا تنتج زيتاً رديئة فليس معنى هذا خلو هذه البلاد من مناطق أخرى عديدة تنتج زيتاً جيدة كان يستهلكها سكانها الأهالي والرومانيون الذين ازداد عددهم بشكل ملموس عندما أمر أغسطس بتأسيس ثلاث

مستوطنات للمهاجرين الإيطاليين بالمغرب (Ponsich, *Nouvelles perspectives*, p. 48 - 49) وهناك دلائل أثرية أخرى على وجود علاقات تجارية بين موريطانيا وبيتيكا تتجلى في الخزف الأحمر المختوم الإسباني Terra Sigillata hispanique. تحدثت الدراسات المتنوعة التي تناولت المواد الإسبانية عن انتشار هذه المواد في أسواق موريطانيا.

صنف علماء الخزفيات الخزف ذا البرنيق الأحمر إلى ثلاثة أنواع. الخزف المختوم الإيطالي والخزف المختوم الغالي الجنوبي أو الغالي الروماني وأخيراً الخزف المختوم الإسباني، وهو الذي يهمنا لإبراز العلاقات المغربية الإسبانية. بدأت أدوات هذا النوع من الخزف تغزو أسواق موريطانيا مع نهاية القرن الميلادي الأول وهو ما يوافق العهد الفلافي في روما. ويضم هذا النوع من الخزف أقداحاً وأواني متنوعة تحمل أختام صانيعها.

نعتمد دراسة بوب (Boube, *Terra Sigillata*). لنستدل بها على رواج هذا النوع من الخزف في المراكز الأثرية المغربية. أعطى بوب قائمة صانعي الخزف المختوم الإسباني، ويبلغ عدد الشقوف التي بها أختام حسب هذه القائمة 357 قطعة موزعة على المراكز الآتية :

تموسيدا
بناسا
ليكسوس
سلا
كوتا
سوق أربعاء الغرب
تمودا
غير معروف
وليلي

يلاحظ من هذه المعلومات أن المدن الداخلية مثل وليلي وبناسا تحظى بنصيب كبير في تجارة المواد الإسبانية في حين أن المدن الساحلية مثل ليكسوس وكوتا وسلا لا تمثل إلا نسباً ضئيلة بالمقارنة مع المدن الداخلية، فهل كان سكان المدن الداخلية يُقبلون على شراء المنتجات الإسبانية أم أن ذلك راجع لنتائج الحفريات ؟ الغالب على الظن أن سكان وليلي والمستوطنة الأغسطية بناسا من رومانيين ومترومنين كانوا يقبلون على شراء هذه الأواني الجميلة.

وإذا حاولنا أن نبحث في الأنواع السائدة وأسماء أصحاب المعامل الذين كانوا يسيطرون على تجارة هذا النوع من الخزف فإننا نجد أن جلهم كان بجنوب إسبانيا. ولا داعي لذكر أسماء بعض التجار وأسماء الشركات الخزفية التي احتكرت ترويج هذه البضائع المصنوعة من الخزف الأحمر المختوم. وقد وجدت 27 شركة كانت توزع هذا الخزف بالمغرب القديم، وهي شركات غزت أسواق موريطانيا.

إذا كنا قد تمكنا من تحديد المنتجات البيتيكية التي استوردتها موريطانيا خلال الفترات التاريخية فإننا لا نستطيع القيام بنفس العملية لتوضيح أهم المنتجات التي كانت موريطانيا تصدرها إلى بيتيكا ؛ وإن كنا نعلم أنها متعددة ومتنوعة شملت المواد الفلاحية والمعدنية والخزفية وخصوصاً امفورات الأقواس التي وجدت نماذج منها في جهات متعددة من العالم الروماني.

م. التازي سعود، *حرب يوغرطة*، فاس، 1981 ؛ م. مقدون، *ثورة إيدمون*، د. د. ع. فاس 1985، ص 48. 70 ؛ ع. واحدي، *مكانة وليلي الاقتصادية*، د. د. ع. فاس، 1986، ص 210. 229 ؛ م. مجدوب، *مملكة الموريين وعلاقاتها مع روما* لغاية 33 ق. م. د. د. ع. فاس، 1990.

Pline, *Histoire Naturelle* ; J. Boube, *La céramique italique*, *BAM*, XII, 1979 - 80, p. 139 - 295 ; *Terra Sigillata hispanique*, ETAM, I, Tanger ; *Marques d'amphores découvertes à Sala, Volubilis et Banasa*, *BAM*, IX, 1973 - 1975, p. 163 - 235 ; *Supplément I au catalogue des marques de potiers*, *BAM*, 1966, p. 115 - 144 ; *Supplément II au catalogue des marques de potiers*, *BAM*, VIII, 1968 - 72, p. 67 - 108 ; *Amphores préromaines trouvées en mer au voisinage de Rabat*, *BAM*, XII, 1979 - 80, p. 99 - 109 ; Akkerraz, N. El Khatib, Hesnard, Kermorvant, E. Lenoir, *Dchar Jdid*, *BAM*, XIV, 1981 - 1982, p. 169 - 244 ; Hesnard, *Un dépôt angustéen d'amphores à la Longarine, Ostie*, in *Roman Seaborne Commerce*, *M.A.A.R.*, Rome, 1980 ; Hesnard, Lenoir, *Les amphores du Cécube et du Falerne, prospection, typologie, analyse*, *M.E.F.R.A*, XCIII, 1981, 1, p. 243 - 295 ; P. Guaslle, *La Evolucion de las exportaciones beticas durante el imperio, Primer Congreso Internacional, Producion y Comercio del aceite en la antiguedad*, Madrid, 1980 ; J. Rogé, *Recherche sur l'organisation du commerce maritime en Méditerranée sous l'Empire*, Paris, 1966 ; Ponsich, M. Douas, *Port antique et carrefour des voies de Maurétanie Tingitane*, *BAM*, VII, 1967, p. 369 - 405 ; Ch. Worthe, *Les routes et le trafic commercial dans l'Empire romain*, Paris, 1938 ; F. Laube Nhèmer, *La collection de céramique Sigillus Gallo-romaines estasupellées au Musée de Rabat*, *Ant. Afr.* T. 13, 1979, p. 79 - 225 ; E. Mayet, *Marques d'amphores de Maurétanie Tingitane : Banasa, Thamusida, Volubilis*, *MEFRA*, 90 - 1, 1978, p. 357 - 393 + 13 planches ; Beltranlloris, *El Comercio del aceite en el Valle del Ebro a finales de la Republica y colienzos del Imperio*, in *Producion y comercio del aceite in la Antiguedad, Primer Congreso Internacional*, Madrid, 1980 ; Colles (et al..), *L'épave de Port-Vendres II et le commerce de la Bétique à l'époque de Claude*, *Archaemantica*, II, Paris, 1977 ; Camps Faber, *L'Olivier et l'huile dans l'Afrique romaine*, Alger, 1955 ; M. Ponsich, *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc : région de Lixus*, *BAM*, T. VI, p. 377 - 423 ; *Recherches archéologiques dans Tanger et sa région*, 1970 ; *Nouvelles perspectives sur l'olivier du Bas - Guadalquivir*, in *Producion y comercio del aceite en la antiguedad, Primer Congreso Internacional*, Madrid, 1980, p. 47-56 ; A. Tchernia, *Les amphores romaines et l'histoire économique*, *J.S.S.*, 1967, p. 224 ; A. Akkeraz et H. Lenoir, *Les huileries de Volubilis*, *BAM*, XIV, 1981 - 1982, p. 63 - 101 + 19 Planches.

علي واحدي ومحمد مقدون

بِيحْبُوس، الحسن بن أحمد النكنافي الحاحي، من أكابرّ فقهاء حاحة، من أول القرن الرابع عشر (20 م) إلى ما بعد منتصفه. ولد بقرية تَحْبُوسْتْ من قبيلة نكنافة فصار يدعى التحبوستي أو بيحبوس. أخذ القرآن حفظا عن الفقيه مولاي الطيب أوحسان البهاوي النكنافي بمدرسة سيدي محند أُسليمان الجزولي ثم شد رحاله في طلب العلم إلى العلامة الأديب محند بن محمد أمغار التغماوي (ت. 1900/1318) المدرس حينئذ بمدرسة السيد محند أبو زيد بقبيلة إداوگازُّو فلازمه حتى استتم عنده أخذ جميع العلوم العربية الإسلامية فأجازه فيها، ثم انتدبه للتدريس في مدرسة الجزولي بقبيلته نكنافة حيث قضى بيحبوس طفولته ثم سنواته الأولى في التدريس إرضاء لرغبة أستاذه الأمغاري، مع أن شكاويه عليه من قلة الطلبة وضعف الأجْر والمؤنة لا تنقطع كتابة ومشافهة، كما تدل على ذلك هذه

الأبيات التي وجهها إليه الأستاذ يوم 7 جمادى الأولى عام 1312 يوصيه فيها بالقناعة والاجتهاد في مذاكرة العلوم ابتغاء مرضاة الله الذي سيرزقه من حيث لا يحتسب، ومنها قوله :

وموطنك الزم واجتهد ثُمَّةَ اقْنَعَنْ من أم حباب بالقليل من الكثر
ورابط بباب الله قلبك واطلبنْ رضاه الذي أولى من النقد والأجر

ولم يلبث بيحبوس الا قليلا حتى انضوى إلى رؤساء (تكنافة) النفلوسيين فكان له شأن عظيم أيام القائد محمد ابن إبراهيم أنفلوس (ت. 1321 / 1903) الذي عين بظهير عزيزي قائدا على حاحة الشمالية وسوس، فتولى بيحبوس القضاء في تيزنيت ونواحيها فسالت إليه البطاح بالهدايا، ففتح أبوابه لأهل العلم والخير والصلاح في كنف القائد أنفلوس الذي كانت شفاعة العلماء مقبولة لديه وان كانت الجريمة ما كانت، وخاصة إن كان من مريدي الطريقة التجانية أمثال الحاج الحسين الإفراني قطب الطريقة التجانية الذي نال حظوة كبيرة من القائد وقاضيه بيحبوس لانهما على نفس الطريقة (*المعسول*، 4 : 40) وقد أعجب المختار السوسي بحسن سمت الفقيه بيحبوس وبوقاره وحسن صلاته فقال : "فزارني في زاوية الرميلة فرأيت منه سمتا حسنا، وأبهة العلماء القديمة، وكان يصاحب الرداء والسلهام فوقه، وصلاته صلاة القانتين، ووجهه مستنير، وثغره ضحوك وكلامه منتظم وقور، ولا أحسب أنني رأيت من البادين من يصلي صلاة تأن مثله" (*ذكريات*، ص 27) وقد جرت بينهما مكاتبة أورد السوسي منها رسالتين : الاولى للفقيه بيحبوس والثانية لابنه محمد لإبراز مالهما من شغوف في العلوم وبراعة في صناعة القلم، فلتراجع هناك. وبعد عهد إنفلاس عاد بيحبوس إلى تعاطي مهنة التدريس متنقلا على وجه المشارطة بين مدرسة الجزولي النكنافية ومدرسة أبي البركات (العبدرى) الويسَارِيَّة إلى أن توفي عام 1935/1354 مخلفا وراءه ولدين نجيبين أولهما يدعى محمدا أخذ العلوم بمراكش ثم صار كاتبا للقائد مبارك بن عدي النكنافي في عهد الحماية. وثانيهما اكتفى بالأخذ في مدارس حاحة. ومن آثار بيحبوس الأدبية قصيدة نظمها في طريقه إلى فاس لزيارة الشيخ أحمد التجاني، وهي من صنف أدب الفقهاء.

م. المختارالسوسي، *المعسول*، 4 : 40 ؛ *ذكريات : رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، (مرقون) ؛ *رواية شفوية* عن تلامذة المترجم وأحفاده.

محند أيت الحاج

بيدا، محمد سالم، ولد سنة 1918 بالساقية الحمراء وانضم إلى صفوف المقاومة وجيش التحرير منذ سنة 1953 وناضل ضمن وحدة كان مركزها بالدشيرة، يرأسها أخباط أحمد وشارك في عدة عمليات، منها الهجوم على مركز بوجدور ومركز الدشيرة ومركز الگلتة، بالإضافة إلى تزويد إخوانه المجاهدين بالسلاح والمؤونة، وبقي يعمل بكل إخلاص إلى أن ألقت السلطة الإسبانية القبض عليه وأدخلته السجن حيث استشهد رحمه الله سنة 1956.

شهداء الاستقلال، ج 2.

عز الدين العلام

بيدْجر، روبيرط، R. Badger مبشر إنجليزي من هيأة "سُوذرن مُروكو ميشن" استوطن الصويرة سنة 1889 ثم رحل عنها إلى أسفي سنة 1892 لفتح معبد بها ظل قائما حتى نهاية القرن الماضي وكان نشيطا في عمله، ومراسلا لمجلة "ذي ريبر" كما أنه أقام مدة بمدينة الجديدة.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1413.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 67 ; *Les Missions protestantes au Maroc*, 42 : 164.

مصطفى بوشعراء

بيدو، جورج Bidault Georges رجل دولة فرنسي، من مؤسسي الجمهورية الرابعة ووجوهها، كان له بالغ التأثير في مجرى تاريخ المغرب المعاصر، إذ تقلب على كراسي الحكومة الفرنسية تارة كرئيس للحكومة وتارة كوزير للخارجية، ومرة أخرى كنائب للرئيس ووزير للدفاع، وذلك فيما بين سنوات 1944 و1954 طيلة العقد الأخير من الحماية الفرنسية، وكان وزيرا للخارجية فيما بين 8 يناير 1953 و19 يونيه 1956، فهو الذي رخص للجنرال گيوم Guillaume المقيم العام بالمغرب آنذاك بتنفيذ عملية عزل سيدي محمد ابن يوسف الملك الشرعي عن عرشه يوم 20 غشت 1953.

نشأ جورج بيدو على تربية كاثوليكية صلبة وتخرج أستاذا مبرزا في التاريخ سنة 1919 وساهم قبل الحرب العالمية الثانية في عدة حركات سياسية وثقافية مسيحية. ولما اندلعت الحرب وتم احتلال فرنسا من قبل الجيوش الألمانية كان من السباقين إلى تنظيم صفوف المقاومة الفرنسية، وأبلى فيها البلاء الحسن وأظهر من الإقدام والنفوذ ما حمل جميع فصائل تلك المقاومة على تكوين جبهة موحدة فيما بينها يرأسها جورج بيدو، فاضحى منظورا إليه بصفة كونه رئيس المقاومة الفرنسية بداخل فرنسا وقت كان الجنرال دي گول De Gaulle رئيسها بالخارج. لكن سرعان ما توحدت الحركة برمتها تحت قيادة الجنرال المذكور وأصبح جورج بيدو مساعده الأول في الشؤون الخارجية، وانصرف في ذات الوقت إلى تأسيس حزب جديد أطلق عليه عبارة "حركة الجمهوريين الشعبيين" وأقامه على مبادئ الديمقراطية المسيحية التي لم تكن في الحقيقة سوى مبادئ أحزاب اليمين السابقة مجردة من تطرف الفاشستية والنازية، قوامها التمسك بروح المحافظة من قبل ومن بعد، وحرص شديد الحرص على إحكام قبضة فرنسا على مستعمراتها بالرغم مما مرت به من الهزات، وأظهر بيدو في هذا المضمار إقداما متميزا وأبى إلا أن يكون في طليعة المناوئين لتحرير الشعوب المغلوبة على أمرها، وكان لا يعرف عنها إلا أنها قابلة للاستغلال غير مؤهلة بتاتا للتصرف في شؤونها بنفسها، فكان من دعاة شن الحرب على شعوب الهند الصينية وعارض الحركة

الوطنية بافريقيا الشمالية بكل ما أوتي من سلطة، فهو المسؤول الأول عن عزل ملك المغرب الشرعي عن عرشه يوم 20 غشت 1953. لكن التاريخ ما لبث أن حكم على سياسته بالفشل، لأن شعب الڤيتنام انتصر على الجيوش الاستعمارية في معركة دْيِن بْيَن فُو في ربيع سنة 1954، وكان ذلك سببا في إبعاد جورج بيدو عن الحكم بلا رجعة. وفي شهر نونبر 1954 قامت الحرب التحررية بالجزائر وأدى قيامها إلى ضعضعة الجمهورية الرابعة وانهيارها سنة 1958، وعاد الجنرال دگول إلى الحكم فظن بيدو أنه سيحفظ الجزائر لفرنسا، ولما خابت آماله في الجنرال صار يحيك المؤامرات ضداً عليه، فكشف أمره واضطر إلى الفرار إلى البرازيل سنة 1962. فأقام هناك نسيا منسيا إلى أن صدر العفو عنه سنة 1968، فعاد إلى فرنسا ليقضي ما تبقى من حياته منبوذا مهجورا إلى تاريخ وفاته سنة 1983.

G. Elgey, *Histoire de la IVème République*, T. 1 ; *La République des Unions*, T. 2 ; *La République des Contradictions*, Paris, 1965 - 1968 ; Y. Benoit, *Dictionnaire des ministres* 1789 - 1989, Paris, 1990.

پيدُو دى سانتولون، فرانسوا François Pidou de Saint-Olan (1720-1641) سفير لويس الرابع عشر ملك فرنسا لدى السلطان المولى إسماعيل سنة 1693، ولم يؤهله لتلك السفارة سوى كونه من ضباط البحرية الفرنسية، شأنه في ذلك شأن معظم سفراء فرنسا إلى أقطار ما وراء البحر في ذلك العصر، إلا أن فرانسوا پيدو اكتسب من سفارته إلى المغرب خبرة بشؤون الديار الإسلامية بوأته منصب المكلف باستقبال السفراء المسلمين الوافدين من بلدانهم على البلاط الفرنسي، وهكذا كان مرافقا للسفير المغربي عبد الله بن عائشة لدى سفارته إلى باريس سنة 1699، كما كان مرافقا لسفارة فارسية جاءت إلى فرنسا سنة 1717. وكان في الأصل من البورجوازيين المتواضعين، لكنه ارتقى إلى طبقة النبلاء سنة 1672 فانضاف إلى اسمه "پيدو" الوضيع اسم قطعة من الأرض بسانتولون وقعت في ملكه فبات من النبلاء على الطريقة الفرنسية.

ولقد اعتنى پيير ذي سينڤال Pierre de Cénival بنشر رسائله وتقاريره ودقائق سفارته في مجموعة الوثائق الغميسة، ولقد كان من التعليمات التي جاء محملا بها إلى المغرب أن يستخبر "على امتداد ولايات ملك المغرب، وعن امتداد ولايتي فاس ومراكش بوجه أخص، وعن خصوبة الأرض، وعن أهم المدن ومدى كثافتها بالسكان، ومَنْ هُم الأمراء المجاورون لتلك الممالك الذين من شأن ملك المغرب أن يقع في الحرب معهم، وعن جيوشه سواء منها الخيل والرجل، وكيف تتم مكافأتهم وما هي أساليبهم في القتال، وكيف يتصرف ذلك الأمير بحكم ولاياته، وما هي شرطة المدن ومن ذا الذي يختص بتسييرها، وما هي عادات السكان وما ديانتهم، فعليه أن يضع تقريرا في كل ذلك يسلمه إلى صاحب الجلالة لدى عودته".

ولم يكتف پيدو بالتقرير الرسمي، بل أضاف إليه ما أضاف من المعلومات والارتسامات وكتب كتابا مفصلا صدر أول مرة سنة 1694 بغير اسم صاحبه تحت عنوان : *"الأوضاع الراهنة بإمبراطورية المغرب"*، ثم صدر مرة ثانية سنة 1695 باسم المؤلف تحت عنوان أكثر توضيحا جاء فيه : *"أخبار إمبراطورية المغرب، يُتَعرَّف من خلالها على أحوال البلاد وعوائد السكان وأعرافهم وحكومتهم وديانتهم وأساليبهم السياسية، بقلم السيد دي سانتولون سفير الملك لدى البلاط المغربي"*.

ولقد جاء الكتاب ملبيا لحاجة صارت تزداد في الجمهور الأوربي بشكل مطرد، للاطلاع على أحوال ديار الإسلام، حتى صارت تلك الحاجة عادة وصارت العادة هاجسا من هواجس الفكر الأوربي في عصر التنوير. وكان ذلك أقوى عهد لعمليات السطو والاستعمار فيما بعد، وسرعان ما أضحى كتاب پيدو دي سانتولون من المراجع الكلاسيكية في أوربا للتعرف على أحوال المغرب إلى جانب كتاب ليون الإفريقي (الحسن الوزان) وكتاب مارمول وكتاب مويط Mouette، أسير المولى الرشيد والمولى إسماعيل لعدة سنوات، وكتاب ويندوس Windus كاتب السفارة الانجليزية لدى المولى إسماعيل سنة 1721.

R. L. Playfair, R. Brown, *A bibliography of the Barbary States*, Part IV : *a bibliography of Morocco from the earliest times to the end of 1891*, London, 1892 ; P. de Cenival, *S.I.H.M. 2ème Série, Dynastie filalienne, Archives et Bibliothèques de France*, T. IV, Mai 1693 - Novembre 1698.

إبراهيم بوطالب

البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي، عرف بالبيذق، صاحب محمد بن تومرت ورفيقه الأول، ومؤلف كتاب *الأنساب في معرفة الأصحاب*، وكتاب *أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين*.

لا نعرف شيئا عن تاريخ ولادته ومكانها ولا عن طفولته وأسرته. ولكننا نعرف أنه توفي في عهد يوسف بن عبدالمومن. ولعل ذلك كان في أوائل توليته. يعتبر كتابه *أخبار المهدي بن تومرت* المشار إليه أعلاه، المصدر الوحيد لما نعرف عنه حتى الآن. وفيه ورد اسمه هكذا : أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق. فهو إذن من إيزناگن أو صنهاجة، ولكن من أي فريق منهم ؟

لم نعثر على أية إشارة في كتابه توضح ذلك، غير أن صحبته المبكرة لابن تومرت، تجعلنا نميل إلى افتراض كونه صحبه من المغرب في رحلته إلى المشرق، وفي هذه الحالة يكون أبو بكر من صنهاجة الأطلس الصغير القاطنين إلى اليوم في قسمه الشمالي الشرقي، لأنهم جيران ءَارْغَنْ أو هرغة الذين ينتمي إليهم ابن تومرت. وربما كانا قد تعارفا في إحدى مدارس موطنيهما المتجاورين أثناء فترة التعلم الأولى.

وإذا لم يكن هذا الافتراض صحيحا، فهناك آخر يمكن التذكير به، وهو أن الرجلين التقيا في المشرق وأقنع ابن تومرت أبا بكر بمصاحبته مع شخصين آخرين هما يوسف الدكالي والحاج عبدالرحمان، كما وقع له مع عبدالمومن بن علي وغيره بعد ذلك في حكاية نعرفها.

وكيفما كان الأمر، فإن أبا بكر بن علي الصنهاجي كان من أوائل من صحب ابن تومرت، حيث كان واحداً من الرجال الثلاثة الذين كانوا معه حين دخوله إلى تونس في طريق عودته إلى المغرب. وهذا ما يتبين من الفقرة التالية من كتاب البيذق : "... فلما كان بعض الأيام أمرنا (ابن تومرت) بالأخذ على أنفسنا وقال لنا : نتوجه إن شاء الله نحو الغرب، فخرجنا من تونس ونحن أربعة نفر كما كنا أول القدوم : سيدنا المعصوم رضي الله عنه ويوسف الدكالي والحاج عبدالرحمان وعبدكم الفقير المؤلف لهذا أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق، فلم نزل نجد السير حتى وصلنا قسنطينة..." (50 . 51).

وبما أن يوسف الدكالي والحاج عبدالرحمان يحملان صفة الحاج في كتاب البيذق، فإن ذلك يرجّح أنهما كانا من الحجاج المغاربة، وبالتالي فإن لقاءهما بابن تومرت ربما كان قد تم في الحج أو في مصر. وليس من المستبعد أن يكون الأمر كذلك بالنسبة إلى البيذق. أما عن كنيته "البيذق" فإنه لم يذكر شيئا عن أصل تسميته بها. وإذا كان ليفي بروفنصال قد ذهب إلى أنه مأخوذ من الكلمة الفارسية بيذق الشطرنج، فإننا نعتقد بأن إطلاقها بهذا المعنى القدحي يعد من باب التنابز بالألقاب. ولا نظن أن ابن تومرت سيقبل هذا، خصوصا وأن أبا بكر الصنهاجي من الذين لازموه مدة طويلة.

ينبغي إذن أن نبحث عن معنى آخر لكلمة "البيذق" يصلح لتبرير قبولها كنية لأحد أصحاب ابن تومرت الأوائل.

إن كلمة البيذق تعني كذلك : الدليل في السفر والماشي راجلا. وهذان المعنيان هما اللذان نرجحهما بخصوص كنية أبي بكر الصنهاجي، لأن هناك دلائل كثيرة تؤيد ما ذهبنا إليه.

لقد سبق أن ذكرنا أن أبا بكر دخل إلى تونس مع ابن تومرت ورفيقين آخرين حين رجوعهم من المشرق في اتجاه المغرب. وربما كان سبب وجود أبي بكر الصنهاجي مع جماعة ابن تومرت هو كونه يعرف الطريق، وهذا لا يتأتى الا إذا ذهب من بلده المغرب إلى الحج عن طريق البر، الشيء الذي لم يقع بالنسبة إلى ابن تومرت الذي وصل إلى الاسكندرية عن طريق البحر مرورا بالمهدية.

كان أبو بكر الصنهاجي هو الذي يقود مطية ابن تومرت في حله وترحاله. وقد وردت في كتابه عبارتان تثبتان ذلك. الأولى وردت حين حديثه عن غزاة هسكورة التي شج فيها ابن تومرت، حيث قال : "ورفعه اسحاق بن عمرو وسنار، وكان العبد الفقير المؤلف أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بالبيذق يمسك البغلة تمويق (اسم بغلة ابن تومرت) ،وكان يخلف أسگى يمسك الدرقة والرماح، فأتينا به حتى وصلناه المنزل ورجعنا للقتال..." (ص 76). أما الثانية فقد وردت حين حديثه عن إحدى جولات ابن تومرت في تينمل قبيل وفاته، حيث قال : "وكان مريضا فقُدتُ به البغلة، فكان الشيخ أبو محمد عبد الواحد على يمينه والشيخ أبو محمد وسنار على شماله حتى وصلنا الدار..." أي دار ابن تومرت (ص 80).

هذه المهمة ـ إمساك المطية وقودها ـ لا يقوم بها في جبال درن إلا من تتوفر فيه شروط، منها : معرفة المسالك الجبلية الصعبة، ومعرفة طبائع المطية المقادة، وتوفر الثقة في ماسك مقودها. لأن أي خطإ منه قد يؤدي إلى نفور الدابة وسقوط الراكب. ومثل هذه الحوادث في المسارب الجبلية قليلا ما تحمد عقباها.

فأبو بكر الصنهاجي كان إذن دليلا في السفر، وماشيا راجلا أمام بغلة الإمام المهدي ابن تومرت. غير أن استعمال كلمة البيذق للدلالة على هذه المهمة، لا يمكن ان يتأتى إلا لمن كان متمكنا من المعجم العربي تمكنا كبيراً. وليس في الجماعة الموحدية الأولى من يتوفر فيه هذا الشرط إلاّ محمد ابن تومرت. وبالتالي فهو الذي يكون قد أطلق هذه الكنية على صاحبه. ولا يستبعد أن تكون الكنية الحقيقية لأبي بكر الصنهاجي هي أفدد التي تعني بالأمازيغية الدليل والرائد، فعربها ابن تومرت وأصبحت بيذق. وهذا شيء محتمل جدا لأننا نعرف أن ابن تومرت عرّب أسماء من أعضاء جماعة الموحدين، وأعطاهم كني لم تكن لديهم من قبل.

وعن دور أبي بكر الصنهاجي في حركة الموحدين، سواء في عهد ابن تومرت أو في عهد عبد المومن، فقد كان من أكثر الأدوار نشاطا، وحضورا. فبالإضافة إلى كونه من المقربين إلى ابن تومرت منذ بداية أمره ومن أوائل المبايعين له، شارك في جل غزوات الموحدين في عهد القلائل الذين نجوا من الموت. كما شارك في المعارك الأولى في عهد الخليفة عبد المومن التي انتهت بسقوط مراكش في يد الموحدين.

ومشاركته هذه غالبا ما يشير إليها في كتابه باستعمال ضمير المتكلم، عند الكلام عن الأحداث التي حضرها. وهكذا يقول مثلا : ونزلنا البحيرة وبقينا بها أربعين يوما...". "وأقبلنا على الكست" (غزوة گزولة)، "أمرنا بالخروج" (غزوة تينلين)...

ولكن أهم أعمال أبي بكر الصنهاجي هي، قبل كل شيء، كتاباه المشار إليهما في أول هذا العرض، ولولا ما يعتريهما من بتر مؤسف لسمحا لنا ولاشك بالتعرف عليه أكثر وعلى الموحدين المؤسسين وتاريخهم.

البيذق، *كتاب أخبار المهدي*... إخراج : ليفي بروفنصال. م. شفيق، *المعجم*، ج 1.

E. Destaing, *Vocabulaire*, p. 102.

علي صدقي أزايكو

پيرديكاريس، إيون Perdicaris Ion، غني من أغنياء اليونان كان منتحلا للجنسية الأمريكية ومستقرا بطنجة أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين، يعيش عيشة المترفين من ريع ثروته في ڤيلا أطلق عليها اسم "أيدونيا"

يعني المسرة، بناها غربي المدينة في عزلة الجبل الذي كان مازال آنذاك خلاء، رفقة زوجه وبنته وصهره والأحفاد، وكان صهره إنجليزيا اسمه ڤارلي C. O. Varley، وما كان التاريخ ليحتفظ بذكر پيرديكاريس، بالرغم مما قاله الجغرافي الفرنسي بيرنار A. Bernard من أنه هو الذي أوحى بتحويل المجلس الصحي الدولي بطنجة إلى لجنة شبه بلدية تُعنى بشؤون النظافة والأزقة، لكن اسمه احتل الصدارة في الصحافة الدولية في ربيع سنة 1904، يوم اختطفه وصهره الشريف المولى أحمد الريسوني وألزمهما بالإقامة الإجبارية لديه بتازروت ببني عروس، وكان ذلك يوم 18 ماي فشارت ثائرة الحكومتين الأمريكية والأنجليزية فملأتا الدنيا احتجاجاً وتهديداً، وبخاصة رئيس الولايات المتحدة آنذاك ثيودور روزڤيلت Theodore Roosevelt الذي بعث بست بوارج إلى خليج طنجة وصرح بما كان معروفا فيه من الغلظة والفظاظة بأنه "يريد پيرديكاريس حيا أو الريسوني ميتا"، والتحق بذلك الأسطول الأمريكي قطعتان من الأسطول الأنجليزي، ومورست أقوى الضغوط على مخزن المولى عبد العزيز لينزل عند الشروط التي كان الشريف الريسوني قد وضعها لإطلاق سراح پيرديكاريس وصهره، وكان منها أداء فدية قدرها 350.000 بسيطة، وتسريح المحلة التي كانت جاثية بالمنطقة لردع تصرفاته وتصرفات باقي المشاغبين، وتعيينه قائدا على زينات وأحوازها بجبال طنجة وإطلاق سراح من كان من شيعته مقبوضا في سجون المخزن، وعزل باشا طنجة عبد الرحمان بن عبد الصادق لأنه كان هو الذي قبض عليه سنة 1895 وأرسله في الوثاق إلى سجن الصويرة. فلما عفا عنه المخزن سنة 1900 وعاد إلى قبيلته ببني عروس ظل يبحث عن وسيلة ينتقم بها من خصمه، وكانت تلك الوسيلة هي پيرديكاريس وصهره، ولم يبال الشريف الريسوني بالأساطيل التي حاصرت طنجة لأنه كان في أوعاره بالداخل يعلم أن الحيتان لا تأكل الثيران، كما صرح هو بذلك، فكان المخزن، مرة أخرى، هو الضحية الكبرى، إذ ألزمته الضغوط الأجنبية بتلبية جميع رغبات الريسوني ولم يستثن منها الا شرط واحد كان يرمي إلى التزام الولايات المتحدة وإنجلترا بضمان تنفيذ الشروط الأخرى. وهكذا أطلق سراح پيرديكاريس وصهره يوم 25 يونيه من نفس السنة، واغتنم ممثل فرنسا بطنجة آنذاك، سان روني طايا نديه Saint-René Taillandier تلك المناسبة لإرغام المخزن العزيزي على قبول مبدأ إقامة شرطة فرنسية بالمدينة ضمانا للأمن وتثبيتا للنفوذ الفرنسي، ورحب ممثل إنجلترا نيكولسن Nicholson بذلك، فكانت مساندته للمطمح الفرنسي دليلا على متانة فصول الوفاق الودي المبرم بين إنجلترا وفرنسا في شهر أبريل السابق من تلك السنة، وانفتحت أبواب الحماية الفرنسية بالمغرب، وكانت المحاولة الأولى بواسطة سان رونى المذكور أواخر سنة 1904 وبداية سنة 1905.

وأدهى ما في الأمر أن پيرديكاريس لم يكن يحمل الجنسية الأمريكية، إذ لما قامت الضجة على اختطافه تبين بعد حين أنه كان ما زال يحمل جنسيته اليونانية الأصلية وأن إمرأته هي التي كانت أمريكية، وأخطر ثيودور روزڤلت بالحقيقة، لكنه أمر بالسكوت عنها لأنه كان في حاجة إلى مناورة دعائية ترجح حظوظه لكسب ترشيح ثان للانتخابات الرئاسية في صيف سنة 1904، وبقيت الحقيقة منطمسة إلى سنة 1933.

م. أمين البزاز، *المجلس الصحي الدولي بالمغرب* 1792 - 1929، رسالة جامعية مرقونة، الرباط 1980 ؛ علي الريسوني، *أبطال صنعوا التاريخ*، تطوان، 1975.

A. Bernard, *Une mission au Maroc*, Paris, 1904 ; D. Porch, *The Conquest of Morocco*, New-York, 1983 ; Saint-René Taillandier, *Les origines du Maroc Français : récit d'une mission 1901 - 1906*, Paris, 1930 ; A. Khallouk Temsamani, *Les coups de Raïssouni ,1895 - 1907*, *Revue Dar an-Niaba*, n° 19 - 20, 1988.

إبراهيم بوطالب

بير أنزران، مركز بإقليم وادي الذهب، يسمى باسم البئر الشهيرة فيه، ويقع بناحية نكجير جنوب خط العرض 24 درجة، وإليه انتقل الشيخ ماء العينين في طريقه من أوسرد إلى اسمارة، ولم تحتله القوات الإسبانية إلا سنة 1937 أي بعد أن كان قد مر على الوجود الإسباني بالداخلة أكثر من نصف قرن. وبهذا المكان وقعت معركة كبيرة انتصرت فيها القوات المسلحة الملكية على مرتزقة البوليساريو. فكان ذلك مدعاة لإطلاق اسم بير انزران على عدد كثير من الساحات العمومية والشوارع والمؤسسات المغربية.

I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid 1955, p. 140.

محمد ابن عزوز حكيم

البير الجديد، مركز حضري صغير (5359 نسمة سنة 1982) يقع على بعد حوالي أربعين كلم جنوب الدارالبيضاء على الطريق الرئيسية رقم 8 المؤدية إلى الجديدة.

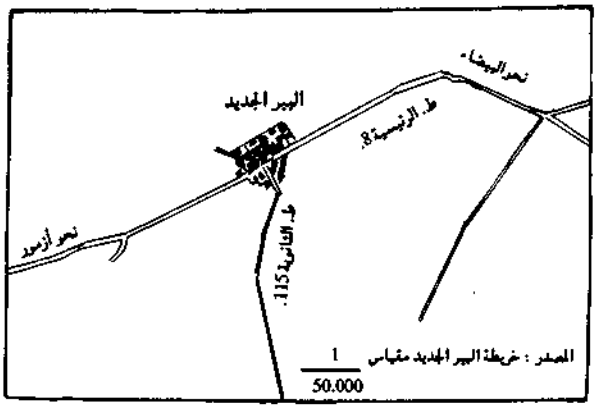

موقع البير الجديد

نشأ كمركز للاستعمار الفلاحي على إثر توسع عمليات استحواذ المعمرين على الأراضي الفلاحية بضواحي الدارالبيضاء، وكمحطة للخدمات الطرقية مع تطور وسائل النقل العصري خلال العشرينات من هذا القرن. ولم يصبح تجمعا سكانيا يستحق الذكر إلا خلال الثلاثينات. ففي سنة

1931 لم يكن عدد سكانه يتجاوز 89 نسمة، 80 منهم أجانب. وإذا كان للفلاحة التسويقية التي أدخلها المعمرون دور كبير في نشأة هذا المركز وتطوره، فإنها ما زالت اليوم ذات أهمية قصوى بالنسبة له.

رغم بُعد مركز البير الجديد عن الساحل بحوالي عشرة كيلومترات فإن الانتشار الكبير الذي عرفته زراعة الخضر في اتجاه الداخل، ضمن نطاق المنخفضات الفاصلة بين الكثبان الرملية القديمة والمتماسكة (بداية الزمن الجيولوجي الرابع) قد جعله يصبح أول مركز تجاري وخدماتي بمنطقة الولجة الممتدة بين الدارالبيضاء وأزمور. ويتجلى ذلك أولا من خلال حجم تجارته القارة (أكثر من 220 محل تجاري سنة 1984) ومن خلال أهمية سوقه الأسبوعي (1150 نقطة بيع سنة 1984) وبفضل هذه الطاقة التجارية أصبح للبير الجديد إشعاع كبير يمتد نحو الجنوب ليشمل منطقة شتوكة ونحو الشاوية السفلى في الداخل ونحو منطقة السوالم في الشمال.

والبير الجديد الذي يقع ضمن مجال فلاحي تفوق به الكثافة العامة للسكان 100/ن كلم2. نظراً لحاجة زراعة الخضر لليد العاملة أصبح أيضا قطبا للهجرة القروية وخاصة من الشاوية. فنسبة سكان هذا المركز المولودين بعين المكان التي كانت تقدر بـ 64٪ سنة 1971 لم تعد تتعدى 46٪ سنة 1982. ويرتبط بتصاعد الهجرة انتشار كبير للسكن الهش 36٪ واشتغال 26٪ من سكانه النشيطين بالفلاحة.

ورغم أهمية نسبة السكان العاملين بالفلاحة يظل القطاع الثالث يحتل الصدارة في ميدان التشغيل باحتوائه على 53٪ من الساكنة النشيطة للمركز منها : 16٪ للتجارة و15٪ للإدارة و14٪ للنقل. ومن زاوية أخرى تشغل أنشطة الخدمات بمختلف أشكالها (حرف الإصلاح، الإدارة، الوساطة...) 42٪ من السكان النشيطين بالبير الجديد. وبذلك يكون نموذجا للمراكز التي نشأت وتطورت في ارتباط وثيق بالفلاحة وبالخدمات الطرقية.

R. Chakir, *El-Jadida : Croissance urbaine et espace régional*, Thèse de 3ème cycle, Tours, 1985 ; R. Fosset, *Société rurale et organisation de l'espace : Les bas plateaux atlantiques du Maroc Moyen*, Thèse d'Etat, Montpellier, 2 t, 1978 ; A. Lahlali, *Souks et reseau urbain dans les Doukkala*, Thèse de 3ème cycle, Tours, 1987.

مصطفى شويكي

بير غندور، مركز بإقليم وادي الذهب يسمى باسم البير الشهير فيه، ويقع بناحية اسمول شرقي أدرار ستوف بين خطي العرض 21 و22 درجة، ولم تحتله إسبانيا إلا سنة 1937 أي بعد أن كان قد مر على وجودها بالداخلة أكثر من نصف قرن.

I. Carneno Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955, p. 136.

محمد ابن عزوز حكيم

البير في الصحراء المغربية. للبئر في الأقاليم الصحراوية أهمية كبرى، يُكوِّن مع الواحة المعلمتين الأساسيتين في أية منطقة صحراوية في العالم. وتكثر الآبار في الصحراء المغربية بحيث يتعذر تتبعها واحدا واحدا، لذلك سنورد هنا جردا عاما بأسمائها اعتمادا على بعض الدراسات والخرائط السرية التي وضعتها الادارة الإسبانية أثناء الاحتلال إضافة إلى المصادر والمراجع الإسبانية المنشورة قبل عودة الاقاليم الصحراوية إلى حظيرة الوطن :

أبيب، أبيدوز، الأبيض، أحمد، الأحمر، أرجمار، أريدال، اگليت اسفاء، اگموميت، أگويدير، اگوينيت، اگيلاس، اليفة، أم فاطمة، امبات امگانا، امگلي، امليلي، امسيكير، امسين، أميلنيك، أنزران، انفيست، انسياليت، انوطي، اسمارة، أهل الشيخ الوالي، أوادي، أوحفريت، أوركات، أوگروواليت، أوفيست، أوسياليت، أوسيرت، إيافة، ايج، بن حمادو، بوجدور، بوخشيبية، بورگيبة، بوگفة، بولرياح، البويردات، تاجميل، تاگرزيت، تاگولات، تامي، تافراوت، تافودارت، تاسوة، تاشكتامت، تايارت، تارگيت، تنواكة، التوارتة، توزينين، توكات، تيدماكة، تيراكلين، تيملوسة، تينغراد، تيفاريتي، تيسلاتين، تيشلا، الجديرية، جرف سعدون، الجريفية، الجلوا، الجليا، حبادة، الحگونية، الحلو، الحميرة، الحمير ماش، الحوزة، حسيان، الخلوة، خليل، الدوار، الدموس، الدشيرة، الدورة، الدويهب، الراك، الرخيمة، الرغيوة، الرقيقة زنزانة، الزوك، طبق، طلحة، الطوف، الگاموس، گرتوفة، الگريسم، الگطفة، الگطوع، الگنيفة، الگطيطير، گلتة زمور، الگندوز، الگيدية، لرجامة، لمامي، مبروك، المجيبار، المدادة، المرض، مكونة، المكيب، المگبورة، المسيد، معطى الله، المهيرز، موقلاتي، مويلاح، الميدار، الميزور، النار، النبگة، النخلة، النخيلة، النخيطة، النطريف، النويغذ، نيزان، الصيتة، الضويق، عثمان، العريدة، عگيلت، العگاية، العسل، العسلي، العويتگات، عويشة، غريبيل، فراگش، الفرسية، الفوار، القرعة، القليلة، سعدون، الشاي، الشر، الشريفية، الشمل، حگونية، الحميدنات، ولد سيدي محمد.

م. الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*، ج 1.

Gobierno General del Sahara, *Informe sobre los puntos de agua existentes en el Sahara Español*. El Ayun 6 de Agosto de 1943 ; *El pozo fuente de vida capital en el Sahara*. El Ayun, Julio de 1948 ; *Mapa de los pozos del Sahara 1944* ; A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946 ; A. Flores Morales, *El Sahara Español*, Madrid, 1946 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955 ; J. Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955 ; P. Gomez Moreno, *Pozos del Sahara*, Madrid, 1956.

بيرخينيا، Virginia اسم أطلقه الإسبان على جزيرة العميرة، الجزيرة الصغيرة التي تقع جنوب رأس بارباس.

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 84 ; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955, p. 93.

بيرا، أو بيرَة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Vera، وهو في الأصل اسم قرية بمقاطعة المرية الأندلسية وتذكر الوثائق فردا من أفراد هذه الأسرة بتطوان كان حيا سنة 1721/1133

يدعى قاسم بن أحمد بيرا.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان سنة 1762/1175.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 32 ؛ 4 : 87 ؛ م.داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 320 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بيـرا ، فابيا إزلتاي أو إزلطاي، إحدى الشخصيات الشهيرات بمدينة وليلي الرومانية. لقد لعبت هذه السيدة دورا طلائعيا في الحياة الدينية والاجتماعية بهذا المركز الروماني خلال النصف الأول من القرن الأول بعد الميلاد. ترجع المكانة التي حظيت بها فابيا بيرا، خاصة في الميدانين المشار إليهما، إلى زوجها ماركوس فاليريوس بوسطار (J. Gascou, 1982, n 448) الذي لعب دورا مهما في إخماد ثورة أيدمون الشهيرة، وبعدها أصبح من الشخصيات البارزة في تاريخ مدينة وليلي.

يمكن دراسة بعض جوانب حياة هذه السيدة من خلال مجموعة من الوثائق الكتابية. هذه الأخيرة عبارة عن مجموعة من النقوش اللاتينية وعددها خمسة (J. Gascou, 1982, n 342 - 440 - 448 - 449) تحمل كلها اسم السيدة فابيا بيرا.

إن الأصل الحقيقي لفابيا بيرا يمكن استنباطه من اسمها العائلي واسم أبيها. فالأول هو بيرا وهو اسم ليبي (J. Marion, 1960, p. 161). هناك تشابه أو قرابة بين هذا الاسم وأسماء أخرى وجدت على بعض النقوش الحجرية المكتوبة بالليبية أو بالبونيقية التي عثر عليها بتونس، كالنقيشة التي عثر عليها بمعبد الحفرى (Berthier et Charlier, n 130) والتي تحمل اسم بُوريك (Boric) أو كالتي عثر عليها بأومال (Chabot, n 863) التي تحمل اسم بير Bir بالليبية.

أما اسم أبي بيرا وهو إزلتاي، فيبدو كذلك أنه ليبي (Marion, 1960, 160) وهو اسم عريق استعمل كاسم فريد خاصة وأن تقاربا كهذا ليس بمستحيل. ومعلوم أن بمنطقة حاحة قبيلة تحمل اسم أيت زلطن (L. Chatelain, 1968, p. 145).

إن المكانة الاجتماعية التي حظيت بها هذه السيدة يمكن اعتبارها نتيجة لعنصرين مهمين : الأول هو المكانة التي كان زوجها ماركوس فاليريوس بوسطار يحتلها في الحقل السياسي والإداري بمركز وليلي. أما العنصر الثاني فهي المكانة الدينية. اعتمادا على الوثائق الأثرية، وخاصة النقوش اللاتينية المشار إليها سابقا، نستخلص أن السيدة فابيا بيرا وزوجها ماركوس فاليريوس بوسطار هما من الشخصيات الأولى التي شغلت منصب كاهن لأول مرة بهذا المركز الروماني، وذلك لإقامة طقوس وشعائر للأمبراطور.

ومعلوم أن منصب كاهن لا يشغله أي كان، بل هو وظيفة دينية خاصة بفئة اجتماعية معينة، أهم خاصياتها أنها حصلت على حق المواطنة الرومانية وذلك أن أفرادها يحملون الأسماء الثلاثة، وأنهم اشتغلوا في أحد المناصب السياسية. هذه الفئة هي ما يمكن أن نسميها "البورجوازية" البلدية، وأنهم عند مغادرتهم لهذه الوظيفة يصبح اسمهم مسجلا في سجلات الشيوخ. فإذن تعد فابيا بيرا أولى الكاهنات بمدينة وليلي، ولهذا السبب نتوفر على وثيقة وهي نقش لاتيني مهداة من طرف نفس الشخصية إلى إحدى الآلهة الرومانية، أو بالأحرى المرومنة وهي الإلهة سريس (J. Gascou, 1982, n° 342) Ceres حيث تتقدم لها فابيا بيرا بالشكر الجزيل على المساعدات التي قدمتها لها لتحتل إحدى الوظائف المهمة.

أما المكانة الاجتماعية، فإنها لا يمكن أن تنفصل عن الدور الديني الذي كانت تلعبه أو تشغله، يُضاف إلى هذا أن هذا الاسم "فابيا" سيصبح اسم عائلة كبيرة وهي عائلة الفابيين Fabii التي ستندمج في إطار عائلة أخرى كبيرة وهي عائلة الفاليريين Valerii عن طريق زواج فابيا بماركوس فاليريوس بوسطار.

J. Gascou, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2, *Inscriptions Latines*, Paris, 1982 ; *La population de Volubilis à l'époque romaine*, *B.A.M.*, IV, 1960 ; P. Berthier et Charlier, *El Hofra* ; Chabot, *Inscription libyque* ; L. Chatelain, *Le Maroc des romains*, 1968.

حسن ليمان

بيرار ، گيوم Bérar Guillaume طبيب جراح مستعرب، أصله من منطقة نيس جنوب فرنسا. كان محبا للأسفار البعيدة وللثقافة العربية الإسلامية، وكان يقيم بأسطمبول عام 1574، فتعرف هناك على عبدالملك بن محمد الشيخ السعدي الذي كان يومها بتركيا طالبا مساندة السلطان سليم ليعتلي عرش المغرب. عندما أصيب عبدالملك بمرض أخذ يتلقى العلاج على يد بيرار گيوم، فنشأت بينهما صداقة، وعندما أصبح عبدالملك ملكا عام 1576 جعل من بيرار طبيبه الخاص، ثم أوفده في سفارات لدى هانري الثالث ملك فرنسا، ثم صار بعد ذلك سفيراً لفرنسا لدى مملكتي فاس ومراكش. كان عبدالملك يستعد لمعركة وادي المخازن وهو في حالة صحية غير مرضية، ذلك ما جعل بيرار يلازمه باستمرار، فشاهد بيرار يوم 4 غشت 1578 جل أطوار المعركة ولم يكتب لعبد الملك أن يشاهد نصر قواته.

بعد أيام قلائل، شهد بيرار مراسيم بيعة أحمد المنصور بفاس ملكا على عرش المغرب كله، غير أن التجار الفرنسيين رفضوا أن يسددوا له الواجبات القنصلية بدعوى أن رسائل اعتماده موقعة من طرف الأمير أنطوان دوبوربون لا من طرف الملك نفسه، فأكد له هانري الثالث اعتماده سفيراً بالمغرب وطلب منه تنشيط المبادلات التجارية بين البلدين والسعي لدى ملك المغرب لمنح قروض إلى فرنسا.

واصل بيرار خدمة أحمد المنصور بضعة أعوام، ثم توفي بفرنسا عام 1591.

S.I.H.M. ; H. Terrasse, *Histoire du Maroc*, II ; G. Deverdun, *Marrakech*.

أحمد بنجلون

بِيرامَانْ، (بِيرْعَمَانْ) : اسم مدرسة علمية قديمة

توحدت قبيلة إداوبوزيا الحاحية حولها منذ القدم إلى الآن، رغم وجود زوايا دينية أخرى تقوم بوظيفة تدريس القراءات والعلوم الأخرى أحيانا مثل زاوية عبدالمنعم الحاحي (ت. 935 هـ) بأيت داود التي لا تبعد عن بيرامان إلا ببضعة كيلومترات، وكذلك زاوية بُوزمُّورْ إزاء ضريح سيدي حسين ابن موسى.

ازدهرت الدراسة بمدرسة بيرامانْ بفضل عناية رؤساء آل بويفنزي بها نظرا لوقوعها قرب قصبتهم وتحت نفوذهم، فكان أساتذتها وطلبتها يحظون بعناية خاصة من طرف القائد بويفنزي وحاشيته، لأنه يزين بهم مجلسه ويفخر بتقدمهم في العلم على أقرانه من قواد القبائل الحاحية المجاورة.

ومن مشاهير أساتذتها في القرن الرابع عشر (20 م) العلامة الأديب محمد بن السيد محند الأمغاري التغماوي الذي أخذ القرآن والعلوم العربية والدينية عن والده بمدرسة إداوكَازُّو التي قضى فيها اثنتين وعشرين سنة في التدريس، ثم انتدب نجله هذا ليكون قيم مدرسة بيرامان واستاذها استجابة لطلب القائد بويفنزي الذي تربطه بالمغاربين روابط عائلية وزبونية قديمة، فقام الفقيه الشاب بوظيفة التدريس أحسن قيام ولكن الموت فاجأه في ريعان شبابه فقضى نحبه قبل والده عام 1313 /1895.

وبعده تعاقب على التدريس بمدرسة بيرامان عدد من الفقهاء على وجه المشارطة إلى أن حل بها الفقيه الأديب الحاج سعيد بوستة البوزياوي عام 1339 / 1920 بعد تخرجه من مدرسة السعيدات بأولاد بو السباع، حيث أخذ العلوم العربية والدينية عن شيخيه محمد بن العربي السباعي، ونجله عبدالقادر السباعي، ثم انتدبه القائد علال بويفنزي أستاذا لمدرسة بيرامان فأظهر من الكفاءة العلمية في التدريس والإفتاء والقضاء ما استحق به إعجاب القائد فضمه إلى مجلسه الذي يضم وجهاء القبيلة من الأعيان والعلماء ثم قربه أكثر فاتخذه مستشاره الخاص، وزوجه ببنت أخته إنعاما عليه، فلم يصرفه ذلك كله عن القيام بمهمة التدريس بهذه المدرسة إلى أن توفي عام 1393 / 1973. فخلفه فيها ولده المتخرج عليه السيد بوستة اليزيد بن سعيد الذي ما يزال قيما عليها إلى الآن. أما الأخذون عن والده فهم كثيرون، منهم الفقيه الصوفي الشهير الحاج محمد بن الحسن الكزوتي بزاوية اسقال (ت. 1379 /1959). والفقيه محمد شارة الذي أخذ عنه ثم استتم بزاوية المحصر التجانية، وعثمان شارة البوزياوي، وأحمد الخباز وغيرهم.

م. المختار السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ ؛ تحريات ميدانية ورواية شفوية ؛ تقاييد وكنانيش خاصة بالعلماء المذكورين*.

محند أيت الحاج

ابن **بيرة، أحمد** بن محمد الأنصاري الخزرجي. لا تتوفر لدينا سوى معلومات ضئيلة عنه، فالترجمة الوحيدة له هي التي خصه بها ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة*، وهي نفسها التي نقلها ابن إبراهيم في *الإعلام*. فهو من رجال القرن السابع (13 م) أخذ بمراكش عن مجموعة من الأشياخ، كأبي الحسن بن محمد ابن الحصار، وابن حسان المرجيفي. وحسب ابن عبد الملك، فإن ابن بيرة كان من أهل الأدب والتاريخ، إذ وصفه بالحافظ للآداب والتواريخ والذاكر للرجال. كما تحدث عن مؤلف لابن بيرة وقف عليه، خاص بتاريخ مدينة مراكش، عرف فيه بمن قدم إلى هذه المدينة من العلماء.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، 1 : 467، ع. 700 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 4 : 89.

عمر بنميرة

البيرش الحداد، محمد بن عمر بن الحسن. مقاوم ولد سنة 1933 بالرباط. اعتقل سنة 1952 ومكث في السجن سنة بعد أن قام بعدة عمليات فدائية، أهمها قنبلة سينما الحمراء بالرباط 1952، تلك الحادثة التي انبثقت عنها أول حركة للفداء ضد جوق "غنّ يا شباب".

ولما خرج من السجن التجأ إلى تطوان ومن هناك كان يقوم بتهريب الأسلحة لتزويد المقاومين بالداخل أي بالمنطقة السلطانية، إلى أن رجع جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله فالتحق بمدينة الرباط واغتيل بحي العكاري يوم الإثنين 27 يبراير 1956.

شهداء الاستقلال، ج 2.

عز الدين العلام

بيرطران، الفونس، Bertrand, A من مواليد سنة 1842 عمل قنصلا لفرنسا بالصويرة ابتداء من سنة 1882، وقبل ذلك كان مستكتبا بقنصلية بلده في الإسكندرية وبغداد وحلب وزنجبار. وهو مستعرب له مراسلات مع المفوضية ومع رجال المخزن. كما كان صحافيا مراسلا لبعض الصحف مثل *الجمهورية La République*.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 3 : 1111-1112.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 75.

مصطفى بوشعراء

بيرنار، أو گوستان Bernard Augustin أستاذ فرنسي، صاحب "كرسي جغرافيا إفريقيا الشمالية واستعمارها" بالسوربون. نشأ بالجزائر وبها ابتدأ أبحاثه وتدريسه بمدرسة الآداب بالجزائر العاصمة (نواة كلية الآداب فيما بعد) وكان من أولئك الباحثين الذين وظفوا أقلامهم خدمة للاستعمار أواخر القرن التاسع عشر وبداية العشرين، قال في حقه زميله قطب الجغرافيا في المغرب إبان الحماية، جان سيلوريه Jean Célerier منوها ببعض مؤلفاته سنة 1938 : "لم تكن إفريقيا الشمالية مجرد ميدان للدراسة بالنسبة إليه بل كانت ميدان عمل له، فإنه كان مقربا إلى أولئك الرؤساء الكبار الذين تدين لهم أقطار إفريقيا الشمالية الثلاثة بما تنعم به في وقتنا هذا من الحيوية، وإنه اشتغل بجانبهم".

مؤلفات أوگوستان بيرنار كلها دليل على ذلك بما يطبعها من إصرار على توظيف العلم للاستعمار ونبذ الموضوعية لفائدة التوسع الفرنسي والتجرد لإبداء الرأي

الذاتي والإفتاء بما ينبغي أولا ينبغي لنشر الاستعمار الفرنسي بالمغرب. ويمكن اعتبار كتاباته على الخصوص شاهدا واضحا على ما جرى من نقاش بين المسؤولين الفرنسيين وقت تخطيطهم لغزو هذا البلد، فإنه كلف في هذا الصدد بمهمة استطلاعية من قبل والي الجزائر جونار Jonnart فزار المغرب فيما بين 30 مارس و30 ماي 1904 وكتب تقريرا عن رحلته نشرته "لجنة المغرب" التي كانت قد تشكلت في تلك السنة لتتبع مراحل التغلغل الفرنسي ببلادنا، ومما جاء في ذلك التقرير قوله : "كانت الغاية الأساسية من بعثتي دراسة التغلغل الأوربي وأشكاله بالشواطئ الأطلسية للمغرب" وكان الهاجس من ورائها أن لايغيب عن أذهان المسؤولين الفرنسيين ما يجب أن يكون لمعمري الجزائر من الأدوار الطلائعية في احتلال المغرب، وذلك لأن النقاش كان قد احتدم بين ولاية الجزائر وأنصارها الراغبين في فك "المسألة المغربية" من جهة الجزائر عن طريق زحف عسكري يستقطب القبائل المغربية الواحدة تلو الأخرى، طوعا أو كرها، ويضرب عرض الحائط بمشروعية المخزن المغربي، ووزارة الخارجية بالكي دورسي Quai d'Orsay وسفرائها وقناصلها الموظفين بمفوضية فرنسا بطنجة الذين كانوا مدركين لنفوذ المخزن بالرغم مما كان يجتازه من المتاعب في تلك الحقبة، كما كانوا ملزمين بمراعاة المنافسة الدولية الحادة القائمة حول أسواق المغرب. وكان أصحاب الجزائر يرون أن حل المسألة المغربية من غير جهة الجزائر قد يؤدي بها إلى حلول دولية وإلى إفلات الأمر كله من قبضة فرنسا، وكان أصحاب الحل الديبلوماسي، على العكس من ذلك، يرون أن حلا بغير رضى المخزن قد يسدّ أبواب المغرب أمام الاستعمار الفرنسي من كل الجهات، ولذلك أفتى أوگوستان بيرنار سنة 1911 قائلا : "إن السياسة المخزنية لو طبقت بشكل ضيق دون سواها من شأنها أن تؤدي إلى الجمود المطلق أو إلى التدويل على أبعد تقدير، وعندئذ يحصل ما هو حاصل بتركيا فيطلق العنان لحيل الديبلوماسيين لتصطدم التأثيرات المتنافسة بعضها ببعض. وإن سياسة القبائل لو غُضّ الطرف عن المخزن، من شأنها أن تؤدي إلى تفكيك المغرب، مما تقضي مصالحنا وواجباتنا بأن نجتنبه جهد المستطاع، فلا مناص من مزج السياستين باعتماد الشعار الذي وضعته منذ زمان والرامي إلى ممارسة سياسة القبائل باسم المخزن ولحسابه" وتلك هي سياسة "التهدئة" التي قال عنها برنار في كتابه عن المغرب : "لقد تمت تهدئة المغرب بمزج حثيث بين السياسة والعنف (...) وكان ذلك بمثابة كيمياء معقدة يتوقف الأمر فيها على مدى ما يصلح من العنصرين لإقامتها"، وقال أيضا في نفس الكتاب : "لا وجود لمغرب غير نافع، فإن الرومان اندثروا من إفريقيا الشمالية بسبب انشغالهم بالمناطق الخصبة دون سواها"، واستشهد على ذلك بقول الوزير الانجليزي اللورد ساليسبرى Lord Salisbury الذي كان من أقطاب التوسع الاستعماري البريطاني قال : "لا ينبغي لأمة أوربية أن تتوقف عن الزحف الترابي إلا عندما تصل إلى البحر أو عندما تتصل بحدود قوة أوربية أخرى" فهكذا اقتسموا افريقيا فيما بينهم وهكذا بارك الوزيعة علماؤهم وبخاصة علماء الجغرافيا التي تبدو من خلال مثال أوگوستان بيرنارعلم الاستعداد للحرب والعدوان، كما قال ذلك عنها مؤخرا الجغرافي الفرنسي إيف لاكوست.

ندرج فيما يلي بعض عناوين مؤلفات بيرنار ونترك جانبا مقالاته وتقاييده المتعددة التي كانت تصدر له بمجلات الجغرافيا والاستعمار، وخاصة منها *مجلة لجنة إفريقيا الفرنسية* وذيلها *الاستعلامات الاستعمارية* :

A. Bernard, *La pénétration saharienne, 1830 - 1906*, Alger, 1900 ; *Une mission au Maroc : Rapport au gouverneur général de l'Algérie*, Paris, 1904 ; *L'évolution du nomadisme en Algérie*, Alger, 1906 ; *Les confins algéro-marocains*, Paris, 1917 ; *Enquête sur l'habitat rural des indigènes de l'Algérie*, Alger, 1921 ; *Enquête sur l'habitation des indigènes de Tunisie*, Tunis, 1924 ; *L'Algérie*, Paris, 1929 ; *Le Maroc*, Paris, 1932 ; *Afrique septentrionale et occidentale, Geographie Universelle*, Paris, 1937.

إبراهيم بوطالب

بِّيرو، أسرة تطوانية ورباطية أصلها من الأندلس حيث مازالتْ هناك أسر إسبانية تحمل نفس Pero، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي أصاب المدينة سنة 1677/1088. ومازال آل بِّيرو حتى اليوم في الرباط.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بِّيرو، الطيب (الحاج) الرباطي، رياضي كبير، تألّق نجمه منذ سنة 1344 / 1925 حيث أخذ يشارك في عدة مباريات دولية ويحرز على بطولة المغرب وفرنسا في الجمباز. وقد عمل قائداً في البحرية، ومسيِّراً في الشبيبة والرياضة.

توفي بالرباط عام 1409 / 1988.

بِّيرو، المحجوب بن أبي بكر الرباطي، درس بمسقط رأسه، وتخرج فقيهاً أديباً، وأخذ يتعاطى الشهادة في سماط العدول، ويدرِّس في بعض المساجد. ونسخ بخطه الحسن عدة أسفار من ذخيرة الشيخ المعطي بن الصالح الشرقي. ثم انتقل إلى السوس الأقصى وأقام به عدة سنين يأخذ عن أعلامه الفلك والتوقيت والتنجيم وسر الحرف والطب التقليدي حتى برع في ذلك، ثم رجع إلى الرباط وتزوّج، على كبر سنه، وأنجب أربعة أولاد وثلاث بنات، أشهرهم التاجر الحاج الحسن بِّيرو الذي كان وطنياً مخلصاً متحمساً يُنفق أمواله في المشاريع الوطنية بدون حساب.

وقد ظهر على المحجوب بيرو في آخر عمره اختلاط في عقله، يقال إنما تظاهر بذلك ليتخلص من منصب القضاء الذي أسند إليه. وتوفي بالرباط عام 1334 / 1915.

تقاييد، ورواية شفوية عن محمد الأمين بلگناوي.

محمد حجي

پيروتيت، Pyrrhotite عبارة من أصل إغريقي، پيروس

وتعني أحمر، كبريت حديدي $Fe\ S_{(1-x)}$ أو $Fs^{2+}\ S\ F^{3+}$ نظامه البلوري سداسي الشكل على نحو كتَل صفائحية أو كتلية، وقليل هو عدد البلورات التي لها شكل موشوري متواز، لونه متغير ما بين الأصفر البرونزي والأصفر النحاسي، لمعانه معدني ضعيف، مغناطيسي.

توجد البيروتيت في غالب الأحيان ببعض الصخور النارية، في النضيد المتبلور في العروق، وبعض الصخور الجوية.

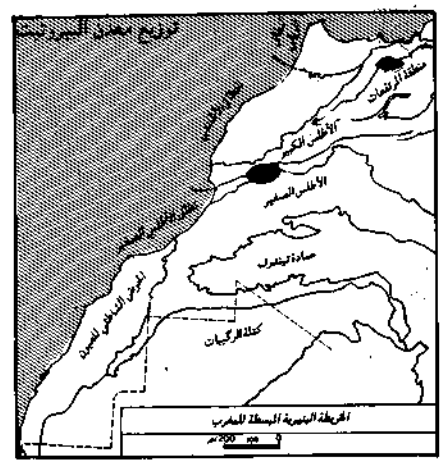

أما فيما يخص البيروتيت بالمغرب، فتوجد دائما مصاحبة للبيريت، الماركسيت، الكالكوبيريت، الميسبكيل، الجالينا، البلند، المغنبتيت، الهيماتيت، السيدبريت، ألمرو، الميكا، وأحيانا الكوبلتيت، البزموت الخام، الإليكتروم (فلز للذهب والفضة) والقزدير.

أهم مدخرات هذا الكبريت بالمغرب توجد على شكل بيروتيت، توجد بالناحية الغربية لمراكش في المناطق الآتية :

- منطقة قطارة : تقدر المذخرات بعشرات ملايين الأطنان من معدن البيروتيت الذي يحتوي على 30٪ من الكبريت.
- منطقة سيدي مبارك : لم تقدر بعد مذخرات البيروتيت بهذه المنطقة.
- منطقة تازگورت : تقدر مذخرات البيروتيت بهذه المنطقة بحوالي 229.000 طن (يحتوي على 1،17٪ من الرصاص، و36٪ من الزنك و0،20٪ من النحاس) في الجهة الجنوبية ؛ و2.050.000 طن (تحتوي على 30٪ من الكبريت) في الجهة الوسطى ؛ و111.000 طن (تحتوي على 0،8٪ من الرصاص، و8،8٪ من الزنك و0،25٪ من النحاس) في الجهة الشمالية.
- منطقة بنسليمان : تحتوي الأحجام المعدنية بهذه المنطقة على كمية أكثر من النحاس إذا ما قورنت بمعادن البيروتيت بقطارة. تقدر مذخرات معدن البيروتيت فيها بحوالي 400.000 طن وتحتوي على 0،8٪ من النحاس.

يستخدم كبريت البيروتيت، ككبريت البيريت خاصة لصناعة الحامض الكبريتي، ويستعمل هذا الأخير في الصناعات الكيميائية والأسمدة وتهييء الأورانيوم، وتكرير البترول، وصناعة الألوان. أما مركبات الكبريت فتصلح لصناعة العازل الكهربائي، والأسمدة، ومعالجة الخشب ضد الرطوبة وكذا الصبدلة.

أنتج المغرب فيما بين سنوات 1964 ـ 1971 أزيد من 2.276.383 طن من معدن البيروتيت المحتوي على نسبة 30٪ كبريت و6٪ نحاس ؛ هذا وقد استقر الإنتاج منذ سنة 1972 على 430.000 طن سنويا. انتج منجم قطارة وحده في سنة 1974 مقدار 508.787 طن من البيروتيت مقابل 407.098 طن سنة 1973 أي ما يعادل زيادة قدرها 24.9٪. أما فيما يخص الاحتياطي فقد قدر في ديسمبر 1971 بما يزيد على 30.000.000 طن بنسبة 30٪ كبريت و6٪ من النحاس.

ورغم كل هذا يبقى المغرب مستوردا لما يعادل 2.7 مليار درهم من الكبريت لاستعماله في الميدان الفوسفاطي.

ونشير إلى أن البيروتيت المستخرج من قطارة يرسل إلى المركب الكيماوي بأسفي قصد إنتاج الحامض الكبريتي المستعمل بدوره في إنتاج الفوسفاط الممتاز.

عبد الله بوصحابة

بيرْ وَرْد، اسم مكان مشهور بغابة المذاكرة، وقعت فيه معركة بالقبيلة المذكورة خلال شهر ماي سنة 1908. والمكان يوجد إلى الشرق من مدينة الگارة قرب الحدود بين الشاوية وقبيلة زعير. فخلال جهاد الشاوية ضد جيش الاحتلال الفرنسي وعندما تمكن المحتلون من فرض سيطرتهم على كل المناطق السهلية، انسحب المجاهدون وخاصة من قبيلة المذاكرة وأولاد علي وأولاد مَحمد إلى المناطق الغابوية. وفي 15 ماي توغلت قوات الاحتلال في تلك المناطق بعد أن تم تحديد مواقع مخيمات المغاربة وسط الغابة.

وتشير الروايات الشفوية إلى أن بعض رجال القبيلة أقنعوا بعضهم بإخراج الخيام إلى ساحة عارية من الأشجار في المكان المسمى ببر ورد، فكان ذلك رأيا غير صائب وعملا مشئوما، إذ تمكنت مدفعية العدو من مفاجأة المخيم وتخريبه.

حاول المغاربة تكوين حاجز ناري يحمي الدواوير التي أصبحت هدفا لمدفعية العدو، ريثما يتمكن الأطفال والنساء من الابتعاد بقطعان الماشية. وهكذا نشب القتال على جبهة عريضة طولها سبعة كيلومترات، وبالرغم من تمسك المجاهدين بقمم الجبال وصل العدو إلى المخيم ونهبه وأحرق الخيام التي لم يتمكن أصحابها من إبعادها عن أرض المعركة.

وقد سجل المجاهدون من قبيلة المذاكرة وأولاد مَحمد ومن انضم إليهم من مجاهدي زعير وبني خيران ملاحم بطولية. وتشير الرواية الفرنسية إلى أن خسائر جيش الاحتلال لم تتعد ثلاثين رجلا بين قتيل وجريح. أما المغاربة فيبدو أنهم أصيبوا بخسائر فادحة في الرجال والمال. إذ تمكن العدو من أسر أحد زعماء المذاكرة وهو محمد بن العربي المذكوري الذي سقط في كمين نصبه له جيش الاحتلال ومثّل العدو به بعد قتله. وقد أرخ أحمد گنوني

المذكوري لمعركة بير ورد فقال :

وبئر ورد كان شؤما وبَـلاَ كأنه في الهول يومُ كَرْبَـلاَ

ع. الخديمي، *حادثة الدار البيضاء*، د. د. ع 2، 1985

علال الخديمي

بيروطون، مارسيل Peyrouton Marcel موظف من سلك إدارة المستعمرات الفرنسية، ارتقى أعلى الدرجات بفضل مصاهرته مع أحد وزراء الجمهورية الثالثة لوي جان مالفي L. J. Malvy فتسلق سلم الوظائف الكبرى بالمستعمرات ابتداء من سنة 1910 متنقلا بين طاهيتي والطوغو والجزائر ككاتب عام للولاية أواخر العشرينات، ثم تونس كمقيم عام فيما بين سنوات 1933 و1936، ومن تونس نقلته الحكومة الفرنسية إلى مقيميّة الرباط في شهر مارس سنة 1936 لإخماد فوران المعمرين بالمغرب وكان أمرهم قد استعصى على المقيم العام هانري پونصو Henri Ponsot لعدم اكتراثه بزعمهم بما أصابهم من مضاعفات الأزمة الاقتصادية العالمية.

وما كان مارسيل بيروطون إلا ليُرضي الأوساط الاستعمارية لما كان معروفا فيه من الغطرسة والميل إلى أساليب الغلظة والترهيب، وكان قد مارس من ذلك ما مارس قمعا للحركة الوطنية التونسية وافتخر بذلك في تصريح أدلى به قبل ركوبه البحر في اتجاه الديار المغربية قائلا إنه ينوي القضاء على الحركة الوطنية بالمغرب مثلما قضى على شقيقتها بتونس، وأورد الأستاذ علال الفاسي الذي ذكر هذا التصريح أنه قال : "إن القوة والعنف هما الشعار الذي يجب أن يتبع في السياسة الأهلية بشمال إفريقيا"، لذلك كان بيروطون أجدر بمنصب المقيم العام بالرباط من سلفه هانري پونصو من وجهة نظر المعمرين الذين تنفسوا الصعداء عندما علموا بنبأ تعيينه وتعمدوا استقباله أحر استقبال، فلم يخيّب آمالهم لأنه انكب منذ أن وطئت قدماه أرض المغرب على دراسة تظلماتهم وعلى الاجتهاد في مساعدتهم على الخروج مما كانوا يتخبطون فيه من كثرة الديون وركود المبادلات وشدة المنافسة الأجنبية، فبادر إلى إصدار قرار مقيمي بتاريخ 2 يونيه سنة 1936 يقضي بإقامة لجنة دائمة للدفاع الاقتصادي مركبة من رجال الإدارة ومن ممثلي المعمرين إضافة إلى حفنة من المغاربة للتورية، وكانت الغاية من تلك اللجنة فحص مضاعفات الأزمة العالمية على الاستعمار واقتراح الحلول لمعالجتها. ولقد قال بيروطون في ذلك : "نحن بصدد أزمة نموٍّ، وليست أزمات النمو بأقل وقعا من باقي الأزمات". وعمل على استصدار الظهائر الرامية إلى ترتيب الحياة الاقتصادية ترتيبا يساعد على معالجة أسباب الضائقة بأسرع ما يمكن من أوجه العلاج، فأحدث إدارة للشؤون الاقتصادية ليجتمع في سلطة واحدة ما كان موزعا من المصالح الاقتصادية، وحذف المجالس العليا للفلاحة والتجارة والصناعة ولتربية الماشية التي حلت محلهما اللجنة الدائمة للدفاع الاقتصادي المذكورة آنفا، واعتنى بتنظيم شؤون النقل وقضايا إنتاج الخمور والحبوب وتجارتها، واستصدر قرارا وزاريا يقضي بالأخذ بأيدي أصحاب الديون ومراعاة حيثياتهم وتضرعاتهم، كما استصدر ظهيرا بتاريخ 18 يونيه سنة 1936 يجعل حداً للأجور وآخر في اليوم الموالي يحدِّد مدة العمل اليومي في ثمان ساعات. أنشأ لجنة عليا للعمل الاجتماعي والشغل بقرار مقيمي اتخذه يوم 8 يوليوز من نفس السنة، ولم يكن ذلك من عطف على اليد العاملة اكتشفه بيروطون فجأة في نفسه، وإنما كان من انتهازية مفضوحة أملتها عليه الظروف المستجدة بفرنسا وبالمغرب. أما بفرنسا فكان من سوء حظ بيروطون، وهو صاحب الميول الفاشيستيه، أنه لم يحظ بتعيينه بالرباط إلا بضعة أسابيع حتى كان انتصار أحزاب اليسار الفرنسية في الانتخابات العامة وتشكيل حكومة الجبهة الشعبية المركبة من تلك الأحزاب برئاسة ليون بلوم Léon Blum زعيم الحزب الاشتراكي الفرنسي آنذاك. وأول ما بادرت إليه تلك الحكومة إعداد القوانين الاجتماعية الناجمة عن مباحثاتها مع النقابات العمالية بقصر ماتنيون Matignon يوم 7 يونيه سنة 1936 الرامية إلى إحقاق بعض حقوق اليد العاملة بفرنسا مثل حصر مدة العمل الأسبوعي في أربعين ساعة وإقرار مبدأ العطل المأجورة.

أما بالمغرب فإن انعكاس الأحداث السياسية والاجتماعية الجارية بفرنسا أدى إلى انتفاضة عمالية لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحماية، اذ اندلعت ابتداء من 16 يونيه موجة من الإضرابات في العديد من القطاعات الحيوية مثل الفوسفاط وشركة السكر وكبريات المقاولات الاستعمارية، كانت قيادتها على أيدي العمال الأوربيين، لكن الوزن الجماهيري كان للعمال المغاربة الذين برزوا فجأة على الساحة المغربية قوة لا سبيل لغض الطرف عنها، ولذلك سارع بيروطون إلى اقتراح الإجراءات اللازمة لاحتواء النازلة، فاتخذ بعض القرارات الاجتماعية ولو من باب ارتكاب أخف الأضرار. من ذلك ظهير 19 يونيه الحاصر أوقات العمل في الأسبوع في ثمان وأربعين ساعة، وهكذا اجتنبت سلطات الحماية المسخرة لمصالح الاستعمار مسايرة التشريع الفرنسي الذي كان على وشك الصدور غداة أوفاق ماتنيون القاضية بجعل ساعات العمل أربعين في الأسبوع، وبتلك الحيل وبغيرها، مثل حث كبار أرباب المقاولات على بناء شيء من السكن الصحي لبعض عمالهم، رام بيروطون أن يوحي بمسايرته لفلسفة حكومة الجبهة الشعبية، والواقع كان عكس ذلك بدليل عنايته بإعادة ترتيبه إدارة الشؤون الأهلية وإحداث إدارة جديدة أطلق عليها اسم إدارة "الشؤون السياسية" وحشد بين يدي مديرها جميع أدوات القمع والاستعلامات المسلطة على الشعب المغربي، واستصدر قراراً وزارياً يحدد العقوبات في حق كل من نظم مظاهرات بالشوارع أو شارك فيها.

كانت الحركة الوطنية المغربية على بيّنة مما جُبل عليه بيروطون من العداء للحرية على اختلاف جوانبها، ولقد

وفقت إلى فضح ذلك فيه والتشنيع به على رؤوس الملأ. وحاول پيروطون أن يموّه على قادة الحركة وأن يراوغهم حيث أبى إلا أن يخصهم باستقبال، إلا أنه قضى ثلاث ساعات على حد قول علال الفاسي، يسب الوطنيين التونسيين ويورّي بهم لمخاطبيه المغاربة، كما ظل يشتم أعضاء الجبهة الشعبية وزعيمهم ليون بلوم اليهودي الفرنسي بكل ما طاب له من الشتم، فلم يفت زعماء الكتلة الوطنية أن ينشروا فحوى ما دار بينهم وبين ممثل الدولة الحامية، كما لم يترددوا في إطلاع الرأي العام الفرنسي على ما أقدم عليه من مد يد المساعدة لقوات الجنرال فرانكو Franco التي كانت قد أعلنت ثورتها على الحكومة الشرعية الإسبانية يوم 18 يوليوز سنة 1936، فعم السخط على پيروطون في الأوساط الحكومية الفرنسية وتقرر عزله من منصبه في الرباط فاستدعي إلى باريس في بداية شهر شتنبر. ولما حل بها فوجئ بنبأ تعيينه سفيرا لفرنسا بالأرجنتين مع ضرورة الالتحاق الفوري بمنصبه الجديد وحرمانه من العودة إلى المغرب لتوديع الملك وذلك خوفا من أن يحتج المعمرون على إبعاده بشكل من الأشكال.

وأقام پيروطون سفيرا بالأرجنتين إلى أن عين مقيما عاما بتونس من جديد يوم 3 يونيه سنة 1940 من قبل آخر حكومة شرعية من الجمهورية الثالثة، لكن انهزام الجيوش الفرنسية في تلك الأثناء أمام الجيوش الألمانية قلب الأوضاع بفرنسا رأسا على عقب، وآلت مقاليد الحكم إلى المارشال پيتان Pétain فبادر پيروطون المشبع بروح الاستبداد والتعالي إلى الانضمام إلى الحكم الجديد، فألغي تعيينه بتونس وأسندت إليه كتابة وزارة الداخلية العامة، ثم سلمت له مهام تلك الوزارة برمتها في شهر غشت سنة 1940، فانكب على إعداد تلك القوانين الرجعية العنصرية التي تشكل وصمة عار في تاريخ فرنسا المعاصرة، وكان منها القوانين المعادية لليهود لا لشيء إلا لأنهم يهود، والقوانين الرادعة لكل تيار ديمقراطي تحريري بفرنسا أو بالمستعمرات بالأحرى، ومن جملة ذلك قرار مشجع في فحواه للعهارة والبغاء. ثم أقيل پيروطون من وزارة الداخلية بضغط من الألمان الذين حمّلوه مسؤولية إبعاد پيير لاڤال (Pierre Laval) سندهم الرئيسي في حكومة المارشال پيتان وذلك في دجنبر سنة 1940، فعين مرة أخرى سفيراً بالأرجنتين واحتفظ بمنصبه إلى أن عاد لاڤال إلى الحكم في شهر أبريل سنة 1942 فاستقال.

ولما نزلت جيوش الحلفاء بشواطئ إفريقيا الشمالية في نونبر سنة 1942 وصار المسؤولون عنها يرومون إقامة سلطة ثالثة بفرنسا لا تكون لا من أنصار پيتان ولا من أنصار دي گول، استأنف پيروطون أعماله الإدارية بالجزائر تحت قيادة الأميرال دارلان Darlan أول الأمر، ثم تحت قيادة الجنرال جيرو Giraud بعد اغتيال دارلان. فأسندت إليه مهام الولاية العامة بالجزائر وقام بأعبائها على سالف عهده من أساليب الاستعلاء الاستعماري من يناير إلى يونيه سنة 1943، وكانت صفوف فرنسا المتحررة قد توحدت بقيادة الجنرال دي گول، فاضطر پيروطون إلى التخلي عن وظيفه السامي بالجزائر وانتقل إلى المغرب بقصد الانخراط في بعض الطوابير العسكرية التي كانت تُعدُّ لتدخل ساحة القتال، لكن اللجنة الفرنسية المركبة لمتابعة الموظفين المتعاملين مع الألمان أمرت بالبت في أعماله فاستدعي إلى الجزائر وبعد استنطاقه صدر الأمر بإيداعه السجن ومتابعته، فبقي بالسجن في الجزائر ثم في العاصمة الفرنسية بعد تحريرها إلى أن انعقدت المحكمة للنظر في أمره سنة 1948 فابرأت ساحته، فعاد إلى المغرب ليترأس شركة للنشر كانت تصدر صحيفة *ماروك بريس* بالدار البيضاء، وكانت تلك الصحيفة مازالت آنذاك بوقا من بين أبواق الطغيان الاستعماري وظل مشرفا عليها إلى سنة 1952، وكتب في تلك الأثناء كتابين أولهما دفاع عن نفسه وشرفه والثاني تاريخ لافريقيا الشمالية وكلا الكتابين يحدث عن المؤلف أكثر مما يحدث عن التاريخ.

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ م. حسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد*، ج 4، الرباط، 1982 ؛ روم لاندو، *أزمة المغرب الأقصى* ؛ أ. عياش، *المغرب، حصيلة الاستعمار*، الدار البيضاء، 1985.

M. Peyrouton, *Du service public à la prison commune*, Paris, 1950 ; R. Le Tourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane*, 1920 - 1961, Paris, 1962 ; W. A. Hoisington, JR, *The Casablanca Connection French Colonial Policy, 1936 - 1943*, University of North Carolina Press ; J. Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Paris, 1962 ; R. Gallissot, *Le patronat européen au Maroc*, Rabat, 1964 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978.

إبراهيم بوطالب

ابن بيروك، أسرة نابهة بمنطقة وادي نون في جنوب المغرب، قامت بأدوار تجارية وسياسية مهمة خلال القرن الثالث عشر (19 م). تنتسب إلى الشيخ بيروك مبارك بن عبد الله أُسالم، المنافس الأكبر لأسرة الحسين أُهاشم سيد إليغ. وقد خلّف بيروك أربعة عشر ولداً ساروا على نهجه في تركيز نفوذ أسرة بيروك والحفاظ على مكتسباتها السياسية والتجارية، وتميز من بينهم بصفة خاصة ثلاثة : الحبيب، ودحمان، ومَحمد.

ابن بيروك، الحبيب، لم يكن بيروك قد توفي بعدُ حين أعلن الحبيب التزامه العلني بتحقيق مشروع الميناء المحلي الذي كان الشغل الشاغل للشيخ بيروك. وقد تبين ذلك بوضوح بعد سنة 1275 / 1859 حين بدأ في الالتجاء إلى كل الأساليب الكفيلة في نظره بتحقيق المشروع. لقد بدأ يظهر ساعتئذ أن مشروع الميناء أصعب من أن يتحقق بسهولة نظراً لاحتداد التنافس الأوربي حول استعمار المغرب. وهو ما تأكد إبان احتجاز الحبيب لثلاثة إسبانيين سنة 1866 من بينهم Jacopo Bulter (*المعسول*، 19 : 278 ؛ J.L. Miège, *Document*, 117) لقد اضطر الحبيب بفعل فشل كل المحاولات إلى الضغط على القوى الأوروبية عبر سياسة استعمال السجناء كرهائن. وهو ما جعل مكانته

تتقلص ونفوذه كمدافع عن حرية المنطقة في تحديد مسارها التنموي يعاني من معاداة السلطان له بصورة علنية. وقد استعمل هذا الأخير ذكاءه ومرونته في توسيع شقة الخلاف بينه وبين أخيه دحمان ذي التطلعات إلى الرئاسة. فكان للسلطان ما أراد حين نصب دحمان نفسه كممثل لمصالح السلطان في گلميم على حساب مكانة ونفوذ الحبيب الذي وجد في قبيلة أزوافيط سندا حقيقيا لمواجهة دحمان واتباعه. والملاحظ أن دحمان ركز ضرباته في البداية على تفكيك الهياكل التجارية للعائلة ضاربا بماضيها عرض الحائط. واستعدادا منه للحلول مكان الحبيب عندما يقتنع المخزن المركزي بأنه يجسد سياسته والمحافظة على استراتيجيه المحلية، قام دحمان بخلق بلبلة بين لفي اتحادية تكنة مستعملا في ذلك الأخضر واليابس. وهو ما يقرُّ به حفدته عندما يؤكدون على قدرته السياسية في تغيير مجريات الأحداث عبر ما يستحدثه من مشاكل سطحية وما يخلقه من نزاعات مصطنعة. لقد كان رد الفعل الأول الذي قام به الحبيب بن بيروك في إطار أوضاع مجتمعية مضطربة ومتقلبة، أن استعان بأزوافيط لمهاجمة أخيه بسوق گلميم معلنا بذلك عن نهاية قوة هذه العائلة وتماسكها. ولم يقف عند هذا الحد بل استمر في التصادم مع منافسه دحمان وإعلان رغبته في تحقيق مشروع الميناء مهما كلف الأمر إلى أن ظهرت محاولة الانجليزي ماكينزي Mackenzie بطرفاية سنة 1290 / 1873 ـ 1874. وبذلك تكون القطيعة بين أبناء بيروك قد زادت من قناعة الحبيب ومَحمد (الذي استقر بطرفاية مع ماكينزي) بضرورة تنمية المنطقة في إطار التضامن والاستقلالية الاقتصادية. لقد استند الحبيب ومَحمد إلى قبيلة إزرگيين ذات القدرات الحربية العالية في تحقيق الأمن والاستمرارية لهذا المرفأ الذي زود المنطقة بمادة الأرز النادرة يومها (*المعسول*، 19 : 278). وقد عرفت الفترة الفاصلة بين سنوات 1295 و1299 / 1878 ـ 1881 الأزمة التي تطيل في شرحها الدراسات والوثائق. وبوصول السلطان إلى تيزنيت سنة 1299 / 1881 يكون دحمان قد وطد مكانته لدى المخزن المركزي على حساب أخيه الحبيب الذي عرف خيبة الأمل بما دبره السلطان وبعض الجهات المحلية ضده. وبتعيين دحمان كأول قائد مخزني من هذه العائلة يكون الحبيب قد أصبح في عداد المهجرين عن گلميم بعد أن خربت داره وأقطعه السلطان أرضا يحرثها بحوز مراكش إلى أن عاد بصحبته إلى گلميم سنة 1303 / 1886 لينتظر وفاته بعين المكان سنة 1320 / 1902 ـ 1903.

ابن **بيروك، دحمان**، لعله أشهر أبناء بيروك على الإطلاق نظرا لتردد اسمه بكثرة في الوثائق المخزنية. وقد تمكن من بلوغ مطامحه الشخصية على حساب تدمير التماسك التجاري والسياسي لعائلته بگلميم. وإذا كانت أسباب الصراع بينه وبين أخويه مَحمد والحبيب ترجع تدريجيا إلى اختلاف المواقف تجاه مشروع الميناء وما يصحبه من امتثال لتعليمات السلطان، فإن بداية دحمان تشهد على تمسكه بخطة أبيه في التعامل مع نفس المشروع. هذا ما تثبته وثائق عائلية كثيرة تكشف عن المحاولات العديدة التي قام بها مَحمد والحبيب ودحمان وعابدين على حد سواء من أجل التوصل إلى اتفاق مبدئي مع إحدى القوى الأوروبية. وإذا كنا لا نتردد في التأكيد على دور الطموحات الشخصية لدحمان في إحباط التماسك المبدئي للعائلة، فإن إجراءاته الشخصية وترتيباته لم تساعد قط على العودة إلى بعض التوازنات المفقودة منذ وفاة الشيخ بيروك. ويتعلق الأمر أولاً وبالذات بضرورة تقاسم الأعباء، كما كان عليه الأمر في الماضي، في سبيل تحقيق التنمية المنسجمة والمتوازنة التي تنشدها دار بيروك والتي لا يمكن بدونها أن يتم استقرار ولا حل للمشاكل والمشاريع المعلقة.

لقد استغل دحمان بن بيروك السلاح الذي كلفه السلطان باستعماله في حراسة الشواطئ للتغلب في إطار الصراعات القبلية الاعتيادية متجاوزا بذلك مأموريته. وقد برز بذلك مناوئا لأيت عثمان والرگيبات وبعض إزرگيين الذين ساندوا أخاه الحبيب. وإذا كان الارتباك والتدهور الحاصل في علاقات محوري الشرق والغرب أصبح واضحا على مستوى تضعضع نظام التحالفات، فإن سياسة دحمان وتجاوزاته تعد أحد المسببات لما ذكر. لقد تجاوز النزاعات الاعتيادية التي تمثل مقياسا عمليا للتوازنات بين لفي الاتحادية ليدفع بأيت الجمل إلى معالجة المشكلات المطروحة في إطار من العنف المطلق. وهو ما أدى بأيت عثمان إلى تمتين جبهاتها الداخلية بدعمها لمجمل قبائل الساقية الحمراء. كما أن شيوخ وقواد قبيلة ازوافيط أدوا إلى زعزعة موقعه لدى السلطان، على أن هذا الطرح الشمولي لا يغني عن الإجابة عن أكثر من سؤال إذا ما فحصنا حياة هذا القائد المخزني. إن التساؤل حول الطرح الدقيق للمشاكل التي تسمح بتوضيحها قصة دحمان يقتضي تفهم المعطيات الموجودة في المحيط الاجتماعي والطبيعي، وهو ما يقتضي تقويم الدور التاريخي لدحمان دون تصنيفه حسب نسق التصنيف الذي أنتجته النظريات المختلفة حول كبار القواد.

بيروك، (الشيخ ـ) مبارك بن عبيد الله أُسالم بن عبدالقادر بن الحسين بن محمد بن سعود بن عبدالرحمن بن يوسف بن عبيد الله بن سليمان بن علي حسب ما نقله المختار السوسي عن رجالات هذه الأسرة (*المعسول*، 19 : 273). وبغض النظر عن تعدد الروايات الشفوية التي تحط أو تعلي من أصل هذه الأسرة ونشأتها (*من خلال*، 3 : 42)، فإن أبناءها لا يدعون الشرف من قريب ولا من بعيد. ونجدهم يؤكدون بأن يوسف بن عبيدالله هو أول من وصل من جدودهم إلى وادي نون خلال أوائل القرن الحادي عشر الهجري (*المعسول*، 19 : 273). هذه الفترة الهامة من تاريخ تطور البنيات التحالفية بين قبائل المنطقة تعد لاحقة لظهور قبيلة أيت موسى أُعلي ضمن اتحادية تكنة (*ديوان*، 115 ؛

(*Kennach*, 185) لقد شكلت يومها عائلتا بركة قائد المنصور الذهبي وعائلة إيهيري تجسيدا فعليا لأهمية أيت موسى أُعلي سياسيا واجتماعيا. ولن يلبث الشيخ محمد بن سعود أن يرتبط بجيش المولى إسماعيل حيث لقب بأوشّن (الذئب). على أن أول شيخ للعائلة هو عبدالقادر بن الحسين الذي مهد لابنه سالم إمكانية الاتجار مع تنبكت وباقي بلاد السودان. هذه الحقيقة ستتضح أكثر بتألق عبيدالله أُسالم الذي كانت أمه رقية بنت بوگرن هي أخت فاطمة بنت بوگرن أم السلطان المولى عبدالرحمان. وإذا كانت المصادر لم تكشف عن هذه الرابطة القرابية (*إتحاف*، 5 : 420 ؛ *إيليغ*، 293 هامش 588)، فإنها تعد من أهم الوجوه للعلاقة الظرفية بين هذه العائلة والمخزن المركزي. من الضروري إذن تثبيتا لأهمية وحجم بيروك التاريخي التركيز على دور والده عبيدالله أُسالم. لقد جاءت حركة بوحلايس ابتداءً من عام 1207 / 1793 لتشكل أحد الشروط الأساسية لقيام عبيدالله أُسالم على حساب احماد إهيري شيخ قبيلة أيت موسى أُعلي وسيدها. فبانضمام احماد إهيري إلى بوحلايس الذي عينه قائداً فتح باب المواجهة المعلنة بينه وبين عبيدالله أُسالم. وكان هذا الأخير قد استقدم ثلاثة آلاف أعرابي ليستخدمهم كقوات مساعدة انضافت إلى الوحدات المخزنية تحت لواء عبدالمالك الحيحي القائد المعروف (*المعسول*، 19 : 275). وبذلك تم لعبيد الله أُسالم القضاء على احماد إيهيري الذي قتل صحبة بوحلايس بتيمگديُشت. عرفت هذه الفترة توسع سلطة كبار الشيوخ المحليين على حساب بعض الأمراء الذين تم استعمالهم كمظلة في تطوير المبادلات التجارية على الشواطىء مع القوى البحرية (P. Pascon, *La Maison*, 101 - 118) فبعد أن كان السوق المركزي لوادي نون هو گويرة السوق بتراب قبيلة ازوافيط المركزية في لف أيت عثمان، تدرع عبيد الله أُسالم ببُعد المسافة بين هذا السوق وأيت باعمران مقترحا مكان گلميم. وقد طلب من مجمل القبائل أن تبيعه أمان السوق حسب ما تورده الرواية المحلية. وهكذا لم يمانع الكوري الخنوسي سيد ازوافيط بتاغمرت رغم تفوقه العسكري والاقتصادي. أصبح بإمكان عبيد الله أُسالم تمتين روابطه التجارية بمسالك الصحراء انطلاقا من گلميم. وقد ساعده على ذلك ابن خالته المولى عبد الرحمن الذي كان يومها على خلاف مع المولى سليمان حيث استقر بوادي نون من سنة 1193 / 1779 إلى ما بعد سنة 1201 / 1787 (*تاريخ الضعيف*، 181). ولن تؤدي حروب عبيد الله أُسالم وابن الكوري الخنوسي إلى الحد من تطلعاته التجارية والسياسية. فقد اتبع التصنيفات التي يفترضها تباين لغي تكنة (ناعمي، *الصحراء*) ليثبت أسرته كما تدل على ذلك بعض الوثائق العائلية والمحلية. لقد تخصص الطالب صالح أخو عبيد الله أُسالم في توزيع الأسلحة الأوربية التي كان يتسلمها بشاطئ البيضة. بل لعل من بين الإشارات التي تكشف أهميته وحجم هذا التخصص انقسام هذه الأسلحة إلى نوعين : "الطالب صالح" و"سلاح البيضة". فأصبح بذلك عبيد الله أُسالم يجسد سلطة محلية فعلية انتهت بفتح باب الصراع بينه وبين المولى سليمان. كان ابن الكوري الخنوسي المنافس المحلي لعبيد الله أُسالم ما يزال يمثل شبه إمارة مستقلة تعتمد تجارة الصحراء كقاعدة اقتصادية وتحالف أيت عثمان بمختلف فروع وروافد وادي نون. الا أن تخصص عبيد الله أوسالم في تجارة الرقيق جعلته يتميز بحجم عبيده الذي بلغ خمسة عشر مائة (*تاريخ الضعيف*، 341)، كما أن قدرته على خفر القوافل (زطاطة) قاربت قدرة الكوري وابنه عندما بلغت مسافة تسعة عشر يوما في الصحراء حسب ما أضافه الضعيف، إلاّ أن عبيد الله أُسالم سيخرج من التاريخ المحلي سنة 1222/1807. 1808 عندما سجنه المولى سليمان صحبة المولى عبد الرحمن (*تاريخ الضعيف*، 343). ظهر بذلك حماد بن عبيد الله أُسالم الذي شكل السند الحقيقي لأبيه منذ أن ناوأ أبوه بوحلايس. إلا أن الوفاة حالت بينه وبين الاستمرار ليخلفه بذلك أخوه إبراهيم. ومما يدل على أهمية إبراهيم أن الحسين أُهاشم سيد إليغ طلب يد ابنته السالكة. وقد كان معاصرا لعهد المولى عبد الرحمن غير أنه لم يعمر طويلا حيث توفي سنة 1241/ 1825 (*المعسول*، 19 : 276). هذه الرواية تبدو مخالفة لشهادة Cochelet العينية. فقد أكد على تقاسم إبراهيم وأخيه بيروك مقاليد الأمور التجارية بگلميم (F.C. La Chappelle, *Les Tekna*, 46 - 7). مهما يكن فإن شهادة Cochelet تكشف عن مؤهلات بيروك كتاجر وسياسي محنك. لقد كان ينتمي كمعظم أفراد أسرته السابقين لمجالي التجارة والسياسة معا لما لانعكاساتهما من أثر في انتزاع مكانة اجتماعية متميزة.

إن استكشاف شبكة التفاعلات بين بيروك ومحيطه الاقتصادي والاجتماعي والسياسي تدعونا إلى الإحاطة بالإستراتيجيات المعمول بها. نسجل في البداية أن المعالم الأساسية التي أصبحت تقوم عليها يومئذ تجارة الرقيق ترتبط منذ سنة 1815 بالحظر الأوربي للرق. ويتعلق الأمر باستفادة گلميم من هذا الحظر مع الاعتماد على حركية المسالك المحاذية للمحيط. وهو ما تؤكده كنانيش محمد الابن الأكبر لبيروك الذي كان أمين الصندوق والمعتمد لمهمة المحاسبات والتقاييد. لم تكتف المراقبة الأوربية للمرافئ في انتقال تجارة الرقيق إلى گلميم (M. Emérit, *Les liaisons*, 294) بل إن سجلات محمد بن بيروك تؤكد بأن ثروة أبيه التي أقام على أساسها شبكاته التحالفية كانت في معظمها تعتمد على النخاسة، ولعل مما له دلالة خاصة في هذا الصدد أن هذه السجلات تهتم أساسا بكيفية اقتناء وتوزيع العبيد. فهي تربط بين التسهيلات الممنوحة للمشترين عبر قروض لمدة نصف سنة وبين عمليات الاقتناء التي يتناسب عددها وحجم الأرصدة المتوفرة لهذا الغرض. لقد سبق أن استعرضنا الشروط الخاصة بهذه القروض في دراسة لم تأخذ بعين الاعتبار سوى تجارة العبيد والذهب

والصمغ وذلك من خلال ثلاثة سجلات فقط (Naïmi, *La rive*, 167 - 192) وبالرغم من أن هذا كان يقتضي تجميد باقي سلع الضفتين الشمالية والجنوبية، فإن سياسة التكييف التي تكشف عنها الكنانيش تشمل بمفعولها سياسة التحالفات القائمة. وهذا يعني أن نوعية العمليات وطبيعة التخصص التجاري الذي كان يقوم به بيروك يتوقف على العلاقة التي يتعامل بها مع محيطه القريب والبعيد. والأمر هنا لا يقتصر على الجوانب الاقتصادية والمالية والنقدية بقدر ما يتمثل أساسا في نظام المحاور التجارية ـ السياسية الساحلية الرابطة بين لف أيت الجمل وقبيلة أولاد دليم المعقلية مع ما يتطلبه ذلك من التزام بشروط الضمانات المتوفرة. فقد جسد شيخ أولاد دليم الحاج علي ولد أبو بكر أهم ضمانة تخضع لها مجمل القروض المقدمة لأفراد هذه القبيلة. على أن نظرة من هذا القبيل لم تكن تتنافى رغم اختلافها مع السياسة المرنة التي تنهجها كنانيش بيروك مع تجار قبيلة تجكانت. فدور هذه القبيلة المسوفية في ترسيخ البنيات التجارية بالمحور الرابط بين عاصمتها تندوف وتنبكت عبر تاودني يعد بحق من الخطوط العريضة التي تستوعبها اختصاصات الكنانيش في التصرف المباشر. إنه من الإجحاف وعدم الإنصاف أن تعامل الكنانيش قبيلتي تجكانت وأولاد دليم معاملة الند للند، وأن تطالب الزوايا الجكنيين المتخصصين في ميدان المبادلات التجارية منذ القديم بنفس الضمانات التي تطالب بها الأعراب المسلحين من أولاد دليم.

نبدي هذه الملاحظات لإبراز الكيفية التي استغل بها بيروك الانقسامات القائمة في نطاق التركيب الاجتماعي لقبائل المحاور التجارية. فبالرغم من الخلافات التي كانت تنخر لف أيت الجمل، فإن بيروك الذي عرف بدهائه وحنكته استطاع التحكم في الشبكة التجارية التي كانت تربط يومها الصحراء بالصويرة عبر گلميم. وهو منطلق على طريق الارتقاء إلى قيادة اللف والتحكم في إرادته السياسية. فباعتبار قبيلة أيت لحسن هي سيدة لف أيت الجمل، كان على بيروك أن يفرض إرادته كتاجر يوطد دعائم الشبكة التجارية ويحد من خطر تسربها نحو لف أيت عثمان. وقد استعمل في ذلك أحيانا أساليب شتى جعلته يجلب مساندة المحور الساحلي باستثناء قبيلة أولاد بو السباع. فقد كان من الشطط محاولة التقرب من هذه القبيلة المتخصصة في احتكار تجارة ريش النعام وبيعه لدار إليغ بتازروالت، لقد أدت التكتلات التي خلقها الحسين أوهاشم إلى احتداد المنافسة بين إليغ وگلميم (P. Pascon, *La Maison*, 60 - 69) وهو ما شكل حافزا لإقامة كل التحالفات التي تعنى بتطوير الشبكة التجارية والسياسية والعسكرية. لقد كان على بيروك مواجهة منافسة دار إليغ من جهة والاعتداءات الزفاطية المتوالية من جهة أخرى (La Chappelle, *Les Tekna*, 47).

إن التفاوت الذي يلمسه الدارس بين داري إليغ وگلميم يدفعه إلى التفكير في الشروط الضمنية للخطاب المتماسك الذي يقام عندما يتكلم الحسين أُهاشم وبيروك نفس اللغة وفق نفس النماذج. والذي يتطلب توضيحات هنا هي البنيات الموضوعية للاقتصاد والتطبعات المُنتجة والضرورية لسيرورة هذا النمط من الاتجار. لقد كانت الأزمة التي تعاني منها ديناميكية تجارة القوافل تتمثل في ميزان التجارة الذي عرف منذ تأسيس ميناء الصويرة سنة 1765 ضربة جبائية كبيرة انضافت إلى تحول القوافل عن أسواق وادي نون والأطلس الصغير نحو مدينة مراكش القريبة من الصويرة. هذان السببان وما انضاف إليهما من أعباء مالية مترتبة عن ارتفاع النفقات كانا من أسباب تفاقم العجز التجاري المتزايد. فأصبح بذلك الحل الموضوعي يكمن في ضرورة إنشاء ميناء محلي تحت حماية إحدى القوى البحرية الأروبية. ثم إن الأخذ بهذا المنظور يقتضي أن نتلمس العذر بالنسبة للواقع الاجتماعي المتدهور بسبب انهيار الحركية الاقتصادية المحلية. إنه لكي نلمس الحقيقة لمس اليد لابد أن ندرس أبعاد النكسة التي تسبب فيها ميناء الصويرة لندرك كيف نشأت وتطورت وما هي السياسة التي اتبعها المخزن المركزي في شأنها مع إعطاء نبذة عن الاختيارات المتخذة من طرف شيوخ المنطقة المتضررة. وهو ما سيطول شرحه مما يجعلنا نقتصر هنا على صيغة الاختصار مكتفين بالنقط التي تستحق الدراسة بجدية. لقد كان المخزن المركزي يعلم بأن مشكل إليغ وگلميم يكمن أساسا في الهيمنة المالية والجبائية المفروضة بسبب البعد الجغرافي والاستراتيجي لميناء الصويرة المستحدثة لهذا الغرض. فتجلت مرونة تعامل المولى الحسن مع هذه الوضعية في زواجه من ابنتي الحسين أُهاشم وبيروك من جهة، وفي إحداثه دارا خاصة بجبايات المنطقة بميناء الصويرة من جهة أخرى، حيث حدد هذه الضرائب في نسبة 10٪. إلا أن هذه الاختيارات لم تفلح إلا نسبيا في نشر أشكال الاندماج الفعلي سياسيا واقتصاديا. وتتوفر للباحثين معرفة وافية عن التطورات التي عرفتها المنطقة خلال هذه المرحلة من تاريخها. فقد كان الخروج من هذا المأزق يتمثل بالنسبة لإليغ وگلميم يومها في تقويم أسباب السيادة والاستقلالية الاقتصادية عبر تنمية المبادلات مع الجهات البعيدة والقريبة، كما أن رؤية من هذا القبيل حفزت الحسين أُهاشم وبيروك على التنافس داخل الإطار الديني والسياسي الذي يوفره حلف إگزُولْنْ من أجل التفرد بمشروع الميناء. بل إن المشروعية التي يوفرها هذا الحلف شكلت حافزا للإكثار من المحاولات المنفردة مع مختلف الجهات والأطراف المعنية. والملاحظ هنا أن الاقتناع بضرورة العمل المنفرد كان يعني نجاح المخزن المركزي في الحد من المحاولات المشتركة معلنة كانت أم سرية. إن الحقل السياسي الكثيف الذي تكشف عنه مراسلات المولى الحسن مع مجمل شيوخ المنطقة يوضح المرونة السياسية والحنكة التي كانت تميز هذا السلطان. فقد استطاع من خلال تناقض المصالح المحلية أن

يبقي وحدة القرار الفعلية لشيوخ المنطقة أمرا متأرجحا دائما بين ضرورة إثبات الذات والاحتياط من كل مخالفة معلنة تجاه المخزن المركزي.

لم يكن الارتباك والتدهور الحاصل في العلاقات بين بيروك وعائلات أيت موسى أوعلي كفيلا بالحد من طموحاته ومحاولاته السرية المتواصلة طيلة حياته (L. Panet, *Première*, 105). فقد عالج دوما مبادئه بما يليق من المرونة والحرص والتكتم الشديد. كان يفاوض القوى الأوروبية باسم لف أيت الجمل متبعا في ذلك أسلوب المراسلات الدبلوماسية التي كانت تتلاءم مع مقتضيات الظرف. وقد اعتمد في ذلك على كاتبه وأمين سره الدائم بوعزة الذي كثيرا ما وصفته الوثائق الأوروبية بوزير بيروك. كان هذا "الوزير" يقوم بالاتصالات اللازمة عبر الرحلات الطويلة والمراسلات المطولة التي ما تزال تشهد على قدرته السياسية وخبرته بأمور المنطقة. لقد كان يقدم النصح لبعض الحكام الفرنسيين والإسبان مبرزا نجاعة الخطط التي ينبغي اتباعها. لم يكن يفرض شروطا صارمة بقدر ما كان يلتزم بتزويد الميناء بقدر معين من كل مادة حيوية. كما لم يكن يتشكك عمدا في مصداقية الدولة المفاوضة أو يعتبرها غير أهل لتسيير أمور الميناء مما لا يتفق في شيء مع أغراض المشروع. وحتى لا يتناقض مع أبسط مظاهر السيادة كان يعرف كيف يفرق بين المصاعب التي تواجهها الدولة المفاوضة بسبب العوامل المختلفة والرغبة الأكيدة للشيخ بيروك في التعامل معها. كانت هذه الطريقة في التعامل السياسي تستخدم من أجل تلافي كل ما من شأنه أن يغير مجرى الأحداث.

والملاحظ هنا أنه بقدر ما نجح بوعزة في استطلاع رأي القوى الأوروبية، بقدر ما تسببت النزاعات السياسية بين هذه القوى في إحباط مشروع الميناء، شأنها في ذلك شأن الطبيعة الصخرية للشواطئ المحلية. وبذلك فإن فشل بيروك في الخروج من المحلي إلى نظام التبادل العالمي لا يمكن أن يعزى إلى عدم قدرته على تطوير الهياكل التجارية المحلية والجهوية. لم يكن مشروع الميناء في حد ذاته سوى نتيجة حتمية للرغبة في تجاوز المعوقات الموضوعية المتمثلة في ارتفاع تكاليف النقل إلى الصويرة مع ما يرتبط بذلك كله من تحولات طارئة باستمرار على معدلات الفائدة وأسعار الصرف (Naïmi, *La Politique*, 169 - 171). وفي هذا الإطار يتجه الاهتمام أيضا إلى المشاريع الأخرى التي كان بيروك يطرحها في صيغة اقتراحات ذات طابع ديني. فقد أكد أنه رأى النبي ـ عليه السلام ـ في المنام يأمره ببناء مدينة الرخام على الشاطئ. وهو مشروع يقتضي كما نرى معالجة مختلف المشاكل المعلقة بين بيروك وقبيلة أيت لحسن سيدة الشاطئ وحاميته، فبالإضافة إلى كونه يهتم أساسا بتطور آليات السوق وغطيات الاستعمار العقلاني لنظام التحالفات القائم، فإن الحلول التي يقترحها كانت واقعية. وهي اقتراحات كمية لا تتناقض مع التطور الذي عرفته گلميم. لقد تطورت هذه الدشرة إلى مدينة من ثلاث قصبات محصنة بسور كبير تخترقه خمسة أبواب. فالقصبة القديمة الأولى بأعلى أگويدير گلميم انضافت إليها قصبة جديدة. وزينت قاعات هذه القصبة بالخشب الإفريقي المنقوش الذي تم التقاطه بالشواطئ المحلية حيث تعددت ظاهرة ارتطام السفن بالصخور، كما أن من معالم گلميم يومئذ القصر الذي بنى بيروك جنوبه ملاحين لليهود وبيعة لممارسة طقوسهم الدينية. لم يتوان يومئذ الحبيب ابن بيروك، أشد أولاد بيروك تحمسا لفكرة الميناء، في بناء "دويرية النصارى" المخصصة لاستقبال الأوروبيين ضيوفا كانوا أم سجناء (Gattel, *L'Oued Noun*, 258 - 278). وبذلك يتجلى تطور الطبيعة العمرانية لإبراز التطور الحاصل في علاقة گلميم بمحيطه القريب والبعيد. نبدي هذه الملاحظة لكي ندخل في حسابنا دور التجارة في تطور محطات القوافل وتثبيت الشبكات والموارد المالية.

لقد اقتصرنا في هذا التعريف المبسط على الخطوط العريضة لقصة بيروك بن عبيدالله أسالم. وإذا كنا قد أهملنا سرد الأحداث الدقيقة بأبعادها وخلفياتها المعقدة، فذلك رغبة منا في تحديد أهمية القيم التجارية المتداولة يومها كمجال حي في خدمة الاستقلالية الاقتصادية والسياسية لكل منطقة. وهذا الذي يؤكده حجم مشروع الميناء المحلي الذي كان يعاني يومها من صعوبات عملية ثابتة مردها إلى عدة عوامل بنيوية ذات طابع استمراري. وعمليا فإن تقييم هذا المشروع يتضمن توسيع آفاق واهتمامات الأطلس الصغير ووادي نون والساقية الحمراء. و لعل في اقتداء أبناء بيروك بسنة أبيهم بعد وفاته سنة 1275 / 1858 . 1859 ما يؤكد اقتناع جلهم بالسياسة الاقتصادية المتبعة. فواضح أن السبب في ازدهار تجارة گلميم كان مرتبطا يومها بديناميكية الرواج التجاري. فجاءت ممارستهم الجماعية القاضية بادئ ذي بدء (بمن في ذلك دحمان) بإنجاز مشروع الميناء كضرورة وكنتاج عمل يقوم به محللون ماليون من ذوي الإلمام بالقضايا المعيشية. ومن هنا ندرك لماذااقتصرت المصادر الأوروبية من بين أبناء بيروك الأربعة عشر على ذكر كبيرهم مَحمد ثم الحبيب الذي كان أشد إخوته تحمسا للمشروع. فدحمان الذي تميز بزاحمته لأخيه حبيب وتحقيقه أهدافه السياسية الطموحة على حساب التماسك العائلي والبنية التجارية المحلية، ثم عابدين الذي كان تاجرا أيضا ولكنه خضع بشكل شبه مطلق لتأثيرات دحمان. على أن من بين سجلات بيروك الكثيرة، واحداً من حجم كبير كتبت مجمل عملياته باسم إبراهيم الشليح نيابة عن أبيه. ويرى بعض أفراد الأسرة الحاليين تطابقا تاما بين مَحمد بيروك وهذا الأخير. وإذا كانت الصراعات المحتدة بين هؤلاء الإخوة قد تسببت في تساهل المؤرخين المتعمد مع أخبارهم وحقيقة تشبثهم بمشروع أبيهم، فإن قراءة جديدة لتاريخ هذه العائلة تفرض الانتباه إلى التداخل الموجود بين مختلف المواقف التي تبدو

متصارعة ومتنافرة.

ابن **بيروك، مَحمّد**، الابن الأكبر للشيخ بيروك. وليس من الصعب معرفة السبب الذي حدا ببيروك إلى تعيينه على كنانيش التجارة وإرساله إذا اقتضى الحال إلى بريطانيا للإشراف هناك على مصالح العائلة. فالوظيفة الظاهرة والمقصودة للابن الأكبر تقتضي تسخيره في تعزيز مكانة أبيه. والملاحظ ان مَحمد قد قام بمأموريته أحسن قيام مركزا على كل ما من شأنه الارتقاء بدار بيروك إلى مستوى دار إليغ دينيا وتجاريا. لقد كان متدينا ورعا زاهدا رغم مرونته في التعامل مع الأوروبيين بالشواطئ. ومما يجسد تطلعه إلى المحافظة على حركية أهله واستقلالية وادي نون الاقتصادية سكه عملة محلية تحمل اسمه قبل وفاة أبيه. وهو ما يبدو ضروريا لتاجر كبير يجد أمامه أطراً وهياكل يهودية قارة وجاهزة للعمل والتكتل. ولعله من المفيد التساؤل عن السبب الذي حدا بمَحمد إلى عدم خوض معركة أبناء بيروك الآخرين من أجل السلطة بعد وفاة أبيهم. فوظيفته التاريخية تتمثل في تعزيز مكانته ونفوذه كسيد تجار گلميم بعد وفاة أبيه. وعلى هذا الأساس فإن سيرورة ارتقائه لم تتحقق في سياق ردود الفعل المناوئة أو المساندة للمخزن المركزي. فإذا كان إخوانه قد استغلوا لحسابهم الانقسامات الداخلية واتخذوها منطلقا للسيطرة في البداية على قبيلة أيت موسى أُعلى وبعض قبائل اللف الذي ينتمون إليه، فقد كان في مقدوره أن يتميز عن الجماعة وأن يرتقي إلى مستوى كبار التجار ذوي الميول الدينية. توفي حوالي مفتتح عام 1297/1879 - 1890.

ابراهيم بن علي الحساني، ديوان قبائل سوس في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي، تح.عمر أفا مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - أگادير. العدد الأول، 1987. 85 - 120 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ.العماري، 1986 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول : إيليغ : خلال جزولة* ؛ م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة. تاريخ العلاقات التجارية والاجتماعية*، الرباط، 1988 ؛ *أهمية علاقات الرحل والمستقرين في التطور التاريخي لمجموع اتحادية تكنة*، البحث العلمي، العدد 38، 1988، 253 - 284 ؛ محمد سالم بن الحبيب بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. م.ناعمي، 1991.

L. J. Justinard, *Le Kennach : une expédition du Sultan Ahmad el Mansour dans le Sous. 985 / 1580, A. M.*, vol XXIX, 1933, 165 - 214 ; F. C. De La Chappelle, *Histoire du Sahara occidental, Hesp.*, 1930, n° spécial, XI, fasc. I - II, 35 - 95 ; *Les Tekna du Sud Ouest Marocain, A.F.*, 1934, 108 p ; M. Emérit, *Les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du Nord au XVIIIe et au début de XIXe siècles*, travaux de l'IRS, T. XI, 1er semestre, 1954, 29 - 47; J. Gatell, *L'Oued Noun et les Tekna à la côte occidentale du Maroc. Bull. Soc. Géog., 5*, XVIII, 1869, 257, 287 ; T. Hodges, *Historical Dictionary of Western Sahara*, Londres, 1982 ; P. Marty, *Les Tekna, du Oued Noun*, in *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, 60 - 89 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, Paris, 1948 , 60 p ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe, 1830 - 1894*, Paris, 1961 - 1964 ; 4 vol : *Documents d'histoire économique et sociale marocaine au XIXe siècle*, Paris, 1969, 117- 122; M. Naïmi, *La politique des chefs de la Confédération Tekna face à l'expansionnisme commercial européen, R.H.M.*, 11ème année, n° 35 - 36, Décembre 1984, 153 - 173 ; *Les visées des Etats-Unis d'Amérique sur le Sud-Ouest Maricain au XIXe siècle à partir des rapports de Felix Mathews, International Conférence Morocco-American Relations, in Commemeration of bicentennial of the Treaty of Marrakech of 1789* ; Norfolk, Virginia, Novembre 1986 ; *La rive Sud Ouest saharienne de 1842 à 1872 dans les registres comptables de la famille Beyrouk : l'apport de trois nouvelles sources* in *le Maroc de l'Avenement de Moulay Abdelaziz 1912*, Université d'été, Mohammedia, Juillet 1987, 167 - 192 ; *L'apport de Gênes dans l'infiltration du commerce méditerranéen dans l'économie saharienne*, VIII, *Atti de IV Congresso International di Studi Storici-Rapporti Genova-Medeterranéo-Atlantico Nell'Eta Moderna, a cura di Raffaele Belvederi*, Genova 1990, 275 - 290 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh et l'histoire du Tazeroualt*, Rabat, 1984 ; M. Ennaji, P. Pascon, *Le Makhzen et le Sous al Aqsa : La Correspondance politique de la Maison d'Iligh*, Rabat - Paris, 1988 ; L. Panet, *Première exploration du Sahara Occidental : Relation d'un voyage du Sénégal au Maroc , 1850*, Paris, 1968.

مصطفى ناعمي

پيرولوزيت، Pyrolusite كلمة لها أصل إغريقي من پوروس وتعني النار، ولوزيس وتعني الذوبان أو الانحلال ؛ هو ثاني أوكسيد المنغنيز $Mn\ O_2$، نظامه البلوري رباعي، عادة ما تكون بلّوراته على شكل ألياف رقيقة، سوداء اللون، متشعبة الأطراف، وكذلك على شكل ألياف منفرجة أو عمودية. صلابته 2.1 إذا كان على شكل كتل و6.5 إذا كان على شكل بلورات ؛ لونه أسود إلى أزرّق فولاذي أزرق ؛ لمعانه معدني.

تعتبر البيرولوزيت أحد أهم معادن المنغنيز، وتستعمل في صناعة الزجاج والكلور والأكسجين.

تتكون البيرولوزيت في وسط مؤكسد، في المناطق المؤكسدة لمكامن المعادن التي تحتوي على المنغنيز، وفي الرواسب الحتية أو ذات أصل بحري، عمقه ضعيف؛ وتوجد البيرولوزيت أيضا في الأركزة المروتية، أو على شكل كويرات في قاع البحر.

نجد البيرولوزيت بالمغرب مجتمعة بالپرونيت. البوليانيت، الهيماتيت، الپاريتين، المرو، الدولومي، والكلوريت. ويوجد معدن البيرولوزيت في منطقة ورزازات (جبل صغرو)، تازناخت (تاورات بالأطلس الصغير) وسلسلة الهورست (جنوب غرب وجدة).

يستعمل المنغنيز في الصناعات المعدنية والفولاذ وخليط المعادن (النحاس، والبرونز، والنيكل). أما مركبات المنغنيز فكثيراً ما تستعمل لصناعة الحواشد الكهربائية، الزجاج، صناعة الخزف، حوافز الصباغة والطلاء، وتستعمل

في المختبرات كمؤكسد للمنتجات العضوية واليودية وله كذلك دور مهم في الفلاحة.

فيما يخص منتجات معدن المنغنيز بالمغرب فتعادل ما يناهز 117.304 طن، مقابل 29.830 طن كإنتاج لسنة 1987 صدِّر منها 27.953 طن.

پيريت، Pyrite أصل الكلمة إغريقي، من بوروس وتعني النار ؛ مركبة من ثاني كبريت الحديد FeS_2 مع وجود آثار للنحاس (Cu) وأحياناً الذهب (Au) والفضة (Ag) والنيكل (Ni). نظامه البلوري مكعب، تلاصقه البلوري على شكل صليب الحديد. صلابته 6.5-6 ؛ كثافته 4.9 إلى 5.2 لونه أصفر شهبان، وانعكاس الضوء يعطي للپيريت لوناً أشهب إلى أصفر مذهب، أسمر بالتفسخ ؛ لمعانه معدني.

بالنسبة للصناعة، تعد الپيريت من بين معادن الحديد (Fe) والكبريت (S)، حيث تستخدم لصناعة الحامض الكبريتي والكبريتيات والكبريت، وصناعة الألوان، والبرنيق وكذا الصناعات المعدنية.

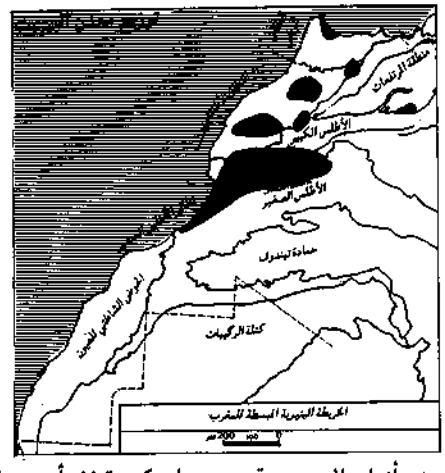

بعض أنواع الپيريت تحتوي على كمية لا بأس بها من النحاس والذهب بحيث يصير ممكنا استخراج معدني الذهب والنحاس منها.

توجد الپيريت بكثرة في الصخور الرسوبية المتحولة الغنية بالمادة العضوية، وكذلك في العروق الحرمائية، وفي كثير من الصخور الصهارية.

تعد الپيريت بالمغرب من بين المكامن التي تساهم في انتاج الكبريت على شكل كبريتيات، ونجد معدن الپيريت بالمغرب مجتمعا مع البلند والغالينا والكالكوپيريت ويعرف في المناطق الآتية :

- وكسان (منطقة الناظور، الريف الشرقي)
- الأطلس الكبير المتوسطي
- تمازيغت (الأطلس الكبير لميدلت)
- الجبيلات الغربية (أولاد حميدة وهوالكة)
- سيدي بوعثمان (شمال مراكش)
- عين الحمام (الجنوب الغربي لمكناس)
- المغرب الشرقي (مزايته وعلوانة وتريلاست)

أما من الوجهة الاقتصادية فيمثل مكمن وكسان (الناظور) 10 إلى 15٪ من معدن الحديد هذا زيادة على الكبريت. أما مكمن تريلاست (المغرب الشرقي) فيحتوي على 100.000 طن من معدن الحديد. ويحتوي مكمن بو المعادين (الأطلس الصغير الشرقي) على خمسة ملايين طن من معدن الپيريت تشتمل على 36٪ من الكبريت، وأخيراً ناحية بومجون (الجنوب الغربي لمكناس) تحتوي على احتياط من الكبريت قدره 2000 طن.

عبد الله بوصحابة

بِّيريس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس. وهناك أسر إسبانية تحمل نفس الإسم حتى اليوم Pérez، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1163 / 1750.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بِّيريس، عبد القادر، شخصية نابهة في البلاط الإسماعيلي. أصله من الأندلسيين النازحين إلى سلا. وكان له بها مراكب قرصنية، واشتهر هو بلقب "الرايس بريس أوبريش" قرّبه مولاي إسماعيل، ثم حجّ وصار يدعى أيضا الحاج بريس. بعث به السلطان سفيراً إلى أنجلترا سنة 1723 فوصل إلى لندن في شهر يوليوز من السنة المذكورة وظل مدة ينتظر المثول أمام ملكها جورج الأول فلم يتأت له ذلك. وحضر في نفس السنة استقبال السلطان مولاي إسماعيل للمبعوث الانجليزي Charles Stewart. وكلفه السلطان بدراسة مشروع الاقتراح الأنجليزي المتعلق بتنظيم تحرير الأسرى الانجليزيين بالمغرب. ونجده سفيرا في انجلترا مرة ثانية سنة 1737 حيث التقى به فيها الأسير الانجليزي المحرِّر Ch. Pellow صاحب *مذكرات عن المغرب*، وقد دعاه السفير إلى مقر البعثة المغربية وحادثه طويلا ووصف له بعض أحوال المغرب.

شغل الحاج عبدالقادر بيريس منصب أمير البحر لأسطول مولاي اسماعيل.. وانظر وجه علاقته بالرايس على بيريس الأندلسي من رجال سلا، وقع بينه وبين الأمير أحمد بن مولاي إسماعيل ما تسبب في فتنة بسلا.

وقد بلغت شهرة الرايس عبدالقادر فرنسا، وجاء ذكره في كتابة للشاعر الفرنسي Voltaire الذي ذكر أنه مما يثير العجب تعدد الاعلاج الفرنسيين والإسبان والإنجليز العاملين في بلاد المغرب، "منهم إسباني اسمه بيريس، أمير البحر في امبراطورية مولاي إسماعيل".

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. م. البوزيدي، جزءان، 1988 ؛ روجرز، ب. ج. *تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900*. تر. يونان لبيب رزق، دار الثقافة، 1981.

Ch. de La Vèronne, *Vie de Moulay Ismail, Roi de Fès et de Maroc*, d'après Joseph de Léon (1708 - 1728) ; M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow : une lecture du Maroc au 18ème siècle*, Paris, 1983.

عبداللطيف الشاذلي

بِّيريس، هرون ربّي عاش بفاس ثم انتقل إلى تونس حيث توفي عام 1761. كان قبّالي المذهب، صاحب شروح

للتوراة والتلمود حسب نزعته المذهبية، وضعها في كتابين، عنوان الأول *بيغدي أهرون* وعنوان الثاني *مَشْحَاة أهرون*. نشر الكتابان بمدينة ليفورن عام 1806 ضمن نفس المجلد الذي تضمن شروح التوراة لولده حزقياه، بعنوان : *مختاب لحزقياهو* (لاريدو، 1915).

بيريس، يهودا ربّي مغربي عاش بين القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، كان يحب الأسفار فوقع يوما أسيراً بنابولي بعدما غرقت السفينة التي كان على ظهرها، وبعد تحريره صار داعية وخطيبا بالبندقية وبراغ ثم انتهى به المطاف إلى أمستردام حيث استقر. وهناك تمكّن من نشر خطبه ومقالاته بعنوان : *سر قريئ معيد* (قراءات العيد)، 1706 ونشر ببرلين كتاباً عنوانه : *بيراح لبنان* (زهور لبنان) ثم كتابا آخر : *شَعَر رحميم* (أبواب الرحمة). إلى جانب هذه الأعمال المكتوبة بالعبرية، يوجد له كتاب بالإسبانية في موضوع علم اللاهوت عند اليهود، عنوانه : *الأساس التين* Fundamento Solido أمستردام، 1729.

في مقدمة كتابه زهور لبنان أشار المؤلف إلى أن آل بيريس الذين فروا من إسبانيا استقروا بدادس في الجنوب المغربي، بعدما اشتروا أراضي شاسعة من ملك مراكش بسعر غال، ثم اقتنوا كذلك أراضي مجاورة لبلدة تليت (الزعفراني، *يهود المغرب*، ص 175. 176).

رغم بنية لفظة "بيريس" التي تقترب من الإسبانية، فإن المؤلفين اليهود القدامى يربطون اللفظ بمعناه العبري الذي يترجم الانفصام أو الثلمة وهو الاسم الوارد في التوراة لابن يهودا بن يعقوب الشيخ الأكبر. وقد يكون آل بيريس من ذرية النبي داود، ويؤكّد مؤلف *زهور لبنان* أن أفراد عشيرته الذين استوطنوا دادس لم يتصاهروا مع اليهود الأجانب عن العشيرة وذلك ليحافظوا على صفاء النسب والسلالة الملكية. هذا ما يحمل على الظن بأن من بين يهود دادس، يهوداً من أصل إسباني (انظر : *طليعة الدعة* للناصري).

A. J. Larédo, *Les Noms des Juifs* ; H. Zafrani, *Les Juifs du Maroc*.

سيمون ليفي

بيريگير، ألبير Peyriguère, A.، قسّ كاثوليكي، ولد في مدينة بوردو (فرنسا) سنة 1883. قام أول أمره بمهمة أستاذ في المدرسة الإعدادية لتكوين القسيسين ببوردو. ثم جُنّد كممرّض خلال الحرب العالمية الأولى (1914. 1918) وامتاز بسلوكه البطولي وأصيب مرتين بجراح خطيرة. وبعد سنة 1920 أقام في تونس والجزائر. وأثناء هذا المقام تبلورت ميوله وأصبح من مقدمة أتباع الأب شارل دي فوكو الذي كان قد توفي منقطعا عن الدنيا سنة 1916 تاركا دعوة إلى الأخوة العالمية. وفي سنة 1927 حلّ بيريگير بالمغرب واستقر في السنة التالية بالقباب وهي قرية واقعة في الأطلس المتوسط (إقليم خنيفرة) وفيها قضى نحبه ودفن على مقربة من الدار التي عاش فيها.

كان نشاطه الرئيسي طيلة ثلاثين سنة العمل على تخفيف البؤس ومكافحة الظلم بين جماعة من الناس شدته إليهم عاطفة المحبة العميقة اذ كان يردد : "هم مني وأنا منهم. أحبهم حبا عميقا وإني لواثق من أنهم يبادلونني هذا الحب". وكان يقضي معظم أوقاته في معالجة المرضى في مستوصفه يؤازره في ذلك ممرض مغربي علّمه هو نفسه.

وان اهتمامه بالتعمق في معرفة هؤلاء الذين كان يعيش بينهم دفعه لتكريس ساعات عديدة في دراسة اللسان الأمازيغي، ورواية القصائد وجمع المواد من أجل معجم للسيكولوجية اللغوية الخ... وكان يخشى من الغرب ما قد يحدثه من تأثير جارف مشوه يذهب بلغة تلك المنطقة وحضارتها، وكان يردد : "فلنترك هذه الروح الأصيلة تغني أغنيتها الخاصة". وقد نشر عدة مقالات، بيد أن جزءا مهماً من أعماله العلمية (من سوسيولوجيا ولسانيات وغير ذلك) لم ينشر بعد.

وابتداء من سنة 1946 أصبح التزامه السياسي يزداد بروزا. ومما قاله سنة 1953 : "إن ما أقف من مواقف معروف ولم أخفه قط، اذ لا أريد أن أصنف في الآخرة بين الكلاب الصامتين". فهو استنكر خلع محمد الخامس وأعلن تضامنه مع الشعب المغربي في كفاحه من أجل الاستقلال، مما تسبب له في متاعب وتهديدات بالطرد من طرف سلطات الحماية وحمل صاحب السمو الأمير الحسن ولي العهد آنذاك على أن يقول له : "إننا، والدي وأنا، نعلم كل ما عملتموه وما تعملونه".

أما السنوات الأخيرة من حياته فخصصها، إما بالكلمة وإما بالقلم، للتفاهم والصداقة بين المسيحيين والمسلمين اعتباراً منه أن اللقاء بين المسيحية والإسلام هو بمثابة حدث من أهم أحداث نهاية هذا القرن العشرين. ومما كتبه سنة 1956 : "إن مواجهة المسيحية والإسلام لايمكن أن تتم إلا على القمم بالمقابلة بين أعماق نفوسهم ... وهل يمكن يا ترى لمسيحي حقيقي ومسلم حقيقي أن لا يتفاهما، بل وان لا يسيرا أحيانا يدا في يد ؟".

كان هذا الراهب يقضي في معبده ساعات طويلة في الصلاة والتعبد ولا سيما في الليل، وكان يسجل ما ينتج من تأملاته في مراسلاته ويشرك فيه بعض الخواص. فقد كتب لبعضهم سنة 1931 : "لا يتم اللقاء بينك وبين الله إلا في أعماق قلبك". نشرت رسائله بعد وفاته وترجمت إلى عدة لغات مما حمل الجمهور المسيحي على اعتباره شيخا من شيوخ الروحية في عصرنا هذا.

A.De Peyriguère, Sous le pseudonyme de Paul Hector : *Essai de monographie psychologique berbère d'après le parler familier des tentes*, Casablanca, 1933 ; *Le Temps de Nazareth (articles et études réunies et publiées après sa mort)*, Paris, 1964, 233 p. Plusieurs volumes de correspondance : *Laissez-vous saisir par le Christ*, Paris, 1981 ; *Aussi loin que l'amour*, Paris, 1970.

Sur A. Peyriguère : Michel Lafon, *Le Père Peyriguère*, Paris, 2ème éd. 1967 ; *Colloque de Centenaire d'A. Peyriguère*, Toulouse, 1983, Ouvrage collectif, Presses Universitaires de Bordeaux ; M. Lafon, *Bibliographie d'A. Peyriguère*, Bordeaux, 1986, 78 p ; Cf. aussi : M. Bercquart : *Porte ce festin aux pauvres*, Paris, 1970 ; Bleuchot : *Les libéraux français du Maroc*, Aix, 1973 ; M. Boucrot, *Recherches sur A. Peyriguère écrivain*, thèse, Université de Bordeaux III.

ميشال لافون

بيرينگير، داماسو إفوسطي، Berenguer Damaso y Fusté جنرالٌ إسباني ولد بكوبا Cuba يوم 4 غشت سنة 1873 وتابع دراسته بالأكاديمية العسكرية الإسبانية إلى أن تخرج برتبة ضابط سنة 1889. وفي سنة 1894 توجه إلى مسقط رأسه حيث شارك في الحرب التي كانت جارية هناك إلى سنة 1899 فعاد إلى إسبانيا برتبة كومندار. وفي سنة 1909 رقي لدرجة مقدم ونقل إلى مليلة فشارك في المعارك التي كان يخوضها الجيش الإسباني ضد حركة المقاومة التي كان يتزعمها الشريف أمزيان، ومن بين المعارك التي شارك فيها بيرينگير معركة عزيب علال وقدور في قبيلة بني سيدال يوم 28 جمادى الأولى 1330 /15 ماي 1912 التي استشهد فيه الشريف المذكور وعلى إثرها رقي بيرينگير إلى رتبة كولونيل.

وقد نظم بيرينگير سنة 1329 /1911 فرقة المرتزقة المغاربة في الجيش الإسباني التي أطلق عليها اسم (القوات النظامية الأهلية).

وفي سنة 1331 /1913 رقي إلى رتبة جنرال على إثر المعارك التي شارك فيها ضد المجاهدين بقيادة الشريف مولاي أحمد الريسوني. وفي سنة 1334 / 1916 عين حاكما عسكريا بمقاطعة مالقة وبعد سنتين عين وزيرا للدفاع. وفي يوم 25 يناير 1919 عين مقيما عاما بالمغرب، وما إن حل بتطوان حتى جعل شغله الشاغل العمل على القضاء على المقاومة المسلحة بالناحية الغربية من شمال المغرب وقد تمكن من الاستيلاء على مدينة شفشاون يوم 20 صفر 1339 / 4 أكتوبر 1920 فكافأه الملك الفونصو الثالث عشر بلقب كونت شفشاون Conde de Chefchauen غير أنه بعد أقل من سنة كان عليه أن يواجه أعنف حركة تحريرية عرفها شمال المغرب في عهد الحماية بقبيلة تمسمان يوم 24 رمضان 1339 / فاتح يونيو 1921 وسجلت للتاريخ أنها كانت قادرة على أن تكبد الجيش الإسباني أكبر هزيمة عرفها في تاريخه وذلك في معركة أغريبا التي جرت يوم 15 ذي القعدة 1339/ 21 يوليوز من السنة المذكورة والتي تعرف بمعركة أنوال، قتل فيها الجنرال سيلفيسطرى Silvestre وتمكن المجاهدون من القضاء على نحو مائتي مركز إسباني بناحية الگرت.

برهن بيرينگير على قدرته وخبرته العسكرية عندما استطاع في ظرف وجيز أن يسترجع جل تلك المراكز، وبالرغم من هذا المجهود الجبار الذي قام به من أجل المحافظة على كرامة بلاده وسمعتها فقد مثل أمام المحكمة العسكرية كمسؤول عن كارثة أنوال وأصدرت المحكمة الحكم بإدانته يوم 27 يونيو سنة 1924 غير أن الحكم لم ينفذ بسبب العفو الذي أصدره الملك الإسباني في حقه يوم 4 يوليوز من السنة المذكورة.

واحتفظ بيرينگير برتبته في الجيش إلى أن عين رئيسا للحكومة من يناير سنة 1930 إلى فبراير 1931.

وعن المدة التي قضاها على رأس الإقامة العامة بتطوان كتب بيرينگير مذكراته التي نشرها تحت عنوان *Campañas en el Rif y Yebala*.

وكانت وفاته بمدريد يوم 19 ماي سنة 1953.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، الرباط 1983 ؛ *معركة أنوال*، الرباط 1980.

Enciclopedia Espasa Calpe, T. 2, p. 123 ; Berenguer, *Rif y Yebala* ; C. Martinez Campoz, *España Bélica, El Siglo XX (Marruecos)*, Madrid, 1972, p. 386.

محمد ابن عزوز حكيم

بيريو، هانري Berriau Henri (1870. 1918) نموذج ضباط الاستعلامات وأحد روادهم المرموقين في السنوات الأولى من الحماية الفرنسية بالمغرب، أقام إدارة هيئتهم المركزية بالرباط ووضع قواعد أعمالهم لفترة ما قبل السطو العسكري ولما بعد ذلك عند استسلام المجاهدين المغاربة إلى أن صارت تلك الإدارة إدارة الشؤون الأهلية ابتداء من سنة 1926. كان حاذقا لبقا بعيد النظر اكتسب من تجاربه المتتالية بالجزائر والمغرب خبرة واسعة بشؤون المجتمع الإسلامي بالمغرب العربي، ووفق إلى توظيفها لفائدة الاستعمار تحت قيادة رئيسه وصاحبه الشهير الجنرال ليوطي.

ولد بيريو سنة 1870 وتطوع للجندية فدخل مدرسة سانسر Saint-Cyr العسكرية وتخرج منها سنة 1894، ثم في سنة 1898 انخرط في هيئة ضباط الشؤون الأهلية بالجزائر فمرّ من دائرتي القليعة وغرداية، ثم عيّن بالعين الصفراء على التخوم الجزائرية المغربية سنة 1900. فلما عين ليوطي قائداً بتلك المقاطعة سنة 1903 لقي بيريو الذي كان مكلفا بمكتب الاستعلامات ببني أونيف، ومن يومئذ توطدت بين الرجلين صلات متينة تعززت مع مر السنين في عملهما المشترك ومطابقة آرائهما بشأن المصالح والأهداف الاستعمارية، حيث وجد ليوطي الذي كان يجهل كل شيء عن قضايا إفريقيا الشمالية لدى بيريو خبرة بأدق جزئياتها، ووجد بيريو لدى ليوطي نظرة واسعة مترفعة عن الاستعمار وكيفية اقتحام المستعمرات كان في حاجة إليها في تلك السنوات الأولى من تكوينه، فما لبث أن أصبح عضوا بارزاً من أعضاء فريق ليوطي وضابطا موثوقا به لجمع المعلومات عن المغرب ووضع الخطط لاكتساح أراضيه.

وهكذا كان مفوضا لبلاده فجيج سنة 1904، ثم قاد فرقة من الگوم أثناء عملية النزول الفرنسي بالدارالبيضاء سنة 1907، وعاد إلى العين الصفراء سنة 1908، ومنها قاد حملة عسكرية بوادي الساورة "ليطهره" بلغة الاستعمار، يعني ليقمع كل وسائل المقاومة بالمنطقة. وفي سنة 1910 قاد عملية ترغيبية وترهيبية لدى بني گيل، وفي سنة 1911 كتب تقريرا مفصلا عن تافيلالت واختتمه ناصحا باحتلال واحاته، وكان في كل أعماله مذكورا بلسان الإعجاب والتقدير لما كان يبديه من الفطنة والنجاعة في إنجاز مهامه. ولقد التحق بليوطي في الرباط سنة 1913 فعينه رئيسا لديوانه السياسي مكلفا بالتقاط الأخبار والإفتاء بالمستحسن من القرار، وفي سنة 1915 عين مديراً لمصلحة الاستعلامات فبات، على حدّ قول بعض مترجميه، "قطب الرحى التي كانت تدور عليها سياسة الحماية"، فصار يتسلق الرتب حتى بلغ درجة كولونيل سنة 1917، وكان الساعد الأيمن للمقيم العام إلى أن اخترمته المنية فجأة من جراء عدوى النزلة الفتاكة التي عمت الأرجاء سنة 1918، فبكاه ليوطي ورثاه قائلا : "إن الأخ لا يتكلم على قبر أخيه" لكنه تكلم ليذكر ظروف التقائهما وأسباب تقديره إياه، موحيا بما استفاده منه قائلا : "كم من ساعات قضيتها أستمع إليه، معجبا به وبما ينطوي عليه من روح الإنسانية والتجديد"، وذكّر بآرائه الاستعمارية (وهي نفس آراء ليوطي) قائلا : "إنه كان لا يقبل أن يتحول هذا البلد الذي غمرناه بدمائنا وبذهبنا إلى ميدان نتوسع فيه وإلى خزين من الخيرات والأرباح لصالحنا. لكنه كان لا يقبل كذلك أن يُحرم هذا الشعب الذي أعطى أكثر من دليل على وفائه وصدقه، والذي يبدي صفات متميزة من الذكاء وحب العمل، من حقوقه المشروعة ومن نصيبه من الأرباح، وليس هذا مبدأ الحماية وحسب، بل إنه مبدأ سياسي واجتماعي من أعلى طراز ومن سامي الأخلاق إذ هو مبدأ حقوق الشعوب التي نحن اليوم حملة رايتها عبر العالم" ! وعلى هذا الأساس أرسل ليوطي بالمناسبة قولة من تلك الأقوال التي انبنت عليها أسطورته وأسطورة "فريقه"، قال : "قرأت في كتاب مّا، أن لا عمل من أعمال البشر مما يرقى إلى العظمة الحقة إلا ويحتاج إلى نصيب من الحب، وهذا النصيب - وأي نصيب - من الحب هو ما ضمّنه بيريو عمله، ولذلك كان من أكبر - وربما كان أكبر - المتصرفين بالسياسة الإسلامية ممن اشتغل بها في أفريقيا الشمالية في يومنا هذا". وهل أحبّ بيريو المغاربة أم لا ؟ فالذي لا مراء فيه أنه أحبهم، وأنه فاق أقرانه من ضباط الاستعمار بما أبداه من القدرة على استيعاب شؤون الإسلام وأصول الحضارة العربية وأحوال المغرب في الحاضر والغابر، وبما كان عليه من المهارة في التجسس على أحوال القبائل وعلى أسباب عيشها وخصوماتها القديمة والحديثة، ومن الدراية باللعب على تلك الأوتار واحداً واحداً، أو بجميعها في نفس اللحظة. ولقد لخّص تلك الخطط في محاضرة ألقاها أمام المرشحين لوظيفة الاستعلامات تكلم فيها بإسهاب عن مهام ضباط الاستعلامات قائلا إنها ثلاثة : عسكرية وسياسية وإدارية، مما يتطلب من الملكف بها أن يكون جنديا محنكا ومثقفاً متضلعا في اللغتين العربية والبربرية، وأن يكون ملمّا بكل الصنائع وقادرا على الاستغناء عن كل الفنون باجتهاده الخاص، وأن يكون راجح العقل، مهذبا خاليا من كل عجرفة أوربية، راغبا في استكناه النفسية المغربية، قال في هذا الصدد : "ينبغي أن لا نتصور مسبقا أن الأجناس التي تسكن المغرب أجناس دوننا، فإنها مختلفة وهذا كل ما في الأمر، ولقد هذبنا التعليم والتربية، لكننا كنا قبل زمن غير بعيد في نفس الأوضاع". ثم شرح بعض ما ينبغي لضباط الاستعلامات أن يعرفوه من الشعارات الاستعمارية الجامعة، مثل "سياسة الحماية" على أنها مراقبة وإدارة غير مباشرة، و"شرح السياسة الأهلية" على أنها أخذ بخاطر الشعب المحمي حتى يكف عن المقاومة ويصير شريكا للمعمر، و تحدث عن "الملكية العقارية" وكيف يجب احترامها مع انتزاع ما لا بد منه من الأرض لصالح المعمرين، وعن "تعليم الأهالي" على أنه وسيلة "لجعل الشباب العربي والبربري الذي يلج مدارسنا رجالا نزهاء عرفاء متبصرين، محبين للعمل وللنظام، مستعدين للتقرب منا باستعمال لغتنا، راغبين في نيل نصيبهم من الرقي الذي ندعوهم إليه ليدخلوا التحسينات على ظروف عيشهم وعلى نظافتهم وعلى أساليب الزراعة لديهم وعلى أعمالهم الصناعية وعلاقاتهم التجارية" كما ذكر بأهمية العناية "بصحة الأهالي" لأن الطبيب، إلى جانب المعلم، من أحسن مساعدي سلطة المراقبة"، وأشار إلى السياسة الدينية للحماية على أنها قائمة على "الاحترام والحياد والتجرد" واختتم كلامه بالإلحاح على ضرورة إشراك "الأهالي" في الحياة السياسية والاقتصادية للبلاد على شكل ما فعل ليوطي بإحداث المجالس البلدية في المدن ومجالس الجماعات لدى القبائل، وإحداث الغرف المهنية ليناقشوا فيها قضاياهم الاقتصادية مما يبدو منه بيريو بمثابة الخبير المنظر. ولقد تجلت خبرته بعد وفاته في "صنيعته" التهامي الأگلاوي الذي ظل طيلة حياته معترفا له بالجميل ومخلصا له في شخص أرملته الحسناء سيمون بيريو Simone Berriau التي صارت بعده مغنية وممثلة وكتبت مذكراتها روت فيها من بين ما روت، كيف أراد باشا مراكش آنذاك أن يتزوجها فجاء إلى باريس في طليعة العشرينات وقال لها : "إني جئت من أجلك، فأنا مدين بكل شيء لبيريو، كان يحميني وكان أخا لي وعلي أن أكفل تلك التي خلف من ورائه" لكنها رفضت دخول حريمه على حدّ قولها، وقالت إنها هي التي ألبسته أولى ملابسه الأوربية واستصحبته إلى صالونات باريس وحوّلت علاقاتها الحميمة معه شيئا فشيئا إلى مجرد صداقة ظل التهامي الأگلاوي يغذيها بأغلى الهدايا وإسراف من لا يخشى الإملاق. أما من حيث التنظير فإن سياسة المراقبة التي كان يدعو إليها بيريو

سرعان ما تحولت بعد وفاته بقليل إلى إدارة مباشرة، وذلك من جراء تدفق المرشحين للاستعمار الذين توافدوا على المغرب غداة الحرب العالمية الأولى وجاؤوا بأنياب كاشرة لا يدركون من شأن ضباط الاستعلامات أو من شأن المراقبين المدنيين إلا أن وظيفتهم تلزمهم بإمساك البقرة من قرنيها ليستدروا أكثر ما يمكن من ألبانها في ظرف وجيز، وهكذا ذهبت النظريات والمثل العليا أدراج الرياح وبقيت الشعارات الجوفاء، وواقع الاحتلال إلى أن كان الخلاص والاستقلال فمُحي اسم بيريو من الشارع الذي يصل بالرباط بين ساحة النصر وشارع الأمم المتحدة وحل محله اسم ابن خلدون.

H. Berriau, *L'officier de renseignements*, 1918 ; S. Berriau, *Simone est comme ça*, Paris, 1973 ; Lyautey, *Paroles d'action*, Paris, 1927 ; R. Peyronnet, *Livre d'or des officiers des affaires indigènes*, Alger, 1930 ; P. Vollérie, *La pénétration militaire au Maroc*, Paris, 1934.

إبراهيم بوطالب

بيزا والمغرب، Pisa مدينة من مدن إيطاليا الحالية كانت تكوّن جمهورية مستقلة منذ القرن الحادي عشر الميلادي، وتنافس جمهورية جنوا Génova في السيطرة على الملاحة والتجارة في البحر المتوسط، بحكم توفرها على أسطول بحري هام، وظلت بيزا مستقلة إلى سنة 1509 حيث أصبحت جزءا من دوقية طوسكانا Ducado de Toscana التي اندمجت هي الأخرى في دولة إيطاليا الحالية سنة 1860.

يرجع تاريخ اتصال بيزا بالمغرب إلى شهر ذي القعدة من سنة 508 /أبريل 1115 حيث استولت سفن بيزا وجنوا وقاطالونيا Cataluña على جزيرة يابسة Ibiza بأرخبيل البليار، وقد تمكن الأسطول المغربي من طردها منها ؛ في حين أن ربط العلاقات السياسية والتجارية بين بيزا والمغرب قد تم عندما بعثت بيزا بسفيرها إلى السلطان المرابطي علي بن يوسف، فوقع معه أول معاهدة سلم وتجارة بين البلدين في يوم 20 شعبان 527 /26 يونيو 1133، هذه المعاهدة التي كانت تشمل مدينة تلمسان الخاضعة آنذاك لنفوذ المرابطين.

وفي سنة 552 / 1157، ولأسباب نجهلها، تحالفت جمهورية بيزا مع ملك تونس ضد الدولة الموحدية، غير أنه في شهر جمادى الثانية 561 /أبريل 1166 حل بمراكش السفير البيزي كوكو گريفي Goco Griffi الذي وقع مع السلطان أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن معاهدة صلح وتجارة وملاحة يوم 4 رجب 561 / 6 ماي 1166 على امتداد عهد ملك السلطان المذكور.

ونتوفر على وثائق تثبت استمرار العلاقات المغربية البيزية، بدليل أنه في سنة 576 /1181 كانت هناك مشاكل بين المغرب والجمهورية المذكورة، الشيء الذي جعل أسقف بيزا وقناصلها يوجهون عدة مذكرات احتجاج إلى السلطان يوسف بتاريخ 14 ذي القعدة و6 ذي الحجة 576 / فاتح أبريل و23 أبريل 1181 ومذكرتين في 3 محرم و16 صفر عام 577 / 19 ماي وفاتح يوليوز 1181 ومذكرتين في 26 محرم و26 صفر 578 / فاتح يونيو وفاتح يوليوز 1182.

وفي سنة 580 / 1184 تم تجديد معاهدة الصلح والتجارة والملاحة يوم 4 رجب 561 / 6 ماي 1166 ؛ وعلى إثر وفاة السلطان يوسف بن عبدالمومن حلّت بالمغرب سفارة بيزية لتقديم التعازي والإعراب عن الرغبة في مواصلة العلاقات الودية بين البلدين، ومن أجل ذلك أصدر السلطان يعقوب المنصور الموحدي ظهيراً بتاريخ فاتح رمضان 582 / 15 نوفمبر 1186 يقضي بتجديد الصلح والعلاقات التجارية والملاحية لمدة خمس وعشرين سنة.

وفي شوال 596 / يوليوز 1200 قامت بعض السفن البيزية بنهب سفينة مغربية كانت توجد بميناء تونس، ونتوفر على ثلاث رسائل احتجاج مغربية وجهت إلى حكام بيزا تطالب بالتعويض اللازم، وكانت الرسالة الأولى من الأمير عبدالرحمن ابن السلطان يعقوب المنصور وخليفته بتونس بتاريخ 30 ذي القعدة عام 596 / 11 سبتمبر 1200 ؛ والرسالة الثانية من حاكم سبتة بتاريخ 8 جمادى الأولى عام 597 /15 فبراير 1201، وأما الثالثة فكانت من الأمير المذكور بتاريخ 26 رجب عام 598 /21 أبريل 1202.

وفي شهر ربيع الأول عام 607 / سبتمبر 1210 حل بالعاصمة المغربية السفير البيزي خيراردو Cresasdo وتمكن من الحصول على موافقة السلطان الناصر على تجديد معاهدة فاتح رمضان عام 582 /15 نوفمبر 1186.

وفي 28 ربيع الثاني عام 759 /9 أبريل 1358 أصدر السلطان أبو عنان المريني ظهيرا منحت بمقتضاه عدة امتيازات تجارية بالمغرب لرعايا بيزا، فكانت هذه آخر وثيقة دبلوماسية اطلعنا عليها حددت علاقات المغرب مع الجمهورية المذكورة.

ع. التازي، *التاريخ الدبلوماسي للمغرب*، 5 : 131. 217 ؛ 6 : 176. 177. 181. 190. 196. 200. 202 ؛ 7 : 175. 178 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *مشروع الدليل الدبلوماسي المغربي*، مرقون.

De Mas Latrie, *Traités de paix et de commerce*, pp. 25 - 27 - 28 - 36 - 38 - 40 - 49 - 66 - 93 ; *Relation et commerce de l'Afrique septentionale ; Espasa - Calpe*, Madrid, 1921, T. 45, p. 16 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Compendio de los Pactos internacionales de Marruecos*, Tetuan 1949, Passim ; *Pactos internacional de Marruecos*, Madrid 1957, passim ; *Repertorio diplomatico marroqui*, Rabat, 1966, passim.

محمد ابن عزوز حكيم

بيزار. أسرة رباطية. ← ابن **إبراهيم**

البيزانا Le Paysanat، (هكذا بـ n واحدة) مصلحة من مصالح الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب كانت تشمل مجموعة من المؤسسات العمومية تهدف إلى تطوير العالم القروي بالمغرب بواسطة فعالية كلية، وذلك بنقله من اقتصاد تقليدي يعتمد المحراث إلى اقتصاد عصري يعتمد الجرار، كما تهدف إلى تطوير الوضع الاجتماعي للفلاح، وتحسين وضعه القانوني.

كانت تسيّر من طرف مجلس أعلى للبيزانا، أحدث بظهير 5 دجنبر سنة 1944، يقوم بدراسة واقتراح الوسائل

التي بإمكانها إتاحة تنمية حشود الفلاحين اقتصاديا واجتماعيا وتحسين أوضاعهم القانونية والتنسيق بين مختلف المصالح في هذا الشأن. يضم المجلس الأعلى، الذي يرأسه المقيم العام، والصدر الأعظم والوزير المفوض لدى الإقامة العامة والكاتب العام للحماية، بالإضافة إلى ممثلين عن مختلف الإدارات (اقتصاد، أشغال عمومية، تعليم، صحة ...) وخواص يعينون، من بينهم عشرة مغاربة.

يجتمع المجلس الأعلى مرتين في السنة، ولا تصبح قراراته سارية المفعول إلا بظهير أو قرار من المقيم العام.

تسهر على تطبيق قرارات المجلس الأعلى الكتابة العامة التي كانت مرتبطة بالإقامة والتي كانت تشمل ممثلين اثنين عن المجلس الأعلى هما : Jacques Berque وRoger Tritignac وكاتبا دائما مغربيا هو عبدالله الصبيحي. لكن جل صلاحية الكتابة العامة نقلت بقرار من الإقامة العامة، بتاريخ 2 يناير 1947، إلى مركزية التجهيز الفلاحي للپيزانا Centrale d'Equipement Agricole du Paysanat ou C. E. A. P. ويتعلق الأمر بمؤسسة عمومية كانت قد أنشئت بظهير 26 يناير 1945، تتمتع بشخصية مدنية واستقلال مالي، هدفها تنمية الفلاحة وتربية الماشية، وذلك بتقديم قروض للفلاحين وتأطيرهم تقنيا وبيع المعدات الفلاحية أو كرائها لهم.

ولإنجاز مهامها تعتمد مركزية الـ C. E. A. P على مكاتب محلية تقوم بتقديم معلومات حول التكوين الكيميائي للتربة ونوعية الأسمدة التي ينبغي استخدامها وطريقة محاربة التعرية والأمراض النباتية لقطاع التحديث الفلاحي Secteur de Modernisation du Paysanat ou S. M. P. المنشأ بظهير 5 يونيو سنة 1945، وهو عبارة عن إطار عقاري وقانوني للتسيير والتجهيز الاجتماعي، فهم مؤسسة عمومية تسيرها السلطة المحلية وتمد الـ C. E. A. P بالوسائل التقنية لتحقيق مشاريعه. إنه يرمي إلى تحقيق أهداف مادية واجتماعية وأخلاقية تتمثل في تحسين الإنتاج وتوجيه الفلاحة نحو مزروعات جديدة والعمل على تطبيق مخطط للتنمية وتحسين أوضاع الفلاحين الاجتماعية، وذلك ببناء المدارس والمستوصفات ودور للسكن، وإشراكهم في مداولات مجالس الـ S. M. P قصد تهييئهم لتحمل مسؤولياتهم مستقبلا.

تنقسم أنشطة الـ S. M. P إلى :

1 ـ زراعة مباشرة إما فوق أراض جماعية مقابل ريع، وإما فوق أراض مكتراة أو باشتراك مع أحد الخواص.

2 ـ تقديم خدمات لمن يطالب بذلك مقابل أجرة.

3 ـ إرشاد يكمن أساسا في تأطير الفلاحين قصد العمل من أجل تحسين الانتاج وتقديم خدمات لهم بعد بيع المعدات التقنية.

وراء هذه الفلسفة المعلن عنها كانت الپيزانا تسعى إلى هدم التوازن الاجتماعي التقليدي لتعويضه بتوازن جديد يتيح الاستيلاء على الأراضي الجماعية وتمثيل الفلاحين، ومن ثم إدماج المجتمع المغربي في النظام الرأسمالي. وقد اعتمدت،كوسيلة لذلك، التحديث بوصفه يمثل صدمة نفسية قد تساعد على تجاوز التطور التدريجي الذي كانت تعول عليه فرنسا سابقا، خصوصا في إطار جمعيات الضمان الأهلية (Les Sociétés Indigènes de Prévoyance ou S.I.P) ومن ثم إحداث تغيير سريع. لكن هذه السياسة أخفقت لأن الفلاحين كانوا يعارضون، في كثير من المناطق، إنشاء مراكز الـ S. M. P، لذا تراجعت الپيزانا في سنة 1951 عن هذه السياسة لصالح سياسة أقل طموحا ولكنها أكثر فعالية تعتمد القيام بتحديث تدريجي في مناطق محدودة.

إن سياسة الپيزانا كانت عرضة لعدة انتقادات من طرف المعمرين الذين كانوا يرون في الـ S. M. P. منافسا لهم، ومن طرف الحركة الوطنية التي كانت تخشى تأثير الپيزانا على الفلاحين، الشيء الذي كان بإمكانه أن يؤدي بهؤلاء إلى التخلي عن أهدافها السياسية.

على كل، إن سياسة الپيزانا، رغم خلفياتها، كانت لها بعض الايجابيات، وقد كونت أساس بعض جوانب السياسية الفلاحية بالمغرب بعد الاستقلال.

J. Berque, *La question agraire au Maroc*, C.H.E.A.M., 1945; *Vers la modernisation rurale, B.I.M.*, n° spécial, octobre 1945 ; J. Berque et J. Couleau, *Vers la modernisation du fellah marocain, B.E.S.M.*, Vol. 26, 1945 ; R. Dumont, *Etat des modalités d'action du paysanat*, CHEAM, 1947; Y. Barennes, *La modernisation rurale au Maroc*, Paris, 1948 ; P. Suisse, *Les formes nouvelles de la modernisation rurale en milieu marocain*, CHEAM, 1951 ; L. Marchal, *Les principes, les méthodes et les buts de la modernisation rurale au Maroc*, C.H.E.A.M. ; J. Le Prévot, *Le paysant et les S.M.P. au Maroc, Cahiers de la modernisation rurale*, n° 12, 1953 ; A. Halim, *Structures agraires et changement social au Maroc*, éd. Afrique-Orient (à paraître).

عبدالجليل حليم

بيزْضَاضْ، مقر قيادة حديثة في حاحة يمتد نفوذها على قبيلتين هما أيت زلطن وإداوزمزم بناحية الصويرة، وسميت بذلك لأن المكان الذي أنشئت فيه القيادة سنة 1386 / 1966 كان محط طيور تدعى باللسان الأمازيغي (الشلحة) إزْضَاضْ، وهي الحمام المتوحش. وأما عن تاريخ قيادة هاتين القبيلتين فإنهما خاضعتان لحكم رؤساء آل ببهي أُ مولود الذين وحدوا جميع قبائل حاحة تحت نفوذهم متخذين أَزَغَار أيْت زَلْطَنْ مقرا رئيسيا لحكمهم منذ تأسيس مدينة الصويرة في عهد محمد بن عبدالله (1171 / 1757 ـ 1204 /1789) إلى يوم خراب أزغار أيت زلطن على يد المتوگيين عام 1288 /1871.

وفي عهد السلطان الحسن الأول الذي نهج سياسة تقسيم الإيالات الكبرى لإضعاف نفوذ القواد فقسم اتحادية قبائل حاحة بين عدة قواد، فعين أحمد أُمبارك من تاكوشت قائدا خاصا بقبيلتي أيت زلطن وإداوزمزم. وفي العهد العزيزي أسندت قيادة إداوزمزم للقائد الحسن گُرْمَا وبعده لابنه القائد محمد گُرْمَا ثم "لما مدت حكومة الاحتلال يدها إلى حاحة أعفته من القيادة وولت من الأسرة القائد مبارك گُرْمَا، فصال وجال، واكتنز الأموال، إلى أن مات، فتولى على قبيلته القائد المختارالزلطني ما شاء الله إلى أن جاء

الاستقلال" (*المعسول*، 15 : 244). أما قبيلته أيت زلطن فقد تولى قيادتها في العهد العزيزي القائد محمد إگيدْ الشهير ثم خلفه بعد وفاته (1340 / 1921) القائد المختار الزلطني وابنه الذي جمع أخيرا بين الحكم على القبيلتين. ومع بداية الاستقلال عُين قائد جديد على القبيلتين في إطار القيادة النظامية وكان مقرها في الأول بعزيب القائد المختار المسمى بُوصُوف ثم انتقل مقر القيادة إلى الصويرة بسبب عدم صلاحية ذلك المقر إلى سنة 1386 / 1966 حيث بنيت قيادة بيزْضَاضْ الحالية على النمط الحديث في نقطة الحدود بين جماعتي أيت زلطن وإداوزمزم المنضويتين تحت نفوذ حكمها على مساحة تبلغ 238 كلم^2، ويقطنها نحو 11.745 نسمة بكثافة سكانية معدلها حوالي 49.34 نسمة في الكيلومتر المربع. معظم أراضيها مكسوة بغابات أركان والعرعار والخروب واللوز، وتربية الماشية من أهم مقوماتها الاقتصادية. تتوفر مناطقها على كميات هائلة من الفوسفاط لقربها من منجم مْسْكَالة ويتعاطى سكانها للصناعات التقليدية وخاصة منها الخزفية. ويتكون مركز بيزْضَاضْ زيادة على القيادة من دار للجماعة القروية ومقر للدرك الملكي ومجموعة مدرسية ومستوصف قروي، كما يتوفر على شبكة للماء الصالح للشرب.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 15 : 244 ؛ دورية خاصة أصدرتها عمالة الصويرة بمناسبة عيد العرش سنة 1986 ؛ تحريات ميدانية تعتمد على تقاييد خاصة وروايات شفوية عن كبار شيوخ القبيلتين.

محند أيت الحاج

البيزنطيون في موريطانيا الطنجية. ينتسبون إلى بيزنطة التي نقل إليها الامبراطور الروماني قسطنطين Constantin في حوالي سنة 330 م مركز عاصمته وأصبحت تدعى بروما الجديدة Velut ipisus Romae Africae (Gibbon, p 442). واضعا بذلك أسس تقسيم الامبراطورية الرومانية الذي تم فعلا بعد وفاة الامبراطور ثيودوسيوس Théodosius (379 . 395) بين كل من هنوريوس Honorius (395 . 423) الذي آلت إليه الإمبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما، وأركاديوس Arcadius (395 . 408) الذي حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية نواة ما سيعرف بالامبراطورية البيزنطية.

والحديث عن البيزنطيين بموريطانيا الطنجية يرتبط بعهد الإمبراطور يُستنيانوس Justinianus (523 . 565) الذي هدف إلى إعادة ترميم الإمبراطورية الرومانية باسترجاع مختلف الولايات التي كانت تابعة لها من أيدي البرابرة الجرمان وتحويل البحر المتوسط من جديد إلى بحيرة رومانية، إذ اعتبر نفسه الوارث الشرعي للإمبراطورية الرومانية. ومادام شمال إفريقيا وضمنه موريطانيا الطنجية جزءاً من هذا الإرث وإحدى الولايات التي أخضعها القناصلة الرومان وامتلكها القياصرة فهو يشكل بهذا التصور إرثا من حق الممثلين الجدد للإمبراطورية الرومانية، لذلك اهتم يُستنيانوس بتنظيم حملة عسكرية وجهها سنة 533 م لاسترجاع شمال إفريقيا والقضاء على المملكة الوندالية.

ولقد تمكن البيزنطيون بعد الانتصار على الوندال من السيطرة على الجزء الغربي من ولاية الطرابلية Tripolitaine وولاية البروقنصلية Proconsulaire، وبيزاكينا Byzacéne مع الجزء الشرقي لنوميديا وبعض المراكز الساحلية في موريطانيا الصطيفية والقيصرية.

أما بموريطانيا الطنجية فكلما حاولنا البحث في المراكز التي بلغتها سلطة بيزنطة إلا وجدنا بين أيدينا وثيقتين تاريخيتين. الوثيقة الأولى هي مصدر پروكوپ الذي تتبع مراحل الحملة العسكرية البيزطية منذ انطلاقها من بيزنطة سنة 533 إلى 546، أما الوثيقة الثانية فتتلخص في مجموع القوانين التي أصدرها يُستنيانوس بين 533 و534 لتنظيم ولايات الإمبراطورية سميت بجامع قوانين يستنيانوس Codex Justinianus.

مراكز نفوذ البيزنطيين بشمال افريقيا

ذكر پروكوپ أن الجنرال البيزنطي بليساريوس Belisarius بعث بالقائد العسكري يوحنا Jean لطرد الوندال من سبتة (Procope, IV - V -5, p 249) سنة 533 . 534. في وقت ذكر مصدر إيزدوريوس Isidurius أن القوط سيطروا على مدينة سبتة إلى غاية سنة 544 (Isidure, Hikk Golh, éd Mommsen, p 284) لكن إذا بحثنا في المجامع الدينية التي انعقدت بدوقية إسبانيا نجدها لا تذكر مشاركة أسقف مدينة سبتة في الفترات الفاصلة بين سنوات 533 و544، ثم كيف يعين يستنيانوس سنة 534 ضابطا عسكريا بمدينة سبتة تابعا لدوق موريطانيا القيصرية وهي خاضعة للقوط، فالموقع الاستراتيجي لمدينة سبتة يفسر اهتمام البيزنطيين بضمها لتأمين الجهة الخلفية شمال إفريقيا، ولتحقيق المرور منها إلى شبه الجزيرة الإيبيرية قصد استكمال ماسمي بمشروع الاسترجاع البيزنطي. لكن هل انحصرت سيطرة البيزنطيين على موريطانيا الطنجية في مدينة سبتة أم تعدتها إلى مناطق أخرى ؟ إذا أخذنا النص القانوني الذي وضعه يُستنيانوس والذي يحدد الولايات التي أصبحت تابعة لبيزنطة بشمال إفريقيا، نجده يذكر ما يلي :

"Et auxiliante Dco, Septen provinciae cum suis judicibus disponanter quarum Tingi et Qauae Proconsulairs Autea Jocabatur, Carthago et Byzacin ac Tripoli recturs habeant consulares, reliquae vero, id est Numidia et Mauritaniar et Sardinia a paesidibus cum der auscilio guberentur" (cod. Just. I. 27 - 1 12).

ترجمة النص كالتالي "يتعلق الأمر بسبع ولايات، عين على رأس أربع منها حكاما أو ولاة من درجة قنصل وهي "طنجة" التي كانت تدعى فيما قبل البروقنصلية و قرطاج وبيزاكيوم وطرابلس، أما الباقية وهي ثلاث نوميديا وموريطانيا وسردينيا فقد عين على رأسهم ولاة من درجة فرسان Praesides.

لقد رأى كل من پارتسث Partch ومومسنا Mommsen عند دراستهما للنص أن يُستنيانوس وضع "الطنجية" في المقدمة للإشارة فقط إلى أن السيطرة على حصن سبتة لا يكفي لتأسيس ولاية بموريطانيا الطنجية وتأكيد تبعيتها لبيزنطة، وإذا كان يُستنيانوس قد أسس ولاية بموريطانيا الطنجية فعلا فكيف يتم التوفيق بين تعيين حاكم من درجة قنصل على موريطانيا الطنجية إداريا، بينما اكتفى عسكريا بتعيين ضابط عسكري Tribun Militaire تابع لدوق موريطانيا القيصرية (Hommen C. I.L. VIII, p. VIII) ثم إن ترجمة النص تفرض تصحيح Tingi لأن ولاية البروقنصلية هي التي كانت تدعى زوجيتانيا.

لكن ماذا يقصد يستنيانوس بموريطانيا الأولى وموريطانيا الثانية ؟ أكد مومسن أن موريطانيا الأولى يقصد بها موريطانيا الصطيفية، وموريطانيا الثانية هي موريطانيا القيصرية. لكن ما هو وضع موريطانيا الطنجية؟ كيف أقيمت ولاية في موريطانيا القيصرية وهي لا تختلف في وضعها عن موريطانيا الطنجية ؟ ففي 534 لم يسط سيرتطيون سوى على مدينة القيصرية (شرشال) بموريطانيا القيصرية، وسبتة بموريطانيا الطنجية.

ثم إن مصدر جورج القبرصي الذي يعود إلى القرن السادس الميلادي يتحدث عن موريطانيا أولى وهي موريطانيا الصطيفية والقيصرية، وموريطانيا ثانية وهي التي تضم حصن سبتة ومناطق واسعة من إسبانيا والبليار بعد استرجاعهما من يد الفيزيقوط. (Georg, chyp, ed Gelzen, p 34) إذ شكلت هذه المناطق ولاية واحدة سميت بموريطانيا الثانية وألحقت بدوقية قرطاج مباشرة. الشيء الذي سيؤكد انحصار النفوذ البيزنطي بموريطانيا الطنجية في مدينة سبتة. فشارل ديبل ذهب بعيدا حين جعل نفوذ البيزنطيين بموريطانيا الطنجية يشمل مدنا مثل ليكسوس بدليل توفرها على أسقف كاثوليكي وطنجة التي وجدت بها ساكنة مسيحية في القرن السابع الميلادي، فالواقع أن وجود أساقفة أو عناصر مسيحية في تلك المدن لا ينبغي أن يؤخذ كدليل على سيطرة البيزنطيين عليها. فلقد ذكر پروكوپ أن القبائل المورية سيطرت على البلاد الممتدة من ضواحي قادس إلى مدينة قيصرية، باستثناء حصن سبتة الذي كان تابعا للبيزنطيين. وهذه قبيلة الباكواط Baquates في موريطانيا الطنجية، أصبحت لها سلطة سياسية واسعة ابتداءً من أواخر القرن الثالث الميلادي، فلقد ورد بإحدى نقائش وليلي التي تعود إلى هذه الفترة الزمنية إشارة إلي زعيم القبائل الباكواطية كالتالي : Rexgentis Baquatium.

هل استمر النفوذ البيزنطي بمدينة سبتة إلى الفتح الإسلامي ؟ إذا أخذنا المصادر العربية التي تحدثت عن الفتح الإسلامي، كابن عبدالحكم فإننا نجده يذكر سيطرة الروم البيزنطيين على المنطقة الممتدة من طرابلس إلى طنجة إذ يقول : "... وكان عليها - أي قرطاجة - ملك يقال له جرجير، كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل، وضرب الدنانير على وجهه، وكان سلطانه ما بين طرابلس إلى طنجة" (*فتوح افريقيا والأندلس*، ص 35). ثم يذكر بعد ذلك أن يليان Julien حاكم مدينة سبتة كان يدين بالطاعة للذريق ملك القوط بإسبانيا. "... وكان الحجاز الذي بينه وبين أهل الأندلس عليه رجل من العجم يقال له يليان صاحب سبتة..." وكان يليان يؤدي الطاعة إلى لذريق صاحب الأندلس، وكان لذريق يسكن طليطلة..." (المصدر السابق، ص 71 - 72).

نستخلص من هذا النص وبعد دراسة الظروف السياسية التي عاشتها بيزنطة في أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلادي أن البيزنطيين استقروا بمدينة سبتة من سنة 533 إلى حوالي سنة 695 م. ذلك أن بيزنطة عاشت فترة فوضى سياسية بين 695 و715 منحت الفرصة لوجود روابط سياسية بين حاكم سبتة يليان وملك الفيزيقوط.

ابن عبدالحكم، *فتوح إفريقيا والأندلس*، دار الكتاب اللبناني، 1987 ؛ أبو عبيد البكري، *وصف إفريقيا الشمالية*، نشرة دي سلان، 1857 ؛ بنحريط علمي ماجدة، *الزحف البيزنطي على شمال إفريقيا*، 533 - 548، د. د. ع. في التاريخ القديم، 90 - 1991.

Codex Justinianus, éd. Krüger, Berlin, 1877, pp. 78 - 81 ; Georgius Cyprius, *Description orbis romain*, éd. Gelzer (H), 1390; Hydace, *Chronica in M.G.H.a.a.*, T. XI, PP. 1 - 36 ; Isidor de Séville, *Historia Vandalorum in M.G.H.a.a.*, T. XI, pp. 295 - 300 ; Procopius, *History of the wars*, Book III et IV, éd. Dewing (H.B.), classical library, London, 1916 ; Ch. Diehl, *Rapport sur deux missions archéologiques dans l'Afrique du Nord, Nouvelles archives des missions scientifiques et littéraires*, Paris, T. 4, 1894, pp. 285 - 435 ; *L'Afrique Byzantine : Histoire de la domination Byzantine en Afrique, 533 - 709*, Paris, 1896 ; Martroye, *L'occident à l'époque byzantine : Goths et Vandales*, Paris, 1904 ; Bunis, *History of Later Rome-Empire from the death of Theodosius I to the death of Justinian, A.D. 395 to A. D. 565*, London, 1931 ; P. Romanelli, *La Riconquista Africana Di Giustiniano, Africa Romana*, Milano, 1935, XIV, p. 125 ; C. M. Chassin, *Bélisaire généralissime byzantin 504 - 565*, Paris, 1957 ; E. Stein, *Histoire du Bas-Empire*, éd. française par J. R. Polanque, Paris, 1959 ; Kh. Belkhodja, *L'Afrique Byzantine à la fin du 6 siècle et au début du 7ème siècle, R.O.M.M.*, 1970, pp. 55- 56 ; A. Cameron, *Byzantine African excavation at Carthage*, 1978, VII, éd. Humphuy, 1982, pp. 29 - 62 ; J. Durliat, *Les dédicaces d'ouvrages de défense dans l'Afrique Byzantine, E.F.R.* 1981 ; E. C. Gazolbes, *El problema de la Ceuta Bizantina, C.T.*, n° 115 - 116, 1981, pp. 23 - 53 ; D. Pringle; *The defense of Byzantine Africa from Justinian to the conquest : An account of the military history and archaeology of the provinces in the sixth and seventh centuries*, Oxford, 1981 ; L. Casson, *Belisarius expédition against Carthage : Excavations at Carthage*, 1978, VII, 1982, pp. 23 - 29 ; E. Gibbon, *Histoire du déclin et de la chute de l'Empire Romain*, T. 1. *Rome de 96 à 582* et T. 2, *Byzance de 455 à 1500*, traduit de l'Anglais par M. F. Guizot, Paris, 1983 ; N. Duval, *L'Etat actuel des recherches sur les*

fortifications de Justinien en Afrique, Corsi di cultura, edi. *Arte Ravenate Bizantine Ravenna*, T. 30, 1983, pp. 194 - 204 ; P. A. Fevrier, *Approches récentes de l'Afrique Byzantine*, *R.O.M.M.*, T. 35, 1983, pp. 25 - 53 ; G. Camps, *Rex Gentium Maurorum et Romanurum : Recherches sur les Royaumes de Maurétanie des VI et VII siècles*. *A. A. T.* 20, 1984, pp. 183 - 218 ; Y. Moderan, *Corippe et l'occupation byzantine de l'Afrique : pour une nouvelle lecture de la Johamide*, *A. A. T.* 22, 1986, pp. 195 - 212 ; A. Ducellier, *Les Byzantins*, Paris, 1988.

ماجدة بنحريط علمي

بِيشْوارين أو **البِيشْوارينيّة**، أسرة سوسية عالمة، كان جدهم الأستاذ محمد بن مَحمد بن عمر في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) يشارط في بعض القبائل لتعليم الصبيان القرآن الكريم ويصنع في نفس غرارات الدواب المدعوة بالشلحة "إيشوارين" فعرف بها هو وعقبه ودُعوا البيشوارينيين، ولا علاقة لهم بالبوشوارين الهشتوكيين في أيت باها.

انتقل أحد أسلاف الأسرة البيشوارينية لأسباب أمنية من قرية تيوارگان البعقيلية إلى قرية تامگونس في قبيلة الساحل. وهم ينتسبون إلى الأدارسة عن طريق أحمد بن إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر دفين زرهون. ومن أشهر البيشوارينيين :

بيشوارين، جامع بن الحسين، من كبار القراء في عصره، يتقن قراءة المكي وقواعد التجويد، قضى عمره في تعليم ذلك لأبناء جلدته، وتخرج على يده عدد غير قليل من قراء سوس. وإلى جانب ذلك كان متصوفاً ملازماً للزاوية الدرقاوية، ناسكاً متعففاً إلى أن توفي عام 1355 / 1936.

بيشوارين، عبد الرحمن بن عبد الله المشهور بعابد (اختصار عبد الرحمن) الإدريسي السوسي. ولد عام 1270 / 1853 بقرية تيفيراسين أي (الإجاص) وأخذ عن أخيه محمد بن عبد الله القرآن الكريم ومبادئ العربية، كما تتلمذ على يد العالم الطائر الصيت علي بن سعيد المعروف بالتوفلعزتي المتوفى عام 1322 هـ في مدرسة سيدي أبي سعيد، وعلى يده أتقن علوم الفقه واللغة والنحو والبيان والتفسير والحديث متبوئاً مكانة خاصة في نواحي سوس. وكان لتقلبه في كثير من مدارس العلم هناك أستاذاً ومربياً روحياً الأثرُ الكبير في شغوفه وانتشار صيته، إذ يعتبر من القلائل الذين تعددت مدارس العلم التي شارطوا فيها، فقد بلغ عددها ثمانية، منها ما درس فيها أكثر من مرة، كمدرسة إيگونگا بقبيلة هشتوكة.

وله شخصية متعددة الجوانب، جعلت بعض مؤرخيه يختلفون حوله، فأشاد به بعضهم بما لا مزيد عليه كعلي بن الحبيب السكراتي (ت. 1375) في كتابه *تحلية الطروس في ذكر رجالات سوس*، وانتقده آخرون كالمؤرخ محمد بن أحمد الأگراري (ت. 1358 هـ) في *روضة الأفنان في تراجم الأعيان*، حيث وصفه بادعاء الكرامات والاشتغال بالتفاهات، على أن مكانته تعتمد على الجانب الروحي الذي يغلب عنده على الجانب العلمي، هذا مع اعتبار أن بقاءه وعكوفه على التدريس أكسبه صيتاً قوياً.

ومن مواقفه التاريخية أنه غادر داره قبل الاحتلال الفرنسي لبوادي سوس حتى لا يرى النصارى، كما نقل عنه في آخر حياته من مواقفه البارزة كذلك أنه كان من أركان ثورة أحمد الهيبة، فقد أيدها بقوة ودعا الناس إلى المشاركة فيها بما لَهُ من نفوذ روحي، حتى اعتبره بعض مترجميه الذي تولى كِبْرَ قيام هذه الثورة (مختصر *روضة الافنان*، 73) وكيفما كان الحال، فقد كان للحاج عابد بيشوارين ذلك الموقف الجهادي الذي يحفظه له التاريخ.

وله آثار أدبية غالبها منظومات رجزية ليست في ميزان النقد الأدبي مما يروق ذوي الحس الأدبي المرهف، فألفاها النقد وألغى معها ما له من منثور، بالرغم من مكانته المعرفية المتميزة، "لذلك ـ يقول المختار السوسي ـ نقضي بأن آثاره الأدبية ليس فيها حظ للفن، وذلك على جلالة منصبه في ذلك، وذلك لأنه كان يطبق في تدريسه برنامج سعيد بن أحمد الكثيري الشريف (ت. 1296) الذي قسم متون النحو والفقه إلى دروس حافظ على أدائها في أوقاتها كل يوم، فكان الحاج عابد يبدأ دروسه اليومية، بعد قراءة الحزب الراتب في الصباح الباكر، بالتفسير اعتماداً على تفسير *الجلالين* مع *حاشية الجمل* والتزام إعراب الألفاظ القرآنية، مراعيا مختلف طبقات الطلبة الذين يتوافدون على مدرسته، ثم يتبعه بالمتون الفقهية، فكان يدرس مختصر *خليل* حسب هذا البرنامج في خلال سنتين لا يتعداهما، ثم الدروس النحوية والبلاغية حسب النظام الصارم الذي لا يتخلى عنه. وهكذا طيلة كل يوم من أيام الدراسة الأسبوعية، وكان لا يخلط بين مستويات الطلبة، وإنما يراعي كل طبقة ويتولاها بنفسه دون فتور، ولا يتخلى عن منهج المدرسة العلمية السوسية ولا سيما الجزولية منها. ذلك أنه كان يحافظ على إعراب أول الحزب القرآني الراتب بعد صلاتي الصبح والمغرب.

وإذا كانت المدارس العلمية قد استفرغت نشاط هذه الشخصية فإنه قد ترك رحلة حجازية دوّن فيها حجه عام 1311 في ركب حاشد من صلحاء القطر، وبيّن ما وقع له في الطريق من أهوال وما مر به من الأمكنة والمشاهد، لكن رحلته تلك لم تقع بعد في أيدي الباحثين.

وبعد حياة حافلة استمرت ثمانين سنة، توفي الحاج عابد بيشوارين رحمه الله عام 1350 / 1931.

بيشوارين، محمد بن الحسين بن علي بن أحمد. ولد في تامگونس يوم الخميس 15 جمادى الأولى عام 1277 / 29 نونبر 1860 وبها حفظ القرآن الكريم، وأخذ مبادئ العلوم اللغوية والدينية عن علماء قبيلة الساحل، ولازم مجالس الشيخ محمد بن العربي الأدوزي سنوات عديدة.

تقلب في عدة مدارس سوسية مشارطاً ومدرساً ومفتياً، لكنه لم يبلغ شأواً كبيراً في ميدان النوازل، فاتجه إلى التصوف وأخذ الطريقة الدرقاوية ولازم مجالس الذكر في الزاوية الإلغية إلى أن كُفَّ بصره في آخر حياته.

توفي في 14 محرم عام 1368 / 16 نونبر 1948.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 300 ؛ 10 : 271 ؛ 12 : 291 ؛ 17 : 295 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، 150، 174 ؛ الاگراري، *روضة الافنان* ؛ الساحلي، *المدارس العلمية العتيقة بسوس*، 82.

عبد الحميد محبي الدين الباعمراني

ماجدة بنحريط علمي

پيشون، اسطيفن Pichon Stephen وزير خارجية فرنسا، احتل كرسي الوزارة ثلاث مرات، مرة أولى من 25 أكتوبر 1906 إلى فاتح مارس 1911 ومرة ثانية من 22 مارس إلى 8 دجنبر 1913 ومرة ثالثة من 16 دجنبر 1917 إلى 19 يناير 1920، فكان له ضلع كبير فيما فرض على المغرب من الأوفاق الجائرة قبل الحماية أو بعد إبرامها.

دخل پيشون ميدان السياسة الخارجية الفرنسية من باب النيابة حيث كان مقررا للجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب سنة 1889، إلا أنه كان متعصبا للمبادئ الجمهورية، متحمسا للفراماسونية المنظمة التي كانت تعمل في الخفاء لنشر الأفكار العلمانية ومحاربة بقايا الملكية والكهنوت، وكان ذلك سبب فشله في انتخابات سنة 1893، مما حمله على ولوج سلك الوظائف الديبلوماسية فتنقل من الأرجنتين إلى الصين ومن الصين إلى أمريكا الجنوبية، ثم عين سنة 1901 مقيما عاما بتونس فأصبح من أقطاب حزب الاستعمار، وفي سنة 1906 عينه صديقه وعمدته في السياسة جورج كليمانصو G. Clemenceau وزيرا للشؤون الخارجية في الحكومة التي تشكلت برئاسته، وكان على پيشون أن يسهر على تنفيذ مقررات الجزيرة الخضراء بخصوص المغرب، فأعلن أن فرنسا "تلتزم بها بكل إخلاص"، لكنه بادر في السنة الموالية 1907، ولما يمض على احتلاله منصبه الوزاري سنة كاملة، إلى إصدار الأمر باقتحام وجدة والدار البيضاء ودأب يدعم الوجود الفرنسي بغربي المغرب وشرقيه، بالتفاوض مع كل من إسبانيا وألمانيا ومع دولة المولى عبد الحفيظ، لإضفاء الشرعية اللازمة على عمليات السطو تلك. فأمضى مع إسبانيا وفق 23 فبراير 1907 الخاص بتنظيم الفرق الأولى من الشرطة الاستعمارية بالمغرب كما أمضى معها التصريح المشترك ليوم 16 ماي الموالي القاضي بالتزام الدولتين بالأمر الواقع الترابي وبحقوق كلتيهما بالمغرب، ومع ألمانيا فإنه أمضى تصريح 9 فبراير 1909 الرامي إلى ضمان مبدأ المساواة الاقتصادية وتيسير السبيل أمام مواطنيهما ليقيموا مقاولات مشتركة لاستغلال خيرات المغرب. أما مع المغرب فإنه وقع اتفاقية 4 مارس 1910 المتعلقة بأمر جلاء القوات الفرنسية من الشاوية ومن عمالة وجدة، إلا إنه جعل لذلك شروطا مالية وفرض على المغرب غرامه كان يعلم أنه عاجز عن أدائها، بحيث كانت الاتفاقية بمثابة تعجيز مطلق صيغ بأساليب اللغة الديبلوماسية، فلم يتغير شيء من الاحتلال الفرنسي. وإنما كانت خطة پيشون خطة الرجل الحذر الماكر الماهر بطرق المخاتلة والمراوغة، تحاور مع الألمان في الوقت الذي كان يعزز فيه الوجود الفرنسي بالمغرب، وتفاوض مع المخزن في الوقت الذي كان يغلق أمامه كل المنافذ. ولما أطيح بالحكومة التي كان يشارك فيها يوم فاتح مارس سنة 1911، انتخب پيشون عضوا في مجلس الشيوخ، وكان ضمنه مقررا لميزانية وزارة الخارجية، إلى أن عاد لبضعة أشهر إلى كرسي الوزارة في حكومة لوي بارتو Louis Barthou فكان من أعماله حيال المغرب تقديم ظهائر 7 غشت 1913 المنظمة للقضاء الفرنسي بالبلاد إلى موافقة رئيس الجمهورية الفرنسية برسالة وقعها مع راتيه Ratier وزير العدلية، ثم أبعد عن الحكم في السنوات الأولى من الحرب العالمية إلى أن نودي على كليمانصو مرة أخرى ليشكل "حكومة النصر" فعاد پيشون إلى وزارة الخارجية من 16 يونيه 1917 إلى 19 يناير 1920، وكان له دور كبير في إرساء شروط وقف إطلاق النار ووضع مقتضيات معاهدات السلام في مؤتمر فرساي، وإليه يعزى رفض المقترح الذي كان ليوطي قد تقدم به لإشراك المغرب كدولة قائمة الذات في ذلك المؤتمر، لكن تقسيم النفوذ العالمي بين إنجلترا وفرنسا آنذاك كان لايسمح بذلك.

J. C. Allain, *Agadir 1911*, Paris, 1976 ; C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes 1495 - 1956*, Paris, 1978 ; B. Yvert, *Dictionnaire des ministres* 1789 - 1989, Paris, 1990 ; P. L. Rivière, *Traités, codes et lois du Maroc*, T. I., Paris, 1924.

إبراهيم بوطالب

بَيصّة، أو بايصّة أو بايسّة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Baeza وهو اسم مدينة بناحية جيان. وكان من بين أفراد بيصة الذين تذكرهم الوثائق :

بَيصّة، أحمد بن عبدالرحمن الخبير في شؤون الفلاحة الذي توجه بطلب من السلطان مولاي عبدالرحمن بن هشام إلى عاصمة المملكة حيث كان يعمل في حقول المخزن وبساتين السلطان من سنة 1242 /1827 إلى سنة 1253 / 1838 حيث عاد إلى مسقط رأسه. وفي شهر ذي الحجة من نفس السنة / مارس 1838 أنعم عليه السلطان بمعاش قدره ثلاثون أوقية في الشهر.

بَيصّة، سلام بن العربي جندي كان يعمل بحامية تطوان في نفس السنة.

بَيصّة، فاطمة بنت علي كانت ما تزال على قيد الحياة سنة 1089 / 1678.

بَيصّة، محمد، يوجد منهم ثلاثة: مدفعي بحامية تطوان سنة 1246 / 1830. ومعلم من أرباب المعرفة كان حيا سنة 1282 /1865. وجندي بحامية المدينة سنة 1292 / 1875.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 45 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 300 ؛ 2 : 347 ؛ 6 : 56 ؛ 8 : 214 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

البيض، جرم عضوي يتكون في جسم الطيور

والزواحف والسلاحف وغيرها ويحتوي على جرثومة الحياة التي يتكون منها حيوان من نوعها وجنسها بعد إخصابها.

تتركب البيضة من الغلاف الخارجي الكلسي ومن الغلاف الداخلي الغرقي ومن الآح أو البياض، وهو مائع لزج يخثر تحت الحرارة المرتفعة، ومن المح أو الصفار، وهو سائل أصفر كروي، ومن أربطة المح وهي خيوط دقيقة تبقيه سابحاً وسط الآح. ينتج المغرب أنواعاً عديدة من البيض ويستهلك منه كميات كثيرة.

يتراوح وزن بيض الدجاج ما بين 35 و70 غرام وتزن القشرة الكلسية حوالي 6 غرامات، لونه أصفر أو أبيض حسب الضروب وحسب مكونات تغذية الدجاج. قيمته الغذائية مرتفعة حيث يحتوي على كمية هائلة من السيوليات (Protides) منها الزلال (ألبُومين) الموجود في الآح، والمحي الخاص بالمح. تحتوي هذه الهيوليات على عدة حوامض أمينية أساسية لتنمية الإنسان. يحتوي البيض أيضا على مواد دهنية أغلبها مركزة في المح وعلى العناصر المعدنية كالفوصفور والكالسيوم والفيتامينات D. A وE في المح فقط وB1، B2 وB12 في الآح والمح.

تعطي كل بيضة للجسم حوالي 85 وحدة حرارية وتجعل الإنسان يغطي 10٪ من حاجياته من الحوامض الأمينية. تكمن ظواهر جودة البيض في الغرفة الهوائية التي تكبر كلما زاد البيض في القدم وفي المح الذي يجب أن يكون نصف كروي وليس مسطحا وأن تكون القشرة نقية، ملساء لا تصدر منها رائحة. تتكون البيضة أحياناً بدون قشرة ويرجع هذا إلى خلل في الغدد ويجب تجنب هذا البيض. تعطي الدجاجة المبكرة الولادة بيضا يشمل أكثر من مح واحد ونجد في بعض الحالات بيضا بدون مح ينتج عن بقايا في قنات المبيض تنقسم وتتكون فوقها القشرة.

لعب البيض دوراً هاماً في تغذية الإنسان منذ قدم العصور وخاصة منه بيض الدجاج والبط والإوز ويبيي. كما أنه لعب دوراً اقتصادياً هاماً في كثير من الدول ومنها المغرب.

توجد في المغرب حاليا ما يزيد عن 450 وحدة انتاج صناعية للبيض تنتمي كلها إلى القطاع الخاص وتنتج 650 مليون بيضة في السنة مما يشكل 44٪ من الإنتاج الوطني ويشكل الإنتاج التقليدي حوالي 56٪ أي ما يعادل 740 مليون بيضة سنوياً حسب احصائيات سنة 1991. استهلكت في المغرب سنة 1991 مليار و340 مليون بيضة وانتجب في الوحدات الصناعية ثلاثة ملايين ونصف من فراخ الدجاج.

A. G. Akoka, *Le médical du XXème siècle, Encyclopédie médicale*, Paris, 1980.

مصطفى يعرف والشيخ النواوي

البيضاء، (جامع ـ) ويقال له أيضا جامع الملائكة تقديسا له، يوجد بقبيلة بني حسان على بعد نحو خمسة وثلاثين كيلومتراً من تطوان، أسسه موسى بن نصير عند الفتح الإسلامي أواخر القرن الأول الهجري (7 م)، ويعرف قديما بجامع موسى بن نصير.

يتربع هذا الجامع على ربوة عالية قرب سوق الأربعاء، على مسافة قريبة من قرية بني عمران، وهو مسجد صغير مربع الشكل، طوله نحو خمسة أمتار، وسقفه بالقبو في نصف دائرة، طول محرابه متر ونصف على 70 سنتما عرضا، وهو محكم البناء، بني بالجير والحصى الدقيق (الطابية)، وأرضه حصباء تبدو فيه حفر يقال إن الناس كانوا يدفنون فيه أموالهم عند الفزع، ومن معتقداتهم أن من أخذ منه شيئا لا بد أن يصاب بسوء، ولا يزال الناس يتبركون به إلى الآن، وقد سقط سقف مدخله وتلاشت أبوابه وأصاب الوجه التاريخي منه بعض تلاش، فهو في حاجة إلى الترميم والإصلاح الشامل.

يبدو أنه أدخلت عليه بعض إصلاحات عبر العصور وعلى مقربة منه ثلاث عيون جارية إحداها من جهة الشرق، وتعرف بعين التين، ولعل هذه التسمية جاءتها من كثرة أشجار التين التي كانت هناك، وأخرى من جهة الغرب، وتدعى بعين الحجاج لنزول الحاج بها، وربما كانوا يعتقدون بركتها، وثالثة من جهة الجنوب، وتسمى بعين تطليخات، وتتفق جميعها في المسافة بينها وبين المسجد، بنحو كيلومتر واحد، ويبدو أنها كانت معدة للوضوء.

ظل مسجد ابن نصير أوجامع البيضاء يؤدي مهمته المتوخاة، تقام فيه الصلوات الخمس ويتلى به كتاب الله إلى أن هجره الناس منذ سنين واقتُصر فيه على إقامة صلاة العيدين، ثم أصبح اليوم مهجوراً بالمرة تعوي فيه الذئاب وتؤذن فوقه البوم. «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه».

ومن العلماء الذين زاروا هذا المسجد التاريخي أبو الحسن مصباح (ت 1130 / 1717) مر به وهو في طريقه إلى تطوان عام 1124 / 1712. ويحدثنا في هذا الصدد فيقول: "وقد رأيت مسجدا صغيراً متقن الصنعة، على رأس كدية عالية ـ في جبال بني حسان ـ قرب مدينة تطوان، أجمع أهل ذلك البلد على أنه من عمل موسى بن نصير ...".

ويلاحظ أن هذه التسمية تنوسيت منذ زمان وغلب عليه اسم "الجامع البيضاء" ـ والعامة تؤنث المسجد وهو مذكر، وتحرف اسمه في بعض الوثائق بالدارالبيضاء، وهو خطأ منشؤه إهمال الناس له كمسجد وهجرهم إياه في أوقات العبادة وأيام المواسم والأعياد، حتى ظنه المارة وبعض الجوار البعيدين عنه مطلق دار هناك. وهذا يدل على أن هذا المسجد أصبح مهجورا منذ أزمان، وقد ذكرته أكثر الظهائر التي بأيدي الشرفاء العمرانيين المستوطنين هناك باسم "الدارالبيضاء" ـ باستثناء ظهير المولى أحمد الذهبي ابن المولى إسماعيل، المؤرخ بسنة 1140 هـ فإنه ذكره على حقيقته هكذا: ـ الجامع البيضاء ـ وهو تجديد لظهير والده.

وكأقدم مسجد بالمغرب ـ بعد رباط شاكر بأحواز مراكش ـ بقي تقديسه في ذاكرة الناس حتى اليوم، وقد زاره منذ مائة سنة أو تزيد السلطان المولى الحسن الأول عند

رحلته إلى شمال المغرب يوم الأربعاء 8 محرم عام 1307 /4 سبتمبر 1889.

ع. مصباح، *سنا المهتدي في مفاخر الوزير اليحمدي*، مخطوطة وزان ؛ س. أعـراب، *مجلة دعوة الحق*، س 10 ع 6، 7، 1986 ؛ *مجلة الوثائق الوطنية*، ع 1، مارس 1988.

سعيد أعراب

البيضاء (مدينة ـ) ← الدار البيضاء

البيضان، (أدب ـ)، ليس من شك في أن التعبير الاصطلاحي "أدب البيضان" يرتبط ارتباطا وثيقاً بالتراث العربي الإسلامي لأنه يعيد إلى الأذهان بعض الكتابات المعروفة في أدبنا القديم، منها كتابات الجاحظ على سبيل المثال.

ولكنه، من المؤكد كذلك أن اصطلاح "البيضان" من الكلمات الرائجة والمتداولة بكيفية خاصة في الجنوب المغربي (گلميم ـ طنطان ـ طرفاية) وفي الأقاليم الصحراوية المغربية التي عاشت لفترة من التاريخ تحت الحماية الإسبانية.

وينبغي التأكيد أيضا على انتشار المفردة ذاتها في الديار الموريتانية، التي تعد الينبوع الذي تفجر منه اصطلاحات وتعابير كثيرة انتشرت في الأقاليم الجنوبية المغربية. أما لماذا وكيف ؟ فتلك أسئلة يتطلب الجواب عنها تحليلا مفصلا ودراسة مستقلة تستند إلى المعطيات الجغرافية والتاريخة والاجتماعية والثقافية.

وحسبنا هنا التذكير بالواقع الجغرافي والاجتماعي الذي جعل الأقاليم الجنوبية المغربية انطلاقاً من وادي نون وعاصمته گلميم، مروراً بطنطان وطرفاية وانتهاءً بالأقاليم الصحراوية المتمثلة في الساقية الحمراء ووادي الذهب وحواضرها المعروفة : العيون ـ السمارة ـ الداخلة، ترتبط بمحيطها ارتباطاً وجدانياً و"فنيا". ومن هنا هذه التسمية البيضان (بالحسانية "البيظان") التي تنص على الانتماء العربي من جهة، وعلى الانتماء الإفريقي في شقه الأبيض من جهة ثانية.

وعليه، ينبغي القول إن أدب البيضان هو الفن الذي يتعاطاه الأهالي البيض في جنوب المغرب وصحرائه وهو الفن عينه المنتشر في موريتانيا. لكن التعبير الاصطلاحي يحمل بين طياته مفارقة طريفة، تكمن في كون هذا الفن يقوم أساساً على جهود "الصناع" أو المعلمين أو "إيگاوُنْ" بالتعبير الحساني.

ليس القصد من هذا الخوض في تحليل تاريخي لظاهرة أدب البيضان، بل التأكيد على وجود فن متميز يجمع بين الأدب الفصيح والشعر الشعبي (الحساني) المرتجل أو المصنوع. إن أدب البيضان يعد فعلا فناً متميزاً من نواح مختلفة. فهو يجمع بين الطرب الشعبي لغة وأدوات وجواً وبين مقومات الشعر العربي الفصيح. وهو إلى ذلك يمارس ويزدهر في المناسبات الاجتماعية كالأعراس والأفراح وليالي الأنس ؛ وتتوافر له شروط فنية وطقوس اجتماعية خاصة، كما أنه يخضع لقواعد تعامل وممارسة مضبوطة. فبالإضافة إلى بنيته الإيقاعية والموسيقية المتفردة التي تجعل منه فناً إفريقياً أصيلاً نشير إلى طرائقه الخاصة في الأداء وآلاته البسيطة وإلى الفنانين الذين يمارسونه ويعدون أرباب صنعته.

إن أدب البيضان يعد فناً إفريقياً وثيق الصلات بفن إفريقيا الغربية. فهو يمتح من الموسيقى المالية والغينية والسنغالية منذ عصور، ويرجع ذلك إلى مكونات المجتمع الصحراوي الواسع الذي امتزجت فيه عناصر وفئات اجتماعية منها العرب والبنبارا والصركولي والتكارير ولف السرير وغيرها. ولكن جذوره التاريخية العربية تظل من المعطيات التي لا ينبغي نسيانها، ومنها اليمن تحديداً. من المؤثرات التي فعلت فعلها في هذا النوع من الفن الذي يعد كذلك من نتاج الأحداث الاجتماعية الواقعية (دور أولاد مبارك في ابتكار وتطوير الموسيقى الموريتانية المعاصرة).

وعلى الرغم من انصهار سكان شمال الصحراء وجنوبها في بوتقة واحدة فإن التسمية على الصعيد الفني بقيت تكرس التفرقة بين العرب البيض وبين السود. بل إن الامتزاج الذي حصل على المستوى الاجتماعي أثمر نمطا موسيقيا ثالثا هو لكنيدي الذي يمثل (جانيت أزران) : نصف بيضاء ونصف سوداء. فـ(أجانب الكحل) يرمز إلى السكان السود بينما موسيقى البيضان تمثل العنصر العربي الأبيض.

فأدب البيضان بهذا المعنى هو الأدب العربي الذي يكوِّن الجانب الخاص بالعنصر الأبيض. وهذا التمثيل تأتي مستوى البنية الإيقاعية والموسيقية :

- جانب أكحل منسوب إلى السود.
- جانب أبيض منسوب إلى البيض (البيضان).
- جانب أزرق : نصف أبيض، نصف أسود.

ومن هذه الجوانب تتكون الأنماط الأساسية التي تنشأ من انفعالات الإنسان ومنها : أكحل انتماس ؛ أنوفل ؛ أكحل ملك موسى ؛ أكحال كر.

ومن المعروف لدى المهتمين بالموسيقى عموماً أن الآلات الموسيقية تصنع استجابة للنمط الموسيقي. وهكذا ظهرت "تيدينيت" في أدب البيضان للتعبير موسيقيا وفنيا عن الانفعالات ولتصوير النمط الموسيقي المطلوب، وكل نمط موسيقي يرتبط هنا بفئة اجتماعية محددة. وعليه فأدب البيضان هو أدب الطبقة العربية الإسلامية المنتشرة في الصحراء وربما كان للعزلة التي حاول المستعمر فرضها على القبائل العربية في هذه المنطقة أثرها الإيجابي كذلك في تيسير التواصل بينها وفي تشبثها بتراثها العربي الإفريقي الأصيل. وهو تراث لا يقتصر على الموسيقى وحدها، بل يشمل فنوناً مختلفة من غناء وطرب وشعر وأدب وسمر ورقص، وكلها فعاليات اجتماعية متداخلة ومتكاملة يعبر عنها ويلخصها أحسن تعبير وتلخيص اصطلاح "أدب

البيضان". ولا بد هنا من التذكير بأن أدب البيضان يمثل عنصر وحدة وتضامن بين القبائل العربية التي تنتشر حاليا في الصحراء الكبرى، وبخاصة بين تلك القبائل التي تتحدث بالعربية وباللهجات المشتقة منها (الحسانية) التي يكتب بها الشعر ويُصاغ الطرب.

من أعلام أدب البيضان المعاصرين :

- محمد معروف الرصافي (يشرف حاليا على برنامج في إذاعة العيون).
- محمد بن عبد الرحمن الرباني (يشرف حاليا على برنامج في إذاعة الداخلة).
- محمد عبد الرحمن الشنقيطي المؤذني، ينتمي إلى قبيلة المؤذنين من رقيبات الساحل. وهو أيضا كاتب كلمات بالشعر الحساني.
- مصطفى ولد البن، من قبيلة أيت الحسن. كان يقيم بالقصابي (على بعد عشرة كيلومتر من گلميم) وتوفي منذ سنوات.
- لغظف ولد بوشعاب، من أيت الحسن، يقيم بالعيون.
- الرويجل، من أولاد تدارين، شاعر حساني معروف.
- المحبوبو ولد يارا، من الصناع أي المعلمين.

ومن القدامى يمكن أن نذكر : الشيخ محمد المامي، من أهل بازيكلاً، عالم جليل وشاعر كبير من نواحي أوسرد قرب الداخلة، معروف في الصحراء وفي موريتانيا وله زاوية بها ؛ محمد قاري من أهل محمد سالم، يوجد بالعيون حالياً.

وكثيراً ما يجمع الشاعر الحساني بين قرض الشعر بالحسانية وبين الشعر الفصيح مثل الدرجاوي عبد الرحمن، من قبيلة إداوعلي، فهو كذلك شاعر عمودي.

إدريس الناقوري

البيضان، (تراب ـ)، للإحاطة بمفهوم تراب البيضان يجب التركيز على تباين مكونات المحيط الإيكولوجي فيما يسود لدى مستقري ورحل الصحراء الأطلسية من قيم نابعة من سلم التراتبات الاجتماعية. هذا المنطلق يقتضي الرجوع إلى ما قبل وصول الأعراب المعقليين خلال القرن السابع (13 م) وكان ابن حوقل والبكري وابن سعيد والإدريسي قد وفروا إشارات عابرة عن التقسيمات الهيكلية لفروع إزناگن (صنهاجة) مؤكدين دور الترحال وتربية الإبل في مراقبة المجال منذ ما قبل الاسلام. على أن هذه المصادر تكاد تجهل كل شيء عن دور وكثافة الغور السكاني الأقدم المتمثل في البافور والأحباش مكتفية بالتلميح العفوي إلى شيوع البنيات القرابية الأميسية. ومعلوم أن مراقبة إزناگن للمجال قد أدت إلى تشبث ما تبقى من الغور السكاني الأقدم بالواحات والمحطات التجارية محتكرا بذلك الميدان الحرفي على تعدد مرافقه.

من هنا فإن صعوبة التعرض خلال هذه المرحلة لأهم المفاهيم والتصورات التي كانت تميز الأنساق القبلية لن تحول دوننا والسعي إلى معرفة المعالم المرفلوجية للفصائل المحلية استنادا إلى إشارات الجغرافي ابن حوقل خلال القرن الرابع (10 م) فهو لم يتغافل عن وصف إزناگن ككيان واسع متفرع إلى فصائل بيضاء البشرة تدعي الانتساب إلى أقدم الجدود وفصائل سوداء اللون تقول بدور التمازج والتعايش المكاني في تغيير بشرة أسلافها البيضاء. وبذلك يؤكد الطرفان بأن النسب في معناه الضيق لايعدو أن يكون معطى وهميا وأن حدة الاحساس بالاختلاف مردها إلى المنظور السائد القائم على أفضلية اللون الأبيض. ومهما يكن من أمر هذه المفاضلة، فإن اللون الأبيض يقر من حيث هو كمقياس للتأصل العرقي التباين في التعامل بين البيضان والسودان. وهي مقولة يبدو تأثيرها تاما بقدر ما يسمح بذلك الامتداد الزمني لمصادر أقدم الجغرافيين العرب.

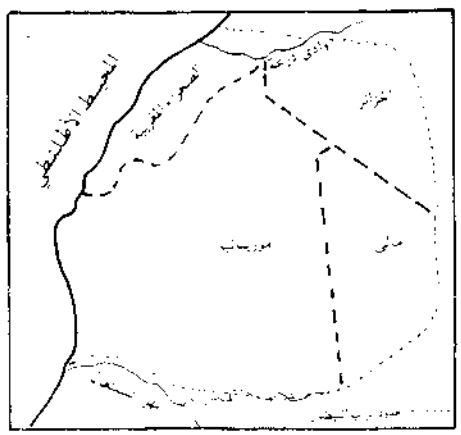

تراب البيضان حتى سنة ١٩٠٠

إلا أن هذه الرؤيا ستفقد طابعها التاريخي عندما تنتقل بأفضلية اللون الأبيض من إطار العلاقات بين إزناگن إلى اعتبارها منذ وصول بني معقل بنية محددة لمجموع الكيان القبلي غرب الصحراء الكبرى. فمع تزايد المد العسكري والسياسي المعقلي ستستند المفاضلة بين البيضان والسودان بشكل متزايد إلى ما يسديه المجتمع الصحراوي من تقدير واعتبار بكل ماله علاقة بالمقاييس اللغوية والثقافية الحسانية. ندرك إذن أنه على ضوء الهيمنة الحسانية التي أصبحت مطلقة منذ القرن الحادي عشر (17 م) لم يعد مفهوم البيضان يفيد أكثر من انعكاسات الامتزاج الصنهاجي المعقلي في إطار الهيمنة الحسانية التي فصلت ماضي إزناگن عن تجربتهم التاريخية السابقة. فهل يمكن القول إذن بأن مفهوم بلاد البيضان يفيد منذ القرن الحادي عشر (17 م) سلطة الحسانية شرق بلاد الطوارق وشمال بلاد الكور (كلمة تفيد افريقيا السوداء جنوب نهر السنغال) وجنوب بلاد السوسيين ؟ هل هذه الصحراء الأطلسية التي يحدها المحيط غربا والأطلس الصغير وسلسلة بانى وواركزيز شمالا والجنوب الغربي الجزائري الممتد جنوب وادي درعة وغرب دولة مالي الحالية إلى حدود نهر السنغال تعرفُ تفاعُلَ وتداخلَ جميع المستويات انطلاقا من وحدتها

اللغوية؟ هنا ومراعاة للخصوصيات المميزة لفئة العبيد وفئات الحراطين وباقي الحرفيين عن باقي الفئات المصنفة بأعلى السلم الاجتماعي من محاربين وزوايا وغيرهما، نسجل أن الحسانية كقاسم مشترك لاتكفي لتعميم صفة بيضان. فالعبيد والحراطين وباقي الحرفيين لايتبنون القيم البيضانية أو يدافعون عنها. وانطلاقا من هذه الملاحظة يمكن ان نتساءل هل مفهوم البيضان قد أصبح يقتضي شرطي الحسانية وبياض البشرة على حد سواء ؟

هنا نسجل أن هذا التصنيف يعد ناقصا مالم نوضح بأن الانتماء إلى الفئات الاجتماعية العليا سياسيا وعسكريا قد يشتمل على فصائل سوداء البشرة وقد يحول دون اعتبار العبيد ذوي اللون الأبيض بيضانا، فنخلص بذلك إلى أن مفهوم البيضان إنما يفرز الفئات الاجتماعية المهيمنة داخل كيان ثقافي لغوي متماسك جغرافيا. ولا أدل على ذلك من أن علاقات البيضان بجيرانهم الشماليين والشرقيين تعد محدودة خلافا لعلاقاتهم مع سودان المناطق الجنوبية المجاورة حيث يتم الاختلاط بشكل قوي ودائم. لذا نعتبر أن مفهوم تراب البيضان يساعد على فهم القوانين الخفية للحياة القبلية ومرتكزاتها بالصحراء الأطلسية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كلمة Maures التي كثر استعمالها منذ سنة 1353 / 1934 قد توظف في ترجمة مفهوم البيضان أحيانا، وقد تشمل مجمل الناطقين بالحسانية أحراراً كانوا أم لا. وإذا كان هذا الخلط ما يزال سائدا لأسباب يطول شرحها، فإنه من باب الخطأ أن يعمم القائلون اليوم بتساوي المواطنين أمام القانون كلمة بيضان على مجمل الناطقين بالحسانية. إن مدى التحولات الممكن حدوثها في هذه الظروف مرتبط إلى حد بعيد بمدى قدرة المحللين على الاحتفاظ لكلمة بيضان بمعناها التاريخي المتطور.

D. Westerman et H. Bauman, *Les peuples et les civilisations de l'Afrique*, Paris, 1948 ; Barry Boubaker, *Le Royaume du Waloo. Le Sénégal avant la conquête*, Paris, 1972 , J. Caro Barroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955 ; I. Hamet, *Chronique de la Mauritanie Sénégalaise*, Paris, 1911 ; Alfred Le Chatelier, *Tribu du Sud-Ouest marocain : bassins côtiers entre Sous et Dra*, Paris, 1891 ; L. Chenier, *Recherches historiques sur les Maures et l'histoire de l'empire du Maroc*, Paris, 1787 ; H. Chevaux, *La mise en valeur de l'Afrique occidentale française*, Paris, 1907 ; P. Christian, *L'Afrique française, l'empire du Maroc et les deserts de Sahara*, Paris, 1909 ; P. Cultru, *Les origines de l'Afrique occidentale : histoire du Sénégal du XVe à 1870*, Paris, 1913 ; O. Lenz, *Voyage du Maroc au Sénégal, B.S.G.*, Mars 1881, 199 - 226 - 371 et sq ; A. Leriche, *Notes sur les classes sociales et sur quelques tribus de Mauritanie, B.I.F.A.N.*, 1955, 173 - 203 ; P. Marty, *Le Sahara espagnol, R.M.M.*, 1921, T. XLVI, 161 - 213 ; R. Mauny, *L'Afrique occidentale d'après les auteurs anciens, Notes africaines*, 1948, n° 40, 6 - 7.

مصطفى ناعمي

البيضاوي، أحمد ولد بمدينة الدارابيضاء عام 1337 / 1918. وبدأ حياته الفنية في أوائل الثلاثينات هاويا، فكان يستظهر أغاني مطربي الشرق كسيد درويش وسلامة حجازي ومحمد عبدالوهاب وأم كلثوم، ومارس العزف على العود متأثرا بتقاسيم وسماعيات المشارقة. وفي عام 1357 / 1938 التحق بالجوق الملكي الذي أسسه جلالة المغفور له محمد الخامس بالقصر العامر وأسند رئاسته للملحن والعازف المصري مرسي بركات الذي كان قد قدم إلى المغرب أيام السلطان مولاي عبدالعزيز.

وفي رحاب هذا الجوق تأتى للبيضاوي، وإلى جانبه زهاء ثلاثين من الفنانين المغاربة الصاعدين كان من بينهم محمد اسميرس وعبدالحميد الطالبي وعباس الخياطي والحسين بالمكي ومحمد القزوي والمكي افريفرا، أن يتلقى قواعد الموسيقى الشرقية ويتمرس بمقاماتها وإيقاعاتها وطرائق أدائها عزفا وإنشادا، فحفظ أدوار الموشحات القديمة ومهر في الضرب على العود، كما لم يفته أن يأخذ بعض "ميازين الآلة" الأندلسية عن المرحوم عمر الجعايدي وهو يومئذ رئيس جوق طرب الآلة بالقصر الملكي. وبذلك كله تجمعت لدى مترجمنا حصيلة من الأنغام ساعدت على شحذ ملكته الفنية، وأهلته ليدخل ميدان التلحين والغناء، ثم ليرأس الجوق الملكي بعد وفاة مرسي بركات عام 1367 / 1947.

وفي أكتوبر سنة 1952 طُلب من أحمد البيضاوي أن يقدم دعمه الفني لجوق الطرب العصري الذي أسسته إذاعة المغرب من عناصر كانت متفرقة في أجواق مختلفة من الرباط وسلا وفاس وسواها فكان يمرن أعضاءه ويمدهم ببعض ألحانه وأغانيه.

وعلى إثر أحداث 20 غشت 1953 توقف نشاط الجوق الملكي وأصاب الجوق العصري بدوره شيء من الفتور، فغاب أحمد البيضاوي عن الساحة الفنية ثم عاد إليها مع بداية الاستقلال عضوا في الجوق العصري ثم رئيسا فعليا للجوق الوطني الذي تم تشكيله عام 1379 / 1959 من عناصر الجوق العصري وجوق المتنوعات.

استمر البيضاوي على رأس الجوق الوطني حتى سنة 1384 / 1964، ليصبح بعدها رئيسا لقسم الموسيقى ومسؤولا عن لجنة الألحان والكلمات في الإذاعة الوطنية، وذلك إلى حين وفاته يوم 30 غشت 1989.

وقد أسهم البيضاوي - إلى جانب ما ذكر - في إثراء النقاش حول واقع الموسيقى المغربية، وذلك من خلال أحاديثه الإذاعية والمقالات التي نشرتها له بعض الصحف والمجلات الوطنية، كما شارك في اشغال المجمع العربي الخامس للموسيقى العربية الذي انعقد بالرباط في أكتوبر سنة 1977.

ومن آرائه في موضوع تطوير الموسيقى المغربية والرفع من المستوى الفني للملحنين دعوته هؤلاء إلى الإقبال على استظهار الألحان الموسيقية الكثيرة والإلمام بقواعد التأليف الموسيقي ومعرفةُ الطبقات الصوتية والاجتهادُ في التوفيق بين الألحان ومعاني الكلمات، وبذلك يتأتى وضع حد للفوضى الموجودة في بعض الألحان المعروضة في السوق، إذ "الإنتاج الجيد لا يصدر إلا عن عقلية مكتملة، واللحن يدل على صاحبه".

ويرتبط الحديث عن أحمد البيضاوي من الوجهة الفنية بنشوء نمط جديد من التأليف الموسيقي بالمغرب اصطلح على تسميته بالموسيقى العصرية. وهو نمط يركب قوالب

الموشحات العربية بأدوارها وخاناتها وقفلاتها، ويقلد التقاسيم والبشارف الآلية، وتعتمد ألحانه على مقامات شرقية كالرصد والبياتي والحجاز، وأوزان من قبيل السماعيات والاقصاق والمصمودي والمحجر تؤدى في إطار مجموعة فنية كانت في بداية العهد بالموسيقى العصرية تحكي نظام التخت المصري الذي يعتمد آلات العود والكمان والقانون والدربوكة.

وفي هذا الإطار ألف أحمد البيضاوي جملة من القصائد والأغاني. وكانت أولى تجاربه في التلحين ـ وهو يومئذ في الجوق الملكي ـ أغنيتان اشترك في تأليفهما مع رفيقه في نفس الجوق عباس الخياطي، هما "يا حياة الروح" و"يا حبيب الروح" وكان ذلك عام 1365 /1946 عند زيارة المغفور له محمد الخامس لمراكش بمناسبة عيد المولد النبوي. وبعد مدة وجيزة ألف البيضاوي أغنية "يا حبيبي أفق" من نظم الشاعر السوري ماهر العطار، فكانت أول إنجاز فني استقل بوضعه واعتبر ذلك منذئذ عملا مبتكرا لم يسبق إليه من قبل.

لحن البيضاوي أكثر من مائة أغنية ومعزوفة، وسجلها بدار الإذاعة المغربية. أكثر هذه الأغاني عاطفية، وبعضها مما وضعه في المناسبات الوطنية. وهي لشعراء متعددين كان أفضلهم لديه الشاعر الأندلسي ابن زيدون الذي لحن من شعره بعض نونيته الشهيرة :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا ... وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وشعراء آخرون فيهم من المشارقة أحمد شوقي وإلياس فرحات وبشارة الخوري وحيدر إمام وعلي محمود طه ووجيه فهمي صلاح، وفيهم من المغاربة محمد بن الراضي ومحمد بن الحسين ومحمد حكم وعلال الفاسي وعلال الخياري.

وقد غنى البيضاوي أكثر أغانيه بصوته ذي الطبقة الصادحة (تينور ـ Ténor) كما أسند بعضها لغيره من المطربين جلهم من المغاربة وبعضهم من الشرق العربي كعبد الحليم حافظ وهدى سلطان وفايزة أحمد وسعاد محمد والمطربة علية.

ومن أشهر أغانيه وأكثرها شيوعاً التي مطلعها :

يا صاحب الصولة والصولجان ... تملّ بالملك وعش في أمان
نظم محمد بن الراضي

قل لمن صَدُّوخانا ... ورمَى عنه هوانا
نظم محمد بن الحسين

يا موطني نلت المرادَ فاسْلم ... فأنت مني في الحشا وفي الدم
نظم محمد بن الحسين

صاحبي لو رأيت ما يملأ القل ... ب من الحب للجمال عشقت
لعلال الفاسي

حبيبي تَعَالَ تجدْ منزلك ... مُعداً كما كان من قبل لك
لإلياس فرحات

وقد تعامل أحمد البيضاوي مع الشعر العربي الفصيح متحاشيا تلحين الأزجال العامية إلا في أغان نادرة ذات لهجة مصرية مثل "مش ممكن أصدّق" و"عن سر دمعي بتسأل ليه"، و"بلد الحبايب". كما تعامل مع القصيدة المطولة من قبيل نونية ابن زيدون، وبردة البوصيري، وموكب الذكرى لعلال الخياري، وبذلك فتح ـ لأول مرة بالمغرب ـ باب التعامل مع الشعر العربي الفصيح خارج أشعار المديح النبوي فيما يعرف بموسيقى المسمعين، وأشعار الصنعات العروضية والموشحة في طرب "الآلة". وتتجلى أهمية هذا التوجه الجديد في كونه أفضى إلى خلق الوعي بالقيمة الجمالية للكلمة العربية الفصيحة، وكذا استحداث مقاييس مبتكرة في انشاد الأشطار وتقطيع الكلمات على نحو يختلف اختلافا بينا عن الأسلوب المتبع في إنشاد صنعات موسيقى "الآلة" و"السماع".

ص. الشرقي، *المستطرف في قواعد الفن والموسيقى*، الرباط، 1972 ص : 83. 87. 95. 99. 113. 119. 127. 158 ؛ *أضواء على الموسيقى المغربية*، ص 184. 186. 188. 190. 191 ؛ أ. البيضاوي، *مجلة الفنون*، الرباط، ع 1 ص 15. 16 غشت 1973 ؛ العددان 5 و6 يناير ـ مارس 1975 ص 9. 12 ؛ ع. شقرون، المرجع السابق، ص 31. 32 ؛ قسم الموسيقى بالإذاعة الوطنية، الرباط، *بطاقة أحمد البيضاوي*.

البيضاوي، بوشعيب. ولد بمدينة الدارالبيضاء، وبها بدأ حياته الفنية في الحلقات الجماهيرية التي كانت تحتضنها ساحة كاريان بن مسيك. وقد تهيأ له أن يتعرف على شيوخ العيطة، وفي مقدمتهم عازف الكمان الشهير المدعو الماريشال قيبُّو الذي كان في فترة الأربعينات والخمسينات من أبرز أعلام الطرب الحوزي وأحد رواده الذين لهم السبق في حفظه والتعريف به، وقد عمل البيضاوي مدة غير قصيرة إلى جانبه ناشئا متعلما، فاستفاد من محفوظاته وأخذ عنه أصول هذا الفن.

ثم التحق بالمجموعة الكوميدية للبشير العلج. وهي فرقة كانت تجمع في عروضها الفنية بين الفكاهة والتمثيل والغناء، فعمل طويلا في إطارها مغنيا وراقصا، ومن ثَم اعتبر صنيعُه هذا امتداداً لصنيع الفنان المغربي الراحل بوجمعة الفروج الذي ظل حتى الأربعينات يضطلع بتمثيل الأدوار الفكاهية الشعبية كأدوار عبيدات الرما.

لم يلبث بوشعيب البيضاوي إلا قليلا حتى انتشر ذكره في مدينة الدارالبيضاء فاحتضنته الحفلات العائلية، واشتهر فيها بتقليد دور المرأة، فكان يرتدي زي النساء ويصطنع في غنائه الطبقة النسوية، وهو تقليد تنامى في الأوساط العمالية التي أفرزتها مدينة الدارالبيضاء والتي تُمتُّ في غالبيتها إلى أصول بدوية منحدرة من أقاليم الشاوية وعبدة ودكالة. ومما كان يتميز به صوت بوشعيب البيضاوي على مستوى الأداء لثغة جمعت إلى طلاوة الحضر رنة بدوية تخنقها حشرجة صوتية مصطنعة، وخاصة في أدواره الكوميدية. غير أن تقليده للمرأة في أداء العيطة لم يسلم من نقد بعض الكتاب الذين رأوا في ذلك ما أساء إلى العيطة ووقف دون تطورها.

وقد فتحت له دار الإذاعة الوطنية أبوابها فتهيأ

لأعماله الفنية أن تشق طريقها إلى أسماع الجماهير المغربية الواسعة من خلال السكيتشات الهزلية التي كان يعالج فيها بعض القضايا التي تعكس حياة الناس وخاصة في المجتمع العمالي بالدارالبيضاء، وإلى جانبه فنانون آخرون فيهم القدميري وبوشعيب ازنيكة والبشير العلج. وكان يقدم برنامجه الأسبوعي في صباح كل يوم أحد ضمن مسلسل إذاعي اختار له اسم "اضحك معي" وهو برنامج استمر قائما ثم توقف أواخر فترة الحماية ليعود من جديد إلى الظهور بعد الاستقلال.

كان بوشعيب البيضاوي بحق أحد مجددي الأغنية التمثيلية الشعبية بالمغرب الحديث، وظف العيطة التقليدية في طرح الموضوعات والقضايا الاجتماعية التي كان يتخذها محاور لعروضه الفنية في الحفلات العائلية والبرامج الإذاعية، وأفرغها في إطار مبتكر جمع إلى طرافة الفكرة حيوية التقديم الذي يجمع بين التمثيل والرقص والغناء، وبذلك جاءت أعماله لتكرس أسلوب القص الممزوج بالغناء، ثم لتغنيه بصنوف من المستملحات التي كانت تهيمن عليها ظاهرة الارتجال المحبب وتضفي على العيطة سمات التدفق والحيوية بما يجعلها موضع حفاوة كبرى في الأوساط الشعبية، تملأ على الناس أسماعهم وتستقطب اهتمامهم، في وقت كان للأغنية العصرية انتشار واسع لا يكاد يضاهى.

وإلى ذلك سلك بوشعيب البيضاوي مسلك بعض من سبقوه إلى ممارسة التغني بالعيطات، فكان - على غرار الفنان الراحل بوجمعة الفروج - يضيف إلى كلماتها الأصلية كلمات أخرى من نظمه، يغني بها الموضوع ويقوي مضامينه وينتقل به إلى مستوى الأحداث الواقعية، ليؤكد بذلك أن العيطة ما تزال قادرة على مواكبة الأنماط الموسيقية الأخرى وإن تكن بنيتها من الوجهة اللحنية والإيقاعية ضاربة في عمق التقاليد الموسيقية التراثية.

وكما أسهم البيضاوي في تجديد العيطة من حيث الموضوع وطريقة الأداء فكذلك أسهم في تطوير المجموعة الفنية التي تمارس أداءها، وذلك بإدخاله آلة العود التي أصبح لها مكانها من بين آلات العيطة التقليدية كالتعريجة والهندقة والگنبري.

ومن هنا يرى البعض أن الحياة الفنية لبوشعيب البيضاوي شكلت فترة ازدهار فن العيطة بالدارالبيضاء. وهو حدث لا مراء في أن الطبقات الشعبية المنحدرة من أحواز هذه المدينة بحثا عن الشغل ساهمت في صنعه وبلورته، غير أن المنية عاجلت بوشعيب البيضاوي، فاختفى برنامجه الإذاعي، واختفت معه الممارسات التي ابتدعها في أداء العيطة. وزاد في تقليص تلك الممارسات أن العيطة بدأت تستعيد مكانتها في أحواز الدارالبيضاء وبخاصة سطات حيث برزت أسماء نسائية أصبحت تضطلع بإنشاد العيطات على النحو التقليدي دون الرجال.

وبعد حياة حافلة بالعطاءات، توفي بوشعيب البيضاوي يوم 24 محرم عام 1385 / 25 ماي 1965 ليخلف مجموعة من الأغاني والعيطات جلها مسجل بالإذاعة الوطنية، فمن أغانيه : أغنية "الشيباني" وأغنية "غاب علينا"، ومن عيطاته : "ركوب الخيل، دادا حبيبتي، دابا يعفو دابا يتوب، دابا تجي الحبيبة، أيامنا، خوتنا يا الاسلام، عينيك جابو الهوى، اميلودة، الزين، العار العار، أجيني يا لوليد، علاش تعذبني، عيطة بيضاوية، عيطة وطنية، تعريضة، منين أنا ومنين أنت".

أ. الطيب العلج، *مجلة الفنون*، السنة الثانية، العدد 5، 6، محرم - صفر 1395/ يبراير - مارس 1975 ص 125 ؛ م.الباشا، المرجع السابق. ص 85 ؛ م. بنعيسى العبدي، *جريدة العلم*، في 15 يناير 1989.

البيضاوي، المعطي من مواليد مدينة الدار البيضاء. شب على حب الموسيقى منذ نعومة أظفاره، فانكب على حفظ واستظهار الأغاني الشرقية من موشحات وأدوار وغيرها، وأقبل بولع كبير على آلة العود يتعلم العزف عليها متأثرا بطريقة المشارقة. وليس بعيدا أن يكون قد استفاد من سماع بعض الفنانين المشارقة الذين حلوا بمدينة الدار البيضاء خلال الثلاثينات والأربعينات وعملوا في مقاهيها وأنديتها الليلية، فأخذ عنهم الموشحات والأدوار والقصائد والسماعيات الشرقية.

وفي إطار جهوده الفنية عمل في بداية الأربعينات على تأسيس جوق للموسيقى العصرية بمساعدة الفنان المختار المذكوري، أطلق عليه اسم "جوق الكواكب"، وكان ذلك الجوق ثاني مجموعة فنية تهتم بالموسيقى العصرية في الدار البيضاء بعد "جوق الميتم" الذي كان يرأسه يومئذ الفنان محمد زنيبر.

وقد حذا المعطي البيضاوي حذو غيره من رؤساء الأجواق العصرية بالمغرب في تقليد المشارقة، فكان يُفرط في أن تكون مجموعته صورة من التخت المصري، بدءاً بعدد الفنانين وأزيائهم ونوع آلاتهم وطريقة أدائهم عزفا وغناء، وانتهاءً بوضع المجموعة أمام الجمهور. وفي هذا الجو المفعم بالروح الشرقية أقبل المعطي البيضاوي على تلحين المنظومات الشعرية الفصيحة من أغان وقصائد. ولم تمض إلا مدة قليلة حتى شاع ذكره في المحافل، فكان أن دعي جوقه للمشاركة في مباراة وطنية للموسيقى العصرية احتضنتها مدينة فاس في بحر سنة 1949 إلى جانب أجواق أخرى من مدن الدار البيضاء والرباط وفاس.

وفي سنة 1953 التحق بإذاعة المغرب بالرباط، فعمل ضمن الجوق العصري عازفا على العود لفترة من الزمن، ثم انقطع ليعود إلى الدار البيضاء، وما فتىء أن أسندت إليه رئاسة الجوق الجهوي للإذاعة بهذه المدينة مع حلول عهد الاستقلال.

غنى المعطي البيضاوي أكثر ألحانه وكان يملك صوتا أميل إلى الطبقة الصادحة (تينور- Ténor)، كما غنى له مطربون مغاربة من بينهم نعيمة سميح، وسعاد محمد.

وإلى جانب ما لحنه المعطي البيضاوي لنفسه ولغيره أشرف على تسجيل مجموعة من الأغاني لمطربين آخرين بإذاعة الدار البيضاء الجهوية، وظل رأس جوق هذه الإذاعة حتى وفاته يوم 9 ربيع الثاني عام 1397 / 31 مارس 1978 عن سن تقارب الستين.

ومن أشهر أغانيه المسجلة :

قصيدة راحة وعذاب و"يا خالي البال" التي نظم كلماتها الفكاهي البشير العلج. "أنشودة المدى"، "يا نائما"، "قلب جمالك". وهذه الثلاث من شعر ابن زيدون. "الحب الوحيد" من نظم محمد الاشعر، "يا هذه الحيرة" من نظم أديب السلاوي" أيام الود" من نظم إدريس المصلوحي.

يعتبر المعطي البيضاوي من المطربين المغاربة الأوائل الذين أسهموا في التمكين لأسلوب "الموسيقى العصرية" بالمغرب. وفي هذا الصدد ألف مقطوعات متعددة نهج في تلحينها مسلك الفنان أحمد البيضاوي، فكان يبالغ في تقليده لدرجة يحق اعتباره صورة ثانية له.ولولعه في تقليد أحمدالبيضاوي بقيت جل أعماله خالية من التجديد والتنويع مفتقرة إلى الحيوية، وغلب عليها التكرار والتماثل. وهو - على غرار أحمد البيضاوي - قصر ألحانه على الأشعار الفصيحة، فلم يلحن الأزجال قط، ولم يدخل غمار الأغنية الشعبية.

عبد الله شقرون، *مجلة الفنون*، يبراير - مارس 1975 صفحة 34 ؛ صالح الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية* - مطبعة فضالة 1977، ص : 183 و189 و192 و196 و203، قسم الموسيقى بالإذاعة الوطنية - الرباط، *بطاقة المعطي البيضاوي*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

البيضة، أو البويضة، مرسى تقع بناحية واد نون بالقرب من مصب وادي درعة بين مرسى أصاكا شمالا ومرسى سهب الحرشة جنوباً ؛ وقد سميت بالبيضاء لبياض رمالها الشيء الذي جعل الإسبان يطلقون عليها اسم Playa Blanca (الشاطئ الأبيض).

وقد ورد ذكرها في الوثائق المخزنية للمرة الأولى في مذكرة حول المعلومات التي أدلى بها قواد ناحية وادي نون بمراكش يوم فاتح ربيع الأول عام 1295 / 5 مارس 1878، وفي المرة الثانية في المذكرة التي أعدها القائد دحمان بن بيروك التكني بمراكش يوم 20 شعبان عام 1303 / 24 ماي 1886، كما ورد ذكرها للمرة الأولى في المصادر الأجنبية عند الجغرافي الإسباني فيرناندیث دورو في دراسة نشرها *بمجلة الجمعية الجغرافية* بمدريد في شهر مارس سنة 1878.

م. ابن عزوز حكيم، *السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية*، الجزء الأول، الدار البيضاء 1981، صفحة 93 و119.

P. Alcala Galiano, *Desquerias y comercio en la costa N.O. de Africa*, Madrid, 1900, p. 112 ; C. Fernandez Duro, *Exploracion de una parte de la costa noreste de Africa*, *Boletin de la Sociedad Geografica de Madrid*, marzo 1878, año III, n° 3, p. 112.

البيضة، مرسى تقع جنوب الرأس الأكحل وبها يوجد مصب وادي شاميل، وتعرف عند الإسبان بمرسى كورّيي Gorrei.

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 82; I. Carnero Ruiz, *Vocabulario geografico-saharico*, Madrid, 1955, p. 84 - 184.

البيطار، أسرة أصلها من شفشاون كانت بتطوان إلى حدود سنة 1236 / 1821 حيث انقرضت، وكان من بين أفرادها محمد بن الحاج بوبكر معلم خبير في شؤون البناء من أرباب البصر يعتمد عليه القاضي في النزاعات التي لها علاقة بالبناء والشؤون العقارية توفي سنة 1229 / 1814.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

البيطار، علي بن يوسف الأندلسي الأصل، من خواص أصحاب الشيخ أبي المحاسن الفاسي، كان "يقيم أكثر نهاره عنده ويرافقه إذا خرج للمسجد الجامع وغيره". (*مرآة*، 232) وقد انتفع بالشيخ أبي عمرو القسطلي بمراكش وأخذ عنه طريق التصوف وصحبه واهتم برواية أخباره. ولم يتصل بالشيخ أبي المحاسن إلا بعد وفاة شيخه القسطلي سنة 974 /1566. ولم تفصح المصادر عن تاريخ هذا الاتصال هل تم في القصر الكبير قبل انتقال الشيخ أبي المحاسن إلى فاس، أما بعد استقراره بها سنة 988 / 1580 ؛ ولكنها تؤكد مبلغ العلاقة الطيبة التي جمعته بأسرته، وكثرة تردده إليه حتى عد من خاصته وأصبح مرافقه في الصلوات - ولا شك في حضور حلقات الذكر وترديد الأوراد التي رتبها لمريديه - كما أنه سهر إلى جانبه في مرضه الأخير وكان من أول من دخل عليه بعد وفاته وأشرف على تجهيزه ودفنه.

ميزت شخصية البيطار سمات الصلاح، فهو رجل كثير الذكر، مجتهد في العبادة، صلب في الدين، صادق اللهجة، قوال للحق، صبور أمام ملمات الدهر "أصيب في الوباء بجميع أولاده فما تأثر بشيء من ذلك ولا نقص شيء من بشره المعتاد" (*مرآة*، 232) كما أنه شارك في خدمة طلبة الزاوية وتكوين أبنائها، فقد حظي بالرتبة الثامنة عشرة ضمن لائحة مشيخة الشيخ محمد العربي الفاسي الذي جالسه وسمع منه كثيرا من رواياته وأخبار شيوخه السابقين. وإذا كانت الترجمة التي خصه بها لا تفي بإعطاء صورة عن تكوينه العلمي فإن حرصه على السماع مستوفية لشروط الضبط والدقة.

توفي علي البيطار سنة 1014 / 1606. ودفن داخل سور روضة الشيخ أبي المحاسن.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، 232 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. القادري، *الاكليل والتاج*، مخطوط.

نفيسة الذهبي

بيطانكور خوان، Bethencourt, Juan de بحار

نورمانذي وُلد ببلاد كو Caux شمال فرنسا سنة 1360م؛ وبحكم انتمائه إلى عائلة نبيلة كان من جملة ضباط الحرس الملكي ثم ارتقى إلى درجة حاجب الملك شارل السادس Charles VI، غير أنه عندما ضاعت منه ثروته هاجر بلاده بحثا عن أرض تمكنه من استرجاع ثروته.

وفي شهر ماي سنة 1402 غادر بيطانكور فرنسا صحبة صديقه گارديفير دو لاصال Gardifer de la Salle ونحو مائتين من المغامرين على متن سفينة وصلوا على ظهرها إلى جزيرة لانثاروطي Lanzarote إحدى الجزر السبع التي تكوّن أرخبيل الخالدات، إلا أن بيطانكور لم يتمكن من احتلال سوى جزء من الجزيرة المذكورة لعدم توفره على المال الكافي لأداء أجور المغامرين الذين رافقوه. فاضطر إلى اللجوء إلى ملك قشتالة إنريكي الثالث Enrique III الذي منحه إعانة مالية مهمة تساعده على متابعة "فتح" باقي الجزر الخالدات مقابل الاعتراف له بالسيادة على الجزر المذكورة.

ورغم ذلك لم يتمكن بيطانكور من الاستيلاء إلا على ما تبقى من جزيرة لانثروطي Lanzarote سنة 1404 وعلى جزيرة فويرطي بينطورا Fuerteventura سنة 1405. وتشهد الوثائق الإسبانية بأن المغامر كان يقتل السكان الأصليين الذين يقفون في وجهه، ومن يسقط منهم أسيرا بيده يبيعه في أسواق العبيد بقشتالة، الشيء الذي حال دون تمكنه من الاستلاء على باقي جزر الأرخبيل فاضطر إلى مغادرته تاركاً هناك ابن أخيه ماثيوط ذي بيطانكور Maciot de Bethencourt. وتوجه إلى اشبيلية، ومنها إلى روما ثم فرنسا حيث توفي سنة 1422.

والجدير بالذكر أن احتلال الجزر الخالدات باسم ملك قشتالة جعل الملكة إيسابيل الكاتوليكية Isabel la Catolica تطمع في الأرض المغربية المجاورة حيث أمرت ببناء برج أطلق عليه اسم سانطا كروث ذي ماريكينيا Santa Cruz de Mar Pequeña (الصليب المقدس للبحر الصغير) بمكان قريب من مصب وادي الشبيكة بناحية واد نون وذلك سنة 1476 م.

D'Avezac, *Note sur la première expédition de Bethencourt aux Canaries*, Paris, 1846 ; *Enciclopedia Espasa-Calpe*, VIII, p. 509 ; G. Gravier, *Les Canaries : Livre de la conquête des Canaries, 1402 - 1422*, Rouen, 1874 ; Rumen de Arnas, *Spun en el Afric Atlantica*, Madrid, 1957 ; Spasa Calpe ; T. Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni*, Madrid, s.f.

محمد ابن عزوز حكيم

بيطري، أكيلي Petri Achelle تاجر إيطالي واسع النشاط استوطن طنجة سنة 1884 وظل ساكنا بها إلى ما بعد سنة 1911. كان من أبرز الشخصيات بالجالية الإيطالية، ومن الملاكين العقاريين، استعان به المخزن في عدة مناسبات، منها تهدئة إسبانيا بعد أحداث مليلية سنة 1893، وأنعم عليه بعدة امتيازات.

مصطفى بوشعراء، *الاستطيان*، 2 : 583 - 585.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 4 : 124 (3) ; *Archives marocaines*.

بيطون، تشارلز ألفريد Payton, Ch. Alfred تاجر إنجليزي استوطن الصويرة سنة 1877 وصار قنصلا لبلجيكا ولبلاده حتى سنة 1885 ثم عين سنة 1893 قنصلا بجنوة وكان مكاتبا لبعض الجرائد، وله تقارير تجارية عن المغرب.

م. بوشعراء، *الاستيطان* 3: 1078.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 152.

مصطفى بوشعراء

البَيْعة، اسم مصدر فعله بَايعَ، ويعني تعاقداً بين الأمة ومن يتولى أمرها أو سيتولاه في المستوى الأعلى. وأصل اللفظ من فعل باع، لأن العرب كانوا إذا تبايعوا في صفقه تجارية، ضرب كل من البائع والمشترى على يد صاحبه كتعبير عن انعقاد الصفقة. ولا يزال هذا العرف جاريا حتى الآن في كثير من الحالات بالمغرب وخارجه. وفي البيعة الدينية كان الرسول ـ عليه السلام ـ يصافح المبايعين، وبينهم من يقبل يده. أما بيعة النساء فتتم لفظا دون مصافحة.

وجرت العادة بأن تكون البيعة بالمغرب خاصة وعامة كما هو الشأن في غالب البيعات الإسلامية. تسبق الخاصة العامة، ويحضرها قواد الجيش وزعماء القبائل وشخصيات الدولة. وفي المقدمة الأمراء والعلماء، فالأولون حسما لما قد يحدث من انشقاق ببيعة أحدهم بعد الاتفاق المبدئي على آخر. أما العلماء فهم يحررون صيغة البيعة ليطلع عليها ويوقعها الخاصة. وأما البيعة العامة فتكتب هي أيضا على صعيد الأقاليم أو تحرر صيغة واحدة توزع على المساجد وتقرأ على الحاضرين إما يوم جمعة أو غيره مع النداء بذلك في الأسواق والأحياء. وعلى شخصيات كل إقليم أن تقدم بيعتها حضوريا أيضا إلى أمير الجهة أو عامل الإقليم. وعدم حضور جلة العلماء أو غالبهم في البيعة قد يؤدي إلى الطعن فيها، وبالتالي إلى عدم استقرار البيعة لشخص واحد.

ويشترط في المبايع أن يكون مسلما ذكرا مكلفا تؤهله المواصفات العلمية والدينية والعدالة التي تقتضي أن لا يكون موضع طعن من الأمة في أخلاقه واستقامته وأمانته

وأهليته العامة. ولم يحدث أن بويعت بالملك امرأة بالمغرب، ولو أن عددا من الأميرات وزوجات الملوك عرفن برجاحة عقلهن وحتى بتأثيرهن على ولاة الأمر من أزواجهن أو في أوساط المخزن عموما.

وكل أنظمة الحكم التي تعاقبت بالمغرب منذ الفتح الاسلامي احتاجت إلى جهود بشرية وعسكرية قوية إلى جانب الجهود السياسية التي تتصدى لتقبيح النظام القائم وتحسين النظام الذي سيقوم. وقد اختلفت الألقاب الأساسية التي حملها عاهلو كل نظام حسب طموحاته. فالأدارسة بويعوا كأئمة، ولم يتخذ أحدهم لقب أمير المؤمنين مراعاة لوحدة الخلافة ولو في انتظار ضعف الخلافة العباسية، لكن كان ضعف الأدارسة أقوى من ضعف العباسيين منذ القرن الثالث (9 م). واتخذ ملوك المرابطين لقب أمير المسلمين مع بيعتهم للعباسيين، وبذلك كان المغرب يعترف شعبا ودولة بخلافة العباسيين عن طريق ملوك المرابطين. وأضاف المرينيون إلى لقب أمير المسلمين لقبا آخر هو السلطان اقتباسا من السلاجقة. بينما سرى لقب أمير المومنين لدى المرينيين منذ أبي الحسن، ثم لدى السعديين والعلويين. لكن الموحدين فرضوا بيعتهم كخلفاء بينما سرى لقب السلطان لدى السعديين والعلويين استمرارا للإجراء المريني وتوقيرا للخليفة العثماني ولو أن هناك مسألة الانتماء إلى البيت النبوي بالنسبة للأشراف الذين زكيت بيعتهم على هذا الأساس بشكل أو آخر إما بعدد من أقطار إفريقيا الغربية أو جزئيا ومؤقتا بالمغرب الأوسط إلى جانب المغرب الأقصى.

وإذا كانت مبادرة الدعوة إلى البيعة تأتي عادة من شخصيات البلاط والعلماء فإنها كانت مباشرة من إدريس الأول عند تأسيس دولته، كما يبدو ذلك واضحا في وثيقة تضمنها تأليف لعبد الله بن حمزة الزيدي. وهي وثيقة لا تدعو إلى بيعة صاحبها فحسب، بل تقدم بيانا وافيا بمبررات البيعة السياسية والاجتماعية التي يرغب مؤسس الدولة في سلوكها. ثم إن البيعة لا تتم بالضرورة في العاصمة، فقد تتم بعيدا عنها لا سيما في ظروف نشأة الدولة أو عند وفاة الملك في ظروف حرب أو عمليات تهدئة، ثم توسع قاعدتها انطلاقا من العاصمة وممثلي الأقاليم. ويحضر البيعة عادة جملة من الكتاب والشهود وسائر من تقدم ذكرهم.

وابتداء من الدولة الموحدية تميزت البيعة بمجموعة من الإجراءات الطقوسية التي تضفي عليها أبهة قد تزيد أو تنقص حسب الفترات. فهناك إجراءات لاستقبال الوفود التي قد يقوم رؤساؤها بإلقاء خطب تؤكد ولاءهم وبيعتهم للعاهل. وربما ألقيت قصائد بالمناسبة. ومع البيعة قد تتخذ إجراءات اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية، مثل تخفيض الجباية وتسريح السجناء وعزل ولاة وتعيين آخرين، لكن قد يعتقل بعض أمراء الأسرة الحاكمة توقعا لاحتمال تمردهم.

وليست كل بيعة إجماعا كاملا ولا كافيا. فقد يحدث أن ترفض البيعة جهات يمكن أن تنشئ حكما محليا أو إمارة مستقلة. كما هو الشأن عند ضعف الموحدين (إمارة بني العزفي، بنو مرين بالشرق والشمال الشرقي، بنو يدر بالسوس والصحراء المجاورة). وقد تقوم بيعتان بانشطار المملكة بين عاهلين اتفقا قصدا أو لم يتفقا، كاتفاق المرتضى الموحدي مع يعقوب المنصور المريني، وكاتفاق أحمد الوطاسي مع أحمد الأعرج السعدي. والبيعة في جميع الأحوال تكتسب قوة شرعية بحسب الكثافة السكانية التي تساندها والموقع الاجتماعي والسياسي للحيثيات التي ترتضيها. ويعتبر ولاء القبائل للعاهل الجديد أو القائم بمثابة إقرار كلي بسيادة الدولة التي هو رمزها وممثلها على التراب الذي تعيش عليه هذه القبائل. ولذلك فإن المغرب قدم ملفا ضخما إلى محكمة العدل الدولية بشأن نزاع الصحراء الغربية، وتضمن هذا الملف مآت وثائق البيعة وظهائر التوقير وغير ذلك مما يربط قبائل المنطقة وترابها بالسيادة المغربية، وصدر قرار هذه المحكمة الدولية في أكتوبر سنة 1975، بتبعية هذه القبائل للمغرب وولائها التاريخي لملوكه، ولو أن القرار ينص أيضا على تبعية بعض القبائل للمجموعة الموريتانية. غير أن موريتانيا نفسها ارتبطت بالسيادة المغربية حتى وقوعها في يد الاحتلال الفرنسي، وبقي زعماؤها على ولائهم للعرش المغربي إلى حين تخلي فرنسا عن هذه البلاد سنة 1960.

وقد يحدث أن تتجدد البيعة لنفس العاهل بمبادرة منه، وتأكيدا لولاء الأمة وإجماعها قدر الإمكان، وربما لظروف سياسية جديدة، كتجديد البيعة لأبي يعقوب الموحدي بوصفه خليفة لأنه لم يتخذ هذا اللقب إلا بعد أربع سنوات من ولايته. وهناك صورة حديثة من تجديد البيعة سنويا عن طريق حفل الولاء الذي خصص له عيد العرش، ويحضره ممثلو سكان الأقاليم وولاتها.

ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، (الموحدون) تح. مجموعة من الباحثين ص. 83-98 ؛ مؤلف مجهول، *تاريخ الدولة السعدية التاكمدارتية*، ص. 40، تح. ج. كولان، الرباط، 1934 م ؛ ع. الكتاني، *التراتيب الإدارية*، 1، 222-224، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت) ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ثلاثة أجزاء (الفصول المتعلقة بانظمة الحكم)، الدار البيضاء 1405 / 1984م ؛ وزارة الأوقاف المغربية، *البيعة والخلافة في الإسلام* (3 أجزاء)، الرباط، 1405 / 1986 م.

إبراهيم حركات

البيعة، La Synagogue ويسميها المسلمون بالمغرب "جامع اليهود" في حين يسميها اليهود "صْلاة" جمع صْلوات - بسكون الصاد مفردا وجمعا - إلا أن يهود دبدو والمغرب الشرقي والجزائر يسمون البيعة شْنوغة، بسكون الشين، وقد دأبوا في ذلك دأب يهود مدن شمال المغرب خلال القرن التاسع عشر، وهي اللفظة ذاتها التي يتداولها عرب الأندلس.

من ثم فإن يهود إسبانيا ومَن خَلَفَ من بعدهم من الذين أقاموا بتطوان وطنجة والقصر الكبير ومدن أخرى بعد إخراجهم من الفردوس المفقود سنة 1492، حافظوا على كلمة esnoga في لغتهم، العامية (حاكيتية Hakitiya) وهذه الكلمة مشتقة من اللفظة اليونانية (سينگوگا sinagoga) التي تعنى الجمع والجمعية وهي كذلك ترجمة للفظة العبرية الكنيسيت التي تعني الجمع الخاص بالصلاة.

ولعل المعبد بهذا المدلول تقرر إنشاؤه بعد نزوح العبريين إلى بابل على اثر تدمير المعبد الأول الذي كان بالقدس (587 ق.م) ورغم تدشين معبد ثان فان التقاليد جرت مجراها وأخذ يترتب عنها بناء بيع متعددة حتى في مدينة القدس نفسها.

تعد بعض البيع فقط من الممتلكات الجماعية والأوقاف (هيقديش = heqdech) وأغلبها أملاك خاصة يتوارثها ذوو الفروض شيعا، ذلك أن بناء هذه المؤسسات كثيرا ما يتم بقرار فردي من طرف بعض المحسنين (مسْوة = misswa) من ذلك أنه يمكن لصاحب عمارة ان يوقف قاعة كبرى في مبناه على العبادة، فيجهزها لهذه الغاية، ثم يتبرع بأشياء نفيسة ومقدسة أو بأسفار التوراة مثلا أو بما يصلح للتزيين، وهي أشياء تبقى مع ذلك ملكا له ولأسرته ؛ وقد تجرى نفس العملية في عمارات أخرى حيث يكتري شخص أو أشخاص مكانا يحولونه إلى بيعة، أو تأتي طائفة دينية فتكتري شقة وتحولها إلى صلاة ؛ وهكذا نجد بعض البيع تنتسب إلى مؤسسها أو إلى أسرة ما، مثل صلاة روبين بفاس وشنوگة حزان وشنوگة برديگو بالعرائش، وغيرها... إلا أننا أخذنا نشاهد في السنوات الأخيرة بيعا تحمل اسماء مقتبسة من التوراة، كبيت الله، كما هو الشأن ببيعة تقع بالدار البيضاء (نعيم زميروت، أناشيد دينية جميلة = Ne`im Zmirot, Cantiques agréables).

كان المحسنون عمليا وواقعيا يساهمون في الإنفاق على البيَع، عن طريق البَيْع بالمزايدة لأعمال تشريفية، كالعناية بالأسفار من حيث ترتيبها وتوزيعها على القارئين ثم جمعها، وتنظيم تلاوة التوارة مع اختتامها. وتستغرق مدة هذه الأعمال ستة أشهر يعبر عنها بكلمة اسبانية هي "ثامبورادة"، أي الفصل ثم تعرض للمزاد العلني مرة أخرى، وقد تنظم كذلك بمناسبة بعض الأعياد. وتسمى هذه العملية أيضا في اللغة الدارجة المغربية "بيع الرينتة" وهي مفردة إسبانية ـ رينتة تعنى الريع والربح العائد ـ ويطلق عليها كذلك اصطلاح "بيع المسووت" ـ بيع الحسنات ـ علاوة على هذا تتلقى البيع أيضا هبات نقدية بالمناسبات، غير أن هذا الأسلوب أخذ يتطور ليحل محله نظام الانخراطات، كل حسب إمكاناته المادية.

يسير شؤون البيعة، بصفة عامة، حبر يطلق عليه لقب "شلياح صبور" يساعده مستخدم يحمل لقب "شماش" تتلخص مهامه في الصيانة والتنظيف، ويعمل الرجلان تحت إشراف شخص ثالث يسهر على التسيير العام، يحمل لقب بارناس. وتجدر الإشارة إلى أن الثلاثة يعملون تطوعا بالمجان.

النشاط الديني أو القداس الالهي : تشتمل صلاة اليهود في البيعة على حركات وترتيل مقاطع من الزبور وعلى قراءة نصوص يتلونها قياما وفرادى، وتسمى "عميد". أما الصلاة الجماعية فلا تتم إلا إذا توفر لها نصاب من الحاضرين لا يقل عن عشرة أشخاص (منيان). توجد في الديانة اليهودية ثلاث صلوات مفروضة في اليوم: صلاة الصباح وتسمى "شحريت" ويعبر عنها العوام بـ "تفلة" وصلاة الظهيرة، "منحة" ثم صلاة العشية، "عاربيت".

ليست هذه الصلوات موقوتة إذ يمكن تأديتها قبل أوقات العمل الإداري وغيره، ويمكن تطويلها وتمديدها أيام الأعياد والعطل بتلاوة (بيوتيم) أو بخطبة (دراش) وبهذه المناسبة قد يحضر الصلوات أحد المنشدين "پيتان" لمقاطع دينية، ويمكن توجيه دعوة الحضور إلى امرأة لتزغرد خلال الإنشاد. ويختتم حفل الصلاة بتلاوة التوراة صبيحة الإثنين والخميس والسبت صباحا وعشية.

البيعة دار جماعية : لايقتصر دور البيعة في الحياة الجماعية اليهودية على الدين وإنما يتعداه إلى نشاط اجتماعي، لان البيعة كانت قديما مقرا لاجتماعات هيئة الأعيان والربيين الذين يسهرون على شؤون الملاح، كما أن الاجتماعات الهامة والعامة التي تتمحور حول قضايا المجتمع اليهودي، المدنية والدينية، كانت تعقد في البيعة الكبرى بكل مدينة، وتحتضن كذلك المحاضرات التي يلقيها الربيون الزائرون، والدروس ذات المستوى العالي لطلبة التلمود والدرشات الدينية التي يحضرها من أراد مهما كان مستواه وسنه، وكل ذلك بالطبع، خارج فترات الصلوات.

وكانت البيعة كذلك، قبل إحداث المدارس العصرية، مقرا للتعليم العتيق، شأنها شأن "المسيد" عند المسلمين، والذي كانت عامة اليهود تسميه أيضا "الصلاة".

الهندسة والأثاث : لا يمكن الحديث عن الهندسة إلا في البنايات التي أقيمت أساسا لتكون بيعا لا في الأماكن التي استصلحت لتصبح معابد. وعلى العموم فان هندسة البيع العتيقة كانت منسجمة مع الهندسة المعمارية المحلية

كما أن أثاثها وتجهيزاتها تعكس ما كان متوفرا يومئذ في البيئة المحيطة وحسب إمكانات وقدرات الجماعات المحلية، كالبيعة الكبرى بمدينة الرشيدية (قصر السوق سابقا) التي زرتها عام 1972 حيث السقف والأعمدة من جذوع النخل. أما بيعة دنان بفاس التي يزعم أصحابها أنها بنيت خلال القرن السابع عشر الميلادي، فإنها تحتوي على صفين من الأعمدة وتنيرها ست ثريات قديمة على شكل هرم مثل ما يوجد في مساجد مدينة فاس وتتلقى ضياء النهار عبر زجاجيات مرصوفة ذات ألوان متعددة تقع بجنبات قبة.

ومع ظهور الإسمنت المسلح في مطلع القرن العشرين، شرع اليهود يبنون بيعا سقفها مستطيل وقاعاتها عريضة بدون أعمدة، لكنها احتفظت بعناصر تزيينها المغربية، مثل الجص المنقوش والمزخرف بآيات من التوراة، والزجاجيات الملونة (بيعة سعدون بفاس، بيعة دهان بالدار البيضاء). ثم تسرب الأسلوب العصري إلى البيع فصارت تبتعد عن الهندسة التقليدية، كبيعة التدگي وبيعة بيت الله وبيعة بنهروش بالدار البيضاء. لكن رغم هذه التطورات الهندسية، فان البيعة احتفظت بترتيبها الداخلي المعهود المتميز بمواضع مخصصة للنساء وتسمى "عزارة" وفي حالة عدم وجود هذه المواضع فان المسؤول عن البيعة يقيم ستارا من الثوب لفصل النساء المصليات عن الرجال في القاعة الرئيسية الكبرى.

يتألف تجهيز البيعة من مقاعد خشبية طويلة توجد على صفين، ثم "الهخال" أو خزانة الكتب التي تضم أسفار التوراة وتتجه نحو بيت المقدس. أبوابها من الخشب المنقوش المغلف بقطعة من المخمل المطروز بخيوط الذهب (ثاروخين) ويواجه الخزانة كرسي ضخم من الخشب المنقوش يقوم مقام المنبر للإمام ويسمى "تيبة". أما الكتب الأخرى ذات الطابع الديني غير التوراة مثل التلمود والشروح فانها تحفظ في خزانة ثانية. ومن الأشياء الأخرى التي تعد من أثاث البيعة رمانات فضية تعلو أذرعة الخزانات والمنبر تسمى "ثابوحيم" ثم عباءة من المخمل يرتديها الإمام أيام الأعياد، وتسمى "غفارة" حسب لغة دبدو وخفارة عند يهود فاس وصفرو. وهنا نشير إلى أن غفارة عربية تعني ألبسة مختلفة حسب اصطلاح أهل القرون الوسطى (Dozy, *Noms des vêtements*) وتسمى الغفارة كسوة عند أهل تافيلالت، والمايًا بمكناس والرباط وسلا ومراكش وأسفي الخ.

تتوفر البيعة على ما يشبه الأصبع وهو مصنوع من الفضة يتناوله القارئ لتتبع السطور عند تلاوة رقوق التوراة، وتتوفر كذلك على جعبة معلقة تحتوي علي رق يسمى "مزوزة" كتبت عليه عبارة الشهادة الواردة في التوراة.

من أثاث البيعة نذكر كذلك الثريات النحاسية والبلورية ولا سيما القناديل الزيتية المؤلفة من أكواب زجاجية مزخرفة بورق مذهب تقديسا لأحد الأموات. وتتميز بعض البيع بشمعدان ذي سبعة فروع يسمى "مينورة" احتفاء بذكرى معبد بيت القدس، ولا يفوتنا القول إن لكل بيعة مكانا يحاذيها من الخارج يشتمل على مرحاض وحنفية للنظافة.

وبعد عملية إحصائية تبين أن في الدار البيضاء عام 1990 ثلاثين بيعة ما تزال نشيطة، منها ما يتسع لثلاثين نسمة ومنها ما يسع ثلاثمائة من المصلين، كما هو الحال بالنسبة لمعبد بيت الله، لكن بيعا أخرى بالمدينة العتيقة أغلقت، إما لعدم وجود اليهود بجوارها وإما لأنها في حالة اندثار، وقليلة جدا هي البيع الواقعة بملاح المدن الأخرى التي ماتزال صالحة لتأدية الشعائر الدينية، مثل بيعة ملاح الرباط المعدة للاستمرار في تخليد ذكرى الربي دبيلة إلى جانب بيعة التلمود والتوراة الواقعة خارج الأسوار. وما قيل عن الدار البيضاء والرباط ينطبق على فاس حيث أغلقت بيع المدينة القديمة مثل صلاة الفاسيين، وصلاة حاخام، وصلاة الصابة، وصلاة الدبادبة (نسبة إلى دبدو) ولم يحتفظ إلا بصلاة روبين سعدون الواقعة بفاس الجديد وهي نموذج صادق للهندسة المعمارية المحلية.

كان بمكناس خلال الخمسينات أزيد من ثلاثين بيعة منها تسع عشرة بالملاح القديم وثلاث عشرة بالملاح الجديد (J. Toledano, *Le temps du Mellah*) أما اليوم فتوجد أربع بيع مفتوحة بحمرية (المدينة الجديدة) في حين أن القديمة منها مثل صلاة محريت (المنسوبة إلى الربي موشي طوليدانو)، وصلاة رفائيل برديگو وصلاة الطوبي، وصلاة ابراهام جاسين وصلاة رب يهوشواع برديگو كلها أمست مهجورة.

وفي مراكش صلاة العجاجمة (وهم اليهود النازحون من إسبانيا) وصلاة الفاسيين التي بُنيت في عهد السلطان الحسن الأول، وصلاة التلمود والتوراة (وهي أكبر البيع) وصلاة ميير اللحمي، وصلاة بن روبين وصلاة المجديم، وصلاة مولاي إيغى (وهو لقب الربي داود الأشقر المعتقد بهذه المنطقة).

ومازالت قائمة آثار بيع (صلوات) عتيقة عديدة بكل من بني ملال ودمنات وتارودانت وتطوان وطنجة ودبدو (N. Shlouch, *"Les Juifs de Debdou"*, *R.M.M.*, 1913).

أما اليهود المغاربة الذين هاجروا إلى بلدان أخرى، فانهم يحاولون إنشاء بيع خاصة بهم لممارسة شعائرهم حسب أسلوبهم وللحفاظ على ما بينهم من روابط، ونذكر من بين هذه البيع، بيعة كراكاس بفنزويلا وبيعة باريس ومركز رمبام (وهو تعبير يلخص اسم الربي موشي بن ميمون المعروف عند الغربيين بميمونيد)، كما توجد عدة بيع بمونريال (كنادا) ومدارس للأطفال تلقنهم الأذكار والتراتيل من التراث اليهودي المغربي. هذا وقد أنشأ اليهود المغاربة أولى بيعة بمدينة بليم دي بارا بالبرازيل عام 1825 (انظر محمد العربي المساري M.L. Messari, *Mundos Marroquinos*, p. 117).

سيمون ليفي

بيغراسن، (صاحب الطرق) أي الجوال واسمه أحمد الاخصاصي، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، أخذ عن الأدوزيين وله شهرة علمية واسعة في سوس، وكان جوالا في النوازل الفقهية توفي حوالي 1320 / 1902.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي بسوس*، 180.

بيفورنا، (صاحب التنانير) الكلمة أمازيغية مفردها أفارنو أي التنور، وهي مأخوذة من المناظر الطبيعية الجبلية التي نحتتها عوامل التعرية حتى صارت تلك الجبال على شكل تنانير. وتطلق الكلمة اليوم على فخذة كبيرة من قبيلة أيت بويكر الباعمرانية، معظم سكانها حاليا من المرابطين البوگرفاويين.

تقع بيفورنا هذه على الطريق الثلاثية الرابطة بين أربعاء الساحل وتعزى، وهي بداية سهل تاگراگرا ومحصنة طبيعيا، لذلك لعبت دورا هاما في حصار حملة فرنسا بقيادة الباشا حيدا بن مَيس الذي قُضي على حملته بكاملها من طرف أيت باعمران سنة 1336 / 1917. وإلى بيفورنا هذه رحلت قبيلة إفردا بكاملها في نفس السنة بعد معركة مع حملة حيدا.

تشتهر بيفورنا بكثرة المساجد وكتاتيب تعليم القرآن، حتى إن معظم الذكور يحفظونه ويتعاطون المشارطة، لذلك كانوا لا يشاركون في الحروب القبلية، ولا يساهمون فيما تفرضه القبيلة من الكلفة المالية، فانتعشت بلادهم وارتفعت فيها كثافة السكان حتى أصبحوا اليوم قبيلة كبرى. لكن في حوادث عام 1335 / 1916 القبيلة وما استلزمته تلك الحروب من أموال، فرض على أهل بيفورنا أن يؤدوا حظهم من تسعة وسبعين ألف ريال حسنية التي فرضتها القبائل.

أرض بيفورنا فلاحية، وكانت في الأصل ملكا لقبيلة أيت إعَزّى الباعمرانية لكن صارت اليوم للبوگرفاويين الذين نزلوا هناك حديثا. والبلاد معروفة بكثافة السكان منذ القديم، يدل على ذلك وجود مقبرة قديمة تسمى مقبرة مائة حاج وحاجة كناية عن الكثرة، يقدسونها ويحلّفون فيها من أنكر في الدعاوي.

وبجانب هذه المقبرة أحدثت سوق الأحد الأسبوعية، ولدينا وثيقة حول العرف المطبق في هذه السوق ينص على تحديد الغرامات حسب المخالفات والجنح والجنايات، ويسهر على تنفيذ ذلك العرف ثلاثة أفخاذ من قبيلة أيت بويكر الكبرى هم أيت إعزّى وآل إسك وآل عبُّ. ولهذه السوق وحدها كيلها الخاص بها في الزرع، وهو يساوي نصف العبرة المعروفة في سائر الأسواق.

وبقدر ما يكثر حفظة القرآن في بيفورنا، بقدر ما يقل فيها العلماء. والغريب أنهم لا يشاركون في تموين المدارس العلمية العتيقة خوفا من ان يفتحوا بذلك على أنفسهم مشاركة القبيلة في الكلف الأخرى. ومن المشهورين هناك في تعليم القرآن الذين تخرج على يدهم عدد كثير من الطلبة موسى بن أحمد البوگرفاوي ومحمد بن لحسن الأنكضاني العدل الخطاط، والحاج عمر بن همو البوگرفاوي والحسين البوهالي البوگرفاوي الروائي وغيرهم.

أما العلماء فمنهم محمد الهرواشي الذي حضر السلطان مولاي الحسن الأول لدرسه في مدرسة إسك العتيقة سنة 1303 وأثنى عليه وعلى مستواه العلمي.

وثائق، ومعلومات شفوية.

الحسين جهادي

بيقسيس، أو أبيقسيس، Abi-quasis - Biqsis لقب يهودي متداول في المغرب، وهكذا ورد ذكر عدد من الربيين بهذا اللقب في كتاب بنايم، خصوصا من القرن السابع عشر إلى يومنا، في الرباط وطنجة والصويرة والزاوية الدلائية، مثل مسعود أبيقسيس بن مخلوف في القرن الثامن عشر. ولئن كان هذا متأخرا اللهم إلا إذا كان أصل الربي من نواحي الزاوية الدلائية أو من ناحية أيت عتاب. وشمعون أبيقسيس ربي بالصويرة (مخضرم بين القرنين 19 و20)، ألف ونشر *سفر بالغي مايم*، أي "كتاب *ماء النهر*" يتضمن مجموعة من الفتاوى والإرشادات الدينية، صدر في جزء واحد بلندرة (*بنايم، مالكي رينان*). وشمعون بيقسيس، ربي بالدار البيضاء، صاحب كتاب *شاش أنوحي ورطوب*، (أنا من المرمر) طبع بالدار البيضاء عام 1937.

أما مسعود أبيقسيس فكان رئيس الطائفة اليهودية بطنجة في أواخر القرن التاسع عشر، وترجماناً بمندوبية الولايات المتحدة الأمريكية، خلفه ابنه مناحيم أبيقسيس في هذه المناصب ثم أصبح من بين الأعضاء الأولين في اللجنة الصحية بطنجة عام 1884. (لاريدو، *أسماء اليهود*، ص 212). وكذلك إسحاق أبيقسيس ربي وقاض بفاس خلال القرن السادس عشر. بعض فتاويه وأحكامه محفوظة في مجموعة يوسف بنايم الموجودة بمعهد الدراسات الدينية اليهودية بنيويورك (الزعفراني، *يهود المغرب*، ص 256).

A. Larédo, *Les Noms des Juifs du Maroc* ; H. Zafrani, *Les Juifs du Maroc*.

سيمون ليفي

بيگبيدير، خوان أطيينثا، Juan Beygbeder Atienza جنرال إسباني ولد يوم 31 مارس 1888 وتخرج من الأكاديمية العسكرية برتبة ضابط أركان الحرب، وما ان التحق بتطوان سنة 1915 حتى تعلم اللغة العربية الفصحى والدارجة معا. وتمكنه منهما جعله ينال العضوية في المجمع العلمي المغربي الذي تأسس بتطوان في فاتح ربيع الأول 1335 / 27 ديسمبر 1916 ورتبته آنذاك قبطان مراقب ملحق بنيابة الأمور الوطنية.

وفي سنة 1916 رقي لدرجة كومندار وعين ملحقا بديوان المقيم العام إلى غاية سنة 1924 وكان في نفس الوقت عضوا في المجلس الأعلى للآثار التاريخية المغربية منذ تعيينه في 16 ماي 1921. وفي سنة 1925 كلف بمصلحة المخابرات بنيابة الأمور الوطنية وظل على رأسها إلى سنة 1930 حيث عين مستشارا للنائب السياسي ثم أصبح سنة 1933 يشغل منصب خليفة النائب.

وفي 31 يوليوز 1935 عين على رأس المراقبة الإيالية لمقاطعة شفشاون غمارة وذلك إلى منتصف السنة التالية حيث عاد إلى نيابة الأمور الوطنية بصفته خليفة للنائب، وعندما وقع الانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية يوم 18 يوليوز سنة 1936 أخذ بيگبيدير زمام الأمر بنيابة الأمور الوطنية في تطوان. وفي يوم 27 أقره الجنرال فرانكو Franco في المنصب المذكور فلعب فيه أخطر الأدوار التي مكنت سلطة العسكريين بشمال المغرب، لدرجة أن الجنرال فرانكو أسند إليه بالإضافة إلى المنصب المذكور منصب الكاتب العام للإقامة العامة يوم 6 غشت من نفس السنة.

والكولونيل بيگبيدير هو الذي نظم عملية تجنيد المغاربة المرتزقة في صفوف الجيش الإسباني ومشاركتهم في الحرب الأهلية الإسبانية من سنة 1936 إلى سنة 1939.

وفي 30 مارس سنة 1937 عينه الجنرال فرانكو مقيما عاما لإسبانيا بالمغرب. وكانت له صلة طيبة مع الحركة الوطنية بشمال المغرب قبل الانقلاب العسكري لدرجة أننا نجد كلا من الحاج عبد السلام بنونة والفقيه محمد داود والشريف سيدي التهامي الوزاني والأستاذ عبد الخالق الطريس يتوسطون لدى الأمير شكيب أرسلان لكي يعمل على مساعدة بيگبيدير من أجل أن يتوجه إلى الشرق العربي للمزيد من تمكنه من اللغة العربية. وبعد الانقلاب العسكري أصبحت علاقاته بالقادة الوطنيين أكثر متانة لدرجة أن الفضل يرجع إليه في السياسة المتفتحة التي نهجها الجنرال فرانكو إزاء الحركة الوطنية المغربية، وهذا ما يفسر اعتراف النظام الفرنكاوي بحزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية والسماح للوطنيين بتأسيس الصحف الوطنية ومنح الاستقلال الذاتي للأحكام الشرعية وللأحباس الإسلامية وتعريب التعليم المغربي وإرسال البعثات الطلابية إلى الشرق العربي إلى غير ذلك من الحريات التي كانت سائدة في شمال المغرب في عهد الكولونيل بيگبيدير إلى أن أعفي من الإقامة العامة يوم 9 غشت سنة 1939 حيث عين وزيراً للشؤون الخارجية لحكومة فرانكو وظل في هذا المنصب إلى أن أعفي منه يوم 16 أكتوبر 1940.

وكانت وفاته بمدريد يوم 6 يونيو 1957.

التهامي الوزاني، *تاريخ المغرب*، 3 : م. ابن عزوز حكيم، *الحاج عبد السلام بنونة*، 1 : 145، *مجلة الوثائق الوطنية*، تطوان 3 . 4.

M. Rubio Cabeza, *Diccionario de la guerra civil española*, Barcelona, 1987, T. 1, p. 114.

محمد ابن عزوز حكيم

بيكلار، ليون فيليب، (L. Ph. Beclard) وزير مفوض لفرنسا بطنجة من سنة 1862 إلى وفاته في فاتح مارس سنة 1864. وهو الذي أبرم مع الحاج إدريس بن إدريس تسوية 19 غشت سنة 1863 حول الحماية القنصلية واختيار السماسرة من البوادي، وخلفه البارون إمي داكان.

م. بوشعراء، *الاستيطان*، 2 : 605 . 606، الوثائق 4 : 21.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 2 : 385.

مصطفى بوشعراء

بيل، ألفريد Bel Alfred مستشرق فرنسي، ولد بسلان Salins بتاريخ 14 ماي سنة 1873 وتلقى دراسته الثانوية بهذه المدينة. وبعد حصوله على الباكالوريا في العلوم وهو في سن السابعة عشرة انتقل ليشتغل كمعيد بإعدادية أكسير Auxerre. وبعد سنة سافر إلى الجزائر فعين معيداً بإعدادية بليدة ومنها رحل للعمل بثانوية وهران التي بقي بها خمس سنوات، إلا أنه غادرها خلال هذه الفترة لمدة سنة قضاها في التجنيد.

حصل بيل على بروفي اللغة العربية وهو في سن الرابعة والعشرين فنقله، إثر ذلك روني باسي René Basset إلى ثانوية الجزائر، حيث تعرف على دستان Destaing ودوتي Doutté ولم تمر سوى سنتين حتى حصل على دبلوم اللغة العربية ثم دبلوم الدراسات العليا في التاريخ والجغرافيا، وأعد بحثين الأول تحت إشراف أگستان برنار Augustin Bernard بعنوان *البحيرات والمستنقعات والسبخات بالجزائر Les lacs, Chotts et Sebkhas d'Algérie* والثاني تحت إشراف روني باسي بعنوان : *بنو غانية ومحاربتهم للإمبراطورية الموحدية Les Banou Ghanya et leur lutte contre l'empire Almohade*، وبعد ذلك رحل إلى تلمسان ليعمل أستاذا للآداب بمدرستها التي اقترن اسمه بها حيث أصبح مديرا لهذه المؤسسة.

في سنة 1914 استدعى ليوطي Lyautey ألفريد بيل إلى المغرب وكلفه بالنظر في كيفية تحديث التعليم الإسلامي. وهكذا استقر بيل بفاس لمدة عامين ونصف، تمكن خلالها من تكوين أول مجموعة أثرية لمتحف البطحاء وعين محافظا له.

وفي أكتوبر سنة 1916، عاد أ. بيل إلى تلمسان وهو يحمل عددا من المعطيات عن المغرب بصفة عامة، وعن فاس بالخصوص، مكنته من تحرير كثير من الدراسات ونشرها. كان أول عمل صدر له هو الكتاب الذي خصصه للجزية سنة 1903.

كانت حصيلة كتاباته خلال ثلاث وأربعين سنة من الحياة العلمية اثني عشر كتابا وأكثر من ستين مقالا،

تتوزع عبر مختلف المجلات والموسوعات المهتمة بالعالم العربي والإسلامي، ذلك ما جعل منه أحد المستشرقين المختصين بشؤون الغرب الإسلامي. كما أن اهتماماته العلمية عرفت تطوراً، حيث انتقل من البحث في تاريخ الأدب إلى الاشتغال بالتاريخ، فترجم حوليات عربية ودرس النقوش والمسكوكات، كما اهتم بالآثار وخصوصا المتعلقة منها بمدينة تلمسان.

كان اهتمامه منصبا على حياة المسلمين في كل مظاهرها، وبالخصوص ما يتصل منها بالمعتقدات والمذاهب والصناعات. كما أن السنوات التي قضاها في المغرب مكنته من الحصول على معطيات ووثائق جعلته يحرر مجموعة من الدراسات المتعلقة بمدنية فاس : الصناعات الفخارية بفاس. *Les Industries céramiques à Fès, 1918* وترجمة الكتابات العربية بفاس *Les Inscriptions arabes de Fès* (1917 - 1919) كما ساهم في إعداد ونشر أول فهرس لمخطوطات خزانة القرويين (1918) وحقق وترجم مؤلف أبي الحسن علي الجزنائي جنى زهرة الآس الذي يهم مدينة فاس في المراحل الأولى من تأسيسها (1923).

وفي آخر فترة من حياته اهتم أ. بيل بالدراسات الدينية، وأهم مؤلفاته كتابه *الإسلام ببلاد البربر*، *La religion musulmane en berbérie : esquisse d'histoire et de sociologie religieuses. Etablissement et développement de l'Islam en berbérie du VIIème au XXème siècle, 1938*, T. 1) لكن لم يصدر منه سوى الجزء الأول المتعلق بنشر الإسلام واستقراره وتطوره ببلاد المغرب العربي منذ القرن السابع إلى القرن العشرين.

وفي سنة 1942 انتقل أ. بيل إلى مكناس ليعيش بجوار ابنه وليحرر ما تبقى من كتابه عن الاسلام، لكن لم تمض ثلاث سنين وقبل أن ينهي عمله وافاه الأجل يوم 18 فبراير 1945.

E. Janier, *Alfred Bel, 1873 - 1945, B.S.G.A.O.*, 1944, p. 66 - 76 ; *Travaux de M. Alfred Bel*, 14 Mai 1873 - 18 Février 1945, *R.A.*, 1945, 1er et 2ème trim. p. 110 - 116 ; G. Marçais, *Alfred Bel, 1873 - 1945, R.A.*, 1945, 1er et 2ème trim., p. 103 - 109 ; P. Ricard, *Alfred Bel savant orientaliste vient de disparaître, Vaincre*, 11 Mars 1945, p. 6 ; H. Terrasse, *Alfred Bel, 1873 - 1945, Hesp.*, Fasc. un., 1945, p. 15 - 17.

بيلا، شارل Pellat Charles، ولد بسوق أهراس بقسطنطينة في الجزائر بتاريخ 28 شتنبر سنة 1914. وتلقى دروسه بثانوية ليوطي بالدار البيضاء. ثم عين أستاذاً بثانوية مراكش سنة 1934 بعد إتمام دراسته العليا حيث حصل على التبريز في اللغة العربية. وعمل بعد ذلك بالجيش خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهاء الحرب عُين أستاذاً بثانوية لويس لوگران Louis Le Grand بباريز، ثم بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، والتحق بجامعة السربون سنة 1956 حيث كان المؤسس لشعبة الدراسات الإسلامية التي تولى الإشراف عليها.

انكب شارل بيلا في دراساته وأبحاثه خصوصاً، على الأدب العربي في القرون الوسطى، وكان عنوان أطروحته التي أشرف عليها ريجيس بلاشير Régis Blachere : *البيئة البصرية وتكوين الجاحظ*. وقد نقل إلى الفرنسية كتاب *البخلاء* وكتباً أخرى. ونشر مقالات كثيرة كلها عن الجاحظ، كما نشر بعض النصوص ونقلها إلى العربية، وأصدر *اليومية القرطبية* مع ترجمتها.

اهتم بيلا أيضا باللغة العربية المعاصرة، وله تآليف في هذا الموضوع : *العربية الحية*، *والتمهيد إلى اللغة العربية المعاصرة*. كما أنه تولى مسؤولية الإشراف عن الطبعة الفرنسية للموسوعة الإسلامية Encyclopédie de l'Islam التي حرر بها مواضيع عدة وأشرف على أطروحات عديدة تتعلق بالمغرب وحضارته.

وقد اعتنى بصفته مستشرقاً عاش بالمغرب، بالأبحاث اللغوية المتعلقة باللهجات البربرية، فنشر في هذا الموضوع مقالات ونصوصاً من اللهجة البربرية لقبيلة أيت سغروشن القاطنة بوادي ملوية.

كان شارل بيلا عضواً بأكاديمية العلوم لما وراء البحار Académie des Sciences d'Outre-Mer، وانتخب سنة 1984 عضواً بأكاديمية النقوش والآداب Académie des Inscriptions et Belles Lettres. وتوفي بباريز في 28 أكتوبر سنة 1992 وسنه يناهز التاسعة والسبعين.

من مؤلفاته :

- *ابن شهيد الأندلسي : حياته وآثاره*، عمان، منشورات الجامعة الأردنية، 1965، 151 ص.
- *أصالة الجاحظ*، الدار البيضاء، دار الكتاب، (د. ت)، 24 ص. (دفاتر شواطئ البحر المتوسط، 3).
- *الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء*، ترجمة إبراهيم الكيلاني، القاهرة، دار اليقظة العربية، 1961، 470 ص.
- *الناقعة على الجامعة*، لمحمد بن سليمان الروداني، تحقيق وترجمة، المجمع العربي بدمشق.

- *L'Arabe vivant : Mots arabes groupés d'après le sens et le vocabulaire fondamental de l'arabe moderne*, Paris, 1952, VI, 284, 50, 77 p.
- *Description de l'Occident musulman au IV° - X° siècle* / Chams ad-Dîn al-Muqaddasi, texte arabe et traduction française avec une introduction des notes et quatre index par Charles Pellat, Alger, 1950, X, 125 p., (Bibliothèque Arabe-Française, 9).
- *Etudes sur l'histoire socio-culturelle de l'Islam au VII° - XV° s.*, London, 1976, 386 p.
- *Introduction à l'arabe moderne*, Paris, 1956 - V, 243 p.
- *Le Kitab at-Tarbia` wa-t-Tadwir / Jahiz*, texte arabe avec une introd., un glossaire, une table de fréquence et index de Charles Pellat, Damas, 1955, XXCIII, 49, 218 p., (Publication de l'Institut Françias de Damas).
- *Langue et littérature arabes*, Paris, 1952, 224 p., (A. Colin, 278).
- *La Littérature arabe des origines à l'époque de la dynastie Umayyade* / Carlo-Alfonso Nallino, trad. française par Charles Pellat d'après la version italienne de Maria Nallino, Paris, 1950, 270 p., (Islam d'hier et d'aujourd'hui, 6).
- *Le Livre de la Couronne : Kitab at-Tag fi ahlaq al-Muluk* / Gahiz, trad. par Charles Pellat, Paris, 1954, 222 p., (Traductions d'auteurs arabes).

- *Le Livre des Avares / Gahiz*, trad. française avec une introd. et des notes par Charles Pellat, Paris, Maisonneuve, 1951, IX, 367 p., (Islam d'hier et d'aujourd'hui, 10).

- *Le Milieu basrien et la formation de Gahiz*, Paris, 1953, 311 p.

- *Nemrod et Abraham dans le parler arabe des juifs de Debdou, Hespéris*, T. XXXIX, 1952, 1er - 2ème trim., pp. 121 - 145.

- *Questions de critique littéraire : Masâ'il al-Intiqad* / Muhammad ibn Charaf al-Qayrawani, texte arabe établi d'après deux éditions et traduction française avec introd. et des notes par Charles Pellat, Alger, 1953, 270 p., (Bibliothèque Arabe-Française, 15).

- *Textes berbères dans le parler des Aït Seghrouchen de la Moulouya*, Paris, 1955, 176 p., (Textes Berbères Marocains, 2).

- *Une charge contre les secrétaires d'Etats attribuée à Gahiz, Hespéris*, 1956, 1° - 2° trim., pp. 29 - 50.

محمد جادة

پيلّوْ طوماس، Pellow Thomas أسير أنجليزي وقع بأيدي المجاهدين المغاربة في البحر سنة 1716 وسنه لا يتجاوز إحدى عشرة سنة، فألحق بدار المخزن شأنه في ذلك شأن كل الأسرى الأوربيين الذين كانوا من نصيب الإمام، فأقام بالمغرب ثلاثا وعشرين سنة إلى أن تمكن من الفرار فعاد إلى وطنه وأقدم من تلقاء نفسه أو بإيعاز من بعض المهتمين بالنشر على كتابة قصة أسره وحياته بالمغرب، ولاشك أنه اكتفى بإملائها لضعف مستواه الثقافي، فإنه كان قد نفر من الدراسة باكرا وفضل الإبحار مع عمه في رحلة تجارية إلى جنوة، فلما كانوا في طريق العودة وقعوا في قبضة مركب مغربي في عرض شواطئ إسبانيا الشمالية. صدر هذا الكتاب فيما بين سنوات 1743 و1745 بتقدير السيدة ماگالي مُرسي التي اعتنت مؤخرا بترجمته إلى الفرنسية، وكان قد بقي شبه مجهول لم يكتب له ما كان لرحلات أخرى أنجليزية أو غير أنجليزية إلى الديار المغربية من الشهرة الذائعة، وذلك أن المغرب، كباقي الأقطار الإسلامية، أضحى من بداية القرن الثامن عشر "موضة" أدبية تلبي فيها عدة أغراض لجمهور القراء بأوربا، منها حب الاستغراب وحب التشفي من الإسلام وما أصبح عليه من الضعف والوهن، ومنها حاجة فضح بقايا الاستبداد الفيودالي بأوربا عن طريق تشويه مظاهر الاستبداد في الممالك الإسلامية. ولما كان المغرب أقرب تلك الممالك إلى أوربا بات، منذ تلك الحقبة، منعوتا، عن صواب أو غير صواب، بما كانت البورجوازية الأوربية مازالت في حاجة إلى التخلص منه من تقاليد القرون الوسطى في عقر ديارها.

على أن كتاب پيلّوْ لا يخلو من فوائد في نظر المؤرخ المغربي، فإنه شهادة واقعية حية رغم ما فيها من التحامل والذاتيات على بعض وقائع العقد الأخير من عهد المولى إسماعيل ووقائع العقد الأول من الفترة التي اقتتل فيها بعض أولاده على الحكم بواسطة فرق جيش البواخر. وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام :

1) القسم الأول يعرض لمقام بيلوو في المغرب من سنة 1716 إلى سنة 1727، فإنه أقام بالقصر خمس سنوات، يتدرب بعد اعتناقه للإسلام، على الخدمة السلطانية في تمام الطاعة والانضباط، وانتهت فترة التعليم سنة 1721 بتزوجه وإرساله مع فرقة من العبيد إدالة إلى تامسنا (الشاوية حالا) فأقام بقصبة من القصبات الإسماعيلية بين سطات وابن احمد يقضي الوقت بين زوجته ورفاقه في القنص والعيش الرغيد، ولا يغادر ثكنته إلا للمشاركة في الحركات التي يأمر بها السلطان. وهكذا شارك في حركة بالأطلس الغربي جنوب غربي مراكش سنة 1722 وفي حركة إلى واحات محاميد الغزلان فيما بين سنوات 1722 و1724 وفي أخرى إلى توات سنتي 1724 و1725 وفي حركة إلى بني إزناسن وإقليم وجدة سنة 1725.

2) ويعرض القسم الثاني للحروب الأهلية التي اندلعت غداة وفاة السلطان الأعظم، فلقد شارك پيلوْ في الحصارين اللذين ضربهما المولى أحمد الذهبي مرتين سنة 1727 وسنة 1728 على فاس، كما شارك في محاصرة ثالثة لتلك المدينة أمر بها المولى عبد الله سنة 1729، وكان ضمن الحركات التي أمر بها هذا السلطان ضدا على أيت إمور وقبائل أ'لماس وقبائل تامسنا فيما بين سنتي 1730 و1731 وشارك في الحركة إلى شنگيط سنتي 1732 و1733، وكان في الحركة ضدا المرابط يوسف الحنصالي وشارك في تأديب قبيلة أيت يوسي، وكان مقامه في هذه الحقبة بقصبة أگوراي ثم بقصبة بوفكران فيما بعد. ولما جرى عزل المولى عبد الله لفائدة المولى علي الأعرج سنة 1734 التحق پيلّوْ بالمولى عبد الله، فأقام مع ما تجمع حوله من العسكر بتارودانت، ثم لما بويع له من جديد وعاد إلى مكناس ودأب على ما كان عليه من إراقة الدماء فثار عليه العبيد مرة ثانية وعزلوه سنة 1736 لفائدة سيدي محمد بن عربية، قرّ رأي پيلوْ على استغلال الفتنة العامة للفرار، وأخفى مقصده وهو يزحف صوب الشواطئ الأطلسية مدعيا أنه يريد اللحاق بسيده المعزول المولى عبد الله.

3) أما القسم الثالث فهو عرض لمغامراته سعيا في مغادرة التراب المغربي دون أن يثير الشكوك فيرمى بالارتداد عن الإسلام ويقتل، وكان قد أفلت من ذلك في محاولتين سابقتين أولاهما سنة 1727 حيث رام الهروب عبر مازغان المحتلة لكن أمره كشف وكاد أن يقتل لولا تدخل بعض القواد ممن كان له به سابق اتصال، وثانيتهما سنة 1728 حيث رام ركوب بعض السفن الأوربية الرئيسية بسلا إلا أن رفيقه في المحاولة، وكان أنجليزيا أيضا، وشى به ولم يسلم پيلّوْ من تلك الورطة إلا لأن الحظ كان إلى جانبه. ولذلك لما أقدم علي محاولته الثالثة فضل أن لا يبوح بسره لأحد، وكان شديد الحذر كثير المراوغات. خرج من مكناس متفردا فقصد سلا، فلما انغلقت كل الأبواب أمامه هناك عزم على الرحيل إلى أگادير، لكنه اجتنب التوجه إليها

مباشرة، بل توغل من جديد بداخل الأراضي المغربية حيث مر من قصبة تادلا ودخل قبيلة أيت عتاب ثم مر من زاوية سيدي رحال قبل أن يصل إلى مراكش، ومن مراكش سافر إلى تارودانت عبر تامصلوحت وأمزميز فرأس الوادي فتارودانت. وكان في أثناء ذلك يوري تارة بأنه طبيب وتارة أخرى بأنه من عبيد المولى عبد الله يريد اللحاق به، ثم من تارودانت قصد إلى أگادير. ولما لم يجد بخليجه مركبا قابلا لإخراجه من البلاد رحل إلى إلوليدية عبر أسفي، وبالوليدية وجد ضالته المنشودة حيث ركب مركبا أنجليزيا نقله إلى جبل طارق. فهذا ما كان من تنقلاته ومن شهاداته التي يتميز بها كتابه عن باقي كتب الرحلات الأوربية إلى المغرب.

لكن يوجد ضمن هذه الشهادة الشخصية، قسم رابع منبث في صفحاتها بشكل متفرق، ينطوي على نقل حرفي أحيانا لبعض ما جاء في رحلات سابقة، وخاصة منها رحلة جون ويندوس John Windus الذي كان من كتاب السفارة الأنجليزية لدى المولى إسماعيل سنة 1721، والتي تم نشرها سنة 1725، والمنقول منها عبارة عن استطرادات تستجيب لحاجة القارئ الأنجليزي إلى الاستغراب فتشير إلى عوائد المغاربة وإلى شخصية المولى إسماعيل وإلى كل ما كان من شأنه أن يدغدغ خيال متوسط القراء لديهم آنذاك.

هذا ولئن كنا نعرف تاريخ ميلاد پيلُّو بكل دقة فإن مصيره بعد صدور كتابه مجهول على الإطلاق.

M. Morsy, *La relation de Thomas Pellow : une lecture du Maroc au XVIII siècle*, Paris, 1983 ; T. Pellow, *The History of the lowy captivity and aventures of Thomas Pellow*, London, 1745.

إبراهيم بوطالب

بيلْمَاون ← بوبطاين
بِيلير ← ميشو-بيلير

بيلين أو بلين، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وكان من بين أفرادها بتطوان بيلين قاسم بن أحمد فقيه زاول خطة العدالة بالمدينة سنتي 1141-1142 / 1729-1730. وبه انقرضت هذه الأسرة من تطوان.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 50 ؛ 7 : 9 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 297 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

البيمارستان، كلمة من أصل فارسي، ظهرت فيما يبدو بالمغرب بعد تأسيس بيمارستان مراكش الذي كان يعرف أولا بدار الفرج (*الاستبصار*، 210). فقد وردت كلمة البيمارستان عند عبد الواحد المراكشي في *المعجب* (ص. 227)، ولعله يكون هو الذي أدخلها اعتباراً لكونه زار الشرق وأقام فيه طويلا وألف كتابه في العراق حيث كانت الكلمة تطلق على الأماكن الخاصة بعلاج المرضى.

ويبدو أن إنشاء البيمارستانات يدخل في إطار اهتمامات المخزن المغربي بتوفير تغطية صحية للمدن، وخاصة العواصم وذلك بالنظر الى التهديد المستمر للسكان بالأمراض المعدية، وبناء على ذلك يمكن فهم بعض دوافع انشاء محاجرصحية خارج أسوارالمدن خاصة برعاية المصابين بالجذام، عرفت باسم حارة الجذماء (*التشوف*، 268)

ومنذ منتصف القرن السادس (12 م) ازداد الاهتمام بهذه التغطية أكثر، فإلى جانب تشجيع الأطباء والمبالغة في تقديرهم واستقدام ذوى الخبرة منهم (*البيان*، قسم الموحدين : 146-164)، سن الموحدون منذ عهد المنصور على الأقل عادة الختان السنوي للأطفال اليتامى والفقراء (*المعجب*، 287).

وقد بلغ هذا الاهتمام أقصاه بتأسيس دور الفرج أو البيمارستانات بمراكش وشالة والقصر (*العلوم*، 129). واتسعت خريطة البيمارستانات مع المرينيين لتشمل جهات أخرى في البلاد (*الطب*، 64) خاصة مدينة فاس التي كانت بها شبكة بيمارستانات منها ما يوجد داخل السور ومنها ما يقع خارجه (*وصف*، 1 : 180).

كان للبيمارستان مشرف أعلى وهو طبيب معروف بالكفاءة يسمى أمين البيمارستان (*العلوم*، 131) وتحت إشرافه طاقم متعدد الاختصاصات والمهام يتكون من :

- أطر إدارية عبارة عن كتّاب للتسيير والإنفاق.
- أطر طبية تتكون من أطباء وممرضين (*وصف*، 1 : 181).
- صيادلة مكلفين بتحضير الأدوية المطلوبة (معجب، 287)
- طباخين (*وصف*، 1 : 181). وبدون شك كان هناك مكلفون بالنظافة اعتباراً بكون المريض خاصة في بيمارستان مراكش كان يستفيد من "ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء" (معجب، 287). وكان المخزن هو الذي يموّل هذه المؤسسة ويقوم على مراقبتها (معجب، 287 ؛ *الذخيرة* ؛ 100).

يتكون البيمارستان فيما يبدو من أقسام حسب أنواع الأمراض، الأمراض غير المعدية، والأمراض العقلية (*القرطاس*، 217) وكل قسم يتكون من مجموعة بيوت، يؤوي كل منها عددا معينا من المرضى (معجب، 287).

ولم يكن دخول البيمارستان حكرا على أهل المدينة التي يوجد فيها، بل كان مفتوحا أيضا في وجه الغرباء وبالمجان. وكان البيمارستان مكلفا بتأمين المريض في ماله أثناء مدة إقامته به، ومسؤولا عن ضمان عيشه بعد شفائه وخروجه في حالة ما إذا كان محتاجا إلى أن يتمكن من توفير عيشه (معجب، 287).

والملاحظ ان تأمين بيئة سليمة للبيماريستان كان حاضرا ضمن عناصر اختيار موقعه في المدينة، وفي شكل بنائه، ومكوناته المعمارية والطبيعية من بيوت وأقسام وماء وهواء وخضرة (معجب، 287).

مؤلف مجهول، *الاستبصار*، تح . سعد زغلول عبد الحميد، البيضاء 1985 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، تح. محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، القاهرة 1949 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*،

تح. أحمد التوفيق. الرباط 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان*، قسم الموحدين ـ تـ. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس ؛ الذخيرة السنية*، ط. الرباط ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج : 1 ـ تـر. محمد حجي ومحمد الأخضر الرباط 1980 ؛ م. المنوني، *العلوم والآداب والفنون*، الرباط 1977 ؛ *مجلة المناهل*، عدد 33 سنة 1985، ص. 44 ـ 76.

محمد رابطة الدين

بيمَنْصُورْن، الطيب بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم بن محمد بن يحيى البوشناوي البويكري الباعمراني، ورث هذا اللقب عن جده الحسين، ومعنى بيمنصورن صاحب الضباع المتوحشة، ذلك أن جده هذا صارع ضباعا في إحدى الليالي فاختل عقله مدة من أجل ذلك.

قرأ الطيب في كتّاب قريته كل ما يتعلق بحفظ القرآن وأتقنه بروايات ورش وقالون وابن كثير وأبي عامر البصري على يد الشيخ أحمد بن إبراهيم السكّال التدرارتي الباعمراني، ثم أخذ الأمهات العربية على يد الأستاذ المحفوظ بن عبد الرحمان خاتمة الأدوزيين، كما استفاد من مجالسة الشيخ ماء العينين، واستكمل دراسته العلمية في قبيلة أيت الرخا على يد الشيخ النعمة بن ماء العينين. وله منه إجازة جاء فيها "هذا وليعلم الواقف عليه من الأئمة، بل من جميع الأمة، أنني أنا الكويتب أجزت ابن قلبنا مريدنا خاصتنا السيد الطيب بن أحمد البويكري الباعمراني في تعليم ما شاء من العلوم لمن شاء من ذوي الفهوم، إجازة مطلقة لا تختص بفن دون فن ولا بشخص دون شخص..."

هذا ولدينا مراسلات جرت بين بيمنصورن هذا وبين علماء كبار كانوا دائما يضعونه في مراتب عالية تدل على رفعة شأنه، من ذلك رسالة من العلامة محمد بن عبد العزيز من آل الشيخ ماء العينين جاء فيها : "قرة عيني، من لا فرق بينه وبيني، الأديب الأريب، العالم الحسيب، النسيب البركة، ميمون السعي والحركة، الطيب بن أحمد البويكري..." والرسالة تبرز مكانة المترجم له لدى الأمير أحمد الهيبة.

وهناك مراسلات بينه وبين علماء عصره وشهادات على عظيم مكانته، وأخرى عبارة عن استفساره في معضلات فقهية وعلمية بينه وبين شيخه المحفوظ الأدوزي. وله شعر حسن لم يجمع في ديوان، وتتراوح قصائده المعروفة بين عشرة أبيات وخمسين بيتا، منها في رثاء والديه المتوفين دفعة واحدة :

برقٌ يروقُك بالأماني خُلَّبُ ... دارٌ بها جيشُ النوائب غُلَّبُ
مقرونةٌ منها المسرةُ بالأسى ... ولذيذُها بالمرِّ يومًا يُسلَبُ

ومن آثاره المكتوبة *جمع الأحكام والقضايا الفقهية* التي عرضت عليه و*تأليف في الأدب العربي* ضمنه قصائد رائعة من أدبيات آل ماء العينين لكنه لم يكمل ؛ *تقاييد عن النقود والسكك المتداولة بسوس* ما بين 1303 إلى 1340 في كناش خاص ؛ *تاريخ أيت باعمران*، كما قال، لكنه تاه في استعراض التاريخ العام ومشروعية التاريخ وضروريته والرد على من لا يقيم للتاريخ وزنا ؛ *مذكرات تاريخية* تتبع فيها الأحداث عن قرب في أيت باعمران وسجل ذلك بدقة متناهية أسبابا ونتائج، فكانت المذكرة الأولى عبارة عن المقدمة، لكنها مبتورة، فالمذكرة الثانية خصصها للتعريف بعائلته منذ أجيال طويلة، وهي أيضا مبتورة، ثم المذكرة الثالثة تناول فيها حروب الشيخ أحمد الهيبة من شعبان سنة 1332 هـ إلى رمضان سنة 1337 هـ وخصص المذكرة الخامسة للحروب القبلية والفتن بأيت باعمران.

وللشيخ بيمنصورن خزانة مهمة تكاد تكون كلها من المخطوطات، ومعظمها في الفقهيات واللغويات والأدب وفنونه، وكان يهتم بتسجيل الأدب الشلحي بجانب الأدب العربي، وقد أحصيت في خزانته مائة وستة كتاب مع تعدد الأجزاء أحيانا في الكتاب الواحد. وكانت وفاته عام 1404/ 1983.

الطيب بيمنصورن نفسه، *مذكراته وتقاييده*، مخطوطات بخزانته، استجوابات مع المترجم قبيل وفاته ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 237 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن التاسع عشر* (سوس ما بين 1822 ـ 1906) ص 427.

الحسين جهادي

بيميانطا، أبراهام (1860 ـ 1924)، كان معلما وصحفيا، يكتب بجريدة *رفيي دي ماروك Reveil du Maroc* وجريدة *لاديبيش ماروكين La Dépêche marocaine* كما كان مراسلا لمدة طويلة بطنجة لجريدة *لوطان Le Temps* البارزية (لاريدو، *أسماء* ..: ض 934).

A. Larédo, *Les Noms des Juifs*.

سيمون ليفي

البين، قرية داخلة ضمن حوز تطوان الحالي، وناحية مجكسة القرن الثامن الهجري (14 م). تعرفنا على وجودها سنة 837/ 1433 في البقعة التي ما زالت تشغلها إلى اليوم، في منخفض معلق بالسفح الشرقي من جبل "فتح لهر"، من جبال الدرقة (حاليا الدرسة) حسب البكري، بين بني كوف وبلوازن. وتحتجب مباني القرية وراء تلين صغيرين (163 م . 260 م) يفصل بينهما مجرى أحد منابع واد أسمير.

تعرضت قرية البين للغارة البرتغالية انطلاقا من سبتة المحتلة، وذلك في فجر أحد أيام جمادى الأولى 837 / ديسمبر 1433، إثر غزو جارتها بلوازن، نتيجة احتضانها لعدد من رجال المقاومة، وبذلك تم تخريب القرية، غير أن هذا لم يحل دون عودتها إلى الحياة ثانية وجمع الكلمة لتنظيم الغارة منها على سبتة.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، 40، تطوان 1952 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 164.

Zurara, *C do D. Duarte*, 80.

حسن الفكيكي

بين الويدان، جماعة قروية بدائرة واويزغت بإقليم

أزيلال مساحتها 170 كلم سكانها 8419 نسمة (1982)، حققت نموا ديموغرافيا كبيرا في العقدين الأخيرين. تنتشر أراضيها فوق السفوح والجبال الشمالية الغربية للأطلسي الكبير والمتوسط. وفي جبال كلسية متوسطة الارتفاع (1000 . 1800 م) ترجع صخورها إلى فترة الجوراسي والليلاس وتتكون بنيوياً من محدبات ومقعرات منتظمة. ويتسع أحد المقعرات كثيراً ليكوّن حوض واويزغت وهو وهدة تغطيها مفتتات قارية ورواسب نهرية حديثة. تتلقى هذه الجبال باعتبار موقعها المواجه للرياح الممطرة مقادير هامة من الأمطار (600 إلى 800 ملم) وتغطي غابات البلوط الأخضر معظم السفوح مما يؤدي إلى ضيق المجال الزراعي الذي فقد أغنى وأوسع مجالاته وهو حوض واويزغت الذي غمرته مياه بحيرة السد لكن هوامشه مازالت تستغل في زراعة بورية للحبوب رغم انحدارها كما تستغل مياه بعض العيون في زراعة مسقية. ويعتبر حوض واويزغت من أفضل المناطق الجبلية المنتجة للوز البوري في المغرب. وهناك بعض التلال المسطحة تستغل كذلك في زراعة بورية للحبوب. ويوفر المجال الغابوي والزراعي مراعي جيدة للأغنام والأبقار. وأدى نقل الكثير من الدوارير من وسط الحوض المغمور بالمياه إلى انتشار السكن المتشتت بالمنحدرات المحيطة بالبحيرة. وينتمي السكان إلى قبائل أيت بوزيد وأيت عطا أمالو.

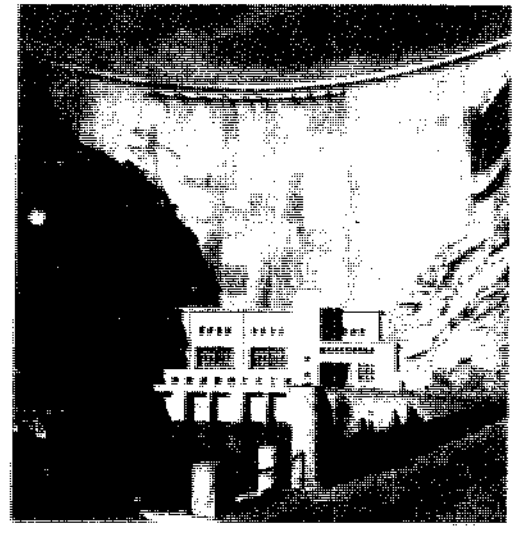

في هذا المجال شيد سد بين الويدان الذي يعتبر من أهم سدود المغرب من حيث المخزون المائي كما سياتي. ويرتبط بالسد وبحيرته منشآت إدارية وتجمعات سكنية منها سكن موظفي السد وعمال منشآته الكهربائية والتقنية يوجد معظمها بسافلة وادي العبيد على منحدر بالضفة اليمنى للوادي، وهي منازل حديثة معظمها على شكل ڤيلات تنتشر وسط الخضرة. كما توجد منشآت عمرانية أخرى بأعلى السد بضفاف البحيرة وسكن متشتت حول البحيرة بناه سكان القرى المغمورة الذين يعملون إما في منشآت أو رحلوا للعمل بعيداً تاركين أسرهم. وتعرف المنشآت السياحية حول البحيرة نموا مضطردا لإمكانية ممارسة عدة أنشطة ترفيهية ورياضية، مثل سباحة قوارب شراعية وتزحلق على المياه وصيد. ويوجد حولها مخيم حسن التجهيز مساحته أربعة هكتارات، سعته ثلاثمائة خيمة، وفندق مصنف يضم أربعة وستين سريراً به مقهى ومطعم. كما يوجد بالمركزين الحضريين القريبين واويزغت (4164 ن) فندق غير منصف من ثمانية عشر سريراً، وأفورار (5018 ن) فندق مصنف من فئة ثلاثة أنجم ومائة وتسعة عشر سريراً. ويتميز النشاط السياحي باستمراره إذ يزور البحيرة حافلات الزوار طيلة السنة، من تلاميذ وطلبة وسواح أجانب ومغاربة. وينعقد بقرب السد سوق أسبوعي يوم الأحد يزود السكان بالحاجيات الضرورية، كما ينعقد سوق أسبوعي آخر بواويزغت. ويقوم جدار السد بوظيفة أخرى هو تكوينه لقنطرة على طريق أزيلال بني ملال.

بحث ميداني : باحث طلبة الجغرافية بالسنة الرابعة بكلية الآداب - مراكش ؛ كتب عامة لجغرافية المغرب - تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية.

أحمد هوزالي

بين الويدان، سد على واد العبيد أحد روافد أم الربيع الذي تحظى مياهه بالوفرة والانتظام فصارت منذ العشرينات محط اهتمام بالغ من لدن السلطات الاستعمارية المحتاجة بإلحاح إلى الإنتاج الكهربائي. وهكذا تم تشييد أول سد بالمغرب بين عام 1925 وعام 1929 بسيدي سعيد امعاشو في سافلة النهر.

مباشرة بعد هذه الفترة، توسعت المساحة المسقية بواسطة الضخ في سهل تادلا، الذي يعد أقدم دائرة مسقية كبرى بالمغرب، وانطلق الري الانجذابي عن طريق تحويل مياه أم الربيع بفضل إنشاء سد صغير بقصبة تادلا بين عام 1929 وعام 1935، إلا أن انتشار الري كان جد بطيء، نظرا لتعقد البنيات الزراعية ولملوحة الماء (2٪). وحتى يتسنى تغطية كل مساحة السهل الجاف المتوفر على بعض المؤهلات الملائمة، من جودة في التربة وانبساط في التضاريس، وقع الاختيار على موضع جنوب شرق واويزغت بواد العبيد لإقامة سد بين الويدان (1949 . 1953). ويشكل هذا المجرى أهم روافد أم الربيع في الأطلس المتوسط، حيث تطعّمه شبكة مائية محلية كثيفة تغذيها مياه الأمطار والثلوج الغزيرة.

لقد ظل يعتبر سد بين الويدان أكبر سد في المغرب قبل الانتهاء من تشييد سد المسيرة سنة 1979. إذ يبلغ جدار سد بين الويدان 132,5 م ارتفاعا و290 م طولا. أما سمكه فيتراوح بين 5 م في الأعلى و28 م في القاعدة. وتسمح هذه الخصائص بخزن 1485 مليون م^3 وبتحويل 1160 مليون م^3 سنويا.

إن بناء هذا السد دشن بداية عهد المنشآت المائية الضخمة المشرفة على القطاعات المسقية الكبرى، حيث يتم التوفيق في استعمال الماء بين الري وإنتاج الكهرباء.

تستعمل مياه بحيرة بين الويدان أولا في تحريك العنفات الموضوعة أسفل السد والموجودة على مسافة تتراوح بين 59م و105م من رأس الجدار. تصل القوة التوليدية بالمحطة الكهربائية إلى 135.000 ك. و/س. وتمكن من انتاج معدل عادي يبلغ 200 مليون ك.و/س.

بعد ذلك تنقل المياه على بعد 4 كلم عبر قناة باطنية إلى حوض التعديل بسد أيت أو عرضة الذي تم بناؤه سنة 1954، والذي تبلغ سعته 4.1 مليون م^3 وقوته التوليدية 86.000 ك.و/س، ثم تحول المياه إلى المحطة الكهربائية بأفورار عبر قناة باطنية أيضا تمتد على مسافة 10.5 كلم ويبلغ قطرها 4.5 م ولا يتعدى صبيبها 48 م^3 / ث.

يتعرض التوزيع الأمثل لمياه بين الويدان بين المركب الكهربائي الضخم والسهل الزراعي الشاسع إلى عائق أساسي يتمثل في عدم توافق فترة الإنتاج الكهربائي وفترة الاحتياج إلى الري. ذلك أن جزءا من المياه المستعملة في محطة أفورار يفرغ في نهر أم الربيع أثناء الليل وخصوصا في فصل الشتاء، حيث يكون طلب السقي ضعيفا. ويزداد المشكل حدة عندما يتناقص منسوب المياه بالبحيرة، كما هو الشأن في فترة الجفاف الأخيرة (1981-1982)، حيث وصلت نسبة التخزين في حوض بين الويدان إلى 21,5٪ فقط. على إثر ذلك تقرر إخضاع تحريك عنفات أفورار إلزامياً إلى الحاجيات الفلاحية.

المحطات	1978	1982	1986
بين الويدان	239.6	47.5	78.2
أفورار	569.4	185.3	212
مجموع حوض أم الربيع	1125	409	403
مجموع المغرب	1393	555	625

خارج سهل بني موسى (جنوب تادلا) كانت تتوقع الدراسات الأولى رصد 90 مليون م سنويا (بصبيب 5م^3/ث) تصريفها إلى حوض القصبة الزيدانية، لتخفيف ملوحة مياه أم الربيع ولري 10000هـ إضافية بسهل بني عمير (شمال تادلا). كما كانت تتوقع رصد قدر مماثل لقطاع تاساوت الأسفل بمنطقة السراغنة، على بعد 40 كلم غرب بني موسى.

أما التصميم المديري لحوض أم الربيع الذي أنجز في بداية السبعينات فيوزع مياه واد العبيد بين تاساوت السفلي (169 مليون م^3) لري 27000 هـ وبني موسى (710 مليون م^3) إضافة إلى صب 231 م^3 من المياه غير المستعملة في نهر أم الربيع لتطعيم بحيرة سد المسيرة.

تنطلق من حوض أفورار، الذي تبلغ سعته 25000 م^3، قناتان رئيسيتان تسقيان 70000 هـ بسهل بني موسى وجزءا من السراغنة. وتتجه القناة اليمنى على امتداد 34 كلم نحو شرق بني موسى، حيث تصب 16 م^3/ث، وتتجه القناة اليسرى ـ الوسطى صوب الغرب.

بعد تسعة كيلومترات من أفورار تنطلق القناة اليسرى بصبيب 21 م^3/ث لتمتد على مسافة سبعة وثلاثين كيلومتراً. ومن هذه الأخيرة تتجه قناة نحو تاساوت السفلي على مسافة 33.5 كلم (6.8 م^3/ث). وفي نفس الملتقى تتفرع عن القناة اليسرى ـ الوسطى القناة السريعة المتجهة نحو الشمال على مسافة ثمانية عشر كيلومتراً (32 م^3/ث)، والتي تغذي القناة الوسطى الغربية (26 كلم و11 م^3/ث) والقناة الوسطى الشرقية (13 كلم و45 م^3/ث).

T. Benchekroun, *Fonctionnement du complexe hydro-électo-agricole des Beni-Moussa, Hommes Terre et Eaux*, N° 56, Rabat, 1984, p. 77 - 83 ; H. Etienne et D. Guessab, *La plaine du Tadla*, in *Ressources en Eau du Maroc*, Rabat, 1975, T. 2, p. 299 - 365 ; J. Loup, *L'Oum-Er-Rbia, contribution à l'étude hydrologique d'un fleuve marocain, Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien, Série Géologie et Géographique*, N° 9, Rabat, 1960 ; J. Martin (et al.), *Géographie du Maroc*, Rabat, 1967.

مصطفى عباد

بينس أركانذونيا (فرانثيسكو Bens)

Argandoña (Francisco)، جنرال إسباني ولد بمدينة لاهابانا La Habana بكوبا Cuba يوم 28 يونيو 1867. وفي سنة 1882 التحق بالأكاديمية العسكرية التي تخرج منها برتبة ملازم سنة 1885. نقل إلى إسبانيا ومكث بها إلى أن عاد إلى كوبا سنة 1887، وفي سنة 1893 نقل من جديد إلى مدريد ومنها إلى مليلة حيث شارك في الحرب الاسبانية المغربية ثم عاد إلى وطنه الأصلي في السنة التالية وهناك ارتقى لرتبة قبطان يوم 10 أبريل سنة 1897 ؛ وفي شهر نوفمبر 1898 نقل للمرة الثالثة والأخيرة إلى إسبانيا.

الكولونيل بينس بين جماعة من الصحراويين

كان بينس يعمل بحامية الجزر الخالدات عندما عين حاكماً سياسياً وعسكرياً بمقاطعة وادي الذهب في متم شهر ديسمبر سنة 1903، والتحق بمركز فيبا ثيسنيروس Villa Cisnerus يوم 17 يناير 1904 على رأس كتيبة تتكون من ملازم وواحد وثلاثين جندياً وممرض. وظل بينس بين جدران المركز لا يستطيع مغادرة شبه جزيرة الداخلة لمدة سبعة أشهر شأنه في ذلك شأن من سبقوه من الحكام منذ احتلال المركز المذكور يوم 3 نوفمبر 1884.

وكانت أول محاولة قام بها بينس لفك الحصار المضروب عليه من طرف المغاربة بقيادة الشيخ ماء العينين هي محاولته الفاشلة من أجل احتلال رأس جوبي (طرفاية) في

شهر مارس سنة 1911، تلتها محاولة أخرى فاشلة قام بها في شهر نوفمبر سنة 1914.

وبعد مرور أربع سنوات على فرض الحماية على المغرب تمكن بينس من احتلال رأس جوبي (طرفاية) يوم 29 يونيو سنة 1916، وعين يوم فاتح يوليوز من نفس السنة نائباً للمقيم العام الإسباني بالمغرب بحكم أن طرفاية كانت تعد المنطقة الجنوبية للحماية الإسبانية بالمغرب بمقتضى المعاهدة الإسبانية الفرنسية ليوم 27 نوفمبر 1912 ؛ هذه المنطقة التي عين بها مندوباً للخليفة السلطاني بتطوان السيد سالك بن عبد الله يوم 22 ديسمبر سنة 1917.

وفي 30 نوفمبر سنة 1920 تمكن بينس من احتلال الگويرة الواقعة بالرأس الأبيض، فكان ذلك سبب ارتقائه لترتبة كولونيل ؛ وظل بينس بمنصبه إلى أن أعفي منه في 7 نوفمبر سنة 1925، ولم ينشر مذكراته حول مقامه بوادي الذهب إلا سنة 1947.

وقد أرادت الحكومة الاسبانية أن تخلد اسم هذا الجنرال فأصدرت يوم 26 يوليوز 1949 مرسوماً يقضي بأن يطلق اسمه على قصبة طرفاية التي أصبحت تعرف عند الاسبان فيبا بنيس Villa Bens (بلدة بينس).

Général Bens, *Mis memorias (22 años en el desierto)*, Madrid, 1947 ; T. Garcia Figueras, *Santa cruz de mar pequena*, Ifni - Sahara, Madrid, 1941 ; L. Domenech, *Algo sobre rio de oro*, Madrid, 1946.

محمد ابن عزوز حكيم

بِّينطو، أسرة يهودية من أصل إسباني كانت بكثرة في طنجة ومراكش والصويرة والدار البيضاء، وكذلك بهولاندا وأمريكا الشمالية والجنوبية، نذكر من بين عناصرها :

بِّينطو، أبراهام بن يعقوب عاش في القرن الثامن عشر، وهو صاحب كتاب حيدوشيم عَال هَسخيت كتُبرت في تأويل التلمود، نشر عام 1813 باليونان.

بِّينطو، إسحاق الترجمان وهو الذي ترجم بنيويورك عام 1789 الرسالة التي وجهها السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 15 ذي القعدة عام 1202 / 17 غشت 1788 إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، هذا ما كتبه عنه لاريدو في *أسماء يهود المغرب*، ص 998.

بِّينطو، إسحاق عزي حاكو، المتوفى عام 1792 والذي كان لمدة أعوام على رأس إدارة الديوانة بطنجة.

بِّينطو، حييم كان ربّيا أكبر بالصويرة، توفي عام 1844 أو 1845. كان صوفياً قبالياً ينسب إليه جمهور اليهود كرامات عديدة وبركات لا تحصى. ومازال قبره محط عناية بالمقبرة اليهودية القديمة يحج إليه اليهود مرة في السنة في أفواج منظمة، وقد جمع مخلوف مزّال تريم في كتاب بالدارجة المغربية وبحروف عبرية كل ما قيل ويردده اليهود من أخبار عن حييم بينطو، ويحمل الكتاب عنوان سفر حييم وحسيد (حياة وطيبوبة)، نشر بالدار البيضاء في مطبعة إدّيال.

وكان ربيون كثير يحملون لقب بينطو، عاشوا بالمغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في المدن المذكورة، منهم ريُوتَن وأبراهام وإسحاق وميمون وموشي وشالوم وشلومو ومسعود ويعقوب ويوسف. ونشير إلى أن الربي يعقوب والد أبراهام المذكور الذي عاش بالصويرة وضع مع الربي شالوم بوزگلو وربيين آخرين كتاب الزهر بعنوان *مقداش مَالكي*.

A. Larédo, *Les Noms des Juifs* ; Y. Benaïm, *Malke Rabbanan* ; H. Zafrani, *Kabbale*.

سيمون ليڤي

پينطوس ليديسْما، Pintos Ledesma جنرال ولد بجزر كبدانة السّليبيّ سنة 1856 وتخرج من أكاديمية المشاة سنة 1873 بدرجة ضابط وحصل على درجة قطبان على إثر الخدمات العسكرية التي قدمها لبلاده أثناء الحرب الأهلية الإسبانية سنة 1876. شارك سنة 1879 في حرب كوبا كما شارك من سنة 1888 إلى سنة 1891 في حرب الفيليبين، ثم عاد إلى كوبا حيث ارتقى إلى درجة كولونيل سنة 1896، وفي السنة التالية رجع إلى اسبانيا حيث ارتقى إلى درجة جنرال سنة 1905. وفي سنة 1908 نقل إلى مليلة حيث شارك في الحرب التي كان يخوضها الجيش الإسباني الغازي ضد بطل المقاومة المسلحة بناحية الكرت الشريف سيدي مَحمد أمزيان. وفي يوم 27 يوليوز 1909 قتل الجنرال پينطوس في معركة خندق الذيب Barance del lobo الشهيرة حيث انتصر المجاهدون على الإسبانيين وأسفرت المعركة أيضا عن مقتل

مقتل الجنرال پينطوس في معركة فندق الذيب - 27 يوليوز 1909 -

خمسة ضباط برتبة كولونيل وثمانية برتبة قطبان، وسبعة برتبة ملازم، وعن جرح ضابطين برتبة كولونيل وآخرين برتبة كومندار وأربعة وأربعين برتبة قطبان، كما قتل خمسمائة وخمسة وعشرون من الجنود وجرح أربعة وثلاثون وخمسمائة آخرون.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف أمزيان والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*.

C. Martinez Campos, *España belica. El siglo XX, Marruecos*, Madrid, 1972 ; *Espasa Calpe*, T. 44, Madrid, 1921, p. 1099 ; Servicio historico militar, *Historia de las campañas de Marruecos*, T. 1, Madrid, 1947, p. 92.

محمد ابن عزوز حكيم

پينك، Pinque من السفن التي كانت شائعة الاستعمال في البحر المتوسط، وتطورت عن نوع بوكراع Chebec فأصبحت خلال القرن السابع عشر، من السفن الرئيسية في أسطول الجهاد السلاوي الموجهة لعمليات أعالي البحار. تتميز پينك أساسا بأشرعتها المربعة، وهي تشابه إلى حد جد كبير نوع البولاكر على مستوى ارتفاع الكوثر وحدة جؤجؤها وتسطح قعرها وارتفاع حمولتها النسبي المتراوح بين مائتين وثلاثمائة طنة. وقد متعها المجاهدون بمواصفات تستجيب لخصوصيات العمل وطبيعة المصب، بالرفع من سرعتها وسهولة انقيادها لاستغلالها أشرعة الصواري الثلاثة وربما لقوة المجاذيف أيضا وتجهيزها بحوالي عشرين قطعة مدفعية وطاقم في حدود مائتي رجل في المتوسط. ويظهر انقراضها بعد القرن السابع عشر، إذ ينعدم ذكرها بعد عهد مولاي إسماعيل.

R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 92.

حسن أميلي

پينيا گراندي، Peña Grande أي "الصخرة الكبيرة" اسم أطلقه الإسبان على مرسى تنافيذ الواقعة جنوب مرسى أوفيست المعروفة عندهم بالپرشيل El Parchel، وتحمل مرسى تنافيذ اسما إسبانيا آخر هو بُوِينْ خارْدِينْ Buen Jardin أي البستان الجيد.

A. Domenech Lafuente, *Algo sobre Rio de Oro*, Madrid, 1946, p. 74 - 75 ; I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955, p. 29 - 121.

بُينْيَة، أو بنية أو البنية، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس ومازالت أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Peña حتى اليوم ومعناه عندهم الصخرة وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان منذ سنة 1185 / 1771.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum* ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

بينيث، أسماك من فصيلة الأسقمري Scombridae ومن شائكات الزعانف Osteichthyens تعيش في البحار الاستوائية وشبه الاستوائية. منها خمسة أنواع تلعب دورا هاما في اقتصاد البلاد :

- بينيث سردينيه المسمى علميا Sarda sarda B يدعى بُنيتو في طنجة والعرائش و"بونيت" و"ساردا" في المحمدية والبيضاء و"بكورة" في أسفي. إنه سمك مخطط الظهر بلون أزرق لامع وباقي جسمه فضي. يبلغ طوله 50 . 90 سم ويتراوح وزنه ما بين 2 و7 كلغ. يعيش الكبار منه في جنوب المغرب قرب سواحل العيون وبوجدور. كما يعيش في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي ابتداءً من خليج كاسكوني إلى السنيغال ومن سواحل البرازيل إلى الولايات المتحدة. يسبح غير بعيد عن سطح البحر وسط مجموعات عديدة الأفراد. يكثر صيده في فصل الربيع والصيف بواسطة الشباك والمزربة. يتغذى من الأسماك الصغيرة والحيوانات البحرية الصغيرة.

- بينيث الأوقيانوس أو بينيث مخطّط البطن المسمى علميا Katsuwonus (Euthynnus) pelanis. L. وبالفرنسية Bonite à ventre rayé وبالإسبانية Listado يطلق عليه في المغرب ليستاو Listao. يعيش في البحر المتوسط وفي المحيط الأطلنطي ويكثر صيده في فصل الربيع والصيف. يبلغ طوله 50 . 100 سم ويتعدى وزنه أحيانا 5 كلغ. يتنقل وسط مجموعات متعددة الأفراد ويسبح غير بعيد عن سطح البحر ولايبتعد عن السواحل. يتغذي من صغار الأسماك والقشريات ويصاد بواسطة الشباك والمزربة.

- بينيث الفرقاطة Auxis thazard (Lac) سمك يعرف في المغرب بالأوكسيد المأخوذة من الفرنسية Auxide وميلڤا المأخوذة من الأسبانية Melva لايتعدى طوله 50 سم، ظهره أزرق، بطنه فضي لامع. يأكل الأنشوفة وصغار الأسماك ويعد من الأسماك القواطع.

- التونين الشائع Euthynnus alleteratus (Raf) يطلق عليه في البيضاء والمحمدية "الباكورة" و"ميلبا" و"منيرڤا" و"التونين" المأخوذة من الفرنسية. يبلغ معدل طوله 85 سم ولا يتعدى 100 سم، الظهر أزرق داكن، الجوانب والبطن رمادية فضية كثيرا ما يقترب من الشواطئ ويسبح غير بعيد عن سطح البحر.

- تازارت Orcynopsis unicolor نوع من البينيث يعرف في المغرب بتازات وإغَرْعال وبالُميت المأخوذة من الفرنسية. الجسم مضغوط جانبيا ولا يتعدى طوله 130 سم.

يلعب البينيث دوراً هاماً في الصناعة إذ تعلب منه كميات هائلة. يستهلك داخل المغرب ويصدر إلى الخارج. يصاد في مجموع السواحل المغربية، وتعتبر الحسيمة وطنجة والعرائش والبيضاء والجديدة وأگادير وأسفي أهم الموانئ التي تستقبل أكبر عدد من البينيث.

المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف القاهرة، 1932.

J. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast. Trav. Inst. Sci.* Rabat, Mémoires hors série, 1988, p. 101 - 104 ; W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et mer noire, Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987 ; G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique Marocain, Fiches FAO d'identifications des espèces pour les besoins de la pêche*, Rome, 1984.

محمد رمضاني

پيُو، گبريل Puaux Gabriel سفير من سلك السفراء الفرنسي من أولئك الذين استعملتهم وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية، من حين لآخر، في المستعمرات المحمية أو المنتدب عليها، فكان كاتبا عاما للحماية بتونس في العشرينات، ثم عين مندوبا ساميا لفرنسا بسوريا ولبنان في شهر أكتوبر سنة 1938 وامتد عمله هنالك إلى شهر نونبر سنة 1940، وتميز بإيقاف مجرى استقلال القطرين العربيين الذي كانت صيغته القانونية قد وضعت في معاهدتين متميزتين منذ أواخر سنة 1936 وشرع في العمل بمقتضاهما بالرغم من توقف البرلمان الفرنسي عن المصادقة عليهما، حتى إذا تقلد گبريل پيو مهامه بدمشق وبيروت بادر إلى

إبطال مجهودات الوطنيين السوريين واللبنانيين لبناء صرح استقلالهم مستعملا أساليب العنف واللعب على الحبال، ولقد قال في هذا الصدد : " لم أسترجع راحة البال في بيروت إلا يوم اقتنعت بأن المسألة السورية لا سبيل إلى حلها بناء على منهجية ديكارت".

ولما انهزمت فرنسا في ربيع سنة 1940، وانقسم الفرنسيون إلى مناصر لپيتان مناد بالتعامل مع ألمانيا، ومناصر لدى گول راغب في متابعة المقاومة ولو خارج التراب الفرنسي، كان گبرييل پيو من أولئك المسؤولين عن المستعمرات الذين لم يشغلهم سوى أمر المحافظة على ممتلكات فرنسا وراء البحار والحرص على صيانتها من الأطماع الألمانية والمنافسة الأنجليزية على حد سواء، ولذلك أبدى شيئا من التلكؤ في تنفيذ أوامر حكومة پيتان الرامية إلى السماح للطيران الألماني باستعمال القواعد الجوية السورية واللبنانية، خوفا من أن يؤدي الأمر إلى احتلال أنجلترا للقطرين، فجاء قرار پيتان بعزله من مندوبية سوريا ولبنان، فلجأ إلى تونس وأقام بها بغير وظيف إلى أن كان نزول جيوش الحلفاء بإفريقيا الشمالية وتم طرد الألمان والطليان من المنطقة، واستتب الحكم للجنرال دى گول فانتقاه ليكون مقيما عاما بالرباط خلفا للجنرال نوگيس (يونيه 1943).

كان تعيين پيو إشارة واضحة للجهات الوطنية المغربية التي كانت تتبع ما يجرى بسوريا ولبنان بعدم استعداد الحكومة الموقتة الفرنسية، بالرغم مما لحق بفرنسا من الهزائم، إلى الإصغاء إلى مطالب تمس بجوهر الوضع الاستعماري بالمغرب. فلما تقدم الوطنيون بعريضة الاستقلال يوم 11 يناير 1944، لجأ گبرييل پيو إلى أدوات الضغط والقمع وتعمدت زبانيته استفزاز مشاعير الجماهير المغربية واستدرجتها إلى الشوارع لتداهمها بنفس القوات العسكرية التي كانت تحشد بالمغرب آنذاك لتحرير التراب الفرنسي من وطأة النازية، وذلك بالقاء القبض على موقعي العريضة. ولما خرجت الجماهير تحتج في الرباط وسلا وفاس، قتل من قتل وسجن من سجن ومورست أبشع الضغوط على سلطان البلاد سيدي محمد بن يوسف ليُقيل وزيرين من وزرائه، هما الشيخ محمد بن العربي العَلوي والسيد أحمد بركاش، ورام گبرييل پيو أن يلزمه بالتبرؤ من حزب الاستقلال لكن دون جدوى. وكانت تلك الممارسات المنافية لمفهوم عقد الحماية لا تهدف سوى للانتقام من لقاء أنفا، سنة قبل ذلك، الذي ظهر المغرب فيه بلدا ذا سيادة في شخص ملكه يوم اجتمع رأسا لرأس مع الرئيس الاميريكي فرانكلين روزفيلت بغير حضور المقيم العام آنذاك الجنرال نوگيس، وكان الهدف منها أيضا إحباط الحركة الاستقلالية وهي مازالت في نشأتها الأولى، عساها تتوقف نهائيا أو يترك قمعها متسعا من الوقت أمام أرباب الاستعمار.

ولما انتهى گبرييل پيو من الضرب والتنكيل انتقل إلى أساليب الترغيب والمخاتلة، فوضع في شهر مارس سنة 1944 مشاريع لبعض الإصلاحات، في الإدارة العامة لإقرار شيء من المساواة بين الموظفين الفرنسيين والمغاربة على أن تكون الشواهد والمؤهلات متساوية، وفي العدل لإدخال شيء من فصل السلط بين أجهزة السلطة وأجهزة القضاء والتخفيف من جبروت القواد والباشوات المسخرين للاستعمار، وفي التعليم بفتح عدد من المدارس والثانويات أمام الأطفال المغاربة ولو من باب تعزيز الإشعاع اللغوي والحضاري الفرنسي، وفي الفلاحة بحكم أنها أساس الاقتصاد المغربي وسبب رزق السواد الأعظم من المغاربة، بإقرار مبدأ صيانة الملك العائلي وحفظ الفلاح في جزء من أرضه مهما صغر، وبوضع نظام لإدخال التقنيات العصرية على الزراعة التقليدية هنا وهناك عبر البوادي المغربية، مما أطلق عليه عبارة "القطاعات العصرية للپيزانا"، وكانت تلك المشاريع الإصلاحية مجرد اعتراف غافل عن تقصير الحماية في تلك الميادين بالرغم من مرور جيل كامل على تاريخ إبرامها. ولقد كتب الزعيم علال الفاسي في شأنها قائلا : "الحقيقة أن التجربة دلتنا على أن الإصلاحات التي تضعها الإقامة ليست إلا شيئا خياليا لامصداق له، أو أنه في العمق محاولات جديدة لغصب البقية الباقية من مظاهر السيادة المغربية أو التراث الوطني". ولذلك رفضت الحركة الوطنية مشاريع گبرييل پيو وفندت مضامينها ومقاصدها الظاهرة والخفية جملة وتفصيلا، هذا فضلا عن كون العلاقات بين سلطان البلاد والمقيم العام كانت قد فسدت بما لاسبيل إلى تداركه، وكيف لا والمقيم العام گبرييل پيو الذي وصفه بعض المؤلفين الفرنسيين بانه "أشد الموظفين السامين تمسكا بروح المحافظة وأكثرهم اطمئنانا إلى سعة علمه وتفوق بلده في كل شيء أبد الآبدين". ولما قام سيدي محمد بن يوسف بزيارته الأولى إلى فرنسا غداة الحرب في يونيه سنة 1945، استطاع أن يقنع الجنرال دوگول بضرورة إبعاد گبرييل پيو عن المقيمية، واستطاع دوگول أن يمهد للأمر قبل استقالته عن الحكومة في شهر يناير سنة 1946، فتم تعويض پيو بسفير آخر هو إيريك لابون في مارس من نفس السنة.

ولم تنته بذلك صلات گبرييل پيو بالمغرب العربي، لأنه عاد إلى تونس وبها انتخب ممثلا للجالية الفرنسية بمجلس الشيوخ فكانت له جولات إضافية في مناوأة التيار التحرري بإفريقيا الشمالية.

S. Bernard, *Maroc, 1943 - 1956*, Université Libre de Bruxelles, 1963 ; R. Bidwell, *Morocco under colonial rule, French administration of tribal oren 1912 - 1956*, London, 1973 ; Ch. A. Julien, *L'Afrique du Nord en marche*, Paris, 1952 ; *Le Maroc face aux impérialismes*, Paris, 1978 ; R. Letourneau, *Evolution politique de l'Afrique du Nord musulmane 1920 - 1961*, Paris, 1962 ; G. Puaux, *Deux années au levant, Souvenirs de Syrie et du Liban* 1936 - 1940, Paris, 1952 ; F. Taillard, *Le nationalisme marocain*, Paris, 1947.

إبراهيم بوطالب

البيوت، قرية بفرقة الغابويين من قبيل أنجرة، اشتهرت لكونها أصبحت منذ تأسيسها، إن لم نقل إنها

أسست لذلك، رباطا للمجاهدين الذين كانوا يحاصرون مدينة سبتة منذ احتلالها من طرف البرتغال سنة 818 / 1415.

وعندما قام الجيش الإسباني بغزو المغرب انطلاقا من مدينة سبتة عام 1276 /1859 كانت قرية البيوت مكان تجمع القوات المغربية النظامية والمجاهدين المتطوعين. وتقول الوثائق الإسبانية إنه في سنة 1330 / 1911 عندما بدأت القوات الإسبانية المرابطة بمدينة سبتة تمهد لاحتلال مدينة تطوان، كان عليها أن تحسب للمجاهدين سكان قرية البيوت ألف حساب وذلك لأنهم يعتبرون أكثر المجاهدين المغاربة شجاعة وحماسة بقبيلة أنجرة.

وقد تمكن الجيش الإسباني من احتلال عدة أماكن مجاورة لقرية البيوت مثل كدية فدريكو وكدية بني مزالة المحتلة يوم 7 مارس، وكدية أفرسيان المحتلة يوم 14 من نفس الشهر وجبل نكرو والمضيق المحتلين يوم 23 ماي، لكنه لم يستطع الاستيلاء على قرية البيوت بالرغم من المحاولات العديدة التي قام بها.

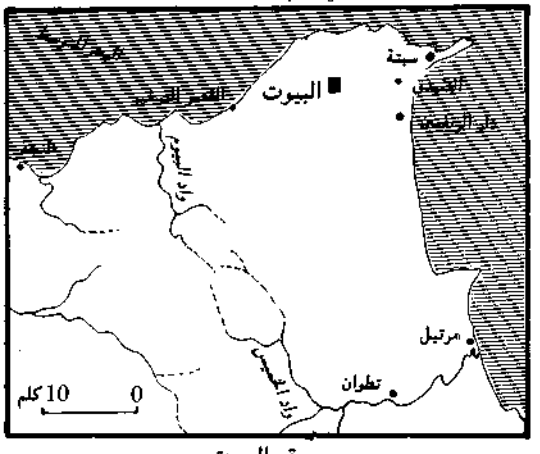

موقع البيوت

وبعد أن احتلت القوات الإسبانية مدينة تطوان يوم 12 ربيع الأول عام 1331 /19 فبراير 1913 ظلت قافلات التموين الإسبانية تتعرض في طريقها من سبتة إلى المدينة المذكورة لهجومات مجاهدي البيوت، الشيء الذي أدى إلى وقوع معارك بكدية الفحامين وكدية أفرسيان وكدية فدريكو ودار الريفيين أيام 15 و16 و19 و21 و22 غشت و5 و8 و10 و13 و15 و17 و22 سبتمبر من السنة المذكورة وقد فقد فيها الإسبان ثمانين ضابطا ومائتي جندي.

وهذا ما جعل القيادة العسكرية الإسبانية تفكر من جديد في الاستيلاء على قرية البيوت، ومن أجل ذلك حشدت بمدينة سبتة جيشا يتكون من 22.000 من المشاة و6.000 من الفرسان وعين على رأسه الجنرال ميلانس Milans. وفي يوم 26 رجب 1334 /29 يونيو 1916 توجهت القوات المذكورة إلى قرية البيوت حيث جرت معركة دامية مات فيها من الإسبان كولونيل واحد وكومندارن وثلاثة ضباط صغار وواحد وسبعون جندياً وجرح كولونيل آخر واثنان وعشرون ضابطاً ومائتان واثنان وستون جندياً، وكان من بين الجرحى القبطان فرانكو Franco الذي سيصبح رئيسا للدولة الإسبانية.

وجاء في البرقية التي وجهها المقيم العام الإسباني بتطوان الجنرال خوردانا Jordana إلى حكومته يوم 26 يوليوز : "إني أعتبر العملية التي مكنتنا من احتلال البيوت أهم العمليات العسكرية التي قمنا بها لحد الآن بأرض إفريقيا على الاطلاق"، والدليل على صحة ذلك أن الجيش الإسباني ما كان له أن يتمكن من احتلال قرية البيوت لولا مشاركة الشريف الريسوني في العملية على رأس 6000 من رجاله. ولمشاركة الشريف الريسوني في العملية سببان : الأول هو أنه كان في حالة هدنة مع الإسبانيين منذ أن وقّع معهم اتفاقية سبتمبر سنة 1915 التي فرضتها الظروف الناتجة عن الحرب العالمية الأولى، والسبب الثاني هو أن الشريف وجد في ذلك فرصة لتأديب قبيلة أنجرة التي كانت هي القبيلة الجبلية الوحيدة التي رفضت الانضمام إلى حركة المقاومة المسلحة التي كان يقودها الشريف الريسوني.

ت. الوزاني، *تاريخ المغرب*، 3 : 153 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، 4 : 140، 157، 169.

Campañas, T. 2, p. 652 - 654 - 735 - 819 ; T.Garcia Figueras, *Marruecos*, p. 113 ; C. Martinez Campos, *España bélica, El siglo XX (Marruecos)*, Madrid, 1972, p. 167 - 169.

محمد ابن عزوز حكيم

البيوغرافيا، (أنثروبولوجياً) لقد اختار بعض الأنثروبولوجيين الأمريكيين البيوغرافيا كأداة منهجية لدراسة الإنسان والمجتمع في المغرب. لكن بينما شكلت بالنسبة لبعضهم مجرد منفذ للتحدث عن التاريخ والمجتمع، شكلت بالنسبة لبعضهم الآخر أداة ثمينة لفهم العلاقة مع الثقافات المغايرة. ضمن المجموعة الأولى يمكن إدراج عمل ديل ريكْلمان Dale Eickelman الذي كتب "بيوغرافيا اجتماعية" تتوخى رصد السياق الاجتماعي لتطور التعليم الديني في المجتمع المغربي إبان القرن العشرين، وذلك من خلال تتبع مراحل البيوغرافيا الشخصية والعلمية لقاض قروي مقيم في بزو بالأطلس الأعلى. لقد أبرز طبيعة التربية الدينية في الكتّاب، باعتمادها القوي على الذاكرة والتلقين السلطوي، إضافة إلى المراحل التي يقطعها الطالب إلى أن يصل، إن هو استمر في الدراسة، إلى جامع ابن يوسف، وتتخلل عرض هذه المسيرة الدراسية إشارات وتعليقات على أهم الصراعات التي كانت آنذاك تمزق نسيج المجتمع المغربي، كصراع الملك والحركة الوطنية مع الاستعمار، أو الصراع الذي واجه بين تيار الإصلاح الديني وتيار الدعوة الطرقية.

لقد ابتعد عن مفهوم تاريخ الحياة لأن الحاج عبد الرحمن المنصوري، مع أنه كان أحيانا يأخذ الكلمة في النص، فإن الباحث ظل مع ذلك هو المتحدث الرئيسي الذي يتجاوز باستمرار الوقائع الخام في البيوغرافيا لتحليل ما بوازيها من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية ومناخية عاشها المجتمع المغربي برمته، أو لإنجاز مقارنات، حول

نفس القضايا، بما شهدته مجتمعات أخرى، أو يتجه إلى الاعتماد، إضافة إلى الرواية الشفوية للمبحوث عنه على ما سجله ووثائقه الشخصية، أو مقابلة أقربائه وأصدقائه ممن كانوا على صلة بعائلته وتلقوا مثله التعليم الديني، أو حتى على جريدة *السعادة* التي استخلص منها معلومات عن زواج المبحوث عنه. لقد تمكن الباحث، انطلاقا مما يتصور أنه المعرفة الجوهرية، من دفع المبحوث عنه إلى تجاوز ما تمثله الترجمة عادة من تقديم صوري للذات، إلى حد أن المعلومات التي أدلى بها للإثنوغرافي كانت أكثر غزارة من تلك التي رواها لأبنائه.

ونفس هذا التوظيف الأدواتي للبيوغرافيا نجده في اعتبار جُونْ واتربُري John Waterbury أن ما هو عام في التجربة الحياتية للحاج إبراهيم، كتاجر سوسي مقيم بالدار البيضاء، أهم مما هو حميمي وفريد في شخصيته، مما دفعه إلى الاهتمام بما تمثله سيرته من تغير في أنماط السلوك والتفكير في المجتمع المغربي. وإذا كان قد عمد إلى التحقق من رواية محاوره بخصوص التواريخ والأحداث الكبرى، فقد اقتصر، مقابل ذلك، على ذاكرته كلما تعلق الأمر بأحداث يغلب عليها الطابع الشخصي والعائلي، معتبرا أن كيفية التحدث عن الماضي أكثر دلالة من مدى تطابق الحديث مع وقائعه.

لقد قارب سيرته انطلاقا من إشكالية ماكس فيبر حول العلاقة ما بين النجاح الاقتصادي والأخلاق البروتستانية، كما حاول أن يختبر رد فعل الحاج إبراهيم إزاء الافتراضات التي طرحها دافد مكللاند David MacLelland بخصوص السبل المؤدية إلى التنمية الاقتصادية.

وبموازاة ذلك اتخذ من سيرته سبيلا إلى اختبار مدى استمرارية صلاحية الطرح الخلدوني بخصوص حاجة التجار المغاربيين إلى حماية الحكام؛ كما أنه حللها في ضوء شروط تاريخية تحتضنها لا محالة، من جملتها عدم توفر السوسيين على تقاليد اقتصادية عريقة، إضافة إلى ضعف مشاركتهم في الأجهزة البروقراطية والسياسية الحاكمة.

وإذا كان الباحث قد أفسح المجال أحيانا أمام المبحوث عنه لكي يعبر عن آرائه ومواقفه حول الإسلام والحياة التجارية والسياسية والاجتماعية في المغرب، فإنه ظل مع ذلك ماسكا بزمام التأويل، إما بالاستناد إلى وقائع ملموسة كحادثة الزيوت المسمومة سنة 1959، أو انطلاقا من دراسات نظرية عامة أو خاصة بالمغرب، أو من خلال مقارنات بظواهر مماثلة في مجتمعات أخرى إسلامية وغير إسلامية.

وفي سياق منظور مماثل اتجه هنري منسون Henry Munson إلى دراسة ظواهر التغير الاجتماعي والفكري من خلال تحول وضعية المرأة والفلاح والمهاجر، وكذا من خلال فهم المستجوبين لسيرورات الاستعمار والقومية والتبعية والتحديث، وذلك في منطقة قروية مجاورة لمدينة طنجة. وقد اعتمد كأداة منهجية البيوغرافيا الشفوية لأربعين عضوا من عائلة سي عبد الله على أن هذا التعدد البيوغرافي لا ينحصر فقط في وفرة السير الواردة في نطاقه، بل يشمل أيضا مستوى الرواية، ومكان حدوثها، ومستوى التقنيات المنهجية المستعملة لتحصيلها. إن مصدر كل البيوغرافيات الواردة في هذا المؤلف فاطمة الزهراء - زوجة المؤلف - وخالها الحاج محمد. لقد وزع الباحث أحيانا عمل الرواية بينهما، لكن الغالب هو أنه جعلهما يتحدثان عن نفس الأشخاص ونفس الظواهر. ثم إن كل البيوغرافيات الواردة على لسان الحاج محمد تم تسجيلها بالمغرب، في حين أن معظم البيوغرافيات التي روتها فاطمة الزهراء تمت في الولايات المتحدة. وإذا كان مكان الرواية البيوغرافية يؤثر على طبيعتها، فإن نفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لأسلوب تحصيلها. فبينما استعملت آلة التسجيل في المقابلات التي تمت بين الحاج محمد والباحث، اقتصر هذا الأخير مع فاطمة الزهراء على الكتابة المباشرة للروايات المدلى بها. لكن، إلى جانب ذلك سوّى بينهما لما أدرج في رواياتهما البيوغرافية معطيات وتصورات سمعها الباحث منهما بصفة غير مباشرة، وفي إطار جلسات جماعية، طيلة مدة إقامته بالمغرب، وأيضا لما منح لهما فقط امتياز إيراد سيرتهما الذاتية. لقد وضع المؤلف وسيطا بينه وبين الأشخاص الذين أورد بيوغرافيتهم، بلا شك لمعرفة مدى الاختلاف بين كل من النظرة الغربية لدى فاطمة الزهراء، والنظرة الإسلامية الأصولية للإنسان والمجتمع لدى محمد، وأيضا لمعرفة أهم السيرورات التي مر بها هذا المجتمع القروي في القرن العشرين من خلال المعيش اليومي والتجربة الداخلية.

ومن بين الباحثين الذين وظفوا البيوغرافيا ضمن أفق إعادة النظر في علاقة الأنثروبولوجيا بالذات وبالآخر "كفين دوير" و"فنسان كربنزانو" Kevin Dwyer et Vincent Crapanzano.

فخلافا للمقاربة الإبستمولوجية التي تمنح الأولوية في العمل الإثنوغرافي للحظة التأويل والكتابة، عمد "كفين دوير"، في محاولته كتابة بيوغرافيا فقيه من جنوب المغرب إلى إعطاء الصدارة للمقابلة الميدانية. مثل هذه التجربة، لما تستند إلى حوار الأحداث الشخصية التي اكتنفت حياة الراوي، تصبح مناسبة من جهة لتحليل عملية التفاعل مع ثقافة مغايرة، ومن جهة أخرى مدخلا لإعادة النظر في طبيعة البحث الأنثروبولوجي.

لقد قدم لنا الباحث نصا حواريا مثبتا بذلك أن الدور النشط للأنثروبولوجي يبدأ منذ الشروع في التحاور مع الآخر، وأن التفاعل الرئيسي لا يتم بين الباحث ونصه بقدر ما يتم بين الباحث والآخر. هذه المجابهة الجدلية وحدها، وليس الراوي ككائن منعزل، هي التي تسمح بإنتاج النص الإثنوغرافي. وإذا كان الباحث قد اختار تقريب الميدان، ما أمكن، من نظر القارئ، فلأنه مقتنع بأن لحظة التأويل ليست هي الحاسمة في تحديد دلالة النص، ثم لأنه لا يود

تجريد القارئ من وسيلة تقييم مدى علمية البحث. وإذا كان قد اتجه إلى تأكيد حضوره كمحاور في النص فلكونه يعتبر أن الموضوعية لاتمر عبر إلغاء ذات الباحث، ولا عبر "تعدد البيوغرافيات"، وإنما عبر الاعتراف الصريح بالبعد الذاتي للباحث. ولعل إعفاء الأنثروبولوجي من مسؤولية تحديد الدلالة النهائية للنص يفسح المجال أمام اعتباره ليس كعمل نهائي ومكتمل، وإنما كتجسيد لمساهمة كل من الأنثروبولوجي والمخبر والقارئ في بلورة المشروع الإثنوغرافي.

وانطلاقا من المزاوجة ما بين الأنثروبولوجيا وبعض التصورات الجديدة في النقد الأدبي عمد "فانسان كرابنزانو" إلى كتابة تاريخ "التهامي". لقد أجرى معه مقابلات متكررة حول كل ما تخلل حياته بمكناس من وقائع. إن الباحث لم يسع فقط من خلال التهامي إلى معرفة عامة بحقبة تاريخية أو تقليد ثقافي بل أيضا إلى رصد مواقف أساسية من قضايا كالزمان والطبيعة وما فوق الطبيعة والشخص والعلاقات الاجتماعية. لقد تعامل مع تاريخ الحياة كنوع أدبي مغاير للتاريخ الشخصي كما ورد لدى بلزاك وفلوبير وزولا، لكن قريب من الرواية الجديدة فيما تقدمه من شهادات عن الطبيعة المجزأة والمستلبة لأبطالها. لقد أثار انتباه الباحث كون رواية التهامي لم تكن تتجه إلى الإخبار بقدر ما كانت تتجه إلى الإيحاء، بحيث إن اللغة التي استعملها لم تكن تسمح بالتمييز الواضح بين ما هو واقعي من جهة، وما هو وهمي وخيالي من جهة أخرى. إن من جملة ما تعلمه الباحث في هذا العمل أهمية التمييز بين ما يفترضه التاريخ الشخصي من مطابقة بين الرواية والأفعال الفردية، وحقيقة السيرة الذاتية التي لا توجد في الواقع بقدر ما توجد في النص. إنه ليس بإمكان الإثنوغرافي أن يعرف الحياة الذهنية والوجدانية للمبحوث إلا عبر وساطة النص. ومع ذلك، فإزاء موقف الباحثين الاجتماعيين الذين يضحون عموما بالمعطيات لحساب النظرية، ونقاد الأدب الذين يعطون الأولوية للنص على النظرية، حاول الباحث أن يخلق نوعا من التوازن الهش بين مختلف هذه العناصر.

من خلال الأعمال السالفة الذكر يتبين إذن أن البيوغرافيا لا تشكل بالنسبة للأنثروبولوجيين الذين درسوا المغرب سوى أداة منهجية يتم توظيفها بالأساس إما لمعرفة المجتمع والثقافة والتاريخ، أو لغرض إعادة بناء العلاقة مع الثقافات الأخرى، وعبرها علاقة الباحث بذاته وهويته الحضارية.

J. Waterbury, *North for the Trade*, University of California Press, London, 1972 ; V. Crapanzano, *Tuhami, Portrait of a Moroccan*, The University of Chicago Press, 1980 ; D. Kevin, *Moroccan Dialogues*, The John's Hopkins University Press, 1982 ; H. Munson, *The House of Si Abd Allah*, Yale University Press, 1984 ; D. Eickelman, *Knowledge and Power in Morocco*, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1985 ; P. Rabinow, *Un ethnologue au Maroc : Reflexions sur une enquête de terrain*, Paris, 1988.

المختار الهراس

بيوگرا، مدينة صغيرة (2974 نسمة سنة 1982) تقع بسهل شتوكة الغربية، عند قدم الأطلس الصغير الغربي، على طريق تافراوت، عند النقطة الكيلومترية 17 جنوب - غرب المجموعة الحضرية لأگادير الكبرى.

يتميز هذا المركز بكونه تأسس في أواسط القرن الحالي من طرف سلطات الحماية، بهدف إدارة ومراقبة قبائل سهل شتوكة وهضبة كردوس ومراقبتها، وشهد تطورا سريعا في خضم التحولات الهامة التي طرأت على محيطه بعد الاستقلال، والمتمثلة في التركز الهام للزراعة العصرية خاصة زراعة الطماطم، ومؤخرا، زراعة الموز والورود، نظرا لامكانيات السقي التي توفرها مياه الفرشة الباطنية القريبة من السطح ومياه سد يوسف ابن تاشفين.

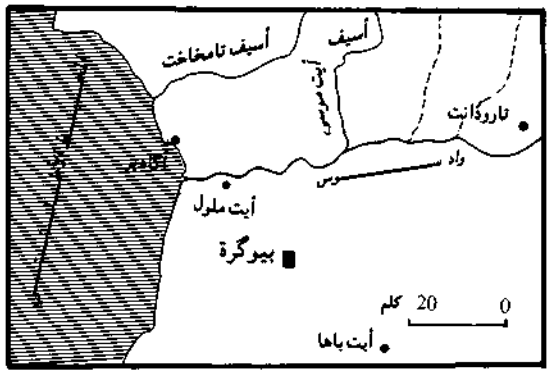

موقع بيوگرة

أصبحت بيوگرا منذ سنة 1973 مقرا لجماعة ودائرة في نفس الوقت تتكون من اثنتي عشرة جماعة قروية، خمس منها تقع بسهل شتوكة وماسا وسبع بالأطلس الصغير، وتضم ثلاثة مراكز حضرية كلها مصنفة في فئة ما يسمى بالمراكز الأخرى وهي :

- ماســـا : 6037 نسمة
- أيت باها : 1931 نسمة
- بيوگـــرا : 2974 نسمة

وتأتي هذه الدائرة في المرتبة الثانية بإقليم أگادير بعد دائرة إنزگان من حيث العدد الإجمالي للسكان، حيث تضم 202.096 نسمة حسب إحصاء سنة 1982. وكذلك من حيث عدد الحضريين (10.939 نسمة فقط في مقابل 10.383 نسمة بالنسبة للدائرة الأولى انزگان).

وقد تمت ترقية هذا المركز إلى رتبة مدينة سنة 1982. وقُدِّر عدد سكانه سنة 1988 بـ 3.932 نسمة. ولعب التوافد دوراً هاماً في تعميره وخاصة بعد سنة 1978 حيث تصاعدت حركته بشكل ملحوظ إذ بلغت نسبة القادمين 66٪ من مجموع أرباب الأسر الوافدة عليه منذ نشأته. وتعتبر دائرته منطقة استقطابه الرئيسية حيث بلغت نسبة المنحدرين منها 87٪ من مجموع أرباب الأسر، وإن كانت نسبة هامة من الوافدين من خارج سوس للعمل بالاستغلاليات الزراعية أو بمعامل التصبير ينتهي بهم المطاف إلى الاستقرار بهذا المركز الذي مازال يطغى عليه الطابع الريفي.

ويظهر تركيب سكانه هيمنة الذكور، وذلك بنسبة 53.11٪ مقابل 46.89٪ بالنسبة للإناث، وسيادة الفئات التي تقل أعمارها عن 20 سنة 53.82٪ (52.11٪ من مجموع الذكور و47.89٪ من مجموع الإناث)، بالإضافة إلى ضعف نسبة النشاط الفعلي التي لا تتجاوز 20٪.

كما تجدر الإشارة إلى أن هذه المدينة الصغيرة، رغم صغر حجمها وحداثة نشأتها وطابعها الريفي، تتميز بتنوع مواردها الاقتصادية. وأهم أنشطتها هي :

- الصناعة الفلاحية : تتمثل في صناعة التلفيف التي تحددت منذ إدخال زراعة الطماطم والحوامض إلى سوس، الشيء الذي مكن هذا المركز بحكم موقعه وسط أهم منطقة منتجة للطماطم من جلب مجموعة من الوحدات الصناعية. وتوجد به حاليا محطة واحدة لتصبير الحوامض وأربع محطات كبرى لتلفيف الطماطم، بالإضافة إلى عشرات الوحدات الصغرى المختصة أيضا في تلفيف أنواع أخرى من الخضر. على أن من شأن هذه الوظيفة أن تتعزز أكثر مستقبلا نظراً للانتشار المتزايد لزراعة الموز والورود بسهل شتوكة.

- التجارة : تعتبر نشاطا اقتصاديا رئيسيا وتتميز بوجود 772 محلا دائما و10 مؤسسات متخصصة في تجارة الجملة، وسوق كبير يستقطب أسبوعيا أزيد من 1060 تاجرا، بالإضافة إلى سوق صغير للجملة متخصص في تجميع الخضر والفواكه وتوزيعها.

- الوظيفة العمومية : أصبحت منذ سنة 1973 من الأنشطة المحركة لاقتصاد المركز، ويرجع ذلك إلى تقوية الجهاز الإداري بعد ترقيته إلى مقر لمركز الدائرة، وتوسيع خدماته الاجتماعية والثقافية بخلق إعداديتين وثانوية واحدة، وذلك ما زاد في نفوذه الذي أصبح يتجاوز دائرته ليمتد على سافلة سوس بأكملها، وإن كانت منطقة نفوذه المباشرة يتداخل فيها نفوذ مدن السهل الاخرى.

تستفيد مدينة بيوگرا أيضا من موارد أخرى إضافية تتمثل في عائدات الهجرة إلى الخارج التي يوظف معظمها في قطاع البناء والفلاحة.

وهكذا نستخلص أن بيوگرا تعتبر أصغر مدن سهل سوس، وإن كانت نشأتها الحديثة وتطورها قد ارتبط حتى الآن بالتحولات الفلاحية التي شهدها محيطها، فان موقعها بضاحية مدينة أگادير الكبرى يؤهلها أكثر من أي مركز آخر لاجتذاب جزء من سكانها وبعض أنشطتها. وهذا ما يرشحها لتغيرات سريعة في المستقبل القريب.

تحريات شخصية، وأبحاث ميدانية قام بها طلبة الإجازة بكلية الآداب بأگادير.

عثمان هناكا

بييا بينْس، Villa Bens أطلقه الإسبان على الفندق الذي كان بناه الأنجليزي ماكينزي Mackenzie بالقرب من رأس جوبي Cabo Juby وأطلق عليه اسم بويرطو بيكطوريا Puerto Victoria وهذا الفندق هو الذي بنيت حوله فيما بعد مدينة طرفاية.

في سنة 1335 / 1916 كانت قد مرت على الاحتلال الإسباني لشبه جزيرة الداخلة إحدى وثلاثون سنة دون أن تتمكن إسبانيا من بسط نفوذها على الصحراء المغربية التي أصبح لها "الحق" في احتلالها بمقتضى المعاهدة التي أبرمتها مع فرنسا في 27 يونيو 1900، كما أن إسبانيا لم تتمكن من احتلال مقاطعة طرفاية التي اعترفت لها بها فرنسا في معاهدتي 3 أكتوبر 1904 و27 نوفمبر 1912.

المحاولة الأولى التي قام بها الكولونيل بينس الحاكم الإسباني لهذا المركز من أجل احتلال رأس جوبي Cabo Juby بمقاطعة طرفاية باءت بالفشل حيث إن بينس لم يستطع أن يظل بتلك الناحية إلا سبعة وعشرين يوما (20 أكتوبر - 16 نوفمبر 1914) وذلك بفضل مساعدة الشيخ محمد الأغظف بن الشيخ ماء العينين الذي كان في حرب مع فرنسا ويفضل أن تقع طرفاية بيد الإسبان.

وفي 29 يونيو 1916 تمكن بينس بمساعدة الشيخ المذكور من احتلال رأس جوبي بكتيبة عسكرية تتكون من ستة وثلاثين جندياً مغربياً، غير أنه عندما استولى على فندق ماكينزي لم يرفع فوقه العلم المغربي بل رفع العلم الإسباني وكأن الأمر يتعلق بمستعمرة إسبانية، في حين أن بينس قال في البلاغ الذي أصدره يوم فاتح يوليوز بأن احتلاله لرأس جوبي كان "بصفته" ممثلا لصاحب السمو الملكي الخليفة مولاي المهدي" وتكريما لهذا القائد أطلقت إسبانيا على فندق طرفاية اسم بييا بينس، ومن ثم أصبحت مقاطعة طرفاية تعرف بالمنطقة الجنوبية للحماية الإسبانية بالمغرب، حيث عين بها الشيخ محمد الأغظف مندوبا للخليفة السلطاني في شمال المغرب، وهكذا أصبحت مصاريف إدارة طرفاية تثبت في ميزانية المخزن الخليفي ابتداء من سنة 1917، وصدر بذلك الظهير الخليفي المؤرخ في 28 رجب عام 1335 / 20 ماي سنة 1917 (الباب الثالث، الفصل الوحيد، البند الأول من الميزانية).

وعندما اعترفت إسبانيا باستقلال المغرب يوم 7 أبريل سنة 1956 امتنعت من تسليم مقاطعة طرفاية ولم تتنازل عنها إلا بعد أن تم التوقيع على الاتفاقية المبرمة بينها وبين المغرب بمدينة ثينطرا Cintra البرتغالية سنة 1958، فعادت طرفاية إلى حظيرة الوطن.

Bens, *Mis memorias : 22 años en el desierto*, Madrid, 1947 ; I. Camero Ruiz, *Vocabulario geografico-Saharico*, Madrid, 1955; *Boletin oficial de la zona de Protectorado español en Marruecos*, Tetuan 10 Julio 1916 y 25 de mayo de 1917.

محمد ابن عزوز حكيم

بييا ئيسنيروس← الداخلة

بييا ، حمو، تورد الوثائق الأوربية اسمه بعدة أشكال Bijau, Hamou, Buya, Buya, Beja, Hamu, Beya وانظر ما علاقته بالقائد الذي ذكره الفشتالي (*مناهل*، 163) باسم بغا، واعتبره من قواد السلطان أحمد المنصور.

ظهر هذا القائد كأحد قواد ولي عهد المنصور، ابنه

محمد الشيخ المامون، فقد قاد جناحا من الجيش الموجه لحرب الناصر في معركة الركن (3 غشت 1595)، وجرح هو وابنه في هذه المعركة. كما نجده مرة ثانية في حرب الناصر مشاركا في الانتصار عليه، فهو الذي كلف بنقل جثة الناصر إلى فاس.

S.H.M, Série Sa'adienne, France, T. 2 ; *Angleterre*, T. 2.

عبد اللطيف الشاذلي

بيبا خورنادا ← قلعة صنهاجة

بِيَّا سانْخُورْخُو ← الحسيمة

البيَّاري، أسرة تطوانية أصلها من قبائل جبالة وكان من بين أفرادها في تطوان :

البيَّاري، أحمد فقيه كان يزاول خطة العدالة سنة 1244 / 1828 ويقوم في نفس الوقت بالتدريس في مسجد السويقة إلى أن وافته المنية يوم 12 شعبان 1261 / 16 غشت 1845.

البيَّاري، محمد بن محمد فقيه كان يتعاطى خطة العدالة أيضا سنة 1241 / 1826.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 7 : 9 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 9. 249 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

البيَّاز، أسرة فاسية عريقة تنتسب إلى الخزج من الأنصار، عُرف رجالها بالحنكة السياسية والخدمة المخزنية. وقد انتقل بعضهم إلى مراكش وساروا فيها نفس السير. من أشهرهم :

البيَّاز، أحمد كبير خلفاء التهامي الأگلاوي باشا مراكش، كان في صغره في خدمة الوزير ابن سليمان بفاس، ثم ارتبط بعد عقد الحماية بالأگلاوي ليكون أول خليفة له في باشوية مراكش. استمر البياز في هذه المهمة إلى حدود الحرب العالمية الثانية، وقد تمكن خلال هذه المدة الطويلة من كسب شخصية قوية يحسب لها حسابها، حيث توثق اتصاله بالفرنسيين، ولربما تجاوز ما يصدر عن الباشا من أوامر. وقد وقف موقفا متشددا في معاملة زعماء الحركة الوطنية بمراكش، كما كان يعامل بصرامة علماء البلد واتخذ في حقهم قرارات لم يكن الأگلاوي على علم بها.

وقد وجد الأگلاوي صعوبة كبيرة في عزله من منصبه، ولولا قضية الوزير رماديي Ramadier وما تبعها من أحداث في مراكش وصدور ظهير ملكي بعزله ونفيه من مراكش لاستمر البياز في مزاولة عمله كخليفة للباشا. وقد مكنه طول المدة التي مارس فيها السلطة من شراء الأراضي والأملاك العقارية حتى أصبحت تمثل الثروة الثانية بعد ثروة الأگلاوي في منطقة الحوز. وقد ذكر پاسكون أن الأراضي المحفظة التي يملكها البياز بمنطقة الحوز تزيد على خمسة آلاف هكتار. وفي عام 1956 اعتقله تنظيم جيش التحرير وحملوه إلى زاگورة مع بعض المتهمين بالخيانة وقتلوه بعدما أرغموه على كتابة وكالة لأحد أعضاء هذا التنظيم للتصرف في أملاكه. وقد صدر مرسوم لم يظهر في الجريدة الرسمية، حسب تحريات پاسكون، تمكن بمقتضاه ورثته من استرجاع أملاكه المصادرة.

روايات شفوية.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

أحمد شوقي بنبين

البيَّاز، محمد الطيب بن محمد الأنصاري الخزرجي، أحد أعيان فاس خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر (19 م). لعب دورا بارزا في التمرد الذي أعلنته مدنية فاس ضد المولى سليمان وكان من بين رؤساء المدينة الذين بايعوا إبراهيم بن اليزيد سنة 1336 / 1820.

ولما بويع المولى عبد الرحمان بن هشام سنة 1338 / 1822 قبض عليه مع جماعة ممن كانت لهم اليد في الخروج على عمه سليمان، وأودعه السجن بجزيرة الصويرة لبعض الوقت. ثم أخرجه واستخدمه فجعله أمينا بمرسى طنجة أولا، وبعدها ولاه قيادة فاس عام 1249 / 33 ـ 1834، "وبقي قائدا وامتدت يد تصرفه وبلغ الغاية القصوى مع المخزن" ثم انقلبت الأحوال فعزله السلطان في 5 ربيع الأول عام 1260 / 25 مارس 1844 وقبض عليه ثانية ولم يعد بعد ذلك إلى الخدمة المخزنية إلى أن وافاه الأجل المحتوم بعد سنة 1260 / 1745. 44.

ع. بن هاشم الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات فاس*، مخطوط، خ. ع. 1281 ك. ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 314 ـ 37 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 329 ؛ م. أكنسوس، *الجيش*، 2 : 31 ؛ م. بوشعراء، *الاستطان*، 3 : 1144.

محمد المنصور

البيَّاسي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن عبد المومن. كان والياً على جيان من قبل الموحدين واشتهر بنسبته إلى مدينة بياسة خلعه ببيعة العادل وقيامه ببياسة. والحقيقة أن عهد الخليفة العادل (621 - 624 / 1224 - 1227) عرف مزيداً من التدهور في حياة الدولة الموحدية وتجلى ذلك، بصورة خاصة في تدني السلطة الموحدية بالأندلس وتفاقم الخلاف والشتات داخل الأسرة الحاكمة. فالدولة الموحدية قامت منذ عهد عبد المومن على أوليگارشية متكونة من السادة، أبنائه وأحفاده ومن كبار الأشياخ وذريتهم. وبعد مرور ثلاثة أجيال تكاثر عدد هؤلاء المحظوظين وأصبحوا يتنافسون على مراكز الولاية والإمارة إن لم يكن على الخلافة ذاتها. وتفاقم الوضع بعد وفاة الخليفة يعقوب المنصور الذين أصبح أبناؤه يعتدون بشخصيته الكبيرة ويعدون أنفسهم أحق بتولي منصب الخلافة من غيرهم من السادة. فأدى ذلك، بالطبع، إلى انشقاق عميق داخل الأسرة، إذ أصبح السادة الآخرون يتضررون من هذا الوضع ويشعرون بالغبن في دخيلة

أنفسهم ويتحينون الفرصة للثورة والوثوب من أجل الاستيلاء على الحكم.

وجاءت تولية أبي محمد عبد الواحد منصب الخلافة لتبرهن على مبلغ النزاع القائم. فهذا رجل مسن عرف بالاستقامة والتدين واستبشر الناس بتوليه أعلى منصب في الدولة، الذي هو الخلافة، لكنه وجد نفسه أمام عصبة قوية من أبناء المنصور الذين لم يرتضوا توليته وإن كان عمهم. وكانت ولايات الأندلس في يد أبناء المنصور : فأبو العلا إدريس والٍ على قرطبة وأبو الحسن عليٌ على غرناطة، وأبو محمد عبد الله على مرسية وأبو موسى على مالقة، بحيث إنه كان في مستطاعهم أن يتآمروا على الخليفة في مراكش وأن يخلقوا له المتاعب. وهذا ما آل إليه أمر أبي محمد عبد الواحد الذي لم يطل تربعه على كرسي الخلافة، فخلع في نفس السنة التي بويع فيها فكان أول مخلوع في الدولة، ثم قتل خنقا فكان أول قتيل من ملوكها، كل ذلك لتعود الخلافة لأحد أبناء المنصور، الذي كان هو عبد الله المعروف بالعادل.

ولم يكن السادة أبناء المنصور يتحملون وحدهم المسؤولية في هذا التدهور. بل كان وراءهم ومعهم فئات. فهنالك الوزراء أو المرشحون للوزارة الذين أصبحوا يراهنون على ضعف الخلافة لتمكين نفوذهم. وهنالك أشياخ الموحدين الذين ألفوا الامتيازات وأصبحت لهم مخصصات ومصالح. وهنالك العرب الذين أُتي بهم أول يوم كمرتزقة فإذا بهم يكتشفون أنفسهم كجزء أساسي في بنية الدولة ويؤكدون حقهم في المواطنة ويدخلون، هم أيضا، في اللعبة السياسية الكبيرة التي أصبحت تدور في المغرب مع دخول الدولة الموحدية في طور الانحطاط والانقراض.

وكان لا بد للسادة الآخرين من غير أبناء المنصور من أن يعربوا عن استيائهم برفضهم لهذا الوضع وخروجهم عن الولاء والطاعة للخليفة القائم. وهو ما حدث، بالضبط، لأميرين من أبناء محمد بن يوسف كانا متوليين بالأندلس هما أبو زيد صاحب بلنسية ودانية وشاطبة وأبو محمد عبد الله صاحب جيان، وهو المعروف بالبياسي موضوع هاته المادة. وهكذا أسندت لهما مهمة صعبة وخطيرة تضعهما وجها لوجه مع العدو في واجهة الدفاع عن الأندلس المسلمة.

كان عبد الله البياسي قد قبل مبايعة العادل، ليضمن استمراره في ولايته لأن الخليفة أبا محمد عبد الواحد قرر عزله واستبداله بعمه أبي الربيع بن أبي حفص. وبذلك انضم إلى سائر ولاة الأندلس الذين دخلوا كلهم في تلك البيعة، باستثناء أبي زيد أخي البياسي الذي آثر موقف الرفض.

لكن البياسي ما لبث أن اقتدى بأخيه فتراجع عن بيعة العادل وطمح إلى الخلافة، فدعا لنفسه وتلقب بالظافر وامتدت سيطرته. ومنذ ذلك الحين دخلت الأندلس المسلمة في معارك التخريب والإفناء بين ولاتها الموحدين. فقد وجه العادل أخاه أبا العلاء إدريس على رأس جيش ضخم من أشبيلية لقتال البياسي. فالتجأ هذا الأخير إلى بياسة، ومن ثم أصبح يدعى البياسي. وكان آنذاك يناهز سن الستين. وعامل السن له أهميته، إذا قارنا بين الطرفين المتنافسين. ومهما يكن فإن البياسي أقدم على مبادرة شنعها عليه المؤرخون، وذلك أنه طلب النجدة من ملك قشتالة فرناندو الثالث، متناسيا ضرورة توحيد الصف بين المسلمين في وقت ظهر فيه ضعفهم وتخاذلهم أمام ملوك النصارى. والواقع أنه لم يعد ينصت إلا لرأي هواه، متحركاً بدافع المنافسة التي تحولت إلى حقد وكراهية.

وتحرك أبو العلاء إدريس نحو بياسة خريف عام 621 / 1223، دون أن يعتبر أن الوقت مقبل على الشتاء والثلج. فظل في ظاهر بياسة، وراوغه البياسي مؤكداً أنه عاد إلى طاعة العادل، ووجه ولده الأصغر رهينة على ذلك. ولم يجد أبو العلاء بداً من الرجوع على أدراجه خوفاً من اشتداد البرد وتعذر الطرق ومهاجمة القشتاليين. ولم يرض أخوه العادل بهاته النتيجة السلبية، فجهز جيشاً آخر توجه إلى بياسة ونزل على خمسة أميال منها، لكنه لم يصمد أمام قوات البياسي وحليفه ملك قشتالة وناله الرعب منها وعاد فاراً دون قتال إلى أشبيلية. مما يدل على أن معنوية الموحدين كانت قد نزلت إلى أدنى ما يمكن، سيما وأن مبررات هاته المعارك لم تعد إلا صراعات شخصية بين أمراء فقدوا كل توجيه أخلاقي.

واغتنم البياسي الفرصة، فتوسع في موسطة الأندلس لحسابه الخاص فامتد حكمه إلى قرطبة، وربما إلى مالقة، وتقوى مركزه وأصبح بالفعل منافسا خطيرا للعادل، ومرشحاً بما لديه من قوة ليتولى الخلافة. فقامت المعركة من جديد بين الطرفين. لكن قضية البياسي لم تكن هي المشكلة الوحيدة التي يواجهها العادل. فقد كان النصارى، من جهتهم، يواصلون خطتهم في مهاجمة المناطق الإسلامية بالأندلس فشددوا ضغطهم على ناحية الشرف، وفتكوا بالمسلمين فتكا ذريعاً في موقعة طلياطة سنة 622 / 1224. وجرت في شرق الأندلس معارك مماثلة استهدفت منطقة مرسية وهزم المسلمون شر هزيمة في عفص 622 / 1224. كل هذا والعادل مازال مقيماً بأشبيلية ينتظر تصفية الجو لصالحه بمراكش، الشيء الذي لم يتم إلا بصعوبة. وحين غادرها ترك أمر الأندلس في يد أخيه أبي العلاء إدريس.

مضى البياسي في توسعه وسما طموحه إلى الاستيلاء على أشبيلية قاعدة الأندلس الكبرى، إلا أنه بدأ يؤدي الثمن لحليفه وحاميه فرناندو الثالث، الذي سينتزع معظم قواعد الأندلس الكبرى من يد المسلمين. وفرناندو حين كان يبعث بنجداته للبياسي كان يحسب حسابه لذلك. وهكذا رافقه هذا الأخير من أجل الاستيلاء على مدينة قبجاطة (Quesada) وغيرها من الحصون، ورافقه في حملة أخرى على جيان، وأدت هاته الهجمات إلى فتك ذريع بالمسلمين وإرهابهم.

وزاد البياسي في غوايته، حين قدم خضوعه لملك

قشتالة بصورة رسمية، متعهداً له بتسليمه جملة من الحصون والمدن مثل مرنش وأندوجر وجيان التي كانت ما تزال في يد المسلمين. وكان ذلك في سنة 623 / 1225. وسارا يداً في يد للعبث بأراضي جيان والاستيلاء عليها. لكن المدينة صمدت، فاضطر فرناندو أن يتراجع عنها. واستمر تعاونهما في هجمات أخرى اتجهت إلى ناحية غرناطة. ولما تراجع عنها فرناندو نحو الشمال سلمه البياسي حصني مرنش وأندوجر، وتشجع البياسي إثر ذلك للتوجه إلى مهاجمة أشبيلية وناحيتها من جديد. وخرج أبو العلاء إدريس لملاقاته على مقربه من طلياطة، لكنه هزم، مرة أخرى، مما جعل خصمه يقوي سيطرته على الناحية الواقعة بين قرطبة وأشبيلية. وإثر ذلك سلم البياسي حصونا أخرى لفرناندو.

أراد البياسي أن يتوج تحركه بالاستيلاء على أشبيلية، فتقدم إليها ليحاصرها. وفي هذه المرة حسب أبو العلاء حسابه لخطورة المعركة فخرج لملاقاة عدوه وانتصر عليه انتصاراً حاسماً في سنة 623 / 1226. وعاد البياسي مهزوماً إلى قرطبة. لكن أهلها لم يغتفروا له خيانته فقتلوه واحتزوا رأسه ووجهوه إلى أبي العلاء إدريس.

ليس من المقطوع به أن البياسي ارتد عن الإسلام واعتنق النصرانية كما ورد في بعض المصادر، ولكن موقفه من النصارى وتحالفه معهم جعله محلا للاتهام. إلا أن خصومه لم يكونوا في المستوى الأخلاقي الذي يشرف الدولة الموحدية ويشرف الإسلام. فلن يلبث أبو العلاء إدريس إلا قليلا حتى يثور هو الآخر ضد أخيه العادل ويتآمر على قتله. فقد كان التدهور السياسي للدولة الموحدية مقترناً بتدهور أخلاقي.

م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت 1967 ؛ م. الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1975 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*، ج 2، القاهرة، 1964.

محمد زنيبر

بياضة، عبارة يطلقها سكان الأرياف على مادة ترابية أو صخرية مبيضة، توجد في عمق التربة، وتكون إحدى مسكاتها. وهي مادة كلسية هشة ومسامية، فتوتة في جل الحالات، تدعى من طرف الترابيين قشرة فليسية، ومن طرف الجيولوجيين فليسا كلسيا.

هذا التكون شديد الامتداد في المغرب وجل المناطق المتوسطية نصف الجافة. ويعم أغلب الحالات الموجودة شمال الأطلس، بينما يتضاءل جنوب هذه السلسلة. وهذا يدل على أن له علاقة واضحة بالبيئة المتوسطية، ويرتبط أساسا بوجود عاملين ديناميين متناقضين : رطوبة كافية في الأعالي تسمح بتحليل الصخور الكربوناتية وتبخر هام في السافلات مسؤول عن تساقط المحلولات وتراكم المواد الكلسية عند السطح في بعض الحالات، وداخل التربة في حالات أخرى. وفي المجالات الأرطب من الميدان المتوسطي تتضاءل المواد الكلسية الفليسية بسبب ضعف التبخر وبالتالي عدم تركز المحلولات. أما في المجالات الصحراوية فإن قلة هذه المواد تنتج عن الخصاص المائي، المسؤول عن بطء التحليل في العاليات.

يتفق إذن توزيع المواد الكلسية الفليسية مع المجال المتوسطي نصف الجاف، أي مع مجال يعرف تواتر ديناميات متناقضة تبعا للفصول، وفي مجال عرف ذبذبات مناخية رباعية نحو الترطيب ونحو التجفيف.

وتظهر هذه المواد الكلسية عادة عند عمق ضعيف أو متوسط داخل التربة، بينما تمثل بالنسبة للركائز الصخرية غلافا سطحيا، قليل السمك نسبيا، رغم أنه محليا قد يصل إلى عدة ديسمترات، بل عدة أمتار. فهي إذن مواد منافرة لما تحتها من صخور، حيث قد نجدها فوق صخور لا تحتوي على عناصر كربوناتية إطلاقاً. أما علاقتها مع التربة التي تعلوها فهي وثيقة، حيث كثيرا ما يلاحظ مرور تدريجي من "بياضة" إلى المسكات الترابية السطحية دون أن يكون هذا عبارة عن قاعدة عامة، رغم ذلك الاتصال بين التربة الهشة والفليس الكلسي، اتصال ميكاني وكيماوي هام حيث يتم الانتقال من مادة غير كلسية أو بها منسوب كلسي متواضع إلى مواد يقترب فيها هذا المنسوب من 100٪، ومن مادة فتوتة هشة إلى أخرى كتلية وإن كان تصلبها قليلا وعلى كل محلي.

تطرح هذه المواد الكلسية إشكالا أمام التهيئة الفلاحية، حيث يقف الاتصال حاجزا أمام نمو بعض الجذور، كما يمثل عرقلة كيماوية بسبب الإفراط في منسوب الكلس. لكن هذه المسكات الباطنية تمثل في جهات أخرى حظا، لأنها تعوض الصخور الكلسية الجيولوجية في حالة ندرتها.

"بياضة" : مسكة كلسية عادة باطنية. بياضة مادة كلسية لكنها رخوة أو قليلة التصلب. وهذا ما يفرقها عن الظلفاء الوردية التي كثيرا ما تشغل مواقع مشابهة لها، أي مواقع وسطى داخل قطاع متكامل، يبدأ في قاعدته بمواد صخرية أو تكونات فتاتية، ويستمر بتراكمات كلسية محلية هي عبارة عن لطخات أو تعقدات ثم بفليس كلسي هش، قد يتصلب جزئيا في مستوياته العليا، لينتهي بتربة فتاتية ينخفض فيها منسوب الكلس بوضوح.

تحتوي المادة الفليسية على عدة عناصر : بعضها غير كربوناتية وهي عبارة عن فتاتات كبرى بنسب لا تتعدى 10٪ وصغرى من الكوارتز والطين أساسا إضافة إلى فلزات، البعض الآخر هي عناصر كربوناتية، مثل الجذور والأعضاء الطحلبية المتكلسة، يربط الكل لحام كلسي بلوراته مجهرية. وكثيراً ما يكون هذا اللياط الدقيق شديد المسامية، مما يجعل بلورات ثانوية كبيرة الحجم وحيدة التبلور تنمو في الشقوق والفراغات الواسعة.

مواقع هذا الفليس متنوعة، وكثيرا ما تكون تغطيتها للتضاريس شاملة، مع تنوع في السحنة والسمك. فهو

يغطي في نفس الوقت المجالات المسطحة كسطوح الهضاب ودرجات الأودية، والسفوح المنحدرة، دون الأجراف الوعرة والحافات المعرضة لتعرية عنيفة. فالفليس الكلسي إذن مواز للطبغرافيا بشكل واضح، بينما ينافر ما يغلفه من قواعد صخرية مختلفة.

هل "بياضة" تغليف كلسي رسوبي أم مسكة ترابية ؟ أغلب المؤلفين، كيفما كان تخصصهم، استعملوا للتعبير عن هذه المواد السطحية كلمة "متقشرة" أو المصدر "تغليف كلسي"، وذلك انطلاقا من ملاحظتين :

- من جهة كون هذه المواد هي عبارة عن تكونات سطحية مغايرة لما في قاعدتها من ركائز.

- ومن جهة ثانية كونها عادة ما تتطلب ولو جزئيا في مستوياتها السطحية. لكن الاتفاق لم يقع حول أصلها وظروف نشأتها. فهناك افتراضان كبيران لتفسير امتدادها: أحدهما يعتبر أنها مسكة من مسكات التربة، تم تكوينها داخل قطاع مكتمل، تحت تأثير عمليات باطنية أهمها الحركات الجانبية والعمودية للمياه. والافتراض الثاني يعتبرها إرسابا سطحيا، تكونت فوقه التربة التي نلحظها في قمة القطاعات.

- افتراض تراكم الكلس ضمن قطاع ترابي أصلي : ينطلق هذا الافتراض من ملاحظة التدرج داخل القطاع الذي يبتدئ بتراكم محلي في القاعدة على شكل تعقبات مختلفة الحجم والتصلب أو على شكل لطخات فتوتة، ويستمر مكونا مسكة كتلية من الفليس، لينتهي بمظهر توريق يتم فيه تصلب للمادة، قبل المرور إلى المسكة السطحية الترابية والملونة.

هذا التدرج يفسر بورود جانبي لمحلولات كلسية تنقلها مياه قادمة من العالية ؛ فيتم التساقط في المسكة الوسطى من التربة ارتباطا أساسا باستعمال الماء من طرف جذور النباتات. يبدأ التراكم موزعا ثم يتكاثف عند المرور إلى المسكة الفليسية. وهكذا يصل التراكم إلى مقادير جد عالية، يفسرها الترابيون باعتبار التساقط الكلسي آلية تفسخ، تأتي على العناصر الأصلية غير الكربوناتية فتعسفها، لتعوضها بالبلورات الكلسية الناشئة.

- افتراض الترسيب السطحي : ينطلق أصحاب هذا الافتراض من نفس الأوصاف التي يتقدم بها الترابيون، ويضيفون إليها عددا من الملاحظات المكرومرفولوجية : ندرة العناصر الفتاتية الكامنة وسْط الفليس، تفريشا قد يلاحظ في العجين الكلسي يدل على التطبق، وعموم المواد العضوية النباتية والحيوانية، الدالة على أوساط سطحية غنية بالمياه، يتم فيها تراكم الكلس.

ويستنتج هؤلاء المؤلفون بأن الفليس هو عبارة عن مادة رسوبية تمت في إطار مجال رطب غني بالنباتات، تعيش فيه طحالب وأحياء مجهرية أخرى تقوم بتشييد فرشات كلسية، وتصله مياه محملة بالكربوناتات، على شكل محلولات مشبعة، أو على شكل أوحال حقيقية. وهكذا تتوالى الفرشات المشيدة والفرشات المتوضعة. وتتعرض المواد المترسبة دوريا للتجفيف، مما يجعلها تتشقق، فيعاد تحريك عناصر منها قبل أن تترسب من جديد ضمن فرشة لاحقة. كما أن ظروف الاشباع الكلسي المفرط تسمح بحدوث عمليات عسف تتحلل على إثرها العناصر المعدنية غير الكلسية، فتختفي أو تتضاءل.

كل هذا يتم، حسب هذا الافتراض، في مجالات جد منبسطة توجد عند سافلة الحادورات، أي في مجال فيضي، وفي ظروف برمائية صالحة لنمو النباتات.

هذا الافتراض يصعب قبوله لتفسير كل أنواع الفليس لسببين :

- أولاً لأن "بياضة" لا توجد فقط في المجالات المسطحة التي يحدث فيها استقرار المياه، وتكوين ظروف برمائية حقيقية، بل كثيراً ما نجد الفليس يغطي سفوحا بأكملها، موازيا في ذلك التشكيل السطحي للتضاريس.

- ثانياً لأنها غالبا ماتكون منافرة للتوضعات الفتاتية التي توجد في قاعدتها. وهذا يشير إلى أنها ليست حلقة رسوبية ضمن سلسلة كاملة، تبدأ بارساب سيلي خشن، تتبعه مواد فتاتية دقيقة، وينتهي بارساب كيماوي كلسي. فالتنافر بين المواد الفتاتية القاعدية وما يعلوها من كلس يدل على عدم التوالي، وعلى عدم الخضوع لنفس الآليات الرسوبية.

على كل، وأيا كان الافتراض المعتبر، فان ظاهرة التغليف الكلسي للأشكال التضاريسية، بسبب عمومها في مختلف المناطق بالمغرب، تعتبر ظاهرة أساسية يجب التعامل معها في عدة مجالات، وخاصة الفلاحة وهندسة الطرق ومواد البناء الخ. واقترابها من السطح أي السمك الذي تأخذه المسكة الترابية التي تغطيها هو المؤشر الأساسي الذي يجب اعتباره عند التهيئة. كما يجب اعتبار مؤشر ثان وهو منسوب الكلس الذي تمثله والذي يتدخل مادة في درجة تصلبها.

تحريات ميدانية.

عبد الله العوينة

البيّاضي، أسرة أندلسية هاجرت إلى المغرب الأقصى في فترات مختلفة من العصر الوسيط والحديث. لا نعرف شيئا عن أصولها وأماكن استقرارها سواء بالأندلس أو بالمغرب. وقد جاء ذكرهم في إحدى الحوالات الحبسية لفاس القرويين في القرن العاشر الهجري (*فاس وباديتها*، 1 : 122) واشتهر من أفراد هذا الأسرة بالعلم والفقه والقضاء :

البيّاضي، عبد الملك أحد شيوخ المحدث الفقيه محمد بن علي المعروف بالبراق المتوفى سنة 595 / 1199 (*الإحاطة*، 2 : 488 / 489).

البيّاضي، علي الأندلسي الخطيب بجامع مكناسة الأعظم و "صاحب الخط الحسن" (*ألف سنة*، 280). كان أحد مشايخ القاضي محمد الكراسي الأندلسي وأجازه في كتابي

السنن، والتاج والإكليل لأبي عبد الله المواق، وكان هذا الأخير قد أجاز أبا الحسن البياضي فيهما (*درحة*، 21).

توفي علي البيّاضي سنة 912 /1507 ودفن خارج باب البردعيين من أبواب مكناسة بروضة الولي الصالح عبد الله ابن أحمد (*درة الحجال*، 3 : 212).

البيّاضي، محمد بن عبد الرحيم الذي توفي عام 753 / 1353 (*درة الحجال*، 2 : 265).

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، 1973. 1975، ج 2 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، ج 2 ؛ م. ابن عسكر، *درحة*، 1976 ؛ م. حجي، *ألف سنة من الوفيات في ثلاثة كتب*، الرباط، 1975 ؛ م. مزين، *فاس وبادیتها*، ج 1، الرباط، 1986.

رشيد السلامي

بَيّاضي، محمد بن قدور، مقاوم ولد سنة 1935 ببني اسمير، وادي زم، إقليم خريبگة. شارك مشاركة فعالة في الحوادث الدامية التي عاشتها مدينة وادي زم يوم 22 غشت 1955 فصرعه رصاص العدو أثناء المظاهرة قرب منزل القائد الضاوي ببني خيران.

شهداء الإستقلال، ج 2.

عز الدين العلام

پييتْري، فرانسوا Piétri François رجل دولة فرنسي قضى شوطا غير هين من حياته السياسية الأولى بالمغرب على رأس إدارة المالية فيما بين سنوات 1917 و1924، إبان مقيمية ليوطي. وُلد بكورسيكا ودرس بباريس حيث تخرج من المدرسة الحرة للعلوم السياسية ومن كلية الحقوق بدرجة الدكتوراة. ثم انخرط في سلك المفتشية العامة للمالية فاكتسب خبرة عالية بالتقنيات المالية تعززت باشتغاله بديوان الوزير جوزيف كايُو Joseph Caillaux الذي كان يعتبر آنذاك من أبرز خبراء فرنسا بالشؤون المالية، ثم انتقاه ليوطي ليسند إليه إدارة أموال الحماية وكانت بمثابة وزارة المالية بالمغرب. فكان على فرانسو پييتري أن يرتب مداخيل البلاد ونفقاتها ترتيبا يمكّن من إدخال آخر ما جد في عالم التقنيات المالية إلى مجتمع كان مازال يجهل جلها في معظمه، ويمكّن في آن واحد من إحكام روابط السوق المغربية بالسوق الفرنسية لتلافي مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء التي كانت قد فتحت أبواب السوق المغربية أمام جميع الدول على قدم المساواة. ولما كانت الأداة النقدية وسيلة من أنجع وسائل بلوغ تلك الأهداف، فان فرانسوا پييتري دعا إلى إحداث عملة جديدة، أطلق عليها اسم الفرنك المغربي، وأبرم الأمر بموجب ظهير صدر يوم 28 يونيو سنة 1920. وكانت المبادلات تتم في المغرب إلى ذلك الحين في خلط نقدي شامل تجاري، فيه السكة الحسنية الأصلية سكة فرنسا بصنفيها الفرنسي والجزائري إضافة إلى السكة الإسبانية. لكن العملة الفرنسية انهارت غداة الحرب العالمية الأولى من جراء ارتفاع قيمة الفضة، مما رفع من قيمة السكة الحسنية بالمقارنة لاعتمادها على الفضة، وكان جل التراب المغربي مازال مقاوما ممتنعا، وسواد الشعب مازال يتعامل بالحسني، فابتهج الناس أيما ابتهاج بتفوق النقود المغربية على نقود النصارى المتغلبين، ورأت سلطات الحماية في ذلك مسا خطيرا بهيبة الدولة الحامية وسمعتها، فأقدمت، وفي طليعتها ليوطي وپييتري، على وضع سكة جديدة، الفرنك المغربي، غير قائمة على قاعدة معدنية بالخصوص، بل معتمدة أساسا على متين ارتباطها بالفرنك الفرنسي، إن ارتفعت قيمته في الأسواق الدولية ارتفع معه الفرنك المغربي وإن كان العكس نزل معه إلى ما ينزل إليه من القيمة، ولقد جاء قرار إحداث الفرنك المغربي بمثابة منعطف خطير الشأن في سبيل تحرير الحماية من مفهوم المراقبة والمساعدة إلى مفهوم التبعية والإدارة المباشرة، وتحولت السوق المغربية بسببه من سوق تتنافس فيها منتجات جميع الدول إلى سوق موقوفة على البضائع الفرنسية، وطويت نهائيا بالبلاد صفحة الرواج النقدي القائم على قيمة معدنه التجارية إلى رواج مفروض بحكم القانون ليس إلا !

واكتسب فرانسوا پييتري من مهامه بالمغرب مزيد خبرة وصيتا بعيدا أتاح أمامه انفتاح أبواب النيابة البرلمانية بباريس من خلال انتخابات سنة 1924، كما أتاح أمامه كراسي الحكومة ابتداء من سنة 1926، فلقد كان وزيرا للمالية وللمستعمرات وفي الدفاع الوطني وفي البحرية، ونظرا لأفكاره اليمينية فإنه كان لايشارك إلا في الوزارات التي يرأسها زعماء اليمين الصريح أمثال أندري طارديو André Tardieu وپيير لافال Pierre Laval. ولما كان وزيرا للمستعمرات فيما بين سنة 1924 وسنة 1933، سهر على إقامة المعرض الاستعماري سنة 1931 وسهر بالخصوص على أن تسند رئاسته إلى المارشال ليوطي رئيسه بالمغرب سابقا وكان وزيرا للبحرية فيما بين يونيه سنة 1935 ويونيه سنة 1936 فاعتنى عناية خاصة بتقوية السلاح البحري الفرنسي بمساعدة الأميرال دارلان Darlan، وكان السلاح الوحيد الذي صمد في وجه الألمان لدى هزيمة الجيوش الفرنسية في ربيع سنة 1940.

ولما وقعت الهزيمة، انضم فرانسوا پييتري، وما كان إلا ليفعل، إلى أنصار المارشال پيتان، فعين وزيرا للمواصلات من يوليوز إلى شتنبر سنة 1940، ثم عين سفيرا بمدريد، وبمدريد قضى سنوات الحرب إلى أن مالت الكفة لفائدة حزب دي گول فعزل عن منصبه في غشت سنة 1944، وأمرت المحاكم بمتابعته بتهمة التعامل مع العدو وحكمت عليه غيابيا لأنه فضل المكوث لاجئا بإسبانيا، إلى أن صدر العفو العام في طليعة الخمسينات، فعاد إلى فرنسا ووافاه أجله سنة 1966 بكورسيكا مسقط رأسه.

خلّف پييتري عدة مؤلفات، إما في القضايا المالية وإما في التاريخ السياسي، وله كتاب عن سفارته بمدريد يبدي فيه أن سبب انحيازه للمارشال پيتان لم يكن سوى خوفه من وقوع مستعمرات فرنسا في قبضة خصومها،

وكان من مهامه الأساسية بمديد الحرص على أن لا تنقضّ حكومة الجنرال فرانكو على منطقة الحماية الفرنسية مثلما انقضت على منطقة طنجة الدولية.

ولذلك جزاء له على خدماته الاستعمارية، أبت الهيئة المسيطرة على بلدية الرباط أواخر سنة 1935، إلا أن تطلق اسمه على ساحة مولاي الحسن حالا، وذلك بمحضره وفي حفل كبير، عندما جاء بصفة كونه وزيرا للبحرية، في رفقة جثة المارشال ليوطي الذي كان أوصى بأن يدفن بالمغرب في مقر الإقامة العامة السابقة.

F. Piétri, *Les finances du Maroc pendant la guerre*, Rabat, 1918 ; *Finances et monnaies coloniales*. Paris, 1924 ; *La querelle du franc*, Paris, 1928 ; *Veillons au Salut de l'Empire*, Paris, 1937 ; *Mes années en Espagne, (1940 - 1948)*, Paris, 1954 ; J. A. Marty, *La Franc marocain, monnaie satellite*, Paris, 1951 ; D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat au Maroc*, Paris, 1988 ; B. Yvert, *Dictionnaire des ministres (1789 - 1989)*, Paris, 1990.

إبراهيم بوطالب

بيّوض، محمد بن الفقيه، أحد طلبة طنجة الذين توجهوا للتعليم بألمانيا ضمن البعثات التعليمية في عهد الحسن الأول.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 2 : 154 ؛ *الوثائق المغربية* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1348.

مصطفى بوشعراء

بَيُّوض أو بايوض، مرض يصيب عروق النخيل يدعى بالفرنسية Fusariose vasculaire du palmier وينتج عن نبات فطري يدعى علميا Fusarium oxysporum albedinis MAL. ينمو هذا النوع الفطري داخل عروق النخيل ويسبب ذبول الأوراق ثم سقوطها وانقراض النخلة ويسمى هذا الداء الفطار القناتي أو القصبي Tracheomycose يتكاثر ويحفظ على بقايا النخيل المتساقط وبداخل الأرض في أعماق تبلغ أحياناً أكثر من متر وذلك لمدة عدة سنوات. يتكاثر أيضاً على نبات الحناء إلا أنه لا يخلّف بها أضراراً.

يتسرب مرض البيوض شيئاً فشيئاً من نخلة إلى أخرى وسط حرية النخيل وينتقل من منطقة إلى أخرى بواسطة سعف النخيل أو حطبه المريض الذي ينقله الإنسان لسبب ما. يلعب الري دوراً هاماً في نقل البيوض من نخلة إلى أخرى ومن منطقة لأخرى وقد أدى هذا المرض إلى انقراض ما يزيد على عشرة ملايين نخلة في المغرب وذلك في ظرف لا يتعدى قرناً واحداً.

من العلامات الأولى المؤشرة لهذا المرض هو جفاف وريقات بعض السعف من جهة واحدة منذ القاعدة إلى القمة ثم انطواؤها تدريجيا على المحور ويصير لونها أبيض مما أدى إلى تسمية هذا الداء بالبيوض. ينتقل جفاف وريقات السعف بعد ذلك إلى الجهة المقابلة مبتدئاً من القمة إلى القاعدة فتبدو السعفة كريشة ميللة.

تظهر على طول المحور خطوط بنّيّة. تجفف وريقات السعف المجاورة الواحدة تلو الأخرى ثم تموت الشجرة بعد مدة تتراوح ما بين ستة أشهر وسنتين ابتداءً من ظهور المرض. تصير عروق النخلة المصابة بالبيوض كلها حمراء، وفي حالة قطعها تبدو ملطخة بنقط صفراء محمرّة تدل على وجود النبات الفطري المتطفل عليها.

من المرجح حالياً أن الموطن الأصلي للبيوض بالمغرب هو وادي درعة وأن داء الفطار القصبي تسرب منذ القرن الأخير في اتجاه الغرب والشرق مما أدى إلى انقراض ثلثي النخيل بالمغرب ثم غزا بعد ذلك واحات الجزائر مخلفا وراءه أضراراً بالغة في النخيل سواء منها ذات الجودة كضرب المجهول وبوفكوس ودكلت النور وبوسكير أو الضروب الأخرى. يُقدّر عدد النخيل بالمغرب حسب إحصائيات سنة 1985 بأربعة ملايين ومائتين وواحد وخمسين ألفاً وثلاثمائة، بعد أن كان يبلغ 4.500.000 نخلة سنة 1971. وهي موزعة على أگادير وتيزنيت والرشيدية وگلميم ومراكش وفگيك وورزازات، وأهمها ورزازات (1.800.000) والرشيدية (1.189.720).

لم تعد المقاومة الكيماوية ذات نتائج مرضية لمحاربة هذا المرض وتبقى الإجراءات اللازمة لوقاية النخيل هي المراقبة الصارمة التي تمنع نقل السعف وبقايا النخيل من مكان لآخر، وفي حالة ظهور البيوض في مكان معين تحرق كل الأشجار المحيطة بالنخلة المرضية وتستعمل مادة كلوروبكرين Chloropicrine في التربة وتمنع زراعة هذه الأماكن لمدة طويلة.

استعملت عدة ضروب مقاومة لمرض البيوض في جنوب المغرب وذلك لإعادة النخيل المنقرض، نذكر منها : إيكلان، بوستامي الأسود، بوستامي الأبيض، تادمت، سير الليلات، بوفكوس أو موسى.

Maladies et ravageurs des plantes cultivés au Maroc, Tome I, Ministère de l'Agriculture et de la Réforme Agraire, Direction de la Recherche Agronomique, Rabat, 1976 ; *La grande encyclopédie du Maroc, Agriculture et pêche*, 1987.

نجاة الخياطي

بيّوط، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة سماتة الغمارية وكان من بين أفرادها رجل أكول يدعى : عبد الكبير بن محمد بيوط، كان يحضر جميع الحفلات والولائم دون استدعاء، ولذلك لقب بـ "كبّور" وكان حيا سنة 1319 / 1901.

وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان في أوائل هذا القرن.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 331 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

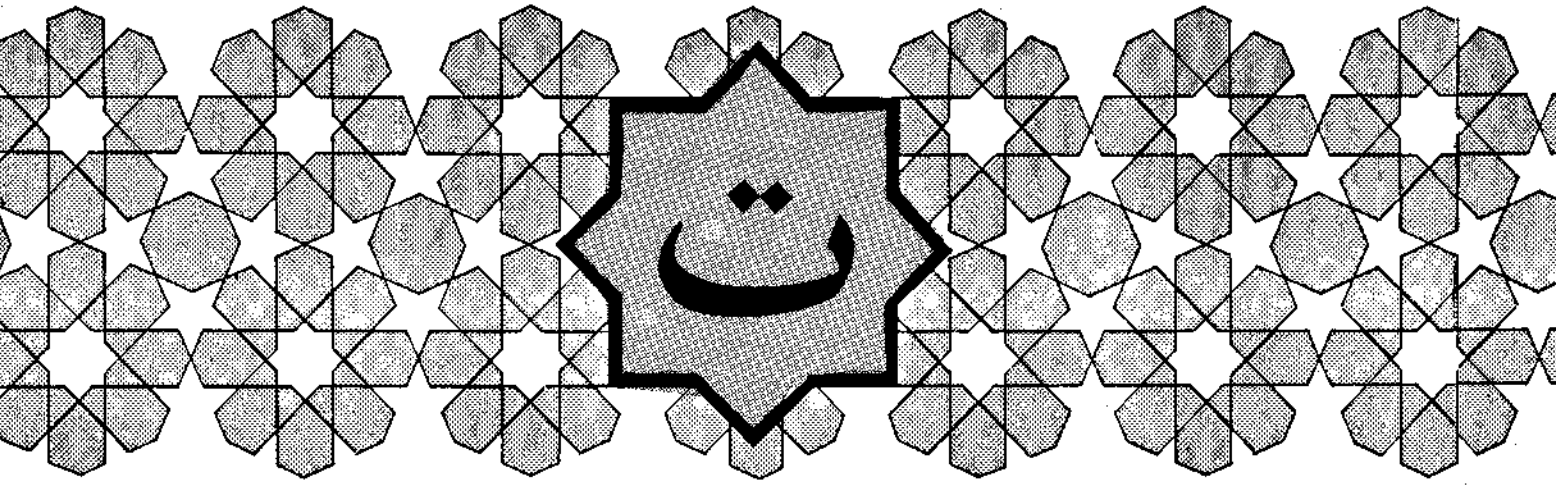

-1983

تابّـانْتْ، جماعة قروية بدائرة أزيلال، بإقليم أزيلال. تنطبق على وادي أيت بوگماز البالغ طوله 32 كلم واتساعه 7.4 كلم. مساحتها 329 كلم^2 وعدد سكانها 8.545 ن (1982). كثافتها 26 ن كلم^2، لكن الكثافة ترتفع كثيراً بالوادي حيث تصل إلى 150 ن / كلم^2. يتوسط موقعه مجموعة قبائل وأودية هي قبائل مگون وأحنصال وأيت بُـوُولي وتاسَاوْتْ. ووادي بوگماز عبارة عن مقعر واسع به سلسلة أعراف عالية هي تيزَالْ وأزُورگي 3690م من الشمال الغربي، وإگودامن واوگولَزات 3170 م بالجنوب الشرقي، كلها تتكون من كلس جوراسي ولياس. وقد انغلق مخرج الواد بركامات انهيالية فتكونت به بحيرة خلفت رواسب سميكة حولته إلى حوض واسع مستو، كما كون رافده عروس حادورا أعطى هضبة تامزريت. وينتهي عند اتصاله بالواد الأخضر بخوانق. ونظراً لعلوه (1800 م) وتشكيله فإن السحاب والضباب ينحبسان به شتاء وصيفاً. يسوده مناخ جبلي شبه قاري يتميز بشتاء بارد وصيف حار تتكرر به الأعاصير. تسجل به درجات قصوى - 5° شتاء، و+ 40° صيفاً. مرصد تبانت حديث سجل بين 1984 و1987 معدلا سنويا من المطر قدره 280 ملم بينما سجل به معدل مطري قدره 700 ملم بين 1933 و1963. والواقع أن تابّـانْت تقع في ظل المطر، ويعوض نقص الأمطار ثلوج كثيرة بالجبال المحيطة بالوادي : 130 سنتم سنة 1984 و470 سنتم سنة 1985 بأزوركي، فهناك تذبذب كبير في كمية التساقطات من سنة لأخرى، لكن قدرة الصخور الكلسية على الخزين تجعل مياه الري وفيرة. وقد تراجعت الغابات كثيرا لقدم الاستقرار وكثافة الاستغلال إذ لا تغطي سوى 35٪ من السفوح على شكل رقع متفرقة من العرعار الأحمر والبلوط الأخضر وصنوبر حلب، يقع أهمها بالسفح الشمالي لتيزي نايت إيمي. وهناك مشاريع تشجير واسعة بصنوبر حلب. ويتميز الوادي بخصوبة تربته المشتقة من مفتتات كلسية ووفرة مياهه : ست وعشرون عينا أهمها عين تيزي نايت إيمي إضافة إلى مياة الواد وروافده التي لا تنضب وهي من مياه وديان عروس وأيت حكيم وتاغية والرباط. لقد كان وادي أيت بوگماز منطقة عبور رعوي بين السفوح الجنوبية لقبائل مگون وأيت عطا عبر تيزي نايت إيمي (2905 م) عبر واوگولزات وتيزي ن تارغيست (2629 م) عبر أزوركي نحو دير تادلة. كما أن غنى الوادي وانعزاله يجتذب من المناطق الجافة الصحراوية والسهلية الفارين من المخزن أو الثأر، مما جعل الإطار البشري يعرف مدا وجزراً.

ينتمي أقدم السكان في هذه المنطقة إلى هسكورة، لكن السكان الحاليين باعتبار لهجتهم ورواياتهم ينتمون إلى صنهاجة. ويرجح أن أصلهم من أيت واستر، اختلطوا بصامدة مجاورين : إمغران وفطواكة، لكن الجو ونمط العيش وحّد بينهم. يتكلمون اللهجتين. ويعيش الوادي اليوم انفجارا ديموغرافيا وتحولات اجتماعية أدت إلى تفكك التآزر القبلي وتزايد الهجرة وتفتيت الملكية وتباين كبير في توزيعها بين ملكيات كبيرة (40 هكتاراً) وأخرى قزمية (0.5 هكتار). ويبلغ متوسط ملكية الأسرة بالوادي 1.2 هكتار. يشمل التمليك 42٪ من مساحة الجماعة، والباقي ملك جماعي وأراضي الدولة. ويعتبر بوگماز أغنى واد فلاحي بالأطلس الكبير الأوسط، لكن العزلة جعلته يهتم بزراعة معاشية كثيفة متنوعة الإنتاج تسودها أساليب تقليدية تعتمد على العمل اليدوي العائلي. لكن انفتاح المنطقة مؤخراً ووصول البضائع الاستهلاكية وأموال المهاجرين بالخارج ومدن الداخل والتجنيد الذي يعمل به الكثير من شباب الوادي منذ الاستعمار، أدى إلى الاهتمام بمزروعات تسويقية جديدة كالتفاح والطماطم والبطاطس بصفة خاصة، عم ذلك جميع المشارات، ويسوق إنتاجه خارج المنطقة، كما بدأت تعطى أهمية متزايدة لتربية الأبقار خاصة الأبقار المهجنة، ويفوق حليبها الاستهلاك المحلي، إلا أنه لا يسوق خارج الوادي لصعوبة المواصلات. على أن أهم المزروعات السائدة هي الحبوب المسقية والبورية وخضر للاستهلاك العائلي وأشجار الجوز، ولازالت تربية المواشي الصغيرة تكتسي أهمية كبرى في الاقتصاد العائلي إذ تجد في السفوح المعشوشبة والأحواض والأودية العالية مراع واسعة ترتادها في تنقلات يومية وفصلية عمودية وأفقية. ولكل جماعة مراعيها الخاصة وعزائبها. ويساهم بيع المواشي في توفير سيولة نقدية طيلة السنة. ويتجمع السكن على طول الوادي وروافده في قرى كبيرة وصغيرة تقوم بجانب برج (إيغرم) أو (تيغرمت إن كان صغيراً) أو بقايا خرائبه غالبا، إذا صار ملكا لمجموعة ورثة لا تهتم بصيانته لأنه فقد دوره في الخزن الجماعي للأقوات والاحتماء في وقت الأزمات. وتنتشر حرف محلية أهمها النسيج لوفرة الصوف : الزربية ولحاف تَحَنْديرْتْ، وهناك حرف أخرى لتلبية الضرورات اليومية : قصعيات ومحاريث وقفاف... وتتطور بعض الحرف بتوجيه من مرشدي مركز تابانت لتتخذ طابعا عمليا أو جماليا سياحيا خاصة الأدوات الخشبية والمنسوجات الصوفية والبناء.

تابّـانْتْ (المركز) قرية زراعية صغيرة تقع وسط البساتين بالضفة اليسرى بمنتصف الوادي عند أحد مداخله الجنوبية المهمة : تيزي نايت إيمي وملتقى وادي أيت حكيم والرباط لتكون وادي بوگماز. كان يعقد بقربها سوق منذ القديم. وعندما اختيرت كمركز إداري في إطار اللامركزية استقرت بها منشآت إدارية وتجارية على الطريق المار بالضفة اليمنى بين البساتين ومنحدر الوادي : القيادة ودار الجماعة القروية وإدارات ومصالح تابعة لمختلف الوزارات ومقاه ودكاكين تكون سويقة وجزءاً من دكاكين السوق الأسبوعي المنبسط أمامها كشريحة طويلة في عالية المنحدر. أما المعهد الجديد للتكوين في المهن الجبلية فإنه يوجد على نفس الطريق على بعد 1.5 كلم، ويوجد بسرير الوادي الأخضر مخيم صغير ومحطة للسيارات، لكن المركز جديد لازال ينقصه الانسجام والاندماج، فهو مركز تجاري

وخدماتي أكثر منه سكني، إذ أن معظم العاملين به يسكنون الدواوير المجاورة. زود مؤخراً بالكهرباء من محطة كهرمائية على مجرى عين تيزي نايت إيمي الغزيرة، بلغ سكانها 223 ن (1982). ينعقد بها سوق يوم الأحد حيث تفتح كل دكاكين السويقة ومنشآت المركز. يأتي إليه معظم المتسوقين على بغالهم وتصله بعض الشاحنات التي تنقل البضائع والركاب. وهو سوق محلي يزود السكان بالحاجيات الأساسية ومعظمها مجلوب من المدن، لكن هناك كمية من الخضر والحبوب المحلية. وتختلف حركة السوق حسب المواسيم وحركة المواصلات إذ تعرف تقلصا كبيرا في الشتاء خاصة عند انقطاع الطرق بسبب تهاطل الثلوج. أهم ما يقدمه الأغنام والأبقار خاصة في الصيف، وجل التجار الصغار وأصحاب الخدمات من سكان المركز والوادي، أما التجار الكبار أصحاب الشاحنات فيأتون من أزيلال وأيت امحمد وأباشكو، وهم من محترفي تجارة الأسواق الأسبوعية بالمنطقة.

الوظيفة السياحية. انطلقت سنة 1985 تجربة تنمية لأعالي الجبال في إطار برنامج للتعاون الدولي تحت مسؤولية مديرية الشؤون القروية باسم التجربة الرائدة المتعددة القطاعات للاقتصاد القروي لأعالي الجبال بالأطلس الكبير الأوسط، وفي إطار إنعاش السياحة الجبلية والحرف المحلية، تم بناء مركز لتلقين المهن الجبلية : السياحة والصناعة التقليدية والزراعة وتربية المواشي والنحل. واعتبر المشروع السياحي أهم محرك لاقتصاد المنطقة، ذلك أن المجال البيئي لازال يطغى على المجال المستأنس، مما وفر للسياحة مجالات غنية للتجول والتزحلق وممارسة مختلف الرياضات الجبلية. وأوصى المشروع بتشجيع السكان المحليين على القيام بكل المشاريع لكبح هجرتهم خارج المنطقة، والمحافظة على أصالة المعمار إذ لا يسمح باستعمال الإسمنت المسلح سوى بالأسقف المرفوعة على جدران مبنية بالتراب المدكوك والحجارة حسب تقنيات محلية مطبقا ذلك في البناء الجديد لمركز المهن الجبلية الذي يحتوي على قاعات متنوعة وأقسام داخلية ومنازل لسكن العاملين به ومختبرات ومشاغل، يدرّس به بعض الأجانب، خرّج أفواجا من المرشدين الجبليين من أبناء المنطقة المحصلين على مستوى متوسط من التعليم الثانوي : كون 140 مرشداً، 60٪ منهم من تابانت، و55٪ شخصا في الحرف لغاية 1988. وسمح للسكان بإنشاء مآوي عائلية وكراء البغال ومرافقة السواح، وظهر 17 مأوى عائليا بقرى المراحل المهمة للجولات مع تمركز خاص بالمناطق التي تنطلق منها الرحلات، أهمها تابانت : ستة مآوٍ. وهناك مآو جبلية عالية تبنيها الجماعة القروية قرب قمة مگون وأعلى واد امگون وبحيرة إزوغار.

تتوافد على المنطقة شركات سياحية وطنية وأجنبية تنظم جولات على البغال ومشيا على الأقدام تدوم حوالي أسبوع تنطلق غالبا من تابانت وترتاد الأودية العليا وتعبر الفجاج وتصعد القمم خاصة مگون (4068 م) وتمارس التزحلق شتاء وتخيم ليلا بجوار المجاري المائية. بلغ عدد السواح المنطلقين من تابانت سنة 1988 حوالي 1500 سائح 60٪ منهم فرنسيون، 40٪ زاروها في غشت ويوليوز.

إلا أن كبر عائق يحد من تطور السياحة والنمو الاقتصادي عامة صعوبة المواصلات لأن الوادي يتعمق داخل سلاسل جبلية ويفصله عن الطريق المرصف بأيت امحمد 60 كلم من مسلك جبلي وعر يتوقف السير به عند تساقط الأمطار والثلوج.

بحوث من مستوى نهاية الإجازة أنجزها طلبة شعبة الجغرافيا بكلية الآداب مراكش : تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية تتعلق بالمنطق ؛ بحث ميداني في صيف 1990.

A. Fougerolles, *Le Haut Atlas Central, guide alpin*, Casablanca, 1982.

أحمد هوزالي

تابحريت، مدينة صغيرة على ساحل البحر المتوسط وواحدة من الموانئ الكثيرة التي شهدت نشاطا ملاحيا كبيرا في سالف الأزمان في المنطقة الواقعة بين مليلة غربا وهنين شرقا، وقد اندرس أغلب هذه المرافئ ولم يعد حاضر ما بقي منها يدل على ما عرفته من ازدهار ومجد في ماضيها. (*الاستبصار*، 135).

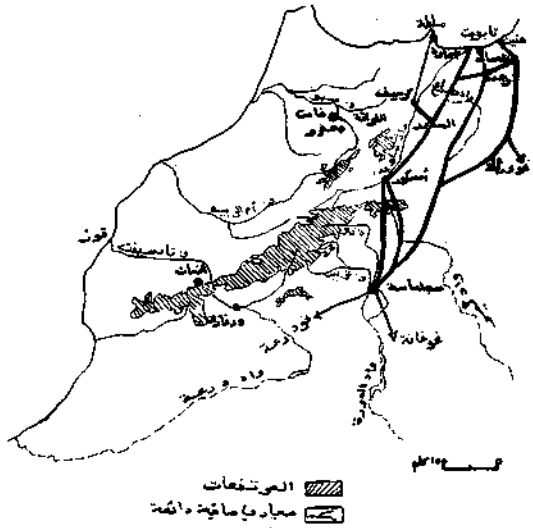

تقع تابحريت شمال غرب مدينة وجدة وتبعد عنها بأربعين ميلا (انظر الخريطة) وتتخذ موقعا وسطا بين ميناءين عرفا بنشاطهما البحري في القرنين الخامس الهجري (11 م) والسادس الهجري (12 م) هما تافرجنيت ومصكاك. يقع الأول إلى الغرب منها ويبعد عنها بثمانية أميال (*وصف افريقيا الشمالية*، 111) وهو ميناء جراوة. وهاته الأخيرة مدينة تحمل اسم القبيلة التي تسكنها وقد حدد J. M. Lessard موقعها على بعد عشرة أميال جنوب شرق مصب وادي ملوية في المكان المسمى حاليا سيدي محمد بن عيسى (*Sijilmassa*, 17). أما ميناء مصكاك أو مسكاك فيقع إلى الشرق منها على مسافة ثلاثة أميال وقد

ذكر البكري أن هذا المرسى أقدم من تابحريت وأن التراجع الذي عرفه كان نتيجة تجديد تابحريت عام 420 / 1029 وازدهارها بفعل ذلك حتى أصبحت سوقاً لأهل مصكاك أنفسهم (*المغرب*، 88 ؛ *الروض المعطار*، 127).

تبعد تابحريت عن ميناء ترنانا بثلاثة عشر ميلا حسب رواية البكري (*المغرب*، 87) وبنحو اثني عشر ميلا عن ندرومة حسب رواية الوزان (*وصف افريقيا*، 2 : 14) الذي ذكر المسافة بين تابحريت وندرومة ولم يشر إلى ترنانا ميناء هاته الأخيرة. وتجب الإشارة إلى أن أكثر ما وصلنا عن ترنانا في أغلب المصادر الجغرافية يتطابق في أغلب تفاصيله مع ما ذكره البكري عن تابحريت، وعليه فقد ضل كل من صاحب *الاستبصار* والحميري في نقلهما عن البكري فضمنا مادة ترنانا المعلومات الخاصة بتابحريت وكتبا خطأ أنها محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها وأن سكانها من مطغرة (*الاستبصار*، 135 ؛ *الروض المعطار*، 127). في حين أن ترنانا في كتاب البكري مدينة تبعد عن ندرومة بثمانية أميال لها سور ومسجد جامع وسوق وبساتين كثيرة يسكنها فخذ من بني دمر يسمون بني يلول (*المغرب*، 80).

لم تصلنا معلومات كثيرة عن عمران تابحريت سوى ما ذكره البكري من أنها كانت في القرن الخامس الهجري (11م) مدينة مسورة لها مسجد جامع متقن البناء مشرف على البحر ولها أسواق جامعة (*المغرب*، 88). وقد استمرت هذه المدينة على حصانتها وازدهارها في القرن السادس الهجري (12 م) بشهادة الإدريسي الذي قال إنها حصن حصين عامر آهل (*وصف افريقيا الشمالية*، 111). وقد أغفل الجغرافيون ذكرها بعد القرن السادس الهجري ولم تصلنا معلومات عنها بعد ذلك سوى في القرن العاشر (16 م) مع الحسن الوزان الذي قال إنها كثيرة السكان وأهلها يعيشون في خوف دائم من هجوم النصارى عليهم ليلا (*وصف افريقيا*، 2 : 15). وقد خربت هذه المدينة بعد ذلك في تاريخ غير معروف وبقي اسمها على بعد نحو 30 كلم شمال غرب ندرومة. ومن المحتمل أنها كانت مشيدة على رأس قلعة تشرف على البحر بارتفاع 125 متراً (*وصف افريقيا*، 2 : 14، هامش 18).

ارتبطت شهرة تابحريت بنشاطها التجاري في القرنين الخامس الهجري (11 م) والسادس الهجري (12 م) على وجه الخصوص فقد قصدتها خلال هذه الفترة السفن من كل الجهات (*المغرب*، 88 ؛ *وصف افريقيا الشمالية*، 111). ويرجع السبب في الإقبال على هذا المرسى دون غيره من المراسي الموجودة على ساحل البحر المتوسط وقتئذ إلى العلاقة التي جمعته بعاصمة التجارة الصحراوية مدينة سجلماسة وهذا ما عبر عنه البكري بقوله : وهو مقصد لقوافل سجلماسة (*المغرب*، 88). ويفهم من ذلك أن هذا الميناء هو المنفذ الذي اعتمدت عليه سجلماسة في الاتصال مع أوربا والأندلس خاصة وأننا نعلم بأنها لم تكن المدينة الداخلية الوحيدة التي كان لها منفذ بحري على مسافة بعيدة منها لأن اغمات أيضا كان لها ميناء قوز في مصب وادي تانسيتف على بعد 120 ميلا عنها (*المغرب*، 153. 154).

فلو أمعنا النظر فيما كتبه البكري عن الطرق التجارية الداخلية الرابطة بين سجلماسة وشمال المغرب فإن ما يمكن ملاحظته هو اتجاهها نحو الموانئ المتوسطية غير أنه رغم الأهمية الكبيرة التي كانت لفاس في ربط الاتصال بين سجلماسة وسبتة فإن القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان والمتجهة نحو موانئ البحر المتوسط لم تكن مضطرة في كل الحالات إلى المرور بفاس لأنه كان في إمكانها الوصول إلى الساحل المقابل لوجدة وجراوة وتلمسان بواسطة طريق مباشر يربط سجلماسة بوجدة عبر صاع وهي قرية ذات نهر ـ وادي زا ـ وثمار ومزارع ومنها إلى قللت ومنها إلى جبل بني يرنيان ومنه إلى قير ـ وادي گير ـ ومنه إلى الاحساء ومنها إلى لامسي فسجلماسة (*المغرب*، 88، انظر الخريطة). إن البكري لا يشير في وصفه لهذا الطريق إلى المدة الزمنية التي تتطلبها الرحلة عبره، كما أن المحطات الرئيسية التي يمر بها غير معروفة في ضوء معلوماتنا الحالية، وكل ما يمكن تسجيله هنا هو مرور القوافل عبر أودية هذا المجال شبه القاحل كوادي گير ووادي زا.

مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ش. الإدريسي، *وصف افريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، الجزائر، 1965 ؛ ابن ع. الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1984 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 2، الرباط، 1982 ؛ خريطة مأخوذة عن حافظي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 هـ / 14 م مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، مرقونة، فاس، 1989.

J. M. Lessard, *Sijilmassa : la ville et ses relations commerciales au XIème siècle d'après El Bekri*, H.T., vol. X, Fasc. 1 -2, 1969.

حسن حافظي علوي

تابرانت . قبيلة . ← بني احمد

تَابْرَانْتْ، قرية بفرقة السواحل من قبيلة بني بوشيبت الصنهاجية (إقليم الحسيمة) واسمها باللهجة الريفية يعني "أنثى الحجل" ؛ وكانت هذه القرية آخر بقعة بأرض الريف سقطت بيد الجيش الإسباني يوم 22 أبريل 1927.

وتابرانت هي مقر الجماعة القروية التي تضم قبائل بني بوشيبت وتغزوت وبني بشير وبني أحمد بإقليم الحسيمة.

بنعبد الله، *الموسوعة*، 140، 366.

Comision historica, 25 ; Martinez Campos, *España belica*, 343 - 347 ; *Vademecum*, afio 1943.

محمد ابن عزوز حكيم

تابريدا، أو أبريدا حسب المصدر اللاتيني الذي وصل إلينا من خلال ما نشره الجغرافي المجهول دي رافين De

Ravenne. قد يستحيل العثور عليها عند المؤرخين القدماء الآخرين من إغريق ولاتين. فهي تنطبق على مجال موريطانيا الگاديتانية Maurétanie Gaditane المجاور لمضيق أعمدة هرقل، وتدل تابريدا أو أبريدا حسب دي رافين، في اللغة الأمازيغية على الممر أو المجاز. وغالبا ما يُرادف إقليمها الضفة الجنوبية لسبتيم گاديتانوس Septem Gaditanus، أو مضيق قادس الفاصل بين موريطانيا الغربية وإسبانيا خصوصا، أو ما بين قارتي إفريقيا وأوربا على العموم.

الجغرافي دي رافين، (نشر پورشورون) باريز، 1748 ؛ ريمون روجي، *المغرب الأقصى عند المؤلفين القدماء*، باريز، 1924..

المصطفى مولاي رشيد

تَابَلْكُوكْتْ، تقع على الطريق الرئيسية على بعد 43 كلم في الذهاب من تيزنيت إلى مدينة سيدي إفني، ويطلق هذا المصطلح على هضبة شديدة الاستواء محاطة بحافات شبه عمودية في جهاتها تقريبا. ونظراً لندرة هذا النوع من التضاريس، فإننا لم نعثر إلا على ما يقارب هذا الاسم لإحدى قبائل إيسافنْ بالأطلس الصغير، لكن هكذا "تابْرْكوكْتْ" بالراء بدل اللام. ولدي وثيقة قديمة ستنشر في كتابي "جانب من تاريخ أيت باعمران" كتبت بالنون هكذا "تابنْكوكْتْ" لكن في باقي الوثائق تكتب كما في العنوان أعلاه.

وكانت هذه الهضبة كلها في ملك بَاهَا الخلفي الذي عاش حوالي 940 هـ ثم تعرضت لقسمة عقارية من طرف أحفاد الشيخ بَاهَا الأدنون في القرن الحادي عشر الهجري وهم أبناء علي بن علي بن باها، وكانت مشهورة بالفلاحة وبغابة أرگان ويرعي الإبل في ظروف أكثر رطوبة من اليوم. وأقدم عمران في تابلكوكت، هو بقايا أگادير (حصن) مستدير منيع على حافة وادي سامْطَمَاطْ، وكان هذا الحصن يعرف بأتْبَّانْ، ومعناه مخزن التبن، وتثبت الوثائق أنه كان مهجورا قبل الألف الهجرية، ولا يعرف من بناه، وكل ما نعرفه أن طريق القوافل المعروفة بتابريدا والتي كانت تربط بين شمال المغرب وصحرائه، كانت لها علاقة بهذا الحصن، من حيث المبيت والحراسة والتموين.

يظهر حسب التحريات الخاصة أن سيدي علي بودميعة صاحب مشيخة تازروالت، قد استغل هذا الحصن، كما استغل ـ مرْسْ ـ تابلكوكت، في خزن الزرع على المرسى الذي أسسه هناك كما ذكر صاحب *المعسول*، ومازالت آثار العمران تدل على ذلك، وخاصة النطافي لخزن المياه، والمطامر لخزن الحبوب، ومن الشائع أن البرتغاليين نزلوا في عين المكان.

أطلق اسم تابلكوكت فيما بعد على المدشر الوحيد هناك، وقد تعرض سكانه لكارثة الوباء سنة 1229 هـ كما تعرض لقصف باخرة فرنسية سنة 1335 / 1917 فهدمت دار القاضي سيدي محند بن محمد من آل الشيخ هَمُّو كما أحرقت تلك الباخرة جميع زوارق الصيد لأيت باعمران، كما قصف نفس المدشر بحراً في حرب التحرير الباعمرانية سنة 1957، لكن هذه المرة من طرف الإسبان.

ونظراً لموقع تابلكوكت هذه فقد اختارتها كل من إسبانيا وفرنسا لتكون حدودا بين منطقتي نفوذ الدولتين الاستعماريتين، ولو على حساب تقسيم أيت باعمران، هذا وقد وقف إيفارن (الشيوخ) منذ اللحظة الأولى ضد هذا التقسيم لكن الكولونيل كَبَّاسْ فرض على هؤلاء الشيوخ، بأن يكون وادي سامطماط العميق هو الحد الطبيعي بين المنطقتين، كما أن تيگمي أوگليد وهي دار السلطان الحسن الأول تعد دليلا هناك على حد الحماية الفرنسية النائية عن المخزن المغربي، لذلك احتلت فرنسا ميرلفت، بينما احتلت إسبانيا تابلكوكت وبينهما الوادي العميق سامطماط، فبنيت كل إدارة مركزها للمراقبة والسهر على الحدود، وبذلك ضيقت الصلات بين شمال المغرب وجنوبه إلا في بعض الملتقيات مثل يوم أغوگار (ملتقى) سيدي محمد بن عبد الله بتابلكوكت، وهو الخميس الأول من شهر يوليوز الفلاحي من كل سنة، وفي هذا الموسم التجاري الهام، يلتقي حكام فرنسا في سوس بكاملهم مع حكام اسبانيا، فيحتفل الطرفان، ويستعرضان قواتهما، ومقابل ذلك يسمح للسكان بالزيارات وتبادل السلع ونقلها من حماية إلى أخرى لمدة ثلاثة أيام فقط.

وفي سنة 1947 لفت انتباه أيت باعمران، أن فرنسا كانت ترفع في الموسم رايتين المغربية والفرنسية، بينما إسبانيا لا ترفع إلا رايتها، ولما استفسروا عن سبب ذلك، قيل لهم، أن أيت باعمران، أرض إسبانية، وهنا قامت الشخصيات الباعمرانية تطالب برد الاعتبار، فأصروا على أن يعلن شيوخ أيت باعمران نصر السلطان في موسم سيدي محمد بن عبد الله بتابلكوكت، وإلا أشعلوا حربا يوم الموسم التجاري، ولما كانت إسبانيا غير مستعدة ولا في استطاعتها أن تفعل أي شيء بوجود الحكام الفرنسيين، فقد تنازلت لأيت باعمران، وتولى الشيخ عبد الكريم بن الحسن القيام بإعلان نصر السلطان هكذا "اللهم انصر السلطان سيدي محمد بن يوسف على الحق والباطل...". وبذلك كان موسم تابلكوكت بذلك النصر السلطاني أول من دق مسماراً في نعش الاستعمار الاسباني بأيت باعمران. كما أن القاضي سيدي محند بن محمد كان أول من عارض الاسبان في أخذ الصور الشخصية من أجل تطبيق الجنسية الإسبانية على أيت باعمران، وتلك المحاولة هي التي أدت إلى حوادث أيت باعمران سنة 1947.

تابلكوكت في معركة التحرير : انقض المجاهدون على مركز الإسبان المسمى قَشْلَة تابلكوكت سنة 1957، لكن نظرا لمناعة هذا المركز الاسباني، فقد تكبد المجاهدون خسائر في الأرواح، ومع ذلك تم حصاره بعد قطع الصلة بينه وبين مدينة سيدي إفني بهدم قنطرة بومجوض وقطع أعمدة الهاتف، وبذلك تم حصاره، حتى تدخل المقاوم الكبير

المرحوم عبد العزيز الماسي، فصار يرمي مركز الإسبان بالمدافع حتى استسلم من فيه، وكادت مغامرة هذا القائد المغربي أن تشعل الحرب بين المغرب وبين إسبانيا، فحاصرت بوارج حربية إسبانيا مدينة أگادير، ولو لا تصريحات المغفور له محمد الخامس وقته بواشنطون، والتزام المغرب سياسة الهدوء والاحتجاج لوقع ما لم يكن في الحسبان.

هذا وقد علق مراسل جريدة "لومند" على مذكرة إسبانيا، ومضمنها أن يحل جيش المغرب محل جيش التحرير، قائلا: "يتضح من تحليل المذكرة أن هذا الشرط يتعلق في نفس الوقت بمنطقة الجنوب المغربي، هذا وقد سلم هؤلاء الأسرى كلهم إلى المغفور محمد الخامس باگلميم من طرف جيش التحرير، والذي اطلق سراحهم، فبدأت العلاقات تتحسن من جديد.

أما شهداء معركة تابلكوكت فأذكر منهم هؤلاء، جزاء لما قدموا لهذا الوطن :

- السيد إبراهيم بن محمد بن لحسن بن بايه الخلفي وهو رئيس المجاهدين.
- أموگال السيد أحمد بن سعيد النصفي.
- قاقاس البشير بن محمد النصفي.
- الأوزاضي احمد بن محند النصفي.
- الحسين بن محند اليعزاوي.
- اد الرايس الحسين العبلاوي.
- أزروال عمر بن محمد بن لحسن العبلاوي (أزروال) لقباً.

هذا وفي تابلكوكت مدرسة عتيقة حول ضريح سيدي محمد بن عبد الله عرفت بمن مر فيها من الفقهاء مثل الفقيه سيدي أحمد بن باموس اليوسفي مشهور بالقضاء وكتابة المصاحف بخط جميل للغاية، ثم سيدي الحبيب العبلاوي في بداية هذا القرن الميلادي، ثم القاضي سيدي محند بن محمد بن الشيخ همو (1384 / 1294) من عين المكان وله خزانة بها مخطوطات، وهي الآن عند سيدي جهادي ابريك.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مجلة الكلمة، عدد 1، ص. 56، 1971 ؛ جريدة *المحرر*، عدد 458، 1975.

الحسين جهادي

تابودة، أو تبُودا، موقع تاريخي قديم يبعد عن الطريق الرئيسية رقم 26 الرابطة بين فاس ووزان بأربعة وعشرين كيلومتراً في اتجاه الشمال، ويقع على السفح الشمالي لمرتفع أمجُّوط المطل على أهم البسائط التي خلفها واد أوْضُور على ضفتيه وهي (الجمعة ـ الگزيرة ـ أغْجْدَمين تَمَسْريت إلى منخفض خَوْلان شمالا). ويُطل أيضاً على سوق اثنين تابودة. فيه دوار ينتمي إلى بطن بُومْعان من بطون قبيلة بني زورال الخمسة (أولاد قاسم ـ بومعان ـ بني مكة ـ بني إبراهيم ـ بني مـلّول). وهو معروف ببساتين البرتقال وأشجار التين والكرم والزيتون، فلا تكاد دوره تظهر من خلالها. كما تدل تابودة في اللسان الصنهاجي على أسل يحمل في رأسه زهرة وينبت قرب المستنقعات وعلى جنبات مجاري المياه، وهو سامٌ لكن السكان كانوا يضطرون أحياناً لأكله في المجاعات وأوقات الحرب والحصار، كما حدث لسكان مراكش أثناء حصارهم من طرف قبيلة الخلط أيام الرشيد الموحدي (*البيان المغرب*، قسم الموحدين، 326).

تحدث أحد الرواة عن أصل سكان هذا الدوار وقال إنهم من "البقية" أي بقية الرومان، ولكنهم أسلموا وحسن إسلامهم منذ الفتح الإسلامي. وعلل الراوي كلامه بزرقة أعينهم وهو يروي عن أبيه من جيل الحماية وقبلها بقليل. ومن المحتمل أن يكون كلام الراوي صحيحاً بسبب وجود المسيحيين ـ وهم في الغالب بيزنطيون ـ ببني زروال. فقد سكنت الساحرة داداوح جبل ودكة وعبدت القديس لازار.

شارك سكان تابودة في مقاومة الفرنسيين الذين جاؤوا لاحتلال بلادهم في بداية الحماية. وجرت أحداث دامية بالمنطقة إبان ثورة ابن عبد الكريم الخطابي. وبعد الاحتلال صارت تابودة المركز الإداري لفرقة بومعان من قبيلة بني زروال من سنة 1925 إلى سنة 1956. وفي السنة التالية

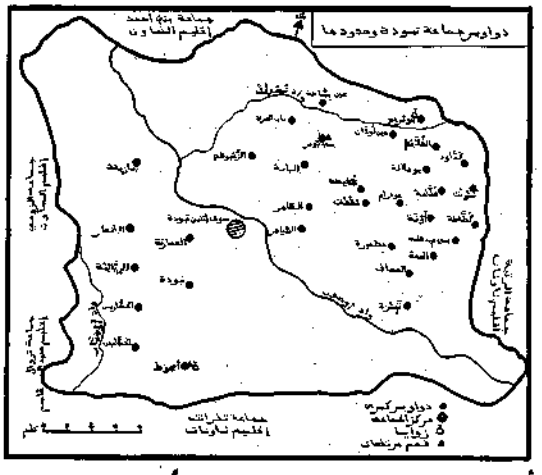

أصبحت جماعة قروية تابعة لقيادة تفرآنت، دائرة غفساي عمالة تاونات.

يتمثل اقتصاد جماعة تابودة في الزراعة وبعض العمليات التجارية المحدودة. وطابع كل هذه الأعمال الإنتاجية مَعاشي. فالزراعة تغطي مساحة تزيد عن 10.000 هكتار. علاوة على مساحة الغابتين الكبيرتين في الجماعة وهما غابة امجُّوط 1.280 هكتاراً وغابة عين لوذان 150 هكتاراً. ويكثر السكان من زراعة الشعير في سفوح التلال وقممها بينما يزرعون القمح في السهول، وحاولوا منذ سنة 1976 تقريباً إضافة زراعة الخضر والفواكه السقوية على ضفاف أوْضُور مستعلمين مضخات الماء. وهذا النوع من الزراعة الذي لا يكون إلا في الصيف والخريف بإمكانه إنعاش اقتصاد المنطقة لو كانت الطريق معبدة في اتجاه الشمال إلى سوق ثلاثاء بني احمد، أو في اتجاه الجنوب نحو سوق خميس بني وريـاگل. ولكن افتقاد هذه الوسيلة يفرض على السكان التقوقع وتصريف هذه المنتجات في

أقرب الأسواق بأثمان غير مربحة. وتبقى أهم زراعة شجرية في الجماعة هي الزيتون، فهو موجود بكثرة ويحرص السكان على الزيادة من غرسه وكذلك الجماعة في مواصلة مشروع "ديرو" فقد غرست مساحات واسعة من أشجار الزيتون وبعض المساحات من تايدة فوق المرتفعات خاصة.

وأما الماشية فهو مورد ثان للاقتصاد داخل الجماعة، ولكن طابع التمدن والاعتماد على الوظيفة في الجندية على الخصوص أدى إلى تراجع تربية المواشي وخاصة المعز والغنم، فأصبحت الرؤوس التي كانت تفوق في السبعينات 10.000 رأس تقل عن نصف هذا العدد.

منوغرافية جماعة تابودة لسنة 1991 ؛ تحريات ميدانية.

العربي الحمدي

تاتنتال، ملاحة في صحراء المغرب لم يرد ذكرها في الكتب الجغرافية والتاريخية قبل زمان البكري. تبعد عن سجلماسة بعشرين مرحلة في اتجاه الجنوب على الطريق الرابط بين هاته الأخيرة وبلاد السودان الغربي (البكري، 171)، وبينها وبين مدينة أزقي "أزوگي" قاعدة لمتونة سبع مراحل (*كتاب الجغرافيا*، 113)، وقد حدد R. Mauny موقعها على بعد 160 كلم شمال غرب ملاحة تودني (*Tableau Géographique*, 328).

لم يتم نشر نتائج التنقيبات الأثرية التي أقيمت بموقع تاتنتال في سنوات 1949 . 1950 م تحت إشراف G. de Beauchéne، ولم نتمكن بالنتيجة من معرفة تاريخ بداية استغلال هذه الملاحة رغم أن الجزء الذي لحقه الحفر بها ظاهر بوضوح كبير في الصور الجوية التي أخذت للموقع عام 1954م. ويرى البعض (المصدر السابق) اعتماداً على ذكر ملاحة تاتنتال لأول مرة في كتاب *المسالك والممالك* أن ذلك قد تم ما بين 1030 م و1040 م (*Routes de commerce*, 1 : 56)، غير أن المتأمل لما كتبه البكري في هذا الموضوع يخلص إلى القول بأن استغلال تاتنتال سابق لزمان هذا المؤلف. فهذه الملاحة كانت في القرن الخامس (11 م) على قدر كبير من الأهمية يؤكد ذلك دورها في تمويل سجلماسة وغانة وسائر بلاد السودان بمادة الملح فضلا عن جلبها لقوافل التجار (البكري، 171) أي إشرافها على تنظيم المبادلات التجارية بين المغاربة والسودانيين بالنظر للأهمّية التي كانت للملح في التجارة الصحراوية. ومعلوم أن هذا النجاح الذي وصلت إليه هذه الملاحة في الفترة المذكورة أعلاه لا يمكن إلا أن يكون مسبوقا بمرحلة تمهيدية تطورت خلالها شهرتها بالتدريج حتى صارت المُموِّل الرئيسي لقوافل التجار بمادة الملح وأثرت بذلك على حيوية ملاحة أوليل الواقعة على الطريق الساحلي.

ونميل إلى الاعتقاد بأن تاتنتال هي تغازى أو تغَزّة. دليلنا على ذلك أن هذه الملاحة تبعد عن سجلماسة بعشرين مرحلة حسب رواية البكري (*المغرب*، 171) وبخمس وعشرين مرحلة حسب رواية ابن بطوطة (*تحفة النظار*، 773). ويرجع سبب الاختلاف في عدد أيام الرحلة بين كل من الأول والثاني إلى أن طريق سجلماسة ـ غانا زمان البكري (5 هـ / 11 م) كان يمر عبر تامدولت وتندفس وهو بذلك طريق مباشر نسبيا، أما طريق سجلماسة ـ مالي زمان ابن بطوطة (8 هـ / 14 م) فكان يميل قليلا نحو الشرق بغرض الوصول إلى واحات توات ومنها إلى تغازى فإيولاتن (*التبادل التجاري*، 240) خصوصا وأن واحات توات قد أصبحت خلال هذه الفترة الزمنية حسب شهادة ابن خلدون محط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان ومن بلد مالي إليه (*العبر*، 7 : 76 - 77).

يضاف إلى ذلك أن تاتنتال في وصف البكري حصن مبني بحجارة الملح وكذلك ببيوته ومشارفه وغرفه كل ذلك ملح (*المغرب*، 171) وهذا ما يتطابق جملة وتفصيلا مع ما جاء عند غيره عن تغازى. فقد ذكر القزويني اعتمادا على رواية الفقيه المغربي علي الجنحاني الذي زار تغازى بأن سور المدينة من الملح وكذلك جميع حيطانها والسواري والسقوف والأبواب (*آثار البلاد*، 25 . 26). وقال ابن بطوطة إنها قرية لا خير فيها ومن عجائبها أن بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح (*تحفة النظار*، 773).

يتضح مما سبق أن تاتنتال هي الملاحة التي اشتهرت بتمويلها للمشتغلين بالتجارة الصحراوية بمادة الملح خلال فترة مهمة من العصور الوسطى وبداية العصور الحديثة. فالأراضي المحيطة بهذا الموقع سبخة، قال ابن بطوطة "إنما هي رمل فيه معدن الملح يحفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخام يحمل الجمل منها لوحين" (*تحفة النظار*، 773). ويفهم من ذلك أن وزن كل لوح حوالي 75 كلغ إذا سلمنا بأن حمولة الجمل هي 150 كلغ. وذكر البكري أن الملح المستخرج من مناجم تاتنتال يوجد تحت قامتين أو دونها من وجه الأرض (*المغرب*، 171) أي ما يعادل 3.80 م تقريبا (*Tableau Géographique*, 328).

كان المشتغلون بالحفر عن الملح بتاتنتال في الفترة الواقعة بين القرن السادس (12 م) والثامن (14 م) من عبيد قبيلة مسوفة الصنهاجية، وكان قوتهم التمر الذي يجلب إليهم من درعة وسلجماسة ولحوم الجمال وألبانها الذي يجلب إليهم من بلاد السودان (*آثار البلاد*، 26؛ *تحفة النظار*، 773). وقد تغير رهط هؤلاء العاملين في الملاحة في القرن العاشر (16 م)، فالحسن الوزان الذي مر بتغَزّة مرتين في الذهاب والإياب بين سجلماسة وتمبكتو حوالي 916 . 918 / 1510 . 1512 وأقام بها ثلاثة أيام، ذكر أن المستخدمين في هذه الملاحة كانوا يأتون مع القوافل ليشتغلوا في استخراج الملح ثم يحتفظون بما تجمع لهم منه إلى أن تأتي قافلة فتشتريه منهم (*وصف افريقيا*، 2 : 108) ويفهم من هذا الكلام أن الذين كانوا يقومون بالحفر عن الملح بتغازى زمان الوزان كانوا من الغرباء يعملون لحسابهم الخاص وليس لحساب مسوفة كما كان عليه الأمر في السابق.

وحول المياه بتاتنتال قال القزويني : "ومن العجب أن هذه المدينة أرضها سبخة جدا، ومياه آبارهم عذبة" (*آثار البلاد*، 26) وهو ما أكده أيضا صاحب *الاستبصار* (214). ومعلوم أن القزويني لم يزر تلك المناطق وإنما أخذ أخباره عنها عن طريق الرواية الشفوية شأنه شأن صاحب *الاستبصار*، وهذا ما يدعو إلى الشك في صحة معلوماتهما عن هذا الموضوع، فهذا ابن بطوطة الذي أقام بتغازى عشرة أيام يعترف بأن إقامته بها تمت في جهد لأن الماء بها زعاق (*تحفة النظار*، 773) وهذا ما أكده الحسن الوزان حيث قال : "وأقمت مرة في تغزة ثلاثة أيام ريثما يحمل الملح، واضطررت أثناء ذلك إلى شرب الماء المالح" (*وصف افريقيا*، 2 : 109).

كان لاكتشاف ملاحة تاتنتال واعتماد القوافل على الملح المستخرج منها في عملية التبادل التجاري بين المغاربة والسودانيين أثر كبير في حدوث تحولات مهمة على خريطة المسالك التجارية الصحراوية. فبعد أن كانت القوافل تسافر إلى بلاد السودان عبر طريقين هما : الطريق الساحلي والطريق الواقع إلى الشرق منه الذي سماه البكري طريق وادي درعة ـ غانا عبر وادي تارگا (*المغرب*، 163) أصبح التجار بعد استغلال ملاحة تاتنتال يستعملون طريقا ثالثا يقع إلى الشرق من الطريق الثاني يربط واحات المغرب الأقصى بغانا عبر تندفس وتاتنتال فأودغست (*التبادل التجاري*، 236).

اتخذ هذا الطريق الثالث أهميته المتميزة في جلب قوافل التجار بفعل نشاط ملاحة تاتنتال. وقد اتفقت المصادر الجغرافية على صعوبة الرحلة عبره بسبب المخاطر التي تحيط بالتنقل في صحاريه وقلة الماء أو ملوحته حتى في حالة توفره فضلا عن عدم وضوح المسالك بسبب انتقال كثبان الرمال من مكان إلى آخر (البكري، 171 ؛ الإدريسي؛ ابن سعيد، 113 ؛ ابن بطوطة، 774). وهذا ما فرض على القوافل الخضوع لتنظيم محكم أثناء الرحلة عبر هذه المفازات واستوجب وجود قائد للقافلة وكذلك الدليل والتكشيف فضلا عن اختيار الفصل المناسب للسفر من فصول السنة، وكذلك الوقت الملائم من اليوم للمسير.

وتجب الإشارة إلى أن المكانة التي صارت لملاحة تاتنتال في مجال الإشراف على المبادلات التجارية عبر الصحراء الكبرى لم تبعد التجار عن استغلال الطريق الساحلي والطريق الواقع إلى الشرق منه أي الطريق الوسط بل قللت من أهميتهما فقط. فقد استمر الجغرافيون الذين أتوا بعد البكري على ذكر ملاحة أوليل ودورها في تمويل بلاد السودان بمادة الملح، وهذا ما يعطي الدليل على أن التخلي عن استعمال الطريق الساحلي لم يتم قبل القرن السابع (13 م).

ولا نعرف شيئا عن التاريخ السياسي لتاتنتال قبل القرن العاشر (16 م) على أقل تقدير (انظر مادة *تغازى*) رغم ما كان لهذا المكان من دور كبير في إنعاش التجارة الصحراوية لقرون عديدة من الزمن، لذلك جاز لنا القول، على لسان أحد الدارسين، إنه ربما توقع المرء تاريخا مشحونا بالاضطرابات في مكان على هذا القدر الكبير من الأهمية (بوفيل، 270).

أ. البكري، *المغرب*، الجزائر، 1965 ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، 1975 ؛ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت، 1981 ؛ القزويني، *آثار البلاد وأخبار العباد*، بيروت، 1969 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط، 1982 ؛ مجهول، *الاستبصار*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ش. الادريسي، *وصف افريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 ؛ ح. الحافظي، *التبادل التجاري بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في العصر الوسيط*، مجلة *المناهل*، عدد 39، 1990 ؛ بوفيل، *تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير*، بنغازي، 1988.

R. Mauny, *Tableau géographique de l'ouest africain d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie*, Dakar, 1961 ; J. Devisse, *Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la méditérranée, un essai sur le commerce africain médieval du X au XVI siècle*, 1ère partie, R.H.E.S., N° 2 - 3, 1972.

حسن حافظي علوي

تَاجِذِيت، هي الأرض الواقعة بشاطئ قبيلة بقوية التي أُنشئت فوقها مدينة الحسيمة الحالية (فيبا سانخورخو) وتاجذيت في اللهجة الريفية تعني الرمال الرقيقة وهذا الاسم هو الذي كان ينبغي أن يطلق على مدينة الحسيمة.

أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، 1 : 111.

Intervencion teritorial del Rif ; *Vademecum*, año 1946, p. 104.

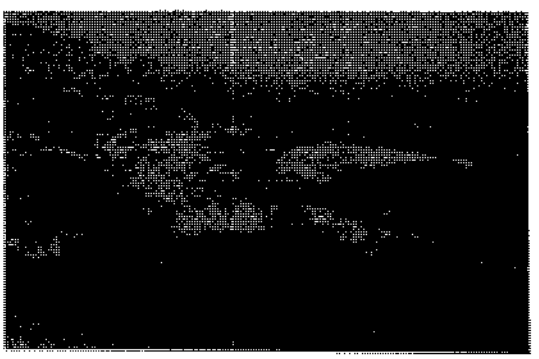

تاجذيت
الموقع الذي أُحدثت به مدينة الحسيمة
وسماها الإسبانيون "بيلاً سانخورخو"

التَّاجر، أسرة كانت بتطوان وانقرضت سنة 1297 / 1880، ويقال إن أصلها من يهودي أسلم فحسن إسلامه ؛ ومن المعلوم أنه لا ينعت بالتاجر في تطوان إلا اليهودي سواء كان تاجراً أم لا ؛ وهذه الأسرة غير أسرة التويجر بالتصغير.

Delegacion, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum*.

محمد ابن عزوز حكيم

التاجموعتي، أحمد بن محمد الفلالي الگوليمي، إمام محدِّث عالم، من بيت الرآسة والعلم بسجلماسة،

عارف بأحكام القراءات والتجويد، وأصول الفقه وفروعه. وهو أحد الإخوة الثلاثة التاجموعتيين (أحمد ومحمد وعبد الملك)، وكلهم علماء أجلاء، وأبوهم محمد عالم ناسك معدود من أولياء زمانه.

قرأ عليه في جملة القارئين الحسن اليوسي مورد *الظمآن ومختصر خليل*، وحمل عنه نصيبا من تفسير القرآن وأعجب بفصاحته وتحقيقه.

توفي يوم الاثنين تاسع ذي القعدة عام ثمانين وألف / 31 مارس 1670.

أ. العياشي، *إتحاف الأخلاء*، 4 ؛ *رحلة*، 1 : 17 ؛ ح. اليوسي، *فهرس*، 133، مخطوط ؛ م. المحبي، *خلاصة*، 1 : 147 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 184 ؛ *الإكليل*، 174، ع. 106 (تح. مارية دادي) ؛ *التقاط*، 179، ع. 284 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 526.

مارية دادي

التاجموعتي، عبد المالك بن محمد بن مروان بن عبد العزيز السجلماسي، أبو مروان التجموعتي. قاضي الجماعة، المحدث الخطيب الأديب الشاعر، ناصري الطريقة.

درس على مشاهير علماء المغرب في عصره، منهم بمراكش، الموقت محمد بن سعيد المرغيثي، وبدرعة الشيخ مَحمد ابن ناصر (*الدرر المرصعة*، 341). ثم رحل إلى المشرق بقصد الحج، وهنالك أخذ عن بعض العلماء، منهم الشيخ إبراهيم الشهرزوري، الذي أجازه في جميع مقروءاته ومروياته. (*نشر المثاني*، 3 : 166).

تولى قضاء سجلماسة سنة 1109 / 1698. وكان إليه المرجع في نوازلها، وله التقديم على علمائها، وكانت له وجاهة لدى سلاطين الوقت. فقد استكتبه الأمير عبد الله الدلائي، حين أسندت إليه إمارة سلا (*الزاوية الدلائية*، ص. 176، هامش 25). واستقضاه السلطان الرشيد حينما توجه لإخلاء زاوية الدلاء (*إعلام المراكشي*، 8 : 365). وتولى قضاء مدينة مكناس في عهد السلطان إسماعيل.

وهو الذي تولى الرد على الشيخ أبي علي اليوسي في رسائله المرفوعة إلى السلطان في موضوع الحراطين، وألف في ذلك رسالتين، أولاهما *ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب*، ولما انتقده اليوسي ألف رسالة ثانية سماها *خلع الأطمار البوسية بدفع الاسطار اليوسية* (*الزاوية الدلائية*، 176، هامش 25) وقد اختلف مع علماء عصره في قضية العلم النبوي، وأنكروا عليه مقالته في ذلك، فقال في إحدى رسائله : " أما بعد فقد اتصل بنا مكتوبكم الأنور يلتمس الإفادة بحقيقة العلم النبوي، وقد أجبنا... من أنه صلى الله عليه وسلم لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء، واستغربه واستنكره بعض طلبة فاس، وبالغوا في التشنيع بين عوام الناس، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ضياع العلم وفقد أهله". ورد حكم من كفّر القائل بعلم النبي كل شيء، فقد أكد ذلك قائلا : "بأن القول بعلم النبي كل شيء صحيح، والتكفير بعيد وجهل من القائل له"، مستدلا على ذلك بما رواه الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً : "أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس". (*إعلام للمراكشي*، 8 : 367).

تتلمذ له كثيرون بدرعة وفاس ومكناس وسجلماسة، منهم محمد بن أحمد المسناوي الدلائي، ومحمد الحوات الشفشاوني، ومحمد المكي الناصري... توفي التاجموعتي بتافيلالت في صفر من سنة 1118 / 1706.

ورغم طول باع التاجموعتي في الميدان العلمي، فإنه لم يخلف تآليف على قدر مكانته العلمية ؛ باستثناء بعض القصائد التي احتفظت بها ثنايا كتب التراجم مثل قصيدته الطنانة في مدح شيخه مَحمد ابن ناصر، يقول في مطلعها:

بسمت ثغور الزهر بالنشر ... وجلت عبوس الروض بالبشر
وألم طيف من سعاد بعدما ... أصمت فؤاد الصب بالهجر

وهي قصيدة من ثلاثة وستين بيتاً (*الدرر المرصعة*، 397).

ويذكر الشيخ أحمد ابن ناصر في رحلته أن لصاحب الترجمة شرحاً على أرجوزة مساعدة الإخوان. وهو "شرح لا يأتي الزمان بمثله" (*الرحلة*، 1 : 14)، وله أيضا *رسالة في طائفة العكازين*، أشار إليها أحمد بن محمد الجزولي الهشتوكي في *رحلته هداية الملك العلام*، وأثبت نصها في الصفحات 71-75. (*المصادر العربية*، 1 : 205). وله *فهرسة* اعتبرها ابن سودة "من أجمع الفهارس، تقع في نحو الأربعة كراريس، توجد بالخزانة الفاسية مبتورة". (*دليل*، 2 : 316).

أحمد ابن ناصر الدرعي، *الرحلة*، ج 1 ؛ م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. بن الطيب القادري، *نشر المثاني*، - 3 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 8 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ*، 2 ؛ م حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*، ج 1.

أحمد عمالك

التاجموعتي، محمد بن محمد الفيلالي الگوليمي، عالم فاضل، شيخ النحاة والقراء بتافيلالت، هو من جملة من قرأ على الشيخ عبد القادر الفاسي وسمع عليه صحيح *البخاري* وغيره. قرأ عليه الحسن اليوسي معظم *ألفية ابن مالك*، وقواعد تجويد القرآن الكريم، وأقر بتحقيقة في مهمات المحو والتلاوة، وأعجب به كذلك تلميذه صالح الأكتاوي إعجابه الشديد بالشيخ محمد المصمودي (ت. نحو 1050 / 1640) حيث قال عنهما : "ما رضيت بإسناد قراءتي لغير هذين الرجلين الفاضلين، ومنذ فارقتهما وأنا أشتهي الرجوع إليهما". (*الدرر*، 182).

قُتل غدراً بملوية مع جماعة من الشرفاء وغيرهم قدموا من محلة السلطان المولى إسماعيل وهم سائرون إلى تافيلالت. وتختلف الروايات في تاريخ وفاته بين سنة 1083 هـ حسب *خلاصة الأثر*، و1087 هـ حسب *الإعلام بمن غبر* و1088 / 1677 حسب *نشر المثاني* إلا أن أرجحها هي رواية القادري.

أ. العياشي، *إتحاف الأخلاء*، 4 ؛ *الرحلة*، 1 : 17 ؛ ح. اليوسي، *فهرس*، مخطوط، 133 ؛ م. المحبي، *خلاصة*، 1 : 347 ؛ ع. الفاسي،

الإعلام، عام 1087 ؛ م. الناصري، *الدرر*، 182 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 222 ؛ *التقاط*، 201، ع 304 ؛ *الإكليل*، 340، ع 370، (تع. مارية دادي) ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 526.

مارية دادي

تاحضريت، إحدى بنات السلطان أبي الحسن المريني الكثيرات، والأعز عليه من بينهن جميعا حسب رواية ابن خلدون. وقد اختلفت المصادر في رسم هذا الاسم حيث تكتبه هكذا : "تحضرت" بدون ألف، و"للاتحضرت" أو "حضرية". ونشير هنا إلى أن اسم تاحضريت يرد في اللسان الأمازيغي بصيغة المؤنث ومذكره أحضري، والأصل في العربية حَضَرية وحَضَري ـ بفتح الحاء والضاد ـ وينطقها العامة أحيانا بفتح الحاء وسكون الضاد فتقول حَضْري وحَضْرية. والمعنى هو ساكن وساكنة الحاضرة (الحضْرة) أو المدينة. ويلاحظ أن هذا الاسم في صيغته التأنيثية كان متداولا في المغرب أيام بني مرين. وتعرف به شخصيات بارزة في دولتهم كعسكر ابن تاحضريت وابن عمه محمد بن العباس ابن تاحضريت وهما من أهم وزراء السلطان أبي الحسن وكانا معاصرين للمترجمة (*المسند*، 362. 363). كما نجد هذا قد استعمل بصيغة المذكر قبل ذلك وخاصة في العهد الموحدي إذ كان يحمله أحد الشخصيات الموحدية وهو أبو الربيع سليمان بن مخلوف الحضرمي الذي اشتهر عند الموحدين باسم سليمان أحضري. لأنه من أهل حاضرة أغمات وأصبح فيما بعد من أصحاب المهدي بن تومرت وواحد من أهل الجماعة والمناصرين لدعوته إلى أن قتل في معركة البحيرة أمام المرابطين سنة 524 / 1130 (*Extrait*, 49 et note 1).

تعتبر تاحضريت من الأسماء النسوية المغمورة في تاريخ المرينيين. ولعل عدم اهتمام المصادر المغربة بها وبغيرها راجع أولاً إلى رغبة مؤرخينا المقصودة في تهميش أخبار النساء بصفة عامة، وثانياً لاعتبار الرجل هو محور الأحداث وصانعها وأن المرأة تابعة له تدور في فلكه بالرغم من الأدوار الخطيرة التي كانت لبعض النساء المغربيات في تاريخ بلادنا واللاتي كان تتبع أخبارهن عرضيا ليس إلا، وثالثا لكون تاحضريت المرينية ـ حسب اعتقادنا ـ عاشت حياة عادية ولم تكن لها أدوار وتأثيرات بارزة في أحداث الفترة التي عاصرتها، كما أنها لم تصل إلى مستوى شهرة بعض المرينيات اللاتي تحدثت عنهنّ المصادر كأم العز زوجة السلطان يعقوب بن عبد الحق وشمس الضحى زوجة السلطان أبي الحسن وغيرهما.

إن الإشارة الوحيدة التي تتوفر عن تاحضريت هي تلك التي تربطها بزوجها وبمقتل أحد أبنائها. في هذا الإطار تذكر بعض المصادر أنه بعد الصراع الذي وقع بين السلطان أبي الحسن وأخيه أبي علي الثائر عليه بسجلماسة وقتله لهذا الأخير سنة 734 هـ ندم على ذلك ونذر على نفسه أن يتكفل بأولاد شقيقه المقتول وحرمه، بل وزوج أعز بناته لديه وهي تاحضريت لأحد أولاد أخيه وهو علي المعروف بأبي يفلوسن وولدت له ولدين هما محمد وعبد الرحمن. أما الأول فقد قتله خاله السلطان أبو سالم وهو في حجر أخته تاحضريت خوفا من أن ينافسه على السلطة خاصة وأن القتيل كان من بين المرشحين لحكم البلاد بعد الفتنة التي تلت مباشرة وفاة السلطان أبي عنان سنة 759 هـ. أما الابن الثاني عبد الرحمن فتذكر المصادر أنه كان من أخطر المنازعين لأبي سالم في الحكم منذ أن كان لاجئا برندة وغرناطة. كما كانت له مساهمات هامة في أحداث الفترة ما بين 775 و786 هـ تمكّن خلالها من إثبات وجوده السياسي في المغرب وبسط نفوذه على المنطقة الجنوبية من أزمور إلى مراكش التي كانت غالبا ما تخرج عن سلطة فاس، فبادر إلى اتخاذ مراكش عاصمة لملكته منافسا بذلك صاحب فاس آنذاك أبا العباس أحمد بن أبي سالم (*العبر*، 7 : 418. 419 ؛ *الإحاطة*، 1 : 307. 308). من هنا نتساءل : ألم يكن لتاحضريت أي دور أو رد فعل في كل هذه الأحداث وهي معنية بها وتمسها مباشرة ؟

من بين ما نجهله كذلك عن تاحضريت تاريخ وفاتها، وكل ما تذكره المصادر وبالضبط العباس بن إبراهيم وابن الموقت أنها دفينة مراكش، وقبرها يوجد على يسار الداخل إلى "درب الرماد" بحومة باب ايلان، وأن على هذا القبر بناء اندثر جله بينما بقي اسم صاحبته محفوظا في ذاكرة عامة مراكش على الخصوص حيث ينعتونها بللا تحضرت السيدة الصالحة (*الاعلام*، 3 : 79 ؛ *السعادة*، 30).

واعتمادا على هذه الإشارة وقفنا بعين المكان على قبر تاحضريت واستفسرنا سكان الحي وبعض المسؤولين هناك فخرجنا بمجموعة من الاستنتاجات والملاحظات نجملها فيما يلي :

ـ كان موضع القبر إلى عهد قريب، أي قبل أربعين سنة، عبارة عن خراب ترمى فيه الأزبال والقاذورات فطمست معالم القبر ودرس كل ما تبقى من آثار البناية التي من المفروض أنها كانت حوله. ويذكر لنا أفراد أسرة أنهم عندما جاءوا إلى هذا المكان في بداية الخمسينات ووجدوه على تلك الحال تطوعوا لبناء منزل عليه والاستقرار فيه. ولاحظت أن القبر لم يعد بارزاً للعيان إذ تم تبليط وسط الدار بما في ذلك القبر الذي أصبح قابعا في إحدى زواياها. وحسب رواية هؤلاء فمازال بعض الناس من مراكش وغيرهم يأتون من حين لآخر لزيارة القبر والتبرك بصاحبته وهم لا يعرفون عنها إلا الاسم وأنها امرأة صالحة من أولياء الله بالمدينة. ومما يتصدقون به خلال الزيارة الشمع والتمر وخاصة الحناء التي كانت العازبات تطليها على القبر تيمنا بللاً تاحضريت ورغبة في الزواج، وهذه العملية ـ طلي الحناء ـ تتكرر مع قبور سيدات أخريات مدفونات بحومة باب أيلان، نذكر من بينهن المدعوة للامحلة وقبرها مقابل لضريح القاضي عياض، ثم السيدة مباركة المدفونة بدرب الباب وللا آمنة بوزيد المدفونة بدرب بوطويل.

- أما فيما يتعلق بدرب الرماد فلم يعد لهذا الاسم وجود بحومة باب ايلان منذ بداية هذا القرن حسب ما جاء في رسم ملكية لإحدى دور هذا الدرب، ولذلك أصبح الآن يعرف بدرب للاتحضريت سواء عند سكان الحي والدرب أو لدى السلطات المحلية، كما يقابل ضريح مولاي علي الشريف.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. م. خ. بيغيرا ؛ ابن الاحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 25 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السابع، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، 1988 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، الجزء الأول، تح. م. ع. عنان، القاهرة، 1975 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الجزء الثالث، طبعة سنة 1975 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، د. ت.

E. Levi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade. "Extraits du kitab Al-Ansab d'Al-Baidak"*, Paris, 1928.

ابن **تاحضريت**، أبو **حركات** عسكر بن طلحة الورتاجني. وتاحضريت اسم جدته لأبيه. استوزره السلطان أبو الحسن المريني بعد واقعة طريف سنة 740 هـ بمشاركة أبي حسون علال وأبي زيان عريف بن يحيى. وكان مشرفا على الشؤون العسكرية (وزير الجند). حيث تقدم الجيش المريني، إلى جانب السلطان وبعض القواد كابن عمه محمد بن العباس ابن تاحضريت وموسى بن إبراهيم البرنياني، لمساعدة أمير بني الأحمر صاحب غرناطة أبي الحجاج يوسف في مواجهة القشتاليين الذين نجحوا في حصار الجزيرة الخضراء. وكان السلطان حينذاك يتخذ من مدينة سبتة قاعدة عسكرية يبعث منها إلى الجزيرة المدد من الفرسان والسفن التي بلغ عددها حوالي مائة وأربعين، وكذلك الأموال والزرع تحت جناح الليل لتدعيم الجيش المغربي وتحفيزه على المقاومة والصمود. لكن المحاولات المرينية لم تستطع فك الحصار في الوقت الذي نجح النصارى في قطع الامدادات المغربية وتشديد الحصار على الجزيرة ثم هزم الاسطول المريني وسط البوغاز (بحر الزقاق) سنة 743 هـ (*العبر*، 7 : 348 ؛ *اللمحة*، 105).

ومن ذيول هذه المواجهة البحرية أن تم عقد معاهدة سلام وصلح بين السلطان المريني وأمير غرناطة من جهة وملك قشتالة الفونسو الحادي عشر من جهة أخرى، وذلك لمدة عشر سنوات (*وثائق*، 152. 170). ومما قام به السلطان المريني كذلك عند دعوة أفراد الجيش المغربي إلى سبتة، اعتقال وزيره ابن تاحضريت وعزله عن وظيفته عقابا له بعد أن اتهمه بالتقصير في جهاد القشتاليين وأنه المسؤول عن الهزيمة التي لحقت بالمسلمين وضياع الجزيرة الخضراء بالرغم من توفره على الامكانيات المادية والبشرية لتحقيق الانتصار ومدافعة النصارى عن الجزيرة. وهذا قد يدفعنا إلى التساؤل عن الأسباب الحقيقية لهذا الاعتقال والعزل، هل جاء فعلا نتيجة تقصير أبي حركات في مهمته العسكرية أو يتعلق الأمر بشيء آخر وهو اهتبال هزيمة الجزيرة واتخاذها كذريعة لتصفية الحسابات بينه وبين السلطان. ولعل ما يدفعنا إلى هذا الافتراض هو ما يمكن استنتاجه من كلام ابن مرزوق الذي يفيد بأن ابن تاحضريت كان قبل نكبته يستغل ثقة السلطان أبي الحسن فاستبد بوزارته واشتد على الولاة "وأحكم محاسبتهم ومطالبتهم... فضبط الأموال، غير أنه تعدى في ذلك الاعتدال... واغتر برتبته واعتز بخطته وزل في إطلاق يده واستقل برأيه في كثير من تصرفاته... فوقع في أمور تنكرها السلطنة وتأباها المملكة..." (*المسند*، 363). لكن ابن مرزوق وغيره من المصادر المرينية لم يطلعنا على طبيعة هذه التصرفات التي أدت بابن تاحضريت إلى موالاة غير سلطانه واعتقاله. ومع ذلك نتحفظ في تصديق ابن مرزوق في كل ما ذهب إليه وتأكيده على عدم قيام ابن تاحضريت بمسؤولياته خير قيام وأنه لم يكن رجل سياسة وتدبير خاصة وأنه يصفه من جهة أخرى بصفات تخالف ما قال في حقه، ومن هذه الصفات الفضل والنبل ورجاحة العقل والدهاء والكرم.

المهم أن عسكر كان يتمتع قبل هذه النكسة بحظوة كبيرة لدى أبي الحسن، يقربه إليه ويستدعيه لمجالسه الخاصة. فبعد بناء السلطان لقبتي العدل بمنصورة تلمسان وبسبتة كان يقيم فيهما مجالسه أيام الاثنين والخميس وغالبا يوم الجمعة حيث كانت تعرض عليه قضايا الرعية وترفع له شكاويهم فيقضي فيها بمعية قضاته. وكان لا يحضر هذه المجالس إلا من يثق به من أهل حضرته من الفقهاء كأبي عبد الله الرندي وأبي عبد الله السطي وابن يربوع وابن عبد النور، ومن الكتاب أبو الحسن القباتلي وأبو القاسم بن رضوان، ومن الوزراء أبو حسون علال وغازي بن الكأس ومسعود بن عمر الفودودي وصاحبنا عسكر بن تاحضريت وابن عمه محمد بن العباس وغيرهم (*المسند*، 173، 174).

لم نعثر على تاريخ وفاته التي من المؤكد أنها كانت بعد هزيمة الجزيرة أي بعد سنة 743 هـ، لكنه لم يعمر طويلا إذ جاء في *المسند* أنه بعد اعتقاله أُشخص إلى تلمسان حيث سجن مدة ثم سرح ولم يعد لوظيفته فمات على هذه الحال (*المسند*، 363). ومعنى ذلك أن ابن مرزوق المتوفى سنة 781 هـ قد عاصر وعاين وفاة المترجم.

ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. م. خ. بيغيرا، الجزائر 1981 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، الطبعة الثانية، 1988 ؛ ل. ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في الدولة النصرية*، بيروت، 1978 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 26 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3، الدار البيضاء، 1955، ص. 137، 138 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج 9، طبعة 1980، ص. 318، 319 ؛ رشيد السلامي، *وثائق مرينية*، دراسة وتحقيق، رسالة نوقشت لنيل د. د. ع. بكلية الآداب، الرباط، 1989، الجزء الثاني.

ابن **تاحضريت**، **محمد** بن العباس ابن عم الوزير

عسكر سابق الترجمة. وصفه ابن مرزوق قائلا : "كان رجلا ساذجا جوادا سريا" (*المسند*، 364). توزر لدى السلطان أبي الحسن المريني حتى وفاة هذا الأخير. من المعروف عن ابن تاحضريت أنه رافق السلطان في حركاته العسكرية التي قام بها خارج المغرب، فقد عينه على الجزيرة الخضراء عند حركته إليها لمدافعة القشتاليين والتي انتهت بحصار النصارى لها سنة 743 هـ وانهزام الأسطول المغرب (*العبر*، 7 : 348). وخلال حملة أبي الحسن على افريقية سنة 748 / 1347 عينه على مدينة قسنطينة لتعزيز الوجود المريني بها وحماية ظهر السلطان من غدر الأعراب الذين كانوا يعيثون فسادا في كثير من مناطق المغرب الأوسط وافريقية (*العبر*، 7 : 356). لكن بعد نكسة أبي الحسن بالقيروان أمام تحالف القبائل الهلالية سنة 749 هـ، وانفلات زمام أمر افريقية من يديه، انتفض سكان قسنطينة على المرينيين الموجودين بها وطردوهم منها. إلا أن المصادر لم تقدم تفاصيل كافية عن مدى صمود الحامية المرينية ولا عن مصير ابن تاحضريت الذي كان قائدها. مع العلم أن ابن مرزوق أشار إلى أن ابن تاحضريت هذا بقي حيا ولم يتوفَّ إلا في عهد السلطان أبي سالم دون أن نعرف لذلك تاريخا محددا، كما نجهل مصيره السياسي خلال هاته الفترة.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. بيغيرا، الجزائر، 1985، ص. 174، 467، 495 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ط. 2، 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1955، ج 3 : 137، 138 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1976، ج 4 : 409.

رشيد السلامي

تَاحْكَّاتْ، الأصح هو أن تنطق "تَاحْكُّوَاتْ" كلمة تستعمل لدى سكان الأطلس الصغير الغربي اسماً لواحد من الحزبين المتعارضين اللذين كانا يقتسمان سكان المنطقة. أما الحزب المقابل له فكان يحمل اسم "تَاگُوزُولْتْ".

تاحكوات، وتجمع قياساً على "تِيحْكُّوَاتِينْ" كلمة يصعب تحديد أصلها اللغوي الآن. وقد ذهب المختار السوسي في الإلغيات إلى الافتراض القائل بأنها "مأخوذة من اسم أسرة ينتسبون إليها. فإننا لا نزال نعرف من أسماء النساء (حكة) [تقرأ حگّوا] فربما كان ذلك نسبة إلى جدة لبعض القبائل التي سبقت إلى الاقتحام إلى سوس ثم جر ذلك الذيل على القبائل التي تبعتها إلى سوس سكانا آخرين من الشلحيين ليسوا من صميم الجزوليين..."

والجدير بالذكر أن كلمة "حْگّوا" هي الصيغة الأمازيغية لـ "حوّاء". وقد تكون نسبتهم إلى اسم امرأة من قبل أعدائهم، وفي هذه الحالة يكون قصدهم من ذلك هو احتقارهم أو التنقيص من مقدرتهم ورجولتهم وشجاعتهم... ربما كان هذا هو السبب الذي جعلهم يخفون حقيقة انتمائهم، ويستعملون ليتعارفوا فيما بينهم رموزاً سرية لا يعرفها غيرهم بسهولة.

غير أن حالة الضعف هذه التي انتهى إليها المنتمون إلى نزعة تاحكّات قد لا تكون إلا آخر صورة وصلتنا عنهم عن طريق الرواية الشفوية أو الواقع المعاين والذي حالت عوامل أخرى دون تغييّره. وبذلك أصبح ما كان خليقا بأن لا يكون إلا وضعية مرحلية، حالا مقيما يوهم بأنه ديمومة قديمة.

وبالفعل، يبدو أن "نحلة" تاحكّات ـ كما يسميها المختار السوسي ـ لم تضعف قوتها وتتراجع سمعتها إلا بعد القرن الحادي عشر (17 م). أي بعد أن تحالفت نحلة "تاگوزولت" المناهضة لها مع أسرة بودميعة الإيليغية، التي تبنّت رموز المشروعية السياسية وركبتها وأسست الأمارة التازروالتية المعروفة.

هذا الانحراف ـ المفروض ظرفيا ـ عن القواعد اللغية الداخلية المعروفة، سهّل انتصار نحلة تاگوزولت على نحلة تاحكّات، وهذا الانتصار أتاح الفرصة ليسود خطاب المنتصرين في وقت تدخلت فيه عوامل أخرى لتفسد اللعبة اللغية من أساسها. وأخذت الصورة الأخيرة، وبقيت دليلا وحيدا نشاهده ونعتمده مرجعا بخصوص النتيجة الأخيرة للصراع بين النزعتين : تاحكّات وتاگوزولت.

أما عن أصل هذا الانقسام الثنائي فقد كتب عنه المختار السوسي في الجزء الثالث من *الإلغيات* ما يلي : "ولكن الذي يهم الباحث أن يعرفه هو معرفة الوقت الذي ابتدأ فيه هذا الانقسام بين هذه القبائل، وكثيراً ما كنت أمعن النظر في مبدإ هذين الحزبين، وأنقّب وأسأل عن السبب الخاص حتى تبين لي حدسا ـ فقط ـ أن السبب هو الوباء الواقع في القرن الثامن الهجري 749 هـ (1348 م)، فإنه طاعون جارف، ترك غالب شمال افريقية ـ مثل أوربا ـ قاعا صفصفاً. فكم مكان مأهول بالسكان، أصبح في القرن الذي بعده خرابا يبابا لا أحد فيه وهذا بنفسه وقع في سوس. فإن في بعض جبال جزولة بعض أودية مأهولةأمست قفرا بلقعا...".

وبعد أن ذكر بأن سكان الجبال الولتيتية الأصليين ينتمون إلى الشعب الجزولي. وأن الطاعون ذهب بكثير منهم في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، أضاف قائلا: "إن القبائل التي تحمل سمة تاحكّات أصالة كالمرابطين (أيت أُومريبض) سكان ما حوالي مركز (فم الحصن) الرسمي الآن. لانزال نوقن أن أصلها الأصيل كان من الصحراء ثم دخلت هذه البلاد، وكذلك قبائل حريبل وسگتانة وما أكثر أمثالها بين قبائل تاحكّات، ونرى أن وقت دخولها لهذه البلاد كان في هذا الوقت يوم تشغر هذه البلاد من وقع ذلك الطاعون الجارف.

هكذا يتبين أن أصل الانقسام حسب ما ذهب إليه المختار السوسي هو الصراع بين الأصليين والطارئين، وأن زمن ابتدائه هو منتصف القرن الثامن (14 م) الذي شهد من جهة الطاعون الأسود الذي أودى بحياة كثير من الجزوليين، وبداية اقتحام قبائل أمازيغية من أصل صحراوي لبلادهم تحت ضغط قبائل بني هلال الصحراوية من جهة أخرى.

إن العذر الوحيد التي يمكن أن يلتمس للمرحوم المختار السوسي بخصوص هذا الموضوع هو أنه اقتصر في حديثه عن ظاهرة الانقسام الثنائي على منطقة واحدة هي الجنوب الغربي. وتحفظ تحفظ العلماء فيما ظنه ـ حدسا فقط ـ أنه هو التفسير الموضوعي لظاهرة نحلتي تاحگات وتاگوزولت. ذلك لأن مسألة التحزب الثنائي في تاريخ المغرب وشمال افريقيا عامة، مسألة متشعبة والحديث عنها لا يزال في بدايته، ونتيجة لذلك فإن فهمها وتفسيرها بشكل شمولي لا يتأتى في الحالة الحاضرة نظرا لقصور معارفنا التاريخية عن تحقيق ذلك.

وبدون أن ندخل في مناقشة كل جوانب الموضوع التي تطرح تساؤلات جدية نورد فقط بعض الملاحظات التي يمكن أن تُعتمد لتعميق البحث حول الظاهرة اللغية بصفة عامة وفي منطقة الأطلس الصغير ووادي درعة بصفة خاصة.

1 ـ إن نحلة تاحگات لا تحمل نفس الاسم في المنطقة المذكورة، وقد لاحظ المختار السوسي نفسه ذلك. فهي تاحگات (تازروالت)، أو تاسكتيت (سكتانة) أو محبوب (درعة).

وينطبق الشيء نفسه على النحلة المقابلة لها أي تاگوزولت. وكلما اتسعت الدائرة جغرافيا كلما تنوعت الأسماء، رغم أن الشعور بالانتماء إلى هذه النحلة أو تلك موجود حتى بين مجموعات بشرية متنائية.

ومما يعقّد المسألة أكثر ويجعل تتبع تطورها التاريخي أصعب ما لوحظ من وجود امكانية تغيير الانتماء من حزب لآخر حسب المصلحة وميزان القوى.

2 ـ إن الأسباب الموضوعية التي اعتمدها المختار السوسي لتحديد أصل تكوين النحلتين في المنطقة أسباب دورية لا تقتصر على زمان ولا على مكان معينين. فالطاعون الأسود لم يصب المنطقة المذكورة وحدها، ولم يكن هو الوباء الوحيد الذي اجتاحها عبر تاريخها الطويل، وشعب جزولة لم يكن هو الوحيد الذي طرقها آتيا من الصحراء أو من ما قبل الصحراء. ثم إن الانقسام الثنائي لا يقتصر على الجنوب فقط، بل يشمل المغرب كله أو معظمه.

3 ـ إن ظاهرة التحزب الثنائي قديمة جدا، وهذه نتيجة منطقية لما سبق، كما أن التاريخ يثبت ذلك ولو بإشارات سريعة ومتفرقة. ثم إن الرواية الشفوية التي لا تزال رائجة حول أصل الظاهرة لا تقتصر على تفسير واحد، بل تقدم لنا تفاسير متنوعة ومن بينها التي تقول إن أصل هذه الثنائية راع المعروف بين ابني آدم.

4 ـ إن الظاهرة، رغم قدمها، لم تتخذ مظهرا جامدا يجعلها قابلة للتجاوز، بل استمرت كمؤسسة ضرورية لتحقيق التوازن الذي لا بد منه بين مجموعات بشرية كبيرة الانتشار تعيش طليقة لا تخضع لحكم مركزي يضمن التوازن المنشود. لذلك نجدها تتلون بلون العصر وتخضع للحاجيات المحلية، ونجدد دوما تأويلها لنفسها. وكل هذا لا يضر بوجودها كمؤسسة تاريخية فعالة طوال قرون مديدة.

5 ـ لهذه الأسباب الأخيرة ربما أمكننا أن نفهم تعدد الإمكانات التأويلية الواردة بخصوص الظاهرة، سواء من خلال الرواية الشفوية أو من خلال أعمال الباحثين المهتمين. ففي منطقة سوس مثلا، إذا اقتصرنا فقط على العهد الإسلامي، نجد التأويلات الواردة هي هذه :

ـ الصراع بين الرحل والمستقرين.

ـ الصراع بين ناشري الاسلام الآتين من بعيد وسكان المنطقة الوثنيين.

ـ الصراع بين بعض الفرق من الشرفاء.

ـ الصراع بين أهل السنة والشيعة.

ـ الصراع بين تاگوزولت المرابطية وتاحگات وتاسكتيت الموحدين.

ـ الصراع بين تاگوزولت أنصار بودميعة وتاحگات أنصار يحيى الحاحي...

هذه الاحتمالات التأويلية كلها واردة، وليست متخيلة، ويبدو أنها حقيقية تاريخيا. ويمكن اعتبارها من باب اخضاع الظرفية التاريخية المتجددة لمقاييس مؤسسة نموذجية قديمة. وهذا في نظري هو المفتاح الذي ينبغي استعماله لولوج رحاب تاريخية لا تزال منغلقة.

6 ـ إن الدور التاريخي لنحلتي تاحگات وتاگوزولت ولما يقابلهما من نحل في مناطق أخرى من المغرب، لا يقتصر على تحقيق التوازن بين المجتمعات المحلية المتجاورة فحسب، بل يتجلى كذلك في خلق جو من التوتر الدائم بين الطرفين يحول دون وقوع المصادمة الفعلية. وإذا وقعت هذه فلأن التوازن القائم يكون قد اختل لسبب أو لآخر. وإذا تمت الغلبة للقوي على الضعيف فإنها قلما تكون دائمة لأن امكانية تجاوزها موجودة، إما بمساعدة الحلفاء أو بتدخل قوة خارجية. وفي مثل هذه الحالة الأخيرة يتمكن المخزن المركزي عادة من تسريب نفوذه إلى مناطق ما كان ليتوصل إليها بوسائل أخرى. ولهذا نلاحظ أن المخزن كان دائما يحاول استعمال الصراعات اللغية لحماية مصالحه وتوسيع مجال سلطته. وقد يكون تدخله هذا بطريقة غير مباشرة، كأن يساند سلطة محلية موالية له تكفل له القيام بدور المراقب والجابي.

هكذا يتبين لنا أن الانقسام الثنائي ساهم بحظ وافر في حماية المجتمعات الطليقة من هيمنة السلطة، ولكنه كان كذلك ـ في فترات ضعفه ـ عاملا من عوامل اندماج تلك المجتمعات في النظام المخزني المركزي. وقد يقع اندماج أحد الطرفين في جهاز سلطة مركزية مّا في فترة من فترات قوته وبحض إرادته كما وقع مثلا بالنسبة إلى تاگوزولت والسعديين.

من هم المنتمون إلى نحلة تاحگات ؟ لقد اكتفى المرحوم محمد المختار السوسي بالإشارة إلى أسماء بعض "القبائل" التي تنتمي إلى تاحگات، وهذا مما يؤسف له، لأنه كان في

موقع يسهل عليه إحصاء كل المجموعات التي تنتمي إلى هاته أو تلك من النحلتين.

وقد أغلق هذا الباب بقوله : "وأما تعيين القبائل التي كانت تعتنق هذه النحلة أو تلك النحلة فأمر يسهل على كل باحث أن يحصل عليه، ومن القريب جدا وضع سلسلتين لقبائل كل نحلة من وادي نون إلى درعة، لمن أراد أن يستوفي الموضوع وأن يؤديه حقه بإسهاب وتتبع..."

غير أن روبير مونتاني في كتابه *البربر والمخزن* المكتوب بالفرنسية، أعطى لائحة بأسماء كل القبائل المنتمية لكل نحلة، لكن فيها بعض النقص وبعض التناقض بين ما أورده هو وما أورده المختار السوسي.

فالتي أشار إليها المختار السوسي هي : أيت أومْريبْضْ وحريبل وسكتانة وإيداوْباعْقيل.

أما التي ذكرها روبير مونتاني، فهي : إيفران وأيت يَرايِيمْ وإيداوْباعقيل وأيت تيزنيت وأيت جرار وأمْلنْ وأيت أُمانُوز وأيت عبد الله وإيسافن وأيت وادريم وأيت مزال وأشْتُوكن (هشتوكة) وإيسْنْدالْنْ وإيداگنيضيفْ.

والجدير بالذكر أن قبيلة سكتانة التي اتخذ منها اسم نحلة تاسْكُنْتيتْ التي تعتبر هي وتاحكّات شيئا واحداً، ليست كلها حسب روبير مونتاني لفا واحدا كما يتبادر إلى الذهن، بل تنقسم على نفسها إلى حزبين متعارضين. وهذا دليل على أن الانقسام الثنائي لا يعتمد القبلية أساساً للتمييز الحزبي، بل تتحكم فيه قواعد أخرى لم يتم بعد الكشف عنها، وستبقى رقعة الشطرنج التي شبه بها روبير مونتاني صورة انتشار الجماعات المنتمية لكل حزب على الفضاء الجغرافي مبهمة المضمون وغريبة الشكل.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 157، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة*، ص. 39، 1957 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، ص. 41، 43، 1928 ؛ م. المختار السوسي، *خلالة جزولة*، ج 3، ص. 93-94، 20 ؛ ج 7، ص. 9 ؛ *الإلفيات*، ج 3، ص. 166 وما بعدها ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، ص. 238 وما بعدها، 57، 1966 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، البحث العلمي، العدد 27، ص. 231 وما بعدها، 1977.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 1930, pp. 182 sqq, 201 sqq; C. Justinard, *Notes sur l'Histoire du Sous au XVIème siècle*, 1933, pp. 59, 72 sqq et passim ; B. Rosenberger; *Tamdult, Hesp*, 1970, pp. 105, 1027, 129, 131, 133, 134 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas*, 1955, pp. 224 sqq.

صدقي علي أزايكو

تاحْنّاوْتْ، دائرة بإقليم مراكش تضم سبع جماعات قروية منها جماعة تاحناوت مساحتها 250 كلم² وسكانها 28.642 ن (1982) توجد جنوب مراكش. تنتشر أراضيها على ثلاثة أقسام طبوغرافية : المنحدرات الشمالية للأطلس الكبير المراكشي وتتكون من الشيست، والكوارتزيت من العصر الفحمي، وقسم من الدير على مخروط واد غيغاية تغطيه مفتتات رباعية وتلال مقدمة الأطلس وهي صخور حمراء هشة ترجع إلى البرموترياس، وجزء من سهل الحوز الذي تغطيه تكونات رباعية. يكنها موقعها بالسفوح الشمالية من استقبال معدل مطري لا بأس به : 465 ملم.

سكانها من قبيلة غيغاية المصمودية يمارسون زراعة مروية بوادي غيغاية والدير، تهتم بأشجار الزيتون وبعض الفواكه وحبوب وخضر، وزراعة بورية للحبوب على منحدرات وتلال مقدمة للأطلس كما يهتمون بتربية المواشي : الأبقار الحلوب والأغنام والماعز التي تجد في التلال والمنحدرات الغابوية مراع لا بأس بها. لكن مساحات واسعة من التلال والمنحدرات غرست بها أشجار اللوز البوري في مدرجات موازية لخطوط التسوية في إطار مشاريع حماية التربة التي منع الرعي بها. وتعرف الزراعة تحديثا بتكثيف المزروعات واستعمال الأسمدة والضخ الميكانيكي وتوسع الزراعات الشجرية خاصة البرقوق والتفاح، لكن قلة الموارد المائية تحد من توسعها إذ أن مياه واد غيغاية استأثر بها بعض ذوي النفوذ من مدينة مراكش منذ القديم، كما حول المستعمر بسد حاجز جزءاً من مياهه نحو قناة الرومية العصرية إلى قطاع مسقي بأغواطيم بضواحي مراكش كما أنه يجف غالبا في الصيف. أما الزراعة البورية فلم تعرف أي تطور لصعوبة استعمال الآلات في أراض غير مستوية لكنها تعطي محصولا جيدا إذا كانت الأمطار كافية.

تاحناوت، مركز حضري وليد، سكانه 2780 ن (1982). يقع جنوب مراكش على بعد 32 كلم على طريق تيزي ن تاست قرب مدخل وادي غيغاية على منحدر بالضفة اليمنى للوادي، تطور في الفترة الاستعمارية من قرية إلى مركز سكني بعد ترصيف الطريق الثانوي رقم 501 وبناء بعض المنشآت الإدارية أهمها ثكنة للمخازنية لأنه يقع عند ملتقى طريق مراكش ـ سوس وطريق الدير ـ أمزميز ـ أوريكة. وفي عهد الاستقلال صار هذا المركز يلعب دورا إداريا واقتصاديا متزايدا، فبالإضافة إلى سوق أسبوعية يوم الثلاثاء كانت تنعقد من قديم لتلبية حاجيات السكان الأساسية، نمت به سويقة وبنيت منشآت إدارية واجتماعية عديدة : قيادة ودائرة وثانوية ودار الشباب ومركب رياضي ومقاه. وتتكون من وحدتين سكنيتين متباينتين يفصل بينهما 1.5 كلم هما :

دوار تاحناوت القديم تنتشر مساكنه على منحدر مشرف على الطريق يطغى عليه منظر ريفي. فأزقته ملتوية وأرضه غير مستوية، تكثر به الحضائر باستثناء الواجهة المشرفة على الطريق التي انتشرت بها مبان حديثة لمحلات تجارية ومهنية، ولازال معظم السكان يمارسون الفلاحة إلى جانب أعمال عرضية أخرى نتيجة لنقص التشغيل. والوحدة الثانية هي دوار سيدي امحمد أُوفارس أو الحي الإداري وهو تجمع سكني حديث يوجد شمال الدوار الأول عند ملتقى طريق الدير بطريق مراكش يتكون من منشآت عمومية وسكن الموظفين : قيادة ودائرة وثكنة وثانوية ومحلات تجارية قليلة يتميز بطابع عمراني حديث، ويوجد بين النواتين مكان السوق الأسبوعي الذي يتميز بتجهيزات ضعيفة لوجود سويقة دائمة ولقربه من مدينة مراكش التي

لا يسكن بها عدد من الموظفين العاملين بالمركز. ونواة تجزئة سكنية حديثة. ويشتغل معظم سكان هذا الحي بأنشطة غير فلاحية. وتعد تاحناوت في إطار التنظيم المجالي الحديث من المدن الصغيرة الواقية للمدينة الكبيرة مراكش، تدعم التمدين الاجتماعي للأرياف وتستقبل الريفيين الطامحين إلى التمدين لكن ضعف الموارد الاقتصادية ونقص التشغيل المزمن يجعل منها محطة مؤقتة في طريق الهجرة إلى المدينة الكبيرة. وتتوفر تاحناوت على تجهيزات أساسية لا بأس بها من كهرباء وماء شروب ومحلات تجارية وخدمات شخصية.

وهي في نفس طريق التحول ضاحية سكنية لمراكش الكبرى. ظهرت بها مؤخراً منشآت للصناعة التقليدية : حلي معدني وفضي موجه للسواح وأقام بها أشخاص وافدون من مراكش بمنازل كبيرة لاستغلال رخص اليد العاملة. والكثير من الشباب يتراقصون يوميا بين تاحناوت ومراكش حيث يشتغلون بالبناء وبمختلف الخدمات. كما يعمل الكثير من النساء والرجال بالضيعات الحديثة التي تتوسع شمالها بضواحي مراكش، وقد صارت تاحناوت مركز عمالة من عمالات ولاية مراكش بعد التقسيم الإداري الأخير.

أ. هوزالي، *التحولات المجالية والاقتصادية بالأطلس الكبير المراكشي، مثال طريق تاحناوت تيزي ن تاست*، د. د. ع. الرباط، 1987.

أحمد هوزالي

تاخْسَايْتْ، قرية تقع بدير الأطلس المتوسط الغربي. تبعد عن بني ملال بحوالي أربعين كيلومتراً جنوب غربيها. وسكانها من العرب على الرغم من وجودهم ضمن قبيلة بني عياط البربرية. ولا تكون تاخسيت مع أگرض اسما لموقع واحد، كما ظن محمد المختار السوسي (*المعسول*، 12 : 142 و17 : 73)، وتبعه في ذلك عباس بن إبراهيم (*الإعلام*، 9 : 184 . 186) ؛ لأن أگرض تقع شرقي تاخسيت على بعد حوالي كليومترين. ولم تذكر تاخسيت في المصادر التاريخية إلا في القرن الحادي عشر (17 م) لكن يبدو أنها كانت قد اشتهرت قبل ذلك، حيث انتقل إليها بعض أبناء سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي، المتصوف المشهور (*دوحة الناشر*، 91). ومن المؤكد أن تاخسيت قد عرفت كأحد المراكز الصوفية، لما تتلمذ سالم بن وعزان التاخسيتي على الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي، فأصبحت منذئذ زاوية تابعة للطائفة الناصرية. وصار أهلها من أتباع تامگروت، يقومون بالزيارة لأشياخها، ويعملون على التقرب إليهم بمختلف الوسائل (*الدرة الجليلة*، 47 و345).

تعني تاخسايت أو تخسيت باللسان الأمازيغي القرع الذي يستنبت كالبطيخ (*المعسول*، 12 : 142). ويذهب البعض إلى أنها تحريف لتخصالت، من الخصال، أي أن سكانها أصحاب خصال حميدة. ويذهب آخرون إلى أن سبب تسميتها راجع إلى أن بعض الشرفاء حين استوطنها زرع القرع. وقد كثر هذا النوع من الخضر حتى كان الشريف الذي زرعه يوزعه مجانا على الناس، وخاصة في أثناء المناسبات كالأعراس.... ومن ثم دعي سكان تلك القرية أيت تاخسيت.

ولعل أمر تاخسيت قد زاد شهرة لما تتلمذ أحمد بن عبد العزيز التاخسيتي على الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وكان هذا التلميذ الناصري ـ حسبما جاء في *الدرة الجليلة* ـ رجلا ناسكا متمسكا بكتاب الله العزيز، فاضلا مجتهدا في دينه (*الدرة الجليلة*، 345). كما كان كثير التردد إلى شيخه بتامگروت، الأمر الذي جعل الصلات تتوثق بين تامگروت وتاخسيت، التي غدت مركزاً صوفياً له إشعاع روحي في المنطقة. ومن ثم صار مقدموها يتوصلون بظهائر التوقير والاحترام، خاصة وأن موقعها قريب من الطريق السلطاني العابر لتادلا. وقد اطلعنا على ثلاثة ظهائر موجهة لمقدم زاوية تاخسيت، سيدي عمر بن البصري. اثنان منها حسنيان. الأول مؤرخ في 23 ربيع الثاني سنة 1302 / 1885، والثاني كثير الخروم، لعله صادر سنة 1308 / 1891. أما الثالث فهو ظهير عزيزي مؤرخ في 28 محرم سنة 1313 / 1896. ويظهر أن الطريقة الناصرية قد تراجعت فيما بعد، في تاخسيت لتترك المجال أمام الدرقاوية، وربما جتى القادرية. وفي سنة 1936 صنفت تاخسيت من ضمن الزوايا. وصارت تابعة ـ إداريا ـ لملحقة دار ولد زيدوح (*Répertoire*, 468).

ظهائر سلطانية من زاوية تاخسيت ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1976 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ت. م. حجي وم. الأخضر، الرباط، 1980 ؛ م. بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة* ؛ عباس ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1400 / 1980 ؛ محمد المختار السوسي، *المعسول*، 1961 . 1962.

أحمد عمالك

تاخَمَّاست، أو الخماسة، نمط من أنماط استغلال الأرض يكمن في تعاقد بين مستغل (صاحب الأرض أو شريك من شركائه) وفلاح يكون غالبا من صغار الملاكين أو أجنبيا عن المنطقة لا يملك أرضاً. يتم التعاقد شفويا أمام الجماعة، وعند إبرام العقد يسلم صاحب الأرض للخماس "حلاوة" هي عبارة عن كسوة وقسط من الحبوب أو ما يعادلهما نقداً.

وفق هذه العقدة، يقدم المستغل الأرض والبذور وزوجة الحرث (والماء إن اقتضت الضرورة)، في حين يقدم الخماس عمله الذي يكمن أساساً في تنقية الأرض وحرثها والاعتناء بزوجة الحرث والسهر على سلامة المزروعات، كما يطلب منه ـ غالباً ـ تقديم خدمات لا علاقة لها بالأرض. ويعمل الخماس طيلة النهار منذ طلوع الشمس إلى غروبها، فلا يستريح إلا أيام السوق والأعياد الدينية.

للخماس الحق في خمس المحصول الزراعي (من الحبوب دون التبن). ولسد حاجياته، يقارض من صاحبه، وكثيراً ما تفوق القروض قيمة الخمس مما يجعل من الصعب عليه

تسديد ديونه، الشيء الذي يلزمه بالبقاء في خدمة صاحبه، وقد يفقد من ثم عمليا حريته.

لا يجوز للخماس إلغاء العقدة خلال الموسم الفلاحي، وإلا فإنه لا يكافأ على ما أنجزه من عمل ويلزم بإرجاع الهدية التي تسلمها عند إبرام العقدة. وإذا اضطر للتغيب يكون عليه أن يختار من ينوب عنه بعد استشارة صاحب الأرض وموافقته.

وفي حالة وفاة أحد الطرفين، فإن العقدة تبقى سارية المفعول : إذا توفي الخماس يعوضه أحد أفراد عائلته، وإذا مات صاحب الأرض فإن وارثه يستمر في التعاقد مع الخماس إلى آخر الموسم الفلاحي.

وضعية الخماس، هاته، جعلت كثيراً من الملاحظين يقارنونها تارة بالعبودية وتارة بالقنانة. والواقع أننا إزاء حالة زبانة من نوع خاص، فالخماس، رغم تبعيته لصاحبه، يظل - من ناحية المبدإ - حرا بإمكانه إلغاء العقدة التي تربطه بصاحبه متى شاء.

تتخذ الخماسة سمات خاصة حسب المناطق وحسب الفترات التاريخية. وقد أخذت، بصفة عامة، تتراجع تحت تأثير المكننة لصالح العمل المأجور.

J. Dailliers, *Enquête sur les associations agricoles et la situation économique et sociale des polulations rurales : Secteur de Fès - Sud*, C.H.E.A.M., n° 4336 ; R. Ducy, *Les problèmes du khamessa au Maroc*, C.H.E.A.M., n° 2575 ; Lacombe, *Le khamessat au Maroc occidental*, C.H.E.A.M., n° 854.

عبد الجليل حليم

تَادَافَالْتْ، قصر من قصور واحة تُدغة يقع على بعد حوالي عشرين كيلومترا من تينغير. ويقطنه أيت عطا خاصة خمس "إكْنَاوْنْ". وترجع أهمية قصر "تادافالت" في كونه الملجأ الأخير للمقاوم المشهور زيد أُحْماد الذي ظل يحمل راية المقاوة عالية بيدين قويتين في جبال أيت هاني وأعالي نهر أسيف ملول وواحات غريس وفركلة وتدغة وصعيد أمسمرير، وفي عراك صامد ضد الاستعمار طيلة سنتين (1934 - 1936) حيث فضل الموت على الاستسلام.

وكان زيد أُحماد قد شارك في أغلب المعارك البطولية ضد الاستعمار الفرنسي في المنطقة. وآخرها معركة "بادو" في غشت سنة 1933 حيث جرح خلالها وفقد زوجته أثناء المعارك في بادو.

ومنذ سنة 1934 إنطلق في تنظيم حرب للعصابات ومباغتة ضباط الاحتلال وأعوانهم على مسافة واسعة يبلغ قطرها حوالي مائة كيلومتر. وذلك برفقة مقاوم آخر هو موحا أُوحمو الذي ظل يلازمه خلال الهجومات المتتالية التي استنزفت الاستعمار وجعلت قيادات ثلاث مناطق عسكرية في حالة استنفار قصوى دائمة، هي قيادات : تافيلالت ومراكش وتادلا. وكان يوجه ضرباته للضباط الاستعماريين وللمرتزقة وعملاء الاستعمار، محاولا تجنب إصابة الذين غرر بهم أثناء الدوريات المنظمة للبحث عنه. ومن أبرز العمليات العسكرية للبطل "زيد أُحماد" قتله الرقيب تريستاني Tristani في مضيق تدغة في 7 يناير سنة 1935، وترجع أهمية هذه العملية إلى كون تريستاني الأجنبي الوحيد الموجود ضمن الطابور الذي يبحث عن زيد أُحماد. وتركت هذه العملية صدى عميقا لدى السكان حيث بينت الطابع الوطني لحركة زيد أُحماد. كما قتل الملازم فرومانتان Fromentin في 2 يونيو سنة 1935 قرب بحيرة تاسليت بإملشيل، وهو ضابط للشؤون الأهلية وقائد لفرقة الگوم رقم 12. وفي 30 دجنبر قام زيد أُحماد بآخر عملية له حيث هاجم حانة يمتلكها أحد اليهود بتينغير، وكان اللفيف الأجنبي ينوي أن يقضي بها عطلة أعياد رأس السنة فقتل ثلاثة من جنود اللفيف.

وعلى إثر هذه العملية ضاعفت القيادة الاستعمارية من جهوده، واجتمع ضباط الشؤون الأهلية لكل من تينغير وإميلشيل وأسول بمركز أيت هاني ووضعوا خطة للقضاء على حركة زيد أُحماد.

وتتلخص في تضييق الخناق على كل القبائل والأشخاص الذين ثبت في حقهم تقديم المساعدات للمقاوم، وكذلك تكثيف عمليات البحث عنه وكذلك الاستخبار والتجسس على تحركاته. ولما بلغ بقصر القيادة العسكرية وجود زيد أُحماد بقصر تادافالت بتُدغة السفلى، التحق بتينغير كل من الكولونيل روش Roches قائد ناحية مراكش، والكولونيل شاردو Chardon قائد ناحية ورزازات والكولونيل بوميي Pommier رئيس دائرة بومالن، وتم تطويق قصر تادافالت على السابعة والنصف صباحا يوم 5 مارس سنة 1935 الذي يصادف يوم عيد الأضحى. وأدرك زيد أُحماد نهاية الأمر فأمر مرافقيه موحا أُحمو وموحا أُعلي نايت عسو بالمقاومة وكان القتال ضاريا بشكل منقطع النظير. ففي هذه المعركة غير المتكافئة ارتفعت المجابهة وكانت خسائر الاستعمار مرتفعة إلى غاية نسف المنزل على الساعة العاشرة والنصف بعد ثلاث ساعات من المعارك الضارية. وهكذا استشهد زيد أُحماد بقصر تادافالت بعد إرهاب سكان هذا القصر الشهيد. فأصبحت تادافالت تعني المقاومة والتضحية في كل قصور المنطقة. وأصبح "زيد أُحماد" "نايت مُخداش" الذي ينتمي إلى أيت مرغاد يجسم البطولة تجسيما ماديا حيا على خط يمتد إلى أعالي نهر گلميمة وتينغير ثم تينغير والريش إلى أعالي نهر غريس وأسيف ملول. وظل يكافح الاستعمار لمدة سنتين ولم يهن ! ولم تضعف عزيمته مطلقا حتى بعد أن وهن إخوته وأهله أنفسهم وضعفوا : "زيد أُحماد الذي أصابته رصاصات عدوه في مختلف أنحاء جسمه في مارس 1936 والبندقية على ذراعه يدافع بها هو ورفيقاه عن حرية أمتهم وشرفها ضد الاستعمار !.

م. المعزوزي وهاشم، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، الرباط، 1986.

Colonel Saulay, *Zaïd ou Ahmed, le dernier dissident de l'Atlas central marocain, 1934 - 1936*, *Bulletin de la Koumia*, décembre 1979 ; *Histoire des Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981.

عبد القادر بوراس

تادارت، أيت باعمران، وهي تعني في الأمازيغية البيت المعتم القليل الضوء والمكان الصالح لتربية النحل تقع تادارت في قبيلة إد موساكنا فخذة من قبيلة أيت الخمس الباعمرانية، وفي تادارت هذه توجد تيمزگيدا وهو كُتّاب يحمل نفس الاسم، حدث فيه حدث خطير يوم عيد المولد سنة 1207 هـ حيث تسرب رجل مجهول أظهر كرامات سحر بها أعين الناس واسترهبهم، واجتمع عليه أعيان أيت باعمران كلهم، فزعم لهم أنه السلطان المولى اليزيد العلوي الذي فقد ملكه في إحدى المعارك في شمال المغرب، وما هو في الواقع إلا الثائر أبو أحلاس الذي كانت نهايته الموت في المعركة التي جرت في قرية العوينة قرب تيزنيت سنة 1208. وتفرقت جموعه (انظر *أحلاس، في العلمة*).

ح. الجهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*.

الحسين الجهادي

تادارت، في الأودية الجبلية متعددة، منها تادارت الواقعة على الطريق الرئيسية رقم 31 الرابطة بين مراكش وورزازات، على بعد حوالي مائة كيلومتر عن مراكش في تراب بطن أيت إسرس، من فخذة أيت الربع، ضمن قبيلة أگلاوة الشمالية. (*Répertoire*, 209). كما تقع على الضفة اليسرى لواد غدات، الرافد الرئيسي لواد تانسيفت (*A travers l'Atlas*, 12). وبالرغم من موقعها في منطقة حدودية فقد ألحقتها السلطات الفرنسية، في إحصاء سنة 1936، بأگلاوة.

إلا أن موقع تادارت في الحدود بين مسفيوة غربا واگلاوة شرقا، قد يوحي بقلة الأمن وما يترتب عنه من قلة السكان. لكن تادارت تبدو مرحلة في الطريق الرابطة بين درعة ومراكش، منذ بداية القرن الثامن عشر على الأقل. فقد مر بها عبد الله بن إبراهيم الزرهوني في طريقه إلى زيارة عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي في هذه الفترة (*رحلة الوافد*، 270). كما توقف بها محمد بن موسى الناصري في أثناء رحلته إلى مراكش سنة 1149 / 1736، ووصف "شجر الجوز العظيم"، الوارف الظلال بها (*الرياحين الوردية*، 36). بل قد بات في تادارت صحبة مرافقيه، مما يدل على أنها كانت مأهولة.

يظهر أن الناصري فضل المرور عبر تادارت، لأن هذه الطريق أقرب إلى مراكش، من الطريق العابرة لممر تلوات. وبالرغم من كون هذه الطريق كانت مطروقة أكثر، فإن اگلاوة كانوا يقومون أحيانا بمنع المرور عبر تيزي ـ ن ـ تلوات، مما يجعل المسافرين يتجهون إلى الطريق العابرة لتادارت وتيزي ـ ن ـ تيشكا. (J. Meunié, *Le Maroc*, 604). ولعل هذا ما حدث لموسى الناصري حين قدومه إلى مراكش.

أما في أثناء قفوله إلى درعة فقد سلك ثنية الاگلاوي التي كانت مفتوحة يومئذ في وجه عابري السبيل (*الرياحين الوردية*، 78). ولم يمر دوفوكو بتادارت، بالرغم من مروره بزرقطن بالقرب منها. وربط ذكرها بالممر الجبلي، تيزي ـ ن ـ تادارت. (*Reconnaissance*, 276). ولعل الطريق عبر تادارت ظلت تقوم بتعويض الطريق عبر تلوات حتى تم بناء الطريق رقم 31، فيما بين 1924 و1932، بل إن ذلك المسلك قد صار صالحا لمرور السيارات منذ سنة 1927. (*A travers*, 27)، فأصبحت تادارت مركزاً للإيواء، واتخذها المسافرون مرحلة في الطريق الواصلة بين شمال الأطلس وجنوبه. فتعزز دورها خاصة بإنشاء بعض المرافق، مثل نزل "شجر الجوز"، مما شجع على الاستقرار بها، حتى صارت قرية بلغ عدد سكانها 209 نسمة، سنة 1936. (*Répertoire*, 279)، وما فتئ دورها ينمو بخلق مرافق أخرى.

ك. مارمول، *افريقيا*، 3 ؛ الزرهوني، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي أزايكو ؛ م. المكي الناصري، *الرياحين الوردية*، مخطوط خ.ع 88 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. البوزيدي ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ هاشم المعروفي، *عبير الزهور*.

Ch. De Foucauld, *Reconnaissance* ; E. Laoust, *Mots et choses* ; *Contribution à la toponymie...* ; L. Voinot, *A travers l'Atlas...* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; *Répertoire de tribus...* ; J. Meunié, *Le Maroc présaharien...*, 2.

أحمد عمالك

تادارت في الشاوية، موقع سمي باسم وظيفته كمحل لتخييم دواوير القبائل.وهو أرض واسعة تجاور قصبة مديونة غير بعيد من الدار البيضاء فهو محل جغرافي وتاريخي معروف ببلاد الشاوية.

فقد عرف هذا المحل أحداثاً جعلت منه معلمة جغرافية وتاريخية. فإذا اقتصرنا على القرن الثالث عشر (19 م)، نلاحظ أن تادارت الشاوية كانت معروفة للناس، فقد ذكر المؤرخ الضعيف الرباطي أن مولاي عبد الملك عامل أنفا في عهد مولاي سليمان، استبد بداخيل مرسى أنفا، ولما تخوف من عمه السلطان خرج من المدينة إلى تادارت، حيث ذبح ثوراً على أحد الأضرحة هناك ليكسب تأييد السكان النازلين بتادارت.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان، اغتيل أحد قواد الشاوية الكبار وهو إبراهيم الأوراوي من طرف قائد آخر كان معه في نزهة للصيد بتادارت هو القائد الهاشمي بن عباس الزياني (نسبة إلى أولاد زيان). وقد أهمل السلطان الحادث وولى القاتل قيادة المقتول، إلى أن قام بحركة للشاوية، وهناك أمر بقتل القائد الهاشمي بتادارت قصاصاً.

وفي بداية القرن العشرين، لما احتلت القوات الفرنسية الدارالبيضاء، أصبحت تادارت مكاناً لتجمع محلات المجاهدين، فقد رابط بتادارت مجاهدو أولاد بوزرق أي قبائل الشاوية الجنوبية، كالمزامزة وأولاد سعيد وأولاد بوزيري، ومن انضم إليهم من مجاهدي قبائل امزاب والأعشاش وأولاد فرج من دكالة.

ولقد ظلت مخيمات المجاهدين بتادارت محاصرة للدار البيضاء، تمنع عنها الأقوات أو أي تبادل تجاري. وتعززت تلك المخيمات بالمحلة التي أرسلها مولاي عبد الحفيظ من

مراكش بقيادة ابنه عمه مولاي رشيد عامل تافيلالت آنذاك. كما جاء إلى تادارت مرابط أبي الجعد في محلة لدفع المجاهدين إلى العودة إلى بلدانهم الأمر الذي أدى إلى خصام وتوتر انسحب إثره الحاج محمد بن العربي عائداً إلى أبي الجعد.

*وقد ظل المجاهدون مخيمين بتادارت ومحاصرين للفرنسيين من شهر غشت 1907 إلى شهر شتنبر. ففي يوم 11 شتنبر تمكنت القوات الفرنسية لأول مرة من أن تفاجئ مخيم تادارت بمساعدة منطاد حربي، وقد تمكن المجاهدون من الانسحاب في حين تمكن العدو من إحراق جزء من مخيم تادارت.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة ؛ رواية شفوية ؛ مستندات الجيش الفرنسي.*

علال الخديمي

تَادُكْلا، أو تيدكلا كلمة بربرية تعني الصداقة، وتعني في العادات الجبلية المعاشرة التي تجمع الرجل بالمرأة خارج مؤسسة الزواج .

على الرغم من كون القانون العرفي البربري لا يعترف بها، كانت تادُكْلا (بمعنى المعاشرة) ممارسة شائعة عند قبائل الأطلس المتوسط ونظرا لشيوعها وانتشارها في الأوساط البربرية لم يكن ذلك القانون يعاقب عليها، وكانت الجماعة تبدي نوعا من التسامح تجاهها (مارسي، ص. 8.7) .

قد تكون تادكلا مجرد مرحلة تهيىء للحياة الزوجية وقد تكون أيضا علاقة مستمرة كالزواج .

يضعها برينو وبُسْكي ضمن مختلف أنواع التعاقدات التي عرفتها القبائل البربرية، بحيث يعتبر أنها شكل من أشكال عقد الأخوة الذي نجده عند البربر والمسمى بـ"تاگمات". إلا أن هذا العقد في حالة تدكلا يربط عشيقين يتعهد كل منهما أن يكون وفيا للآخر. تتم هذه المعاهدة عبر انجاز طقوس معينة، منها تشابك أصابع اليد اليمنى لكل طرف، أو اليد اليمنى فوق البندقية، أو وضعها فوق رغيف أو طبق من الكسكس هيئ ليقدم صدقة للولي الصالح، أو بوضع أيادي العشيقين فوق داية الولي الصالح. ويعتقد بأن كل خرق لذلك التعهد يتبعه عقاب يسلطه الصالح على المذنب.

ليست تادكلا زواجا، إذ ليست لها نفس الالتزامات التي نجدها في علاقة الزواج. فللطرفين نوع من الحرية، تعبر من هشاشة العلاقة. ولكن مع ذلك لها طقوس خاصة بها تجعل منها التزاما معنويا وأخلاقيا يجبر المتعاقدين على احترامه. مثلا يقدم العشيق لعشيقته هدية كعربون على محبته (تسمى العربون) ويكون في غالب الأحيان عبارة عن منديل. في حالة ما إذا نقضت المرأة العهد، فعليها أن تعيد العربون لعشيقها السابق. وإذا ما نقض الرجل العهد تشهر به المرأة وذلك بصبغ المنديل الذي قدمه وإخبار الجميع بذلك.

كان عقد تادكلا في الماضي معمولا به في كثير من المناطق البربرية وخصوصا منها الأطلس المتوسط. وتعبر هذه الممارسة عن نوع من الحرية التي عرفتها المرأة في هذه الأوساط، وعن نوع من التسامح اتجاه المبادرة التي قد تأخذها المرأة فيما يخص اختيار شريكها. كما تعبر عن غياب ذلك التشدد في المعايير الأخلاقية التي تحيط بعرض المرأة والذي نجده حاضرا بقوة وبفعالية في مناطق أخرى.

H. Bruno et G. H. Bousquet, *Contribution à l'étude des pactes de protection et d'alliance chez les Berbères du Maroc Central, Hesp.*, Vol. 33, 1946, pp. 353 - 370 ; G. Marcy, *Le droit coutumier Zemmour*, Alger ; Paris, 1949

رحمة بورقية

تادْرَارْت، تعني باللسان الأمازيغي المحلي جُبَيلا، تصغير أدرار أي جبل. وهناك سوق تادارت بقرية في قبيلة أيت واعزون بإداوْتَنان كان ينعقد قبل الاستقلال يوم الجمعة فحوله الأعيان إلى يوم السبت حرصا منهم على التفرغ لأداء صلاة الجمعة التي تقام بمسجد عتيق إزاء هذا السوق قرب ضريح سيدي بوسماعيل.

أصبح سوق سبت تادارت من الأسواق المهمة اليوم في إداوتنان نظرا لوقوعه بين قبائل تانكرت وأيت واعزون التنانيتين وقبيلة أيت عيسى الحاجية، وكلها قبائل جبلية هاجر معظم أبنائها إلى الخارج والمدن الكبرى فأخذوا يرسلون إلى أهاليهم أموالا تظهر كثرتها في الرواج التجاري الذي يعرفه هذا السوق وأمثاله. زيادة على المنتجات الفلاحية المحلية المتميزة بالجودة مثل اللوز والعسل وغيرهما، فيتسابق إلى اقتنائها بأثمان باهظة العائدون من الهجرة، وبذلك يمكن اعتبار سوق سبت تادارت نموذجا للمؤسسات الاقتصادية الاجتماعية ذات البنية التقليدية النامية نموا بطيئا.

تحريات ميدانية تعتمد على المعاينة والرواية الشفوية.

محند أيت الحاج

تادْرارْت ـ ن ـ الـطْلبة، قرية تقع في قبيلة أيت بوبكر بأيت باعمران، مليئة بالعلماء والأدباء الذين قل مثيلهم في البادية المغربية، وقل ان يوجد في آل تادرارت رجل غير متعلم، ومعظمهم يجمع بين إتقان الروايات القرآنية، والفقهيات والأدب العربي، وكل دار تحتوي على خزانة كتب تزخر بالمخطوطات.

تتمتع تادرارت ـ ن ـ الطلبة في أيت باعمران باحترام كبير، لأن أهلها يقومون بتدريس علوم القرآن، وفيها تركز القضاة الكبار، ولديهم توضع الوثائق المهمة ورسوم العقارات، ومنهم تستصدر الفتاوي، وإليهم ترفع المنازعات، وأحكام القضاة بمثابة الاستيناف. وكان الجميع يحرس تلك القرية ويحترمها، حتى سنة 1310 فهاجمت جماعة من الغزاة سوق ثلاثاء أگاندر وعلم آل تادرارت بذلك ولم يخبروا قبيلة أيت إحلف ولا اعترضوا طريق الغزاة، فحكمت القبيلة على آل تادرارت بأداء ما ضاع، بسبب سكوتهم الذي يعد تواطؤا مع الغزاة في عرف

القبيلة، تطبيقا للقاعدة العامة "الجريمة بالترك".

لكن آل تادرارت رفضوا الغرامة فوقع الهجوم العام على تادرارت، فانتزعت منهم الأموال، وتشتتت الخزانات، وضاعت الوثائق، وعمت تلك الخسارة معظم البلاد لضياع مصالح الناس.

ابن **تادرارت**، أبو علي **حسين** بن عبد الحكيم التينملي المصمودي. ذكر ابن الخطيب أنه ولد بالأندلس وأن أصل أبيه من قسنطينة (*الكتيبة*، 207). وقد وصفته كتب التراجم بالفقيه الصدر والشيخ الصوفي والرئيس الكاتب، وهي صفات تعكس المكانة التي كان يحظى بها بين الأوساط الثقافية والسياسية في المغرب على عهد بني مرين وخاصة أيام السلطان أبي الحسن.

كان أبو علي مكلفا بكتابة الرسائل لدى السلطان المذكور إذ أدرجه ابن مرزوق ضمن كتاب *الرسائل والبطائق* وأنه شارك الفقيه أبا زيد عبد الرحمان بن محمد بن الأشقر الفاسي في كتابة الكتب الملوكية وأشباهها (*المسند*، 375). في حين أغفل ابن الاحمر ذكره بين كتّاب أبي الحسن، وذلك في كتابيه *مستودع العلامة ومستبدع العلامة* الذي خصصه لأهم كتاب ملوك دول المغرب في العصر الوسيط، ثم *روضة النسرين في دولة بني مرين* حيث تتبع فيه إلى جانب أخبار بني مرين، جل كتّاب ووزراء وقضاة ملوكهم، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل عن الدوافع التي جعلت ابن الاحمر يتخذ هذا الموقف السلبي من ابن تادرارت، وهو الذي كانت له علاقات متينة مع السلطان تجعله من المقربين إليه ومحل اهتمام المؤرخين لعصره، فضلا عن كونه تلقب بـ"الرئيس الكاتب" وهو لقب لا يحمله إلا من كان له باع ودراية بميدان الترسل من أمثال عبد المهيمن الحضرمي وأبي القاسم بن رضوان النجاري وغيرهما. ومما يؤكد هذه المكانة لابن تادرارت أن السلطان كان يكلفه بكتابة رسائل خاصة عنه، فابن مرزوق أشار، وهو يتحدث عن نفسه، إلى أنه عندما قرر السفر إلى تلمسان لزيارة عمه المريض، أذن له السلطان بذلك وهو بسبتة عند حصار النصارى للجزيرة الخضراء سنة 743 هـ، فأمر الفقيه أبا علي بأن يكتب رسالة توصية إلى الحرة فاطمة بنت سعيد والحاج فرج شيخ الفتيان والفقيه أبي غالب بن أبي مدين يوصيهم فيها باستقبال ابن مرزوق وإكرامه بفاس بعد عودته إليها من تلمسان (*المسند*، 487، 488).

إلى جانب الكتابة كان السلطان يعتمد أبا علي في كثير من المهمات الخاصة، منها أنه في إحدى زياراته لمراكش بعثه برفقة ابن مرزوق للاجتماع بوليها الصوفي أبي عبد الله الگومي الضرير وتهييئ لقائه بالسلطان، وكان اللقاء فرصة تم خلاله مناقشة مواضيع تتعلق بمسائل الوقف والتصوف (*المسند*، 156). كما عينه للنظر في قضية خطيب جامع القرويين وصاحب الحبس أبي الفضل محمد ابن أبي الحسن المزدغي. فبحكم منصب هذا الأخير كمسؤول على التركات وودائع أموال الأوقاف، ولما عرف عنه من الجود والاحسان وشدة حبه لأولاده وكثرة متطلباتهم، كان ينفق أموالاً كثيرة مما اضطره إلى التصرف في أموال الأحباس، فاجتمعت عليه منها حوالي ثلاثين ألف دينار. وكان السلطان وهو بتلمسان قد سمع بنازلة المزدغي فتأسف لذلك وعين للاجتماع به ومساءلته في الأمر مجموعة من الفقهاء هم ابن تادرارت وعبد المهيمن الحضرمي والقاضي إبراهيم ابن أبي يحيى وابن يربوع وابن مرزوق. بعد ذلك كلف السلطان ابن تادرارت بالتوجه إلى فاس ومحاورة فقهائها وصلحائها في موضوع النازلة المذكورة وأن يعرض عليهم إمكانية إعادة المزدغي إلى وظيفته بعد محاسبته ومطالبته بإرجاع ما ضيّع من أموال الأحباس (*المسند*، 230. 234).

بالإضافة إلى هذه المشاغل السياسية كان لابن تادرارت اهتمامات فكرية وغيرها، فقد حضر مجالس السلطان العلمية وشارك فيها، وكان يعينه لقراءة ما يتخيره من كتب بين يديه خاصة كتاب *صحيح البخاري وصحيح مسلم* وكتاب *الاكتفاء* لسليمان الكلاعي *وسراج الملوك وفتوح الشام والحلية* لأبي نعيم إلى غير ذلك من كتب الفقه والأدب والتاريخ. ولم يكن ابن تادرارت الوحيد الذي قام بهذه المهمة بل تكلف بها كذلك ثلة من كبار علماء عصره كابن مرزوق وابن يربوع وغيرهما (*المسند*، 138). كما كانت له مساهمات أدبية متميزة حتى إن ابن الخطيب قال فيه "وكان له أدب يستعير منه العرف النسيم، ويحسد حسنه الصبح الوسيم" (*الكتيبة*، 208)، لكن ما وصلنا من هذا الأدب قليل جدا ولا يعكس المكانة العلمية التي تميز ابن تادرارت بين مفكري عصره. ففي مجال الشعر ترك ابن تادرارت مقطوعات تناولت أغراضاً متنوعة من سلطانية وغزلية أورد ابن الخطيب بعضها (*الكتيبة*، 208. 210)، ثم قصائد مطولة حول استيلاء النصارى على الجزيرة الخضراء سنة 743 هـ (*مذكرات*، 35. 40). أما في مجال النثر فلا نعرف له إلا بعض الشذرات هي عبارة عن رسالتين، الأولى بعثها إلى الفقيه الصوفي الشهير أبي الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري يعاتبه فيها على عدم توديعه عند سفره والإبطاء عنه في ملاقاته، وقد راجعه الششتري برسالة جوابية ناقش فيها على الخصوص مسألة الوداع عند الفقهاء والصوفية (*الإحاطة*، 4 : 212. 215). ثم المقطع الأخير من رسالة يعتقد أنها لابن تادرارت يتعلق مضمونها بسقوط الجزيرة الخضراء في يد القشتاليين (*مذكرات*، 40).

ذكر الونشريسي أن ابن تادرارت توفي غريقا في الأسطول المريني الذي غرق أمام ساحل بجاية بالمغرب الأوسط سنة 749 هـ (*وفيات*، 118). وكان هذا الأسطول يضم إضافة إلى السلطان أبي الحسن جملة من خيرة علماء وأعيان وكتاب وفقهاء الغرب الإسلامي الذين رافقوه في حملته إلى افريقية قبل سنة من التاريخ المذكور. لكن المصادر التي تعرضت لهذه الفاجعة لم تذكر أسماء جميع

الذين ماتوا غرقا أو هلكوا قبل ذلك بسبب الطاعون الجارف الذي ضرب تونس حيث بلغ عددهم حوالي أربعمائة. مع العلم أننا لا نعرف من أسماء علماء المغرب الأقصى الذين كانوا ضمن هذه الهيئة العلمية سوى خمسة أعلام هم : عبد المهيمن الحضرمي السبتي، محمد بن محمد ابن الصباغ الخزرجي المكناسي، محمد بن علي بن سليمان السطي الفاسي، أحمد بن محمد ابن علي الزواوي الفاسي وأخيرا أحمد بن محمد بن شعيب الجزنائي التازي. وغياب اسم ابن تادرارت من هذه اللائحة يجعل من إشارة الونشريسي السابقة ذات قيمة فريدة، فهي من جهة تحدد تاريخ وطبيعة وفاة المترجم، ومن جهة أخرى تؤكد حضوره مع العلماء في الحملة الافريقية المذكورة.

وفيما يتعلق بوفاته نظم أخوه محمد قصيدة يرثيه فيها، وهي التي أوردنا منها بعض الأبيات عند ترجمة هذا الأخير، بينما نقتصر هنا على ذكر أبيات أخرى من نفس القصيدة قد يفهم منها الكيفية التي مات بها ابن تادرارت، وهذه الأبيات التي سجلها ابن الخطيب (*الكتيبة*، 214) تقول :

رمتكَ وشبكا قسيُّ المنون ... فلم تُخْطِ أسهمُ تلك القسي
فمَنْ للمعالي يصوغُ حلاها ... فتختال زهواً بأبهى الحُلي
طوتها البحارُ ولا غروَ أن ... تَغارَ على درِّها المعتلي

ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. م. خ.ن بيغيرا، الجزائر، 1981 ؛ ابن الحاج النميري، مقتطفات مذكراته، ورد نصها العربي عند A.L. de Premare, *Maghreb et Andalousie au XIVème siècle : "Les notes de voyage d'un andalou au Maroc 1344 - 1345"*; CNRS, Lyon, 1981 ؛ ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا*، تح. محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج 4، تح. م. ع. عنان، القاهرة، 1975 ؛ *الكتيبة الكامنة*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1963 ؛ أ. الونشريسي، *وفيات* (ألف سنة من الوفيات)، تح. م. حجي، الرباط، 1976.

ابن **تادرارت، محمد** بن عبد الحكيم التينملي المصمودي شقيق الحسين سابق الترجمة. ولد بمالقة بالأندلس. فقيه أديب شاعر انتقل من الأندلس إلى العدوة المغربية حيث استقر بالحاضرة فاس وانخرط في سلك كتاب الرسائل السلطانية عند أبي الحسن المريني "فكان ممن برز في الكتابة وأصاب في النصح كل الاصابة، وارتقى من المفاخر مرقى لا يطرق، وحاز من الكمال ما ليس يلحق" (نثير، 253). كما اشتغل بالقضاء واستمر فيه إلى أن توفي في تاريخ غير معروف. ونعتقد أن وفاة محمد ابن تادرارت كانت بعد سنة 749 هـ إذ يورد ابن الخطيب أبياتا شعرية يرثي فيها المترجم أخاه الحسين الذي هلك بعد غرق الأسطول المريني أمام ساحل بجاية في نفس السنة (*الكتيبة*، 213-214)، إضافة إلى أن ابن الأحمر صاحب *نثير الجمان* والمتوفى سنة 808 هـ يذكر أنه أدرك ابن تادرارت في حياته.

يلاحظ أن محمد ابنَ تادرارت ترك مجموعة من القصائد لم تحتفظ المصادر إلا بأبيات منها، مثل الرسالة المنظومة التي بعث بها إلى صاحبه الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى أبي القاسم بن رضوان النجاري (نثير، 245)، ثم المقطوعة التي يرثي فيها أخاه الحسين بعد وفاته ومطلعها :

أُخَيَّ حسينا وحيد الزمان ... سقى الله قبرك صوب الولي
فقد كنتَ في الجود حاتمَ طيٍّ ... وفي مجمع الحفل ضدر الندي

ابن الاحمر، *نثير الجمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1976 ؛ ل. ابن الخطيب، *الكتيبة الكامنة*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1963.

رشيد السلامي

التادرارتي، الزبير بن محمد بن صالح، من أشهر فقهاء قومه، درس في مسقط رأسه، ثم في فاس حيث مكث بالقرويين سبع سنين تخرج على إثرها فقيها متمكنا من فروع المذهب المالكي، فأسند إليه السلطان الحسن الأول قضاء أيت باعمران بظهير عام 1881/1299، ثم جدد له المنصب السلطان عبد العزيز بظهير مؤرخ بعام 1893/1311! وكان القاضي الزبير مثال الاستقامة والنزاهة، حتى قال فيه الأكراري : "قاضي بعمرانة على الإطلاق، بلائنيا ولاشقاق... لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا ترى في أحكامه غير الملائم". ولم يذكر تاريخ وفاته.

التادرارتي، محمد بن صالح، والد المذكور قبله. عالم مشارك في الحساب والفقه واللغة وقواعدها، صناع اليد، جواد كريم. ألف كتابا في السكك التي عليها المدار في جنوب المغرب. درس في مسقط رأسه، وفي مراكش على الشيخ محمد أكنسوس، قال في حقه الاكراري أيضا : "حدث عن البحر ولا حرج، وليس في مهيعه من عوج، قضى وغلب، وأعطى وسلب..". توفي عام 1871/1288.

الاكراري، *مخطوط* ؛ *ظهائر* ؛ *معلومات شفوية عن أعيان قبيلة أيت باعمران*.

الحسين جهادي

تادلا، قصبة، ومدينة، ومنطقة. فالقصبة تقع في أراضي قبيلة گطاية التي تكون مع قبائل بني ملال وسمگت وبني معدان، اتحادية أيت الربع، وتقع، تحديدا، عند نقطة اجتياز الطريق الرئيسية الرابطة بين بني ملال والدار البيضاء لنهر أم الربيع، على ضفته اليمنى المقعدة. وهي عبارة عن قصبة مستطيلة يقدر طولها بثلاثمائة وخمسين مترا، وعرضها بمائة وخمسين مترا.

ذكرها البيذق من بين حصون المرابطين، (*أخبار المهدي*، 92). وأشار قبل ذلك إلى أن أمير الموحدين مر بتادلا و"ميّز فيها" (المصدر السابق، 63) ولما وزع عبد المومن حكم الأقاليم على أبنائه، ولى أبا الربيع على تادلا (نفس المصدر، 76، 77).

إذن يستلزم الميز أولا، وتولية عامل على المنطقة ثانيا وجود قاعدة ثابتة. وهذه القاعدة لا يمكن بحال أن تكون غير حصن تادلا المشار إليه. هذا الحصن الذي يبدو من الراجح أنه كان يقع على الضفة اليمنى للوادي، حيث "يوجد مشرع" يتم العبور بواسطته، ويسافلته بنيت، فيما بعد، القنطرة المعلومة، عند نقطة مرور الطريق الرابطة بين مراكش وفاس. وذكرها الإدريسي كمدينة قائمة مزدهرة، ومن بين أهم المراحل الممتدة على الطريق الراصلة بين فاس واغمات والمتوجهة أيضا إلى درعة وسجلماسة (*المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق*، 102). وأشار إلى أنه "يزرع فيها كثير من القطن ويسافر به إلى كل الجهات... وبهاتين البلدتين (داي وتادلا) أرزاق ومعايش وخصب ونعم شتى، وأهلها أخلاط من البربر..." (*المغرب العربي*، 93) وعدها صاحب *الاستبصار* "من المدن التي بنى فيها الملثمون حصنا عظيما، وشيدوا بها جامعا" (*الاستبصار*، 200).

وعلى الرغم من أن صاحب *التشوف* لايميز بين الإقليم والمدينة عند ذكر تادلا، فإن الإشارة إلى "مسجد تادلا" بعينه تفيد ـ هذه المرة على الأقل ـ أن المقصود هو المدينة، التي يبدو أنها كانت ما تزال عامرة (*التشوف*، 255). ومما يؤكد ذلك ما ذكره الحميري بعد ذلك بحوالي قرن من الزمان، حيث قال: "تادلا مدينة قديمة أزلية بها آثار للأول، بني الملثمون فيها حصنا منيعا هو الآن معمور، وفيه الأسواق والجامع، والبلد كثير الخيرات والأرزاق، أحاطت به القبائل من جميع الجهات" (*الروض المعطار*، 127). ووصفه مجرد نقل لوصف الإدريسي.

وفي العصر المريني صارت منطقة تادلا ـ بقصبتها ـ مقصداً لكثير من الثوار، ولا سيما في أثناء الاضطرابات، باعتبارها منطقة حدودية بين فاس ومراكش. وهكذا لما انتفض الحسن بن عمر الفودودي ضد السلطان أبي سالم المريني "خرج بتادلا مستعينا بعرب بني جابر" (*الاستقصا*، 4 : 32). وحين "انهزم أبو الفضل بن أبي سالم أمام جيوش السلطان عبد العزيز سنة 1368/769، لحق بتادلا ليعتصم بجبل جابر" (*الاستقصا*، 4 : 54). ولعل تردد الثوار إلى تادلا وتداولها من طرف الأيدي ما جعل أمر قصبتها يؤول إلى الخراب. وقد زادت وضعيتها تفاقما بسبب الانقسام الذي عرفه المغرب عند الدولة المرينية، وخاصة لما تكرست فكرة مملكة فاس ومملكة مراكش في أثناء صعود الوطاسيين. آنذاك صارت تادلا منطقة عازلة بين المملكتين، فاعتور قصبتها التدهور، الأمر الذي جعل ذكر تادلا، كمدينة، يختفي من المصادر، لتترك اسمها ينصرف إلى الاقليم الذي يحيط بها. فلم يذكرها الحسن الوزان ولامارمول، على الرغم من أن الأول قد زار مختلف مدن وقرى تادلا في بداية القرن العاشر (16 م).

ولم تقع الإشارة إلى قصبة تادلا مجدداً إلا مع بداية السعديين سنة 1537/942. فقد أشار ابن القاضي إلى ذلك قائلا: "فرجع السلطان أبو العباس الوطاسي إلى فاس، وبقيت محلته وقصبة تادلا بيد الشريف السعدي" (*جذوة الاقتباس*، 1 : 321) قد يثير كلام ابن القاضي التساؤل التالي: هل ظلت قصبة تادلا قاعدة للإقليم على الرغم مما نالها من إهمال؟ يظهر أن بعض السلاطين اتخذها سجنا للثوار، كما هو شأن محمد المتوكل السعدي. فلما قبض هذا الأخير على أخيه الناصر الثائر عليه "امتحنه بطول الاعتقال بدرعة أولا وبتادلا ثانيا" (مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، 43. 44).

وفي سنة 992 /1584 قسم المنصور السعدي حكم الأقاليم على أبنائه، فعين زيدان على تادلا (*الاستقصا*، 5: 117). واتخذ هذا الأخير من الصومعة مقر الأقامته، قبل أن ينتقل إلى القصبة التي تحمل اسمه حتى الآن. فصارت القصبة الزيدانية القاعدة السياسية لإقليم تادلا (*الحركة الفكرية*، 2 : 504). كان ذلك لأن قصبة تادلا ربما غدت مندثرة. ولم ترد الإشارة إليها ـ بعد ذلك ـ حتى سنة 1677، حين ثار أحمد بن عبد الله الدلائي ضد السلطان اسماعيل، فكانت قصبة تادلا من جملة المواقع التي تم الاستيلاء عليها وتعرضت للتخريب على أيدي صنهاجة الأطلس المتوسط المنضوين تحت لواء حفيد الدلائيين (*البستان الظريف*: De la Chapelle, p. 53, note 27 - 30) الشيء الذي جعل السلطان يأمر بإعادة بنائها منذ سنة 1680/1679 (Mouette, 124) وهو نفس التاريخ الذي اعتمدته مكالي مرسى عند تعليقها على لفظة تادلا (*La relation de T. Pellow*, 189). لكن المصادر المغربية لم تشر إلى هذا البناء إلا في سنة 1688/1099. وبعد حوالي سنة، لما كمل بناؤها أنزل بها حامية من ألف من فرسان العبيد (*الترجمان المغرب*، 22). فكانت قصبة تادلا من بين قصبات السلسلة الرابعة التي أمر السلطان المولى إسماعيل بتشييدها، في إطار سياسته الهادفة إلى تطويق القبائل الجبلية، بالأطلس المتوسط وكبسها هناك. وبناء على ذلك سارت تادلا قاعدة عسكرية تنطلق منها الحركات السلطانية لتطويع تلك القبائل، ومنعها من النزول إلى بسيط تادلا الذي شكل مجال الانتجاع بالنسبة لقطعانها. فكانت تلك القطعان تنزل إلى السهل (أزغار) في فصل الشتاء (*البستان الظريف*، 36) مما كان يثير بعض الاضطراب، بل يخل بتوازنات اقتصاد سكان أزغار، الأمر الذي قد يؤدي إلى نشوب النزاعات والحروب بين المستقرين والرحل المنتجعين، ويتسبب في قطع الطرق أمام القوافل والسابلة، لأن المنطقة همزة وصل بين الشمال والجنوب، وتخترقها الطريق السلطانية الواصلة بين مراكش/فاس. فكانت المحلات السلطانية تضرب بها من أجل الاستراحة أو النظر في شؤون قبائل المنطقة. فكونت قصبة تادلا منطلقا للقسم الأكبر من الجيوش التي وجهها السلطان ـ ضمن الحركة الكبرى ـ مع الباشا مساهل سنة 1693/1104 "لغزو برابرة فازاز" (*الاستقصا*، 7 : 80) وتعزز دور قصبة تادلا العسكري بالمهمة الإدارية التي أنيطت بعاملها. ففي سنة

1111 / 1700 وزع المولى إسماعيل أعمال المغرب على أولاده "فخلف أحمد الذهبي بتادلا..." وأنزل معه ثلاثة آلاف من وصفانه، وأمره أن يزيد في تلك القصبة، فبنى قصبة جديدة..." (*البستان الظريف*، 41) تذهب معظم المصادر التي أشارت إلى استخلاق أحمد الذهبي بقصبة تادلا إلى القول بأن الأمير بنى قصبة أكبر من القصبة الأولى. لكنها لا تزيد على ذلك أي توضيح. مما يدع المجال مفتوحا للتساؤلات حول موقع القصبة القديمة بالضبط. فهل بنيت القصبة الجديدة على أنقاض القديمة كما فعل السلطان إسماعيل من قبل ؟

يظهر أن التمادي في السؤال يفترض القيام بحفريات للكشف عن البقايا الأثرية والحسم في هذه القضية. في غياب ذلك وما لحق بآثار القصبة من تشويه بسبب الإهمال، يمكن أن نكتفي بتحليل إشارة وردت عند الزياني في *الترجمان*، 25، تكررت بالحرف عند ابن زيدان (*المنزع اللطيف*، 253). فقد قالا : "وأنزله قصبتها وأنزل معه ثلاثة آلاف من العبيد، وأمره بالزيادة في قصبتها، فبنى قصبة بجنبها أكبر منها وبنى داره فيها ومسجدا أكبر من مسجد والده... واستقر بها..." تفيد هذه الإشارة وجود قصبتين : قصبة قديمة بناها السلطان وأخرى جديدة بناها الأمير.

ومن خلال وصف دوفوكو الذي زار قصبة تادلا يوم سابع عشر من شهر شتنبر 1883، ومكث بها يومين (*Reconnaissance*, 57)، يظهر أن هناك قصبة واحدة، كانت أسوارها ما تزال قائمة : سور خارجي يناهز علوه عشرة أمتار، وآخر داخلي أقل ارتفاعا (حوالي ستة أمتار). يفصل بينهما ممر يناهز عرضه ستة أمتار. والسوران معا في حالة جيدة (*Reconnaissance*, 58) كما يشير إلى أن مسجدها ما يزال قائما بصومعته في الناحية الشرقية، بالقرب من الباب الكبير، الذي ربما شكل المدخل الرسمي لرجال المخزن. وبجوار المسجد توجد "دار المخزن" في الناحية الجنوبية. وتنتشر خارج القصبة أرباض تتركز شرقيها، في المنطقة التي تطابق قسما من حي الزرايب حاليا. وهي المنطقة الآهلة بالسكان. ولم يشر قط إلى وجود أطلال أخرى تشهد على قصبة ثانية خارج القصبة التي تم وصفها.

إذا أمعنا النظر في هذا الوصف نستنتج أن هناك قصبة واحدة، فهل اندثرت القصبة الإسماعيلية نهائيا - مع العلم أن الفترة الفاصلة بين عمليتي البناء لا تتجاوز اثنتي عشرة سنة - ؟ وهل قام أحمد الذهبي بضم قصبة والده إلى قصبته عن طريق تحصينهما بسور واحد تنفيذاً لأوامره، حيث "أمره بالزيادة في قصبتها" (*الترجمان*، 25) من المعلوم أن الزياني كان عاملا على تادلا سنة 1215/1801، بل لقد دخل قصبتها في أعقاب عاملها السابق ولد الراضي، حيث اعتقله. ومن ثم فهو يتحدث عن بينة. (*الضعيف*، 320) ولاينبغي - من جهة أخرى - أن تغفل قوله : "بنى قصبة بجنبها أكبر منها" بناء على ذلك وتأسيسا عليه وانطلاقا من المشاهدة العينية يتضح أن موقع القصبة - حاليا - حصين، وهو مشرف على المنطقة كلها، لأنها بنيت على شرف من الأرض. ويزيد من حصانته إشرافه على الواد من الضفة المقعرة نسبيا، مما يسهل الدفاع عن القلعة، على الأقل من جهتي الغرب والجنوب، حيث يوجد البستيون المفضي إلى الوادي.

أما من الناحية الشمالية والشرقية فهناك قبائل الگيش التي تعرقل سبيل أي معتد. لذلك تخللتها الأبواب الثلاثة من تينك الجهتين : يوجد بابان في الجهة الشمالية. باب مواجه للمسجد ولعله المدخل الرسمي، والباب الثاني الموازي للمنطقة السكنية، ربما كان خاصا بالحامية المقيمة بالثكنات الملحقة بالقصبة (دوفوكو، 58). وفي الواجهة الشرقية فتح باب آخر، لعله كان خاصا بادار المخزن. فإذا كان هذا هو موقع القصبة الأميرية، فأين يكون موقع قصبة السلطان ؟ لا ينبغي للسلطان أن يبني قلعة منيعة في موقع بعيد عن القصبة الحالية. لأن الموقع الحالي - بالإضافة إلى حصانته وإشرافه، فإنه يسهل مراقبة المجاز (المشرع) الذي يحاذي المقبرة الموجودة جنوب شرقي القصبة (دوفوكو، 59)، وبواسطة القصبة أيضا يمكن حراسة القنطرة. ولا يمكن لهذه الظروف - المناعة، الإشراف، قرب المجاز ثم القنطرة - أن تتوفر في مكان آخر لا شرقيها ولا غربيها.

كما يوجد في نفس القصبة مسجد أصغر من مسجد الأمير، وهو يقع في الزاوية الشمالية من الجهة الغربية، قريبا من مدخل سجن القصبة. وقد اندثر نهائيا وبني على انقاضه مسجد حديث، لكن الصومعة القديمة ما تزال قائمة. ألا يمكن أن نفترض أن هذا المسجد هو المسجد الإسماعيلي الذي بني ضمن المرافق التي شيدها ذلك السلطان ؟ ألا تمثل تلك الصومعة "أكمة شاهدة" لقصبة اندثرت تماما ؟

كل هذه القرائن والتساؤلات والافتراضات تجعلنا نرجح أن قصبة السلطان كانت تقع في الناحية الغربية حيث يوجد المسجد والسجن حاليا. وبعد ما بنى الأمير أحمد الذهبي قصبته شرقيها، سورهما معا بسور واحد، أي أنه بناها بجانبها وزاد فيها. وبذلك يكون قد نفذ أوامر والده حسب الإشارة الواردة عند الزياني (*الترجمان*، 25) فغدت القصبتان قصبة واحدة بعد اندثار السور الفاصل بينهما.

ومهما يكن من أمر فإن أحمد الذهبي قد استقر في قصبة تادلا التي أصبحت قاعدة عسكرية وإدارية للإقليم (*الاستقصا*، 7 : 89) ؛ يتم النظر في شؤون الإقليم كله، انطلاقا منها (*الدرة الجليلة*، 254). وحتى لما عزل السلطان مختلف أبنائه عن حكم الأقاليم سنة 1718/1130 استمرت قصبة تادلا مقرا لأحمد الذهبي الذي ظل واليا على تادلا (*الاستقصا*، 7 : 97). مما قد يدل على أهميتها السياسية والعسكرية. وحين تولى إدريس بن المهدي المشاط، المتوفى عام 1142 /1729 - 1730، قضاء تادلا، أقام بقصبتها بجانب ولي العهد المذكور (*النشر*، 3 : 326 ؛ *الاستقصا*، 7 : 126).

وبعد وفاة المولى إسماعيل (1727/1139) غدت قصبة تادلا محطة ذات أهمية بالغة بين فاس ومراكش. مثلا : لما يصل إليها مطالب بالحكم، قادم من مراكش، فإن أهل فاس يشعرون بالتهديد، ولما يصل إليها في طريقه من فاس، فإن أهل الجنوب يبدأون في الاستعداد للمواجهة. ففي سنة 1145 /1733 استقبل السلطان عبد الله بن إسماعيل وفد أهل سوس بقصبة تادلا، وبها التحقت به، في نفس السنة، الجيوش التي كان طوماس بيلو T. Pellow يقودها، قبل التوجه إلى مكناس (*La Relation de T. Pellow*, 166). كما ظلت قصبة تادلا في هذا العهد أيضا قاعدة للإقليم. فلما قاد يوسف الحنصالي الثورة ضد السلطان عبد الله سنة 1732، كانت وجهته نحو قصبة تادلا، وحين تم اعتقاله نقل إليها ليقتل صبرا (القادري، *التقاط الدرر*، 358). ومنها انطلق السلطان في نفس السنة على رأس حركة إلى أيت إيمور (*النشر*، 3 : 355). واتخذها السلطان عبد الله قاعدة ينطلق منها لاسترجاع سلطته كلما انتفضت ضده إحدى العواصم، أو خرج عليه بها بعض إخوته.

فلما خلع العبيد بيعته سنة 1147 لجأ إليها قبل أن يواصل طريقه نحو مراكش، وحين رجع من تارودانت متوجها إلى الشمال نزل بها مجددا، وبها قدمت له البيعة عدة مرات من طرف أهل فاس ومكناس أو من أهل مراكش والجنوب (الضعيف، وما بعدها). وظلت قصبة تادلا تكتسي نفس الأهمية في عهد السلطان محمد بن عبد الله؛ وحتى زمن مولاي سليمان، على عكس ماذهب إليه جاك كايي (J. Caillé, *La mission du capitaine Burel*, p. 91).

فقد أقام بها سيدي محمد أياما لما كان متوجها من مراكش إلى مكناس، في أثناء خلافته (الضعيف، 151). ومكث بها مولاي سليمان أيضا أياما في طريقه من مراكش إلى مكناس سنة 1813/1228 (الضعيف، 376) أي أنها حافظت على مكانتها كمحطة رئيسية في الطريق السلطانية. ولما مرض سيدي محمد بن عبد الله في أثناء إحدى حركاته أقام بقصبة تادلا مدة وبمعيته كاتبه أبو القاسم الزياني وطبيبه أبو العباس أدراق، الذي باشر علاجه (*الاستقصا*، 8 : 41، 43) كان ذلك سنة 1772/1186. واتخذها السلطانان المذكوران قاعدة لتطويع قبائل الأطلس المتوسط، فحين أراد سيدي محمد بن عبد الله الإيقاع بأيت إيمور استقدمهم إليها، وبها "عرضت عساكر الجند" سنة 1179 / 1766 (*الاستقصا*، 8 : 27). وقد نزل بها أيضا وأوقع ببني حكم وزمور قبل ذلك. وانطلقت جيوشه منها كذلك في حركته سنة 1766/1179، لتأديب أيت أومالو (*الاستقصا*، 8 : 43) ولما انتفض القائد ولد الراضي ضد السلطان المذكور سنة 1192 / 1778، اعتصم بها، إلى أن ألقي عليه القبض فقطع يده واستصفى أمواله (*الاتحاف*، 3 : 175). ولما عزم مولاي سليمان على تطويع قبائل بني موسى وأيت عتاب وغيرها من قبائل الإقليم، سنة 1222 / 1807 "خرج بالعساكر إلى تادلا". ولعله انطلق من قاعدة ثابته كانت هي القصبة المخزنية (*الاستقصا*، 8 : 113) وذلك ما وضحه الضعيف حين قال : "وفيه سمعنا بأن السلطان أراد أكل زرع زيان فتشفع فيهم العربي الشرقاوي وأعطوا المال والسلطان بقصبة تادلا" (*الضعيف*، 699). وبعد سنتين خرج إليها مجددا "يريد عرب ورديغة وقبائل البربر". وبعدما تغلبت الجيوش السلطانية على المنتفضين وألجأوهم إلى الطاعة "جاءوا تائبين فعفا عنهم" (*الاستقصا*، 8 : 114) أي أن وفودهم قدمت عليه بقصبة تادلا التي كان نازلا بها، كما أكد ذلك الضعيف. بل يشير هذا الأخير إلى أن السلطان لما أوقع بتلك القبائل رحل إلى مراكش بعدما أقام بقصبة تادلا من سابع ربيع الأول إلى تاسع عشر ربيع الثاني من عام 1224 / 1809 (الضعيف، 347).

وفي أثناء الاستعداد للحركة ضد أبي بكر أمهاوش سنة 1334 / 1818 انطلقت جيوش مولاي سليمان من قصبة تادلا، حيث كان الأمير مولاي موسى بن محمد بن عبد الله عاملا على الإقليم (الضعيف، 318). وبها أيضا وافاه ولده إبراهيم بجيوشه. ويذكر نفس المصدر أن القائد محمد بلعربي البخاري "كان قبل عند المحلة المرابطة بقصبة تادلا" منذ سنة 1232 / 1816.

إلا أن ذكرها يختفي من المصادر في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن، ولم تشر إليها المصادر التي أمكننا الاطلاع عليها إلا أواسط عهد ابنه سيدي محمد. فقد غزا هذا الأخير قبائل تادلا كما يقول الناصري : "فمد على السماعلة... ثم منهم لبني زمور، ثم لأبي الجعد، ثم منه لقصبة تادلا وعبر القنطرة ونزل على بني عمير..." (*الاستقصا*، 9 : 123) لعل مروره بالقصبة السلطانية كان عابرا، لأن الطريق التقليدية قد اعتورها بعض الإهمال لعاملين :

- أولهما كثرة الانتفاضات القبلية التي طبعت القرن التاسع عشر، بسبب المشاكل المترتبة عن الظرفية الجديدة.
- ثانيهما بداية تحول مركز الثقل من المناطق الداخلية إلى المناطق الساحلية، ذلك التحول الذي ارتبط باضمحلال الطرق البرية والتجارة الداخلية المرتبطة بها، لصالح الطرق البحرية والتجارة الخارجية.

في هذا الإطار لم يمر السلطان مولاي الحسن بقصبة تادلا، رغم تنقلاته الكثيرة ؛ إلا أربع مرات. واحدة منها قبيل وفاة والده، حين كان خليفة عنه بمراكش (*الاتحاف*، 2 : 122) ويغلب على الظن أنه لم يكن يزورها إلا في أثناء حركاته إلى المنطقة في سنوات 1294 / 1877، 1296 / 1879، 1300 / 1883 و1304 / 1887 (*الاستقصا*، 9 : 164 ؛ *الاتحاف*، 2 : 122 ومابعدها). ولعل ذلك راجع - بالإضافة إلى العاملين السابقين - إلى أنها تعرضت للإهمال ؛ حتى إنها كانت خاوية على عروشها حين زارها شارل دو فوكو يوم 17 شتنبر 1883 (*Reconnaissance*, 57)، حيث اعتبرها أهم قلعة شاهدها - حتى ذلك الوقت - في بلاد المغرب. وقد

وصفها وصفا دقيقا، بأسوارها وأبراجها وشرفاتها وأبوابها ومسجدها ؛ في حين أشار إلى أن أرباضها كانت آهلة بالسكان من مسلمين ويهود. وقدر عددهم بحوالي 1400 نسمة، من بينهم 150 يهوديا (*Reconnaissance*, 58).

ولعل هذا الإهمال هو السبب في جعل لفظة تادلا تنصرف من جديد إلى الإقليم حتى دخول الفرنسيين سنة 1912. ولما اقتحمتها الجيوش الفرنسية صار اسم قصبة تادلا ينصرف إلى التجمع السكني المكون من الأرباض والقصبة التي ظلت مهملة على ما يظهر.

فغدت تابعة لمنطقة الدار البيضاء، وسميت ملحقة، عين علي رأسها مراقب مدني اتخذها مقراً لإدارته (*Répertoire*, 65 - 64). وبذلك صارت من جديد قاعدة عسكرية وإدارية للإقليم كله. فمنها تم تطويع القبائل وإخضاع باقي المناطق المجاورة، وعبرها نظم الاحتلال ومختلف شؤونه في الإقليم، فشرع الفرنسيون مبكرا، في بناء حي أوربي شمالي القصبة، تضمن ثكنة عسكرية، ومنازل للمراقب المدني ومساعديه ومختلف الأطر الإدارية. كل ذلك على حساب القصبة التي يبدو أنها أهملت تماما ؛ على الرغم من الاحتفاظ باسمها الذي صار علما للمدنية. مع أن هذا الإطلاق جزافي لأن القصبة ظلت خالية. وشهدت المدينة الجديدة توسعا ملحوظا، إذ لم تحل سنة 1936 حتى صنفت من ضمن المدن المغربية. وبلغ تعداد ساكنتها 7409 نسمة (*Répertoire*, 67) حسب إحصاء سنة 1936، إلا أن مدينة قصبة تادلا سرعان ما فقدت مركزها كعاصمة للإقليم، لصالح مدينة بني ملال. فقد استأثرت هذه المدينة بالوظيفة الإدارية واستقطبت الأنشطة الاقتصادية المرتبطة بمحيطها الفلاحي ؛ الأمر الذي جعل مركز الثقل ينتقل إليها، في حين عرفت عاصمة تادلا القديمة ركودا ملحوظا، لولا أن شهدت ميلاد بعض المشاريع الاقتصادية خلال العشرين سنة الأخيرة. وللإشارة فقد تم تعمير قصبة تادلا الاثرية من جديد، بطريقة فوضوية خلال السنين الأخيرة، الشيء الذي ساهم في طمس بقية معالمها وتدمير بعض أبراجها، مما يستلزم تدخلا عاجلا لإنقاذها.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ش. الإدريسي، *المغرب من كتاب نزهة المشتاق*، تح. وتر. محمد حاج صادق، بلجيكا 1983 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية* ؛ أ. الولالي، *مباحث الأنوار* ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ *التقاط الدرر* ؛ أ. الزياني، *الترجمان* ؛ *البستان* ؛ م. الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ *التحري الميداني*.

Mouette, *Histoire des conquêtes* ; Morsy, *La relation de T. Pellow* ; J. Caillé, *La mission du capitaine Burel*, Paris, 1953 ; De La Chapelle, *My Ismaïl et les berbères Sanhaja de l'Atlas central*, *A.M.*, N° 27, 1927 ; De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, Paris, 1888 ; *Répertoire alphabétique*.

أحمد عمالك

التادلي، إبراهيم الرباطي ينتمي إلى جابر بن سليمان صاحب الضريح المشهور بتادلا. وهذا الفرع من التادليين ينتمي نسبه إلى محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أمه هي عائشة بنت صالح الحكموي قاضي الرباط الشهير (ت. 1250).

ولد إبراهيم التادلي في 28 ذي الحجة عام 23/1242 يوليوز 1827. وبعد أن تعلم بمسقط رأسه الرباط رحل إلى فاس فدرس بها خمس عشرة سنة على أيدي علماء القرويين، ومنها ارتحل إلى مكناس حيث التقى ببعض شيوخها وأخذ عنهم قبل أن يرجع إلى الرباط حيث أخذ يدرس بعض العلوم كالطب والتعديل ثم توجه إلى مراكش لينهل من علم بعض شيوخها.

وفي سنة 61/1278. 1862 قصد المشرق حيث اتصل بطائفة من الفقهاء والشيوخ بالأزهر في مصر وبمكة والمدينة. وفي أثناء رجوعه عرج على أوربا، فزار إسبانيا واتصل ببعض العلماء هناك وأخذ عنهم.

وكرر الزيارة إلى المشرق وعرج على بيت المقدس ونظرا لمقدرته العلمية ألقى درسا بالمسجد الأقصى، ثم انتقل إلى بيروت حيث التقى بالشيخ محمد عبده الذي اعتبره من كبار علماء الاسلام. وهكذا تم تكوين إبراهيم التادلي تكوينا متينا داخل المغرب وخارجه، فانعكس على دروسه ومؤلفاته :

ففي فاس كان الشريف الوليد العراقي وأحمد بناني الفاسي من شيوخه الذين أجازوه، كما تلقى العلوم على يد حمدون ابن الحاج والطالب حمدون بن الحاج، ومحمد بن عبد الرحمان السجلماسي حامل لواء مذهب مالك بالمغرب. وأبي بكر الطيب بن كيران والحاج الداودي التلمساني وابن سعد التلمساني وأحمد المرنيسي والمهدي بن سودة، وعبد السلام ابن غالب، والعباس ابن كيران بمكناس، وغيرهم كثير.

وكان ما أخذه عن هؤلاء وعن غيرهم علما غزيرا متنوعا يشمل الفقه وأصوله، والتفسير والحديث والعلوم العربية من نحو وصرف وعروض وبيان ولغة، وهندسة وحساب وهيئة وتوقيت وطب وتعديل ومنطق وفلسفة، ورغم هذا التنوع لم يقنع بما تلقاه بالمغرب فرحل إلى المشرق كما رأينا في الوقت الذي كان المغرب منطويا على نفسه متخوفا من التجديد والتعمق في علوم لم يألفها أو كان يمر بها مر الكرام. وهكذا عمق معارفه بالمذهب المالكي والمذاهب الفقهية الأخرى، فتلقى المذهب المالكي على الشيخ حسن وغيره بمكة وعن الشيخ أحمد دحلان المكي صاحب السيرة المشهورة ومفتي المالكية، وقد أخذ عنه التفسير، وأخذ نفس المذهب عن الشيخ عليش شيخ المالكية بالأزهر الذي سمع منه الحديث. وأخذ المذهب الشافعي عن الشيخ الحمزاوي وغيره. وعن الشيخ جمال الدين الهندي فقيه الحنفية بمكة أخذ التفسير والحديث، وأخذ عن الشيخ الصديق الهندي *صحيح البخاري* بمكة أيضا، بينما تلقن *منهاج النووي* بالمسجد الحرام على الشيخ النحراوي. والتقى

بمكة بالحاج محمد بن دحو الزموري الذي أجازه بسند عال إلى النبي ـ عليه السلام ـ وأثناء رجوعه ومروره باسبانيا تلقى دروسا في لغات مختلفة هي الفرنسية والانجليزية والفارسية والتركية.

عندما رجع التادلي إلى بلاده ألقى عصا التسيار بمسقط رأسه الرباط، واعتكف على التدريس أكثر من ثلاثين سنة، وكانت مجالسه اليومية النهارية والليلية تتراوح ما بين خمسة وثمانية.

وأثناء حياته العلمية النشيطة بالتلقن والتلقين لم يتوقف عن الكتابة والتأليف، وزادت تصانيفه عن مائة وعشرين لكن أغلبها لم يكمل، وربما لتوارد الطلبة عليه بكثرة، فكان يضطر إلى إيقاف بعضها ويبتدئ آخر يتناسب والطلبة الجدد إلا أن أغلب هذه المؤلفات ضاع مع الأسف.

زيادة على التدريس والتأليف اشتغل التادلي بالعدالة فكان عدلا كفئا نزيها وقد تعاطاها بإلحاح من إخوانه أيام القاضي محمد بن إبراهيم المتوفى سنة 1297 /1880.

أما نشاطه في الكتابة والتأليف فقد شمل ميادين كثيرة مما يعبر عن فضوله العلمي، وبعضها ينم عن رغبة التادلي في التجديد، والبعض الآخر يبلور اعتناءه بتطعيم المتعلمين الشباب عن طريق اختصار بعض المؤلفات والكتابة على الشروح، فقد وضع شروحا على *القدمة الأجرومية* ليقربها إلى فهم الصبيان، على سبيل المثال. ويلاحظ في كتاباته وتقاليده اعتناؤه بالحواشي فكتب منها في النحو واللغة والاشتقاق، ولم يقتصر في تآليفه على أنواع محدودة من العلوم بل انتقل من علم إلى آخر دون حدود فكتب في الفرائض وأصول الفقه والتفسير والحديث، والسيرة النبوية والبلاغة والمنطق وفي التاريخ والجغرافيا وله شروح في علم التوقيت والتعديل وعلم الجدول، كما كتب في الطب والموسيقى وعلم البحر والرياح والتصوف زيادة على قرضه الشعر.

ففي ميدان التاريخ مثلا كتب عن أرض العراق وأرض الروم والشام، وعن تاريخ العباسيين، واختصر بعض المؤلفات التاريخية مثل *الصفرة* للإفراني و*تكميل الديباج* لبابا السوداني، وله تأليف في الدولة المرينية.

وله في الهندسة حواش على اقليدس، وفي الموسيقى *أغاني السقا* و*مغاني الموسيقى*.

وفي الجغرافيا كتب حول هيئة الأرض وشرح خطوط الطول وخطوط العرض.

وهكذا تظهر موسوعية هذا العالم الذي قال عنه بوجندار : "أما في الرباط فليس فيه احد إلا وله عليه منة التعليم إما مباشرة أو بواسطة أو بهما معا..."

وقال فيه أبو حامد البطاوري إنه مجتهد العصر بلا نزاع.

لقد أخذ عدد كثير من الطلاب والعلماء عن الشيخ التادلي وخاصة بمسقط رأسه، منهم قضاة أمثال المكي البطاوي المذكور وأحمد بناني وهما من القضاة المشهورين، وزين العابدين بناني وأخوه فتح الله، والأديب أحمد جسوس، ومحمد بن عبد السلام الرندة القاضي ثم الوزير، والهاشمي بن محمد الحجوي الرباطي ومحمد بريبش المتوفى سنة 1316/1898 ـ 1899. ومحمد بن قاسم گديرة وبنعاشر الجزولي، وعيسى بن مسعود طريدانو الذي جعله استاذه ناظرا على كتبه التي حبسها على طلبة العلم.

وقد اعتنى عدد من هؤلاء وغيرهم بترجمة أستاذهم التادلي ترجمة نجدها في *فهرسة* البطاوي و*طبقات* فتح الله بناني و*كناشة* أحمد جسوس، و*مقيدات* محمد ابن الحسني و*مؤلفات* المهدي متجنوش وغيرهم من المحدثين وغيرهم.

لم يكن التادلي مقتصرا على التأليف والدراية والتدريس والتجوال بل كان منشغلا بهموم وطنه متشبثا بالشريعة، يدل على ذلك موقفان :

أولهما عدم خوفه من الجهر بالحق، ففي عهد السلطان المولى الحسن استدعي التادلي لإحياء ليلة القدر (1302) بالمسجد الأعظم بالرباط بمعية السلطان لكنه اعتذر بالمرض، والسبب هو غضبه مما كان مفروضا على السكان من مكوس (ضرائب غير شرعية) وطلب من الحاجب أحمد بن موسى أن يتوسط لدى السلطان ويستعطفه لإزالة المكوس. وكان التادلي قبل ذلك أي في سنة (1296) قد أغلظ القول في المكس ونهى عنه بمحضر النائب السلطاني محمد برگاش عندما زار برگاش التادلي في منزله، وفعلا استجاب السلطان وحذف المكوس في 13 ربيع الأول عام 1303 / 20 دجنبر 1885.

وهذا يدل على مكانة هذا العالم من جهة، ومن جهة ثانية يدل على دوره في إرجاع الأمور إلى نصابها وتطبيق الشريعة وفي ذلك دفاع عن مصالح الرعية أيضا.

أما الموقف الثاني فيعبر عن اهتمام التادلي بالسياسة وبحال البلاد إبان التكالب الأجنبي عليها. ففي عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني توجه إبراهيم التادلي إلى تركيا حاملا رسالة موقعة من طرف عدد من أعيان مدينة الرباط قصد تمتين العلاقات بين المغرب وتركيا في الوقت الذي كان المغرب والعالم الإسلامي عامة مهددين بخطر الاستعمار. وكان شخص يدعى إبراهيم السنوسي من طنجة قد رشحه السلطان المولى الحسن كسفير بالدولة العثمانية قد أثار في نفس التادلي هم السياسة والخوض فيها.

ورحل التادلي مرة أخرى إلى تركيا سنة 1886 واجتمع مع عدد من الدعاة والمصلحين وكبار العلماء قصد الاطلاع والاستفادة من النهضة الناشئة في العالم الإسلامي آنذاك، وبحث وسائل العلاج لإنقاذه من التدهور والانحلال. وقد لقي عناية فائقة من السلطان العثماني الذي أنزله بقصر خاص.

على الرغم من المكانة الاجتماعية والعلمية للتادلي فإنها لم تشفع له فيها تعرض له من محنة أيام القاضي

عبد الرحمان البربيري المتوفى سنة 1293 / 1876 فقد أمر القاضي بسجن العالم التادلي لسبب لم يتوصل إلى معرفته كل من كتب وروى قصة هذه المحنة، ولكن التادلي لم يكن الوحيد الذي تعرض لهذا النوع من الاستبداد فقد سجن القاضي عددا من علماء الرباط الآخرين.

توفي إبراهيم التادلي ليلة الجمعة 18 ذي الحجة عام 1311 /15 يونيو 1894 ودفن بعد صلاة الجمعة بمحل درسه في المسجد الذي اتخذه بداره وذلك بوصية منه.

وقد خلف أولاد أشهرهم أحمد الذي اشتغل بالعدالة وتوفي سنة 1332 / 1913.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط 1987، ص. 245 ؛ ع. الجراري، *أبو إسحاق إبراهيم التادلي*، شخصيات مغربية، 5، الدار البيضاء، 1980 ؛ *من أعلام الفكر بالعدوتين*، 2 : 243 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط 1986، ص 239.

عبد الإله الفاسي

التادلي، أحمد بن عبد الرحمان الفاسي. فقيه متفنن، إمام في أصول الفقه، مشارك في الأدب والعربية، مستحضر لأحكام النوازل. له شرح على الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، بيض نصفه في ثلاثة أسفار كبار وتوفي والنصف الثاني في مسودته في سفر واحد، وشرح عمدة *الأحكام* في الحديث شرحا حسنا، وله *تقييد مفيد على تنقيح القرافي*. رحل إلى المدينة المشرفة فاستوطنها وولي نيابة القضاء بها، وكان صدرا في العلماء ذا عفة ودين وعبادة.

توفي بالمدينة سنة احدى وأربعين وسبعمائة (741/ 1340).

إ. ابن فرحون، *الديباج*، 1 : 255، ع 139 ؛ السخاوي، *التحفة اللطيفة*، 1 : 168 ؛ أ. الونشريسي، *وفيات*، 111، عام 740 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 42، ع 49 ؛ مجهول، *طبقات المالكية*، 387، ع 540 ؛ م. القادري، *الاكليل والتاج*، 129، ع 26 تح. مارية دادي ؛ أ. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، 98.

مارية دادي

التادلي، سليمان بن محمد المرتضى بن محمد الكبير العمراني المراكشي من العمرانيين الذين بدادس، لقيه عباس ابن إبراهيم المراكشي وقال في حقه : "كان صوفياً عارفاً فاضلاً نبيلاً، أعجوبة في حفظ الحقائق واستحضارها، جم المعارف غزير المادة رأيت منه أعجوبة في ذلك، وله قصائد موزونة وملحونة" (*الإعلام*، 10 : 131) وأثبت له نص صلاة على *نمط الصلاة المشيشية وجوهرة الكمال*، تدل على توغل في باب المحبة وتمكن في الأسلوب العربي الرصين. أخذ عن العارف سيدي محمد بن أحمد المدعو السيّد دفين باب سبعة رجال بالموقف داخل باب الدباغ. وتوفي عن نحو ثمانين سنة عشية يوم الجمعة ثامن وعشري ربيع الثاني عام 1329 / 28 أبريل 1911. وهو فاقد البصر.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 121. 133 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1329.

التادلي، صالح (الحاج محمد.) بن المعطي بن محمد الفاسي. أصله من سوس، ولد عام 1244 / 9. 1910 وكان أبوه المعطي أستاذاً مجوداً يؤدب بنات السلطان، فنشأ صالح مقبلاً على التعلم، ومن شيوخه العباس بن محمد بن كيران، إلى أن تخرج عالماً مشاركاً محققاً فحل محل أبيه في تعليم الأمراء أولاد السلطان، ثم صار يدرّس لعموم الطلبة. ولما عين الأمير إسماعيل بن محمد بن عبد الرحمن بفاس نائباً لأخيه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن استوزر صالحاً التادلي، فلم ينقطع عن التدريس وألف فهرساً ترجم فيها لأشياخه. وظل وزيراً للخليفة السلطاني إلى أن أدركته الوفاة بفاس يوم الاثنين رابع عشر جمادى الأولى عام 1307 / 6 يناير 1890 ودفن بروضة الشيخ العايدي بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 413 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1307.

محمد حجي

التادلي، عبد القادر بن محمد. هو جد شيخ الرباط الشهير إبراهيم التادلي، وقد أرجع محمد بوجندار نسبه إلى الشرفاء الحسينيين كما وصفه بالولي الصالح والاستاذ المؤدب. وذكره صاحب *تاريخ الدولة السعيدة* الضعيف الرباطي فجعله من ضمن الحجاج الذين توجهوا للحج سنة 1182، وذكر ابنه والد إبراهيم التادلي أنه توفي بالوباء، ولا نعلم ما هو نوع هذا الوباء. وقد وجد بوجندار هذا الخبر منقولا بخط ابنه المشار إليه. أما وفاة عبد القادر فكانت في شهر محرم سنة 1214 / يونيو- يوليوز 1799، ودفن بالرباط.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، ص 316؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، ص 401 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص 129.

عبد الإله الفاسي

التادلي، عبد الكبير بن محمد الورديغي، من أسرة التادلي الرباطية، كان من العدول، وقد استدعاه المخزن للقيام بوظيفة العدالة في عدد من المراسي، وهكذا رشح عدة مرات لهذا العمل، وقد ورث عن أبيه الفقيه محمد بن عبد الرحمان خطة العدالة، ومعلوم أن أباه هذا المتوفى سنة 1295 / 1878 كان عدلا بالبنيقة المراكشية. وتوفي عبد الكبير سنة 1336 / 1918 بمدينة طنجة.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص 199.

التادلي، عبد الله بن محمد الرباطي. ولد في 12 ربيع الثاني عام 1266 /25 يبراير 1850، من تلاميذ الشيخ العربي بن السائح، وكان هذا الاخير قد أذن له بالقيام بوظائف الطريقة التجانية وله أمداح فيها، إضافة إلى أمداح في الشيخ أحمد التجاني والشيخ العربي بن السايح.

وقد قال بوجندار اعتمادا على *كناشة* أبي العباس جسوس ما معناه : إنه كان محل استشارة ونظر الشيخ العربي بن السايح وحامل سره، وكان أديبا صوفيا عارفا بكتب المتصوفة متأثرا بها، وكان بوجندار يجالسه ويناقشه، وقد أشاد بمجالسه وأورد له مطلع أرجوزة له في علم البديع تربو عن مائة وخمسين بيتا مطلعها :

علم البديع حصرت أقسامه ونشرت بين الورى أعلامه

ووصفه محمد بن علي دينيه بالحيسوبي أيضا وقال إنه كان من العدول، وإضافة إلى شاعريته كان مرتعا بالكيمياء. ومن قصائده واحدة أنشدها عند بيعة السلطان المولى عبد الحفيظ في 6 رجب عام 1325 / 15 غشت 1907. مطلعها :

قد بدا عبدُ الحفيظ المرتضى ملكاً ما مثله قبلُ ملكْ
يسأل الإقبال ما تاريخه ؟ قلت يا إقبالُ بشّر بالملكْ

وكان المخزن قد رشحه عدلا لإحصاء الترتيب بقبيلة الشاوية. والتادلي هذا هو ابن أخي عالم الرباط الكبير الشيخ إبراهيم التادلي وكان من أساتذته.

توفي عبد الله التادلي في 10 جمادى الثانية عام 1337 /23 مارس 1918 ودفن بضريح أبي الانوار بالرباط.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر بالعدوتين*، ج 2، الرباط 1971، ص 324 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط 1986، ص 320 و321 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، 1987 ص 390 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 448.

عبد الإله الفاسي

التادلي، عبد الله بن **محمد** بن عيسى. من أهل مدينة فاس، ولد بها سنة 511 هـ، وأصله من تادلا. كان أبوه من حفاظ المذهب المالكي، وعين مشاوراً بفاس أيام المرابطين.

درس المترجم له بمدينة فاس ولا تقدم لنا مصادر ترجمته أسماء شيوخه في هذه المرحلة. واتباعاً للتقاليد العلمية السائدة آنذاك شد التادلي الرحال نحو الأندلس في أواخر العصر المرابطي لاستكمال دراسته، فتجول في مدنها والتقى بعدد من علمائها كأبي بكر بن العربي المعافري بإشبيلية، لكنه لم يسمع منه لأن فقهاء إشبيلية صدوه عنه للتباعد الذي كان بينهم، وأحالوه على أبي بكر بن طاهر. كما زار ألمرية وصحب بها أبا بكر بن الصائغ الحكيم. ولقي من كبار علماء الأندلس المحدث الشهير ابن بشكوال فأجاز له.وعوّل في حديثه على أبي محمد بن عتاب بقرطبة وأبي بحر الأسدي، وهو آخر من روى عنهما من أهل المغرب، وبسببهما أخذ الناس عنه كثيراً، إذ كان قد انفرد بالرواية عنهما آخر عمره. وصحب أيضا القاضي أبا الفضل عياض وأخذ عنه، وكان من أصحاب ابنه أبي عبد الله محمد بن عياض واعتقل معه، وكانا معاً من أشهر فقهاء تلك الفترة.

حدث عنه جماعة من العلماء منهم أبو عبد الله بن حوط الله الأنصاري وأبو عبد الله الحضرمي وأبو الحسن بن القطان الكتامي وأبو الربيع بن سالم الكلاعي وأبو الحسن الشاري الغافقي.

ولاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قضاء بلده فاس يوم السبت 16 ذي الحجة عام 579 هـ، كما ولي قضاء بسطة من مدن الأندلس، ثم عزل عن القضاء وغرب إلى مدينة مكناسة لأسباب لا نعلمها، وبقي مستوطنا بها إلى أن توفي سنة 597 هـ عن سن عالية، وقد اختل ذهنه من الكبر.

وكان عالما فقيها جليل القدر، ذا حظ وافر من الأدب وقرض الشعر، كما امتاز مدة قضائه بإجراء العدل والصرامة في الأحكام. وكان قيما على *المدونة* يحفظها و"كتبت *المدونة* من حفظه بعد أن أمر الموحدون بحرقها" كما قال بعض مترجميه.

ابن الأبار، *التكملة*، القاهرة، 1955، 2 : 921 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة* (قسم الغرباء)، تح. محمد بنشريفة، نشر ملحقا *بالذيل والتكملة*، الرباط، 8 : 532 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، 2 : 421 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، القاهرة، 1351، ص. 137-138 ؛ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 8 : 201.

محمد المغراوي

التادلي، علي بن إبراهيم من رجال الصلاح والخير الذين ساهموا - بدون شك - في التثقيف والإرشاد، والتوعية الدينية. ذاع صيته، واشتهر ذكره كأحد مشاهير الصوفية ببلاد فشتالة. والواضح أن اشتهاره بالفضل وحسن الخلق والتقدم في طريق السلوك، وما أثر عن سيرته لم يتعد حدود المنطقة التي ذكرها ابن عسكر في دوحته فقد غاب ذكره في كتب التراجم المحلية، وكذا بين أصحاب الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع الذي أخذ عنه وانتفع به.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 95.

التادلي، أبو **القاسم** بن أحمد الفاسي. أستاذ مجود، وشيخ صالح ذو كرامات. ذكر صاحب *السلوة* أنه من *المعمرين* (البجعديين) وأن له تأليفاً في *تراجم الرجال*.

توفي بفاس في متم ربيع الأول عام 1244 / 10 أكتوبر 1828. ودفن خارج باب الساكمة، وبنيت عليه قبة بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان.

م. الكتاني، *سلوة* ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1244.

محمد حجي

التادلي، محمد الرضي بن عبد الرحمان بن عيسى السوسي يكنى أبا المكارم، درس بفاس وأخذ علم القراءات عن أبي زيد بن القاضي، وأبي محمد السرغيني، وابن مبارك السجلماسي، وسواهم.

وبعد أن أنهى دراسته على مشايخ فاس، نزل فشتالة وسلخ بها شطرا كبيرا من حياته يعلم كتاب الله ويتدارسه مع تلاميذه وطلابه، وتخرج على يديه كثيرون، وكانت له

شهرة عريضة أيام السلطان المولى إسماعيل ؛ ومن أجل تلاميذه : أبو القاسم بن دري الشامي خاتمة قراء العاصمة المكناسية.

توفي أبو محمد الرضي سنة 1113 / 1701 وخلف مؤلفات في الرسم والقراءات، منها :

1 ـ *تأليف في الرواية المأخوذ بها في القراءات السبع*، لخص فيه كتاب *بيان الخلاف والتشهير*، وما وقع في *الحرز* من الزيادات على *التيسير* ـ لشيخه ابن القاضي، وأضاف إليه إضافات، وقواعد وتنبيهات ؛ والكتاب مفيد جدا، أبان فيه مؤلفه عن إلمام واسع بهذا الفن ، وتحرير عجيب لمسائله وقواعده. 2 ـ *تأليف في رسم القراء السبعة* ـ غير نافع في سوى الهمزتين،والغريب أن الرجل أملى هذا الكتاب من حفظه، ولم يكن بين يديه إلا *الإعلان* الذي هو كالتكملة لمورد الظمآن تأليف أبي محمد ابن عاشر الأندلسي الفاسي. 3 ـ *رسالة في اختلاف روايتي البزي وقالون في قراءة ابن كثير*. 4 ـ *مصابيح الرسام القارئين للسبعة الأعلام* ـ أرجوزة في الموضوع، شرحها بعضهم شرحا وسطا. 5 ـ *أجوبة في القراءات*. 6 ـ *رمز قراءات الأئمة السبعة المشهورين*. 7 ـ *شفاء الأسقام الواقع لكثير من قراء الأنام*.

م. الدليرو ـ م. بوخبزة، *فهرس مخطوطات خزانة تطوان* ـ قسم القرآن وعلومه ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

التادلي، محمد بن عبد الرحمان. ينتمي إلى قصبة تادلا، وقد لقبه بوجندار بالودغيري ووصفه بولي الله نظرا لما عرف عنه من نسك وطيبوبة، وبكونه أستاذا أديبا مؤدبا كما ذكر أنه أستاذ الوزير أحمد بن موسى وأول مشايخ الشيخ الرباطي الشهير القاضي المكي البطاوري، وقد تعلم على يديه النحو والتصريف، كما وصفه بخفة الروح ولبونة الجانب، وهو معروف باذخار الكتب الغريبة وبالبحث عنها مع التغالي في اقتنائها، توفي عام 1296 /78. 1879.

م. بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، 1987، ص 196.

عبد الإله الفاسي

التادلي، يحيى بن عيسى، أو بن عمر، بن عبد الرحمان المعروف بالزيات، والد يوسف التادلي مؤلف *التشوف*. قضي يحيى التادلي حياته في مدينة داي حاضرة تادلا القديمة، ولا نعرف شيئاً عن دراسته ولا مبلغ عمله، إلا ما رواه ولده يوسف عنه في *التشوف* في مواضع متفرقة، وهي روايات متنوعة تحتوي على إفادات تاريخية وإنشادات أدبية وصوفية، تدل بالجملة على علم واطلاع ودقة ملاحظة. ويمكن القول إن ما كتبه صاحب *التشوف* في ترجمة فقيه داي التاجر أبي يعقوب يوسف المؤذن إنما رواه عن والده يحيى الذي عاصر المؤذن وعرفه عن قرب وقال عنه إنه ظل يؤذن بصومعة داي أربعين سنة ما طلع الفجر إلا وهو على الصومعة.

وبعد خراب داي في بداية عهد الموحدين، انتقل يحيى التادلي مع كثير من بلديه أهل داي إلى مراكش وسكنوا مجتمعين في جانبها الشرقي، وكان ابنه يوسف ما زال صغيراً فكان يأخذه معه لمجالس الشيخ أبي العباس السبتي، ويَكِلُ أمر تعليمه إلى أحد المهاجرين التادلين وهو الشيخ يحيى بن أبي بكر المدعو مع الله.

لا نعرف تاريخ وفاة يحيى التادلي وإنما نفترض أنه مات بمراكش في أواخر القرن السادس الهجري.

ي. التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، في أماكن متعددة ؛ م. عروش، *من أعلام منطقة تادلة وبني ملال*، 2 : 27. 28.

محمد حجي

التادلي، يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان المعروف بابن الزيات. والتادلي نسبة إلى السهل المعروف في المغرب بين مراكش ومكناس. كانت قاعدته مدينة داي التي اشتهرت عند الجغرافيين. ويبدو من ثنايا كتاب *التشوف* للتادلي أن والده كان مقيما بهذه المدينة أو ظل على صلة بها، ولعل رحيل أسرته عنها مرتبط بتشتت أهل تلك الجهات على إثر فتنة لا نعرف عنها الكثير وقعت في آخر العقد السادس من القرن السادس الهجري. والتادلي فقيه أديب قاض. توفي قاضيا ببرگراگة أي جهات الصويرة الحالية عام 627 أو 628 هـ (1230 م). لقي عبد الله بن سليمان بن داود بن حوط الله الأنصاري المحدث الحافظ الشاعر النحوي مؤدب محمد الناصر بن يعقوب المنصور الموحدي. ولقي محمد بن عبد العزيز بن خلف اللبلي حافظ اللغات والتواريخ والأشعار الذي نقله المنصور الموحدي وأنزله للتدريس في جامعه الأعظم بمراكش. وأخذ التادلي عن عيسى بن عبد العزيز الگـزُولي وكان من أقطاب العربية بمراكش في ذلك العصر. وأخذ عن أحمد بن بقي الأموي القرطبي الذي ولي بمراكش خطتي القضاء والمظالم والكتابة العليا.

وقد أثمر أخذ التادلي عن هؤلاء الشيوخ متانة في العربية تظهر في أسلوبه "الجاحظي" الملموس في مقدمة كتابه *التشوف إلى رجال التصوف*. بل إن علو كعبه في العربية أقدره على وضع هذا *الشرح* الذي لم يصل إلينا *لمقامات الحريري* والذي وصفه الحضرمي الذي ينقل عنه أحمد باب التنبكتي وصفه بأنه شرح نبيل.

ذكر ابن عبد الملك المراكشي في سفر الغرباء من *الذيل والتكملة* ذكرا عارضا التادلي ووصفه بالتاريخي. ولو دخل الأندلس لكانت له ترجمة كاملة في هذا السفر. وقد نسبت للتادلي أربعة كتب أحدها عن صلحاء المغرب غير كتابه *التشوف* ولم يصل إلينا، وثانيها شرح لمقامات الحريري لا يعرف له وجود لحد الآن. أما الكتابان المعروفان للتادلي فهما *التشوف إلى رجال التصوف* وقد ألفه عام 617 هـ (1220 م). وجمع فيه بالرواية المسندة أخبار مائتين وسبعة وسبعين من الرجال المعتقد فيهم الصلاح، من أهل المغرب،

ولا سيما من جهات مراكش. منهم المشاهير ومنهم المغمورون ومنهم المجاهيل. عرف ابن الزيات عددا منهم. أما التأليف الرابع المعروف للتادلي فهو *رسالته في أخبار الشيخ أبي العباس السبتي* الشهير بمراكش (انظر بلعباس، في هذه *المعلمة*).

أسدى التادلي خدمة جلى لتاريخ المغرب الديني بتأليفه في المناقب سيما بجمعه لأخبار متصوفة من أهل مراكش وجهاتها ليس من السهل لولا كتابه أن تتصور حياتهم تحت ظل عصابة الموحدين. والتادلي مسبوق في التأليف في المناقب المغربية بعقدين أو ثلاثة عقود إذا عرفنا أن أول كتاب معروف في الموضوع هو كتاب *المستفاد* الذي خصصه التميمي لصلحاء جهات فاس وعبادها. ولما اكتشفت قطعة من هذا الكتاب مؤخرا تبين أن التأليف في هذا النوع أنضج عند التادلي، وأنه من غير المستبعد أن يكون قد اطلع على كتاب التميمي، بل ولربما ألف *التشوف* ليعتني بصلحاء جهات لم يعتن بها التميمي وإن كان لهما مترجمون مشتركون.

تتبع التادلي أخبار أهل الصلاح وتوثق منها وعاين من استطاع أن يعاينه منهم كأبي العباس السبتي وغيره. وليس لدينا ما يدل على أنه اتخذ شيخا أو صحب أحد الشيوخ صحبة إرادة. بيد أن هذا المصطلح لم يتضح بعد اتضاحا كاملا في مغرب ذلك العصر، بل كانت الخدمة مصدر الفلاح على أيدي الشيوخ، ولم ترد إلينا معالم في طريقة الأوراد. غير أن التادلي وصف الكرامات وصف موقن ووضع أشعارا على أحوال وضعا ينم على تواجد وتخمر.

ليس من المستبعد أن يكون التادلي قد ولد بركونه من جهات رگراگة بعد أن رحل إليها والده من تادلة. ولعله إنما دخل مراكش للتعليم، وقد سكن منها الجانب الشرقي، وذلك لأنه يذكر المعلم الذي حفظ على يديه القرآن الكريم وهو أبو زكرياء يحيى بن أبي محمد بن مع الله، وهو تادلي آخر سكن هذا الجانب الشرقي الذي يظهر أنه كان حيا عامرا بالتادليين لأنه يوالي جهتهم من حيث الموقع ولأن الاندماج حتى داخل المدينة يكون بمجاورة أهل القبيل أول الأمر. ولربما كانت للتادلي أواصر أخرى بجهات رگراگة التي يظهر أنه يعرفها جيدا، أو لعله تعشقها لكثرة صلحائها وفيها كان ينعقد مجمع رباط شاكر الذي خرج إليه التادلي أكثر من مرة. والمؤكد أن التادلي كان قاضيا برگراگة تلك دون تحديد لقاعدة البلد التي كان فيها عندما أدركته الوفاة. وليس لدينا ما يؤكد أن جثمانه نقل إلى مراكش ودفن بها في قبة تحتها قبر الشيخ الفران والشيخ البربوشي.

ي. التادلي، *التشوف إلى رجال التصوف*، تع. أ. التوفيق، منشورات كلية الآداب بالرباط 1984.

أحمد التوفيق

تَادْنِيسْتْ، أو تَدْنِيسْت من أقدم مدن حاحة ومن الحواضر والقرى الكثيرة التي اندثرت بالمغرب بعد القرن السادس عشر، ولم يبق منها ما يدل بدقة على موقعها.

وقد اعتقد ناشر الوثائق البرتغالية بسلسلة (دوكاستر) الشهيرة بأن تادنيست كانت بالموقع الذي توجد به زاوية سيدي عبد الله بن واسمين، بالشياظمة، قرب ثلاثاء الحنشان. (ج 1 : 268 هـ 1).

وذكرابن خلدون أن تادنيست كانت مقر إقامة شيوخ حاحة، وانفرد الوزان بعده بالحديث عن المدينة وأثنى على رونقها وجمالها. أما مارمول فقد أشار إلى تخريبها في عهد يعقوب المنصور الموحدي لموقف سكانها المعارض.

وتقع تادنيست بسهل يحاذيه نهر أعطى المدينة حزاما مهما من الحقول والبساتين، وكانت في مطلع القرن السادس عشر محاطة بسور منيع من الآجر والطين أشار الإخباري البرتغالي (دوگويش) إلى مناعته.

وكان السور المذكور يحيط بحوالي خمسمائة دار، كان خمسها بيد اليهود. وفضلا عن الزراعة وتربية الماشية، احترف سكانها التجارة، خصوصا في الأثواب المستوردة من لدن البرتغاليين، بينما احتكر اليهود الصياغة وضرب السكة. وبهذا العدد من السكان، كانت تدنيست أقرب إلى قرية منها إلى الحاضرة، وكانت في مستوى بولعوان بدكالة، أو أزجن قرب وزان الحالية، ودون كبر تگاوست بمشارف الصحراء (8000 كانون) أو أزمور (5000).

وازدادت أهمية المدينة باستقرار القائم بأمر الله وابنه أحمد بها سنة 1513م، بطلب من أهلها. وإذا كانت المصادر المغربية (الإفراني، 16) تشير إلى أن الاستقرار تم بأفغال، قرب ضريح الإمام الجزولي، فإن الوثائق والمصادر البرتغالية تؤكد أنه تم بتادنيست. وكانت الغاية من الاستنجاد بالقائم بأمر الله هي تأطير الجهاد بمنطقة وصلها النفوذ البرتغالي منذ يناير 1512م (*دكالة*، 506 ـ 508). وبالطبع لم يطمئن برتغاليو أسفي وحليفهم يحيى أُتعففت إلى ذلك.

ولمنع الشرفاء من نسف المكتسبات البرتغالية جنوب نهر تانسيفت والاتصال بعبدة، التي كانت أكثر القبائل الدكالية خضوعا ليحيى المذكور، تقرر الهجوم على تادنسيت. وتم ذلك خلال فبراير 1514. وقد جند البرتغاليون لهذه الحملة أكثر من ألف محارب من حامية أسفي و2700 من رجال يحيى، بينما كان أنصار القائم بأمر الله يتجاوزون 4000 محارب. ولم يطل الصدام، وانتهى بتراجع أنصار القائم بأمر الله وانسحاب سكان تادنيست إلى الجبال المجاورة، الأمر الذي سمح للبرتغاليين وحلفائهم بدخول المدينة والاستيلاء على عدد كبير من الأسرى والغنائم.

ويفهم من كلام مارمول أن المدينة استعادت سكانها ونشاطها السابق، وإن بقيت حسب تعبيره دون تحضر باقي المدن، وكانت المرافق الأساسية من حمامات.وفنادق ومستشفيات ومدارس منعدمة بها. (2 : 103) ولا نعرف الظروف التي خربت فيها المدينة ولا متى تم ذلك.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 77 ـ 79 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 2 : 9 ـ 11.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc*, pp. 113 - 115 ; *S.I.H.M., 1ère Série, Portugal*, Tome 1, p. 268, n° I et V (index).

أحمد بوشرب

تاديغوست، واحة تقع بين الرشيدية وگلميمة. يخترقها واد غريس. حيث تمتد على ضفافه مجموعة من القصور تكون واحة تاديغوست. ومن أهم هذه القصور الحارة وأيت موجان. يقطن بقصور تاديغوست قبائل أيت مرغاد وعلى الخصوص فرع أيت عيسى إزم. ويعتمد سكان هذه الواحة على النشاط الزراعي حيث إن المساحات المزروعة في الواحة ضيقة، الأمر الذي يتطلب عناية الفلاح المستمرة بالأرض طيلة السنة. وإلى جانب الزراعة هناك حياة الترحال وراء الماشية. وقد كان النزاع حول المراعي سببا في ظهور نزاعات ظرفية بين أيت مرغاد وأيت عطا. ومن أشهرها معركة تيلوين على مقربة من تاديغوست..

ونظرا للاهمية الاستراتيجية لواحة "تاديغوست" في اتجاه گلميمة وفركلة وتدغة من جهة والرشيدية من جهة أخرى فقد كانت القيادة العسكرية الفرنسية تولي أهمية قصوى لاحتلالها خاصة وانها تأوي أهم زعماء المقاومة مثل زيد أسكونتي وغيره من أبطال أيت حمو الذين التجؤا إلى تاديغوست بعد احتلال تالسينت وبعد معارك تاردة التي دارت في غشت 1930 على مقربة من تاديغوست وانتهت بإلحاق الهزائم بالجيوش الاستعمارية (أنظر *تاردة*). وهكذا تم الاعداد بشكل دقيق لاحتلال واحة تاديغوست، على المستوى العسكري تم تجنيد قوات ضخمة مجهزة بأسلحة مختلفة.

وتم تحديد يوم 18 نونبر سنة 1913 للقيام بالهجوم بعد حشد هذه القوات في أماكنها.

وقد وجدت القوات الاستعمارية المغيرة مقاومة شديدة كبدت جيوش الاستعمار خسائر فادحة منها مقتل الكولونيل لونوار Colonel Lenoir، والحاق هزيمة بقواته. فاضطر قائد العمليات في الجنوب الشرقي الجنيرال جيرو Le Général Giraud إلى زيارة المنطقة وأصدر أوامره لمحاصرة المقاومين في منخفض تيفوناسين وقاد هذا الهجوم الأخير النقيب كوليس Capitaine Gaulis الذي يعرف المنطقة جيدا لاستقراره بقصر السوق كضابط للشؤون الأهلية وتمكن من تحقيق تقدم للقوات الاستعمارية المغيرة.

وقد سلك المقاومون أمام تدفق القوات الاستعمارية في طوابير لا تكاد تنتهي، سلكوا طريقة حرب العصابات ومباغتة القوات الاستعمارية. ولم يتمكن الغزاة من احتلال قصور تاديغوست إلا يوم 20 نونبر سنة 1931 بعد معارك ضارية وبعد احتلال المناطق المشرفة على الواحة مثل عرف تيمطروت الذي يطل على مضيق غريس الهام. وكان احتلال تاديغوست إيذانا باحتلال قصور غريس وفركلة وتدغة، فأصبحت المجابهة المسلحة وشيكة بين الجيوش الاستعمارية وقبائل أيت عطا والتي دارت رحاها في قلب جبل صغرو في فبراير مارس 1933.

وقد أقيم في تاديغوست مكتب للشؤون الأهلية لمراقبة تحركات قبائل أيت مرغاد وكان على رأسه الملازم پنفونتونيو Lieutenant Penfentenyo الذي اغتيل من طرف المقاومين لعلمهم بدوره، وسرعان ما عوض بالنقيب "جاك مونجو" Jacques Montjean ووضع لحراسة الحركة خمسة وخمسين من الجنود الفرسان إلى جانب جماعة أخرى من الاحتياطيين وهكذا لعب هذا الضابط دورا أساسيا في "تهدئة" المقاومة بتاديغوست إلا أنه لم يتمكن من إسكات نداء زايد اوسكونتي الذي أعلن الجهاد في جبل "بادو" خلال شهر غشت سنة 1933 والتحقت به جموع المقاومين من قصور تاديغوست التي دعت تقارير ضباط الشؤون الأهلية أنها استسلمت نهائيا.

Colonel Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs*, Paris, 1939 ; Colonel J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, T. I, Paris, 1981 ; Colonel M. Méraud, *Histoire des A.I.*, Tome 2, Paris, 1990.

عبد القادر بوراس

تَارْبَاعْتْ، أو الشركة بالربع، مثل تاخماست (الشركة بالخمس) صنف من أصناف التعاقد الزراعي التقليدي بالمغرب، يهم الأراضي المسقية حيث تغرس الخضر وأشجار الفواكه. وهي عقدة كتابية في الغالب يقدم بمقتضاها الرباع صناعته وخدمته مقابل ربع المحصول أو أكثر حسب ما تم عليه الاتفاق. وفي الحالة الأولى، يتسلم الرباع من صاحب الأرض هدية عبارة عن كسوة وقسط من الجواب. وبإمكان الربع أو يقيم مسكنا له بالبستان قصد حراسة الغلة.

عبد الجليل حليم

التارخني، مبارك بن علي بن إبراهيم المصمودي. وعائلته من أقدم العائلات المصمودية التي قدمت إلى فاس، وقد عرف بينهم بالعلم والصلاح. وأول قادم منهم هو مبارك بن علي ـ صاحب الترجمة ـ كان فقيها صالحا، عرف بزهده في الدنيا، لايتزيّى بزي الفقهاء ويلبس الصوف الخشن. أخذ في أول أمره عن شيوخ المصامدة ثم أخذ عن جماعة من شيوخ فاس كاليسيتني وعلي بن هارون وعبد الواحد الونشريسي. وكانت مجالس درسه بجامع الأندلس، واشتهر بتدريسه *لمختصر خليل*، أخذ عنه عدد كثير من علماء فاس مثل عبد الواحد الحميدي وأحمد المنجور وأبي المحاسن الفاسي وأحمد ابن القاضي...

توفي التارخني عن سن عالية بمدينة فاس سنة 980 / 72. 1573.

أ. المنجور، *فهرس*، 78 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 334 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، 10 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، 348، د. د. ع، كلية الآداب، الرباط 1992 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 46 ؛ م. الكتاني، *صلوة*، 3 : 290 ؛ ع. الكتاني، *زهر الأس*، 380.

حفيظة الدازي

تاردة، هضبة تنتهي بحافات تطل على وادي غريس وتقع بين الرشيدية وگلميمة، اشتهرت بمعارك ضارية ضد جيوش الاحتلال الفرنسي خلال شهري ربيع الأول - ربيع الثاني عام 1349 / غشت 1930 حقق خلالها المقاومون انتصارا ساحقا على الجيوش الاستعمارية، وبرز خلال هذه المعارك البطل زايد أسكونتى سابق الترجمة الذي تمكن بخصاله الحربية ومهارته القيادية من تنظيم قبائل أيت مرغاد وخاصة خمس أيت عيسى وقبائل أيت حمو، وكانت له مع الاستعمار الفرنسي عدة مجابهات في مختلف المناطق من أعالي نهر زيز وغريس وواحات تافيلالت.

ففي غشت سنة 1930 كان مكتب الشؤون الأهلية بقصر السوق (الرشيدية حاليا) يتتبع عن كتب تحريات قبائل أيت مرغاد وآيت حمو. وعندما علم أن هذه القبائل الرحل قد

تاردة
جانب من العتاد الحربي الفرنسي لإخماد مقاومة الأطلس الكبير

استقرت بهضبة تاردة استنفر كل الجنود الموجودين بحامية سيدي عبد الله قرب قصر السوق بالإضافة إلى بعض عملائه من المرتزقة. فالتحقت هذه الجيوش بهضبة تاردة وحاصروها نهارا. وفي الليل هاجموا بكل وحشية مخيم آيت حمو وأبادوا عددا كبيرا منهم فقام الذين نجوا بأعجوبة بإرسال "رقاص" إلى المقاوم زيد أسكونتى الذي كان آنذاك بالحارة على مقربة من تاديغوست.

وفي ظرف وجيز جدا تمكن أسكونتى من استنفار القبائل للجهاد لدرجة أن الجيوش الاستعمارية لم تتمكن من مغادرة تاردة التي ارتكبت فيها مذابح وحشية، وفوجئت بنحو أربعمائة من المقاومين يحاصرونها من كل جهة، وجرت معركة ضارية قتل خلالها الضابط قائد الغزاة من درجة "ليوطنان" وارتبك الجيش الاستعماري الذي عملت فيه أسلحة المجاهدين عملها، ولقيت الفلول المنهزمة في طريقها مددا من مجاهدي أيت مرغاد الذين كان أسكونتى قد استنفرهم، فطوقوهم في حوض "وين إيواليون" وتمت إبادة الطابور الفرنسي المغير بعد أن انتقلت المعركة من المجابهة المسلحة إلى العراك بالأيدي واستعمال السلاح الأبيض. فصدقت بذلك فراسة أسكونتى الذي كان قبل ليلة المعركة يجيب الذئاب العاوية في البرية بقوله : "اصبر أيوشن، هان أساوين إو اليون هان أسكا، وين إفليون أر وين إيواليوين أسكا تشبعت أكسوم" ومعناه : اصبر أيها الذئب ! اليوم يوم جدال وكلام ! وغدا يوم قتال بالسكاكين! ستشبع فيه من أكل اللحوم البشرية في وين إيواليون.

كانت خسائر الجيش الاستعماري في معركة تاردة فادحة بلغت حوالي ثمانين من القتلى الجنود، وثلاثة ضباط، إضافة إلى مئات الجرحى. ومازالت الجماهير الشعبية في واحات غريس وفركلة وزيز وتافيلالت تحتفظ بذكريات انتصارات تاردة وخاصة معركة منخفض وين إيواليون وتؤرخ بها كعام الفيل.

محمد المعزوزي وهاشم العلوي، الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1950 إلى 1935 : تحريات ميدانية.

J. Saulay, *Histoire des Goums Marocains*, Tome 1, Paris, 1981 ; *Rapport des Lieutenants Le Conte et de Hautecloque : Combat de Tarda 31 Août 1931* ; A. Bouras, *L'opinion*, 21 Mai 1987.

عبد القادر بوراس

تَارْدِيكْتْ الراحلة، اكتشف هذا الموقع الباحث لوكوانتر سنة 1930 الذي قام بدراسة جيولوجية له، ثم توالى عليه من بعد عدة باحثين كبيبيرسون عام 1961، وشوبير وفوري موري ولوكوانتر (سنة 1966) والسعيدي عام 1974 والهجراوي (عام 1985).

يقع على بعد بضع كيلو مترات شمال غرب مدينة تيفلت، وهو يمتاز بمنظر طبيعي جذاب وغير مألوف بالمنطقة (انظر الصورة رقم 1) وهو ناتج عن وسائل التعرية وخاصة ماء المطر الذي يجر معه الكثير من التربة المفتتة، ويمكننا أن نشبه المنظر بأعمدة طبيعية مستدقة الرأس مختلفة العلو مع انحداره تدريجيا، وذلك مما جعل بعض سكان المنطقة يطلقون عليها اسم "العروسة المسوخة".

وحسب بيبيرسون فان الطبقة الجيولوجية المحتوية على الأحجار الصلبة أعطت اثنتين وعشرين أداة تعود إلى أقدم حضارة معروفة بالمغرب ألا وهي حضارة الحصى المقسمة إلى أربع مراحل. واتخذ الموقع كنموذج للمرحلة الأولى (المرحلة القديمة). غيرأن وقوفنا على عين المكان في بداية الثمانينات، ومراجعة دراسة المستوى "الأركيولوجي" وكذا مختلف الأدوات المستخرجة منه والموجودة بالمتحف الأثري بالرباط أمور بينت لنا أن مختلف النحوت الظاهرة على هذه الأحجار ناتجة عن التصادم فيما بينها أثناء تنقلها. وهكذا فهذه الأحجار لا تمثل في أي حال من الأحوال أدوات صنعها أو استعملها الإنسان القديم. ورغم أن الموقع لم يعد يعتبر حاليا موقعا أركيولوجيا، فان أهميته تتجلى في الدور الذي لعبه في تاريخ دراسة فترة ما قبل التاريخ بالمغرب، لأنه اعتبر إلى زمن غير بعيد كنموذج لمرحلة من مراحل هذه الفترة القديمة.

نذكر بهذا الصدد أن مراحل حضارة الحصى التي رسمها بيبيرسون (1961) تمت إعادة النظر فيها مؤخرا (انظر حضارة الحصى حرف الحاء من *معلمة المغرب*).

P. Biberson, *Le paléolitique inférieur du Maroc atlantique*, Pub. Serv. Antiq. Maroc, t. 17, 1961 ; P. Biberson, G. Choubert; A. Faure-Muret et Lecointre, *Contribution à l'étude de la Pebble-culture du Maroc atlantique*, B. A. M., t. III, 1960, pp. 7 - 53 ; M.A., Elhajraoui, *Les industries préhistoriques de la région de la Mamora dans leur contexte géologique et paléopédologique*, thèse de 3ème cycle, Univ. Bordeaux I, 1985 ; G. Lecointre et G. Depepin, *Etudes géologiques dans la région paléozoïque comprise entre Rabat et Tiflet, Sehal et Belkacem, Notes et mem. Serv. des mines et géol.-Maroc*, n° 28 ; E.K., Saidi, *Etude géomorphologique de la région de Tiflet et des conditions morphostructurales et sédimentologiques de genèse de la formation de la Mamora*, thèse de 3ème cycle, Rabat, 1974.

عبد الجليل الهجراوي

تارشني، أبو عبد الله محمد بن تيفاوت اللمتوني. ذكره البكري باسم محمدالمعروف بتارشني (*المغرب*، 164) وابن أبي زرع بأبي عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشتا (*القرطاس*، 121) وابن خلدون بأبي عبيد الله بن تيفاوت المعروف بتاشرت (*العبر*، 6 : 242) وابن الخطيب بمحمد بن تيفات (*أعمال الأعمال*، 3 : 226) والناصري بأبي عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت (*الاستقصا*، 2 : 5). وقد اتفقت هذه المصادر مجتمعة على أنه من قبيلة لمتونة باستثناء ابن الخطيب الذي نسبه لقبيله لمطة.

وهو من بني ورتنطق من لمتونة أصحاب الزعامة في صنهاجة الرمال أي صنهاجة الجنوب التي تضم القبائل الرئيسية التالية : لمتونة، جدالة، لمطة، جزولة، تارگا مسوفة. وقد أوردت كتب التاريخ بعض أخبار أمراء صنهاجة من بني ورتنطق اللمتونيين في القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10 م) كيتولوتان بن تلاكاكين الذي عم نفوذه مناطق شاسعة من صحراء بلاد المغرب فكان عمله مسيرة ثلاثة أشهر في مثلها حسب رواية البعض (*القرطاس*، 121)، ودان له أكثر من عشرين ملكا من ملوك بلاد السودان الغربي وكانوا يؤدون له الجزية (*المغرب*، 159 ؛ *العبر*، 6 : 241). وقد توفي يتولوتان سنة 222 / 837 بعد أن دامت أيامه نحوا من ثمانين سنة فتوراثت سلالتُه الملكَ من بعده، منهم خلفه حفيده الأثير بن الفطر 222 / 837-900، ثم تميم بن الأثير 287 / 900-918 الذي ثار عليه الأشياخ وقتلوه فافترق أمر صنهاجة الرمال بعده مدة مائة وعشرين سنة أي إلى تاريخ 426 / 1035 وهي السنة التي تولى فيها أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتارشني زعامة صنهاجة.

كان تارشني من أهل الفضل والدين والحج والجهاد (*المغرب*، 164) اختاره صنهاجة للزعامة بعد تفرقتها ليقودها في حروبها ضد مملكة غانا. فمن المرجح أن تفرقة صنهاجة بعد تميم بن الأثير كانت لها علاقة وطيدة بالقوة والازدهار الذي عرفته مملكة غانا في القرن الرابع الهجري (10 م) (*Histoire de l'Afrique Noire*, 112) خاصة وأن فترات القوة بالنسبة لصنهاجة الجنوب كانت تصاحبها عمليات توسع عسكرية على حساب مناطق نفوذ الزنوج كما هو الحال في النصف الأول من القرن الثالث الهجري (9 م) على عهد يتولوتان، أما فترات ضعفها فيصاحبها رد فعل غانا وتوسعها في اتجاه الشمال بهدف الوصول إلى السيطرة على ملاحة أوليل الواقعة في مجالات جدالة القريبة من مواطن الزنوج أو ضمان استمرار السيطرة على مدن الحافة الجنوبية للصحراء وعلى رأسها مدينة أودغست.

لقد ذهب البعض إلى القول بأن سياسة صنهاجة تحت قيادة تارشني كانت تقضي بمواصلة الجهاد في الجنوب ومدافعة ممالك السودان والمحافظة على طرق التجارة الصحراوية بأية وسيلة لكن هذا الغرض لم يتحقق بسبب قصر مدة حكم زعيم هذاالحلف (*قيام دولة المرابطين*، 103) فقد قتل تارشني في حروبه ضد غانا بموضع يقال له قنغارة أو بغارة على مقربة من مدينة بانكلا بين أوتاتكلاتين التي يسكنها قبيل من صنهاجة يعرفون ببني وارث (*المغرب*، 164 ؛ *القرطاس*، 121). ولا نعرف مكان هذه المواضع في المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى لأن المصادر الجغرافية والتاريخية الإسلامية التي نستقي منها معلوماتنا عن بلاد السودان في العصر الوسيط اكتفت بالنقل عن البكري في غالب الأحيان دون إضافات تساعد على توطين الأماكن وضبط مواقعها. كما أن ما توصلت إليه التنقيبات الأثرية لا يساعد لحد الآن على معرفة مواقع جميع المدن والقرى التي ذكرها الجغرافيون ببلاد الصحراء وبلاد السودان على حد سواء. وعليه، فإنه من الصعوبة بمكان تحديد المنطقة التي وُجد بها موقع قنغارة أو تاتكلاتين على ضوء معارفنا الحالية.

حكم تارشني ثلاثة أعوام حسب أغلب الروايات (*القرطاس*، 121 ؛ *العبر*، 6 : 242 ؛ *الاستقصا*، 2 : 5) وفي رواية أخرى خمسة أعوام (*جامع تواريخ فاس*، من خلال قيام دولة المرابطين، 102). ومهما كان في ذلك من اختلاف فإن يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي تولى الزعامة بعد تارشني خرج من بلاد الصحراء لأداء فريضة الحج والتقى في طريق عودته بأبي عمران الفاسي في القيروان وطلب منه أن يعين له من تلامذته من يرافقه إلى الصحراء ليقيم أحكام الشريعة بها ويعلم صنهاجة أمور دينها. فدله أبو عمران على وجاج بن زلو اللمطي صاحب رباط أگلو ثم عين له الأخير عبد الله بن ياسين الجزولي الذي ابتدأت معه مرحلة جديدة من مراحل تاريخ صنهاجة الجنوب. فيكون لقاء يحيى بن إبراهيم بأبي عمران الفاسي قد تم قبل وفاة هذا الأخير سنة 430 / 1039 (*دور المرابطين*، 55) أما خروجه من الصحراء بغرض أداء فريضة الحج فكان سنة 429 / 1038 أي في نفس سنة توليته إثر استشهاد تارشني في حروبه ببلاد السودان الغربي.

أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1988 ؛ ل. ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، الرباط، 1934 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ ح. أحمد محمود، *قيام دولة المرابطين*، القاهرة، 1957 ؛ ع. دندش، *دور المرابطين في نشر الاسلام في غرب افريقيا*، بيروت، 1988.

J. Ki-Zerbo, *Histoire de l'Afrique Noire*, Paris, 1978.

حسن حافظي علوي

تَارگا، اسم مفرد، جمعُه "تيرگيو" أو "تيرگوين" يعني الساقية الكبيرة التي شقها الإنسان لجر المياه، وقد تطلق تارگا كذلك في بعض المناطق الصحراوية على الجداول الطبيعية التي لا تجري فيها المياه إلا عند نزول الأمطار. والكلمة منتشرة انتشاراً واسعاً في المجال الأمازيغي بمعناها الحقيقي وكأسماء أعلام جغرافية وبشرية.

فقد ذكر البكري أن بنواحي مسيلة بالجزائر : "مدينة للأُول خربة يقال لها بشليقة، فيها جدولان من ماء عذب جلبه الأُول إليها يقال لها تارقا نوودي (تارگا ـ ن ـ وودى)، تفسيره ساقية السمن...".

وقال صاحب *الاستبصار*، نقلا عن البكري : "ومن أراد الدخول من وادي درعة إلى بلاد السودان، غانة وغيرها، فيمشي من وادي درعة نحو خمسة مراحل إلى وادي ترجا (تارگا)، وهو في أول الصحراء ..."، ومعنى هذا أن ما يسمى اليوم.. الساقية الحمراء هو ترجمة حرفية لاسمها الأصلي "تارگا زگواغن...

والجدير بالذكر أن قرية تسمى "تارگا ـ ن ـ ءيزگواغن" توجد إلى اليوم قرب تافينگونت بعمالة تارودانت.

ويبدو أن التارگيين المعروفين بوسط الصحراء الكبرى، اكتسبوا اسمهم من اسم بلدهم الأصلي "تارگا" الذي في منطقة فزان بليبيا. وعن هؤلاء كتب عبد الوهاب بن منصور، ما يلي : "تارگة بجيم بدوي إحدى قبائل الملثمين بالصحراء، والنسبة إليها تارگي، جمع توارگة وتوارگ، والاسم الأخير حرفه تراجمة الشرق إلى طوارق..."

وإذا أثرنا موضوع "تارگا" كمؤسسة اجتماعية ذات أهمية قصوى في حياة الجماعات المستقرة في كثير من أرجاء شمال افريقيا، فان ذلك لا يمكن أن يكون إلا إشارة سريعة إلى موضوع هام وشاسع يبدو أنه لم يحظ بعد باهتمام خاص من قبل الباحثين في مجال التاريخ الاجتماعي بالمغرب. انه موضوع تاريخ الري بالمغرب، والذي تعتبر فيه "تارگا" كموجود ملموس وكمؤسسة اجتماعية بالغة الأهمية في حياة الجماعة، عنصرا حساسا يعكس بما يثير حوله من أحداث وعلى المدى الطويل، التاريخ العميق للجماعات المتساكنة في مجالات حيوية قد تكون صغيرة أو قطاعية أو واسعة.

وإذا علمنا أن لكل "تارگا" في المغرب نظاما مقننا، وتاريخا قد تكرسه وثائق شفوية أو مكتوبة، اتفاقية أو صراعية أو قضائية أو دراسات معاصرة... فإننا سندرك أن القيام بدراسة هذا الموضوع شيء ممكن. وإذا تم ذلك على أحسن ما يرام فسيكون لا محالة خطوة ثابتة في سبيل تعميق البحث التاريخي في بلادنا.

ع. بن منصور، *قبائل المغرب*، الجزء الأول، الرباط، 1968، ص. 330 ؛ ع. بنعبد الله، *معلمة المدن والقبائل*، ملحق 2، ص 125.

علي صدقي أزايكو

تَارگا، حصن قديم بقبيلة بني بوزرا شرقي تطوان على بعد نحو 95 كلم، ويذكره الإدريسي باسم (قصر تارگا)، وله مرسى كان رباط القبيلة البوزراتية. وهو أحد المراسي السبعة التي أصدر السلطان المولى عبد الله بن المولى إسماعيل ظهيرا بحراستها مؤرخا ب 8 شوال عام 1170، وهي كالتالي : 1 ـ مرسى قاع أسرس. 2 ـ مرسى ترغة. 3 ـ مرسى تيجيساس. 4 ـ مرسى تارگا. 5 ـ مرسى أمثار. 6 ـ مرسى تغسة. 7 ـ مرسى الجبهة. وتعتبر هذه المراسي كحزام أمني للشواطئ المتوسطية، ولعل أخطرها مرسى تارگا هذا الذي يسامت مدينة مالقة بالعدوة الأخرى، وترى جبال هذه الجهة بادية للعيان من هناك، فكانت سفنها الشراعية تهاجمها من حين لآخر منذ سقطت دولة الإسلام بالأندلس.

وهكذا ظل هذا المرسى ـ عبر عصور التاريخ ـ قلعة حصينة تحطمت أمامها أطماع العدو، وبعد تخريبها من الريكي الثالث أواخر القرن التاسع الهجري (15 م)، أصبح رباط خاصا لقبيلة بني بوزرة، تنتظم فيه العسة بالتناوب، حتى إذا ما ظهرت بوادر الخطر، تستنفر القبيلة باسمها فتقوم قومة رجل واحد ؛ وكانت توقد النيران على رؤوس الجبال كعلامة على النفير.

ومن هنا نرى السلطان المولى محمد بن عبد الله يولي اهتماما خاصا لهذا المرسى بالذات، فيصدر جملة ظهائر تنوه بأعماله الجهادية، وصموده في وجه العدو، منها :

ـ ظهير مؤرخ بـ 4 ذي الحجة عام 1171، يقول فيه : (حملته المجاهدون الأكرمون القبيلة البزراتية من قبيلة غمارة ـ عمرها الله ـ يعلم منه أننا عظمنا المرسى الكائنة بتركة ـ حرسها الله ـ واحترمناها واحترمنا أهلها، فهي معظمة محترمة إلى يوم القيامة، مراعاة لثغر الجهاد المقابل لأعداء الله الكافرين ..).

وفي سنة 1179 / 1765 زار السلطان محمد بن عبد الله هذه الربط الشاطئية، وتفقد أحوالها ؛ وكانت تحظى لديه باهتمام زائد، وبوجه خاص رباط تارگا هذا.

وظل هذا الرباط يؤدي مهمته الجهادية حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجري (19 م)، ولا تزال به آثار إلى اليوم، مثل : نوالة العسة، ومقبرة المجاهدين بقصبة سيدي يحيى أعراب، وبقايا قصر تارگا وبعض بنايات أخرى بجواره، لكن البناء العشوائي الذي أحدث هناك، أضاع كثيرا من هذه الآثار.

م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ س. أعراب، *ظهائر سلطانية*، مجلة *دعوة الحق* ؛ س. 13 ع 1، 1970، وع 268. 1988.

سعيد أعراب

تَارگُوگُو، حصن وميناء في موقع على بعد 32 كلم شمال مدينة أگادير على الطريق الساحلي الرابط بين مدينتي أگادير والصويرة.

ولعل أهمية هذا الموقع تعود إلى توفره على عاملين جغرافيين، أحدهما وجوده على مصب واد صغير يتصل بالبحر يدعى وادي أمسدناس وله إمكانيات رسو بعض

قوارب الصيد، والثاني وجوده تجاه مرتفع جبلي محصن، ولاشك أن مصب هذا الوادي كان عميقا ومؤهلا لاستقبال قوارب صيد الأسماك كما هو الشأن في مصايد أخرى تقليدية مجاورة مثل مصايد تاغزوت وتيكرت وتافضنا، قبل أن تغمره رواسب نهر أمسدناس في المواسم الممطرة.

ومن الناحية التاريخية، فأولى الإشارات المكتوبة حول تَـأرْكُـوكُـو، وردت ضمن الكتابات البرتغالية في القرن العاشر (16 م)، ويرتبط ذكرها بالمقاومة التي أبداها

تاركوكو
بقايا الحصن التاريخي شمال مدينة أگادير

السكان تجاه الاحتلال البرتغالي للشواطئ المغربية إبان نشوء الكاتب البرتغالي المجهول بعنوان : *سانتاكروز بأگادير ن ـ يغير*، وعن هذه المذكرات نقل في نفس القرن الكاتب البرتغالي فيغاني في كتاب سماه *تاريخ سانتاكروز*، وقد ترجمت المذكرات إلى الفرنسية من قبل سنيفال De Cénival وطبعت مع النص البرتغالي سنة 1934 وترجم النص إلى العربية مؤخرا، ومجمل الإشارات كانت تتحدث عن الغارات التي يشنها البرتغاليون انطلاقا من أگادير المحتلة على القرى الشاطئية المجاورة خلال سنوات 1514. 1516. 1517 وما بعدها، وقد تعرض ميناء تاركوكو من جراء هذه الغارات لعمليات الفتك بالسكان وأسر كثير من التجار ممن يتعاطون تجارة الأسلحة في السوق السوداء من القشتاليين والإيطاليين من جنوه.

والمعلومات التي نوردها هنا عن تاركوكو ـ الحصن والميناء اعتمدنا فيها على زيارة ميدانية للموقع.

1 ـ تاركوكو ـ الحصن : هذا الحصن يسمى اليوم (أگادير ن تاركوكو) وقد ساعد علو إحدى القمم التضاريسية إضافة إلى كونها محصنة طبيعيا بجرف عميق يحمي خلفيتها وتطل على البحر مباشرة أشبه بالقمة التي شيدت فيها قصبة أگادير، وهذه المميزات جعلت المجاهدين في العهد السعدي يستوطنونها بقصد الجهاد، ولذلك جهزوا هذا الحصن فشيدوا حوله سورا صخريا ما تزال بعض مدامكه ماثلة حتى الآن يتصدرها في أعلى مكان من الحصن برجان حجريان يشرفان على سيف البحر معدان لقصف المدافع كما بنوا بعض بيوت السكن، واستصلحوا بعض الكهوف لنفس الغاية. ويصادف الزائر مدى تعدد مخازن مياه الأمطار (النطفيات) المنتشرة في جميع أرجاء الحصن، كما توجد مخازن الأقوات في جهات متعددة منه.

ويتحدث بعض سكان القرى المجاورة أنهم كانوا يصادفون قطعا نقدية، غير أن الزائر إنما يصادف قطعا متناثرة لأنواع متعددة من الفخار في كل جهة. وإن صهاريج النطفيات ما تزال مستعدة لاستقبال مياه الأمطار وخزنها بعد قليل من الإصلاح. غير أن جميع مظاهر الحصن تدل قطعاً على أن السكنى فيه إنما كانت بقصد الجهاد وليس بقصد الاستقرار.

2 ـ تاركوكو ـ الميناء ـ لقد كان عمق مصب وادي أمسدناس مما أهل هذا الموقع اتخاذه من طرف البحارة كأحد مصايد السمك القديمة التقليدية، ومنذ بداية القرن العاشر (16 م) كانت تأتي إليه بعض السفن القشتالية والبرتغالية والانجليزية وتتعامل مع البحارة بواسطة القوارب الصغيرة. وبعد احتلال أگادير قام السعديون بتنشيط الموانئ المجاورة مثل ماسة جنوبا وتاركوكو وتافضنا شمالا وتشجيع التجارة المهربة تهدف إلى استيراد الأسلحة مقابل تصدير المواد الزراعية ومعادن النحاس والحديد والكبريت، وقد استفاد محمد الشيخ السعدي من نشاط التجارة الحرة لصالح عملية التسلح أثناء الصراع الدائر بينه وبين الأمير أحمد الأعرج، غير أن هذا النشاط تراجع عن هذه الموانئ ومن بينها ميناء تاركوكو بكيفية تدريجية ابتداء من جلاء البرتغال عن حصن أگادير سنة 1542 وغيرها من الشعور إلى معركة وادي المخازن عام 1578، نتيجة توجه الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور نحو إيجاد صناعة وطنية خاصة في مجال الأسلحة وكذلك صرف وجهة التجارة عن هذه الموانئ نحو تجارة القوافل. ومع أن ميناء أگادير استمر نشاطه التجاري إلى القرن الثاني عشر (18 م) حيث تأسس ميناء الصويرة فإن ميناء تاركوكو ربما انتهت مهمته قبل ذلك وبالخصوص نتيجة غمره برواسب نهر أمسدناس في القرنين الأخيرين مما أفقده أية أهمية بحرية. ولقد تحولت ملكية موقع الميناء المجاور، وهو صالح للتعزيب والحرث، إلى ملك القائد سعيد التكزريني من قواد حاحة في عهد الحماية (توفي عام 1953/1377) وبعد الاستقلال أصبح عزيبا للماشية من قبل المسمى بيجوان والمسمى بوتوغا إلى أن تحول الآن (1992) بالشراء إلى ملكية أحد الخواص في أيت أمر. أما حصن (أگادير ـ ن ـ تاركوكو) المطل على موقع الميناء فهو ضمن الأملاك المخزنية الغابوية ولا تظهر في موقعه إلا بعض الأطلال بها بمر الطريق على موضع الميناء.

أ. بوشارب، *عرض حول كتاب المؤرخ البرتغالي فيغاني*، نشر ضمن أعمال ندوة أگادير الكبرى، من منشورات كلية الآداب بأگادير سنة 1990 ص 88 ؛ ع. صدقي، *عرض مذكرات المؤرخ البرتغالي المجهول*، ضمن أعمال ندوة أگادير الكبرى، من منشورات كلية الآداب بأگادير، 1990 ص 109 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 1 : 40. 41 ؛ *تحريات ميدانية وروايات شفوية في عين المكان*.

Chronique de Santa Cruz du Cap de Gue ; J. Figanier, *Histoire de Santa Cruz do Cabo de Gue, Agadir, 1505 - 1541*, Lisbonne, 1945.

عمر أفا

تَارْكُونْتْ، موقعان داخلان ضمن قبيلة الخلط الهبطية، تابعان من الوجهة الإدارية لفرقة ثلاثاء الريسانة الشمالية. الأول منهما واقع يمين مجرى واد "گروين"، رافد واد المخازن. معروف اليوم بأولاد سلطان تركونت. والثاني يوجد مقابل الأول معروف بسيار تركونت، واقع يسار نفس الواد. والموقعان قريبان من مجرى واد المخازن وسوق ثلاثاء الريسانة.

خلال الوجود البرتغالي بأصيلا (1471 - 1550) كانت القرية من جملة القرى المهجورة من مواطنيها، إذ ظل موضعها خاليا طيلة تلك الفترة. واتخذ منها البرتغاليون آخر حدود ما دعي آنذاك بحوز أصيلا من جهة الجنوب. كما كان منها معبر الجيوش البرتغالي نحو حوز القصر الكبير، بعد عبور قنطرة وادي المخازن التي كانت بجهتها وبالقرب منها. ومن كدية تاركونت راقب حكام أصيلا جبل أهل سريف، خاصة قريتي الغرفة وبوجديان، وكذا استطلاع تحركات المغاربة بالسفح الغربي من جبل بني گرفط، لاسيما قريتي الصخرة وبوهاني. كما كانت قرية تاركونت إحدى محطات القافلة التجارية الفاسية تمر بها بعد خروجها من القصر الكبير لتتوجه نحو أصيلا وباقي الثغور الشمالية المحتلة.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، 55 ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 350.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 1 : 38 - 68 - 82 - 101 - 205 - 381 - 382 ; 2 : 127 - 167 - 253.

حسن الفگيگي

التاركونتي، أو التركونتي أبو بكر بن محمد بن إبراهيم ابن أبي بكر السوسي المسكالي التركنتي. فقيه صوفي من بين أهل سوس الذين انتقلوا إلى درعة، أوقف نفسه على خدمة زاوية تمگروت الناصرية.

تتلمذ على الشيخ محمد ابن ناصر وعلى ابنه أحمد الخليفة، وهو من أكابر تلامذتهما. وعلى الرغم من تحليته "بالامام العالم" و"المتفنن في العلوم"، فإنه لم يبلغ شأو علماء الناصريين أمثال أحمد الهشتوكي وعبد الكريم التدغي، ومحمد الحوات وعبد الملك التاجموعتي.

إلا أنه كان متفانيا في خدمة الناصريين ومحبتهم، كما يشهد على ذلك في أرجوزته الموسومة بـ *"مسرة الإخوان"* التي يستهلها بقوله :

بسم الإله الحسن الوهـــاب باري الورى مسبب الأسبـــاب

تزيد أبيات هذه الأرجوزة عن ثلاثمائة بيت، عدَّد فيها مناقب الناصريين وكراماتهم، وما يجب لهم من الحقوق، وذكر زواياهم وشيوخه بالتسلسل بدءا من أحمد ابن ناصر إلى آخر السلسلة، شيخا عن شيخ إلى الخليفة الراشدي الرابع. وتعتبر هذه القصيدة وعاء لتاريخ الناصريين حتى عهده. فقد نوه بسلوكهم الصوفي، وذكر زواياهم بدرعة ومختلف وظائف كل زاوية على حدة.

وكما نجهل تاريخ ولادته نجهل كذلك تاريخ وفاته، إذ لم تشر المصادر التي ترجمت له، إلى تاريخ وفاته.

أبو بكر التركنتي، *مسرة الإخوان* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. الحضيكي، *طبقات*.

أحمد عمالك

تازگيسْت، أو تارجيست = (بني عبد الرحمن). آخر قبائل الساحل الريفي من الناحية الجنوبية، وتمثل الحد الفاصل بين قبائل الساحل وبين قبائل جبال صنهاجة السراير.

ويظهر أن الاستقرار كان قديما يعود إلى ما قبل القرن التاسع (15 م) بناء على بعض الإشارات التاريخية الواردة في بعض الوثائق المحلية. وتعتبر القبيلة ذات أصل صنهاجي وهي احدى القبائل الصغرى التي أدرجها موليراس Mouliéras ضمن قبيلة زرقت خلال القرن التاسع عشر. تحدها من الشمال قبيلتا بني بوفراح وبني يطفت، ومن الغرب قبيلة زرقت، ومن الجنوب قبيلتا بني ورياغل وبني مزدوي.

تستوطن هذه القبيلة مجالا ضيقا ضمن وحدة قبائل الريف الأوسط، وأصبحت ممرا طبيعيا تسمح بربط قبائل الساحل بقبائل صنهاجة السرائر عبر ممر جبل تزمُّورنْ من الناحية الجنوبية. لكن الموارد الطبيعية في القبيلة متواضعة مما يفسر ضعف الكثافة السكانية داخلها وبالتالي ضعف التزايد السكاني.

يقع موضع القبيلة بين هضبة يتراوح ارتفاعها بين 910 م و1015 م وهي تتميز بكونها ضيقة ومتقطعة، تنحصر بين كتلتي أزغار إزْتُوطنْ (1565 م) وكتلة أورْسَانْ (1839 م). وبالرغم من الارتفاع والقرب من البحر فإنها تتلقى كميات مائية متواضعة إذ لا يتعدى معدل الأمطار خلال السنة 419 مم، وهذا ما يفسر جفاف مناخها.

أما تاريخيا فالقبيلة كانت تعرف باسم قبيلة "بني عبد الرحمن" انطلاقا من الإشارات الواردة في بعض الوثائق المدونة التي أمكن الوقوف عليها، ولم يظهر اسم تارجيست إلا بعد القرن الثاني عشر (18 م) عندما انتظمت جل وحدات القبيلة داخل المجال الجغرافي الذي تحتله الآن، ودليلنا على ذلك ما أمدتنا به الوثائق المحلية من معلومات تؤكد أن القبيلة كانت تسمى ببني عبد الرحمن حيث جاء في إحدى الوثائق ما يلي : "الحمد لله أشهد الفقيه الاجل القاضي الاعدل النائب في الاحكام الشرعية بقبيلة بني عبد الرحمن وبني بُنَصر وبني مزد وي عن قاضي الجماعة ... بثبوت الرسم أعلاه" (وثيقة خاصة بتاريخ 18 ذي القعدة 1119هـ). كما أكدت وثيقة أخرى تعود إلى سنة 1123 / 1711 نفس الاسم.

وانطلاقا من هذه الوثائق وغيرها تبين لنا أن أسرة بني عبد الرحمن المنحدرة من الولي الصالح أبي تميم بعد

استقرارها بالقبيلة لقيت ترحابا من العناصر البربرية الأصلية وأصبحت تشكل النواة الأولى للقبيلة وبذلك تسمت بقبيلة بني عبد الرحمان.

وإذا كانت المصادر قد حجبت عنا مثل هذه الأخبار، فإننا نجهل متى ظهر الاسم الجديد تارگيست، ربما يعود ذلك إلى توافد جماعات جديدة استطاعت فرض الاسم الجديد عوض اسم قبيلة بني عبد الرحمان، كما نجهل أيضا بداية تداول هذا الاسم في الوثائق المخزنية والمحلية.

ويظهر من خلال بعض الوثائق أن تداول اسم قبيلة تارگيست يعود إلى بداية القرن الثالث عشر (19 م) حسب ما يستخلص من الوثيقة التالية : "اشترى الحاج محمد بن الفقيه... من البائع له العربي بن سيدي عبد الجليل... نائبا عن نفسه وعن أخته وإخوانه كما هو في رسم الوكالة جميع ما جر لهم إرثا في جدتهم عيشة بنت محمد الشيخ الترجيستي في قبيلة بني عبد الرحمان الملقبة بترجيست" (وثيقة خاصة، بتاريخ أواخر ربيع الثاني عام 1247 هـ).

ومنذ الربع الأول من القرن الثالث عشر (19 م) بدأت تختفي قبيلة بني عبد الرحمان سواء في الوثائق اللاحقة أو في الوثائق المخزنية وحتى في المصادر الأجنبية حيث بدأ تداول اسم قبيلة تارگيست. وكانت قبيلة تارگيست تتكون خلال القرن التاسع عشر من أربع فرق رئيسية هي (حسب وثيقة خاصة) كالتالي :

- فرقة أولاد فارس وفرقة أولاد بن يعقوب وفرقة السماعلة وفرقة أولاد الشيخ. وكل فرقة من هذه الفرق تكونت من الأسر التالية :

- فرقة أولاد فارس : الحاج سي عبد السلام بن فارس - السيد محمد بن دحمان وأخوه محمد بن فارس - ولده أحمد وأخوهما فارس - عبد السلام بن الحاج دحمان والحاج أحمد ابن فارس - البشير بن محمد بن الحاج البشير.

- فرقة أولاد بن يعقوب : السيد عبد السلام بن عمر - محمد بن البشير السيد علي بن محمد بن عمر - أخته زينب - عمر بن محمد بن سي محمد - أحمد بن عمر بن طيب - أخوه عبد الرحمن - عبد السلام بن محمد - محمد بن عبد الرحيم بن عمر - الحاج بن دحمان - عمر التهامي بن مسعود - أحمد بن دحمان - ميموطة بن عمر - محمد بن البشير - محمد بن الحاج عبد الرحمان - محمد بن الحاج عمر بن دحمان - عمر بن محمد بن الحاج البشير - وعدد من أسماء الإناث.

- فرقة أولاد الشيخ : محمد بن محمد بن سي محمد - ولداه أحمد ومحمد - عبدالرحمان بن علي - أخوه أحمد بن علي - عبد السلام بن الحميد بن محمد - عمر بن محمد بن شريف - عمر بن سي محمد.

- فرقة أولاد السماعلة : عياد بن صفور - عبد الله بن زينب - فاطنة بنت محمد ناظر - فاطمة بنت عمر الخياري - عبد السلام بن عد وأخوه علي محمد بن أحمد بن سعيد - فاطنة بن عبد الله بن العايد - أخوه محمد - محمد بن سي محمد بن عمر - عبد الرحمان بن أحمد بن شعيب - أخوه محمد بن السيد عمر - أحمد بن عمر بن عبد الله - عبد السلام بن أحم - أخوه محمد بن محمد - محمد بن المعلم محمد ناظر - ولده عبد السلام.

غير أن هذه الفرقة اندرجت في جماعة أيت عيسى مع بداية القرن العشرين حسب ما يلاحظ من *الضابط الاحصائي* لسنة 1931 إذ أصبحت القبيلة تتكون من فرقة واحدة تسمى فرقة تارگيست وتتضمن الجماعات التالية :

جماعة شرفاء تَاوْرِيرْتْ - جماعة مراحلة
جماعة أجرملول - جماعة أيت عيسى
جماعة تاوريت - جماعة معلمين
جماعة أمسعديلة - جماعة أيت عزة

وبالمقارنة مع *الضابط الخليفي* لسنة 1953 لم يقع أي تغيير لهذه الجماعات. بينما اختفى اسم أيت عزة من الخرائط الحديثة.

وتنتشر القرى والمداشر عبر أراضي الهضبة التي تتعدد فيها الجداول المكونة لوادي جمورة ووادي تكرات. ونظرا لجفاف المنطقة فإن السكان يعتمدون بالدرجة الأولى على الرعي ثم على الفلاحة بالإضافة إلى النشاط التجاري المحلي الذي يتمثل في مجموعة من الأسواق الأسبوعية.

وبخصوص ساكنة قبيلة تارگيست فإننا لم نعثر على أي إحصاء ولو تخميني للقبيلة في القرن الماضي. وقد بلغ عدد السكان حسب إحصاء 1931 حوالي 1765 نسمة. وهذا يعني أن معدل النمو يعتبر من أضعف المعدلات المسجلة في قبائل الريف الأوسط خلال هذه السنة. إلا أن هذا النمو البطيئ لا يعود إلى ضعف التزايد الطبيعي بالقبيلة، وانما يعود إلى أهمية ظاهرة الهجرة التي نجدها تميز كل القبائل المجاورة بسبب قلة وتواضع الموارد الاقتصادية المحلية.

وثائق خاصة ؛ *خريطة تاينست*، مقياس 1/100000، الرباط 1972.

Intervencion y Fuerzas Jalifianas ; *Vademecum*, Ceuta, 1931; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu : Exploration du Rif*, 1ère partie, Paris, 1985.

عبد الرحمان الطيبي

تارْنت، أو تيرنت أو تيرنا أو غلي أملال أو شجرة الحبيلة ألفاظ أمازيغية وعربية تطلق على أنواع نباتية تنتمي إلى فصيلة الباذنجيات وجنس ڤيتانيا Withania الذي يشمل ثلاثة أنواع طبيعية بالمغرب وهي :

- ڤيتانيا فروتيسانس Withania frutescens : شجرة أو شجيرة ذات قشرة فلينية لونها أسمر يميل إلى الاصفرار. أوراقها معنقة لامعة قلبية الشكل أو مستديرة. أزهارها صفراء منفرة أو مجتمعة مثنى أو ثلاثى، وجريسية الشكل. ثمارها عنبية خضراء أو استثنائيا حمراء.

تعيش هذه الجنبة في الغابات المنفرجة والأحراج المصادفة في السهول والجبال غير العالية التي لا يتجاوز ارتفاعها 1400م، أي في الطابقين تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ.

أما من حيث متطلباتها البيئية فإنها تقطن عموما المناطق البيومناخية شبه الجافة واستثنائيا المناطق الجافة وشبه الرطبة، وفوق أتربة كلسية أو حامضة.

يصادف هذا النوع في جميع أنحاء المغرب الخاضع للظروف البيئية المذكورة أعلاه وفي جنوب شبه الجزيرة الايبيرية والمنطقة الغربية من الجزائر.

تعتبر تارنت من الأنواع الرعوية العامة لكنها تفسد الحليب عند الأبقار التي تتغذى من هذا النبات.

- ڤيتانيا أدبريساWithania adpressa يتميز هذا النوع الجنيبي بأوراقه المكسوة بزغب قطني شديد الكثافة حتى صار اخضرارها يميل إلى البياض، وبأزهاره الصغيرة، ويكونه لا يصادف إلا في المنطقة الصحراوية من المغرب حيث يقطن بين الصخور وعلى الأثربة الحصوية أو الطينية الموجودة في الوديان أو على السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصغير وصاغرو وجبل بانى، كما نراه يعيش في منطقة الساقية الحمراء، وفي الجهة الشرقية من الأطلس الكبير بين الريش والرشيدية وخنگ تودغا وفي تازروالت.

يحتوي هذا النوع على مواد سامة تجعله قليل الأهمية أو منعدم الأهمية من حيث الرعي.

- ڤيتانيا سومنيفيرا Withania somnifera يختلف هذا النوع عن السابقين بكونه عشبيا وبأوراقه الكبيرة التي تبلغ أو تتجاوز في طولها 8 سم، وبأزهاره الصغيرة.

يقطن هذا النوع الأراضي المهملة القريبة من الأماكن الحضرية حيث تكثر المواد النيتروجنية في التربة.

أما من حيث توزيعه البيوجغرافي فإن هذا النوع يعيش في جميع بلدان البحر المتوسط باستثناء فرنسا وإيطاليا، ويمتد حتى بلاد الهند شرقا، وجنوب إفريقيا جنوبا.

يعتبر هذا النوع عديم الأهمية من الجانب الرعوي لكونه يحتوي على مواد سامة ومنيمة تجعل الحيوانات تنفر منه، لكنه يستعمل كثيرا في التطبيب التقليدي والعصري.

أبحاث شخصية.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938

عبد المالك بنعبيد

التأريف، Le Cadastre بمعنى وضع الأُرَف (علامات ملموسة) لتحديد مشارات الملكية العقارية. ووضع الأُرَف أو ما يمثلها بهدف إظهار حدود الملكية نابع من أهمية الأرض ليس كعامل إنتاج فحسب، بل كمؤشر للمكانة الاجتماعية وكضمانة في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية كذلك. ومن ثم فقد عمل الإنسان على تملكها والاستفادة من الامتيازات التي يخولها له حق التملك. وسعياً وراء الاطمئنان على هذا الحق كانت الممتلكات العقارية تخضع لتحديد طبيعي مجسد بعلامات. وكان المالكون يثبتون هذا الحق بوثائق شرعية مثل الرسوم العدلية بالمغرب. وبالرغم من كون هذه الوثائق كانت تصف العقار مشيرة إلى مكان وجوده وإلى العقارات المجاورة له وإلى محتواه وطبيعة أرضه، فمعلوماتها لم تكن مدققة مما كان يقلل من مصداقيتها وقوة حجتها. يضاف إلى هذه الثغرات كونها لا تساير التحولات التي يعيشها العقار، ومن ثم فهي عاجزة عن تقديم صورة للبنيات العقارية ولتطورها.

ومع تطور الفلاحة وتوسع حركة البناء بالمدن وزيادة حركية المعاملات الاقتصادية وضرورة ضبط الضريبة الفلاحية، أصبح ضروريا توفير وثائق أكثر دقة، تواكب التحولات العقارية ومتطلبات العصر. وهذه الوثائق هي التي يصطلح على تسميتها "بالتأريف".

يتمُّ اللجوء إلى التأريف لسببين : قانوني - اجتماعي من جهة واقتصادي من جهة ثانية. ففيما يخص السبب الأول، يكون الهدف هو حماية الملك من كل ما قد يمسه من ترام واستلاء. وبصفة عامة لتجنب المشاكل مع كل من له أطماع. وقد يكون الهدف هو التظاهر بالملك كمؤشر على المكانة الاجتماعية. ويكون الهدف في الحالة الثانية هو الرفع من مصداقية الملك كرهن أو كمادة للبيع أو للتبادل عن طريق تأمين الاستثمارات والتصرف فيه في طمأنينة، وكذلك كقاعدة لتحصيل الضرائب وتطور النظام الزراعي.

وحسب مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية المغربية يعتبر التأريف كنظام لتمثيل رسمي وبطريقة بيانية ووصفية للعقارات داخل حيز مجالي معين.

والتأريف المغربي حديث لم تتم انطلاقة تحقيقه إلا في سنة 1913. ومنذ هذا التاريخ تطور مع تطور الظروف الاجتماعية والاقتصادية للبلاد. فإلى جانب التأريف القانوني أو نظام التحفيظ العقاري ظهر التأريف الوطني كأداة للدفع بتنمية الأرياف، وذلك بمقتضى الظهير بمثابة قانون رقم 1.73.163 بتاريخ 28 ربيع الثاني عام 1392 موافق 31/5/1973، ومرسوم التطبيق عدد 2.73.055 بتاريخ 2 جمادي الأولى عام 1393 موافق 4 يونيو 1973. ويمكن اعتباره كتأريف اقتصادي. وعلى غرار التأريف الفرنسي نجده يتشكل من ثلاث مصنفات - متضمنة لمعلومات حول الملكية العقارية - أساسية بالنسبة للجهازات والمصالح العمومية وحتى غير العمومية المكلفة بإعداد المجال واستغلاله، وهي :

- تصميم مشارتي (Plan Parcellaire).
- سجل مشارتي (Registre Parcellaire).
- وسجل تأريفي (Matrice Cadastrale).

وتجدر الإشارة إلى أن ظهور هذا التأريف تزامن وفترة انطلاقه أشغال الإعداد والإصلاح بمناطق الري الكبير. ومعلوم أن معرفة البنيات العقارية بل البنيات الزراعية كانت ضرورية، وهو ما كان التأريف القانوني عاجزاً عن توفيره. فطبيعة التحفيظ الطوعية تفسر تشتت الأرض المحفظة وعدم مسايرة المعطيات المتوفرة بالمجال للواقع.

ويتمثل موضوع التأريف الوطني في توفير معلومات حول الملكية العقارية بجميع أشكالها والمحافظة عليها. ومن ثَمَّ فهو يقدم بالنسبة لكل العقارات : الوضعية

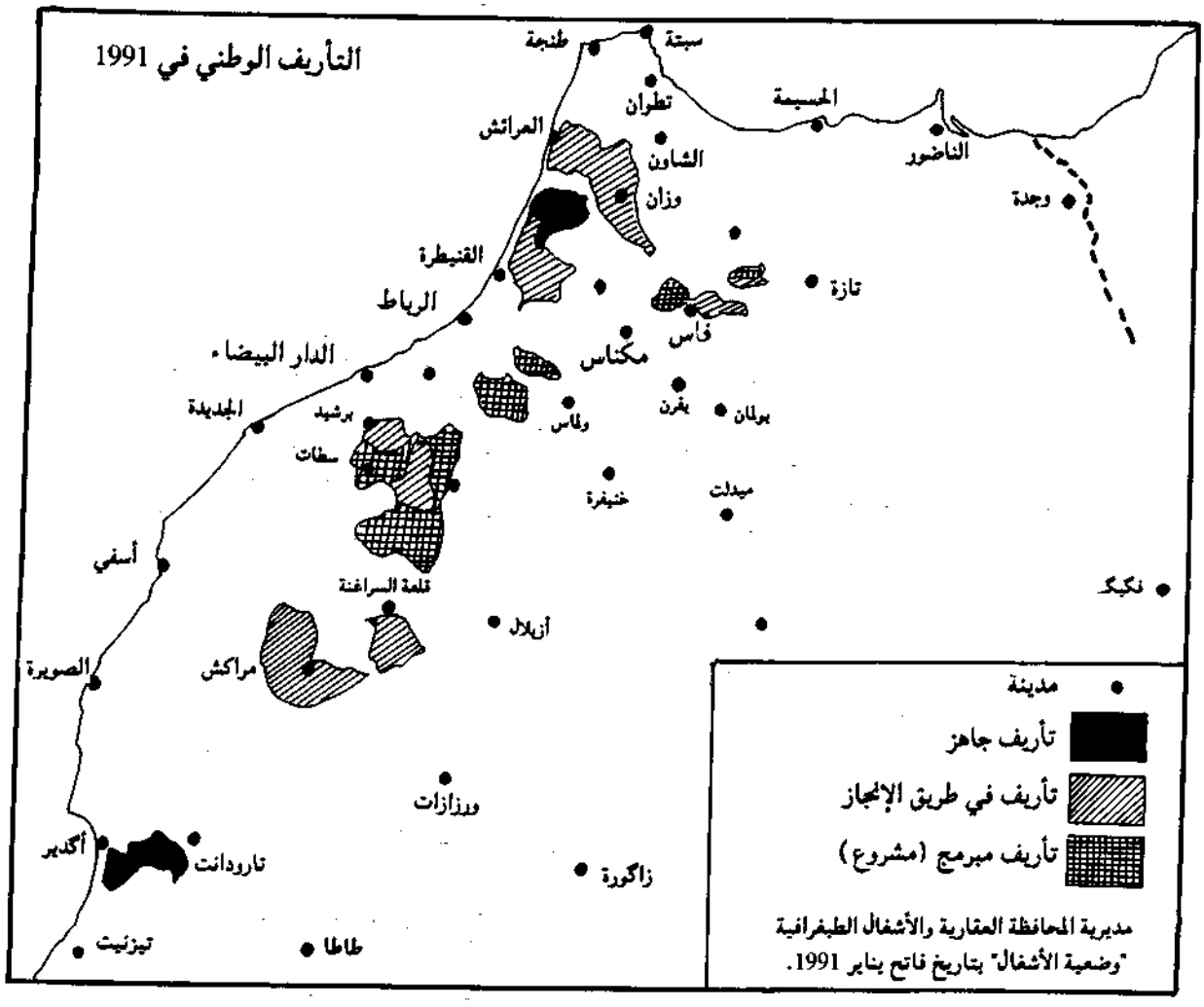

الطبيعية من حيث المحتوى، وطبيعة التربة، ونوع المزروعات، وتصميماً مشارتيا.

بالنسبة للعقارات غير المحفظة التي لم يصادق على تحديدها الإداري، فيقدّم حدودها ومساحتها وملاكها الظاهرين وذوي الحقوق العينية الظاهرين.

وتبقى اهداف التأريف الوطني متعددة، نذكر منها :

- تزويد البلاد بجرد كامل ودائم لكل الممتلكات العقارية.
- تشجيع وتسهيل إنجاز مشاريع التهيئة والتحسينات العقارية.
- توفير قاعدة إحصائية ضرورية لمعرفة البنيات العقارية.
- تشجيع الاستفادة من خدمات صندوق القرض الفلاحي عن طريق تعميم التحفيظ العقاري.
- السماح بقيام نظام ضريبي عقاري على أسس سليمة وعادلة.

ويتم إنجاز التأريف الوطني حسب المسطرة التالية :

- صدور قرار لوزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي بالجريدة الرسمية يحدد تاريخ بداية العمليات بالنسبة لكل جماعة معنية وذلك قبل هذه البداية بشهرين.
- وضع تصميم مشارتي، وسجل مشارتي وسجل تأريفي عند نهاية العمليات.
- عرض هذه المصنفات الثلاثة، بعد وضعها بمقر السلطة المحلية أو بمقر الجماعة القروية، للاطلاع عليها وإبداء الملاحظات حولها قبل أن ترجع إلى المكتب الطبغرافي للمحافظة عليها.

والملاحظ أن التأريف الوطني ينجز على مستوى الجماعات بخلاف التأريف القانوني الذي ينجز على مستوى المشارة أو المالك.

ضخامة مشروع التأريف الوطني : بين سنة 1970 (تاريخ إبرام اتفاقية مع شركة كندية لإنجاز 570.000 هـ بتمويل من الحكومة الكندية) وسنة 1973 تم إنجاز 92.000 هـ بسوس موزعة بين خمس جماعات قروية. وبعد التوقف الذي سجل بالفترة 1973 . 1980، تواصلت عمليات الإنجاز من جديد وارتفعت المساحة المؤرفة إلى حوالي 570.000 هـ في منتصف الثمانينات ثم إلى حوالي 1.500.000 هـ (1.510.864) في سنة 1991. وقد همت عمليات التأريف 59 جماعة قروية جديدة في إطار المشاريع المندمجة التالية : اللوكوس، القرية ـ تيسة، سطات، أُلماس ـ الرماني، أسفي،

وزان. ويلخص الجدول أسفله وضعية التأريف الوطني في سنة 1991 (انظر كذلك الشكل).

وضعية التأريف الوطني سنة 1991

اسم المشروع	الإقليم	عدد الجماعات	عدد الملكيات	المساحة بالهكتار	ملاحظات
شريحة 750.000 هـ	أكادير	5	24.624	89.310	انتهت كل العمليات
"	قلعة السرغنة	6	42.062	95.950	في طريق الانجاز
"	تطوان	7	77.388	104.300	في طريق الانجاز
"	مراكش	7	61.740	176.510	في طريق الانجاز
"	القنيطرة (الغرب)	10	49.075	244.120	انتهت العمليات بجماعة سوق الأربعاء فقط
اللوكوس	الشاون ـ وزان	2	114.494	60.664	في طريق الانجاز
سطات	سطات	8	101.314	193.050	في طريق الانجاز
سطات	سطات	11	-	339.690	إنجاز البحث التأريفي في الطريق
فاس ـ القرية ـ تيسة	فاس، تاونات، تيسة	3	43.436	59.620	في طريق الانجاز
فاس ـ القرية ـ تيسة	فاس، تاونات، تيسة	3	-	67.160	إنجاز البحث التأريفي في الطريق
أكلماس ـ الرماني	الخميسات	2	-	80.490	" " "
		64	-	1.510.864	

المصدر : مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية.
" وضعية الأشغال بتاريخ فاتح يناير 1991"

إذاً في ظرف ثلاث عشرة سنة أنجز ما مجموعه مليون ونصف المليون من الهكتارات بوتيرة سنوية للإنجاز تقدر بـ 116.220.3 هـ.

ومنذ منتصف الثمانينات تم الشروع في إعداد الدراسات بهدف إنجاز خمسة مشاريع مندمجة بأقاليم طنجة وتطوان وتازا وبرشيد وبنسلمان. وتهم هذه المشاريع 41 جماعة قروية ومساحة 1.150.000 هـ. لكن قد لا يتم إنجاز هذه المشاريع على المدى القصير لأسباب مالية وتقنية.

بعد مرور ما يقرب من ثمانين سنة على بداية التأريف المغربي، يلاحظ أن هدف توفير قاعدة للمعطيات حول الملكية العقارية والبنيات العقارية والزراعية تكون على المستوى الوطني وشاملة ومسايرة للتحولات الاجتماعية والاقتصادية ما زال بعيد التحقيق بالرغم من النتائج الإيجابية المسجلة في ميداني التحفيظ العقاري والتأريف الوطني. فخلال هذه المدة كنا دائما نلاحظ فارقا أحيانا كبيراً بين الطلبات (أو الحاجيات) والمنجزات.

ففيما يخص التحفيظ العقاري، عرفت فترة الحماية وتيرة أسرع للمنجزات بالمقارنة مع فترة ما بعد الاستقلال، فمتوسط المساحة المنجزة سنويا وصل إلى 48.000 هـ قبل سنة 1955 مقابل 11.765 هـ بعدها وذلك بالرغم من خلق ظروف مشجعة.

أما مجموع الأراضي المطالب بتحفيظها، فلا تمثل سوى نصف الأراضي الزراعية SAU المقدرة بحوالي ثمانية ملايين هكتار. وما تم تحفيظه برسم لا يمثل سوى أزيد من ربعها بقليل. يضاف إلى هذا أن كل ما خضع للتحفيظ لا يعرف مراجعة وتصحيحا متواصلين تمشيا مع التحولات الطارئة بعد وضع الرسم العقاري لأسباب لا تتعلق بمديرية المحافظة العقارية فقط.

أما فيما يخص التأريف الوطني، فيبقى ما حقق مهما باعتبار وقصر المدة الزمنية، لكن يبقى متواضعا بالنظر إلى طموح تغطية كل التراب الوطني. فماذا يمثل المليون والنصف مليون هكتار التي هي في طريق الإنجاز بالنسبة للملايين من الهكتارات الباقية ؟ وما هي أهمية 64 جماعة قروية معنية من بين 760 التي كان يقدمها تقسيم منتصف الثمانينات ؛ ومعلوم أن التقسيم قد تغير في اتجاه الزيادة في عدد الجماعات. وحتى بالنسبة للجماعات المعنية، فالعمليات لم تنته بعد بالنسبة لها كلها. وبالنسبة لتلك التي انتهت بها يجب السهر على مسايرة تسجيل التحولات.

أخيراً لا بد من الإشارة إلى ضرورة تحديد وتسجيل الأراضي الغابوية التي تغطي 4.75 ملايين من الهكتارات، وأراضي الرعي التي تغطي 21 مليون هكتار، وكذلك الأراضي بالمدن الصغرى والمتوسطة.

ويبدو أن أسباب هذا التقدم البطيء في إنجاز التأريف المغربي مرتبطة بظروف خاصة بالمصالح الطبوغرافية والمحافظة العقارية وأخرى خارجة عنها.

ففيما يخص الأسباب الأولى، يلاحظ أن مصلحة المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية ظلت مركزية لفترة طويلة، كما استأثرت بكل مستويات معالجة الملفات إلى مطلع الستينات بل إلى مطلع السبعينات دون إشراك القطاع الخاص. وإلى سنة 1983، عانت من نقص كبير في التمويل وكذلك في الأطر ووسائل العمل الميدانية والمخبرية. وهذا ما يفسر تعذر إنجاز الأعمال في آجالها وارتفاع الكلفة بالنسبة للتقديرات الأصلية.

وفيما يتعلق بالأسباب الخارجية تجب الإشارة ـ على سبيل المثال ـ إلى التعرضات التي تظهر أثناء إجراءات التحفيظ، وإلى عدم إقبال الفلاحين الصغار على تحفيظ أرضهم بسبب جهلهم لمزايا الإجراء أو لعجزهم عن تحمل المصاريف حتى وإن كانت منخفضة. كما لا يجب إغفال غياب المالكين أثناء إجراء الإشهار، وإتلاف الأعراف خلال المدة الفاصلة بين وضعها وعملية المسح. وأخيراً التأخر في التمويل من طرف الفرقاء الأجانب (خاصة فيما يخص التأريف الوطني) الذي ينجز في إطار المشاريع التنموية.

وأمام هذه المصاعب، ونظراً لأهمية التأريف (قانونيا كان أم اقتصاديا). بالنسبة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.. بفضل ما يوفره من معلومات توظف في إعداد المشاريع ومن أمن وشفافية في المعاملات بين الفرقاء الاقتصاديين، فقد أصبح الشغل الشاغل للمسؤولين بصفة عامة وبمديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية بصفة خاصة هو العمل على تحقيق ما يلي :

ـ امتصاص المتأخرات.

- تشجيع التحفيظ العقاري (في إطار التحفيظ الجماعي وضم الأراضي وتقديم التسهيلات على مستوى التحفيظ الطوعي).
- تحسين ظروف العمل بالمديرية والمصالح الجهوية التابعة لها وتحفيز الأطر والمستخدمين بها.
- فتح الباب أمام القطاع الخاص للمساهمة في إعداد الملفات.
- العمل على جعل المعطيات مسايرة للواقع.

مبارك بوشاوش، المصلحة الطبوغرافية في مسطرة التحفيظ والعمليات اللاحقة، مداخلة مرقونة (6 صفحات)، مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية، الرباط، يناير 1985 ؛ محمد ابن الحاج السلمي، التقييد الاحتياطي، الساحة والعقار، مجلة مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية (الرباط)، العدد 1، أكتوبر 1991، ص. 5-16 ؛ *محاضرات في التحفيظ العقاري*.

M. Bakkar, *Le cadastre marocain : Données actuelles et perspectives d'avenir*, Communication dactylographie (18 p + fig + Annexes). *"Premières journées nationales de Topographie"* organisées par l'Association Nationale des Ingénieurs Topographes à Rabat, les 13 et 14 février 1992 ; N. Bouderbala et M.R. Filali, *Code agraire marocain*, ORMVAG, Kénitra, 1991 ; N. Bouderbala, M. Chraïbi et P. Pascon, *La question agraire au Maroc*, Publication du B.E.S.M., Document n° triple 123 - 124 - 125, Rabat, 1974 ; M. Derrau, *Nouveau précis de géographie humaine*, Paris, 1969 ; J. Guerraoui, *Le cadastre du Maroc : Situation et perspectives*, Communication dactylographiée. Direction de la Conservation Foncière et des Travaux Topographiques, Rabat, 1986 ; M.A.R.A. (Direction de la vulgarisation), *Agriculture marocaine : Données essentielles*, Avril 1983 ; M.A.R.A. (D.C.F.T.T.), *L'immatriculation foncière en 300 questions-réponses*, D.C.F.T.T., 1990 ; M.A.R.A. (Service de la conservation de la propriété foncière et des hypothèques), *Recueil des textes relatifs au régime de l'immatriculation foncière*, Edition d'octobre 1985 ; M.A.R.A. (DCFTTT), Rabat, *Situation des Travaux au 1er janvier 1991* ; P. George, *Dictionnaire de la géographie*, Paris, 1970.

محمد كربوط

تَارِيلاَ، لفظ أمازيغي يطلق على نبات عشبي معمر بجذوره، يسمى بالعامية بيض الغول أو اللفاح البري وبالفرنسية Mandragore. أما الاسم العلمي فهو ماندراگورا أو طومناليس Mandragora autumnalis وهو يصنف من بين نباتات فصيلة الباذنجيات. وحقيقة الأمر أن لفظ "بيروح" يطلق على النبات ولفاح على ثمره.

إنه نبات عشبي ذو جذر غليظ يشبه في شكله جسم الإنسان وهو ما يعنيه الاسم العلمي للنبات. أوراقه كبيرة رمحية تظهر على سطح الأرض، بدون ساق، في الفترة الممتدة ما بين شتنبر ومارس. أزهاره بنفسجية ومحمولة على سويقات طويلة (5-15 سم)، تعطي ثمارا بيضوية الشكل صفراء أو حمراء.

ينتشر بيض الغول في المراعي والحقول الممتدة في المناطق الساحلية الأطلنتكية الشبه جافة وشبه الرطبة والرطبة من المغرب فوق أتربة طينية أو طينية - رملية. ويلاحظ بكثرة في المقابر وبجانب الطرقات لأنه يتطلب أتربة غنية بالمواد النيتروجينية.

أما خارج المغرب فهو يوجد في شمال افريقيا وأوروبا المتوسطية الغربية.

عرف بيض الغول منذ قديم الأزمان كنبات مهيج للشهوة. إضافة إلى هذا كان وما يزال يستعمل في التطبيب التقليدي والشعوذة، مما جعل العديد من المؤلفين يكتبون حوله. ولهذه الاستعمالات، تصادف جذور بيض الغول في جميع الأسواق الشعبية.

أبحاث خاصة.

P. Quésel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

تازا أو تازة : مدينة تقع وسط ممر يصل المغرب الشرقي بالمغرب الغربي، وتشكّل نقطة تحول بين ملوية الشبه جافة من ناحية الشرق ووادي إناون المنفرج نحو فاس من جهة الغرب والذي يمتد تجاه الحوض الأسفل لسايس، كما تعتبر منطقة ربط بين الأطلس المتوسط الشرقي الجنوبي ومقدمة الريف الشمالي.

تبعد مدينة تازا بـ 120 كلم عن فاس وبـ 233 كلم عن وجدة وبـ 165 كلم عن الحسيمة وبـ 200 كلم عن الناظور. ونظراً لموقعها المتميز وارتفاعها عن مستوى سطح البحر بـ 585 م فإن الوظيفة الأساسية التي كانت وراء نشأتها منذ القديم حتى الاحتلال الفرنسي وظيفة عسكرية بالدرجة الأولى.

استقر الإنسان بمنطقة تازا قديماً وقد دلت مؤشرات عديدة على ذلك، منها اللقى التي عثر عليها الضابط ل. ڤوانو L. Voinot وهي عبارة عن بقايا أوان فخارية ونقوش داخل مغارات وأدوات حديدية.. تعاقب على المنطقة عدة سلالات حاكمة، فقد شيد بها مكناسة وهم برابرة زناتيون (مكناسة تازا) وبعد مجيء المرابطين أحاطها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بسور عظيم. وفي عهد الموحدين جدد عبد المومن بن علي سورها وشيد بها الجامع الكبير الذي توجد به ثريا من أعظم الثريات بالمغرب صنعت في القرن السابع (13 م) تزن اثنين وثلاثين قنطاراً من النحاس "وكان العوام يعتقدون أن القرآن كله منقوش بجوانبها، لكن اتضح أن ما كتب بجوانبها أبيات من الشعر".

اتخذت المدينة اسم رباط تازا، وبضاحيتها كانت توجد زاوية الأستاذ الشهير ابن بري الرباطي (ت 730 / 1329) ومدرسته، ومازالت أطلالها ظاهرة حتى اليوم، وتسمى زاوية أمْلي.

وفي عهد المرينيين اتسع رباط تازا فأصبح مدينة عامرة بعد أن أسس بها السلطان أبو يعقوب يوسف قصراً بجوار الجامع الكبير، وشيد بها السلطان أبو الحسن المريني وابنه أبو عنان مدرسة علمية كبيرة جددها أخيراً السلطان محمد ابن عبد الله. وفي العهد الوطاسي كانت تازا عبارة عن مدينة تتوفر على ثلاث مدارس وعدة حمامات وأسواق متنوعة وبلغ عدد سكانها 20.000 نسمة. وكان السلطان المولى الرشيد أول من اهتم بالمدينة في العصر العلوي ومرد

ذلك إلى ما كانت تتمتع به الزاوية الدلائية من قوة ونفوذ حيث أصبح بوجودها المحور التجاري التقليدي (جلماسة فاس) حريزاً. أحدث المولى الرشيد بعض التغيرات بالمدينة حيث حول دارالمخزن (المشور) من جوار الجامع الكبير وبناه عند قدم البستيون في الجنوب الشرقي للمدينة.

كانت مدينة تازا في بداية القرن العشرين تنقسم إلى حيين حي في الشمال يحيط بالجامع الكبير ويدعى (موالين الجامع) وحي في الجنوب ويسمى (الفوقيين) نظراً لطابعه المرتفع. وقد تحكم في هذا التقسيم العنصر الطبغرافي الطبيعي. وتتوفر المدينة على تجهيزات عتيقة ومتعددة. فبالإضافة للجامع الكبير كان بها مسجدان آخران هما مسجد الأندلس ومسجد السوق، وبها خمس زوايا وتسعة عشر ضريحا في مقدمتهم ضريح سيدي عزوز، وثلاثة مدارس. وكسائر المدن العتيقة كان بالمدينة حارة لليهود تسمى الملاح ودار المخزن (المشور) ومصلى لأداء صلاة العيد. عرفت المدينة بعض التغييرات الجزئية على مستوى التجهيزات في حين ارتفع عدد الساكنة من 7.000 نسمة سنة 1937 إلى 13.000 نسمة سنة 1952 أي ما يشكل 591 نسمة في الهكتار الواحد. لكن رغم هذا الارتفاع الديمغرافي فإن كل الخدمات كانت متمركزة في المدينة الحديثة باستثناء مبنى البلدية ودار القاضي ومستشفى داربوا Darbois ابن رشد حالياً، بالإضافة إلى المدرسة الابتدائية الإسلامية، كما حلت بعض الدور السكنية محل التكنة العسكرية كودير Coudert. وبحكم الوظيفة العسكرية التي كانت تحظى بها المدينة فإن جل الساكنة في هذه الفترة عبارة عن جنود في صفوف الجيش الفرنسي أو متقاعدون، بالإضافة إلى معطوبي الحرب العالمية الثانية، مقابل عدد ضئيل من الصناع التقليديين والتجار والحرفيين وبعض الفلاحين.

وفي سنة 1919 أنشئت المدينة الحديثة من طرف الاستعمار الفرنسي في ظل سياسة الماريشال ليوطي الرامية إلى عزل الأهالي عن الجالية الأوروبية، كان الهدف من إنشاء المدينة الحديثة بالأساس مراقبة المدينة العتيقة، شيدت فوق أراض كانت في ملك الأوقاف على طراز غربي وبتصاميم حديثة تتوفر على كل شروط السكن الصحي والتجهيزات العصرية. وهكذا أصبحت مدينة تازا شطرين مدينة عتيقة مكتظة بالسكان، ومدينة حديثة مجهزة تقطنها أقلية أوروبية ذات امتيازات على حساب الأهالي.

عرفت مدينة تازا غداة الاستقلال إعادة توزيع سوسيواقتصادي، فأمام الاكتظاظ الذي عرفته المدينة العتيقة الناتج عن توافد المهاجرين القرويين وكباقي المدن

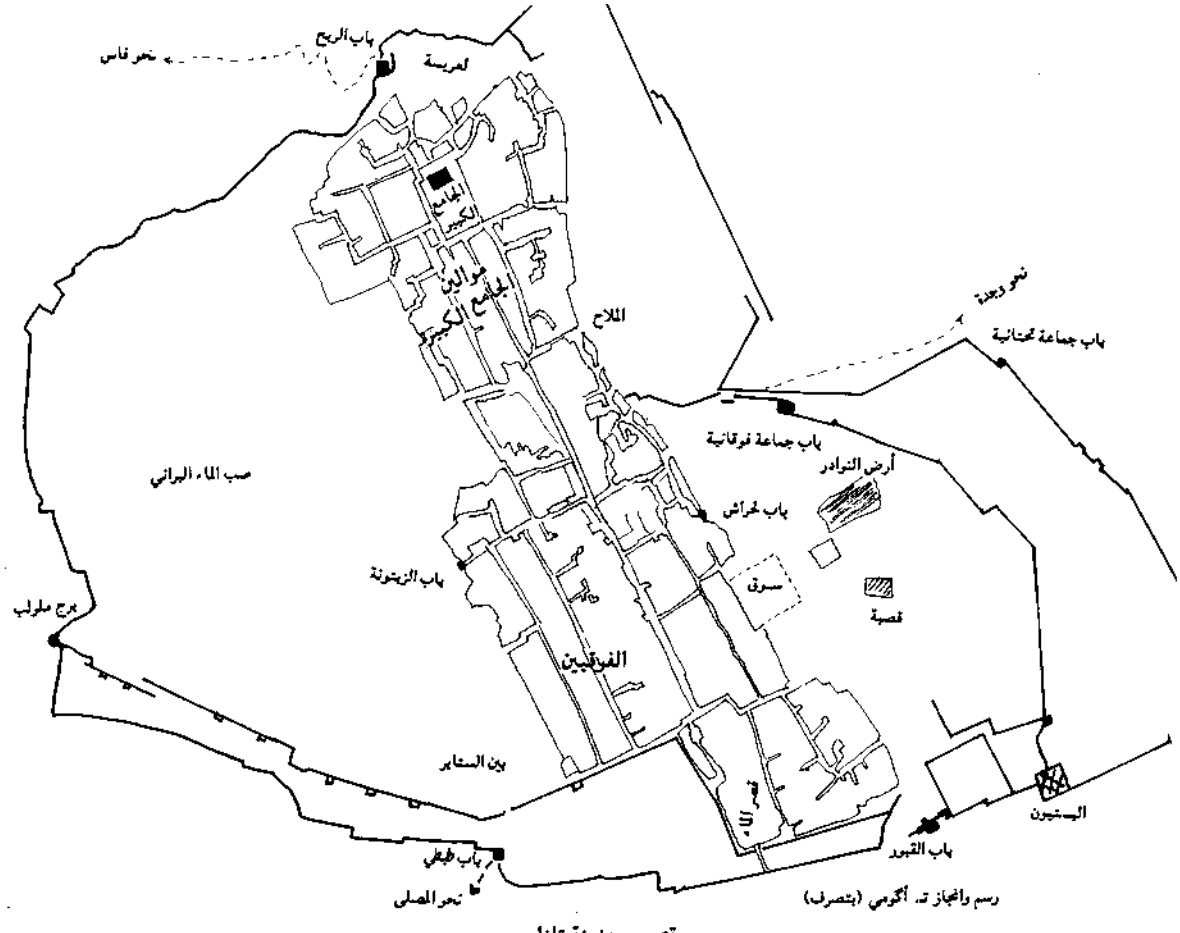

رسم وانجاز ت. أكومي (بتصرف)

تصميم مدينة تازا

المغربية العتيقة فقدت المدينة الطبقة البورجوازية التي غادرت أسوار تازا متجهة نحو المدينة الحديثة أو باب الزيتونة حيث الأحياء الراقية التي غادرها الأروبيون. وهكذا تمركزت عائلات ميسورة في حي درع اللوز أو حي بين الجرادي.

وأمام تزايد السكان المستمر وظهور أزمة السكن لجأت الجهات المختصة بالسكنى والتعمير في التصميمين الثلاثي 1957 و1959 والخماسي 1960 و1964 إلى إنشاء وحدات سكنية في حي المطار بلغت 330 شقة، كما شيدت عمارات في حي الكعدة. وأمام العجز التام لحل مشكل السكن ظهرت موجة جديدة من السكن الهامشي على شكل دواوير نذكر منها دوار الجبارين ـ دوار السي الطيب ـ دوار سيدي عيسى ـ دوار أولاد ونان. بلغ عدد سكان مدينة تازة 31.667 نسمة سنة 1960، وفي سنة 1971 وصل هذا العدد إلى 55.157 نسمة، ووصل إلى 82.176 نسمة سنة 1978 ليتجاوز هذا الرقم 98.000 نسمة في آخر إحصاء سنة 1982.

اليد العاملة النشيطة تتوزع على قطاعات مختلفة حيث قطاع الصناعة التقليدية الذي يحظى بالجزء الأكبر. تشغل بعض الصناعات العصرية الخفيفة 20٪ من الساكنة النشيطة بينما تستقطب الخدمات والفلاحة الباقي. ورغم توفر ضواحي المدينة على موارد معدنية مهمة فإنها لم تستطع أن تتحول إلى مدينة منجمية. ففي جبل الشيكر وركبة بونوح يوجد الرصاص والزنگ، كما يوجد الحديد في جبل بومسعود ودار الحداد.

وتبقى فرص الشغل بالنسبة للساكنة جد ضئيلة أمام عدم استغلال بعض الموارد الطبيعية التي تمتاز بها المنطقة.

ص. ابن العربي، *كتاب المغرب*، 94 ـ 96.

Atlas du Bassin du Sbou, Ministère de l'Agriculture et la Réforme Agraire, Rabat 1970 ; T. Agoumy, *La croissance de la ville de Taza et ses conséquences sur la disharmonie urbaine* ; J.F. Troin, *Essai méthodologique pour une étude des petites villes en milieu sous-développé*, Annales de Géographie N° 441, septembre - octobre 1971.

** إقليم تازا من أقدم أقاليم المملكة التي أنشئت عقب الاستقلال. فقد تم إحداثه بموجب الظهير الشريف رقم 1.59.351 الصادر في فاتح جمادى الثانية 1979، موافق 2 دجنبر 1959.

يمتاز الإقليم بمؤهلاته البشرية والطبيعية، نظراً لشساعة مساحته وتنوع تضاريسه ووفرة مياهه وغطائه النباتي وغنى ثرواته الحيوانية.

تبلغ مساحة الإقليم 15.020 كلم^2 تقطنها ساكنة بلغت حسب احصائيات سنة 1982 = 715.000 ن منهم 143.000 نسمة يسكنون الحواضر بينما 572.000 ن يشكلون ساكنة القرى.

سكان الاقليم	العدد
سكان المدن	143.000 ن
سكان القرى	572.000 ن
مجموع السكان	715.000 ن

حسب التقسيم الإداري القديم للإقليم كان عدد الدوائر ستاً والقيادات ست عشرة قيادة في حين وصل عدد الجماعات إلى تسعة وأربعين، منها أربع جماعات حضرية ومركزان مستقلان وثلاث وأربعون جماعة قروية.

وبناء على الظهير السالف الذكر وعلى القانون رقم 12.92 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.92.90 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 موافق 11 يونيو 1992 تمّت عملية تقسيم الإقليم إدارياً على النحو التالي :

الدوائر وعددها ست : وهي اكنول ـ جرسيف ـ تاهلة ـ تايناست ـ تازا ـ واداملیل ـ أما بالنسبة للقيادات فقد بلغ عددها إحدى عشرة قيادة ـ وهي أجدير ـ اكنول ـ تيزي وسلي ـ بركين ـ مزكيتام ـ تادارت ـ لمريجة ـ صاكا ـ أولاد ازباير ـ واد امليل ـ بني فراسن، في حين وصل عدد الجماعات إحدى عشرة ـ منها ست جماعات حضرية وهي تازا العليا (البلدية) ـ وتازا الجديدة (البلدية) ـ جرسيف (البلدية) ـ تاهلة (البلدية) ـ اكنول (البلدية) ـ واد امليل (البلدية) بينما الخمس جماعات المتبقية قروية وهي اكزناية الجنوبية ـ اجبارنة ـ بوحلو ـ بوشفاقة ـ غياتة الغربية.

التقسيم الإداري الجديد لإقليم تازا

الإقليم أو العمالة	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
تـازا			تازا العليا (البلدية) تازا الجديدة (البلدية) جرسيف (البلدية) تاهلة (البلدية) اكنول (البلدية) واد امليل (البلدية)
	اكنول	اجدير اكنول تيزي وسلي	اكزناية الجنوبية اجبارنة
	جرسيف	بركين مزكيتام تادرت لمريجة صاكا	
	تاهلة تيناست تازا		
	واد امليل	أولاد ازباير واد امليل بني فراسن	بوحلو بوشفاعة غياتة الغربية

وزارة التخطيط : *احصائيات السكان بالمغرب 1982* ؛ *الجريدة الرسمية*، عدد 2458 بتاريخ 4/2/59 ؛ وعدد 4165 بتاريخ 26/8/1992.

محمد بلعربي

تازا، قرية تقع بفرقة بني زرويل من قبيلة الاخماس بإقليم شفشاون، ومن أجلها سميت قرية أخرى قريبة منها باب تازا لأنها تكون شبه مدخل لها. وإلى قرية تازا تنتسب أسرة التازي الموجودة بشفشاون، وكذلك بعض الأسر التازية القاطنة بتطوان.

تازا، (باب ـ) قرية تقع بفرقة الخزانة من قبيلة الاخماس (إقليم شفشاون)، اشتهرت بكون سكانها أبلوا البلاء الحسن في الدفاع عن حوزة الوطن حيث قاوموا بشدة الغزو العسكري الإسباني لقبيلتهم من سنة 1920 إلى سنة 1927 لدرجة أن قيادة الجيش الاسباني اعتبرت احتلال القرية يوم 29 يونيو سنة 1927 انتصارا لم يسبق له مثيل، وهذا ما جعل المقيم العام الاسباني الجنرال سانخورخو Sanjurju يختار قرية باب تازا للإعلان عن نهاية "التهدئة" (Pacification) في جميع تراب منطقة الحماية الإسبانية بشمال المغرب وذلك بإصداره الأمر العام ليوم 10 يوليوز 1927.

ولم تمر سوى خمس سنوات على ذلك الإعلان حتى تمكن سكان قرية باب تازا باتفاق مع باقي سكان قبيلة الاخماس من القيام بمحاولة تنظيم ثورة ضد الحماية الإسبانية، وتمكنوا بالفعل من احتلال جزء من معسكر اللفيف الأجنبي المرابط هناك والاستيلاء على الأسلحة الموجودة به، وذلك في أواخر شهر ديسمبر عام 1932.

غير أن خيانة بعض العناصر جعلت الإدارة الإسبانية بشفشاون تطلع على ما كان يدبر لها، وتمكنت من القضاء على الثورة في مهدها حيث ألقي القبض على ما يزيد عن 500 من زعماء القبيلة.

ع. بنعبد الله، موسوعة، 79.

Vademecun 1942 ; Ghirelli, *Norte*, 103 ; *Nomenclator de Cabilas*, 1953 ; Martinez Campos, *España belica*, 347 ; Domenech, *Zona Norte*, 67 ; Cabello, *Geografia de Marruecos*, 183 ; T. Garcia Figueras, *Marruecos*.

محمد ابن عزوز حكيم

تَازَارْتْ نْ يِفِيسْ، تعني بالأمازيغية "تين الضبع" المعروف في بعض المناطق المغربية بفساس أو أفساس نظرا لقوة رائحته. وهو نوع نباتي ينتمي إلى فصيلة المركبات.

والاسم العلمي هو ڤاريونيا صاحاري Warionia saharae إنها شجرة أو شجيرة يبلغ علوها بضعة أمتار، متفرعة، ذات قشرة سمراء ومشققة على الجذع، وفاتحة اللون وملساء على الأغصان. أوراقها فاتحة الاخضرار وجد عطرة، متخالفة وشبه عنقية، مفصصة، وفصصها مسننة، سويقات أزهارها مورقة. رؤيساتها الزهرية كبيرة الحجم رذ يبلغ قطرها 4 أو5 سم. لون أزهارها فاقع الاصفرار.

يعيش الفساس بشكل منفرد على تربة صخرية كلسية أو سلتية، في مجال غابات أرگان وعلى سفوح جبال الأطلس الكبير والصغير وباني ووارگزيز، في البيومناخات شبه الجافة والجافة والصحراوية من الطابقين المتوسطي الدافيء وتحت المتوسطي، حيث يصادف في جل المناطق المغربية الموجودة ما بين أگادير غربا وفگيگ شرقا.

ينحصر التوزيع الجغرافي للفساس في المنطقة الغربية من شمال إفريقيا المتوسطية بالرغم من أنه ينتمي إلى أنواع نباتية مدارية الأصل. إنه يعتبر من الأنواع القديمة الخالفة عن نباتات العصر الثلاثي لشمال إفريقيا.

يستعمل هذا النوع في التطبيب التقليدي في حالات عديدة.

أبحاث شخصية.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938

عبد المالك بنعبيد

تازارين، مركز قروي ونهر في ورزازات. مفرده تازازت وهي شجرة التين بالأمازيغية. وحسب الرواية الشفوية فإن الموقع الحالي لمركز تازارين كان يتميز بينابيعه المائية المحاطة بشجرة التين حيث كان يخيم الرحل لفترات قصيرة من أجل رعي وسقي قطعانهم. يمتد المركز القروي إلى الشمال الشرقي من مدينة زاكورة عند قدم جبل صغرو، وقد تم اختياره كمقر لجماعة قروية تحمل نفس الاسم، وتنتشر في منخفض شبه مغلق يجرى فيه نهر تازارين الذي يشكل سهلا فيضيا يتميز بتربته الصالحة للزراعة. ويسود بالمنطقة مناخ صحراوي جاف يتميز بضعف المعدل السنوي للتهاطلات المطرية التي لا تتعدى 100 ملم وبارتفاع الدرجات الحرارية المسجلة صيفا والتي قد تصل خلال شهري يوليوز وغشت إلى 42 درجة.

وكنتيجة لضعف التساقطات يتسم النظام الهيدروغرافي بعدم انتظام الجريان وتركزه في الزمان والمكان إضافة إلى ضعف منسوب المياه. أما الغطاء النباتي فاضافة إلى هزالته تغلب عليه النباتات الشوكية المتكيفة مع المناخ القاحل ويشكل الطلح أهم هذه النباتات حيث ينتشر على مساحة تقدر بـ 820 هكتار.

ظلت منطقة تازارين لفترة طويلة من تاريخها مسرحا لصراعات متعددة بين القبائل المتساكنة، فقد استطاعت قبائل بني معقل في مرحلة أولى طرد مجموعات أيت عطا، لكن هذه الأخيرة ما لبثت أن استعادت سيطرتها على مجالها بمجرد ما تكونت الاتحادية العطاوية في القرن الماضي. والخليط البشري الحالي خير شاهد على هذا التعاقب في التعمير الذي عرفته المنطقة. فالتركيبة العرقية الحالية تتميز بتنوعها، فإلى جانب قبائل أيت عطا التي تشكل القسم الأكبر من ساكنة المنطقة نجد مجموعات بشرية تنتمي إلى فئات المرابطين والشرفاء والحراطين.

وقد عرف سكان جماعة تازارين نموا ديموغرافيا مطردا حيث ارتفع عدد السكان من 10.926 نسمة سنة 1971 إلى 14.412 نسمة سنة 1980، ويصنف إحصاء هذه السنة سكان الجماعة إلى صنفين : أقلية تعيش على الترحال الدائم لا يزيد عدد أعضائها على 130 نسمة. وأكثرية تعيش حياة شبه مستقرة إلى مستقرة ويستوطن قصورا صحراوية يبلغ

عددها 52 قصرا، موزعة مجاليا توزيعا مشتتا تتحكم فيه بالأساس الموارد المائية. ويزاول هذا الصنف الأخير البالغ عدده 14.282 نسمة حياة فلاحية في إطار واحات مجهرية.

واعتمادا على المياه السطحية والباطنية المستغلة بواسطة تقنيتي السواقي والآبار يتم استغلال 1.500 هكتار موزعة على أكثر من 20 واحة صغيرة. وعلى عكس الواحات الكبرى الممتدة على ضفاف نهر درعة تتميز واحات تازارين بمجهريتها من جهة وبتشتتها المجالي والغير المنتظم من جهة أخرى.

وتهيمن الملكية الخاصة التي تهم أكثر من 95٪ من المساحة الزراعية العامة متنوعة على التوالي بأراضي الجموع 4.5٪ وأراضي الأحباس 0.5٪. إضافة إلى ذلك يعرف توزيع الأراضي الزراعية توزيعا غير متساو حيث تتركز الملكية في أيدي فئة قليلة من السكان. وهكذا يستحوذ حوالي 4٪ من الملاكين على أكثر من 30٪ من المجال الزراعي.

يقوم سكان تازارين كذلك بتربية الماشية حيث يخصص جزء مهم من إنتاج الواحة لتغذية الأبقار (1.100 رأس) والأغنام من نوع الدمان، في حين تستغل قطعان الماعز وبعض أصناف الأغنام التي تتحمل مشاق الطرق الوعرة والتنقلات البعيدة (20.000 رأس) المراعي المجاورة أو البعيدة بقلب جبل صغرو.

اقتصاد الواحة، واحة تازارين نموذجا ؛ ندوة حوض درعة : *الإنسان والمجال*، المنظمة بأكادير أيام 12 . 14 نونبر 1992.

G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara*, 1936 ; A. Toufik Zainabi, *Vers une disparition rapide du nomadisme au Sud-Est marocain : Le cas du Dra Moyen*. In *le nomade, l'oasis et la ville*. URBAMA. Fascicule de recherche n° 20, pp. 49 - 61. 1989.

توفيق رشيد

تازاغين أو **تَزَغِينْ**، لفظ مستعمل في عدد من جهات الريف الشرقي، ويطلق على التربة الجافة بعد سقيها. من الفعل الأمزيغي "تزغ" ويحمل هذا الاسم في الوقت الراهن رافد واد سيدي صالح، الفاصل بين تمسمان وبني وليشك من الجهة الشرقية، يخترق أراضي القبيلة الأخيرة من منابعه بتاغروط بني يخلف. إلى أن يتصل بواد سيدي صالح عند مدشر تَليونْ، بعد عبوره بقرية إخْزُرُونْنْ.

أسس المدشر بالقسم الشمالي من الكدية المشرفة على نقطة بواد سيدي صالح شهد مخبر "موليراس" (Moulieras) بأهميته، إذ أنه تكون من مائة كانون، على خلاف الصورة المتواضعة التي يظهر بها اليوم. بعد أن اختفت معظم دوره. وهو داخل ضمن قبيلة بني وليشك، قرية بني يخلف واقع عند نقطة الحدود بينها وبين فرقة بني مرغنين التمسمانية.

وخلال القرن الماضي شكلت تزغين جماعة تابعة لفرقة إزعومن التابعة لقبيلة بني سعيد الريفية (أواسط شعبان عام 1309)، تجمعاتها موزعة على الضفة اليمنى من واد سيدي صالح، ما بين واد ترغين ومصب الأول في البحر المتوسط بجوار سيدي عمر أُمُوسى. من المداشر المندرجة بجماعتها: تزغين، وتليون وإخزرونن.

ويوجد مرسى تازاغين بالجون الصغير الذي يشكله مصب واد سيدي صالح. كان في مستهل القرن الرابع عشر الهجري (أواخر 19م) من مراسي بني سعيد المشتغلة بالتجارة والتهريب، إلى جانب مرسى سيدي احساين المقابل له من جهة الشرق. ومرسى سيدي إدريس الكائن بمصب واد تمسمان من جهة الغرب.

ويظهر أن التنافس اشتد بين قبائل بني سعيد وتمسمان وبني وليشك على أراضي جماعة تازاغين. ففي الوقت الذي كانت فيه الجماعة تابعة لفرقة إزْعُومَنْ السعيدية سنة 1883/1301. بدأ أمين فرقة بني مرغنين محمد بن عبد السلام التمسماني محاولاته لجلب أهل الجماعة إلى صفه (جمادى الأولى 1301) بينما اشتكى قائد بني وليشك الحاج العربي الوليشكي من عدم إشراف أراضي القبيلة على ساحل البحر (25 محرم 1303). وبالفعل فقد ضمت أراضي جماعة تزغين إلى فرقة بني مرغنين التمسمانية. أما مدشر تاراغين فقد أدخل ضمن فرقة بني يخلف الوليشكية، مما أدى إلى إضعاف أهميته.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ *كناويش خ. ح.* كناش 347 ؛ كناش 348 / 9 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 93 . 94.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1 : 130.

حسن الفگيگي

تازاگورتْ، أو تَزگورت حصن يقع في السفح الشمالي بجبل زاگورة على يمين الطريق القديم الذي كان يربط بين مدينة زاگورة الحالية ومنطقة تازارين عبر تيزي ن تافيلالت بترناتة. ويعرف هذا الحصن في المصادر المحلية بمدينة جبلين (*طليعة*، 5) أو بمدينة تازاگورت (*الرياحين*، 142) أما الوثائق اليهودية التي عثر عليها بدرعة، فتسمي الحصن بمدينة الحجر (*Manuscrits*, 45).

وقد تضاربت الروايات حول زمن بناء حصن تازاگورت، فالوثائق اليهودية السالفة الذكر، ترجع تاريخ بنائه إلى ما قبل الإسلام وهو تاريخ مبالغ فيه ولاشك، إذ تؤكد المعطيات التاريخية والأركيولوجية أن الحصن قد بني في زمن متأخر جدا عن الزمن الذي تحاول الوثائق اليهودية تحديده لبناء هذا الحصن، خاصة أن هناك مواضع أخرى تحمل اسم مدينة الحجر، كما هو الحال برباط الحجر شمال حصن تزاگورت بحوالي 14 كيلو متر، وقصر تَازْرُوتْ بالقرب من تامگروت بفزواطة.

أما المصادر المحلية، والتي يظهر أن أصحابها اعتمدوا على الوثائق اليهودية، قلم تبت في زمن بناء الحصن، وإنما تعزو بناءه للنصارى، خاصة الأميرة سيطة، والتي لا يزال اسمها المزعوم مطبوعاً على اسم قصر تينسطة إلى اليوم (*المزريوي*، 4).

إلا أن ربط اسم النصارى بعدة أطلال بدرعة كما هو الحال بأزْلاَگْ بترناتة، وجبل بن سلمان بأكناوة، وبحصن

تازاگورت له ما يؤكده في الواقع التاريخي، ذلك أن بعض سلاطين الدول التي تعاقبت على حكم المغرب، منذ عهد الموحدين إلى زمن السلطان مولاي إسماعيل العلوي، كانوا يعتمدون على مرتزقة أو أسرى مسيحيين لكبح ثورات القبائل بدرعة، ففي عام 565 / 1169 أرسل عبد المومن بن علي الكومي إلى درعة النصراني گرانده في ثلاثمائة من أصحابه (*أخبار المهدي*، 89) أما طوماس پيلو، الأسير الأنجليزي، فقد أرسله السلطان مولاي إسماعيل سنة 1724 على رأس فرقة من الأسرى المسيحيين إلى محاميد الغزلان لوضع حد لثورات القبائل بالمنطقة (*Relations*, 118 - 119) وقد كان هؤلاء النصارى ينزلون في مواقع استراتيجية لا تزال تعرف إلى اليوم بإغرم نيرومين أو قصبة النصارى (*Le Maroc inconnu*, 331). فهل يمكن القول بأن حصن تازاگورت قد بني أو جدد في مطلع القرن السادس (12 م) حين اضطرت الدولة المرابطية إلى تحصين عدد من المواقع لمواجهة حركة المهدي بن تومرت ؟

تؤكد نتائج أعمال الحفر التي قام بها جاك مونيي وشارل ألان سنتي 1952 و1954 ما يلي :

1 ـ أطلال حصن تازاگورت ترجع إلى عصور مختلفة وأن ما تبقى من هذه الأطلال يرجع بالتأكيد إلى العصور الإسلامية.

2 ـ أن بعض المواد المستعملة في أطلال حصن تازاگورت تشبه إلى حد كبير نفس المواد المستعملة في أطلال البصرة الإدريسية بشمال المغرب (*La Forteresse*, 322).

3 ـ أن التصميم العام لحصن تازاگورت يشبه تماما باقي القلع والحصون التي خلفها المرابطون.

وهكذا يمكن أن نستنتج في النهاية أن حصن تازاگورت يكون قد بني خلال القرن الثالث الهجري، يوم كانت المنطقة خاضعة لعلي بن أحمد بن إدريس الأصغر (*طليعة*، 2) وجدد بناؤه على عهد الدولة المرابطية.

الدور التاريخي لحصن تازاگورت : بني حصن تازاگورت على مساحة تقدر بحوالي عشرة هكتارات، ويحيط به سور خارجي يتراوح سمكه ما بين مترين ونصف وثلاثة أمتار، تتخلله بقايا أبراج في كل جهاته، وهو مبني بالصخور الصماء والجير. وقد أقيم هذا الحصن في المدخل الجنوبي لواحة ترناتة، مما يؤكد دوره التحكمي في الطريق التجاري القديم الذي كان يربط بين تافيلالت شرقا وتامدولت غربا (*La Forteresse*, 306).

بالرغم من ندرة المعلومات عن حصن تازاگورت، فإننا نستفيد من بعض الإشارات التاريخية أن غالبية سكان هذا الحصن من الكوشيين الخلاسين بالإضافة إلى طائفة كبرى من اليهود (*Manuscrits*, 40). ويظهر من إشارات البيذق الصنهاجي وابن القطان والوثائق اليهودية، أن تازاگورت تعرضت للتخريب والتهديم إبان الصراع على السلطة بين المرابطين والموحدين خلال العقد الثالث من القرن السادس (12 م) ذلك أن سكان تازاگورت أعلنوا معارضتهم للموحدين منذ أول وهلة ظهور ابن تومرت، الأمر الذي جعل هذا الأخير يقود بنفسه حملة عسكرية خاطفة على تازاگورت سنة 523 / 1128. وكانت تازاگورت يومها بلاسور على غرار القلع المرابطية، وقد استطاع المهدي السيطرة عليها بعدما دحر عامل المرابطين على المنطقة، فاسترق سكانها من الخلاسيين، وحولهم إلى عبيد للمخزن (*أخبار المهدي*، 38). ونستفيد من كلام البيذق، أن المرابطين، بمساعدة قبائل أيت يَيْغَزْ، استرجعوا تازاگورت وقتلوا عامل الموحدين بالحصن واسمه وامازير ابن حواء الهنتاتي، وليس من المستبعد أن يكون المرابطون سوروا المدينة بعد استرجاع نفوذهم عليها. وقد انشغل عبد المومن باسترجاع المرابطين لتازاگورت، فقرر سنة 527 / 1132 قيادة حملة قوية إلى وادي درعة، فاقتحم حصن تازاگورت وقتل عامل المرابطين يحيى بن مريم كما قتل حوالي عشرين ألفا من سكان الحصن (ابن القطان، 195) وإذا كانت المصادر العربية قد سكتت عن القتلى من يهود تازاگورت، فإن ابراهام بن عزرا، سجل لنا كيف سقطت مدينة درعة (تازاگورت) حيث عرض عبد المومن على يهود المدينة الإسلام أو القتل.

وتبعا لسياسة الموحدين في تهديم الأسوار التي أقامها المرابطون، يبدو، أن عبد المومن قد خرب أسوار حصن تازاگورت بعد أن قتل من قتل من سكانها وساق الأحياء منهم أسرى إلى تينملل (*Le Maroc Saharien*, 255) وتؤكد كل القرائن أن الحصن لم يعمر منذ ذلك الحين إلى اليوم.

عبد الكريم المزريوي، *مذكرة المزريوي*، مخطوط ؛ م. المكي الناصري، *الرياحين الوردية*، مخطوط خ. ع رقم 1864 د. *طليعة الدعة في تاريخ وادي درعة*، مخطوط ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، طبعة تطوان.

Dj. Jacques - Meunié, *Le Maroc Saharien : des origines au XVI s.*, Paris, 1982 ; J. Gattefossé, *Juifs et Chrétiens du Dra avant l'Islam*, *B.S.P.M.*, 1935 ; T. Pellow, *La relation de Thomas Pellow*, Trad. Magali Morsy, Paris, 1983 ; J. Meunié et Ch. Allain, *La Forteresse Almoravide de Zagora*, *Hesp.*, 33, 1956 ; N. Slousch, *Note sur l'histoire des Juifs du Maroc*, *A.M.* n° VI, 1905.

أحمد البوزيدي

تازُرت، قصبة تاريخية وجماعة قروية تابعة لدائرة أيت أُرير بإقليم مراكش، مساحتها 249 كلم^2 وسكانها 12.834 نسمة (1982) تتكون من فخذتين : أيت لاغ بالجبال الدنيا وأيت أوزغار بالجبال المتوسطة بالواجهة الشمالية للأطلس الكبير الأوسط، تشرف على الحوز الشرقي لكن أراضيها تنتهي عند انقطاع الجبل حيث يكون طريق الدير الثلاثي المعبد الرابط بين مراكش ـ سيدي رحال ـ دمنات حدها الشمالي. تتكون من أحواض تجري بها مسيلات ووديان موسمية أهمها وادلاغ وروافده يفصل بينها سحدبات وأعراف يتراوح ارتفاعها بين 800 . 1.200 م. تضم كل ما يعرف بأگلاوة الشمالية. يتوزع سكانها على ثمان وخمسين قرية صغيرة وكبيرة أهمها قصبة تازرت، وهي جزء

من قبيلة اگلاوة تسرب نفوذها وبعض سكانها إلى هنا خلال القرنين الأخيرين على حساب قبائل السفوح الشمالية الأصلية غجدامة شرقا وتكانة ومسفيوة غرباً، انطلاقا من حوض تلوات والوادي المالح بالسفوح الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير الأوسط. كما امتلك رؤساؤها مساحات شاسعة من أراضي الدير والحوز الشرقي على حساب قبيلة زمران.

البنية الاقتصادية : يمارس معظم سكان تازرت زراعة بورية مغلالة للحبوب بالأحواض والسفوح الضعيفة الانحدار. وزراعة مسقية للحبوب والقطنيات وبعض الخضر وأشجار الزيتون حيثما توفرت مياه السقي من العيون ومياه الفيض وبعض السواقي عند جريان المياه بالوديان الموسمية، إلا أن أهم نشاط يزاوله السكان هو تربية المواشي خاصة الأغنام والماعز التي تجد مراعي واسعة بالمجال الجبلي، وكذلك بالأراضي المستراحة بسهل الحوز الشرقي التي كانت في ملكية باشا مراكش السابق الحاج التهامي الاگلاوي وحاشيته، لكن صودر معظمها بعد الاستقلال وصاروا حاليا يزرعون فيها جزئيا أو يزرعونها بمقابل كراء يدفع لإدارة الأملاك المخزنية.

ويبدو أن مسلسل التحولات الاقتصادية والاجتماعية مازال يسير هنا ببطء لأن معظم المساجات الجبلية بالجماعة هي ملك حديث شخصي أو جماعي لقبيلة أگلاوة الشمالية لازال ملاكوها متشبثين بها قلما يبيعونها ويهاجرون، مما جعل نسبة التزايد السكاني مرتفعة نسبياً بهذا الوسط الفقير زراعيا 5,2٪ (1971 - 82) كما أن النفوذ السياسي الذي تمتعت به القبيلة في القرن الثالث عشر (19 م) وفي عهد الحماية في ظل الأسرة القيادية الاگلاوية القوية، وفقدته بعد الاستقلال مازال يؤثر على نفسية الكثير من السكان وعلى العلاقات الحالية للقبيلة مع جيرانها سواء بالجبل أو السهل، لهذا يفضل الكثير من السكان البقاء في قراهم ومتابعة ممارسة نمط إنتاجهم ومعيشتهم التقليدي.

أما مركز تازرت فهو عبارة عن قصبة تاريخية وقرية كبيرة بلغ سكانها 1.578 نسمة (1982) تقع على علو 717 م عند خط اتصال السفوح الشمالية للأطلس الكبير مع سهل الحوز الشرقي عند مدخل واد موسمي يعرف بواد تازرت (وتازرت : شجرة التين) توجد شرق مدينة مراكش على بعد 58 كلم. كانت في الأصل قرية صغيرة تتكون من منازل قليلة تنتشر على سفح بالضفة اليسرى للواد قرب عين غزيرة، عرفت توسعا كبيراً في النصف الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) عندما اتخذتها الأسرة القيادية الاگلاوية قصبة للمراقبة ومركز اتصال بين قبيلة اگلاوة الشمالية والحوز الشرقي وخاصة عندما شرع القايد المدني الاگلاوي في بناء قصبته الكبيرة (منزل محصن) سنة 1878 لإقامته المؤقتة ولخزن المنتجات الفلاحية والأسلحة... كما بنى خليفته قصبة أخرى لإقامته بالإضافة إلى ثلاث قصبات أخرى صغيرة لبعض الوجهاء من القبيلة، فتكاثرت حولها المنازل للأتباع والخدام وبعض الفلاحين الصغار. وجل هذه القصبات مخرب لانعدام الصيانة ولأنها مبنية بمواد هشة : التراب المدكوك والجير جزئياً، يقيم حاليا بجزء منها بعض القرويين من أبناء الخماسة القدامى وينتشر بينها منازل القرويين التي تتكاثف أحياناً أو تنفرج.

وتنتشر معظم المنازل بالضفة اليمنى المستوية نسبياً حيث توجه القصبتان الكبيرتان، وبالضفة اليسرى حيث كان يوجد ملاح لليهود تتسلق المنازل السفوح عالياً. ويكثر بضفتي الوادي بساتين الزيتون التي تمتد إلى حدود الطريق الثلاثي المعبد المتجه إلى مراكش، وفي النهاية الجنوبية العليا لهذا التجمع السكني يوجد دير لراهبات (10.5) كن يعالجن المرضى لكنهن الآن يعلمن بعض الفتيات الخياطة والحياكة.

ويتوفر المركز على بعض المنشآت الإدارية والاجتماعية: مستوصف، مدرسة، بريد، مركز فلاحي، مركز الجماعة القروية، مقاهي، سوق أسبوعي ينعقد يوم الاثنين تمتد بالهوامش الشمالية على طول الطريق الثلاثي المعبد، كما يتوفر على الماء الشروب وربط الشبكة الكهربائية الوطنية سنة 1992، ويقطع المركز زقاق رئيسي ينطلق من الطريق المعبّد مخترقا ساحة السوق الأسبوعي ثم يخرج من الجهة الأخرى موازيا الواد تنتشر حوله دكاكين تجارة وبعض المهن والخدمات عددها خمسون، لكن جلها مغلق لا يفتح أبوابه إلا في يوم السوق إن لم يكن فارغا لم يستغل بعد.

ورغم وجود حوالي خمسين موظفاً بالمركز وعدد من التجار والحرفيين فإن الطابع القروي الريفي مازال يطغى على المركز، وحركته العمرانية ضعيفة بهوامشه الجنوبية والشرقية منازل متباعدة بالتراب المدكوك غالباً بعضها مهجور وبعضها الآخر لم يكتمل بناؤه، تعود في معظمها لمهاجرين نحو المدن الكبرى.

بحث ميداني : معلومات من المرشد الزراعي، خريطة سيدي رحال 1 / 50.000 : بحوث طلبة السنة الرابعة الجغرافية بكلية الآداب - مراكش.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech.*

أحمد هوزالي

تازرة، مصطلح أمازيغي يطلق على القلادة Le collier التي تتزين بها النساء في الحفلات والمناسبات المختلفة. وهو مصطلح شائع لدى قبائل أيت واوزكيت بإقليم وارزازات وكذلك في موطن قبائل أگلاوة وفي واحات باني، إلا أن تازرّة التي تتزين بها نساء هذه المناطق شائعة الاستعمال في دادس وتُدغة وتافيلالت، بل إنها تستعمل كذلك في منطقة تنبكتو، وتحمل اسم : والاتا إديي Walta Idye وهذا راجع بالأساس إلى الظروف التاريخية لأن هذه المناطق كانت تمر بها تجارة العبور نحو تنبكتو وتادوني ومملكة صنغاي وهي طريق تسمى طريق الذهب والملح. فكانت هذه التجارة تربط بين عالمين يتعارفان إن على

المستوى الاقتصادي أو على مستوى تبادل المؤثرات. وتستعمل قلادة تازرة في البوادي والحواضر على السواء. وإلى هذا تذهب آن برطيليمي Anne Barthélemy أثناء تعريفها لتازرة في كتابها *تازرة Tazra* ص 15 بقولها : تعنى تازرة مختلف الاشكال والنمادج للقلادة التي تزين بها النساء أعناقهن ونحورهن في البوادي والحواضر المغربية على السواء. وهذه القلادة ترمز إلى الوحدة المغربية إذ تجمع الفن القروي والحضري في آن واحد. كما أنها ترمز إلى الاحتفال بسبب الأشكال والنماذج الزاهية التي تتكون منها القلادة.

وقد اشتهر المغرب بهذا النوع من الحلي منذ فترة ما قبل الإسلام كما تدل على ذلك مختلف الحفريات والنقوش التي عثر عليها. أما بعد الفتح الاسلامي فقد ذكر كل من البكري واليعقوبي أهمية صناعة الحلي في الحواضر والبوادي المغربية وذلك بفضل توفر مناجم الذهب والفضة في تازا وتامدولت وغيرهما من الأماكن. وعرفت هذه الصناعة ازدهارا بعد نزوح المورسكيين من الأندلس على امتداد القرنين التاسع والعاشر (15.16 م) وكانت الطائفة اليهودية تتعاطى هذه الصناعة بكثرة. ولقد كانت منطقة درعة من المناطق المشهورة بصناعة الحلي نظرا لاستقرار اليهود بها منذ أقدم العصور.

والملاحظ ان القلادة في الحواضر تركز على الذهب كمادة أساسية مكونة لمختلف أجزائها. أما تازرة في البوادي فتركز على الفضة والعاج. وقد قامت سلطات الاحتلال بمحاولة جادة لبعث الحلي في الجنوب في إطار ما يسمى بالحلي البربري *Les bijoux berbères*. فقام ريكار Ricard ببحوث ميدانية. كما كلفه العقيد شاردون Le Colonel Chardon قائد حامية إقليم ورزازات بتأسيس تعاونية للحرف التقليدية بورزازات سنة 1934. ولعب النقيب بالمجير Balmigère دورا في تنشيط التعاونية بعد تعيينه في زاگورة سنة 1935 فأسس مدرسة للحرف التقليدية بورزازات في 3 غشت 1937، أدخل إليها فتيات فقدن أسرهن بفعل وباء الطاعون الذي اجتاح المنطقة. وكان عددهن ستين فتاة. وتم تدريبهن على صناعة الزرابي ومختلف الحلي الفضية، وازدهرت صناعة إعادة إنتاج نماذج قلادات تازرة.

وتقوم النساء أحيانا بتركيب تازرة بعد الحصول على مختلف مكوناتها من عاج وفضة. بحيث تتكون تازرة من ثلاثة أجزاء أساسية (أنظر الصورة).

* الجزء الأول : يتكون من قطع من العاج L'ambre et le corail توضع بينهما عقود صغيرة من الفضة أو العاج.

* الجزء الثاني : يتكون من عقود صغيرة على شكل سلسلة حمراء أو صفراء أو خضراء من العاج (اللوبان) .

* الجزء الثالث : يتكون من العملات الفضية وهي حسنية (الحسن الأول) أو عزيزية (المولى عبد العزيز) ولا يتعدى عددها ستة وتفصل بينهما قطع فضية مختلفة الأشكال من صنع محلي وأحيانا عملات أجنبية.

وتتوسط هذه الأجزاء قطعة فضية أكبر تسمى "الحرز". وتكتسي تازرة أهمية معنوية إذ هي وسيلة للجاه

والتباهي. كما أنها عبارة عن رأسمال رمزي لدى النساء ولكن عند الحاجة يتحول إلى رأسمال مادي حقيقي حيث يمكن بيع تازرزة أو رهنها عند الحاجة. وحسب آن برطيليمي فقد بلغ ثمن تازرزة في ورزازات سنة 1945 حوالي 3500 ريالا أي ما يعادل 2250 فرنكا فرنسيا. ومع مرور الأيام تضاعف ثمنها نظرا لفقدان العملات الفضية المكونة لها وكذلك تدنّت الخبرة والتجربة في هذه الصناعة لغياب الاستمرارية وبتأثير الطابع التجاري والدعائي خاصة إقبال السواح على هذا النوع من الحلي، الشيء الذي أدى إلى فقدان الحلي الأصلية الجيدة وتعويضها بعقود وأساور وقلادات مشكوك في جودتها وأصالتها.

A. Barthélemy, *Tazra : Tapis et bijoux de Ouarzazate*,1990 ; J. Baldoui, *Artisanat marocain à la foire de Marrakech, Hesp.* XIX, p. 872 ; M. Guerard, *Contribution à l'étude de l'art de la broderie au Maroc, H. T.* IXI , 1969 ; J. Meunié, *Bijoux et bijoutiers du Sud Marocain, C.A.T.A.N.*, VI, 57 - 72, 1960 - 1962.

بوراس عبد القادر

تازرّارات، كلمة أمازيغية مفردة جمعها تيزرارين وهي عبارة عن أبيات شعرية رفيعة المستوى شكلا ومضمونا، يتوارثها الخلف عن السلف، ويضاف إليها من طرف المبدعين الممارسين لها حسب الزمن والمكان والمناسبة وتتناول جميع الأغراض.

يصدح بها المنشد بتلقائية وبصوت جد مرتفع يسمع على بعد أميال، فيتعرف عليها السامع من خلال وزن خاص بها، ونبرات صوتية تميزها عن ألوان أخرى.

لكل واحد أن يتغنى بتازرّارت وتشاركه الجماعة الموجودة معه غناء عَجُز البيت الشعري مضيفة كلمة (هيي) كنغمة صوتية وكدلالة على استحسانهم لها شكلا ومضمونا.

مجالات التغني والإنشاد بتازرّارات كثيرة أهمها :

1) يصدح بها الذكور رجالا وشبانا أثناء تتبعهم لرقصة أحواش الخاص بالإناث، وبالضبط عندما تكون الرقصة رائعة من حيث إيقاع البنادير والطبول ودقاق منتظمة للأكف والأرجل. إضافة إلى رنين الحلي المتدلي على صدورهن، والترديد الغنائي المنبعث من حناجير رقيقة متعددة ومتحدة، دون أن ننسى المضامين الشعرية الجيدة. حينذاك يطلقون العنان لحناجيرهم واحدا تلو الآخر كل واحد يبحث عن أحسن ما لديه من تيزرارين تساعدهم الجالسات من نسوة وفتيات بزغاريدهن.

2) ونفس الشيء بالنسبة للفتيات أثناء تتبعهن لرقصة أحواش الخاصة بالرجال وعندما تتعانق الليللة بهدير الطبول وإيقاع البنادير إضافة إلى مضامين شعرية هادفة، يصدحن بتيزرارين مساندة بصيحات منتظمة من طرف الرجال الجالسين رفعا لحرارة الرقصة واعجاب وتشجيعات الراقصين.

3) وبعيدا عن المرقص تصدح الفتيات بتيزرارين أثناء عودتهن من الحقول حاملات الحشائش للماشية على ظهورهن أو بواسطة الدواب، حيث يسمعن وهن على مشارف القرية تعبيرا عن فرحتهن بالطبيعة وخيراتها وإعلانا لأسرهن عن العودة إلى منازلهن كما يرددها الفتيان وراء موكب الزفاف (تامغرا) من بيت العدوس والفتيات أمامهم يرددن أغاني خاصة بتوديع رفيقتهن وهي تركب بغلة أمامها شاب من عائلتها.

4) كما ترد ودون انقطاع من طرف هذه الأسرة وتلك عند حصاد ما جادت به الحقول من زرع خاصة عندما يستعين أحدهم بسكان القرية.

و يتكررنفس الترديد اثناء جني ثمار اللوز وثمار أرگان.

5) وكنموذج لتازرارْت أورد هذا البيت وأحاول تعريبه.

- المردد : زايد ءايان ءينان لموحيبت ءوراتها والي.
- الجماعة : ءوراتها والي.
- المردد : ءاداس تيلي غ - تفرت ن - تورغي تاگي ءاكال.

الجماعة : تاگي ءاكال - هيي

تعريب :

- دعوت على من استهان بالحب وأهواله
- أن يكون غرامه عالقا في جناح جراد
- طائر لا يحط على الأرض.

محمد مستاوي

تازروالت، واد خصيب في بلاد سملالة بالأطلس الصغير تمرّ بالقرب منه الطريق الذاهبة من تيزنيت إلى تافراوت. وحملت البسائط المتصلة بهذا الوادي كلها اسم تازروالت، وأشهرها زاوية الشيخ أحمد بن موسى قطب سوس

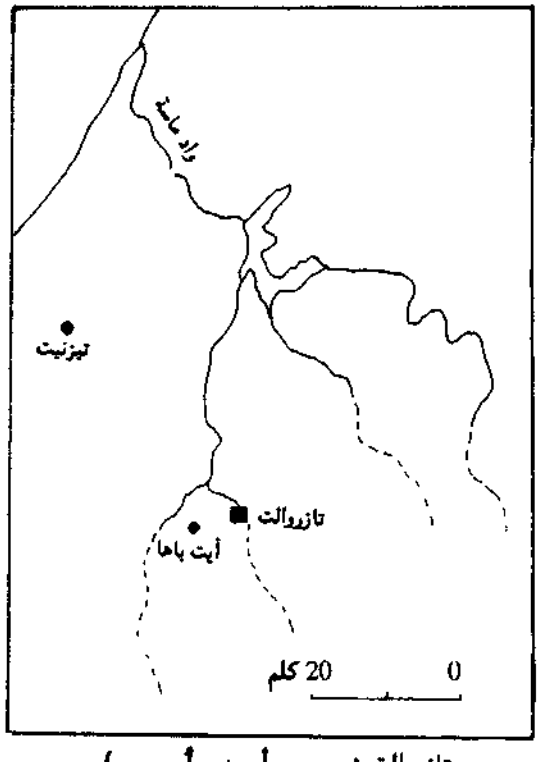

تازروالت (سيدي أحمد أوموسى)

الكبير المؤسسة في مستهل القرن العاشر (16م)، ومدينة إيليغ التي شيدها غربي الزاوية المذكورة في أوائل القرن الحادي عشر (17 م) أبو حسون بودميعة السملالي وجعلها قاعدة لإمارته التي بسطت نفوذها على الجنوب المغربي بعد انحلال دولة السعديين، وأراد أن يجعل منها مدينة تنافس حاضرتي مراكش وفاس. وبالرغم على خراب إيليغ في بداية عهد الدولة العلوية، فإن منطقة تازروالت لم تفقد أهميتها وسمعتها بسبب موقعها الاستراتيجي في الأطلس الصغير وإشعاع ضريح الشيخ أحمد بن موسى السملالي والدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي اضطلع به حفدة الأمير بودميعة طوال القرون الثلاثة الأخيرة.

م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 577 - 605.

محمد حجي

تَازْرُوتْ، أو تاصروت، وقد تكتب بالسين أيضاً تاسروت. اسم مواقع كثيرة بجبال الريف، أشهرها تازروت بني عروس في سفح جبل أُهاشم بعيدة عن ضريح الولي الشهير مولاي عبد السلام ابن مشيش ببضعة كيلومترات، وبها تقع الزاوية الكبرى للأشراف الريسونيين العلميين الذين برز منهم صلحاء وفضلاء ومجاهدون، وبها كثير من أضرحتهم ومزاراتهم يتخللها المسجد الجامع العتيق ومدرسة سكنى الطلبة، وبالقرب منها أطلال تدل على ما كان ثمة من عمران، وبالقرب من المسجد وضريح مؤسس الزاوية الشيخ الشهير المجاهد مَحمد ـ فتحاً ـ ابن علي ابن ريسون (ت. 1018 / 1609) يقوم القصر الكبير الذي كان مثوى الزعيم الثائر أحمد الريسوني الذي بسببه اشتهر اسم تازروت بين الأوربيين وخصوصاً في إسبانيا التي ذاقت الأمرين منها ومن رجالها وضحت في سبيل احتلالها والقضاء على ثورتها بكثير من أبنائها. ولا يمكنها أن تنسى الكورنيل كونصاليص طابلاس الذي سقط قتيلا في مدخلها في معركة احتلالها، فأقامت له إسبانيا تمثالا كبيرا بزيه العسكري نصبته في أهم شوارع مدينة سبتة تخليدا لذكراه، ومازال قائما إلى الآن، ولم ينس ألفونسو الثالث عشر ملك إسبانيا أن يزور هذا التمثال لتحيته في زيارته لسبتة.

وتازروت تعني الحجرة، وقد تحمل الأديب محمد ابن زاكور في كتابه *الاستشفاء من الألم، بذكرى صاحب العلم* في محاولته إيجاد أصل عربي للكلمة كما فعل في كثير من أسماء قرى ومجاشر قبيلة ابن عروس، ونقل كلامه سليمان الحوات في الروضة المقصودة وسلمه وهو بعيد عن الصواب إلا فيما هو عربي ظاهر.

ومما يذكر من تاريخ هذه القرية ورجالها ـ وهو مما اشتهرت به ـ أنها كانت منطلقا لجهاد البرتغاليين، فمنها خرج الشيخ مَحمد بن علي داعيا إلى جهادهم محرضا مرغبا معبئاً فاجتمع الناس من قبائل غمارة والهبط والخلط والغربية والجبال، ولبوا داعي الله لجهاد أعدائه في معركة وادي المخازن الكبرى، واعترافا للشيخ مَحمد بن علي ابن ريسون وأهله، وبلائهم الحسن في سبيل الله، ونصرة دينه ودحر عدوه، أقطع السلطان أحمد المنصور الذهبي أرض المعركة إقطاعا مؤبدا للشيخ وذريته وجعل ثلثها حبساً على زاوية تازروت لاطعام زوارها والفقراء والمساكين. ومازالت الأرض بيدهم إلى الآن وقفا على زاويتهم، وبيدهم ظهائر ومراسم سعدية وعلوية تذكر لهم هذا الحمد.

ولما علم السلطان المولى محمد بن عبد الله بمكانة هذه البلدة وزاويتها وكونها مثابة للعلماء والطلبة وازدهار تعليم العلوم الدينية بها، أمر بإجراء المياه إلى الجامع وبناء مساكن للطلبة، وتحبيس كتب معتبرة على الطلبة وأهل العلم من روادها، وحبس عدة أحباس يصرف ريعها على المدرسين بها، وهذا وإن كان قد اندثر معظمه الآن، إلا أن الوثائق ما زالت بيد نظار الزاوية ونقبائها وأشرافها شاهدة بذلك. وقد تتلمذ للشيخ مَحمد بن علي ريسون وانتفع به عدد لا يحصى من فطاحل العلماء والصالحين، منهم محمد العربي الفاسي. وظل مدد الزاوية بعده فكان من أشهر زوارها والمتخرجين منها سليمان الحوات وقاسم ابن ريسون ومحمد بن علي ابن ريسون، وغيرهم، وأشهرهم محمد بن عبد الصادق الريسوني الذي قربه السلطان سيدي محمد بن عبد الله وجعله أستاذ ولي عهده المولى سليمان. ولما بويع هذا الأخير جعله وزيراً له وأثنى عليه كثيراً في كتابه *عناية أولي المجد*.

والزائر لقرية تازروت اليوم يرى بعض آثار الخراب والتدمير مما خلفته الغارات الجوية التي شنها الإسبانيون عليها محاولين احتلالها، وقد امتحنت هذه القرية مرة أخرى لما اعتصم بها الزعيم الريسوني رافضا الاستسلام لخصمه الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي كان قد دعاه قبل ذلك للتعاون وتوحيد الجهود لمحاربة العدو المشترك، فأبى فأمر باقتحامها تحت قيادة شقيقه مَحمد، فسقطت في أيدي ثوار الريف، وجرت في ذلك خطوب ومآس انتهت بأسر الريسوني ـ وهو مريض لا يستطيع حراكا ـ وحمله إلى الريف حيث قضى نحبه بقرية تامَسنْتْ حيث قبره رحمه الله.

وقد حدثني شاهد عيانه أن كثيراً من نفائس مخطوطاتها وذخائرها الموقوفة على خزانة زاويتها الكبرى تبدد وضاع بسبب السرقة والنهب، وفيها ما أحرق، وقد شاهد بعض الجهلة يدفع ببعضها في الفرن لإنضاج الخبز والطعام، لانعدام الخشب والفحم بسبب الفتنة والحرب وانعدام الأمن. وقد مدح تازروت ورثاها كثير من الشعراء والعلماء مدفوعين باحترام المكان وتقديسه والاعتقاد في أوليائه على عادة المغاربة في ذلك، على أن لجمال المكان الطبيعي وجودة هوائه وعذوبة مائه يداً في ذلك لا تنكر.

م. ابن زاكور، *الاستشفاء من الألم*، مخطوط خاص ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، الجزء الأول ؛ أحمد بن الأمين الريسوني، *حقائق*

عن زاوية تازروت، مطبوع بتطوان ؛ علي الريسوني، *الذكرى الستونية لمعارك احتلال رباط تازروت*، طبع بتطوان ؛ *روايات شفوية*.

محمد بوخبزة

تَازْروت بني شيكار (جزيرة)، اسم معناه حجرة بني شيكار، وهي جزيرة صغيرة تقع بشاطئ قبيلة بني شيكار الموالي للبحر المتوسط غربي رأس ورك بناحية الكرت (إقليم الناظور). وتعرف عند الإسبان بجزيرة شارانيس Isla de Charranes.

Domenech, *Zona Norte*, 47 ; Cabello, *Geografia de Marruecos*, 81.

تازروت النّكور، ومعناها حجرة النكور وهي جزيرة صغيرة تقع بالقرب من جزيرة النكور السليبة بالخليج الذي يحمل نفس الاسم وتبعد عن شاطئ قبيلة بقيوة بنحو مائتي متر. وتعرف عند الإسبان بجزيرة البر Isla de Tiessa وكذلك باسم جزيرة القديس كارلوس Isla de San Carlos.

وهذه الجزيرة هي إحدى الجزر الثلاث التي عرفت في رحلة أنطونيو Itinerario de Antonino باسم Ad Sex Insulas ويزعم الإسبان أنهم استولوا عليها يوم احتلالهم لجزيرة النكور في 28 غشت سنة 1673.

Comission historica, 302 ; Domenech, *Zona Norte*, 48 ; Cabello, *Geografia de Marruecos*, 63.

التازروتي، اسم تحمله عدة أسر بتطوان، منهم شرفاء أجلهم من قرية تازروت بني عروس، ومنهم من لا ينتسب للشرف وأصلهم من أحد المداشر الأخرى التي تحمل أيضاً اسم تازروت وتقع بقبائل بني يدر وبني زكار وبني سلمان وبني سميح وبني گميل وبني عمارت وبني أوليشك وبني سعيد الريفية وبني سيدال وبني خالد.

م. داود، *مختصر*، 388 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

تَازَاوْتْ، جبل يقع بقبيلة بني زجل (إقليم شفشاون) علوه 1891 متر فوق سطح البحر، ويوجد به نوع خاص من شجر الأرز يعرف بأرز تازاوت. وقد اهتمت به الحكومة الإسبانية غاية الاهتمام حيث نجد الملك كارلوس الثالث يطلب من السلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يمكن جماعة من الإسبانيين من احتكار استغلال خشب هذا الجبل، فأصدر السلطان ظهيره المؤرخ في 7 ربيع الثاني عام 1204 / 25 ديسمبر 1789 بالموافقة، وفي اليوم التالي أخبر الوزير محمد ابن عثمان القنصل العام الإسباني بذلك.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 127، 369.

Domenech, *Zona Norte*, 28 ; *Vademecum Chauen*, 1942 ; Comision historica, 39 ; *Archivo Historico Nacional* - Madrid - Legajo Estado 4322.

محمد ابن عزوز حكيم

التازْغَدْري، أسرة عالمة تنتمي إلى قرية تازْغَدْرة الجبلية في بني زروال، أنجبت عبر القرون عدداً من الفقهاء والقضاة والمفتين. وإذا كانت لا تعرف لمعظمهم تراجم خاصة، فإن أحمد الونشريسي احتفظ في كتابه *المعيار* بفتاوى تدل على تمكنهم في فروع الفقه المالكي. ولعل الجد الأعلى لهؤلاء الفقهاء هو إسماعيل التازغدري، ويُذكر بعده منهم عبد الله، وعبد العزيز والد محمد التازغدري، أشهر أبناء هذه الأسرة. وحسب الإشارات الواردة في *المعيار* فإن أغلب الفقهاء التازغدريين عاشوا بفاس أو تازا، خلال القرن الثامن (14 م) والنصف الأول من القرن التاسع (15 م). إذ توفي آخرهم، وهو محمد بن عبد العزيز سنة 831 / 1427 قتيلا بمدينة فاس.

أ. الونشريسي، *المعيار*، في أجزاء مختلفة ؛ م. حجي، *ألف سنة*، 140، 145.

عمر بنميرة

التازْغَدْري، عبد السلام بن أحمد الأنصاري، تنتسب أسرته إلى الصحابي سعد بن عبادة. فقيه مفت متمكن من أصول المذهب وفروعه، ولاه السعديون قضاء قبيلة بني زروال بعد علي بن إسماعيل آتي الترجمة، وكانت له حظوة كبرى لدى الشرفاء.

توفي حوالي عام 1020 / 1611.

التازْغَدْري، عبد الواحد بن وليد الصديقي، من أسرة تنتمي إلى الخليفة أبي بكر الصديق، كان فقيهاً مشاركاً مرموق الجانب من قبل السعديين، وتولى القضاء بقبيلة بني زروال أيام زيدان بن أحمد المنصور.

توفي حوالي عام 1035 / 1625.

التازْغَدْري، علي بن إسماعيل الأنصاري، "من أكابر أهل العلم ومن رجال الدولة السعدية الذين قاموا بنصرتها وتأييد دعوتها مع الكلمة النافذة والجاه العريض" - بنو زروال، 68 -. عاش علي التازغدري في مسقط رأسه ينشر العلم والدين، وأسند إليه أحمد المنصور الذهبي خطة القضاء في بني زروال، وله معه مراسلات تدل على مكانته المكينة لديه.

توفي بعد عام 992 / 1584.

م. البشير الفاسي، *بنو زروال*، 11. 67. 68. 89. 90 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 482. 483.

محمد حجي

التازْغَدْري، أبو القاسم محمد بن عبد العزيز. من أسرة التازغدري النابهة التي اتخذت من مدينة فاس مقراً لها، وساهمت بشكل واضح في الحياة السياسية والاقتصادية لمغرب القرنين التاسع والعاشر (15. 16م) حيث ترد ببعض الحوالات الحبسية لفاس القرويين أسماء الأملاك المحبسة من قبل بعضهم. وقد برز أبو القاسم التازغدري كأحد المفكرين الذين لعبوا دوراً رئيسيا في تنشيط الحركة الثقافية المغربية خلال نهاية القرن الثامن والنصف الأول من

القرن التاسع (14 ـ 15 م). فقد وصفه تلميذه ابن غازي بقوله "الشيخ الفقيه المتقن العالم المحقق" (*فهرس*، 72). عاصر جملة من أشهر علماء فاس كالقاضي عبد الله الورياجلي، وعبد الرحمان الكاواني، وعبد الرحمن القرموني، وأحمد المزجلدي، ومحمد القوري. كما أخذ عن كبير علماء الوقت عيسى بن علال المصمودي. وأكثر ابن غازي من النقل عنه في *فهرسه التعلل برسوم الإسناد*، والونشريسي في *معياره* حيث أورد مجموعة من فتاويه حول مسائل مختلفة كالخلع والحجْر وصلاة النافلة والحبس وغيرها، كما سجل المناظرة الشهيرة التي وقعت بين التازغدري والفقيه الذائع الصيت العبدوسي في مسألة الجزاء والتي ناقشا فيها نازلة حول بيع الدور على شرط القلع وما يوجب الفسخ من ذلك (*المعيار*، 6 : 204 ـ 217). لا نعرف من إنتاج أبي القاسم في الميدان الفقهي إلا *تعليقه على شرح المدونة* لأبي الحسن الصُّغَير. لكن مشوار حياة مفتي فاس وخطيب جامعها الأعظم انتهى نهاية مأساوية إذ قتل غدرا سنة 832 هـ أو833 هـ. وقد أرجع كل الذين ترجموا له سبب قتله إلى كثرة مفاضلته بين الأنبياء.

م. ابن غازي، *فهرس التعلل برسوم الاسناد*، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 239 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1971، ج 3 : 281 ؛ م. حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 140 ؛ أ. بساب، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت. ص. 290 ـ 291 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ط. 1، الرباط، 1981، (أغلب أجزائه) ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، الرباط، 1986، ج 1 : 246.

M. Benchekroun, *La vie intellectuelle marocaine sous les Merinides et les Wattasides*, Rabat, 1974, p. 423.

رشيد السلامي

تازكا، كتلة من الأطلس المتوسط، تنفرد بموقعها وتضاريسها وصخارتها. فهي تمثل أقصى امتداد نحو الشمال لهذه الوحدة التضاريسية، حتى إنها تدخل في اتصال مباشر مع مقدمة الريف عند فج الطواهر. وهي تتشخص بشكل تضاريسها الكتلية المنفردة، عند مجال التقاء هضاب الأطلس المتوسط الغربي بجبال الأطلس المتوسط الشرقي، ويحيط بها منخفض شبه مستمر يفصلها عن التضاريس الأطلسية المعتادة. كما أنها تمثل أوسع بروز للقاعدة الصخرية القديمة وسط مجال أطلسي يمتاز بامتداد الطبقات الكلسية الجوراسية والليلسية.

كتلة تازكا جبل من الركيزة الأولية، يمتد جنوب غرب تازا، يرتفع إلى 1980 م ليشرف على الممر جنوب الريفي، وينحني محليا عند الطواهر حيث يستقر الممر المعروف عند ارتفاع 558 م بين المغربين الشرقي والغربي والمشهور بممر تازا.

وهي ناتجة عن طية عميقة ضخمة، محورها ج غ ـ ش ش، موازية لالتواءات الأطلس المتوسط الشرقي، تنتسب ـ بفعل استقرارها النسبي ونوعية الصخور الليلسية المحيطة بها ـ لهضاب الأطلس المتوسط الغربي. وتستقر الحدود بين الوحدتين عند الهامش الجنوب الغربي من تازكا، حيث يمر الحادث الأساسي الأطلسي.

تمتد سلسلة تازكا على مسافة 50 كم ش ج و20 كم ش غ، مشكِّلة حاجزاً واضحاً يتجزأ إلى أعراف وقمم شعاعية تنطلق من قمته الوسطى وتنحدر على شكل أراض وعرة مقطعة من طرف العديد من الشعاب المتعمقة بمئات الأمتار، أهمها واد الاكحل. وتتخذ المجاري اتجاهات متعددة هي كذلك، منحدرة نحو الحاشية الكلسية.

وتتكون الكتلة الجبلية من بروز ممتد للقاعدة القديمة، حيث تطفى الصخور الشستية : شيست رمادي من الحقبة الكامبرية السفلى، شيست وردي من الكامبري الأعلى تتخلله عروق من الكوارتز، حث وكوارتزيت من الأردوفيسي وشيست أسود من السيلوري. وترافق هذه الصخور الرسوبية والمتحولة القديمة ظهورات من الگرانيت والمكروگرانيت والصخور البركانية، تبرز عند الهامش الشرقي للسلسلة، وتعتبر آثار حركات اندساسية واندفاعية رافقت الضغوط الالتوائية الهرسينية.

ذلك أن الركيزة القديمة عرفت توالي حركات انضغاطية متعددة، تتجلى في طيات ذات الحجم الكبير، والتواءات عنيفة صغيرة أو مجهرية، آخرها المرحلة الفحمية والتي واكبتها انكسارات هامة واندساسات الكوارتز، واندفاع الصخور الباطنية.

لكن الكتلة الجبلية رهينة أساساً بالحركات الحديثة الأطلسية التي سمحت خلال الزمن الثالث بانتهاض السلسلة برمتها، لتبرز وسط الأغطية الرسوبية التي غلفتها وخاصة التراس الهش المكون من طين وبزلت متفسخ، والليلس الصلب المكون من كلس ودولومي. فالانتهاض الحديث تسبب في انطلاق عملية اقتلاع طبقات الغطاء من قمة تازكا، وتراجعها إلى الهوامش. ميل الطبقات في هذه الجوانب مسؤول عن الشكل الأحادي الميل الذي تتخذه هذه المجالات الهامشية، كما أن التوالي الصخاري لقاعدة ترياسية هشة وقمة صلبة يفسر استقرار منخفض عند مجال الاتصال تعلوه أجراف مشكلة في الكلس الليلسي. وانطلاق المجاري من مركز السلسلة إلى هوامشها يفسر التراجع الهام الذي عرفته طبقات الغطاء على طول هذه الأودية الموافقة للسيل والتي تتخذ شكل ثغرات واسعة في خط الاتصال وتزيد ضيقا في اتجاه الهامش الرسوبي. ومن أهم هذه الأودية الموافقة، الخوانق التي تتبعها طريق باب ازهار والتي كونت ممر الطفوحات البركانية الحديثة التي تنزل حتى الممر جنوب الريفي.

سلسلة تازكا حاجز أمام التيارات الريحية الغربية المحملة بالأمطار، وهو ما يفسر أهمية التهاطلات التي تحدث فوقها، والتي تنزل على شكل ثلوج في فصل الشتاء. ومقدار هذه التهاطلات 1452 مم في باب بويدير، 1200 مم عند قمة تازكا، 1043 مم في باب ازهار، 670 مم

في تازا و657 مم عند فج الطواهر. وتقل الحرارة من الشمال المنخفض إلى قمة السلسلة حيث تعتبر تازا ضمن المجال المعتدل، وباب ازهار من المجال البارد شتاء، وباب بويدير من المجال البارد جدا في فصل الشتاء. وتعرف المجالات الشمالية من السلسلة هبوب رياح قوية نتيجة القرب من ممر تازا، وتتردد بها الرياح الغربية شتاء والرياح الشرقية صيفاً.

السلسلة جد منغلقة بسبب موقعها الهامشي جنوب ممر تازا، وبسبب وعورة تضاريسها وعمق أوديتها. ويصلها طريقان، الأول من سفحها الشرقي، انطلاقا من تازا وعبر الهضاب الكلسية ومنخفض ضاية شيكر ومغارة فريواطو، والثاني من جانبها الغربي عبر خوانق باب ازهار. وقد تم ربط الطريقين بين باب ازهار وباب بويدير جنوب قمة تازا.

كما أن الثروة الغابوية للسلسلة، والمتمثلة في البلوط الفليني والصنوبر والأرز، تسببت في فتح عدد من الممرات الصعبة لاستغلال الخشب والفلين. وتمتد غابة الأرز على مساحة 500 هـ ابتداء من ارتفاع 1650 م مكونة إحدى الحدائق الوطنية المشهورة. لكن هذا لا يمنع من أن الكثير من المجالات تبقى صعبة المنال.

تسكن سلسلة تازكّا مجموعة من القبائل هي غياثة شمالا (قبيلة بربرية مستقرة تقوم بالنشاط الفلاحي) وبني وراين جنوبا وشرقا المشتغلين أساسا بالرعي المتنقل بين القمم والمجالات المنخفضة. وتمثل طريق باب ازهار - باب بويدير الحدود التقريبية الفاصلة بين مجال القبيلتين.

بوشتى الفلاح، *دراسة جيومرفولوجية لجزء من أخدود الجنوب الريفي*، د. د. ع. كلية الآداب، الرباط، 1986.

Ph. Morin, *Les ressources minérales du massif du Tazekka et de ses bordures, Mines et Géologie*, n° 10, p. 21 - 44 ; W. Van Leckwijck et H. Termier, *Observations géologiques sur la partie SW de la feuille Taza au 1 : 100.000 , C.R. Soc. Géol. France*, n° 6, p. 86 - 87, 1938.

عبد الله العوينة

تازگاغت، ومعناها الحمراء بلغة إزناگن (صنهاجة). وهو ما يؤكده ابن سعيد والإدريسي خلال القرن السادس (12 م) حين يشيران إلى أن التسمية تطلق على ما يترجم حالياً بالساقية الحمراء. أما أبوعبيد الله البكري فقد اكتفى من جهته بوادي تارگا جاعلا بذلك من تارگا تازگاغت الترجمة الكاملة لصيغة الساقية الحمراء. ويمكن أيضا أن نلاحظ بأن ياقوت الحموي قد استند إلى مجمل المصادر العربية لتأكيد التسمية شأنه في ذلك شأن كتاب *الاستبصار*. إن الاهتمام بتارگا تازگاغت هو هنا اهتمام خاص يتميز عن أي اهتمام بغيرها من أودية الصحراء بما تجتمع فيها من خصوصيات تداخل رحل الشمال والجنوب. فإذا كانت الاهتمامات بأودية الصحراء إنما يبررها عادة البحث عن سند للذات المحلية في تنقلاتها وفي تطور الأحداث، فإن أبرز ظاهرة تميز تارگا تازگاغت هو حجم حركية المد البشري والدفع المحلي إلى ملكة الحوار بين فصائل الغور السكاني الأسبق والفصائل البشرية اللاحقة أمازيغية كانت أم حسانية.

فإلى حدود بداية القرن السابع (13 م) الذي عرف وصول المعقليين ذوي حسان والشبانات، كانت تارگا تازگاغت الوحيدة التي تميزت بحدة المنافسات بين مختلف كبريات قبائل إزناگن. فقد عملت إلميظن (لمطة) وأويلميضن (لمتونة) وإيمسوفن (مسوفة) شأنهم في ذلك شأن إگدالن = إگزولن (گدالة = جزولة) منذ انتظام التجارة عبر الصحراء خلال القرن الثالث (9 م)، على مراقبة هذا المجال المتميز. لقد اتضح تدريجيا للباحثين أن المحور الساحلي الرابط بمحاذاة المحيط بين نول لمطة وأوليل هو أقدم طرق التجارة المنتظمة. وهو ما ركزت عليه إشارات ابن حوقل الذي تميز أيضا بالكشف عن دور مراقبة المجال كوظيفة تعريفية في تحديد هوية إزناگن. وهو ما دعونا هنا إلى إعادة تعريف هذه الوظيفة انطلاقا من الدور المتميز لتارگا تازگاغت. ويلزمنا أن ننظر من هذا المنحنى إلى جوهر العصبية التي تجعل من إگدالن (گدالة) وإگزولن (گزولة) تجزئتين لجيتول المصادر اللاتينية القديمة. فقد بقي علينا والحالة هذه أن نطرح دور تارگاتازگاغت في الربط بين أطراف المحور الساحلي وعن دورها في الحد من مستوى التفرع التدريجي للجيتول.

لقد أكدت الحفريات أهمية الحجم العمراني الذي ميز المنطقة الساحلية المحيطة بملاحة أوليل (أرگين فيما بعد وخاصة ابتداء من القرن التاسع (15 م). هذه المنطقة التي كانت تحدها جنوبا بلاد التكرور حسب ما أورده البكري، كانت تجسد القاعدة الفعلية لبلاد إگدالن. هذا المعطى تتأكد أهميته أكثر إذا علمنا أن البافور الذين تعددت بشأنهم الروايات المتضاربة، لم يكونوا في الحقيقة إلا الغور السكاني لهذه المداشر والقرى مجسدين بذلك فصائل محورية لإگدالن. ويلزمنا أيضا أن نشير إلى أن أوليل كانت تمثل إلى حين ظهور تغازى (تنتال) خلال النصف الثاني من القرن الخامس (11 م)، أقرب الملاحات إلى أوداغست عاصمة تبادل الملح بالذهب. كما أنه نظراً للتداخل البين الواضح بين الغور السكاني المنظم خلف التضاريس أو المداشر المحصنة وتجار أوداغست، فإن تحديد نظام المبادلات كان موكولا بالأساس إلى علاقات القرابة والتماسك بين نول لمطة وأوليل. وهذا بالضبط ما يمكن أن نعيه تمام الوعي إذا نحن تأكدنا من الامتداد العضوي لإگدالن عبر هذا المحور إلى حدود تارگا تازگاغت كما أورد ذلك البكري وابن سعيد وابن خلدون. وإذن فمراقبة المجال يعني التحكم فيه رغم حق الفصائل الأخرى في استعماله استعمالا جماعيا. هذا التصنيف الوظيفي للمجال هو في حد ذاته إضفاء للمشروعية على دور يحيى بن إبراهيم الگدالي كرئيس شائع في عصره على باقي رؤساء إزناگن. إن موقف هذا الرئيس خلال لقائه بأبي عمران الفاسي يدل على انحيازه للمذهب المالكي وآراء أئمة القيروان ضد سلطة فقهاء الصحراء الذين يحافظون للقبائل على بنياتها

ومعتقداتها التقليدية. وهو ما دعا ابن ياسين مؤسس دولة المرابطين إلى تحريم صلاة اگدالن خارج الجماعة التي يؤمها هو. وبعد فشله في إقناعهم بمشروعه وانتقاله إلى الارتكاز على أويليميضن الذين أسماهم مرابطين، لم يتوانَ في الأمر بقتل إگدالن وتوزيع مسجونيهم بين المرابطين كعبيد. وهنا تدلنا المقاومة المتزايدة لاگدالن على أهمية عصبيتهم كعامل أساسي انتهى بالقضاء على يحيى بن عمر اللمتوني وجيشه رغم دور سلسلة جبال أدرار في تحصين هؤلاء المرابطين. وبعودة أبي بكر بن عمر إلى الصحراء مسلحا بثلثي جيش المرابطين وبمُؤَطرهم الإمام المرادي الحضرمي تصير المجابهة بين الطرفين هي المقياس الذي اقتحم كل البنيات والمجالات والقنوات المحلية. وهو ما يمكن أن نتبينه أكثر إذا علمنا أن فصائل البافور الأكثر معاداة للمرابطين يتشبثون بالبنية الوظيفية المرتبطة بمراقبة المجال وينظرون إلى المقاييس والأحكام والاعتقادات المرابطية نظرة هي أشبه ما تكون بنظرة الغواطن (برغواطة). وهي مقارنة سنهتدي إذا تسلحنا بها إلى توثيق العلاقة بين إگدالن الصحراء وإگدالن منطقة أزمور على نفس المحور الساحلي شمال الأطلس الصغير.

لقد أكد عبد العظيم الزموري في مخطوط نجهل اسمه وتاريخه، بأن إگدالن كانوا يقيمون خلال القرن السادس (12 م) بالمنطقة الساحلية المجاورة لأزمور حين قدم عليهم إسماعيل أمغار باني رباط تيط. (H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires...*, 118). وإذا علمنا بأن كلمة برغواطة لا تعني اسم قبيلة بقدر ما تفيد الانحراف الديني الذي يميز مجموعة كبيرة من الفصائل والمجموعات البشرية في منطقة معينة (أ. التوفيق، *التشوف*) اتضحت امكانية التداخل الفعلي بين إگدالن المنطقة وباقي الفصائل المجاورة. وهو مثال سقناه لنوضح دور المحور الساحلي في الربط بين أبعد المناطق. فهل يمكن من هنا الرجوع إلى أهمية تارگا تازگاغت في الربط بين هذه المناطق ؟ إذا كانت ملاحة أوليل قد عرفت نوعا من الركود بظهور ملاحة تغازة (تنتال)، فإن حركية إگدالن تبدو قادرة على الدفع بهم إلى شمال الساقية الحمراء. وإذا لم يكن قصدنا هو تتبع دور المحور الساحلي في تمرير البضائع والأفكار حسب التقويمات المعمول بها اجتماعيا وسياسيا، فإن دور تارگا تازگاغت في تسرب التأثيرات البشرية والتجارية يندرج في إطار الربط الفعل بين إگدالن شماليين كانوا أو جنوبيين وإگزولن. ذلك أننا إذا تسلحنا بالمقاربات اللسنية، اهتدينا إلى التفسير الذي يجعل إگزولن وإگدالن تجزئتين للجيتول القدامى (W. Wycichl, *Les Gétules*, 303) لقد كانت طريق المدرعات التي ستسمى منذ قيام المرابطين بطريق يحيى بن عمر اللمتوني تجسد المحور الموازي للمحور الساحلي مرورا بالقعدة والبطينات ووين سروال التي تحيط بمر الساقية الحمراء الأوسط. وتتمثل الأهمية لهذه المنطقة في تعدد الملاحات حيث نجد ابتداءً من سبخة المحلگن قرب "المسيد" الحالي، موقعاً تجارياً لمادة الملح. وغير بعيد عن هذا المكان تصل القافلة إلى سبخة البريديلة حيث تعتبر گرارة أم البركة ممراً تجارياً ضرورياً نحو الساقية الحمراء. والسبختان تقعان فيما يشبه مضيقاً بين سلسلتي جبال زيني ووارگزير حيث تنبع الساقية الحمراء. فنرى من خلال هذا المثال أن أهمية الموقع من حيث هو كنقطة عبور تتجلى في دور السبختين كممرٍ ضروري يفسر الأهمية الكبيرة لبسيط الساقية الحمراء المستقبلة لوفود التجار ولأفراگ الرحل القادمين من الشمال. ومن الأمور التي لا يختلف حولها اثنان من أهل الصحراء الأطلسية هو المقدرة الاستيعابية لقعدة الساقية الحمراء على استقبال صغار وكبار الرحل بما توفره لمربي الأغنام أو الإبل. وهي حقيقة تحدد مسار العلاقة بين مربي الاغنام ذوي النجعات المحدودة ومربي الإبل ذوي النجعات الكبيرة. ففي ظل الغطاء النباتي وفي زحمة التكتلات القبلية يمثل الصراع حول مراقبة المجال أكبر دليل على حيوية الموقع. وهو تحديد يحتاج فيما يحتاج، إلى تحديد الموقع تاريخياً من تطور الحدود المناخية للصحراء. وهنا نشير إلى صعوبة الاعتماد على كتاب *الاستبصار* الذي يجعل من وادي نون ووادي تارگا حدين متوازيين للصحراء في نفس الوقت. أما ابن خلدون فإنه يؤكد بما لا يدع مجالا للشك وظيفة الساقية الحمراء كحد فعلي لمجال تنقل ذوي حسان المعقلين نحو الشمال بعد أن طردهم بنو مرين عن وادي ماسة ووادي نون ووادي درعة. (Ibn Haldûn, IV : 195 - 319 - 288 ; Watwat, *Manahig*, 47 - 46). ولعل حجم وأهمية الحركية البشرية بين هذه الأودية هي التي جعلت الجغرافيين العرب يدخلونها ضمن ما أسموه "سوس الأقصى" (ابن الفقيه، *البلدان*). وإذا تناولنا الروايات الشفوية المتأخرة اتضح أن الساقية الحمراء قد استبدلت خلال القرن العاشر (16 م) بالساقية الخضراء (La Chapelle, *Les Tekna*, 21) نظراً لأهمية وحجم الغطاء النباتي الذي كان ما يزال يميزها عما عداها من الجهات المحيطة بقعدتها المخضرة باستمرار. وهي إشارة بالغة الأهمية لما تؤكده من دخول الساقية الحمراء في المنطقة الشبه صحراوية التي تميزت تاريخياً بهيمنة الجيتول القدامى وحفدتهم خلال القرون الاثنى عشر الأولى للميلاد.

لقد لعبت الساقية الحمراء وقعدتها دوراً أساسياً في الحد من الانتشار العشوائي للمسالك الواصلة بين الطريق الساحلية (نول ـ اوليل) وطريق اللمتوني (تندوف ـ اوداغست). كما أن دور قعدة هذه الساقية في الحد من سيطرة المناخ الجاف وفي تربية المواشي قد جعل اسمها يمثل علما رئيسيا للمنطقة الواصلة إلى حدود وادي الشبيكة شمالا. فقد أصبحت ميزة الساقية الحمراء وما يتبعها من حركية بمثابة مقياس للتداول بين المتنافسين من معقليين وتكنة. وقد انتهى الأمر بهؤلاء إلى إخضاع المنطقة لقوانين المراقبة الفعلية مستعملين في ذلك هيمنتهم العسكرية على المسالك (محمد سالم بن الحبيب بن عبد الحي، جوامع

المهمات) وقلكهم لمداشر وقرى وأسواق ومواسم وادي نون حيث تتمركز عاصمة الصحراء. أما المد والجزر المعقلي فقد انتهى منذ القرن الحادي عشر (17 م) بنزوح الرحامنة وعبدة واحمر والأوداية والشبانات نحو حوز مراكش والسهول الأطلسية. على أن هيمنة ذوي حسان على باقي مناطق الصحراء الأطلسية (تيرس الغربية وموريتانيا الحالية) قد أدت إلى سيطرة لهجتهم بشكل متواصل خصوصا بين رحل تكنة وزواياهم المقيمين بالساقية الحمراء. وإذا كانت الحسانية تمكننا من تحديد مظاهر التداخل اللغوي والإثني، فإنها تعكس أيضا البيئة المغايرة التي وجدتها في عين المكان. فالتشابه بين الفئات الاجتماعية يظل محدودا عندما يتعلق الأمر بالفصل بين أهل الكتاب (الزوايا) وأهل السلاح. كما أن الاختلاف البين في العادات والتقاليد الموروثة يفرز أكثر من نموذج حي للتداخل البنيوي بين مجتمعين. والعين المتفحصة لا يمكنها أن تخطئ إذا هي حاولت التركيز على أسس الخلاف اللغوي أو في أي جانب من جوانب الفكر اللغوي بمقدماته وجوامعه وتماثيله القولية القائمة فيه.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة* ؛ محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. مصطفى ناعمي.

Idrisi, *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, R. Dozy et M. J. De Goeje, Leiden, 1968, 29 - 54 - 60 à 87 ; Ibn Al Faqih Al Hamadani, *Abrégé du Livre des pays*, trad. Henri Massé, Paris ; Damas 1973, 99 ; *Chronique de Tichitt (Sahara Occidental)*, texte recueilli par D. Brosset, Traduit et commenté par V. Monteil, *B.I.F.A.N.*, I, Janvier 1939, 282-312 ; *La Documentation Française, Notes et Etudes documentaires : Le Sahara Espagnol*, Paris, Sept 1959, n° 2570 ; Id, *Les Territoires Espagnols d'Afrique*, Paris, Janvier 1963, n° 2951 ; Mme D. Robert-Chaleix, *Nouveaux sites médievaux mauritaniens : un aperçu sur les régions septentrionales du Bilad As-Sudan*, in *Actes du IVème Colloque EuroAfricain sur l'Histoire du Sahara et des Relations transsahariennes entre le Maghreb et l'Ouest Africain du Moyen Age à la fin de l'époque coloniale*, Bergamo - Italie, 1986, 46 - 58; Watwat, *Manahig Al-Fikr*, Trad. E. Fagnan, 1924, in *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, Alger, 46 - 47 ; W. Wycichl, *Les Gétules de la Mauritanie*, *B.I.F.A.N.*, 1953, 303.

مصطفى ناعمي

تازگزاوت، موقع وسط منطقة جبلية عالية شمال الأطلس الكبير الأوسط بين أعالي وادي العبيد شمالا وأسيف ملول جنوبا، يتكون من قمم عالية يتراوح ارتفاعها بين 2800 م و3300 م. ومن أعراف حادة وتخللها الهضاب المكسوة بالغابات. وتازگزاوت عبارة عن كتلة جبلية محصنة بفضل ارتفاعها والمسالك الوعرة المؤدية إليها.

شكلت تازگزاوت عقبة كأداء، خلال سنة 1932، أمام تقدم جيوش الاحتلال الفرنسي حيث كانت مسرحاً لعمليات بطولية ضد الجيوش الغازية من 12 يوليوز إلى 16 شتنبر سنة 1932. وإلى ذلك يشير الجنرال گيوم Gl. Guillaume في كتابه *تهدئة الأطلس الأوسط* (ص. 334) بقوله :

"... خلال الفترة الممتدة من 12 يوليوز إلى 16 شتنبر 1932 رغم الصعوبات التي شكلتها التضاريس الجبلية الوعرة وخاصة المقاومة الشديدة التي نظمتها قبائل أيت حديدو وأيت سخمان، رغم هذه الصعوبات تمكنت الفرق العسكرية خاصة أفواج تادلا ومكناس المتحركة، تمكنت هذه الفرق بفضل التضحيات والمجهود المدعم من الوصول إلى الأهداف العسكرية المرسومة في بلاد أيت سخمان وأيت

وبعد أن احتلت اغبالة وهضبة البحيرات بأسيف ملول اشتد زحف قبائل أيت سخمان المكونة من أيت عبدي وأيت حمامة وأيت سيدي علي وأيت ويدير وقبائل أيت حديدو المكونة من أيت عمرو وأيت إعزا، اشتد زحف هذه القبائل نحو الجبال والمسالك الوعرة وقد انضمت إليهم فروع من قبائل أيت يحيى وزايان والتقت هذه القبائل المقاومة بجبل تازگزاوت حول المجاهد المكي أمهاوش وإخوانه المهدي المرتضى والمصطفى وهؤلاء ينتمون إلى عائلة أمهاوش المعروفة بعدائها للاستعمار حيث سبق أن قاوم علي أومهاوش الاستعمار في معارك القصيبة سنة 1913 والهرى سنة 1914، كما استنفر القبائل للجهاد في تافيلالت إلى جانب المقاومين هناك انطلاقا من سنة 1908. وقد وفد على المكي أنصار شيخ زاوية تيلمي بأوتْرْبَات سيدي الطيبي الذي قُتل في المقاومة يوم 28 يونيو 1932. وأصبح المكي يجسد روح المقاومة والجهاد في تازگزاوت، وإلى هذا يشير الكولونيل لانصو Lançon بقوله : "إن تأثير سيدي المكي على السكان كان قويا لدرجة أن كل محاولاتنا لتشتيت صفوف أنصاره بواسطة التفاوض باءت بالفشل - حتى إن كل مبعوثينا إليهم لا يعودون أبداً. ولهذا يتحتم علينا أن نلتزم بالحيطة والحذر وأن ننتظر حرباً ضروساً مع هؤلاء لا

تازگزاوت

أحد المقاومين مسلح ببندقية ومنجل في حديث مع الضابط الفرنسي أوليي Olié

نستطيع في الوقت الراهن تقدير عواقبها...". وقد جندت قيادة الأركان جيوشاً ضخمة تتكون من فرق تادلا ومكناس وغيرها مؤطرة من طرف ضباط كبار وألوية لامعة اسماؤها في التاريخ العسكري الفرنسي أمثال الجنيرال دو بويسون de Buisson والجنيرال بيرو Perrot، هذا بالإضافة إلى مختلف الضباط من درجات متفاوتة. ولمواجهة هذه الحشود الهائلة أخذ أمهاوش يعد العدة وينظم المقاومين، وفي هذا الصدد كتب الجنيرال گيوم في كتابه *تهدئة الأطلس الأوسط* (ص. 364-365) : "يقدر عدد المقاومين بحوالي 3000 أسرة تمكنت من استنفار حوالي 1000 مسلح مجهزين ببندقيات سريعة الطلقات، إلا أن سلاحهم الأساسي يتجلى في استماتتهم من أجل حريتهم - وكذلك كرههم للأجنبي - وبالإضافة إلى كل ذلك فإن المنشقين تمكنوا من تسخير الظروف الطبيعية لصالحهم وذلك لتحصين مواقعهم، وقد أسندت مختلف نقط المقاومة لقيادة إخوان سيدي المكي".

ورغم الحصار المفروض على تازگزاوت منذ احتلال المواقع المحيطة بها، أي منذ بداية غشت 1932 فإن المقاومين استطاعوا الصمود وحققوا مجموعة من الانتصارات على جيوش الاحتلال خاصة يومي 22 و23 غشت 1932 الشيء الذي أدى إلى انهيار معنوية الجيوش الاستعمارية واضطر الجنيرال لوستال Loustal إلى إعلان الهدنة من طرف واحد، وذلك يوم 26 غشت 1932، وفي نفس الوقت توجه إلى الرباط للحصول على الإمدادات. وفعلا تم تعزيز القوات الاستعمارية بمزيد من المرتزقة، وتم تطويق المجاهدين المعتصمين بتازگزاوت. وفي 5 شتنبر شن العدو هجومات أخرى على الجهات المرتفعة المسماة قالب السكر Pain de sucre ولم يستطع أن يزعزع المقاومين من مخابئهم واستأنف عمله بهجوم آخر يوم 7 شتنبر على الساعة الثالثة صباحا حيث اقترب من المكان المسمى قمة الأرز Piton des cèdres وهنا دارت معارك طاحنة انقض فيها المجاهدون على العدو باستعمالهم السلاح الأبيض رغم تعرضهم للرشاشات، وتسربت فرق أخرى للعدو نحو مرتفعات تازگزاوت واستمرت المعارك واستعملت المفرقعات والحراب، كما التجأ العدو إلى الأرض المحروقة بقنبلة مجاري المياه وإبادة الماشية لإرغام المقاومين على الاستسلام تحت وطأة الجوع والعطش. كما استعملت الغازات والقنابل السامة ضد النساء والأطفال والشيوخ القابعين في الكهوف، وفي هذا الصدد كتب العقيد جاكي Jacquiet قائد قوات زايان في تازگزاوت : "لقد كان المقاومون في مستوى كبير من العصبية يفوق كل التكهنات، بحيث إنهم عزموا على القتال والمقاومة حتى الموت. إن هؤلاء الجبليين الأقوياء يتفانون في المقاومة الشرسة ومهاجمة قواتنا بكل عنف ثم بعد ذلك يعودون إلى مخابئهم، إننا أمام تنظيم قوي إلى أقصى درجة، فكان علينا الالتجاء إلى القنابل لاجبار هؤلاء المحاربين الجبابرة وعائلاتهم على الخروج من الكهوف قبل الاختناق. واستمرت هذه العمليات التي تستهدف تمشيط هذه الكهوف ثمانية أيام نتج عنها تقتيل جماعي حقيقي". فقد ارتفعت خسائر المقاومين من جراء أسلحة الدمار المختلفة والمعززة بالمدفعية والطيران. ، وبقي المجاهدون يردون العدون ويرددون العبارة التحريضية الآتية: "إِتْـشَـا أُرُمْـيْ أَگْـلِـيدْ أورَاخْ تْـقِـيمْ تُـودْرْتْ" ومعناها : أخذ الكفار السلطان. لم تبق لها الحياة !.

وأمام اختلال موازين القوى بين الطرفين بعد تدفق القوات الاستعمارية من جميع الجهات لتحاصر المقاومين في تازگزاوت اضطر المكي أمهاوش للتفاوض مع الجيش الفرنسي حقنا للدماء. وبعد أسبوع من المفاوضات استسلم المقاومون يوم 14 شتنبر 1932 للجنيرال هوري القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالمغرب، وقد كتب هذا الأخير في كتابه *تهدئة المغرب : المرحلة الأخيرة 1931-1934* : "غداة إخباري باستسلام سيدي المكي للكولونيل جاكي يوم 12 شتنبر، أتيت إلى قدم تازگزاوت قصد حضور استسلام سيدي المكي بنفسي، وعلى طول الطريق المؤدية إلى تازگزاوت والتي قطعتها على ظهر الفرس لاحظت مشهداً لصناديق من خشب الأرز التي تحتوي على نفائس البرابر. لأنهم وعلى إثر نداء سيدي المكي للجهاد حملوا هذه الأكياس على ظهر البغال والجمال إلى تازگزاوت وغادروا منازلهم وفضلوا عليها حريتهم".

م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1934*، الرباط، 1986.

Lt. Colonel B. Lançon, *Les dernières étapes de la pacification marocaine, 1931 - 1933*, R.M.F., Août - Septembre 1934 ; Général Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas central*, Paris, 1934 ; Général Huré, *La pacification du Maroc*, Paris, 1952 ; J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981.

عبد القادر بوراس

تازمُّورْتْ، رأس يقع بشاطئ قبيلة بقوية (إقليم الحسيمة). ويعرف عند الإسبان بالموروفييخو Morroviejo.

وكان من الأماكن الاستراتيجية التي اهتم الأمير الخطابي بتحصينها غاية الاهتمام علما منه بأن الإنزال المرتقب للبحرية الإسبانية الغازية سوف يقع هناك ؛ غير أن القيادة العسكرية الإسبانية عندما تبين لها صعوبة الإنزال برأس تازمُّورت اختارت لذلك شاطئ أجداين فأنزلت به قواتها يوم 8 سبتمبر سنة 1925، وبعد ثلاثة أيام تمكنت من الاستيلاء على رأس قرن الزيت Morro Nuevo ؛ ولم تستطع القوات الغازية الاستيلاء على رأس تازمورت إلا يوم 23 سبتمبر وذلك بعد أن قامت بقصفه بحراً وجواً وبراً لمدة خمسة عشرة يوماً بدون انقطاع.

Domenech, *Zona Norte*, 81 ; Goded, *Marruecos : Las etapas de pacificacion*, Madrid, 1932, 216.

محمد ابن عزوز حكيم

تازمُّوت، (بزاي مضخم) قرية في قبيلة سمالالة بالأطلس الصغير شرقي تازروالت. اشتهرت منذ القرن التاسع (15 م) بنشاط علمائها الگراميين المنتسبين إلى

العالم الأندلسي أبي بكر ابن العربي المعافري دفين فاس (ت. 543 / 1148). وتذكر كتب التراجم والفهارس أن الكراميين التازموتيين رحلوا في طلب العلم إلى مراكش وفاس وغرناطة. ومن المتواتر في سوس أن سعيد بن سليمان الكرامي (ت. 882 / 1477) شارح *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني وغيرها هو آخر من قرأ من السوسيين بالأندلس.

وبعد فترة ركود قصيرة، حل بتازموت في أوائل القرن الحادي عشر (17 م) الشيخ عبد الله بن يعقوب فأحيى المجالس العلمية بها، وانهالت وفود الطلبة عليه من سهول سوس وجباله. واستمر نشاط تازموت مع أبناء الشيخ ابن يعقوب وحفدته العلماء أجيالا عديدة.

م. حجي. الحركة، 2 : 581. 584.

محمد حجي

التازموتي ← الكرامي

تَازْنَاخْتْ، مركز وجماعة قروية بدائرة مرزگان بإقليم ورزازات. سكانها 24.091 ن (1982) والاسم مشتق من تازناگت أي بلاد زناگة وهي صنهاجة. تنتشر أراضي الجماعة بحوض طولي مستو وتلال وجبال الأطلس الكبير الأوسط عند منطقة اتصاله بكتلة سيروا. تغطيها توضعات فتاتية رباعية استقرت فوق ركيزة من صخور الكرانيت والديوريت والفونوليت البركانية ترجع إلى ما قبل الكامبري. يسودها مناخ صحراوي نادر الأمطار (89 ملم / سنة) مع اشتداد البرودة شتاء بسبب علو الحوض : 1500 م وموجات حارة صيفا، ليست به وديان مهمة وإنما مسيلات مؤقتة تتميز باتساع سريرها، وهناك مياه جوفية قليلة ببعض أجزائه وتربة ببعض الجهات لا بأس بها. وهناك نشاط زراعي ضعيف : زراعة بورية يناصيبية في بعض الجهات المحظوظة، ويقع زراعية مسقية تقليدية وحديثة اعتماداً على مياه الآبار إن وجدت فرشة مائية كافية وقريبة من السطح، ولا يتوفر ذلك إلا بضفاف بعض الوديان. إن المؤهلات الطبيعية للحوض وهوامشه تجعل منه مرعى واسعا فقيرا من أعشاب هزيلة ونباتات شوكية متباعدة وإن تلقى مقادير كافية من الأمطار تتحول أراضيه إلى مراع تقصدها القبائل التي تحتفظ بحقوق رعي تقليدية من مناطق قريبة كإزناگن، وبعيدة كأيت عطا من جبل صفْرو، وأيت واوزگيت من منحدرات سيروا والأطلس الكبير الجنوبي الشرقي. يمتلك السكان قطعان أغنام كبيرة تدر عليهم مداخيل مهمة في السنوات الممطرة.

تازناخت مركز يقع على علو 1416 م على الطريق الوطني 32 بين تاليوين وورزازات مكونا محطة طريقية مهمة، وهو يتكون من عدة تجمعات سكنية أهمها دوار تازناخت أو القصبة (945 ن) الذي انطلقت منه التسمية ودواري أدرگ وأيت داود ومركز تزناخت : 496 ن، ويتكون من الحي الإداري والسوق التجاري الذي كان ينعقد به السوق الأسبوعي. ورغم اتساع مساحة مركز تازناخت فإن سكانه قليلون (حوالي 1400 ن سنة 1990) لأن عدداً كبيراً من المنازل فارغ تملكه أسر من المناطق المحيطة بالمركز أو مهاجرون أو عمال المناجم يستعمل كإقامة ثانوية، يحل به أفراد الأسرة أيام السوق أو في بعض المناسبات، كما لا يزال عدد من المنازل في طور البناء، وعدد من الدكاكين فارغا، وقد عرف المركز حركة بناء نشيطة منذ 1982 بعد تبسيط مسطرة البناء لتشجيع التعمير، فعرف المركز توسعا كبيرا تدعمه أموال الهجرة الداخلية والخارجية وعمال المناجم القريبة خاصة عمال منجمي بوازار والبليدة الذين يمتلكون دورا هنا تسكن بها أسرهم كما يتزودون من سوقها. وفي إطار التنظيم المجالي الحديث سميت الأحياء والأزقة مؤخراً ورقمت المحلات السكنية والمهنية. عرف المركز أهمية إدارية منذ الاستعمار، ازدادت بعد الاستقلال خاصة في الثمانينات بتطبيق اللامركزية فأنشئت مؤسسات إدارية جديدة : القيادة، ومحكمة جماعية ومركز درك وثانوية الخ.. وتشتهر تازناخت بزرابيها الأصلية ذات الألوان والرسوم الخاصة بها، تسوّق خارج المنطقة منذ عقود ولقيت تشجيعا من المسؤولين فأنشئت لها تعاونيات ومدرسة مهنية، كما أنشئت لها ثلاثة مجمعات لعرضها للبيع. ونظراً لوقوع تازناخت على طريق سياحي (جولات الجنوب الصحراوي) ـ ويدخل عبوره في برنامج الكثير من الشركات السياحية ـ فقد انتشرت به البازارات ومعارض الزرابي والمقاهي الحديثة ومحطة بنزين، لكن لا يوجد به أي فندق، وتتوقف به حافلة السواح خاصة أيام السوق الأسبوعية.

كما تتوفر على سوق قديم يتكون من حوانيت كثيرة مفتوحة على ساحات صغيرة وأزقة للاحتماء من الرياح الحارة صيفا أحاطت به المباني الجديدة وتحول إلى سوق تجاري دائم. لكن الكثير من دكاكينه لا يفتح إلا يومي السوق الأسبوعي. وشرع في بناء سوق جديد منذ 1986 بالطرف الغربي للمركز لازالت دكاكينه ومخازنه تتكاثر. وينعقد السوق يومي الجمعة للمواشي والسبت للتبضع ويلبي الحاجيات الأساسية للسكان. ويتوفر المركز على تجهيزات أساسية مهمة : مولد كهربائي محلي وبرج جديد للماء الشروب. وتبذل جهود لتدعيم المنظر الحضري بالجزء المرتبط بالطريق الرئيسي.

بحث ميداني : تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية.

أحمد هوزالي

تَازْنَاڤْتْ، قصر من قصور الشرفاء العلويين بمدغرة تافيلالت، يقع على بعد ثمانية عشر كيلومتراً تقريبا من الرشيدية في اتجاه الرتب وأرفود قريبا من عين مسكي، وقد شيد في القرن العاشر الهجري.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 400.

Répertoire des tribus.

عبد العزيز بوعصاب

تَازُوضَا، تطلق على شيئين : إناء، ومادة للتجميل. فالأول إناء خشبي دائري الشكل تتعدد استعمالاته باختلاف المناطق التي يوجد بها. ففي الوقت الذي يستعمله أيت ورا وأيت سادنْ كإناء للشرب نجد أن أهل فكيك يستعملونه كإناء لاحتلاب الأبقار والأغنام. أما أيت مَرْغادْ فيستعملونه كطبق لاحتساء الحريرة أو أكل أي طعام آخر. ومن استعمالاته أيضا عند قبائل إمْغْرانْ وخاصة منها أيت زَغَارْ استعماله كمكيال للحبوب. وتقدر سعة هذا المكيال بالمُد أو تزيد عليه قليلا، ويبقى أن نشير أن الباحث الفرنسي إيميل لاووست يعتقد أن تازوضا جمع تزُضوْ ما هو في الحقيقة إلا الاسم الأمازيغي القديم لما يُسمى بالقصعة المسماة بتَزْلَفْتْ في بعض مناطق الجنوب (دادس مثلا).

وأما مادة التجميل فاسمها مأخوذ من اسم الإناء الذي توضع فيه، وهي سائل أسود تستعمله النساء بمنطقة دادس لتجميل عدة أماكن من الوجه كأطراف وأهداب العيون وكذا الجبهة والدقن والأنف، الخ.. ويكون ذلك على شكل نقط متتابعة أوخطوط متقطعة. وهناك في نفس المنطقة بعض النسوة التي لهن دراية في صنعه. وهذا السائل يستخلص من حب شجرة تكْوُتْ التي تنبت في مناطق ما وراء الأطلس ذات المناخ الشبه الصحراوي. وتجدر الملاحظة في هذا الصدر أن منطقة سكورة (إقليم ورزازات) هي من بين المناطق التي تنبت فيها هذه الشجرة بوفرة. وتحضير هذه المادة يتم بوضع كمية مهمة من حبوب تلك الشجرة في إناء ويُضاف إليها قدر معين من مادة الجاوي. وبعد ذلك يوضع ذلك الإناء المغطى فوق النار ويترك مدة لتتبخر تلك الحبوب إذا أن بخارها هو الذي يتحول إلى عصارة سوداء تعلق بغطاء ذلك الإناء. وحينما تتبخر تلك الحبوب بأحمعها تبدأ عملية جمع تلك العصارة العالقة بالغطاء، وإذ ذاك تصبح قابلة للاستعمال.

ومما تتميز به تازوضا رائحتها العطرة التي تفوح منها مدة طويلة وهي من أسرار استعمالها من طرف النساء. ويبقى أن نشير إلى أنها تستعمل أيضا لأغراض طبية إذ نجد أنها تستعمل كدواء لبعض الأمراض الجلدية وخاصة منها ما يسمى تَفر.

تحريات ميدانية.

E. Laoust, *Mots et choses berbères*, p. 32, note 2 pp. 32 - 33.

محمد حمام

تازوطا، أو تزوطا. حسب المصادر المغربية واللهجة الزناتية. وتنطق في اللهجة الريفية حالياً باسم تازوضا. وليس هناك أي اختلاف في المفهوم بين النطقين القديم والحديث، نظراً للمرونة المتوفرة في اللهجة الأمازيغية للمرور من النطق بالطاء إلى الضاء. ويتعلق الأمر بإحدى قلع الريف الشرقي، الواقعة بقمة جبل قلعية (جبل أگرگورْ أيضاً) على ارتفاع 600 م.

أسست قلعة تازوطا على بقعة صخرية جرانيتية، قائمة على الحافة الشمالية من فوهة البركان القديم. ولا يمكن الارتقاء إلى سطح الصخرة إلا من مسلك شرقي وحيد، نتيجة الارتفاع العمودي المميز للحافات الثلاث الباقية، مما جعل القلعة ذات حصانة طبيعية، شادت بها المصادر التي تعرضت لذكرها. والظاهر أن المرينيين الذين أعادوا بناء القلعة سنة 610 / 1213، على أنقاض قلعة گرط، هم الذين اطلقوا عليها اسم "تازوطا" الأمازيغي الأصل. وهو في معنى "القصعة"، للتعبير عن وجود الحصن الجديد المحدث

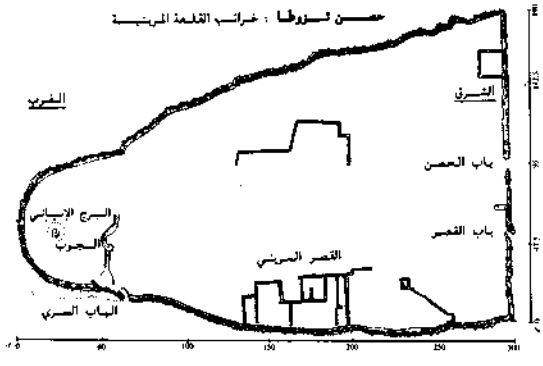

وسط الهضيبة التي تتراءى للمتجول بسهب بوعرك من جهة الجنوب الشرقي معلقة بأعلى جبل قلعية.

وليس هناك من شك في أن أصل القلعة يعود إلى ما قبل الاسلام، لعب أهلها بنو وَرَتَدّى دوراً أساسياً في تحرير مدينة "رس دو" العهد الروماني ومليلة العهد الإسلامي من الوجود البيزنطي في آخر القرن الأول الهجري. ونجد العلة في عدم التوصل إلى خبايا تاريخ القلعة القديم، في انعدام الحفريات والكشف عن الآثار. وسنقف هنا على ملاحظات الإسباني أنْخلُو گيريلي (Angelo Ghirelli) المهتم بالدراسات التاريخية الخاصة بالشمال المغربي خلال النصف الأول من القرن العشرين.

استعرض الكاتب الإسباني رأياً يخص تاريخ قلعة تازوطا القديم جديراً بالإثارة، لكننا عجزنا عن تأكيده أو نفيه. أراد في مقاله *تقاييد تاريخية عن خرائب تازوطا* *Apuntes historicos sobre las ruinas de Tazuda* تأكيد وجود سابق للقلعة عن الفترة الاسلامية، إذ أن الحصن حسب رأي الكاتب هو المكان الذي أخفى فيه الملك النوميدي يوغرطا (يوجَرتَنْ) كنوزه عن شره القائد الروماني "ماريوس" الملاحق له، على الشكل الذي استعرضه "سالوسْت"، مؤرخ حروب يوغرطا.

والشاهد الوحيد لدى گيريلي أن الوصف الطبيعي الذي قدمه سالوست لموقع الحصن وبقعته يطابق تمام المطابقة حصن تازوطا المريني. والواقع أن العودة إلى قراءة نفس النص الوارد في حروب يوغرطا يقدم لنا نفس الانطباع، فهو يقول : "غير بعيد عن نهر ملوشا (ملوية)، الفاصل بين مملكتي بوكوس وبوغرطا يوجد جبل صخري يبلغ ارتفاعا عظيماً، مكنت سعته من إقامة حصن صغير عليه.

لا يوصل إليه إلا عن طريق ممر ضيق جداً، أما الباقي فأجراف تنزل عمودياً، كأنها وضعت بإرادة الإنسان... وكان الحصن مزوداً بما يكفي من الرجال والسلاح، وبه خزين عظيم من القمح، وعين ماء جارية. والأرض غير صالحة للتحصينات بالأبراج وغيرها من الآلات الحربية، أما الطريق المؤدية إلى المعقل فهي جد ضيقة، تحفها المهاوي، ولا يمكن لبيوت الزحف الاقتراب منه إلا تحت خطر شديد". (التازي، *حروب يوغرطا*، 92).

حاول گيريلي إقناعنا بما أثاره إلى أن جيوش ماريوس كانت معسكرة في الساحة الشرقية من سطح الهضبة، وأن الجندي الذي أخبر القائد الروماني بوجود منفذ وحيد إلى الحصن، كان قد قادته الصدفة إلى اكتشاف الممر السري الواقع في الزاوية الجنوبية الغربية من سطح الهضبة.

إذا كان هذا مجرد احتمالات تنقصها شهادات التاريخ القديم، فإن هناك ما يدل على الوجود الروماني بمقربات الحصن المريني، متمثلا في استمرار بعض بقايا حدود "اللَّمس" المعروفة. (الفگيگي، *قلعية*، 15. 16). كما لا يمكن، سواء للقوة الأهلية الدفاعية أو الجيش الغازي من الاستغناء عن موقع جبل قلعية، والحصانة التي يوفرها للمحتمين به. هذا ما دلت عليه قرائن الفترات التالية.

يعود أول تاريخ علمنا بوجود القلعة إلى سنة 250 هـ. بمناسبة قبول بني ورتَدّى إدخال وحماية سعادة الله أخي سعيد أمير النكور أثناء الحرب الجارية بين الأخوين، وآنذاك كان الحصن معروفاً بقلعة جارة (كرط)، أو قلوع جارة، حسبما أورده البكري، معبراً عن أهميتها :"وهي حصن منيع في أعلى جبل لا متناول له ولا مطمع فيه...." (*المغرب*، 88) كان لها دور بارز في ربط التجارة الصحراوية مع الأندلس، عبر مراسي مليلة وهُرْكْ وغَساسة وگرط. وقد فضلنا إرجاء تقديم التفاصيل عن ذلك النشاط إلى حين تقديم مادة "قلوع جارة" في المعلمة، ليضاف إلى ما سبق أن قيل عن بني ورتَدّى.

وتكفي هنا الإشارة بعجالة إلى أن قلعة جارة، التي ستصبح قلعة تازوطا المرينية، قد توالت عليها مراحل البناء والتخريب، أولاها على العهد الإسلامي حين تم بناؤها على يد أهلها بني ورتَدّى، ثم تخريبها على يد ميسور العبيدي سنة 323 هـ. وإعادة بنائها على يد الأندلسيين بأمر عبد الرحمن الناصر في السنة الموالية لصالح حليفه موسى بن أبي العافية (*المقتبس*، 386. 888 ؛ الفگيگي، *قلعية*، 1 : 37). وعاد إليها التخريب سنة 347 هـ، على يد جوهر الصقلي، ثم تجدد بناؤها إثر استدعاء محمد بن إدريس، آخر ملوك بني حمود المالقيين سنة 459 هـ إلى مليلة وناحيتها، لحماية قلعية من الزحف المرابطي.

ولا ندري مصير القلعة، سواء أيام المرابطين الذين فتحوا مليلة سنة 473 هـ، أو على العهد الموحدي الذي بدأ سنة 535 باحتلال نفس المدينة. وعلى قلعة گرط وقع اختيار المرينيين، حين دخولهم إلى أراضي الإقليم.

لم يشر أحد من المؤرخين للعهد المريني صراحة إلى تأسيس بني مرين لقلعة تازوطا. باستثناء الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*، 1 : 266). مما سنتعرض له. وقبل كل شيء كيف تعرف بنو مرين على الهضيبة وقلعتها القديمة ؟.

يستفاد من إشارة قصيرة أوردها ابن عذاري المراكشي وأكدها غيره أن تسرب المرينيين إلى گرط تم فعلا قبل التاريخ الذي حدده إجماع مؤرخيهم بسنة 610 هـ. فلم تكن تلك السنة سوى تأريخ للدخول الزناتي الجماعي إلى الإقليم واستقرار الأمراء بقلعة تازوطا، إذ أن جولات تمهيدية كانت قد سبقت على يد زعيم المرينيين عبد الحق بن محيو. وعلى أقل تقدير يكون اختراق بني مرين لمنطقة گرط تم في حدود متراوحة بين 607 و608 هـ.

هذا الدخول المريني المبكر هو الذي عرف ادلاء بني مرين بموقع قلوع گرط وأطلعهم على المميزات الطبيعية والحربية لذلك الموقع المناسب لظروف مثل ظروفهم السياسية. وبذلك نالت هضيبة تازوطا وقلعتها القديمة اختيارهم سنة دخولهم. ولا ندري، من خلال المصادر، الهيأة التي وجدها عليها عبد الحق المريني. ولكن السرعة التي انطلق بها فرسانه لمواجهة زحف الموحدين نحوه، بعد أن تركوا ذويهم بالحصن وأمنوا به ذخائرهم وكنوزهم، توحي بأن بني مرين لم يبذلوا جهداً كبيراً للاطمئنان إلى تحصينات القلعة بعد ثلاث سنوات فقط من دخولهم إلى بلاد القلاع، وانتصارهم على ابن وانودين الموحدي عام 613 هـ، في موقعة المشعلة المشهورة بسهب بوعرك.

فمن المعتقد أن المرينيين وجدوا القلعة على رسمها وحالتها القديمة، وكان عليهم فقط أن يبادروا إلى تجديد المباني البارزة في الداخل وتشييد ستار الأسوار الخارجية، لتعود إلى الظهور بمظهر لا يختلف عن صورة حصن قلعة گرط القديمة. ولا تسمح البقعة لتصور غير هذا. وبذلك ظهرت قلعة تازوطا المرينية.

لقد قمت شخصياً بزيارة خرائب تازوطا عدة مرات، وسخرت امكاناتي ومعلوماتي المتواضعة لإبراز رسم الخرائب بقياساتها المتعددة، وبذلك حصلت على الوصف التالي الذي يوجزه رسم القلعة المرفق لهذا العرض.

تشغل خرائب قلعة تازوطا مساحة ما يقرب من 25.000م^2 بالقسم الغربي من الهضيبة الممتدة على طول كيلومترين من الشرق نحو الغرب، ولا تخفى دواعي اختيار المرينيين، فقد توخوا استغلال أكثر أجزاء الهضيبة انحداراً وملاءمة لشروط الدفاع بأقل ما يمكن من الجهود. ويفرض امتداد الهضيبة نحو الشرق أن تكون وجهة قلعة تازوطا شرقية، مقابلة للممر الوحيد المتصل بها، حيث يتوفر أقل انحدار لحافات الهضيبة. ولما كان الجانب الشرقي هو موضع الدخول إلى القلعة، وجد على المرينيين إقامة أهم تحصينات المدينة ببناء سور يصل حافتي موضع القلعة الشمالي والجنوب على مسافة 190 م.

يطل من هذا السور الشرقي بابان، ولا يظهر على امتداده وجود غيرهما، حسبما تبينه الانقاض الحالية، والصور التي أخذت للقلعة على عهد الفترة الاستعمارية، يقع الباب الأول، وهو الثانوي، على مسافة 45.5 متراً، ابتداء من نقطة امتداد السور من الجانب الجنوبي. والملاحظ أن الباب أقيم على شكل غريب، إذ أن بانيه أعطى لتركيبه الوجهة الجنوبية الشرقية، بذل الشرقية الصرفة الموافقة لخط امتداد السور، مما جعله ينحرف انحرافا ظاهراً بانفراج يعادل ما يقارب ثلاثة أمتار. والظاهر كذلك أن الباب كان محمياً بواسطة برج صغير، وهناك ما يدل على وجوده. وفي أغلب الظن أن الباب كان مخصصاً للدخول إلى المرافق العمرانية الرئيسية المشيدة بالفراغ الجنوبي من القلعة، وهو القسم المعروف بالقصر المريني، المبين في الرسم.

ولم يختر المرينيون للباب الرئيسي المسافة الوسطى من امتداد السور، بل جعلوه يمتد على حده الجنوبي نحو 71 متراً، ويعود انزواء الباب في تلك النقطة إلى عدم ملاءمة سطح الهضيبة للتحرك السهل، بسبب سيادة الصخور ذات الأحجام الكبيرة المتعمقة في السطح. ويدل موقع الباب الأوسط بين المرافق الشمالية والجنوبية الداخلية واتساع عرضه، على أنه كان المدخل الرئيسي للقلعة، إذ أنه يبلغ ثلاثة أمتار ونصف، يسهر على حراسته برج مستطيل الشكل.

وقد تطلب وجود عدة فجاج تتخلل المنحدر الصخري الذي ينتهي إليه امتداد السور من الجهة الشمالية، تقوية تحصينات هذا الجانب، ببناء برج كبير بالقرب من هذه الزاوية، مربع الشكل، مساحته نحو مائة متر مربع. كان هذا السور الواجهة الدفاعية الهامة بالقلعة كلها، لمقابلته للساحة الشرقية الخارجية، التي منها المسلك الوحيد إلى القلعة، مدخله إليها من الزاوية الشمالية الشرقية، وطول المسلك نحو 300 متر.

وقد تحدث أنخلو گيريلي (Angelo Ghirelli)، الذي زار الخرائب في آخر العقد الأول من هذا القرن عن مشاهدته للسور الشمالي الذي التقطت له عدة صور. ويصعب التعرف عليه في الوقت الحاضر، بسبب طغيان نمو الأحراش في ذلك الجانب. وقد أكد الزائر الإسباني وجود بقايا من الأبراج التي كانت قائمة على هذا الجانب.

وتمتد الحافة الغربية على شكل نصف دائري، ارتفاعها يزيد على عشرين متراً، يجعل منها حاجزاً طبيعياً صغيراً، غير أن هذا لم يمنع من إقامة سور مساير للحافة، ليستمر اتجاهه على طول الحافة الجنوبية، ولا يظهر حاليا أي دليل على وجود سابق للسور من تلك الجهة. وربما لم يكن الأمر ضرورياً، إذ أن الهضيبة تبلغ من هذا الجانب أقوى انحدار لها، نتيجة إشرافها على الفوهة البركانية، التي يجري بها اليوم واد إخُشّامن.

وتتوارى خلف السور الشرقي مباني الحصن الداخلية، التي لم يقل عنها گيريلي أي شيء، وتكاد تنطمس معالمها في الوقت الحاضر بسبب ما اعتراها من التخريب وعبث السكان. ويظهر مما تبقى منها أن المساحة كانت منقسمة إلى قسمين :

- القسم الشمالي : يظهر من شكله الحالي أنه لم يكن مخصصاً للسكنى. فامتداد المباني على شكل مستطيل من الشرق نحو الغرب، ووجود الواجهة الجنوبية منها مفتوحة، يحمل على الاعتقاد على أنها كانت بمثابة حظيرة للدواب، والخيل منها خاصة. ومثل هذا لا يمكن أن يخلو منه حصن من الحصون، خاصة وأننا نعلم أنه كان يؤوي أحياناً مائة فارس.

- القسم الجنوبي : تمتد مبانيه على شكل مواز للحافة الجنوبية. ومن المؤكد أن هذه المباني هي التي أشار إليها ابن خلدون وسماها بالقصر المريني. وكان يعني بذلك مقر إقامة حاكم تازوطا المريني منصور بن أبي مالك. يتألف القصر من مجموعة من الغرف المتوسطة والكبرى. ولا تسمح الحالة التي توجد عليها الخرائب سوى بالتعرف على عشر غرف منها فقط.

وتنتهي المباني من جهة الشرق بباب ذي وجهة شمالية. ومن هذا الباب يستمر خط السور، لينحرف نحو الجنوب الشرقي، ويتوقف على مقربة من خط السور الخارجي، عند الباب الثانوي المشار إليه آنفاً. وبنفس الطريقة يمتد خط سور آخر، ينطلق من الزاوية الغربية، وينحرف بدوره نحو الجنوب الغربي في اتجاه مدخل القصر، من الباب الغربي السري.

وإلى هذا الباب السري أشار الحسن الوزان، إذ أنه كان على علم بالمسلك ومميزاته. شق هذا المسلك على الجانب الغربي من الهضيبة، عند استدارته نحو الشرق، وسط صخور صلبة صماء، لا تسمح بالمرور إلا لشخص واحد، وهو ينحدر ويتدرج على مسافة ستين متراً. ابتداء من تسنم المنحدر الذي يستقر عليه إفريز الهضيبة. وفي 1975 أثناء زيارتنا لخرائب تازوطا، كانت لا تزال آثار درج مبلطة بالحجر الجرانيتي باقية. ومن هذه الدرج نصل إلى باب الحصن السري، الذي كان يحمل فوقه برجاً صغير الحجم متوسط الارتفاع.

وهذا الباب والمسلك السريان هما اللذان استعملهما الأخوان الوطاسيان عمر وعامر للنجاة من قبضة السلطان يوسف بن يعقوب المريني، والفرار إلى تلمسان، أثناء تمردهما بالقلعة سنة 691 هـ. إذ أن جيوش يوسف كانت معسكرة بالساحة الشرقية المقابلة لمدخل القلعة الرئيسي الشرقي.

كان من الضروري أن يحسب المرينيون الحساب لتوفير الماء الشروب خاصة، إذ لا يمكن أن نجد منه شيئاً على سطح الهضيبة البركانية. وهناك عين غزيرة تتدفق خارج الحصن، وعلى بعد منه بنحو 450 متراً، مما يلي الشرق. والمنبع مصدر من مصادر مياه واد إزْرُورَت، رافد واد

المدور. وقد أشار الوزان إلى هذه العين الغزيرة، ولا تزال بقاياها إلى اليوم.

غير أن خزن المياه كان ضرورياً، ولهذه الغاية أنشأ المرينيون خزاناً كبيراً عميقاً، قال عنه گيريلي إن عمقه يصل إلى خمسة أمتار. وقد اختبرنا ذلك بنفسنا، وهو يقع بالقرب من الباب الغربي السري، شيدت بجواره قناة طولها ثلاثة أمتار، وجهتها جنوبية، تنحدر نحو فوهة "الجوب". وإلى هذا الخزان أشار الوزان بقوله : "وليس بداخل المدينة ماء غير ماء الخزان".

احتفظت قلعة تازوطا بمبانيها ذات الطابع المريني إلى أن أمر يوسف بن يعقوب المريني بتخريبها سنة 692 / 1292، نتيجة التمرد الذي نظمه الأخوان عمر وعامر، ابنا الوزير الوطاسي، ضد القائد المريني منصور بن أبي مالك، مما سنراه في مكانه المناسب على صفحات هذه المعلمة (ابن خلدون، *العبر*، 6 : 274).

ذلك هو حصن تازوطا المريني الذي كان مركز القيادة المرينية بالريف الشرقي عامة، وبالنسبة لقبيلة قلعية خاصة. لقد ظل مريني الشكل، حتى بعد استعادة بعض معالمه على يد القائد الأندلسي علي العطار في أوائل القرن العاشر الهجري (16 م). وآنذاك كانت القلعة قد أصبحت مركز القيادة العليا، لتنظيم حركة المقاومة ضد مليلة المحتلة عام 903 / 1493 وغساسة المحتلة كذلك عام 912 / 1506 بأمر من السلطان محمد البرتغالي، مما سنراه أيضاً في موضعه المناسب. (الفگيگي، *قلعية*، 156 وما بعدها). ومنذ ذلك استقرت الوظيفة الجهادية لقلعة تازوطا استمرت عبر القرنين التاليين، بفضل تنظيم حربي ثابت استمر العمل به على العهد الوطاسي والسعدي والعلوي. ستتاح فرصة الاطلاع عليه كذلك.

ويظهر أن قلعة تازوطا قد خربت مجدداً خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري (17 م) على يد القلعيين أنفسهم أثناء تمردهم على الأسرة القيطونية الإدريسية الحاكمة بالقلعة من قبل السعديين، دون أن تتضح لنا أسباب ذلك التمرد. ولم يتجدد بنيانها إلا سنة 1093 / 1682 على يد محمد بن مسعود القيطوني رئيس المجاهدين على عهد المولى إسماعيل، لتكون مقر سكناه وابنه عمر بعده، حسبما جاء به تقييد أحمد بن القاضي الگعداوي :

"تاريخ بنيان حصن مدينة تازوطا وتجديدها بعد اندراسها عام ثلاثة وتسعين وألف في دولة مولاي إسماعيل. تفكرها القائد محمد بن مسعود القيطوني، بعد اطلاعه على ما كان من شأنهم مع قلعية، وأجمع قبيلة قلعية على بنيانها ورجوعها كما كانت. وكان القائد المذكور لا يقطع أمراً حتى يشاور كبار قبائله، ويشير عليهم برأيه السديد ويمتثلونه. وفي ذلك اليوم جمعهم في وسطها، وطاف ببنيانها المندرس وقسمهم، كل جماعة تاتي يوماً وتبني ما صار لها من السور والديار. وكان يعطي للمعلمين والخدام المحوجين (المحتاجين) في كل يوم كذا وكذا من زرع في أجرتهم، وكذا كذا من دراهم وكذا كذا في الخشب والجير. وبعد فراغنا من تجديدها وبنيانها، كما كانت أولا وأحسن من ذلك، سكن فيها القائد عمر مع أعوانه ووصفانه، جمعنا ما فسد على أجرتها ووجدناه نحو خمس ماة (خمسمائة) تليس شعير وماة تليس من القمح ونحو مائتي مثقال. وكتب من شهد ذلك وحضره أحمد بن محمد ابن أبي القاسم بن القاضي". (الفگيگي، *قلعية*، 1 : 231).

فقدت قلعة تازوطا أهميتها بعد وفاة محمد بن مسعود القيطوني وانتقال ابنه عمر إلى مركز "تمزار" المشار إليه في هذه المعلمة. ومنذ ذلك تسرب التخريب التدريجي إلى مرافقها على يد السكان إلى أن وصلت بها الحال إلى ما وجدها عليها الإسبان، وإلى ما هي عليه الآن.

بادر الإسبان بمجرد استيلائهم على جبل أگركور إلى التمركز بقلعة تازوطا، لمراقبة قبيلة قلعية من علوها، سيما بعد استشهاد زعيم قلعية الشريف محمد أمزيان عام 1912. ولكنهم لم يعيدوا بناءها، بل اختاروا الجزء الغربي منها، وأحدثوا هناك برجاً مستدير الشكل، وجعلوه متصلا بغرفة باطنية واسعة، وشقوا إليها طريقين : الأول من بني انصار يمر عبر قمتي بَاسْبيلْ وسيدي أحمد الحاج. والثاني ينطلق من أزْغَنْغَان عبر گعدة إثْلاثن وسفح تْغاغَت.

واتخذ المجاهدون من قلعة تازوطا مركزاً لهم أثناء ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد معركة أنوال، الواقعة سنة 1921. ومنها كانوا يراقبون الإسبان وتحركاتهم، ويزودون المدفع الذي وضعوه بقمة باسبيل لضرب المدينة المحتلة. إلى أن تمكن الاسبان من العودة إليها أثناء انتهاء الثورة سنة 1926، ليغادروها سنة استقلال البلاد.

ابن حوقل، *صورة الإرض*، 79 ؛ ابن حيان الأندلسي، *المقتبس*، 307. 387. 388 ؛ أ. البكري، *المغرب*، 89. 90. 184 ؛ م. الإدريسي، *النزهة*، 171 ؛ ابن عذاري، *البيان*، 1 : 235. 244. 392 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 274 ؛ 7 : 215 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 266 ؛ أحمد بن القاضي، *تقاييد*، مخطوط خ. ح. ؛ ح. الفگيگي، *قلعية*، 1 : 19. 111. 156. 231 ؛ *مليلة حاضرة قلوع كرط*، دار النيابة.

A. Ghirelli, *Apuntes historicos sobre las ruinas de Tazuda*, *Africa*, mayo 1930, p. 11.

حسن الفگيگي

تَازُولْتْ، كلمة أمازيغية تعني التجميل وتطلق على الكحل الذي تستعمله النساء لتجميل العيون. والكحل بجنوب المغرب يسمى تَازُولْتْ. وهذه المادة تقوم بصنعها وتحضيرها نسوة متخصصة. وتمر عملية تهيئها بالمراحل التالية :

1) ـ وضع كمية معينة من معدن تازولت في إناء مملوء بالماء ويوضع فوق النار إلى أن يغلى ذلك الماء لكي تنسلخ عن ذلك المعدن كل الشوائب العالقة به.

2) ـ وفي مرحلة ثانية يجفف المعدن ويُطحن ويُصفى بواسطة غربال رهيف جدا عادة ما يكون ثوبا.

3) ـ وبعد عملية الطحن والتصفية تضاف إليه عناصر أخرى وهي على شكل عطور منها : سكنجبير، الإبزار الأبيض والزعفران والكبريت وعظم الزيتون (بعد إحراقه) وحب النوار والتوت الهندي. وهذا الخليط يُبلل بشيء قليل من زيت الزيتون.

4) ـ وفي مرحلة أخيرة يجفف ويصفى هذا الخليط من جديد بغربال رهيف. وبعد ذلك يصبح قابلا للاستعمال.

ويبدو أن جودة هذه المادة تكمن في تقدير الكمية الكافية من كل هذه العناصر بدون زيادة أو نقصان. وهذا ما يفسر الإقبال على بعض منتجاتها دون غيرهن في بيعها بالأسواق.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن النساء يعتقدن أن لمادة تَزْلَتْ خاصية أخرى (إلى جانب خاصية التجميل) تتمثل في علاجها للعيون ووقايتها من كثير من الأمراض خاصة وأنها تقوم بدور المنظف لها لأنها في الواقع قد تدر الدموع التي تنظف العين.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

التازي، أسرة فاسية نابهة أصلها من مدينة تازا الجبلية الواقعة وسط قبيلة غياتة على بعد 120 كلم شرق فاس في طريق وجدة. وقد انتقل التازيون إلى مدن أخرى كالرباط وسلا وتطوان. وفي هذه المدينة الأخيرة أسرة أخرى قديمة أصلها من قرية تازا الواقعة بفرقة بني زرويل بقبيلة الأخماس (إقليم شفشاون) وكان جل أفرادها ينخرطون في الجندية أو المخازنية.

داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 245 ؛ 8 : 216 ـ 356.

Delegacion Asuntos Indigenas. Familias T ; Cagigas, *Familias* ; Ibn Azzuz, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

التازي، إبراهيم بن عبد الرحمن ← التسولي

التازي، إبراهيم بن محمد نزيل وهران، عالم أديب صوفي، اسمه الكامل إبراهيم بن محمد بن علي، ونسبه في بني لنت من مضافات قبيلة التسول الزناتية، وهم يتفرعون إلى ثلاثة بطون : الحرشة والخندق ومقورة، غير أن عشيرة المترجم من هذه الفروع لم تتحدد، ولا يزال اسم بني لنت معروفاً قرب مدينة تازا إلى الشمال الغربي منها، وإليه تضاف قيادة عشائر قبيلة التسول ضمن عمالة تازا.

ويبدو أن أسرة المترجم انتقلت قبل ولادته ـ على الأقل ـ إلى السكنى بمدينة تازا، حيث كان مولده بها في تاريخ ربما يرجع إلى أوائل القرن التاسع (15 م) وبنفس المدينة كانت نشأته وتعلمه للقرآن الكريم على أستاذه يحيى الوازعي، الذي وصف بالشيخ الصالح المقرئ، ويستنتج من بعض الإشارات أن هذا الأستاذ يكتب الخط الجيد، ويتقن علم التجويد، ومنه انتقل ذلك إلى تلميذه المترجم، فيصف ابن صعد كتابته بالخط الرائق، ويخططه بالبراعة في تجويد تلاوة القرآن، ولما حج قدمه مشيخة الحرم الشريف لصلاة الأشفاع في رمضان، واتفقوا عل أنه أحسن القراء تلاوة...

بعد هذه المرحلة الأولية فإن مصادر التعريف بالمترجم لا تذكر شيئا عن متعلمه بالمغرب، ومن المؤكد أنه أخذ العلوم ـ دينية ولسانية ـ ببلدته أو جهة أخرى من المغرب، قبل أن يتمم دراسته خلال رحلته للحج، وذلك ما يفيده تحليته بالفقيه في إجازات ثلاث من أساتذته الذين روى عنهم بالحرمين الشريفين وتونس، ومن المعروف أن حلية الفقيه في عصر المترجم، لا تمنح إلا لمن تكاملت ثقافته بعد تلقيه للمعارف عن الشيوخ.

وخلافاً لواقع المترجم بالمغرب، فإن شيوخه خارج المغرب يبلغ عدد المعروف منهم إلى ستة أسماء.

1 ـ أبو الطيب الفاسي : محمد بن أحمد بن علي المكي حسين الإدريسي، ت. 832 / 1429. قرأ عليه ـ بمكة المكرمة ـ *الشفا* لعياض، وكثيرا من كتب الحديث والرقائق، ومنها *الموطأ* للإمام مالك، و*سنن* النسائي، و*رسالة* القشيري، وفي العربية *الألفية* لابن مالك، وفرغ من قراءته *للشفا* بتاريخ 30 ذي القعدة سنة 830 / 1421 بالمسجد الحرام. ثم أجازه بجميع مروياته ومؤلفاته، ومن جهته يسند المترجم روايته *للشفا*.

2 ـ أبو محمد الزواوي : صالح بن محمد بن موسى الحسني الرياحي المدوكالي، جاور بالمدينة المنورة، وانتقل منها إلى القاهرة حيث توفي بها سنة 839 / 1435. أخذ عنه حديث المصافحة والمشابكة، ولبس منه الخرق القادرية والمدينية والشاذلية، ولقنه الذكر بالكلمة المشرفة.

3 ـ أبو الفتح المراغي : محمد بن أبي بكر بن الحسين العثماني المدني، ت. 859 / 1455. قرأ عليه ـ حسب تعبير ابن صعد ـ علوماً كثيرة، ولازمه مدة طويلة وكتب له ـ بخطه ـ عدة إجازات. ومن جهته يسند إلى صحيحي البخاري ومسلم، وكتاب *المجالس العراقية* لزين الدين عبد الرحيم العراقي، وحديث الرحمة المسلسل بالأولية، ثم حديث الضيافة، الذي أسنده له بالمدينة المنورة يوم الخميس 2 محرم سنة 831 / 1421، وناوله السبحة، وألبسه الخرقة القشيرية، وهو شيخه الثاني في الخرقة المدينية، ألبسه إياها في المسجد النبوي الشريف، عاشر محرم سنة 831 / 1421، ولقنه الذكر بالكلمة المشرفة.

4 ـ العبدوسي : عبد العزيز بن موسى بن معطي الفاسي نزيل تونس، ت. 837 / 1434. أخذ عنه حديث المصافحة بتونس في رجوعه من رحلته الحجازية، وأجازه إجازة عامة كتبها له في 13 رمضان سنة 832 / 1429.

5 ـ ابن مرزوق الحفيد : محمد بن أحمد بن محمد العجيسي التلمساني، ت. 842 / 1439. أخذ عنه وكتب له إجازة بتاريخ ربيع الثاني عام 832، هكذا عند ابن صعد، ولعل الصواب 833 / 1430.

6 ـ وفي وهران اتصل بشيخه الذي طبع اتجاهه الصوفي، وهو محمد بن عمر الهواري، حيث لازمه بوهران نحو عشرة أعوام إلى وفاته سنة 843 / 1439. وبعدها استمر

المترجم بنفس المدينة، يترسم النهج الصوفي لأستاذه فينشر فضائله، وينسخ كلامه بخطه، ويجمع متفرقه في دفاتر، وصار يفتتح مجالس إقرائه بتلاوة كتب شخيه، فيمليها بتعبير مؤلفها، ويفسر مجملها، ويفتح مقفلها.

وسيكون الهواري آخر الستة المعروفين من شيوخ المترجم خارج المغرب، وإلى هذا يشير ابن صعد إلى مؤلفات برواية إبراهيم التازي دون أن يحدد أساتذته فيها، وعددها ستة :

- كتاب *المجالس المكية* لأبي حفص عمر الميانسي.
- كتاب *الأمثال الحديثية* لأبي محمد الحسن بن خلاد.
- كتاب *التوكل* لابن أبي الدنيا.
- كتاب *أبي القاسم بن عساكر*.
- كتاب *السمعاني*.
- *تاريخ الخطيب*.

ولا نترك استعراض أشياخ المترجم دون العودة إلى بعض التواريخ لإجازات أشياخه، ابتداء من إجازة أبي الطيب الفاسي، المؤرخة في 30 قعدة 830 / 1421، وانتهاء عند إجازة ابن مرزوق الحفيد بتاريخ ربيع الثاني عام 833 / 1430، فكان هذا التاريخ وسابقه قد وقتا - في الجملة - بداية ونهاية رحلة المترجم.

يضاف لهذا فقره عند ابن صعد تذكر أن علماء تونس خططوا إبراهيم التازي - على صغر سنه - بأوصاف السيادة، وقد تبينا أن إجازته بهذه المدينة من شيخه العبدوسي تحمل تاريخ 13 رمضان 832 / 1429، فنستنتج أن تاريخ ولادة المترجم - على وجه التقريب - لا يعدو أوائل القرن الهجري التاسع كما سبق.

وحسب تكوين المترجم فإن ثقافته ازدوجت فيها المعارف بسلوك الصوفية، وذلك ما يبرزه ابن صعد في هذه الفقرة، فيذكر أنه من أولياء الله الزاهدين، وعباده الناصحين المخلصين، إماما في علوم القرآن، مقدما في علم اللسان، حافظا للحديث، بصيراً بالفقه وأصوله، من أهل المعرفة التامة بأصول الدين، إماما من أيمة المسلمين... وكان من أهل الحفظ العظيم، معروفا بجودة النظر والفهم الثاقب، جامعا لمحاسن العلماء، متمتعا بآداب الأولياء.

ولثقافة المترجم المزدوجة صار يقرئ العلوم والتصوف، فدرس بوهران *المختصر الخليلي*، وأسند الأحاديث والمسلسلات، فرواها عنه مجموعة من الأعلام سناتي على ذكرهم.

وإلى هذا اهتم بدعوة الجماهير إلى معرفة عقائد التوحيد، وأقام - حسب ابن صعد - سوق الأذكار بوهران، وأبان بها معالم الإسلام والإيمان، ورتب المواسم الشرعية وبينها المولد النبوي الشريف، ونبه على الآداب الدينية والدنيوية، ونقل أهل مدينته عما كانوا فيه من التبدي إلى الحضارة، وجلب إليها الماء من مسافة بعيدة بعدما كان بها قليلا، وبذلك كله عظمت عمارتها، وارتحل إليها كثير من أهل الجزيرة، وقصدها الواردون من جميع الآفاق.

ومن هنا نتبين أن المترجم كان يجنح إلى تحقيق التصوف الاجتماعي، ويترجم هذا - مرة أخرى - شكل بناء الزاوية التازية بوهران، فبالإضافة إلى مساجدها الأنيقة العالية : بنى بها المدارس المجهزة بخزائن الكتب، وبالدورات المائية والحمام، فضلا عن المرافق المعدة للزوار وأبناء السبيل، وتجهيز آخر مهم هو الآلات الجهادية المودعة بالمدارس، مما يشير إلى بعد نظر الباني، وكل مؤسسات الزاوية جاءت نهاية في الفخامة والاحتفال.

ومما يعبر عن ذوق المؤسس أن سطح المدرسة يظلله عريش من شجر الياسمين العنبري الرائحة لا نظير له، حسب تعبير المصدر المعني. ولإقامة شؤون الزاوية بنى عدة أماكن أشهد بوقفها عليها، ولم يترك لوارثه من الأرض شبراً، ولا اذخر له فضة ولا تبراً.

وبعد وفاة المترجم استمرت الزاوية قائمة، ذكرها الرحالة المصري عبد الباسط، واجتمع بشيخها مفتي وهران أحمد ابن العباس، وأشار ابن صعد لاستمرارها.

بقي أن نشير إلى أن مرجع تصوف التازي هو شيخه الهواري سابق الذكر، فكان - في غالب أمره - على طريقته يذهب، غير أن السند الصوفي لهذا لا يزال غير واضح، وذلك ما يسجله عبد السلام القادري عندما يذكر أنه لا يعرف سند الهواري، غير أنه يضيف عن سند التاري قائلا: "وبعده لقي الشيخ أبا عثمان سعيد الصفريوي، وهو عن الشيخ القطب أبي الحسن علي بن وفا".

بالإضافة إلى اشتغال المترجم بالتعليم والإرشاد خلف أوضاعا علمية وأدبية، وخصوصا في الأدب الصوفي والمديح النبوي، فترد الإشارة إلى فهرس أشياخه وعقيدته، وعن أعمال أخرى يقول ابن صعد : "وقفت على كثير من تقاييده في الفقه والأصول وعلوم الحديث"، غير أن هذه المقيدات والفهرس والعقيدة هي - الآن - غير معروفة.

وفي اتجاه آخر يأتي في نفس المصدر : "وكلام سيدي إبراهيم في الطريقة التصوفية، والمقامات العرفانية، والأمداح النبوية لا يقوم بمعناه إلا من تمكنت معرفته، وقويت في علوم اللسان عارضته...". وفي تعبير الملالي : "وذكر لي بعضهم أن له مولديات وإنشادات لا تحصى".

- ولحسن الحظ فإن هذه الآثار الأدبية - تصوفا ومديحا - لا يزال بعضها بقيد الوجود، انطلاقا من جزء يشتمل على وظيفة اذكار الطريقة التازية، مذيلة بخمس عشرة قصيدة من نظمه :

وأول هذه القصائد هي المعروفة "بالمرادية" و"بالتازية". والثالثة تسمى "بالجمالية"، يبث فيها أشواقه للعودة إلى الحرمين الشريفين. والرابعة والتاسعة إلى الثالثة عشرة في المديح النبوي، وغالبها "مولديات". والرابعة عشرة في النصائح، وتحمل اسم *النصح التام للخاص والعام* وربما قيل فيها الدالية. والخامسة عشر تسمى *بالحسام*، نظمها بيانا لترتيب قراءة الوظيفة التازية. وباقي القصائد يغلب عليها طابع الزهد والتصوف. ويحتفظ بهذه المجموعة - كاملة - ثبث البلوي.

وقد صارت نفس المجموعة موضع عناية المهتمين، فرواها عن مؤلفها عالم من تلمسان هو التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المغراوي الأموي، وعن هذا رواها تلميذه البلوي أحمد بن علي بن أحمد الوادي آشي نزيل تلمسان، ثم كانت بعض محتويات المجموعة موضع عناية خاصة عند أفراد من المؤلفين والأدباء، وكل ذلك يعبر عن الاستمرارية لأصداء أدب المترجم وتصوفه فيما بعد وفاته.

- وفي هذا الاتجاه نشير إلى تعاليق تناولت بعض الأوضاع التازية بدءاً من شفاء الغليل والفؤاد في شرح النظم الشهير المسمى بالمراد، وهو شرح على القصيدة الأولى بالمجموعة المنوه بها، مؤلفه هو ابن الصباغ محمد بن محمد بن أحمد القلعي. من مخطوطات المكتبة الوطنية بالجزائر تحت عدد 1856.

- ولنفس القصيدة شرح ثان أشار له مؤلفه ابن مريم محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليني المديوني ثم التلمساني.

- ولمحمد بن سليمان المغراوي شرح على *وصية التازي*، مخطوط في دار الكتب الوطنية بتونس، ثاني مجموع رقمه 2810.

- ولابن مريم *فتح العلام لشرح النصح التام للخاص والعام*. شرح فيه القصيدة التازية الرابعة عشرة، وأشار له في *البستان*.

- ونفس المؤلف أشار في *البستان* إلى شرح له على *قصيدة الحسام* وهي الخامسة عشرة بالمجموعة المتكررة الذكر.

- وللقصيدة المرادية تخميس من نظم ابن الحاج : أحمد ابن محمد بن محمد الورنيدي اليبدري التلمساني، ذكره ابن مرين وأثبت مطلعه.

- *وتخميس القصيدة الجمالية* لشاعر لم يذكر اسمه، احتفظ به المقري وأثبت نصه - كاملا - في *أزهار الرياض*.

بعد أوضاع التازي نذيل بعرض منوعات من أسانيده، حيث رواها عنه نخبة من الأعلام كالتالي :

1 - السنوسي : محمد بن يوسف بن عمر التلمساني، ت. 895 / 1490. أخذ عنه *حديث الرحمة المسلسل بالأولية*، *والشفا* للقاضي عياض، وخمس مسلسلات صوفية.

2 - الفگيگي : عبد الجبار بن أحمد بن موسى، البرزوزي الوتضغيري، كان حيا عام 895 / 1490. أسند له صحيحي البخاري ومسلم، *والشفا*، ومسلسلين صوفيين.

3 - ابن زكري : أحمد بن محمد المغراوي ثم المانوي التلمساني، ت. 899 / 1493. روى عنه سبع مسلسلات صوفية.

4 - زروق : أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي ثم الفاسي، ت. في مسراتة من ليبيا عام 899 / 1493. نقل عنه السوداني لائحة مشايخه وبينهم المترجم، وفي *المنح البادية* ورد ذكر أحد الرواة عن التازي لسلسلة تلقين الكلمة المشرفة.

5 - التنسي : محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المغراوي الأموي التلمساني سابق الذكر، ت. 899 / 1494. وقد تبينا - وشيكا - أنه روى عن المترجم الجزء الذي يشتمل على وظيفته وخمس عشرة من قصائده، ونضيف أنه قرأ عليه *تذكرة ابن الملقن* في علوم الحديث.

6 - الراشدي : عمر بن علي بن سليمان الجزائري نزيل تونس، كان حيا عام 902 / 1497. أخذ عنه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وسبع مسلسلات صوفية.

7 - أحمد حجي الوهراني، ويرسمه ابن مريم بحاجي، تاريخ وفاته غير مذكور، ويرد اسمه راويا عن المترجم في سند حديث الرحمة المسلسل بالأولية، ثم في سبع مسلسلات صوفية.

وهؤلاء ثلاثة من الآخذين عن المترجم دون أن يسندوا عنه في الرواية.

- وأولهم هو الشالوتي : علي بن محمد الأنصاري التلمساني، ت. 895 / 1490.

- ثم ابن تاغزرت، هكذا ورد اسمه عند ابن مريم تلميذاً للمترجم.

- ابن يجُبْش : محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن التازي، ت. 920 / 1614. أثبت ابن عسكر أنه أدرك المترجم وأخذ عنه، ومن المؤكد أن ذلك كان في زمن شباب ابن يجبش.

وأخيرا نشير إلى القلصادي : علي بن محمد بن علي القرشي البسطي، ت. في باجة تونس عام 881 / 1411. وهو يسجل اتصاله بالمترجم في الارتسامة التالية : "... ومنهم الشيخ المتبرك به سيدي إبراهيم التازي رحمة الله عليه، خليفة سيدي محمد الهواري في وقته، كان له اعتناء بكلام شيخه...".

توفي إبراهيم التازي يوم الأحد 6 شعبان عام 866 / 30 شتنبر 1481، ودفن في زاويته بوهران. وبعد احتلال الإسبان نقله تلامذته - خفية - إلى القلعة ودفن بها، بعدما بقي في وهران خمسين سنة، فمدفنه - الآن - في قلعة بني راشد في بناية محترمة.

م. ابن صعد، *النجم الثاقب*، مخطوط خ. ح. 2491، وهو المصدر الرئيسي ؛ أ. البلوي، *ثبت*، تح. عبد الله العمراني، بيروت 1403 / 1983 ؛ ابن خزرور، *ثبت*، مخطوط خ. ح. بمراكش ؛ م. بن عبد الرحمن الفاسي، *المنح البادية*، مخطوط خ. ع. د 1249؛ القلصادي، *رحلة*، طبع تونس 1399 / 1938 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، القاهرة ج 2 ؛ القادري، *المقصد الأحمد*، طبعة فاس الحجرية ؛ السخاوي، *الضوء اللامع* ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ج 3، 7، طبعة الرباط 1396 / 1976 ؛ أ. بابا السوداني، *نيل الابتهاج*، القاهرة، 1351 هـ بالهامش ؛ ابن مريم، *البستان*، طبعة الجزائر، 1326 / 1908 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور الزكية*، طبعة القاهرة 1350 ؛ ع. الحفيظ الفاسي، *الآيات البينات*، طبعة الرباط ج 1 ؛ عبد الباسط، *رحلة في الغرب الإسلامي*، نشرها هـ. برنشفيك، باريس 1936 ؛ الراشدي، *الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني*، طبعة قسنطينة

1973 ؛ م. الزياني، *دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران*، مخطوط، ولم يصل للمغرب النص المنشور.

محمد المنوني

التازي، أحمد بن **العباس** بن أحمد، من علماء فاس ومدرسيها المشهورين. أخذ عن والده وهو عمدته، وعن الشيوخ أحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي الأمغاري وعبد السلام الهواري ومَحمد گنون، وكان الغالب عليه علم النوازل والأحكام. انخرط في سلك القضاء فعين قاضياً بأحواز الدار البيضاء، ثم بمدينة الدار البيضاء نفسها مدة طويلة، وإليه يُنسب درب التازي بالدار البيضاء.

وقد أصيب في آخر عمره بمرض أفقده توازنه، وتوفي بالدار البيضاء يوم الاثنين ثاني وعشري ذي القعدة عام 1364 / 19 أكتوبر 1945، وبها دفن.

م. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1364 ؛ *سل النصال*، مرقون، الترجمة رقم 18.

التازي، أحمد بن **محمد** الرباطي، وصفه محمد بن علي دينية في *مجالس الانبساط* بالأديب الفاضل اللبيب. تتلمذ على الشيخ المكي البيطاوري قاضي الرباط، وعلى أحمد جسوس ومحمد بن عمر دينية وهما من علماء الرباط في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

عرف أحمد التازي بالأخلاق العالية، وكان منخرطا في الطريقة التجانية وله معرفة كبيرة بكيفية عمل الأمداح النبوية على الطبوع الموسيقية وهو أخو أميني الأمناء محمد وعبد السلام موخا التازيين في عهد السلطان المولى الحسن.

أصيب أحمد التازي بمرض طال به وتوفي يوم الأحد 5 محرم عام 1339 / 19 شتنبر 1920، ودفن بمقبرة لعلو بالرباط، ولم يتجاوز عمره الأربعين إلا بقليل.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، ص 270 و326.

التازي، رضوان بن إبراهيم الرباطي، فقيه نزيه، قرأ على المحدث الكبير محمد المدني ابن الحسني وغيره من علماء الحاضرة الرباطية. وكان أبوه الفقيه إبراهيم التازي محتسباً وإماماً بالجامع الأعظم بالرباط. وانخرط رضوان التازي في سلك القضاء فكان لمدة طويلة قاضي التوثيق بالرباط محمود السيرة والسريرة إلى أن توفي بمسقط رأسه في شهر ربيع الثاني عام 1413 / أكتوبر 1992.

معلومات شخصية، جريدة *العلم* ليوم 23 أكتوبر 1992.

التازي، الشيخ زنّوف، هذا الاسم مستعار ولا شك لفقيه أديب تازي قضى شطراً مهماً من حياته في فاس طالباً خلال القرن الحادي عشر (17 م) في الفترة التي مال فيها نجم الدولة السعدية إلى الأفول. وقد ألف زنوف التازي كتاباً هزلياً سماه *مختصر الأفاريد* على أسلوب *مختصر خليل* الفقهي، صوّر فيه حياة الطلبة الأفاقيين الذين كانوا يعيشون في مدارس فاس وقد انقطعت عنهم الصلات المعتادة، وتحدث عن سلوكهم وكدّهم في سبيل العيش وألعابهم وحيلهم ومرحهم. وتطرق إلى الحرف التي كانوا يمتهنونها آنذاك وقسمها إلى مستحسنة كالنساخة والخياطة والنجارة والتجارة، ومستهجنة كالحياكة والحجامة والدباغة والجزارة.

هذا الكتاب فريد من نوعه في التأليف المغربي في القرون الأخيرة يحتوي على مادة تاريخية واجتماعية لمن يدرس تاريخ التعليم بالمغرب في العصر الحديث. وقد طُبع مراراً على الحجر بفاس، منها طبعة سنة 1300 / 1882 في اثنتي عشرة صفحة.

ز. التازي، *مختصر الأفاريد*، الطبعة الحجرية الأولى، ص. 1 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 55 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 130 و436.

التازي، الطاهر (الحاج ـ) بن عبد الكريم الفاسي، من رجال المخزن المحنكين، تولى مدة منصب أمين الصائر على عهد الحسن الأول، ثم عين على رأس عمالة مدينة طنجة، فكان مثال "النزاهة والحزم والإقدام".

توفي يوم الأحد فاتح ربيع الثاني عام 1318 / 19 يوليوز 1900.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 459 و515 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1318.

التازي، العباس بن **أحمد** الفاسي، فقيه أديب شيخ الجماعة في عصره المتفرد بالفتيا في النوازل المعضلات. أخذ عن عبد الرحمن الفيلالي الحجرتي، والمهدي بن سودة والمهدي بن الحاج السلمي وعبد السلام بوغالب ومحمد بن المدني گنون وغيرهم. وكان مجلسه بالقرويين ملتقى نجباء الطلبة وعموم الفقهاء. وقعت له محنة أيام الحسن الأول حيث ذهب سجيناً إلى مراكش، ثم عفي عنه ورجع إلى فاس فسار فيها سيرته الأولى تدريساً وإفتاءً وإفادةً.

وجاء في كتاب من الوزير موسى بن أحمد لأخيه عبد الله باشا فاس عن أمر السلطان بتاريخ 16 رمضان 1292 تنويه بالعباس التازي لقيامه بخدمة جانب العلم الشريف". وفي سنة 1309 / 1891 ـ 1892 أمره السلطان المولى الحسن بالارتحال إلى مراكش، بسبب (قضية الهادي الصقلي) فكان يدرس بجامع سيدي عبد العزيز هناك إلى أن عاد إلى فاس، فأخذ يعقد مجلسا كل جمعة بفاس يحضره بعض أصدقائه من العلماء مثل الفقيه المهدي الوزاني والعباس ابن إبراهيم صاحب كتاب *الإعلام* الذي توثقت الصداقة بينه وبين المترجم، وقد حضر مجالسه المذكورة بين سنتي 1326 و1330 حيث كانت تجرى المذاكرات في شتى العلوم.

توفي بفاس في شهر شوال عام 1337 / يوليوز 1919، ودفن بزاوية الشيخ محمد ابن الفقيه أسفل حومة العيون، ورثاه شعراء كثيرون من طلبته، منهم الأديب الشهير محمد بن الوزير المفضل غريط بقصيدة طويلة، منها :

...لا بدع إن بكت الفضائل عندما رُزئت أبا الفضل الفقيه التازي
رزئت قريع صفاتها وقعيد رتـ ـبتها بغير منازع وموازي
حبرٌ إذا لمس النوازلَ كفُّه برزت بأبهج علة وطراز

ونصوص مراثيه الكاملة عند عبد السلام ابن سودة في *زبدة الأثر*.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 24-25 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1337 ؛ *سل النصال*، الترجمة 79.

محمد حجي

التازي، عبد السلام بن محمد الرباطي، ينحدر من أسرة آل التازي التي كانت تسكن في العقبة الزرقاء بفاس، وصفها صاحب *زهرة الآس* بأنها من أشهر فرق أولاد التازي التي استوطنت فاس وأكثرها ثروة وجاها. كانت تشتغل بالتجارة وتولت بسبب نفوذها المالي، مناصب هامة في دواليب الدولة. (*زهرة الآس*، 394). وقد ورد أبوه محمد التازي من فاس إلى الرباط وبها ولد عبد السلام، وكان في بداية أمره يشتغل بالتجارة في بلده، ثم سافر عدة مرات إلى الديار المقدسة، وجاب كثيراً من أقطارها، حتى كان يتعاطى هناك أعمالا تجارية مهمة، وقد اكتسب بسبب ذلك خبرة واسعة بشؤون المال والعلاقات الدولية. ولما توفي أخوه محمد التازي سنة 1307 / 1889 أمين الأمناء الذي تصفه المصادر التاريخية بالاستقامة والصدق، والنصيحة للسلطان، والغيرة على الإسلام والمسلمين، والكفاءة في تسيير شؤون المال (انظر مثلا ما قاله الناصري في حقه، ج 9 : 166)، أسند السلطان مولاي الحسن منصبه المهم إلى أخيه عبد السلام، وكلفه بالإشراف على أمناء الشغور (المراسي) والأملاك المخزنية والمستفاد. وقد سار فيها حسب مصادر تراجم موظفي المخزن لذلك العصر، سيرة حسنة، ونجح كثيراً في مهامه المالية، لذلك قربه السلطان مولاي الحسن منه وكرمه. وكان يرافق السلطان ككبار رجال الدولة في تنقلاته، يقيم بجوار مقامه، وينزل مكرما معززا بالعواصم الكبرى فاس ومكناس ومراكش، كلما حل السلطان بها (*الإتحاف*، ج 5، 363).

وعندما توفي مولاي الحسن وبويع مولاي عبد العزيز استمر في خطته، بالرغم من تبدل الأحوال، بعد نكبة آل الجامعي وظهور شروخ وانشقاقات في صفوف المخزن، وتدهور الأحوال الاقتصادية والسياسية في البلاد. وبذل ما في وسعه لإنقاذ البلاد من الإفلاس، والسقوط كلية بين أيدي القوى الاستعمارية التي تزايد تدخلها وضغطها في هذه الفترة من تاريخ المغرب. إلا أنه بعد وفاة أحمد بن موسى، وبعد تدهور أوضاع المخزن المالية وتردي أحوال البلاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وبعد حلول العجز التام بدواليب الدولة، فضل الانسحاب من الساحة السياسية، متعللا بالضعف وكبر السن، وأنه ينوي التوجه إلى بيت الله قصد القيام بفريضة الحج، فالتمس من السلطان أن يعفيه من منصبه. وقد قبل مولاي عبد العزيز استقالته مع المحافظة له على المنزلة والحظوة التي كان يتمتع بها وهو على رأس أمانة الأمناء، أو وزارة المالية بمصطلحنا المعاصر. (*الإتحاف*، ج 5، 363). وقد أسدل عليه السلطان، بمقتضى الظهير الذي أصدره في حقه بتاريخ 20 ربيع النبوي 1318 / 1900، رداء التوقير والاحترام لسالف خدمته، وصدقه، ونصيحته. وألحق به في الاعتبار كافة أقربائه وأصهاره وأصحابه، وأمر الواقفين على الظهير المذكور من الولاة والعمال بإجرائهم على مقتضاه وعدم تجاوز أحكامه. (*الإتحاف*، ج 5، 364). وفي نفس هذه السنة (1318)، توجه عبد السلام التازي لأداء فريضة الحج ثم عاد إلى الرباط حيث تفرغ لتجارته. وظل هناك إلى أن دعاه السلطان من جديد لفاس وعينه سنة 1322 / 1902، في منصب النائب بدار النيابة بطنجة ليحل مكان السيد محمد الحاج الطريس الذي التمس هو بدوره من السلطان إراحته من مشقة التكليف بشؤون رئاسة دار النيابة بطنجة، نظراً لكبر سنه، وعجزه عن القيام بأعباء ذلك المنصب الذي أصبح يكلف نواب السلطات عناءً كبيراً، بسبب كثرة المشاكل وتشابك خيوطها مع نواب الأجناس الذين ازداد نفوذهم في البلاد، وصاروا يتدخلون بشكل سافر في شؤون المغرب ويقلقون راحة رعايا السلطان.

وتشيد أغلب المصادر التاريخية بخصال هذا الرجل وتفانيه في خدمة البلاد والعباد، والمحافظة على مصالح المسلمين. فبعد الثناء على سيرته وسيرة أخيه محمد، ذكر صاحب *البستان الجامع* أن الأمين السيد عبد السلام التازي كان أوسع صدراً وأكثر صبراً من أخيه وفاقه في سعة الخلق وحسن الخليقة. وفي *الحلل البهية*، أورد المشرفي أن وزير المالية الحاج عبد السلام التازي، قد استقال من منصب أمانة الأمناء في عهد مولاي عبد العزيز، بسبب ما رآه من ارتكاب المجون والموافق عليها ناصح ملحوظ، والناكر غاش في زوايا الإهمال مسجون. (*الحلل*، 260). وقد مدحه أيضا الأديب أبو العباس أحمد جسوس الرباطي بقصيدة شعرية، أشاد فيها بخصاله وكفاءته وعراقته في المجد، نقتطف منها هذا البيت :

ذاك العقول إذا كبت آراؤهم أضحى العويص برأيه مفتوحاً

(*الاتحاف*، 5 : 370).

توفي عبد السلام التازي ليلة الخميس 27 صفر عام 1325 / 1905، ودفن بالزاوية الناصرية في بلده الرباط.

أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ م. السباعي، *البستان الجامع*، مخطوط خ. ح. رقم 12432 ز ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية*، مخطوط خ. ع بالرباط رقم د 1463 وك. 320 ؛ ع. الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات فاس*، مخطوط خ. ع. رقم 1281.

العربي اكنيح

التازي، عبد الله بن علي السلوي، لا ندري هل ينتسب هذا الفرع السلوي إلى التازيين الفاسيين أو التطوانيين. والمعروف أنهم كانوا يعيشون بمدينة سلا في منتصف القرن الثاني عشر (18 م) واشتهروا بسبب خلاف عائلي تدخل فيه مفتون وعدول وقضاة من العدوتين.

كان عبدالله متزوجا من ابنة عمه أم هاني بنت الحاج حدو بن الحاج أحمد التازي، رسم الصداق مؤرخ في فاتح شعبان عام 1164 / 25 يونيه 1751 ووقع اختلاف بينهم وشجار أدى بالزوج إلى أن يحلف بالحرام ألا يدخل داره والدُ زوجته وبعض بني عمه، ثم حنث واستفتى العلماء فأفتوه بانفصام العصمة، لكنه ظل يحاول تبرير يمينه والاحتفاظ بزوجته إلى أن مات.

رسوم عدلية بحوزة كاتبه.

التازي، عبد الله بن فارس لا نعرف عن أصل هذا العالم إلا نسبته إلى تازا المغربية. وهو - بلا شك - من أولئك العلماء الذين غادروا المغرب إلى المشرق لغرض الحج أو غيره واستقروا هناك، وعددهم لا يكاد يدخل تحت حصر. ولم نقف لعبد الله التازي على ترجمة إلا ما استفدناه من كتابه *المناظرة والمغارضة في رد الرافضة*. ومنه عرفنا أنه كان يوجد عام 1009 / 1601 بمشهد علي في العراق، حيث ألف هذا الكتاب للرد على غُلاة الشيعة اعتماداً على خطة عقلية قطعية بيَّنها في المقدمة. وقسم الكتاب إلى سبعة فصول، الأول في دحض شبهات الشيعة القائلة بوجوب إمامة علي دون سواه من الصحابة، والثاني في رفض دعواهم تفضيل علي على سائر الصحابة، والثالث فيما خالفوا فيه الجماعة من مسائل الأصول، كنفي رؤية الله تعالى، والرابع فيما خالفوا من مسائل الفروع كمسح الرجلين في الوضوء بدل غسلهما... وأورد في الفصل الأخير عدد فرق الشيعة البالغة إحدى وثلاثين فرقة، من إمامية وزيدية وغلاة مبيناً ما تتميز به كل منها من المعتقدات الباطلة.

ع. التازي، كتاب *المناظرة*، مخطوط المكتبة الوطنية بباريز رقم 1416 (أول مجموع، ورقة 1-48) ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 175.

التازي، عبد الوهاب، من أهل فاس، ولد عام 1090 / 87-1688 وكان ناسكاً ميالاً إلى التصوف إلى أن أدرك مقاماً رفيعاً في الذوق والمعرفة. ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج فلقي هناك عدداً من شيوخ التصوف. ثم عاد إلى فاس وعمِّر طويلا فلم تحصل له شهرة كأمثاله من شيوخ التربية. ومات بسقط رأسه في سابع وعشري شعبان عام 1206 / 20 أبريل 1792، ودفن بالقباب وبنى السلطان المولى سليمان على ضريحه قبة.

ع. ابن سودة، *إلحاف الطالع*، مرقون، 1206.

التازي، عبد الوهاب بن أحمد الفاسي، ولد بفاس في واحد وعشري ربيع الأول عام 1330 / 10 مارس 1912، وبه حفظ القرآن في عدة كتاتيب آخرها كتّاب سيدي بورمضان بالمنية على يد الأستاذ الورياگلي. ودخل إلى القرويين عام 1341 / 1922 ليدرس على شيوخ العصر، أمثال محمد بن محمد بناني، ومحمد بن محمد الدكالي، والطايع ابن الحاج، وغيرهم إلى أن حصل على شهادة العالمية سنة 1348 / 1929، فأدرج في الطبقة الرابعة للعلماء حسب النظام القديم، ثم ارتقى إلى الطبقة الثالثة فالثانية. وكان إلى ذلك يلقي دروساً نهارية وليلية تطوعاً بالقرويين.

وفي عام 1365 / 1945 انخرط في سلك القضاء كنائب للحاكم المفوض بالدار البيضاء، ثم أسند إليه قضاء قبيلة تيسة بناحية فاس ثم الدار البيضاء إلى أن أحيل على المعاش، فاشتغل بالشهادة مع عدول هذه المدينة إلى أن أدركته المنية بها يوم الأربعاء فاتح رجب عام 1406 / 1985 ودفن بمقبرة الشهداء بغبيلة البيضاء.

م. ابن الحاج، *إسعاف*، 447، 449.

محمد حجي

التازي، عمر (الحاج -) بن عبد الكريم بن عبد الله. وتقول رواية شفوية إن هذا الفرع من الإسلاميين الذين هاجروا من تازا إلى فاس. فهم لا تربطهم علاقة مع أسرة التازي موخا. وكان عبد الله جد عمر قد ربى أبناءه على الحياة العملية. فكان ابنه عبد الكريم الذي تمرس بالتجارة مدة من رجال المخزن، وهو المعروف بالشيخ التازي، مساعد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (1859-1873) في الشؤون المالية.

ولما توفي عبد الكريم التازي عام 1294 / 1877 كان سن ابنه عمر لا يتعدى خمس سنوات، فتكلفت أسرته بتربيته وتعليمه، وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره توجه للحج سنة 1308 / 1890، ويقول گوفيون Gouvion إنه زار في رحلته الحجازية الجامعات كما رجع محملا ببعض الأفكار الاقتصادية، بعد ذلك عينه المخزن نائبا عن أخيه الطاهر أمين الشكارة، ولما ظهرت مواهبه في تدبير الشؤون المالية وميله إلى الضبط والتنظيم أوكل إليه الوزير أحمد بن موسى مهمة أمين بداره بمراكش فشغل هذا المنصب حتى سنة 1897، وهي السنة التي زار السلطان المولى عبد العزيز مراكش في رمضان ورغب في منح تسع فرق من جيشه وبعض الشرفاء والعلماء أكسية في عيد الفطر، وبما أن المدة قصيرة فقد كانت مهمة إنجاز كل هذا العدد من الأكسية صعبة اعتذر عن القيام بها محمد الشيخ أمين المال وطلب أن يكلف أخوه الأصغر عمر بهذا المشروع مما يدل على مهارته وحزمه، وفعلا كلف الأمين عمر بذلك، وقد استجوب گوفيون عم التازي في هذا الشأن فقال ما معناه :لقد أكدت بأن كل شيء سيكون مهيأ في حينه، وفعلا في ليلة العيد عندما أتى الموكب السلطاني إلى أبواب عاصمة الجنوب كان كل شيء جاهزاً : الكساوي والأحذية، ولقد عمل كل صناع الناحية ليل نهار لأجل هذا الأمر، وقد تلقيت أحر التهاني". بعد مدة عين عمر أمينا لجمارك مليلة وكان عليه في نفس الوقت أن يراقب القبائل الريفية المهتاجة آنذاك. وكان المخزن قد سجن القائد محمد أنفلوس الحاحي في قصبة جناية قرب مليلة تأديبا له، وكان معه صديقه شعيب الدكالي القاضي وإمام المسجد آنذاك الذي

أصبح فيما بعد وزير العدل. وقدمت فرق من القبائل الهائجة وهددت القائد وحاصرت القصبة، وكاد الأمر أن يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه لولا التدخل اللبق للحاج عمر الذي أنقذ المحاصرين.

في سنة 1317 / 1899 عاد الأمين التازي إلى فاس، لكن بوفاة الوزير أحمد بن موسى في السنة الموالية تغيرت الأحوال، فقد رغب أمين الأمناء عبدالسلام موخا التازي في الاستقالة إذ وجد نفسه وسط مجموعة غريبة من الوزراء يصول ويجول فيها المهدي المنبهي وزير الحربية، فأعفي وخلفه محمد التازي أخو الحاج عمر. أما عمر نفسه فقد عوض أخاه محمداً في أمانة العتبة الشريفة بمراكش.

كان الحاج عمر صديقا للوزير المنبهي الذي تشير أصابع الاتهام إليه في استنزاف مال الدولة وفي أعمال الإطاحة بالرجال الثقات وإرشاء الوزراء بل وقتل المعارضين له.

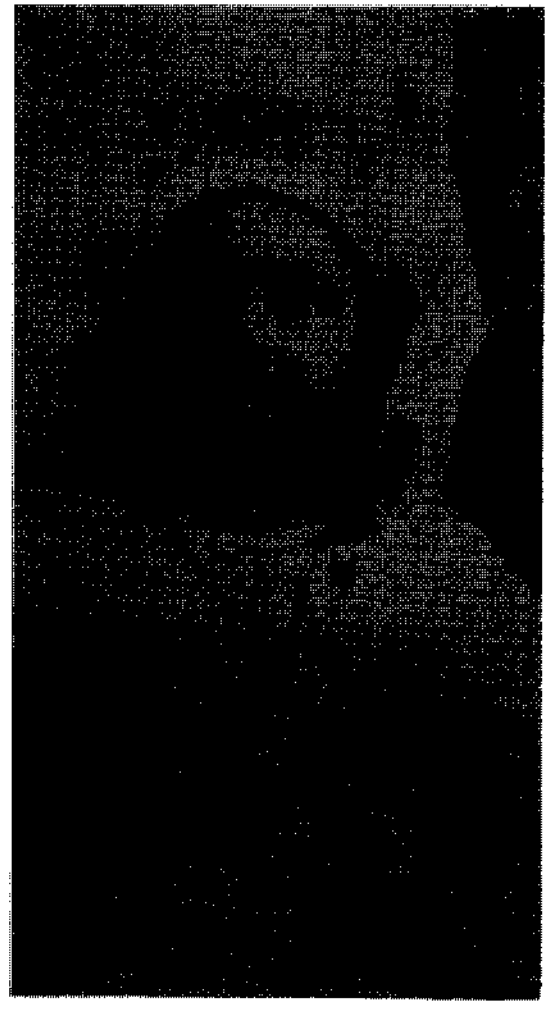

ويقول المختار السوسي إن عمر التازي الذي كان يكنى بعمر الأقرع كان مكلفا بمؤونة دار المنبهي يشتري له من السوق ما يتوقف عليه، وفي سنة 1901 اصطحبه المنبهي معه في سفارته إلى أوربا كمستشار له، وناب عنه أخوه عبد اللطيف التازي باشا الدار البيضاء في منصبه بمراكش.

ولما رجع عين أميناً لأملاك المخزن ومستفادات فاس وكان هذا المنصب من قبل للحاج عبد السلام المقري الذي وافاه الأجل.

وما لبث عمر التازي بعد مدة أن عوضه أخوه عبد اللطيف في هذه الوظيفة بينما أصبح هو حاجبا للسلطان المولى عبد العزيز وعين في نفس الوقت عضواً في المجلس الأعلى للمخزن.

لقد وصف گوفيون الحاج عمر بالشاب المستقيم الذي جلب إليه ثقة الناس وقدره الشرفاء والعلماء. ولكن علاقته بالمنبهي الشخصية المعروفة بما سلف من سوء الصفات تضع تقييم گوفيون لعمر التازي موضع الشك، ولا عجب في ميل هذا الكاتب لأعوان الإدارة الفرنسية إبان الحماية في المغرب.

ظل الحاج عمر بجانب المولى عبد العزيز إلى أن بويع المولى عبد الحفيظ بمراكش أي سبع سنوات كاملة، عندما غادر السلطان وحاشيته بلاط فاس نحو الرباط لتنظيم محلة قوية، كلف الحاج عمر بمهمة في الصويرة التي قصدها بحرا من أجل استمالة قائد حاحة أنفلوس إلى صف المولى عبد العزيز. وكان أنفلوس عدوا كبيرا للقائد عبد المالك المتوكي مائلا إلى المولى عبد الحفيظ، ولم تفض المباحثات معه إلى نتيجة، في الوقت الذي انهزم فيه المولى عبد العزيز في ضواحي السراغنة قصد سطات ومنها توجه إلى طنجة، أما الحاجب الحاج عمر فقد غادر الصويرة ثم استقل مركبا نحو الجزيرة الخضراء مصحوبا بأخيه مَحمد.

سكت گوفيون عن أحوال الحاج عمر إبان حكم المولى عبد الحفيظ لكن مصادر أخرى (رواية شفوية) تؤكد أنه استقر مدة بتونس وتشيع ببعض الأفكار الاقتصادية وتأثر ببعض اليهود في هذا المجال. ولا عجب أن يسكت گوفيون عن هذه الفترة، فالمولى عبد الحفيظ أقسم أن ينتقم من أمثال عمر التازي الذين اتهمهم بتبذير مالية الدولة، فكان الحاج عمر من خصوم السلطان إذن.

بعد حلول الحماية رجع الحاج عمر إلى المغرب وأخذ يتعاطى التجارة الكبرى مع الدول الأوربية وخاصة انجلترا حيث أسس في منشيسطر وكالتين مهمتين للخدمة والاستيراد.

وخلال شهر دجنبر من سنة 1914 أسند إليه الجنيرال قائد ناحية الدار البيضاء باشوية هذه المدينة. فعمل على تنمية المدينة، ويقول گوفيون إنه منح الدار البيضاء الأراضي لتخطيط المحاور الكبرى لها مثل شارع الحرية وشارع أورلوج... الخ.

إن بعض المعاصرين للحاج عمر يؤكدون أنه أتى من تونس بأفكار اقتصادية مؤداها أن المستقبل كل المستقل هو في شراء العقارات لتنمية الثروة الشخصية لذلك طبق الحاج عمر هذه الأفكار فاشترى أراضي عديدة بالجديدة والدار البيضاء وغيرهما، وكان يختار الأراضي غري المنازع فيها وغير المشتركة، والموجودة خارج المدن، في الضواحي

المباشرة. وهذا من أسباب ثروته الضخمة.

وفي ذي القعدة عام 1336 / غشت 1918 دعاه السلطان المولى يوسف وسماه وزير الأملاك المخزنية وظل يحتل هذا المنصب إلى سنة 1930 حيث عين وزيرا شرفيا، وقد منح درجة ضابط كبير من جوقة الشرف.

توفي الحاج عمر بالرباط سنة 1353 / 1934 ولم يترك أولادا وخلف ثروة طائلة منها القصر الموجود وراء البرلمان بالعاصمة بضريح مولاي المكي، وكان وريثه أخوه مَحمد النائب السلطاني بطنجة قد اشترى روضة لدفن آل التازي بالضريح الكبير.

ع. التازي، *رسائل مخزنية*، الرباط، 1979، ص. 59 ؛ م. بوجندار، *الكلمات الذهبية*، الرباط 1922، ص. 75 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 : 38 ؛ *روايات شفوية للسيد محمد الأمين بلكناوي*، بتاريخ 13 / 11 / 1992.

M. et E. Gouvion, *Kitab Aayane al Maghrib al-Akça*, Paris 1939, p. 758 - 759.

عبد الإله الفاسي

التازي، محمد بن أحمد الخصاصي، قال في حقه صاحب *إتحاف المطالع* : "كان من كبار العلما بها ـ تازا ـ عالماً مدرساً مفتياً ذا صيت ومقدرة ومثابرة. أخذ العلم بفاس ثم رجع إلى بلده". رحل إلى المشرق وأدى فريضة الحج، ولم تدون أخباره في فهرس أو رحلة.

توفي بمسقط رأسه تازا في فاتح رجب عام 1301 / 24 أبريل 1884.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1301.

التازي، محمد بن الحاج حدو السلوي، وصفته الوثيقة العدلية المتعلقة بإراثة أخته أم هانيء بنت الحاج حدو التازي بـ"الفقيه الأجل، العالم العلامة الأفضل" غير أننا لا نجد له ذكراً في أي كتاب من كتب التراجم التي وقفنا عليها. كان من عدول سلا المنتصبين للشهادة، شهد في رسم مؤرخ في 21 محرم عام 1182 / 6 يونيه 1768 وأعلم القاضي محمد زنيبر بثبوته.

رسوم عدلية.

التازي، محمد أبو حنيفة بن محمد الفاسي، أستاذ مقرئ حافظ للقراءات السبع. أخذ عنه علم التجويد والقراءات عدد غير قليل من علماء الحاضرة الإدريسية. عاش في كفاف منقطعاً للتدريس والذكر والعبادة إلى أن لقي ربه في سابع وعشري جمادى الثانية عام 1301 / 24 أبريل 1884 ودفن بضريح الشيخ أبي عبد الله التاودي خارج باب عجيسة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1301.

التازي، محمد بن العباس بن أحمد الفاسي. قال في حقه تلميذه عبد السلام ابن سودة كان "علامة مشاركاً مستحضراً مطلعاً حلو المجلس مذاكراً".

أخذ عن والده وهو عمدته، وعن الشيوخ أحمد بن الخياط وأحمد بن الجيلالي الأمغاري وعبد السلام الهواري والمهدي الوزاني وغيرهم. وكان يزاوج في حياته بين التدريس والتجارة لا يفتر عن المطالعة والمذاكرة ولا يمل.

توفي بفاس يوم الأربعاء سادس وعشري محرم عام 1370 / 8 نونبر 1950، ودفن قرب روضة العبدلاويين بالقباب خارج باب الفتوح.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1370 ؛ *سل النصال*، الترجمة 199.

التازي، محمد بن عبد الرحيم ابن يَجَّبش (أو يگَّبش)، وبهذه الكنية الأخيرة شهير. عالم أديب وصوفي عاشق، عاش في مسقط رأسه تازا ينشر العلوم الشرعية واللغوية والأدبية، ويربّي المريدين السالكين طريق القوم، ويستنهض الهمم نثراً وشعراً لتدارك أحوال المسلمين في الثغور المغربية التي تسقط تباعاً في يد العدو الكافر. له *ديوان* فريد من نوعه في الأدب المغربي بما اشتمل عليه من أشعار وموشحات رقيقة لا تنحط عن أشعار ابن الفارض وأزجال الششتري وأضرابهم من كبار أدباء الصوفية بالمشرق والأندلس. وفيه أيضاً مساجلات أدبية مع معاصريه أمثال الشيخ أحمد زروق الفاسي ومحمد السنوسي. ولابن يجبش أشعار وموشحات أخرى مبعثرة في مجموعات خطية بالخزائن العامة، ومعارضة *المنفرجة* لابن النحوي، وتخميس *البردة* للبوصيري، وكتاب *إرشاد المسافر للربح الوافر*. وله أيضا كتاب *تنبيه الهمم العالية* في الحض على الجهاد، فصل فيه الكلام على أحكام الرباط والجهاد في البر والبحر بأسلوب أدبي حي يعتمد على الخطاب والدعوة إلى التأمل والاعتبار، ويكثر فيه من الاستفهام والتحضيض، مما يدل على غيرة إسلامية صادقة وشعور وطني فياض. وقد ختم الكتاب بقصيدة حماسية طويلة من ثمانية وستين ومائة بيت تدعو إلى الجهاد لتحرير الثغور المغربية المحتلة، منها :

أيا وأولياء النصر يا أهل غربنا ... بكم تُضرب الأمثال في كل بلدة
وأنتم همُ الشجعان في شدة الوغى ... وأنتم هم الأبطال عند الحقيقة
... فأين أسود الغرب أين رجاله ؟ ... وأين ذوو الخيل العتاق الأعزة ؟ !

توفي محمد بن يجبش في مسقط رأسه تازا عام 920 / 14 ـ 1515. وضريحه معروف بها يزار.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 66 ـ 71 ؛ ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 149 ـ 150 ؛ *لقط الفرائد*، 384 ؛ أ. بابا التنبكتي، *كفاية*، 141 ؛ *نيل*، 334 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، 15 ؛ أ. القادري، *المقصد*، 299 ؛ م. المكي الناصري، *الرياحين*، 55 ـ 57 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 17 ـ 21 ؛ 2 : 239 ـ 240 ؛ م. ابن تاويت، *الأدب المغربي*، 289 و291 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 27 ـ 198 ـ 201 ـ 434 ؛ أبو بكر البوخصيبي، *أضواء على ابن يجبش*، الدارالبيضاء، 1976.

التازي محمد بن **عبد الكريم**، أخو الثري الشهير الحاج عمر التازي سابق الترجمة. انخرط في خدمة المخزن على إثر وفاة الوزير ابّا احماد (1318 / 1900) فكان من جماعة المنبهي الذين لم تحمد سيرتهم. ولي محمد التازي مدة خطة الحسبة بمدينة فاس ثم صار وزيراً للمالية. وفي سنة 1331 / 1913 عندما تولى الوزارة محمد الجباص عين محمد التازي مندوباً للسلطان في مدينة طنجة، فكان

متميزاً في الحفاظ على التقاليد وإظهار الأبهة المخزنية بين ممثلي الدول الأجنبية في الفترة التي كانت فيها مدينة طنجة تحت النظام الدولي، وقد أُخر التازي عن النيابة وحل محله محمد برگاش لنحو أربع سنين ثم أعيد التازي إلى منصبه بدار النيابة سنة 1346 / 1928 وظل يزاول مهامه هذه إلى أن أدركته الوفاة في ثاني ربيع الثاني عام 1367 / 13 فبراير 1948 ودفن بطنجة.

التازي، محمد بن **عبد الله المكودي**، من أكبر تلاميذ الشيخ العربي الدرقاوي. له تآليف عديدة في التصوف والرد على خصوم الطريقة الدرقاوية، منها شرح *منظومة* أبي مدين الغوث، ورسالة في سلوك طريق القوم سماها : *الإرشاد والتبيان في رد ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان*.

توفي عام 1314 أو 1315 / 96. 1897.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون 1314.

محمد حجي

التازي، محمد بن **عبد المومن** فقيه نوازلي وقاض مدرس لم تهتم كتب التراجم به رغم سموّ مقامه، واكتفى كل من ابن القاضي، في *الجذوة*، وأحمد بابَ، في *النيل*، بالإشارة إلى أن محمد بن عبد المومن كان من فقهاء فاس، من طبقة موسى العبدوسي ووقع النقل عنه في *المعيار*، وفي غيره.

يضم كتاب *المعيار* مجموعة من فتاوى هذا الفقيه. وقد وصفه أحمد الونشريسي "بالفقيه القاضي المدرس" وذكر من أخباره أنه كان يدرس بمدينة تازا (7 : 48). وأثبت اسمه كاملا : أبا عبد الله محمد بن عبد المومن التازي، كما أورد قائمة بأسماء الفقهاء الذين عاصروه ومن أشهرهم موسى بن محمد العبدوسي (ت. 776 هـ).

أ. الونشريسي، *المعيار*، في مجموعة من الأجزاء ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ أ. باب، نيل الابتهاج، طرابلس 1989، ص. 456.

عمر بنميرة

التازي، محمد بن **عبد الودود** بن عمر الأندلسي. أخذ عن الشيخ المهدي ابن سودة وأقرانه، وألف كتاب *نزهة الأخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين*.

توفي عام 1247 / 31. 1832.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

التازي، مَحمد (الحاج) **الفاسي**، اشتغل بالتجارة بمساعدة والده ثم انتقل إلى الدار البيضاء في أوائل القرن حوالي عام 1300 / 1882 وهناك اشترى دارا بدرب ابن جدية، لكنه لم يلبث أن التحق بمدينة الرباط للاتجار في التوابل (العطرية)، وكان من أعيان الطريقة التجانية الذين شملهم ظهير التقدير والتكريم الذي أصدره السلطان المولى عبد العزيز بتاريخ 4 ربيع الأول 1312 / شتنبر 1894.

توفي بالرباط في أوائل جمادى الأولى عام 1316 / شتنبر 1898، وخلف من الذكور أحمد ومحمد وإبراهيم والمكي.

م. دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 326 ؛ ع. التازي، *رسائل مخزنية*، الرباط، 1970، ص. 47.

عبد الإله الفاسي

التازي، محمد بن **محمد**، من أسرة التازي موخا الفاسية الشهيرة. كان يتاجر مع أبيه في المدن المغربية الكبرى فتمرّس على شؤون التجارة خصوصا مع بعض

الدور التجارية الأوربية التي كان والده معروفا عندها، وعندما أقدم السلطان محمد بن عبد الرحمان على الإصلاحات المالية والجمركية عقب حرب تطوان سنة 1860 وفرضت الغرامة المالية الإسبانية الباهظة كان محمد التازي من بين الأمناء الذين وقع عليهم اختيار المخزن لتحصيل المال اللازم. فعين أمينا بمرسى الدار البيضاء سنة 1280 / 67. 1868 واتصل بالأمير المولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمان عندما كان خليفة لأبيه بمدينة الصويرة. ولما تقلد المولى الحسن الحكم عاد محمد التازي إلى فاس ليقوم بمهامه هناك، وقد أسكنه السلطان المذكور وصار بدار لاله أم كلثوم المعروفة بدرب الروم الرابط بين زقاق الحجر وواد رشاشة على مقربة من مكاتبه بدار عديل، لكن السلطان سرعان ما دعاه إلى الالتحاق بالدار البيضاء للتكلف بمستفاداتها، وتقلد نفس المنصب بمراكش ثم فاس. وفي سنة 1292 / 1875، أشرف على مستفادات الرباط وسلا، وذلك طيلة سنوات 1293 و1295 / 1875 و1878.

بعد وفاة الحاجب موسى بن أحمد وتعيين محمد بن محمد بن العربي الجامعي صدراً أعظم، أسند السلطان المولى الحسن إلى محمد التازي مهمة أمين الأمناء سنة 1296 / 1879. 1880، حيث أصبح مكلفا بجميع خراج المغرب ومراسيه ومستفاداته وقد صاهره السلطان المولى الحسن بإحدى جواري أبيه السلطان محمد بن عبد الرحمان زينب السرغينية، وذلك عندما استدعاه لمراكش وسماه أمينا للأمناء.

اشتهر محمد التازي بأنه كان قليل الاختلاط بالناس ملازما للقصر أو مرافقا للوزير الصدر (باحماد) الذي كان متفاهما معه وكان يجد راحته في اللجوء إلى أوراده وأذكاره، فقد كان كأبيه تيجاني الطريقة، نحيل الجسم قصير القامة.

وكان المخزن يكلفه بعدة مهام، وهذا شأن الموظفين المخزنيين الكبار في عهد ما قبل الحماية، فقام بمباحثات ومفاوضات مع الأجانب والقناصل. وعانى مشاكل التجار في الأسواق وكلف بسك النقود ... الخ. وقال عنه المؤرخ الناصري إنه كان من أمثل أهل المغرب وأصدقهم وأنصحهم للسلطان وأشدهم غيرة على الدين والوطن.

توفي محمد التازي بفاس في 4 رمضان عام 1307 / 24 أبريل 1890 ودفن بجانب قبر صديقه الأمين المدني بنيس.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 166 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986، ص. 271 ؛ ع. التازي، *رسائل مخزنية*، الرباط، 1970 من ص. 27 إلى 43.

عبد الإله الفاسي

التازي، محمد مسواك بن محمد الفاسي. فقيه أديب مشارك اشتغل حياته بالتدريس ونفع الطلبة، وأسند إليه منصب القضاء بمدينة صفرو. وبعد إعفائه رجع إلى مسقط رأسه ليتابع مسيرته في التدريس إلى أن توفي في ثالث ربيع الثاني عام 1283 / 15 غشت 1866، ودفن بالزاوية الناصرية في فاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، 1283.

التازي، المعطي بن محمد بن الحاج حدو السلوي، كان من عدول سلا الأفاضل، شهد في رسم شراء مؤرخ في 5 محرم عام 1235 / 24 أكتوبر 1819، ثم توجه إلى المشرق وكان حتى أوائل عام 1236 / 1820 مازال متغيبا هناك.

التازي، موسى، كان من عدول سلا المنتصبين بها لتلقي الشهادات وكتابتها المقبولين عند قضاتها، ولم يزل بوصفه المذكور إلى أن مات، حسبما جاء في تعريف بعلامته مؤرخ في عشري محرم عام 1236 / 28 أكتوبر 1820 وكان رفيقه في الشهادة الفقيه المفتي المؤلف الشهير عبد السلام بن بوعزة حركات. ومما شهدا فيه معاً رسم إراثة مؤرخ بالواحد والعشرين من المحرم عام 1195 / 16 يناير 1781.

رسوم عدلية معلم بثبوتها - عندي -.

محمد حجي

تَازِيَّاتْ، جبل يغطي جزءاً كبيراً من قبيلة بني خالد الغمارية (إقليم شفشاون) ويعرف أيضا بجبل تاموروت ويبلغ علوه فوق سطح البحر 1763 متراً.

Domenech, *Zona Norte*, 28 ; Cabello, *Geografia de Marruecos*, 69.

محمد ابن عزوز حكيم

تَاسَافْتْ، - في الأطلس الكبير - تعني كلمة تاسافت بالأمازيغية شجر البلوط الذي ينتشر كثيراً في جبال الأطلس والريف.

وتوجد تاسافت كاسم علم جغرافي في وادي نفيس بأطلس مراكش. وقد تسمت بها مجموعة من القرى توجد كلها على ضفاف نهر صغير يحمل نفس الاسم، ينبع من السفح الشمالي لجبل ويشْدَانْ الممتد بين وادي نفيس وبلاد أُنَايْنْ، ويصب في نهر نفيس غير بعيد عن موقع مدينة تينمل الموحدية.

ومن أهم قرى تاسافت نذكر : أغْبَارانْ، وتگاديرت ن أُميوس وتارگا أُزْرُو وأگني والزاويت. وفي هذه الأخيرة بنيت زاوية تاسافت.

وقد أسست هذه الزاوية سنة 1007 / 1598 على يد الشيخ سيدي أحمد بن محمد الافراني، والذي يسميه السكان سيدي حماد أُمحند. وقد تلقى الطريقة من الشيخ أبي القاسم بن عبد الرزاق الذي كانت له زاوية بالقرب من تامگروت بوادي درعة.

وقد ذكر المختار السوسي (*المعسول*، 12 : 54). أن الشيخ المؤسس لزاوية تاسافت كان واحدا من أصحاب الولي الصالح سيدي أحمد بن موسى دفين تازروالت بالأطلس الصغير.

بقيت زاوية تاسافت خلال القرن الحادي عشر (17 م) جاثمة في ظلال التاريخ غير المكتوب إلى القرن التالي

حيث كتب أحد حفدة شيخها كتابا سماه *رحلة الوافد في أخبار هجرة الوالد في هذه الأجبال بإذن الواحد*، سرد فيه أخبار محنة أبيه وعائلته وسكان وادي نفيس بصفة عامة مع باشا مراكش آنذاك عبد الكريم بن منصور التكني والي السلطان مولاي إسماعيل على جنوب البلاد.

ومن خلال هذا السرد تعرفنا على زاوية تاسافت ورجالها، كما تعرفنا من خلاله على جوانب هامة من تاريخ سكان المنطقة، سواء على مستوى علاقتهم الداخلية أو على مستوى علاقاتهم مع المخزن والسلطة المركزية بصفة عامة.

وقد هدم المخزن زاوية تاسافت وأضرم فيها النار في صيف عام 1715، حينما تمكنت حركة باشا مراكش عبد الكريم بن منصور من الدخول إلى وادي نفيس عن طريق ورزازات وأيت واوزگيت وأ ُناين أي من جهة شرق الوادي.

ورغم أنها أعيد بناؤها، فإن أهميتها كمؤسسة دينية بارزة في المنطقة نقصت كثيرا منذ ذلك الوقت إلى الآن. خصوصا وأن وادي نفيس عرف منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) اندماجا تدريجيا في النظام المخزني بواسطة القيادة الگندافية، وانتهى به بذلك نظام إمغارن أو الشيوخ الذي كانت فيه الزاوية مؤسسة دينية مستقلة ومحايدة ـ مبدئيا على الأقل ـ لها اعتبار معنوي تنسحب فوائده على الزاوية وأهلها وعلى سكان المنطقة بصفة عامة.

عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. صدقي علي أزايكو، منشورات كلية الآداب بالقنيطرة، 1993 ؛ علي صدقي أزايكو، *زاوية تاسافت*، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد السادس عشر، الرباط، 1991، ص. 71 ـ 107.

علي صدقي أزايكو

تاسافت، ـ في الريف ـ جبل وموقع حربي وزاوية وفرقة، فالجبل الواقع بالريف الشرقي معروف منذ القرون الهجرية الأولى بارز في القسم الجنوبي من حدود قبيلة بني توزين، بين واد النكور غرباً، حدوده من هناك واد الحسين وواد الجدار رافد النكور. وتقف حدوده الجنوبية عند امتداد الواد الأخير المذكور وواد لكمامن. ويعزل الكتلة من جهة الشرق منخفض وادي كرط وحوض تفرميت. أما في الشمال فيمثل حدودها مجرى واد صوف في حوضه الأعلى. وتبرز داخل هذا المحيط قمة قَشْ قَشْ بعلو 1.613 م، وهي أعلى قمة بالريف الشرقي، بينما تعبر باقي الارتفاعات على الشكل الهضبي الذي تمثله الكتلة تَگُونْتْ (1.301 م)، مگو (1.324م) بهيدور (1.035م) نساد (893 م)، تمي أسام (1.297 م) عمر أ ُموسى (1.362 م).

عرفنا البكري بقدم وجود اسم تاسافت، بمناسبة الأخبار التي أوردها عن حروب العبيديين لإمارة النكور بدءاً من سنة 304 / 916، حينما اتخذوا من الجبل موقعا حربيا لغزو مدينة النكور، هذا هو ما حدث حينما زحف مصالة بن حبوس المكناسي ضد سعيد بن صالح، وجعل محلته عند قدم السفح الجنوبي الغربي من قمة قش قش على ما يبدو بجوار مجرى واد عبد الكريم الحالي. وإلى هذا الموقع بعث سعيد بن صالح أمير النكور قائده حميد بن العياش البطوفتي في محاولة لاغتيال مصالة. وحينما وقع في قبضة القائد العبيدي انقلب ضد سعيد فأسره وجاء به إلى مصالة، حيث تم قتله، فكانت النتيجة دخول مصالة بن حبوس مدينة النكور في 3 محرم عام 305 هـ.

ونزل في نفس موضع تاسافت صندل الفتى، صاحب القاسم العبيدي سنة 323 / 934 لمحاربة أمير النكور يومئذ إسماعيل بن عبد الملك، وكان قد تحصن بقلعة أ ُكرَى المقابلة لموضع محلة صندل من جهة الشمال الشرقي على مقربة من الضفة اليمنى لواد النكور (حاليا ببني بلعيز). ومن هذا الموقع قاد صندل حملاته المتكررة على القلعة إلى أن تم فتحها ومقتل صاحبها الأمير إسماعيل بنفس المكان الذي قتل فيه مصالة سعيد بن صالح، كان ذلك في شوال عام 323 هـ.

وبجبل تاسافت أسس الحاج علي بن ماخوخ التوزاني زاويته التي لا تزال قائمة إلى اليوم يشرف على أمورها أحفاده. ومبناها جد بسيط مقتصر على قبة ضريح صاحبها وبعض المرافق، واقع غرب قمة إسُراخ (1.327 م)، مشرف على مجرى واد عبد الكريم، مما يقابل قمة قش قش، ويعود هذا التأسيس إلى أواسط القرن السابع الهجري، بعد انتقال صاحبها من جبل بني عيسى (تمسمان) إثر وفاة شيخه محمد اليستيتني في تاريخ يعسر ضبطه. وفي عام 686 / 1287 كان الحاج علي بمكانه بتاسافت، زاره به عبد الحق البادسي صاحب *المقصد الشريف*.

ويظهر اسم تاسافت في التقسيم الإداري الحالي بمرتبة فرقة تتألف من أربعة عشر مدشراً موزعة في الغالب حول حوض مجرى واد عبد الكريم، مثل أولا سيدي الحاج علي ماخوخ، أهل الزاوية، وأولاد العالي، وأيت زيان وإدَرَّازْنْ وأيت عدول. ويوجد على الضفة اليسرى من واد الحسين، وعلى حدود فرقة بني بلعيز مدشر إعزوزن وتستقر بعض المداشر بالدير الجنوبي من الكتلة الذي يدعى بالرحيل. وهو بمثابة عزايب بني توزين، مثل بُوعَلْمَا وإجْعُونَنْ (جعاونة) وتَلاَمْغَايْتْ، وإخْوَانَنْ.

أ. البكري، *المغرب*، 95. 98 ؛ ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 114 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 92.

حسن الفگيگي

التاساكاتي، محمد بن أحمد، أحد علماء سوس وصوفيتها المتصدين بمحاربة البدع، وهو تلميذ الشيخ علي ابن إبراهيم الأدوزي المتوفى سنة 1207هـ. وقد حفظ له التاريخ موقفه المؤيد لبيعة السلطان المولى سليمان العلوي ونصرة السنة ومحاربة الثائر بوحلاس الذي ظهر بقرية تاسريرت ببعمرانة حيث ادعى أنه المهدي المنتظر تارة وأنه المولى اليزيد بن محمد بن عبد الله تارة أخرى، ففتن الناس

بشعوذته وسحره، وتسلط على العلماء وحفظة القرآن وفتك بالكثير من اليهود، وجمع حوله العامة والجهلة، فكان الشيخ التاساكاتي من أشد المتصدين لمحاربته بالقلم والخطب، وفضح أسراره واتهامه بالمروق واتباع نحلة بلا بنعزوز المراكشي التي نقل صورة عنها أحد تلاميذ الشيخ محمد الحضيكي.

وقد وقف المؤرخ محمد المختار السوسي على مؤلف في هذا الموضوع وأورد منه نماذج من رسائل التاساكاتي في كتابه المعسول الجزء الخامس منه قوله : "من محمد التاساكاتي نزيل زاوية أيت الصوابي بماسة، إلى أهل الإسلام كافة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد، فلتنتبهوا أيها المسلمون لهذه المصيبة النازلة، نسأل الله السلامة والعافية، رجل ذو حيل كثيرة وكيود متينة، رجل كذاب سحار ..." إلى أن يقول : "وهذا اللعين من أصحاب ابن عزوز، يعني المراكشي الذي ألف ضده الحضيكي مؤلفا معلوما، لا يصلي ولا يذكر الله البتة ويبغض أهل العلم والدين ..." والرسالة طويلة. ثم لما اشتد خطر بوحلاس توجه التاساكاتي إلى تزنيت مستغيثا وموجها الرسائل إلى القبائل لاستنهاض الهمم لمحاربة هذا الفتان. ومنها رسالة إلى أولاد جرار يعاتبهم على ميلهم لهذا المتمرد حيث قال : "... فانتهوا أيها الناس من صنيعكم وانسلوا منه ... واعلموا اننا خرجنا لنصرة دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بألسنتنا". وظل متمسكا بالبيعة في أهل سوس حسب قول المؤرخ الضعيف حيث كان يقول : "إن مولانا سليمان، سلطان وباق حتى يأتي لداري هذه ويجلس على هذه الدكانة...".

وتظافرت جهود التاساكاتي مه القائد محمد بن مبارك الهشتوكي الدليمي فتم القضاء على بوحلاس وقتل في إحدى المعارك سنة 1207 هـ. ولما زار السلطان المولى سليمان سوس سنة 1222 وجد الشيخ قد توفي فزار داره.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. م. البوزيدي، 2 : 636 ؛
م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5 ص. 8.142، ص. 191 ؛ 14 ص. 108 ؛ ج 15، ص. 152 ؛ *إيليغ*، ص. 231 .

محمد ماگامان

تَاسَاوْتْ، أحد روافد نهر أم الربيع. والكلمة مشتقة من "تاسا أي الكبد باللهجة المحلية وترمز إلى تعميق الواد بقلب المنطقة الجبلية كالكبد داخل الجسد، حسب تفسير بعض السكان المحليين.

يبلغ طول الواد 237 كلم، يقع معظمة بإقليم السراغنة، ينقسم إلى مجرى جبلي أعلى : 122 كلم ومجرى سهلي : 115 كلم يضم تساوت الوسطى وتساوت السفلى.

الحوض الجبلي، يحتل المنطقة الجنوبية الغربية من الأطلس الكبير الأوسط، يتخذ شكلا طوليا ضيقا، ساهمت مجموعة من الانكسارات في توجيهه. ينبع من قمم عالية: مگون وغات وتمگونسي مما يجعل انحداره العام قويا 25 م /كلم. يتعمق مجراه في صخور الكلس الدولوميتي الجوراسي والكريتاسي ويقطع أعرافا عالية وهضابا متكتلة كما يعبر أحواضا ومنخفضات تتخللها متون وتلال تكونت في صخور هشة من الطين والرصيص والحث ترجع إلى الزمن الأولى والبرموترياس أهمها حوض تامليل تغطي 48٪ من حوضه مما يجعل مياه فيضاناته مثقلة بالرواسب 4.5 كلغ /م^3، تحمل سنويا 1.6م م^3 من الرواسب. تبلغ مساحته 1500كلم^2 تكون 80٪ من حوض تغذيته الكلي. ونظرا لارتفاعه الكبير وموقعه القاري فإن الحوض يعرف مناخا جبليا ذا صبغة متوسطية. يبلغ معدل الأمطار 650 ملم مع اختلافات جهوية وسنوية هامة بحيث تكون النسبة بين صبيبه السنوي الأعلى والأدنى 1/ 6 كما أن معدل الجريان الموسمي يعرف تباينا كبيرا 17 م^3 / ث في الخريف إلى 600م^3 / ث في الفيضان الربيعي. وبفضل الثلوج التي تكون نسبة مهمة من تساقطاته الشتوية ووجود صخور مسامية كلسية فإنه يحافظ على جريان صيفي لا بأس به. يبلغ صبيبه السنوي عند سد أيت عادل 172مليون. وتكسو الغابة المتكونة أساساً من البلوط الأخضر والعرعار والصنوبر الحلبي حوالي ربع مساحة الحوض لكنها متدهورة بينما تحتل بعض الأحواض العليا والهضيبات مروجا غنية.

السكان والحياة الاقتصادية : يسكن المنطقة ثلاث مجموعات من قبائل الشلوح المصامدة : إمغران بمنابع الوادي، وفطواكة بالجزء الأوسط، وغجدامة بالجزء الأسفل، ولما كانت الأراضي الزراعية ضئيلة فإن النشاط السائد هو تربية المواشي الصغيرة خاصة، ويعتبر هذا النشاط أساسيا بالمجرى الأعلى، بالإضافة إلى الأبقار والبغال التي تعتبر الوسيلة الأساسية للنقل. وتعتمد الحياة الرعوية على تحركات معقدة تستجيب للظروف البيئية والعلاقات القبلية وتزيد أهمية الزراعة كلما اتجهنا نحو الجهات السفلى وخف الانحدار، لكنها تستقر عموما على طول المجاري بقعور الأودية وسفوحها الدنيا حيث تتوفر التربة ومياه السقي الضروري صيفا عندما يعتدل الجو وتندر الأمطار، لكنها لا تغطي سوى 3٪ من مساحة الحوض أي 4435 هـ، وتمارس الزراعة في إطار حيازات متوسطها 1.5هـ مجزأة إلى عدد كبير من البقع نتيجة التقسيم بين الورثة منذ أجيال، تمد السكان بكميات غير كافية من الحبوب : الشعير والذرة وبعض الخضروات، للاستهلاك العائلي والعلف للأبقار. كما تحتل الأشجار المثمرة مكانة هامة خصوصا في المنطقتين السفلى والوسطى : أشجار الزيتون واللوز والجوز ذو الخشب الثمين. ويتوزع السكان البالغ عددهم حوالي 40.000 نسمة في قرى صغيرة تشرف على محاطاتها. ويوجد نصفها على طول المجرى الرئيسي لتاساوت ولايوجد هنا أي مركز حضري. ويعاني الحوض من تزايد سريع للسكان أدى إلى تفجير الهياكل الاجتماعية والاقتصادية التقليدية وفتح الطريق لمسلسل تحولات، وكان من نتائج هذا التزايد تكثيف المراعي وتمديد الرقعة الزراعية على حساب الغابة

والسفوح الوعرة. فأدى ذلك إلى تحميل المراعي فوق طاقتها وتنشيط عوامل التعرية مما يدفع إلى هجرة الكثير من الشباب. ونظرا لاستفحال مسلسل التفقير والهجرة وتنشيط التعرية التي تهدد بحيرة السد بالطمي بالاوحال، تنفذ السلطات مشاريع لاستصلاح الحوض عن طريق التشجير وتقوية شبكة الري وإنعاش الحياة الزراعية والرعوية وخلق أنشطة أخرى قصد تثبيت السكان والخروج بالمنطقة من أزمتها. وينتهي الحوض الأعلى بسد أيت عادل (مولاي يوسف) الذي أنشىء باخر الطيات الجبلية المشرفة على السهل 1970 لتخزين مياه السقي أساسا وتوليد الكهرباء. يتكون من جاجز ترابي، خلفه بحيرة طولية تتسع لـ 260 مليون م^3 من المياه. بني أسفله على بعد بضعة كيلومترات سد صغير لتنظيم السقي بأگادير بوعشيبة بحجز المياه المستعملة في توليد الكهرباء ويوجهها عبر قناة باطنية طولها 5 كلم لعبور متن مرتفع نحو السهل المنخفض وتغذية شبكة ري عصرية بتاساوت الوسطى.

تاساوت الوسطى : يكون الواد مروحة كبيرة بشرق الحوز انتشرت مفتتاتها على سمك كبير فوق قاعدة هرسينية يعلوها حث ترياسي تعرض لعمليات غمر وإرساب خلال الأيوسين، وترتب عن هذا التكوين وجود فرشات مائية غنية، لكن التربة تتباين جودتها من جهة لأخرى، منها التربة الطينية الجيدة والتربات الرملية والحصوية كما تظهر قشرات الكلس المستنقعي في جهات كثيرة. وينحصر حوض تاساوت هنا على مجرى رئيسي ضيق لا يتلقى أي روافد، فتغذيته هنا ضعيفة جدا تقتصر على عيون بضفاف الواد وفيضان مسيلات إثر سقوط الأمطار تختفي مياهها بسرعة في الرواسب الرباعية المتنافرة. ويعتبر هذا القسم سهلا عاليا يميل نحو الشمال : 5.6م /كلم من 800م إلى 500م. أمطاره قليلة 300 إلى 400 ملم وحرارة الصيف مرتفعة : 40 درجة، مما يجعل المنطقة جافة إلى شبه جافة : تنبت بها نباتات سهبية سدرة ودوم وأعشاب حولية قصيرة. لكن وفرة مياه السقي من الواد والفرشات الباطنية جعلها منطقة زراعية تشتهر ببساتينها المسقية منذ القديم وسواقيها الكبرى مثل اليعقوبية (ترجع إلى عهد الموحدين) والسلطانية، وعشرات السواقي الأخرى المهيكلة للمجال التقليدي. وأقدم من استقر بها : الهسكوريون (حسب ابن خلدون) ثم حل محلهم قبائل زمران إحدى قبائل الدير المشهورة بشرق الحوز. والسراغنة ومنهم أولاد يعقوب وأولاد خلوف وأولاد منصور. وظلت منطقة زراعية مفتوحة لكل وافد خاصة من الجبال. بلغ سكانها 134.400 ن (1982) تضاعف سكانها منذ (1960) بسبب تكثيف الزراعة المروية وتحديثها. خلف بها المعمرون الفرنسيون 8000 هكتار مزروعة بتاملالت. ولازالت الأراضي الجماعية منتشرة بالبور وأراضي الرعي. أما التمليك الخاص فقد تنازل الأراضي المسقية التي بالتوارث عبر الأجيال مما سهل للقواد الكبار خاصة الأگلاوي الاستيلاء على قسم كبير منها في بداية القرن العشرين. وبعد بناء السد تدخلت الدولة عن طريق مراكز الاستثمار الفلاحي وبنت سواقي عصرية رئيسية تزود شبكة السواقي القديمة التي تحل محلها سواق عصرية بالتدريج. كما عملت على دمج الأراضي وتنظيم المحاطات وتجديد المزروعات مما جعل المنطقة تعد من أهم الدوائر المسقية بسهل الحوز، تنتج الزيتون والمشمش والحوامض والخضر بالإضافة إلى الحبوب المروية والبورية التي لا زالت تطبق فترة الاستراحة. ويوجد النطاق السقوي الحديث بالضفة اليسرى، يستعمل الماء بترشيد ويطبق دورات زراعية مبنية على أسس علمية جعلت المنظر يتخذ شكل أشرطة ينتشر بينها سكن متشتت. وظهرت تعاونيات مختلفة المضمون والنجاح، وانصب الاهتمام مؤخرا على مزروعات جديدة : القطن والشمندر وقصب السكر والقمح الرطب والقمح الصلب المسقي وكذلك الخضر والعلف لازدهار تربية الأبقار الحلوب. وظهرت ملكيات حضرية واسعة للتجار وبعض الموظفين تستعمل العمل الآلي والمأجور. تبلغ مساحة النطاق المسقي بتاساوت الوسطى 52.000 هكتار منها 22.000 هـ سقي تقليدي.

تاساوت السفلى : بعد عبور سلسلة الجبيلات يقطع الواد شرق سهل البحيرة وهو حوض منبسط امتلأ برواسب قارية منذ الكريتاسي، توضعت فوق قاعدة هرسينية تغطيه مفتتات رباعية تعمق بها سرير الوادي فظهرت قشرات كلسية وأراض كثيرة الحصى بضفتيه، ولا يتلقى الواد هنا أي رافد لقلة الأمطار ـ 300 ملم وكثرة التبخر والتسرب. تطغى على المنظر البراري السهبية ويقطن المنطقة مجموعات أهل الغابة وبني عمر من قبائل السراغنة، وتعد هذه المنطقة ملتقى سهلي تادلا والبحيرة، لكن استيطان السراغنة القديم طبع المنطقة بطابعهم الخاص لدرجة أنها تعرف بسهل السراغنة. وهي تقع خارج النطاق السقوي الحديث لكن تنتشر بها مشاريع الري الصغير خاصة على طول مجرى تاساوت حيث تكثر البساتين والملكية الخاصة وحول قلعة السراغنة باستغلال مياه واد گاينو والفرشة المائية إلا أن معظم هذه المنطقة تسوده زراعة بورية يناصيبية للحبوب ورعي المواشي الصغيرة بأراض جماعية واسعة وتعيش أنظمة الري حاليا هنا اضطرابا بعد تناقص مياه الواد بسبب بناء سدين كبيرين على واد تاساوت والواد الأخضر وتحويل قسم من مياههما إلى الحوز الغربي ومدينة مراكش، ويجرى حاليا تهييء نطاق سقوي حديث مساحته 44.000 هـ سيسقى بمياه سد بين الويدان تصله عن طريق قناة تنطلق من أفورار طولها 93 كلم ستحمل إليه سنويا 235 مليون م^3 سم انجازها سنة 1993. وينتهي واد تاساوت باتصاله بأم الربيع الأوسط عند مشرع الحمري.

كتب عامة في جغرافية المغرب ؛ بحوث نهاية الإجازة لطلبة من شعبة الجغرافية بكلية الآداب ـ مراكش ؛ تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية.

O.R.M.V.A., *Les ressources naturelles et la mise en valeur*

actuelles de la plaine du Haouz, R.G.M., n° 17, 1970 ; Belfkih et Fadlullah, *Observations sur la rive supérieure, R.G.M.*, n° 1, 1977; A. Lahlimi, *Les terres irriguées et le monde rural de la Tessaout moyenne, R.G.M.*, n° 11, 1967.

أحمد هوزالي

تاسگدلت، موقع بإقليم ورزازات على الضفة اليمنى لوادي تيديلي الحالي قريبا من قصر تيكيرت (في تراب قبيلة أيت زينب). وكلمة تاسگدلت أمازيغية تعني المرعى الصغير، وتطلق على مواقع أخرى في سوس وغيرها. ولعل أول من تحدث عن حصن تاسگدلت هو أبو بكر البيذق حينما تحدث عن بعض فتوحات المهدي ابن تومرت سنة 520 / 1126 لكن دون أن يحدد موقع الحصن. وقد قام بزيارة

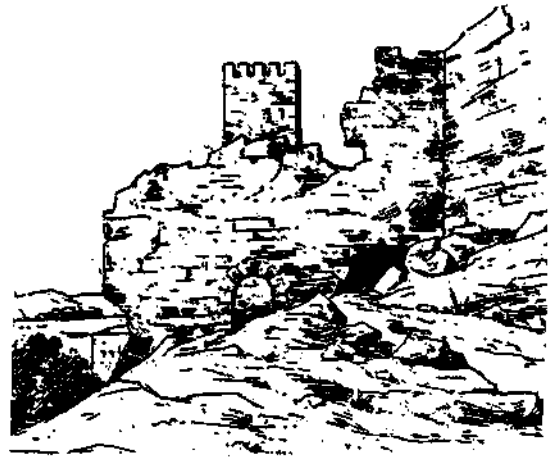

تاسگدلت
أطلال يظهر فيها بقايا السور، وباب، ودرج
، منظر من جهة الشمال الغربي. (عن كتاب دوفوكو)

أطلال تاسگدلت ورزازات الراهب شارل دوفوكو في شهر أكتوبر من سنة 1883 عندما توقف بقصر تيكيرت السالف الذكر. وقد رسم صورة عن الحالة التي كانت عليها تلك الأطلال قائلا : "انتهزت فرصة وجودي بتيكيرت فذهبت لزيارة أطلال تاسگدلت المشهورة بهذه المنطقة. وهي موضوع كثير من الأساطير. أطلالها (الآن) محاطة بسور مربع الشكل تقريبا، وكانت تتخلله فيما قبل أبراج على طول امتداده. أسوارها السميكة ذات القاعدة الصلبة التي تعلوها طبقة من التراب المدكوك لم يبق منها إلا شذرات : تهدم جزء منها والباقي مبتور الأعلى ويزيد تساقطه كل يوم. لكن الجزء الجنوبي من تلك الأسوار هو أكثر صمودا أمام عوادي الزمن إذ لا تزال تحتفظ بسبعة أبراج أو ثمانية يبلغ علوها ما بين ثلاثة وأربعة أمتار. وبداخلها تتراكم أكوام من الأحجار المشوهة الأحجام. وقد بني هذا الحصن على شكل مدرج القاعدة (انحداره 2/1) ومساحته تغطي أعلى هذا المنحدر. ويتحول هذا المنحدر فجأة، في الجهة الشمالية، إلى سور عمودي تتخلله أفواه كهوف متعددة. وكون تاسگدلت قلعة قديمة إضافة إلى وجود مغارات كثيرة بها، كل ذلك جعل السكان يعتقدون أنها من مخلفات مرور المسيحيين هنا".

وقد أورد دوفوكو من بعد ذلك دواية شفوية أسطورية تقول إن المنطقة كانت تحت حكم ثلاث أميرات مسيحيات تقطن إحداهن في تاسگدلت وتدعى دولا بنت وعد فقضى عليهن المسلمون حينما فتحوا بلاد ما وراء الأطلس.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، طبعة الرباط، 1964، ص 95.

C. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883 - 1884*, Réédition, 1985, pp. 93 -94.

محمد حمام

تاسَلْطانَتْ، موقع فلاحي هام بضاحية مراكش الجنوبية. ويطلق اسم تاسلطانت على مشيخة بجماعة سعادة دار العرجاء بدائرة أحواز مراكش (عمالة الحوز) بإقليم مراكش مساحتها حوالي 12.000 هـ سكانها 18.187 نسمة (1982). تمتد أراضيها جنوب أسوار مدينة مراكش وحديقتي أگدال والمنارة. يحدها شرقا واد إسبل وغربا واد غيغاية وأراضي أسكجور، وتمتد أراضيها جنوبا على طول طريق مراكش ـ أوريكا إلى الكلوميتر السادس عشر. تتميز بسطح مستو وتربة حمراء غنية نسبيا تتكون من طين رملي أوطين صلصالي مختلط محليا بالحصى، ارتبط تكوينها بمخروطي غيغاية وأوريكا. يسودها مناخ شبه جاف، أمطاره قليلة منتظمة يزيد معدلها السنوي قليلا عن معدل مراكش 250 ملم. لكنها غنية بالمياه الجارية والجوفية وتنتشر بها اليوم ضيعات تهتم بالزراعات الشجرية والتسويقية.

ولتاسطانت تاريخ طويل فقد كانت عزيبا سلطانيا كونه المولى عبد الرحمن سنة 1862 م بعد طرد فلول من قبيلة الرحامنة الذين استقروا به كقبيلة گيش منذ عهد السعديين. وكانوا يشغلون أراضيه للرعي ولزراعة خفيفة للحبوب، وعزم السلطان على استغلاله في زراعة منظمة لإنتاج الدقيق لقصره، فأحيا ساقية تاسلطانت المخزنية مسترجعاً مياهها من قبيلة أوريكة ومسفيوة. وأقام عليها سبع مطاحن مائية وجلب حوالي أربعمائة أسرة من القبائل المجاورة. كان رجالها يعملون بشكل جماعي كخماسة يزرعون الحبوب وبعض الخضر والأشجار المثمرة باستعمال مياه السواقي والخطارات ويربون المواشي، بالإضافة إلى العمل في المطاحن وصيانة ساقية تاسلطانت.

وظل الوضع القانوني لهذه الأراضي غامضاً، هل هي أرض گيش أو ملك مخزني للدولة أو ملك شخصي للمولى عبد الرحمن يمكن أن يورث. لقد اعتبر بعض حفدة مولاي عبد الرحمن العقار ملكا خاصا وطالبوا بنصيبهم في إرثه، كما اعتبر الخماسة أنفسهم قبيلة گيش بقرار سلطاني. وقد ذكر تقرير يرجع إلى عهد الحماية أن ثمانا وثلاثين أسرة ينحدر أصلها من المنابهة تعيش بدوار قصبة بوعكاز قرب صهريج بستان المنارة تكوِّن گيشاً حقيقيا يقوم بحراسة بستان المنارة وتاسلطانت عند حدودها الغربية. ويتصرف باقي السكان كملاكين حقيقيين رغم أنهم يدفعون كراء سنوياً. ويبيعون أجزاء من الأراضي التي يستغلونها. ونظراً

للموقع الممتاز لتاسلطانت وتوفرها على مياه السقي فقد أحاطت بها أطماع كثيرة، استولى عليها الباشا الأگلاوي بين سنوات 1908 و1914 لكن رغبة المعمرين الفرنسين في إنشاء تجزئة فلاحية بها وادعاء بعض الشرفاء والقرويين المستقرين بها ملكية أجزاء واسعة من مساحتها، جعل السلطات الاستعمارية تتدخل، فاعتبرت تاسلطانت أراض گيش تمهيداً للاستيلاء على ما تريد من أراضيها. وكانت تتكون من 8672 هـ سنة 1923 يسكنها 4957 نسمة. فكونت السلطات الجديدة تجزئة فلاحية تضمنت 12 ضيعة فوق مساحة 2654 هـ وحوّلوا الكثير من السكان والقرى إلى أراضٍ فقيرة محجرة كما استخدموا عدداً منهم كعمال زراعيين، وكوّن بعض المعمرين "الشركة الفلاحية" فوق الأراضي التي أقطعتها السلطات لمولاي الكبير لادعائه أن الملك مولاي حفيظ منحها له جزاء خدماته، بلغت مساحتها 2.521 هـ وكانت الشركة تنوي إنشاء استغلالية عصرية لمزروعات تسويقية خاصة الشمندر، لكنها وجدت صعوبة في ترحيل القرويين المقيمين بها فاستغلت أراضيها بالشراكة معهم مقابل منحها نصف الانتاج. كما اشترى عدد آخر من المعمرين أراضي من بعض الشرفاء والملاكين الحضريين الذين كونوا عزباناً كبيرة، ومارس المعمرون زراعة تسويقية للحبوب والخضر والأشجار المثمرة خاصة الزيتون والبرتقال والمشمش باستعمال مكثف للسقي، سواء من ساقيات الوديان أو الخطارات أو الضخ الآلي من الآبار. وبعد الاستقلال باع عدد من المعمرين الذين اشتروا الأراضي سابقاً ضيعاتهم، كما تحولت ضيعات الاستعمار الرسمي إلى ضيعات نموذجية تحت إشراف مؤسستي "صوديا" و"صوجيتا" وتعاونيات فلاحية، كما وُزعت بقع على بعض السكان في إطار برامج محدودة للإصلاح الزراعي، وتحول خلال عقدي الستينات والسبعينات كثير من العزبان إلى ضيعات عصرية، كما اشترى بعض الحضريين أراضي من الملاكين والمستغلين مكونين بها ضيعات يشجعهم غنى الفرشة المائية واستعمال الضخ الآلي. أما الشركة الفلاحية التي تمغربت سنة 1960 فإنها وضعت مشروعا سنة 1971 لاستغلال أراضيها بشكل مباشر وعصري لكنها وجدت مقاومة عنيفة من طرف الفلاحين المستقرين بها أدت إلى اصطدامات مما أدى إلى شروعها منذ 1977 في بيع أراضيها فكونت النخبة الحضرية وأصحاب النفوذ ضيعات وإقامات سكنية رفيعة، وتحول السكان المستغلون سابقاً إلى عمال زراعيين وخدام وحراس، وهاجر آخرون إلى الدواوير الهامشية حول مراكش.

تكوّن تاسلطانت اليوم قطاعاً مهما للزراعات التسويقية، ورغم تعدد موارد المياه فإنّ كثافة الاستغلال أدت إلى نقص مياه السقي وظهور نزاعات حول حقوق السقي خاصة من ساقية تاسلطانت التي تستأثر حاليا بـ50٪ من مياه الجريان الصيفي لواد أوريكة. وقد حُلّ المشكل مؤقتا بحفر عدد كبير من الآبار مما أدى إلى انخفاض مستوى المياه الجوفية وجفاف معظم الخطارات البالغ عددها حوالي ستين. وتشتهر تاسلطانت بزراعة مسقية كثيفة لأشجار البرتقال والمشمش والزيتون واللوز والتفاح والخضر والعلف والورود وتربية الأبقار الحلوب في حظائر حسنة التجهيز واستعمال أحدث الأساليب الزراعية، وفيئات البلاستيك والري بالرش والتنقيط، وهي تسير في طريق التحول إلى ضاحية بعلية وحليبية وسكنية لمدينة مراكش، اجتذبت زراعتها أيد عاملة كثيرة وانتشر بها السكن المتشتت سواء الهزيل للعمال الزراعيين أو الرفيع للملاكين والحضريين. ويوجد بها خمسون دواراً كما لا يزال بها بعض العزبان وبقع من أراضي الگيش تنتشر خاصة فوق الأراضي المحجرة أو ذات المياه الجوفية العميقة يمارس سكانها زراعة خفيفة للحبوب ورعي المواشي. وتحولت بعض الدواوير القريبة من مراكش إلى تجمعات سكنية هزيلة كبيرة تتقبل المهاجرين، من أهمها دوار الجديد سكانه 4229 نسمة ودوار البومبي 1239 ن والحركات 1189 ن وبوعكاز 1058 ن (1982) وهناك قرى هجينة بنيت على شكل "بلوكات" توجد بالضيعات النموذجية (الأوربية سابقا) والتعاونيات. كما ظهر على طريق أوريكا تجمع سكني كمركز لتاسلطانت (من الدرجة الثانية) يضم بعض الدكاكين ومنشآت للخدمات الاجتماعية ومنازل سكنية خلفها، لكن قُرْبَ مدينة مراكش ووصول حافلات النقل الحضري يعرقل نمو المركز.

ساقية تاسلطانت : اسم يطلق على عدة سواق تسقى أراضي قطاع تاسلطانت وبساتين أگدال والمنارة وأحيانا بعض السقايات والمساجد بمدينة مراكش، منها ما يستمد مياهه من واد غيغاية أو نفيس على أن أهمها يستمد مياهه من واد أوريكا الذي يتميز بأعلى صبيب بوديان الأطلس الكبير الغربي وبصبيب صيفي مهم، ومن أهم سواقيه : ساقية تاسلطانت المخزنية. ويبدو أنها وجدت منذ عهد المرابطين وتأكدت أهميتها في عهد الموحدين، فقد ذكر الإدريسي أن إحدى السواقي جلبت من واد أوريكا في عهد يوسف بن تاشفين ولم تتم إلا في أيام الموحدين. ومن المرجح أن تكون ساقية تاسلطانت المخزنية التي عرفت مراحل انتعاش واندثار خلال تاريخها الطويل، وقد كانت موضوع نزاع من بين سلطات المخزن والفلاحين من أبناء أوريكة ومسفوية التي تجري بأراضيهم ويحتاجون إلى مياهها خاصة في الصيف عندما تستولي على معظم أو كل صبيب الواد، واشتد النزاع خاصة في النصف الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) بعد تكوين المولى عبد الرحمن لعقار تاسلطانت ووضع له حراسا، لأن فلاحي القبيلتين كانوا يستولون على مياهها ليلا، واستمر النزاع إلى عهد الحماية عندما امتلك المعمرون قسماً من أراضي تاسلطانت وأدركوا أن الأرض في هذا المجال الشبه الجاف المضطرب الأمطار تفقد قيمتها بدون سقي مضمون، فاشتروا قسماً من مياهها من بعض الشخصيات والملاكين القدامى، كما استولوا على

قسم آخر بمختلف الأساليب، فبلغت حصتهم ثلثي صبيبها سنة 1924 وتركوا الثلث للأهالي، ثم قامت سلطات الحماية سنة 1926 بتغيير مجرى الساقية وبناء سد حاجز من الإسمنت المسلح لتغذيتها قرب قنطرة طريق سوق اثنين أوريكة كما رصّفتها سنة 1936 فقل فاقدها بالتسرب من 30٪ إلى 6٪ وزاد نصيبها على حساب ساقيات أخرى : تاوريكت وتاگبيلت... وبلغ طولها 20.5 كلم ومعدل صبيها 1200 لتر/ ث والصبيب السنوي 24.5 مليون م^3 تسقى حوالي 6.700 هـ إلا أن مياهها ظلت قاصرة عن تلبية حاجيات جميع الأطراف، إذ لا يكفي صبيبها الصيفي إلا لسقي حوالي 4000 هـ مما دفع السلطات لتخصيص قسم من مياه سواقي وديان أخرى لسقي قطاع تاسلطانت. ونظراً لعدم وجود سد لخزن مياه الفيضان الشتوي والربيعي لواد أوريكا فإن مياهها تتناقص كثيراً في الصيف، خاصة بعد استفحال أزمة الجفاف في عقد الثمانينات، كما أن أهالي أوريكا صاروا يستفيدون من 50٪ من الجريان الصيفي باسترجاع بعض حقوقهم القديمة المسلوبة في عهد الاقطاع والاستعمار والرجوع جزئياً إلى القاعدة التقليدية التي تعطي الأسبقية في السقي من مياه العيون والوديان لسكان العالية على حساب السافلة.

وهناك سواق أخرى تحمل نفس اسم تاسلطانت هي :

- تاسلطانت القديمة أو الترابية تستمد مياهها من واد أوريكا حولت معظم حقوقها القديمة والجديدة إلى تاسلطانت المخزنية المرصفة الموجودة بعاليتها، فلم تعد تأخذ من المياه سوى ما فضل عنها، وتستفيد خاصة من مياه الجريان الشتوي والربيعي طولها 1800 م معدل صبيبها السنوي 3.3 مليون م^3 تسقى حوالي 600 هـ.

- تاسلطانت القبيلة : طولها 2100 م تستمد مياهها من واد أوريكا وتستفيد من جريان الفيضان الربيعي والشتوي، ولم تعد تحصل على أي قسط من المياه صيفاً. معدل صبيبها السنوي 5.5 مليون م^3 وتسقي حوالي 1600 هـ.

- تاسلطانت نفيس : تستمد مياهها من واد نفيس ومن مخزون سده لالاتاكركوست. مرصفة على طول مجراها البالغ 20 كلم يبلغ معدل صبيبها 120 لتر / ث، وصبيبها السنوي 2.1 مليون م^3، يُوجه أهم قسم من مياهها لري بساتين أگدال وبعض ضيعات تاسلطانت،و تسقي حوالي 930 هـ.

- تاسلطانت غيغاية : هي فرع من الساقية الباشية التي تستأثر بنصف الجريان الصيفي لواد غيغاية تعرف كذلك بالساقية الرومية بعد ترصيفها وبناء سد حاجز من الإسمنت المسلح لتغذيتها قرب دوار تحناوت، يبلغ طولها 18 كلم، يتصل فرع منها معروف بساقية تاسلطانت غيغاية بساقية تاسلطانت المخزنية الأوريكية عند دوار البصري ليكوّنا ساقية كبيرة طولها 5 كلم توزع مياهها على ضيعات وتعاونيات النطاق السقوي العصري لتاسلطانت.

بحث ميداني : بن الشرقي حصري أحمد، ارتسامات تاريخية حول مدينة مراكش.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech ; Théorie de la distribution des eaux dans le Haouz de Marrakech*, R.G.M., n° 18 - 1970 ; J. Le Coz, *Les tribus Guichs au Maroc*, R.G.M., n° 7, 1964.

أحمد هوزالي

تاسْلغَا، أو عين الأرنب، جنس نباتي ممثل في المغرب بثلاثة أنواع وهي :

- گلوبولاريا أليبوم Globilaria alypum وهو النبات الأكثر شهرة من النوعين الآخرين. إنه نبات جنيبي ذو سيقان منتصبة لا يعلو عن سطح الأرض إلا بخمسين سم. أوراقه ملعقية الشكل، مبسطة، متخالفة أو متقابلة. أزهاره مجتمعة على هيئة رؤيس أزرق بنفسجي.

يعيش هذا النوع في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب من الطوابق تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي، وعلى أتربة كلسية. ويصادف في غالب الأحيان برفقة نباتات الحلفاء وأزير وأنواع من الزعتر.

وخارج المغرب ينتشر هذا النوع في جل البلدان المتوسطية.

تستعمل تاسلغا في التطبيب التقليدي وخاصة في حالات مرض السكري.

- گلوبولاريا أرابيگا Globularia arabiga يتميز هذا النوع عن الأول بكثرة كثافته، وعلو قامته، وكبر أزهاره.

يعيش في المناطق الجافة والصحراوية من جنوب المغرب ودول شمال إفريقيا الغربية وله نفس الاستعمالات المذكورة أعلاه.

- گلوبولاريا ناييني Globularia naini إنه نوع قبسي مغربي لا يصادف إلا في الأطلس المتوسط الشرقي والأطلس الكبير الشرقي وصغرو وهو يتميز بأوراقه الصغيرة وقامته القصيرة المتفرشة فوق سطح الأرض.

استعمالات هذا النوع لا تختلف عن النوعين الأولين.

أبحاث خاصة.

P. Quézel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

تَاسَمْلاَلْتْ، كلمة أمازيغية تطلق في منطقة دادس على شجرة تنبت بكثرة في الأماكن التي تكثر بها المياه كالمستنقعات وجنبات مجاري المياه والأودية. وهي تنمو على شكل فروع متعددة ومستقلة عن بعضها البعض. وهذه الفروع تكون رقيقة بحيث لا يكون عودها قويا وصلبا. ولذلك فعودها هو من النوع المرن الذي يتمايل بسهولة أثناء هبوب الرياح، أما استعماله فلا يتعدى الطهي والتدفئة.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

تَاسَيَّاتْ، مكان بشاطئ قرية الملاليين بفرقة البحري من قبيلة الحوز بجبالة (إقليم تطوان). يطلق عليه اسم جامع وهو ليس بمسجد، وكل ما هناك أثر بناء يقال انه

يرجع إلى العهد الذي كان فيه أهل سوس يسكنون هذه الناحية، وتحيط بالأثر غابة يقصدها العامة وخاصة منهم النساء لزيارة هذا المكان حيث يزعمن أن الجن سكانها. يقوم بعض الزوار بذبح قرابين وتركها هناك طعاما بدون ملح.

الرهوني، *عمدة الراوين*، 1 : 123، 3 : 52 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 368، 4 : 184.

محمد ابن عزوز حكيم

تَاشْرَافْتْ، منطقة يقع مركزها على الطريق الرئيسية رقم 13 المؤدية إلى مدينة الدار البيضاء بعيدة عنها بحوالي 165 كلم، ولا يفصلها عن مدينة واد زم سوى أحد عشر كليومترا وعن مدينة بني ملال 66 كيلومترا. بها جماعة قروية تحمل نفس الاسم وتمتد على مساحة 225 كلم مربع، ويحدها من الشرق جماعتا بني بتاو وبني زرنتل ومن الغرب جماعة بني اسمير أمامن الشمال فتحدها جماعتا الشكران والمعادنة. وهي تابعة لقيادة شكران دائرة أبي الجعد التي تقع في واجهتها الجنوبية الشرقية والمنتمية لعمالة إقليم خريبگة.

ويرجع الأصل في تسمية هذه الجماعة بتاشرافت إلى الواد الموجود بها والذي يعتبر المجال المفضل للنزهة والاستقرار، السبب الذي سمح لمجموعة من الأولياء والشرفاء أن يقطنوا بجواره، لذا توجد بهذه الجماعة أضرحه من بينها ضريح سيدي حمو وابنه سيدي الزعري والد سيدي بلگاسم أبي الوالي الصالح سيدي مَحمد الشرقي، ثم ضريح سيدي حمزة وسيدي الركراكي وغيرها من الأضرحة، وانطلاقا من هذه الوضعية سمي الوادي بالشريفية أو تاشرافت.

المعطيات الطبيعية : تتشكل المنطقة من هضبة متقطعة إلى أجزاء طولية الشكل، تتخللها مجموعة من الأحواض، تتجمع فيها المياه أثناء التساقطات، أهم الارتفاعات تصل إلى 800 م، وتتدرج ما بين 780 . 740 م عند مستوى الأحواض، لتنزل إلى حوالي 700 م عند قعور الأودية. تحدد هذه الأشكال التضاريسية مجموعة من الأودية أهمها وادي تاشرافت ووادي بوكروم.

تعرف هذه المنطقة مناخا يميل إلى الجفاف، نظرا للوضعية القارية. معدل الحرارة السنوي لا يتعدى 17 درجة، أما معدل الحرارة العليا فيصل إلى 27 درجة وأحيانا 19 درجة. أما التساقطات فهي ضعيفة لا تتجاوز 300 مم سنويا، والرياح التي تهب من الشرق هي رياح ساخنة تتسبب في عواصف ريحية قوية ونتيجة لذلك فإن الغطاء النباتي يبقى هزيلا وهو في معظمه مشكل من نباتات قصيرة، على أن في قعور الأودية، حيث تتوفر الرطوبة، نلاحظ تنوع النباتات والأشجار المثمرة وتظهر مراعي مهمة. وأهم النباتات الطبيعية في هذه المنطقة هي نباتات الدوم، السدرة، وبعض الصباريات.

توافق المنطقة طبقات الكريتاسي المكونة من ظلفاء كلسية في الأعلى ومستويات كلسية صلصالية وصلصالية في القاعدة. هذه السحنات مكنت المنطقة من التوفر على ثروة ترابية شديدة التغاير حيث إمكانية التدرج من الأتربة الهيكلية إلى الأتربة الخصبة الموجودة في المنخفضات التي تمثلها قعور الأودية، ومن خاصيات الأتربة بهذه المنطقة أنها طينية مختلطة بكلس ورمال. تتميز بالاحمرار. ونظراً للخاصية المناخية ولوفرة الكلسية بالمنطقة فكثيرا ما يتميز القطاع الترابي بوجود مستويات يتشخص فيها الكلس.

تعتمد هذه الجماعة في مواردها المائية على ثلاثة أودية وهي ؛ واد تاشرافت الذي يرفد وسط الجماعة، وواد بوكروم الذي يجري في جهتها الشرقية، ثم واد قيشر في الجهة الغربية. بالإضافة إلى مجموعة كثيرة من الآبار والعيون من أهمها العين البيضاء والعين الحمراء التي تبرز عند مستوى اتصال الطبقات الكلسية النافذة بالطبقة الصلصالية الغير منفذة.

المعطيات البشرية : توجد بالجماعة عدة تجمعات سكنية، أهمها مركز تاشرافت الذي شهد تطورا ملموسا في السنوات الأخيرة، حيث شيدت به قرية نموذجية من 25 منزلا، يأتي بعده مركز أيت صالح قرب مدينة أبي الجعد، وأخيرا مركز عين قيشر.

هذه المراكز عرفت توافد مهاجرين من البوادي المجاورة، مما أدى إلى تضخم الظاهرة السكنية بهما، ويتجلى ذلك خلال تطور عدد السكان بهذه الجماعة.

السنة	عدد السكان
1960	7.149
1971	8.933
1982	9.918

تضم جماعة تاشرافت ما يزيد عن 14.100 هكتار من بينها 390 هكتار مسقية، وتستعمل هذه الأراضي بطريقة تقليدية وذلك لزراعة الحبوب، أما فيما يخص الأشجار والخضروات فهي الإنتاج الأساسي للسكان بالأراضي السقوية والتي تمتد على شكل سهول ضيقة بجوانب الأودية الرئيسية بالمنطقة كوادي تاشرافت ووادي بوكروم.

ويتمثل الإنتاج بالدرجة الأولى في الجنوب ثم أشجار الزيتون والخضروات وأشجار الفواكه، بالإضافة إلى النشاط الفلاحي يهتم السكان بتربية الماشية (27.100 من الغنم، 3.714 من البقر و2.850 من الماعز).

من الناحية التجارية، تتوفر الجماعة على سوق أسبوعي بمركز عين قيشر، ينعقد كل سبت وتعرض به كل المواد الغذائية والخضروات والملابس، كما أن هناك سوقا بمركز الجماعة كل يوم أربعاء.

أما على مستوى التجهيزات المتخصصة فتوجد مجزرتان الأولى بعين قيشر والثانية بمركز الجماعة، يصل حجم إنتاجها السنوي إلى حوالي 2.345 رأسا من الماشية.

وفيما يخص التجهيزات الأساسية : تستمد هذه

الجماعة الماء الشروب من الآبار والعيون الكارستية. أما المركز الجماعي فإنه يتوفر على بئر وعلى شبكة توزيع، طولها 1.100 متر وعلى طاقة للتخزين تناهز 25 متر مكعب، تقوم الجماعة بتسييرها، كما أن هناك مشروعا مهما سيتم إنجازه في المستقبل يتعلق بتزويد المركز بالماء الصالح للشرب من بئر جديد تم اكتشافه مؤخرا، بإمكانه سد حاجيات 45 ألف نسمة حسب الدراسات. كما يتوفر مركز الجماعة على شبكة كهربائية مهمة يصل طولها حوالي 1.700م، تغطي كيلومترين مربعين، يديرها المكتب الوطني للكهرباء.

وفيما يخص التجهيزات الاجتماعية : تتوفر الجماعة على مجموعتين رئيسيتين للتعليم الابتدائي الأولى بمركز الجماعة وتسمى بمجموعة مدارس تاشرافت والثانية بمجموعة مدارس البراشوة، وعلى مركز للتكوين الفلاحي، ومستوصف ومركز بريدي.

تحريات ميدانية.

عبد الرحيم بنعلي

تاشفين ابن أبي **الحسن** المريني يكنى أبا عامر، أحد سلاطين بني مرين من أبناء السلطان أبي الحسن القصيري العهد، الخاضعين لاستبداد وزرائهم، المنافسين أشد المنافسة من أقربائهم المحليين أو اللاجئين بتلمسان أو غرناطة أو بقشتالة. فبعد موت السلطان أبي عنان في ذي الحجة 759/ 1358 بدأت تطغى على الساحة السياسية سلطة الوزراء، وكثرت مؤامرات البلاط : خلع وقتل واستبدال سلطان بآخر... فبعد بيعة أبي زيان محمد بن أبي عنان خلفا لأبيه وقتله في نفس اليوم، بويع أخوه أبو بكر الملقب بالسعيد (حجة 759 ـ شعبان 760) ثم تمكن عمه أبو سالم إبراهيم من الاستيلاء على السلطة (760ـ762) وانتهى الأمر بقتله وتقديم أخيه تاشفين أبي عامر (أو أبي عمر حسب بعض المصادر) بتدبير الوزير عمر بن عبد الله الياباني (من بني يابان احدى القبائل المرينية). ولم تتجاوز مدة سلطنة تاشفين ثلاثة أشهر من ذي القعدة 762 / سبتمبر 1361 إلى صفر 763 / دجنبر 1361 حيث خلعه وزيره المذكور، وجعل مكانه أبا زيان محمد بن أخيه أبي عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن.

كان تاشفين واحدا ممن نجوا من القتل على يد أخيه أبي سالم السلطان قبله، حيث جعل قصده "اجتثاث شجرة أبيه، وألا يدع من يصلح للملك، ولا من يترشح للأمر، فالتقط ... طائفة تناهز العشرين ... من إخوانه وأبناء إخوانه فأركبوا البحر... ثم طير إلى قائد الأسطول ... بأمره بتغريقهم ..." (*نفاضة*، 2 : 267). وعندما فتح تلمسان قتل ذبحا عددا من القرابة المنافسين له، وحاول القيام بعملية مشابهة ضد القرابة بالأندلس دون نتيجة. وممن كان بالأندلس أخوه تاشفين الذي سبق أن أسر في معركة طريف التي انهزم فيها أبوه السلطان أبو الحسن سنة 741 / 1340، وقيل إنه أصابته لوثة خلال مدة أسره كانت سببا في عدم اهتمام المتولين للسلطة في المغرب بشأنه لعدم صلاحيته لها، قال ابن الخطيب : "وقد تجافت عنه المحن لاشتهاره باللوثة وعدم الصلوح للولاية، زعموا أنه تستر بذلك دهاء، فتخطته المتالف لاجله ..." (*نفاضة*، 2 : 273).

عاد تاشفين إلى المغرب واستقر بفاس دون أن تمتد إليه يد القتل. عزم أمين "البلد الجديد" بفاس عمر بن عبد الله الياباني على إحداث انقلاب على السلطان أبي سالم ووزيره مسعود بن ماساي (مستغلا إقامة السلطان أبي سالم بقصبة فاس بدلا من البلد الجديد ـ الحي السلطاني)، فاستعان عمر بقائد المرتزقة النصارى "غرسية أنطون"، وتم ذلك في ليلة 17 من ذي القعدة سنة 762 / 1361 ولإنجاح العملية أضرمت النار بالقصر "ثم تعدت إلى دار الصنعة، وبه مالا يأخذه الوصف من السروج والمهندات والسلاح ونقر الذهب والفضة إلى المواعين والموازين وآلات الخيل. ثم اتصلت بدار الديباج فالتهمت من الحرير والأثواب وآلات النسيج وضخام المناول وألواح الرسوم ... ما لا يأخذه الوصف" (*نفاضة*، 2 : 273).

إثر العملية الانقلابية حاول أبو سالم الفرار فقبض عليه وقتل ذبحا، ثم حاول قائد فرقة المرتزقة الثورة على الوزير عمر، إلا أنه تمكن من قتله مع جماعة من جنده، "وقام بالأمر على سنن الحجابة العامرية" (*نفاضة*، 276) ويقصد الاستبداد على السلطان كما كان المنصور بن أبي عامر مع خلفاء بني أمية بالأندلس في القرن الرابع. "واستقل عمر بالأمر، ونصب الموسوس تاشفين يموه به على الناس" (*العبر*، 7 : 652). وأرسل الوزير إلى سلطان غرناطة محمد بن إسماعيل (761ـ763) يخبره بصنيعه "ويوعز إليه بضبط من ينظره من اليعاقبة (المرينيين) المرتقبين لحضورهم من الدولة... وخاطب من بتلمسان يعرض عليه حسن الجوار وتهني الأمر مع سد باب الفتنة والإمساك بمن يتصل به من مباييني الأمر وأضداد الدولة .." (*نفاضة*، 279).

غير أن علاقة الوزير بشيوخ بني مرين أصبحت متوترة خاصة بعد أن بايع شيخهم يحيى بن رحو بتازا الأمير عبد الحليم بن عمر (صاحب سجلماسة سابقا) بعد أن وصل من الأندلس عبر تلمسان، وامتدت بيعته إلى مكناسة وفاس القديم وحاصروا البلد الجديد بفاس في محرم 763 / 1361، وشعر الوزير عمر بعدم شعبيه سلطانه المموه به، فأوعز إلى الغني بالله سلطان غرناطة المخلوع ـ الذي كان قد خرج من المغرب في عهد أبي سالم إلى الثغر المريني بالأندلس لمحاولة استعادة ملكه ـ أن يفاوض ملك قشتالة حليفه لإرسال أحد الأمراء المرينيين المستقرين باشبيلية إلى المغرب، وهو أبو زيان محمد بن أبي عبد الرحمن بن السلطان أبي الحسن ليقدمه سلطانا بدل عمه تاشفين المعتوه، وليقطع بذلك الطريق على أنصار الأمير عبد الحليم. وبمجرد أن عبر الأمير إلى سبتة خلع الوزير سلطانه تاشفين في صفر عام 763 / دجنبر 1361 وبايع السلطان الجديد، وبقي مستبدا عليه كما كان مستبدا على سابقه،

وتراجع منافسوه إلى سجلماسة التي كانت على بيعتهم.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 650 وما بعدها ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 2 : 271 وما بعدها و311 ومابعدها. الدار البيضاء 1985 ؛ *اللمحة البدرية*، ص (118-119) بيروت 1978 ؛ *الإحاطة في أخبار غرناطة*، ج 1 : 307-310، القاهرة 1973.

أحمد عزاوي

تاشفين، عبد الله بن محمد المُكَنِّب، من أهل مدينة فاس. كان معروفا أيام الموحدين بالزهد وكثرة العبادة، ويعلم القرآن ويقرض الشعر. من المرجح أنه انتقل إلى الأندلس في عهد الخليفة الناصر الموحدي (595 هـ - 610 هـ) حيث كان يتصل بزهادها ويواظب على زيارة قبور صلحائها، كما كان يجاهد النصارى الذين بالغوا - خلال هذه الفترة - في مهاجمة الثغور الإسلامية بالأندلس. وأمام استنجاد المسلمين قام الناصر الموحدي بتنظيم حملة عسكرية إلى العدوة الشمالية لمواجهة التحالف المسيحي. لكن هذا الأخير تمكن من هزم المسلمين في موقعة العقاب سنة 609 هـ. وكان تاشفين بن محمد هذا من المشاركين في هذه الغزوة حيث أبلى فيها البلاء الحسن حتى استشهد بها. إذ ذكر بعضهم أن الدليل على استشهاده في العقاب هو انقطاع خبره بعدها.

م. ابن الابار، *التكملة*، مصر، 1955، ص. 235 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 172.

رشيد السلامي

تاشفين، بن عبد الواحد المريني حفيد السلطان يعقوب المريني، ورد ذكره في مناسبتين (حسب المصادر المعتمدة) : مناسبة التهييئ لعقد هدنة مع أمير تلمسان، ثم ذكر وفاة الأمير تاشفين بالأندلس سنة 682 / 1283-1284م (*القرطاس*، 406). فعندما استجاب السلطان يعقوب المريني لنداء ابن الأحمر سلطان غرناطة محمد الفقيه (671 / 701)، ووجه ابنه أبا زيان إلى الأندلس طليعة له سنة 673 أرسل حفيده تاشفين إلى يغمراسن بن زيان أمير تلمسان "يطلبه في الصلح ... واجتماع الكلمة لكي يجوز إلى الأندلس آمن الروعة من بلده" (*الذخيرة*)، وتم الاتفاق على عقد "الصلح" بين الطرفين، وقدم وفد عن يغمراسن بهدية إلى السلطان يعقوب المريني لهذا الغرض (*العبر*، 7 : 395 ؛ *الذخيرة*). وأظهر السلطان يعقوب الابتهاج بالصلح فأمر بتوزيع الصدقات، واستنفر القبائل المغربية للجهاد، وجاز بنفسه إلى الأندلس في أوائل سنة 674 / 1275م، وهو الجواز الأول له.

والملاحظ أن سنة 672 وأوائل 673 كانت تمثل استمرارا لفترة من التوتر بين المرينيين وبني زيان أمراء تلمسان خصوصا فيما يتعلق بسجلماسة التي كانت بيد يغمراسن منذ أكثر من عشر سنوات، فحاصرها المرينيون إلى أن انتزعوها من نفوذه في آخر صفر سنة 673 / 1274. فحالات الحرب بين الطرفين كانت هي السائدة، ويبدو أن ميل يغمراسن إلى قبول الهدنة سنة 673 يرجع إلى مجموعة من العوامل : فقد أصبح المرينيون أمرا واقعا في المغرب الأقصى بعد أن وضعوا حدا للموحدين خلفاء تلمسان، كما أن سلطان غرناطة محمد الشيخ الذي كان أميل إلى تلمسان وأكثر حذرا من المغرب مات سنة 671، كما أن بني الأحمر لازالوا إلى هذه الفترة ينظرون إلى المرينيين كقوة عسكرية يمكن الاعتماد عليها لمواجهة الإسبان مباشرة أو للمناورة الدبلماسية كلما اشتد الضغط على غرناطة، وهكذا نجدها تستنجد بالسلطان يعقوب سنة 669 بينما كان يقود الجيش نحو تلمسان، ثم يتكرر الاستنجاد على عهد سلطان غرناطة الثاني محمد الشيخ تنفيذا لوصية أبيه حسب صاحب *الذخيرة*. كما أن بني زيان من جهتهم ذاقوا الهزائم المتتالية في معاركهم مع المرينيين، ومنها الهزيمة في تلاغ (انظر مادة تلاغ)، ثم الهزيمة في ايسلي وإخيرا سقوط سجلماسة بيد المرينيين، فلربما اقتنعوا بعجزهم وضرورة التحول إلى معاقبة الأعداء الداخليين مثل قبائل بني توجين ومغراوة خلفاء المرينيين الذين كانوا يهددون خليفة تلمسان من الجهة الشرقية كما حدث أثناء حصار المرينيين لتلمسان سنة 670. قال ابن خلدون عن الهدنة الأخيرة : "انعقدت بينهما المهادنة ... وفرغ يعقوب بن عبد الحق للجهاد ويغمراسن لمغالبة توجين ومغراوة على بلادهم" (*العبر*، 7 : 178). غير أن الهدنة بين المرينيين وبني زيان لم تستمر إلا سنوات قليلة.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 314 (ط الرباط 1973) ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، ص. 145 (الرباط 1972) ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : (177-178) و(394-395)، بيروت 1968.

أحمد عزاوي

تاشفين بن **علي**، بن يوسف بن تاشفين أبو المعز وقيل كذلك أبو محمد، ثالث الأمراء المرابطين وآخرهم، كانت مدة إمارته قصيرة لم تتعد ثلاث سنوات، فقد تولى بعد وفاة أبيه عام 537 / 1143. وقتل عام 539 / 1145. أمه من أصل رومي يقال لها ضوء الصباح، لم تتحدث المصادر عن نشأته وطفولته، إلا أن الغالب على أبناء الأمراء والأعيان المرابطين في هذه الفترة، أنهم تربوا تربية بعيدة عن الخشونة المرابطية الأولى، إذ يرسل الأبناء عادة إلى الأندلس قصد التعلم والتربية (*البيان*، القسم الموحدي، ص. 19).

والواقع أن أمير المسلمين تاشفين لم يتول ولاية حقيقية بل إنه لم يحكم قط ولاجلس على أريكة الملك في مراكش، فالسلطة المرابطية انتقلت إليه وهو في الحرب ضد الموحدين، وبقي في غمارها إلى أن قتل في إحدى معاركها.

انقسمت حياته العلمية إلى مرحلتين متميزتين :

- مرحلة ولايته على الأندلس من قبل أبيه.
- مرحلة عودته إلى المغرب وتوليه عهد أبيه وقيادة جيوشه.

كانت المرحلة الأولى حافلة بالأمجاد والبطولات، أما

المرحلة الثانية، فعلى العكس من الأولى لم تعرف إلا الفشل المتتابع.

ابتدأت المرحلة الأولى بتقلده أولى المهام السياسية والعسكرية في حياته، فقد استشهد الأمير تميم عمه ونائب أبيه على الأندلس وقائد جيوشها في احدى المعارك ضد العدو المسيحي عام 520 / 1125.1126، فولاه والده مكانه بعد فترة من التجربة ولي خلالها غرناطة وأعمالها، ولما أظهر مقدرة ونجابة نادرة وسع والده من دائرة حكمه لتشمل كل بلاد الأندلس ما عدا الشرق والجزر، وذلك سنة 523 / 1129.1130.

وعن نجاحه السياسي والعسكري في هذه المرحلة، نورد شهادة من أهل الأندلس أنفسهم وممن عاصروا تاشفين، ذكرها ابن الخطيب الغرناطي في *الإحاطة* (2 : 448) قال ابن الصيرفي : "كان بطلا شجاعا، أحبه الناس خواصهم وعوامهم، وحسنت سياسته فيهم وحسنت سياسته فيهم، وسد الثغور "وفتح الحصون وهزم الجيوش وهابه العدو".

حقق تاشفين عدة انتصارات ضد العدو المسيحي في الأندلس ذكرتها المصادر التاريخية أهمها.

- معركة فحص الصباب 520 / 1125.1126 هزم فيها النصارى وفتح ثلاثين حصنا في غرب الأندلس.
- معركة فحص عطية هزم فيها جموعا من التحالف المسيحي 530 / 1136.1137.
- دخل مدينة كركي - من مدن غرب الأندلس - عنوة 531 / 1137.1138.
- فتح مدينة اشكونية - من مدن غرب الأندلس - عنوة 532 / 1138.1139.

هذه الانتصارات العسكرية والنجاح السياسي والإداري يضاف إليها سلوكه القويم ودماثة خلقه التي شهد بها أيضا ابن الصيرفي المشار إليه وغيره بقولهم : "لما قدم غرناطة أقبل على صيام النهار وقيام الليل وتلاوة القرآن وإخفاء الصدقة وإنشاء العدل وإيثار الحق"، وقال في حقه أكثر من واحد انه لم يشرب خمرا ولا جالس قينة طيلة حياته.

هذه الصفات والخصال أذاعت خبر الرجل في الآفاق مما أغضب خصومه وحساده ومن بينهم أخوه وولي عهد أبيه الأمير سير.

- انتهت المرحلة الأولى بعزله عن الأندلس فجأة، واستدعى للالتحاق بمراكش التي وصلها إثر انتصاراته الأخيرة، فوصلها مثقلا بالغنائم والسبايا 532 / 1137.1138، فتلقاه والده في حفل عظيم يليق به، إلا أنه لم يكن إلا حفلا خادعا، اذ سرعان ما أصبح مجرد تابع لولي العهد ومن جملة حجابه الواقفين بين يديه لتنظيم الدخول والخروج عليه (*الإحاطة*، 2 : 447).

من بين الأسباب التي أدت إلى عزل تاشفين واستدعائه على عجل، بداية استفحال أمر الموحدين بقيادة المهدي ابن تومرت وعجز ولي العهد سير عن إحراز أي نصر عليهم، لكن ابن الخطيب يضيف إلى هذا السبب الذي أشار إليه، سببا آخر أورده بتفصيل (*الإحاطة*، 2 : 446) نجمله في ما يلي :

لما ذاع صيت تاشفين وشاع ذكره بما حققه من نجاح وانتصار، كبر ذلك على أخيه الأمير سير الذي لم يستطع أن يكتم حقده وحسده ففاتح والده في الموضوع قائلا : "ان الأمر الذي اهلتني إليه لا يحسن لي مع تاشفين، فإنه قد حمل الثناء والذكر دوني" (*الإحاطة*، 2 : 446) فخضع أمير المسلمين على لرغبة ولي عهده ورغبة أمه قمر التي كان لها تأثير كبير على والده. لكن الله سبحانه وتعالى له في قدره حكمة، فقد توفي الأمير الحسود بطريقة مأساوية في نفس السنة التي وصل فيها أخوه، فلم يجد والده بدا من إعادة الاعتبار إليه (*الإحاطة*، مصدر سابق).

هذه الرواية التي ذكرها ابن الخطيب ونقلها عنه من أتى بعده من المؤرخين لا تتناقض والسبب الأول، إلا أنها لا تؤيد ما ذهب إليه مؤرخون ودارسون آخرون من ان استدعاء تاشفين لم يأت إلا بعد وفاة ولي العهد سير، فإذا تجاوزنا سياق الأحداث كما وردت عند ابن الخطيب وغيره فإن الوقائع الحربية تؤيد ما ورد عنده، فأمير المسلمين علي بن يوسف قرر بعد معركة البحيرة الشهيرة مع الموحدين أن ينتقل إلى الهجوم : فأرسل ابنه وولي عهده لمحاربة الموحدين في جبالهم، لكنه أخفق في معركة "مصكروطن" فكلف تاشفين بالمهمة فور وصوله إلى المغرب ؛ وجرت بينه وبين الموحدين بقيادة عبد المومن معركة في حاحة لكنه أخفق بدوره (*نظم الجمان*، 225 . 241).

لم يبايع تاشفين بولاية العهد إلا سنة 533 / 1139.1140 أي بعد وفاة الأمير سير وبعد مضي سنة على وصوله إلى المغرب، وتمت المبايعة بعد استشارة علنية في المسجد جمع لها أمير المسلمين علي عامة الناس وخاصتهم، فأشاروا بتاشفين وبالإجماع. وفي ذلك دلالة أخرى على استمرار خضوع والده لتأثير نسائه، فزوجته قمر استمرت في المناداة ضد تاشفين، فرشحت لولاية العهد صبيا لعلي من أم متوفاة، هو الأمير إسحاق، فتخلص منها باللجوء إلى الاستشارة، مع أن إسناد ولاية العهد لابنه الهالك لم تكن بنفس الطريقة. وفي إجماع الخاصة والعامة دليل آخر على مدى قوة شخصية تاشفين واستمرار سمعته الطيبة.

- المرحلة الثانية من حياة تاشفين : ابتدأت بتنصيبه وليا للعهد وتقلده قيادة الجيش المرابطي. كان عليه أن يتصدى للعدو الأول : الموحدين ويستعيد للدولة المرابطية قوتها، فرغم فشل أخيه من قبله في التصدي لحملة عبد المومن نحو الجنوب فإنه أجمع أمره وعزم على إفشال خطة عبد المومن نحو الشمال، لذلك سار بموازاة الجيوش الموحدية التي سلكت الطريق الجبلي الوعر (درن، فازاز، غمارة). سار تاشفين في السهول المحاذية لهذه الجبل مطبقا نفس الخطة المرابطية القديمة المتمثلة في محاصرة الجبال عن طريق

إقامة الحصون في السهول المجاورة لها، ولم يدرك مدى أهمية اختيار عبد المومن لهذه المسالك الوعرة ؛ فكان ذلك من أهم أسباب فشله في التصدي لعبد المومن والقوات الموحدية. إن اختيار تاشفين تسبب له في عدة مشاكل، فالقبائل السهلية وقبائل الدير كانت تفر منه إلى الموحدين، كما أنه عانى وجنوده من شدة البرد عندما كان مخيما بحصن گراندة من جبال غياثة، فلم يجدوا ما يقتاتون به ولا حطبا للتدفئة إذ استمر تهاطل الأمطار على المنطقة أكثر من خمسة عشر يوما بلياليها (*البيان*، القسم الموحدي : 16). فشلت حركته أزيد من شهر. تميزت حملة تاشفين بعدم الاصطدام مع الخصم، إلا أن الخاسر في هذه الخطة كما اسلفت هم المرابطون ؛ لكن تاشفين أدرك بعد فوات الأوان عدم نجاعة خطته فانتقل إلى الهجوم الذي كاد ان يفلح فيه لولا حماية قبائل غمارة للموحدين.

ومما تميزت به هذه المرحلة من حياة تاشفين، وفاة والده علي بصورة مفاجئة سنة 537 / 1143 . 1144 إذ وصلته الأخبار وهو بحصن گراندة فأصبح أميرا للمسلمين، ووصلته كذلك رسالة ابنه إبراهيم معزيا في جده فأرسله إلى قرطبة ليتم تعليمه. تولى تاشفين الحكم وهو في خصم الصراع مع الموحدين، فلم تتح له الفرصة لمراجعة سياسة أبيه أو اتخاذ ما يلزم من ترتيبات واستعداد لهذه المهمة، لذلك اضطربت أحواله، فلم يعين خلفا له في العاصمة مراكش إلا بعد مرور قرابة سنة من توليته، فقد استدعى ابنه إبراهيم من الأندلس وأخذ له البيعة بولاية العهد ثم أرسله نيابة عنه إلى مراكش.

اتخذ تاشفين هذا القرار وهو بتلمسان، فقد تبين له من خلال المعارك الجانبية التي انتصر فيها خصمه أن موقفه العسكري سيء، فلم ينفعه قائد المرتزقة المسيحي الروبرتير الذي التحق به في تلمسان مهزوما، لذلك استنفر الجهات التابعة له فوصلته عساكر من سجلماسة وبجاية والأندلس، إلا أن ذلك لم يغن عنه شيئا، فقد توالت هزائمه وهزا ثم اتباعه وكثر انضمام القبائل الزناتية والصنهاجية للموحدين فازدادت وضعيته سوءا بسبب الضائقة المادية ونفاد الزاد، فأخذ جنوده ينظمون حملات ضد القبائل المجاورة لتلمسان والموالية للموحدين قصد الحصول على الغنائم، لكن هذه الحملات أضعفت جانبه العسكري بمقتل الروبرتير. ولما اشتد به الحال وانفضت من حوله كثير من القبائل انتقل إلى وهران 539 / 1144 . 1145 وهو ينشد هدفين أساسيين :

- الاختلاء بنفسه وإعادة ترتيب معسكرة والتزود بالمؤونه والإمدادات.
- انتظار الأسطول البحري الذي استدعاه من الأندلس بقيادة محمد بن ميمون الذي وصل مرسى وهران بعد ذلك بعشر قطع.

لكن حسابات تاشفين وترتيباته لم توقف انهيار دولته، فلا الحصن الذي بناه استعدادا لحصار موحدي طويل قد أفاده ولا الأسطول الذي استدعاه قد نجاه، فقد استطاع الموحدون أن يخضعوا القبائل المجاورة لوهران من بني عبد الواد وبني توجين وغيرهم، واقتحموا معسكر تاشفين ومزقوه، ولما يئس خرج راكبا فرسه يريد الالتحاق بالأسطول فهوى به فرسه ليلا من جرف عال مطل على البحر فوجد في الغد ميتا في 27 رمضان عام 539 / 23 مارس 1145 (*العبر*، 6 : 230). تسوق المصادر التاريخية هذه النهاية المأسوية لأمير المسلمين تاشفين بن علي مساقا آخر يختلف في تفاصيله إلا أنه لا يتعارض في نتيجته.

ما يمكن استنتاجه من أهم ما أدرجناه من معلومات وأحداث في أهم مرحلتين في حياة تاشفين، انه سيء الحظ، ولقد اسعفتنا المصادر والدراسات الحديثة في فهم أسباب ذلك بنسبة كبيرة، فما رواه ابن الخطيب عن سبب استدعائه من الأندلس يمكن اعتباره من باب سوء الحظ، ذلك ان احدى زوجات أبيه لها تأثير على أبيه وتأثير نساء لمتونة وغيرهم في البلاط المرابطي اطنبت في ذكره المصادر إلا أن ذلك غير كاف، بل يمكن أن نضيف إليه فشل ولي العهد الأمير سير في التصدي للموحدين أما العامل الذي لا يمكن اغفاله والذي له أهمية أكبر فهو العامل النفسي، فالصدمة التي عانى منها تاشفين بالتقليل من شأنه وجعله خادما لأخيه ظلت تصاحبه في تحركة، كما أن والده لم يفصح له عن سبب عزله عن مهامه بالأندلس فرمى به في مواجهة الموحدين دون إعداده الإعداد اللازم لهذه المهمة (*الإحاطة*، 2 : 447 . 448) بل ظهر له انه تقلدها لسد الفراغ بعد وفاة أخيه.

سوء الحظ هذا الذي حاولنا تفسيره يجد دعما له في حوار جرى ما بين تاشفين وأحد متصوفة الوقت، ذكره صاحب *التشوف*، هو إسحاق بن ينتان، فقد نصح تاشفين بعدم مطاردة عبد المومن في حملته الكبرى نحو الشمال، إذ كوشف ذلك المتصوف بفشله ونهايته ونهاية الدولة المرابطية على يده.

هذه الأسباب والعوامل كلها تصبح ثانوية إذا مارجعنا للأسباب الموضوعية التي أدت إلى نهاية الدولة المرابطية - وهي في بدايتها - إلى حدوث هذه النهاية في عهد تاشفين:

- فوالده علي قد اضطرب أمره وكثرت المعارضة ضده في الداخل والخارج ؛ في الداخل بسبب اضطراره لفرض ضرائب جديدة غير شرعية على السكان (ضريبة القبالة)، ومراجعة سياسته في منح الامتيازات والاقطاعات، كل ذلك بغية تنمية مداخيل بيت المال التي تضاءلت بسبب فقدان السيطرة على الطرق التجارية الصحراوية.
- في الخارج اشتدت هجمات المسيحيين على الثغور خاصة بعد استدعاء تاشفين وعزله من منصبه وقد كان ناجحا في مهمة الجهاد.
- عدم حصول نتيجة سريعة للتدابير التي اتخذها الأمير المرابطي لتوفير المال وتجنيد الجند، مما جعله يفرض كلفا جديدة على المدن والقبائل، منها تجنيد العبيد السود وإرسالهم إلى تاشفين بأرزاقهم ومؤونتهم وعدتهم، مثل هذه

التشكيلة كانت ضعيفة ولم تساعد تاشفين على الهجوم وخوض المعارك ضد عبد المومن.

في هذا الجو المضطرب والميؤوس منه تقلد تاشفين قيادة الجيش المرابطي واعتلى العرش، فلم تفد معه شجاعته واستقامته وورعه وباقي خصاله الحميدة التي اثمرت في الأندلس ولم تثمر في المغرب لأنها صادفت فترة جدب.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ ح. ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*.

محمد حجاج الطويل

تاشفين بن ماخوخ، من قادة الجيش الموحدي في عهد عبد المؤمن بن علي الكومي، ينتسب إلى أسرة اختصت بزعامة بني ومانو من الطبقة الأولى من زناتة الذين صارت لهم رياسة زناتة بالمغرب الأوسط بعد أن اتجهت جموع مغراوة وبني يفرن نحو المغرب الأقصى تحت ضغط جيوش بلكين بن زيري. وكان بنو يلومي ينازعونهم تلك الزعامة في غالب الأحيان (*العبر*، 7 : 74).

كانت مواطن بني ومانو بأسافل شلف، وقد أهلهم موقع وطنهم إلى جهة الشرق لربط علاقات طيبة مع أمراء بني حماد، فخصهم الناصر بن علناس (454 ـ 481 هـ / 1062 ـ 1088 م) ـ مختط بجاية ـ بالولاية والزعامة على جميع المنتمين لعصبيتهم فكانوا شيعا لقومع عكس بني يلومي. وعظم شأنهم في دولة بني حماد لما أصهر المنصور بن الناصر (481 ـ 498 هـ / 1088 ـ 1105 م) إلى ماخوخ ـ أب المترجم له ـ في أخته فزوجها إليه (*العبر*، 7 : 75).

توترت علاقة بني ومانو مع بني حماد لما تمكن المرابطون من السيطرة على تلمسان وقام عامل يوسف بن تاشفين عليها تاشفين بن تينغمر المسوفي بشن حملاته العسكرية على مناطق نفوذ بني حماد مسانداً بجيوش بني ومانو وبني يلومي. فكان ذلك إيذاناً بنشوب الخلاف بين المنصور ابن الناصر بن علناس وبني ماخوخ زعماء زناتة. وقد حاول المنصور رد بني ومانو إلى طاعته فسار على رأس حملة عسكرية نحو مواطنهم لكنه لم يحقق المراد واضطر إلى الفرار أمام جموعهم حتى دخل عاصمة ملكه بجاية (*العبر*، 6 : 233 و7 : 74 ـ 75).

ولما توفي المنصور بن الناصر سنة 488 / 1105 تولى أمر بني حماد ابنه باديس فأدركته المنية قبل أن يكمل سنة من الحكم، ثم تولى بعده أخوه العزيز (499 ـ 515 / 1106 ـ 1121) وكانت أيامه هدنة وأمنا على حد قول ابن خلدون (*العبر*، 6 : 235) فعمل على التقرب من بني ومانو عن طريق المصاهرة وتزوج بنت زعيمهم ماخوخ ـ أخت تاشفين المترجم له ـ فتحسنت علاقة الطرفين مجددا واستمرت على ذلك إلى أن هلك ماخوخ وقام بأمره في قومه بنوه علي وأبو بكر وتاشفين (*العبر*، 7 : 75).

فأما علي فلم تصلنا عنه معلومات كثيرة في كتب التاريخ المعروفة، وأما أبو بكر فهو الذي تولى الزعامة بعد أبيه ماخوخ وكان الحديث عنه في جل المصادر مرفوقا بالحديث عن أخيه تاشفين المترجم له (*البيان*، قسم الموحدين، 19 ؛ *العبر*، 6 : 307 و7 : 75). وقد ورد ذكر أبي بكر بن ماخوخ في بعض مصادر التاريخ باسم زيري بن ماخوخ (*أخبار المهدي*، 53 ؛ *نظم الجمان*، 254 ؛ *البيان*، 4 : 100). وذهب محقق كتاب *نظم الجمان* إلى القول بأن زيري ابن ماخوخ هو الذي يذكره ابن خلدون باسم أبي بكر بن ماخوخ وقال إنه كان من قواد المرابطين على زناتة ومن أمراء قومه بني ومانو (*نظم الجمان*، هامش 1 : 254). وذكر بروفنصال أن زيري هذا من الشخصيات الصنهاجية التي لم تصلنا عنها معلومات كثيرة (*أخبار المهدي*، هامش 3 : 153).

والحق أن الأمر يتعلق بشخصيتين مختلفتين لأن زيري ابن ماخوخ التحق بالدعوة الموحدية أيام كان عبد المؤمن بن علي الكومي بتاجرا وكان مقتله على يد بني مكود بعد وصوله إليهم مبعوثا من قبل الموحدين فقطعوا رأسه ويديه وحملوها إلى فاس وعلقوها بباب السلسلة (*أخبار المهدي*، 56 ؛ *البيان*، 4 : 100). وقد انتقم عبد المؤمن لزيري بن ماخوخ من بني مكود فيما أسماه البيذق بالاعتراف ـ الذي يشبه عملية التمييز التي أشرف عليها البشير الونشريسي أيام المهدي بن تومرت ـ فبعث بقائديه أبي سعيد يخلف آتيكي ومحمد بن يحيى الگدميوي فقتلا من بني مكود أعداداً كثيرة (*أخبار المهدي*، 71).

أما أبو بكر بن ماخوخ فقد التحق بعبد المؤمن بجبل غياثة بمنطقة الريف سنة 536 / 1141 رفقة زعيم آخر من بني ومانو هو يوسف بن زيد أو بن يدر (*العبر*، 7 : 75 ؛ *البيان*، قسم الموحدين، 19) وطلب منه المساعدة في حروبه ضد أبناء عمومته بني يلومي أحلاف المرابطين، فأمده عبد المؤمن بجيش أوكل أمر قيادته ليوسف بن وانودين وابن يغمور فتمكن أبو بكر وقادة الجيش الموحدي من إلحاق الهزيمة ببني يلومي وبني عبد الواد سنة 537 / 1142 (*العبر*، 7 : 75 ؛ *البيان*، قسم الموحدين، 19).

تأرجحت تبعية زناتة المغرب الأوسط في ظل هذه التطورات بين مجيب لدعوة الموحدين كما هو الحال بالنسبة لبني ومانو ومستمر على طاعة المرابطين كبني يلومي وبني عبد الواد. وحاول كل من عبد المؤمن بن علي الكومي وتاشفين بن علي سلطان المرابطين دعم حلفائه وإمدادهم بالعساكر في محاولة للسيطرة على أكبر مجال ممكن من مناطق المغرب الأوسط. وقد عمل بنو يلومي وبنو عبد الواد على جمع شمل الزناتيين وحثهم على مساندة الصنهاجيين فانضم إليهم بنو ورسفان من مغراوة وبنو توجين وبنو نيكاسن من بني مرين. وبعد اجتماع هذه القبائل إليهم أمدهم تاشفين بن علي بجيش جعل على رأسه قائد فرقة الروم في الجيش المرابطي الربرتير Reverter فتوجهت

جموعهم نحو مواطن بني ومانو فأثخنوا فيها وتحصن أهاليها بالجبال المجاورة فحاول بنو يلومي وجيوش صنهاجة الصعود إليهم بالجبل في يوم ريح عاصف فهبط عليهم بنو ومانو من معهم من الموحدين فهزموهم سنة 537 هـ / 1142 م (*العبر*، 7 : 75 ؛ *البيان*، قسم الموحدين، 19).

حاول الموحدون بقيادة يوسف بن وانودين وبنو ومانو بقيادة أبي بكر بن ماخوخ وأخيه تاشفين استغلال انتصارهم في هذه المعركة فأغاروا على مواطن بني يلومي وبعثوا بما غنموه بها إلى عبد المؤمن فاعترضت طريقهم جموع زناتة واستعادت الغنائم وقتلت أبا بكر بن ماخوخ في ستمائة من قومه في حين اضطر يوسف بن وانودين ومن بقي معه من الموحدين إلى التحصن بجبل سيرات، ولحق تاشفين بن ماخوخ الذي صارت له زعامة قومه بعد مقتل أخيه صريخا بعبد المؤمن الذي كان بجبل الصخرتين المطل على مدينة تلمسان فتوجه صحبته إلى جبل سيرات ومنه إلى بلاد بني يلومي فكانت بين الموحدين وزناتة بقيادة البربتير حروب كثيرة في سنة 539 هـ / 1144 م (*البيان*، قسم الموحدين، 19).

وقد ذكر ابن خلدون أن تاشفين بن ماخوخ لما قدم على عبد المؤمن صار في جملته إلى وهران ومنها بعث معه الشيخ أبا حفص عمر الهنتاتي في عساكر الموحدين فنزلوا وسط بلاد زناتة وأثخنوا في بني يلومي حتى أعلنوا الطاعة، ووفد على عبد المؤمن بمكانه من حصار وهران شيخهم سيد الناس بن أمير الناس وحمامة بن مطهر شيخ بني عبد الواد وعطية الخير شيخ بني توجين فتلقاهم بالقبول (*العبر*، 7 : 76).

وهكذا كان لبني ومانو وزعمائهم من بني ماخوخ الفضل الكبير في بسط نفوذ الموحدين على المغرب الأوسط، لذلك صار تاشفين بن ماخوخ من أكبر قادة الجيش الموحدي على عهد عبد المؤمن، فقد عده البيذق ضمن أهم قادة عساكر الشرق الذين كانوا تحت إمرة يوسف بن وانودين وقال إنه أصبح بعد وفاة هذا الأخير يقود ذلك العسكر صحبة العباس بن عطية وحمامة بن مطهر وعبد العزيز بن يخلفتن (*أخبار المهدي*، 68).

ولا نعرف تاريخ وفاة تاشفين بن ماخوخ، غير أنه من المؤكد أنه استمر على قيد الحياة بعد سنة 558 / 1163 تاريخ وفاة عبد المؤمن. ويظهر ذلك من خلال حديث ابن خلدون عن وفاة سيد الناس بن أمير الناس شيخ بني يلومي بمراكش أيام عبد المؤمن وإشارته إلى أن هلاك بني ماخوخ كان بعد ذلك التاريخ أي بعد فترة حكم عبد المؤمن (*العبر*، 7 : 76).

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6-7، بيروت، 1988 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج 4، بيروت،ط. الثالثة 1983 وقسم الموحدين، البيضاء، 1985 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، بيروت، 1990 ؛ البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971.

E. Levi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade*, Paris, 1928.

حسن حافظي علوي

ابن تاشفين ← يوسف

تَاصُوگَايْتْ، نشيد حربي زناتي كان أفراد الجيش يرددونه في ساحة المعركة، ويذكر ابن خلدون أن شاعر زناتة كان ينشد بطريقة "تحرك الجبال الرواسي" مما يبعث الحماس في النفوس ويحفزها على الاستماتة في ساحة القتال. ويؤكد ابن الخطيب الذي كان شاهد عيان، وجود هذه العادة الحربية واستمرارها في عصره (القرن الثامن) ويشير إلى أن هناك عند بني مرين شخصا (شاعرا) يتولى المبادرة بالإنشاد مستعملا آلة موسيقية خاصة، ويدعى هذا الإنشاد تاصوگايت.

ومن المرجح أن تكون تلك العادة ذات أصول قديمة، وليس لدينا دليل قاطع على وجودها عند قبائل مغربية من غير زناتة، وان كان ذلك غير مستبعد.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. العبادي، البيضاء، بدون تاريخ، 2 ؛ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت 1968.

رضوان مبارك

تاطا أو تاضا، (ويقال أيضا طاطا) كلمة بربرية مشتقة من فعل تاضط بمعنى رضع، والمعنى الحرفي للكلمة هو الرضاعة.

تطلق القبائل البربرية تاطا على عقد التحالف الذي يجمع الأفراد أو الفرق القبلية أو القبائل، من أجل التعاضد والأخوة المتبادلة. يتم عقد هذا التحالف بمحضر الجماعة الممثلة لكل قبيلة. أو بحضور الشريف أو المرابط المبجل عندها وغالبا بحضورهما معا، وبهذا يتم العقد بمحضر الهيئة السياسية والدينية عند القبائل.

تعقد تاطا عبر القيام بطقوس معينة تحدد هوية الأطراف المتعاقدة. غالبا ما يتم العقد بتبادل الحليب. ومن هذا التبادل تستمد العلاقة اسمها ؛ ويعتبر تبادل الحليب هذا طقسا يؤسس علاقة الأخوة كتلك التي تجمع الإخوة الحقيقيين.

يمكن لجماعة معينة (مثلا دوار) أن تكون لها علاقة تاطا مع أكثر من جماعة واحدة (Guennoun, 39) وإذا كان هناك عقد تاطا بين دوارين أو قبيلتين فكل عائلة لها حليف (أو تاطا) في القبيلة المتحالف معها. ويخضع اختيار الحليف لمحض الصدفة، بحيث يجتمع ممثلو كل العائلات من القبيلتين ويتم مزج أحذيتهم (البلاغي) وتأخذ الجماعة في كل مرة حذاءين (بلغتين) وتعلن عن صاحبيهما فيصبحان أمام الجماعة متحالفين (أو تاطا)، وهكذا إلى أن تعرف كل عائلة من هو حليفها. ثم تتبادل كل الأطراف الحليب، ثم تقرأ الفاتحة وينصرف كل فرد متعهدا بأن له واجبات نحو كل فرد في القبيلة الحليفة وله واجبات خاصة تجاه عائلة معينة. (Bruno et Bousquet, 365).

حسب Coursimault وMarcy هناك نوعان من تاطا :

الأولى عادية وهي نوع من الحماية الجماعية (المزراگ الجماعي)، أما الثانية فهي صعبة وتسمى "تاطا الوعرة" أو "تاطا الكبيرة"، وهي مقدسة وشبه دينية تقننها قوانين صارمة لايجوز خرقها (Coursimault, 261).

تفرض علاقة تاطا على المتعاقدين مجموعة من الواجبات. لا يجوز لطرف أن يسمح لعدو حليفه ان يطأ ترابه أو يعبره. (Coursimault, 39) وفي حالة صراع طرف مع القبائل المجاورة تقدم له القبيلة الحليفة يد المساعدة. وعندما يحل الحليف على حليفه يستقبل بالترحاب وتقدم له أشهى الأطعمة ؛ ويطلق الأفراد المتعاقدين بتاطا على بعضهم البعض لقب "سيدي" (المصدر السابق، 261).

تعتبر علاقة تاطا علاقة شبه مقدسة تحيط بها عدد من المحرمات. فحسب برينو وبوسكي، يحظى المتعاقدون بتاطا باحترام القبائل المجاورة، وكثيرا ما يتدخلون لحل صراعات بين تلك القبائل بعدما فشل الأشخاص المبجلين في حلها (Bousquet et Bruno, 367).

يعتبر أفراد الطرفين المتعاقدين إخوة ويطلق عليهم "أيت تاطا" (أبناء تاطا)، لا يجوز بينهم البيع والشراء أو ارتكاب جريمة. وتقتضي تاطا المساعدة المتبادلة في كل وقت احتاجها الحليف من تبادل المراعي والمآزرة في وقت الحرب والدفاع المتبادل. وإذا ما وقع هجوم على طرف من الطرفين المتعاقدين بتاطا، يجد كل طرف ملجأ وعونا عند حليفه.

في بعض الحالات يعين من بين أعيان إحدى القبائل المتعاقدة، رئيس يسمى "گلموس نتاطا" تتخلص مهمته في الحرص على احترام تاطا وتطبيق واجباتها (Bousquet et Bruno, 367) وفي حالات أخرى تعين جماعة من الأفراد يكون لهم نفوذ في القبائل المتعاقدة، للقيام بهذه المهمة ويسمون عند قبائل بني واراين بـ "إماسين" (Turbet, 110).

هناك أساطير متعددة ترافق عقد تاطا ؛ ويلح مضمون هذه الأساطير على قداسة العلاقة التي تربط الفرد أو الجماعة بحليفها. كما تؤكد جل الأساطير بأن الفرد ولو كانت له الرغبة في خرق عقد تاطا، فإنه لن يفعل بفعل القدرة الإلهية (Coursimault, 261). ولا يفسخ عقد تاطا إلا على يد الجماعة (Guennoun, 39) وبعد وفاة احد الطرفين تلغى تاطا.

يطلق على تاطا أيضا تگـمّـاتْ في بعض القبائل، ومن بينها قبائل زمور، وتگمات هي كلمة بربرية تعني الأخوة، وهي عقد يتم بين فردين أو قبيلتين يتعهد أن بأن تكون مساعدة وأخوة متبادلة بينهما. في غالب الأحيان يتم التعاقد علانية وشفاهيا وترافقه نفس الطقوس التي نجدها في تاطا، كالأضحية وتبادل الحليب. وقد يكون أيضا مكتوبا، وتسمى عملية كتابته ب "ميارون نتگمات"، أي "كتابة الأخوة" التي تقرأ بعدها الفاتحة (برينو وبوسكي ص. 364).

انطلاقا من نموذج قبائل بني واراين يميز توربى بين تومات (أو تگمات) وتاطا، لاعتبار أن الثانية أوسع من الأولى عند قبائل بني واراين. (Turbet, 108 - 109) فتاگمات هي عقد للأخوة يتم بين فردين أو جماعتين من أجل خلق علاقة أخوة وهمية. فباستثناء الإرث، يترتب عن هذا العقد كل ما يترتب عن الأخوة الحقيقية من مناصرة الأخ ومآزرته وقت الشدة، ومشاركته في الأخذ بالثأر أو الدفاع عنه. ولا يسمح بالزواج فيما بين الجماعتين المتعاقدتين. يمكن أن نستنتج بأن "تومات" هي شكل من أشكال التضامن الاجتماعي على مستوى ضيق قصد توسيع دائرة القرابة المباشرة. وتخضع تاطا بدورها لنفس المبدأ، ولكنها تمدد تلك القرابة في المجال إلى أبعد حد، وغالبا ما تفرضها علاقة الجوار أو وجود مصالح مشتركة بين القبائل المتعاقدة.

تتضمن تاطا جوانب متعددة : اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية. فهي على حد تعبير مارسيل موس "حدث اجتماعي كلي". وإذا ما تأملنا وظائفها قد ندخلها في إطارعلاقات التحالف وأشكال الحماية التي عرفتها القبائل البربرية قبل التدخل الاستعماري، إلا أنها وإن كانت تخضع لمنطق الحماية، فهي مع ذلك تتميز عن كل أشكال الحماية، كالزطاطة والمزراگ والعار وآمور والمزاوگة، في كون هذه الأخيرة تتم بعد الطلب، أي عندما تدفع الضرورة الفرد إلى طلبها. وبما أن للحماية صبغة ظرفية، تنتج عنها علاقة لامتكافئة بين طرفين، بمعنى أن فردا يحمي آخر ويكون بالتالي في وضع قوة تجاه الآخر، في حين أن تاطا هي عقد دائم، ويدوم معه كل ما يترتب عنه من التزامات، ويخضع لمبدأالتبادل المتكافىء. فالمتعاقد هم إخوة وفي علاقة تساو. وهذا ما يجعل من تاطا استراتيجية لتمديد رقعة القرابة قصد التصدي لكل الطوارىء، سواء كانت هذه الطوارئ اقتصادية أو سياسية.

Cne Coursimault, *Ttata, A.B.*, vol. 2, fasc. 3; 1917, pp. 261 - 264 ; (Lieutenant) Turbet, *Le droit coutumier des Beni Ouarain Cheraga, (Région de Taza), R.A.T.M.L.J.*, 1931, tome XLVII, pp. 97 - 110 ; G. Marcy, *L'alliance par colactation (tâd'a) chez les Berbères du Maroc Central, Société Historique Algérienne*, Alger, 1936 ; S. Guennoun, *La montagne berbère, A.F. : R.C.* ; H. Bruno et G.H. Bousquet, *Contribution à l'étude des pactes de protection et d'alliance chez les berbères du Maroc Central, Hesp.*, vol. 33, 1946, pp. 353 - 370 ; M. Lesne, *Evolution d'un groupement berbère : Les Zemmour*, Rabat, 1959 ; Gellner, *Saints of Atlas*, London, 1969 ; D. Hart, *Dadda 'Atta and his forty grandsons : The socio-political organisation of the Ait 'Atta of Southern Morocco.* Middle East and African Studies, Cambridge, 1981 ; R. Dunn, *Résistance in the Desert : Moroccan response to French Imperialism. 1881 - 1912.* The University of Wisconsin Press, 1977.

رحمة بورقية

تاطوفت، أهم قرية بقبيلة أهل سريف الهبلية (إقليم العرائش) وعليها سميت الجماعة القروية للقبيلة المذكورة، وهي تابعة لدائرة القصر الكبير.

تنقسم القبيلة إلى خمس فرق هي : فرقة مرقد الضباب (بها اثنى عشرمدشرا) وفرقة الجبلية (بها أربعة عشر مدشرا) وفرقة الوطاوين (بها اثنى عشر مدشرا) وفرقة بني

قماح (بها أحد عشر مدشرا) فرقة بني إدريس (بها أربعة عشر مدشرا).

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 127.

Nomenclator Cabilas, 17 ; Gouzalez Perez, *Lucus*, Tetuan, 1939, 63.

محمد ابن عزوز حكيم

تاعرمت، أحد قصور وادي إفلي بسجلماسة شرق مدينة الريصاني بالقرب من ضريح المولى علي الشريف ولربما كان معناها : العذراء وليس تحريفا أو تصحيفا لتاغرمت الذي هو بمعنى القصر، سكن هذا القصر بنو عمر أولاد أبي القاسم من فرع سيدي يوسف بن علي الشريف. وفي القرن العاشر (16م) انتقلت هذه الأسرة إلى مدغرة تافيلالت وأقامت بها قصرا سمي بقصر الشرفاء.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 400. أ. العلوي، *الأنوار الحسنية*، 59 ؛ *الدر السني*، 53.

عبد العزيز بوعصاب

ابن **تاعظمييت**، أبو الربيع سليمان بن مخلوف الهواري الحضرمي، اشتهر عند أهل أغمات باسمين مختلفين هما : ابن تاعظمييت وابن البقال، وعرف عند الموحدين باسم سليمان أَحَضْري (*كتاب الأنساب*، 33). ذكره ابن القطان باسم أبي الربيع سليمان بن الحضري (*نظم الجمان*، 126) وورد في القرطاس باسم سليمان بن مخلوف (*القرطاس*، 176)، وذكره صاحب *الحلل* باسم إسماعيل بن مخلوف (*الحلل الموشية*، 108) والناصري باسم سليمان بن خلوف (*الاستقصا* ، 2 : 92).

كان ابن تاعظمييت من أهل أغمات وريكة لذلك عرف عند الموحدين باسم أَحَضْري، وهي كلمة ذات أصل عربي تعني حضري أي ساكن الحاضرة، استعملت في لسان المصامدة على الشكل الوارد أعلاه كما استعملت أيضا في العهد المريني للدلالة على المؤنث بصيغة تَحَضْرِيتْ (*Documents inédits*, note 1, p. 49).

إلتحق ابن تاعظمييت بدعوة الموحدين بعد خروج المهدي ابن تومرت من مراكش خوفاً من بطش سلطان المرابطين علي بن يوسف سنة 514 هـ / 1120 م ومروره بمدينة أغمات وريكة حيث درس العلوم بمسجدها الجامع المعروف باسم جامع وطاس بن يحيى (*أخبار المهدي*، 30)، فصار ابن تاعظمييت من طلبته ثم من أصحابه العشرة وهم أهل الجماعة السابقون إلى دعوة ابن تومرت المصدقون بإمامته المنقادون لإمارته المسارعون إلى بيعته (*القرطاس*، 176).

كان ابن تاعظمييت يكتب الرسائل عن إذن المهدي بن تومرت (*كتاب الأنساب*، 33) ولم يكن الوحيد الذي اشتغل بالكتابة في بداية دعوة الموحدين بل شاركه في ذلك ملول ابن إبراهيم بن يحيى الصنهاجي دفين تنملل (*كتاب الأنساب*، 39). وقد كان مقتل ابن تاعظمييت يوم السبت ثاني جمادى الأولى عام 524 / 12 أبريل 1130 في معركة البحيرة التي انتصر فيها المرابطون على الموحدين.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971، والمقتبس من كتاب *الأنساب في معرفة الأصحاب* ضمن E. Lévi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade*, Paris, 1928 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، بيروت، 1990 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973.

حسن حافظي علوي

تَاعْلاطْ، فاطمة بنت محمد الايلالنية من بني وعلا (أيت واعلا) تكتبها بعض المصادر : توعلات، للاتعلاطت. ولية صالحة تتمتع بشهرة واسعة بين قبائل الأطلس الصغير. نجهل الكثير عنها باستثناء ما أورده صاحب *الطبقات* من أنها "من الخاشعات القانتات" وحلاها برابعة زمانها، كما أبرز مكانتها فيما يتواتر عنها من كرامات وخوارق. وشهد لها الشيخ المعطي بن الصالح البوجعدي بالتفوق والولاية والصلاح حسب ما يكتب إليها. ومازال مشهدها إلى اليوم مزارا يقام به موسم ديني كبير في الخميس الأول من شهر مارس الفلاحي.

توفيت عام 1207 / 92 . 1793.

م. الحضيكي، *الطبقات*، مخطوط ؛ *فهرسة الإبيوركي*، مخطوط خ. ح رقم 12933 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 226 ؛ 12 : 95 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، طنجة، 1989، ص. 94.

أحمد بومزگو

تاغاجيجت، بسيط في جنوب المغرب تحيط به جبال باني من الجهتين الشمالية والجنوبية، وتمر حدود تاغاجيجت بتامنارت حتى أگجگال، ومن تامگروت ـ ن ـ توزرنْت حتى مرتفعات فوگ اغبالو وتيگديرت وامان وتيگديرت ام گجد وبئر بوكلين، ترسم هذه التسمية شكلا محددا يفرز بوضوح معالم المجال القروي المتمركز بأعالي وادي صياد، هذا الوادي الذي يحمل أيضاً اسم وادي نون ينبثق من سلسلة جبال الأطلس الصغير بذلك المورد المائي الرئيسي لبسيط تاغاجيجت الذي تحيط به جبال باني من الجهتين الشمالية والجنوبية. هكذا تبتدئ تاغاجيجت من الخانق الجبلي شمالا لتتخذ شكلا موازيا لالتواءات الوادي الذي تشرف عليه سفوح المعدر جنوبا. جل هذه المعطيات الجيومرفولوجية تقلل نسبياً من تركز الرياح وتحد من قدراتها على زعزعة حجم وكثافة النخيل وأشجار أرگان (الهرجان) والزيتون والرمان والإجاص والتين والحناء. فنلاحظ بذلك أن النشاط الفلاحي للمساحات المسقية يرتبط بالحقول التي يستعمل فيها المحراث الخشبي حيث تجد نباتات الرطم المتناثرة من فعالية التشكل الريحي. ولا شك أن لشبكة الري المحلية دورها في ترطيب المناخ بما تُهيِّئه من غطاء نباتي ونظام إنتاجي يسمح بتنظيم الاستغلال الفلاحي على أسس تقليدية. نرى أن الانتاج الفلاحي يخضع للتقلبات المناخية مضيفا بذلك إلى صعوبة العيش في ظل وسط بيئوي موارده محدودة تتمثل في سيادة الجفاف المناخي.

إننا إذا ربطنا هذه الظروف المناخية بالاستغلال المكثف

لقنوات الري، اتضح أن الخطارات ترتبط تارخيا بمظاهر الضغط المناخي الجاف منذ زمن طويل، فمنذ متى اعتمدها أهل تاغاجيجت في الحفاظ على سمك الغطاء النباتي المثبت للقرى والمداشر والحاد من هجرة أهلها والمدعم لتربية المواشي ؟ إذا نحن ربطنا هذا العامل بما يفرزه المعطى الجيومرفلوجي اتضح أن الإجابة تقتضي عدم الاعتماد على المصادر العربية بما فيها كتب المسالك. فالبكري مثلا يفيدنا بأن تسمية تامنارت على مقربة من تاغاجيجت كانت قائمة الذات خلال القرن الخامس (11 م). وهي تسمية تفيد المجال الفاصل هنا بين الصحراء وماعداها. وبذلك يمكننا تلمس أسباب تركيز الرواية الشفوية على ربط المنجزات المائية من خطارات وسدود وسواقي بزمن المرابطين. هذا التوزيع المناخي يندرج كما نرى في إطار مرجعي لغوي مبسط يلخص الواقع ويمثل نموذجا تقريبيا للحدود المناخية. غير أن عيوب هذا النموذج تكمن في اعتماده على مسلمات احتمالية لا تقوم على تحليل علمي مقبول. فتبقى بذلك دراسة آليات انتشار المجال القروي بتاغاجيجت كبديل مرحلي تفترض الوقوف على حجم التحركات البشرية ومداها. هذه الآليات لن نُوفيها ما تستحق إلا إذا سجلنا بأن المصادر العربية تجعل استعمال كلمة نول لتغطي التمايز القائم بين مختلف المجالات القروية وأمهات قراها بوادي نون. بل يكون لزاما علينا أن نشير إلى استحالة التمييز انطلاقا من كتب المسالك وغيرها بين تاغاجيجت وتيغمرت وتاگاوصت من حيث هي كمجالات قروية متباعدة لا يجمعها إلا الارتباط العضوي بمجرى وادي نون. حقا يبدو التملك لهذه المجالات من طرف إيليميضن (لمطة) أمراً مؤكداً، غير أن التداخل الإثني والسياسي مع إيويليميضن (لمتونة) جنوبا وإگزولن (گزولة) شمالا يجعل لزاما علينا تحديد المميزات الخاصة لكل مجال من هذه المجالات وموقفه من المد المرابطي اللمتوني ومن التطورات اللاحقة عبر القرون.

يحور أبو بكر الصنهاجي المكنى البيذق رفيق المهدي بن تومرت وعبد المومن الموحدي في معرض حديثه عن مجابهة أهل وادي نون للموحدين أول إشارة تعرفها المصادر لتاغاجيجت إلى تاعگيزت (*أخبار*، 77). ولن نجد لها بعد ذلك ذكراً إلا *بمدونة أسا* خلال القرن الثامن (14 م) على صيغة غاجيجة أو في كتاب *الاستقصا*. أما إذا انتقلنا إلى تحديد التعريفة الإثنية فإن المصادر باستثناء *جغرافية* ابن سعيد تربط مداشر وقرى تاغاجيجت بإيليمضن. غير أن تعميم هذا المنظور دون مراعاة للتمايزات ولا لحجم التحولات التي عرفتها كل وحدة مجالية على حدة يعد من باب المجازفة ويحد من مصداقية هذه المصادر.

نلتقي من هنا مع صلب الخصوصية المحلية وتلوناتها إزاء تعاقب الأحداث المحلية والجهوية. هل ساند أهل تاغاجيجت المد المرابطي منذ البداية شأنهم في ذلك شأن أهل تيغمرت وتاگاوصت أم أنهم عكسوا موقفا مشابها لموقف إگزولن (گزولة) بتامدولت القريبة منهم ؟ نظراً لاستحالة الجواب على هذا السؤال، فإنه يكون لزاما علينا أن نتجاوز هذا الطرح لنقتصر على الرواية الشفوية فيما تسانده التحريات الميدانية والحفريات من معطيات حول حجم استقرار وتغلغل إيويليميضن (لمتونة) القادمين مع عبد الله بن ياسين. إننا إذا عمدنا إلى التحري حول تاريخ حصن أگادير أوگليد أزناگ المشرف على تاغاجيجت من أعلى أدرار ـ ن ـ تزاراس، أكدت لنا دراسة الطبيب Dargassier الميدانية أننا بصدد معلمة أثرية مرابطية (La Ruelle, *Id Brahim*). فهل يمكن التسليم هنا بأن تسمية هذه المعلمة (حصن السلطان الصنهاجي) ترفع بعض الغموض حول تمركز إزناگن (صنهاجة) بتاغاجيجت ؟ إذا نحن حاولنا استنباط صور لعناصر التداخل بين هذه المعلمة ومقولة الرواية الشفوية بشأن عثمان بن مندى عامل عبد الله بن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني على وادي نول، خلصنا إلى تأويل يعتمد الربط ما بين هذا العامل وسلطان الحصن الصنهاجي. وهنا يمكن أن نتسائل هل يمكن اعتبار ولادة عثمان بن مندى بتاغاجيجت بمثابة بينة حول ذوبان الخصائص الإثنية المحلية في إطار التداخل مع إيويليميضن (لمتونة) الصحراء ؟ إلا أن هذا المنحنى تأباه مختلف مشجرات قبيلة أيت إبراهيم المحلية ومجمل اتحادية تكنة بوادي نون وباني الغربية والساقية الحمراء بحكم انتمائها إلى عثمان بن مندي كجدٍ أسمى. فإبراهيم بن لحسن بن عثمان بن مندى يعد المؤسس الفعلي لنواة قبيلة أيت إبراهيم بتاغاجيجت (أيت إبراهيم، *معلمة*، 1127 . 1130). وهو أيضا الجد المعياري الذي تدور حول اسمه معطيات انتماء قبائل تكنة إلى إيليميضن (لمطة). وبذلك يكشف التحليل عن المنطلقات التي توضح المواقف المبدئية التي يجب اتخاذها من المقولات الشفوية المحلية. إن مجرد انتماء قبائل تكنة إلى إيليميضن وادي نون يقودنا إلى ضرورة تحديد المفاهيم الأساسية المرتبطة بنظرية الانتشار المجالي لرحل الصحراء يومها. بل وتفضي بنا هذه الضرورة إلى حدود العلاقة التحالفية بين إيليميضن وإيويليميضن. وباعتبار هذه العلاقة جانبا من القضايا التي يثيرها التركيب المجتمعي بعين المكان فإننا نكون ملزمين بمعالجتها من خلال مصادر القرنين السادس والسابع (12 و13 م). إننا إذا حاولنا أن نخرج مما قيل في رسالة يهودية مؤرخة بتاريخ 1148 / 542 (Chouraqui, *Histoire*, 120) وما أورده البيذق والإدريسي وابن سعيد وابن عذاري، بفكرة واضحة عن ظاهرة الاندماج الإثني بوادي نون، استوقفنا حجم المجابهة القوية بين جيوش عبد المومن الموحدي والتجليات المتنوعة لتحالف إيليميضن وإيويليميضن. فالإدريسي مثلا يساهم بما لا يدع مجالا للشك في الكشف عن التراكيب القبلية حول قرى ومداشر وادي نون. ذلك أن المجالات القروية على تمايزها تبدو كقاعدة سكنية لتمركز إيليميضن بينما تقاسمهم فصائل إيويليميضن استعمال المراعي والسهول.

العشبية في أفراگ تحيط بسرير الوادي. وتعتبر أهم ملاحظة تفرض نفسها بهذا الصدد هي ما قد يوحي به نص الإدريسي من تداخل كبير ربما يكون يومها قد أسهم في انصهار نسبي. غير أن إجماع هذه المصادر على الفصل بين القبيلتين يدعو إلى ضرورة تقصي ماهية وحجم النزوح اللمتوني. إن سجل الأحداث يشخص لنا نزوح إيوليميضن إلى الضفة الشمالية للصحراء كجيوش لعبد الله بن ياسين. وبالتالي فالتساكن مع إيليميضن يرصد مستوى الاندماج الفعلي من خلال ما يمكن استخلاصه من الملامح الظاهرة للترحال الموسمي. يفيد البيذق أن ثورة إيليميضن وإگزولن على الموحدين بعد سنة 548 / 1154 قد تمثلت في استنجادهم ببحيى الصحراوي الذي وصل إليهم من الجنوب مصحوبا بالحاج ابن مركونة. ويضيف البيذق أن هوية إيليميضن كانت ترتكز يومها على اتحادهم وراء محمد أمرگال. أرسل أبو حفص الهنتاتي ثلاثة جيوش يرأسها كل من عمر بن ميمون وعبد الله بن فاطمة وعبد الله بن أبي بكر بن ونگي لغزو مجالات وادي نون المتمايزة. فيتشخص بذلك الفصل بين مجالات تاگاوست وتيغمرت وتاغاجيجت. أما ما يجسد الواقع المشخص لاستقلال إيليميضن فهو ما يورده النص من أن "أهگار سلطان لمتونة" قد انهزم بدوره في عين المكان. وبذلك يتضح أن عقود الإخاء والتحالف هي التي كانت تملي مفهوم التساكن (*أخبار*، 77). استطاع عبد الله بن أبي بكر بن ونكي أن يهزم إيليميضن فما كان من الحسن بن سليمان كبير تاغاجيجت إلا أن "وحد" يومها. وهكذا فإن غنائم المنطقة قد وصلت إلى مراكش "وبيعت بباب الشريعة الگزوليات واللمطيات والجمال والبقر والغنم" (*أخبار*، 77). يتضح إذن حجم المواجهة كاشفا أهمية الإبادة الجماعية ليحظى تصدع البنيات والهياكل المجتمعة بمكانة متميزة في إطار تكريس القطيعة.

لا بد أن نشير إلى أن المفارقة الكبرى تتجسد هنا في كون مصادر هذه الفترة وخاصة منها تلك التي تشايع الموحدين تعتبر "التوحيد" بمثابة دخول أولي في الإسلام. هذا ما نتأكد منه بوضوح من خلال *مدونة أسا* التي تصف وادي نون بوادي الحرب وغاجيجة بالنصرانية (*مدونة*، 5). ولا غرابة في ذلك خاصة إذا علمنا أن الأساس الفعلي لهذا التصور كان مبنيا على الأحكام الموحدية، وأن *المدونة* تعتبر إيعزّى أوهْدَى مؤسس زاوية أسا مقياسا محليا لمحاربة "المسيحية والكفر". فإذا كانت هذه *المدونة* تؤكد على استمرارية الحكم الموحدي لتاغاجيجت من خلال إشارتها إلى منصور بن عدي البرقوقي كعامل ليعقوب المنصور الموحدي، فإنها لا تتوانى في اعتبار إيعزى أوهدى المولود سنة 646 / 1248 (إيعزى ويهدى، *معلمة*، 517. 518) ملك سوس ووادي نون والساقية الحمراء والشمال الشرقي لدرعة. *والمدونة* التي تتبنى هذه المقولة تعد أيضا من أنجح النصوص في الكشف عن أهمية الوجود النصراني واليهودي (Chouraqui, *Histoire*, 119). فهي تكشف المقاومة الفعلية التي كانت ما تزال قائمة الذات كما سيفرز ذلك كتاب *الذخيرة* بعد نهاية الموحدين (*الذخيرة*، 90). وهو ما يدعونا إلى التركيز على أسباب هجرة أيت إبراهيم إلى أفراگ إيسوفن (مسوفة) بمنطقة توات تجنبا للقمع الموحدي. لقد ساهمت هذه الهجرة في بلورة النواة الأصلية للقبيلة التي زامن جدها إبراهيم نهاية الحكم المرابطي حين عرف حكم علي بن يوسف بن تاشفين تعدد القلاع والتحصينات الدفاعية تجنبا لكل مواجهة من الموحدين. ويزكي هذا الاحتمال قدرة هذا الجد الاسمي على بلورة النواة الفعلية للقبيلة عبر الانتشار عبر أفراگ إيسوفن بعيدا عن حاكم الموحدين بتاغاجيجت. لقد أسهم هذا الانتشار في تنمية الحجم الديموغرافي للعائلات المتفرقة عاملا بذلك على تمتين الروابط الإبراهيمية بشكل مكثف. بل ويتضح من سياق الأحداث أن عناصر التحول في حجم هذه النواة قد أسهمت في اختراق الروابط التحالفية مع إيسوفن مما كان له أبلغ الأثر في صياغة العلاقات القرابية المؤسسة. كانت قبيلة أيت حربيل يومها قد عرفت مجدا وقوة أهلتها للتسيد على تاغاجيجت. ولكن تماسكها أمام المدّ الابراهيمي العائد من الصحراء لم يستمر بما يكفي للحد من التسلط المتزايد لأيت إبراهيم. وتسجل المصادر المحلية الاضمحلال التدريجي لأيت حربيل إلى أن أصبحت صورة مصغرة لما كانت عليه. أما عودة أيت إبراهيم من توات إلى تاغاجيجت ففيها ما يكفي من الإشارات للتذكير بأهمية التراكمات القرابية لإيليميضن (لمطة) في صياغة علاقات اجتماعية على أسس بنيوية ثابتة تخترق قرنين من التعايش مع إيسوفن بالمهجر. تأسيسا إذن على هذه الفكرة، يمكن الذهاب إلى القول بانعدام التعارض بين تعايش الفصائل القبلية المختلفة دونما تمازج حقيقي رغم حجم الظرف الزمني الطويل. وبالرغم كذلك من أن اسم منذى أبي عثمان عامل المرابطين على نون قد يكون مجرد تحريف لكلمة المزدالي اللمتوني عامل يوسف بن تاشفين وابن عمه المباشر، فإن هذه العينة من الأخطاء التي تخترق عادة المصادر (*البيان*، الموحدون، 17 هامش 5) تبدو غير مقبولة هنا. إن الامتداد العضوي لإيليميضن لم يؤد كما رأينا إلى اندماجهم بإيويليميضن، بل تحول بصورة إلزامية إلى بنية توفر لكل قبيلة هويتها المتميزة.

لقد تجلى الاتجاه القرابي بقرى ومداشر تاغاجيجت منذ هذه الفترة فيما تكشفه النواة الأصلية لقبيلة أيت إبراهيم. ويمكن للمدقق أن يكشف تنوع المستويات المتفاعلة للاندماج المحلي فيما يميز هذه النواة عن المتحالفين والواردين منذ ذلك الحين عليها. من هنا فإننا إذا انتقلنا إلى مصطلح القبيلة تجلى الارتباط بتاغاجيجت أكثر تجسيما لأعلى درجات التحالف والاستمرارية. وهذا ما يعني تأكيد الصفة الإلزامية لمفهوم مراقبة المجال كقاسم مشترك بين ماضي وحاضر أيت إبراهيم (انظر مادة أيت إبراهيم، *معلمة*، 1127. 1130).

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 10 : 116. 211 ؛ م. ناعمي، *إيعزى ويهدى، معلمة المغرب*، 517. 518 ؛ أيت إبراهيم، *معلمة*، 1127. 1130.

E. Levi-Provençal, *L'histoire des Almohades* in *Documents Inédits d'Histoire Almohade, Fragments manuscrits du "Legajo" 1919 du Fonds Arabe de l'Escurial*, Paris 1928 - 194 ; V. Monteil, *Gens et choses du Bani, Hesp.*, 1946, 3 - 4, 393 - 394 ; Id, *Chronique de la zaouia d'Asa* in *Melanges Mohamed El Fassi*, publiés à l'occasion du dixième anniversaire de l'Université Mohamed V, 1957 - 1967, Rabat, 81 - 90, Cl. La Ruelle, *Id Brahim*, CHEAM ; A. Chouraqui, *Histoire des Juifs d'Afrique du Nord*, Paris, 1985, 119 - 120.

مصطفى ناعمي

تاغدوت، قرية تمتد على ضفاف واد أوماغا على بعد حوالي 13 كلم إلى الشمال الغربي من مركز تازناخت و90 كلم إلى الجنوب الغربي من مدينة ورزازات. ينتمي سكان القرية في غالبيتهم إلى قبيلة أيت عمرو. وقد بلغ عددهم 969 نسمة سنة 1982، يعيشون أساسا من الزراعة والرعي والصناعة التقليدية ومداخيل الهجرة.

وقد عرف تنظيم المجال السكني للقصر في القديم عدة تأثيرات جعلت من القرية وحدتين منفصلتين بحيث استقر السكان السود المكلفون بزراعة الحقول على الضفة الغربية، في حين استوطنت الساكنة البيضاء الضفة الشرقية. إلا أن هذا التمايز الذي طبع المجال السكني يسير حاليا نحو الاختفاء لصالح عوامل أخرى تتحكم فيها بالأساس المكانة الاقتصادية والمالية للفرد أكثر من انتماءاته العرقية.

انطلاقا من موسم سنة 1955. 1956 استفادت قرية تاغدوت من بناء سد صغير على وادي أوماغا، في عالية القرية، يبلغ علوه 15.2م وسمكه 0.80 أما طوله فيصل إلى 23.3م في حين مبلغ طاقته الاستيعابية 4.7 مليون متر مكعب.

وبموازاة مع عملية بناء السد تم استصلاح 180 هـ من الأراضي الرعوية في سافلة القرية، الشيء الذي مكن من رفع مساحة الأراضي الزراعية التابعة للقصر إلى 214 هكتار.

ويعاني سد تاغدوت من نوعين من المشاكل : كثرة الرواسب الوافدة وقوة التبخر. ففي سنة 1980 كان حجم الرواسب يقدر بـ 450.000 م^3 الشيء الذي قلص الطاقة الاستيعابية للسد بنسبة 11٪. أما الكميات المتبخرة فتقدر بـ 40٪ من المياه المتجمعة بالسد وذلك نتيجة للامتداد الكبير للسطوح المائية وضعف عمقها.

A.T. Zainabi. *L'homme et la montagne en milieu sub-aride : Le pays de Taznakht (Anti-Atlas)*, thèse de troisième cycle, Géographie, Poitiers, 370 p, 1989.

توفيق أحمد الزينبي

تَاغْرَامْتْ، قرية تقع بقرية الغابويين بقبيلة أنجرة، وعليها سميت جماعة قروية تابعة لدائرة الفنيدق (إقليم تطوان)، وبالقرية يعقد سوق أسبوعي كل يوم ثلاثاء.

Nomenclator cabilas, 26 ; *Vademecum Yebala*, 1944.

محمد ابن عزوز حكيم

تاغزالت. سمك. ← **بوقة**

تَاغْزَفْ، اسم الرأس الشرقي من الرؤوس الثلاثة التي يتكون منها رأس ورك الواقع شمال مدينة ملبلية ؛ ويجعل رأس تاغزف اسم الرأس القديم Caboliejo في الخرائط الإسبانية القديمة.

وهناك ثلاث جزر صغيرة تحمل اسم تاغزف وتقع بشاطئ البحر المتوسط الموالي لقبيلة بني شيكار بالقرب من رأس ورك ؛ وتحمل الجزر الثلاثة اسم Los Farallones في الخرائط الإسبانية القديمة التي احتفظت لنا باسم كل واحدة من الجزر الثلاث وهي : البرج والفگر والفقط.

R. Soriano, *Geografia*, Melilla, 1941, 66 - 67.

محمد ابن عزوز حكيم

تاغزوت، مواقع عديدة، وتعني بالأمازيغية سهلا خصبا أو قطعة أرضية منبسطة وخصبة ووقع إحصاء حوالي ستة وعشرين قصرا أو مدشرا يحمل كل منها اسم تاغزوت في جنوب المغرب وشماله منها :

تاغزوت الذي تقطنه قبيلة "أيت أحمد أ'سعيد" التابع لمركز تالسينت عمالة بولمان ؛ تاغزوت التابع لمركز تاليوين إقليم تارودانت وتقطنه قبيلة "أيت حميد تيويزوا ؛ تاغزوت التابع لدائرة قبيلة "أيت مديوال" دائرة دمنات ؛ تاغزوت التابع لمركز مغراوة بإقليم تازا، وتسكنه قبيلة أيت محاند أ'يوسف.

وأشهر هذه الأماكن تاغزوت التابعة لخمس أيت يعزّى المنتمي إلى قبيلة أيت عطا، وهو قصر يقع في تُدغة السفلى على بعد حوالي 20 كلم من تينغير المركز. ونظرا لأهمية موقعه في الطريق المؤدية من جهة إلى واحة فركلة وإلى جبل صَغْرو من جهة أخرى فقد عرف أحداثا تاريخية هامة، منها مرور حركة السلطان المولى الحسن بها أثناء رجوعه من تافيلالت في اتجاه مراكش حيث استقبله أعيان قبائل أيت عطا "بتاغزوت".

كما أن تاغزوت كان مركزا لتجمع القوات الفرنسية وقوات باشا مراكش التهامي الأگلاوي سنة 1918 و1919 أثناء غاراتها على المنطقة للقضاء على مقاومة أيت عطا ومحاصرة أهالي تافيلالت الذين كانوا يقاومون الاستعمار بقيادة مبارك بن الحسين التوزونني وخليفته "بلقاسم النگادي".

وكان إلى جانب قصور أيت عطا بواحة تدغة مستهدفاً من طرف القوات الاستعمارية أثناء حصارها للمقاومين بجبل صغرو سنة 1933.

وتعد تاغزوت اليوم من الجماعات القروية الناشئة بتدغة حيث انضمت إليها قصور أيت عطا بتدغة السفلى.

مونوغرافية صادرة عن عمالة ورزازات 1986.

P. Lancre, *Répertoire du Maroc*, préf. Lucien Saint, Casablanca, 1932.

بوراس عبد القادر

تَاغْزُوتْ (باب ـ)، ويعرف أيضا بباب الشيخ أبي العباس السبتي (*إعلام*، 8. 240) ثاني بابين في الواجهة

الشمالية لسور مراكش المرابطية، مما يفيد من جهة أن تاريخ تأسيسه يعود إلى زمن بناء السور، حيث يشرف على الجزء الشمالي الغربي منه، ومن جهة ثانية فقد كان بابا خارجيا في الأصل ثم أصبح داخل المدينة بعدما أقيم بشماله حي الزاوية العباسية حيث ضريح أبي العباس السبتي، ولذلك أصبح اسما للحي المجاور للضريح من الجنوب. ولعله مشتقٌ من معنى الأرض المنخفضة الخصبة لإشرافه على مجال أخضر كبير وفيه المياه (*إعلام*، 1. 270) عرف على الأقل منذ عهد الموحدين باسم الخالص، وقد كان فيه أحد قصور الموحدين (*البيان*، قسم الموحدين، 332). ومن جهة ثانية هو منخفض بالنظر إلى المجال الجغرافي الذي يقع ضمنه، ولقد كان هذا العنصر من الأسباب التي منعت اقتحام البرتغاليين المدينة سنة 1515 عبر باب تاغزوت. ومن غير المستبعد أن الوقت تزامن آنذاك مع أمطار غزيرة - شهر ابريل - ترتب عنها تجمع المياه على السطح على مساحة واسعة خاصة وان الجهة تتوفر على عيون الماء والخطارات (*Marrakech*, 128).

كانت بخارج هذا الباب سقاية "يتطهر منها الناس" (*التشوف*، 477) ومن المرجح أنها كانت نهاية خط شبكة سقايات بنيت على عهد المنصور الموحدي تربط بين جنوب المدينة وشمالها (*الاستبصار*، 210)، فقد كانت هذه السقاية مجالا لإحدى كرامات أبي العباس السبتي (*التشوف*، 477).

ويقرب الباب أيضا ضريح الشيخ ومقبرة عامة، كانت مدفنا لأهل الصلاح والولاية (*التشوف*، 295) والفقهاء (*الذيل*، سفر 8، قسم 1، 349) وبها دفن ابن رشد قبل نقل جثمانه إلى قرطبة.

بجانبها مقبرة خاصة لأسرة مخزنية موحدية هي أسرة مكسور الجنب (*الذيل*، 8. 1. 286). إلى جانب ذلك يعتبر باب تاغزوت واحدا من الأبواب الواردة في خريطة زيارة الرجال السبعة وأول باب في خط عودتها (*إعلام*، 10. 367).

ويبقى في الأخير من بين المحطات التي قامت بوظيفة ربط المدينة بما يجاورها من الشمال.

أ. البيذق، *أخبارالمهدي* : مجهول، *الاستبصار* : ي. التادلي، *التشوف* : م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، سفر 8 ؛ ابن عذاري، *البيان*. قسم الموحدين ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، جزء 1 : 8.

G. Deverdun, *Marrakech*.

محمد رابطة الدين

تَاغْزُوتْ، رأس يقع شرق مصب وادي كرت بشاطئ قبيلة بني بوگافر الكرتية، ويعرف كذلك برأس بني بوگافر وعند الإسبان برأس نيگرى.

وهناك قبيلة تاغزوت بناحية صنهاجة (إقليم الحسيمة) تحيط بها القبائل التالية: كتامة وبني بونصار وبني أحمد وبني بوشيبت وبني بوسلامة ومتيوة الجبل. وتقدر مساحتها بنحو 52 كيلومترا مربعا، يتكلم سكانها باللهجة الصنهاجية القريبة من اللهجة العربية الدارجة وقد اشتهروا بمهارتهم في الصناعة التقليدية المتعلقة بالجلد. تنقسم القبيلة إلى فرقتين هما : فرقة القلعة (بها أربعة مداشر) وفرقة الساحل (بها خمسة مداشر).

وفي التقسيم الإداري تكوّن مع قبيلة بني بوشيبت جماعة قروية واحدة. ويقول الأستاذ باخاريس Pajares (صفحة 155) إن اسم القبيلة التاغزوتية مأخوذ من فعل غزا يغزو.

بنعبد الله، *الموسوعة*، 128.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes*, p. 47 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes*, p. 62 ; Comision historica, 37, 83, 95, 105, 106 ; Pajares, *Apellidos*.

التاغزوتي، أو التغزوتي، أسر تطوانية متعددة يرجع أصلها إلى قبيلة تاغزوت الصنهاجية، وكان جل أفراد هذه الأسر يتطوان يتعاطون صناعة الجلد التقليدية ولهم فيها تفوق ملحوظ على غيرهم.

Delagacion, *Familias* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum* , Intervenciones (año 1931) 1932 (T).

محمد ابن عزوز حكيم

تَاغَسَّا أو تَغْسَّة أو تغصَّة، مدينة ونهر ومرسى. فمدينة تاغسّا صغيرة تقع بفرقة بني الحاج من قبيلة بني گرير الغمارية (إقليم شفشاون) على بعد أربعة كيلو مترات من الشاطئ الموالي للبحر المتوسط. ولعل أقدم مصدر جاء فيه ذكرها هو *القصد الشريف* للبادسي، يليه مصدر إسباني بعنوان *Relacion de la costa de Allende* (كشف لشاطئ ما وراء البحار) وهو وصف دقيق للشاطئ المغربي الموالي للبحر المتوسط من سبتة إلى مصب واد ملوية أعده البحار الإسباني خوان گيطان Juan Gaitan سنة 1480، ويوجد مخطوطه بخزانة الجمعية الإسبانية للجغرافيا بمدريد، وقد جاء فيه بخصوص تاغسّا : أنها مدينة صغيرة يبلغ عدد سكانها ثلاثمائة نسمة. وأما الوصف الثالث فهو للوزان الفاسي الذي يقول : إنه أقام بتغسة ثلاثة أيام ووصفها بأنها "مدينة صغيرة كثيرة السكان تشتمل على أقل من خمسمائة كانون". ويبدو أن مدينة تاغسّا كانت ذات أهمية في السنوات الأولى من الفتح الإسلامي حيث كان بها معمل لضرب النقود قبل تأسيس الدولة الإدريسية، وتتوفر على عينة من النقود (دراهم وفلوس) ضربت بها سنة 171 هـ، غير أنه ليس فيها اسم الأمير الذي كانت تضرب في عهده تلك النقود.

ومن الملاحظ ان اسم المدينة في النقود المذكورة مكتوب هكذا : تغصة، ولعل هذا السبب في كون البعض يكتبه بالصاد هكذا : تغصة، في حين ان سكان المدينة والناحية المجاورة لها ينطقونه بالسين.

وهناك نهر تاغسّا الذي توجد منابعه بجبل تافلاتا

بقبيلة بني گرير الغمارية حيث يعرف بواد بني حمدون، وعند مروره بمدينة تاغسًا يأخذ اسمها وتصب مياهه في البحر المتوسط بشاطئ سيدي العطار بالقرب من مصب وادي أورينگا.

أما مرسى تاغسًا فتقع بشاطئ قبيلة بني گرير الغمارية (إقليم شفشاون) الموالي للبحر المتوسط حيث تصب مياه وادي تاغسا ؛ وتعرف المرسى أيضا بمرسى سيدي العطار.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 255 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 114، 128.

J. Gaitan, *Relacion de la costa de allende*, Sociedad Geografia ; Comision historica, 48, 54, 61 ; Domenech, *Zona Norte*, 39, 49 ; Cabello, *Geografia de Marueccos*.

محمد ابن عزوز حكيم

تَاغُنْجَة، الأصول القديمة : إن أي شيء في الطبيعة يظهر في شكل يثير اندهاش الإنسان، يعتبر مظهرا مباشرا أو غير مباشر للقداسة. والطبيعة كانت محط تقديس منذ القديم (جبال، كهوف، أحجار) والمياه بدورها لا تخرج عن هذه القاعدة سواء على شكل وديان أو عيون أو آبار.

إن القدسية الكامنة في المياه تعتبر أمرا طبيعيا خاصة في المناطق الجافة، فلا عجب أن يخلع الناس على المياه قدسية تعبر عما يخالجهم من شعور بواقع ما ورائي يفوق تصوراتهم.

والامثلة المرتبطة بعبادة المياه متعددة، وما يهمنا منها الآن الطقوس المتعلقة بطلب الغيث، فالبعض منها استمر حتى الفترة الحديثة ولكنها درست من الوجهة الانتربولوجية أكثر من الوجهة التاريخية.

إننا نجهل في الواقع مدى قدمها ولكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى كونها كانت عبارة عن موكب أو طواف يتم فيه حمل مغرفة (Cuiller à pot) تغطى بلباس على شكل عروسة، ويشارك في هذا الطواف النساء والأطفال في جو من الغناء والابتهال، وأثناء المسيرة يتم تبليل المغرفة وتتم عملية جمع التبرعات لإقامة مأدبة.

إن هذا الطواف الطقسي هو حسب رأي الباحث Ch. Ricard بمثابة تشخيص للأرض الظامئة، وربما له جذور وثنية. فمن المعروف أن الإلهة القرطاجية "تانيت" التي تعرف عند الرومان باسم Caelestis (أي السماوية) كانت لها وظائف متعددة. وهناك وظيفة تشدها أكثر بالتقاليد الإفريقية، وهي وظيفتها المرتبطة بالماء. فهي تعلن عن سقوط المطر بواسطة عرافيها ومتنبئيها، وهذا ما عبر عنه المؤرخ اللاتيني تيرتوليان في كتابه (*Apologétique*, 22, 10) بحيث يضفي عليها لقب "الواعدة بالمطر" (Pallicitatrix pluviarum) أي حسب لغة أهل البلد "أم الغيث".

وهذه الوظيفة تبينها كذلك إحدى النقائش اللاتينية التي عثر عليها في مدينة Narraguara (ساقية سيدي يوسف) بنو ميديا (*CIL* VIII, 4635).

إذن فالمراسيم التي يقوم بها بعض سكان المغرب للحصول على الغيث عن طريق هذا الطواف هي ربما بمثابة استرجاع ذكرى (Reminiscence) تلك المعتقدات القديمة.

إن تاغُنْجَة، تمارس في المغرب كما تمارس في تونس خاصة في الجنوب، وفي الجزائر، وهي تعرف تحت أسماء مختلفة، تاغنجة، عروسة أنزار، "أم تنبو" أو "أم تنگو".

عمار المحجوبي، *المياه والديانات الوثنية في المقاطعات الافريقية*، *المياه والمحيط*، ملتقى زغوان، تونس 1984، ص 231 - 234.

L. Jolaud, *et rites de l'eau en Afrique du Nord*, JSA, III, 1933, 211 - 286 ; H. Genevois, *Un rite d'obtentions de la pluie : la fiancée d'Anzar, Actes du II Congrés International d'Etudes des Cultures de la Méditerranée Occidentale*, Alger, 1975, p. 393 - 401 ; Picard, *Les religions de l'Afrique Antique*, Paris, 1954; Menouillard, *Mœurs et coutumes indigènes pratiques pour solliciter la pluie, RT*, 1910, N° 79, 302 -305 ; E.Laoust, *Mots et choses berbères : Notes de linguistique et d'ethnographie*, Paris, 1920, p. 204 et suiv. ; A. Bel Faïda, *Le culte des divinités des eaux en Afrique du Nord à l'époque romaine*, Doctorat de IIIème cycle, Bordeaux, 1987.

عبد العزيز بل القايدة

التاغي، (الحاج ـ) ينتسب إلى دوار أولاد بوعبو من فرقة حمداوة، إحدى الفرق المكونة لقبيلة امزاب الشاوية. وقد نشأ الحاج التاغي في وسط يتعاطى الفلاحة، حيث كان أبوه فلاحا، كما اشتغل هو نفسه بالأعمال الفلاحية في صغره. ثم بدأ يميل إلى التعلم على يد طلبة البادية. ويظهر أن الرجل نذر نفسه للتعلم والتعليم ومصاحبة أهل الخير حتى غدا واحدا منهم واشتهر صلاحه وعلمه، فأصبح مقصودا من طرف الطلبة الذين يريدون الاطلال على ما ينقصهم من علوم القرآن والعربية.

استقر الحاج التاغي، في بداية أمره بعين الخميس، وهو مكان يقع بين قبيلة المذاكرة وقبيلة امزاب، وكان انتقاله من بلاده إلى حدود المذاكرة بسبب خلاف وقع بين أولاد بوعبو وجماعة الطلبة.

وتجدر الإشارة إلى أن عودته إلى بلاده اقترنت أيضا بنشوب خلاف بين قبيلته امزاب وقبيلة المذاكرة، فلما تغلب المذاكرة أقدموا على حرق أنادر زرع المزابيين، الأمر الذي عارضه الفقيه التاغي، لكن أحدا لم يسمع معارضة. وقد أغضب هذا العمل الحاج التاغي وأحنقه، فانتقل عن المذاكرة واستقر بعين الضربان إلى الجنوب من مدينة ابن أحمد، على بعد حوالي ثلاثة كيلو ميترات ونصف. وهناك شرع في بناء زاويته حوالي سنة 1233 / 1817، وما تزال هذه الزاوية موجودة حتى اليوم، لكن يبدو أنه مات قبل إتمام البناء، فتكفل أبناؤه من بعده بإنهاء عملية البناء بمساعدة من السلطان مولاي عبد الرحمان.

تابع الحاج المعطي بن الحاج التاغي العمل الذي بدأه أبوه إلى أن انتهى من بناء المسجد ـ الزاوية، ثم بنى حولها بيوتا خصصت لإيواء الطلبة. وقد عرفت زاوية الحاج التاغي أوج ازدهارها في عهد الحاج المعطي الذي توفي بمدينة سوسة بتونس بعد أداء فريضة الحج.

وأصبحت زاوية الحاج التاغي في عهد إدريس بن الحاج المعطي التاغي معهدا دينيا ومدرسة علمية يقصدها الطلبة من كل مكان، ويقال أن عدد الطلبة بها كان يفوق أحيانا

ثمانين، يتكفل بنفقتهم أهل الزاوية. ذلك أن أسرة الحاج التاغي ظلت محافظة على دور الزاوية الديني والاجتماعي. ونتيجة لهذا نالت زاوية الحاج التاغي الاحترام والتعظيم من طرف قبائل الشاوية والقبائل المجاورة. وتجدر الإشارة إلى أن هذا الرصيد من الاحترام والاجلال لدور الزاوية التعليمي هو الذي كان يمد القائمين على الزاوية بالرفد والمساعدات المادية.

ومع بداية الاحتلال الأجنبي أخذت زاوية الحاج التاغي في التراجع نتيجة لقلة المدرسين وتقلص حجم المساعدات.

العربي العزوزي، نشر المحاسن والمآثر لرجال الشاوية المشاهير، مخطوط.

E. Mege, *Notes sur les Mzab et les Achaches, A.B.*, Vol. 3, 1918.

علال الخديمي

تَاغْيَا أو **تَغْيَ**، كلمة أمازيغية كثيرة الاستعمال بمناطق الأطلس وما وراء الأطلس، ومعناها الأخاديد والأماكن التي تضيق فيها الأودية إلى درجة يصعب المرور منها. ومن ثمة فتاغيا هي المضيق. ومن أشهر المضايق بجنوب المغرب مضايق أعالي وادي دادس جنوب مسمرير، وكذا مضايق تدغت (المعروفة عند غير ساكنيها بتدغة).

ومن أشهر المواقع التي تحمل هذا الاسم بالمغرب القرية التي يوجد بها ضريح مولاي بوعزة بين وادي زم وألماس. ثم قرية ملّوان الواقعة في أيت حُديدُو جنوب ميدلت والتي كان بها في القرن العاشر (16 م) الشيخ أبو عبد الله محمد الملواني.

أ. الولاتي، *مباحث الأنوار*، 276 ؛ *تحريات ميدانية*.

Répertoire des Tribus ; E. Laoust, *Contribution*, p. 43.

عبد العزيز بوعصاب ومحمد حمام

تاغيا نْ إلْمْشانْ، قصر يقع في جنوب واحة تدغة على بعد عشرين كيلومتراً من تينغير. تنتمي قبيلة إلمشان إلى خُمس أيت واحليم من أخماس أيت عطا، وكانت لها

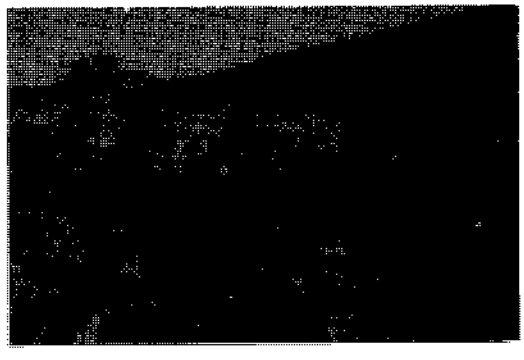

تاغيا نْ إلْمْشان
البيت الذي مازالت تسكنه أسرة المقاوم عسو بسلام

الزعامة الحربية والسياسية، وبرز فيها قادة كبار خاصة أسرة أُبَسلام التي عرفنا منها البطل عسو بسلام الذي قاد مقاومة أيت عطا ضد الاستعمار حتى سنة 1933. (انظر *المعلمة*، بسلام عسو).

إ. العمراني وإ. القري، *التنظيم القبلي، نموذج أيت عطا*.

G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du haut Dra*, Rabat, 1936.

عبد القادر بوراس

تَاغْيِتْ، قال صاحب *الاستبصار*، وهو من أهل القرن السادس الهجري، إن معناها بالبربرية : الحلق، ويقابلها بالعربية الصراط، وقصد بها ذكر طريقة للعبور فوق نهر وذلك بتنصيب حبال بين الضفتين علق فيها زنبيل يسع نفسين أو ثلاثة. وقد وصف الحسن الوزان مثل هذه العبّارة عند بني يازغة في جبال فازاز إلا أنه قال إنها تستعمل قفة قد تسع لعبور عشرة أشخاص يتحكم في تحريكها الراكبون فيها، وقال إنها تعلو على شاهق بينه وبين ماء النهر مائة وخمسون ذراعا، ولعل الوزان يتحدث عن نفس الحلق الذي وصفه صاحب *الاستبصار* لأن الوزان سمع حكايات قديمة تتعلق به عندما شاهده وعبر فيه. والتطور المدهش في هذا الابتكار للنقل في الهواء أنه جماعي وأفقي وفي اتجاهين مختلفين مما يدل على أنه يستعمل بكارات.

مجهول، *الاستبصار* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 2 : 281.

محمد حجاج الطويل

تَافَات. أسرة ← أفَا

ابن **تافراگين**، عبد الله التينملّي حفيد الشيخ أبي حفص عمر ابن تافراگين من أهل الخمسين من أصحاب المهدي ابن تومرت وجد الحفصيين ملوك تونس. كان عبد الله ابن تافراگين من مشيخة الموحدين بتونس، وهي هيئة ذات نفوذ كبير في بلاد الحفصيين، ومن هذا المنصب تسلق عبد الله مناصب أخرى، فمن وزير إلى سفير إلى حاجب. على أن أهم عنصر مثير في شخصية ابن تافراگين هو الدور الذي لعبه في تطور العلاقات بين المغرب وإفريقية على عهد أبي الحسن وأبي عنان المرينيين. فقد كان عبد الله ابن تافراگين ممن اعتمد عليهم ابو الحسن لتحقيق مشروع ضم تونس الحفصية للمغرب. برزت مكانة ابن تافراگين في هذه العلاقة مباشرة بعدما عينه السلطان الحفصي أبو زكرياء مع ابنه سفيراً لدى أبي سعيد المريني طلباً للإعانة بعد الهزيمة التي لحقته في حربه مع بني عبد الواد. وهكذا تمكن من إقناع المرينيين بالاستجابة للطلب الحفصي، وحضر حصار أبي الحسن لمدينة تلمسان، ثم كان وراء زواج أبي الحسن من إحدى بنات السلطان الحفصي.

صار ابن تافراگين، بعد عودته إلى تونس من المدافعين عن المصالح المرينية في البلاط الحفصي، فهو الذي أقنع مخدومه بالاستجابة لطلب صهره أبي الحسن، وتسليمه بني أبي العلاء الذين كانوا يتولّون مشيخة الغزاة المجاهدين في الأندلس وثاروا على بني الأحمر، وانتهى بهم الأمر بعد تدخل أبي الحسن بالنفي إلى تونس الحفصية.

وتأكدت أهمية دور ابن تافراگين عندما ارتقى إلى منصب الحاجب، فاعتمد عليه الوفد المريني الذي حل بتونس طلباً لمصاهرة جديدة وتمكن فعلا من اقناع مخدومه

بتلبية الطلب، فزوج أبا الحسن بنتاً ثانية بعد وفاة الأولى في معركة طريف.

ونعتقد أن كل هذه الوقائع إنما كانت تهيئ ابن تافراگين إلى الدور الأهم في المشروع الذي كان يرسمه أبو الحسن، وهو ضم تونس إلى سلطانه. فقد كان ابن تافراگين وراء أزمة ولاية العهد عندما نصب الأمير "عمر" عوضاً عن أخيه. ثم عندما فشل في وضع أميره تحت مراقبته ربط اتصالاته بأبي الحسن لما "أحس بالشر من جهة عمر المتغلب".

رحل ابن تافراگين إلى أبي الحسن واستعجله في القيام بحملته على تونس واصفاً له حالة الضعف التي كانت عليها البلاد التونسية. ثم صار ابن تافراگين من علية جلساء السلطان المريني، وقبل فتح تونس عينه وزيراً له، وهو المنصب الذي لم يرقه بدون شك. فقد ذكر الناصري بأن "ابن تافراگين كان يظن أنه سيترك له أمر إفريقية، وينصب معه الفضل ابن السلطان أبي زكرياء، شقيق زوجته، وربما زعموا أنه عاهده على ذلك فكان في قلبه من الدولة المرينية مرض" (*الاستقصا*، 3 : 161).

استغل ابن تافراگين فرصة تعيينه كمفاوض للعرب المحاصرين لأبي الحسن في القيروان، فانضم إليهم وقلدوه حجابة سلطانهم ابن أبي دبوس وبعد انتهاء الحملة المرينية تعقدت الوضعية السياسية في تونس، وأصبح ابن تافراگين من بين المحركين لتلك الوضعية ممارساً تأثيراً على مخدومه. وكان على رأس الجيوش الحفصية التي جهزت لمقاومة الحملة المرينية ـ البوعنانية، واستطاع أن يَصُدَّها. ومع ذلك فإن صلته بالمرينيين لم تنقطع، وذكر ابن خلدون أن المراسلات الودية استمرت بين أبي عنان وابن تافراگين، وهو ما أكدته أيضاً شهادة ابن مرزوق في *المسند*.

م. ابن مرزوق، *المسند* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 3.

عمر بنميرة

تَافْرَاوْتْ، مركز جبلي في الأطلس الصغير. ومعنى تافراوت في الأمازيغية الحوض الذي يتجمع فيه الماء والميزاب الذي يصرف مياه الأمطار عن السطوح. وهناك مواقع متعددة في الجنوب تدعى تافراوت لشبهها بقناة الميزاب المستطيلة، وهي عبارة عن ممرات طبيعية ضيقة حفرتها عوامل التعرية بين جدارين متوازيين ويضاف كل منها إلى المكان الذي يوجد فيه، مثل تافراوت الأطلس الصغير التي تنفرد بهذا الاسم عند الإطلاق، وكانت تدعى تافراوت ـ ن ـ وامْلِن، لامتدادها من أگرَضْ غرباً إلى أن تُطل على وادي أمْلِنَ شرقاً.

كانت تافراوت هذه إلى ما قبل الحماية قرية جبلية عادية لكن نظراً لمناعة موقعها اتخذتها سلطات الاستعمار حين استولت على المنطقة سنة 1933 مركزاً عسكرياً لمراقبة قبائل جزولة كلها، فصارت سوقها الأسبوعية الأربعاء تتسع حتى صارت مدينة حالياً تتوفر على سائر المرافق العمومية من جماعة إلى محكمة إلى ثانوية وفنادق للسياحة إلى المسجد الجامع، كما تتوفر على الماء والكهرباء، وبذلك صارت نقطة إشعاع في الأطلس الصغير كله. وهناك عدة عوامل لعبت دوراً أساسياً في اقتصاد تافراوت، أهمها :

دور العائلات التافراوتية في التجارة نظراً لصعوبة الحياة المعاشية في بلاد تافراوت بالذات، لعدم توفرها على مجال فلاحي، فقد فرضت الطبيعة على أهلها أن يبحثوا عن مصدر رزقهم خارج تلك المنطقة، وخاصة الاشتغال بالتجارة عن طريق القوافل. وقد التجأ عدد كثير من أهل تافراوت إلى المدن في شمال المغرب، وخاصة طنجة والدار البيضاء فبرزت عائلات غنية يضرب بها المثل في الجد والصدق والعمل، دون أن تقطع الصلة بالموطن الأصلي فأثروا وأثّلوا، واشتهرت منذ بداية القرن العشرين العائلات التافراوتية : أيْتْ وكْرِيمْ بطنجة، وأيْتْ باكّو، وأخْنُوش بالدار البيضاء. وفي بداية الثلاثينات ظهرت عائلة الحاج عَبْد السوسي، ثم عائلة أمزيل. وقد ساهمت هذه العائلات كلها وغيرها في رفع المستوى الاقتصادي لتافراوت.

أما العامل الآخر فيرجع إلى السياحة، إذ حبت الطبيعة تافراوت بمناظر خلابة قلّ نظيرُها في غيرها، وخاصة الجانب الجيولوجي القديم والجانب الفلكلوري، بالإضافة إلى الصور المنقوشة على صخور الگرانيت في موضع تَازُكّا التي تمثل نوعا من المَهَا انقرض من المغرب منذ زمان، بالاضافة إلى موسم تافراوت السياحي المشهور في العالم، وكذلك المعاملة المهذبة من طرف السكان لكل سائح محترم لتقاليد البلاد.

وهناك مدرسة عتيقة تحمل نفس المواصفات الطبيعية، وتعرف بتافراوت ـ ن ـ المولود، وتقع في قبيلة رسموكة. تخرّج منها عدد كبير من الطلبة، لكنها حالياً تخصصت في تدريس القرآن ورواياته، بينما كانت في القرن الثاني عشر (18 م) معروفة بالفقهيات والأدبيات، وقال عنها صاحب *المعسول* إنها ازدهرت بفضل الإمام أحمد بن سليمان الرسموكي نزيل مراكش المتوفى سنة 1133 هـ.

وفي أيت باعمران موقع يدعى تافراوت على الحدود بين منطقتي الحماية البائدة الفرنسية والإسبانية، اشتهر كمقر لجيش التحرير الذي حارب الاستعمارين معاً. وفي هذا الموقع سوق أسبوعية تقام يوم الخميس، وكانت في الأصل تسمى تافراوت إمْگرادْ، ولما وصل الاستعمار الفرنسي إلى عين المكان سنة 1934 م اتخذها مركزاً لمراقبة الحدود، فتحول اسمها إلى تافراوت ـ ن ـ أيت بْرَيَمْ، القبيلة المعروفة هناك، فجعلها جيش التحرير المغربي مركزاً لتدريب المجاهدين ومقراً للتموين ومخزناً للسلاح. وفي هذا المركز تسلح مقاومو أيت باعمران، ومنه أعطيت التعليمات وانطلقت الجماعات يوم الهجوم على جميع التكنات العسكرية الإسبانية سنة 1957، بالإضافة إلى مركز أنْدْحَا في الجنوب الذي ساهم بنفس الدور.

واشتهرت كذلك معركة تافراوت، في قبيلة أيت إخْلف من قبائل أيت باعمران على بعد عشرين كيلوميتراً شرق مدينة سيدي إفني، ويعرف هذا الموقع بتافراوت ـ ن ـ بني يعيش، وهناك دارت معركة بين الإسبان وبين المجاهدين الباعمرانيين سنة 1957، كانت من أولى المعارك التي أعجزت القوة الإسبانية عن استرجاع الثكنات المحاصرة خارج مدينة سيدي إفني. وبفضل مناعة الموقع الطبيعي واستماتة الرجال حلت بالإسبان هزيمة منكرة، ففيها أُبيدت الفرقة الإسبانية المرسلة لفك الحصار على ثكنة تيغْرا وفيها غنم المجاهدون أربع شاحنات عسكرية بما فيها من المعدات الحربية. والعجيب في الأمر أن المعركة ربحها المجاهدون باستعمال السلاح الخفيف كالبنادق ومدفع واحد، لكن في يد رجال مُحَنّكين ومدرّبين.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، ص. 157 ؛ ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون ؛ *بحث ميداني*.

الحسين جهادي

التّافراوسْتي، عبد الله بن حسين الدرعي التّلكمْتي ـ بجيم معقودة ـ ترجم له مَحمد بن عبد الله الخليفتي فقال : "الشيخ الصالح العالم العلامة الدراك الفهامة... ذو الخلق الحسنة والسجية المرضية، كان إماماً عاملا، فقيهاً تابعا للسنة، زاهداً تالياً لكتاب الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار..." (*الدرة الجليلة*، 225).

انخرط في سلك الطريقة الناصرية على يد الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وهو الذي أمره بالانتقال إلى تَلْكَمْت ـ وتسمى أيضا تافَشْنَه ـ شمال شرقي زاگورة، على بعد حوالي ستين كلم منها. بعث به إلى تلك القرية ليقوم بتعليم أهلها وإرشادهم، وبث تعاليم الطريقة هنالك. فاستنابه عنه في تلقين الأوراد الناصرية. (*الدرة الجليلة*، 225). واستوطن تلك البلدة وحسنت سيرته، وانكب على التدريس والإفتاء طيلة حياته. ولا شك أنه قام بدور بالغ الأهمية من أجل ترسيخ التعاليم الإسلامية وتكريس الثقافة العربية في تلك الجهات النائية. وكان هو وباقي تلاميذ الناصريين المنبثين في تلك الجهات يشكلون حلقات متواصلة في سلسلة الطريقة القوية آنذاك التي عملت كلها من أجل تلك المبادئ. وهكذا كانت بينه وبين عبد الله الخليفتي المتوفى سنة 1196 / 1782، مراسلات من بينها رسالة أثبتها الخليفتي الابن في كتاب الدرة الجليلة، نتبين من خلالها مدى العلاقة التي كانت تربط بين الرجلين كتلميذين للشيخ أحمد ابن ناصر (*الدرة الجليلة*، 226).

وكان التافراوستي من أشهر فقهاء تلك المنطقة، حيث تخرج على يديه تلاميذ كثيرون من بينهم عبد الله الخليفتي سابق الذكر. وقد أشار في كتابه *الدرر اللوامع*، الذي نقل عنه ابنه ترجمة التافراوستي إلى أن والده استفاد من المترجم "فوائد".

ولم يشر الخليفتي الذي انفرد بالترجمة له إلى تاريخ وفاته، ونرجح أن يكون قد توفي بعد وفاة والده، أي بعد سنة 1196 / 1782.

مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

أحمد عمالك

تافْرانْت، موقع على قمة تل مطل على ورغة جنوبا، وعلى نهر أوضور شمالا. يقابله في اتجاه الشمال الشرقي جبل دوار بوقلعة المعروف بعُلاّيين. كما يطل في اتجاه الغرب على سهل واسع عند ملتقى أوضور مع ورغة. ومن شدة استراتيجية هذا المكان أنه مشرف على قبيلة بني مزگلدة غربا رفشتالة جنوبا وبني ورياگل شرقا وهو أول بلاد بني زروال من الجنوب. وكان يعرف أيضا (ببُطْمَة الغَوْث) محلياً. وهذه تسمية ذات مغزى اجتماعي ينصَرف إلى الاجتماع للحرب أو لأي مسألة أخرى اجتماعية. فكانت هناك في رأس هذا التل ـ وهو رأس منبسط نسبيا ـ شجرة "البُطْم" ـ وهو شجر كثير الظل ـ فكلما طرأت مشكلة اجتماعية أو اعتداء على القبيلة إلا وصعد أحدهم إلى هذا المكان، ونادى في الناس الغوث الغوث. فيجتمعون لإغاثته. وأما اسم تافرانت فهو اسم بربري متصل بالجانب الطبيعي، ومعناه مكان فيه انبساط وتقعر إلى حد ما وسط مرتفعات.

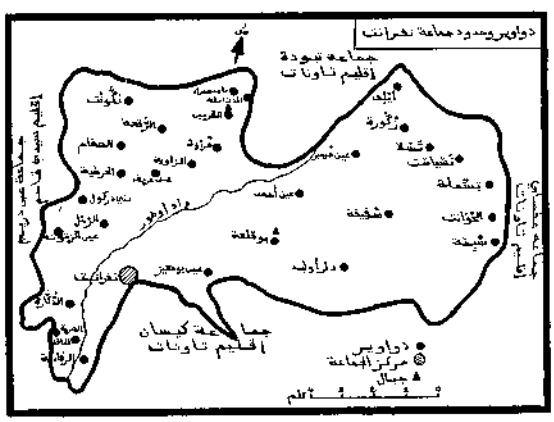

بقي هذا المكان قليل الكثافة السكنية وهو جزء من قبيلة بني زروال من فرقة أولاد قاسم، حتى جاء الاستعمار الفرنسي سنة 1921 حيث احتل فرقة أولاد قاسم. ثم حاول المجاهدون الريفيون والزروليون تحرير هذا المركز الذي أصبح ثكنة عسكرية ومركزاً إداريا سنة 1925 م. ولكن المجاهدين لم يستطيعوا طوال مدة الصراع طرد الفرنسيين منه رغم تجاوزهم مكانه إلى فشتالة جنوبا. وبعد ضغط الفرنسيين على حركة ابن عبد الكريم في نهاية عام 1925 بهذه الجهات تقهقر المجاهدون وعادوا من فشتالة فحاصروا تافرانت. ولكنهم فكوا الحصار في معركة حاسمة أفضت بالفرنسيين إلى تابودة.

وهكذا أصبحت تافرانت المركز الإداري المهم في تسيير قبيلة بني ورياگل كاملة وأجزاء كبيرة من قبيلتي بني مزگلدة وبني زروال.

واستمرت تافرانت قيادة بعد الاستقلال كما أصبحت جماعة قروية أيضاً. تقع هذه الجماعة بعيدة عن الطريق الرئيسة رقم 26 الرابطة بين فاس ووزان بثمانية كيلومترات فقط. وسوقها الرئيسي هو سوق خميس بني وريأگل. وهي تابعة للقيادة الموجودة معها في نفس المكان ودائرتها هي غفساي، وعمالتها تاونات. تحيط بهذه الجماعة أربع جماعات أخرى تحدها من الشرق جماعة غفساي، ومن الغرب عين دريج، ومن الجنوب جماعة كيسان، ومن الشمال جماعة تابودة.

توجد بمركز هذه الجماعة عدة مرافق : مكتب قيادة تافرانت ومقر الجماعة، ومستوصف، ووكالة بريدية، ومؤسستان تعليميتان ابتدائية وإعدادية، وناد للاتحاد النسوي، وثكنة للقوات المساعدة.

أما مساحة هذه الجماعة الإجمالية فهي 35 كلم2. تتكون من جبال تتخللها أربعة أودية : واد أزهر موسمي رافد شرقي لأوْضُور، ويقسمها أوضور نصفين. بينما يمر نهر ورغة جنوبها، وأوْضيّار غربها.

تبلغ المساحة المستَعملة في الفلاحة 11.600 هكتار وتنتشر فيها زراعة الحبوب وخاصة القمح. يتم بعضها بتقنيات عصرية. وفيما يخص المساحة المخصصة لكل صنف من الحبوب، فالشعير 1650 هكتار، والقمح الصلب 3.700 هكتار، والقمح الطري 6.250 هكتار. وهي جميعاً ذات إنتاج مهم يمكن من التسويق بالإضافة إلى الاستهلاك. وهناك منتوجات أخرى كالقطاني في الأراضي الوعرة. ويُعنى السكان أيضا بسقي الخضر والفواكه على جانب الأنهار، ويغرس أشجار التين والكرم وخاصة الزيتون في سفوح المرتفعات، ويشتغل السكان أيضاً بتربية المواشي وخاصة الغنم 12.819 رأساً، والبقر 9.657 رأساً والماعز 5.135 رأساً. ويبقى إنتاج هذه الفلاحة، وتربية الماشية استهلاكيا باستثناء القمح.

ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، 6 : 211 ؛ *منوغرافية جماعة تافرانت*، 1991 ؛ *تحريات ميدانية*.

العربي الحمري

تَافْرْسِيتْ، قبيلة وقصبة بالريف الشرقي، تشغل مساحة شبهَ مغلق تحيط به مرتفعات من حدود القبائل المجاورة، ففي الشرق تبرز قمة جبل بوسْيسي (891 م) من جهة فرقة إمسيرن الوليشكية. وتعلو بينَ القبيلة وقمسان قمم أذرار تشاوين (985 م) وأذرار تمشت (969 م) وعقبة تيزي عزا (745 م) من جهة فرقة الربع الفوقي التمساني. أما في حدود تافرسيت الغربية فتقف القمتان : أزرو إيفار (1.286 م) وأزرو أمحلي (1.387 م) المقابلة لأيت تاسفت التزينية. ولا ينفتح منخفض تافرسيت إلا من جهته الجنوبية الغربيةو بفصل جريان واد ملول وواد سپسة اللذين يتركان أمامهما سهب تمزارت وسپسه، ويرسمان الحدود بينها وبين قبيلتي بني بويحيى والمطالسة.

هذا الوسط الطبيعي الضيق هو الذي جعل عدد سكان القبيلة محدوداً، فهم يتجمعون في فرقتين صغيرتين : بني امحمد (6 مداشر) بالمنخفض، وبني خالد (4 مداشر) بالسفوح الغربية.

وهناك علاقة لهذا المجال الضيق باسم القبيلة. فاسم تافرسيت أو تْفَرْسيت مشتق، حسب التفسير المحلي الحالي، من "تَـفْـرَسَّـتْ" الذي يعني المجال المقتطع من المحيط الغابوي. ومازال الفعل "أذْفَرْسَخْ" (اقتطع الأشجار) مستعملا بالمكان. وهناك واد يحمل اسم "فَرْسو".

ويعود أول علمنا بوجود اسم تافرسيت إلى ما ذكره ابن خلدون، حينما تراجع إلى أحداث سنة 657 هـ للإعلان عن مرور يغمراسن بن زيان، إثر تراجعه عن گْلْدَامَان (تازا) أمام زحف يعقوب بن عبد الحق المريني، بتافرسيت لانتسافها والعيث في نواحيها، وحينما أشار إلى وجود بقايا من قبيلة بطوية بتافرسيت باسم أولاد علي. ويدل هذا على مكانة تافرسيت على العهد المريني، مما يدفعنا إلى اعتبار ما تردده الرواية الشفوية عن مسجدها العتيق الواقع بوحفوة من حمودة، ترجع نفس الرواية تأسيسه إلى إدريس الأول بمناسبة مروره بتافرسيت، وما يزال المسجد يحمل اسمه. مربع الشكل يتألف من ست عشرة سارية، محرابه متجه نحو الجهة الجنوبية، لم يقع تعديله إلا في سنة 1975. وتشير الرواية إلى مكان خاص بالفنادق والقيساريات ورواج التجار مع فاس الإدريسية.

وفي العهد العلوي نجد ذكر قصبة تافرسيت، أثناء حصار مولاي رشيد للقائد أحمد أعراص سنة 1074 / 1663 المتحصن بالقصبة، مما يدل على سبق وجودها، وهي واقعة بالمنخفض، لا يظهر منها سوى قسم من خرائبها المحيطة بالمركز الفلاحي الذي أنشئ بداخل مساحتها البالغة اثني عشر هكتاراً. كانت أسوارها عريضة ولها أربعة أبواب. مازال مسجدها بارزاً. وحينما مر رولان فريجوس سنة 1666 بتافرسيت ذكر أن قائد مولاي رشيد أسود اللون يدعى أبا خالد. وإلى قصبة تافرسيت التجأ مولاي علي بن إسماعيل وتحصن تحت حماية شيوخ قبائل گرط، وذلك سنة 1151 / 1738، فراراً من السلطان أخيه مولاي عبد الله. فنهض إليه الباشا أحمد بن علي الريفي وحاصرها وقبض على المتحصنين من مولاي علي والأشياخ. وعلى عهد الحسن الأول كان بها قائدها عبد السلام بن سلام التافرسيتي ما بين 1306 و1309.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 426 ؛ 7 : 173 ؛ ابن أبي زرع، *الدخيرة السنية*، 89 ؛ عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 129، تح. بنعدادة ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 95.

La relation de Roland Frejus, S.I.H.M., France, I : 144 - 145.

حسن الگيگي

تافرطاست، موقع تاريخي مهم، يعتبر أول مقبرة

ملكية في الدولة المرينية، إذ دفن به أول ملوك بني مرين عبد الحق بن محيو وأكبر أبنائه أبو العلي ادريس، اللذان قتلا في المعركة التي وقعت بين قبائل بني مرين وقبائل رياح من عرب بني سفيان. وفي هذا الصدد ذكر صاحب *الذخيرة* أن الجمعين التقيا "بموضع يعرف بواجرهان (إجرحان حسب إيولار) بمقربة من وادي سبو، على أميال من قرية تافرطاست... وكان موت الأمير عبد الحق في المعترك يوم الأحد 22 جمادى الأخيرة من سنة 614 / 26 شتنبر 1217، ودفن عشي يوم الاثنين الثاني ليوم وفاته بظاهر قرية تافرطاست".

ومن المعروف أن السلطان أبا يوسف يعقوب بن عبد الحق بنى زاوية هناك سنة 83 ـ 684 / 1285 وجعلها مزارا له ولبني عشيرته ودولته، للترحم على روح أبيه وأخيه، وحبس عليها أراضي وعقارات تخصص مداخيلها لتأدية أجور حفظة القرآن الكريم المكلفين بقراءته بها، ولإكرام الزوار، والقيام بما تتطلبه العناية بمرافقها، وفي ذلك يقول صاحب *الاستقصا* : "فاختط هنالك رباطا حفيلا وبنى على قبر الأمير عبد الحق وادريس أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعا وأرضا تسع حرث أربعين زوجا".

ولم يفت أبا الحسن علي، سادس ملوك الدولة وأشهر مشيديها، أن اهتم بهذه المقبرة وبزاويتها، إذ قام بترميمها وتزيينها سنة 31 ـ 732 / 1331. ويظهر أن بناياتها وصلت في عهد أبي الحسن إلى مستوى رفيع في الزينة والزخرفة، كما يُعرف ذلك في المنشآت المرينية الأخرى التي خلفها.

ومهما يكن، فلا يمكن لنا اليوم الوقوف على حقيقة هذا الأمر ولا على أهمية المقبرة وزاويتها، مقارنة مع شالة مثلا، لكون موقع تافرطاست ما زال يعد من المواقع المجهولة التي لم يتم تحديد مكانها الحقيقي بعد.

ذلك أن كل التحريات والاجتهادات والأبحاث التي أجريت منذ عشرات السنين اعتمادا على النصوص لم تهتد إلى مكان الزاوية بالتحديد. وكان إيولار، مترجم كتاب الوزان إلى اللغة الفرنسية، قد أشار في هامشه عن مدينة الجمعة التي جعلها الوزان بمنطقة أزغار، إلى أن مرمول يسميها جمعة القرواش أو جمعة الكروش، وأن هناك فعلا سوقا للجمعة على الضفة اليمنى من نهر ورغة على بعد ثمانين كيلومترا من فاس، ومن ذلك يفضي إيولار إلى احتمال قوي يجعله يرى أن هذا السوق ينطبق فعلا على سوق جمعة تافرطاست.

ودون أن نجزم في الأمر، نريد هنا فقط أن نشير إلى أنه في شهر أبريل من سنة 1976 وصل إلى علم مصلحة الآثار الوطنية نبأ العثور على بقايا أثرية بموقع يدعى عين قرواش، يقع بالقرب من دوار المعاريف قيادة الخنيشات بمنطقة الغرب، وبالتحديد على بعد 50 كلم جنوب مدينة وزان، على الضفة اليمنى لنهر ورغة. وكانت أهم البقايا المذكورة عبارة عن ساحة مكشوفة طولها 5.35 م وعرضها 4.90 م، مكسوة أرضيتها بالزليج الملون، وتتوسطها نافورة ماء مستديرة الشكل مزينة كذلك بقطع الزليج الملونة. الكل محكم البناء، يوحي بمهارة جيدة في التشييد، وحس رقيق في التزيين، وهما الطابع الذي يغلب على المنشآت التي بالحواضر أكثر من تلك التي بالبوادي. وهذا ما أدى إلى إذكاء الفضول الأثري، بغية الكشف عن هذه البناية وما يجاورها، للوقوف على حقيقتها وأهميتها مساحة وشكلا وتنظيما.

من أجل ذلك كله، أجريت حفرية أولى همت ما يقرب من مائة متر2، تم العثور أثناءها على مجموعة من البنايات، أهمها : قناة مكشوفة لصرف الماء تحد البناء السالف الذكر من جهة الغرب وتتجه اتجاها شماليا ـ جنوبيا، وقاعة من جهة الشرق، يحدها جداران بنيا بالآجر المشوي المحكم الصنع، ويدخل إليها عبر عتبة طولها 1.46 متر مكسوة بالزليج المختلف الألوان كما هو الشأن بالنسبة للساحة ولوسط القاعة نفسها، وتعلو هذه العتبة مستوى الساحة بـ 10 سنتم وبكل جانب منها حق (crapaudine) يدل وجودهما على أن بابا خشبية كانت تغلق القاعة.

وفي السنة الماضية، توبعت الأشغال لتشمل ما يناهز مائة متر2 أخرى شمال الحفرية الأولى. وقد أبانت كذلك عن مجموعة جدران توحي ببنايات لاصقة بالمجموعة الأولى لكنها أقل أهمية، باعتبار انعدام الأرضيات المبلطة بالزليج مثلا.

وعلى كل، فمجموع ما تم اكتشافه إلى الآن، وخاصة المجموعة الأولى من البنايات يذكرنا في تقنية بنائه وأشكال زخرفته الزليجية، وأحجام قطع الزليج المستعملة (قطع مربعة من حجم 5.5 سنتم للضلع، وأخرى من حجم 12 سنتم للضلع، وثالثة مستطيلة من حجم 12.5 سنتم طولا و3.5 سنتم عرضا)، وحتى في بعض مكوناته كنافورة الماء مثلا، كل ذلك يذكرنا بما نعرفه في بنايات القرن الثامن (14 م) بالمغرب. وهذا وحده كفيل بالتشجيع على البحث والتنقيب علّنا نقف على ما قد يعزز فرضية وجود موقع تافرطاست بهذا المكان.

ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 34. 35 ؛ *القرطاس*، الرباط، 1973، ص. 286 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، الترجمة الفرنسية، ج 4، ص. 119 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 3، ص. 64.

J. Léon L'Africain, *Description de l'Afrique*, trad. Epaulard, Paris, 1956, p. 251 et note 383 ; J. Hassar-Benslimane, *'Ayn Karuash : un nouveau site archélogique islamique dans le Gharb*, *B.A.M.*, XII, 1979 - 80, p. 361 - 376.

عبد العزيز توري

تَافرگَانْتْ، تعني في وسط الرُّحَّل المكان المسور بالحجارة لحماية الماشية من مخاطر الذئب أو لاتخاذه كدرع واقٍ من البرد، أو كسدّ لجمع الغبار. ومعناها العام : الحمى. وتعنى تافرگانت عند أيت عطا ملجأ الماعز والأغنام، ومعناها العام الحِمَى. وهذه الأخيرة هي مصدر

الحليب الذي سيظهر دوره في معاهدة تافرگانت التي تبرم بين كبار المداشر والقبائل داخل اتحادية أيت عطا وتعد تعبيراً عن تقاليد جماعية للتضامن والتآزر والتآخي، فهي تكتسي القداسة والإجلال لدى أيت عطا أكثر من معاهدة تاضا.

كانت معاهدة تافرگانت في القرون الماضية تعتمد أساساً على الجماعة ـ وليس على الأفراد ـ ذلك أن الدفاع عن الأراضي الزراعية والمراعي وغزو المناطق الخارجة عن تأثير الاتحادية كلها عوامل تستدعي عقد تكتلات وأحلاف جماعية. وعن كيفية عقد تافرگانت فإنه يتم على مرأى ومسمع من مجتمعهم الخاص، حيث يتم استدعاء عدد من النساء المرضعات ـ مبدئيا مائة امرأة ـ من كل خمس من الأخماس التي يراد التآخي بينها، وعندما يتقابلن يتبادلن أطفالهن لترضع كل واحدة منهن رضيع المرأة الأخرى ثم يستردن أطفالهن. وهكذا تتم القرابة بالرضاعة وتصبح هذه القرابة والتآخي سارية المفعول حتى بالنسبة للأجيال اللاحقة.

وقد لاحظ ج. سپيلمان G. Spillman في كتابه *أيت عطا الصحراء* أن تافرگانت التي أُبرمت بين أيت خباش وبني مَحمد تمت بشكل مخالف للعادة من حيث الشكل، ذلك أنه خلال اجتماع كبير تم جمع حليب نساء أيت خباش وحليب نساء بني مَحمد في جرة ثم شرب منه كل الأعيان الحاضرين، وبعد ذلك دفنت الجرة في نفس المكان الذي تم فيه عقد ميثاق تفارگانت.

تبرم معاهدة تافرگانت عادة بين جماعتين سبق لأفرادهما أن التقوا في مناسبات عديدة، كتنظيم المجال الرعوي، والدفاع المشترك ضد الغزاة خاصة أيت يافلمان. لهذا فمعاهدة تافرگانت تُعد تتويجاً لهذه العلاقات والمصالح المشتركة بين مختلف أخماس أيت عطا للحد من الصراعات التي قد تحدث، لأن المعاهدة تعني الأخوة في الرضاع.

إ. العمراوي، وإ. القري، *مساهمة في دراسة الجانب الاجتماعي، نموذج أيت عطا*، بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، 1991.

G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; Lieutenant Guenoun, *Renseignements complémentaires sur les Aït Atta*, Marrakech, 1924 ; David M. Hart, *The Aït Atta of Southern Morocco : Daily Life and Recent History*, London, 1984.

عبد القادر بوراس

تَافَضْنَا، شعب عميق تحيط به عدة رواب بركانية ببلاد حاحة، بعيد عن الشاطئ بحوالي ثلاثة كيلومترات بقبيلة إيداوسارن، وتكتب عند الوصافين الأجانب بتا مين فإذا نقل عنهم من لا يعرف نطقها المحلي رسمها بالعربية تافطنة أو تافتنة، اسم مؤنث يطلق في الأمازيغية على حوض الماء الساخن، كأحواض الحمامات. وقد اطلق اسم تافضنا توسعا على كل ما حول الشِّعب بما في ذلك مرسى الشاطئ الشهير منذ القدم بشاطئ تافضنا إداوْسارْن. وقد ذكره الحسن الوزان بقوله : "تافتنة ثغر على البحر المحيط بعيد عن إيغيلنيگيگيل بنحو أربعين ميلا إلى جهة الغرب، من بناء الأفارقة. فيها نحو ستمائة كانون، ومرسى في غاية الجودة للسفن الصغيرة... ويوجد في مدينة تافطنة جمرك وضريبة الملح. وفيها شيوخ وفقهاء. وسكان تافطنة شيديدو بياض البشرة، في غاية الألفة والمجاملة، يعامل الغرباء عندهم بأحسن مما يعامل أهل البلد أنفسهم. وعندهم منزل كبير للضيوف الغرباء" (*وصف إفريقيا*، 1 : 108).

وشاطئ تافضنا الحالي شاطئ اقتصادي وسياحي ورياضي وأثري. يشتغل فيه العشرات من الصيادين أصحاب القوارب الصغيرة التي بلغت هذه الأيام أكثر من خمسين قاربا، تسوِّق صيدها إلى مدينتي الصويرة وأگادير بواسطة سيارات صغيرة. وهو مصطاف بحري جميل هادئ يقصده المغاربة والأجانب للاستجمام في راحة وهدوء. وهو مهيأ تهييئاً طبيعيا لانطلاق السفن الشراعية الخاصة بالسباق الرياضي. يقع في مجمع أسفل منطقة كانت عامرة بالقرى المتصلة حتى كاد يطلق عليها اسم المدينة. وتوجد بهذا الشاطئ مغارة محفورة في جبل صخري مواجه للبحر يقال إن بداخلها صوراً منقوشة على جدران المغارة. ظل هذا الشاطئ مهملا إلى حدود الثمانينات فقامت عمالة الصويرة ببناء منازل صغيرة وغرف مخصصة للمصطافين وبعض المرافق الأخرى الضرورية.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 ؛ *تقرير أنجزه الأستاذ محمد الطيب الصويري حول هذا الشاطئ*.

محند أيت الحاج

** ميناء تَافَضْنَا صغير بمصب واد موسمي بحاحة، على بعد 75 كلم من أگادير، كان به في مطلع القرن العاشر (16م) ستمائة كانون. والقرية بمنطقة مرتفعة تنحدر جبالها في البحر بمنحدر واضح. وكانت تافضنا تستفيد من حوض أعطاها مرسى اعتبره بعض الرحالين في غاية الجودة تسع خمسة عشر أو عشرين مركبا من حمولة ستين طنا لكل واحد. (بريرا، ص. 62).

ورغم أن تافضنا لا تستفيد من معطيات طبيعية جيدة، ولا توجد بمنطقة غنية، فإنها عرفت منذ مطلع القرن العاشر (16 م) رواجا تجاريا لم تعرفه لا قبل هذا التاريخ ولا بعده. فقد استفادت كثيرا من احتلال البرتغاليين لمرسى فونتي (أگادير) منذ سنة 911 / 1505، ومن احتكارهم للتجارة به، كما استفادت من مبايعة الأشراف السعديين سنة 915 / 1509 - 1510. وبذلك تظافر عاملان ليجعلا من ميناء تافضنا الصغير، الذي يمكن مقارنته بميناء تيط، مقصد التجار الجنويِّين والإسبان والفرنسيين، وحتى البرتغاليين الذين كانوا يتوخون من ذلك التملص من الضرائب الجمركية التي كان البرتغاليون يفرضونها (20٪)، وتحطيم الاحتكار البرتغالي فيما يخص عرض السلع، وخصوصا منها الأسلحة، التي كانت تذر أكبر الأرباح، والتي أصبح إقبال السعديين عليها كبيراً. وهكذا نشط ما أسماه البرتغاليون

"بالتهريب"، وأصبح أولئك التجار يعرضون الأثواب والعقاقير، وخصوصاً الأسلحة، ويقتنون الشمع والنحاس والسكر والتبر. وقد أكدت تقارير المسؤولين البرتغاليين آنذاك على العلاقة بين الرواج الذي أصبحت تعرفه تافضنا وتاركوكو وتزايد تسليح الأشراف، وتقلص النفوذ البرتغالي قبل أن تُعرّض حامية أگادير لهزيمة كبرى في ربيع عام 948 / 1541. لذا حاول برتغاليو أگادير وأسفي القضاء على ذلك النشاط بالهجوم المفاجئ على تافضنا وتخريبها وإحراق المراكب أو مصادرة السفن المسيحية الراسية بها وأسر أصحابها. غير أن هذه المحاولات، التي نجد بعض التفاصيل حولها عند الإخباريين البرتغاليين، لم تستطع جعل حد لذلك النشاط لاستفادة كل من "المهربين" والسعديين منه. وبالطبع أدى تحرير أگادير في ربيع العام المذكور إلى تقليص نشاط تافضنا لأن الميناء السوسي يسمح بالتجارة في ظروف أحسن.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1 : 86 ـ 78. (ط. الرباط) ؛ كـ. مارمول، *إفريقيا*، 2 : 22 (ط. الرباط).

P. de Cenival (trad.), *Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué (Agadir)*, Paris, 1934 ; R. Ricard (trad.), *Les Portugais au Maroc...*, Rabat ; *S.I.H.M., 1ère série, Portugal*, Tome V, art. *Tafetna* (Index) ; P. Pereira, *Esmeraldo...* Lisbonne, 1975, p. 62.

أحمد بوشرب

تَافْگْرُوتْ، رباط يقع بمنطقة بني علي من واحة فزواطة، بالضفة الغربية لواد درعة، على بعد عدة كيلوميترات جنوب زاوية تامگروت الناصرية.

وتدل كل القرائن على أن رباط تافگروت من الربط القديمة بدرعة التي يجاوز عددها اثني عشر رباطا، كانت تنتشر على طول واحات درعة من مزجيطة شمالا إلى محاميد الغزلان جنوبا (*مذكرة المزريوي*، 5). وبالرغم من أن عدداً من ربط وادي درعة قد اندثر ولم يبق منه إلا الذكر الذي لا يزال عالقا بذاكرة السكان، فإن عددا منها لا يزال قائما كما هي حال رباط الحجر شمال مدينة زاگورة، ورباط المزوار بواحة تينزولين، ورباط طَجّينة بواحة مزجيطة، ورباط أگدز وغيرها.

كان متعهدو هذه الربط يعرفون محليا "بالمرابطين" أو "إگرامن" باللهجة الأمازيغية كما هو الحال في الأطلس الكبير وبلاد سوس. وكانت مهمة هؤلاء المرابطين تشمل نشر العلم وبث مبادئ التصوف وتعبئة الناس للجهاد كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

كان المرابطون يتلقون أموال الزكاة والأعشار من القبائل المجاورة للرباط، الأمر الذي كان يسمح لهم باستقبال الفقراء والمعوزين وأبناء السبيل، وتقديم الوجبات الغذائية يزداد أهمية إبان أزمات الجفاف الحاد، التي كثيرا ما حلت بسكان الواحات. وقد كانت هذه الوظائف التي يقوم بها المرابط انطلاقا من الرباط، كافية لإضفاء طابع من التقدير والاحترام المشوبين بنوع من التبجيل والتقديس على الرباط وصاحبه بين سكان وادي درعة. وفي هذا الإطار تذكر وثيقة عثر عليها بواحة لكتاوة، أن قحطا شديداً وقع بدرعة خلال القرن العاشر الهجري (16 م)، فكان أهل الفضل والدين مهتمين لذلك متضرعين إلى الله في كشف ما نزل بهم عند قبور الصالحين الأحياء منهم والأموات ملتمسين رحمة الله وغيثه عندهم، طالعين من واحة اكتاوة بعد زيارة مَن فيها من الصالحين، إلى أن وصلوا إلى شيخ الطريقة، الجامع بين الشريعة والحقيقة أبي العباس سيدي أحمد بن علي الحاجي (ت. 998 هـ) بواحة ترناتة، فأخبرهم بأن ما يطلبونه عنده ليس من أهله، ولا كان على بابه، وذكرهم بأن باب ذلك تركوه وراءهم برباط تافگروت. واشترط عليهم أن يهيئوا صدقة كبيرة (طعاماً يطعمونه المساكين) بالرباط المذكور عند ضريح صاحب الرباط الحاج علي بن عمرو. وقد ظل أهل درعة إلى وقت قريب، إذا أصابهم القحط، وألح عليهم الجفاف يجتمعون عند ضريح الحاج علي بن عمرو برباط تافگروت، فيقدمون الصدقات ويقرأون عددا من سلك القرآن، طلبا للغيث والاستسقاء. وبالرغم من أن كتب المناقب بدرعة، لم تعرج لسبب من الأسباب، على ذكر الحاج علي بن عمرو صاحب رباط تافگروت، فإننا نستشف من الوثيقة التي أشرنا إليها، ومن خلال التقدير الكبير الذي كان يتمتع به، من شخصيات صوفية وعلمية، مثل سيدي أحمد بن علي الحاجي، وسيدي أحمد أدفال، أن الرجل قد يكون عاش في نهاية القرن التاسع (15 م) ومطلع القرن العاشر (16 م). ذلك أن واحة فزواطة خاصة ودرعة عامة، كانت تموج خلال هذه الفترة بالذات بعشرات من المتصوفة. ومن المعلوم أن هؤلاء المتصوفة قد نجحوا في الدفع بأحد أشراف تاگمادارت، القريبة من رباط تافگروت، إلى قيادة الجهاد وتولي السلطة السياسية في المغرب مع مطلع القرن العاشر (16 م).

وقد اندثر رباط تافگروت، وقامت على أنقاضه زاوية سيدي بلال الحالية، ولا يزال سكان بني علي خاصة وسكان فزواطة ودرعة عامة، يقومون بزيارة رباط تافگروت ويبجلون الحاج علي بن عمرو إلى اليوم.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ عبد الكريم المزريوي، *مذكرة المزريوي*، مخطوط خاص ؛ أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، د.د.ع. كلية الآداب الرباط، 1988 ؛ *وثائق محلية في حوزة الكاتب*.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa, A.M*, volume 9, Tome 2, Paris, 1931.

أحمد البوزيدي

تافْنْكولْت، مركز قيادة وجماعة قروية تابعة لدائرة افريجة بإقليم تارودانت بالسفوح الجنوبية للأطلس الكبير المركزي. فهي منطقة دير جنوبية تمتد على حادور يتدرج نحو الجنوب (900 م ـ 600 م) مكونا من مواد فتاتية رباعية حديثة والمنحدرات الدنيا لجبال الأطلس : كلس كريتاسي وصلصال وحث أيوسيني. يبلغ عدد سكانها 18.255 ن (1982) ينتمون إلى قبيلة إحْنْگيرن التابعة للمجموعة

القبلية أيت سمگ، يعرفون تزايدا ديموغرافيا ضعيفا بسبب الهجرة الخارجية التي تتناول 80 شخصا بالجماعة، وداخلية نحو المدن والمناطق الزراعية الغنية بسهل سوس، يشتغل معظم السكان بأنشطة فلاحية : زراعة مروية عند العيون العديدة وأماكن فيض السيول. أهم المزروعات هي الزيتون واللوز والحبوب، وبعض الخضر للاستهلاك الذاتي، وتنتشر زراعة بورية بناصيبية على السطوح المستوية والمنحدرات الضعيفة، تهتم أساسا بالشعير، وهناك أشجار اللوز البوري في جهات متفرقة. وتحتل تربية الماشية أهمية خاصة الماعز والأغنام التي تجد في السفوح والتلال وغابات الارگان مراعي واسعة، كما تشتهر المنطقة منذ القديم بتربية النحل الذي يجد في المنحدرات المكسوة بأعشاب جبلية خاصة الزعتر (أزوكني) تغذية جيدة. وتشتهر قبيلة إحنگيرن بأجود أنواع العسل وتبذل الجهود الكثيرة لتحديث هذا النشاط بتوجيه من خبراء، فتكونت جمعية منتجي العسل، كما يحمل مربو النحل بوادي سوس صناديق النحل إلى المنطقة لتغذية النحل من أعشابها في الربيع والصيف.

مركز تافينگولت : مقر قيادة وجماعة قروية واسعة، لكن تقلصت مساحة تافينگولت بانفصال قبائل ومراكز مهمة من جملتها أولوز الذي صار مركز دائرة في إطار سياسة اللامركزية، ولأهمية الموقع فقد كان مركز قيادة قبل الاستعمار تابعا لقائد گندافة واختاره المستعمر كمركز إداري لموقعه الاستراتيجي المشرف على سوس الأعلى فأنشأ به مركزاً جديداً للقيادة وثكنة للمخازنية ومنشآت إدارية واجتماعية، وتعزز هذا الدور في عهد الاستقلال بالمزيد من المنشآت العمومية.

يوجد المركز على الطريق الثانوي رقم 501 مراكش - تارودانت، يبعد عنها بحوالي كيلوميترين، فوق متن مستوى ارتفاعه 805 م، ويتكون اليوم من مركز إداري يضم المنشآت الإدارية وسكن الموظفين يتميز بطابع حضري وتجمع سكني آخر متصل به يضم السويقة وبها 32 دكانا ومقهى ومحطة بنزين ويحيط بهذه النواة تجمعات سكنية على شكل دواوير تنتشر وسط البساتين المسورة خاصة على طول طريق ملتو مرصف جزئيا يتجه شرقا نحو أنّاين تعبرها السواقي والمسالك الظليلة. يبلغ سكان هذه المجموعة حوالي 900 ن ويعيش المركز حاليا ركودا اقتصاديا وديموغرافيا. يعقد به سوق أسبوعي يوم الاثنين فوق متن مسطح على الطريق الثلاثي الذي يربط المركز بالطريق الثانوي 501، يفصله عن المركز واد بوسراويل الجاف وهو سوق محلي صغير قليل الدكاكين ضعيف التجهيز.

بحث ميداني في خريف 1990 ؛ خرائط طبوغرافية وجيولوجية.

أحمد هوزالي

تافوغالت، جبل وقرى بأنجرة الهبطية، يقع الجبل بالجنوب الغربي من القبيلة، ويحيط به من جهاته الشرقية والجنوبية والغربية حوض وادي مغوغا الذي يصب بخليج طنجة، تظهر ارتفاعات كتلته في ظهر القشلة (291 م) والبرج (269 م) وتافوغالت (236 م) والجبل معروف لدى البكري، ففي القرن الخامس الهجري كانت به قرارات كثيرة لقبيلة متنة الصنهاجية، من أهم تجمعاتها قرية الرصافة (تافوغالت الحالية). وقد أضافت مصادر القرن الخامس عشر الميلادي البرتغالية إلى سكان الجبل قرى البرج وبني أبي العيش وبني واسين.

وقرية تافوغالت واقعة على السفح الشرقي من الكتلة مما يقابل قريتي الرمان والقشلة بجوار منبع واد مغوغا، تابعة من الوجهة الإدارية الحالية إلى فرقة البحرويين من أنجرة. وهي نفس القرية التي سماها البكري بالرصافة كانت آنذاك أهم قرى الجبل. وقد تعرف عليها الإخباري البرتغالي "زورارا"، بمناسبة سرد أخبار غارة القصر الصغير على القرية سنة 867 / 1462. إذ أن القرية كانت ملجأ العديد من رجال فحص طنجة المعرض للغارات البرتغالية، مثل النخلة وسط وعمر والعنصر، بما كانت تملك من الأبقار والأغنام، وبذلك كانت القرية آهلة. وقد احتاج حاكم القصر الصغير إلى الاستعانة لتنظيم الغارة عليها بفرسان قشتالة. ويظهر عدد السكان من مجموع القتلى البالغ ثلاثمائة وخمسة وخمسين فرداً. وقد عاد بعض الهدوء إلى القرية بعد انسحاب البرتغاليين من القصر الصغير (957 / 1550). وإليها تنتمي أسرة الشيخ عبد الله بن محمد الهبطي المتوفى عام 963 / 1555.

البكري، المغرب في ذكر افريقيا والمغرب، 108 ؛ م. ابن عسكر، *الدوحة*، 7 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 239.

Zurara, *Cronica do D. Duarte de Meneses*, 304 - 307 ; B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 1 : 237 - 238.

حسن الفگيگي

تافوغالت، مركز تاريخي قديم في الشمال الغربي لمدينة وجدة بجبال بني إزناسن على ارتفاع 500 م. وتُعد المغارة الموجودة به والمعروفة بمغارة الحمام من أشهر المواقع لعصر ما قبل التاريخ، لا على صعيد المغرب الأقصى فحسب، بل على المستوى العالمي أيضا. وفعلا تزامنت المغارة المذكورة، مع الفترة الأخيرة للعصر الحجري القديم Epipaléothique. ولقد اهتم بالتنقيب بها ودراسة عهودها، الأب روش الذي كتب العديد من المقالات، نذكر من بينهما على الخصوص :

J. Roche, *La grotte de Taforalt, Actes du IIème Congrès Panafricain de Préhistoire*, Alger, 1952 (1955), pp. 647 - 652 ; *Note préliminaire sur la grotte de Taforalt (Maroc oriental), Hesp.*, 1953, pp. 89 - 116 ; *La grotte de Taforalt, L'Anthropologie*, 57, 1953, pp. 375 - 380 ; *L'Atérien de la grotte de Taforalt (Maroc oriental), B.A.M.*, t. VII, 1967 (1970), pp. 11 - 56 ; *Les industries paléolithiques de la grotte de Taforalt (Maroc oriental) : Méthode de l'étude, évolution technique et typologique. Quaternaire*, Rome, t. XI, 1969, pp. 89 - 100 ; *La grotte de Taforalt, B.S.H.M.*, 3, 1970 - 71, pp. 7 - 14.

مصطفى مولاي رشيد

** أما في القرن العشرين فقد كانت تافوغالت من أهم المواقع التي شكلت عقبة كأداء أمام زحف الجيوش الفرنسية انطلاقا من الجزائر وذلك قصد احتلال المغرب قبل سنة 1912. وكانت تافوغالت من أهم معاقل المقاومة لقبائل بني إزناسن ضد الاحتلال الفرنسي.

وقد جاء احتلال تافوغالت ضمن الاستراتيجية العسكرية الفرنسية التي تستهدف السيطرة على المغرب الشرقي بعد احتلال وجدة يوم 29 مارس سنة 1907 على إثر اغتيال الطبيب الفرنسي الجاسوس الدكتور موشان في مراكش يوم 17 مارس 1907. واتخذت فرنسا من هذا الحدث ذريعة لاحتلال وجدة أولا انطلاقا من الجزائر ثم الدار البيضاء ثانيا حيث أخذت المدرعة گاليلي Galilée يوم 5 غشت 1907 تمطر الدار البيضاء بالقنابل وهبط الجنيرال درود Drude من الباخرة شيلا Shella يوم 7 غشت 1907 ليدوس تراب المدينة المغربية الشهيدة وليفك الحصار على بحارة گاليلي المحاصرين من طرف السكان المدنيين.

وفي هذه الأثناء كان الجنيرال ليوطي يخطط لتوسيع رقعة الاحتلال في المغرب الشرقي في اتجاه عيون سيدي ملوك وتافوغالت وأحفير وتاوريرت، فقامت قبائل المغرب الشرقي خاصة قبائل بني إزناسن بتنظيم المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي في سهول طريفة وقمم جبال بني إزناسن أو فوق ضفاف نهر ملوية. وهكذا اشتبك بنو إزناسن لأول مرة مع القوات الاستعمارية المغيرة في سهل بني ادرار يوم 7 أكتوبر 1907 وثم إلحاق الهزيمة بجيش يقوده المقدم بارتو Barthaud واشتبكوا مع هذه القوات للمرة الثانية يوم 23 نونبر 1907 في نفس المنطقة حيث واجهوا قوات النجدة والامدادات التي قادها العقيد فيلينو Felinaux وذلك في بسيط تاوريرت، ثم دخلت الحرب عندما حشد الاستعمار الفرنسي كل عتاده الحربي الساحق وعبأ خبرة قادته العسكريين قصد القضاء على مقاومة قبائل المغرب الشرقي وكسر شوكة أبطاله، وهكذا تم استنفار قوات ضخمة وزعت على ثلاث مجموعات وكانت هذه الطوابير تحت قيادة ضباط لامعة أسماؤهم في التاريخ العسكري الفرنسي أمثال العقيد فيلينو Felineau والعقيد بانليو Banlieu والعقيد باشونك Bashung وتم إنزال الفريق الأول من منطقة كيس لمواجهة قبائل طريفة، والثاني في وجدة لمواجهة أنجاده، بينما وضع الطابور الثالث لمواجهة قبائل بني إزناسن وتميزت هذه المرحلة بشن حرب إبادة ضد السكان، وتم القيام بحملات تأديبية ضد القبائل بإيعاز من ليوطي. وهكذا تم تدمير منزل زعيم المقاومة المختار بوتشيش كما تم تخريب ممتلكاته. وتقدم العقيد بانليو Banlieu بجيوشه وتم احتلال تافوغالت يوم 23 نونبر سنة 1907 والتحقت به جيوش العقيد فلينو Felineau. وتم تجميع قبائل بني إزناسن بتافوغالت قصد تقديم الاستسلام للجنيرال ليوطي وإمعانا في الإذلال والإهانة فرض على الأعيان والشيوخ ذبح ثور التعرقيبة أمام الجنيرال ليوطي الذي أشرف على مراسيم الاستسلام المشحونة بالشروط منها : نزع حوالي 1.200 بندقية من القبائل واستخلاص 210.000 فرنك كذعيرة، كما فرض على القبائل شق الطريق الرابطة بين تافوغالت والمناطق المجاورة لها، وتقديم التسهيلات للجيوش الفرنسية للقيام بأعمال الدوريات. وتحولت تافوغالت إلى قاعدة عسكرية يرابط فيها حوالي ألف جندي لمراقبة تحركات قبائل بني إزناسن. كما أنشئت حاميات مماثلة في بركان وأحفير وعين الصفراء. وهكذا شكل احتلال تافوغالت والمناطق المجاورة لها مرحلة انطلاق للتوسع الاستعماري في المغرب الشرقي وذلك قبل توقيع معاهدة الحماية سنة 1912.

الصديق بن العربي، *كتاب المغرب*، الرباط 1956.

A. G. P. Martin, *Quatre siècles d'histoire marocaine*, Paris ; Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; *Le mémorial du Maroc*, Tome I, Rabat, 1983 ; *Bulletin de la société d'histoire du Maroc*, n° 3, 1970 - 71, pp. 7 - 14 ; J. Roche, *La grotte de Taforalt (Maroc oriental)*, *Hesp.*, t. XL, 1953, pp. 89 - 116.

عبد القادر بوراس

تافلالت، يدل اسمها الأمازيغي على مجمع الماء وينسب إليها أفيلال أو الفيلالي أو التافيلالتي.

اسم جهة في جنوب شرق المغرب، ينطبق محليا على واحة واحدة هي التي بين وادي غريس ووادي زيز في منطقة تقارب هذين الواديين. وقد يتوسع في استعمال الاسم وطنيا ليشمل مجموع منطقة وادي زيز.

ذهب الأستاذ العربي مزين في رسالته الجامعية في تاريخ تافلالت التي نشرتها كلية الآداب بالرباط باللغة الفرنسية عام 1987 إلى أن تاريخ هذه المنطقة يمكن تقسيمه إلى حقبة ما قبل 1631 وحقبة ما بعد هذا التاريخ الذي هو تاريخ قيام الأسرة العلوية الفيلالية التي استطاعت خلال ثلاثين عاما على وجه التقريب الصعود لتصبح الأسرة الملكية الحاكمة للمغرب وتصير لمنطقة تافلالت باعتبارها مهد هذه الأسرة مكانة خاصة واعتبار متميز.

لمنطقة تافلالت أهمية محلية تكمن في المعطيات البيئية لواحاتها وفي علاقة تلك الواحات بالمناطق شبه الصحراوية المجاورة شرقا وغربا والجبلية المجاورة لها شمالا، ولها أهمية على صعيد تاريخ المغرب باعتبارها ممر إحدى طرق التجارة العابرة للصحراء والتي كانت نشيطة لا سيما بين القرن الثالث والقرن التاسع الهجريين حيث اشتهرت مدينة سجلماسة في هذه المنطقة.

وقد كانت تافلالت للأسباب البيئية والستراتيجية المذكورة مدار صراعات بين الرحل والمستقرين من جهة وبين الحكومات في العواصم وبين الإمارات الناشئة في الأطراف أو الثائرين في الهوامش. وكان الاستيلاء على تافلالت مبعث قوة حاسمة في كثير من الأحيان.

لمجتمع تافلالت تقاليد عريقة في العيش في القرى المحصنة (القصور) المعروفة في الواحات ولديه عبقرية في تدبير موارد الطبيعة لا سيما في الفلاحة وأعراف مناسبة

للبيئة وللحفاظ على البقاء وتقوية الروح الجماعية وإبداع في الأدب واللحن وهمة في الدفاع عن الوطن شهدت بها وقائع القرون الأخيرة ومحاربة الاستعمار في هذا القرن على الخصوص.

يمكن استكمال المعلومات عن *تافيلالت* من خلال مواد متفرقة في هذه المعلمة مثل :

بني محمد ـ تابوعصامت ـ تايسًّا ـ التمور ـ تيزمّي ـ تيعقيدين ـ تينجيوْتْ ـ الحراطين ـ أيت خباش ـ الخطارات ـ الدرقاويون ـ الرتب ـ الريصاني ـ زيز ـ سجلماسة ـ السفالات ـ السيفا ـ الصبّاح ـ أيت عطا ـ العلويون ـ الغرفة ـ غريس ـ القصر ـ قصر السوق ـ المعاضيد ـ الملحون.

وتوجد ببيليوغرافيا مستفيضة عن الموضوع في :

L. Mezzine, *Le Tafilalet, contribution à l'histoire du Maroc au XVIIème et XVIIIème siècle*, Publication de la Faculté de Lettres, Rabat, série : thèses, 13. Imprimerie Annajah al Jadida, Casablanca, 1987.

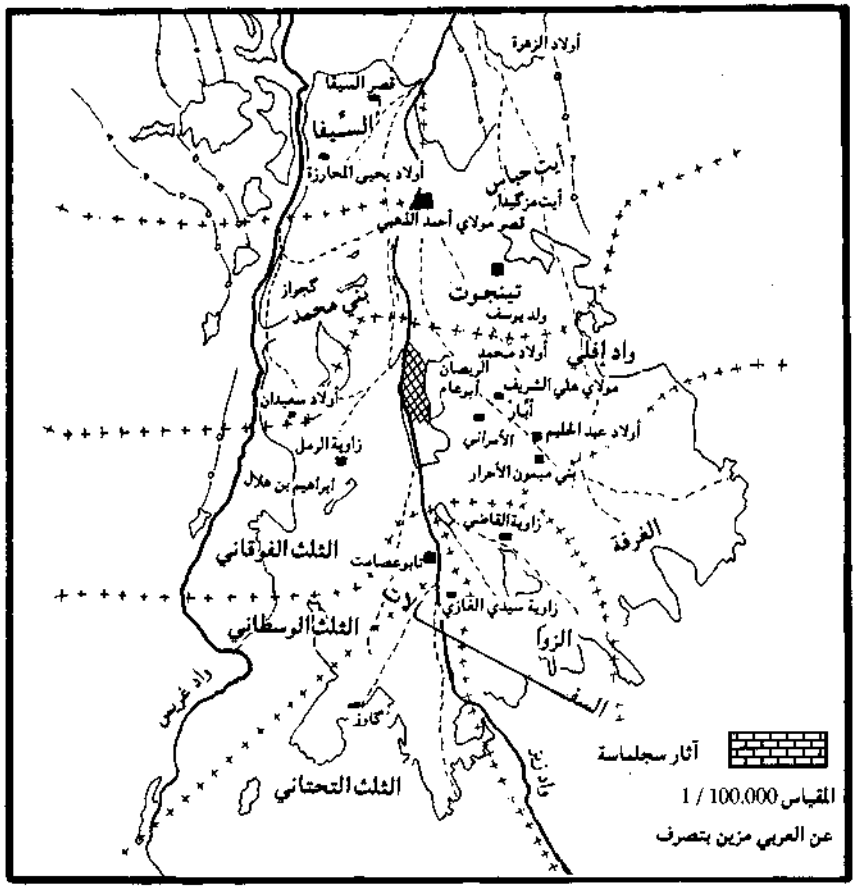

واحة تافيلالت : القصور والقبائل

الـتافيلالتي، محمد بن محمد الطيب، من المغاربة الذين شدوا الرحلة إلى المشرق في طلب العلم واستهوتهم دياره فاستقروا بها وساهموا في مجال الحركة العلمية تدريسا وتأليفا وإفتاءً. وهذا حال صاحبنا الذي غادر بلاده وأقام بطرابلس بليبيا مدة، التحق بعدها بالأزهر بالقاهرة لأجل الدرس والتحصيل. ثم بدا له أن يزور دمشق عدة مرات وأن يستقر بالقدس من حيث تولى بها خطة الفتوى للحنفية بعد أن انتقل من المذهب المالكي إلى الحنفي، وظل بها إلى حين وفاته سنة 1191 / 1777.

لم يكن التافيلالتي مجرد فقيه بل كان أيضاً محدثا وأديبا وصوفيا خلوتي الطريقة، وبذلك اتسع ميدان تأليفه. ولعل كتابته تصل إلى ثمانين مؤلفا حسب ما ذكره المرادي في الجزء الرابع من *سلك الدرر*، منها : *ما ورد في الفصد والحجامة* ؛ *والمعراج* ؛ *وأسرار البسملة* ؛ *وحسن التبيان في معنى مدلول القرآن* ؛ *والصلح بين المجتهدين* ؛ *والقهوة والدخان* ؛ *والاستقصا لما صح وثبت في المسجد الأقصى وصخرة بيت القدس* ؛ *وديوان* ؛ *وتحفة المجدين بنصرة خير الدين* ؛ *والتحريرات الرائقة والرسالة الفائقة* ؛ *ومنحة الودود بشرح ما ألهمه أبو السعود* ؛ *وغاية الإرشاد في أحاديث البلاد* ؛ *والنفح المعنوي في المولد النبوي* ؛ *والإسعاد بشرح تخميس بانت سعاد* ؛ *والخير الوابل في تعطيل مطالب السائل* ؛ *وثبت* يشتمل على جميع مروياته.

وهذه المؤلفات لا يزال بعضها مخطوطا وقد عاينها الباحث خير الدين الزركلي في مكتبة الخالدية بالقدس. وأما عبد الحي الكتاني فقد ذكر في *فهرسه* أنه يروي للتافيلالتي ما له من الطرق بسندها.

المرادي، *سلك الدرر*، الجزء الرابع ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 1 : 268 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 7 : 296 ؛ ح. البغدادي، *هدية العارفين*، ص. 241 ؛ *إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون*؛

م. كحالة، *معجم المؤلفين*، 11 : 227 ؛ أحمد الشرقاوي إقبال، *بانت سعاد في إلمامات شتى*، ص. 55.

محمد ماگامان

تاقَنْدُوت (للأ.)، كهف عميق بقبيلة نكنافة الحاحية على بعد خمسين كيلومتراً جنوب الصويرة، يستعمل للتطبيب الشعبي فيقصده للاستشفاء المرضى المصابون بالخلل العقلي، والمس بالجنون، في نظر من يعتقد أن مسكن الجن يكون تحت الأرض أو المزابل والمغارات والعيون والجبال وقفار الأرض. وكهف للاّ تاقَنْدُوتْ يكاد يجمع كل هذه المواصفات. فهو يقع في سفح جبل عند مصب وادي أجَنْدا في وادي تاقَنْدوت المنسوب إلى هذا الكهف. والمنطقة جبلية صخرية تخترقها عدة ممرات طبيعية على شكل كهوف صخرية تنبت على جوانبها العمودية أشجار الأركان الصغيرة. وعلى الضفة اليسرى للوادي يفتح كهف عميق يدعى زاوية لَلاّتَاقَنْدُوتْ أو إيمي ـ ن ـ تاقندوت، وعند مدخل الكهف نرى ممرين على عمق اثني عشر إلى خمسة عشر متراً، ويفترق الواحد عن الآخر بأعمدة طبيعية.

والزاوية الحقيقية في قعر الممر الأيسر، حيث توجد بعض أجزاء الثوب معلقة في صخرة، وعلى الأرض فرشت حصيرة لمن يريد أن ينام للاستخارة أو طلبا للشفاء من الصرع أو العقم عند النساء خاصة، وغيرها من الأمراض المستعصية على الدواء بالعقاقير. ويسود الاعتقاد عند الزوار أنه في ظرف ثلاثة أيام بلياليها يتلقى المستخير أو المريض أجوبة غيبية لسؤال محير أو إرشادات يجب اتباعها في أمور صعبة، أو طريقة للشفاء من مرض مزمن. والأجوبة تأتي البعض في منامه، ويسمعها البعض الآخر على شكل صوت من تحت الأرض، غالبا ما ينصح المريض بالذبح على ضريح سيدي محند أوسليمان الجزولي (ت. 870) المجاور. مع المكوث به هو الآخر لمدة ثلاثة أيام، لأن الاعتقاد أن هذا الولي الصالح هو الحاكم على الجن الساكن في الكهف، فهم خدامه الأوفياء في نظر العامة. أما للا تاقندوت فهي شخصية لها في نظر العامة علاقة بشياطين الجن وتحكم العفاريت الذين يسكنون الكهف والذين يشكلون خطرا كبيرا على كل من يريد الدخول إليه ما لم يطلب التسليم أو يقدم القربان.

إن للاتاقندوت في حاحة تشبه سيدي شمهروش بغيغاية في الأطلس الكبير وعائشة قنديشة التي يزعمون أنها تتشكل في أوصاف مختلفة و تقطن البحار والأنهار ومنابع المياه في المغرب خاصة (*التطبيب والسحر في المغرب*، ص. 71). ويبدو أن هذه المعتقدات يرجع بعضها إلى ما قبل الإسلام حيث تقام العبادات في الكهوف المقدسة، ثم جاء الإسلام فامتزجت بالاعتقاد في الأولياء والصالحين أصحاب الكرامات والخوارق أمثال سيدي مَحمد ابن سليمان الجزولي المنقول شلوه إلى مراكش فبقي ضريحه في حاحة إلى جانب إيمي ن تاقندوت مقدسا ومزارا تقدم إليه النذور والقرابين في مختلف المناسبات. فاكتسبت تاقندوت صبغة قدسية دينية إلى جانب طابعها السحري الأسطوري.

نادية بلحاج، *التطبيب والسحر في المغرب*، الدار البيضاء، 1984 ؛ *تحريات ميدانية*.

E. Doutté, *En tribu*, p. 287 - 274.

محند أيت الحاج

تاگاوست، مدينة قديمة يمثل موقعها مدشر لگصابي على بعد حوالي ثمانية كيلومترات جنوب غرب مدينة گلميم الحالية. ويعد ابن سعيد أول من أورد ذكر هذه المدينة خلال القرن السابع (13 م) معتمدا في ذلك على تداخل إگزولن (گرولة) بإيليميضن (لمطة) وادي نون. وقد كان منطلقه أن تاگاوست قاعدة إگزولن وأنها تقع شرق وادي نون. غير أن هاتين الخاصيتين لا تعتمدان الدقة مكتفيتين بإشارات تقريبية وتوجهات احتمالية لا تربط بين مجالات وادي نون القروية.

من هنا فإن تفصيل المعطيات الأساسية المميزة لتاگاوست عن نول لمطة ومداشر وقرى تاغاجيجت على نفس الوادي يجعل من متطلبات الملاحظة المضبوطة الفصل الفعلي بين هذه المجالات القروية وتحديد تعريفتها الإثنية. لقد صدق ابن سعيد وابن خلدون حين ذكرا تاگاوست بمعزل عن نول لمطة غير أنهما لم يوردا ذكراً لتاغاجيجت التي كانت تحمل نفس الاسم خلال القرن الخامس (13 م) (تاغاجيجت، معلمة) وإذا ما حاولنا تحديد درجة اندماج وكثافة العلاقات الإثنية بين نول لمطة كمركز وتاگاوست غربا وتاغاجيجت شرقا، فإنه يكون لزاما علينا أن نعرض للتجزء المجالي على نفس الوادي. وفي هذا الإطار تكتسي المراقبة الفعلية لإيليميضن (لمطة) معنى معقولا نتأكد منه أكثر من خلال أي جرد لمتحوى المصادر وكتب المسالك. فمن أهم الشروط التي تؤكد التحام الفصائل البشرية لهذه المجالات عناصر أنشطتها الميدانية من تجارة وفلاحة وتربية المواشي. بل إن تاگاوست كانت تتوفر على أكبر موسم بشهادة ابن خلدون الذي جعل بالمقابل من نول لمطة عاصمة ما أسماه "سوس الأقصى" وجهاته (*H. B.*, 1 : 15 ; 2 : 280). ويمكن لأية معاينة ميدانية أن تؤكد تداخل المجالين القروي والإثني من حيث هما كعنصرين أساسيين لتعريف الحدود المنطقية لكثافة العلاقات بين الفصائل المحلية.

كانت تاگاوست تمثل مدينة هامة يحيط بها أگاوس (وعرون الحالي) وتسگنان ومداشر أخرى تشهد مخلفاتها الأثرية على حجم واسع الانتشار. بل إن الفحص الشمولي باعتماده منظومة التداخل المجالي بين تاگاوست ونول لمطة يواجه صعوبة تحديد الحدود الفعلية للمجالين. فيبقى إذن الشعور قويا بأهمية الدور الاقتصادي والعمراني لتاگاوست من حيث هو كمنطلق لمناقشة ما أورده ابن سعيد. إن إشارة هذا الجغرافي تطرحنا أمام مشكل تعريفي لإثنية الأطلس الصغير ووادي نون والساقية الحمراء. ومن خصائص هذا

المشكل أننا إذا اعتمدنا مجمل المصادر اتضح بما لا يدع مجالا للشك أن الاندماج الفعلي بين إگزولن وإيليميضن وادي نون يجعل هذه المنطقة نقطة تداخل بين الأطلس الصغير والصحراء. ومن ثمة فتأرجح ابن سعيد بين إگزولن وإيليميضن يعد بمثابة شهادة عن التفرعات والتداخلات السلالية القائمة الذات عبر تشابه أنماط العيش والحركية الاقتصادية.

هل أدى وصول الموحدين للمنطقة إلى إحداث تحولات جذرية على صعيد العلاقات والتنظيمات السلالية والاجتماعية والاقتصادية عند أهل تاگاوست ؟ نلمس من خلال ابن الأثير والمراكشي وابن أبي زرع أن عبد المومن الموحدي كان يحرص على إثبات انتمائه السلالي إلى عرب قيس عيلان. وهذا الانتماء سيكشف مفصحا تدريجيا عن رغبته في التحالف مع أعراب افريقية. كما أن تحليل الممارسة الموحدية إزاء الغور السكاني الأمازيغي يكشف عن عدم ترددها في اللجوء إلى الإبادة الجماعية بصورة اعتيادية. وقد عانت نول لمطة وتاغاجيجيت وتاگاوست من هذه الإبادة حيث أسفرت سنوات 553 . 55 / 1158 . 1160 عن تدمير كامل للفصائل المحلية لحجم القطيع (البيذق، *أخبار*، 77). أما سنة 554 / 1159 فقد صادفت غزو عبد المومن لافريقية حيث قسم البلاد من برقة شرقا إلى نول لمطة من"السوس الأقصى" غربا بالفراسخ والأميال طولا وعرضا ثم أسقط من التقسيم الثلث للجبال والهضاب والأنهار والسباخ وما بقي وضع عليه الخراج وألزم كل قبيلة بربرية كانت أم عربية بقسطها من الزرع والماشية والأموال (*القرطاس*، 139). نرى إذن أن الإبادة والتقسيم قد أحدثا تحولا جدريا لا شك أنه زعزع الحركية الاقتصادية والرواج التجاري والبشري اللذين ركز عليهما البكري والإدريسي. ولا بد أن الهجرة قد أفرغت المنطقة من جزء أساسي من غورها السكاني. كما أن تحويل قسط من الإنتاج الفلاحي وتربية المواشي وتهافت حلفاء الموحدين على المؤهلات الانتاجية للمنطقة يتجلى في فرض الخراج. يبدو إذن الرواج التجاري والاقتصادي الذي ميز هذه المنطقة خلال القرن السادس (12 م) قد وصل إلى درجة قصوى من التضعضع. وإذا ما اعتبرنا الاتجاهات الكبرى التي تبناها الموحدون وتوسع فيها فيما بعد عاملهم المنشق عنهم علي بن يدر، تجلى لنا تتابع الكوارث التي عملت على تفكيك التماسك الاجتماعي ودوالب التحالفات المحلية. وهكذا فبدلا من ضبط وتنظيم الوسط البيئوي والوظائف المكونة للمجال نرى اعتماد منظومة الإبادة الجماعية تفتح الباب على مصراعيه أمام تسرب ذوي حسان المعقليين الذين وصلوا الساقية الحمراء منذ الربع الأول من القرن السابع (13 م).

لقد رأينا أن وضع الخراج لم يشمل جنوب وادي نون وأن كثافة العلاقات البشرية قد انتهت بالهجرة إلى حيث تتبخر سلطة الموحدين. ومن المعلوم أن هذه الخطة لا تخص تاگاوست دون نول لمطة وتاغاجيجت. لقد لاحظنا في دراساتنا لقبيلة أزوافيط التكنية (*معلمة*، 364 . 367) أن العصبية المحلية جعلت من هذه القبيلة المحورية مراقبة لمسالك الصحراء وحامية لقوافلها. وفي هذا الأمر دليل بين على تداخل الوظائف الحربية والسياسية والاقتصادية بين وادي نون ومدن الضفة الجنوبية للصحراء. لقد أثبتت مخطوطات نول المتعددة أنها أصبحت بالإضافة إلى دورها التجاري خلال هذه الفترة، رابطة ثقافية ودينية بين الشمال والجنوب. وهو تصور سيقوم على أساسه الفصل الهيكلي بين الغور السكاني بتاگاوست ونول وتاغاجيجت والمد المعقلي. هذا مثلا ما يمكن أن نستشفه من كلام ابن خلدون الذي اعتمد على رحلة عبد الله بن محمد التيجاني المتوفى حوالي عام 717 / 1317. لقد ذهبت هذه الرحلة الهامة إلى أن بطون وفصائل القبائل الأعرابية كانت تعتمد يومها على سلطة كاهن القبيلة الدينية في حل أمورها الاجتماعية العالقة وطقوسها ومعتقداتها. والملاحظة ذاتها تصدق على ذوي حسان والشبانات الذين كانوا يدركون ساعتئذ حقيقة الاختلاف العقائدي واللغوي بينهم وبين الغور السكاني. إننا نعلم أن هذه المجالات القروية التي عرفت مولد واگاگ بن زلو اللمطي (بين تازروالت وبسيط وادي نون) وعبد الله بن ياسين بمدشر تاگجگالت أيت تيكني، قد تميزت بارتباطها بالمذهب المالكي منذ ما قبل المرابطين. كما أن قدرتها على تنظيم وترويج الحركية التجارية عبر مسالك الصحراء يجعل من عصبيتها جبهة تتحدى المتغيرات. وعند ذلك يبدو لنا أن ما نسميه المد المعقلي إن هو إلا لوحة شاسعة يتداخل فيها مفهوم التعايش المرحلي بمفهوم الاندماج الفعلي. حقا لقد عمد المعقليون منذ وصولهم إلى المتاجرة في جلود اللمط والسكر المصنعة محليا والملح كما يوضح ذلك كتاب *الاستبصار*، غير أن أي استقرار عميق لظاهرة المواجهة الإثنية يكشف عن مرحلة سابقة لكل تقارب فعلي. من هنا فإنه لا بد أن نعلق على ما جاء به ابن خلدون من أن تحالف إيليميضن (لمطة) بالشبانات وإگزولن (گزولة) بذوي حسان يعد بمثابة رصد لظاهرة التعايش المجالي والتداخل الإثني (G. Marçais, *Les Arabes*, II : 556 - 557). لقد انتهى بنا استقراء إحدى وثائق سنة 904 / 1499 إلى رفض هذه المقولة وإلى الإبقاء على المواجهة السياسية والاجتماعية بين هويتين تحدد كل منهما دورها في اختصاصات ميدانية عميقة المغزى (*Le Pays Takna, commerce et ethnicité*).

حقا لقد تطور ذوي حسان والشبانات إلى قوتين حربيتين فاعلتين منذ سنة 633 / 1235 (ابن عذاري، *البيان*، الموحدون، 274 . 334 . 347). على أنهم لا يكادون يتحركون إلا في نطاق استراتيجية التحالفات القاضية بحصر وظيفتهم في إطار القوات المساعدة للأمراء المنشقين عن الموحدين والمرينيين وما تسمح به مشروعية التعامل مع الغور السكاني الأقدم. ما كان يهم المعقليين من وادي نون وتاگاوست بالذات هو الاستقرار والاندماج الاقتصادي.

وهو ما تكشفه مساهمتهم في بناء إمارة علي بن يدر. وحداً لكل التباس في هذا الباب نشير إلى أن السيطرة السياسية على المنطقة لم تكن تعني استقرارهم داخل القرى والمداشر، فابن أبي زرع وابن خلدون ومحمد ابن مرزوق والقلقشندي يكشفون عن الحدود الفعلية لهذه القوات المساعدة التي لا تتجاوز حدود مأموريتها خوفا من التسلط المريني. كما أن في هذه المصادر ما يكفي من الدلالات على أن ثورات هؤلاء المعقليين لم تأخذ شكلا مستقلا إلا ابتداءً من سنة 683 / 1284 حين طردهم ابن عبد الحق المريني إلى الساقية الحمراء (*العبر*، VII : 206 ؛ *القرطاس*، 211. 212. 228. 230). يومها فقط دخلوا صحبة طلحة بن علي البطوي سبعة أشهر من الانفصال اكتسى بحق صبغة خاصة جعلت يوسف بن يعقوب بن عبد الحق يخرج إليهم في اثنى عشرة ألف فارس ليغرمهم أكبر قدر وينكل بهم ويبيد رؤساءهم وجل محاربيهم ويطرد ما تبقى إلى الصحراء. من هنا يتجلى دور العصبية حاسما في الفصل بينهم وبين الغور المحلي الذي عانى من مضاعفات الاضطرابات والحروب دون أن يغادر مواقعه. نمسك أيضا في هذه النقطة سبب التقهقر النسبي الذي سيدخل تاگاوست في مرحلة من الاضمحلال التدريجي (م. ناعمي، *الصحراء*، 88. 89). لقد كان من شأن اصطياف ذوي حسان والشبانات بوادي نون تطويق ومحاصرة تاگاوست التي كان بها مقر أحد رؤسائهم (*H.B.*, II : 117). على أن هذه الإشارة يجب ألا تنسينا أن تاگاوست هي باعتراف نفس المصدر أكبر موسم بالمنطقة. وهو ما يدل على تمسك أهل المدينة بملامحهم القروية والمجتمعية في مواجهة المد المعقلي المتزايد.

يبقى أن تفصيل الإشارات بشأن أهل تاگاوست الذين نكاد نجهل عنهم كل شيء، يرتبط بما يمكن أن تكشفه مستقبلا الوثائق الإسبانية. ولعل الصعوبة في هذا الباب تزداد لكون أيت لحسن المقيمين حاليا بالگصابي لا يشخصون انعكاسات للواقع البشري. لقد جاء دخول أهم فصائلهم إلى تاگاوست خلال القرن الثاني عشر (18 م) على إثر طردهم لأولاد ادريس المقيمين منذ ذلك الحين بأيت باعمران (V. Monteil, *Les Tekna*, 17). هذه المقولة تعد باعتراف الطرفين مسايرة لتدرع مختلف الفصائل التكنية في وادي نون وباني والساقية الحمراء بالتسلسل التاريخي لتبرير ضرباتها نحو الأخريات. ولا شك أن الجانب الأكثر غموضا هو ذلك الذي يكشف لا عن الاصطدامات من أجل مراقبة المجال فحسب ولكن حول الأسباب الكامنة وراء المرونة الاستيعابية للقبائل الكبرى. هذه الملاحظة ذاتها تقتضي التركيز على أطوار بلورة قبيلة أيت لحسن. ولعله يحسن أن ننطلق من مشجراتها العائلية الممتدة التي ما تزال تجسد حلقات ارتباطها العضوي بأسرير. فالخطوة التي ميزت طردهم لأولاد إدريس من تاگاوست صادفت انسحابهم حيث ما تزال ممتلكاتهم تشهد على حجم تداخلهم بإيدا اوتوزيت بنفس المكان ذاك، وبالارتكاز على هذا المعطى الحركي نتساءل هل جاء هذا الانسحاب من أسرير اختياريا في مرحلة تميزت خلالها التجارة الساحلية مع المد الإيبيري بالحيوية أم هناك أسبابٌ أخرى ؟ يجيبنا السيد علي بوعيدة بما لا يدع مجالا للشك بأن اصطدام بعض فصائل أيت لحسن بأيت احماد أُعلي من ازوافيط هو السبب في هذا الانسحاب خلال القرن الحادي عشر (17 م). وهي شهادة تكشف إذا فحصناها من قريب عن عدم تحالف هذه الفصائل الحسنية مع المد الإيبيري المرتبط يومها بتاگاوست. على أن المشكل الذي يظل قائما هو قلة المصادر لتحديد الفصائل الواردة على تاگاوست باسم أيت لحسن بالمقارنة مع سابقاتها بعين المكان. نشير هنا إلى أن فرز المعطيات النادرة المتوفرة ينتهي بنا إلى استخلاص أهل بوعيدة كمقيمين بعين المكان منذ خمسة قرون على الأقل (*جوامع المهمات*، 47، هامش 42). معنى هذا أيضا أن فصيلة الرويات التي ينتمي إليها أهل بوعيدة قد ترتبط تاريخيا بما قبل وصول أيت لحسن. هذا الاحتمال يساعدنا على تركيب نموذج مبسط للبنية التحالفية داخل هذه القبيلة. فلحسن الجد الاسمي للقبيلة هو من منظور جميع تكنة أحد أبناء عثمان بن مندى عامل عبد الله بن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني على نول لمطة (V. Monteil, *Les Tekna*, 10). كما أن رمزية هذا الانتماء تستهدف بالأساس حشر القبيلة في إطار النواة الأصلية لاتحادية تكنة مكرسة بذلك الانتساب القرابي السلالي كمبرر للتوازن التعارضي التقليدي بين لفي أيت بلة وأيت الجمل. ومعلوم أن هذه البنية القرابية السلالية تعد عملا تركيبيا لا تؤدي وظائفها إلا في إطار مراقبة وتشخيص المواجهة الفعلية ضد المعقليين (م. ناعمي، *الصحراء*، 136. 137). ندرك من هنا أن سبك مشجرات التسمية على صيغة أيت فلان أو فلان بدل أهل فلان ابن فلان تتصدر مصطلحات الارتباط السلالي الذي يكاد يخفيه استعمال الحسانية كأداة حالية للتخاطب. نرى إذن لماذا تصل بنا أية محاولة لتشخيص هوية أهل تاگاوست إلى المقدرة الحربية من حيث هي كمحدد بنيوي يحول دون أي اندماج فعلي بالمد المعقلي خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م). لقد أورد الحسن الوزان عن زيارته سنة 919 / 1514 بأن تاگاوست التي قضى بها ثلاثة عشر يوما : "مدينة كبيرة، وهي أهم مدن سوس على الإطلاق. بها ثمانية آلاف كانون (أسرة)، وسورها من التراب المذكوك... وفي وسط المدينة دكاكين كثيرة للتجار والصناع... وسكانها منقسمون إلى ثلاث فرق يكاد القتال لا ينقطع بينهم، ويستعين كل فريق على الآخر بالاعراب الذين يناصرون هؤلاء تارة، وأولئك أخرى بحسب ما يتلقون منهم من أموال. الأراضي الزراعية بهذه المنطقة كثيرة الانتاج، والمواشي وافرة الاعداد، يباع الصوف فيها بأحسن الأثمان، ويصنع منه الكثير من قطع الثياب الصغيرة التي يحملها تجار المدينة مرة في السنة إلى تنبكتو وولاتة من بلاد السودان. ويقام السوق مرتين في الأسبوع. يتأنق

سكان تاگاوست في لباسهم، ونساؤهم جميلات لطيفات، وهناك عدد كثير من الرجال السمر الألوان، لأنهم منحدرون من بيض وسود، وليس ثمة حكومة معينة وإنما الحكم للأقوى". (وصف، 1 : 95 - 96).

على أن أهم إشارة توردها وثيقة 904 / 1499 ويؤكدها الحسن الوزان هو تمكن الأعراب أولاد عامر من مراقبة مداشر وقرى وادي نون وإيفران وإفني. وكان إسبانيو جزر كناريا يقومون بحملات مستمرة تتمحور كلها حول تاگاوست واصلة في بعض الأحيان إلى ما وراء تيغمرت شرقا. وكان نزولهم بالسواحل المقابلة لجزرهم يتم بباب الجيديه (أو الجيدة) (Los pocos de Geidilla) حيث تتوفر بعض الآبار بين وادي درعة ووادي الشبيكة على ما يبدو (R. Ricard, *Recherches*, 81 - 82). كانت هذه النقطة تسمح أيضا بالوصول إلى منابع الساقية الحمراء مما يزيد من حجم المساحة المغزوة. هذه الغزوات كانت تمكنهم من سلب الأغنام والأبقار والخيول والحبوب والمنتجات المحلية المتنوعة علاوة عن الاعداد الهائلة من أبناء المنطقة. وقد تصاعدت وتيرة هذه الغزوات خاصة ما بين سنة 1477 وسنة 1524 لدرجة استفزاز إسبانيي جزيرة تاناناريف Tenenerife أنفسهم (R. Ricard, *Recherches*, 75). خلال هذه الفترة عمل ملوك قشتالة على تقنين هذه الغزوات من خلال مراسيم مؤرخة بـ 2 نوفمبر 1505 و26 فبراير 1511 و3 غشت 1525 و6 يوليوز 1528 (R. Ricard, *Recherches*, 77).

لقد كانت للحاكم العام على جزر كناريا إقامة خاصة بتاگاوست التي كان يتسيد عليها يومئذ حامد بن أحمد أحد شيوخ قبيلة أولاد عامر. وتؤكد المصادر أن هذا الشيخ كان يتكلم القشتالية شأنه في ذلك شأن بعض شيوخ القبيلة الآخرين. كانت أهمية تاگاوست يومها في كونها أصبحت القاعدة الأولى لتجارة الرقيق كما يؤكد ذلك الحسن الوزان متبوعا بمارمول وكاستيو. وهنا لا بد من أن نشير إلى رفض المختطفين والرقيق الرضوخ للقوانين الدينية والدنيوية بجزر كناريا. ونظرا لما لأهل وادي نون والساقية الحمراء من تمسك بدينهم وتقاليدهم فإن محاكم التفتيش الاسبانية كانت تعطي لنفسها حق متابعتهم قضائيا. إلا أن وجود قاضي بمدينة تاگاوست تتنافى أحكامه مع تحالف العملاء بالمد المسيحي، جعل الترابط بين المختطفين وذويهم لا ينقطع. فنجد هذا القاضي يعنى بأمور العائدين هربا من جزر كناريا المسلمين منهم والراغبين في دخول الاسلام مسيحيين كانوا أم يهودا. وإلى جانب هذه المواجهة السياسية والدينية بين الغور السكاني لتاگاوست وتحالف العملاء، مع القشتاليين نجد الصناع والتجار اليهود الراغبين في الإبقاء على دينهم يعيشون في مأمن داخل حي يهودي قدره مارمول بثلاثمائة دار. ونظرا للنقص الحاصل في معلوماتنا، فإننا نكتفي بالوقوف عند دور تاگاوست في الحد من محاولات المد المسيحي. هذا ما تأكدت منه محاكم التفتيش الكنارية فانتهى بها الأمر بعد أن أصدرت أحكاما بالحرق والتعذيب، إلى السماح لأهل وادي نون والساقية الحمراء بممارسة شعائرهم الاسلامية معتبرة أن الأولى هو إعادتهم إلى ذويهم مقابل مبالغ هامة من المال. وهكذا تخصص بعض المحليين المسلمين في التوسط بين الطرفين فعادت أفواج من المختطفين إلى ذويهم صحبة أفواج من اليهود. وهنا نسجل دور هذه الأفواج في تأطير غزو جزر كناريا منذ بداية القرن الحادي عشر (17 م). لقد أصبح النداء في خطب الجمعة بضرورة الجهاد من الدوافع التي زادت من تردد سفن الساحل الأطلسي على موانئ كناريا. وقد أحدثت حملة سنة 1618 هزة عنيفة في أوساط هذه الجزر وشبه الجزيرة الإيبيرية. وكانت الهزة واضحة المعالم لأن الدافع كان دينيا أكثر منه إرهاصا من إرهاصات الاحتلال. فقد وصلت إلى سواحل جزيرة لانزروت Lanzarote خلال هذه العملية ستون سفينة شراعية يرأسها كل من المسمى تابان والمسمى سليمان. وقد نزل هناك 5000 محارب توجهوا مباشرة نحو مدينة تيگيس Tigis فهرب السكان إلى جزيرة فويرتفرنتيرا Fuertaventura. تمكن المهاجمون من أخذ 900 سجين بعدما هدموا وأحرقوا منازل وكنائس تيگيس. ثم توجهوا بعد ذلك إلى گوميرا Gomera فغزوا وأحرقوا مدينة سان سباستيان San Sebastian التي غادروها متوجهين نحو جزيرة لاپالما La Palma بميناء تازكوغت حيث صدتهم المجابهة العنيفة عن أهدافهم فعادوا إلى قواعدهم.

تميزت علاقة الغور السكاني بتاگاوست مع الدولة السعدية بحجم التعاون السياسي والحربي ضد المد الإيبيري المسيحي. وقد زار أحمد المنصور الذهبي تاگاوست أكثر من مرة حيث اهتم بشؤونها السياسية والاقتصادية. ويمكن أن نلمس آثار هذا الاهتمام بالمدينة من خلال بقايا إحدى أركان القصبة ومدافعها بالإضافة إلى حجم المسجد الذي أعاد بناءه السليد علي بوعيدة. وبالرغم من أن قبيلة احمر المعقلية قد خلفت يومها قبيلة أولاد عامر في السيطرة على تاگاوست، فإن أسباب الرخاء والازدهار تنبثق كما دلت على ذلك المصادر من حجم الرواج التجاري ومن الانتاج الفلاحي وما تمنحه مناجم الفضة من معادن. كانت وفرة المياه ترتبط باتساع العمران وازدياد الأعمال وتضاعف الكسب. وهو ما يدعونا إلى عدم تصديق Duarte Pachecco Pereira حين يحدد عدد سكان المدينة في 1500 فردا موزعين عبر أربع قصبات : (*Hesperis*, 1927, XI, 257). فهذا العدد يبدو ضئيلا جداً حتى لو فرضنا أن في 8000 منزل التي ينقلها مارمول وكاستيو Marmol et Castillo عن الحسن الوزان بعض المبالغة. لقد سخّر أهل تاگاوست تحالفهم بدولة السعديين التي تعد بحق دولة إيگزولن في إحكام التقاليد الموروثة ونظم الأحكام وأشكال تملك السواقي وأسباب الاستقرار بوادي نون ووسائل العمران. وبهذا الوجه تنطلق الطريق المكونة من عدة مسالك متوازية وملتصقة من تاگاوست لتصل مباشرة إلى الفرصية ومنها إلى طريق جود قائد المنصور الذهبي في اتجاه نهر النيجر.

لقد اقترح أحدهم يومها على يوسف بن عابد الفاسي صاحب *ملتقط الرحلة* ملاقاة الشيخ أحمد بن عمر العروسي بوادي درعة في السوس الأقصى حيث لاحظ في تجواله كثرة الصوفية والفقهاء والمقرئين وأن أكثر الفقهاء "تغلب عليهم الشاذلية" (*ملتقط*، 12). ويضيف نفس المصدر بأن مياه وادي درعة تسيل على امتداد السنة مما يفسر كثرة القرى والمداشر حول ضفتيه (*ملتقط*، 66). نتعرف من هنا على مساهمة الأودية الكبرى في التقويم البشري والاقتصادي لتاگاوست.

لقد اقترح أبو حسون السملالي علي بودميعة على أهل تاگاوست خلال القرن الحادي عشر (17 م) إنشاء موسم سيدي عمرو أ'عمران الذي ما يزال يعقد في منتصف يونيه الفلاحي بلگصابي الحالية. والاقتراح جاء بهدف مزاحمة موسم سيدي مَحمد بن عمرو اللمطي بأسرير وموسم گويرة السوق القريب منه. وهي إشارة أساسية لمعرفة مراحل تطور تاگاوست ما بعد السعديين. وقد سقناها لنوضح بأن أهمية وحجم المدينة لم يعد خلال القرن الحادي عشر (17 م) مشابهاً لما كان عليه خلال القرون السابقة. فقد أخذت دشرة أگلميم تتصدر الواجهة بقصبتها التي لم يكن دورها التاريخي قد بدأ بعد. وإذا كان المقام لا يتسع للتوسع في ملابسات هذه الظرفية فإن ما يجب ألا ننساه هو دور الأعراب في تطويق الحركية والحيوية القديمة. ونستطيع من دراسة المقولات الشفوية أن نستدل على السيطرة الفعلية المتزايدة لأيت لحسن على حساب الفصائل الأخرى.

كانت تاگاوست يومها ما تزال تنتج الغفارات الحمراء التي أشار إليها ياقوت الحموي (معجم، V : 4). وقد ظلت تستعمل كلباس يحيط بالكتفين أو عمامة تغطي الرأس كما شهد على ذلك السيد علي بوعيدة وغيره من المسنين. كان أهل تاگاوست لا يحلقون شعر الرأس مكتفين بظفائر طويلة (R. Ricard, *Etudes*, 79). أما تشبثهم باللغة الصنهاجية فهو ما تؤكده الرواية الشفوية في أكثر من مكان بوادي نون. لقد أكد لنا السيد علي بوعيدة أنه عرف أب أبيه يجهل لهجة ذوي حسان ولا يتكلم إلا الصنهاجية. والملاحظة بالغة الأهمية لأنها تصدق على تشابه ظروف الغور السكاني التكني عموما كما ورد ذلك في معرض دراساتنا لقبائل إزرگيين وازوافيط وأيت أسا (*معلمة*، 339. 340. 367. 377. 379). وفي هذا الإطار يكتسي الارتباط العضوي بأهل الدين معنى تحالفيا يسمو بمشكل التواصل فوق الأحداث والمنازعات ويحدد القوانين العامة التي تربط ربطا مباشرا بين أنماط العيش وأنظمة القرابة ومراقبة المجال.

لقد سقنا هذه الفكرة لتوضيح تجذّر أيت لحسن في بلورة عادات وتقاليد سياسية موروثة تقتضي القيام بمهام السلطة السياسية الفعلية في مواجهة التحديات. فنكون بذلك قد ربطنا القرن العاشر (16 م) بالقرن الحادي عشر (17 م) في ظروف عرفت وصول مؤسس قبيلة الرگيبات سيدي احمد العروسي الحفيد إلى وادي الشبيكة. كانت يومها قبيلة أيت لحسن قوية تتسيد على المحور الساحلي في مزاحمة إذاأويلال. وكان تعاطف هذه القبيلة مع أهل الدين يجسد معطى أساسي متين الاتصال بمعطيات القرنين السابقين. وإذا كانت وثائق تاغاجيجت التي أوردها La Ruelle في دراسته حول أيت إبراهيم تثبت أهمية أيت لحسن كقبيلة، فإن وصول جد الرگيبات يومها يلزمنا بتحديد نوعية الحماية السياسية التي تمتع بها هذا الزاوي في كنف حاميه. وهو ما ستؤكده الدراسات الميدانية التي قام بها خلال هذا القرن العشرين دو لا شابيل F.C. La Chapelle. فقد أوضح بأن فصائل الرگيبات المتعددة تدخل تحت حماية أيت لحسن الذين مايزالون إلى حدود سنة 1950 يعتبرونهم من أهل زواياهم. بل إن الرواية الشفوية ما تزال تعتقد بأن قتل أفراد هذه القبيلة يعد مصدر شؤم. ويتأكد هذا الأمر أكثر حين يفيد هذا الباحث بأن أهل الناجم ولد حميد من أيت لحسن يحمون أهل الخليل من أولاد موسى الرگيبات بينما يحمي أيت بومگوت من أيت لحسن السواعد من الرگيبات. أما أهل امبارك ولد حمادي فإنهم يحمون أهل بلأو كما يحمي أهل بوعيدة أولاد لحسن من الرگيبات.

ويحمي أهل عمارول الناجم التهالات وأيت بومگوت أولاد الطالب. أما أولاد الشيخ وأولاد داود من الرگيبات فتحميهم جل فصائل أيت لحسن.

تتضح من هنا حقيقة العلاقة المجالية خلال القرن العشرين لأيت لحسن بالساقية الحمراء وجنوبها. بل إن حروبا كثيرة وصلت بأيت لحسن ضمن قبائل تكنة إلى منطقة أدرار بالضفة الجنوبية للصحراء. وهنا لا بد أن نذكر بحجم وأهمية العلاقة التحالفية التي جمعت منذ القرن العاشر (16 م) بين أيت لحسن واتحادية أولاد دليم. فقد عني الطرفان بمراقبة المحور الساحلي حيث يجسدان شبكة من التحالفات التي تخول لصغريات القبائل الحماية. ولذا فإنه يمكن ربط تطور قبيلة أيت لحسن بمنطق تطور عصبيتها عبر مسالك المحور الساحلي. معنى هذا أيضا أن الإحصاء الذي أورده كل من مارتي P. Marty سنة 1914 ولا شابيل La Chapelle سنة 1934 ومونطيي V. Monteil سنة 1948 بشأن هذه القبيلة يرتكز على معطيات حركة القبيلة عبر مجالها الواسع. يمثل أيت لحسن حسب هذه الإحصاءات ما معدله 1500 عائلة تتوزع حول مداشرها بالگصابي وتسگنان والدشيرة والشويحات وتيليوين ولخنيگ وتيدرگيست وتيلمتنوس. أما بقايا آثار مدشر أيت لحسن بالشبيكة فهو يشهد على حركية القرن الحادي عشر (17 م) الذي عرف وصول سيدي أحمد الرگيبي إلى عين المكان.

وتعتبر أهم فصائل أيت لحسن هي لمويسات وأيت يحيى وأيت بوگزّات وأيت داود أ'عبد الله وأيت مَحمد أ'لحسن وأيت بومگوت وانجورن. حين نفحص هذا التقسيم فإن أهم الأعيان يكونون خلال الثلاثينات هم عبد الرزاق

ولد ابراهيم أُبلال من أيت يحيى وأحمد ولد البشير من أيت بوگزاتن. وبكار ولد محمد لمين من أيت داود وعبد الله وعلي أُحماد من أيت بومگوت والعروسي ولد ابراهيم ولد علي أُمحمد من أيت بومگوت ومبارك ولد بوجمعة من أيت بومگوت والمختار ولد الناجم من إنجورن وأحمد ولد السالك من انجورن أيضا، شأنه في ذلك شأن إبراهيم ولد حميدة. من بين هؤلاء يعد الناطق الأول باسم أيت لحسن جميعا هو المختار ولد الناجم. وقد قام بزواج سياسي مكنه من مصاهرة ابراهيم ولد سيدي يوسف من قبيلة إزرگيين. فجاء التحالف كتأكيد لرغبة الطرفين في تمتين الرقابة الفعلية على مسالك الصحراء ومحمييها.

إن جرداً للفصائل الحسنية يثبت بما لا يدع مجالا للشك انتماء أكثر من نصف أيت لحسن إلى نمط العيش الترحالي. فنجعات إنجورن وأيت بومگوت وأيت بوگزاتن قد تتجاوز الساقية الحمراء وزمور إلى تيرس، وهو ما يدل على ارتباطهم العضوي بتطوير تربية الإبل التي كانت تحد من اشتغالهم بالتجارة والفلاحة. كل هذه الملاحظات توضح لنا ظروف تطور تاگاوست وأهلها من عاصمة تجارية كبرى إلى مدشر من مداشر وادي نون المتميزة. وإذا تساءلنا عن الأسباب الموضوعية التي كانت وراء انقراض هذه العاصمة الكبيرة، برز تصدع البنيات التجارية والصناعية بسبب اضمحلال حركية مسالك الصحراء وظهور أگليم كسوق مزاحم يومها، على رأس قائمة المسببات البنيوية. وكما رأينا تدريجيا، فإن الجانب الوصفي لقصبة تاگاوست والقصبات المجاورة لها قد شكل الأساس التاريخي لموضوع تسمية مدشر لگصابي الحالي.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة* ؛ محمد سالم ولد لحبيب ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*.

P. De Cenival, *Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué (Agadir)*, Texte portugais du XVIème siècle, traduit et annoté, Paris, 1934 ; Id. et F. C. De La Chappelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa Cruz de Mar Pequeña et Ifni, Hesp.*, 1935, 2 - 4ème trim., 19 - 77 ; Id et Th. Monod, *Description de la Côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal par Valentin Fernandès (1506 - 1507)*, Paris, 1938, 214 p ; F.C. De La Chappelle, *Esquisse d'une histoire du Sahara Occidentale, VIIème congrès de l'IHEM, Hesp.*, XI, Paris - Rabat, 1930, Ibn Khaldun, *Les Prolégomènes*,trad. de Slane, 1925 - 1956, nlle édit 1968 - 1969 ; Id, *Kitâb Al'Ibar*, Beyrouth, 7 vol., 1959 ; Cl. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle, A.M.*, XXIX, 1933 ; Dj. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982, 2 vol. ; L. Carvajal Marmol, *L'Afrique*, trad. *Nicolas Perrot, sieur d'Ablancourt*, 3 vol., Paris, 1667 ; M. Park, *Les trois voyages du Mungo Park au Maroc et dans l'intérieur de l'Afrique (1787 - 1804)* raconté par lui-même, Paris, 1882 ; R. Robert, *Recherches sur les relations des Iles Canaries et de la Berbérie au XVIème s*, in *Etudes Hispano-Africaines*, Tetuan ; M. Naïmi, *Le pays Takna, commerce et ethnicité avant la constitution confédérale* in *le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1993, 121 - 146.

مصطفى ناعمي

تَاگْجْگَالْتْ أَيْتْ تِيكْنِي، في النهاية الغربية لواحات تامنارْتْ حيث تنشطر سلسلة جبال باني إلى منطقتين شرقية وغربية. تقع قرية تگجگالت أيت تيكني شمال غرب فم الحصن بتامنارت. وهي بذلك تعد منطقة تيزگي لخراطين شرق تاغْجِيجْتْ وجنوب شرق إفران مجسدة الحدود الفعلية للجزء الحضري من بلاد اتحادية تكنة. ندرك بوضوح من هنا أن أهمية الموقع تربط بين تسمية هذه الاتحادية والخطوط العريضة لتاريخ هذه القرية. على هذا المستوى تترسخ ملامح مشروع دراسي يمكن الوقوف من خلاله على تلك الاحتمالات والمقولات التي تميز واحات ومداشر تامنارت عن بسيط تَازْرْوَالْتْ ومدينة تَامْدُولْتْ عاصمتي بلاد إگْزُولْنْ التاريخيتين. ويحرص أهل تامنارت على ألا تبقى هذه المقولات مجرد خاطرة حين يؤكدون أن ولادة عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين قد تمت بتاگجگالت أيت تيكني.

لقد اكتفى أبو عبيد الله البكري بتامنارت كموقع عام لهذه الولادة (*المغرب*، 166. 312 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 5. 9 ؛ م. السوسي، *المعسول*، XI : 46) مزكيا بذلك هذه المقولة. غير أن محتواها ما يزال يندرج عبر قنوات توضح أسباب تعالي أهل تامنارت عن أهل تامدولت وأهل تازروالت الذين ينسبون إليهم أستاذ عبد الله بن ياسين، الشيخ واگاگ بن زلو اللمطي. فإذا كان مؤسس دولة المرابطين قد تجاوز من حيث الأهمية التاريخية حجم أستاذه بسوس، فإن فقهاء وعلماء تامنارت ما يزالون يؤكدون وعيهم بأهمية هذا الدور. نذكر من هنا منزلة الخطاب الذي تميزت به *فوائد* التامنارتي في تفضيله لموطنه كعاصمة روحية ودينية أولى لحلف إگزولن (جزولة).

ومما يؤكد إحساس أهل تامنارت بهذا الامتياز مناهضة الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي (ت. 971 / 1564) شبه المعلنة للسعديين. فمن آليات تعامله معهم، قيامه على مضض لفترة معينة بمهمة القضاء في بداية هذه الدولة. وهي مهمة لم تحُلْ دونه والتشكيك في مصداقيتهم فرفض خطة قاضي الجماعة بسوس. وعلى اعتبار أن من أوليات التفكير في النهوض الحضاري المنشود إحداث نقلة نوعية في المفاهيم المتداولة والأدوات الإجرائية نجده يطالب مداشر وقرى تامنارت ووادي نون بتسليمه الأعشار والزكوات كما تثبت ذلك إحدى الوثائق المحلية المعاصرة. (La Ruelle, *Id. Brahim*, 8 - 14 - 16). وقد كان يستعمل لهذا الغرض مختلف الأساليب المتوفرة بما فيها اللجوء إلى الدعاء على الممتنعين من الأداء. وقد كانت ممارسته اليومية حافلة بالمشاريع العمومية من تعبيد للطرق وبناء القناطير وحفر الآبار وبناء المدارس والتدريس والإفتاء. وإذا أضفنا إلى هذا السجل الحافل احتكاره لمستخرجات منجم كدية النحاس (تاوريرت واناس) المحلية، انكشفت أمامنا ذهنية مستقلة تتعامل بشكل واقعي ومكثف مع الوضع المحلي والجهوي بروح مسؤولة. لقد جاء هذا الاهتمام بتغيير منهجية التعامل مع البنية السياسية والاقتصادية من خلال مؤسسة سلطوية محلية كمساهمة في تركيز الشعور الفعلي بالذات. وهو مرتكز له أهميته ووجوده الحضاري الفاعل لا المستلب. هذه الرؤيا تستوجب البحث عن مفهوم

الاستقلالية لما تشكله من حوافز عملية ذات رشد تاريخي ما يزال حاضراً.

لقد وقفنا في عين المكان على ما يؤكد انشغال أهل تاگجگالت أيت تيكني بهذا السجل الحافل. ويمكن لأي متحر أن يلمس حرصهم على الربط بين الماضي والهوية الحضارية والاجتماعية والإثنية الحالية. ولن نتعرض بتفصيل لحرص أيت أُمْرِيبْطْ هؤلاء على الانتماء إلى المرابطين وخاصة منهم أبو بكر بن عمر اللمتوني، ولكننا نقتصر على رغبتهم الأكيدة في توسيع استعمال التسمية. فهل هناك ضوابط عملية أكثر منها فعلية تضبط التركيز على هذا الجد الاسمي ؟ إن ضوابط استعارة بعض الجدود الاسميين تتضمن عادة أسبابا عملية تستهدف تبرير احتكار المجال أكثر من غيره. هذا التأويل يلزمنا هنا بالبحث عن أسباب نبد إگزولن المنطقة لهذه القبيلة. فربما كان الانتماء إلى أبي بكر بن عمر هو الباعث على تثبيت مشروعية الانتقال من الصحراء إلى المنطقة رغم مقاومة الغور السكاني الجزولي اللمطي. ويبدو أن ما يؤكد هذا الاحتمال هو أننا لا نجد في التصنيفات القبلية المحلية أي جرد لأيت امريبط داخل حلف اگزولن. كما يظهر استناداً إلى الرواية الشفوية أن انتماء امريبط إلى حلف تاحگات يقسم التصنيف إلى استعمال حقيقي ومجاز وكناية. ومادام التضمن بهذا المعنى هو نوع من التهميش أو نوع من تمييز اگزولن عمن عداهم، فطبيعي إذن أن يركز أهل تاگجگالت أيت تيكني على علاقتهم بعبد الله بن ياسين وأبي بكر بن عمر. ولا بد أن نشير هنا إلى أن أبا حسون بودميعة السملالي حفيد سيدي أحمد أُموسى قد جعل من تاگجگالت عاصمته الأولى قبل بنائه إليغ.

فما يمكن استخلاصه من هذه الإشارة هو أننا بصدد رأيين حول تاريخ وانتماء أيت امريبط إلى حلف إگْزُولنْ. فلا يمكن أن نتصور حفيد قطب سوس الأول يدعو إگزولن إلى التعامل مع مقر تاحگات كعاصمة. أما الرأي الثاني فيحملنا على ضرورة اعتباراندماج امريبط في حلف اگزولن أمراً ممكناً. وإذا حاولنا أن نخرج مما قيل في هذا الإطار، بفكرة واضحة، فإننا لا نجد غير مفاهيم محلية وتحاليل يعاد تكرارها في كثير من الغموض والخلط. فنظل بذلك غير قادرين على الابتعاد عن المعطيات النموذجية القديمة التي تربط مباشرة بين المعايير. ومن ثمة وجب تحديد الشروط المنهجية لدراسة ميدانية كفيلة بالكشف عن التركيب البنيوي المحلي وعن المعيار الثابت الذي لا ينزلق بالنقاشات والتحاليل.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 82-83 ؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 17-19 ؛ ع. التامارتي، *الفوائد*، 71-73 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 5-9 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 14-46.

Cl. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle*, 1933, 100 - 102 ; B. Rosenberger, *Les vieilles exploitations minières*, R.G.M., XVII, 1969 et XVIII, 70, 59 - 102 ; Cl. La Ruelle, *Les Id Brahim du oued Noun*, CHEAM, 1948, 80 p.

مصطفى ناعمي

تَاگْرَارْتْ أو تاجرارت، اصطلاح مغربي وسيطي، كان يقصد به محلة الجيش (*الروض*، 13). وقد صار هذا اللفظ العسكري علماً للعديد من الأماكن، عرَّف البيذق بعدد منها في نطاق حديثه عن الحصون المرابطية (*أخبار المهدي*، 90-91)، وأشارت بعض المصادر إلى المواقع التي حملت هذا الاسم بالجزائر، وهذا بتلمسان (*بغية الرواد*، 1 : 91)، وبمنطقة هنين (*العبر*، ج 6، ص. 155).

سنتوقف هنا، عند تاگرارْت مدينة مكناس، التي يتبين أنها لم تكن الوحيدة في محيطها المجاور، لأننا نصادف اسمها في موقعين آخرين : بِوَرْزِيغة على واد ويسْلَنْ (*كبرى مكناس*، 52)، وبغرب جبل زرهون، تعرف اليوم باسم بلاد تاقرارت، وقد جاء بشأنها، في وثيقة عدلية، أن منشئها هو عبد المومن الموحدي، بناها بعدما خرب مدينة وليلي (*الإتحاف*، 1 : 27).

أما تاگرارْت النواة الأولى لمكناسة الزيتون، فظهورها يعود إلى العهد المرابطي (*الروض*، 13)، ولو أنه لا يوجد نص صريح يضبط تاريخ بنائها، قبل ظهور الخطر الموحدي أم بعده، فإننا نميل إلى أن ذلك كان سابقا لبداية التهديد الموحدي للمراكز المرابطية الشمالية، بناءً على ما يستشف من فقرة الإدريسي، في سياق حديثه عن بني زياد، لما يذكر أن هذه كانت الثانية من حيث أهميتها السكنية، بعد تاقرارت في أيام الملثم (*وصف افريقيا*، 52) ؛ وكذلك للمنطق العسكري، الذي يفرض وجود ثكنة عسكرية في هذه المنطقة ذات الاستراتيجية الحيوية، في سياسية المرابطين (*علاقة مكناس*، 200). وعندما نزل الموحدون بثقلهم على القسم الشمالي من المغرب، كانت تاچرارت، بفضائها الفارغ وموقعها المرتفع المشرف على المحيط المجاور، أنسب مكان، فكر الأمراء المرابطون المقيمون إلى ذلك الحين في قصرهم المعروف بتُورزْجِينْ، في الانتقال إليه ومعهم أعيان القبائل (*الروض*، 13)، فأداروا السور حولهم للتحصين، في حدود ما يناسب عددهم ومتطلباتهم السكنية والمجال الرعوي لمواشيهم (*الحياة الاقتصادية*، 18) فجاءت مساحة تاچرارت ضعيفة الحجم بقدر ذلك، كما هو واضح من قلة عدد أبوابها (*الروض*، 27).

في عهد الدولة الموحدية، ارتقت تاگرارت من مجرد الحصن / الثكنة، إلى مركز إداري له الإشراف على كافة مراكز مكناسة الزيتون المتفرقة ؛ فقد جهزها الموحدون بكافة الوسائل الكفيلة بأداء هذه الوظيفة، من دار للإشراف تنظر في شؤون الجباية (*التخطيط العماري*، 34)، إلى المؤسسة التي حملت في عهدهم اسم تيچي، لعلها دار الإشراف والتي لم تكن سوى مركب إداري، يضم سقائف رجال الدولة (*مسالك الأبصار*، 133)، إلى سجن يعبر عن تشعب المعاملات بين الناس، وتشديد المراقبة والمتابعات (*التخطيط العماري*، 36)، ورتبت إلى جانب هذا خطط الحسبة والقضاء، وزودت المدينة بالمرافق الضرورية من مسجد جامع ومياه للشرب وبعض الحمامات، وكان هذا

كافياً لكي يبدي صاحب *الروض* انطباعه بانتقال هذا المركز من البداوة إلى التمدن (*الروض*، 24).

على أنه إلى حين قيام الدولة المرينية، في القرن الثالث عشر الميلادي، لم تكن تاگرارت قد انفردت بعد باسم مكناسة الزيتون، إذ الاسم لا يزال يعم بقية المراكز، ولما خربت هذه المراكز في فترة الانتقال الموحدي المريني، وغدت تاجرارت المكان الوحيد المؤمن للاستقرار، وامتصت فلول ما تبقى من سكان المراكز المجاورة، صار اسم مكناسة الزيتون يختص بها، بينما بقية المناطق الخارجة عن أسوارها تدخل في عداد ضواحيها.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، الجزائر 1980، ج 1 ؛ العمري، *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، الدار البيضاء، 1988 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 1 ؛ *حوالة أحباس كبرى مكناس*، رقم 5 ؛ م. المنوني، *التخطيط العمراني لمدينة مكناس عبر أربعة عصور*، مجلة الثقافة المغربية، ج 7، 1972 ؛ م. اللحية، *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر*، د. د. ع، الرباط، 1984، (مرقون) ؛ م. بنشريفة، *علاقة مكناس بالأندلس والأندلسيين حتى نهاية العصر المريني*، أعمال ندوة الحاضرة الاسماعيلية، 1988.

محمد اللحية

تاگراگرا، تعني المنخفض أو الأرض المستوية وتطلق على مجموعة من الدواوير والمواقع، أشهرها تاگراگرا ـ ن ـ واقّا وتاگراگرا ـ ن ـ طاطا وتاگراگرا ـ ن ـ أيت باعمران. وكلها عبارة عن منخفضات داخلية تستقر بالأطلس الصغير الغربي، تطورت عن تعرية انتقائية أزالت الصخور الكاربوناتية الأولية التي تشكل غطاءً رسوبيا وأبرزت صخور القاعدة القبل كمبرية المشكلة من صخور اندفاعية ومتحولة متنوعة.

تعتبر تاگراگرا ـ ن ـ واقّا أكبر المنخفضات المذكورة وتوجد على السفح الجنوبي للأطلس الصغير الغربي بين تافراوت وفم الحصن وأقا. وهي عبارة عن بهرة حقيقية تتشكل من منخفضين تؤطرهما أجراف دلوميتية جيدة التشخيص. المنخفض الأول وهو الأوسع معروف باسم تاگراگرا ـ ن ـ إداوازيد يتخذ شكلا طويلا وامتدادا ش ـ ش/ ج ـ غ، سطحه متموج، ومتوسط الارتفاع في حدود 950 م، يتصل عند طرفه الشمالي ـ الشرقي بالمنخفض الثاني وهو تاگراگرا أُهلال، امتداده ش ـ غ / ج ـ ش، سطحه متموج، ومتوسط الارتفاع 900 م.

يتميز هذان المنخفضان، بسبب تكوينهما الصخري البلوري ووضعهما المناخي المحمي، بندرة الموارد المائية الجوفية والسطحية مما ينعكس على السكان وأنشطتهم، فعدد هؤلاء محدود جدا، يستقرون داخل دواوير صغيرة ومتناثرة عند الجهة الشمالية حول الأودية أو عند نقط مائية منعزلة. ويعيشون على رعي الماعز وعائدات الهجرة.

تاگراگرا ـ ن ـ طاطا هي عبارة عن منخفض ضيق يقع شمال غرب مركز طاطا، ذي امتداد عام شرقي / غربي، سطحه متموج، متوسط الارتفاع 1230 م، يشكل جزءاً من حوض واد طاطا الذي يكوِّن أحد روافد واد درا. الموارد المائية شبه منعدمة مما يجعل من هذا المنخفض مجال فراغ سكاني، إذ لا تستغله القبائل المجاورة أهل طاطا وإداويلال إلا في حالة توفر المرعى.

أما تاگراگرا ـ ن ـ أيت باعمران فمنخفض مستو يندرج ضمن كتلة إفني مشكل في صخور غرانيتية تطور فوقها غطاءٌ ترابيا سميكا، يتلقى تساقطات مطرية ساعدت على وجود استقرار بشري قديم وكثيف بالمقارنة مع المناطق المجاورة (انظر مادة باعمران، *معلمة*).

تحريات ميدانية.

الحسن المحداد

** وتذكر كتب التاريخ أنه في مدخل تاگراگرا الباعمرانية شمالا نزلت محلة السلطان الحسن الأول سنة 1303 / 1886، في موضع إيسك، ثم نزلت في وسط هذا السهل بمكان يسمى تيغزا، حيث بنى السلطان محلته الباقية حتى الآن، لأهمية الموقع وسط القبائل الباعمرانية.

شاهدت تاگراگرا أحداثا خطيرة في بداية هذا القرن، ففي سنة 1335 / 1917 حاول القائد حيدا بن مَّايْس بأمر من سلطة الحماية أن يحتل هذا السهل، لكن تلقاه أيت باعمران عند المدخل شمالا، فوقعت معركة إيگالفن المشهورة حيث قُتل حيدا نفسه وعشرون قائداً من محلته.

وبعد ثلاثة أشهر من نفس السنة قدم الجنيرال دولاموط De Lamoth واستطاع بعد معركة قاسية أن ينزل في تاگراگرا، لكنه حوصر هناك لمدة أسبوع، ثم انهزم راجعا إلى تيزنيت، فحافظ أيت باعمران على حدودهم حتى خرجت إسبانيا هناك سنة 1934 فأدركت أهمية تاگراگرا، وأسست فيها أربعة مراكز لمراقبة البلاد، إلى أن حررت ثورة أيت باعمران البلاد من الأجنبي، وسقطت معاقل الاسبان في الأسبوع الأول من الثورة سنة 1957.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، جمعية الجامعة الصيفية باگادير، 1988 ؛ *معركة إيگالفن*، أعمال الجمعية الصيفية باگادير لم تنشر، محاضرة الحسين الجهادي ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 3 ؛ *كناشة شايلاّه سيدي محمد بن أحمد الساحلي*.

الحسين الجهادي

تاگرگُوسْت (للأ.)، مركز، وجماعة قروية بدائرة أمزمير بإقليم مراكش مساحتها 180 كلم2 وسكانها 9.035ن (1982). تنتشر أراضيها على طول مقطع من وادي نفيس الأدنى، يحيط به من الجانبين سطوح وتلال ومنحدرات ومخاريط انصباب رباعية متداخلة تراكمت فوق محدبات من الطفل الميوسيني بهامش سهل الحوز، تظهر بينها أجزاء من القاعدة الهرسينية، مما جعل معظم أراضي الجماعة تتكون من تلال تقطعها مسيلات كثيرة، فهي أصلح ما

تكون للرعي أو زراعة يناصيبية للحبوب على بعض السطوح المستوية أو المنحدرات الضعيفة خاصة وأنها تتلقى مقادير متواضعة من الأمطار (281 ملم بمركز تاكركوست). وتقتصر الزراعة المسقية على مجالات ضيقة بالوادي وقرب بعض العيون أو الخطارات المنفردة. وأفضل حوض زراعي غمرته بحيرة السد. وتلتقي هنا ثلاث مجموعات قبلية هي أوزگيتة بعالية واد نفيس وسفوح هضبة كيك وهي قبيلة وفدت من المنحدرات الجنوبية للأطلس الكبير من أيت واوزگيت، وسكتانة بتلال الضفة اليمنى وفدت من جنوب الأطلس الصغير الأوسط، وأيت إيمور وهم قبيلة گيش متعددة الآفاق. وأهم حدث عرفته المنطقة أدى إلى إعادة تنظيم المجال هو بناء السد.

سد للأتاكركوست (كاڤنياك سابقا) حاجز إسمنتي ثقيل بني بإفجيج ضيق لواد نفيس محفور في كتلة من الكوارتزيت في الفترة 1929-1935 لحجز مياه واد نفيس البالغ طوله 150 كلم بعالية السد، وصبيبه السنوي 160 مليون م^3 وحوضه 1.700 كلم^2 معدل أمطار حوضه 560 ملم. والهدف من بنائه إنتاج الكهرباء مليون كو / س وخزن المياه لتنظيم السقي بمخروط وادي نفيس وري نطاق سقوي حديث بضاحية مراكش الغربية تارگة. وكانت حقينته عند بنائه 50 مليون م^3 انخفضت في بداية الستينات إلى 38 مليون م^3. ونظراً لتذبذب كميات الأمطار بحوضه فإنه لايمتلئ في المعدل إلا مرة كل سنتين. وبني بسافلته حاجز لتنظيم السقي وتغذية قناة طولها 14 كلم تعبر تلال أيت إيمور إلى مخروط الواد الأسفل وسهل الحوز.

مركز للأتاكركوست، لم تعم هذه التسمية إلا عن طريق التنظيم الإداري الحديث والخرائط. أما الدوار القديم الذي غمرته مياه بحيرة السد فقد كان يعرف بإمزوغ، وكان به حوالي خمسين منزلا وبضعة دكاكين بقالة وجزارة ومعصرة زيوت ورحى لطحن الحبوب ومسجد لصلاة الجمعة وكتّاب. وكان نزالة في طريق مراكش سوس. يعقد به سوق أسبوعي يوم الأربعاء وبه قبة ضريح بها ثلاثة قبور يسميهم السكان سبعة رجال، وبه عين ماء ساخنة بني حولها صهريج لاستحمام الرجال به سلاحف يعتقد السكان أن لدغتها أو الاستحمام بجوارها يعالج الشلل والروماتيزم. ومستحم النساء هو الذي يسمى للاتاكركوست. وتاكركوست بحرف ك أو گ اسم منتشر بأماكن أخرى بالأطلس الكبير وسوس يعني بلهجة الشلحة غير صالح للوتد، أي مكان غير صالح لدق الاوتاد وربط الدواب والمبيت إما لخطر أو لصلابة الأرض. ويوجد هذا الاسم عادة في مراحل الطريق التي يبيت بها المسافرون قرب مورد ماء. ولعل موقع السد الحالي هو موقع مدينة نفيس التي ذكرها المؤرخون قبل العهد المرابطي.

وعند بناء السد سنة 1935 أمرت السلطات السكان بالرحيل إلى الدوار الجديد الذي بنته فوق سطيح نهري بالضفة اليسرى بسافلة السد به اثنان وستون منزلا تصطف حول أزقة مستقيمة تتقاطع بزوايا قائمة وسمي أمزوغ الجديد أو الشتوي. وقبل رحيل السكان فتحوا قبور الضريح فلم يجدوا بها سوى بقايا رفات رجل واحد نقلت ودفنت بقبة ضريح الزاوية الجديدة التي سميت بلالاتاكركوست. تتكون من مسجد ومدرسة دينية بها قسم داخلي للطلبة وحمام وصهريج وصل إليه أنبوب يحمل مياه العين الساخنة لاستحمام المرضى الزائرين، وعوض السكان عن أراضيهم المغمورة بأراض أخرى فوق سطوح نهرية عالية أكثر اتساعا ومخاريط بعض المسيلات تمتد كشرائح طولية بضفة الواد اليمنى وزودت بقناة ري حديثة من السد، فظهرت بها بساتين أشجار غنية بلغت مساحتها مائة هكتار ثلثاها عبارة عن ملكيات صغيرة للسكان المحليين. ويتكون مركز تاكركوست الحالي من أربع وحدات عمرانية متباعدة حول السد وضفتي الواد.

أمزوغ الشتوي به 120 منزلا شغلت كل مساحة السطح النهري الصغير به أربع دكاكين وأقسام مدرسية ومنشآت خدمات تقليدية من حمام وفران وكتّاب، والكل مبني بالتراب المدكوك.

أمزوغ القبلي، دوار ظهر بسطح واسع بالضفة اليمنى أمام السوق الأسبوعي كانت به بضعة منازل ومطعم أوربي قديم. وعند فتح ورش تعلية جدار السد سنة 1976 استقر به العمال وتزايدت منازله إلى أن صار عددها اليوم 180 منزلا، الكثير منها مازال في طور البناء أو غير مسكون. وقد بني بها مسجد لصلاة الجمعة ومنشآت إدارية على الطريق الرئيسي، قيادة دار الجماعة القروية... وبها عشرة دكاكين.

يقع الحي الإداري على ربوة مرتفعة متصلة بأعلى جدار السد به ڤيلات قديمة لموظفي السد أضيفت إليها ڤيلات أخرى ومنازل خلال تعلية السد يبلغ عدد منازلها أربعين تنتشر وسط خميلة من الأشجار يسكنها موظفو السد، والمصالح الإدارية كلها مبنية بأسلوب عصري.

ويمتد الزقاق التجاري بين القنطرة وجدار السد، تقع عليه نواة تجارية قديمة عند مدخل القنطرة حيث استقرت محطة وقوف الحافلات وتتكون من ثلاثة مقاهي شعبية ودكاكين وبوسطه باب السوق الأسبوعي والمدرسة المركزية، كما تمتد على جانبيه الإدارات العمومية وتعاونية الحليب وبعض المنازل لسكن الموظفين معظمها مبني بأسلوب عصري. ويبلغ عدد دور مجموعة تاكركوست 340 منزلا بها حوالي 1.600 ن (1990) معظمها مجهز بالكهرباء والماء الشروب، لكن الترصيف يقتصر على الطريق الرئيسي وطريق يربط الحي الإداري به. إن عدم استواء السطح وتشتت السكن على المنحدرات يجعل الطابع الريفي يطغى على أحياء المركز. ويعقد بتاكركوست سوق أسبوعي يوم الأحد فوق سطح نهري مستو ضيق أسفل جدار

السد بالضفة اليمنى يزود السكان بالحاجيات الأساسية، وتباع فيه خضر وفواكه محلية ومواش حسب المواسم. وقد ظل راكداً في مستواه الحالي منذ عقود لأن قرب مراكش (32 كلم) يجتذب فائض الأموال والسكان للتبضع ويحد من نموه.

بحث ميداني في خريف سنة 1990.

أحمد هوزالي

تَاگْزَارَت، أهم قرية بقبيلة بني عروس بعد قرية تازروت، تقع بفرقة أبياط (إقليم العرائش). وإلى هذه القرية ينتسب الشريف سيدي محمد ولد سيد الحسن العلمي المعروف بشريف تاگزارت، وهو الذي تزعم المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني للناحية الغربية من شمال المغرب، فأقام عدة رباطات للجهاد كان أهمها رباط دار ابن قريش المؤسس على إثر الاحتلال الاسباني لمدينة تطوان في فبراير سنة 1913.

م. ابن عزوز حكيم، *رباط دار بن قريس*، مرقون.

Garcia Fugueras, *Mulay Ahmed el Rasuni*, Inédito.

محمد ابن عزوز حكيم

التاكُشْتي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الهشتوكي، ولد بتاكوشت، من سوس سنة 1068 / 1658، وتلقّى دراسته الأولى في سوس، ثم انتقل إلى درعة في تاريخ غير معروف. وهنالك درس مختلف العلوم على يد شيوخ مشهورين أمثال أبي علي اليوسي، وأحمد ابن ناصر الدرعي، إلى أن صار إماما عالما عاملا متفننا في علوم شتى، فقيها منيبا خاشعا، شاعرا مفلقا (*الدرة الجليلة*، 243).

له قصيدة طويلة رثى بها شيخه في الطريقة ـ أحمد ابن ناصر الدرعي ـ يقول في مطلعها :

عبس الزمانُ أراه كالغضبان وأرى البلاد كثيرة الرجفان

(*الدرر*، 105).

توفي التاكُشتي بمصر، في أثناء قفوله من الحج سنة 1136 / 1724 ؛ وحملت جثته إلى بلاد سوس، حيث دفن ببلدته تاكشت.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* : م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 5 و8 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، ج 1.

أحمد عمالك

بوبراهيم (بّاجُو)

انظر صفحة 1625

بوبكر (مركز منجمي)

انظر صفحة 1629

بوجنيبة (عقرايشة)

انظر صفحة 1647

بولمان

منظر فلاحي

انظر صفحة 1852

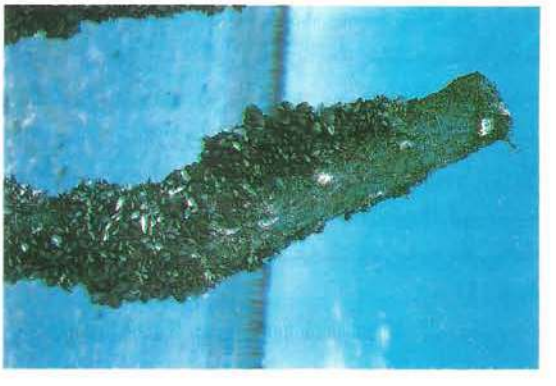

بُوزرُوگ (بلح البحر)

انظر صفحة 1697

بولمان

قصر أولاد طير انظر صفحة 1851

بُـوم (موكا) انظر صفحة 1858

بومة الشبج والخبل انظر صفحة 1859

بـوم من نوع آخر
انظر صفحة 1861

بـومـخـيـط
انظر صفحة 1861

بـيـبـي (الديك الرومي أو الحبشي)
انظر صفحة 1914

بـيـبـي لَـخْـلاَ (أبو منجل)
انظر صفحة 1915

پيـرولـوزيـت (معدن المنغنيز)

انظر صفحة 1939

تـازارت نْ يـفـيـس (الفسفاس)

انظر صَفحة 2026

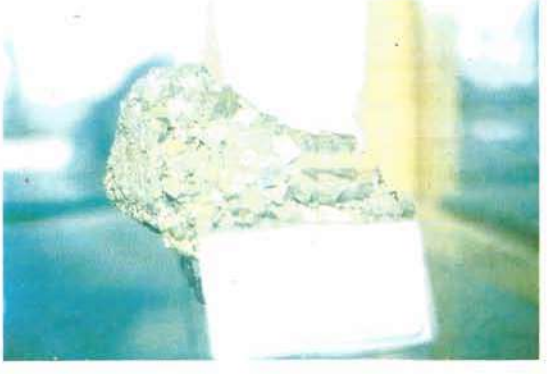

پيـريـت (معدن الحديد والكبريت)

انظر صفحة 1940

تـازارت نْ يـِفـيـس (مع الدغموس وأرگان)

انظر صفحة 2026

تـارنـت

نابت على جرف

انظر صفحة 2019

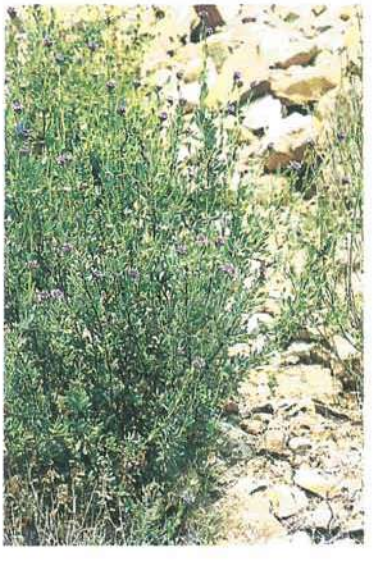

تـاسـلـغـا (عين الأرنب)

انظر صفحة 2059

تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في شهر رجب عام 1413/دجنبر 1992
وأعيد طبعه في محرم عام 1431/يناير 2010

مطابع سلا

19، زنقة الحافظ السلفي
المعاريف - الدار البيضاء

✆ : 05.22.25.65.65

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**
Mohamed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.
Mohamed ZNIBER, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour La Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction

même partielles sous quelque forme que ce soit.

Imprimerie de Salé

19, Rue El Hafid Salafi
Maârif - Casablanca
Tél.: 05.22.25.65.65

Copyright © IMPRIMERIE DE SALE "SALA" 1992
ISBN 9981 - 03 - 000 - 7 (Ensemble)
ISBN 9981 - 03 - 006 - 6 (Tome 6)

Encyclopedie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

1992 - 1413

Encyclopédie
du
Maroc

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

دار الأمان - الرباط

الطبعة الأولى / 1410 هـ - 1989م
الطبعة الثانية / 1435 هـ - 2014م

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة، جزئياً أو كليّاً بأي شكل كان،
محفوظة للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولدار الأمان - الرباط

ردمك 7-000-03-9981 (المجموعة)

دار الأمان - الرباط

المملكة المغربية - 4، زنقة المأمونية - الرباط
هاتف: 87 37 26 37 5 212+ / 76 32 72 37 5 212+
فاكس: 55 00 20 37 5 212+
بريد الكتروني : libdarelamane@yahoo.fr

بنعلي بن المغير
المغرب الأقصى

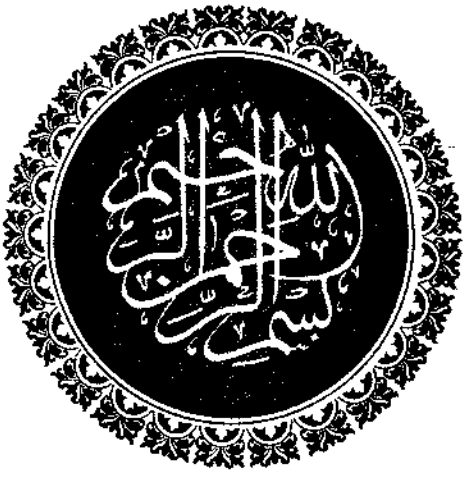
بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم - الرباط

اختصارات

ت .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في تحرير مواد حرف التاء

محمد **أزهار**، كلية الآداب - المحمدية.
سعيد **أعراب**، باحث - تطوان.
الحسين **أفا**، كلية الآداب - أكادير.
عمر **أفا**، كلية الآداب - الرباط.
المختار **الأكحل**، كلية الآداب - المحمدية.
عمر **أكراز**، معهد الآثار - الرباط.
الحسين **ألواح**، باحث.
محمد **الوزاد**، باحث.
حسن **أميلي**، كلية الآداب - المحمدية.
محمد **أمين**، باحث.
حسن **أنشاد**، باحث.
حمدي **أنوش**، كلية الآداب - أكادير.
مبارك **أوسديد**، باحث - الرباط.
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب - الرباط.
بلغازي **باختي**، باحث.
عبد الحميد محيي الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية - مراكش.
عبد الكبير **باهني**، وزارة السكنى والتعمير - الرباط.
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية - مراكش.
محمد **البدراوي**، المعهد الزراعي - الرباط.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب - المحمدية.
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير.
محمد **بلعربي**، باحث - الرباط.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب - الرباط.
عبدالعزيز **بلّ الفايدة**، كلية الآداب - القنيطرة.
البيضاوية **بلّكامل**، كلية الآداب - الرباط.
رقية **بلّمقدم**، المركز التربوي الجهوي - مكناس.
علي **البليشي**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **بنجلون**، باحث - الرباط.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب - المحمدية.
محمد **بنشريفة**، أكاديمية المملكة المغربية - الرباط.
عبد العزيز **بنعبد الله**، أكاديمية المملكة المغربية - الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا.
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب - بني ملال.
عمر **بنعيرة**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **بوخبزة**، باحث - تطوان.

عبد القادر **بوراس**، المركز التربوي الجهوي - القنيطرة.
رحمة **بورقية**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب - فاس.
عيسى **البوزيدي**، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين السبع.
مصطفى **بوشعراء**، باحث - سلا.
عبد الله **بوصحابة**، المعهد العلمي - الرباط.
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب - الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب - مكناس.
عبد العزيز **بوعصاب**، كلية الآداب - القنيطرة.
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **بومزگو**، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت.
جامع **بيضا**، كلية الآداب - الرباط.
محمد بن **تاويت التطواني**، باحث - تطوان.
عبد العزيز **تودي**، وزارة الشؤون الثقافية - الرباط.
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
أحمد **توفيق الزينبي**، وزارة الفلاحة.
عبد العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية - مراكش.
محمد **جادة**، كلية الآداب - الرباط.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
محمد **الجوماني**، باحث.
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية - الرباط.
محمد **حجي**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب - وجدة.
فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب - فاس.
محمد **حمام**، كلية الآداب - الرباط.
العربي **الحمدي**، كلية الآداب - بني ملال.
محمد **حنداين**، باحث.
محمد **حنيني**، كلية الآداب - الرباط.
علال **الخديمي**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **خنفار**، باحث.
نجاة **الخياطي**، باحثة.
مارية **دادي**، كلية الآداب - وجدة.
المهدي **الدليرو**، وزارة الثقافة - الرباط.

المفضل دوحة، باحث.
نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد رابطة الدين، كلية الآداب - مراكش.
محمد رزوق، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق.
حسن رشيق، باحث.
محمد رمضاني، المعهد الطبي - الرباط.
محمد رمضاني، وزارة التربية الوطنية - وجدة.
بوجمعة رويان، باحث.
محمد زرهوني، كلية الآداب - الدار البيضاء.
العياشي الزيتوني، وزارة الجالية المغربية بالخارج - الرباط.
محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا.
رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش.
عبد المالك السلوي، كلية الآداب - المحمدية.
محمد السماحي، كلية الحقوق - الرباط.
الميلود شاكر، كلية الآداب - الرباط.
أحمد شحلان، مكتب التعريب - الرباط.
محمد شقرون، كلية الآداب - الرباط.
محمد الشياظمي، باحث - الرباط.
محمد صابري، كلية الآداب - أكادير.
علي صدقي ازايكو، كلية الآداب - الرباط.
السعدية صريح، باحثة.
محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء.
عبد الرحمان الطيبي، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
عبد الله عاصم، كلية الحقوق - الرباط.
عبد العزيز بن عبد الجليل، المعهد الوطني للموسيقى - مكناس.
الموساوي العجلاوي، كلية الآداب - مراكش.
أحمد عزاوي، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد ابن عزوز حكيم، باحث - الرباط.
عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط.
عز الدين العلام، كلية الحقوق - المحمدية.
حسن علوي حافظي، كلية الآداب - مراكش.
عبد الله العمراني، باحث - تطوان.
محمد عمراني، كلية الآداب - القنيطرة.
أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش.
عبد الله العوينة، كلية الآداب - الرباط.
مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط.
عبد الله العياشي، باحث.
عبد القادر الغزالي الخراز، باحث.
إدريس فاسي، كلية الآداب - الرباط.
عبد الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة.

يحيى أبو الفرح، معهد الدراسات الافريقية - الرباط.
حليمة فرحات، معهد البحث العلمي - الرباط.
حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد فلا، باحث.
مصطفى فنيتر، كلية الآداب - مراكش.
عبد القادر القادري، كلية الحقوق - الرباط.
أحمد قدور، كلية الآداب - القنيطرة.
زهرة قنينبة، معهد الآثار - الرباط
أ. الكانوني، باحث.
محمد كربوط، كلية الآداب - الرباط.
محمد گلاد، باحث.
حسن اللبادي، وزارة البريد - الرباط.
محمد اللحية، كلية الآداب - أكادير.
جاك ليڤرا، باحث.
سيمون ليفي، كلية الآداب - الرباط.
حسن ليمان، محافظ مدينة وليلي الأثرية.
محمد ماگامان، كلية الآداب - مراكش.
رضوان مبارك، كلية الآداب - مراكش.
محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية.
الحسن المحداد، كلية الآداب - أكادير.
محمد مستاوي، باحث - الدار بالبيضاء.
الصديق معنينو، وزارة الاعلام - الرباط.
محمد المغراوي، كلية الآداب - الرباط.
عبد الرحمن الملحوني، باحث - مراكش.
محمد المنصور، كلية الآداب - الرباط.
عثمان المنصوري، كلية الآداب - الدار البيضاء.
محمد المنوني، كلية الآداب - الرباط.
محمد منيوي، المعهد العلمي - الرباط.
مصطفى مولاي ارشيد، كلية الآداب - الرباط.
فاطمة الموني، باحثة.
مصطفى ناعمي، معهد البحث العلمي - الرباط.
رشيدة نافع، كلية الآداب - المحمدية.
زهرة النظام، كلية الآداب - المحمدية.
محمد الحبيب نوحي، كلية الآداب - أكادير.
أحمد الهاشمي، باحث.
محمد عبد الجليل الهجراوي، المتحف الأثري - الرباط.
المختار الهراس، كلية الآداب - الرباط.
أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش.
علي واحدي، كلية الآداب - فاس.
أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة.
الطاهر وهزيز، كلية الآداب - الرباط.

بيبليوغرافيا إضافة
إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

ع. م. **إبراهيم،**

حقيقة التبشير، مجلة *الوعي الإسلامي*، ع 180، أكتوبر 1979.

ج. **أبوالنصر،**

طرقٌ صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية، 1965.

ع. **الاجهوري،**

غاية التبيان لحل شرب ما لايغيّب العقل من الدخان، مخطوط.

ح. **احبار،**

دراسة النمو الحضري لمركز تنغير، بحث لنيل الاجازة، فاس، 1989.

احتلال درعة : مراحله وحيثياته، أعمال ندوة كلية الآداب بأگادير، نونبر 1992.

ب. **الاشبيلي،**

كتاب التيسير في صناعة التسفير، نشر. ع. كنون، مجلة *معهد الدراسات الاسلامية بمدريد*، ع. 7 ـ 8. 1959 ـ 1960.

ع. **الاشقر،**

منطلقات إشكالية ومبادئ لتأسيس استراتيجية الإشراف التربوي، ندوة *الإشراف التربوي بين النظرية والممارسة*، الدار البيضاء، 22 ـ 23 أبريل 1994.

إقليم ورزازات،

مونغرافيا إقليم ورزازات، منجزات وآفاق، مارس 1986، ورزازات، 1986.

م. **الاكحل،**

انتشار المكننة الزراعية وانعكاساته على التشغيل الفلاحي والبنية المجالية : مثال من بلاد زمور، جماعة أيت ميمون، د. د. ع، الرباط، 1987.

ع. **امحاند،**

خطر المبشرين في المغرب، *الميثاق*، 8 مارس 1970، 23 نونبر 1970.

ع. **أمرير،**

الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو، الدار البيضاء، 1980.

ع. **أمهان،**

الفنون المغربية الأصيلة، مجلة *أبعاد فكرية*، ع 2، 1989.

ص. **أمين،**

الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، عمان، 1978.

ع. **أمين،**

الإشراف التربوي : واقع وآفاق، المجلة التربوية، ع 2.

ج. **أوفيد،**

اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية، 1905 ـ 1955، الدار البيضاء، 1988.

د. **إيكلمان،**

الاسلام في المغرب، الدار البيضاء، 1989.

أ. **باب التنبكتي،**

اللمع في الاشارة إلى حكم طبغ، مخطوط.

ع. **باينة،**

التنظيم الإداري بالمغرب، الدار البيضاء، 1991.

شرعية الاصلاح الحقيقي في التعليم العالي، الاتحاد الاشتراكي، ع 2815، 21 أبريل 1991.

المختصر في القانون الإداري المغربي، الدار البيضاء، 1985.

ع. **بدوي،**

مقالات الاسلاميين، بيروت، 1971.

البقدوري،

إتحاف أهل البدو والقرى.

خ. **بقطاش،**

الحركة التبشيرية في الجزائر من سنة 1860 إلى سنة 1879، مجلة الثقافة، ع 61، 1401 هـ.

ع. **البكريوي،**

الوجيز في القانون الإداري المغربي، الرباط، 1990.

أ. **بل،**

الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، تر. ع. بدوي، بيروت، 1987.

أ. **ابن المامون البلغيثي،**

الابتهاج بنور السراج، القاهرة، 1319 هـ.

ع. **بلقاسم،**

تاريخ عائلات سلا.

م. **بنشريفة،**

حول كتاب المستفاد، *دعوة الحق*، ع 259.

ع. **بنشنهو،**

النظام الإداري بالمغرب، الرباط، (د. ت).

ع. **بنعبد العالي،**

الترجمة والمثاقفة، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

ف. **بوخريص،**

أحيدوس، معلمة المغرب، ج 1، الرباط، 1989.

م.ع. **بوخلفة،**

الطريق لمعرفة القصر الكبير، تطوان، 1972.

ر. **بورقية،**

العرف والشرع، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، ع 7، 1984.

أ. **البوسعيدي،**

بذل المناصحة في فعل المصافحة، مخطوط.

م. **بوسلام،**

تفتيش التعليم بين النصوص والواقع، بحث لنيل دبلوم مفتش التعليم الثانوي، الرباط، 1986 ـ 1987.

م. **بوشعراء،**

قبيلة بني حسن، 1860 ـ 1912، مخطوط.

ع. **بوفتاس،**

أمانوز، لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية، الدار البيضاء، 1991.

خ. **بوقرعة،**

الترجمة واللغة والهوية القومية، الوحدة، ع 61 ـ 62.

ح. **بولقطيب،**

جوانب العرف القبلي بمغرب العصر الوسيط، الاتحاد الاشتراكي الملحق الثقافي، 5 يناير 1992.

ـ *بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي*، الرباط، 1985.

م. **التراب،**

نظام الاكراه البدني كوسيلة للإجبار على التنفيذ، ضمن كتاب *نظرات في الفقه والقانون*، ج 1، الرباط، 1992.

تقرير حول التعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب : منجزات وآفاق، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، الرباط، غشت 1989.

ع. **التامنارتي،**

ديوان، مخطوط. خ.ح.

م. **التاودي السقاط،**

خرق العوائد، مخطوط، خ. ع. 52 ك.

م. ابن **تاويت التطواني،**

تاريخ سبتة، الدار البيضاء، 1982.

أ. **التجيبي،**

برنامج التجيبي، تح. عبد الحفيظ منصور، تونس، 1981.

مستفاد الرحلة والاغتراب، تح. ع. منصور، تونس، 1975.

أ. **التستاوتي،**

شرح واردات العياشي التستاوتي، مخطوط، خ. ع. د 2010.

نزهة الناظر : شعر التستاوتي، جمع وتح. عبد اللطيف شهبون، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

أ. **التطواني،**

الفقيه التطواني ودوره في البحث العلمي، بحث الإجازة، الرباط، 80 ـ 1981.

ع. **التغرغرتي،**

تراجم بعض علماء سوس، مخطوط.

ـ *تقاييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الايالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى*، الرباط.

ع. **التليدي،**

حياة الشيخ أحمد بن الصديق.

ع. **التميمي،**

التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن 19، *المجلة التاريخية المغاربية*، ع 1، يناير 1974.

دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس، *المجلة التاريخية المغاربية*، ع 3، يناير 1975.

م. **التميمي،**

المستفاد، قطعة مخطوطة.

ع. **توري،**

المسح الأثري بحوض سبو ومنطقة غمارة : نتائج الموسم الأول، *مجلة كلية الآداب*، الرباط، 11، 1985.

ع. **التوزاني،**

رسالة في الطريقة الناصرية، مخطوط، خ. ع مجموع 2705 ك.

م. **التوغزيفتي،**

الرسالة التوغزيفتية، مخطوط.

ابن تومرت،

أعز ما يطلب، تح. عمار الطالبي، الجزائر، 1985.

العقيدة، القاهرة، 1328 هـ.

ح. م. **جابر،**

الطريق إلى جماعة المسلمين، الكويت، 1984.

م. ع. **الجابري،**

أضواء على مشكل التعليم بالمغرب، الدار البيضاء، (د. ت).

ع. **الجشتيمي،**

الحضيكيون، مخطوط.

إ. **الجعايدي،**

إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار، تح. ع. معنينو، د. د. ع، الرباط، 1990.

ت. **الجعيدي،**

رسالتان تتعلقان بهجوم الأسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851، مخطوط، خ. ص.

ط. **جلال ـ م. عجاج،**

تثبيت الكثبان الرملية وتشجيرها في شمال إفريقيا، تونس، 1986.

إ. **بن الجنوي،**

أبناؤنا بين أيدي المبشرين، *الميثاق*، ع 72، 1963.

م. **ابن الحاج،**

إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، الدار البيضاء، 1992.

ت. ع. **الحارتي،**

البعثات التبشيرية الاميريكية في المغرب الاقصى قبيل الحماية الفرنسية، *المجلة التاريخية المغاربية* ع 63 ـ 64، يوليوز 1991.

أ. **ابن عاشر الحافي،**

فهرس، دراسة وتح. محمد السعديين، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

ع. **حرازم برادة،**

جواهر المعاني وبلوغ الأماني، وبهامشه كتاب *رماح حرب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري، بيروت، 1383 هـ.

ـ *حركة التعليم في المغرب خلال الفترة 90 ـ 91 ـ 1992*، الرباط، 1994.

ع. **حفيظ،**

حول الترجمة والتعريب والتغريب : مأساة المصطلح وفراغ المعنى، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

م. ع. **حلمي،**

عادات الزي في المغرب الأقصى، (د. م) (د. ت).

ب.

الحركات البشرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تونس، 1989.

م. **حمام،**

وثائق من أيت سدرات، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1978.

ل. **الحمداوي،**

واحة تنغير : دراسة في الجغرافية البشرية، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1977.

م. **حنداين،**

تارودانت ومحيطها التاريخي، 1670 ـ 1790، ر. د. ع التاريخ، الرباط، 1993.

م. **حنيني**،
دراسة في الجغرافية الحضرية : الخميسات، د. د. ع، الرباط، 1980.

م. **الخالدي-ع. فروخ**،
التبشير والاستعمار، بيروت 1970.

ابن **خرذاذبه**،
المسالك والممالك، ليدن، 1889.

ي. ابن **خلدون**،
بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1980.

م. بن **خليفة**،
القصر الكبير : أعلام أدبية وعلمية وتاريخية، القصر الكبير، 1994.

ع. **الخمليشي**،
إعلام المسلمين بمقاصد المبشرين، الميثاق، ع 80، دجنبر 1968، ع 107، مارس 1970.

سيدي علي **خنفر**،
تقييدات شرط مسجد أفركط خلال سنتي 1344 - 1345 هـ / 1925 - 1926، مخطوط خاص.

م. ابن أبي **دينار**،
المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط. 2، تونس، 1967.

الحافظ **الذهبي**،
سير أعلام النبلاء، تح. بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، بيروت، 1984.

م. م. **رشيد**،
المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين، الدار البيضاء، 1992.

أ. **الركني**،
شفاء القلوب في مناقب الشيخ محمد بن يعقوب، مخطوط.

ح. ابن **ريسون**،
فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد، تطوان، (د. ت).

ع. **زمامة**،
أسماء الحرف المعروفة بفاس، اللسان العربي، 1966.
فاس وصناعتها التقليدية، مجلة كلية الآداب بفاس، 1980 - 1981.

أبو بكر **زنيبر**،
الحالة التعليمية في المغرب قبل الحماية وبعدها، مخطوط.
العمل في أحكام الفقهاء، ملحق جريدة المغرب، سلا 1938 وما بعدها.

أ. **الزياني**،
تاريخ بلدة خنيفرة، تح. محمد أ محزون، الدار البيضاء، 1986.

ع. ابن السائح،
بغية المستفيد لشرح منية المريد، القاهرة.
الساحلي،
بغية السالك في أشرف المسالك، مخطوط، خ. ع. 2630 ك.
ع. **السجلماسي**،
الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام، مخطوط.
م. **السجلماسي الرباطي**،
شرح العمل الفاسي، فاس، 1291 ـ 1298 هـ، ط. حجرية.
شرح العمل المطلق، فاس.
ابن مليح السراج،
أنس الساري والسارب، تح. محمد الفاسي، فاس، 1968.
ر. **سعيدو**،
الهجرة وأثرها على العلاقات الاجتماعية بدوار حارة المرابطين، منطقة تنغير، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1989.
أ. **السفياني**،
صناعة تفسير الكتب وحل الذهب، فاس، 1919.
أ. **سكيرج**،
إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، الجزائر، 1917.
السلطانة بنت شيخنا،
الشعر الشعبي في تكانت حتى نهاية الاستعمار، نواكشوط، 1990.
م. **السماحي**،
في مسطرة إيقاف التنفيذ أمام المجلس الأعلى، مجلة *نظرات في الفقه والقانون*، ع 1، 1992.
التنفيذ المعجل للأحكام المدنية في القانون المغربي : دراسة مقارنة، الدار البيضاء، 1985.
ع. **الشاذلي**،
التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، الدار البيضاء، 1989.
م. **الشامي**،
حرب الريف والمأثور الشفوي : شعر المقاومة والجهاد، ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى، وجدة، 1986.
إ. **الشرادي**،
مجالس الجماعات الحضرية والقروية، الرباط، 1983.
م. **شفيق**،
أربعة وأربعون درسا في اللغة الأمازيغية، الدار البيضاء.
الشعر الأمازيغي والمقاومة المسلحة في الأطلس المتوسط وشرقي الأطلس الكبير، 1912، 1934، مجلة *الأكاديمية*، ع 4، 1989.

م. ابن **شقرون**،
مصادر التربية والتعليم في عهد الحماية الفرنسية والإسبانية، الرباط، 1982.
مظاهر الثقافة المغربية، الرباط، (د. ت).
م. **شماعو**،
المجتمع المغربي كما عرفته، الرباط، 1980.
خ. **شوقي**،
قبيلة السراغنة، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.
أ. **الصبيحي**،
مختصر تاريخ سلا، مخطوط، خ ص.
ع. **صدقي أزايكو**،
تيمتيار، الرباط، 1989.
أ. ابن **الصديق**،
التصور والتصديق.
م. م. **الصيادي**،
التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، بيروت، 1993.
م. **ضريف**،
الإسلام السياسي في المغرب، الدار البيضاء، 1992.
أ. **الطريبق**،
أدب التستاوي من خلال نزهة الناظر، د. د. ع، الرباط، 85 ـ 1986.
ع. **الطيبي**،
المجتمع الريفي قبل الحماية.
ع. **عابدين**،
التوثيق : تاريخه وأدواته، بغداد، 1982.
م. **عبد شافق**،
التوسع العمراني بمركز تنغير، بحث لنيل الإجازة، أكادير، 1993.
ح. ح. **عبد الوهاب**،
خلاصة تاريخ تونس، ط. 2، تونس، (د. ت).
م. **عبده**،
الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، تقديم رشيد رضا، الجزائر، 1978.
عبيدة الشنقيطي،
ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، القاهرة، 1951.
م. ابن **عثمان المراكشي**،
الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، الرباط، 1937.

ع. **العروسي،**
المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي، مخطوط، خ. ح. الرباط، رقم 2889.
م. ابن **عزوز حكيم،**
سفير تطواني في بلاط لويز الرابع عشر، (تحت الطبع).
فهرس خزانة الصحف العربية بتطوان، تطوان، ع 107، 1953.
مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، الرباط، 1989.
ع. **العسري،**
كناش في أمور البحر، مخطوط.
أ. **عصيد،**
هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب، آفاق، 1، 1992.
م. **عشيش،**
المغرب الأقصى كما رأيته، القاهرة، (د. ت).
س. **علوش،**
خطاب الترجمة الأدبية : من الازدواجية إلى المثاقفة، المغرب الحديث 1912 ـ 1956، طنجة، 1990.
شعرية الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية، طنجة، 1991.
ح. **العمراني،**
ترقية رجال التعليم بالمغرب، د. د. ع، الرباط، 1989.
م. **عياد،**
المناطق المتجانسة الريفية ضمن التحولات الاجتماعية المجالية في الأرياف المغربية (ندوة)، الرباط، 1994.
أ. **عياش،**
المغرب حصيلة الاستعمار، تر. عبد القادر الشاوي.
ق. **عياض،**
الفنية، تح. ماهر زهير، بيروت، 1982.
م. **العيدوني،**
يتيمة العقود الوسطى، مخطوط، خ. ع. ك 305.
علي ابن ميمون **الغماري،**
رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن، مخطوط، خ. ع، 1780د.
الرسالة المجازة في معرفة الإجازة، مخطوط، ميكروفليم، خ. ع. 1341.
إ. **فاسي،**
الجفاف حول الصحراء، الطبيعة والسلوك البشري، دراسة بيئة، مجلة جغرافية المغرب، عدد 6.

ع. **الفاسي،**
نظم العمل الفاسي وشرحه، مخطوط، خ. ع، 1448د.
ـ التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية، الرباط، 1973.
م. **الفاسي،**
التميمي والفندولاوي، دعوة الحق، ع 262.
أ. بن يحيى **الفشتالي،**
فتاوى علماء فاس في الدخان، مخطوط.
ع. **الفكون،**
محدد السنان في نحور أهل الدخان، مخطوط.
ح. **الفكيكي،**
عيسى البطوئي، دعوة الحق، ع. 256.
ع. **فونتير،**
الجامعة وقضية البحث العلمي في المغرب العربي، ندوة الجامعة الشتوية الثالثة، مراكش، 1991.
الوضعية النظامية للاساتذة الباحثين بالمغرب، د. د. ع، الرباط، 1992.
ش. **الفيتوري،**
الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية في الوطن العربي، الوحدة، ع 61 ـ 62.
فيفري،
الأرقام العربية، اللسان العربي، ع 2، 1965.
م. **قبيسي،**
علم التوثيق والتقنية الحديثة، بيروت، 1982.
و. **قدورة،**
المستفيدون من خدمات المكتبات ومراكز التوثيق، تونس، 1986.
ج. **كاني،**
المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري، البحث العلمي، 1973.
كتابة الدولة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية،
معجم الادارة العامة، الرباط، 1984.
ج. **الكتاني،**
الرياض الربانية في الشعبة الكتانية، مخطوط، خ. ع، 497 ك.
ع. **الكتاني،**
تبليغ الأمانة، مخطوط خ. ع. الرباط، ك 2729.
ابن الكردبوس،
تاريخ الأندلس، مدريد، 1971.

م. **كسرير**،

أضواء على تاريخ تارودانت، خزانة معهد محمد الخامس، تارودانت.

م. **الكشبور**،

عناصر عقد الشغل في التشريع الاجتماعي المغربي، الدار البيضاء، 1989.

ع. **كنون**،

شؤون إسلامية، الدار البيضاء (د. ت).

ع. **لطفي** (وآخرون)،

تاريخ الرياضيات، اللسان العربي، ع 2 و4 و12، ج 1 و ج 15.

ع. **لعلاوي** - م. **المخاري**،

النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية والاصلاح الاداري، الرباط، 1992.

إ. **اللقاني**،

نصيحة الإخوان باجتناب الدخان، مخطوط.

ع. **لهمامي** (وآخرون)،

التدبير المالي والمادي والمحاسبي للمؤسسات التعليمية، الرباط، 1988.

إ. **ليفي بروفنسال**،

مؤرخو الشرفاء، تر. ع. الخلادي، الرباط.

م. **ماكامان**،

أدب الرحلة عند المغاربة، د. د. ع كلية الآداب، الرباط.

ت. **الماكري**،

بعض المظاهر الاجتماعية واللغوية للوجود اليهودي بدرعة. بحث للإجازة، أكادير، 1987.

ح. **المجاهد**،

أمارگ، معلمة المغرب، ج 2، الرباط، 1989.

مجهول،

الابتسام عن دولة ابن هشام، مخطوط، خ. ح، 12420 ز.

مجهول،

المحلي في مناقب الشيخ محمد بن مبارك، مخطوط، خ. ج 726.

مجهول،

المرأة المغربية والحلي، العلم، ع 870، 28، أبريل 1974.

مجهول،

مجموع الدخان، مخطوط.

مجهول،

معركة المصير في سبيل إصلاح التعليم وتعريبه، الرباط، 1967.

م. **محجوبي،**
الغرامة التهديدية وتطبيقتها، الرباط، 1993.
أ. ابن أبي **محلي،**
الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الإشارة الشجرية، مخطوط.
المختار ولد حامد،
حياة موريتانيا، 1994.
مديرية الإحصاء،
النشرة الاحصائية السنوية للمغرب، الرباط، 1990.
م. **مرغيني،**
المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي، الرباط، 1984.
الوجيز في القانون الاداري المغربي، الرباط، 1978.
المركز الوطني للوثيق،
دليل الوحدات التوثيقية بالمغرب، الرباط، 1992.
ح. **مرواني،**
حول البنية الزراعية في تدغة، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1979.
م. **مستاوي،**
أسايس، الرباط، 1988.
إسكراف، الدار البيضاء، 1976.
م. **المنوني،**
إمارة بني يدر بسوس، مجلة *دراسات*، أگادير، ع 1، 1987.
تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، الرباط، 1991.
حضارة وادي درعة، دعوة الحق، س 18، ع 2، 1973.
مدائن مكناسة القديمة من العصر الادريسي إلى أواخر عصر الموحدين، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعلية، مكناس، 1988.
ابن **موسى تيسير،**
الكتابة عند العرب نشأتها، تطورها، أدواتها. *الناشر العربي*، أكتوبر 1987، ع 7.
ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، 1982.
ص. **المومني،**
أوسّان صمّيضدنين، الدار البيضاد، 1983.
م. **ميارة،**
نظم اللآلي والدرر، مخطوط، خ. ح، 3702.

خ. **المير، إ. قاسمي،**
التشريع الإداري والتسيير التربوي، الدار البيضاء، 1982.
ع. **ناصيف،**
الترجمة : أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية. الوحدة، ع 61 ـ 62.
إ. **نحال،**
التصحر في الوطن العربي، بيروت، 1987.
أ. **الندوي،**
الشيخ إلياس وحركته الدينية، (د. ت).
في مسيرة الحياة، دمشق، 1987.
النقابة الوطنية للتعليم العالي،
نحو إيجاد مشروع لإصلاح التعليم العالي وهيكلة البحث العلمي، الرباط، 1989.
م. ع. **الهجراوي،**
أشقار، معلمة المغرب، ج 2.
اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ : من قضايا المصطلح، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع 15.
بلاد سيدي علال البحراوي، معلمة المغرب، ج 3.
الحضارة الأشولية، معلمة المغرب، ج 2.
منطقة تافيلالت خلال فترة ما قبل التاريخ، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الأولى، الريصاني، 1989.
ي. **هلال،**
النظام التوثيقي العربي، تونس، 1984.
ت. **الهلالي،**
السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم، الدار البيضاء، 1979.
هويسي ميراندا،
علي بن يوسف وأعماله بالأندلس، تطوان، ع 3 ـ 4، 1958.
وقعة أفليس ومصرع دون شانجة، تطوان، ع 2، 1957.
ع. ابن **الهيثم،**
البغية في ترتيب أحاديث الحلية، مخطوط، خ. ع رقم 2842 ك.
م. **الوزاد،**
ابن تومرت الأندلسي، مجلة كلية الآداب، فاس، 11، 1990.
وزارة التربية الوطنية، التعليم العالي،
تطور التعليم الجامعي بالأرقام.

وزارة التربية الوطنية،

تطور التعليم الجامعي بالأرقام.

التعليم العالي بالمغرب صور وأرقام، الرباط، 1985.

الدخول المدرسي والجامعي بالأرقام، 93 ـ 1994، الرباط، 1993.

منجزات وآفاق، الرباط، 1983.

نحو نظام تربوي جديد، الرباط، 1980.

هيكلة التعليم الثانوي، الرباط، 1994.

وثيقة إصلاح نظام التعليم، الرباط، 1985.

وثيقة عمل لإصلاح النظام التعليمي، الرباط، 1985.

وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، كتابة الدولة في تكوين الأطر،

آفاق مهنية، الرباط، 1979.

وزارة التعليم وتكوين الأطر،

التعليم، الحالة، المشاكل، الاهداف، الرباط، 1970.

وزارة الداخلية،

وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية، ج. ر، عددان 4164 و4165.

وزارة السكن والتعمير،

تعداد السكان، 1982.

وزارة الشؤون الإدارية،

الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية، الرباط، (د. ت).

م. **الوطواط،**

مناهج الفكر ومباج العبر، ضمن كتاب *Extraits inédits relatifs à l'histoire du Maghreb*, Alger, 1924.

ف. **ولعلو،**

الاقتصاد السياسي، الدار البيضاء، 1974، ج 2.

ف. **يكن،**

الموسوعة الحركية، عمان، 1983.

ح. **اليوسي،**

القانون، فاس، 1315 هـ، ط. حجرية.

Supplément
à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations

ABENSOUR, L. - *Ce que tout français doit savoir sur l'Afrique du Nord*, [s.d.].

ADAM, A. - *La Maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, Rabat, 1951.

ADNAN, E. - *L'Artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1938.

AHRENS, L.H. - *Distribution of the elements in our planet*, New-York, 1965.

AÏSSATI, A. EL. - *A study of the phonotactics of Ayt Touzin Tarifiyt Dialect*, D.E.S., Rabat, 1989.

AKERRAZ, A. - BROUQUIER, V. - LENOIR, E. - *L'Occupation antique de la plaine du Gharb, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).

AKERRAZ, A. - LENOIR, M. - *Les Huileries de Volubilis, B.A.M*, 14, 1982.

AKERRAZ, A. - REBUFFAT, R. - *El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Adnovas, in 113ème Congrès des Sociétés Savantes*, Strasbourg, 1988.

ALIMEN, H. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955.

ALLUES, E. des. - *Toumliline à la recherche de Dieu au service de l'Afrique*, Paris, 1961.

ALPHONSE. - *L'Achévement de la pacification marocaine : méthodes et programme, R.M.F.*, 1935.

AMEUR, M. - *Fés ou l'obsession du foncier*, Tours, 1993.

Annuaire des assurances du Maroc, 1991, Casablanca, 1992.

ANTOINE, M. - *Aperçu sommaire sur les industries lithiques du Maroc Central, B.S.P.M.*, IV, Fasc. 1, 1930.

ANTOINE, M. - *L'Atérien du Maroc atlantique : sa place dans la chronologie nord-africaine, B.S.P.M.*, XIX, 1950.

ANTOINE, M. - *Les Grandes lignes de la préhistoire marocaine, IIème congr. Panafr. Préhist.*, Alger - Casablanca, 1952.

ANTOINE, M. - *Note de préhistoire marocaine : un gisement atérien en place dans les alluvions de l'Oued Goréa, B.S.P.M.*, VIII, 1934.

ANTOINE, M. - *La Préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes, Soc. Sc. Nat. du Maroc*, 1948.

ANTOINE, M. - *La Question atéro-ibéromaurusienne au Maroc : historique et mise au point, B.S.P.M.*, XIV, 1937.

ANTOINE, M. - *Répertoire préhistorique de la Chaouia, B.S.P.M.*, T.1, 1927.

ANTOINE, M. - *Sur l'Atérien moyen et la Grotte de Dar-es-Soltan, Soc. Sc. Nat. Maroc : C-R. Séances mensuelles*, n° 1, 1949.

AOUAD, R. - *Réseaux marocains en Afrique subsaharienne, R.M.E*, n° 4, 1993.

ARAMBOURG, C. - *Les Corrélations paléontologiques entre le Pléistocène de l'Europe et celui de l'Afrique, Bull. Soc. Géol. de France*, 7ème Ser., XI, n° 1, 1969.

ARAMBOURG, C. - *Vertébrés villafranchiens d'Afrique du Nord*, Paris, 1979.

ARNOLD, R. - *The Islamic book : a contribution to its arts and history from the VII - XVIII century*, Leipzig, 1929.

ARQUES, E. - *Tres Sultanes a la Porfia de un Reino*, Tetuan, 1953.

ASSY. - *La vie familiale à travers ses rites chez les Ziyayda du Maroc*, D.E.S, Sorbonne, 1980.

AYOUB, E. - *La Fonction publique*, Paris, 1975.

AYOUN, R. - COHEN, B. - *Les Juifs d'Algérie : deux mille ans d'histoire*, Paris, 1982.

AZAM, P. - *Sédentaires et nomades dans le Sud marocain*, C.H.E.A.M., 16 Mai 1946.

BACAICOA, D. - *Inventario de la Hemeroteca de Tetuan*, Tetuan, 1953.

BAHANI, A. - *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata, Drâa Moyen*, Th. Doct., Rouen, 1990.

BALDAOUI, J. - *Les Arts indigènes au Maroc*, Paris, [s.d].

BALOUCHE, A. - *Paléoenvironnement de l'homme fossile halocéne au Maroc : apport de la palynologie*, Th. Bordeaux I, 1986.

BALOUT, L. - *L'Homme préhistorique et la Méditerranée occidentale, R.O.M.M.*, n° 3, 1967.

BALOUT, L. - *Préhistoire de l'Afrique du Nord : essai de chronologie*, Alger - Paris, 1955.

BARDE, M.M. - *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990.

BARY, L. - *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazighte*, Rabat, 1983.

BATES, O. - *The Eastern Libyans*, London 1914 (1970).

BAYED, A. - *Le Milieu marin*, in *G.E.M. : géographie physique*, Rabat, 1987.

BAZIN, D. - *Etude géologique et métallogénique des chainons atlasiques du Tizi-N'Firest au Nord de Ksar-es-Souk, Maroc, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

BAZIN, V. - TERRAY, E. - *Guerres de lignages et guerres d'Etats en Afrique*, Paris, 1982.

BAZZANA, A., [et al...]. - *Première prospection d'archéologie médiévale et islamique dans le Nord du Maroc, B.A.M.*, 1983 - 1984.

BEACH, P. - DUNPHY, W. - *Benedictine and Moor and Christian adventure in Moslem Morocco*, New-York, 1960.

BEAUBRUN, P.C. - *Un cétacé nouveau pour les côtes marocaines : Souza teuszii (Kukenthal, 1892), Mammalia*, 54, 1990, 1.

BEAUDET, G. - *Le Plateau central marocain et ses bordures : étude géomorphologique*, Rabat, 1969.

BEAUDET, G. - *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, Rabat, 1961, (P.S.A.M. ; 17).

BEAUDET, G. - *Les Plus anciennes industries du Maroc*, 9ème Congrès de l'U.I.S.P.P., 1976.

BEAUDET, G. - *Le Quaternaire marocain : état des études, R.G.M.*, n° 21, 1971.

BEAUPERE, - *Sur les vallées du Todgha, de l'Imider et du Saghro oriental, in Villes et Tribus du Maroc*, Vol. 9, 1931.

BELHOMME - *Les armes dans le Sous occidental, A.B.*, Vol. 2, fasc. 1, 1917.

BELHOMME, - *Les Poignards du Sous, F.M.*, n° 5, 15 Mai 1917.

BELLAOUI, - *Un exemple de régionalisation au Maroc : la région économique du Tensift, Revue de la Faculté des Lettres, Marrakech*, n° 4, 1989.

BELLICHI, A. - *Contribution à l'étude de la pluviométrie de la partie septentrionale du littoral atlantique marocain, Espace Rural*, n° 25, Juin 1991.

BELLON - HUMBERT, C. - *Les Mollusques marins testacés du Maroc : premier supplément*, Rabat, 1973.

BEN CHENEB, M. - *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjaza...*, Paris, 1908.

BENABID - BOUSQUET - MAHE, - *Plan de gestion du Parc National de Toubkal*, Rabat, 1993.

BENABID, A. - MAHE, - *Plan de Gestion du Parc Naturel de Talasemtane*, Rabat, 1994.

BENCHEKROUN, M. - *L'Education et l'enseignement au Maroc*, Rabat, 1985.

BENHAZERA, M. - *Six mois chez Touareg du Ahaggar*, Alger, 1908.

BENJELLOUN, A. - *Droit administratif*, Rabat, 1984.

BENSEDDIK, N. - *La Pratique médicale en Afrique au temps de Saint-Augustin, Africa Romana, Atti del VI Convegno di Studio Sassari*, 1988.

BENTAHAR, M. - *Villes et campagnes au Maroc*, Rabat, 1988.

BENYOUSSEF, A. - *Répertoire des publications des partis politiques au Maroc, 1956 - 1980*, Mémoire, E.S.I., Rabat, 1983.

BERNARD, A. - *Les Régimes des pluies au Maroc, Mem. Soc. Sc. Maroc*, n° 1, 1er Juin 1921.

BERNUS, E et S. - *Du sel et des dattes, Etudes nigériennes*, n° 31, 1972.

BERQUE, J. - *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au 17ème S.*, Paris, 1958.

BERQUE, J. - *La cité éminente, in Entretiens interdisciplinaires sur les sociétés musulmanes*, Paris, 1958.

BERQUE, J. - *Etudes d'histoire rurale*, Tanger - Fès, 1938.

BESANCENOT, J. - *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988.

BIVAR, A.D.H. - HISKETT, M. - *The Arabic Litterature of Nigeria to 1804, B.S.O.A.*, XXV, 1, 1962.

BLANCO IZAGA, E. - *La Ley Rifeña*, Ceuta, 1939.

BOISSEL, De. - *Dans l'ombre de Lyautey*, Paris, 1954.

BOKBOT, Y. - *Habitat et monuments funéraires du Maroc préhistorique*, Th. Doct., Aix-en-Provence, 1991.

BOLENS, L. - *Les Parfums de beauté en Andalousie médiévale*, Genève, [s.d].

BONTE, P. - *L'Habitat sédentaire qsurien en Mauritanie saharienne*, in *Nomades et sédentaires en Asie Centrale, Actes du Colloque franco-soviétique*, Paris, 1990.

BORY, P. - *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941.

BOTTE, L. - *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913.

BOUABDALLAOUI, Y. - *Rapport B.R.P.M*, 1981, Rabat, 1981.

BOUBOU, H. - *Recherches sur l'histoire des Touaregs sahariens et soudanais* , Niamey, 1967.

BOULANGER, A. - *Triton*, in *Dictionnaire Daremberg - Saglio*, Paris.

BOULIFA, S. - *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1908.

BOUMNICH, D. - *Une pédagogie sans déchets*, Rabat, 1989.

BOUKOUS, A. - *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, Th. Doct., Univ. Paris VIII, 1987.

BOUNFOUR, A. - *Linguistique et littérature*, Th. Doct., Univ. Paris III, 1985.

BOURCHOUK, K. - *Etude de paléolithique moyen à l'Aguelmane de Sidi Ali, Moyen Atlas*, Mem. I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

BOUZOUGAR, A. - *Schémas opératoires du débitage et du façonnage à la moyenne Moulouya, l'exemple de l'ensemble lithique de Megdoul*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

BOUVAT, L. - *La Parure, les vêtements et le voile, R.M.M.*, Vol. 4, 1908.

BOUZOUBAA, K. - *L'Enseignement au Maroc ou un voyage incertain*, Paris, 1982.

BREBION, H. - *Paléoclimatologie du quaternaire marin du Maroc atlantique : méthode d'études, variations dans le temps et dans l'espace, Cahiers du quaternaire, Hors-série : paléoclimats.*

BRETON, J.M. - *Droit de la fonction publique des états d'Afrique francophone*, Paris, 1990.

BRIVES, A. - *Les Richesses minérales du Maroc*, Archives du Service des Mines, 7 Avril 1919.

BROWN, K. - *The Curse of Westermarck, Ethnos* (Stockholm), Vol. 47, 1982.

BRUNOT, L. - *La Cordonnerie indigène à Rabat, Hesp.*, Vol. 33, 1946.

BRUNOT, L. - *Noms de vêtements masculins à Rabat*, in *Mélanges René Basset*, Paris, 1923, 2 Vol.

BRUNOT - DAVID, C. - *Les Broderies de Rabat*, Rabat, 1943.

BÜCHNER, H.J. - *L'Habitat post qsourien du Maroc présaharien, in Espace et Société dans les Oasis marocaines*, Rabat, 1993.

BÜCHNER, H.J. - *Types récents d'habitat oasien en remplacement du qsar : observations sur les modalités de constitution spontanée des nouveaux villages chez les Aht Todgha*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.

BÜCHNER, H.J. - *Le Village post qsourien des Aït Atta du bas Todgha et l'impact du droit coutumier, in Le Nomade, l'oasis et la ville*, URBAMA, Fasc. n° 20, Tours, 1989.

BURCKHARDT, T. - MICHON, J.L. - *Notes sur l'enseignement des métiers d'art traditionnel au Maroc*, Rabat - Fès, 1973.

CADENE, J. - *Le Personnel administratif et la diversité des statuts juridiques, R.M.D.C.*, n° 2, 1983.

CAIA, J. - *Roches éruptives basiques et minéralisation en plomb, zinc et stromtium de la région de Tirrhist, Haut Atlas de Midelt, Notes. Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

CAILLE, E. - *Le Commerce anglais avec le Maroc, pendant la seconde moitié du 16ème S. : importations et exportations, R.A.*, T. 84, 1940.
CAILLE, R. - *Journal d'un voyage*, Paris, 1965.
CELERIER, J. - *L'Instruction publique au Maroc, B.E.S.M.*, Vol. 14, 1951.
CELERIER, J. - HARDY, G. - *Les Grandes lignes de la géographie du Maroc*, Paris, 1922.
CESAR MORAN, P. - GIMENEZ BERNAL, C. - *Excavaciones en Tamuda, 1946*, Tétouan, 1948.
CHADAÏ, L. - *Langages d'artisans à Marrakech*, Univ. de Paris 4, Doct. nouv. régim., 1986.
CHAMPION, P. - *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931.
CHARMES, G. - *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887.
CHARNOT, M. - *La Toxicologie au Maroc*, Rabat, 1943.
CHARVET, J.P. - *La Plaine des Triffa, R.G.M.*, n° 21, 1972.
CHAUMEIL, J. - *Le Mellah et Tahal au pays des Ammeln, Hesp.*, 1er - 2ème trim. 1953.
CHAUMIER, J. - *Les Techniques documentaires*, Paris, 1988.
CHAUVEA, A. - *L'Industrie du cuir au Maroc, Chimie et industrie*, 2ème trim. 1920.
CHAZAN, N. - *Rapport B.R.P.M.*, 1951, Rabat, 1951.
CHEIKH, A.W. - *Eléments d'histoire de la Mauritanie*, Nouakchott, 1988.
CHEKROUN, M. - *Culture et pédagogie au Maroc*, Casablanca, 1989.
CHERKAOUI, A. - *Indicateurs socio-économiques du Maroc*, Casablanca, [s.d].
Cinq ans d'exécution du plan de coordination et d'équipement de l'Union française : réalisation, 1947 - 1951 et programmes 1952, Paris, 1952.
CHOUBERT, G. - *Essai de corrélation des formations continentales et marines du pléistocène au Maroc, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, T. 25, 1965.
CHOUBERT, G. - ROCHE, J. - *Note sur les industries anciennes du Plateau de Salé, B.A.M.*, 1, 1956.
CHOUBERT, G., [et al...], *Essai de classification du quaternaire continental du Maroc, C.R.A.S.*, T. 243, 1956.
CLANDOT - HAWAD, H. - *Des états - nations contre un peuple : le cas des Touaregs, R.O.M.M.*, n° 44, 1987.
CLANDOT - HAWAD, H. - *Les Touareg ou la résistance d'une culture nomade, R.O.M.M.*, n° 51, 1989.
CLEMENT, J.F., *Révoltes et répressions au Maroc, Al Asas*, n° 13, Jan. 1979.
CLORIOND, L. - *Les Problèmes de l'eau au Tizimi et au Tafilalet, B.E.M.*, Vol. 6, n° 17, 1937.
CLOUZOT, H. - *Les Bijoux indigènes au Maroc, en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1906.
COHEN, A. - *Le Talmud*, trad. J. Marty, Paris, 1950.
COLIN, G.S. - *La vie marocaine*, Paris, 1953.
COSLON, - *Notes sur les dinars trouvés en 1851 dans l'ancienne chapelle du monastère Del - Camp, Rev. Numismatique*, 18, 1853.
CRETINEAU-JOLY, J. - *Histoire religieuse, politique et littéraire de la compagnie de Jésus*, Paris, 1844.
CUVELIER, F. - *Histoire du livre : voie royale de l'esprit humain*, Monaco, 1982.
DAHL, S. - *Histoire du livre : de l'antiquité à nos jours*, Paris, 1960.
DAUGAS, J.P., [et al...], - *Le Néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone, C.R.A.S.*, T. 308, série 2, 1989.
DAUMAS, G. - *La vie arabe et la société musulmane*, Paris, 1983.
DEBENATH, A. - *Aspect de la préhistoire marocaine, Bull. Soc. Préh. Fr.*, T. 78, 1981.
DEBENATH, A. - *Les Atériens du Maghreb, Dossier d'archéologie*, 1991.
DEBENATH, A. - *Dar - Es - Soltan II : rapport d'activité mission préhistorique et paléontologique au Maroc*, 1981 - 82.
DEBENATH, A. - *Nouvelles familles à Dar-Es-Soltan : champ de tir d'El Menzeh, prés de Rabat, Maroc : Note préliminaire, Bull. Soc. Préhist. Fr.*, T. 69, 1972.

DEBENATH, A. - LACOMBE, J.P. - *Remarques sur la double sépulture néolithique du gisement d'El Harhoura II, Province de Témara, Maroc, Arqueologia*, 12, 1986.

DEBENATH, A. - RAYNAL, J. P. - TEXIER, J.P. - *Position stratigraphique des restes humains paléolithiques marocains sur la base des travaux récents, C.R.A.S.*, T. 294, 1982.

DECROUX, P. - *Quelques aspects de la nationalité marocaine, Hesp.*, Vol. 35, 1948.

DELAFOSSE, M. - *Haut - Sénégal - Niger*, Paris, 1912, 3 vol.

DELPY, A. - *Les divers types de poignards marocains, C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960.

DENOUN, - *Notice sur les Aït Atta du Sahara*, 1913.

DENOUN, - *Renseignement complémentaire sur les Aït Atta*, 1924.

DEROUT, R. - *Le Maroc doit-il avoir son université ? - Le Maroc quotidien*, 16 Déc. 1948.

DESPUJOLS, P. - *Recherches minières au Maroc : des origines à 1930, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 37, 1930.

DETHIERS, J. - *Soixante ans d'urbanisme au Maroc, B.E.S.M.*, n° 118, 1970.

DEVERDUN, G. - *Les Chrétiens à Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966.

DEVISSE, J. - *Commerce et routes du trafic en Afrique occidentale, in Histoire Générale de l'Afrique*, III, Paris, 1990.

DEVISSE, J. - ROBERT, S. - *Tegdaoust, I : Recherches sur Aoudaghost*, Paris, 1970.

Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain, Rabat, 1993 - 1994, 3 Vol.

DIDIER, CH. - *Promenade au Maroc*, Paris, 1844.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Guide du Reboisement au Maroc*, Rabat, 1978.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Le Plan National de Reboisement (P.N.R)*, Rabat, 1971.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Projet d'étude et d'identification des aires protégées et de l'élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*, Rabat, 1993 - 1994.

DONNET, G. - *En Sahara à travers le pays des Maures nomades*, Paris, 1989.

DONNET, G. - *Une mission au Sahara occidentale : du Sahara au Tiris*, Paris, 1896.

DOROSO, R. - *Estudio geografico - politico militar*, Madrid, 1913.

DOULS, C. - *Voyages dans le Sahara occidental et le Sud marocain, Soc. Normande de Géographie*, Jan. - Fév. 1888.

DOZY, R. - *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845.

DRESCH, J. - *Le Haut Atlas occidental*, Paris, 1951.

DRESNAY, R. du. - *Carte géologique du Haut Atals Oriental au 1 / 200.000, Notes Mem. Serv. Geol. Maroc*, n° 158, 1964.

DUBIEF, J. - *Une mission au Sahara occidental, Oct. - Déc. 1942, Travaux de l'I.R.S.*, 1943.

DUVEYRIER, H. - *Les Touareg du Nord*, Paris, 1864.

ECKHOLM, E. - BROWN, L.R. - *Spreanding deserts : The hand of man*, Washington, 1977.

EL HAJRAOUI, M. A. - *Etude paléopédologique et préhistorique dans la région de la Mamora : précisions stratigraphiques, B.A.M.*, XVII, 1987 - 1988.

EL HAJRAOUI, M. A. - *Nouvelles découvertes néolithiques et atériennes dans la région de Rabat, Grotte d'Elmnasra, Actes du Congrès Méditerranéen Historique de Lisbonne*, n° 2, 1993.

EL HAJRAOUI, M. A. - *La Région de la Mamora dans son contexte géologique et paléopédologique*, Th. 3ème cycle, Bordeaux I, 1986.

EL KHATIB, N. - *L'Archéologie marocaine de 1961 à 1964, B.A.M*, V, 1964.

EL KIRAT, A. - *Spirantization in the Beni Iznassen Dialect*, D.E.S, Rabat, 1987.

EL MEDLAOUI, M. - *Aspects des représentations phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*, Th. Doct., Rabat, 1992.

EL MOUJAHID, E. - *Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelhiyt*, Th. Doct., Rabat, 1993.

EL OUAZZANI, K. - *Coûts et rendements de l'enseignement supérieur au Maroc*, Casablanca, 1991.

EL YAAGOUBI, M. - *Le Droit administratif marocain*, Rabat, 1992.

ENNAJI, M. - *L'Emigration rurale intérieure : causes et incidences*, in *Actes du Colloque : Population et développement rurale*, Rabat, 1989.

Ensiklopedia Talmudit, Jérusalem, 1954.

ETIENNE, J. D', [et al...] - *L'Evolution sociale du Maroc*, Paris, [s.d].

EUSTACHE, D. - *Les Ateliers monétaires du Maroc, H.T.*, XI, 1970.

EUSTACHE, D. - *Le Corpus des dirhams Idrissites, B.S.H.M.*, n° 2, 1969.

EUZENNAT, M. - *Tamuda, The Princeton Encyclopedia of Classical Sites*, Princeton, 1976.

FAURE, R. - *Le Tafilalet : étude d'un secteur traditionnel d'irrigation*, Paris, 1968.

FERHAT, H. - *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles, les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.

FIDEL, C. - *Le Commerce du Maroc*, [s.l], [s.d].

FLORET, C. - *Rapport sur l'érosion éolienne dans les régions d'Agadir et d'Ouarzazate*, Rabat, 1975.

FORGET, J. - *Initiation à la documentation*, Paris, 1988.

FORTIN, J.C. - *La Nappe phréatique salée du Tafilalet : son contrôle pour le développement de la mise en valeur, H.T.E.*, n° 7, 1973.

FOUCAULT, A. - RAOUL, J.F. - *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988.

FOUET, R. - POMEROL, C. - *Minerais et terres rares*, Paris, 1954.

FRACESHI, H.A. - *Costumes et bijoux au Maroc, L'Oeil*, n° 294 - 295, Janv.-Fév. 1980.

FREYSSINET, J. - *Formes et mobilisation du travail dans les économies sous développées*, in *Colloque Travail et Société*, Fès, 1984.

FUGLESTAD, F. - *Les Révoltes des Touareg du Niger, 1916 - 1917, Cahiers d'études africaines*, Vol. 13, n° 49, 1973.

GABUS, J. - *Notes sur le Sahara occidental, J.S.A.*, XXII, 1952.

GART, P.S. - *The American oyster, Fish. Bull., Vol. 64, 1964.*

GAUDEFROY - DEMOMBYNES, R. - *L'Oeuvre française en matière d'enseignement au Maroc*, Paris, 1928.

GAUTIER, E.F. - *Le Chott Tigri, Annales de Géographie*, n° 135 et 136, 1916.

GAY, L. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1957.

GEERTY, C. - *Suq : the Bazar economy in Sefrou, in Meaning and order in Moroccan Soceity*, Cambridge, 1979.

Géologie des gites minéraux marocaine : substances métalliques et non métalliques, Rabat.

GHALLAHI, O.M.F. - *Essai expérimental d'élevage de l'huître plate (O. edulis) dans la côte atlantique marocaine : langune de Moulay Bousselham et l'estuaire de Tahadart*, Mem. I.A.V., 1989.

GHIRELLI, A. - *Apuntes sobre la Cabila de Beni Iteft*, Madrid, 1956.

GHIRELLI, A. - *Monographia de la Kabila de Bokoia, Arch. Inst. Et. Afr.*, VIII, n° 32, 1955.

GIGOUT, M. - RAYNAL R. - *Recherche à la corrélation des phénomènes marins et continentaux dans le quaternaire marocain, C.R.A.S.*, T. 248, 15, 1959.

GLOTIN, R. - *A la recherche de l'école de demain*, Paris, 1970.

GOICHON, A.M. - *La Broderie du fil d'or à Fès, Hesp.*, Vol. 25, 1939.

GOLDZIHER, I. - *Le Livre de Mohamed Ibn Toumarte*, Alger, 1903.

GORICHON, - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1953.

GOURAULT, - *Mauritanie Adrar*, Paris, 1945.

GOYAU, G. - *Le Christianisme sur la côte Barbaresque jusqu'au 19ème S.*, Paris, 1930.

GOZALBEZ, E. - *Atlas arqueologico del Rif, C.B.E.T.*, 21 - 22, 1980.

GREILSAMMER, - *La Modernisation du Paysanat*, C.H.E.A.M.

GUARNER, V. et J. - *El Sahara y Sur maroqui españoles, Coll. Bibliogr. Militar*, XL, 1931.

GUERSSEL, M. - *Issues in Berber phonology*, M.A. Univ. of Washington, 1976.

GUIBERT, J. - *L'Histoire d'une ville : Tiznit*. Mem. E.H.E.S.S., Paris, 1970.

GUILLAUME, A. - *L'Oeuvre des S.I.P. au Maroc depuis la guerre, B.E.S.M.*, XIV, n° 50, 1951.

GUILLERMO GUASTAVINO, G. - *Tanger inglés*, Tanger, 1939.
GUYOT, R. - *Les Arts du cuir au Maroc*, Rabat, 1957.
HABBOUN, A. - *Etude de l'industrie lithique du Chaperon Rouge II*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.
HALLAF, J. - *A qui profite l'école*, Paris, 1974.
HAMMOUDI, A. - *Pouvoir et société : Tamegrout aux XVII et XVIII siècles, A.E.S.C.*, Mai-Août 1980.
HARBY, M.K. - *L'enseignement technique dans les pays arabes*, Paris, 1965 (UNESCO).
HARDY, G. - *Le Maréchal Lyautey et l'enseignement, A.F.*, Août 1934.
HARRIES, M.J. - *Syntactic structure of Tamazight*, Ph. D. Univ. of California, 1971.
HART, D. - *A Customry law Document from Aït Atta, R.O.M.M.*, n° 1, Sept. 1966.
HART, D. - *Assu - u - Baslam*, in *Les Africains*, T. 5.
HART, D. - *La Estructura social de las Rgaybat : nomadas arabofonos del Sahara ocidental y las antecedentes del Frente Polisario, Primer Congreso Hispano Africana de la Cultura Mediterraneas, España y El Norte de Africa.*
HATIM, A. - *La Nation d'interêt du service dans le droit de fonction publique marocain*, D.E.S., Rabat, 1988.
HENSCH, B. - *Le contrôle de l'érosion hydraulique au Maroc*, Rome, 1971.
HENSCH, B. - *L'Erosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle, El Awamia*, n° 32.
HERBER, K. - *Les Peintures corporelles au Maroc, Hesp.*, Vol. 9, 1929.
HERBER, K. - *Les Tatouages de la face chez la marocaine, Hesp.*, Vol. 33, 1946.
HERBER, K. - *Les Tatouages des bras de la marocaine, Hesp.*, Vol. 38, 1951.
HESIODE, - *Théogonie*, trad. P. Mason, Paris, 1928.
HUNWICK, J. - *Notes on a late fifteenth century document concerning Al Takrur*, in Allemand Jonhson, Ed, *African perspectives*, Cambridge, 1970.
IAZZI, E.M. - *Morphologie du verbe en Tamazight*, D.E.S., Rabat, 1991.
IBANEZ, E. - *Diccionario español - rifeño*, Madrid, 1944.
IBANEZ, E. - *Diccionario español - Senhayi : dialecto berber de Senhay de Serair*, Madrid, 1959.
IBARROLA, J. - PASQUERELLI, N. - *Nouveau dictionnaire économique et social*, Paris, 1981.
IBN AZZUZ HAKIM, M. - *La Prensa del Norte de Marruecos*, Tetuan, 1956.
IBN AZZUZ HAKIM, M. - *Titulos vobiliano, Hispano - Maruquies*, Tetuan, 1954.
INSTITUT DU MONDE ARABE. - *Répertoire des bibliothèques et des organismes de documentation sur le Monde Arabe*, Paris, 1988.
ISNARD, H. - *La Répartition saisonnière des pluies au Maroc, Annales de Géographie.*
JACQUES MEUNIE, D. - MEUNIE, J. - *Abbar et le Tafilalet d'après les textes, Hesp.*, 1 - 2 trim., 1959.
JEAN, C. - *Les Touareg du Sud-Est : l'Aïr*, Paris, 1909.
JOUANNET, C.P. - *Note sur les conditions actuelles de la vie au Tafilalet, B.E.M.*, n° 23, 1939.
KAMAL, A. - *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S, Rabat, 1983.
LAADIOUI, A. - *Etude de la céramique cardiale d'Achakar et de Kaf Taht - El - Ghar dans le cadre de la néolitisation du Maroc*, Mém., INSAP, Rabat, 1991.
LA BOISSIERE, G. de. - *Monographie des Ahl Tiznit*, Mém., *Archives Diplomatiques*, Nantes, 1940.
LA CHAPPELLE, F. De. - *Histoire du Sahara occidental*, in *VIIème Congrès de l'I.H.E.M sur l'histoire du Sahara occidental*, Rabat, 1930.
LA CHAPPELLE, F. De. - *Une cité de l'Oues Dra, Hesp.*, IX, 1929.
LACOMBE, J.P. - EL HAJRAOUI, M.A. - DAUGAS, J.P. - *Etude anthropologique préliminaire des sépultures néolothiques de la grotte d'Elmnasra, Témara Maroc, Bull. Trim. Soc. d'Anth. du S.W.*, T. 26, 3ème tri., 1991.

LA COURBE, - *Premier voyage du Sieur La Courbe*, Ed. par P. Cultra, Paris, 1913.

LAMRANI, N. - *Prolétarisation de la paysannerie marocaine : évolution et forme*, Th. 3ème cycle, Grenoble, 1980.

LAOUINA, A. - *Implications spatiales et environnement des transformations socio-économiques et technologiques sur les campagnes marocaines*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.

LAOUST, E. - *Le dialecte berbère du Rif, Hesp.*, 2ème trim., 1927.

LARRIBAUD, J. - *Tindouf et le Sahara occidental, Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie*, XXX, n° 3, Sept. 1952.

LAYACHI, A. - *La Formation professionnelle*, Mémoire, cycle Sup. ENAP, Rabat, 1971 - 77.

LAZAREV, G. - *Structures agraires et grandes propriétés au pays Hayaïna, R.G.M.*, n° 9, 1966.

LEBLANC, M. - *Etude géologique et métallonégique du Jbel Bou-Arhous, et de son prolongmenet oriental, Haut Atlas oriental, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

LEBLANC, M. - *Ophiolites précambriennes et gites arséniés de Cobalt, Bou Azzer, Maroc, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 280, 1981.

LE BRETON, J. - *La Modernisation rurale du Maroc, 1945 - 1946*, mémoire de l'I.I.A.P.

LEBRUN, A. - *La Question du Rio de Oro, A.F.*, 1929.

LECOINTRE, G. - *Recherches géologiques dans la Meseta marocaine, Mem. Soc. Sc. Nat.*, n° 14, 1926.

LE TEMPLIER, - *L'Enseignement supérieur au Maroc, B.I.M.*, Sept. 1954.

LENOIR, M. - *Les Etablissements militaires romains d'Afrique*, Rome, 1980.

LENOIR, M. - *Lixus à l'époque romaine*, in *Lixus, Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P.*, Larache, 8 - 11 Nov. 1989, Rome, 1992.

Lettre pastorale aux fidèles et prêtres repandus dans le royaume du Maroc, Paris, 1936.

LEVI-PROVENÇAL, E. - *Al-Maghrib, vie intellectuelle, E.I 2*, Vol. 5.

LEVRAT, J. - *Une expérience de dialogue : les centres d'étude chrétiens en monde musulman*, Altenberge, 1987.

LHOTE, H. - *Les Touareg du Haggar*, Paris, 195.

LIMANE, H. - *Contribution à l'étude des sigillées d'importation en Maurétanie Tingitane des Ier et IIème siècles : étude du matériel de Lixus, Banasa, Tamuda*, Th. Univ. Aix-Marseille, 1988.

LIMANE H. - REBUFFAT, R. - *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua, in 118ème Congrès national des sociétés historiques et scientifiques.*

LOPES, D. - *Bentafut, alcaidemouro eo servico de Por* in *Textos em aljamia portuguesa, estudio filologico e historico*, Lisboa, 1940.

LUCCIONI, J. - *Les Fondations pieuses au Maroc, Habous*, Rabat.

LUQUET, A. - *Prospections puniques de la côte atlantique du Maroc, Hesp.*, XLIII, 1956.

MACHRAFI, M. - *A propos de la réorganisation de seignement supérieur au Maroc*, [s.l.], 1966.

MAIGRET, J. - *Données nouvelles sur l'écologie du Sousa teuszii (Cetacea Delphinidae) de la côte ouest africaine, B.I.F.A.N.* (A), 1980.

MAIMONIDE, M. - *Epîtres*, trad. J. de Hulster, Paris, 1983.

MALVAL, - *Le Secteur sud-ouest du front marocain, A.F.R.C.*, Août 1924.

MARCY, G. - *Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, Hesp.*, XX, 1935.

MARCY, G. - *Le périple d'Hannon dans le Maroc antique de M.J. Carcopino, J.A.*, 1943 - 45.

MARGAT, J. - *L'Alimentation en eau potable des populations de la plaine du Tafilalet, Notes Mar.*, n° 13, 1960.

MARGAT, J. - *Données sur l'habitat au Tafilalet : contribution à l'étude démographique des palmeraies du Sud marocain, Notes marocaines*, n° 11 - 12, 1959.

MARTIN, H. - *Les Tribus du Sahel et du Rio de Oro, B.I.F.A.N.*, 1, 1939.

MASSIGNON, L. - *Sahara Espagnol, Rio de Oro, R.M.M.*, 1925, 1er fasc.

MAUNIER, R. - *La Construction collective de la maison en Kabylie : étude sur la coopération économique chez les berbères du Djurdjura*, Paris, 1928.
MAURA, G. - *La Question marocaine au point de vue espagnole*, Paris, 1921.
MAXWELL, G. - *El Glaoui : dernier Seigneur de l'Atlas*, Paris, 1966.
MAYEUX, M.R. - *Cours internationaux d'été de Tounliline, 1956, 1957, 1958, 1959, Arch. Soc. Rel.*, n° 9, 1960.
MECHERFI, A. - *Les Devoirs du fonctionnaire, R.M.D.E.D.*, n° 14, 1987.
MEDCOF, J.C. : *Oyster farming in the maritimes, Fish. Res. Canada Bull.*, 131, 1961.
MEDIONI, R. - *Le Chott Tigri, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc*, T. 30, n° 225, 1970.
MEDIONI, R. - *Contribution à l'étude géologique des Hauts-Plateaux méridionaux marocains, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc*, T. 19, n° 149, 1960.
MENCHIF KADDOUA, - *Etude comparative de développement des centres ruraux de service dans le pays Zamour*, INAO, 1984.
MERROUNI, M. - *Le Problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993.
MESSIER, R. - *The Almovarids, West african gold and the gold currency of the Mediterranean bassin, J.E.S.H.O.*, 17.
MESSIER, R. - *Quantitative analysis of Almoravid dinars, J.E.S.H.O.*, 23.
MICHAUX-BELLAIRE, E. - *Description de la ville de Fès, A.M.*, Vol. 11, 1907.
MIEGE, J.L. - *Journaux et journalistes à Tanger au XIXème siècle, Hesp.*, 1er sem. 1954.
MILLOT, L. - *Démembrement des Habous*, Paris, 1948.
MILLIES-LACROIS, A. - *Quelques problèmes morphologiques concernant les versants instables au Maroc, S.E.G.M*, n° 13, 1967.
MINEYEV, D.A. - *Geochimical differentiation of the rare earths, Geochemistry*, 12, 1963.
MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DU DEVELOPPEMENT AGRICOLE. - *Lutte contre la désertification au Maroc : réalisation et perspectives*, Rabat, 1984.
MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE. - *Le Mouvement éducatif au Maroc, 1975 - 1984*, Rabat, 1977, 1981 - 1984, 3 Vol.
MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1986 - 1988*, Rabat [s.d].
MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1988 - 1990*, Rabat, [s.d].
MINISTERE DE L'HABITAT ET DE L'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE. - *Etude urbaine de Tiflet*, Rabat, 1983.
MINISTERE DE LA SANTE. - *Enquête nationale sur la population et la santé au Maroc*, Rabat, 1987 - 1992.
MINISTERE DE LA SANTE. - *Visite à domicile de motivation systémique*, Rabat, 1988.
MINISTERE DES AFFAIRES ADMINISTRATIVES. - *La Fonction publique*, Rabat, 1981.
MINOT, J. - *L'Entreprise éducation nationale*, Paris, 1970.
MOHIB, A. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : l'outillage du niveau M de Sidi Abderrahman, Famille Neuville et Ruhlman*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.
MONTEIL, V. - *Notes sur le Sahara Espagnol*, Tiznit, 1944.
MORAES FARIAS, P.F. de - *The Almoravides, BIFAN*, 23, 13, n° 3 - 4, 1967.
MORDOCHE ABI SEROUR. - *De Mogador au Djebel Tabayoudt : Le Rabbin Mordoché Abi Serrour, résumé du journal de voyage par Henri Duveyrier, B.S.G.*, Déc. 1875.
MOSDIK, K. - *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993.
MOUETTE, G. - *Histoire des conquestes de Moulay Archid connu sous le nom de Rey de Tafilet et de Moulay Ismael ou Semein son frère*, Paris, 1682.
MOUGIN, - *Les Premiers sultans saadides et le Sahara, R.O.M.M.*, 1975.
MOUNIN, G. - *Les Problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1976.
NAIMI, M. - *American expansionist aims in South Western Morocco during the Ninteenth Century : The Atlantic Connection, 200 years of Moroccan - American relations, 1786 - 1986*. Rabat, 1990.

NAIMI, M. - *L'Apport de l'idéologie murabitia et du contrôle de l'espace dans l'émergence de la généalogie Takna*, (étude inédite).

NAIMI, M. - *Cinétique des leffs : fléxibilité et mobilité sociale*, étude inédite.

NAIMI, M. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : industrie lithique du niveau D2 de Cap Chatelier, Famille P. Biberson*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

NAIMI, M. - *The evolution o the Tekna confederation caught between coastal commerce and trans Saharian trade, in Tribe and state : essays* in *honour of David Montgomeny Hart*, Ed. by E.G.H. Joffe and C.R. Pennell, Cambridges - line, 1991.

NAIMI, M. - *Nomades et sédentaires dans l'évolution historique de l'ensemble confédéral Tekna, B.E.S.M.*, n° 157, 1986.

NAIMI, M. - *Nul Lamta : tableaux édifiants*, étude inédite.

NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : centre ou périphérie*, Colloque international sur *le Devenir de la Société rurale au Maroc*, Rabat, 1986.

NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in Actes du colloque : *Le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1992.

NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Etat et société : quelles perspectives ? Al-Bayane*, 12 *Juin 1992*.

NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Régionalisation : Les impératifs du découpage, L'Economiste*, 8 Oct. 1992.

NASRI, Z. - *Le Droit de l'assurance au Maroc*, Rabat, 1984.

NEUVILLE, R. - RUHLMAN, A. - *La Place du paléolithique ancien dans le quaternaire marocain*, Rabat, 1941 (Coll. Hespéris, n° 8).

NICOLAS, F. - *Contribution à l'étude Twareg de l'Aïr, Paris, 1950* (Mémoires de l'IFAN, X).

NICOLAS, F. - *Tamesna : Les Ioullemmeden de l'Est ou Touareg Kel Dinnick*, Paris, 1950.

NIOLAISEN, J. - *Ecology and culture of the pastoral Tuareg, National Museum* (Copenhagen), 1963.

NOIN, D. - *La Neige au Maroc, Notes marocaines*, n° 5, 1961.

NORRIS, H.T. - *Saharian myth and Saga : the Touaregs*, Warminister, 1975.

NORRIS, H.T. - *The Tuaregs, Middle East Studies*, 1975.

NORRIS, H.T. - *Yeminis scholars of Timbutoo, J.A.H.*, III, 1962.

NOUSCHI, A. - *La Ville dans le Maghreb pré-colonial, in Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.

OFFICE AGRICOLE DU TAFILALET. - *Etude de la salinité des sols*, Juin 1980.

OULD CHEIKH, A. - SAISON, B. - *Vie (s) et mort (s) de Al Imam Al-Hadrami : autour de la postérité saharienne du mouvement almovaride, 11ème - 17ème S, Atabica*, 34, 1987.

PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Hijos de San Francisco en Marruecos, La Cruz*, 1982, t. 2.

PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Misiones en Marruecos, Revista Fransiscana*, T. 3.

PAILLET, P. - *Faut-il planifier l'éducation ?* Paris, 1974.

PALLARY, P. - *Recherches paléolithiques, ethnologiques sur le littoral du Maroc, Anthropologie*, T. XI, 1908.

PALMER, H.R. - *Notes on Some Asben Records : Agades Chronocles, J.A.S.*, 9, 36, July, 1910.

PAQUES, V. - *L'Arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du N.O africain*, Paris, 1964.

PASCON, P. - *La Main d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel, B.E.S.M.*, 1978.

PAYE, L. - *Enseignement et société musulmane : introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992.

PEREDA, C. - *Estudios goegraficos de Gomara*, Ceuta, 1940.

PERGNIER, M. - *Les Fondements sociolinguistiques de la traduction*, Th. : Rennes II, 1976.

PEYRONNET, C. - *Sud Ouest Marocain, Rio de Oro, Sahara occidental, B.S.G.A*, 1928.

PIGNOL, [et al...] - *Costumes et parures dans le Monde Arabe*, [s.l], 1987.

PLATEAU, H. - *Au secours du sol marocain*, Rabat, 1952.

PLATON, P. - *Le Palmier nain, B.E.P.M*, n° 221, 1953.

POMPONIUS MELA. - *De Situs Orbis*, Leypzig, 1880.
PONS, Mgr. A. - *La Nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830*, Tunis, 1930.
PONSICH, M. - TARRADELL, M. - *Garum et industries de salaison en Méditerranée occidentale*, Paris, 1965.
PONSICH, M. - *Note préliminaire sur l'industrie préromaine en Tingitane*, 15, 1960.
PONSICH, M. - *Nouvel aspect de l'industrie préromaine en Tingitane, B.C.T.H., N.S.*, 4, 1968.
PTOLOMEO, - *Geographike Uphegenesis*, Paris, 1901.
QNINBA, Z. - *La Mosaïque d'Orphée de Volubilis*, Th. 3ème cycle, Univ. Laval, 1988.
RACHIK, H. - *Le Sultan des autres : rituels et politique dans le Haut Atlas*, Casablanca, 1992.
RACLOT, G. - *La Vallée du Todra, R.G.M.*, n° 20, 1936.
RAMADE, F. - *Eléments d'écologie appliquée*, Paris, 1976.
REBUFFAT, - *L'Implantation militaire en Maurétanie Tingitane, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).
REDOUANE, B. - *La Fonction marocaine face au changement, in Les services publics marocains face au changement*, Toulouse, 1987.
REDOUANE, B. - *Le Fonctionnaire marocain*, Casablanca, 1983.
REINACH, S. - *Medicus*, in Daremberg Saglio, *Dictionnaire des antiquité grecques et romaines*.
RENAUD, H.P.J. - *L'Enseignement des sciences exactes au Maroc, Hesp.*, XIV, 1932.
RENAUD, H.P.J. - COLIN, G.S. - *Tuhfat al-Ahbab*, Paris, 1934.
Les Ressources naturelles et la mise en valeur de la plaine du Haouz, R.G.M., n° 17, 1970.
RICARD, P. - *Les Arts marocains : Les broderies*, Alger, 1918.
RICARD, P. - *Reliures marocaines du 13ème S. : notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohade, Hesp.*, XVII, Fasc. 2, 1933.
RICARD, P. - *La Renaissance de la reliure d'art à Fès*, Paris, 1925.
RICARD, P. - *Le Souq El Merktan et les broderies de Fès, F.M.*, Vol. 1, 1917.
RICARD, P. - *Sur un type de reliure des temps almohades, Ars Islamica*, I, pat 1.
RICARD, P. - *Contribution à l'étude du commerce génois au Maroc durant la prériode portugaise, 1415 - 1550, A.I.E.O*, T. 3, 1937.
RICHARDSON, J. - *Travels in the Great Desert of Sahara*, London, 1985, 2 Vol.
RICHER, A. - *Les Ouilliminden*, Paris, 1924.
RIVAS, A. - *La Presa del Lau*, Tetuan, 1943.
ROCHE, J. - *Etude sur l'industrie de la Grotte de Dar-es-Soltan, B.A.M.*, T. 1, 1956.
ROCHE, J. - *La Grotte des contrebandiers, Témara, B.A.M.*, T. 12, 1978 - 1980.
ROCHE, H. - *Premiers outils taillés d'Afrique*, Th. 3ème cycle, Paris, 1981.
ROSENBERGER, B. - *Yahya U Tafuft, 1506 - 1518 : des ambitions déçues, H.T.*, 31, 1993.
ROUILLARD, P. - *Le Commerce grec du Vème et IVème siècles avant J.C. dans les régimes de Lixus et Gadès, in Lixus : Actes du colloque organisé pour l'I.N.S.A.P., Larache, 8 - 11 Nov. 1989*, Rome, 1992.
ROUSSEAU, G. - *Le Costume au Maroc*, Paris, 1938.
ROUX, G. - *La Neige au Maroc, Mem. Soc. Sc. Nat. Maroc*, n° 11, 1935.
ROUX, G. - *La Variation annuelle des précipitation au Maroc, Bull. Soc. Sc. Nat. Maroc*, T. 27, 1947.
RUELLAN, A. - *Contribution à la connaissance des sols des régions méditérranéennes*, Mém. ORSTOM, n° 54, Paris, 1971.
RUHLMAN, A. - *A propos de la subdivision de l'Atérien marocain, B.S.P.M.*, n° 2, 1948.
RUHLMAN, A. - *Le Paléolithique marocain : esquisse d'une étude d'ensemble, B.S.P.M.*, n° 2, 1948.
RUNGS, C. - *Catalogue raisonné des Lepidopteres du Maroc*, Rabat, 1981, 2 Vol.

RUSSO, P. - *Recherches géologiques sur le territoire des Hauts-Plateaux, Maroc oriental, Annales Univ. Lyon*, nouv. série, fasc. 46, 1926.

SAAIDI, M. - *Histoire de la recherche minière au Maroc : des origines à nos jours*, Rabat, 1967.

SAAIDI, M. - *Possibilités minières et hydrogéologiques de la région d'Akka et le rôle historique de Tamdoult, Mines et géologie*, n° 28, 1969.

Le Sahara espagnol, La Documentation française : notes et études documentaires, n° 2570, Sept. 1959.

SAAIDI, - *Palmier dattier : maladies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Rabat, 1976

SAIB, J. - *A phonogical study of Tamazight Berber*, Ph. D. Univ. of California, 1976.

SALIH, A. - *Le Moustérien et l'Atérien au Maroc*, Th. Univ., Aix-en-Provence, 1990.

SALIH, A. - *Recherche sur l'épipaléolithique dans le Moyen Atlas*, D.E.A., Aix-en-Provence, 1986.

SALMI, J. - *Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc*, Casablanca, 1985.

SALMON, G. - *Contribution à l'étude du droit coutumier du Nord marocain : de l'association agricole et de ses différentes formes, A.B.*, III, 1905.

SALVY, G. - *Tawdanni, Le Monde*, 31 Janv. 1976.

SAMSON, P. - *Un gisement plombozincifère en milieu récifal, Touissit, Maroc oriental, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 242, 1973.

SARRE, F. - *Islamic book-binding*, London, 1923.

SARRIONDIA, P. - *Gramatica de la lengua rifeña*, Tanger, 1905.

SASSON, A. - *Développemenet et environnement*, Paris - La Haye, 1974.

SCHMITT, P. - *Le Maroc d'après la Géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973.

SCHROETER, D. - *Merchants of Essaouira*, Cambridge, 1988.

SCHUTZ, H. - *Le Rôle et l'organisation du Centre National de Documentation dans un pays en voie de développement*, Paris, 1975.

SEDJARI, A. - *Les Structures administratives territoriales et le développement au Maroc*, Rabat, 1981.

SEFRIOUI, A. - *Le Costume marocain, G.E.M.*, Vol. 2, 1987.

SEKKAT, A. - *La Politique de l'enseignement au Maroc, 1956 - 1977*, Grenoble, 1977.

SIRE, M. - *Le Document et l'information*, Paris, 1975.

SLOUSCH, N. - *Notes sur l'histoire des juifs au Maroc, A.M.*, VI, 1905.

SLOUSCHZ, N. - *Etude sur l'histoire des juifs et du judaïsme au Maroc, A.M.*, Vol. IV, 1905.

STAMBOULI, F. - *Système urbain et développement*, in *Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.

SYLVESTRE, P. - *Rapport B.R.P.M.*, 1976, Rabat, 1976.

Le Tafilalet d'après M. Walter B. Harris, A.F.R.C, n° 1, 1909.

TAG, B. - *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Oriental*, Th. Doct., Toulouse, 1987.

TAIFI, M. - *Dictionnaire tamazight français*, Paris, 1993.

TANGI, O. - *Aspects de la phonologie d'un parler berbère au Maroc : Ayth Sidhar, Rif*, Th. Doct. Univ., Paris VIII, 1991.

TARRADELL, M. - *El Benian : Castellum Romano entre Tetuan y Tanger, Tamuda*, I, 1953.

TARRADELL, M. - *Breves noticias sobre las excavaciones, Tamuda*, VI, 1958.

TARRADELL, M. - *Datos sobre la guerra de las romanos contro Aedem*, in *El Primero congreso arqueologico del Marruecos español, Tamuda*, II, 1955.

TARRADELL, M. - *Estado actual de nuestros conociomientos sobre Tamuda y resultades de la campaña 1948, Archivo Español de Arqueologia*, 74, 1949.

Les Tendances des réformes de l'enseignement dans les pays du Maghreb in *Actes du Colloque Euro-arabe sur la structuration des enseignements primaires et secondaires au Maghreb*, Rabat, 1992.

TERMIER, H. - OWODENKO, B. - AGARD, J. - *Les Gîtes d'étain et de tungstènes de la région d'Oulmès, Maroc central : étude géologique, pétrographique et métallogiques, Notes et Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 82, 1950.

TERRASSE, H. - HAINAULT, J. - *Les Arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925.

Les Territoires espagnols, La Documentation française : notes et études documentaires, n° 2951, Janv. 1963.

TEXIER, J.P. - *Les Pièces prédonculées de l'Atérien, Lybica : Anthropologie, Préhistoire, Ethnologie*, T. VI - VII, 1958 - 1959.

TEXIER, J.P. - *Le site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique, B.A.M.*, T. 16, 1985 - 86.

Textes administratifs, Fonction publique et réforme administrative, Casablanca, 1987.

THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Mautétanies, R.E.A.* 64, 1992.

THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la route du Sous, Hesp.*, 33, 1946.

THOUVENOT, R. - *Promenade archéologique au Musée de Tétouan, R.E.A.* LII. 1950.

THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *La Mosaïque du Navigum à Volubilis, Rev. archéologique*, I, 1977.

THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *Les Thermes de Banasa*, Rabat, 1951, (P.S.A.M, IX).

TIBI, C. - *Politique éducative et financement de l'éducation au Maroc*, Paris, 1976.

TOLEDANO YA'AQOB MOSE, - *Ner Hamma 'arab*, Jérusalem, 1911.

TOLEDANO, J. - *Le Temps du Mellah*, Jérusalem, 1982.

TOMICHE, N. - *La Littérature arabe traduite : mythes et réalités, de l'image que se fait l'Occident du monde arabe contemporain à travers les traductions de la littérature arabe en langue française en anglaise*, Paris, 1978.

TORTOCHAUX, T. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1954.

TOURI, A. - *Les Oratoires de quartiers de Fès : essai d'une typologie*, Th. Paris, 1980.

TOUTAIN, G. - *Sur une évolution économique de la vallée du Draa, Al-Awamia*, n° 53, 1974.

URVOY, Y. - *Chronique d'Agades, Journal Soc. Afr.*, IV, 1934.

VAJDA, G. - *Un recueil de textes historiques judéo-marocains, Hesp.*, 3ème - 4ème trim. 1948, 1er - 2ème trim. 1949.

VALEE, N. - *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972.

VAUFREY, R. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955 (Publ. Inst. Hautes Et., Tunis, Vol. 4).

VERGERO, S. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1942.

Villes et sociétés au Maghreb, Paris, 1974.

WILLIAMS, J. - MKADMI, A. - *Possibilités d'expansion dans l'ostreiculture dans la lagune de Oualidia*, Maroc,.

WILLCOS, H.C. - *Exploration of the Rio de Oro, Geogr. Review*, 1921.

ZAINABI, A.T. - *L'Homme et la montagne en milieu sub-aride : le pays de Taznakht, Anti - Atlas*, Th. 3ème cycle, Poitiers, 1989.

ZELTNER, F. de. - *Les Touareg du Sud, Journal of the Royal Anthropological Institute*, XLIV, 1914.

ZERYOUHI, I. - *Le Moyen Atlas plissé : ressources en eau du Maroc*, Rabat, 1977.

ZHAR, M. - *Approche climatique de la région de la Haute Moulouya, Revue Fac. Lettres Sc. Hum. Oujda*, n° 1.

ZHIRI, K. - *Définition d'une politique nouvelle de l'enseignement*, Rabat, 1969.

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*

E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

تارودانت (*)، مدينة عريقة في سوس، توصف في النصوص التاريخية بأنها "قاعدة السوس الأقصى"، جاء اسمها على صيغة الأسماء الأمازيغية. ويعرب بصيغة رودانة، والنسبة رودائي. توصلنا إلى أن لفظ تارودانت قد يعني مكاناً مرتفعاً من الأرض كحاجز للماء أو غيره، حيث إن مذكره هو أرودان، ويعني في المنطقة "الحاجز" وانطلاقاً من هذا، فإن تارودانت تعني المدينة المحاطة بالحواجز الترابية، أو المدينة المسورة، أو الأقرب من هذا كله : المكان الذي عند حاجز الماء في الوادي..

ترجع مدينة تارودانت إلى العهود القديمة من تاريخ المغرب، حيث كانت تسمى "ڤالا". ولعلها تدخل ضمن المراكز الحضرية التي تأسست خلال الفترة المغربية الفينيقية كمركز "ڤادين" على وادي نون، ومركز "ڤاگا" على وادي درعة. وهي مراكز ارتبطت بالتعامل التجاري بين الفينيقيين والمغاربة حوالي القرن التاسع قبل الميلاد (846 ق. م). وانقطعت الأخبار عن منطقة سوس طيلة تلك القرون إلى القرن السابع الميلادي حيث اقترن ذكر سوس ومراكزه الحضرية بدخول الإسلام إلى المنطقة، ومدينة إگلي هي التي تتحدث عنها المصادر وتعتبرها "قاعدة بلاد السوس" (البكري، 161 ؛ *الاستبصار*، 213)، رغم أن ابن خلدون أشار إلى أن تارودانت كانت موجودة أيام عقبة ابن نافع الفهري (690 م).

لم تحظ مدينة تارودانت بأهمية بالغة في نصوص العصر الوسيط إلا ابتداءً من القرن الخامس الهجري (11م)، عندما كانت فيها الحركة الشعبية البجلية التي استمرت هنالك منذ القرن الثالث الهجري (9 م) إلى القرن الخامس الهجري (11 م) حيث "قاتلهم الأمير أبو بكر بن عمر وعبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم تارودانت عنوة..." وأصبحت منذئذ توصف بأنها "قرية كبيرة" (*الاستبصار*، 212) واتسع مجالها الحضري، خاصة وأن المرابطين اتخذوها مقراً عسكرياً لمراقبة قبائل جبل درن، ويعتبر المرابطون أول من بدأ في تحصين المدينة بأسوار في بعض جهاتها.

زارها عبد الواحد المراكشي في القرن السادس (13 م) ووصفها بأنها "حاضرة سوس وإليها يجتمع أهله" وأصبحت في الفترة الموحدية أكثر تحصيناً وأكثر أهمية اقتصادياً وإدارياً، حيث تم تعيين ممثل المخزن الموحدي بها، بينما بدأت مدينة إگلي - التي كانت قاعدة السوس خلال القرون السابقة - تتراجع لحساب المدينة المخزنية الجديدة.

وخلال ثورة علي ابن يدر الزگندري حوالي عام 650 / 1252 عرفت المدينة خراباً ودماراً نتيجة سيطرة الزگندري عليها ومحاولات الموحدين إخضاعها. وتوالت الحملات على المدينة من طرف المرينيين، بهدف انتزاعها من سيطرة علي بن يدر، ولم يتمكنوا من ذلك إلا حوالي عام 735 / 1334 م.

وخلال الفترة المرينية التي توافق فترة الاضطرابات بسوس 735 - 861 / 1334 - 1456 وطيلة حكم بني وطاس 877 - 917 / 1472 - 1511، دخلت مدينة تارودانت عهداً غامضاً، عمته الفوضى والتخريب والحكم المحلي، حيث فرض العرب المحيطون بالمدينة، عليها ضرائب وإتاوات، ولم تثر ضدهم إلا بعد نهوض الحركة السعدية، حسب ما أشار إلى ذلك الحسن الوزان.

ولقد أشار ابن عذاري إلى حالة تارودانت خلال تلك الفترة بقوله : "تارودانت الشهيرة ذات الخيرات الكثيرة، لكنها استولى عليها الخراب من ابن يدر حتى صيرها كالقفر درسا (....) ولم يبق منها إلا جامع الخطبة في قصبة الحسن المذكور (....) وعانت الناس من هذا الخراب" (ابن عذاري، *البيان*، 1).

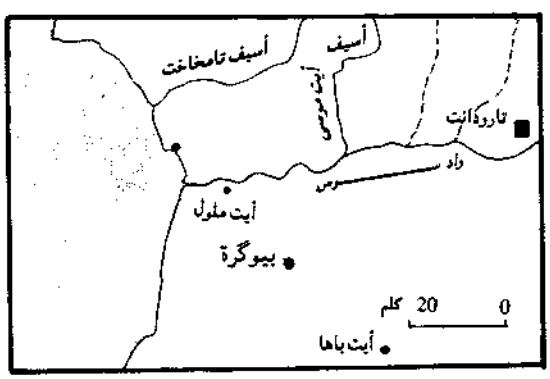

موقع تارودانت

(*) سقطت تارودانت من موضع ترتيبها في الجزء السادس، فتداركناها هنا.

ومع مطلع القرن العاشر (16 م) استرجعت تارودانت دورها الاقتصادي وإشعاعها الثقافي، مع ظهور السعديين، واتخاذها عاصمة لهم بعد إعادة بنائها. ويشير التامنارتي بأن "محمد الشيخ أذن للناس عامة وقت تخطيطها (تارودانت) في إحيائها بالبناء والغرس قصدا لعمارتها حتى حكي عنه أنه قال : "كل من بنى موضعا أو غرسه فهو له...." (التامنارتي، *فوائد*، 266). ولم يكن التامنارتي هو الشاهد الوحيد على اهتمام السعديين بهذه المدينة، بل هناك آخرون تركوا بصمات شهادتهم عن ذلك الاهتمام مثل ديبگو دي طوريس (Diego de Torres) ومارمول والبرتغالي المجهول صاحب كتاب *Chronique de Santa Cruz de Cap de Gué*، الذي زار المدينة حوالي سنة 1541 ويقول : "دخلنا إلى مدينة تارودانت التي هي مقر السلطان، وخرج لاستقبال أبنائه والقائد مومن بن العلج" (*Chronique*, 134).

هكذا عرفت المدينة في عهد السعديين أوج ازدهارها اقتصادياً حيث بنيت معامل السكر بتازمورت غير بعيد عنها، وتنقل إليها القوافل التجارية الآتية من السودان أنواعاً شتى من المواد السودانية تباع في أسواقها بقيسارياتها التي أشار إليها الفقيه عيسى السكتاني. وكانت تصل إلى المدينة المواد الأوربية المتنوعة انطلاقا من موانئ أگادير. وتبين لنا رسالة مؤرخة بـ5 يناير 1542 من البرتغاليين إلى خوان الثالث يقول فيها : "تلقت تارودانت خلال تسعة وعشرين يوماً حمولة تسع سفن، متكونة من نسيج متنوع، وتصدر السكر والصمغ والجلود، والمدينة مليئة بالتجارة لكنها تعرض بشكل سيء لأن المجاعة سائدة وناتجة عن جفاف سابق 1541" (*S.I.H.M., D. Saadienne*, 6). وصفوة القول أن تارودانت أصبحت في الفترة السعدية قطباً حضرياً كبيراً، فقد أعيد بناؤها وضخمت أسوارها، وشيدت قصباتها، فهي كما وصفها الفشتالي "قاعدة بلاد السوس وأم القرى والأمصار وملاك باب السودان... وما شئت من توطيد وتشييد وبرك مستجدة..." (الفشتالي، *مناهل الصفا*). وبعد أن ضعفت الدولة السعدية، أصبحت تارودانت مجالاً للصراع بين القوى المحلية، حيث سيطر عليها أبو زكريا الحاحي حوالي سنتي 1020 . 1021 / 1611 . 1612، فوجد القصبة مهدمة ومعطلة، والفوضى منتشرة (*الفوائد الجمة*، 159)، وعين بها عبد الرحمان التامنارتي قاضياً للجماعة، بغية تنشيط الحبوس والأمور الدينية. واستقرت الوضعية بالمدينة منذ 1029 / 1619 إلى 1036 / 1626 حيث انتشر الأمن والعدل رغم ركود اقتصادي من جراء طرد اليهود منها.

وبعد قتل أبي زكرياء الحاحي من طرف بعض عملاء السلطان زيدان في ربيع 1036 / 1626 تولى ابن أخيه أحمد ابن محمد بن عبد الله بن سعيد، لكن الأمور مافتئت أن تدهورت، مما دفع عبد الرحمان التامنارتي الذي ترك المدينة بسبب نزاع بينه وبين الحاحي إلى مكاتبة بودميعة السملالي يطلب منه احتلال تارودانت لقطع دابر الفوضى (*الفوائد الجمة*، 233). ولم تمر إلا سنتان عن موت الحاحي حتى أصبحت المدينة تحت حكم السملاليين. ولم تكن المدينة في العهد السملالي إلا مدينة ثانوية، حيث كان اهتمام بودميعة منصباً على توسيع مدينة إليغ التي انتقل إليها يهود تارودانت فساهموا في نشاطها الاقتصادي، وأصبح دورها مقتصراً على الوظيفة الإدارية.

ولما توفي بودميعة دخلت المدينة مرحلة غامضة لمدة عشر سنوات (1070 . 1080 / 1659 . 1669) بسبب نزاع أبناء بودميعة حول السلطة، واستمرت تلك الأوضاع إلى أن احتلها المولى رشيد سنة 1080 / 1669.

لم يتمكن المولى رشيد من ربط تارودانت بالمخزن الجديد إذ عادت إلى الثورة في السنة الموالية وبعد وفاته وتولية المولى إسماعيل، ثار بالسوس أحمد بن محرز الذي استمرت ثورته حوالي أربع عشرة سنة (1083 . 1099 / 1672 . 1687) محتلا المدينة، وبعد اندحاره عين عليها المخزن الاسماعيلي الباشا عبد المالك، وثار بدوره مدعما بالأمير زيدان حوالي 1106 / 1694. واستمر الوضع بالمدينة مضطرباً إلى أن عين السلطان المولى إسماعيل ابنه محمد العالم في صيف 1698. ويمكن أن نستخلص أن تارودانت كانت خارجة عن السلطة الاسماعيلية مدة ست وعشرين سنة (م. حندين، *تارودانت*). ولقد دفعت ثورات تارودانت المخزن الإسماعيلي إلى التخلي عن حصار سبتة لإعادة الأمن إلى سوس وتارودانت.

وعرفت المدينة في عهد الأمير محمد العالم مرحلتين :

1 ـ مرحلة التبعية للمخزن (1110 . 1112 / 1698 . 1700) حيث استعادت المدينة والمنطقة عامة هدوءها ونشاطها الاقتصادي والثقافي، وهذا ما تؤكده رسالة القنصل الفرنسي بسلا (سطيلا Estelle) والمؤرخة بـ5 ماي 1698 ويقول فيها بأن إقليم سوس يستعيد الهدوء حسب ما يقال. لكن هذه المرحلة لم تدم إلا ثلاث سنوات حيث ثار بعدها ضد أبيه.

2 ـ مرحلة محمد العالم (1112 . 1118 / 1700 . 1706).

تشير المصادر (القادري والناصري) إلى ثورة محمد العالم بسوس دون أن تذكر أسباب هذه الثورة. وعرفت مدينة تارودانت خلال عهده ازدهاراً ثقافيا يذكّر بما عرفته أيام الدولة السعدية، صوره لنا أحد كتاب عصره والمجهول صاحب كتاب *نفحات الشباب* الذي يصف جلسات الأمير مع علماء سوس (*المعسول*، 18 : 288).

لم يستطع الأمير محمد العالم أن يستمر مدة طويلة إذ انهزم أمام أخيه المولى زيدان حوالي 1706، ونقل إلى مكناس حيث مات.

وعندما دخل زيدان تارودانت استباحها، لكن ما لبث أن ثار بدوره في السنة الموالية، وأعلن أن كل من يرغب في الاستقرار بأگادير أو تارودانت فإنه سيحصل على امتيازات، وبهذه الوسيلة صارت المدينتان عامرتين في وقت

قصير". ورجعت تارودانت إلى الانفصال مرة أخرى عن المخزن. واستمر الوضع هكذا إلى أن قتل المولى زيدان.

وبعد موت المولى زيدان عين المولى إسماعيل المولى بناصر الذي مكث بالمدينة ست سنوات (1120 ـ 1126 / 1708 ـ 1714)، حيث ثار بدوره سنة 1124 / 1712 ضد أبيه (*الاستقصا*، 7 : 76)، وانتشرت الفوضى قتل خلالها الأمير من طرف عرب أولاد دليم وبعثوا برأسه إلى مكناس. وعين المولى إسماعيل القائد أبا عزيز لمدة خمس سنوات. وتولى بعد ذلك أمور المدينة وسوس الأمير المولى عبد المالك، واستمر حوالي عشر سنوات، إلى أن استدعاه عبيد البخاري لبيعته (*الاستقصا*، 7 : 119) بعد وفاة المولى إسماعيل. وخلال فترة الاضطرابات التي استمرت منذ وفاة المولى إسماعيل (1140 / 1727) إلى بيعة سيدي محمد بن عبدالله، كانت المدينة وسوس خارجةً عن السلطة المركزية. وكثرت الثورات حيث ثار الكرسيفي (1150 / 1737) الذي احتل أگادير وتارودانت وقتل من طرف هوارة، كما ثار ثائر آخر وهو الشريف الكثيري بوتگلا (1168 / 1754)، ولعل تارودانت آنذاك كانت تحت سلطة المولى سرور الذي سارع إلى قتل ثائر آخر ادعى المهدوية وهو المحمد المكاوي (*خلال جزولة*، 1 : 52). وكان المولى سرور هذا يمثل الأمير سيدي محمد بن عبد الله الذي كان نائبا لأبيه المولى عبد الله بمراكش وكافة القطر السوسي (*اتحاف...*، 3 : 152).

وقد نهج السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 ـ 1205 / 1757 ـ 1790) تجاه تارودانت وسوس سياسة جديدة لقطع دابر الثورات التي تتكرر بها، تتمثل في تحويل الحركة الاقتصادية من مرفأ أگادير إلى الصويرة التي بنيت من أجل منافسة ذلك المرفأ الذي يشكل المرتكز الاقتصادي للحركات الثائرة بسوس، (*الاستقصا*، 8 : 20).

كما قرر المخزن تعيين عمالٍ على سوس من حاحا، إذ انتقلت الإدارة المحلية من تارودانت التي كانت مركز السلطة المحلية منذ عهود سابقة إلى حاحا. حيث لم تكن المدينة إلا مركز عامل تابع لممثل المخزن في حاحا، وهو الفقيه عبد المالك باشا الصويرة وحاكم قبائل سوس وحاحا.

وهكذا أصبحت تارودانت في هذا العهد مدينة ثانوية مخزنيا، ومتدهورة اقتصاديا، لحساب الصويرة التي جلب إليها تجار النصارى الذين كانوا في فونتي (الناصري، ج. 8، ص. 21)، وعرفت جموداً ثقافياً.

وقبل وفاة السلطان بسنتين عين بتارودانت ابنه المولى عبد السلام وبقي هنالك إلى أن توفي السلطان عام 1205 / 1790.

وفي عهد السلطان المولى سليمان، كانت تارودانت تحت حكم المولى بناصر بن عبد الرحمان، لكنها ظلت تعيش جموداً اقتصادياً وثقافياً، وكانت في عهد السلطان الحسن الأول إحدى المصالح الباشوية الرئيسية التي قسم إليها المغرب، في إطار "الاصلاح الإداري"، لكن الوضع بالمدينة في العهد الحسني تأثر بالأوضاع العامة بسوس التي تميزت بالرغبة في الاستقلال مما جعل السلطان يقوم بحملاته العسكرية إلى سوس (1882 ـ 1886) ويؤسس مركزاً مخزنياً آخر في مدينة تيزنيت، وعين بها عاملا.

وأثناء فترة المولى عبد العزيز، عين الباشا حمو وأولاده على باشوية تارودانت، لكن تصرفاته القاسية جعلت الناس ينفرون منه ويغادرون المدينة، وفي ذلك قال قاضي تارودانت سيدي موسى :

اتى حمو الاحم لسوس يبغي كنوزاً إذْ به قد صار كنزا
يريغ به الثراء فنال فيه ترى قد ماط عن كتفيه عزا

وبعد أن فرضت الحماية على المغرب سنة 1912 كانت تارودانت تحت نفوذ الباشا أحمد بن علي الكابا، الذي تنكر لأحمد الهيبة بعد انهزامه في مراكش، واعترض طريقه في قرية تالكجونت، لكنه انهزم وقتل وعلق رأسه بساحة أسراگ بالمدينة، ومكث الهيبة في تارودانت مقاوما للفرنسيين الذين حاولوا استمالته بشتى الطرق والوسائل، حيث وجدوا في القائد حيدا بن ميس الذي تنكر بدوره للهيبة، خير معين على تقويض حركته، فوقعت معارك ضارية بضواحي المدينة اضطر على إثرها أحمد الهيبة إلى مغادرة المدينة نحو شتوكة، ومن قبيلة إلى أخرى. وأصبح حيدَ بن ميس باشا تارودانت تابعاً للفرنسيين، وأصبحت المدينة في عهد الحماية مركزاً عسكرياً لمراقبة قبائل جبل درن والقبائل السهلية.

ع. المراكشي، *المعجب*، تح. م. سعيد العريان وآخر، طبعة الرباط 1973 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، ج 1، تح. كولان وليفي بروفنسال، ط. 2. 1980، دار الثقافة بيروت، ص. 260 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، ص. 129 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوطة خاصة، ص. 266 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 152 ؛ محمد كسرير، *أضواء على تاريخ تارودانت*، خزانة معهدمحمد الخامس بتارودانت، ص. 5 ؛ محمد حنداين، *تارودانت ومحيطها التاريخي (607 ـ 1790)*، ر. د. ع. التاريخ كلية الآداب، الرباط، 1993.

D.J. Meunier, *Le Maroc saharien* 1, 161 ; *S.I.H.M., dynastie saâdienne*, 1ère série, T. IV, Portugal, p. 6. *Lettres de Sebastio Alvarès à Jean III, France*, 2ème série, T. IV, p. 611, 596, 687 ; T. VI, p. 322, 325.

محمد حنداين

* * إقليم تارودانت إقليم حديث أنشئ سنة 1981، وحسب التقسيم الإداري لإحداثه في هذا التاريخ. كان الإقليم يضم أربعة دوائر وأربع عشرة قيادة وتسعاً وثمانين جماعة منها جماعتان حضريتان وخمسة مراكز مستقلة.

يحد الإقليم من الشرق إقليم ورزازات ومن الغرب إقليما أگادير والصويرة ومن الشمال إقليم مراكش ومن الجنوب إقليما تيزنيت وطاطا.

وبناء على القانون رقم 12.92 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.92.90 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992 تمت عملية تقسيم الإقليم إدارياً على الشكل التالي :

إقليم تارودانت

أربع دوائر : دائرة إغرم، دائرة أولاد تايمة، دائرة تارودانت، دائرة تاليوين.

ثلاث عشرة قيادة : أيت عبد الله، المكرت، أضار، أرگانة، عين اشعيب، أولاد محلة، احمر، افريجة، سيدي عبدالله أوموسى، تافنگولت، أولوز، إسكاون، سكتانة.

أربع وخمسون جماعة، منها سبع جماعات حضرية وهي : تارودانت (البلدية)، أولاد تايمة (البلدية)، إغرم (البلدية)، الكردان (البلدية)، أيت يعزة (البلدية)، أولاد برحيل (البلدية)، تاليوين (البلدية). أما الباقي فهي جماعات قروية وهي : إيماون، تيندين، سيدي بوعل، أملو، تتاوت، سيدي بوموسى، أسن، سيدي أحمد أوعمر، لكفيفيات، سيدي موسى الحمري، الدير، أهل الرمل، أصادص، تيدسي نسندالن، الكدية البيضاء، الخنافيف، مشرع العين، لمهادي، سيدي دحمان، سيدي بورجا، افريجة، تزمورت، بونوار، تيبيوت، سيدي أحمد أو عبد الله، أيت أكاس، أولاد عيسى، إگلي، أرزن، توغمرت، إكودارامنابها، إداوگيلال، تنزرت، لمهارة، أولوز، إداوگماض، الفيض، تيسراس، أوزيوة، أزرار، أگادير ملول، تزكزاوين، سيدي احساين، تسوسفي، أسايس، زاكوزن، أساكي.

التقسيم الإداري الجديد لإقليم تارودانت

الإقليم	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
تارودانت			تارودانت (البلدية)
			أولاد تايمة (البلدية)
	إغرم		إغرم (البلدية)
			الكردان (البلدية)
			أيت إيعزة (البلدية)

الإقليم	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
			أولاد برحيل (البلدية)
			تاليوين (البلدية)
		أيت عبد الله	
		المكرت	إيماون
			تيندين
			سيدي بوعل
			أملو
			تتاوت
		أضار	
	أولاد تايمة	أرگانة	
		عين اشعيب	سيدي بوموسى
			أسن
			سيدي أحمد أوعمر
			لكفيفات
			سيدي موسى الحمري
			الدير
			أهل الرمل
		أولاد محلة	اصادص
			تيدسي نسندالن
			الكدية البيضاء
			الخنافيف
			مشرع العين
			لمهادي
	تارودانت	احمر	
		افريجة	سيدي دحمان
			سيدي بورجا
			افريجة
			تزمورت
			بونوار
			تيبيوت
			سيدي أحمد أوعبد الله
			أيت أكاس
		سيدي عبد الله أوموسى	أولاد عيسى
			إكلي
			إرَزَنْ
			توغمرت
			ايكودارامنابها
			إداوگيلال
			تنزرت
			لمهارة
		تافنگولتْ	
		أولوز	أولوز
			إداوگماض
			الفيض

الإقليم	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
	تاليوين	اسكاون سكتانة	تيسراس أوزيرة --- إزرار أگادير ملول تزكزاوين سيدي احساين تسوسفي أسايس زاگموزن أساكي

تبلغ مساحة الإقليم 16.460 كلم^2، ووصل تعداد سكانه سنة 1982 إلى 558.501 ن. أما الكثافة السكانية فتتراوح بين 935 ن في كلم^2 كأعلى كثافة والتي تمثلها مدينة تارودانت إذ تبلغ مساحتها 40 كلم^2 وعدد ساكنتها 37.894 ن. أما أضعف كثافة في الإقليم فتوجد بجماعة أگادير ملول التي تبلغ مساحتها 919 كلم^2 وعدد سكانها لا يتجاوز 7.051 نسمة.

يزخر إقليم تارودانت بثروات طبيعية مهمة ومقومات بشرية وكذا ثروة حيوانية لابأس بها.

ونظراً لتوفر الإقليم على مرتفعات منها أعلى قمة في المغرب (قمة تبكال) فإن المنطقة عرفت طفرة سياحية مهمة أنعشت اقتصاد المنطقة بعض الشيء خاصة الأهالي الذين يقطنون الجبال.

أما باقي الأنشطة المتداولة في الإقليم فهي الزراعة والرعي والتجارة التي كونت جزءاً مهماً من موردها المالي من عائدات المهاجرين، لكن تبقى نسبة الهجرة أقل حدة بالمقارنة مع باقي الأقاليم الجنوبية كطاطا وتيزنيت وورزازات. وتبقى الهجرة الداخلية نحو المدن الوطنية الكبرى هي التيار الهجروي النشيط خلال مواسم محددة ومتقاربة. ورغم أهمية موقع إقليم تارودانت فإن إشعاعه لا يتعدى حدوده نظراً لمحاذاته لأقاليم ذات إشعاع واسع كإقليم مراكش وأگادير. وأمام هذا الوضع فقد وضع المسؤولون تصميماً مديريا للنهوض بالإقليم وتنميته، وهكذا شهد إقليم تارودانت تشييد شبكة طرقية ثانوية وثلاثية مهمة تقوم مقام المسالك الوعرة الحالية، كما ستعرف المنطقة بناء عدة فنادق متوسطة لرفع الطاقة الإيوائية للسياح وتشييد محطة طرقية جديدة في مستوى سمعة الإقليم السياحية.

وزارة الداخلية، *وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية* ؛ *الجريدة الرسمية*، العددان 4164 و4165 ؛ وزارة السكنى والتعمير، *تعداد السكان*، 1982.

محمد بلعربي

تاريفيت ← تريفيت

تاشلحيت ← تشلحيت

التاكُشتي، إبراهيم بن محمد الصوابي، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، مشارك في غيره من العلوم اللغوية والشرعية. تكوّن في فاس آخذاً عن أعلام عصره، كمحمد بناني صاحب الحاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، والتاودي ابن سودة، وجسوس وغيرهم من فرسان التدريس في القرويين.

استقر إبراهيم بعد رجوعه من فاس في مسقط رأسه تاكُشت متصدراً للفتوى، ترد عليه الاستفتاءات من مختلف أرجاء سوس وأحكام الخصومات فيبين وجوه الفقه فيها، وعلى فتاواه الاعتماد عند القضاة والمتقاضين، وكان يأخذ الأجرة من المستفتين لأنه ـ كما قال رداً على من انتقده من معاصريه الفقهاء ـ كان له حق في بيت المال لم يصل إليه. وقد وقف المختار السوسي على آثاره الفقهية وقال : قال في حقه عبد الجشتيمي : "كان ـ رحمه الله ـ عالماً بارعاً ديناً خيراً صالحاً مفتياً في عصره، وهو في عصره قطب قطره في الفقه، فعليه تدور الفتاوى والمسائل". ومحررات يراعه في الفتاوى كثيرة تزخر بها جبال أيت صواب وما إليها.

توفي في وباء عام 1214 / 1799 ـ 1800.

ع. الجشتيمي، *الحضيگيون*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *العسول*، 8 : 74 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها*، 116 رقم 135.

التاكشتي، أحمد بن علي الرسموكي ثم الصوابي. من أسرة علمية متفرعة من آل المضاء الرسموكيين، انتقل جدهم الحسين بن علي إلى جبال أيت صواب واستقر عقبه في قرية تلال نزضيم من قبيلة تاكشت فنُسبوا إليها. فقيه أديب مشارك أخذ عن علماء قومه السوسيين "فذاعت له شهرة طنانة بعلمه وديانته وثروته".

اشتغل أحمد التاكشتي بالتجارة مع السودان، فكان يذهب إلى تنبكتو حاملا إليها بضائع مغربية وترجع قافلته محملة بمنتجات السودانيين وبخاصة العبيد الذين حرر منهم عدداً وافراً ماتزال رسوم إعتاقهم محفوظة.

حج أحمد التاكشتي ثلاث مرات، وكان أبوه علي قد حج قبله خمس مرات، إلا أنه لم يقتف أثر والده في التدريس بمدرسة قريته مصروفاً عن ذلك بالتجارة. وله مراسلات مع أهله من أسفاره داخل المغرب وخارجه، وأخرى وردت عليه من شخصيات معاصرة مرموقة، ماتزال كل هذه المراسلات عند حفدته. ومنها رسالة من الفقيه أحمد الصوابي نزيل ماسة يهنئه بالحج ويعتذر عن عدم حضوره لتهنئته.

توفي أحمد التاكشتي بمسقط رأسه عام 1149 / 36. 1737.

م. المختار السوسي، *العسول*، 8 : 79.

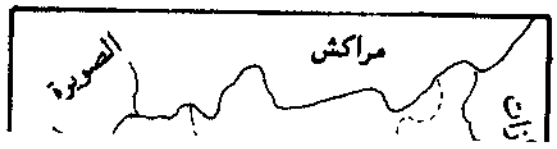

الإقليم	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
			أولاد برحيل (البلدية)

التاكشتي، أحمد بن محمد الظريفي الصوابي، نسبة إلى ظريفة (انظريف) في تاكشت بجبال أيت صواب. فقيه صالح منقطع للتدريس والإرشاد. أخذ عن مَحمد بن يحيى الشبي، وعاصر محمد الحضيكي الذي دعاه في طبقاته "صاحبنا ومحبنا" وقال عنه : "كان فقيهاً مدرساً ديناً خيراً فاضلاً مباركاً ينتفع الناس به، ذا سيرة حسنة وشيم كثيرة". ووصفه تلميذه عبد الله التيگناتيني ـ بنقل المختار السوسي ـ بصفات عالية علماً وسلوكاً وإفادة، وقال إنه كان عالماً بالنحو واللغة والتصريف والحساب والفرائض والفقه، يستحضر الجواب بديهةً إذا سئل لشدة تمكنه في الفقه واستيعابه لمسائل مختصر خليل. اعتكف على التدريس بمسقط رأسه نحواً من ست وثلاثين سنة. "اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره : الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتحسن في الملبس والمطعم. وكان مع هذا متواضعاً قليل التصنع كريم الأخلاق حسن الأدب سالم الصدر شديداً على أهل البدع لا يخاف في الله لومة لائم".

توفي في مسجد إقرائه وسط الليل بعد أن صلى العشاء قائماً في الركعتين الأُوليين وجالساً في الأخيرتين حذاء المحراب، وقد أربى على مائة سنة، يوم الخميس الأخير من شوال 29 عام 1195 / 18 أكتوبر 1781.

م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة رقم 129 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 62 ؛ *العسول*، 8 : 76.

محمد حجي

ابن **تاكفت، محمد** بن يحيى المسوفي من أشياخ الموحدين. كان واليا على سبتة وقصر كتامة أيام الخليفة الناصر الموحدي (595-610). وإذا عرفنا أن أعمال سبتة كانت زمن الموحدين في غاية الاتساع بحيث يصل طولها إلى ما يقرب من اثنتي عشرة مرحلة وتتحكم في مجال يمتد على كل بلاد غمارة، إضافة إلى الأهمية الاستراتيجية التي كانت تتميز بها المنطقة كمعبر ومنطلق لعمليات الجهاد نحو الأندلس، يمكن فهم المكانة التي كان يحظى بها ابن تاكفت لدى الخليفة الناصر كممثل له على إحدى أهم المناطق الاقتصادية في الأمبراطورية الموحدية والتي توفر لبيت مال الدولة مداخيل في غاية الأهمية، مما يجعل المهمة صعبة والمسؤولية خطيرة في الحفاظ على هيبة المخزن ومراقبة الثغور والسهر على الأمن.

لكن يظهر أن ابن تاكفت لم يكن في مستوى تلك المسؤولية حيث قام بعدة تجاوزات وخروقات أغضبت سيده وغيَّرته عليه. فقد ذكر ابن عذاري أثناء حديثه عن استعدادات الموحدين قبيل خوضهم معركة العقاب وتحرس واستنفار المسلمين بالأندلس للجهاد، أن الخليفة كان يقوم بعمليات تطهير من الفساد الذي تفشى حينذاك في بعض أجهزة الدولة بالمناطق الشمالية، ومما زاد الطين بلة ما لقيه الناس هناك من تنوع المسغبة وانتشار المجاعة التي ضربت البلاد فانعدمت الأقوات وارتفعت الأسعار، الأمر الذي "لم يعهده الناس ولا علموه في أسفارهم القاصيات ولا عارضهم مثلها..." (*البيان*، قسم الموحدين، 259). ومن أجل السيطرة على الموقف وبث الطمأنينة والأمان في النفوس، والوقت وقت جهاد، بادر الخليفة إلى تطبيق إجراءات حاسمة باسطا سطوته على عماله بالمناطق التي كانت تعبرها محلته معتبرا إياهم مسؤولين على تدهور الأوضاع. فأمر الوزير أبا محمد ابن أبي علي بن مثنى صاحب الأعمال المخزنية والمفوض إليه الأشغال العملية بالقبض على عامل فاس وهو عبد الحق بن أبي داود أكبر عماله ومعه حاشيته. ولما وصل الناصر إلى قصر كتامة كان ابن تاكفت "قد طابقت أحواله أحوال أمثاله" (*البيان*، قسم الموحدين، 260) فاعتقله هو الآخر وأصحابه وأرسلهم مصفدين إلى وزيره ابن مثنى بفاس آمراً إياه بإعدام كل من عامل فاس الآنف الذكر وابن تاكفت. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ مقتلهما، فقيل في أواخر سنة 608 هـ أواخر ذي الحجة، وقيل كذلك في أوائل محرم من سنة 609، تم إخراج المذكورين إلى الساحة يوم جمعة بعد الصلاة بحضور الآلاف من الناس "فضربت أعناقهما صبراً، عبرة للمعتبرين وذكرى للغافلين" (*البيان*، قسم الموحدين، 263).

وبعد فتح الموحدين لقلعة شلبطرة بالأندلس، شاع خبر مقتل عاملي فاس وسبتة وسط الجيش وخاصة بين أشياخ الموحدين. وقد اعتبر ابن عذاري هذا النبأ سبباً رئيسياً فيما أصاب الموحدين بعد ذلك من تصدع صفوفهم وتدني معنوياتهم وبالتالي نكوصهم بموقعة العقاب إذ "لم يجدُّوا في تلك الغزوة ولا نصحوا فيها لأجل نكبة أميرهم الناصر لأشياخهم وقتله واستئصاله لهم على يد المفوض ذلك إليه ابن مثنى" حتى إن خبر موتهما أصبح حديث العامة حيث كان بعضهم يقول بعد الهزيمة "مدها قل لابن المثنى يردها"، يعنون بذلك صاحب الأشغال الذي نكب أشياخ الموحدين (*البيان*، قسم الموحدين، 263). بينما يرى عبد الواحد المراكشي سببا آخر لتخاذل الموحدين وانكسار شوكتهم، وهو تأخير رواتب الجند وأعطياتهم، ونسبوا الأمر إلى الوزراء، فرفض كثير منهم سل سيوفهم ومحاربة النصارى مما جعل الهزيمة على الموحدين أسرع وأقسى (*المعجب*، 457)، وإيذانا ببداية مرحلة جديدة من المشاكل التي سيعاني منها المخزن الموحدي كثيرا سواء في المغرب أو الأندلس والتي ستكون أيضا من أهم أسباب زوال دولتهم.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، الطبعة السابعة، الدار البيضاء، د. ت. ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السادس، بيروت، 1968 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. بن تاويت، *تاريخ سبتة*، الدار البيضاء، 1982.

ابن **تاكفت، يحيى** المسوفي، من زعماء قبيلة مسوفة الصنهاجية، وأحد أبرز أشياخ المرابطين أيام الأمير علي بن

يوسف. وبعد وفاة هذا الأخير سنة 537 هـ برز خلاف ونزاع شديدان بين قبيلتي مسوفة ولمتونة حول الزعامة والرياسة. وقد تزامن هذا مع تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في كل من المغرب والأندلس فانتشرت الفتن وعمت الفوضى، وتفشى الغلاء وامتنع الرعايا عن أداء المغارم وتكالب النصارى على الثغور الإسلامية في الأندلس (*العبر*، 6 : 474). ووعيا من زعماء مسوفة بعدم قدرتهم على مجابهة قوة لمتونة التي تستحوذ على مقاليد السلطة، ونظراً لتغيير موازين القوة التي أصبحت تميل لصالح الموحدين وهم في طور النشوء، فضلوا الانحياز إلى الموحدين ومناصرة دعوتهم للاستفادة من الوضع الجديد وانتقاماً من سطوة لمتونة. وكان من أبرز هؤلاء الزعماء يحيى بن تاكغت وبراز بن محمد ويحيى بن إسحاق المعروف بأنجمار (أنكمار) الذي كان والي المرابطين على تلمسان وغيرهم من إخوانهم ورجال قبيلتهم. وقد ساهمت هذه الانسحابات في ارتفاع معنويات الجيش الموحدي ومكنت عبد المومن بن علي الكومي من استغلال الفرصة التي لا تعوض لضرب قوة صنهاجة في الصميم، فقد استفحل الخلل وزادت متاعب جيش المرابطين، ولم يعد أميرهم تاشفين بن علي يتحكم في زمام الأمور فأدى ذلك إلى تصاعد وتيرة الصراع بين لمتونة ومسوفة وقتل بعضهم بعضا. ومن مظاهر ذلك المواجهة التي وقعت بين يحيى بن تاكغت وقائد لمتونة محمد بن زجو (زگّو) بظاهر تلمسان، فأسفرت المعركة عن مقتل زعيم مسوفة وابنه وقطع رأسيهما ووجه بهما إلى الأمير تاشفين الذي أمر بحملهما إلى سجلماسة حيث كانت أخت يحيى المذكور. وذكر ابن عذاري أن هذه الأخيرة حزنت كثيراً لمقتل أخيها وتوعدت بالانتقام له إذ قالت "إن كان لنا رجال فسيأخذون بثأرنا" (*البيان*، قسم الموحدين، 17). وقد بلغ هذا الكلام عبد المومن فانتصر لها ووعدها برأس تاشفين فكان له ذلك عندما قتله عام 539 هـ. وبهذا يمكن القول إن تاريخ مقتل يحيى بن تاكغت يقع بين سنة 537 هـ، تاريخ وفاة علي بن تاشفين ونشوب الخلاف على إثره بين لمتونة ومسوفة، وسنة 538 هـ التي شهدت المواجهات العنيفة بين عبد المومن وتاشفين بأحواز تلمسان حيث قتل يحيى.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تع. مجموعة من الأساتذة، بيروت، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، الجزء السادس، بيروت، 1968 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ الناصري، *الاستقصا*، الجزء الثاني، الدار البيضاء، 1954.

رشيد السلامي

تاگًا أو تاڤًا = تيگّي = تبقّي. يعيش بالمغرب نوعان من العرعر ذي الأوراق الابرية وهما : العرعر الكادي (Genévrier oxycède) أو علميا يونيبيروس أوكسيسيدروس Juniperus oxycedrus والعرعر العادي (Genévrier commun) أو علميا يونيبيروس كومونيس Juniperus communis. والنوعان ينتميان إلى فصيلة السرويات.

تاگًا أو العرعر العادي نوع شجري من الممكن أن يبلغ علوه عشرة أمتار أو يزيد. قطر جذعه يمكن أن يتجاوز المتر الواحد، لكن غالباً ما يصادف على شكل شجرة قصيرة القامة أو شجيرة.

إنه جد متفرع، يبلغ طول أوراقه الإبرية من واحد إلى ثلاثة سم. ويظهر على وجهها العلوي خطان أبيضان وعلى وجهها السفلي كُظَرٌ منفرج غير محدود. تظهر الأزهار في الربيع، الذكرية على شكل قدّة طولها خمسة سم، والأنثوية مكسوة بعدة دُوارات من الحراشيف. الثمار لبية وكروية الشكل ذات لون أسمر يميل إلى الاحمرار، يتم نضجها في غضون السنة الثانية.

يعيش العرعر الكادي في كل الجبال المغربية من البحر المتوسط في الشمال إلى الأطلس الصغير في الجنوب، لكنه نادر في السهول. إنه يصادَف حتى ارتفاع 3.200 م فوق سطح البحر، أي من الطابق المتوسطي الدافئ حتى الطابق فوق الجبلي المتوسطي. أما من حيث البيومناخ فهو يوجد في المناطق شبه الجافةوشبه الرطبة، والرطبة وشديدة الرطوبة ذات الأشكال المعتدلة والباردة والقارسة والقارسة جدا.

لا ينظم العرعر الكادي غابات مثل العرعر الفينيقي (انظر *أيفس*) أو العرعر الفواح (انظر *أوال*) بل يصادف ممثَّلا بأفراد منتشرة في غابات البلوط الأخضر أو الأرز أو العرعر الفواح.

أما فيما يخص نطاقه الجغرافي فهو متوسطي إذ أنه يمتد من جزيرة مادير إلى بلاد الفرس.

يعطي العرعر الكادي القطران النباتي الذي يستعمل في التطبيب الشعبي لمعالجة بعض الأمراض الجلدية وأمراض أخرى ولمعالجة الحيوانات.

وتستخرج هذه المادة بتقطير الخشب أو الجذور للأشجار المعمرة من العرعر الكادي. كما يستعمل الخشب من طرف الأهالي كجسور لدعم الجدران وكركائز لدعم السقوف.

تاگًا أو العرعر العادي، إن هذا النوع نادر جدا بالمغرب غير أنه يكثر في جبال المناطق المعتدلة من آسيا وأوربا وأمريكا. ففي المغرب، كما هو الشأن بالجزائر، لا يصادف إلا على بعض قمم الأطلس المتوسط (تيشوكت : للا أم البنت على علو يفوق 2.700 م، وبوناصر على علو 3.300 م) والأطلس الكبير (جبل إغيل فوق عيون وادي العبيد). أما من حيث التوزيع البيوجغرافي فهو يقطن في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب ذوي الشكل القارس جدا، أي في الطابق النباتي فوق الجبلي المتوسطي.

العرعر العادي، شجيرة قزمية ذات أوراق إبرية دائمة الاخضرار لا يتعدى طولها 2 سم. والصفات النباتية الأخرى التي تميز هذا النوع عن النوع السابق هو وجود خط واحد أبيض على الوجه العلوي للورقة، واللون الأزرق الداكن للثمرة.

تستخدم ثمار العرعر العادي في البلدان التي يكثر بها في تطييب الطيور وتطييب اللحوم المختلفة وبصفة خاصة في الجبن، ويستخرج زيت طيار من الثمار المسحوقة يستخدم لإعطاء نكهة للجبن ولدرجة محدودة في الطب.

أبحاث ميدانية : أ. هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. د. ع. زاهر وآخرين، المكتبة الانجلومصرية، القاهرة.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938 ; P. Quezel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

تاگّـاتْ، تعني الكانون، وهي حفرة صغيرة مستديرة على أرضية المكان الذي يقوم مقام المطبخ توضع حولها ثلاثة أحجار على شكل مثلث، وهي الأثافي التي تحمل أواني الطبخ عندما توضع على النار، ومن ثم تطلق تاكات على الأسرة لاشتراكها في طبخ الطعام.

ويرى جاك بيرك J. Berque أن تـاگّـات فـي عـرف سكساوة تطلق على الأسرة التي لا يتجاوز عدد أفرادها خمسة (1952). وإذا كانت الشراكة في المطبخ تشكل تعريفاً لمدلول تاكات، فإن الشراكة في السكن تشكل من جهتها تعريفاً لمدلول تيگـمّـي (أي المنزل ـ الدار). وبالفعل فإن عدة تاكاتين (جمع تاكات) تربط بينها أواصر القربى، تتساكن وتقتسم غرف منزل واحد. وتتسع دلالة تاكات عند بعض القبائل المجاورة لسكساوة حيث تقتضي شراكة التساكن وشراكة الاستفادة من نفس المطبخ، أن تفسح المجال لهذا الغرض في وجه العائلات. وهكذا فإن النساء يقمن فيه بالتناوب بكل ما يهم أشغال المطبخ.

بالإضافة إلى ذلك، ترى العائلات وهي تشترك في استغلال الأراضي وامتلاك قطائع الأنعام. وفي هذه الحال، فإن تاكاتين (الكوانين) تشكل وحدة تقوم للاستهلاك والسكن واستثمار الأرض والامتلاك.

وجود هذه الوحدات وارد أيضا عند سكساوة، لكن هنا لا يعبّر عنها بلفظة تاكات. ويلاحظ أن عدداً من تاكاتين توجد كذلك بصورة شائعة بين العائلات التي تشترك هي الأخرى في الانتفاع بريع التراث الذي خلفه الأجداد. لكن تدبير هذه الموروثات وتوزيع المحصولات غالبا ما يكونان منوطين برجل واحد، هو الأب أو الأخ الأكبر. وفي هذه الظروف أيضا فإن نمط العيش يبقى مثل ما ذكر إلا أن تاكاتين المعنية بالأمر، تستهلك كل واحدة منها على حدة، محصول جهود وأعمال أفرادها.

ويؤكد هارت D. Hart من جهته أن قبائل أيت عطا الصحراوية تسمي الأسرة تاكات ولا يمكن أن يكون رئيساً عليها إلا الرجل المتأهل الذي يستطيع أن يضحي في عيد الأضحى، ويضيف هارت أنه في حالات نادرة، تشمل لفظ تاكات عائلة أوسع، تضم والدي الزوج وبناته المتزوجات. وعندها يتقلص مدلول تاكات إلى كانون واحد في المطبخ. ويبقى أن المعطى الأهم في الموضوع، أن الأب، إذا كان على قيد الحياة وغير مصاب بعجز، هو الذي يتحمل مسؤولية التدبير الاقتصادي والإشراف المعنوي على تاكاته. وفي هذا النسق، ينطبق معنى تاكات على أسرة زوجية واحدة كما ينطبق على عدة أسر من هذا الصنف تكون تحت سيادة شخص واحد.

ويبدو إلى حدّ الآن أن تاكات تختلف في تطبيقها عما يسمى بالعائلة الخلوية ـ (رجل + امرأة + أبناؤهما) والعائلة ذات الحجم الكبير. من ذلك، فإن تاكات لا يناسب تطبيقها على وحدة ثنائية يشكلها زوج وزوجته يسكنان في جناح خاص في منزل والد الزوج الذي يشتغل مع أبيه، فيسلم هذا الأخير إلى ابنه نصيبه من مردود العمل. في هذه الظروف، لا يتوفر الابن على السلطة وهي العامل الأساس في تحديد مفهوم الأسرة ـ لذلك، قد يفهم من العائلة، تاكاتين خاضعة لسيادة شخص واحد يتمتع بصلاحية تدبير شؤون الممتلكات الجماعية الموروثة وتوزيع المحصول الفلاحي على ذوي الحقوق. إذن، رغم ما قد يلحق بوحدة المطبخ من تفكك ـ يرجع، حسب بيرك، إلى تنطع النساء ـ ورغم الجنوح إلى الانفرادية ـ وليس إلى الاستقلال ـ في السكن، فلا شيء من هذا يعرض إطار الأسرة إلى العبث والتلف، لأن الأسرة تتشكل في عدد من الحالات من عدة تاكاتين لا انفصام لها، تحت قيادة رجل واحد (1952).

وليست تاكات حدثا اجتماعيا بشريا فقط، ولكنها قد تكون أيضا وحدة سياسية قانونية. من ذلك، يلاحظ أن بعض المجموعات بمناطق الأطلس الكبير وبعض الجماعات البشرية التي تشكل عائلة من الناحية الاجتماعية، لا تعتبر تاكات. وينطبق هذا الاستثناء على عائلة غريب مثلا، حتى ولو أنه كان يقيم باستمرار في حدود تراب المنطقة، وله منزل، فلا يعد عضواً في الجماعة ـ وهي الهيئة التي تقرر في قضايا تدبير الممتلكات الجماعية ـ. وكذلك الشأن فيما يتعلق بالابن الذي له منزله الخاص وميزانيته الخاصة، فلا يمكنه أن يؤسس تاكات إلا بعد وفاة والده. وعند عملية إحصاء تاكاتين لغاية استخلاص ما عليها من واجبات مادية لفائدة الجماعة، فإن عائلات العزباء، وعائلات الأرامل والأبناء المتزوجين، تستثنى من الإحصاء. وقد يحدث أن تنشطر تاكات وتنفجر إلى عدة بيوت، لكن بيت الأب وحده يُعتبر تاكات.

وباعتبارها وحدة ابتدائية أساسية للجماعة، يمكن لتاكات أن تقابل الخلية العائلية، ولا تقتضي وجود عنصرين متزوجين ـ كما يفرضه مدلول الأسرة لإنشاء تاكات. وقد يوجد ابن عازب، وله مشروع الزواج، يعيش مع أمه الأرملة، وهو رئيس لتاكات.

إن تحديد المجموعات البشرية العائلية لا يخلو من صعاب لأن عدداً من تاكاتين تجمع بينها روابط الدم، تشكل وحدة مجتمعية تسمى إخْسْ أو إغْسْ (أي العظم) حسب ما كتبه بيرك ومونطاني وهارت، والأسرة على حسب تعبير التوفيق الذي يرى أن "إخس" تجمع بين عدة تاكاتين. وفي هذه الحال، فإن الصلة بين "إخْسْ" وبين الأسرة تبقى

مسألة اتفاق، كما أنه قد يحدث أن تقابل مجموعة من تاكاتين المسماة "إخس" محليا، عائلة تضم عدداً كبيراً من الأفراد، غير أن هذه الحالة نادرة، اعتباراً للبعد الديمغرافي الهام إخس.

وبالجملة فإن تاكات قد تعني العائلة أو الخلية العائلية كما يمكنها أن تنطبق على وحدات بشرية قائمة بذاتها ولكنها ملتفة حول سلطة رب عائلة. وعلى عكس ذلك، ولأسباب مرتبطة بالتنظيم المجتمعي، فإن بعض الخلايا العائلية وبعض العائلات، لا تسمى تاكات. وينبغي التذكير بأن مفاهيم الأسرة والعائلة التي تترجم معنى تاكات، يمكنها أن تنطبق في بعض الظروف، على جماعات بشرية أكثر عدداً وأوسع رقعة من إخس.

أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن 19 : اينولتان، 1850 ـ 1950*، الرباط، 1978.

A. Adam, *La maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, Paris, 1951 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, Paris, 1978 ; D. Hart, *Dadda 'Atta and his Forty Grandsons. The Socio-Political Organization of the Ait 'Atta of Southern Morocco*, Middle East & North African Studies Press, 1981 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 ; H. Rachik, *Le sultan des autres, Rituels et politique dans le Haut Atlas*, Casablanca, 1992.

حسن رشيق ـ ترجمة : أحمد بنجلون

تاكَاوت أو تاكُوت، باختلاف نطق الجهات الدرعية والأطلسية. شجرة الفوريبون التي تستعمل في الدباغة، وهي نوع من الأثل ذكرها أصحاب كتب النبات والجغرافيون وكان لها أهمية لاستعمالها في دبغ الجلود. وقد تستعملها النساء في معالجة الشعر. ذكرها ابن البيطار وصاحب *الروض المعطار*. كما ذكرها البكري بدرعة وقال : "يدبغ بها الجلد الغدامسي". وقد استمرت تثير انتباه الرحالين إلى قرننا هذا، وكانت تستعمل على نطاق واسع من لدن الدباغين والصباغين في جميع العصور.

أ. البكري، *المغرب* ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*.

Dozy, *Supplément*.

محمد حجاج الطويل

تاگُرْت أو تَكُرت، أسرة تطوانية كل ما نعرفه عنها أنها كانت موجودة بالمدينة سنة 1257 / 1841 حيث نجدها تملك دارا بحومة الترنكات.

م. داود، *تاريخ تطوان* 8، 313 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2، 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; *Vademecum* (año 1931), 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

تاگلفت، موقع تاريخي في إقليم أزيلال بالأطلس الكبير الأوسط، أحدثت فيه سنة 1976 جماعة قروية تحمل اسمه وتناهز مساحتها 250 كلم2 يحدها من الشمال جماعتا أربعاء أو قبلي وفم العنصر ومن الشرق جماعة تيزي نيسلي و من الغرب فم أودي ومن الجنوب جماعتا تيلوگيت وأنرگي (انظر الخريطة).

ويرجع أصل هذه الجماعة إلى أحد أفخاذ أيت سخمان نسبة إلى جدهم المسمى "علي سخمان" الذي أنجب خمسة أولاد، تفرعوا إلى القبائل التالية :

- عبدي أُعلي كوّن جماعة تيزي نيسلي.
- حمامة أُعلي كوّن جماعة أغبالة.
- داود أُعلي كوّن جماعة تاگلفت.
- سعيد أُعلي كوّن جماعة فم العنصر.
- حقي أُعلي مجهول الاتجاه.

وقد أنجب داود أُعلي خمسة أولاد يرجع إليهم أصل السكان المستقرين بمنطقة تاگلفت، وهم :

- أنداح الذي شكل مشيخة أيت تمجوط.
- إسماعيل شكل مشيخة أيت إسماعيل.
- بولمان كون مشيخة أيت بولمان.
- خويا شكل كذلك مشيخة أيت خويا.
- حمزة استقر مع أخيه بأيت بولمان وكان فقيها. وعلى إثر بعض النزاعات التي وقعت بينه وبين أخيه هاجر إلى منطقة تيغرت بالأطلس الكبير، حيث استقر بها وشكل مشيخة أيت حمزة.

هكذا قسمت منطقة تاگلفت إلى أربع مشيخات متحدة تحت اسم أيت داود أُعلي وهي كالتالي :

- أيت خويا يشكّلون مركز الجماعة ويمثلون حوالي 33٪ من مجموع السكان.
- أيت إسماعيل تقع شرق الجماعة وتشكل حوالي 25٪ من مجموع السكان.
- أيت تمجّوط وأيت بولمان : يتركزون غرب وجنوب الجماعة ويمثلون حوالي 42٪ من مجموع السكان.

بالإضافة إلى هذه المجموعات استقبل فرع أيت خويا عنصراً بشرياً آخر في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وهو من شرفاء زاويتي أسكار وأيت سيدي عزيز أي ما يعرف محلياً "إگرامن" وهم من الأدارسة الذين قدموا إلى المنطقة من زاوية أحنصال.

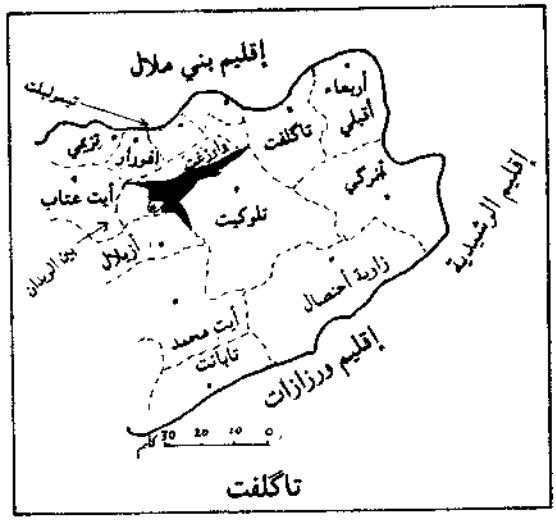

تشكل منطقة تاگلفت من الجانب الطبغرافي مجالاً

منخفضاً ذا امتداد مهم، تتراوح ارتفاعات سطحه ما بين 500 و600 م تقريباً. أهم ما يميزه هو طابع التقطع الشديد بفعل شبكة كثيفة من المسيلات المائية الموسمية وبعض الروافد المغذية لوادي العبيد.

أما الطبيعة الجيولوجية لهذا المنخفض فتغطيه صخور ضعيفة المقاومة كالصلصال والطين والبليت الأحمر للجوراسي الأوسط القاري.

تحيط بهذا المنخفض مجموعة من الاعراف تتعدى قممها 2000 م، منحوتة في صخور كلسية دولوميتية لياسية، أغلبها يتخذ اتجاها أطلسيا وتنتهي بسفوح وعرة وذات أشكال مركبة، غالباً ما تطورت بها شعاب وخوانق كما هو الحال بالنسبة لخوانق واد العبيد التي يطبعها بشدة تعمقه. أما باقي مجال المنخفض فيخترقه هذا الواد برسمه لمجموعة من المنعطفات الحبيسة.

تمتاز المنطقة بانخفاض درجة الحرارة بمعدل 10 درجات وارتفاعها خلال شهري يوليوز وغشت لتصل إلى 42 درجة، غير أن كمية التساقطات نسبياً مهمة حوالي 465 ملم وسط المنخفض وتعرف تذبذبات تختلف من سنة إلى أخرى حيث إنه في بعض السنوات تسجل فقط حوالي 150 ملم. أما القمم العليا التي يزيد ارتفاعها على 2000 م فتتلقى كميات لابأس بها من التساقطات الثلجية ابتداء من شهر نونبر إلى غاية شهر ماي.

يرتبط وجود هذه الصفات المناخية بعوامل محلية كالموقع العرضي والقارية والوضعية الطبغرافية التي تميز المنطقة.

ويقدر عدد سكان جماعة تاگلفت حسب إحصاء 1982 بحوالي 8012 نسمة، بكثافة سكانية تقترب من 32.04 نسمة في الكم. هذه الساكنة تغلب عليها فئة ذات بنية شابة، تتراوح أعمارها ما بين 15 و30 سنة.

يعيش هؤلاء السكان على أسلوب ريفي ويمارسون النشاط الزراعي والرعي، ويعتبر سوق الأحد بمركز الجماعة الجهاز التجاري الأساسي بالسبة للسكان، بالإضافة إلى سوق السبت بأسكار وسوق الخميس بأيت تمجوط.

وتقدر مساحة الأراضي المستغلة بالجماعة بحوالي 17.626 هكتار موزعة كالتالي :

20 هكتار مسقية انطلاقاً من مجرى وادي العبيد وبعض العيون و12.000 هكتار بورية و5.606 هكتار أراضي رعوية.

أهم المنتجات الزراعية الشعير في المرتبة الأولى، يليه القمح، ثم هناك زراعة ثانوية تسمى محلياً "أرتكو" وتعرف بالسلت. أما المغروسات الشجرية فتنحصر في أشجار الزيتون والتفاح والتين. وتبقى مردودية هذه المنتجات ضعيفة ومنذ بدية من سنة إلى أخرى.

يعاني هؤلاء السكان من قلة التجهيزات الأساسية ومن خطورة التعرية المتمثلة في ظاهرة انجراف التربة بسبب تراجع الغطاء النباتي الذي يحمي السطح، إضافة إلى انعدام التجهيزات الفلاحية. فبالرغم من إحداث مركز فلاحي بهذه الجماعة سنة 1980 فإنه لم يقم بالدور المنوط به تجاه هؤلاء السكان، لذا فضل معظمهم الهجرة إلى قطاع تادلا المسقي للعمل داخل الضيعات الكبرى أو إلى المراكز الحضرية المجاورة لمزاولة التجارة. وهناك من فضل الاستقرار بالجماعة وتفرغ لميدان الكسب الذي يعد حالياً المورد الرئيسي في التجارة داخل الأسواق الأسبوعية، ويأتي على رأسهم كسابو أيت تمجوط الذين يصدرون مواشيهم خارج نفوذ الجماعة إلى مدن تادلا كبني ملال والفقيه ابن صالح، كما يتعاملون مع مدن أخرى كمراكش وسلا وتاونات وأگادير.

ويبقى النشاط السائد المفضل لدى معظم سكان تاگلفت هو النشاط الرعوي، الذي يعتبر أهم مورد حقيقي لعيش معظم السكان فمثلاً الأغنام تأتي في الدرجة الأولى وتمثل حوالي 40.000 رأس يليها الماعز 23.500 رأس وفي المرتبة الثالثة الأبقار 460 رأس.

ويتم هذا النشاط الرعوي على حساب المجال الغابوي بسبب العدد المرتفع للمواشي إذا قورن بالمساحة المخصصة للرعي 5.606 هكتار. هذا في الوقت الذي تعتبر فيه الغابة من أهم الموارد الطبيعية والتي يمكن استغلالها لتنمية الجماعة من الناحية الاقتصادية، فهي تغطي ما يناهز 36.169 هكتار، يشرف على محافظتها أعوان غابويون، كما يوجد بمقر الجماعة إدارة للمياه والغابات، لكن عكس ذلك نجد أن 80٪ من مجموع سكان الجماعة يعيشون كلياً أو جزئياً من هذا المجال الغابوي المتنوع الأصناف (البلوط الأخضر ـ العرعار ـ التوية ...) وتتجلى ممارستهم في مظاهرة الاجتثاث لربح المجال الفلاحي والخشب للتدفئة أو لاستعماله في البناء وكأدوات منزلية وفي جني الحطب. وأخطر ظاهرة تتم داخل الغابة هي عملية الرعي الجائر خصوصاً وأن صنف البلوط الأخضر يوفر غذاءً مفضلاً لدى معظم الماشية وخصوصاً صنف الماعز. إضافة إلى أن هناك عدداً مهماً من السكان يتاجرون في الحشب وفي صنع الفحم.

تشتهر هذه الجماعة بصناعة الفخار وإنتاج الزرابي كما تتوفر على مواقع استراتيجية مهمة تدعو إلى خلق مرافق حيوية سياحية للتعريف بهذه المنطقة لاسيما المكان المعروف بـ"والوس" الذي يبعد عن مقر الجماعة بخمسة كيلومترات والذي ينفرد بمناظر خلابة ومآثر تاريخية ترجع إلى العهد البرتغالي. ثم هناك زاوية "أسكار" المعروفة بقصورها القديمة ومياهها وطبيعتها الخلابة على طول الطريق المؤدية لمرعى "تنگارف" المنفردة بموقها وطبيعتها الساحرة التي تستمر إلى قيادة أنرگي.

تحريات ميدانية.

عبد الرحيم بنعلي

تاگمّا (أهل ـ)، فرقة من قبيلة بني وريمش من بني إزناسن، وقد تسموا باسم الموقع الذي استوطنوه على

السفوح الشمالية الغربية لجبل بني إزناسن غير بعيد عن قرية تافوغالت في اتجاه مدينة أبركان (إقليم وجدة)، وينقسم أهل تاگمّا إلى أربع فصائل، وهم : أولاد يعقوب، وأولاد عبد الصادق، وأولاد بالخير، وأولاد بن مشعل.

ومن الملاحظ ان اسم الفرقة الرابعة يذكر بقصة اليهودي ابن مشعل مع المولى الرشيد، ولعل هذه التسمية تزكي الرواية التي حددت موطن ابن مشعل بجبل بني إزناسن.

ق. الوطاسي، *بنو يزناسن*، ص 22، 68، 92 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي*، ص 58، 59.

عكاشة برحاب

تاگما، عين ماء جارية بجنوب مدينة مكناس على بعد سبعة كيلو مترات منها، وقد اكتشف الموحدون أهمية مائها في عهد عبد المومن بن علي وعملوا على إدخاله للمدينة، وأصبح منذئذ الماء الشروب للأهالي، عوض مياه الآبار ووادي بوفكران، وبعد ذلك تم إدخاله إلى المرافق الدينية كالمساجد كما يذكر ابن غازي في *الروض الهتون* (ص 28) : "وزيد بعد الستمائة في جامعها الأكبر زيادة ظاهرة، وجلب إليها الماء على ستة أميال من عين طيبة الماء عجيبة القدر بموضع يقال له تاجما ... وهذا كله في أيام الموحدين ..."

كما أدخل المرينيون مياه عين تاگما للمدارس التي بنوها بمكناس، وانتشرت في عهدهم سقايات السبيل، وزوّدت الحمامات بنفس الماء أيضا.

واهتم السلطان المولى إسماعيل في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) بمياه عين تاگما الذي حبس جزءا منه على المسجد الأعظم، وأمر المكلف بالبناءات السلطانية محمد الكاتب الأندلسي بالوقوف على مد قنوات مياه تاگما، وسماها عين البيضاء، من منبعها إلى المسجد المذكور (*الإتحاف*، 1 : 153) وحبس المولى إسماعيل على مياه عين تاگما أوقافا داخل المدينة شملت الدور والحوانيت والحمامات، وخارجها مجموعة من الأراضي، وجعل إيرادها مخصصا للإنفاق على صيانة ماء عين تاگما وحراسته وإصلاح ما فسد من مجراها، وأداء واجب حراستها، لأن ماء هذه العين كانت تجري في قناة خصوصية، تمتد من منبعها إلى الجامع الكبير.

بقيت مياه تاگما محط عناية الملوك العلويين خاصة بعدما صارت تزوّدُ الدار العالية بمكناس بما تحتاجه من الماء العذب الصالح للشرب، إلى أن لحقها الاهمال في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه، وخرب مجرى ساقيتها، واختلط ماؤها بماء وادي بوفكران. فلما بسطت فرنسا حمايتها على المغرب اهتم الحاكمون بهذه المياه من جديد، وحولوا مجراها سنة 1913 إلى هضبة حمرية التي كان يرابط فيها جنود دولة الحماية وبنيت فوقها المدينة الجديدة التي سكنتها العناصر الأوربية المتوافدة على مكناس، مكونة بذلك النواة الأساسية للمجتمع العصري الأوربي، فجاء الاهتمام بمياه عين تاگما التي صارت الممول الرئيسي للأجانب من المياه العذبة، "ثم لما طال استيطان الفرنسيين بمكناس، أنتج البحث المدقق من عرفائهم أن أحسن ماء يوجد بالبلد خفة وصفاء، وعذوبة هو ماء عين تاگما... وأدخلت الدولة الحامية ماء عين تاگما للمدينة الجديدة... ثم يعد هذا أدخل ماء عين تاگما للمدينة الأهلية المكناسية واتخذت له سقايات عمومية بأزقتها وأبيح إدخاله للدور" (*الإتحاف*، 1 : 52).

أجرى التقنيون الفرنسيون عدة دراسات على مياه تاگما أسفرت عن نتائج جيدة، وهكذا توصلوا سنة 1932 إلى التعرف على الصبيب الحقيقي لتاگما الذي بلغ 35 ل / ث أي 3000 م، وهي كافية لتزويد سكان المدينتين القديمة والجديدة بالماء الشروب، والاستغناء عن مياه الآبار ووادي بوفكران.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1988 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الأول ؛ ب. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس*، *1*، *2 شتنبر 1937*، الرباط 1990.

بوشتى بوعسرية

تاكما ← تاضا

تاگمادارْت، تطلق على المدخل الشمالي لواحة فزواطة بدرعة، وتمتد هذه المنطقة على طول بضع كيلو مترات من فم زاگورة (إيمي نتزاگورت) شمالا إلى حدود قُطة قصر تيمَتّيگْ جنوبا. وتشتمل على مجموعة من القصور تقع كلها في الضفة الشرقية لنهر درعة، ومن هذه القصور : أمزرُو وإذْكزاطْ، وأغْلا ودرْارْ وأگْرُور وسَارَتْ ثم أسْرير. وقد استحدثت بالمنطقة في العصور المتأخرة قصور أخرى أقل أهمية مثل قصبة أيت هَگُّو وزارية أمزرو وزاوية أيت خَدُّو وقصر بني عثمان، وتشترك هذه القصور في الأراضي الزراعية وسواقي الري التي كانت تتطلب جهدا جماعيا لحمايتها وصيانتها كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وعلى غرار غير مناطق وادي درعة، استعارت تاگمادارت اسمها من أحد القصور المهمة كما هو الحال بالنسبة لجهات أخرى بواحة فزواطة مثل تامگروت وبني علي وتيمَتّيگ التي أخذت أسماءها من أهم قصورها.

ونستفيد من كتاب *إفريقيا* لمارمول الذي زار بلاد درعة في السبعينات من القرن السادس عشر الميلادي أن تاگمادارْت عبارة عن قصر عامر، يقدر عدد سكانه بحوالي ألف وخمسمائة نسمة، وأنه كان يزخر بالأدباء والعلماء (*إفريقيا*، 3 : 149)، إلا أنه لا يوجد اليوم أي قصر بمنطقة تاگمادارت بهذا الاسم. ويظهر من إشارة طوماس پيلو T. Pellow الذي زار درعة ضمن الجيش الاسماعيلي سنة 1135 / 1723، لوضع حد لعصيان قبائل محاميد الغزلان، أن قصر تاگمادارْت كان لا يزال قائما خلال العقود الأربعة الأولى من القرن الثاني عشر (18 م) (*La Relation*, 118).

ولا نستبعد أن يكون قصر تاگمادارْت قد تخرب وفقد أهميته مع بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر

(18م)، فقد ذكر محمد المكي الناصري أن الغلاء اشتد بدرعة سنة 1152 / 1739 م "فأتلف من أهله كثيرا وعفّى من محاسنه قصورا ودورا" (*طليعة*، 18). وقد كان هذا الغلاء الفاحش بدرعة وما صحبه من اضطرابات اجتماعية واقتصادية نتيجة مباشرة للأحداث التي عرفتها واحة محاميد الغزلان (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 190 . 192).

كان موقع قصر تاگمادارت، مثار نقاش بين عدد من الباحثين في تاريخ وادي درعة، فاعتقد گاتفوسي Gattefossé أن هذا القصر كان قائما بالسفح الشمالي بجبل زاگورة على يمين الطريق الرابط بين تازرين وزاگورة، حيث لا تزال هناك بعض الأطلال القديمة إلى اليوم (*Juifs et Chrétiens du Dra*, 57) إلا أن الحفريات التي أجريت بعين المكان في أواسط الخمسينات من القرن الحالي، أثبتت أن هذه الأطلال من بقايا حصن تازاگورت المرابطي (*La Forteresse de Zagora*, 309) الذي استولى عليه الموحدون في بداية أمرهم (*نظم الجمان*، 195). ورجح سپلمان Spillmann أن يكون قصر أمزرو الحالي هو نفسه قصر تاگمادارت القديم (*Districts et tribus*, 151) خاصة أن سپلمان قد أدرك، في الثلاثينات من هذا القرن، بعض بقايا لبناء قديم خارج أسوار قصر أمزرو، وقد اختفت هذه البقايا على إثر التوسع العمراني الذي عرفه قصر أمزرو، بعد تعبيد الطريق الجديد بين زاگورة وتامگروت. أما دو لاشاپيل De La Chapelle فقد رجح أن يكون موقع قصر تاگمادارت في مكان ما من الخربات التي لا تزال قائمة إلى اليوم بالقرب من قصر سارَتْ (*Une cité de l'Oued Dra*, 30) ولعل ما يرجّح ما ذهب إليه دولا شاپيل، أن سكان قصر سارت وسكان منطقة تاگمادارت بصفة عامة، لا يزالون يعرفون هذه الخربات بدار السلطان إشارة إلى كون الأشراف السعديين، كانوا قبل توليهم ملك المغرب، مستقرين بقصر تاگمادارت.

اشتهرت واحة فزواطة كغيرها من واحات درعة، ومنذ القرون الوسطى، برُبُطها العلمية والصوفية مثل رباط تافگروت ورباط سارَت، ورباط بني علي (*مذكرة المزريوي*: 5). ومنذ القرن الثامن الهجري بدأت الزوايا تحل محل هذه الربط. وتدل كل القرائن على أن كثيرا من ربط واحة فزواطة قد تحولت إلى زوايا، من ذلك على سبيل المثال رباط تافگروت ببني علي، وقد حلت محله زاوية سيدي بلال، وزاوية تاگمادارت التي حلت محل رباط سارت، وصارت الزوايا تقوم بكل الوظائف الاجتماعية والتعليمية والصوفية التي كانت تقوم بها الربط في العصور الوسطى.

ونستفيد من غير ما مصدر تاريخي، أن محمد بن مبارك، أحد متصوفة سوس، نصح أهل سوس بأن يستقدموا شريف تاگمادارت ويبايعوه على الجهاد، لرد عائلة المسيحيين الذين كانوا قد احتلوا بعض سواحل المنطقة (*الدوحة*، 10، 11 ؛ *الاستقصا*، 5 : 7). والذي يهمنا من هذه الإشارة أن الطريقة الجزولية التي يعتبر سيدي محمد بن مبارك من أبرز شيوخها في مطلع القرن العاشر (16 م)، ليس بسوس فحسب وانما في مجموع أنحاء الجنوب المغربي، قد نجحت خلال القرن السابق في تدعيم نفوذها بواحات درعة عامة وواحة فزواطة بصفة خاصة، وذلك من خلال تأسيس سلسلة من الزوايا التي مهدت للشرفاء الزيدانيين انطلاقا من زاوية تاگمادارت لتسلم السلطة بالمغرب. ومن الزوايا التي صار لها شأن كبير بواحة فزواطة منذ مطلع القرن العاشر (16 م) زاوية سيدي علي بن محمد البكري وزاوية تامگروت، وزاوية تاگمادارت (*الحركة الفكرية*، 2 : 538، 541، 545).

وقد اشتهرت زاوية تاگمادرات بمن أنجبتهم من علماء أفذاذ من عائلات العنابي والعثماني والمضغري والشرفاء الزيدانين خلال القرن العاشر وردحا من القرن الحادي عشر (16 . 17 م) (*الحركة الفكرية*، 2 : 538، 539، 540، 541).

وبالرغم من ذهاب عز زاوية تاگمادارْت بنهاية الدولة السعدية، فإن بعض قصورها قد عرفت نبوغ عائلات علمية أخرى، كعائلة سيدي عبد الله بن مسعود بزاوية أيت خدو، وعائلة الركيبي بقصر أغلا ودرار ؛ وقد كان آخر علماء هذه العائلة سيدي الحسن الأغلادراري المتوفى عام 1339 هـ (*المعسول*، 16 : 339 ؛ *العقود الجوهرية*، 18 . 19)، بالإضافة إلى عائلة الدليمي التگمدارتي الورزازي، التي نبغ منها عدد من العلماء بدرعة وورزازات ومراكش وتطوان، حيث لايزال أبناؤها يعرفون إلى اليوم بالورزازي.

ويكفي تاگمادارت فخراً أنها قدمت للمغرب الدولة السعدية حيث نجح ملوكها في تدعيم وحدة البلاد وحمايتها من الاحتلال المسيحي في مطلع العصور الحديثة.

ح. ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج ـ 5 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج ـ 16 ؛ مارمول كاربخال، *إفريقيا*، ج ـ 3 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ *طليعة الدرعة* ؛ محمد بن لحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط ؛ عبد الكريم المزريوي، *مذكرة المزريوي*، مخطوط.

J. Meunié et Ch. Allain, *La Forteresse de Zagora, Hesp.*, 33, 1956 ; J. Gattefossé, *Juifs et Chrétiens du Dra avant l'Islam, B.S.P.M.*, 3 et 4, 1935 ; F. De La Chapelle, *Une cité de l'Oued Dra, Hesp.*, IX, 1929 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, A.M., Vol. 9, Tome II, 1931 ; T. Pellow, *La Relation de Thomas Pellow*, Trad. Magali Morsy, Paris, 1983.

التّاگمدارتي، عبد الله بن محمد بن مسعود، أحد الفحول الكبار، لا نعرف شيئا عن ولادته، أخذ العلم عن عالم درعة في وقته مَحمد بن مهدي الجراري ولازمه في زاويته حتى تخرج عليه، وقد طبقت شهرته العلمية الآفاق، فحلاه الحضيكي في *طبقاته* بأستاذ العلماء ورئيس الفقهاء والفضلاء (*طبقات*، 2 : 213).

عاد عبد الله بن مسعود بعد فترة إلى تاگمدارْت فتصدر للتدريس وإفادة المتعلمين، فأقبل عليه طلاب العلم من كل جهات درعة والمناطق الجنوبية، وقد تخرج عليه جم

غفير من علماء وادي درعة من أمثال أحمد أذفال دفين أكتاوة وغيره (*حضارة وادي درعة*، 140). وخلف ابن مسعود مؤلفات قيمة في الفقه والنحو، من ذلك *الشرح الجامع على مختصر الشيخ خليل والروض اليانع في أحكام التزويج وأداب المجامع وشروح على ألفية بن مالك ولامية الأفعال، والمقدمة الأجرومية* (*الحركة*، 2 : 550).

أقام عبد الله بن مسعود في أخريات أيامه زاوية (زاوية أيت حدّو) بالقرب من قصر إنكزاط بتاگمدارت. ولايزال حفدته بهذه الزاوية إلى اليوم. وقد توفي هذا العالم الجليل بعد الثمانين من القرن العاشر الهجري، ودفن بزاويته، حيث أقام حفدته قبة على قبره لاتزال مقصداً للزوار إلى اليوم.

التّاگمدارتي، محمد بن أحمد بن عبد الله. من فحول العلماء وكبار الحفاظ في زمنه، حلاه صاحب *الدرر المرصعة* بالحافظ المتفنن والعلامة الماهر. ينحدر أسلافه من قبيلة أولاد دليم الصحراوية، وقد نزلوا بأغلاودرار من تاگمدارت في زمن غير معروف. نبغ من بينهم ثلة من العلماء الفضلاء، تجاوزت شهرتهم بلاد المغرب إلى الشرق خلال القرن الثاني عشر (18 م). ومن درعة هاجر بعض العلماء من أهله إلى ورزازات، حيث غلبت عليهم كنية الورزازي، ومنها إلى مراكش وتطوان. لا نعرف شيئا عن ولادة محمد بن أحمد، فلما شب رحل إلى سجلماسة، فأخذ بها عن الفقيه الشهير عبد الواحد القندوسي، ولازمه مدة طويلة، ثم رحل إلى فاس، فأخذ بها عن الفقيهين أحمد بن الحاج الفاسي وأبي عبد الله القسنطيني. وبعدما ملأ وطابه علما عاد إلى وادي درعة، فاستهوته الطريقة الناصرية، فأخذ الورد عن الشيخ أحمد الخليفة، ثم ما لبث أن استقر بتامگروت التي كانت آنذاك تزخر بفطاحل العلماء، من أمثال أحوزي وابن فتوح التلمساتي وعبد الكريم التدغي وغيرهم، فتصدر بمدرسة الزاوية الناصرية للتدريس، خاصة أن الشيخ أحمد الخليفة اعتنى به عناية خاصة فتكفل له بكل لوازم الحياة من مأكل وملبس وغير ذلك (*الدرر*، 371). تألق نجم التاگمدارتي بالزاوية الناصرية، فصال وجال في الفقهيات، وكان كثيراً ما يذكر لطلبته أن الزرقاني شارح المختصر قد أخطأ في عدة مسائل في الفقه المالكي، وكان يحث الطلبة على الاعتماد على الحطاب والمواق لأنهما يسوقان المشهور في المذهب المالكي.

رحل محمد بن أحمد التاگمدارتي، صحبة الشيخ أحمد ابن ناصر إلى المشرق وأدى فريضة الحج، ثم عاد بعد ذلك إلى وادي درعة. وبعد وفاة أحمد بن ناصر سنة 1129 / 1717 اضطرب أمر الزاوية الناصرية نتيجة الصراع على المشيخة، فاضطر محمد بن أحمد التاگمدارتي إلى مغادرتها ورحل إلى المشرق في حجة ثانية، فاراً بنفسه من غوائل أبناء الدنيا (*الدرر*، 369). وبعد تأدية مناسك الحج، طاف التاگمدارتي في بعض مدن الحجاز ومصر، فرزق قبولا عظيما، وانتهى به المطاف بالقاهرة، حيث انتدب للتدريس بالجامع الأزهر إلى أن وافته المنية هناك سنة 1138 / 1725 فدفن بمشهد الإمام ابن القاسم، حيث مقابر عدد من أئمة المذهب المالكي بالقاهرة.

التّاگمدارتي، محمد بن أحمد العثماني، نشأ في قصر بني عثمان، المجاور لأغلاودرار، أحد المراكز العلمية القديمة بتاگمدارت. لا نكاد نعرف أي شيء عن ميلاده ومراحل تعليمه، إلا أننا نصادف توقيعاته وفتاويه بدرعة وجهاتها في أواخر القرن العاشر (16 م) ومطلع القرن الحادي عشر (17 م) مما يدل على طول باعه في الفقه المالكي أصولا وفروعا (*الحركة الفكرية*، 2 : 541).

ترجم له صاحب *الدرر المرصعة*، وحلاه بالعلامة الناقد الفهامة، كان مقصدا لطلاب العلم من أهل درعة خاصة، والجنوب عامة. وقد طارت شهرته كفقيه مفت في جوابه حول مسألة اشتراط المرأة على زوجها أن يلتزم لها بالطلاق في حالة الزواج عليها من امرأة أخرى. وقد سئل عن هذه المسألة، فأفتى بوجوب التزام الزوج بوقوع الطلاق في حالة إخلاله بكل شروط زوجته. وقد ساق التاگمدارتي جملة من النقول الفقهية من فروع وأصول الفقه المالكي، مما يدل على طول باعه في الفقه، وسعة اطلاعه وفهمه العميق لمذهب الإمام مالك، وقد نقل صاحب *الدرر* هذه الفتوى رغم طولها في ترجمة صاحبنا (*الدرر المرصعة*، 357). وقد أثارت هذه الفتوى بجرأتها، ردوداً قوية عند فقهاء درعة وشنقيط وسجلماسة، وانقسموا إلى مؤيد ومعارض، وهكذا حاول كل من محمد الحبيب ابن الأمين الشنقيطي، وأحمد بن مبارك السجلماسي وأحمد بن يوسف من بني علي بدرعة، الرد على التاگمدارتي بتفنيد فتواه، إلا أن هذا الموقف الذي قاده الشنقيطي جعل علماء آخرين من درعة وتافيلالت، يمعنون النظر في فتوى التاگمدارتي، ويستغربون من خرافات وضلالات الشنقيطي (*الدرر*، 361) وجهله بأصول الفقه المالكي وفروعه، وقد خرج التاگمدارتي من هذه المنافسة العلمية منتصرا، فاعترف له الكل بالفضل والنباهة وطول الباع. وقد توفي التاگمدارتي بمسقط رأسه مع بداية العقد الثالث من القرن الحادي عشر الهجري (17 م).

التّاگمدارتي، محمد بن الحسين، فقيه جليل وعالم فاضل، لا نعرف شيئا عن نشأته ومراحل تعليمه، إلا أنه يظهر أنه تعلم وتخرج بأحد المراكز العلمية بتاگمدارت خلال العقود الأولى من القرن الحادي عشر (17 م). له جولات وحضور في ميدان الإفتاء وتوثيق الرسوم العقارية بدرعة خلال الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن. وكثيراً ما كان يمهر فتاويه بعبارة "قاله محمد ابن الحسين التاگمدارتي". وتنطوي هذه العبارة على الثقة بالنفس وعلو الكعب في الفقه والعلوم الشرعية.

وبعد دخول وادي درعة تحت حكم محمد بن الشريف العلوي ابتداءً من سنة 1051 / 1640، اضطلع الفقيه محمد بن الحسين التاگمدارتي، بمهمة القضاء بدرعة دون أن يصرفه ذلك عن التدريس (*الحركة*، 2 : 541)، وقد جلب عليه منصب القضاء عدة انتقادات من فقهاء درعة، ونخص بالذكر انتقادات الشيخ مَحمد ابن ناصر الذي كتب إلى التاگمدارتي رسالة، ينتقد فيها أحكامه، خاصة فيما يتعلق بمسألة شهود التَّدْمية، ويحذّر الناصري قاضي تاگمدارت من قبول شهود العامّة في هذه المسألة، وتعجب كيف يقبل الشهادة من أناس "لا يعرفون المسنون من المفروض، كما لا تقبل فيها شهادة من يأكل أموال الخراج ويأخذ المغارم بالإبط" (*طلعة*، 1 : 144). وبالرغم من أن الناصري اقتصر في رسالته إلى التاگمدارتي على الشهود في المسألة ولم يسق الحيثيات التي ارتكز عليها القاضي، فإن محمد بن الحسين التاگمدارتي استشاط غضبا من ابن ناصر، ورد عليه رداً قاسياً، واتهمه بالرجم بالغيب وقول الباطل، وهدده بأنه إذا لم ينته عن التشويش على أحكامه فإنه سيبلغ أمره إلى السلطان محمد ابن الشريف العلوي، وقد ترددت بين الرجلين عدة مكاتبات، حاول كل واحد منهما تبرير موقفه من الآخر. وقد خلف محمد بن الحسين التاگمدارتي عدة مؤلفات، أهمها *أرجوزة في قواعد الإسلام*، و*درة العلائق في توجيه الصبيان لدين الخالق*، وهما أرجوزتان تعليميتان لصغار التلاميذ (*الحركة*، 2 : 541). وقد توفي محمد بن الحسين التاگمدارتي في أواسط العقد الثامن من القرن الحادي عشر ودفن بمنطقة تاگمدارت.

التّاگمدارتي، محمد بن عبد الرحمان، المكنّى القائم بأمر الله. ينحدر محمد بن عبد الرحمان من أسرة شريفة يتصل نسبها بالحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هاجر جده زيدان بن أحمد من ينبع النخل بالحجاز إلى وادي درعة بدعوة من بعض سكان الوادي تبركا بنسبه الشريف. ونزل زيدان بقصر تبدسي بواحة ترناتة حيث لاتزال آثار قصر تبدسي قائمة إلى اليوم (*النزهة*، 7).

ويرجح أن تكون أسرة هذا الشريف قد انتقلت من تبدسي إلى تاگمدارت في بحر القرن التاسع (15 م)، حيث استقرت بقصر سَارَتْ أحد القصور الشهيرة آنذاك بواحة فزواطة.

وبقصر سارت نشأ محمد بن عبد الرحمان، فحفظ القرآن ثم أقبل على أخذ العلم على علماء تاگمدارت، فتخرج عالما مشاركا، ثم تصدى لتعليم القرآن وتدريس العلم كدأب جل علماء تاگمدارت آنذاك، واشتهر باطلاعه الواسع على تاريخ الجنوب عامة وتاريخ درعة بشكل خاص. وفي مطلع القرن العاشر (16 م)، انضم إلى الطريقة الجزولية على يد الشيخ محمد بن مبارك الأقاوي. ويذكر الناصري أن محمد بن عبد الرحمان اشتهر بالصلاح والفقر (*الاستقصا*، 5 : 8). ولما اشتدت وطأة المسيحيين على شواطئ سوس مع بداية العقد الثاني من القرن العاشر، انتدب محمد بن مبارك الأقاوي، محمد بن عبد الرحمان لقيادة القبائل السوسية في العمليات الجهادية. وهكذا انتقل محمد بن عبد الرحمان إلى قرية تيدسي قرب تارودانت سنة 916 / 1510 (*النزهة*، 16) فبايعه الناس "بقلوب متفقة وأهواء على الجهاد مجتمعة" فاجتمع إليه جم غفير من المجاهدين من أهل سوس ودرعة، فقصد بهم ميناء تَفَتْنَة على المحيط الأطلسي. ويذكر صاحب *النزهة* أن محمد بن عبد الرحمان الذي تلقب بالقائم بأمر الله، عمد إلى النصارى فناوشهم القتال، فأتاح الله له النصر. فلما رأى المسلمون ذلك تيمنوا بطلعته، وتفاءلوا بطائر ميمونه، وزادهم ذلك محبة في جانبه وتعظيما لمكانته (*النزهة*، 16). كان هذا الانتصار تجربة أولى بالنسبة لمحمد بن عبد الرحمان، ذلك أنه سمح له بالكشف عن مشروعه السياسي لعموم الناس، بعد تداوله بين أقطاب الطريقة الجزولية بسوس ودرعة، ويرتكز هذا المشروع على إقامة دولة قوية تقوم على الجهاد وتحرير ثغور المغرب كله. إلا أن مشروعا كهذا يتطلب أموالا ضخمة لتجييش الجيوش وشراء الأسلحة.

يبدو أن بداية تنفيذ هذا المشروع لقيت معارضة من بعض شيوخ سوس، فاضطر محمد بن عبد الرحمان إلى العودة لوادي درعة لإحكام أمره وضبط ما تبقى من ثغرات في النسيج العام لمشروعه السياسي. وفي سنة 918 / 1512 عاد إلى تيدسي، فاطمأنت به دارها وأزال إليه عنه ما كان أزعجه عنها (*الاستقصا*، 5 : 13).

كان من شروط محمد بن عبد الرحمان إلى تيدسي، مبايعة الناس لابنه أحمد الأعرج، فاستجاب أهل سوس لهذا الشرط، وبايع الناس الأعرج دون معارضة تذكر.

وصلت أخبار القائم بأمر الله إلى ما وراء الأطلس شمالا فبادر أشياخ قبائل حاحة والشياظمة إلى مبايعته على الجهاد، فاجتاز جبال الأطلس إلى أفوغال بعد تنصيب ابنه محمد الشيخ خليفة على سوس. ومن أفوغال بدأ محمد بن عبد الرحمان بناوش البرتغاليين القتال بشواطئ حاحة وسوس إلى أن وافته المنية سنة 923 / 1517، ودفن بضريح الشيخ محمد بن سُليمان الجزولي. وقد نقل أحمد الأعرج رفات أبيه ورفات الجزولي إلى مراكش في حدود عام 930 / 1523.

م. المكي بن موسى الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط خاص ؛ وثائق محلية في حوزة الكاتب ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، الرباط، 1977 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، فاس، 1310 ؛ *الاستقصا*، 1955 ؛ م. الإفراني، نزهة الحادي، طبع الستة 1988 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، دعوة الحق، السنة 18، العدد الثاني، 1393 / 1973.

أحمد البوزيدي

تاگْمُوتْ ← **إماريغن**

تاگْمُوتْ، رأس ونهر بالشمال. يقع رأس تاگْموت على الضفة اليمنى من مصب نهر سيدي الفتوح بمرسى تامْساسگ الواقعة بشاطئ قبيلة متيوة البحر الموالي للبحر المتوسط.

وينبع نهر تگْموت، بجبل تايدة بأرض قبيلة متيوة البحر التي تُسقى بمياهه، وبعد أن يقطع مسافة سبعة كيلو مترات تصب مياهه في البحر المتوسط بالمرسى المعروفة بتامساسگ.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes*, p. 38 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes*, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

تاگْمُوتْ (منطقة أعالي وادي نون). المقصود بتاگموت هو الصيغة التشبيهية التي تفيد شكل الحفرة حيث تتموضع عادة المداشر والحصون. تجثم قرية تاگموت بمحاذاة تاغاجيجت أيت إبراهيم بأعالي وادي نون على أساس تحكم شامل في حيوية المعالم الفلاحية والتجارية والحُضارية المحلية. فحجم بقايا العمران القروي الكثيف يدل بكل وضوح عن حركية تاريخية حافلة بالأنشطة المختلفة.

لا شك أن الارتباط العضوي البيِّن بين تاريخ تاگموت الذي نكاد نجهل عنه كل شيء في الواقع الراهن للأبحاث وتاغاجيجت عاصمة القسم الأعلى من قصبات نول لمطة تجسده الروابط السلالية التي تربط مجمل فصائل أيت إبراهيم بعثمان ابن مندى، عامل عبد الله بن ياسين على نول لمطة خلال القرن الخامس (11 م) (انظر مادتي أيت إبراهيم وتاغاجيجت بالمعلمة). لقد تسبب الغزو الموحدي في مغادرة أيت إبراهيم لمنطقتهم هذه لكي يقضوا أزيد من ثلاثة قرون في الترحال الرعوي بين واحات توات ومنطقة الساقية الحمراء. وقد كانت عودتهم التدريجية إلى تاغاجيجت عن طريق تاگموت التي استقروا بها لمدة استمرت إلى حدود القرن التاسع (15 م) حيث أعادوا للمنطقة ماضيها المرابطي. وإذا كانت أسواق تاگموت المتعددة تشهد على أهميتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فإن وفرة مدارسها العتيقة وزوايا ترسخ دورها التاريخي في تأطير المنطقة دينيا وثقافيا وعلميا. لقد عزز ماضي تاگموت لدى قرى ومداشر أعالي وادي نون تصور العلاقات الاجتماعية وفق مقتضيات الروابط القرابية والقبلية التكنية. أما فيما يخص تكريس سلطة العلماء والزوايا، فقد أبقت إلى حدود القرن الماضي على نفس التوزيع الذي كان ما يزال قائما خلال القرن العاشر (16 م).

وإذا انتقلنا إلى مستوى مساهمة تاگموت في تطوير الصناعات المعدنية والصياغة وجدنا دور صناع تاگموت ما يزال يحتل موقعا متميزا في الرواية الشفوية بسوس ووادي نون. فقرب عدانة النحاس والفضة جعل حي تاگموت الصناعي مرتبط الأواصر بأسواق الصياغة بمراكش والصحراء وصانعيها الساهرين على حيوية هذا القطاع الخاص. على أننا وضعنا في اعتبارنا ما كان يسود المجتمع آنذاك من مناوءة لكل من يحيد عن ممارسة شعائر الإسلام، فيتضح دور تاگموت في التوفيق بين دورها الديني ودور يهودها في تطوير قطاع التعدين والصياغة. نبدي هذه الملاحظات الأولية للتأكيد على ما تكلفت به تاگموت من أعباء التوفيق بين المسلمين واليهود وبين أهل الزوايا والمحاربين من الفصائل القبلية التكنية.

بالنظر لما عليه تاگموت من شدة التحام أهلها وصلابة اندماجهم بباقي فصائل أيت إبراهيم، ندرك أنهم قد قاموا بأدوار دينية وسياسية تضاهي من حيث أهميتهما ما قام به كل من كان له إشعاع اقتصادي واجتماعي باهر.

م. المختار السوسي، *العسول*، 18، 227، 228 ؛ *أيت إبراهيم وتاغجيجت، معلمة المغرب*.

La Ruelle, *Id Brahim*.

مصطفى ناعمي

التاگموتي، أحمد بن مَحمد الأساوي، فقيه محدث، وصوفي محقق. أخذ عن جماعة من فقهاء سوس ولازم الشيخ مَحمد الحضيكي صاحب *الطبقات* فأجازه وأذن له في تعليم العلوم الشرعية ماعدا تحفة ابن عاصم، وفرائض الرسموكي وأضرابهما مما يستعين به الطلبة على طلب الدنيا.

انقطع طوال حياته للتدريس في رباط تاگموت وزاوية أجداد في فم تَـنْـلْتْ. ومن المتخرجين على يده بلديه أبو بكر بن أحمد التاگموتي، وعبد الرحمن التغرغرتي الذي أثنى عليه الثناء العاطر في كتابه عن تراجم بعض علماء سوس، ومما قاله فيه : أحيى الله تعالى به البلاد والعباد بنشر السنن وإخماد البدع".

كانت الوفود من مختلف أنحاء سوس تقصد أحمد التاگموتي للتبرك فتجد لديه الاستقبال الحسن "فإذا خرج ليودعهم ينصب لهم مجلساً يعظهم فيه بما في *الجامع الصغير* للسيوطي من الأحاديث يقرأه قارئه ويبين لهم معاني الحديث بلغتهم ويبالغ في نصحهم وذمّ بدعهم ويحرضهم على أداء الصلاة في المساجد". التغرغرتي - كما كان يحرضهم على تعليم أولادهم ونسائهم وبناتهم كتاب الله وما لا بد منه من أحكام الدين، وعلى ملازمة ذكر الله والصلاة عن رسوله عليه السلام عن كل حال في الدور والشوارع والفدادين.

توفي بمسقط رأسه في آخر جمادى الثانية عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف / 14 يوليوز 1779.

ع. التغرغرتي، *تراجم بعض علماء سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *العسول*، 18 : 228.

التاگموتي، أحمد بن محمد نزيل زاوية تاسيوين. فقيه مشارك لم تذكر كتب التراجم مشيخته، إلا أنه يعد أول قومه التاگموتيين نزولاً بهذه الزاوية بعد صدر القرن

الثالث عشر (19 م) فنال بها حظوة كبيرة، وزوجه شيخ الزاوية إبراهيم بن محمد بنته فاطمة وأسكنه عنده طول عمره وجعله إمامه ومعلمه للقرآن ومدرس العلوم في مسجد الزاوية، وعنه أخذ أولاد الشيخ عبد السلام ومحمد وأحمد وأبو بكر الذي تولى شؤون الزاوية بعد والده إبراهيم.

توفي حوالي عام 1260 / 1844.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 98 . 99.

التاگموتي، أبو بكر بن أحمد، نحوي لغوي فقيه محدث مشارك في مختلف ضروب العلوم الإسلامية، ومتصوف صالح، ناسك. أخذ عن الشيخين أحمد بن محمد الأساوي، ومحمد بن أحمد الحضيكي. أما المتخرجون على يده في القرآن وتجويده، والعلوم اللغوية والشرعية، فعددهم لا يحصى، ومنهم عبد الرحمن التغرغرتي الذي خصه بترجمة مطولة حافلة في كتابه عن تراجم علماء سوس. وقال إن دروسه كانت لا تخلو مهما كان موضوعها من السيرة النبوية وتاريخ الإسلام واستخراج العبر منه. "وكان ـ رضي الله عنه ـ حريصاً على كسب الحلال : يعمل في أرضه بيده حرثاً وغرساً وسقياً وحصداً وقطع الثمر ويستعين بطلبته في جميع أشغاله، فالناصح منهم في أشغاله تظهر البركة في حفظه وفهمه وعلمه" ـ التغرغرتي ـ.

وكان يقرأ ـ كمعظم شيوخ سوس ـ صحيح البخاري في شعبان ويختمه في رمضان إلى أن توفي في بلده بالوباء الجارف في ذي القعدة عام أربعة عشر ومائتين وألف / مارس ـ أبريل 1800، وقبره يزار بمقبرة إغير في تاگموت.

ع. *التغرغرتي، تراجم علماء سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 228 . 232.

التاگموتي، مَحمد بن أحمد الصنهاجي اليعقوبي. فقيه كبير وصالح شهير، أخذ بمسقط رأسه عن والده القرآن ومبادئ العلوم اللغوية والشرعية ثم تنقل طالبا للعلم في مدارس سوس قبل أن يتوجه إلى فاس حيث أخذ عن محمد بن المدني گنون وطبقته، ثم ارتحل إلى الشرق فأخذ عن علماء تونس وليبيا ومصر، ورجع إلى قريته بعلم غزير، فتزوج ابنة شيخ الزاوية أبي بكر بن إبراهيم، وعلا شأنه وانتشر ذكره، وصار إلى جانب التدريس يخطب أيام الجمع في مسجد إيغريسين. وممن كان يعتقده ويزوره في الزاوية القائد محمد إيبيبض والد الباشا الحاج التهامي الأكلاوي ويقبل أخمص قدميه. وإلى ذلك كان الناس يضعون عنده الأمانات ولا سيما القواد، وله في ذلك حكايات وكرامات.

توفي عام 1312 / 94 . 1895.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 99 . 100.

التاگموتي، محمد بن يعقوب السوسي. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي. "كان يستظهر مختصر *ابن الحاجب الفرعي*، وكان رجلا صالحا" (*درة الحجال*).

وليس هذا المترجم هو الشيخ محمد بن يعقوب التتلتي آتي الترجمة. وقد نبه صاحب *المعسول* على أن اليعقوبيين في سوس ثلاث فرق، منهم آل محمد بن يعقوب في فم تتلت، وآل عبد الله بن يعقوب السملاليون، وآل علي بن سعيدن القائمون على المدرسة المبنية على مشهد يعقوب الإيلاتي. ولم يعرف يعقوب والد المترجم. إلا أنه افترض أن يكون الشيخ الذي تنتسب إليه البلدة، إذ يقال لها تاگنوت نايت يعقوب.

توفي في حدود 960 / 1553.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 37 رقم 481 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 146.

محمد حجي

التاكموتيُّون أو التكموتية، هم صناع الخناجر أو الكمِّيات من معدن الفضة (النقرة). وقد كانت صناعة الحلي والمجوهرات في سائر مدن المغرب لا تنفصل عن صناعة اللباس، لأن اللباس كان عند المغاربة ذكوراً وإناثاً لا ينفصل عن الزينة رديفه الثاني. لذلك كانت أماكن بيع الأقمشة والملابس ملامسة أو قريبة من قيصريات الحلي والمجوهرات، ومازال هذا الازدواج قائماً إلى اليوم في بعض المدن.

وكان صناع الحلي الذهبية والفضية وباعتها في معظمهم من اليهود المغاربة لعدة اعتبارات من بينها الاعتبار الديني الذي ظل راسخاً عند سائر المسلمين وجعلهم ينفرون عن تداولها في الصناعة والتجارة بحكم أنها معادن منهي عنها بالنسبة للذكور. لكن ارتداء معدني الذهب والفضة كان مسموحاً به للمسلمات علماً بأن مستوى الثراء العام لم يكن يخول للسواد الأعظم منهن ارتداء غير الفضي منها، فساد انتشار الحلي ووسائل الزينة الفضية مما يفسر أسباب ازدهار مهنة التاگموتية في عدة مدن مغربية.

كان تقلد الكميات (الخناجر) كسلاح وحلية في مغرب القرون السابقة أمراً عادياً. وقليلا ما كان المرء يتحرك داخل المدينة أو خارجها دون سلاح. وإذا علمنا أن تقلد السلاح الأبيض والحصول على غشاء فضي له كان الأمل الذي يراود كل الرجال دون اختلاف بين الفقير والموسر والحضري والبدوي، أدركنا الدور الأساسي الذي كانت تلعبه حرفة التاكميين أو التكموتية الذين لم يقتصروا فقط على صياغة الكميات والخناجر بل تعدوها إلى الدمالج والأقراط والأساور وغيرها من حلي النساء. وهذا أمر شهد به كل من زار المغرب في القرون الثلاثة الأخيرة، حيث كانت الحلي النسوية الفضية هي السائدة بالإضافة إلى الخناجر (الكميات) المختلفة الأحجام والأشكال وأساليب التوشية والتنميق. وقد لاحظ معظم الوافدين على المغرب من الزوار أن تقلد الذكور المغاربة للجراب الجلدي (الشكارة) لم يكن ينفصل إلا نادراً جداً عن الكمية.

ع. ابن الهيثم، *البغية في ترتيب أحاديث الحلية*، مخطوط خ. ع.

رقم 2842 كـ ؛ ع. أمهان، *الفنون المغربية الأصيلة*، *مجلة أبعاد فكرية*، ع. 2 السنة الأولى 1989 ؛ أ. التوفيق، *ايرلتان*، (1850 - 1912)، الدار البيضاء 1978 ؛ ع. زمامة، *فاس وصناعتها التقليدية*، *مجلة كلية الآداب بفاس*، السنة 1980 - 1981 ؛ *أسماء الحرف المعروفة بفاس*، *مجلة اللسان العربي*، سنة 1966 ؛ مؤلف مجهول، *المرأة المغربية والحلي*، جريدة *العلم* عدد 8706 بتاريخ 28 أبريل 1974.

J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris, s. d. ; M.M. Barde, *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990 ; A. Barthelemy, *Tazra, tapis et bijoux de Ouarzazate*, Aix-en-Provence, 1990 ; Belhomme, *Les poignards du Sous*, *F.M.*, n° 5, 15 mai 1917 ; *Les armes dans le Sous occidental*, *A.B.*, vol. 2, fasc. 1, 1917 ; H. Clouzot, *Les bijoux indigènes au Maroc, en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1906 ; A.Delpy, *Les divers types de poignards marocains*, *C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960.

محمد بوسلام

تاكنة (المحادية قبلية صحراوية) ← **تَكْنَه**

تاگُنْتَافْت، كلمة أمازيغية مركبة من "ماگ" ومعناها أن يكون الشيء فوق شيء آخر أعلى منه أو مشرفا عليه، كما تعني مجازاً المراقبة والحراسة. ومن "ضاف" ومعناها كذلك الحراسة والمراقبة. وبين الكلمتين "ن" الإضافة. وبها تصبح الكلمة على الشكل التالي : "ماگ - ن - ضاف" التي تعني حرفيا "المكان المشرف المستعمل للمراقبة والحراسة". ثم أضيفت للكلمة المركبة "ماگنضاف". "تاء" التأنيث أو التصغير أو الإشارة، فأصبحت "تاگنضافت" وانقلبت "الضاد" في الاستعمال الشفوي إلى "دال" فنطقها الناس "تاگندافت" أو إلى "تاء" فنطقوا بها "تاگنتافت".

ويبدو أن الكلمة دخلت في تكوين أسماء الأعلام البشرية والجغرافية منذ القدم. وهكذا نلاحظ أن البيذق ذكر اسم شخص من مكناس اسمه " يحيى ابن گنداف"، ولا شك أن أصل "گنداف" هذا هو "أگنداف" إذا اعتبرنا أن شعوب زناتة بصفة عامة يحذفون عادة في نطقهم الهمزة التي تكون في أول الاسم. كما ذكر القبيلة السوسية المعروفة إلى اليوم "بنو ونيطيف" والتي تسمى اليوم "إيداگنيضيف".

غير أن الكلمة بصيغة "تاگُنتافت" وجمعها "تيگُنتافين" لا توجد على ما يبدو إلا في وادي نفيس بأطلس مراكش، وأيت مالاً قرب تافينگولت جنوب تيزي - ن - تاسْت.

وقد اشتهرت "تاگُنتافْت" النفيسية لأنها انتسبت إليها منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) عائلة أيت لحسن التي ينتمي إليها واحد من أكبر قواد الأطلس المراكشي هو الحاج الطيب الگنتافي نسبة إلى تاگنتافت.

كانت كلمة "تاگنتافت" تطلق أصلا على مجموعة من القرى الصغيرة تقع على الضفة اليمنى لنهر نفيس إلى الجنوب من تينملّ الموحدية بين تاسافت شرقا ومولدّيخت غربا. وتحمل أسماء مختلفة هي : أرتاتّايْن وإيسڤّالن وگوگّتن وويگّيت، وإلى هذه الأخيرة ينتمي مؤسس أسرة إيگنتافن أو گندافة التي حكمت وادي نفيس وبعض المناطق المجاورة له مدة تقرب من مائة سنة، حتى إن اسم المنطقة تغير وأصبحت تسمى "گندافة" أو "قبيلة گندافة"، مع أن سكان وادي نفيس لا يجمعهم اسميا إلا انتماؤهم الجغرافي لمنطقتهم، وإلا فكل مجموعة من المجموعات البشرية المتساكنة فيه تحمل اسمها الخاص بها.

وإذا كان موقع قرى تاگنتافت مشرفا فعلا ويسمح بمراقبة المسلك الجبلي الذي يؤدي إلى مراكش وسوس عن طريق وادي نفيس وتيزي - ن - تاست، والذي يعتبر طريقا هاما ومطروقا منذ القدم، فإن "أگادير - ن - تگنتافت" أو قصبة تاگنتافت التي بنيت حوالي عام 1287 / 1870، غير بعيد عن القرى المذكورة، تعتبر فعلا برجا للمراقبة يجسد القوة الصاعدة للعائلة الگندافية التي أسسته ليكون حصنها الحصين وملجأها الذي تحتمي به من الأخطار.

"تاگنتافت" الحصن أو أگادير رمز السلطة الگنتافية في عهد محمد نايت لحسن المؤسس وابنه الطيب الگندافي بصفة خاصة، ليست اليوم إلا أطلالا مهجورة تشهد على ماض يتأسف البعض لزواله ويستهزئ البعض بآثاره : جل هؤلاء من سكان وادي نفيس، لا يعرفون اليوم عن تاگنتافت إلا ما سمعوه عنها من خلال الحكايات المتأسفة أو المستهزئة، لأنهم لم يكونوا گندافيين بالجملة ويستثقلون طراً كل سلطة.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, 1951, T. L, p. 381 - 382 ; E. Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas*, Paris, 1942, p. 72 ; E. Lévi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade*, Paris, 1928, texte, p. 66, 37 ; E. Destaing, *Vocabulaire Français-Berbère*, Paris, 1920, p. 270, 290, 139 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 276, 277, 301 sqq ; C. Justinard, *Un grand chef berbère, Le Caïd Goundafi*, Casablanca, 1951, pp. 38, 51, 55 et passim.

علي صدقي أزايكو

تاگنزالت، قرية وواحة تقع جنوب ورزازات، تحيط بها أسوار وتوجد بها قصبات جميلة الهندسة والشكل، يهتم أهلها بصيانتها والمحافظة على رونقها وعلى سلامة الأبراج التي تعلوها. إلا أن النمو الديمغرافي واكتشاف المناجم بالمنطقة لعبا دوراً كبيراً في تغيير عادات الأهالي.

وواحة تازناخت غنية بمنتوجاتها الفلاحية المتنوعة، دفعت السكان إلى الاعتماد على أنفسهم خصوصاً وأن تاگنزالت تعاني اليوم عزلة قاهرة، بحكم بعد موقعها عن الطريق الثانوية الرئيسية الرابطة بين تادلا وتازناخت، وهي المركز الإداري الوحيد الذي يقوم بالخدمات العمومية لصالح القبيلة المتساكنة بالمنطقة، وهي قبيلة أيت دوشّن.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; L. Gentil et de Gonzac, *A travers le Maroc*.

أحمد بنجلون

تاگوزولت، التي يمكن أن تترجم بـ "الجزولية" أو "النزعة الجزولية" أو "النحلة الجزولية"، اسم علم يطلق على القبائل السوسية التي كانت منتمية إلى الحزب الجزولي. والكلمة كما هو واضح مأخوذة من اسم الشعب المعروف

تاريخيا ألا وهو "جزولة" أو "إيگوزولن".

وكان الحزب المقابل لها في المنطقة يحمل اسم "تاحْگّات" أو "تاسْكتيت" حسب الجهات داخل المنطقة نفسها. (انظر مادة تاحگات).

كان سكان سوس من وادي نون إلى جبل سيروان ومن وادي درعة الأوسط إلى وادي سوس منقسمين على هذين الحزبين المتنافسين انقساما يكاد يكون متوازنا، الشيء الذي يوحي للباحث المتأمل بأن الهدف الجوهري لهذا الانقسام "النصفي" هو تحقيق نوع من التوازن الدائم بين مختلف الجماعات المتساكنة في المنطقة.

غير أن نشأة نحلة "تاگوزولت" التي تعرف عليها المعاصرون على أرض الواقع بدأت في رأي بعض المهتمين في القرن الثامن (14 م). وربط تلك النشأة بسبب موضوعي معروف تاريخيا هو الطاعون الأسود الذي أتى على نسبة كبيرة من السكان في المنطقة المذكورة وفي غيرها من النواحي.

ويذكر المختار السوسي الذي هو صاحب هذا الرأي أن الجزوليين هم السكان الأصليون في القسم الغربي من الأطلس الصغير، ونتيجة لذلك فإن نحلة "تاگوزولت" هي التي تمثّل هؤلاء السكان الذين قصم الطاعون الأسود قسما منهم. أما النحلة المقابلة، وهي "تاحگات" فانها تمثل الطارئين الذين استغلوا ضعف الأوائل وأخذوا يتسربون إلى بلادهم يحتلون ما أمكنهم منها. ومن هنا تولد النزاع بين الحزبين. غير أن هناك رأيا آخر يناقض هذا يقول: "ومما يلاحظ أن لفظ تاگوزولت يدل عرفا عند أهل المنطقة على الشرف والرفعة، بينما لفظ تاحگات يجيئ دون ذلك، ولهذا يستبدل اسم هذا اللف في بعض النواحي خصوصا الجبلية بلفظة سكتانة التي هي في أصلها اسم لقبيلة تضاد گزولة. وهذا ما جعل بعض المفسرين يفترضون ويرجحون أن المنخرطين في لف تاگوزولت هم من سلالة الرعاة الفاتحين والغزاة الظافرين. أما المنخرطون في لف تاحگات فهم ينحدرون من قدماء الفلاحين المستوطنين بالبلاد قبل مجيئ گزولة ..." (*أصول المغاربة، البحث العلمي*، 27 ص 235).

وبما أن الوجود الجزولي في المنطقة ثابت منذ القرن الخامس (11 م) على الأقل (البكري، 161)، وبما أن منطقة سوس بجبالها وسهولها، كانت حسب نفس المصدر آهلة بالفلاحين المستقرين من غير الجزوليين، فإن التحزب الثنائي للسكان كان واقعا قبل القرن الثامن (14 م)، إذا أخذنا بعين الاعتبار الرأي القائل بأن الجزوليين هم الطارئون. وتلافيا للدخول في تفاصيل الموضوع المتشعبة، التي أثرنا بعضها في مادة "تاحگات"، نذكر فقط بأن صيغة "تاگوزولت" و"تاحگات" تمثل الصورة الأخيرة من صور متنوعة اتخذتها ظاهرة الانقسام الثنائي عبر العصور المتغلغلة في الزمن الماضي، ونتيجة لذلك فإن التفسير الذي يوحي به تأمل الصورة الأخيرة لا يمكن أن ينسحب بشكل آلي ومطلق على الظاهرة كلها في كل زمان ومكان، خصوصا إذا تذكرنا أن وجود الثنائية الحزبية لا يقتصر على منطقة سوس وحدها.

لم يقع لحد الآن إحصاء كل القبائل المنتمية لنحلة تاگوزولت، ويبقى روبير مونتاني الذي اهتم بالموضوع في كتابه *البربر والمخزن* المرجع الوحيد الذي يشفي بعض الغليل. ومن خلال هذا الكتاب يتبين أن الجماعات التي كانت تنسب إلى تاگوزولت هي الجماعات الآتية: أيت باعمران وأيت الساحل وأيت المعدر وماسّت وإيداگورسوكت وإيداوْسملات وإيلالن وتازروالت وإيمجّاض وأيت رخا ولاخصاص وإيداوْزكرى وإيداوگنسوس وأيت صواب وإيداوكتير.. وغيرها.

ويبدو أن مراكز نحلة تاگوزولت كانت هي إيليغ وتامنارت وأگلميم وتيبوت، وأن جبل لكست (انگيست) كان هو المحور الطبيعي الذي استقرت حوله أهم الجماعات البشرية المكونة لنحلة "تاگوزولت".

لا يقتصر الدور التاريخي للنحلتين على المحلي المحدود فقط، بل يتجاوز ذلك أحيانا إلى ما هو وطني أو إقليمي. وهكذا نرى أن نحلة "تاگوزولت" مثلا لعبت دورا هاما في معاضدة المرابطين ومعارضة الموحدين (*أصول المغاربة، البحث العلمي*، عدد 27 ص 233)، كما كانت وراء تأسيس الدولة السعدية وإمارة تازروالت فيما بعد. وبهذا الخصوص كتب المختار السوسي ما يلي: "وقد علمنا أن إثارة الدولة السعدية كان من السوسيين أتباع تاگوزولت وكذلك تأسيس دويلة إيليغ التي كان لها في سوس والصحراء إلى غينية وراء الصحراء صولة وسيادة زهاء خمس وستين سنة (1018 - 1081هـ)..." (*إلغيات*، 3 : 169).

وفي الأخير نشير فقط إلى أن القرن الثامن (14 م) يمكن اعتباره فعلا نهاية لـ"جزولة" القبيلة القوية المهيمنة على المنطقة وأنشطتها، وبداية لـ "تاگوزولت" النحلة التي عملت على تقوية نفسها بإلحاق "قبائل" أخرى غير جزولية بصفوفها، ومن أجل ذلك التجأت إلى أساليب أخرى غير الأساليب "القبلية" الأصيلة. وقد لخص التقي العلوي هذا الانحدار في العبارات الآتية: "وحينما جاء القرن العاشر الهجري لم تعد جزولة تُذكر كقبيلة، وانما يعرفها الناس كمقاطعة جغرافية تحمل اسم قبيلة اضمحلت وبقي اسمها للذكريات والاعتبار".

وحينما أطل على الناس عصر الزوايا والطرق الشاذلية كان للمنحدرين من سلالة جزولة النصيب الأوفر من هذه الروح الجديدة، فوجدوا فيها بلسما وتضميدا لجروحهم، وتناسيا لمحنتهم وفرارا من واقع العبودية والشقاء الذي كانوا يعيشون فيه. وتلك نتيجة حتمية للجماعات والأفراد الذين ينحدرون من قمة المجد إلى حضيض الهوان. وإذ ذاك انقطعت الأواصر التي تربطهم بالأصول الجزولية، وهبت ريح الانتساب إلى الشخصيات اللامعة في المغرب والمشرق والأندلس بدل الانتماء إلى جزولة فراراً من وصمة الضعف والهوان. وبذلك لم يعد لها ذكر إلا في أسماء المواقع

الجغرافية والأحلاف والتكتلات القبلية" (نفسه ص 233. 234).

وفي انتظار تحقيق دراسة جدية شاملة لظاهرة الانقسام الثنائي على المستوى المحلي والوطني، يمكننا أن نقول دون تردد كبير، واعتمادا على قرائن عديدة، إن الانقسام الثنائي هو تعبير عن واقع تنعدم فيه التكتلات البشرية الكبيرة والقوية وليس العكس. وعلى هذا الأساس يمكن اعتباره أداة مثلى لتحقيق التوازن الضروري داخل إطار واقع متجزئ بالضرورة لا بالطبيعة.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 157، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة*، ص. 39، 1957 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، ص. 41، 43، 1928 ؛ م. المختار السوسي، *خلالة جزولة*، ج 3، ص. 93 - 94، 20 ؛ ج 7، ص. 9 ؛ *الإلغيات*، ج 3، ص. 166 وما بعدها ؛ *إيليغ قديما وحديثا*، ص. 238 وما بعدها، 57، 1966 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، البحث العلمي، العدد 27، ص. 231 وما بعدها، 1977.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 1930, pp. 182 sqq, 201 sqq ; C. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIème siècle*, 1933, pp. 59, 72 sqq et passim ; B. Rosenberger; *Tamdult*, *Hesp*, 1970, pp. 105, 1027, 129, 131, 133, 134 ; J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas*, 1955, pp. 224 sqq.

علي صدقي أزايكو

تاگونْتْ، رأس يقع بشاطئ قبيلة بني بوگافر الكرتية (إقليم الناظور) الموالي للبحر المتوسط، ويعرف أيضا باسم رأس بني بوگافر، وأما الإسبان فقد أطلقوا عليه اسم Punta Negri.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes*, p. 38 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes*, p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

تاگونيت أو تاگُنيتْ، تعنى بالأمازيغية نوعاً من التضاريس المقعرة أو حفرة مائية بدون روافد. ويطلق هذا الاسم على مركز صحراوي حديث أنشئ في نونبر سنة 1932 على أثر احتلال واحات اكتاوة، وعُيِّن الملازم الأول "سانت بون" Saint Bon كأول ضابط للشؤون الأهلية بتاگونيت نظراً لمعرفته الجيدة لواحات درعة، حيث كان ملازما للقبطان سبيلمان Spillmann في احتلال هذه الواحات.

تعتبر تاگونيت مركزا حضريا وإداريا لأكتاوة، وهي عبارة عن مجموعة من القصور الصحراوية تنيف على الخمسين وتنتشر على ضفاف نهر درعة في واحة مستطيلة من النخيل. ويبعد مركز تاگونيت عن زاگورة بخمسة وخمسين كيلو مترا إلى الجنوب.

وأما بالنسبة للقبائل التابعة لمركز تاگنيت فمعظمها من أيت عطا. ثم استقرت بواحات اكتاوة إلى جانب أيت عطا قبائل عربية ويهود يعود تاريخ استقرارهم بدرعة إلى فترة ما قبل الإسلام، إلا أنهم لم يبق لهم أثر اليوم بعد هجرتهم الجماعية خاصة في النصف الثاني من القرن الحالي. ثم هناك دراوة من أصل إفريقي في الغالب وهم الذين يطلق عليهم محليا اسم الحراطين.

كانت تاگنيت وأكتاوة على العموم أيام السعديين وقبلهم مركزا تجاريا مهما باعتبارها إحدى المحطات الكبرى في طريق القوافل الصحراوية الرابطة بين السودان وشمال إفريقيا تسكنها جالية يهودية كبرى تشتغل بالتجارة والصياغة، ولما أعلن أحمد بن أبي محلي الثورة على زيدان ابن أحمد المنصور الذهبي في قرى بني عباس بتوات انتقل إلى اكتاوة فتزود بالذهب وضرب السكة باسمه قبل أن يزحف على مراكش ويستحوذ على خزائن قصر البديع.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، بيروت 1983، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* ؛ إقليم ورزازات، *مونغرافيا منجزات وآفاق*، مارس *1986*، نشرة لعمالة ورزازات، 1986 ؛ *احتلال درعة، مراحله وحيثياته*، أعمال ندوة كلية الآداب باگادير نونبر 1992.

P. Azam, *Tagounit du Ktaoua quarante trois ans plus tard*, *La Koumia, Bulletin de liaison de l'Association des goums marocains en France*, Déc. 1989, n° 115, p. 49 - 52 ; G. Spillmann, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du haut Dra*, Rabat, 1936.

عبد القادر بوراس

تالابادس، أي عين بادس، إذ كان منها مشرب المدينة، يتألف مصدر مياهها من التقاء عدد من المجاري المحلية المتصلة بمجري إگنان، رافد واد بادس (اليوم : إزْلافن). يحتل المكان المنخفض الذي يجري فيه واد إگنان، ويشرف عليه من الجهة الجنوبية الشرقية جبل معمول (564 م) بقبيلة بني يَطْفت، إذ أن تلابادس كانت في بداية القرن العاشر (16م) جماعة مكونة من عدة مداشر، تضم أهل تلا، وعماير وتغالين وبني شكر والعرص، الذين منهم أولاد أعَرَّاص، قواد حوز بادس والجيش السعدي.

يعود أول معرفتنا بوجود الاسم ومكانه إلى ما ذكره المجهول، صاحب *تقييد نسب قبيلة قلعية* المؤرخ في 939 / 1533، وإلى الوارد *بوثائق دوكاستر*، وإلى ما أشار إليه صاحب *تاريخ الدولة السعدية* وعبد الكريم الريفي في *زهر الأكم*. وازدادت معرفتنا بالمكان منذ أن أصبح مركزاً للقوات المخزنية السعدية والعلوية.

والحديث عن تلابادس مرتبط ببناء قصبتها. ويعود التصريح ببنائها إلى المجهول، صاحب *تاريخ الدولة السعدية*، طبقا لأمر عبد الله الغالب الصادر إثر الاحتلال الإسباني لجزيرة بادس وتخريب مدينتها في 29 محرم عام 972 / 6 شتنبر 1564. والاطلاع على المصادر الإسبانية يقرب لنا تاريخ تأسيس القصبة. فهو مرتبط بوصول منصور بن إبراهيم، مبعوث عبد الله الغالب إلى حوز بادس منذ جمادى الثانية عام 972 / يناير 1565 لوضع ترتيبات حراسة قارة تجاه الوجود الإسباني بالجزيرة.

فبعد تخريب مدينة بادس والتمركز الإسباني بجزيرتها، لم يعد هناك مكان للقوة المخزنية السعدية، مما حتم تراجعها إلى تلابادس، التي اتخذتها مركزاً لانطلاق محاولات تحرير المدنية خلال الخريف من نفس السنة. وخلال فصل الشتاء تأكد لدى قائد السعديين بحوز بادس فشل المحاولات الحربية. وتبعا لذلك تلقى أمرا ببناء قصبة بتلابادس أثناء

مدة إجراء مباحثات بنود الهدنة مع حاكم الجزيرة. وآخر علمنا باستمرار وجود منصور بن إبراهيم بتلابادس يعود إلى رمضان عام 972 / أبريل 1565، لذا فإن تأسيس القصبة يعود إلى ما يقرب من هذا التاريخ.

شيدت القصبة بقلب بني يطّفت على الضفة اليسرى من واد إگنان عند التقائه بواد أگوگور، على مساحة مربعة الشكل تصل إلى 14.400م2. بابها الرئيسي جنوبي، أسوارها متوسطة الارتفاع صممت مرافقها الداخلية لإيواء قائد القصبة ورجال الحامية الفرسان.

والظاهر أن قيادة قصبة تلابادس قد وضعت بيد أبناء القائد علي أعَرّاص، إذ أن الأسرة كانت لها الزعامة بحوز بادس منذ أواخر أيام الوطاسيين وبداية السعديين بالريف، وحظيت بقيادة الجيش السعدي (*معلمة المغرب*، 2 : 514). وأولى الأخبار التي بلغتنا عنها هي التي أنبأتنا بحلول محمد المتوكل السعدي بها، فراراً من ملاحقة عمه عبد الملك، مكث بها ما بين رمضان 985 / نونبر 1577 ومحرم 986 / مارس 1578. في انتظار وصول إذن ضون سبستيان للإبحار إلى لشبونة (*المعلمة*، 2 : 453).

لم نعلم بأخبار قصبة تلابادس إلا بعد أن سرد علينا عبد الكريم بن موسى الريفي الأحداث التي أدت إلى تخريبها على يد مولاي الرشيد بعد محرم عام 1075 / يوليوز ـ غشت 1664. خلال الحرب الأخيرة مع القائد أحمد أعراص (*المعلمة*، 2 : 514) إلى أن تم تجديد بنائها في نطاق تشديد الحصار على جزيرة بادس مع بداية القرن الثاني عشر (أواخر 17 م) على عهد مولاي إسماعيل. ربما كانت سنة التجديد هي 1091 / 1680.

مجهول، *نسب قبيلة قلعية*، مخطوط ؛ عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 129 ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية*، 37، الرباط 1934 ؛ *معلمة المغرب*، 2 : 453 ـ 514 ؛ الطيبي عبد الرحمن، *المجتمع الريفي قبل الحماية*، 2 : 437 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 84 ؛ *خريطة طبوغرافية* سنة 1921، أخرى سنة 1935 ؛ *النشرة الأثرية المغربية*، 14 : 259 ـ 261.

S.I.H.M., Espagne, 3 : 43 ; A. Ghirelli, *Apuntes sobre la Cabila de Beni Iteft*, p. 47, Madrid, 1956.

حسن الفگيگي

تالات، كلمة أمازيغية، وجمعها تَالاتِينْ تعني أرضاً منخفضة بالنسبة للأراضي المجاورة لها. كما تعني الشِّعْب والمسيل أو مجرى المياه. وتطلق مجازاً على حالة الانزلاق والتدحرج التي يقع فيها الانسان المنهار أخلاقيا أو المصاب بالافلاس مادياً أو معنوياً. فيقال له : "فلان وصل تالات" أي الدرجة السفلى. وهناك في منطقة تدغة مثال شائع يقال للانسان الذي يرفض استلهام الدروس من أخطائه للتراجع واصلاح اعوجاجه وانحرافه، فيقال عنه : "كَانْد اكْ، مَدّنْ تالات، أمْخيب (أي المنبوذ) إيقّيمْنْ ديسْ" بمعنى : كل الناس في يوم من أيام حياتهم تدحرجوا إلى الأسفل (تالات) لكنهم تمكنوا من الافلات والصعود من جديد إلى وضعهم العادي، إلا المشؤوم والمنبوذ والمتعجرف فهو وحده يظل في تالات (الأسفل).

واسم تالات أو تالاتين شائع الاستعمال في المغرب ويطلق عادة على القرى والمداشير التي تقع في الوادي ويجري فيها عادة مسيل، وقد تم إحصاء حوالي ثمانين قرية ومدشر ومكان تحمل اسم "تالات" أو "تالاتين".

وتتمتع هذه القرى بتحصين طبيعي، يقيها من الرياح مثلا، ومن مداهمتها بسهولة من طرف المغيرين الأجانب. كما أن أهالي تلك القرى يقيمون زراعات كثيفة غالبا في المدرجات، والمساحات الضيقة، ويعيشون على اقتصاد القلة.

تالات ـ ن ـ وامان، مركب منجمي يتشكل من عدة استغلاليات منجمية وتعدينية نحاسية، ويوجد الموقع بشرق إغرم (إقليم تارودانت) في منطقة جبلية تتراوح ارتفاعاها ما بين 1809 م بتالات ـ ن ـ وامان و1739 م بأمنايو و1715 م بأگوني ن الخير و1580 م بإيمي نيكرى (انظر الخريطة الطبوغرافية لإغرم 1 / 100.000). وتشهد الطبونيميا بالنشاط المنجمي والتعديني للمنطقة، إذ يوجد بالقرب من قرية أگوني مرتفع يسمى أفران وناس، وآخر يوجد بالشرق يعرف بأفرني.

وتتخلل المنطقة آثار منجمية وتعدينية مهمة، فمثلا حُفر بموقع ورنداز دهليز لاستغلال الترسبات المعدنية النحاسية بسمك مترين، وعلى طول ثلاثمائة متر، توجد بقايا دهاليز ردمت بعدما تم استغلال كل العروق المعدنية، وهذه طريقة كانت تطبق في جل المناجم المغربية القديمة، إذ يُعمد مباشرة بعد الانتهاء من استغلال العرق المعدني، إلى حشو كل التجويفات بالردم المعدني مخافة من الانهيارات. وتم العثور على آثار للاشغالات المنجمية القديمة بمنطقة أگوني. وبأفرني توجد مجموعة آبار حفرت لاستغلال العروق المعدنية النحاسية الباطنية.

وتقع أهم الآثار المنجمية بتالات ـ ن ـ وامان، بالأماكن التي يتجاوز سمك الترسبات المعدنية بها ستين سنتيمتر، وتنتشر الآبار المنجمية على طول كيلومتر واحد.

وتغطي الاستغلاليات المنجمية لتالات ـ ن ـ وامان إجمالا مسافة 3.7 كلم باتجاه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي.

الخريطة الطبغرافية إغرم 1 / 100.000.

S. Vergero, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1942 ; Gorichon, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1953 ; T. Tortochaux, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1954 ; L. Gay, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1957 ; M. Saadi, *Mines et géologie*, N° 26, 1968 ; B. Rosenberger, *Anciennes exploitations minières*, *R.G.M.*, t.17, pp. 71 - 102. 1970.

الموساوي العجلاوي

تالات ـ ن ـ يغشي، منخفض يخترقه أحد روافد نهر غريس، وهي منيعة تحيط بها الجبال من الجانبين وأصبحت عبارة عن مضيق جبلي وفج عميق. وتكمن أهميتها في كونها الممر الأساسي من أيت هاني "بأمدغوس" نحو

"الريش" مرورا "بأسول". وكذلك من إميلشيل "بأسيف ملول" نحو الريش عبر أسول.

وتعتبر تالات ن يغشى، من المواقع المشهورة في أعالي نهر غريس بسبب المعارك البطولية التي كان هذا الموقع مسرحاً لها يوم 5 و6 غشت 1933. إذ تمكنت جماعة من المقاومين الشجعان من أيت مرغاد وأيت حديدو (أيت يافلمان) وغيرهم، من الوقوف في وجه طوابير تكاد لا تنتهي من جيوش الاستعمار، مجهزة بمختلف الأسلحة العصرية التي تطورت بأوربا آنذاك. وبفضل ذكاء المقاومين العسكري تمكنوا من استغلالهم للموقع والمسالك الوعرة لمحاصرة القوات الاستعمارية المغيرة على "تالات ن يغشى". هذا على الرغم من الاستعدادات الدقيقة والإمدادات الضخمة اتخذها الاستعماريون لاحتلال منطقة "أمدغوس" التي تعد من آخر معاقل المقاومة بمنطقة الأطلس الكبير الأوسط.

وهكذا فعلى إثر إخماد المقاومة التي تزعمها "سيدي المكي أمهاوش" يوم 14 شتنبر 1932، بعدما تدفقت القوات الاستعمارية من جميع الجهات لتحاصر المقاومين في تازگزاوت اضطر المقاومون إلى الاستسلام بعد قتال مرير تكبد العدو خلاله خسائر فادحة في الأرواح والعتاد منها سبعة ضباط من رتب عالية وأكثر من مائتي جندي بالإضافة إلى مئات الجرحى.

زحفت الجيوش الاستعمارية بعد هذه المعارك، خاصة فوج مكناس بقيادة الجنرال گودو (Général Goudot). نحو أسيف ملول واستقر بجيوشه بإميلشيل، وأخذ يزحف بالتدريج نحو أمدغوس حيث تم احتلال أگدال نايت ابراهيم. وفي نفس الوقت تم شق الطريق عبر ممر تيزي - ن - تَغرغُوزِينْ. الشيء الذي مكن الجنرال دوبيسون (De Buisson) من الزحف نحو أگدال السابق الذكر، ومحاصرة قرى أمدغوس بقوات ضخمة، قوامها أربعة فيالق وثلاثة مدافع بعيدة المدى وبفوجين من الگوم بالإضافة إلى قوات تم تجنيدها من القبائل التي أخضعها الاستعمار والتي يعبر عنها بالقوات الإضافية. وتم تجميع هذه القوات خلال الفترة الممتدة ما بين 18 و27 يوليوز 1933 في إطار الاستعدادات لاحتلال أمدغوس انطلاقا من الشمال.

وأما من جهة الغرب، فقد أدى إنهاء المقاومة بجبل صاغرو يوم 25 مارس 1933، بعد استسلام بطل المقاومة عسو أ بَسْلاَمْ، أدى ذلك إلى تجميع القوات الاستعمارية التابعة لمراكش في مركز بومالن دادس بقيادة الجنيرال كاترو Catroux منذ يوليوز 1933. وتم الشروع في شق الطريق في بومالن دادس نحو أعالي نهر دادس بإمدغاس Imdghass وتم احتلال قرية مسمرير وتامنتوشت، وتمت محاصرة أيت هاني وقرى أمدغوس من ناحية الغرب.

ومن ناحية الجنوب، حل الجنرال هوري Gl. Huré القائد الأعلى للقوات الفرنسية بالمغرب بتينغير تدغة التي حولها إلى مركز قيادته، وأخذ يسير العمليات العسكرية من هناك.

من جهة الشرق، قامت القوات الاستعمارية التابعة لمكناس وتادلة باحتلال المواقع الاستراتيجية والقرى حيث واجهتهم مقاومة أيت يحيى بكردوس، وتمكنوا من تطويق أعالي نهر غريس. وشرعت القوات الاستعمارية في تمشيط المنطقة للقضاء على جيوب المقاومة بأيت هاني.

وفي هذا الوقت أخذ المقاومون ينظمون أنفسهم ويعدون العدة لمواجهة الزحف الاستعماري المغير في المواجهة المصيرية، وقد اتخذوا الزوايا مقراً وملجأ لهذا التنظيم، وخاصة زاوية سيدي بويعقوب بأسول التي ساندت الجهاد ودعت الجماهير للالتحاق بصفوفها، وزاوية سيدي محمد أويوسف وهي فرع لزاوية سيدي بويعقوب، وزاوية قصر أيت سيدي بتلمي على مقربة من إميلشيل... وكانت خطة المقاومة مدبرة أحسن تدبير، بحيث أسندت قيادة المعارك إلى شخصيات معروفة بخصالها الحربية وتجربتها لمقاومة الاستعمار في معارك سابقة، هذا إلى جانب توفرها على رصيد من التقدير لدى رجال المقاومة. ومن بين هذه الشخصيات نذكر على سبيل المثال فقط :

زايد أوسكونتي من أيت عيسى إزم، وعلي أوطرمون، وموحى أوعرجي، وكلهم من أيت مرغاد. وكذلك سيدي حماد نايت سيدي العربي، والراضي مولاي امحمد بقصر إطُوفَزُّو، وسيدي محمد المصغر وأخاه سيدي الطيبي الهواري وباسو أوعدي أمهاوش...

كما أصدر العلماء والفقهاء وأعيان الزوايا المذكورة فتاوي من أجل إعلان الحرب على الغزاة والحث على الجهاد. وكانت هذه القيادات تشرف على مجموع العمليات وتقاتل أحياناً في الصفوف الأمامية، ولهذا سقط الكثير منهم في ساحة الوغى.

وفي أوائل غشت 1933 أصدر الجنيرال هوري انطلاقا من تينغير أمره لقواد مختلف الوحدات من أجل تطويق المقاومين في معاقلهم الجبلية خاصة في فج تيزي نحمدون وجبل أيوب وجبل كردوس وذلك لمنع المقاومين من الالتحاق بجبل بادو الذي جرت فيه المعارك الحربية في أواخر غشت 1933. وفي كل موقع أخذت كتائب المقاومة تتمركز ليل نهار في خنادق وتحصينات من الأحجار تسترها أغصان الأشجار، كما وضع حراس في المرتفعات يتتبعون تحركات الجيوش الاستعمارية. كما كانت أسر المجاهدين تتحصن نهاراً داخل سراديب محفورة تحت الصخور، ولم تكن ضربات الطائرات والمدافع تصيب سوى قطعان الغنم في أغلب الأحيان ! (الأرض المحروقة).

وقد كانت القيادة الاستعمارية تدرك أن قبائل الأطلس الكبير الأوسط لن تستسلم بسهولة إلا بعد استنفاد وسائل المقاومة عن آخرها. وإلى هذا يشير الجنيرال ثيفيني Thévenêy في المجلة العسكرية *La revue militaire* بتاريخ 29 يوليوز 1993 :

"... ومثل منشقي تازگزاوت في 1932، وصاغرو في

1933، فإن منشقي الأطلس الكبير سيمتنعون أولا عن التفاوض، ولن يقع استسلامهم احتمالا إلا بقوة الضرورة، وذلك بواسطة أسلحتنا الأتوماتيكية، ومدافعها المركزة في المواقع المختارة، وطيراننا المداوم على الارتباط بتحركات جنودنا. وأمام اشتداد الخناق عليهم، وانهاكهم بالجوع والعطش، وإبادتهم بالنيران، وبعد أن يكونوا قد أنقذوا الشرف، إلى الاستسلام أخيراً آنذاك سنجردهم من أسلحتهم ونكون بذلك قد أخمدنا فتنة الجبل بأكمله".

وقد أصدر الجنيرال هوري أمره لاحتلال تالات ن يغشي الذي يعد أحد روافد نهر غريس وذلك لإحكام الخناق على المقاومين الذين بدأوا يعتصمون بجبل بادو.

وتم تكوين فرق عسكرية من المشاة والمدفعية وذلك لاحتلال تالات ـ ن ـ يغشى لقطع الطريق أمام المقاومين نحو جبل بادو وأيوب، وساهم فوج مراكش ومكناس تحت قيادة الجنيرال جيرو Giraud بالنسبة لفوج مراكش والجنيرال دو لا بوم De la Baume بالنسبة لفوج تادلة في تلك العملية.

وفي هذا الوقت أخذ قواد المقاومة يعدون العدة للقذف بقبائل أيت مرغاد وأيت حديدو الأشاوس، في وجه الفرنسيين المغيرين على منطقتهم. وهكذا ففي ليلة 5 غشت 1933، اشتبك المقاومون مع القوات الاستعمارية المغيرة، وأخذوا يستدرجونها إلى المسالك الوعرة "بتالات ـ ن ـ يغشى" وفي هذا الصدد يقول أحد أبطال مقاومة "تالات ـ ن ـ يغشى" وهو من منطقة أيت هاني ويدعى "امبارك أو المعطي" يقول :

"كنا قد وضعنا حراساً في قمم الجبال المطلة على مدخل "تلات ـ ن ـ يغشى" لإرشادنا عن تحركات طوابير الجيوش الاستعمارية، فكان عليهم أي الحراس أن يتقدموا نحونا إذا تقدمت جيوش الاستعمار وأن يتوقفوا إن توقفت إلخ... ولما شاهدنا الحراس يقتربون منها، استشعرنا نوعاً من الذهول لأن الأمر يتعلق بالمعركة المصيرية، وكنت في مقدمة الصف وكان علي أن أطلق الرصاصة الأولى إيذاناً ببداية المواجهة... وهذا ما تم بالفعل وأخذنا نمطر القوات الاستعمارية بوابل من الرصاص من كل جهة ولم ينج منها إلا الفارون وغنمنا أسلحة كثيرة وعدداً كبيراً من الخيل والألبسة العسكرية" (راوية شفوية مؤرخة بـ 24 مارس 1974).

وإلى هذه المعركة يشير العقيد فوانو (Le colonel Voinot) في كتابه المشار إليه في المراجع صفحة 466 :

"وبعد تكوين وتنظيم القوات المكلفة باحتلال "تلات ـ ن ـ يغشى" تقدمت هذه القوات نحو هدفها يوم 6 غشت، إلا أنها فوجئت بهجومات مباغتة للمنشقين القادمين من بادو وأرغمت هذه الغارات قواتها للتراجع نحو ضفاف أحد روافد وادي تالات ن يغشى... وكانت خسائرنا في معركة "تالات ـ ن ـ يغشى" قد بلغت أربعة وأربعين قتيلا وواحدا وخمسين جريحاً ومقتل أربعة ضباط من رتب متفاوتة بين عقيد ومقدم ونقيب..."

وقد أثارت هذه المعركة البطولية للمقاومين معارضة داخلية في فرنسا، رغم أسلوب التعتيم الذي اتبعته إدارة الحماية عن العمليات العسكرية في المغرب بحيث أوهمت الرأي العام خاصة بعد حرب الريف أن المغرب تم احتلاله ولم يبق إلا عمليات محدودة ضد المنشقين وقطاع الطرق، فجاءت معارك أمدغوس وخاصة معارك "تالات ـ ن ـ يغشى" لتفجير الوضع من جديد، وهكذا كتبت جريدة لوپوپيلير *Le Populaire* بتاريخ 18 يوليوز 1933 :

"لا يزال الدم يسيل في المغرب". وفي عدد 14 يوليوز 1933 قالت : "عشرة قتلى آخرين واثنان وعشرون جريحاً في المغرب !". وفي عدد 11 غشت 1933 أي بعد معارك تالات ـ ن ـ يغشى، كتبت الجريدة المذكورة :

"... إن التوغل السلمي المزعوم في المغرب ليس شيئاً آخر سوى مشروع لصوصية كبيرة لفائدة الرأسمالية الاستعمارية، ومناسبة لبعض ذوي الرتب العسكرية لكي يربحوا شارات ونياشين بدم الجنود الفرنسيين والاهالي التعساء... إن صمت الحكومة ذو دلالة وسنرغمها على الخروج من هذا الصمت سواء أرادت ذلك أم لم ترده..." (جورج أوفيد، *اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905 ـ 1955*، ص. 255، مطبعة دار توبقال).

وقد شكلت معارك "تالات ـ ن ـ يغشى" عقبة كأداء لتقدم الجيوش الاستعمارية، كما أعطت نفسها للمقاومة التي قامت بها قبائل أيت مرغاد بقيادة زايد أسكونتي بجبل بادو من 22 إلى 26 غشت 1933.

محمد المعزوزي وهاشم العابدي العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، مطابع الأنباء، الرباط، 1986 ؛ جورج أوفيد، *اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية 1905 ـ 1955*، دار توبقال، 1988.

L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981 ; Lançon, *Les dernières étapes de la pacification dans le Grand Atlas marocain 1931 - 1933*, R.M.F., Août - Sept. 1934 ; B. Guillaume, *Les berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central*, Paris, 1946.

عبد القادر بوراس

تالبرجت ← أگادير

تالسمطان، منتزه في منطقة جبلية تقع شمال شرقي مدينة شفشاون. مازال مشروع خلق منتزه تالسمطان في طور إنجاز الدراسة التي بدأت في نهاية سنة 1993.

يقع المنتزه الطبيعي لتالسمطان لمنطقة شفشاون حيث يعطي 60.000 هكتار من السلسلة الكلسية للريف التي استعير منها اسم المدينة شَفْ شَاوَنْ أو أشَاوَنْ بالأمازيغية أو القرون والقمم بالعربية، إذ تشتمل منطقة المنتزه جبال الأقرع (أو الأشهب) وتيسوكا وبوسليمان وخربوش وتازاوت وكلتي.

يتميز منتزه تالسمطان بتضاريسه ومناظره الخلابة من صخور ووديان غارقة ومنحدرات تجلب الأنظار، وبيومناخاته الرطبة جدا والرطبة وشبه الرطبة، كما يزخر بتنوع نباتاته التي تشمل العديد من القبسيات.

وأهم الأهداف المتوخاة من خلق هذا المنتزه هو الحفاظ على غابة الشوح المغربي آبْسِيسْ مارُوكَانَا Abies maroccana أو Sapin du Maroc بالفرنسية. وهذا النوع الشجري قيسي أصيل خاص بهذه المنطقة، وهو يغطي ثلاثة آلاف هكتار، ويضفي على المنطقة رونقاً وجمالاً لا مثيل له إطلاقاً. كما تصادف بالمنتزه غابات من الأرز وبلوط الزان، والبلوط الأخضر والبلوط القرمزي والعرعر البربري، وبعض أشجار القسطل الطبيعية.

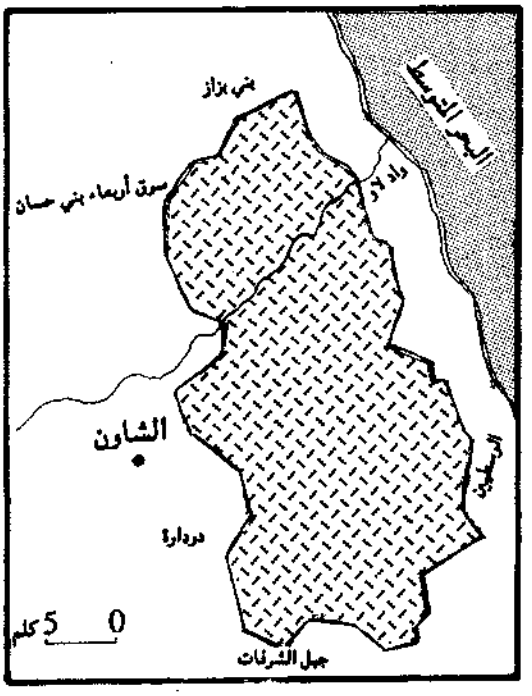

منتزه تالسمطان

إلى جانب هذه الأشجار المذكورة يتمتع زائر المنتزه بمشاهدة أزهار جميلة فائقة في الرونق، منها القبسية، كما يتمتع بأصوات عدد وافر من الطيور. ويمكنه أن يصادف القردة وهي تتسلق الصخور أو أشجار الشوح.

أبحاث ميدانية.

Benabid et Mahe, *Plan de gestion du Parc Naturel de Talasemtane*. Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, 1994.

عبد المالك بنعبيد

تالسِنْت، مركز تابع لعمالة فگيگ على بعد نحو مائة كيلومتر من بوذنيب وثمانين كيلومتراً من ميسور على ارتفاع 1300 م. تسكنه قبيلة أيت حمو أُسعيد من قبائل أيت سغروشن. وقد اشتهر أيت حمو أهل تالسينت بمقاومتهم العنيفة للاستعمار الفرنسي، بدءا من معارك بوذنيب عام 1325 / 1907 إلى سنة 1353 / 1934. وشكلت تالسينت أحد المعاقل الهامة للمقاومة لدرجة أن الكتابات الاستعمارية خصصت لها حيزاً كبيراً وأطلقت عليها "ملاحم أيت حمو".

ـ انضم أيت حمو القاطنون بتالسينت منذ الوهلة الأولى إلى المقاومة التي قادها مولاي أحمد أُلحسن السباعي منذ سنة 1907. ولما اقتحمت جيوش الاحتلال بوذنيب سنة 1916 عاد أيت حمو إلى تالسينت حيث أعادوا تنظيم المقاومة فواجهوا الجيوش الاستعمارية بقيادة الكولونيل دوري Doury يوم 17 يوليوز 1916 وكبدوها خسائر فادحة. وعند اندلاع المقاومة بتافيلالت سنة 1918 بقيادة مبارك بن الحسين التوزونيني انضم إليه أيت حمو وأعلنوا العصيان ضد سلطات الحماية واضطر الكولونيل هوري إلى القدوم إلى تالسينت على رأس جيش ضخم يوم 14 فبراير 1919. وبدأت المعركة من جديد لكن المقيم العام ليوطي أمر بوقف القتال في منطقة بوذنيب وتافيلالت والاحتفاظ بالوضع القائم بأقل التكاليف، وذلك لتجميع القوات الفرنسية لمواجهة البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي.

أدرك أيت حمو النوايا العدوانية للاستعمار الفرنسي وخطته في عزل الريف عن بقية المناطق ليتفرغ بعد ذلك لإخماد المقاومات الأخرى، لهذا رفضوا الهدنة التي أعلنها الاستعمار من طرف واحد. وتجلى ذلك يوم 13 جمادى الأولى عام 1344 / 16 دجنبر 1925 على إثر الحملة التي قامت بها السلطات الفرنسية لنزع السلاح من أيدي السكان، حيث استدعى الضابط الملازم الأول دى سباكس De Spax رئيس مكتب تالسينت جماعة من أيت حدو أُبلحسن وعلى رأسهم حمو أُحمو وأخوه محمد أُحمو من قصر أبيار فرقة أيت الخندوف، وكانت خطتهم ترمي إلى الاجتماع في السوق أولا قبل التوجه إلى مكتب الضابط، لكن هذا الأخير كان على علم بخطة القبائل التي تنوي الهجوم على مركز السلطة بتالسينت لاسترجاع السلاح. وقد أمر الضابط بإلقاء القبض على حمو أُحمو، ولكن سرعان ما تدخل شقيق هذا الأخير وأطلق الرصاص فقتل الضابط وتم قتل عشرة من الجنود والمخازنة. وكان مقتل الضابط "دى سباكس" بمثابة الشرارة التي أشعلت ثورة أيت حمو بتالسينت، حيث تم الاستيلاء على الأسلحة الموجودة في مركز السلطة الاستعمارية بتالسينت بعد السيطرة عليه. واستمرت المجابهة بين أيت حمو مع من انضم إليهم من القبائل المجاورة في منطقة تالسينت مثل أيت مريم وكذلك في بني تبجيت من جهة والجيوش الاستعمارية مدة قتل خلالها الضابط الذي خلف دى سباكس على تالسينت يوم 26 أبريل 1926، وبلغ عدد الأسر التي غادرت تالسينت وأعلنت تمردها على الاستعمار ثلاثمائة أسرة سنة 1928.

كانت أساليب مقاومة أيت حمو تقوم على حرب العصابات ومواجهة الجيوش الاستعمارية عن طريق نصب الكمائن والمباغتة للتغلب على التفوق العددي والأسلحة المتطورة لدى الجيوش الاستعمارية، وكان من نتائج الانتصارات التي حققها أيت حمو سنة 1928 حسب الكولونيل صولاي في كتابه *الگوم المغاربة* (ص. 238) : مقتل سبعة وثلاثين جنديا في منطقة بوبرنوس، وإبادة طابور من المشاة في عطشانة مع مقتل ثمانية وثلاثين جندياً، ومقتل خمسين جنديا تابع للفيلق في منطقة جبهاني.

وهذا كله على الرغم من نهاية حرب الريف وإتمام تهدئة منطقة تازا، الشيء الذي مكن من تجميع القوات في منطقة تالسينت ودائرة كراندو. ومع ذلك لم تتمكن القوات الفرنسية من القضاء على أيت حمو رغم استعمال مختلف الأسلحة بما فيها الطيران، الأمر الذي استدعى إعادة تنظيم الجيوش الاستعمارية. وفي هذا الصدد كتب الكولونيل فوانو في كتابه (*Sur les traces*, 248) : "لقد استدعى الأمر إعادة التنظيم وإنشاء قيادة موحدة للتخوم الجزائرية المغربية بقيادة الجنرال هورى وذلك خلال فبراير سنة 1930. والسبب في إعادة هيكلة هذا التنظيم يعود بالأساس إلى النتائج الهزيلة وغير المرضية التي أسفر عنها الصراع المسلح ضد "لصوص" أيت حمو.

قامت القوات الاستعمارية بحرب إبادة ضد أيت حمو حيث كانت تترصد أماكن خيامهم أثناء ترحالهم فتهاجمهم بالطيران الحربي. وأما في تالسينت فقد وجهت اتهامات لبعض الأعيان بمشاركتهم في العمليات العسكرية وتم إعدامهم، وبلغ عدد من أعدم ستة عشر شخصا. ومن الذين توجهت إليهم التهمة موحى أزگاغ العيساوي من أيت وزاك واستطاع الانفلات وتمكن من تنظيم المقاومة في ضواحي تالسينت ثم انضم إلى بقية قبائل أيت حمو الذين شاركوا في عدة معارك في تادرة قرب گلميمة خلال غشت سنة 1930، وفي صفرو خلال فبراير - مارس 1933، وفي معارك أخرى بالأطلس الكبير الأوسط.

وقد هجرت قبيلة أيت حمو تالسينت ورحلت بخيامها وماشيتها إلى المناطق الغير محتلة، فوجدها الجيش الفرنسي فرصة سانحة لهدم قصور أيت حمو بخنگ الصفصاف قرب زاوية تالسينت وقصر غزوان.

انتقل أيت حمو إلى تافيلالت ودرعة ح ضموا إلى جيوش بلقاسم النگادي لمحاربة الاستعما وا في الصحراء حيث واجهوا الجيوش الاستعما ارك منها معركة طنطان والزاگ ومعارك ي قرب ة الحمراء سنة 1934. وهناك تكتلت القوتان الاسـ ن الإسبانية والفرنسية للقضاء على مقاومة أيت حمو ي ر أكتوبر سنة 1934.

م. المختار السوسي، *العسول*، الجزء 16 ؛ م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي المسلح في حلقات من 1900 إلى 1935*، الرباط، 1986.

J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, T. I, Paris, 1931 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; M. Bernard, *La pacification du Maroc, 1907 - 1934* ; Alphonse, *L'achèvement de la pacification marocaine, méthodes et programme*, R.M.F., 1935 ; A. Haddou, *L'odyssée des Aït Hammou de Talsint*, *Lamalif* N° 143, février- mars 1983, p. 44.

عبد القادر بوراس

تالعينت، تصغير العين "بأزغار" واقعة على بعد 20 كلم جنوب مدينة تيزنيت. يذكر أن هذا المجال عبارة عن مرعى استقطب موجات بشرية مختلفة من الجبال المجاورة والصحراء ووفد عليه أولاد جرار المعقليون منذ العصر الموحدي (المنوني، *إمارة*، ص. 27) فنمت إليه هجرة كثيفة كثيفة قبل الاستقرار النهائي للسكان، اعتباراً لموقعه كطريق للقوافل التجارية، على أن الماء كان الباعث الأساسي لاستقرار أولاد جرار بأزغار تيزنيت، حيث تجمعوا في قرى كبيرة حول العيون في الركادة وإغرم وتالعينت.

كان لظهور "عين حسون" بتالعينت أثر كبير في استقرار جزء من أولاد جرار بها، بل إن الدفاع عن الطريق التجارية وحماية مصادر المياه والغلال خلق تلاحما أكبر بين أزغار في إطار حلف "تاحگات" الذي تتزعمه تالعينت ضد حلف "تاگوزلت" الذي ترأسه تازروالت. هذا التلاحم لا ينفي الصراع بين الأزَغَاريين عامة وبين الأسر والفخذات الجرارية حول مصادر المياه.

ذكر الاگراري أن حفر العين كان منذ بداية القرن الثاني عشر (18 م) استناداً إلى وثائق مكتوبة، وأن الذي عثر على مكان العين الحالي هو أحد السگرادين المسمى قيسوم بن أحمد السگرادي، في فدان للشيخ محمد بن علي الحسوني الذي تسمت العين باسمه، وأشرف على الحفر أيت همان بأيت بريم (*روضة الافنان*، ص. 4).

مرت الدورة المائية "لعين حسون" بثلاث مراحل :

- المرحلة الأولى تبدأ منذ ظهور العين على سطح الأرض في الثلاثين من القرن الثاني عشر، حين قسم الأطراف الثلاثة الذين شاركوا في الحفر مياهها فيما بينهم بالتساوي (أولاد حسون، أيت همان وإسگراد). وحسب أول وثيقة مؤرخة بعام 1331 فإن الدورة المائية كانت على مدار شتاء اثني عشر يوما صيفا وشتاء في كل يوم توزع فرديتان (نوبتان) فردية بالليل وفردية بالنهار (*روضة الافنان*، ص. 7) وفي كل فردية ستون طاسة وفي كل طاسة اثنتا عشرة دقيقة، ويشرف على توزيع الماء أشخاص يتوارثون حرفتهم يدعون "العبارة" ويحصلون مقابل عملهم على طاسة واحدة عن كل فردية.

- في المرحلة الثانية، تغيرت الوضعية القانونية للدورة المائية وذلك أواخر القرن الثالث عشر (19 م) ليصبح عدد أيام الدورة أربعة عشر يوماً، وارتفع عدد المستفيدين إلى عشرين أسرة.

- وفي المرحلة الثالثة، أصبحت الدورة المائية واحداً وعشرين يوما بزيادة سبعة أيام بتدبير من القائد عياد بتاريخ 11 ذي الحجة عام 1343 / 3 يوليوز 1925، وقد برر ذلك بقوله "اشتريت هذا الثلث عند سگرادة ولذلك زدتها وتبرعت للقبيلة بإصلاح العين وقتما احتاج إلى الاصلاح" (*روضة الافنان*، 7). بازدياد حصة أسرة بورحيم من مياه العين ازدادت المساحة المزروعة التي تمتلكها فكان لزاما عليها تحصين القرية لمواجهة الأخطار المحدقة. وهكذا أمر القائد عبد السلام وخليفته عياد بتسويرها سنة 1318 / 1901، كان علو السد 4.80 م وسمكه 0.80 م. له بابان كبيران يعتبران مدخل القرية حيث الدور والساحات ورياضان كبيران بداخل أحدهما منبع العين، فاكتسبت تالعينت سمة

الحاضرة، فقصدها العلماء والأعيان والتجار والحرفيون للاحتماء بسورها الذي صد عنها غارات الجبليين وحملات الكنتافي سنة 1918، بل إنها استرعت انتباه سلاطين الوقت، فزارها السلطان مولاي يوسف سنة 1926، وأصبحت قاعدة سوس الأقصى بعد تيزنيت بل إنها سعت إلى منافستها محتفظة بمكانتها تلك حتى أفول نجم أسرة بورحيم (انظر *المعلمة*، ج 5).

م. الاكراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تع حمدي أنوش، ر. د. د. ع. الرباط 1989 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 19 ؛ *خلال جزولة*، ج، 1 ؛ م. المنوني، *إمارة بني يدر بسوس*، *مجلة دراسات*، كلية الآداب أكادير، العدد 1، 1987، ص. 27. 29.

H. Dugard, *La colonne du Sous 1917*, Paris, 1918 ; Justinard, *Un grand chef berbère : Le Caïd Goundafi*, Casablanca, 1951.

حمدي أنوش

تالغمت، اسم مواقع متعددة في كثير من جهات المغرب، وخاصة في المناطق التي تسود فيها الأمازيغية. نجده مثلا، علما لقرية في سگتانة وأيت ووزگيت وگدميوة، ويعني الناقة (E. Laoust, 96).

يشتهر ممر تالغمت (تيزي ـ نْ ـ تالغمت) على الطريق الرئيسية الرابطة بين ميدلت والرشيدية، وهي طريق مطروقة بكثافة منذ القديم. يقع هذا الممر شرقي جبل العياشي، وهو أشهر ممرات الأطلس الكبير الشرقي.

أما زاوية تالغمت، فهي مرحلة من المراحل التي كان ينزل بها ركب الحج الناصري، وتقع بين سجلماسة والقنادسة. ولعل تطورها في القرنين الحادي عشر والذي يليه (17 ـ 18 م) إرجع بالأساس إلى نشأة فرع للزاوية الناصرية بها (*الرحلة الناصرية*، 2 : 196). فقد تتلمذ أحد أبنائها، وهو محمد أگرّام للشيخ أحمد ابن ناصر. ترجم له الخليفتي، نقلا عن *الرحلة الناصرية*، فقال :

"ثم تتابع الناس أرسالا، وتلاحقوا أفواجا، وفيهم بلدينا المحب سيدي محمد أگرّام به لقب، التگمدرتي". (*الدرة الجليلة*، 240).

وتكمن أهمية تالغمت بالنسبة للركب الناصري، في كونها مرحلة في الطريق، ينزل بها الحجاج للاستراحة واقتناء الرواحل.

وظلت زاوية تالغمت الناصرية، قائمة بعد ذلك، فقد توقف بها ابن عبد السلام الناصري في بداية القرن الثالث عشر (19 م) في أثناء قفوله من الحج. (*الرحلة*، 62). وماتزال حتى اليوم دار صلاح وعلم.

أحمد بن ناصر الدرعي، *الرحلة الناصرية*، ط. ح ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تع. أ. عمالك، 1986 ؛ م. ابن عبد السلام الناصري، *الرحلة*، م. خ. س.، 5658.

E. Laoust, *Contribution...*, 1942.

أحمد عمالك

تالكْتاوت ← **بني سمكين**

تَـالگجُونْـتْ، بكاف معقودة أو بكاف عادية. اسم يطلق على مجموعة من القرى تقع على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الغربي شرق مدينة تارودانت، ما بين مركزي تافينگولت وعايت برحيل. ويقع جل قرى تالگجونت على أحد روافد الضفة اليمنى لنهر سوس، المعروف باسم أسيف ـ ن ـ تالگجونت الذي ينبع من الجدار الجنوبي والجنوبي الغربي من الكتلة الجبلية تيشكا.

أهم قرى تالگجونت إينْضْرْمَاسْ، إيگرْ ـ نْ ـ أُوفْلاَّ، إيداوتْلاَلْ، تَلاتْ ـ نْ ـ خْفّي... وتحيط بها المجموعات البشرية التالية : تاوينخت وإيفوزان وإيداوگايْسْ وإيگضَاشْنْ وأيت يُوش وأزَازنْ وتالامْتْ...

تعتبر تالگجونت من المواقع الجميلة في المنطقة نظراً لخصب تربتها ووفرة مياهها، وقد عرف سكانها كيف يستغلون هذه المعطيات، فجعلوا من الأراضي المجاورة لمجرى النهر جنات متصلة من أشجار الزيتون واللوز والتين وغيرها، ومزارع للقمح والشعير والذرة وأنواع الخضر.. وبنوا للنحل ولمختلف الحيوانات الأليفة.. كل هذا أنجز وسط غابة كبيرة محيطة من شجر أرگان الخالد الذي تشتهر المنطقة بإنتاج أحسن زيت منه، كما تشتهر بعسلها المعطر.

ينتمي سكان تالگجونت حسب ما ورد عند روبير مونتاني وجان دريش، إلى لَفّ إيداوزْڭاغْ الذي يقابله في المنطقة لفّ ءايت زوليط. ونتيجة للصراع الدائم بين هذين اللفين برزت سلطة أيت بازي بتالگجونت منذ منتصف القرن التاسع عشر، واحتفظت أسرة أيت بَازّي بالمشيخة (إمْغَارْنْ) ثم بالقيادة (لْقيَّادْ) منذ ذلك الوقت إلى نهاية فترة الحماية، وكان المرحوم القائد الحاج لحسن بَازّي آخر قائد منها.

معلومات شخصية ؛ *خرائط جان دريش*.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*.

علي صدقي أزايكو

تالمبوط، أو تالَنْبُوطْ، قرية تقع بفرقة بني شداد من قبيلة بني زجل (إقليم شفشاون). والغالب على الظن أنه كان بها في عهد الرومان مركز لحراسة الطريق الرابطة بين مركزوادي لاو ومركز إغاروزيم بالقرب من شفشاون، بدليل أنه ما زالت هناك آثار قنطرة رومانية قائمة الذات.

وهناك سد تالمبوط ويعرف أيضاً بسد وادي لاو Presa del Lau، وهو السد الوحيد الذي بناه الإسبان في عهد الحماية وجعلوا عليه معملا لتوليد الكهرباء ؛ ويقع بالقرب من القرية التي يحمل اسمها بقبيلة بني زجل (إقليم شفشاون). والطاقة الكهربائية التي يُنتجها معمل هذا السد كانت تغطي حاجيات الناحية الغربية من شمال المغرب بما في ذلك مدينة سبتة السليبة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 131.

A. Rivas, *La presa del Lau*. Tetuan, 1943 ; Martinez Campos, *España Belica*, 292.

محمد ابن عزوز حكيم

* * ويذكر في التاريخ أن قرية تالمبوط شهدت في القرن العاشر (16 م) وما تلاه، نهضة علمية ملحوظة فأصبحت تشكل مركزاً علمياً هاماً، اجتمع فيه من أبنائها ومن

الطارئين عليها علماء أعلام ومتصوفون كبار، منهم الشيوخ عبد الله الغزواني وعبد الله الهبطي والحسن ابن عرضون وأبوالقاسم بن خجو وموسى الوزاني ومحمد النالي الخالدي وعبد الوارث اليالصوتي وغيرهم، ورد هؤلاء الشيوخ على هذه القرية فبنوا بها مساجد غدت مدارس للعلم وموئلا للإرشاد والإصلاح، وكان لقدوم الشيخ الهبطي إليها أعظم الأثر على ازدهار العلوم الدينية بها ...

ع. الجيدي، *ابن عرضون الكبير، حياته وآثاره*، ص. 50. 51.

عمر الجيدي

تالمست، واحدة من بين زوايا ركراكة الثلاث عشرة المنتشرة على عدوة وادي تانسيفت الجنوبية وهي اكرات ـ تالمست ـ أقرمود ـ رتنانة ـ أيت بوطريطش ـ توريرت ـ أيت بوالاعلام ـ مرامر ـ تكتنت ـ امزيلات ـ سگياط.

وتسمى تالمست كذلك زاوية سيدي عبد الجليل نسبة إلى دفينها سيدي عبد الجليل بن منصور بن عبد النعيم والد سيدي مگدول دفين الصويرة، وهو أحد العلماء العارفين بالله، تلقى العلم بالأندلس والتحق بمصر حيث درس على الشيخ خليل صاحب *المختصر* وذلك سنة 774 هـ ثم عاد إلى غرناطة بالأندلس فشاع خبره وذاع صيته حتى وصل إلى ملك مراكش أبي الحسن المريني الذي قابله بالأندلس حين جوازه إليه وأمره بالرحيل إلى بلاد ركراكة ولم شتات المتفرقين منهم في قبائل المغرب بعد أن فروا من بطش ابن خزر المغراوي وتفرقوا في سوس وأغمات وتادلا في بداية العقد الرابع من القرن الخامس الهجري (432 / 1040 م).

ويعود الأصل في تسمية تالمست بهذا الاسم إلى روايات متضاربة لعل أرجحها تلك التي تنسب الاسم إلى الكلمة البربرية "تملمَس" التي تعني النبع أو البئر، ذلك أن تالمست ـ سواء الزاوية أو المركز القروي القريب منها ـ يرتبط موضعها بواد دائم الجريات يحمل نفس الاسم تغذيه العيون والينابيع الكثيرة الموجودة على طول مجراه، ويرجح أن يكون هذا الاشتقاق صحيحاً نظراً لكون قبيلة ركراجة التي ينتسب إليها سكان تالمست هي قبيلة أمازيغية الأصل.

دراسة ميدانية.

محمد گلاد

تالمّاغت، تكتب أيضا "تالمغت" و"تالماخت" بالخاء، كما ترد أحيانا معربة هكذا "لمّاغة". تطلق تالماغت من جهة على منطقة زراعية غنية تقع الآن بزعير جنوب مدينة الرباط، ومن جهة أخرى على فرقة من قبيلة زعير ما تزال معروفة حتى اليوم. وتجدر الإشارة إلى أن جل المعلومات المتوفرة حول هذا الاسم غالبا ما يقصد بها الموضع وأحيانا الموضع والقبيلة معا.

ارتبط ذكر تالماغت في المصادر المغربية ببعض الأحداث التاريخية التي ترجع إلى فترات مختلفة من تاريخ المغرب.

ولعل أول إشارة وردت في هذا الباب هي التي جاءت عند البيذق حيث ذكر في معرض حديثه عن فتنة يحيى بن أبي بكر الصحراوي بدكالة، والذي تعاضدت معه قبائلها وكذلك قبائل رگراگة وحاحة ضد الموحدين بعد فتحهم مراكش سنة 541 هـ، أن الخليفة عبد المومن بعث إلى يحيى جيشاً بقيادة يصلاسن بن المعز لإخماد ثورته والقضاء عليه، بينما أخذ هو طريقا آخر إلى سلا عبر تالماغت لمواجهة بقايا المرابطين هناك (*أخبار*، 68).

أما الإشارة الثانية فوردت عند ابن الزيات عندما ترجم لأبي محمد عبد الله ابن الخير الزناتي كأحد رجالات التصوف والصلاح الذين ينتمون إلى موضع قريب من تالماغت بتامسنا وعرفوا بكراماتهم واستجابة دعواتهم (*التشوف*، 296).

وقد كان للسان الدين بن الخطيب أفدنة بمنطقة تالماغت يقوم على حرثها، وهي من إهداء السلطان أبي زيان المريني حسب ما جاء في ظهير له مؤرخ في سنة 763 هـ حيث يصرح أنه أعفى ابن الخطيب من الوظائف وأن "تحرر له الأزواج التي يحرثها بتالماغت من كل وجيبة، وتحاشى من كل مغرم أو ضريبة بالتحرير التام" (*نفح*، 6 : 7)، كما منحه امتيازات أخرى كتخصيصه مرتبا شهريا له ولولده يؤخذ من محبي مدينة سلا يقدر بخمسمائة دينار من الفضة العشرية، إضافة إلى الإدم والأقوات من حيوان وعنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك ولا يطالب في كل هذا بمغرم أو وظيف.

أما في العهدين السعدي والعلوي فتتوفر معلومات أكثر عن تالمّاغت كموقع استراتيجي تعبره المحلات السلطانية في اتجاهها من مراكش إلى مكناسة وفاس عبر الرباط أو العكس، وذلك إما لتنقل السلطان بين عواصمه بهدف الاستقرار وتغيير مكان الإقامة، أو لإخماد فتن القبائل الثائرة هناك أو لقمع تمرد بعض قبائل زعير نفسها، كما كانت المنطقة مكانا مناسبا لتخييم المحلات السلطانية.

ففيما يتعلق بالقرن العاشر الهجري تذكر بعض المصادر أنه في سنة 989 هـ أقطع السلطان أحمد المنصور الذهبي بلاد تالمّاغت لفرقة من عرب حوز مراكش هم أولاد مطاع (*مناهل*، 112). لكن في سنة 997 هـ وقع نزاع بين قبيلتي أولاد حسين وأولاد مطاع حول النفوذ على أرض تالمّاغت، فكانت الهزيمة على أولاد مطاع. وعندما وصل الخبر إلى أحمد المنصور سرح إليهم جيشاً بقيادة أبي اسحاق إبراهيم بن محمد السفياني الذي وضع حدا لفتنة أولاد حسين وفرض عليهم مغارم ثقيلة (*مناهل*، 51).

وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 ـ 19 م) كانت تالمّاغت مسرحا للعديد من المواجهات إما بين قبائل المنطقة أو بينها وبين السلطة المركزية نجملها فيما يلي :

ـ في سنة 1157 هـ وقعت مواجهة بين السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل وأخيه مولاي المستضيء الذي ثار

عليه بسلا حيث بايعه أهلها وساندته قبائل بني حسن وفرقة من عبيد دكالة في حصار مدينة الرباط مدة أربعة عشر شهرا. وكانت من نتائج هذه الوقعة التي تعرف بازبيدة انهزام الأمير الثائر وفراره إلى ناحية مسفيوة (*الضعيف*، 1 : 263).

- في سنة 1193 هـ نشبت حرب ضروس بين عرب الصباح وزعير بتالمّاغت على رأس مرسى أگدور (*الضعيف*، 1 : 338).

- وجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله مجموعة من الحملات العسكرية إلى تالماغت لردع بعض قبائل زعير المتمردة على المخزن وتأديبها، وكانت أهم تلك الحملات وقعة سنة 1201 هـ و1203 هـ (*الضعيف*، 1 : 352، 360، 372).

- حملات السلطان مولاي سليمان لإخماد فتن قبائل زعير بتالماغت خاصة سنة 1209 هـ (*الضعيف*، 2 : 457. 460).

- في سنة 1225 هـ أمر الباشا الغازي الشاوي قبائل زعير ببناء قصبة في مشرع المسناوي بتالماغت وأن يقيموا فيها سوق الأحد (*الضعيف*، 2 : 649).

من جهة أخرى شكلت تالماغت إحدى المحطات الأساسية التي تعبرها المحلات السلطانية في اتجاهها من مراكش وفاس وإليهما، كما تتخذها أحيانا للراحة والاستجمام. في هذا الإطار نشير إلى :

- الطريق الذي سلكه سيدي محمد بن عبد الله انطلاقا من مراكش لردع قبائل شراگة شمال فاس سنة 1202 : مراكش - قنطرة تانسيفت - وادي أم الربيع (أحمري) - أزبيدة بتالماغت - تنوبارت ببلاد السهول - المبيت بقصبة الجياد - المبيت بزرهون - مكناسة (*الضعيف*، 1 : 359).

- رحلة السلطان مولاي سليمان من مكناسة إلى مراكش سنة 1217 هـ : مكناس - المبيت بعين العرمة - بهت - ضاية رومي - المبيت بگلتة الفيلا - أزبيدة بتالماغت - مراكش (*الضعيف*، 2 : 605).

- رحلة مولاي سليمان من مراكش إلى مكناسة سنة 1228 هـ : مراكش - قصبة تادلا - عين الليل - تالماغت - مكناسة الزيتون (*الضعيف*، 2 : 698).

- رحلة من فاس إلى مراكش سنة 1229 : فاس - مكناسة الزيتون - المبيت بالخميسات - ازبيدة بتالماغت - وادي أم الربيع - مراكش (*الضعيف*، 2 : 717).

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، ج 6، تح. إحسان عباس، بيروت، 1968 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 4، الدار البيضاء، 1955 ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، الرباط - تطوان، 1964 ؛ الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 2 ج، تح. محمد البوزيدي الشيخي، الدار البيضاء، 1988.

رشيد السلامي

تالنُوفتْ أو تانلوفت، مادة مستعملة في البناء، هي عبارة عن نوع من التراب أبيض اللون. يوجد ببعض الأماكن في السفح الشمالي والسفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط (منطقة دادس على الخصوص). ويستعمله السكان لطلاء جدران منازلهم. ويضيفون إليه التبن ليكتسب القوة والمناعة التي تجعله صقلا ومقاوما للأمطار. وبعد مزجه بواسطة الماء يترك المزيج ليختمر مدة قصيرة وبعده يصبح جاهزاً للاستعمال. ومن مزايا هذا التراب أنه إلى جانب مقاومته للأمطار والرياح والشمس (مختلف عوامل التعرية) يعطي المنازل رونقا يزيدها جمالا وبهاء.

تحريات ميدانية.

محمد حمام

تالوبات (Talubath)، عدها بينيي (Besnier) من المدن التي ورد اسمها عند الجغرافي بطليموس (Ptolémée) (القرن 9 م)، وقد وطنّها عند منابع نهر سُبور (Subur) الذي يوافق حسب معظم الدارسين واد سبو الحالي. النهر الرائع والصالح للملاحة على حد قول عالم الطبيعة اللاتيني بلين القديم (Pline L'Ancien) (القرن 1 م).

وتطابق تالوبات عند الباحث بينيي مدينة تانبت (Tanebet) المذكورة حسب نفس المؤلف بمصادر الجغرافيين العرب.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie Tingitane*, *A.M.* I, 1904, pp. 301 - 365.

البضاوية بلكامل

تاليت، كاهنة ← **حاميم**

تَاليليت، مركز جهادي في حرب الريف يقع بقبيلة تمسمان بإقليم الناظور على بعد حوالي تسعين كيلومتراً من هذه المدينة.

استطاع الجيش الاسباني احتلاله يوم 3 / 6 / 1921 وأقام فيه معسكراً من بين تلك المعسكرات الأمامية المحيطة بالمركز الرئيسي الذي كان موجوداً "بأنوال" قبل احتلاله من قبل المجاهدين في الحرب الريفية الثالثة، أيام عبد الكريم الخطابي. وكان السبب في إحداث هذا المركز مثل غيره من المراكز القريبة، أنه عندما وجدت قوافل التموين الإسبانية صعوبة كبيرة في تنقلاتها من مركز إلى آخر، أمرت الحكومة الاسبانية الجنرال سيلفيستري قائد القوات الاسلامية بالإقليم "أن يقوم باحتلال أكبر عدد ممكن من المراكز الثانوية حتى يتمكن من التغلب على المشاكل، ويؤدب الثوار بما يستحقونه من تأديب" (م. بن عزوز حكيم، *معركة أنوال*، ص. 59).

وتنفيذاً لهذا الأمر قام باحتلال عدة مراكز في بني أوليشك وتمسمان من بينها "تاليليت" فيما بين ثالث ورابع يونيو 1921.

في هذا الموقع، جرت "معركة تاليليت" الأولى، عندما قام المجاهدون يوم 16 يونيو 1921 على الساعة السادسة صباحاً بمحاولة اقتحام هذا المركز، في نفس اليوم الذي

هاجموا فيه مركز "بومجان" وذلك عندما أرادت حامية المركز الأخير سقي الماء من وادي أنوال. فقويلت بوابل من الرصاص الذي أحدث الرعب في صفوفنا بسبب العدد الهائل من الجنود الذين ذهبوا ضحية سقي قطرة من الماء لأنه لم تمر إلا دقائق حتى تحول الاشتباك إلى معركة عنيفة" " (الملازم كسادو الذي كان شاهد عيان، في كتابه *اغريباً*).

وورد في سجل العمليات الحربية اليومية للإقامة الاسبانية العامة بتطاون أن المجاهدين أغاروا على مركز "تاليليت" يوم 16 يونيو 1921 ومركز بومجان القريب منه وأن المعركة استغرقت النهار كله، نجم عنها ستة عشر من القتلى في صفوف الجيش الإسباني وخمسة وأربعون من الجرحى".

وفي يوم 21 يوليوز 1921، وقعت "معركة تاليليت" الثانية وذلك عندما قامت القوات الريفية بمحاصرة هذا المركز في نفس اليوم الذي سقط فيه مركز إغريباً وشُرع في محاصرة "أنوال". وفي اليوم التالي 22 يوليوز تم طرد حامية "تاليليت" بعد مصرع أربعة وثلاثين جندياً من أفرادها، فالتجأت إلى مركز "سيدي ادريس" على شاطئ البحر، إلى أن حان دور هذا المركز الأخير يوم 25 من نفس الشهر، فاقتحمه المجاهدون وقتلوا خمسمائة وثمانية وعشرين جندياً من حاميته.

م. ابن عزوز حكيم، *أنوال*، 21 يوليوز 1921 ؛ *معارك الثورة الريفية ومضات مضيئة عن الحرب الريفية*.

عبد الله عاصم

تاليوين، (بالشمال) تل مرتفع (87 م) متقدم في مياه البحر الصغير (سبخة بوعرگ) على شكل شبه جزيرة صغيرة، بارزة في شمال البحر على ساحله الغربي. توجد به في الوقت الحاضر قبة ضريح سيدي علي تيمْكارتْ (تامكارت أيضا) ولذلك يُعرف تل تاليوين في الوقت الراهن باسم صاحب الضريح.

وتاليوين جمع تالا أو تَلا، بمعنى عين الماء في اللهجة الأمازيغية. وينطبق الاسم على المكان نظراً لوجود سابق لعدة عيون لا وجود لها في الوقت الراهن. قيل إنها كانت موجودة، وعددها ثلاثة، على السفح الغربي من البرزخ الصغير الرابط بين التل وكتلة جبل قلعية.

عرفتنا الوثائق الإسبانية خلال القرن السادس عشر بتاليوين باسم Talayon، وكان التل آنذاك نقطة مراقبة (أي الناظور) من طرف القلعيين للسفن الإسبانية الآتية إلى مليلة المحتلة، ولسفن الإيالة الجزائرية الداخلة إلى البحر الصغير. وكان لتل تاليوين أثناء حصار سيدي محمد بن عبدالله لمليلة دوره الاستراتيجي.

وقد اتخذت السلطات الإسبانية، أثناء فترة الحماية، تاليوين مركزاً لتطهير معدن حديد جبل وگسان، قبل أن يتم نقله إلى مرسى مليلة للتصدير، وماتزال آثار التطهير في حقل اصطناعي واقع بجانب التل.

والمكان في الوقت الراهن محطة تشرف عليها شركة ماروسْت (Marost) القائمة بتربية الأسماك النادرة، وتوليد الطحالب بالبحر الصغير.

ح. الفگيگي، *قلعية ومشكل الوجود الاسباني بمليلة*، 1 : 118 ـ 125، 189 ـ 152 : 2 : 302 ؛ *خريطة طبوغرافية 1935* ؛ *زيارة ميدانية*.

حسن الفگيگي

تاليوينْ، (بالجنوب) مركز استراتيجي وإداري قديم يقع بهضاب وجبال شمال الأطلس الصغير، ولهذا يتلقى أمطاراً لابأس بها في هذا الوسط القاحل : 205 ملم / سنة. وتقطنه اليوم جماعة قروية زاد عدد سكانها سنة 1982 على عشرين ألف نسمة.

تنتشر أراضي تاليوين على طول واد إزگموزن والجبال المحيطة به وهي جبال ترجع صخورها إلى ما قبل الكامبري، كلس وحت ورصيص، وهي صخور جرداء نادرة التربة. ويتميز وادي إزگموزن هنا باتساعه وظهور مياه سطحية بمجراه وظهور بعض العيون بهوامش سريره مما وفر مجالا ضيقا لزراعة مسقية بساتينية لأشجار الزيتون واللوز والنخيل والتين والحبوب والعلف وبعض الخضر للاستهلاك الذاتي. لكن الملكية صغيرة جداً ومفتتة، وبدأ يَشاع استعمال الضخ الميكانيكي في إطار تجديد الأساليب الفلاحية والتوسع في زراعة الخضر والعلف لتغذية الأبقار.

وأما الزراعة البورية للشعير فإنها نادرة لقحولة الأراضي خارج الوادي، وتشتهر بعض الأودية العالية بسگتانة وأسكاون بإنتاج الزعفران الذي يعتبر أهم ثروة زراعية بالمنطقة. وتوفر البراري الواسعة مرعى فقيراً للمواشي الصغيرة تحقق مداخيل مهمة في بعض السنوات الوفيرة المطر. وينتمي سكان الجماعة إلى قبيلة سگتانة. ويفسر البعض اسم تليوين بكونه جمعاً لتلات أي الشعبة بلهجة سوسية جنوبية.

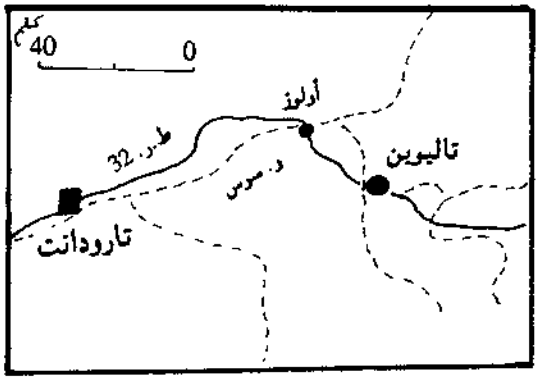

موقع تاليوين

كان بمركز تاليوين قبل الاستعمار قيادة سكتانة وحصن يشرف على الطريق الصحراوي الواصل بين سوس ووادي درعة "والقبلة" أي الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير المشرفة على الصحراء، به بقايا أبراج المراقبة ومخازن جماعية التي يدعى الواحد منها أگادير.

يقع المركز الحديث لتاليوين عند معبر لواد إزگموزن أحد الروافد العليا لواد سوس على الطريق الرئيسي رقم 32 الرابط بين تارودانت وورزازات على علو 1020م. ويتكون من مركز إداري وتجاري حديث مفتوح على الطريق الرئيسي وعدد من الدواوير تمتد على مقطع من الوادي بالضفة اليمنى والطريق الرئيسي الموازي له على طول ستة كيلومترات. وأهم التجمعات هي زاوية تاكركوست حيث يسكن الموظفون وتوجد معظم المصالح الإدارية وتامليلت وبولگا وإدوأوزرو. ذات بناء تقليدي يتخللها سكن متشتت حديث معظمه للمهاجرين والموظفين والتجار. لم تظهر المنشآت الاستعمارية هنا إلا بعد سنة 1929 حيث أنشئت ثكنة للمخازنية ومركز نائب المراقب المدني إلى جانب قايد سگتانة وتحول إلى مركز دائرة حظي بمنشآت عمومية كثيرة : قيادة مركز درك ومحكمة ابتدائية ومستشفى وإعدادية، الخ. وينعقد به سوق أسبوعي على طريق قديم بالضفة اليسرى يومي الأحد للمواشي والاثنين للتبضع، وهو سوق قديم ينعقد بمكان ضيق يتوفر على تجهيزات مهمة تصل إليه البضائع والخضر من تارودانت وأگادير ويزود السكان بالحاجيات الأساسية، وتعرض به منتجات محلية قليلة، أهمها المواشي والجلود والزعفران والزرابي التي تشتهر بها تاليوين، ويتوفر المركز على سويقة دائمة بها متاجر كبيرة حديثة إلى جانب دكاكين بقالة بمختلف الدواوير وتجهيزات أساسية ومولد كهربائي محلي يزود المنازل والأزقة بالإنارة. وتقرر ربط المركز بالشبكة الكهربائية الوطنية سنة 1991. كما يتوفر على برج مياه يزود الإدارات وسكن الموظفين. ولوقوع تاليوين على طريق سياحي مهم لجولات الجنوب الصحراوي فقد أنشئ به فندق سياحي كبير مصنف في أربعة نجوم طاقته ستون غرفة إلى جانب فندق آخر صغير.

بحث ميداني في خريف 1990 ؛ خرائط طبوغرافية وجيولوجية تغطي المنطقة.

أحمد هوزالي

تامازيرْت، وتجمع على "تيميزارْ" كلمة أمازيغية تعني بهذه الصيغة الأرض والحقول والمخيم والمقام والموطن والوطن. هذه المعاني تَردُ كلا أو بعضا عند ذكر الكلمة حسب المناطق وحسب السياق.

غير أن المعنى الغالب اليوم في القسم الجنوبي من المجال الأمازيغي المغربي هو معنى الموطن بالمعنى المحدود أو الوطن بالمعنى الواسع. والذي تقابله في مناطق أمازيغية أخرى كلمة "تامُورْت".

وإذا استعملت الكلمة بصيغة المذكر : "أمَازير" فإنها تعني السماد الحيواني أي ما يسمى في كلامنا الدارج "لغبار" وهو الدمَّال.

وهكذا نلاحظ أن الكلمة شديدة الارتباط بالأرض والحيوان وتترجم العلاقة بينهما وتجسم أهمية هذه العلاقة بالنسبة إلى الإنسان المزارع.

وقد استعملت الكلمة بصيغة المفرد أو الجمع أسماء أعلام جغرافية في الأطلس الكبير الغربي بصفة خاصة. وفي هذه الحالة غالبا ما تعني الحقول أو المزارع.

م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، الجزء الأول، الرباط، 1990، ص. 174-179.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire...*, t. II, p. 638 ; E. Laoust, *Contribution...*, p. 68 ; Id., *Mots et choses...*, p. 2, n. 2 ; E. Destaing, *Vocabulaire...*, p. 215, 137 ; J. Berque, *Structures...*, p. 356, n 1.

علي صدقي أزايكو

تاماست ← ماسة

تاماسينْت، قرية تقع بفرقة المرابطين من قبيلة بني وراغل (إقليم الحسيمة) ؛ وإلى هذه القرية نفي بطل المقاومة المسلحة المغربية بناحية جبالة والهبط وغمارة الشريف مولاي أحمد الريسوني عندما ألقى الأمير الخطابي القبض عليه بتازروت، وقد توفي الريسوني بالقرية المذكورة يوم 9 رمضان 1343 / 13 أبريل 1925.

وأما سقوط القرية بيد الجيش الإسباني فقد كان يوم 20 ماي 1926.

Nomenclator cabilas, 1953 ; Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

تامامّايت ← الطرفة

تاماوُسْت أو تاماوُشْتْ، كلمة أمازيغية جمعها تيماوَسين. هذا في الأطلسين الكبير والصغير، ويسمى نوع منها في الأطلس المتوسط "تاماويت". تطلق على لون من ألوان المحاورات الشعرية وتكون مرتجلة وذات مستوى رفيع، سواء من حيث الشكل والإيقاع الصوتي المميز أو من حيث المضمون الذي كثيراً ما يتستر وراء الرمزية والإلغاز.

ـ يتحاور فتيان قرية ما وفتياتها أو فتيان قبيلة وفتياتها في موسم أو في عرس أو عند زيارة رجالات قبيلة لجارتها، ويتناولون الحب العذري والحياة الزوجية كما يرونها، إضافة إلى تأملات في الطبيعة وفي البيئة الاجتماعية بإيجابياتها وسلبياتها...

كانت تمارس هذه المبارزة الشعرية بكثرة في القديم خلال فصل الشتاء في ساحات خاصة بكل قرية تسمى "أسُوكْ" وهو عبارة عن ممر بين الدور قد يكون مغطى يصنع به موقد طبيعي بجانبه أحجار منحوتة "تيسوراگ".

ـ تأتي الفتيات بالأخشاب بالتناوب كل ليلة للإنارة وللتدفئة من قساوة البرد، يجلس الفريقان متكئين على الجدارين المتقابلين وبينهما الموقد وألسنة النار تتراقص... يجلس على بعد أمتار قليلة جمهرة من العزاب المؤيدين والمؤيدات قد تشاركهم قلة من الرجال والنسوة ممن اشتاقوا لذكريات عزوبتهم ومحاوراتهم الإبداعية.

بعد الجلوس الذي حاولتُ التعريف به زمناً ومكاناً، ينتدب الفتيان أذكاهم وأقواهم ملكة شعرية ليحاور المنتدبة من طرف الفتيات وبصوت جد عال يسمع خارج القرية. حيث المفروض أن يكون الجواب مقنعاً وبأقصى سرعة بعد

أن يطلق العنان لحنجرته وبنفس الإيقاع الصوتي والعروض للطرف الآخر فور سماعه (رارْ إمايْكْ نّيغْ) (أجب عما قلته لك) متبوعاً بقول الجماعة وبصوت واحد (هيي) وكلمة (هيي) عبارة عن إيقاع صوتي تميزه نغمة خاصة وهي تاماووشت. وتردد الكلمة كلالة على استحسانهم للتدخل وتشجيعهم للمنتدب المتدخل، وفي نفس الوقت تعني نهاية التدخل مطالبة الطرف الآخر بالإجابة الفورية.

تتناول المحاورة غالبا الحب العذري الصادق صدق الطبيعة وسكانها كما تتناول نظرتهم للحياة الزوجية كعالم يسعون لولوجه بمجرد أن يجد كل واحد من ترتاح إليه نفسه، وما أكثر النماذج التي يرددها الرواة وهي تتغنى بالطبيعة وبافتخار كل جانب بما يميزه عن الآخر، مما يؤدي إلى هجاء هذا الطرف كذلك، لكن ليعودوا في النهاية إلى المصالحة وإلى ملء كؤوس الصفاء والثناء ليرشف هذا الجانب وذاك قبل أن يتفرقوا ليذهب كل إلى بيته بعد أن يضربوا موعداً لمسامرة مماثلة.

ولهذا النوع من اللقاءات عدة مزايا منها التعارف قبل الخطبة والمساهمة في إغناء الرصيد الشعري بهذا اللون الرفيع من الأدب الشعبي. وما زالت قبائل إغرم بدائرة تارودانت وغيرها من قبائل الأطلسين الصغير والكبير تردد روائع (تاماووست) المأخوذة من أفواه الرواة المسنين والمسنات.

ولكي يتلمس القارئ نوعية الشكل والمضمون أضع أمامه نماذج معربة :

الجماعة :

هي :

يِيوِيدْ إيگرْ تيسكرين ياويد أ'مالوا لابواز. ءاربي سولوگار.
رارْ إمايْكْ نّيغْ

جاد الحقل بالقطا وجاد الظل بالبزاة جاد الله باللقـا !
أجبَن مقالتي !

هو :

بانْ إيكانْ ويثو گيغْ ويثس مْقارْدانيرْ دُو قُوسْ أفاسي نْزيضَرْ ءارذ إيبّي
رارْ إمايْمْ نّيغْ

مِن هواني هَوْيثُه إنّ في يمنايَ رضاه تصبرت أن تُبقرا
أجيبي عن مقالتي

هي :

بانْ إيكانْ ويثو گيغْ وَثس مْقارذ ءايزاذ واماناً والنْ إيثو نْزيضَرْ ءارذ أكمّنْ.
رار إمايكْ نّيغ

مِن هواني هويثُه إن في مُقلتي رضاه تصبرت أن تؤخـذا
أجب عن مقالتي

هو :

بُوغلو بُوغلو أرمّان نْ . لحويوس ماثريتْ ثارواَ ءارسُّومّو من أديف
رارْ إمايم نّيغْ

ألا ما زلتُ يانعاً أيها الرّمان الموقوف دع عنك ذا الإثمـار
أجيبي عن مقالتي

هي :

لهَمّ ألهَمّ ألهْمُومْ ءايسدُونْ إمّا ثاروا لانتن تورادينْ
رارْ إمايك نّيغْ

إنما تنحل الهموم مارق الظبي بالولد
أجب عن مقالتي

محمد مستاوي

ابن **تامْتيتْ، أحمد** بن محمد بن حسين بن علي اللواتي. ولد عام 548 هـ بفاس حيث نشأ وتعلم، وتنقل في كثير من بلاد الإسلام كإشبيلية وإفريقية ومصر ثم المشرق حيث بلغت شهرته أوجها كفقيه عالم ذي باع طويل في رواية الحديث وحفظه وفي مسائل التصوف.

شكلت هذه الرحلة فرصة سمحت لابن تامتيت بأن يلتقي مع كثير من علماء عصره ويتتلمذ على بعضهم، نذكر من بينهم أبا الحسين يحيى بن محمد ابن الصائغ (*نيل*، 63) وأبا الوقت الذي أخذ عنه بالإجازة العامة، ومحمد بن رشيد الشافعي الملقب بشرف الدين. روى الحديث عن ابن تامتيت ثلة من علماء المشرق والمغرب كالحافظ أبي بكر بن سيد الناس اليعمري الذي روى عنه كتاب *الشفا* للقاضي عياض (*أزهار*، 4 : 340)، وإبراهيم ابن الكماد المرادي الفاسي الذي كان يعتبر من أحفظ أهل زمانه للحديث النبوي (*جذوة*، 85)، وعلم الدين الدواداري وغيرهم.

توفي بالقاهرة يوم الرابع من شهر محرم عام 657 / فاتح يناير 1259 بعد أن عُمّر طويلا إذ تجاوز المائة سنة تاركا مجموعة من التصانيف جلها في علم الحديث.

أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 116 ـ 117 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، مصر، 1955، ص. 129 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، الرباط 1978، ج 4 ؛ الحنبلي، *شذرات الذهب*، د. ت، 5 : 288 ـ 289 ؛ أ. بابا، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت ؛ العبدري، *الرحلة*، تح. م. الفاسي، الرباط، 1968، ص. 246 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، 1986، 4 : 145.

ابن **تَامْتيتْ**، أبو الحسين **يحيى** بن أحمد بن محمد بن حسين بن علي اللواتي. لا نعرف إلا القليل من أخباره عكس والده أحمد الآنف الذكر. وإذا كانت جل كتب التراجم قد أغفلت الحديث عنه، فإن الإشارة الواردة عند ابن غازي في *فهرسته* تفيد أنه كان من بين المغاربة الذين اهتموا بعلوم الحديث بمصر وبرعوا في حفظه وروايته وتدريسه، فقد تتلمذ عليه كثير من علماء مصر وغيرهم، كما قرأ عليه ابن غازي بالرواية كتاب *الشفا* للقاضي عياض. لم نقف على تاريخ وفاته.

ابن غازي، *التعلل برسوم الاسناد*، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء 1979، ص. 46، 153.

رشيد السلامي

تامَجّاثت، موضع يقع في الطريق بين مدينة درعة

"تيومتين" ومدينة "سجلماسة" وهو على بعد مرحلة من المدينة الأولى، سمي المكان بالاسم الأمازيغي لنوع من الأشجار كان موجوداً فيه بكثرة وقامت على أساسه صناعة نشيطة لنحت الأواني الخشبية التي كانت تصدر إلى كافة أنحاء المغرب وخارجه خلال العصر الوسيط الأعلى، إذ بعد الوصف الذي قدمه لنا البكري في كتابه *المغرب* (ص. 156) لم يرد ذكر للمكان ولا للأشجار في المصادر اللاحقة.

لم يعط البكري على غير عادته تفسيراً ولا مقابلة لكلمة تامجّاثت مما يناسبها باللغة العربية، بل قال إن الموضع ينبت فيه شجر يسمونه تامجّاثت مما يقوي الاعتقاد أنه اسم محلي أطلق على ذلك النوع من الأشجار لخاصية تتميز بها عن غيرها. أما لماذا سميت تلك الشجرة هكذا، فلأنها نوع من العرعار القديم المتخلف عن الزمن الجيولوجي الرابع تكيف مع التغيرات المناخية فأصبحت الشجرة ذات تكوين خاص "جذع ضخم عليه أغصان قليلة قصيرة، رقيقة ومتفرقة مكللة بقليل من الأوراق التي تشبه أوراق الطرفاء وترسل مثلها عند فترة الإزهار ذرات من الغبار الأبيض فتبدو للرائي آنذاك شعثاء قرعاء" (تشبيه بأمجوض).

لم يعد لهذا النوع من الأشجار وجود في المنطقة التي ذكرها البكري بل قريب منها وعلى السفوح الشرقية لجبل درن يمكن مشاهدة المنظر المثير لبقايا هذا النوع من الأشجار وخاصة في مجال قبيلة مگونة، ويمكن للزائر أن يشاهدها في محطات التزحلق على الجليد في مركز أوكيمدن وامتداده في مجالي قبيلتي أوريكة وغيغاية.

قرأ البارون دو سلان (De Slane) ـ مترجم كتاب البكري ـ الفقرة المتعلقة بهذه الشجرة قراءة خاطئة عندما قال :

"Tameddjathet localité qui produit une espèce d'arbre ainsi nommée dont les feuilles sont larges et persistantes comme celle du tamarisc. (*Description...*, p. 295 - 296)"

والحقيقة أن جذع الشجر هو الذي يعظم وليس أوراقه لأنها من النوع المعروف عند الجغرافيين وعلماء النبات بالأوراق الإبرية، فكيف تعظم ؟ وهذه هي القراءة الصحيحة للفقرة :

"... وهو موضع ينبت شجراً يسمونه تامجاثت وهو شجر يعظم، ورقه هدب كورق الطرفاء..." (*المغرب*، 156).

ينطبق موضع تامجاثت في تقديرنا على موضع أگدز الحالية الواقعة ما بين مدينة زاگورة ومدينة ورزازات، ولم يحتفظ موقع أگدز بما يذكر بالفقرة التي تحدث عنها البكري، ولعل ذلك راجع لتسارع وتيرة التغيرات المناخية وأساساً لكثافة استغلال تلك الأشجار، فالبكري نفسه ذكر " ... ومنه : أي الشجر ـ آنية سجلماسة ودرعة وما والاهما..." ؛ أما صناعة الأواني الخشبية خاصة الصحاف (القصاع) فلا تزال نشيطة بالمناطق المجاورة (الأطلس الكبير) وتعتمد على تلك الأشجار وعلى شجرة الجوز.

تعتبر شجرة تامجاثت من أنواع الأشجار القليلة في المغرب التي وصلتنا من الزمن الرابع مثل البطم وأركان وغيرها وتتمتع بحماية مصالح المياه والغابات.

أ. البكري، *المغرب*، باريس 1965 ؛ *خريطة المغرب الطبيعية* (بالفرنسية)، مقياس 1 / 2.500.00 ؛ *تحريات ميدانية*.

A. El Bakri, *Description de l'Afrique septentrionale*. Trad. Mac Guckin De Slane. Paris, 1965.

محمد حجاج الطويل

تامْجُتْ، زاوية تقع بقرية تحمل نفس الاسم شمال شرقي مدينة بني ملال، وينطقها أهل المنطقة حسب ثلاثة أشكال : تَمْجُتْ، وتامجوط، وتامُدْجُوتْ. وهي أمازيغية، تدل على المكان الأجرد أو الأقرع الخالي مما تنبت الأرض من كلاء. ومن ثم يتكرر ذكر تامْجُتْ في جهات أخرى. نجده مثلا في الأطلس الكبير كعلم لموقع : تيزي ـ ن ـ تمْجُتْ، وهو أحد الممرات الموازية لتيزي ـ ن ـ تاست. (*Reconnaissance*, 99). ونجده كذلك كعلم لإحدى قرى سوس، الواقعة في أراضي قبيلة أيت تامْلْدُو، على السفح الجنوبي للأطلس الكبير. (*Reconnaissance*, 323 - 338) ولعلها هي المقصودة في رحلة الوافد (91، هامش 460).

تامْجُتْ المقصودة بهذا التعريف مكان أجرد بالرغم من وقوعه في منطقة كثيرة النبات، وهذا مما يلفت الانتباه. تبعد عن مدينة بني ملال بحوالي ثلاثين كلم، عند قدم جبل باب ـ ن ـ گْنُّوزْ، في أراضي فخذة أيت بوبكر من قبيلة أيت سحند، المنضوية تحت لواء اتحادية أيت سْري الصنهاجية. (De La Chapelle, *Le Sultan My Ismaïl*.., 31 - 32 note 3; J. Drague, *Esquisse*..., 169) وقد اشتهرت بعدما حل بها الشيخ علي بن عبد الرحمن الدرعي (الدراوي)، المتوفى عام 1091 / 1680. (*الدرر المرصعة*، 300 ؛ *نشر الثاني*، 2 : 290 . 292). وهو متصوف تتلمذ على أيدي شيوخ مشهورين كعبدالله بن حسين الرقي، وأحمد بن إبراهيم الأنصاري، كما لازم الشيخ مَحمد بن محمد بن الحسن الداسي، طوال سنين إلى أن توفي، فورث عنه السر، ثم انتقل إلى تامْجُتْ حيث أسس زاوية هناك، وتصدر للمشيخة الصوفية (*دوحة البستان*، 30؛ *الإعلام*، 9 : 209).

اشتهرت زاوية تامْجُتْ منذئذ، فقصدها الناس من أجل الانخراط في سلك طريقة شيخها، وأصبحت مركزاً لطريقة صوفية جزولية ـ زروقية، يُلقن شيخها وردا معلوما؛ يفصله صاحب الإعلام كما يلي : "ووظيفة المغرب عنده أولها حزب الفلاح للشيخ الجزولي، ثم سيد الاستغفار ثم ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني، ثم صلاة حضرة الأبرار، ثم الصلاة المشيشية، ثم الفاتحة مرتين.... ووظيفة الصبح حزب الفلاح أيضاً، ثم المسبعات العشر، ثم الحزب الكبير..." (*الإعلام*، 9 : 211).

وشهدت هذه الزاوية توسعاً، فتكونت طائفة تابعة لها في بعض المدن كمراكش والرباط ومكناس وتطوان (*الاعلام*، 9 . 210). أما بفاس فكانت الطائفة المنتسبة إلى تامْجُتْ تجتمع بالزاوية المنسوبة لسيدي رضوان، بعدوة

القرويين (*النشر*، 2 : 292).

وهكذا شدت الرحال إلى زاوية تامْجُتْ، من الحواضر والبوادي بسبب ما عرف عنها، وخاصة في ميدان إطعام الطعام للوارد والصادر كما يتضح من هذه الفقرة : "وربما أطعم في الليلة الواحدة سبعة عشر ألفا" (*الإعلام*، 9 : 210). بل إن الشيخ علي بن عبد الرحمن كان قد خص اليتامى والأرامل بمنزل خاص بهم، وأجرى النفقات على الطلبة المنقطعين بزاويته (*إلتقاط الدرر*، 219). وهذا يدل على تعدد مريديها وأتباعها، كما يشير إلى ذلك صاحب *الإعلام*. فقد ذكر أن عدد تلاميذها قد نيف عن ثمانين ألفا (*الاعلام*، 9 : 215). فصارت تامْجُتْ قبلة يؤمها عامة الناس من أجل التلمذة والتلقين، ويقصدها المتصوفة للاستزادة من المدد الصوفي. تشير بعض المصادر إلى أن كثيراً من أعلام التصوف قد زاروا تامْجُتْ، من بينهم الحسن اليوسي، وعلي المراكشي، وأخذ عن شيخها آخرون، أمثال محمد بن محمد العكاري، وأخوه الحسن، وأحمد بن يعقوب الولالي، وسعيد الحنصالي (*الاعلام*، 9 : 213 ؛ *Reconnaissance*, 62). ومن المدفونين بها محمد بن أحمد المغزازي، ويعقوب التواتي وعلي الملقب بالجب، لعل هؤلاء كانوا من بين المنقطعين بتلك الزاوية (*الإعلام*، 9 : 214).

وبالرغم من أننا لا نعرف شيئا عن مواردها، فإنه من خلال تعدد الوافدين إليها، وعدد تلاميذها (ثمانون ألفا) يمكن القول بأن زاوية تامْجُتْ قد عرفت بسطة في الرزق نتيجة "الفتوحات" والهبات والهدايا التي كانت تحمل إليها من قبل أتباعها ؛ وإلا كيف يتأتى لها أن تنفق على اليتامى والأرامل، وتطعم الأعداد الهائلة من الزوار والمنقطعين ؟ (*الإعلام*، 9 : 210، 215).

لذلك كله طارت شهرة تامْجُتْ، فمدحها الشعراء وتغنوا بها، وقد ذكر صاحب الإعلام بعضهم كمحمد العكاري ومحمد بن عبد الله الدادسي وأحمد الحلبي. ومما أنشد فيها قصيدة مطلعها :

عَرِّجْ بِتَادِلَةِ الهِضَابِ الوُرَّدِ وأنِخْ مَطَايَا العَزْمِ عند الفَدَّدِ

(*الإعلام*، 9 : 215)

إلا أن هذه الشهرة سرعان ما أثارت شكوك المخزن فقام المولى الرشيد بإخلائها، وشتت مريديها عدة مرات، كما حاول اعتقال شيخها علي بن عبد الرحمن. لكن لم يمنع - حسب الافراني - (*الصفوة*، 184) من إعادة بنائها، بل إنها قد استقطبت مزيداً من المريدين والأتباع.

ويذهب الزيادي - وهو من بين تلاميذها - إلى أن زاوية تامْجُتْ، قد دمرت تماماً، وأن مؤسسها قد اعتقل من قبل السلطان بضعة أيام (*دوحة البستان*، 213). ومهما يكن من أمر فإن المصادر تجمع على أن شيخ تامْجُتْ قد امتحن من قبل سلطان الوقت بسبب ما رأى من اجتماع الناس عليه (*الصفوة*، 184). لذلك ليس من المستبعد أن تتعرض زاويته للنهب أو التخريب، كما كان ذلك شأن زاويتي الدلاء وتازروالت.

وما تزال تامْجُتْ تستهوي أفئدة الزوار إلى اليوم، وينعقد بها موسم سنوي في فصل الصيف، تقصده بعض فرق قبيلة أيت سْري، وغيرها من القبائل المجاورة.

أ. الولالي، *مباحث الانوار...*، تح. بوعصاب، 1987 ؛ م. الافراني، *صفوة*، ط. حجرية ؛ التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي، 1992 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. محمد الحبيب نوحي، 1988 ؛ الزيادي، *دوحة البستان...* مخطوط خ. ع. 390 د ؛ القادري، *نشر*، 1982 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام...* المطبعة الملكية، 1980 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، 1964 ؛ *التحري الميداني*.

De La Chapelle, *Le Sultan My Ismail...* A.M., 1927 ; G. Dragne, *Esquisse...*, Paris, 1951 ; M. Morsy, *Les Ahansal...*, La Haye 1972.

أحمد عمالك

تامدة ← الجديدة (إقليم)

تامدة، مكان ونهر ومدينة مندثرة. فالمكان يقع بين وادي المخازن ووادي وَارُورْ بقبيلة الخلط الهبطية (إقليم العرائش)، وبه جرت المعركة التي كانت تعرف عند معاصريها باسم معركة تامدة، حسب ما جاء في بعض الوثائق القديمة. ويؤكده الحسن ابن ريسون في كتاب *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد* في *كناشته* التي لم تنشر بعد، كما يؤكده المؤرخ الإسباني خوان دي سيلفا (Juan de Silva) الذي شارك في المعركة في كتابه عنها حيث قال إن اسم المكان الذي جرت به هو "تاميدا" (Tamida). وكلمة تامدة معناها في اللهجة الأمازيغية المستنقع.

وأما نهر تامدة فيوجد منبعه بجبل توسيفت بقبيلة بني يطفت (إقليم الحسيمة) وتصب مياهه بالبحر المتوسط قبالة جزيرة بادس، ولذلك يعرف أيضاً باسم وادي بادس.

وتامدة أيضاً هو الاسم الذي كان يعرف به وادي مرتين في القديم عند سكان الناحية، كما يشهد بذلك الجغرافيون اللاتينيون القدماء حيث سموه بوادي Tamuda وTamuada وThamouda وهو نفس الاسم الذي أطلقه الرومان على المدينة التي أسسوها على ضفة النهر المذكور وتوجد أنقاضها حالياً بالمكان المعروف بالصوبار.

الحسن ابن ريسون، *فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد*، تطوان (د. ت) ص. 98 ؛ *كناشة*، مخطوط ؛ م. ابن عزوز حكيم. *مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن*، الرباط، 1989.

Plinio el Viejo, *Naturae historicarum*, Leypzig, 1906, V, 18 ; Pomponius Mela, *De Situ orbis*, Leypzig 1880, I, 20 - 24 ; Ptolomeo, *Geographike Uphegenesis*, Paris, 1901, V, 1.

محمد ابن عزوز حكيم

التامدرتي، الحسن بن مبارك ← الواسلامي

تامدغارت، مركز استراتيجي شهير في حرب الريف، يقع في بني توزين على بعد كيلومترات يسيرة من ميضار وحوالي 80 كلم غرب مدينة الناظور. دارت فيه معركة حامية بين قوات عبد الكريم الخطابي وجيش الاحتلال

الاسباني على ما يعرف حينئذ "بالجبهة الشرقية. وذلك خلال الأسابيع الأخيرة من انتهاء الثورة الريفية يوم 8 ماي 1926 أي أثناء الهجوم المشترك الفرنسي والاسباني على الثورة. وقد انتهت المعركة المذكورة باحتلال مركز تامدغارت من قبل الجيش الاسباني. وفي اليوم التالي 9 ماي 1926 وقعت معركة ثانية بسوق ثلاثاء أزلاف المجاور انتهت أيضاً باحتلاله من طرف الجيش الاسباني.

وفي ازلاف الذي هو السوق الأسبوعي لتامدغارت التقى الجيشان المتحالفان الفرنسي والإسباني ضد الثورة الريفية، وتصافح جنود وقادة الدولتين الاستعماريتين، إذ يقع على رافد يعتبر الفاصل بين المنطقتين المحتلتين الشمالية والجنوبية من المغرب.

تتبع اليوم تامدغارت لجماعة "أزلاف" القروية. فيها مجموعة مدارس، وتشتهر بعين "تسـّـاث" أو "عين الشفاء" كما تسمى اليوم، وهي عبارة عن مياه معدنية حارة فيها الكبريت والحديد، صالحة لمعالجة البثور والدمامل والأمراض الجلدية. وربما قاومت الإمساك والبواسير وأمراض الجهاز الهضمي أيضاً. أقيم بها مسبح عمومي ومرشات للاستحمام.

معلومات شفوية عن جماعة أزلاف : م. ابن عزوز حكيم، *الثورة الريفية* ؛ معاينة ميدانية.

عبد الله عاصم

تامْدُولْت، مدينة تاريخية مندثرة من مدن المغرب الصحراوي في العصر الوسيط كانت لها صلات مع بلاد السودان، تقع على بعد حوالي ثلاثة عشر كلم جنوب غربي أقا، وماتزال أطلالها بادية حتى اليوم على مرتفع جبلي صغير. وقد أثارت هذه الاطلال فضول عدد من الذين زاروا المنطقة، فجمعوا ما تيسر لهم من الروايات حولها، حتى قام الاستاذ روزنبيرجي (Rosenberger) بجمع النصوص القديمة والمعاصرة حول المدينة وأطلالها، إضافة إلى مشاهداته وتحرياته الشخصية، محاولا وضع تاريخ متسلسل ومنطقي لهذه المحطة التجارية والمعدنية الهامة.

يذكر أبو عبيد الله البكري ـ القرن الخامس (11 م) ـ أن مؤسس مدينة تامدولت هو عبد الله بن إدريس بن إدريس الأكبر في منتصف القرن الثالث (9 م)، وكانت عاصمته إگلي، على مسيرة ستة أيام من موضع المدينة التي استمرت تحت سلطة الأدارسة حتى نهاية هذا القرن. إلا أن عدة قرائن قد تسمح باحتمال كون هذا المؤسس إنما أعاد بناء موضع ربما كان معموراً قبله، فهناك رواية يهودية تشير إلى احتمال استقرار يهود مشارقة في واقا Waqqa منذ القرن السادس قبل الميلاد، ولعلها واحة أقا التي تنسب إليها مدينة تامْدُولْت اليوم، إضافة إلي ماقد تفيده عملية استقراء معاني المدينة في اللغة الأمازيغية السوسية في هذا الباب، وهي عملية لم تتم بعد. ومن بين هذه القرائن أيضا ما ذكره البكري من وجود آبار على الطريق بين تامدولت وأودغشت، يقع بعضها (بئر الجمالين) على بضع مراحل فقط من تامدولت، وهذه الآبار من استنباط عبد الرحمان بن حبيب، عامل الأمويين على إفريقية سنة 128 / 745 م، وفي هذا دليل على اهتمام الأمويين بهذه المنطقة المتصلة ببلاد السودان موطن الذهب.

لاشك إذن أن الموقع الذي تشغله تامدولت كانت له أهمية بالنسبة للمواصلات مع بلاد السودان عبر الصحراء، وإن لم توجد دلائل مصدرية قاطعة على وجود تيار تبادلي بين تامدولت وبلاد السودان قبل القرن الثالث (9 م) إلا أن اهتمام الأمويين بهذه الجهة بشكل ملحوظ يزكي مثل هذا الاحتمال، إضافة إلى ظاهرة بروزكيانات سياسية مستقلة ومراكز تجارية هامة على ضفتي الصحراء خلال هذه الفترة (سجلماسة، تاهرت، أودغشت، غانا ...) الأمر الذي يدل على دينامية التبادل عبر الصحراء آنذاك.

وقد وصف اليعقوبي ـ القرن الثالث (9 م) ـ المدينة وركّز على وجود الذهب والفضة بها. أما ابن حوقل ـ القرن الرابع (10 م) ـ فقد اكتفى بالإشارة إليها في معرض حديثه عن المسالك الرابطة بين جنوب المغرب وبلاد السودان دون أن يقدم مزيداً من المعلومات حول أهمية المدينة وأنشطتها، حتى إذا جاء أبو عبيد الله البكري ـ القرن الخامس (11 م) ـ قدّم معلومات أشمل وأهم من سابقيه ووصف المدينة بقوله: "... وعلى ست مراحل منها (مدينة إگلي) مدينة تامدولت، أسسها عبد الله بن إدريس بن إدريس، وهي سهلية عليها سور طوب وحجر، وبها حمامات وسوق عامرة، ولها أربعة أبواب، وهي على نهر عنصره من جبل على عشرة أميال منها، ومابينهما بساتين، وعلى هذا النهر أرحاء كثيرة...".

من الواضح أن تأسيس تامدولت في الموضع والموقع اللذين تحتلهما، كان استجابة لدوافع مختلفة، منها ما له طابع عسكري دفاعي (جبل يشرف على سهل واسع) ومنها ماهو اقتصادي (وجود سهل خصب ومياه ومعدن فضة). وربما كان للمدينة كذلك دور ديني كنقطة متقدمة في اتجاه الصحراء. رغم أن المصادر لا تشير إلى هذا الجانب، إلا أن وقوع المدينة على طريق التجارة العابرة للصحراء يظل بدون شك هو العنصر الأساسي المتحكم في تأسيسها أو إعادة تأسيسها، كما يفسر إلى حد بعيد تطور اقتصاد المدينة ووظائفها التي تعكس تطور خطوط مسالك القوافل العابرة للصحراء.

ذكر ابن حوقل أن المسلك الرابط بين بلاد السودان ومصر قد تحوّل نحو سجلماسة لأسباب طبيعية (زوابع رملية) وأمنية، هذا في وقت مازال فيه أحد المسالك الرابطة بين سجلماسة وأودغشت يمر عبر تامْدُولْت رغم وجود مسلك مباشر بين المدينتين ! وقد زاد هذا التحول من أهمية المحاور الغربية الرابطة بين ضفتي الصحراء : الطريق الساحلي من نول لمطة إلى أودغشت عبر ملاحة أوليل، وطريق درعة الأوسط عبر تامدولت، وبذلك تكون مدينة

تامدولت من بين أهم مراكز الفرع الغربي للتجارة العابرة للصحراء آنذاك، وذلك بناءً على ما يتضح من أوصاف كل من اليعقوبي والبكري للمدينة وغناها وأنشطتها الاقتصادية، وذلك في وقت كان فيه الذهب هو محرك التبادل التجاري مع بلاد السودان.

وقد ازدادت أهمية المحور التجاري الغربي ومسالكه مع صعود المرابطين في القرن الخامس (11 م). وكان لوقوع مناجم الملح (أوليل وتغازى) في هذه الجهة دور أساسي في تفوق هذه المحاور الغربية آنذاك.

وإذا ارتبط موضع تامدولت بوجود معدن فضة مجاور لها وبنشاط التعدين بها، فإن وقوع المدينة على أحد المحاور التجارية الغربية كان طيلة القرنين الهجريين الثالث والرابع هو العنصر المتحكم في ازدهارها وفي تنوع أنشطتها حيث كان هذا المحور يتوفر على مادتين ظلتا أساسيتين في عملية التبادل التجاري عبر الصحراء طيلة قرون، وهما النحاس والملح.

فرغم ارتباط تامدولت في المصادر الوسيطية بمنجم الفضة الذي بجوارها في اتجاه الجنوب الغربي، (يستخرج منه اليوم رصاص لم يعد يحتوي أجوده إلا على 12٪ من الفضة) فإن المدينة كانت بدون شك تقوم بتصدير كميات هامة من النحاس في اتجاه بلاد السودان، لما لهذا المعدن من مكانة خاصة لدى سكان إفريقيا جنوب الصحراء وارتفاع أسعاره لديهم. فقد أثبت التحليل المختبري أن خبث المعدن المنتشر بكميات هامة حول موضع تامدولت هو لمعدن النحاس الذي كان بدون شك يستخرج من ضواحي المدينة ويصنَّع ليصدر في شكل سبائك، إضافة إلى النحاس المصنع في مدينة إگلي الذي كان يصدر في عصر البكري عبر تامدولت في شكل أوان أو سبائك.

من جهة أخرى، لا تخفى أهمية مادة الملح في عملية التبادل بين ضفتي الصحراء، حتى إن مواقع الملاحات كانت من بين أهم العناصر المتحكمة في اتجاهات المسالك الصحراوية وانعطافاتها. وقد ساهم وقوع أهم ملاحات المنطقة (أوليل، تغازى) بالجهة الغربية، في إعطاء محاور هذه الجهة دينامية خاصة. وتنعكس أهمية الملح كمادة تبادل أساسية في ارتفاع أسعاره كلما اقتربنا من الغابة الاستوائية، حيث تكثر الحاجة إليه. ومما لاشك فيه أن استعمال ملح تغازى منذ منتصف القرن الخامس (11 م) قد ساعد على توفر هذه المادة ببلاد السودان بشكل انعكس فيما بعد على قيمتها في الأسواق، كما يتضح ذلك من تتبع سعر تبادل الملح بالذهب من خلال مصادر الفترة. وقد ساهم ذلك في تحويل الثقل الاقتصادي تدريجياً نحو الجهات الشرقية، بسبب مرور القوافل عبر هذه الملاحة، ولايُستبعد أن يكون لهذه الوضعية انعكاس على مدينة تامدولت وضاحيتها.

لاشك أن توفر تامدولت على سهل خصب ومياه وافرة وظهر غني (سوس) مكَّنها من أن تصدر نحو بلاد السودان كميات من المواد الفلاحية كالحبوب والتمور، كما يوحي بذلك وصف البكري للمدينة، خاصة إذا علمنا حاجيات الجالية الأجنبية الموجودة في مدن السودان الغربي مثل أودغشت أو غانا. لكن البحث الأركيولوجي وحده هو الكفيل بتقديم مزيد من التفاصيل حول النشاط التبادلي لمركز تامدولت وحول الممارسات التجارية بها (عملة، مكاييل، مخازن ...).

وتتفق مصادر الفترة على جعل الذهب في طليعة قائمة المواد التي تستوردها تامْدُولْت من بلاد السودان، حتى إن اليعقوبي اعتقد أن هذه المادة تستخرج من أرض المنطقة. وقد ساهم ازدياد الطلب في الغرب الاسلامي (الأندلس) على الذهب في تزايد الكميات المجلوبة منه مقابل مادة الملح أساساً. أما العبيد فالمصادر عادة ما تقرنها بمادة الذهب المستورد من السودان، ولاشك أن وجود مناجم النحاس والرصاص ووجود صناعة تعدين ونشاط فلاحي في ضواحي المدينة كان يتطلب يداً عاملة هامة ربما جلبتها القوافل من بلاد السودان (لاتزال تعيش في قرية تُوزونين وريثة تامْدُولْت طائفة من أحفاد العبيد، تعمل أساسا في استخراج معدن الرصاص الموجود بجبل العدانة، وبوسائل غير مختلفة كثيراً عن وسائل العصر الوسيط).

ولا تشير المصادر المتوفرة إلى ساكنة مدينة تامدولت ولا إلى عناصر تعميرها بما فيه الكفاية. يقول البكري في معرض حديثه عن رجوع عبد الله ابن ياسين من الصحراء : "... ونزل موضعا يقال له تامدولت، حصن فيه مياه ونخل كثير، يشرف عليه جبل فيه معدن فضة معلوم هناك، فاجتمع لعبد الله جيش كثيف من سَرْطة وتَبْرْجَة، ولهم هناك حصون ...". وقد سبق لليعقوبي أن أشار إلى بني تاركا وبني درا من بين ساكنة المنطقة. ومما لاشك فيه أن هذه ساكنة كانت، منذ هذه الفترة، خليطا من البيض والسود كما هي حتى اليوم، وأن مدينة تامدولت كانت تضم إبان ازدهارها أعدادا من التجار من سوس وسجلماسة وربما من مراكز تجارية أخرى خارج المغرب على غرار مثيلاتها من المدن التجارية بالمنطقة.

لعل إشارة جمال الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (1285 . 1318 م) في كتاب *مباهج الفكر ومناهج العبر* إلى حصن تامْدُولْت ومعدنها تعتبر آخر إشارة مصدرية مكتوبة حول هذه المدينة، ولكن الراجح أن ما أورده الوطواط إنما هو تكرار لما جاء عند البكري أساسا، ولا يمكن الاطمئنان إلى اتخاذه وصفا للمدينة معاصراً لكتابته. ومهما يكن الأمر، فقد اختفى بعد ذلك ذكر المدينة من المصادر المكتوبة وبقي في الرواية الشفوية فيما بعد ونُسجت حول المدينة و"قصة خرابها" حكايات مثيرة يصعب تبين ما هو تاريخي منها. لكن حيوية هذه الروايات واستمراريتها وذيوعها بين الكثير من سكان الأطلس الصغير وسوس لايمكن إلا أن يثير فضول الباحث ويجعله أميل إلى تفحص هذه الروايات لعله يعثر في ثناياها على نواة تاريخية، وهذا ما قام به، بعد

آخرين، برنار روزنبرجي في مقالته حول المدينة، حيث استعرض مجمل الروايات الشفوية التي تحدثت عن "خراب تامدولت" بسبب حملة القائد محمد بن علي أمنصاگ عليها، ورأى أن هجرة سكان تامدولت قد تكون بسبب حملة عسكرية عليها أو اقتتال طويل بين أهلها... الخ، وأرخ هذه الهجرة بأواخر القرن الثامن (14 م) أو بداية الذي يليه اعتماداً على عدة قرائن، منها العثور في أنقاض المدينة مؤخراً على قطعة نقدية مرينية، وكون القائد أمنصاگ الذي ينسب إليه تدمير تامدولت قد عاش في هذه الفترة التي شهدت طاعونا جارفا في المنطقة تسبب في تحركات قبلية ربما كانت سبب اقتتال سكان تامدولت وهجرتهم. وقد ظلت هذه الهجرة حية في الذاكرة الشعبية حتى اليوم، إلى درجة أن العديد من قبائل سوس الأطلس الصغير تنسب نفسها إلى هذه المدينة وتعتبرها موطنها الأصلي.

ومن غير المستبعد إذن أن تكون تامْدُولْت قد تلقت الضربة القاضية خلال القرن الثامن (14 م) وأن يكون تراجع المدينة وانحطاطها قد بدأ قبل هذه الفترة بكثير، حيث يمكن تلمس بوادر هذه الوضعية منذ النصف الثاني من القرن الخامس (11 م)، بل من المحتمل أن وصف البكري للمدينة في الفقرة المشار إليها أعلاه، إنما يعود إلى ما قبل سنة 461 / 1068 م، أي تاريخ الانتهاء من كتابة البكري *للمسالك والممالك*، خصوصا إذا علمنا مدى اعتماد البكري على استاذه محمد ابن يوسف الوراق في الكثير من أخباره وأوصافه.

ويمكن إجمال بعض عوامل هذا التراجع، الذي هو في الحقيقة تراجع للمحور الغربي من طرق التجارة العابرة للصحراء في الانتقال إلى استعمال ملح تغازى الواقعة إلى الشرق عوض ملح أوليل الواقعة على المحيط الاطلنتي في أرض گدالة، وذلك منذ منتصف القرن الخامس (11 م) على أرجح تقدير، وقد ساهم ذلك في تغيير الكثير من معطيات التبادل التجاري بين ضفتي الصحراء، فقد كانت مراكز مثل نول لمطة وتامدولت مثلا مرتبطة بملح أوليل الذي لم يعد له في القرن السادس إلا دور محلي حسب ما يتضح من وصف الإدريسي لهذه الملاحة. وقد أثر هذا التحول على مدينة أودغشت نفسها، ومن الطبيعي أن يؤثر كذلك على تامدولت التي تقابلها في الضفة الشمالية من الصحراء، خصوصا بعد أن عمل المرابطون على ربط سجلماسة بمنطقة النيجر عبر مركز تَابلْبْلا مروراً بملاحة تغازى، فأثر ذلك على المدينتين معا في حين ازدهر مركزا سجلماسة وولاتة فيما بعد. وقد زاد قيام الدولة الموحدية وتوحيدها لمنطقة الشمال الإفريقي من حدة التنافس بين المحورين الغربي والشرقي إن لم نقل عمل لصالح هذا الأخير.

زادت التفاعلات السياسية خلال القرن السابع (13م) سواء في بلاد المغرب أو في بلاد السودان، من تهميش دور تامدولت، خصوصا بروز دولة مالي الذي غيّر بعمق خريطة المبادلات الإفريقية، حيث عمل سلاطين هذه الدولة على إعادة تنظيم المجال الاقتصادي لأمبراطوريتهم بشكل أكثر فعالية بالنسبة لهم، وتندرج سيطرة مالي المحتملة على ملاحة تغازى في منتصف القرن الثامن (14 م) في هذا الإطار، ويرى كثيرون أن لرحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان الغربي آنذاك صلة مّا برغبة المرينيين في استعادة مكانة المغرب في التجارة العابرة للصحراء بعد اشتداد منافسة الجهات الشرقية، وانتقال الثقل الاقتصادي ببلاد السودان الغربي إلى منعطف نهر النيجر.

لم يبق اليوم من مدينة تامدولت التي وصفتها المصادر الوسيطية إلا قطع من سور على وشك الاندثار، فوق شرف من الأرض تغمره الرمال، وهو مبني بالطابية (الطين المضغوط) على أساس من حجر، وتعلو المكان قبة متواضعة تنسب للولي سيدي محمد بن عبد الله أو سيدي الشناوي كما يسميه البعض. وتوجد بداخل السور وحول الموضع كميات هامة من خبث معدن يعتقد أنه النحاس ومن شظايا أوان فخارية متنوعة. وتمكن نظرة سريعة إلى هذه البقايا من ملاحظة كون القبة والسور الحالي مستحدثين، ولعل هذا الأخير إنما استحدث مع بداية الدولة السعدية التي كان لقيامها صلات بهذه المنطقة. هذا في حين يغلب على الظن أن ما يضمه هذا السور إنما هو مجرد حصن متواضع الأبعاد، وأن تامدولت التي وصفها البكري، ربما تمتد على مساحة أكبر وتشمل مناطق أسفل الربوة التي تحمل ما تبقى من المدينة اليوم.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 86 ومابعدها ؛ مادة أقا، في حرف الهمزة من *معلمة المغرب*.

M. Delafosse, *Les relations du Maroc avec le Soudan Occidental à travers les Ages*, *Hesp.*, 1924, 2, pp. 153 - 174 ; Justinard, *Notes sur l'histoires du Sous au XVIème S.*, *A. M.* XXIX, p. 1230, Paris, 1930 ; B. Rosenberger, *Tamdult : Cité minière et caravanière présaharienne*, *IX- XIVème s.*, *H.T.*, 1970 , XI, pp. 103 - 139 ; S. Daveau, *L'itinéraire de Tamdult à Aoudaghost*, *Tegdaoust*, I, 1970, pp. 33 - 38 ; J. Devisse et S. Robert, *Tegdaoust. I : Recherches sur Aoudaghost*, Paris, 1970 ; J. Devisse, *Routes de commerce et échanges en Afrique en relation avec la Méditerranée : un essai sur le commerce africain médiéval du XIème au XVIème S.*, *R.H.E.*, 1972, vol. I, pp. 42- 73 et vol. II, pp 357- 397.

محمد الحبيب نوحي

* * * ومن الناحية المعدنية عرفت تامدولت بمنجم الفضة، وقد وصف روزنبرجي Rosenberger في مقالته حول تامدولت الآثار التي عاينها، وأشار بالخصوص إلى انتشار الأشكورية (الخبث المعدني) وقطع الفخار والخزف بالموقع وينتهي إلى الإقرار بوجود أفران لصهر المعادن. ويتخلل منطقة الأشكورية عدد من القبور القديمة، ويقول روز نبرجي إن القبة البيضاء "لسيدي شناويل" (سيدي محمد بن عبد الله) تهيمن على فضاء الموقع الأثري، وعثر روزبنرجي على بقايا سور يمكن أن يوفر بعض العناصر لمعرفة طريقة البناء في هذا الموقع. ولاحظ أيضاً وجود قطع خزفية تتغير ألوانها من البني القاتم إلى الأخضر، بالإضافة إلى وجود فلزات نحاسية، وهذا ما يطرح تساؤلات حول صناعة الخزف بتامدولت من خلال استعمال الفلزات المعدنية. وعثر

روزنبرجي على قطعة فضية موحدية وهو تأكيد لعثورات نقدية فضية موحدية وجدت في عين المكان (V. Monteil, 1946 ; J. Justinard, 1933). وقد حاول روزنبرجي حصر وظائف مدينة تامدولت في الوظيفة العسكرية والفلاحية والمعدنية والتجارية.

ونعتقد أن تامْدُولْت اشتهرت بالأساس بوظيفتيها التجارية والمعدنية، فهي تقع على الخط التجاري الفاصل بين سجلماسة وأودغشت، فهي بذلك محطة لكل البضائع القادمة من سوس، خصوصا المصنوعات النحاسية والزجاجية، بالإضافة إلى الفضة الموجودة بعين المكان، وهذه بضائع رددتها المصادر التاريخية عند الحديث عن التجارة الصحراوية.

وتعود شهرة تامْدُولْت المنجمية والتعدينية أساساً إلى مناجم العدانة للفضة وبعض مناجم النحاس ثم منجم تمزگدوين لاستغلال الزنك (التوتيا).

وتقع مناجم الفضة لتامدولت على امتداد جبل عدانة، حوالي عشرين كلم جنوب جبل باني، وتنتشر الآثار المنجمية القديمة من جبل گليز إلى تلعدانت على مسافة أربعين كلم باتجاه الجنوب الغربي، وقد استغل المنجميُّون القدامى جل الترسبات المعدنية، وتوجد بموقع بودادن مئات الآبار ذات فوهات مربعة أو مستطيلة الشكل ولا يتجاوز قطر الفوهة منها متراً واحداً وتشكل تلعدانت أهم منطقة منجمية، وتوجد على بعد ثلاثين كلم إلى الجنوب الغربي من تامدولت. وتوجد الآثار المنجمية القديمة على مرتفع منعزل يمتد بحوالي ثلاث كلم باتجاه الجنوب الغربي.

ولعبت الانكسارات الجيولوجية دوراً مهما في عملية التنقيب والاستغلال المعدني القديم وبالخصوص في جبل تاشليفت وتيوريرنْ وبوتازُلْتْ وتلعدانت.

تبين الآثار المَنجمية القديمة تقنيات الحفر والاستغلال التي عرفتها تامدولت في عهد ازدهارها، وكانت الركازات المعدنية تحمل إلى تامدولت حيث يتم صهرها كما يدل على ذلك وجود الأشكورية. وبناءً على شهادتي اليعقوبي والبكري، يمكن حصر النشاط المنجمي والتعديني لتامدولت ما بين القرنين الثالث والخامس الهجري (9-11 م). ومهما يكن من حقيقة تأسيس عبد الله بن إدريس لتامدولت أو أنها ازدهرت في عهد إمارته لسوس، فإن النشاط التجاري والمنجمي والتعديني كان وراء شهرة تامدولت ما بين القرن الثالث والخامس الهجري. إلا أن هذا لا يعني أن النشاط المنجمي قد توقف بعد ذلك، فإلى عهد قريب جداً كان سكان دوار إيگلي وإبوإفلوس يستغلون العروق المعدنية ببودادن بالطرق التقليدية. وأغلب الظن أن الاستغلال استمر بطريقة متقطعة حسب الظروف التاريخية للمنطقة. وربما عزز هذا التفسير ما ورد عند الحسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي) في القرن العاشر الهجري (16 م) عن جبل إيلالن حيث يقول "لا يبتدئ هذا الجبل غربا عند تخوم الجبل السابق (جبل هنكيسة) وينتهي شرقاً في ناحية جزولة وجنوبا في سهول سوس، وسكانه نبلاء شجعان عندهم خيول كثيرة ويتحاربون فيما بينهم باستمرار من أجل منجم فضة يوجد في الجبل ويستغله الغالبون منهم..." (المصدر، الجزء 1، صفحة 96).

وعرفت تامدولت أيضاً تعدين النحاس، وكانت تحيط بها مجموعة من المناجم القديمة المتنوعة المعادن كإفْرَانْ وَنَاسْ (مغارات النحاس) وإستواناس (ذوات النحاس)، بالإضافة إلى منجم تمزگدوين والذي كان يستغل في تبييض النحاس، وهو ما اشتهر في النصوص التاريخية بالنحاس الأصفر أو النحاس السوسي أو الصيني، والذي كان يصدر بالخصوص نحو ممالك السودان. وقد أحصينا ما يقارب من خمس وعشرين استغلالية منجمية وتعدينية تحيط بموقع تامدولت.

اليعقوبي، *كتاب البلدان*، ليدن 1891 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت 1979 ؛ البكري، *كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريز 1965 ؛ الوطواط محمد بن إبراهيم، *مناهج الفكر ومباهج العبر*، تح. E. Fagnan, *Extraits inédits relatifs à l'histoire du Maghreb*. Alger, 1924, pp. 41 - 68 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الأخضر، الرباط 1980.

O. du Puigaudeau, *Arts et coutumes des Maures*, *H.T.*, IX, pp. 329 - 458, 1968 ; B. Rosenberger, *Tamdult, cité minière et caravanière présaharienne du IXème au XIVème siècle*, *H.T.*, X, pp. 103 - 104 ; *Les vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc, essai de carte historique*, *R.G.M.*, N° 17, pp. 71 - 102; N° 18, pp. 59 - 108, 1970 ; M. Saadi, *Histoire de la recherche minière au Maroc, des origines jusqu'à nos jours*. Rabat, 1967 ; *Possibilités minières et hydrogéologiques de la région d'Akka et le rôle historique de Tamdoult*, *Mines et géologies*, N° 28, 1969.

الموساوي العجلاوي

تَامْدْيَازْتْ، مصطلح أمازيغي شائع الاستعمال في الأطلس المتوسط وفي الناحية الوسطى للأطلس الكبير وواحات الجنوب الشرقي. ويعني هذا المصطلح الأبيات الشعرية أو القصيدة الشعرية (المغناة ؟)، وقد يطلق على بيت شعري واحد أو على مجموعة من الحكم والأمثال والأقوال المأثورة. وأما الشاعر الذي ينشد أو ينظم تامدْيازْت، فيطلق عليه "أمدْياز" وجمعه "إمْدْيازْنْ" وهم شعراء جوالون بين القبائل المختلفة لنقل الحكم ونشر القصائد الشعرية. وقد لعب هؤلاء الشعراء دوراً أساسياً في نقل الأخبار المهمة، وتوعية القبائل بالقضايا الوطنية على الخصوص كفضح الاستعمار وعملائه والدعوة للجهاد ومحاربة الفساد كما كانوا يقومون بتمجيد الأبطال وذكر مناقبهم. وقد كان أمدياز يستخدم قدرته لابتكار الشعر بل وقدرته على ابتكار "النكث" المؤثرة في جماهير المواطنين من أجل تعبئتهم للمساهمة في المقاومة مثلا، ولذلك فأمدياز بمثابة ضمير القبائل والمعبر عن همومها وقضاياها.

وكانت القصائد "تمْدْيازينْ" سريعة الانتشار بسبب بساطة أسلوبها ودقة المَعاني الَتي تحملها بالإضافة إلى أنها موجهة للتغني والطرب، الشيء الذي جعل الجماهير الشعبية تُقبل على حفظ "تامديازت". وكان الشعراء

الجوالون "إمْدْيَازَنْ" يحظون باستقبال حار في كل القبائل التي يحلون بها. فكانوا يكرمون وتقدَّم لهم المكافآت المادية، ولا يغادرون القبيلة الابعد مدح أعيانها وتمجيد أجوادها، في حين لا تفوتهم فرصة هجاء بعض القبائل التي ترفض إيواءهم واستقبالهم بدون عذر، وخوفاً من هذا الهجاء الذي ينتشر على شكل "تامديازت" لدى القبائل المجاورة فإن الاعتذار يتم أحياناً بشكل يروق الجوّالين "إمديازن" إذ تقدم لهم مكافأة مادية مع تبرير لعدم الاستقبال كوجود مأتم في القبيلة مثلا أو انشغال القبيلة والأسرة المقصودة باستقبالهم بمشاكل طارئة وحاسمة.

ويلاحظ في قصائد "تامديازت" تساكن (تصالح) إدراكين مختلفين أحدهما خلفيته دينية والآخر خلفيته دنيوية أو مادية.

فالقصائد الدينية تتناول جانب الوعظ والإرشاد والتذكير بأركان الإسلام والآخرة، ويوم الحساب والأوامر والنواهي والمحرمات وتمجد الأنبياء والرسل والصلحاء والأولياء، إلى غير ذلك من الجوانب الدينية. أما القصائد الجدلية أو الدنيوية فتتناول مختلف المواضيع حيث تتعرض للاستغلال وللربا والمحسوبية، واستبداد الأعيان، وهي كذلك تحرض الجماهير على المقاومة. وتكمن أهمية "تامديازت" في قدرتها على اختراق الحراسة الشديدة للحكام مثل ما وقع للإدارة الاستعمارية التي كانت تدعي القدرة على ضبط تحركات القبائل ومنع الاتصال بين القبائل التي تم إخضاعها والقبائل التي لازالت تحمل راية الحرية والجهاد، ومن ذلك هذه القصيدة "تامديازت" التي تهجو القبائل التي استسلمت للاستعمار أثناء مقاومة أيت عطا للقوات الفرنسية بجبل بوكافر في فبراير ـ مارس سنة 1933 :

ـ فْـرَحْ ألحـاكـم گـانـاكْ	وَارَاوْ تِـيـنْـگـسْـامِـينْ
ـ فْـرَحْ ألحـاكـم گـانـاكْ	وَارَاوْ تِـيـخْـدَامِـينْ
ـ فْـرَحْ ألحـاكـم گـانـاكْ	وَارَاوْ تِـيـنْـزْدَامِـينْ
ـ فْـرَحْ ألحـاكـم رَانْكْ أيت	وَرَاسْـنْ إبـلـين أراكـال
ـ إدَا الـنْـبِـي دْ تـواريـنْـسْ	إمَـانْ دى إمْـزُورا
ـ نْـقِـيـمْ إمْـگـورا	إبُـويـلـيـس "دبْـولان"

ومعناه :

ـ افـرح أيـهـا الحـاكـم	أصبح فتيانـنـا سقاة لك
ـ افـرح أيـهـا الحـاكـم	أصبح أبناؤنا خداما لك
ـ افـرح أيـهـا الحـاكـم	أصبح أهلنا مقتوين لك
ـ لـقـد أحببك أصحاب العمامات والملابس الفاخرة	
ـ لـقـد ذهـبـت عـنـا	الـكـرامـات مـع الأولـين
ـ وبقينا نحن في هذا الزمن المتأخر تحت	رحمة حكام طغاة أمثال دبليس وبولان

المقصود هنا Les capitaines Dupleix et Paulain.

ويمكن اعتبار "تامديازت" من الروايات الشفوية التي يمكن اعتمادها في استكشاف بعض أحداث الماضي، وقد اعتمدت عليها الباحثة جانين دروان (Jeanine Drouin) ضمن الوثائق التي استثمرتها لتأليف كتابها حول الصلحاء والزوايا بالأطلس المتوسط، حيث جاء الكتاب حافلا بقصائد من نوع "تامديازت" تتناول مختلف المواضيع كمقاومة موحا وحمو الزياني للاستعمار في معركة الهري سنة 1914 ومقاومة سيدي المكي أمهاوش في تازگزاوت سنة 1932. كما أن هذه القصائد يمكنها أن تمد المؤرخ والباحث بمادة هامة تتعلق بالأعراف والمصطلحات والمعارك وبعض الشخصيات، كما أن "تامديازت" يمكن تحويلها إلى مادة للتحقيق والتقابل خاصة وأن الشعراء (إمديازن) هم أفضل من عرف التمثلات والتطلعات الجماعية للقبائل، لدرجة أنهم يبدون معها وكأنهم لسان حال هذه القبائل، ولهذا فقصائد "تامديازت" جديرة بالاهتمام في ميدان البحث واستعمال الرواية الشفوية.

أولمدن محمد، *المقاومة المغربية من خلال الرواية الشفوية*، بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط 1982.

M. Meraud, *Histoire des A. I., La Koumia*, Paris, 1990 ; J. Drouin, *La tradition orale hagiographique. ou un cycle oral hagiographique* ; S. Guennoun, *La montagne berbère*, Rabat. 1929.

عبد القادر بوراس

التامراوي، محمد بن محمد، فقيه نوازلي له باع طويل في الفتاوى في القطر السوسي في عصره، وكان مولعا باقتناء الكتب وملاقاة العلماء واستجازتهم، وقد أدى فريضة الحج سنة 1242 / 1826 ودوّن رحلته التي نقلها محمد المختار السوسي في *المعسول* (8 : 198 ـ 213) وهي تحتوي على معلومات تاريخية واجتماعية ووصف للمدن التي مر بها، وفيها يتحدث عن أحد العلماء المغاربة المجاورين بالحرمين، وهو الشيخ محمد الحبيب بن عبد القادر الفيلالي الذي جمع بين التدريس والإفتاء للمغاربة المجاورين، ويخبرنا بأن هذا الشيخ سبق له أن درس بزاوية سيدي أحمد أُموسى.

توفي محمد التامراوي عام 1285 / 1868.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 8 ؛ م. ماگامان، *أدب الرحلة عند المغاربة*، د.د.ع، الرباط.

محمد ماگامان

تامراكشت أو تَمْرَاكشت، أحد القصور الثلاثة التي ذكرها الحسن الوزان في معرض حديثه عن منطقة الخنگ، وهي حسب تتابعها من الشمال إلى الجنوب : زعبل، وگستريز وتامراكشت. والخنگ الذي يغلب اسمه على هذه المنطقة معناه الخانق في اللغة العربية الفصحى أي الشِّعب الضيق (*وصف افريقيا*، ج 2 هامش 11، ص. 122)، لعب دورا بارزا في ربط الاتصال بين مدينة سجلماسة ومناطق شمال المغرب باعتباره الممر الطبيعي الوحيد الذي يسمح بإختراق جبال الأطلس الكبير الشرقي عبر مجرى وادي زيز بين فم غيور شمال سد الحسن الداخل وغار زعبل على مسافة عشرين ميلا.

يقع قصر تامراكشت على الضفة اليسرى لوادي زيز كما هو الحال بالنسبة لگستريز. أما قصر زعبل الذي

اندرس ولم يعد له وجود بالمنطقة فيحتمل أن يكون موقعه عند غار زعبل على الطريق الرئيسية رقم 21 الرابطة بين مكناس والريصاني، وهذا الغار يمثل الحد الشمالي للخنگ. وقد ظهرت تجمعات سكنية حديثة نسبيا بهذه المنطقة اتخذت مواقعها على الضفة اليمنى لوادي زيز خلافا لمواقع القصور القديمة، ويتعلق الأمر بقصر إفري وأيت عثمان اللذين تقطنهما عناصر من قبيلة أيت إزْدَگْ التي تشغل هذا المجال بأكمله.

لا يسمح ضيق المساحة في تامراكشت وسائر مناطق الخنگ بوجود أراض شاسعة، لذلك يقتصر ما يتم استغلاله في المجال الزراعي على أشرطة ضيقة بضفتي النهر لا يبلغ عرضها أحياناً مرمى حجر تخصص لزراعة الشعير، كما يقوم السكان بتربية الأغنام خاصة قطعان الماعز (*وصف إفريقيا*، 2 : 122 ـ 123).

استفادت قصور الخنگ من موقعها على طريق التجار الصادرين أو الواردين من سجلماسة وفاس في العصر الوسيط، ومع حلول القرن العاشر (16 م) أصبح سكانها من عرب المعقل يراقبون هذا الطريق التجاري ويستخلصون واجبات المرور من التجار، وهو ربع مثقال عن كل حمولة جمل مستغلين حصانة هذا الممر وما يوفره من وسائل دفاعية بحيث يستطيع شخصان منهم أن يصمدا أمام هجوم الإقليم بأكمله (*وصف افريقيا*، 2 : 122 ـ 123).

اختصت قبائل أولاد حسين بسكنى تامراكشت وكل قصور الخنگ في القرن العاشر (16م) وكان شيخهم يقيم بمدينة گرسلوين أو قرسلوين عند ابن الخطيب (*معيار الاختيار*، 179) التي لا نعرف موقعها بنوع من التدقيق لكن لا يستبعد أن يكون في المنطقة التي تحمل اليوم اسم الكَرْسْ والواقعة شمال الخنگ ما بين قصر كَرانْدوْ وأيت خُوجْمانْ عبر قصر تيعلاّلينْ الذي يسميه المحليون كَرسْ تيعَلاّلينْ. عرفت مَدينة گرسلوين تراجعاً واضحاً في نشاطها الاقتصادي في القرن العاشر بسبب ضعف التبادل التجاري بين تافيلالت وفاس خلال هذه الفترة، الناتج عن تحكم قبائل ذوي منصور من عرب المعقل في أغلب مراحل هذا الطريق الرابط بين المنطقتين. بحيث كان العصارنة يتحكمون في تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة ومنطقة تيزگي وكان المنابهة يتحكمون في الرُّتب ومضغرة، وكان أولاد حسين يتحكمون في الخنگ والگرس. فصار هذا الطريق ما بين قصور تافيلالت وقصر تيزي ـ ن ـ تالغمت تحت رحمة شيوخ هذه القبائل الذين كانوا يمنحون التجار رخص مرور بمقابل مالي وإن عثر رجالهم على قافلة دون رخصة نهبوها على الفور (الوزان، 1 : 45 ـ 46 و2 : 123 ومارمول، 1 : 108).

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 1، الرباط، 1980، ج ح، 1982 ؛ مارمول كاربخال، *افريقيا*، ج 1، الرباط، 1984 ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976.

حسن حافظي علوي

تامْراكَشْتْ، مدينة صغيرة من مدن دكالة القديمة، كانت توجد على الضفة اليمنى لنهر أم الربيع. وهذا الاسم صيغة تصغير بالأمازيغية للفظ مراكش. وليس هناك ما يدل على صحة القول بأن مؤسسها هو يوسف بن تاشفين، إذ كون هذه المدينة تحمل اسم مراكش الصغيرة لايقتضي تأسيسها من قبل باني مراكش.

كانت تامراكشت حتى أوائل القرن العاشر (16 م) آهلة بالسكان تحتوي على أربعمائة كانون، كما كانت خاضعة لأزمور رغم وجودها في تراب تامسنا، إذ أن بعض قرى تامسنا القريبة من دكالة وحتى بعض قرى هسكورة كانت كثيرة الارتباط بما يحدث في دكالة.

احتل البرتغال تامراكشت في السنة التي احتلوا فيها أزمور (919 / 1513)، فخربت في ظروف غامضة وانتقل أهلها إلى مدينة الغريبة القريبة منها. وكانت تامراكشت محاطة بأسوار وأبراج على الشكل القديم، لم يبق اليوم منها أي أثر. ويخبرنا مارمول أن أعراب شراگة كانوا ينتقلون في وقته عبر بواديها التي كانت غنية جدا بالقمح والمراعي، ويبدو أنها كانت كثيرة السكان وأن البنايات كانت من عمل البربر، لذلك كان اسمها بربريا كسائر الأماكن التي تبدأ بالتاء، مثل تادنست وتازروت وغيرهما. ونظراً لموقع تامراكشت بين إقليمي دكالة وتامسنا وإقليمي هسكورة وتادلا التي هي أراض خصبة كثيرة القمح والمرعى، فإنه يبدو أن تامراكشت هي مراكش القديمة التي يذكرها التاريخ الروماني، لأن مراكش الحالية إنما أسسها يوسف بن تاشفين ولمتونه بعد عهد الرومان بكثير كما هو معلوم.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، ج 1 ؛ مارمول، *إفريقيا*، ج 2 ؛ أ. بوشرب، *دكالة* ؛ م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط.

محمد الشياظمي

تامْرنْوت، رابطة كانت تجتمع فيها طائفة من الأولياء الصالحين في أسفي. وتذكر مختلف الشهادات أنها كانت معروفة منذ النصف الأخير من القرن السادس (12م)، وربما رجع تاريخها إلى ما قبل ذلك بكثير.

كان هذا الموضع الوارد ذكره في *المنهاج الواضح* موجوداً بالقرب من الموقع الحالي لضريح الشيخ أبي محمد صالح، وقد اندثر الآن ولم يبق له أثر ـ وعن هذه الرابطة يقول الفقيه الكانوني : "كان يقصدها الصلحاء وأهل الخير، وكان الشيخ أبو محمد صالح يأوي إليها، وموقعها برباط أسفي فيما بين برج كدية لعْفو وجرف البحر. ولعل السيدتين عائشة ومريم المدفونتين على الجرف كانتا بنفس هذه الرابطة".

وتعتقد الأستاذة حليمة فرحات بأن موقع رابطة تامرنوت قد يكون أحد المساجد التي هدمها البرتغاليون عام 1507 لما احتلوا المدينة، وهو مسجد "باب البحر" الذي أتى ذكره وذكر مساجد أخرى هدمت كذلك كمسجد "باب

الشعبة" ومسجد "القبور" ومسجد "أورير" في الرسالة التي بعثها عام 1509 أهل أسفي إلى ملك البرتغال "إيمانويل".

محمد الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، القسم الثاني (مخطوط).

H. Ferhat, *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles : Les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.

عبد الرحيم العطاوي

التامري، مركز قروي يقع على الطريق الرئيسية بين أگادير والصويرة عند نقطة 40 كلم شمال أگادير قرب مصب وادي أيت أمّر المشهور بزراعة الموز منذ عهد الحماية لأن مناخه شبيه بمناخ جزر كانارياس الواقعة في نفس الخط من المحيط الطلسي، والشهيرة كذلك بإنتاج وافر من الموز الجيد، لذلك اشتهر (التامري) بتسويق الموز الطبيعي إلى مختلف المدن والأسواق المغربية قبل ظهور زراعته في الحقول المكيفة بالمغرب. وينعقد فيه سوق أسبوعي كل يوم اثنين يحج إليه سكان القبيلة والقبائل المجاورة.

ورغم أن مركز التامري ينمو نمو بطيئاً كغيره من المراكز الفلاحية، إلا أنه يتوفر على تجهيزات لا بأس بها، أهمها : مجموعة مدرسية حديثة، ووكالة بريدية، ومركز فلاحي ومقر للدرك إلى جانب مسجد كبير تقام فيه صلاة الجمعة، ومساكن اقتصادية تتوسطها محلات تجارية على جنبات الطريق الرئيسية إلى أگادير.

التامري، أسرة تنتسب إلى قبيلة أيت أمّر الحاحية، وهي الرابعة والأخيرة جنوبا في الصف الساحلي من بين قبائل حاحة الاثنتي عشرة (*المعلمة*، 1 : 220). وعلى أراضي هذه القبيلة تتوسع مدينة أگادير على سيف البحر شمالا، وخاصة مشروع خليج أگادير. واشتهرت القبيلة بكثرة علمائها ورؤسائها المرموقين في الأوساط العلمية والسياسية، ومعظمهم اشتهر بهذا النسب (التامري) فأطلق حتى على سوقهم المركزي. وفيما يلي التامريون المشهورون بهذا النسب :

التامري، أحمد بن محمد المتوفى بمراكش عام 1200 / 1785. ذكره عباس بن إبراهيم في كتابه *الإعلام بمن حل بمراكش من الأعلام* قائلا بأنه كان علامة مشاركاً حريصاً على التحصيل، صالحا جليلا، ذكره الشيخ الطالب بن الحاج في بعض مقيداته (عباس بن إبراهيم، *الإعلام*، ج.2 ص. 394).

محند أيت الحاج

التامري، الحسن بن إبراهيم، باشا أگادير. ينتمي إلى قبيلة أيت تامر بايداوتنان تخرج من مدرسة سيدي الحاج الحسن الكزويي، وصاحب الشيخين سيدي الحسن التاموديزتي، والشيخ الحاج علي الإلغي، وعمل كاتباً خاصاً للقائد مبارك الگيلولي بتامنار، وبعد ذلك التحق بمسجد قرية إيمي واسيف شارطاً، حيث بقي هنالك، غير مهتم بالسلطة والجاه، وفد عليه صدفة رسول من الحاج الحسن الگيلولي بأگادير، في طريقه إلى تامنار لإخبار القايد مبارك الگيلولي بنبإ وصول حركة الهيبة إلى سوس وعزمه الانتقال إلى مراكش حوالي سنة 1912، واقترح عليه أن يكون كاتبا خاصا للحاج الحسن الگيلولي بأگادير. (*خلال جزولة*، 1 : 39)، ولم يمانع الفقيه في ذلك، حيث عين كاتباً خاصاً للحاج الحسن الگيلولي، بدعم من القايد مبارك الگيلولي بتامنار. وتولى الفقيه الكتابة والخطابة بمسجد أگادير، إضافة إلى القضاء بين الناس في الشرعيات. وبقي هنالك إلى أن مات الحاج الحسن الگيلولي، حيث انتقل إلى مدرسة عبد الرحمان بأيت تامر. ومن هنالك استُدعي ليكون قائداً لقبيلة من غير أن يحلم بذلك. وبعد موت عبد المالك الإنزگاني عين باشا أگادير حوالي سنة 1930 / 1931. وكان حكمه حكماً مزاجياً حسب ما يذكره الناس، واستمر في مهمته إلى أن أصابه مرض نقل على إثره إلى مراكش حيث توفي ونقل جثمانه إلى مقبرة سيدي سعيد الدرارگة بنواحي أگادير وذلك حوالي 1934 / 1944.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج. 1، تطوان، د. ت. ص. 38. 39. 40 ؛ الرواية الشفوية، عن محمد مونيب موظف سام بعمالة أگادير.

محمد حنداين

تامزّوشْتْ، موقع فلاحي خصب من بلاد مطالسة القريبة من دريوش بإقليم الناظور، محاذية لرافد صغير يصب في وادي كرت، على مقربة من الطريق الرئيسية الرابطة بين الناظور والحسيمة. فيه ضريح الولي الصالح سيدي عبد الله بن الحسين.

يحد تامزّوشت من الجنوب موقع فلاحي آخر يدعى بُويرْفَان (أي الخنازير) وكان الراحلون من بني توزين يتخذونها عزيباً لهم حتى أصبحوا يشاركون المطالسة في امتلاك حقولها.

من جملة من سكنها من بني توزين : الحاج ميمون بن الطاهر بن الحاج عمرو، والد العالم التوزاني الحاج مَحمد الذي أقام فيها ردحاً من الزمن بعد عودته من فاس (راجع ترجمته لاحقاً) وقد تفرعت أملاك الحاج ميمون فيها إلى ثلاثة فروع تقاسمها أولاده من بعده.

مزروعاتها الأساسية : الحبوب، خاصة القمح والشعير والخرطال... وبعد الحصاد تتحول إلى مراع للحيوانات.

رسوم عقارية ؛ روايات شفوية ؛ معاينة ميدانية.

عبد الله عاصم

تامْساسّگ، مرسى بشاطئ قبيلة متيوة البحر على البحر المتوسط حيث تصب مياه نهري تاگموت وسيدي الفتوح بالقرب من رأس تاگموت. وتعرف هذه المرسى عند الإسبان باسم Ensenada de los Traidores أي مرسى الغدّارة، وسبب ذلك أن قراصنة قرية الجبهة كانوا يختبؤون بالمرسى المذكورة للانقضاض على السفن العدو الأجنبي.

A. Domenech, *Apuntes* ..., p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes* ..., p. 63.

محمد ابن عزوز حكيم

تامسگُرْت، لفظة مبناها أمازيغي، لا نجزم بمعناها. ويسميها أحمد بلقاسم الزياني تاسكارت (*تاريخ خنيفرة*، 32) وهي مدشر يقع جنوب غربي مدينة خنيفرة، على بعد حوالي ثمانية كلم منها على الضفة اليمنى لواد أم الربيع، ضمن قبيلة زيان من صنهاجة الظل (أيت أ ُمالو).

ولعل نشأة هذا المدشر، أو توسعه على الأقل، يرتبط بانتقال الشيخ الكبير بن امحمد ابن ناصر الدرعي إليه. فعلى إثر وفاة الشيخ امحمد ابن ناصر سنة 1085 / 1674، وتصدر خليفته أحمد لشؤون زاوية تامگروت، غادر محمد الكبير درعة. فألقى عصا التسيار بتامسكرت، حيث أسس زاوية ناصرية. (*الدرة الجليلة*، 74. 80 ؛ *البستان الظريف*، 30. 32. 36) ويظهر أن أتباعه قد كثروا بمجرد استقراره بها. ولعل ذلك راجع كذلك إلى كون تامسكرت إحدى منازل الناصريين في الطريق الواصلة بين درعة وفاس. وذلك أنه يوجد غير بعيد منها مدشر أرگو، وبه مريدون ناصريون أخذوا عن الشيخ امحمد ابن ناصر قبل ذلك الأوان (*رسائل الشيخ ابن ناصر*). وقد استقطبت تامسكرت، بدورها، عدداً كثيراً من سكان المنطقة. فتعدد أتباعها حتى أثار ذلك انتباه السلطان، الشيء الذي اضطره إلى استقدام شيخها إلى مكناس واختباره (*الدرة الجليلة*، 74). ولعل هذا الاختبار الذي لم يكن يخلو من ضغط على الشيخ الناصري، كانت من ورائه توجسات سياسية، ذلك أن تامسكرت تقع في مجال صنهاجة الأطلس الذين شكلوا أحد مشاغل السلطان الكبير (De La Chapelle, 14 - 16). بالإضافة إلى ذلك فقد وجدت علاقات وثيقة بين شيخ الناصريين هناك. وبين أحد حفدة الدلائيين. في هذا الاطار يشير محمد المكي الناصري إلى مراسلة بين الشخصين يواسي فيها محمد الكبير صديقه الشرقي بن أبي بكر الدلائي في المصاب الذي كان ألم بالزاوية الدلائية (*الروض الزاهر*، 116). لذلك قد يرجع ضغط السلطان على شيخ تامسكرت إلى تخوف هذا الأخير من تكرار تجربة الدلائيين، خاصة وأن ذكريات ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي كانت ما تزال عالقة بالأذهان. كما لايستبعد أن السلطان كان يحاول استمالة زاوية تامسكرت لخدمة أغراضه السياسية في المنطقة، وذلك غير بعيد لأنه يدخل في إطار سياسة السلطان العامة إزاء الزوايا (مقدمة تحقيق *الدرة الجليلة*، 75. 76). وقد ظلت تامسكرت قائمة كزاوية ناصرية حتى بعد وفاة شيخها محمد الكبير في 29 صفر 1126 / 1714 (*الدرة الجليلة*، 78). وقد بنى ابنه محمد على قبره ضريحا صار مقصودا بالزيارة من طرف سكان تلك الجهات.

قامت زاوية تامسگُرت بأدوارها في المنطقة، كإطعام الطعام ونشر تعاليم الإسلام والثقافة العربية، كما أسهمت في فض بعض النزاعات والتحكيم في الخلافات التي كانت تنشب باستمرار في وسط تميز بعدم الاستقرار لأن معظم سكانه كانوا يعيشون حياة التنقل والرعي. بالإضافة إلى وقوع المنطقة في مجال تنقل القبائل بين مراعي الصيف في الأعالي ومراعي الشتاء في البسائط (*تاريخ خنيفرة*، 18). ولعل تامسگُرت غدت ذات قيمة روحية لدى الناصريين أنفسهم. فحين توفي الشيخ موسى الناصري بزاوية الفيض (زاوية الشيخ) "حمل بعد موته من الزاوية المذكورة" ليدفن بتامسكرت (*الدرة الجليلة*، 135) و"صلى عليه كثير من الخلق لا يحصي عددهم إلا الله" (*الدرة الجليلة*، 135) كما دفن بها كذلك أخوه أحمد ابن محمد الكبير (نفس المصدر، 182).

ولا يرد ذكر تامسكرت في المصادر حتى بداية القرن العشرين ؛ حيث يشير إليها أحمد بن قاسم الزياني، قائلا: "تاسكارت ، يمين خنيفرة، وهي مداشر يسكنها شرفاء علويون، فإنهم يتخذون البساتين على مائهم، فتصلح عندهم الفواكه كالإجاص والتفاح والمشمش والخوخ.." (*تاريخ خنيفرة*، 32. 34) أي أنها كانت تشكل تجمعاً سكنيا مزدهرا ، ذا بساتين غناء، يكثر بها الخصب والنماء.

وصنفت تامسگُرت حسب إحصاء سنة 1936 كقصر بلغ عدد سكانه أربعة ومائة نسمة، مما يدل على أنها قد اعتورها الاضمحلال، وهو مارأيناه باديا للعيان اليوم.

م. الدرعي، *الرسائل* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ *الروض الزاهر* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. الزياني، *البستان الظريف* ؛ أح. الناصري، *طلعة المشتري* ؛ أ. الزياني، *تاريخ بلدة خنيفرة*، تع. محمد أمحزون، الدار البيضاء، 1986.

De La Chapelle, *Le Sultan Moulay Ismail et les berbères sanhaja* ; *Répertoire alphabétique*.

أحمد عمالك

تامسنا، منطقة اقترن اسمها في كتب تاريخ المغرب الوسيط بإمارة برغواطة، جعل هذا الاقتران بعض الدارسين يجعلون منطقة تامسنا مطابقة لإمارة برغواطة التي تأسست سنة 123 / 41. 742 حسب ما جاء في *الاستبصار* (ص. 197) وعرفت فترات من التوسع والتقلص، فقد وصل مجالها الترابي أحيانا إلى طنجة شمالا ووادي تانسيفت جنوبا.

أما تامسنا كعلم جغرافي فلا يرتبط في كل العصور بإمارة برغواطة بل تعاقبت عليه قبائل أخرى قبلها وبعدها.

تامسنا اسم بربري أ ُطلق على المنطقة كما أ ُطلق نفس الاسم، (بصيغة المذكر) وغير بعيد عن المنطقة، على إحدى البحيرات (أمسنا). وتعني راحة اليد وماشابهها من بسيط الأرض. ونجد نفس الكلمة اليوم لكن بصيغة التصغير تطلق على قرية في السهل الصغير لوادي نكوروغيس في الريف الشرقي = تامسنيت. ولعل الاسم أخذ من المنبسط الصغير الذي يجري فيها النهران. لم تذكر المصادر العربية الأولى التي تحدثت عن المغرب المنطقة باسمها بل صنفتها ضمن المغرب ـ وكلمة المغرب آنذاك أطلقت على المنطقة الممتدة من شمال دَرَن (الأطلس الكبير) إلى عمر تازا ثم المحيط الأطلسي ـ (*العبر*، 6 : 174) وعند بعضهم السوس

الأدنى (ابن الفقيه ضمن نشرة حاج صادق، *صفة المغرب*، 30. 40) وبعد العصر الوسيط صنفها آخرون كصاحب *الاستقصا* وابن زيدان في *العز والصولة* ضمن الحوز وأحيانا الحوز نفسه. على أن الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (ص. 156 وما بعدها) هو الذي تناول المنطقة بوصف مسهب وتفاصيل أكثر من غيره.

اسم تامسنا متداول منذ العصر الوسيط الأوسط إلى بداية القرن العشرين رغم التغييرات التي عرفتها المنطقة على المستوى العمراني والسياسي، فأصبح البعض يغلب لفظة الشاوية أي يستعمل اصطلاحا اقتصاديا وعمرانيا (*تاريخ الضعيف*، 3 : 57) إلا أنه استعمال غامض لأن لفظة الشاوية المشتقة من النشاط المرتكز على رعي الشاء ـ لم تكن خاصة بالمنطقة، لذلك وقع خلط عند بعض الدارسين الأجانب على وجه الخصوص، إذ استعملت الكلمة أحيانا كمرادف لتامسنا. وبعض النابهين من المؤرخين والفقهاء تحدثوا بلغة أكثر وضوحا ودقة فقالوا : "أهل تامسنا" وهم يعنون كل سكان تامسنا. أو قالوا : "الشاوية أهل تامسنا" أي المشتغلون برعي الشياه من أهل تامسنا أو "عرب تامسنا" جزء من سكان تامسنا لأن في هذا البسيط غير العرب، إلى غير ذلك من التعابير.

جعل الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (ص. 156 وما بعدها) لتامسنا حدودا طبيعية هي أبو رقراق شمالا وأم الربيع جنوبا والمحيط الأطلسي غربا والأطلس المتوسط شرقا. فالمنطقة بهذا التحديد شاسعة تضم الشريط السهلي الساحلي ومعظم الهضبة الوسطى : الهضاب الداخلية (هضبة الفوسفاط وهضبة بني مسكين وقسما من سهل تادلا (الضفة اليمنى لأم الربيع). كل هذه المنطقة كان يطلق عليها في خرائط الفترة الاستعمارية اسم الشاوية، ومركز إدارتها الدار البيضاء.

موقع تامسنا وسط المغرب، وبالذات وسط ما عرف (بالمغرب النافع)، موقع استراتيجي هام يربط ما بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، وتضاريسه وبنيته متدرجة في الارتفاع والتعقيد من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، ويتبع هذا التدرج تدرج على مستوى المناخ والغطاء النباتي والوحيش نسبيا.

شكل هذا الموقع الاستراتيجي بهذه المواصفات وغيرها كخصوبة التربة وكثافة الشبكة المائية، عبر عدة قرون مصدر قوة لساكنة المنطقة، وأكبر نموذج تقدمه لنا إمارة برغواطة التي عمرت أزيد من أربعة قرون (ق2 هـ ـ ق6 هـ)، أما الحسن الوزان الذي شاهد، بعض معالم تدهورها، فيذكر في معرض حديثه عن تامسنا، أنها كانت تتوفر على أزيد من أربعين مدينة وثلاثمائة قصر، ويسكنها عدد كبير من قبائل البربر وان هذه المنطقة هي زهرة الناحية كلها (وصف *إفريقيا*، 1 : 153).

اهتم المرابطون وبعدهم الموحدون باستئصال إمارة برغواطة نظراً إلى أهمية منطقة تامسناالاقتصادية والاستراتيجية الحربية، فالبرغواطيون استخدموا تضاريس المنطقة ومعطياتها الطبيعية أحسن استخدام في السلم والحرب، ففي حالة الخطر ينسحبون بأهلهم إلى أدغال الهضبة الوسطى حيث يستأنف النشاط الاقتصادي ويقوم الرجال بمحاربة العدو بجميع الوسائل. ولم يتمكن الموحدون من القضاء عليهم إلا في عهد يعقوب المنصور باتباع ما يمكن تسميته عسكريا "سياسة الارض المحروقة"، فنتج عن ذلك إفراغ المنطقة من ساكنتها وإخراجها من دائرة الإنتاج الاقتصادي في المغرب. وربما اعتبر الخليفة الموحدي مسئولا عن الوضعية المتدهورة التي آلت إليها تامسنا باعترافه هو نفسه (*الاستقصا*، 2 : 205. 206) فقد جاء بالقبائل العربية وأنزلها المنطقة لإتمام مخططه في القضاء على البرغواطيين، وحاول إعادة تعميرها واستغلالها ففشل، وفشل مشروعه الكبير في تعويض ما فقدته المنطقة من مدن وقرى، ببناء مدينة تشبه الاسكندرية هي الرباط. فلم تعمر الرباط في عهده ـ حتى بعد الموحدين ـ رغم الإغراءات المقدمة من طرفه، ولم تسترجع تامسنا نشاطها وعهدها الزاهر، فالقبائل الهلالية استمرت تعيش على نمط حياتها القديم، معتمدة على التنقل والترحال والرعي لم تؤثر فيها خصوبة المنطقة ولا تغيير المجال بالنسبة لهم. هذه الفترة من تاريخ تامسنا، وهي الفترة الانتقالية ما بين إفراغها من البرغواطيين وإحلال العرب الهلاليين بها، هي التي وصف فيها الادريسي تامسنا (*نزهة المشتاق*، 3 : 237. 238. 239. 240. 241) فلم يشاهد إلا قرى قليلة ومدنا ومناطق معمرة في تامسنا وهي : قرية ايغيسيل (گيسر ؟) وقرية أنقال وقرية مكول وفضالة وأنفا. ومن قراءتنا للإدريسي نخرج بإعجاب بالأوصاف المقدمة عن النشاط الاقتصادي من فلاحة وتصدير. ولايخامرنا شك في أن تلك النقط المستغلة، والتي تبدو كجزر متناثرة وسط محيط من الأراضي الفارغة ما هي إلاّ نماذج متبقية مما كانت عليه المنطقة من قبل، ذلك المحيط الفارغ استغلته الكثير من الحيوانات التي تألف العمران، وصف الادريسي منها ثلاثة أنواع : السلاحف العملاقة، وطيور النعام التي أعجب بكثرتها وكثرة بيضها والأسد الكثيرة التي فصل الحديث عنها وعن صيد الأهالي لها دون سلاح.

دخلت تامسنا بعد القضاء على البرغواطيين في عهد جديد لا علاقة له بالعهد السابق امتد أزيد من سبعة قرون وتم خلاله تعريب المنطقة واختلاط ساكنتها وتنوع عناصرها، فلم يعد البربر إلا قلة. فالمعطيات الطبيعية والاستراتيجية استغلت في اتجاه سلبي : فساد الرعي والترحال وكثرت عصابات قطع الطرق والصراعات القبلية : عرب ضد عرب وعرب ضد بربر ـ وعرب وبربر ضد عرب أو ضد بربر وهكذا ...

ففي سنة 677 / 77. 1278 كثر عيث عرب جشم بتامسنا (*الاستقصا*، 3 : 50) وفي عام 707/ 07. 1308 اجتاز السلطان المريني "ببلاد تامسنا فتلقاه بها عرب جشم من

قبائل الخلط وسفيان وبني جابر والعاصم فاستصحبهم معه إلى مدينة أنفا، ولما احتل بأنفا دعا بأشياخهم فحضروا عنده فقبض على ستين منهم وأودعهم سجن أنفا وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبيل..." (*الاستقصا*، 3 : 107) وغلبت تلك الحال على تامسنا في القرون التالية فنجد الضعيف الذي عاش إلى عام 1193 / 1778 - 1779 يقول "... ركبت البحر من سلا بقصد زيارة سيدي أبي شعيب، وفيها كان لا يقدر أحد أن يذهب لمراكش على بلاد تامسنا، وكان من جاز عليهم أكلوه ونهبوه حتى إن السلطان أطلق الإعلام أن كل من جاز على الشاوية فلا يلوم إلا نفسه..." (*تاريخ الضعيف*، 3 : 57).

هذه أمثلة متباعدة سقناها قصداً لتبيان ما آلت إليه منطقة تامسنا إذ أصبحت مخوفة حتى إن الأمثال أصبحت تضرب بها : "قالوا فينْ تامسنا قالوا احْنَا فيها" (*أمثال مغربية*) ولأخذ نظرة عَن الصراعات المشار إليها، يرجع إلى الحسن الوزان الذي تتبعها بتفصيل يندر عند غيره (*وصف إفريقيا*، ج 1 و2) وكذلك المصادر السعدية والعلوية.

كان فقدان تثبيت السكان في الأرض وربطهم بالزراعة والتعمير في القرون الأخيرة من المشاكل المستعصية التي عرفتها منطقة تامسنا وأبقت على تهميشها بالنسبة لإمكاناتها الهائلة، فالقبائل العربية ومعها قبائل بربرية كبرى ألفت منذ العهد الموحدي الأخير - بعد يعقوب المنصور - التذبذب والتقلب في مواقفها تجاه السلطة، كما ألفت الاضطراب والتقلب في الأرض وبث الفتن والصراعات، وستكون مهمة الحكام - مركزيين ومحليين - صعبة تجاه هؤلاء، فتارة يأخذونهم باللين وتارة بالإغراء وأخرى بالشدة، فلم تنفع تلك الوسائل إلا جزئيا وبصفة مؤقتة تتفق وسلطاناً أو حاكماً قويين، أو مجاعة أو قحطاً يضطر معها هؤلاء للخضوع. وخير نموذج تمكن الإشارة إليه في العهدين السعدي والعلوي هو عهد أحمد المنصور الذهبي، ومولاي إسماعيل. فالأول ضاق ذرعاً بسلوك قبيلة الخلط، فنقل جزء منهم إلى أزغار (الغرب) وأبقى على جزء منهم في الرعية وأدخل نصفهم في الجندية، لقاء الدور الذي قاموا به في معركة وادي المخازن. لكن هؤلاء لم يستقيموا فكثر عيثهم في البلاد وتطاولت أيديهم على قبائل أخرى فانتقم منهم المنصور السعدي شر انتقام إذ شتتهم في المغرب والسودان وأفرغ المنطقة منهم. ونفس السياسة اتبعها المولى إسماعيل مع الخلط ومع غيرهم، خاصة تحرك القبائل البربرية وقبائل معقل باتجاه السهول الغربية ومنها تامسنا، فنجحت سياسة الملكين جزئيا، لكن بعد وفاتهما عادت الأوضاع إلى ما كانت عليه، فقد استمر زحف القبائل الأطلسية نحو السهول الغربية حتى أصبحت ساكنة الهضبة الوسطى من تامسنا تحتلها قبائل من معقل (زعير) وقبائل بربرية (بني ورا).

استرجعت تامسنا نشاطها الاقتصادي تدريجيا منذ العهد العلوي إذ تقاربت فترات الاستقرار والأمن وتنوعت ساكنة تامسنا وامتزجت القبائل العربية (هلالية ومعقلية) بقبائل بربرية (زناتية ومصمودية وصنهاجية). ففي الفترات المناخية الجيدة يكون الانتاج الفلاحي وفيرا، فكانت تامسنا، حسب ما يتوفر لنا من إشارات تاريخية ترجع إلى القرن الثاني عشر (18 م)، مقصدا للتجار وسفن الأجانب بحثا عن المنتجات الفلاحية التي في مقدمتها القمح. فاستعادت موانئ أنفا وفضالة وسلا / الرباط وأزمور نشاطها التصديري، فعبر هذه المراسي كانت تامسنا تصدر إنتاجها وغلاتها. ويمكن أن نقول عن هذه الفترة إن تامسنا عادت لتكون هري المغرب ومخزنه للحبوب، وقد تعزز هذا النشاط وتجذر في الفترة الاستعمارية، إذ كانت تامسنا سباقة إلى إدخال التقنيات الزراعية الحديثة وسجلت أرقاما قياسية في الإنتاج والمردودية، وازداد نمو قطاع زراعة الحبُوب بها إلى جانب قطاعات أخرى بعد الاستقلال. إلا أن انتاج الحبوب (القمح، الشعير، الذرة) والقطاني يأتي في الدرجة الأولى وعلى المستوى الوطني.

أ. ابن الفقيه، *كتاب المسالك في معرفة الممالك*، مقتطفات منه نشرها وترجمها حاج صادق تحت عنوان *صفة المغرب واروبا إلى القرن 3 هـ / 9 م*، 1949 ؛ أ.البكري، *المغرب* ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ *العز والصولة*.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens* ; J. Lécoz, *Le Rharb - fellahs et colons* ; J. Martin [et al..].*Géographie du Maroc.*

محمد حجاج الطويل

تامسوقت، أي السوق باللسان الصنهاجي، من المعروف أن أي تجمع بشري سواء أكان بلدة كبيرة أم صغيرة تكون له عادة وظائفه الذاتية والأساسية لتأمين ما يستطيع تقديمه من الخدمات. هنا نسجل بأن نتائج المسح الميداني الأولي لقرية تيغمرت حيث موقع نول لمطة عاصمة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م) بوادي نون قد كشفت عن الدور المحوري للسوق المركزي المسمى حالياً تامسوقت (انظر مادتي تيغمرت وأسرير بالمعلمة). فعلاوة عن كون كلمة تامسوقت تفيد باللغة الإزناگية (الصنهاجية) اسم السوق، فإن التوزيع المكاني يظهر الدور المحوري لهذا الحي التجاري من خلال تصدره الامتداد الفعلي لتيغمرت. يظهر دور هذا السوق من خلال طوله الممتد كشارع تجاري رئيسي ينتهي كل دكان منه بدارللسكن. يظهر ترتيب هذا الشارع من خلال خريطة تيغمرت كمجموعة أساسية سكنية تتفرع عن دكاكين قديمة متراصة تربط الاستيطان المستقر بالتجارة. من هنا يبدو واضحاً وجود علاقة سببية بين حجم حي تامسوقت وباقي الأحياء متيحة فرصة النظر إلى تيغمرت مرة واحدة في الخريطة. على أساس هذه العلاقة العضوية، فإن أي زيادة في عدد الدكاكين يعتبر رهيناً بإمكانيه توفر المجال اللازم الذي يمكن توظيفه في عملية

توسيع السوق. كما أن العامل الأساسي المحدد لهذه الامكانية هو تصدر تامسوقت لباقي الأحياء المجاورة في تخطيط تصعب معه الزيادة في حجم السوق. مهما يكن فإن المسح الميداني الأولي أشار إلى أن القصبات المجاورة للحي التجاري والمكونة لقسط أساسي من نول لمطة تحتوي على عدد من الخدمات قد يتعدى بقليل مجال خدماتها سكان القصبة نفسها. في حين أن الأهمية المطلقة لتيغمرت في وظائفها التجارية التي يمكن ترتيبها في مرتبة أعلى في سلم الخدمات التجارية. هنا ندرك أن ارتباط معمل سك الدينار المرابطي (انظر مادة تيشيشت *بالمعلمة*) بالحي التجاري جاء لدور تامسوقت كقطب تجاري أولي متميز من بين معالم نول لمطة الممتدة يومها على مراحل طويلة حوالي ضفتي وادي نون.

تامسوقت اليوم عبارة عن مجموعة من بيوت السكن المتراصة والمتلاصقة وهي موجهة إلى الداخل (فتحاتها الواسعة داخل البيت والفتحات الخارجية إن وجدت لا تتعدى الباب الرئيسي) مبنية من قوالب الطين المخلوط بالتبن وبدور أرضي في الغالب. معظم طرقاتها ضيقة متعرجة ومغلقة في نهايتها. كانت دكاكين الحي تمثل شكلا نموذجيا لتسلم وبيع مختلف السلع. فتركيبه المورفولوجي مايزال يشهد على تناسق أحجام الدكاكين المصطفة بجوار أحد روافد وادي نون. كما أن شارع الحي الرئيسي واسع وشبه مستقيم ينتهي في ساحة واسعة فيها المسجد ومكان السوق الأسبوعي. ومن خلال سوق الخميس الأسبوعي يتميز الحي عن باقي تيغمرت بوضوح أكثر. لقد كان الماء متوفراً خلال القرون الثمانية الأولى للاسلام بهذه المنطقة الجافة. وبالرغم من أن هذه الوفرة تعد نسبية فالماء يبدو يومها عنصراً إنتاجياً متوفراً وغير نادر. فهو يرتبط بمجزرة السوق وبالحي المتخصص في إنتاج جلود اللمط المميزة لبنية نول ملطة الصناعية. لاثبات صحة هذه الفرضية يتعين على علماء الآثار أن يوجهوا اهتماماتهم إلى أرجاء هذا الحي. ذلك أن الكشف عن المميزات الخاصة لكل منزل بحي تامسوقت يبين أنه يتألف من أقسام متباينة منها ما كان صالحا للسكن ومنها ما كان يشخص دور المعمل الصغير المرتبط مباشرة بدكان مطل على الشارع الرئيسي. هذه الصورة رغم عدم وضوحها في الواقع الراهن للأبحاث تجعل من هذا الحي حيا تجاريا ومهنيا للخدمات التي هي بنية نول لمطة التجارية والاقتصادية.

M. Naïmi, *Nul Lamta, Tableaux edifiants*, étude inédite.

مصطفى ناعمي

تامسينْتْ، قرية تقع بفرقة إمرابطين من قبيلة بني ورياغل (إقليم الحسيمة) ؛ وإلى هذه القرية نفي بطل المقاومة المسلحة المغربية بناحية جبالة والهبط وغمارة الشريف مولاي أحمد الريسوني عندما ألقى الأمير الخطابي القبض عليه بتازروت، وقد توفي الريسوني بالقرية المذكورة يوم 9 رمضان 1343 / 13 أبريل 1925.

وأما سقوط القرية بيد الجيش الإسباني فقد كان يوم 20 ماي 1926.

Nomenclator cabilas, 1953 : Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

تامصلوحت، مركز وزاوية بدائرة تاحناوت جنوبي مراكش على بعد اثنين وعشرين كيلومترا منها. وتحمل هذا الاسم اليوم جماعة قروية مساحتها 282 كلم2 وسكانها 16.057 ن (1982). تنتشر أراضيها فوق سهل الحوز جنوبي مراكش ومخروطي وادي نفيس وغيغاية. تتلقى حوالي 250 ملم من الأمطار في السنة لكنها تستفيد من مياه خطارات تاريخية عديدة تقع جنوبها ومن فيض بعض المسيلات والوديان أهمها غيغاية، كما تستفيد من الضخ الميكانيكي. ورغم قربها من مراكش فإن التمليك القديم للزاوية وورثتها حال دون توسيع الملكية بأراضيها الزراعية.

تشتهر تامصلوحت ببساتين الزيتون التي كانت تستفيد من مياه السقي من وادي غيغاية ومن الخطارات وعمل الخماسة. تعطي إنتاجا جيدا من الحبوب إن كانت الأمطار كافية، وتكون أراضيها، خاصة تلال سكتانة ومخروطي الواديين، مراعي واسعة للمواشي الصغيرة. وكان قطيع الغنم لمولاي الحاج الأمغاري يضرب به المثل في الكثرة والنمو بالحوز، لكن البنية العقارية القديمة التي جعلت حوالي عشرة آلاف هكتار بها ستون ألف شجرة زيتون تمتد على مسافة أربعة كلم وصعوبة تقسيمها بين الورثة وفقدها لنصيبها من مياه وادي غيغاية التي حولت لصالح أراضي الاستعمار بأغواطيم أدى إلى بوار البساتين وتراجع إنتاجها. كما أن سنوات الجفاف المتوالية قضت على قطعان الأغنام الكبيرة وقلصت إنتاج الحبوب. وتجري حاليا محاولة من طرف ورثة أيت أُمغار لتجديد أساليب الاستغلال والقيام بزراعات جديدة كقصب السكر والخضر وتكوين تعاونيات زراعية.

اشتهر مركز تامصلوحت بزاوية يرجع تاريخ إنشائها إلى عام 934 / 1528م عندما أسسها المولى عبد الله بن حساين الأمغاري قصد إحياء الأرض وإصلاح شؤونها الفلاحية والاجتماعية، ومن هنا أتى اسمها تامصلوحت فهو صيغة بربرية لكلمة المصلوحة العربية والراجح أن معناها : الأرض التي يصلح بها الزرع. وهناك من يكتبها "تمسلوحت" وتعني الأرض المنخفضة المستوية، أو تامشلوحت أي بلدة تعيش نمط حياة الشلوح. وقد عبأ المرابط المذكور السكان لخدمة أراضي الزاوية مقابل منحهم ثلث إنتاجها. ولقيت الزاوية دعما من الملوك لدورها الاقتصادي والسياسي خاصة أحمد المنصور الذهبي الذي سهل عملية توسيع أملاكها ونفوذها مما جعلها تكسب رصيدا اقتصاديا هاما ووصلت إلى قمة ازدهارها في آخر القرن الثالث عشر (19م) في عهد مولاي الحاج شيخها، وتحولت منشأة الزاوية خلال تطورها إلى مركز عمراني يتكون من قصر محصن

ومساكن الشرفاء ومسجد ومدرسة دينية وملجأ لإيواء المعوزين واللاجئين.

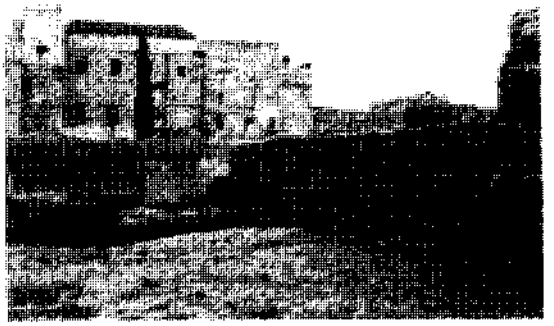

وفي بداية الاستعمار كانت تامصلوحت بلدة صغيرة تنطوي على عمارة تمدينية تقليدية تتمثل في تجهيزات أساسية من مساجد وسقايات وأفرنة وحمامات وسويقة وأنشطة غير فلاحية : من فخار ونسيج ومعاصر زيتون، إلا أنها عرفت جمودا بسبب سياسة التهميش التي سلكها الاستعمار تجاه المراكز الدينية ولموقفه من أيت أمغار الذين طلبوا الحماية الإنجليزية، ولوضعيتها العقارية الشبه إقطاعية.

ولم تتغير هذه الوضعية كثيرا في السنوات الأولى للاستقلال ولم تحظ بمؤسسات إدارية واجتماعية واقتصادية جديدة إلا في عقد الثمانينات عند تطبيق اللامركزية وتدعيم تمدين بعض المراكز القروية. وكانت تتميز بمنظر حضري يتجلى في كثافة نسيجها العمراني وانقسامها إلى دروب وأحياء تعرف بالحومات. وأحصيت سنة 1982 كمجموعة دواوير هي :

تامصلوحت الزاوية	سكانها	14800 نسمة
حومة القصـــري	"	1071 "
حومة تخربـــين	"	628 "
حومة البيـــــر	"	1195 "

فهي تتكون من سبع حومات تقطعها زنقة رئيسية تسمى شارع المسيرة تنطلق من ساحة الضريح بوسط المركز إلى ساحة المحطة التي تحولت إلى ساحة عمومية جديدة بني حولها حي إداري يتكون من مساكن الموظفين ومنشآت إدارية : قيادة دار الجماعة القروية ومعرض تعاونية حرفية ومدرسة ومنشآت أخرى تابعة لمختلف الوزارات. تتخلل الأحياء دروب مسدودة ملتوية. ويلاحظ بالمركز وجود عدد كبير من المنازل القديمة والمتهدمة بسبب هجرة ذويها أو امتلاكها من طرف ورثة لايعتنون بها، وهي كلها مبنية بالتراب المدكوك الهش. ومازالت المنشآت الخدماتية التقليدية بارزة تؤدي دورها : ستة أفرنة، ثلاثة حمامات، اثنا عشر مسجدا، تسع قباب لأضرحة أولياء أيت أمغار، بالإضافة إلى المنشأة الكبرى وهي ضريح مولاي عبد الله ابن حساين الذي يحظى بزيارات دائمة. ويقام بتامصلوحت موسم ديني سنوي يفد إليه الزوار من مراكش والحوز والأطلس الكبير الغربي. وجل المنازل التقليدية من طابق أرضي يتوفر على بئر ومطمورة المياه المستعملة، ومازال بها بعض الملاكين العقاريين والكثير من الحرفيين يمارسون أنشطتهم في مشاغلهم العتيقة وهي خمسون فرنا لصنع الفخار بهوامشها يعمل بها مائة واثنا عشر حرفيا، ومشاغل لنسج الأغطية الصوفية التي اندثرت ولم يبق منها سوي عشرة يعمل بها ثلاثون حرفيا يسعون لتحويل الإنتاج إلى الاستهلاك السياحي في إطار تعاونية حديثة للنسيج. وهناك ثلاثة وعشرون معصرة تقليدية للزيتون بالإضافة إلى أربع معاصر حديثة يعمل بها موسميا مائة وخمسون شخصا وست مطاحن للحبوب.

تتوفر تامصلوحت على سويقة دائمة بساحة الضريح وعدد من الدكاكين بمختلف الأحياء. ينعقد بها سوق أسبوعي يوم الجمعة، وقد انتقل من حومة السوق وسط البلدة إلى موقع قرب المحطة خارج البلدة، وهو يعرف رواجا محليا لابأس به : يزود السكان بالحاجيات اليومية ويباع به بعض المصنوعات التقليدية خاصة الفخار وفائض الحبوب والاغنام في السنوات الممطرة. ومن التجهيزات الأساسية التي حظيت بها البلدة ربطها بالشبكة الكهربائية سنة 1963 وإنشاء شبكة للماء الشروب تزود السوق والحي الإداري وسبع سقايات، لكن هذه المنشآت لم تنقذ تامصلوحت من الركود الاقتصادي والاجتماعي والتهميش، ويرجع ذلك إلى قرب مدينة مراكش التي تجتذب الشباب للعمل إما في حالة الاستقرار أو حالة التراقص اليومي.

وخلاصة القول إن تامصلوحت لم تبق مدينة تقليدية ولم ترق إلى مستوى مركز حضري حديث، ومازالت تسعى للتخلص من قيود الماضي وتبحث عن دور في ضاحية مراكش.

أبحث ميداني.

أحمد هوزالي

التامصلوحتي، أحمد الغزواني، أبو العباس، من رجال التصوف، أصله من تامصلوحت، الزاوية المشهورة، الواقعة جنوبي مدينة مراكش. انتقل إلى قرية ابزو في وقت مبكر من عمره، واستقر بها.

أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، صاحب زاوية تامگروت. وقد عدّه صاحب *الدرة الجليلة* (ص. 274) "من أجل تلامذة الشيخ أبي العباس ابن ناصر".

اشتهر أحمد التامصلوحتي بالزهد والتقوى والكرم، بالإضافة إلى شرف نسبه. فكان حسن الأخلاق، موطأ الأكناف، كثير المحبة لأهل النسبة وطلبة العلم، مجتهداً في دينه، ملتزماً بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وبالرغم من أن الخليفتي الذي ترجم له، لم يذكر تاريخ وفاته، فمن الممكن أنه توفي قبل عام 1182 هـ/ 1768 أي قبل وفاة والد المؤلف، لأن هذا الأخير نقل الترجمة عن *تحفة الأسرار* الذي صنفه والده. ومايزال مشهد التامصلوحتي معروفا إلى اليوم، بقرية أغبالو جنوبي غربي ابزو.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أحمد عمالك، 1986 : التحري الميداني.

أحمد عمالك

تامعروفت، قرية صغيرة لعبت أدواراً اقتصادية وسياسية مهمة بالنسبة لمحيطها. تقع في الجنوب الشرقي من وهدة تازخارت على بعد ثلاثة وخمسين كيلومتراً جنوب مدينة ورزازات على ضفاف أحد روافد أسيف نايت داوود أزكمرزي، ويقطن بها حسب إحصاء 1982 حوالي 475 نسمة ينتمون في غالبيتهم إلى قبيلة زناگة فخذة أيت ولن.

تحملت قرية تامعروفت أعباء قيادة قبيلة زناگة في أشخاص عديد من المشايخ الذين انتخبوا منها، كما كانت مركزاً اقتصادياً مهما لقبيلة زناگة وللقبائل المجاورة. ومما كان يسهل قدوم القبائل الأخرى للسوق وجوده في أقصى المنطقة الشمالية الشرقية من مجال قبيلة زناگة الشيء الذي جعله أكثر انفتاحاً وقرباً من قرى قبائل أيت أحمدي وأيت دوسن وأيت عمرو. إلا أن إشعاع سوق تامعروفت تراجع في الآونة الأخيرة بفعل الأهمية المتزايدة التي أُعطيت لسوق تازناخت ونتيجة كذلك لخلق أسواق أخرى جديدة بالمنطقة كخميس كركدة.

دراسة ميدانية.

أحمد توفيق الزينبي

تامْغارْت، كلمة أمازيغية مفردة جمعُها تيمغارين وتعني لغةً "المرأة" كما تعني الكبيرة والعظيمة "ولا يطلق أمغار" بمعنى الكبير والعظيم إلا على من تولّى مشيخة القبيلة. ولعل هذا اللفظ الذي يحمل معنى تعظيم المرأة يرجع إلى عهد أميسي في حياة البربر حيث كانت المرأة هي صاحبة الدور الأخطر في المجتمع. وماتزال وظائفها في ذلك المجتمع تستحق الإكبار، فهي :

- تتكيف مع طبيعتها القاسية طفلة فشابة فامرأة ثم مسنة، وتقاوم الحرارة والظمأ والجفاف مقاومتها للبرد القارس.

- تكون والدة مربية تلقن صغارها الحنان والصمود والصبر على شظف العيش ونكران الذات والذود عن القيم الدينية والخلقية والوطنية والانسانية وتزودهم بثقافتها الشفوية.

- تحرث وتحصد وتحطب وتغزل وتنسج وتطحن الزرع قبل وصول الطاحون العصري، وتطحن حاليا اللوز وثمار أرگان وترمم سطوح بيتها شتاء وترعى غنمها إذا اقتضى الحال متحدية ظروفها القاسية تلك بالزغردة والصيحة وبأصوات شعرية معبرة كشاعرة مبدعة أو حافظة مرددة.

- يؤهلها تكوينها الاجتماعي لأن تتعاون مع غيرها فيما يسمى بـ"تيويزي" العمل الجماعي التطوعي في الحرث والحصاد وسقي التربة للبناء والمساعدة في الطهي لموكب الزفاف، وفي جلب الحطب لأهل العروسين وفي التقاط ثمار اللوز وثمار أرگان وكسره وما يتبع ذلك من مراحل جد شاقة للوصول إلى عصيره أملو فزيت أرگان إضافة إلى جلب الحشائش في فصل الربيع قصد خزنها للماشية كغذاء لها في باقي الفصول.

- تصنع الزرابي والملابس الصوفية حيث تتجلى مهارتها الإبداعية وروعة فنونها التشكيلية وإن لم تعرف للمدرسة بابا.

- لعبت دورا هاما أثناء المقاومة الشعبية للزحف الاستعماري في الجنوب، حيث كانت تشحن البندقية الثانية عندما يكون المقاتل صاعدا للبرج ليفرغ البندقية الأولى، وكانت تحمل المؤونة ليلاً إلى أعالي الجبال وداخل الخنادق وتشجع بالزغردة والصيحة وتلطخ الهارب بالحناء ليكون مميزا كي يحاكم من طرف الجماعة، إضافة إلى كونها تعتبر ممرضة مقتدرة تضمد الجراح وتتقن التداوي بالأعشاب. ولنا على سبيل المثال معركة أيت عبد الله (1928 - 1934) بقيادة الحاج عبد الله زاكور، وهي من أشهر معارك الجنوب ما زال العديد من مقاتليها على قيد الحياة يتحدثون عن دور (تامغارت) المرأة وهو دور كان موازيا لدور الرجل. وبالتالي لم يتعرف عليها إلا مجتمعها الذي أطلق عليها اسم (تامْغارْت) أي الكبيرة والعظيمة. ليلازمها من لحظة زواجها كمسؤولة إلى لحظة وفاتها.

تحرّ ميداني في جنوب المغرب.

تامغرا، معناه حفل الزفاف. واشتقاقها من فعل مغُّور الذي تعني الكُبر والإكبار. تتنوع طقوس تامغرا بتنوع جهات المغرب، وميدان البحث الذي أخذنا منه معلوماتنا هو بلد إغرم بالأطلس الصغير جنوب المغرب.

يعتقد الأبوان أن من واجبهما وحقهما اختيار زوجة لابنهما وأنه لا حق للابن في الاعتراض على اختيارهما، وهم يراعون في ذلك تقديم مصلحة العائلة المجتمعة كمؤسسة إنتاج تحتاج إلى أيد عاملة. غير أن تغلغل الأفكار الإسلامية أدى إلى تليين هذه العوائد المتعلقة بالإكراه سواء بالنسبة للولد أو للبنت.

تتم خطبة موقتة بطلب يتم بزيارة الخاطبين للمخطوب عندهم، ويتوج القبول بقراءة سورة الفاتحة، حتى صارت كلمة "الفاتحة" مرادفا لإمضاء صفقة. وهدية الخطبة التقليدية قبل اليوم هي في العادة خروف وتمر وحناء. وعلى أسرة الخاطب تجديد الهدية كل عيد إلى أن يتم العرس.

أما العرس فيتقدمه جمع نساء القرية وفتياتها في خدمة تطوعية يجمعن فيها اللوازم المجانية للعرس كالحطب والماء ويقمن بخدمات، منها تهييئ الحنطة وتنقيتها، ويسمى ذلك اليوم بيوم أفرانْ أي "التنقية"، ولا تتم تلك الأشغال في صمت بل يضفى عليها طابع الطقوس بترديد أشعار موروثة معروفة تسمى "تاسوغالت".

وفي ليلة الزفاف تجتمع الجماعة الممثلة لأهل العريس ووفد جماعة أهل العروس ويتناولون عشاء العرس الذي يختم بدعاء الإمام ويسمى عادة "الفاتحة"، إذ يقوم وفد

الجماعة مقام الشهود، ولكن كتب العقود دخل إلى كل الجهات منذ قرون وإن لم يكن عاما.

ويتخلل جو اللقاء بين أهل العروس الذين تقرأ عنهم "الفاتحة" ووفد أهل العريس القادم لأخذ العروس تبادل العبارات المتضمنة للتبريك من جهة وللعنف اللفظي من جهة أخرى حيث يهدد أهل العروس بالإكثار من الضيوف مثلا ويلمح أهل العريس إلى أنهم يطالبون "بالأمانة" تعبيرا عن بضاعة مودعة يريدها صاحبها وأن الأمر يوشك أن يشبه امتحانا لهم.

وقد يكون لفظ طلب الخطبة الرسمية بحضور المحتفلين بأن يقول والي العروس لوالي العريس ما ترجمته : "جئت أطلب بنتك فلانة لابني فلان على سنة الله ورسوله" فيجيب المخاطب : "طلبك مقبول بشرط أن يعلّمها ابنك ما لا تعلمه من أمور دينها".

وإذا حضر شاهدا عدل رسميان فقد يتوجهان بالسؤال إلى العروس عن رضاها، وهذا نادر في القديم. وينص على مبلغ الصداق أمام العدلين أو إمام المسجد، وهو في الجملة قدر لا غلو فيه، ثم تذكر التجهيزات التي ستنقلها العروس، وإذا كان الكتب كتبت.

يذهب الوفدان بالعروس بعد أن تهيأ في مراسيم تقوم بها النساء، ويراعى في الوقت أن تصل إلى بيت العريس قبل الفجر. وتكون معها أمتعتها المسماة بـ"أكريس" أي المحزوم حتى ولو كانت صناديق.

ومن العوائد أن تبدي العروس حسرة على مغادرة أهلها وتعبر عن ذلك بنحيب وعويل عند تهييئها وعند خروجها. وتذكر في تلك الحسرة خسارة أمها في الخدمات التي كانت تعتمدها فيها.

تردف العروس عادة على بغلة وأمامها أحد أقاربها الفتيان. وتلبس فوق ملابسها النسوية برنوسا وعمامة بيضاء. تودعها النساء بأناشيد مخصوصة للمناسبة وعتيقة في أسلوبها وأصواتها، فيها شوق ووصايا.

ولا يخلو قطع الطريق بين دار العروس ودار العريس من طقوس تتعلق بأداء مبالغ رمزية عند اجتياز ممرات الماء، ويكون السير مشحونا بتوتر لأن أهل العروس يعملون على تحصين العروس والدابة التي تركبها من أعمال سحرية من قبل "عدو" محتمل يتمثل في أهل العريس الخ.

وعند وصول الموكب إلى بيت العريس تقام طقوس مختلفة، وفي الأطس الكبير يحاول العروس من السطح الذي على باب دخولها أن يضربها بقصبة طويلة، بينما يعمل الأشداء من أهلها على أن تمر من هذا "الصراط" بدون أذى، وقبل ولوجها يطالب أعضاء الموكب بما يسمونه "العوائد" فيلقي إليهم العروس بحبات اللوز والجوز. وفي جو من اللغط يقع التراضي والتفاوض، خصوصا إذا طالب أهل العروس بعجل أو بقرة قملكها العروس أول ما تملك في دارها الجديدة، فيلبى طلبهم وتقطع أذن ذلك العجل أو تلك الأرخة.

ولما كانت الأعراس في عدد من القبائل مناسبة لإظهار المزايا، فإنها في الغالب تؤدي إلى إفلاس العائلات حيث ترهن الأملاك أو تباع أو تقع الاستدانة. وفي مكث الضيوف أياما بدار العريس اختبار لنخوة أهل تلك الدار.

بحث ميداني.

محمد مستاوي

تَامَغْرَاوْتْ، اسم كان يطلق قديما على منطقة ميسور (ملوية الوسطى)، ويطلق حالياً على مكان هناك يتبرك به الناس، ويدعى "لالة تامغراوت" يقع فوق ربوة يفوق ارتفاعها 900 متر، تُعرف محليا بالعرگوب، ويوجد بسفحها الغربي ضريح الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري.

كانت تامغراوت في القرن العاشر (16 م) خلوة يتعبد فيه الأولياء والصالحون، كما ورد عند اليوسي على لسان محمد بن علي بن طاهر في كتاب *المحاضرات*. وتحتل موقعا ممتازا حيث تشرف على الحقول والبساتين التي تُسقى إما بمياه واد ملوية أو بمياه واد شوف شرگ. ومن الطرائف التي تذكر عن هذا المكان، أنه بالرغم من وجوده فوق أرضية رصيصية صلبة، ورغم جفاف المنطقة، فإن أرضيته شديدة الرطوبة من أثر مياه وضوء الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري ومن أتى بعده من الصالحين.

ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. م. حجي، الرباط 1976، ص. 44 ؛ *دراسة ميدانية ومعلومات شفوية*.

محمد أزهار

تَامُقْشُرْتْ، نوع من الأحذية الأهلية التي كانت تلبس في المناسبات وخاصة مناسبات الأعراس. كانت ترتديها العروس ليلة زفافها دون غيرها من المدعوات في المناطق الجنوبية من المغرب في حاحا والحوز وسوس. وهي في حد ذاتها لا تختلف في طريقة صناعتها عن البلغة المغربية المعروفة لكنها تكاد تكون بدون رقعة سفلى. لذلك فهي بلغة ناعمة رطبة تتخذ من جلد رقيق جداً لا تحتذى في غير المناسبات المذكورة لأنها سريعة التلف والتلاشي. ومازالت بعض المشرفات على شؤون العرائس (النگافات أو المشاطات) في مدينة مراكش تحرصن على أن تلبس عرائسهن هذا النوع من الأحذية على الرغم من غزو ملابس الأعراس الحديثة. ولا ندري هل الكلمة أمازيغية الأصل، كما يبدو من نبرتها وكتابتها أم أنها لفظة عربية من جذر القشر والقشور أو التقشير وتحولت إلى الأمازيغية ثم إلى اللهجة الدارجة على غرار تاخرازت وتاعطارت وتابقالت وغيرها. ما نعلمه هو أنها تبدو في مظهرها الخارجي وكأنها طبقة رقيقة قشرت من الجلد المعد لصناعة البلغة أو تسفير الكتب أو غيرها كما نعلم بأن طريقة التقشير كانت من بين أشهر تقنيات صناعة الجلد في جل الحواضر المغربية. ويروي بعض العارفين بميدان الجلد من الطاعنين في السن بأن حذاء تامقشرت كان أكثر رطوبة ونعومة ودقة

من بعض التقاشير المخصصة للعجزة وبعض المرضى مما كان يلبس كجوارب تحت البلغة قبل انتشار الجوارب الحديثة في البلاد.

R. Guyot, *Les arts du cuir au Maroc*, Rabat, 1957 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, *Hesp.*, Vol. 33, 1946; L. Chadaï, *Langages d'artisans à Marrakech*, Université de Paris 4, Doctorat nouveau régime, 1986.

محمد بوسلام

تَامْگَّا (زاوية ـ)، أو تامگة ـ بكاف معقودة ـ تقع بموضع يدعى إمي نْ وَرگْ، على الضفة اليسرى لأسيف نْ حَنْصال، على بعد حوالي ثلاثين كلم شمالي زاوية أگْدِّيم الحنصالية، وعند حدود قبيلتي أيت إسْحَا وأيت بُويْكْنيفْنْ أهل تالمسْت، وتنتمي أراضيها لقبيلة أيت شخمان الغربيين، جنوبي سد بين الويدان. (*Esquisse*, 173 ; *Répertoire*, 472).

تأسست هذه الزاوية على إثر وفاة يوسف أُسعيد أحنصال سنة 1145 / 1732، حيث انقسم مرابطو إحنصالن إلى ثلاثة فروع، من بينها فرع تامگا، الذي صنفه دراگ Drague من ضمن الفرع الثاني. وتضم زاوية تامگا بدورها خمس زوايا هي :

ـ زاوية أيت ويسعْدَن عند قبيلة أيت داود أُعلي.

ـ زاوية أسكار عند أيت خويا وهم فرقة من قبيلة أيت داود أُعلي أيضا.

ـ زاوية سيدي علي أُحساين عند أيت وَتَرگي وهم أيضا فرقة من أيت داود أُعلي.

ـ زاوية سيدي عزيز بالقرب من تَگلفْت.

ـ زاوية تامگا على حدود أيت إسحا وأيت بويْكْنيفنْ (Drague, 181).

مؤسس هذه الزاوية هو علي أُحساين الحنصالي في القرن الثاني عشر (18 م) إثر نكبة إحنصالن. معنى ذلك أن طائفة إحنصالن لم تنقرض ـ بالمغرب ـ كما زعم كل من Rinn وCoppolani وMichaux-Bellaire (*المعلمة*، 1 : 189). فقد ظلت زاوية أگدِّيم قائمة، بل تأسست فروع تابعة لها، مثل زاوية كَرْوْلْ قرب دمنات وزاوية تامگا وغيرهما.

لكن يبدو أن تأسيس زاوية تامگا كان ناتجا عن نوع من الانشقاق أكثر مما هو راجع إلى عامل التوسع في الطائفة الحنصالية وتذكر الرواية الشفوية أن سبب الانشقاق راجع إلى الانحلال الذي طبع سلوك إحنصالن الصوفي، فقد كان هؤلاء يتعاطون الكلام في الحدثان والسحر، ويجتمع مريدوهم على الذكر والسماع. والأدهى من ذلك في نظر منتقديهم أنهم أباحوا المشاركة في "أحيدوس" (الطرب الشعبي المحلي)، مع ما يؤدي إليه ذلك من اختلاط بين الرجال والنساء. وقد حرّمت زاوية تامگا تلك الممارسات، واعتبرتها ضلالا يبعد عن السلوك الصوفي الصحيح. وقد ترجع أسباب الخلاف بين الزاويتين أيضا إلى أمور أخرى تحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب. ورغم انسلاخ زاوية تامگا عن زاوية أگدِّيم فإنها بقيت تقرُّ بالانتماء إلى مؤسس طائفة إحنصالن سيدي سعيد أُعمرو.

وقد صارت زاوية تامگا تنافس الزاوية الأم في استقطاب المريدين والأتباع، لذلك ما أن تأسست حتى بادرت إلى نشر الطريقة بين سكان قبائل أيت شخمان ؛ لكنها سرعان ما انسلخت عن إحنصالن لتنضوي تحت لواء طائفة ذرقاوة التي كانت في أوج توسعها في بداية القرن الثالث عشر (19 م)، الشيء الذي أدى إلى انشطارها بدورها إلى شطرين، فتفرعت عنها زاوية أسْكَرْ.

وبما أن مواطن زاوية تامگا وفروعها توجد ضمن تراب قبائل أيت شخمان وأيت عطا نومالو وأيت بوزيد وأيت سري ـ وهي قبائل كلها تقع في منطقة اعتبرت نائية بالنسبة للعواصم ـ فقد تمنعت بحصانتها وتمكنت من الاستمرار، فلعبت نفس الأدوار التي دأبت الزوايا على الاضطلاع بها، كإطعام الطعام، والتوسط في النزاعات التي كانت تنشب باستمرار بين الأفراد والجماعات ؛ لا سيما وأن المنطقة كانت معبرا بالنسبة للقبائل بين الشمال والجنوب، كما أن معظم قبائل المنطقة كانت ذات نمط اقتصادي رعوي مبني على التنقلات الموسمية بالقطعان، فلعبت دورا حيويا في الحد من العنف الذي ساد أحيانا تلك الجهات، الشيء الذي دعم حركة الاستقرار وسهل تأطير السكان وتعبئتهم لمواجهة أي تدخل أجنبي.

ولم يكن المخزن يتوغل في تلك المناطق إلا قليلا، بسبب بعدها ووعورة مسالكها. أما موقف زاوية تامگا إزاء المخزن فلم يختلف عن موقف زاوية أگدِّيم، حيث طبع بطابع الحذر، فلما عرج السلطان مولاي الحسن على منطقة إحنصالن سنة 1311 / 1894، أثناء قفوله من مراكش إلى تادلا لم تُبد زاوية تامگا أيَّ رد فعل ضد الحركة السلطانية (Drague, 175). وحين زار دوفوكو واويزغْت في شتنبر سنة 1883، لم يتحدث عن زاوية تامگا رغم قربها، مما قد يدل على أن نجمها بدأ آنذاك في الأفول (*Reconnaissance*, 69-70). وبعد حوالي عشرين سنة زار دو سيگونزاك De Segonzac المنطقة، فأقام هذه المرة بزاوية أسْكر يومي 15 و16 يناير سنة 1904 ؛ الشيء الذي يفضي إلى الاعتقاد بأن فرع أسكر قد علا شأنه أكثر من الزاوية الأم ؛ (*Au cœur de l'Atlas*, 40) قبل أن تصير تامگا فيما بعد مجرد مقبرة يتردد إليها سكان المنطقة من أجل زيارة الصلحاء المدفونين بها، ويعقدون بها موسما سنويا يوم ثالث شتنبر من كل سنة. ويصف دو سيگونزاك رئيسها الحسين أُتَمْگا قائلا : "هو رجل قصير بدين، على الرغم من أنه لا يفهم جيدا اللسان الدارج فقد كان يقرأ اللغة العربية بطلاقة، ويفهمها بسهولة، هذه اللغة التي كان عارفا بها. وإذا كانت معلوماته العامة واسعة، فإنها تبقى مع ذلك سطحية". (*Au cœur de l'Atlas*, 40).

وقد لعبت زاوية أسْكر التي غدت المركز الصوفي الرئيسي لزاوية تامگا، دورا مهما في مقاومة التوغل الفرنسي في تلك المنطقة، حيث تزعم رئيسها الحسين أُتَمْگا

المقاومة منذ سنة 1917. فقد قضى جل أوقاته متنقلا بين زاوية تامكا وتكلفت وأسكر وأغبالة للتحريض على الجهاد وعقد التجمعات واختيار زعماء الجهاد. فاستطاع تنظيم مواجهات عنيفة ضد جيش الاحتلال منذ سنة 1924 (*المعلمة*، 1 : 132). وقد فشا خبره وعلا صيته حتى تجاوز المنطقة ليصل إلى تافيلالت والريف. وتحت يدنا نسخة من رسالة بعث بها المقاوم النكادي إلى الحسين أُتمكا يحرضه على متابعة الجهاد، مستدلا على ضرورة التصدي للمحتلين بعدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية، ومبينا ما ينتظر المجاهدين في سبيل الله من ثواب في الآخرة، ومعلنا تضامنه المطلق معه. كما عثرنا على نسخة من رسالة وجهها إليه المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، تتضمن أربع نقط :

1) يحثه على مواصلة الجهاد، ويدعوه إلى الصمود وعدم الانخداع بالعدو المهزوم لا محالة.

2) يقترح عليه سبل التنظيم وتدبير شؤون أعمال الجهاد، وينبهه إلى عدم التفريط في المحافظة على السلوك الإسلامي القويم، ويصدد ذلك يسدي إليه عدة نصائح.

3) بصدد طلب تعيين عامل على المنطقة، يعتقد الخطابي أنه لا يوجد رجل تتوفر فيه تلك الشروط، لأن العامل في نظره "يكون دائما في الرباط وفي القتال ولا يذهب إلى داره إلا في الأوقات اللازمة، ومهما حاد عن هاته الطريقة فالعامل معزول عندنا ولا عذر له بعد ذلك".

4) يجيبه عن طلب الإعانة التي التمسها منه بإرسال "رقاص" خاص إليه للنظر في الموضوع.

هكذا لعب رئيس زاوية أسكر الحسين أُتمكا دورا مهما في مقاومة الفرنسيين في تلك المنطقة، حتى بعدما انبثت مراكزهم هناك وأصبحت تحاصر القبائل غير الخاضعة (Drague, 177). فظل يحمل السلاح حتى وفاته سنة 1930، على الرغم من عدم تكافؤ قواته مع قوات الفرنسيين ذات التدريب العصري والعتاد الفتاك. وقد واصل ابنه علي، من بعده، أعمال الجهاد، حتى اضطر إلى الاستسلام سنة 1933. وبذلك يُعدُّ أيت أُتمكا من أواخر مقاومي البادية المغربية (Drague, 178).

وثائق زاوية أسكر ؛ معلمة المغرب ؛ التحري الميداني.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; M. De Segonzac, *Au cœur de l'Atlas* ; *Répertoire* ; G. Drague, *Esquisse*.

أحمد عمالك

تامگروت أو تمگروت ـ جغرافيا ـ، تجمع سكني يقع على الضفة اليسرى لوادي درعة وسط حوض واحة فزواطة التي تُكون مع خمس واحات أخرى (من العالية نحو السافلة : واحات مزگيطة، تيبنْزُلين، ترناتة، فزواطة، اكتاوة ومحاميد) ـ شكل 1 ـ ما يسمى بدرعة الأوسط، وهي الواحات المشهورة المكونة لوادي درعة.

تبعد تامگروت عن مدينة زاگورة بحوالي ثمانية عشر كلم، وسط منطقة ذات مناخ حار جاف صيفاً، وبارد جاف شتاءً، حيث الحرارة المفرطة خلال الصيف (معدل شهر يوليوز : 43.6 درجة) والمنخفضة خلال الشتاء (3.3 درجة خلال شهر يناير). أما الأمطار فـجدّ ضئيلة (62 ملم / سنويا) وهي تسقط في الغالب على شكل رخات مطرية.

تامگروت هي مقر جماعة تامگروت التي تضم اثنين وستين قصرا وقصبة وقصرا ـ زاوية، بالإضافة إلى عدد من الدور المشتتة وسط الحقول.

توجد تامگروت وسط منطقة ذات فلاحة سقوية عتيقة، تعتمد أساساً على المياه الجارية بوادي درعة إضافة إلى مياه الفرشة الباطنية. وتتركز ساكنة تامگروت في منطقة تعرف انتشارا هاما للزوايا (14 زاوية في واحة فزواطة)، ذات تاريخ متميز بالصراعات والتطورات المستمرة مما جعل من زاوية تامگروت (الناصرية) زاوية متميزة فرضت وجودها بالمنطقة.

يمارس التامگروتيون عدة أنشطة يمكن تلخيصها في كون 46٪ منهم يعملون في الفلاحة و54٪ يشتغلون بالتجارة والحرف التقليدية وغيرها. وبالرغم على أن الفلاحة بقصر زاوية تامگروت لا تشغل سوى أقل من واحد من اثنين إلا أنها عماد الاقتصاد بالمنطقة. فهي فلاحة معاشية بالدرجة الأولى، ترتكز على طول الوادي أي الأراضي التي يسقيها واد درعة. هذا المجال المزروع مستغل منذ القدم، بل إنه يعرف في بعض المناطق تراجعا بسبب زحف الرمال، كما أنه بين المدّ والجزر من سنة لأخرى حسب كثرة أو قلة المياه المتوفرة بالوادي.

يعتبر النخيل أساس الفلاحة الدرعية، وهو يحتل المستوى الأعلى في الغطاء النباتي. نجد تحته بعض الأشجار المثمرة كالرمّان واللوز والتفاح... تحت هذين المستويين نجد زراعة الحبوب : القمح والشعير اللذين يشكلان المادة الأساسية في معيشة السكان. إلى جانب الحبوب هناك زراعة البقول وبعض المزروعات العلفية كالفصة والبرسيم...

تتنوع الملكية بالتمييز بين ملكية أسس الانتاج الفلاحي المتمثلة في الماء والأرض وبين ملكية الأرض والنخيل الموجود فوقها.

وتتميز الملكية بوادي درعة بنفس مميزاتها على المستوى الوطني : التنوع (ملكية خاصة وملكية عامة : أحباس المساجد، أحباس الزوايا، الأراضي الجماعية)، التشتت : فهذه الزراعة التقليدية المغلالة تقام على مشارات مشتتة.

يمارس سكان تامگروت ـ كما سبق ذكره ـ مهنا مستقلة أو شبه مستقلة عن الفلاحة يرثها الأبناء عن آبائهم، لذلك فالهجرة الموسمية أو الدائمة جد محدودة داخل الوسط التامگروتي حتى خلال فترات الجفاف بالمقارنة مع باقي واحات فزواطة أو وادي درعة.

يقام بتامگروت سوق أسبوعي كل يوم سبت، يعرف أكبر رواج له خلال فصل الخريف بسبب بيع وشراء التمر. أما أكبر فترة ركود له فهي خلال فصل الشتاء، كما يعرف حركة مهمة قبل أيام الأعياد وخصوصاً قبيل عيد الأضحى

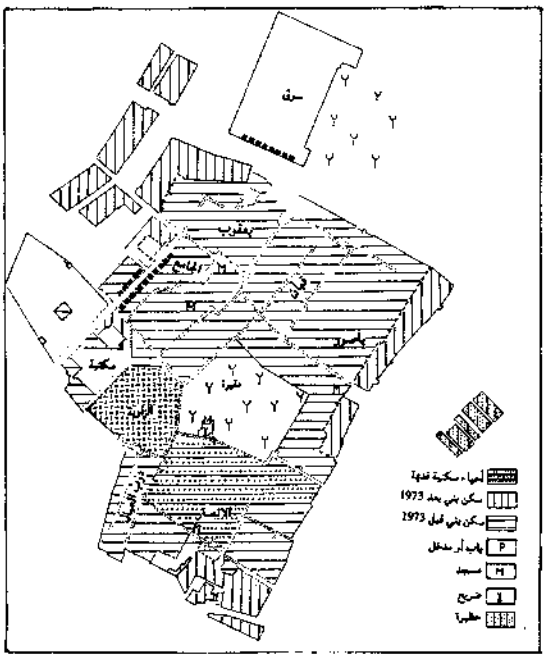

تامگروت

وفي موسم عاشوراء. فيما يخص سوق عاشوراء أو البخاري (كما يسمى محليا) فقد تبنته الطريقة الناصرية. كان لهذا الموسم طابع ديني، يحج إليه الناس من عدة جهات بالمغرب من زوار وتجار، لكن هذا الموسم تطور مع الأيام من دوره الديني إلى موسم يطغى عليه الطابع التجاري. يستفيد الناصريون من مداخيل الهبات: "الربيعة" التي هي عبارة عن هدايا وعطايا يقدمها الزوار من أجل التبرك بالشيوخ مؤسسي الزاوية الناصرية.

ولوجود مقر السوق بتامگروت آثار على استمرارية طبيعة الحرف التي يزاولها السكان إضافة إلى الأصول التاريخية للسكان. وهي حرف كالفخارة والنجارة والحدادة (11.2٪) والجزارة (5٪) والتجارة وخصوصا البقالة (5.4٪) والمتاجرة في التمر (6.7٪) والوظيفة العمومية (5.8٪) والمستأجرين (11.7٪)...

وبصفة عامة، يحتل قصر الزاوية الناصرية في تامگروت دوراً طلائعاً في منطقته، وقد جمعت بين الطابع الواحي التقليدي ومكونات المدينة الإسلامية، رغم أنها لم ترق إلى مرتبة المدينة. لقد فرضت وجودها في منطقة عرفت تكدسا سكانيا منذ القدم كما لعبت دوراً مهما في تعمير المنطقة بل أصبحت تملك قسطاً كبيراً من الماء والأرض (394.66 خروبة و48.015 هكتار بفزواطة). رغم الإشعاع الذي كان لتامگروت فهي لا تحافظ حالياً سوى على دور نشر العلم باستقبالها لبعض الطلاب، لكن هذا الدور هو الآن في تراجع مستمر نظراً لمشاركتها فيه من طرف التعليم العصري.

P Azam, *Sédentaires et nomades dans le sud marocain, le coude du Drâa*, Archives du CHEAM le 16 Mai 1946 ; A. Bahani, *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation, palmeraie de Fezouata-Drâa, Moyen-Maroc*, Thèse de Doctorat, Rouen, 1990 ; M. Bodin, *La zaouia de Tamegrout, A.B.*, fasc. 4

* * ومن الناحية التاريخية، تعني تامگروت منطقة جنوب مدينة زاگورة الحالية بإقليم ورزازات، تشتمل على مجموعة من القصور القديمة التي لا تزال قائمة إلى اليوم، مثل بني خلُّوف وتازروت وتمگاربَة وأگْني وقصر تامگروت الذي تحمل المنطقة اسمه.

تعني تامگروت ـ حسب الرواية المتداولة محلياً ـ الأخيرة. وتجد هذه الرواية ما يدعمها في المصادر المكتوبة، فقد ورد في كتاب *طليعة الدعة* (ص. 6) أن القائد البردعي السردوني حين وصل إلى المنطقة عرض على سكانها من اليهود وغيرهم الإسلام فأبوا، وحاصرهم عشرة أشهر ثم قتل منهم خلقا كثيرا، ثم سكن المسلمون ديارهم وسموا البلاد تامگروت لأنها آخر ما ملك المسلمون من درعة. وقد تكررت نفس الرواية في الوثائق اليهودية (*Juifs et Chrétiens*, 42). وإذا كانت إفادة هذه المصادر، تفتقر إلى البعد الزمني، ويغلب عليها الطابع الأسطوري، فإننا نعتقد أن هذه الأحداث التي وقعت بتامگروت ترجع إلى زمن الصراع على وادي درعة بين المرابطين والموحدين. نستشف من رواية البيذق أن الموحدين واجهوا معارضة قوية بوادي درعة (*أخبار المهدي*، 77) فاضطر عبد المومن بن علي الگومي سنة 528 / 1132، إلى أن يقود بنفسه حملة قوية إلى درعة فقتل من سكان المنطقة حوالي عشرين ألفا (*نظم الجمان*، 195) وقد أكد ذلك أبراهام بن عزرا في حوادث عام 1132 م، حيث ذكر أن اليهود بدرعة كانوا ينظرون إلى دمائهم وهي تهرق كما يهرق الماء (*Archives Marocaines*, 6 : 124) فهل يمكن القول إن البردعي السردوني كان قائداً من قواد الموحدين بدرعة ؟ وهل هو الذي عرض الاسلام على سكان المنطقة في إطار الحركة التصحيحية التي نادى بها المهدي ابن تومرت ضد المرابطين الذين اتهمهم بالتجسيد ؟ وهل يمكن اعتبار منطقة تامگروت آخر منطقة خضعت لنفوذ الموحدين، خاصة أن لفظ تامگروت ذو صيغة مصمودية فيما يبدو ؟

ولهذا الصراع الذي عرفته منطقة تامگروت خلال العصر الوسيط ما يبرره اقتصاديا، فالمتحكم في هذه القصور يتحكم في الواقع في أهم الممرات التجارية، ليس في واحة فزواطة فحسب، وإنما في كل واحات وادي درعة، ذلك أن تامگروت تنفتح على شرق المغرب عبر تيزي ن تافيلالت، وهو الطريق الذي أصبح يعرف بطريق الحج في أوج الزاوية الناصرية (*الرحلة الكبرى*، 13) وتنفتح على بلاد السودان عبر إمي نْ تاقّات، وهو ممر لا غنى للقوافل التجارية المتوجهة إلى السودان عن المرور منه، وتنفتح على

1918 ; G. Drague, *La zaouia de Tamegrout et les Nasiryine*, in *Esquise de l'histoire religieuse du Maroc*, Paris 1951 ; A. Hammoudi, *Pouvoir et société, Tamegrout aux XVII et XVIII siècles, A.E.S.C.*, Mai-Août, 1980 ; D. Jacques-Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670, vie politique, économique et sociale*, Doctorat d'Etat 4 vol., Paris I, 1975 ; Michaux-Bellaire, *Essai des confréries marocaines, Hesp.*, XVII, 1927 ; G. Spillmann, *Villes et tribus du Maroc, tribus berbères*, T. II, *districts et tribus de la haute vallée du Dra*, Paris, 1930.

عبد الكبير باهني

الشمال عبر إمي نْ تَـزَاگورْت الذي يفصل بين واحتي فزواطة وترناتة. إذن، فلا عجب إن وجدنا اليهود قد تمركزوا في قصر بني خلوف منذ القديم إلى غاية السنوات الأولى من عهد الاستقلال في هذا القرن.

وإذا كنا لا نعرف أي شيء عن تامگروت في العهد المريني لهيمنة قبيلة أولاد حسين التي استبدت بسكان درعة وخرجت عن طوق السلطة المركزية، حتى أصبحت هذه المناطق ضاحية من ظل الدولة (*العبر*، 6 : 92)، فإننا نلاحظ أن منطقة تامگروت بدأت تسترجع مكانتها خلال القرن الثامن (14 م) بعد تأسيس زاوية سيد الناس، فقد أصبحت هذه الزاوية مركزاً لاستقطاب رجال العلم والتصوف بالإضافة إلى كونها أضحت مركزاً تجارياً تتجمع فيه القوافل قبل انطلاقها نحو السودان.

وفي نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العاشر (15-16 م)، اشتدت وطأة الهجومات المسيحية على سواحل سوس، سيما وأن البرتغاليين قد نجحوا في احتلال أگادير، فألحقوا أضراراً فادحة بقبائل المنطقة التي كانت تستفيد من التجارة الصحراوية بسوس. وقد تضايق أهل الصلاح والعلماء من الوجود المسيحي بالمنطقة فهاجرت ثلة منهم إلى وادي درعة، واستقر بعضهم بتامگروت كما هو الحال بالنسبة لأبي القاسم الشيخ الذي استقر بزاوية سيد الناس، فتقاطر عليه طلاب العلم من كل الأصقاع، وعلي بن مَحمد الشيخ الجزولي، الذي أسس زاويته بقلب تامگروت والتي لا تزال تحمل اسمه إلى اليوم (*الحركة الفكرية*، 2 : 545)، وقد عرفت هذه الفترة أيضا تأسيس زاوية سيدي عمرو خارج قصر تامگروت، واتصل بناؤها ببناء تامگروت على إثر التحول العمراني الكبير، الذي عرفته هذه الزاوية، بعد أن تولى الناصريون تدبير شؤونها ابتداء من أواسط القرن الحادي عشر (17 م).

وبفضل هذه الزوايا الثلاث، تحولت منطقة تامگروت إلى أهم مركز علمي وصوفي بدرعة منذ القرن العاشر (16 م) ويؤكد ما ذهبنا إليه أن سلاطين الدولة السعدية المنحدرين من زاوية تاگمادارت القريبة جدا من تامگروت، باتوا يعتمدون على علماء تامگروت في تدبير بعض شؤون الدولة، فاتخذوا الكتاب الخاصين من علماء أسرة العنّابيين بقصر تازروت، والدبلوماسيين ومؤدبي الأمراء من علماء أسرة البكريين من زاوية سيدي علي بن مَحمد الشيخ (*حضارة وادي درعة*، 138).

وفي إطار توفير ظروف الأمن والاستقرار وحماية الممرات التجارية بواحة فزواطة أقام السعديون حامية عسكرية قوية بقصر تامگروت. ونستشف من إشارة مارمول أن سكان قصر تامگروت من دراوة، أي من العناصر السوداء التي يعتبرها جل الباحثين من السكان الأصليين بدرعة (*افريقيا*، 3 : 150). وبعد فتح السودان في نهاية القرن العاشر (16 م)، ساهم سكان قصور تامگروت بدور فعال في مد الدولة السعدية بالرجال، إن على المستوى العسكري أو الإداري، واستقرت طائفة كبيرة منهم بمدينتي تنبكتو ودينيي (*بداية الحكم المغربي*، 386)، وبفضل هذه الطائفة تدفق الذهب على واحة فزواطة ككل وأصبح سكانها من أثرياء درعة. وفي هذا الإطار يذكر صاحب *الدرر* أن رجلا من زاوية علي بن مَحمد الشيخ الجزولي، أراد أن يذهب إلى الحج في أواسط العقد الثالث من القرن الحادي عشر (17 م) فاستصحب معه ثلاثين قنطارا من الذهب (*الدرر*، 261). وبالرغم من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية التي عرفتها بلاد درعة بعد وفاة السلطان أحمد المنصور السعدي عام 1012 / 1603، فإن رجال زوايا تامگروت نجحوا في توفير ظروف الأمن والاستقرار لسكان المنطقة نظرا لما كانوا يتمتعون به من نفوذ معنوي ومادي بين قبائل الرحل التي تخلصت من كبسها بوفاة المنصور، فظلت تامگروت محافظة على دورها كمحطة لاستقبال القوافل التجارية وزرافات المسافرين قبل دخولهم في المهامه الصحراوية (*أنس الساري*، 27). إلا أن الظروف المضطربة ما لبثت أن عصفت بالوفاق الهش الذي كان قائما بين سكان قصور تامگروت وزواياها.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تطوان، د.ت. ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1981 ؛ م. ابن عبد السلام الناصري، *الرحلة الكبرى*، مخطوط خ. ع. 2327 ؛ ابن مليح السراج، *أنس الساري والسارب*، فاس، 1968 ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، ط. حجرية د. ت. ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، الرباط 1979 ؛ م. الغربي، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*، الكويت، 1982 ؛ *طليعة الدرعة*، مخطوط ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، *دعوة الحق*، أكتوبر 1973.

J. Gattefossé, *Juifs et chrétiens du Draa avant l'Islam*, *B.S.P.M.*, 1935 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, *A.M.*, n° 9, 1931 ; N. Slousch, *Notes sur l'histoire des juifs au Maroc*, *A.M.*, VI, 1905.

أحمد البوزيدي

* * زاوية تامگروت الصوفية أسسها أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري (ت. 1010 / 1602) في منطقة تامگروت بدرعة لتلقين الطريقة الغازية. وبعده آل أمرها إلى الشيخ عبد الله بن حسين الرقي المعروف بالقباب فانتقل إليها من زاوية سيد الناس القريبة منها، وخلفه بعد موته عام 1045 / 1635 أحمد بن إبراهيم الأنصاري حفيد المؤسس، إلا أنه لم تمض سبع سنوات حتى اغتيل هذا الشيخ على يد رئيس أحد القصور المجاورة المتنازعة، فانتقل أمر زاوية تامگروت إلى الشيخ مَحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي الذي كان على صلة بهذه الزاوية كمدرس وإمام وخطيب. وبعد فترة اضطراب بسبب منافسة الأنصاريين، تزوج الشيخ مَحمد ابن ناصر بحفصة الأنصارية أرملة الشيخ أحمد بن إبراهيم فأصبح إمام الزاوية وعالمها بدون منازع، وأصبحت تعرف بالزاوية الناصرية (انظر الناصرية).

Le Marquis de Segonzac, *Au cœur de l'Atlas* ; M. Bodin, *La Zaouia de Tamagrout* ; *Répertoire Alphabétique des tribus* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse*.

أحمد عمالك

التامگروتي، أسرة علمية، علا شأنها ونبه أمرها، بنبوغ علمائها بدرعة خلال القرن العاشر (16 م) وردحاً من القرن الحادي عشر الهجري (17 م). يتصل نسب هذه الأسرة، حسب مشجر الأنساب المتداول عند ذرية هذه الأسرة وحفدتها، بأبي بكر الصديق عن طريق يعزى ويهدى دفين زاوية أسا بسوس (*المعسول*، 10 : 184). انتقل جد الأسرة سيدي علي بن مَحمد الشيخ من بلاد جزولة إلى وادي درعة في مطلع القرن العاشر الهجري (14 م) فنزل بواحة فزواطة التي كانت آنذاك تزخر بالزوايا العلمية والصوفية مثل زاوية سيد الناس وزاوية سيدي عمرو الأنصارية (زاوية تامگروت فيما بعد) وزاوية تاگمادارت وغيرها. وعلى غرار علماء ومتصوفة عصره، قام سيدي علي بن مَحمد الشيخ بتأسيس زاوية لاتزال تحمل اسمه إلى اليوم (زاوية سيدي علي) بقلب تامگروت (*الحركة الفكرية*، 2 : 545). وقد أنجبت هذه الأسرة ثلة من العلماء، كان لهم ذكر بين أهل الفضل والعلم والسياسة على عهد السعديين. ومن علماء هذه الأسرة :

التامگروتي، عبد الله بن علي بن مَحمد، تلقى تعليمه بزاوية أبيه، وتصدر فيها للتدريس إلا أنه لم تكن له شهرة أخيه، وقد برع بشكل خاص في علم الفلك على يد عبد الرحمان التاجوري (حضارة وادي درعة، 139) ثم استهواه التصوف، فرحل إلى تونس ولازم الشيخ عبد العزيز القسنطيني حتى أدركته الوفاة هناك في تاريخ غير معروف.

التامگروتي، علي بن مَحمد بن علي، ولد بزاوية سيدي علي، نشأ وتربى في كنف والده إلى جانب أخيه سيدي محمد بن مَحمد، كما أخذ عن عدد من الأعلام والمشايخ، فتخرج عالما فقيها وأديبا بارعا، أخذ التصوف عن قومه وشيوخهم، وهكذا يصفه صاحب *الدرر المرصعة* بأنه "إمام المعارف وروضة الأدب والصلاح الناعمة الأفنان والمطارف" (*الدرر*، 217).

تصدر علي التامگروتي للتدريس في زاوية أسلافه فتألق نجمه وطبقت شهرته الآفاق فاستدعاه السلطان أحمد المنصور إلى القصر الملكي بفاس (*النفحة*، 4) وأرسله سفيرا عنه إلى الأستانة، وقد دون أخبار هذه الرحلة ضمن كتابه *النفحة المسكية في السفارة التركية*. وقد عاد التامگروتي إلى مسقط رأسه بتامگروت بعد نجاحه في هذه السفارة، فرجع مرة أخرى إلى كرسي التدريس والتعليم.

انتقل علي في أخريات أيامه إلى مراكش، وبالرغم من أننا لا نعرف بالتدقيق أسباب انتقاله إلى مراكش، فإننا نعتقد أن المنصور كان قد استدعاه إلى مراكش للقيام بمهام رسمية. إلا أن المنية عاجلته فدفن بضريح القاضي عياض بمراكش سنة 1003 هـ.

التامگروتي، محمد بن **إبراهيم**. ولد بزاوية سيدي علي، وتخرج على علماء أسرته وفقهائها. وقد وصفه صاحب *الدرر* بالولاية والصلاح شأنه في ذلك شأن أسلافه من آل التامگروتي (*الدرر*، 261). برز محمد بن إبراهيم كعالم مرموق في زمن زيدان السعدي (1012-1037)، ولاشك أنه قد استفاد من وضع أسرته العلمي والاجتماعي ومن موقعها بالنسبة للدولة السعدية، فأصبح من أغنياء واحة فزواطة وأثريائها في وقته، وفي هذا الصدد ذكر صاحب الدرر، أن محمد بن إبراهيم، عزم على الحج مرة، فاستحصب معه حوالي ثلاثين قنطاراً من الذهب، خصص منها عشرة قناطير لاقتناء الكتب، فأنشأ مكتبة عظيمة نهبها السلطان زيدان السعدي (*الدرر*، 261). فهل كان محمد بن إبراهيم يخوض في السياسة مثل بعض المتصوفة من أهل تافيلالت وسوس المعاصرين له ؟ وإلا لماذا تعرضت الزاوية للنهب ؟

وبالرغم من أن عدداً من المؤرخين قد تناولوا بالبحث والتدقيق علاقة الدولة السعدية بالزوايا سواء في مرحلة أوجها أو في فترات انحطاطها، فإن أحداً منهم لم يتطرق لحادثة نهب زاوية سيدي علي، وقد انفرد بذكر هذه الحادثة، في عبارة جد مقتضبة، محمد المكي الناصري في *الدرر المرصعة*، حيث ذكر أن زيدان قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامگروتي بسبب أمور يطول سردها (*الدرر*، 261). وبالرغم من أننا لا نتوفر على كل المعطيات التي تساعدنا في تحديد الأسباب التي تحاشى محمد المكي الناصري ذكرها، فإن الشيء الأكيد أن زيدان السعدي قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامگروتي لأسباب سياسية. فهل كان محمد بن إبراهيم مثلا يعارض وجود زيدان بدرعة بعد عودته من تلمسان ؟ هل كان محمد بن إبراهيم ينوي تأسيس إمارة على غرار ما قام به ابن أبي محلي وأبي حسون السملالي ؟ وعلى كل فإننا لا نستبعد أن يكون زيدان قد نهب دار محمد بن إبراهيم التامگروتي أثناء مجيئه إلى درعة سنة 1015 / 1606 م، فقد كان شغل زيدان في هذا التاريخ هو الحصول على أكبر كمية ممكنة من الأموال ليلبي رغبات أتراك الجزائر، ولحشد الجيوش لاسترجاع مراكش من يد أخيه. فلم يجد أمامه إلا زاوية سيدي علي ودار محمد بن إبراهيم التامگروتي بالذات. وقد توفي محمد بن إبراهيم في تاريخ غير معروف ودفن بزاوية جده بتامگروت.

التامگروتي، مَحمد بن **علي** بن محمد، لا نعرف شيئا عن ولادته، ولا المكان الذي ولد فيه وهل ولد بدرعة أم بسوس قبل هجرة والده إلى فزواطة. وقد اشتهر أمره بعدما أصبح مسؤولا عن زاوية والده منذ أواسط القرن العاشر الهجري (16 م). ونستفيد من إشارة صاحب الدرر، أن سيدي مَحمد بن علي هذا قد أخذ العلم على عدد من المشايخ إلا أنه عول فيما يتعلق بطريق القوم على الشيخ عبد العزيز القسطيني (*الدرر*، 257). ويحدد لنا ابن عسكر الشفشاوني طبيعة العلاقة بين مَحمد ابن علي

وشيخه القسطيني، حيث يوضح أن صاحبنا كان تلميذاً لهذا الشيخ، وأن الشيخ كان يراسله بعد استقراره في زاوية سيدي علي بدرعة (*الدوحة*، 133).

تصدر مَحمد بن علي للتدريس وتربية المريدين في إطار الطريقة الجزولية، فأقبل عليه الناس من كل الأصقاع، للانتفاع بعلمه وأخذ التصوف من زاويته، فتجاوزت شهرته بلاد درعة إلى جهات أخرى من المغرب وخارجه، وهذا ما جعل ابن عسكر الشفشاوني يحليه بأنه كان من العلماء العاملين، وأولياء الله المتقين الصالحين فاضلا من العارفين بالله تعالى.. وله مناقب ومآثر، فانتفع الناس بعلمه، وشأنه كبير، وقدره جليل (*الدوحة*، 93). ولاشك أن هذه المكانة العلمية والصوفية التي بلغها مَحمد بن علي هي التي جعلت عبد الرحمن التاجوري، شيخ الفلكيين بمصر، يهيب في رسالة له، بمَحمد بن علي، أن يتدخل لدى السلطان مَحمد الشيخ السعدي، لتعديل انحراف القبلة في عدد من مساجد المغرب (*الحركة الفكرية*، 2 : 547).

وبالرغم من كوننا لا نعرف هل تم تنفيذ اقتراح التاجوري أم لا، فإننا نستفيد من هذه الإشارة، أن أسرة التامگروتيين، كانت تتمتع بنفوذ خاص عند سلاطين الدولة السعدية، وأن هذا النفوذ سيعرف تطورات خاصة على عهد السلطانين عبد الله الغالب، وأخيه أحمد المنصور، حيث كان كل من هذين السلطانيين يختار سفراءه من أسرة التامگروتيين (*حضارة وادي درعة*، 138).

وقد تخرج على يد مَحمد بن علي جم غفير من علماء درعة وفضلائها نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ابنيه محمد بن مَحمد وعلي بن مَحمد، والشيخ مَحمد بن مهدي الجراري دفين زاوية امحنا بترناتة، وأحمد أذفال دفين واحة اكتاوة في درعة الوسطى. وقد توفي مَحمد بن علي بزاوية أبيه سنة 965 هجرية.

التامگروتي، محمد بن مَحمد بن علي، من أفاضل هذه الأسرة التامگروتية، ولد ونشأ بزاوية سيدي علي، تربى في كنف والده الذي سهر على تعليمه حتى امتلأ وطابه علما وفقها، فتألق نجمه في أصقاع وادي درعة، فتصدر للتدريس، فتهافت على مجلسه طلاب العلم من كل حدب وصوب لمعرفته بطرق التدريس وترقية معارك المتعلمين (*الحركة الفكرية*، 2 : 547). وعلى عادة أهل قطره من أهل الخير والفضل، شرّق التامگروتي، فأدى مناسك الحج، ثم تطلع إلى الاستزادة من التعلم، فكان يحضر مجالس العلماء من أمثال نجم الدين الغيطي، ومحمد بن أبي بكر العلقمي وابن فهد وغيرهم، فروى عنهم الحديث ولم يعد إلى بلاده إلا ومعه إجازة عامة من شيخ الشافعية بمصر محمد بن أبي بكر العلقمي، وشيخ المالكية بنفس القطر محمد بن أحمد الفيشي. وما هذه الإجازة من هذين الشيخين الجليلين إلا اعتراف بحصول ملكة العلم للتامگروتي وتأهله لنقل الحديث رواية وسندا للآخرين.

ولاشك أن هذه الرحلة لبلاد المشرق، قد مكنت التامگروتي من التعرف على العالم الإسلامي، الأمر الذي جعل السلطان السعدي عبد الله الغالب (965-981 هـ) ينتدبه سفيراً للدولة السعدية عند السلطان العثماني سليم الثاني (*الحركة الفكرية*، 2 : 547). ويظهر أن التامگروتي، قد نجح في هذه السفارة، إذ لم يكد يستقر به المقام بزاوية سيدي علي، حتى استدعاه السلطان إلى مراكش، وعهد إليه بتربية الأمراء السعديين والإشراف على تعليمهم، ويذكر السلطان أحمد المنصور السعدي (986-1012 هـ) في فهرسته أنه أخذ جملة من الأحاديث عن سيدي محمد بن محمد التامگروتي، وأن هذا الأخير قد أجازه ليروي عنه بكل ما أجاز به العلقمي (*الحركة الفكرية*، 2 : 547). وقد انتقل التاگمروتي في أخريات أيامه بأمر من السلطان المنصور إلى فاس وظل يعلم الأمراء ويؤم بمسجد المشور الملكي إلى أن توفي عام 988 هـ.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ ع. التامگروتي، *النفحة المسكية* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 10 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، ج. 2.

أحمد البوزيدي

التامگروتية، ميمونة بنت عمرو، من صالحات درعة، متعبدة خدمت فقراء الناصريين وشُهد لها بالتصوف على نهج الزهد الذي عُرف به الناصريون.

خدمت السيدة ميمونة زاوية تامگروت طيلة حياتها وساهمت بشكل فعلي في تنظيم وتسيير أمورها، فقد "تولت حيازة أحباس سيدي أحمد بن إبراهيم، وتفريقها على طلبة العلم، والزوار، والأضياف، وأبناء السبيل إلى أن ماتت" (ح. ابن ناصر، *فهرس*، 8).

وتبين من إشارة الشيخ الحسين ابن ناصر أنها لم تكن خاملة أو منزوية بل تحملت المسؤولية إلى جانب ولدها الشيخ أحمد بن إبراهيم الذي انتدب للسهر على شؤون هذه الزاوية، فأشرفت إلى جانبه على خدمتها، ورعاية نشاطها، كما اشتهرت بإقبال الزوار عليها من ذوي الحاجات، والراغبين في الصحبة، أو التبرك وطلب الدعاء الصالح.

توفيت عام 1051 / 1641-1642 عن سن تناهز السبعين عاماً.

ح. ابن ناصر، *فهرس*، مخطوط ؛ م. الافراني، *صفوة*، 75 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 8 ؛ *الإكليل والتاج*، مخطوط.

نفيسة الذهبي

تامَگارْت، يوجد هذا الاسم بكثرة في جنوب المغرب، وهو أمازيغي، يُذكّر تارة ويراد به العنق، ويؤنث أخرى كما هنا ويعني الرقبة. والمصطلح يطلق على تضاريس توافق ثنية محدبة بين مقعرين، فتبدو للناظر كأنها رقبة بين منكبين، ثم تضاف إلى اسم لتعرف أو تخصّص.

والذي يهمها هنا هو تامَگارْت ـ ن ـ الشيخ هَمُّو

الواقعة بوسط قبيلة أيت إخلف، على ارتفاع 250 م فوق مستوى سطح البحر، وتُنسب أحيانا لأمزيل (الحداد) لأن القبيلة كانت تصنع من الحديد أدواتها الفلاحية وأسلحتها النارية البسيطة. وفي تامگّارت هذه تصرفت مشيخة قبيلة أيت بوبكر الكبرى إلى أن انقسمت بظهائر السلطان مولاي الحسن الأول سنة 1299 هـ فصار مركز قيادة قبيلة أيت النص (النصف) في إقَارّض (الحوض) عند تعيين القائد إبراهيم الوجداري الحوضي. بينما رُقي الشيخ أحمد بن الشيخ همو إلى رتبة القائد في نفس السنة، بعدما أُمر بالتخلي عن نصف القبيلة الكبرى، فكان للقائد إبراهيم قبيلة أيت النص، وللقائد أحمد هذا قبيلة أيت إخلف.

كانت تامگّارت عبارة عن حصن منيع، تُودع فيه القبيلة أماناتها وعقودها العقارية، وخاصة عندما جمعت ولمدة طويلة بين السلطة القضائية التي كان يشخصها القاضي علي بن الشيخ همُّو، تلميذ عبد الرحمن الجشتيمي ثم من بعده ابن أخيه محند، وكلاهما من أسرة القائد أحمد الخلفي الذي يمثل السلطة المخزنية حتى وفاته عام 1316 هـ. كما كانت هذه العائلة مشهورة بالتدريس وإتقان الروايات السبع مثل الراويين لحسن أوضارضور وعلي تابوكات ولهما في ذلك ظهائر من السلطان الحسن الأول سنة 1303 هـ.

كان السلطان الحسن الأول يثق بالقائد أحمد هذا وهو الذي كلفه بحراسة الشواطئ عندما ظهرت أطماع الاستعمار في ناحية أيت باعمران، وهذا القائد هو الذي أسس أول حراسة مخزنية في سيدي إفني، في موضع إدُوْفقير، وهو الذي أسند إليه السلطان نفسه شراء أرض مخزنية عندما نزل عند قائده هدّ التغزي سنة 1303 هـ. حيث بنيت محلة المخزن المعروفة حتى الآن، وهي بخط القاضي سيدي أحمد بن الحسن المرسي الباعمراني سنة 1304 هـ.

وفي سنة 1316 هـ استُدعي القائد أحمد هذا كشاهد في قضية أحمد نديّاگو في قبيلة اصْبُويا الذي اتُّهم بإخراج الضابط الأنجليزي كورطيس (كارتيت) لكن الأحداث جرفت قائد تامگارت في عهد السلطان عبد العزيز، فتوفي في مراكش وعمره ينيف على الثمانين، وذلك بتدبير من الوزير أحمد بن موسى وقائد تيزنيت الگيلولي. وقد حاول هذا الأخير أن يجمع سلطة قبيلة أيت بوبكر في يد القائد محمد بن القائد إبراهيم الوجداري، فتعرضت عائلة إدالشيخ همُّو بتامگّارت للنفي، وتسلط هذا القائد بضرائب ثقيلة تنفيذا لأوامر باشا تيزنيت حتى أفقر تلك الجهات، كما غدر القائد محمد بأعيان أيت اخلف فقتلهم شنقا وعين مكانهم رجاله، لكن عائلة إدالشيخ همُّو، رجعت من جديد إلى تامگّارت، فقامت حرب قبلية قتل فيها القائد محمد نفسه وكل من ولاهم بدون رغبة قبيلة أيت اخلف.

رجعت مشيخة القبيلة إلى آل الشيخ همُّو، في شخص الشيخ الحسن بن القاضي علي، ولما استقرت الأمور عُيِّن أخوه القائد محند من طرف السلطة المركزية، وكان القائد محند هذا في مقدمة المقاومة الباعمرانية ضد الحماية الفرنسية، فشارك بجانب أحمد الهيبة انطلاقا من معركة سيدي بوعثمان سنة 1912 م إلى معركة إيگالْفْن ضد حملة حيدا بن مَّايس سنة 1917 م. وفي نفس السنة تزعم القائد محند هذا بجانب القيادة العامة لأيت باعمران المقاومة ضد الجنيرال دولاموط حيث استشهد في معركة تيزي وكذلك أخوه الشيخ محمد وغيرهما.

وفي تامگّارت هذه ظهرت شخصية الشيخ مبارك بن القائد أحمد الذي لعب دوراً هاماً في أحداث القبيلة وحصار الفرنسيين بتيزنيت إلى أن قتل بالسم كما يشاع، فتولى أخوه الشيخ محمد، وكانت إسبانيا تضغط على المخزن المغربي لتحتل أيت باعمران، تطبيقا لمعاهدة تطوان، ولم يقبل الباعمرانيون أي استعمار في بلادهم.

والخلاصة أن تامگارت تمثل مركزاً مخزنياً وسط القبائل الباعمرانية منذ أجيال طويلة، ولذلك مازالت القبيلة تنظر إليها بعين التقدير والاحترام.

خريطة طبوغرافية لسيدي إفني ؛ وثائق عائلة ادالشيخ همو (ظهائر سلطانية) ؛ ح. جهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران.

الحسين جهادي

تَامْلاگُوتْ، قرية تمثل نموذجاً من نماذج التمجع السكاني في الجنوب المغربي. تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة ورزازات على بعد ثمانية وثلاثين كلم وتتمركز وسط واد ضيق يحمل محليا اسم أسيف ـ ن ـ تامزيغت.

بنيت في ظروف تاريخية يغلب عليها عدم الاستقرار، فطريقة تصميم نواتها يغلب عليها الطابع الدفاعي المحض. فإضافة إلى السور الذي يسيج السكن العائلي تنتصب بقايا خمسة أبراج على القمم المجاورة لمراقبة محيط القصر ومجاله الزراعي.

وتوفرت القرية الأم لفترات طويلة من تاريخها على مدخل وحيد موجه باتجاه المجال الزراعي. وقد عمل السكان على تقسيم المجال السكني القديم تقسيماً وظيفياً محكماً، فمباشرة بعد المدخل الرئيسي تمتد الساحة العمومية ومنها تنطلق مجموعة من الأزقة لربط المجموعات السكنية فيما بينها، وزيادة في الاحتياط عمل السكان في الماضي على تخصيص جزء ملاصق للساحة العمومية كبيدر احتياطي يستعمل في أوقات عدم الاستقرار.

ويعتبر المخزن الجماعي (إغرم ـ أگادير) أحد المعالم الأساسية للقرية المسماة بالقصر، فهو يحتل مساحة مربعة ويضم اثنتين وستين غرفة صغيرة موزعة على ثلاثة مستويات إضافة إلى باحة داخلية، والكل محاط بسور سميك مدعم بأربع قلاع صغيرة. يبلغ طول الغرفة الواحدة ثلاثة أمتار في حين يصل عرضها إلى مترين، ولا تتوفر على أي نافذة. وكل غرفة تتوفر على مدخل وحيد يبلغ طوله متراً واحداً ويمتاز بابه بزخرفته ونقوشه المليحة. أما

سطح المخزن الجماعي فهو مغطى باستثناء جزء بسيط، وذلك من أجل ضمان التهوية والإنارة. ويتوفر المخزن على مدخل وحيد يقابل الساحة العمومية من أجل ضمان مراقبة شديدة لعمليات الدخول والخروج من المخزن الجماعي وإليه. كانت تتم حراسته من طرف حارس معين على يد الجماعة يحمل محلياً اسم "أدواب".

ومباشرة بعد الاستقلال عرف السكن بقصر تاملاكوت تطوراً سريعاً دخل به في تطور التفسخ، إذ تزايد في مرحلة أولى عدد المداخيل الرئيسية وانفتح القصر على جميع الجهات، وفي مرحلة ثانية بدأ السكان يشيدون دورهم بعيداً عن النواة القديمة إلى الشمال والشرق منها، وقد تفادت عمليات التوسع هذه الجهة الجنوبية حيث تمتد الواحة. وبموازاة مع حركة البناء هذه، تراجع الاهتمام بالبنايات الجماعية وفي مقدمتها المخزن الجماعي وبالبنايات ذات الصبغة الدفاعية المحضة (الأسوار ـ القلاع) التي تصدعت وأصبح أغلبها في طريق الانهيار.

يعيش بقرية تاملاكوت 343 نسمة حسب إحصاء سنة 1982، ينتمون في غالبيتهم إلى قبيلة أيت تماسين ويقومون باستغلال واحة مجهرية تناهز مساحتها حوالي عشرين هكتاراً. وقد ارتبط وجود هذه الواحة منذ البداية بالجريان التحتي لأسيف ـ ن ـ تامازيغت وبسهله الفيضي. وقد عمل السكان في البداية على استغلال الجريان التحتي للنهر بواسطة تقنية الخطارات. ونتيجة للندرة النسبية للمياه اعتمد الفلاحون على ساعة شمسية محلية لضمان تقسيمها، حيث يقسم النهار إلى 24 وحدة. وانطلاقا من سنة 1966 وبموازاة مع بناء تاملاكوت، وما رافقه من غمر المياه للخطارات، تغيرت طريقة السقي المتبعة لترتكز أساساً على استغلال المجرى السطحي للواد. ففي هذه السنة عملت الدولة على بناء سد تحويلي صغير علوه 6 أمتار وطوله 16.5 م وتكمن وظيفته الأساسية في جمع مياه الفيضانات والينابيع قبل إعادة توزيعها على قنوات الري. ويتم إقفال بوابة السد مع غروب شمس كل يوم ليتم فتحها من جديد مع بزوغ شمس اليوم الموالي.

وترتكز الزراعة بالأساس على أشجار الزيتون واللوز والتفاح والجوز وعلى الحبوب وبعض الخضروات.

وبموازاة مع استغلال الواحة يقوم السكان بزاولة تربية المواشي حيث يتشكل القطيع أساساً من الماعز (فصيلة الرحالي) والغنم (فصيلة سروا). ويقوم الأهالي باستغلال المراعي المجاورة للقصر في حدود شعاع يصل إلى خمسة عشر كلم.

إضافة إلى الفلاحة تشكل الصناعة التقليدية مورداً إضافياً مهماً لساكنة تاملاكوت حيث تقوم النساء بإنتاج الزربية الواوزگيتية اعتمادا على الصوف المحلي وعلى نباتات طبيعية أخرى تستعمل في أعمال الصباغة. وإذا كان طول النموذج التقليدي متبايناً فإن عرض الزربية المحلية لا يتجاوز مترين وفي أقصى الحالات مترين ونصفاً، وتختلف الزرابي حسب المواد المستعملة في صناعتها من جهة وعدد العقد في كل عشرة سنتيم. تتميز الزربية المحلية بصورها التي تعكس الواقع اليومي للسكان. إلا أن انفتاح القرية على الأسواق الجهوية والوطنية أدى إلى تغيير محسوس في طبيعة الإنتاج بحيث أصبح الاعتماد يتم بالأساس على المواد الأولية المستوردة والمحضرة سلفا وذلك ربحا للوقت نظراً لما يتطلبه تحضير المواد المحلية من جهد جهيد.

أ. ت. الزينبي، *واحات المناطق الجبلية وملامح التأزم، منطقة تازناخت نموذجا، المجال والمجتمع بالواحات المغربية*، سلسلة الندوات رقم 06، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1993، ص. 113 ـ 125.

أحمد توفيق الزينبي

التاملي ← التَّمْلي

تامّنار، مركز فلاحي مهم يقع وسط قبائل حاحة بين الصويرة وأگادير على بعد مائة كيلومتر شمال أگادير واثنين وسبعين كيلومترا جنوب الصويرة ، على الطريق الرئيسية بعيدا عن ساحل البحر بحوالي ثلاثين كيلومتراً إلى الداخل. كان، قديما، مجرد قرية صغيرة بقبيلة ايداُكلُول لا يميزها عن غيرها إلا قصبة من بناء البرتغال على الطريق (تابريدا) كانت تسكن فيها نصرانية تدعى تامنار، فسميت القصبة باسمها على ما يحكى، وقد ورد ذكرها في *تاريخ الضعيف الرباطي* حيث قال في الصفحة 343 : "خرج السلطان من تارودانت لناحية الصويرة واستهل عليه هلال ربيع الأول عام 1221 في قصبة تامنار بين حاحة واشتوكة فوق الصويرة بيوم". وحينما عين السلطان الحسن الأول القائد المحجوب الگيلُولي في طريق حركته إلى سوس عام 1299 / 1881، أمره ببناء مقر قيادته بتامنار، فأعد القائد عدته وشرع في البناء مع بداية عام 1301 / 1883، وتعاقب على الحكم في هذا المركز خمسة قواد من أسرة الگيلولي وتبعهم القائد سعيد التگزيريني في عهد الحماية، ثم القواد النظاميون في عهد الاستقلال.

كان الگيلوليون الأوائل يحكمون من تامنار إلى تيزنيت في بعض الفترات، مما جعل أهل تامنار يغتنون بالأموال والذخائر النفيسة المجلوبة من سوس، فذاع صيتهم بين القبائل الجنوبية، وعلا شأنهم بالدوائر المخزنية في العهد العزيزي (*المعسول*، 15 : 196) فازدهر العمران والتجارة بتامنار، وأخذ أعيانها يتنافسون في تشييد الأبراج وبناء الرياض واقتناء أجود الخيول، ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل الحصول على أحسن وأجمل ما في البلد من العبيد والإماء، فازدهرت تامنار في عهدهم ازدهارا عمرانيا واقتصاديا وثقافيا، إذ كانوا يزينون مجالسهم بالعلماء أمثال محمد بن القائد الكيلولي (ت. 1324 / 1906) وإبراهيم الاگدورتي الإيسي الذي استقدمه رؤساء تامنار فاهتبلوا به وهيأوا له دارا في "تسيلا البكرت"، فلم

يزل هناك ينشر العلم إلى أن توفي في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري.

وقد اعتنى رؤساء تامنار الگيلوليون بتعمير مدرسة سيدي حسا أُحساين المجاورة لقصبتهم وفرضوا لها ثلث أعشار القبيلة فقصدها الطلبة من حاحة وسوس وغيرها، فازدهرت بذلك الحركة التعليمية بهذا المركز في عهد الگيلوليين. ومنذ ذلك الحين أصبح مركز تامنار ينمو نموا بطيئا، لأنه لم يعتمد إلا على إمكانياته الفلاحية المحلية، حتى أصبح اليوم مقرا لدائرة قيادات حاحة إلى جانب الجماعة الحضرية لقبيلة إيدّاگيلُول. وفي صيف سنة 1989 تم تدشين مركب ثقافي ضخم بتامنار أُطلق عليه اسم قرية أرگان نظمت فيه جمعية حاحة أول مهرجان ثقافي لأرگان، فأصبحت تامنار اليوم تحتل الدرجة الثانية بعد مدينة الصويرة من بين المراكز الحضرية في حاحة. فعدت من الجماعات الحضرية إذ تبلغ مساحتها 15.80 كلم مربع فقط بينما بلغ عدد سكانها 1500 نسمة، فارتفعت كثافتها السكانية إلى حوالي 95 نسمة في الكيلومتر المربع الواحد.

تتوفر جماعة تامنار الحضرية على كل التجهيزات الأساسية من شبكة الإنارة وشبكة الماء الصالح للشرب وشبكة الوادي الحار، وبها مدرسة علمية عتيقة بناها القائد سعيد التگزيريني في عهد الحماية وعمّرها وتدعى الهاشمية أو تيمزگيدا ن ـ الرّمّى (مسجد الرماة) إلى جانب مجموعة من الكتاتيب القرآنية. ومن تجهيزات التعليم الحديث بها مجموعة مدرسية وإعدادية واحدة.

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 15 ؛ دورية أصدرتها عمالة الصويرة بمناسبة عيد العرش مارس 1986 ؛ *تحريات ميدانية*.

محند أيت الحاج

تَامَنَارْتْ أو تمنارت، نهر ينبع من الأطلس الصغير ويصب في واد درعة. وتتناثر على ضفاف المجرى الأسفل لواد تامنارت في واحة تيملت قرى صغيرة غلب عليها اسم تامنارت، وسكنها منذ القرون الإسلامية الأولى العلماء والصالحون، ومنها خرج ـ حسب بعض الروايات ـ عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين.

عرفت تامنارت في القرن العاشر (16 م) نشاطاً علمياً ملحوظاً بوفرة من عاش فيها من الأساتذة والمقرئين والفقهاء المدرسين والطلبة والمريدين، وفي مقدمتهم العالم الصالح المجاهد الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي الذي آتاه الله بسطة في العلم والمال فسخّر كل ذلك لصالح موطنه وقومه، وخلفه من بعده أولاده وأحفاده العلماء العاملون.

التامنارتي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الشيخ، درس في مسقط رأسه على أساتذة قريته، وبخاصة على والده، فتخرج مشاركا في التوحيد والنحو، واشتغل، إلى جانب والده بالتدريس في مسجد تامنارت وباصطحاب والده في حركاته الجهادية، وألف عدة كتب، منها : شرح *منظومة ابن زكري* وشرح *منظومة الضرير المراكشي* وشرح *الجمل* للمجراد السلوي. يقال إن هذا لم يتم. وقد عاجلت المنية إبراهيم التامنارتي فمات قبل والده ببضعة أشهر عام 971 / 1563.

ع. التامنارتي، *الفوائد*، مخطوط، 73. 74 ؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 19 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 116 ؛ م. المختار السوسي، *سوس*، 179 ؛ *المعسول*، 7 : 46. 47 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 618.

التامنارتي، أحمد بن إبراهيم حفيد الشيخ محمد بن إبراهيم آتي الترجمة. درس في مسقط رأسه على أساتذة تامنارت وفقهائها، ولازم مجالس أخيه الأكبر محمد بن إبراهيم وعليه اعتماده، ثم حل محله، بعد وفاته، في القيام بمهام التدريس والتربية. كان بارعاً في الفقه وأصوله وقواعد اللغة العربية، مشاركاً في غيرها من العلوم الشرعية واللغوية. طالت مدة تدريسه أكثر من نصف قرن، وكان من طلبته المتخرجين على يده العالمان السوسيان الكبيران عبد الرحمان التامنارتي مؤلف *الفوائد الجمة*، وعبد الله بن يعقوب، محيي مدرسة الگرامين في تازموت. توفي أحمد بن إبراهيم عام 1048 / 38 ـ 1639.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 44 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 1 : 47 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 52 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 619.

التامنارتي، عبد الرحمن بن محمد الجزولي المغافري. ولد في تامنارت وبها حفظ القرآن وتلقى مبادئ العلوم اللغوية والدينية على يد والده محمد بن أحمد التامنارتي وأحمد بن إبراهيم التامنارتي، ومحمد بن عبد الله التامنارتي قبل أن يرحل إلى المحمدية (تارودانت) عام 992 / 1584 وهو مايزال طفلا ذا ذؤابة، فقضى فيها بقية حياته طالباً ثم عالماً مدرساً، وقاضياً مفتياً، ومؤلفاً مصلحاً. درس في المحمدية على علمائها المتوافرين، وهي يومئذ المدينة العلمية الثالثة بعد مراكش وفاس، فأخذ عن قاضيها كبير الفقهاء في قطره سعيد بن علي الهوزالي، ونابغة عصره محمد بن علي الهوزالي، والبعقيليين عبد الرحمان ومحمد، وسعيد بن عبد الله العباس (لازمه خمس عشرة سنة). ويحيى بن عبد الله بن سعيد الحاحي، ومحمد بن أحمد ابن الوقاد التلمساني دفين تارودانت الفقيه الخطيب المفوّه (لازمه عشر سنين) وولده عبد الرحمن وغيرهم ممن اشتمل عليهم كتابه *الفوائد الجمة*.

تكوّن عبد الرحمن التامنارتي تكويناً متيناً في فروع المذهب المالكي وأصوله، لغوياً أديباً عارفاً بخبايا لسان العرب وأيامهم وأشعارهم، مشاركاً مشاركة تامة في الحديث والتفسير والعلوم العقلية، مدرساً ماهراً في إفادة طلبة تارودانت ومن يرد عليها من سوس والأطلس ومشارف الصحراء. ويكفي أن نذكر من بين تلاميذه اللغوي

المعقولي الحسن اليوسي صاحب *المحاضرات والقانون*، والمحدث الفلكي محمد بن سعيد المرغيتي مؤلف *المقنع وشرحيه في التوقيت*.

ولما رام يحيى الحاجي الملك واستولى على سوس في حدود عام 1022 / 1613 عيّن عبدالرحمن التامنارتي قاضياً بتارودانت، فبقي قاضياً للجماعة بها حتى بعد وفاة يحيى وسيطرة أبي حسون بودميعة السملالي على المحمدية وسائر شمال سوس.

وإذا كانت هذه الفترة من أصعب الفترات التي مر بها المغرب بسبب ضعف بل تدهور السلطة المركزية في مراكش فإن عمل عبد الرحمن التامنارتي تميز فيها بالوعي والحميّة الدينية والوطنية والعمل الدؤوب على رأب الصدع واستتباب الأمن والطمأنينة. ونذكر من أعماله في هذا الصدد نموذجين، أولهما مساندته لمطلب السلويين الذين التجؤوا إلى الأمير يحيى الحاجي حين اشتد عليهم تهديد الإسبانيين بعد أن احتلوا المهدية القريبة من سلا، وعلموا ألأطاقة لهم بالقوات المسيحية البرية والبحرية التي يعدها ملك الإسبان لاحتلال ثغورهم الذي ظل حراً على الساحل الأطلنتي، ومنطلقاً لأسطول الجهاد الذي يعترض السفن الاسبانية المتجهة إلى أميركا، ويقض مضجع المراسي الأندلسية السلمية. كتب عبد الرحمن التامنارتي رسالة حماسية باسم الأمير يحيى وجهت إلى جميع الجهات الخاضعة لنفوذه تدعو إلى الجهاد وإصراخ السلويين. وأنشأ أيضاً خطبة حماسية لتلقى في جموع المجاهدين المتجمعين في إيمي نْ تانوت، عززها بقصيدة تاريخية طويلة تذكّر بأمجاد دول المغرب المتعاقبة من الأدارسة إلى السعديين منها :

أيجمل بالأبطال من سوسنا التي ... لها الفخر قدماً في الهياج تعود
وبالضاربين الهامَ من كل فاتك ... من الغرب ذي الـ ... الوثيق ركود
بلى ! نحن كنّا أهلها سنشدّها ... ونحسم يوماً ما بنته قرود

وثاني مواقف التامنارتي المتميزة مناهضته للشاثر محمد بن عبد القادر التاهرتي (انظر ترجمته في *معلمة المغرب*) الذي ادعى المهدوية في تيزنيت في فترة قد تكون امتدت من عام 1035 إلى 1039 / 1626 . 1630 وانتشر نفوذه على عدد غير قليل من قبائل الساحل بسوس، فزاد في طين الانحلال والتمزق بَلّة. كان موقف التامنارتي منه حازماً، راسله ووعظه نثراً ونظماً داعياً إياه إلى التخلي عن هوس المهدوية الباطلة سالكاً معه سبل الترغيب والترهيب. ولما لم يَرْعَو التاهرتي عن غيه أغلظ له التامنارتي القول، ووصفه بالكَلب والدجال وأخي الشيطان، وأعذر له مرة أخرى قبل أن يعلن السوسيون قاطبة الحرب ضده فيستأصلوا شافته ويفرقوا جموعه.

ألف عبد الرحمن التامنارتي في التوحيد والفقه والأدب والتاريخ. ومن مؤلفاته *كفاية المريد في العقائد* شرح بها *لامية* أحمد الزواوي، انتهى من تبييضها في ثامن قعدة عام 1048 وخرّجها من مبيضة المؤلف تلميذه محمد بن أبي بكر الصوابي (مخطوط خ.ع.2079د) ؛ و*أجوبة فقهية*، و*ديوان شعري* (مخطوطا خ. ح. 5623 و8841) على أن أهم مؤلفات التامنارتي هو : *الفوائد الجمة في اسناد علوم الأمة* (مخطوط خ. ع. 1420 د) الذي يعدّ المصدر الغني الأساسي لتاريخ تارودانت الديني والعلمي والاجتماعي في القرن الحادي عشر (17 م). وفيه إلى ذلك إشارات تاريخية مفيدة تهم علماء سوس والجنوب المغربي عموماً.

وصحح التامنارتي كتاب *النور الباهر في نصرة الدين الطاهر* الذي ألفه أحد أحبار اليهود الذي أسلم بعد عام 1020 / 11 . 1612 وسمي يوسف بن عبد الله الإسلامي، ساق فيه عن التوراة أموراً تدل على صحة الإسلام، فهذّب عربيته وأتمه في 24 جمادى الثانية عام 1053 / 9 شتنبر 1643 وقد وقف على هذا الكتاب المختار السوسي في تارودانت في نسخة جيدة ودعا بإلحاح إلى نشره.

توفي عبد الرحمن التامنارتي في تارودانت يوم الأحد خامس شوال عام 1060 / 2 أكتوبر 1650.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ الرسموكي، *وفيات*، 24 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 155 ؛ م. المحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة رقم 528 ؛ م. الأزهري، *اليواقيت*، 193 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إ. عباس، 2 : 922 . 925 ؛ م. المختار السوسي، *إليغ*، 2 . 3 وهامش 7 ؛ *خلال جزولة*، 4 : 177 ؛ *سوس العالمة*، 181 ؛ ع. گنون، *النبوغ*، 1 : 259 ؛ ليفي پروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، 181 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 413 وفي مواضيع متعددة.

التامنارتي، عبد الله بن علي حفيد محمد بن إبراهيم الشيخ آتي الترجمة. فقيه صالح درس على يد علماء قومه، إذ لم تعرف له رحلة، واشتغل مثل أبيه وأجداده بالتدريس وتربية المريدين بتامنارت، بالإضافة إلى القيام بمهمة القضاء.

توفي عام 1074 / 63 . 1664.

الرسموكي، *وفيات*، 18 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 41 ؛ *المعسول*، 7 : 54 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 619.

التامنارتي، علي بن أحمد اللحياني أو الحمياني الدرعي من العلماء التامنارتيين الذين هاجروا الواحة، وانتقل إلى درعة يدرّس فيها طوال حياته بعد أن درس في فاس. وقد اختاره السعديون لمنصب القضاء في حاضرتهم مراكش وجاؤوا به إليها لذلك، لكنه امتنع وفر راجعاً إلى درعة ليتابع عمله في التدريس. ولعله أخذ أيضاً في بداية طلبه على الشيخ إبراهيم ابن هلال السجلماسي إذ هو الذي رتب نوازله الفقهية الشهيرة.

توفي علي التامنارتي بدرعة في حدود عام 980 / 1572.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 47 ؛ الرسموكي، *وفيات*، 12 ؛ م. الإفراني، *صفوة* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، تح. ح.

النوحي، د.د.ع. الرباط ؛ م. الخضيكي، *طبقات*، تع. أ. بومزگو، الترجمة رقم 726 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 187 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 20 ؛ *المعسول*، 7 : 51 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها*، 116.

محمد حجي

التامنارتي، محمد بن إبراهيم بن عمرو اللكوسي المعروف بسيدي محند أ'براهيم الشيخ دفين تامنارت. تخصه كتب المناقب والتراجم هو وسيدي أحمد بن موسى صديقه وصهره بقطبي سوس المتميزين. إذا كان فقهاء وأهالي تازروالت يعتبرون سيدي أحمد بن موسى قطب سوس الأول (*المعلمة*، 1 : 161-165)، فمقولة أبناء سيدي محمد بن إبراهيم تنضاف إلى مناقب البعقيلي الذي كان شاهد عيان وإلى فوائد التامنارتي وإلى ما أورده الديماني في روضة التحقيق نقلا عن الرواية الشفوية لتخص المترجم بمركز القطبانية الأولى بسوس ودرعة. مع ذلك لم تتعدد أساليب السرد بشأن هذه الشخصية مما يقتضي مسألة خصوصيات علاقتها بالمحيط القريب والبعيد. فنحن نعلم أن المصادر تجعل من سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ نموذجا فعليا للقطب الذي ألزم نفسه ضرورة المجاهدة من أجل تعميم دور الزوايا في الحياة اليومية خلال القرن العاشر (16 م).

إذا كان الشيخ قد توفي سنة 971 / 1564 وهو يربو على الثمانين، فإنه يكون قد ولد خلال الثلث الأخير من القرن السابع (15 م). (مناقب البعقيلي ؛ *طبقات* الخضيكي، 2 : 9، *Fawa'id*). تربى في أحضان والد مات بدوره كهلا مسنا منقطعا إلى التدريس في مدرسة إداأوزدّوت حيث أصبح قربه مزارا ومقراً لموسم تجاري هام (*المعسول*، VII : 10). كل ما نعلمه عن والدته أنها عاشت بمجتمع مايزال يومها يتميز بتداخل نظامي القرابة الأميسي المتآكل والأبوي الذي خطا خطوة في السيطرة بفعل الزوايا والفقهاء (إعزي ويهدى، *المعلمة*، 2 : 517-518). قد يكون محمد بن إبراهيم ولد بقرية إيمي أو گادير حيث يجثم أگادير ترسواط غير بعيد عن وادي لكوسة من قبيلة أمانوز على أن الرواية الشفوية ماتزال تؤكد على قرية إزدغ القريبة من إيمي أوگادير ببلاد تاهلة من منطقة فم الحصن.

تؤكد *روضة التحقيق* أن والد الشيخ محمد بن إبراهيم عمل على توفير جو المصاحبة بينه وبين أبنائه، فأخذوا عنه العلوم الشرعية والنقلية. كان هذا هو الوالد يمثل مقياسا لمدى انصهار شيوخ الزوايا الذين جمعوا علمي الظاهر والباطن ضمن علاقات مجتمعية تستهدف بلورة القيم المعيارية. وقد يكون تأثر بهذا الوالد كما تدل على ذلك تسمية أول أولاده بابراهيم وحضور مجملهم مجالسه العلمية كما تشير إلى ذلك تراجمهم المختلفة. ولا أدل على مدى ربط محمد بن إبراهيم بين سابقيه ولاحقيه من استشهاده الدائم وهو شيخ مسن بأئمته وأساتذته القدامى (*مناقب البعقيلي* ؛ *طبقات* الخضيكي، 2 : 8-9).

نلاحظ فيما يخص المرحلة التعليمية من حياة المترجم، أن التطور السريع بفعل آليات طلب العلم الظاهر والباطن بسوس ودرعة يتماشى تماماً مع الصورة التي تضفيها الرواية الشفوية والمصادر على شخصية متميزة من هذا الحجم. فبعد أن تتلمذ على الگرامين وأبناء عبد العزيز في حجر عيسى وفقهاء رسموكة وسملالة وغيرهم حسب ما سمعه منه البعقيلي (*طبقات* الخضيكي، 2 : 8)، لازم لمدة طويلة وحيد عصره الحسن بن عثمان التملي. ولن تخول سلطة هذا الأستاذ العلمية دون انتقاد المترجم بعض ممارساته فيما بعد. على أن هذه المرحلة الدراسية لم تلبث أن انتهت بالشيخ محمد بن إبراهيم إلى ولوج ميدان التدريس في مجموعة من قرى ومداشر الأطلس الصغير وببروز علامات تقربه إلى حد كبير من عبد الله بن ياسين ابن بلده.

لقد انتزع محمد بن إبراهيم الشيخ وهو عائد إلى بلدته اعتراف مرافقيه بالولاية حين سقاهم ماءً بارداً أتى به على وجه الكرامة في عز الصحراء وشدة العطش حسب ما أورده الخضيكي (*طبقات*، 2 : 8-9). هذه المقاربة بينه وبين مؤسس دولة المرابطين تنتقل بالرؤيا من مجرد إطار عام للمقارنة إلى اعتبارها أداة تنوعت فاعلياتها الدينية والإيديلوجية لتثبيت سمعة الشيخ المبكرة. على أن هذا العائد المتميز لم يستطع الاستقرار ببلدته كمدرس إلا لمدة محدودة، انتقل بعدها إلى "عنق الرمال" وأيت منصور، قريتين على وادي إيسي حيث قد يكون استقر سبع سنوات (*المعسول*، VII : 12) ليتنقل بعد ذلك ربما إلى إيليغ ومنها إلى إيگلي حيث يمتلك بهما أملاكاً باسمه.

في هذه الأثناء كان موقع تامنارت أم المداشر التي تقع ببسيط الوادي الذي يحمل نفس الاسم، قاعدة لتجمع المياه الجبلية. أهمية الموقع هذه كانت تتمثل خاصة في كونه حداً فاصلاً بين الصحراء وما عداها من جهة (تاگجگالت أيت تيكني، *المعلمة*، 2089-2090) وفي تجسيده لبنية تجارية وفلاحية فاعلة في الحياة الاجتماعية القروية من جهة أخرى. هذان المعطيان كانا بمثابة إطار لتقاطع الروابط الترابية وللتنافس من أجل اقتسام المنافع بين الغور الحبشي الأقدم (الحراطين) والنازلين عليه من مرتفعات الأطلس الصغير (إگـزُولـنْ). ندرك من هنا أن الخطوط العريضة التي كانت تضمن للأحباش القدرة الفعلية على مواجهة مد إگزولن ذوي النجعة الجبلية تقتضي اعتماد التحالفات المرحلية مع ذوي السلطة الدينية كمنطلق نحو المزيد من التماسك والقدرة على الثبات في عين المكان. هذا الإطار العام الذي كان سائدا حول أهم المداشر سيجسد هنا التحالف العملي الذي أهل محمد بن إبراهيم الشيخ الدخول في مسلسل من التحالفات الميدانية مع الأحباش قصد توطيد أسباب الإبقاء على ممتلكاتهم وتهييء مراقبته الفعلية لقسم من الأراضي المسقية. على أن تنظيم المجال وتقسيم مياه الساقية وساتينها ستجعل بدايات المترجم

بتامنارت تعرف بعض الصعوبات.

كان من شأن النزاعات التي أفرزتها الفترة على امتداد الضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية أن زادت من التقاطب الحاد بين المدائر والقصائل المتصارعة. وسيتجلى الجديد مع بداية القرن العاشر (16 م) في تحول السلطة السياسية من القصائل والوحدات القبلية إلى الزوايا والشرفاء. كانت قبيلة إدا أويلال ماتزال تنتجع يومها بين الساقية الحمراء ووادي نون. أما إمجّاطن (مجاط) ذوو النجعة الجبلية فقد طردوا قصائل أولاد بوعيطة من تيزلي محدثين بذلك اضطراباً كبيراً لن تتمكن من تهدئته إلا سلطة محلية قوية بحجم سلطة سيدي أحمد بن موسى. في وادي نون لم تكن قدرة تكتة الحربية قد أهلتهم بعد لإبعاد إدا أويلال والمعقليين عبدة واحمر. ولعل أول ما يلفت الانتباه بهذا الصدد هو الوضعية القائمة بين بلاد تكتة وبسيط تامنارت المجاور. فقد آلت هذه المنطقة منذ غزو الجبليين (إيبودرارن) من جهة والأعراب من جهة ثانية إلى حالة من التفكك العشوائي دون اتضاح ما يمكن أن تخضع له قواعد التحالفات من معايير جديدة تنظم سيرها. لقد اتخذ الصراع صيغة تناقض للمصالح المحلية بين لفي تاحكّات وإگزّولن حيث يفصل التنافس بين أسواق الطرفين (السوسي، *من خلال جزولة*، 3 : 493). هذا المعطى بما يستند إليه من تصادم وتحالف يكشف عن فعالية الدور التوفيقي الذي سيضطلع به المترجم. فمجيئ هذا الصالح يعد بداية فعلية للتساكن والتعايش ضمن مجال ترابي مشترك وأساسا لإعادة التوازن وضمان الاستقرار الاجتماعي. استطاع هذا الصوفي أن يبلور تكتلات ومواقف تضامنية تكشف لنا عن سر الاستقبال المتناقض الذي ميز موقف كل طرف من أطراف النزاع (السوسي، *من خلال جزولة*، 3 : 15 ؛ *المعسول*، VII : 16 . 17).

أصبحت على المدارس والزوايا يومها ضرورة استخلاص الأعشار لمواجهة النفقات المتزايدة وظهور مقتضيات جديدة. فنجد هذه المؤسسات الدينية وقد أصبحت تتوفر على ممتلكات جاءتها على شكل هبات أو إقطاعات أو أراض مستصلحة قد يتجاوز اتساعها ومكانتها اتساع ومكانة باقي الممتلكات. هذه المداخيل كانت تمثل أداة للتراكم يتسع حجمها أو يضيق حسب قدرة الشيخ على تكريس مكانته الاجتماعية. فهي تدعم نفوذه وتدفع بسلطته المحلية إلى حدودها القصوى كاستراتيجية مستقلة لمواجهة المصاعب ودفع التحديات. بذلك يكون تحديد موارد المؤسسة الدينية أصبح خاضعا لمقاييس تعتمد التراكم والسعي إلى مردودية تقتضي تنمية المداخيل والبحث المستمر عن ممتلكات جديدة وأعشار.

انعكست هذه المرامي المتنامية في ممارسات محمد بن إبراهيم الشيخ قبل رحيله إلى تامنارت على ما يمكن أن نستخلصه من روضة التحقيق. فقد جاء نزوع الشيخ إلى استخلاص الأعشار وتتبيث بنية تراكمية كأساس واضح جسد خلافاته مع أهالي أملن مثلا. ولربما كان هذا العامل نفسه هو الذي أدى باحبأش تامنارت إلى مفاوضته على أساس إمداده بما لم يعجب منافسيهم في عين المكان. فتقديراً لدوره البارز وكفاءته بالمدارس التي مر منها قبل تامنارت يبدو أن الأحباش قد أقطعوه ما هيأ له أسباب النزوع المتزايد إلى التوسع على حساب منافسيهم، فكان لهم بذلك خير حليف استقر كشخصية عززت وجودهم وكمدرس ذي خبرة وجرأة لم يتجاوز بعد الخمسين سنة. كانت سمعته المبكرة من الأسباب التي رفعت من شأن تامنارت باحتضانها ثاني قطب محلي بعد عبد الله بن ياسين. فلم تلبث بعد ذلك مجمل مدارس سوس وغيرها أن استنارت بطلبته وإشعاع مدرسته. ندرك إذن أنه ما أن تأسست الدولة السعدية حتى أسند إليه القضاء مرغماً سنة 928 / 1521. ومع أن هذه المأمورية كانت تشكل تهديداً لألمعيته كعالم وصوفي كبير، فإن تحاشيه المشاركة في أي شكل من أشكال التعامل مع المخزن السعدي رفع من شأنه وزاد من كرامته لدى ذوي علم الظاهر وعلم الباطن. وهو أيضا ما كان يتماشى مع المنظور القبلي الذي لا يسمح بمركزة السلطة ولا بظهور قائد مطاع وحيد. إذا كان توليه القضاء لم يتجاوز خمس سنوات، فإن وفاة أستاذه التملي سنة 932 / 1526 قد زامنت فترة أصبح خلالها من ألمع الوجوه التي تفيض في وصفها الألسن. جاء نزوعه إلى السلم كعامل استقرار وتهدئة اتسعت على إثره دائرته تدريجيا واتجه أسلوبه في التسيير نحو استخلاص الأعشار واحتواء أكبر قدر من الأراضي المسقية والمستصلحة. ولا شك أن مهادنة إگزولن التدريجية واستقطاب الأحباش قد أسهما بشكل أساسي في تقوية نفوذ المدرسة التي جعلت منه "علامة القرن العاشر ومدرسة تامنارت ومحي جزولة بمعارفه" (السوسي، *من خلال جزولة*، 3 : 13 ؛ *مدارس*، 51. 52 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 2 : 8 ؛ التامنارتي، *Fawa'id*، 75. 80 . 81) فما موقع هذه المساهمة الكبرى من مقارنة الشيخ التامنارتي وسيدي أحمد بن موسى ؟

تصل بنا الصورتان اللتان تواجهان الدارس إلى نموذجين متباينيين لصلحاء هذا القرن. يبلور سيدي أحمد أوموسى من جهته نموذجاً للصوفي الأمي الذي يُضرب المثل بقدرة مجموعته على مراقبة الطرق وتطويق القوافل ومعاينة المسافرين. جسد قبل ارتقائه في علم الباطن رمزاً لرعب القبائل والمسافرين. وإذا كانت مسيرته حسب المقولة الشفوية قد أهلته لكي يصبح قطب سوس الذي يحمي القوافل ويعزز سلامة الطرق، فإن أمان سوق ومواسم تازروالت قد سهل عليه مأمورية تحصيل مؤونة أتباعه ومريدوه. ندرك إذن لماذا لم يكن في بسيط تازروالت بحاجة إلى ما يكفي من البساتين والأراضي لانتاج كل ما يحتاجه أتباعه ومريدوه مكتفياً بثلاثة بساتين أهديت إليه (*معلمة*، 1 : 161 . 165). أما إذا انتقلنا إلى محيط العلاقات العامة ما بين الشيخ التامنارتي والوافدين عليه

من سوس وخارجها، فإننا نجد أوصافاً وتصورات تتطلب تعزيز البنية الإنتاجية لمؤونة الطلبة والمريدين. فعلى أساس الاستقلالية النسبية عن أهالي تامنارت يكون لزاما على المؤسسة الدينية تعزيز قوتها الإنتاجية. وكان طبيعيا أن يسعى الشيخ الذي ترعرع في وسط الفقهاء والمتصوفة إلى تحديد العلاقة العضوية بين المؤسسة ومداخيلها وأملاكها. وهو منظور سنجد في نطاقه المبادئ الرئيسية التي وظفها في سعيه إلى تحديد البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. فعلاوة على كون حجم مساكن الطلبة قد تجاوز بكثير مرافق زاوية سيدي أحمد أُوموسى، جاءت ممارسات الشيخ التامنارتي الدقيقة لتجسد دوره كحاكم محلي. ولم يكن سيدي أحمد أوموسى أقل من ذلك بتازوالت ونواحيها، إلا أنه لم يكن ينهض بمهام استخلاص الأعشار وإخضاع باني ووادي نون وبسيط تامنارت لسلطته بأبعادها الدينية والسياسية والمالية. تلك كانت قدرة الشيخ التامنارتي الفعلية على تنظيم حياة الجماعات (*المعلمة*، أيت إبراهيم، IV : 1127. 1130 ؛ تاغاجيجت، V : 2035. 2037). هذا ما يمكن أن نستشفه أيضاً من رسالة التامنارتي معتذراً للسلطان السعدي عن رفضه مهمة القضاء (الحضيكي، *طبقات*، 3 : 8 ؛ Tamanarti, *Fawa'id*, 80 - 81). وإذا كانت معاينة هذا الاعتذار لن تحول دون السلطان أحمد الأعرج سنة بعد ذلك من أن يكتب بخطه شخصيا رسم إقطاع باسم الشيخ التامنارتي (12. 4. 933 / 16. 1. 1527)، فذلك لأن المخزن السعدي لم يكن يجهل وهو في عز قوته مدى استقلالية الزوايا وقدرتها على الثبات والتحكم الميداني. تعددت أشكال الحضور الفعلي لمحمد بن إبراهيم الشيخ خارج بسيط تامنارت وأصبحت تتمثل عموماً في قدرته على تنظيم الأشغال العمومية وتطوير المرافق العامة (*مناقب* البعقيلي، 25. 26 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 2 : 7) ولم يعد يكتفي بدعم أهالي واحات وادي تامنارت وأقا ووادي نون الذين أصبحوا يدينون له بالولاء السياسي الواضح، بل نجده يلجأ إلى توسيع نفوذه الفعلي باستخلاصه الزكاة وتحريمه النائبة بمنطقة ماسة حادا بذلك من مجال التضارب والنزاع حول قضايا ومشاكل تمس القيم الشرعية. هذه القنوات بقدر ما كانت تسمح له بتملك الأرض والساقية، كانت تؤهله لتعبيد الطرقات ومد الجسور وتهدئة الخلافات والحد من الزعامات المحلية (البعقيلي، *مناقب*، 25. 26 ؛ Tamanarti, *Fawa'id*, 109).

جسد محمد بن إبراهيم الشيخ خير أداة لمد الجسور بين الفصائل المحلية والمخزن السعدي. ولا أدل على ذلك من دوره التوفيقي في الخلاف الذي حدث بين الطرفين حول استغلال مناجم عدانة بتامدولت حسب ما كشفت عنه روضة التحقيق. فقد أثبت بما لا يدع مجالا للشك احتكاره لكل أشكال ممارسة السلطة المحلية. يفيد الديماني بأن عجز ستة آلاف جندي مخزني أمام تحالف الأعراب والغور السكاني الصنهاجي عن استخلاص جبايات العدانة قد ارتبطت بسلطة الشيخ التامنارتي كواقع سياسي أساسي قائم الذات. وإذا كانت هذه السلطة الأساسية لا تتردد في الاعتراف بمشروعية أمير المؤمنين (البعقيلي، *مناقب*، 25. 26 ؛ الحضيكي، *طبقات*، 2 : 8 ؛ *Fawa'id*, 80)، فخذلان جيشه أمام تحالف القبائل وسلطة الطاعون المنتشر لم تكن لتغير من مواقف المترجم، فمسألة الأعشار تأتي هنا لتحدد بكامل الوضوح نصيب المخزن السعدي ونصيب الشيخ الذي لم يكن يتردد في تهديد الممتنعين عن دفعها له بشر العواقب (*المعلمة*، أيت إبراهيم، IV : 1127. 1130 ؛ تاغاجيجت، V : 2035. 2037).

إذا كان هذا التفصيل في المهام يبرز مظاهر التجانس بين مواقف الزوايا إزاء المخزن السعدي الذي كان يمثل في بدايته بحق قوة إگزولن، فإن أبعاد الوظيفة الاجتماعية والسياسية لقطبي سوس محمد بن إبراهيم الشيخ وسيدي أحمد أُوموسى تطرح الزوايا في سياق الربط بين القبيلة وأمير المؤمنين. وبقدر ما يسمح هذا التفصيل بالتمييز بين السلطتين المحلية والمخزنية فإنه يفسح المجال أمام ارتفاع المترجم فوق التعارضات الاجتماعية (Tamanarti, *Fawa'id*, 77). فإذا كان سيدي أحمد أوموسى قد عمق التصوف السوسي، فإن محمد بن إبراهيم الشيخ كان بشهادة معاصره البعقيلي إمام الطريقة، قد "صار يسوس الفقراء ويربيهم ويؤدبهم بالأدلة الشرعية المحضة" (الحضيكي، *طبقات*، 2 : 6). إن اتفاق كتب التراجم والمناقب على هذا الحكم لا يقتصر فقط على مساهمة القطب في ميداني العلم الظاهر والباطن بل يبرز سمات حكمه في البنية القبلية. فقد كانت آليات هذه البنية لا تتحرك فقط ضمن السياق الداخلي للصراعات المحلية، بل أيضا في مواجهة المد المسيحي على الشواطئ. من هنا فتدخل الشيخ التامنارتي كهلا مسنا إلى جانب المخزن السعدي بالبريجة معناه أن مهمته لم تقتصر فقط على التوازنات المحلية والجهوية ولكن تنحو كذلك وربما بصفة أوكد، إلى المهام الجهادية (البعقيلي، *مناقب*، 25. 26). واضح أيضا من خلال ما سمعه البعقيلي مشافهة منه أنه كان يمثل تطلعات سوس والصحراء إلى المحافظة على أصالتهما. ففي سياق نكرانه لتقبيل أيدي الزوايا والفقهاء وتلقيبهم بلفظة "سيدي" نجده يؤكد بأن الظاهرتين "محدثتان في بلادنا، جلبهما الفقيه الحسن بن عثمان التملي من بلاد الغرب" (*مناقب*، 26). نرى من هنا بعض الشروط الضرورية لظهور دواعي إصلاح جهوي وصلابة الدفاع عن الذات. وإذا كانت تلك هي المواصفات التي ميزت المترجم، فإن إصلاحه وتقويمه ما كان يراه جديرا بالتقويم قد حتم عليه تدريس الأدب العربي كمقامات الحريري باعتبار أنها "أصل لا يتوصل إلى شيء من العلوم إلا بها" (الحضيكي، *طبقات*، 2 : 9 ؛ Tamanarti, *Fawa'id*, 109).

عندما توفي سيدي محمد بن إبراهيم الشيخ (9. 12. 971 / 19. 7. 1564) كان أتباعه ومريدوه ومناصروه ينحدرون

عن قبائل مختلفة. لقد استطاع أن يشكل عبر التنافس القبلي دائرة من التكتل الاجتماعي والسياسي تغطيها الصبغة الدينية والصوفية. وإذا كانت هذه الدائرة قد انحسرت بعد وفاته واتجهت تدريجياً نحو التلاشي فذلك لأن حفدته لم يكونوا قادرين على إعادة انتاج نفس الهيكل.

ابن عسكر، *دوحة*، 82 ـ 83 ـ 111 ـ 112 ؛ *مناقب البعقيلي*، 1987، 17 ـ 18 ؛ م. الأفراني، *صفوة*، 63 ـ 64 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2، 5 ـ 9؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، VII : 10 ـ 33 ـ 35 ـ 46 ؛ X : 46 ؛ XII : 279 ـ 280 ؛ *من خلال جزولة*، I : 3 ـ 13 ـ 33 ـ 34 ؛ III : 15 ـ 493 ؛ *سوس العالمة*، 156 ـ 178 ؛ *مدارس سوس العتيقة*، 121 ؛ م. حجي، *الحركة*، II، 617 ـ 618.

A. Tamanarti, *Fawa'id Al Jamma*, 75 - 80 - 81 - 109.

مصطفى ناعمي

التامنارتي، محمد بن إبراهيم بن محمد حفيد الشيخ، درس في مسقط رأسه على أبيه وأعمامه، فكان مثلهم علماً وصلاحاً وإقبالاً على إفادة الطلبة وإرشاد المريدين المتوافرين في مسجد تامنارت، وأحيى سنة جده في الإنفاق على المرافق العامة من إصلاح الطرق والسواقي والقناطر وغيرها. توفي بتامنارت عام 1004 / 95 ـ 1596.

م. البعقيلي، *مناقب*، 19 ـ 20 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 52. وكرر الحضيكي ترجمة محمد بن إبراهيم في صفحة 108 من نفس الجزء، وتبعه في ذلك محمد المختار السوسي فعقد له ترجمتين رغم أنه تنبه للتكرار ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 52 رقم 13، و52 ـ 53 رقم 14 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 619.

التامنارتي، محمد بن أحمد بن إبراهيم المغافري الفيجي والد عبد الرحمن متقدم الترجمة. صوفي ناسك صالح، أخذ عن بلديه محمد بن إبراهيم الشيخ وأحمد بن موسى السملالي ومحمد بن ويسعدن السكتاني وغيرهم من أقطاب عصره. روى عنه ولده في *الفوائد الجمة* أخباراً وحكماً صوفية عديدة تدل على تمكنه في طريق القوم. ولا يُذكر له اشتغال بالتعليم ولو أنه عاش فترة من حياته في زاوية شيخه ابن ويسعدن في جملة سبعمائة طالب كانت تؤويهم هذه الزاوية الجبلية وتقوم بتعليمهم وإطعامهم. وكان محمد التامنارتي ـ بتكليف من الشيخ ـ هو القيم على خزائن الزاوية الساهر على شؤون رفاقه الطلبة.

حلاه الحضيكي بقوله : "وكان... رجلا صالحاً خيراً ديناً متعبداً ورعاً زاهداً في الدنيا معرضاً عن أهلها طوال عمره ذا دين متين ويقين وصبر، وذا كرم وقلب صميم وخلق حميدة وسيرة حسنة".

توفي بالطاعون في تارودانت عند غروب الشمس يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي القعدة عام 1007 / 21 يونيه 1599.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، في مواضع عديدة ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 133 ـ 134 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة رقم 325 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 42 ؛ *المعسول*، 3 : 324 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 566.

التامنارتي، محمد بن أحمد الرسموكي، فقيه مشارك، التحق في عهد الطلب بحاضرة مراكش ودرس على مشيختها ثم رجع إلى باديته في تامنارت واستقر بقرية عنق تاسگدلت منقطعاً للتدريس والإفادة. وكانت دروسه متنوعة متينة، شملت قواعد اللغة والحساب والتوحيد والفقه. وأخذ عن عبد الرحمان التامنارتي في صغره قبل أن ينتقل إلى المحمدية (تارودانت). وقال في حقه : "وهو عالم عزيز مثله في البادية". توفي حوالي عام 1020 / 1611.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 44 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 48 ـ 49 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 620.

التامنارتي، محمد بن عبد الله بن عيسى الجزولي، عالم مدرس نفاع صالح، ناصح، متخصص في الحديث، وله فيه سند عال. أخذ عنه عبد الرحمن التامنارتي الحديث المسلسل بالأولية، وحديث المصافحة بسند عال، وحديث الضيافة، وأثر السبحة.

توفي ببلده تامنارت في ربيع الأول عام 1039 / أكتوبر ـ نونبر 1629.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 44 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 334 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 620.

التامنارتي، محمد بن محمد بن إبراهيم الشيخ، الابن الأكبر لشيخ تامنارت والقائم مقام أبيه بعد موته بأمر التدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تخرج بأبيه ومن في طبقته من علماء سوس، فكان فقيهاً صالحاً لا تأخذه في الله لومة لائم، واشتهرت فتاويه بالدقة، بل بلغ فيها درجة الاجتهاد، حسب قول القاضي عبد الرحمان التامنارتي في *الفوائد الجمة*. وهو من الفقهاء الذين استشارهم قاضي الجماعة بالمحمدية سعيد الهوزالي حين أراد منع بيع الثنيا ببلاد سوس، فاجتهدوا وأفتوا بمنعها خلاف المشهور في المذهب المالكي، وذلك لدرء مفسدة تحايل الناس للوصول إلى الربح الممنوع شرعاً، واتفقوا على أن الثنيا إن كانت شرطاً في صلب العقد فسد البيع إلا أن يفوت بما تفوت به البيوعات الفاسدة. وبهذا الرأي أصدر القاضي الهوزالي منشوراً إلى جميع القبائل السوسية (نص المنشور مخطوط بخزانة تامگروت رقم 1644 ـ ثالث في مجموع)، توفي محمد التامنارتي عام 976 / 68 ـ 1569.

م. البعقيلي، *مناقب*، 19 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 73 ـ 74 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 2 : 9 ـ 11 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 47 ـ 48 ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 314 ؛ 2 : 615 ـ 616 ـ 617.

محمد حجي

ابن **تامَنْقَارْت**، أو تمنقارت (الحاج ـ) عامل بني مرين على سجلماسة. ورد ذكره عند ابن مرزوق في *المسند*، وقال إنه كان يشغل أيام حكم أبي الحسن المريني منصب الوالي على سجلماسة ودرعة. وساق حوله حكاية تفيد بأنه كان قد زار تلمسان والتقى بمخدومه أبي الحسن المريني، ويبدو أن هذه الزيارة كانت بسبب ما رفع عن هذا الوالي من أمور أوجبت مطالبته بأموال استُظهر بها عليه وقُدرت بأحد عشر ألفاً. إلا أن السلطان أمر بالعفو عنه، وهو ما أدخله ابن مرزوق في باب كرم السلطان أبي الحسن.

م. ابن مرزوق، *المسند*، ص. 189.

عمر بنميرة

التامنوگالي (أيت القائد)، أسرة وجيهة مارست السلطة بواحة مزگيطة انطلاقا من قصبة تامنوگالت على مدى قرون من الزمن. وتكتب في بعض الوثائق المخزنية بالجيم وبدون مد التاء والنون هكذا "التمنجالي". تنحدر هذه الأسرة، تبعاً لما أثبته الفقيه محمد بن لحبيب، من أسرة عربية هاجرت من أنگاد بالمغرب الشرقي إلى درعة (*العقود الجوهرية*، 73) وإذا صح أن هذه الأسرة قد هاجرت إلى درعة من أنگاد، فهل يمكن القول بأن الجد الأعلى لأسرة التمانوگاليين قد يكون من الجماعة التي انضمت إلى السلطان مولاي رشيد العلوي بعد انتصاره على أخيه ببسيط أنگاد سنة 1075 / 1664 م، وأن مولاي رشيد قد عهد لهذا الأنگادي بضبط أمور مزگيطة لدرعة ؟ ولعل الراجح لما ذهبنا إليه أن علاقة أسرة التامنوگاليين كانت وطيدة بالمخزن العلوي، منذ تأسيس الدولة العلوية إلى غاية العقود الأولى من القرن الرابع عشر (20 م) (*وثائق دار القائد التامنوگالي*).

التامنوگالي، القائد **بو بكر** بن عبد الرحمان. تولى قيادة تامنوگالت بعد وفاة أخيه القائد محمد مباشرة، فدشن عهده بالإعلان صراحة عن معارضته القوية لنفوذ عائلة الگلاوي بوادي درعة، وقد انفرد بهذا الموقف من بين شيوخ وقواد وادي درعة الذين كانوا يداهنون أسرة الگلاوي، التي عادت إلى المسرح السياسي وهي أقوى ما تكون بعد توقيع معاهدة الحماية سنة 1912.

ويتضح من هذا الموقف المتسرع للقائد بوبكر التامنوگالي تجاه أسرة الگلاوي، أن القائد التامنوگالي، لم يكن على بينة من التطورات السياسية التي طرأت على مستوى السلطة المركزية، حيث عولت فرنسا على إخضاع المغرب واستعماره بالاعتماد على بعض العائلات المخزنية الكبرى مثل عائلة الگلاوي. ونعتقد أن هذا الموقف المعادي للگلاوي من القائد بوبكر التامنوگالي له ما يبرره محلياً فقد انفجر الوادي كله من أقلاّنْ درا إلى محاميد الغزلان، في حالة من الغليان الاجتماعي والفتن بين القبائل، فاختلط الحابل بالنابل، وتعدد الداعون إلى الجهاد ضد النصارى.

وفي خضم هذه الاضطرابات، قام القائد حمو الگلاوي بإرسال مجموعة من الخلفاء عنه إلى مختلف الواحات بالوادي في محاولة لوضع حد للغليان الاجتماعي، وكان يوجه رسائله إلى خلفائه وشيوخ القبائل باسم المخزن والسلطان، إلا أن مجيئ هؤلاء الخلفاء زاد من إثارة الفتن لتشددهم في استحلاب أموال الناس والتركيز على الحَرَكات الانتقامية ضد من نُعتوا بكونهم من القبائل العاصية والسائبة.

اعتقد القائد حمو الگلاوي، أن مجيئه إلى درعة سيضع حدا لمظاهر الفتن والغليان الاجتماعي، لذلك جهز حَرَكة قوية بمباركة فرنسا ومشاركة بعض ضباطها ومدافعها، فتوجه إلى وادي درعة وأناخ بجيشه على قصبة تامنوگالت يوم 22 محرم عام 1343 هـ/ غشت 1924 م وأمر قواته بإرسال بعض الطلقات المدفعية لإرهاب السكان وإجبارهم على التخلي عن القائد بوبكر. وفي صباح اليوم الموالي خرج سكان تامنوگالت يطلبون الأمان من القائد حمّو يتقدمهم الصبيان بألواحهم وبعض الطلبة من الصالحين والناصريين الساكنين بالقصبة، فقبل القائد حمو شفاعتهم بعدما أمر بعزل القائد بوبكر، وحدد مؤونة الحَرَكة التي يجب على سكان تامنوگالت دفعها في "ألف مد من الشعير وأربعمائة مائدة من الخبز، ومائة شليف من التبن وأربعمائة كبش، ومائة صاع من السمن ومائة صاع من الزيت، ومائة كاغد من الشمع وما يكفي من الحطب والفحم والخضرة" (*تاريخ درعة*، 46).

وهكذا يكون القائد بوبكر قد دفع الثمن غالياً لمعارضته. وقد ظل القائد بوبكر التامنوگالي بعد عزله، فيما يشبه الإقامة الإجبارية إلى أن توفي سنة 1350 هـ / 1931 م.

التامنوگالي، القائد **الحسن**، اضطربت أحوال قيادة تامنوگالت بعد وفاة القائد عبد الله مباشرة، وكاد الأمر أن ينفلت من أيدي التامنوگاليين بسبب التنافس على القيادة، وقد استطاع محمد بن عبدالقادر الفاسي، صهر آل القائد، أن يضع حداً لهذه الاضطرابات، وحتى تظهر لأصهاره ولغيرهم من المتنافسين أنه لا رغبة له في قيادة تامنوگالت، فقد استقدم الطالب الحسن من محل دراسته فسلم له قيادة أسلافه.

عمل القائد الحسن على تهدئة الخواطر، وأخمد نار الفتن، مرة بالتفاوض وأخرى بالترغيب والترهيب، فانقاد الناس لطاعته، وصالح القائد الگدزي، وقد تطورت المصالحة إلى مصاهرة بين العائلتين، ثم ما لبث القائد الگدزي أن توفي، فضم القائد الحسن التامنوگالي منطقة

أفـلاّنْ دُرا (درعة العليا) إلى مجال نفوذه، لكون قائد أگدز لم يخلف ذكراً يتولى القيادة، وبذلك يكون القائد الحسن قد وسع نفوذ آل تامنوكالت على كل واحة مزگيطة من أفـلاّنْ دُرا إلى فم تانسيخْت. ويصف لنا الفقيه بن الحبيب، القائد الحسن فيؤكد أنه كان حسن السيرة، محباً لأهل العلم والصلاح (*العقود الجوهرية*، 74). ويظهر أن القائد الحسن كان بحاجة إلى عنصر ثالث بقصبة تامنوگالت يضمن له نوعاً من التوازن بين القيادة ورعيتها لذلك استقدم بعض مرابطي الزاوية الصالحية والزاوية الناصرية، فأسكنهم إلى جانبه وأفاض عليهم من نعمته.

وإذا كانت عملية استقدام هؤلاء المرابطين تظهر وكأنها أمر عادي جداً، فإن الواقع يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه، من كون القائد الحسن التامناگالي كان يعمل لتعزيز عوامل التوازن بمجال قيادته، إذ ما كاد هؤلاء المرابطون يستقرون بتامنوگالت، حتى أسرع القائد الحسن إلى وضع قانون غير مكتوب يهدف به إلى تنظيم أمور القيادة على أسس تحول مستقبلا دون انفجار صراعات داخلية حولها، وهكذا أحدث منصب الخليفة، وحدد مهامه في النيابة المطلقة عن القائد، في حالة غيابه عن قصبة تامنوگالت، والخليفة هو الذي يقود المهنئين والهدية إلى القصر السلطاني في الحفلات الرسمية والأعياد الدينية. والخليفة هو الذي يقود المفاوضات مع القبائل. وحسب هذا القانون العرفي، فالولد الأكبر للقائد هو الذي يتولى هذا المنصب ويتولى القيادة بطريقة مباشرة بعد وفاة القائد (*Les pays inaccessibles*, 24). وحتى يضفي نوعا من المشروعية على منصب الخليفة، فإن علماء مرابطي الصالحيين والناصريين يشكلون جزءاً من الهيئة الاستشارية عند اختيار وتنصيب الخليفة، وليس من حق أي كان من أبناء عمومة القائد أن يناقش هذا التنصيب للخليفة مادام العلماء من المرابطين قد زكوه بدعواتهم الصالحة ومباركتهم للشخص المعين. وقد ذهب القائد الحسن بعيداً في تعزيز سلطته وسلطة أبنائه من بعده، ذلك أنه ربط مصاهرة واسعة مع المرابطين الصالحيين، الذين باتوا يدافعون عن مصالحهم من خلال دفاعهم عن دار القيادة بتزيكتهم للقواد التامنوگاليين أمام السلطان إبان حمل الهدية إلى القصر أو تقديم التهاني في الأعياد الدينية، وهذه التزكية من المرابطين للقائد أمام السلطان ضمان لاستمرار ولاء دار القيادة للسلطان. وقد توفي القائد الحسن بعدما نجح في توطيد أركان قيادة تامنوگالت في تاريخ غير معروف من نهاية الستينات من القرن الثالث عشر الهجري (19 م).

التامنوگالي، القائد **عبد الرحمان**، تولى القيادة بعد وفاة أخيه، وقد عرفت دار القائد التامنوگالي تطورات هامة على عهده. فمن جهة، عاد القائد عبد الرحمان إلى الطريقة القديمة في تولي القيادة بتامنوگالت، وتعتمد هذه الطريقة على الغلبة والقوى، فألغى بذلك القانون العرفي الذي وضعه القائد الحسن، وبهذه الخطوة التي أقدم عليها القائد عبد الرحمان، عرفت دار القائد التامنوگالي سلسلة من النزاعات كادت أن تخرج الأمر من أيدي التامناگاليين.

أما التطور الثاني الذي عاصره القائد عبد الرحمان فيتجلى في صعود عائلة الاگلاوي. ذلك أن هذه العائلة كانت تتطلع لبسط نفوذها على منطقتي دادس ودرعة، منذ أن أصبح الاگلاوي محمد إبيبض، قائدا على تلوات بمقتضى ظهير سلطاني بتاريخ 1273 هـ / 1856 م. إلا أن قواد وشيوخ أيت واوزگيت، وأيت بن حدو وأهل ورزازات حالت دون وصول الاگلاوي إبيبض إلى منطقة الأودية (*Le Haouz*, 313). كان القائد عبد الرحمان التامنوگالي يتتبع عن كثب ما يجري بتلوات، لذلك أرسل ابنه العباس إلى قائد تاوريرت بورزازات، محمد أ ُوعبو، فتحالف معه ضد الاگلاوي، وبهذه الخطوة يكون القائد عبد الرحمان التامنوگالي قد حدد موقعه في الصراعات السياسية التي تضطرم آنذاك بين قواد وشيوخ الجنوب وعائلة الاگلاوي.

لم يكد القرن التاسع عشر يشرف على النهاية، حتى كان المدني الاگلاوي قد حسم الصراع لصالحه حيث نجح في فتح طريق الأودية، بإخضاعه لشيوخ أيت زينب، وأيت حدو وأهل ورزازات. وقد حاول القائد عبد الرحمان التامنوگالي عقد تحالف واسع مع قبائل إمَـغْران المتحكمة في الطريق الرابط بين ورزازات ودرعة في محاولة جديدة للتصدي لتوسع عائلة الاگلاوي، إلا أن هذه التحالفات الجديدة لم تجد شيئاً أمام تعاظم نفوذ المدني الاگلاوي، إن على المستوى الجهوي أو على مستوى السلطة المركزية، لذلك قرر القائد عبد الرحمان التامنوگالي في أخريات أيامه إنقاذ ما يمكن إنقاذه بقيادة قصبة تامنوگالت فأعلن ولاءه للمدني الاگلاوي (*Districts*, 71). وقد توفي القائد عبد الرحمان التامنوگالي، بعد مسيرة حافلة بالدسائس والتحالفات للحفاظ على قيادة أسلافه سنة 1322 هـ / 1904 م.

التامنوگالي، القائد **عبد الله**، لا نعرف أي شيء كذلك عن القائد عبد الله، وقد وصفه الفقيه ابن الحبيب بأنه صنديد وحازم (*العقود الجوهرية*) ويرجح أنه مارس السلطة بتامنوگالت خلال العقود الأولى من القرن الثالث عشر (19م).

التامنوگالي، القائد **علي**، تولى قيادة تامنوگالت بعد عزل أخيه سنة 1343 هـ / 1924 م بأمر من القايد حَمُّو الاگلاوي الذي بات يتصرف في شؤون وادي درعة، باسم المخزن. ويظهر أن القائد علي، لم يستطع نسيان ما لحقه من هوان على يد أسرة الاگلاوي التي صارت تتصرف ترصفاً مطلقاً في تلك الجهات. فاكتفى بقبول القيادة حفاظاً على ما تبقى بدار آل التامنوگالي حتى لا تندثر بشكل نهائي إلى أن يدبر أمره، وهكذا لم تمض إلا بضعة

شهور على تنصيبه قائداً بتامنوگالت، حتى قام برحلة سرية إلى منطقة أزيلال للاتصال بالفرنسيين طالبا منهم التدخل إلى جانبه بدرعة وانقاذ المنطقة من براثن القائد حمو وأتباعه، إلا أن الفرنسيين لم يكونوا ليضحوا بدور الاگلاوي من أجل قيادة تامنوگالت المتراجعة، فحملوا القائد علي إلى مراكش لطلب الأمان من الباشا التهامي الاگلاوي، ولم يكن باستطاعة الباشا أن يرفض هذا الطلب، فأظهر الرضى عن القائد علي الذي عاد إلى قصبة تامنوگالت، وهو يقدر أن الأمر قد انتهى بالنسبة لقيادة تامنوگالت، مثلها في ذلك مثل مشيخات تمداخت وأيت ابن حدو وأهل ورزازات التي أنهت أمرها عائلة الاگلاوي من قبل. وبالرغم من هذا الإحساس فإن القائد علي لم يستسلم للركون في قصبته، بل حاول الاتصال بالقصر الملكي لتجديد عهد أسلافه بالدولة العلوية، إلا أن عيون الاگلاوي على القائد علي، أبلغته بسفره للرباط عن طريق أزيلال، فأبلغ الاگلاوي الفرنسيين الذين تمكنوا من ضبط القائد علي وأحد خدامه المقربين بمدينة الرباط فأعيد إلى درعة.

تزامن تنصيب القائد علي وما قام به من محاولة للتخلص من هيمنة أسرة الاگلاوي بتركيز الفرنسيين عملياتهم العسكرية والسياسية في المناطق الجنوبية وظهور سلسلة من مكاتب الشؤون الأهلية بورزازات وقلعة مگونة وتزناخت (*Districts*, 90)، وهذه المناطق لها اتصال مباشر بوادي درعة، وفي نفس الوقت كانت القوات العسكرية وشبه العسكرية تشق الطرق لربط هذه المراكز ببعضها البعض، وفي هذا الإطار شُق الطريق الذي يربط بين تزناخت ومزگيطة، والطريق الرابط بين ورزازات ومزگيطة عبر أيت ساوون. وقد كانت فرنسا تسعى من وراء هذه الأعمال إلى اقتحام منطقة الأودية بدادس وتدغة ودرعة والتي كانت تعج بالثائرين على فرنسا (بلقاسم النگادي، علي التازرني) والمعارضين لسلطة آل الاگلاوي بالجنوب.

وكتأكيد من فرنسا على عزمها في بسط سيطرتها على مناطق الأودية، قام الجنرال هوري (Huré) بزيارة لمزگيطة يوم 15 ماي 1930 حيث نزل بطائرته في بسيط من الأرض بالقرب من مركز أگدز الحالي، وقد وجد في استقباله القائد علي التامنوگالي، قائد أهل مزگيطة، والقائد العربي بن عثمان، قائد أولاد يحيى، وقد التزم القائد علي التامنوگالي للجنرال هوري، بتسهيل مهمة القوات الفرنسية بمزگيطة، والتزم بنفس الموقف قائد أولاد يحيى (*Districts*, 91) ويبدو واضحاً أن موقف القائد علي في إعلان رغبته في التعاون مع السلطات الفرنسية كان الدافع من ورائه الانفلات من قبضة آل الاگلاوي والحفاظ على استمرار القيادة بتامنوگالت. وقد رحبت فرنسا بموقف القائد علي وكانت تتطلع إلى خلق تحالف قوي بين قبائل أولاد يحيى وقبائل مزگيطة لمواجهة قبائل أيت عطا والمتحالفين معها في الواحات الجنوبية، خاصة لكتاوة ومحاميد الغزلان حيث وصل إلى الواحتين أتباع بلقاسم النگادي بعد تراجعهم أمام القوات الفرنسية بتافيلالت.

وفي فاتح يناير من عام 1931، قام القبطان سبّلمان (الذي يعرف محليا بالقبطان سليمان) بالوصول إلى موقع أگدز الحالي، فشرع في بناء مقر مكتب الشؤون الأهلية. وقد جاء القائد علي التامنوگالي صحبة أعيان أهل مزگيطة للسلام عليه والتأكيد على الوفاء لما التزم به الجنرال هوري في السنة الفارطة. إلا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن بالنسبة للقائد علي، ذلك أن الباشا التهامي الاگلاوي دخل في صراع سياسي مع القبطان سبلمان، خرج منه الباشا الاگلاوي منتصرا حيث تم نقل سبلمان من وادي درعة (*Souvenirs*, 127) وكان سبلمان متعاطفاً مع القيادات المحلية، لذلك ما كاد سبلمان يغادر المنطقة حتى وجد القائد علي نفسه وجهاً لوجه مع الاگلاوي من جديد. وبالرغم من أن الباشا الاگلاوي لم يستطع اتخاذ أي إجراء ضد القائد علي، فإن سياسة الإهمال التي وجه بها القائد علي جعلته يلتزم منزله إلى أن وافته المنية في تاريخ لم نتمكن من تحديده.

التامنوگالي، القائد **محمد** بن عبد الرحمان، تولى قيادة تامنوگالت بعد وفاة إبيه مباشرة بعهد منه. ويصفه صاحب *العقود الجوهرية* بأنه كان يتلو كتاب الله (*العقود الجوهرية*، 76)، اقتفى أثر أبيه في تدبير شؤون أهل مزگيطة. حاول القائد محمد التامنوگالي تحسين مركزه عند عائلة الاگلاوي، لذلك نجده قد وجه كتيبة من أهل درعة سنة 1325 / 1907 م للمشاركة إلى جانب قوة الاگلاوي في نصرة السلطان مولاي حفيظ في صراعه مع مولاي عبد العزيز. وبالرغم من هذه المشاركة، فإن قيادة تامنوگالت تبقى بالنسبة لعائلة الاگلاوي القيادة المعارضة، ويجب التعامل مع آل التامنوگالي على هذا الأساس، لذلك ما كاد المدني الاگلاوي يعين وزيراً أكبر حتى عين ابن أخيه القائد حمُّو الاگلاوي، قائدا على الجنوب كله من قصبة تلوات بالأطلس الكبير إلى محاميد الغزلان على مشارف الصحراء الكبرى، وكان على القائد محمد التامنوگالي أن يخضع للأمر الواقع إن هو أراد البقاء في قيادته والحفاظ على مكتسبات أسلافه.

كان المدني الاگلاوي يعرف جيداً عمق المعارضة لعائلته بوادي درعة والمناطق المجاورة، إلا أنه أجل البث في أمر رؤوس المعارضة من القواد والشيوخ إلى حين، متذرعا بانشغاله بأمور الوزارة الكبرى وما تتطلبه السلطنة الحفيظية من حيطة وحذر في تدبير شؤون الدولة، فكان يكتفي بإرسال أوامره إلى قواد الجنوب مذيلة باسمه كوزير أكبر، وفي هذا التذييل دلالة واضحة على سطلته الجديدة، وإشارة بليغة إلى المناوئين لنفوذ عائلته وسلطتها، ليس بوادي درعة فحسب، وإنما في كل المناطق الممتدة جنوب وشرق ورزازات. إلا أن عزل المدني الاگلاوي من منصبه سنة

1911، خفف من الضغط النفسي على القائد محمد التامنوگالي الذي كانت أسرته تشكل أقوى معارض لآل الاگلاوي بدرعة، ومن حسن سياسة التامنوگالي أنه لم يتسرع في اتخاذ مواقف معادية صريحة من الاگلاوي، بل فضل الانتظار، واكتفى بتدبير شؤون واحة مزگيطة إلى أن وافته المنية سنة 1334 هـ / 1915 م.

التامنوگالي، القائد محمد الكبير، لا نكاد نعرف عنه أي شيء، اللهم ما كان من إشارات خفيفة عند الفقيه ابن لحبيب، فقد ذكر أن القائد محمداً هذا كان معاصراً لسيدي أحمد بن صالح الاكناوي (توفي 1149 / 1736 م) وعلى هذا، فإن القائد محمد قد يكون معاصراً للسلطان مولاي إسماعيل العلوي.

التامنوگالي، القائد المدني، كان خليفة لأبيه القائد الحسن، فلما توفي هذا الأخير، تولى المدني قيادة تامنوگالت، فاقتفى أثر والده في حسن السيرة والمساعدة مع أهل مزگيطة (*العقود الجوهرية*، 76). ويبدو أن القائد المدني، نجح إلى حد كبير في الحفاظ على استقرار مزگيطة وضبط أمورها بتصديه لمثيري الفتن والتشغيب، والقضاء عليهم، وقد كان المخزن يبارك أعمال القائد المدني ويشجعه على ضبط أمور منطقته لضمان استقرار سكانها، فقد ورد في إحدى الرسائل المخزنية من السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام ما يلي : فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما فيه وعلمنا ما أنهيت إلينا من شيطنة عبد العزيز بن عبد الرفيع، وصار ذلك منا على بال. ولا بد احتل عليه حتى تقبضه كما قبض أبوك على جعفر التمصري ووجهه لمراكشة والسلام في 6 شوال عام 1273 / 1856.

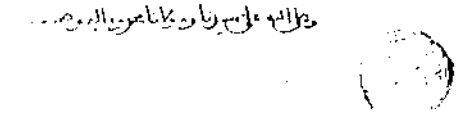

ولما اشتدت الضغوط الاسبانية على السواحل المغربية سنة 1277 / 1860، توصل القائد المدني التامنوگالي برسالة طويلة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، يحض القائد على استنفار أهل درعة للمشاركة في الجهاد وحماية بيضة الإسلام بهذه الديار. ونستشف من عدد من المراسلات المخزنية التي توصل بها القائد المدني التامنوگالي، أن واحة مزگيطة كانت تتمتع بنوع من الاستقرار على عكس باقي الواحات الجنوبية بدرعة والتي كانت تعيش حالة من الفراغ السلطوي نتيجة تشغيب قبائل أيت عطا على العمال المخزنيين.

وإذا كان القائد الحسن استقدم المرابطين من زاوية سيدي صالح وزاوية بناصر إلى تامنوگالت، فإن القائد المدني قد استقدم بعض الأشراف العلويين من قصر تمتيگ بفزواطة، لخلق توازن جديد داخل قصبة تامنوگالت بعد أن أصبح الصالحيون يكونون جزءاً من البنية السياسية الداخلية بتامنوگالت على إثر مصاهرتهم مع آل القايد. وقد توفي القائد المدني سنة 1295 / 1878.

الفقيه محمد بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط خاص ؛ الطيب بن لحبيب، *تاريخ درعة*، مخطوط خاص ؛ مجموعة وثائق وظهائر توجد في حوزة حفدة وأبناء القائد التامنوگالي.

G. Spillmann, *Les pays inaccessibles du Haut Draa : Districts et tribus de la haute vallée du Draa ; Souvenirs d'un colonialiste* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

التامنوگالي، محمد بن الحبيب، عرّف هذا الفقيه بنفسه، فذكر بأنه تامنوگالي النشأة، تيَرْسوتي الأصل، رگراگي النسب (*العقود*، 31). وهكذا يتضح أن أصل هذا الفقيه هو قصر تيرسوت بواحة ترناتة على بعد حوالي سبعين كيلومتراً جنوب قصبة تامنوگالت.

وجده محمد بن الحاج هو الذي انتقل من ترناتة إلى مزگيطة، فنزل بقصبة تامنوگالت تحت حماية ورعاية القايد الحسن التامنوگالي، وذلك في أواسط القرن الثالث عشر (19 م). فقد وهب القائد الحسن داراً تعرف بدار سيدي محمد بن الحاج، وأقبل على تعليم القرآن بالمسجد الكبير بقصبة تامنوگالت "فنفع إليه به الخاصة والعامة، وانتهت إليه الرآسة القرآنية، وقصده الناس من كل فج" (*العقود*، 75).

نستشف من هذه الإشارة أن محمد بن الحاج التيرسوتي انتقل إلى تامنوگالت بقصد تعليم القرآن لأبناء القائد وغيرهم، وهي المهمة التي ظل أبناء التيرسوتي وحفدته يحتفظون بها إلى اليوم.

ولد محمد بن الحبيب بقصبة تامنوگالت عام 1323، فتعلم مبادئ القراءة على بني قومه بمساجد القصبة، فلما استد عوده أقبل على تعلم العلم، فبدأ بعلم القراءات على يد صهره محمد بن علي الغرغري الذي كان يدرس *الدرر اللوامع في قراءة الإمام نافع*، وعن هذا الفقيه أخذ المبادئ الأولية في الفقه وعلوم الشريعة، ودرس كتب الصحاح في الحديث (*العقود*، 32. 45) إلا أن تخرجه النهائي على يدعالم تامنوگالت وقاضي مزگيطة في وقته محمد المكي الناصري أجازه إجازة عامة.

توجه محمد بن الحبيب بعد تخرجه إلى ممارسة التدريس، فسافر إلى مراكش، وعلّم القرآن الكريم في بعض كتاتيبها بجامع المواسين وزاوية مولاي عبد الملك (*أعلام درعة*) وكان يستغل وجوده بمدينة مراكش ليحضر بعض الحلقات العلمية بجامع بن يوسف، إلا أنه لم يدون لنا

أي شيء عن الحلقات العلمية التي كان يحضرها والشيوخ الذين أخذ عنهم.

خلف محمد بن الحبيب عدة أراجيز في التوحيد والمديح والرثاء، إلا أن أهم انتاج له هو كتاب *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، من القطاع المتوسط عدد صفحاته حوالي 85 ص ولايزال الكتاب مخطوطا وتوجد بعض النسخ منه عند أبناء المؤلف بمراكش وتامنوگالت. وقد ألف هذا الكتاب بإشارة من محمد المختار السوسي كما جاء في مقدمة الكتاب، وهو الأمر الذي أكده المختار السوسي في الترجمة القصيرة التي كتبها لمحمد بن الحبيب الذي يعتبر واحداً من مريدي الطريقة الدرقاوية.

توفي محمد بن الحبيب بقصبة تامنوگالت بواحة مزگيطة سنة 1362 / 1943.

محمد بن الحبيب نفسه، العقود الجوهرية، مخطوط ؛ المهدي الصالحي، *أعلام درعة* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 344.

أحمد البوزيدي

تامودا، مدينة أثرية تقع على سهل مارتيل الضيق على الضفة اليمنى للواد الذي يحمل نفس الاسم (مارتيل). يحدها جبل الحوز من الشمال، والمنحدرات الأولى لجبل كلتي من الجنوب. تبعد عن مدينة تطوان من ناحية الجنوب الغربي بخمسة كيلومترات، وعن شاطئ البحر الأبيض المتوسط بخمسة عشر كيلومترا.

واسم تامودا محرف عن "تامدا" الأمازيغي الذي يعني الغريد أو المستنقع العميق (واد مرتيل) (Besnier, 1904, p. 28). ورد هذا الاسم في مؤلف بلينيوس، الذي يشير إلى اسم مدينة واسم نهر بعبارة "Flumen Tamuda navigabile, quondam et oppidum" (Pline, 5, 18). أي : "واد تامودا صالح للملاحة والمدينة القديمة التي تحمل نفس الاسم". لكن المدينة لم تكن توجد في وقت بلينيوس، لهذا يقترح C. Muller أن تقرأ هذه الإشارة الواردة عن مدينة تامودا كالتالي : واد تامودا، الذي كان صالحا للملاحة من قبل والمدينة تحمل نفس الاسم. ويكتفي بطليموس بالإشارة إلى الواد (النهر) الذي يسميه (Ptolémée, H. Xnousx, 4, 1, 3).

وكذلك الشأن بالنسبة لپمپيوس ميلا، إذ يشير إلى تامودا في إحدى فقراته الغامضة. اقترح (Besnier, 1904, p. 28) عوض أن تقرأ Goldavo du Britania والتي لا معنى لها، أن تستخرج مجموعة من الإشارات الدالة على بعض المواقع المعروفة وهي (Gilda, Vobri, Tam(ud)a) أما ما نسميه (La notitia dignitatum) (بداية القرن الخامس بعد الميلاد) في إحدى الفقرات الخاصة بموريطانيا الطنجية (20. 0. 26)، حيث يشير إلى وجود فرقة عسكرية من الفرسان المعروفة "بهركيلاي بتموك". هذا الاسم الأخير يجب كما أشار إلى ذلك R. Cagnat أن يقرأ أو يصحح بتمودا (R. Cagnat, 1912, p. 763).

أما لوائح الاپيسكوپال فتشير إلى تامودا بالعبارة التالية : Tamudensis episcopus. وبالإضافة إلى هذه المجموعة من الإشارات التي وردت في حق هذه المدينة، هناك مجموعة أخرى من الوثائق التي حملت هي أيضا إسم تامودا وهي النقود وخاصة النقود المعروفة بالبونية أو البونيقية الجديدة، التي ربما ضربت أو سكت بالمدينة نفسها. نقرأ على هذه النقود غالباً العبارات التالية : tmcot, tmo, t.mt. والتي يمكن أن تؤول حسب J. Mazard كالتالي : تامودا، أو تاموكدتا. وتضاف إلى هذه المجموعة من الإشارات عبارات أخرى هي : (J. Mazard, 1955, p. 178 - 179, N° 581 à 588 ; tadha, tomt). وهناك نقش حجري واحد باللاتينية يحمل اسم تامودا على صيغة المفعول به (J. (T)amudam Gascou, 1982, p. 47 - 48).

تمّ اكتشاف موقع تامودا سنة 1920، وسمي إذاك بالصويّر، وبوشرت الحفريات بعد ذلك بقليل تحت إشراف لويس سيزار دو مونتالبان (L.C. De Montalban) وبعد ذلك تحت إشراف كنطيرو P. Quintero من سنة 1940 إلى سنة 1944 (Tarradell, 1966, p. 440). لقد كشف دو مانتالبان عن المحيط الخارجي للسور، وكذلك عن الربع الجنوبي من نفس البناء، إلا أن نتائج هذه الحفريات لم يتم نشرها بل اكتفى الباحث بالإشارة إليها في تقرير حرر عام 1933 بطريقة حكائية، يستحيل استعمالها، لانعدام الوثائق والرسوم التي تطابق مختلف التوضيحات المستعملة، (Lenoir, 1980, p. 169).

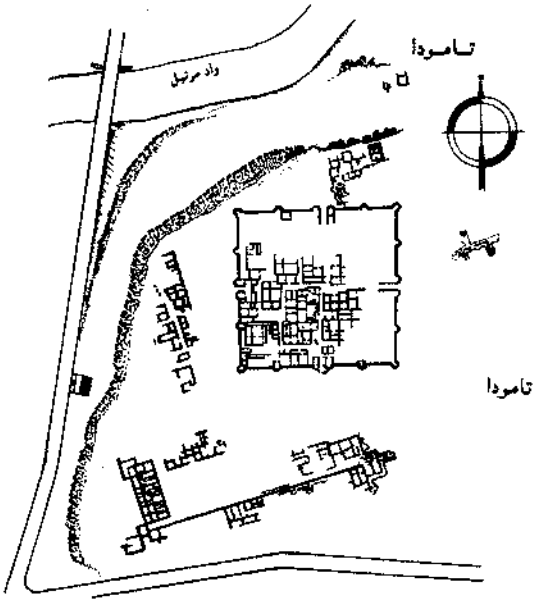

وفي سنة 1943 كشف كنيطيرو P. Quintero عن داخل الباب الغربية، كما أنه بادر بالتنقيب عن المقبرة (P. Quintero, 1943, p. 12 - 13 ; Tarradell, 1953, p. 28) ومن بين الأوائل الذين اهتموا بمعسكر تامودا نجد موران (P. Cesar Moran) الذي قام بمجموعة من التنقيبات الأثرية بموقع تامودا التي تم نشر نتائجها بمجلة تامودا (P. Cesar Moran, 1948).

أما الباحث الاسباني طارادیل (M. Tarradell) فلم يأخذ على عاتقه الحفريات بموقع تامودا إلا سنة 1948، وذلك لمدة عشر سنوات، أي إلى غاية 1958. فهو أول من أشار إلى أن هناك مرحلتين في حياة المدينة.

- المرحلة الموريطانية التي حظي فيها الموقع بمكانة أو بوضعية المدينة.

- ثم المرحلة الامبراطورية السفلى التي حظي فيها الموقع بأهمية عسكرية أكثر من المدينة (Tarradell, 1949, p. 86 - 100 ; 1953, p. 28) يعتبر طاريديل قلعة أو معسكر (Castellum) تامودا إحدى منجزات الامبراطور ديوكليتيان (Dioclétian) وخاصة بعد أزمة القرن الثالث بعد الميلاد (Tarradell, 1955, p. 90 ; 1956, p. 84).

في سنة 1958 عندما زار سيسطون (W. Seston) موقع تامودا لاحظ بأن المعسكر قد بني على أنقاض المدينة الموريطانية المؤرخة بالقرن الثاني قبل الميلاد (M. Euzennat, 1960, p. 534) أما المعسكر نفسه فيؤرخ بالقرن الثالث بعد الميلاد. وقد شجعت ملاحظة سيطيون الباحث طارادیل على إجراء مجموعة من الاستبارات للمراقبة ومحاولة تدقيق وتحقيق المعطيات الأثرية. أجريت هذه الاستبارات سنة 1958 وعددها ثلاثة يقدم نتائجها كالتالي : "سمحت لنا هذه الاستبارات بأن نبين كما افترضنا ذلك قبل، بأنه يوجد مستوى بالمعسكر سابق لما هو بارز على السطح. هكذا وجدنا بقايا بعض الجدران وبعض اللقى خاصة الفخارية المؤرخة بالقرن الثاني وبداية القرن الثالث بعد الميلاد. نتوفر إذن على أدلة تبين أن معسكر تامودا ينتمي إلى فترتين مختلفتين. الأولى أسست في إحدى الفترات غير المضبوطة من القرن الثاني، وبدون شك في بدايته. وإلى هذه الفترة ينتمي السور خاصة في حالته البدائية، وبروجه وزواياه، كما يظهر من خلال مميزات المعسكرات التي تنتمي إلى الامبراطورية العليا. أما الفترة الثانية، فهي تنتمي إلى القرن الثالث بعد الميلاد، ودام التعمير بها غاية القرن الرابع بعد الميلاد، ممثلة بالمستوى الأعلى من هذا المعسكر" (Tarradell, 1958, p. 379). ويشير الباحث فيما بعد إلى مجموعة من الفرشات الأثرية التي تتدرج ما بين القرن الأول والثاني بعد الميلاد إلى غاية انتهاء السيطرة الرومانية (Tarradell, 1966, n° 16, p. 440).

لقد بينت الحفريات خارج المعسكر، وبالضبط فوق المدينة الماقبل رومانية، على مجموعة من البنايات التي تنتمي للفترة الرومانية، بدون أن يتم تأريخ الفترات التي تنتمي إليها بدقة. لا يستبعد أن تكون مجموعة من المنازل (Canabae) قد أسست أو أقيمت بجوار المعسكر (Lenoir, 1980, p. 171). يضاف إلى هذا وجود حمامات بجوار الباب الجنوبية، وكذلك خزان للمياه بمركز المدينة (Tarradell, 1953, p. 31).

أما الحفريات التي أقيمت في المدينة الموريطانية، فقد مكنت من إظهار مجموعة من المقابر الرومانية، وبالضبط غربي الساحة المستطيلة للمدينة. أبانت هذه الحفريات عن جبانة ذات مستويين من المقابر (Tarradell, 1953, p. 32).

وفي سنة 1963، أجرت مصلحة الآثار تنقيبة دقيقة للموقع، مكنت من العثور على قطعتين نقديتين ذهبيتين وأخرى من البرونز، تؤرخ بفترة الامبراطور أونوريوس Honorius (N. El Khatib, 1964, p. 367) وآخر بحث أجري بالموقع قام به لونوار (Lenoir) وذلك سنة 1979 في إطار دراسة عامة، موضوعها "المؤسسات العسكرية بإفريقيا"، مكنته من جمع الكثير من الملاحظات حول معسكر تامودا (Lenoir, 1980, p. 169 - 176).

يمكن أن نستخلص من خلال هذه المعطيات الأثرية المتفرقة المشار إليها، أن مدينة تامودا هي مدينة بونية موريطانية، أسست خلال القرن الثاني قبل الميلاد. إلا أننا لا نتوفر على كثير من الأدلة الأثرية عن هذه الفترة، وذلك لأن مستويات هذه المدينة لم يتم التنقيب عنها. لقد تم تحطيم هذه المدينة خلال النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد بدون شك، خلال الحرب التي دارت بين العاهلين الموريطانيين بوغود وبوكوس حوالي 38 قبل الميلاد (Euzennat, 1976, p. 876) وقد تم إعادة بنائها بعد ذلك بقليل (Tarradell, 1966, p. 344).

فيما يخص هذه المدينة، تساءل Thouvenot حول تصميم مدينة تامودا العمراني المنظم إذ اقترح أن يقربه من تصميم المستعمرة الرومانية "بناصا"، وأن يدخل ذلك ضمن إنجازات "يوبا الثاني" في بداية حكمه (Thouvenot, 1950, p. 140).

لقد وقع تحطيم مدينة تامودا ثانية، وذلك حوالي الأربعينيات بعد الميلاد، خلال ثورة أيديمون الشهيرة، التي كانت كنتيجة لاغتيال الملك بطوليمي، وضم موريطانيا للامبراطورية الرومانية. وحسب بعض الإشارات الواردة في أحد أبحاث طارادیل (Tarradell, 1954, p. 237 - Tarradell (344، فأن انعدام اللقى الأثرية التي يمكن أن تؤرخ هذه الفترة تحمل الدليل القاطع عن التحطيم النهائي الذي عرفته المدينة خلال هذه الفترة. وهذا يعني انعدام التعمير أو الاستقرار خلال القرن الأول بعد الميلاد.

والتساؤل الذي يطرح هو : هل بعد تحطيم موقع تامودا كنتيجة لثورة أيدمون، استمر التعمير والاستقرار بهذا المركز ؟ إذا كانت المعلومات التي أوردها مختلف الباحثين الذين اهتموا بالموقع لم تشر إلى هذه الفترة، فإن دراسة مختلف اللقى الأثرية وخاصة الفخار المستورد (H. Limane, 1988, p. 560) قد حملت الدليل على الاستقرار بهذا الموقع وخاصة خلال النصف الثاني من القرن الأول بعد الميلاد. ويكمن هذا الدليل في وجود مجموعة لا بأس بها من الأواني الفخارية المستوردة والتي تؤرخ بهذه الفترة.

Pline, *Histoire naturelle*, V, 18 ; Ptolémée, *Géographie*, éd. Carl Muller, 4, 1, 3 ; Pomponius Mela, *Geographia*, éd. C. Frick, 3, 107 ; Besnier, *Géographie ancienne du Maroc*, *A.M.*, 1904 ; N. El Khatib.

L'archéologie marocaine de 1901 à 1964, *B.A.M.*, V, 1964 ; M. Euzennat, *Tamuda*, *The Princeton Encyclopedia of classical sites*, R. Stillwel éd., Princeton, 1976 ; *L'archéologie marocaine de 1958 à 1960*, *B.A.M.*, IV, 1960, p. 534 ; J. Gascou, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2, *Inscriptions latines*, Paris, 1982 ; M. Lenoir, *Les établissements militaires romains d'Afrique*, mémoire de l'Ecole Française de Rome, Rome, 1980 ; H. Limane, *Contribution à l'étude des sigillées d'importation en Maurétanie Tingitane des Ier et IIème siècles*, *Etude du matériel de Lixus, Banasa, Tamuda*, Thèse présentée à l'Université d'Aix-Marseille, 1988 ; J. Mazard, *Corpus Nomurum Numidiae Mauretaniaeque*, Paris, 1955 ; P. Cesar Moran et C. Gimenez Bernal, *Excavaciones en Tamuda, 1946*, Tétouan, 1948 ; P. Quintero, *Excavaciones en Tamuda*, 1943, p. 12 - 13 ; M. Tarradell, *Estado actual de nuestros conociomientos sobre Tamuda y resultados de la campaña, 1948*, *Archivo Español de Arqueologia*, 74, 1949, p. 86 - 100 ; *Guia arqueologia del Marruecos español*, Tétouan, 1953 ; *Datos sobre la guerra de los romanos contro Aedem*, *El primero congreso arqueologico del Marruecos español*, Tétouan, 22 - 23 Juin 1953, p. 237 - 244 ; *Tamuda* II, 1955, p. 90 ; *Excavaciones de Tamuda, 1949 - 1955* ; *Tamuda* IV, 1956 ; *Breves noticias sobre las excavaciones*, *Tamuda*, VI, 1958, p. 379 ; *Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc, région de Tétouan*, *B.A.M.*, VI, 1966 ; R. Thouvenot, *Promenade archéologique au Musée de Tétouan*, *R.E.A.*, LII, 1950, p. 140.

حسن ليمان

تامودا Tamuda، مجلة للأبحاث المغربية باللغتين الإسبانية والعربية، أحدثتها نيابة التربية والثقافة التابعة للإقامة العامة الإسبانية بتطوان في شهر يوليوز سنة 1953 حيث صدر العدد الأول منها، وكانت تصدر مرتين في السنة، فقد صدر العدد الثاني منها في دجنبر من نفس السنة، ثم صدر في السنوات الخمس التالية عشرة أعداد (المجموع اثنا عشر عدداً).

وابتداء من سنة 1959 توحدت مع مجلة هيسبريس *Hespéris* الرباطية فأصبحت المجلة المنبثقة عنهما تحمل اسم هيسبريس تمودا *(Hespéris Tamuda)*. وكانت هيأة تحرير مجلة تامودا مؤلفة من نائب التربية والثقافة كرئيس (من عدد 1 إلى 7) ثم خلفه نائب وزير المعارف بالشمال السيد محمد عزيمان الذي كان من قبل عضواً بهيأة التحرير، وأما الكاتب فكان هو مدير الخزانة العامة بتطوان، وتضم هيأة التحرير إسبانيين ومغاربة، منهم : عبد الله گنون ومحمد ابن تاويت التطواني.

وكان للمجلة ملحق أدبي يصدر مرتين في السنة تحت عنوان كتامة (Ketama).

Tamuda, Revista de investigacion Marroqui, Tetuan ; Ibn Azzuz Hakim, *La prensa del Norte de Marruecos*, Tetuan, 1956.

تامَوْرُوتْ، أهم قرية بقبيلة بني خالد الغمارية (إقليم شفشاون) يعقد فيها سوق كبير كل يوم خميس، سميت باسمها جماعة قروية. وقد لعبت هذه القرية دوراً مهماً في المقاومة المسلحة ضد الغزو العسكري الإسباني في عهد الحماية، ولم تسقط بيد الجيش الإسباني إلا يوم 27 غشت سنة 1926 واسترجعها المجاهدون يوم 7 شتنبر من نفس السنة، واستطاع الإسبان الاستيلاء عليها مرة ثانية بعد يومين. وقد قام المغاربة بعدة محاولات من أجل استرجاعها دون جدوى.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 108، 132، 133.

Comision historica, 40, 46, 95, 166 ; Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

تاموسيدا أو تموسيدا (Thamusida) موقع أثري، كان لشارل تيسو السبق في اكتشافه ومطابقته بضريح سيدي علي بن أحمد على الضفة اليسرى لنهر سبو مستنداً في ذلك على "مسلك أنطونان". وقد أعيد النظر في هذه المطابقة من طرف الباحث لكنه وقع في خطإ حيث خلط بين تاموسيگا التي يتحدث عنها بطليموس جنوب سلا (IV, 1, 2) والتي طابقها كل من ڤيڤيان دوسان مارتان وتيسو بالصويرة، وبين تاموسيدا التي توجد شمال سلا، إلا أن الباحث روني ريبفا عاد ليؤكد على المطابقة التي قام بها شارل تيسو ولكنه أضاف بأنه "لا يمكن أن نقرها بصفة نهائية إلا بعد أن تكشف الحفريات عن شهادة إپيغرافية تدعم ذلك (IAM, 2, p. 159).

توجد تاموسيدا على الضفة اليسرى لنهر سبو حيث تبعد عن القنيطرة بأحد عشر كلم وقد اقترن موقعها باسم ضريح يحتل إحدى القمم وهو ضريح سيدي علي بن أحمد.

وقد ورد ذكر تاموسيدا في النصوص القديمة تحت

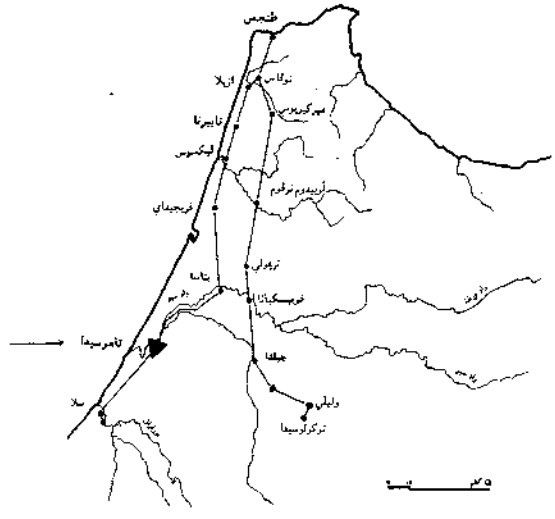

أشكال مختلفة، ففي مسلك أنطونان، 7 نقرا Thamusida وانها توجد على مسافة متساوية بين بناسا وسلا. أي 32 ميلا = 48 كلم تقريبا، (R. Roger, *Le Maroc*..., p. 40). وعند جغرافي راڤينا، نجد الأشكال التالية : Tamadisa, Thamasida وTamudisa.

فعند سرده لمدن الساحل الطنجي من الجنوب نحو الشمال (V,4) نجد شكل Tamusida.

وفي الفقرة (3.11) تيول في موريطانيا توجد عدة مدن سأذكر بعضها :

"... Tremulas, septem Fratres, Thamasida, Sala..."

أما الجغرافي بطليموسي (IV, 1, 7) فيوطنها بين خطي (34°, 15' و7°, 34')، يعني شمال شرق سلا وجنوب غرب بناسا، وقد حدد موقعها بالمقارنة مع إحداثيات باقي المدن. وكتبت عند بطليموس تاموسيدا بالحروف اللاتينية.

إذن هناك اختلاف بين الكتاب القدماء حول كتابة

اسم الموقع إلا أن الشكل Thamusida يبدو أكثر قبولاً خاصة وأننا نجد مدناً أخرى في شمال إفريقيا تقترب إليها في طريقة الكتابة مثل : Thamugadi وThamallula كما أنه يمكن تسجيل كثرة الأسماء التي تبتدئ بحرف Th. على المستوى الابيغرافي لا تتوفر على أي نص منقوش يزيل هذا اللبس في الكتابة، كل ما لدينا هو نقيشة مبتورة (IAM, 266) تحمل حروف [...]Th والتي رمّمها الباحث ريفا على أنها بقايا كلمة Th (amusida) إلا أنها تبقى فرضية فقط في انتظار إثبات إبيغرافي أكثر ضبطاً.

أما ما يخص تاريخ الحفريات بالموقع : فقد سبقت مراحل التنقيب، مرحلة تميزت بمحاولات للبحث عن الموقع انتهت سنة 1932 حيث عرفت تاموسيدا زيارة عدد من الباحثين في إطار مهمات مثل بعثة سنة 1913 تحت إشراف ضباط المصلحة الطبغرافية وهم Toutain, Fossard وVallassez، كما أرسلت بعثتان أُخريان سنة 1914، الأولى تحت إشراف المراقب المدني G. Rouger والثانية تحت إشراف Le Dautéc الذي قام بوضع أول تصميم للمدينة.

لقد اقتصرت الفترة الأولى على ملاحظات عامة كالتركيز على مطابقة ضريح سيدي علي بن أحمد بتاموسيدا والمطالبة بحماية الموقع من النهب وكذا وضع التصاميم الأولى التي استغلتها البعثات الأثرية اللاحقة. لكن الحفريات المنتظمة لم تبدأ بموقع تاموسيدا إلا سنة 1932 تحت إشراف A. Ruhlman وL. Chatelain وانتهت سنة 1935. ولحقتها حفريات ثانية ابتدأت مع سنة 1952 تحت إشراف R. Thouvenot وانتهت سنة 1955 M. Euzennat. أما المرحلة الثالثة والممتدة من 1959 إلى 1962 فقد كانت تحت إشراف المدرسة الفرنسية بروما وبقيادة كل من J.P. Callu, Euzennat وR. Rebuffat وJ.P. Morel، وشكلت نتائج هذه الحفريات المادة الخام لمؤلف هام حول هذه المدينة صدر في 3 مجلدات (Thamusida I, II, IH) تحت إشراف المدرسة الفرنسية بروما.

- أسفرت حفريات 1932 عن نتائج هامة حيث تم الكشف عن عدد من المباني منها المعبد المربع والمذبح والمنزل المعروف تحت اسم منزل L. Nigidius Albanus وفي سنة 1933 شرع البحث في الحي الشرقي حيث عثر على عدد من الغرف المقامة على طول الطريق الرئيسي (Decumanus Maximus).

وفي سنة 1962 تم الكشف عن المنزل المبلط Maison au dallage ومكنت الاستبارات من التعرف على الطريق الرئيسي، ووسعت حركة الاستبارات حيث رأت النور عدد من المعالم الأخرى كالحمامات التي أثارت فضول Le Dautec والمراقب المدني G. Rouger.

أما تنقيبات سنة 1952 فقد اتخذت كمنطلق لها تنقيبات سنة 1932 ووسعتها نحو الشرق أسفرت عن إثبات وجود حمامات كبيرة. أما بعثات المدرسة الفرنسية التي ركزت أيضاً على الحمامات خلال فترة 1961 - 1962 فقد اهتمت بالأماكن التي تم حفرها وقامت باستبارات أخرى فأسفرت النتائج عن العثور على مدخل كبير (Grand exherdre) ومجمع المياه (Grand egout collecteur). إن أهمية هذه الحمامات تكمن في كونها تعتبر من "أوسع حمامات المغرب القديم" حسب الباحث ترقنو (BCTM, 1959 - 60, p. 150) كما أنها تنفرد بخصوصيات أخرى على المستوى المعماري.

أهتمت الأبحاث ابتداء من سنة 1935 بالمعسكر وعملت على كشف تخومه الجنوبية والشرقية إلى جانب أبراجه وبعض الغرف المجاورة للبريطوار (Braetorium).

- ونظراً لأهمية الاستبارات، فقد ارتأت المدرسة الفرنسية القيام بمجموعة اختلفت من حيث أشكالها وأحجامها، نذكر على الخصوص Sondage en croix واستبار النهر لكن أهمها هو الاستبار على شكل V الذي أقيم سنة 1960 جنوب الحمامات، ومكن هذا الاستبار من اكتشاف أولى الأواني الكامبانية ومواد خزفية وبرونزية ونقود بالإضافة إلى بعض النقائش ساهمت في الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بالعلاقات في إطار التبعية لروما أو مع مدن موريطانيا الطنجية.

مكنت إحدى المستويات الأثرية أثناء البحث عن تاريخ المدينة من اطلاعنا على وجود سكن للأهالي لا يمكن أن يتجاوز القرن الثاني ق م. وقد اقتصر مجتمع تاموسيدا في هذه الفترة على المقايضة وعرف نوعاً من الانكماش وظل نشاط المدينة ضعيفاً إلى حدود إلحاق موريطانيا من طرف الامبراطور كلوديوس (القرن 1 م) ثم أصبحت مدينة بكل مقوماتها فيما بعد.

عرفت تاموسيدا كقاعدة عسكرية (Garnison) على الفرق كما تطلعنا أيضاً على الفرق التي كانت في حالة عبور فقط.

أما الجانب الديني فيبدو أقل حضوراً يظهر ذلك من خلال العدد القليل من النقائش التي عثر عليها فلا تتوفر سوى على نقيشتين مهداتين للآلهة، الأولى موجهة إلى الربة جونون (IAM, 2, 247) مؤرخة بالقرن 1 م والثانية عبارة عن صفيحة برونزية ذات طابع عسكري موجهة إلى جوستير الكابيتولي من طرف إحدى الفرق العسكرية التي تطلب حمايته.

يمكن القول إجمالاً بأن أهم مجموعة ابيغرافية هي تلك التي أفرزتها حفريات 1959 - 1962 والتي تم نشرها من طرف J. Marion, Euzennat في النشرة الأثرية المغربية لسنة 1960 ومن طرف Morel, J.P. Callu وRebuffat في مؤلف تاموسيدا I.

M. Euzennat, J. Marion, *Inscriptions antiques du Maroc, 2 - Inscriptions latines*, CNRS, Paris, 1982 ; M. Euzennat, Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire d'Antonin, *Hommages à A. Grenier*, II, p. 595 - 610 (partic. p. 598) ; Thamusida, *BAM*, IV, 1960, p. 544 - 550 ; J. Marion, Notes sur le peuplement de Thamusida à l'époque romaine, *Hespéris*, XXXVIII, 1950, p. 178-180 ; J.P. Callu, Remarques sur le trésor de Thamusida III, les Divo-Claudiens en Afrique, *MEFR*, LXXXVIX, 1974, p. 523-547 ; J.P. Callu, J. Marion, Rebuffat, *Thamusida I*, Paris, ed. de

Boccard, 1965 ; J. Marion, Briques estampillées, *BAM*, IV, 1960, p. 480 ; A. Ruhlman, A propos d'une plaquette à caractère militaire trouvé à Thamusida, *CRAI*, 1935, p. 67 - 78 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; Index de Topographie antique du Maroc, *PSAM*, 1938, p. 78 - 79 ; R. Rebuffat et autre, *Thamusida II*, ed. de Boccard, 1970 ; *Thamusida III*, ed. de Boccard, 1977 ; Les fouilles de Thamusida et leur contribution à l'histoire du Maroc, *BAM*, 1968 - 72, p. 51 - 65 ; Le batiment à barrages du quartier du fleuve à Thamusida, *BCTH*. N.S, 1965 - 66, p. 169 - 186 ; 4 ans de fouilles à Sidi Ali ben Ahmed, *MEFR*, LXXV, 1963, p. 67 - 78 ; R. Thouvenot, Rapport de 1950 - 1952, *BCTM*, 1959 - 90, p. 150.

بل الفايدة عبد العزيز، بنعبيد عطيل

تاموسيگا (Tamosiga)، مدينة على المحيط الأطلسي، لا نجد لها ذكراً إلا عند الجغرافي بطليموس، فهو يحدد موقعها حسب الإحداثيات التالية (°8 - °29 - '55) بين رأس هرقلس (Heraklés) (رأس الحديد) في الشمال ورأس أوساديون (°7 - '30 - °29 - '15) الذي يطابق رأس سيم في الجنوب.

يتفق الباحثون فيقيان دوسان مارتان وتيسّو وبسنيي (Besnier) على مطابقة موقع تاموسيگا لموگادور حيث تحيط بها الجزر وتشكل حصناً منيعا لها. إلا أن بسنيي ذهب إلى أبعد من ذلك حيث حاول أن يوطّن لموگادور كذلك مستعمرة جيطي (Gytté)، المستعمرة الثانية التي أسسها حانون جنوب رأس الشمس ـ رأس سوليس ـ (Cap Soleis ou Solis) وبالتالي ستكون جيطي مطابقة لموقع تاموسيگا حسب رأيه.

إن اللوائح الأسقفية حملت اسم أسقفية بهذه المدينة وإن كان مؤلف كتاب *أفريقيا النصرانية* لم يذكر شيئا عن هذه الأسقفية. ويبدو أن هذا المركز الأسقفي الذي وجد في وقت من الأوقات في مدينة موگادور هو من الاسقفيات التي كانت موجودة في افريقيا الرومانية والتي لم يرد اسمها عند المؤلفين القدامى ولا في وثائق المجامع الدينية (Conciles) وإن وردت فإنها ترد بتغييرات لحقتها من طرف الناسخين عند كتابة اسمائها، ويمكن أن يتصور أيضا أن أسماء تلك المواقع لحقتها تغييرات من طرف الكتاب الذين لَتَنُوها. وهكذا فإن البعض يقولون تاموسيگا (Tamusiga) وآخرون يقولون تاموزيگا (Tamuziga).

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc, A.M.* I, 1904, p. 342 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc, PSAM*, 1938, p. 76 - 77 ; *Mauritania Tingitana, Mauritania* n° 1, Mayo, 1928, p. 130 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 253.

عبد العزيز بل الفايدة

التامول، Le bouleau، يسمى خطأ عند المغاربة بالصفصاف (Le saule) نظراً لكونه يشبه الحور (Le peuplier) واسمه العلمي هو بتولا سلتاإيبيريكا Betula celtiberica، وهو ينتمي إلى فصيلة البتوليات.

إنه نوع شجري يشبه الحور الأبيض، جذعه أبيض اللون يتقشر اعتراضا وهو مشقق في أسفله. أغصانه لينة ومتهدلة شيئا ما. أوراقه ثلاثية الشكل مسننة مزغبة ولزجة في صغرها ومرطاء عند بلوغها. أزهاره الذكرية على شكل قدة متهدلة أسطوانية، يبلغ طولها من ثلاثة إلى ستة سنتم. أما القدة الأنثية فهي قصيرة، إذ لا يزيد طولها عن سنتيمترين.

لا يوجد التامول في إفريقيا إلا في المغرب حيث يعيش على ضفاف العيون والوديان الرطبة والباردة من المنطقة الوسطى من سلسلة جبال الريف، أي في البيومناخات الشديدة الرطوبة والرطبة الباردة والقارسة، في الطابقين فوق المتوسطي والجبلي المتوسطي. ولا يُصادَف إلا فوق أتربة غير كلسية.

إن الوجود الطبيعي للتامول و"جار الماء" (Alnus glutinosa) بالمغرب، حتى وإن كانا يشكلان حاليا باقات قليلة الانتشار بالريف الأوسط، دليل على أن هذين النوعين يمثلان بقايا التشكيلات النباتية التي كانت تسود هذه المنطقة في الحقب الباردة من العصر الرباعي، والمعلوم أنهما يكونان حاليا غابات جد شاسعة في أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية حتى الحدود القطبية الشمالية للأشجار.

تحتوي قشرة جذع التامول على دباغ ومادة راتينجية تعطيه لونا أبيض جميلا وتجعله مقاوما للتعفن، وغير منفذ للماء.

يتميز خشب التامول بمتانته وصلابته وتعريقه الدقيق المتموج، وحسن منظره وقابليته الفائقة للتلميع.

وتتمثل استعمالات خشب التامول في البلدان التي يكثر بها، في صناعة البلاكاج والصناديق والمقابض وقوالب الأحذية وصناعة الزوارق وأدوات الزينة، كما يستعمل كرقود للتقطير.

والجدير بالذكر أن التامول كان يعتبر في القرنين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17 م) من النباتات الطبية الرئيسية في أوروبا وأمريكا وآسيا.

أبحاث شخصية : أ. هبل، *النبات الاقتصادي*، 1962، تر. د. ع. زاهر وآخرون، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

تَـامَـيْـسِينْ، موقع دافق المياه في قبيلة بني توزين بين ميضار الأعلى وتافرسيت على بعد حوالي 80 كلم غرب مدينة الناظور. تحيط به جبال تعرف بالكُدى الحمراء "تيوْرِينْ تيزواغينْ"، اشتهرت تاميسين بمعركة حامية بين قوات المجاهدين والجيش الاسباني أيام عبد الكريم الخطابي، يطلق عليها الأهالي معركة "الكدى الحمراء"، وذلك يوم عاشوراء 1342 / 23 غشت 1923 م، في الزحف الثاني لجيش الاحتلال الاسباني.

استشهد في هذه المعركة عدد من المجاهدين، منهم القائد حمو بن محمد بن قدور، قائد المجاهدين الملكف بإدارة مركز اغبال الذي يبعد بحوالي ثلاثة كيلومترات من هذا الموقع، والمجاهد أبْضارس بن علال بن الظاهر، وهما من أبناء عمومة الصوفي العالم الحاج مَحمد التوزاني

والمجاهد قُطاط بن يزْمار من قرية إباذَعَنْ المجاورة.

ويقع بالقرب من تاميسين مركز حربي آخر يعرف بأزرو، احتله الاسبان يوم 5 / 8 / 1920، اشتهر بمعركة أخرى فاصلة تعرف في الأدبيات الاسبانية بمعركة "أزرو" وذلك يوم 22 يوليوز 1921 بعد سقوط مركز "أنوال" مباشرة. وفي اليوم التالي 23 يوليوز، انتهت المعركة باحتلال المركز المذكور من قبل المجاهدين والقضاء على حاميته المكونة من ستة وثمانين رجلا.

روايات شهود عيان ؛ مقال عن العالم التوزاني في المعلمة ؛ ريائد وزارة الدفاع الاسبانية ؛ م. ابن عزوز حكيم، معارك الثورة الريفية ؛ معركة أنوال ؛ معاينة ميدانية.

عبد الله عاصم

التأمين، عقدة بين المؤمِّن والمؤمَّن له يتعهد فيها المؤمِّن بتعويض ما قد يتعرض له المؤمَّن له هو نفسه أو جهة ثالثة تذكرها العقدة من الخسارة أو العجز بشرط أن يؤدي المؤمَّن له قسطا من المال معينا للمؤمِّن الذي تتوازن لديه أسباب الربح والخسارة بناء على حساب الاحتمالات بتعدد هذا النوع من التعاقد. ولئن كانت ظاهرة الاحتياط من الآفات قديمة فإن أساليب التأمين العصري انبثقت عن انتشار الاقتصاد النقدي في العصر الحديث وتكاثر المعاملات التجارية والصناعات الثقيلة وكثافة الرواج والتنقل وتضخم المدن وتفاقم الأخطار والأضرار الاجتماعية حيث بات من الضروري أن ترصد بعض الأموال لمواجهة كل الأعراض، ولذلك يعتبر التأمين تقنية من تقنيات الاقتصاد الراسمالي العصري، ولقد دخلت المغرب بعد انفتاحه على السوق العالمية بقوة الاستعمار، ودليل حداثة العهد بها في البلاد دخولها أول الأمر بأسمائها الأوربية إذ ورد ذكرها سواء لدى التجار أو الفقهاء أو في العهد الأول من الصحافة العربية بالمغرب، بل وحتى في بعض النصوص القانونية بالمصطلح الإسباني "السيگورطا" (Seguridad) أو بالمصطلح الفرنسي "لا سورانس" (Assurance) مع ترجمتها تارة "بالضمان" وتارة أخرى "بالتأمين" إلى أن تغلب لفظ التأمين بعد الاستقلال في النصوص المكتوبة على الأقل، أما في اللغة الدارجة فمازال لفظ "لاسورانس" هو الذي يتبادر على الألسن...

ويمكن الاستدلال على كونها دخيلة على المجتمع المغربي من جهة أخرى بما قام حولها من الجدل في العشرينات والثلاثينات في البلدان الإسلامية بين مؤيد للتأمين على أنه من ضرورات التكافل الاجتماعي ومناوئ له على أنه ضرب من المخاطرة ورجم بالغيب. وكان الفقيه محمد بن الحسن الحجوي قد استفتي في الموضوع سنة 1936 من قبل تاجرين من الدار البيضاء جاء في سؤالهما: "المرجو منكم جوابكم الشافي بالنصوص الواردة في مسألة "السگرته" (الضمان)"، فأجاب قائلا : "لم أقف على ما يمنع ذلك كتاباً ولا سنة ولا إجماعا ولا قياسا ولا اجتهادا وإني قد عالجت التجارة وحلبت أشطرها مدة ليست يسيرة ووقفت على حاجة التجارة للمعاملة على الضمان بل ضرورتها في الوقت الحاضر للسكورتاة (لاصورانس)". ولعل هذا الجدل هو ما دعى الإمامة المغربية إلى تفويض أمر التشريع للتأمين البري للصدر الأعظم إذ صدرت النصوص في هذا المضمار سواء القانوني منها أو التطبيقي بصيغة القرار الوزيري وليس بصيغة الظهير.

ومن علامات حداثة العهد بالتأمين في المغرب أيضاً أن أول ما تأسس من شركات التأمين على ترابه كان مجرد وكالات تنوب عن بعض الشركات الأوربية مع تخصص معظمها في التأمين البحري مثلا "لا إسبانيولا" (La Española) المنشأة سنة 1879 وهي إسبانية، ولا سانترال (La Centrale) ولا ريباراسيون (La Réparation) المنشأتين سنة 1883 مع تأمين هذه الأخيرة للحريق وكلاهما من فرنسا، ولا كالبيان (The Calpean) المنشأة سنة 1887 وهي أنجليزية ومانهايم (Manheim) المنشأة سنة 1886 ولويدس ألمان (Lloyds Aleman) المنشأة سنة 1893 وهما من ألمانيا.

أما أول شركة مغربية للتأمين مما كان مركزها الاجتماعي في المغرب وبالضبط في مدينة طنجة فإنها لم تؤسس إلا سنة 1916 تحت اسم "المغرب"، لكن سرعان ما تم حلها مع انتهاء الحرب العالمية الأولى، وظل التأمين في المغرب موقوفا على الشركات الأجنبية إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية وانقطعت سبل التواصل مع أوربا فعندئذ تكاثرت الشركات القائمة على التشريع المغربي للتأمين وإن أقيم جلها على الرسمال الأجنبي باستثناء "الشركة الملكية المغربية للتأمين" المنشأة سنة 1950 من أموال مغربية صرفة، بحيث عندما استرجع المغرب استقلاله سنة 1956 كان عدد شركات التأمين لا يقل عن 230 شركة جلها في الأيادي الأجنبية، ولذلك تدخلت الدولة لتقليص هذا العدد الذي كان لا يطيقه السوق المغربي، كما تدخلت لفسح مجال التأمين أمام المغاربة فجعلت حداً أدنى للضمانة الواجبة على شركات التأمين، فتقلص عدد الشركات إلى أربع وخمسين في الستينات، ثم لما صدر قانون الاستثمار سنة 1973 بقصد مغربة المقاولات والمؤسسات الاقتصادية الخصوصية، انتقل قطاع التأمين برمته إلى أيادٍ مغربية وانحصر عدد الشركات فكان لا يتجاوز ثلاثا وعشرين شركة في طليعة التسعينات.

ومع أن التأمين دخيل على البلاد، فإن التشريع المغربي لم يتأخر عن باقي المعمور في هذا الشأن إذ أن أول قانون متكامل للتأمين وضع في بلجيكا سنة 1908، وأول من سبق إلى التشريع في التأمين البري من البلدان الإسلامية دولة تركيا وكان ذلك سنة 1926، أما المغرب فإنه شرّع أول الأمر للتأمين البحري بظهير 31 مارس 1919 الذي كان بمثابة مدونة للمبادلات والنقل عبر البحار، كما شرّع لتأمين العمال من آفات الشغل في المصانع وذلك بظهير صدر في تاريخ 25 يونيه 1927، ثم كان التفويض للصدر الأعظم

بالتشريع للتأمين البري فصدر القرار الوزيري بتاريخ 28 نونبر 1934 وكاد يكون نسخة شبه حرفية للقانون الفرنسي بشأن التأمين البري الصادر بتاريخ 13 يوليوز 1930. وبعد هذا القرار الوزيري صدر ظهير 8 يوليوز 1937 المتعلق بأداء المصارف والتعويضات المستوجبة بعد وقوع حوادث السيارات مع تحديد المسؤولية المدنية وأدوار المؤمن إزاء المتضررين وكيفية التعويض ومداه، ثم كان القرار الوزيري ليوم 6 شتنبر 1941 وهو من الأهمية بمكان لأنه فرض مراقبة الدولة على مؤسسات التأمين وإعادة التأمين وتكوين الرسمال مع إقرار إجبارية تأمين المسؤولية المدنية الناتجة عن استعمال العربات ذات المحرك، وكان المغرب بذلك من أول من سبق من الدول إلى إقرار إجبارية التأمين في هذا الميدان وتعزز هذا النص بقرار وزيري آخر بتاريخ 20 مارس 1942 بشأن كيفية التعاقد في التأمين البري. وحرصاً على المسؤولية المدنية وحتى لا تضيع حقوق المتضررين، أحدثت الدولة صندوق مال الضمان للتعويض عن حوادث السيارات وذلك بظهير 22 فبراير 1955 ليتم تعويض المتضررين من الحوادث لدى استحالة التعرف على مرتكب الحادثة أو عدم توفر المرتكب لها على التأمين اللازم.

ولقد ازدادت هذه القوانين تعمقا وتدقيقا غداة الاستقلال حيث اشتدت مراقبة وزارة المالية على قطاع التأمين بكامله فوضعت أساليب محصورة للتعاقد ألزم المؤمِّنون بأن يسيروا على نهجها (قرار وزيري ليوم 25 يناير 1965) ووضعت شروط نموذجية لعقد تأمين المسؤولية المدنية في حوادث السير وتعزز جانب التأمين الإجباري للسيارات بظهير 20 أكتوبر 1969، كما صدرت عدة قوانين بشأن كيفية إصدار شهادات التأمين الإجباري ألغي بعضها بعضا بقصد التصحيح ومواكبة تطور تقنيات التأمين في باقي العالم، وكان من أهم هذه القوانين ظهير 9 أكتوبر 1977 والقرار الوزيري ليوم 21 دجنبر 1977 المتعلقان بكيفية عرض عمليات التأمين وإعادة التأمين وتأسيس رأس المال ومزاولة وظيفة الوسيط في التأمين، وأيضا الظهير بمثابة قانون ليوم 2 أكتوبر 1984 المتعلق بطرق تعويض ضحايا الحوادث الناجمة عن العربات ذات المحرك.

وجدير بالذكر من جهة أخرى أن المغرب وافق بظهير 8 دجنبر 1959 على اتفاقية جنيف بتاريخ 19 شتنبر 1949 حول السير الدولي مما اضطره إلى إصدار قرار وزيري بتاريخ 21 أكتوبر 1969 المتعلق بتأمين الحدود وهو التأمين الخاص بالسيارات الأجنبية التي تجتاز حدود البلاد دون أن تكون حاصلة سلفاً على التأمين المعمول به في المغرب، كما وافق أيضا على أوفاق لندن لسنة 1952 التي وضعت بمقتضاها البطاقة الخضراء وهي بطاقة للتأمين الدولي وأدخل ذلك في التشريع المغربي بظهير 20 أكتوبر 1969 وتبنى المغرب كذلك البطاقة البرتقالية وهي بطاقة التأمين بين الدول الغربية وذلك بظهير 19 شتنبر 1977.

وغني عن البيان أن الأخطار التي يتعرض لها الإنسان في المجتمع العصري لا تقف عند أحداث السير ولذلك يميز الفقهاء في التأمين بين الأخطار الشخصية وأخطار الممتلكات وأخطار المسؤولية. والشخصي من الأخطار هو ما يقع للإنسان منها مباشرة في حياته أو صحته أو سلامة أعضائه مثل الحوادث الشخصية أو المرض أو البطالة أو الشيخوخة أو الوفاة، وأخطار الممتلكات ما تتعرض له ممتلكات الإنسان من الحريق أو السرقة أو الضياع أو الهلاك إن كانت الممتلكات ماشية مثلا، أما أخطار المسؤولية المدنية فما يصيب الغير في شخصه أو ممتلكاته ويكون المسؤول عنها أمام المحاكم الشخص الذي تسبب فيها بشكل من الأشكال، من ذلك المسؤولية المدنية الناجمة عن حوادث السير وأسباب النقل العمومي أو عن امتلاك مصنع أو متجر أو قاعة للعروض المسرحية أو السينمائية وكذلك المسؤولية المدنية الناجمة عن ممارسة بعض المهن كالطب والصيدلة والبيطرة والهندسة التي قد يترتب عليها أخطاء تؤدي إلى آفات جسدية أو خسارات مادية للغير، مما يبدي تشعب التأمين العصري ويثبت التحامه بأدق أسباب الحياة في المجتمع لدرجة أنه تطور إلى نوع من الادخار الصارخ في شكل التأمين على الحياة الذي يكاد لا يختلف في بعض جوانبه عن صندوق للتقاعد، ولذلك فإن للتأمين أدواراً متميزة منها ما هو قانوني ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو اقتصادي مالي.

أما الأدوار القانونية فإنها تترتب على المسؤولية المدنية من جهة وتتصل من جهة أخرى بمدونة العقود والالتزامات مما يدخل في نطاق القضاء والمحاكم. وأما الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والمالية فدليلها رعاية الدولة للتأمين ومراقبتها لأسباب ممارسته وذلك بواسطة إدارة متخصصة في هذه الأمور داخل وزارة المالية تدعى إدارة التأمين والوقاية الاجتماعية (مرسوم 22 نونبر 1978) التي لها ثلاث مهام، أولها صيانة مصالح المؤمَّن لهم والأغيار المستحقين من عقد التأمين، وثانيها صيانة المصالح المالية للبلاد بالحرص على قدرة شركات التأمين وإعادة التأمين في الأداء وتدعيم هذا النوع من الادخار وتوجيهه، وثالثها تقوية السوق الوطنية للتأمين على أمل أن تنفتح على السوق العالمية ويتعزز بذلك الرسمال الوطني وأسباب الاستثمار في البلاد، وتستعين الإدارة المذكورة نهوضاً بأعبائها باللجنة الاستشارية للتأمينات الخصوصية المحدثة بمقتضى الفصل 15 من القرار الوزيري ليوم 6 شتنبر 1941 وتتركب من وزير المالية أو نائبه ووزير الأشغال العمومية أو نائبه وممثلين عن شركات التأمين وتؤدي هذه اللجنة وظائفها بواسطة عشر لجان تقنية متخصصة في مختلف جوانب التأمين وهي لجان الإدارة والتنظيم ثم إعادة التأمين ثم السيارات ثم حوادث الشغل ثم النقل البحري ثم الطيران ثم البناء في حدود عشر سنوات ثم الحريق ثم الحياة وأخيراً لجنة الأخطار المختلفة.

وإلى جانب هذه اللجنة هناك الفيدرالية المغربية

لشركات التأمين وإعادة التأمين أقامتها شركات التأمين وإعادة التأمين العاملة في المغرب حماية لمصالحها وصونا لسمعتها في سوق التأمين وهي تعمل كذلك بواسطة عدة لجان متخصصة هي لجان الحريق فالأخطار التقنية فحوادث الشغل فمختلف الآفات فتأمين الأشخاص فالنقل فالطيران فالسيارات فالدراسات القانونية والجبائية، ولجنة أخيرة للإحصاء والإعلاميات، وأهم ما شغل بال الجميع التأكد من كفالة شركات التأمين المالية ومن قدرتها في كل وقت وحين على تعويض المستحقين، ولهذه الغاية فإن شركات التأمين ملزمة بأن يكون لها رصيد من الأموال في الاحتياط ويكون هذا الاحتياطي من الأموال على وجوه تقنية يميز بينها القانون فمنها ما هو رصيد الضمان الذي هو القاعدة الأولى لإقامة شركة للتأمين ومنها ما يدعى بالاحتياطي التقني ومنها الاحتياطي الحسابي ومنها الاحتياطي لما بقي بذمة المؤمَّن من التعويض والاحتياطي للآفات الجارية، ثم من هذا الاحتياطي ما هو معمم على جميع أنواع التأمين ومنها ما هو خاص ببعضها فقط، فالاحتياطي الحسابي مثلا خاص بالتأمين على الحياة وبحوادث الشغل وذلك لاعتماده حساب المحتملات وجداول الحياة التي تمكن المؤمِّن من تحديد قيمة أقساط التأمين بكل دقة كما تمكنه من أن يتوقع عدد الوفيات في سنين معينة على الإجمال بأتم وجوه المقاربة، ولذلك حرص المشرع على أن لا يرخي العنان للشركات في هذا المضمار فقيدها بهذا النوع من الاحتياط المالي.

على أن للمجتمع فائدة أخرى من حصر هذه الأموال في احتياطي الشركات وذلك لأن هذه الأموال وسيلة من وسائل الادخار الوطني فلا يمكن الاستخفاف بها لا في الدول الراقية ولا بالأحرى في الدول النامية التي تعوزها الأموال القابلة للاستثمار وبناء على ذلك فإن الأموال المرصدة للتأمين تعتبر مؤشراً من مؤشرات النمو العام، فعلى سبيل المثال لقد صرف الياباني والسويسري سنة 1988، 2320 دولاراً في التأمين وصرف الأمريكي في الولايات المتحدة 1751 دولاراً والفرنسي 933 دولاراً بينما لم يصرف المغربي من ذلك سوى 17 دولاراً، وهذا دليل على البون في النمو من خلال كثافة التأمين، ومع ذلك فإن السوق المغربية للتأمين لا تفتأ تتقدم ويقدر أنها نمت في الثمانينات بنسبة 15٪ سنويا مع تقدم مطرد في الاحتياطي التقني الذي ارتفع من 5.93 مليون درهم سنة 1983 إلى 11.345 مليون درهم سنة 1988، وهذه الأموال مما يغذي حركة الاستثمار في البلاد إذ تساهم شركات التأمين بإيعاز من الدولة إما في الاستثمارات العقارية وإما في سندات الخزينة العمومية وإما في الأسهم المعروضة في البرصة. ولكن السوق المغربي يبقى مع ذلك معرضا لسوء التوازن من جراء كثرة حوادث الشغل والسير وتعويضات الضمان الاجتماعي التي تزداد تفاقماً لما يشتد من آفاتها في ساكنة متواضعة الدخل فقيرة. وهكذا ليس التأمين مجرد مقياس للنمو فحسب وإنما هو أداة من أدواته بما يستثمر من الأموال المذخرة في صناديقه في القطاعات التي تحظى بالأسبقية.

الجريدة الرسمية المغربية ؛ عبد العزيز فهمي هيكل، *مقدمة في التأمين*، دار النهضة العربية، بيروت، 1980 ؛ إدريس الضحاك، *التأمين الاجباري للسيارات*، الطبعة الثانية، الرباط، 1989 ؛ سعيد بن سعيد العلوي، *الاجتهاد والتحديث : دراسة في أصول الفكر السلفي في المغرب*، منشورات مركز دراسات العالم الاسلامي، 1992.

Z. Nasri, *Le droit de l'assurance au Maroc*, Rabat, 1984 ; *Annuaire des assurances du Maroc*, 1991, Casablanca, 1992.

إبراهيم بوطالب

تَاناسة، أسرة أصلها من الأندلس، كانت بتطوان وانقرضت سنة 1144 / 1732، وهي غير أسرة تُناسة.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 212.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

تَانَانْتْ، موقع بدائرة أبزُو إقليم أزيلال، يقع بالسفوح الشمالية للأطلس الكبير الأوسط، وتستقر به جماعة قروية تنتشر فوق منخفض واسع يمتد بين سفوح الجبال المتوسطة للأطلس الكبير ومتون مقدمة الأطلس، تشرف على الحوز الشرقي وسهل السراغنة. يتميز المنخفض بتوالي طبقات كلسية نافذة بالأعلى وطبقات غير منفذة من الحُت الجوراسي والطفل بالأسفل مما ساعد على ظهور عيون خاصة عند الحافات المشرفة على الوديان والمسيلات، تبلغ مساحة الجماعة 267 كلم^2 لكنها نقصت بعد تعديل إداري جديد سنة 1992 أدى إلى تكوين جماعة جديدة : أيت تاگلة التي كانت مشيخة بهذه الجماعة بعد ضم أراضي مشيخات أخرى لجماعات مجاورة.

ينتمي السكان إلى قبيلة هنتيفة إحدى قبائل اتحادية هسكورة الظل. وقد كانت مكونة منذ أيام الموحدين لكن ما عرفته المنطقة من أحداث صعبة وتوالي فترات رخاء ومجاعة وما ترتب عنهما من حركات توافد ونزوح أدى إلى اختلاط سكاني واللهجة البربرية المستعملة خليط من تاشلحيت وتامزيغت. وينعكس الاختلاط البشري على توزيع الأراضي والأنشطة، فالسكان القدامى يمتلكون الأراضي الزراعية وخاصة الرساتيق المروية بينما يحترف الوافدون الجدد تربية المواشي وأنشطة غير فلاحية.

ويواجه النشاط الفلاحي ظروفاً طبيعية صعبة تتمثل في فقر التربة الزراعية التي توجد على شكل رقع رقيقة بقعور الأحواض واستفحال الجفاف مما أدى إلى تدهور البيئة وتقلص المساحات الغابوية المتبقية على السفوح الوعرة والأراضي المحجرة. ويطرح الماء مشكلا حاداً، فالأمطار قليلة وغير منتظمة 250. 400 ملم / سنة. وباستفحال ظاهرة الجفاف خلال عقد الثمانينات جف الكثير من العيون والآبار القديمة بالكثير من الأحواض فتحول كثير من البساتين إلى

أراض بورية جرداء، كما تناقص عدد قطعان المواشي كثيراً. ويمارس السكان زراعة بورية خفيفة للحبوب وزراعة أشجار اللوز البوري وفي بعض المنخفضات، خاصة منخفض تيرست بجوار مركز تانانت، حيث توجد تربة أغنى وفرشات محلية صغيرة ظهرت ضيعات صغيرة تهتم بزراعة القمح والخضر والأشجار المثمرة، خاصة اللوز والتفاح الذي عرف توسعاً كبيراً في السنوات الأخيرة، كما تربى بعض الأبقار الحلوب المستوردة والمهجنة، ومازالت تربية الأغنام والماعز تكتسي أهمية كبيرة إذ تقدم السفوح والأراضي الكلسية المحجرة والأحراج مراعي واسعة. وهناك تباين كبير في ملكية الأرض، فحوالي 35٪ من القرويين لا يملكون أرضاً، مما يوجههم لتربية المواشي الصغيرة وزراعة مشارات بالمشاركة ويدفع هذا الوضع الكثير من الشباب إلى الهجرة، وهذا ما جعل عدد سكان الجماعة ثابتا بين إحصائي 1971 و1982 إذ بلغ خلال الإحصاءين على التوالي: 13.617 نسمة و13.629 نسمة. يتوزعون في خمس عشرة قرية منها عدد من القرى الكبيرة مثل بوحوزان 2.789 ن وتانانت بلغت الكثافة بها 51 ن / كلم² لكن السكان يتجمعون فوق جزء ضئيل من المجال : المناطق المستوية المروية بحواشي الخافات وضفاف الوديان وقعور الأحواض.

لقد اعتاد الشباب على الهجرة منذ عهد الحماية حيث هاجر بعضهم إلى العمل بفرنسا كما تجند الكثيرون بالجيش الفرنسي "الگوم"، ويوجد اليوم بالجماعات مآت المتقاعدين العسكريين، وما زال هذا التقليد مستمراً إذ يعمل الكثير من الرجال كجنود بالجيش وكعمال أو موظفين وأصحاب خدمات بالمدن الكبرى. ومع أن الكثير من المهاجرين لا يرجعون للاستقرار الدائم بقراهم فإنهم يرسلون أموالا إلى ذويهم مما جعل آباءهم يهملون زراعة المشارات الضعيفة المردودية. ويستثمر بعضهم أموالهم في إنشاء ضيعات خاصة بمنخفض تانانت حيث حفر أربعة عشر بئراً بمضخة وغرست الأشجار مما قلص مجال الرعي، وترتب عن هذا تفكك الهياكل القبلية وضعف التآزر العائلي ونمو مسلسل التمدين الاجتماعي المتمثل في تطور السكن بظهور منازل مبنية بالإسمنت وسكن متشتت ومراكز قروية جديدة بجانب طرق المواصلات المعبدة.

أنشأت سلطات الحماية مركز تانانت سنة 1916 كقاعدة عسكرية إدارية لمراقبة السكان والطرق، كان السكان المحليون يعرفونه باسم القشلة، وذلك بمنفسح غابوي كان يصنع به الفحم الخشبي غير بعيد عن قرية تعرف بنفس الاسم كانت في فترة ما مركزاً لقائد نتيفة. ويفسر السكان لفظ تانانت بمعنى الغابة أو منفسح غابوي. وكانت في المركز ثكنة لجنود الگوم وبه أيضاً ضابط عسكري فرنسي أيام الاستعمار للشؤون الأهلية ومطار عسكري صغير وسكن الجنود وبعض الموظفين.

يشرف المركز من موضعه الهضبي المرتفع على أحواض منخفضة وملتقى طرق مهمة ولا يبعد عن الواد الأخضر إلا ببضعة كيلومترات. واستفاد المركز مبكراً من تجهيزات إدارية كمقر القائد ومنازل الموظفين مازال بعضها محافظا على سقفه المزدوج الميل المصنوع من الآجر الأحمر ومدرسة ومستوصف ومركز بريدي ومحطة لبيع البنزين... وأقيم به مؤخراً مركز فلاحي ومركز الجماعة القروية كما زود منذ عدة عقود بالماء الشروب جلب من بئر عميقة مجهزة ببرج مياه وبالكهرباء وارتبط بطرق معبدة بدمنات وابزو وأزيلال، وأخيراً سد أيت شواريت "الحسن الثاني" الذي يبعد عنه باثنين وعشرين كلم.

وحافظ المركز على أهميته الإدارية في عهد الاستقلال لكن دون أن يكتسب أهمية تجارية، فمازالت دكاكين سويقته قليلة (20 دكانا) لا يفتح معظمها سوى يوم السوق، وربما يرجع هذا إلى قربه من مراكز مهمة عديدة كدمنات وفم الجمعة ومركز أيت ماجطن. وينعقد به سوق أسبوعي يوم الأربعاء نقل من مكانه القديم مؤخراً من سافلة المركز حيث أنشئت تجزئة سكنية إلى موضع بعاليته لا يتوفر على أي تجهيز فمازال السوق ينعقد فوق مساحة فارغة بها أكواخ بسيطة وتقام بها خيام يوم السوق.

بلغ عدد سكان المركز 1.055 نسمة (1982) منهم حوالي 120 موظفاً، لكن المنازل مازالت قليلة يتجمع جلها بجانب الطريق الثانوي المعبد الذي يكوِّن ثنية حادة صاعدة بالإضافة إلى مقهى ومحطة بنزين ومنشآت إدارية ودكاكين تجارية ومهن مما يعطي للمركز منظرا حضرياً. وكثير من الموظفين والتجار وأصحاب المهن يسكنون بدواوير مجاورة وبمنازل مشتتة بين المركز والدواوير على طول الطرق والمسالك، ويبدو أن المركز يعاني أزمة سكن مما دفع المسؤولين إلى تجهيز تجزئة سكنية بنيت بها منازل على الطراز المعماري الحضري، لكن معظمها في ملك المهاجرين وبعض الموظفين، كما أنشأ البعض سكنا وسط ضيعات صغيرة حديثة بجوار المركز.

بحث ميداني : معلومات من المرشد الفلاحي بتانانت ؛ بحوث طلبة السنة الرابعة في الجغرافية، كلية الآداب، مراكش.

أحمد هوزالي

* * ترجع بداية ذكر تانانت في التاريخ إلى القرن الثاني عشر (18 م)، حيث غدت مركزاً صوفياً وعلمياً على أيدي بعض الأعلام الذين تتلمذوا على الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي منهم إبراهيم أشخر السوسي المتوفى سنة 1147 / 1735 (*الدرة الجليلة*، 266)، وإبراهيم الزينبي الذي لم يغادرها إلا تحت وطأة المجاعة التي ضربت المنطقة في السنة المذكورة (*الدرة الجليلة*، 267)، والعالم محمد بن أبي القاسم الهوزالي المتوفى بالوباء الواقع في تلك الجهات سنة 1155 / 1642 (*الدرة الجليلة*، 270). وربما تأسست في تانانت زاوية تابعة للناصريين، ومحطة في طريقهم بين دمنات وباقي المراكز الصوفية الناصرية بكل من فم الجمعة وبزو وتاعزيت، قبل مواصلة الطريق نحو شمال البلاد.

وظلت تانانت منزلة في الطريق السلطانية المارة عبر

دمنات نحو تادلا. فقد نزل بها السلطان مولاي الحسن في نهاية سنة 1304 / 1887، وخيم بتيرست أطار، حيث استمع إلى شكاوي أعيان قبيلة أيت ماجطن، حول اعتداء هنتيفة الساكنين بتانانت عليهم، الشيء الذي جعله يصدر ظهيرا يقطع بمقتضاه البلدة المذكورة لأيت ماجطن (*المجتمع المغربي*، 132). ولعل في هذا العهد أصبحت تانانت مركزاً لقيادة عائلة أُشطو.

وبعد توقيع الحماية توقف بها الاگلاوي أثناء حركته الكبرى على المنطقة. وبها قدمت عليه أيضا وفود القبائل التي تم تطويعها (*المجتمع المغربي*، 610). ومن ثم صارت تانانت مركزاً لقيادة المنطقة، فتم نقل مقرها، تحت تأثير العامل الأمني، إلى المركز الحالي الموجود شرقي الموقع القديم ـ حيث منزل القائد أو شطو ـ بسبب إشراف الموقع الجديد على كل المنطقة تقريبا. وأسند النظر في أمورها إلى ضابط للشؤون الأهلية، تابع لمنطقة أزيلال العسكرية (*Répertoire*, 750).

كانت قرية تانانت المقام الذي مكث به "إميل لاووست"، حيث جمع معظم مادة كتابه *كلمات وأشياء بربرية (Mots et choses berbères)*، في السنوات الأولى للحماية (*المجتمع المغربي*، 38). وصنفت تانانت حسب إحصاء 1936 كقصر معظم سكانه من اليهود. ولعل المقصود هنا هو قصر تانانت القديمة. وماتزال تانانت إلى يومنا هذا تتكون من مركزين : النواة القديمة الكائنة في الغرب، والمركز الإداري الجديد، الواقع عند ملتقى الطرق، وهو الذي تم تأسيسه من طرف الفرنسيين لإدارة المنطقة (*Répertoire*, 467).

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي*.

Répertoire.

أحمد عمالك

تَانْتَايَشْ، قرية مندثرة تحدثت المصادر البرتغالية عن غزوها ووجودها بحوز القصر الكبير بين مجرى واد اللكوس وواد وارُورْ، وذلك خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، وآنذاك كانت تانتايش قرية آهلة وواقعة بالجانب الشرقي من حوز القصر، بجوار كدية عالية، تدعى اليوم سيدي أحمد الحَداجَل (165 م)، مشرفة على واد وارُور، عند أول انحرافه نحو الغرب، مما يقابل أولاد الطليگ من جهة وأولاد الحارثي من ناحية أخرى. تعرضت القرية للغزو البرتغالي بتعاون بين جنود كل من أصيلا وطنجة خلال سنة 921 / 1515، وبمساعدة من المتنصرين : الفكّاك و"گُنْزالو دي ڤاز والگرفطي وپيرو دي منيسس العروسي"، فتم أسر خمسة وخمسين ساكناً وجمع أكثر من ألف رأس بقر، مما حث أحمد بن طلحة العروسي قائد القصر الكبير (1511 ـ 1530) وأمين الغرناطي (1510 ـ 1516)، قائد العرائش لتنظيم غارة على أصيلا في محاولة للحصول على الأسرى البرتغاليين لاستبدالهم بأسرى القرية.

ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، 2 : 433.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 1 : 139 - 141 - 145 - 341 ; Damiao de Gois, *Cronica de Rei D. Manuel*, 2 : 10.

تَانْدَافِل أو تندافل، قرية مازالت محتفظة بنفس الاسم والموضع منذ أن عرّفنا بها صاحب حوليات أصيلا البرتغالي برْنارْدو رُودْريكسْ في بداية القرن العاشر (16 م)، حينما كانت القريةَ ضمن ما كان يدعى بحوز أصيلا. والقرية واقعة جنوب أصيلا ضمن فرقة قبيلة الساحل الشمالي، بجوار قريتي الحُمُر والعقبة.

كانت قرية تاندافل، قبل استقرار البرتغاليين بأصيلا (1471 / 876) تحت نظر أسرة أحد أشياخ الخلط المدعو الشيخ ناصر. وفي سنة 920 / 1514 كان الشيخ بالمكان تحت حماية أصيلا البرتغالية. وعدّ حكام أصيلا قرية تاندافل (Tendefl) إحدى الطلائع الهامة المستغلة لاستطلاع ميدان قبيلة الساحل الجنوبي الذي منه مطلع رجال القصر الكبير لغزو أصيلا، كما أن المغاربة اعتادوا الوصول إليها لمراقبة ميدان أصيلا المتصل بواد الحلو ورافده بوگنون.

ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية، 51 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 354.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, 1 : 107 - 108 - 143 - 145 - 178 - 201 - 204 - ; 2 : 37 - 53 - 154 - 218 - 262 - 266.

حسن الفگيگي

تانزولين ← تينزولين

تَانْسِيطَة، إمارة قامت بدرعة في مطلع القرن العاشر (16 م) وتنتسب إلى بقايا الهساكرة، كما كانت تستند إلى قبائل أيت واوزگيتْ التي كانت مجالات انتشارها آنذاك تتداخل مع القبائل الهسكورية في المناطق الممتدة من ورزازات شمالا إلى فم زاگورة جنوبا.

وردت أول إشارة إلى إمارة تانسيطة في كتاب *وصف إفريقيا* للحسن الوزان (ج 1 : 136 ـ 137)، والسؤال الذي يفرض نفسه هو كالتالي : أين وجد مقر هذه الإمارة ؟ هل يمكن القول إنها كانت توجد بترناتة على اعتبار أن قصرين من قصور هذه الواحة لا يزالان يحملان اسم تانسيطة إلى اليوم ؟ وهل كان موقعها بواحة تينزولين على اعتبار أن إحدى العائلات القديمة بقصبة المخزن ورباط تينزولين لا تزال لها بقية مزوارية بهذين القصرين ؟ وقد أفادتنا الوثائق التي جمعناها من العائلة المزوارية بهذين القصرين أن أسلافها كانوا يتوارثون حكم واحة تينزولين منذ القرن العاشر (16 م) ولم يخرج الحكم من حفدة المزواريين إلا مع بداية الاستقلال، إلا أن هذه المعطيات لا تسمح لنا بالخروج برأي قاطع حول وجود إمارة تانسيطة بواحة تينزولين. وأخيراً هل يمكن القول بأن مقر إمارة تانسيطة كان يوجد بواحة مزگيطة كما توحي بذلك بعض القرائن المحلية ؟. يذكر الحسن الوزان أن جبل تانسيطة يقع بين جبل دادس شرقا وجبل أيت واوزگيت غربا، ويعج بالسكان، ويشتمل على خمسين قصرا مبنيا بالصلصال والآجر النيئ، أُقيمت

على طول نهر درعة لكنها تبعد عنه. وينبت النخيل في معظم هذا الجبل (*وصف إفريقيا*، 1 : 136-137).

وانطلاقا من هذه المعطيات ندرك أن موقع إمارة تانسيطة، يوجد بنقطة مّا بواحة مزگيطة الواقعة في أعلى درعة، حيث لا تزال الجهة الشمالية من هذه الواحة تعرف إلى اليوم بأفْلاَّتْدْرَى (أعلى درعة)، بل إننا إذا ما حللنا المعطيات التاريخية وقارناها بالمعطيات الطبيعية لواحة مزگيطة نلاحظ أنه بالرغم من كل العناصر التي ترجح أن يكون موقع إمارة تانسيطة في قصر ما من قصور مزگيطة، فإننا لا نستبعد أن يكون مقرها أيضا بواحة تينزولين، ذلك أننا إذا ما أخذنا المواصفات التي حددها الحسن الوزان لجبل تانسيطة نلاحظ أنها قريبة الشبه أيضا بواحة تينزولين التي يحفها جبل بوزروال من الناحية الشرقية ويتصل كذلك بجبل دادس، كما يتصل من الناحية الغربية ببلاد أيت واوزگيت، ويقدر عدد قصورها بحوالي خمسين قصرا. ويجد هذا الافتراض ما يدعمه عند مارمول الذي ذكر بأن هذه الإمارة تحد من الجنوب بصحراء درعة.

هكذا يتضح أنه من الصعب الخروج برأي قاطع في تحديد موقع القصر الذي كانت تتخذه إمارة تانسيطة مقرا لها في مطلع القرن العاشر (16 م)، لكن الشيء المؤكد أن هذه الإمارة كانت تمارس نوعا من السلطة على سكان واحات ترناتة وتينزولين ومزگيطة. وقد كانت على قوة عسكرية يقدر عدد محاربيها بحوالي ألف وخمسمائة فارس ومثل ذلك من المشاة (*وصف افريقيا*، 1 : 136)، وهو جيش قوي كاف لإخضاع كل واحات درعة. كان رئيس هذه الإمارة في مطلع القرن العاشر (16 م) تربطه بالسلطان محمد الوطاسي علاقة ولاء شكلية، إذ كان هذا الرئيس يبعث إلى سلطان فاس بالهدايا السنية وتجديد البيعة، وبالمقابل كان محمد الشيخ الوطاسي يمده بالسلاح والخيل والسروج المطعمة بالذهب.

ونستفيد من إشارات الحسن الوزان أن إمارة تانسيطة كانت تتمتع برخاء اقتصادي كبير (*وصف افريقيا*، 1 : 137) مما يدل على أن رئيسها كان يتحكم في الطريق التجاري الذي يربط بين وادي درعة وبلاد السودان في مطلع القرن العاشر (16 م).

أما فيما يتعلق بعلاقة إمارة تانسيطة بالدولة السعدية فلا بد من الإشارة إلى أن السعديين كانوا يعيشون بواحة فزواطة قبل انتقالهم إلى سوس، ومن الصعب جدا استبيان ما إذا كان للسعديين قبل رحيلهم من درعة علاقة بإمارة تانسيطة أم لا، كما أننا لا نعرف أي شيء عن موقف أمزوار تانسيطة تجاه الحركة السعدية في بداية أمرها، وكل ما نعرفه أن المزوار ابن عمرو، رئيس إمارة تانسيطة، قد حاول مقاومة نفوذ السعديين بدرعة ووصل به الأمر إلى حد التحالف مع برتغاليي أگادير ضد الدولة السعدية الفتية (*L'Afrique*, 1 : 446). وليس من المستبعد أن يكون لموقف ابن عمرو وتحالفه مع البرتغاليين علاقة بولاء الإمارة لوطاسيي فاس، إذ يكون القصد من هذا التحالف هو التشويش على السعديين وإرغامهم على العودة إلى الجنوب لتخفيف وطأتهم على المتسلطين بفاس. كما أنه ليس من المستبعد أن يكون بدافع فردي للحفاظ على مصالح الإمارة بدرعة، أو أن البرتغاليين قد تحالفوا مع ابن عمرو للتشويش على السعديين بوادي درعة لصرف أنظارهم عن التفكير في محاصرة أگادير (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 151). وكيفما كانت الأسباب والدوافع التي جعلت إمارة تانسيطة تحاول مقاومة السعديين بدرعة، فإن المزواريين قد أعلنوا ولاءهم في نهاية الأمر لسلاطين الدولة السعدية. ويظهر من بعض إشارات مارمول أن السعديين قد حاولوا الاستفادة من خبرة العائلة المزوارية في الميدان الإداري، حيث نجدهم قد عهدوا لحمو بن علي المزواري بإدارة مدينة تارگالة نظرا لموقعها بباب الصحراء ولأهميتها التجارية (*إفريقيا*، 3 : 150).

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا*، ج 2 و3 ؛ أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، د.د.ع. الرباط، 1988.

D.J. Meunié, *Le Maroc Saharien* ; Marmol, *L'Afrique*.

أحمد البوزيدي

تَانْسِيفْتْ، اسم نهر وحوض نهري واسم جهة اقتصادية بالجنوب المغربي الاطلنتي. وتانسيفت في لهجة الشلوح هي مؤنث أسيف أي النهر أو الوادي.

تبلغ مساحة حوض تانسيفت 17.600 كلم^2 وطول الوادي 270 كلم، ومعدل تصريف النهر السنوي 760 مليون م^3 ينبع من شرق الحوز برأس العين، ويتلقى أهم روافده بضفته اليسرى من السفوح الشمالية للأطلس الكبير الغربي الذي تتميز بنيته بتنوع صخور الزمن الأول وما قبل الكمبري وهي إما صخور صلبة اندفاعية وگرانيت وحث وتكوينات بركانية وبلورية تكون القمم والسفوح العليا 2000 . 4000 م وإما صخور هشة : طين وطفل وشيست ورصيص قاري تُكون الأحواض ومقاطع الأودية العريضة. وتُكون صخور الزمنين الثاني والثالث الجيولوجيين الهوامش الجبلية ومعظمها صلب : كلس وحث وشيست وكوارتزيت. وبسبب تهدل سهل الحوز في النيوجين تعمقت الأودية في مجاريها مكونة خوانق تنتهي عند خروجها إلى السهل بمخاريط انصباب واسعة تتلاقى غالبا مكونة حادورا ومنطقة فلاحية هي التي تعرف بالدير. والأودية هي اللاره الذي يعتبره البعض منبع تانسيفت الأصلي باعتباره أبعد مجرى عن مصبه، وأودية غدات والزات وأوريكا وإسيل وغيغاية ونفيس والمالح وشيشاوة، وهي أهم مغذ له لأن مجاريها الجبلية تتلقى أمطاراً كافية : 500 . 600 ملم / سنة. وتساعد الثلوج المتراكمة فوق القمم والغطاء الغابوي والصخور المسامية والمفتتات المتراكمة على بعض المنحدرات على ضمان تصريفات صيفية لا بأس بها. ويجتهد السكان في ابتكار أساليب استغلال مياهها في الري بحيث لا يصل منها شيء إلى تانسيفت صيفا. أما بالضفة اليمنى

الشمالية فلا يتلقى سوى مسيلات أهمها واد بوالروس الذي ينبع من الجبيلات وهي سلسلة هرسينية قديمة : شيست وكوارتزيت.. لا يتجاوز علوها 1000 م.

أما سهل الحوز، وهو أوسع جزء من حوضه، فإنه تغطيه رواسب قارية رباعية وسحنات من الكلس المستنقعي فوق طبقات رسوبية ترجع إلى الكريطاسي والأيوسين توضعت فوق ركيزة هرسينية من الشيست والكوارتزيت وتظهر في بعض الأماكن كجبل گيلز بمراكش. ولا يتلقى واد تانسيفت هنا سوى مسيلات قصيرة تجري مياهها بعد سقوط الأمطار عدة ساعات أو أيام لأن أمطاره قليلة : 200.300 ملم. بل إن الوديان الجبلية تفقد جزءا مهما من مياهها بالتبخر لجفاف الجو والتسرب، إذ تغذي مياهه الجوفية. ويظهر بحافة الضفة اليسرى بعض العيون التي تساهم في تغذيته صيفا إن لم تستغل في الزراعة. والواقع أن كل مياه الوديان والعيون بالحوز تستغل في الزراعة صيفا وفي تزويد المراكز الحضرية، وأقيمت عليها منشآت مائية متنوعة، إذ تحولت البراري السهبية للحوز إلى منطقة زراعية منذ أجيال، فلا يبقى بتانسيفت أي جريان صيفي إذ يتحول إلى برك متقطعة. ولم يعد يصل من مياهه إلى البحر سوى مياه الفياضانات الشتوية والربيعية القوية. وتتميز مياهه هنا صيفا بملوحتها نظرا لوجود سحنات ملحية بضفاف مجراه بسهل الحوز الأوسط.

ونظرا لفيضاناته القوية وكثرة الرواسب الذي يتلقاها من الوديان الجبلية فإن مجراه يتميز بسرير عريض (500 إلى 1000 م) تغطيه الرمال والحصى وتنبت به شجيرات "الطارفة" وغيرها على طول 130 كلم، من بنساسي إلى مركز جماعة العروسي. وعند خروجه من سهل الحوز يقطع هضبة الشياظمة : كلس جوراسي يتعمق فيه الوادي، ثم يعبر جزءاً من سهل عبدة وتلال ساحلية متحجرة أو متحركة، ولايتلقى هنا أي رافد باستثناء مسيلات صغيرة ذات جريان عرضي لأن حوضه هنا ضيق والأمطار قليلة، (300 ملم)، والتبخر والتسرب كبيرعبر سحنات مسامية ثلاثية ورباعية. ويصب تهر تانسيفت جنوب مدينة أسفي قرب قصبة الحمدوشية بمصب عريض تغلقه الرمال غالبا بشاطئ رملي منخفض تكتسحه أشجار غابوية، تحول إلى مصطاف لأهل أسفي في الصويرة القديمة.

تانسيفت جهة اقتصادية : أحدثت بالمغرب سنة 1971 في إطار تقسيم جهوي يهدف لتكوين وحدات مناسبة للتدخلات الاقتصادية والانتعاش الإقليمي. تتكون جهة تانسيفت من أربعة أقاليم هي مراكش وقلعة السراغنة وأسفي والصويرة، تبلغ مساحتها 38.445 كلم2، وتضم مائة وعشر جماعات قروية وسبع جماعات حضرية. تتكون من أربعة مجالات جغرافية : منطقة جبلية تشمل معظم السفوح الشمالية والغربية للأطلس الكبير الغربي وسهلي الحوز والبحيرة وجزء من سهل تادلا، وجزء من الهضاب الأطلسية والسهول الساحلية حيث يشرف على واجهة بحرية (230كلم). وباستثناء المناطق الجبلية التي تعرف تساقطات معتدلة (400.600 ملم) فإن الجهة يسودها مناخ شبه جاف حار صيفا قليل الأمطار (200 إلى 400 ملم)، يضم أكثر مناطق المغرب الأطلنتي جفافا (قعر الحوز : 150.200 ملم). فهي جهة تتميز بتباين طبيعي كبير سواء من حيث الارتفاع أو الأمطار أو المؤثرات الصحراوية والمحيطية مما ينعكس على الموارد الاقتصادية والحياة الاجتماعية. ويكون حوض تانسيفت بروافده العديدة العنصر الموحد تضاريسيا للجهة، وإن كان أم الربيع يمثل كذلك عنصرا حيويا لأن الجزء الأكبر من الحوز الشرقي وتادلا يدخل ضمن حوض أم الربيع.

وتضم جهة تانسيفت مجموعات قبلية ضعيفة التجانس هي عبدة والشياظمة وحاحة بالغرب واحمر والرحامنة بالشمال والسراغنة بالشرق ومجموعات قبلية مجزأة من البربر بالجنوب الجبلي هي متوگة وگندافة وأوريكا ومسفيوة وفطواكة. يبلغ سكان جهة تانسيفت 3.345.000 نسمة (سنة 1988) بكثافة 87 ن / كلم2 وهي كثافة تعرف تباينا كبيرا ما بين 150 ن / كلم2 في الجماعات القروية بالدير والمناطق المسقية سواء بالسهول الداخلية أو الأطلنتية وضواحي المدن الكبرى خاصة مراكش إلى 30 ن / كلم2 أو أقل بالتلال والسهول الجافة : الرحامنة وأحمر والجبيلات وبعض المناطق الجبلية العالية. وتتميز الجهة بهيمنة مدينتين كبيرتين هما مراكش (440.000 ن) وأسفي (197.000ن) (1982) ومدينتين متوسطتين : الصويرة والقاعة، وأربع عشرة مدينة صغيرة تكون شبكة حضرية غير متراتبة. وتبلغ نسبة الحضريين 31.77٪، وهي دون المعدل الوطني (42٪) مما دفع السلطات إلى تدعيم حركة التمدين وتحويل عدد من القرى إلى مراكز حضرية تلبي حاجيات السكان إلى التمدين أملا في كبح جماح الهجرة الريفية نحو المدن الكبيرة أو خارج الجهة.

يعتمد اقتصاد الجهة أساساً على الزراعة التي عرفت انتعاشا بنطاقات الري الحديث وعلى تربية المواشي الصغيرة بالمناطق الجافة والجبال والأبقار بالمناطق المسقية. أما الزراعة البورية للحبوب فإنها تعاني من شح الأمطار وتذبذب كمياتها من سنة لأخرى، وهناك نشاط معدني لا بأس به : فوسفاط باليوسفية وبنگرير، وباريتين بالأطلس الكبير والجبيلات ومعادن أخرى قليلة.

أما الصناعة العصرية فمازالت ضعيفة وهي تتمثل في الصناعات الغذائية بكل من مراكش : معالجة الفواكه والخضر، ومن الأسماك بأسفي والصويرة، والصناعات المرتبطة بالفوسفاط باليوسفية وبنگرير وأسفي حيث بني مركب مهم للصناعات الكيماوية. وتعاني الجهة بصفة عامة من ضعف إمكانياتها الطبيعية واضطراب أوضاعها الاقتصادية بسبب تعرضها لأزمات الجفاف وقلة المياه وانعدام موارد الطاقة وضعف التصنيع وضعف مستوى التكوين المهني. وقد كانت هذه المنطقة سابقا تابعة إداريا لمراكش : عاصمة الجنوب، لكن لوحظ أنه لم يبق بين

أطرافها علاقات قوية بعد تطبيق سياسة اللامركزية الإدارية وانفصال إقليم أسفي عنه سنة 1967، والصويرة سنة 1973، وقلعة السراغنة سنة 1975. إذ تتجه الأقاليم المكونة حديثا إلى ربط علاقات اقتصادية مع العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء مباشرة. ولخلق نوع من الاندماج الاقتصادي الإقليمي والجهوي.

تتكون جهة تانسيفت من أقاليم طبيعية متنافرة : أودية جبلية ودير مسقي وسهول داخلية شبه جافة وهضاب أطلنتية وسهول ساحلية تتميز برطوبة نسبية وذلك بهدف خلق تبادل وتكامل بين الأقاليم، ولكن يلاحظ أن عملية خلق التيارات الاقتصادية بين أطراف الجهة لازالت تتعثر بين اجتذاب قطب الدار البيضاء وقطب الجنوب النامي : أگادير، كما أن شبكة المواصلات الحديدية والبرية ينقصها الطول والاندماج، فمحاورها الرئيسية تتجه إلى الدار البيضاء.

وعلى المستوى الفلاحي فإن تخلف أساليب الزراعة واضطراب أحوال الطقس من سنة لأخرى يؤدي إلى ضعف الاستثمارات بها وبالتالي ضعف الإنتاج الذي لا يسد الحاجيات المحلية في المواد الأساسية اللهم إلا في الفواكه والخضر التي يختص في إنتاجها، ضمن زراعة تسويقية، عدد من النطاقات المسقية الحديثة والتقليدية : 300.000 هـ، إذ يتميز كل من إقليم مراكش وقلعة السراغنة بتوفرهما على نطاقات مسقية واسعة ومنشآت ري مهمة : خطارات وسدود وشبكة القنوات وضخ ميكانيكي. وتتوفر الجهة على 1.5 مليون هـ من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب البورية، إلا أن قلة الأمطار وعدم انتظامها يجعل إنتاجها ضعيفا. لكنها توفر بالإضافة إلى المناطق الجبلية مراعي واسعة للمواشي الصغيرة : 3.5 مليون رأس.

وهناك تبادل تجاري مهم على مستوى المنتوجات الغذائية، وباستثناء الصناعات الاستخراجية المنحصرة بالمناجم فإن الصناعات العصرية وكذلك التقليدية تتركز في المدن الكبيرة والمتوسطة. فمدينة مراكش وحدها تستأثر بنصف عدد عمال الجهة لكنها تقتصر على صناعات غذائية وخفيفة وتقليدية كما تستأثر أسفي بثلث عدد العمال وهم يتركزون في نشاط رئيسي هو معالجة الأسماك، خاصة السردين وفي الصناعات الكيماوية. أما الصويرة فنسبة عدد عمالها في هذه الجهة هو الثُّمن وهم يعملون في معالجة الأسماك والصناعة التقليدية ومنها صناعة الجلود. وكل هذه الصناعات هشة وموسمية، لا تحتاج إلى خبرة عالية وهي تذر على العمال أجورا زهيدة، وتفتقر سلسلتها إلى حلقات مهمة كالصفيح بالنسبة للتعليب وحامض الفوسفور المستورد لصناعة الأسمدة الفوسفاطية والنسيج للخياطة ومواد متنوعة للصناعات الخفيفة. وتبذل جهود لتقوية التيارات التجارية بين الجهة وميناتها الكبير أسفي حيث صارت توجه إليه كل معادن الجهة.

وتعرف الجهة نشاطا سياحيا متزايدا لكنه يتركز أساسا في مدينة مراكش وجبالها وبنسبة بسيطة في مدينة الصويرة. وحقق هذا النشاط توسعا مهما في السنوات الأخيرة خاصة بمراكش حيث بلغت قدرتها الإيوائية 11.350 سريرا و59 مؤسسة مصنفة (1988) وهذا مقابل 368 سريرا بالصويرة و562 سريرا بأسفي. ويلاحظ أن السياحة الداخلية بدأت تلعب دورا متزايدا : اصطياف المراكشيين بالصويرة والوليدية، وزيارة مراكش وبعض المراكز الجبلية : مولاي إبراهيم وأوريكا وأوكايمدن من طرف سكان السهول والسواحل. لكن هذه الحركة لازالت تنحصر في معظمها بين الحضريين. ولازالت الجهة تعاني من تباين المعطيات الطبيعية، فهي تتكون من قطبين اقتصاديين مهمين بهامشها الغربي الاطلنتي والجنوبي الشرقي بالدير يفصل بينهما نطاق انتقالي شبه جاف قليل السكان، إلا أن تنوع المؤهلات والمنتجات يربط جهات المنطقة بعلاقات تبادل تكاملية تنمو باطراد، كما دعمت الجهة بعدد من الأجهزة الإدارية والقوانين لخلق شخصية إقليمية جهوية.

بحوث السنة الرابعة (جغرافية) لطلبة كلية الآداب بمراكش.

Région économique de Tensift, Ministère de l'Habitat, Rabat, 1981 ; O.R.M.V.A.H., *Les ressources naturelles et la mise en valeur de la plaine du Haouz*, *RGM*, n° 17, 1970 ; Bellaoui, *Un exemple de régionalisation au Maroc, la région économique du Tensift*, *Revue de la Faculté des Lettres, Marrakech*, n° 4, 1989 ; J. Pégurier, *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981.

أحمد هوزالي

* * ذكر تانسيفت في التاريخ القديم ثلاثة مؤرخين بأسماء مختلفة، وأخص بالذكر بلين القديم وفلافيوس جوزيف ثم بطليموس.

يقول بلين القديم في الكتاب الخامس، الفقرة 13 من التاريخ الطبيعي : "إن الأهالي يحكون أنه يوجد على الساحل وعلى بعد 150 ميلا من وادي سلا (Salat)، نهر أسانا، ثم مجرى مائي يسمونه فُوتْ "Fut" يعيد عن ديريس (الأطلس) بحوالي 200 ميل".

ظهر اسم "فوت" في نفس الفترة في مؤلف المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيف (Flavius Josephe) ولكن بشكل مغاير بحيث نجد اسم Phoutés، وهذا الأخير حسب نفس المؤرخ، من أبناء حام ومؤسس ليبيا، ويقول أيضا إن هناك نهراً يحمل نفس اسم Phoutés في بلاد الموريين.

أما الجغرافي بطليموس فيعطينا اسم "فُتوت" Phtout ويحدد موقعه حسب الاحداثيات التالية (7° و30' - 30 °و30') ويقول إنه يوجد جنوب رأس الشمس والذي قد يكون النسخ الاغريقي "لرأس سوليس"، وبما أن رأس سوليس يطابق عادة برأس كانتان، فسيكون من الطبيعي مطابقة "فوت" بأول نهر كبير يصب في البحر إلى الجنوب من هذا الرأس ونعني بذلك "تانسيفت".

وحسب الباحث دوزانج، يكون نهر تانسيفت قد حمل اسما مزدوجا، كوسة "Koucs" والذي يمكن مطابقته بنهر Kouz وهو اسم تانسيفت عند المصب ثم "فوت" الذي يطلق على المجرى المائي ككل. أما بطليموس فيرى أن الأمر

يتعلق بنهرين مختلفتين.

وفيما يخص المسافة التي تفصل بين "فوت" والأطلس فهي تقدر بحوالي 200 ميل وهي مسافة قدرت من المصب إلى رأس گير وهي أكبر مسافة بين تانسيفت والأطلس، ويبدو أن فيها مجازفة لأنها لا تتجاوز في الواقع 205 كلم أي 140 ميلا تقريبا. ويظهر أن الأهالي قد قدروا هذه المسافة حسب السير على الأقدام وبالتالي فرحلتهم كانت تعرف نوعا من الانعراج في اتجاه الداخل.

وكيفما كان الاسم الذي اطلق على النهر من طرف القدماء، فتجب الإشارة إلى أن الأمر يتعلق بواد تانسيفت أحد أكبر أودية المغرب الجنوبي.

Ch. Tissot, *Recheches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, p. 252 ; Dessau, *Real Encylopedia*, S.V. "Fut", Coll. 406 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V, ed. J. Desanges, 1980 : Ptolémée, IV. 1, 2, p. 578, edit. Muller ; Flavius Josephe, *Antiquités Judaïques*, I, 6, 2, I. 133.

عبد العزيز بل الفايدة

تَانْغَايَة، جبل توجد أعلى قمته بالمدشر الذي يحمل اسمه بقبيلة الأخماس (إقليم شفشاون) ثم يمتد من باب تازا إلى ثلاثاء قبيلة بني أحمد، وارتفاعه فوق سطح البحر 1712 متر.

Cabello, *Géo.*, 70 ; Domenech, *Zona Norte*, 29 ; Martinez Campos, *España belica*, 348, 352.

محمد ابن عزوز حكيم

تَانْغَمْلْتْ، وتكتب أيضا تناغملت وتنغملت (*ممتع الأسماع*، 161 ؛ *دوحة البستان*، 58 ؛ *مباحث الأنوار*، 144 ؛ *الدرة الجليلة*، 2 : 258 ...). وعلى الرغم من أن مبناها جاء على صيغة بربرية مألوفة، فإننا لم نستطع تفسير مدلولها. وقد تكون لفظة عربية مشلحة. ففي مادة غمل في اللسان، قال ابن منظور : "وقيل الغملول، هو الوادي الضيق الكثير الشجر والنبت الملتف، وقيل هو الوادي الطويل القليل العرض الملتف". يبدو هذا الوصف قريبا جدا من منظر الوادي الذي تشرف عليه زاوية تانغملت وفيه أيضا "الغملة: الأرض الكثيرة النبات التي يواري النبات وجهها". ويكاد هذا الوصف ينطبق أيضا على تانغملت، بما حواليها من أشجار وغابات، لعلها كانت أكثر كثافة مما هي عليه الآن. أما المعنى البربري القريب من وصفها فهو من إغمر وهو الكتف والموقع الذي على كتف سفح جبل أو واد. أما قلب الراء لاما فهو أمر وارد عندهم حيث تأتي كلمة تانغملت من تانغمرت.

وتانغملت قرية تأسست حول زاوية، وهي تقع في منطقة الاتصال بين الأطلس الكبير والأطلس المتوسط على بعد حوالي مائة وأربعين كلم شرقي مراكش. أما من الناحية البشرية فإنها تقع على حدود ثلاث قبائل كبرى هنتيفة غربا، وأيت عتاب شمالا وأيت مصاض شرقا. وينتمي جل سكانها لأيت أُنَلْ ويُكونون أحد أخماس هنتيفة الجبل. وكلهم من البيضَ باستثناء بعض العناصر الملونة المنحدرة من عبيد سود كانوا مرتبطين بخدمة الزاوية.

ويعتبر هذا الموقع الوسط ذا أهمية بالغة بالنسبة للزاوية، لأنه المكان المواتي لقيام مثل تلك "المؤسسة". ومن الناحية الثقافية والسكانية تقع تانغملت في منطقة الاتصال أيضا، بين مجالي الأمازيغ والشلوح. ويظهر ذلك من خلال لغة السكان اليوم، إذ هي خليط من تامزيغت وتاشلحيت. وتقع من حيث الموضع، غرب شلالات أزوض، على السفح الشرقي لجبل تَغْشْوَادْ، عند ملتقى واد أمرصيد بواد العبيد.

وعلى الرغم من قربها من منطقة تادلا، التي تمر عبرها الطريق التقليدية الواصلة بين فاس ومراكش والتي وقعت فيها أغلب المواجهات بين جيوش الدول الناهضة وجيوش الدول الآفلة، فإن ذكرها لم يرد في أي نص من النصوص القديمة المعروفة أمثال البكري والادريسي والبيذق وابن عذاري وابن الزيات وابن خلدون وابن عسكر والوزان وغيرهم، خاصة وأن بعض هؤلاء يعرف المنطقة كالبيذق، والبعض الآخر قد تنقل في تلك الجهات. ولعل أشهر من زار تلك المناطق هو الحسن الوزان الذي وصف قرى أيت عتاب وهنتيفة وولتانة...

وتذكر الرواية الشفوية أن تاريخ تأسيس تانغملت يرجع إلى القرن الثامن الهجري (14 م)، ولا يوجد لهذا الرأي أي صدى في النصوص المعروفة لحد الآن ؛ ولعله وهم من الأوهام. وأول من ذكر تانغملت هو محمد المهدي الفاسي، في كتابه *ممتع الأسماع*.. فقد ارتبط ذكرها عنده بوفاة موسى البوگمازي دفينها (*ممتع الأسماع*، 161). لعل تأسيسها كان على يد هذا الأخير، وكان قد تتلمذ على يد الشيخ أبي عثمان سعيد بن علي الهشتوكي دفين واوزغت (*دوحة البستان*، 58) وانتقل البوگمازي أو البوجمازي بعد وفاة شيخه إلى تامصلوحت حيث أخذ الإذن عن الشيخ عبد الله بن حسين، ليتصدر للقيام بشؤون زاوية شيخه الأول (*ممتع*، 162) ؛ إلا أن مجيء الشيخ محمد بن محمد بن الحسن الدادسي إلى زاوية أبي عثمان بواوزغت جعل البوگمازي يغادرها. وقد كان الدادسي المذكور من أصحاب شيوخ من مؤسسي الزوايا أمثال عبد الله بن حسون السلاسي وعبد الله الهبطي وأبي بكر الدلائي. وأخذ عن هؤلاء الشيوخ وتتلمذ عليهم (*ممتع*، 188) مما رفع مقامه الصوفي في نظر البوگمازي الذي كان ما يزال مجرد مريد، الأمر الذي أفضى به إلى الهجرة ضاربا في الأرض وباحثا عن مستقر جديد، إلى أن ألقى عصا التسيار بتانغملت. كان ذلك حوالي الثلث الثاني من القرن الحادي عشر (17 م) ؛ على وجه التقريب. وتتحدث النصوص بعد ذلك عن ابنه عبد العزيز. كان هذا الأخير من جملة من لقيهم علي بن عبد الرحمن الدراوي المتوفى سنة 1091 / 1680.

يبدو أن حركة الاستقرار بالمنطقة بدأت تتوطد في عهد عبد العزيز بن موسى البوگمازي. وفي هذا الصدد يذكر محمد بن عبد الله الخليفتي أن هذا الرجل قام بمبادرتين في غاية الأهمية. ففي زمن إحدى المجاعات، لعلها مجاعة

سنوات 1070 / 1072هـ، بعث بأحد أبنائه - وهو محمد بن عبد العزيز - إلى درعة لجلب التمر. يقول الخليفتي : "وأتاه بالتمر وجعل يطعم الناس بالحساء مع التمر" (*الدرة الجليلة*، 305) أي أنه قام بإرفاق الناس في زمن المسغبة. ومن شأن الإطعام في مثل تلك الظرفية أن يرفع مكانة القائم به في أعين سكان المنطقة. كما عمد إلى غرس شجر اللوز بالمنطقة، الأمر الذي أفاد السكان حينما حلت بهم المسغبة خلال العقد الموالي، حيث قام أحد فضلاء ذلك البلد بصنع حساء من ثمر اللوز وتقديمه للجياع (*الدرة الجليلة*، 306).

وبناء على ذلك يمكن القول إن عبد العزيز بن موسى هو المؤسس الفعلي للزاوية التي بدأ أمرها ينتشر بين الناس لاسيما وأن شيخها اعتبر قضية إطعام الطعام نوعا من الغزو والجهاد، واتخذه شعارا. يشير الخليفتي إلى أن عبد العزيز بن موسى قد صار مقصودا بالزيارة "لكونه من كبار الأولياء". بل لقد قال على لسان أحد مترجميه : "رأيت بتافيلالت كتابا كبير الجرم، ضخما مملوءا بمناقب الشيخ عبد العزيز بن موسى، بالغ فيه مؤلفه وأطنب" (*الدرة الجليلة*، 277). وهكذا صارت تانغملت مقصودة بالزيارة، وأمدها الزائرون بالهبات والصدقات. وهذا من شأنه أن يدعم مكانتها في ذلك الوسط، ويهيئ للسكان شروط الاستقرار، عن طريق الوساطة والتحكيم في النزاعات، وترسيخ التعاليم الإسلامية، مما مكن للزاوية هنالك، وجعلها قطبا جاذبا بالنسبة لطلبة العلم وحملته. وفي هذا الإطار قدم إليها الفقيه المتصوف محمد بن مسعود المراكشي، تلميذ الشيخ محمد بن عبد الله السوسي، حيث اشتغل فيها بتدريس الحديث والتفسير حتى وفاته بالطاعون الجارف الواقع سنة 1090 / 1679 (*مباحث الأنوار*، 111. 114 ؛ *إعلام المراكشي*، 46. 47). ارتحل إلى تانغملت على إثر اضطراره إلى فراق صاحبه علي بن عبد الرحمن الدراوي الذي امتحن بدوره من قبل السلطان مولاي الرشيد في إطار الحملة التي شنها هذا السلطان على مختلف الزوايا (*دوحة البستان*، 213).

تفيد هذه الإشارات أن زاوية تانغملت أضحت ملاذا بالنسبة لبعض من يطلبون الملجأ في زمن المحنة ؛ ربما لأنها ما تزال لم تثر بعد انتباه حكام الوقت أو لأن الوصول إلى موقعها الجبلي كان يتطلب استعداداً خاصا. كما أن سوق العلم بها بدأت تروج، ومن ذلك أن ابن مسعود المراكشي أقام فيها مجلسا للتفسير والحديث.

إلا أنها سرعان مالفتت انظار المخزن. وفي هذا الصدد وردت وثيقة مؤرخة في حادي عشر رمضان سنة 1090 / 1679، تشبه تقريرا يوضح نظرة المخزن إلى مرابط تانغملت حيث تقول إن محمد بن عبد العزيز بن موسى - الذي قد يكون هو متولي شؤون الزاوية بعد أبيه - "مرابط خير"، وإنه "من أهل الجود والخير والوفاء، وفيه حسن الخلق للطائع والعاصي والرحمة والشفقة للمسلمين وإخوانه ..." "وباب دارهم مفتوح للطعام : من جاءهم يأكل ويشرب لوجه الله ورسوله ...". وفي هذا دليل قاطع على أن تانغملت أصبحت زاوية، تضطلع بمختلف الوظائف المنوطة بباقي الزوايا، خاصة وأن الوثيقة شهادة عدلية، ربما جاءت لتبرئة الذمة من التوق إلى الخوض في الشؤون السياسية وتنص على ذلك صراحة حيث تصف المرابط بالقول : "والفضول تركهم، بينهم وبين الفضول ما بين السماء والأرض". لعل هذه التبرئة كانت بطلب، استصدرها مقدم لإثبات بعده عن الخوض في الشؤون السياسية، الأمر الذي يفضي إلى الاعتقاد أن أمر تانغملت كزاوية بدأ يفشو، وأن حكام الوقت قد علموا بوجودها.

نذهب هذا المذهب ونحن نستحضر السياق التاريخي وموقف سلطان الوقت من الزعامات المحلية. كما يظهر من خلال الوثيقة المشار إليها أن زاوية تانغملت قد عرفت بسطة في الرزق، إذ توفرت فيها الزروع والمواشي والأموال وأصبح لها عبيد أي أنها اكتسبت دعامة مادية أهلتها لأن تصير مركز إشعاع في المنطقة، يتوافد عليها المعوزون والمنقطعون واللاجئون من طلبة العلم وغيرهم. فاضطلعت بتلقين السكان العلم والتعاليم الإسلامية ؛ بل صار مختلف نقبائها سدنة الإرشاد إلى الشعائر الدينية يدعون إلى الحفاظ على السنة المحمدية.

وقد تبلور ذلك حين تتلمذ الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز التانغملتي المتوفي سنة 1168 / 1755 على الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي. وعلى الرغم من أننا لانعرف الكيفية التي تم بواسطتها الاتصال بين الشيخين المذكورين، فإنه يمكن الجزم بأن الصلات بين تانغملت ودرعة ترجع إلى عهد عبد العزيز بن موسى، على الأقل. فقد أشرنا إلى أن هذا الأخير كان بعث بابنه محمد لجلب التمر إلى تانغملت من أجل إرفاق الناس زمن المسغبة.

هكذا دخلت زاوية تانغملت في بداية عزها لما انخرط شيوخها في سلك الطريقة الناصرية. فقد استناب شيوخ الناصريين محمد بن إبراهيم التانغملتي، في تلقين الذكر، وأذنوا له في إعطاء الورد، "وشهدوا له بالصلاح". يقول الخليفتي في ترجمة التانغملتي : "وسلك الطريق حق السلوك على نحو طريقة الأشياخ، على سبيل السنة المحمدية ... ونسج على منوالهم ..." (*الدرة الجليلة*، 278). أي أن تانغملت قد أصبحت منذئذ فرعا للزاوية الناصرية ذات الشهرة الفائقة آنذاك. فصارت ذات سند روحي دعم مكانتها في المنطقة. فقد صار شيخها يشتشهد بالرؤية، ويعقد المحبة مع شيوخ آخرين، مما يدل على أنه بلغ درجة معينة في سلم الصوفية. بل تواترت عنه المناقب والكرامات والخوارق. وينبغي أن نشير إلى أننا لا ندري هل تمسكت تانغملت بالطريقة كما تلقنها شيوخها من الناصريين أم أنها أحدثت وردا جديدا ؟

ومهما يكن من أمر فقد توطدت مكانتها بين سكان تلك المنطقة، كما يشهد على ذلك الخليفتي وهو معاصر

لمحمد بن إبراهيم التانغملتي. فقد لعب هذا الشيخ دورا حيويا في تلك المنطقة النائية وهي منطقة عبور واتصال وعدم استقرار، كثيرا ما سادها العنف والاضطراب لاسيما في فترات ضعف السلطة المركزية، مما جعلها أحيانا شاغرة من القائمين بالأحكام السلطانية"، لذلك تصدر شيوخ تانغملت للتحكيم في النزاعات والإشراف على عقد الصلح والوساطات بين الناس الشيء الذي هيأ ظروف الأمن وبالتالي خدمة الأرض وتوسع حركة الاستقرار فصار محمد بن إبراهيم التانغملتي "كثير العطاء للإخوان والشرفاء وأولاد الأشياخ وذوي الحاجات" بل كان "يعطي البقر والبغال والزروع والزيت والكسوة وغير ذلك .." (*الدرة الجليلة*، 278). مما يدل على أن تانغملت حققت نوعا من التراكم في الثروة، فصارت مركزا لجمع الثروة وإعادة توزيعها. وتشهد بطاقة من نفس الزاوية على أن الناس كانوا يقترضون منها المال، ومن الناس من كان يلتمس من شيوخها قضاء دينه.

ومن خلال عقد نكاح الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي يبدو من الممكن تصنيف هذا الرجل ضمن الموسرين. بالإضافة إلى ذلك كان بعض موظفي المخزن يلتمسون من نفس الشيخ أن يتدخل لدى بعض من امتنع من القبائل لدفع مانابهم في خدمة السلطان".

لكن من خلال ترجمة عبد الرحمن التانغملتي المتوفى سنة 1182 / 1769، قد نستنتج أن زاوية تانغملت قد عرفت نوعا من التراجع في هذا العهد، حتى إنها لم تنج من أعمال النهب التي اشتغل بها أيت تاگلا جيرانها، فقد تنصلت بعض القبائل من التبعية لزاوية تانغملت، كقبيلة أيت وَرْطا، بل إن هذه القبيلة قد خرقت الهدنة التي عقدت على يد شيخ الزاوية. كما أن سوق العلم عندهم قد اعتورها بعض الكساد. ويتضح ذلك من رسالة بعث بها الشيخ التانغملتي إلى ابنه، ومن جملة ما جاء فيها : "وإن قدرت أن تجلس في موضعك وقراءتك فهو أحسن إليك، وإلا فالبلد هذه الساعة مافيه من يقول أعوذ بالله"... "ولاتقصر فإن المسجد بقي بلاعمارة".

لا نستطيع استجلاء مختلف الأسباب التي أدت إلى هذا التراجع في النفوذ دون وضعها في إطار الظرفية العامة التي طبعت المغرب آنذاك. وتتلخص بعض الأسباب فيما يلي :

1 ـ رغم عودة الهدوء في عهد السلطان محمد بن عبد الله ابتداء من سنة 1170 / 1757 فإن المناطق الجبلية ظلت مضطربة.

2 ـ سلك هذا السلطان سياسة الشدة إزاء الزوايا.

3 ـ انعدام الأمن في منطقة تانغملت وما جاورها بسبب التحركات القبلية، وخاصة أيت عطا الذين كانوا يقومون في زحفهم العنيف بدفع القبائل الواقعة في مجال تنقلاتهم، مما كان ينتج عنه اضطراب في علاقات القبائل، ويخل بالتوازنات التي تعمل الزاوية على الحفاظ عليها، بسبب وساطاتها.. ولربما تأثرت الزاوية بدورها من جراء الوضعية الجديدة. ولربما صعب على شيوخها أن يقوموا بأدوار الوساطة والتحكيم لدى العناصر الطارئة على المنطقة. ويروى لنا الخليفتي الشيء الكثير عما أحدثه أيت عطا من أضرار وتضييق على السكان وعلى زوايا المنطقة، حيث كانوا ينهبون السكان ويغرّمونهم (*الدرة الجليلة*، 354. 355). ولعل العداء كان مستحكما بين أيت عطا وبين أتباع الزاويا الناصرية هنالك. ويرجع ذلك إلى أن أيت عطا كانوا أتباعا لخصالة المخالفين في الطريقة للناصريين.

وعلى الرغم مما طرأ على الزاوية من تراجع في الجانب المعنوي، وهو شيء ظرفي على ما يبدو، فإنها قد استرجعت نفوذها المادي وظل قائما في هذا العهد وفيما بعد. وأول ما يسترعي الانتباه أن الزاوية أصبحت لها خزانة تحوي عددا من مؤلفات ذلك العصر. ولعل مرد ذلك إلى كونها أضحت كحرم يستودع فيه طلبة العلم كتبهم خشية أن تتعرض للنهب. وما تزال خزانتها حتى الآن تحتفظ ببضع مئات من المخطوطات من بينها كتب أصلية نادرة.

ظلت الزاوية تتوصل بالهبات والزيارات المتنوعة من الخدام والأتباع الذين اتسع نطاقهم ليشمل أيت مصاض وأيت بوگماز وولتانة وأيت عباس بالإضافة إلى أيت عتاب وهنتيفة. فأصبحت الزروع تقدم بالأحمال ورؤوس الأغنام بالعشرات والنقود بمئات الريالات، كما تشير إلى ذلك وثائق الزاوية.

ولعل أوج النفوذ المعنوي بالنسبة لزاوية تانغملت قد أدركته في عهد الشيخ العباس بن محمد التانغملتي، هذا العهد الذي يصادف النصف الثاني من القرن التاسع عشر ؛ إذ لم تقتصر وساطات شيوخ تانغملت على القبائل والجماعات بل أصبحت تتوسط بين المخزن والقبائل. تشير وثيقة مؤرخة في تاسع ربيع الثاني سنة 1307 / 1890 إلى أن الشيخ قد توسط بين أيت إبراهيم وعامل إينولتان الجيلالي الدمناتي الذي وجه لهم "أمانة" على يد الشيخ التانغملتي؛ طالبا منه بذل المزيد من المساعي الحميدة، قائلا : "ها الأمان عليهم يصلك، فلابد بارك الله فيك كلّمهم، وأرشدهم للجادة التي فيها صلاحهم مع المخزن، لأن بقاءهم على انحرافهم لا يفضي لهم بخير" الأمر الذي دعم مكانة الزاوية في تلك الجهات. حتى إن العامل المذكور قد لجأ طالبا الحرم بدوره، في أثناء ثورة إينولتان بعد وفاة السلطان مولاي الحسن، بزاوية تانغملت. وظل هنالك مقيما مدة، لم يمسسه أحد بسوء. ويشير الغجدامي إلى أن شيخ الزاوية آنذاك قد أكرم مثوى العامل المنفي ومكث هنالك معززا مكرما حتى انفرجت الأزمة (*التسلي*، 55 و66).

لكنها إذا استرجعت ـ إلى حد ما ـ مكانتها العلمية في بداية القرن الثالث عشر ، كما ألمعنا إلى ذلك سابقا، فإن هذه المكانة لم تعد مواكبة لنفوذها المادي والمعنوي بعد ذلك إذ اعتور مكانتها العلمية بعض التراجع. فقد طاف الغجدامي أثناء طلبه للعلم على مختلف مراكز تلك الجهات

في كل من إينولتان والسراغنة وأيت عتاب وهنتيفة وأيت ماجطن، ولم يعرج على تانغملت (الغجدامي، *التسلي*، 33) وعند ذكر مختلف شيوخ المنطقة لم يشر إلى أحد من أهل تانغملت (*التسلي*، 36، 67).

لعل هذه مرحلة حتمية في تاريخ الزاوية على العموم : يصبح الجانب العلمي والروحي في تراجع لحساب تراكم الثروة وتوثيق الصلات مع المخزن وممثليه، لتلوح في الأفق مرحلة الأفول. وهكذا لم تقتصر العلاقات بين الزاوية والمخزن على مستوى العامل، بل تعدى ذلك إلى السلطان نفسه. وفي هذا الإطار يوجه السلطان مولاي عبد العزيز، بدوره رسالة إلى الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي في ثامن عشر رجب من سنة 1312 / 1995، يأمره بالتوسط بين عامل إينولتان وبين إيالته ؛ يقول فيها : "فنأمرك أن تزيد على عملك حتى يتم صلحكم معه ويزول ما بينهم وبينه من التنافر ويحصل الائتلاف وبذلك تزيد عندنا حظوة ومكانة...". يظهر أن الزاوية بدأت توظف ما تملك من نفوذ لخدمة المخزن على الرغم من أن هذا الموقف قد تستهجنه العامة أحيانا ؛ ذلك لأن المكانة التي استمدتها الزاوية من القاعدة صارت تسخرها ضدها، ومن ثم يشرع المخزن في توجيه الظهائر إلى القبائل في شخص ممثليه لتوقير الزاوية واحترامها. وكأن تلك الظهائر صكوك شهادة على مصادرة ما كانت تتمتع به الزاوية من نفوذ معنوي (البركة).

ولما قدم أحمد الهيبة إلى مراكش أثناء ثورته، بعد توقيع الحماية مباشرة ؛ بعث هو الآخر برسالة ثانية إلى أحمد بن العباس التانغملتي طالبا منه التدخل لدى القائد صالح أوراغ الذي يبدو أنه لم يكن موالبا لحركة الهيبة. فخاطبه قائلا : "فنحبك تتكلم معه وتعظه وتحرضه على التمسك بدينه وشد عضد اهله... فاسع في ذلك وفي غيره من مصالح المسلمين، ولا نحتاج إلى التأكيد عليك في ذلك". بل إنه يعتمد على مكانته في تلك المنطقة لاستمالة القبائل فيقول له : "ونحن اتكلنا في مصالح تلك الجهة عليك، فكن عند الظن بك وقف جهدك".

وسلك الفرنسيون نفس الاتجاه حين استيلائهم على مراكش، فقد وجه نائب الكولونيل مانجان إلى شيخ تانغملت رسالة يلح عليه في الانضمام إلى جانب المحتلين، وكان المرابط قد أظهر له عدم رغبته في التعامل معهم، معتذرا له بأنه "رجل مرابط ولا مدخل له في الأمور سوى أمور الديانة". إن إلحاح الضابط الفرنسي نابع من تقديره لمكانة الزاوية في المجتمع المغربي. كما يتضح من العبارة التالية الواردة في نفس الرسالة : "لكن نعرف لك البد والكلمة في بلاد هنتيفة وأيت مصاط وأيت عتاب". وسعى إلى إقناعه قائلا : "ولا يخفاك أن الدولة الفرنساوية جرى الاتفاق بينها وبين المخزن بأن تطوع جميع البلدان الفاسدة". لذلك يعمد إلى الضغط عليه بشتى الوسائل قائلا : "وعلى هذا نحبك تعيننا على هذا الأمر" ؛ ما دام الفرنسيون عازمين على تطويع مختلف القبائل بدون تكاليف كبيرة : "ونحبوا الدخول إليها دخول الأخ عند أخيه من غير بكاء ولا إهراق دم، وتكون ملاقاتنا معكم بالفرح والسرور". من أجل ذلك حاول أن يستقطبه ويستعمله لأنه كان يدرك مكانة زاويته وتأثيرها على سكان تلك الجهات ؛ فيحثه على تهييئهم - كما حدث في مناطق أخرى - وهو لا يخفي مقاصده : "فبسبب هذا أردنا معك المصارفة لأجل كلمتك نافذة في جميع تلك النواحي، وتقدر توجد نؤمن بأنك تستطيع أن تمهد إلينا تلك البلاد حتى ندخلوا إليها بالفرح وغاية السرور" وفي مقابل ذلك يعده ويمنيه : "وإنما أتكلم مع أحد الرجل ذي عقل وفطنة وسياسة وخيارة، الذي ستكون له مكافأة على خدمته...".

يتبين من خلال مقاطع هاتين الرسالتين أن زاوية تانغملت كانت في صدارة الأحداث بتلك المنطقة. لكن نجد شيخ الزاوية يلتزم الحذر إزاء الحالتين، مما يدل على سلوكه بمراعاة الأمر الواقع. فهو لم يعلن بعد عن موقفه الصريح مادامت الأمور لم تستتب لأي أحد.

لكن حين أصبح المخزن الجديد يسيطر على الوضع مال شيخ تانغملت إلى التعامل مع هذا الوضع بلباقة، نستفيد ذلك من رسالة وجهها القائد عبد الله أوشطو إلى شيخ الزاوية يدعوه فيها إلى زيارته من أجل الاستجمام ويلوح إليه بالتوسط لدى بعض القبائل التي "ما تزال خارجة عن الطاعة".

وبعد وفاة الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي سنة 1350 / 1932، دخلت الزاوية مرحلة واصلت فيها وظائفها في سياق الظروف الجديدة تحت سيطرة الاستعمار. ولعل ذلك راجع إلى الوضعية الجديدة التي عاشها المغرب عامة. فقد ذكرها جورج دراگ، فيما بعد، من بين الزوايا التي "استمالها" الفرنسيون (Drague, *Esquisse*, 107 note 6). وعلى الرغم من أن الوثائق والمستندات تصبح نادرة بعد سنة 1350 / 1932، وهو شيء يثير أكثر من تساؤل ؛ فإن الرواية الشفوية تفيد أن تانغملت عرفت نشوب نزاع بين بعض أبناء سيدي أحمد أ'لعباس وإخوته من أجل ولاية شؤونها. لكن يبدو من خلال ملاحظة ممتلكات الزاوية حاليا، وما يتوافد عليها من زوار من مختلف قبائل الأطلس - من إينولتان إلى أيت بوگماز - أنها ماتزال تتمتع بنفوذ كبير. فالوفود تترى عليها طوال السنة، حتى تضيق بمن فيها، بصفة خاصة خلال شهري شتنبر وأكتوبر من كل سنة، فترى عشرات الرجال والنساء - يتقدم كل جماعة مقدمها - يمثلون في السبعينات والثمانينات بين يدي الشيخ سيدي البزيد بن الأمين بن العباس، في "المصرية" المعدة للاستقبالات ؛ من أجل التبرك واستطار دعوات الشيخ وطلب الاستشفاء. ويستشف مما يحكيه الشيخ المذكور أن نجم الزاوية لم يأفل في عهد الحماية، خاصة لما استيقن الفرنسيون من "حيادها" تجاه الشؤون السياسية. وهذا الحياد - في نظره - هو الذي جعله من رفقاء القائد أوشطو، يتردد بين الحين والآخر على بعض الشخصيات المخزنية

المرموقة.

يتضح من هذه الرواية إذن أن جانب تدبير شؤون المؤسسة ذات الدور الاجتماعي قد صار مهيمنا على زاوية تانغملت ـ في هذا العهد ـ مما قد يدفع إلى الظن أن الجانب الروحي / الصوفي بدأ يتراجع، وهو أمر طبيعي في تطور الزوايا بصفة عامة.

وماتزال ـ اليوم ـ تتلقى هبات وزيارات متنوعة ومختلفة ؛ ومقابل ذلك تؤوي وتطعم كل من يلوذ بها أو يلجأ إليها أو يزورها. وماتزال تحسم في بعض القضايا اليومية التي تعرض على شيخها، بين الحين والآخر، ومايزال مسجدها الجامع بكل مرافقه ـ ومنها الحمام ـ يقوم بدوره على أحسن وجه. إلا أن دورها التعليمي قد اندثر، منذ انتشار التعليم الرسمي ؛ شأنها في ذلك شأن معظم زوايا المغرب ؛ على الرغم من أنها تحتفظ بعدد من المخطوطات النفيسة.

ومن شيوخ زاوية تانغملت : موسى البوگماري (بداية النصف الثاني من القرن الحادي عشر) وعبد العزيز بن موسى كان بقيد الحياة عام 1090 هـ ومَحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز، توفي عام 1168 هـ وعبد الرحمن بن مُحمد بن مَحمد توفي عام 1182 هـ ومَحمد بن مُحمد بن مَحمد (النصف الأول من القرن الثالث عشر) ؛ العباس بن مَحمد توفي حوالي 1311 هـ ؛ أحمد بن العباس توفي عام 1350هـ. ومازال منهم أحياء اليوم.

وثائق زاوية تانغملت وزاوية كرول ؛ أحمد الولالي، *مباحث الأنوار*؛ م. م. الفاسي، *متع الأسماع* ؛ محمد المنالي الزيادي، *دوحة البستان* ؛ محمد بن عبدالله الخليفتي، *الدرة الجليلة*؛ م. الغجدامي، *التسلي*....

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse*.

التانغملتي، أحمد بن العباس بن مَحمد بن مُحمد ابن مَحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى، البوگمازي. يعرف بـ "سيدي أحماد أُلعباس". لا نعرف تاريخ ميلاده، إلا أن أقدم وثيقة تذكره ـ حسبما نعلم ـ ترجع إلى العشرين من شوال سنة 1296/ 1879، يستفاد منها أنه كان مقدما على مرابطي تانغملت. وأنه كان في مرحلة من العمر تؤهله لأن يخاطب من طرف رجال المخزن. أي أنه بلغ الحلم على الأقل. وإذا كنا نعرف أن والده توفي حوالي 1311 / 1894، يمكن القول إنه كان ينوب أحيانا عن والده في شؤون الزاوية أو أن أباه قد أشركه في تدبير أمورها في حياته. إذ تكررت الإشارات إلى أنه كان خليفة والده.

ويظهر من خلال بعض الوثائق ـ وبعضها موقع بيده ـ أنه نال نصيبا من العلم، وقام ببعض الرحلات، وخاصة إلى مراكش. كما يستفاد من وثيقتين عدليتين أنه كان "مشارطا" لدى بعض القبائل لمدة سنتين وسبعة أشهر، أي أنه حافظ لكتاب الله وبعض المتون المتداولة. ويرجع له الفضل في بذل مجهودات محمودة من أجل المحافظة على كتب خزانة الزاوية ؛ كان يقوم بالإشهاد على كل من استعار بعض كتبها. ومما يدل على غنى تلك الخزانة أن الطلبة كانوا يترددون عليها لاستنساخ بعض المؤلفات.

ورغم ذلك يبدو أن مكانة الزاوية العلمية ظلت متواضعة في عهده، كما يتضح ذلك من رسالة وجهها المدعو علي ابن أبي جمعة إلى التانغملتي، قال فيها : "فحامله تلميذنا الفقيه... أحمد بن إبراهيم الهشتوكي وجهناه لحضرتكم بقصد عمارة مدرستكم بالتعليم والإرشاد، وغير ذلك مماله تعلق به ... واجعلوا خمسين ريالا له شرطا..."

لكن مكانة أحمد التانغملتي كمتصوف كانت أبرز من مكانته العلمية، كما يستفاد من مختلف الرسائل الموجهة إليه. ومعظم هذه الوثائق تنعته بـ"ولي الله"، "البركة العظمى"، "الخير البركة" والأمثلة متعددة. كما تفيد أن صيته قد علا أكثر من بعض أسلافه، ولاسيما في الفترة الممتدة بين 1312 / 1894 و1338 / 1919، حتى يمكن القول إن زاويته قد تصدرت الأحداث على مستوى تلك الجهات. ولعل السبب في ذلك راجع ـ إلى حد كبير ـ إلى ظرفية المغرب عموما.

فبعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1311 / 1894 انتفضت عدة قبائل، ولاسيما في المناطق الجبلية ؛ ومن ضمنها القبائل المجاورة لزاوية تانغملت مما جعل مترجمنا يضطلع بأدوار بالغة الأهمية. ولما انصب غضب المنتفضين على الحاج الجيلالي الدمناتي ممثل المخزن في إينولتان، لم يجد بدا من اللجوء إلى زاوية أبي العباس التانغملتي، طيلة مدة نفيه. فبذل هذا الأخير مساعي حثيثة لإصلاح ذات البين بين العامل وإيالته، وهذا ما يستفاد من رسالة بعث بها السلطان عبد العزيز إلى المرابط المذكور شاكرا له جميل صنيعه.

وظل التانغملتي يتبوأ المكانة المرموقة حتى بعد فرض الحماية على المغرب، فحين دخل أحمد الهيبة مدينة مراكش، كان مرابطنا من جملة من وجه إليهم المكاتيب. فقد استحثه على التدخل لدى القائد صالح أوراغ الذي لم يكن مؤيدا لحركة الهيبة حسبما يبدو، لذلك نجده يخاطبه قائلا : "فنحبك تتكلم معه وتعظه وتحرضه على التمسك بدينه... فمثله لا يناسبه ولا يليق به إلا العمل للآخرة وإعانة المسلمين. فاسع في ذلك وفي غيره من مصالح المسلمين".

وحاول الهيبة استعمال نفوذ التانغملتي لاستمالة قبائل المنطقة، قائلا : "ونحن اتكلنا في مصالح تلك الجهة عليك، فكن عند الظن بك، وقف جهدك..."

لكن يظهر أن أحمد التانغملتي لم يكن يبدي كامل الاستعداد لمساندة حركة الهيبة، لأن هذا الأخير قد استهل رسالته بعتابه على تأخير الجواب عن رسالته السابقة. وقد أبدي نفس التحفظ إزاء محاولات الكولونيل مانجان (Mangin) حاكم مراكش معتذرا "بأنه رجل مرابط ولامدخل

له في الأمور سوى أمور الديانة". غير أن مانجان ألح عليه إلحاحا قويا، لأنه اعتقد أن له اليد الطولى "في بلاد هنتيفة وأيت مصاض وأيت عتاب" ولأن فرنسا كانت تسعى إلى تطويع القبائل بدون كلفة. وفي هذا السياق خاطب مانجان التانغملتي قائلا : "وعلى هذا نحبك تعيننا على هذا الأمر غاية، فبسبب هذا أردنا معك المصارفة لأجل كلمتك نافذة في جميع تلك النواحي، وتقدر توجد (تهيئ) إلينا تلك البلاد حتى ندخلوا (ندخل) إليها بالفرح وغاية السرور".

ولعل موقف التانغملتي قد ساير الأمر الواقع. نستنتج ذلك من خلال العلاقة الحميمة التي أصبحت تربطه مع المخزن المحلي. فقد كتب إليه القائد عبد الله أوشطو رسالة يدعوه فيها للقدوم إلى بلدته من أجل الاستجمام، ويومئ إليه بالتوسط لدى أيت عباس الذين ما يزالون "خارجين عن الطاعة".

وفي عهد أحمد بن العباس التانغملتي تضاعفت موارد الزاوية، حيث ظلت الهدايا والزيارات تترى على شيخها. فقدم إليها السكان النقود والغلال والزروع والأغنام. وقدم الشيخ بدوره للسكان الدواب والمواشي والزيوت واللوز والأكسية، وناب عن البعض في تسديد الديون. يمكن القول بناء على ما تقدم إن الزاوية في عهد الشيخ أحمد بن العباس قد أدركت أوجها فيما يخص جمع الثروة.

توفي أحمد التانغملتي سنة 1350 / 1931 ودفن بضريح الشيخ أبي عمران موسى البوگمازي.

وثائق زاوية تانغملت.

التانغملتي، العباس بن مَحمد بن مَحمد بن مَحمد ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى البوگمازي، أبو جعفر. تشير وثيقة مؤرخة في رابع ربيع النبوي من سنة 1269 / 1853، إلى أن العباس التانغملتي كان ما يزال تحت تقديم أخيه، ولايعني ذلك بالقطع أنه ما يزال قاصرا. وهذه الوثيقة عبارة عن عقد شراء جاء فيها : "اشترى المرابط... السيد محمد البشير .. لنفسه ولأخيه ... ولأخيهما".

وفيها خصه الموثق بالمرابط وجعله يتصدر المشترين. ومعنى ذلك أن الأخوين كانا أصغر من أخيهما، ولعلهما كانا مايزالان قاصرين. وخاطب أحدهم العباس التانغملتي في وثيقة ثالثة مؤرخة في سنة 1276 / 1860، بـ"المرابط الخير البركة السيد العباس بن محمد ... سلم مني على أخاك [كذا] السيد عبد الرحمان...". ولاتذكر الوثيقة محمد البشير. أي أنه قد توفي قبل ذلك وأن العباس قد صار هو المتصدر لشؤون الزاوية. وانطلاقا من سنة 1302 / 1885 تتعدد الوثائق التي تؤكد أن العباس هو الذي أصبح متصدر أمور زاوية تانغملت.

ويستفاد من تلك الوثائق أن علمه لم يكن يتعدى علم طالب عادي. فقد عثرنا على رسالتين برسم خط يده : الأولى وجهها لأخيه عبد الرحمان، والثانية بعث بها لابنه أحمد. ويبدو أن الزاوية في عهده لم تكن خالية من طلاب العلم، فقد وجه إليه أحد الغرباء رسالة يلتمس منه أن يكسوه، ويخبره برغبته في متابعة دراسته بالزاوية التي كانت ماتزال مركزا له شهرة علمية.

والمؤكد أن الشيخ العباس لعب دورا بارزا للتوسط في النزاعات والتحكيم، والأمثلة متعددة في هذا المجال. فالأشخاص والقبائل يطلبون تدخل الشيخ التانغملتي لدى ممثلي المخزن، وهؤلاء لا يوثق في "أمانهم" إلا بعدما يوجه عن طريق الشيخ. وقد خاطبه أحدهم ـ في هذا السياق ـ قائلا : "ونحن استحرمنا بأولادك صغارا وكبارا أن لاتخيب ظننا بك ... وأن القائد السيد محمد (أوشطو) ملأوا سمعه وبصره بما لا يليق عنا حتى جفا بنا ولم يسمع منا". فكل المحاولات التي بذلها هذا الشخص ليتفادى ملاحقة القائد، لم تجد فتيلا إلا بعدما توسط في النزاع مرابط تانغملت.

ووجه العامل الجيلالي بن علي الدمناتي رسالة إلى العباس التانغملتي تفيد أن فخذة أيت إبراهيم من أيت بوولي استكتبوا قائدهم عبد الله أوشطو ليوجه لهم "الأمان" على يد نفس المرابط. وبصدد ذلك قال القائد الجيلالي : "ها الأمان عليهم يصلك فلابد بارك الله فيك كلمهم وأرشدهم للجادة التي فيها صلاحهم مع المخزن، لأن بقاءهم على انحرافه لايفضي لهم بخير..." (الرسالة مؤرخة في ربيع الثاني سنة 1307 / 1890).

لكل ذلك حظي التانغملتي بمكانة مرموقة لدى سكان تلك الجهات. فتعلقوا بأذياله واستحرموا بزاويته في أوقات الشدة، لاسيما وأن هذا العهد صادف نوعا من الضغط المخزني على سكان الجهات. تجلى ذلك في محاولات السلطان المولى الحسن تطويع تلك القبائل، وجباية الضرائب بسبب حاجة المخزن للأموال.

في هذه الظرفية صارت الزاوية حرما يلتجيء إليه المظلومون والخائفون من عسف إخوانهم أو من عسف ممثلي المخزن. وفي هذا الإطار خاطبه أحد السكان قائلا : "فها نحن وأولادنا في عار الله وعاركما (العباس وأحمد) وعار أسلافكما..."

ولم نعثر على ما يفيد في تحديد تاريخ وفاته بالضبط. لكن آخر رسالة ـ اطلعنا عليها ـ برسمه ترجع إلى سادس ذي الحجة سنة 1309 / 1892. وفي أثناء ثورة إينولتان ضد عاملهم الجيلالي الدمناتي سنة 1311 / 1894 على إثر وفاة مولاي الحسن، استحرم العامل المذكور بزاوية تانغملت والقائم عليها آنذاك هو الشيخ أحمد بن العباس التانغملتي (الغجدامي، *التسلي*، 55 و66). معنى ذلك أن الشيخ العباس توفي بعد سنة 1309 / 1892 وقبل وقوع الثورة في سنة 1311 / 1894. وتفيد الرواية الشفوية أن وفاته كانت في سنة 1311 / 1894 بتانغملت وبها دفن.

وثائق زاوية تانغملت.

التانغملتي، عبد الرحمان بن محمد بن إبراهيم بن

عبد العزيز، ترجم له مَحمد بن عبد الله الخليفتي وجعله من بين تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي (*الدرة الجليلة*، 281). والمرجّح أنه أخذ عنه بواسطة والده محمد بن إبراهيم.

كان عبد الرحمان من رجال الصلاح بزاوية تانغملت التي تولى شؤونها بعد وفاة والده سنة 1168 / 1755 (*الدرة الجليلة*، 282) ويظهر أن الزاوية في عهده عرفت بعض التراجع من الناحية المعنوية. وعلى الرغم من عدم توفر الوثائق حول هذا العهد القصير، الممتد على أربع عشرة سنة فإن وفرة الرسائل الموجهة لأخيه محمد بن محمد بن إبراهيم ولابن هذا الأخير محمد بن محمد بن إبراهيم توضح أن هذا العهد كان بمثابة مرحلة انتقالية، إن لم تتسم بالتراجع فقد تميزت بالركود.

ويبدو أنه لم يبلغ درجة أخويه أو بعض أبنائهما في الجانب العلمي ؛ إذ لم يرد في ترجمته ما يفيد تبوأه مرتبة علمية معينة. يقول الخليفتي في ترجمته : "كان رحمه الله رجلا صالحا تاليا لكتاب الله تعالى، فاضلا متواضعا تقيا مجتهدا في دينه، مجتهدا في أمور الزاوية ..." وقد اقتفى آثار أسلافه في تكريس الوظائف التي اضطلعت بها الزاوية كإرفاق الناس في زمن الأزمات، والتوسط في النزاعات. ويذكر الخليفتي أنه كان .. صابراً لإذاية الخلق". مما يمكننا من أن نستشف ما أصبحت تتعرض له الزاوية من ضرر ناتج عن عدم الاستقرار الذي طبع ذلك العهد، قبل أن تستعيد البلاد بعض الهدوء مع تولية السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1171 / 1757.

توفي عبد الرحمان التانغملتي في فاتح ذي الحجة سنة 1182 / 1769، ودفن بمقبرة زاوية تانغملت.

وثائق تانغملت : م. محمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة*...

التانغملتي، محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى البوگمازي، ولد سنة 1089 / 1678 (*الدرة الجليلة*، 279) انفرد الخليفتي بالترجمة له، لكنه لم يتعرض لنشأته ولا لسني حياته الأولى. لذلك لا نعرف شيئا عن دراسته ولاعن مستواه العلمي ؛ فقد يكون المترجم أميا إلا أنه اشتهر كمتصوف، فقد حلاه الخليفتي بـ "الشيخ الصالح الولي الناصح، الرباني، فريد عصره، ومصباح أهل زمانه" (*الدرة الجليلة*، 277).

أخذ الورد عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، وهو من أبكاره. مما قد يفيد أنه انخرط في سلك الناصريين في شبابه، كما يستفاد من عقد زواجه، إذ تزوج هو في سن السادسة والعشرين من عمره. ووسمه العدلان "بالمرابط" ؛ مما قد يفيد أنه تولى شؤون الزاوية قبل ذلك الأوان. والعقد المشار إليه محرر في عشرين من ذي الحجة عام 1115 / 1704.

استنابه الناصريون ـ لأنه عاصر خمسة من شيوخهم : أحمد وموسى وعبد الله وجعفر ويوسف ـ في تلقين الذكر والورد. أي أنه حصل على الإذن المطلق. وشهدوا له كلهم بالصلاح، لأنه سلك طريقتهم حق السلوك، ونسج على منوالهم، في العبادة والتقوى والزهد ؛ وهي أمور اشتهر بها شيوخ الناصريين الأوائل.

كل ذلك جعل زاويته ـ تانغملت ـ تستقطب العديد من المريدين والأتباع. ومن ثم أصبحت الهبات والزيارات تترى عليها. لذلك وصفه مترجمه بالسخاء وكثرة العطاء، حيث يقول : "يعطي البقر والبغال والزروع والزيت والكسوة وغير ذلك". (*الدرة الجليلة*، 278). مما قد يفيد أن الزاوية عرفت بسطة في جانبها المادي في عهده. ومن خلال عقد نكاح هذا الشيخ يمكن تأكيد ذلك. فقد تزوج محمد بن إبراهيم التانغملتي بفاطمة بنت حمي اليوسفية على صداق "نهايته عشرون مثقالا فضة سكة تاريخه". ويشير الخليفتي إلى أنه كان "نفاعا للمسلمين، فلا يبخل عنهم بماله ولا بنفسه".

بالإضافة إلى ذلك اشتهر التانغملتي بوساطاته المتعددة بين الناس، فكان "مجتهدا في إصلاح ذات بين المسلمين، فمن أتاه يطلب منه القدوم لأمر يساعفه بخطواته".

لهذه الأسباب ما فتيء صيت التانغملتي يعلو، حتى أصبحت تؤثر عنه المناقب والكرامات. ومن ذلك ما أخبر به عبد الله العتيقي، وهو "رجل صالح اشتهر بكثرة الرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم". يشير الخليفتي إلى أن العتيقي رأى النبي صلعم في قصة طويلة، وبعثه إلى تانغملت قائلا له : "بلغ سلامي لسيدي محمد بن إبراهيم، وقل لسيدي محمد بن إبراهيم جعلناك وكيلا، وفوضنا لك الأمر في كل ما تريد، جعل الله راحة المسلمين فيك، وجعل الحكمة على لسانك، لاتنتظر الدعاء عند أحد، أنت الذي تحتاج تدعو للخلق". (*الدرة الجليلة*، 278). يظهر هذا النص غنيا عن كل تعليق، لأن كل من تروج حول شخصه مثل هذه الأقوال في وسط كانت فيه الزاوية هي المؤسسة الوحيدة التي ترعى الشريعة الإسلامية وتعمل على نشرها، يعتبر من الصلحاء الكبار، مما يضفي على سدنتها ـ ومن بينهم مترجمنا ـ نوعا من التبجيل والتقديس. لذلك أقبل الناس في تلك الجهات على الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي، حتى صار يلقن الأوراد ويعطي العهود، بل كان يستشهد بالرؤية. وقد عقد معه والد الخليفتي ـ عبد الله بن محمد ـ "عقد المحبة العظيمة التي لاتنقطع بالموت، واستشهدته بالروية ... فشهد لي بذلك، وكنت أقرب إليه... ورأيت له المناقب والكرامات والخوارق مالا يدخل تحت الحصر". (*الدرة الجليلة*، 279). فصار يخطب وده ويطلب صحبته.

وقد استمد هذه المكانة ـ بالإضافة إلى معطيات المنطقة ومؤهلاته الشخصية ـ من انتمائه إلى الطريقة الناصرية التي كانت في أوج عزها آنذاك، فتوثقت العلاقات بين زاويته وبين تامگروت التي مر بعض شيوخها بمنطقة تانغملت، لاسيما موسى الناصري (ت. 1142 / 1730) الذي كان كثير التردد على فروع الزاوية الناصرية بالمنطقة مثل

أُوزوض وأيت خليفت وغيرهما.

توفي الشيخ محمد بن إبراهيم التانغملتي سنة 1168 / 1755. ودفن بمقبرة زاوية تانغملت.

وثائق زاوية تانغملت ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

التانغملتي، محمد بن مَحمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن موسى وهو أكبر بني أبيه. تلقى دراسته الأولى بزاوية تانغملت ثم انتقل طالبا للعلم إلى مدينة مراكش، حيث أخذ عن أشهر علمائها، منهم أحمد بن سليمان الرسموكي بجامع المواسين وعبد الله بوخريص ومحمد الصغير الإفراني وعبد الله بن عبد الواحد الفيلالي.

وقد عثرنا على رسالة بعث بها المترجم إلى المدعو محمد بن عبد الله يخبره بالقدوم إلى مراكش "قصد سرد *الشفا والكلاعي* في شهر رمضان". فأجابه هذا العالم معتذرا حيث قال : "فما ذكرت أعزك الله أثقل علي .. لأمرين : أحدهما أني لست أهلا لذلك .. وطول عهدي بالقراءة أكثر من أربعين سنة. والثاني ما بي من الضيقة وقلة الصحة ..". ولعله قد رجع إلى زاوية تانغملت بعدما أنهى دراسته، فتصدر بها للتدريس. يقول الخليفتي : "ولم يقطع رحمه الله تدريس العلوم إلى أن مات مجتهدا في التعليم" (*الدرة الجليلة*، 278). يبدو أنه كان من بين علماء الزاوية الذين عملوا على ترسيخ التعاليم الإسلامية ونشر الثقافة العربية في تلك المنطقة البعيدة عن المراكز العلمية الكبرى آنئذ، لذلك حلاه الخليفتي بـ "الإمام العالم التقي، الملازم لتدريس العلوم وبثها إلى أن مات". وخاطبه أحدهم قائلا : "ركن السيادة المؤسس على التقوى، والحصن الحصين الذي لا تخفر ذمة من تمسك بسببه الأقوى، هذا ولاغَرْوَ أنه من جهابذة الوقت الذين قربهم الباري جل جلالة..." وحلاه آخر بقوله : "الفقيه الأستاذ الأديب أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن إبراهيم التانغملتي...".

أما فيما يخص طريق القوم فقد ترجم له الخليفتي كواحد من بين تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر. لكن يبدو أنه أخذ عنه بواسطة والده، كما يستنتج من قول الخليفتي : "تلمذ رحمه الله على أبيه ونسج على منواله، تابعا لطريقة الأشياخ الناصرية على نحو فعل أبيه" (*الدرة الجليلة*، 280).

لذلك يمكن القول إنه جمع بين العلم والتصوف، إلا أنه - حسبما يبدو - لم يتصدر للقيام بشؤون الزاوية، على الرغم من أنه خدمها بواسطة نشر العلم. وكان والده يكلفه أحيانا بالقيام بالوساطة أو التحكيم بين أهل تلك المنطقة (*الدرة* [illegible] 278)، ويستفاد من رسالة بعث بها إلى أحدهم أنه [illegible] الدور الذي اضطلع به والده، حيث توسل إليه [illegible] أن يتدخل لدى بعض أيت مصاض لاسترجاع [illegible] مخاطبا إياه بهذه العبارات : "ولا نريد بذلك [illegible] في هذا الأمر ولا في هذا الزمن حتى خبطنا كثير الخبط. ولم نجد به شيئا". ويتوسل إليه أيضا عبد الله بن أحمد الهوزالي، في رسالة، أن يتدخل لدى السلطان ليطلق سراح إخوانه المسجونين في مراكش.

وعلى الرغم من إشادة مترجمه بمكانته العلمية، فلم نعثر على ما يفيد أنه خلف أثرا في ميدان التأليف. ولعل ذلك راجع إلى انشغاله بالتدريس، واضطلاعه ببعض مسؤوليات الزاوية. وقد يكون مرد ذلك، أيضا، إلى أن ما تزخر به تانغملت من تراث مايزال غير معروف.

توفي محمد التانغملتي بزاوية تانغملت عام 1149 / 1737 ؛ وبها دفن خلف قبر عم والده محمد بن عبد العزيز.

وثائق زاوية تانغملت ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ...

التانغملتي، مَحمد بن محمد بن مَحمد بن إبراهيم. أحد أعلام زاوية تانغملت ترجم له محمد بن عبد الله الخليفتي في كتاب *الدرة الجليلة*، وأشار إلى أنه درس بمراكش وتنقل بين بعض المدن والقرى في سبيل طلب العلم، فلقي عدة من شيوخ العلم أخذ عنهم واستجازهم. وبعدما نال حظا من العلم رجع إلى زاوية تانغملت حيث تزوج وانبرى لتدريس العلوم كما كان دأب والده. ولعل الزاوية قد شهدت قبيل رجوعه مرحلة من الركود، كما يستفاد من رسالة وجهها إليه والده، حين كان غائبا بمراكش من أجل الطلب. فقد استحثه على الاجتهاد في تحصيل العلم هنالك قائلا : إن "البلد هذه الساعة ما فيه من يقول أعوذ بالله غير طالبين (من) بوحسوسن، وطالب من كرول". ويضيف: "ولاتقصر فإن المسجد بقي بلاعمارة".

وقد حلاه الخليفتي بـ"الأستاذ الفقيه العالم العلامة... له معرفة تامة في العلوم، قرآنا وفقها ونحوا وحديثا وغير ذلك من الأصول" "حجة في كل شيء" لذلك سرعان ما استعادت الزاوية، في عهده، سالف مجدها من الناحية العلمية. ومن ذلك يرجع له الفضل في جمع عدد كبير من الكتب في خزانة تانغملت.

تولى شؤون الزاوية بعد وفاة عمه عبد الرحمان سنة 1182 / 1769 (*الدرة الجليلة*، 281). تلقى الإذن بتلقين الورد الناصري من الشيخ يوسف الناصري ؛ فاجتهد في أمور زاويته حتى تعدد أتباعها ومريدوها ؛ وصارت قبلة لمن أراد الاستزادة من العلم، من سكان تلك الجهات، وفي هذا السياق يذكر الخليفتي أن صاحب الترجمة كان من جملة شيوخها، بل لقد حصل على يديه كثيرا من العلوم. وفي ذلك يقول : "وهو الذي أخذنا عنه جل استفادتنا وعليه جمعنا كثيرا من نوازل العلم، وهو عمدتنا في ذلك، (*الدرة الجليلة*، 285. 286)، لذلك حين انتهى الخليفتي من تأليف *الدرة الجليلة*، قدمه والده إلى شيخه التانغملتي. فقام هذا الأخير بتقريظه في يوم 22 ذي الحجة سنة 30/1183 مارس 1770 (*الدرة الجليلة*، 338. 339) ويوجد هذا التقريظ على ظهر الكتاب المذكور، بخط التانغملتي هذا.

يظهر، من خلال ماذكر، أن العلاقات بين زاوية

تانغملت وزاوية أيت خليفت كانت وثيقة في هذا العهد. فقدم نظم التانغملتي مقطوعة شعرية في مدح عبد الله الخليفتي، وذيلها بالتوسل إليه في الدعاء له ولأولاده (*الدرة*، 339 . 340). ولما مرض عبد الله الخليفتي مرض موته، استكتب ابنه للشيخ التانغملتي ليوصيه بأولاده قائلا : "فهو وصيي على أولادي، فآمره أن يستوصي بهم خيرا مادامو أحياء، ودام حيا..." (*الدرة الجليلة*، 341). وحين توفي الخليفتي المذكور لم يتم دفنه إلا بعدما قدم التانغملتي ليصلي عليه، الأمر الذي يجعلنا نظن أن الصلات الروحية بين الزاويتين كانت تتعدى مستوى نهلهما من منبع واحد، أي الاشتراك في السلوك وفي الطريقة.

لم نقف على تاريخ وفاة محمد التانغملتي، إلا أن وثيقة من تانغملت تفيد أنه كان يقيد الحياة سنة 1210 / 1796.

وثائق زاوية تانغملت ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*.

أحمد عمالك

تَانَـقُّـوبْ، مكان يقع بقبيلة الأخماس، وعلى إثر احتلاله يوم 4 غشت سنة 1926 أنشأ الجيش الإسباني ثكنة عسكرية بنيت حولها فيما بعد قرية لتكون في التقسيم الإداري الحالي مركز جماعة قروية تابعة لدائرة إقليم شفشاون.

Nomenclator cabila, 1953 ; Martinez Campos, *España bélica*.

محمد ابن عزوز حكيم

تَانْكَارْفَا، ممر طبيعي لطريق القوافل منذ أقدم العصور، وهو عبارة عن شعب تعمق فيه الوادي بشكل مفاجيء ليربط بين تاسريرت تَازُوگَّاغْتْ شرقا، وبين تاسريرت تُومْلِيلْتْ غربا، أي الهضبة الحمراء والهضبة البيضاء بالنسبة لتربة الحمري والتربة الجيرية. ومن هذا الممر وحده كان التجار يسلكون بالقافلة الرابطة بين مدينة سيدي إفني وثلاثاء الأخصاص في عهد الحماية.

يحتوي هذا المكان على آثار لحضارة قديمة، وتدل القرائن والمقابر ووجود المياه والموقع المنيع على وجود بقايا ترجع إلى عهد بعيد، وأقدم حصن في عين المكان يرجع إلى عهد المرابطين حسب الروايات الشفوية، ومما يلفت الانتباه تركز عدد مهم من الصالحين حول تانكارفا، منهم صاحب الضريح عبد الله بن يحيى، وهو والد الصالح بوگارفا حسب ما يدعى حفدته. وهناك الصالح وامْلْحَافْتْ، ومسعود أُزَايْنَا صاحب الموسم التجاري السنوي حتى الآن، وسعيد أُعلي .. وفي تانكارفا تقع دار القائد المشهور بـبُوحْلَايْسْ وهو علي السيموري الباعمراني من قواد السلطان عبد العزيز، توفي عام 1340 / 1921، وكان مشهورا بلعبة الشطرنج في تلك الجهات، وأبراجه في تانكارفا ما زالت تدل علي ما مر هناك من خير وشر.

وفي تانكارفا مدرسة عتيقة تعد من أقدم المدارس العلمية الباعمرانية، ومن أشهر أساتذتها صاحب الضريح هناك عبد الله بن يحيى (ت. حوالي 950 هـ). ولعل معظم الصالحين هناك من تلامذته، ثم خفت صوتها إلى أن شارط فيها الفقيه المفتي أحمد أُهميش الذي ولد حوالي 1255 هـ وقضى عمره كله في التدريس إلى أن دفن هناك حوالي عام 1330 / 1911 وخلفه في تلك المدرسة الروائي الحسن بن محند العبلاّوي الباعمراني، فصارت المدرسة متخصصة في تدريس القرآن وروايته، إلى حوالي عام 1357 / 1938 حيث خلفه ابنه إبراهيم منذ ذلك الوقت حتى الآن، وعلى يده تخرج كثير من حفظه القرآن. وتقام في تانكارفا سوق أسبوعية يوم السبت حاليا، وقد حلت محل سوق فيدود.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مرقون ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 245 ؛ *طاقة ريحان من روضة الأذهان*، 29 ؛ *رسالة سلطانية إلى القائد علي بوحلايس*.

الحسين جهادي

تَانْكُرْتْ، اسم أمازيغي بمعنى النهضة من فعل (ءينكر) بمعنى نهض. وتدعي بتانكرت منطقتان كبيرتان متباعدتان إحداهما في إفران الأطلس الصغير بناحية تيزنيت، وثانيتهما بقبيلة إيداوتنان في الأطلس الكبير، لعل تسميتهما ترجع إلى خصوبتهما وكثرة مياههما الجارية التي يترتب عنها نبات الزرع وقيامه. (*خلال جزولة*، ج 2، ص 252). وقبيلة تانكرت التنانية التي نحن بصدد التعريف بها هي ثالثة قبائل إيداوتنان، وتقع تانكرت بجهة الشمال الغربي من جبال إيداوتنان التي تشكل الجزء الغربي للأطلس الكبير المطل على المحيط الأطلنتي. وتتكون قبيلة تانكرت التنانية من عشر فرق أحصاها حاكم فرنسي بالكوانين عام 1924 كما يلي :

1 ـ فرقة إيدا ومطاط : 110	6 ـ فرقة انجعاف :200
2 ـ فرقة إيدا أُعمران : 160	7 ـ أيت تيديلي :150
3 ـ أيت واعـــزري : 410	8 ـ أيت بوغـــدا :150
4 ـ أيت يحيـــــا : 170	9 ـ أيت واعـــلا :080
5 ـ أيت إيمسكـــر : 200	10 ـ أيت ناصـــر:140

فيكون بذلك مجموع قبيلة تانكرت سنة 1924 هو 1770 كانونا، وكلها من أصل أمازيغي ينتمي إلى قبيلة مصمودة باستثناء بعض العائلات الإدريسية المنتسبة إلى الشيخ إبراهيم بن علي التغاميني التناني (989 / 1581). كما أن هناك عائلات أخرى في فرق إيداومطاط وتيديلي وأيت بوغدا تنتسب إلى أولاد أبي السباع بشيشاوة بناحية مراكش، في حين نجد فرقة إيداعمران ينتسبون إلى قبيلة بني زروال بالغرب، ومع ذلك فإن أهل تانكرت انصهروا كلهم في قالب إسلامي فتوحدت لغتهم الشلحة الأمازيغية وتشابهت عاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية.

وقد توحدت قبيلة تانكرت حول مدرسة علمية عتيقة تدعى إيسيمنا واقعة قرب دار شيخها (أمغار) بُونَاگَّة، الذي تسلسلت رئاسة هذه القبيلة في أسرته منذ عصر محمد بن عبد الله. ولقبيلة تانكرت عدة أسواق مشهورة

تدل على نشاط حركتها الاقتصادية أهمها : سوق الأحد إيمسكر ـ وسوق جمعة إيدا ومطاط فوق غدير أهدار ـ وسوق ثلاثاء تانكرت الواقع قرب مركز تافركانت للمياه والغابات، وهو السوق الرئيسي عند أهل تانكرت، فإليه يحملون جميع منتجاتهم الفلاحية، وإليه يرفعون جميع الخصومات لعرضها على شيخهم الكبير بوناگة الموجود باستمرار في هذا السوق منذ ما قبل الحماية إلى اليوم. وبقبيلة تانكرت مآثر تاريخية منها برج أهدار أحمد، والمكان المنسوب إلى الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (*خلال جزولة*، 4 : 89 ؛ *الإعلام*، 5 : 56).

ورغم ضعف الحركة التعليمية بنوعيها التقليدي والحديث ـ مؤخرا ـ بقبيلة تانكرت فان أهلها قد رادوا الآفاق فهاجروا إلى الدول الأوربية وإلى المدن المغربية الكبري فاشتهروا في أگادير والدار البيضاء والرباط وفاس بنشاطهم التجاري وخاصة في بيع الأقمشة والملابس ومواد الأناقة وما شابهها مما يناسب أذواقهم. وقد أشاد المختار السوسي بما عاينه لدى التانكرتيين خاصة والتنانيين عامة من أناقة حضارية وحسن تدينهم إذ قال (وقد وجدنا أرباب مثوانا) (أيت بلعيد التجار) يبنون بناءً حضاريا أنيقا، ويا ماأحلى أناقة الحضارة في بحبوحة البداوة، وقد كنا عرفنا من قبيلة إداوتنان حبهم لحسن الرياش ولصقل الأواني وللأطعمة الفاخرة وللطيب فلا نكاد من قبل الاحتلال ندخل دار أحدهم إلا وجدنا عنده أثاوة من ذلك على قدر ذات يده... زيادة على حسن نية وجميل اللقى وإكرام الضيف، فإن فيهم من السخاء ما يقل مثله في جبليي أ ُلتيتَة وإنما الذي يسترعي النظر من التنانيين خفة حركة وكثرة الهذر، خلق جبلوا عليه قد يواخذهم عليه من لا يعرفهم، فلا يعرف حسن نياتهم ومقاصدهم، وقد كان الدين فيهم راسخا ولايزال. (*خلال جزولة*، 4 : 83).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، الأجزاء 2. 4 ؛ *دراسة ميدانية أنجزها حاكم فرنسي بدائرة انزگان يدعى لاتيرون عام 1924 حول إداوتنان* ؛ *تحريات ميدانية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 56.

محند أيت الحاج

تَانْكُسْتِينْ، معدن. أصل الكلمة سويدي، وتعني "حجر ثقيل" ؛ رمزه الكمائي هو "W"، ثقله النوعي 12.2 ووزنه الذري 183.92. من أهم المعادن الحامة للتانكستين، الفولفراميت والشيليت :

1 ـ الفولفراميت : هو أوكسيد الفولفرام (W) والحديد (Fe) والمنغنيز (Mn)، (Mn, Fe)WO4 ؛ تتركب من WO4 = 76.46٪، FeO = 11.70٪ و MnO = 11.70٪، نظامها البلوري أحادي الميل، بلوراتها على شكل ألواح أو مواشير، أو ركامات ذات انفلاقات مصفحة ومتشعبة ؛ كثافتها 7.1. 7.5 ؛ صلابتها 5. 5.5 ؛ لونها أربد أسود إلى رمادي أسمر ؛ لمعانها شبه معدني إلى معدني.

تنفرد الفولفراميت بنقطة انصهارها البالغة 3390 سع والتي تتجاوز نقط انصهار سائر المعادن الأخرى. افتراضيا، توجد سلسلة متكاملة من الفيريريت (Fe WO4) إلى الهوبنريت (Mn WO4)، تتوسطها الفولفراميت (Mn, Fe)WO4. نجد الفولفراميت إما في العروق المروية ذات حرارة مرتفعة، حيث تكون مجتمعة إلى الشيليت أو الأركزة الحرمائية الموجودة إما في الأعبل أو في حلقته التحولية.

2 ـ الشيليت : أصلها مشتق من اسم العالم السويدي "شيل" أول من اكتشف التنكستين ؛ أما تركيبتها الكميائية فهي Ca WO4 حيث تمثل CaO = 19.47٪ و WO3 = 80.53٪. نظامها البلوري تربيعي، بلوراتها هرمية أو على شكل ألواح أو مواشير ؛ كثافتها 6.1. 5.9 ؛ صلابتها 4.5. 5 ؛ ذات لون أبيض أو أصفر ؛ مستشعة عند عرضها للأشعة ما فوق البنفسجية (U.V) ؛ لمعانها زيتي إلى ألماسي. نجد الشيليت في الأركزة المروية المرتبطة بالأعبل أو بحلقته التحولية، وبخاصة في الأحجار الجيرية التحولية ("سكارن") حيث توجد مجتمعة إلى معادن القصدير والنحاس. كما تصحب الشيليت الفولفراميت في الأعبل الغليظ الحبات (البجماتيت) ؛ والكاستريت والموليبدين، والفلورين، والزبرجد في الاركزة الحرمائية العالية الحرارة.

تتوزع أغلب رواسب التانكستين المعروفة بالمغرب على المجالات الآتية :

ـ المجال الأطلسي، حيث رواسب إحلالية حرارية في مناطق التماس، مرتبطة بالاعابل الهرسينية ونذكر منها رواسب أزگر بالأطلس الكبير الذي أنتج ثلاثين طناً من الشيليت قبل الانقطاع عن استغلاله، رغم أنه لا يزال يحتوي على احتياطات مرتفعة وهامة من الشيليت بنسبة 0.3٪ من التانكستين ؛ وكذلك رواسب تيشكا (أخدود تغني) والذي لا نعرف عنه إلا القليل.

ـ مجال وسط المغرب، حيث يوجد به التانكستين على شكل فولفرام، مرتبطا بكتل أعبل أ ُلماس وبلاد زعير وملوية العليا، أو في رواسب الاحلال الحراري في مناطق التماس، وذلك في الأحجار الجيرية التحولية بجنوب أعبل المانت.

ونشير إلى أنه لوحظ وجود الشيليت في سيدي بوعثمان بالجبيلات والرحامنة وذلك في مجاورة كتل الصخور المتداخلة.

يستعمل التانكستين في الفحم الثنائي، وخليطة المعادن الخاصة الشديدة الصلابة، وفي أسلاك المصابيح الكهربائية وذلك لارتفاع نقطة انصهاره 3390 سع.

عبد الله بوصحابة

تانگمرت وتانيمرت وتانجمرت تعني بالريفية الصيد بنوعيه البري والبحري. ولها أعراف يمكن اعتبارها عامة في جميع القبائل. فالصيد خصصت له أيام معلومة خلال الأسبوع ما عدا يوم الجمعة ويوم السوق. ويعتبر إجبارياً

لجميع الرجال المؤهين لذلك، إذ أنه كلما كان العدد كثيراً، كانت الحصيلة أوفر. وكل الغنائم المحصل عليها تصبح ملكاً جماعياً. ففي فخذة إزمّورن من قبيلة بقوية خصص يوما السبت والاثنين موعداً للصيد من طرف الجماعة، وأما في فرقة بني حديفة من قبيلة بني وريا غل فكان موعد الصيد يومي الخميس والسبت، وهكذا فكل جماعة من قبائل الريف بصفة عامة لها وقتها المخصص للصيد البري وأماكنها الخاصة بها. وبخصوص أوقات الصيد ليس هناك وقت محدد، فالجماعة هي المسؤولة عن تنظيم الوقت، إذ تقوم بتحديد تاريخه ومكانه وهي المسؤولة أيضاً عن تقسيم الغنائم حسب الأعراف المتبعة لتفادي أي خلاف بين الأفراد، وغالباً ما يكون التوزيع بين المشاركين في حالة وفرة الصيد أما في حالة القلة فيكتفي بتنظيم مأدبة عشاء جماعية تضم المشاركين.

أما الوسائل المستعملة في الصيد فهي بسيطة وهي من صنع محلي كالفخ الذي ينصب في أماكن مختلفة لاصطياد مختلف الحيوانات البرية، وتستعمل الكلاب والبنادق التي تخصص لصيد الخنازير (إرْفَنْ). وفي حالة وقوع نزاعات بين الصيادين فإن الملكف بالمراقبة هو الذي يفصل بينهم. وإذا تعذر الأمر عليه ترفع القضية إلى شيخ القبيلة للفصل في المشكلة، بعد الأخذ برأي الملكف بالمراقبة. والغرامة المخصصة لمخالفة قوانين الصيد كانت تقدر في عهد الحماية بخمس وعشرين بسيطة حسب بلانكو (E. Blanco E.I.). وأهم الحيوانات التي يصطادها الصيادون هي الأرانب البرية (أيَرْزِزْ) والحجل (تِسكْرِينْ) والثعلب (أوهارْ).

وبخصوص الصيد البحري فإن قبائل ساحل الريف عرفت هذا النوع من النشاط منذ القدم، فالوزان عندما تحدث عن مدينة بادس التاريخية أشار بأن السكان كانوا : "يقتاتون على الخصوص بالسردين وغيره من السمك لأن الصيادين يصطادون منه كميات وافرة". وكان بعض السكان يساعدون البحارة في جر شباكهم، فأغلب الفقراء من القبائل المجاورة يحضرون كل صباح لمد يد المساعة للصيادين مقابل كمية من السمك لهم وللحاضرين من الناس. ومازالت هذه الظاهرة موجودة في منطقة الريف الأوسط إلى اليوم خاصة في مرسى "يليش" التي تعرف حالياً بـ"قوس قزح" (Cala Iris) الواقعة بمجال قبيلة بني بوفراح.

وتعتبر قبيلة بقيوة من أهم قبائل الريف في مجال الصيد سواء في القرن الماضي أو في القرن الحالي، حيث تعددت فيها المراكب الصغيرة (ثَغَرّبوتْ ج. تِغَرّبَ) والتي غالباً ما كانت في ملك بعض الأعيان أو مشتركة بين بعض الأشخاص. وجل هذه المراكب استغلت في تجارة التهريب خلال القرن الماضي. وإذا كان الصيد البحري قد لعب دوراً أساسياً في اقتصاد قبيلة بقيوة، فإن أهميته الاقتصادية بالنسبة لقبيلة بني وريا غل يبقى ضئيلا في القرن الماضي وبداية القرن الحالي، ويرجع السبب في ذلك إلى أن القبيلة كان ساحلها معرضاً لطلقات المدفعية الاسبانية المتمركزة في حجرة النكور مما حال دون تشجيع السكان على ولوج البحر واستغلال ثرواته السمكية، لكن لا يعني هذا أن الوريا غليين لم يستغلوا صيد السمك بل كان لهم نشاط مهم منذ بداية القرن الحالي حسب ما أشار الكتاب الاسبان مثل بلانكو الذي أورد قانوناً خاصاً بالبحر حيث حدد فيه مسؤولية الصيادين، بالإضافة إلى الوسائل المستعملة في الصيد. والملاحظ أن الوريا غليين أقل جرأة لولوج البحر بخلاف أهالي قبيلة بقيوة الذين كانوا أكثر شجاعة وجرأة في ولوجه. وهناك مثل شعبي يشير إلى أن البقيوي عندما يولد يأخذ الأب سمكة ويضعها قرب أنفه ليشم رائحة البحر وبذلك يصبح مولوعا بالبحر بينما الوريا غلي عندما يولد يقوم الأب بإطلاق رصاص بندقيته قرب أذنيه ليصبح مقاتلاً.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي وم. الاخضر، ط. 2، بيروت، الرباط، 1983 ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، 1 : 696 ؛ *رواية شفوية*.

E. Blanco Izaga, *La Ley Rifeña*, Ceuta, 1939 ; A. Ghirelli, *Monografia de la Kabila de Bani It-Teft*, Madrid, 1956.

عبد الرحمان الطيبي

تانكيت أو تانقيت، اسم امرأة أمازيغية من غمارة بشمال المغرب، أول من تحدث عنها على ما يبدو، هو أبو عبيد الله البكري في كتابه المسالك والممالك. اشتهرت تانكيت، حسب ما نعرف عنها من خلال مصادر مناوئة، بالكهانة. ويبدو أنها لعبت دوراً أساسياً في الحركة التنبؤية التي تزعمها ابن أخيها حمّو بن منو المعروف باسم "حاميم" والتي ظهرت إلى الوجود في بداية العقد الثاني من القرن الرابع (10 م)، وهي حركة مشابهة للحركة البورغواطية من جوانب متعددة.

كانت قبيلة مَجْكَسَة أو مَجْكيسَة (إيمَاجْكاسْنْ) الغمارية، التي كانت تقطن بنواحي تيطْاون هي أولى القبائل التي آمنت بمذهب حاميم وعمته تَانْكيتْ. وقد ورد اسمها عند البكري بهذا الشكل "تانقيت" بالقاف بدل الكاف (المعقودة) على عادته في مثل هذه الحالة. ورغم أن جل المصادر الأخرى التي كتبت فيما بعد نقلت عن البكري، مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، أخبار تَنْكيتْ، فإنها كتبت اسمها بأشكال مخالفة لما ورد في الأصل. وهكذا كتبها مؤلف كتاب *الاستبصار* "تاليت"، وكتبها مؤلف *الاستقصا* ـ نقلا عن ابن خلدون ـ "تالية". ويبدو أن ابن خلدون نقل ما يتعلق بهذا الموضوع عن ابن أبي زرع أي من *القرطاس*. والذي كتبها "تاليت" كصاحب *الاستبصار*. والجدير بالذكر أن أحد أصحاب ابن تومرت العشرة كان اسمه هو يحيى بن تَنْجيتْ حسب ما ورد في كتاب الحلل المرشية.

أما عن معنى كلمة "تَانْكيتْ" فإن الحسم فيه يبدو الآن صعبا. ولكن هذا لا يمنع من إبداء بعض الملاحظات التي قد تكون صالحة في تقريب المعنى المطلوب.

لقد وردت كلمة "تانقيت" عند ابن البيطار في كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية. وقال عنها : "اسم بربري بافريقية وما والاها لنوع من النبات شوكي لا يسمو عن الأرض وعليه شهبة ظاهرة في أوراقه، وهي مشرفة وله أصول غائرة في الأرض..."(قارن مع لاووست في كتابه *كلمات وأشياء أمازيغية*، ص. 491).

ووردت كلمة "تامگيت" (ابدال الميم نونا والعكس، واقع مألوف في الأمازيغية) عند شارل دو فوكو في معجمه بمعنى التي تشتهر بأعمالها المتميزة خيراً أو شراً.

وأخيراً نشير إلى أنه لا يستبعد أن تكون كلمة "تانيت" التي هي اسم واحدة من الآلهة القديمة المعروفة في شمال افريقيا، هي نفس الكلمة "تانگيت"، إذا علمنا أن حرف الگاف (بثلاث نقط فوق) تنطق ياء كذلك في مجموع اللهجات الأمازيغية.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 100، 107، 1965 ؛ ابن ابيطار، *الجامع*، ص. 134، 1291 هـ ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 99، 1973 ؛ مجهول، *الاستبصار*، ص. 191، 1985 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ص. 108، 1979 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 1، ص. 192، 1954 ؛ التقي العلوي، مجلة *البحث العلمي*، عدد 27 ص. 222 ؛ وعدد 31، ص. 29، 35 ؛ شارل دو فوكو، معجم (بالفرنسية)، ج 1، ص. 379، 1951.

G. Marçais, *La Berbérie...*, p. 128, 1946.

علي صدقي أزايكو

تَانْكِيسْتْ، قرية تقع بأراضي قبيلة إيدأوگارسموكت، إلى الشرق من جبل وارزمن على وادي والغاس (ماسة). تتفق الروايات على أهمية القرية قديماً. وكانت مشهورة بغناها الزراعي بفضل ساقيتها الكبيرة واعتناء سكانها بعملية تصريف المياه. وتعتبر أيضاً من المراكز العلمية المعروفة بقبيلة رسموكة الجبل، وتعرف بعلمائها الزعنونيين، ومرابطيها من أهل تيلگات. أما عن أسباب خرابها، فقد لاحظ المؤرخ الحسين الوجاني أنها توالت عليها صراعات محلية. ويوجد جزء كبير من ترابها الحالي مغموراً تحت مياه سد يوسف بن تاشفين.

تاريخ الوجاني الحسين بن الحسن (مخطوط).

أحمد بومزگو

تَانُوتْ، (أرض ـ) بمكناس. يرجع أصل تسمية هذه الأرض إلى الأمازيغية، ويعني اسم أنو، البئر في العربية، وجمعه أُونَا، ويقال في الزناتية أنوين، وتصغيره تانوت، وعليه فأرض تانوت المحاذية لأرض لعويجة قرب حي الزيتون بمكناس ـ قريبا من الحي الجامعي الواقع أمام باب كبيش ـ تنسب إلى بئر صغير كان موجودا بها. وقد استولى أربعة معمرين فرنسيين على أرض تانوت التي قدرت مساحتها بمائة وخمسين هكتارا، وهؤلاء المعمرون هم فيكتور فرانس Victor France وپيير پيري Pierre Perret ودوسطاديو Destadieu ولويس لرتيگ Louis Lartigue.

طالب المعمرون الأربعة السلطات الفرنسية بمكناس بمنحهم 75 ل/ث من مياه بوفكران لسقي أراضيهم بتانوت، واستجابت الدوائر التقنية المسؤولة بمكناس لرغباتهم، وعملت على مد ساقية من حوض تجمع مياه بوفكران جنوبا سيدي بوزكري ـ قرب المعمل الكهربائي ـ إلى هذه الأراضي وصولا إلى قصبة گدارة. بعد ذلك قدموا طلبا جماعيا لنفس الدوائر يلتمسون منها إضافة 1 ل/ث لسقي كل هكتار في ملكيتهم، ليصل مجموع ما طالبوا به 225 ل/ث من أصل 450 ل/ث الصبيب الكلي لوادي بوفكران أي النصف.

عقدت اللجنة التقنية المكلفة بتوزيع مياه بوفكران عدة اجتماعات للنظر في هذه النازلة ـ وفي توزيع مياه بوفكران بين المنتفعين بها ـ وكان آخرها يوم 28 أبريل سنة 1936 حيث رخص لثلاثة معمرين من تانوت بأخذ 20 ل/ث لسقي الأراضي التي استحوذوا عليها، وهي أصلا ملك للمخزن أو للأهالي، وهكذا أخذ Victor France 10.3 ل/ث من مياه بوفكران لري ملكيته التي سماها : أدولفين Adolphine والمسجلة بالمحافظة العقارية تحت رقم 42 ومساحتها 75 هكتارا، في حين منح لـ : Louis Lartigue 5.5 ل/ث لسقي ملكيته المسماة Ferme Atou ورقمها العقاري 722K وتبلغ مساحتها 10 هكتارات، ويملك نفس المعمر أرضا ثانية بتانوت وتسمى Ferme des deux couteaux ورقمها العقاري 256K ومساحتها 20 هكتارا.

كما كان المعمر Pierre Perret يملك الضيعة المسماة Ferme Odette المسجلة تحت رقم 1052K ومساحتها 30 هكتارا، وقد وهبته اللجنة المكلفة بتوزيع مياه وادي بوفكران 4.2 ل/ث.

هكذا كان نصيب 145 هـ من مياه بوفكران 20 ل/ث لصالح ثلاثة معمرين فقط، في حين أسفر البحث الذي أجراه التقنيون الفرنسيون بالأشغال العمومية عن منح سكان مكناس الذين تجاوز عددهم سنة 1936 اثنين وستين ألف نسمة، 150 ل/ث، مما يوضح الحيف الذي لحقهم، فكان رد فعلهم ما حصل في فاتح وثاني شتنبر سنة 1937 فيما أصبح يعرف بأحداث بوفكران، التي انفجرت بسبب تحويل جزء من ماء بوفكران إلى ضيعات المعمرين في أرض تانوت.

بو. بوعسرية، *أحداث بوفكران بمكناس*، فاتح، ثاني شتنبر 1937، الرباط 1990 ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية*، البحث العلمي، السنة 24، العدد 27، يناير يوليوز 1977.

بوشتى بوعسرية

تانوت ـ الأطلس الكبير ـ ← **إيمي نْ تانوت**

تَانُوتْ الرمّان، قرية تقع بفرقة بني فكلان من قبيلة بني سيدال (إقليم الناظور). وقد لعبت دوراً مهماً خلال الأيام الأولى من اندلاع الثورة الريفية بقيادة الأمير محمد

بن عبد الكريم الخطابي في شهر يوليوز 1921. ففي يوم 30 من الشهر المذكور وصل مجاهدو قبيلة بني ورياغل إلى ناحية مليلية من أجل اقتحام المدينة السليبة فتمكنوا من استرجاع مدينة الناظور يوم 2 غشت وقصبة سلوان في اليوم التالي، وهو اليوم الذي وصل فيه الخطابي إلى جبل ماورو بقبيلة بني سعيد الريفية، ثم توجه في اليوم التالي إلى قرية تانوت الرمان ولم يبق الخطابي بالقرية المذكورة سوى عشرة أيام حيث ألم به مرض أرغمه على الرجوع إلى مسقط رأسه بأجدير يوم 15 غشت.

وكان الغرض من وجود الخطابي بتانوت الرمان الحيلولة دون اقتحام المجاهدين لمدينة مليلية خشية أن يقوم المجاهدون بأعمال عنف وتجاوزات في حالة دخولهم للمدينة المذكورة التي لم يكن يوجد بها سوى المدني ؛ ويعترف الخطابي في مذكراته بأنه ارتكب بذلك خطأ كبيرا حيث ترك للجنرال بيرينگير (Berenger) فرصة إعادة تنظيم قواته التي مكّنته من استرجاع مدينة الناظور يوم 19 شتنبر ومركز تينغمرت (تاويما) يوم 23 من نفس الشهر.

ولم يعد الخطابي إلى ناحية مليلية إلا يوم 29 شتنبر، أي بعد غياب طال أربعة وأربعين يوما ؛ وقد حاول الخطابي استرجاع سوق سبت بني شيكر يوم 2 أكتوبر دون جدوى، فكان رد فعل بيرينگير أنه تمكن من استرجاع مركز أزغنغان يوم 8 ومن احتلال جبل گوروگو يوم 10 وقصبة سلوان يوم 14.

وظل الخطابي بتانوت الرمان إلى يوم 10 أبريل 1922 دون أن يتمكن من الوقوف في وجه الزحف العسكري الإسباني.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، الرباط، 1983.

Berenger, *Rif y Yebala*.

محمد ابن عزوز حكيم

تانيجوت أو تينجوت، قصر قديم كان يجاور موقع مدينة سجلماسة بتافيلالت.. والقصر كلمة يقابلها لفظ الدُّوَّارْ أو الدَّشَرْ بباقي مناطق المغرب الأقصى، وتستعمل للدلالة على السكن القروي في واحات زيز وغريس ودادس ودرعة وتسمى بالبربرية إغْرَمْ جمعه إغْرمَانْ. كما تستعمل بعض الكلمات الأخرى كمرادفات لها كالگصْبَة والگُصيبَة أي القصبة وصيغة تصغيرها أو الگُصيرَة وهي القصر بصيغة التأنيث (*سجلماسة*، 101).

وتانيجوت أحد القصور التي كانت تجاور موقع مدينة سجلماسة. ولا نعرف الأصل في هذه التسمية ولا معناها فقد أثبت مترجم كتاب الوزان هذا اللفظ على الشكل التالي : تَنجْيُوتْ (*وصف افريقيا*، 2 : 25) وينطقه المُحليون بتافيلالت إلى اليوم تَانجيوتْ، ويشمل بالنسبة لهم كل المنطقة الواقعة في الشمال الشرقي لواحة تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة أي الواحات المحيطة بالريصاني. ثم إن تانيجوت اليوم هي إحدى المقاطعات الست التابعة من الناحية الإدارية للمركز المذكور أعلاه وهي : السيفة وبني امحمد وتانيجوت وواد إيفلي والغرفة والسفالات (*سجلماسة*، 106).

تضم المنطقة التي تعرف اليوم بتانيجوت قصورا عديدة أهمها القصر الفوگاني ـ الذي يقع في العالية بالنسبة للمجال ـ وقصر مزگيدة وأولاد يوسف، ولا يوجد بها قصر مأهولاً كان أم مهجوراً يحمل اسم تانيجوت. وقد ذهب كل من Jacques Meunié و D. Jacques Meunié إلى القول بأن القصر الفوگاني هو قصر تانيجوت الذي تحدث عنه الوزان في القرن العاشر الهجري (16 م) (*Abbar*, 50). وقد مكنتنا زيارتنا للمنطقة مرات عديدة أثناء اشتغالنا بالبحث في تاريخ سجلماسة من الوقوف على القصر الفوگاني، وأثار إنتباهنا كثرة الأبراج به حيث يبلغ عددها أربعة عشر برجاً، وهو ما يؤكد أهمية هذا القصر بالمقارنة مع غيره من القصور الكبيرة بتافيلالت. ويهمنا هنا أن لفظ تانيجوت لم يعد يدل اليوم على قصر من القصور وإنما يدل على منطقة شاسعة نسبيا يحدها مركز الريصاني وضريح مولاي علي الشريف من جهة الجنوب، والحد الشمالي لواحة تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة من جهة الشمال ووادي زيز من جهة الغرب والساقية المعروفة باسم الغرفية من جهة الشرق (خريطة أرفود). وقد اختفى هذا القصر ليترك أثره في تسمية المنطقة التي وجد بها، كما هو الحال بالنسبة لسجلماسة نفسها التي كانت اسما للمدينة ولإقليمها.

يرجع تاريخ تأسيس قصر تانيجوت إلى تاريخ خراب مدينة سجلماسة حسب رواية الحسن الوزان الذي قال بأن المرينيين عهدوا بحكم هاته المدينة الأخيرة إلى أبنائهم وأقرب الناس إليهم، إلى أن مات أبو العباس أحمد فثار سكان الإقليم وقتلوا الوالي المريني على سجلماسة وهدموا سورها فبقيت خالية وافترق سكانها وسكنوا قصورا ضخمة محصنة (*وصف افريقيا*، 2 : 121). وعليه فإن خراب مدينة سجلماسة قد تم مع ثورة أهاليها بعد موت أبي العباس أحمد المريني، أي في عهد خلفه أبي فارس عبد العزيز 796 هـ ـ 811 هـ / 1394 م ـ 1408 م بدليل أن آخر القطع النقدية التي تتوفر عليها والتي ضربت بمدينة سجلماسة تعود لفترة حكم هذا السلطان المريني (*سجلماسة*، 418) وما بعدها.

لقد انتقل سكان هذه المدينة بعد اندراسها إلى سكنى قصور كبيرة محصنة ذكر الوزان منها تانيجوت ـ وهو أقربها إلى موقع المدينة ـ وتَبْعْصَامْت والمامون (*وصف افريقيا*، 2 : 125). وقد أصبحت لهذه القصور أهمية كبيرة بعد اختفاء مدينة سجلماسة وصارت تمارس نشاطات تجارية وحرفية لم تكن من اختصاصها في السابق، خصوصا وأن القوافل التجارية الصادرة والواردة بين المغرب الأقصى والسودان الغربي لم تنس مجالات سجلماسة حتى بعد خراب حاضرة هذا الإقليم (*وصف افريقيا*، 2 : 125 ـ 126).

كان لكل من تانيجوت وتبعصامت والمامون في القرن العاشر الهجري (16 م) أمير يدير شؤون القصر ويعمل على

حمايته من غارات الأعراب. واستقر بهذه القصور الحرفيون والتجار المسلمون واليهود كما كان بكل منها دار سكة تضرب بها مثاقيل خفيفة من الذهب الرديء ونقود من الفضة، كان مثقال الذهب يساوي ثمانين قطعة منها. وقد ذكر الوزان أن بهذه القصور بعض الأغنياء الذين كانوا يسافرون إلى بلاد السودان لجلب الذهب والعبيد (*وصف افريقيا*، 2 : 126) وأن عدد سكان تانيجوت نحو ألف كانون (*وصف افريقيا*، 2 : 125).

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 2، الرباط، 1982 ؛ *الخريطة الطبوغرافية لأرفود* 1 / 100.000 ؛ ح. حافظي، *سجلماسة وإقليمها في القرن 8 هـ / 14 م، مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط*، د. د.ع، فاس، 1989.

D. Jacques Meunié, et Jacques Meunié, *Abbar et le Tafilalet d'après les textes*, *Hesp.*, 1er - 2ème Trim., 1959.

حسن حافظي علوي

تَـافْـدَارْتْ، نهر جنوب طنجة، تنحدر مياهه أصلا من جبل وادراس، يخترق أراضي فرقة البگارة الوادراسية. وهو يتكون من نهرين : نهر المهرهر الذي يعرف في منبعه بفندق العين الجديدة (قبيلة وادراس) بالوادي الكبير، ونهر يعرف عند منبعه بجبل الريح (بني يدر) بوادي الخروب، ثم يتخذ اسم وادي الحشف عند لقائه بوادي المهرهر ليمر بفحص عمرو، من بني مصور، حيث يشكل مجراه منعطفات نهرية غير ثابتة المجرى، ثم تتجه مياهه نحو الجنوب الغربي إلى أن يصب في المحيط بالمرسى التي تحمل اسمه مارا بقرية المرس بين بريش الشمالية واختها الجنوبية. وطوله خمسة وستون كيلومترا.

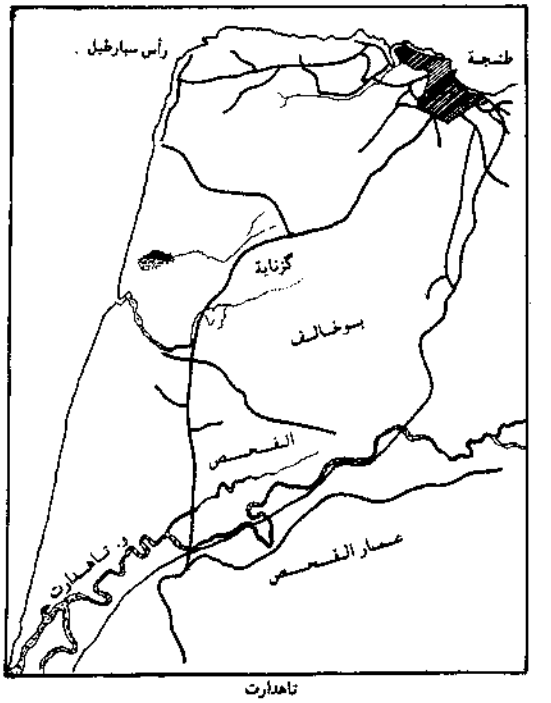

أول من ذكر تاهدارت أبو عبيد الله البكري في القرن الخامس (11 م) بمناسبة الإشارة إلى النهر وإلى القرى المستقرة بحوضه الأدنى واصفا الطريق الرابط بين أصيلا وطنجة. وحينما ذكر البكري أهل تاهدارت لاشك أنه كان يعني قبل كل شيء التجمع السكاني الذي تمثله اليوم قرية حجرة النحل الواقعة على الضفة اليسرى، عند أول انحراف النهر نحو الجنوب الغربي، مما يقابل قرية هوارة الساحل. وقد أشار مصدر برتغالي إلى وجود خمس قرى، لذا يمكن أن يضاف إلى حجرة النحل، قرية المرس الواقعة على الضفة اليسرى وقرية بريش الشمالية الكائنة بالضفة اليمنى وأخيرا بريش الجنوبية المشرفة على المصب من الجهة الجنوبية.

وفي بداية النصف الثاني من القرن التاسع (15 م) ازداد عدد سكان القري بسبب ما تلقاه حوض تاهدارت من هجرة، أصلها من أهل قرى واد ألبان الداخلة في أنجزة، وأهل طنجة البالية وفحصها، نتيجة الضغط البرتغالي انطلاقا من القصر الصغير المحتل سنة 863 / 1458. ويعود تاريخ تلك الهجرة إلى سنة 868 / 1463. وإلى تلك القرى وصل العاهل البرتغالي الفونص الخامس في نفس السنة، بقصد استطلاع أحوال تاهدارت ومدينة أصيلا التي كان بها محمد الشيخ الوطاسي، متحصنا من ملاحقة السلطان عبد الحق المريني.

ومن المرجح أن يكون قد طرأ على عدد سكان قرى تاهدارت نقصان إثر احتلال البرتغال لأصيلا وطنجة سنة 876 / 1471، إذ أن الطريق العسكري البري الرابط بين المدينتين المحتلتين كان خطه مارا بتلك القرى. وأول مكان يلجأ إليه السكان هو جبل الهوتة المشرف علي الممر، وهذا مما أتاح لهم مراقبة تحرك جنود المدينتين. وحدث كذلك أن اتخذت سفن تطوان والعرائش مصب واد تاهدارت مخبأ لها لاعتراض السفن البرتغالية المتوجهة إلى أصيلا أو العائدة منها إلى طنجة. ولم يعد الهدوء والاستقرار إلى قرى تاهدارت إلا بعد انسحاب البرتغاليين من أصيلا سنة 957 / 1550، دون أن تكون آمنة من عدوان طنجة.

البكري، *المغرب*، ص 113 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 366.

حسن الفكيكي

* * وهناك مرسى تاهدارت تقع بشاطئ قبيلتي الفحص والغربية حيث يصب نهر تاهدارت مياهه بالمحيط الأطلسي وينتج عن ذلك تكوين شبه بحيرة لفتت أنظار الأقدمين حيث نجد رحلة سيلاس Periplo de Scylax تسميها ببحيرة سيفسياس Céphésias ؛ ويقول مويط Mouette (ص. 306) إن تجار مرسيليـة أسسوا سنة 1683م وكالة تجارية بهذه المرسى التي سماها تاگدارت Taguedarte.

Blazquez y Delgado, *Estudios geografico-historicos sobre Marruecos*, Madrid, 1913 ; (*Periplo de Scylax*, p. 112) ; G. Mouette, *Histoire des conquestes de Mouley Archid connu sous le nom de Rey de Tafilet et de Mouley Ismael ou Semein son frère....* Paris, 1682, p. 306.

محمد ابن عزوز حكيم

التاهرتي، محمد بن عبد القادر (السوسي)، شخصية

مجهولة لم يذكرها ـ فيما نعرف ـ سوى عبد الرحمن التامنارتي. ولم يشر إلى أصله بغير نسبته إلى تاهرت ولا إلى متى قدم من بلاد الواسطة إن كان طارئاً على المنطقة. وإنما تحدث عنه كثائر قائم في مدينة تيزنيت يدعي المهدوية وينشر ناموسه في المناطق الساحلية الجنوبية. وقد حزرنا أن تكون ثورته امتدت من عام 1035 إلى عام 1039 / 1626 ـ 1630 لأنها فترة الضعف والانتظار في سوس الممتدة من موت يحيى الحاحي أمير تارودانت إلى استيلاء أبي حسون السملالي أمير إيليغ على شمال سوس.

ومن أجوبة التاهرتي عن المراسلات التي كان يتلقاها من القاضي التامنارتي ـ على افتراض أنه منشئها ـ يبدو أنه شاد في اللغة العربية والترسل والجدل، لا يقل درجة عن قرينه في دعوى المهدوية الفقيه الأديب أحمد بن أبي محلى. كانت مراسلات التامنارتي للتاهرتي نثرية وشعرية، ترغيبيّة وترهيبيّة، لكن المترجم ـ كما يبدو من أجوبته ـ كان مصمماً على السير قُدُماً في خطته الباطلة، يرى لنفسه الخصوصية وأحقية الحكم لإصلاح الفساد المنشر. يقول في أحد ردوده : "أنا حجاب النور، وسقف البيت المعمور. أنا هدية الرحمان، ومغضب الشيطان، وهازم السلطان" وهي طويلة أثبت نصها كاملا التامنارتي في *الديوان*. وبعدها قصيدة رائية طويلة كذلك تنتقد القاضي التامنارتي ومن معه لتواطؤهم على إسناد الإمارة إلى من لا تتوفر فيهم شروطها، يعني الملك السعدي القابع في مراكش والأميرين الصوفيين في إيليغ وتارودانت.

وآخر مراسلة بعث بها التامنارتي إلى التاهرتي يغلظ له القول وتنتهي بقصيدة رائية من بحر البسيط من تسعة وعشرين بيتاً جاء في آخرها :

نسجت بالهُجر يا ضلّ الانام فخذ جواب هُجرك منا والتقم حَجَرا

ثم يُسدل الستار فلا نعرف شيئاً عن نهاية هذا المهدي الدجّال.

ع. التامنارتي، *ديوان*، مخطوط، 11.17 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 231.235.

محمد حجي

تاويّالت، قبيلة بمنطقة الدورة وطرفاية. يفسح فقهاء القبيلة المجال أمام محمد صالح بن واندلوس السوسي الصوفي الأسود اللون ليجعلوا منه الجد الأعلى (م. السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 192). أفرد كتاب *التشوف* لهذا الصوفي ترجمة مطولة تثبت أن صاحب الكتاب قد عرفه حيا وأنه كان "من أعاجيب الزمان وأخباره كثيرة" (*التشوف*، 347.349). إذا حاولنا أن نأخذ صورة مضبوطة عن هذا الصوفي من خلال ترجمته وجدنا المعطيات لا تفسح المجال إلا لبعض الاحتمالات. فقد توفي سنة 591 / 1194 بعد حياة مليئة بالكشوفات الباطنية. انتقل من موطنه بتارودانت إلى مراكش وأغمات أوريكة حيث استقر ليعود أخيراً إلى تارودانت حيث توفي. وواضح من مساندته لجيوش المسلمين في معركة الأرك أنه كان يتبنى المواقف السائدة في وسط المتصوفة الأفراد المتجولين. كان أهله يتوفرون على خوابي المسكر مما يؤكد انتماءهم الفعلي المتقادم للوسط الروداني المتميز. وفعلا فقد ورث عن أبيه من الأملاك ما يؤكد انتماء أهله للفئات الميسورة. كانت داره بمراكش حيث تعرف عليه صاحب كتاب *التشوف* مأوى الفقراء باستمرار. ومما يدل على أنه لم يكن يفتقر إلى المال أنه كان يخرج بصدقات أو يرمي إليهم الدراهم من بين الأبواب.

على أن كتاب *التشوف* لا يذكر ما إذا كان هذا الجد قد خلف فعلا أولادا. وإذا أضفنا إلى ذلك شهرة قبره حيث أصبح يعرف بسيدي أُوسيدي، وجدنا أن انتماء تاويّالت إليه قد يدخل في نطاق التركيب الاجتماعي للملتفين حول زاويته. إن نزوع الأتباع إلى الالتحام والتوحد تحت لواء الانتماء إلى الشيخ المؤسس يُخضع تاريخهم إلى كثير من البلورة. نجد أيضا أن فقهاء تاويالت بالطرفاية يربطون نسبهم بالنسب الشريف مما ينقلنا إلى أوصاف لا تستجيب لمتطلبات الملاحظة المضبوطة. فقبيلة تاويالت قائمة الذات تماما كسلطة دينية متميزة بحملها الكتاب وابتعادها عن الصراعات الميدانية. فلا هي بخاضعة لسلطة المحاربين ولا هي مقطوعة الأواصر عنهم. يقوم إزرگيين مقام الساهرين على أحوال تاويالت حيث يقتصر هؤلاء على الاحتكام إلى حلفها مع لف أيت الجمل القريب. وإذا كان إزرگيين يعترفون بالمكانة الدينية لتاويالت كقبيلة لا تحمل إلا الكتاب، فإن فقهاء هذه القبيلة لا يتجاوزن ذلك إلى التعامل مع غير حلفائهم. وفي هذا الإطار جسد علي الليلي سلطة علمية بالصحراء استمرت شهرته وانتقلت بعد وفاته سنة 1300 / 1882 إلى أبنائه وأحفاده. اعتاد تاويالت مصاهرة حملة الكتاب الصحراويين وخاصة منهم أولاد أبيري. إلا أن تتبع مراحل تنقل علمائهم وفقهائهم خلال العقود الأخيرة يكشف عن اندماجهم بالمدارس العتيقة والكبرى داخل مدن المغرب كالصويرة وفاس وتارودانت وتيزنيت. (السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 192). وتعد الآن هذه القبيلة ضمن لوائح القبائل الصحراوية المشهود لها بالارتباط العضوي بالمحور الساحلي الرابط ما بين طرفاية والصويرة.

ي. التادلي ابن الزيات، *التشوف* ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4.

P.Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, 1914 ; F.C. De La Chapelle, *Les Tekna du sud ouest marocain* ; V. Monteil, *Les Tekna* ; A. Le Chatelier, *Les Tribus du sud ouest marocain*, 1891.

مصطفى ناعمي

تاوجدات أو تاوجطات (عين ـ)، أهم مركز حضري في بادية سهل سايس، يقع بين مدن فاس (20 كلم) ومكناس (41 كلم) والحاجب (33 كلم)، وربما يرجع أصل التسمية إلى العين التي وجدت هناك، وهي تقع عند مدخل المركز على الطريق المتجهة إلى الحاجب.

ليس هناك ما يدل على أن موقع تاوجدات لعب دوراً تاريخياً ذا بال. فالآثار التاريخية الشاهدة متعدمة، والأرجح أن استقرار السكان بها يرجع إلى عهد الحماية الفرنسية، وهم في الأغلب ممن اجتذبهم الاستغلال الاستعماري في المجال الفلاحي، إذ اشتهرت المنطقة بانتاج الحبوب وزراعة الكروم. وزاد من أهمية تاوجدات سهولة اتصالها بالمدن والمناطق المجاورة عبر شبكة من الطرق الثانوية وخاصة مرور خط سكة الحديد بها.

ينعقد في تاوجدات سوق أسبوعي - من أهم أسواق سهل سايس - تستفيد منه الفرق التابعة لقبيلة بني مطير الشمالية. ويحتوي المركز حاليا على مجموعة من البنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية، منها ما يعود إلى أيام استقرار الفرنسيين بها كمخزن الحبوب الضخم ومعصرة العنب والملاعب الرياضية والمسبح ومركز صحي، ومنها ما ظهر أو تطور في ظل الاستقلال كمعمل زيت الزيتون والفلفل الأحمر وغير ذلك.

لم تتوقف تاوجدات عن التوسع العمراني كنتيجة من نتائج التزايد المستمر في عدد السكان، ورافق ذلك توسع في مجال الخدمات حيث يوجد بها أربعة أطباء يشتغلون في القطاع الخاص وثلاث صيدليات وثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية وثانويتان إحداهما فلاحية.

استطلاعات ميدانية.

محمد أمين

ابن تاودة، عبد الرحمن العمراني هكذا أورد اسمه مؤلف *الاستقصا*، ووصفه بـ "القائد المجاهد الشاعر الفاضل". أما مؤلف *تاريخ الدولة السعدية* ومؤلف *نزهة الحادي* فقد نعتاه بـ "القائد علي بن ودة" وغير خاف أن الخلاف لفظي، ذلك أن أيا من هؤلاء المؤرخين لا ينكر أن المترجم كان على وشك استرجاع البريجة (الجديدة) من أيدي البرتغاليين، فقد كان قائدا مغوارا، حاجبا للسلطان السعدي عبد الله الغالب بالله (965-981 / 1557-1574) ووزيرا له ولولده ولي العهد محمد الذي حمل اللقب الملوكي (المتوكل على الله) ثم اللقب الشعبي بعد خيانته وموته (المسلوخ). إن هؤلاء المؤرخين أو غيرهم لا يلقون علي حياة ابن تاودة وتصرفاته كثيرا أو مزيدا من الأضواء، لذا ظلت معلوماتنا عنه ناقصة إلى حد كبير.

برز اسم هذا القائد في معركة تحرير البريجة التي كان البرتغاليون احتلوها في عهد السلطان الوطاسي محمد الملقب بالبرتغالي (910-931 / 1505-1525) وزادوا في بنائها، وأحكموا تحصيناتها منذ سنة 914 / 1509. وقع احتلالهم لها في عهد ملكهم ايمانويل (1495-1521) الملقب بالمحفوظ.

بدأت حملة (الجديدة) التي تحولت إلى حصار دام أكثر من شهرين يوم 27 جمادى الآخرة 969 / 4-3-1562، وأسند السلطان القيادة الفعلية للقائد ابن تاودة، أما ابنه وولي عهده، الذي رافق الحملة، فكان عمره لا يتعدى العشرين سنة، وكان حضوره يكتسي صبغة رمزية ليس إلا.

استعر أوار الحرب بين الفريقين : القوات المغربية من جهة، والقوات البرتغالية من جهة ثانية، وقد استعمل الأولون "الحراقيات" على اختلاف أنواعها، كما حصد رصاص رماتهم المهرة نفوس الذين كانوا يطلون من على السور، فيهوون إلى الأرض صرعى، أما الآخيرون فكانوا يستخدمون "المينات" فكانت تقذف بالخلق إلى عنان السماء، أو تهوي بهم في باطن الترى.

وأحس البرتغاليون بحرج موقفهم وبتفاقم الأزمة وقرب الهزيمة، واستيقنوا ان القائد المغربي ابن تاودة يكاد يستولي على المدينة، ذلك لأن جنوده يحتلون أبراج الجديدة بالفعل، ولم يبق في أيدي عدوهم إلا قليل صمم القائد علي أخذه في الغد.

وتختلف الروايات في نهاية هذا الحصار الذي ترأسه ابن تاودة، فالمؤلف المجهول *لتاريخ الدولة السعدية* يتهم عبد الله الغالب بأنه "باع" الحصن للبرتغاليين وأمر برفع الحصار عنه. بينما تقول روايات أخرى إن المجاهدين لم يتمكنوا من اقتحام الحصن لمناعته فاغتم السلطان الغالب لذلك غما شديدا، فأنشده أحد المجاهدين المتطوعين في الحصار، وهو الشيخ محمد بن إبراهيم التامنارتي (ت. 971/ 1564) بيت امرىء القيس ليسري عنه :

وماجئت خيلي ولكن تذكرت مرابضها من بَرِّبَعبص وميسرا

مجهول، تاريخ الدولة السعدية التاگمارتية ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 71-73 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

عبد الله العمراني

تاودني والمغرب، هل يمكن القول بأن هذه الملاحة قد شكلت تهديداً مباشراً لملاحات تغازى حتى قبل أن يرد ذكرها بمصادر القرن العاشر (16م) ؟. مرد هذا التساؤل إلى موقع تاودني الذي لا يفصله عن جنوب شرق تغازى إلا حوالي 150 كلم. فالمتتبع لحركية تغازى يلاحظ بأن الطريق التي تربطها بتنبكتو عبر أروان تمر بموقع تاودني. كما أن كلمة سبخة التي تطلق على الملاحات توجد عادة على شكل بحيرات من الترسبات الملحية قد يتجاوز طول الواحدة 30 كلم وعرضها 12 كلم كما هو الشأن بالنسبة لتغازى وتاودني وإيجيل. من هنا فإن ملاحة تاودني الهامة لا بد أن تكون قد اكتست بالنسبة للمغرب منذ ما قبل القرن العاشر (16 م) صبغة استراتيجية غالبة. فهي أقرب إلى تنبكتو من تغازى علاوة عن كون لوحات هذه الأخيرة الملحية لم تعد خلال المرحلة الأخيرة من استغلالها بنفس السمك الذي وجدت عليه تاودني. ولا حاجة لنا هنا إلى التأكيد على ما نشأ من المبادلات بين تغازى وأروان وتنبكتو. كما أن طريق الحجاج المنطلقة جنوبا من ولاته كانت تمر من تغازى في اتجاهها نحو توات وورگلة ثم غدامس فليبيا ومصر (ابن بطوطة، *تحفة*، IV : 427 ؛ *تاريخ*

القفاش، 34 - 37 / 59 - 64 ؛ *تاريخ السودان*، 7 : 13 ؛ ابن خلدون، *العبر*، VI : 415 ؛ (*Histoire des Berbères*, II: 112).

تعد تيندوف التي أعاد بناءها العالم الجكاني الكبير بلعمش استاذ الشيخ ماء العينين سنة 1857 منطلق الطريق الرابطة بين الضفة الشمالية للصحراء الأطلسية ومدينة تنبكتو عبر تغازى ثم تاودني فأروان. تتجمع المسالك القادمة من الصويرة عبر وادي نون ومن مراكش عبر تامدولت وأقّا ومن فاس عبر سجلماسة. ينطلق محور تندوف - تنبكتو عبر تاودني موازيا لمحور تابلبالا - توات - تغازى فتاودني. إلا أن المحورين يقطعان منطقتي الحنك وإيگيدي. هذه الكلمة الأخيرة تفيد ما معناه منطقة الكثبان الرملية التي يصعب اقتحامها. ومع ذلك فإن دائرة هيمنة قبيلة مسوفة التاريخية كانت تشمل تغازى وجارتها تاودني إلى أن تتجاوز تيندوف شمالا خلال القرن الثاني (8 م). وإذا كان البرابيش قد تمكنوا قرنا بعد ذلك من الاستيلاء على تغازى (*تاريخ السودان*، 25 : H. T. 42 ; Norris, Yeminis, 1962, 319 - 320)، فإن ابن حوقل لم يلبث أن وجدهم بنفس المواقع متميزين بقدرة خاصة على الممارسات التجارية. لن تتمكن الحركة المرابطية من إدماجهم بشكل حاسم حيث ظلوا بصحرائهم إلى أن أصبحوا أسياد محاور التجارة ومراقبي سلعها وضرائبها (ابن بطوطة، *تحفة*. IV : 338 ؛ Ibn Khaldun, *Histoire des Berbères*, II, 67) لذا نعتبر دور مسوفة في مراقبة هذا المجال قد ساعد نسبيا على تسليط الأضواء على أهمية تاودني قبل بداية استغلالها الفعلي من جهة وعلى دور قبيلة تجكانت المسوفية من جهة ثانية.

إن المتتبع لنهج الإخوان المقري خلال القرن السابع (13 م) يلاحظ بأنهم استقروا بسجلماسة وتلمسان وولاته. وهو ما يعني أن دور تلمسان وسجلماسة شمالا قد جعل منهما عاصمتين رئيسيتين لمراقبة محور تغازى. فمنذ انحطاط الموحدين ظهرت بتلمسان دولة بني عبد الواد حيث قام يغمراسن بمحاولة الاستيلاء على سجلماسة لمدة دامت أزيد من خمس عشرة سنة كما أوضح ذلك ابن خلدون. إلا أن منافسة الدولة الحفصية تسببت في ازدهار المحور الرابط بين تلمسان والنيجر عبر توات. هذا العامل أهل مملكة مالي لتمتين مراقبتها التجارية والظهور بمظهر الوسيط التجاري الفعلي بين ضفتي الصحراء. إذن هذه هي العوامل التي زعزعة الحركية التجارية بالمحاور الساحلية الرابطة بين الصحراء ووادي درعة. وقد زاد من حدة الأزمة أن أعادت مصر فتح محورها التجاري الذي يربطها بأدغال افريقيا حوالي سنة 1320 م. فلم يبق إلا دور انعدام الأمن بسبب انتشار الأعراب لتعرف منطقة درعة وسوس وباقي المحاور الأطلسية اختناقا تجاريا كاملا. يتجلى من هنا الدور السياسي الذي قد يكون لعبه ابن بطوطة كرسول للمرينيين إلى مملكة مالي. لن تزيد الفترة الفاصلة بين منتصف القرن الثامن (14 م) ونهاية القرن العاشر (16 م) هذه الوضعية المتأزمة إلا اختناقا. فدور مصر سينقل التجارة نحو المسالك الشرقية بينما تبدو الطريق الرابطة بين تندوف وتغازى كأنها فقدت سبب وجودها. هذه الطريق التي من أجلها أسس المرابطون تابلبالا لم يعد لها ذكر في المصادر رغم انفتاح المسالك الأفقية الواصلة بين الغرب والشرق.

ظهرت مملكة سنغاي لتوثق علاقاتها التجارية مع مصر وتونس على حساب الشمال الغربي للقارة. وباستيلاء هذه المملكة على ملاحات تغازى تكون قد أعلنت حرباً تجارية على جيرانها الشماليين. نقف هنا على أحد الأسباب الأساسية التي مهدت لحملة السعديين. لقد وصلت مملكة سنغاي من قوة تهميش محاور درعة وسوس لدرجة أن تجار هذه المنطقة لجأوا إلى الموانئ البرتغالية على السواحل لترويج سلعهم. فجاءت بذلك ضرورة التحرر من الهيمنة البرتغالية كدافع أساسي مكمل لضرورة فرض علاقات تجارية على مملكة سنغاي ابتداءً من سنة 957 / 1550.

يؤكد *تاريخ السودان* بأن مملكة سنغاي كانت تتسع شمالا لتشمل تغازى وتاودني (*تاريخ السعدي*، 73 / 84). وعندما أفشل الطوارق أول حملة للسعديين سنتي 950 - 951 / 1543 - 1544 ؛ فإن هؤلاء لم يترددوا مرغمين لإعادة المحاولة بعد سنتين، كانت النتيجة أن قُتل حاكم تغازى ومجموعة من أهلها فتركت مملكة سنغاي الموقع لتبدأ غير بعيد استغلال سبخة تغازى الغزلان (*تاريخ السودان*، ترجمة، 163 - 164). على أن أهم إشارة تنير فهمنا للأحداث تتلخص هنا في كون انتاج ملاحة تغازى القديمة كان قبل هذا التاريخ قد صار ضئيلا إذ أصبح سمك اللوحات المستخرجة جد رقيق (Valentin Ferhandès, *Description*, 91). بل الأهم هو كون هم مملكة سنغاي كان كله في مراقبة ملاحة تاودني التي أصبحت تنتج ما يكفي لسد حاجيات أروان وتنبكتو ومويتي. وإذا كانت أهمية مادة الملح يومها قد أصبحت جد نسبية اعتباراً لتعدد الملاحات المنتجة (V.M. Godinho, *L'Economie*, 109)، فأهمية تاودني هي أكبر بكثير من ملاحة إيجيل مثلا حسب ما أكد عليه P.H. Rey. فبينما كانت ملاحة إيجيل تنتج ما بين 20 و25 لوحة يومياً، كانت تاودني تعطي من 80 إلى 90 لوحة أي ما معدله 2.400 إلى 2.700 طن سنويا. وقد اقتصر P.H. Rey على أثمنة ابن بطوطة لكي يصل إلى ما قدره 1.200 كلغ من الذهب (*Le Sahara français*, 95).

عندما وصل قائد حامية أحمد المنصور السعدي إلى تغازى سنة 993 / 1585 اتضح بأن أهمية الموقع لم تعد تكمن في انتاجية الملاحة بقدر ما تساعد على تسليط الأضواء على استراتيجية المنطقة (*تاريخ السعدي*، 193 - 194). هكذا وانطلاقا عن تغازى وصلت جيوش أحمد المنصور سنة 960 / 1592 إلى تاودني التي تفصلها حوالي 450 كلم عن أروان. سار القائد جودر باتجاه الجنوب ليصعد حمادة الخنشيش التي تتميز بوفرة الأمطار وبئري عقلة والونان (O. Lenz, *Tombouctou*, 78). عند نهاية هذه الحمادة غادر طريق

أروان ليسلك مسلكا سريا (*تاريخ السعدي*، 139). فقد اجتاز الجنوب الشرقي ليقطع 160 كلم قبل أن يسامت أروان حيث لم تعد تفصله عن بئر الجبيهة الوحيدة بالمنطقة سوى حوالي 90 كلم (الفشتالي، *مناهل* ؛ گنون، 136). لم يكن هذا القائد يجهل مدى وفرة الغذاء الحيواني الذي يجعل من هذه المنطقة مجالا للانتاج وتربية الإبل. من هنا فإن خطته كانت تقتضي إبهام مملكة سنغاي والأعراب برغبته في السطو على القطعان. كان من الواضح يومئذ أن ازدهار تجارة الملح بتاودني مرتبط أساساً بفصول السنة الباردة كما سنرى. فقد كانت دائرة تنبكتو وحدها تستعمل ما يقارب خمسة وعشرين ألف رأس من الإبل في كبريات القوافل (أكبار ج. أكوابير، انظر *المعلمة*، 2 : 598. 600) المتوجهة إلى تاودني عبر أروان. كانت السبخة تعرف علاوة على ذلك مقدم بضع مئات من الإبل القادمة من تيندوف وتاگونيت.

لم يكن بإمكان الطوارق (التوارگ) السيطرة على كل مناجم تاودني المتعددة بحكم نمط عيشهم الترحالي الذي كان يحد من أشكال المراقبة. فبدءاً من استخلاص الضرائب العينية إلى العمل الإلزامي المفروض على العبيد كان استغلال التوارگ (كَلْ انتصار وكَلْ سيدي اعلي) سيتحول بالضرورة إلى شكل علاقات إقطاعية لفائدتهم ولفائدة فئات من التجار المرابين. غير أن التطورات التي عرفتها المنطقة خلال القرنين التاسع والعاشر (15. 16م) ارتبطت بما ينشأ عادة من صراعات بين أبناء القبيلة الواحدة، فسارت الفصائل التارگية في اتجاه معاكس لما من شأنه أن يزيد من سيطرتها على تاودني. لذلك فإن أنماط الملكية السائدة بتاودني ظلت متمثلة في استقلال الملكيات العائلية بعضها عن بعض. غير أن الجانب الاقتصادي لهذه التجارة لا يمكنه وحده أن يفيض في أسباب تعلق سكان الضفة الجنوبية وأدغالها بملح تاودني. ذلك أن الصراع والتنافس لا يسمحان بتفسير صمود حركية تاودني ومجابهتها للملح البحري الذي أصبح يمثل سنة 1954 ربع الثمن العادي. فمن يتتبع مراحل استغلال ملح تاودني عبر القرون الأربعة الماضية يدرك أن واقعها المحلي والجهوي يتضمن وحده عناصر الحسم. ذلك أن سبب القدرة الفعلية على المواجهة لا تعود إلى القدرة الغذائية أو الحرارية لملح سبخة تاودني بمقارنته مع الملح البحري بقدر ما تعود إلى المقدرة الاستيعابية للرموز العقائدية التي يختزنها ملح السبخة في حد ذاته.

إذا كان الذهب قد جسد دائما مقدرة الضفة الجنوبية على جلب ملح السبخات، فإن هذه المادة الصحراوية كانت تؤكد باستمرار قدرة أهالي هذه الضفة على جلب منتوجات الشماليين. كما أن استعمال لوحات الملح كعملة للتبادل يجسد قدرة هذه الضفة على مواجهة فقر الطبيعة وما كان يتهددها من مخاطر داخلية وخارجية. ندرك من هنا لماذا استعملت لوحات ملح تاودني كمهر خلال الزواج وكثروة يصعب اكتنازها من لدن كبار التجار المرابين. فقد كانت هذه اللوحات تشكل إسهاماً نقدياً ذا أهمية قصوى في أسواق تنبكتو وأروان وموبتي عاصمة ملح تاودني. واعتباراً لكون هذه العاصمة كانت محطة للتوزيع نحو الأدغال نجدها تشكل أهمية قصوى بالنسبة لتنبكتو شمالا وجنة (دجنبي) جنوبا حيث كان سعر اللوحة الواحدة يصل ثلاثة أضعاف ثمنه.

وهنا تتدخل الرواية الشفوية لتجعل من تنبكتو رأس الشجرة الكونية وموبتي بطنها بينما تمثل جنة الرجلين. كانت موبتي تقوم بتوزيع بضاعتها في اتجاه وگادوگو وڤولطا العليا حيث تكشف القيم الروحية المتداولة الأهمية الرمزية التي تتمتع بها مادة الملح كمصدر للقوة وكشكل مباشر من أشكال تداخل علاقات الشمال بالجنوب. فلا يوازي سيطرة الشماليين على الذهب إلا اقتران مادة الملح بالفاعليات الاقتصادية والدينية لمختلف الفئات الاجتماعية الجنوبية.

تتكون سبخة تاودني من عدة مناجم منها ما هو مهجور ومنها ما تم فتحه في فترات لاحقة. ويقيم أهل تاودني بقريتين متجاورتين هما سمبرة وأگورگو. وإذا ما نحن وقفنا على إحصائيات 1957 وجدنا السلطات الإدارية لتنبكتو تحصي ما مجموعه 248 من السكان منهم 43 قاراً بعين المكان. يقيم هؤلاء السكان "الأصليون" بقرية سمبرة حيث يولدون ويموتون ومن نسائهم من تقضي حياتها كاملة بعين المكان. على أن من السكان المتنقلين من جاء منذ 30 سنة ليقيم بأگورگو تتجاور مناجم الاستغلال. نلاحظ أن من بين 248 مقيما ومقيمة 36،26٪ ينتمون إلى مجتمع البيضان بينما ينتمي 63،84٪ إلى المحررين من عبيد أهل أروان والبرابيش الساحليين (أولاعيش) وأهل الساحل (تجكانت وتكنة) وكذا من خدم الطوارق (التوارگ) وسنغاي. يعود انتماء البيضان من أهل تاودني قارين كانوا أم متنقلين إلى القبائل المحيطة بتنبكتو بالإضافة إلى بعض تجار تجكانت وتكنة.

تعتبر الفصول الباردة من السنة فترة الاشتغال حيث يمتلئ المدشران ما بين منتصف شهر أكتوبر ومنتصف شهر ماي. أما الفترة الحارة فإن المتنقلين من أهل أگورگو يعودون إلى الضفة الجنوبية. واعتباراً لكون البيضان يحتلون سلم التراتبات الاجتماعية فإنهم لا يشتغلون باستخراج مادة الملح مكتفين باحتكار الإنتاج أو التجارة أو تعليم القرآن. وقد أكدت ڤيڤيان پاك (Viviana Pâques) بأن تملك المناجم خلال الستينيات ما يزال حكراً على ثلاث عائلات، الأولى من أهل أروان والثانية من تجكانت والثالثة من تكنة (*L'Arbre cosmique*, 282). تشغل هذه العائلات خدامها في استخراج الملح، ويقوم خدام أصحاب القوافل بالمساعدة في مهمة الاستخراج هذه. وتعتبر عملة الأداءات هي الملح الذي يصلح في عين المكان لشراء كل شيء. إلا أن تجار قوافل تيندوف لا يقبلون مقابل ما

يحملونه من أثواب وزراب وشاي وسكر مادة الملح كعملة.

وتعتبر قبيلة تجكانت المسوفية أكثر القبائل تحكماً في المحور الرابط بين تاودني وتندوف (25 يوم من السفر). فهي تتحكم في قطاعي النقل والاتجار في آن واحد. كان منيرو القوافل جكانيين تربطهم عبر مختلف مراحل الطريق علاقات القرابة بأفراگ قبيلتهم في كل من بحر كليف وتافورين والترارزة وحمو الحاصل. على أن هذه المراحل تعد على صعوبتها أقل خطورة من تسعة أيام من السفر تفصل عادة بين تاودني وأروان. فتجكانت شأنهم شأن تجار تكنة لم يكونوا أقل حضوراً بتاودني من باقي بيضان أروان وتنبكتو نظراً لاستنادهم إلى روابط قرابية تجمعهم بتجار تنبكتو حيث تعتبر جالياتهم بالغة الأهمية إلى الآن. بهذا المعنى فإن بعض الوجهاء منهم كانوا ومايزالون يتوفرون على مناجم أوكلوا استغلالها إلى تابعيهم المحليين. ويكفي أن نذكر من بين أعيان تكنة أهل بركة وأهل عمار ولد احماد أو المهدي البليدي (Rita Aouad, *Les réseaux*, 113 - 114).

على أنه في إطار هذا التغلغل التجاري والاجتماعي والسياسي لأهل وادي نون وأهل تيندوف ينبغي التمييز بين الحضور الذي ميز القرون الطويلة الماضية والفترات اللاحقة للسيطرة الإدارية الفرنسية. فهذه الإدارة سارت في اتجاه معاكس لم يعر أي اهتمام لطبيعة العلاقات بين المنطقتين عاملة على إجهاض كل الارتباطات القديمة. وباعتبار أن المسألة بالنسبة لهذه الإدارة لا تنحصر في مجابهة التماسك المجتمعي القائم بل تتجاوزه إلى محاولة إثبات قدرتها على تقسيم المجال والتحكم في من يخلون بأوضاعها الأمنية، كان عليها أن تعتمد مختلف أساليب التفرقة والتشتيت (R. Aouad, *Les réseaux*, 110).

تقابيد ما اشتملت عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى، الرباط، المطبعة الملكية، 962 ؛ ابن بطوطة، *تحفة*، IV، 427 ؛ ابن خلدون، *العبر*، VI، 415 ؛ ابن المختار ومحمود كاتي، *تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس*، 1964، 34. 37 / 59. 64 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان*، 73 / 84. 139 ؛ فاطمة الزهراء طموح، *اكبار، معلمة*، 2، 598. 600 ؛ الفشتالي، *مناهل الصفا*، ع. كنون، 136.

Mougin, *Les premiers sultans saadides et le Sahara*, *ROMM*, 1975, 169 - 187 ; O. Lenz, *Tombouctou, Voyage au Maroc, au Sahara et au Soudan*, Paris, 1886- 1887 ; R. Aouad, *Réseaux marocains en Afrique sub- saharienne*, *R.M.E.*, n° 4, 1993, 93 - 114 ; G. Salvy, *Tawdanni, Le Monde*, 31 / 1 / 1976 ; H.T. Norris, *Yeminis scholars of Timbuctoo*, *J.A.H.*, III, 1962, 19 - 335 ; V. Pâques, *L'arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du N-O Africain*, Paris, 1964, 702 p.

مصطفى ناعمي

التاودي، محمد بن يعلى، من صلحاء فاس. يعرف بالمعلم وبالخياط. اختلف في نسبه فقيل إنه أندلسي الأصل. وقد رجحت أغلب المصادر نسبته إلى بني تاوُدا من أعمال فاس. ومدينة تاودا كانت واقعة على مقربة من جبال غمارة، شيدها المرابطون لمراقبة الغماريين، على مرحلتين من فاس شمال وادي سبو. ومعنى تاودا باللغة الأمازيغية : الرعب والخوف.

أخذ التاودي التصوف عن شيخه علي بن حرزهم، كما صاحب أبا يعزى يلنور الذي كان يشهد له بالفضل والتقدم، ويطلق لسانه بالثناء عليه، كان للتاودي في طريق القوم قدم راسخ، قطع مقامات أبي يزيد البسطامي في أربعين يوماً. وأخذ عنه جمع من الأولياء والعارفين.

اشتهر الشيخ محمد التاودي بالبذل والجود، وكثرة الصدقات وهذه أهم خصوصيات التصوف المغربي في تلك الفترة. يقول عنه صاحب *التشوف* : "كان يعلّم الصبيان، فيأخذ الأجر من أولاد الأغنياء ويرده على أولاد الفقراء. ويغسل أثواب الصبيان في قصعة كانت عنده في المكتب. ويخيطها إذا احتاجت إلى ذلك. ولا يأخذ على ذلك أجراً".

وقد أشار سليمان الحوات، في *الروضة المقصودة* : "أن سكنى صاحب الترجمة فيما يقال بزقاق الماء عدوة فاس القرويين. وعمله في المكتب القائم بها إلى الآن. كان يعلم الصبيان، وخلوته التي كان يتعبد بها باقية في مسجدها قبلة مصونة عن كثرة الدخول بها يتبرك بها الخاصة ممن وصله خبرها".

توفي الشيخ التاودي بفاس سنة ثمانين وخمسمائة (1184 م)، ودفن بخارج باب عجيسة، وقبره معروف يستشفي به الناس، ويقصدونه للزيارة في مهماتهم خصوصاً يوم السبت.

وقد ذكر صاحب *الروضة* في معرض حديثه عن سبب تسمية شيخه أبي عبد الله محمد ابن سودة بالتاودي : "أن أهل المغرب، وخصوصا أهل فاس يتمنون في تسمية أبنائهم "بالتاودي يطلقونه على من اسمه محمد وربما اقتصروا عليه في الغالب". جدد بناء مزارة الشيخ محمد بن يعلى التاودي، السلطان سيدي محمد بن عبد الله، حيث شيد عليه قبة في أبدع صنع ووسع رحاب الضريح.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1984 ؛ الساحلي، *بغية السالك في أشرف المسالك*، م. خ. ع. 2630 ك ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، ص. 185 ؛ ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، م. خ. س. رقم 647، ص. 311 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 3 : 110 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 188.

عبد العزيز تيلاتي

تَاوَرَا، بفتح الواو والراء كما ضبط نطقها الأصلي ابن غازي (*الابتهاج*، 1 : 52)، متحدثا عن تاورا مدينة مكناس، إذ أن المواقع التي تعرف بهذا الاسم كثيرة ؛ فبشير البكري مثلا إلى قرية تَوَرَة ومرساها على الطريق بين طنجة وسبتة (*المغرب*، 163)، والإدريسي إلى قرية تَاوَرَت بالجزائر (*نزهة المشتاق*، 163) بينما يتحدث لاوست E. Laoust عن قرية تاوار Tawâr بمسفيوة وقرية تاورت Tawart بتگانة، ويفترض كمدلول يحمله الجذر "اور" (Aur) عند الطوارق هو "الوجود إلى القرب من نقطة الماء" (*Contribution*, 139) ؛ الشيء الذي قد يقبل بالنسبة لتاورا

مكناسة الزيتون المتسمة في القديم بعيونها المنبجسة. لاسيما عين أبي الخيار ، وكان لها دور في سقي أملاك السكان وانعاش أزقتهم ودورهم (*الروض*، 11. 12) ويعني هنا ارتباط اسم تاورا بخصوصية طبيعية بارزة، بأن اسمها كعلم، لايمت بصلة إلى جماعة بشرية معينة ذات أصل مشترك، وأن تقسيماتها التي يعرِّف بها كتاب *الروض* وهي بنو عيسى وبنو يونس وبنو أبي نواس وبنو زغبوش وفاس الصغيرة، لايفهم منها أنها فروع لوحدة بشرية كبرى بقدرما هي أقسام سكنية تخفي وراءها أصولا مختلفة، من هذه الأصول ما أفصح عنه المؤلف ، أي بنو زغبوش الذين كان يعتقد أنهم من بني عيسى (*الروض*، 12) ثم عبيد الحرمة الوافدين من السودان (*الروض*، 31).

كانت تاورا تحتل موقعا متميزا ؛ فبأعلى نقطة ينحدر منها ماء نهر فلفل (بوفكران) وتنساب منها العيون، كانت تبسط امتدادها على ضفتي النهر الشرقية والغربية بخلاف المراكز الأخرى التي لم تكن تحتل سوى إحدى الضفتين. وإلى جانب هذا الموقع الذي يتيح لها التحكم في مصدر المياه، كانت قريبة إلى قصر الأمير المرابطي المعروف بقصر تورزگين، كما أنها صارت أقرب مركز لتاگرارت بعد تأسيسها (*الروض*، 11). وقد انعكس هذا الموقع على مظهرها وأنشطتها وتجلى ذلك من خلال كثرة آرحائها وحماماتها بالمقارنة مع بقية المراكز (*الروض*، 12)، ثم إنها بشهادة الإدريسي، كانت جامعة عامرة والأسواق بها نافقة (*نزهة المشتاق*، 147)، وليس هناك أكثر تعبيرا عن حيويتها ومكانتها من انتساب كثير من العلماء والفقهاء الذائعي الصيت إليها، لاسيما بنوزغبوش الذين علا شأنهم في عهد الموحدين (*مدائن مكناسة*، 181).

تضررت تاورا، في فترة الانتقال الموحدي / المريني ونالها من التخريب والخلاء ما نال بقية مراكز مكناسة الزيتون الأخرى (*الروض*، 36)، غير أن النسبة إليها ظلت قائمة إلى أواخر الدولة المرينية في القرن التاسع (15 م)، ونعلم هذا من خلال اسمين يحملان النسبة إليها : طلحة التاورتي، وقد ذكره ابن الخطيب كأحد البارزين في أحداث مكناسة أيام ثورة عبد الحليم بها سنة 763 / 1362م (*نفاضة*، 1 : 324)، ثم إبراهيم بن أحمد التاورتي، مؤرخ أبي سعيد الثالث، في مطلع القرن التاسع (15 م) (*الجذوة*، 1 : 87).

دخلت تاورا على عهد السلطان المولى إسماعيل، في نطاق المجال الذي حازه السور الوقائي الذي رفعه السلطان حول قسم كبير من المجال الزراعي لمدينة مكناس (*تاريخ*، 46)، وبأعلى تاورا، شيد السلطان قنطرة دَرْدُورَة الشهيرة (*الإتحاف*، 1 : 158)، ونقل في نطاق تعديلاته العمرانية وإعادة تنظيم أسواق المدينة إلى أسفل هذه القنطرة مقر صناعة الخزف (*الإتحاف*، 1 : 225).

فحمل هذا المكان منذئذ، اسم الفخارين وهو مستمر الوظيفة والاسم إلى اليوم.

أ. البكري، *المغرب* : ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، نشر بعنوان، *القارة الافريقية وجزيرة الأندلس*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، نشر وتعليق أحمد مختار العبادي؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس* ؛ ع. الريفي، *زهر الأكم*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*.

E. Laoust, *Contribution*, Paris, 1942.

محمد اللحية

تاوْرارْت، إحدى قرى قبيلة الخلط الهبطية، مندرجة ضمن فرقة ثلاثاء ريسانة الشمالية بجوار الزراهنة وأولاد بوحميدة، معروفة هناك بصوالح تاورارت، نسبة إلى المجموعة السكانية المستقرة بالبسيط الممتد بين واد البربري رافد واد المخازن، ودشر الجديد من قبيلة الساحل الجنوبي. وارتفاع السطح هو الذي يعبر عنه اللفظ الأمازيغي الأصل "تورارت أو تاوريرت".

ولتوْرارْت الصوالح تاريخ يعود إلى فترة الوجود البرتغالي بمدينة أصيلا بين سنة 1471 وسنة 1550. إذ كانت القرية ضمن مجالات الخلط قبل الاحتلال البرتغالي للمدينة، وكانت إحدى محطات القوافل الآتية من القصر الكبير في اتجاه الشمال الغربي، تعرض أهلها للهجرة نحو جنوب واد المخازن، ولم يعودوا إلى موطنهم إلا بعد الجلاء البرتغالي عن أصيلا. وقد اعتاد مجاهدو القصر الكبير اتخاذ المكان طالعا لاستكشاف الطريق الواصل من تاوْرارْت إلى قرية ميجلاو، من قبيلة الساحل الشمالي، بحثا عن جنود أصيلا، وآنذاك كانت ضمن ما سماه البرتغاليون بحوز أصيلا.

ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية، 5. 5 ؛ حسن الفگيگي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 2 : 352.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila*, p. 1 : 29, 66, 83, 154, 204, 252, 244, 2 : 21, 57, 149, 229.

حسن الفگيگي

التاورتي، إبراهيم بن أحمد. لا نعرف عنه إلا الترجمة القصيرة التي خصه بها ابن القاضي في *الجذوة* حيث يصفه بمؤرخ الدولة المرينية على عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن أحمد بن أبي سالم وأنه ألف كتابا يؤرخ فيه لهذه الفترة (*جذوة*، 87). غير أن ابن القاضي لم يصرح بعنوان الكتاب كاملا بل ذكره مختصرا هكذا : "ذكره التاورتي في تاريخه"، أما المنوني فسماه "تاريخ أيام السلطان المريني أبي سعيد "الثاني" (*المصادر*، 1 : 116). ومن حسن الحظ أن ابن القاضي لم يقتصر فقط على ترجمة التاورتي بل يبدو أنه وقف أيضا على كتابه واقتبس منه بعض التراجم مما يجعلنا نخرج بانطباع أولي قد يساعدنا في معرفة طبيعة الكتاب ومحتواه. ومن بين هذه التراجم نذكر : ترجمة عبد الرحمن الزرهوني فقيه جامع القرويين وخطيبه (*جذوة*، 403)، وترجمة أبي زكرياء يحيى بن أبي دلامة الكاتب وصاحب العلامة عند السلطان أبي سعيد المذكور (*جذوة*، 539)، وترجمة الحاجب عبد العزيز بن أحمد اللبابي الزرهوني (*جذوة*، 451) وترجمة قاضي فاس عبد

الله بن الأشقر (*جذوة*، 424) ثم ترجمة الوزير صالح بن عمر (*جذوة*، 358) ولعله صالح بن حمو الياباني الذي ذكره ابن الأحمر ضمن وزراء عدد من ملوك بني مرين المتأخرين بدءاً باحمد بن أبي سالم فعبد العزيز بن أحمد ثم عبد الله بن أحمد، وانتهاءً بعثمان بن أحمد المكنى بأبي سعيد، الذي عاش في أيامه المؤرخ التاورتي (*روضة*، 38 ـ 41 ؛ *الاستقصا*، 4 : 94).

وإذا كان هذا الاقتباس هو كل ما وصلنا من كتاب التاورتي، الأمر الذي يؤكد أنه كان معروفا حتى زمن ابن القاضي أيام السعديين ثم جهل مصيره بعد ذلك، فإننا لا نعرف لولادته ولا لوفاته تاريخا محددا. كل ما هنالك أن ابن القاضي ومن نقل عنه أشاروا إلى أن التاورتي بقي على قيد الحياة بعد المائة الثامنة للهجرة (800 هـ / 1398م)، مع العلم أن السلطان الذي أرخ لأيامه حكم المغرب بين سنتي 800 هـ و823 هـ تاريخ وفاته. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الباب أن الناصري ذكر اسم التاورتي في معرض حديثه عن واقعة استيلاء البرتغال على مدينة سبتة سنة 818 هـ، وأن كتاب هذا الأخير تحدث عن تلك الواقعة وتناول أخبار دولة أبي سعيد. لكن ذلك لا يعني أن الناصري وقف على هذا الكتاب ونقل عنه تلك الأخبار، فالأمر كان مجرد إشارة إلى وجود مصدر معاصر للأحداث، والدليل على هذا كون الناصري نقل جل معلوماته في موضوع احتلال سبتة وأيام السلطان أبي سعيد من مصادر متأخرة كجذوة *الاقتباس* وكتاب المؤرخ الاسباني منويل باولو القشتيلي وغيرهما (*الاستقصا*، 4 : 93). كما يلاحظ من جهة أخرى أن معاصر التاورتي ابن الأحمر الذي كان أيضا مؤرخ دولة أبي سعيد المريني لم يذكر زميله ولا كتابه فيه أي من مؤلفاته الكثيرة، فلا ندري سببا لهذا الصمت!.

ابن الاحمر، *روضة النسرين*، المطبعة الملكية، الرباط، 1962 ؛ ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، 88 و451 و539 ؛ الناصري، *الاستقصا*، ج 4، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955 ؛ ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1960، الجزء الأول، ص. 250 ؛ المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الجزء الأول، منشورات كلية الآداب، الرباط، 1983 ؛ ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، الجزء الأول، ص. 136.

رشيد السلامي

تاوْرزا، بالأمازيغية والعشار أو الكرنك بالعربية، نبات برّي يعرف علميا بكالوطروبيس بروصيرا Calotropis procera، وهو ينتمي إلى فصيلة الصقلابيات التي تنتشر أجناسها غالبا في المناطق المدارية.

تبلغ شجرة أو شجيرة تاورزا من مترين إلى أربعة أمتار. جذعها ذو قشرة فلّينية مشققة وسميكة. لها أوراق دائمة عريضة مستديرة خشنة، مكسوة بزغب قطني جد كثيف جعل لونها الأخضر المزرق يميل إلى البياض. أزهارها كبيرة الحجم (2 ـ 3 سم) ومزركشة، إذ نجد ألوانها تختلف من الأبيض إلى الأزرق والبنفسجي والأرجواني. ثمارها كروية الشكل ومنتفخة لكونها تحتوي على ألياف قطنية تسهل انتشار البذور عند هبوب الرياح.

تُصادف تاورزا طبيعيا في المناطق البيومناخية الجافة والصحراوية من المغرب حيث تنبت في الوديان بجانب أشجار الطلح والأثل، كما توجد في نفس الظروف البيئية من دول شمال إفريقيا وآسيا.

تنحصر استعمالات هذه الشجيرة بالمغرب وشمال افريقيا في التطبيب التقليدي لكن يزرع في بعض المناطق من أميركا الجنوبية لإنتاج قطن حريري له بعض الأهمية ولو أن أليافه أقل جودة من الكابوك، إلا أن الناتج منهما كثيرا ما يستعمل مخلوطا.

أبحاث شخصية ؛ أ. هيل، *النبات الاقتصادي* 1962. تر. د. ع. زاهر وآخرين ـ المكتبة الأنجلو مصرية ـ القاهرة.

P. Quézel et S. Santa, *Nouvelle flore de l'Algérie*, Paris, 1963.

عبد المالك بنعبيد

تاوَرْصَة أو **تَـاوْرْصَ**، بصاد مشمومة زايا على مايبدو، قرية قديمة معروفة منذ العصر الإسلامي الأول بناحية تطوان، حسب البكري الذي هو المصدر الوحيد لمعلوماتنا عنها. ولم يبق لهذه القرية أثر اليوم إلا ما كان من لفظ تاورزا وهو نوع من الشجر القصير المزهر، ولعله كان سائداً هناك في ذلك الوقت.

ويمكن مقاربة موقع القرية مما جاء عند البكري الذي جعلها، أثناء التحدث عن الطريق البري الرابط بين سبتة وتطوان، في مرحلة وسطى بين رأس قَـبْ مُـنْـتْ (الرأس الأسود الحالي) وبين تطوان، بعد اجتياز واد أليلى (الواد المالح) الذي لايزال محتفظاً بهذا الاسم حتى اليوم. وقد حاول التعرف على موقعها جاك كاني ولكنه أخطأ الموضع، كما أن القراءة غير الدقيقة جعلته يقرأ لفظ "طور" بدل تاورص.

إننا متأكدون من أن موضع قرية تاوص لا يمكن أن ينطبق إلا على البقعة التي تحتلها أراضي جماعة الملاليين، ولا يستند هذا التأكيد إلى الموقع فقط، بل إلى الأوصاف التي خصه به البكري، حين أخبر بتوفر القرية على أراض ومياه جارية وعليها الأرحاء. فتفحص الخريطة ومعاينة المكان يجعلنا نوجه أنظارنا إلى قرية الملاليين وواد الشجرة الحاليتين، فهنا كانت تستقر ـ فيما نظن ـ قرية تاورصة التاريخية، بجوار مياه رافد واد أليلى الجنوبي والمسيلات العديدة المتصلة به.

كانت القرية في القرن الرابع الهجري تابعة لتطوان، وتشارك بالتحكم في الطريق التجاري البري الرابط بين تطوان وسبتة، ويشرف عليها أحد وجهاء بني سكين يدعى عبد الرحمن بن فحل، وواسطة العقد بين تطوان وقب منت فيما يخص أراضي بني سكين.

أ. البكري، *المغرب*، 106 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 247 ؛ ج.

كاني، *المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري*، مجلة البحث العلمي 1973، 130 ـ 143 ؛ *خريطة طبوغرافية لحوز تطوان*، 1958 ؛ *بحث ميداني*.

أحمد قدور

تاوريرت، مدينة بالمغرب الشرقي واقعة على واد "زا"، وهي زاي مفخمة، وعلى الطريق الرئيسي الرابط بين وجدة وگرسيف، يعود أصلها إلى ما قبل القرن الثالث الهجري، بناء على الإشارة الواردة عند ابن حوقل البغدادي، والمستخلص من مصادر البكري. ويعني اسم تاوريرت الأمازيغي الكدية، إشارة إلى إحدى الموائد الصخرية المتصلة بالمدينة وهي نوع تضاريسي منتشر بالمنطقة الشرقية، يميزها في الوسط الطبيعي ارتفاعها وإشرافها على واد زا.

يعود تأسيس مدينة تاوريرت إلى قبائل زناتة المسيطرة على تلك الجهات منذ ما قبل الفتح الإسلامي للمغرب، ولاسيما قبيلة بني واسين. وفي أواخر القرن الثالث الهجري كان سكانها من بني مراسن، زعيمهم قاسم الواسِّنَاني. وحينما مرَّ بها ابن حوقل البغدادي بعد عام 331 هـ. قال عنها : "مدينة صا (زا) صغيرة ولطيفة"، كانت مشيدة أسفل الكدية (تاوريرت) من الجهة الغربية بمحاذاة مجرى واد زا. ويرجع أول تصريح باسمها الحالي إلى البكري. ولا شك أن المساعد على ظهور المدينة وتطورها خلال القرون الهجرية الأولى عائد إلى موقعها الذي أهلها للقيام بدورها في نطاق التجارة الصحراوية بمجرد وصول القوافل السجلماسية إليها، فهي محطة رئيسية لها في اتجاهها نحو الشمال الشرقي. ومدينة تاوريرت نقطة اتصال مع وجدة شرقا، وفاس غربا عبر أگرسيف. ومنها تتجه القوافل نحو الشمال وجهة جراوة بني أبي العيش ببني إزناسن ومرساتها "تفْرجنِّيت"، ثم نحو قلوع گرط، ومليلة، ونحو النكور ومرساتها المزمَّة.

ويظهر أن الموحدين هم الذين خربوا تاوريرت، أثناء جولات عبد المومن بن علي الگومي بتلك النواحي، عند ملاحقته لتاشفين بن علي المرابطي حوالي 536 / 1141، بدليل أن الشريف الإدريسي وجدها خرابا حين سجل أخبارها. غير أن تاوريرت لم تلبث أن استعادت وجودها علي العهد المريني، لتمر بأعنف لحظات تاريخها، كنتيجة من نتائج الصراع المريني العبد الوادي على تخوم المغرب الشرقي. فمدينة تاوريرت كانت تخما بين المغرب المريني وتلمسان الزيانية. ففي منتصف القرن السابع (13 م) كان في جانبها الغربي عامل يعقوب المنصور المريني وفي جانبها الشرقي عامل يغمراسن بن زيان العبد الوادي. بقي الأمر كذلك إلى سنة 694 / 1294، حينما طرد يوسف بن يعقوب المريني عامل يغمراسن، واختط هناك حصن المدينة، بناه تحت إشرافه المباشر، وأنزل به بني عسكر من بني مرين، وعقد عليهم لأخيه أبي يحيى بن يعقوب، مما جر على المدينة سلسلة من الغارات الزيانية على يد خلفاء يغمراسن، استغرقت سنوات الثُّلث الأول من القرن الثامن (14 م). وحينما مر أبو الحسن المريني بالمدينة اعتنى بشأنها وأنزل بها عسكره وعقد عليها لابنه تاشفين، بينما جعل حصنها إلى نظر وزيره منديل بن حمامة بن تربعين، غير أن ذلك لم يَحُلْ دون مهاجمة أبي تاشفين الزياني للمدينة سنة 733 / 1332.

وإلى الفترة المرينية أشار الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* إلى ازدهار عمران تاوريرت وكثرة سكانها، إذ أن تقديره لساكنة المدينة بلغ نحو ثلاثة آلاف كانون، أي ما يساوي بالتقريب خمسة عشر ألف نسمة. وهو الذي أخبرنا الخبر الأخير عن تخريبها سنة 780 / 1378، خلال النزاع الأسروي المريني والتدخل التلمساني في الصراع على عهد السلطان أحمد بن سالم بن أبي الحسن المريني (775-786) وأصبحت المدينة منذ ذلك الحين خالية بعد هجرة أهلها إلى ندرومة الجزائرية، وبقيت خرائب المدينة تحت نفوذ عرب بني معقل وإقطاعهم من الأحلاف وأشجع.

وعاد أمر تاوريرت إلى الظهور مرة أخرى منذ العهد الإسماعيلي، حينما نقل إلى سهل أنگاد عرب زرارة والشبانات، قوم كرُّوم الحاج من حوز مراكش، وذلك سنة 1090 / 1683، إذ أنه في السنة الموالية أمر السلطان ببناء قصبة تاوريرت على الضفة اليسرى من واد زا، على بعد أربعة كيلو مترات من موقع المدينة الحالي، ولاتزال آثارها قائمة إلى الآن، وأنزل بها مائة فارس من عبيده وعيالهم، في مهمة حراسة الحدود للحيلولة دون التسرب التركي إلى المغرب الشرقي من تلك الجهة. كما تم في نفس الوقت نقل قسم من زرارة والشبانات إلى المدينة، وما يزالون إلى اليوم بضواحيها الجنوبية يعرفون بالكرارمة.

وتاوريرت اليوم دائرة كبرى ألحقت بها مدينة العيون وحوزها (بني محيو وأولاد سيدي الشيخ وسجع وبني وكيل وحدوين وبني بوزگو)، كما أضيف إليها قسم من الأحلاف (مربع، أولاد سليمان، أولاد مهدي وقسم من سجع). وأدخلت ضمن دائرة تاوريرت مدينة دبدو و وحوزها أيضا (بني فشت ورشا وزوا وأولاد سيدي محمد والحاج بن أحمد).

ابن حوقل، *وصف الأرض*، 88 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر أخبار المغرب*، 90 ـ 93 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 247 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 6 : 119 ـ 125 ـ 7 : 227 ـ 681 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1 : 271 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، 4 : 67 ـ 7 : 62 ؛ *خريطة الدائرة*، 1973 ؛ *زيارة ميدانية*.

حسن الفگيگي

تَاوْرِيرْتْ، ـ جغرافيا ـ تقع بين مدينتي وجدة (108كلم) وتازا (120 كلم)، في ممرٍّ واسع موجّه نحو الشمال الشرقي، بين سهل تافراطة وحوض العيون وبين جبال بني إزناسن ومرتفعات المقام والگعدة. على تلّ يعرف بالكدية (تاوريرت) وهو يشرف على الضّفة اليسرى لوادي زا أحد روافد نهر ملوية.

تحوّلت تاوريرت من قرية سنة 1936 كانت تحتضن 1652 نسمة إلى مدنية صغيرة في الأربعينيات لإيواء الوافدين إليها من القبائل المجاورة بسبب الضغط الاستعماري والظروف الاقتصادية الرديئة. فارتفع حجم سكانها ثلاث مرات سنة 1952 (4655 ن)، ثم ناهز المرتين سنة 1960 (7343 ن) وتضاعف مرتين كذلك سنة 1971 (15581 ن) وبنفس القدر سنة 1982 (32667 ن). أما الآن فيقدر عدد سكانها بأكثر من 60000 نسمة، بعد أن توسّع نطاق استقطابها للهجرة القروية التي تمثل نسبتها ما يقارب 65٪ من النمو الاجمالي والتي تهمّ أساساً جماعات مستقر ودبدو والعطف وسيدي لحسن بالإضافة إلى سكان القبائل المجاورة وحتى آخرين من إقليم تازا.

تنمو المدينة بشرياً وعمرانياً بوتيرة لاتساير سرعة تطور التجهيزات والمرافق الضرورية لتلبية حاجيات مدينة متوسطة من حجم خنيفرة أو صفرو وتارودانت وقلعة السراغنة وبرشيد ... والتراكم الضخم والمستمرّ لأفواج النازحين من الأرياف يكسب جلّ أحيائها طابعاً عشوائياً وقروياً يطرح عدّة مشاكل تنظيمية واجتماعية تكاد تكون مستعصية.

لجعلها مركزاً للمراقبة الترابية أقامت السلطات الاستعمارية سنة 1908. 1909 محطة لاسلكية قرب القصبة مرتبطة بالإدارة العسكرية العامّة بفرنسا، وهي مازالت تعدّ من أهمّ محطات الإرسال بالمغرب. ثم أضيفت ثكنة عسكرية ظهر بجانبها أول حيّ صار يسمّى دوّار المخزن، وأنشئ "الحي القديم" ابتداءً من سنة 1920 بمثابة مركز للمعمّرين ولاستقبال الجزائريين واليهود المتعاطين للتجارة والصناعة التقليدية، انضمّ إليهم بعد ذلك أهل فگيگ. من ثمّة أخذت تتوسّع المدينة نحو الجنوب فقط، نظراً لوجود أراض مسقية في الشمال والشرق حول وادي زا. فشيّد الحي الجديد ابتداءً من سنة 1940، وكان أغلب سكانه من قبيلة الكرارمة. وفي الستينيات ظهرت ثلاثة أحياء حول الحيّ الجديد : الهندية والحرّية والحلفا الذي كان عبارة عن مجمّع للخيام. أمّا أكبر زحف مجالي فستشهده المدينة خلال السبعينيات. حيث امتدّ حي السوق (الهندية في السابق) شرقاً ثم غرباً (حي لابيطا : وزارة السكنى) وملئ الفراغ بين الحي الجديد وحي الحرية بإنشاء حيّ الملعب والمسيرة اللذين خصّصا للموظفين والعمّال بالخارج. وزاد الامتداد خصوصاً مع توسّع حي التقدم (الحلفا سابقاً) في الجنوب (الحرشة) وفي الشرق (القوات المساعدة وبام : برنامج التّغذية العالمي). وأخيراً تشكلت ثلاثة أحياء منذ بداية الثمانينات وهي تجزئة المسيرة المخصّصة للموظفين والخواصّ وتجزئة 20 غشت والمحاريگ اللذان لجأ إليهما النازحون.

لقد زحفت المدينة على مئات الهكتارات وكأنّها بدون تخطيط عمراني مسبق. وذلك رغم وضع مخططات بعد تحديد المدار الحضري سنة 1933 في الحيّ القديم والتي

تاوريرت

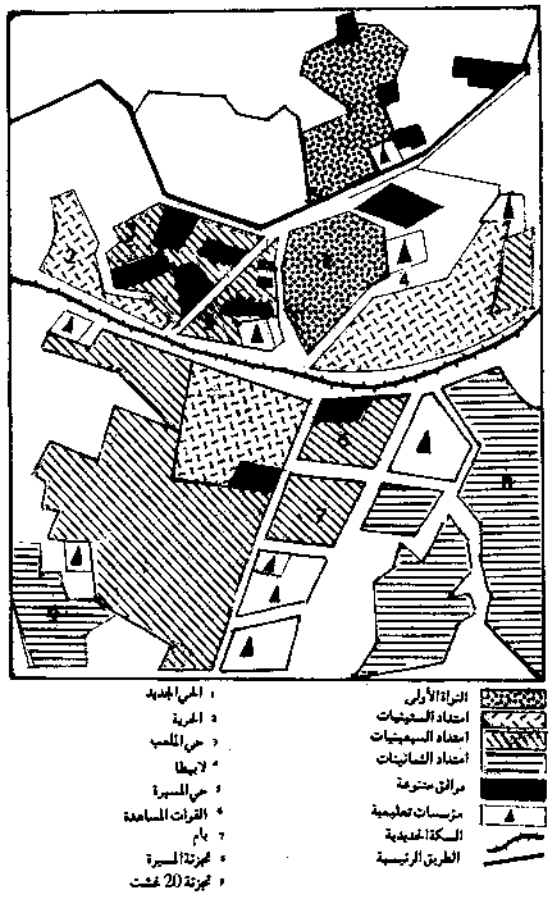

تستهدف توجيه التوسّع وكذا احتواء الأعداد المتزايدة للوافدين من البوادي ؛ منها التصميم الأول للمدينة سنة 1947 ودراسة سنة 1951 ومراجعة التصميم الأوّل سنة 1967. ويجب انتظار سنة 1991 لكي تقرّر وزارة السّكنى الإشراف على دراسة تصميم التهيئة الذي مازال قيد المراجعة والتشاور.

يعزى النمو السريع للسكان إلى الهجرة والتطور العشوائي للأحياء، وإلى الوضعية القانونية للأراضي التي كانت تشكل عاملاً إيجابياً في البداية والتي أصبحت تمثل أحد أهمّ العوائق أمام الحدّ من الهجرة واتخاذ السكن القانوني ؛ إذ أن أكثر من 90٪ من العقار جماعي ومخزني، وهو بالتالي قابل لأن يكون حلاً سهلاً لتوزيع الأراضي أو السّكوت عن احتلالها. فرغم عدّة عمليات لاقتناء المسؤولين أراضي واسعة، رغبة في القضاء على السكن المتستر والفوضوي وفي إعادة هيكلة المدينة من الناحية الوظيفية، قد وزعت في بداية الثمانينيات 550 قطعة مجاناً مكان تجزئة 20 غشت الحالية بعد أن نصبت 531 خيمة كانت تأوي 2930 نسمة من سكان القبائل الرعوية المجاورة المتضرّرة من الجفاف. فتفاقمت عملية المضاربة في القطع المسلمة، حيث توضع الخيام ثم تقتني الأراضي فتباع للحصول على قطع أخرى مجّاناً أو بأقل ثمن. والأراضي التي اشتراها المجلس البلدي سنتي 1983 و1984 هي الآن

محتلة بدون مقابل من طرف السكان ومن دون ترخيص قانوني.

باستثناء النواة الأولى (الحي القديم والحي الجديد) وتجزئتي وزارة السكنى (لابيطا والمسيرة) وجوانب الطريق الرئيسية التي تتبع تصميماً مهيأ وتتوفر على التجهيزات الأساسية، من أزقة معبدة وماء شروب وكهرباء وواد حارّ، فإن باقي الأحياء الهامشية تتميز بعشوائية التصاميم وبناء متواضع وتفاوت في المرافق الضرورية، خصوصاً وأنها تنمو على سفوح تلية عسيرة الاستصلاح. ممّا اضطر السلطات إلى محاولة استدراك جزء من نقص التجهيز أولاً في الأحياء القريبة من المركز (أحياء التقدم والملعب والمسيرة).

لقد أفرز هذا النوع من النّسيج الحضري تركزاً للوحدات الاقتصادية ومؤسسات الخدمات الكبرى بوسط المدينة وحوله. ومن الطبيعي أن تتنوّع الأنشطة والوظائف بهذه المدينة المتوسطة بعد أن كان اقتصادها يعتمد بالأساس على مردود الهجرة الخارجية ومعاشات المتقاعدين من الجيش. وطبيعي كذلك أن يكون قطاع البناء هو الأكثر انتعاشاً وتوظيفاً للنشيطين. وفي المرتبة الثانية نجد التجارة والنقل بما يقرب ألف محلّ تجاري وإحدى عشرة حافلة بالمدينة وستاً وعشرين حافلة عابرة. ومع أن جلّ الدكاكين العائلية مخصّص للموادّ الغذائية فإن المدينة معروفة بسوق الأحد الذي يعدّ أحد أهمّ الأسواق الوطنية للماشية، وبتوزيعها على أكبر مدى الألبسة المستعملة القادمة من ميناء الناظور، إضافة إلى ازدهار الاقتصاد الموازي المرتبط بتجارة التهريب.

أمّا النشاط الموالي من حيث عدد المشتغلين به فيهمّ الخدمات العمومية المتنوعة التي تتميز بأهمية خاصة لقطاعي التعليم والإدارة العمومية بعد تقلص عدد الجنود بالثكنة عقب انتقال الحامية إلى گرسيف بعد سنة 1975. ذلك أن المدينة تتوفر على ست مدارس وأربع إعداديات وثانوية (1981) ومدرسة للتكوين المهني، وتعتبر أيضاً بلدية ومقر جماعة ودائرة. ومن المحتمل أن تظل كذلك بعد إنشاء إقليم بركان ـ تاوريرت سنة 1994 الذي تحتضن المدينة الأولى مقرّه. وأمّا الصناعة بشطريها فتأخذ مكانة لايستهان بها. بالإضافة إلى الوحدات الصغيرة للصناعة التقليدية وللإصلاحات، قد تمّ إنشاء مجمع تقليدي نظراً لوفرة المادّة الخام من صوف وجلد، وبعد تدهور مصنوعات الحدادة والحلفاء على إثر انتهاء تجميع وتصدير المادة الأخيرة إلى الخارج سنة 1981. كما تمّت عصرنة ست وحدات لتصبير الزيتون من بين 17 وحدة. وأهمّ مؤسسة صناعية تشغل ما بين 250 و600 عامل حسب الفصول تتمثل في معمل تصبير وتصدير السمك الذي عوّض سنة 1984 معمل تصبير النيورة.

أخيراً تتوفر المدينة على خدمات متنوعة بعضها من النوع النادر محلياً (قاعة سينما وخمسة أبناك وفندق من صنف ثلاثة نجوم). ويشغل قطاع الخدمات حوالي 10٪ من السكان النشيطين.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ جزءاً من السكان يزاولون الفلاحة بوادي زا الذي توجد على مدرجاته دائرة مسقية متعدّدة المزروعات تبلغ مساحتها حوالي 4000 هكتار بناحية مدينة تاوريرت.

* * إقليم بركان ـ تاوريرت، إقليم إداري فتيّ أحدث في بداية سنة 1994 لـمّا انبثق عن إقليم وجدة، كما هو الشأن بالنسبة لإقليم جرادة، وعندما أنشئت ولاية وجدة التي صارت تتألف من هذين الإقليمين إضافة إلى إقليم وجدة ـ أنگاد.

يضمّ إقليم بركان ـ تاوريرت سبع عشرة جماعة قروية وثمان جماعات حضرية. ويتكوّن من شمال دائرة تاوريرت السابقة، بعد أن انشطرت بعض جماعاتها القروية إلى قسمين بتاريخ 30 يوليوز 1992. حيث تفرعت جماعة القطيطير، إلى جماعتي ملقى الويدان والقطيطير، وجماعة العاطف إلى جماعتي أولاد محمد والعاطف. أمّا الجماعات الجنوبية التي ألحقت بإقليم جرادة فهي سيدي علي بلقاسم وسيدي لحسن والعاطف وأولاد محمد بالإضافة إلى جماعة دبدو الحضرية. كما يتكوّن الإقليم من دائرة بركان السابقة بأكملها، بعد أن عرفت بعض جماعاتها القروية نفس التقسيم : مداغ (العثامنة ومداغ) وأگليم (بوغريبة والشويحية) وتافوغالت (سيدي بوهرية وتافوغالت).

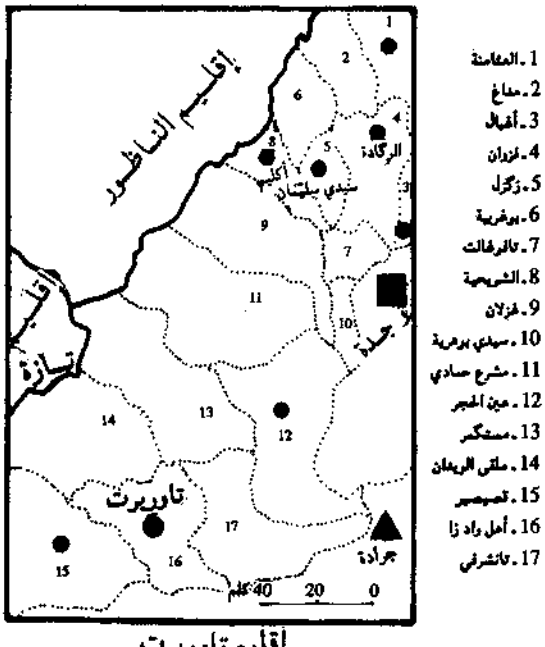

1. العثامنة
2. مداغ
3. أهمال
4. الزدان
5. زكزل
6. بوغريبة
7. تافوغالت
8. الشويحية
9. غزلان
10. سيدي بوهرية
11. مشرع صادي
12. عين الحجر
13. مستكمر
14. ملقى الويدان
15. تصيصير
16. أولاد واد زا
17. الناشرفي

إقليم تاوريرت

ينقسم إقليم بركان ـ تاوريرت إلى ثلاث مناطق متوازية وواضحة المعالم. تشمل الوحدة الجنوبية أحواضاً واسعة حول مدنيتي تاوريرت والعيون تمتدّ من نهر ملوية إلى سهل

أنكاد بدون حاجز تضاريسي، وتشرف عليها جنوباً جبال جرادة وشمالاً جبال بني إزناسن. نظراً للمناخ السائد شبه الجاف، يعتمد سكان الأرياف على زراعة الحبوب المتقطعة والخفيفة وبالخصوص على الرعي التكميلي للأغنام الذي يتخذ طابعاً انتجاعياً في الجهة الغربية. وعلى الزراعة المسقية المتعدّدة المحاصيل في بعض القطاعات الصغيرة قرب العيون وعلى طول نهر ملوية ورافده واد زا. في هذه الظروف تعرف الهجرة القروية إلى العيون وتاوريرت وتيرة سريعة. كما تسجّل المدينة الأخيرة تضخماً كبيراً لايساير نمو وظائفها وأنشطتها التي ترتكز على التجارة والخدمات أساساً. أمّا معمل الإسمنت قرب العيون فهو قليل المردود عليها.

تتوسط الإقليم وحدة ثانية مكوّنة من جبال بني إزناسن التي تكتسي صبغة جبلية ضخمة رغم ارتفاعها الأقصى المتوسط (1500) بسبب إشرافها على منخفضات ولا سيّما في الواجهة الشمالية الأقرب إلى البحر. ونظراً لوعورة التضاريس ولأهمية المساحات الغابوية علي القمم والسفوح فإن الحياة البشرية والاقتصادية قد ورثت ارتباطاً بالأودية، حيث يمارس تكامل الرساتيق اعتماداً على الزراعة المسقية المتنوّعة.

وأخيراً ينبسط سهل تريفة من أقدام جبال بني إزناسن إلى البحر على مساحة متقلصة نسبياً، ولكنها تعدّ من القطاعات المسقية الكبرى في المغرب. وتتميّز بزراعات تسويقية وصناعية متنوعة أهمها الحوامض . بل حتى هوامش السهل تعرف زراعة كثيفة نسبياً نتيجة توفّر مؤهلات زراعية ملائمة ؛ مما يخلف كثافة سكانية مرتفعة. وباستثناء مدينة السعيدية التي يرجع نموها أساساً إلى السياحة فإن باقي المدن الأخرى تستمدّ بروزها وحيويتها من النشاط الفلاحي ؛ إذ ارتفعت سنة 1992 ثلاثة مراكز إلى صف البلديات (عين الرگادة وسيدي سليمان الشراعة وأگلميم) وعرفت مدينة أحفير انتعاشاً جديداً وتوسّعت مدينة بركان بشكل سريع. وتحتضن هذه الأخيرة جلّ الصناعات الغذائية والخدمات والمصالح الإدارية الحديثة. وهذا يؤهلها لكي تصبح بحق قطباً إقليمياً.

وثائق مصالح دائرة تاوريرت ؛ ولاية وجدة، رسم توضيحي لولاية وجدة.

Plan d'Aménagement, Taourirt Ahl Oued Za, Province d'Oujda, Ministère de l'Intérieur, Juin, 1992.

مصطفى عياد

* * وهناك قصبة تاوريرت بمدغرة تافيلالت تقع جنوب الراشدية وتبعد عنها بحوالي سبعة كيلومترات على يمين الطريق الرابطة حاليا بين الراشدية والريصاني وعلى الضفة اليسرى لوادي زيز. وقد سكنها منذ القرن العاشر (16 م) أولاد الشريف علي بن طاهر بن الحسن وبنوعمهم.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار*، 401 ؛ القادري، *الدر السني*، 54 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 231.

عبد العزيز بوعصاب

تاوزّاگت، اسم يطلق على الجبل الذي يوجد في أسفله منجم معدن إميدْر أو إميضْر للفضة، على السفح الشمالي لجبل صغرو من بلاد تُدغة بإقليم ورزازات على بعد حوالي مائة وخمسين كيلومترا شرقي هذه المدينة. ومعنى هذا الاسم : العُرف وهو ما يشبه الجبل المذكو.

تشهد الدلائل الأثرية على استغلال مكثف. لهذا المنجم منذ القرن الثاني (8 م). وقد أكد أوسطاش D. Eustache على أهمية منجم الفضة هذا أيام الأدارسة ووجود عملة إدريسية فضية ضربت في تدغة. ويبدو أنه حصل اتفاق بين الإمارة الخارجية في تدغة و الدولة الإدريسية لتزويدها بالنقود التي كانت تضرب في تدغة وبمعدن الفضة الذي كان يحول إلى نقود في وليلي، وذلك فيما بين عام 175 وعام 200 هـ.

وتمكن بعد ذلك يحيى بن إدريس الثاني حوالي عام 223/ 837 من السيطرة على منجم تاوزّاگت فغدت الدولة الإدريسية تراقب وتشغّل منجم الفضة بشكل مكثف. وحسب الرواية الشفوية تم إعادة اكتشاف مناجم تاوزّاگت عن طريق الصدفة من طرف الرعاة سنة 1950، إذ سقط أحدهم في منجم وعثر على أدوات قديمة للاستغلال وتم إخبار السلطات في ذلك الحين . فبدأت الدراسات وتمت به أشغال بحث ودراسة أولية لتقدير الاحتياطي وضبط أهميته، وبدأ بعد الاستقلال استغلالُ معدن الفضة هذا من طرف شركة معادن إميضر.

دراسة ميدانية ورواية شفوية.

عبد القادر بوراس

تاونات، ـ جغرافيا ـ تقع تاونات في الجزء الأوسط من منطقة الاتصال بين جبال الريف شمالا وما يُدعى بتلال مقدمة الريف جنوبا، وتشغل قمة تل يناهز علوه 660 م فوق مستوى سطح البحر. وتحجز هذا المرتفع تحت تأثير التعرية المائية إلى مجموعة قمم متفاوتة الحجم، تشرف على منخفضات تتجه نحو أودية عميقة أهمها واد ورغة جنوبا ورافده واد أسرا شرقا، وهذه الخصائص الطبوغرافية للموضع الذي استقرت به نواة المدينة يشكل عرقلة أمام التوسع العمراني بها.

وبحكم الموقع الداخلي توجد تحت هيمنة مناخ قاري يتسم عموما بالحرارة المفرطة صيفا والبرودة القارسة شتاء، أما كميات الأمطار التي تتباين من سنة إلى أخرى فإن معظمها يتهاطل خلال فصلي الشتاء والربيع بمعدل سنوي يقدر بحوالي 600 مم.

اقترنت نشأة مدينة تاونات ونموها بدخول الاستعمار الفرنسي لمناطق ورغة العليا والوسطى في أوائل العقد الثالث من القرن الحالي، وذلك على حساب أطماع الاستعمار الإسباني في هذه المناطق. ففي بداية سنة 1924 تدخل جيش الاحتلال الفرنسي بشكل مسلح عنيف للتصدي للمقاومة الشديدة التي واجهها من لدن القبائل التي تقطن ضفاف ورغة وأهمها قبائل صنهاجة ومرنيسة ومتيوة وبني

زروال، وهي قبائل ظلت في مواجهة مستمرة مع المحتل الأجنبي وقدمت كل أوجه الدعم والمساندة للمجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي في كفاحه ضد الاستعمار الإسباني بجبال الريف. ولتدعيم مواقعه الاستراتيجية بحوض ورغة العليا والوسطى قام جيش الاحتلال الفرنسي ببناء ثكنات عسكرية في كل من ظهر السوق وبني وليد والورتزاغ ... إلا أن الإدارة الاستعمارية الفرنسية وجدت في موقع تاونات أنجع نقطة للسيطرة على المنطقة كلها، لكون هذا الموقع عبارة عن مرتفع يتوسط حوض ورغة ويساعد على مراقبة تحركات قوات المقاومة. ولذلك فإن الثكنة التي شيدت به كانت من أكبر الثكنات بمقدمة الريف. وحول هذه الثكنة انطلق تعمير مركز تاونات ببطء طيلة فترة الاستعمار، لكنه عرف انتعاشة قوية مع بداية عهد الاستقلال خاصة مع تشييد طريق الوحدة في النصف الثاني من الخمسينيات لربط تاونات بالحسيمة عبر كتامة. وقد ساهمت هذه الطريق في فك العزلة التي فرضها الاستعمار بين جبال الريف والمناطق التي تجاورها من جهة الجنوب. وبذلك أصبحت تاونات مركز عبور أساسي نحو مدن وبوادي الأقاليم الشمالية انطلاقا من مدينة فاس، الأمر الذي انعكس على الرواج التجاري بتاونات، حيث تزايد عدد المتاجر والمقاهي حول الطريق المؤدية إلى الشمال مكونة المركز التجاري للمدينة.

وعرفت مدينة تاونات طيلة العقدين الأخيرين نموا ديمغرافيا متسارعا قل نظيره في المدن المغربية الصغرى، إذ انتقل عدد سكانها الاجمالي من 3101 ن سنة 1971 إلى 10.836 سنة 1982، مسجلة بذلك نسبة تزايد سنوي قياسية يناهز 12٪. وهذه الزيادة لا ترتبط بدينامية اقتصادية جديدة بقدرما ترتبط بارتقاء المدينة سنة 1977 إلى مستوى مقر إقليم إداري وما رافقه من استقرار مجموعة من مندوبيات مختلف الوزارات بالمدينة وتوافد بعض العمال بالخارج الذين ينحدرون من جهات مختلفة بمقدمة الريف للاستقرار بالعاصمة الإدارية الجديدة للإقليم، الأمر الذي جعل قطاع البناء يشهد حركة قوية قصد الاستجابة لحاجيات السكن الجديدة، مما أدى إلى ارتفاع مفاجئ في ثمن الأرض نتيجة المضاربة العقارية التي استفادت من ندرة الأراضي الصالحة للبناء بفعل الخصوصيات الطبوغرافية المحلية.

وفي غياب تصميم للتهيئة المعمارية، راح البناء العصري ينتشر بشكل عشوائي داخل الدواوير المجاورة للمركز التجاري للمدينة وعددها تسعة دواوير أهمها : الدمنة، القلعة، حجر دريان، حجر المطاحن، الدشّيار. وهذا التوسع العمراني يتم في ظل عجز كبير في شروط التطهير وباقي التجهيزات العمومية من إنارة وطرق معبدة ومرافق تعليمية وصحية، حيث لا تتوفر المدينة إلا على أربع مدارس ابتدائية وإعداديتين وثانوية ومركز للتكوين المهني ومستشفى واحد لا يحتوي إلا على ستة وأربعين سريراً رغم أن المرضى يقصدونه من مختلف أنحاء الإقليم.

وعموما فان مدينة تاونات التي لاتتوفر على مؤسسات إنتاجية من شأنها أن تعطى دينامية للاقتصاد المحلي، ولاتتوفر مجالاتها الخلفية على فلاحة مزدهرة، فضلا عن مشكل الموضع الذي لا يسمح بالتوسع العمراني، فإن آفاق نمو هذه المدينة اقتصاديا وسكانيا وحضريا تبدو محدودة في ظل الظروف العامة الراهنة وذلك رغم ترقية المدينة إلى عاصمة إقليم إداري على حساب مراكز أخرى كانت تطمح إلى ذلك وخاصة قرية أبًا امحمد. ورغم أن التقسيم الجماعي الجديد لسنة 1992 صنف تاونات ضمن الجماعات الحضرية.

* * أحدث إقليم تاونات سنة 1977 وأصبح نفوذه الإداري يشمل مجالات جغرافية كانت في معظمها تابعة لإقليم فاس، وهي مجالات عرفت تعميراً قديما من قبل وحدات بشرية متعددة أهمها قبائل الحياينة وصنهاجة وبني زروال وشراگة. وهكذا أصبح الإقليم الإداري لتاونات يمتد على مساحة تقدر بحوالي 5.585 كلم^2، يحده شمالا إقليما شفشاون والحسيمة، وشرقا إقليم تازا، وغربا إقليم سيدي قاسم، وجنوبا إقليم فاس.

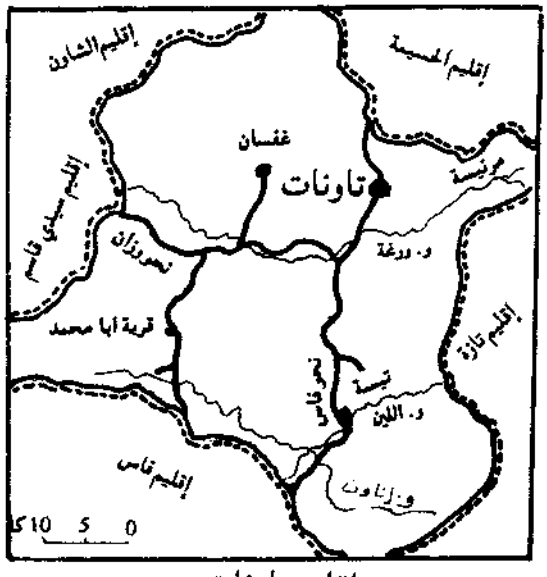

إقليم تاونات

ويضم إقليم تاونات على صعيد التنظيم الإداري أربع دوائر هي دوائر غفساي وقرية ابًا محمد وتيسة وتاونات. وبمقتضى المرسوم المتعلق بالتقسيم الجماعي الجديد الصادر في 28 من ذي الحجة 1412 / 30 يونيو 1992 فإن عدد الجماعات القروية بإقليم تاونات قد انتقل من ثلاثين إلى أربع وأربعين جماعة قروية، كما ارتقى كل من مركز تاونات ومركز قرية أبًا محمد إلى مصاف الجماعات الحضرية.

خضع الإطار المجالي لإقليم تاونات لتطور جيومورفولوجي طويل أفضى إلى وجود أشكال طبوغرافية تطغى عليها التلال الطفلية التي يتراوح ارتفاعها عموما

ما بين 400 و800 م فوق مستوى سطح البحر، وتمتد ما بين واد إنّاون جنوبا وواد ورغة شمالا، وهي جزء مما اصطلح على تسميته بتلال مقدمة الريف، في حين يطغى الطابع الجبلي على الهوامش الممتدة شمال واد ورغة حيث يتجاوز علو بعض القمم 1800 م فوق مستوى سطح البحر.

يهيمن على إقليم تاونات المناخ المتوسطي المتسم بالحرارة المفرطة والجفاف صيفا والبرودة الشديدة والرطوبة شتاءً، لكن هناك عوامل خارجية أهمها انفتاح الإقليم على المؤثرات المحيطية غربا وعلى المؤثرات القارية عبر ممر تازا شرقا، وأخرى محلية كالارتفاع وانتشار بعض المساحات الغابوية في الاجزاء الشمالية، تجعل المناخ متذبذبا في نظامه العام ومتباينا على صعيد مختلف أنحاء الإقليم. فمثلا إذا كان تهاطل الأمطار بالأجزاء الجنوبية ما بين تيسّة شرقا وقرية ابًا محمد غربا يقع في حدود 500 مم موزعة على 65 يوم مطر كمعدلات سنوية، فإن الأجزاء الشمالية حول واد ورغة تستقبل 904 مم موزعة على 80 يوم مطر كمعدلات سنوية، يتركز معظمها في فصلي الشتاء والربيع، وغالبا ما يكون تهاطل هذه الأمطار مركزا وعنيفا مما يؤدي إلى حدوث بعض الأضرار المتمثلة أساسا في تحطيم أجزاء من المسالك والطرق وانجراف التربة واقتلاع بعض الأشجار وجرفها نحو أهم أودية الإقليم وهي إنّاون واللبن، وخاصة ورغة الذي يرتفع صبيبه في بعض الفترات المطيرة من الشتاء والربيع إلى ما يربو عن 10.000 م3 /ث، الأمر الذي ينجم عنه فيضانات خاصة بسهل الغرب بعد انضمام حمولة واد ورغة إلى حمولة واد سبو. لذلك شرعت الدولة منذ سنة 1971 في التخطيط لبناء سد من الحجم الكبير على واد ورغة بموقع المجاعرة، على الحدود بين إقليم تاونات وإقليم سيدي قاسم، لتكون إحدى مهامه الأساسية : تعديل نظام تصريف واد سبو، ومن ثم الحد من فيضاناته، إلا أن شروط بناء هذا السد لم تتهيأ إلا بعد عقدين من الزمن حيث تم البدء في أشغال تشييده سنة 1991 باسم سد الوحدة.

كما أن التهاطل المركز والعنيف للأمطار بجبال الريف وهوامشها الجنوبية وما يترتب عنه من مشاكل على صعيد التربة والطرق الخ.. كان وراء استفادة الأجزاء الشمالية لإقليم تاونات من منجزات ما سمي بمشروع تنمية الريف الغربي "ديرو" الذي شرع في تنفيذه في أواخر الستينيات، وكان من أهدافه الرئيسية محاربة انجراف التربة عن طريق التشجير، ثم تحسين دخل الفلاحين للحد من هجرتهم، خاصة الشباب منهم، وذلك عن طريق إحداث تعديلات في استعمال التربة للأغراض الزراعية والرعوية وفتح أوراش للعمل ذات طابع موسمي، لكن تنفيذ هذا المشروع لم يحقق كل الأغراض المتوخاة منه على صعيد إقليم تاونات لأنه لم يتضمن برنامجا متكاملا لتحسين الظروف العامة التي يتم فيها الإنتاج الفلاحي مثل إجراء تعديلات في الهياكل العقارية المطبوعة بالتنوع والتفاوت الكبير في حجم ملكية الأرض الفلاحية، ثم تطوير البنيات الاقتصادية الأساسية وتحسين الخدمات الاجتماعية وخلق مناصب شغل دائمة الخ.. خاصة وأن الوضع الديمغرافي لإقليم تاونات يتسم بأهمية نمو عدد السكان الذي انتقل من 449.912 نسمة سنة 1971 إلى 535.972 نسمة سنة 1982، لا يمثل الحضريون منهم الازهاء 4٪، مع الإشارة في هذا الصدد إلى أن توسيع تيار الهجرة من الإقليم يحد من حجم النمو السكاني، حيث أظهرت بعض الأبحاث بأن 40٪ من الأسر بإقليم تاونات لها فرد أو أكثر يوجد في حالة هجرة، وأن 80٪ من هؤلاء المهاجرين تتراوح أعمارهم ما بين 16 و25 سنة، وأن أبرز دوافع هذه الهجرة هي البطالة ونقص التشغيل وعدم توفر الأسرة على أرض فلاحية أو توفرها على أرض لا يكفي استغلالها لتلبية حاجيات أفرادها الأساسية.

إن فقدان إقليم تاونات لجزء من سكانه وخاصة منهم الشباب لا يعني أنه إقليم فقير من حيث الموارد الاقتصادية، خاصة وأن هذه الأخيرة، من الناحية النظرية، ليست مطلقة ولكنها تخلق. فإقليم تاونات، فضلا عن ثرواته البشرية يتوفر على مؤهلات طبيعية هائلة، وفي مقدمتها الموارد المائية ومساحات ذات تربة غنية ... إضافة إلى امكانياته السياحية المهمة وخاصة بالأجزاء الشمالية من الإقليم كجبل أوْدكا قرب غفساي، وكبلاد صنهاجة الظل شرق مدينة تاونات، بعيونها الغزيرة وخاصة عين بوعادل، وبساتينها ذات الأشجار المثمرة الكثيفة خاصة بمنطقة بني قرة.

ولكن رغم ما يحتضنه إقليم تاونات من ثروات بشرية وإمكانيات اقتصادية وغيرها، فلا يزال يعاني من قلة النمو على عدة مستويات، إذ كان ولايزال ينظر إليه من زاوية التخطيط وإعداد التراب الوطني بمثابة العمق الاستراتيجي الذي يزود السهول الغنية المجاورة كسهل الغرب والأقطاب الحضرية الكبرى كفاس والدار البيضاء بالماء واليد العاملة وبعض المنتجات الفلاحية ولاسيما زيت الزيتون، دون أن يستفيد من استثمارات اقتصادية وبشرية من شأنها أن تشكل عامل تحول إيجابي لتنمية الإقليم اقتصاديا واجتماعيا، ومن ثم العمل على الحد من الهجرة الكتلية التي تعتبر بمثابة نزيف مافتئ يعاني منه إقليم تاونات.

تحريات ميدانية ؛ نتائج إحصاءات السكان لسنتي 1971 و1982 ؛ مديرية الإحصاء، *النشرة الإحصائية السنوية للمغرب*، الرباط، 1990.

G. Lazarev, *Structures agraires et grandes propriétés au pays Hayaïna, R.G.M.*, n° 9, 1966 ; *Ressources en eau du Maroc*, T. 1, Rabat, 1971 ; M. Ennaji, *L'émigration rurale intérieure : causes et incidences*, Actes du colloque *"Population et développement rurale"*, Rabat, 1989.

المختار الاكحل

تاونات، - تاريخ - مدينة على ضفاف وادي سبو شمال فاس. وكلمة تاونات أمازيغية ذات أصل مصمودي، يظهر أنها انصهرت في اللهجتين الصنهاجية والزناتية، وهي

تعني الصعود أو الصعدة، وتتطابق مع وعورة التضاريس. والأماكن التي يطلق عليها اسم "تاونات" هي :

1) تاونات المدينة، مقر عمالة الإقليم. 2) تاونات لقشور، وهو تجمع سكاني صغير يقع على بعد حوالي ثلاثين كيلومتراً من المدينة يمين طريق الوحدة المؤدية نحو كتامة والحسيمة. 3) تاونات لوطا، وهو تجمع صغير يقع شرق مدينة تاونات، ويخضع إدارياً لسوق سبت متيوة (بوهودة).

أغلبية سكان منطقة تاونات مزيج من أصل عربي - بربري (مونوغرافية تاونات، ص 1) إلا أنه من الصعب تحديد تاريخ وظروف استقرار مختلف التجمعات البشرية بهذا الإقليم الشاسع الأطراف، المتنوع الأصول، وقد وفدت كل من قبيلة بني زروال وقبائل شراگة من الشرق عبر الجزائر سعياً وراء استغلال الأراضي الفلاحية التي كان يملكها سيدي محمد (فتحا) بن الحسن صاحب الضريح الشهير، كما توافدت جماعات أخرى من مناطق سوس على إثر غزو مولاي إدريس للمنطقة سنة 175 هـ، كما وفدت قبائل بني ورياگل وبني عمار وصنهاجة من الريف. والثابت أن المرتفعات الوسطى من سلسلة جبال الريف، عرفت وجود عناصر صنهاجية منذ زمن عريق في القدم، لا يعرف تحديده ولو بصفة تقريبية، غير أنه من المؤكد أن القادة الأولين للفتح الاسلامي وجدوا صنهاجة في طليعة قبائل المنطقة (*العبر*، 6 : 282). وقد وردت الإشارة إلى وجود هذه العناصر الصنهاجية عند البكري في غير ما موضع من *المسالك*، كما أشار إلى عناصر قبيلة أورية التي ماتزال على ضفاف نهر ورغة، وذلك مثل رغيوة ومزيات، وهم في مجاورة صنهاجة (البحث العلمي، 27 : 203 - 204) وباستثناء قبيلة سي سليمان التي تندرج ضمن صنهاجة الشمس، فإن تجمعات أولاد إزم وبني قرة وعين مديونة وبوعادل تصنف ضمن صنهاجة الظل. وتسكن الضفة اليسرى لنهر ورغة عناصر صنهاجية وقبائل مختلطة مثل الحياينة وشراقة (أو شراگة) (*البحث العلمي*، 27 : 211).

أشهر قبائل منطقة تاونات خمس : 1) بنو وليد، وهو تجمع قديم ورد له ذكر في كتابات البكري وابن خلدون والوزان، ولو أن هذا الأخير جعلهم من إخوة مرنيسة النفزاويين. وقد عرف هذا التجمع سعة في أرزاقه المعيشية وكثرة قراه.... (*البحث العلمي*، 27 : 212). 2) مزراوة، قبيلة صغيرة من قبائل صنهاجة ورغة، موقعها الحالي فيما بين لجاية ومزيات الأوربيين على الضفة اليمنى لوادي ورغة الذي يفصلها عن قبيلة سلاس. وقد كانت مواقعها القديمة بالأطلس الأعلى قبل الانتقال إلى حوض ورغة على عهد المرابطين، حسب ما يظهر. وقد ورد ذكر هذه القبيلة منذ القرن السادس في كتاب *المقتبس من كتاب الأنساب* للبيذق (ص. 45 - 46). كما ورد ذكرها في كتاب *العبر* لابن خلدون (6 : 195). 3) سلاس، وهي قبيلة متوسطة من قبائل صنهاجة ورغة، كانت مواقعها القديمة بالأطلس الأعلى، قبل الانتقال على عهد المرابطين على ما يظهر، وهي من جماعة هنكافة مثل مزراوة وفشتالة (*البحث العلمي*، 27 : 212). ويقال إنهم وفدوا من الأندلس في القرن الثالث عشر الميلادي. 4) فتشالة (أو إيفشتالن)، وهو تجمع صنهاجي يقع حالياً على الضفة اليسرى لورغة، يضرب بعروقه القديمة إلى جماعة هنكافة، إحدى التجمعات الكبرى لصنهاجة القبلة. والظاهر أن وصول الفشتاليين إلى منطقة ورغة كان قد تم على عهد المرابطين ضمن زحف إخوانهم من قبائل الجنوب، ومن أبرزهم لطمة الذين كانوا يشنون الغارات على هاته النواحي مما حدا بعامل المرابطين إلى تأسيس حصن بني تاودا الذي تحول اسمه بعد تحطيمه على يد الموحدين إلى اسم فاس البالي لسبب غير واضح، وهذا الحصن واقع قرب حصن آخر قديم بجبل أمرگو الذي صار يحمل بدوره اسم مولاي بوشتى الخمار. 5) بني ورياگل (بالجيم المعقودة)، وهي قبيلة صغيرة على الضفة اليمنى لنهر ورغة فيما بين الرافدين : أولاي وأوضور، وقد ورد ذكر القبيلة عند ابن خلدون، ويصفهم الحسن الوزان بأنهم أقوياء شجعان بطبيعتهم، وهم في عداء مستمر مع جيرانهم بني زروال. ومن ضمن فرقهم بنو كيسان وجبالة وتافرنوت وتازارين ودرادر والهاوتة (البحث العلمي، 27 : 214).

مهما كان أصل هذه القبائل صنهاجياً فإنها تعربت تماماً منذ ما يزيد عن سبعة قرون، وصارت تتحدث بلهجة من لهجات اللسان العربي الدارج المعروف بلهجة جبالة، ذات الرطانة الخاصة التي يميزها نطق حرف الضاد طاءً.

يضاف إلى ساكنة تاونات، بنو سنون، الشرفاء الحسنيون.

أ. البيذق، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، الرباط 1971 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، طبعة الجزائر ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 1 تع. م. حجي وم. الاخضر، الرباط 1980 ؛ التقي العلوي، *أصول المغاربة*، القسم البربري - صنهاجة الشمال - البحث العلمي، عدد 27 - 1977 ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب أمازيغية*، *البحث العلمي*، عدد 27 ؛ *مونوغرافية* عمالة إقليم تاونات، ماي 1991.

الحسين اليعاوي

* * أسهمت تاونات في المقاومة المسلحة وانتقلت إلى مقدمة الأحداث إبان الحرب الريفية التحررية ضد القوات الاستعمارية الفرنسية، وذلك بسبب موقعها الاستراتيجي الهام في مقدمة الريف على الطريق المؤدية إلى فاس. فبعد معركة أنوال سنة 1921، عرفت المواقع الإسبانية في شمال المغرب انهياراً، وأخذ البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي يحرر المنطقة الشمالية بحيث لم تصل سنة 1925 حتى أصبحت هذه المنطقة باستثناء الحصون العسكرية الصغيرة في ضواحي سبتة ومليلية والعرائش وطنجة تحت سيطرة جيش ابن عبد الكريم.

أربك هذا التطور الإقامة العامة الفرنسية التي كانت تتابع بقلق كبير الهزائم المتوالية للجيش الاسباني، لهذا

سارعت منذ سنة 1924 إلى تحصين مواقعها في مقدمة الريف وتعزيز حامياتها العسكرية من حوض ملوية السفلى شرقاً إلى أعالي حوض ورغة غرباً. وكانت تاونات قاعدة عسكرية متقدمة حيث أمر المقيم العام ليوطي القوات الفرنسية بالتمركز على الخصوص بتاونات وتافرانت ولو اقتضى الأمر التخلي على المراكز الأخرى. وأسندت قيادة تاونات للعقيد "باربساصا Barbassant" يساعده المقدم "سان جوليان Saint Julien" بينما كلف الكولونيل فريدنبرغ Freydenberg بتنسيق العمليات العسكرية في المنطقة حيث أقام مركز قيادته بعين عيشة.

ومع بداية سنة 1925 أعلنت قبائل بني زروال الواقعة في أعالي حوض ورغة الانضمام إلى الثورة الريفية فوجدت فرنسا الذريعة للدخول إلى الحرب، ذلك أن الاتفاق بين اسبانيا وفرنسا على إثر توقيع معاهدة الحماية ينص على تقسيم قبائل ورغة إلى قسمين، شمالها للإسبان، وجنوبها للفرنسيين. وطالما ندد محمد بن عبد الكريم الخطابي بهذا التقسيم التعسفي في تصريحاته العديدة.

أدرك ابن عبد الكريم النوايا العدوانية للاستعمار الفرنسي فقام خلال ربيع 1925 بكنس النفوذ الفرنسي في المراكز التي حصنوها سنة 1924 خاصة تاونات وأسطار وأسكار وتافرانت وعين مديونة... وكبد الفرنسيين خسائر فادحة في الأرواح، وتدخلت الطائرات الاستعمارية مغيرة على المداشر والقرى الآهلة بالسكان، ووضع جيش الاحتلال عدداً كبيراً من الأسراب رهن إشارة الغزاة تقوم بطلعات متعددة المرامي، منها الطلعات الاستطلاعية لرصد تحركات المقاومين وتحديد مواقعهم، وأخرى لقنبلة السكان، وثالثة لإحراق الغلات، ورابعة لتزويد الجيوش الاستعمارية المحاصرة بالمؤونة والمواد الغذائية. ورغم عدم توفر المقاومة المغربية على طيران بالمقابل، وعدم وجود نظام للدفاع ضد الغارات الجوية، كان التحليق فوق المقاومين يعرض الطيارين الفرنسيين وطائراتهم للدمار والقتل.

وأمام تأزم وضعية الجيوش الفرنسية ألقت فرنسا بأكبر عدد من الجيوش لم يسبق لها أن استعملتها في حرب من حروبها الاستعمارية، وأحكمت التنسيق العسكري مع إسبانيا التي خارت قواها. فأخذ الصراع يتجه إلى حرب حقيقية بين القبائل المتحالفة مع الزعيم الريفي والقوات الاستعمارية الفرنسية الإسبانية.

وقبل شن الحرب العدوانية على الريفيين قام وزير الحربية الفرنسي پانلوفي Painlevé في يونيو 1925 بزيارة تفقدية لمقدمة الريف وزار تاونات المحاصرة التي استرجعتها القوات الفرنسية مؤقتاً ثم حررها من جديد المقاومون. وقد مكنت هذه الزيارة الحكومة الفرنسية من تقييم الوضعية واستخلاص النتائج.

وهكذا عين الجنرال نولان Noulin كقائد عام للعمليات العسكرية كما نودي على بيتان Pétain للقيام بدور المنسق. وفي نفس الوقت وصلت الإمدادات العسكرية الضخمة عن طريق البر انطلاقا من الجزائر وعن طريق البحر انطلاقاً من مارسيليا لتصل إلى ميناء الدار البيضاء. والملاحظ أنه في هذه المرحلة الثانية من الحرب الريفية ونضال محمد بن عبد الكريم الخطابي، لم يكن الفرنسيون يواجهون الريفيين وحدهم بل كانوا يواجهون أيضاً قبائل بني زروال وبني مستارة وسائر قبائل حوض إناون، ويقذف الفرنسيون إلى المعركة بحشود هائلة من السنغاليين والهنود الصينيين واللفيف الأجنبي وسائر المرتزقة بقيادة علية الضباط الاستعماريين المصابين بحمى المغامرة والفتح والترقيات السريعة في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

أسفرت هذه الحرب عن عزل المقيم العام ليوطي يوم 17 شتنبر 1925 وتعيين تيودورستيگ Th. Steeg مكانه. لتطبيق خطة القيادة الاستعمارية التي تميل إلى استعمال حرب الإبادة ضد المقاومين المغاربة.

تاونات

بريشة ضابط الشؤون الأهلية ج. تيوفيل دولاي J. Théophile Delay

وقد تمكنت القوات الاستعمارية من استرجاع تاونات خلال صيف 1925 وكذلك المراكز المحيطة بها. واتخذها الجنرال بيلوط Billotte مركزاً لقيادته في اتجاه الريف. ورغم التحصينات التي أقامها الاستعمار في تاونات وضواحيها ظلت تتعرض باستمرار للهجومات، غير أن جيش الاحتلال لم يتورع، لأجل كسر شوكة المقاومة، من استعمال كل وسائل الدمار كإحراق الغلات وتسميم المياه. ومع ذلك لم يتمكن الاستعمار من السيطرة النهائية على تاونات والمراكز المحيطة بها إلا في نهاية ماي 1926.

وقد حولت الإقامة العامة تاونات إلى دائرة عسكرية تابعة لمنطقة فاس، وأقامت بها حاميات قوية، إلا أن ذلك لم يمنع تاونات من القيام بدور فعال أثناء اندلاع المقاومة المسلحة من جديد خلال سنوات 1954 و1955، وكانت من أهم مراكز التنسيق بين أعضاء جيش التحرير والمقاومة في مقدمة الريف.

ميكيل مارتيل، *الاستعمار الاسباني في المغرب* 1860 ـ 1956، تر. ع. لودبي، منشورات النتل، الرباط 1988 ؛ جورج أوفيد، *اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية* 1905 ـ 1955، تر. محمد الشرگي وعبد الجليل ناظم، دار توبقال الرباط 1988.

Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris 1939 ; J. Saulay, *Histoire des goums marocains*, Tome I, Paris, 1986 ; H. Bordeaux, *Henry de Bournazel*, Paris, 1935, *Revue de l'Aviation Française* ; *Le Mémorial du Maroc*, Tome 5, *Revue Icare* n° 121 (1981), *Salon de l'année 1907 : la guerre du Rif*, pp. 50 - 105.

عبد القادر بوراس

تَـاوُوتّـي، هكذا رسمت الكلمة في المصدرين اللذين وردت فيهما، وهما كتاب *التشوف*، 304-313" لابن الزيات التادلي، وكتاب القاضي ابن عبد الملك *الذيل والتكملة*، سفر : 8-170" ولم يشر محققا الكتابين إلى وجود رسم مخالف في نسخ المقابلة.

والكلمة أمازيغية تنطق حسب قراءة الأستاذ أحمد التوفيق لها بتاء مثناة، بعدها ألف مد، واو مشددة مضمومة بعد واو مد، وتاء مثناة مكسورة بعدها ياء مد.

وهي علم على موقع جغرافي يقع قرب مراكش نعته ابن الزيات بالقرية (*التشوف*، 304)، وأقدم إشارة لذكر هذا الموقع حسب المصادر المتداولة ترجع إلى نهاية القرن السادس الهجري (12 م) عند ابن الزيات، وأشار إليه ابن عبد الملك في القرن السابع الهجري (13 م). لكن في سياق أخبار تعود إلى أواخر القرن السادس وبداية السابع الهجريين (12 م و13 م). وهذا يفيد أن الموقع يرجع إلى زمن سابق من غير المستبعد أن يبدأ على الأقل مع بداية حكم الموحدين، وهو الأرجح على اعتبار ذكره بالمنطقة قبل هذا التاريخ، ولكون نشاطه الصوفي يبدو هو الآخر غير بعيد زمنيا.

أما من حيث الدلالة، فإن اسم تاوّوتّي يفيد معنى الضرب أو الحدود (*التشوف*، 304). ومن الطريف أن الموقع الذي أرجحه كمكان لهذا الاسم، يعرف حاليا تحت اسم سَقَرْ، ودلالة هذا النعت تجعل الجزاء والعقاب قاسماً مشتركاً بينه وبين معنى الضرب المشار إليه سابقاً. ومن جهة ثانية فإن معنى الحدود، يجد هو أيضا ما يدعمه في المكان نفسه. ذلك أن هذا الأخير يوجد في موقع كان فيما يبدو أحد نقط الالتقاء بين مجال قبيلة إيلان شرقا ومجال قبيلة هزميرة غربا.

أما فيما يخص تحديد الموقع الجغرافي لتاووتّي، فبفضل إشارة دقيقة وجدت عند ابن عبد الملك، يتبين أن هذا الموقع كان يوجد شمال سور مدينة مراكش من جهة باب فاس - باب الخميس حاليا - ومن خلال النص التالي لابن الزيات، يمكن الوصول إلى توطين أكثر دقة، يقول : "وحدثني محمد بن سعيد قال : قعدت مع أبي علي في بستان خارج المدينة إلى أن مالت الشمس للغروب. فقلت : لعله يريد المبيت في قرية تاوّوتّي وباب المدينة عازم على أن يغلق. فقال لي : أتطيق الاسراع في الجري ؟ وكان نحيفاً وأنا أقوى منه. فأشفقت عليه لضعفه. فما التفت إلا وقد غاب عني. فأجهدت نفسي في الاشتداد إلى أن وصلت إلى باب المدينة وقد سبقني إليه ورغب البواب أن يحبس علي الباب إلى أن أصل. فنظر إليّ وهو يبتسم. فدخلنا المدينة وأغلق البوّاب الباب وقضيت العجب من ذلك" (*التشوف*، 304-305).

إن معطيات الزمن الموجودة في هذا النص، يمكن أن تسهم في تحديد مكان موقع تاوّوتّي، ذلك أن أقصى المسافة التي يمكن قطعها بالجري السريع بين المدة الزمنية الفاصلة بين ميل الشمس للغروب، وغروبها التام يمكن تقديرها بحوالي ثلاث كيلومترات، وهي بالتحديد المسافة الفاصلة بين باب فاس والموقع المسمى حاليا بسَقَرْ، الذي أرجحه كمكان لتاوّوتّي. إن الجمع بين الوقت الأول، والوقت الإضافي الذي بقي فيه الباب مفتوحا بصفة استثنائية في انتظار وصول رفيق الصوفي أبي علي عمر بن علي ابن عبد العزيز الهزرجي، قادها من تاوّوتّي، يسمح بإمكانية قطع المسافة المذكورة، مع الاسراع في الجري في نطاق شروط تتحكم في هذه السرعة منها نوع اللباس الذي يكون في غالب الاحيان عائقا، ونوع النعلين، والحالة الصحية للمعني بالأمر.

تسمح المعلومات المتوفرة بعدم استبعاد أن تاوّوتّي كانت تمثل مركزاً للاستقرار في المجال الريفي القريب من شمال مراكش، ولعل هذا ما يفيده نعث ابن الزيات لها بقرية (*التشوف*، 304) ويبدو أنها كانت تتوفر على طاقة سكنية ذات اعتبار وهو أمر تدعمه مجموعة من القرائن منها :

1 - وجود دور بالموقع، ومن الحجم الكبير الذي يستجيب لاستيعاب الجماعات الوفيرة.

2 - اعتبارا لأهمية الامكانيات الفلاحية للموقع، فإن مستوى هذا النشاط يتطلب طاقة بشرية مهمة، من غير المستبعد أنها تشكلت من سكان المنطقة أنفسهم.

3 - اعتبارا لمكانة تاوّوتّي الصوفية، فقد كانت مقصد المريدين من مجالات مختلفة. يقول ابن الزيات في ترجمته لأبي محمد عبد الحليم ابن اسماعيل الأيلاني الاسود "زرته مرات بداره... يقصده المريدون ويجتمعون عنده، فنفع الله به خلقا كثيراً" (*التشوف*، 313) إن هذا الحضور البشري بهذا الحجم وإن كان يتميز بعدم الاستقرار الدائم، فإنه يتطلب وجود طاقة سكنية معينة تلبي هذا الإيواء المؤقت.

4 - اعتباراً لوقع تاوّوتّي في خريطة المسالك والطرق الخاصة بمراكش، يبدو أن هذه الخصوصية الجغرافية، تجعل منها أول مركز استقرار يستقبله القادم من المدينة في اتجاه الشمال، وآخر محطة قبل الدخول إلى المدينة بالنسبة للقادم من الاتجاه المعاكس، وهذه الوضعية تجعلها فيما يبدو ذات وظيفة مركز خدمات ومركز عبور بشري بين مراكش وشماليها القريب والبعيد، وتكون في نفس الوقت الملجأ لقضاء الليل بالنسبة للأفراد والجماعات الذين يصلون إلى المدينة من الشمال بعد أذان المغرب.

ومن غير المستبعد أن منطقة تاوّوتّي كانت تشكل جزءاً من المساحات المسقية الفلاحية التي تم إحداثها خلال القرن السادس الهجري (12 م)، وتدخل ضمن البساتين التي نشأت خارج أسوار المدينة زمن حكم الموحدين، ولعلها كانت تمتد بين بحيرة يطّي جنوبا (*البيان*، قسم الموحدين، 434) وتاقيطت شمالا (*أخبار المهدي*، 63).

وإذا أفادت هذه العناصر باتساع المساحة الفلاحية، فإن إشارات يستفاد منها قيمة إمكانيات الإنتاج التي كانت

تتوفر عليها المنطقة، يعكس ذلك مصطلحات فلاحية تحمل دلالة الاتساع وأهمية عناصر الإنتاج مثل : الضيعة (*الذيل*، سفر 8، 170) ومرور نهر ماء بنفس الضيعة، ومكانة الشخص الذي يملكها وهو ابن القطان الذي "كان معظما عند الخاصة والعامة من آل دولة بني عبد المومن، حظي كثيراً عند المنصور منهم فابنه الناصر فالمستنصر بن الناصر فأبي محمد عبد الواحد أخي المنصور ثم أبي زكرياء المنعم ابن الناصر حتى كان رئيس الطلبة، مصروفة إليه الخطط النبيهة مرجوعا إليه في الفتاوي" (*الذيل*، سفر 8، 169)، يضاف إلى ذلك مناظر زراعية أخرى تمثل البستان (*التشوف*، 304)، ومعلوم أن هذا المصطلح قد أطلق خلال هذه الفترة وفي المجال نفسه على الملكيات الفلاحية، الكبيرة أيضا. (*الحلل*، 6 : 145).

ومن خلال الأخبار الواردة عن تاوّرتّي في كتاب "*التشوف*" ، يبدو أن هذه القرية عرفت خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري - إن لم يكن بعدها أيضا - نشاطاً صوفياً بارزاً تتجلى أهم مكوناته في العناصر التالية :

1 - وجود صوفي شهير بها يعرف بأبي عبد الحليم بن إسماعيل الايلاني، توفي سنة ثلاثة وتسعين وخمسمائة هجرية، كمركز لدائرة هذا النشاط.

2 - وجود هياكل صوفية : مريدون، خاصة التلاميذ.

3 - مكان مقصود من طرف أهل الولاية والصلاح من المدينة والبادية على السواء، وعلى اختلاف مستويات وصفات المتصوفة الزائرين، أمثال الصوفي الشهير أبي علي عمر بن علي بن عبد العزيز الهزرجي توفي عام اثنين وتسعين وخمسمائة (*التشوف*، 303) من أهل الجانب الشرقي من مراكش، وابن الزيات نفسه (*التشوف*، 313)، وعلى مستوى المجال وبصفة خاصة نفيس ومراكش. وهي إشارة أيضا لطبيعة العلاقات الصوفية التي كانت قائمة بين تاوّرتّي ومجالها.

يمثل مركز تاوّرتّي إذاً بهذا النشاط الصوفي، مع مركز تاقيطت، المركزين الصوفيين اللذين يقعان خارج شمال مراكش، ويشكلان كذلك المجموعة الشمالية لمراكز التصوف الموجودة بالحوز الأوسط، والمحيطة بمراكش.

ورغم أهمية هذه الوظيفة الدينية وحجمها بالمنطقة فإن ابن الزيات لم ينعتها بأية صفة من صفات المواقع الصوفية التي استخدمها بالنسبة لعدد مهم من مركز التصوف بمجال الحوز والأطلس الكبير، كالرباط والرابطة.

البيذق، *أخبار المهدي*، طبعة الرباط ؛ ي. التادلي، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، البيضاء ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، سفر 8، قسم 1، تح. محمد بن شريفة، الرباط، 1984 ؛ ابن عذاري، *البيان، قسم الموحدين*، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرون، البيضاء 1985 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، تح. زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء 1979.

محمد رابطة الدين

ابن **تاويت**، أسرة أصلها من الأندلس استقرت حقبةً من الزمان في وادراس قبل أن تدخل إلى مدينة تطوان. وأقدم نص بيدنا ورد فيه ذكر ابن تَوَيْت هو معجم *السَّفَر* - بفتح السين وسكون الفاء - اسم جمع سافر مثل صَحْب بالنسبة لصاحب - لأبي طاهر أحمد السِّلَفي الأندلسي نزيل الاسكندرية ومعاصر القاضي عياض. والكتاب من مخطوطات الخزانة العامة بالرباط (حرف الكاف) وقد لخّص بعض ما فيه إحسان عباس ونشره في بيروت بعنوان *أخبار وتراجم أندلسية*. وهذا نص ما ورد فيه عن "تويت" بالبربرية وأخوين كلاهما يدعى بن تويت

قال السلفي في سياق ذكر توءمين ملتصقين خلقةً : "سمعت أبا محمد عبد الله بن تويت بن الوزان اللمتوني بالثغر الاسكندري يقول، وجريته وكان ثقة يتحرّى الصدق، سمعت أخي الأمير أبا يعقوب ينتان بن تويت الفقيه وغيره من المرابطين الثقات بالمغرب يقولون : وُلد في بني نورت - بطن من الملثمين - جسمان كاملان برأس واحد، فعاشا زمانا، ثم مات أحدهماوثقل الآخر، فراموا قطعه منه، فشاوروا الفقهاء فقيل لهم : يصبر أياماً، فلم يمض قليل حتى مات الآخر. قال أبو محمد عبد الله بن تويت : وولد بالأندلس في أيامنا مولود برأسين ... وقد رأيت بحمص الأندلس (اشبيلية) امرأة ولدت أول ولادتها ولداً ثم في المرة الثانية ولدين وفي الثالثة ثلاثة وفي الرابعة أربعة وفي الخامسة خمسة وفي السادسة ستة وفي المرة السابعة سبعة في بطن واحد.

قال السلفي : أبو محمد هذا رجل صالح من أمراء المرابطين قدم المشرق للحج وطلب العلم وكان يحضر عندي ويقرأ. ومن جملة ما قرأه *الملخص* لابن القابسي. وأما أخوه ينتان فكان فقيها وذكر لي أخوه أبو محمد أنه توفي في زبيد من مدن اليمن، وأنه كان قرأ على ابن عتاب وأبي بحر وابن رشد وآخرين بقرطبة، وعلى ابن أبي جعفر بمرسية، قال وتويت اسمه محمد ولكن غلب عليه لقبه هذا وتفسيره صياح.

وبالأصل المخطوط : "وسألته عن معنى تويت، فقال إن معناه صياح بالبربري، فهو مصدر". ومازال في عاميتنا هذا الوزن خصوصاً في المِهَن التي تُعدُّ مستهجنة مثل تكزّرْت وتحجّمْت وتحدّدت وتنجّرت وكلمات أخرى قبيحه الذكر. وليس صياح بتشديد الياء كما ظن.

والملاحظ أن تَوَيْت ذكرت بدون الألف وهو ماكنا نعرف، ثم زيدت الألف ضبطاً للنطق بالتاء مفتوحة. والدليل على صحة الأول في الأستعمال أننا نجمع هكذا "تَوَيْتْش" وهو اسم أيضاً للأسرة والمقر.

تقع هذه البقعة في قبيلة وادراس بين تطوان وطنجة متاخمة لأنجرة. فقبيلة وادراس تبعد عن تطوان بنحو خمسة عشر كيلومتراً وعن طنجة بنحو ذلك أو دونه بقليل، تشقُّها الطريق السيارة ويتاخمها الجبل الواقع به ضريح وليّ.

ويلاحظ في هذه القبيلة أن السكان يجمعون بزيادة السين كما بالإسبانية، فيقولون ـ تَوِيْتْشْ، بنطق السين شيناً، كما في البرتغالية، وكما في نحوسين اشبيلية. ويقولون أيضاً عَلاَّلْش، جمعاً لابن علاَّل، وحليمَشْ جمعاً لابن حليمة، وعبُودَشْ جمعاً لابن عبود وزَيَّانَش، لزيان، والطويلش للطويل، ولاغرابة في هذا التاثير الإسباني الذي جاء بمجئ مهاجرة الأندلسيين أواخر القرن التاسع (15 م) فيذكر صاحب *نبذة العصر* لهؤلاء المهاجرين أنهم نزلوا بوادراس ثم انتقل منهم من انتقل إلى بني سعيد في غمارة الساحل الشرق، ومازالت عقبة بغرناطة تذكر بعقبة غمارة (Cuesta de Gomara) ويقول مارمول الذي تكلم عن وادراس بإسهاب وذكر شجاعتهم في القتال إنّ المقصود بهم هم سكان وادراس، هكذا يقول، وإن كانت وادراس انفصلت من غمارة وصار حلفهم مع قبيلة الأخماس بينما المتاخمون لهم شرقاً وهم قبيلة أنجرة حلفهم مع غمارة، وبعبارة فإن الساحل الممتد من الريف إلى سبتة فطنجة وأصيلا والمنتهي عند القصر الكبير لغمارة، وعبد الكريم المنسوب إليه القصر الكبير غمارى. أما الداخل وفيه وادراس وبني يدر وبني مصور وجبل حبيب (الفهري)، والأخماس داخل. ومن مدنه مدينة الشاون، ومازالت حتى الآن بها عصبية ومواجهة بين الأخماس وغمارة.

محمد ابن تاويت التطواني

ابن **تاويت، أحمد** بن محمد بن عمر التطواني. ولد بتطوان عام 1322 وحفظ القرآن في كتاب والده محمد بن عمر شيخ المقرئين، كما حفظ على يده المتون العلمية الأولى في اللغة والدين قبل أن ينتقل إلى حلقات شيوخ تطوان أمثال عبد الرحمن أقشار ومحمد الركيگ وأحمد الزواقي الحسيني وأحمد الرهوني وغيرهم آخذاً عنهم علوم التفسير والحديث والأصلين والفقه واللغة وقواعدها. ثم توجه إلى فاس ليدرس بالقرويين، ومن شيوخه فيها عبد الرحمن ابن القرشي، وأحمد بن الجيلالي، وعبد الله الفضيلي وأحمد بن المامون البلغيثي.

وبعد عودته إلى تطوان تولى بها عدداً من الوظائف، فكان أستاذاً بالمدرسة الاسلامية سنة 1930، وقاضياً بالمحكمة الشرعية سنة 1952، ومفتشاً بوزارة العدل، ثم مديراً للمعهد الديني، فأستاذاً بكلية أصول الدين. وقد درس خارج تطوان بدار الحديث الحسنية بالرباط، وبالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لمدة سنتين. ولما أحيبت الكراسي العلمية أسند إليه كرسي التفسير بالجامع الكبير بتطوان.

كان أحمد بن تاويت من المؤسسين لرابطة علماء المغرب وعضو الأمانة العامة للرابطة، وعضو المجلس العلمي بتطوان. واشتهر بالتواضع والتودد لإخوانه وخلانه، ممن يألف ويؤلف.

توفي بمسقط رأسه صبيحة يوم السبت تاسع ربيع الأول عام 1414 / 28 غشت 1993.

معلومات شخصية، وأخرى شفوية من تلاميذه.

المهدي الدليرو

ابن **تاويت، محمد** بن **عمر** بن عبد السلام بن عمر ابن علي بن مَحمد بن موسى بن محمد الوادراسي ثم التطواني، ولد عام تسعين من القرن الثالث عشر (19 م) وتلقى تعليمه الأول من خاله الفقيه محمد بن حمزة غالبا، ويذكر أنه كان بتطوان عند إتيان الملك مولاي الحسن إليها، وسنه آنذاك عشرون. وبعد حفظه القرآن الكريم صار يتلقى مبادئ العربية والفقه على فقيه عصره، والشهير فيما يمتد من تطوان إلى طنجة مباشرة السيد محمد بوتفّاح، وكان يرافقه في الأخذ عنه والد محمد بن تاويت الطنجي. وفي الربع الأول من القرن الرابع عشر كان قد حطّ الرحال نهائياً بتطوان. وبعد هجرة خاله إلى طنجة عند الاحتلال الإسباني بتطوان، كان يخلفه في تعليم القرآن الكريم بها، فظل يقوم بهذه المهمة ما يزيد على نصف قرن، فصار بذلك فقيه تطوان، لا يُذكر إلا بهذا النعت ولايوجد متعلم إلا وقد تخرج على يديه.

كان يعلم القرآن، وإلى جانبه مبادئ النحو وفقه العبادات والتوحيد وما ينضم إلى ذلك مما تشمله منظومة ابن عاشر المعروفة، كما كان يزاول العدالة التي كان شأنها محترما لايضطلع به إلاّ مَنْ يتّسِمُ بالعلم والاستقامة الخلقية.

وممن تعلموا على يديه الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، ثم الزعيم عبد الخالق الطريس، ومن الوطنيين الكبار الفقيه محمد داود مؤرخ تطوان والحاج مَحمد بنونة. وإلى جوارهم جميعا مَحمد عزيمان والطيب بنونة ومحمد الفاسي الحلفاوي وغيرهم كثير لا يحصون عدداً. ومن ناحية الدولة فقد كان مبجلا من القصر الخليفي والوزارة التي كان على رأسها الصدر الأعظم الفقيه ابن عزوز. وكان الخليفة مولاي المهدي يعزّ الفقيه محمد ابن تاويت، كما كان ابنه مولاي الحسن بعده يعظمه لدرجة أنه كان يُحيي معه صلاة التراويح التي كان يفتحها ويختمها ثم يصلي صلاة الصبح ويبقي الخليفة في المسجد ينصت إلى قراءة الحزب فيعود مودعاً إلى قصره في حفل رسمي.

محمد بن تاويت التطواني

ابن **تاويت التطواني، محمد** بن محمد بن عمر بن عبدالسلام. والده من شيوخ حفظة القرآن ومعلميه المبرزين، وأسرته عريقة تنتسب لقبيلة "ودراس" من أحواز تطوان، عرفت بالجهاد والتقوى، رحل فرع منها أولا للاستقرار بالمدينة المجاورة تطوان، وتلاه بعد عقود فرع استقر بالمدينة البوغاز القريبة بطنجة. ومترجمنا عالم أديب، اشتهر بالبحث والتأليف والترجمة في الأدب والتاريخ والتشريع الاسلامي والفلسفة والمنطق والتصوف. ولد بتطوان عام 1329 / 1911. استظهر القرآن الكريم على والده ولم يتجاوز سن العاشرة، شرع بعدها في حفظ المتون بدءاً بمقدمة ابن أجروم المرشد الصغير لابن عاشر إلى الأحزاب المنتشرة في العبادات من مختصر خليل. وقد أهله ذلك للانتقال إلى

حلقات الدرس حيث تتلمذ على كل من الفقهاء عبد الكريم بن محمد الدليرو، ومحمد بن عبد السلام الريسوني، وعبد الله مراريش، ومحمد الكحاك، ومحمد الفرطاخ، ومحمد الزرهوني، ومحمد القاسمي، وعبد الرحمن بن رحو، ومحمد أقلعي، ومحمد اعمير، ثم عن شقيقه الأكبر أحمد ابن تاويت.

وبداية من مرحلة تكوينه تلك، شرع يعنى بتلقي الدروس الأولية في اللغتين الإسبانية والفرنسية، مستمداً هذا التوجه من وصلة الطفولة الرابطة بينه وبين قرينه في الكتاب وفي حي "الاترنكات" الاستاذ عبد الخالق الطريس، والذي ظل حريصاً في زعامته للحركة الوطنية بشمال المملكة المغربية أثناء الحماية الاسبانية، على استثمار ثقافة "ابن تاويت" الجادة في صياغة المطالب التعليمية بخاصة، وترشيد تكوين الأجيال الصاعدة، وتخطيط آفاق مستقبلها العلمي.

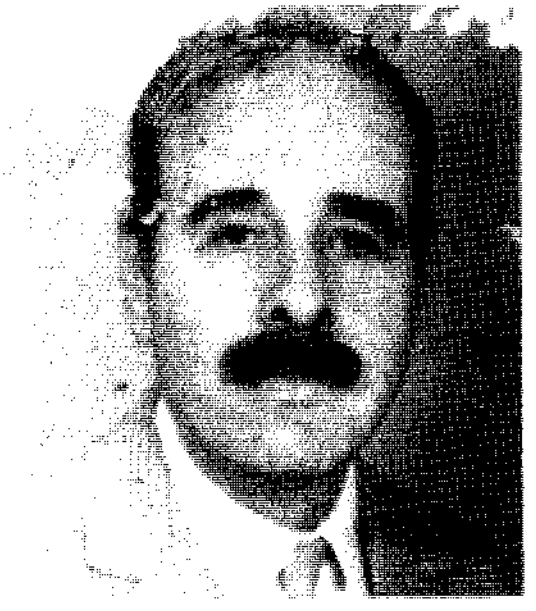

وفي عام 1348 / 1929، التحق محمد ابن تاويت التطواني بالقرويين، فجلس إلى حلقات الدروس، داخل المسجد وخارجه، واستمع إلى الشيوخ الطائع ابن الحاج، ومحمد ابن الحاج ومحمد بن عبد الرحمن العراقي والعباس بناني ومحمد الزرهوني ومحمد العلمي وأبو الشتاء الصنهاجي ومحمد الصنهاجي ومحمد السايح ومحمد بن عبد المجيد أقصبي وعبد الرحمن ابن القرشي والحسن بن عمر مزور وعبد الرحمن بن الصديق الغريسي ومحمد بن عثمان الشامي والحبيب بن أحمد المهاجي وأبي بكر الدرقاوي ومحمد ابن سعيد المكناسي وإدريس المراكشي وعمر ابن سودة ومحمد ابن عبد الله وعبد الله الفضيلي ويصفه بعالم فاس في زمانه.

وموازاة مع دروسه هذه كان يحضر دروس اللغة الفرنسية، بين العشاءين، بثانوية مولاي إدريس، كما كان يتصل ببعض الجزائريين والارجنتينيين المقيمين بفاس يجلس إليهم مستزيداً من اللغتين الاسبانية والفرنسية.

ولما أعلنت الحرب الأهلية الاسبانية سنة 1936 واستعصت بنتيجتها الاتصالات بين شمال المغرب وجنوبه، عاد مضطرا إلى تطوان، حيث عينه صديق الصبا الأستاذ الطريس الذي كان يشغل أثناءها مهمة وزارة الأحباس في الحكومة الخليفية كاتباً له. وكان إلى جانب ذلك يزاول مهمة التدريس بالمدرستين القرآنية والحسنية، ويلقي محاضرات بنادي حركة الوحدة المغربية في تاريخ التشريع الإسلامي، ويعقد حلقات في بعض مساجد المدينة، درس فيها للطلبة المختصر والألفية والمنطق والبلاغة والحساب بالقلصادي.

ولما تهيأت البعثة الحسنية للدراسة في مصر سنة 1938م استقال من وظيفه والتحق بها، طموحاً منه لاستكمال دراسته، وقد انتظم طالباً بكلية الآداب قسم اللغة العربية بجامعة فؤاد الأول، حيث نال شهادة الإجازة وتابع بعدها إعداد دبلوم الدراسات العليا في اللغات الشرقية في ذات الكلية. ومن أساتذته خلال هذه الفترة طه حسين ومصطفى السقا وأمين الخولي وأحمد لطفي السيد وأحمد أمين وأحمد ضيف ومحمد زيادة وحسن إبراهيم حسن ومحمد شفيق غربال وعبد الحميد العبادي وعبد الوهاب عزام وإبراهيم أمين الشواربي ويحيى الخشاب.

ولرغبته في الحصول على شهادة الدكتوراه سجل موضوعها تحت إشراف أستاذه عبد الوهاب عزام، وعمل خلالها ببعض مؤسسات القاهرة الثانوية، غير أن الظروف عاكست رغباته، فعاد إلى وطنه سنة 1949 ليستقر في مسقط رأسه تطوان باحثاً في معهد فرانكو مدة سنة، ثم أستاذاً للبلاغة بالمعهد العالي للتعليم الديني، ثم مديراً لنفس المؤسسة، ثم مفتشاً لكل مستويات هذا التعليم بالمنطقة الخليفية. وقد كان ينطلق في تدريسه لمادة البلاغة من كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، والذي عني بإعادة طبعه مفتتحاً بمقدمة دسمة وغير قصيرة تلقى كاشف الضوء على علم البلاغة. ومع استقلال المغرب عين سنة 1956 مديراً لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان، خلفاً لعبد الله كنون.

وقد دشن إشرافه على المعهد بإصدار الدورية المرجعية المتخصصة في الدراسات المغربية والأندلسية مجلة *تطوان*، فإليه يعود فضل أجزائها العشرة. وفي سنة 1958 التحق بشعبة الدراسات التاريخية بلندن للتخصص في موضوع : "العلاقات التاريخية بين المغرب والمجلترا" عاد بعد سنة أمضاها بها أستاذاً للتعليم العالي بالمدرسة العليا للأساتذة وفي كليات آداب الرباط وفاس ووجدة وتطوان وأگادير، كما درّس بكلية أصول الدين في تطوان.

ارتبط مترجمنا بالكلمة، فوهب لها حياته، بحثاً وتنقيباً، كتابة وتأليفاً، فاتسعت معارفه، وتشعبت اهتماماته، وهذا ما جعله أستاذاً لأكثر من مادة، فقد ألقى محاضرات في علوم البلاغة، وفقه اللغة بنوعيه الخاص والمقارن، وفي مادة النحو، كما درس الادبين المغربي

والأندلسي، وكتب في مواضيع عديدة من الأدب المشرقي، إلى جانب ذلك كله اشتهر بأستاذيته للغة الفارسية. وترجم الكثير من الأعمال إلى العربية من اللغات الشرقية الفارسية والتركية نثراً ونظماً، ومن اللغات الحية الانجليزية والاسبانية والألمانية. وشارك في عدة مؤتمرات واستدعي محاضراً في عدة جامعات عربية وأجنبية.

تميز الأستاذ ابن تاويت بين أفراد البعثة من مرافقيه بتنوع وغزارة الإنتاج والانقطاع للبحث والتكوين، فقد ألف وحقق ونشر في شتى المجلات والجرائد الوطنية، وفي الكثير من الدوريات العربية والدولية. ولما عرف عنه من صرامة في الميادين المعرفية فقد أثارت بعض كتاباته سجالات عنيفة في اللغة والأدب شعره ونشره، رافقت حياته العلمية التي امتدت خمساً وخمسين سنة، في إعداد الأجيال، وفي الكتابة والنشر، إلى أن وافته المنية بصحة في الرباط صبيحة السبت ثامن رجب عام 1413 / ثاني يناير 1993 عن سن يناهز الثمانين.

مؤلفاته المنشورة :

1 ـ *محاضرات في تاريخ التشريع الاسلامي*. 2 ـ *الاستشراق والإسلام*. 3 ـ *كتاب في التربية الوطنية*. 4 ـ *تاريخ سبتة*. 5 ـ *ابن زيدون*. 6 ـ *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، في ثلاثة أجزاء. 7 ـ *تاريخيات : دراسات وتعريب وتحقيق*. 8 ـ *الأدب المغربي* بالاشتراك مع الصادق عفيفي.

مؤلفاته المخطوطة :

1 ـ *فن جلال الدين المنوي*، وهو عنوان الموضوع الذي كان اختاره لنيل شهادة الدكتوراه، وقد أهدى نسخته الأصلية للمكتبة الصبيحية بمدينة سلا. 2 ـ *العلاقات المغربية الانجليزية*. 3 ـ *مذكراته*. 4 ـ *المغرب والمعترك الدولي في العهد السعدي*. 5 ـ قصة قصيرة بعنوان "*صريع العزاز : قصة واقعية مؤلمة*". 6 ـ *شعر موزع بين بعض ذويه وتلاميذه*. 7 ـ *رسائل* يحتفظ بها بعض معاصريه وثلة من تلاميذه.

تحقيقاته :

1 ـ *دلائل الإعجاز*، في جزأين. 2 ـ *شعر ابن عبد ربه*. 3 ـ *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، لأبي عبد الله محمد بن قاسم الانصاري. 4 ـ *وثيقة تاريخية عن تطوان*، لرجل جزائري. 5 ـ *وثائق سعدية* لم تنشر. 6 ـ *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب*، لعبد المهيمن الحضرمي. 7 ـ *أوراق من تاريخنا مجهولة*. 8 ـ *ديوان الأمير أبي الربيع سليمان الموحد*، بالاشتراك مع محمد ابن تاويت الطنجي ومحمد بن العباس القباج وسعيد أعراب. 9 ـ *البيان المغرب* لابن عذاري المراكشي ـ قسم الموحدين، حققه أولا بالاشتراك مع المستشرق الاسباني هويسي ميراندا، وثانية بالاشتراك مع المستشرق السالف، ومحمد إبراهيم الكتاني، وأخيراً بالاشتراك مع الكتاني السالف ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة. 10 ـ *مستودع العلامة ومستبدع العلامة*، لأبي الوليد ابن الاحمر بالاشتراك مع محمد التركي التونسي. 11 ـ *أزهار الرياض في أخبار عياض ـ الجزء الرابع ـ* بالاشتراك مع سعيد أعراب.

من مترجماته عن الفارسية :

1 ـ *جهار مقالة*، للشاعر أحمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي. 2 ـ *زين الاخبار*، لأبي سعيد عبد الحي الكرديزي. 3 ـ *رباعيات عمر الخيام*.

عن التركية :

1 ـ *قبقجي مصطفى*، قصة للكاتب أحمد رفيق التركي. 2 ـ *أجر وصبر*، قصة للكاتب التركي حسين رحمي. 3 ـ *نظيفة*، مسرحية لعبد الحق حامد. 4 ـ *أولو*، ملحمة شعرية لعبد الحق حامد. 5 ـ *مقبر*، ملحمة شعرية لعبد الحق حامد.

عن الانجليزية :

1 ـ *رسالة تاريخية من ملك أنجلترا إلى حاكم تطوان النقسيس*. 2 ـ *من زوايا التاريخ المغربي*، نشر تباعا بمجلة تطوان. 3 ـ *العدالة في بريطانيا*، مخطوط. 4 ـ *العلاقات المغربية البريطانية*، مخطوط.

عن الاسبانية :

1 ـ *علي ابن سينا*، ترجمه وقدمه إلى معهد فرانكو قصد الطبع. 2 ـ *الدول الصغرى بالمغرب*، أو بني صالح بالنكور، تأليف أسدرو دي لاس كاخيكاس.

عن الألمانية :

1 ـ *ترجمته لحياة المؤرخ عبد الرحمن ابن اخلدون* عن الأصل الألماني من كتاب كارل بروكلمان "تاريخ الأدب العربي" وهي مرقونة على الآلة الكاتبة.

محمد ابن تاويت التطواني نفسه، *مذكراته : معلومات شفوية من شقيقه الأكبر الفقيه أحمد بن تاويت*.

عبد القادر الغالي الخراز

ابن **تاويت، الطنجي محمد** بن محمد، أصله من تَوِيْنَشْ من قبيلة وادراس بين تطوان وطنجة. من أسرة عرفت بالصلاح والجهاد منذ أمد بعيد، فقد كان الناس يعتقدون في جده محمد بالولاية والصلاح، وكان أبوه وأعمامه الأربعة من المجاهدين للمحتلين الإسبان طيلة اثنتي عشرة سنة. استشهد عمه أحمد ثم أخوه الأصغر عمر مجاهدين. وظل عمه محمد الزكاري يحارب الإسبان والفرنسيين حتى بعد انتهاء حرب الريف، فلجأ إلى بني مَسَّارة حيث أسلمه الفرنسيون للإسبان، وكذلك فعل عمه الرابع.

التحق والده محمد، وكان معروفاً بالفاسي لأنه درس بفاس، بالأمير ابن عبد الكريم الخطابي، وكان الأمير قد درس عليه القرآن ولكن تخلى عنه لما تغيرت الأمور وكان ذلك سبب تعرض داره بوادراس للمداهمة وإحراق ما بها من كتب ومخلفات.

ولد ابن تاويت الطنجي في حدود عام 1330 / 1911

بوادراس القبيلة، والتحق بطنجة وهو شاب يافع متابعاً لتعلمه قواعد العربية والدين بعد حفظه القرآن الكريم وبعض المتون، والأسرة تعيش في شظف من العيش إذ لم يكن دخل الوالد إلا عشرين ريالاً مغربية "حسنية" مرتباً كان له على نظارة الأحباس الناصرية التي تنتمي إليها أسرة ابن تاويت. وكان ينضمُّ إلى الأجر المذكور أربعة ريال أخرى يتقاضاها محمد الفاسي عن إمامة "جامع الجديدة" بطنجة.

طلب الشاب محمد ابن تاويت من أبيه أن يتوجه إلى فاس للدراسة بجامع القرويين فأسعفه في رغبته، فتوجهنا معاً إلى فاس وظهرت نجابة المترجم في دروس النحو بالألفية على عباس المكناسي والفقيه أقصبي. وفي دروس التوحيد بأم *البراهين* على عبد العزيز ابن الخياط. وطلبنا بواسطة أخي من سيدي جواد الصقلي أن يتطوع بإقرائنا *منظومة الاستعارة* لابن كيران بجامع الرصيف باكراً. فنحضر حلقته التي لم يكن يحضرها غيرنا الاثنين.

كان سيدي مَحمد العلمي يدرس آنذاك كتاب *القلصادي* في الحساب، قبيل النظام الدراسي، ثم التوقيت بعد فرض هذا النظام، فحصل تحول في مواد الدراسة التي انكب عليها مترجمنا إلى الفنون التي يدرِّسها العلمي. كان الشيخ مَحمد العلمي ذا ذهنية رياضية، وقد أخذ هذه العلوم العقلية، وبخاصة حساب اللوغاريتم، عن أحد طلبة البعثات الحسنية إلى أوربا. وكان هذا العالم الرياضي قد أفضى به الإهمال الذي لقيه هو وزملاؤه أعضاء البعثات إلى أن أصبح دركياً مرابطاً بباب بوجلود بفاس.

انقطع مترجمنا إلى شيخنا العلمي انقطاعاً كلياً. يخدمه حتى بانتساخ كتبه التي تسلك إلى المطبعة الحجرية بمجرد انتساخها، وما أكثرها بخطه الذي حافظت عليه المطبعة الفاسية، وأصبح متمكناً في علوم التوقيت على اختلافها بالدرجة التي كان عليها الشيخ العلمي. ومن الذين درسهم التوقيت من الكبار الفقيه محمد بن سعيد المكناسي وعبد الله گنون وهو زوج أخته.

فلما عدنا من فاس أثناء الحرب الإسبانية الأهلية، توظفنا كلانا بتطوان. وبعد سنتين ذهبنا معاً في بعثة علمية إلى مصر حيث التحقنا بكلية الآداب، كان هو بقسم التاريخ وكنت بقسم اللغة العربية. ثم بدا لهُ أن يتحول إلى قسم اللغة العربية وابتدأ التشابه يضايقنا، فكلانا محمد بن محمد ابن تاويت، فكان أن وقعت إدارة الكلية في خلط عند إعلان نتائجنا في آخر السنة، فقر القرار منا أن نتميز بعضنا عن بعض هو بالطنجي وأنا بالتطواني.

أحرزنا شهادة الليسانس، وكان هو ضمن الخمسة الأوائل فنال جائزة الشرف من الملك فاروق. ثم عرض على استاذنا أحمد أمين أن يتولى الإشراف عليه في موضوع ينال به درجة "ماجيستير" فاختار له موضوع تحقيق *مقدمة ابن خلدون*. فدخل المعركة ونسي نفسه فيها. ووجهته الجامعة العربية إلى تركيا للبحث عن المخطوطات، وتفتحت له الأبواب كلها فدخلها وأصبح بعد ذلك المرجع الأول فيما يخص ابن خلدون.

سألني في جامعة لندن سنة 1958 الأستاذ برناردلويس، ماذا يكون نسب الطنجي منك ؟ أجبته : ابن عمي، فقال لي : إنه خلدوني. والحقيقة أن تحقيقاته تشهد بما له من اطلاع واسع، نأخذ مثلا تحقيقه *لجذوة المقتبس* وللجزء الأول من *ترتيب المدارك* أو *اختصار الزبيدي لكتاب العين*، كل ذلك يقدم لنا مجهوده فيه.

لم يكن في محمد ابن تاويت الطنجي عيب إلا أنه كان ينشد الكمال في الناس. فهو رجل قد قدر الناس قدره وأحبه علماء الأتراك واحترموه في وزاراتهم وجامعاتهم، فأصهر إليهم وأقام بين أظهرهم إلى أن مات عندهم غريباً عن بلده بتاريخ رابع عشر ذي الحجة عام 1394 /29 دجنبر 1974.

معلومات شخصية.

محمد بن تاويت التطواني

تاويمة. هضبة. ← تينگمرت

تـاوينْـخْـتْ أو تاوينغت، كلمة أمازيغية تطلق اسماً على شجيرة مشوكة تنبت في المناطق الجافة، وهي التي يسميها لاووست Laoust باسم Aubépine saharienne.

تستعمل قشرة أغصان هذه الشجيرة في دبغ الجلود وتلوينها باللون الأحمر. وهي معروفة بنفس الاسم في منطقة درعة وتافيلالت وأيت واوزگيت وسوس الأعلى والأطلس الصغيروفي جبال أوراس على ما يبدو، وربما في مناطق أخرى.

ويغلب على الظن أن الكلمة من "وين" ومعناها الذي يصلح لكذا أو الذي يستعمل في كذا ... و"أغيت" وتعني الجلد المتين الذي يصلح لصناعة الاحذية. كما يمكن أن تكون قد أخذت من كلمة "تاويناغ" التي تعني عند الحيوانات العيون ذات اللون الأسود والرمادي الفاتح.

ولعل نوارة الشجيرة المشوكة المشار إليها أعلاه تشبه في لونها العيون التي تتوفر فيها الشروط المذكورة، فسميت شجرتها باسم المشبه به بعد تأنيثه.

استعملت كلمة "تاوينخت" كاسم علم جغرافي، حسب ما نعلم في جنوب شرقي تازناخت، حيث توجد قرية تحمل اسم "تاوينخت" عند أيت حاميدي. وفي جنوب شرق بويزاكارن حيث يوجد جبل تاوينخت.

كما توجد الكلمة في أيت سْمُگْ الذين يسكنون السفوح الجنوبية لجبل تيزي ن تاست حول مركزهم الإداري تافينگولت. غير أن "تاوينخت" هنا تطلق على مجموعة من القرى متقاربة الموقع، وكل واحدة منها تحمل اسمها الخاص وهي على التوالي : فرناط، وإيگران وأزرو وأگادير ن - ءومزيل. وترجع أهمية "تاوينخت" إلى موقعها الجغرافي الذي يمكّن من مراقبة الطرق المؤدية إلى جبل إيدأوزداغ انطلاقاً من سهل سوس الأعلى. فهو إذن يعتبر صلة وصل

ضرورية بين السهل الذي كثيراً ما تطرقه الجيوش المخزنية المتمركزة في تارودانت التي لا تبعد عن الموقع المذكور إلا بحوالي ستين كيلومترا، وبين جبل إيدأومساطوگ وإيدأوزداغ الذين لاتطأ جنود المخزن بلدهم إلا نادراً.

ففي أوائل القرن الثاني عشر (18 م) حينما حاصر باشا مراكش جبال إيدأوزداغ انهزمت جيوشه وتراجعت إلى تاوينخت، وبقيت في المنطقة إلى أن اضطر لمصالحتهم مقابل أداء ضريبة رمزية فأدوها ورحل عنهم دون خضوع فعلي.

وفي نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وبداية الذي يليه كانت منطقة تاوينخت محل صراع بين القائد الگنتافي الذي كان يحاول بسط نفوذه على سوس الأعلى، وبين قائد تالگجونت المجاورة الذي ينتمي إلى عائلة أيت بازي.

وهكذا نلاحظ أن "تاوينخت" عرفت زيادة عن الصراعات اللّفية المحلية، صراعات أخرى تنحو بها انتماءات سياسية تربطها أكثر بالسهل ليتراجع المجال الجبلي بأنظمته نحو القمم.

عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. صدقي علي أزايكو، ص 134 (نشر كلية الآداب بالقنيطرة).

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, 1951, T. III, pp. 143 sqq ; T. IV, p. 1788 ; E. Laoust, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut Atlas*, Paris, 1942, p. 101 ; Id., *Mots et choses berbères*, 1920, pp. 478 - 490 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 279 sq., 317 - 318.

علي صدقي أزايكو

التايب أو التائب، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن المختار السعيدي، نسبة إلى قبيلة بني سعيد الشرقية بشمالي المغرب، قدم والده منها أوائل هذا القرن، واستقر بناحية فاس. ولد المترجم عام 1935، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير على والده الذي كان إماماً بأحد مساجد فاس والتحق بالقرويين فأحرز على الشهادة الثانوية الأولى سنة 1957 واشتغل بالتعليم في مدينتي ميدلت وفاس، وفي سنة 1960 انتسب إلى كلية الشريعة بفاس، وحصل على الإجازة منها عام 1964، وهي السنة التي التحق فيها بدار الحديث الحسنية بالرباط، فتخرج منها سنة 1965، وفي سنة 1968 تم إلحاقه بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (مصلحة إحياء التراث) وعهد إليه بمهمة تحقيق كتاب التمهيد للحافظ ابن عبد البر الذي أنجز منه تحقيق الجزء الثالث، وشيئا من الرابع، وأثناء عمله بالوزارة كان يخطب بأحد مساجد الرباط ويقوم بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، ويلقي أحاديث دينية في الإذاعة والتلفزة، وانتدبته الوزارة مرات نائبا عنها في تدشين بعض المشاريع التابعة لها، وأسهم في الدروس الحسنية بخمس محاضرات وبواسطتها اشتهر ولفت إليه الأنظار، لفصاحته وقوة حافظته وحسن استيعابه للمادة العلمية.

كان محمد التائب لا يجد لذته إلا في الكتاب، بحيث لا تراه إلا قارئاً أو مذاكراً لا يمل من المطالعة ولا يفتر عن القراءة. وهو من الموقعين على وثيقة المطالبة بالتعريب. من إنتاجه العلمي، إضافة إلى المحاضرات الخمس التي شارك بها في الدروس الحسنية : تحقيق الجزء الثالث وبعض الرابع من *التمهيد لابن عبد البر* ؛ وكتاب *دليل مناسك الحج* (بالاشتراك) وعدة مقالات نشرها في بعض المجلات وقد كان شرع في تحقيق كتاب *الإلماع للقاضي عياض* الذي اختاره موضوعاً لرسالته الجامعية لا ندري القدر الذي أنجزه منه.

توفي بضواحي الرباط يوم 16 جمادى الأولى عام 1391 / 10 يوليوز عام 1971.

آثار المترجم المكتوبة : *معلومات شفوية من أبنائه وأصدقائه*.

عمر الجيدي

تايدالت، قرية واقعة بأعالي وادي صياد، القسم الشرقي من وادي نون، تتميز بأنها مقر أولاد بوعشرة. وهذه القبيلة تدخل في نطاق أيت النص الذين تتصدرهم قبيلة أيت إبراهيم التكنية (انظر أولاد بوعشرة - أيت إبراهيم، *بالعلمة*). تتميز تايدالت بأنها تجمع الفصائل المحلية المتصارعة نظراً لقدرة أهلها على تنظيم التعايش ونظام التحالفات. ولعل هذا السبب هو الذي يفسر احتواءها لقبر سيدي مَحمد بن أحمد الجماني الهاشمي القادم من قبيلة اجمامين بمنطقة الهده على أهل ازريويلة من قبيلة أزوافيط. فقد قام بدور شريف أهل ازريويلة وجزء من قبيلة أزوافيط مرتبطاً بالمخزن الذي كلفه ببعض المهام، لعل أشهرها حمل ظهائر تعيين أربعة عشر قائداً صحبة ابن عم السلطان مولاي عبد الحفيظ إلى الشيخ ماء العينين بالسمارة. وماتزال عائلته تتوفر على ظهائر حسنية وحفيظية للتوقير والاحترام سُلم بموجبها عزيبا بحوز مراكش. وقد أهله ارتباطه بالمخزن إلى مباشرة شؤون أهل عزيبه بكامل الاطمئنان، فلم يكن في تدخله يقتصر فقط على الشؤون الدينية بل نجده يختص أساسا في مباشرة الأمور السياسية والاجتماعية لما فيها من محافظة على أمن الجماعة التي مازالت تشهد له بردع الفساد والمتجاسرين على الأحكام.

Mordoché Abi Serour, *De Mogador au Djebel Tabayoudt, le Rabbin Mordoché Abi Serrour*, résumé du journal du voyage par Henri Duveyrier, Extrait du *Bulletin de la Société de Géographie* (Décembre 1875), Paris, Société de Géographie, 3 - 1875, 13.

تايسا (واد نون)، يتعدد استعمال هذه الكلمة بتعدد أماكن الرعي الجماعية التي تخضع لأعراف محلية ولتقنين تقسيم المجال وحق إقامة أفراگ الوحدات المتحالفة. تمثل سلسلتا جبال تايسا وگير بمنطقة وادي نون ما يشابه حداً طبيعياً فاصلا بين لفيْ اتحادية تكنة أيت عثمان شرقا وأيت الجمل غربا. وغني عن القول أن تربية الجمال التي تميز لف أيت الجمل تقتضي مبدئيا الابتعاد عن الجبل وتركه لمربي الأغنام والماعز، وهو فعلا ما يؤكد التصاق سكان مداشر وادي نون بسلسلة تايسا. فهذه السلسلة تعتبر بحق أول مجموعة جبلية تستقبل القادم من مرتفعات إيگني

إيغارن بالأطلس الصغير. فيتضح أن الطريق الرابط بين بويزكارن وگلميم يمر بمحاذاة السلسلة التي تتراجع قليلا عن هذه الطريق المخترقة لبسيط وادي نون. كما يتجلى بوضوح أنها مجموعة جيولوجية تحتوي على أرصفة واسعة مكتنزة ومتتابعة تنتصب بموازاة الطريق المؤدية إلى سرير وادي نون.

وإذا كانت مدينة گلميم وتيغمرت وأسرير تقع أسفل جبل تايرت أعلى قمة بهذه السلسلة، فذلك لأن السلسلة تجسد بهامتها واعتدال مناخها الجاف مر فايجة وادي نون، علاوة عن كونها تنتهي في شبه انخفاضات قليلة العلو تأخذ السلسلة شكل أسرّة صالحة للرعي والترحال القروي. والملاحظ أن وفرة المداشر عبر انفراجاتها تزيد من نوعية النباتات الغنية بفعل تأثير المحيط الأطلسي. كما أن استغلال الممرات المائية يزيد من مرابطة الأهالي حول أراضيهم المحروثة والمسقية. هكذا تجد الأغنام والماعز موفور الكلأ بتايسا وقد تصاحبها الأبقار إلى حيث تحافظ النباتات على اخضرارها.

تتمثل أهمية تايسا في كونها المرطب الرئيسي لمناخ جاف والمنعش الأساسي للترحال القروي وتربية الأنعام حيث تزداد أهميتها حسب قلة الأمطار التي عادة ما تنقطع لأزيد من خمس سنوات متتابعة. وإذا كان دور تايسا يكمن في ترطيب المناخ بفعل التأثيرات البحرية حيث تحد من التبخر، فإنها تلعب بذلك دوراً أساسياً ومحورياً في بلورة عوامل التحالف القبلي بمنطقة وادي نون عبر مختلف مراحل تطور هذه الاتحادية التي مرت منها الفصائل والمداشر بعضها ببعض. الملاحظ هنا هو أن تايسا تتميز عن سلسلة جبال گير بعدم وجود مساحات هامة من أكناري الذي يستقطب الأفراگ المصيفة من سكان المداشر.

انظر مواد أكاوس وأسرسي وتيغمرت والتوبيبج وتغاط بالعلمة :

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، دار عكاظ، 1988.

M. Naïmi, *Cinétique des leffs, fléxibilité et mobilité sociale*, étude inédite.

مصطفى ناعمي

تايمز أوف موروكو *(The Times of Morocco)*، (أزمنة المغرب) أول جريدة صدرت باللغة الإنكليزية بالمغرب. أسسها بطنجة الكاتب والصحفي البريطاني إدوارد ميكن Edward Meakin في 5 يوليوز سنة 1884. نصبت الجريدة نفسها تحت إدارة إدوارد ميكن ونجله بودجيت Budgett Meakin مدافعة عن مصالح الجالية الإنكليزية بالمغرب، دون أن يجعلها ذلك مسايرة للسياسة الرسمية البريطانية. وعندما طرحت قضية الصحافة الأجنبية بإقدام المخزن على طلب منع صدورها بطنجة، كانت *تايمز ـ أوف ـ موروكو* قد انفردت بموقف يبرئ ساحة المخزن وينحى باللوم على مفوضيات أوروبية تعمل في الخفاء على إطفاء شعلة الصحافة المستقلة. ومن جهة أخرى، لم تتردد *تايمز ـ أوف ـ موروكو* في التنديد بالشطط الذي يسفر عنه نظام الحمايات والحيف الذي يلحق المستضعفين نتيجة ذلك.

لم تلبث جريدة ميكن أن دفعت ثمن نزعتها الاستقلالية عندما رفضت مطبعة أبرينس Abrines، تحت ضغط المفوضية الإنكليزية، الاستمرار في إصدارها (صيف سنة 1885) فتعثرت الجريدة من جراء ذلك ولم تتدارك الموقف إلا بإنشائها لمطبعة خاصة بها (يناير سنة 1886).

تمكنت إدارة *تايمز ـ أوف ـ موروكو* في ماي سنة 1889، من إصدار صحيفة *المغرب* التي تعتبر أول جريدة صدرت باللغة العربية في المغرب، وبذلك كانت *تايمز أوف موروكو* سباقة إلى الاهتمام بالقراء المغاربة في وقت تكاثرت فيه بطنجة الصحف بلغات أجنبية مختلفة. ومن جهة أخرى، اعتنت الجريدة على صفحاتها بتلقين بعض مبادئ اللغة العربية لأفراد الجاليات الأجنبية المقيمة بالمغرب.

استطاعت الجريدة أن تحافظ على استقلالها حتى سنة 1893 عندما اضطرت إدارتها، تحت وطأة مشاكل مادية مستعصية، إلى بيعها للناشر "أبرينس" الذي تولى أمرها فأدمجها مع صحيفته *Al Maghreb al Aksa (المغرب الأقصى)*.

ج. بيضا، *قضية الجوازيط الأجنبية بطنجة خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر*، مجلة *دار النيابة* (طنجة)، ع. 18، ربيع 1988.

B. Meakin, *The Moorish Empire : A historical epitome*, London, 1899 ; J.-L. Miège, *Journaux et journalistes à Tanger au XIXème siècle*, *Hesp.*, 1er sem. 1954, p. 1991 - 228.

جامع بيضا

التبادل (أنثروبولوجيا)، لعل مما يتشكل منه نسيج المجتمع المغربي ما يجمع بين الأفراد والجماعات من علاقات تبادلية مكثفة، غلب عليها تارة الطابع الاقتصادي، وأخذت تارة أخرى أبعاداً شمولية. لقد عمد المغاربة منذ أزمان بعيدة إلى تنظيم مبادلاتهم إما وفق نموذج تماثلي مستند إلى العطاء المضاد، أو نموذج مركزي ينهض بموجبه مركز معين بإعادة توزيع ما تلقاه من هبات ومداخيل، أو نموذج الاكتفاء الذاتي المتمثل في التبادل القائم بين مختلف أطراف الوحدة المنزلية. إن كل هذه المبادئ التي نظمت الإنتاج والتبادل في المجتمع المغربي ـ أو على الأقل اثنين منها ـ كثيراً ما تعايشت في نفس المجال الاجتماعي، وإن كان أحدها هو الذي ينفرد دائماً بالسيادة على المبادئ الأخرى.

لقد سادت العلاقات التبادلية بين طرفين أو حليفين بصفة خاصة في المجالات الاجتماعية التي عرفت مساواتية نسبية فيما بين أوضاع الأفراد والجماعات ؛ أما المبادلات المتمحورة حول مركز قائم فوجدت بالأساس حيث برزت سلطة قائدية أو إقطاعية ؛ بينما التبادل في نطاق الوحدة المنزلية اقتضته في آن واحد متطلبات الاستمرار الاجتماعي وشروط الإنتاج الاقتصادي.

لقد شكل فعل العطاء ورد العطاء وقبوله ممارسة عبّر بها المغاربة تجاه الطرف الآخر عن مودتهم وصداقتهم

وتحالفهم. وظفوا هذا المنطق في تبادل الهدايا والخدمات والنساء والدعوات والمناصرة ... سعياً منهم لإقامة أو توطيد علاقات اجتماعية قائمة، وحرصوا، عن طريق رد الهبة بأكثر منها، على ألا تكون عملية التبادل مجرد تصفية لحساب سابق بل منطلقا لمبادلات جديدة.

وعمد سكان القبائل، إما جماعياً أو فُرادى، إلى تقديم الهبات و"الزيارات" لمقدم الزاوية أو لبعض أفراد الأسرة المشرفة عليها، التي تقوم من جهتها بإعادة توزيع تلك المداخيل إما على المعوزين من أعضائها، أو على بعض أتباعها ممن هم في حاجة إلى بذور لحرث أراضيهم أو مساعدات لتحصينها أو ما شابه ذلك. هذا فضلاً عما يمنحه صلحاء الزاوية من حماية رمزية ومساندة وبركة لكل من يلجأ إليها من الزوار بمن فيهم السلطان والمقربون إليه.

لقد شكلت المرأة ولازالت أداة ثمينة للتبادل الاجتماعي. فكلما قبل طرفان متحاربان تزويج إحدى بناتهما لدى الطرف الآخر، نجم عن ذلك - ولو مؤقتاً - جنوحهما إلى السلم وإقامة علاقات صداقة وتحالف بدل التطاحن السابق. إلا أن الزواج قد يعني، في سياق بعض الثقافات الجهوية، كما هو شأن المجتمع الريفي بشمال المغرب، تبادلاً غير متكافئ وإخلالاً بالتوازن بين عائلتين أو جماعتين، ما دامت العائلة المانحة للبنت تعطي في نفس الوقت للعائلة المستقبلة خلفاً ومحاربين محتملين، مما يحمل العائلة الخاسرة في هذا التبادل إلى تعْويض ما أصاب عرضها من مساس باعتماد أساليب عنيفة، سواء في شكلها المادي كالجرح والقتل، أو في شكلها الرمزي كالتفوق الخطابي ومنح الهبة التي يعجز الخصم عن ردها. وهذا يجرنا إلى إبراز شكل آخر من أشكال التبادل ألا وهو تبادل العنف.

أبرز ريمون جاموس Raymond Jamous دواعي وأبعاد هذا التبادل في المجتمع الريفي عند أوائل القرن العشرين حيث كان حدوثه ناجما بالأساس عن الدفاع أو عن الهجوم على ما كان يُعتبر من ضمن المحرمات التي لايحق المساس بها كالمرأة أو الدار أو الحقل، بحيث صار المجتمع الريفي، حسب هذا المؤلف، حلبة لتبادل التحديات، وموجات مستمرة من الهجوم والهجوم المضاد، لا يلطف من حدتها مؤقتاً سوى التوسط السلمي للصلحاء. وعلى خلاف ما يتميز به تبادل الهبات والنساء من عجز عن تجاوز اللاتوازن الذي ينجم عنه، يسمح تبادل العنف في صورته القصوى، أي القتل، بتحقيق نوع من التوازن بين الطرفين المتصارعين.

على أن المؤسسة التي تجسد أكثر من غيرها عملية التبادل وتحتضن مجمل أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والرمزية هي بلا منازع مؤسسة السوق التي تشكل، في المجتمع المغربي، إحدى أبرز لحظات التفاعل والترابط بين الأفراد.

إن ما يجري في نطاق السوق من ممارسات لا ينحصر في البيع والشراء، بل يتعدى ذلك إلى فض الخصومات، والتعبير عن موقف جماعي، وبلورة مشاريع الزواج، إضافة إلى تبادل التحيات والخدمات والاستدعاءات والأخبار. إنه المجال الذي يجسد بامتياز مجمل العلاقات والسيرورات التي يتميز بها المجتمع بصفة عامة.

إن المدة الزمنية التي يقضيها الإنسان القروي المغربي في السوق تتراوح عموماً ما بين خمسة وأربعين وخمسة وسبعين يوما في السنة ؛ وارتياد أكثر من سوق واحدة في الأسبوع سلوك شائع في الوسط القروي. ومع التعقد المتزايد لتقسيم العمل تكاثرت الأشغال التي تدفع الأفراد إلى ارتياد السوق لذا تشعبت أغراضهم ومقاصدهم. إلا أنهم جميعاً، بائعون ومشترون، منتجون ومستهلكون، يندرجون ضمن خانة "السواق"أو "السواقة" بصيغة الجمع. إن هذا التعبير الدارج لا يميّز بين عمليتي البيع والشراء، بل يطرحهما وكأنهما وجهان مختلفان لنفس النشاط وعنصران لا يتميزان عن بعضهما باختلاف في المهنة أو مهارة في المساومة وإنما فقط بالتركيز على غاية خاصة.

إن الأفراد الحاضرين في السوق يميلون مع ذلك إلى خلق صلات متكررة فيما بينهم يتبادلون عبرها المنتوجات والخدمات، بحيث تنشأ علاقات زبونية بين مجموعات من البائعين والمشترين، ويصبح تعامل "السوق" من جراء ذلك قائماً على أساس الانتقاء والألفة والمعرفة. ولعل من مبررات صغر حجم المعروضات التجارية الرغبة في الحفاظ على صلات مباشرة بين الطرفين، مع ما يرتبط بها من عناية خاصة وتوثيق للروابط الشخصية. وتعتمد بالإضافة لذلك المساومة من جهة لتزيح عن جودة السلعة وثمنها ما يعتريهما من شكوك وتقيم على أنقاضها جواً من الثقة قابلاً لأن يصبح علاقة زبونية قارة، ومن جهة أخرى لتسمح للبائع أن يميّز بين الزبون الجدير بالثقة وغير الجدير بها.

والملاحظ أيضاً أن التبادل في المجتمع القروي كثيراً ما يأخذ شكل المقايضة. نلمس ذلك عندما يعتبر الفلاح أن بعض منتجاته المنزلية كالعسل والزبدة والجبن مثلاً "فائضة" لديه، فيعمد إلى بيعها في السوق بقصد شراء مواد يعتبرها ضرورية أكثر لإشباع حاجيات أسرته ؛ أو عندما يعمد، بعد الحصاد مباشرة، إلى شراء خيل ليبيعها بعد ذلك مع بداية فترة الحرث وظهور البوادر الأولى لمصاعب إيجاد الغذاء للماشية، ساعياً من وراء ذلك توظيف هذا التوفير المؤقت في مجرى الدورة الفلاحية الجديدة.

على أن أهم تحول حصل في هذا المجال اتساع نطاق وتأثير السوق الذي انتقل من مجرد عنصر تابع للمجتمع وعاكس لمقتضياته إلى مؤسسة تشعب وجودها وامتد منطقها إلى مجالات شتى في الحياة الاجتماعية، بحيث أصبح، أكثر من أي وقت مضى، هو النموذج المرجعي السائد في تحديد أشكال التبادل الاقتصادي والاجتماعي، والنسق المؤثر في التنظيم الكلي للمجتمع. مما أضعف ما كان يستند إليه التبادل من عفوية وصدق وسمعة وتعارف

شخصي، ليصبح العَقْد هو البديل عن تقلص الثقة، ويصير التفاوض المسبق حول شروطه هو التعبير الجلي عن الحذر المتبادل واختلال التواصل الإنساني بين المتعاقدين.

ديل إيكلمان، *الإسلام في المغرب* (1)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1989.

C. Geertz, *Suq : the bazar economy in Sefrou, Meaning and order in Moroccan society*, Cambridge, USA, 1979 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka*, Paris, 1981 ; P. Pascon, *La Maison d'Hgih*, Rabat, 1984 ; J.-F. Troin, *Les souks marocains*, Aix-En-Provence, 1975.

المختار الهراس

التبّاع، عبد العزيز، عالم صوفي، قيل "إن سلفه كانوا يهوداً"، (*تحفة*، 1 : 453) دون تحديد لدرجة هذا السلف في سلسلة نسبه. كما لا نعلم عن والده سوى أن اسمه عبد الحق. وهذا يعني أن المترجم له كان وراء شهرة عائلته وسلفه وليس العكس، بحيث لم يرث عنهم لا مجداً ولا علماً بل ولا اسماً عائلياً شهيراً. فهو أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق المراكشي المعروف بالحرّار، نسبة إلى صناعة الحرير، "إذ كانت حرفته في أول أمره" (*دوحة*، 136).

ويبدو أنه درس وتعلم بمراكش. وقد بلغ في هذا المجال مستوى جعل كتاب التراجم يصفونه "بالشيخ العالم" (*ممتع*، 29)، هذا قبل أن تنزع همته إلى الانخراط في طريق القوم الصوفية. وفي هذا الصدد تذكر كتب التراجم أنه صحب الشيخ الشهير محمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الجزولية الشاذلية. بل، وتجعل منه وارث حاله، وخليفته في الطريقة "وشيخ المشايخ فيها" (*دوحة*، 136. 137 ؛ *ممتع*، 29. 30).

ومرد هذه المكانة التي حظي بها أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق الحرار، دون سائر رفاقه من مريدي الشيخ الجزولي، إلى حيويته ونشاطه الملحوظ في نشر مبادئ الطريقة الجزولية، "حتى إن أكثر الجزوليين ينتسبون إليه". (*ممتع*، 29. 30). ومن ثم، لا عجب إذا اشتهر هذا الشيخ باسم : عبد العزيز التباع، لكثرة أتباعه في الطريقة الجزولية (*ممتع*، 29) ولا عجب أيضا إذا سمّى محمد المهدي الفاسي كتابه الشهير "*ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع*".

وفي هذا الإطار، يلاحظ أن الشيخ التباع أولى عناية خاصة لنشر التصوف الجزولي في الأقاليم المغربية الشمالية وعلى رأسها مدينة فاس عاصمة بني وطاس زمنئذ، وحجتنا على ذلك، الزيارة التي قام بها الشيخ التباع إلى فاس قبيل نهاية القرن الخامس عشر (9 هـ)، حيث استقبل بحفاوة من قبل أهالي المدينة، حتى إنهم ألحوا عليه كي يقيم بمدينتهم (*ممتع*، 46. 47).

وإذا لم يستطع التباع تلبية رغبة الفاسيين، فقد كان لزيارته أثرهاالكبير والمباشر في تركيز النفوذ الجزولي بحاضرة المولى إدريس. فخلال تلك الزيارة عين بفاس خليفة له، وهو الشيخ علي بن محمد صالح الأندلسي الفاسي (ت. 903 / 1494) (*سلوة*، 2 : 208). وقد كان لهذا التعيين أثره في توسيع النفوذ الصوفي الجزولي بفاس وشمال البلاد عموما بعد انتشاره في الجنوب زمن الشيخ الجزولي نفسه ولا غرو، فقد أصبحت زاوية علي بن محمد صالح المذكور والتي أسسها بحومة وادي الزيتون بعدوة الأندلس من فاس، المقر الأول والرسمي لتجمع وتربية مريدي الطريقة الجزولية من أبناء فاس (*سلوة*، 2 : 213. 214).

وفضلا عن فاس، استعان الشيخ التباع بمريديه في نشر أو إعادة نشر الطريقة المذكورة بشتى نواحي البلاد مركزاً على المناطق الشمالية كما ذكرنا. وفيما يلي لائحة بأسماء أشهر مريدي الشيخ التباع معززة بأمكنة الزوايا التي أقاموها بإذنه (*الأولياء*، 1 : 141. 144).

- الشيخ عبد الله الغزواني المعروف بمول القصور، دفين مراكش. ،هو خليفة التباع في الطريقة الجزولية.
- الشيخ عبد الكريم بن عمر الحاحي المعروف بالفلاح، دفين مراكش.
- الشيخ أحمد الأمين بن قاسم القسطلي، دفين مراكش.
- الشيخ أبو السداد الغازي، دفين مراكش.
- الشيخ أبو العزم رحال البدالي المعروف بالكوش، دفين أغماي بحوز مراكش.
- الشيخ أبو الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي الفاسي نزيل فاس وخليفة شيخه بها.
- الشيخ أبو عثمان سعيد الداعي الدغوغي، دفين مدشر المقرمدة على وادي إيناون من حوز فاس.
- الشيخ أبو يشو مالك بن خدة الصبيحي، نزيل حوز فاس ناحية الأوداية.
- الشيخ أبو السرور عياد بن يعقوب الفرجي الدكالي (والد عبد الرحمن المجذوب)، دفين الربوة التي فوق القنطرة بالمهدومة بين فاس ومكناس.
- الشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدي المعروف بالهادي بنعيسى، دفين مكناس.
- الشيخ أبو حفص عمر الخطاب، دفين جبل زرهون.
- الشيخ أبو القاسم بن محمد بن عمر الزعري الجابري، دفين دير تادلا ببلاد ورديغة.
- الشيخ أبو عثمان سعيد أمسناو، دفين الصومعة بتادلا.
- الشيخ أبو عبد الله محمد بن داود البوزيري الشاوي، دفين أگرض بتادلا.
- الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم، دفين أگرض بتادلا.
- الشيخ إبراهيم الهراوي الصومعي، دفين الصومعة بتادلا.
- الشيخ أبو القرينات، دفين طريق أبي يعزى بتادلا.
- الشيخ أبو عثمان سعيد بن أحمد الدلائي، دفين الدلاء بالأطلس المتوسط.
- الشيخ أبو الحسن علي بن موسى البوخصيبي، نزيل

موضع تيزغوين ببلاد أزغار بالغرب.

- الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علال البوخصيبي العمري، وراث والده في زاويته الواقعة بموضع تيزغوين ببلاد أزغار، وضريحه بفاس.

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور المصباحي السفياني، دفين جزيرة البسابس ببلاد الخلط بالغرب.

- الشيخ أبو عثمان سعيد بن السائح المالكي دفين المرجومة من بلاد أزغار بالغرب.

- الشيخ أبو عبد الله محمد بن الزبير المصباحي، دفين القصر الكبير.

- الشيخ أبو عثمان سعيد بن عبد المنعم الحاحي، دفين أيت داود بحاحا.

- الشيخ أبو عبد الله محمد كانون المطاعي، دفين أولاد مطاع ببلاد عبدة.

- الشيخ أحمد أوموسى السملالي، دفين تازروالت بسملالة سوس الأقصى.

هؤلاء هم مشاهير مريدي الشيخ التباع، بل أكثر أولياء مغرب العصر الحديث شهرة على الإطلاق، والذين كانوا وراء مبادئ شيخهم التباع في شتى نواحي البلاد، تلك المبادئ التي لا تختلف في شيء عن أصول الطريقة الجزولية، كما وضعها شيخها وشيخ التباع محمد بن سليمان الجزولي.

ويمكن تلخيص تلك المبادئ في النقط التالية :

- التوبة النصوح على النهج الجزولي من خلال تطبيق الطقوس المرتبطة بقبول التائب مريداً في الطريقة مثل قص شعر التائب والاغتسال... وما شاكل ذلك من الشعائر الصوفية العامة أو الخاصة بالطريقة الجزولية في هذا المقام.

- الاقتداء بشيخ عالم بالظاهر والباطن.

- مجاهدة النفس بقصد تحقيق القرب من الله.

- الالتزام بذكر الأحزاب الشاذلية عموماً والجزولية خصوصاً وبالأخص الإكثار من الصلاة على النبي (ص). وذلك كله في أوقات معينة وبأعداد محددة، مع مراعاته آداب وتقنيات الذكر في الحضرة الجزولية من تلحين ومناوبة.

- اتخاذ شارات خارجية مميزة يعبر عنها "بثياب الفقراء"، وهي في مجملها مرقعة وعكاز أو عصا وسبحة، الهدف منها تميز الطائفة عن غيرها وتحقيق التواصل بين أفراد الطائفة نفسها.

- وفوق هذا وذاك الالتزام بالكتاب السنة في العقيدة والسلوك (*التصوف*، 152. 153).

نريد القول إن الشيخ التباع - وهو وارث حال شيخه الجزولي - حرص على تبليغ الطريقة الجزولية في حلتها التقليدية البسيطة دون تعقيد ولا إضافات، لأن قصده الأساسي كان هو نشر وإعادة نشر الطريقة الجزولية وعلى نطاق واسع، لا سيما في المناطق الشمالية، كما لاحظنا.

وفي سبيل الغاية نفسها، يبدو أن الشيخ التباع استغل بنجاح قيام نظام جديد بمملكة فاس (والمغرب عامة) بقيادة بني وطاس، على أنقاض حكم بني مرين، خصوم زعيم الجزوليين، لتدعيم موقف الطائفة التباعية صوفيا وسياسيا أيضا في البلاد، سواء في الجنوب أو الشمال، لاسيما وأن مؤسس الدولة الجديدة، محمد الشيخ الوطاسي (1471. 1505) وعلى عكس بني مرين الأواخر، أبدى رغبة ملحاحة في التعاون مع أولياء البلاد وصوفيتها قاطبة، بل وتحقق له ذلك فعلا كما حدث في معارك الجهاد ضد الغزو الإيبيري وفي تسيير شؤون الأقاليم، وهذا التعاون استحق عليه الأولياء ظهائر إنعام وتوقير وإعفاء من الضرائب من لدن محمد الشيخ الوطاسي (*الأولياء*، 1 : 556. 560).

وإذا علمنا هذا، أدركنا الآن كيف دخلت الجزولية التباعية مدينة فاس وبصفة رسمية خلال فترة حكم السلطان المذكور بالذات (1471. 1505 م) وبالضبط بين 1471 و1498م، وأدركنا بالتالي لماذا زار التباع بنفسه العاصمة الوطاسية، وكيف استقبل فيها بترحاب كبير، كما رأينا. بل يخيل إلينا أن قدوم زعيم الأولياء الجزوليين إلى فاس "بعد أن غمر ذكره الجنوب" (*المعسول*، 12 : 8) وتنصيبه لمثل عنه في عقر دار بني وطاس، ما كان ليتم بتلك الصورة لولا موافقة السلطان الوطاسي. هذا إذا لم نقل بأن السلطان نفسه قد مهد السبيل إلى ذلك كله، بعد أن طال انتظار الجزوليين رفاق التباع في طريق القوم في البوادي والمدن المجاورة لعاصمة الشمال منذ أيام بني مرين، كتأكيد على رغبته في التعاون مع أولياء وصوفية البلاد وعلى رأسهم أتباع الطريقة الجزولية وشيخها عبد العزيز التباع، سيما وأن الدولة الوطاسية في بدايتها وكان عليها مواجهة مشاكل جمة على رأسها الغزو الايبيري للمغرب وتشتت وحدة البلاد.

وهكذا، إذا كان الشيخ محمد بن سليمان الجزولي هو مؤسس الطريقة الشهيرة باسمه وواضع أصول مبادئها، فالأكيد أن الشيخ عبد العزيز بن عبد الحق التباع هو "داعيتها الأول" وناشر تلك المبادئ، فاستحق بذلك لقب "الخليفة" في هذه الطريقة الجزولية. هذا وقد توفي الشيخ عبد العزيز التباع سنة 914 / 1509، ودفن بمراكش، وقبره بها مشهور.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط 1396 / 1976 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، طبعة حجرية بفاس، 1313 / 1896 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ج. 2، طبعة حجرية بفاس، 1318 / 1900 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 12 ؛ ع. الشاذلي، *التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري*، البيضاء 1989 ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن 16 م*، رسالة لنيل د. د. العليا في التاريخ، 1988، مرقونة بخزانة الآداب بفاس.

أحمد الوارث

التيّانين (جامع -) من جوامع مدينة سبتة الإسلامية. ذكره الأنصاري عند حديثة عن مقبرة الربض الأسفل من

المدينة. في صحن الجامع قبران أحدهما لأبي الربيع سليمان بن سبع العجميني، صاحب كتاب *شفاء الصدور*، وثانيهما لأبي عبد الله بن حرزوزة، أحد الشهداء. يعد الجامع من مساجد المدينة الكبرى.

م. الانصاري، *اختصار الأخبار*، ص. 22.

زليخة بنرمضان

التّبّين، أبو محمد عبد القادر بن محمد الاندلسي القرشي العثماني.

انتقل جده أبو عبد الله القرشي العثماني من المشرق إلى الأندلس عام 126 هـ في العقود الأولى للفتح الإسلامي. واستوطن قرطبة إلى أن توفي بها، وفي القرن الرابع انتقلت أسرته إلى غرناطة بعد الفتنة، وولد الشيخ عبد القادر بها ودرس وتعلم، وتأثل والده الفقيه الشيخ محمد أموالا بها وبقرطبة والجزيرة الخضراء وسبتة.

وفي سنة 540 هـ انتقل عبد القادر إلى سبتة، وبها لقي الشيخ أبا عبد الله الفخار (يسميه العامة بتطوان سيدي عبد الله الفخار، ومازال ضريحه معروفا بها إلى الآن قريبا من ضريح صاحبه التبّين المترجم له) واصطحبا وخرجا في سياحة يرتادان موضعا صالحا للعبادة والانقطاع حتى بلغا تطوان، فوجداها عامرة بالأجنة والبساتين والمياه، فاختارا موضعا منها هو المسمى الآن (قاع الحافة) و(المنجرة). وبهذا الحي يقع مسجده العتيق المسمى (للاّ افْريجة) ولعله سمي بذلك للفرجة التي به لإشرافه على مزارع كيتان وبسيط مرتيل إلى البحر ولكونه يحتل رَبوة، وبقرب مسجد السوق، ومازال يسمى السويقة. وبهذا الحي عدة أفران قديمة وأرحاء لطحن الحبوب، تأخر وجودها إلى أواخر عهد الحماية.

وبعد نزول الشيخين بهذا المكان قصدهما الناس وبنوا الدور واتسع العمران وذكروا أن الشيخ أخذ بقرطبة عن أبي الوليد ابن رشد الجد وابن الفخار القرطبي وأبي علي الصدفي وطبقتهم والأموي السبتي كما أنه رافق القاضي عياض والمفسر ابن عطية في الطلب. وأنه جرت بينه وبين القاضي أبي بكر ابن العربي مناظرات في عدة علوم كما جرت بينه وبين أبي حامد الغزالي مراسلات، والله أعلم بذلك.

ألف التّبين كتبا في الحديث والفقه والتاريخ والأنساب، منها :

اختصار الصحيحين : البخاري ومسلم وسماه : *حسن التبيين* ؛ كتاب في *قواعد الإسلام* ؛ *منهاج السلوك فيمن حل بالدنيا من الملوك* ؛ *درة الأحساب فيمن حل بالأندلس من ذوي الأنساب* ؛ *وتنقيح الأفكار، في معرفة رجال الآثار*.

وفي ترجمة الشيخ التبين وصاحبه الفخار ألف بعض تلاميذهما : *نزهة الأفكار، وحلة الأبرار في مناقب الشيخ عبد القادر وشيخه الفخار*. أقول : والتاريخ محتمل لكل هذا إلا أن هذه الكتب لم يبق لها عين ولا أثر، ولم نقف حتى على من سماها إلا ما ورد في أوراق عتيقة وجدت عند بعض حفدة الشيخ كانت معتمد كل من ترجم للشيخين من أهل تطوان وغيرهم. وقد يتساءل المرء : إذا كان الشيخ عبد القادر بهذه المثابة فَلِمَ لَم يذكر في تواريخ الأندلس ولم يقصد للأخذ والاستجازة، ولم يشتهر بالعلم بل ولم يذكر حتى اسمه في الفهارس والأثبات ؟ والجواب : أن للشيخ وصاحبه نظراء كثيرين طواهم الإهمال، وعفى على ذكرهم الزمان، نقف أمام أسمائهم حيارى أو نردد اسم بعض آثارهم دون أن نعرف عينها متأسفين على ما جره الجهل أو التفريط وربما كان لاعتزال الشيخ وصاحبه للعبادة وانحياشهما عن الخلق للحق وتنكبهما في الهجرة حواضر المغرب المزدهرة بالعلم العامرة بأهله كفاس وسلا وغيرهما، يد في اندثار آثارهما العلمية وسمعتهما وأخبارهما في هذا الباب خصوصا مترجمنا التبين.

وقد كان له رحمه الله عقب بتطوان عرف بعضهم بالعلم والعدالة كالفقيه السيد عبد العزيز التبّين المتوفي في 21 ربيع النبوي عام 1192 هـ.

وضريح الشيخ مشهور بتطوان. وعليه قبة بناها السلطان اليزيد في حدود سنة 1204 لما ورد تطوان مبايَعاً.

توفي بتطوان عام 566 / 1170.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، (4 : 34 ؛ 5 : 138)، ((نسخة مخطوطة خاصة) ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* (1 / 72 - 75. 167).

محمد بوخبزة

التبر، لعبت هذه المادة النفيسة دوراً بارزاً في التقلبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها منطقة شمال إفريقيا عموماً، المغرب بصفة خاصة، عبر تاريخه الطويل، فقد وردت أولى الإشارات عن الذهب في تجارة المقايضة بين الفينيقيين وسكان المغرب في القديم (*Histoire du Maroc*) إلا أن تحكمها في تاريخ البلاد ازداد حدة في العصر الوسيط وما بعده (كل المصادر الوسيطية أشارت إلى جلب المغرب للتبر من بلاد السودان). فتدفق التبر على المنطقة كان يعني قوة الدولة وتحكمها في الاوضاع الداخلية بإغداق العطاءات على الجند وأعوان المخزن، وقلة تدفقه أو اضطراب وصوله بانتظام، كان يعني بداية متاعب السلطة الحاكمة ثم التعجيل بزوالها إذا انضافت عوامل أخرى.

مصدر التبر كان بلاد السودان أو ما يعرف حاليا بافريقيا الغربية جنوب الصحراء، والتعرف على التبر تم بشكل ساذج. فالإدريسي (*نزهة المشتاق*، 26) يقول : "كانوا (أهل السودان) يتجولون في الليالي التي يضعف فيها ضوء القمر، ويعلمون على المواضع التي يرون فيها شيئاً مضيئاً علامة يعرفونها، ويبيتون هناك فإذا أصبحوا حملوا كوام الرمل التي علموا عليها ومضوا بها إلى آبار هناك فغسلوها بالماء واستخرجوا التبر ..."

ويبدو من المصادر نفسها أن السودانيين كانوا يستخرجونه بكميات كبيرة، وعليه كان يعول صغيرهم

وكبيرهم حسب تعبير الإدريسي، وهذا ما أكده الحسن الوزان بعد أزيد من أربعة قرون تفصله عن زمن الإدريسي، إذ أشار إلى أن السودانيين يأتون إلى سوق كاغو محملين بالذهب وعددهم لا يحصى ـ حسب تعبيره ـ فيعودون بنصف كمية الذهب أو ثلثه لأنهم لا يجدون ما يشترون بها، كما تتجلى وفرته عندهم في الكميات الكبيرة التي كانوا يدفعونها منه في مقابل بضائع رخيصة في أماكنها عادة. وأكبر دليل نجده في تبادل التبر بالملح، فمناجم تغازى للملح شهدت قريتها تبادل القناطر المقنطرة من التبر رغم حقارتها ـ حسب تعبير المؤرخين ـ فالملح كانت أحياناً تباع بالتبر وزناً بوزن. بل إنها أحياناً تفوقه قيمة لدرجة أنها اتخذت عملة في بعض المناطق (*المغرب*، 160) لكن هذه الوفرة الزائدة عن الحد ـ كما تبدو لنا اليوم ـ لا تعني أن التبر كان معروضاً على السطح ومباحا للجميع، فالندرة مثلاً خاصة بملوك المنطقة ولا يحق لغيرهم حيازتها، كما أن التبر خاص بفئة معينة من السودانيين (الأعيان) الذين يتاجرون فيه وبه ويسخرون العبيد وباقي السكان لجلبه. ويبدو أن فترة ازدهار استخراج التبر في السودان ترجع إلى العصر الوسيط الأوسط والأدنى ويتوافق ذلك والعوامل التالية :

1 ـ توفر التبر على السطح وفي المناجم السهلة الاستخراج.

2 ـ ارتباط السودان بشمال افريقيا عن طريق التبادل التجاري.

3 ـ توفر الأمن والاستقرار في طرق القوافل وفي الاسواق وأماكن التبادل (العهد المرابطي والموحدي والمريني الأول) وبصفة أقل بعده.

4 ـ ظهور كيانات سياسية في المنطقة. (مملكة مالي ومملكة سنغاي وغان ...).

5 ـ تعزيز الروابط التجارية عن طريق علاقات دبلوماسية مع المرينيين (النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14 م) وما بعده.

تراجع الانتاج والرواج بعد ذلك لفقدان عاملين مهمين من العوامل المسطرة أعلاه : قلة المناجم السطحية وانعدام الامن في الطرقات والأسواق.

كانت أبواب دخول هذا المعدن النفيس إلى المغرب على التخوم الصحراوية، وهي حسب أهميتها والدور الذي لعبته في اقتصاد المغرب : سجلماسة وتامْدُولْتْ ونول. ضعفت أو اندثرت (في العهد المريني الأخير) لتحل محلها مدن وأبواب أخرى في نفس المنطقة، وكان التبادل في معظم العصر الوسيط يتم بالتبر خاماً، وفي العصر الوسيط الأدني بدأت سبائك الذهب ومسكوكاته تحل محل التبر الخام دون أن تلغيه (*التشوف*، 275 ؛ *وصف افريقيا*، 2 : 166) وفي نفس الوقت قلت المسكوكات الذهبية.

استفادت الدولة الإدريسية والدول التي تعاقبت على حكم المغرب من تبر السودان فضربت بعض نقودها من الذهب (المثقال والدينار ...) ويتتبعنا ودراستنا للعملة ودور السكة نستطيع أن نخرج ببعض الاستنتاجات الأولية منها :

ـ ارتبط العصر الذهبي في كثير من هذه الدول بالتبر السوداني الذي بلغ تدفقه على المغرب ورواج النقود الذهبية فيه أوجه (العصران المرابطي والموحدي والعهد المريني الأول) ليضطرب بعد ذلك (العهد الوطاسي، السعدي، وإمارات الزوايا) باستثناء فترة قصيرة تم فيها استرجاع تدفق الذهب السوداني بكيفية أكبر (فترة أحمدالمنصور الذهبي الذي تدخل في المنطقة).

أدى عدم الاستقرار وضعف الدول وانعدام الأمن إلى تدهور دور السكة وإغلاق الكثير منها لتوقف تدفق الذهب، وعدم استغلال مناجم الفضة والنحاس وضعف التبادل التجاري أو توقفه، أدى بالتالي إلى تحول تدفق التبر السوداني نحو جهات أخرى.

ارتبط العصر الذهبي المشار إليه أعلاه أساساً بعامل الطرق التجارية في العهود المذكورة، فقد بلغ الانتاج الفلاحي والصناعي في المغرب آنذاك نمواً لا يستهان به جعل التبادل معه من طرف السودانيين مسألة لا مفر منها.

ـ سهل وصول قبيلة لمتونة (من عصبة صنهاجة الصحراء) إلى الحكم مهمة تنقل الأشخاص والبضائع من السودان وإليه.

استطاع الموحدون بعدهم توحيد المغرب الإسلامي تحت حكمهم، وتقدم الانتاج الفلاحي والصناعي أكثر، فاحتووا بذلك كل المسالك التجارية وطرق التبر المتوجهة نحو شمال افريقيا، والأندلس (قلة دور السكة عندهم في المغرب حسب دراسة (أوستاش D. Eustache, *H.T.* XI, 1970) لا تعني قلة تداول العملة بل العكس. أما دور السكة فكانت موزعة على الامبراطورية في عهدهم.

ـ استمر تدفق التبر بشكل أقل في العهد المريني الأول، وقد كانت القوافل التجارية الخاصة بالسلاطين المرينيين أو بشركائهم من التجار نشيطة، وتعزز هذا النشاط التجاري بإقامة روابط ودية بينهم وبين ملوك السودان (*الاستقصا*، ج 3 : بنو مرين). لكن العملة الذهبية توقفت مع أبي الحسن المريني وابنه أبي عنان (*الاستقصا*، ج 3 : بنو مرين). لم تكتف الدولة التي أتت بعد المرينيين بالعلاقات الدبلوماسية ـ فالسودانيون أصبحت لهم ارتباطات مع المشرق أكثر من المغرب ـ ولم تكتف بالوسائل التجارية ـ لانعدام الأمن في الطرقات، مما أدى إلى تحول تلك التدفقات من التبر إلى الشرق ـ فقام أحمد المنصور بالاستحواذ على أهم منجم ومركز للتبادل (ملح تغازى) ثم احتل مصادر التبر ببلاد السودان مباشرة. لكن محاولات أحفاده وأمراء الزوايا كانت متواضعة وداخلة في إطار تنافسي بين الكيانات السياسية التي تقاسمت المغرب من جهة وبينهما وبين الدول الأوربية والأتراك من جهة ثانية. وفي فترة تالية نجد تيار التبر يميل نحو الغرب وبالذات

نحو الجنوب الغربي من المغرب فتصبح إيليغ عاصمة له بدل منطقة تافيلالت التي لم تسترد دور سجلماسة القديم في جلب التبر إلا مع بداية العلويين (*تاريخ الضعيف*، ج 3، ص 4 مرقون)، ولم يكتف المولى إسماعيل بوصول القوافل التجارية المحملة بالتبر صدفة، بل حاول احتلال مفترق الطرق، الذي تتجمع فيه القوافل الآتية من السودان والمتجهة نحو المغارب (توات) واستطاع تحويل تيار تدفق التبر في عهده إلى المغرب.

استمر هذا التيار في التأرجح بعد ذلك تارة نحو المغرب أو منطقة منه وتارة نحو الشرق، إلا أن المؤكد هو تضاؤل الكميات الواصلة منه إلى المغرب، فحتى بداية القرن العشرين، بل وفي نصفه الأول، كان الكثير من أعيان واحات الجنوب وخاصة اليهود منهم ـ منطقة درعة ـ يجهزون قوافل إلى السودان لمحاولة التقاط بقايا التبر أو المكسور من سبائك الذهب وحلي السودانيات مقابل بضائع في معظمها مصنوعات جديدة مستوردة (D.J. Meunier, *Le Maroc Saharien*).

هذا التدفق للذهب السوداني على المغرب لم يفده كثيراً، إذ كان مجرد قنطرة عبر منها إلى أوربا بأشكال وطرق متعددة منها : المعاهدات الجائرة ـ والتهريب، والمبادلات غير المتكافئة، ومقتنيات الأعيان والخاصة من البضائع الأوربية إلى غير ذلك من الوسائل التي أفرغت المغرب من هذا المعدن النفيس منذ أن بدأ اقتصاد أوربا يتطور، حتى إذا نضب معين السودان بدأ يعوضه معين العالم الجديد.

البكري، *المغرب*، 1911، 1965 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ التادلي، *التشوف* ؛ ابن سعيد المغربي، *بسط الأرض* ؛ الحميري، *الروض المعطار* ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، 1924 ؛ م. ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة* ؛ الحـ ـن الوزان، *وصف افريقيا*، 1980.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; J. Meunier, *Le Maroc Saharien...*, 1982, n° 17, 1970, pp. 71 - 108 ; B. Rosenberger, *Les anciennes exploitations minières..., R.G.M.* ; D. Eustache, *Les ateliers monetaires du Maroc, H.T.*, VXI 1970 ; B. Boutaleb [et al...], *L'histoire du Maroc*, 1967.

محمد حجاج طويل

التّهر، أسرة إدريسية شريفة يتصل نسبها بإدريس الأزهر مؤسس مدينة فاس عن طريق ابنه عبد الله الذي تولى إمارة مدينة أغمات وبلاد نفيس والمصامدة ودكالة. وأولاد التّبر أبناء عمومة مع العمرانيين غير الجوطيين من أهل الفحص وبني شداد وتالنبوط وغيرهم. وقد ذكرهم إدريس الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 166) وقال إنهم "بفاس قليلون غير أنهم مشهورون بالشرف، وبأيديهم ظهائر عديدة للملوك مراكش السعديين وغيرهم، وقفنا على أعيانها". ويوجد أولاد التبر في مدن مغربية أخرى، وبخاصة مراكش التي استقر بها أحد أفراد هذه الأسرة في مطلع القرن العشرين، وأنجب أبناء وأحفادا يعيشون بها حتى اليوم.

التبر، أحمد بن أبي بكر الحسني الفاسي، صوفي صالح كأبيه آتي الترجمة. توفي بفاس عام 1378 / 58. 1959.

التبر، أبو بكر بن عبد الملك الحسني الفاسي. صوفي كبير، ومرب شهير. سلك طريق القوم على يد العارف الشيخ عمر الصقلي، وهو عمدته. وأخذ عنه عدد من العلماء والصلحاء بفاس وغيرها وتباهوا بالأخذ عنه، حلاه في *إتحاف المطالع* بقوله : "العارف الكامل الواصل الخير الذاكر".

توفي بفاس عشية يوم الخميس قبل أذان المغرب تاسع جمادى الأولى عام 1320 / 14 غشت 1902 ودفن بعد صلاة العشاء بروضة الشيخ ميارة بالدرب الطويل.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1920 ؛ إ. ابن الماحي الادريسي، *وفيات*، ص. 35.

محمد حجي

التهر، الحبيب بن الهادي بن مَحمد الإدريسي المراكشي. ولد عام 1357 / 1938 ودرس بثانوية محمد الخامس بمراكش واشتغل بالتدريس لفترة قصيرة من الزمن (1955 ـ 1956) وقد عرف من بين الطلبة النجباء خلال دراسته وأهّله مستواه العلمي إلى الالتحاق بالمعهد العالي للسينما بباريس حيث قضى به ثلاث سنوات، وبعد تخرجه منه عين بوزارة الأنباء بالرباط بصفته صحافياً مصوراً، فكان من الأطر العليا المتخصصة، وقد انتدب للمشاركة في مؤتمر الصداقة المغربية التشيكية المنعقد في براگ (Prague) في يوليوز 1961، وعند عودته ارتطمت الطائرة "إليوشين" بعمود كهربائي ببوسكورة قرب الدار البيضاء فاشتغلت فيها النيران فاحترق جميع ركابها، وتوفي شهيداً في 12 / 7 / 1961 ودفن بساحة ضريح الامام السهيلي بمراكش.

معرفة شخصية ورواية شفوية.

محمد ماگامان

التهراع، فن شعري حساني. يتميز المجتمع البيضاني الناطق بالحسانية بأنظمته الشعرية الغنية والمتنوعة. من بين هذه الأنظمة يمثل التبراع فناً عاطفياً خاصاً بشابات فتة ذوي حسان اللذين يقبعون على أعلى سلم التراتبات الاجتماعية والسياسية خلال مجتمع ما قبل القرن العشرين.

يمثل فن التبراع في صيغه وأشكاله وأغراضه العاطفية شعر عينة الشابات الحسانيات. تتقوى أغراض هذا الفن الشعري في إطار هو أشبه ما يكون بالسري انطلاقاً من التواصل الكلامي الذي يذكي أخلاق التخاطب العاطفي وأحاسيسه. فذات الأنثى المعبرة تكشف عن أشكال تفاعلها مع أبناء فئتها المجتمعية. كما أن صيغ وأشكال خطابها موقوفة على كنه علاقتها بمخاطبها. جلي إذن أن هذا الفن الشعري النسوي يخدم أغراضاً محدودة تعبر عن

الذات وتطور خطاب الشابة للرجل بفئة مجتمعية محددة. بهذه الكيفية يصير تاريخ التبراع تاريخاً للصيغ النسوية الحسانية الشابة التي تنمو وتترعرع كصيغ منفصلة عن باقي الأنظمة الشعرية البيضانية وخارج كل تدخل للرجل.

ولعل بإمكان الدراسة المتأنية أن تقارن بشكل تقريبي وعام تاريخ التبراع كما يبينه السرد المتسلسل لأبياته المتفرقة بتاريخ تداخل العلاقات المجتمعية بين شابة ورجل هذه الفئة الحسانية. كما أن بإمكان الدراسة المتخصصة أن تكشف من خلال تاريخ التبراع بين تطور المقاييس الحضارية من لباس وتجميل وأدوات الاستعمال النسوي والقوائم المرتبة زمنياً من مفردات وكلمات التخاطب اليومي وأفكار سائدة وقيم مجتمعية.

لاشك أن التطور الفعلي لهذا الفن الشعري يتم حسب تطور العلاقات المجتمعية إذ يتطور التواصل والتفاعل الشعري وتتطور أشكال الصيغ الشعرية بسبب التفاعل المجتمعي وأخيراً تنعكس سيرورة التطور الشعري في تغير صيغه وأشكاله.

دراسة ميدانية : السلطانة بنت شيخنا، *"الشعر الشعبي في تكانت حتى نهاية الاستعمار"*، المعهد العالي للدراسات والبحوث الاسلامية، نواكشوط، 1990.

مصطفى ناعمي

التبريز، نظام تربوي يهدف إلى انتقاء وتكوين وتوظيف أساتذة ذوي كفاءات عالية ومهارات مهنية تمكنهم من التدريس بفعالية في مختلف التخصصات المحدثة. والتبريز نظام قديم بفرنسا، وعنها اقتبسه المغرب في نطاق معاهدة التعاون المغربي الفرنسي الموقعة في 31 يوليوز 1984، حيث عمدت وزارة التربية الوطنية إلى خلق أسلاك تحضير التبريز بشكل تدريجي في المدارس العليا للأساتذة، ليسند العمل إلى المبرزين في الأقسام التحضيرية للمدارس العليا للمهندسين ـ مراكز التكوين : (المدارس العليا للأساتذة ـ المراكز التربوية الجهوية ـ مراكز تكوين مفتشي التعليم... الخ). الأقسام النهائية للتعليم الثانوي. ومستقبلا بالسلك الأول من التعليم الجامعي. ويشترط في المرشح أن يكون قد تابع تكوينه بشعبة تحضير التبريز لمدة سنتين. أو تابع سلكاً دراسياً معترفاً بمعادلته لشعبة تحضير التبريز. أو حاصلا على دبلوم الدراسات العليا أو ما يعادله. أو دبلوم التخصص بالسلك الثالث أو ما يعادله.

تستغرق مدة التكوين بسلك تحضير التبريز للتعليم الثانوي سنتين دراسيتين، يتلقى المترشحون خلالهما تكويناً علمياً تخصصياً وتكويناً تربوياً نظرياً وعملياً تمكنهم من :

- تعميق معارفهم على المستوى النظري والتطبيقي.
- إكسابهم منهجيات العمل، تستجيب لمتطلبات مباراة التبريز.
- تزويدهم بالمعارف التربوية لمزاولة مهامهم التدريسية.
- إطلاعهم على مختلف منهجيات التدريس والتنشيط التربوي.

وللوصول بهؤلاء المتدربين إلى المستوى المنشود تم تزويد أسلاك تحضير التبريز بأساتذة مغاربة ومتعاونين أجانب مؤهلين علمياً وعملياً لتأطير المتدربين.

تخضع مباريات التبريز لاختبارات كتابية وشفوية. وهناك اختلافات بسيطة في طريقة اجتياز هذه الاختبارات حسب اختلاف المواد. فمثلا بالنسبة لمباراة التبريز في مادة الرياضيات والعلوم الفيزيائية والصنع الميكانيكي : يقوم الطلبة المغاربة باجتياز نفس الاختبارات التي يجتازها زملاؤهم الفرنسيون في نفس الوقت ونفس الظروف. ويتم تصحيح أوراق الامتحان دون أي تمييز بين المرشحين المغاربة والفرنسيين، وتحصر لائحة المقبولين في الاختبارات الكتابية بحضور رئيس لجنة التبريز الذي يمثل الجانب المغربي.

أما بالنسبة لمباراة التبريز في اللغة الفرنسية والتربية البدنية والرياضية والعلوم الطبيعية مثلا، فإن الاختبارات الكتابية توضع من طرف رؤساء اللجان بالتنسيق والتشاور مع أعضاء اللجان المشتركة المغربية والفرنسية.

وتجري المباريات في مراكز مخصصة لذلك، ويتم التصحيح مزدوجاً بكل من المغرب وفرنسا.

وبعد توحيد النقط تقوم اللجان المشتركة بإجراء مداولات الشطر الكتابي، وحصر لائحة المقبولين لاجتياز الاختبارات الشفوية والعلمية.

وتجرى الاختبارات الشفوية للمقبولين في الكتابي بالمغرب من طرف لجان مشتركة، وبعد تقييم أداء المرشحين، وتنقيطهم، يصادق وزير التربية الوطنية على لائحة المقبولين نهائياً في المباراة.

ونظراً للنتائج الإيجابية التي تحقق على مستوى المباريات الوطنية للتبريز، فإن وزارة التربية الوطنية تعمل سنة بعد أخرى على توسيع نظام التبريز ليشمل باقي المواد التعليمية.

وثائق مديرية تكوين الأطر بوزارة التربية الوطنية.

المفضل دوحة

التبشير أو التنصير بالمغرب، عاش بالمغرب مسيحيون أجانب اختلفت أهميتهم العددية حسب العصور، ولكن سياق تاريخ العلائق الخارجية للمغرب في القرن التاسع عشر جعل وجود أجانب من المسيحيين أوضح وأكثر ارتباطا بجوانب السياسة والاقتصاد.

لا يظهر من المصادر المتعلقة بالعصر الوسيط أن الوجود المسيحي كان على درجة تلفت النظر بالمغرب. وكل ما هنالك إشارات تدل على بقايا مسيحية من العصر القديم. ولربما التحق بالمغرب جماعات أخرى من الخارج. كانوا في مناطق جبلية وفي سهول مثل تامسنا ومدن مثل فاس، وقد تحول بعضهم إلى الإسلام على عهد الأدارسة. وفي عهد المرابطين انضاف إلى من لم يسلموا من كان بجيش الدولة من المرتزقة أو من نفي إلى المغرب من الأندلس أو من أسر

في الحرب. وقد كان منهم أفراد بالحرس الاميري بمراكش وقوامه أربعة آلاف جندي، كما كانت مجموعة منهم بمكناس يقدر عددها بثلاثة آلاف نسمة. كما استقبلت سلا عدداً من هؤلاء المبعدين من الأندلس.

كان من النصارى حرس وعساكر وجباة ضرائب ومزارعون. ومن المهمات التي وكلت لهم ما ينطوي على مخاطر الاصطدام والتوتر بينهم وبين المسلمين، ولا سيما إذا استعملوا في جباية الضرائب وصدر من بعضهم سلوك يخدش حرمة المسلمين الدينية.

وفي عام 628 / 1230 كانت بمراكش كنيسة لا ندري ما إذا كانت في العهد السابق، سميت بكنيسة القديسة مريم، وكان المسيحيون المقيمون بالمغرب يؤدون شعائرهم الدينية بكامل الحرية. واختص الفرنسيسكان بسكنى بعض مدن السواحل. وقد كانت البابوية تظهر اهتماماً بشئون هؤلاء المسيحيين الموجودين بالمغرب. وكذلك ملوك إسبانيا حيث إن ملك قشتالة اشترط مقابل تقديم بعض المساعدات للمأمون الموحدي أن يسمح هذا الأخير ببناء الكنيسة المذكورة وبإقامة شعائر المسيحية جهاراً وأن يتعهد بمنع إسلام المسيحيين وعدم التعرض لمن أراد التنصر من المسلمين.

وتذكر مصادر العصر المريني أن عدد الجالية المسيحية قدر بأربعة آلاف فرد كان منهم حراس بقصر السلطان، وكان للمسيحيين ربض خاص يسكنونه، ومن أسباب قيام السلطان يعقوب بإخراجهم من داخل فاس ما كان يرد من أخبار استفحال حركة التنصر بالأندلس وما وقع من استيلاء الإسبان على مدينة سلا ومباركة البابوية لهذا الاحتلال الذي قد تكون المليشية المسيحية بالمغرب متورطة فيه، يضاف هذا إلى جملة متاعب أخرى كانت تتسبب فيها الفئة المذكورة.

ولربما نشط التبشير في هذا السياق بعد إخراج المسلمين من الأندلس ونقل الغزو الايبيري إلى أرض المغرب في بدايات العصر الحديث. حيث وردت الإشارة إلى ارتداد طائفة من المغاربة الواقعين تحت ضغط الاحتلال البرتغالي. ولربما كانت هذه الردة موضوع مراسلات بين الوطاسيين والبرتغاليين، وقد كتب القبطان "ليط" إلى ملك البرتغال يخبره بأن مسلمين "متنصرين" يظهرون المسيحية ويخفون الإسلام ولهم اتصالات بالسلطان الوطاسي لتدبير نقلهم. فاقترح ليط نقلهم إلى إحدى جزر البحر حتى لا يطمعوا في العودة إلى الإسلام.

أما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فقد كان الفرنسيسكان ما يزالون مقيمين بعدد من مدن السواحل، وقام السلطان المولى اليزيد بالحد من التجاوزات في أنشطتهم. ولكنهم عادوا إلى نشاطهم في العهد السليماني، ففتحوا المدارس في القرن التاسع عشر لتعليم الإسبانية والفرنسية للأطفال شريطة حمل الصليب. وأنشأوا مطبعة عربية إسبانية، كما أنشأوا مستشفى بإدارة الفرانسيسكان، وقرنوا التبشير بالعمل الإحساني. ارتبط التبشير بالاستعمار وتعتبر رحلة شارل دوفوكو داخل المغرب من علامات هذا الارتباط ومن نشاط التبشير. فقد كان يعتقد أن السبيل الوحيد لبقاء سكان شمال إفريقيا على الولاء لفرنسا هو إدخالهم إلى المسيحية. ولكن هذا المبشر لم يتردد في الاعتراف بفشل سعيه الشخصي في تنصير من استهدفهم بدعوته في أوساط الفقراء. ويتجلى من تقارير البعثات، ولا سيما بعثة طنجة النشيطة، أن العمل التبشيري لم تكن له نتائج إيجابية سواء في أوساط المسلمين أو اليهود.

أما التبشير البروتستاني فقد بدأ محاولاته في النصف الأول من القرن التاسع عشر في كل من الصويرة وتطوان مستهدفاً اليهود. وكانت جماعة التبشير اللندنية هي متولية هذا العمل وهي : The London Society for Promoting Christianity Amongst the Jews. وقد أسس الأب ماكنتوسن Makintosin جماعة الانجيل البريطانية British and Foreign Bible Society لتوزيع الانجيل مترجما إلى العربية والبربرية، وبها عرف التبشير البروتستانتي دفعاً جديداً، وكانت الطبعة الأولى للانجيل باللهجة الريفية سنة 1885، وتمكن مبشرو جماعة الانجيل من توزيع كميات من نسخ الانجيل المترجم. وتفرعت عن هذه الجماعة بعثات فرعية لتنصير البربر. وكان لبعثة الصويرة إشراف على مبشري مراكش والجديدة. وبلغ عدد مبشري الدار البيضاء وحدها خمسة وعشرين مبشراً. ونشطت "بعثة كنيسة انجلترا الانجليكانية" England Presbyterian Church Mission لربط علاقات يهود فاس بيهود دمنات والجنوب، وذلك بمساهمة مسيحيين سوريين. ويتلخص عمل هؤلاء المبشرين في التنصير وتوزيع الإنجيل ومناقشته وتفسيره، كما تثار المحادثات في الأسواق والديار، وتعزز هذه الاوجه من النشاط بالأعمال الاجتماعية كالتطبيب.

ومن نشاط البروتسنانت أيضاً فتح المدارس : مدرسة الصويرة للبنات سنة 1878 ومدرسة طنجة للبنات سنة 1892 ومدرسة للذكور سنة 1893 ومدرسة تطوان للذكور سنة 1893. وقد وقفت انجلترا بوضوح وراء التبشير البروتستانتي منذ سنة 1890، خاصة بعد أن ثبت أن العملية أصبح لها بعد سياسي خطير، مما أدى إلى استفحال أمرها، فقرر المخزن إذ ذاك إيقاف النشاط التبشيري بجميع أصنافه، وتمثلت إجراءاته في منع ربط العلاقات مع المبشرين وتهديد كل من يرسل ابنه إلى مدارس البروتستانت وتقديم احتجاج رسمي إلى حكومة انجلترا بتاريخ ماي سنة 1891 وغلق مدرسة بعثة شمال إفريقيا بفاس سنة 1898.

كان جهد الجمعيات التبشيرية الأوروبية ضئيلا إذا ما قورن بالمجهودات التي بذلت في مناطق أخرى، ونتيجة لذلك حاولت هذه الحركات التبشيرية أن تغير وسائل عملها فلا تدعو مباشرة إلى اعتناق المسيحية بل ركزت جهودها

على الأعمال الخيرية والطب، علها تستقطب بعض المغاربة، لكن النتيجة ظلت سلبية.

أما فيما يرجع بالبعثات التبشيرية الأمريكية فقد بدأ بعض المبشرين الاميريكيين المتحمسين لنشر النصرانية في الوصول إلى المغرب خلال السبعينات من القرن التاسع عشر، وكان من أوائل القادمين "إدوار بَلْدوين" Edward Baldwin الذي وصل إلى طنجة برفقته عائلته.

وفي منتصف العقد الأخير من القرن التاسع عشر وصلت إلى المغرب بعثات تبشيرية أمريكية منظمة كان على رأسها أحد اليهود تم تنصيره في الولايات المتحدة وأصبح من المتحمسين للدين الجديد، وهذا الداعية هو "البرت ناثان" Albert Nathan وقد استطاع الحصول على منزل في طنجة جعل منه مركزاً للعمليات التبشيرية في المغرب حيث تمكن من استخدامه سكنا للمبشرين القادمين أو الذين يرغبون في البقاء في طنجة والدعوة إلى المسيحية في تلك المدينة وبالإضافة إلى ذلك قام ناثان بفتح مركز صغير بالمدينة لهدف إعلامي، حيث أخذ في توزيع النشرات التي تدعو إلى المسيحية وبيع كتب دينية بأسعار منخفضة، كان الغرض منها استدراج المغاربة خاصة اليهود الذين أخذت البعثة التبشرية الأمريكية في التركيز عليهم.

لم تكن تلك البعثات هي الوحيدة التي أرسلت من اتحاد البعثات التبشيرية بل كانت هناك بعثة أخرى، مكونة من اثني عشر شخصاً، قدمت إلى المغرب في دجنبر 1890. قام القنصل الاميركي جون باركلي (John Barcly) عندما وصلت بعثة سنة 1890 بالضغط على محمد الطريس نائب السلطان في طنجة لكتابة رسالة تسمح لاولئك المبشرين بالإقامة والتجوال في المغرب دون التعرض لهم. بل إن القنصل قام بإرسال تعليمات إلى نوابه في عدد من المدن المغربية التي اتجهت إليها تلك البعثات التبشرية لتقديم المساعدات إليها.

وقد كانت تلك البعثات تلح على أن هدفها هو نشر المسيحية (المذهب البروتستاني فقط وأنها ليست لها أي أهداف استعمارية بالمنطقة على عكس بعثات الدول الاوربية. والواقع أن عدداً من المبشرين تسترو بأهداف دينية للحصول على كثير من المعلومات عن المغرب، لذلك لم يترددوا لقبول وظائف في السلك الدبلوماسي، وتجميع الثروات ؛ فالارتباط كان هنا أيضاً وثيقاً بين التبشير والمصالح الأجنبية.

ومن أهم المراكز التبشرية الاميريكية في المغرب مركز مكناس الذي افتتح سنة 1890، ويعتبر مقراً لإعداد المبشرين القادمين من الولايات المتحدة يتم فيه تعليم القادمين الجدد اللغة العربية وتزويدهم بالكثير من المعلومات عن العادات والتقاليد المغربية والطريقة المثلى والأسلوب الصحيح في الدعوة إلى المسيحية، إضافة إلى ذلك قام المبشرون الاميريكيون فيما بعد بافتتاح مركز صحي صغير بقصد تقديم الخدمات الصحية للمغاربة وهي خدمات استطاع من خلالها المبشرون الوصول إلى غرضهم الأساسي وهو الدعوة إلى المسيحية، خاصة عندما أخذوا في الربط بين شفاء المرضى بالطب وبركة المسيح.

قام المبشرون الاميريكيون بافتتاح عدة مراكز في كل من فاس والجديدة والقصر الكبير والعرائش. لكن المبشرين الاميريكيين وجدوا عدة صعوبات منها : عدم معرفة اللغة العربية والعادات والتقاليد المحلية وعدم تمكنهم من إيجاد السكن اللائق ومواجهة مشاكل أمنية في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) وانتفاض القبائل ضد العمليات التبشرية.

كان من وسائل البعثات التبشيرية الاميريكية العمل بين الاقلية اليهودية وتشجيع النزعة الإقليمية والأعراف القبلية والاتجاه إلى الأعمال الخيرية مثل إنشاء المستشفيات والمدارس ومراكز لإيواء اليتامى. وقد كان موقف المخزن المغربي من هذه الأعمال حازما وذكيا، غايته تجنب الاصطدام مع الاميريكيين، إذ أشار إلى أنه لا يستطيع أن يضمن أمن المبشرين الأميريكيين الذين يتجاوزون المناطق المسموح لهم بها. وقد ظهر عداء الشعب لهؤلاء المبشرين، بلغ في بعض الحالات إلى الإقدام على تصفية المتنصرين غير أن ذلك كان يسبب مشاكل للمخزن.

كانت نتائج الحركة التبشيرية الأميريكية بالمغرب هزيلة مثل سابقتها الاوروبية، فلم يتنصر إلا عدد محدود جداً من الأطفال اليتامى واللقطاء الذين قام المبشرون بإيوائهم وتربيتهم على النصرانية وعددهم حوالي ثلاثة وثلاثين طفلا قبيل الاحتلال الفرنسي حول معظمهم إلى النصرانية.

وظل التبشير مستمراً بالمغرب في عهد الحماية بل وبعد الاستقلال كذلك سنة (1959)، فقد جاء في تقرير لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية : "إن المؤسسات التبشيرية التي تعمل بالمغرب لها وسائل عمل على الأخص في بعض المدن والقرى الكبرى : ثلاثة مستشفيات وعشرون عيادة ومستوصف طبّي واثنا عشر ملجأ وستة عشر نادياً ثقافياً وأحد عشر نادياً للتكوين المهني النسوي وستة عشر مدرسة ابتدائية وثلاث مدارس ثانوية وثلاث مكتبات عمومية وإحدى عشرة جمعية أخرى مختلفة. وهذا ما مجموعه خمسة وتسعون مؤسسة. (عبد الله گنون، *التبشير ودلالته عن الحركات التبشرية*، ص 40).

أما عن التبشير إلى غاية سنة 1978 فقد سجل تقرير گريگوري. م. لفنگستون عدة نقط حيث يقول عن عدد المتنصرين المغاربة : "يوجد بالمغرب سبع مجموعات تقيم شعائرها، ويقدر عدد المتنصرين المغاربة بحوالي مائتي متنصر، يلتقون في هذه المجموعات الصغيرة ... ويظن البعض بأن مجموعات منعزلة من البربر لديها استعداد للتنصير الجماعي وذلك إذا توفرت لهم الظروف الملائمة..." (*التنصير*، ص. 377). وحول الوضع الكنسي بالمغرب يذكر التقرير : "توجد مجموعات من المسلمين الذين دخلوا النصرانية في الدار البيضاء وطنجة ولكنهم غير مقتنعين

بفكرة إنشاء كنيسة، فبعضهم يرى أن مثل هذا العمل غير قانوني وكفيل بأن يثير عملية انتقام... فالشكاية من كون أهل البلد لا يسيرون ولا يشاركون في تسيير الكنائس مخافة الانتقام وبالتالي لا يستطيعون الدعوة إلى المسيحية..." (*التنصير*، ص. 381). ويصرح صاحب التقرير في مكان آخر بقوله : "فكروا دائماً في الكنيسة، فما لم تكن هناك كنائس ذات قيادة وزعامة وطنية محلية في المغرب فلن تبلغوا أهداف الرب ..." (*التنصير*، ص. 385).

أما عن توزيع الإنجيل وباقي المنشورات المسيحية فيقول التقرير : "تتوفر في المكتبة الوحيدة الموجودة بالمغرب كتب قليلة ضمن مجموعة من الكتب العلمانية من أجل بقائها مفتوحة قانونيا. وقد بدأ عدد من المسيحيين بالمغرب يوزعون صناديق بلاستيكية تحتوي على الكتاب المقدس وبعض المطبوعات التنصيرية على عدد من الأصدقاء الموثوق بهم ..." (*التنصير*، ص. 381).

بلقاسم الحناشي، *الحركات التبشرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر*، زغوان، تونس، 1989 ؛ ع. الفاسي، *التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية*، الرباط، 1973؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، جزآن، بيروت، 1985 ؛ ع. گنون، *شؤون إسلامية*، الدار البيضاء، دون تاريخ ؛ م. الخالدي، ع. فروخ، *التبشير والاستعمار*، بيروت، 1970 ؛ *التنصير، خطة لغزو العالم الإسلامي*، منشورات Mare للنشر، الولايات المتحدة الامريكية، 1978 ؛ م. عبده (الإمام)، *الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية*، تقديم وتعليق رشيد رضا، الجزائر 1978 ؛ رامون لوريدو دياز، مادة البابوية، *معلمة المغرب*، 3 : 954 - 957 ؛ تركي عجلان الحارثي، *البعثات التبشيرية الامريكية في المغرب الأقصى قبيل الحماية الفرنسية*، *المجلة التاريخية المغاربية*، تونس، ع. 63 - 64، يوليوز 1991، ص 267 - 289 ؛ إبراهيم بن الجنوي، *أبناؤنا بين أيدي المبشرين*، صحيفة *الميثاق* (لسان رابطة علماء المغرب)، ع. 72، السنة 6، 1963 ؛ ع. الخليشي، *إعلام المسلمين بمقاصد المبشرين*، صحيفة *الميثاق* (لسان رابطة علماء المغرب)، الجزء الأول العدد 80، دجنبر 1968 ؛ والجزء الثاني بالعدد 107 مارس 1970 ؛ امحاند علال، *خطر المبشرين في المغرب*، صحيفة *الميثاق*، ع. 8 مارس 1970 والجزء الثاني في العدد 23 نونبر 1970؛ ع. التميمي، *التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن 19*، *المجلة التاريخية*، تونس، ع. 1، يناير 1974 ؛ *دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس*، *المجلة التاريخية المغربية*، تونس ؛ ع. 3 يناير 1975 ؛ خديجة بقطاش، *الحركة التبشرية في الجزائر من سنة 1860 إلى سنة 1879*، *مجلة الثقافة* (الجزائر)، ع. 61 صفر / ربيع الأول، 1401، ص 67. 72 ؛ عزت محمد إبراهيم، *حقيقة التبشير*، *مجلة الوعي الإسلامي* (الكويت)، العدد 180، السنة 15، أكتوبر 1979.

G. Goyau, *Le christianisme sur la côte Babaresque jusqu'au XIXème siècle*, Paris, 1930 ; *Lettre Pastorale aux Fidèles et Prêtres repandus dans le royaume du Maroc*, Paris, 1936 ; J. Crétineau-Joly, *Histoire religieuse, politique et littéraire de la compagnie de Jésus*... Paris, 1844 ; A. Pons, *La nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830*, Tunis, 1930 ; G. Deverdun, *Les chrétiens à Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966 ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883 - 1884*, Paris, 1888 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1830 - 1894, Paris 1961 - 1964 ; *Les missions protestantes au Maroc, 1875 - 1900*, *Hesp.* 1955. 153 - 192 ; M. Pablo Castellanos, *Los hijos de San Francisco en Marruecos*, *La Cruz*, Barcelona, 1882, T. 2, pp. 307 - 318 ; *Las misiones en Marruecos*, *Revista Franciscana*, Barcelona, T. 3, pp. 122 - 124 y 148 - 154.

محمد رزوق

تْبَطْكُوكْتْ أو تابطكوكت، من أقسام قبيلة مسگينة شرقي مدينة أگادير. من مصادر معيشة أهلها تربية الماشية وزراعة الحبوب واستغلال شجر أرگان. توجد في الوثائق إشارات إلى إسهام هذه القبيلة في مجاهدة الاحتلال البرتغالي، وربما أقنع أهلها بعض البرتغاليين بدخول الإسلام. بها أضرحة عدد من الصلحاء أشهرهم

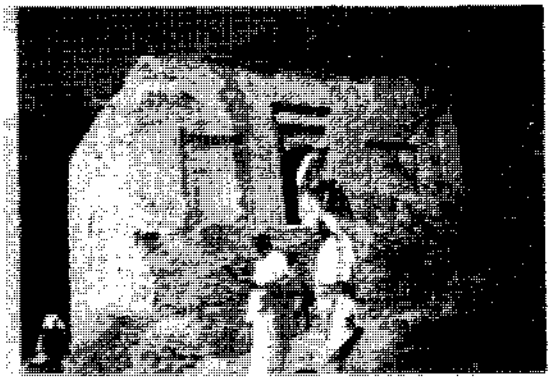

تبطكوكت

ضريح سيدي هارون

سيدي هارون الذي أورد الباعقيلي نسبه الشريف في *تبيين الأشراف*، وقد جعله والد عمرو بن هارون دفين رأس الوادي، وعلي بن هارون دفين الشاوية ويوسف بن هارون دفين واد نون ومزال بن هارون (ت. 588 هـ) دفين أيت إلوگان بهشتوكة، وقد تأسست قرب ضريح سيدي هارون في منتصف القرن الماضي مدرسة عتيقة تصرف عليها القبائل المجاورة وتخرج منها عدد من الطلبة.

البعقيلي، الاحسن بن محمد، *تبيين الأشراف* : أهل دائرة الوسائل وقبله توجه لكل سائل، المطبعة العربية، الدار البيضاء، 1358 / 1939 ؛ *عقود ورسوم عائلة جبارة في ملك السيد الحسن بن عمر نايت عمل* ؛ *روايات شفوية* لكل من أحمد أوبهى والعيسي الحسن أو محمد والحسن بن أحمد أوفراضن والحاج الحسن بن محمد أوعلي أودود.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930, pp. 148 - 159.

عمر أفا

التبغ، يسمى أيضاً طابا أو طباق أونيكُوتْيانا طابَاكُوم، (Nicotiana Tabacum) نسبة إلى جون نيكوت الذي كشف عن استعمالات هذا النوع بفرنسا. وهو نبات يعطي مواد تستعمل للتدخين أو المضغ أو السعوط. ينتمي إلى فصيلة الباذنجيات (Solanaceae) المحتوية على الباذنجان والطماطم والبطاطا والفلفل وغيرها.

والموطن الأصلي للتبغ هو أمريكا الحارة، ولا يعرف

الصنف البري لأنه زرع بها منذ قرون قبل دخول الرجل الأبيض. ومنها أدخل إلي أوروبا في عام 1557 من طرف كُولُمْبس وذلك لقيمته العلاجية وكنبات للزينة في بداية الأمر. ثم انتشر إلى بقية بلدان أوروبا وإفريقيا وآسيا واستراليا. ومنذ نهاية القرن السادس عشر بدأت عادة التدخين في الانتشار بالرغم من معارضة رجال الدين والحكومات التي فرضت ضرائب باهظة على التبغ.

ومصدر صفات التخدير والنكهة والطعم المتوفرة بالتبغ هو وجود مواد قلوانية تسمى بالنيكوتين ومواد أخرى تُنتج أثناء عملية المعالجة والتخمر، وزيوت عطرية طبيعية.

تتجاوز أنواع التبغ الخمسين لكن نوعين منها فقط لهما أهمية تجارية :

- التبغ المتزرع، وهو مصدر أغلب الأصناف المستعملة، وعددها يفوق المائة. وهو نبات حولي غير متفرع، قد يصل ارتفاعه إلى مترين. له أوراق كبيرة بيضاوية الشكل، وأزهار أرجوانية، وثمار علبية.

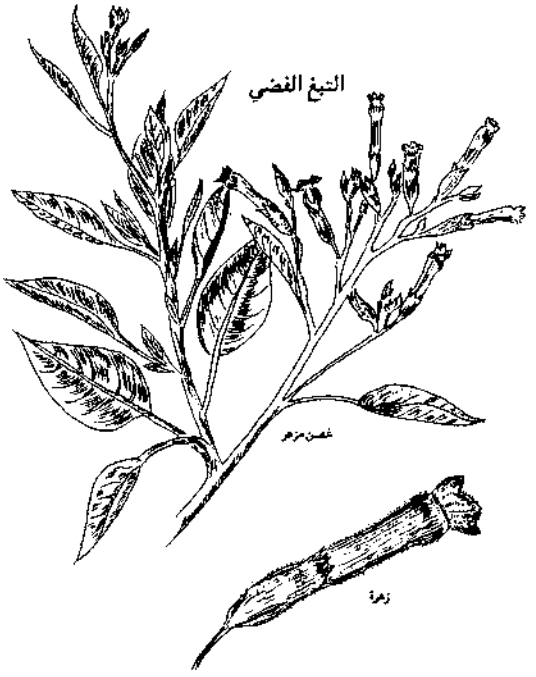

- التبغ البري وهو أصغر حجماً، وله أزهار صفراء. يزرع في بعض المناطق من أوروبا وشمال آسيا ويستعمل في صناعة المبيدات الحشرية، بالإضافة إلى صناعة بعض أصناف السجائر.

ومعلوم أن نوعاً من هذا الجنس وهو نيكوتيانا گلوكا (Nicotiana Glauca)، أدخل إلى المغرب بصفة عفوية، وانتشر طبيعيا على طول السواحل وخاصة ساحل المحيط الأطلسي. ينمو هذا النوع على الكثبان الرملية والساحلية والانقاض والردوم بجوانب الطرق أوبضواحي المدن. وهو معمر يتراوح ارتفاع شجيرته من خمسة إلى سبعة أمتار. أوراقه رمحية، خضراء ضاربة إلى اللون الأزرق، أزهارها صفراء. وللتذكير فإن هذا النوع الواسع الانتشار بالسواحل لا يزرع ولا يستعمل في صناعة السجائر، وإنما يلعب دوراً مهماً في تثبيت الكثبان الرملية والأنقاض والردوم.

يزرع التبغ حاليا بشمال المغرب وبالغرب وسايس. ونظراً لكون زراعته حساسة ومكلفة وتحتاج إلى عناية كبيرة فإن الفلاح المغربي قليلا ما يقبل عليها. تزرع البذور في المشتل أولا ثم تنقل الباذرات إلى أتربة رملية خفيفة وغنية بالدبال وكثيرة السماد.

تجمع الأوراق عندما تنضج وتترك بعد جمعها لتذبل، ثم تعلق مقلوبة ومدلاة حتى تجف، في ظل حضائر المعالجة المعدة لذلك. وتتم المعالجة بالهواء تحت ظروف طبيعية، وفي حالة معالجة التبغ بتيار الهواء الساخن فإنه يكتسب لونا أصفر زاهيا. وقد تستغرق عملية التجفيف الطبيعي مدة تزيد عن الشهر، وبعدها تختار الأوراق وتوزع حسب الرتب، ثم تخمر وتجمع في كومات كبيرة لمدة تستغرق بعض الشهور أو تتجاوز السنة.

تعطي عملية معالجة نوعي التبغ المغروسين بالمغرب عدة أشكال من مواد التبغ : تبغ التدخين، تبغ السعوط، تبغ المضغ.

فإذا كانت عادة التدخين منتشرة في جميع أنحاء المغرب، فإن عادة السعوط تبقى خاصة بشماله، وعادة المضغ بشرقه.

استطلاعات ميدانية ؛ ألبرت خيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

* * دخل التبغ إلى المغرب بعد اكتشاف أميركا، حمله الأوربيون إلى إفريقيا الغربية ومنها انتقل إلى المغرب. تذكر الروايات التاريخية أن السودانيين الذين رافقوا الفيلة إلى مراكش عامي 1005 . 1006 / 1597 . 1598 جاؤوا بالتبغ يدخنونه ثم دخلوا به إلى فاس مع الفيلة عام 1007 / 1599.

انتشر التبغ في المغرب بسرعة، وتعددت أسماؤه فدعاه بعضهم الطبغ وطابة وطباق والتويغة والدخان، وأصبح بعد سنوات معدودات بضاعة رائجة في الأسواق تحمله من السودان القوافل التجارية المنتظمة بين تنبكتو ومراكش، وتجلبه السفن الانجليزية والهولاندية المترددة على مراسي سلا وأسفي وأگادير. وأقبل على تدخينه مختلف الطبقات، وبخاصة الرعاع والسفلة الذين تعاطوه في مجالس اللهو والقيان، فزاد ذلك في تنفير أهل الورع منه، سواء العلماء وشيوخ التصوف الذين رأوا فيه بدعة سيئة تتعين محاربتها ومنكراً يجب تغييره.

ولما توجه أحمد المنصور إلى فاس لآخر مرة أوائل جمادى الأولى عام 1011 / أواسط أكتوبر 1602، استفتى الفقهاء في التبغ . وقد تعالت أصوات الاستنكار . فأفتاه كل من مفتي فاس محمد بن قاسم القصار، وصالح سلا عبد الله ابن حسون بتحريم التبغ ووجوب إتلافه، فأمر المنصور بانتزاع التبغ من باعته في فاس، وكدّس أكواماً في الديوان وأحرق على رؤوس الملأ، وضاعت بذلك أموال

كثيرة. غير أن موت أحمد المنصور المفاجئ في السنة التالية أفسح المجال لتجدد رواج التبغ على نطاق أوسع في غمرة الفتن التي دامت عقوداً من السنين.

وفي أواسط رمضان عام 1026 / شتنبر 1617 بدأت في فاس حملة عنيفة جديدة لانتقاد المدخنين بسؤال كتبه أديب الفقهاء علي بن أحمد الشامي وجهه إلى قاضي فاس أبي القاسم ابن أبي النعيم ومفتيها أحمد المقري وسائر الفقهاء يعرض عليهم الحالة المزرية الفاشية التي آل إليها أمر تدخين التبغ ويستفتيهم في العشبة الخبيثة الشهيرة على الألسنة بطابة. وقد ركز السؤال على مقايضة التجار الأوربيين الذين يجلبون التبغ للمغاربة بمواد محرمة على المحاربين كالقوت والسلاح. وقد أجاب عن هذا السؤال كل من قاضي فاس ومفتيها وسبعة عشر فقيهاً آخر اتفقوا كلهم على استقباح التبغ واستقذاره. وفي جواب المفتي أحمد المقري توجيه للحاكم ليضرب على أيدي مروجي التبغ ومتعاطيه. ولإعطاء هذه الاستشارة صبغة رسمية حرر شهود من سماط العدول رسمين عدليين عقب الفتاوى التسع عشرة، نص الرسم الأول على صحة نسبة كل فتوى إلى صاحبها والتعريف به وإثبات كتابتها بخطه، وسجل الرسم الثاني حكم قاضي فاس بتحريم التبغ اعتماداً على الفتاوى المذكورة، ومما جاء فيه : "... حكم ـ القاضي ابن أبي النعيم ـ بتحريمها ومنعها وفساد المعاملات في شرائها وبيعها، وإلحاقها في سائر الأحكام بغيرها من المنكرات، وسائر المفسدات والمسكرات... حكماً أنفذه وأمضاه، وأوجب العمل بمقتضاه في أواخر شوال عام 1026".

لم يوقف هذا الحكم سيل التدخين العارم، وظل الصراع حاداً بين فقهاء بلاد المغارب طوال القرن الحادي عشر (17م) ومصر وما وراء الصحراء من بلاد السودان بين محلل ومحرم ومتردد. وكان بعض الفقهاء والأدباء يدخنون ولايترددون في ذكر منافع هذه العشبة في فتاواهم وقصائدهم. وقد ألّف في تحريم التبغ أو تحليله نحو ثلاثين كتاباً لفقهاء هذا القرن من مغاربة ومشارقة، منها : *نصيحة الإخوان باجتناب الدخان* لشيخ المالكية بمصر إبراهيم اللقاني ؛ و*غاية التبيان لحل شرب مالا يغيب من الدخان*، عقّب فيه الفقيه المالكي عليّ الأجهوري على كتاب اللقاني ؛ و*محدد السنان في نحور إخوان الدخان* لعبد الكريم الفكون القسنطيني ؛ و*سهم الإصابة في حكم طابة* لمحمد العربي الفاسي. وجمع الفقيه أحمد بن يحيى الغشتالي في ربيع الأول عام 1096 / فبراير 1685 فتاوى الفاسيين المشار إليها آنفاً مع السؤال وحكم القاضي في كتاب سماه : *فتاوى علماء فاس في الدخان*، كما جمع فقيه آخر لم يذكر اسمه فتاوى أخرى وقصائد ومحاورات ورسائل في كتاب بعنوان *مجموع الدخان*.

وقد خفت صوت الفقهاء بعد ذلك وإن ظلوا يتعرضون لذكر التبغ ويستنكرونه في مولفاتهم الفقهية وغيرها. ولم يعد يقف في وجه التدخين بفعالية إلاّ بعض الطرق الصوفية التي حرمته على أتباعها تحريماً باتاً، كالطريقة التجانية ذات الانتشار الواسع في شمال افريقيا والصحراء وماوراءها. وفي عهد الحماية قننت زراعة التبغ في المغرب ومراقبته وجعل الاتجار فيه حكراً على السلطة وأنشئ لذلك إدارة خاصة بالدار البيضاء : وكالة التبغ Régie de tabacs مازالت قائمة حتى اليوم.

أ. ابن أبي محلي، *الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الاشارة الشجرية*، مخطوط ؛ *إصليت الحرّيت*، مخطوط ؛ أ. باب التنبكتي، *اللمع في الاشارة إلى حكم طبغ*، مخطوط ؛ إبراهيم اللقاني، *نصيحة الإخوان باجتناب الدخان*، مخطوط ؛ علي الأجهوري، *غاية التبيان لحل شرب ما لا يغيّب العقل من الدخان*، مخطوط ؛ أحمد البوسعيدي، *بذل الناصحة في فعل المصافحة*، مخطوط ؛ م. العربي الفاسي، *سهم الاصابة في حكم طابة*، مخطوط ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ عبد الكريم الفكون القسنطيني، *محدد السنان في نحر إخوان الدخان*، مخطوط ؛ أ. بن يحيى الغشتالي، *فتاوى علماء فاس في الدخان*، مخطوط ؛ مجهول، *مجموع الدخان*، مخطوط ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. محمد حجي، وأحمد الشرقاوي اقبال ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 246. 266 ؛ ع. القدوري، *ابن أبي محلي الفقيه الشاعر ورحلته الاصليت الحريب*، الرباط، 1991.

محمد حجي

التبليغ، جماعة تقوم بالدعوة الإسلامية تأصلت من الهند. وانتشر أتباعها بالمغرب وقد تأسست في دلهي بالهند على يد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (1883 ـ 1944)، وهو من أسرة صوفية، انتسب في صغره إلى الطريقة الحبشية. وهو الذي وضع مبادئ هذه الجماعة ورسم أهدافها وحدد منهج عملها. وبعد وفاته آل أمر تسييرها إلى ابنه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (1917 / 1965) الذي تنقل كثيراً لطلب العلم والدعوة، وتوسعت الجماعة في عهده وانتقلت إلى أقطار أخرى، وبعد وفاته أصبح رئيسها الثالث الشيخ إنعام الحسن. ويقع مقرها الرئيسي في "نظام الدين" بدلهي، ومنه تدير الجماعة شؤون الدعوة في العالم، وتعقد في دلهي بانتظام تجمعات ضخمة لأتباعها يجتمع فيها حوالي مليون شخص من الهند وباقي المناطق.

هذه الجماعة في الأصل ذات نفس صوفي حيث ترد على ألسنة أتباعها الهنود أسماء أعلام التصوف أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني والسهروردي وجلال الدين الرومي، والأساس الذي تعتمد عليه هو تزكية النفس وإصلاحها وعدم الاشتغال بما لا يعني. من هنا فإنها لا تعطي للجانب الفقهي مثلا تلك الأهمية التي نراها عند بعض الدعاة السلفيين، وإنما ترى بأنه على أتباعها تقليد أئمة الفقه، لذلك فإن أتباعها يتمذهبون بالمذاهب المنتشرة في بلدانهم.

يعتمد منهج الجماعة على "الأصول الستة" التي وضعها مؤسسها الشيخ محمد إلياس رحمه الله، ويعتبر

التزام هذه الأصول أمراً ضرورياً في الانتساب إلى الجماعة، وهي :

الكلمة الطيبة لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ إقامة الصلوات ؛ العلم والذكر ؛ اكرام كل مسلم ؛ الإخلاص ؛ النفر في سبيل الله.

ولكل أصل من هذه الأصول "مقصد" و"فضل" و"كيفية تحصيل"، ويتم تفصيل هذه الأصول الستة لمن يرافقون الجماعة في جولاتها المعتادة، وهناك من الباحثين من يرى أن هذه الأصول قد أخذت من كتابات الشيخ بديع الزمان سعيد النورسي مؤسس حركة النور بتركيا. وليس لجماعة التبليغ أدبيات مكتوبة.

وفي المغرب بدأ نشاط جماعة التبليغ في أوائل الستينات، وكان محدوداً في المدن الكبرى كالدار البيضاء والرباط التي كان بعض دعاة الجماعة من الهند وباكستان يزورونها، وقد استطاعت هذه الزيارات استقطاب أعداد من المغاربة إلى مبادئ الجماعة، وكان المغاربة قبل ذلك يتعرفون على مبادئها خلال مواسم الحج.

بدأت قاعدة جماعة التبليغ تتوسع بفضل نشاط الدعاة المغاربة إلى أن تأسست رسمياً في المغرب سنة 1964، على يد رئيسها الأول الشيخ محمد الحمداوي رحمة الله (1935 - 19 مارس 1987)، وهو من إقليم بولمان، وتخرج من القرويين ثم اشتغل بالتعليم، وكان قد التحق بجماعة التبليغ سنة 1962 والتقى بأميرها الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله.

بدأ نشاط الجماعة ينتقل إلى مختلف المدن والبوادي المغربية، عبر الرحلات المنتظمة (الخروج في سبيل الله) التي يقوم بها أفرادها في مجموعات صغيرة، ولم يكد عقد الستينيات ينتهي حتى كانت كثير من المناطق المغربية قد تعودت على رؤية الدعاة التبليغيين، وكان نشاطها قد ازداد وتوسع في عقد السبعينيات ازدياداً ملحوظاً. فأصبحت مراكز / مساجد الجماعة تستقبل بانتظام جماعات قادمة من دول أخرى، خاصة من شبه القارة الهندية (الهند - بنگلادش - باكستان) وبعض الجماعات من الدول العربية التي سمحت لهذه الجماعة بالعمل كالأردن ومصر وتونس وكذا السعودية قبل أن يتم حظر الجماعة فيها. وجدير بالذكر أنه من حين لآخر كانت المجموعات التبليغية تضم بعض المسلمين الأمريكيين أو الأوربيين خاصة من فرنسا وبلجيكا حيث تنشط الجماعة أكثر في صفوف العمال المغاربة والمسلمين عموماً، ولها مراكز نشيطة هناك ودعاة مغاربة مشهورون خاصة ببروكسيل.

من أهم مراكزها النشيطة بالمغرب مسجد النور في بوسجور بالدار البيضاء ومسجد دوار الحاجة بحي التقدم بالرباط حيث كان رئيسها السابق الشيخ محمد الحمداوي يقوم بالدعوة، ومسجد الفتح بالقصر الكبير حيث الرئيس الحالي الشيخ البشير اليونسي الذي انتسب إلى الجماعة في أوائل الستينيات وكان يشتغل بالتعليم لكنه تفرغ بعد ذلك للدعوة. وتكاد مراكز جماعة التبليغ تغطي حاليا أغلب المدن المغربية، أما بالقرى فإن دعاتها يقومون بأنشطتهم في المساجد الأهلية أو الرسمية.

اعتادت الجماعة أن تقيم من حين لآخر تجمعات ضخمة بمقر المعرض الدولي بالدار البيضاء في بداية العطلة الصيفية تحضرها وفود من مختلف المناطق المغربية وكذا من خارج البلاد، تستغرق هذه التجمعات ثلاثة أيام تلقى خلالها الخطب والكلمات من طرف عدد من الضيوف والمدعوين الذين يمثلون جمعيات العلماء كرابطة علماء المغرب وعدد من الجمعيات الإسلامية المغربية، كما تلقى دروس حول فضائل العقيدة والأخلاق والآداب الاسلامية، ويتم عرض أصول الجماعة والترغيب في الخروج في سبيل الله وما يترتب عنه من إصلاح للأمة ورجوع العديد من الناس إلى الالتزام بشعائر الدين، ثم تتم الدعوة التي تشكل الجماعات التي ستنطلق للخروج في سبيل الله إلى مختلف المناطق داخل البلاد وخارجها حسب المدة التي يحددها كل شخص لنفسه، وهي تتراوح بين يوم واحد كحد أدنى وأربعة أشهر كحد أقصى.

تتلخص طريقة جماعة التبليغ في الدعوة لتشكيل مجموعات صغيرة، يلتزم كل فرد منها بتحمل نفقات طعامه وتنقله، وتوزع كل مجموعة الأعمال اليومية بين أفرادها بإشراف الرئيس الذي يدعى "الأمير"، فيقوم البعض بتنظيم أماكن الإقامة وعادة ما تكون بملحقات المسجد، كما يقوم البعض بشراء الطعام وطهيه، والتقشف والبساطة هما السمتان الغالبتان عليهم. وبعد التفرغ من هذه الأعمال يقوم الأفراد بتعلم آيات من القرآن الكريم أو ذكر الله أو قراءة بعض الكتب *كرياض الصالحين* للإمام النووي أو *حياة الصحابة* للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي. ويلتزمون خلال مدة الخروج في سبيل الله بإقامة الصلوات في أوقاتها وفي جماعة مع الاجتهاد في الدعوة والتعليم. وبعد صلاة العصر تخرج مجموعات صغيرة من المسجد تضم ثلاثة أو أربعة أشخاص إلى شوارع المدينة والأسواق لدعوة الناس إلى المسجد للاستماع "للبيان" وهو درس وعظي يلقيه أحد دعاة الجماعة يبين فيه احتياج الأمة إلى الدعوة ويرغب فيه في الخروج في سبيل الله. وأثناء الجولة لاستدعاء الناس يكون من واجب أفراد المجموعة الالتزام بمجموعة من قواعد الأخلاق كإلقاء السلام وغض البصر وكف الأذى وتحمل الصبر في الدعوة وعدم الرد على الاعتداء أو التهكم، كما يتم تجنب دعوة الناس المنهمكين في أشغالهم أو المرافقين لأهلهم، والتركيز فقط على الأشخاص المتجولين أو الذين لا يبدو عليهم القيام بشغل ما في حينه. وعند أذان المغرب تلتحق جميع المجموعات بالمسجد، وتكون كل مجموعة عادة قد دعت بعض الأفراد، فيتم الاستماع إلى "البيان" الذي يشرح حكمة الخروج في سبيل الله. ثم يتم تشكيل المجموعات الجديدة التي ستنطلق صباح الغد.

ومن بين ما يلاحظ في طريقة جماعة التبليغ اهتمامهم

في الدعوة بالأحياء الشعبية بالخصوص، وعدم إجابة الدعوة إلى الولائم أثناء الخروج حتى لا ينشغلوا بغير أمور الدعوة والذكر، وسلوك سبيل اللين والرفق في تعاملهم مع مدعويهم.

يعتمد منهج جماعة التبليغ على الدعوة الفردية المباشرة، وعلى أسلوب الوعظ والترغيب والترهيب والتأثير العاطفي، وحصر الاهتمام بدائرة الأصول الستة، وهكذا فإن أعضاء الجماعة يتجنبون الخوض في القضايا السياسية كيفما كانت، وكذا في الخلافات والتفريعات الفقهية. كما لا تعتمد الجماعة في الدعوة إلى مبادئها على أي أسلوب آخر من الأساليب المعتمدة في التواصل كنشر الكتب أو الجرائد أو المجلات أو تنظيم المحاضرات والندوات وغيرها. وليس في الجماعة عضوية رسمية، إذ المهم عندها هو الالتزام بمبادئها، ولا تفرض على أتباعها أي التزامات أخرى. وهي بذلك تختلف عن باقي التنظيمات الإسلامية المعاصرة من حيث الهيكلة.

ومن الملاحظ أن جماعة التبليغ في الأقطار العربية قد اضطرت إلى تبني العقيدة السلفية والالتزام بفقه السنة أمام الانتقادات التي وجهها لها العلماء السلفيون بالمشرق، بينما ظل أتباعها في الهند وغيرها من البلدان الأسيوية ملتزمين بالعقيدة الاشعرية والمذهب الحنفي، وقد هاجم أحد العلماء الوهابيين بالمغرب هذه الجماعة وأفكارها ونشر في ذلك كتابا وهو الشيخ تقي الدين الهلالي في كتابه *السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم* سنة 1979، ولكن جماعة التبليغ لا تهتم بالرد على ما يكتب حولها كيفما كانت طبيعة ذلك.

تقي الدين الهلالي، *السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم*، الدار البيضاء، 1979 ؛ *الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة*، الرياض، الندوة العالمية للشباب الاسلامي، 1982، ص. 113 ـ 121 ؛ فتحي يكن، *الموسوعة الحركية*، عمان، دار البشير، 1983، ج 2، 145 ـ 146 ؛ حسين بن محسن جابر، *الطريق إلى جماعة المسلمين*، الكويت، 1984 ؛ أبو الحسن الندوي، *الشيخ محمد إلياس وحركته الدينية*، د. ت ؛ *في مسيرة الحياة*، دمشق، دار الحكم، 1987، ج 1 ص. 185 ـ 194 ؛ محمد ضريف، *الاسلام السياسي في المغرب*، الدار البيضاء، 1992، ص. 210 ـ 215 ؛ جريدة *الاصلاح* (الرباط)، من 1 / ع 2 / 27 مارس 1987، ص. 2 ؛ الدكتور صادق أمين، *الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية*، عمان، 1978.

محمد المغراوي

تَتَلْتْ (فم.)، هكذا يكتبها معربةً التامنارتي في *الفوائد* والحضيكي في *الطبقات*. ويُنطق بها محلياً إيمي نْ تَتَلْت. وتكتب أيضاً بدّ وبتشليت التاء الثانية : تاتلت وتثلت. تقع قرية تتَلْت في منبسط قليل من الوادي بعد الدخول من منفتح في الجبلين بقبيلة سكتانة في حدور الأطلس الكبير شرق تارودانت، وبها زاوية ومدرستان علميتان قديمة وحديثة. وقد أنجبت تتَلْت خلال القرون الأخيرة علماء وصوفية صالحين من أبناء وحفدة الشيخ محمد بن يعقوب التتلتي الصنهاجي السكتاني، ترجم المختار السوسي في *المعسول* لأربعة وخمسين منهم "رفعوا راية العلوم والإرشاد أزماناً منذ أربعة قرون" بعضهم درس إلى أن مات في تتَلْت، وبعضهم شارط في مدارس أخرى ودفن هناك، ومنهم من لازال حياً يرزق وسنجتزئ هنا بذكر أربعة نماذج من مشاهير تتلت :

التتَلْتي، أحمد بن محمد بن يعقوب الصنهاجي السكتاني يُدعى أحمد أمغار. خلف والده الشيخ آتي الترجمة في تعليم القرآن وتربية المريدين وإطعام الزائرين والمنقطعين بزاوية تتَلْت، وعنه كانت تُروى أخبار والده الشيخ ابن يعقوب.

عمر أحمد أمغار كثيراً فكان مقصد القبائل عند الشدائد يصلح بينها، ويُطفئ نيران الفتن الموقدة في تلك الجبال بعد وفاة أحمد المنصور، ويذكرون في سبب موته أنه ذهب إلى قبيلة إداوزكري ليصلح بينها وبين جيش مخزني حاصرها، فُرفع علم الهدنة ومشى الشيخ أحمد أمغار بين صفوف المتحاربين لإبرام الصلح، لكن بعض المخزنيين أطلق عليه الرصاص متعمداً. وكانت وفاته عام 1037 / 27 . 1628، ودفن في تيمولاي بقبيلة إداوزكري، وبُنيت عليه قبة يقام حولها موسم سنوي. وبإزاء مشهده مدرسة يشارط فيها عالم باستمرار.

التتلتي، الحسن بن مَحمد الصنهاجي السكتاني الملقب مومو، من حفدة الشيخ ابن يعقوب، وُلد في 14 ذي الحجة عام 1290 / 2 فبراير 1874 ونشأ في زاويتهم بتتلت، حيث أخذ القرآن على مُقرئ الزاوية الاستاذ الكبير محمد ابن عبد الرحمن الكنسوسي، ودرس اللغة العربية والعلوم الشرعية على شيوخ الزاوية المتوافرين، كعلي بن عبد الله المغارتي السكتاني قرأ عليه في مدرسة تتَلْت السفلى العتيقة، وخاله الحسين بن محمد اليعقوبي وعبد الله بن واحمان السكتاني بمدرسة تتلت العليا وغيرهم، كما درس في مدرسة تيميشا بسكتانة، وانتهى من طلب العلم عام 1318 / 1900 فتصدر في مسقط رأسه للقضاء والفتيا، إذ كان الفقه أكبر بضاعته، وتلقين الطريقة التجانية التي أخذها عن شيخه الناسك أحمد ابن موسى التيكاني الطاطائي في زاوية تيمبشا. وشارط في عدة مدارس يعلّم القرآن ومبادئ العلوم اللغوية والدينية. ولما تقدمت سنه أقبل على الحديث الشريف وصار يسرد *صحيح البخاري* ويختمه في كل رمضان في زاويتهم بتتلت، أو بزاوية تيميشا التي درس فيها إلى أن توفي في شهر محرم عام 1366 / نونبر ـ دجنبر 1946.

التتَلْتي، الحسين بن محمد بن عبد الله الصنهاجي

السكتاني، من حفدة الشيخ محمد بن يعقوب آتي الترجمة "علامة جليل، كبير القدر، فذ من أفذاذ العلماء" بهذا حلاه محمد المختار السوسي.

درس في سوس على الأستاذ محمد بن يوسف الركني قبل أن ينتقل إلى مراكش للأخذ عن علماء جامع ابن يوسف "حيث أقام حتى ارتوى من المعارف".

تصدر للتدريس في مدرسة تتلت، كما درّس في مدرسة علي بن منصور، وتخرّج على يده جماعة من الفقهاء المشهورين بسوس. وكان في نفس الوقت يفتي ويقضي بين الخصوم، على صلة بكبار شيوخ التصوف المعاصرين له.

توفي حوالي عام 1316 / 1898.

التتّلْتي، محمد بن يعقوب الصنهاجي السكتاني، أحد مشايخ سوس الكبار في القرن العاشر، عاصر الشيوخ أحمد بن موسى التازروالي، ومحمد بن ويسعدن السكتاني وأضرابهم، وهو جد الأسرة اليعقوبية التي توالى فيها العلم والصلاح حتى اليوم. قال عنه صاحب *الفوائد الجمة* : "من أرباب المجاهدات، وأصحاب المقامات، له تربية نافعة في عصره، وبركة فائقة، وأحوال صافية صادقة".

حفظ محمد ابن يعقوب القرآن ـ بعيداً عن قريته ـ على يد الأستاذ الشهير حسين بن مسعود الأفناناري الگدميوي في منزله بضاحية أمزميز، وشارط ابن يعقوب في مدرسة الحجر (دوزْرُو) خمسة عشر عاماً يعلّم القرآن، وربما شارط وعلّم في قرى أخرى تُذكر. وأخذ التصوف عن عدد من شيوخ عصره، وتخرج على يده كثيرون ممن أدركوا منزلة عالية في الصلاح والتربية والتدريس، أمثال محمد بن مسعود النظيفي شيخ عبد الرحمن التامنارتي، والحسن بن أبي بكر التيزگيني، ومحمد بن أبي بكر التيسينتي.

أسس ابن يعقوب زاويته في فم تتلت بمكان لازرع فيه ولا ماء إلا بُويرة صغيرة، ومع ذلك كانت ترِدُ عليه فيه المآت من المريدين والزائرين فيطعمهم بين الليل والنهار أربع مرات في اليوم والليلة. وفي زاويته قال السلطان عبد الله الغالب حين طلب منه بعض المتصوفين ساقية يقيم بها زاوية : "الزاوية بالله لا بالساقية" فصار مثلاً بين أرباب الزوايا حتى الآن. وكرامات الشيخ محمد ابن يعقوب كثيرة ألف فيها أحمد بن إبراهيم الركني كتاباً سماه، *شفاء القلوب ومواهب علام الغيوب في مناقب الشيخ سيدي محمد بن يعقوب*، لخص بعضَها المختار السوسي في خمس عشرة صفحة من *المعسول*، وقال : "لم نجد بداً الآن إزاء هذه الشخصية الغريبة إلا أن نبرزها للقراء كما هي في بيئتها وفي محيط المعتقدين لها. وليت شعري بماذا يعرف مثل ابن يعقوب إن لم يذكر في أخباره مواد الهالة التي تكونت حوله مما ذاع وشاع ..."

وما تزال زاوية ابن يعقوب قائمة إلى اليوم في تتلت، وقد زارها المختار السوسي ووصفها بتوسع في خلال *جزولة* و*المعسول*، وقال "هي العامرة وحدها إلى الآن بما تعطيه لها القبائل من بين زوايا الشيوخ الذين عاصروا ابن يعقوب ... فإن زاوية فم تاتلت لم تزل مقصودة آهلة بالمنحاشين إليها، والعادة المتبعة أن ياوي إليها كل مسكين شاء فيأكل الوجبتين الغداء والعشاء، وكذلك من ورد أياً كان ... وكل ما كان معهوداً أن يعطي إلى زاوية الشيخ من القبائل لايزال يعطي كما هو لا يقدر أحدٌ أن يتملص منه".

يقام في زاوية تتلت موسمان كبيران في مارس وأبريل، تساق إليهما مآت الذبائح من الغنم والبقر. وفيها مدرستان، سفلى وهي القديمة التي يقال إنها من عهد الشيخ ابن يعقوب، وعليا محدثة بعده، وقد درس فيهما بتعاقب الأزمان عدد من فطاحل علماء سوس. وتقوم أمراء الزاوية العامرة بالحبوب والإدام بإطعام المعلمين والمتعلمين. وفيها خزانة كتب قد تكون فيها كتب قيمة.

توفي الشيخ محمد بن يعقوب يوم الجمعة سابع شوال عام 963 / 15 غشت 1556 بمسقط رأسه فم تتلت وقبره شهير يتبرك به.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 58 ؛ أ. الركني، *شفاء القلوب ... في مناقب الشيخ محمد بن يعقوب*، مخطوط ؛ الرسموكي، *وفيات*، 44 ؛ م. الخضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزوگو، مرقون د. د. ع كلية آداب الرباط، 1 : 208 ـ 209 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 121 ـ 130 ؛ *رجالات العلم*، 24 ؛ *المعسول*، 16 : 49 ـ 71 ؛ 72 ـ 76 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 129.

محمد حجي

التجارة المغربية في القديم، لا يمكن الخوض في الحديث عن التجارة في المغرب القديم دون الإشارة إلى النصّ الشهير الذي كتبه هيرودوت المؤرخ اليوناني حيث قال : "يوجد في ليبيا، فيما بعد أعمدة هرقل، قطر إذا ما وضع القرطاجيون بضائعهم فيه، طوال الشاطئ، يلتحقون بمراكبهم ويوقدون ناراً لانتاج الدخان. وعندما يشاهد أهالي القطر الدخان، يأتون إلى الشاطئ ويضعون الذهب بجانب البضائع المعروضة للبيع ثم يبتعدون ... لا يمس القرطاجيون الذهب مالم يقتنعوا بأن الكميات المطروحة منه تكفي لمقايضته بسلعهم، كما أن الأهالي لا يمدون أيديهم إلى تلك السلع ما لم يأخذ القرطاجيون الذهب".

لكن ما يسوقه لنا هذا المؤلف من معلومات، يظل مشكوكاً في صحته، وبالتالي لايمكن تزكيته. وبالمناسبة، نشير إلى أن المؤرخين الذي جاؤوا بعد هيرودوت، لم يعالجوا موضوع التجارة في غرب شمال افريقيا إلا بصورة غير مباشرة، وأن ما يمكن استنتاجه من أخبار في هذا الشأن يبقى بعيداً عن الايفاء بالحقيقة ولايسمح مطلقاً برسم صورة وافية عن المبادلات التجارية.

ما كان بوسع المغرب القديم أن يقيم علاقات تجارية مع الأقطار العظمى إلا عبر شواطئه الطويلة الاطلنتية والمتوسطية على السواء. ولم يكتشف إلى اليوم أي ميناء مغربي كان له دور تجاري في القديم، وهذا لا ينفي أن

المراكز الحضرية الشاطئية كانت تتوفّر على تجهيزات مرسوية متباينة الأهمية لاستقبال السفن، لاسيما على ضفاف خليجي طنجة وسبتة وعلى مشارف مصب الأنهار (مثل تاهدارت، الأقواس، ليكسوس، ثاموسيدا، شالاّ...)، كما يبْدو أن بعض الموانئ كانت على ضفاف الانهار (مثل ثاموسيدا وبناسة بجوانب واد سبو).

لكن معلوماتنا تبقى زهيدة للغاية في موضوع ما إذا كانت الشواطئ المتوسطية المغربية تتوفّر أو لا تتوفّر على مراسي أخرى غير مرسى مليلية / روسادير (؟) والمرسيين المذكورين أعلاه.

إن المدن الداخلية والمواقع القروية التابعة لها كانت تستقطب نشاطاً تجارياً هاماً بفضل ما مضى يربطها من شبكة طُرقية ورد بيانها في الرسم الذي وضعه أنطونان، كما تعرّفنا على مدن أخرى على ضوء الاكتشافات الآثارية. وهكذا اتبيّن أن طريقين رئيسيتين كانت إحداهما تربط طنجة بوليلي والأخرى تربط طنجة بشالاّ، تفرّعت عنهما طرق إلى أمهات القرى. ومما يثير الانتباه أن أبراجا للحراسة شيّدت على جوانب الطرق والمسالك، تتخلّلها محطات للمسافرين رفعت الأبحاث الآثارية الحجاب عن الكثير منها.

الشبكة الطرقية المذكورة التي كانت تدعّمها أشكال من التجهيزات المرسوية، ظلت حينا من الدهر تسمح للمدن والبوادي التابعة لها بترويج منتجاتها ومقايضتها ببضائع أخرى، سواء على المستوى القطري أو على المستوى الخارجي عبر الثغور المتوسطية المغربية.

تكاد النصوص القديمة لاتزودنا بما يشفي الغليل فيما يتعلق بالبضائع المحلية كما ان الأبحاث الآثارية لم تكن من جانبها لتفيدنا بشيء من الأخبار عن طبيعة المبادلات وحجمها. نعم، تتوفّر لدينا الشهادات الدالة على ما كانت تجود به ممارسة الزراعة وتربية الانعام، يشخّصها ما اكتُشف من أرحاء لطحن الحبوب ومعاصر الزيتون ومكوايات لوسم الأنعام. ومع ذلك، لايتأتي لنا تقدير أهمية هذه الانشطة. إن معاصر الزيتون التي تمّ احصاؤها بوليلي وناحيته تقيم الدليل على تطور زراعة الزيتون في هذه المنطقة من المغرب خلال عهد الرومان، كما أن أرحاء الحبوب والمكوايات المذكورة التي تَمّ العثور عليها بمراكز تقع بناحية الغرب وبباناسا وتاموزيدا، لدليل آخر على ممارسة زراعة القمح وتربية المواشي في سهول الغرب الطمييية، الأمر الذي يحمل على الاعتقاد أن المراكز المحادية لغابة المعمورة لم تكن لتجهل فوائد الاستغلال الغابوي. وفي هذا الصدد، يفيدنا بلين الأول أن بطوليموس، ملك المغرب العتيق كان يفتخر بامتلاك أكبر طاولة من الخشب يعرفها أهالي ضفاف البحر المتوسط، كما أن أولئك الأهالي كانوا يصطادون الوحيش.

وعثر علماء الآثار، على امتداد الشواطئ الاطلنتية والمتوسطية، على أطلال لمعامل تمليح الاسماك ولإنتاج مرق مفلفل مصنوع من حواياها، إذ كان الرومان يقبلون على استهلاكه. وكانت هذه المعامل تقع بالخصوص بإيمسا والرأس الأسود والقصر الصغير وكوتا وتاهدارت والقواس، وليكسوس وثاموسيدا وبجزيرة الصويرة ...، وكلها تشكّل حجة لنشاط بحري مكثّف، سواء في ميدان التجارة أو ميدان الصيد وتحويل منتجات البحر.

ومنذ الفترة التي سبقت العهد الروماني بالمغرب، كانت هذه المنتجات تصدّر إلى العديد من الجهات التي تقع على ضفاف البحر المتوسّط. من ذلك ان أمفورات ـ وهي قلل ذات عروتين ـ مصنوعة بالقواس خلال القرن الرابع قبل ميلاد المسيح، وجدت بأقاليم شرق حوض البحر المتوسط وبكورانثة بالضبط، كما أن جزيرة الصويرة أثارت الانتباه بوجود المُرّيق حولها، فاستجلب الفنيقيين إليها لاستغلاله في إنتاج الأرجوان، وهو صبغ استعمله القدامى لصباغة النسيج المستخدم من طرف الأغنياء. ولهذا السبب، أطلقوا على جزيرة الصويرة والصخور المحيطة بها اسم الجزر الأرجوانية، وقد ثبت أن هذا الاستغلال تواصل إلى القرن الرابع بعد الميلاد.

وفيما يخص الواردات تطلعنا التنقيبات الآثارية التي أجريت في عدة مواقع عتيقة بالمغرب على التيارات التجارية بين المغرب وغيره من الأمصار، وذلك منذ العهد الفينيقي، غير أنه يبقى من المستحيل وضع لائحة شاملة للمستوردات المغربية في تلك الحقبة من الزمن، لأن المنتجات الاستهلاكية لم تكن قابلة للتصبير، وبالتالي يتعذّر التعرف عليها من خلال الحفريات. ومع ذلك، فان تطور الأبحاث الآثارية التي جرت تحت الماء ساعدت على وضع خريطة تحظى بقدر من المصداقية حول ما كانت عليه المبادلات التجاريّة في الشواطئ المتوسطية خلال تلك الفترة القديمة.

وخلال العهد الفينيقي، أي أثناء القرون الثامن والسابع والخامس قبل الميلاد، مضى البحّارة الفينيقيون يُنزلون بالشواطئ الأطلنتية المغربية الممتدّة من ليكسوس إلى جزيرة الصويرة منتجات خزفية ممتازة الصنع، خرجت من معامل في عدة أقاليم شرق متوسطية ومن الجزر اليونانية، حتى إن القلل الكورانتية التي عثر عليها بجزيرة الصويرة، لدليل على أن الزيوت والخمور اليونانية كانت ترد إلى ذلك الموقع.

ويعني هذا ان المادتين الغذائيتين المذكورتين، إضافة إلى الاسماك المصبرّة بالملح وغيرها من المملّحات، شكّلت القسط الأوفر من الواردات الثابت تسويقها في المدن المغربية وبواديها حتى العهد الروماني.

وخلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، كانت الأسواق المغربية تستقبل الزيوت الإسبانية دون غيرها، كما كان الحال في القرن الأخير قبل الميلاد، مع بعض الاستثناء حيث كانت الزيوت تأتي كذلك من إيطاليا، ولاسيما من إقليم بريندس الواقع على شواطئ بحر الادرياتيك. وكان الزيت

الإيطالي ينقل في القلل المستديرة والاسباني ينقل في قلل من صنف دريسيل 20. ويبدو أن تطور انتاج الزيوت في المغرب خاصة وشمال افريقيا عامة، ابتداءً من القرن الثاني بعد الميلاد، مكّن من تقليص حجم واردات الزيوت الإسبانية إلى المغرب.

أما استيراد الخمور، فإنه سار على درب الحركة التجارية التي طالت المنتجات الزيتية. ويات من المؤكّد ان هذه الخمور كانت تنقل في قلل من صنف دريسيل 1 وتأتي من منطقة الفيزوف الايطالية خلال الفترة التي كان المغرب يسمى فيها موريطانيا الطنجية. وانطلاقاً من عهد القيصر أغسطس، صارت الخمور الايطالية تنقل إلى المغرب في قلل من صنف هالّترين 70 ودريسيل 4.2.

الأسماك المجفّفة والمملحات كانت هي الأخرى تستورد بكمّيات كبرى، وقد سمحت الاكتشافات الأثارية بالتعرف على أعداد وافرة من القلل المصنفة بدريسيل 18 ودريسيل 11.7 وبلتران 2 ـ ب التي كانت تستعمل في نقل منتجات البحر التي يُستورد أغلبها من المواقع الإسبانية من أرياض جبل طارق. لكن وجود عدد وافر من معامل الأسماك على طول الشواطئ المغربية وأكبر مركّب للتمليح في العالم الروماني الذي عثر على أطلاله بمدنية ليكسوس، علاوة على اكتشاف معامل لصناعة القلل بالقواس لنقل الأسماك، كلها عناصر تدفع إلى الظن أن المغرب كان يصدّر منتجات البحر.

وإلى جانب مواد الاستهلاك، كانت مملكة المغرب ـ التي أصبحت إقليماً تابعاً للأمبراطورية الرومانية في سنة 40 بعد الميلاد ـ تستورد كميات وافرة من الخزفيات النفيسة، ضمنها المزهريات اليونانية والمنتجات الخزفية المختومة البيضاء من صنف د، وغيرها من المتنوعات الطينية والخزفية الخاصة بالبحر المتوسط.

وكانت البورجوازية المحلّية والمدن الحضرية تستورد المنتجات الفنّية، مثل التماثيل الكبرى والصغرى وغيرها من التحف الرخامية أو النحاسية التي كانت تزين البيوت والمؤسسات العمومية.

Hérodote, *Histoires* ; A. Akerraz, V. Brouquier et E. Lenoir, *L'occupation antique de la plaine du Gharb, VIème Colloque International sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord*, (à paraître) ; Rebuffat, *L'implantation militaire en Maurétanie Tingitane*, idem ; A. Akerraz et M. Lenoir, *Les huileries de Volubilis*, *BAM* 14, 1982 - 1983 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle* ; M. Ponsich et M. Tarradell, *Garum et industries de salaisons en Méditerranée occidentale*, Paris, 1965 ; P. Rouillard, *Le commerce grec du Vème et IVème siècles av.J.-C. dans les régions de Lixus et Gadès, Lixus, Actes du colloque organisé par l'Institut des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine* (Larache 8 - 11 novembre 1989), Rome, 1992, p. 207 - 215 ; M. Ponsich, *Note préliminaire sur l'industrie préromaine en Tingitane*, *Karthago* 15, 1960 - 1970 ; *Nouvel aspect de l'industrie préromaine en Tingitane*, *BCTH n.s.* 4, 1968 ; M. Lenoir, *Lixus à l'époque romaine, Lixus, Actes du Colloque organisé par l'Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine*, (Larache, 8 - 11 novembre 1989), Rome, 1992, p. 274.

عمر أكراز، ترجمة أحمد بنجلون

* * وفي العصر الوسيط، شهد المغرب نشاطا تجاريا مهما بفعل تنظيمه للمبادلات مع المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى. ويعود تاريخ العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي إلى عهود ضاربة في القدم، غير أن المرحلة الممتدة بين القرن الرابع (10 م) والقرن الثامن (14م) تمثل العهد الذهبي لهذه العلاقات نظرا لما عرفته من انتظام في عملية الاتصال والتواصل وما ترتب عن ذلك من تفاعل حضاري في مختلف المجالات.

كانت المبادلات التجارية بين المغاربة والسودانيين تتم في بداية الأمر عبر ما يسمى بالتجارة الصامتة. وقد ذكر القزويني أن هذا الأسلوب في التبادل التجاري استمر العمل به في القرن السادس (12 م) بحيث كان التجار يضعون بضائعهم ويضربون طبولا ليعلموا القوم ثم يتراجعون فيأتي السودانيون بالتبر ويضعون بجنب كل متاع شيئا من التبر وينصرفون، ثم يأتي التجار ويأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته، ولا يذكر أحد من هؤلاء التجار أنه رأى أحداً منهم (*آثار البلاد*، 19). وما ذكره هذا المؤلف لا ينطبق على المرحلة التي عاش فيها بقدر ما يعبر عن الكيفية التي كان يتم التعامل بها في العهود القديمة خصوصا وأن بلاد السودان الغربي كانت في العصر الوسيط خاضعة لنفوذ ممالك مسلمة ويوجد بمدنها وقراها عدد مهم من التجار المغاربة والفقهاء والقضاة حتى إن منهم من تولى الوزارة في مملكة غانا كما جاء عند البكري.

لعبت مناطق واحات المغرب الأقصى دوراً مهما في عملية ربط الاتصال بين مناطق الشمال والسودان الغربي بحكم موقعها على أبواب الصحراء الكبرى. غير أن تأسيس مدينة سجلماسة وازدهارها السياسي في عهد المدراريين وبني خزرون ثم المرابطين ومن أتى بعدهم جعل من مجالاتها منطقة فاعلة في المبادلات التجارية وأثر على أولويتها مقارنة مع مجالات درعة وواد نون مدة طويلة من الزمن لأن موقعها يتوسط المجال الواحي والمسافة ما بينها وبين تلمسان وفاس ومراكش على حد سواء، فمن حيث قصدت إليها من أحد هذه البلاد كان ذلك مسافة عشر مراحل (*المعجب*، 357).

ارتبطت واحات المغرب خاصة منها سجلماسة ببلاد السودان عبر شبكة مهمة من الطرق. وابتداءً من القرن الرابع (10 م) شرعت المسالك التجارية الصحراوية في الميل نحو الغرب بفعل العامل المناخي (*صورة الأرض*، 143. 144). وكان لا بد من انتظار القرن الموالي لتعرف المسالك الغربية استقراراً واضحاً في اتجاهها وهو ما لم يحدث عليه تغير كبير في المراحل اللاحقة. يشهد على ذلك تطابق أوصاف البكري لهذه المسالك مع أوصاف الذين أتوا بعده إلى حدود القرن الثامن (14 م).

والمسالك التجارية الغربية التي ربطت المغرب الأقصى بالسودان الغربي في العصر الوسيط ثلاثة : الطريق الساحلي، طريق سجلماسة غانا عبر أودغست وهو الطريق الوسط، وطريق سجلماسة ـ تمبكتو عبر ملاحة تغازى الذي يمر في العروض الشرقية للمغرب الأقصى والذي انتهت إليه

الأهمية في الاستعمال قبل أن يفقد المغرب أوليته في التجارة الصحراوية أمام حيوية التجار المصريين في القرن الثامن (14 م).

إن الطريق الساحلي هو أقدم هذه الطرق من حيث الاستعمال، كانت له أهمية كبيرة في العهود القديمة والفترة المبكرة من التاريخ الوسيط إلى حدود القرن الخامس (11 م) حيث قل استعماله بسبب اكتشاف ملاحة "تاتنتال" التي عرفت باسم تغازى فيما بعد (انظر مادة تاتنتال). ويتخذ هذا الطريق شكل مثلث ما بين سجلماسة وملاحة "أوليل" وأودغست (انظر الخريطة) وكان السير عبره يتطلب من التجار مسيرة ستين يوما (*صورة الأرض*، 91).

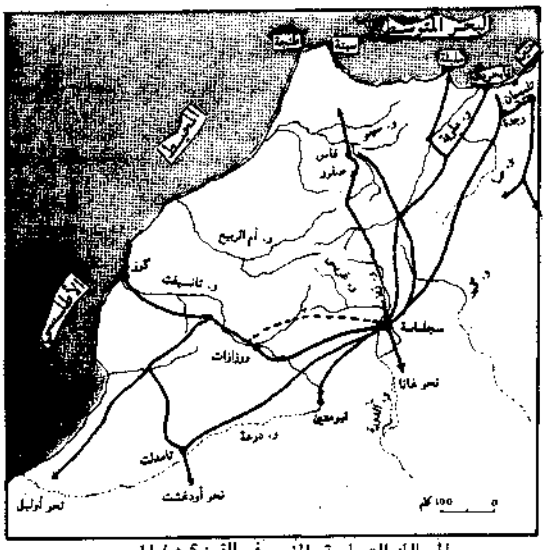

المسالك التجارية بالمغرب في القرن 5 هـ / 11 م

لم يكن هذا الطريق يتوفر على نقط الماء في المسافة الفاصلة بين نول لمطة وأوليل لأن التربة بهذا المجال عبارة عن صفا يصعب حفره بالمعاول (*المسالك*، 172؛ *الاستبصار*، 213.214). لكن التجار استمروا في استعماله رغم اكتشاف ملاحة تاتنتال في القرن الخامس (11 م) بدليل ما ورد في المصادر الجغرافية في القرنين التاليين السادس والسابع عن دور ملاحة أوليل في تزويد بلاد السودان بمادة الملح. وعليه، فإن التخلي عن استعمال هذا الطريق لم يتم قبل زمان ابن سعيد المغربي (*سجلماسة*، 324.326).

أما الطريق الوسط فكان يربط سجلماسة بغانا عبر وادي درعة ووادي ترجّ (تارگا = الساقية)! الذي من المحتمل أن يكون المقصود به الساقية الحمراء ثم أودغست فغانا. وهذا الطريق لا يمر بالمراكز الحضرية المهمة في الجنوب المغربي كتامدولت ونول لمطة، لكن ميزته أنه مباشر تقل مسافته عن مسافة الطريق الساحلي (البكري، 164)، ونميل إلى الاعتقاد بأن هذا الطريق لم تكن له أهمية كبيرة في ربط بلاد المغرب ببلاد السودان وأنه كان مستعملا في طريق العودة من بلاد السودان أكثر من استعماله في طريق الذهاب (*سجلماسة*، 327 والخريطة رقم 1).

أما الطريق الثالث الذي كان يربط سجلماسة بغانا عبر تامدولت، تاتنتال، أودغست فغانا في القرن الخامس فهو الذي استمر التجار في استعماله للوصول من سجلماسة إلى ايولاتن وتنبكتو في فترة سيادة مملكة مالي. ويظهر أن استعماله أثر على حيوية الطريق الساحلي والطريق الواقع إلى الشرق منه، أي الطريق الوسط دون أن يبعد التجار عنهما بصفة نهائية، وقد اتخذ أهمية التجارة بفعل استغلال ملاحة تاتنتال في القرن الخامس (انظر مادة تاتنتال والخريطة رقم 1).

تزامن نشاط هذا الطريق التجاري أيضاً مع ما عرفته الخريطة الحضرية ببلاد السودان الغربي من مستجدات بعد اندراس مدينة أودغست على يد المرابطين في منتصف القرن الخامس و"كومبي صالح"، عاصمة غانا في أواخر نفس القرن ثم تأسيس مدينة إيولاتن في أواخر ثلاثينيات القرن السادس لتضطلع بمهمة الإشراف على المبادلات بين الشمال والجنوب (*سجلماسة*، 328.334).

كانت الرحلة عبر هذا الطريق تتطلب إحدى وخمسين مرحلة، ونظراً للأهمية التي كانت له في مجال المبادلات ذكر البكري مراحله بدقة متناهية (*المغرب*، 156.158). وهذا الطريق هو الذي سلكه ابن بطوطة في ذهابه إلى مالي سنة 752 هـ / 1351 م (*الرحلة*، 2 : 773.776) وهو ما يؤكد استمرار اتجاه الطرق على ما كان عليه منذ القرن الخامس. وقد شهد النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) تغيرات مهمة في هذا المجال، وهذا ما نلمسه من خلال تتبع طريق عودة ابن بطوطة من بلاد السودان عبر تكدا، غات، رفقة تجار مصر ثم توات فالهگار فسجلماسة، أي عبر مجالات تقع إلى الشرق من مجالات المغرب الأقصى. وتجب الإشارة هنا إلى أن النشاط الذي عرفه طريق سجلماسة مالي عبر تغازى في القرن الثامن لم يكن معزولا عن ميل الطريق التجارية مجددا نحو الشرق فكان لما عرفته بلاد الصحراء من ظروف انعدام الأمن في هذه الفترة بالذات بالغ الأثر في توجه التجار شيئا فشيئا نحو الشرق بحثاً عن مناطق آمنة، وهذا ما أثر على مناطق سجلماسة وتامدولت بشكل سلبي وأدى إلى خراب المدينتين معا في أواخر القرن الثامن (*سجلماسة*، 328).

وارتبطت مناطق الواحات أيضا بشبكة مهمة من الطرق مع مختلف جهات المغرب عبر ثلاثة محاور رئيسية، أولها محور سجلماسة ـ فاس وباقي مدن الشمال، وكان يُستعمل فيه طريقان، واحد يتبع مجرى وادي زيز ومسافته مسيرة ثمانية أيام، والثاني يمر بتالسينت ومطماطة أمسكور ومسافته ما بين إحدى عشرة مرحلة واثني عشر يوماً (*المغرب*، 147 والخريطة رقم 2). وثانيهما محور سجلماسة ـ الشمال الشرقي وقد عرف استعمال طريقين أيضا : واحد كان يمر بوادي زيز ثم وادي گير ثم وادي صاع (زا) فوجدة ومنها إلى تلمسان، وهذا الطريق كان يستعمل في القرن الخامس (*المغرب*، 38) والثاني وصفه الإدريسي في القرن السادس وذكر أنه قليل الاستعمال لأن أغلب مراحله مفازة

وأهم محطاته بين تلمسان وسجلماسة غير معروفة الآن (*نزهة المشتاق*، 56) وهذا الطريق الثاني أقل مسافة من الأول لأنه يتجه من الشمال إلى الجنوب في اتجاه عمودي تم استعماله بكثرة في الفترة التي كانت فيها سجلماسة خاضعة للزيانيين سلاطين تلمسان (*سجلماسة*، 340 والخريطة رقم 2). كما ارتبطت مدن الواحات أيضا بالمدن الجنوبية الواقعة على الواجهة الغربية لجبال درن كأغمات ونفيس ثم مراكش عبر وادي درعة وممرات جبال درن (البكري، 152). وقد لعبت الممرات الطبيعية التي توفرها أودية جبال درن دوراً بارزاً في تسهيل عملية الاتصال بين المدن الشمالية ومدن الواحات، لذلك كان طريق سجلماسة ـ فاس يمر عبر تيزي ـ ن ـ تالغمت وطريق سجلماسة ـ تادلا عبر تيزي مقورن كما سمحت ممرات تيزي ن بجو وتيزي ن تلكار وتيزي ن تافيلالت بربط سجلماسة بمناطق درعة والسوس (انظر المسالك التجارية الداخلية في الخريطة رقم 2).

سمحت هذه الشبكة من الطرق بتنظيم العملية التجارية على الصعيدين الداخلي والخارجي وكانت النتيجة ازدهار الرواج التجاري بالمغرب في العصر الوسيط. وهذه الطرق التجارية الداخلية منها والصحراوية لم تكن تتبع دائما المسالك السهلة الاجتياز أو الجهات التي تتوفر على مصادر الماء أو غير ذلك من العوامل الطبيعية المساعدة على تسهيل التنقلات والأسفار بل ارتبط اتجاهها أيضا بالعامل الأمني والسياسي ،وهكذا كلما بدا خطر ضعف الخفارة واحتمال اعتراض العير في جهة من الجهات ابعد التجار عن المسير في تلك الطريق بحثاً عن سبل أخرى آمنة، والأمثلة كثيرة في هذا الباب سواء تعلق الأمر بالمسالك التجارية الداخلية أو المسالك التجارية الصحراوية.

وقد خضع التجار في العصر الوسيط لتنظيم محكم كانت الغاية منه التغلب على الصعوبات التي تعترضهم بالصحراء الكبرى حيث شدة الحر وقلة الماء وهبوب الرياح الغبارية التي تغير من الآثار الطبيعية التي يتم الاعتماد عليها في تحديد اتجاه الطرق بسبب نقلها كثبان الرمال من مكان إلى آخر (*نزهة*، 9 ؛ *الرحلة*، 2 : 774).

ويصعب الحديث عن تنظيم القوافل وخضوعها لتسيير محكم قبل القرن الثامن (14 م) لأن الإشارات التي وصلتنا في هذا الموضوع كانت عبر ما كتبه ابن بطوطة عن رحلته إلى مالي، لكن انعدام هذا النوع من المعلومات في المصادر السابقة لا يعني أن هذا التنظيم هو وليد القرن الثامن بل ليس هناك ما ينفي اعتماده من قبل التجار منذ أن شرعت المسالك التجارية الغربية في اختراق الهجابة الكبرى الواقعة إلى الشرق من الطريق الساحلي.

كان المسؤول عن القافلة في العصر الوسيط يعرف باسم القائد وهو الناطق والمفاوض باسم التجار والمشرف على كل ما يتعلق بتنظيم رحلتهم، وكان له أعوان يساعدونه في مهامه كالدليل والتكشيف، فالأول كان يستأجره التجار بأوفر الشروط ليدلهم على اتجاه المسالك لدرايته بها من كثرة تردده على المفازات (*العبر*، 7 : 77 ؛ ابن بطوطة، *الرحلة*، 2 : 775). وأما الثاني أي التكشيف فهو اسم لكل رجل يكتريه أهل القافلة ليتقدم بكتبهم إلى أصحابهم بإيولاتن حتى يكتروا لهم الدور ويخرجوا للقائهم بالماء. ومهمة التكشيف صعبة للغاية لأن نجاح القافلة في الوصول إلى إيولاتن متوقف على نجاحه في مهمته (ابن بطوطة، *الرحلة*، 2 : 775) وقد كان التكشيف يستأجر بمائة مثقال في القرن الثامن مقابل تقدمه أمام القافلة من قرية تاسرهلا إلى إيولاتن.

ولا نعلم الطريقة التي كان قائد القافلة يعتمدها في إدارة شؤون التجار كما لا نعلم شيئا عن الكيفية التي كانت تتم بها عملية تأدية أجور كل من الدليل والتكشيف، خاصة وأن بضائع التجار لم تكن متساوية في القافلة. فهل كان التجار يؤدون أجور هؤلاء الأشخاص تبعا لقيمة سلعهم أم تبعا لحصول إبلهم أم أن هذه المصاريف كانت تقتسم على الرؤوس بالتساوي دون مراعاة لتجارة كل واحد منهم على حدة ؟

وعرفت التجارة الصحراوية إلى جانب هذا التنظيم المحكم الذي أملته صعوبة التنقل في القفر تنظيماً آخر لا يقل أهمية، ويتعلق الأمر بالشركات التجارية كما هو الحال بالنسبة لشركة أسرة المقري التي أسست في القرن السابع (13 م) واستمر نشاطها إلى ما بعد نهاية النصف الأول من القرن الثامن (14 م) وكان لها ممثلون بتلمسان وسجلماسة وإيولاتن. وقد سجل لسان الدين بن الخطيب كيفية العمل في هذه الشركة التجارية وعنه نقل المقري مادته في هذا الموضوع مع إضافات قليلة لا تخلو من فائدة (*الإحاطة*، 2: 192 ـ 194 ؛ *نفح الطيب*، 5 : 205).

كانت التجارة الصحراوية تدر أرباحاً كثيرة على المشتغلين بها وقد فسر ابن خلدون ذلك ببعد الطريق ومشقته وقلة سلع بلاد السودان بالمغرب واختصاصها بالغلاء، وكذلك سلع المغرب لديهم، وقال بأن المترددين في أفق واحد بين أمصاره وبلدانه فائدتهم قليلة وأرباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقليها (*المقدمة*، 497). وقد نقل بن الخطيب عن أبي مدين الغوث قوله في نفس الموضوع : إن تجار الصحراء يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع (*الإحاطة*، 2 : 193).

وليس من السهل تحديد القيمة الحقيقية للمبادلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان وكذلك بينه وبين أوربا في العصر الوسيط، لأننا لا نعرف كمية ولا ثمن السلع المصدرة والمستوردة نتيجة إغفال المصادر الجغرافية للمعلومات المساعدة على معرفة ذلك. وقد تعددت سلع بلاد المغرب التي تم نقلها إلى السودان الغربي حسب الفترات التاريخية وتشكلت في غالب الأحيان من مواد مصنعة ومنتجات فلاحية وقلما تم نقل المواد الخام باستثناء الأصواف والخشب، ويمكن تتبع تطور أنواع السلع المتاجر

فيها حسب الفترات التاريخية من خلال الجدول التالي :

سلع بلاد المغرب المتاجر فيها ببلاد السودان ما بين القرنين 5 / 11 م و8 / 14 م

مواد مصنوعة	مواد غير مصنوعة	انتاج فلاحي	المرحلة الزمنية	مصدر المعلومات
ـ الأواني النحاسية ـ ثياب زرقاء وحمراء ـ الودع	الملح		القرن 5 هـ / 11 م	البكري ص. 159
ـ النحاس الأحمر والملون ـ المخرز ـ الأكسية وثياب الصوف ـ العمائم ـ المازر ـ النظم الزجاجية ـ الأصداف والأحجار الكريمة ـ الأقاويه والعطر ـ آلات الحديد	الصوف الملح	التمر الحناء	القرن 6 هـ / 12 م	الإدريسي ص. 4 و42
ـ خرز الزجاج ـ الأسورة والخواتم والحلق النحاسية	خشب الصنوبر خشب الأرز الملح		" "	القزويني ص. 19
ـ الودع ـ النحاس المسبوك	الملح	التاكوت	" "	الاستبصار ص. 222
ـ الأصداف ـ الأسورة النحاسية	الملح	التمر	القرن 7 هـ / 13 م	نتائج الحفائر الأركيولوجية D.T. Nian, p. 155
ـ النحاس ـ الودع	الملح	التين	القرن 8 هـ / 14 م	أبو الفدا ج.1، ص. 96
ـ حلي الزجاج ـ السلع العطرية ـ عطر القرنفل ـ تاسرغينت	الملح	التمر	" "	ابن بطوطة ج.2 ص. 779

يتضح مما سبق أن بعض السلع لم تختف من قائمة البضائع المتاجر فيها طيلة العصر الوسيط كالمصنوعات النحاسية والملح. وهذا ما يؤكد ما كانت تلقاه من رواج في الأسواق السودانية، كما أن بعض السلع الأخرى، لم تستطع لسبب من الأسباب أن تضمن لنفسها مكانا ضمن صادرات بلاد المغرب إلى بلاد السودان كما هو الحال مع المصنوعات الصوفية التي لم يرد لها ذكر ضمن سلع التجارة الصحراوية بعد القرن السادس (12 م) وقد نجد لذلك تفسيراً فيما وصلنا عن سوق المنسوجات القطنية ببلاد السودان في القرن الثامن (14 م) من خلال شهادة ابن بطوطة التي أكدت إقبال الماليين على المنسوجات المصرية. وابن فضل الله العمري الذي أشار إلى أن امبراطورية مالي كانت تنتج القطن وتصنع منه ثيابا ناصعة البياض (ابن بطوطة، *رحلة*، 2 : 799 والعمري، ص. 65).

وقد ظهرت المنتجات الفلاحية ضمن قائمة السلع المتاجر فيها ابتداء من القرن السادس (12 م) كما أن سلعا أخرى تم نقلها إلى بلاد السودان لم يرد ذكرها في المصادر الجغرافية وأكدت نتائج البحث الأثري وجودها كما هو الحال بالنسبة للأواني الفخارية.

أما السلع التي تم نقلها من بلاد السودان إلى المغرب فيأتي على رأسها التبر والعبيد ومواد أخرى يمكن رصدها في الجدول التالي :

سلع بلاد السودان إلى المغرب	المرحلة الزمنية	مصدر المعلومات
ـ العنبر ـ الذهب الإبريز	القرن 5 (11 م)	البكري، ص. 159
ـ التبر ـ عبيد للملم	القرن 6 (12 م)	الادريسي ص. 5 ـ 7
ـ الذهب ـ الشب	القرن 6 (12 م)	القزويني ص. 25 ـ 26
ـ الذهب ـ الأسواط التي تسمى بالسراقيات	القرن 6 (12 م)	*الاستبصار* ص. 114
ـ التبر ـ عبيد للملم	القرن 7 (13 م)	ابن سعيد المغربي ص. 92
ـ الذهب ـ العبيد	القرن 8 (14 م)	ابن فضل الله العمري ص. 61
ـ التبر ـ العبيد	القرن 8 (14 م)	ابن بطوطة ج 2، ص. 773
ـ الجلد ـ العاج ـ الجوز ـ التبر	القرن 8 (14 م)	ابن الخطيب *الإحاطة*، ج. 2 ص. 192

نظم المغاربة تجارتهم في العصر الوسط مع الأوربيين أيضا، ولم يؤثر الصراع الذي دار بين المسلمين والمسيحيين على الرواج التجاري بالحوض الغربي للبحر المتوسط كما يزعم البعض، بل على العكس من ذلك انتظمت المبادلات بين الجانبين في الموانئ المتوسطية التي شهدت حضوراً مستمراً للتجار الأوربيين أو شركائهم من اليهود (M. Lombard, *L'or*, p. 150 ; Mas -Latrie, p. 83 - 84 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne*, p. 126 وسجلماسة، 372 ـ 375).

ويمكن رصد مختلف السلع التي تمت فيها المتاجرة بين المغاربة والأوربيين في العصر الوسيط بناء على ما ذكره ماص ـ لاتري Mas - Latrie في الجدول التالي :

السلع المغربية	السلع الأوربية
الشمع	المنسوجات الصوفية
الزبيب	التوابل
التمر	الأغطية الصوفية الانجليزية
المنسوجات الصوفية	الأواني النحاسية
الشب الأبيض المعروف باسم السجلماسي	الأصداف
الحوت المجفف	النحاس المسبوك : قضبان وصفائح
جلود الحيوانات بمختلف أنواعها	الحديد

السلع المغربية	السلع الأوربية
الأصواف	الأسلحة : الخوذات، الأقواس، السيوف الورق عظام الحيوانات الخمر

وإذا كان التجار الأوربيون قد اندفعوا نحو موانئ بلاد المغرب من أجل الحصول على الذهب فإن أهم ما يمكن تسجيله هنا هو أن صناع الذهب الذي كان يصل إلى المغرب بواسطة التجارة الصحراوية لم يتم نقل القليل ولا الكثير منه إلى البلاد الأوربية، وإنما صنع بالمغرب ووصل المضروب منه نقداً إلى أوربا بفعل استبداله بسلع كان المغرب في حاجة إليها لسد حاجيات الطلب الداخلي أو الخارجي جنوب الصحراء الكبرى.

وقد تطورت التجارة المغربية في العصر الوسيط عبر مراحل كان فيها للعامل السياسي والأمني دور بارز، لذلك يمكن تتبع هذه المراحل بموازاة مع التطور الذي عرفته إمارات ودول بلاد المغرب في المرحلة المعنية بالدراسة. ومما يؤكد ذلك أنه كان لا بد من انتظار القرن الرابع (10 م) لتصبح معلوماتنا عن تجارة بلاد المغرب مع السودان الغربي واضحة نسبيا مقارنة مع ما نعرفه عنها في الفترات السابقة لهذا التاريخ حيث نجد معلومات كل من الاصطخري وابن خرداذبة والمقدسي واليعقوبي عن تجارة الذهب مليئة بالأساطير والخرافات الأمر الذي يدفع إلى تفسير كل هذا التناقض والتضارب في المعلومات بضعف العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي وجهل رجالات تلك العصور بحقيقة ما كان عليه الأمر في المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى (الاصطخري، 37 ـ 38 ؛ المقدس، 164 ؛ اليعقوبي، 110).

وقد أصبح لواحات بلاد المغرب الأقصى خلال القرن الرابع (10 م) الأهمية التي عرفت بها في مجال التجارة الصحراوية في العصر الوسيط، يؤكد ذلك الشهرة التي تمتعت بها سجلماسة في هذا المجال بعد أن جلبت إليها الطرق التجارية الصحراوية مؤثرة بذلك على نشاط غيرها من المدن في المغربين الأوسط والأدنى ومدن فزان ومصر، فقصدها التجار من جميع الآفاق خاصة من بلاد المشرق كتجار البصرة والكوفة وبغداد (*صورة الأرض*، 65).

وبذل المرابطون في القرن الخامس جهوداً كبيرة من أجل تمهيد الطرق التجارية لتشجيع المبادلات مع بلاد السودان مستفيدين في ذلك من جهود سابقيهم من الإمارات التي حكمت مناطق الواحات كبني مدرار وبني خزرون فنشطت الحركة التجارية بين المغرب وبلاد السودان بكيفية لم تشهد البلاد مثله من قبل (حافظي، *سجلماسة*، ص. 380).

ولم يغير انتقال الحكم من المرابطين إلى الموحدين شيئاً فيما يتعلق بالتجارة مع بلاد السودان رغم امتداد مجال نفوذ الموحدين على كل بلاد المغارب لأن القسم الأكبر من هذه التجارة كان يتوجه نحو العاصمة مراكش، فحافظت بذلك واحات المغرب الأقصى على نشاطها وحيويتها. ومع حلول القرن السابع الهجري وضعف سلطة الموحدين توزع نشاط المسالك التجارية الصحراوية الغربية بين ثلاثة محاور : واحد يربط أمبراطورية مالي بالمغرب الأقصى وثان يربطها بالمغرب الأوسط وثالث يربطها بالمغرب الأدنى، وتوزعت الاستفادة من التجارة الصحراوية عبر المسالك الغربية بين القوى التي اقتسمت الإرث السياسي الموحدي.

ورغم ما عرفه القرن السابع من صراع بين المرينيين والموحدين من جهة وبينهم وبين الزيانيين والحفصيين من جهة ثانية فإن تجارة المغرب الأقصى مع بلاد السودان لم تعرف تراجعا ملحوظا إلا مع حلول القرن الثامن (14 م)، حيث تضافرت عوامل كثيرة منها ما هو خارجي كانفتاح مالي على المشرق وإقبالها على التعامل مع تجار مصر وما ترتب عن ذلك من ميل تدريجي للمسالك التجارية مجددا نحو الشرق ؛ ومنها ما هو داخلي ويأتي على رأسه ضعف سلاطين بني مرين بعد منتصف المائة الثامنة وتحكم القبائل القوية في مجالات نفوذها خاصة عرب المعقل الذين سببت ثوراتهم ضد بعض سلاطين بني مرين انقطاع السبل وابتعاد التجار عن السير في صحاري المغرب الأقصى إلى غيرها من صحاري المغربين الأوسط والأدنى (*سجلماسة*، ص. 381 ـ 389). وبذلك ضعفت تجارة المغرب عبر الصحراء غير أنها لم تنقطع تماماً إلى نهاية العصر الوسيط.

أ. البكري، *المسالك* ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ مجهول، *الاستبصار* ؛ ح. ح. علوي، *سجلماسة*.

حسن حافظي العلوي

* * نشطت التجارة البرتغالية مع المغرب ابتداء من القرن العاشر (16 م)، إذ كانت منطقة الغرب الأندلسية، التي تناسب اليوم جنوب نهر التاج، كثيرة الارتباط من الناحية التجارية بالمغرب. فقد اعتادت الاعتماد على قمحه بالخصوص. ووصلتنا إشارة إلى إقبال الأزموريين على التعامل مع البرتغال بعد انتهاء فترة الحكم الإسلامي به، تعود إلى عهد السلطان أبي الحسن المريني. ولم تنقطع الروابط التجارية بين المغرب والبرتغال بعد استكماله لحروب الاسترداد. ولم يعد التجار البرتغاليون يقتصرون على الموانئ الشمالية، بل تعودوا، ابتداء من القرن الثالث عشر، الإقبال على أنفا إلى حين تخريبها، وعلى أزمور وأسفي وماسة، وذلك لجلب سمك شابل أم الربيع، وحبوب تامسنا ودكالة وتبر السودان. وارتفعت أعداد التجار البرتغاليين بالموانئ المغربية ليصبحوا أكثر التجار عدداً بها بعد القرن المذكور، ومعلوم أن عدداً من المؤرخين البرتغاليين ربطوا اهتمام بلادهم بالمغرب، وشرعوا مبكراً في احتلال ثغوره لحرص المسؤولين على ضمان تزويد بلادهم بسلع أساسية كانت بلادهم في أمس الحاجة إليها واعتادوا

اقتنائها بالمغرب، كالحبوب والتبر. ومعلوم أن البرتغال عانى خلال القرن الرابع عشر وبداية القرن التالي من أزمة نقدية حادة تولد عنها تضخم خطير. (أحمد بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، ص 155).

وقد نتج عن احتلال الثغور الشمالية بالمغرب(سبتة عام 1415، القصر الصغير عام 1458، أصيلا وطنجة عام 1471) تحولها إلى مجرد ثكنات جامدة تعيش على ما تتوصل به من البرتغال. وانتقل الرواج الذي كانت تعرفه من قبل إلى موانئ السهول الغربية ذات الظهير الغني كأنفا قبل تخريبها (1469)، أو أسفي، أو أزمور أو ماسة. كما استفادت مرافئ صغيرة كتيط، وأخرى لم يكن لها ذكر كدار الفارس، (شمال الوليدية الحالية) التي اشتهرت بتصدير الحبوب والأسماك (الشابل) والجلود، والشمع والعسل والتبر الذي اقتنى منه التجار البرتغاليون كميات هامة بأسفي وأزمور قبل احتلالهما.

عرفت التجارة البرتغالية بالمغرب تطوراً هاماً بعد اكتشاف سواحل غرب إفريقيا، وتنظيم التجارة بها، وخصوصا بجزيرة أرغين(Arguin)، قبالة الساحل الموريطاني (عام 1455)، ولامينا (عام 1481)، بساحل الذهب فضلا عن نقط أخرى كثيرة بمصاب أنهار السنغال، وغامبيا، وغيرهما. فقد نتج عن تنظيم تلك التجارة واحتكارها من لدن الملك البرتغالي، تزايد إقبال وكلاء الملك بأسفي وأزمور وماسة على بعض السلع الضرورية للحصول على التبر والعبيد، وكانت الأنسجة الصوفية من حياك وحنابل وعبائن أهمها. فقد أصبحت تلك السلعة تعرف في الوثائق البرتغالية "بأثواب أرغين" لكونها كانت أهم ما يعرض بغرب إفريقيا، وكانت تمثل السلعة التي تضمن أهم ربح. لذا لم يعد إنتاج أسفي والمناطق المرتبطة بها كافيا لتلبية الطلب المتزايد عليها، الأمر الذي دفع الملك البرتغالي، الذي كان يحتكر تلك السلعة، إلى الاعتماد على إنتاج المناطق الداخلية كنواحي مراكش أو تادلة التي تعاقد قائدها أحمد العطار مع الملك البرتغالي سنة 1530 على إنتاج كميات معينة مقابل مقادير من الصمغ توصل بها مسبقاً. كما تعاقد الملك مع يهوديين من أسفي سنة 1512 قصد إنتاج كميات محددة خلال فترات معينة حسب نماذج وعينات يقدمها الملك أو وكلاؤه التجاريون.

وتزايد إقبال البرتغاليين على حبوب المغرب تبعا لتزايد حضرييهم وتكاثر أفران إنتاج البسكويت الموجه للسفن ولتغطية حاجيات حاميات الثغور الشمالية المحتلة، وكذا لعرض القمح المغربي بسواحل غرب إفريقيا غير الاستوائية. وقد امتص البرتغاليون كميات هائلة من الحبوب المغربية إما بالشراء أو عن طريق النهب أو استخلاص الضرائب. (أحمد بوشرب، *دكالة*، 287.284) واقتنى البرتغاليون كذلك كميات كبرى من مواد زراعية أخرى كالشعير أو الذرة البيضاء، وعشرات الآلاف من رؤوس الأنعام، وكميات هائلة من جلودها وقرونها، ومن الشمع والعسل الذي بلغت شهرته العالم الجديد، وأصبح يضرب به المثل هناك (أحمد بوشرب، *دكالة*، 292)، ومن الشابل (أزمور) والسردين (أسفي) الخ. كما تهافت البرتغاليون على الإنسان المغربي وجعلوا منه، لشدة حاجتهم إلى الأيدي العاملة ببلادهم وبالمناطق المكتشفة، سلعة رائجة نظموا لها أسواق النخاسة بالثغور المحتلة، وخصوصاً أگادير التي كانت تجارة الرقيق بها تمثل أهم نشاط. وكان البرتغاليون يحصلون على المغاربة قصد الاسترقاق من الغارات، ومن اختطاف العزل ومن الشراء خلال السنوات العجاف، وخصوصاً خلال مجاعة سنة 1521 الكبرى (نفسه، ص. 315.319).

وبالطبع، نتج عن تزايد إقبال البرتغاليين على السلع المذكورة إغراق الأسواق المغربية بسلع مستوردة. وهكذا تزايد عرض الكتان الأوروبي الذي عرضت منه بأسفي وأزمور وأگادير كميات هائلة روجت فيما بعد بمناطق داخلية كمراكش وتدنيست (الوزان، ا، ص. 78). ووصلتنا عدة إشارات بالمصادر المغربية (الوزان) والبرتغالية (De Gois) تخص إقبال المغاربة على تلك الأثواب. وكان أشهرها ما كان يعرف بالوثائق البرتغالية بـ"البُرْدات" (Bordates) التي كان بيعها بالمغرب حكراً على الملك البرتغالي لكونها كانت تباع بسرعة وتضمن أهم الأرباح، وتؤدي بها رواتب الجنود. وإلى جانب هذه الأثواب عرض وكلاء الملك أثوابا إنجليزية. وقد كانت أثواب "أنتونا" (Antona)، المصنوعة بميناء سوتمپتون (Southampton)، أشهرها وأكثرها رواجا، والتي كانت توفر ربحا يقارب 100٪. ونظراً للإقبال الكبير الذي كانت تحظى به تلك الأثواب بالأسواق المغربية، فإن الملك البرتغالي اعتاد تخصيص قسم من مبيعات التوابل والعقاقير بشمال غرب أوروبا، وخصوصا بأنڤير (Anvers) لاقتنائها.

وعرض البرتغاليون كميات هائلة من العقاقير ومستلزمات الصباغة كالصمغ الهندي الذي كان بيعه حكراً كذلك على الملك، وكانت تؤدي به الرواتب، وكان الإقبال عليه بأسفي مهما إلى حد أن تقريراً حرر في مطلع القرن السادس عشر أكد أن تلك المدينة كانت قادرة على ترويج كل الصمغ المستورد من الهند. ووصلتنا إشارات تخص إعادة بيعه بفاس. كما عرض التجار الأحرار، ووكلاء الملك كميات من حجر الشب والكبريت وحب القرمز الطرطر. وقد تزايد عرض هذه الكميات بشكل سريع : فمن عام 1498 إلى عام 1516 ارتفع عرض التوابل بنسبة 3900٪ بينما ارتفع عرض الصمغ بنسبة 2200٪ فيما بين 1491.1516. وتعكس هذه النسب الرواج الذي أصبحت تعيش عليه بعض الموانئ المرتبطة بالامبراطورية التجارية البرتغالية، ومدينة أسفي على وجه الخصوص. وللاستفادة أكثر من تلك الموانئ المفتوحة في وجه التجارة البرتغالية، أعطاها المسؤولون البرتغاليون نوعاً من التخصص، فقد أصبحت أزمور تختص في المواد الفلاحية وصيد الشابل، في حين سيطرت عمليات الصرف (الفضة مقابل التبر) على أنشطة أگادير.

أما أسفي فقد غدت أهم سوق بالمغرب للتوابل ومستلزمات الصباغة من جهة، وللأنسجة الصوفية الموجهة لسواحل غربي أفريقيا من جهة أخرى.

غير أن استفادة البرتغال من تجارته بالمغرب لم تدم طويلا. فقد تبين لنا من خلال تتبع الأوضاع السياسية بالمنطقة، واعتماداً على ما وصلنا من وثائق (أحمد بوشرب، *دكالة*، 322) أن تلك الاستفادة اقتصرت على العقدين الأخيرين من القرن الخامس عشر اللذين يناسبان فترة ولاء أسفي وأزمور واعترافهما بسلطة التاج البرتغالي. وحالت الاضطرابات التي عرفها المغرب إثر احتلال ثغور السهول الغربية، وتزايد نفوذ الشرفاء السعديين، ونجاحهم في محاولاتهم الجادة والمبكرة قصد إحياء تجارة القوافل وإنعاشها وتنشيط التجارة مع التجار المسيحيين المتضررين من الاحتكار البرتغالي، دون استمرار تلك الاستفادة، إذ سرعان ما كسدت التجارة البرتغالية بالمغرب، واختفى ما كانت تعرفه أسفي وأزمور وأگادير من رواج لتصبح مجرد ثكنات تعيش على ما تبعثه لشبونة من أقوات ورواتب (أحمد بوشرب، *دكالة*، 410).

واستمرت مازيغن (الجديدة)، التي احتفظ البرتغاليون بها بعد اضطرارهم إلى إخلاء أگادير وأسفي وأزمور (1541) وأصيلا والقصر الصغير (1550) في التوصل ببعض السلع كالصمغ خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، كما تشهد على ذلك محاكمة بعض "المهربين" البرتغاليين من لدن محكمة التفتيش بلشبونة. ووقفنا بوثائق القنصلية البرتغالية بطنجة (وزارة الخارجية، قنصلية طنجة، صناديق 299، 300، 301) على إشارات تخص استيراد البرتغال لبعض الأبقار ولكميات محدودة من الحبوب. غير أن تلك المبادلات لم تصل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر إلى ما كانت عليه خلال المرحلة التي أشرنا إليها آنفاً.

أحمد بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي : من مصادر تاريخ الدولة العلوية في البرتغال*، ضمن أعمال الدورة الأولى جامعة مولاي علي الشريف، نشر وزارة الثقافة 1990، ص. 97 وما بعدها؛ *محاضر محاكم التفتيش الدينية*، مصدر من مصادر التجارة البرتغالية بالمغرب خلال القرن السادس عشر ؛ ضمن أعمال ندوة التجارة والمجتمع بالمغرب التي نظمتها كلية الآداب بالدار البيضاء (تحت الطبع).

V.M. Godinho, *L'économie de l'empire portugais aux XVème et XVIème siècles*, Paris, 1969 ; *Os Descobrimentos e a economa mundial*, Lisbonne, 1965, Tome I ; R. Ricard, *Le commerce de Berbérie et l'organisation économique de l'empire portugais, Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1954, pp. 98 et sq.

أحمد بوشرب

* * وفي العصر الحديث عرف المغرب منذ سقوط مدينة سبتة بيد البرتغال سنة 818 / 1415، مجموعة من التطورات السياسية والاقتصادية التي أثرت بعمق على أوضاعه الاقتصادية. وقد تأثر النشاط التجاري على الخصوص، لأن هذه المدينة كانت المنفذ الرئيسي لتجارة المغرب مع أوربا.

ومن المعلوم أن المغرب استفاد لقرون طويلة من الوساطة التي كان يقوم بها بين السودان وأوربا، وكانت سبتة قبل سقوطها مركزاً تجارياً نشيطاً، يقصده التجار الأوربيون ـ وخاصة الايطاليين ـ لشراء السلع المغربية والإفريقية، وبيع المنتجات الأوربية. وكان اقتصاد الدول المغربية يعتمد في جزء كبير منه على مداخيل هذه الوساطة.

وخلال القرن التاسع (15 م)، وبعد إغلاق منفذ سبتة، حاول التجار الايطاليون تعويض هذا المنفذ بموانئ أخرى، وخاصة أصيلا، إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل نظراً للحصار الذي ضربه الايبيريون على الموانئ المغربية، وسقوط مدن أخرى في شمال المغرب مثل مليلة والقصر الصغير وأصيلا وطنجة (R. Ricard, *Contribution*, 73 - 53).

وهكذا دخل المغرب مرحلة العصور الحديثة محروماً من أهم موانئه في الشمال، ومن شريان تجاري حيوي كان يدر على الدولة مداخيل هامة، ويساهم في تغطية مصاريفها المتعددة. ونتج عن ذلك ضعف الدخل، وتقلص المساحة الخاضعة للمخزن، وقيام عدد من الكيانات الصغيرة والضعيفة في أجزاء مختلفة من البلاد.

وقد حاول الوطاسيون خلال مدة حكمهم القصيرة إعادة الحياة إلى النشاط التجاري، واعتمدوا في ذلك على ميناء العرائش، إلا أن محاولتهم لم تعط أكلها بسبب الحصار الذي ضربه البرتغاليون على التجارة مع المغرب وعدم سيطرة الوطاسيين على الطرق الصحراوية.

وخلال القرن العاشر (16 م) تمكن البرتغاليون من بسط أيديهم على مدن ومواقع ساحلية أخرى مثل مازيغن، وأمگدول ، وأسفي، وأگادير وعملوا على خلق نوع من الارتباط بين هذه المناطق والبرتغال من الناحية السياسية والاقتصادية.

وقد أدرك السعديون جيداً خطورة الوضعية، فعملوا من جهة على طرد المحتلين عن طريق شراء السلاح واستنفار المجاهدين. كما عملوا من جهة ثانية على ضرب المصالح الاقتصادية البرتغالية، عن طريق حصار الثغور المحتلة، ومنع التعامل معها، وفتح منافذ جديدة، وتشجيع التجار الأوربيين على ارتيادها عن طريق تزويدهم بعدد من المنتجات الرائجة والمربحة وعلى رأسها السكر (ع. المنصوري، *انعكاسات*، 135، 158).

وقد نجح السعديون في طرد المحتلين، وإعادة الحياة للتجارة المغربية مع الخارج. وحلت مراكش محل فاس كمركز تجاري رئيسي، بعد فتح طريق التجارة مع السودان. وأصبحت أسفي أهم ميناء للتبادل مع أوربا. كما تراجع دور التجار الإيطاليين والإيبيريين لصالح تجار جدد من انجلترا وهولاندا وفرنسا. واستغل السعديون إقبال هؤلاء التجار على السلع المغربية الرائجة مثل السكر وملح البارود والجلود، إضافة إلى التبر السوداني من أجل الحصول على الأسلحة والمواد العسكرية لتقوية نفوذهم.

وعملوا من جهة أخرى - وخاصة في فترات الاستقرار - على تهييئ الظروف المناسبة لإنعاش التجارة الداخلية عن طريق ضبط الأمن، وتيسير المواصلات، وتشجيع بعض الصناعات، وفتح المجال أمام تصدير المنتجات المغربية.

وقد ضاعت جل هذه الجهود بعد وفاة المنصور حيث دخل المغرب في مرحلة طويلة من الانقسامات والحروب الناتجة عن صراع أبنائه على الحكم ثم التنافس بين عدد من القوى السياسية على السلطة. وفي هذه الفترة تراجع النشاط التجاري، ومالت كفة المبادلات لصالح أوربا التي كان الفرقاء يعولون عليها في الحصول على الأسلحة والذخيرة الحربية.

استمرت هذه الوضعية بنتائجها السلبية ما يقرب من ثلثي القرن الحادي عشر (17 م) إلى أن استتبت الأمور للمولى رشيد في حدود سنة 1670 م، ثم خلال عهد المولى إسماعيل الذي عمل خلال مدة حكمه (1672 م - 1727 م) على إعادة الأمن والاطمئنان، وأهتم بالتجارة الداخلية، وبالتبادل مع الخارج، وأعاد للمخزن هيبته، وحاول إعادة التجارة الصحراوية إلى سابق نشاطها عن طريق تأمين الطريق الصحراوي. إلا أن جهوده تعثرت بسبب منافسة الأتراك في الجزائر والفرنسيين في السنغال. (Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, 247).

وبوفاة المولى إسماعيل، عانى المغرب من جديد من فترة طويلة من الفوضى السياسية الناتجة أساساً عن تدخل عبيد البخاري في تولية وعزل السلاطين، مما كان له تأثير سلبي عصف بجل منجزات هذا السلطان، وبعد ثلاثين سنة من الفوضى، عرف المغرب من جديد استقراراً وأمناً في عهد السلطان محمد بن عبد الله الذي تمكن بمجهود قوي من إعادة الروح إلى الحياة الاقتصادية عن طريق إعادة الأمن والاهتمام بالمواصلات والمراسي وخاصة مرسي الدار البيضاء والصويرة، وعقد اتفاقيات تجارية مع الدول الأوربية على الخصوص، لكن المبادلات التجارية ظلت لصالح الأوربيين، لأن المغرب لم يفلح في التغلب على مخلفات سنين طويلة من الفوضى والخسائر، ولم يستطع تدارك الفارق بينه وبين دول أوربية أصبح أكثر تنظيماً وتفوقاً على المستوى التقني والعسكري، وأكثر سيطرة على المواصلات البحرية والأسواق العالمية.

تمتاز الفترة الحديثة بالتحول الكبير الذي طرأ على التجارة العالمية بفضل الاكتشافات وانتقال الأهمية من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي وما رافقه من تحولات عميقة بدول شمال غرب أوربا على الخصوص. إلا أن المغرب لم يستفد من هذه التحولات رغم وقوعه على المحيط الأطلسي وقربه من أوربا. ويرجع ذلك إلى أسباب بعضها قديم، وبعضها الآخر مرتبط بالفترة الحديثة نفسها. ويمكن أن نتبين ذلك من خلال العناصر التالية :

- دور المخزن : عمل السلاطين السعديون ثم العلويون بعدهم على إنعاش الاقتصاد وتوفير الظروف الملائمة لازدهار النشاط التجاري في الداخل والمبادلات مع الخارج، عن طريق بناء الطرق والقناطر وإحلال الأمن، وتنظيم المبادلات والضرائب، وتشجيع المنتجات المطلوبة في التبادل، وعقد الاتفاقيات مع الدول الأخرى. إلا أنهم من جانب آخر كانوا يساهمون في إضعاف التجارة، وخاصة في فترات الاضطراب والحروب، حيث تتأثر المواصلات، وينعدم الأمن، ويثقل كاهل التجار بالضرائب، إضافة إلى الخسائر البشرية والمادية. كما أن احتكار المخزن لبعض السلع الرائجة كالسكر، أو المهمة كالأسلحة، ودخوله كمنافس في تجارة النسيج، وإنفاقه لمداخيل وأرباح هذه التجارة في مجالات غير منتجة اقتصادياً، كاقتناء الأسلحة وتجهيز الجيش، وإقامة البناءات الضخمة ... الخ، كان يؤدي إلى حرمان التجار من رؤوس أموال ضرورية لنمو أرباحهم وتطور حجم معاملاتهم.

- نوع البضائع : لم يقع تطور كبير في طبيعة المواد المتبادل بها مع الخارج، إذ ظل الإنتاج المغربي المعد للتصدير في مجمله معتمداً على المواد الأولية الفلاحية مثل الحبوب والمواشي والعسل والشمع والتمور واللوز أو المواد المعدنية مثل ملح البارود والنحاس والحديد والملح، مع بعض المواد المصنعة التي تناقصت أهميتها بعد الفترة السعدية مثل السكر والجلود والنسيج (الحنابل والحياك والزرابي).

وفي المقابل كان المغرب يستورد بعض المواد الأولية الأكثر أهمية مثل التبر وريش النعام والتوابل والعنبر والصمغ والخشب ومعادن الفضة والحديد والرخام ... الخ. إلا أن أهم وارداته على الإطلاق هي المواد الحربية من أسلحة بيضاء ونارية وذخيرة وتجهيزات السفن، إضافة إلى الأثواب من مختلف أنحاء أوربا. وهي مواد أغلى من المواد الخام المغربية، وكانت تخضع غالبا لاحتكار المخزن.

وكثيراً ما كان الانتاج المغربي لا يفي بحاجيات التصدير بسبب الظروف الداخلية المؤثرة سلبا على الإنتاجية، كالحروب والأوبئة والجفاف، فيكتفي المخزن بتصدير ما يحصل عليه من ضرائب عينية، بدون أن يكون لذلك أثر إيجابي على التجارة.

- المواصلات : لم تتطور المواصلات البرية كثيراً رغم الجهود التي بذلها المخزن، فقد ظل الاعتماد في نقل السلع على الدواب بصفة رئيسية، بدون استعمال العربة في نقلها، كما أن استعمال الطرق ظل محفوفاً بالمخاطر والصعوبات المتعلقة بالتضاريس إضافة إلى الاخطار المتعلقة بالظروف الطبيعية كالثلوج وفيضانات الأنهار، ناهيك عن الأخطار الأخرى التي تفاقمت مع تدهور سلطة المخزن والمتعلقة بأمن التجار على أنفسهم وأموالهم.

كما أن المغرب لم يعرف ظهور مؤسسات متخصصة في نقل السلع تأخذ على عاتقها مسؤولية نقل السلع في الآجال المحددة، وتحافظ عليها كما كان الشأن بالنسبة لبعض الدول الاوربية، حيث مكنت هذه المؤسسات من

توفير الوقت، والاطمئنان على الانفس والأموال.

وتكتسي المواصلات في الصحراء صبغة خاصة، وتتضاعف فيها المخاطر والمصاعب، بحيث يتطلب ذهاب القوافل ورجوعها شهوراً عديدة. ويتضاؤل أهمية هذه التجارة لم يعد هناك مبرر قوي يشجع التجار على تجشم مشاق الصحراء.

أما المواصلات البحرية، فلم تكن مؤهلة للقيام بدور رئيسي في النشاط التجاري العالمي، لأن الموانئ المغربية كانت في معظمها مراسي طبيعية، غير قادرة على استقبال السفن الكبرى وخضع جلها للاحتلال الأجنبي لمدة طويلة خلال القرن العاشر (16 م)، كما عانت من الحصار المضروب في البداية من طرف الإيبيريين، ثم من خطر القراصنة فيما بعد. وتراجعت تبعاً لذلك صناعة السفن، رغم الجهود الكبيرة لتي بذلها السلاطين المغاربة للتوفر على أساطيل عسكرية وتجارية واعتماد متزايد من التجار المغاربة على السفن الأجنبية وعلى التجار الأجانب في نقل سلعهم.

- الحروب والكوارث : كانت الفترة الحديثة مليئة بالحروب والكوارث، ورغم عدم توفر إحصائيات مضبوطة فقد أمكن بالنسبة للقرن العاشر (16 م) مثلا رصد (أكثر من مائة وستين معركة فقط، وسبع إصابات بالوباء واثنتي عشر فترة مجاعة وجفاف، وغزو للجراد ثلاث مرات... الخ) (المنصوري، *التجارة*، 2 : 381). وكان لهذه الحروب والكوارث تأثير سلبي واضح على ساكنة المغرب، وعلى النشاط التجاري، حيث نتج عنها نقص في الأمن، وجمود في المبادلات بالأسواق وتدهور في الإنتاج، وضعف للقدرة الشرائية. وزعزعة لهيبة المخزن. وقد أدى تكرار الحروب والكوارث خلال القرنين العاشر والحادي عشر (16-17 م) على الخصوص إلى تعميق هذه المشاكل.

- المعاملات المالية : لم يرق مستوى التعامل بالنقود إلى المستوى الذي يدفع بالتبادل التجاري إلى التطور والتقدم. ويرجع ذلك إلى كون كمية النقود المسكوكة كانت قليلة، بسبب نقص المعادن وخاصة الفضة. وعدم ضبط هذه المسكوكات داخل السوق المغربية، بحيث كانت تروج نقود عدد من السلاطين في نفس الوقت رغم أوزانها المختلفة : (الدنانير الوازنة وغير الوازنة). وأدى ذلك إلى حدوث مشاكل مرتبطة بالصرف والرد، إضافة إلى مشكل التعامل بالنقود الاوربية وصرفها واختلاف الموازين والمقاييس، سواء في التجارة الداخلية أو الخارجية.

وبسبب نقص الأمن، كان التجار يتخوفون من الانتقال بأموالهم، ويضطرون إلى دفنها، فتفقد رواجها في السوق مؤقتا، أو نهائيا عند موت أصحابها، ولم يعرف المغرب في هذه الفترة نظام المؤسسات البنكية التي تقوم بحفظ الودائع والنقود وإعطاء القروض. كما لم يعرف التعامل بالأوراق التجارية مثل الصك والكمبيالة ...الخ.

ان الملاحظات المذكورة أعلاه، تفسر لنا إلى حد ما بعض الأسباب التي كانت عائقاً أمام التجارة المغربية عن الانطلاق ومواكبة التطورات التي عرفتها التجارة في البلدان الأوربية المجاورة، إلا أن المقارنة لا ينبغي أن تنسينا أن التجار المغاربة تمكنوا بالرغم من هذه العراقيل من مجابهة التحديات، ووصلوا إلى السودان والشرق، وحاولوا عدة مرات الاستفادة من التطورات التي عرفتها المنطقة وكان لهم وعي بأهميتها، كما أن معاملتهم مع أوربا رغم ما ذكرنا من الملاحظات لم تفقد أهميتها خلال الفترة الحديثة.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي، ومحمد الأخضر - الرباط 1980. ج 1 ؛ أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984 ؛ م. ابن تاويت، *من زوايا التاريخ المغربي*، *مجلة تطوان*، الأعداد من 5 إلى 9، ما بين سنتي 1960 و1964 ؛ ع. المنصوري، *التجارة والتجار بالمغرب في القرن السادس عشر*، رسالة مرقونة، كلية الآداب، عين الشق، الدار البيضاء ؛ *انعكاسات الاحتلال البرتغالي على الأوضاع الاقتصادية بالمغرب القرن 16*، *حوليات كلية الآداب*، العدد 7-1990، ص. 135 ؛ *أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالسلطة والمجتمع عبر تاريخ المغرب*، منشورات كلية الآداب، عين الشق - الدار البيضاء - جزآن. مطبعة فضالة، 1992.

S.H.M. ; J. Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, Paris - Casa, 1967 ; J. Caillé, *Le commerce anglais avec le Maroc pendant la seconde moitié du XVI siècle : importations et exportations*, *R.A.*, Tome LXXXIV, 1940, pp. 186 - 219 ; R. Ricard, *Le commerce de berberie et l'organisation économique de l'empire portugais aux XV et XVI siècles*, *A.I.E.O.*, Alger, 1936, T. II, pp. 266 - 285 ; *Contribution à l'étude du commerce gênois au Maroc durant la période portugaise : 1415 - 1550*, *A.I.E.O.*, Alger, Tome III, 1937, pp. 53 - 73.

عثمان المنصوري

تجار السلطان، خلافاً لما قد توحي به بعض الدراسات فإن ظهور تجار السلطان لم يكن وليد القرن التاسع عشر ولا مرتبطاً فقط بالتغلغل الأوربي. بل يمكن القول إن "تاجر السلطان" ظهر إلى الوجود منذ كان السلاطين وكان التجار، فالظاهرة عرفتها كل المجتمعات البشرية ومنذ أقدم العصور.

أما في المغرب فإن ظاهرة تجار السلطان لم تكتسب أهمية كبيرة إلا في العصور الحديثة عندما أصبحت الدولة تعتمد بشكل متزايد على التجارة والتجارة الأوربية بشكل خاص. ففي القرن السابع عشر استعمل المولى إسماعيل التجار اليهود في تسيير ما له علاقة بالمال والتجارة وحتى الدبلوماسية عندما أرسل مثلا حاييم طوليدانو سفيراً إلى انكلترا والبلاد المنخفضة (1691).

وبانفتاح المغرب على المحيط الأطلسي في القرن الثامن عشر ازداد اعتماد الدولة على التجارة الأوربية، وبالتالي ازدادت أهمية بعض كبار التجار كوسطاء بين المخزن والدولة الأوربية. وبمدينة الصويرة التي أصبحت المرسى الأولى للبلاد منذ إعمارها في سنة 1765 وحتى أواخر القرن التاسع عشر، تجمع عدد من التجار المهتمين بتجارة التصدير والاستيراد، وكان قسم هام منهم مكوناً من التجار اليهود الذين شجعهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله

على الاستقرار بهذه المرسى. وفي صفوف هؤلاء التجار، مسلمين ويهود، كان المخزن يختار شركاء ووسطاء يستعملهم في التجارة وفي تسيير شؤون المخزن المالية.

كانت العلاقة بين السلطان والتاجر علاقة مباشرة تقوم على تبادل الخدمات والمصالح. فالتاجر كان يتوفر على تجربة واسعة في شؤون التجارة وكانت له علاقات تجارية مع شركاء أوربيين تجعله على اطلاع بأحوال البلدان الأوربية وطبيعة مصالحها التجارية، وبالتالي بسياستها، وهو ما أهل هؤلاء التجار في كثير من الأحيان لأدوار سياسية ودبلوماسية. فالسلاطين كانوا عادة ما يرسلون التجار لاقتناء السِّلع والعتاد الحربي من أوربا، لكنهم كانوا في نفس الوقت يكلفونهم بمهمات سياسية، كأن يسلموا خطابات رسمية أو يتفاوضوا مع مسؤولي الدول الأوربية حول القضايا المختلفة. كما أن التجار اليهود بصفة خاصة كانوا جزءاً من شبكة تجارية واسعة تقوم على أساس الانتماء الديني أو العائلي أو مجرد الشراكة التجارية، وهذه الشبكة التجارية كانت تغطي أحياناً مجالاً واسعاً يشمل أوربا وحوض البحر المتوسط. وهذه الارتباطات كانت بالطبع تخدم مصالح هؤلاء التجار وتجعلهم يتوفرون على امتيازات لم تكن مُتاحة للتجار المسلمين ولا حتى التجار الأوربيين.

وفي المقابل كان المخزن يقدم للتجار الذين اختارهم لتسيير شؤونه التجارية والمالية عدة امتيازات تجعل منهم فئة محظوظة بالمقارنة مع التجار العاديين. من هذه الامتيازات أداء رسوم جمركية مخفضة مع إمكانية تسديدها على دفعات، والاستفادة من القروض المخزنية المعفاة من كل فائدة. كما أن تجار السلطان كانوا يستفيدون من دعم الجهاز المخزني سواء بالداخل أو الخارج. فقنصل المغرب بجبل طارق على سبيل المثال، وقد يكون هو نفسه من تجار السلطان، كان يقوم بدور المراسل لهؤلاء التجار ويمدهم بأخبار الأسواق الأوربية وبأسعار المواد، وقد يتوسط لهم كذلك في عقد الصفقات التجارية لاقتناء أو تصدير سلع معينة. وهذه الامتيازات كانت بطبيعة الحال تُضايق التجار الآخرين وغالباً ما كانت تؤدي إلى احتجاجات قوية للتجار الأوربيين وحكوماتهم. وكان تجار السلطان يستفيدون كذلك مما يسمى بالكُنْطرادات أي الاحتكارات التي كانت تسمح لتاجر مُعين باحتكار تجارة بعض المواد مقابل مبلغ يدفعه لبيت المال. وكانت هذه الاحتكارات تشمل بالأساس استيراد مواد أساسية كالشاي والقهوة والسكر أو تصدير مواد مغربية كالصوف والجلود وغيرها. وهنا كذلك كان التجار الأوربيون يتضايقون من نظام الاحتكارات الذي يمارسه المخزن عبر تجار السلطان ويلحون على ضرورة إلغائه، وهو ما حدث بالفعل عندما وقع المغرب على المعاهدة المغربية ـ الانجليزية في سنة 1856.

لكن ماذا مثّل تجار السلطان خلال القرن التاسع عشر الذي تميز بازدياد التسرب الأوربي ؟ لقد رأى فيهم بعض الدارسين مثل ميج Miège نواة لما سماه ببرجوازية تجارية نمت وترعرعت بدعم ومساندة المخزن. بينما رأى باحث آخر مثل شرويتر Schroeter أن هذا الدعم المخزني بالذات هو الذي حال دون تطور برجوازية مغربية مستقلة، لأن هؤلاء التجار ظلوا مرتبطين بالدولة ومدينين لها في ثرائهم، بل وفي مجرد استمرارهم كتجار. ذلك أن المخزن كان يوفر لهم الأموال والحماية الضرورية وبالتالي يجعل منهم مجرد وكلاء عنه في خدمة مصالحه. وأخيراً هناك سؤال آخر يطرح بشأن تجار السلطان، وهو ماذا كان دورهم بالضبط في تنمية التجارة الأوربية بالمغرب. فهل ساعدوا على تغلغل المصالح الأوربية بالمغرب أم أنهم عكس ذلك استُعملوا من طرف المخزن كدرع واق ضد تغلغل الرأسمال الأوربي ؟

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1830 - 1894, 4 vols, Paris, 1961 - 1962 ; D. Schroeter, *Merchants of Essaouira*, Cambridge, 1988.

محمد المنصور

التجّام أو الدّجّام ـ بصيغة المبالغة ـ أسرة سلوية عريقة اشتهرت بالثراء والجهاد في سبيل الله. وإن كان لايعرف لهذا الاسم أصل في العربية ولا في الأمازيغية، إذ لا توجد مادة "تجم" أصلاً في العربية إلاّ أن تكون التاء المثناة مصحفة عن المثلثة فيكون الثّجام بمعنى السريع الدائم. أما الدجام فله في الفصحى صلة بالعشق والصحبة والملاطفة.

يتأكد قدم استيطان أسرة التجام لمدينة سلا أنها صاهرت عدداً من الأسر العريقة بهذه المدينة، وأنها كانت تمتلك بستاناً "سانية" من أكبر بساتين المدينة وأهمها تقع داخل السور المريني يمين الداخل من باب المريسة أكبر أبواب المدينة. وتحتل "سانية التجام" تقريباً موقع دار صناعة السفن المعروفة أيام الموحدين والمرينيين. ولعل دار الصناعة بعد خرابها أصبحت أرضاً تفلح. لكننا نتساءل كيف انتقلت إلى ملك المجاهدين من آل التجام، أهو إقطاع من أحد الملوك السعديين أو العلويين الذي كانوا يعزّون هذه الأسرة الشجاعة ويغدقون عليها من ضروب التكريم والانعام ؟ إننا لم نطلع بعد على ما يمكن أن يكون قد تخلف من رسوم قديمة عند أقرباء آل التجام السلويين مما يمكن أن يلقي أضواء على هذا الجانب وغيره من مسار هذه الأسرة الماجدة.

التجام، أحمد (الحاج ـ) من أبطال الجهاد السلويين في القرن الثالث عشر (19 م). كان رئيس الطبجية (رجال المدفعية) برتبة باشا أثناء الهجوم الفرنسي الغادر على سلا يوم الأربعاء ثاني صفر عام 1268 / 26 نونبر 1851.

وللتعرف على بطولة هذا المجاهد المحنك المقدام نورد معلومات موجزة عن دوره في مواجهة الاسطول الفرنسي بصمود وكفاية حربية نادرة اعتماداً على رسالتين لمجاهد سلوي آخر عمل يوم الهجوم تحت إمرة التجام وهو التهامي ابن العباس الجعيدي. تتفق رواية الجعيدي في خطوطها

الكبرى مع ما في المصادر الفرنسية.

كان الأسطول الفرنسي بقيادة الكونطر اميرال دوبورديه Dubourdieu يتركب من خمس أو ست سفن حربية كبراها تدعى هنري الرابع وهي ذات مائة مدفع. وبدأ الهجوم الغادر على الساعة العاشرة واستمرار أكثر من ثماني ساعات كانت مدافع سلا بقيادة الحاج أحمد التجام ترد في الحال ضرباً بضرب. وقد ألحق هذا العدوان أضراراً جسيمة بأسوار المدينة والمسجد الأعظم ومناره وتهدمت عدة دور واشتعلت النيران في أخرى حتى منتصف الليل. وقد قتلت مدافع المجاهدين ـ حسب الرواية الفرنسية ـ أربعة من رجال الأسطول وجرحت ثمانية عشر، وأصابت إحدى القذائف التي أطلقها الحاج أحمد التجام سفينة العدو العظمى فحطمت صاريها الكبير وقتلت قائد الحملة حسب المجاهد الجعيدي، ولو أن الرواية الفرنسية لم تبين إن كان القائد من جملة القتلى. وحصلت أعطاب للفرقاطة ساني، وأغرقت سفينتان حسب شاهد عيان. ولم يسدل ظلام الليل ستاره حتى انسحب الاسطول الفرنسي من مصب أبي رقراق إلى جهات مختلفة ـ حسب قول جاك كابي ـ .

وقد استقدم السلطان الطبجية إلى حضرته واستقبل الباشا الحاج أحمد التجام والرئيس الحاج عبد العزيز عواد وأربعة من الطبجية "ففرح بهم غاية الفرح وأعطى لكل واحد كسوة محتوية على الملف والحرير والصقلي، والباشا والرئيس كسوتهما كلها ملف جيد بنديقي في غاية الحسن والصقلي ... وأعطى لكل واحد منهما خمسين مثقالاً، والآخرين الكسوة المذكورة وخمسا وعشرين مثقالاً ـ رسالة الجعيدي 2 ـ ولم نقف على تاريخ وفاته.

التجّام، حجي بن عبد الله (الحاج ـ) السلوي مجذوب ساقط التكليف، كان يعيش عازباً مع إحدى أختيه في دارهم الكبرى بباب حساين ويمشي في الأسواق حافياً لا يكلم أحداً. وقد بيع جزء من سانية التجام في حياته، وبيع القسط الأخير من سانيتهم بعد وفاته بواسطة أبي الوارث، لأنه لم يعقب.

وكانت وفاته في الستينات من هذا القرن، ودفن في الركن الأيمن من الخلوة بزاوية سيدي أحمد بن مبارك بباب حساين. وبموته وموت أختيه انقرضت أسرة التجام بمدينة سلا.

التجّام، عبد الله (الحاج ـ) لعله ابن المجاهد الحاج أحمد، كان ذا سمت حسن وثروة وسخاء. ولايعرف كذلك تاريخ وفاته.

التهامي بن العباس الجعيدي، رسالتان تتعلقان بهجوم الاسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851. مخطوط، خ. ص ؛ أبو بكر الصبيحي، مختصر تاريخ سلا، مخطوط، خ ص ؛ م. بوشعراء، ملاحق الاتحاف الوجيز.

محمد حجي

التجاني، أحمد بن محمد بن المختار الشيخ الشهير. ولد بعين ماضي (الجزائر) عام 1150 / 37 . 1738، ونشأ بها. وقد تمادى في طلب العلم حتى تبحر في المعارف الأصولية والفرعية. وهو من أصل مغربي، لأن رابع آبائه هاجر من مراكش لعين ماضي وتوطن بها وتزوج من تجان فكانوا أخوالا له، ولهذا ينتسب للتجانية عن طريق المصاهرة. وقد دخل إلى فاس لأول مرة عام 1181 / 1767 بعدما أزعجه صاحب وهران الباي محمد بن عثمان ومكث خمس سنين في البلد الأبيض بالصحراء الشرقية، وكان فراره من الجزائر مظهراً لتمسكه بأهداب الشريعة الإسلامية وعمره لا

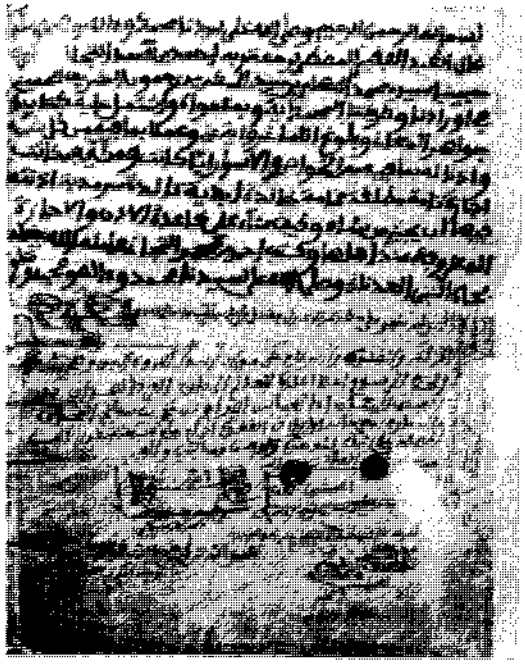

إجازة علمية بخط الشيخ أحمد التجاني

يتجاوز الثلاثين. وبقدر ما كان الشيخ التجاني متفتحاً يستعمل السماع بكلام ابن الفارض بطبوع الموسيقيين وآلاتهم من عود ورباب وكمانجة (*كشف الحجاب*، 275) بقدر ما كان يناهض البدع. وقد ذكر سكيرج في *كشف الحجاب* أيضا (ص. 310) أن أحد أمراء قبيلة الأحلاف بالمغرب الشرقي سجن قوماً من القبيلة فاستجاروا بالشيخ وعرقبوا على بابه فاستنكر عملهم وتعذيبهم للحيوان وأبى التوسط لهم عند الأمير. وتوجد بالخزانة العامة بالرباط *رسالة* مخطوطة لسيدي العربي السائح الرباطي التجاني اتهم فيها بالفسوق والكفر كل من يقدم القرابين لأضرحة الأولياء. وقد أجمع المؤرخون من المسلمين والأجانب على أن سبب هذه الهجرة راجع لاستبدال الجزائر القوانين الوضعية بالشرع وتهالكها على المنكرات، فوفد على عاصمة فاس مهبط رواه المعرفة وملتقى أقطاب الفكر في القارة الافريقية حيث تقبله الكثير من علمائها أجود اقتبال وعلى رأسهم إمام السلفية أبو الربيع السلطان المولى سليمان الذي كان يناهض الطرق الصوفية وقد أثارها شعواء على المواسم في *رسالة* مطبوعة فلم يسعه إلا التنازل والانصياع لهذا

الإمام فأنزله على الرحب في دار المرايا بفاس وصار يتردد للاقتباس من علمه والغرف من معين هديه، ووفد إليه في هذا الالتفاف ثلة من شيوخ العلماء في المغرب العربي منهم :

إمام شنقيط محمد الحافظ العلوي وشيخ الشيوخ عبد الرحمن الشنقيطي (الذي كان يحضر بفاس علماء وقته) وشيخ الإسلام بتونس أبو إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي والإمام سيدي عبد السلام بن الشيخ المعطي بن صالح الشرقي والعلامة محمد بن أحمد السنوسي والعلامة علال بن عبد الله بن المجذوب الفاسي الفهري وفريد عصره وعلامة مصره مولاي الزكي المدغري والعلامة محمد بن عاشور السمغوتي والعلامة المختار بن الغالب التلمساني وغيرهم. والتحق بهؤلاء أفواج بلغت عشرات الآلاف شرقاً وغرباً من السودان إلى العراق إلى الهند في طليعتهم الشيخ محمد كنون (وهو أول من أقرأ *الطول* في الحديث) والشيخ محمد بن جعفر الكتاني (وهو أول من أقرأ *المسند* لابن حنبل) والشيخ حمدون بن الحاج الذي أفرد لمدحه قصيدة في كتابه المخطوط *"الإشراف على ما بفاس من العلماء والأشراف"* (مخطوط خ. ص. بسلا) وقد مدحه العلامة ابن الحاج وهو إمام أهل فاس بقصيدة نونية أوردها في *سلوة الأنفاس* (1 : 183).

وقد انبهر هؤلاء العلماء الأفذاذ بغزارة علم هذا الإمام، كما تدل عليه استنباطاته العميقة والأصيلة من القرآن، نشر بعضها في كل من *جواهر المعاني* للشيخ حرازم برادة *والجامع* للعلامة محمد بن المشري، فهو عالم أصولي محدث سني تدل أجوبته على علو كعبه في الظاهر والباطن.

ومما ساقه صاحب *كشف الحجاب* (ص. 491) تدخل الشيخ سيدي أحمد بطلب من السلطان المولى سليمان في أحد مجالس قراءة التفسير بحضرته حيث تصدى الشيخ الطيب بن كيران (المتوفي عام 1227 هـ) لشرح جوانب غامضة من بعض الآيات، فطلب السلطان من الشيخ التجاني رأيه في الموضوع فقرر ما بهر العقول تعقيبا على ما نقله الشيخ ابن كيران، فانقاد كل الحاضرين لرأي الشيخ سيدي أحمد وعلى رأسهم السلطان الذي نوه بغزارة مادة الشيخ من المعقول والمنقول والظاهر والباطن. والسلطان مولاي سليمان ممن أخذ الطريقة التجانية عن صاحبها (ص. 425).

وللشيخ التجاني رسائل عديدة منها وصية *لجميع الإخوان* (مخطوط خ.ع. 2106د) *وإملاءات* (خ.ع. 1699د) *ورسائل موجهة إلى بعض الفقراء والفقهاء والأمراء* (خ. ع. 2425 د) *وأجوبة عن الحروف اللفظية والرقمية والفكرية* (خ. ع. 2106 د) *وياقوتة المحتاج في الصلاة على صاحب المعراج* (خ. ع. 2447 د) *وفصل القضية في مسألة المعية* (خ. ع. بتطوان 5 / 460).

وقد تعرضت لترجمة هذا الإمام عشرات المصنفات، في طليعتها *سلوة الأنفاس وشجرة النور الزكية*، كما نشرت عن مناقبه دراسات منها :

- *جواهر المعاني وبلوغ الأماني*، لسيدي علي حرازم برادة الفاسي، وبهامشه كتاب *رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر الفوتي - دار الفكر - بيروت 1383 (راجع ترجمته في *كشف الحجاب* مع قصائده في مدح الشيخ التجاني (ص. 266).

- *ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية*، لسيدي عبيدة الشنجيطي، طبعة مكتبة القاهرة 1371 / 1951، وقد مدح الشيخ بقصيدة لامية تشتمل على أزيد من ستمائة بيت (راجع نصها في *كشف الحجاب*، ص. 358).

- *الفيض الرباني في مدح السيد أحمد التجاني*، للطيب بن أحمد بن هاشم، المطبعة الحسنية - مصر، 1327 / 1909 (فهرست دار الكتب المصرية).

- *المعيار المعرب في فضيحة التحلي بين أهل المشرق والمغرب*، (ذكره في كتابه *تحلية الآذان والمسامع*) لأحمد بن عبد السلام بناني.

- *الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية*، مخطوط خ. ع 2106 د (تنقصها المقدمة) (م = 95. 101) خع 900 د وهي لسيدي الطيب السفياني جمعها من إملاءات الشيخ سيدي أحمد التجاني (1206 د).

- *بشارة الجاني ومزيلة ترح العاني في مدح القطب الرباني سيدنا ومولانا أحمد التجاني*، نظم في سبعمائة بيت. راجع بعض نصها في *كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*، طبعة المكتبة الشعبية، بيروت (ص. 176. 184)، ضمنه قصائد في مدح الشيخ التجاني.

- *مناقب التجاني*، لمحمد بن المشري السائحي السباعي الشنجيطي، (خ. ع 1354).

- *الجامع لما افترق من العلوم الفائقة في بحار القطب المكتوم التجاني للمشري*، خ. ع 2444 د (48 ص).

- *قصيدة في مدحه*، لابن إدريس العمراوي الوزير، (خ.ع 1071).

- *روضة المحب الفاني فيما تلقيناه من أبي العباس التجاني*، (خ. ع 2028 م = 78. 322).

- *بلوغ الأماني في مناقب الشيخ سيدي أحمد التجاني*، لأحمد المكي بنعبد الله (خ. ع 2462 د).

- *ديوان قصائد* في مدحه غير منسوبة، طبعت بفاس عام 1903.

- *الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية*، مكتبة تطوان (890).

إبراهيم بن الحاج عبد الله بن محمد بن الشيخ التجاني، *كاشف الالتباس، عن قضية الختم أبي العباس*، طبع على الحروف بالدار البيضاء.

- *شمائل أهل الحقيقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة*، لسيدي أحمد بن محمد بن العباس العلوي الشنقيطي.

- *بغية المستفيد في شرح منية المريد*، لأبي المواهب

سيدي العربي بن السائح، طبعة القاهرة 1304 هـ، ثم طبعة بيروت ـ دار الجيل.

ـ جميل أبو النصر، *طريق صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية*، طبعة 1965.

أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن القاضي العلوي الشنقيطي (1300 هـ / 1882 م)، *العضب اليماني في الذب عن الشيخ أحمد التجاني*، (مخطوط خ. ع. 2460 د) (م = 236 . 319) خ. ع 2135 د (م = 102 . 173) طبع على الحجر بفاس في 72 ص.

توفي الشيخ سيدي أحمد التجاني بمدينة فاس صبيحة يوم الخميس سابع عشر شوال عام 1230 / 22 شتنبر 1815، وضريحه بها شهير يزار، من جميع الأقطار.

التجاني، محمد الحبيب ابن الشيخ سيدي أحمد التجاني. فقيه لغوي متبحر، وصالح عارف. كان سبب قراءته للعلم وخاصة النحو خوفه من اللحن، فحفظ الألفية وقرأها على العلامة أحمد بن عاشور السمغوني، وقبل وفاته استدعاه الفرنسيون إلى عاصمة الجزائر وكان مستقراً بعين ماضي متعللين برؤيته والتبرك به فلم يجبهم إلى ذلك ولم تمض أيام قليلة حتى قبضه الله إليه وكان يقول : "أسأل الله أن لا أرى وجه نصراني ولا جوابا منه" (ص. 202). أعقب ولدين هما مولانا أحمد ومحمد البشير. وقد طمع الفرنسيون في احتلال عين ماضي ونواحيها فحصل لسيدي محمد الحبيب اهتمام بهذا الأمر وضاق منه الصدر وكاتب في شأنه بعض أهل فاس، وقد طلب سيدي محمد الحبيب من شيخه أحمد بن عاشور السمغوني نظم قصيدة ضد العدو الفرنسي المغير تتلى بعد قراءة الوظيفة والحزب من جملتها :

وانصر عصابة الهدى على العدا ونجنا من كل من قد اعتدى

(راجع نصها في *كشف الحجاب*، ص. 384)

ومن تواضع سيدي محمد الحبيب أنه أجاب عندما طلب منه بعضهم إعطاءه ورد والده الشيخ سيدي أحمد التجاني : "نحن لا إذن لنا في التقديم ولا في إعطاء الأوراد لأننا لم نكن أهلا لذلك". (*كشف الحجاب*، ص. 219).

وصاحب الترجمة هو الذي أشرف على تمرد التجانيين في الجزائر العاصمة عام 1259 ضد الاحتلال. وكانت عين ماضي في حل من الوجود الفرنسي، يخشى المستعمر الدخول إليها. وقد ساعد السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام هذه الطائفة الثائرة بالمؤن والعتاد عن طريق رجال المقاومة في تازا ووجدة وخنق المستعمر على التجانيين فمنعهم من تأسيس زاويتهم بالعاصمة التي ظلت خلال قرن كامل خلواً من كل حركة تجانية لأن هذه بقيت محصورة في الصحراء. وظل التجانيون مع ذلك يكافحون إلى ما قبل الاستعمار حيث انضم أحد أحفاد المترجم وهو الشيخ سيدي الحاج ابن عمرو التجاني إلى جبهة التحرير الجزائرية فحكم عليه بالإقامة المحروسة طوال عشر سنوات (1953 . 1963) إلى أن تحرر بعد استقلال الجزائر فلجأ إلى المغرب.

توفي محمد الحبيب التجاني عام 1269 / 1852.

أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، ص. 55 وما بعدها.

التجاني، محمد الكبير ابن الشيخ سيدي أحمد التجاني وخليفته من بعده. قال في حقه وحق محمد الحبيب أبو المواهب سيدي العربي بن السائح في *بغية المستفيد* :

"وخلّف سيدنا رضي الله عنه بعد انتقاله إلى الدار الآخرة والمنازل القدسية الفاخرة ولدين جليلين كريمين أحدهما العارف بالله تعالى سيدي محمد الملقب بالكبير، والثاني صنوه سيدي محمد الملقب بالحبيب ذو الفضل الشهير والجاه الخطير، خلفاء من بعده في الهداية والإرشاد والنفع العميم للعباد، وقد سبق أن فر سيدي محمد الكبير من الأتراك إلى أرض تماسين بينما لجأ أخوه سيدي محمد الحبيب إلى أبي سمغون بالصحراء الشرقية، وقد قام الأتراك بتخريب عين ماضي فجدد أولاد الشيخ بناءها" (*كشف الحجاب*، ص. 2170).

توفي محمد الكبير التجاني عام 1238 / 1822 أو ما بعدها بيسير.

العربي ابن السائح، *بغية المستفيد* ؛ أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، طبعة بيروت.

عبد العزيز بنعبد الله

التجاني بن مولاي المصطفى، مقاوم من شباب خنيفرة، ولد سنة 1926، وعمل في صفوف المقاومة السرية بمدينة الدار البيضاء. قام بعدة أعمال فدائية أهمها إحراق مصالح الاستعمار، وألقي عليه القبض سنة 1954، وظل في المعتقل إلى أن توفي ضحية التعذيب.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة ؛ كتاب الشهداء، ج. III.

عز الدين العلام

التجانية، طريقة صوفية أسسها سيدي أحمد التجاني أواخر القرن الثاني عشر (18 م) وهي لا تنتمي للشاذلية ولا لأتباعها الزروقية والتباعية، فهي طريقة سنية جديدة أسست ـ كما يقول أبو المواهب سيدي العربي بن السائح في *البغية* (ص. 4) ـ على تقوى من الله ورضوان، وشيدت من العلمين الظاهر والباطن على أقدم القواعد وأقوى الأركان. فكان الشرطان الأساسيان للانخراط في سلكها ضمن اتباع السنة والتمسك بهدي القرآن :

1) قيام الليل.

2) رفع الهمة عن الخلق اكتفاء بالملك الحق واعتبار الشيخ التجاني مجرد عبد من عبيد الحضرة.

"وقد سرى ذلك لأصحابه (*البغية*، ص. 390) فاتصفوا به بين الخاص والعام حتى صار الناس ينسبونهم إلى الغنى ولو لم يكونوا أغنياء".

وقد أكد هذا الشيخ الإمام تنحية لكل افتراء وحياد عن الشريعة قولته المأثورة : "إذا سمعتم عني شيئاً فزنوه

بميزان الشرع فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه" (*كشف الحجاب*، ص. 177) وقديما قالها قبله الأئمة أبو حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل (*فتاوى ابن تيمية*، ج. 20، ص. 211).

وقد انتشرت الطريقة التجانية في القارة السوداء كلها وعرفت عاصمة دكار وحدها ما يناهز مائة زاوية، وأكد بوني موري (G. Bonet Maury) في كتابه *الاسلام والمسيحية L'Islamisme et le Christianisme*. حسب نقل الأمير شكيب أرسلان في *حاضر العالم الاسلامي* (ج. 2 ص. 398) أن افريقيا كادت أن تكون كلها إسلامية لولا قضاء فرنسا على سلطنة التجانية هذه، كما أن أوربا كادت تكون إسلامية لولا انتصار شارل مارتل على العرب في بواتيي (بلاط الشهداء). وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان (ص. 396) أن الشيخ سيدي أحمد التجاني كان يتظاهر بالتسامح مع غير المسلمين قبل تكالب الآباء البيض في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) حيث استعملت التجانية القوة في نشر العقيدة الإسلامية فكانت سيدة السودان طوال أربعين سنة وخلف لها الأمير الحاج عمر الفوتي (وهو العلامة الكبير صاحب كتاب *الرماح*) سلطة إسلامية عظيمة في وسط بلاد الزنوج الوثنيين هددت وجود فرنسا. والسلطان الفوتي هذا أخذ الطريقة التجانية بالحرمين الشريفين عن أحد تلامذة الشيخ التجاني وهو العلامة الفاسي سيدي الغالي أبو طالب.

وقد أشار المؤرخ الفرنسي أندري جوليان في كتابه *المغرب تجاه الدول الاستعمارية* إلى قيام الطائفة التجانية بالجزائر العاصمة بمقاومة الاستعمار الفرنسي معززة بالمقاومين في المغرب الشرقي الذين كان السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام يمدهم بالمؤن والعتاد عن طريق تازا ووجدة.

فبهدي الشيخ التجاني حارب الأفارقة الاستعمار وبهدي الشيخ التجاني انتشر الإسلام بين الزنوج وسقط في أيدي دعاة التبشير من المسيحيين ووأصل الدعوة إلى الهدي شيوخ أعلام أمثال الشيخ مالك الحاج سي والشيخ إبراهيم نياس والشيخ عبد العزيز سي، ولا تزال عشرات الآلاف من الزوايا بين القارة الإفريقية وفي قارات أخرى لا نستثني منها أمريكا وأوربا معمورة بالذكر وقراءة القرآن حافلة بشعائر الدين لا تعرف الكلل ولا الملل في الدعوة إلى الله وفي إحياء معالم السنة المطهرة خالية من كل وقف أو حبس، يعمل الأئمة والمؤذنون والحزابون والعلماء مجانا لعمرانها ليل نهار بالعلم والهدى.

العربي ابن السائح، *بغية المستفيد لشرح منية المريد*، الطبعة الأولى، القاهرة : أ. سكيرج، *كشف الحجاب لمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب*، بيروت : علي حرازم برادة، *جواهر المعاني وبلوغ الأماني*، وبهامشه كتاب *رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري، بيروت، 1383 هـ ؛ عبيدة الشنقيطي، *ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية*، القاهرة (1371 هـ / 1951 م) ؛ جميل أبو النصر، *طرق صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية*، 1965، 204 ص.

عبد العزيز بنعبدالله

التجبير طب تقليدي، لا شك أن الحاجة إلى هذا النوع من الطب ظهر منذ أقدم العصور التي نشط فيها الإنسان، لأن حركة هذا الأخير، وأعماله اليومية، تعرض عظامه للكسر. وإذا عظم كسر الانسان أو الحيوان أسرع الناس إلى معالجته. ولعل الرغبة الملحة في شفاء المكسور هي التي حذت بالإنسان إلى تعلم مهنة التجبير.

ولهذا المصدر أصل في اللغة العربية. ويستشف من ذلك معرفة العرب لهذه المهنة. ففي لسان العرب ويقال جَبَّرت الكسير أُجَبِّرُه تجبيراً وجَبَرته جَبْراً عن اللحياني وأنشد :

لها رجْل مجبَّرةٌ تَخُبُّ (تسرع)

وأخرى ما يسترها وَجَاح (غطاء ساتر)

والمُجَبِّر الذي يجبر العظام المكسورة، والجبائر العيدان التي تشد على العظم لتجبره، وواحدتها جبيرة أو جِبارة.

دخل هذا النوع من العلاج في اهتمام الأطباء المسلمين، إلا أنه لا ينبغي خلطه بالجراحة التي اشتهر بها عدد من الأطباء في التاريخ الإسلامي كابن القف في كتابه "العمدة في صناعة الجراحة" وخلف ابن العباس الزهراوي المتوفي سنة 427 هـ / 1035 م. حين فرق بين الجراحة وغيرها من المواضيع الطبية. فتجبير العظام المكسورة أو الخارجة عن موضعها ليس عندهم من تخصص الجراحة. وقد عالجه الأطباء المسلمون بالتكميد من الخارج دون اللجوء إلى عمليات جراحية واشتهر المهتمون بهذا المسدان بالإتقان، وعملوا على تطوير التجبير مع مرور الزمن.

وإلى عصرنا اشتهر في المغرب بعض الناس ـ وليسوا أطباء بالمفهوم المعاصر للكلمة ـ بامتهان التجبير، وبرعوا فيه حتى ضاهوا الطب الحديث، وتخصصه علم جراحة العظام Traumatologie، بحيث مازال الناس بعد التجبير الذي يجرى لهم بالمستشفيات ـ في بعض الحالات ـ يلجؤون إلى المجبرين ويجدون راحتهم بعد التجبير التقليدي.

وطريقة هذا التجبير أن يقوم "المُعَلِّم" برد العظم إلى مكانه ثم تغطية العضو المكسور بالصوف، وإحاطة الصوف بكاغيد مثل السكر الأزرق، أو الياف الدوم، ثم خلط الدقيق مع أصفر البيض، وطلي ذلك العجين على الكاغيد، ثم وضع انصاف القصب التي تعد حالا، لكي تدار على العضو المكسور مرصفة، النصف إلى جانب والنصف إلى جانب آخر، ثم يشد العضو. وقد تختلف أدوات العمل من منطقة إلى أخرى بعض الشيء، فإذا اشتكى المكسور أرخى المُعَلِّم أو أهله رباطه قليلا، وهكذا يستمر ذلك أسبوعا فأكثر حسب تعليمات المجبر. ومنهم من يلجأ إلى تكسير

المريض من جديد إذا ما مضى وقت على الكسر وصارالعظم ينجبر على اعوجاج، ثم يصلح العضو ويجبره كما يفعل أحد المتفننين في هذه المهنة ببني زروال وهو محمد بن حليمة الذي يسكن بفرقة أولاد قاسم.

الهوني فرج محمد، *تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية*، بنغازي، دار الكتب الوطنية، 1986، ص. 78، 148 ؛ *تحريات ميدانية*.

العربي الحمدي

تَجْدْراوْتْ، من مستقرات اليهود المشهورة بمنطقة الأطلس الصغير الأوسط. تقع بأراضي أيت مزال إلى الشمال الغربي من قبائل إيلالن. وكانت معروفة بملاحها الكبير، وسوقها الذي ترتاده قبائل أملن، وإيلالن، وإيسندالن... تأثرت عمارتها بالوباء الواقع عام 1214 هـ / 1799 م.

البقدوري، *إتحاف أهل البدو والقرى...*، ص. 101.

أحمد بومزگو

تُجْگانْ، زاوية تقع في أقصى الشمال الشرقي لقبيلة بني منصور إحدى قبائل غمارة الوسطى، على بعد نحو خمسة عشر كلم من شاطئ البحر المتوسط ؛ وتذكر بعض الروايات الشفوية أن أول مؤسس لها هو : الشيخ علي الشلي (ت. 981 / 1573) دفين قرية بوجديان بقبيلة أهل سريف ـ قرب القصر الكبير، وتعرف إلى الآن ـ بزاوية تاسفت ـ وتاسفت شجرة ذات أغصان سامقة من نوع شجر البلوط الحلو.

وعندما قدم عليه في حدود منتصف القرن العاشر الهجري السادي عشر الميلادي عبد السلام بن محمد بن عبد المومن المعروف بعبد المومن الصغير، وتتلمذ له وأقام في خدمته مدة، أرسله إلى زاويته بتجكان فجددها، واشتهر أمره بها، وكانت وفاته في حدود أوائل القرن الحادي عشر الهجري (17 م) وكان معاصراً للشيخ أحمد الفلالي (ت. 998 / 1589) دفين قبيلة بني بوزرا الغمارية.

ثم جاء بعده ولده أحمد الشهير بالحاج أحمد الغماري، ولد سنة 1200 / 1785، تعلم ببلده فحفظ القرآن بالروايات السبع، وأقرأ بجامع أنارى بقبيلة بني بوزرا ـ مدة، وكان يصلي الفجر بزاوية الشيخ الفلالي ؛ ويقال إنه ختم بها أربعين سلكة من القرآن العظيم. وهناك تعرف على شيخ غريب فتلعم عليه، وأخذ عنه أكثر العلوم والفنون. ومن هناك اتجه إلى الشيخ العارف محمد بن خمريش (خمليش) الزرقتي، فأخذ عنه الطريق الناصرية، ثم رحل إلى المشرق ومر بمصر فأخذ عن العارف الصاوي (ت. 1241 / 1825) الطريق الخلوتية تبركا. وبعد أن أدى فريضة الحج بدأ يبحث عن شيخ التربية، فدل على الشيخ مولاي العربي الدرقاوي بالمغرب (ت. 1239 / 1823)، فتلمذ له، ولم يلبث أن أذن له في التربية، فأسس زاويته على مقربة من زاوية والده، وتلمذ له كثيرون، فنالت زاويته هذه شهرة عريضة، تنوسيت معها زاوية أبيه، وهي المعروفة ـ إلى الآن ـ بالزاوية التجكانية ؛ ومن أشهر تلاميذ الشيخ أحمد بن عبد المومن:

محمد الغالي أيوب دفين فاس، (ت. 1275 / 1856) ؛ إدريس الزعري الفاسي، (ت. 1291 / 1874) ؛ الصادق بن عجيبة، (ت. 1294 / 1877) ؛ الهاشمي بوزيد المتوفى في حدود نيف وتسعين ومائتين وألف / ق 19 م ؛ الشيخ عبد القادر بن عجيبة، (ت. 1313 / 1895).

ومن المظاهر التي تطبع هذا العصر بجبال غمارة وقبائل الجبل عامة إقبال الناس على القراءات السبع والعشر، وإهمالهم طلب العلم والتفقه في الدين، الأمر الذي جعل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي يكاتب تلميذه الشيخ أحمد ابن عبد المومن وينبهه إلى هذا الخطر الذي يبعد المريد عن حظيرة الإسلام، فضلا عن الحضرة الإلهية "ونصحي إياكم وغيركم أن لا تنكبوا على القرآن العظيم كما انكب عليه سائر أجيالنا نحن وغيرنا، حتى لا ينتهي أحدنا إلا إن حفظ رواية السبع والعشر، وكانت عنده نصب عينيه ؛ وكثيرنا لا يحسن قراءة الفاتحة، ولا يحسن الأذان والإقامة، ولا يعرف الفرائض والسنن .. والصواب أن تقرؤوا ما تيسر من القرآن، وتتفقهوا في الدين".

وكان للزاوية التجكانية إشعاعها الفكري والروحي، وممن أنجبتهم في هذا الميدان :

1 ـ الحاج الصديق بن الحاج أحمد بن عبد المومن، ولد سنة 1246 / 1830، ولم يكد يحفظ القرآن حتى توفي والده، فتلمذ للشيخ العارف الهاشمي بوزيد، تلميذ والده، كما أسلفنا، فقام بشئون الزاوية، وكان له نفوذ روحي في قبائل غمارة، (ت. 1331 / 1912).

2 ـ محمد بن الصديق، ولد سنة 1295 / 1878 تعلم ببلده فحفظ القرآن وهو صغير، وشرع في حفظ بعض الروايات، فقد ختمه برواية مكي على شقيقه أحمد، ثم درس على أخيه محمد القاضي، وعلى ابن عمه زين العابدين محمد المؤذن، وقرأ بجامع تِنْدمان على أحمد السوري وكان في رفقته ابن عمه أحمد البركة، ثم رحل إلى فاس وأنهى بها دراسته، وأخذ على كثير من مشايخها ؛ وتلمذ للشيخ المربي محمد ابن إبراهيم، ولازمه مدة، ثم أمره بالعودة إلى بلده، فاستوطن طنجة وأسس بها الزاوية الصديقية التي هي فرع من زاوية تجگان، (ت. 1354 / 1935).

3 ـ محمد الغالي رجل الفضل والصلاح، تولى رئاسة المحلة بدار ابن قريش، وشارك في كثير من المعارك ضد الإسبان، وكان مسموع الكلمة في قبائل غمارة. (ت. 1360 / 1941).

4 ـ مولاي الحبيب، من كبار علماء تجگان، درس بفاس ومصر، ثم عاد إلى بلده فاشتغل بالتدريس وإرشاد الناس. (ت. 1377 / 1957).

5 ـ محمد المودن، اشتهر بالتقوى والصلاح وكان ذا أحوال خاصة ؛ ضريحه مشهور بالزاوية، عاش أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأوائل الرابع عشر (19 م).

6 ـ الفقيه محمد بن محمد أقشقاش، لقب بذلك لكثرة حفظه ومهارته في علم القراءات، توفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري (19 م).

7 ـ الفقيه محمد بن آمنة الملقب بالعتوق، تولى الإفتاء والقضاء ببلده، وكان له تضلع في نوازل الفقه، خلف مجموعة فتاوى، توفي بسلا أواخر القرن الرابع عشر الهجري (20 م).

أ. ابن الصديق، *التصور والتصديق* ؛ ع. التليدي، *حياة الشيخ أحمد بن الصديق* ؛ عبد العزيز التجكاني، *تقييد عن تجكان وزاويتها* ؛ *روايات شفوية وبعض وثائق خاصة*.

سعيد أعراب

تجكانت، والنسبة إليها جكاني. ماتزال مواصفات قبيلة تجكانت تؤكد ارتباطها العضوي بماضي بعيد جسدت خلاله إحدى أهم تجزؤات مسوفة (إيسوفن) الصنهاجيين. ارتبط ماضي هذه الفصيلة الإيسوفية بالمنطقة الواصلة بين وادي درعة شمالا وتاودني جنوبا عبر تيندوف القديمة (تندافين : تيندوفين) وتغازى. هذا المحور الذي لن تظهر تمبكتو في نهايته الجنوبية إلا ابتداء من عام 494 / 1100، سيعرف تسلط البرابيش على ملاحة تغازى خلال القرن الثاني (8 م) (*تاريخ السودان*، 25 ـ 42). على أن مهارة مسوفة التجارية ومقدرتهم الحربية ستجعل ابن حوقل النصيبي يشهد على مقدرتهم الاحتكارية لحركة القوافل بعين المكان خلال القرن الرابع (10 م) (*صورة الأرض*، 98). هكذا، انطلاقا من نموذج متكامل على المستويات التجاري والمجالي والحربي نتبين سبب تفوق مسوفة ودورهم في تعميق أسباب التلاحم الاقتصادي عبر محاور الصحراء الأطلسية. جسدت هذه المساهمة يومها أداة مجمل قبائل إزناگن (صنهاجة) الوحيدة في مواجهة المد التجاري الزناتي الخارجي العبادي. وهي حقيقة لن يلبث أبو عبيد البكري أن يكرسها خلال القرن الخامس (11 م) حين وصف قدراتهم التجارية والحربية في آن واحد (*المغرب*، 149 ـ 284). ولنا في حوادث الدعوة المرابطية أدلة على أن مسوفة سيعملون على مجابهة المد اللمتوني مساهمين بذلك في عجز عبد الله بن ياسين على دمج باقي صنهاجة (الباقور ـ إيگدالن). الأكثر من هذا أن هجرة لمتونة (إيويليميضين) نحو الشمال قد سهلت مأمورية مسوفة في مراقبة جل المحاور الموازية لمحورها غربا فارضة المكوس والإتاوات ومحددة قوانين المرور حتى مشارف أزوگي بأدرار التمر. ندرك من هنا أن الهيمنة المجالية والتجارية ستؤثر بشكل ملحوظ في انتشار فصائل مسوفة عبر مختلف المراكز الاستراتيجية الفاعلة. وهذا شيء طبيعي، مادام ظهور مدينة تينيگي على مقربة من شنقيط بأدرار ستجسد منذ القرن السادس (12 م) ثاني قاعدة جكانية بعد تيندوف.

لئن كانت جل المصادر المحلية لا تعود إلا إلى القرن العاشر (16 م)، فإن النتائج التي أدت إليها هيمنة مسوفة على جل المحاور الغربية وفرت نموذجاً للقبيلة التي شمل اسمها باقي فصائل صنهاجة. لقد أصبحت فصائل إزناگن كلها تقتصر في تحديد هويتها على صيغة المسوفي كقاسم مشترك. علينا أن نتذكر هنا أن المنظومة الخلدونية مبنية على تلخيص المصادر حين تؤكد يومئذ على ما شاهده ابن بطوطة بعين المكان (*تحفة*، IV : 338 ؛ *Hist. des Berb.*, II : 67). ما يميز الفترة الفاصلة بين القرنين السادس والثامن (12 ـ 14 م) إذن هو تشخيص سيادة إيسوفن ومن ضمنهم تجكانت على تجارة الصحراء ومدنها مجسدين بذلك استقلالهم عن مملكة مالي. على أن هجرة لمتونة ودور التسرب المعقلي إلى مسالك المنطقة بالإضافة إلى تشتت فصائل إيسوفن قد ساهمت في تفصل هذه الفصائل كل واحدة حسب موقعها الجديد. من يطبق قوانين التقسيم هذه يدرك أن مسومة ومشظوف ما هي إلا تحريفات لكلمة مسوفة كما أوضح ذلك *تاريخ السودان* نقلا عن *الحلل الموشية* (*تاريخ السودان*، 25 ؛ *الحلل*، 1979، 17). ومن يأخذ بعين الاعتبار تداخل المصالح التجارية والمجالية يدرك أن مصالح مسوفة اقتضت اندماجهم النسبي بمملكة سنغاي. لقد اضطرت السياسة الاقتصادية الحمائية لهذه المملكة فصائل إيسوفن على محور تمبكتو ـ تيندوف إلى تطوير أساليب التعامل (E. M. Sartain, *Jlal Ad-Did*, 195). فقد حصل فعلا في مجال دراسة تجكانت بتينيگي أن جرت حركية المسالك الشرقية أسباب الاضمحلال التجاري مسببة بداية مرحلة الانحطاط (انظر مادة تاودني *بالعلمة*).

ما مدى تحالف تجكانت وسنغاي خلال القرنين التاسع والعاشر (15 ـ 16 م) ؟ تعد الرسالة التي بعث بها محمد بن محمد بن علي اللمتوني إلى جلال الدين السيوطي خلال شهر شوال عام 898 / غشت 1493 من أهم الوثائق التي تساعد على تحديد العناصر البنيوية لمجتمع ما قبل الهيمنة الحسانية خلال القرن الحادي عشر (17 م). فإذا كان تحقيق (J. Hunwick, *Notes*, 19) لهذه الوثيقة لم يرق إلى المستوى المطلوب شأنه في ذلك شأن دراسة (H. T. Norris, *The Touaregs*, 42 - 47)، فإن تحليل عبد الودود ولد الشيخ قد حدد من خلالها المعطيات الأساسية التي تكشف النقاب عن طبيعة المجتمع الصحراوي (*Eléments*, 23 - 39). لقد كان المسوفيون محتكري تينيگي عاصمة تجكانت ووادان (إن والان) وتشيت وولاتة يجعلون من النظام الأميسي نظام قرابتهم الوحيد ومن حملة الكتاب الزوايا فئة اجتماعية تلتزم المرابطة وتصحيح المعتقدات. تكمن الدلالة البليغة لوجود هذه الفئة المرابطية في شمولية القيم المجتمعية القديمة التي تجسد التطابق التام بين مسوفة (إيسّوفن) ومجمل توارگ الصحراء الأطلسية والوسطى. لم تكن الصحراء الأطلسية قد تعربت بعد ولا ممارسة الطرب والغناء قد أصبحت حكراً على إيگوان. فما يميز مراسل السيوطي كحامل كتاب من الزوايا هي رغبته في

تهذيب الطباع والقيم المتوارثة راسما بذلك العناصر التي لم تكن تميز تجكانت عن غيرهم من مسوفة أو باقي الغور الصنهاجي الأقدم. فلا يمكن إذن أن نتطرق بأي حال من الأحوال إلى مسألة الفصل في نطاق التاريخ الوقائعي بين الشماليين من سنغاي وتجكانت محتكري محور تجكانت التجارية ومصالح سنغاي. فلا نتصور بسهولة أن صيغة وحدة المصالح وتقابلها قد تقتضي مواجهة تجكانت لتطور تجارة المحاور الشرقية التي تمر بجزء كبير من ترابهم وتمنحهم كثيرا من الصلاحيات.

تدهورت حركية المسالك الساحلية للصحراء الأطلسية لتتسبب في احتداد الصراع بين فصائل تجكانت المقيمة بتينيگي. ولا شك أن مختلف باقي تجزؤات الغور المسوفي والصنهاجي قد عانت من مضاعفات هذا التدهور التجاري ومن ضغوط المد الأعرابي الحساني آخذة في الهجرة ابتداءً من منتصف القرن العاشر (16 م) انطلاقاً من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي. نلاحظ هنا أن التنافس حول مراقبة مراعي الهدة الخصبة قد أفرغت منطقة الركيز حيث لم يبق بها سوى إيجمان وفصائل تگداوست المقيمة بنودش اشتعلت أسباب الحرب المدمرة بين تجكانت تينيگي لتسرع بهدم المدينة وانقسام الفصائل المحلية إلى مهاجرين شمالا وآخرين جنوبا. وإذا كان إيجمان هم المؤسين الحقيقيين لمدشر تغبة فإن وصول فصائل تجكانت المهاجرة ستتسبب في صراع انتهى بهجرة إيجمان وتگداوست عن الركيز.

كان الأغلال أول من دشن خلال منتصف هذا القرن عملية الهجرة من شنيقيطي بأدرار في اتجاه تشيت واصلين بعد ذلك إلى ولاتة ومنها إلى الهدة الشرقية في نهاية القرن. هذه المعطيات التي تفقد عندها *الرسالة الغلاوية* وكتاب *الطرائف والتلائد* لا تفيدنا في شأن هجرة الفصائل المتجهة شمالا. فقد وصلت فصائل تجكانت إلى أرض طاطا حيث تقع قصبة انكارف مقر إقامة الحسن ابن الطالب عامل أحمد المنصور الذهبي. لم تجد هذه الفصائل أية صعوبة في الوصول إلى عين المكان مروراً بتيندوف حيث مضارب فصائل تجكانت القديمة. ولم يلبث التساكن مع إدا أوبلال أن جسد أحد العوامل الأساسية في تمتين جبهة الحد من هيمنة أولاد دليم (R. Caillé, *Journal*, 213).

إذا نظرنا إلى تطور فصائل تجكانت الشماليين على امتداد المحور تمبكتو ـ تيندوف وجدناها تنقسم خلال القرن العاشر (16 م) إلى أربعة فروع محورية هي أولاد إبراهيم ورماحتين والموساني وأولاد سيدي علي. نجد في مواصفات كل فصيلة ملاحظات كثيرة تتعلق بازدواجية حمل الكتاب وامتهان التجارة. فعلاوة عن كون جل تجكانت محاربين، نجدهم يتوخون العلم والتجارة. ولنا في حوادث القرن الحادي عشر (17 م) أدلة على تصور زعمائهم لبنية قبلية تجمع بين المقدرة الحربية والتجارية والعلمية. فقد اتضح منذ حملة السعديين إلى تمبكتو أن تجربة تجكانت تهدف بالضرورة إلى المحافظة على احتكار محورها التجاري وعلى توازن فصائلها على اختلاف تخصصاتهم الاجتماعية والمهنية. الحملة السعدية لا تعد الوحيدة التي وجدت العون والمؤازرة من تجكانت حيث تكشف المصادر والوثائق الخاصة عن دورهم في مساندة المولى إسماعيل وولاته على الصحراء. فتحسبا لكل التحالفات يومها بين إدا أوبلال واتحادية أولاد دليم القوية ركزت كل مراسلات المولى إسماعيل إلى ولاته على ضرورة التعاون مع تجكانت. ولن نمر بسرعة على هذا الجانب دون أن نركز على دور تجكانت الأساسي في تطوير المبادلات عبر محورهم التقليدي. فبالإضافة إلى استئثارهم باهتمام المخزن نجدهم يجسدون أكبر منافس حقيقي لتجارة تكنة بأسواق سوس ومراكش. نجد بأن تسرب تجكانت إلى أسواق إليغ ومراكش وسجلماسة دفع بتجار تكنة إلى الارتباط بالمرافئ الساحلية بأگادير وماسة وأيت باعمران. وقد أظهرت تجكانت من الحنكة السياسية والتجارية ما جعل منها قوة متصرفة في موانئ الضفة الشمالية وقوة حربية قادرة على الحد من تحرشات البرابيش وأولاد دليم والبرابر وغيرهم (م. ناعمي، *جوامع الهمات*). غير أنه تحسبا من تكنة الذين يمثلون عصبية متغلبة على سواها بوادي نون وباني والساقية الحمراء، لمخاطر المنافسة، أغلقوا أسواقهم عن قوافل تجكانت. وهو ما أدى بالمنافسة إلى تحسين حركية المحورين التكني والجكاني فكان من أبرز مضاعفات هذا التحسن النسبي إلى حدود النصف الثاني عشر (18 م) أن تصاعدت وتيرة المبادلات الحرة مع المرافئ. هذا ما أدى بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى إغلاق ميناءي أگادير وماسة سنة 1765 معلنا عن انفتاح ميناء الصويرة. وجه هذا الميناء الجديد ضربة قاضية لتجارة وادي نون والساقية الحمراء نظراً لبعدهما عنه. وبالمقابل أصبح على القوافل المتوجهة إلى الميناء الجديد أن تمر بمراكش القريبة مما اضطرها إلى هجر المحاور الساحلية وتفضيل محور تجكانت عبر تيندوف. استطاعت بذلك تجكانت أن تنمو بشكل مطرد بين وقت ظهور ميناء الصويرة والقرن الثالث عشر (19 م) لتصطدم خلال النصف الأخير منه بتطورات الأحداث بالصحراء الأطلسية.

تأتي أهمية هذه المكونات من كونها تبرز الأدوار الأساسية البارزة التي لعبها تجار تجكانت وممتهنو مرافقة القوافل منهم. ولا يخفى أن هذا الجانب على أهميته لا يكفي وحده لرصد الحياة الاقتصادية والاجتماعية لباقي الشرائح الجكانية بهذه المنطقة البعيدة عن العمران القروي وعن مرافئ التجارة الساحلية. من هنا يكون لزاما علينا التركيز على أهمية الترحال وتربية الإبل في تنمية حجم القطيع الجكاني كمقياس حقيقي لمدى غنى جل الفصائل المنتجعة يومها من تيندوف إلى تاودني.

صادف القرن الثاني عشر (18 م) ظهور وتطور الركيبات تحت حماية لفي اتحادية تكنة. لم تكن فصائل

الركيبات الساحلية تقترب من حمادة تندوف باستثناء أولاد موسى في بعض الأحيان. أما القبائل الشرقية فقد تعودت على الانتجاع بجوار قبائل تجكانت، بحكم تربيتها للإبل خلافا للقبائل الساحلية. واعتباراً لكون الركيبات كانوا مسالمين لا يحملون السلاح مكتفين بحماية تكنة لهم، فإن تجكانت كانوا يغزون إبلهم بصفة منتظمة. هذا ما أكدته بعض المخطوطات الركيبية التي اطلع عليها J. Larribaud . لم يكن من شأن مقدرة الركيبات الاستيعابية على احتواء أكبر قدر من الدخلاء أن يقلل من حجم قطيعها من الإبل. وبالرغم من النمو الديمغرافي المتزايد الذي كانت تعرفه قبائل الركيبات الساحلية والشرقية، فإنها ظلت تعتبر نفسها في موقف دفاعي ضد تحرشات تجكانت إلى أن ظهر مع بداية القرن الثالث عشر / نهاية (18 م) السلاح الناري الوروار. ففي سنة 1211 / 1796 . 1797 انفجرت أول معركة بالعريضة، الموقع المعروف بالساقية الحمراء، لتمتد إلى فم تازرٌ حيث انقسمت حامية تجكانت إلى قسمين. انسحب الأول شمالا نحو أيت أوقلمان واتجه الثاني إلى إيگيدي جنوبا حيث تجنب شر الركيبات (*جوامع المهمات*، 84). أدت ثاني معركة بين الطرفين بعد ربع قرن من هذا التاريخ إلى مقتل عدد كبير من تجكانت وسلب كثير من ممتلكاتها. تأكدت يومها خطورة الركيبات كقوة متنامية اتفق تجكانت وإدا أويلال وامربيط واعويب على محاربتها. توجهوا إلى الاحميديات حيث أكدت إحدى كبريات المعارك على تفوق الركيبات الذين أصبحوا يتوفرون يومها على أسلحة نارية بلجيكية وفرنسية وأنجليزية.

تسببت هذه التعقيدات السياسية في تدهور العناصر القادرة على توفير أمن وسلامة المحور تاودني - تيندوف. وقد اضطر الشيخ محمد المختار بلعمش عالم تجكانت الأكبر وتلميذ محمد بن المختار الكنتي إلى إعادة بناء تيندوف حوالي سنة 1256 / 1840 خلافا لما تورده بعد المصادر (*المعسول*، XVIII : 159) التي تركز على سنة 1270 / 1853 (*جوامع المهمات*، 87) كان هدفه هو الحد من اختلال الأمن والعمل على مواجهة مختلف قضايا التبادل التجاري ونظام التحالفات. وفعلا، فإن تيندوف لم تلبث أن أصبحت عاصمة دينية وبرصة التسعير الأولى بالضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية كما شهد على ذلك Camille Douls. فعلى المستوى التجاري والسلعي تكشف صلاحية المحتسب والقاضي عن قدرة تيندوف على التخزين كأول مستودع جهوي. أصبحت القاعدة هي أن يقف تجار الشمال والجنوب بأنفسهم على عمليات التقليب والتسعير. وتعتبر شهادة C. Douls الذي زار تيندوف سنة 1887 بالغة الأهمية لإبراز دور الموقع التجاري الاستراتيجي. فهو يميز الموقع كملتقى للطرق عن عين صالح بمنطقة توات مسجلا بأن ستة محاور تصل إليه من گليميم وأقا وتافيلالت وتوات والجنوب الجزائري والساقية الحمراء. كما أن من الإشارات الهامة التي سجلها نلاحظ تعريف تيندوف كعاصمة أولى لتجارة الرقيق.

علم الركيبات بإعادة بناء تيندوف سنة 1256 / 1840 فأرسلوا وفداً للتهنئة. ويضيف محمد سالم بن لحبيب ابن الحسين بن عبد الحي بأن تجكانت قد بنوها بناء جيدا (*جوامع المهمات*، 86). هنا نسجل بأن مساهمة المسجد الجامع الذي اختطه بلعمش تعد بالغة الأهمية من الناحية الدينية والسياسية، فعلاوة على تخرج مجموعة لا يستهان بها من الفقهاء والعلماء خصهم الأمين الشنقيطي ومحمد المختار السوسي بمؤلفين خاصين (*الوسيط*، 277 . 284 ؛ *المعسول*، XVIII : 158). نجد أعلاما مشهورين بالمشرق كمحمد محمود بن التلاميذ التوركزي (*الوسيط*، 380 . 396) يدرسون شأنهم في ذلك شأن محمد المختار بلعمش وابنه محمد وتلميذه الشيخ ماء العينين. وإذا كان محمد المختار بلعمش قد توفي مبكراً (حوالي سنة 1285 / 1868) حسب ما أورده السوسي (*المعسول*، XVIII : 160) فقد تجلت مساهمته العلمية في حجم ما خلفه من آثار ومؤلفات السوسي (*سوس العالمة*، 199 ؛ الأمين الشنقيطي، *الوسيط*، 321). أما مساهمته التاريخية السياسية فقد تجلت في قدرته على سن قوانين المعاملات القبلية بعين المكان، لقد واجه مجمل القبائل المتصارعة صنهاجية كانت أو حسانية بفتاوى تقول بقتل قطاع الطريق منهم. بل ونلاحظ أن صرامته قد أسهمت إلى حد بعيد في تطبيع العلاقات يومها بين تجكانت والركيبات إلى أن وقعت معركة غزي تيگي ومعركة منهل وادي واين تاركت. يومها حرض الشيخ محمد المختار بلعمش الجكاني قبيلته قائلا : "قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار وجهادهم واجب". ويضيف مخطوط *جوامع المهمات* بأنه أفتى كتابة بجواز قتال الركيبات مما دعا محمد بن يوسف بن عبد الحي عم صاحب المخطوط إلى الاعتراض عليه بتأليف آخر. قام العالمان بإرسال المؤلفين للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن قصد الحسم في الخلاف، فاستفتى بدوره علماء مراكش وفاس. وإذا كان العلماء قد رجحوا مقولة قاضي الركيبات بن عبد الحي سنة 1295 / 1878 فهو ما يعني أن وفاة محمد المختار بلعمش قد تكون لاحقة للتاريخ الذي أوردناه سابقا (*جوامع المهمات*، 89). لقد رفض عالم تجكانت حكم العلماء فأغار تجكانت على ركيبات الساحل وآل عبد الحي بالموقع المعروف برگ المحون بالمنطقة الساحلية. فما كان من آل عبد الحي إلا أن رفعوا شكوى إلى السلطان بعد أن رفض تجكانت إعادة ما انتزعوه منهم. كلف السلطان سبعين عالما بمهمة الحسم وحضر الفقيه الحاج البشير ممثلا للركيبات وآل عبد الحي بينما مثل محمد المختار بلعمش قبيلته، وما أفتى به في هذا الشأن : "فغلب أهل عبد الحي تجكانت وأمره طويل لكن اقتصرت على ما كتب منه" (*جوامع المهمات*، 89). دخل الطرفان بعد ذلك في سلسلة أخرى من الحروب والمساجلات الشعرية انتهت سنة 1303 / 1886 بانتصار الركيبات واستسلام

تجكانت المرحلي. خلال هذه السنة عين المولى الحسن الشيخ أحمد بن محمد المختار بلعمش قاضيا على تجكانت بظهير 24.8.1303 / 28.5.1886 (*مجلة صحراء المغرب*، XX : 8). انطلقت السلسلة الأخيرة من المعارك بين الطرفين سنة 1314 / 1895 لتنتهي بغزو 1200 رگيبي لتيندوف حيث مكثوا سبعة أيام خربوا خلالها جل القصر ولم يبقوا منه إلا على ديار أهل العبد وأهل المرابط (*جوامع المهات*، 94-95).

نلاحظ أن هذه المعطيات تكشف ضمنيا عن مدى وعي محمد المختار بلعمش بعمق المشكل الرگيبي القائم. فجد في تحليله قدراً من الواقعية والعقلانية يستهدف تجنيد مختلف فصائل تجكانت والسلطان والعلماء وباقي القبائل المجاورة إلى حقيقة الخطر المحدق بالوجود الجكاني، وهو ما يؤكد أن تأطيره لذويه وحثهم على مواجهة الأخطار الخارجية لم يأت من باب العصبية القبلية ولا النزعات القومية الساذجة. لقد تعاقبت فعلا على تراب تجكانت منذ هدم تيندوف أحداث متتالية صبت كلها في نفس الاتجاه السلبي. فلا الظهائر العزيزية ولا قرارات المقيم العام الفرنسي في 11.1.1935 بمغربية تيندوف، أعادت لفصائل تجكانت سابق تماسكها. بل إن الوقوف المطول عند مضاعفات التطورات السياسية على هذه الفصائل يعود بها إلى دور العوامل الخارجية الاقتصادية والسياسية الفرنسية والإسبانية كمؤطر لدور الصراعات المحلية. إن عملية الجنرال ترانكي Trinquet القاضية سنة 1353 / 1935 بضم تيندوف إلى التراب الجزائري لا تفي وحدها بالغرض التحليلي المطلوب إلا إذا توغلنا في تفاصيل التناقضات القبلية في ارتباطها بمضاعفات استراتيجية المد الفرنسي الاسباني. برر القائد السنهوري تعامله مع الإدارة الفرنسية كممثل لتجكانت بضرورة العمل على إعادة التماسك الجكاني إلى ما كان عليه، وهي مقولة تركز على دور العوامل الخارجية كعقبة أساسية في وجه التماسك والتساكن. وإذا كان السنهوري قد أعلن مغربيته سنة 1962 حاملا بيعة أهل تيندوف، فإن دعائم البنيان الجكاني كانت يومها قد عرفت كثيراً من التعلل لم تترك لها إلا تشبثا راسخا بمبادئ وقيم الانتماء إلى مجتمع الصحراء الأطلسية.

جلال الدين السيوطي، *الحاوي للفتاوى*، القاهرة، د. ت، جزآن ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثامن عشر ؛ *سوس العالمة* ؛ *جوامع المهمات في أمور الرقيبات* ؛ الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط* ؛ المختار ولد حامدون، *حياة موريتانيا*، جغرافيا ؛ سيدنا بابا بن محمد بن سيدي، *تاريخ امارتي إدا وعيش ومشظوف*، مخطوط ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار*، دار التراث 1968 ؛ الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي، *الرسالة الغلاوية* ؛ *الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد*، مخطوط ؛ عبد الله بن الحاج إبراهيم، *يسر الناظرين في روضة النسرين*، مخطوط.

A.W. Cheikh, *Eléments d'histoire de la Mauritanie*, Centre Culturel Français, Nouakchott, 1988 ; R. Caillé, *Journal d'un voyage*, Paris, 1965 ; C. Douls, *Voyages dans le Sahara Occidental et le Sud marocain*, Soc. Normande de Géographie, Janvier - Février 1888 ; S. Caratini, *Les Rgaybat* ; J. Hunwick, *Notes on a late fifteenth century document concerning At Takrur*, in Allemand Jonhson (ed), *African perspectives*, Cambridge, 1970 ; H. T. Norris, *Saharian Myth and Saga* ; *The Touaregs*, Warminister, 1975 ; J. Larribaud, *Tindouf et le Sahara Occidental*, *Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie*, XXX, n° 3, Alger, Sept. 1952 ; V. Paques, *L'arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quodidienne du nord-ouest africain*, Paris, 1964.

مصطفى ناعمي

التجكاني، محمد بن عبد الصمد الحسني التطواني. تنتسب أسرته إلى إدريس بن إدريس، هاجر أحد أجداده في القرن التاسع (15 م) من دار مُقامهم في بني إزناسن إلى تجگان ببلاد غمارة. وبها ولد المترجم عام 1317 / 1899 وحفظ القرآن على الاستاذين أحمد بن عبد الله ابن زهرة، ومحمد بن الشاهد التجكاني.

ولما بلغ عشرين سنة انتقل إلى تطوان لإتمام دراسته (ذو القعدة 1337 / غشت 1919) فأخذ عن شيوخها أمثال الأمين بوخبزة، وعبد الرحمن أقشار، ومحمد الفرطاخ وأحمد الحداد. وفي فاتح ربيع الأول عام 1340 / 2 نونبر 1921 انتقل إلى فاس فأخذ عن أعلامها، أمثال الحسين العراقي، وإدريس المراكشي، وعبد الله الفضيلي وغيرهم. ولما اكتمل تكوينه توجه إلى بني إزناسن فمكث بها مدة وبطنجة قبل أن يعود إلى تطوان ليشتغل بالتدريس في الجامع الكبير، وقد عين مدرساً بهذا الجامع بعد إصلاح نظام التعليم الأصيل بالشمال، كما كان خطيبا بزاوية علي بن ريسون ثم بجامع العيون.

توفي بتطوان يوم السبت سادس رمضان عام 1411 / 23 مارس 1990 ودفن بباب المقابر.

م. ابن الحاج، *إسعاف*، 253-254.

التجكاني، المهدي بن محمد بن الشاهد المومني التطواني. ولد بمدينة طنجة عام 1337 / 1919 وبها نشأ وحفظ القرآن في الزاوية الصدّيقية، وانتقل إلى تطوان ليتابع دراسته بالجامع الكبير على الشيخين العربي الخطيب والتهامي الوزاني الذي أجازه، وبالمعهد الخليفي. شارك في الحركة الوطنية منذ نعومة أظفاره. وفي أواخر عهد الحماية عُين مدرساً في مدرسة أزغنغان بالريف، لكنه ما لبث أن استقال للمضايقات التي لقيها من رجال السلطة الاستعمارية الإسبانية بسبب نشاطه الوطني، ثم عين معلماً بطنجة، ومنها انتقل إلى مدرسة حجر النحل في ضاحيتها. وقد ألف بطلب من المرحوم محمد حسن الوزان كتاباً حول *المقاومة الريفية للاحتلال الإسباني*، وهو مايزال مخطوطاً.

وبعد الاستقلال اختطفه خصومه السياسيون من هذه المدرسة القروية وهو يتهيأ في بداية العطلة الصيفية للرجوع إلى طنجة زوال يوم 28 يونيو 1956 وذهبوا به إلى جنان بريشة أحد المعتقلات الحزبية الرهيبة بضاحية تطوان فذاق من ألوان التنكيل والعذاب ما سجله في كتابه *دار بريشة*

أو قصة مختطف الذي نشر بالدار البيضاء سنة 1408 / 1987.

وقد خرج - بأعجوبة - من هذا المعتقل الجهنمي مصاباً بعاهات جسمية لم تفارقه حتى أسلم الروح إلى باريها في تطوان يوم 5 جمادى الأولى عام 1403 / 19 يبراير 1983.

المهدي التجكاني نفسه، *حركة المقاومة بالريف*، مخطوط ؛ أ. معنينو، *تقديم دار بريشة*، 14-19.

محمد حجي

التجمع الوطني للأحرار (حزب -)، أسس هذا الحزب سنة 1977 بتكوين فريق الأحرار بمجلس النواب يضم 140 عضواً. وعقد المؤتمر التأسيسي الأول سنة 1978 بالدار البيضاء والمؤتمر الوطني الثاني سنة 1983 بالدار البيضاء أيضاً والمجلس الوطني الثالث سنة 1986 بالرباط واللجنة المركزية للحزب سنة 1983.

يتركب المكتب التنفيذي للحزب من 18 عضواً إلى 24 عضواً، وتضم اللجنة المركزية من 60 عضواً إلى 115 عضواً بينما يتألف المجلس الوطني من 460 عضواً.

- المؤتمر الوطني للحزب.

- الاتحاديات على صعيد الأقاليم (الشعب والفروع).

المقاعد التي حصل عليها التجمع في الانتخابات التشريعية : في الفترة التشريعية 1977-1982 حصل حزب التجمع الوطني للأحرار على مائة وأربعين مقعداً، وفي سنة 1981 أصبح للتجمع الوطني للأحرار ثلاثة وثمانون مقعداً بعد تكوين الفريق الديمقراطي. وفي الفترة التشريعية 1984-1992 حصل الحزب على واحد وستين مقعداً، وفي الفترة التشريعية الأخيرة 1993-1999 حصل التجمع الوطني للأحرار على ثلاثة وثلاثين مقعداً.

العياشي الزيتوني

التجميل التقليدي، نوعان : حديث يتم بالعقاقير الكيماوية والمستحضرات الطبية والأدهان الصيدلية، وتقليدي بالبشور والعطور والأعشاب والنباتات المدقوقة والمحروقة والمقطرة. ويختلف هذا الأخير عن الأول في أنواعه وأدواته وطرق استعماله التي كانت أهلية محلية تنتقل بالتوارث من جيل إلى جيل عبر مئات السنين.

وقد شاع بين الناس خطئاً أن التجميل كان يقتصر على النساء دون الرجال مع أن لكل منهما نوعه الخاص به. إلا أن اعتناء النساء بالتجميل كان أكثر وأظهر للعيان لأنه كان وسيلة المرأة الأساسية للحفاظ على أنوثتها وإثارة وإعجاب زوجها وتأجيج تعلقه بها. إنه كان إحدى المرتكزات التي تستند عليهما للتعامل مع مجتمع الذكور الذي تلعب فيه الأنوثة وجمال المرأة دوراً كبيراً.

لذلك كانت المرأة تعتني اعتناء كبيراً بشعرها الذي تتركه طويلا لأنها تعتبره تاجا على رأسها فكانت تحافظ على صيانته وتنظيفه كلما دعت الضرورة إما بالغاسول (وهو طفل صابوني) أو بالصابون البلدي وتخضبه بالحناء أو الزعفران أو الحديدة الزرقاء أو الحرقوص. وبعد الاعتناء بتنظيفه وتسريحه وتسفيفه كانت تلفه مجتمعا على رأسها وتغطيه بمناديل وسبنيات بديعة ولا تشكف عنه إلا في مناسبات قليلة حتى ولو كانت بين أهلها ومحارمها.

وكانت المرأة تذكي سواد عيونها ورموشها بالكحل، وتشص فمها ولثة أسنانها بالسواك وتؤجج حمرة شفاهها وخدودها بأحمر شفاه تقليدي يدعى العكار يحتفظ به عادة في وعاء من خزف صغير بحجم كف اليد يباع عند العطارين. أما عنقها ويداها وبشرة وجهها فكانت تدهنها بماء الورد أو القطرة الصافية من زيت الزيتون أو بغيرهما من الأدهان والزيوت المستنبطة من القرنفل والزهر والريحان. كما كانت تعطر ملابسها وذاتها بالطيب الطبيعي الأصيل الذي كانت رائحته تثير الخياشم وتلفت حاسة الشم والنظر. وفي العديد من المناسبات الدينية والاجتماعية كانت تخضب يديها ورجليها بالحناء مستعينة في ذلك بحنايات متخصصات في الرسم بالحناء. وأهم المناسبات التي كانت النساء تضعن فيها الحناء في أيديهن وأرجلهن هي يوم السابع والعشرين من رمضان وأيام الأعياد الدينية وخاصة عيد الفطر والمولد وكذا بمناسبة الأعراس والخطوبة والعقيقة والختان.

وكان الكثيرات من نساء البوادي والمرتفعات الجبلية والقليلات من الحضريات يلجأن إلى تنصيع خدودهن وإبراز ملامح جمال وجوههن باستعمال خليط من المواد النباتية والمعدنية المسحوقة والممزوجة بكيفية محددة ودقيقة يدعى الحرقوص. كان بعضهن تشم ذاتها وتصل شعرها وتقص بعض جوانبه الأمامية والجانبية وتستعمل غير ذلك من أساليب الاثارة والتجميل وإخفاء كل قبيح باد في وجهها للناس مما لا يمكن ذكره ولا تداوله إلا في عالم النساء الذي لا تنفتح أسراره للذكور. وقد لاحظ العديد من الرحالين في مغرب القرون السالفة انتشار الوشم بشكل كبير في البلاد بين النساء البدويات. وكان الوشم وسط الجبهة وملتقى الحاجبين وبين الأنف والفم وبين هذا الأخير والذقن أمراً عادياً عند سائر النساء. وكانت بعضهن تشمن أعناقهن وظاهر أيديهن وأسافل سيقانهم وأفخاذهم ومطلع خصورهن ووسط بطونهن وفوق نهديهن وبينهما على يد واشمات متخصصات ولا يندثر الوشم أبداً إلا بموتها.

وكانت النساء في الحواضر والبوادي على السواء يكملن زينتهن بلبس الخواتم والدمالج وتقلد الأساور والأقراط والخلاخل وغيرها. إلا أن استعمال الحلي والمجوهرات لاستكمال الزينة والتجميل لم يكن سائد الانتشار إلا في المدن. وحتى إذا لجأت نساء البوادي إلى ذلك فإن حظهن منها لا يتعدى بعض الحلي البسيطة من الفضة. أما الحلي الذهبية المتنوعة الأشكال فكانت لا تتجاوز أسوار المدن باستثناء نساء الأعيان والأثرياء والعمال والقواد في البوادي.

أما التجميل عند الرجال فكان يختلف عنه عند النساء

لأنه كان يندرج بالنسبة إليهم ضمن طهارة الثوب والبدن مما كانت السنة تدعو إليه. لذلك كان الرجال يقلمون أظافرهم ويقصون شواربهم ويحلقون شعور لحاهم ورؤوسهم ويصبغونها إذا شابت ويكتحلون ويستاكون ويتطيبون أيام الجمعة وليلة السابع والعشرين من رمضان وفي الأعياد الدينية الكبرى. لكن انشغال الرجال بأمور المعاش وارتباط حياتهم بالفلاحة والحرف وغيرها صرفهم بالتدريج عن ذلك إلا في مناسبات قليلة فبدا التجميل وكأنه خاص بالنساء دون الرجال. ومع تطور الزمن أصبح الرجل من عامة الناس لا يهتم بتقليم أظافره وقص شاربه وشعر لحيته ورأسه إلا قليلا ولا ينظف ذاته وملابسه إلا نادراً مما أدى بالكثير من الرجال إلى كشط اللحية وأعفاء شريط صغير منها ملامس للفكين فقط وحلق شعر الرأس كاملا على الرغم من أن إسدال شعر الرأس واللحية كان عند المسلمين الأوائل "زينة وكان تركه سنة وحلقه بدعة". لذا أصبح الخلف يحلق شعر الرأس ويعوضه بالعمامة باستثناء سكان المناطق الصحراوية الذين حافظوا على شعورهم الطويلة. وقد استنكف كثير من الرجال أيضا عن معالجة شعر رؤوسهم ولحاهم بالصباغة بالحناء والزعفران وغيرهما. واعتبر بعضهم الشيب وقاراً وامتنعوا عن معالجته عكس ما جرى به العمل عند النساء حيث كان من المناظر المألوفة في المغرب أن ترى شعر المرأة أسود أو أصفر مزعفراً وشعر زوجها إلى جانبها أبيض اللون. أما استعمال الطيب في صفوف الرجال فكان قليلا بالمقارنة مع استعماله عند النساء. لكن معظم الرجال إن لم يكونوا كلهم يفرطون في حليهم وقلائدهم الخاصة بهم من كميات وخناجر وحقائب جلدية (شكاير) وجرابات دلائل خيرات وغيرها.

ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، الجزء السابع، الرباط، 1974 ؛ ع. بن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، الجزء الأول، الرباط 1961 ؛ م. الصبيحي، *في بعض العادات المغربية*، فاس 1925 ؛ م. القاضي، *اللباس والزينة من السنة المطهرة*، القاهرة 1989 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الثالث، الدار البيضاء 1960 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، الجزء السادس، تطوان 1978.

L. Bouvat, *La parure, les vêtements et le voile*, R.M.M., vol.4, 1908 ; Assy, *La vie familiale à travers ses rites chez les Ziyayda du Maroc*, D.E.S, Sorbonne 1980 ; A. Pignol [et al..], *Costumes et parures dans le monde arabe*, s. l, 1987 ; H. A. Franceshi, *Costumes et bijoux au Maroc*, *L'œil*, n° 294 - 295, Janvier - Février 1980 ; K. Herber, *Les tatouages de la face chez la marocaine*, *Hesp.*, vol. 33, 1946 ; *Les peintures corporelles au Maroc*, *Hesp.*, vol. 9, 1929 ; *Les tatouages des bras de la marocaine*, *Hesp.*, vol 38, 1951.

محمد بوسلام

التجهيز، لاجدال في أن القرن العشرين عصر ثوري في تاريخ المغرب، ولا جدال في أن مصدر ذلك هو تجهيز البلاد بكل ما كانت تفتقر إليه من أدوات التواصل العصري سواء منها البرية والبحرية والجوية أو السلكية واللاسلكية. والمجتمع الذي تنحصر أسباب مواصلاته عند المسالك الضيقة المتآكلة وعند قوافل الإبل والبغال والحمير يختلف حتما عن المجتمع الذي اتسعت فيه الطرق وتوطأت وتعددت فيه أحواض الموانئ وتعمقت وبات الاتصال فيه بين الناس يتم بسرعة، ولا يمكن أن تتغير أدوات التواصل والتبادل السريع دون أن تتغير من جرائها الذهنيات وما يخطر بالألباب من الخواطر، ولذلك فإن التجهيز من أخطر الأمور شأناً في بلد يسير كالمغرب في طريق النمو بخطى حثيثة ويتزايد عدد سكانه بوتيرة ترغمه على تلبية حاجيات الشعب من المياه ومن الكهرباء ومن السكن بل ومن كل التجهيزات الاجتماعية الضرورية مثل المدارس والكليات والمستشفيات والمحاكم والسجون والملاعب وقاعات الترفيه والرياضة، مما كانت تقوم به كل وزارة في ميدانها إلى أن تقرر جمع كل ذلك سنة 1977 في قبضة وزارة الأشغال العمومية التي أطلق عليها اسم وزارة التجهيز وهي مازالت تتحمل هذه المسؤولية الكبرى وإن كانت قد عادت منذ سنة 1987 إلى اسمها السابق فهي اليوم وزارة الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر.

هذه الوزارة من أهم الوزارات من حيث الأعمال المنوطة بها ومن حيث الأموال الطائلة التي عليها أن تتصرف فيها وأيضا من حيث النخبة الطلائعية من المهندسين والموظفين الذين يسيرن دواليبها. وإن نظرة ولو عابرة على تركيب هذه الوزارة لمن شأنها أن توحي بتشعب مهامها وبما تكتسيه من حيوية في نمو البلاد. فإلى جانب الوزير وديوانه والكاتب العام هناك المجلس العام للتجهيز الذي هو هيأة تنظيرية واستشارية، ثم يأتي بعد ذلك أربع مديريات كبرى للتسيير العام وهي : 1) مديرية الشؤون الإدارية 2) مديرية الموظفين والتكوين 3) مديرية الشؤون التقنية 4) مديرية التخطيط والدراسات، ثم هناك بعدها ست مديريات تقنية وهي : 1) مديرية التجهيزات العمومية 2) مديرية مينائي الدار البيضاء والمحمدية 3) مديرية الموانئ الأخرى 4) مديرية السدود 5) مديرية الطرق والرواج السياري 6) مديرية الأرصاد الجوية.

أما خارج الوزارة فهناك سبع مؤسسات كبرى تعمل تحت إشرافها ولكن مع الاستقلال المالي وهي : 1) المكتب الوطني للماء الصالح للشرب 2) مكتب استغلال الموانئ 3) مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل 4) شركة تجريف أحواض الموانئ 5) الشركة الوطنية للطرق السيارة في المغرب 6) المختبر العمومي للتجارب والدراسات 7) المدرسة الحسنية للأشغال العمومية.

وحيث إن تفاصيل المسؤوليات المنوطة بهذه المكاتب والشركات مدرج في مكانه من هذه *الملمة* فإننا نكتفي فيما يلي بالإيجاز بأهم مراحل التجهيز في تاريخ المغرب المعاصر وذلك من خلال ثلاثة أبواب : باب المواصلات مع إغفال التواصل السلكي واللاسلكي وينظر إليه في مادة البريد والتلغراف والتليفون، ثم باب النهوض بالخيرات المائية وبناء السدود مع الإشارة إلى الأرصاد الجوية، ونختم هذا العرض بالإشارة إلى ما يبذل من مجهودات في باقي

التجهيزات العمومية.

فلقد مر تاريخ التجهيزات الأساسية في المغرب من مرحلتين اثنتين أولاهما مرحلة الحماية الممتدة من سنة 1912 إلى سنة 1956 وثانيتهما مرحلة الاستقلال من سنة 1956 إلى سنة 1994 الجارية. ولاجدال في أن اهتمام الدولة في كلتا المرحلتين قد انصرف لإعطاء الأولوية للتجهيزات الكبرى، إلا أن الفرق واضح بينهما، إذ كانت البلاد منقسمة في عهد الحماية إلى أربع مناطق. ولئن اعتنت فرنسا بتجهيز المنطقة التي كانت خاضعة لها فإن إسبانيا عجزت عن ذلك في مناطق احتلالها في الشمال والجنوب وانحصرت تجهيزات المنطقة الدولية حول ميناء طنجة عند محيطها الضيق، ثم إن الأشغال العمومية التي أنجزت في تلك المرحلة كانت لا ترمي للنهوض بالبلاد بقدر ما كانت ترمي لفتح السوق المغربية جبراً أمام الرأسمال الأجنبي وتمكينه من الاستحواذ على خيراتها وربطها بالأسواق العالمية بحيث كانت التجهيزات يومئذ تكتسي طابعا عدديا وسياسيا فلم تشارك فيها الجماهير المغربية إلا مضطرة إليها مغلوبة عليها في أموالها وسواعد أبنائها مما يميز هذه المرحلة الاستعمارية عن مرحلة الاستقلال التي يطبعها إضافة إلى متابعة المجهود العددي طابع الكيف والاستعداد الوطني والإدراك العام على جميع المستويات بضرورة إيلاء التجهيزات الأساسية كل عناية لا على اعتبار مردوديتها الاقتصادية وحسب، ولكن على اعتبار وقعها على أدنى حيثيات الفرد والجماعة، وواضح ما لتعزيز شبكة المواصلات مثلا من انعكاس على انتشار الوعي في عموم الجمهور واستدراجه بالتي هي أحسن للمشاركة في القرار ولذلك أسند المشرع أمر النهوض بالتجهيزات المحلية للجماعات القروية والبلديات، مما لم يكن منه شيء في عهد الحماية وبات من المسلمات منذ الاستقلال وساعد البلاد على توحيد تراب [illegible] ى التغلب على الكثير مما خلفه الاستعمار فيها من أسباب التفاوت الجهوي من حيث التجهيز. وهكذا اطردت وتيرة التقدم وأضحى المغرب بتجهيزاته الأساسية من البلدان الطلائعية في القارة الإفريقية.

فلقد تضاعف طول شبكة الطرق منذ سنة 1956، فهو حالا يناهز 60.000 كلم منها 29.626 معبدة و29.900 من الطرق السالكة غير المعبدة، وهي مفتوحة لما لا يقل عن 956.000 عربة من مختلف الأحجام مما كان سنة 1992 يساوي معدل 29.5 عربة في الكيلومتر كل يوم مع زيادة قدرها سنويا 8.5٪ والعلم أن 90٪ من أعداد المسافرين بالكيلومتر تستعمل الطريق في تنقلاتها و75٪ من أعداد الأطنان بالكيلومتر تنقل عبرها باستثناء الفوسفاط الذي ينقل على السكة الحديدية، وفي ذلك إيماءة كافية لما حصل من التقدم في شبكة الطرف التي اتسعت على محاور النقل الرئيسية وشق منها الكثير في المناطق الهامشية والنائية. وأحسن دليل على التقدم النوعي في هذا المضمار برنامج شق الطرق السيارة على المحاور الكبرى التي شرعت في تنفيذه منذ بضع سنوات، الشركة الوطنية لبناء الطرق السيارة في المغرب، ويقتضي بناء 1000 كلم من هذا الصنف الرفيع من الطرق من الآن إلى سنة 2004.

أما طول السكك الحديدية فإنه يبلغ 1907 كلم سنة 1993 مع كثافة في الرواج بين 1.5 و5.5 مليون وحدة من الرواج بالكيلومتر الحديدي. والمجهود النوعي في هذا الميدان ملموس منذ الاستقلال، لا في نقل المسافرين حيث ازدوج خط القنيطرة الدار البيضاء عبر الرباط بسكة ثانية منذ ما يناهز عشر سنوات مما زاد في الرواج ويسّره في آن واحد، ولا أيضا في نقل البضائع حيث ارتبط ميناء الجرف الأصفر بخط نقل الفوسفاط بين خريبكة والدار البيضاء من خلال محطة النواصر.

ومن حيث الموانئ فإن المغرب يتوفر على 24 ميناء من مختلف السعات، وكانت الحماية الفرنسية قد اختارت أن تجعل من ميناء الدار البيضاء النافذة الرئيسية على البحر غير مبالية بما كان في ذلك من تهميش لباقي المرافئ، فكان على المغرب المستقل أن يصحح هذا الاتجاه لتستفيد البلاد من كل موانئها ولتنتعش جميع الجهات من الرواج التجاري، وهكذا فإن 98٪ من المبادلات المغربية مع الخارج تتم عبر الموانئ وأهمها يبقى ميناء الدار البيضاء بمختلف أنواع الرواج واحتكاره لتصدير الفوسفاط الخام، يليه ميناء المحمدية لاستيراد النفط والزيوت ثم أسفي والجرف الأصفر للمعادن ومشتقات الفوسفاط ثم طنجة كبوابة للاتصال بأوربا. وتتعاطى باقي الموانئ أساسا الصيد البحري الذي عالج 550.000 طن سنة 1991 كما تتعاطى الملاحة السياحية التي تعبرها الدولة والجماعات المحلية منذ منتصف الثمانينات عناية متزايدة.

ولقد تعزز الأسطول المغربي كماً وكيفاً منذ الاستقلال، وكان النقل البحري كله في عهد الحماية بقبضة الأجانب، وهو وإن كان مازال منحصراً بالنظر إلى الحاجيات المغربية وبالنظر لطول شواطئنا التي تبلغ 3400 كلم إلا أنه يتوفر الآن على 60 سفينة تغطي 18٪ من التجارة الخارجية من حيث الشحن و30٪ من حيث القيمة المالية.

أما في النقل الجوي فإن المغرب يتوفر على شبكة من المطارات كثيفة بالنظر إلى حاجياته، فإن عشرة من هذه المطارات مفتوحة للنقل الدولي وسبعة للنقل الوطني، ويضاف إليها 30 أرضية قابلة للرواج الجوي العادي وكلها مزودة بالأجهزة الضرورية للاتصال الجوي وتستغلها شركة الخطوط الجوية الملكية إلى جانب عشرين شركة أجنبية تربط طائراتها المغرب بالخارج. ولقد بلغ عدد المسافرين سنة 1990 أربعة ملايين مسافر وارتفع الشحن إلى 47.340 طن.

ويتصل بالملاحة البحرية والجوية مصلحة الأرصاد الجوية التي تتجاوز محطاتها 700 محطة لرصد الطقس و40 محطة للرصد الشامل وهي تعمل بأحدث أساليب الرصد سواء تقنيا باستعمال الرادار أو علميا باللجوء إلى حساب

الاحتمال وهي قادرة اليوم على استمطار السحب عند الاقتضاء مما يعد فاتحة خير في بلد فلاحي كالمغرب معرض للجفاف بشكل موسمي.

ولذلك فإن التجهيزات الخاصة بالتنقيب عن الماء ويخزنه لا تقل خطورة عن تجهيزات التواصل، فإن النمو الديمغرافي السريع للبلاد وتحولاتها الاقتصادية والاجتماعية وما واكب ذلك من تحولات في أشكال العيش كل هذه العوامل تجعل من ضبط المياه المغربية أمراً حيوياً، ولذلك ما فتئت المصالح الوزارية والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب يعملان سويا لكي تستنبط كل المناهل ويتم استغلالها بما يضمن تزويد كل المواطنين في البوادي والمدن بلا إفراط ولا تفريط، وهكذا بات من الممكن سنة 1992 تزويد 79٪ من سكان المدن بالماء الشروب في منازلهم والأحياء الفقيرة تزود بينابيع عمومية، أما في البوادي فالتزويد المنزلي مازال دون المستطاع ولكن 30٪ من أهل البادية مزودون بفضل التجهيزات العمومية.

ومن علامات ضبط الرصيد المائي المغربي سياسة السدود التي وضعت بعض مخططاتها الأولى في عهد الاستعمار للمعمرين لكن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني خلصها من كل تلك الشوائب وأضفى عليها صبغة القرار الوطني المسؤول ابتداء من سنة 1967 عندما قرر أن يُبنى سد كل سنة إلى حدود سنة 2000 م. وعدد السدود 80 سدا سنة 1993 تختزن 10 ملايير متر مكعب من الماء يتأتى معها سقي 850.000 هكتار وتضمن حجما من المياه الصالحة للشرب وللأعمال الصناعية قدره ما لا يقل عن مليار واحد من الأمتار المكعبة ويتولد منه 1500 كيلواط / الساعة من الكهرباء.

أما التجهيزات العمومية فيمكن الاستشهاد عليها بما أنجزته الوزارة المسؤولة من المدارس للتعليم الثانوي سنة 1992 وعددها 18 وبما شيدته من المباني الإدارية المختلفة لباقي الوزارات بلغ عددها 82 في نفس السنة.

ويمكن في الختام الاستدلال على المجهودات المبذولة في التجهيز بذكر نسبة نفقات الخزينة العمومية في هذا الميدان من نفقات الدولة على العموم وذلك في السنوات العشر الأخيرة وهي كما يلي :

1984.	٪22.7	1985.	٪22.2
1986.	٪31.1	1987.	٪23.8
1988.	٪23.6	1989.	٪27.4
1990.	٪26.7	1991.	٪24.3
1992.	٪25.3	1993.	٪25.7.

مما يثبت أن معدل ربع ميزانية الدولة يصرف كل سنة على التجهيز.

ألبير عياش، *المغرب حصيلة الاستعمار*، تر. عبد القادر الشاوي ؛ *بنك المغرب، التقارير السنوية ؛ عشر سنوات من الاستقلال* : المغرب بين 1956 و1966، منشورات وزارة الأنباء ؛ *دراسات غير منشورة* لمديرية التخطيط والدراسات لدى وزارة الأشغال العمومية.

A. Belal, *L'investissement au Maroc 1912 - 1964*, Paris - La Haye, 1968 ; *Le Ministère des Travaux Publics, de la Formation Professionnelle et de la Formation des cadres*, Publications du Ministère, 1993 ; *Mobilisation et développement*, Publications du Ministère de l'Information, 1983.

إبراهيم بوطالب

التجيبي، أسرة مغربية جاءت من الأندلس. من قبيلة عربية أصيلة من نسل السَّكون بن أشرس بن مندة، ينسبون إلى أمهم تجيب بنت ثوبان بن سلم بن رهاد بن مدحة. وقد دخل التجيبيون الأندلس مع الفتح الإسلامي، واستوطنوا منطقة الثغر الأعلى القديمة، أو ما كان يعرف في عصر ملوك الطوائف بمملكة سرقسطة، وتمركزوا بالعاصمة سرقسطة وقلعة أيوب وذروقة. ثم سكنوا بلنسية في ظروف غير واضحة. ومنها انتقلوا إلى سبتة فكانت مستقرهم النهائي، وربما كان هذا الانتقال بسبب العدوان المسيحي الذي انتهى بسقوط بلنسية في يد القشتاليين سنة 488 / 1096. 95.

محمد حجي

التجيبي، أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عياش، يكنى أبا جعفر (*التكملة*، 157)، من أصل برشاني (برشانة سرقسطة قديما). سكن مراكش وتتلمذ بها عن أبيه الكاتب محمد بن عياش وأبي الخطاب أحمد بن أبي الحسن محمد بن واجب وأبي القاسم أحمد بن يزيد بن بقي. اهتم بالأدب، فبرع في فن الكتابة والخط مما أهله للكتابة عن عدد من خلفاء آل عبد المؤمن منذ عهد المستنصر أبي يعقوب بن الناصر إلى أيام المأمون (*الذيل والتكملة*، 2 : 464 ؛ *الإعلام*، 2 : 138). وقد نظم قصيدة شعرية يمتدحه فيها عقب انتصاره على ابن هود في الأندلس عام 625 / 1228.

استقضي أحمد التجيبي بتلمسان وسبتة، كما اشتغل بالتدريس. فكان منزله ملتقى لطلبة العلم حيث كان يناظرهم وحيث كانوا يحتكمون إليه في شتى أمورهم العلمية. توفي متلبسا بالكتابة عن المأمون أو حسب رواية أخرى بسبتة مستقضيا بها له في محرم عام 629 / 1232 (*الذيل والتكملة*، 2 : 464 ؛ *التكملة*، 157 ؛ *الاعلام*، 3 : 138).

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. إبراهيم الإبياري، القاهرة / بيروت، ط. 1410 / 1989 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، الرباط، 1974، الجزء الثاني ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، قسم الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، الدار البيضا، 1406 / 1985.

زليخة بنرمضان

التُّجيبي، القاسم بن يوسف بن محمد بن علي السبتي، يكنى أبا القاسم، وبهذه الكنية عرف عند معاصره وكل من ترجموا له.

ولد بمدينة سبتة. وقد اختلف في ضبط سنة ولادته. لكن من الأرجح أن تكون سنة 670 / 1271 أقرب إلى الصحة، وذلك استناداً إلى ماورواه التجيبي نفسه أثناء حديثه عن السند العالي الذي روى به *موطأ* الإمام مالك بن

أنس بدمشق، يقول التجيبي : "وهذا الإسناد أيضاً إسناد جليل في غاية العلو، وليس يوجد اليوم على وجه الأرض من عنده إسناد إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى أعلى من هذا، لا في *الموطأ*، ولا في منثور الحديث، وهو أعلى الممكن ولاسيما لأمثالنا، ولمن ولد في أحواز سبتة سنة سبعين وستمائة". (*البرنامج*، 64) وبسبتة أيضاً شب وترعرع. إلا أن المصادر شحت بالتفصيلات عن مرحلة طفولته ومكانة أسرته وسط المجتمع السبتي. فأهم ما نستشفه من خلال برنامجه عن هذه المرحلة أنه كان مولعا بعلوم القرآن منذ نعومة أظفاره. وأول من أخذ عنه القرآن كتابة وقراءة بحرف نافع هو الشيخ عبد الرحمن بن أبي الأصبغ الورياغلي القصري المعروف "بابن صاحب رزقه" وعند بلوغه السادسة عشرة من عمره، كان حافظاً للقرآن بقراءاته المأثورة عن القراء السبعة المشهورين، بالإضافة إلى علوم القرآن، انصب التجيبي على دراسة الحديث والفقه والتصوف وعلوم العربية (*البرنامج*، 16).

عرف التجيبي هذه المعارف من منابع علمية مختلفة ومتباعدة، أخذ بسبتة عن عدد من المشايخ من جملتهم عبيد الله بن أبي الربيع، وأبو بكر محمد بن منظور القيسي وأبو بكر بن عبيدة الأنصاري وأبو العباس العزفي (*البرنامج*، 17، 34، 76). لكن التجيبي لم يقنع بما عرفه عن مشايخه بسبتة، بل شد الرحال إلى الأندلس عام 694 / 95. 1296. فسمع بها على عدد من العلماء من بينهم أبو عبد الله بن عياش بمالقة وعبد الله بن شعيب القيسي (*البرنامج*، 47. 146). لكن رحلته الأندلسية هذه لم تشف أيضاً غليله إلى العلم والمعرفة، فرحل إلى المشرق حوالي سنة 696 / 97. 1298. وأثناء رحلة الحجازية، جلس للسماع على شيوخ علماء المراكز العلمية التي عبرها، كبجاية وتونس والإسكندرية والقاهرة ومكة ودمشق. وقد أثبت مروياتهم ومؤلفاتهم وحلقات علمهم في برنامجه وكذا في رحلته. من بين العلماء الذين أخذ عنهم بالمشرق : أحمد بن عبد المحسن الحسيني العراقي الغرافي بالاسكندرية (*الرحلة*، 395) وأبو محمد عبد المومن بن خلف التوني الدمياضي، وابن دقيق العيد بالقاهرة (*الرحلة*، 313) وابن عساكر مؤرخ الشام وابن تيمية بدمشق (*الرحلة*، 13 ؛ *البرنامج*، 83. 192) وقد رافقه في رحلة الحجازية هذه، خلف الغافقي القبتوري، صاحب ديوان الغرفيين (*البرنامج*، 35).

بعد عودة التجيبي إلى سبتة، قعد للدرس والتحديث بمسجد زقاق ابن الشراك. فتقاطر عليه طلاب علوم القرآن والحديث من مختلف الآفاق. من جملة طلبته محمد ابن عبد المهيمن الحضري وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الفاسي وأبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري المعروف بالشديد وأبو عبد الله ابن الدراج (*بلغة الأمنية*، 177 ؛ *فهرس الفهارس*، 1، 191 ؛ *الإحاطة*، 3، 199 ؛ *Les notes*, 2 : 30).

وجد التجيبي في الدرس والتحصيل ضالته المنشودة كما وجد في سبتة منزلا محمودا دون غيرها من المدن، بحيث لم يبرحها إلى أن وافته المنية بها سنة 730 / 1329 (*نيل الابتهاج*، 362 ؛ *بلغة الأمنية*، 177).

من آثار التجيبي مؤلفان، أولهما *مستفاد الرحلة والاغتراب*. يتكون في الأصل من ثلاثة كتب (*الدرر الكامنة*، 3، 240 ؛ *نيل الابتهاج*، 362) لكن لم يصلنا منها إلا الجزء الثاني.

تعد *الرحلة* فهرسا ضمنه التجيبي ذكر مشايخه ومروياتهم وتصانيفهم في مختلف الاتجاهات العلمية. كماضمنها أسماء الكتب المتداولة في الشرق على اختلاف مضامينها. بالإضافة إلى ذلك، اعتبرت الرحلة أيضاً وصفاً للبلدان لما احتوت عليه من وصف مشاهد عمرانية وذكر أخبار اقتصادية واجتماعية. وقد حذا في ذلك حذو ابن جبير، بل اعتنى بتصحيح الكثير من أخطاء هذا الرحالة المشهور.

أما المؤلف الثاني فهو *البرنامج* الذي اعتنى فيه بذكر الكتب التي قرأها، وقد صنفها حسب مواضيعها، فأعطى الأولوية لعلوم القرآن، وختم مولفه بعلوم اللغة والآداب.

ومن أعماله الثانوية، *مستدركاته على الذيل والتكملة* لشيخه ابن عبد الملك المراكشي (السفر السادس، 505. 512). أما مؤلفه *في الجهاد* وقد احتوى أربعين حديثا، فلا نعلم له أثراً باستثناء ما ورد عنه في المصادر (*بلغة الأمنية*، 177 ؛ *Les notes*, 2 : 30).

الأنصاري، *اختصار الأخبار* ؛ *بلغة الأمنية ومقصد اللبيب* ؛ التجيبي، *برنامج التجيبي*، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا ـ تونس، 1981 ؛ التجيبي، *مستفاد الرحلة والاغتراب*، تح. عبد الحفيظ منصور، ليبيا ـ تونس، 1395 / 1975 ؛ أ. بابّ التنبكتي، *نيل الابتهاج*، طرابلس، 1989 ؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة*، بيروت، الجزء 3 ؛ ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، بيروت ـ لبنان 1403 / 1983 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عبد الله عنان، القاهرة، الجزء 3 ؛ ع. عنان، *دول الطوائف*، القاهرة، 1380 / 1960 ؛ عبد الحي الكتاني، *فهرس الفهارس*، المطبعة الجديدة، 1346، الجزء الأول ؛ حسين مؤنس، *فجر الأندلس*، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1405 / 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، السفر السادس، تح. إحسان علي، بيروت ـ لبنان، 1973.

A. L. de Premare, *Les notes de voyage d'Ibrahim b. Al-Hadjdj an-Numayri en l'année 745 / 1344*, Lyon 2, 1978, T. II.

زليخة بنرمضان

التجيبي، محمد بن أحمد بن محمد بن مطرف المعروف بابن عزيز، المنسوب إلى تجيب بطن كبير من بطون كندة الواقعة شرق اليمن من أحفاد منذر بن يحي بن منذر بن منصور، أحد ثوار سرقسطة.

ولد بفاس سنة 954 / 1547 وأخذ العلم عن مشايخها : أمثال أحمد بن قاسم القدومي، ويحيى بن محمد السراج،

وعبد الواحد بن أحمد الحميدي، وأحمد بن علي المنجور، وأبي القاسم ابن عبد الجبار الفكيكي. وبواسطة هذا الأخير أخذ التصوف عن الشيخ أبي الحسن البكري بن الذي لقيه ابن عبد الجبار أثناء رحلته إلى الحج. ومن أشهر تلاميذ التجيبي الفقيه عبد الواحد بن علي بن عاشر وبه تخرج.

توفي بفاس سنة 1022 / 1612، ودفن بالدرب الطويل من عدوة القرويين.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 235 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، 354 ؛ ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 51 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 177 ؛ *التقاط الدرر*، 1 : 60 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 152 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 1 : 297.

نفيسة الذهبي

التجيبي، محمد بن **عبدالرحمن** بن علي بن محمد ابن سليمان عالم إشبيلي، درس على عدد من علماء الأندلس أمثال أبي عبد الله بن عبد الرحيم ولازمه، وعن العلامة إبن بشكوال، وعن قريبه محمد بن معطي التجيبي، ويوسف بن إبراهيم الثغري، وغيرهم.

رحل إلى الحج، والتقى بجملة من علماء المشرق وأخذ عنهم، مثل أبي طاهر السلفي بالإسكندرية، وحماد بن هبة الله الحراني، وعبد الرحمن بن محمد بن منصور اللخمي وأحمد بن طارق بن سنان، وأبي محمد بن بري، وشهدة بنت أحمد بن أبي الفرج الأبرية، وجماعة آخرين ضمنهم معجم شيوخه الذي يعتبر مفقوداً.

دخل المغرب، وحل بمدينة فاس عام 594 هـ فروى بها عنه خلق كثير، وكذلك بسبتة وتلمسان التي استقر بها إلى وفاته.

ألف بعض الكتب مثل معجم *شيوخه*، أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار، واعتمده ابن الآبار في *التكملة*، كما ألف معجم *شيوخ شيخه الحافظ أبي طاهر السلفي*، *وأربعين حديثا*، وغير ذلك. كان عالما فاضلا، معتنيا بالتواريخ. روى عنه خلفه منهم أبو العباس العزفي السبتي وأبو عبد الله الأزدي وأبو الحسن الغافقي الشاري وأبو عبد الله بن جعفر، وأبو جعفر بن فرتون، وتحدث عنه في كتابه المفقود *"الذيل"*. وتوفي التجيبي بتلمسان في جمادى الأولى عام 610 / 1213.

ابن الآبار، *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة 1955، ج 2 : 588 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط 1973، 276، 277.

محمد المغراوي

التحتية، لباس داخلي عند النساء، يقابل التشامير عند الرجال، وهي لباس داخلي تحتي مندفن تحت الملابس التي ترتديها المرأة. لذا فهي تسمى في البوادي والمدن عند سائر الناس التحتية كما يسميها بعضهم الدفين أو الدفينة.

والتحتية قميص طويل يمتد على طول الجسم من العنق إلى الكعبين، تتخذ إما من قطن أو كتان أو طلس أو ساتان أو ملف أو حرير. تكون أكمامها عادة طويلة تصل إلى حد المرفقين ولا تكون مفتوحة من الصدر. كانت المرأة

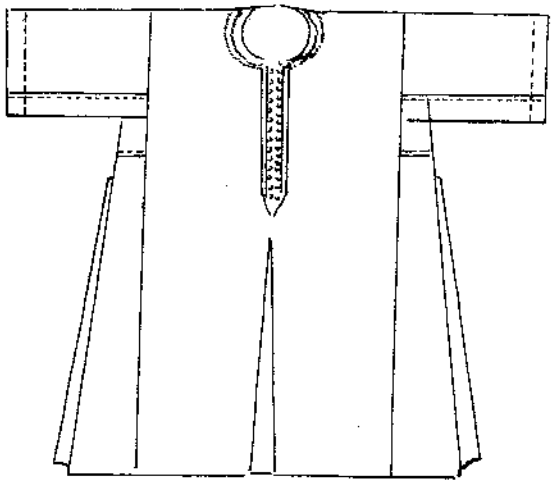

التحتية

في القرن الثالث عشر (19 م) وما قبله ترتديها مباشرة فوق جسمها بعد السراويل الفضفاضة، فكانت بمثابة التبان العصري والقميص النصفي الذي أصبحت المرأة الحديثة لا تستغني عنه إلا نادرا (La combinaison). وغالبا ما تكون حواشي أكمام التحتية مطروزة أو مشبكة أو مضرسة، ويكون لونه عادة في مثل رداء آخر يلبس فوقها ومكملا لها يدعى المنصورية أو الفوقية. وتختلف هذه الفوقية النسوية عن فوقية الرجال في أنها تكون مفتوحة من الصدر من الأمام إلى مطلع الصدر وتتخذ من قماش رفيع منمق بالرسوم والأشكال المشجرة البديعة وتكون خياطتها بالسفيفة والمجدول.

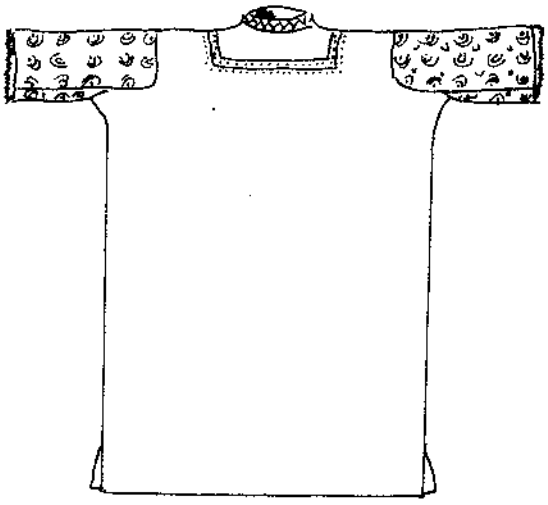

المنصورية

كانت النساء في القرن الماضي يلبسن التحتية والمنصورية أو القفطان وحده فوق التحتية. ونظراً لارتفاع تكلفة القفطان ساد استعمال التحتية والفوقية لدى نساء

الفئات المتوسطة. أما الفقيرات منهن فكن يكتفين بالسروال والتحتية ثم يرتدين الحائك فوق ذلك إذا أردن مغادرة منازلهن. أما داخل المنازل فلا جناح عليهن في أن يلبسن الضروري مما يسترهن وهن بين محارمهن. وكان معظم ما كانت النساء تلبسه وهن داخل البيوت لا يتعدى تحتية بسيطة تشدها إلى الخصر بواسطة حزام بسيط ترتدي أسفلها سروالا واسعا. كان السروال البلدي والتحتية في كل الحواضر المغربية والبوادي هما اللباسان الأهليان السائدان قبل أن تغزو الملابس الرومية النسوية الحديثة الأذواق وأصبحت تهدد بإقصاء التحتية وما يرتبط بها من ميدان التداول لدى النساء الحاليات من الجيل الجديد.

أحمد بن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط 1973 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء التاسع، الدار البيضاء 1960 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الرابع، الرباط 1931 ؛ عثمان بن عابد بوفتاس، أمانوز، *لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية*، الدار البيضاء 1991 ؛ م. الشباظمي، *مدينة أزمور وضواحيها*، الرباط 1987.

J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ; *Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain*, vol. 1, Rabat 1993, *A. M.*, vol. 17, 1911 ; De Segonzac, *Voyage dans le Sous*, Paris, 1900 ; E. Doutte, *Marrakech*, Paris 1905 ; Ch. Didier, *Promenade au Maroc*, Paris, 1844.

محمد بوسلام

التحديث القروي، يقصد به مجموعة من الإجراءات السياسية والقانونية والتقنية التي اتخذتها فرنسا أيام الحماية قصد تحويل البادية المغربية وإنشاء فلاحة عصرية بها.

كان التحديث القروي يستهدف أساساً ما كانوا يسمونه بالمغرب النافع، المنتج للحبوب، والمتأثر بالوجود الفرنسي (ضيعات المعمرين، مضاربة عقارية، تسجيل عقاري ...)، أي مناطق الغرب وسايس والشاوية ودكّالة وتادلا وملوية السّفلى وزمّور وزعير، وهي مناطق كانت تتميز بهيمنة الرعي، وعتاقة وسائل الإنتاج، وضعف المردودية.

يهدف التحديث القروي إلى إعادة صنع البادية المغربية ودمج الفلاحة في نمط الإنتاج الرأسمالي، وذلك بخلق فلاحة عصرية تنتج من أجل السوق وطبقة من الفلاحين على النمط الأوربي، أي طبقة وسطى تكون دعامة للسياسة الاستعمارية بالأرياف.

لتحقيق هذه الغاية، اعتمدت فرنسا مجموعة من المؤسسات أهمها جمعيات الضمان الاهلية (Les Sociétés Indigènes de Prévoyance) و"البيْزانا" (Paysannat) (انظر هذه المادة).

أنشئت جمعيات الضمان الأهلية بظهير 8 غشت 1918 المعدل بظهير 28 يناير 1922 ثم بظهير فاتح يناير 1928 وتحدد الظهائر أهداف هذه الجمعيات وتنظيمها. ويتعلق الأمر بمؤسسات ذات شخصية مدنية تُسيّر من طرف مجلس إداري يتكون من ممثلي السلطات الاستعمارية وبعض الأعيان. وتتوخى هذه المؤسسات حماية صغار الفلاحين من المرابين، وذلك بتسليمهم القروض التي قد يحتاجون إليها، وتبسيط التقنيات الزراعية قصد تحويل العامل القروي إلى مزارع ويمكن لمجموعة من هذه الجمعيات، طبقا لظهير 24 أبريل 1937، إنشاء تعاونيات أهلية فلاحية (Coopératives Indigènes Agricoles) تعمل للإنتاج من أجل السوق وفق الشروط التي تخضع لها كل المؤسسات الصناعية (مضاربة، احتكار الإنتاج، تحقيق القيمة المضافة ...)، وذلك بعد موافقة إدارة الداخلية لتفادي ظهور رأسمالية أهلية قد تنافس المقاولات الأجنبية.

سعت فرنسا من وراء كل هذه الإجراءات علاوة على خلق طبقة متوسطة من الفلاحين المغاربة الذين يدعمون سياستها، إلى الحفاظ على حشود الفلاحين الصغار الذين قد يتم استثمارهم في ضيعات المعمرين، وإلى الاستيلاء على أقصى ما يمكن من الأراضي بطرق "شرعية".

وبما أن هذه السياسة لم تعط ثمارها، فقد ارتأت فرنسا، في الأربعينات، أن تتخلى عن فلسفة التغيير التدريجي للعمل على تغيير البادية المغربية بطريقة سريعة وكلية، وذلك في إطار "البيْزانا" التي تهدف إلى تحقيق تحديث كلّي يشمل الجوانب المادية والاجتماعية والأخلاقية، وذلك بتركيزها على الجوانب التقنية المتعلقة بالمردودية، ولاهتمامها بالتعليم والصحة والسكن، الشيء الذي يتطلب إحداث تغييرات على مستوى الدوّار، وعلى مستوى وسائل الإنتاج التقليدية والتجهيزات الاجتماعية.

ومن الإنجازات التي حُققت في هذا الإطار يمكن أن نذكر استصلاح الأراضي وزرعها، وإدخال مزروعات جديدة، وتحسين أجناس الماشية وإدخال أنواع جديدة، وإنشاء تجهيزات سقوية ؛ هذا بالإضافة إلى المنشآت ذات الطابع الاجتماعي (تعليم، صحة). ولتحقيق هذه المنجزات، اعتمدت "البيْزانا" على طاقم من الموظفين والتقنيين الذين يؤطرون الفلاحين ويسهرون على تكوينهم.

ورغم الإنجازات المادية الإيجابية التي حققها التحديث القروي بالمغرب، فإن سياسة التحديث القروي كانت تستلزم تدمير التوازن الاجتماعي القديم وتعويضه بتوازن جديد، عبر إحداث ما سماه "جاك بيرك" منظّر هذه العملية، بالصدمة النفسية.

انظر مادة البيْزانا.

C.H.E.A.M., *Textes et documents sur les S.I.P.* ; Greilsammer, *La modernisation du Paysanat*, C.H.E.A.M. ; A. Guillaume, *L'œuvre des S.I.P. au Maroc depuis la guerre*, *B.E.S.M.*, XIV, n° 50, 1951 ; J. Le Breton, *La modernisation rurale du Maroc 1945 - 1946*, mémoire de l'I.I.A.P.

عبد الجليل حليم

التحرر والاشتراكية (حزب-) ←

التقدم والاشتراكية (حزب-)

التحرير، جريدة يومية صدر أول عدد منها بمدينة الدار البيضاء في ثاني أبريل سنة 1959 بإدارة محمد

البصري، واضطلاع عبد الرحمن اليوسفي برآسة تحريرها، وذلك على إثر الصراع الداخلي الذي عرفه حزب الاستقلال بين جناح علال الفاسي وجناح المهدي بنبركة مما أدى إلى الانشقاق بعد قيام حركة يناير 1959.

أصبحت جريدة التحرير لسان الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، ثم توقفت عن الصدور بقرار إداري من دجنبر 1959 إلى دجنبر 1960. وابتداءً من العدد 1088 (15 غشت 1963)، صارت جريدة أسبوعية ثم توقفت بعد ذلك بحيث إن آخر ما يوجد منها في الخزانة العامة بالرباط هو العدد 1096 (10 - 16 أكتوبر 1963).

A. Benyoussef, *Répertoire des publications des partis politiques au Maroc : 1956 - 1980*, Mémoire présenté en vue de l'obtention du diplôme d'informatiste spécialisé, Ecole des Sciences de l'Information, Rabat, 1983.

محمد جادة

التحفيظ العقاري، المغربي أو التأريف القانوني، يستند إلى ظهير 12 غشت سنة 1913، وإلى النصوص القانونية المعدّلة والمكملة له الواردة على شكل ظهائر أو قرارات ومراسيم وزارية في 2 و3 و4 يونيه سنة 1915 وفي 29 دجنبر سنة 1953 وفي 29 يوليوز سنة 1969.

ونظام التحفيظ العقاري المغربي نظام طوعي يعتمد على الكنانيش العقارية (Livres Fonciers) ويهدف إلى تفريد الملكية العقارية عن طريق تحديدها طبيعياً (Physiquement) وقانونياً. ويتلخص التحديد الطبيعي في التوطين الجغرافي للعقار، وضبط حدوده ومقوماته (محتواه). بينما يتلخص التحديد القانوني في وضع رسم عقاري نهائي غير قابل للطعن. وهذا ما يفرض الاعتماد على مبدإ الإشهار الحقيقي، بغية تطهير العقار وإثبات الحقوق القائمة عليه (عينية كانت أم تحملات أو حقوق ارتفاقات ...).

وبعد إقامة الرسم، تضاف به كل التغييرات اللاحقة المتعلقة بالعقار وبالحقوق عليه. ويعد الكناش العقاري بمثابة الحالة المدنية للعقار المسجل. يعرّف بأصوله وبتاريخه ووضعيته القانونية. ويُصاحَبُ كل رسم عقاري بتصميم للعقار.

وتبقى الكنانيش العقارية مفتوحة في وجه العموم. ولا يعترف سوى بالحقوق المسجلة بها، وهي ضامنة لأمن المعاملات بفضل التحديد الطبيعي والقانوني للعقارات.

ورغم ما للتحفيظ العقاري من مزايا اجتماعية واقتصادية. فالمعلومات المتوفرة بها ناقصة كمّا ونوعاً وجغرافياً بالنسبة لما تحتاج إليه مشاريع تنمية الأرياف، وذلك مَا يفسر ظهور التأريف الوطني (انظر مادة *التأريف*). انطلق التأريف المغربي كتأريف قانوني قبل أن يظهر التأريف الوطني أو التحفيظ العقاري عملية طوعية ظل إنجازها من اختصاص الدولة الممثلة في مصلحة المحافظة العقارية وحدها. لكن منذ الستينات سمح للقطاع الخاص بالمساهمة في الأشغال الطبغرافية (مرسوم عدد 2.59.061 بتاريخ 7 شوال 1379 موافق 4 أبريل 1960). ومرسوم 11.11.1972.

وبجانب المصلحة المركزية للمحافظة العقارية المتمثلة في مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبغرافية التابعة لوزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي، نجد مَصَالح إقليمية، تطور عددها في إطار تقريب الخدمات من المواطنين واللامركزية. فبعد ما كان عدد هذه المصالح الجهوية تسعاً سنة 1960 وَصَل إلى ثلاث وأربعين مصلحة في مطلع التسعينات موزعة على مجموع التراب الوطني.

أما مهام المديرية وملحقاتها الجهوية فكثيرة، وتتمثل أساساً في ما يلي :

- التحفيظ العقاري للملكيات بالمدينة وبالبادية.
- وضع التصاميم المشارتية قبل عمليات تجميع الأرض.
- إنجاز التأريف الوطني والمحافظة عليه.
- تحديد أملاك الدولة والأملاك الجماعية، والغابات ...
- مراقبة الأشغال الطبغرافية المنجزة لحساب المصالح العمومية من طرف المقاولات المرخص لها.
- وضع جذاذية مفصلة لأراضي الدولة بالبلديات والمراكز المستقلة والمراكز المحدّدَة وهوامشها.
- إنجاز التصاميم المديرية للبلديّات والمراكز المستقلة والمراكز المحددة وهوامشها.

إن القيام بهذه المهام يتطلب وسائل بشرية وتقنية ومالية متزايدة. فالتطور الاجتماعي والاقتصادي السريع للبلاد يفرض معرفة البنيات العقارية وتوفير أمن المعاملات الاقتصادية المبنية على العقار ...

وبالرغم من تطور المهام، فإن المديرية ظلت تعاني من النقص في التمويل نظراً لكون مداخيل خدمة التحفيظ كانت موجهة إلى الخزينة العامة وما كانت ترصده الدولة لإنجاز العمليات ظل محدوداً. ومن انعكاسات هذا النقص نشير إلى تأخر إنجاز العمليات وتأخر معالجة الملفات. وأمام الخصاص المادي والبشري والتقني تم اللجوء إلى حلين، يتمثل أولهما في تحسين ظروف العمل بالمجمعات العقارية التابعة للمديرية، ويتمثل ثانيهما في توسيع نشاط القطاع الخاص.

أما فيما يخص الحل الأول، فقد تم تزويد مديرية المحافظة العقارية منذ 1983 بميزانية ملحقة مكوّنة من عائدات التحفيظ ومتنامية بـ15٪ سنوياً. وبموازاة هذا الإجراء التمويلي، تم رفع عدد الأطر والمستخدمين مع إعادة تكوين بعضهم، وتم تجهيز المصالح بوسائل تقنية متطورة.

وفيما يخص الحل الثاني، تم فتح الباب أمام القطاع الخاص للمساهمة في عملية التحفيظ العقاري عن طريق إعداد الملفات التقنية والتصاميم التأريفية وذلك في إطار الصفقات الطبغرافية الطويلة الأمد (5 سنوات). وهكذا ارتفع عدد المقاولات الطبغرافية بشكل سريع ليصبح 180 مكتبا في مطلع التسعينات بَدَل 66 في سنة 1971 (منها 46 مرخص لها آنذاك و20 مرخص لهَا مؤقتا).

ظل نشاط مصلحة المحافظة العقارية منحصراً في جانب التحفيظ العقاري الذي كان عملية طوعية مما جعل العقارات المحفظة مشتتة والمعلومات المتوفرة حولها غير مراجعة. ومنذ مطلع الستينات، وضعت الدولة مخططاً طموحاً للري بواسطة مياه السدود الكبرى. وقد بدأ تطبيق هذا المخطط تحت إشراف المكتب الوطني للري (ONI) ثم تواصل منذ منتصف الستينات تحت إشراف المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي (ORMVA). ومنذ السبعينات زاد الاهتمام بالبوادي خارج مناطق نفوذ هذه المكاتب عن طريق إنعاش مشاريع مندمجة للتنمية.

وسواء تعلق الأمر بإعداد المناطق السقوية أو المناطق البورية، فالحاجة إلى المعلومات الخاصة بالبنيات العقارية تبقى كبيرة. وتعتبر هذه الحاجة حافزاً على الإسراع بعمليات التحفيظ. ولهذا الغرض ظهر إطار التحفيظ الجماعي، وإطار ضم الأراضي بجانب إطاري التأريف الوطني والتحفيظ الاختياري.

يستند التحفيظ الجماعي إلى ظهير رقم 1.96.174 بتاريخ 10 جمادى 1389، الموافق لـ 25 / 07 / 1969. (الصادر بالجريدة الرسمية عدد 2960 مكرر، الصادرة بتاريخ 29 / 07 / 1969. ويتعلق الأمر بقيام وزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي لتحديد مناطق للتحفيظ العقاري. خارج المدارات الحضرية تُسَجَّل وتحفظ العقارات الواقعة داخلها. وتتبع في ذلك المسطرة التالية :

- صدور قرار وزاري بالجريدة الرسمية يحدد منطقة التحفيظ.

- القيام بجميع إجراءات تحفيظ العقارات الموجودة داخل المنطقة المحددة بدون مصاريف، شريطة تقديم طلبات التحفيظ في أجل لا يتعدى سنة مع إمكانية تمديده إلى ستة شهور.

- وضع المحافظ لملف يتضمن حالة وتصميم المشارات بمقر السلطة المحلية ويعلن بالجريدة الرسمية عن هذا الإجراء. وفي نفس الوقت تتوصل هذه السلطة بلائحة لأصحاب الطلبات وأرقام هذه الأخيرة، ويمكن للعموم الاطلاع على هذه الوثائق. وتتميز هذه المسطرة بكونها غير إجبارية وتواصل بطريقة جماعية حتى صدور قرار التحفيظ.

- عملية ضم الأراضي : هي عملية حديثة ظهرت بمقتضى الظهير رقم 1.62.105 بتاريخ 20 / 06 / 1962 ومرسوم التطبيق عدد 2.62.240 بتاريخ 25 / 07 / 1962. مع تعديلاتهما وتكميلاتهما. ويبقى الهدف منها هو تحسين استغلال الأرض عن طريق تجميع مشارات الملكية المتشتتة وإعادة توزيع الأرض على شكل قطع أرضية كبيرة تقدم ظروفا أحسن للاستغلال. وتتلخص مسطرة ضم الأراضي كالتالي :

- صدور قرار وزاري بالجريدة الرسمية يحدد المنطقة المزمع ضم أراضيها ويأذن بانطلاق العمليات بعد استشارة المجالس الجماعية.

- صدور قرار للسلطة المحلية أو الإقليمية، بناءً على مقترح لجنة الضم، يحدد تاريخ انطلاقة العمليات ومساحة القطاعات المعنية.

- إنجاز حالة وتصاميم المشارات بالقطاعات المعنية بعد البحث الطبغرافي والقانوني في عين المكان (الإشهار).

- صدور إعلان وضع الحالة والتصميم المشارتيين بمقر السلطة المحلية بالجريدة الرسمية (معلنا عن منع بيع وتفويت وتقسيم وتبادل الأرض داخل قطاعات الضّم إلى غاية صدور مرسوم المصادقة.

- موافقة لجنة الضم على مشروع الضم.

- صدور مرسوم الموافقة (Homologation) بالجريدة الرسمية.

- تثبيت الأرض للملكيات المجمّعة في غضون الستة أشهر اللاحقة لمرسوم المصادقة.

- مواصلة المسطرة العادية للتحفيظ إلى مرحلة تسليم الرسوم العقارية.

التحفيظ العقاري : مكتسبات كبيرة : سجلت الإدارة خلال فترة الحماية (1915 . 1955) إقبالاً كبيراً على التحفيظ العقاري. فقد وصل عدد الرسوم العقارية إلى 58.500 بالبادية وإلى 30.500 بالمدينة. أما مساحة الأراضي المحفظة فقد بلغت 1.920.000 هـ منها 16.400 هـ فقط بالمدينة. والملاحظ أن كل الأراضي المعنية بالتحفيظ آنذاك كانت داخل ما كان يعرف "بالمغرب النافع" حيث تركزت ملكية المعمرين. وبالرغم من هذه النتائج الايجابية، فقد انتهى عهد الحماية مخلفا وراءه تأخراً كبيراً في إنجاز التأريف القانوني يعكسه وجود 40.000 طلب للتحفيظ في الانتظار.

وبعد الاستقلال، تواصل العمل بالتحفيظ العقاري الطوعي وتعزز التأريف القانوني بخلق إطارين جديدين للإسراع بالتحفيظ العقاري : إطار التحفيظ الجماعي وإطارضم الأراضي.

فعلى مستوى التحفيظ الجماعي، ساهمت مجانية العملية، وتحسن الظروف التقنية - التي أصبح من الممكن معها إنجاز قطاعات واسعة قد تصل مساحتها إلى 3.000 هـ سنوياً كما حدث ببني يخْلَف بخريبكة - في تحقيق نتائج مشجعة. فمنذ بداية العمل بهذا الإطار في 1969 وإلى 1992، همّ التحفيظ قرابة 100.000 هـ موزعة على 43.500 مالك.

أما على مستوى التحفيظ في إطار عملية ضم الأراضي، فالبرغم من قصر مدة العمل في هذا الإطار، فالنتائج المحصل عليها مهمة. ففي 1992 وصلت المساحة الإجمالية الموجودة في طريق الضم إلى 724.788 هـ موزعة كالتالي :

616.920 هـ مسقية صودق منها على 71.5٪

107.868 هـ بورية صودق منها على 33.2٪

وحسب معطيات مديرية المحافظة العقارية لسنة 1991

(الجدول والشكل صحبته) كانت الأراضي المعنية بالضم توجد في معظمها بمناطق نفوذ المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي. وهو ما يؤكد على الأولوية المعطاة للزراعة المسقية من طرف الحكومة.

المكاتب الجهوية	المساحة بالهكتار	المديريات الإقليمية	المساحة بالهكتار
دكالة	98.352	بولمان	949
الغرب	182.447	فاس	3.534
الحوز	36.631	الخميسات	9.500
اللوكوس	88.472	مكناس	36.318
ملوية	64.573	الناظور	450
سوس	35.182	وجدة	1.306
تادلة	78.935	الرباط ـ سلا	1.450
-	-	طنجة	1.242
-	-	تطوان	2.002
المجموع	584.592	المجموع	56.751
المجموع العام		641.343	

قطاعات ضم الأراضي حسب المكاتب الجهوية للاستثمار الفلاحي والمديريات الاقليمية للفلاحة

وبصفة عامة، وصل عدد طلبات التحفيظ بين 1915 و1990 إلى 404.813، أربعة أخماسها (4/5) بالأرياف. أما المساحة المرغوب في تحفيظها خلال نفس الفترة فقد بلغت إلى 4.209.892 هـ، منها 98.9٪ بالأرياف. والملاحظ هو تزايد طلبات التحفيظ بالمدينة خلال العقدين الأخيرين.

وإذا كان عدد الطلبات كبيراً والمساحة المراد تحفيظها كبيرة كذلك، فما تم تحقيقه نهائياً يبقي نسبياً محدوداً. فنسبة الطلبات التي تمت معالجة ملفاتها وتسليم رسومها لا تمثل سوى 56٪ ولاتمثل نسبة الأراضي التي حفظت برسم عقاري سوى 55.5٪. وتدل هذه المعطيات على بطء عمليات إنجاز التأريف القانوني. ويؤكد لنا هذا البطء ما تم تحقيقه منذ الاستقلال. حيث لم يصل عدد الرسوم المسجلة بالأرياف سوى 110.000 رسم ولم تشمل المساحة المحفظة سوى 410.000 هـ.

محمد كربوط

التُّخس أو الدُّخس أو الدُّلفين، وأيضاً درفيل ودنفيل ـ كما هو في المعاجم ـ كما ينطق به في المغرب وفي باقي الدول العربية، جنس حيوانات بحرية ذات أسنان صغيرة تنتمي إلى طائفة الثدييات (Mammalia) ورتبة الحيتان أو الحوتيات (Cetacea) وتحت رتبة الحيتان المسننة أودونتوسيت (Odontocètes) وفصيلة التخس أو الدرافيل دلفيندي (Delphinidae). كنيته في البحر الأحمر أبو سلهام ويطلق العرب على أنواع التخس خنزير البحر دون أن يميزوا بين الأنواع. ويسميه البحارة المغاربة تُخس ودنفيل المأخوذة من الفرنسية (Dauphin).

يتنفس التخس الهواء خارج الماء من خلال فتحة أنفية واحدة تقع على الجانب الأيمن بأعلى الرأس ويحدث التنفس نتيجة لخروج التخس إلى سطح الماء في حركة التفافية وينفتح الصمام الذي يغلق الفتح الأنفية فيندفع الهواء المختزن بالرئتين بسرعة ليحل محله هواء نقي ثم يقفل الصمام مرة أخرى قبل أن يغوص الرأس ثانية.

تبدو أذنا التخس كنتوءات ضيقة على جانبي الرأس وتعتبر هذه النتوءات قنوات سمعية منقرضة تُذكر بذلك الوقت عندما كان هذا الحيوان برياً. يتمتع بحاسة سمعية قوية وذلك بتمييزه لكل الموجات الصوتية التي تنتقل خلال الماء أو العظم أو اللحم إلى الأذن الداخلية.

تنمو للتخس الأطراف الأمامية وتتخذ هيئة المجاذيف ولكنها تمثل في تركيبها أذرع اللبونات المخمسة الأصابع. توجد على الظهر زعنفة واحدة مقوسة إلى الوراء ويتكون الذنب من شعبتين مستعرضتين. أكدت الدراسات التشريحية والبقايا المتحجرة للدلافين والحوت انتماءهما لأسلاف ثديية، كانت تعيش فوق سطح الأرض ومرت بطور شبيه بعجل البحر قبل أن تصبح حيوانات مائية بحتة.

للتخوس أو الدلافين قصص عديدة تذكر أنها حيوانات أليفة ويرجع تاريخها إلى أيام اليونانيين والرومان القدامى، وهناك العديد من العملات وقطع النحت من ذلك العهد تصور صبيا يمتطي ظهر تخس. وقد اعتبرت هذه القصص حتى عهد قريب ضرباً من الأساطير بيد أنه في عام 1956 تكرر وقوعها ثانية على ساحل البحر قرب مدينة أوبونيني (Oponini) في نيوزيلاندا.

يحدث قبل التزاوج بين الذكور والإناث تلاطف طويل (رقص) في الماء ويولد صغير واحد بعد عشرة أشهر. يتنفس الصغير الهواء منذ لحظة ولادته ويتم ذلك بدفع الأم وليدها إلى سطح الماء حتى تتأكد تماما من قيامه بالتنفس والسباحة. ومن المحتمل أن تكون قصص إنقاذ الدلافين للغرقى بدفعهم فوق الماء صحيحة وأن يكون هذا المسك نتيجة لغريزة الأمومة التي تتمتع بها إناث التخس.

تُعرف لفصيلة التخس عشرة أنواع تعيش في البحار المحيطة بالمغرب :

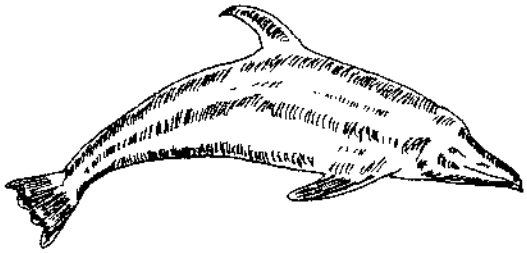

يسمى التخس الشائع علميا دلفينوس ديلفس (Delphinus delphis) وبالفرنسية Dauphin commun أو Dauphin des anciens وبالأنجليزية Common dolphin

وبالإسبانية Delfin comun. يتراوح طوله عند الولادة ما بين 0.8 و0.95 متر وعند البالغ ما بين 1.6 و2.8 متر. يبلغ وزنه ما بين 75 . 110 كلغ. مُتْكه طويل ومنعزل عن الجبين. يحتوي كل فك على 80 . 130 سنا صغيرة مخروطية الشكل وحادة. جسمه مغزلي، ظهره وزعانفه بنية سوداء داكنة. الجوانب مخططة بالأصفر وبالرمادي، البطن أبيض والعينان محفوفتان بالسواد.

إنه حيوان شائع في البحر الأسود والبحر المتوسط وفي المياه الأطلنطية الدافئة. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد يتراوح عددها ما بين 10 و50 فردا وأحيانا تفوق 10 فرد. غوصاته وجيزة لا تتعدى 70 مترا من العمق. يسبح غير بعيد عن سطح البحر وكثيراً ما يقفز عاليا خارجا الماء. يعيش أحيانا منفردا أو مزدوجا وكثيرا ما يقترب من البواخر ويتلاعب معها مدة طويلة. يعد من أسرع الحيوانات سباحة وتصل سرعته أحيانا 50 كلم في الساعة. يعيش بالقرب من السواحل ويدخل أحيانا في البحيرات وبعض الأنهار ولا يبتعد عن المياه المالحة. حياته الاجتماعية منظمة جدا.

تضع الأنثى صغيرا واحد كل سنة خلال فصل الصيف في أغلب الأحيان. تدوم هذه المدة عشرة أشهر ومدة الرضاعة أربعة أشهر. يصير بالغاً بعد سنتين حيث يتعدى طولة 1.5 متر ويعمر ما بين 25 و30 سنة. يتكون قوته من سمك السردين والأنشوفة والاخطبوط وغيرها من الأسماك والقشريات والرخويات الأقيانوسية والحبارة.

تحدثت عن التخس معظم الحضارات القديمة وخاصة منها الإغريقية التي وصفته بالحيوان الأقرب ذكاء من ذكاء الانسان. ويرجع هذا التاريخ إلى سنة 2000 ق. م.

يدعى التخس المخطط علميا ستينلا سيروليوآلبا (Stenella coeruleoalba) وبالفرنسية Dauphin bleu et blanc وبالأنجليزية Streped dolphin وبالإسبانية Delfin azul. كثير الشبه بالدلفين الشائع Delphinus delphis ويبلغ طوله عند الولادة ما بين 0.8 . 1 متر وعند الكبار 1.7 . 2.1 متر ونادراً ما يبلغ 2.7 متراً. المتك قصير ويحمل كل فك ما بين 72 و90 سنا مخروطية الشكل وحادة. الزعانف الصدرية حادة ومنحنية إلى الخلف. الجوانب مخططة بالأبيض والأزرق. الظهر رمادي أزرق داكن والبطن أبيض.

شائع في المياه الدافئة لكل من البحر المتوسط والمحيطين الأطلنتي والهادي. يتنقل وسط مجموعات متعددة الافراد (أكثر من 50 فرداً في فصل الصيف) ويفضل العيش في أعالي البحار. تبلغ سرعة سباحته أحيانا 50 كلم في الساعة. يصير بالغا بعد خمس سنوات ويحتمل توالده كل ثلاث سنوات وتدوم مدة الحمل 21 شهراً. تولد الصغار غالبا في شهر شتنبر وتنقطع عن الرضاعة بعد سنة كاملة. يعمر 20 سنة ويتغذى من الأسماك والرخويات والحبارة. يُصادف أحيانا في شباك سمك التون وقد كان يُصاد قديما لأكل لحومه.

تخس ريسو يسمى علميا Grampus griseus وبالفرنسية Dauphin de Risso وبالأنجليزية Risso's dolphin وبالإسبانية Grampo. يبلغ طوله عند الولادة 1.5 متر وعند البالغ أربعة أمتار. رأسه بدون متك ويحمل الفك الأسفل 6 . 14 سنا مخروطية الشكل وغير حادة. الفك العلوي خال من الأسنان ونادراً ما توجد به 2 . 4 أسنان. الزعنفة الصدرية طويلة (50 . 60 سم). الجسم رمادي مصفر داكن جهة الظهر ورمادي مبيض جهة البطن.

يوجد في جميع البحار الدافئة المياه ونادراً في البحر المتوسط. يتنقل وسط مجموعات متعددة الافراد (5 . 10 فردا) وغالبا ما يقفز عاليا خارج المياه ويتلاعب مع الأمواج ومع البواخر. تتعدى سرعة سباحته أحيانا 25 كلم في الساعة.

التخس المرشد يُدعى علميا Globicephala Meleana وبالفرنسية Dauphin pilote أو Globicéphale وبالأنجليزية Pilot whale وبالإسبانية Calderon comun. يعد من أكبر التخس طولا وحجما بعد الأركة. جسمه أسود داكن تتخلله بقعة بيضاء على شكل مرساة ممتدة من العنق إلى مؤخرة البطن. الرأس ضخم ودائري يتقدمه متك صغير يحمل كل فك منه 14 . 26 سنا مخروطية الشكل.

إنه حيوان اجتماعي يعيش في معظم بحار العالم ويتنقل وسط مجموعات تتكون من 10 إلى 100 فرد وأحياناً يعيش مزدوجاً. يسبح عادة ببطئ (5 كلم في الساعة) ولا تتعدى سرعة سباحته 35 كلم في الساعة. يغطس في أعماق تتعدى أحيانا 600 متر.

يبلغ طوله عند الولادة 1.5 . 2 متر وطول البالغ يفوق 8 أمتار أحياناً. وتعتبر الإناث أقل طولا من الذكور. تزن الذكور البالغة من الطول 4.5 متر 400 كلغ. يتوالد غالبا في فصل الربيع وتدوم مدة الحمل 16 شهراً وتفطم الصغار عن الرضاعة بعد 20 شهرا. يتوالد مرة كل ثلاث سنوات ويعمر 20 عاما. متواجد بكثرة قرب مضيق جبل طارق ونادر في جنوب المغرب.

التخس فوصينا فوصينا (Phocena phocoena) يسمى بالفرنسية Marsouin وبالأنجليزية Harbour porpoise وبالإسلانية Marsopa. يسمى في المعاجم خنزير البحر وفي المغرب الدنفيل الصغير. لا يتعدى طوله 1.80 متراً في البحر الأسود والبحر المتوسط ومترين في المحيط الأطلنطي. يتراوح وزنه ما بين 45 و65 كلغ. رأسه صغير ومستدير. المتك قصير جدا وغير واضح. يحمل كل فك 38 . 52 سنا صغيرة غير حادة. الزعنفة الظهرية مثلثة الشكل وصغيرة. الظهر والجوانب بنية سوداء والبطن أبيض.

يعيش منفرداً أو وسط مجموعات صغيرة لا تتعدى 10 أفراد. لا يقفز خارج الماء إلا نادراً ويسبح ببطئ غير بعيد عن السواحل ولا يقترب من البواخر. يصير بالغا بعد 3 . 4 سنوات ويتوالد في أيام الصيف. تدوم مدة الحمل 9 . 11 شهرا وتمتد مدة الرضاعة 4 أشهر. تزن الصغار أثناء الولادة

8.6 كلغ ويبلغ طولها 70.90 سنتمترا. يعمر خنزير البحر 16 سنة على الأقل ويتكون قوته من الأسماك والقشريات والرخويات والحبار. إنه حيوان نادر في السواحل المتوسطية وشائع في المحيط الأطلنتي. تتراوح مدة غطساته ما بين 3 و6 دقائق ويسبح غير بعيد عن سطح البحر.

التخس الكبير أو النفاخ والتخس أنف القنينة كما يسميه علماء الحيوان، يدعى علمياً Tursiops truncatus وبالفرنسية Souffleur أو Grand dauphin وبالأنجليزية Bottlenosed dolphin وبالإسبانية Delfin mular. متكه قصير وواضح، رأسه ضخم وقوي. يحمل كل فك 40.52 سنا مخروطية الشكل وحادة. الزعنفة الصدرية قصيرة، الزعنفة الظهرية كبيرة ومستقيمة. الظهر رمادي داكن والجوانب رمادية بيضاء والبطن أبيض. يبلغ طوله عن الولادة متراً واحداً ويتراوح طول الكبار ما بين 2.5 و3.5 أمتار بالنسبة للذكور و3.2.2.3 بالنسبة للإناث.

يعد من التخس الأكثر وجوداً في البحار المحيطة بالمغرب وشائع أيضا في البحر الأسود والبحر المتوسط وفي سائر البحار الدافئة. يتنقل وسط مجموعات متعددة الأفراد (8.5) وكثيراً ما يدخل في البحيرات وخاصة منها بحيرة الداخلة وبحيرة الناظور. لوحظت عدة تجنحات لهذا النوع على الشواطئ الأطلنطية المغربية. يصير بالغاً بعد خمس سنوات ويتوالد مرة كل سنتين. يعمر ما بين 25 و30 سنة ويتكون قوته اليومي من الأسماك وخاصة منها سمك البوري ومن الإربيان ومن الحبارة.

تمت تربية التخس تورسيوبس ترانكاتوس وإكثاره أزيد من عشرين عاما في أحواض كبيرة بمعهد الأحياء المائية بفلوريدا وأوضحت الدراسات الخاصة بسلوك هذه الحيوانات أنها تتمتع بذكاء لا يقل عن مثيله للكلاب وهي تحب اللعب بكرة أو اطار من المطاط ويبدو أنها تستمتع بمداعبة الكائنات الأخرى في أحواض التربية كالأسماك الكبيرة والسلاحف دون أن تصيبها بأي ضرر. كما أنها تتعلم بسرعة الخدع كالقفز خارج الماء لإلتقاط السمك من يد الحارس. يمكنها التفاهم مع بعضها بمجموعة متباينة من الأصوات كالصفير والعواء، كما يمكنها تحديد أماكن الأشياء تحت الماء نتيجة لإنبعاث نبضات فوق صوتية والتسمع إلى صداها مثلما يحدث للخفافيش أثناء طيرانها في الهواء تساعد هذه الوسيلة التخس من تجنب العوائق وعلى اصطياد الأسماك يمكنها بواسطة صدى الصوت تجنب شباك الصيد، خاصة إذا كانت ثقوبها صغيرة. لقد اقترح تدريبها أثناء الحروب لتحديد أماكن غواصات العدو وقامت بحرية الولايات المتحدة الأمريكية بدراسة هذه الإمكانية.

تخس توزي يدعى علميا Sousa teuszii من عشيرة Stenidae يعيش في مصبات أنهار افريقيا الغربية ولا يتعدى توزيعه الجغرافي شمالا بحيرة الداخلة. وقد لوحظ وجوده في الداخلة لأول مرة من طرف Beaubrun في شهر دجنبر من سنة 1990 وفي سنة 1993 من شهر أكتوبر لاحظت وجود قطيع في نفس المكان يتكون من 10 أفراد.

الرأس دائري والجبين ضخم وواضح. المتك طويل والزعنفة الظهرية مثلثة قائمة. الظهر رمادي والبطن أبيض. لا يتعدى طوله 2.10 متراً يتغذى من الأسماك ومن الرخويات والحبارة.

يوجد في كل من الكاميرون وأنكولا ونجيريا وغينيا وكامبيا والسنيغال وموريتانيا.

نوعان من الأركة Orcinus orca و Pseudorca crassidens (أنظر أركة).

W. Fischer, M. Schneider et M.L. Bouchot, *Méditerranée et mer noire*, 2, *Vertébrés fiches FAO d'identification des espèces*, 1987, 1529 p. ; A. Bayed & P.C. Beaubrun, *Les mammifères marins du Maroc : Inventaire préliminaire, Mammalia*, 1987, 51 (3) : 437 - 446 ; P.C. Beaubrun, *Un cétacé nouveau pour les côtes marocaines : Sousa teuszii* (kukenthal, 1892), *Mammalia*, 1990, 54 (1) : 162 - 164 ; J. Maigret, *Données nouvelles sur l'écologie du Sousa teuszii (Cetacea, Delphinidae) de la côte ouest africaine, Bull. IFAN*, 1980, (A) : 619 - 633 ; N. Valée, *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972, 273 p.

محمد رمضاني

التخطيط، من الخط وهو أصلا كتابة، قال تعالى "ولا تخطه بيمينك" (العنكبوت، آية 48)، والتخطيط رسم من الرسوم الهندسية، يقال اختط داره لمن جعل لها حدودا فتعرف.

والتخطيط في المجتمع العصري برنامج للعمل موضوع وتوقع لنتائجه بكل أوجه الاستدلال والاحتمال وهو ما يعنينا هنا، وإن سيطرة التخطيط في سياسة الدول لها أسباب بعيدة وأخرى قريبة، فمن الأسباب البعيدة ازدهار التجارة والصناعة في العصر الحديث وانشغال الانسان بالمنافع المادية والمشاريع المربحة لدرجة جعلته شيئا فشيئا يقيس الأمور لا بأصولها يعني بسوابقها ولكن بمردوديتها يعني بالمرتقب منها، ولما توطدت أسباب الثورة الصناعية ابتداء من القرن التاسع عشر اشتدت حاجة رجال الأعمال إلى وضع البرامج المدققة لأعمالهم فحاولوا ترجيح أسباب الربح على أسباب الخسارة وانبثق عن حركة التصنيع نظريتان : أولاهما، وهي النظرية الليبرالية ترى أن لا دخل للدولة في أمور الصناعة والمبادلات على اعتبار أن مجموع المبادرات الحرة الرامية إلى المنفعة الخاصة كفيلة بأن تؤدي الى المصلحة العامة وأن تخطيط كل امرئ لمصالحه هو تخطيط ضمني للمصلحة الجماعية، أما النظرية الثانية، وهي النظرية الاشتراكية، فإنها كانت ترى أن النهوض بالكتلة الاجتماعية على ثقلها أخطر شأناً من أن يترك للأنانية الفردية وأن لا بد للجهاز الحكومي من التدخل في شؤون الاقتصاد ومن التخطيط لمستقبل الأمة بإحصاء خيراتها ومقدراتها واستثمارها في الغايات المنشودة على مراحل وبناء على الأسبقيات، ولذلك ما أن أقيمت أول دولة اشتراكية في روسيا سنة 1917 حتى صار التخطيط ركنا من أركانها، ولقد مكنها من قطع مراحل هائلة في التصنيع والنمو في وقت وجيز، مما أثار انتباه العديد من

رجال الاقتصاد ومن السياسيين إلى نجاعة التخطيط الشامل حتى في البلدان الملتزمة بالنظرية الليبرالية التي اهتزت اقتصادياتها أيما اهتزاز من جراء الحربين العالميتين ومن جراء الأزمة الاقتصادية الكبرى لسنة 1929، ولذلك فإن الأسباب القريبة للعمل بالتخطيط تعود إلى حاجة الاقتصادي العالمي غداة الحرب العالمية الثانية إلى بناء صرحه من جديد فوضعت الولايات المتحدة لتلك الغاية مخططا يعرف بمخطط مارشال وكان عبارة عن تخطيط لإخراج بلدان أوربا الغربية مما أصابها من الدمار، وتبنت الحكومة الفرنسية بعد 1945 بما كان لأحزاب اليسار الاشتراكي والشيوعي فيها من النفوذ سياسة التخطيط لإصلاح جهاز إنتاجها على اعتبار أن التخطيط تقنية من تقنيات الاقتصاد السياسي ولا سبيل لأي دولة بأن تغض الطرف عنه مهما كان من اختياراتها الإيديولوجية إذا كانت هذه الدولة تسعى في النهوض بمجتمعها وبأحوال رعاياها.

ولما كانت فرنسا آنذاك مازالت تحتل المغرب فإنها أدخلته في نطاق تخطيطاتها الأولى ضمن ما كانت تسميه "بالاتحاد الفرنسي" فصار المسؤولون الفرنسيون عن الحماية وأرباب المقاولات الاستعمارية يُخططون لتجهيز المغرب واستثمار خيراته على ضوء ما كانوا يترقبون من مردودية استغلالها فوضعوا تخطيطاً رباعيا أولاً فيما بين 1949 و1952 وأردفوه بآخر رباعي أيضا فيما بين 1954 و1957، لكن هذا التخطيط الثاني سرعان ما تغيرت ظروفه العامة بسبب حصول المغرب على استقلاله في شهر نونبر 1955 فتغيرت النظرة إلى التخطيط وانصرفت الدولة المغربية المستقلة إلى أسبقيات أخرى كان من فحواها بناء صرح السيادة الوطنية المسترجعة بالتخلص من أسباب النفوذ الاستعماري مما جعلها تدرك من توها أن لا سبيل للانعتاق ولفتح سبل الرقي والتقدم أمام الجماهير المغربية بدون تدخل الدولة في المجالين الاقتصادي والاجتماعي ورصد الأموال لذلك شأنها في ذلك شأن الدول النامية كلها التي لا معوّل في الاستثمار فيها على الرأسمال الوطني الخاص لندرته وهزاله، ولذلك صدر ظهير 25 يونيه 1957 القاضي بإحداث المجلس الأعلى للتخطيط وإقرار مبدأ التخطيط في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بناء على ما يتقرر من اختيارات اللجان المتخصصة التي يتفرع إليها المجلس المذكور وهي لجان الفلاحة والإعداد القروي والحضري ثم الصناعة التقليدية والمبادلات التجارية والاقتصاد والتعليم والتربية والتجهيز الإداري والمياه والصناعة والمعادن والشغل والبريد والطب والصحة والسياحة والنقل والمواصلات، ومنذ ذلك التاريخ والحكومات المغربية لا تشكل أو لا تعدل إلا ويكون من أهم الوزارات فيها وزارة التخطيط تارة بشكل مستقل عن غيرها وتارة أخرى كوزارة أو كتابة في الدولة ملحقة بالوزارة الأولى أو بوزارة الاقتصاد. وكان من وظائف هذه الوزارة إعداد التخطيط وعرضه على المجلس المختص ثم على البرلمان والسهر بعد ذلك على مراحل التنفيذ، ولا أدل على أهمية التخطيط في سياسة الدولة المغربية من جعل الدستور باباً خاصاً بالمجلس الأعلى للإنعاش الوطني والتخطيط تنص على تأسيسه وعلى رئاسة الملك لجلساته ودراسته لمشاريع التخطيط قبل عرضها على أنظار البرلمان (فصول 90 إلى 93 من دستور 1962). كما نص ظهير 30 شتنبر 1976 المتعلق بالتنظيم الجماعي على أن "وضع مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للجماعة طبقاً للاتجاهات والأهداف المقررة في المخطط الوطني" من المهام الأساسية للجماعة المحلية، وتعززت مشاركة الأقاليم في التخطيط بإحداث الجهات الاقتصادية الكبرى سنة 1979 بقصد أن تكون حلقة وصل وسطى بين الرؤيا الشمولية للتخطيط التي هي من اختصاص الدولة المركزية والرؤيا المحلية الضيقة التي لا تتجاوز حدود القرية أو المقاطعة الحضرية.

وهكذا وضعت منذ 1958 وحتى سنة 1992 ثمانية تخطيطات، أولها كان ثنائياً على مدى سنتي 1958 و1959، وكان مخططا مرحليا للانتقال من عهد الحماية إلى عهد الاستقلال، والثاني كان خماسيا فيما بين 1960 و1964، وكان هو أول تخطيط مغربي لا من حيث ما تبنى من الأسبقيات ولا من حيث ما رصد للمشاريع المقررة من وسائل الإنجاز. وكان التخطيط الثالث ثلاثيا فيما بين 1965 و1967، والرابع خماسيا فيما بين 1968 و1972، والخامس خماسيا أيضا فيما بين 1973 و1977، والسادس ثلاثيا فيما بين 1978 و1980، والسابع خماسيا فيما بين 1981 و1985، والثامن خماسيا فيما بين 1988 و1992. ولكن بغض النظر عن الحقب الزمنية المتفاوتة تارة والمتناسبة تارة أخرى لهذه التخطيطات وبغض النظر أيضا عن التقلبات الظرفية التي واكبتها على مدى أربع وثلاثين سنة والاختلافات النسبية في الأسبقيات التي ترتبت على ذلك، فإن الفلسفة العامة للتخطيط المغربي والتوجهات البنيوية في المدى البعيد والأهداف الأساسية ظلت ثابتة مسترسلة على الاجمال، وذلك لأن المغرب المستقل اختار منذ اللحظات الأولى من استقلاله أن يسير على النهج الليبرالي في الحكم والاقتصاد بحيث لم يكن التخطيط لديه أداة من أدوات الاستبداد المطلق على غرار ما جرى في البلدان الاشتراكية ولكنه كان أداة من أدوات التحرر من الهيمنة الاستعمارية ووسيلة للوقوف على مقدرات المغرب بالإحصاء الدقيق والبحث عن الأموال الضرورية للاستثمار، إما في الداخل من الرسمال الوطني الخاص والعام كلما أمكن ذلك، وإما في الخارج من الرسمال الأجنبي شريطة أن لا يمس ذلك بالسيادة الوطنية بحيث يعتبر التخطيط المغربي حلا وسطا بين البيروقراطية المحصورة الآفاق التي آلت في الختام إلى انهيار المعسكر الاشتراكي عند حلول التسعينات وبين الليبرالية المطلقة التي لا تتحملها البنيات الهشة للمجتمع المغربي، وهذا الأسلوب المرن من التخطيط

يوحي بما للدولة المغربية من الإحساس المرهف بمسؤولياتها، فهي تتدخل حيث لا سبيل لأي جهة أخرى أن تتدخل مكانها مثل جرد الخيرات ووضع الأسبقيات وتدعيم البنيات التحتية كبناء السدود وتشييد الطرق ومد أسباب التواصل والسهر على صحة الجماهير وتهذيبها وإعداد السكنى لها، وتترك للمبادرة الشخصية حرية استثمار أموالها حيثما أرادت من مختلف قطاعات الإنتاج حتى ولو وظفت أموالها في غير الأسبقيات على أمل أن يساعد ذلك على إقامة الرسمال الوطني وتقويته.

وبناء على هذه المرونة في التخطيط وجدت الدولة المغربية نفسها في تمام الانسجام مع التيارات الاقتصادية التي هيمنت منذ مطلع الثمانينات والرامية إلى نبذ كل تدخل من قبل الجهاز الحكومي وإلى ترك مطلق المبادرة في الاستثمار للخواص، ولم يجد المغرب أدنى معاناة في التفاهم مع الهيئات المالية الدولية ولا مع كبريات الأبناك العالمية التي أمدته من القروض الضرورية لتمويل مشاريعه الأساسية ومنحته كل التسهيلات لاستهلاكها وأداء فوائدها مدركة مع ذلك أن وقت تخلي الدولة المغربية عن التدخل والتخطيط على الإطلاق لم يحن بعد وإن كان الرسمال الوطني قد اشتد صلبه شيئا ما وانتعش في التسعينات بالنظر إلى ما كان عليه، ولكنه مازال في حاجة إلى أن تأخذ الدولة بيده وتدعم مقاولاته بأن توفر له أدق الإحصاءات وتوجهه إلى ما فيه ضمان للربح له وفائدة للمجتمع.

ونظراً لما أصبحت تتوفر عليه إدارة التخطيط من الكفاءات والخبرات العليا فإن آلة التقويم والاحصاء ارتفع مستواها كماً وعدداً وتقلص التفاوت بين التوقعات والمنجزات، إلا في السنوات التي يكون فيها المناخ غير مناسب على غرار ما حصل وسط الثمانينات من جراء الجفاف، وآخر تخطيطات الدولة لسنوات 1988 . 1992 يثبت مدى استعدادها للتخلي عن أهم المقاولات للخواص كلما كان هؤلاء بأموالهم وحيويتهم في مستوى مسؤولية الإنجاز والإنتاج. وفي هذا الاتجاه تحولت وزارة التخطيط السابقة إلى وزارة التنشيط الاقتصادي في الحكومة المغربية المشكلة في خريف 1993.

مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، نشر مديرية التخطيط، 1960 . 1964 ؛ 1965 . 1967 ؛ 1968 . 1972 ؛ 1973 . 1977 ؛ 1978 . 1980 ؛ 1981 . 1985 ؛ 1988 . 1992 ؛ فتح الله ولعلو، *الاقتصاد السياسي*، الجزء الأول، الدار البيضاء، 1974.

Cinq ans d'exécution du plan de coordination et d'équipement de l'Union française, Réalisation 1947 - 1951 et Programmes 1952, Paris, 1952, Commissariat général du plan ; Aziz Belal, *L'investissement au Maroc*, Paris - La Haye, 1968 ; A. Cherkaoui, *Indicateurs socio-économiques du Maroc*, Casablanca, [s.d].

إبراهيم بوطالب

التخطيط العائلي، أو تنظيم الأسرة، سياسة لعبت بالمغرب خلال العقود الثلاثة السالفة دوراً أساسياً في مجال حماية صحة الأم والطفل معاً، فمنذ سنة 1966 أصبحت هذه السياسة قائمة الذات في جميع مخططات التنمية المتعاقبة. وهكذا تم وضع أسس قانونية صريحة لها عن طريق :

- المرسوم الملكي رقم 180 . 66 المؤسس لهيئة السكان العليا (في 26 غشت 1966).

- التوقيع الملكي على عريضة رؤساء الدول والحكومات بالأمم المتحدة الخاصة بالسكان سنة 1967.

- إصدار المرسوم الملكي رقم 181 . 66 بتاريخ يوليوز 1967 المغير لظهير 10 يوليوز 1939 والذي يقرّ الترخيص بإشهار موانع الحمل وبالإجهاض الطبي لإنقاذ حياة الأم وبيع أدوية موانع الحمل. كما تم تأسيس الجمعية المغربية لتنظيم الأسرة سنة 1971 وكذا قسم السكان سنة 1972 التابع لوزارة الصحة العمومية والذي يضمّ المصلحة المركزية لتنظيم الأسرة.

وسائل منع الحمل واستعمالها

(ج.ن. : جميع النساء ؛ ن. م. : نساء متزوجات)

	تستعمل حاليا		استعملت		تعرف المصدر		تعرف الوسيلة	
	ن.م	ج. ن	ن.م	ج. ن	ن.م	ج. ن	ن.م	ج. ن
على الأقل وسيلة	41.5	22.9	66.2	38.9	93.9	57.1	99.0	97.3
على الأقل وسيلة عصرية	35.5	19.7	62.7	36.8	93.8	57.1	98.9	97.3
أقراص	28.1	15.5	95.5	34.9	92.4	56.2	98.8	97.0
لولب	3.2	1.8	9.4	5.5	73.8	45.1	87.3	83.9
حقن	0.1	0.1	1.6	1.0	39.2	23.8	62.3	54.8
مبيدات	0.2	0.1	2.1	1.2	23.8	14.2	31.4	28.1
عازل	0.9	0.5	5.6	3.2	58.8	35.7	71.8	64.5
تعقيم نسوي	3.0	1.6	3.0	1.7	69.9	42.5	84.8	79.8
تعقيم ذكوري	0.0	0.0	0.1	0.0	3.3	2.0	6.8	7.6
على الأقل وسيلة تقليدية	6.0	3.3	17.1	10.0	30.5	18.6	73.1	63.9
العزوف عن الجماع المرحلي	3.0	1.7	9.4	5.5	30.5	18.6	61.1	55.3
عزل	2.6	1.5	8.7	5.0	0.0	0.0	53.5	41.1
وسائل أخرى	0.3	0.2	2.3	1.4	0.0	0.0	14.3	10.4
المجموع	5118	9256	5118	9256	5118	9256	5118	9256

وقد أعطت هذه السياسة نتائج إيجابية تتمثل في عدّة مؤشرات. بحيث تطوّر الاستعمال الحالي لموانع الحمل من 1٪ من مجموع النساء في سن الخصوبة سنة 1970 إلى 19٪ منها سنة 1979 وإلى 41.5٪ سنة 1992، مما أدّى إلى انخفاض المعدل الإجمالي للخصوبة من 7.10 أطفال للمرأة الواحدة في أواخر الستينات إلى 4.15 سنة 1992.

وتجدر الإشارة أولاً إلى أن البرنامج المعروف "بالزيارة إلى مقرّ السكنى للتحفيز المنهجي" قد لعب دوراً كبيراً في هذا الاتجاه. حيث انطلق في البداية (سنة 1977) بمثابة عملية نموذجية في إقليم مراكش، قبل أن يشمل باقي العمالات والأقاليم. واستفادت منه بالخصوص المناطق القروية والنائية والتي شملتها التغطية لأول مرة فيما يخص التخطيط العائلي.

كما تمّ تكوين الأطر اللازمة مواكبة لسير البرنامج. إذ استفادت من هذا التكوين مختلف الهيئات المهنية التابعة

المواصفات		العدد	المجموع	لا تستعمل حاليا	وسائل تقليدية				وسائل عصرية						على الأقل واحدة	على الأقل وسيلة
					أخرى	العزل	العزل المرحلي	على الأقل واحدة	تعقيم نسوي	عازل	قبعات	حقن	لولب	أقراص		
فئة السن	15 ـ 19	253	100,0	76,7	0,0	0,4	0,8	1,2	0,0	0,0	0,0	0,0	1,6	20,6	22,1	23,3
	20 ـ 24	677	100,0	64,8	0,3	1,0	1,8	3,1	0,0	0,9	0,1	0,3	1,8	29,0	32,1	35,2
	25 ـ 29	883	100,0	60,5	0,0	1,8	2,4	4,2	0,2	0,7	0,1	0,1	2,6	31,6	35,3	39,5
	30 ـ 34	1098	100,0	54,6	0,1	3,2	3,4	6,6	1,4	1,1	0,1	0,1	3,9	32,2	38,8	45,4
	35 ـ 39	1009	100,0	52,2	0,3	3,2	4,9	8,3	4,2	0,6	0,5	0,1	4,5	29,6	39,4	47,8
	40 ـ 44	645	100,0	53,0	0,5	4,0	3,3	7,8	7,8	1,9	0,6	0,2	4,2	24,7	39,2	47,0
	45 ـ 49	553	100,0	64,9	1,3	3,3	2,2	6,7	7,6	0,7	0,0	0,2	2,0	17,9	28,4	35,1
محل الإقامة																
	وسط حضري	2222	100,0	45,5	0,4	3,1	5,3	8,7	4,3	1,6	0,5	0,0	5,7	33,7	45,8	54,5
	وسط ريفي	2896	100,0	68,4	0,3	2,3	1,3	3,9	1,9	0,4	0,0	0,2	1,3	23,8	27,7	31,6
الجهات																
	الشمال الغربي	1052	100,0	56,4	0,5	6,4	5,1	12,0	3,1	1,2	0,3	0,1	3,9	23,0	31,7	43,6
	الشمال الوسط	640	100,0	66,4	0,3	2,0	4,1	6,4	1,7	0,3	0,0	0,3	2,5	22,3	27,2	33,6
	الوسط	1463	100,0	53,0	0,3	1,4	2,7	4,4	4,1	1,0	0,4	0,1	3,5	33,6	42,6	47,0
	الشرق	320	100,0	51,6	0,3	0,3	3,8	4,4	1,6	1,9	0,6	0,3	2,5	37,2	44,1	48,4
	الجنوب الوسط	417	100,0	54,0	0,5	1,0	2,2	3,6	2,6	0,7	0,2	0,2	1,3	35,5	42,4	46,0
	تانسيفت	578	100,0	56,9	0,0	2,1	0,9	2,9	2,6	0,7	0,0	0,0	4,0	32,7	40,1	43,1
	الجنوب	648	100,0	74,2	0,2	2,8	1,4	4,3	2,5	0,6	0,0	0,0	2,0	16,4	21,5	25,8
المستوى الثقافي																
	بدون	3932	100,0	64,3	0,4	2,4	1,5	4,3	2,8	0,6	0,1	0,2	2,2	25,5	31,4	35,7
	ابتدائي	644	100,0	43,0	0,0	3,9	5,6	9,5	4,7	1,2	0,6	0,0	5,0	36,0	47,5	57,0
	ثانوي	542	100,0	35,1	0,0	2,8	10,9	13,7	1,8	2,6	0,7	0,0	8,3	37,8	51,3	64,9
عدد الأطفال الأحياء																
	0	591	100,0	94,4	0,0	0,3	1,7	2,0	0,0	0,2	0,0	0,0	0,2	3,2	3,6	5,6
	1	693	100,0	60,9	0,1	1,2	3,3	4,6	0,0	1,0	0,3	0,1	2,3	30,7	34,5	39,1
	2	716	100,0	53,1	0,1	1,5	3,1	4,7	0,4	0,8	0,4	0,3	3,8	36,5	42,2	46,9
	3	676	100,0	50,1	0,4	2,5	4,3	7,2	1,6	2,1	0,1	0,0	4,4	34,3	42,6	49,9
	+4	2442	100,0	53,0	0,5	4,0	2,9	7,3	5,6	0,7	0,2	0,2	3,7	29,2	39,7	47,0
المجموع		5118	100,0	58,5	0,3	2,6	3,0	6,0	3,0	0,9	0,2	0,1	3,2	28,1	35,5	41,5

الوسائل الحالية لمنع الحمل حسب الخاصيات الاجتماعية والديمغرافية

لوزارة الصحة العاملة بمصالح تنظيم الأسرة، وصحة الأم والطفل وخاصة منها تلك العاملة بالوحدات المتنقلة. وفي هذا الصدد، وضع سنة 1982 رهن إشارة العاملين في هذا البرنامج دليل حول تنظيم الأسرة وصحة الأم والطفل، والذي تم تعديله وتتميمه سنتي 1985 و1987.

وعلى واجهة أخرى، وبالضبط في سنة 1982، فتح "المركز الوطني للتكوين في التزايد السكّاني" أبوابه وكان له الأثر الكبير على تحسين وتعميق التكوين في مجال التخطيط العائلي. إذ منذ 1983 (سنة بعد انطلاقه) أدخلت التقنية الكوليوسكوبية فيما يخص "برنامج منع الحمل الجراحي الإرادي".

بصفة عامة، يتطلب تحسين نوعية الخدمات المقدّمة في مجال التخطيط العائلي الزيادة في مهارات وقدرات رجال الصحة، وهذا ما يفسّر تعاقب سلسلة المناظرات والدراسات الميدانية في هذا الشأن.

مصدر وسائل منع الحمل العصرية.

Ministère de la Santé, *Enquête nationale sur la population et la santé au Maroc*, Rabat, 1987 - 92 ; Ministère de la Santé, *Visite à domicile de motivation systémique*, Rabat, 1988.

السعدية صريح

تُدَة (ابن)، أسرة تطوانية يقول عنها كاخيگاس (Cagigas) إنها نفس أسرة ابن تودة، غير أنه عندما ساءت سمعة هذه الأسرة النبيلة بسبب وقوف بعض رجالاتها بجانب السلطان محمد المتوكل السعدي وموت هذا الأخير غريقاً بوادي المخازن بجانب الملك البرتغالي اضطر أفراد الأسرة الذين ظلوا بالمغرب إلى تغيير اسم أسرتهم فاتخذوا اسم ابن تدة، ولازالت هذه الأسرة بتطوان يتعاطى أفرادها التجارة.

Delegacion Asuntos Indigenas, *Familias* ; Cagigas, *Familias I* ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos I*.

محمد ابن عزوز حكيم

التُّدْرُج، طائر أرقش شبيه بالحجل جميل المنظر والصوت، لذيذ الطعم. ينتمي إلى فصيلة التدرجيات فازياندي (Phasianidae) ورتبة الدجاجيات كاليفورم (Galliformes) الذي تشمل الدجاج والتدرج والغرغر والطاووس والديك ويدعى علميا Phasianus ويشمل هذا

الجنس عدة أنواع موطنها الأصلي القوقاز وآسيا الجنوبية الغربية (خراسان وبلاد الفرس وبلاد الأناضول والصين). نذكر من بين هذه الأنواع :

تدرج أمخرت (Phasianus amherstiae) وتدرج ياباني (P. versicolor) وتدرج ذهبي (P. oratus) وتدرج فضي (P. silver) وتدرج مطوق (P. torquatus) وتدرج معروف أو تدرج الصيد (P. colchicus) وهو النوع الذي تأقلم في أوربا منذ العصور الوسطى ثم أُدخل إلى المغرب ويعد حالياً من الطرائد المهمة في ميدان الصيد. يقال له بالفارسية "تذرو" والتدرج المعربة مشتقة من هذه اللفظة. يدعى بالأنجليزية Pheasant وبالفرنسية Faisan de chasse وFaisan de colchide.

يختلف الزوجان كثيراً في الحجم وفي ألوان الريش. يسمى الزوج الديك ويبلغ طوله 75.87 سم ويزن 1.2 . 1.6 كلغ، ريشه مختلف الألوان، لامع يجلب الأنظار بجماله، لون رأسه وعنقه أخضر معدني لامع، تعلو رأسه خصلتان من الريش الأخضر وتحف عينيه من الأسفل نتوءات لحمية حمراء. ظهره أشقر ضارب إلى الصهبة، الجناحان بنية شقراء ريشها محفوف بالبنفسجي المسود، الذيل طويل وحاد في مؤخرته لونه أشقر رمادي مخطط بالأسود.

يبلغ طول الأنثى ما بين 53.63 سم ولا يتعدى وزنها 1200 غ. ريشها رمادي مصفر مزركش بالسواد وبالبني. وأكثر الإنسان من تزاوج تدرج الصيد مع الأنواع الأخرى من نفس جنسه فأدى ذلك إلى تنوع كبير في الألوان.

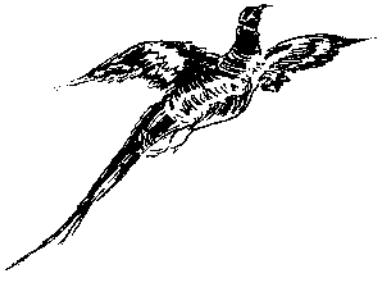

يحسن هذا الطير المشي ويجري بسرعة فائقة ويتميز عن باقي الطيور بطيرانه العمودي. الديك متعدد الزوجات في الغالب وفي حالة وجود ديكين آخرين وسط المجموعة يشتد الصراع بينهما فيتقابلان وجهاً لوجه وينفخان ريش العجز ويتبادلان ضربات المناقر، يرفعان الرأس تارة ويخفضانه تارة أخرى وينفرد الفائز بالإناث.

يتوالد خلال شهر أبريل وشهر ماي وتختار الزوجة العش على الأرض وسط الغابات والأماكن المتشجرة الغنية بالأعشاب وبين القصب وفي المزارع أحياناً. يتكون العش من أوراق الشجر والأعشاب اليابسة تضع فيه الأنثى من 7 إلى 16 بيضة بنية مخضرة يبلغ طولها 35.9 x 36 سم. تدوم مدة الحضانة 23.27 يوماً ويغادر الفراخ العش بعد التفقيس مباشرة ويتعلمون الطيران منذ اليوم الرابع عشر من عمرهم. تقضي الصغار الليل على الأراضي مختفية بين الأعشاب وعند بلوغها نصف حجم الآباء تنام وتستريح فوق الأشجار كما يفعل الكبار. تشبه الصغار الأمهات في لونها ولا ينمو الريش الطويل الذي يُكون الذيل عند الديك إلا بعد عدة شهور.

يكثر نشاط التدرج في الصباح الباكر وفي المساء قبل غروب الشمس ويستريح أو ينام في الأوقات الأخرى. يتغذى من الحبوب من الفواكه اللحمية ومن الحشرات والديدان وأوراق النباتات الخضراء والعساقيل. يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد وينعزل مع زوجاته خلال فترة التوالد.

أطلقت شركات الصيد السياحية هذا النوع في عدة مناطق لتنمية هواية الصيد في البلاد وقد وُفّقت هذه المحاولة في النواحي الغابوية لكل من الرباط والقنيطرة وعرباوة والعرائش ووزان وبنسلمان حيث أصبح التوالد طبيعياً. يُربى أيضاً في البوادي مع الدجاج ومتواجد في كل الحدائق الحيوانية المغربية.

يصاد التدرج عن طريق الإحاشة (en battue) إلا أن قانون الصيد في المغرب لا يرخص بذلك ويبقى صيد هذا النوع فرديا أو مزدوجا ويتطلب هذا الصيد مجهوداً جسمانياً قوياً نظراً لكثرة اختفاء التدرج وسط الأدغال وبين الأشجار الكثيفة ولشدة حذره. يشترط في الكلاب أيضا قوة المهارة والخبرة.

لا تتعدى نسبة الصيادين الذين يتعاطون لصيد التدرج في المغرب 10٪ من مجموع الصيادين ومعظمهم أجانب.

أ. المعروف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recencement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc : 1980*, Rabat, 1981 ; W. Reade & E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids, Reproduction, œufs et jeunes*. Paris, 1968, p. 191 - 192 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رمضاني

تُدْغَة - جغرافيا - ينتمي واد تدغة إلى نظام حوض غريس، وينبع من السفح الجنوبي للأطلس الكبير الكلسي. ويتجه عموماً من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ليتخذ اسم فريكلة قبل اتصاله بواد غريس. وهو نهر موسمي الجريان إلا في جزئه الأوسط عند تلقيه لمياه عين تزگي وعين الشيخ سيدي محمد بن عبد الله وعين السمك المَقدس. يخترق النهر في جزئه الأطلسي خوانق ضيقة وجدّ متعمقة ثم يتسع مجراه عند خروجه نحو المنخفض الجنوبي للأطلس.

وواحة تدغة منفتحة على التأثيرات الصحراوية، لذا يتميز مناخها بقلة التساقطات وعدم انتظامها وبالمدى الحراري المرتفع. وقد حتمت هذه الظروف منذ القدم التصاق السكان بالشريط الأخضر المحيط بالنهر.

عرفت الواحة تعميراً قديماً تحدث عنه الوزان خلال القرن السادس عشر (*افريقيا*، ص 432) بل أثارت كثافة السكان وتمركزها استغراب دوفوكو (ص. 222) حيث قدر عدد قصور الواحة بستين قصراً، موزعاً كالتالي : ستة وأربعون قصراً يسكنها صنهاجة أهل تدغة، وتوجد القصور في عالية النهر، وثمانية قصور تسكنها قبائل عطاوية الأصل.

تزايد سكان الواحة بسرعة خلال العقود الأخيرة حيث انتقلوا من حوالي 15.600 نسمة 1936 إلى 42.157 نسمة 1982، الشيء الذي شكل ضغطاً كبيراً على الثروات الاقتصادية الضيقة، والمتكونة أساساً من الفلاحة. فمساحة 89٪ من الاستغلاليات لاتزيد عن هكتار واحد، ومعدل مساحة الاستغلاليات لا يتجاوز 0.2 هـ.

تعتمد الزراعة داخل الواحة على السقي التقليدي بواسطة السواقي في العالية والخطارات في السافلة. ويتم توزيع حقوق الماء بشكل جد معقد. يتمحور الإنتاج حول زراعة الحبوب الشتوية والربيعية إذا توفرت مياه السقي. بالإضافة إلى أشجار مختلفة تطغى عليها الثمور والزيوت والتين واللوز والرمان، بينما لايلعب الرعي إلا دوراً ثانوياً خصوصاً بالنسبة لسكان أهل تدغة رغم شساعة المسارح.

لقد ساهم الضغط على المجال الفلاحي الضيق، وظروف الموقع على أحد المحاور الرئيسية بين تافيلالت ودرعة وبين قبائل أيت عطة وأيت يَفلمان في تجمع السكان داخل مركز تينغير. حيث برزت أهميته إدارياً عندما أسست فيه قصبة الاگلاوي عام 1919، فأصبح نقطة جذب لعدة أنشطة تجارية وسياحية وحرفية، فانتقل عدد سكانه من 114 نسمة 1936 إلى 10.527 نسمة عام 1982. وقد مكن هذا الاحتكاك بالمدنية وضيق الموارد الاقتصادية من خلق تيار هجروي قوي في المنطقة خاصة نحو الخارج، حيث دفعت المنطقة حتى سنة 1976 بما ينيف عن 10.824 عامل نحو الغربة، أي حوالي 36٪ من سكان الواحة، وبمعدل 2.6 عامل لكل أسرة. فأدى هذا التيار إلى خلق ديناميكية وتحولات تظهر آثارها على السكن ودخول النمط الحضري في الاستهلاك بشتى أصنافه.

حسن مرواني، *حول البنية الزراعية في تدغة*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، كلية الآداب بالرباط 1979.

محمد أيت حمزة

* * أشتهرت تدغة بمنجم للفضة، وقد حرفت بعض النسخ اسم تدغة إلى درعة وترغية وترغة، ونجد أول إشارة إلى تدغة عند ابن خرداذبه (القرن الثالث الهجري (19 م)) في كتابه *المسالك والممالك*، إذ يقول : "وفي يد الخارجي الصفري درعة (تدغة في نسخة أخرى، الإحالة h ـ صفحة 88) وهي مدينة كبيرة كثيرة الأهل وفيها معدن فضة وهي مما يلي الجنوب إلى بلاد الحبشة" (*المصدر*، ص. 88)، ويذكر المسعودي (القرن الرابع الهجري (10 م)) تدغة بقوله : "وفي هذا الصقع من بلاد المغرب خلق من الصفرية الخوارج لهم مدن محدودة مثل مدينة ترغية وفيها معدن كبير من الفضة وهو مما يلي الجنوب..." (*المصدر*، ج 1، ص. 156).

ويخبرنا البكري (القرن الخامس الهجري (11 م)) عند الحديث عن سجلماسة، وعن معادن درعة، "فولي أبو المنتصر (174 هـ ـ 208 هـ) وكان جبارا عنيدا فظا غليظاً، فظفر بمن عانده من البربر وذلهم فأخذ خمس معادن درعة وأظهر الصفرية..." (*المغرب*، ص. 150).

وبناء على هذه النصوص يمكن القول إن تدغة (درعة، ترغية،...) كانت مشهورة في القرنين الثاني والثالث الهجري (8 ـ 9 م)، بإنتاجها للفضة وبأنها مدينة كبيرة ومأهولة، ونلاحظ أن ذكر المدينة يأتي مقرونا بمنجم الفضة وبسيادة الخوارج الصفرية عليها، أي أن موقع تدغة لن يكون خارج ما كان يعرف سابقا بإقليم سجلماسة، موطن الصفرية.

ووجدت إلى جانب النصوص، مجموعة من الدراهم التي سكت بتدغة، يرجع أقدمها إلى سنة 164 هـ / 781م بالإضافة إلى درهمين إدريسيين سكا على التوالي سنتي 172 هـ / 788م و174 هـ / 790 م، كما عثر على دراهم سكت باسم خلف بن المضا سنوات 175 هـ / 791 م و176 هـ / 792 م و177 / 793 م، وقد يكون خلف بن المضا قد سك الدراهم تحت إمرة الخوارج الصفرية، ونص البكري حول اليسع أبي المنتصر (174 هـ ـ 280 هـ / 790 م ـ 823 م) الذي كان يأخذ مكوسا عن معادن درعة يسير في نفس سياق نصي ابن خرداذبه والمسعودي.

بناءً على دراسة ميدانية للعديد من المواقع المنجمية في منطقة ما كان يعرف سابقاً بإقليم سجلماسة (1984 ـ 1985)، يوجد موقع واحد يستجيب للأوصاف المذكورة في النصوص المكتوبة من خلال مخلفاته الأثرية ومن نتائج بعض التحليلات المختبرية، نعتقد أن منجم ومدينة تدغة يوجدان بموقع إيمضر، الذي يعتبر أكبر منجم للفضة بالمنطقة، على الطريق الرابطة بين بومالن فالرشيدية (انظر الخريطة الطبغرافية بومالن 1 / 100.000). ومنجم إيمضر للفضة يحمل اسم القرية وواد إيمضر الذي يصب في واد تدغة، ولا يستبعد أن يحمل واد إيمضر اسم تدغة في الفترة التي تعنينا. والمنجم متحف نموذجي للتقنيات المنجمية والتعدينية القديمة، إذ لا زالت موجودة عشرات الآبار والخنادق والدهاليز الباطنية، وتتناثر في الموقع الرئيسي للمنجم شظايا من الكواجل (أواني فخارية على شكل شهد عسل النحل) كانت تستعمل لتصفية معدن الفضة من الشوائب ولصنع كويرات من الفضة الخالصة، موجهة أساسا لسك النقود، بالإضافة إلى هذا نجد في الموقع مئات الرحي وقطع الزجاج والفخار والخزف والأشكورية (خبث المعدن) كما توجد مغسلة للأحجار المعدنية بالقرب من واد نتاشراكاشت، وخطارة تصل الخندق "أ" بأقا المعدن الموجود على بعد مائة متر شمال الخندق، والتي تعكس في هندسة حفرها مستوىً تقنياً جيداً.

وقد تم حساب كميات الردم المعدني في الموقع الرئيسي بما يناهز المليون طن من الأحجار المعدنية التي اعتبرها المنجمون القدامى عقيمة. وتتخلل الاستغلالية المعدنية بقايا بنايات.

إن هذه المخلفات المادية تعكس نشاطا منجميا وتعدينيا هاما طوال فترة ليست بالقصيرة، بالإضافة إلى وجود تجمع سكاني، على الأقل، في الموقع الرئيسي والذي يغطي ما يقارب ستين هكتاراً.

إن كل هذه المعطيات المادية تدعونا إلى مطابقة موقع إيمضر مع المدينة القديمة تدغة، المذكورة في المصادر التاريخية، وما يعزز افتراضنا هذا، العثور على ثلاث قطع نقدية أثناء إفراغ الخندق "أ" من الردم المعدني، ويتعلق الأمر بدرهمين إدريسيين وفلس نحاسي، ونعتقد أن مركز المدينة يوجد بالجنوب الغربي من الخندق "أ". وتدل المخلفات أن الموقع عرف نشاطات إنسانية متعددة، فقد عثر مثلا على أشكورية تحمل نسبا هامة من الرصاص، وهذا معناه وجود عمليات صهر للفضة والرصاص لإعطاء ليونة تسهل عملية تكييف شكلها حسب رغبة الصانع.

إن هذه الدلائل المادية مجتمعة غير متوفرة ـ حسب معرفتنا ـ في أي موقع، يوجد بمحيط سجلماسة القديمة، فإذا عدنا إلى النصوص، نجد أن ابن خرذاذبه يقول إن المدينة كانت تحت سيطرة الخوارج الصفرية أي مدراريي سجلماسة، وهذه المعلومات نجد لها استمرارية، بطريقة غير مباشرة عند البكري الذي يذكر المكوس التي وضعها اليسع على مناجم درعة (واد درة عند البكري يشمل أيضا دادس الذي يقع في محيط إيمضر) أواخر القرن الثاني / (8 م)، لكن البكري لم يذكر تدغة، بل تحدث عن ترغة التي خلت بعمارة سجلماسة (*المصدر*، ص. 148)، لكن السياق التاريخي للمنطقة وسك النقود بتدغة يؤكدان أن المدينة لم تختف، اللهم إلا إذا كان الأمر يتعلق بمدينة حقيقية أخرى تسمى ترغة أو أنه كان يقصد بكلمة "عمارتها" ازدهار سجلماسة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (10 م)، وهذا الافتراض الأخير له كذلك ما يبرره.

من خلال المعطيات السالفة الذكر، يمكن التأكيد أن تدغة كانت مزدهرة أواخر القرن الثاني وفي القرن الثالث الهجري (8 ـ 9 م)، ونعتقد أن المنجم بدأ يفقد أهميته ابتداءً من القرن الرابع الهجري (10 م) وربما كان هذا سببا في إغفال البكري لذكر المنجم خصوصا وأنه كان ينقل أخباره عن التجار والمسافرين وعن كتابات القرن الرابع الهجري. وسك النقود بتدغة يبرز لنا عدة معطيات عن تاريخ المدينة، فنلاحظ مثلا أن دار السكة بهذه المدينة أصدرت نموذجين لردهمين إدريسيين سنتي 172 هـ / 788 م و174 هـ / 790 م ثم نجد بعد ذلك إصدارات لدراهم "خارجية" من سنة 175 هـ إلى 177 هـ / 791 م ـ 793 م)، ويمكن أن نقدم فرضية في هذا الباب، مفادها أن المدينة كانت قبل سنة 175 هـ / 791 م تحت سيطرة الأدارسة لتنتقل بعد ذلك إلى سيطرة الخوارج الصفرية ابتداء من سنة 175 هـ ولا يستبعد هذا في إطار الصراع الذي كان قائما بين الأدارسة والخوارج. وفي السياق السالف الذكر، يمكن وضع ما ذكره البكري، حول اليسع وسيطرته على معادن درعة وفرضه المكوس عليها وكما ذكرنا، فقد تولى السلطة سنة 174 هـ / 790 م، كما أننا لا نتوفر على دراهم إدريسية سكت بتدغة بعد 174 هـ.

أما عن أسباب اختفاء مدينة تدغة فيمكن أن نقدم عدة احتمالات :

ـ الاحتمال الأول : أن المغرب دخل في القرن الرابع الهجري (10 م) في حركية جديدة من المبادلات مع السودان عقب توقف الخط التجاري مصر ـ غانا أواخر القرن الثالث الهجري (9 م) (ابن حوقل، *صورة الأرض*، ص. 65). وأن هذه الحركية كانت وراء اختفاء مجالات تبادل أو بروز أخرى، ولا شك أن الخط التجاري سجلماسة أودغست أحيى المجالات الاقتصادية المخترقة ومن بينها تامدولت ومنجمها للفضة، فظهور هذه المدينة ابتداء من القرن الثالث الهجري (9 م) تحت سيطرة الأدارسة يمكن أن يفسر تقهقر تدغة، فلم تعد المنجم الوحيد في المغرب الجنوبي، بل إن وجود تامدولت على الخط التجاري الذي سيأخذ أهمية خاصة في القرن الرابع الهجري، سيعطي لها فرصة تموين التجارة المغربية السودانية بالفضة.

ـ الاحتمال الثاني : أن النشاطات المنجمية والتعدينية اتجهت نحو الشرق من الموقع الرئيسي لإيمضر، وتشتت الاستغلاليات في جبل صاغرو ـ كما تدل على ذلك الصور الجوية ـ ساهم في تفكيك التركز السكاني، مما أدى إلى الاختفاء التدريجي للمدينة، وقد تتزامن هذه العملية مع القرن الرابع الهجري.

ـ الاحتمال الثالث : أن سكان إيمضر (تدغة) استغلوا المياه الجوفية الموجودة في الخندق "أ" بواسطة خطارة نقلت الماء إلى أقا المعدن الذي يخترق مجال التجمع السكاني الموجود إلى الجنوب الغربي من الخندق "أ"، ودلت التحليلات المختبرية أن المياه الجوفية تحمل نسبا عاليا من الزرنيخ، واستعمالها يؤدي حتماً إلى انقراض الحياة بصورة تدريجية.

إن القيام بحفريات منتظمة مع تحاليل مختبرية في موقع إيمضر، يمكن أن يكشف عن ماضي تدغة في تفاصيله الدقيقة، وبالتالي يمكن لهذه المعطيات الكشف عن جزء هام من تاريخ الأدارسة والخوارج الصفرية بالمنطقة.

ابن خرذاذبه، *المسالك والممالك*، ليدن 1889 ؛ المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، بيروت 1983 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريز 1965 ؛ الخريطة الطبغرافية بومالن 1 / 100.000.

الموساوي العجلاوي

* * تذكر كتب التاريخ أن تدغة عرفت في القرن الثاني والثالث للهجرة ازدهاراً اقتصادياً في ظل إمارات محلية حتى إن تدغة أصبح لها شأن أكثر من سجلماسة حسب

الباحثة "جاك مونيي" (Jacques Meunié). وقد ترددت بين الاستقلال تحت حكم أمير خارجي ثم تحت التبعية لحاكم دمنات من بني إدريس، حسبما تبين من الأبحاث الأخيرة للباحث دانييل أوستاش (D. Eustache). كما حكمتها الأميرة زينب التي ضربت السكة باسمها هناك. وقد كانت تدغة خلال الفترة الممتدة فيما بين 175 هـ و200 هـ تُـمِدُّ الدولة الادريسية بالدراهم حيث وجدت عملة إدريسية ضربت بتدغة، كما كانت تزود هذه الدولة بمادة الفضة التي يوجد معدنها فيها. وهذا ما دفع بالأدارسة لمد نفوذهم إلى تدغة حوالي عام 223 هـ في عهد يحيى بن إدريس الثاني. ويستفاد من كلام البيذق أن تدغة دخلت في طاعة الموحدين أيام خلافة عبد المومن حيث جاء في أخبار المهدي (ص. 51) : "...ثم وصلنا لموضع يقال له "تدغت" ووجد به أيت علي وسكور ومنكور ووجد موسا بن حماد متاع أسامرن أيت سنان فترك بها ابن وظيب..." وقام أبو حفص الموحدي بنفس الحركة إلى أيت سنان بتدغة بعد وفاة عبد المومن. ويذكر الناصري في *الاستقصا* (7 : 80) "أن أهل تدغة شاركوا في جيش المولى إسماعيل لقتال قبائل فزاز البربريين سنة 1104". وقد كانت تدغة بعد ذلك من المناطق الآهلة بالسكان حيث يذكر "أبو القاسم الزياني" في *الترجمانة الكبرى* (ص. 67) : "... وما قابل إدخسان وفازاز خلف جبل درن أقاليم ثلاثة : تدغة وفركلة وغريس غير متصل بعضها ببعض، وبها قصور وقرى ونخيل وبساتين ومزارع وأمم لا تحصى".

ويذكر في *البستان الظريف* المعارك التي دارت بين جيوش المولى سليمان وقبائل أيت عطا في الواحات. وجهوده لإخضاع هذه الواحات ومن جملتها واحة تدغة حيث يقول : "... ووجه المولى سليمان محلة أخرى مع عامل سجلماسة محمد السريري فنزل ملوية... فتوجع لسجلماسة ومنها فرق المحلة على أقاليم الصحراء درعة والفائجة وتدغة وفركلة وغريس وزيز ومدغرة والرتب فجنى أموال تلك النواحي وقرر عماله وخلائفه بكل إقليم ومهد طرق الصحراء ورجعت العساكر".

وفي عهد السلطان الحسن الأول ولي "الجيلالي الدمناتي" قبائل بوگماز وتدغة وأيت عطا ومغران ودادس،

تدغة
قصر تاوريرت ن إيمزلن

غير أنه لم يتمكن من التصرف فيها. والذي يهمنا هو أن الوزير المعطي بلعربي كتب إلى الجيلالي الدمناتي بتاريخ 9 ذي القعدة 1310 هـ في شأن تدغة كتابا على لسان السلطان الحسن الأول يأمره فيه أن يباشر الأمور معهم على مقتضى إيلافهم واستياقهم للخدمة، وأن يسوسهم بالحسنى وأسلوب الحكمة.

وبعد توقيع معاهدة الحماية واندلاع المقاومة في تافيلالت بزعامة مبارك بن حسين التوزنيني وخليفته بلقاسم النگادي أصبحت تدغة تكتسي أهمية بالغة من الناحية الاستراتيجية بالنسبة للقيادة العامة للأركان الفرنسية، ذلك أنها ترى في احتلال تدغة ضربة لمقاومة تافيلالت إذ يحرمها ذلك من قاعدة خلفية ويمنع هذا الاحتلال قبائل أيت عطا من المساهمة في المقاومة. وفي هذا الإطار نظمت حملة باشا مراكش التهامي الگلاوي إلى تدغة في أواخر 1918 وبداية 1919.

وقد كان الگلاوي على رأس جيش بلغ تعداده عشرة آلاف جندي يؤطرهم ضباط الشؤون الأهلية برئاسة الجنيرال "دو لا مـــوط" (De La Mothe). وأنشأ الگلاوي حامية عسكرية مقرها تينغير، كما شيد قصبة له وعين خليفة بتدغة وبذلك تم تطويق المقاومة بتافيلالت. كما أن احتلال تدغة مكّن الاستعمار الذي حلت جيوشه بشكل نهائي بتدغة سنة 1931 من قاعدة لتوسيع الاحتلال نحو الأطلس الكبير والأوسط وصغرو. وظلت تدغة خلال العهد الاستعماري مركزاً هاماً للشؤون الأهلية لمراقبة تحركات قبائل أيت عطا المجاهدة.

البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط 1971. ؛ ح. الوزان، *وصف افريقا*، ج 2، 1983 ؛ أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19*.

G. Raclot, *La vallée de Todra*, Rabat, 1936 ; D. Eustache, *Le corpus des dirhams Idrissites*, *B.S.H.M.*, n° 2, 1969, p. 27.

عبد القادر بوراس

التدغي، عبدالكريم بن علي بن محمد بن علي بن عمرو الدرعي، نسبة إلى تَدْغُوتْ ـ عربت إلى تَدْغَة ؛ وهو مدشر قديم يقع على الطريق الواصلة بين تافيلالت ومراكش. ومن ثم عرفت، طوال التاريخ ؛ كمرحلة رئيسية في تلك الطريق، وسوق جهوي هام يَلتقي فيه أهل دادس وأهل درعة بقبائل أيت سدرات وأيت عطا.

أخذ التدغي عن جماعة من علماء وقته من أشهرهم أبو الحسن علي المراكشي، وأبو علي اليوسي. ورحل إلى المشرق، حيث أدى فريضة الحج ولقي علماء أخذ عنهم، كما زار بلاد الشام.

قدم إلى زاوية تامگروت الناصرية قبل أعوام التسعين وألف ؛ وحظي لدى الناصريين بمكانة مرموقة، بسبب علو كعبه في ميدان العلم. فكان من بين من استقطبهم الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، عن طريق المصاهرة، إذ زوجه أخته سارة بنت مَحمد ابن ناصر. فاستقر بالزاوية وعكف على التدريس والإفتاء طوال حياته.

ومن بين أشهر تلامذته محمد المكي بن موسى

الناصري، ومحمد بن عبد الله الحوات قاضي شفشاون ؛ وهو الذي رثاه عند موته بقصيدة مطلعها :

سل الطالع الغربي من نحر درعة
سؤال الشجي المشتاق عن جيرة الأيك

(*نشر المثاني*، 3 : 240)

ومنهم أيضاً أحمد بن صالح الدرعي الذي قال عنه : "وقد أقام عندنا مدة تزيد على العشرين يوماً، أفادنا فيها ما هو أهل له من العلوم التوحيدية والأحاديث النبوية، وغير ذلك من العلوم والإشارات الأدبية" (*الدرر المرصعة*، 314. 315 ؛ *الدرة المجلية*، 218. 220).

وكان محمد بن عبد الله الحوات كاتبه المختص به.

توفي عبد الكريم التدغي بتامگروت ليلة الخميس التاسع عشر من جمادى الأولى سنة 1132 / 1720 ؛ ودفن بمقبرة أبي القاسم الشيخ على مقربة من الزاوية الناصرية.

محمد المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3 ؛ م. الخليفتي، *الدرة المجلية*.

أحمد عمالك

التدميري، أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله. أصله من تدمير بشرقي قرطبة، نشأ بألمرية، وأخذ عن جماعة من العلماء منهم أبو الحجاج ابن يسعون وأبو محمد بن الدبيري وأبو محمد بن عطية ومحمد بن عمر، وأبو الوليد ابن الدباغ وأبو علي الصدفي، لقيه بمرسية سنة 510 هـ.

انتقل إلى بلاد المغرب، وسكن مدينة بجاية مدة، وفيها ألف كتابه *نظم القرطين، وضم أشعار السقطين* جمع فيه أشعار الكامل للمبرد، والنوادر لأبي علي البغدادي، ألفه برسم محمد بن علي ابن حمدون وزير بني الناصر الصنهاجيين.

استقدمه عبد المؤمن بن علي الكومي بعد ذلك إلى مراكش لتعليم أبنائه وتأديبهم، فصار من مرافقي الخليفة وعلماء القصر السلطاني، وقد رافق الخليفة في حركته الشهيرة إلى إفريقية سنة 555 هـ، وحضر معه فتح مدينة المهدية.

كان عالماً لغوياً نحوياً أديباً منكباً على التأليف في اللغة والنحو، فزيادة على الكتاب السابق، ألف كتاب *تسديد قواصر الميز في شرح شواهد ابن عزيز* وهو في شرح شواهد كتاب *نزهة القلوب* في غريب القرآن لمحمد ابن عزيز، كما ألف كتاب *التوطئة* في النحو، وكتاب *التصريح لشرح غريب الفصيح* الذي لايزال مخطوطاً، وكتاب *الفوائد والفرائد*، وكتاب *شفاء الصدور* شرح به أبيات الجُمل للزجاجي، وفرغ من تأليفه سنة 538 هـ، ويصفه ابن عبد الملك بأنه "كتاب جم الفائدة كثير الإمتاع"، واختصره صاحبه بكتاب سماه *المختزل*.

توفي بمدينة فاس بعد رجوعه من حركة إفريقية سنة 555 / 1160.

ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة، 1955، ج 1 : 65 ؛ ابن الأبار، *المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي*، القاهرة، 1967، ص 39 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، تح. إحسان عباس، بيروت، ج 1 : 236 ؛ القفطي، *إنباه الرواة*، القاهرة، ج 1 : 154 ؛ ج. السيوطي، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، القاهرة، 1964، ج 1 : 321 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص 138 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974، ج 2 : 68 ؛ عمر رضا كحالة، *معجم المؤلفين*، دمشق 1957، ج 1 : 260 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، بيروت ؛ م. عبد الله عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، ج 1 : 469 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، 1983، ج 3 : 287.

محمد المغراوي

ترابة نادرة (Terres rares) (أو لانتانيد Lanthanides)، مجموعة من خمسة عشر عنصراً معدنياً ذات خاصيات كيميائية متقاربة، موزعة على الصخور الصهارية بكثافة جد ضئيلة. حسب الرقم الذري المتزايد يمكننا تمييز ثلاث مجموعات من الترابة النادرة :

1 ـ السكنديوم Scandium، والإيتريوم Yttrium (الرقم الذري من 21 إلى 39).

2 ـ لانتان Lanthane، سريوم Cerium، پرازيوديم Praseodyme، نيوديم Neodyme، پرومثيوم Prometheum، سَمَريوم Samarium (الرقم الذري من 57 إلى 62).

3 ـ أوروپيوم Europium، غادُلنيوم Cadolinium، ترْبيوم Terbium، دسْپروزيوم Dysprosium، هولميوم Holmium، أربيوم Erbium، تليوم Thallium، إيتّربيوم Yttrium، لوتيسْيوم Lutecium (الرقم الذري من 63 إلى 71).

تدخل عناصر مجموعة اللانتانيد في تركيبة عدة بلورات كالصوانات والكربونات والفوسفاطات. والتنكستينات، وخصوصاً المونازيت التي تعتبر أهم معدن للانتانيد (وخصوصاً اللانتان والسريوم) وأحياناً التوريوم.

استعمالات الترابة النادرة عديدة وجد مهمة، ونذكر منها على سبيل المثال، صنع أسلاك النرنست (مصابيح تستعمل في المختبرات) ؛ والخزف العازل ؛ وصقل الزجاج، وصنع ماصات الزجاج، والزجاج الاستشعاعي والضيائي ؛ وصنع القوس الكهربائي ؛ وصناعة المعادن، والالكترونيات، والكيماء العضوية، وتصوير القطع المعدنية بالأشعة، والفحص الطبي بالأشعة، والطب الصيدلي (كمُطهِّر، وكمضاد للتّقَيُّء، وضد المُخَثِّرات، ولمعالجة داء السل، والمعالجة بالأشعة)، وأخيراً في ميدان الفلاحة حيث تساعد على نُموِّ النباتات، ومعالجة الخشب بالتمعدن.

نجد الترابة النادرة بالمغرب في مستويين رمليين رفيعين وتابعين للأكادي بالأطلس الصغير، وكذلك في صخور

الكربوناتيت المصاحبة لصخور السّبنيت في تمازيرت بالأطلس الكبير عند ميدلت. وتشتمل هذه الأخيرة على كميات لا بأس بها من النيوبيوم والمونازيت. ولقد عرفت المونازيت في الصخور الأعبلية ببنگرير، وأغبال تافراوت (الأطلس الصغير).

A. Foucault et J.F. Raoul, *Dictionnaire de géologie*, 3ème Paris, 1988 ; E. Saïdi, *Lexique de géologie et de géomorphologie (Français - Arabe)*, Rabat, 1990 ; I. Kourimsky, *Encyclopédie des minéraux*, Paris, 1986 ; R. Duda et L. Rejl, *La grande encyclopédie des minéraux*, Paris, 1989 ; *Géologie des gites minéraux marocains : Substances métalliques et non métalliques*, 2ème ed. t. 1, Rabat ; P. Lapadu-Harpes, *Précis de minéralogie*, Paris, 1954 ; R. Fouet et Ch. Pomerol, *Minerais et terres rares*, Paris, 1954 ; D.A. Mineyev, *Geochimical differentiation of the rare earths*, *Geochemistry* 12, 1963 ; L. H. Ahrens, *Distribution of the elements in our planet*, New-York, 1965.

عبد الله بوصحابة

تراث الإسلام، (Legadu del Islam). عنوان نشرة شهرية ثقافية كان يصدرها القسم العربي للمكتبة العامة بتطوان بالعربية والإسبانية، في خمسين صفحة من حجم 215 × 160 م م. ولم يصدر منها سوى أحد عشر عدداً من شهر يناير إلى شهر نوفمبر 1948 ؛ وكان مديرها أحمد المكناسي ورئيس تحريرها محمد ابن عزوز حكيم.

م. ابن عزوز حكيم، *فهرس خزانة الصحف العربية بتطوان*، 1953 عدد 107 ص 35.

محمد بن عزوز حكيم

التراث المغربي، منه تراث إنساني يندرج فيه كل معلمة أو موقع أثري يتميز إما بجانب أو جوانب ترتبط بالمساهمة في الحضارة الإنسانية وتطويرها بالشكل الذي جعل من الإنسان ومن الجماعات البشرية تلك المجموعات الذكية الخلاقة والمتطورة الإبداع.

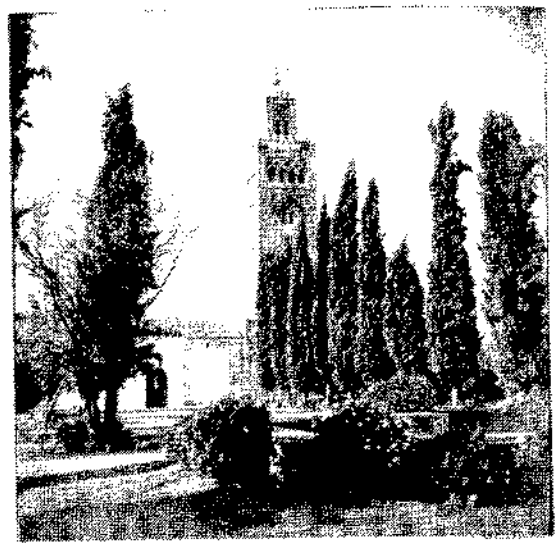

تراث وطني : منارة الكتبية بمراكش

ولما كثرت هذه المآثر وأصبحت مهددة بالإتلاف الجزئي أو الكلي أمام تحديات العصر، عملت منظمة اليونسكو منذ سنة 1972 على وضع اتفاقية أممية تجمع مائة وأربعاً وثلاثين دولة من الدول الأعضاء (إحصاء 1993) وتجند طاقاتها من أجل الحفاظ على هذا التراث وصيانته. ومن أجل أن تتوفر الفعالية اللازمة عملت اليونيسكو على خلق أدوات إدارية هي "لجنة التراث العالمي" المكونة من واحد وعشرين عضواً ينتخبون من بين ممثلي الدول الموقعة على الاتفاقية، و"صندوق التراث العالمي" الذي يجمع المساهمات والتبرعات ويوزع المساعدات على من يحتاجها من الدول.

على أن هذه الاتفاقية لا تنحصر في التراث الثقافي أي ذلك الذي يعود لخلق الانسان وإبداعه، وإنما تجمع كذلك التراث الطبيعي الذي أبدع فيه الخالق جاعلا منه مواقع جذابة، أو مَواطِن لأنواع من مخلوقاته الحيوانية أو غير ذلك.

تراث إنساني : قصبة أيت بن حدو (ورزازات)

ويتوفر المغرب على مجموعة هامة من المواقع المقترحة للتسجيل في لوائح التراث الإنساني أو العالمي، سجل منها إلى اليوم في إطار المواقع التراثية الثقافية كل من مدينة فاس ومدينة مراكش وقصبة آيت بن حدو القريبة من ورزازات، وفي لائحة المواقع الطبيعية المتميزة موقع سيدي بوغابة بالقرب من المهدية وموقع ماسة بمنطقة سوس، وكلاهما يعتبر مسكناً متميزاً لأنواع من الطيور.

أما التراث الثقافي فهو كل ما خلّفه الآباء والأجداد وما تركته الأجيال السالفة من مقومات مادية وروحية تتميز بها الجماعات والشعوب بعضها عن بعض.

وقد تعمقت الرؤى وتعددت الأفكار حول الموضوع في ضوء الاهتمامات التي ظهرت وتطورت مع نشر المعرفة وتقوية الوعي بقيمة الخاصية التراثية وقوتها في حياة المجتمعات. هكذا نجد المقاربات والتعريفات تتراوح ما بين من يرى في التراث الثقافي أنه توارث الممتلكات من جيل إلى جيل، ومن يرى فيه كل ما يعبر عن "العبقرية الخلاّقة" للشعوب، ومن يحدد مفهومه في قيمة الأشياء بغض النظر عن أثمنتها، أو يوسعه ليجعل منه ضمان الحاضر بفضل الارتكاز على الماضي، أو إبداعاً مقدساً لا يمكن تغييره دون أسباب قاهرة، أو مجموعة متميزة من الممتلكات الموروثة الخ...

ومهما يكن فمفهوم التراث ينبثق من فكرة الإرث والتوارث، بمعنى أن حضور الماضي لا ينفي البعد الآتي ولا البعد المستقبلي حتى إن علاقة جدلية ما بين هذه الأبعاد

الثلاثة يكون الأول فيها المصدر والأساس، ويبرز الثاني المظهر والارتباط ليبقى الثالث عنوان الاستمرار والبقاء تبقى سارية ما دامت الأصالة هي التي تتحكم في كل مستوى من مستويات التعامل مع الموروث وما انبثق عنه.

وتختلف الاشارة إلى هذا الموروث من جهة إلى أخرى باختلاف النظرة إلى ما يختزنه مفهومه كما سلف. على أننا لا نجد سوى لفظين لا ثالث لهما في معجم المصطلحات الدالة عليه وهو "التراث" أو "الممتلكات" الثقافية.

ويتميز التراث الثقافي المغربي بتنوعه وغنى مقوماته. ويمكن تقسيم هذا التراث إلى ما هو مادي وإلى ما هو غير ذلك. أما المادي فتدخل في تعداده المواقع الأثرية وما تخبئه من آثار، والمعالم التاريخية وما تحمله من ثقل تاريخي وحضاري، والمباني المتميزة كالقصبات والقصور الترابية المنتشرة في المناطق الجنوبية للمملكة والمخازن الجماعية المعروفة "بالأگاديرات". وتدخل كذلك في هذا الباب المنشآت الأخرى كالمدارس والمساجد والأضرحة والقصور والدور الخصوصية، والمرافق التي ترتبط بهذه البنايات كالكتاتيب القرآنية والخزانات والسقايات العمومية، والمطاحن المائية المنتشرة في أزقة المدن وفي البوادي، والحمامات. ويدخل ضمن التراث المادي كذلك التحف الأثرية والفنية التي خلفتها الأجيال. ومن أهم ما قد يغيب عن فكر العامة في هذا الباب المسكوكات والنقود. وكذا المخطوطات التي تحمل بين طياتها عصارة الفكر الوطني في كل الحقول المعرفية.

أما التراث غير المادي فيجمع كل ما يدخل في خانة العادات والتقاليد الشعبية من كيفية عيش الناس، وتعاملهم فيما بينهم ومع محيطهم الاجتماعي والطبيعي، وكيفية إقامة حفلاتهم وتخليد أعيادهم وذكرياتهم... كما تدخل فيها كذلك الحرف والصنائع من باب التعليم والتوراث التقني والمعرفي، وكذلك الفنون الاستعراضية والموسيقى الشعبية التي تستمد مادتها وروحها من المجتمع الذي يبدعها. ويبقى التراث اللغوي الأداة الأساسية التي بواسطتها تنتقل المعارف المتعلقة بكل ما سلف، والتي تتميز بها أكثر من غيرها الشخصية والثقافة الوطنيتان.

معلومات خاصة.

A. Adam, *Bibliographie critique de sociologie, d'ethnologie et de géographie humaine du Maroc*, Alger, 1972 ; A. Bourdin, "Le patrimoine culturel et les systèmes de valeurs", dans *Droit du patrimoine culturel immobilier*, Tours, 1986, p. 9 - 16 ; C.R.E.S.M., *Culture et société au Maghreb*, Ed. du C.N.R.S., 1975.

عبد العزيز توري

ثـرارة، عين غزيرة المياه تبلغ سرعة تدفق مياهها خمسة لترات مكعبة في الثانية، وتقع بقبيلة بني شكر (إقليم الناظور) ؛ وقد سميت بترارة نسبة إلى أسرة أتت من جبل ترارة بالجزائر ونزلت بالقرب من العين المذكورة في القرن الثامن الهجري (14 م).

وفي عهد الحماية استبدت السلطات الاستعمارية الإسبانية بمليلية بالعين المذكورة وجلبت مياهها إلى المدينة السليبة ؛ وإلى يومنا هذا لازال هذا الوضع الغير قانوني على ما كان عليه، في الوقت الذي كان فيه المغرب تحت الحجر والحماية.

ملف سري كان بأرشيف نيابة الأمور الوطنية بتطوان في عهد الحماية.

محمد بن عزوز حكيم

التربة المغربية (مدخل منهجي). اتساعُ رقعة المجال الجغرافي المغربي وتوفرُه على الخصوص على تنوع نادر المثال من القواعد الصخرية من حيث طبيعتها وأعمارها وبنياتها، واشتمالهُ على فسيفساء هائلة من الأوساط الطبوغرافية والبيومناخية، قد أهله إلى تطوير شبكة من الأتربة المتعددة. تختلف هذه الأتربة إذن باختلاف جباله وهضابه وسهوله وسواحله وصحاريه، وتعكس تأثير الركائز الصخرية التي تنطلق من الرواسب الحديثة والحالية، لتتوغل في المواد القديمة المنتمية لما قبل الزمن الأول إلى حدود ثلاثة ملايير من السنين، عبر كل الأحقاب ممثلةً تمثيلاً وافياً.

يتوفر التراث المغربي على تصنيفات لهذه الأتربة.

ومن جملة التسميات الشائعة : الدُّهْس، المَطيل، الفَرْشَاش، الطُّوگ، التِّيرس، المَرْجَة، الملاّحة، المرْزاق، الرَّمل، الحَرْش، الحصْبة، البيَّاضة، الحَمْري ... لكن مضامين هذه المصطلحات وغيرها تختلف بصفة متفاوتة من إقليم لآخر. كما أن نفس الكيان الترابي يحتمل أسماء مختلفة حسب الأعراف واللهجات، لذا يصعب اعتماد هذه التصانيف ما دامت لم تُضبط مضامينُها ضبطاً علمياً كافياً، ولم تحصر لائحتها قصد التعميم على أساس الأصلح.

صحيح أن هناك بعض المصطلحات التي ارتقت إلى مستوى العالمية مثل التيرس وأخرى أقل منها مثل الحمري والبياضة والرَّمل. لكن معظم الدراسات والخرائط الموضوعة من طرف مختلف الأجهزة التقنية والجامعية قد اعتمدت لحدّ الآن التصنيف الفرنسي للأتربة. مع انفتاح قليل في الآونة الأخيرة على التصنيف الأمريكي.

التصنيف الفرنسي للأتربة تصنيف تطوري خلافاً للأمريكي الذي يعتمد الخاصيات التشكيلية. وهو يشتمل على اثنى عشر قسماً تتفرعُ إلى تحت أقسام ومجموعات وتحت مجموعات، وغيرها من التجزئات (فصيلة، سلسلة، صنف، مرحلة) التي تُطرق حسب الحاجة إلى الزيادة في التخصيص.

المفروض أن هذه الأقسام تغطي كل الأتربة الموجودة في العالم. ومن المثير للاهتمام أن الأتربة المغربية تقدم نماذج لعشرة من هذه الأقسام الاثني عشر. حيث نجد بالمغرب قسم الأتربة المعدنية الخام، والضعيفة التطور، والمتقلبة، والأندوترية، والكلسمغنيزية، والسيدبالية، والمسمَرّة، وذات أكسيد نصفات الحديد والمنغنيز، والميهة والصودية.

وحتى بالنسبة للقسمين المتبقيين (الرُّمْدات والأتربة المتحدِّلة) فهناك ما يدل على وجود آثار لها، حيث يُظن أن بعض أتربة الريف الغربي قد عرفت تطوراً رمدياً (البودزول). في حين أن الأتربة المتحدِّلة التي لا تنتشر إلا في النطاق الاستوائي الشديد الرطوبة والحرارة، لا نعرف لها في المغرب إلا بعض النماذج الأحفورية المتخلفة عن فترات بيومناخية قديمة، والتي احتفظت بجل خصائصها بفضل دفنها من طرف مواد رسوبية أو بركانية لاحقة.

صحيح ان المغرب لا يتوفر إلا على بعض مستويات التخصيص الداخلة في هذه الأقسام وليس كلها : فمثلاً الأتربة المتقلبة لها خصوصيات محلية تجعل مصطلح التيرس المشتق من التصنيف البلدي أنسب للواقع المغربي.

الأتربة السيدبالية تنقصها أصناف البلاد الباردة على الخصوص. أما الأتربة ذات أكسيد نصفات الحديد فهي ممثلة هنا بأحد شقيها الكبيرين المدعو بالمتحدْسِل، في حين الشق المتحدِّد المنتسب للبلاد المدارية لا يوجد إلا في صيغته الموروثة والمحدودة الانتشار. جل أتربة هذا القسم مصبوغة بِحُمرة أكاسيد الحديد، لذا فهي معروفة في المغرب حسب التصنيف البلدي بمصطلح الحمري، الشديد التعميم.

لم تَحْظَ الآنْدُو تُرْبَة بالعناية الكافية من حيث الدراسة، وهي أتربة تتطور على حساب القواعد البركانية، يَكُون جزءٌ من عناصرها ذا طبيعة غير متشكلة. تشغل فصيلة متخصصة منها حيزاً واسعاً في الأطلس المتوسط الغربي مثلاً على أساس المواد البازلتية الشديدة الصلابة وتراكمات الرماد البركاني المنتمية للرباعي الأوسط، وذلك في مجالات متروكة للغابة وبوارات الرعي، تكاد تكون فارغة من السكان. يتطلب استثمارُها معرفةً أفضل للقاعدة الترابية.

أما الأتربة المُسْمَرَّة فهي مبدئياً لا تتطوروتنتشر إلا في البلاد المعتدلة. لكن يبدو أن السلاسل الجبلية الرئيسية (الريف والأطلسين المتوسط والكبير) تضم فصيلة خاصة من فصائلها لم يَتوقعها الترتيب العلمي المعتمد، وهي موجودة على ارتفاعات متفاوتة حسب طبيعة الصخور وتوجيه السفوح. وجود هذا النوع من الأتربة الرفيعة في المناطق الجبلية التي تفتقر في الغالب إلى التربة الجيدة يمثل احتياطياً جديراً بالعناية.

تَحَفُّظٌ آخر يُمليه واقع الدراسات. ذلك أن مُدرّج السهول والهضاب الزراعية المنفتح على المحيط في الشمال الغربي للبلاد، هو وحدَه الذي حظي بالدراسة الكافية مع بعض الإضافات الأخرى مثل سوس وطريفة.

معرفة أتربة الجبال ما زالت في بداياتها مع أنها أمر ضروري وملحّ للثروات التي تختزنها هذه المناطق والدور الذي تلعبه في إيواء وتعهد القسط الأوفر من الغابات المغربية، كما أنها تحافظ على توازن السفوح وصيانتها من تأثير عوامل التعرية. وهي كذلك تضمن تسرب المياه إلى الفرشات القريبة والعميقة التي تغذي العيون وتضبط توازن أنظمة الجريان في الأنهار، ملطفة بصفة متفاوتة الأوضاع المتطرفة للجفاف والفيضان. هذا العمل الحيوي لا يخص الجبال ذاتها ولكنه يمتدّ إلى كل المناطق الزراعية الغنية والآهلة بالسكان، على الخصوص عبر شبكات سبو وأم الربيع وملوية وسوس وزيز.

أما المناطق الصحراوية والهضاب العليا الشرقية فهي من هذا المنظور تعتبر مجاهل، يقتضي تحسينُ ظروف العيش فيها المسحَ الميداني الشامل بحثاً عن المواطن المعزولة التي تتركز فيها التربة المستقرة، بالإضافة إلى الموارد المائية بالطبع، مع تحليل خصائصها ونماذج الاستعمال الملائمة.

موضوع بهذا المستوى من الشساعة والشمول، تصعب معالجتُه في مقال واحد. لذا، توخياً لبعض التفصيل والدقة، وتحاشياً للتكرار فإن كل نوع من الأتربة الأساسية يأتي في مدخل خاص به. يعرض كل مدخل لتعريف التربة المعتبرة وتحليل خصائصها التشكيلية والتحليلية والتطورية، وتوزيع نماذجها عبر التراب الوطني. يتم الاعتماد على التصنيف الفرنسي بالدرجة الأولى وكذلك على المصطلحات البلدية ذات الضبط الكافي، مع الربط بينهما حسب الإمكان.

تتحقق جل الإحالات انطلاقاً من المصطلحات الترابية الواردة في هذا التقديم. كما أن الأنواع القليلة الشيوع يأتي التعرض لها بمناسبة دراسة المظاهر الطبيعية لمختلف الأقاليم المغربية وظروف استعمال التربة فيها.

C.P.C.S., Commission de Pédologie et de Cartographie des Sols, Classification des sols, 1967 ; MAMVA-DCFCC, *Carte des sols du Maroc* (1 : 2 000 000), 1994 ; Soil Survey Staff,1975, *Soil Taxonomy : a basis system of soil classification for making and interpreting soil survey*, USDA-SCS Agri. Handb. 436, Washington DC.

إدريس الفاسي

* * استغلال التربة في المغرب. كثيراً ما تستعمل في نعت المجالات الريفية عبارتا "استغلال التربة" ، "استعمال التربة" بدون تمييز. في حين أن الاصطلاح الأخير يعبّر عن توطين المجالات حسب كيفية تنظيمها الإنتاجي أو الوظيفي (فلاحة، صناعة، سياحة ... أو مزروعات وسكن ومروج ومرافق ومراعي ...). بينما يتضمّن اصطلاح استغلال التربة مفهوماً من جهة أضيق، لأنه ينحصر في المجال الفلاحي، ومن جهة أخرى أوسع، لأنه يتطرق في آن واحد لخصائص المشهد والنظام الزراعيين. إذ يتمّ تحديد الخطوط العريضة للأشكال المرتبطة بالحقول، من سكن ودير وسياج وشبكات المواصلات والريّ ... وكذا تعيين بعض عناصر النظام الزراعي (أنواع المزوعات وأسلوب الانتاج والكثافة الفلاحية ...) في تفاعلها مع الظروف البشرية والعوامل الطبيعية.

تفضي دراسة استغلال التربة إلى تقسيم مجالي تشبه وحداته إلى حدّ بعيد "المزروعات" على مستوى محلي و

"المناطق المتجانسة" على صعيد جهوي أو وطني. من هذا المنطلق يمكن تقسيم المغرب إلى 18 منطقة متجانسة تعتبر إطاراً لوصف يمهّد للبحث والتنقيب عن العوامل الحاسمة في تحديد الخصوصيات المحلية. وتجدر الإشارة إلى أن تغيير المقياس، من المحلّي إلى الجهوي، يدعو بالضرورة إلى تحويل التصوّر المجالي المتجانس، حيث تصير الوحدات الكبرى أكثر شمولية وتعميماً (بل وغموضاً)، نظراً لاتساع نطاقاتها واعتمادها على أمثلة ونماذج مختلفة الدّقة. كما أن بعض المناطق المتباعدة قد تضمّ فيما بينها إلى نوع واحد من المناطق المتجانسة إذا كانت تتسم بخاصيات تنظيمية ومؤهلات فلاحية مماثلة.

تتألف المجموعة الأولى من ثلاث مناطق متجانسة تعتبر أُولاها أغنى المجالات الفلاحية على الإطلاق، وتتميّز بمؤهلات وبزراعة متنوعة وعصرية كثيفة في إطار حيازات متوسطة وكبيرة يملكها الخواصّ والدّولة والشركات والتعاونيات. كما تتميّز بسكن مفكك على العموم وذي كثافة مرتفعة. يتعلق الأمر من جهة بالقطاعات المسقية الكبرى المكوّنة من الغرب واللوكس وملوية السفلى ودكالة وتادلة والحوز وسوس، ومن جهة أخرى بالسايس وممرّ إناون وبعض السهول الأطلنطية الوسطى (الشاوية السفلى وغرب عبدة). وتليها منطقة غنية نسبياً تشمل التلال ما قبل الريفية ومنطقة طنجة التي تعدّ وحدة طبيعية واقتصادية انتقالية بين جبال الريف والسهول المجاورة. ويتخذ سكانها بنية متجمّعة حول الحيازات الصغيرة التي يسود فيها رعي الأبقار والحبوب وقليل من المغارس ذات المردودية المرتفعة.

تتكوّن المجموعة الثانية من منطقتين متجانستين إحداهما متقطعة أيضاً. تتسم الهضبة الوسطى السفلى والساحل الأطلنطي الشمالي بموارد مائية ضعيفة نسبياً ورعي غابوي وزراعة بعلية تستغلّ بتقنيات متواضعة داخل حيازات مجهرية. كما تتسم بسيادة الحبوب ذات المردود المتوسط وبالسكن المتفرّق ذي الكثافة المتوسطة. وتتركب الهضاب والتلال الأطلنطية الزراعية من الشاوية العليا وهضبة الفوسفاط والبحيرة وساحل دكالة والشياظمة وحاحة، وتنتمي إلى منطقة تطبعها خصائص مماثلة نسبياً للمنطقة السابقة، مع مساحة أكبر للذرة والشعير وتعميم أوسع لمراعي الأغنام وكذلك المعز في التلال الأطلنطية التي ترعى في ما تبقى من غابة العرعر والأرگان. كما تشتهر بوجود أغنى شريط شاطئي (الوليدية) مخصّص للزراعات البقلية المغلالة جداً والمسقية بطريقة الضّخ.

تتسع وسط أجزاء المنطقة السابقة منطقة الكتل والهضاب الاطلنطية الرعوية التي تتألف من الرّحامنة والجبيلات والگنطور، التي تتوفر على مقومات غير ملائمة. نتيجة لذلك نتيجة نشاطها الموروث إلى الانتجاع المُرفق محلياً بزراعة الشعير الخفيفة على حيازات صغيرة جداً نصفها جماعي أو گيش. رغم ذلك فالكثافة السكانية تقترب من المتوسط. وفي أقصى شمال المغرب يمثل الريف الأوسط والغربي منطقة مغايرة تغطي الغابة والمراعي نصف مساحة جبالها المرتفعة التي تعاني سفوحها تعرية سنوية نتيجة للتساقطات الغزيرة. من مميّزاتها مغارس الزيتون الممتدّة بين وزان وتاونات وزراعة الحبوب والقطاني في الأودية والسفوح السفلى، مع رعي تكميلي للمعز على الخصوص. ويتوزع السكن الكثيف في هذه المنطقة وفق بنية متجمعة على العموم.

يتميز الأطلس المتوسط بتنوع كبير لرساتيقه المحلّية خارج غابات البلوط التي تمثل نصف مساحته وتكسو السفوح الشمالية والغربية. كانت تعرف المنطقة إلى عهد قريب بالترحال، لكن الاستقرار يسود اليوم لصالح تملك الأراضي الزراعية في السفوح والأودية وبعض الأجزاء الهضبية وبالأساس لصالح تربية الماشية التي تحظى بأكبر قطيع في المغرب للمعز وخصوصاً للأغنام. كما يتميز الدير في الهوامش الغربية والشمالية الغربية بزراعة متدرجة وكثيفة مروية بالسواقي الممتدّة من المنابع الضخمة. ويعتبر الأطلس الكبير الغربي أعلى منطقة في المغرب، تغطيها كذلك غابات في السفوح الموجّهة نحو الشمال. ترتبط الحياة البشرية بمساحة قابلة للزراعة ضعيفة تتوزّع على المنخفضات والأودية العديدة، حيث تقام زراعة سنوية وشجرية بمقربة القرى، تضاف إليها تربية الأغنام والمعز على الخصوص. وبجوار الأطلس المتوسط تبدو الهضبة الوسطى العليا وكأنّها منطقة جبلية بالنظر إلى تقطعها الشديد. تعرف هي كذلك استقراراً حديثاً للسكان وتتوفر على قطيع مهم من المعز والأغنام، إضافة إلى زراعة الحبوب المعاشية خارج بعض الأحواض والسّفوح التي تبرز فيها بعض ملامح الزراعة العصرية المرتفعة المردود.

استغلال التربة

تنتشر في الشمال الشرقي منطقتان متحاديتان ذاتا خصائص متقاربة. تتركب أولاهما من الريف الشرقي والسلاسل الشرقية التي تتوفّر على ظروف طبيعية غير

ملائمة وعلى مساحة محدودة قابلة للزراعة ومخصّصة لزراعة بعلية للشعير وبعض الأشجار أو للزراعة المسقية المتعددة المحاصيل في بعض الأودية. لكن الكثافة السكانية، ولأسباب مختلفة، ترتفع بطريقة ملحوظة في جبال الريف الشرقي وبني إزناسن. أمّا جنوب وغرب جبال جراده ودبدو فتظهر فيها بعض المجالات الحلفاوية معلنة بذلك جفاف المناخ الذي يضطر بعض القبائل إلى الرعي المتنقّل. وتتكوّن منطقة حوض ملوية من أراضٍ منخفضة يتوسطها نهر ملوية، مناخها قاحل كلما اتجهنا نحو الجنوب، يجعل الغابة تندثر وغطاء الحلفاء والشيح ينتشر. هنا كذلك، وباستثناء الجزء الشمالي الأقصى، تقام زراعة بعلية معاشية يتخلّلها كثير من البوار لصالح الانتجاع والترحال. على أن الجزء الشمالي الشرقي ومدرجات ملوية تعرف زراعة مسقية متنوعة بواسطة الآبار أو السواقي.

أما المناطق الجنوبية والشرقية المتبقية فتعيش حياة فلاحية على وتيرة الجفاف وعلى تنظيم كلّه تأقلم مع ضغوطه. في الأطلس الصغير والأطلس الكبير الغربي الأقصى لاتتيسّر الزراعة المحدودة المساحة بدون ريّ. ويتم اللجوء إلى تربية المعز على الخصوص داخل غابة الأرگان التي تشكل ثلث المساحة الإجمالية او بالتنقل صيفاً نحو القمم. ويتخذ الفلاحون سكناً متجمعاً ضعيف الكثافة الإجمالية نسبياً. بينما السهول القاحلة الأطلسية المكونة من مناطق الحوز الغربي وورزازات وتافيلالت هي عبارة عن أحواض وسهول تقطعها مجاري مائية نابعة من الاطلس الكبير. ويتمركز النشاط الزراعي بها غالباً في النقط المسقية والواحات المتوزعة بصفة خاصة بين درعة وزيز، مع تربية الأغنام في المنخفضات والمعز في السفوح. وفي أقصى شرق المغرب تحتل الهضاب العليا مساحات منبسطة شاسعة وشبه خالية من السكن القارّ. وتتضمّن هذه المنطقة أعلى نسبة للأراضي الجماعية على الصعيد الوطني (أكثر من النصف). ويكاد يشكل الترحال النشاط الفلاحي الوحيد على مدى مختلف وسط غطاء الحلفاء. ومع ذلك يعتبر القطيع قليل العدد نسبياً. وغير بعيد عن هذه المنطقة يمتدّ الأطلس الكبير الشرقي الأوسط وصاغرو على مساحة كبيرة جل أراضيها جرداء ومراعٍ يسود فيها الانتجاع والترحال رغم تقلص قطيعها بالمقارنة مع المناطق الأطلسية الأخرى. ولا تستوطن الزراعة إلاّ في قليل من الأودية التي تجهز بالسواقي.

أخيراً، يحتدّ القحط في الجنوب ويفرز كُبريَيْ المناطق المغربية، واحدة ما قبل صحروية وأخرى صحراوية تماماً. يتكون الممرّ ما قبل الصحراوي من أحواض تعلوها حمادات، حيث لا تصبح الزراعة ممكنة إلاّ في الفترات المطيرة وعندما تفيض مياه وادي درعة أو في الواحات التي تترتب على طول خط شمالي يربط گلميم بفگيگ وترعى الأغنام والمعز طليقة في المراعي أو متنقلة إلى حدود الأطلس الكبير والصغير. أما في الصحراء فكانت أفواج القبائل الرحل تنتقل بين درعة والأطلس الصغير والتخوم الموريطانية والجزائرية. واليوم يكتفي بزرع بعض الوهدات الصغيرة (الغرارات) في السنوات الرطبة، وكذا بالزراعة المسقية في بعض القطاعات الصغيرة، حول المدن الرئيسية (اسمارة، العيون، الداخلة).

إحصائيات وزارة الفلاحة : م. عياد، المناطق المتجانسة الريفية ضمن التحوّلات الاجتماعية الجالية في الارياف المغربية (ندوة)، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 1994، ص. 7-19.

مصطفى عيّاد

التربية الوطنية. لم يكن المغرب يتوفر قبل سنة 1920 على أداة مسؤولة عن شؤون التربية والتعليم. وفي هذه السنة أسس ظهير 26 يوليوز 1920 أول إدارة تربوية كانت تسمى إدارة المعارف، وقد تحولت هذه الإدارة في سنة 1955 إلى "وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة" ثم تحول اسمها ابتداءً من سنة 1956 إلى وزارة التربية الوطنية. وفي سنة 1962 انقسمت هذه الوزارة إلى قسمين : وزارة التعليم الابتدائي والثانوي ووزارة التعليم العالي. وفي سنة 1977 عادت الوزارتان إلي الاندماج في وزارة واحدة هي وزارة التربية الوطنية الحالية التي تشرف على جميع القطاعات التعليمية في البلاد بواسطة هيأتين إداريتين : شؤون التعليم الأساسي والثانوي وأمرها موكول إلى كاتب عام خاص بها، وشؤون التعليم العالي ولها أيضاً كاتبها العام الذي يشرف على تسييرها. وتقوم هاتان المؤسستان تحت إشراف كاتبيهما العامين بتنسيق وتنشيط أعمال جميع المصالح الإدارية المركزية والخارجية التابعة لهما وذلك تحت المسؤولية المباشرة لوزير التربية الوطنية.

ففيما يخص التعليم الأساسي والثانوي تقوم وزارة التربية الوطنية على الصعيد المركزي باعداد وتنفيذ السياسة الحكومية في هذين المستويين من التعليم، كما تسهر على مراقبة التعليم الخاص.

وتتكون الإدارة المركزية للتعليم الأساسي والثانوي، بالإضافة إلى ديوان الوزير، من الكتابة العامة والمفتشية العامة، وإليهما يوكل أمر تنسيق وتنشيط مصالح التعليم والسهر علي تطبيق القرارات الوزارية ومراقبة المصالح الخارجية وموسسات التعليم والتكوين ومختلف الإدارات التربوية والمفتشيات. وبناء على ما يتوفر لها من معلومات تساهم في تصور الاصلاحات التربوية وتهييئ الدراسات والقيام بالبحوث الإدارية والتربوية. وتتألف هذه الهيأة المركزية من عدة إدارات عليا تدعى مديريات تتكون كل واحدة منها من عدة أقسام تضم بدورها مجموعة من المصالح والمكاتب.

فمديرية التعليم الابتدائي تتكون من قسم البرامج وقسم التأطير والمراقبة التربوية وقسم إدارة مؤسسات التعليم الابتدائي وقسم الأعمال التكميلية. وهي تقوم بمراقبة مؤسسات السلك الأول من التعليم الأساسي على

المستوى الإداري والتربوي وتهيئ البرامج وتسهر على تطبيق التعليمات والطرق التربوية وتتبع إعداد الكتب المدرسية وتسيير برامج التعليم الاولي. في حين تقوم مديرية التعليم الثانوي المتكونة من قسم البرامج وقسم التأطير والمراقبة المختصة وقسم إدارة مؤسسات التعليم الثانوي وقسم التعليم التقني وقسم التربية البدنية والرياضة بنفس المهام الموكولة إلى المديرية السابقة في مرحلة التعليم الثانوي.

وتعد مديرية التعليم الأصيل التي تضم قسماً خاصاً بالتعليم الثانوي الأصيل وقسماً مكلفاً بالتعليم العالي الأصيل برامج التعليم الأساسي والثانوي والعالي وتشرف على التأطير التربوي والإداري في مؤسسات التعليم الأصيل. وتشرف مديرية التعليم الخاص التي تحتضن قسماً مسؤولاً عن الدراسات والرخص وقسماً مكلفاً بالتأطير التربوي وآخر خاصاً بالمراقبة على تسليم رخص فتح المؤسسات الخاصة ومراقبة البرامج والتجهيزات والتأطير التربوي في قطاع التعليم الخاص.

أما مديرية تكوين الأطر التي تتألف من قسم تكوين أطر التعليم الثانوي وقسم تكوين أطر التعليم الابتدائي وقسم التكوين المستمر وقسم الاذاعة والتلفزة المدرسية فتعمل على تكوين الأطر التعليمية والإدارية وتعد برامج التكوين الأولي والمستمر بتعاون مع المديريات الأخرى، وتسهر على تسيير مؤسسات ومراكز تكوين الأطر التعليمية وأطر التخطيط والمراقبة التربوية. وتشرف مديرية الشؤون الإدارية التي تتكون من قسم الميزانية وقسم الاقتصاد وقسم التسيير وقسم الحسابات على تسيير الداخليات والمطاعم المدرسية والممتلكات العقارية والمنقولة الخاصة بالوزارة. وتعمل بتعاون مع المديريات الأخرى على إعداد ميزانية التسيير وتراقب صرفها وتضبط المحاسبة وتسيير الشؤون ذات الطابع الاجتماعي.

وتتكلف مديرية شؤون الموظفين التي تضم قسم موظفي التعليم الابتدائي وقسم موظفي التعليم الثانوي وقسم الموظفين الإداريين والمعاشات وقسم الشؤون التأديبية بتسيير شؤون مختلف الأطر التعليمية والإدارية التابعة لقطاع التعليم الأساسي والثانوي وتطبق المقتضيات القانونية والتأديبية على هذه الأطر. وتقوم مديرية التخطيط التي تتكون من قسم الدراسات والأهداف وقسم الخريطة المدرسية وقسم الاعلام المدرسي والتوجيه وقسم الاحصاءات وقسم البناءات المدرسية وقسم المشاريع الممولة وقسم التجهيز بإعداد وتوزيع الإحصائيات المتعلقة بالتعليم الأساسي والثانوي وتهيئ الدخول المدرسي. كما تحدد اختيارات تنمية التعليم وتحضر ميزانية الاستثمار وتسهر على تتبع برامج التجهيز والبناءات المدرسية وتراقب التوجيه المدرسي والجامعي وتنجز أبحاثاً تتعلق بالتخطيط والتقييم التربوي.

ويسهر مركز الإعلاميات بالوزارة على تنفيذ وتتبع برامج مكننة أنشطة التسيير الإداري للمصالح المركزية والخارجية التابعة لقطاع التعليم الأساسي والثانوي. أما المركز الوطني للتكنولوجيات التربوية فيقوم بتنسيق الأعمال المتعلقة بانتقاء واقتناء ومراقبة توزيع وصيانة الوسائل التعليمية.

ويتبع مباشرة للكتابة الخاصة لوزير التربية الوطنية المفتش العام المكلف بالتعاون الذي يشرف على قسم التعاون والعلاقات الثقافية. كما يرتبط به مباشرة قسم الامتحانات وقسم التشريع والشؤون العامة وقسم الشؤون الاجتماعية وقسم التوثيق والمعادلات وقسم الصحة المدرسية والوقاية من الحوادث ومركز الاعلاميات.

ويمثل الوزارة في مختلف العمالات والأقاليم نيابات إقليمية تعمل على تطبيق التعليمات الصادرة إليها من المصالح المركزية. كما تقوم الأكاديميات على الصعيد الجهوي باعداد وتنظيم امتحانات الباكالوريا وتنشيط المراقبة التربوية وتطبيق البرامج والمناهج في التعليم الثانوي وإنجاز أبحاث ودراسات ميدانية في مجال التقويم التربوي. وتستشار الأكاديميات أيضاً في مشاريع إصلاح التعليم والتأهيل المهني وتساهم في وضع الخريطة المدرسية ومخططات تنمية التعليم وتنظيم وتنشيط مختلف التظاهرات الاجتماعية والثقافية الموازية.

أما على مستوى التعليم العالي فيقوم الكاتب العام للتعليم العالي بمسؤولية تسيير المؤسسات الجامعية والمعاهد العليا بالاعتماد على ست مديريات وقسم واحد. هذه المديريات هي مديرية التعليم العالي وتتكون من قسم العمل البيداغوجي والتكوين المستديم وقسم التكوين القصير والمتوسط وقسم التعليم الجامعي. وهناك مديرية البحث العلمي والتعاون الجامعي وتضم قسم التوجيه وتخطيط البحث وقسم التقييم وشبكات البحث العلمي وقسم التعاون. وتتكون مديرية التقييم والمستقبلية من قسم الاحصائيات والخريطة الجامعية وقسم المستقبلية والتقييم وقسم التخطيط الخاص بالموارد البشرية. وتضم مديرية الشؤون الطلابية والعمل الاجتماعي قسم المنح وقسم الرياضة والشؤون الاجتماعية وقسم الإعلام والتوثيق الجامعي، في حين تتألف مديرية الشؤون القانونية والتعليم العالي الخاص من قسم النصوص التنظيمية وقسم المعادلة بين الشهادات والمنازعات وقسم التعليم العالي الخاص. أما مديرية الشؤون الإدارية والمالية فتضم قسم الموظفين وقسم المباني وقسم التجهيزات وقسم الميزانية والتسيير. وهناك قسم منفرد هو قسم المعلوماتية الذي يتكون من مصلحة الدراسات والبرمجة ومصلحة الاستغلال.

المملكة المغربية، حركة التعليم في المغرب خلال الفترة 90 ـ 91 ـ 1992، التقرير المقدم إلى الدورة الثالثة والاربعين المؤتمر الدولي للتربية جنيف، الرباط 1994 ؛ *وزارة التربية الوطنية، الدخول المدرسي والجامعي بالارقام 93 ـ 1994*، الرباط 1993 ؛ عبد القهار لعلاوي ومحمد البخاري، *النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية*

والاصلاح الإداري، تنظيم واختصاصات الوزارات، الرباط 1992.

Les tendances des réformes de l'enseignement dans les pays du Maghreb, Actes du *Colloque Euro-arabe sur la structuration des enseignements primaires et secondaires au Maghreb*, Rabat, 1992 ; A. Kamal, *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S. Fac. Sc. Jur. Econ. et Soc., Rabat 1983 ; K. El Ouazzani, *Coûts et rendements de l'enseignement supérieur au Maroc*, Casablanca, 1991 ; K. Mosdik, *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993 ; A. Baïna, *Le système de l'enseignement au Maroc*, 3 tomes, Casablanca, 1981 ; M. Merrouni, *Le problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993 ; J. Minot, *L'entreprise éducation nationale*, Paris, 1970.

محمد بوسلام

تَرْتَانَة، (سفينة جهادية). مشتقة من الكلمة الإيطالية Tartana التي يعتقد أنها من أصل عربي "طريدة"، تطورت شكلا واستعمالا فأصبحت اليوم في معجم السفانة العصرية تعرف تحت لفظ "طراد". استعملت الترتانة في البحر المتوسط خلال العصور الوسطى في مجال الصيد والنقل الساحلي القصير قبل أن تدخل في عداد السفن الحربية.

ومع اكتشاف الجهاد البحري للمجال الأطلسي، كانت الترتانة الأبرز حضورا به، حيث تؤكد مختلف الوثائق أنها كانت أول وحدة في أسطول الجهاد السلاوي منذ سنة 1026 / 1617، متطورة عن سابقتها، بحمولة 150 طنة تقريبا، وأصبح لها صاريان اثنان بشراعين لاتينيين ـ حسب ل. برونو ـ ومجهزة بحوالي ثلاثين مجذافا وعشر قطع مدفعية، زيادة على تميزها بالخفة والسرعة والمرونة في الانقياد.

وحول هذه الترتانة تكون الأسطول الجهادي السلاوي من مختلف الأحجام والأنواع، ليتراجع دورها إلى الاقتصار على العمليات القريبة من السواحل، واندراجها في نطاق السفن الصغيرة الحمولة، قبل أن يندثر حضورها تدريجيا في نهاية القرن الحادي عشر (17 م) مع اتساع نطاق العلميات بعيدا عن الساحل المغربي، وتفضيل السفن المتطورة مثل البولاكر والبينك والكرافيل.

De Castrie, *S.I.H.M.*, 1ère série, T. III, p. 115 ; L. Brunot, *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat et Salé*, p. 250 ; R. Coindreau, *Les Corsaires de Salé*, p. 89.

حسن أميلي

الترتيب العزيزي، إصلاح جبائي عام للضرائب وللإدارة المكلفة بها، حلت بموجبه ضريبة محددة على الممتلكات والمتمولات، محل النظام الضريبي السابق الذي كان يرتكز على الزكاة والأعشار والتكاليف المخزنية. وقد لجأ المغرب سنة 1901 إلى إصلاح شامل للضرائب وطرق جبايتها في القبائل واشتهر المشروع تحت اسم "الترتيب" وهو لغة يعني التنظيم.

لم يكن مشروع ترتيب 1901، الوحيد من نوعه الذي عرفه المغرب. بل كانت له سابقة في عهد السلطان الحسن الأول (1873 م ـ 1894 م)، فقد حاول أن يصلح نظام الجباية بحيث يخضع له الأجانب والمحميون والمغاربة جميعا، بعد أن كانت الامتيازات قد أساءت لمالية الدولة. لكن معارضة الأجانب عرقلت المشروع الذي طبق بشكل جزئي على المغاربة سنة 1884.

وتلخص الإصلاح الحسني في تعيين أمناء وأشياخ بالقبائل كلفوا بجانب العمال والقواد بمراقبة أحوال السكان، وإحصاء ممتلكاتهم وتقدير الضرائب والنفقات بشكل جماعي. لم يلغ الترتيب الحسني الزكاة والأعشار والكلف المخزنية، بل سن ضوابط لكيفية فرض هدايا الأعياد والزكوات والأعشار، وتكاليف المخزن مثل السخرة والمؤونة والضيوف والحركة. وكان الهدف هو تخفيف أعباء الجباية على الفلاحين، حتى لا يلتجئوا للاستدانة أو المخالطة مع الأجانب.

أما ترتيب سنة 1901، فكان إصلاحاً جذرياً في أهدافه وفي تطبيقه. فحسب نص المشروع، كان الهدف هو سلوك سياسة جبائية تراعي العدل والمساواة بين الناس، وتلغي الامتيازات والإعفاءات الجبائية التي كان عدد كبير من المغاربة يتمتعون بها، كما تغير الترتيب العزيزي بخصوصية هامة، هي إلغاء الزكاة والأعشار وكل التكاليف المخزنية.

وإذا تساءلنا عن حقيقة الأهداف التي توخاها الإصلاح الجديد، فسنجد الجواب في الظهير الذي بعثه السلطان إلى الحكام وإلى القبائل فقد أكد على النقط الآتية :

- حفظ مصالح الرعية وتنميتها.
- علاج أحوال الناس ورفع الأذى والاعتداء عنهم بسبب الجباية.
- حسم خلافات السكان مع الحكام ومعاونيهم من الأشياخ والخلفاء.
- إلغاء الامتيازات والإعفاءات وإخضاع الجميع للجباية بمن في ذلك الحكام والأشراف ورجال الدين.
- تحديد دور الحكام في حماية الأمن وإجراء الأحكام ومنعهم من التدخل في فرض الأموال على الناس إلا بنص صريح من السلطان.

وهكذا فالترتيب العزيزي، بصفة عامة استهدف معالجة الأدواء التي كان الجسم المغربي يشكو منها، بسبب الأزمة المالية، وتعسف الولاة في الجباية، وركون عامة الناس إلى التنافر والاختلاف والتقاعس عن أداء الحقوق الواجبة ؛ والتسارع إلى الانغماس في الفتن. وكل هذه المظاهر المرضية كانت تجد المناخ المشجع لنموها في كثرة تدخل الأجانب في شؤون البلاد الداخلية مستغلين الحمايات القنصلية والمخالطات مع المغاربة.

لقد أعلن الترتيب في ظرفية داخلية خاصة، وفي وقت تزايدت فيه الضغوط الاستعمارية الفرنسية على حدود المغرب الشرقية، فكان الهدف المتوخى هو كسب وسائل الصمود المادية، وسحب الذرائع من أمام التدخل الأجنبي.

إذا كانت هذه هي الأهداف والدوافع الموضوعية من

وراء إعلان الترتيب العزيزي سنة 1901، فهل كان هناك تدخل خارجي في أمر إعلان الترتيب في تلك السنة ؟

هناك نظريتان تشيران إلى الدوافع الخارجية من وراء الترتيب :

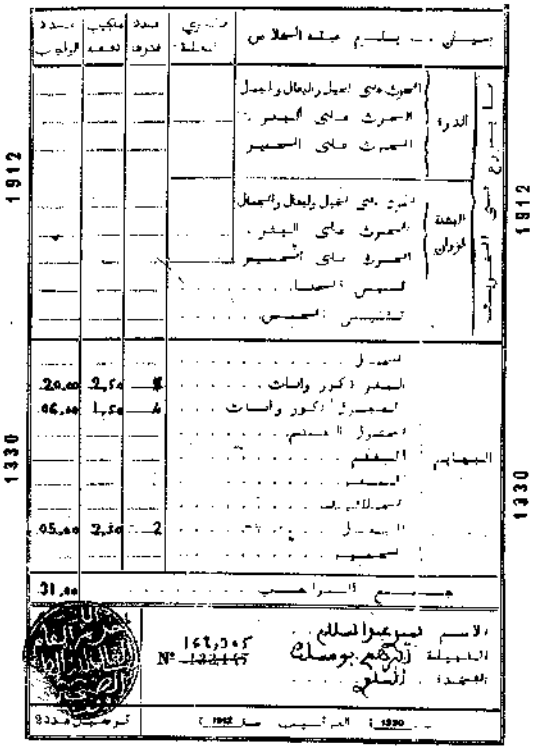

النظرية الأولى، يتفق فيها كاتب مغربي هو المشرفي في مؤلفه *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مع السفير الفرنسي سان روني طايندي S.R. Taillandier في مؤلفه *أصول المغرب الفرنسي*. وملخص هذه النظرية أن الأنجليز هم الذين أوحوا للوزير المهدي المنبهي بفرض الترتيب.

النظرية الثانية، يتفق فيها كاتب أجنبي مع كاتب مغربي كذلك : فغابريال مورا G. Maura الإسباني، ذكر أن الذي أوحى بالإصلاح الجبائي هم الفرنسيون، للوزير عبد الكريم ابن سليمان. وأن هذا الأخير هو الذي بادر بالدفاع عن الفكرة داخل المخزن الذي طبقها، لكن البعثة الفرنسية عارضت الترتيب لما رأت التطورات التي أعقبته مباشرة.

أما محمد غريط، في *فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان*، فيؤكد الفكرة نفسها بقوله : "وأشار ابن سليمان بترتيب الجباية على نهج سوي ونمط أوربوي واستحلاف الموظفين على المصحف الكريم على أن لا يقبضوا رشوة من مدّع ولا من غريم، لينقطع تظلم الرعية من عمالها وتثق بالأمن على أموالها" (*فواصل الجمان*، ص. 98).

والملاحظ أن كلتا النظريتين لهما ما يبررهما وما يؤيدهما : فلا نستبعد تلقي المخزن لنصائح من بريطانيا وفرنسا. ولا نستبعد أن يكون الانجليز هم الذين تحمسوا للإصلاح الجبائي وأيدوه. كما لا نستبعد أن يكون الفرنسيون قد أبدوا نصائحهم للمخزن، في إطار ضرورة التنسيق بين المغرب وفرنسا لإنجاح أي مشروع يريد المغرب إنجازه.

ومعنى هذا أن فكرة الاصلاح الجبائي فكرة داخلية، نابعة من ضرورة محلية تهم المغاربة. وهم الذين تصوروا كيفية تطبيقها وتنفيذها ثم عرضوها على الدول الأجنبية وخاصة أنجلترا وفرنسا ؛ علماً بأن فكرة الترتيب معروفة عند المخزن منذ سنة 1884.

ويظهر أن السفارات التي بعثها المغرب لأوربا سنة 1901، والتي قادها وزير الخارجية عبد الكريم بن سليمان ووزير الحربية المهدي المنبهي، كان هدفها إقناع فرنسا وأنجلترا وألمانيا وروسيا بتأييد مشروع الإصلاح الجبائي، فقد طلب المهدي المنبهي، مثلا، من برلين ولندن قبول الترتيب وذكر من جملة الدوافع التي حدت بالمخزن إلى تطبيقه "الصعوبات السياسية والمالية الخطيرة التي سببها العدد الكثير من المحميين الأوربيين" (*وثائق دبلوماسية فرنسية*، 1905).

والواقع أن البعثات الدبلوماسية الأجنبية، قد عارضت الترتيب في البداية ثم قبلته. ولم توافق عليه البعثة الفرنسية إلا بتاريخ 26 نونبر 1903. لقد عارض الفرنسيون الترتيب، في إطار صراع النفوذ بينهم وبين الانجليز، وحذروا السلطان من العناصر البريطانية العاملة داخل المخزن. وهددوا باتخاذ إجراءات معينة إذا منح السلطان للأنجليز امتيازات خاصة.

وهكذا، نكتشف في النهاية، أن دوافع إعلان الترتيب كانت متعددة. بيد أن الدافع الداخلي كان غالباً. أما التأثيرات الخارجية، فتتلخص، ليس في مساعدة دولة أوربية معينة للمغاربة على إصلاح شؤونهم، بل في عمل المغاربة على إيقاف النزيف المالي لخزينتهم، والتدهور السياسي لنفوذهم، والاحتلال الأجنبي لبلادهم (احتلت فرنسا صحراء المغرب الشرقية بما فيها توات سنة 1900) ؛ عن طريق القيام بإصلاح يسحب الذرائع والمبررات من الأجانب حتى يخضعوا لدفع الضرائب الفلاحية، أو على الأقل حتى لا يمانعوا في دفع محميهم ومخالطيهم للضرائب المستحقة على نشاطاتهم الاستغلالية بالبلاد.

أما كيفية تطبيق الترتيب فقد بين ظهير الترتيب كيفية تطبيقه، فقرر أن تطوف بالقبائل لجان خاصة، تتكون كل لجنة من عدلين وأمين، يلتحق بهم في عين المكان نائب عن قائد القبيلة. وحددت مهمة كل لجنة في إجراء إحصاء شامل للممتلكات (الأرض ـ الأشجار) والمتمولات (البهائم ـ المواشي..) لكل مالك، وتقدير الضريبة الواجبة حسب تعريفة وحيدة تدفع سنويا على أنواع البهائم والمواشي وعلى مزارع الحرث والبحائر والسواني والأشجار المثمرة على اختلاف أنواعها هكذا :

المتمولات والأملاك	الترتيب الواجب سنوياً
على كل رأس من الإبل	ريال واحد *
رأس من أبكار الأبل	نصف ريال
رأس من البقر	نصف ريال
ضرائب البقر ذكوراً وإناثاً	ربع ريال
100 رأس من الغنم	عشرة ريالات
100 رأس من المعز	خمسة ريالات
كل رأس من الخيل والبغال	نصف ريال
كل رأس من الحمر	بسيطة واحدة
100 شجرة من الزيتون المستغل واللوز	خمسة ريالات
100 شجرة من الليمون بأنواعه ومن النخيل	ريالان اثنان ونصف
100 شجرة من شجر العرد الرقيق البحائر والسواني	ريال واحد وربع ريال يقوم ما يحرث منه كل سنة ويعطى عليه نصف العشر.
المزروعات في الأرض الخراثية تقدم حسب أزواج الحرث :	زوجة الابل والخيل والبغال عشرة ريال زوجة البقر خمسة ريال زوجة الحمير ريالان اثنان ونصف

(*) الريال لفظ اسباني يعني ملكي، كان الريال المغربي يطلق خلال القرن التاسع عشر على قطعة نقدية تزن 29 غراماً من الفضة تقريباً. في حين كان الريال الاسباني يزن 25 غراما وكذلك الفرنك الفرنسي.

هذه هي المقادير التي رتبت على كل نوع من الأملاك أو المتمولات. وقد توعد السلطان كل من أخفى شيئا من أملاكه، وظهر بعد البحث بمعاقبته وبمصادرة ما أخفى. وقد أكد السلطان على أن العامل لم يبق له أي دور في فرض أي شيء أو قبضه من السكان لأن أجرته عينت له من بيت المال فلم يعد له حق "مد اليد في متاع أحد من القبيلة أو لأخذ شيء بطمع أو حيلة وإنما حسبه رد البال وتأمين الطرق وإجراء الأحكام". وتمنى السلطان في نهاية الظهير أن يحمد رعاياه هذه النعمة ويلتزموا الهدوء وعمارة بلادهم.

هل حقق هذا الترتيب الطموح في أهدافه الإصلاحية ما كان يتنظره المخزن ؟ الواقع أن هذا الاصلاح الذي كان يؤمل منه أن يخرج المغرب من أزمته المالية، ويحسن أحوال الرعية، جاء بنتائج عكسية مخيبة للآمال. واعتبر عملا متسرعا جرّ على المغرب المصائب والويال. فما هي حقيقة العواقب التي انتهى إليها الترتيب العزيزي ؟

بعكس ما هو معروف، عن المعارضة العامة للترتيب، يظهر أن عامة الناس في القبائل، قد قبلت الترتيب واستحسنته. فمنذ تأكد الناس من أن الترتيب قد خلصهم من الفروض والتكاليف التي كان الحكام يتفننون في أنواعها ويتعسفون في جبايتها، تشبثوا بنصه. وقد انتقد بعض العلماء استحسان العامة للترتيب وهو ضريبة غير شرعية وكل ما خالف الشريعة ليس بحسن. والواقع أن الترتيب أزال ما كان يثقل كاهل الناس من التحملات. وما يرافق جبايتها من تعسف وإهدار للكرامة، الأمر الذي جعل السكان يبعثون برسائل يشكرون فيها السلطان. ودفع كثيراً من الفارين إلى العودة إلى بلدانهم وأدى في النهاية إلى تمول الناس واستغناء بعضهم.

وإذا كان هذا هو موقف عامة الناس، فإن الأمر بخلاف ذلك فيما يتعلق بموقف الخواص وأصحاب الامتيازات. فقد عارض القواد بالقبائل ورؤساء الزوايا الدينية وكل أصحاب الامتيازات من المغاربة والأجانب الترتيب العزيزي وعملوا على إفشاله. ولما صادف الحال ضعف الحكومة المركزية فإن الأمر انقلب إلى كارثة اجتماعية واقتصادية وسياسية. إذ استشرت الاضطرابات في كل مكان وتعطلت الجباية. ووجد الخاصة المناخ الملائم للدسائس والصيد في المياه العكرة. وإلى هذه النتائج أشار محمد غريط بقوله "وأحْبِبْ بها من خطة لو أنتج قياسها، وأثمرت غراسها، فارتاب العوام بهذا الترتيب ولاذ الخواص بالتحذير والترهيب وتوصلوا بتلك الضريبة إلى التضريب" (*فواصل الجمان*، ص. 9).

وقد ندد السلطان بتواطؤ القواد مع عناصر الفتنة وتقاعسهم عن إجراء الأحكام وتماطلهم في جمع ضريبة الترتيب وحملهم مسؤولية تعطيله. والملاحظ أن السلطان كان عاجزاً عن إرغام القواد على تطبيق الإصلاح، ليس بسبب عجزه عن القيام برد فعل ضد هذا القائد أو ذاك المرابط، بل بسبب تواطؤ بعض أعضاء المخزن نفسه. وعندما أعلن الثائر الجيلاني الزرهوني، المعروف ببوحمارة ثورته سنة 1902، تنفس ذوو الامتيازات الصعداء. ووجد القواد الفرصة سانحة للعودة إلى الفروض والتعسف، لما طالبهم السلطان بإرسال حركاتهم لمساعدته على إخماد فتنة بوحمارة، ونتج عن كل ذلك انتشار الاضطرابات في كل مكان، مما أدى إلى تعميق الأزمة المالية، وتدهور هيبة مولاي عبد العزيز الذي اضطر في النهاية إلى الاقتراض من الدول الاستعمارية مما نتج عن ذلك من نقص للسيادة الوطنية، ومن احتلال في النهاية.

ولما فرضت فرنسا حمايتها على المغرب سنة 1912، سارعت إلى تعميم تطبيق الترتيب على الفلاحين بعد أن غيرت فيه بما يخدم مصلحة نظام الحماية. ففي 25 نونبر 1913، صادق السلطان على تطبيق الترتيب الجديد، وكيفية اجرائه. بحيث قضى مشروعه بقيام لجنة للإحصاء، مكونة من القائد وخبير فلاحي ومن عدل معين من طرف المخزن، بإحصاء الممتلكات مرتين في السنة..

المدة الأولى : في شهر ماي ويونيو تحصى فيها الزراعات من حبوب وقطاني وأشجار مثمرة (الزراعات البكرية والمازوزية).

المدة الثانية : في شهر غشت، تحصى خلالها الحيوانات والزراعات الخريفية.

والجديد في هذا الترتيب، هو أن نظام الحماية ربط أجرة العمال ومساعديهم بجباية الترتيب. بحيث خصص عشرة في المائة من مدخول ضريبة الترتيب في قبيلة معينة لأجرة القائد (بنسبة 6٪) والشيخ (2٪) والخبير الفلاحي والعدل (1٪) لكل واحد منهما. وهكذا كلما ازدادت عائدات الترتيب في قيادة معينة كلما ارتفعت أجرة القائد وكلما

انخفضت نقصت الأجرة. ولهذا كان القواد والشيوخ في عهد الحماية الفرنسية، يتفننون في فرض واجبات الترتيب وتقديرها والتعسف في جبايتها، حتى غدت هذه الضريبة مكروهة من الفلاحين الذين كان مفروضا على كل واحد منهم أن يؤدي رسماً مقدراً على شخصه كان يطلق عليه ضريبة الأذن أو الرأس كواجب من واجبات الترتيب.

ويظهر الحيف الذي كان الفلاح المغربي معرضا له في إعفاء المستوطنين الفرنسيين من أداء نصف ضريبة الترتيب على أملاكهم الفلاحية.

لقد كان الأجانب يتهمون الحكام المغاربة بالتعسف في الجباية. ولما احتل الفرنسيون البلاد أخضعوا الفلاح المغربي لضريبة ظالمة ولتعسف القواد بهدف إخضاع المغاربة لإدارة صارمة وضمان ولاء تلك الإدارة على حساب السكان.

م. المشرفي، *الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية*، مخطوط خ. ع، الرباط ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، فاس 1927 ؛ *وثائق* خ. ح.، العهد العزيزي (رسائل عديدة) ؛ *ظهائر سعدية وعلوية*، مكروفيلم الخزانة العامة رقم 23 ؛ ع. الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، الدار البيضاء 1991 ؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان م. الحسن*، فضالة 1979 ؛ أ. التوفيق، *مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر*، (اينولتان 1850 - 1912)، 1978.

Saint René Taillandier, *Les origines du Maroc français, (Récit d'une mission 1901 - 1905)* ; G. Maura, *La question marocaine au point de vue espagnole*, Paris, 1921 ; E. Doutté, *Marrakech*; 1905 ; *Documents diplomatiques français affaires du Maroc, 1901 - 1905* ; Michaux-Bellaire, *Les morts marocaines, A.M.*, 1904, vol. I ; A. Ayache, *Le Maroc. Bilan d'une colonisation*. 1956, *Bulletin de l'Afrique Française*, 1912 - 1913.

علال الخديمي

التُّرجمان أو الطُّرجمان، أسرة أصلها من الجزائر، وقد هاجرت إلى تطوان سنة 1246 / 1830 حيث كانت معروفة إلى حدود سنة 1354 / 1435.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 204 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 334 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

الترجمة في المغرب، ارتبطت باسم يوسف الأول الموحدي صاحب فكرة ترجمة بعض كتب أرسطو التي قام بها ابن رشد الحفيد، كما أن عهد الدولة المرينية لم يخل من تراجمة رسميين ـ من الإسبانية والبرتغالية ـ أمثال أبي العباس ابن الكماد مترجم أبي ثابت عامر عبد الله بن يوسف المريني. كما ظهر في العهد الوطاسي ثاني ملوك هاته الدولة محمد البرتغالي ابن محمد الشيخ الوطاسي (1504 - 1524 م) الذي كان يتكلم البرتغالية.

وفي العهد السعدي، ظهرت طبقة من المترجمين أيام أحمد المنصور الذهبي حيث كانت الترجمة خاضعة لحافز أداء مهام آنية ومستعجلة، إذ نجد الوسيط الديبلوماسي الشهاب أحمد الحجري ـ ذي الأصل الأندلسي الذي أقام في المغرب حوالي أربعة عقود كترجمان، وترجم كتابا مجهول الأصل من اللغة الإسبانية، لا نعرف عنه إلا تسميته العربية : *العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع*.

جعلت الظروف التاريخية، وكذا الموقع الجغرافي، من المغرب قنطرة عبور للتيارات والحضارات ورابطة وصل بين القارات وخصوصا أوربا وإفريقيا. ومع بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر توسع الانفتاح على الخارج وتكاثر الاحتكاك باللغات والثقافات الأجنبية، حيث توالت البعثات إلى الشرق العربي وإلى أوربا. كما أن تعدد السفارات والدواوين وتبادل المبعوثين وخصوصا تكاثر عدد القنصليات، زاد من أهمية المترجمين وكذا من أهمية الترجمة.

ففيما يتعلق بالكتب العلمية، أشرف السلطان محمد ابن عبد الرحمان على ترجمة كتاب نيوتُنْ في علم الفلك وكذا ترجمة كتاب جوزيف جيروم للاَنْد وقد كتب له مقدمة يوضح فيها طابع المشروع والأهمية التي يعلقها عليه والكيفية العملية التي كان يباشر بها إشرافه على الترجمة بالتدخل الشخصي أو بالمتابعة المستمرة.

ومع توالي البعثات نحو الدول الأوربية، أحس المخزن بضرورة تأسيس مؤسسة لتعليم اللغات، فأنشأ السلطان الحسن الأول مدرسة الألسن بطنجة التي شكلت المحطة الأولى لتعليم اللغات وكذا لموقع مدينة طنجة الجغرافي والسياسي. وكان الموفدون إلى أوربا يقضون بهذه المدرسة فترة لتعلم اللغات قد تستمر حتى ست سنوات.

بدأت تتشكل في المغرب، في بداية القرن العشرين، البنيات التحتية والمؤسسات التي جعلت الترجمة من بين اهتماماتها : تأسيس جرائد ومجلات، كجريدة *السعادة* (1905)، التي كانت بمثابة الدعوة إلى الحداثة وترجمة النصوص من بين أهدافها ؛ فرفعت، وهي برئاسة السوري وديع كرم، شعار الدعوة إلى الترجمة وازدواجية اللغة، ذلك مع التركيز على العلاقات التي تربط المغرب بالشرق العربي. وكان للمثقفين المشارقة (سوريين ولبنانيين على الخصوص)، وكذا للتونسيين والجزائريين والمستشرقيين دور في ظهور الوعي بترجمة النصوص. ونشطت كذلك عملية ترجمة المؤلفات العربية والمخطوطات وأعراف المجتمع وتقاليده.

ومع بداية الحماية، أنشئت سنة 1912 المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية وأسندت لها مهمة تخريج مترجمين بقرار 12 ماي 1913، كما أن إدارة الشؤون الأهلية كانت تتوفر على مكتب للترجمة تابع للمقيم العام. وعملت الحماية على غرس الازدواجية اللغوية وإيجاد تواصل بين اللهجات المحلية واللغة العربية، وجعل اللغة العربية محمية بها.

بدأ الاعتناء بالترجمة الأدبية، خلال فترة 1920 - 1930، فظهرت ترجمة : *نفسي فداك*، والسيرة الذاتية لإيزابيل أبيرهار : *في ظلال الإسلام*، *وطرتيف* لموليير. وفي سنة

1934 أنشئت أول جمعية للترجمة والنشر، باقتراح من أحد أقطاب الترجمة في المغرب وهو عبد الكبير الفاسي الذي كان مع أحمد بناني ـ الداعي إلى الترجمة الجماعية ـ أهم أعضاء الجمعية إنتاجاً وإبداعاً.

وبظهور مجلة *المغرب* برئاسة الجزائري محمد صالح ميسة، ومجلة *السلام* إضافة إلى جريدة *السعادة*، نشطت مختلف الفعاليات الثقافية، آنذاك، لإبداء رأيها في موضوع الترجمة وأهميته. كما كانت هاته المجلات منبراً لنشر ترجمات لكثير من الأعمال.

عرف عقد الثلاثينيات نقاشا هاما حول أهمية الترجمة كوسيط ضروري للاحتكاك بالثقافات الأجنبية، ومن الذين ساهموا في هذا النقاش : محمد الحجوي وعبد الكبير الفاسي وأحمد بناني وعبد الله إبراهيم وعلال الفاسي وسعيد حجي. وقد اعتبر هذا الأخير الترجمة تلقيحا ضروريا للجسد الثقافي من أجل النهوض والتقدم.

وفي تاريخ 21 يناير 1937 أحدثت جمعية باسم "الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر". ترأس أعمالها مؤرخ المخزن آنذاك عبد الرحمن بن زيدان، وكلف برئاسة المجلس الإداري المؤقت عبد الكبير الفاسي في حين أسندت مهمة كاتب الجمعية لأحمد بناني. وحسب تصور هذا الأخير فإن الجمعية "لا تسعى فقط إلى إنجاز الترجمة بل تذهب إلى أبعد من ذلك، وتلاحق أطوار تأليفها ونشرها إلى أن تصل إلى القراء".

خلال العقد 1940-1950 تعددت وتنوعت النصوص المترجمة، ومما يميز هذه الفترة ظهور معجم عربي ـ فرنسي سنة 1942 نشره ليفي بروفنسال بعنوان : *معجم اللغة العربية المستعملة في القرن العشرين*. وهو يجمع أكثر من 3.000 كلمة كانت تتردد باستمرار في كتابات المؤلفين والصحافيين بالشرق الأوسط وإفريقيا. وكان الهدف منه هو ترجمة مفاهيم الحياة والفكر بكل تجلياتهما.

تعززت الدوريات والجرائد، في هذه الفترة، وبدأت تظهر ترجمات القصص الصغيرة والقصائد الشعرية. كما لم تقتصر الترجمة إلى العربية على المؤلفات باللغة الفرنسية بل ظهرت ترجمات عن الإنجليزية والإسبانية. وقد اهتم بالترجمة في هذه الفترة كل من أحمد بناني وعبد الكبير الفاسي وقاسم الزهيري وعبد العزيز بن عبد الله، إلخ.

كانت الانشغالات السياسية، خلال فترة المقاومة والعمل الوطني تطغى على الهموم الأدبية للترجمات ؛ بيد أن الملاحظ هو أن التوجه كان نحو الترجمات القصيرة ؛ ولم تقتصر الموضوعات على الأدب فقط بل همت مختلف العلوم الإنسانية، كما استمرت المجلات والجرائد في الاهتمام بإعادة نشر الإنتاجات المترجمة من المشرق. وقد كان إسهام مجلة *الثقافة المغربية* ومجلة *المغرب* هاما في ميدان الترجمة الأدبية. ومن الجرائد التي اقتحمت هذا الميدان :

المغرب لسعيد حجي ؛ *الأطلس* لمحمد اليزيدي ؛ *التقدم* لأحمد بن حسابن النجار ؛ *العلم* لعبد الجليل القباج ؛ *الشعب* لمحمد المكي الناصري ؛ *الحياة* لعبد الخالق الطريس؛ *السلام* لمحمد داود.

ومن الملاحظ في الميدان الأدبي، أن حظ ترجمة النثر كان أقوى من حظ ترجمة الشعر. ومن الذين اقتحموا هذا الميدان : عبد الكبير الفاسي ومحمد عزيز الحبابي وعبد الله إبراهيم ومحمد بن عبد الله ومَحمد باحنيني. ومن الأعمال التي تمت ترجمتها أشعار لإيلوار وهيكو، ولامارتين.

إذا كان اهتمام الترجمة، قبل 1956، منصباً أساساً على الإبداع الأدبي (ترجمة رواية دولاروشفوكو *لصوص المقابر* ورواية *نفسي فداك*، ومسرحية *طرتيف* لموليير، وعديد من القصص والأشعار)، فإن أهم ما يميز الفترة اللاحقة هو ترجمة الدراسات النقدية والشعرية والمؤلفات التاريخية والكتابات المتعلقة بعلم الاجتماع والفلسفة.

يقدم *رولان بارت* نموذجاً للناقد المتعدد الترجمات في المغرب وفي بعض الأحيان لأكثر من مرة للنص الواحد. ومما ترجم له :

ـ *درجة الصفر للكتابة* *Le degré zéro de l'écriture* (1957). ترجمة محمد برادة (1981).

ـ *النقد والحقيقة* (1966) *Critique et vérité* ترجمه لأول مرة إبراهيم الخطيب (1984).

كما همت الترجمة كتب جاكبسون وكلود كاهن وغيرهما.

ويدخل في هذا الباب أيضا الكتابات والمؤلفات المتعلقة بنظريات جديدة تتعلق بالسميائيات واللسانيات الشعرية ومناهج الدراسة الأدبية، والتي هي في الواقع نصوص مترجمة.

وبمبادرة من مجموعة من الأساتذة الجامعيين تأسست بالرباط، سنة 1980، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، وقد عملت منذ ذلك الحين على ترجمة مجموعة من الكتب تتعلق أساساً بتاريخ المغرب وحضارته، منها كتاب *وصف افريقيا*، للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، في جزئين، *وافريقيا* لمارمول كارباخال، في ثلاثة أجزاء، *وفاس قبل الحماية* لروجي لوطورنو، *وتاريخ الشرفاء* لدييكو ديطوريس، *وعبد القادر الجيلالي شيخ كبير من صلحاء الاسلام* للأستاذ التركي محمد علي عيني، إلخ.

وفيما يتعلق بالشعر، اهتم مصطفى القصري بترجمة أشعار لبودلير وسان جون بيرس.

والملاحظ بالنسبة للمسرح، أن الترجمة تأتي في المرتبة الثانية بعد الاقتباس. فأحمد الطيب لعلج اقتبس عن موليير : *ولي الله والفضوليات والحاج العظمة* وما أطلق عليه *محجوبة*. وعن جوته اقتبس : *العنكبوت* وعن سيرفانطيس *نومانس* وعن رينار *الوارث* وعن ماريفو *لعبة الحب والمصادفة* وعن بيكيت *في انتظار مبروك*.

نشطت الترجمة في مختلف العلوم الإنسانية خصوصا خلال عقد الثمانينات. ففي التاريخ، اهتم بترجمة الكتب

التاريخية المتعلقة بالمغرب كل من محمد حجي ومحمد الأخضر ومحمد زنيبر. وفي ميدان الفلسفة نشط في عملية ترجمة الأعمال الفلسفية : سالم يفوت وعبد السلام بنعبد العالي وغيرهم.

وبفعل تكاثر عدد المجلات الثقافية، واهتمام الجرائد الوطنية، خصوصا من خلال ملاحقها الثقافية، بالإنتاجات الأدبية والفكرية في مختلف اللغات، تعزز موقع الترجمة حيث لعبت دوراً هاماً لإثراء الثقافة المغربية وانتفاحها على الأدب العالمي.

وبفعل تدريس مادة الترجمة في الجامعة والبحث في موضوعها، تم التمكن من إرساء قواعد للدرس فأقيمت ندوات تعنى بموضوع الترجمة : ندوة المصطلح بكلية الآداب بالرباط (1981 ـ 1991)، ندوة في موضوع الترجمة بكلية الآداب بمكناس 1982، إلخ.

مدرسة الملك فهد للترجمة، أحدثت بموجب مرسوم رقم 355 ـ 82 ـ 2 الصادر في 16 من ربيع الثاني 1403 (31 يناير 1983)، وشيدت بنايتها من طرف الحكومة السعودية التي سلمتها لوزارة التربية الوطنية. واختيار طنجة كمقر للمدرسة لا يخلو من أهمية ؛ وهذا يذكرنا بمدرسة الألسن التي أسست بها في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) كما ذكرنا. فموقع هذه المدينة التي لا تبعد عن أوربا سوى بكيلومترات رشحها فعلا لتكون بحق ملتقى للحضارات والثقافات.

ظلت المدرسة تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط حتى نهاية 1991، ثم عُدّت بعد ذلك ضمن المؤسسات الجامعية التي تقع تحت سلطة جامعة عبد الملك السعدي بتطوان، وهي تهدف، أساساً إلى تكوين مترجمين تحريريين Traducteurs ومترجمين فوريين Interprètes قادرين على مزاولة أعمالهم في مختلف القطاعات ؛ وذلك بإعطائهم تكوينا نظريا وتطبيقيا تبعا لأحدث الطرق والأساليب المستعملة في هذا الميدان. ومن أهداف المدرسة كذلك :

ـ تنظيم حلقات دراسية للراغبين في إعادة التكوين واستكمال الخبرة في مجال الترجمة وذلك تلبية لطلب الوزارات والمؤسسات والمنظمات الوطنية وغيرها.

ـ تنظيم دوريات لتلقين اللغة العربية لغير الناطقين بها وكذا دورات لتعليم اللغات الأجنبية.

يشترط في كل مرشح لمباراة الولوج أن يتوفر على تشكيلة لغوية مركبة من ثلاث لغات. والمراد بالتشكلة اللغوية هو مجموع لغات العمل التي يختارها الطالب. والتشكيلات المعتمدة بالمدرسة هي ثلاثية اللغة طبقا لما هو معمول به في مؤسسات تكوين المترجمين، وهي مرتبة كالآتي :

1 ـ اللغة الأم أو لغة الثقافة، ويرمز إليها بلغة "أ" وهي التي يترجم منها وإليها. ويفترض أن يكون المعني متمكنا منها بشكل جيد.

2 ـ اللغة الأجنبية الأولى ويرمز إليها بلغة "ب" وهي التي يترجم منها وإليها، ويفترض في المعنى أن يتقنها كل الإتقان.

3 ـ اللغة الأجنبية الثانية ويرمز إليها بلغة "ج" وهي التي يترجم منها فقط، ويفترض في المعنى أن يكون له إلمام بها.

التشكيلتان اللغويتان الموجودتان بالمدرسة هما :

عربية "أ" فرنسية "ب" ـ إنجليزية "ج".

عربية "أ" إنجليزية "ب" ـ فرنسية "ج".

تشتمل المدرسة على سلكين : سلك عادي وسلك عال، ويتم ولوج كل من السلكين على إثر مباراة تفتتح في وجه المرشحين الذين تم انتقاؤهم بناء على دراسة ملفاتهم من طرف لجنة مختصة.

تستغرق الدراسة بالسلك العادي ثلاث سنوات، ويلجه حاملو الشهادة الجامعية للدراسات الأدبية (السلك الأول الجامعي، تخصص لغات) أو ما يعادلها ؛ غير أنه يمكن لحملة الإجازة في الآداب أو العلوم أو الحقوق أو الاقتصاد الالتحاق مباشرة بالسنة الثانية في حدود المقاعد الشاغرة وبعد اجتياز مباراة خاصة.

يشتمل البرنامج الدراسي بالسلك العادي على تكوين عام (دروس تمكن الطالب من اكتساب المفاهيم الأساسية في مختلف الميادين : اقتصاد، قانون، علم اجتماع، وتكوين متخصص (دروس متخصصة تستهدف تقوية المهارات اللغوية ودروس نظرية وتطبيقية في الترجمة العامة والترجمة المتخصصة). واستكمالا للتكوين، يقوم طلبة السنة الثالثة بقضاء فترة تدريب بإحدى المؤسسات العمومية أو الخاصة أو بأحد المنظمات الدولية الموجودة بالمغرب.

تتوج الدراسة بهذا السلك بدبلوم مترجم تحريري. وقد تخرج أول فوج في نهاية الموسم الجامعي 1989 ـ 1990.

يلج السلك العالي حملة دبلوم تحريري أو ما يعادله، وتستغرق الدراسة به سنتين، حيث تتوج الدراسة بالدبلوم العام في الترجمة التحريرية أو الدبلوم العام في الترجمة الفورية وذلك حسب تخصص المرشح.

تشمل الدراسة بهذا السلك، أساساً، وحسب تخصص الطالب، تكويناً تكميلياً عاماً (تقنيات الترجمة الفورية والتتبعية)، وتكويناً تطبيقياً، ومناظرات تهيء الطالب للقيام ببحث يناقشه في آخر سنة التخرج. وتتوج الدراسة بالدبلوم العالي إما في الترجمة الفورية أو التحريرية.

نظمت المدرسة في صيف 1987 ملتقى حول تدريس الترجمة، وذلك بتعاون مع جمعية الجامعات الناطقة جزئيا أو كليا بالفرنسية (AUPELF). كما نظمت في شهر يونيو 1989 مائدة مستديرة حول الترجمة العربية المهنية والتكنولوجيا الحديثة، بتعاون مع الكنفدرالية الدولية للمترجمين (FIT).

وقد عملت المدرسة على نشر كتب تهم الترجمة وعلى إصدار دورية نصف سنوية بعنوان : *الترجمان* مجلة مختصة

تعنى بقضايا الترجمة التحريرية والترجمة الفورية (المجلد الأول، العدد الأول، 1992).

عبد السلام بنعبد العالي، *الترجمة والمثاقفة*، الوحدة، عدد 61.62، ص. 7.9 ؛ الخمار بوقرعة، *الترجمة واللغة والهوية القومية*، الوحدة، عدد 61.62، ص. 68.73 ؛ عبد الوهاب حفيظ، *حول الترجمة والتعريب والتغريب، مأساة المصطلح وفراغ المعنى*، الوحدة، عدد 61.62، ص. 74.84 ؛ سعيد علوش، *خطاب الترجمة الأدبية من الازدواجية إلى المثاقفة : المغرب الحديث 1912.1956*، طنجة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1990، 318 ص ؛ *شعرية الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية*، طنجة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة، 1991، 409 ص ؛ الشادلي الفيتوري، *الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية في الوطن العربي*، ترجمة وتلخيص رشيد بناني، الوحدة، عدد 61.62، ص. 85.96 ؛ عبد الكريم ناصيف، *الترجمة : أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية*، الوحدة، عدد 61.62، ص. 57.67.

G. Mounin, *Les problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1976, 296 p. ; M. Pergnier, *Les fondements sociolinguistiques de la traduction*, 491 p; Thèse : Lettres : Université de Rennes II, 1976, Bibliogr. pp. 482 - 489 ; N. Tomiche, *La littérature arabe traduite : Mythes et réalités : De l'image que se fait l'Occident du monde arabe contemporain à travers les traductions de la littérature arabe en langue française et anglaise*, Paris, 1978, 74p (*Comptes rendus du groupe linguistique d'études Chamito-sémitiques, GLECS*, suppl. 9) ; *La traduction* (n° spécial), *Revue d'Esthétique*, nouvelle série, n° 12, 1986, 233p.

محمد جادة

التراب، أسرة مكناسية : **التراب، أحمد بن المكي** ابن الحسين (ت. 1364) ؛ **التراب، إدريس** بن المهدي (ت. 1375) ؛ **التراب، الحسين** (الحاج ـ) الجد ؛ **التراب، الحسين بن أحمد** بن المكي (الطبيب) ؛ **التراب، عبد السلام** بن محمد بن المكي ؛ **التراب، عبد القادر** بن **أحمد** بن المكي ؛ **التراب، عبد القادر** بن **محمد** بن المفضل ؛ **التراب، عبد الله** ؛ **التراب، عبد الوهاب** بن المفضل ؛ **التراب، العربي** ؛ **التراب، العربي** (الحاج ـ) ابن الحسين (الحاج ـ) ؛ **التراب، العناية** (الحاج ـ) (ت. بعد 1238) ؛ **التراب، محمد بن أحمد** بن المكي (ت. 1378) ؛ **التراب، محمد** (الحاج ـ) بن المفضل ؛ **التراب، محمد بن عبد القادر** ؛ **التراب، محمد العربي** بن الحاج الهادي (ت. 1288) ؛ **التراب، محمد** بن **محمد** بن **أحمد** (من فريق قاع وردة) (ت. 1406) ؛ **التراب، محمد** ابن **محمد الوجراجي** ؛ **التراب، محمد** بن **المكي** بن الحسين ؛ **التراب، المفضل** ؛ **التراب، المكي** بن الحسين (الحاج ـ) ؛ **التراب، المهدي** (الحاج ـ) بن محمد ابن المفضل ؛ **التراب، الهادي** بن إدريس بن المهدي.

يصعد تاريخ ذكر أسرة التراب بين سكان هذه المدينة إلى العصر الوطاسي، فتاتي الإشارة لأحد أفرادها باسم ووصف "الطالب أبي عبد الله محمد بن محمد الرجراجي التراب"، في وثيقة نسب حررت بمكناس بتاريخ أواسط شوال عام 930 / غشت 1524، ويتحدث المسنُّون منهم ـ من فريق الحاج الحسين التراب آتي الذكر ـ أن دارهم الكبرى في حي بين العراصي مرينية البناء. وقد أكد انتساب الأسرة إلى رجراجة السلطان العلوي مولاي إسماعيل. خلال *الديوان* الذي حقق به أنساب سكان مكناس في عصره : القدماء منهم وسواهم من غير الأشراف ، وندب لهذه المهمة القائد أحمد بن أبي يعزى العرائشي إلى أن تم ذلك أوائل المحرم عام 1121 / مارس 1709 ومع مر الزمن تفرعت الأسرة إلى ثلاث فرق متقاربة فيما بينها، وإنما تتميز بمواقع سكناها من مدينة مكناس :

1 ـ فريق حي بين العراصي، ويرجعون إلى الحاج الحسين التراب، وهو والد الأخوين : الحاج العربي والمكي، فأولهما كان بين أعيان مكناس الذين وقعوا على بيعة السلطان الحسن الأول باسم "الحاج العربي التراب"، بتاريخ 27 رجب 1290 / 20 شتنبر 1873، كما كان ناظر الأحباس زرهون عام 1288 هـ.

على أن عقب الحاج الحسين انتشر ـ أكثر ـ من ابنه الثاني السيد المكي، وكان يتوفر على ما يهمه من ثقافة مجتمعه، مع مهارة في مادة الحساب، وبذلك ترشح لخطة الأمانة ببلدته، مع نظارة الأحباس الكبرى بمكناس، ونظارة أحباس زرهون، وبتاريخ 20 محرم 1317 / 31 ماي 1899، أصدر السلطان عبد العزيز ظهير توقير واحترام باسمه، وأشرك معه أفراد أسرته، تجديد الظهير حسني في نفس الغرض، وفي أيام نفس العاهل كان ثاني اثنين رشحا للنيابة عن مكناس في مجلس الأعيان وقد خلّف المكي هذا : الأخوين السيدين أحمد ومُحمد، وكان أولهما تابع الدراسة الأصلية ببلدته على شيوخها، وبعد تحصيله رشح لعدة مهمات بمكناس إلى أن توفي عليها : خطة الحسبة من أوائل العصر اليوسفي، ثم أمانة القصر السلطاني، ورئاسة الجمعية الخيرية منذ تأسيسها. وخلال الحرب العالمية الثانية أسندت إليه عملية الإشراف على توزيع الشياب على السكان، ولكنه رفض الاستمرار فيها، تجافيا عما تفضي إليه من مشاكل، وزهداً منه في مردودها، ومحافظة على أستدمة علاقاته مع السكان في مستواها المعتاد.

وأخيراً كانت وفاته ليلة الجمعة 17 ربيع الأول عام 1364/ 2 مارس 1945، وخلف أولاده الفقيه السيد مُحمد، والدكتور الحسين الطبيب المعروف، والوطني اللامع السيد عبد القادر، والخليفة الباشوي في مقاطعة بني مَحمد من مكناس : السيد عبد الملك وخامسهم الفاضل السيد المكي صغير إخوته.

وكان أكبر الإخوة الفقيه السيد مُحمد هو الذي خلف والده في خطة الحسبة وما معها إلى أن توفي بمكناس يوم الأحد 29 صفر عام 1378 / 14 شتنبر 1958 ودفن بروضة

الفشار بمشهد سيدي بوخبزة. وهو والد الأستاذ الحقوقي السيد محسن التراب، العامل في عدة ولايات، آخرها عمالة القنيطرة وما إليها.

ثم يلي المحتسب السيد مُحمد في السن، أخوه الطبيب الحسين التراب، ثاني مغربي أحرز على دكتوراه الطب من باريز.

وننتقل ـ الآن ـ إلى الابن الثاني للسيد المكي بن الحسين : السيد مُحمد أخ السيد أحمد وخليفته في خطة الحسبة، وهو والد الاستاذ الوطني المرحوم السيد عبد السلام التراب، سجين الأزمة المغربية سنة 1954، ثم رئيس المجلس البلدي بمكناس بعد الاستقلال.

2 ـ فريق درب التترابة بحي الكدية (درب ابن العواد فيما بعد)، وانتقل بعضهم للسكنى بحي سيدي عُمرو بوعوادة.

ويرجع هذا الفريق إلى قعددهم السيد المفضل التراب، وكان من خاصة أصحاب الشيخ عبد القادر العلمي، وصاهر الأشراف الشبيهيين ببنته السيدة عائشة، زوج النقيب السيد أحمد بن النقيب السيد السعيدي الإدريسي الشبيهي، وبذلك اكتسب هو وذريته من بعده، ميزة الإسهام في الإشراف على المشهدين المكرمين : الإدريسي بزرهون، والعلمي بمكناس.

وقد خلف السيد المفضل التراب ابنيه : الحاج مُحمد المتوفى بالمشرق، وأخاه الطالب عبد الوهاب، وخلف الحاج مُحمد ابنيه الطالبين الحاج المهدي والسيد عبد القادر، فالحاج المهدي، هو والد المقدم الوجيه الحاج إدريس التراب وقد ساهم في الطلب وخالط أهل العلم والفضل، إلى أخلاق كريمة، ومروءة في تواضع، ثم كانت وفاته في شهر ذي الحجة عام 1375 / يوليوز ـ غشت 1956 وخلف ذرية طيبة كبيرهم الطالب المرحوم السيد الهادي.

وعلى هدي الحاج إدريس، كان ابن عمه الشقيق الحاج مُحمد، وهو والد الوجيه الكريم، المحب المحبوب، المقدم السيد الحاج الحسن التراب، بقية الناس أخلاقا ومروءة ومحافظة على سيرة أسلافه في الولاء للإمامين المكرمين : المولى إدريس الفاتح، وسيدي عبد القادر العلمي، يشاركه في هذا الولاء من معاصريه السيدان الفاضلان المرحومان : الحاج العربي التراب، والحاج عبد الله التراب من وجوه الأسرة.

والآن نستدرك الإشارة إلى اثنين من وجهاء أسلاف هذا الفريق : الحاج العناية التراب، من أعيان مكناس الموقعين على بيعة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام، بتاريخ الأحد 14 ربيع الثاني 1238 / 30 دجنبر 1822.

ثم السيد مُحمد العربي بن الحاج الهادي التراب، ناسخ *الأنوار السنية*... للعياشي، بتاريخ الأربعاء 6 ربيع الثاني 1288 / 25 يونيه 1871، من مخطوطات خ. ع رقم 1071 ثالثة محفظة.

وأخيراً نشير إلى أن نخباً من أبناء هذا الفريق اتجهوا إلى الدراسات الحديثة، وجدّوا فيها حتى أحرزوا على درجات علمية عليا في عدد من الاختصاصات، وبذلك طوروا فريقهم الشاب، وارتفوا به إلى توجهات جامعية منوعة.

3 ـ فريق حي قاع وردة، حيث سكنى الفقيه التراب الحاج مُحمد بن الحاج مُحمد بن أحمد، العالم المفتي القاضي، المتوفى عام 1406 / 1986.

وقد استوفى ترجمة محمد بن الفاطمي بن الحاج في كتابه عن علماء المغرب المعاصرين فذكر أنه ولد بمكناس عام 1321 / 1903 وبه درس على أساتذة بلدته وعلمائها أمثال مَحمد بن أحمد السوسي ومحمد بن الحسين العرايشي والغالي السنتيسي ومَحمد بن المبارك الهلالي ومحمد بن عبد السلام الطاهري، كما أخذ فقه القضاء عن أحمد بن المامون البلغيثي الفاسي، والحساب والتوقيت عن عبد الرحمن بريطل الرباطي.

تولى منصب القضاء بزرهون ثم العضوية بمجلس الاستئناف بالمحكمة الاقليمية بمكناس، وكان في نفس الوقت يباشر الإفتاء. ومجموعة *فتاويه* تخرُج في جزءين.. وله *شرح على الشاطبية* في علم القراءات، ورحلة حجازية سماها *بلوغ المرام من حج بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام*.

توفي بمكناس يوم الثلاثاء سابع رجب عام 1406 / 18 مارس 1986 ودفن بضريح سيدي أحمد بن خضرا، داخل باب البرادعيين.

ملحق : ظهير صادر عن السلطان عبد العزيز بتوقير واحترام أسرة التراب المكناسيين :

"يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره. وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره، اننا جددنا لحملته كافة أولاد التراب القاطنين بمكناس، حكم ما بيدهم من ظهير سيدنا الوالد قدسه الله، المتضمن إقرارهم على ما عهد لهم من التوقير والاحترام، والحمل على كاهل المبرة والإكرام، والرعي الجميل المستدام، أخص منهم خديمنا الارضي الناظر الطالب المكي وأولاد أخيه المرحوم الحاج ... وابن عمه الطالب عبد الوهاب، وولدي أخيه الطالب المهدي والطالب عبد ... عمهم الحاج عبد الرحمن، وأخاه أحمد، والمعلم محمد النجار، والمعلم محمد البناء، بحيث لا ... يكروه، ولاتنتهك لهم حرمة بوجه من الوجوه، وأذنّاهم في رد زكاتهم وأعشارهم على ضعفائهم، اتكالا على دينهم وعرضهم ومروءتهم، ولما بلغنا من ثبوب نسبهم للسادات الرجراجيين، وكونهم من ذوي البيوت المعظمة، فلا تخرق عليهم في ذلك عادة، ولايحدث في جانبهم نقص ولا زيادة، إقراراً تاماً، شاملا عاماً، حسب الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعلمه ويعمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، والسلام، صدر به أمرنا المعتز بالله، في 28 محرم عام 1317".

جعفر الكتاني، *الرياض الريانية في الشعبة الكتانية*، مخطوط خ.

ع، 497 ك ص. 169 ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف ...*"، مطبعة الدار البيضاء، ص. 214، مع التكملة من نسخة مخطوطة ؛ *العز والصولة*، 1 : 24، حوالة أحباس زرهون خ. ع رقم 13 من قسم الحوالات، ص 350 ؛ م. التاودي السقاط، *خرق العوائد* .. مخطوط خ. ع 52 ك، ص. 91، 92، 112، *إراثة النقيب أحمد بن النقيب السعيدي الشبيهي*، حيث احتفظت بنصها حوالة *أحباس كبرى مكناس*، 1 : 314 ؛ *بيعة السلطان عبد الرحمن بن هشام*، مخطوط ضمن محفوظات خ. ح دون رقم .

محمد المنوني

الترّاد، أسرة كانت بتطوان وانقرضت وكان جل أفرادها يعملون في الجندية حيث نجد منهم من كان ينتمي إلى حامية المدينة : محمد بن العربي الترّاد سنة 1244 / 1828، وأحمد الترّاد سنة 1246 / 1831، وعبد الرزاق الترّاد سنة 1249 / 1833، وأحمد الترّاد وعبد الخالق الترّاد والمكي بن محمد الترّاد سنة 1258 / 1842، وعبد السلام الترّاد سنة 1259 / 1843، وصالح بن اليزيد الترّاد سنة 1271 / 1855 والمصطفى الترّاد سنة 1273 / 1857.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 215.

Cagigas, *Familias* ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

الترّاس، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة كتامة، وكان جل أفرادها يحترفون الجندية، ومنهم الجندي محمد بن عبد الصمد الترّاس. والكلمة معناها في اللهجة الدارجة بتطوان ليس فقط حامل الترس بل أيضا الرجل الشجاع. وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن، وكان من بين أفرادها قائد سجن تطوان سنة 1303 / 1884 وهو محمد بن موسى الترّاس.

Delegación, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932.

مح . ابن عزوز حكيم

تَرْزَا أو تَرْزَرَا أو تَرْزَال، وينطق بها أيضاً ترّازة، أمازيغية تعني طاقية أو قبعة توضع فوق الرأس ولعلها مركبة من شقين "تار" و"أزال" أي الغطاء الواقي من حرارة الشمس. ويضرب استعمال غطاء الرأس هذا بجذوره في عمق تاريخ سحيق ويسود ارتداؤه في المغرب في جل مناطقه.

وهي غطاء مقعر مخروطي الشكل، جوانبه ناتئة وحواشيه عريضة لوقاية الرأس من الحرارة وضمان الظل الكافي للوجه.

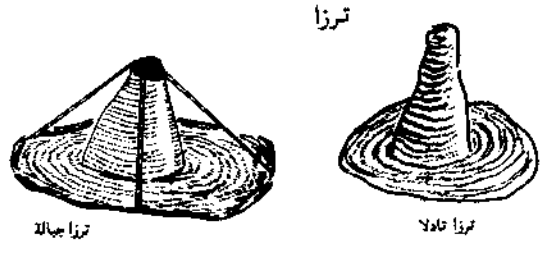

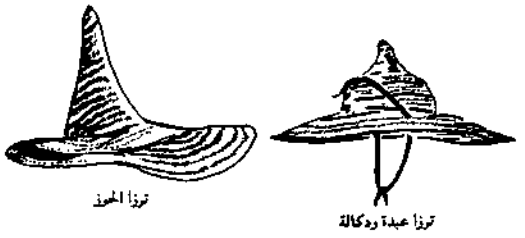

وفي المناطق الشمالية والشمالية الغربية تدعى الشمريز والشمريرو Sombrero. وهي كلمة إسبانية الأصل تعني القبعة الواقية من حرارة الشمس، ويكاد استعمال هذه القبعة في منطقة الريف وجبالة أن يكون عاما بالنسبة للرجال والنساء وإن كانت المرأة وخاصة في البوادي هي التي مازالت تحتفظ بارتدائه كجزء لا غنى عنه من أزياء الجبليات. إلا أن قبعة النساء تختلف عن قبعات الرجال في أنها تكون زاهية منمقة بعدة توشيات تتواتر فيها خيوط الدوم أو الحلفاء بخيوط الصوف أو القطن أو الحرير ذات الألوان الصفراء والحمراء أو الزرقاء والحمراء أو البنية والزرقاء. تدعى في هذه المناطق "المظلة"، ومن الناس من يسميها الظلة. وهذا النوع من غطاء الرأس لا يقتصر وجوده على المغرب بل يسود استعماله في جل بلدان أمريكا اللاتينية من حدود المكسيك إلى الشيلي وإن اختلفت مادة صنعه وبعض أشكاله من منطقة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى.

وتصنع ترزا في المغرب من الدوم أو الحلفاء، وهي تسرد (أي تنسج) بواسطة اليد المجردة على شكل شرائط مستطيلة يتم رتق الواحدة منها بالأخرى بواسطة حبل مفتول رقيق بإبرة خشبية أو معدنية غليظة.

والترازة أنواع متعددة تختلف باختلاف المناطق، لأن صناعتها محلية على العموم. فهناك ترازة الريف وجبالة التي لا يمكن أبداً فصلها عن هندام سكان جبال الريف وخاصة النساء اللواتي لا يكتمل زيهن بدونها. وهناك ترازة زمور الشلح التي تدخل في صناعتها أشرطة من الفليج وتختلف عن سابقتها في سيادة التنميق فيها سواء كانت مخصصة للذكور أو الإناث. وهناك ترازة تادلا وترازة الحوز اللتان يتميزان بفرط اتساع حواشيهما وارتفاع قمتهما لحماية الرأس والوجه من وهج الحرارة التي تبلغ مستويات عليا في هذه المناطق الداخلية. أما ترازة دكالة وعبدة فهما معروفتان عموما بقصر حواشيهما وضآلة تقعرهما.

محمد شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، الجزء الأول، الرباط 1990؛ محمد شماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط 1980 ؛ الحسن شوقي، *قبيلة السراغنة*، د. د. ع. كلية الآداب الرباط 90. 1991 ؛ محمد عشيش، *المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة د. ت. ؛ عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الجزء الرابع، الرباط 1931.

P. Platon, *Le palmier nain*, *B.E.P.M.*, n° 221, 1953 ; J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ; W. Harris, *Le Maroc disparu*, Paris, 1929 ; M. M. Barde, *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-En-Provence, 1990 ; G. Charmes, *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953 ; P. Decroux, *Quelques aspects de la nationalité*

marocaine, *Hesp.*, vol. 35, 1948.

محمد بوسلام

تُرْس (سمك) ← تُورْبُو

ترسواط، حوض واسع جنوب مركز تافروات ضمن قبائل أمانوز، وتسمى إحدى الجماعات القروية لدائرة تافراوت جماعة ترسْواط، ومن قراها : اثنين ترسواط، إيمي أوگادير، أگرسيف... وتشتهر المنطقة باستقطابها لأسر علمية تركت بصماتها في تاريخ الحركة الفكرية بسوس، منها أسرة آل مَحمد بن إبراهيم الشيخ التي استقرت في بداية أمرها بقرية إيمي أوگادير قبل أن تهاجر إلى تامنارت. استقرار مماثل عرفته ترسواط من قبل عائلة الحضيگي. ويبدو أن الاستقرار مرتبط بجاذبية الحوض الغني بمياهه الجوفية وغطائه النباتي الكثيف، وموقعه الهام الرابط بين الهوامش الجنوبية للأطلس الصغير : تامنارت، سموگن... وبين مناطق إيد أوسملال، أملن...

طبقات الحضيگي، مخطوط ؛ تحريات ميدانية.

أحمد يومزگو

الترسيم (في الوظيفة العمومية)، ينقسم أعوان الدولة وموظفوها إلى رسميِّين ومتدربين ومؤقتين وعرضيين ومياومين. وقد يتدرج الموظف في بعض الحالات من وضعية المياوم إلى العرضي ليصبح مؤقتا فمتدربا ثم رسميا. لكن السائد أخيراً أن معظم الموظفين يكونون من المتخرجين من مدارس التكوين والمعاهد والكليات يتم تعيينهم مباشرة بعد تخرجهم في منصب موظف متدرب. وبمجرد الالتحاق بالعمل يعتبر الموظف الجديد متدربا لفترة معينة لا تتعدى السنة الواحدة أو السنتين. وينتظر منه خلال هذه المدة بالإضافة إلى إبداء رغبته في وظيفته أن يثبت جدارته ويبرز المؤهلات الأساسية للاستمرار فيها. وتكون علاقة هذا الموظف في هذه الفترة بالإدارة التي توظفه علاقة أجير يتلقى أجرة خاصة بفترة التدريب. فإذا تأكدت كفاءته وأهليته فإنه يرسم في الوظيفة، وإن تبين عجزه عن الوفاء بما تتطلبه من قدرات تم الاستغناء عنه وعوض بغيره. لكن الإعفاء من المهمة لا يقع إلا في أحوال نادرة جداً إن لم يكن أمراً استثنائيا لعدة اعتبارات أهمها أنه بإمكان المتدرب حاليا أن يتقدم للاختبارات والمباريات الخاصة بالترسيم أربع مرات.

ويعتبر الترسيم في الوظيفة العمومية أول مراحل تسلق سواليم الترقية. ولا بد لكل موظف متدرب، حتى يتمكن من الارتقاء من وضعيته إلى وضعية الترسيم، أن يتوفر على الشروط العامة المطلوبة في التوظيف من حد أدنى وأعلى للسن وسلامة العقل والبدن إضافة إلى الشروط الخاصة بمهنة التخصص وأهمها الحصول على شهادة معينة في المجال الذي سيقبل الموظف على العمل فيه.

لكن بعض الموظفين لا يخضعون عند ترسيمهم للمقتضيات السابقة. فبعضهم لا يرسم إلا بعد قضاء مدة فعلية من الخدمة في الوظيفة لا تقل عن سبع سنوات. ولا يقع ترسيم مثل هذا الصنف من الموظفين إلا بناء على اقتراحات رؤسائهم المباشرين وفي حدود المناصب المالية الشاغرة.

أما رجال التربية والتعليم في سلك التعليم الأساسي والثانوي فهم ملزمون بالحصول على شهادة الكفاءة التربوية في مادة تخصصهم خلال سنة أو سنتين بعد تعيينهم دون احتساب المدة التي قضوها في مراكز التكوين. إلا أن المتخرجين الناجحين من مؤسسات تكوين الأطر في السنوات الأخيرة أصبحوا غير مطالبين باجتياز اختبارات الكفاءة المهنية إذ يتم ترسيمهم بناء على نقطة يمنحها لهم مدير المؤسسة التي يعملون بها بتنسيق مع مفتش مادة تخصصهم خلال السنة الأولى أو الثانية من تعيينهم على أقصى تقدير. أما أطر التعليم العالي من أساتذة محاضرين وأساتذة مساعدين ومساعدين فيرسمون اعتماداً على اقتراحات قيدومي الكليات ومديري المعاهد العليا طبقاً للمرسوم رقم 2.85.743 والمرسوم 2.85.773 بتاريخ 4 أكتوبر 1985 الخاصين برجال التعليم الباحثين في التعليم العالي ومؤسسات تكوين الأطر العليا.

ع. بابنة، *المختصر في القانون الإداري المغربي*، الدار البيضاء 1985 ؛ م. مرغيني، *المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط 1984 ؛ م. الكشبور، *عناصر عقد الشغل في التشريع الاجتماعي المغربي*، الدار البيضاء 1989 ؛ ع. لهمامي وآخر، *التدبير المالي والمادي والمحاسبي للمؤسسات التعليمية*، الرباط 1988 ؛ وزارة الشؤون الإدارية، *الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية*، الجزء الأول، الرباط د. ت. ؛ كتابة الدولة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية، *معجم الإدارة العامة*، الرباط 1984.

M. El Yaagoubi, *Le droit administratif marocain*, Rabat, 1992 ; A. Benjelloun, *Droit administratif*, Rabat, 1984.

محمد بوسلام

ترغة، حاضرة قديمة مندثرة، كانت تقع بشاطئ بني زيات إحدى قبائل غمارة في الجنوب الشرقي من تطوان على بعد نحو خمسة وستين كلم، وتوجد أسفل منها بحوالي خمسمائة متر مدينة إسلامية صغيرة بنيت بناء بسيطا، كانت عامرة في القرن السادس (12 م)، زارها الحسن الوزان في النصف الأول من القرن العاشر (16 م) ووصفها بأنها مدينة صغيرة من بناء القوط حسب قول بعضهم، وأنها تحتوي على نحو مائة وخمسين كانونا، أسوارها ضعيفة. ولعل الوزان التبست عليه بالمدينة المندثرة التي بناها الرومان وعمرها القوط، وإلا فالمدينة التي زارها هي بناء إسلامي، لا تزال ـ في الجملة ـ على شكلها القديم إلى اليوم، أهلها متحضرون، يعيشون على نمط المدن المغربية القديمة، ونساؤهم محتجبات على خلاف عادة أهل البادية، يشتغلن بالحياكة وبعض الصناعات اليدوية الأخرى. وبها مرسى يضم عدة قوارب لاصطياد السمك، يصدِّرونه ـ كما يقول الوزان ـ إلى الأسواق القريبة والنائية وبعض المدن كشفشاون ووزان ونحوهما.

وتوجد إلى جهة الشمال ترغة الزاوية، نزلها مهاجرة الأندلس حوالي القرن التاسع (15 م) وعلى رأسهم أبو العباس الغزال، وقد بنى بها زاويته وكانت لها حرمتها، التجأ إليها في حدود عام 1040 / 1671 حاكم تطوان المقدم عبد الله النقسيس عندما أراد المجاهد أبو عبد الله العياشي القبض عليه، وكان يتردد عليها لزيارتها من تازروت الشيخ محمد بن علي بن ريسون المتوفى عام 1189 / 1775.

ومن الآثار التاريخية بترغة حوض مسجد عقبة بن نافع، وروضة المديني، شيخ ابن مشيش وزاوية الغزال والجامع العتيق وحجرة "لا إله إلا الله"، وسواها.

ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ أ. المكناسي، *خريطة المغرب الأركيولوجية* ؛ س. أعراب، *مجلة دعوة الحق*، س 13 ع (1-2).

سعيد أعراب

* * وهناك رأس ترغة، ومرساها، ونهرها، يقع رأس ترغة بشاطئ قبيلة بني زيات الغمارية الموالي للبحر المتوسط بالقرب من المدينة التي يحمل اسمها، ويعرف الرأس عند الاسبان برأس كوتِيِّي Punta Cotelle، وكان به برج قديم لمراقبة الساحل.

ويقع مرسى ترغة بساحل نفس القبيلة الزياتية وهي التي جعلت من مدينة ترغة قاعدة بحرية مهمة في الجهاد البحري خلال القرن الثامن (14 م) إلى أوائل القرن الثالث عشر (19 م) كما سنرى.

وتوجد بهذا الشاطئ الموالي للبحر المتوسط حجرة تسمى "حجرة لا إله إلا الله" يقول السكان إنه كان بها مدخل لنفق تحت البحر يصل إلى شاطئ الأندلس حيث كانت هناك حجرة أخرى تعرف بـ "حجرة محمد رسول الله".

أما نهر ترغة فتوجد منابعه بجبل تاگطوشت بقبيلة بني زيات (إقليم شفشاون) وتصب مياهه بالبحر المتوسط قرب المدينة التي يحمل اسمها.

ويحمل هذا النهر اسم شيرْشي Cherché في خريطة بيتروس ڤيسكونتي Petrus Vesconti سنة 1311 ميلادية، كما يسمى بوادي ثيرثيلي Cercelly وبوادي شجر الحور Rio de los Alamos في الخرائط الاسبانية للعصور الوسطى.

اشتهرت مدينة ترغة بفضل مرساها المتميزة كقاعدة للجهاد البحري ولذلك نجد ذكرها في جميع المصادر الأجنبية وكذلك بالخرائط التي يرجع تاريخها إلى القرن الثامن (14 م) وعلى سبيل المثال نجد اسمها في الأطلس الكاطالاني لعام 1339 م. هكذا تيرغا Terga، غير أن الذي جعل منها قاعدة للجهاد البحري المنظم وأنشأ بها ترسانة لصنع السفن الجهادية وإصلاحها هو أمير شفشاون علي ابن راشد وذلك سنة 877 / 1472 حيث قرر ألا ينحصر جهاده في مهاجمة المدن السليبية (سبتة والقصر الصغير وطنجة وأصيلا) وحدها، بل أراد أن تكون له قاعدة بحرية تتوفر على أسطول جهادي يتحكم في الملاحة والتجارة بعرض البحر المتوسط ويهاجم منها الشواطئ الإسبانية والبرتغالية.

والدليل على أنه تم لأمير شفشاون ما كان يريده أننا نجد ملك البرتغال ألفونصو الخامس Alfonso V يفكر في القضاء على أسطول ترغة فيأمر حاكمه بسبتة فيرناندو دي مينيسيس Fernando de Meneses بتنظيم حملة صليبية ضد ترغة، وكان ذلك سنة 886 / 1481 حيث قام الأسطول البرتغالي المكون من خمسين سفينة كانت تحمل على ظهرها خمسة آلاف مقاتل بتخريب المدينة وإحراق جميع السفن التي كانت توجد بمرساها ويرسى تيگيساس واستشهد في المعركة أكثر من مائتي مجاهد.

واستطاع علي ابن راشد إحياء القاعدة البحرية في ظرف وجيز حيث نجد حملة صليبية أخرى نظمتها البرتغال سنة 896 / 1491 تتمكن من تخريب ترغة مرة أخرى وإحراق خمس وعشرين سفينة كانت بمرساها وتحرير ثلاثين أسيراً نصرانياً.

تمكن أمير شفشاون مرة ثالثة من إعادة بناء ترغة التي كانت سنة 907 / 1502 تتوفر على أسطول بحري يتكون من خمسين سفينة صنعت بترسانة المدينة، وبواسطتها أصبح يتحكم في الملاحة بغرب البحر المتوسط وبوغاز جبل طارق بشكل لم يسبق له مثيل، كما تشهد على ذلك الوثائق البرتغالية والإسبانية، ويؤكده فشل المحاولة التي قام بها الأسطول البرتغالي الذي أرسله الملك مانويل الأول Manuel I برئاسة الأميرال خورخي دي ميلو Jorge de Mello سنة 907 / 1502 لتحطيم قاعدة ترغة. وقد رد على أعقابه خاسراً، ونفس المصير لقيه الأسطول البرتغالي الذي هاجم القاعدة المذكورة سنة 923 / 1517، وكان مؤلفاً من ستين سفينة برئاسة الأميرال لوپيس دي سِكْيِيرا Lopes de Sequeira.

وقد تعرضت ترغة لهجومات إسبانية كانت كلها فاشلة مثل التي قام بها الأميرال ألڤارو دي باثان Alvaro de Bazan يوم فاتح فبراير 1533 والاميرال بيرناردو دي ميندوثا في جمادى الأولى 954 / يوليوز 1547 والاميرال خوان دي أوْسْطريا Juan de Austria سنة 1568 والاميرال سانْطورْثي Santorci يوم فاتح ماي 1613.

واستطاع الجيش الإسباني في عهد الحماية احتلال ترغة يوم 18 أبريل 1921، غير أنه أرغم على مغادرتها يوم فاتح شتمبر 1924، ولم يعد إليها إلا سنة 1927.

البادسي، *المقصد*، 98، 107، 130 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 110 ؛ ح. الوزان الفاسي، *وصف افريقيا*، 252 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 110-141.

محمد ابن عزوز حكيم

* * من الناحية الأثرية، تزخر ترغة اليوم بالعديد من المآثر التي تعود إلى فترات من تاريخيها الطويل. من ذلك القلعة المعروفة بدار السلطان، المشيدة فوق ربوة عالية مطلة

على القرية الحالية، وملتصقة بجبل "أزنتي" المجاور. وهذا الموقع هو أحسن مكان لبناء قلعة تتحكم في الوادي وفي مصب "واد ترغة" وان كانت واجهته الخلفية (الجنوبية) ضعيفة التحصن وهو مادفع بمشيدي القلعة إلى حفر خندق واق على طول هذه الواجهة بينها وبين تقدم الجبل.

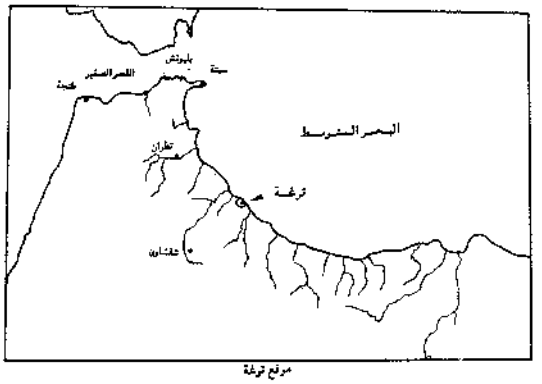

موقع ترغة

أظهرت الأبحاث التي قمنا بها في السنوات الأولى من الثمانينات، أن هذه القلعة مرت بثلاث مراحل متباينة في تقنيات ومواد بنائها. وإذ يتعذر اليوم تحديد كل واحدة من هذه الفترات بدقة فان ما يمكن التأكيد عليه هو أن أقدم جزء منها يقترب كثيراً في مكوناته (مادة وتقنية) مما هو معروف في المنشآت الموحدية، وأن أحدث جزء منها، وهو بطبيعة الحال مكون من مجموعة تغييرات أدخلت على العمارة الأصلية، يعود إلى بداية القرن العاشر (16 م)، حيث يظهر أن القلعة سكنت ربما من طرف الغزاة البرتغاليين.

بمحاذاة البحر على الشاطئ وفي وضعية مقابلة تمام المقابلة لدار السلطان، تنتصب بناية محصنة فوق صخرة عظيمة تعلو سطح البحر بأكثر من خمسة عشر متراً. كل شئ في هذه البناية مختلف عن أمثاله في دار السلطان فبينما هذه الأخيرة مبنية من الحجر والطابية، بنيت ثكنة الشاطئ بالحجارة القوية فقط، وبينما تصميم الاولى متواز في عدة من جوانبه، نجد جدران بناية الشاطئ مسايرة لشكل الصخرة التي شيدت فوقها، وبينما لانجد في القلعة الأولى من الفتحات سوى كوات للرمي موجهة ناحية البحر، تتوفر بناية الشاطئ على مجموعة من المرامي المدفعية، منتصبة على طابقين : خمسة بالطابق الأسفل وستة بالأعلى مع اختلاف في الاتساع ما بين تلك التي تنظر جهة البحر (وهي الأوسع) وتلك الموجهة نحو داخل الأرض الاقل منها اتساعا.

ومن المآثر التي مازالت حية تقوم بدورها إلى اليوم، المسجد الجامع، الواقع شمال القرية الحالية، على بعد بضعة أمتار من أولى مساكنها وبمحاذاة المقبرة العتيقة.

يحتل هذا المسجد مساحة تفوق 500 متر^2 وتتوزع مرافقه ما بين بيت صلاة عرضه 15،20 م وعمقه 6،10 م مقسم إلى بلاطين أفقيين وخمس بلاطات عمودية متجهة نحو جدار القبلة. وهذا التصميم هو الذي نجده في المساجد العتيقة المغربية سواء في الحواضر الكبرى كفاس مثلاً ، أو في البوادي.

يتقدم بيت الصلاة صحن واسع احتلت جانبه الجنوبي سكنى الامام وجانبه الشمالي مجموعة من الغرف المخصصة لايواء الطلبة الذين يأتون المسجد من مختلف نواحي بلاد غمارة ومن الريف لمتابعة دراستهم على الطريقة التقليدية. ذلك أن هذه المسجد عرف كذلك بالدور الكبير الذي لعبه ولايزال إلى حد ما يلعبه في تعليم القرآن الكريم وعلوم الفقه. وتحتفظ الذاكرة المحلية بما في هذه المدرسة وتعتبرها أهم مدرسة دينية بالمنطقة المشهورة بالمستوى الرفيع لتعليمها. ويزخر تاريخ علوم القرآن بأسماء علماء ترغيين أجلاء لعل أشهرهم شيخ القراء في عصره محمد بن يوسف الترغي المتوفى سنة 1009 هجرية.

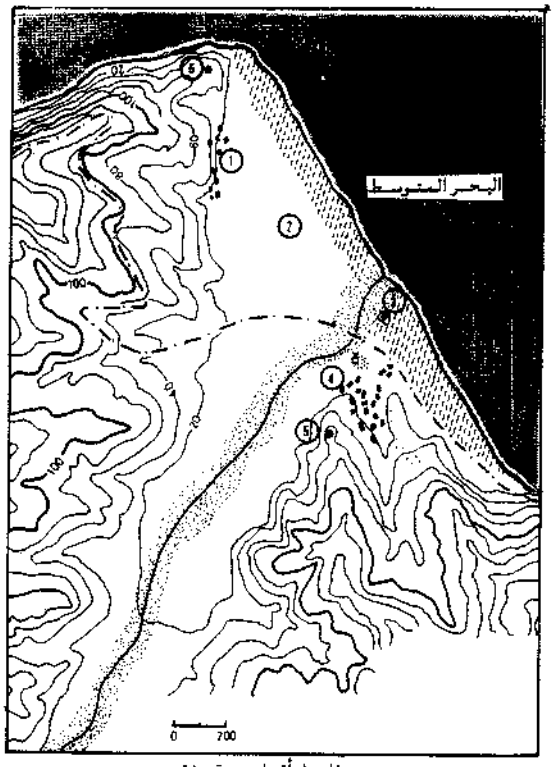

تفاصيل أقسام مدينة ترغة

1 ـ ربض "الزاوية". 2 ـ موقع جامع ابن عقار. 3 ـ الحصن "البرتغالي".
4 ـ ربض "ترغة". 5 ـ "دار السلطان". 6 ـ برج ساحلي.

في وسط المنبسط الذي يفصل ما بين ربض ترغة وربض الزاوية، تظهر بقايا جدران مندثرة، تحمل اسم جامع ابن عقار، ويُحتفظ لها باحترام كبير بين السكان الحاليين للربضين. من يكون ابن عقار هذا ؟ وهل حقيقة أن ما يبرز قليلاً فوق سطح الأرض هي بقايا جدران مسجد ؟ لا يمكن الاجابة عن السؤالين اليوم لقلة المعطيات. ولكن الذي أثار انتباهنا ونحن نتجول بحثاً عن البقايا الأثرية في مجموع الوادي، كثرة القطع الخزفية الصغيرة الحجم والمختلفة الصنع، المختلطة ببقايا مواد البناء كأنصاص الآجور

المشوي، وكرات الجير، واللياط الجيري الذي خلطته بالتراب المحاريث عند شقها للأرض وقت الزرع الخ ... كل ذلك دليل على أن منطقة جامع ابن عقار هذه وعلى مساحة شاسعة تمتد في اتجاه غربي وشمالي غربي، كانت محتلة ببنايات ومنشآت مهمة. وهذه المخلفات وأهمية انتشارها كانا السبب في فتح أسبار تأكُّدية في منطقة امتازت عن غيرها بكثرة القطع الخزفية وبلون أحمر داكن في تربتها. وقد أسفرت الحفرية على اكتشاف قُرنين لصناعة الخزف في عمق نصف متر تحت سطح الأرض، واحد منهما متكامل المرافق، مما أوضح أننا بمنطقة صناعية، تأكد فيما بعد، في ضوء دراسة القطع الخزفية التي انتشلت من داخل القرن ومن محيطه أن أعلى فترة نشاطه تعود إلى القرن التاسع (15 م).

يبقى على البحث الأثري أن يتأكد من مجموع ما تزخر به منطقة جامع ابن عقار، وأن يقيم العلاقة ما بين هذا المنبسط وربض ترغة وكيف كانت البنايات تنتظم في الوادي، علماً بأن عدة مخلفات لآبار وقنوات ري لاتزال كذلك منتشرة على طول هذا الأخير، توحي بالاستغلال الزراعي المكثف الذي كان يعرفه وادي ترغة.

البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب*، باريس 1965 ؛ الادريسي، *نزهة المشتاق*، لايدن، 1866 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 2 ؛ اليادسي، *القصد الشريف*، باريس 1926 ؛ العمري، *مسالك الابصار*، باريس 1927 ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 324 . 325 ؛ عبد العزيز توري، *المسح الاثري لحوض "سبو" ومنطقة "غمارة"* (نتائج الموسم الأول)، *مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية* 11 / 1985، ص 151 . 168 الرباط.

R. Ricard, *Le Maroc septentrional au XVème S. d'après les chroniques portugaises, Hesp.*, XXIII, 1936, pp. 89 - 143 ; A. Moulières, *Le Maroc inconnu*, vol. II, Paris, 1899 ; *Carte nautique de Dulcert*, 1339 ; *Atlas Catalan*, 1375 ; E. Gozalbez, *Atlas arqueologico del Rif, Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan*, 21 - 22, 1980 ; Ch. E. Dufourcq, *L'Espagne Catalane et le Maghreb aux XIIIème et XIVème siècles*, Paris, 1966 ; A. Touri, *Les oratoires de quartiers de Fes : essai d'une typologie*, Thèse, Paris 1980 ; A. Bazzana [et al...], *Première prospection d'archéologie médiévale et islamique dans le Nord du Maroc*, *BAM* 1983 - 84, pp. 367 - 450.

عبد العزيز توري

تَرْغَلِّيلْ، قصر بدرعة يقع بالمنطقة التي تعرف بالتُّلْت، بالمدخل الشمالي لواحة تَرْناتة على الضفة الشرقية لنهر درعة. ويندرج هذا القصر ضمن مجموعة من القصور والقصبات المخزنية القديمة، وكان المخزن يختار هذه القصور، (أستور، أغلان الباشا، بني صولي، تَرْغَلِّيلْ) كمقرات لعماله وقواده على ترناتة، لأهميتها الاستراتجية والعسكرية. ذلك أن المتحكم في هذه القصور، بإمكانه مراقبة المنافذ الشمالية والشرقية لواحة ترناتة (فم أزلاگ، فم وَرْتي، تيزنْ تافيلالت) وهي منافذ لا يمكن الاستغناء عنها إطلاقاً للعبور إلى باقي واحات درعة الجنوبية أو الخروج منها.

يتكون قصر تَرْغَلِّيل من القصبة المخزنية القديمة التي لاتزال أطلالها قائمة إلى اليوم، وتعرف محلياً بقشقورة، بالإضافة إلى المباني التي استحدثت حولها في مختلف العصور.

ترغلّيل
تقشقور على قبر مخلوف بن يوسف بوحصيرة

وسكان قصر تَرْغَلِّيل في غالبيتهم من الحراطنة كجل سكان قصور أهل التلت (*Les pays inaccessibles*، 52) كانت تساكنهم إلى عهد الحماية طائفة كبرى من اليهود، ولايزال بقايا اليهود إلى اليوم بقصر تَرْغَلِّيل من أهمها ضريح الرِّبي مخلوف بن يوسف بوحصيرة، الذي يحتفل به اليهود بوادي درعة، إلى عهد قريب، في شهر يناير من كل سنة، ولايزال قبره مزارة كبرى لليهود حتى من خارج المغرب إلى اليوم (*بعض الظاهر الاجتماعية*، 51).

وبالرغم من أننا لا نعرف بالتدقيق متى أحدث قصر تَرْغَلِّيل، فإن كل المعطيات تؤكد على أن نواة القصر قد ترجع إلى العصور الوسطى.

وبعد قيام الدولة السعدية، كان العامل المخزني على واحة ترناتة ينزل بقصر تَرْغَلِّيل، إلا أن القصر تعرض للتدمير إبان الصراع على السلطة بالمنطقة بين أنصار مَحمد الشيخ بقيادة القائد محمد بن يحيى، وأنصار أحمد الأعرج بقيادة ابنه الأمير زيدان (*خلالة جزولة*، 1 : 58) وقد عرفت تَرْغَلِّيل، أوج عزها في عهد السلطان عبد الله الغالب، الذي أعاد هيكلة قصر تَرْغَلِّيل وغيره من القصور

المخزنية على طول وادي درعة، فأنزل بقصبة القصر حامية قوته، كما شغل الطائفة اليهودية في تصفية وتنقية الذهب المستورد من إفريقيا الغربية وبعد تنقيته يوزن ويؤثر عليه ثم يوجه إلى مراكش. وقد تراجع دور قصر تَرْغَلِّيل، بعد ما أمر السلطان أحمد المنصور السعدي ببناء قصر بني صولي سنة 987 هـ (*مذكرة المزريوي*، 8) فتحول قصر تَرْغَلِّيل إلى قصر عاد طيلة العهد العلوي.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 1، طبع تطوان، د. ت ؛ م. بن حبيب التامْنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ عبد الكريم المزريوي، *مذكرة المزريوي*، مخطوط ؛ توفيق الماگري، *بعض الظاهر الاجتماعية واللغوية للوجود اليهودي بدرعة* (بحث للإجازة ـ كلية الآداب ـ أگادير) 1987.

G. Spillmann, *Les pays inaccessibles de Haut Draa*, *R.G.M.*, n° 1 et 2, 1929.

أحمد البوزيدي

الترغي، أسرة تطوانية كان من بين أفرادها بتطوان الفقيه محمد بن علي الترغي الذي كان من بين الموقعين على عقد البيعة لمولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821، والفقيه محمد بن عبد السلام الترغي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1239 / 1824، والفقيه أحمد بن سعيد الترغي الذي كان يزاول نفس المهنة سنة 1261 / 1845، والفقيه العياشي بن عبد الصمد الترغي المتوفى سنة 1279 / 1862، والفقيه أحمد بن عبد النبي الذي كان حياً سنة 1286 / 1869، والفقيه محمد بن المختار الترغي المتوفى سنة 1292 / 1875، والفقيه أحمد بن محمد الترغي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1301 / 1884، والفقيه عبد السلام بن المصطفى الترغي الذي وافته المنية سنة 1319 / 1901، والفقيه عبد الخالق الترغي الذي كان حياً سنة 1324 / 1906، والفقيه عبد العزيز بن أحمد الترغي المتوفى سنة 1326 / 1908، والفقيه أحمد بن عبد السلام الترغي الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1327 / 1909. ومازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

الترغي، أحمد بن حجون، من العلماء، كان إماماً وخطيباً بجامع ترغة، وهو دفين بساحتها.

الترغي، أحمد بن علي بن الحسن بن أحمد الزياتي الغماري، له تقييد على *الأرجوزة* المشهورة في فقه الذكاة المنسوبة للشيخ ابن بشير التي تبتدئ بقوله :

علم الذكاة خذه باليقين وذاك فرض من فروض الدين
لأنه لأكلنا نسترجيه والأكل لا يحل إلا طيبه

لا يعرف تاريخ وفاته ولا ميلاده، ولا العصر الذي كان يعيش فيه.

الترغي، أحمد الغزال، الصوفي الأندلسي من رجال القرن السادي (12 م).

الترغي، أقنين كان عالماً جليلاً، وفقيهاً مفتياً، له تضلع في نوازل الفقه، كانت له خزانة تضم نوادر المخطوطات الفقهية، من بينها ذخيرة القرافي، وكانت عمدته في كثير من فتاواه، فأنكر عليه فقهاء تطوان وجودها، واتهموه بالتدليس، فحملها إليهم على أتان له وأطلعهم عليها، فطأطأوا الرؤوس. انتقل في أخريات حياته إلى بني سالم حوز تطوان وتوفي هناك في حدود منتصف القرن الرابع عشر (20 م).

الترغي، عبد الرحيم بن أحمد الشهير بالقنائي، أنهى دراسته بسبتة، ثم شد الرحال إلى أقطار المشرق، وانتهى به المطاف إلى صعيد مصر، فأسس هناك طريقته المعروفة بالطريقة القنائية، ولا يزال لها أتباع حتى اليوم. توفي عام 592 / 1195.

الترغي، محمد بن يوسف المستاري، والمستاريون أحد الفروع التي استوطنت حول ترغة، وأصلهم ـ فيما يبدو ـ من بني مستارة إحدى القبائل الجبلية المجاورة لوزان.

ولد محمد الترغي بفاس، ولعل القادم إليها والده يوسف ـ وهو أستاذ مقرئ (ت. 1000 / 1591)، وربما كان له الفضل الأكبر في تكوين ولده محمد، وهو الذي حبب إليه علوم القرآن.

أخذ محمد الترغي بفاس عن أبي نعيم رضوان الجنوي، وأبي عبد الله الخروبي، وأبي القاسم ابن ابراهيم الدكالي، وأبي الحسن علي بن عيسى الراشدي، وآخرين. ثم انتقل إلى مراكش، وبها قضى جل حياته، كان أستاذاً مجوداً، عارفاً بالمقارئ السبعة، محققاً فيها، مع المشاركة في غيرها من العلوم والفنون، وهو مؤدب أولاد الملوك، شدت الرحال للأخذ عنه، وتزاحمت الركبان على بابه، وعنه انتشرت القراءات بالمغرب ـ على عهده ـ بسائر طرقها، ولم يشتغل بالتأليف، وإنما تآليفه تلاميذه الذين يعدون بالعشرات، من أشهرهم التملي محمد المرابط، أحمد بن سعيد صاحب *كتاب الصنعة، في التجويد وقراءات السبعة* وسواهم.

وقفت لمحمد الترغي على أجوبة في مسائل مختلفة من علم القراءات كتب إليه في ذلك تلميذه محمد المرابط، وتتلخص أسئلته فيما يلي :

1 ـ الوقف على عظيم من قوله تعالى ـ في قصة بلقيس ـ (ولها عرش عظيم).

2 ـ هل تفخم الراء في قوله سبحانه : (يستأخرون).

3 ـ هل ترقق الراء في قوله تعالى : (قل إن افتريته)، (فأغرينا) (وجرين)، (بشرين)، (البحرين) ؟

4 ـ هل ألف (أنا) من قوله تعالى : (إن أنا إلا نذير) : تثبت في النطق أم لا ؟

5 ـ ما هو مخرج الضاد والظاء ؟ وما النطق الصحيح

في ذلك ؟ وكانت خلاصة جوابه أن الثابت عن ورش : تفخيم الراء في (يستأخرون) وأن الراء في كل الكلمات السابقة مفخمة، وأما إثبات ألف (أنا)، فقد اختلف القراء في ذلك إلى آخر ما أورد في أجوبته.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 267 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ م. الإفراني، *الصفوة* ؛ م. الكتاني، *السلوة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام* ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

سعيد أعراب

التِّرفاس، لفظ أمازيغي يطلق على أنواع من جنس فطور درنية تشبه الكمء (أو الكماءة أو لفت الرعد) أو Truffes بالفرنسية، وهي تنبت وتتكاثر تحت الأرض في تكافل مع جذور بعض النباتات المنتمية إلى فصيلة القستوسيات.

والترفاس أو ترفيسيا أفريكانا (Terfezia Africana) أو ترفيسيا ليونيس (Terfezia leonis) (نسبة إلى الحسن الوزان الملقب بليون الافريقي الذي تكلم عن الترفاس في وصفه لافريقيا) فطر كروي في حجم البطاطيس، ذو لحم أبيض لذيذ الطعم، ومحبب عند أغلبية الناس الذين لا تفوتهم غالبا فرصة شرائه حتى وإن كان ثمنه مرتفعا، وذلك لاستعماله وحده أو مع اللحم أو البطاطيس أو غير ذلك لتهييئ أنواع من "الطاجين" المفضل عند المغربي. ويعرف اليهود المغاربة بارتباطهم الكبير وولوعهم الشديد بالترفاس.

ينمو الترفاس في المناطق الرملية من المغرب مثل غابة المعمورة والسهول غير المزروعة الممتدة في الهضاب العليا من المغرب شريطة أن تعرف هذه الأخيرة سقوط أمطار كافية لتكاثر هذه الفطريات في مصل هذه المناطق الجافة. وفي هذه الظروف يتكاثر الترفاس في فرجات غابة المعمورة بجانب أشجار البلوط أو بجانب الحلفاء أو الشيح في المغرب الشرقي أو بجانب نباتات مختلفة في مناطق أخرى.

وهكذا تزدهر التجارة المتعلقة بالترفاس في المناطق التي يتكاثر بها، فنصادفه في الأسواق أو عادة على جوانب الطرق حيث نرى البائعين يلبسونه غشاء من الطين المبلل للحفاظ عليه نظرا لكونه لا يتحمل الهواء الطلق.

استطلاع ميداني.

H.P.J. Renaud et G.S. Colin, *Tuhfat Al Ahbab*, Paris, 1934.

عبد المالك بنعبيد

التُّرق L'Huitre، جنس من أجناس الرخويات، ثنائيات الصدفة، صفيحيات الخياشيم، يعيش في مياه البحر، في البحيرات المالحة أو في مصبات الأنهار حيث يتحمل تغيرات عالية للملوحة.

يتكون جسم الترق من مضغة تحميها صدفتان دائريتا الشكل عند نوع Crassostrea edule وثلاثية الشكل عند معظم الأنواع الأخرى. تنتج هاتان الصدفتان عن إفرازات خاصة. يتغذى الترق بالأساس بالمواد العضوية العالقة في الماء يصفي كميات هائلة منه فيبقي على المواد الصالحة لتغذيته داخل جسمه ويلقي بالماء مصفّى داخل محيطه. لكذلك يكون الترق أكثر أعدادا في الأوساط التي تحتوي مياهها على كميات كبيرة من المواد العضوية. ونظراً لهاته الخاصية، ولتزيين لونه قبل عرضه للبيع، اعتاد مربو الترق إعطاءه طحالب مجهرية مغذية خضراء من جنس Navieuta داخل أحواض تربيته، فيتغذى عليها لتكسبه لوناً أخضر وطعماً متميزاً يزيد من قيمته الشرائية في السوق ومردوديته. يتنفس الترق كباقي الحيوانات البحرية وبالأخص الرخويات في الماء بواسطة خياشيم مفطحة تمتص الاكسجين مباشرة من ماء البحر.

يعتبر الترق من الحيوانات الثنائية الجنس حيث يحتوي جسم كل فرد على أعضاء تناسلية ذكرية وأنثوية. وإذا كان النوع Crassostrea edule مثلا يتوفر في نفس الوقت على حيوانات منوية وبويضات فإن أنواعا أخرى مثل Crassostrea gigas تكون ذكراً أولا فتلقي بحيواناتها ثم تصبح إناثا لتعطي بويضات أنثوية، إلا أنه في غالب الأحيان، بل وعند العديد من الكائنات الحية، فنظراً لقصر عمر البويضات الأنثوية فإن الحيوانات المنوية تنضج قبل البويضات لتلقحها بمجرد نضجها وقبل موتها.

تُلقح البويضات داخل جسم الأنثى عندما تصفي هاته الأخيرة ماء البحر محملة بالحيوانات المنوية من أجل التغذية فتلقي هاته الحيوانات المنوية بالبويضات داخل الجسم فتلقحها ويبدأ تطويرها قبل أن تلقيها خارج الجسم على شكل برقة عائمة تسبح في الماء لبعض الأسابيع قبل أن تثبت على دعامة ما.

عند بعض الأنواع الأخرى تلقى الحيوانات المنوية والبويضات في الماء وتحملها التيارات البحرية لتلتقي فيما بينها وتتلاقح عن طريق الصدفة، كالعديد من الحيوانات التي تلد عن طريق البيض وخاصة منها التي لا تحضن بيضها وإنما تلقيها في الماء، يلد الترق ويلقي في الماء بأعداد هائلة من البيض تزيد من نسبة بلوغ البعض منها إلى سن متقدم. وهكذا يمكن أن يبلغ عدد البيض الذي يلقيه كل فرد من الترق ما بين خمس مائة ألف وعشرين ألف بُويضة ملقحة يضيع العديد منه ولا ينجو إلا القليل منها.

تعتبر تربية الترق من أهم الصناعات الغذائية ومن أهم الاستثمارات مردودية ويتعاطى لهاته الصناعة العديد من المنتجين في بعض البحيرات المالحة سواء منها المتوسطية أو الأطلسية. فلقد دخل الترق في العادات الغذائية في المغرب منذ بداية هذا القرن تقريباً أي حوالي سنة 1920 إلا أن تناوله من طرف العائلات المغربية بقي جد محدود حيث كان الترق كأن يستورد من بعض الدول الأوربية كفرنسا والبرتغال فيخزن بالسواحل المغربية قبل أن يتم بيعه من جديد مما خلق تجارة مربحة نتج عنها محاولات لتربية الترق في بعض البحيرات سنة 1952 ثم الشروع في استثمارات

داخل بحيرة الوليدية سنة 1956.

اقتصرت تربية الترق في بداية الأمر على نوعين اثنين هما : Crassostrea angulata وCrassostrea gigas إلا أن نهاية الصدفة الأخيرة أعطت مع مرور الوقت مردودية أكثر فأصبحت بالتالي أكثر إثارة لاهتمام المستثمر في تربية الترق. أما على الساحل المتوسطي فإن تربية الترق وخاصة النوع البلدي Crassostrea edule، لازالت حديثة العهد نسبيا حيث لم يبدأ الاستثمار ببحيرة الناظور مع إنشاء شركة ماروست MARST لتربية الأحياء المائية سنة 1985. والجدير بالذكر أن معظم إنتاج هاتين الوحدتين مخصص بالأساس للتصدير وخاصة في بعض المناسبات كرأس السنة الميلادية حيث تُكون وجبة الترق إحدى خصائص هاته المناسبة عند المسيحيين.

يتوفر المغرب على بعض أنواع الترق إلا أن أهمها والتي لها قيمة تجارية نذكر منها Crassostrea edule وCrassostrea gigas وCrassostrea angulata إلا أن النوع الأول يبقى النوع الوحيد البلدي، أما النوعان الآخران أي الترق البرتغالي C. angulata أو الترق الياباني C. gigas تبقى مستوردة.

C. Bellon-Humbert, *Les mollusques marins testacés du Maroc, premier supplément*, Rabat, n° 37, 1973 ; *Sciences, Alfa sciences*, n° 28, 1974 ; P. S. Gart, *The American oyster, Fish. Bull.* vol. 64, 1964 ; J.C. Medcof, *Oyster Farming in the Maritimes, Fish. Res. Canada Bull.* 131, 1961 ; O.M.F. Ghallahi, *Essai experimental d'élevage de l'huître plate (O. edulis) dans la côte atlantique marocaine : Lagune de Moulay Bousselham et l'estuaire de Tahadart*, Rabat, Mem. IAV, 1989 ; J. Williams et A. Mkadmi, *Possibilités d'expansion dans l'ostreiculture dans la lagune de Oualidia (Maroc)*, Mem. IAV, 1985.

محمد منيوي

الترقي (جريدة ـ)، لما تقرر نقل مقر جريدة *السعادة* من طنجة إلى الرباط (أبريل 1913)، تأسست في نفس التاريخ بمدينة البوغاز صحيفة أخرى تحمل عنوان *الترقي*، وذلك للاستمرار في مهمة زميلتها الراحلة. لكن لم ترق الجريدة الجديدة قط إلى مستوى *السعادة* من حيث النفوذ، بل إن الأوضاع التقشفية التي فرضها سياق الحرب العظمى قد قلص من حجمها وجعلها مجرد وريقة متواضعة جدا تصدرها إدارة الجريدة الفرنسية لاديبيش ماروكين La Dépêche Marocaine.

لما اشتدت شرارة الحرب وعظم معها دور الإعلام، ارتأت وزارة الخارجية الفرنسية أن تنعش جريدة الترقي لتقوم بدور دعائي فعال للدفاع عن المصالح الفرنسية. وهكذا، تلقت *الترقي* ابتداء من يناير 1916، مساعدات مادية مهمة مكنتها من الصدور في حلة جديدة والوصول بالمجان إلى عدد من القراء بمختلف مناطق المغرب. وكذا بالجزائر وتونس ومصر.

ويكمن الدور الأساسي *للترقي* أثناء الحرب في إظهار ازدهار المغرب تحت رعاية فرنسا بالرغم من وطأة الظروف الاستثنائية، كما عملت الجريدة على جلب تعاطف قرائها لصالح فرنسا ضد أعدائها، خاصة الألمان. وبالإضافة إلى ذلك، *فالترقي* كانت مطالبة أيضا بعدم ترك المنطقة الشمالية من المغرب ساحة فارغة أمام الدعاية الإسبانية المتمثلة في جريدتين عربيتين، الأولى بطنجة هي *الحق*، والثانية بتطوان هي *الإصلاح*.

كانت مواد *الترقي* مستلهمة أساسا في محتويات لاديبيش ماروكين، فتحرر أولا بالفرنسية، ثم تترجم بعد ذلك إلى العربية.

توقفت *الترقي* عن الصدور سنة 1925 م بعد أن استقرت ظرفية جديدة على الصعيدين المحلي والدولي، لم تعد معها الحاجة ماسة إلى استمرارها.

جامع بيضا

الترقية (في الوظيفة العمومية). يرتب موظفو الدولة المغربية في أحد عشر سلماً من سلاليم الأجور، تبتدئ من السلم الأول وتنتهي بالحادي عشر. ويحتوي كل سلم على عشر درجات مرتبة من الأولى إلى العاشرة بالإضافة إلى درجة استثنائية توجد خارج السلاليم بعد الدرجة العاشرة تسمى خارج الاطار أو خارج السلم.

وتتم ترقية كل موظف من موظفي الدولة داخل السلم الذي ينتمي إليه من بداية التحاقه بالعمل إلى نهاية مدة خدمته في الوظيفة العمومية طبقا لنفس الترتيب. وكلما التحق الموظف بسلم أعلى بواسطة امتحان مهني أو مباراة أو شبهها تخصم منه درجة واحدة، وقد يتكرر ذلك مرتين أو أكثر كلما انتقل من سلم إلى سلم آخر.

وتتخذ الترقية بالنسبة لجميع السلاليم ثلاثة أشكال. فهي تكون إما بالامتياز أو بنصف الامتياز أو بالأقدمية حسب اجتهاد الموظف ومردوديته. ويتم ذلك بناء على تنقيط يمنحه الرؤساء المباشرون أو المفتشون أو غيرهم لمن هم إلى نظرهم وتحت إشرافهم. واعتماداً على هذا التنقيط تختلف مدة الترقية من درجة دنيا إلى درجة أعلى في سلم الموظف على الشكل التالي :

الدرجة	الامتياز	نصف الامتياز	الأقدمية
الدرجة 1 إلى الدرجة 2	سنة	سنة	سنة
الدرجة 2 إلى الدرجة 3	سنة	سنة ونصف	سنتان
الدرجة 3 إلى الدرجة 4	سنتان	سنتان ونصف	3 سنوات
الدرجة 4 إلى الدرجة 5	سنتان	سنتان ونصف	3 سنوات ونصف
الدرجة 5 إلى الدرجة 6	سنتان	سنتان ونصف	3 سنوات ونصف
الدرجة 6 إلى الدرجة 7	3 سنوات	3 سنوات ونصف	4 سنوات
الدرجة 7 إلى الدرجة 8	3 سنوات	3 سنوات ونصف	4 سنوات
الدرجة 8 إلى الدرجة 9	3 سنوات	4 سنوات	4 سنوات ونصف
الدرجة 9 إلى الدرجة 10	4 سنوات	5 سنوات	5 سنوات ونصف

ويتقاضى موظفو الدولة في أي سلم كانوا أجرة شهرية مقابل الأعمال التي يقومون بها تناسب الدرجة التي يوجدون فيها. تتكون هذه الأجرة من شقين : راتب أساسي وتعويضات مختلفة. ويتم احتساب الراتب الأساسي باعتبار النقطة الاستدلالية المطابقة لكل درجة في كل سلم

من سلاليم الأجور كما توضح شبكة الأرقام الاستدلالية التالية La grille indiciaire :

ملحوظة : يشير الرقم الأعلى المقابل لكل درجة في كل سلم إلى الرقم الاستدلالي ويدل الرقم الأسفل على الراتب الأساس.

الدرجة / السلم	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	خارج السلاليم
1	107 8519.34	109 8678.58	112 8917.44	115 9156.3	117 9315.54	119 9474.71	122 9713.64	124 9872.88	126 10032.12	128 10191.36	131 10430.22
2	119 9474.78	124 9872.88	128 10191.36	133 10589.46	136 10828.32	139 11067.18	144 11465.28	148 11783.76	153 12095.76	158 12350.36	
3	126 10032.12	130 10350.6	134 10669.08	139 11067.18	146 11624.52	153 12095.76	161 12503.12	170 12961.4	175 13216	181 13521.52	
4	131 10430.22	135 10748.7	140 11146.8	147 11704.14	154 12146.68	162 12554.04	171 13012.32	179 13419.68	188 13877.96	200 14489	
5	137 10907.94	141 11226.42	150 11943	157 12299.44	165 12706.8	174 13165.08	183 13623.36	192 14081.64	201 14539.92	220 15507.4	
6	151 11993.92	161 12503.12	123 13114	185 13725.2	197 14336.24	209 14947.28	222 15609.24	236 16322.12	249 16984.08	262 17646.04	
7	177 13317.84	193 14132.56	208 14896.36	225 15762	242 16627.64	260 17544.2	277 18409.84	291 19122.72	305 19835.6	318 20497.56	
8	207 14845.44	224 15711.08	241 16576.72	259 17493.28	276 18358.92	293 19224.56	311 20141.12	332 21210.44	353 22279.76	373 23298.16	
9	235 16271.2	253 17187.76	274 18257.08	296 19377.32	317 20446.64	339 21566.88	361 22687.12	382 23756.44	404 24876.68	438 26607.96	
10	275 18308	300 19581	326 20904.92	351 22177.92	377 23501.84	402 24774.84	428 26098.76	456 27524.52	484 28950.28	512 30376.04	564 33023.88
11	336 21414.12	369 23094.48	403 24825.76	436 26506.12	472 28339.24	509 30223.28	542 31903.64	574 33533.08	606 35162.52	639 36842.88	704 40152.68

وتوضح شبكات الرواتب الأساسية الواردة أعلاه في شبكة الأرقام الاستدلالية الراتب الأساسي المطابق لكل درجة في كل سلم، وهي تحتسب بشكل سنوي. وبعد قسمتها على اثني عشر شهراً تصبح الأجرة شهرية فيتلقاها الموظف على شكل راتب شهري مكون من الراتب الأساسي والتعويضات.

ويعادل الراتب الأساسي للموظف القدر الناتج عن ضرب القيمة السنوية للنقطة الاستدلالية (وهو 50.92 درهماً) في الرقم الاستدلالي الحقيقي المطابق لوضعية العون. وابتداء من فاتح يوليوز 1981 أضيف إلى الراتب الأساسي مبلغ 18.01 درهما عن النقطة الاستدلالية بالنسبة للأرقام الاستدلالية الحقيقية المتراوحة بين 1 و150 وكذا بالنسبة للمائة والخمسين نقطة الاستدلالية الأولى إذا كان الرقم الاستدلالي الحقيقي للموظف يتجاوز 150. وهذا يعني أن للنقطة الاستدلالية قيمتين : قيمة أولى قدرها 68.93 درهما للمائة والخمسين نقطة الأولى فما أقل، وهي ناتجة عن إضافة 50.92 درهما إلى 18.01 درهماً، وقيمة ثانية قدرها 50.92 درهماً لكل نقطة تفوق المائة والخمسين نقطة الأولى. وبناء على ذلك يمكن احتساب الراتب الأساسي المقابل لكل درجة في كل سلم من سلاليم الوظيفة، ما لم يطرأ تغيير على القيم الحقيقية للأرقام الاستدلالية والنقط المقابلة لها. وبعد احتساب الراتب الأساسي تضاف إليه مختلف التعويضات لتشكيل الراتب الاجمالي. نستدل على ذلك بثلاثة نماذج من الموظفين نحسب رواتبهم الأساسية فيما يلي دون إدخال التعويضات الممنوحة لهم :

السلم	الدرجة	رقمها الاستدلالي	الراتب الأساسي السنوي	الراتب الأساسي الشهري
9	5	317	1) 317 - 150 = 167 2) 150 x 68.93 د = 10.339.5 درهما 3) 167 x 50.92 د = 8.503.64 درهما 4) المجموع = 18.843 ،14 د	18.843.14 = —— 12 1.570.26 درهما
10	5	377	1) 377 - 150 = 227 2) 150 x 68.93 د = 10.339.5 درهما 3) 227 x 92.50 د = 11.558.84 درهما 4) المجموع = 21.898.34 د	21.898.34 = —— 12 1.824.86 درهما
11	5	472	1) 472 - 150 = 322 2) 150 x 68.93 د = 10.339.5 درهما 3) 322 x 50.92 د = 16.396.24 درهما 4) المجموع = 26.735.74 د	26.735.74 = —— 12 2.227.97 درهما

عبد الرحمن البكريوي، *الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط 1990 ؛ محمد مرغني، *المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط 1984 ؛ جمعية تنمية البحوث والدراسات الإدارية، *النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية والاصلاح الإداري، تشريعات وقوانين تنظيمية*، الرباط، 1987 ؛ عبد القادر باينة،

القانون الإداري، القضاء الإداري، الرباط 1981 ؛ خالد الميز وإدريس قاسمي، *التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الدار البيضاء 1982.

A. Benjelloun, *Droit administratif, l'organisation administrative*, Rabat, 1984 ; Ministère des Affaires Administratives, *La fonction publique*, Rabat, 1981 ; A. Hatim, *La notion d'intérêt du service dans le droit de la fonction publique marocaine*, D.E.S. en Sc. Jur. Econ. et Soc. Rabat, 1988; J. M. Breton, *Droit de la fonction publique des états d'Afrique francophone*, Paris, 1990 ; E. Ayoub, *La fonction publique*, Paris, 1975.

محمد بوسلام

الترقيم بالمغرب، تستعمل في المغرب الأرقام العربية، وهي قريبة الشبه بالأرقام الغبارية التي استعملت في العصر الوسيط بالأندلس والمغرب والتي اشتقت منها الأرقام الأوربية الحالية ويرى الأستاذ "كاي" أن الأرقام التجارية هاته يعود أقدمها إلى مخطوط من (تورخبد) عام 198 / 813 م وآخر من (كوجرات) عام 253 / 867 م وهو تاريخ وصول أول مثال عن الأرقام الهندية إلى العالم العربي، في حين أقدم وثائق الأرقام الغبارية يعود إلى عام 261 / 874 م و275 / 888 م.

غير أن هنالك ما يشير إلى استعمال الهنود لهذه الأرقام بما في ذلك الصفر منذ القرن الخامس الميلادي على الأقل وقد أشار "اريابهاطا" إلى هذه الأرقام بصفرها قبل ذلك حيث عاش أوائل القرن الرابع، غير أن تحديد شكل الصفر هل هو نقطة أو دائرة يظل دائماً موضوع خلاف.

ويذكرون أن أوراق البردي المصرية القديمة الراجعة إلى القرن الثالث الهجري قد استعملت الأرقام "الغبارية". ولكننا نتساءل لماذا لم يتابع المصريون في القرون التالية استعمال هذه الأرقام حيث عدلوا عنها ـ إذا صح أنها استعملت حقيقة ـ إلى الأرقام الهندية أو العربية المستعملة الآن في الشرق.

ويظهر أن الأرقام الهندية قد أدخل عليها منذ القرن الرابع الهجري تعديل كما يلاحظ ذلك في رحلة البيروني عن الهند (440 / 1043 م).

واتسعت الصورة الجديدة للأرقام عند البيروني بما عرفت به بعد ذلك عند ابن الياسمين بالمغرب، وخاصيتها الأساسية هي الشكل الدائري للصفر الذي ظل مطموسا عند المشارقة عدا البعض أمثال محمد بن موسى الخوارزمي.

والخوارزمي هذا أحد منجمي المامون اعتمد في مؤلفاته الحسابية على الهندوس منها *العمل بالأسطرلاب* وهو من جملة الخمسمائة رياضي وفلكي من العلماء العرب الذين ذكرهم "زوتر" في كتابه *رياضيو العرب وفلكيوهم وأعمالهم* وتدل المصادر العربية على أن ما يسمى في المغرب بالأرقام الغبارية هي نفسها الأرقام العربية حيث يوجد في الخزانة العامة بالرباط مخطوط تحت عنوان : *تلقيح الأفكار في العمل برسم الغبار* (رقم 222 ك) من تأليف أبي محمد عبد الله أو عبد الرحمن بن حجاج المعروف بابن الياسمين الذي ولد بفاس أواسط القرن السادس وهو بربري من بني حجاج بقلعة فندلاوة، أخذ العلوم الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم وقد قال ابن الآبار في *التكملة* : "ولـه *أرجوزة في الجبر* قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية في سنة 587" (ص. 531) وكان أحد خدام المنصور وولده الناصر كما في *الذخيرة السنية*، وقد وجد ذبيحاً بمراكش سنة 600 أو أوائل 601 هـ، وتوجد نسخ من *أرجوزته في الجبر والمقابلة* بخزائن باريز وبرلين وأكسفورد والاسكوريال والقاهرة، ومن شراح الأرجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المتوفى سنة 815 / 1412 م (وهو مخطوط باكسفورد والقاهرة) والقلصادي المتوفى عام 892 / 1486 م وهو صاحب *كشف الأسرار عن حروف الغبار*، خ. ع 14111 د. واسم شرح القلصادي *تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين*، (مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 / 1494 م ويسمى *اللمعة الماردينية في شرح الياسمينية* (مخطوط ببرلين والقاهرة وأسطمبول) وله *أرجوزة في أعمال الجذور* توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الأستاذ محمد الفاسي مجلة *رسالة المغرب* سنة 1942 السنة الأولى عدد 1) وممن شرح الأرجوزة سعيد العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (*نيل الابتهاج*، ص. 106).

وكتاب *تلقيح الأفكار* هذا يعتبر أقدم وثيقة تحدثت عن أعداد الغبار وأكدت أنها مغربية أي عربية الأصل.

ونحن لا ننكر أنه كان هنالك اتصال للعرب المشارقة بالهندوس منذ عهد الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان واتصال المغاربة بالإغريق ربما عن طريق السريان في آسيا الصغرى وكذلك عن طريق الرحلات خاصة في نطاق دعوة ملوك المغرب والأندلس لعلماء اليونان واتقان علمائها بالأندلس خاصة لليونانية واللاتينية مما جعل ابن حزم يؤكد في جمهرته أنه لم ير رجلين اثنين من علماء الأندلس لا يتقنان هاتين اللغتين بالإضافة إلى الضلاعة في لغة الضاد، غير أن الاتصال ليس معناه الاقتباس لأن الإغريق لم تكن لهم في الحقيقة طريقة منظمة لكتابة الأعداد وإنها اعتمدوا في الأصل على المنهج المصري القديم مع الرمز لها بالحروف الأبجدية. فكيف يعطون ما ليس لديهم ؟

وفي خصوص مصدر الأرقام العربية توجد نظريتان أولاهما كلاسيكية مشهورة يدعو إليها ثلة من الغربيين فيهم "ويبك" و"سميث" و"تالليتو" و"ديرنجر" وهي نسبة هذه الأرقام إلى الهنود الذين يرجع إليهم الفضل في إبداع طريقة التعداد بالأرقام والمراتب على النظام العشري وعنهم أخذ العرب الذين يعترف علماؤهم بذلك كالمسعودي والبيروني. هذا في حين أن بعض العلماء أمثال "كارا دي فو" و"كاي" و"كولان" يرون أن مبدأ الترقيم يعود إلى الرياضيين اليونانيين حيث يرى "كارا دي فو" أن كلمة هندي راجعة إلى الكلمة الفارسية بمعنى قياس في الحساب والهندسة أو أنها من هندسي (الهندسة والحساب) ولذلك فنظام الترقيم في نظره هو عمل أتباع أفلاطون

وفيتاغورس، ومن ثم انتقلت هذه الطريقة حسب زعمهم للأمم اللاتينية وللفرس الذين نقلوها بدورهم للعرب والهنود معا بعد الفتح الإسلامي. تلك نظرية الذين يبحثون دائما عن منفذ إلى أصالة الغربيين المزعومة في كل شيء.

ويزيد "كولان" الأمر تدقيقاً فيزعم ـ تخمينا ـ أن الأرقام العربية اشتقت من الأحرف اليونانية ذات الدلالة الرقمية وأن الفرق بين الأرقام الهندية والغبارية هو أن الأولى تشتق مباشرة كالثانية من الأصول اليونانية بل إنها جاءت للغربيين عن طريق الهنود الذين نقلوها بدورهم عن اليونان.

ولعل الأرقام العربية ظهرت لأول مرة بأوربا في مخطوط للهندسة تحت اسم مستعار (بويس) يعود تاريخه للقرن الحادي عشر الميلادي ولها أشكال الأرقام الغبارية التي استعملتها أوربا والتي يتبين من بعض الأشكال المعروضة في هذا المجال أنها ليست هي التي يستعملها العرب الآن حيث أن جيربير (Gerbert) وتلاميذه لم يعرفوا الصفر. فالمخطوط الأوربي الأول الذي ظهرت فيه هذه الأرقام يرجع إلى عام 366 / 976 م وقد نشر مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط أشكالا لذلك، وقد أكد المؤرخ الانجليزي "كيوم دوما لميسيوري" وهو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي أن جيربير تتلمذ للعرب بالأندلس. ويقال بأن جيربير هذا هو الذي أدخل الحروف العربية إلى أوربا معجبا بمعجزة الصفر التي هي من إبداع الفكر العربي وتركت أثرها العميق في نفسية الرياضيين أمثال "اديلارت" الانجليزي و"جيرار كريمونو" الإيطالي، وقد توهم البعض أن "جيربير" هذا الذي اعتلى (عام 999 م / 390 هـ) كرسي البابوية باسم سيلفتر الثاني (Sylvestre II) قد درس في جامعة القرويين وبها تعرف على الأرقام الغبارية ونقلها إلى أوربا إلا أن هذا لم يصح بل إن اتصال "جيربير" بمعاهد قرطبة أقرب إلى الواقع.

إذا قلنا بأن الأرقام المشرقية الحالية والأرقام الغبارية المغربية كلاهما من أصل هندي فإن ذلك يرجع إلى تعدد أشكال الأرقام الهندية تبعا للمناطق بالهند، كما لاحظ ذلك البيروني ولعل العرب اكتفوا من هذه الأشكال بصنفين فقط نتج عنهما الطريقتان المشرقية والغبارية المغربية إذا صح أن هذه ليست عربية أصيلة.

وقد أكد ابن الحباك محمد بن أحمد التلمساني (867 / 1462 م) في *شرح تلخيص أعمال الحساب لابن البنا* (ص. 21) أن حساب الغبار من وضع الهنود الذين كانوا يتصرفون به في غبار مبسوط على لوح وأشكالها تسعة.

وفي ذلك إشارة إلى عادة رش الغبار على الألواح المستعملة لإجراء الحساب ليمكن رسمها بالأصبع. والأرجح عند البعض في تعليل هذه التسمية أن هذه الأرقام كانت تكتب بالقلم المسمى "غبارى" لدقته بالنسبة للأقلام الأخرى وهو أصلح للحسابات وهذه أيضا نظرية تؤكد انفصال القلم الغباري عن القلم الهندي، وقد أشار أيضاً إلى نوع ثان هو حساب "الجمل" وحساب "أبجد" ونوع ثالث وهو الزمامي المعبر عنه بالقلم الفاسي.

نعم لجأ المغاربة إلى الأرقام الرومانية أحيانا وهي التي عرفت قبل القرن التاسع الهجري واستعملت باسم (الخط الفاسي) حيث استخدمها علماء فاس اختصاراً وحماية للوثائق الهامة من التدليس ولعلها مستعارة من الكتابة الاغريقية واقتصر استعمالها على حسابات المواريث وحوالات الوقف وجداول وأزياج الفلك، وقد نص صاحب *تاريخ الرياضيات* على أن أول من دعا لاستخدام الأرقام الغبارية "ليوناردو فنشي" حيث ظهرت منقوشة في عملة سويسرا عام 828 / 1424 م وفي النمسا سنة 889 / 1484 م وفي فرنسا عام 890 / 1485 م وفي ألمانيا سنة 895 / 1489 وفي اسكتلندا عام 946 / 1539 م وفي انجلترا عام 958 / 1551م واعتمدت لأول مرة في التقويم عام 924 / 1518 (تقويم كوبل)، وهذا الزعم لا يصح لأن "ليوناردو" ولد عام 856 / 1452 وتوفي عام 925 / 1519 فهو قد وجد الأرقام العربية قد أخذت طريقها في المسار الحضاري الإنساني بأوربا قبل ذلك بخمسة قرون وإنما زاد هذا الانتشار دعما نظرا لمكانته العلمية عند الغربيين ومعلوم أن ليوناردو فنشي كان صديقا لفردريك الثاني الامبراطور الجرماني وكان كلاهما معجبا باللغة العربية وقد تتلمذ ليوناردو لعلماء العرب واقتبس الأرقام العربية من مؤلفاتهم في الجبر والمقابلة والحساب، وهو يعتبر أعظم من نشر العلوم الرياضية انطلاقا من منبعها العربي بواسطة الأرقام التي غير العرب شكلها وصورتها.

فعروبة الأرقام المستعملة الآن في أوربا والمغرب قد تكون غير أصيلة نظراً لطابعها الهندي المحتمل، غير أن هنالك فرقا بين الشكل الهندي الأول وبين ما أصبح العرب يستعملونه من أرقام وصفتها أوربا بأنها عربية، فكان ذلك مبرراً لهذه التسمية التي درج عليها الغربيون إزاء الأرقام المعدلة من طرف العرب خاصة بالأندلس وجزر البحر المتوسط منذ العصور الوسطى. ومهما يكن فإن الوطن العربي في حاجة الآن إلى أن يوحد اختياراته مع العالم الحديث في هذا المجال لا سيما وأن مناطق عربية شاسعة تستعمل منذ عدة قرون ما تستعمله أوربا من أرقام تصفها هذه بأنها عربية فلو كان الغربيون يستخدمون وحدهم هذه الأرقام لتساءلنا لماذا نعطي الأسبقية لهذه على تلك. وقد أبرزت وثيقة وردت على مكتب التعريب من وزارة الاعلام بدولة الكويت ضرورة تصميم هذه الحروف المستعملة في أوربا لأسباب أساسها وجوب التركيز على دواعي الوحدة الثقافية والعلمية وحتى السياحية على الصعيد العالمي. وقررت حكومة العراق التخلي عن الأرقام المشرقية واعتماد الأرقام العربية فأثار هذا القرار تساؤلات عن مستقبل الأرقام المشرقية. وقد ظهرت دراسات لعلماء عرب خاصة بمصر أبرزت أصالة الأرقام المستعملة اليوم لدى الغربيين كأرقام عربية.

وسبق لمجمع اللغة العربية بالقاهرة أن أحال كتاب لجنة

الرياضة في هذا المجمع على مجلس الاتحاد في خصوص اقتراح إحلال الأرقام الغبارية المستعملة في المغرب العربي محل الأرقام الهندية المنتشرة في جميع بلاد المشرق العربي بحجة أن الأولى هي الأرقام العربية الأصيلة. كما سبق أن انعقدت عام 1383 / 1963 م بتونس حلقة لتوحيد الأرقام العربية حضرها ممثلون وملاحظون عن الدول العربية وجامعتها تدارسوا تطور هذه الأرقام في مختلف مراحل التاريخ العربي وقد توصلت هذه الحلقة إلى ما حقق لديها أصالة هذه الأرقام مؤكدة ضروره الاقتصار عليها في العد والترقيم والتزمت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية آنذاك بإصدار تعليماتها إلى سائر الدول العربية لضمان هذه الوحدة.

وقد تحدث الأستاذ أنور بكير مدير المكتب الدائم للاتحاد البريدي العربي في بحث له عن الأرقام العربية الأصيلة (ويقصد بها الأرقام الغبارية) وضرورة استخدامها في أختام البريد بدلا من الأرقام العربية الحالية التي هي أرقام هندية، كما أشار إلى الاتفاقية البريدية العالمية التي تقضي باستعمال الأرقام العربية المستخدمة الآن بأوربا، وقد أصدر مؤتمر الرياض عام 1380 / 1960 توصية للبلاد العربية للعمل بقدر الإمكان على استخدام الأرقام الغبارية في شكلها الحالي المستعمل بالمغرب العربي وبأوربا وبقية أجزاء العالم وخلال المؤتمر الثاني للتعريب بالجزائر (1393 / 1973) أحيلت القضية على اللجنة المكلفة بدراسة موضوع الأرقام والرموز بحضور أساتذة كبار يمثلون جميع الأقطار العربية.

وبعد تبين وجهات النظر المختلفة ارتأت اللجنة أن توصي باستعمال الأرقام العربية للأسباب الآتية :

أ ـ أن هذه الأرقام هي عربية في الأصل ومازالت تحمل في أوربا اسم "الأرقام العربية" وهي لاتزال مستعملة في أكثر أقطار المغرب العربي.

ب ـ أن استعمال هذه الأرقام يحل كثيراً من المشاكل التعليمية والفنية وذلك لأنها ستغني عن ترجمة كثير من الجداول الرياضية في مختلف العلوم، وستيسر على الطلاب المشتغلين في العلوم قراءتها في مظانها علماً بأن صور هذه الأرقام تكاد تكون عالمية.

ج ـ أن استعمال هذه الأرقام سيحل مشكلة الصفر الذي يرسم بطريقة الأرقام الهندية المستعملة حاليا بهيئة نقطة كثيرا ما أدى تناهيها في الصغر إلى الوقوع في الخطأ.

د ـ هذا علما بأن استعمال هذه الأرقام العربية لم يكلف المتعلم العربي أكثر من تعلم تسع صور للأرقام إضافة إلى الصفر هو أمر سهل جداً.

فيفري، *الأرقام العربية*، *اللسان العربي*، عدد 2، 1384 ـ 1965 ؛ *المجلة الآسيوية*، ص. 35 و518 (عام 1801 هـ / 1883 م) ؛ هسبريس، م 44 (3 ـ 4) عام 1657 ؛ مجلة *الهلال*، 1963 (ص. 356) ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى* ؛ أ. سكيرج، *إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي*، مطبعة الجزائر 1917 ؛ عبد الحميد لطفي (وآخرون)، *تاريخ الرياضيات* ؛ *مجلة اللسان العربي*، الأعداد 2 و4 و12 ج. 1 و15 ج 1.

عبد العزيز بنعبد الله

ترگمايت أو تارگمايت، قرية على أحد روافد وادي صياد الأعلى بمنطقة وادي نون. ويطلق اسم ترگمايت على أحد روافد الوادي غير بعيد عن تاغاجيجت. ويحمل المدشر المحلي هذا الاسم منذ زمن يصعب اليوم تحديده. وذلك أن إدا أوعفان المقيمين به مايزالون يحافظون على وثائق تثبت مجيئهم من تيغمرت حيث كانوا يمثلون جزءاً من سكان نول لمطة القدماء. وإذا كانت الأحداث قد فرضت الدخول في صفوف أيت النص الذين تتصدرهم قبيلة أيت إبراهيم التكنية (انظر مادة أيت إبراهيم بالمعلمة)، فإن تشبثهم بتاريخهم البعيد مازال محل نقاش ومايزال أيت عفان يجهرون بتملكهم لتيغمرت حيث ماتزال أنقاض تشييشت وحجم المآثر تشهد على عظمة عاصمة وادي نون (انظر مادتي تيغمرت واسرير *بالمعلمة*).

Cl. La Ruelle, *Les Id Brahim* ; V. Monteil, *Les Tekna* ; F.C. De la Chapelle, *Les Tekna*.

مصطفى ناعمي

التركي، أحمد (رايس بحري) عمل في الأسطول المغربي خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله في النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م). كان في سنة 1187 / 1773 بقود غليوطة مجهزة بخمسة مدافع وستة وثلاثين مجذافا، وبرأس طاقما مكونا من خمسين بحاراً، وهي السنة التي تلقى خلالها من باطونييه (Pathonier) نائب القنصل الفرنسي شونييه (Chenier) جواز مرور تمتد صلاحيته من 18 يونيو إلى 8 سبتمبر، لاتقاء الملاحقة الفرنسية. وعقب تلك السنة ترقى إلى مصاف الرياس الأساسيين في البحرية المغربة ـ رفقة الرايسين السلويين علي الصابونجي والحاج الهاشمي عواد ـ بظهير تعيين رسمي من السلطان سنة 1188 / 1774.

Chenier, *Journal du Consultat Général de France à Maroc*, p. 142 ; A. Timoule, *Le Maroc à travers les chroniques maritimes*, T. I. p. 311.

التركي (سيدي ـ)، هناك ضريحان يحمل كل منهما اسم سيدي التركي، أحدهما بسلا قريب من جامع الشهباء، والثاني بالرباط في مقبرة العلو المشرفة على المحيط. ويعتقد انتسابهما للأتراك العثمانيين الذين عملوا في الأسطول الجهادي السلوي ثم في الأسطول الإسماعيلي. ويقال إن أحدهما كان من صفوة رجال الرايس الشهير عبد الله ابن عائشة، ومن مرافقيه في سفارته المشهورة إلى فرنسا لدى ملكها لويس الرابع عشر في حدود سنة 1110 / 1698، وربما هو الذي كتب لابن عائشة رحلته الباريزية.

ع. بلقاسم، *تاريخ عائلات سلا*، ص. 24 ـ 25 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 98 ـ 99.

حسن أميلي

التركي، سليمان، من الأتراك الذين أرسلهم السلطان العثماني أيام السلطان محمد بن عبد الله ليعلّموا طبجية وبحرية المغرب وخاصة بالرباط وسلا، وكان سليمان هذا قد أتى ضمن رفقائه إلى سلا لمعانية "دار الصناعة" قصد إصلاحها والاشراف عليها لتصبح مرسى للمراكب صيفاً وشتاء، ولكنها كانت متداعية يتطلب إصلاحها وقتاً طويلاً جداً، لذلك صرف السلطان نظره عنها نحو الصويرة، وكان سليمان التركي قد قام بمهمته لتعليم طبجية الرباط فن الرمي، وشارك في فتح الجديدة وأبلى بلاء حسنا، توفي سنة 1182 / 1769.

محمد بن علي الدكالي، *الاتحاف الوجيز*، تحقيق مصطفى بوشعراء، الرباط 1986، ص. 64.

عبد الإله الفاسي

ترمْكيست أو تارمگيست، قرية من قرى سهل وادي نون توجد بالجانب الشرقي من جبل تيرت، قريبا من الطريق الرئيسية الرابطة بين مدينتي گلميم وأسّا، عبر قريتي فاصك وترگسايت، وذلك قبالة قرية تيغمرت من جهة شمالها الغربي تقريباً، بحيث لا تبعد عنها إلا بمسافة قليلة لا تتعدى بضعة كيلومترات.

سكانها مزيج من عشائر متنوعة، من قبائل تكنة، على غرار سكان فاصك تقريبا، يتكلمون لهجة مزيجة بين الأمازيغية والعربية، ويحترفون الفلاحة السقوية والبورية الموسمية، خاصة فلاحة الخضر كالجزر واللفت، وفلاحة الحبوب كالشعير والذرة والقمح، وأشجار النخيل والزيتون والتين والرمان والعنب والصبار، وغيرها، كما يهتمون بكسب بعض المواشي ورعيها، كالغنم والماعز والبقر وغيرها. ويبدو أن ترمگسيت كانت موطناً لاستقرار بعض العشائر من قبيلة أيت ياسين التي نزحت عنها في فترة ما ولسبب من الأسباب إلى قرية أفركط حيث تتمركز مختلف عشائر هذه القبيلة حاليا، في منطقة تعرف بالساحل، وهي على شريط بالجانب الأيمن من الطريق الرئيسية الرابطة بين گلميم وطنطان، على بعد حوالي ستين كيلومترا من ترمگيست، يدل على ذلك وجود بعض العقارات التي مازالت إلى الآن في ملكية بعض الأفراد من عشيرة "أهل داوود" من قبيلة "أيت ياسين".

نذكر من ذلك مثلا ما سجله الفقيه العدل الأديب علي الياسيني (1284 - 1362 هـ / 1867 - 1942 م) في بعض تقييداته بتاريخ 19 صفر عام 1349 هـ / 1930 م حيث أشار فيها إلى أنه قد ارتهن نصيبين من "نخيل احماد بن داوود بترمگيست" من بعض الأفراد من فخذة أيت داوود من قبيلة أيت ياسين، وذلك مقابل مال كان قد استحقه في شرطه بمسجد أفركط المذكور عن سنتي 1344 - 1345 هـ / 1925 - 1926 م).

يتضح من نصوص عقود الملكيات إذن من خلال هذين النصين أن بعض الأسر من فخذة أيت داوود من قبيلة أيت ياسين تملك بالفعل العقار الذي يحمل اسمها والكائن بقرية ترمگيست تملكا صحيحا.

ومن ذلك أيضا أنه قد أنشئت في أواسط السبعينات بقرية ترمگيست بعض الضيعات من طرف بعض الأشخاص الآخرين من قبيلة أيت ياسين ذاتها، وذلك اعتماداً على عقاراتهم الشخصية التي آلت إليهم من آبائهم وأجدادهم، وإما اعتمادا على عقارات غيرهم من بعض أبناء عمومتهم على سبيل الإعارة أو الإجارة أو الشراء أو غير ذلك من أوجه المعاملات العقارية المستعملة، نذكر منها على سبيل التمثيل ضيعة الحاج ابريگي الياسيني، وضيعة الحاج عبد القادر المغيني الياسيني.

هذه فقط بعض المعطيات التي تأكدنا منها عيانيا، ومن خلال بعض الوثائق المتوفرة بين أيدينا دون أن نقوم ببحث دقيق وشامل، وإلا فإن مثل هذه المسألة تحتاج إلى مزيد من البحث.

سيدي علي (خنفر)، *تقييدات شرط مسجد أفركط* خلال سنتي 1344 - 1345 هـ / 1925 - 1926 م. مخطوط خاص لدى الأسرة؛ *مراجعة تقييد الشرط نفسه*، بتاريخ 19 صفر 1349 هـ / 1930 م، مخطوط خاص لدى الأسرة.

محمد عالي خنفار

ترميم المآثر التاريخية : الترميم في تعريفه الضيق هو إعادة الشيء المكسر أو المبتور إلى حالته الأولى، لكن المصطلح كما هو معمول به في حقول التراث، يجمع ما بين معاني متعددة يمكن حصرها في أربعة وهي : الترميم بالمعنى الأول، والتجديد وهو تنظيف التحفة أو المعلمة أو الموقع وإعادة المظهر المناسب له، والتدعيم وهو تقويته بإدخال ما يكسبه الصلابة والقدرة على المقاومة، والتهيئة وهي تنظيمه وتقديمه في حالة تتناسب واستعمالاته الأصلية أو المرتقبة.

وقد يصعب وضع تاريخ مفصل للترميمات بالمغرب، وذلك بالنظر إلى كون التحف التي تكون قد خضعت لعمليات ترميم متعددة ومنتشرة في العديد من المتاحف، وبالنظر كذلك إلى كون المباني والمعالم، كبيرة كانت أو صغيرة، لم تفتأ تعرف عمليات من هذا القبيل مادامت حية، تُسكن كالقصور والدور، أو تساير نشاطها الاصلي كالمساجد والأضرحة وغيرها. وتعج كتب الأخبار بالعديد من الإشارات إلى هذه الإصلاحات بما يكفي من الوضوح لنستغني عن ذلك.

على أن الترميم بمعناه العصري والمعاصر، أي ذلك الذي يرتكز على الدراسات والملفات التقنية الدقيقة، التي تملي ضرورة الإلمام بكل جزئية من المادة أو المبنى، والتي تستدعي في الكثير من الحالات الاستعانة بالمختبرات المتخصصة واستعمال مواد كيماوية حديثة، هذا الترميم ظهر وتطور بالمغرب مع ظهور وتطور البحث الأركيولوجي والمعماري، أي منذ سنة 1915 وبالضبط في منتصف السنوات العشرينيات.

وإذ سيطول الكلام إذا ما توجهنا نحو ذكر مجموع ما تم إنجازه منذ هذه الفترة، وهو أمر قد لا يكون مستحيلا ولكنه صعب المنال، فسنقتصر على ذكر بعض أهم العمليات التي تمت بالمغرب على مدى السبعين سنة الماضية. مع ذلك يجب التنبيه إلى أن أمهات المدن المغربية ومعالم من خارجها استأثرت باهتمام مصلحة الآثار القديمة . كما كانت تسمى في عهد الحماية . وقسم المباني التاريخية والمواقع الذي أنشئ كمصلحة في بداية أمره عندما أحدثت وزارة الشؤون الثقافية، ومديرية التراث الثقافي منذ إنشائها سنة 1987. وتمثل هذه المصالح المركزية المسؤولة عن الصيانة والترميم واعادة الاعتبار والنشاط لمعالمنا، مصالح جهوية تحمل اسم "مفتشيات المباني التاريخية والمواقع" وهذا النظام ورثناه عن عهد الحماية. إلا أنه في سنة 1993 صدر نص قانوني جديد منظم لهيكلة وزارة الشؤون الثقافية، وجاء بتغيير جديد إذ أحدثت مكان المفتشيات محافظات حوّل لها القيام بنفس المهام التي كانت للمفتشيات مع إدخال عنصر جديد وهام هو الدراسة التقنية والبحث والتعريف بالتراث. وإلى يومنا هذا تتوفر بالمغرب من هذه المصالح الخارجية تسع مفتشيات / محافظات موزعة في كل من طنجة، وتطوان، ومكناس، وفاس، والدار البيضاء، ومراكش، وأسفي، وتارودانت.

إلى جانب هذه المصالح الجهوية، أحدثت ببعض المناطق مراكز متخصصة وُكل إليها نفس الأعمال والمهمات مع إفراغ الاهتمام على نوع خاص من البنيات التي تتميز إما بمادتها وطرق بنائها أو بكونها تعود إلى فترات محددة من تاريخ المغرب. ويتعلق الأمر بالتحديد" بمركز صيانة وترميم التراث المعماري بمناطق الأطلس والجنوب" الذي مقره بمدينة ورزازات والذي أحدث سنة 1988 بمساعدة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ويتولى هذا المركز قضايا التراث المعماري المبني بالتراب خصوصاً. أما المركز الثاني فهو "مركز التراث المغربي البرتغالي" الذي أنشئ في سنة 1994 بمدينة الجديدة بتعاون مع دولة البرتغال ليتولى نفس المهام فيما يخص المآثر المغربية التي تعود الى فترات الوجود البرتغالي بالمغرب. أما المركز الثالث الذي أحدث كذلك سنة 1994 بمدنية تاحناوت، وهو "المنتزه الوطني الأول للنقوش الصخرية" فينكب اهتمامه على التراث المنقوش على الحجر والمنتشر على مساحات ومناطق شاسعة من جبال الأطلس الكبير.

أ - ترميم المباني. لم تتوقف إذاً عمليات الترميم ببلادنا منذ العشرينيّات من هذا القرن إلى اليوم. لكن وتيرتها ونتائجها تختلف من سنة إلى أخرى تماشيا مع ما يتوفر لها من إمكانات مادية وبشرية، كما تختلف حسب المناطق من منطلق أهمية المآثر وكثافة وجودها، وكذلك من منطلق وجود المصالح المهتمة أو المختصة بها وعدم وجودها.

وقد واكبت حملات الترميم هذه خلال فترة الحماية اهتمام باحثي وأخصائيي إدارة الآثار القديمة بالمخلفات المادية للحضارات التي تعاقبت على أرض المغرب منذ أقدم الأزمنة، لكن خلافاً لما حصل في حقل التنقيب عن الآثار مثلاً حيث خصصت أهم الموارد المادية لفترات ما قبل الاسلامية فيمكن القول إن المعالم الاسلامية هي التي نالت الحظ الأوفر فيما يخص الترميم. وليس هذا من باب الصدفة أو من باب التفضيل بل يعود ذلك إلى كون جل هذه المعالم ان لم نقل كلها كانت حضرية، تفرض نفسها داخل النسيج العمراني للحواضر الكبرى، إذ كان لا يزال النشاط والحيوية يدبان في معظمها. ثم إن الحواضر التي تحتضنها كانت على مر عصورها مدنا هامة على جميع المستويات، ارتقى بعضها إلى درجة عاصمة المملكة ومازالت حية ونشيطة.

مع ذلك تبقى أولى العمليات الترميمية المنظمة تلك التي انطلقت بمسجد تينمل سنة 1927 أي خارج الحواضر الكبرى.

وقد جاءت هذه العمليات بعدما نشرت الدراسة القيمة التي كان قد أنجزها كل من "هانري باسي" و"هانري طيراس" سنة 1923 . 1924 عن المسجد الموحدي، والتي عَرّفَت حقاً بقيمته التاريخية وأهميته المعمارية. وقد تلت هذه الحملة الترميمية الأولى بالمسجد حملتان أخريَان تمتا في عهد الحماية، وحملة ثالثة في منتصف السبعينات. على أن أهم ما مسته الترميمات كانت خصوصاً الجدران الخارجية وبعض ما بقي من المرافق الداخلية كالأقواس مثلاً. ولما كانت هذه الأعمال محدودة النتائج ولم تؤد الغرض المتوخى منها وهو المحافظة بشكل دائم على المعلمة وما تحتفظ به من آثار أصلية، فقد خضع المسجد إلى حملة جديدة أكثر جدية ابتداء من سنة 1992 روعيت فيها الطرق والمناهج الحديثة في الترميم وجندت لها طاقات مادية ومؤهلات بشرية وتقنية مهمة بفضل مساهمة مادية من مؤسسة "أونا"، ولايزال العمل مستمراً إلى يومنا هذا.

ومن أهم أعمال الترميم التي خضعت لها معالم ومباني تاريخية نذكر تلك التي أقامها "هانري طيراس" بجامع القرويين في الستينات والتي تمكن بفضلها من الوقوف على اكتشاف أثري وحضاري من الأهمية بمكان، إذ تم الكشف عن الزخرفة الجميلة الفريدة، المرابطية الأصل، التي كانت تزين بلاط المحراب وقبته، ليعيدها إلى ما كان يراد منها لمّا أنجزت، وليُعَرف عَبْرها بجوانب كانت خافية من الفن المعماري المغربي الأندلسي في القرن الخامس (11 م).

وبمراكش تم ترميم أهم المعالم كجامع الكتبيين والقبة المرابطية التي على صهريج بيت الوضوء المجاور لمسجد ومدرسة ابن يوسف.

وابتداءً من سنة 1988، انطلقت أشغال ترميم وإعادة هيكلة قرية "أيت ابن حدو" بناحية ورزازات وقصبة تاوريرت بهذه الأخيرة. وهذه الترميمات تدخل في إطار برنامج طموح يهدف إلى العناية بالمباني الترابية بالأقاليم

الجنوبية والأطلسية. وقد تمت بالفعل عمليات في هذا الإطار في تافيلالت (بقصر الفيضا قرب مدينة الريصاني) وبالمخازن الجماعية لفاخور وسيدي موسى بإقليم أزيلال الخ...

ودون التطرق إلى ما عرفته كل معلمة على حدة من أشغال عبر التراب الوطني، يمكن الإشارة فقط إلى المدن التي عرفت وتعرف حالياً ترميمات وصيانات تنجز على معالم ومباني مختلفة العمارة والتوظيف. ففي طنجة رممت الأسوار وأبوابها ومتحف القصبة، ويتطوان كذلك رممت الأسوار وبعض المباني، وهناك مشروع تعاون قائم مع حكومة الأندلس لصيانة المدينة العتيقة، وبشفشاون تم الترميم الكلي لقصبة "أوطى حمام" وجانب من الأسوار، وبسلا رممت جوانب من الأسوار والأبراج والأبواب، كما انطلقت أشغال ترميم مدرسة أبي الحسن التي قرب المسجد الأعظم. وهذا الأخير أيضاً تم ترميمه من طرف إدارة الأحباس، وبمكناس رممت الأسوار وأبوابها، وبعض المباني كالمسجد الكبير، والمدرسة البوعنانية، ودار الجامعي التي بها المتحف، ودار الباشوات، وبوجدة يتم ترميم الأسوار وبابيها الكبيرين باب سيدي عبد الوهاب والباب الغربي، وبصفرو ترمم الأسوار وبأسفي رمم جانب كبير من قصر البحر وأجزاء من السور المتبقي، وبتارودانت كذلك رممت الأسوار وترمم بعض أبوابها.

ومن أهم ما أقدمت عليه مديرية التراث منذ إنشائها، سن سياسة جديدة تستهدف ترميم المباني وإعادة توظيفها إما بالنشاط الذي كان لها أصلا أو باحتضانها لأنشطة أخرى تعيد لها الوجود في النسيج العمراني، لا كمآثر تصان وتزان لجمالها أو لما تحمله من إرث ثقافي، وانما زيادة على ذلك كعناصر عمرانية حية. من ذلك مثلاً ترميم بعض أبواب المدن وفتحها كفضاءات ثقافية تقام بها المعارض الفنية المختلفة، وأهم الأمثلة أبواب الرباط الموحدية كباب الرواح الذي أصبح الرواق الوطني الأول، وباب قصبة الأوداية الذي يحتضن أكبر المعارض لسعة مساحته وعلو سقوفه، وباب لعلو الذي خصص كرواق يعرض فيه الشباب من الفنانين والمبدعين.

وفي إطار التعاون الثنائي يمكن ذكر العملية التي تمت بأصيلا حيث رمم برج النعام، وهو الذي كان الملك البرتغالي "سبستيان" قد قضى به آخر ليلة في عمره، ليلة معركة واد المخازن الشهيرة التي لقي فيها حتفه، وقد رمم هذا البرج بمساهمة مادية من مؤسسة كولبانكيان البرتغالية.

ومن المشاريع الكبيرة التي أقبل عليها المغرب في العقدين الأخيرين مشروع إنقاذ مدينة فاس الذي انطلق في مطلع السبعينات بتعاون وثيق مع منظمة اليونسكو. ومما يجب التأكيد عليه أن هذه العملية الضخمة، جندت إمكانات هائلة، جمعت ما بين إمكانات الدولة وإمكانات الخواص، وهي بصدد محاولة جلب الاستثمار الخارجي لمواجهة التكاليف الباهضة الضرورية. على أن أهم ما أسفرت عنه الحملات التعريفية والتحسيسية إلى اليوم هو إقناع بعض أبناء فاس الميسورين بأهمية مساهمتهم الفعلية والمباشرة في مشاريع الصيانة والترميم، فأسندت لهم بعض المعالم للإنفاق على ترميمها كالمدرسة البوعنانية، ومدرسة العطارين، وفندق النجارين مثلاً.

هذا وقد اكتسب المغرب تجربة لا بأس بها في مجال ترميم المباني وصيانتها، وهو ما جعله من البلدان العربية القليلة التي يستعان بخبراتها. هكذا وقع المغرب اتفاقية تعاون مع سلطنة عمان سنة 1983 وأرسل بمقتضاها فريقاً من التقنيين والمهندسين والبنائين المتخصصين يقوم بترميم وإصلاح القلاع والحصون وبعض المباني التاريخية الأخرى. ولايزال هذا الفريق المكون من أكثر من ستين فرداً يقوم بمهامه إلى اليوم.

ب - ترميم التحف : لم تنل التحف الفنية ما نالته المباني من اهتمام في الترميم، ذلك أن المغرب لا يتوفر على مختبرات متخصصة ولا على أطر مكونة في هذا المجال. ثم إن القيام بهذه الأعمال خارج حدوده يتطلب من الامكانات ومن الضمانات والتأمينات ما يكلف الكثير. ومع ذلك لم تتأخر المصالح الأثرية والتراثية على إخضاع ما استوجب الترميم لهذه الأعمال داخل المغرب وخارجه. ونقتصر في هذا الباب على ذكر ترميم بعض أهم القطع البرونزية التي اكتشفت بوليلي كتمثال الغلام الساقي، وتمثال الكلب، وتمثال الصياد العجوز، وكلها تمت بمختبرات "جارفيل" (Jarville) الفرنسية في السنوات الأولى من الثمانينات، كما تمت كذلك معالجة مجموعة من الفسيفساء التي استخرجت من موقعي "بناصا" ووليلي. أما القطع الخزفية، فنالت كذلك قسطاً من نفس الاهتمام، حيث تمت ترميمات على أهم الجرار، وبعض الأواني أهمها "القصرية" التي اكتشفت بموقع بليونش والتي يعود تاريخها إلى القرن الثامن (14 م).

J. Borely, *Tinmel : douze carnets de notes*, Paris ; Laboratoire Public d'Essais et d'Etudes, *Tinmel : Rapports d'analyses*, 1991 - 1992 ; H. Terrasse, *La mosquée Quaraouiyin de Fès*, Paris, 1968 ; Collectif, *Tinmel. l'épopée almohade*, Casablanca, 1992.

عبد العزيز توري

ترناتة، هي واحدة من واحات درعة الست، وهي واحات : مزگيطة، تينزولين، ترناتة، فزواطة، اكتاوة، المحاميد، التي تكوّن ما يعرف بوادي درعة الأوسط. تبدأ واحة ترناتة من فم أزلاك وتنتهي عند فم زاگورة ما بين واحتي تينزولين في العالية وفزواطة في السافلة. تمتد على طول ثلاثين كلم وعرض يتراوح ما بين 250 و5700 م ومساحة مسقية تقدر بـ 5324 هـ أي ما يعادل 24.1٪ من مساحة درعة الوسطى.

وتروي أراضي واحة ترناتة ست عشرة ساقية منها ساقية أغلان، ساقية إيفلي، الساقية البغدادية، ساقية المكاترة، ساقية أنزي، ساقية البركة.... التي تسقي كل

واحدة منها أكثر من محاط واحد بالمياه التي تأخذها من واد درعة.

السكن بواحة ترناتة عبارة عن تجمع ملموم ويعرف بالقصر. ويوجد بهذه الواحة خمسة وتسعون تجمعاً سكنياً، منها ثمانية وسبعون قصراً وقصبة إضافة إلى تسعة عشر قصر ـ زاوية. تسعة من هذه التجمعات السكنية تفوق ساكنة كل واحد منها 1000 نسمة أهمها قصر بني زولي، قصر تنسيطة اخشاع، قصر أسرير، زاوية سيدي البغداد، قصر طارغلين،... وخمسة عشر تجمعاً سكنياً يقطن بكل واحد منها ما بين 500 و1000 نسمة حسب إحصاء 1982.

بالإضافة إلى هذا السكن هناك سكن مشتت داخل الحقول كما يوجد عند سافلة الواحة مدينة زاگورة وهي مدينة درعة التي يوجد بها مقر الدائرة والتي يسكن بها 9839 نسمة تتوزع على 1548 عائلة سنة 1982.

تتكون ساكنة ترناتة من مزيج سكاني جد متنوع الأعراق والأصول : ادراوة أو الملونين وأهل التلت والعرب ويتكونون من عنصرين أساسيين هما : عرب الروحا وعرب أولاد يحيى وكلاهما ينتمي إلى عرب بني معقل، وأيت عَـطّـى : أيت أونـير، أيت ولال، أيت ايلـمشـان أيت وحليم... والمرابطين والشرفاء إضافة إلى فخذات أخرى.

يعتبر ادْراوَة أو الملونون من أقدم السكان استقراراً بالقصور يتعاطون الفلاحة لكنهم تعرضوا لهجومات مختلفة مما قلص من مجالهم الحيوي. وهكذا فقد وصل إلى واحة ترناتة خلال القرن الثاني عشر عرب بني معقل الممثلين في مجموعات عبر الروحا وفي القرن الثالث عشر (19 م) استقرت بالمنطقة مجموعات أخرى وهي عرب أولاد يحيى وأيت عطا، جميعهم كانوا يمارسون حياة الترحال وقد جلبهم غنى المنطقة بالمقارنة مع المناطق المجاورة.

تصارع هذه العناصر أو المجموعات البشرية فيما بينها للسيطرة على المنطقة وإخضاع السكان المستقرين كان الميزة الطاغية على تاريخ وادي درعة بصفة عامة. وهكذا فعند قدوم الفرنسيين إلى الواحة قدروا سكان ترناتة بـ 26.900 نسمة تضم 5.380 عائلة (أو كانون)، وهذا الرقم يوزع بين المجموعات البشرية كما يلي :

اسم المجموعة البشرية	عدد الأسر	٪
ـ عرب أولاد يحيى وادراوة الخاضعون لهم	1210	22.5
ـ عرب الروحا وادراوة الخاضعون لهم	1420	26.4
ـ أيت عطى وادراوة الخاضعون لهم	410	7.6
ـ المرابطون والشرفاء	590	11
ـ أهل التلت وادراوة أو الملونين	1720	32
ـ اليهود	30	0.5
ـ مجموع تارناتة	5380	100

وقد تطور سكان واحة ترناتة خلال هذا القرن على الشكل التالي :

السنوات	عدد السكان (ن)	عدد العائلات	أفراد العائلة	٪ تطور السكان
1933 . 1943	8.817	1.763	5	
1943 . 1953	11.462	1.910	6	30
1953 . 1963	18.518	2.645	7	61.5
1963 . 1977	26.453	3.724	7.1	24.8
إحصاء 1982	33.624	4.244	7.9	27.1

رغم أن هذه المعطيات تقديرية ما عدا إحصاء 1982، إلا أنها تبرز ظاهرة موحدة وهي زيادة سكان واحة ترناتة وهذا مع باقي واحات درعة الأوسط التي كانت تعرف زيادة أو نقصانا حسب التقلبات المناخية. لعل ما يفسر استثناء واحة ترناتة هو وجود مدينة زاگورة بها والتي عرفت فقط مابين 1971 و1982 زيادة 46.1٪ أي من 5.302 ن إلى 9.839 ن.

يعتمد اقتصاد الواحة بالدرجة الأولى على الفلاحة وهي فلاحة معيشية ترتكز على أشجار النخيل التي قدرت خلال السبعينات بـ 386.000 نخلة منتشرة على مساحة مسقية قدرت بـ 5.324 هكتار مما يعطي كثافة 72.5 نخلة في كل هكتار مسقي، إلى أسفل النخيل هناك مستوى آخر يتكون من أشجار الرمان، التفاح، اللوز، العنب... ونجد أسفل هذين المستويين زراعة الحبوب من شعير وقمح بالأساس، وزراعة الخضروات (بصل، جزر، لفت، فول، كرنب....) برسيم أو فصة... كما نجد تربية الماشية بالاصطبلات.

في حالة توفر فائض من المنتجات الفلاحية فإن الفلاحين يبيعونها بالأسواق المحلية المتمثلة في سوق الأربعاء وسوق الأحد بزاگورة وسوق الخميس ببني زولي وأحيانا بالأسواق الأخرى الموجودة بدرعة بل ومراكش لبيع التمور.

بصفة عامة اقتصاد الواحة جد محدود، فالفلاحة تقليدية ترتكز على وسائل عتيقة. كما أن الكثافة جد مرتفعة بحيث نجد أكثر من ستة أفراد في الهكتار الواحد. وهذه الفلاحة مرتبطة بمياه السقي التي يحملها وادي درعة كما أن النخيل الذي يرتكز عليه اقتصاد الواحة معرض لمرض "البيوض" والذي لم يجد دواء لحد الآن وأثناء فترات الجفاف فإن الواحة تعتمد على الأموال التي يرسلها أبناؤها المهاجرون من مختلف مدن المغرب أو الخارج.

A. Bahani, *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata (Draâ Moyen - Maroc)*, Thèse de Doctorat en Géographie, 1990, Rouen France; G. Spillmann, *Villes et tribus du Maroc. tribus berbères*, Tome II: *District et tribus de la haute vallée du Draâ*, 1930 ; G. Toutain, *Sur une évolution économique de la vallée du Draâ*, *Al Awamia*, n° 53, 1974.

عبد الكبير باهني

التّـرنْـجْ، كلمة فارسية تعني بالعربية نفاش، وسيدرا (Cédrat) أو سيدراتيي (Cédratier) بالفرنسية. أما اسمها العلمي فهو : سيتْروسْ ميديكا (Citrus médica).

نوع شجري من الموالح ينتمي إلى فصيلة السذابيات (Rutaceae) ويختلف عن التّرنْج أو الرّنج أي البرتقال المر

وعن الليمون (الحامض). وهو شجرة صغيرة القامة شوكية، لها أزهار ذات لون أبيض أرجواني جذاب. ثمارها ذات لون أصفر ضارب إلى الاخضرار، في شكلها بيضوي تشبه ثمارالليمون (الحامض) لكنها أكبر منها بكثير إذ يبلغ طولها ما بين 15 و20 سم، وتختلف عنها بعطرها الشديد الرائحة، وبقشرتها السميكة الجامدة والمحببة وقلة لبها الحامض.

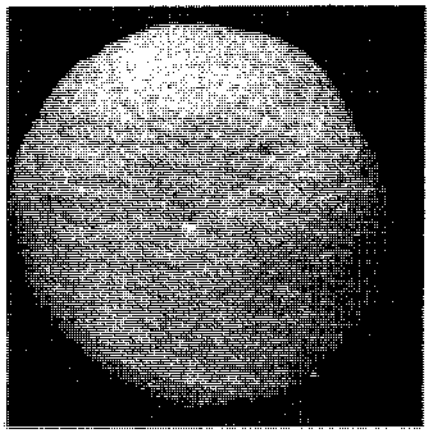

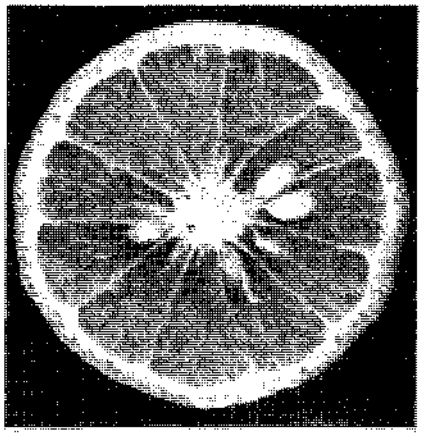

التَّرُنْجُ

يعتبر التَّرُنْجُ أقدم الموالح التي عرفها الإنسان، وربما كان ذلك في القرن الرابع قبل الميلاد. وقد وصفه سقراط في حدائق بابل. والمواطن الأصلي للترنج هو شمال الهند وقد زرعه الإنسان في جنوب شرق آسيا منذ القدم، ثم في المناطق الحارة الأخرى. ومازال يزرع بكثرة بكرسيكا وصقلية واليونان وجزر الهند الغربية.

وأشجار التَّرُنْجُ بالمغرب قليلة جداً، ولا نعرف متى أدخل إلى هذا البلد. ومن أشهر أشجار الترنج بالمغرب نذكر تلك التي توجد بقرب سبت الگردان بسهل سوس جنوب أولاد تايمة، بجانب ضريح يزوره اليهود المغاربة القاطنون حاليا بشمال أميريكا فيشترون من السكان المحليين المالكين لهذه الأشجار كل الإنتاج السنوي دافعين مقابل كل ثمرة واحد 5.000 درهم.

يستعمل الترنج في صناعة الحلويات والفطائر وغير ذلك التي تكتسب نكهة فريدة وطعماً لذيذاً لا مثيل له. كما تسكر القشرة في محلول من السكر أو الگلوكوز، أو يستخرج منها زيت طيار يستعمل في صناعة العطور.

استطلاعات ميدانية : ألبيرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرون، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

تروال، مركز في قبيلة بني مزگلدة بضاحية مدينة وزان، اكتسى أهمية استراتيجية أيام الحماية. وهذه القبيلة صنهاجية الأصل إلا أنها تعربت كما حصل لغيرها من القبائل المجاورة لها كبني زروال الواقعة إلى الشرق منها، وبني مستارة الواقعة في شمالها وغربها.

ويعتقد أن هذه المنطقة عرفت الوجود الروماني، بالرغم من انعدام أي اكتشاف أثري يثبت ذلك إلى يومنا هذا. وقد كان احتلال تروال من الجهات الأخيرة التي تمكن الفرنسيون من دخولها بسبب المقاومة العنيدة التي قادها السكان. وتدل عليها تقارير الحماية المكتوبة بين 1915 و1917. التي تعبر عن قلق المستعمرين وتخوفهم من أن تطول مدة المقاومة وتتعرقل مسيرة الاخضاع الكلي للمنطقة، ولكنهم استطاعوا دخول تروال سنة 1920 بعد تمكنهم من اخضاع قبيلة بني مستارة كجبهة أمامية لبني مزگلدة ليصبح تروال قاعدة عسكرية مهمة للقوات الفرنسية. ومازال أسوار الحصن الكبير شاهدة على أهمية المركز عسكريا. ولا غرابة في ذلك إذا علمنا أن المكان الذي شيد عليه يقع على علو يسمح بمراقبة كل المنطقة. (انظر الحصن على قمة الجبل في الصورة).

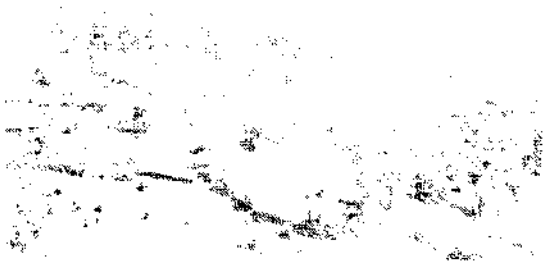

صورة مركز تروال مع الحصن في أعلى الجبل (أخذت في يونيو 1992).

وفي نفس السنة أصبح تروال مركزاً إدارياً فرنسياً إلى جانب طابعه العسكري، وكان هم المستعمرين بعد ذلك توظيف الموضع الستراتيجي لإحكام السيطرة على كل قبيلة بني مزگلدة.

ورغم تأييد القبيلة لمحمد بن عبد الكريم الخطابي وتحركها في 2 ماي 1925 م. وتضييق بني مسارة التي

أيدت بحماس ابن عبد الكريم على الفرنسيين في وزان. فإن تروال لم يسقط بين يدي المجاهدين لأن تركيز ابن عبد الكريم في هذه الجبهة كان على وزان باعتبارها مفتاح الغرب. ثم نجح الفرنسيون في استعادة كامل السيطرة على هذه المناطق في نهاية سنة 1925 م.

يقع مركز جماعة تروال بعيداً عن الطريق الرئيسية رقم 26 الرابطة بين فاس ووزان بأحد عشر كلم. ويبعد عن وزان الدائرة بستة وخمسين كلم. وتحد أراضي هذه الجماعة من الشرق جماعة تفرانت، ومن الغرب والجنوب جماعة عين دريج، ومن الشمال جماعة زومي (انظر الرسم).

يتوفر مركز هذه الجماعة اليوم على بعض المرافق الحيوية كالمستشفى ومركز الاتحاد النسوي، ومحكمتين ومركزية، وفيه مراكز القيادة ومقر الجماعة و مدرسة ابتدائية تستوعب وتابعاتها 1.610 تلميذ.

بلغ عدد سكان جماعة تروال حسب إحصاء سنة 1983م، 20.000 نسمة. يتوزعون على 33 دواراً (انظر الرسم أعلاه). يسكنون جبالا عالية، فقيرة التربة غالبا ما تحتوي على أحجار تمنع الفلاح من القيام بأعمال الحرث. ولهذا فإن الجماعة على العموم فقيرة خاصة إذا أضفنا وقوع مركزها تروال بعيدا عن الطريق الرئيسة التي كان من الممكن أن تنشط الاقتصاد.

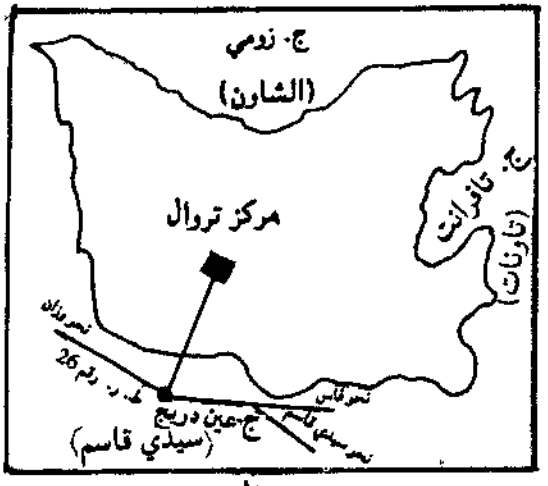

تروال

يمكن القول إن اقتصاد تروال يعتمد أساساً على الفلاحة والرعي : فالفلاحة تحتل مساحة 6063 هـ. تشغل الزراعة الشجرية منها 2564 هـ. وتتكون من أشجار الزيتون والتين والخوخ والبرتقال. ويزرع الباقي بالحبوب باستثناء مساحة الغابات البالغة 539 هـ. تسهم في مداخيل الجماعة بمبلغ لابأس به. فقد كان سنة 1982 بلغ 231.855 درهم، وهذه الزراعة بورية عموما إلا من سقي موسمي. يستعمل السكان فيه 23 مضخة مائية لسقي حقول الخضر.

وأما المواشي فإنها تتكون من الأبقار، ويبلغ عددها 6952 رأس، والأغنام وعدد رؤوسها 3532 رأس، والماعز وعدد رؤوسها 1000 رأس، وتربى بواسطة الرعي فقط.

م. البشير الفاسي، *قبيلة بني زروال*، ص. 8 ؛ *منوغرافية جماعة تروال*، 1991 ؛ *تحريات ميدانية*.

D. Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc 1912 - 1925*, Tome 3. Paris, 1988, p. 282.

العربي الحمدي

التـرُوتَـة، جنس أسماك نهرية وبحرية من فصيلة السلمونيات (Salmonides) ومن رتبة مفتوحات المثانات (Salmoniformes) ومن الأسماك العظمية (Ostéichtyens) الشعاعيات الزعانف (Aotinoptétrygiens).

تدعى بالفرنسية Truite أي سمك مرقط ومبرقش وبالإسبانية Reo وبالأنجليزية Trout ويعرف عند المغاربة بالتْرُوتَة كما هو الشأن عند بعض الدول العربية في الشرق ويقال له أيضا سمك سليمان في الشرق العربي إلا أن هذا الاسم يشمل عدة أنواع من جنس التروتة ومن جنس السلمون (Saumon) الأوربي الذي يشبه بكثير سمك التروتة في الحجم والمعيشة.

تعد أنواع السلمونيات من الأسماك المفضلة لدى الصيادين من حيث جودة لحومها وما يتطلب صيدها من مهارة وخبرة في ميدان الصيد بالصنارة. وقد تطور هذا الصيد الرياضي في عدة دول كبرى منذ القرن التاسع عشر مما أدى إلى وضع قوانين للصيد ووضع عدة مختبرات تقوم بدراسات ليولوجية لهذه الأنواع. أعطت البحوث عدة نتائج إيجابية تتعلق بالتغذية والتوالد الاصطناعي الذي كان يشكل العائق الأساسي لانتشار هذه الأنواع في عدة مناطق باردة في العالم.

أُقيمت عدة محاولات لتأقلم سمك التروتة في أنهار الأطلس المتوسط منذ بداية القرن العشرين وكانت النتائج إيجابية مما أدى إلى تقويتها في هذه المناطق وذلك بجلب عدة وحدات من فرنسا سنة 1925 ومن سويسرا والدنمارك سنة 1936. وقد بنيت في هذا المجال عدة بحيرات اصطناعية لتنمية الصيد الرياضي وإنجاح تأقلم هذه الأنواع من الأسماك، نذكر من بينها بحيرات أمغاس وعددها خمس وبحيرة سيدي ميمون وبحيرة حشلاف وبحيرة رأس الماء وعين مرسى. تعتبر بحيرة رأس الماء حوضا (Parc à géniteurs) تربى فيه الأسماك المخصصة للتوالد الاصطناعي.

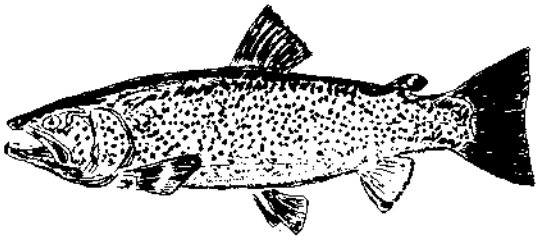

التروتة

تعيش ثلاثة أنواع من سمك التْرُوتَة في المياه الجبلية المغربية :

تروتة البحيرات (Truite des lacs) وتسمى علميا Salmo trutta pallaryi وهي التروتة الأطلسية المغربية الأصل التي كانت تعيش في بحيرة أگلمام سيدي علي بالأطلس المتوسط. يقول بعض الكتاب إنها تنحدر من جنس السلمون (Salmo)، وبعضهم يقول إنها تنحدر من جنس Onchorhynchus معتمدين على عدد الحراشف التي تكوّن الخط الجانبي. يرجع سبب انقراضها إلى انتشار وتكاثر سمك الشبوط (Cyprinus carpio) الذي أدخل في هذه البحيرة من طرف المصالح التابعة للمياه والغابات وأصبح يهدد عيش سمك التروتة مما أدى إلى انقراضها بصفة نهائية، فحاولت مصلحة تربية الأسماك إدخال عدة أسماك هدفها تهديد عيش سمك الشبوط وتراجعه حتى يمكن انتشار سمك التروتة من جديد إلا أن هذه التجربة باءت بالفشل.

التروتة النهرية (Truite des rivières, Salmo trutta (Fario. الظهر مخضر داكن والجوانب مبرقعة بالأسود والأحمر، الزعنفة الذنبية خالية من البراقع مما يجعلها تتميز عن النوع القزحي. تتكون الزعنفة الشرجية من 10 شعاعات ويتكون الخط الجانبي من 130 حرشفة. الجسم مغزلي الشكل ومضغوط جانبيا تكسوه حراشف عديدة وصغيرة، تتخلله عدة بقع حمراء ورمادية زرقاء. لا يتعدى طولها 70 سم وشائع ما بين 30 و40 سم. تعمر 5 سنوات ولا يتعدى وزنها 8 كلغ وشائع ما بين 350 و900 غرام.

تعيش التروتة في الأنهار وفي بعض البحيرات الأطلسية المنخفضة الحرارة وتتوالد بصفة طبيعية ما بين سبتمبر وفبراير. تضع الأنثى بويضاتها عادة داخل حفرة في الأماكن الغنية بالحصى والرمال. ويتراوح عددها ما بين 5000 و6000 بيضة (2000 / كلغ) يلقحها الذكر مباشرة بعد وضعها. تخرج الصغار من البيض بعد زمن يتراوح ما بين 20 و40 يوما وذلك حسب الحرارة. يبقى التوالد الطبيعي غير كاف لإنتشار هذا النوع مما جعل مصلحة تربية الأسماك بأزرو تسعى إلى التوالد الاصطناعي لإكثار هذا النوع وزرعه في عدة أنهار لا تفوق مياهها في الصيف 22 درجة وذلك لأن التجارب برهنت على أن هذا السمك يموت في المياه التي تفوق حرارتها 25 درجة. تعصر الجوانب البطنية لكل من الإناث والذكور وتوضع البويضات الملقحة في صحون تسقى بصفة مستمرة من طرف ماء العين حرارتها 14 درجة.

توضع الصغار في بحيرات صغيرة يقدم إليها الأكل لمدة أسبوعين على الأكثر ثم تنقل إلى الأنهار. تصل سن البلوغ ما بين سنتين وثلاث سنوات وتتغذى من الحشرات والقواقع والديدان والقشريات الصغيرة وصغار الأسماك.

يقتصر توزيعها الجغرافي على أنهار الأطلس المتوسط وبعض أنهار الأطلس الكبير. تصاد بالرخص التي تعطى من طرف المصالح التابعة لوزارة الفلاحة. يحث قانون الصيد على صيد الوحدات التي يفوق طولها 20 سنتمتراً وأن لا تتعدى عشر وحدات لكل رخصة.

التروتة القزحية تسمى علميا أونكورانكوس ميكيس (Onchorhynous mykiss) وتعرف سابقاً باسم Salmo gairdneri وبالفرنسية Truite arc-en-ciel وبالأنجليزية Rainbow trout، فضية اللون على العموم، الظهر أزرق بني، الجوانب منقطة بالسواد، الخط الجانبي وردي اللون متقزح مما أدى إلى تسمية النوع بالتروتة القزحية. الزعنفة الذنبية منقطة. لا يتعدى طولها 70 سم وشائع ما بين 25 و45 سم وزنها لا يفوق 7 كلغ وشائع ما بين 300 و800 غرام. تعمر 5 سنوات وتصير بالغة ما بين سنتين وثلاث سنوات.

تعد من الأسماك المفضلة لدى مربي الأسماك نظراً للتقنيات المتقدمة في شأن تربيتها. تفضل العيش في البحيرات الباردة سواء منها الطبيعية أو الإصطناعية.

موطنها الأصلي أمريكا الشمالية وتم إدخالها إلى أوربا خلال القرن التاسع عشر الميلادي ثم إلى المغرب سنة 1925 من طرف الفرنسيين. تفضل العيش في المياه الباردة التي تتراوح حرارتها ما بين 10 و20 درجة وذات تيار معتدل. إنها أسماك لاحمة تتغذى من الحشرات والقواقع والقشريات الصغيرة والديدان وصغار الأسماك. تتوالد ما بين أكتوبر ومارس إلا أن توالدها في المغرب يتم بصفة إصطناعية فقط. تقوم بهذه العملية مصلحة تربية الأسماك بمدينة أزرو ما بين أكتوبر وفبراير. يتم الاختيار على الإناث والذكور السليمة من الأمراض فتعصر جوانبها البطنية بعد تنويمها بواسطة فينوكسي إتانول (Phenoxy-éthanol) الذي يتم إفراغه في صحون مملوءة بالماء بنسبة تقدر بثلاثة أجزاء في مليون جزء (3ppm). وتوضع البويضات في صحون تلقح مباشرة بعد ذلك ويتم نقلها إلى أماكن تمر بها مياه العيون حرارتها مستقرة على 14 درجة لمدة أربعين يوماً. تفقس البويضات بعد ذلك وتوضع الصغار في بحيرات صغيرة يقدم إليها الأكل الإصطناعي لمدة أسبوعين تقريبا ثم تنقل إلى البحيرات لتعيش هناك.

عرف هذا النوع تطورا كبيرا في ميدان تربية الأسماك في عين أغبال قرب مدينة أزرو وذلك عن طريق الأكل الاصطناعي ومراقبة حرارة المياه وبعض العناصر المكونة للمياه كمادة الأوكسجين. أصبح إنتاجه يغزو أكبر أسواق الأسماك بالمغرب ويصدر بعضه إلى الخارج.

P.S. Maitland, *Les poissons des lacs et des rivières d'Europe*, Paris, 1977, 255 p ; B.J. Muus & P. Dahlstrom, *Guide des poissons d'eau douce et pêche, Les guides du naturaliste*, 1973, 242 p.

محمد الرمضاني

تْـرُوگُـوتْ، أكبر فرق قبيلة تسمان من حيث عدد المداشر. وتنطق أيضاً تُلْگُوتْ. والاسم قديم، يعود علمنا بتداوله إلى ما قبل القرن الرابع (10 م)، تبعاً لما أدلى به النسابة الأمزيغيون، وقدمته لنا الكتابة العربية بلفظ "تلكاتة"، للإشارة إلى إحدى فصائل جذع بَطُّوية الصنهاجية، السائد آنذاك بربوع الريف الشرقي، المحتضن لقبيلة تسمان في قسمه الغربي.

تحتل أراضي تْرُوگُوتْ مساحة جبلية واقعة بغرب القبيلة التمسمانية، منتهية إلى منخفض متصل بساحل خليج الحسيمة (المزمة قديماً)، وبالضفة اليمنى من واد النكور، من النقطة المقابلة لظهر أُبطُّويْ إلى مصبه. ففي هذين المجالين الجبلي والسهلي يستقر في الوقت الراهن واحد وأربعون مدشراً. وهي أعلى نسبة بالقياس إلى عدد مداشر الفرق الأربع الباقية (انظر مادة *تمسمان*).

1) ففي المجال الجبلي تظهر حول جبل الحديد في الشمال (600 م) جماعة أولاد أبي داود، المنسوبين إلى المتصوف التمسماني أبي داود مزاحم، من أهل القرن السادس (12 م). وتعرف هذه الجهة من الوجهة الجغرافية باسم تبودا. من أهم مداشر الجماعة قرية الحديد (أحديد) الواقعة بساحل تغلال، في نقطة الحدود بين فرقة تْرُوگُوت وجارتها بني بويَدير، ثم قرية السواني وتَكَرْياست التحتية وإمْهاوْشَن وإسْلاسَن (أهل سلاس) وإعبُّوتَن.

أما جماعة تَبَلْخاشْت فتنتشر دورها على ظهر جُوبْ القامة (733 م) تتألف من المداشر الهامة : بوقُرّي، أزْرو. ويعقد عند قدم تبلخاشت سوق أربعاء تْرُوگُوت على مجرى يحمل نفس الاسم، يؤمه أهل الفرقة إلى جانب الزوار من بني ورياغل وبقُّويَة ومدينة الحسيمة.

وتستقر حول جبل بوعمر (742 م) جماعة أخرى تضم أمثال قرى : خْلوف والعبْدَلاّويون وإشَخْشوخَن وتَمَرْسيت وأجّيوْ وبوعْمَر.

2) وفي السهل والدير نجد عدة جماعات : حْبُرقُوش الواقعة في دير تَبَلخاشْتْ من مداشرها : تَرِّيست وحبوقوش وتزمّرين، وجماعة إمَسْعودَن ويدخل ضمنها مداشر إعْتوثَن، إعَبّوتن وإحَداكَن، وضمن جماعة المرابطين يدخل إحَرْويشَن وبوزْويقا وتبودا. وهناك أخيراً جماعة إمَزْعَن، مقسمة إلى الفوقي وأمراح والسفي. ومدشر ظهر أُبطُّويْ.

ولفرقة تروگوت تاريخ يمتد في القدم. فالسكان صنهاجيون من فصيلة بطوية وفخذ بني يصليتن، ومن هؤلاء قسمة تْرُوگوت. ففي القرن الرابع (10 م) كان بنو يصليتن متمركزين في جبل أبي الحسن المتصل بعقبة تبلخاشت حيث مستقر بني بُلُنْد، جدهم بلند بن يصليتن، بينما كان بساحل تغلال بنو وَرتَرْد، جدهم ورْتَرْد بن يصليتن كذلك.

وموقع تروگوت المشرف على كل من خليج المزمة وواد النكور أهّلها لتلعب دورها في أطوار إمارة النكور منذ التأسيس والمساهمة في التجارة مع الأندلس عبر مرساتها الكائنة بقرية الحديد وساحلها تيغلال (انظر مادة *تيغلال*)، مما يندرج في تاريخ الإمارة. ولا يزال بتروگوت إلى يومنا مدشر إصَقّالن، الذي يلوح بالإشارة إلى الصقالبة المكونين لجيش أمراء النكور.

ويعود التاريخ اللامع للفرقة إلى النصف الثاني من القرن السادس (12 م)، حين ظهر بها المتصوف الشيخ أبو داود مزاحم التمسماني، صاحب أول مدرسة للتصوف الإسلامي بالريف الشرقي، وسنخصص لتلك الشخصية ترجمة *بالمعلمة*.

دخلت تروگوت تحت نفوذ المرينيين وجباية الوطاسيين. فقد زارها ياسين بن الوزير في حياة الحاج إبراهيم حفيد أبي داود، حوالي 635 هـ. لجمع المغارم وإرغام بني ورترد على أدائها (البادسي، *المقصد*، 62).

وفي عام 1078 / 1666 مر بأراضيها سفير لويس الرابع عشر الفرنسي، المدعو رولان فريجوس (Roland Frejus) وهو في طريقه من النكور إلى بني بويعقوب تمسمان (فرقة الفوقي) واصفا الطريق الصعب المار بعقبة تبلخاشت، وما كان يغطيه من الغابات ويعج به من الأسد (*S.I.H.M., France*, 2ème série, T. 1 / 121).

وبرز خلال عهد الحسن الأول، كنتيجة لتقسيم قبيلة تمسمان إلى القيادات المتعددة، القائد التروگوتي بوعز قبل 1297 / 1879. وقد خلف ثلاثة أبناء : حدّو ومحمد وعلال. كلهم تولوا منصب القيادة. انظر ترجمة الأب وابنيه محمد وعلال في هذه المعلمة (التمسماني). أما ابنه حدّو فلم تشر إليه سوى وثيقة واحدة (12 رمضان 1309) تثبت قيادته.

الشريف الإدريسي، *النزهة*، 533 ؛ البادسي، *المقصد*، 51. 55. 60. 62. 63 ؛ *وثائق خ. ح. بالرباط* ؛ *كناش خ. ح. بالرباط*، 199 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90 ؛ *خريطة طبوغرافية*، 1935.

S.I.H.M., France, 2ème série : 1 / 121 ; A. Moulieras, *Maroc inconnu*, 1 : 111.

حسن الفگيگي

التِّرْياق، دواء مقاوم للسموم، تحدثت عنه كل المؤلفات الطبية القديمة، وهو مشتق من كلمة "تريوق" اليونانية التي يُسمَّى بها كل ما ينهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها. وألّف ابن رشد الحفيد مقالة *الترياق* لمخدومه يوسف بن عبد المومن الموحدي (558. 580 / 1163 ـ 1184) في مراكش ـ على ما يبدو ـ وإن لم يصرح باسمه. وقد اعتمد ابن رشد في مقالته على ما ذكره الأطباء السابقون من المسلمين وغيرهم، وبخاصة جالينوس وابن سينا، واجتهد في الترياق بحسب ما يقتضيه العقل والقياس والتجربة. وذكر في نهاية مقالته "أن للترياق سناً لا يستعمل في أقل منه وهي أربع سنين فيما قالوا (الأقدمون)، ويكفي عندي ـ يقول ابن رشد ـ عام (واحد) لأنه يمر عليه فيه الفصول الأربعة، والستة شهور إن اضطر الأمر إلى ذلك. وله شباب إلى العشرين سنة، ووقوف إلى الأربعين سنة، وانحطاط إلى الستين، وخروج عن الترياق واسمه بعد السنين".

يستعمل الترياق في لدغ الهوام ونهش الأفاعي والحيات والكلاب الكَلِبة والسموم وما إلى ذلك. وكان الملوك القدماء يأخذونه كل يوم وربما أخذه بعضهم مرتين في اليوم.

ويرى ابن رشد أن أوفق سن لاستعمال الترياق هو الشيخوخة التي لا تخلو من زمانة، تليها الكهولة، "أما الشباب فهم أغنى الناس عنه إلا أن تحدث بهم الأمراض التي ذكرناها".

وقد تكلم ابن رشد، وهو طبيب الخليفة الموحدي يوسف ابن عبد المومن، مع مساعديه الذين يباشرون علاج الأمراء "ألاّ يشيروا عليهم باستعمال الترياق في حفظ صحتهم وأخذه على الدوام فلم يفعلوا فأضرّ ذلك كثيراً بمن داوم على استعماله منهم".

بقي الترياق معروفاً متداولاً في مراكش ـ أكثر من المدن المغربية الأخرى ـ وتجلى ذلك عند الملوك السعديين الذين اهتموا به اهتماماً زائداً واستعملوه في مختلف الأغراض، وبخاصة ضد الأوبئة التي كانت تجتاح المغرب من حين لآخر. وقد احتفظ المؤرخ الإفراني في *نزهة الحادي* (ص 155 ـ 168) بنصين لأحمد المنصور الذهبي، يَتعلقان بالترياق، الأول جزء من رسالة بعث بها المنصورمن فاس إلى ولده أبي فارس خليفته على مراكش مجيباً إياه عما كتب إليه في شأن الوباء لما ظهر بمراكش هل يفرّ منه أم لا ؟ فنصحه بالخروج وزاد قائلاً : "ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق ـ أسعدكم الله ـ فالزموه. وإذا استشعرتم منه بسلامة بحرارة وتخوّفتموها فاستعملوا الوصف من الوزن المعروف منه، ولا تهملوا استعماله. وأما ولدنا ـ حفظه الله ـ لمكان الشبيبة فحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق، فها هي الشربة المعروفة النافعة لذلك قد تركناها كثيرة هناك عند التونسي فيكون يستعملها هو والأبناء الصغار المحفوظون بالله حتى إذا أحس ببرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق المرة والمرتين على قدر الحاجة فيعودا إليها..." هذه الرسالة مؤرخة في الرابع عشر من ربيع الأول عام أحد عشر وألف (1 شتنبر 1602) وهي تذكر اسم "التونسي" كأحد القائمين على الأدوية بقصر البديع، وتأخذ بعين الاعتبار القواعد الطبيّة المقررة الواردة في كلام ابن رشد السابق من أن الشباب لا يستعملون الترياق إلاّ عند الضرورة. والنص الثاني جزء من رسالة أخرى ملحقةً بالسابقة على إثر وصول خطاب جديد من أبي فارس يقول فيها المنصور : " ... وأوصيكم أيضاً أنه إذ ظهر المرض بتلكم البلاد وخرجتم خروج خير وسلامة بحول الله وقوته ألاّ تتركوا وراءكم ابنة عمكم ... وأمُر يوسف العبيدي أن يُخرج لك من صاحبة بيت الشياب القدر المحتاج من الترياق الجديد الذي كان بقبة المشْوَر ودخل على أيديكم لدارنا السعيدة، واستدعوا أمَّ الْمَان قهرمانية الدار وأعطه لها برسم دارنا ومُرْها أن تُعطيه لهن في كل رابع من اليوم الذي يأكلونه فيه، وهي أيضاً تأكل منه والعبيدي يوسف يأكل أيضاً منه، وحتى صاحب السقيف أعطوه منه أعني مسعود بن مبارك ..." يسير كلام المنصور هنا أيضاً عن الترياق، في هذه الرسالة الملحقة، على نفس القواعد المقررة في مقالة ابن رشد السابقة من حيث سن الترياق وأنه لا يوخذ على الدوام ... كما ذكر اسم أمِّ الْمَان قهرمانة الدار (دار النساء) واضطلاعها بخزن الترياق وإعطائه الحريم حسب المقادير المحددة، ويلاحظ أنه لم يرد في الرسالتين اسم أي طبيب من الأطباء المغاربة والأندلسيين المتوافرين في البلاط السعدي، إذ لاشك أنهم الذين هيؤوا الترياق الجديد والقديم، لكن حالة الترقب والاستعجال اقتضت الاسراع في تقديم هذا الدواء الجاهز عند الحاجة حسب المقاييس والمعايير المقررة. وربما كان الأطباء صحبوا المنصور إلى فاس.

والترياق كخليط من أعشاب كثيرة معجونة بعسل أو غيره مخمّرة لمدة سنة إلى ستين سنة ـ كما جاء عند جالينوس وابن رشد وغيرهما ـ لم يعد اليوم معروفاً في المستحضرات الصيدلية. وإن كان المغاربة مازالوا يستعملون اسم الترياق للسمن أو الزيت العتيقين اللذين مرَّ عليهما أكثر من عامين حتى يجمد الزيت أحياناً، ويستعملونه كدواء لبعض الأمراض المزمنة.

م. ابن رشد الحفيد، *مقالة الترياق*، تع. أحمد رجائي الجندي وعبد الحميد بسيوني، الكويت، 1995 ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي*، ط. حجرية بفاس د. ت.

محمد حجي

تريبْعَة، سوق صغير بسيطة، مربع الشكل يتوسطه صحن، يشتمل أحيانا على عدة طبقات، وهو مجال تجاري خاص للحرارين والقزازين والخياطين ومن هم على شاكلتهم. تختلف التّريبْعَة عن القيسارية والمحلات التجارية الأخرى، بل تَنتشر بينهما جميعاً، بل أحياناً ما تأخذ مكانها، خارج المجال التجاري الحضري، بين الأزقة والممرات العمومية. عرفت معظم مدن المغرب القروسطي هذا النوع من الأسواق التجارية وقد حافظ البعض منها على أسمائه إلى حد الساعة، كتريبعة العطارين الموجودة بسوق العطارين العتيق من مدينة فاس.

الانصاري، *اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1403 / 1983، ص. 37.

زليخة بنرمضان

تريتون، من الأوثان الثانوية بالنسبة لما كان يعرف بمجمع الآلهة الاغريقية ـ الرومانية. أجمع كتّاب الميثولوجيا القدامى على اعتباره في زعمهم ابن إلاه المحيطات والبحار والأنهار پوزيدون (Poseidon) الذي يوافق الوثن نبتون (Neptune) عند الرومان.

وجدير بالذكر أن مكانة پوزيدون (هذه التسمية الاغريقية) كانت بارزة وسط مجمع آلهة الشمال الافريقي. وخص بنفس الأهمية في المغرب القديم، إذ أقام له القرطاجيون بزعامة قائدهم حانون (Hannon) مذبحا (Autel) خلال القرن الخامس ق. م. برأس سُلُوبيس (Cap Soloeis) وهو رأس الشمس (Mont Soleil) عند اللاتين. وقد اتفق الباحثون المعاصرون على تحديده برأس كانتان (Cap Cantin) قرب أسفي.

وذكر سيلاكس المزعوم (Pseudo-Scylax) ـ الرحالة الذي عاش في القرن الرابع ق. م. ـ نفس المعلومات. وأشار إلى قدسية منطقة رأس سلوبيس وإلى وجود مذبح مكرس لبوزيدون بها. ويحمل المذبح صورا البشرودلافين وأسد. وتثير هذه المنحوتات تساؤلات حول المعبود المحلي الذي لم تحتفظ لنا المصادر القديمة بتسميته.

وإذا كان والد تريتون باتفاق جميع الكتاب قدمائهم ومحدثيهم هو بوزيدون الواسع الانتشار فإن المصادر تختلف في ذكر اسم والدته، فهي عند بعض الكتّاب ومنهم بندر (Pindare) في مؤلفه *Rythmiques* الكتاب IV، الفقرة 57 ـ كيلاينو (Kelaino) ابنة العملاق أطلس (Atlas) (انظر مادة *أطلس*). وبذلك فهو من نفس سلالة إله التجارة هرمس (Hermès) الذي ينحدر من ابنة أطلس مايا (Maïa).

ولكن والدة تريتون هي عند الأغلبية حورية الماء أمْفِتْريت (La Nymphe Amphitrite)، التي صورت في فسيفساء واحدة من موقع ريغا (Rirha) بالقرب من سيدي سليمان، وقد تم الاتصال بين من يدعونه إلاه البحر بوزيدون وحورية الماء أمفتريت عند سفح جبل الأطلس، وبهذه الديار المنتمية لأقصى العالم المعمور حسب الروايات الاغريقية تمت ولادة تريتون. وفي كلتا الروايتين فلتريتون علاقة بأطلس (Atlas)، سواء كان شخصية أسطورية أو معلمة جغرافية.

اعتمد الكتّاب الإغريق واللاتين في وصف تريتون على الانتاجات الفنية التي صورته على شكل برّمائي : نصفه الأعلى بشري، ونصفه الأسفل على شكل حيوان بحري خرافي (Monstre marin). (انظر اللوحة I).

تريتون

لقد تطور تصور تريتون لدرجة أن الشكل البشري غلب على الشكل الحيواني. وتغيرت كذلك رموزه فاشتملت في النهاية على العناصر التالية : الشوكة البحرية (Le trident)، المجداف، الكأس والمزراق الباخوسيين (Le canthare et le thyrse bachique). وهذه الأدوات ارتبطت فيما بعد بنبتون وديونيسوس (Dionysos)، أما بالنسبة لتريتون فقد أضحت القوقعة (البوق الصدفي) (؟) (La conque) من رموزه الأكثر ترددا، مع العلم بأنها لا تخصه وحده، بل ميزت أيضا أوثان الرياح (Dieux des Vents).

كان تريتون في بداية ظهوره بالمصادر المكتوبة شخصية مستقلة، كما بين ذلك الشاعر هزيود (Hesiode) في قصيدته "أنساب الآلهة"، 930، (Théogonie, 930)، إذ وصفه "بتريتون الكبير، ذي القوة الواسعة"، وكان يستوطن مع والديه قصراً من ذهب. ولكن سرعان ما استحوذ بوزيدون على مملكة البحر، وبذلك أضحى تريتون تابعا له، حيث شكل مع آلهة ثانوية أخرى موكبه، وكان له حضور أيضا بمواكب خاصة بكل من أوقيانوس (Océan)، وأمفتريت، وأفروديت (Aphrodite).

صورت كل المصادر الأدبية تريتون مذكراً إلا أن الإكونوغرافية أنتجت نظيرته المونثة (La tritonesse)، كما تظهر ذلك فسيفساء موكب فينوس من وليلي.

أطلق اسم تريتون على عناصر مختلفة : فقد حملت منيرفا (Minerve) (وهي أثينة (Athèna) حسب الاغريق) اسم تريتونيد (Tritonide) نسبة إلى بحيرة تريتونيس (Lac Tritonis) التي يعتقد أنها ولدت على ضفافها.

ومعلوم أن بحيرة تريتونيس ارتبطت كذلك بمغامرات الرحالة الأرغونيين (Les Argonautes)، أتباع البطل الإغريقي الأسطوري جازون (Jason)، لقد رمت العاصفة بهم بقارة ليبيا (شمال افريقيا) وحملوا زوارقهم على أكتافهم حتى هذه البحيرة. ومنها أنقذهم تريتون، إذ بيّن لهم طريق العودة إلى بلدهم. ومن يومها حملت سفينتهم هي الأخرى اسم تريتونيد (Tritonide).

والملاحظ، أن آراء الكتاب القدامى تضاربت في تحديد بحيرة تريتونيس، ونجم عن ذلك اختلاف آراء الباحثين المعاصرين، فبعضهم جعلها بقرينائية (بليبيا الحالية) وآخرون جعلوها بخليج قابس أو بحيرة البيبان، أو خليج الحمامات، وإن كان معظمهم حصرها في شط الجريد بالجنوب التونسي.

وبالنسبة لنهر تريتون (Le fleuve Triton) فهو يصب في البحيرة المذكورة حسب باحثين، أو يعبرها حسب آخرين. ومتى ضبطت البحيرة ستسهل معرفة اسم النهر حالياً.

هل كان لتريتون معبد ببحيرة تريتونيس ؟ وهل اقتصرت عبادته على هذه الناحية فحسب ؟

ذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوث في مؤلفه *التواريخ*، الكتاب IV، الفقرة 188 بأن الليبيين المستوطنين حول بحيرة تريتونيس يقدمون القرابين أساسا للإلهة أثينة. وبعدها للالهين تريتون وبوزيدون. فهذه المعبودات الثلاثية لا تعرف أسماؤها الأصلية. فمعروف بأن اسم تريتون قد أطلق على آلهة ذات أصول وطبائع مختلفة. فقد ميز الباحثون المعاصرون بين تريتون المحلي، وترتون الفنيقي ـ القرطاجي وتريتون الإغريقي ـ الروماني. ولكن ليس من السهل معرفة مميزات كل واحد منهم، كما أنه لا يعرف مدى انتشارهم خصوصا وأن عملية دمج (الآلهة) المحلية مع (الآلهة)

المستوردة تم باستمرار.

على كل، تم تجسيد تريتون بمجالات فنية مختلفة بالنسبة للعالم الاغريقي ـ الروماني، ولكنه بالنسبة للمغرب القديم لم يصور إلا بالفسيفساء وهي ثلاثة نماذج، نذكرها كالتالي :

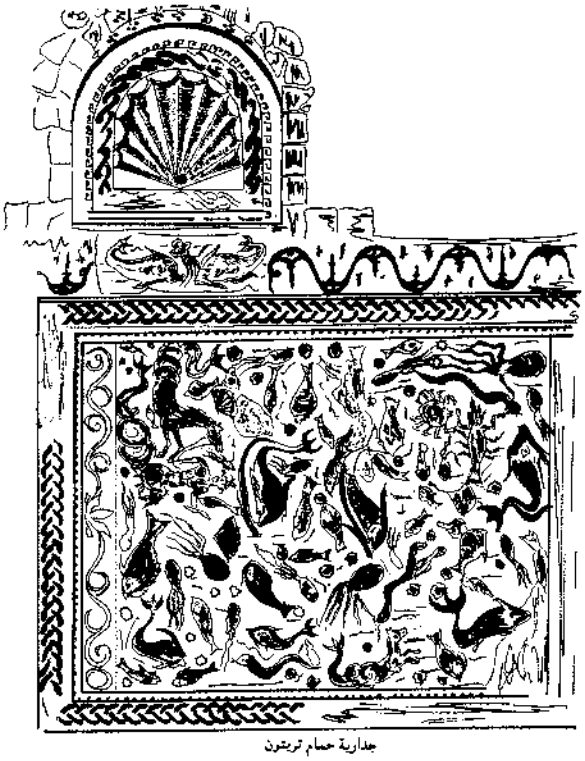

جدارية حمام تريتون

النموذج الأول : فسيفساء الغرفة الساخنة بحمامات بناصة المعروفة تحت إسم حمامات بتمرير جداري (Thermes aux fresques). (انظر اللوحة II). رغم تسمية الفسيفساء باسم تريتون، فإنه لا يكوّن إلا جزءاً من العناصر المشكلة لهذه اللوحة.

وهذه العناصر منها ما ينتمي لعامل الواقع، ومنها ما هو أسطوري. وتحتل الدلافين (Dauphins) مكانة أهم بالقياس إلى تريتون نفسه الذي يظهر بهذه الفسيفساء من الأمام (En face)، وهو في كامل عنفوانه وقوته، ويغلب عليه الطابع البشري أكثر من الشكل الحيواني حيث إن الطرف الثاني السفلي يبدأ انطلاقا من فخديه. ويمسك بيده اليمنى عنان الفرس المائي (Hippocampe) وباليسرى القوقعة رمزه المألوف.

ولا نستغرب لوجود صورة تريتون بغرفة حمام لأن ارتباطه بالماء وطيد.

النموذج الثاني : تريتون بمنزل أورفي (Orphée) بوليلي. يشكل تريتون لوحة مكملة لفسيفساء أورفي وهذه اللوحة منقسمة إلى سجلين مماثلين إذ لا تتنابهما إلا تعديلات طفيفة.

ففي السجل العلوي نرى تريتون من الأمام، تكتسي ملامحه طابعاً طفولياً، وتزيد استدارة وجهه في تثبيتها، وله نصف أعلى بشري، ونصف أسفل حيواني، وينغمس جزء من ذيله في المياه، كما أننا لا نراه بالرموز المعهودة فله دفة مركب (Gouvernail)، ووشاح. ويحيط به من جهة نمر مائي ومن جهة ثانية فهد مائي.

أما نظيره بالسجل الأسفل فنراه من خلال ثلاثة أرباع (3 / 4)، يمسك بيده اليمنى العنان (Bride) وباليسرى القوقعة وتشكل القشور (Ecailles) التي تغطي وسط جسمه نقلة من طابعه البشري إلى طابعه الحيواني. ويحيط بيمينه فرس الماء وبيساره لبؤة.

النموذج الثالث : تريتونيس بمنزل موكب فينوس بوليلي. يتشكل موكبها من ـ خلال فسيفساء المنزل الذي يحمل نفس التسمية ـ من العديد من أتباعها، منهم وثن الحب (Amours)، وعرائس البحر (Nereïdes) وامرأتان ذاتا شكل خاص بتريتونيس (Tritoness) النظيرة المؤنثة للمذكر.

تحدد المصادر المكتوبة مكان ولادة تريتون بديار الأطلس من أبوين لهما مكانة مميزة بالمغرب القديم. ونتوفر على ثلاثة نماذج فسيفسائية خاصة بتريتون ومع ذلك، وفي غياب النقائش (Les mocriptions) لا نستطيع أن نتحدث عن عبادته، ولا عن مدى تغلغله ضمن مجمع أوثان المغرب القديم.

A. Boulanger, *Triton, Dictionnaire Daremberg - Saglio*, pp. 483 - 786 ; F. Decret et M. Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité des origines au Vème siècle*, Paris, 1981, pp. 249 - 261; R. Graves, *Les mythes grecs*, Paris, 1984, p. 20, pp. 191 - 215 , S. Gsell, *Herodote, Textes relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1915, pp. 77 - 84 ; Hesiode, *Théogonie*, trad. P. Mason, Paris, 1928, 930, 939 ; G. Marcy, *Notes linguistiques autour du périple d'Hannon*, *Hesp.* xx, 1935, pp. 38- 41 ; Pline L'Ancien, *Histoire naturelle* V, 1 - 46, Texte établi, Traduit et commenté par J. Desanges, Paris, 1980, pp. 270 - 271 ; Z. Qninba, *La mosaïque d'Orphée de Volubilis*, Thèse de 3ème cycle de l'Université Laval, 1988 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 , R. Thouvenot et A. Luquet, *Les thermes de Banasa*, *P.S.A.M.* IX, 1951, pp. 21 - 32 ; *La mosaïque du Navigium Veneris à Volubilis*, *Revue archéologique*, I, 1977, pp. 37 - 52.

البضاوية بلكامل وزهرة قنينية

التريركي، رايس بحري بأسطول الجهاد السلوي، وهو من الرياس الأتراك الملتحقين بالمغرب. كان خلال موسم سنة 1046 / 1636 منهمكاً في عملياته بالمياه الإيبرية لما تعرض في شهر سبتمبر لهجوم سفينتين زيلانديتين (الأراضي المنخفضة)، قامتا بالاستحواذ على أشرعة مركبه ومدافعه وذخائره ومؤنه ؛ كما افتكتا أسراه الاسبان، واعتقلتا أعلاجه الأربعة والعشرين ؛ ثم أقدمتا ـ بعد ذلك ـ على إغراق سفينته وعلى متنها بقية الطاقم من المسلمين وعددهم خمسة وثلاثون بحرياً، لم يفلح في النجاة منهم سوى خمسة فروا على متن أحد الزوارق.

وقد شكلت سفينة التريركي إحدى النقط التي كلفت بها السلطات المغربية مبعوثها لدى الولايات العامة بهولندة دافيد بالاش للمطالبة بالتعويض على الأضرار والاقتصاص من الجناة.

De Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série. Pays-Bas T, IV, p. 418 - 20.

حسن أمبلي

تريسديس Trisidis، مدينة من المغرب القديم، انفرد بذكرها الجغرافي بطوليمايوس Ptolemaus، الذي عاش خلال القرن الثاني قبل الميلاد، وهو من مدينة الاسكندرية المصرية. تقع حسب الخريطة التي وضعها بطوليمايوس للولاية الرومانية في المغرب القديم، خارج نطاق هذه الولاية التي تمتد في الجنوب الشرقي إلى مدينة توكولوسيدة الواقعة جنوب وليلي بحوالي أربعة كيلومترات ونصف.

تأتي مدينة تريسديس حسب بطوليمايوس على رأس مجموعة من المدن الواقعة خارج نطاق السيطرة الرومانية ؛ وهي مدن لم يرد ذكرها في أي مصدر آخر. وتعد مدينة تريسديس في هذه الخريطة منطلقاً لتوزع هذه المدن عبر محورين : واحد يتجه إلى الجنوب الغربي، عبر مدينة ثيكاث (Thikath)، وينتهي إلى مدينة والة (Ouala). والآخر يتجه إلى الشرق، عبر مدينة بينة، وينتهي إلى مدينة گالفة Galapha.

اعتمد بعض الدارسين على خريطة بطوليمايوس لحل الإشكال الذي يطرح حول الطريق الداخلية التي ينبغي أن تربط بين الولايتين الرومانيتين موريطانية الطنجية والقيصرية. واتخذ هؤلاء الدارسون خريطة بطوليمايوس منطلقاً للقول بوجود طريق داخلية تتجه من الغرب إلى الشرق عبر ممر تازا الحالية، لتحقق التواصل البري بين الولايتين.

وفي تتبعنا لآراء الكتاب الذين يعتقدون وجود هذه الطريق البرية، نجد روجي Roget يقول بهذه الفكرة دون اقتراح موقع محدد للمدينة، وهو في ذلك يردد رأي موليير Muller الذي يأتي على رأس أقدم الدارسين لجغرافية بطوليمايوس.

تناول توڤنو Thouvenot هذا الموضوع المتعلق بالمدن التي ذكرها بطوليمايوس خارج نطاق ولاية موريطانية الطنجية، وهو القائل بوجود مدينة تريسديس في مفترق طريقين قديمين، واحد يتجه نحو بلاد السوس والآخر يتجه نحو موريطانية القيصرية. لقد أوضح توڤنو في دراسته حول الطريق المؤدية إلى بلاد السوس قديماً أن موقع مدينة تريسديس حدده الجغرافي بطوليمايوس بحوالي 130 كيلومتر جنوب شرق مدينة توكولوسيدة وبحوالي 80 كيلومتر غرب نهر ملوية، وذلك وفق الاحداثيات التالية : الطول : 9 درجة، العرض : 33 درجة و10 (Ptolémée, IV, 1, 7). ويلاحظ الباحث أن هذا التحديد غير دقيق، وفيه مبالغة، اعتباراً للأخطاء التي تعتري تحديد مواقع المغرب القديم في الخريطة التي أفردها الجغرافي لهذه البلاد. من بين هذه الأخطاء وضعه لتوكولوسيدة على بعد 75 كيلومتر غرب مدينة وليلي، بينما لا تفصل بين المدينتين إلا أربعة كيلومترات ونصف.

وهكذا اقترح توڤنو أن مدينة تريسديس تقع في ناحية إيموزار وذلك بقصبة تابالاوت الواقعة على الطريق الرابطة بين الحاجب وأزرو.

تبنى شميت Schmitt نفس الفكرة التي تجعل تريسديس تقع على الطريق الداخلية المتجهة نحو شرق موريطانية الطنجية عبر ممر تازا، وذلك في رسالته لنيل دبلوم الدراسات العليا في موضوع : *المغرب من خلال جغرافية بطوليمايوس*. حسب هذا الباحث فإن مدينة تريسديس تقع على الطريق المؤدية إلى الشرق، في اتجاه گالفة عبر مولوكات (Molochath) وبينتة (Benta). ولقد رجح أن مدينة تريسديس تقع حيث يوجد ضريح قديم بسوق جمعة الگور جنوب شرق مدينة مكناس.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc*, Rabat, 1938, *P.S.A.M.*, 7; P. Schmitt, *Le Maroc d'après la Géographie de Claude Ptolémée*, thèse de doctorat de 3ème cycle, Tours, 1973 ; R. Thouvenot, *Le Géographe Ptolémée et la route de Souss*, *Hesp.*, 33, 1946, p. 373 - 384 ; *Le Géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, *R.E.A.*, 64, 1992, p. 82 - 88.

محمد مجدوب وعلي واحدي

التريعي، محمد بن المعطي، من الزعماء المشهورين الذين عرفتهم قبيلة دكالة في بداية القرن العشرين. ترجع شهرته إلى ما طبع حياته من جهاد ضد الاحتلال الفرنسي.

ولد التريعي حوالي سنة 1273 / 1856، إذ قدرت بعض الاستخبارات الفرنسية السرية عمره سنة 1911 بحوالي 55 سنة. ينتسب إلى دوار أولاد بومغزل من فخذة التريعات وهي إحدى الأفخاذ الأصلية المكونة لقبيلة الحوزية التي توجد مدينة أزمور بترابها.

ويستفاد من الوثائق المغربية الرسمية أن محمد التريعي كان قائدا سنة 1312 / 1894. فحسب مراسلتين إحداهما من قائد الدار البيضاء عبد الرحمان برگاش مؤرخة في 8 ربيع الأول 1312 / 9 شتنبر 1894، والأخرى من قائد مديونة أحمد بن العربي المديوني مؤرخة في 13 جمادى الثانية 1312 / 12 دجنبر 1894، نجد أن محمد التريعي قد ألقي عليه القبض وسجن بمدينة الدار البيضاء مع قائدين آخرين من دكالة هما أحمد البوعزيزي (أولاد بوعزيز) وسعيد الفرجي (أولاد فرج). وقد نقل القواد الثلاثة إلى سجن الرباط بأمر من الصدر الأعظم أحمد بن موسى الذي يبدو أنه أبقاهم في السجن إلى وفاته سنة 1318 / 1900.

وقد أشارت بعض التقارير السرية سنة 1329 / 1911 إلى أن محمد التريعي كان متولياً منذ حوالي 12 سنة، وعلى هذا الأساس يبدو أنه رجع لقيادته قبيل أو عقب وفاة الصدر الأعظم المذكور في محرم 1318 / ماي 1900 ذلك الوزير الذي اشتهر بإلقاء العديد من قواد القبائل في غياهب السجون.

والواقع أن محمد التريعي تولى القيادة خلفاً لأخيه الذي كان قائداً على قبيلة الحوزية. وكان محمد التريعي طالباً حافظاً للقرآن. كما يبدو أنه كان على علاقة حسنة مع بعض القواد الكبار مثل عيسى بن عمر العبدي.

إلا أن محمد التريعي الذي كان يقود قبيلة تحرس المجال الممتد من مدينة أزمور إلى جوار مدينة الجديدة ؛ وبما أن النفوذ الأجنبي بالجديدة كان يتزايد باستمرار، وحيث إن قناصل الدول الأجنبية وخاصة قناصل فرنسا وإسبانيا وإنجلترا، كانوا نشيطين في نشر نفوذ بلدانهم بين أعيان دكالة وخاصة بين القياد ، نظرا لكل ذلك، فقد أصبح محمد التريعي محل مراقبة من طرف الفرنسيين الذين لم يرغب في وضع يده بأيديهم. وتؤكد استخبارات الفرنسيين إلى أن علاقة الرجل بهم كانت سيئة إلى سنة 1329 / 1911. وسنرى أنها ظلت سيئة إلى ما بعد ذلك التاريخ بل ازدادت سوءاً.

وعلى كل حال، طبعت حياة ولد التريعي بالصراع ضد الأجانب فقد أشارت الاستخبارات إلى أن علاقته بالأجانب بالجديدة كانت محدودة. ويبدو أن الرجل الذي اشتهر بالشجاعة والصرامة كان مصمماً على عدم خدمة إهداف الفرنسيين. ويظهر نتيجة لذلك أنه انضم للحركة الحفيظية حيث أصبح من أعمدتها في حوز أزمور والجديدة. وبعد كل ذلك بالنسبة إلينا أن الرجل اختار طريق الجهاد ضد التدخل الفرنسي في المغرب.

وبالفعل، فقد أصبحت الدعاية الحفيظية نشيطة بالمنطقة، حتى إن الفرنسيين الذين احتلوا الدار البيضاء، هددوا باحتلال الجديدة في صيف 1325 / 1907. وبالرغم من ذلك فقد تمكن الحفيظيون من السيطرة على أزمور بمساعدة التريعي دون شك، ونظموا عملية تهريب الأسلحة إلى مجاهدي الشاوية عبر الجديدة وأزمور.

لم يكتف محمد التريعي بمعارضة النفوذ الأجنبي في قبيلته، بل نجده يلبي داعي الجهاد ويقطع وادي أم الربيع إلى الشاوية حيث اصطدم بقوات الجنرال داما في بداية 1325 / 1908. وتشير بعض الأخبار إلى أن القائد التريعي كان يجاهد في "المذاكرة" مع بطلها الأحمر بن منصور ولا غرابة في ذلك، فقد جذب مؤذن الجهاد بالمذاكرة أبطالاً من الحوز مثل عمر السكتاني ومن الأطلس مثل موحا وسعيد الوراوي وموحا وحمو الزياني وهؤلاء قواد مشهورون في قبائلهم. أما غيرهم من المجاهدين فكانوا كثيرين.

وقد عاد محمد التريعي إلى بلاده بعد سيطرة القوات الفرنسية على الشاوية، كما تمكن قائد قوات الاحتلال من الجواز إلى أزمور التي احتلها وأبعد عنها القائد الحفيظي حاسي الكلاوي، كما عزل محمدالتريعي عن القيادة وولى غيره مكانه في جمادى الثانية عام 1326 / يوليوز 1908.

لكن بمجرد عودة قوات الاحتلال إلى الشاوية، عاد محمد التريعي إلى قيادته حيث قتل القائد الذي ولاه الفرنسيون وعلق رأسه على أبواب أزمور وفي هذه الأثناء حصل محمد التريعي على ظهير حفيظي بالتولية من جديد.

ويتهم الفرنسيون محمد التريعي بالتعسف والقسوة ضد محكوميه، وخاصة بعد احتلال أزمور من طرف القوات الفرنسية وخروجها منها. أما بالنسبة لعلاقته بالأجانب فيتهمونه بأنه كان يضيق عليهم عند المرور ويفرض عليهم إتاوات كبيرة وخاصة على الفرنسيين الذين يريدون قطع وادي أم الربيع إلى الشاوية. أما فيما يتعلق بالحصول على الحماية الأجنبية، فقد كان محمد التريعي ينكل بكل من يدعي تلك الحماية ولذلك تكاثرت شكايات الفرنسيين ضده عند السلطان مولاي عبد الحفيظ وتدخلوا لديه لعزله لكنه لم يفعل إلا سنة 1330 / 1912.

ومنذ الحملة الفرنسية على فاس سنة 1911، وحصول الاتفاق الألماني الفرنسي حول المغرب في ذي القعدة عام 1329 / نونبر 1911، أخذ محمد التريعي يحتاط لنفسه. وبالرغم من ذلك لم يطلب الحماية الأجنبية إلا بعد أن أصبح مهدداً لما تمكن الفرنسيون من فرض الحماية على المغرب في ربيع الثاني عام 1330 / مارس 1912، واستصدروا قراراً بعزله.

ففي شهر جمادى الأولى 1330 / أبريل 1912 ذهب القائد محمد التريعي إلى القنصلية الإسبانية بالجديدة ليطلب من القنصل لويس ڤياس (Louis Villas) الحماية من بلاده. وبمساعدة السيد بوخول (Pujol) كاتب القنصلية واليهودي المغربي يوسف ماهون (Joseph Mahon) وهو سمسار إسباني، تمكن القائد التريعي من الحصول على بطاقة الحماية الإسبانية.

وقد عارض الفرنسيون وحزبهم، منح إسبانيا حمايتها للقائد المجاهد، فاحتج النائب محمد الجباص والوزير المقري على تلك الحماية لكن البعثة الإسبانية بطنجة لم تتخل عن حماية الرجل. وظل محمد التريعي بالرغم من توقيفه يمارس مهامه كقائد بقبيلته إلى شهر يوليوز 1912.

وفي 23 يوليوز احتل الكولونيل مانجان مدينة أزمور، وجعلها مركزاً لعملياته بدكالة. فقد عين قائداً عاماً ومشرفاً سياسياً مكلفاً بتهدئة المنطقة ؛ بمعنى آخر مكلفاً بالقضاء على كل نفوذ معارض للاحتلال الفرنسي بالقبائل الدكالية.

وكان القضاء على نفوذ القائد التريعي في مقدمة اللائحة. ولذلك قرر الكولونيل مانجان قنبلة قصبة التريعي وإلقاء القبض على الرجل في فجر يوم 4 غشت. بيد أن محمد التريعي الذي علم بالأمر بطرقه الخاصة غادر قصبته ليلا، والتجأ إلى دار اليهودي سيكسو Siksou وهو محمي إسباني يسكن بقرب مدينة الجديدة.

وفي الغد قنبلت قوات الاحتلال قصبة القائد المغربي، واحتلتها بعد اشتباك قصير مع ساكنيها، ثم صادرت ما وجد بها من سلاح ووثائق، وأشعل فيها النيران. وفي الوقت الذي كانت فيه قصبة التريعي تحترق كان القنصل الفرنسي قد جند ما عنده في الجديدة وحاصر دار سيكسو بمساعدة طابور بوليس الجديدة.

وتشير بعض المراسلات الفرنسية إلى أن القائد محمد التريعي، طلب التفاوض مع القنصل الفرسي ؛ فذهب هذا الأخير، بصحبة قائد طابور البوليس وضابط صف إلى دار

سيكسو، حيث خرج إليهم التريعي مع بعض رجاله، ووعد القنصل بالاستسلام للقنصلية الفرنسية. وتتهم الرواية الفرنسية القنصل الإسباني بالتدخل في الأمر مما دفع التريعي إلى التراجع عن وعده.

ومهما يكن من أمر، فقد عزز الفرنسيون، في يوم 5 غشت طابور البوليس بفرقة من الرماة لتشديد يد الحراسة حول دار اليهودي خوفاً من خروج التريعي منها. وفي المساء حدث تبادل لاطلاق النار بين دار سيكسو والقوات المحاصرة لها. وفي هذه الأثناء تجمعت الجالية الفرنسية بالجديدة، بدار القنصلية الفرنسية، حيث تسلح أفرادها وبدأوا يقومون بأعمال الدورية بضواحي المدينة.

ونتيجة لهذه التطورات، ونظراً لما قام به الفرنسيون من استعدادات حربية، خيم على الجديدة في صباح يوم 6 غشت جو مكهرب، فلم تفتح المتاجر أبوابها وظلت مصالح الديوانة والمصالح التي يراقبها الفرنسيون كالبنك المخزني ومراقبة الدين مغلقة بدورها. وكان الجميع يحس بقرب حدوث انفجار ما. ولا ندري هل كان الفرنسيون ينوون اقتحام دار المحمي الإسباني أم لا.

الحاصل، أنه في الساعة الواحدة من زوال يوم 6 غشت، أي في الوقت الذي تشتد فيه وطأة درجة الحرارة ؛ فوجئ المحاصرون لدار اليهودي سيكسو، باندفاع الفارس المغربي متجردا من ملابسه ولم يبق عليه سوى الجلابة، حاملا معه ابنه الصغير في إزار معقود بحزامه، يتبعه بعض رجاله. ونتيجة للمفاجأة وللسرعة التي اندفع بها حصان التريعي خارج دار سيكسو، لم يتمكن الجنود من إصابته بالرغم من النيران التي صوبت نحوه.

وهكذا تمكن القائد محمد التريعي من التخلص من الفرنسيين المحاصرين له، كما تخلص منهم عندما حاصروا قصبته. وفي طريقه صادف أحد الضباط الفرنسيين متجها نحو المعسكر عندما سمع صوت اطلاق الرصاص، فأرداه قتيلا ثم اختفى وسط بادية دكالة دون أن يجرؤ أحد على مطاردته.

إلى هنا تقف المصادر التي اعتمدناها في تتبع علاقة التريعي مع الفرنسيين. ويبقى مصير التريعي مجهولا لدينا إلى أن توضحه المكتشفات الجديدة من الوثائق. ومع ذلك يمكننا أن ننبه إلى بعض الإشارات التي وردت على لسان بعض المخبرين، مفادها أن القائد التريعي انضم مع مجاهدين آخرين إلى جانب موحا وحمو الزياني، حيث شارك في جهاد قبائل المنطقة ضد الاحتلال الفرنسي.

وثائق خ. ح. ؛ *الوثائق الدبلوماسية بمدينة طانت* ؛ نشرة إفريقيا الفرنسية 1912 ؛ الرواية الشفاهية.

Goulven, *Le cercle des Doukkala.*

علال الخديمي

تريفة ـ جغرافيا ـ سهلٌ يمتد على الواجهة المتوسطية لجبال بني إزناسن، كما يطلق على القبائل العربية التي تسكن هذا المجال، والتي اختلطت اختلاطاً وثيقاً مع القبائل البربرية الإزناسنية. ذلك أنه تاريخيا، كان النشاط الزراعي يتركز أساساً في الأودية النازلة من الجبل، وداخل السلسلة، بينما ظلت المنطقة المنخفضة مجالا للرعي. وهذا التكامل سمح بالحفاظ على نوع من الاستقرار في الوحدتين معاً.

من الناحية المناخية والنباتية يجب التمييز بين الجهة الغربية (منخفضات الشويحية وبوعريبة) حيث ينعدم العنصر الشجري ويقوى الجفاف (غلبة الشيح والحلفاء) والسهول الوسطى والشرقية، حيث الظروف الطبيعية تسمح بنمو غطاء من الشجيرات تعرض للقطع في جل المناطق.

وتبين الأتربة نفس التناقض، يفسره النموذج النظري الذي اعتمده إخصائيو التربة (Ruellan, 1971). هذا النموذج يعتبر فترات استقرار طويل سمحت بتترب متقدم على سفوح بني إزناسن، تتبعها فترات خلل مناخي يتم خلالها تدهور الغطاء النباتي، وبالتالي نزوح هذه الأتربة نحو السهل تحت تأثير عوامل نقل أهمها السيول المتفرقة. والتغاير الصخاري بين بني إزناسن الشرقية المكونة من اكلاس صلبة تحمل أتربة حمراء منزكلة، وبني إزناسن الغربية الصلصال ـ كلسية والحثية والحاملة لأتربة سمراء كلسية، يفسر التناقض بين الجهتين الشرقية والغربية من سهل تريفة. ذلك أن الجهة الشرقية والوسطى (ناحية أحفير ـ بركان) استقبلت هذه المواد الحمراء المنزكلة، والتي كونت في السهل أتربة قسطالية اللون، لها مسكة عليا سميكة، فوق مسكة كلسية عميقة ومتصلبة. أما في الجهة الغربية (بوغريبة ـ الشويحية) فإن المواد المتراكمة فاتحة اللون وغير متمايزة القطاع، تعلو بها نسبة الكلس ابتداء من السطح. والتراكمات الحديثة جدا (تراكمات الهولوسين) وحدها متشابهة في كل المناطق، لأنها نتاج إعادة نقل لمواد خام، لم تتعرض لتترب متقدم. وهي مواد تتركز على طول المجاري النهرية والسيول.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة (Laouina, 1987, 1990) أن التترب المحلي كان له إسهام هام في تكوين الرصيد الإقليمي من الأتربة، وذلك تبعاً للموقع التضاريسي والمناخي. وهكذا يمكن التفريق بين خمسة أنواع من البيئات الأساسية :

ـ بيئة الشريط الساحلي (السارگ)، وهو مجال مزدوج، مكون إما من سطوح رتيبة مالحة أو كثبان رملية حديثة.

ـ بيئة التلال المتموجة : في منطقة أولاد منصور، تمتد هضبة متموجة، تقطعت محليا على تلال، والبروزات متدهورة التربة بينما المنخفضات مجال تراكم.

ـ بيئة حادورات تريفة الشرقية والوسطى، المسكوة بأتربة قسطالية غنية، في إطار مناخي نصف جاف.

ـ بيئة حادورات تريفة الغربية، التي تغلفها أتربة بنية كلسية، ذات قشرات كلسية سميكة وقريبة من السطح في إطار مناخي يميل إلى الجفاف.

- بيئة الأودية الكبرى، كواد كيس أو شراعة أو ملوية، وهي أشرطة حيث تمتد درجات ممتازة الظروف، وسط مجال صعب ومهدد بالاقتلاع والإزالة.

وموقع تريفة في قدم بني إزناسن يفسر التوفر النسبي لثروات مائية ؛ فالأنهار النازلة وبعض العيون تغذي منطقة دير محدودة الامتداد تتركز على شكل أشرطة دقيقة. كما أن المياه المتسربة في الجبل تسري في فرشة مائية باطنية في السهل. إلا أن انخفاض منطقة مداغ، من جهة، ووقوف ثنية أولاد منصور في وجه حركة الماء نحو الشمال، كانا الأصل في تكوين مستنقعات ممتدة في سهل مداغ، الشيء الذي استدعى تجفيف هذه المستنقعات قبل الانطلاق في تعمير السهل.

عرف منخفض تريفة تحولات جذرية خلال المراحل الحديثة من تاريخه، كان لها بالغ الأثر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وكذا على البيئة العامة. ذلك أن هذا المنخفض كون إلى بداية هذا القرن مجالاً تكميلياً، يستعمله سكان الجبل - بني إزناسن - كمرعى لماشيتهم خلال فصل الشتاء. ولذا فإن الغطاء النباتي احتفظ بكثافة عالية وبالتنوع المتمثل في تشكيلات شجيرية وأعشاب مختلفة. وظلت الساكنة المحلية محدودة. ولقد تحولت هذه الوضعية جذرياً بمجرد دخول المعمرين في بداية القرن، حيث تم اجتثاث الأرض، وتجفيف المستنقعات، ومد السقي في المجالات المتوفرة على فرشة مائية غزيرة وقريبة من السطح. ونتج عن هذا توقيف للحركة المعهودة للسكان بين الجبل والسهل واستقرار البعض من هؤلاء في المجالات التي تركها المعمرون شاغرة، يعني في الهوامش المتميزة بانحدارات نسبية وأتربة هيكلية وفقيرة. كما قطن البعض الآخر إلى جانب ضيعات المعمرين ارتباطا بفرص الشغل المتوفرة فيها. وهكذا، تحول السهل إلى مجال أساسي للسكن والانتاج الفلاحي.

وقد استمرت الدولة المغربية في نهج سياسة تنمية السهول المنتجة على حساب الهوامش الجبلية، وذلك بتعميم الري وتكثيف الشبكة الطرقية وتشجيع التجهيز والتمدين. وقد كان بناء سد محمد الخامس على نهر ملوية انطلاقة أساسية في مد السقي في سهل تريفة وحتى على بعض هوامشه مثل قدم الجبل وتلال أولاد منصور.

وهكذا يمكن تقسيم السهل وحواشيه إلى مجموعة من الوحدات :

- أراضي ضعيفة الاستقرار البشري أو غير مسكونة، مثل السهل الساحلي الملحي المكسو بأعشاب متكيفة، والتي تصلح كمرعى مؤقت. والكثبان الساحلية المثبتة بأغراس شجيرية، والتي تعرف حاليا تطور أنشطة ترفيهية شاطئية، قد يكون لها أثر سالب على استقرار الرمال، والأشرطة الهدرغرافية الكبرى التي تزورها الشاحنات لاقتلاع الرمل والحصيم.

- الهضاب الهامشية : وبضعف استعمالها لأسباب عدة منها هزالة التربة وعدم وصول مياه الري إليها أو جفاف المناخ.

- عند قدم الجبل، تمتد زراعات تقليدية في مجالات حيث الكثافة البشرية تصل إلى 60 وحتى 100 نسمة / كلم^2.

- تتمثل الأراضي الأكثر جودة في الأجزاء المنخفضة من السهل، وهي أراضٍ كانت تسقى بالمضخات في أواسط هذا القرن، ثم تحولت إلى مجال سقي انجدابي معمم بعد وصول مياه ملوية. وتختلف المظاهر حسب مجموعة من المؤشرات منها قدم الاستقرار، ونوعية التمليك. فمجال مداغ العثامنة، عبارة عن مستنقع قديم، تم تجفيفه في أوائل القرن، ثم امتد إليه الري. وتغطيه ملكيات كبرى، عدا وسط المستنقع الذي جزئ قطعا صغيرة. وتظل الكثافة البشرية في هذا المجال متواضعة، وتقل الكثافة في المنخفضات التي تتوسط تلال أولاد منصور والتي بقيت فارغة إلى حين الوصول المتأخر لمياه ملوية إليها. أما نحو الجنوب، فإن السطوح الممتدة قد جزئت أراضيها تجزيئاً دقيقاً، الشيء الذي يفسر ارتفاع الكثافة البشرية بها (مجالات السليمانية - بوغريبة).

مشاكل السهل مرتبطة بالاختيارات الأساسية التي نهجتها السياسة الفلاحية.

- فهناك مشاكل تقنية تتصل بالري ويدخل ضمنها صعوبة التصرف في المياه، وضياع قسط وافر منها، وتدبير الموارد السطحية والباطنية قصد تلافي تمليح الأراضي وصعود مستوى الفرشة المائية.

- وهناك مشاكل عامة تتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والاختيارات الخاصة بالمزروعات.

فسهل تريفة الذي كان مجالا تكميليا في بداية القرن، تحول إلى نطاق يعرف ضغطاً بشرياً وتكنولوجيا. والتطورات شديدة السرعة، أغلبها إيجابية تدل على تنمية هامة، وعلى تنوع في الإنتاج. وقد تمت هذه التحولات بوتيرة سريعة حيث تضاعفت الساكنة أربع مرات من بداية القرن حتى سنة 1960 ؛ ثم مرة أخرى خلال الثلاثين سنة اللاحقة. ويعزى هذا التوقف النسبي في ساكنة الأرياف إلى بروز ظاهرة التمدين السريع في بركان وفي المدن الصغيرة الأخرى كأحفير والسعيدية وعين الرگادة، وفي عدد من المراكز الأخرى.

J.P. Charvet, *La plaine des Triffa*, *R.G.M.*, n° 21, 1972 ; A. Laouina, *Le Maroc Nord-Oriental*, Thèse d'Etat, Paris - Sorbonne, 1987 ; *Implications spatiales et environnement des transformations socio-économiques et technologiques et sur les campagnes marocaines*, in *Le Maroc, espace et société*, Passau, p. 175 - 181, 1990 ; A. Ruellan, *Contribution à la connaissance des sols des régions méditerranéennes*, Mem. ORSTOM, n° 54, Paris, 1971.

عبد الله العوينة

* * وعن تاريخ استقرار ساكنة تريفة، فقد استوطنت أربع قبائل سهل تريفة وصارت تُسمت باسمه وهي : أولاد منصور وأولاد الصغير وهوارة والعثامنة.

وتعتبر قبيلة أولاد منصور من أقدم القبائل التي استقرت بسهل تريفة، ونصت اتفاقية مغنية حول الحدود

سنة 1261 / 1845 على أنهم أولى القبائل المغربية النازلة في مقدمة الحدود ابتداءً من البحر، وتفيد بعض الروايات أنهم إخوة لأولاد منصور المستقرين قرب مغنية (الجزائر)، وأنهم انفصلوا عنهم منذ حوالي ثلاثة قرون، واستقروا غرب واد كيس في موطنهم الحالي.

أما أولاد الصغير وهوارة والعثامنة فقد انتقلوا من بسيط أنكاد إلى سهل تريفة في منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، ويستفاد من مختلف المصادر أنهم إخوان لأهل أنكاد (أنظر مادة أهل *أنكاد*، ج 3، ص. 859 ـ 860)، وكثيراً ما تنعتهم الوثائق "بأنكاد تْريفة" أو "بأعراب تْريفة".

عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 ـ 1907*. منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1989، ص. 73 ـ 79.

La Martinière et Lacroix, *Document*, T. 1, pp. 188 - 214 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 201 - 203.

عكاشة برحاب

تريفيت أو تاريفيت، أو على الأصحّ اللهجة الزناتية، فرع من فروع اللغة الأمازيغية العامّة (انظر مادّة أمازيغية، *معلمة المغرب*، ج 2). يُصنَّف علماء اللهجات الأمازيغية اللهجة الزناتية إلى قسمين :

القسم الأول هو الريف بمعناه الضيق، أي ذلك المجال الممتدّ بين وادي كرت (إغزارن شارت) ووادي بني گميل حيث تقطن قبائل أيت إطّفت وإبقّوين وأيت وارياغل وأيت تمسمان وأيت سعيد. أما القسم الثاني فهو يستعمل في مجال يشمل القطاع الشرقي في الريف : قبائل إقرعيين وإكبدانن وحتى قبائل أيت توزين وإگزنايين وأيت أوليكش وأيت عمّرت الموجودة في الداخل، ويذهب بعضهم إلى إدماج أيت إزناسن وأيت بوياحي وإمضالس (مطالسة) في إطار زناتيٍّ أوسع. وعموماً يمكن القول بأن المجال الجغرافي للزناتية تحيط به غرباً قبيلة غمارة وشرقاً الحدود الجزائرية وجنوباً قبائل البرانس وهوارة كما يحدّه شمالاً البحر المتوسّط.

إن أهم ما يميز اللهجة الزناتية هي خصائص نظامها الصوتي المتمثلة في تحويل الصوامت المقفلة إلى صوامت احتكاكية :

ب ← پ، ت ← ث، د ← ذ، ك ← كِ، گ ← گِ.

ويبدو أنّ هذه الظاهرة تتضاعف من الجنوب إلى الغرب؛ ويلاحظ كذلك تحويل ث إلى ذ في بداية الكلمة : ثامطوت ← ذامطوت "المرأة"، وتحويل كِ إلى ش أو إلى ي: ثفوكت ← ثفوشت أو ثفويث "الشمس"، كما تُحوّل گِ إلى د ج أو إلى ج أو إلى ي : ثارگا ← تاردجا أو تاريا "الجدول"، ويلاحظ كذلك قلب اللام راءً : أسلم ← أسرم "سمك"، وهذا القلب يهم كذلك المفردات الدخيلة : القائد ← قايد ؛ أما الام المشدّدة فهي تصبح دّ أو دج أورّ: وُلّي ← وُدّي "الشياه"، نيلّي ← نيدجي "ابنتي"، أگلّيد ← أجليد أو أجدّيد "الملك". وتطبع هذا النظام الصوتي كذلك كثافة الصوامت المعطّشة من تش ود ج كثيراً ما تكون هذه الصوامت نتيجة لإدغام صامتين : ل + ث ← تش : ثاقبيلت ← ثاقبيتش، "القبيلة"، وُلتما ← وُتشما "أختي"، أو ن + ل ← د ج : أنلي ← أدجي "الخ".

أما على المستوى الصرفي ـ التركيبي فلا توجد اختلافات بنيوية كبيرة بين الزناتية واللهجات الأخرى، ومع ذلك لا بد من الوقوف عند بعض الظواهر منها غياب أداة المضارعة، أما أداة المستقبل فهي أدوغا، وأداة النفي هي وار أو وا أو وُر.

بالنسبة للصيغ الاسمية نلاحظ أن الصائت الذي يقع في أوّل الاسم المؤنث والمذكر يَسقُط في كثير من الحالات : أفوس ← فوس "اليد"، أمازيغ ← مازيغ "الأمازيغي"، تاسا ← تسا "الكبد"، تاغاط ← ثغاط "الماعز". وكذلك الاسم يُبْنى حسب قواعد حالة الفصل أو حالة الوصل المعروفة في النحو الأمازيغي ما عَدَا في إطار بنية تركيبية واحدة وهي فعل + فاعل حيث لاتُطبَّق قاعدة الوصل في كثير من الحالات في لهجة تاريفيت : إدّا وُرگاز ← إدّا أرياز "ذهب الرجل". أما الأسماء العددية فيظهر أنها فُقدت في تاريفيت حيث لم تحتفظ سوى ب إدجن (أو إدج أو إجّن) "واحد"، وب إشت "واحدة"، أمّا الأعداد الأخرى فهي مستعارة من العربية.

وهناك خاصية أخرى تتميّز بها هذه اللهجة تكمُن في استعمال د كرابطة بين الاسم والصفة : وُ ماس د أمزيان بدل وُماس إگا أمزيان كما هو الحال في اللهجات الأخرى "أخوه صغير" (تلاحظ هذه الظاهرة في لهجة زمّور كذلك). ثمّة كذلك بعض الاختلافات على مستوى الضمائر المنفصلة : شك (أنتَ)، شم (أنت) وعلى مستوى الأدوات الظرفية : أزْغاث = أسگاس نّاط = نضاضانا "السنة الماضية"، إضا = إضوْ = غاسّا "اليوم"، إضنّاض = أسنّاط + إضگام "البارحة"، أطّاس = شايگان = كيگان "كثير"، قاع = قاح = أكّ "الكل"، ذا = ذاها = غيد "هنا"، ورا = أگود = وُلا "حتى"، مامّك = ماكا = مانيك "كيف"، الخ.

أما من حيث المعجم، فهنالك مفردات مشتركة بين سائر اللهجات وأخرى تنفرد بها تاريفيت : أذف "دخل"، إرض "لبس"، قّار "تكلّم"، رو :بكى"، سقاذ "أرسل"، وُضا "سقط"، وُگور "مشى"، ثيزگي "الغابة"، ثيمسّي "النار"، إري "العنق"، يازيض "الديك"، الخ.

ـ الأدب : بالرغم من بعض المحاولات الحديثة يبقى الإنتاج الأدبي الريفي إنتاجاً شفوياً يتمثل في الأجناس المأثورة في الأدب الأمازيغي من شعر ونثر، غير أننا لا نعرف عنه إلاّ القليل لندرة الدراسات المتخصّصة يسمّى الشعر إزري أو أعنّيح عندما يُغنّى ويكون شعراً وجدانياً

يتغنى فيه الشاعر بالطبيعة وبالمحبوبة ويكون كذلك شعراً دينياً يتضمّن الموعظة والإرشاد، كما يكون ذا مضمون سياسي يتناول مقاومة الاستعمار الإسباني أو يعالج ظواهر من التاريخ الحديث وقضايا المجتمع المعاصر. أمّا النثر فإنه ينقسم إلى الأنواع المعروفة في الأدب الأمازيغي العام من حكايات وأمثال وألغاز.

م. الشامي، *حرب الريف والمأثور الشفوي : شعر المقاومة والجهاد*، ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى، ص. 411 - 437، 1986، منشورات كلية الآداب، وجدة.

S. Biarnay, *Etudes sur les dialectes berbères du Rif*, Paris : 1917 ; K. Cadi, *Système verbal rifain. Forme et sens*, Paris, 1981 ; M. Chami, *Un parler amazigh du Rif : Approche phonologique et morphologique*. Thèse de 3ème Cycle, Univ. de Paris V, 1979 ; M. Chtatou, *Aspects of the phonology of a berber dialect of the Rif*, Ph. D. Univ. of London, 1982 ; E. Laoust, *Le dialecte berbère du Rif, Hesp.*, 2ème tri., pp: 173 - 208, 1927 ; A. Renisio, *Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen, du Rif et des Senhaja de Srair*, Paris, 1932 ; P. Sarriondia, *Gramatica de la lengua rifeña*, Tanger, 1905 ; O. Tangi, *Aspects de la phonologie d'un parler berbère du Maroc: Ath Sidhar (Rif)*. Thèse de Doctorat, Univ. de Paris VIII, 1991 ; E. Ibañez, *Diccionario Español-Rifeño*, Madrid, 1944 ; *Diccionario Español-Senhayi (dialecto berber de Senhay de Serair)*, Madrid, 1959 ; A. El Aïssati, *A study of the Phonotactics of Ashi Touzin [illegible] Dialect*, Mémoire de D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat, [illegible] A. El Kirat, *Spirantization in the Beni Iznassen Dialect*, Mé[illegible] de D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat, 1987.

أحمد بوكوس

تريفيّة، منطقة صحراوية تقع غرب زاگورة وتكسو أرضيتها بعض الجبال الصغيرة المستديرة القمم، شهدت في أوائل عهد نشأتها نشاطا بركانيا هاما بدليل الأحجار الناتجة عن اللاڤات، أي السوائل البركانية التي تجمدت مع الزمان.

تشكل هذه المنطقة حوضا ـ أو وهدة ـ تكاد تبلغ مساحته مائة كيلومتر مربع، تتسع جنباته وتنبسط أرضيته بمحاداة منطقة الگراعرة الشرقية. طقسها جاف صحراوي، وأمطارها قليلة، ويخترقها جدول طويل جاف في أغلب أيام السنة، يسمى أسيف ـ ن ـ تاساوت ويتلاشى في القفار. إنها منطقة قاحلة تلمع بعض جهاتها فتعكس أشعة الشمس لأن الأحجار غنية بمادة الزجاج، وبعض جهاتها سوداء وكأنها مكسوة بطلاء القطران، ولا تبتسم فيها الطبيعة إلا عند نقطتين يدب فيهما ما يشبه الحياة بفضل ما يجتمع فيهما من ماء، وهما واحتان صغيرتان، واحة المرجة وواحة النخيلة، مركزان إداريان يوجد بهما ممثلون للسلطة، يقطنهما عناصر من قبيلة أيت يحيى، مواردهم الفلاحية قليلة تتمثل في شيء من الشعير والتمر والتين، لكن الأهالي يعتمدون أساساً على الاتجار في الابل، وغالبا ما يعدّون من البدو الرحّل.

أحمد بنجلون

التريكزي (أهل ـ)، أسرة صحراوية. إذا كانت دراسة كل فصيلة من الفصائل القبلية بالصحراء الأطلسية وضفتها الشمالية تبرز مظاهر التجانس والطابع الأفقي للعلاقات الاجتماعية، فدراسة أهل التريكزي تسمح بما هو أكثر. فهذه وحدة قرابية تسلسلية تعد بحق نموذجا من بين تلك القادرة على كشف المقاييس العملية لفهم البنية الإيكلوجية وأشكال الملكية والنشاط الفلاحي في أوجهه التي مكنت نسبياً من مجابهة مضاعفات المد التجاري الساحلي الأوربي. ومعلوم أن هذا المد كان قد أسرع خلال الفترة الأخيرة من القرن الثالث عشر (19 م) بتفكيك البنيات الاقتصادية والاجتماعية.

يكون إذن من الجائز تسليط الضوء على شخصية التريكزي الجد الفعلي لهذه الفصيلة الذي استطاع بهيمنته وقوة موقعه التصدي لمخاطر الارتباط بهذا الموقع. فليس صدفة أن تتراكم بين يديه الأراضي الخصبة ليتحكم وحده فيما يسمى اليوم بعوينة أهل التريكزي وأحوازها ويدرج ممتلكاته الشاسعة وقطيعه الكبير من الإبل والأغنام وخدام عزائبه ضمن محيط التنافس الحاد. لقد كانت قواه الإنتاجية تتعدى من حيث حجمها ما يتوافر لدى العائلات الكبرى من أبناء فصيلته أيت احماد أوعلي بقبيلة أزوافيط وبغيرها من القبائل المجاورة. كان ضروريا أن يعتمد الأساليب العنيفة لفرض مسلتزماته وحماية ممتلكاته. فقد كان كبار أيت احماد أُعلي يستمدون نفوذهم يومها من معين المقدرة الحربية والتحالف. وفي هذا الإطار يندرج دور التريكزي المحوري ضمن أيت احماد أُعلي ليقترن اسمه بحماية محميه من قبيلة تركز المرابطية التي كانت تقيم يومها في كنفه. لقد كان نظام الحماية هذا في صالحه كممتلك كبير للأرض والماشية حيث كان يحدد بوضوح مجاله الرعوي والفلاحي والمتمثل أساسا في مقدار ما يسمح بتشغيل المرابطين الزوايا تركز. ندرك من هنا لماذا سمي بالتريكزي ويبقى إذن أن نؤرخ لحياته كمؤسس وجدّ فعلي لفصيلة مطبوعة بانعكاسات التمايز الاقتصادي والاجتماعي فيما بين الأفراد والجماعات.

التريكزي، مبارك بن العگاد بن محمد بن الحسين ابن مبارك بن علي بن إبراهيم وهو المعروف باسم التريكزي، تفصله عن صغار أهل التريكزي الحاليين أربعة جدود مما يفيد انتماءه إلى أواسط القرن الثالث عشر (19 م). وإذا كانت هذه الفترة تبرز إلى حد بعيد ما كان بهذا المجتمع من توزيع غير متساو للملكية والموارد المائية، فإن وثائق أصل التريكزي تعد مرجعاً لتصنيف جدهم هذا في خانة أهم وأكبر الأعيان ذوي النفوذ الواسع. هذا المنظور لا يمكنه أن يكتسي طابعا اعتباطيا أوعشوائيا طالما أن الرواية الشفوية حتى لدى أكبر منافسيه (أولاد بلحويلات ـ أيت لحسن) تنير الرؤيا وتساعد على ضبط حدود معالم شخصيته. وهو أيضاً ما يفيده أيت باعمران وأيت عثمان دونما تحفظ مركزين على حجم وأهمية ممتلكاته من الأرض والساقية وحجم قطيعه من الأنعام. لقد كان مبارك التريكزي من أكبر أعيان أيت احماد أُعلي المراقبين لأهم مداشر وادي نون وأراضيه ومنافذه. على أنه تميز عن باقي هؤلاء الأعيان باحتضانه للمبادرات الاجتماعية وتجسيد

استمراريتها بتعامله مع مختلف مستويات النسق المجتمعي القبلي. لقد سعى دوما إلى تبرير صالحيته كحامي لقبيلة تركز ولكل من كان في حاجة إلى إمدادات غذائية. وإذا كان تتبع مراحل حياته يعد اليوم من باب المستحيلات، فإن في إلقاء نظرة على ملابسات فترة مّا قد يرشد إلى ربط الأسباب بالمسببات وتحديد آليات ومضامين العلاقات بين كبار ومحتكري المجال الفلاحي بوسطهم الاجتماعي.

يعد القرن الحادي عشر (17 م) في وعرون متين الاتصال بالمحاور الرئيسية التي أعادت هيكلة قبيلتي أيت لحسن وازوافيط (انظر مواد إزرگيين ـ أزوافيط ـ أيت بلة ـ تگاوست *بالمعلمة*). والجدير بالملاحظة هنا هو أن هذه الهيكلة تستند فيما تستند إليه، إلى ظاهرة الاستقرار التدريجي للرحل الحالّين محل آخر الحشود المعقلية من ذوي حسان سواء منهم الذين توجهوا جنوبا نحو التراب الموريتاني ليشاركوا في شربَبّه التباري ضد الغزو الصنهاجي أم المتوجهين شمالا نحو حوز مراكش والسهول الأطلسية. لقد أكد حمدي ولد يوسف الذي عايش رجالات أواخر القرن الثالث عشر (19 م) بأن أولاد مبارك المعقليين كانوا إلى حدود القرن الحادي عشر (17 م) بوعرون حيث كان شيوخ وعرون من حراطين ومجاط "البكم" يعانون من سيطرتهم. وقد أشرنا إلى أن أولاد بلحويلات ينتمون إلى الغور السكاني الأقدم (انظر *المعلمة* : أولاد بلحويلات، IV : 1353 ـ 1355) شأنهم في ذلك شأن أيت بكو وأيت عفان وإذا اوبزيّة. ولا شك أن التقلبات التي أحدثتها مغادرة ذوي حسان للمنطقة قد حددت طبيعة المشتركات الجديدة بين الغور السكاني الأقدم وأيت احماد أُعلي. هؤلاء المتملكون الجدد لتراب وعرون تمكنوا محليا من فرض تحالفات مع الغور السكاني الأقدم لمجابهة آخر المعاقل الحسانية بالساقية الحمراء وطرد رجالات أبي حسون السملالي سيد إليغ وسلطان إيگزولن. كان هذا السلطان اشترى جل ماء وساقية وعرون من الشيخ بًا يحيا احماد الوعروني سنة 1043 / 1633 (المعلمة، بودميعة، V : 1673 ـ 1677). وبذلك اتضحت المعالم العامة للتشكيلة الاجتماعية في التعارض بين مالكي الماء والساقية وبين الوافدين عليهم أعراباً كانوا أو أمازيغاً. لقد تدخل أيت احماد أُعلي ليفجروا صراعا حاداً مع أبي حسون السملالي محررين بذلك الغور السكاني الأقدم (أحرار تكنة) من الهيمنة الخارجية. وقد عملوا في ذلك على الاستناد إلى نظام التحالفات المحلية في شكله القديم. فلم يجدوا بذلك أية صعوبة في تجاوز وادي نون إلى إبعاد آخر الفصائل المعقلية خارج الساقية الحمراء.

وتؤكد مجمل القرائن المزامنة على أن أسلاف مبارك التريكزي كانوا يومها من أبرز أعيان أيت احماد أُعلي إذ لعبوا دوراً أساسياً في التقريب بين فصيلتهم هذه وأولاد بلحويلات. ومعلوم أن سيد أولاد بلحويلات خلال هذه الفترة السابقة لوصول المولى إسماعيل هو ولد امريزيك. فباعتباره رئيساً لوحدة صغري، لم تمانع كبريات القبائل في تعيينه رمزاً لوحدتها ضد آخر الوحدات المعقلية بالساقية الحمراء، بقدر ما كانت ترمي هذه الخطة إلى تقنين نشاطات الجهاز التمثيلي للاتحادية، كانت تستهدف تجنيب كل مغالات في دور هذه القبيلة أو تلك. لقد تمكن تكنة من طرف فصيلتي امَرُّف واسْنَان الدليميتين خلال المعركة الفاصلة المعروفة حاليا بمعركة مگيسم ولد امريزيگ. كانت اتحادية أولاد دليم المعقلية تشمل يومها بالإضافة إلى هاتين الفصيلتين وإلى الفصائل التي ماتزال تحمل نفس الاسم كلا من أولاد اللب وأولاد عثمان وأولاد المولات. انحاز المغافرة والرحامنة وأولاد دليم إلى تيرس التي يحتفظ غطاؤها النباتي بالماء لمدة طويلة، خوفاً من ملابسات الصراع ومن شدة الجدب سنة 1116 / 1699. وهي مرحلة عمل خلالها المولى إسماعيل على محاربة إدا أويلال بوادي نون ودرعة وعلى تنظيم التوزيع الجديد للأراضي الفلاحية. فقد سأل هذا السلطان عمن يكون أهل التراب الأصليون بوادي نون، فما كان من علي أُعبد الله إلا أن تقدم إليه بحجة مكتوبة على وجه الاستعجال يقول من خلالها بتحكمه في تراب تغاط الخصبة التي يعتبر جده اماد أُمسعود اتصان أول من تملكها. وبذلك يكون السلطان قد رصد السمات الظاهرة للرجل أيت احماد أُعلي ذوي النزوع إلى شبه الاستقرار وممارسة الفلاحة وتربية المواشي. ويمكن تتبع اهتمام المولى إسماعيل بملابسات توزيع التراب من خلال مراسلاته مع ابنه محمد العالم. كما أن عينات من الوثائق والمراسلات المحفوظة بالخزانة الحسنية تثبت إلى حد كبير نوعية العلاقات بين السلطان وأيت احماد أُعلي اللذين ينتمي إليهم أسلاف أهل التريكزي. ولربما كانت خدمة هؤلاء داخل صفوف الجيش السلطاني إحدى دعامات انتزاعهم اقتطاعات محلية هامة.

لقد رافق علي أُعبد الله الجيش السلطاني في حملاته الجنوبية. بل إن وحدة تكنية من 500 فارس تحت رئاسة حمو أُسعيد الإزرگي قد تكلفت بأمر من السلطان بحماية علي شندورة بالترازة. وإذا كنا نجهل اليوم أهم الأسماء التي مثلت مجمل قبائل تكنة بهذه الوحدة، فإن علي أُعبد الله قد هيأ لابنه محمد وحفيده محمد (الفيجح) وابن حفيده مبارك مأمورية شيوخ فصيلتهم. كما أن علاقة علي أُعبد الله بالمولى إسماعيل تتضمن أكثر من دليل على دور الخدمة المخزنية في ترسيخ أقدام أصحابها. فعندما قام محمد العالم بن المولى إسماعيل بقتل أحد أبناء علي أُعبد الله، لم يتوان السلطان الذي عانى من تمرد ابنه عن تسليمه لعلي أُعبد الله لكي ينتقم منه. غير أن هذا رفض الانتقام مكتفيا بالإحسان إلى القاتل وإلباسه أحسن لباس وإهدائه فرسا ثم إعادته يوم عيد الأضحى إلى ذويه. فما كان من السلطان إلا أن أسكن علي أُعبد الله بمنزل مجاور للمشور السلطاني وزوجه من إحدى شريفات القصر خلفت

له بنات. ندرك من هذا إلى أي مدى استطاع بعض أعيان أيت احماد أُعلي خاصة وتكنة عامة الاندماج في إطار سياسي يجعل من القصيلة كيانا غير منعزل ولا مستقل بذاته. فما موقع أسلاف مبارك التريكزي من هذا الاندماج وضمن أية هيكلة سياسية عززوا مواقعهم الاجتماعية وفق مقتضيات الروابط القبلية والقرابية ؟

إذا كان الجواب على هذا السؤال يعد من الأمور الصعبة في الواقع الراهن للأبحاث، فإن إبراهيم يعد المزامن الفعلي لهذه الفترة. يبقى أن الخاصية التي تميزت بها علاقته بغيره من أسلافه قد تحددت استناداً إلى وقوف المشجر عنده كجد أعلى لأهل التريكزي. ذلك أن مما يزكي أهمية رؤوس المشجرات هو عدم تجاوزها إلى ماعداها من الجدود. وآنذاك فقط نكون قد تلمسنا بشيء من الحيطة والحذر أهمية انتهاء مشجر أهل التريكزي عند هذه الفترة الحاسمة من تاريخ إعادة هيكلة البناء الزفاطي والتكني. بل ينبغي علاوة على ذلك ربط أهمية إبراهيم هذا بما سيؤول إليه أبناؤه وحفدته من بعده خلال القرن الثاني عشر (18 م) فخلال هذا القرن المزامن لامتداد الصراع حول مراقبة المجال واستصلاح الأراضي والسواقي ظلت الفصائل المحلية تسعى جاهدة إلى الاستجابة بأي ثمن لمقتضيات الحفاظ على وجودها الفعلي. ولا شك أن علي بن إبراهيم وبدوره مبارك وابنه الحسين قد مثلوا الأجيال الثلاثة التي عاصرت القرن الثاني عشر. هذا ما يمكن أن نقره انطلاقا من الوثائق المكتوبة والمروية.

لم يكن من شأن صراعات القرن الثاني عشر (18 م) أن تخفف من حدة التنافس حول مراقبة المجال أو التحالفات القبلية. لقد عرف وجود أيت باعمران بوعرون نوعا من الاندحار بعد أن بدأ حراطين المدشر يتنازلون عن أراضيهم لكل من وفر لهم الحماية المطلوبة. كما تزامنت أحداث النصف الأول من هذا القرن مع اقتراب أيت لحسن من تاگاوست (*المعلمة، تاگاوست*، VI : 2084 . 2089). أما النصف الثاني فقد عرف بوحلايس الذي كان يمثل بتاسريرت (أيت باعمران) مخزناً محليا كاد أن ينجح في خلق إمارة مستقلة. لم يتوان بعض كبار تكنة عن التحالف ضده بينما سانده بعضهم إلى أن توفي في معركة 1207 / 1792.

أمامنا إذن موقفان مختلفان يكشفان ظروف الصراع المتواصل من أجل مراقبة المجال. حقا لم تكن الأرض ترقى إلى مرتبة الماء والساقية يومها. غير أن الاستيلاء على أكبر قدر من الأراضي يؤكد بشكل حاسم المساهمة في توسيع نطاق الملكية الخاصة. من هنا يصعب عدم الربط بين هذا المعطى ومقتضيات الممارسة التي جعلت من مبارك وابنه الحسين شخصين من أعيان أيت احماد أُعلي ماتزال الذاكرة الشفوية تحتفظ بهما كرمزين للمد على تاگاوست. بل إن مَحمد بن الحسين لم يلبث بدوره أن يبرز على الواجهة السياسية كوجه لا يقل أهمية عن سابقيه وكسيد من أسياد المنطقة. على أن العكاد ابنه سيدخل التاريخ من باب أوسع من أن يقتصر عليه. فقد طوع قدراً كبيراً وهاما من الأراضي الخصبة والمتميزة تحمل اليوم اسم "توفيلت أهل العكاد". هذه الأرض التي أصبحت تمثل القاعدة الأساسية في الإنتاج لدى العكاد لم تكن كما نرى هبة مخزنية. بل قامت على أساس إحياء الأرض الموات وكعملية فعلية. وبهذا المدلول الواسع سيرثها مبارك التريكزي مع إخوته. وبقدر ما ستمتد سلطته من نصيبه منها نجده يضيف إليها قدراً من الأراضي الفلاحية الهامة تجسيداً منه لممارسة أبيه في إحياء أكثر المواقع خصوبة. إن الموقع الهام الذي أصبح يعرف فيما بعد بعوينة أهل التريكزي يمثل النزوع المتزايد إلى التوسع على حساب نمط العيش الترحالي. فخاصية ممتلكات التريكزي الشاسعة لا تحجب التباينات القائمة فيما بين الفصائل ولا الوزن المختلف لكل منها على مستوى انتظام الحياة الاقتصادية للسكان. لقد عرفت أحواز مدشر وعرون خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18-19 م) نظاما للملكية اختلفت أنماطه باختلاف الأراضي الخصبة منها والضعيفة الانتاج. كما أن حسن استعمال ماء الساقية في انتاج مادة النبغ الذي ساعد منذ القرن العاشر (16 م) على الكشف عن كل معطيات الواقع الاقتصادي والتجاري بسوق وعرون. ويتضح جليا من دراسات ميدانية حول وعرون واقتصاده أن المدشر كان يعرف سيطرة محتكري الساقية دون غيرهم على إنتاج النبغ الوعروني الشهير. ومن ثمة فتحكم مبارك التريكزي فيما يقارب 8 x 24 ساعة من ماء ساقية حمّ المشهورة بجوار سور قصبة وعرون شمالا التي لا تتجاوز 40 x 24 ساعة، يمثل أساس تحكمه في جزء من الأرض وساكنيها.

كان عزيب مبارك التريكزي يجسد نتاجا لقدرته على حيازة العوينة المسماة باسمه وما حواليها من الأراضي الخصبة مما يجعله أكبر المنتجين والمستهلكين في آن واحد. ولتجنب كل مغالاة في هذا الدور فإن تعدد وتنوع ممتلكاته وأراضيه بالمناطق المحيطة الأخرى تخصه أساسا بمكانة متميزة. لقد كان فلاحوه وعبيده ينتجون من النبغ والخضر ما يجعل منه نقيب الفلاحين بالمنطقة وسيد الوجهاء وأغناهم. ويتجلى دوره كنقيب في قدرة ومهارة عبيده وفلاحيه في استصلاح الأراضي والسدود التلية وحفر المطمورات. إن الفحص الدقيق للأحداث يجعل منه حامي قبيلة تركز المرابطية وغيرهم من الذين كانوا يلجأون إلى حماه. فيمكن أن نلمس الأثر الفعلي لنزعته الحمائية من خلال التسمية التي أطلقت عليه . نتبين هذا جليا من خلال التقدير الخاص الذي ماتزال الرواية الشفوية تضفيه عليه لدى أولاد بلحويلات وأيت باعمران وتركز. فقد كرس إلى حد بعيد المكانة الاجتماعية والفلاحية التي كان يحظى بها في إعفاء محميه تركز من تأدية الأعمال المجانية التي كانوا مطالبين بها لفائدته. وهو ما يفيض في وجوب اعتبار حجم خدمه وعبيده وحجم قطعانه من الأنعام. لقد أوصى

بأن يظل هؤلاء المرابطون معفيين من هذا الواجب الذي أثقل كاهل أبنائه من بعده. والملاحظ أيضا تثبيتاً لهذا الواقع أنه اتجه أكثر فأكثر إلى فرض إرادته كأكبر فلاح قادر على توطيد دعائم الأمن حوالي عزيبه حيث فتح الطرق وقلص من مخاوف التجار والمسافرين مستعملا في ذلك أحياناً أساليب شتى من الضغط والزجر العنيف. على أنه كان يجمع ما بين خصال المحاربين ذوي القدرة على انتزاع وحماية المكتسبات وصفات أهل الزوايا الذين سخروا جزءاً من محاصيلهم لخدمة الزوايا وأهل الدين الذين يمثلون رمز تماسك الغور السكاني الأسبق. كانت تامانارت وتازروالت تمثلان رمز تأصل هذا الغور منذ واگاگ بن زلو اللمطي بتاسريرت التي تطلق على جبال أيت باعمران وعبد الله بن ياسين بتاگجگالت أيت تيكني (*المعلمة، تاگجگالت أيت تيكني*، VI : 2089 . 2090). لقد اعتاد مبارك التريكزي جريا على عادة أهله المساهمة في معروف سيدي محمّد بن براهيم الشيخ السنوي بتامانارت وموسم سيدي أحماد أ مُوسى السنوي بتازروالت. ونجده يصاهر علاوة عن دار إيليغ جملة من أعيان وعرون وتاسريرت متجاوزاً بذلك الحدود المحلية الضيقة لنظام القرابة.

فإذا ما نحن أضفنا إلى هذه الممارسات تحالفه المستمر مع الفصائل الباعمرانية من خلال الزيجات المتعددة، نجده يساهم في تمتين التكتلات السياسية بين ذويه والآخرين. لقد عكست الرواية الشفوية هذه الحقيقة من خلال تركيزها على الخدمات التي أسداها مبارك التريكزي لقبيلته من جهة ولتكتة من جهة ثانية. ولا غرابة في ذلك إذا وجدنا أن الأساس في هذه الممارسة كان مبنيا على الأحكام التي استمدها من خصوصيات أسلافه الذين مايزالون يتمتعون بسمعة قل نظيرها في هذا الباب. فصفاتهم التي مكنتهم من السيطرة على الاقتصاد وعلى وسائل الإنتاج لم تحل دونهم والتعاطف مع الفئات الفقيرة. ولتبيان مدى صلاحية هذه المقولة، فإنه يكون لزاما علينا الوقوف عند شخصية علي بن مبارك التريكزي. فالرواية تتشبث بصورة تجعل منه أنبل النبلاء وأكثر الفلاحين كرما وأقواهم على المستوى الاقتصادي والاجتماعي دفاعا عن المستضعفين.

وبعد وفاة مبارك التريكزي أصبح ابنه علي بدوره نقيب الفلاحين بمنطقة وادي نون السفلى يجند يوميا أزيد من أربعين عبداً وعددا آخر من الأجراء في عملية الدراس التي لم تكن تنتهي خلال سنوات الغلة الكثيرة إلا في بداية الشتاء. حافظ لعزيب أهل التريكزي على أهميته كأغنى وحدة انتاجية استهلاكية. كانت مطمورة "أم العيال" تعد الأكبر من بين مطاميره المتعددة. كانت تتمثل في مطمورتين من الحجم الكبير تلتقيان من أسفل فيما يشبه قاعة كبيرة الحجم. فندرك من هنا أنها كانت تكفي وحدها لتخزين ما يكفي سنويا من الحبوب لمئونة أفراد العزيب. أما باقي المطامير فكانت تخزن من الحبوب ما يفيض عن الحاجة وينفع في الإمدادات الأخرى وخلال سنوات الجفاف.

كان لعلي التريكزي علاوة عن كل ما ذكرنا من النخيل بوعرون وتيغمرت ما يجعله من أكبر مالكي الساقية. فقد كانت له بساقية تيغمرت وحدها ما يزيد عن ثلاثة ليلات (3 x 24 ساعة) من الماء. ومن هنا فإن مخازنه الخشبية وصناديقه منها ما كان يتسع لحمولة 12 غرارة من الثمار والحبوب. أما قطعانه من الأنعام فقد كانت موزعة على عدد كبير من أفراد القبائل المختلفة. فقد كان استناد الفصائل ذات النجعات المحدودة في حيازة القطعان بمثابة الاقتراض من الملجأ الاعتيادي كامتداد جهوي لسلطة علي ابن التريكزي الاقتصادية.

الجديد مع علي بن مبارك التريكزي أن عزيبه أصبح في حاجة إلى رعاية وحماية مستمرة. ذلك أن جوار أولاد بلحويلات الذين كانوا يساندونه تارة ويعادونه تارة أخرى قد زاد من خطر المجابهة المعلنة. غير أن علي بن التريكزي استنادا إلى الدعم الممنوح له من طرف أيت احماد أ ُعلي واصبويا لم يعر هذه الأخطار ما تستحقه من الاحتياط. فنجد حماية العزيب مقتصرة على العبيد والأجراء بل نجده يعتمد أساسا على نظام التحالفات القبلي في الحد من الأخطار المحدقة به وبعزيبه، لقد تزوج بدوره من إدا أوسملال بإليغ كما صاهر حمّاد العسري أكبر وجوه الغور السكاني الوعروني الأقدم. أما تاسريرت التي أصبحت تعرف بأيت باعمران فقد تعددت زيجاته من فصائلها. كان من أوائل أيت احماد أ ُعلي السباقين إلى تمتين وجود قبيلة أزوافيط بوعرون. وإذا لم يكن يرفض من حيث المبدأ التوسط بين قبيلته وغيرها، فإن سياق الأحداث سيجعله السبب غير المباشر في الصراع الذي سيقلص معلقا انتماء أولاد بلحويلات إلى قبيلة أزوافيط (*المعلمة، أولاد بلحويلات*، IV : 1353 . 1355). لقد اقترنت أحداث شر وعرون في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) على الأقل من حيث العوامل الهيكلية التي أدت إلى نشوبه، بالمجابهة الخفية التي كانت قائمة آنذاك ما بين أولاد بلحويلات ورغبة علي التريكزي في التحكم في الأوضاع الأمنية خاصة وأن الأمر يتعلق بالوجود المكثف لفصائل البلحويليين. ولعل الرواية الشفوية لن تنسى معركة گيوارة التي ستتسبب فيما بعد في الاختلال البين الذي ميز نظام التحالفات. لقد استعمل أولاد بلحويلات دار گيوارة نظرا لموقعها المشرف على عزيب أهل التريكزي في توجيه الضربات المتكررة والمحاصرة الطويلة الأمد، إلا أن المسمى الجيلالي وكان جاراً وحليفاً سرياً لعلي التريكزي أخبره ذات مساء بأن أولاد بلحويلات جد متعبين ليلتهم تلك وأنهم سيبيتون نياماً. فما كان من أزوافيط إلا أن قاموا بهجومهم الذي انتهى بهدم سبعة عشر داراً وموت عدد كبير من خصومهم.

ومهما تكن حدة الخلافات التي نشأت بين أهل التريكزي وأولاد بلحويلات فإنها لم تنف كون الخط العام لهذه العلاقة غلب عليه خلال الأجيال السابقة طابع التوافق

والتساند. فكم من مهام نهض بها أسلاف علي بن التريكزي بتكليف من أولاد بلحويلات وكم من مرة توسط هؤلاء الاسلاف بين أولاد بلحويلات وغيرهم من الفصائل الزفاطية والتاسريرتية (أيت باعمران). إن مقتضيات الالتحام التي جعلت أهل التريكزي يقفون إلى جانب أيت احماد أُعلي عندما تسبب أيت بليد في أخطر صراع بين أزوافيط وأولاد بلحويلات. وسيذكر التاريخ أن منافسة أهل حايين هي التي تسببت في هدم عزيب علي بن التريكزي أثناء غيابه. أما أولاد بلحويلات فقد ظلوا رغم حدة المنافسة حريصين على مشروعية الوجود الفعلي لأهل التريكزي وغيرهم من العائلات الزفاطية بجوارهم.

لم ينفع دفاع عبيد العزيب في صد هجومات أهل حايين في غياب علي التريكزي وذويه، فجاء تخريب العزيب كمؤامرة للإطاحة بدور أهل التريكزي. ومما يؤكد الانفصام الشديد فيما بين فصائل أيت اماد أُعلي القريبة من أهل التريكزي وأهل حايين الذين اشتغلوا كحرس لأبي حسون السملالي بودميعة بالمنطقة، عدول علي بن التريكزي عن تقديم أي تنازل لحلفاء سيد إليغ منذ القديم. فلم تذكر الرواية تصلبا مثل تصلبه في مواجهة أهل حايين ولا محاسبة مثل محاسبته لهم عن طريق الجماعة. صحيح أن وجودهم بوعرون يعود إلى زمن بودميعة ولكنهم لم يستطيعوا التعبير عن الرفض وعدم الامتثال لأحكام الجماعة التي فرضت تعويض علي بن التريكزي. لقد استعرضت الجماعة في معرض تداولها السمات التي هي من صميم البنية الاجتماعية بحيث كان لابد من احترام الجذور الممتدة لأهل التريكزي في التاريخ المحلي.

انطلاقاً من هذه الوقائع يصعب النظر إلى أهل التريكزي ككيان مستقل بذاته ذي طابع زاوي كما تحاول بعض المقولات الحالية أن تغير من الحقائق. فعلي بن التريكزي الذي نجح في التصدي للهجومات تحصن وتكتل وتضامن فواجه مهاجميه. وإذ نلمس عزمه على التدخل لضبط الأمن وإقرار الاعراف المتداولة وقوانين التعامل، نجده يحرص بشدة على توزيع إرث أبيه مبارك التريكزي على أخواته وإخوانه الحسين وامحمد واعبيد توزيعاً عادلاً. ولا أدل على ذلك من أن الوثائق والرواية الشفوية ماتزال تنوه بهذه الاستقامة التي كان يشاطره إخوانه جوهرها. إن المحلل لدوره التاريخي يتبين بوضوح أن ممارساته التلقائية منها والمدروسة كانت في حد ذاتها مساهمة في الحد من الأزمات الغذائية والاقتصادية التي كانت تعاني منها المنطقة، أو بتعبير أكثر دقة، تسببت في الحد من بعض المجاعات التي ماتزال حاضرة في الذاكرة. فمازال الكبار يتذكرون بأن علي بن التريكزي كان يكلف البراح يومياً بأن يرسل إليه كل عابر سبيل وكل معوز حتى خلال أحلك الأزمات المتتالية التي عرفت الهجرة نحو الموانئ. وتفيض الرواية الشفوية في وجوب اعتباره رمزاً من رموز التاريخ المحلي الذي يزخر بالنماذج المخالفة.

تفيد الوثائق العائلية أن علي بن مبارك التريكزي لم يكن يؤدي ثمن مشترياته من الأرض والساقية وغيرهما إلا بالمثقال الفضي. ولا نزاع اليوم في أن حجم مشترياته من الأراضي المسقية بوعرون وتيغمرت وما ارتهنه قد جعل منه أغنى فلاح بقبيلة أزوافيط. وهي مضاربات أعطت للمرافق العامة بوعرون وأحوازها أقصى مردودية ممكنة يومها وعملت على تأمين الانسجام مع أوضاع اقتصادية خاصة كانت تعاني يومها من أزمة هيكلية خانقة. لم يكن من شأن اندماج علي بن التريكزي بمختلف الفصائل المحلية أن يزيد من تلك الصراعات القائمة من أجل احتكار ومراقبة الساقية ومنتوجها. فنجده مثلا يرفض شراء نصيب زوجته عيشة بنت احماد العسري وأمها رقية بنت الأزغم خوفا من تهمة الاستحواذ على تركة أحد كبار وعرون. وبدل أن يبيع النصيب لأحد أقربائه أو أفراد قبيلته نجده يفضل الحسين الشمّير الإسماري الوعروني مختفظاً بذلك لأهالي وعرون القدامى على تماسك ساقيتهم وقصبتهم. تمت هذه العملية بتاريخ 14 ذي القعدة 1292 / الأحد 12 ديسمبر 1875 في وقت كان صراع ازوافيط وأيت لحسن من أجل اختراق الروابط الطائفية والمجالية لوعرون وأحوازه على أشده. ومما له أبلغ الأثر في هذا الشأن أن حجم العملية يتمثل في ثمن النصيبين الذي لم يكن يقل عن 35 مثقالا مما يجعلها ذات أهمية بالغة. لقد كان المثقال الفضي يتصدر سلفات الله والإحسان التي مازالت تشهد عليها الوثائق العائلية. ولاشك أن ردود فعل المقترضين من مجمل الفصائل المجاورة في إطار أوضاع اجتماعية متقلبة قد جعلت منه شخصية قوية مهابة ومحترمة. أما الغرباء والمهاجرون ذوو الوضعيات الهامشية الذين كانوا أكثر عرضة للاعتداءات لكونهم أقل خضوعا للأعراف وقوانين المعاملات، فقد كانوا يلجأون إلى كنفه. بينما كانت مثل هذه الممارسات تعزز مكانته يوما عن يوم كرجل قوي يعيد الحق إلى نصابه ويمنح الحماية لمن يطلبها، كان تحلل العلاقات القبلية ونظام التحالفات قد بلغ مبلغاً كبيراً. وإذا أضفنا إلى ذلك حدة الكوارث الطبيعية وما رافق الهجرة نحو الموانئ من تفكك في البنيات المحلية، أدركنا أن علي بن مبارك التريكزي قد عرف بموازاة اعتماده على النفس تضعضع القنوات التجارية التي سببها انحطاط اقتصاد الصحراء.

تلك فقط هي بعض الأمثلة عن تعدد أشكال الحضور الفعلي لأهل التريكزي على امتداد منطقة وادي نون والساقية الحمراء، وتلك هي مجرد صورة مختصرة عن الضغوط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي مورست طيلة النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) على عائلة استهدفت تعزيز التماسك ومواجهة الأزمة البنيوية القائمة. ونتيجة لذلك فلن يكون بإمكان هذه العائلة أن تواجه المد المتزايد للإبسات الأزمة وضغوطها المتعاظمة لما ينجم عنها من تفكيك لوحدة الهياكل المحلية.

توفي علي بن مبارك التريكزي في جمادى الأولى

1314 / أكتوبر ـ نوفمبر 1890 مخلفاً ثلاث زوجات وثمان بنات وتسعة أبناء وما يزيد عن أربعين من الخدم (إناثا وذكورا). وزع القاضي عبد الرحمان بن الخروف التركة على عدد من الأسهم تم حصرها في 928 سهما. على أن أهم ما يمكن أن نقف عنده بشأن تركة علي بن مبارك التريكزي هو موقف أبنائه فيما بينهم. فقد سبقت الإشارة إلى مدى ضخامة حجم الموروث الأخلاقي عبر أجيال هذه العائلة.

وقد تكلف ابراهيم بن علي بن مبارك بشؤون تركة أبيه التي لم تقسم بين الأولاد الذكور معتمداً أساليب أسلافه الأخلاقية. لقد حدث أن توفي أخوه مبارك ابن علي التريكزي بعد سنتين فقط من وفاة أبيه كما تشير إلى ذلك الوثائق العدلية. وقد كان بإمكان ابراهيم استغلال فرصة هذه الوفاة ليحتكر نصيب أبيه المتوفى بحجة أنه لم يترك أي خلف له. ولكننا نجده يحاكم القائد علي بن المعطي بشأن طفل خلفه أخوه المتوفى من إحدى أخوات القائد في إطار زواج سري. أنكر القائد علي بن المعطي مدعيا أن المتوفى لم يكن له أية علاقة بأخته وأن المولود الصغير هو لشخص آخر. وقد انتهى البحث بالقاضي عبد الرحمان بن الخروف بأن حكم لإبراهيم بن علي فتسلم ابن أخيه وحرص على تسليمه ميراثه.

انحسرت دائرة أهل التريكزي واتجهت تدريجيا نحو التلاشي لأن إبراهيم وإخوانه لم يكونوا في مستوى والدهم ولكون تكالب الأزمات الاقتصادية والسنوات العجاف واختلال الموازين القبلية ونظام التحالفات قد قاد جل أهل وعرون إلى الهجرة. وإذا كان أبناء التريكزي قد أطروا لكيان فصيلة أهل التريكزي المتميزة، فإنهم فشلوا تدريجيا في الاستجابة لمتطلبات الحفاظ على وجودهم المادي واستمرارية عزيبهم. فأساليب عيشهم ومبادئهم العليا لم تكن قادرة على مواجهة تحديات الأزمة الحادة. ولم يعد بإمكان موروثهم الخلقي أن يخلصهم من وطأة الطبيعة ولا من الفواصل التي أقامها تجزؤ الملكيات. ندرك لماذا قام إبراهيم بن علي التريكزي وفاء لعزمه على تبني المنهج القديم والمفاهيم الموروثة بالتزوج بحكم الظرفية المتأزمة نحو بيع الكثير من ممتلكاته. وقد وصل كهلا إلى مدينة الدار البيضاء حوالي سنة 1926 مصحوباً بآخر زوجاته السالكة بنت بوجمعة بن احماد أسالم وأبنائه الأربعة منها وبناته الثلاث.

إذا حاولنا بعد هذا الاستعراض المختصر استخلاص تصور معين عن مسيرة أبناء وبنات إبراهيم بن علي كنموذج مصغر لباقي أهل التريكزي، وجدنا تداخل المقاييس الجديدة بمدينة الدار البيضاء تتصارع بحدة مع تفاعل قيمهم الموروثة. فلم تلبث أمهم أن فارقت الحياة مخلفة أبناءها وبناتها تحت رعاية أبيهم الكهل. فكان طبيعياً أن يتجه الأبناء نحو الحياة الجديدة في خطى مدبدبة ومتعثرة مسعاهم في ذلك هو توفير قوتهم اليومي بأفضل الأساليب الأخلاقية الممكنة وأقربها إلى موروثهم الأخلاقي.

فنجد بأنه على الرغم من الفرص المتاحة لأكبر الأبناء أحمد بن ابراهيم، فإن عدم قدرته على التكيف مع متطلبات الحياة الحضرية في أحياء بدأت تجسد النواة الأولى لبروليتاريا المغرب، جعله يفشل في انتشال أفراد أسرته من ضائقة العيش. فبالرغم من حسن نواياه إزاء إخوته نجده يمثل شأنه في ذلك شأن كل واحد منهم نفس النموذج اللامندمج في وسط يفتقر إلى أبسط أدوات التماسك الاجتماعي. لقد دافع هؤلاء الأشخاص على قيمهم وعاداتهم المناقضة للمقاييس والأحكام التي تميز التنافر السائد بمجتمع الهجرة. وإذا كان عليهم أن يتسلحوا لذلك فأذاتهم الأساسية هي الإندماج في وسط المهاجرين من أعضاء قبيلتهم والفصائل المجاورة لهم. إلا أن هذه المحاولة استصحبت معها مضاعفات القطيعة بين المهاجرين وبيئتهم بما فيها من أنساق وسلم للتراتبات والمفاضلات الاجتماعية. فتباين مكونات المحيط الأيكلوجي وما يسود ظروف الهجرة جر على أبناء العائلات الكبيرة بعض الحساسيات التي كان على أبناء ابراهيم بن علي أن يعانوا منها. حقا لقد حرص هؤلاء الأبناء والبنات على مصداقيتهم كأشخاص متميزين خلقيا. وهو ما جر عليهم الانتقادات نظراً لضآلة حاجياتهم وقناعتهم وتجردهم النسبي عن المزالق والشهوات. وإذا كان ضعف وسائل عيشهم لم يمكنهم طوال سنوات الاستعمار وما بعده من الانقضاض على الفرص المتاحة وتوفير الضروري من العيش فذلك لأنهم لم يكونوا يعبأون بالمنافسة الحادة التي كانت تميز عدداً لا يتسهان به من زبناء قرابتهم ومنطقتهم.

التريكزية، لحبيبة بنت ابراهيم بن علي. يدفعنا التدبير اليومي على ضوء هذه المعطيات يدفعنا إلى تتبع سيرورة هذه السيدة. فرغم زواجها من أحد بسطاء أيت بليد نجدها تمتاز بشخصية قوية وخصال موروثة همشت شخصية زوجها وجعلته يبدو أصغر من صغير. لم تقم علاقتها به على أساس تحكم شامل في أمور الأسرة وممتلكاتها، بل نجدها تلتزم مواقف ارتقائية واضحة وثابتة. فهي تكشف في كثير من الأحيان عن المدلول الواسع الذي يعود بها إلى مورثها القيمي. فبينما يتهافت أبناء وبنات قبيلتها على امتلاك الممتلكات كانت تتنافس في تربية وتعليم أبناءها وبناتها. فكل ما في ممارساتها اليومية بمعناه ولفظه يدل دلالة قطعية على مدى تشبثها بما يزيد من تباين مواقفها مع وسطها. وعندما ارتأت فصل الرابطة التي كانت تجمعها بزوجها، فإنها لم تتوان لحظة في طلب الطلاق متحررة من قيود لم تأنس بها قط. إن الصورة التقريبية العامة تظهر أن ربط البحث بشخصية متميزة كهذه مشروع أكبر من أن نتطرق إليه في هذه العجالة. فإذا تسلحنا بالمعرفة الدقيقة والمنهجية اللازمة في إطار إشكالية جد متبلورة اتضحت ملامح حياة زاخرة بالصبر والدروس والمعرفة التاريخية.

توفيت السيدة لحبيبة بنت ابراهيم بتاريخ 17 ربيع الأول عام 1413 / 15 سبتمبر 1992 عن سن تناهز السبعين وما أحوجنا اليوم إلى التعمق واستدراك كنهها. لقد ظل تراكم المقاييس والقيم الموروثة هو عالمها الذاتي وأسلوبها الأفضل في تجاوز المد العشوائي لمجتمع القرن الحالي.

دراسة ميدانية وروايات شفوية.

مصطفى ناعمي

التريكي، علي، رايس بحري من رياس الأسطول الجهادي المغربي العاملين في نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله. كان من ضمن الرياس الخاضعين لإشراف صهر السلطان القائد محمد الزوين ولد عبد الله الرحماني. وقد سجلت الحوليات عن الرايس علي التريكي أنه انطلق من مرسى العرائش في شهر رمضان سنة 1203 / ماي ـ يونيه 1789 باتجاه مصب أبي رقراق. لكنه تعرض عند مدخل المرسى لمشاكل ملاحية نجم عنها فقدانه لبعض بحارته على متن فلك، وقد أجبرته تلك المشاكل على المكوث بالمرسى حتى يوم عاشر شوال من نفس السنة، لينتقل مجددا إلى العرائش رفقة سفينة الرايس محمد العسري السلاوي بمهمة حمل القراريط منها إلى ميناء الصويرة، وهما في الطريق إلى الجزر الخالدات.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص. 95، 96.

حسن أميلي

التريكي، محمد بن أحمد بن الحاج الهاشمي بن الحاج عبد الرحمن بن عبد العزيز الأسفي. ولد في ربيع الأول عام 1275 / أكتوبر ـ نونبر 1858 ودرس في مسقط رأسه أسفي على الفقيه البشير الحكيم، والقاضي محمد بن عبد الواحد الفيلالي الذي كان أول من تولى القضاء بأسفي من غير أهلها وذلك في ثالث ذي الحجة عام 1292 / 31 دجنبر 1875. كما أخذ التريكي بفاس عن الفقيه الكبير الحاج محمد گنون. وكان إلى جانب تحصيله الفقهي أديباً وشاعراً ومؤلفاً باحثاً. له *إرشاد النبيه إلى معاني التنبيه*، وهو تعليق على تنبيه الشيخ ابن عباد في *شرح الحكم العطائية* ؛ *ودلالة المريدين* ؛ *وشرح منظومة الفقيه كرصيلو في آداب تعليم الصبيان*. ومن أدبياته ما رمز فيه لتاريخ ميلاد الولي الصالح الشهير سيدي العربي ابن السايح، ومداعبات شعرية مع أصدقائه.

توفي يوم الأحد 20 قعدة عام 1345 / 22 ماي 1927.

م. العبدي الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 436 ؛ أ. الصبيحي، *باكورة الزبدة*، مخطوط ؛ *تقييد للفقيه مولاي عبد السلام بن مولاي الحاج*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1345.

الطاهر وعزيز

التريكي، محمد بن علي الرايس متقدم الترجمة. كان يعيش بالرباط متضلعاً في علوم الرياضيات والهندسة والتوقيت. خلف *تقاييد* جليلة في الاسطرلاب وغيره، وبرع في رسم أوضاع هندسية عجيبة، كالشكل الكوري (أو الكروي) وهو شكل عجيب شامل لسائر الزوايا والخطوط وأشكال الهندسة مما لم تشمله *أصول* أقليدس *وتهذيب* الطوسي ؛ ومنها ربع عجيب وضعه للإمام العارف علي بن أحمد بن الطيب الوزاني، وهو ربع متقن الصنعة، محكم العمل، نقش فيه أبياتا من إنشاء الأديب ابن عمرو، تتضمن تاريخ وضعه، واسم من صنع له وصانعه.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 178، 179.

حسن أميلي

تريمولي، محطة توجد حسب إشارات النصوص القديمة على الطريق الداخلي الذي يربط بين طنجة في الشمال ومدينة وليلي وتكولوسيدا في الجنوب. بالنسبة للتسمية فقد ورد هذا الاسم في "مرحلة أنطونان" وكذلك عند الجغرافي الراڤيني. هذا الاسم له بمدلوله النباتي وهم نوع من الشجر (حَوَر وجُرَاج ترتجف أوراقه لأقل نسمة).

ربط شارل تسّو في أواخر القرن التاسع عشر هذه المحطة بمدينة البصرة : "محطة تريمولي وضعتها مرحلية أنطونان على بعد تسعة عشر ميلا (18 كلم و139 م) من سابقتها فوپسكيانيا (Vopiscianae) وعلى بعد اثني عشر ميلا (17 كلم و772 م) من أيدوم نوڤوم...". أما "شتلان" قد أبدى بعض الحذر فيما يخص هذا التحديد. وأعاد "أوزينا" النظر في هذا التحديد. مؤكداً أنه ليس هناك أي استقرار روماني في مدينة البصرة كما سبق أن أكده شتلان وأن هذا التحديد لا يتطابق مع المعطيات التي وردت في مرحلية أنطونان، واقترح أن تقترن محطة تريمولي بسوق أربعاء الغرب، مغيرا تتابع المسافات بين مختلف المحطات الواردة في مرحلية أنطونان وخاصة بين "جلدا" و"فوپسكيانيا" ثم بين فوپسكيانيا وتريمولي وبعدها بين تريمولي وأيبدوم نوڤوم.

لقد أغفل هؤلاء الباحثون المعطيات الأثرية التي تم العثور عليها بمنطقة عرباوة والتي نشرها شتلان في كتابه *مغرب الرومان* "قرمود روماني.. عثر عليه بفناء نزل صلوصر، وكذلك بقايا بعض الجدران التي مازالت في أماكنها". هذا المكان بالضبط أجريت به حفريات أشرف عليها القبطان لڤيلان (Levilain) وأزاح الستار عن بقايا خمس قاعات، هذه البقايا لابد من ربطها بحمامات كانت توجد بهذه المنطقة. هذه المعطيات الأثرية ستعزز باكتشافات أخرى عثرت عليها جماعة من الباحثين في سنة 1988. وجدت بجوار هذه البقايا في الجهة الغربية للطريق الرابطة بين سوق الأربعاء والقصر الكبير المارة بمدينة عرباوة. حيث تم العثور على فرشة ضخمة تتكون من الكثير من الآجر والقرميد الروماني، هذه الأخيرة تم ربطها بوجود فرن لطبخ هذه المواد. وتم العثور على نقط أخرى للاستقرار الروماني بجوار أحد الأولياء لا يبعد كثيراً عن مركز عرباوة وهو الولي المعروف سيدي أحمد بن الزراد،

وكذلك بجوار مدينة القصر الكبير وبالضبط على ضفتي نهر اللكوس. هذه النقط ساعدت على تحديد الطريق الروماني الذي كان يربط بين أبيدوم وتريمولي بل الأكثر من هذا هو أن اكتشافات أخرى تمت بين 1988 وسنة 1993 مكنتنا من استكمال الطريق التي سبقت الإشارة إليها نحو الجنوب أي بين تريمولي وثوبسكيانيا (سوق أربعاء الغرب). إن كثرة المواقع التي عثر عليها بهذه المنطقة والتي تنتظم في شكل خطي قد حملت الدليل القاطع على أن هذا التنظيم لا يمكن أن يرتبط إلا بمرور طريق رومانية بهذه المنطقة وإلى وجود مجموعة من النقط العسكرية التي كانت تشرف على مراقبة هذه الطريق. في الأخير يمكن التأكيد على أن محطة تريمولي لابد منذ الآن أن تقترن بمدينة عرباوة.

Ch. Tissot, *Recherche sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968, p. 113 ; M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc, dans l'Itinéraire Antonin*, in *Mélange A. Grenier*, 1952, p. 607 ; M. Euzennat et J. Marion, *Inscription antique du Maroc, 2, Inscriptions Latines*, Paris, 1982, p. 66 ; L. Chatelain, *Le Maroc des Romains*, Paris, 1968, p. 120 - 121 ; A. Akerraz et R. Rebuffat, *El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Adnovas*, in *113ème congrès des sociétés savantes*, Strasbourg, 1988, *IVème colloque sur l'Histoire et l'Archéologie de l'Afrique du Nord*, T. II, p. 367 à 408; H. Limane et R. Rebuffat, *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua*, in *113ème congrès national des sociétés historiques et scientifiques, VIème colloque sur l'histoire et archéologie de l'Afrique du Nord*, Pau 1993, à paraître.

حسن ليمان

تريبو، بيير Pierre Treillault، صيدلي فرنسي، ولد بمدينة رُوان Rouen بإقليم نورماندي حوالي عام 1550، واكتسب خبرة في تحضير الأدوية، ذلك ما جعل الطبيب الفرنسي النبيل أرنول دو ليل Arnould de Lisle، بمجرد ما وافق هانري الثالث، ملك فرنسا على تعيينه طبيباً لأحمد المنصور يطالب بالحاق تريبو به، مساعداً له.

صار تريبو يحضّر في مراكش من الأودية ما يصفه له أنول دو ليل، فنال إعجاب أحمد المنصور الذي جعله صيدليه الخاص. يرافقه في حله وترحاله، كما يرافق أبناء المنصور في تنقلاتهم عبر المغرب. وفي هذا الإطار سار تريبو في محلة ولي العهد الأمير محمد الشيخ المامون الذي خرج من فاس في شهر يوليوز عام 1004 هـ / 1595 م، لمحاربة الناصر ابن عبد الله الغالب، الثائر على عمه أحمد المنصور، بعدما ثار من قبل على عمه عبد المالك.

وهكذا شهد تريبو أحداث معركة الركن، يوم 3 غشت 1595 ووصفها (انظر مادة الركن)، ثم شهد معركة تغات، يوم 12 ماي 1596 ووصفها كذلك (انظر مادة تغات). ورجع تريبو إلى فرنسا بعدما قضى سنوات في خدمة أحمد المنصور بالمغرب. ولم نقف على تاريخ وفاته.

S.I.H.M.

أحمد بنجلون

التزوطي، أسرة مخزنية كبرى تنتسب إلى التوازيط بطن من فرقة أولاد نعيم من قبيلة بني حسن المستقرة بسهول الغرب. وقد تولى عدد كثير منهم قيادة قبيلتهم أيام الحسن الأول وقبله. منهم :

التزوطي، حسن بن غانم، عين سنة 1299 / 1882 لكنه سجن سنة 1302 / 1885.

التزوطي، الراضي بن محمد. لعله كان قائداً سنة 1329 / 1911.

التزوطي، عبد القادر بن **التهامي** كان سنة 1321، مديناً لتاجر ألماني مع القائدين المعطي بن غانم والمعطي بن بوعزة. وقد ولي سنة 1329 / 1911 وعزل بعد ذلك بقليل.

التزوطي، عبد القادر بن **العربي** المدعو الحنگوط، كان ضمن عمال التوازيط سنة 1310 وعزل وسجن سنة 1311.

التزوطي، العربي بن **الحفيان** استعمل سنة 1308 وأعفى سنة 1311، ليحل محله العربي بن محمد التزوطي.

التزوطي، العربي بن **عبد السلام** المخلوفي ولي سنة 1295 و1296 على التوازيط.

التزوطي، العربي بن **محمد** ولي قبل سنة 1291 / 1874 ثم عزل وسجن سنة 1297 / 1880 لشططه وعنفه. وقد أفرج عنه بعد ذلك، وسرعان ما أعيد القبض عليه سنة 1303 / 1885، وسرح مرة أخرى سنة 1307 / 1890. ويبدو أنه أعيد إلى القيادة سنة 1311 وبقي يشغلها إلى وفاته سنة 1316 / 1898.

التزوطي، علال بن **العربي** بن محمد. تقلد هذا المنصب بعد وفاة أبيه سنة 1316 / 1818. لكنه سجن سنة 1326.

التزوطي، علال بن **محمد** بن العربي. ولي سنة 1328 / 1910، وعزل قبيل الحماية.

التزوطي، علي الذي لم يرد اسم أبيه وجده. كان سنة 1314 / 1896 قائداً. وكان لايزال سنة 1318 / 1900 عاملا. ويظهر أنه توفي سنة 1321 / 1904 وأحصى متروكه.

التزوطي، عمرو بن طنيغمُسو. ولي سنة 1325 وعزل بعد سنتين.

التزوطي، محمد بن الحفيان. كان عاملا سنة 1281 / 1864، وهو الوحيد الذي وقفت على اسمه قائداً قبل عهد مولاي الحسن.

التزوطي، محمد بن الطيب اللبوي. كان قبل 1306 قائداً. وسجن في السنة بعدها. وكان لايزال محبوساً سنة 1311.

التزوطي، محمد بن عبد القادر الشقيرني الربكاوي، عين سنة 1327 واستمر إلى سنة 1329.

التزوطي، المعطي بن بوعزة المعروف بولد زايدة. كان قائداً سنة 1314 مثل المعطي الذي بعده. وقد استدان مثله للتاجر الألماني المذكور فسجن سنة 1321.

التزوطي، المعطي بن غانم. كان سنة 1314 / 1897 أحد قواد التوازيط بعد أن كان أخوه الأحسن قائداً فسجن. وقد سجن المعطي نفسه سنة 1321 لأنه استدان لتاجر ألماني بالرباط.

هذا ما استلخصته من استقراء بعض النصوص، وفيما يُوجد بدون تمييز : العربي بن محمد، ومحمد بن العربي، وعلال وعلي، علماً بأن عليا وعلالا اسم واحد عند بني حسن، وقد يكون بعض هؤلاء العمال مجرد أشياخ كبار كانت لبعضهم طوابع مثلما كانت لأمناء الحرص.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن، 1860 ـ 1912، مخطوط : الوثائق* الملكية ؛ والصبيحية ؛ والبنسعيدية.

مصطفى بوشعراء

التساقطات الثلجية، إذا كانت التساقطات في المغرب عموماً غير منتظمة فإن عدم الانتظام هذا يتجلى أكثر في التساقطات الثلجية، ذلك أنه إضافة إلى كون كمياتها تختلف من سنة لأخرى في كل المحطات الجبلية فإنها لا تحدث بصفة منتظمة خلال نفس الفترة من السنة.

تحدث هذه التساقطات في كل من الريف والأطلس المتوسط والكبير خلال أبرد شهور السنة (دجنبر ـ يناير ـ فبراير). إلا أن هذه الفترة يمكن أن تضم شهر نوفمبر في كثير من المحطات التي يزيد ارتفاعها عن 1.500 متر في الأطلس المتوسط، كما يمكن أن تحدث خلال بعض السنوات في مارس وأبريل وماي.

تساهم كل أنماط الطقس المضطرب في المغرب في هذا النوع من التساقطات، إلا أن الكميات المتساقطة تبقى شديدة التغير خاصة من حيث مستوى الارتفاع الذي تحدث فيه. أكبرها يسجل عندما تكون مسارات الاضطرابات شمالية أو شمالية غربية. ومن حيث توزيع عدد أيام الثلج يمكن إيجاد ثلاثة مناطق في المغرب.

ـ مجال تنعدم فيه التساقطات الثلجية ويضم المناطق الساحلية جنوب الجديدة ونحو الداخل عند المناطق ذات الارتفاعات الضعيفة وأيضا نحو الجنوب.

ـ مجال لا يعرف تساقطات ثلجية إلا نادراً جداً ويضم الساحل الشمالي والمناطق الداخلية ما بين الريف والهضبة الوسطى.

ـ مجال يتساقط فيه الثلج خلال كل فصل شتاء ويضم مناطق ذات ارتفاعات تتعدى ما بين 700 و900 متر في المناطق الشمالية أو أكثر من 1500 متر عند السفوح الشمالية من الأطلس الكبير أو السفوح الغربية للأطلس الصغير.

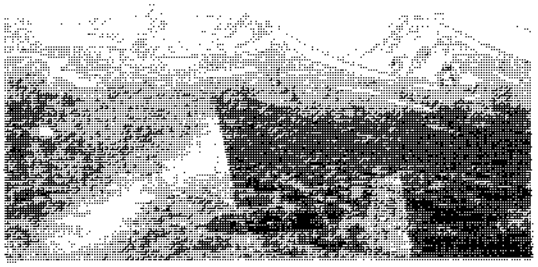

عدد أيام الثلج بصفة عامة غير مترفع يصل في المتوسط إلى 23 يوما في إفران و40 أو 45 يوما في أعلى قمم الأطلس المتوسط والكبير.

يخضع التوزيع المجالي للكميات لنفس العوامل الجغرافية التي تمت الإشارة إليها بالنسبة للتساقطات المطرية إلا أن عامل الارتفاع يكاد يطغى على باقي العوامل الأخرى. فعموماً إذا كان عدد أيام الثلج في إفران (1660 م) يصل إلى 23 يوم فإنه لا يتعدى أربعة أيام في الحاجب مثلا عند ارتفاع 1050 متر. تتقلص هذه المدة نحو الجنوب تحت تأثير عامل العرض حيث لا يسجل إلا ثمانية أيام في أزيلال عند ارتفاع 1430 متر ويوم واحد في دمنات عند ارتفاع 1000 متر.

يمكن القول بصفة عامة بأن مجال التساقطات الثلجية في المغرب هو مجال جد محدود إذ أن المناطق المرتفعة فقط

هي التي تحظى بتساقطات من هذا النوع وذلك ابتداءً من 1500 متر في الأطلس المتوسط و2500 متر في الأطلس الكبير وهي عموما كميات لا يتعدى سمكها في المتوسط خمسين سنتمتراً.

D. Noin, *La neige au Maroc*, *Notes marocaines*, n° 5, pp. 5 - 11, 1961 ; G. Roux, *La neige au Maroc*, *Mem. Soc. Sci. Nat., Maroc* n° 11, pp. 75 - 86, 1935.

التساقطات المطرية، تنتمي التساقطات المطرية في المغرب إلى نموذج التهاطل الجبهي السائد في المناطق المعتدلة والمترتب عن اضطرابات الجبهة القطبية التي تتكون عند هذه العروض إثر تلاقي الكتل الهوائية القطبية والمدارية.

يتبع نظام التساقطات في المغرب تطور النظام المطري المتوسطي المتميز بجفاف فصل الصيف والذي تحكمه آليات الدورة الهوائية عند هذه العروض، فموقع المغرب من حيث العرض الذي يجعله عند الهوامش الجنوبية لمنطقة سيادة تأثيرات مختلف مظاهر مناخ الوسطى يحدد بشكل خاص الإطار العام لتوزيع التساقطات.

سيادة هذا النظام يرتبط بشكل خاص بانتقال حقل الضغط نحو الشمال ونحو الجنوب تمشياً مع تزحزح حركة الشمس الظاهرية، الشيء الذي يترتب عنه خلق ظروف عامة تحدد بدورها أنماط طقس وحالات جوية متميزة تتباين نسبة ترددها حسب الفصول وتبعاً كذلك للحالة التي تكون عليها هذه الظروف بالنسبة لوضعيتين قصويتين تشكلان الإطار العام المميز لتوزيع التساقطات خلال السنة داخل المناخ المتوسطي.

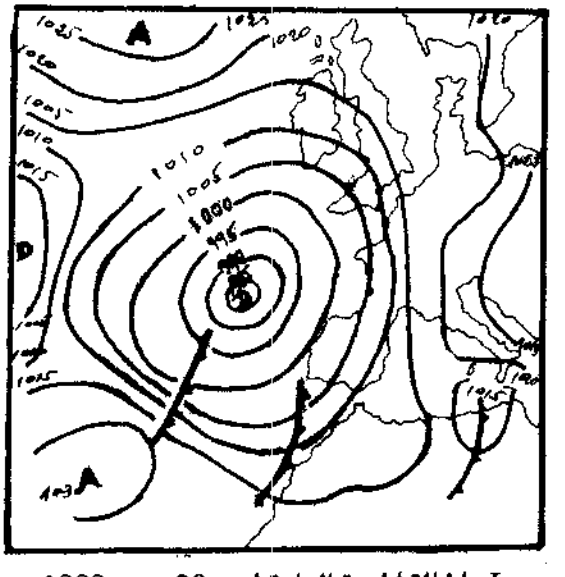

I ـ الحالة الجوية العامة ليوم 20 نونبر 1989

ـ الوضعية الأولى : مع نهاية الصيف وبداية الخريف يبدأ نظام الضغط السائد في مختلف العروض في التغير مواكباً في ذلك التغيرات التي تطرأ هي الأخرى على عوامل توزيع الظواهر الإشعاعية والطاقية على سطح الأرض والتي تنتج عن حركة الشمس الظاهرية وتركز هذه الظواهر أكثر فأكثر في نصف الكرة الجنوبي.

تتميز الوضعية الجوية عند عرض المغرب خلال هذه الفترة بالانتقال التدريجي لخلية الضغط الجوي المرتفع الشبه مداري للاستقرار أكثر فأكثر في عرض السواحل الأطلنتية المغربية مما يترتب عنه فسح المجال أمام اضطرابات الجبهة القطبية لاتخاذ مسارات أكثر فأكثر جنوبية تؤدي بها إلى التردد حسب مسالك متميزة على مختلف الجهات الشمالية المغربية (الرسم رقم 1).

ـ الوضعية الثانية : مع نهاية الربيع وبداية فصل الصيف تعود حركة الشمس الظاهرية للصعود من جديد نحو الشمال ومعها خلية الضغط المرتفع الشبه مداري للاستقرار هذه المرة عند السواحل الفرنسية ـ الإيبرية مما يشكل حاجزاً أمام تقدم الاضطرابات نحو الجنوب، فتصبح مساراتها أكثر فأكثر شمالية وتأثيرها بعيداً عن عرض المغرب وحوض البحر المتوسط فيكون ذلك إيذانا بانطلاق فترة الجفاف المميز لهذا المناخ والذي يستمر إلى نهاية الصيف وبداية الخريف (الرسم رقم 2).

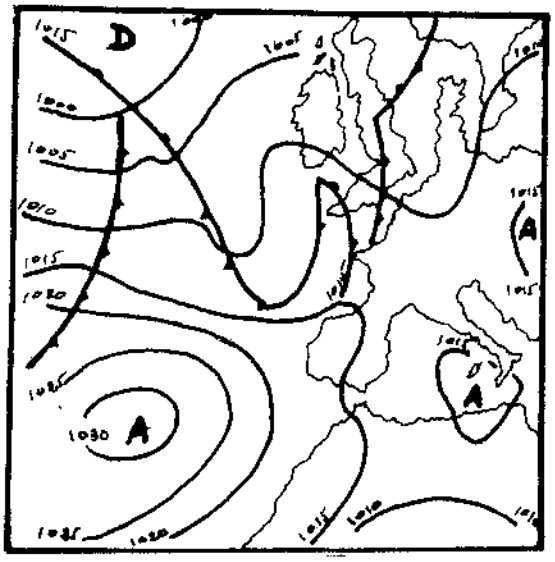

II ـ الحالة الجوية العامة ليوم 10 يوليوز 1992

تبعا لذلك نجد أن التطور السنوي للتساقطات داخل هذه العروض ينقسم بصفة عامة إلى فترتين أساسيتين : فترة رطبة تدوم عادة من أكتوبر إلى أبريل أو ماي وفترة جافة تدوم من ماي إلى شتنبر، إلاّ أن هذا الإطار العام يعرف بدوره تنوعاً كبيراً داخل هذه العروض تحت تأثير العوامل الجغرافية المحلية التي تتدخل باستمرار لإضفاء طابع جهوي أو محلي على هذا التطور السنوي للكميات المتساقطة (الرسم رقم 3). هكذا نجد أن من بين الخصائص الرئيسية لهذا النظام عند عرض المغرب تميز فترته الرطبة بوجود نهايتين قصويَيْن تفصلهما نهاية دنيا.

تحدث النهاية القصوى الأولى خلال الخريف وبداية الشتاء ويستحوذ داخلها شهر دجنبر عادة على أكبر كمية

شهرية وتحدث النهاية العظمى الثانية خلال الربيع مع تركز أقصى خلال شهر مارس أو أبريل.

أما النهاية الصغرى فتستقر عادة خلال شهر يناير أو فبراير حيث يغلب على هذه الفترة حالات الاستقرار الكبير للهواء وظهور أنماط خاصة من الطقس الصحو الجميل يقل على إثره تردد حالات الأمطار مما يؤدي إلى انقطاع في وتيرة تزايد الكميات خلال هذه الفترة.

إذا كان هذا التوزيع الزمني للتساقطات يعكس نظام تواتر الاضطرابات على المنطقة خلال السنة تبعا للدورة الهوائية العامة، فإن التوزيع المجالي يبرز دور عدة عوامل جغرافية غالباً ما يؤدي فعلها إلى خلق تفاوتات مهمة من منطقة لأخرى.

التساقطات المطرية

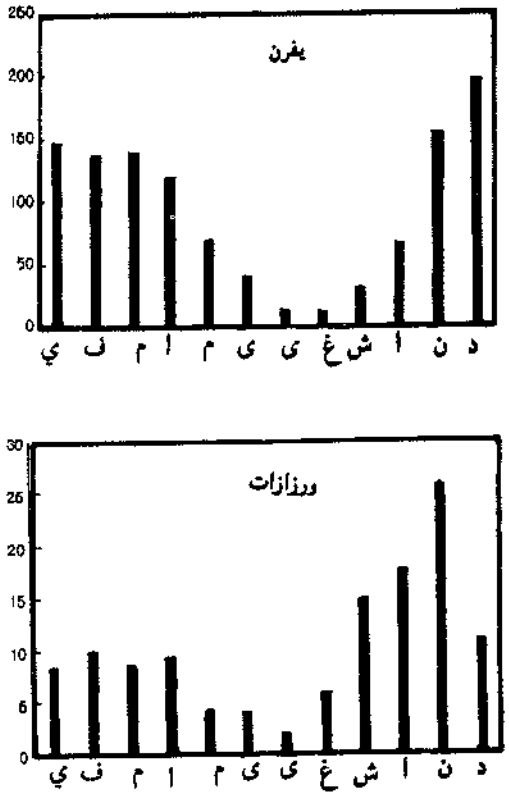

النظام المطري لمحطتي يفرن وورزازات

يشكل العرض أهم عامل مؤثر في هذا التوزيع، إذ أن الكميات السنوية تقل تدريجيا من الشمال نحو الجنوب نظرا لكون مسارات الاضطرابات تتردد خلال الفترة الرطبة تبعا للظروف العامة التي تسمح بها الدورة الهوائية العامة، وعليه فإن هذه المسارات تنزل تدريجيا نحو الجنوب مع بداية الفترة الرطبة وتتركه في وقت مبكر لتتركز أساساً في الشمال عند نهاية هذه الفترة لذلك تقل الكميات عموما باتجاه الجنوب.

طنجة 750.6 ملم

الرباط 571.9 ملم

أگادير 250.3 ملم

طان طان 87.1 ملم

وتلعب التضاريس دوراً أساسياً في هذا التوزيع وذلك من خلال عنصري الارتفاع والتوجيه، فالاضطرابات التي تضطر إلى تخطي سلسلة جبلية يضطر الهواء معها إلى الارتفاع أكثر، الشيء الذي يزيد من فاعلية جبهاتها من خلال الزيادة في حالات عدم الاستقرار داخل الاضطرابة مما يزيد من غزارة التساقطات. لذلك تتراوح الكميات في المناطق المرتفعة من الريف والأطلس المتوسط والكبير ما بين 800 و1200 ملم كما تستحوذ السفوح المتعارضة مع محور مسارات هذه الاضطرابات على أهم الكميات بالمقارنة مع السفوح التي هي في ظلها وذلك لأنها في الحالة الأولى تكون مضطرة إلى الارتفاع بينما على الثانية تكون مضطرة للنزول وهذا أيضا له وقعة على دينامية الاضطرابة وفعالية جبهاتها، إذ أن نزول الهواء الاضطراري يؤدي إلى تسخينه النسبي وإلى تقليص حدة التناقض الحراري الذي يعتبر بمثابة المحرك الأساسي للاضطرابة. وهكذا نجد أن السفوح الغربية عموما تكون أوفر حظا من الشرقية.

بني ملال 398.6 ملم

ميدلت 213.8 ملم

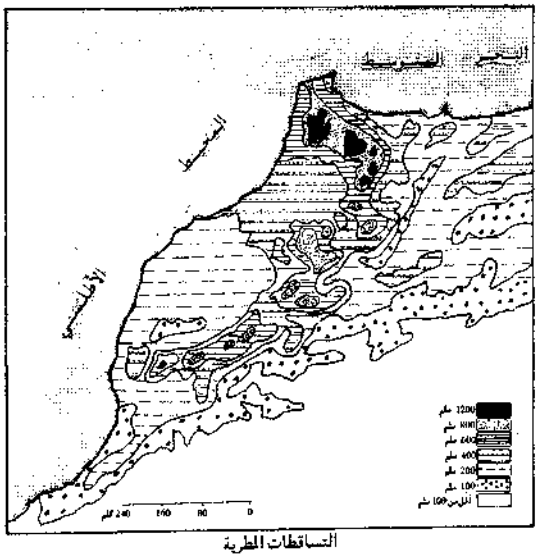

التساقطات المطرية

تظافر هذه العوامل مجتمعة تجعل خريطة التوزيع (رسم 4) تعرف تفاوتا مهما من منطقة لأخرى مما يترتب عنه تمييز أربعة مناطق متجانسة :

ا ـ المناطق الجبلية وهي على التوالي :

ـ الريف وهي المنطقة التي تتلقى أكبر الكميات خاصة المناطق الغربية والوسطى منه حيث تتلقى هذه المناطق كميات تتراوح ما بين 900 و1500 ملم سنويا، بينما تقل هذه الكميات تدريجيا في اتجاه الشرق على السفوح الشرقية المطلة على البحر المتوسط.

ـ الأطلس المتوسط والهضبة الوسطى وهي المناطق التي تتلقى ما بين 900 ـ 1200 ملم عموما على السفوح أساساً.

ـ الأطلس الكبير عموما أقل رطوبة إلا أن ارتفاعه (جبل توبقال 4165) يؤهله لتلقي كميات نسبيا مهمة عند قسمه الأوسط حيث يمكن أن تصل على السفوح الموجهة إلى أكثر من 900 ملم، بينما تنخفض هذه الكميات تدريجيا كلما اتجهنا نحو الشرق حيث تظهر هذه المناطق قاحلة لا تتعدى الكميات فيها 400 ملم على السفوح الموجهة وأقل من 200 ملم عند الأودية الداخلية.

2 ـ الهضاب الأطلسية : تتراوح الكميات عنا عموما ما بين 200 و800 ملم يرتكز أعلاها عند مناطق شبه الجزية الطنجية وسهل الغرب حيث يدور معدل التساقطات هنا ما بين 600 و800 ملم وتصبح ما بين 400 و600 ملم عند المنطقة الممتدة من الساحل الأطلسي عند عرض الرباط ـ الدار البيضاء إلى غاية منحدرات الهضبة الوسطى وتقل عن 400 ملم جنوب الدار البيضاء ونحو الداخل في اتجاه منطقة تادلة، بل لا تكاد تتعدى 200 ملم عند منطقة الحوز وبالأخص عند منطقة شيشاوة. في حين تدور هذه الكميات حول 200 و300 ملم عند سهل سوس.

3 ـ المنطقة الشرقية : هي منطقة جافة لوجودها في ظل سلاسل الأطلس المتوسط لكنها لا تعرف بعض التركز الأقصى للكميات إلا على السفوح الشمالية الغربية حيث تصل إلى ما بين 600 و900 ملم في حين لا تكاد تتعدى 400 ملم في باقي المناطق : الوادي الأعلى لملوية : أقل من 200 ملم والنجود العليا أقل من 300 ملم.

4 ـ المنطقة الصحراوية : تنفرد هذه المنطقة بكونها مجالاً قاحلاً إذ لا تكاد تصل الكميات هنا إلى 100 ملم إلا على السفوح الجنوبية للأطلس الصغير في حين تبقى دون ذلك في باقي المناطق جنوبا إلى غاية الحدود المغربية الموريطانية.

A.Bellichi, *Contribution à l'étude de la pluviométrie de la partie septrentrionale du littoral atlantique marocain, espace rural*, Juin 1991, n° 25, pp. 45 - 51 ; A. Bernard, *Les régimes des pluies au Maroc, Mémoire de la Société des Sciences du Maroc*, T. I n° 1, 1er Juin 1921, pp. 2 - 35 ; H. Isnard, *La répartition saisonnière des pluies au Maroc, Annales de Géographie*, pp. 38 - 42 ; G. Roux, *La variation annuelle des précipitations au Maroc. Bul. Soc. Sci. Nat. Maroc*, T. 27, 1947, pp. 309 - 321.

علي البلشي

تْسَاكُورا (Tsacora)، مدينة من مدن موريطانيا الطنجية، ولكن لم يذكرها سوى الجغرافي المجهول الاسم من راڤينا (Ravenne) (القرن 9 م). وقد عدها ضمن مجموعة مدن نجهل مواقع معظمها لأن بعضها اندرس منذ القديم، والآخر لم تمط الحفريات عنه التراب بعد.

R. Roget. *Le Maroc chez les auteurs anciens*. Paris, 1924.

البضاوية بلكامل

تسْتاوْت أو تسّاوت، وقد تمدّ التاء الأولى، وادٍ ينبع من الأطلس المتوسط ويعد من أهم روافد واد أم الربيع. يقع غربي مدينة خنيفرة ويبعد عن واد زمّ بنحو تسعين كيلومتراً. اشتهر الموقع بضريح الشيخ مَحمد مبارك الزعري التستاوي (ت. 1006 / 1597) وهو جد التستاوتيين المباركيين العلماء الأدباء بمكناس وسلا. وتوجد فرق من التستاوتيين في كل من ضاحية قلعة السراغنة وورزازات.

محمد حجي

التستاوي، إبراهيم بن أحمد بن عبد القادر، فقيه علامة، أديب، لا نعرف تاريخ ولادته، أما أسرته التي أنجبت عدداً من الفقهاء والعلماء والأدباء والأولياء، فتنتمي إلى موطنها تستاوت الواقعة جنوب ولماس في طريق واد زم، وتبعد عنه بتسعين كلم. كان إبراهيم بن أحمد يكاتب أباه ـ آتي الذكر ـ ويراجعه بأشعاره التي توجد بين ثنايا كتاب والده *نزهة الناظر*، ومن جملة ما كتب له بعد إحدى زياراته لضريح مولاي عبد السلام بن مشيش قصيدة مطلعها :

شَرِبْنَا مُداماً يُستلذُّ شرابُه ورقّ لنا الساقي، وطابَ انْتسابُه

كما كانت له مراسلات مع أهل مدينة سلا، هذ المدينة التي تربطها صلات وطيدة بالأسرة التستاوتية.

أصيب إبراهيم التستاوتي بمرض عام 1083 هـ / 72. 1673، فكتب له أبوه أبياتاً تظهر المكانة المتميزة التي يحظى بها عنده، ووضع بإيعاز من عمه العياشي، شرحاً على *الواردات الصوفية* لهذا الأخير. يوجد في مجموع خطي (خ. ع.، 2010 د، ص. 328 وما بعدها).

لم نقف على تاريخ وفاة إبراهيم، إلا أنه كان حيا في 29 ذي الحجة عام 1124 / 27 يناير 1713.

التستاوتي، أحمد بن عبد القادر بن عبد الوهاب بن موسى بن الشيخ محمد بن مبارك الزعري، من أكبر علماء وقته، كان مشاركاً في علم الظاهر والباطن، له ملكة واسعة وقوية في نظم الشعر، وعارضة في الأدب. سكت مترجموه عن سنة ولادته، لكن، اعتماداً على بعض الإشارات الواردة في مؤلفه *نزهة الناظر* يظهر أنه ولد حوالي عام 1044 / 34. 1635.

لم يحدد التستاوي مكان ولادته بالضبط، لكن، يبدو أن الأمر يتعلق بالرقعة الجغرافية التي تنحصر بين نهري العبيد وأم الربيع.

أشار مترجموه إلى نسبه الحسني اعتماداً على شرح أحمد بن عبد القادر لبيت من منظومته لرجال الممتع، حيث سطر فيه أن جده الشيخ محمداً ابن مبارك حسني النسبة، الأمر الذي أكده تلميذه أحمد بن عاشر الحافي.

قضى أحمد بن عبد القادر طفولته في الرّحية، وهي قريبة من تستاوت ثم نزل بأرض زعير التي حل بها جده الشيخ مَحمد بن مبارك. شرع خلال هذه الفترة في حفظ القرآن الكريم وبعض المتون، ثم انتقل بعد مدة إلى جبل صَرْصَر قرب القصر الكبير لتحسين وضعيته المادية من جهة، والابتعاد، من جهة ثانية، عن الفتنة التي اندلعت بين أولاد الشيخ ابن مبارك "الذين تطاحنوا بسبب جهلهم وغلبة الشهوة عليهم وحبهم للدنيا والرياسة"، كما أكد ذلك

صاحب الترجمة في *النزهة*. إن ما يميز حياة أحمد بن عبد القادر هو كثرة تنقلاته بين البوادي والحواضر، هكذا، نراه يضطر إلى العودة من جديد إلى زعير، وهو مازال يعاني من العسر، ثم بعد مدة شدالرحال إلى الزاوية الدلائية التي كانت تعج بفطاحل العلماء، وقد تأثر كثيراً بهم لا سيما الحسن اليوسي، ويظهر ذلك بوضوح في رسائل التستاوتي لهذا الأخير حيث نجدها مشحونة بتحليات التقدير والتمجيد. لم يتيسر لصاحبنا المقام بالزاوية الدلائية، فغادرها متحسراً بعد أن عايش علماء بارزين في شتى مجالات المعرفة. وتفيدنا *النزهة* أن التستاوتي استمر بعد ذلك في ترحاله، وإذا انتهى به المقام بمدينة مكناس، فإن ذلك بأمر من السلطة، كما سنرى، وتجدر الإشارة إلى أنه كان يعاني من عاهة العرج، وقد رزق أولادا كثراً، وردت أسماء جلهم في *النزهة* (ص. 206)، وسنتطرق - بالإضافة إلى إبراهيم، آنف الذكر - إلى البارزين منهم.

أخذ أحمد بن عبد القادر العلم على يد شيوخ كبار ذيل نظمه *لمتع الأسماع* بذكرهم، أمثال : عبد القادر الفاسي، قرأ عليه المعاني بفاس عام 1068 هـ / 57. 1658)، واجتمع في نفس السنة بالشيخ ميارة بجامع اللبارين، وقرأ عليه *رسالة* ابن زيي زيد، وقد أجازه الشيخ مَحمد بن ناصر الدرعي *مختصر خليل*، *وألفية* بن مالك، *ورسالة* ابن أبي زيد، *وعقيدة* الشيخ السنوني وغيرها. واجتمع صاحب الترجمة مرة ثانية، عام 1081 هـ/ 70. 1671، في فاس بالشيخ عبد القادر الفاسي، وأخذ عنه سند المصافحة، *والحزب الكبير*.

انصب اهتمام مترجمي أحمد التستاوتي على العلاقة التي تربطه بالزاوية الناصرية، ومؤسسها الشيخ مَحمد ابن ناصر، لاسيما وأنه خصص جزءاً هاماً من الباب الثاني من *النزهة* للمراسلات التي دارت بينه وبين شيخه في الطريقة المذكورة. ونستشف منها أن الحسن اليوسي هو الذي دلّ التستاوتي على الشيخ ابن ناصر، ويظهر منها كذلك انجذاب صاحبنا إلى هذا الأخير وطريقته : "إلى قدوتي، ورحمتي ونعمتي... وبعد، فإني إليك أنتمي، وأنت المعول، ولو ظهر من الأولياء مثل عدد نجوم السماء لكانت لي بك الكفاية على الجميع" (*نزهة*، 20). وفد التستاوتي على شيخه وفادتين : كانت الأولى عام 1081 هـ / 1671 م. وتمت الثانية عام 1084 هـ / 73. 1674، ومن خلالهما يظهر ما يكنه كل واحد للآخر من صفاء المحبة. ونشير إلى أن التستاوتي استأذن شيخه في نشر الطريقة الناصرية. وبعد وفاة هذا الأخير 1085 هـ / 74. 1675، ظل صاحب الترجمة على وفاء وإخلاص للزاوية الناصرية، على الرغم من الوحشة التي وقعت بينه وبين الشيخ أحمد بن ناصر (العميري، *فهرس*، 34). ويجدر التذكير أن التستاوتي الذي نشر طريقته في عدة مناطق، خاصة في مدينة سلا، قد خصص جزءاً هاماً من *النزهة* للمراسلات والمساجلات التي دارت بينه وبين مريديه السلويين، وكلها تؤكد متانة الروابط بين الجانبين، ومن خلالها يمكن معرفة بعض ملامح المجتمع السلوي خلال الشطر الأخير من القرن الثاني عشر (18 م).

تتلمذ على يد أحمد بن عبد القادر التستاوتي أحمد بن بوعسرية الفاسي وقد أجازه (خ. ع. ك 597، ص. 162 ضمن مجموع)، ومن تلامذته السلويين الفقيه القاضي موسى بن الراحل الدغمي، وأحمد بن عاشر الحافي الذي انكب على جمع مواد *نزهة الناظر*، وغيرهم.

إن مكانة أحمد التستاوتي البارزة في علم الظاهر والباطن، وما جلبت إليه من أتباع، أثار انتباه السلطة الحاكمة، ومن ثمّ كانت محنته. لقد ذكر مترجموه أن من بين ادعاءاته الصوفية أنه أُعطي الشفاعة في أهل عصره، وقد أبرز الناصري أن صاحب الترجمة لما وقع له الفتح، كانت تغلب عليه الواردات والأحوال، فيبوح "وربما أشار إلى نفسه بأنه صاحب الوقت أو المهدي، أو ما شابه ذلك، فتخوفت عشيرته من أن ينالهم من السلطان مكروه، فأنهى بعض أقاربه أمره إلى السلطان" (*ظلعة*، 2 : 54). وانتهى الأمر بسجن أحمد التستاوتي في حبس فاس الجديد سنتين، من عام 1104 هـ إلى 1106 هـ / 92. 1694 م)، ثم أُلزم بالإقامة الإجبارية بمدينة مكناس.

ترك أحمد بن عبد القادر التستاوتي تراثاً فكرياً ضخماً، منه : *عقد جوهر المعاني، في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني* ؛ *ونظم رجال التشوف للتادلي، وشرحه* ؛ *ونظم رجال المتع، وشرحه* ؛ وديوانه الضخم : *نزهة الناظر* الذي يضم مادة تاريخية دسمة تهم مختلف مراحل حياة التستاوتي.

توفي أحمد التستاوتي ليلة الأربعاء فاتح رجب عام 1127 / 3 يوليوز 1715، ودفن قرب روضة الشيخ عبد الله بن مَحمد، خارج باب البرادعيين بمكناس.

التستاوتي، العياشي بن عبد القادر، فقيه أديب، من أهل الجد والاجتهاد والمداومة على العبادة والأوراد، يصوم ويقوم، هذه الصفات شهد له بها شقيقه أحمد بن عبد القادر، آنف الذكر. لم يتطرق مترجموه إلى سنة ولادته، ولا إلى نشأته، وجل المعلومات عنه استقيناها من *نزهة الناظر*، ومجموعته (خ. ع. ك. 309 وخ. ح.، 1928)، وتفيد أنه كان ضريراً لا يكتب بنفسه، بل يملي أشعاره وغيرها على أنجاله كالمامون ويعفور، أو على تلامذته كأحمد بن عاشر الحافي السلوي. تعرض العياشي كأخيه أحمد - إلى المحنة، حيث سكن بحبس فاس (مجموعة، 5)، ولا نعرف تاريخ سجنه، ولا المدة التي قضاها في السجن، ويبدو أنه امتحن في نفس الفترة التي امتحن فيها أخوه.

أخذ العياشي العلم على يد شيوخ كبار، أوردهم في بداية مجموعته مبتدئاً بشقيقه أحمد بن عبد القادر، والحسن اليوسي، وأحمد بن محمد بن ناصر، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، وعلي العكاري وغيرهم. وللعياشي

عدة مراسلات ومراجعات شعوية مع أخيه عبد القادر، وردت في مجموعته السالفة الذكر، وفي ثنايا *نزهة الناظر*، نلمس فيها مكانته العلمية والأدبية التي نوّه بها شقيقه المذكور.

ونشير إلى أن أحمد بن عاشر الحافي هو الذي جمع مواد مجموعة العياشي شيخه في الطريقة، وبذلك يرجع الفضل لهذا العالم السلوي في جمع أهم تراث فكري للأخوين التستاوتين : أحمد بن عبد القادر ـ كما رأينا ـ وصاحب الترجمة، لا سيما وأن *النزهة* وهذه *المجموعة* يمثلان تكاملاً فيما بينهما، لأن الأولى لا تعكس سوى جزء من إنتاج مؤلفها (شعر التستاوتي، 47). وقد ذكر الأستاذ المنوني أن الحافي دوّن بهذه المجموعة ما أملاه عليه صاحبها من الأشعار الفصيحة والزجلية، وتمّ ذلك تحت إشراف إمام زاوية أبي الجعد محمد المعطي بن محمد الصالح الشرقي العمري (*المصادر العربية*، 1 : 194). وتجدر الإشارة إلى أن صاحب الترجمة ساهم في تعمير المجالس العلمية والدينية للزاوية الشرقاوية (*اليتيمة*، 166)، كما كان يتردد كثيرا على مدينة سلا، لأن عرى الصداقة والمحبة ظلت متينة بينه وبين مريديه السلويين بعد وفاة أخيه أحمد ابن عبد القادر التستاوتي، مع العلم أن العياشي هو الذي ورث سر أخيه في الطريقة.

توفي العياشي التستاوتي صبيحة يوم الخميس سابع صفر عام 1134 / 27 نونبر 1721.

التستاوتي، المامون بن أحمد بن عبد القادر، فقيه، عالم، كان يتردد كثيراً على الحاضرة السلوية. توفي المامون أواخر ربيع الثاني عام 1124 / يونيه 1712، وقد رثاه الفقيه القاضي موسى بن الراحل الدغمي، وأحمد بن عاشر الحافي السلويان بمرثيات تبرز الخصال العلمية والدينية التي كان يتميز بها المامون (*شعر التستاوتي*، 886).

التستاوتي، مَحمد الحاج بن عبد القادر، كان فقيهاً فاضلا خيّرا ديّنا، أخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ مَحمد ابن ناصر الدرعي. وكان في ابتداء أمره كثير الذكر، ثم انتقل ذكر لسانه إلى قلبه. كما كان يراجع أخاه العياشي بن عبد القادر بأشعاره الزجلية التي توجد في مجموعة هذا الأخير (ك. 309، ص. 25). توفي في شهر المحرم عام 1132 هـ / نونبر ـ دجنبر 1719 م.

التستاوتي، محمد الشريف بن أحمد بن عبد القادر، فقيه أديب، والدته هي رقية بنت عبد السلام التستاوتي. أخذ العلم على الشيخ القسنطيني في فاس، وكان يراجع أباه بأشعار توجد في *نزهة الناظر*، فيراجعه والده مظهراً إعجابه ببراعة نظمه.

لم نقف على تاريخ وفاته، وكان حيا عام 1109 هـ / 97.

1698 م. وقد بعث شيخه القسنطيني رسالة تعزية إلى والده الذي رثاه بدوره بقصيدة لامية حزينة.

التستاوتي، مَحمد بن **مبارك** بن أحمد بن مسعود الحسني، من مشاهير الأولياء، وأكابر الأتقياء، اشتهر بالزعري، نسبة إلى قبيلة زعير (بالتصغير)، وسبب جريان الزعري عليه أنه كان يحرث على جمل وفرس، فيزجر الجمل بلفظ "زَعْ"، والفرس بلفظ "ري"، فلفق من اللفظين زعير (*الإصليت*، 10). لا نعرف تاريخ ولادته بالضبط، لكن، اعتماداً على بعض الإشارات الواردة عند تلميذه ابن أبي محلي في *الإصليت*، يظهر أنه ولد حوالي عام 937 / 30-1531 بأوطاط من وادي ملوية، ثم خرج به أبواه إلى الغرب وتمّ الاستقرار في عشّابة ـ قرب فاس ـ التي توفي بها والده، وانتقل بعد ذلك إلى مكناس ومنها إلى زعير.

تعاطى الشيخ مَحمد بن مبارك القراءة في أول الأمر بمدينة مكناس، إلا أن ذلك استعصى عليه "فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وقال له لن تقرأ ولكنك شيخ، فأولها ابن مبارك بأنه سيكون شيخ القبيلة، فخرج إلى البادية، إلا أن مراده لم يتحقق إلى أن سرت فيه نفحة القرب من الله فقصد مراكش، ولقي بها الشيخ أبا عمرو القسطلي للأخذ عنه صحبة جماعة من قبيلة زعير. وبعد أن قدم الزوار إليه هداياهم، بشرهم هذا الأخير قائلا : "من أتى بها كلها، ذهب بها كلها" يعني المحبة. هكذا، حقق صاحب الترجمة هدفه المنشود، ورجع غانما من مدينة مراكش، وبنى بتستاوت مسجداً في المكان الذي عينه له شيخه أبو عمرو، وانقطع فيه للعبادة. ذاع صيت الشيخ محمد بن مبارك بعد أن سمع الناس بكراماته العديدة التي أوردها مؤلف مجهول من المحلى، وابن عسكر في *الدوحة* (ص. 114) وغيرهما. فقد ذكر الأول أن ألف طالب كانوا يقرأون العلم والقرآن الكريم في بلده، ويأكلون من زاويته، وقدم لائحة بأسماء بعض الطلبة الملازمين لزاوية الشيخ الزعري (*المحلى*، 1). ورغم أن هذا الأخير كان أمياً، فإنه كان ذا فائدة، حيث كان يجيب أصحابه بأجوبة مقنعة عن أسئلتهم سواء تعلق الأمر بعلم الظاهر أو الباطن، فهو يرى ـ مثلا ـ أن العالم هو من يعمل بعلمه ولا يرى قيمة لعلمه ولا عمله.

من أشهر الآخذين عن الشيخ محمد بن مبارك ابن أبي المحلي الذي لازمه ثمان عشرة سنة، فأثرت فيه صحبة هذا الولي الكبير، وتحدث عنه بإسهاب في *الإصليت*، كما أخذ عنه العارف الكبير أبو عبيد الله الشرقي وغيرهما.

لم تكن كرامات الشيخ ابن مبارك لتبعده عن الأوضاع السياسية التي كان المغرب يمر منها، لاسيما وأنه عايش فترة دقيقة تتمثل في قيام الدولة السعدية بمساندة شيوخ الزوايا، وهي الفترة التي عرفت تكالب الإيبيريين على سواحل المغرب، لذلك نرى الشيخ الزعري يدلي بدلوه في أمر الجهاد قصد تحرير الثغور المحتلة من يد الإسبانيين والبرتغاليين.

تـوفي محمـد بن مبارك بالوباء في ثاني شوال عام 1006 / 8 مايو 1597، ودفن بتستاوت، وبيعد ضريحه عن ضريح الشيخ أبي يعزى بـ 25 كلم.

ومن أشهر زوايا المباركين بالمغرب ـ بعد زاوية تستاوت ـ زاوية سلا التي توجد بحي باب احساين، داخل السور فيما بين الباب الجديد وباب معلقة، غير بعيدة عن دار المجاهد العياشي، وهناك زاوية مكناس والرباط. ويوجد بقبيلة زعير فخذ يسمى بأيت مبارك (زعير، 2 : 98).

التستاوتي، موسى بن الشيخ محمد بن مبارك، علامة مشارك، كان مدرساً بفاس، ومفتيا مشهوراً بها وبمراكش. ولد عام 1004 هـ / 92 . 1693، وقعت مجادلة بين موسى وأبيه الشيخ محمد بن مبارك أمام جماعة من علماء فاس. وقد ألح الولد والجماعة على هذا الأخير أن يجيب عن أسئلتهم انطلاقا من علم الظاهر، لأن الشيخ ـ كما رأينا في ترجمته ـ أمي من أهل الباطن. وقد استفسر موسى والده عن الخبر الذي سمعه عنه، أي كراماته، أسحر هي أم بدعة، أم ذلك من متابعة السنة المحمدية ؟. وقد أكد الحاضرون أن الرجل لا يدعو إلى بدعة، أما لشيخ فقد أتى بأجوبة أقنع بها صاحب الترجمة ومن معه، وقد تحدث صاحب *المحلى* عن ذلك بإسهاب (وجه 3 وما بعده).

لم نقف على تاريخ وفاة موسى بن محمد بن مبارك، وذكر مؤلف *كتاب زعير* (2 : 101) أنه توفي بعشابة، قرب فاس.

التستاوتي، يعفور بن العياشي بن عبد القادر، فقيه، ولد عام 1096 / 84 . 1685. كان والده العياشي الضرير يملي عليه أشعاره وغيرها، كما كانت له مساجلات شعرية مع أبيه وعمه أحمد بن عبد القادر.

توفي يعفور عام 1118 هـ / 1706 . 1707 م. وقد رثاه عمه المذكور برائية، كما أورد أحمد بن عاشر الحافي في *الفهرس* (ص. 275) نص التعزية التي بعثها أبو بكر الفرجي السلوي إلى أبيه العياشي، وتوجد كذلك ضمن مجموعة هذا الأخير (ص. 53)، وتقع في اثنين وأربعين بيتاً.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ط. II ، 113 . 114 ؛ أ. ابن أبي محلي، *الإصليت*، مخطوط خ. ح. رقم 100، 10 . 17 ؛ أحمد بن ع. التستاوتي، *نزهة الناظر*، شعر التستاوتي، جمع وتحقيق وتقديم عبد اللطيف شهبون، رسالة د. د. ع. كلية الآداب ـ الرباط، 90. 1991 ؛ العياشي بن عبد القادر التستاوتي، مجموعة (خ. ع.، ك 309، وخ. ح. 1928) ؛ إبراهيم التستاوتي، *شرح واردات العياشي التستاوتي*، (خ. ع.، د. 2010، ص. 328 وما بعدها) ؛ العمري، *فهرس*، خ. ع.، ك. 560، ص. 34 . 35 ؛ أ. ابن عاشر الحافي، *فهرس*، دراسة وتحقيق محمد السعديين، رسالة د. د. ع.، كلية الآداب بالرباط 90 . 1991 ؛ م. العبدوني، *يتيمة العقود*، خ. ع.، ك 305، 166 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 66 ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، 2 : 54 ؛ م. ابن سودة، *قبيلة زعير*، 2 : 89 . 120 ؛ أ. الطريق، *أدب التستاوتي من خلال نزهة الناظر*، رسالة د. د. ع.، كلية الآداب بالرباط، 85 . 1986 ؛ مجهول، *المحلى في مناقب الشيخ محمد بن مبارك*، مخطوط خ. ح. رقم 726، وجه 1 . 7.

محمد السعديين

تَسْرِيرْتْ، هضبة تقع بالأطلس الصغير الأوسط على بعد حوالي ثلاثين كلم إلى الجنوب الشرقي من جبال سروا، تبلغ مساحتها 380 كلم^2 ويحدها من الشمال والغرب والجنوب مرتفعات يصل علوها إلى 2156 م في حين تشرف من جهة الشرق على وهدة تازناخت، يصل معدل ارتفاع هضبة تسريرت إلى 1800 م مع بعض التباينات بين جنوبها الشرقي وشمالها الغربي إلى حدود 1740 م. ويمتاز سطح الهضبة بتقطعه النسبي نتيجة لتعمق الأودية (واد مدرار وواد تزدوليت) إضافة إلى انتشار التلال المعزولة.

تتلقى الهضبة تساقطات مطرية تصل إلى 200 ملم يتم تصريفها بواسطة شبكة هيدروغرافية تنتظم أساسا حول أسيف تزاخت الذي يتجه نحو الشمال الغربي وأسيف مدرار الذي يجري نحو الشرق بعد رسمه لمجموعة من المنعرجات.

يستقر بالهضبة حوالي 400 شخص مستقرين أساسا بقرية سفكومت تضاف إليهم أعداد مهمة من الرحل وأنصاف الرحل يفدون من قرى القبائل المجاورة لاستغلال مراعي الهضبة التي تتوزع ملكيتها بين قبيلتي سكتانة (20.380 هكتار) وزناگة (17.120 هكتار).

وفي إطار سياسة إعداد المراعي أقدمت الدولة سنة 1980 بواسطة المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بورزازات على إنشاء محطة تجريبية رعوية لهضبة تسريرت على مساحة تبلغ 1000 هكتار. وقد عرفت انطلاقة المشروع تأخراً نسبياً بفعل معارضة السكان في البداية. وقد تم تجريب مجموعة من النباتات في أفق تعميمها عند نجاح التجربة.

وقد همت المحاولة الأولى عشرة أنواع ولم تسفر عن نتائج إيجابية إلا بالنسبة لـ Sanguisorba minor و Agropyron.

وفي سنة 1981 أجريت تجربة ثانية همت هذه المرة ثلاثة أنواع نباتية هي : كلونگاتوم Clongatum، أنتيرمديوم Intermedium، أگروبيرون Agropyron. وعلى الرغم من هزالة التساقطات المسجلة إبان الفترة التجريبية فقد تم تحقيق نتائج مرضية، إضافة إلى ذلك مكنت عملية منع استغلال مراعي المحطة لمدة سنة من الرفع من مردودية الهكتار الواحد من 100 إلى 300 وحدة علفية.

A.T. Zainabi, *L'homme et la montagne en milieu sub-aride : Le pays de Taznakht, Anti-Atlas*, Thèse 3ème cycle, Géographie, Poitiers, 370 pages, 1989.

أحمد توفيق الزينبي

تسريرت أو تاسريرت، تسمية تطلق عادة على المناطق الجبلية أو الفصائل المقيمة بها. يكفي للتأكد من ذلك الوقوف على منطقتي أيت باعمران وأمانوز بالأطلس الصغير. فبالسفح الجنوبي للأطلس الصغير تطلق التسمية

على القبيلة التي يحدها دادس شمالا بين أدرار الكست وأزرار ـ تيميزگيدة وغربا أيت عبد الله وأيت أوسيم وأملن أمانوز وشرقا أسيف أنزرن وأسيف تيزرمين وقبيلة أيت يوسي بإيگونان (*المعسول*، IX : 172). أما إذا انتقلنا إلى ما تسميه المصادر باعمرانة أو أيت باعمران فنجد أن جل الوثائق المحلية لا تستجيب غالباً لمتطلبات هذه الملاحظة. فالقبائل التكنية المجاورة لهذه السلسلة الجبلية شأنها شأن الفصائل المحلية تقتصر عادة على تسمية تسريرت (*المعسول*، 3 : 250). هذه الحقيقة التي تكشف إلى أي حد عملت المصادر المكتوبة خاصة منذ القرن الثالث عشر (19م) على ترجيح كفة التسمية التي لم تكن مستعملة محليا، تستدعي مسائلة مشروعية التصور المحلي للمجال.

تتميز البنية الاجتماعية هنا على غرار أغلب الجهات بتداخل مختلف مستويات التحالف القبلي بين الفصائل المحلية. وقد عرفت تسمية تسريرت أهمية تاريخية فيما يتعلق بمشروعية تحالف الفصائل فيما بينها. لم تكن التسمية تستند إلى جهاز سلطوي مختص في المحافظة عليها لأنها لم تكن تفيد ترابط خطوط الأنساب أو المداشر أو حتى الدخلاء. ما يميز أنماط الملكية بتسريرت هو حجم الملكيات العائلية المستقلة إلى جانب الأحباس والملكية الجماعية. وتشير الرواية المحلية إلى توسع الملكية الخاصة على حساب الأرض الجماعية. وفق صيغ تؤكد تباين الأنساب أقدمت العائلات النازحة على احتكار الأراضي التي نزح عنها ساكنوها. هذه الاختلالات في الكيان القبلي المتماسك زادت من القيمة الاجتماعية للأرض حادة بذلك من التعريفات الإثنية القبلية للمجال. نصل من هنا إلى سبب النزوع المتزايد نحو مفهوم تسريرت التي تحد من متانة الصلات المعقودة بين الوحدات والفصائل المحلية. نتفهم إذن لماذا تركز وثائق تملك الأرض على صيغة تسريرت بدل باعمرانة أو أيت باعمران.

دراسات ميدانية وروايات شفوية. مصطفى ناعمي

* * وهناك منجم تسريرت من النحاس يقع بالجنوب الشرقي من تافراوت، على بعد عشرين كلم مستقيمة إلى الجنوب الغربي من منجم تازلاغت (انظر الخريطة الطبوغرافية تافراوت 1 / 100.000) وتوجد الآثار المنجمية القديمة في قمة جبل أمگدول (1817 م). وترتبط الترسبات المعدنية في هذا الموقع بالانكسارات الجيولوجية، وكان المنجميون القدامى يستغلون على الخصوص معدن النحاس المعروف حالياً تحت اسم الكالكوزين (Cu2S).

ويظهر من معاينة الآثار المنجمية القديمة أن القدامى استغلوا الترسبات المعدنية النحاسية الموجودة داخل الانكسارات الجيولوجية التي كانت تشكل لديهم دليلا في عملية التنقيب، وتوجد بالموقع أطنان من الردم المعدني المستخرج بواسطة أربعين بئراً ودهاليز وأروقة وخنادق، وتتركز هذه الآثار في المنطقة الشمالية وتغطي مساحة 100.000 متر مربع.

وتدل الآثار الباقية على أن القدامى استغلوا الوجه المتأكسد للترسبات المعدنية في بداية استغلال موقع تسريرت. ويشكل الردم المعدني أهمية كبيرة بحيث يغطي كل المناطق التي تحتوي على ترسبات معدنية، وقد وصل القدامى في تسريرت إلى عمق ستين مترا تحت سطح الأرض. وكان الركاز المعدني يحمل إلى قرية تسريرت، ويعتقد شازان (Juin 1951) و(1976) P. Sylvestre أن الجسم المعدني لموقع تسريرت والذي يعادل 1.800.000 $م^3$ قد تم استغلال أكثره من لدن المنجميين القدامى، وقام P. Sylvestre بحساب الردم المعدني وحصره في 50.000 طن، ورفع البوعبدلاوي يحيى هذا الرقم إلى 80.000 طن. وإذا كان الردم المعدني السطحي يساوي نصف ما حفره القدامى فإن الأحجار المعدنية المستخرجة تجاوز مقدارها 100.000 طن.

إن وجود ركام من الأشكورية (الخبث المعدني) بقرية تسريرت، يدل على ممارسة التعدين بهذا الموقع، إذا افترضنا أن القدامى استغلوا فقط 1٪ من الركاز المعدني فإن ذلك يعني أنهم استخرجوا ما يعادل 1.000 طن من النحاس المصنع، مع العلم أن المنجميين القدامى اهتموا بالأساس بالترسبات ذات التركز المعدني العالي حيث إن التحليلات المختبرية لبعض العينات المأخوذة من الردم المعدني أعطت نسبة تركز النحاس تصل إلى 3.05٪.

لعب منجم تسريرت دوراً كبيراً في تاريخ المناجم والتعدين بالأطلس الصغير إلى جانب منجمي تازلاغت وأگوجگال ونعتقد أن النحاس المصنع كان يُسوق في تارودانت والصويرة وأگادير.

الخريطة الطبغرافية تافراوت 1 / 100.000.

W. Chazan, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1951 ; P. Sylvestre, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1976 ; Y. Bouabdaltaoui, *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1981.

الموساوي العجلاوي

التسفير، معناه التجليد. وسفّر الكتاب : جلده أو ألبسه الجلد ، المجلّد ج. مجلّدات هو الكتاب الملبس جلدا. والمجلّد والمسفّر هو الذي يُجَلّد الكتب. وفي المغرب تستعمل كلمة تسفير بينما تستعمل في المشرق كلمة تجليد. ويدخل هذا في عداد الفنون العربية الجميلة المعروفة "بالأرابيسك".

لقد أحس الإنسان منذ القديم بضرورة المحافظة على ما هو مكتوب : المخطوط في البداية ثم المطبوع بعد اكتشاف الطباعة، وهذا هو موضوع التسفير أو التجليد، وهو فن، كذلك، في حالة زخرفة غلاف الكتاب حيث لا يفترق الفن عن التقنية. وجمال تسفير مّا لا يرتبط بالأسلوب الفني المتعلق بالزخرفة بل بنوع المواد المستعملة واجتهاد الصناع.

لم يوجد التسفير إلا من أجل الكتاب الذي لا يفترق عنه. ففي الوقت الذي يحدد بعض مدلول الوراقة في جعلها قاصرة على الورق، ويخصص لكل من النساخة والتسفير فصلا على حدة، فإن ابن خلدون يتوسع في تعريفها

ويجعلها شاملة للاستنساخ والتصحيح والتسفير وسائر الشؤون الكتبية. وقد أخذ محمد المنوني في كتابه *تاريخ الوراقة المغربية* بهذا التعريف حيث يرى أن "الخط ربما يرشد إلى تحديد اسم المزخرف والمسفر لمخطوط بعينه، وذلك في حالة ما إذا علمنا من مصدر ما، أن المعني بالأمر كان بعد كتابته لمنتسخه يعالج بنفسه زخرفته وتسفيره".

لم يوجد التسفير إلا من أجل الكتاب الذي لا يفترق عنه. ولأن الكتاب أداة للتواصل عبر العالم وعبر القرون لكل ما هو مفكر فيه، أم مخفوظ وتم إنجازه ؛ وحيث إنه الأداة الأساسية لكل تقدم معنوي أو مادي، فإن كل هذا يحدد أهمية التسفير ومكانته وهي تتلخص في : "تقديم، واحتفاظ، وزخرفة الكتاب". لذلك فالتسفير ظهر مع الكتاب ومعه تطور وتغير. ويمكن أن نميز، فيما يتعلق بالمراحل التي مر بها، بين ثلاثة أدوار :

- ما يمكن أن نسميه مرحلة البداية أو "الأصول" (قبل ظهور الطباعة). ويهم التسفير هنا الرق والورق ؛
- من الطباعة إلى المكننة : مرحلة التسفير اليدوي ؛
- العصور الحديثة : تطور التسفير الصناعي بموازاة مع التسفير اليدوي. وقد كان لظهور الطباعة في القرن التاسع (15 م)، ثم للثورة الصناعية في القرن الثالث عشر (19 م) تأثير كبير على صناعة التسفير.

عرف المغرب صناعة الورق بفاس على عهد المرابطين، بينما شاعت قبل ذلك الكتابة على الرق. كما شكلت فترة حكم الموحدين "العصر الذهبي للوراقة المغربية، فظهر بعض المزخرفين للكتب والمجيدين للتسفير". وقد ورد في رسالة ابن طفيل وصف لاحتفال عبد المومن بكسوة المصحف العثماني بعدما نقله من قرطبة إلى مراكش جاء فيه : "... فحشروا له الصناع المتقنين ممن كان بحضرتهم العلية، وسائر بلادهم القريبة والقصية، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة، من المهندسين والصواغين والنظامين والحلاّئين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين". ومن أشهر المسفرين في هذا العصر تذكر المصادر : أبا عمرو بكر بن إبراهيم المتوفى عام ثمانية أو تسعة وعشرين وستمائة. وقد وضع رسالة في التجليد بعنوان : *التيسير في صنعة التسفير*، تهتم إلى جانب سفر الكتب، بشرح طريقة تسفير المصاحف الشريفة، وتبين العمل في كل من نوعيها : المصاحف السفرية، التي تجلد دون استعمال اللوح، ثم المصاحف الملوحة.

يرجع عهد أقدم تسفير مغربي، متوفر حتى الآن، إلى القرن السابع (13 م) ؛ حيث عثر پروسپير ريكار (Prosper Ricard) بمدرسة ابن يوسف بمراكش، على كتب مسفرة، تبين بعد ذلك أن الأمر يتعلق بمصحف في عشرة أجزاء وهو بخط الخليفة الموحدي المرتضي.

كما أن نشاط التسفير في العصر المريني تجلى "فيما تبقى لنا من وصف تسفير مصحف يوسف المريني ثم مصحف أبي الحسن المريني". وقد اشتهر في الفترة المرينية الوطاسية ثلاثة مسفرين :

- أبو العباس بن عاشر ؛
- أبو الحجاج يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري المكناسي ؛
- سيدي "مالك" الذي عاش في العصر الوطاسي وسمي بإمام المسفرين.

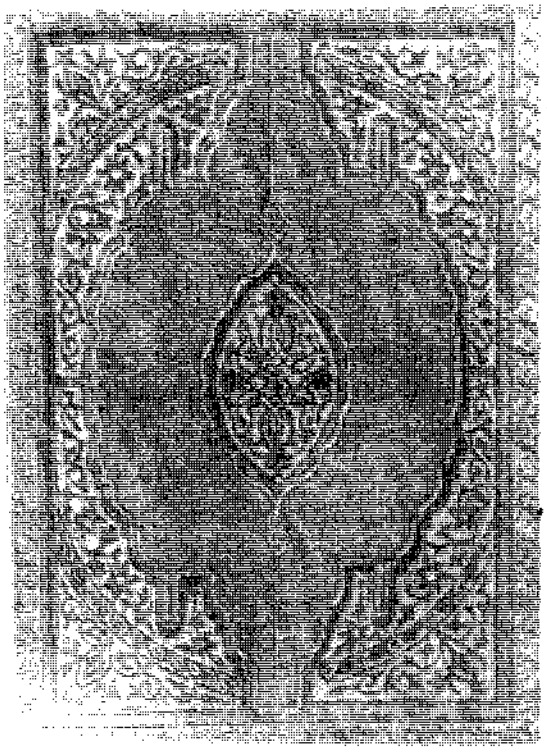

نشطت الزخرفة في هذا العصر، وقد كتب ابن خلدون في كتاب *العبر* عند الحديث عن ربعة قرآنية كتبها السلطان أبو الحسن : "وجمع الوراقين لمعانات تذهيبها وتنميقها".

في عصر السعديين "كان للمسفرين ديوان لاشتغالهم عند باب القصر الملكي بمراكش". ومن الذين تولوا التسفير في عصر المنصور : محمد الغجاف الفاسي. ومن الكتب التي ألفت في فن التسفير خلال هذه الفترة : *أرجوزة* لأبي العباس أحمد بن الحسن بن يوسف الصالحي الزجلي الشفشاوني الشهير بابن عرضون المتوفى عام 992 هـ ؛ *صناعة تسفير الكتب وحل الذهب* لأبي العباس أحمد بن محمد السفياني، ألفه في ذي الحجة عام 1029 هـ/ 1616 م. وكان الحافز بالنسبة للمؤلف "أنه لم يجد بين أهل زمانه من فيه الأهلية لتعلم هذه الصناعة، لما طبعوا عليه من عدم الإنصاف، فدون قواعدها في هذا الكتاب لينتفع بها من يأتي بعده". وقد صنف السفياني مؤلفه في ثلاثة أبواب رئيسية وملحقين :

- الباب الأول : في كيفية عمل الدفف، وهي ألواح الورق التي يكسوها الجلد ؛
- الباب الثاني : في طريقة حزم كراريس الكتاب،

وتتخيتها وكسوته بالجلد، وترصيع وسطه بالترنجة، وكيفية عمل البرشمان وتركيب السفر عليه ؛

- الباب الثالث : في صفة حل الذهب وغسله وسقيه بالغراء، وصفة الكتابة به على الورق والجلد. كما ألحق المؤلف بابين بكتابه وهما :

- باب صفة صبغ الجلد بنفسج ؛

- باب صفة عمل الترنجة في الجلد للتسفير.

وقد حقق "بروسبير ريكار" هذا الكتاب ووضع له مقدمة ثم نشره سنة 1925.

كما اشتهر، في صناعة التسفير، في هذه الفترة : محمد بن محمد بن سليمان الروداني الذي عاش إلى عام 1094 / 1682.

مع بداية العهد العلوي، بدأ بعض العلماء، إلى جانب المسفرين المحترفين، يحتسبون العمل لترميم بعض المخطوطات العتيقة، ونجد كنموذج أحد أعلام فاس ابن إبراهيم مَحمد بن محمد الخياط بن أبي القاسم الدكالي المشنزائي (ت. 1184 هـ / 1770 م).

وفي بداية القرن الثالث عشر (19 م)، ازدهرت الخطاطة، وتبع ذلك تطور بعضٌ المهن التابعة لها، ومن ذلك تجليد الكتب وزخرفتها. وقد عمل بالزخرفة والتزويق والتسفير كل من : 1) إدريس السجلماسي ؛ 2) محمد ابن عبد العزيز بن محمد بن المهدي الحلو المريني الوطاسي ؛ 3) محمد بن عبد الرحمن بن حمدون ابن الحاج السلمي المرادسي ؛ 4) إدريس بن التهامي أجانا المكناسي، الذي كان يحترف تسفير الكتب، وإصلاح المبتور منها ؛ 5) ابن الحاج محمد بن إدريس العمراوي ؛ 6) محمد بن الحسن السوسي باكتل ؛ 7) محمد بن عبد القادر بن علي التادلي الرباطي ؛ 8) عبد الرحمن بن عبد العزيز بن محمد الحلو المريني الوطاسي ؛ 9) محمد بن التهامي عمور اللهيبي الفاسي.

وتجدر الإشارة إلى أن الأوبئة والطواعين التي انتشرت، من حين لآخر، داخل المغرب، كان لها تأثير سلبي على مختلف الحرف. وهكذا فقد لاحظ القنصل الإنجليزي ماطرا Matra في مستهل القرن الماضي "أن سبعين شخصا من الوراقين المزخرفين لقوا حتفهم، في فاس، من جراء الطاعون، إلى حد أن الرسالة التي وجهها مولاي سليمان إلى ملك إنجلترا زخرفت من طرف مبتدئ، لأنه الوحيد الذي ظل بمنجاة".

وقد عمل المولى عبد الرحمن بن هشام (1822 - 1859 م) على إصدار ظهير يأمر بموجبه بتجليد كتب خزانة القرويين.

بعد منتصف القرن الثالث عشر (19 م) وصلت الطباعة إلى المغرب، كما أولي الاهتمام لعملية النسخ. ففي عهد المولى الحسن الأول كان للنساخين مشرف لتنسيق أعمالهم. وتكلف الطيب بن عمر الشرقي بخزانة السلطان ومباشرة النسخ والتسفير على يده. كما عين المولى الحسن الأول بظهير ناسخاً ومسفراً بخزانة القرويين. وفيما يتعلق بالنسخ، أغلب الكتب التي نسخت تهم الصنعة الكيماوية، التي "استنسخ منها مجموعة ضخمة دبجها الوراقون المغاربة بخطوط جيدة وزخرفة أنيقة. وتسفير بديع حيث تزخر بالكثير منها الخزانة الحسنية بالرباط". كما "اضطلع بنسخ كتب الكيمياء والطب من القاهرة وراق مصري : سويقي أحمد الجبل العدوي حسب توقيعاته في منتسخاته"، وهي بخط نسخي وتسفير مصري وتوجد، أيضا بالمكتبة الحسنية.

يحصي محمد المنوني سبعة وراقين مزخرفين ومسفرين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وبداية الربع عشر (19 - 20 م)، وهم : 1) الطاهر بن الحاج عبد السلام ابن موسى الفاسي ؛ 2) أحمد بن الطاهر السملالي الأزموري ؛ 3) مفضل بن محمد بن الهاشمي أفيلال الحسني العلمي التطواني ؛ 4) سليمان بن أبي بكر بن محمد ابن عبد الله چنون الفاسي ؛ 5) عبد الله بن سليمان چنون ؛ 6) التهامي بن علي البطاوري الرباطي، وهو عالم له معرفة بتسفير الكتب ؛ 7) محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر الحلو المريني الوطاسي. يضاف إلى هذه الأسماء إشارة عند الفضيلي في *الدرر البهية* (2 : 345)، يذكر فيها أنه أدرك أفراداً في أسرة "الدلائيين" يحترفون تسفير الكتب.

عرف المغرب، خلال القرن الرابع عشر (20 م)، ظاهرة غزو التسفير الأجنبي، فتكون على يد المسفرين الأجانب (الفرنسيين) مسفرون مغاربة، منهم، في الرباط محمد الدويب. ومن المسفرين التقليديين، ذكر محمد المنوني : محمد بن العربي الحلو الفاسي ؛ عبد الوهاب بن عبد الله التادلي الرباطي ؛ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الفاسي.

وقد عرف ميدان النشر بالمغرب، بعد نهاية فترة الحماية، تطوراً ملحوظا فتعددت دور النشر وأصبحت تقتصر في تسفير كتبها على استعمال الكارطون أو الورق. لكن التسفير اليدوي بالجلد لم ينقطع رغم وفرة وسهولة التسفير الاصطناعي الذي دخل إلى المغرب حديثاً.

الإشبيلي (بكر بن إبراهيم)، *كتاب التيسير في صناعة التسفير*، نشر وتقديم عبد الله گنون، *مجلة معهد الدراسات الإسلامية* بمدريد، العدد السابع والثامن مزدوج، 1959 - 1960، ص. 1 - 42 ؛ ابن موسى، *تيسير الكتابة عند العرب نشأتها، تطورها، أدواتها*. الناشر العربي، أكتوبر 1986، العدد السابع، ص. 55 - 65 ؛ السفياني، أحمد بن محمد، *صناعة تسفير الكتب وحل الذهب*، مصحوبا بتفسير الكلمات المصطلح عليها في الصناعة المذكورة من وضع ريكار، فاس، 1919، 28 ص. نص بالعربية، 22 ص. نص بالفرنسية، ط. 2، باريز، 1925 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة*، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1991، 258 ص. (بحوث ودراسات، 2).

T. Arnold, *The Islamic book : A contribution to its arts and history from the VII - XVIII century* ; Leipzig, 1929 ; F. Cuvelier, *Histoire du livre : Voie royale de l'esprit humain*, Monaco, 1982 ;

S. Dahl, *Histoire du livre de l'antiquité à nos jours*, 2ème éd. rev. et aug., Paris, 1960 ; P. Ricard, *Reliures marocaines du XIIIème S : Notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohade*, *Hesp.*, T. XVII, 1933, Fasc. 2 ; *La Renaissance de la reliure d'art à Fès*. Paris, 1925. Extrait des *Procès - verbaux et Mémoires du Congrès international des bibliothèques et des bibliophiles*, Paris, 1923 ; *Sur un type de reliure des temps almohades*, *Ars Islamica*, Vol. I, Part 1, pp. 74 - 79, 4 fig. ; F. Sarré, *Islamic book-binding*, London, 1923.

محمد جادة

تسماطت أو تاسماطت، موقع جغرافي ضمن مجال إيلان، في اتجاه مراكش، غير بعيد من أيت أورير الحالية. ولعل أقدم مصدر متداول ضمن مواد هذا الاسم هو كتاب *التشوف* لابن الزيات التادلي. ورغم اعتماد هذا الكتاب إطاراً مرجعياً وحيداً لضبط رسم الاسم، فإن هذا الأخير ليس موحداً بين مختلف النسخ التي تم الرجوع إليها في التحقيق. وتقدم اللوحة التالية، أشكال الرسم الأربعة التي تم تسجيلها :

شكل الرسم	المصدر	الصفحات
تماطت أو تامساطت	التشوف	164
تاساط	التشوف	235 . 165
تامسطت	التشوف	181 . 165
تامسماط	التشوف	181

وقد اختار محقق *التشوف* من بين الأشكال رسم "تاسماطت". والاسم برسمه وصيغته ونطقه أمازيغي مصمودي، ليس بغريب على أسماء المواقع المحلية لجهة إيلان. وحسب المعنى الذي اقترحه الأستاذ أحمد التوفيق، فإن لمضمون تامساطت صلة بالوسط الطبيعي المحلي لجهة إيلان، ذلك أن الاسم جاء من "حصى الزلط الذي ينتشر في الأودية عند خروجها من الجبال وقلة انحدارها" (*التشوف*، 164، الهامش 302).

كان موقع تاسماطت تابعاً لعمل مراكش خلال فترة حكم الموحدين. مشكلا فيما يبدو عنصرا من شبكة مراكز استقرار ورباطات كانت تحيط بمراكش من الخارج في شكل دائري. ولعل أهم ما اشتهر به هو نشاطه الصوفي، إذ يعتبر واحدا من مكونات شبكة الرباطات الواقعة في الحوز الأوسط خلال القرن السادس (12 م). ومن العناصر التي تدخل في باب التاريخ الصوفي لهذا الموضع يمكن تسجيل الملاحظات التالية :

يبدو أن علاقة متصوفة هذا الرباط مع الشرق كانت غير عادية، الأمر الذي يلاحظ في قيمة المعلومات الخاصة بهذا الجانب ضمن المادة التي قدمها ابن الزيات عن تاسماطت. تتجلى هذه العلاقة من جهة في حضور متصوفة الرباط إلى الديار المقدسة، إما بشكل دائم (*التشوف*، 164)، أو موسمي يرتبط بوقت أداء فريضة الحج (*التشوف*، 235)، ومن جهة ثانية في انتقال بعض متصوفة الشرق إلى رباط تاسماطت، واتخاذه مستقرا ومقاما وموطن وفاة (*التشوف*، 208). ويظهر أن هذا الاهتمام المتزايد بالشرق، وخاصة أداء شعيرة الحج، لم يكن بتقليد خاص عند متصوفة هذا المركز وحدهم، خلال القرن السادس الهجري. وإنما يبدو وكأنه حالة عامة عند متصوفة الجنوب المغربي بما فيهم أهل رباطات الحوز.

ويمكن أن نميز في مكونات خريطة السياحات الصوفية، بين جوانب ثلاثة : أهمية امتداد خط هذه الخريطة خارج المغرب، إذ يصل أقصى امتداد له إلى الديار المقدسة ؛ وضيق الرقعة الجغرافية لمجال السياحة في المغرب، التي لا تتجاوز شمالا وادي أم الربيع حيث دكالة، ولا تتعدى جنوب الدير الشمالي للأطلس الكبير الغربي ؛ وضيق المجال الحضري وعدم تجاوز حدوده للمراكز الحضرية الفلاحية من تاسماطت وهما مراكش وأغمات.

تقدم اللوحة التالية أسماء المتصوفة الذين اشتهر بهم رباط تاسماطت :

الاسم	الصلة بالرباط	تاريخ الوفاة	المصدر
أبو تونارت ولجوط ابن ومريل الإيلاني	من أهل رباط تاسماطت	غير معروف	التشوف : 64
أبو حدو القاسم الإيلاني	" " " "	" "	التشوف : 81
أبو إبراهيم إسحاق ابن ويعزان	" " " "	" "	التشوف : 35
أبو سهل القرشي	نزيل " "	" "	التشوف : 08

ويمكن حصر النعوت التي أطلقها ابن الزيات على هؤلاء المتصوفة في : ـ أهل الفقة والفضل ـ نهاية في الزهد والتقشف ـ من الابدال ـ من الأولياء الأخفياء (*التشوف*، 164 . 181 . 235).

ميزت هذه العناصر أيضاً متصوفة جهة الحوز بأكملهم، وهي تأكيد على ما كان لهذا الرباط من نشاط صوفي ملحوظ، وعلى قيمة رجالات التصوف الذين اشتهر بهم في رباطات مصمودة الجنوب.

ومن خلال معلومات *التشوف* يلاحظ غياب الحديث عن الشيوخ والمريدين والتلاميذ ... وعن العلاقات مع متصوفة آخرين عكس ما نجده بالنسبة لمتصوفة ينتمون لنفس المجال ولنفس الفترة مثل : تاقايطت (*التشوف*، 232 . 258)، تاووتي (*التشوف*، 304 . 313)... الشيء الذي لا يستبعد معه ضيق إشعاع هذا الرباط.

وتسري نفس الملاحظة على باقي رباطات جهة إيلان مثل : تامنصورت (*التشوف*، 258)، تكتينت (*التشوف*، 387)، ولعل ما يدعم ذلك أن أبا شعيب السارية كان "إذا زاره أحد من أهل جهات مراكش يقول له : أتزورني وعندكم أبو زيد" (*التشوف*، 258). والمقصود هنا أبو زيد عبد الحليم ابن تونارت الإيلاني من أهل قرية تامنصورت.

يـ. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الدار البيضاء، 1984.

محمد رابطة الدين

تَسُوفْرَة، جراب أو كيس جلدي مصبوغ بألوان زاهية، ومزركش برسوم فنية رائعة الجمال، يستعمل في المناطق الصحراوية المغربية، وفي بعض المناطق المتاخمة لها، وذلك لحفظ بعض المواد من التلف، كالألبسة والحلي والنقود والكتب والرسوم وما إليها من مختلف المواد الثمينة خاصة.

يصنع تسوفرة بعض الصناع المهرة من فئة المعلمين من جلد المعز بصفة خاصة بعد عملية الذبح والسلخ، ثم ينزع منه الشعر بصفة نهائية، ويدبغ ثم يخاط من رقبته، ويشرم من مقطعه الخلفي من مختلف الجوانب بطريقة فنية على شكل أهداب، ثم يثقب من تحت الهدوب ثقوبا متعددة لكي يمر منها ذراع القفل الحديدي الذي يصنع بدوره لهذه الغاية عند إرادة إغلاقه في الوقت المناسب، وبعد ذلك توضع له سيور مظفورة لتربط في قوائمه الأربعة وتشد من وسطها قصد تعليقها في البيت وقت الاستقرار، أو تعليقها بجانب راحلة الجمل أثناء السفر والترحال.

ويظهر أن مصطلح تسوفرة له علاقة بمادة "سفر" في الأصل اللغوي العربي، فمن حيث أن تسوفرة تكون منزوعة الشعر كذلك مادة "سفر" تدل على انحسار الشعر، جاء في حديث النخعي : "أنه سفر شعره" (أي استأصله وكشفه عن رأسه) من جهة، ومن حيث أن تسوفرة تدل على الجراب أو الكيس الجلدي كذلك مادة سفر لأن السفرة، بضم السين، تطلق على الزاد كما تطلق على الجراب الذي يحمل فيه بالنسبة للمسافر.

فالتسوفرة بالنسبة للانسان الصحراوي تستعمل أساسا لحفظ بعض المواد الثمينة المشار إليها أعلاه، ولا تستعمل لحمل الطعام إلا "الظبية" وهي كيس جلدي آخر أصغر من التسوفرة وأقل جودة منه وأكثر استعمالا.

فالتسوفرة وسيلة ترتبط بحفظ بعض المقتنيات كما تحفظ الكتب بعملية التسفير (أي التجليد) من جهة، وترتبط بطبيعة الإنسان الصحراوي الدائم السفر والترحال من جهة أخرى.

وبما أن طبيعة الاستقرار أخذت تطبع الحياة في المناطق الصحراوية المغربية بعد المسيرة الخضراء سنة 1975، فقد أخذ دور تسوفرة يضمحل بعد أن حل محلها الدولاب الخشبي والحائطي والمعدني وما إليها من الأدوات التقنية المصنعة الحديثة، وأصبحت تسوفرة تحفة فنية نادرة الوجود إلا لدى بعض الأسر القليلة جدا أو لدى بعض الصناع الذين يعرضونها للسياح الأجانب.

دراسة ميدانية : لسان العرب.

محمد عالي خنفار

التسول، قبيلة تقع في تلال مقدمة الريف شمال غرب مدينة تازا، وهي محاطة بقبائل الحياينة من الغرب والبرانص من الشمال وغياثة من الشرق والجنوب. وتعد قبيلة التسول من أصغر القبائل مساحة بمر تازا حيث تصل مساحة مجالها إلى حوالي 47.630 هكتار. مقسمة على عدة فخذات أهمها : بني إفراسن، بني لنت، أولاد زباير، انكشت، بني افطر، وأولاد عزوز.

ومن الناحية الإدارية قسمت إلى ثلاث جماعات قروية وهي :

اسم الجماعة	المساحة (هـ)	السكان (ن)		متوسط الزيادة السنوية ٪	الكثافة ن / هـ
		1971	1982		
جماعة أحد أولاد زباير	19.500 هـ	19.645 ن	24.986 ن	٪ 4.9	128 ن/هـ
جماعة أربعاء بني لنت	11.200 هـ	13.555 ن	14.637 ن	٪ 1	131 ن/هـ
جماعة بني افراسن	16.930 هـ	30.254 ن	35.876 ن	٪ 5.1	219 ن/هـ
المجموع	47.630 هـ	63.454 ن	75.519 ن	٪ 11.15	159 ن/هـ

الجدول رقم 1 : المساحة والسكان والكثافة ومتوسط الزيادة السنوية

توجد قبيلة التسول في منطقة تلية مرتفعة، حيث يتراوح متوسط ارتفاعها ما بين 600 م و1100 م. ونظراً لسيادة الصلصال في معظم أجزاء المنطقة فإنها تعرف سفوحا شديدة التخديد وخاصة بجماعة سبت بني إفراسن وشمال أحد أولاد زباير وشرق أربعاء بني لنت. كل ذلك يشهد على قوة التعرية وخطورتها مما ينعكس على التربة حيث ضعف السمك والبنية الهيكلية هما السمتان الرئيسيتان لهذا العنصر الحيوي بالمنطقة، فالتربة الحصوية تنشر بصفة عامة فوق السفوح الشديدة الانحدار نظرا لقوة التعرية الطبيعية من جهة وللتدخل البشري عن طريق حرث هذه الأجزاء من المنطقة من جهة أخرى كما تجب الإشارة إلى الدور الخطير الذي تلعبه التعرية بهذه الأجزاء من تلال مقدمة الريف بجرفها لكميات ضخمة من التربة والتكوينات الصخرية مما أدى إلى تعرية القمم تعرية تامة جعل الصخرة الأم تبرز فوق السطح. أما على المستوى الهدروغرافي في كثافة الشعاب والمسيلات تعتبر من بين العوامل المقوية لنشاط التعرية. وتنشط هذه العناصر الهيدروغرافية خاصة في الفصل المطير الذي يمتد ما بين شهر أكتوبر ومارس وتجف في معظمها في الفصل الحار وذلك بالرغم من كثرة العيون والتي تعتبر المورد الرئيسي لاستهلاك الماء المنزلي بالنسبة لسكان المنطقة.

أما التربة الرملية والصلصالة فهي تستقر عادة فوق السفوح الضعيفة الانحدار والأودية، وهي أهم أجزاء المنطقة، من حيث الاستغلال البشري. تعتبر أشجار الزيتون وأشجار التين من أهم المغروسات التي يعتمد عليها الاقتصاد المحلي لقبيلة التسول وذلك لوفرتها بشكل كبير نظرا لملاءمتها للظروف المناخية والترابية للمنطقة. غير أن الملاحظة الأساسية في هذا النطاق هو قلة الفصائل الغابوية الأخرى والموجودة في نطاقات بيومناخية مماثلة.

وتعتبر قبيلة التسول من القبائل التي استقرت بتلال مقدمة الريف منذ القدم. وقد وردت إشارات لقدم استقرارها بجوار قبيلة غياثة في كتابات تاريخية متعددة وللأدوار

التاريخية والحاسمة أحياناً التي لعبتها هذه القبيلة وجاراتها في تاريخ الدول التي تعاقبت على الحكم في المغرب. فالبكري يذكرها من بين القبائل التي استوطنت شمال المغرب قبل القرن الربع (10 م)، حيث استقروا حول مدينة تازا مع قبائل مكناسة. كما سنعثر عليهم في كتابات متعددة تحت قيادة قائدهم المشهور موسى بن أبي العافية محاربين ما تبقى من الدولة الإدريسية. وسيلعبون دوراً هاماً إبان الانتشار المرابطي، حيث سيشكلون جبهة ضد المؤسس الأول للدولة المرابطية يوسف بن تاشفين الذي سينجح سنة 465 / 1073 م ـ 1074 م في الاستيلاء على مدينة تازا. وسنجد مقاومة هذه القبيلة بتعاون مع جارتها غياتة لكل من دخل ترابهما طيلة المراحل التاريخية التي أعقبت الدولة المرابطية. فالمهدي بن تومرت مؤسس الدعوة الموحدية "المصمودية" تعرض للطرد من منطقة وادي أمليل (وهي المنطقة الفاصلة بين التسول شمالا وغياتة جنوبا، غرب مدينة تازا). فلم يستطع أن ينس ذلك حيث أكد على عبد المومن بن علي الكومي الذي كان يرافقه آنذاك على أن يتذكر جيدا هذا المكان ليعود إليه مرة أخرى ولكن كسيد وكقائد كبير. وفي سنة 535 / 1141 م دفع عبد المومن بن علي الكومي بجيشه نحو مدينة تازا حيث قضى شتاء صعبا بالمنطقة قبل أن يدخل المدينة ويسيطر على المنطقة.

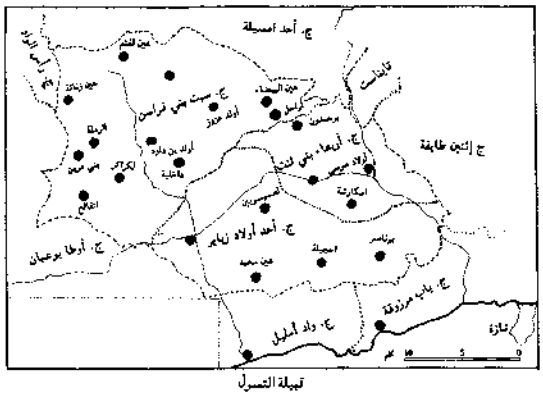

قبيلة التسول

وتعتبر منطقة التسول وغياتة من أهم المناطق التي سقطت بين أيديهم نظراً للدور الاستراتيجي الذي كانت تلعبه. فهي بمثابة بوابة المغرب الداخلية بين الشرق والمغرب، وعبرها تمر كل قوافل المسافرين من المغرب الأقصى باتجاه الشرق أو القادمين من الشرق باتجاه المغرب الأقصى. وقد ساهم هذا الدور الذي كانت تقوم به في خلق مناخ قابل للتمرد باستمرار والخروج عن طاعة المخزن، حيث أصبحت كلمة السيبة كلمة مألوفة لدى هاتين القبيلتين. فباستثناء تحالفهما مع قبائل زناتية مثل قبائل بني مرين الذين ساهموا معهم في استتباب أمور المنطقة، لم تثبت الكتابات التاريخية أية تحالفات أخرى مع قبائل بربرية. ويذكر طيراس أن قبيلة التسول وجدت سهولة كبيرة في التحالف مع القبائل العربية، خصوصاً إذا علمنا أن المنطقة شهدت خلال القرن السادس (12 م) موجة هامة من القبائل العربية التي عبرت هذا المجال من الشرق باتجاه الغرب، الشيء الذي قد يفسر لنا جزئيا استعمال اللغة العربية في الحياة اليومية لقبيلة التسول.

وعن المجال والانسان، فبحكم الاستيطان القديم لأفراد قبيلة التسول، وفط الإنتاج المزاول فقد شهدت المنطقة كثافات بشرية مهمة، تعتبر من أهم الكثافات على مستوى تلال مقدمة الريف وممر تازا. ولضبط التطور السكاني الذي عرفته القبيلة فسنعتمد فقط على إحصائيات 1971 و1982 حسب الجماعات القروية (أنظر الجدول رقم 1). هذه الزيادة السكانية لا تدل بشكل واضح على الزيادة الطبيعية بالمنطقة بقدر ما تدل فقط على ارتفاع نسبي لعدد السكان وذلك نظراً لما تعرفه المنطقة من تيار مهم للهجرة باتجاه المدن المجاورة كفاس وتازا. وبالتالي تظل هذه الأرقام غير معبرة عن الزيادة الحقيقية للسكان.

ويمكن اعتبار ارتفاع الكثافات السكانية من جهة وضعف الموارد الطبيعية من جهة أخرى، إضافة إلى ارتفاع نسبة الولادات الناتجة أساسا عن الزواج المبكر بالقبيلة حيث تتراوح نسبة الأطفال الذين تقل أعمارهم عن 15 سنة ما بين 47٪ و49٪ في كل من جماعتي أولاد زيار وبني لنت و42٪ في جماعة سبت بني إفراسن بمثابة أسباب أساسية تتحكم في الهجرة القروية نحو المدن المغربية بصفة عامة وباتجاه مدينة تازا وفاس ووجدة بصفة خاصة. إضافة لهذه الأسباب هناك جانب البنية العقارية الذي يدعم الهجرة القروية بالقبيلة حيث نجد سيادة الملكية الصغيرة (أقل من 10 هكتارات) في كل الجماعات القروية وتاتي في مقدمتها جماعة سبت بني افراسن بنسبة 99.4٪ ثم جماعة بني لنت بـ76.4٪ فجماعة أحد أولاد زيار 72٪ (أنظر الجدول رقم 2 : البنية العقارية) مع الإشارة إلى وجود لا بأس به للملكية المتوسطة في جماعتي أولاد زيار وبني لنت وغيابها في بني إفراسن.

الجماعات القروية	٪ 5.0	٪ 10.5	٪ 20.10	٪ 50.20	٪ 100.50	٪ 100
أولاد زيار	29	43	25	2.8	0.2	-
بني لنت	50	26.4	20	3.4	0.2	-
بني افراسن	58	41.4	06	-	-	-

جدول رقم 2 : البنية العقارية بقبيلة التسول حسب الجماعات القروية.
عن منوغرافية مديرية الفلاحة والاصلاح الزراعي.

وتوجد فئة مهمة من سكان القبيلة بدون أرض أو ما يسمى بغير الملاك وتتراوح حسب الدواوير ما بين 26٪ و40٪ مما يدفع بالهجرة القروية للاستفحال.

أما فيما يخص الاستغلال الفلاحي بالمنطقة فيمكن القول إن الاستغلال الزراعي التقليدي الكثيف هو من مميزات القسط الأكبر من مجال القبيلة إذا استثنينا الأراضي المستغلة عصريا نسبيا في إطار تعاونيات

الإصلاح الزراعي التي كانت في السابق تمثل الملكية الاستعمارية، وذلك في جماعة أحد أولاد زباير خاصة. وهو استغلال يعتمد في الغالب على دورة زراعية ثنائية (قمح قطاني) (انظر الجدول رقم 3) بالإضافة إلى استغلال الأشجار المثمرة، وتأتي في مقدمتها الزيتون والتين، لا سيما وأن جزءاً مهما من المنطقة دخل في إطار مشاريع "تنموية" كمشروع ديرو الذي شمل جزءاً من جماعة أحد أولاد زباير وأربعاء بني لنت، للحد من خطر التعرية بالمنطقة باستعمال تقنية التشجير بالزياتين.

الجماعات القروية	حبوب	قطاني	زراعات علفية	خضروات	أشجار
أولاد زباير	٪56	٪30	٪1.5	٪1	٪6.5
أربعاء بني لنت	٪71.5	٪17.5	٪1	٪0.5	٪7.5
سبت بني إفراسن	٪80	٪10	٪0.3	٪0.3	٪3.4

جدول رقم 3 : توزيع أراضي الاستغلاليات حسب أنواع الزراعات

أما تربية الماشية فتدخل كذلك في إطار الاستغلال التقليدي وتأتي في مقدمة الأصناف الغنم بحوالي 41.000 رأس، والأبقار بـ 18.000 رأس، ثم الماعز بحوالي 7.000 رأس. أما بالنسبة للمراعي فأغلبها أراض جماعية بورية، وعادة ما تكون جبلية غير صالحة للزراعة.

البكري، *المغرب : منوغرافية مديرية الفلاحة والاصلاح الزراعي بتازا : دراسة ميدانية*.

محمد صابري

التّسولي أو الدسولي، أسرة أصلها من قبيلة التسول، كانت بتطوان وانقرضت، وكان من بين أفرادها العالم علي بن عبد السلام التسولي الذي تولى القضاء بتطوان سنة 1250 / 1834 وتوفي بفاس سنة 1258 / 1842.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 114، 4 : 165، 6 : 6 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : 231 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación, *Familias* ; Isidoro, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (T).

محمد ابن عزوز حكيم

التسولي، إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي يحيى التنازي. أصله من تنازا وينتسب إلى قبيلة التسول القريبة منها، وهو من أهل فاس، وبها درس على الفقيه قاضي الجماعة علي بن عبد الحق الزرويلي المعروف بأبي الحسن الصغير ولازمه. وكان قارئ كتب الفقه بين يديه بمجلسه، كما أخذ عن أبي زكريا أبي ياسين وقرأ عليه *موطأ* الإمام مالك، وعن محمد بن رشيد، وقرأ على علي بن عبد الجليل السدراتي كتاب *الأحكام الصغرى* لعبد الحق الإشبيلي، وقرأ *رسالة* ابن أبي زيد على علي بن سليمان، وأخذ عن غيرهم.

وتتلمذ له عدد من فقهاء المغرب، وحضر مجالس تدريسه بمدرسة عدوة الأندلس بفاس الكاتب الشهير ابن الخطيب السلماني، ونوه بطريقته في التدريس وفصاحته وجودة إلقائه، وأخذ عنه أيضا بغرناطة لما ذهب إليها التسولي سفيرا للمرينيين.

كان التسولي في تدريسه قيما على كتب فقه المذهب المالكي *كالتهذيب* للبرادعي *والرسالة* لابن أبي زيد، مع أنه كان واسع المشاركة في ضروب من العلم صدرا في علماء عصره. وكان له إلمام جيد بعلم التاريخ والأنساب وإحاطة بالآداب.

وتشير مصادر ترجمته إلى أنه كان فارسا شجاعا، عمل في خدمة ملوك بني مرين، وصار من حاشيتهم ومرافقيهم ونال لديهم حظوة، وقد استعمله السلطان أبو الحسن المريني في سفاراته وولاه قضاء الجماعة بحضرته، ثم الإمامة به في الصلاة لما أرسل الفقيه محمد السطي رسولا إلى تونس.

وإلى جانب اهتماماته في التدريس والسفارة كان للتسولي نشاط تأليفي فوضع *تقييدا على تهذيب البرادعي وتقييدا على رسالة* ابن أبي زيد *وتعليقا على مدونة* سحنون، قيد كل ذلك أثناء قراءته على شيخه أبي الحسن الصغير. وجمع أجوبة شيخه هذا في المسائل الفقهية وضمها إلى *نوازله* في سفر.

أصيب في آخر عمره بمرض الفالج فلزم بيته وكان السلطان أبو الحسن يعوده، حتى توفي في حدود 749 / 1348.

م. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عبد الله عنان، 1973، 1 : 380؛ أبو الحسن النباهي، *المرقبة العليا*، نشر ليفي بروفنصال، القاهرة، 1949، ص. 136 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس فيغيراس، الجزائر، 1981، ص. 146 ؛ م. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة، 1970، ج 1 : 179 ؛ *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 85-86 ؛ *شجرة النور الزكية*، القاهرة، 1962 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج*، القاهرة، 1351.

محمد المغراوي

التسولي، الطاهر بن محمد الفاسي، شيخ صوفي كبير، سلك الطريق أولا على يد الشيخ محمد الحراق، ثم أخذ عن الشيخ الخضر الشجعي. اشتهر صلاحه بفاس فكثر مريدوه وأتباعه.

توفي يوم عرفة تاسع ذي الحجة عام 1317 / 10 أبريل 1900 ودفن بروضة الكثيريين داخل باب عجيسة.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1317.

محمد حجي

التسولي، عبد السلام بن عبد الرحمان، أحد الطلبة المغاربة الذين تعلموا بمدرسة كْلاوْسْطال Klausthal ببرلين بألمانيا. وكان قد رشح للتعليم ابتداءً من سنة 1291 / 1874 فذهب إلى طنجة وتلقى تعليماً في اللغة والمبادئ العلمية الأدبية بها خلال سنتين. وفي سنة 1293 / 1876 سافر إلى

برلين ضمن وفد ثلاثي يتركب منه هو ومعه آخران هما : الميلودي بن محمد الزيادي الطالبي والحسين بن الحاج خلوق التمسماني.

أخذ التسولي العلم العسكري بألمانيا طيلة سبع سنوات عاد إثرها إلى المغرب سنة 1300 / 1883. لكن طموحه دفعه إلى أن يستأذن السلطان بواسطة سفير ألمانيا بطنجة تيودور فيبير (T. Weber) ليتمم دراسته العليا بألمانيا "حتى يقدر يوم (يوماً) ما أن يقدم خدمته لمنفعة وطنه، ويجازي الحضرة الشريفة أيدها الله بالدعاء لمَا أنعمت عليه بخيراتها ليتعلم" على حد تعبير رسالة السفير إلى برگاش في 15 مارس 1883.

أجاب مولاي الحسن بعد شهور "بأن أحد الطلبة الثلاثة الذين يتعلمون ببلادهم ظهرت نجابته في تعلم علوم الهندسة أو علوم المعادن، وصار بالبال. فتعلمهم علم البحر والمعادن أحب إلينا، نعم إن اقتضى نظره تعلم ماذكر فيزاد له من يتعلمون علم البحر ...".

وهكذا سمح للتسولي أن يتعلم بمدرسة كلاوسطال للمعادن طيلة خمس سنوات وكان السلطان قد استبطأه فطلب من الطريس أن يسترجعه، إذ "بلغك أنه تمهر فيما توجه لتعلمه وظهرت نجابته، ولم يبق في مكثه هناك إلا زيادة الصائر ... فحيث حصل ما توجه لأجله فوجه عليه، وحيث يرد وجهه لحضرتنا الشريفة".

عاد عبد السلام إلى المغرب أواخر سنة 1888 ووجه إلى القصر السلطاني فور وصوله. ويظهر أنه سئل عما كان يقرأه ببرلين، فأجاب برسالة مشحونة باللحن إن العلوم هي:

علم الحساب والجبر والمقابلة ؛ أصول الهندسة ؛ مساحة المثلثات ؛ جل الجبر ؛ علم الهندسة المساحية ؛ علم الطبيعة، وهو أصل القوة الكهرباوية، أي الكَطريك ؛ ثم علم الكيميّة المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والقزدير والرصاص والحديد والكبريت إلى آخره ...

"وغاية أكثر اجتهادي في هذه العُلُوم السبعة كان هو علم الكيميّة. وبها أقدر نفتش الأرض عن معادنها، ونبين ما فيها من المعادن النافعة كالمذكورين فوق. والآن أني أترجى العقاقر والحوامض من طنجة لنجرب هذا في الحضرة العالية بالله، والسلام. وفي 21 من ربيع الثاني عام 1306 / 25 دجنبر 1888. خديمكم : عبد السلام بن عبد الرحمان التسولي، لطف الله به".

يظهر من هذا نوع تخصص التسولي. فأين ياترى سيوظفه المخزن ؟ لم أقف على ما يفيد هذا التوظيف المحتمل. حتى إذا كان فليس للمخزن معامل أو مناجم يستغلها بنفسه ليستخدمه فيها. ومهما يكن فقد انصرمت على هذا الوقت ثلاث سنوات ولمَّا نسمعْ له على حس في المصادر. حتى إذا كانت سنة 1891 وجدنا أن التسولي قد ألفى عملاً خارج المغرب ليس داخلاً في نطاق تخصصه، فقد أصبح مدرساً للعربية بمعهد اللغات الشرقية ببرلين المستحدث سنة 1887 لتعليم الألمانيين اللهجة الدارجة المغربية لفائدة الذين كانوا يتشوفون إلى غزو المغرب اقتصادياً وتجارياً ببضائعهم ومدافع كروب وبعثاتهم الاستكشافية لتجوس خلال الديار وتتعرف على ما يزخر به المغرب من إمكانيات. وسيمكث عبد السلام الذي كان أول من عين مدرساً للعربية بالمعهد الألماني إلى سنة 1896 التي يعين أثناءها آخرون ممن كانوا يتعلمون بالمانيا مثل الجيلالي ابن البشير وبعده الجيلالي الشرقاوي من سنة 1899 إلى سنة 1903 التي سيوظف فيها الميلودي الزيادي الطالبي المشار إليه في مطلع هاته الترجمة والذي سيموت هناك سنة 1904 ويخلفه مغربي آخر من مواليد مدينة قسنطينة سنة 1870 وهو أبو بكر بن علي بن عبد الوهاب الذي سيعيش مدة بسلا منفياً وسيموت فيها سنة 1930.

أما التسولي فقد تقاذفته الرياح، ولم يعد في مطلع القرن العشرين سوى ترجمان لأحد المراكب الألمانية بالرباط، لا سبيل إلى "خدمته لمنفعة وطنه" كما تقدم وانقطع خبره في المصادر المكتوبة.

وأذيل هذا الحديث بأنه تعرض في اسمه ونسبه إلى تحريفين في الوثائق والمصادر الألمانية. إذ اسمه فيها هو "أبو سلام" وليس عبد السلام لخلو الألمانية من العين، ونسبه هو Zuli لأن حرف Z ينطق بالالمانية تْسْ.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج 4، ص 1347 و1348 و1351 ؛ محمد المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج 1، ص 251 وج 2، ص 313 ؛ أبو بكر الصبيحي في ترجمة أبي بكر بن علي بن عبد الوهاب ؛ الوثائق الملكية ؛ وثائق مكتبة تطوان.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1905*, pp. 86, 523, 524, 867, Paris, 1967.

مصطفى بوشعراء

التسولي، علي بن عبد السلام، ولاه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام 1822 - 1859 قضاء العاصمة فاس وذلك في 28 جمادى الثانية سنة 1247 / 4 أو 5 دجنبر 1831 بعدما عزل القاضي الزرهوني. وكان من المشايخ الذين تتلمذ عليهم عدد من الفقهاء والعلماء أمثال العربي بن إدريس العلمي. توفي في 15 شوال 1258 / 19 نونبر 1849.

عبد الرحمان بن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 5 : 31 و439.

عبد الاله الفاسي

التسولي، موسى بن محمد بن الحسن بن أبي بكر الفاسي يكنى أبا إسحاق، من قبيلة تسول بأحواز تازا. لم تذكر المصادر تاريخا لولادته، وكل ما نعرف أنه عاش في نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن (13 - 14 م). وصفه ابن القاضي بالشيخ الصالح، المدرس الورع الأستاذ (جذوة، 346)، وقال عنه ابن خلدون إنه شيخ الصالحين والفقهاء في عهده بنواحي تازا. ويستفاد من المعلومات القليلة المتوفرة عنه أن صيته ذاع في المغرب الأقصى وخارجه، فقد أخذ عنه كثير من فقهاء وعلماء عصره من مختلف أنحاء بلدان المغرب، وهكذا ارتحل إليه سعادة من زعماء قبائل رياح من بلاد الزاب وأخذ عنه من علومه وفقهه الشيء الكثير،

ولزمه مدة طويلة حتى إذا تشبع بعلم التسولي رجع إلى وطنه رباح ونزل بلد طولقة وشرع في تطبيق تعاليم أستاذه في تغيير المنكر بدءاً بأقاربه ثم عشيرته وأصحابه. ومن الذين أخذوا عن الفقيه موسى أبو عبد الله محمد بن الأزرق أحد كبار فقهاء مقّرة وصاحب كتاب *الحلل والحرام*.

توفي موسى التسولي بمدينة فاس سنة 710 / 1311 ودفن بمقبرة مسجد الصابرين داخل باب الجيزيين قرب قبر الولي الصالح أبي زيد عبد الرحمن الهزميري.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 6 : 81 ـ 84 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1970، 3 : 8.

رشيد السلامي

التسويس، نوع من الطرز أي التوشية، كان يُستعمل لتجميل ملابس النساء وتزيينها وتنسيق بعض الأغطية والأفرشة والأردية. وهناك عدة أساليب من الطرز الأهلي معظمه كان ينجز على أيدي نساء طرازات متخصصات (معلمات) وأقله يتم داخل المنازل على أيدي ربات البيوت ومن في المنازل من فتيات. وكان الطرز الذي يندرج ضمن المبادئ الأساسية في تربية الفتاة يمارس في معظم المدن المغربية، لا فرق في ذلك بين نساء فقيرات وغنيات وكبيرات سن وصغيرات. وكان الطرز من عدة أنواع أهمها طرز الحساب وطرز الكانبة وطرز الشبكة (أو شبكة الرندة) والتضريس والتسويس.

والتسويس كنوع من الطرز، وإن كان يبدو بسيطاً، فإنه يحتاج إلى مهارة وخبرة يدوية طويلة. وتتطلب تقنية التسويس سحب خيوط من الثوب المراد طرزه طبقا لرسم منقول عليه بكيفية تؤدي إلى تخريم الثوب وإحداث أشكال بديعة فيه بواسطة ثقوب دون اللجوء إلى الغرز بالإبرة. إنها طريقة تقوم على إفراغ الثوب من أمكنة معينة وترك أخرى بعد تدعيمها بالخياطة أو التشبيك بكيفية تؤدي إلى إبراز أشكال مرسومة دون رسم. ومن الناس من يدعو هذا الطرز أيضا "التشبيك"، وهو يختلف اختلافاً كبيراً عن طرز الشبكة أو ما يعرف عند المتخصصات "بشبكة الرندة" التي تنجز بالاعتماد على إقامة أنواع من النتوءات في الرداء المراد توشيته لتجميل حواشيه من جهة وحمايته من التسلل والتمزق من جهة أخرى.

ويبدو الثوب أو القطعة المنمقة بهذا النوع من الطرز (يقال بأنها مسوسة) وكأن أرَضَة الثوب أو ما يعرف عند النساجين بالعثة قد أكلت بعض أطرافه دون الأخرى، ومن هنا جاءت تسمية التسويس. وينقسم هذا الطرز إلى قسمين : تسويس على الطريقة القديمة ويتم باليد المجردة والإبرة، وطرز حديث ساد انتشاره اليوم في مراكز تعليم الطرز وتجميل ملابس النساء، وهو يتم بالمقص وآلة الخياطة، إلا أن الأول أكثر جودة من الثاني لكنه يأخذ وقتا أطول. ويستعمل التسويس بنوعيه القديم والحديث، كغيره من أنواع الطرز الأخرى، لتطوير حواشي الملابس النسوية على الخصوص وكذا لتنميق وتزيين أثاث البيت الحضري الذي كانت الأواني والأدوات المتداولة فيه تحتاج إلى أغطية متنوعة كأواني الشاي والحلوى وموائد الأكل وأسرة النوم والوسادات ومناديل الحناء وأردية الحمام الأهلي وغيرها.

P. Bory, *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941 ; P. Ricard, *Les arts marocains, les broderies*, Alger, 1918 ; *Le souq El Merktan et les broderies de Fès, France - Maroc*, vol. 1, 1917; H. Terrasse et J. Hainaut, *Les arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925 ; C. Brunot David, *Les broderies de Rabat*, Rabat, 1943 ; J. Baldoui, *Les arts indigènes au Maroc*, Paris, [s. d], *Enc. Col. et maritime* ; A.M. Goichon, *La broderie du fil d'or à Fès*, *Hesp.*, vol. 25, 1939 ; E. Michaux-Bellaire, *Description de la ville de Fès*, *A.M.*, vol. 11, 1907 ; L. Botte, *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913.

التشامير، لباس داخلي للرجل، وكانت ملابس البدن الأهلية المعروفة عند سائر الناس بالتقليدية تنقسم إلى داخلية وخارجية. وتتكون الداخلية منها من السروال البلدي الفضفاض والتشامير أو القفطان والفرجية أو كسوة المحصور. أما الملابس الخارجية فتتألف من الكساء والسلهّام أو السلهام والجلباب أو الجلباب وحده. ويوضع كل زوج من الملابس الخارجية عادة فوق زوج من الملابس الداخلية. وقد يلبس البعض ثلاثة قطع أو أربعة دفعة واحدة حسب ظروف الطقس والظروف الاجتماعية والمناسبات.

والتشامير كلمة أمازيغية أصلها أشابير. يسميه سكان الحواضر القميص ولا يطلق عليه سكان البوادي والمرتفعات الجبلية إلا اسم التشامير. وهو عبارة عن قميص طويل يمتد من العنق إلى أسفل الساقين، طوله لا يتعدى طول الملابس الأخرى التي ترتدي فوقه. وقد كان في الأصل من صوف خشن ثم ارتقى وأصبح يتخذ من صوف شفاف ثم من قطن وكتان.

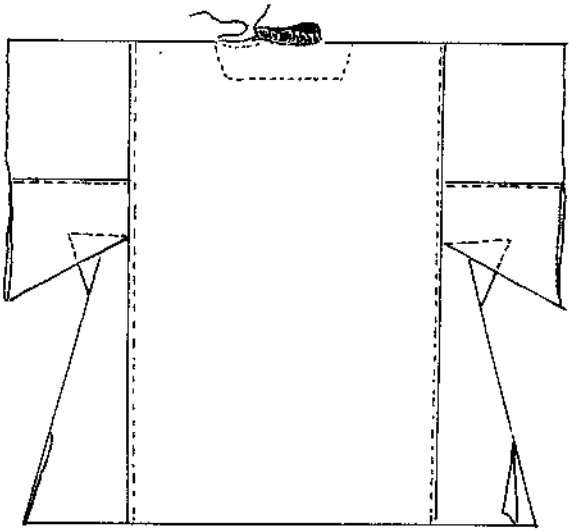

التشامير

يلبس التشامير مباشرة فوق السروال الفضفاض فيغطي

الجسم بكامله. وقد يلبس فوقه قميص آخر من نفس طوله لكنه بدون أكمام، مفتوح من جوانبه الوسطى والسفلى يسمى الفوقيه. كما أن البعض من سكان الحواضر يضع فوقه مكان هذه الفوقية القفطان ثم الفرجية قبل أن يسدل على الكل الكساء والسلهام الشفافين إذا كان ميسوراً، أو يضع فوقه السلهام وحده أو الجلباب وحده إذا كان أقل يسراً قبل أن يتقلد الشكارة والكمية.

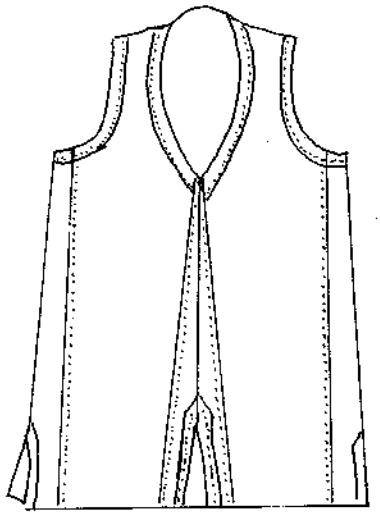

الفرقية

كانت أكمام التشامير نصفية وفضفاضة تقف في معظمها عند المرفقين لكن بعضها قد يتوسط المتن أو يتعداه. وقد يكون بدون أكمام في حالات نادرة أو تطول أكمامه إلى حد الكعبين. وهو يغلق على العنق بواسطة طوق مستدير يتم التحكم فيه من الجانب الأيمن من الناحية الموالية للكتف بمشد يدعى السَّرِّيفة. كان لباسا داخليا بالنسبة للميسورين لكنه يصبح هو اللباس الرئيسي الوحيد بالنسبة للفقراء، يلبس فوق السراويل إما مع جلباب أو بدونه. وفي هذه الحالة الأخيرة يقتصر الشخص على شده إلى خصره بالتكة أو بمجرد قطعة من ثوب أو دوم مفتول أثناء إنجاز بعض الأشغال الشاقة المعتادة في الحرث والنقل، فكان التشامير هو اللباس السائد لدى الحمارين والرباعين والزرزاية والحمايمية والغبارة والفرناتشية والدباغين والحدادين وغيرهم. وكان العريس في بعض البوادي وبعض المدن يرتدي التشامير في ليلة زفافه دون سراويل مباشرة بعد الاستحمام ويلتف فوقه إما في سلهام أو جلباب أبيض. أما الأطفال الذين لم يبلغوا سن الرشد فكان هو لباسهم الرئيسي دون جلباب ولا سراويل. وكان يلبس في الفصول الحارة مباشرة فوق السراويل بدون جلباب ولا سلهام. وإذا حل فصل الشتاء يتم تعويضه أو تدعيمه بقميص آخر متين من صوف يكون بدوره بدون أكمام يدعى القشاب، وهو عادة لا يتعدى الركبتين. وقد يصبح هذا القشاب بالإضافة إلى التشامير عند الفقراء والمعدمين هو اللباس الأساسي صيفاً وشتاءً.

الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط 1983، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر ؛ ادريس الجعايدي، *إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار*، د. د. ع. كلية الآداب بالرباط 1990، تح. عز المغرب معنينو ؛ محمد عشيش، *المغرب الأقصى كما رأيته*، القاهرة، د. ت ؛ محمد اشماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط 1980.

J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988, réédition ; L. Brunot, *Noms de vêtements masculins à Rabat. Mélanges René Basset*, Paris, 1923 ; G. Rousseau, *Le costume au Maroc*, Paris, 1938 ; J. D'Etienne [et al...], *L'évolution sociale du Maroc*, Paris, s. d. ; G. Daumas, *La vie arabe et la société musulmane*, Paris, 1983.

محمد بوسلام

التشجير بالمغرب، تقدر مساحة الغابات بالمغرب بخمسة ملايين هكتار، بالإضافة إلى أكثر من ثلاثة ملايين هكتار من تشكيلة الحلفاء. وإذا كان المغرب يمتلك ما يلزمه من الحطب فإنه يستورد كميات كبيرة من خشب النجارة والصناعة والمعادن. علاوة على هذا تعرف الغابات الطبيعية تدهوراً يستفحل سنة بعد سنة، مما يعرض الأتربة للتعرية والانجراف والنقصان في الإنتاجية، وتغذية السدود. وتلبية لهذه المتطلبات، وتفاديا لاستفحال المشاكل، قامت مديرية المياه والغابات بعمليات التشجير منذ ما يزيد عن أربعين سنة. أدخلت هذه العمليات في إطار برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي بدأت سنة 1960.

كانت عمليات التشجير إلى أواخر الستينات غير منتظمة، وبدون أهداف معينة، مستعملة آنذاك عدداً قليلا جداً من الأنواع الشجرية. وفي سنة 1968، قامت مديرية المياه والغابات بمساعدة منظمة التغذية والزراعة (FAO)، بدراسة للمساحات المشجرة قبل هذا التاريخ وذلك لإنجاز مخطط وطني للتشجير (Plan National de Reboisement : P.N.R.) شرع في تنفيذه سنة 1971. يعرف المخطط بالأهداف والأبعاد المتوخاة على المدى الطويل، من كل مشروع تشجير.

ومن أهم أهداف المخطط تكميل وتعزيز الأدوار الثلاثية التي تقوم بها الغابة الطبيعية من إنتاج ومحافظة على البيئة وترفيه، مع خلق فرص العمل لليد العاملة القروية.

فيما يخص الإنتاج، يهدف المخطط إلى غرس مساحات واسعة من الصنوبريات السريعة النمو مثل الصنوبر البحري ذي الضربين الأطلنطيكي والمغربي والصنوبر الكاناري والصنوبر المونتوري، الخ... وذلك في محاولة للوصول سنة 2000 م إلى سد العجز المتعلق بخشب الراتنجيات المستعمل في النجارة والصناعة والمعادن. بالإضافة إلى الرفع من إنتاج خشب الأوكاليبتوس المستعمل في صناعة عجين الورق بمعمل سيدي يحيى الغرب الذي يتطلب حاليا 345.000 طن من المادة الخام لإنتاجه المقدر بـ 100.000 طن.

أما فيما يخص مكافحة التصحر أو المحافظة على السدود من الترسب بسبب الانجراف، وعلى البنيات التحتية الأخرى من الفيضانات أو الترمل فإن المخطط

يهدف إلى تثبيت تربة سفوح الجبال في العالية أو الكثبان الرملية الساحلية وذلك بغرس أنواع من النباتات أكثر ملاءمة مع الظروف البيئية السائدة في هذه المناطق.

وأخيراً، ولتلبية متطلبات السكان من مساحات خضراء، يهدف المخطط إلى تشجير ضواحي المدن التي يتعدى عدد سكانها 20.000 نسمة، وذلك بمقدار هكتار واحد مشجر لكل ألف نسمة.

تقدر المساحات المشجرة المستهدفة من المخطط بـ 662.000 هكتار، منها 540.000 من الصنوبريات أو الراتنجيات بصفة عامة، و115.000 من الأوكاليبتوس والأكاسيا و7.000 من أنواع مختلفة، أي ما يعادل 22.000 هكتار سنويا إلى حدود نهاية القرن.

وضع المخطط الوطني للتشجير معايير ومقاييس وجب على كل مشروع تشجير أن يأخذها بعين الاعتبار، نذكر منها :

- يجب ألا تتعدى المسافة بين الموقع المشجر ومكان تحويل الخشب المنتوج، خمسين كلم.

- يجب أن تتعدى المسافات المشجرة : 2.000 هـ لتموين معمل نجارة، و1.000 هـ لتموين معمل للألواح. وما بين 50.000 و90.000 هـ لتموين معمل يصنع عجين الورق.

ويكون إنتاج الخشب بكمية وافرة وجودة حسنة، مما يتطلب القيام بالتربية الحراجية الملائمة، واختيار الأتربة الخصبة. ولهذا وجب ألا تكون الإنتاجية أقل من أربعة أمتار مكعبة في الهكتار سنويا بالنسبة للراتنجيات وخمسة أمتار مكعبة في الهكتار سنويا بالنسبة للأوكاليبتوس. وتكون الكلفة التي تتطلبها عملية التشجير غير باهظة.

هذا ويميز المخطط بين ثلاثة أصناف من البرامج :

* البرنامج المنتظم الواجب إنجازه على صعيد كل التراب الوطني، وذلك حسب الأنواع الملائمة للظروف البيئية لكل منطقة. وفي هذه الحالة تكون الإنتاجية المطلوبة مضمونة.

* البرنامج التجريبي على المدى البعيد، ويشمل كل المحطات التي غرست بها أنواع دخيلة قصد التعرف على قدرتها في التكيف مع الظروف البيئية، وبعد ذلك استعمالها في عمليات التشجير. والمشرف على هذا البرنامج هو مركز الأبحاث الغابوية بالرباط.

* البرنامج المستقبلي على المدى المتوسط، ويقوم على أنواع من الأشجار التي لا يعرف عنها الكثير بالنسبة لملاءمتها للظروف البيئية للمحطة التي غرست بها.

أما من حيث الإنجازات، فإن المساحة المشجرة قبل الشروع في تنفيذ المخطط، تقدر بـ 280.181 هكتار، منها 99.626 هكتار من الراتنجيات و162.451 هكتار من الأوكاليبتوس و18.104 هكتار من أنواع أخرى، وحتى موسم سنة 1989 ـ 1990 بلغت هذه المساحة الإجمالية 457.690 هكتار نصفها من الراتنجيات والنصف الآخر من الأوكاليبتوس وأنواع أخرى. لكن الإنتاجية لم تصل إلى الحد الأدنى المطلوب ولا سيما بالنسبة للمساحات المشجرة بالراتنجيات.

لهذا وجب القيام بأبحاث في هذا الميدان من طرف المدرسة الوطنية الغابوية للمهندسين بسلا والمعهد الوطني للزراعة والبيطرة الحسن الثاني، بمشاركة المركز الخاص بالتجارب بالرباط، وذلك للرفع من الإنتاجية والجودة. وتخص هذه الأبحاث :

- انتخاب الضروب المنتجة من الأنواع الشجرية المستعملة في التشجير.
- التخصيب الاصطناعي للأتربة المشجرة بالأكاليبتوس.
- التربية الحراجية الملائمة للأصناف المستعملة في التشجير.
- استعمال الأنواع الشجرية المحلية في عمليات التشجير، لأنها بالرغم من نموها البطيء تكون أكثر ملاءمة للظروف البيئية المحلية ضامنة بذلك تشكيل غطاء نباتي دائم وشديد المقاومة للتغيرات المناخية.

بالإضافة إلى هذا وضعت مديرية المياه والغابات في نهاية سنة 1993 مشروع دراسة شاملة لإنجاز مخطط توجيهي للتشجير. ويتطلب ذلك القيام بدراسة للتشكيلات الغابوية الطبيعية وللوسط الطبيعي والاجتماعي والاقتصادي، وسوف يتمخض عن هذا المشروع توجيهات خاصة بكل منطقة من المناطق المغربية حول عمليات التشجير.

أبحاث ميدانية.

Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, *Le Plan National de Reboisement* (P.N.R.), Rabat, 1971 ; *Guide du Reboisement au Maroc*, Rabat, 1978.

بلغازي باختي وعبد المالك بنعبيد

تشرتشر ت ج T.G. Churcher، طبيب من هيأة المنصرين الأنجليزيين، تعلم العربية بطنجة وأخذ يباشر التطبيب بها سنة 1885، وكان يتنقل إلى بعض المدن كالدار البيضاء وفاس التي استوطنها من سنة 1892 إلى 1894.

م. بوشعراء، *الاستطيان*، ج 4 ص. 1402 ؛ مبيج، *البعثات...*، مجلة تمودا، المجلد 42.

مصطفى بوشعراء

تشرشيل والمغرب، ترجع علاقة وينستون تشرشيل (1874 ـ 1965) بالمغرب إلى بداية الثلاثينات من هذا القرن عندما اكتشف مدينة مراكش وأحب طبيعتها الخلابة. ومنذ ذلك الوقت أصبح يتردد على المدينة حيث ربط علاقة صداقة وطيدة مع الباشا التهامي الأگلاوي. وخلال الحرب العالمية الثانية جاء تشرشيل إلى المغرب لحضور مؤتمر أنفا (1943) إلى جانب الرئيس الامريكي روزفيلت والجنرال ديغول لتنسيق جهود الحلفاء ضد المانيا النازية. وبنفس المناسبة كان رئيس الوزراء البريطاني من بين الشخصيات التي حضرت مأدبة العشاء التي أقامها روزفيلت على شرف سلطان المغرب محمد بن يوسف. ويظهر أن تشرشيل لم يكن مرتاحاً تماماً للتقارب المغربي ـ الامريكي ومراهنة

المغاربة على الامريكيين في نضالهم من أجل الاستقلال. وقد حافظ تشرشيل على صلاته الوطيدة بباشا مراكش حتى خلال الأزمة المغربية ـ الفرنسية (1953) ومشاركة هذا الأخير مشاركة أساسية في خلع محمد بن يوسف ونفيه. وقد فسّر البعض إبقاء تشرشيل على علاقته المتميزة بالأگلاوي في تلك الظروف بالذات على أنه كان يُعبر عن استياء بريطانيا من موقف السلطان الذي أصبح يعلق آمالا كبيرة على الولايات المتحدة الأمريكية، ويرمز إلى الدعم البريطاني لفرنسا للإبقاء على مستعمراتها خاصة في وقت أصبحت فيه القوى الاستعمارية الأوربية تتخوف من المد الجديد للشعوب المضطهدة المطالبة باستقلالها.

G. Maxwell, *El Glaoui : dernier Seigneur de l'Atlas*, Paris, 1966 ; S. Bernard, *Le Conflit Franco-Marocain. 1943 - 1956*, 3 tomes, Bruxelles, 1963.

محمد المنصور

التشريح ← الطب

التشغيل الفلاحي، يعد التشغيل عنصراً أساسياً من عناصر البنيات الفلاحية باعتبار أنه يندرج ضمن مسلسل الإنتاج، وله صلة بالبيئة الطبيعية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتقنية والثقافية السائدة عند مجتمع فلاحي معين.

والشغل بصفة عامة يمكن تعريفه بالنشاط العقلاني للإنسان وهو شرط أولي لوجوده، بواسطته يحقق ذاته ويعيد إنتاج نفسه عن طريق تطوير قدراته الإبداعية وتقنياته التي بواسطتها يغير الطبيعة بغية إرضاء حاجياته المختلفة، وفي نفس الوقت يطور علاقاته الاجتماعية التي ضمنها يؤثر على الطبيعة. ومن ثم فإن العمل البشري المنتج يتضمن علاقة مزدوجة، أي علاقة الإنسان بالطبيعة من جهة وعلاقة الإنسان بالإنسان من جهة ثانية.

وإذا كان التشغيل الفلاحي عند المجتمعات التي يسودها الاقتصاد الرأسمالي الناضج يقوم على عقدة صريحة أو ضمنية يلتزم بمقتضاها العامل "الحر" بتقديم قوة عمله مقابل أجر يدفعه له المشغل، فإن التشغيل الفلاحي عند التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية التي يمكن أن نصطلح على تسميتها بالتابعة، لا يتخذ دائماً شكل بضاعة، بل نجد أصنافاً متعددة من التشغيل الفلاحي التي تظهر في خضم تفاعل نمط الإنتاج الرأسمالي مع التشكيلات الاقتصادية والاجتماعية ما قبل الرأسمالية. هذا التفاعل يؤدي إلى الإقصاء التدريجي للإنتاج والتبادل الحرفي التقليدي وتحطيم قطاع الاكتفاء الذاتي وذلك من أجل فتح هذا القطاع أمام الاقتصاد التبادلي النقدي ومن أجل التزود باليد العاملة وتنظيم الإنتاج بشكل يستجيب لطلبات السوق. وهكذا نتيجة تغلغل الاقتصاد الرأسمالي ويفعل التفاعل بين مختلف أشكال الانتاج والبنيات الفلاحية غير المتجانسة والمعقدة تحولت أشكال النشاط ما قبل الرأسمالية وظهرت إثر ذلك أنشطة أخرى لكنها في معظمها ذات طبيعة غير رأسمالية. وفي إطار هذا التحول برزت عدة أنظمة للإنتاج والتبادل أفرزت بدورها أنواعاً متعددة من التشغيل الفلاحي.

ونفس الوضعية نصادفها بالنسبة للفلاحة المغربية التي شهدت تغلغلاً للاقتصاد الرأسمالي بشكل تدريجي خاصة مع دخول الاستعمار الأوربي في بداية القرن العشرين، حيث عرفت بنيات التشغيل الفلاحي التقليدية تحولات جذرية ظلت امتداداتها تتفاعل مع مرور الزمن إلى أن أصبحنا في الفترة الراهنة إزاء واقع معقد ومتداخل في مجال التشغيل الفلاحي، مما يطرح جملة من الصعوبات أمام كل محاولة تهدف إلى قياس وضبط معايير هذا التشغيل قصد تحديد طبيعته وأصنافه، ومرد هذه الصعوبات لأسباب متعددة نذكر منها بوجه خاص :

ـ التناقض في الأرقام التي تدلي بها الاحصاءات والاستطلاعات الرسمية حول موضوع التشغيل بالفلاحة والأرياف عموماً، بالإضافة إلى كون هذه الإحصاءات تقتصر على العمال في القطاع الفلاحي الرسمي وشبه الرسمي متجاهلة الحيازات الفلاحية الخاصة. كما أن إجراء الإحصاءات العامة للسكان بالمغرب، بعد الاستقلال، أثناء الفترة الممتدة ما بين بداية فصل الصيف وبداية فصل الخريف، وهي الفترة التي يعرف خلالها النشاط الفلاحي فتورا كبيراً يُعرِّض العديد من سكان الأرياف إما للبطالة وإما لنقص التشغيل، مما يدفع بعضهم إلى البحث عن منشآت خارج القطاع الفلاحي للأشغال بها إلى حين انتعاش النشاط الفلاحي، وهذه الحالة تجعل نتائج الإحصاء العام للسكان والمتعلقة بالتشغيل الفلاحي مجرد نتائج تقريبية.

ـ اعتماد معايير مستوردة في ميدان الإحصاء حيث لا يتعبر عمل المرأة والطفل غير المدرس في القطاع الفلاحي، علما بأن هذا القطاع بالمغرب يشغل نسبة هامة من العنصرين المذكورين، كما أن المعايير المستعملة من طرف المكتب الدولي للشغل في إحصاء الساكنة وأنشطتها تظهر غير مجدية بالنسبة للتشكيلات الاقتصادية والاجتماعية التابعة، إذ تترك مجالا كبيرا للخطإ في معطيات التشغيل خاصة على المستوى الفلاحي، لا سيما وأن هذه المعايير لا تعتبر جزءاً كبيراً من الساكنة الريفية التي تملك قطعا أرضية مجهزة لا يكفي استغلالها لسد حاجياتها مما يدفع بهذه الفئة إلى بيع قوة عملها إما على شكل خماس أو رباع أو عالم موسمي الخ... حيث تدخل هذه الفئة في عداد الكادحين.

ـ إن قوة العمل في الأرياف المغربية ليست دائما بضاعة، أي أننا لا نجد دائما عاملا يكافأ بالأجرة، وأبرز مثال في هذا الصدد هو القوى العاملة العائلية التي لا تتقاضى أجراً، ونصادفها بنسب عالية خاصة عند الحيازات الفلاحية الصغرى. ولعل نفس الفكرة يتضمنها قول بول باسكون بأن التشغيل عند المجتمعات ما قبل الصناعية، كما هو الشأن بالنسبة لحالة المغرب، لا ينبغي أن يقاس

بالزمن (اليوم) ولكن بما يحصل عليه الفرد مقابل تشغليه : مردودية، أجر، قضاء مصالح معينة، تضامن، سلطة، سمعة، تحقيق رغبة معينة كالتغذية أو اللباس الخ...

- خضوع التشغيل في الميدان الفلاحي إلى تقسيم حسب الجنس والعمر والمؤهلات الذاتية للفرد وأحياناً المراتب الاجتماعية والدينية.

- عدم استقرار اليد العاملة الفلاحية سواء من حيث الأنشطة التي تقوم بها أو من حيث مكان العمل، هذا النوع من اليد العاملة غير المستقرة لا يخضع للإحصاء سواء بالنسبة للمؤقتين أو الموسميين.

- التباين في توزيع الدخل عند اليد العاملة الفلاحية والتباين في عدد ساعات العمل على الصعيدين المحلي والجهوي.

كل ذلك يجعل موضوع التشغيل الفلاحي بالمغرب موضوعا ذا حساسية بالغة تستدعي كثيراً من التوازن والدقة في اختيار معايير قياسه وتصنيفه تراعى فيها جميع أنواع هذا التشغيل وطرق مكافأته حسب الخصوصيات المحلية والجهوية.

وقد حاولت بعض الدراسات والأبحاث حول الأرياف المغربية خاصة في علوم الاقتصاد والجغرافيا والاجتماع أن تقارب اشكالية التشغيل الفلاحي، وفي هذا الإطار، وبتلخيص كبير، ميزت بعض الأبحاث على الصعيد الوطني بين فئتين من الشغيلة الفلاحية : فئة الكادحين الفلاحيين وفئة المأجورين الفلاحيين.

أ - الكادحون الفلاحيون : تضم هذه الفئة المنتجين الذين لا توجد بحوزتهم إلا قطع أرضية مجهرية لا يكفي استغلالها لتلبية حاجياتهم الأساسية، مما يضطرهم للعمل كمأجورين قصد الحصول على دخل تكميلي ؛ ثم أيضا كل الأفراد الذين يحصلون على مكافأتهم عينا ولا يتوفرون إلا على قوة عملهم مثل الخماس والرباع والراعي... وإلى هذه الفئة يمكن أن نضيف كذلك اليد العاملة العائلية التي تشتغل داخل الحيازة الفلاحية العائلية دون أن تتقاضى أي مكافأة.

ب - المأجورون الفلاحيون : تضم هذه الفئة كل الذين يشتغلون في إطار الأنشطة الفلاحية والذين يشكل الأجر بالنسبة إليهم دخلا رئيسيا مثل العامل الفلاحي الدائم والمؤقت والموسمي والمياوم وكذلك المأجورين في الإدارة والخدمات الفلاحية.

كما أبرزت بعض الأبحاث على الصعيد المحلي هيمنة العمل العائلي على بنية التشغيل الفلاحي في جميع مراحله (حرث، صيانة، حصاد...) مع تركز هذا العمل عند الحيازات الفلاحية التي لا تتعدى مساحتها عشر هكتارات، أما العمل المأجور الذي يتكون أساسا من العمل الموسمي فإنه يتركز في الحيازات الكبيرة خاصة تلك التي تفوق مساحتها خمسين هكتاراً، في حين تبين بأن العمل الشريك والمتجلي خصوصا في نظام "الخماسة" يسير في طريق الاختفاء، حيث لعب الانتشار المتنامي للعمل المأجور والمكننة الزراعية دوراً حاسماً في ذلك.

وهكذا فإن اندماج البادية المغربية في دواليب نمط الإنتاج الرأسمالي قد أدى إلى إحداث تحولات عميقة في العلاقات الاجتماعية للإنتاج والتوزيع ضمن النشاط الفلاحي، ومن أبرز تجلياتها : فصل الرأسمال عن العمل وتعويض العمل الحي (العمل البشري) بالعمل الميت (المكننة) و"تحرير" القوى العاملة الشريكة دون الحرص على إعادة إدماجها اقتصاديا واجتماعيا مما زاد من تأزم وضعية التشغيل بالفلاحة والبوادي المغربية عموما، الأمر الذي يستلزم إيجاد حلول ناجعة تشمل عدة جوانب لها صلة بتطوير هياكل ونظم الإنتاج الفلاحية وبالتنمية الشمولية للأرياف المغربية.

المختار الأكحل، *انتشار المكننة الزرعية وانعكاساته على التشغيل الفلاحي والبنية المجالية، مثال من بلاد زمور : جماعة أيت ميمون*. د.د.ع. في جغرافيا الأرياف - كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط 1987.

J. Ibarrola et N. Pasquerelli, *Nouveau dictionnaire économique et social*, Paris, 1981, p. 413 ; *I.* Freyssinet, *Formes et mobilisation du travail dans les économies sous développées*, in Colloque : *Travail et Société*, Faculté de Droit de Fès, 1984, pp. 171 - 207 ; P. Pascon, *La main-d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel*, *B.E.S.M.*, 1978, pp. 81 - 127; N. Lamrani, *Proletarisation de la paysannerie marocaine, évolution et forme*, Thèse de 3ème cycle en Economie, Université de Grenoble 1980.

المختار الأكحل

تشلة، بئر بمنطقة تيرس الغربية جنوب شرقي مدينة الداخلة بإقليم وادي الذهب. وهو موقع لا يبعد عن الحدود المغربية الموريتانية إلا بحوالي 30 كلم. يأخذ موقع البئر شكل منخفض محله معروف تسلكه أفراك مربي الإبل والأغنام خلال نجعاتها الموسمية. ولا يمكن اعتبار ملوحة الماء بهذا البئر عاملاً يقلل من أهميته. بل بالعكس من ذلك يتميز منخفض هذا البئر بأنه من الأماكن التي كانت ولاتزال تتميز بمكانة واضحة تتوسط نقط الانتجاع الصالحة لتربية الإبل بهذه المنطقة. فعلى مسافات متفاوته حول نقط المراعي الصالحة للرعي لا يوجد اختلاف بين مربي الإبل بتيرس الغربية حول أهمية بئر منخفض تشلة. بل إن ملوحة مائة تعد من العوامل التي تجعل الإبل تفضله.

من ناحية أخرى نسجل بأن أولى خطوات تحليل نظام التحالفات القبلي تبدأ بقياس مدى قدرة الفصائل المحلية على مراقبة المجال. هنا يساعدنا قياس المسافة المستقيمة بين أهم أفراك تيرس الغربية على تأكيد دور بئر منخفض تشلة خلال القرن الثالث عشر (19م) على الأقل، ذلك أن النمط الترحالي المتباعد نسبياً بين الأفراك يعد ناتجاً عن توزيع منتظم يرسم صيغة نظام العلاقات المجالية.

كان أولاد دليم بين اتحاديات ذوي حسان المعقليين الذين هيمنوا على الغور السكاني الصنهاجي قبل ثلاثة قرون بهذه المنطقة بالذات. إلا أن أي تغيير كبير لم يحصل في طريقة حياة ومعيشة رُحّل هذه المنطقة. فالترحال وتربية

الإبل تتميز بتوسط حجم وبنسبية المساحات المستعملة خلال كل نجعة. وإذا ارتقينا درجة أخرى في سلم الدراسات الميدانية وجدنا منخفض بئر تشلة قطباً متميزاً من بين المراعي المحيطة به من حيث حجمه واستقطابه لأكبر عدد من أفراگ أولاد دليم وغيرهم من القبائل الحسانية أو الصنهاجية الأخرى. لذلك فإنه لا يمكننا إلا أن نلاحظ بوضوح دور الرواية المحلية في تأكيد العلاقة الوظيفية المتبادلة بين بئر منخفض تشلة ومحيطها الذي يأخذ شكل جبل ذي حركة كثيفة ومستمرة للأفراك والقوافل من خلال شبكة المسالك.

لقد ازدادت أطوال هذه المسالك وارتقت في درجاتها واتسعت إلى أن قرر الحضور الإسباني حفر بئر إضافية اتضح أن ماءها عذب صالح للشرب. يحدد أحمد الأمين الشنقيطي موقع تشلة في أنه "جبل عظيم أسود وبه بئر كثير الماء" أما المختار بن حامدون فإنه يكتفي بذكره من بين أشهر مواضع تيرس زمور. امحمد بن أحمد يوره الديماني لم يتطرق إلى هذا البئر في مولفه حول الآبار.

أحمد الأمين الشنقيطي، *الوسيط*، 1958، 442 ؛ المختار ولد حامد، *حياة موريتانيا*، 1994، 227 ؛ *دراسة ميدانية*.

مصطفى ناعمي

تَشَلْحيتْ أو تاشلحيت، لهجة من لهجات اللغة الأمازيغية (أنظر مادّة أمازيغية، *معلمة المغرب*، ج 2). تستعمل هذه اللهجة للتواصل اليومي في رقعة جغرافية تمتدّ تقريباً بين الصويرة وتنانت في الأطلس الكبير شمالاً، وبين الصويرة وواد نون غرباً، وطوال مجرى وادي درعة جنوباً، وبين ورزازات وتنانت شرقاً. وتسمى أحياناً هذه الرقعة بسوس بمعناه الواسع.

النحو : عموماً، يطابق نحو تَشَلْحيت البنيات العامة للأمازيغية المشتركة، بل وتعتبر هذه اللهجة أكثر اللهجات محافظة على اللغة الأمازيغية الأصلية وأقلّها تأثراً باللغات الوافدة على المغرب. فالنظام الصوتي مثلاً يتميز فيها بالخصوص بكثافة الصوامت المقفلة عكس ما هو موجود في اللهجات الأخرى. ويتكون هذا النظام من الوحدات (الصامتية) الآتية. ب، ف، م ؛ ت، د، ن ؛ س، ز ؛ ل، ر ؛ ش، ج ؛ ك، گ ؛ خ، غ، ق ؛ ح، ع ؛ هـ، إضافة إلى الصوامت المفخمة : ط، ض، ص، ز، ج، و الصوامت المشدّدة. أمّا الصوامت فهي أ، ۋ، يْ. ويخضع النظام الصامتي لبعض التغيرات المحلية أهمّها تحويل الصوامت المقفلة المرخية إلى الصوامت الاحتكاكية التي تقابلها ومنها د ← ز، ت ← س، دّ ← دز، ويقع هذا التحويل في بعض أجزاء مجموعات الأطلس الصغير، وهناك تحويل من نفس الصّنف يهم المقفلات الأخرى : ب ← پ، ك ← گ، گ ← گ ويَحدث هذا في لهيجات الأطلس الكبير وخاصة في قبيلة حاحا.

ممّا يسترعي الانتباه أنّ لهجة تَشَلْحيت تتوفر على معجم تكاد ينفرد به ومنه معجم الأسماء العديدية :

1 . 10 : يان، سين، كراض، كَوز، سّوس، سضيس سا، تام، تزا، مراو ؛ 11 . 19 : الوحدات + منراو ؛ 20 : تيميضي ؛ 100 = إفض. وقد احتفظت تاشلحيت كذلك ببعض أسماء القرابة وهي منقرضة في اللهجات الأخرى، مثل تيما (الجدّ من الأم) و تابتّي (الجدّة من الأب) ممّا يوحي أن التسمية الأصلية للأب هي تي.

يحتوي الأدب الشلحي على شقين هما الأدب الشفهي والأدب المكتوب. ويتضمّن الأدب الشفهي أجناساً شعرية وأخرى نثرية. أما الأجناس الشعرية فهي مختلفة وغنية من حيث جماليتها ومضمونها، أهمّها تانضّامت وهي عبارة عن مبارزة شعرية بين إنضّامن ؛ وأمارگ وهو الشعر المغنّى من قبل مغنين محترفين (الرايس وتارايست)، وهناك أشكال شعرية أخرى مثل تاسوغانت وهو شعْر يغنّى بمناسبة الأعراس، وتازرارت وهو الغناء الفردي (أنظر مادّة أمارگ في *معلمة المغرب*، ج. 2). يعتبر سيدي حمّو الطالب من أشهر شعراء تاشلحيت (انظر أمرير، 1987).

أما الأجناس النثرية فهي متنوعة منها الحكاية والأسطورة والأمثال والألغاز وتندرج هذه الأجناس ضمن التقليد الشفوي أو ما يصطلح عليه الأدب الشعبي. أما الأدب المكتوب بلهجة تاشلحيت فتعود أولى مؤلفاته إلى القرن السادس عشر والسابع عشر وهي مخطوطات أزناگ وأوزال وكلها من الأدبيات الدينية مستنسخة بالحرف العربي. وقد ظهرت منذ منتصف السبعينات إبداعات أغلبها من الإنتاج الشعري منه ما يتسم بالمواصفات التقليدية في الأدب الأمازيغي شكلاً ومضموناً ومنه ما يحاول توظيف أساليب بلاغية ورموز لم تكن معهودة في الشعر الأمازيغي التقليدي، كما يحاول تناول موضوعات اجتماعية وثقافية مغايرة لما هو مألوف وقد استلهمت من التحولات التي يعيشها المجتمع الأمازيغي خاصّة والمجتمع المغربي عامّة من تطلعات إلى مستقبل أفضل من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ع. أ. مرير، *الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو*، الدار البيضاء، 1986 ؛ الصافي المومني، *أوسّان صمّيضدنين*، الدار البيضاء، 1983 ؛ م.مستاوي، *إسكراف* الدار البيضاء، 1976 ؛ *أسايس*، الرباط، 1988 ؛ صدقي أزايكو، *تيميتار*، الرباط، 1989 ؛ ح. المجاهد، *أمارگ*، *معلمة المغرب*، ج 2، ص 667. 673، 1989 ؛ أ. عصيد، *هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب*، *آفاق* 1، ص 135 . 139، 1992.

A. Akouaou, *L'expression de la qualité en berbère*, Thèse de 3ème cycle, EPHE IVème section, Paris. 1976 ; J.R. Applegate, *An outline of the structure of Shilha*, New-York, 1958 ; L. Bary, *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazight*, Faculté des Lettres, Rabat, 1983 ; H. Basset, *Essai sur la littérature des berbères*, Alger. 1920 ; A. Bounfour, *Linguistique et littérature*, Thèse de doctorat. Université Paris III, 1985 ; A. Boukous, *Language et culture populaire au Maroc*. Casablanca. 1977 ; *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, Thèse de doctorat, Université Paris VIII, 1987 ; Ch. Derkaoui, *Etude du verbe et de ses modalités dans le dialecte tachelhite*, Thèse de 3ème cycle. Université Paris V. 1986 ; M. Elmedlaoui, *Segments et syllabation dans le parler tachelhite d'Imedlawen*, Thèse de

3ème cycle, Univ. de Paris VIII, 1985 ; *Aspects des représentation phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*, Thèse de doctorat, Faculté des Lettres, Rabat, 1992 ; E. El Moujahid, *La classe du nom dans un parler de la langue tamazighte*, Thèse de 3ème cycle, Université Paris V; *Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelhiyt*, Thèse de doctorat, Faculté des Lettres, Rabat, 1993 ; L. Galand, *Etat et procès : Les verbes de qualité en berbère*, *Hesp.*, p. 245- 251, 1955 ; P. Galand Pernet, *Recueil de poèmes chleuhs*, Paris, 1972; H. Jouad, *Les éléments de versification en berbère marocain, tamazighte et tachelhite*, Thèse de 3ème cycle, Univ. de Paris III, 1983 ; E. Laoust, *Contes berbères du Maroc*, Paris, 1949.

أحمد بوكوس

تَشَمُّس، كتبتها المصادر العربية بصيغ مختلفة، فعند البكري (*المغرب*، 114) وهو أول المصادر التي أشارت إليها تَشومش" وعند الادريسي (*نزهة المشتاق*، 5 : 529) "تشمش" و"تشمس"، وعند صاحب (*الاستبصار*، 140. 189) "تُشُمُّس". لا يعرف عن أصل الاسم وإن كان الاحتمال أن يكون من أصل فينيقي نقل إلى العربية، فكثير من أسماء الأماكن على الساحل الأطلنتي فينيقية الأصل منها موقع ليكسوس ورأس Soloeis وغيرها... (*Le Maroc chez les auteurs anciens*). المثالان المقدمان قد تكون لهما علاقة بموضوعنا.

ذكر البكري أنها "... مدينة ميمون بن القاسم، وهي مدينة أولية عليها سور صخر كبير آهلة..." (*المغرب*، 114). إن مدينة تشمس قد جددها الرجل الذي نسبت إليه لعله من الأدارسة، فهم الذين ملكوا المنطقة وأسسوا بها كثيراً من المدن والحصون وجددوا أخرى، منها عاصمتهم بعد فاس وهي مدينة البصرة. نقل صاحب *الاستبصار* عن البكري فقال : "حصن كبير قديم يسمى تشمس فهو إلى الآن معمور ويسكنه المتعيشون من البحر... منه تشحن المراكب". كانت محطة لا بد منها للمراكب التي تسير بمحاذاة الساحل وحصناً يراقب الدخول والخروج عبر وادي اللكوس فهي تقع على ضفته اليمنى.

عرفت تشمس فترات من الازدهار والتدهور، لكن دورها الاقتصادي (الفلاحة ـ الصيد البحري ـ الغابة والصيد البري...) قد تقلص بعد العهد الموحدي وخاصة بعد فترة المنصور الذي اهتم اهتماما خاصا بهذه المنطقة (*الاستبصار*، 189 ـ 190)، فقدت المدينة ـ الحصن أهميتها نتيجة للصراع الطويل الذي صاحب فترة التدهور الموحدي، بين المرينيين والموحدين وبين المرينيين والقبائل العربية. وتوالت على المنطقة الحروب، فانعدم الأمن بعد فترة الهدوء القصيرة التي تتفق والعهد المريني الأول، لتصبح المنطقة مهددة أكثر أواخر العهد المريني والوطاسي، إذ أصبحت المدينتان (تشمس والعرائش) هدفاً للغارات الإيبيرية. يقول الناصري في (*الاستقصا*، 3، 31) :"لما كان المحرم من سنة 668 / 69 ـ 1268 هجم النصارى على مدينة العرائش وتيشمس من ثغور العدوة المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وانتهبوا أموالها وأضرموها ناراً ورجعوا عودهم على بدئهم". وليس من قبيل الصدفة أن يكون هذا الهجوم في نفس السنة التي سقطت فيها مدينة مراكش بأيدي المرينيين، ونهاية الدولة الموحدية.

لم يذكر الحسن الوزان المعروف بتدقيقه للمواقع وجرده للتجمعات السكنية موقعا أو مدينة باسم تشمس، وغير بعيد عنه زمنيا نجد أحد البحارين الأوربيين (فالنتان فرناندیز (Valentin Fernandes) يصف الساحل المغربي من سبتة إلى السينغال (*Description* (1507 ـ 1506 / 915 ـ 914) *de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal*, 20 - 30) لاحظ هذا البحار أثناء مروره بالمنطقة في التاريخ المشار إليه وجود العرائش، ومقابلها على الضفة اليمنى لوادي لكوس حصنا صغيرا، قد يعني هذا أن حصن تشمس أعيد بناؤه بعد الهجوم الذي أشرنا إليه، ولكنه اندثر بعد ذلك فلم يجد الحسن الوزان أثرا له، وقد يكون عده من العرائش خاصة وأنه ذكر النشاط البحري واستغلال الغابة حيث كان الفحم يصدر بحراً من العرائش إلى أصيلا. وكانت ضفاف نهر لكوس مغطاة بغابات كثيفة يعيش فيها الكثير من الأسد والحيوانات المفترسة الأخرى (*وصف إفريقيا*، 1 : 233 ـ 234) فكثرة الحيوانات المفترسة تعني أن المنطقة شبه فارغة من السكان، وهذا ما وقع بالفعل بعد تعدد الغارات المسيحية على المنطقة، وقد أكد الوزان ذلك بقوله : "...كانت العرائش كثيرة السكان لكن بعد ما سقطت هاتان المدينتان (العرائش وأصيلا) في أيدي النصاري غدت العرائش مهجورة..." فلربما كان اندثار تشمس مرتبطا بهذا السياق. وذكر روجي R. Roget وهو يتتبع المواقع البحرية ما بين سلا وأصيلا موقعا باسم تَشمُّش (*Le Maroc chez les auteurs anciens*, 40) فهل هو موقع تشمس القديمة أم أن الاسماء تنتقل عبر التاريخ لتطلق على مواقع أخرى ؟ للحسم في الموضوع لا بد من تدخل علم الآثار.

أ. البكري، *المغرب* : ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* : مراكشي مجهول، *الاستبصار* : ع. الحميري، *الروض المعطار* : ح. الوزان، *وصف افريقيا*.

P. de Ceniva et Th. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal* ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*.

محمد حجاج الطويل

* * تذكر الخرائط الأوربية للقرنين الثامن والتاسع (14. 15 م) مدينة تشمس. وتقول المصادر البرتغالية إن معاهدة الهدنة المبرمة بين ملك البرتغال جواو الثاني وسلطان فاس مولاي محمد الشيخ الوطاسي يوم 30 رمضان 894 / 27 غشت 1489 وقعت بمدينة تشمس.

والجدير بالذكر أن جميع المصادر العربية القديمة مثل البكري وابن سعيد المغربي و*الاستبصار* كتبت اسم هذه المدينة هكذا : تشمس، باستثناء الشريف الإدريسي الذي كتبه هكذا : تشمش، في حين نجده في الخرائط الأوربية المذكورة مكتوبا بالأحرف اللاتينية هكذا : Tuximuxi, Tusimus, Taximus, Tussimussi وهذا ما يدل على أن اسم المدينة كان يبدأ بالتاء، ولعل أقدم مصدر جاء فيه

اسمها بدون تاء هو كتاب *Esmeraldo de Situ Orbis* للبحار البرتغالي دوارطي پاشّيكو پيريرا (Duarte Pacheco Pereira) الذي ألفه سنة 1508 ولم ينشر إلا سنة 1822.

البكري، *المسالك*، 114 ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 108 ؛ مجهول، *الاستبصار*، 140، 189.

Vernet, *Geografía de Ibn Saïd al-Magribi*, Traduccion español, Tetuan 1953, p. 254 ; *Portulanos de los siglos XIV y XV*; Duarte Pacheco Pereisa, *De situ orbis*.

محمد ابن عزوز حكيم

تْشوكّتْ، فرقة من قبيلة بني سعيد الريفية، لعبت دوراً مهماً في المقاومة. ولا تتكون في الوقت الحاضر سوى من اثني عشر مدشراً، تشرف أراضيها الشمالية المرتفعة (330 م) على ساحل البحر المتوسط بين واد إسُمُر في الشرق الذي يفصلها عن فرقة أمجّاو وبين واد بويَبّاحَن، الفاصل بينها وبين فرقة أولاد عبد الدايم في الغرب. ويخترق تلك المساحة واد عبدونة، المجرى الرئيسي بفرقة تْشُوكّتْ. وللفرقة أراض في السهل الضيق الواقع بين السفوح الغربية لجبل "ماوْرُو" وواد نْوَاري (واد الدوم)، بجوار أراضي أيت تْمَايْتْ. ومن ذلك جاء تقسيم تجمعاتها السكانية إلى أهل الجبل وأهل الوطا (العزائب).

وتجمعات القسم الجبلي قديمة، كانت مندرجة ضمن ربع أمجّاوْ قبل القرن الحادي عشر الهجري (17 م) وأول تصريح لدينا عن انفصالها من الوجهة الإدارية يعود إلى ما يفهم من *مطلب الفوز والفلاح* لعيسى البطوئي، وما أكدته وثيقة أواسط شعبان 1309، حين جعلت منها فرقة مكونة من خمس جماعات :

- عبدونة الواقعة بجوار منابع الواد الذي يحمل اسم الجماعة، نعرف منها خلال عهد الحسن الأول الحاج بوزيان ابن علي العبدوني التشوكتي، أمين أمجاو وتشوكت وبركانة وأولاد الفقيه بين 1301 و1306، ثم قائد بني سعيد بين التاريخ الأخير وما بعد 1315. ومن هذه الجماعة أيضا ابن عمه محمد بن قدور العبدوني قاضي بني سعيد (6 رجب 1305).

- أولاد حساين، (الحسين) مواطنها موزعة على الجانب الأيسر من حوض واد عبدونة الأوسط، على ظهر تشوكت. نعرف منهم خال عيسى بن محمد السعيدي (البطوئي)، صاحب *مطلب الفوز والفلاح*، المدعو أحمد بن موسى بن يحيى التّمروي البوحساني من أحياء عام 1040 / 1630، ومحمد بن أحمد التمروي البوحساني، وهما طلبة المركز التعليمي الصوفي ببني سعيد تيزي عَدْنيتْ (انظر بالمعلمة : تيزي عدنيت، وح. الفگيگي : *عيسى البطوئي*. دعوة الحق، 256 / 118). ولا يزال مدشر أيت تمرة معدوداً ضمن قائمة مداشر الجماعة.

- تَرَيّسْت، نسبة إلى نوع التربة السائدة هناك المعروفة لدينا بنفس الاسم (الترس). مساكن الجماعة عى الجانب الأيمن الذي يجري فيه واد عبدونة.

- وهناك جماعتان لا تظهران اليوم بالتقسيم الإداري أو بالخرائط البشرية، هما أولاد علي وجماعة الگعدة، التي نرجح أنها ما يدعى اليوم بتاوريرت تَزوّغْتْ (الكدية الحمراء).

وهناك التجمعات السكانية الحديثة التي تكونت منذ أواخر القرن الماضي وبداية الحالي، بالأراضي السهلية التابعة للفرقة. ونعني بها مجال العزائب، الخاص قبل ذلك الوقت للمجال الفلاحي والرعوي الموسميين، بفضل ما توفره التساقطات ومجاري الأودية المنحدرة من مرتفعات فرقة أولاد عبد الدايم : واد عبدونة، ورافده واد إيگارْ أُنْشيفْ، الذي تكون حوله عزيب بُودَيّارْ، وواد أغبال وواد لَعْري نْوَاري (الدوم)، رافدا واد البعّاج، حيث يوجد مدشر سَعْدان. وهناك عزائب أخرى موزعة على القسم الشرقي من الگعدة الحمراء، المشار إليها باسم تاوريرت تزَوّغْتْ، مما يلي الحوض الأوسط من واد البعّاج.

اندرجت فرقة تشوكت منذ بداية عهد الحسن الأول ضمن قيادة بني سعيد تحت نظر قائد القبيلة محمد أقشيش السعيدي، ودخلت في دائرة النزاعات الطائفية الواقعة بين مختلف الفرق والجماعات على الاستقلال الإداري والتسابق إلى أخذ زمام السلطة، وذلك ما بين 1298 و1301. وخلال هذه المدة برز أحد أعيان الفرقة المعروف لدينا وهو الحاج بوزيان بن علي التشوكتي المشار إليه سابقاً، مما أدى بالحسن الأول إلى إسناد قيادة تشوكت، إلى جانب أمجاو وبركانة وأولاد الفقيه، لرئيس إدالة قلعية المدعو مبارك بن علي الدويلالي، حسب تعيين 6 رمضان 1301، وبقي بنفس الصفة إلى 1306، مما حث أمين الفرقة الحاج بوزيان على انتزاع القيادة لصالحه ليبقى بها إلى بعد 13 صفر 1315.

وكانت فرقة تشوكت من ضمن المقاومين لحركة الروگي بوحمارة بشهادة معاصر الأحداث المسن (110 سنة عام 1975) الحاج محمد باتو التشوكتي، ومن المنضوين لحركة المجاهد الشريف محمد أمزيان، أثناء تمركزه بسوق جمعة أمجاو بعد تراجعه عن قلعية.

وحسب إحصاء سكان الفرقة خلال الربع الأول من القرن العشرين، وقبل سنة 1936 كان عدد دور فرقة تشوكت مائة وواحدا وخمسين كانونا أي ما يعادل سبعمائة وخمسة وخمسين ساكناً، بمعدل خَمسة أفراد لكل كانون أو دار.

عيسى البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح*، مخطوط ؛ *وثائق خ. ح.* بالرباط ؛ ح. الفگيگي، *عيسى البطوئي*، *دعوة الحق*، 256 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 97 ؛ *خريطة طبوغرافية* 1921 و1935 ؛ *رواية شفوية*، 1975.

A. Moulieras, *Maroc inconnu*, 1 : 136 ; Comision Historica de las Campañas de Marruecos, *Geografía de Marruecos*, 2 : 224.

حسن الفگيگي

تْشوكّتْ أو تيشّوكّتْ، مرتفع جبلي يقع في سلسلة الأطلس المتوسط في قسمه الشرقي، يقدر ارتفاعه بحوالي 2.796 م يتخذ شكلا طوليا ذا اتجاه شمالي شرقي وجنوبي

غربي (متمشيا مع الاتجاه الأطلسي العام). ويتركز بالخصوص في محور يشمل مجموعة من المحدبات الملتوية والمنكسرة أحياناً، وتبدأ من الشمال الشرقي بجبل واعريتْ، ثم جبل لحْمَرْ، وتيشوكت وجبل هبو.... الجبل عبارة عن طية ملتوية ومنكسرة في جهتها الغربية بفعل الحادث التكتوني شمال أطلسي، حيث بروز طبقات الترياس (الزمن الثاني)، والتي تعلوها طبقات جيرية جوراسية، عرف هذا الجبل، شأنه شأن المرتفعات الأخرى، بقايا ومخلفات التعرية الجليدية الرباعية مثل الحلبات والجرافات والأحواض هذه الأشكال موروثة عن الفترات القاسية والباردة التي عرفها الزمن الرابع المغربي.

إن الحوادث التكتونية التي عرفها هذا المرتفع انعكست على وضعه التضاريسي والطبوغرافي، حيث الأعراف والقمم الحادة، والسفوح الوعرة. يفصل هذا الجبل بين منخفضين هامين هما، منخفض المرسى من الناحية الجنوبية الشرقية، ومنخفض سكورة من الناحية الشمالية الغربية.

ونظراً لعامل الارتفاع فإنه يعرف تساقطات ثلجية طيلة فصل الشتاء، الغطاء النباتي يتميز بالتدرج : فإلى حدود 1.600 متر تنتشر غابات البلوط الأخضر، وما فوق ذلك غابات الأرز.

J. Martin [et al...], *Géographie du Maroc*, Paris 1964, p. 118; I. Zeryouhi, *Le Moyen Atlas Plissé, ressources en eau du Maroc*, Tome 3, *N.M.D.G.*, n° 231, Rabat 1977, pp. 68 et 70 ; A. El Gharbaoui, *La Grande encyclopédie du Maroc, Géographie Physique, (G.E.I)*, Italie, 1987, p. 171.

محمد أزهار

التشوكتي، بوزيان (الحاج) بن علي، من جماعة عبدونة المندرجة بربع تشوكت، أحد تقسيمات قبيلة بني سعيد الريفية. دخل السلك المخزني ابتداء من عام 1297 / 1880 (29 جمادى الأول 1297) بصفته أمين ربعي أمجاو وتشوكت، إثر انتزاع الأخيرين من قيادة محمد أقشيش السعيدي، أول قواد الحسن الأول على قبيلة بني سعيد، وإسنادهما إلى القائد محمد أمقشد المقيم آنذاك بتطوان.

وتبعاً لغياب محمد أمقشد عن أمجاو وتشُوكْتْ أصبح الحاج بوزيان مكلفاً أيضا بالنيابة عنه في تسيير شؤون أجزاء القيادة الجديدة، علاوة على مهمة الأمانة. بتتبع المراسلات التي بين أيدينا يتبين أن التشوكتي لم يدخر أي جهد للتوصل إلى منصب القيادة، وكان عليه قبل ذلك إبعاد منافسه محمد أقشيش والقضاء على جماعة زگزاوة المعارضة له.

استغل الأمين التشُوكْتي الحاج بوزيان في بداية الأمر الخلاف القائم بين محمد أقشيش وجماعتي أولاد الفقيه وبركانة بسبب الجباية، فقبل التجاء أهل الجماعتين إليه، وتولى الدفاع عنهما إلى أن أصدر الحسن الأول قرار فصلهما عن قيادة أقشيش (28 جمادى الأولى 1299)، وسعياً وراء نفس الغاية، تدخل أيضاً لإخراج أيت تمايت من نفوذ محمد أقشيش لتتحول إلى محمد بن عبد الصادق الريفي (10 ربيع الأول 1302). وكاد أن يصيب نفس الهدف فيما يخص ربع أولاد عبد الدايم.

استمر الحاج بوزيان التشوكتي أميناً على ربعي تشوكت وأمجاو إثر تعيين مبارك بن الطاهر الدويلالي قائداً على الربعين، مكان محمد أمقشد (6 رمضان 1301)، ولكن الأمر لم يختلف بالنسبة إليه، إذ تابع دوره كخليفة للقائد الجديد الذي كان بالأساس قائد الإدالة بقلعية، مما أتاح الفرصة للحاج بوزيان للتمادي في خطته لإقصاء محمد أقشيش بتتبع عوراته والإخبار بها لدى السلطة المركزية. ويظهر أنه كان قد توصل إلى غايته، حيث أقام بفاس ثلاثة أشهر (شعبان، رمضان، شوال 1305) منتظراً الحصول على تعيينه الجديد، سيما إثر وفاة قائد إدالة قلعية السابق الذكر.

وعلى الرغم من اختفاء الأخبار عن تفاصيل الأحداث، إلا أننا تأكدنا بعد ذلك من توصل التشوكتي بتعيينه قائداً على قبيلة بني سعيد كلها ماعدا أيت تمايت، بينما أصبح محمد أقشيش بموازاته أمينا للقبيلة (3 ربيع الثاني 1306). وبذلك تكوّن إطار حكمه من " أمجاو وتشوكت وأزعومة وبني عبد الدائم، وهذه أرباع القبيلة، ثم جماعتي بركانة وأولاد الفقيه.

فتح الحاج بوزيان التشوكتي باب النزاع، بمجرد تسلمه مقاليد القيادة، تجاه جماعة زگزاوة الموالية لمحمد أقشيش. وقد وجد العلة فيما كانت الجماعة تدعيه من الشرف، وإصرارها على عدم أداء التكاليف المخزنية. وكانت حجة زگزاوة أنهم من ذرية سيدي عمر بن أحمد الراسي السعيدي الإدريسي، دفين تيزي عدنيت (انظر مادة تيزي عدنيت *بالعلمة*).

صمم الحاج بوزيان التشُوكْتي على إنكار انتماء جماعة زگزاوة للشرف الذي يدعونه، بحجة أنهم كانوا قبل قيادة محمد أقشيش داخلين في النظام الجبائي وأن القائد الأخير هو الذي أخرجهم منه. وتبرز كثير من المراسلات هذا النزاع والأخذ والرد فيه، إذ أن قائد بني سعيد وجد أمامه قاضيين زگزاويين لهما مكانتهما بالقبيلة هما : أحمد بن زرّو الزگزاوي، ومحمد أشملال الزگزاوي، تمكنا من الدفاع عن مكانة الجماعة التي ينتميان إليها بمراسلاتهما العديدة إلى الحسن الأول التي استغرقت ما بين 19 رمضان 1300 و9 ربيع الأول 1310. ورغم كل ذلك فإن التشوكتي تمكن في الأخير من إيجاد الأسباب التي جعلت السلطان يصدر الأمر بالقبض على متزعمي جماعة زگزاوة وإيداعهم سجن مراكش برفقة الأمين محمد أقشيش (9 ربيع الأول 1310).

والعجيب أن الأخبار عن الحاج بوزيان اختفت، ولم نعد إلى الاطلاع عن استمراره بمنصبه إلا بعد أربع سنوات خلت من عهد المولى عبد العزيز (13 صفر 1315)، حينما علمنا بإرسال خليفته محمد بن قدور السعيدي على رأس وفد توجه إلى فاس لتقديم "العبادة". وقد ورد اسمه أخيراً في وثيقة تعود إلى 12 ربيع الثاني 1326، أمر فيها محمد المفضل بن محمد غريط أمين الصاير بتقديم صلة نقدية

لعمر بن علي، أخي الحاج بوزيان. ويظهر منها أنه كان لايزال على قيد الحياة.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ وثائق أقشيش بطنجة ؛ زيارة ميدانية.

حسن الفكيكي

التصحر، هو تحول النطاق الصحراوي إلى مجال عدواني ينزع إلى تجاوز حدوده الطبيعية أو الدفع بخاصياته، كلا أو جزءاً، إلى التوسع على حساب المناخات المجاورة فيصيب أنظمتها البيئية عبر التجفيف وإضعاف التركيبات النباتية ومقاومة حدة التعرية. ومن أبرز علاماته تدني إنتاجية الأراضي وانهيار المخزون المائي وما يترتب عنهما من تدهور في البنيات الاقتصادية والاجتماعية. تختلف أعراض التصحر عن مظاهر الجفاف من حيث إنها مستديمة تخلق في الأوساط التي تغزوها ظروف الاستمرار والاستفحال.

تمثل الأراضي القاحلة وشبه القاحلة أكثر من ثلث العالم، لكن كل سنة هناك مساحات إضافية تتحول إلى بوارات. يقدر هذا التدهور السنوي بالنسبة لمجموع المغرب، الجزائر، تونس وليبيا بحوالي 100.000 هكتار. ويزيد ما تفقده بلدان الساحل الإفريقي عن عشرة أضعافها.

الظاهرة مستشرية إذن على هوامش النطاق الصحراوي بالطبع، لكنها لا تستثني المناطق الأخرى التي تسجل انعكاسات زحف الجفاف، حيث تتأثر بالتصحر النسبي وغير المباشر. ففي إفريقيا الغربية مثلا تزحف الصحراء على السهوب، والسهوب على السبانا، والسبانا على الغابة المطيرة. كذلك الأمر في شمال إفريقيا بين الصحراء والمناطق شبه الجافة ثم شبه الرطبة والرطبة. لذا أصبح مفهوم التصحر يعني كل تراجع للمظاهر الأحيائية أيا كانت نسبته وكل تدهور لقواعدها الطبيعية، التربة والماء على الخصوص، وفي كل مكان من العالم.

أصبح التصحر في المغرب أمراً واقعاً ومعترفاً بخطورته، فرض إنشاء بعض الأدوات التنظيمية منها المشروع الوطني لمكافحة التصحر سنة 1986.

تقتضي معالجة الوضع معرفة الأسباب :

هناك من الأسباب ما هو كوني. فقد شهد المناخ الأرضي تقلبات طبيعية في الماضي، أثّرت بقوة على توزيع النطاقات البيومناخية. انقسم الزمن الرابع على إثرها إلى فترات جليدية وأخرى بيجليدية همّت العروض العليا، كانت انعكاساتها عندنا الزيادة أو النقصان الواضحين في كميات التساقطات المطرية. ثم حصلت ضمنها ذبذبات أقل أهمية. لكن لا أحد يستطيع أن يثبت أن ما يحصل الآن له مرد طبيعي صرف، كما لا يمكن الجزم بأن العملية تخضع لدورات جفافية من فئة عشرين أو مائتي سنة أو أننا على عتبة عهد مناخي جديد.

المؤكد أن يد الانسان واضحة من ضمن الأسباب، حيث إن العديد من موجات التصحر قد انطلقت من مراكز حضرية مستنزفة للموارد الطبيعية، أو من مناقب للمياه جلبت مقادير لا تطاق من الماشية، أو بسبب الاجتثاث والرعي الجائرين.

وبما أن الشق الطبيعي من الأسباب مستعصي الإصلاح، فإن المتدخلين البيئيين لا يهتمون إلا بمسؤولية الإنسان في الموضوع، حيث إن الرأي السائد بحق هو أن "الظاهرة الإيكولوجية للتصحر هي مشكل بشري، يتسبب فيه البشر، ويشقى من جرائه البشر، والبشر وحدهم قادرون على تغيير مجراه".

يوجد التراب المغربي في موقع متميز، يؤهله لمراقبة مظاهر التصحر وتطورها، نظراً لامتداده الطولي من مناطق متأثرة مناخيا بالتيارات الجوية المعتدلة في الشمال إلى أراض موغلة في الصحراء جنوبا. إنها وضعية تعريض عطوبة، وإن كانت جبال الأطلس المستعرضة تخفف بصفة حاسمة من تأثير الصحراء المباشر.

بصفة موازية مع الاتصال الطبيعي بين ظروف القحولة والاعتدال، هناك الالتقاء بين الحضارة الصحراوية التي كانت تدبر شؤون بيئتها بتفاعل متناغم والأنظمة الاجتماعية والاقتصادية العصرية السائدة المتعودة على الوفرة في كل شيء. يبدو أن هذا الالتقاء، هنا كما هو الشأن في كل الأوضاع المماثلة عبر العالم، حصل على شكل اصطدام مناوئ للأنظمة الطبيعية، وقد كان التصحر من أهم ردود فعله.

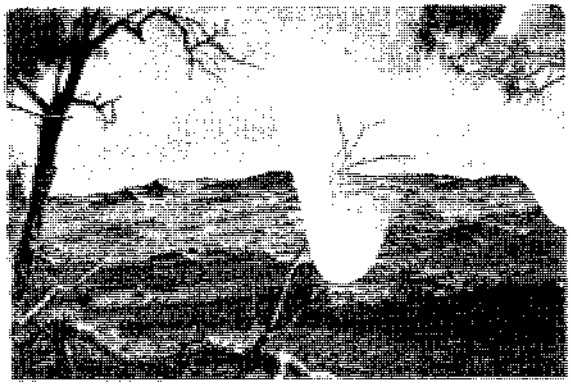

التصحر
منظر من منطقة تيزنيت بجنوب المغرب

تسمح الدراسة الإقليمية للتصحر بالمغرب بأخذ نماذج عن التصحر المباشر، وهو الذي يبتلي هوامش الصحراء ويتجلى في غزو الكثبان الرملية لأراضي الزرع والرعي. تهم الدرجة الثانية المناطق الجبلية، وهو عملية غير مباشرة، تمر عبر تعرية التربة وتحويل المجال المصاب إلى صحراء معدنية. وتوضح الدرجة الأخيرة أن المناطق ذات التوازن الظاهري ليست في مأمن من زحف التدهور وأن استراتيجية مكافحة التصحر إما أن تكون شمولية، واعية بتداخل الأسباب، وإما أن لا تكون.

أ ـ غزو الرمال لهوامش الصحراء أو التصحر المباشر.

يهم المناطق التي لا تتوفر على الحصانة التي يُخولها

الأطلس الكبير، وبها ثلاثة أقطاب : تافيلالت، سوس والهضاب العليا الشرقية.

1) تافيلالت، هامش صحراوي مكشوف، يستقبل أقل من 100 مم من الأمطار ومع ذلك فإنه يتمتع بحياة واحية من النوع الراقي، مرصوصة في شريط ضيق أخضر على طول نهري زيز وغريس الوافدين من أعالي الأطلس الكبير شمالا، مع إضافة بعض محاور الخطارات التي تزودها المرتفعات المتواضعة لجبل گنات المشرفة من الغرب.

كل شيء يدل على أن الحياة رهينة بالجريان الدخيل وأن ما عداه مجالات جرداء تعيث فيها الرياح. وأن مهارات البستانيين الواحيين قد بلغت أقصى مدى يستعصي معه أي تطوير إضافي.

لذا لما أُنشئ السد الكبير العصري على نهر زيز في مخرج الجبل، لم يكن الغرض إلا تنظيما أكثر للمتوفر المائي حتى يُوافق دورات السقي عند المزارعين، وتدبيراً يضع الحد للفيضانات الطارئة التي كانت تخرب المحصول وتذهب بالمنشآت، وتحسينا للمردود يسد حاجيات التزايد السكاني الناتج عن ترقية الظروف الصحية.

لكن الحاصل هو أن مسار التدهور الذي كان قد بدأ من قبل، قد استمر وتعمق. وتقدمت الكثبان الرملية الصفراء صوب الشمال والشمال الغربي، تُحكم قبضتها على الريصاني وأرفود وتينجداد، وأن الفرشات المائية في هبوط، والعيون تشح والآبار تقفل، والملوحة ترتفع.

لا يمكن أن نرجع كل الأسباب إلى مرض البيّوض الذي اكتسح النخيل، وإلى تضخم الساكنة في حد ذاتها، أو حتى إلى فترات الجفاف التي ترددت على المغرب. حقيقة إن المشكل في تغليب كفة الصحراء هو التحول الذي حصل في تدبير المياه من التقنين المحكم المتكيف إلى التبذير.

تكمن المسألة الأولى في اختيار أداة تخزين المياه. لا شك في أن السدود هي الحل. لكن هناك اختيارات صعبة بين السد الضخم الوحيد، أو سلسلة السدود الصغيرة، وفي طريقة البناء، وانتقاء المواقع الأنسب.

شُيد سد زيز في حوض واسع تشرف عليه أجراف من صخور التريـاس المالحة. وهو بسبب كبر حجمه والموقع المكشوف الشديد الحر الذي يحتله، يعرض صفحة المياه المحجوزة لتبخر مهول. الناتج هو إتلاف كبير للمياه، وتركيز للأملاح في المتبقى منها.

وبما أن السد تام المنع، فإنه يحرم الواحات من الغرين الداكن وجزء من الأطماء التي تُعرف بها، كما أنه يحول دون تشتت الماء في السافلة، ويكبح الفيضانات، مع العلم أن هذه "المياه الضائعة" هي في الواقع أنجع درع ضد زحف الصحراء ؛ ذلك أنها تُطعم الفرشة وتملأ الآبار، ويغذي تصاعد رطوبتها الجنبات الشوكية المتقدمة التي تحجز نبقاتها التكومات الرملية، تاركة وراءها الواحات في سلام.

أورث الاتكال على مياه السد إهمال الخطارات رغم كونها أنسب وسائل الري في البلاد الجافة. ومع ذلك، فهذه أخطاء ظرفية لأنها تقنية يمكن تلافيها أو تداركها بعد التجربة والاهتمام الأنسب بالسدود الصغيرة، على شكل تركيبات أكثر تكيفا مع هذه الأوساط.

أخطر من هذا، التحولات التي طرأت على البُنى الاجتماعية والاقتصادية وخاصة في مجال التمدين. فالتجمعات السكنية التقليدية للفلاليين هي القصبات الترابية المسماة بالقصور. يتم إنشاؤها مباشرة خارج القطاع الزراعي المسقي حتى لا يقع أي ضياع للأراضي النافعة. تتميز بكثافات هائلة وتتوفر على مصالح جماعية هي غاية في اقتصاد الموارد وخاصة منها المياه، شأنها في ذلك شأن المدن العتيقة مع حرص أكبر وأكمل.

يبدو أن مقتضيات العصر والأمن وتوفير البنيات التحتية قد فرضت على مدينة كالرشيدية، عاصمة تافيلالت، وباقي المدن الأخرى، أن تمتلك الأحياء الإدارية والعسكرية والخدمات على النمط الحديث، وكلها مرافق مستنزفة للمياه بشره لم يسبق له مثيل في هذه البقاع.

ضرب التنافس غير المتكافئ على الماء، الواحات في العمق، وعطل ملكات الإبداع والتكيف عند الصحراويين إلى حد لا تنفع معه بعض الأساليب الترقيعية من نوع أوراش تثبيت الكثبان الرملية التي تهدد الطرق أو البحث عن نبتات جديدة تتحمل الجفاف والملوحة والرمال. وكلها تقنيات متطورة ومكلفة تسعى إلى اقتصاد قطرات قليلة من الماء في حين تعُبُّ حمامات الفنادق ومضخات المنشآت السياحية الفاخرة سيول المياه بسخاء فاحش.

لم تكتف الرمال بغزو تافيلالت المعرضة مباشرة للصحراء، بل دخلت الممر الممتد إلى الغرب بين الرشيدية وورزازات. فواحات اغريس الأعلى وتودغة ودادس ودرعة في تدهور مطرد بواسطة الترميل والتمليح، رغم أنها توجد تحت الحماية النسبية للأطلس الصغير الشرقي.

لكن كيف لجبال صغيرة مثل گنات وصاغرو أن تحمي گلميمة أو قلعة مگونة، في حين أن الأطلس الصغير الغربي، وهو أعلى بكثير، لم يفلح في صد غوائل التصحر على سهل سوس. مرة أخرى، يُعطل سوء التدبير البشري كل وسائل الصيانة التي توفرها الطبيعة.

2) في سهل سوس، السلوك البشري يبطل الحصانة الطبيعية.

يتمتع الإقليم بوضعية محظوظة جدا بالمقارنة مع جيرانه الشرقيين، رغم أنه يوجد في عروض صحراوية أكثر توغلا في الجنوب. فهو يتلقى تساقطات مطرية تتراوح بين 100 و300 مم بسبب انفتاحه على التيارات الجوية الآتية من المحيط، وانزوائه بين سلسلتين من الجبال، في الشمال الأطلس الكبير يقوم بدوره الأساسي في التزويد بالمياه السطحية والجوفية. وفي الجنوب يسهم الأطلس الصغير بقسط أقل من المياه، لكنه يضطلع على الخصوص بمهمة الوقاية من زحف الصحراء. توفر بنية المنخفض السوسي

مياه فرشتين رئيسيتين على الأقل. الفرشة القريبة للبليورياعي والفرشة الأعمق للكريطاسي والمستويات الأقدم.

سمح تضافر هذه الموارد وخبرة السوسيين التقليدية في التدبير المحكم للمجال بخلق مجال زراعي غني على ضفاف نهر سوس، يزود السوق الداخلية ويصدر إلى الخارج.

لكن السر في استمرار هذا الرخاء هو الوجود المعجز في مثل هذه العروض لغابة تقف في خط النار مع غزو الرمال، مكونه من شجر أرگان، والتي عرفت أكبر اتساع لها في غابة أدميم، جنوب الحوض النهري.

وجود الغابة هنا دليل ظاهري على توفر ظروف مناخية كافية. والواقع أن السبب الحقيقي هو أنها غابة موروثة عن فترات سابقة أكثر رطوبة. أما بقاؤها حتى الآن فيُعزى للتكيف المتواصل ولكونها أسهمت في خلق ظروف استمرارها بتزويد تربتها بالمادة العضوية والظل والحياة والاستقرار، فهي مثل الغابات الموروثة الأخرى، إذا اجتثت لا يمكن إنشاؤها من جديد. هي إذن درع واق ضد الصحراء، يمكن استعمالها كمراع للماعز والخرفان في حدود المعقول، بل ويمكن إقحام بعض الزراعات بداخلها وفي ظلها. لكن اجتثاثها جحود ينقلب وبالا على الإقليم كله.

لقد تطاولت حركة تحديث الزراعة على الغابات الجنوبية لأرگان، وتكونت على حسابها الضياع العصرية للبواكر والغلال والورود، مستعملة الوسائل الثقيلة ومستغلة المياه الغزيرة فقطعت بعض الشجر وضيقت على البعض الآخر، وبدأ المسلسل اللارجعي للتدهور.

في بداية الأمر، تُغدق الأرض مردودية عالية نظراً لغنى الأتربة الحديثة العهد بالاجتثاث. لكن سنوات قليلة تكفي لإفقار التربة وتفكيك بنياتها، ثم تحرير الرمال التي تزحف في شكل كثبان حقيقية تهاجم ما تبقى من الغابة.

الشاهد على استمرار الاختلال الذي يغذي الكثبان هو تزايد وتيرة الزوابع الغبارية الحمراء الكثيفة التي تحرك الطمي والرمال الدقيقة. بدأت الكثبان تتعدى هوامش النتف الغابوية لتطمر مساحات متزايدة من الأتربة الحمراء النافعة وتعاكس الضياع وضواحي المدن.

هنا كذلك، يضاف إلى الفلاحة الجائرة خارج حوض النهر وعلى حساب التحصينات الغابوية لأرگان، التنافس الكبير على الموارد المائية من طرف التطور السريع للمراكز الحضرية القديمة والجديدة وعلى رأسها أگادير المترامية الأطراف والأنشطة المتنوعة الموجودة بها ومن جملتها منشآت المواصلات والأحياء السياحية التي غزت السواحل على الخصوص. انخفضت مستويات المياه الجوفية من 15 أو 20 م إلى 150 و200 م في بعض جهات السهل.

3) الهضاب العليا للمغرب الشرقي، وجبهات التصحر المتقدمة.

لا شك أن هذا هو المغرب الخفي. هضاب يبلغ متوسط ارتفاعها الألف متر، تتعاقب عليها الحرارة والبرودة المفرطتان بفعل الارتفاع والقارية. لا تستفيد من الوقاية الأطلسية رغم وجودها شمال الأطلس الكبير الشرقي الذي تنخفض أعرافه وتنفرج إلى حد أنها تفقد أي فاعلية في الصيانة. لا تصلها الاضطرابات الجوية الممطرة الأطلنتية نظرا لاعتراض كتلة الأطلس المتوسط الذي يكاد يلحم الأطلس الكبير الأوسط بسلسلة الريف.

ففي الجنوب، تتلقى فگيگ أقل من 100 مم مع أنها في عرض أسفي، في حين لا تتعدى أمطار گرسيف في الشمال 200 مم إلا بقليل وهي في عرض سهل الغرب.

باستثناء الشريط الأخضر على طول واد ملوية في الغرب، وسلسلة الواحات على طول الحدود الجزائرية، تغطي السهوب الشاسعة من الحلفاء والشيح، مع بعض البقع المتفككة من غابات العرعر البربري والعرعر الفينيقي وبقايا استثنائية من البلوط الأخضر والصنوبر الحلبي.

إن هذا التوازن هو في الأساس توازن طبيعي هش، لكن الحفاظ عليه هو السبيل الوحيد ضد التصحر السريع والعنيف.

- توجد فگيگ في أقصى الجنوب الشرقي، في قدم الأطلس الكبير الشرقي الضعيف الارتفاع والتكتل. الاستفادة قليلة من واد زوسفانة، ويكاد الاعتماد يكون كليا على الفرشات الجوفية الموجودة في طبقات الزمن الثاني.

لكن الاستنزاف الناتج عن التوسع الحضري جعل المياه تنزح في اتجاه الجنوب صوب الحدود، مهددة بالقضاء على أهم وأبدع الواحات المغربية. الانزلاق التدريجي للواحة خاضع على ما يبدو لبنية الطبقات الجيولوجية التي تضم الفرشات النافعة.

- منخفض تامليلت، سهل داخلي ضمن الأطلس الكبير الشرقي تكتنفه أعراف صغيرة. الواحة المخبوءة وأهمية القارية وفّرا للمنطقة تغطية من السهوب والأحراج الغنية بالطرائد المتنوعة ومنها الغزال، لكن القنص الجائر حوّل المجال، خلال سنوات قليلة، إلى أرض جرداء لا نبات فيها ولا حيوان.

- يلاحظ في باقي الهضاب، هبوط مريع للفرشات المائية، يبدو أن له علاقة بعمليات الضخ الآلي في بعض المراكز كعين بني مطهر والواحات الصناعية لجرادة.

وقد ترتب عن نضوب العديد من نقط الماء، اضطراب في مسارات ترحل الرعاة واختلال في التكاملات التقليدية بين مختلف المجالات المستغلة، زاد من حدته التقطيع الإداري الذي لم يأخذ دائما في الاعتبار المعطيات البيئية وتقاليد الترحل والانتجاع، من ذلك خرق الأهالي لتعليمات الصيانة المضروبة على الغابة، ومنه على الخصوص الاستغلال الزراعي لأراض ضعيفة لا تتحمل أنواع الاستثمار المركزة.

نتج عن اقتلاع الحلفاء تمزيق سريع جدا للأتربة الغنية بالمادة العضوية، لكنها ضعيفة السُمك ومحصورة فوق

القشرة الكلسية التي هي المعضلة الأساسية في أتربة كل المغرب الشرقي. تكرار وقع الرخات المطرية القوية على الأرض العارية، يبتر التربة ويكشف عن القشرات السميكة والصلبة جدا. وفي بضع سنين، تتحول المراعي الممتازة إلى مجالات معدنية ملساء أولا، سرعان ما تصير براحات تدرية تتخللها النبقات الرملية.

يتبين من ترتيب المناطق المعرضة للتصحر المباشر، الدور الحاسم الذي تلعبه القارية وأكثر منها رسم السلاسل الجبلية وارتفاعها كأدوات صيانة وتوجيه للتيارات الجوية. يبقى أن هذه الجبال ذاتها تعاني من أساليب تصحر نوعية مرتبطة بطبيعة التضاريس والانحدارات القوية.

II ـ التصحر الترابي في الجبال الرطبة.

قد يبدو من الغريب أن ندخل الجبال في موضوع التصحر. والواقع أن مفهوم التصحر مفهوم نسبي وتطوري. فليس من الضروري أن تتحول منطقة إلى صحراء حتى نثير موضوع التصحر، بل يمكن إثارة هذا الموضوع بمجرد ما يبدأ التدهور بتغيير الغلاف النباتي والأحيائي عامة من الطبيعة التي كان عليها أو المفترضة في نطاق بيومناخي ما، إلى الأنماط التي تعرفها النطاقات الطبيعية الأجف منها مباشرة.

1) جبال الأطلس الكبير، المستعرضة من الشرق إلى الغرب، هي الجدار الفاصل بين الصحراء في الجنوب والجنوب الشرقي، والمناطق المنفتحة على الاعتدال في الشمال والغرب. وهي عامة أكثر رطوبة من المناطق المجاورة وتتوفر مع الأطلس المتوسط على أهم التغليفات الغابوية التي يمتلكها المغرب من العرعر البربري والعرعر الأحمر إلى أجمل دوح البلوط الأخضر والأرز.

يتميز الأطلس ببنية خاصة، يتوسطها صلب طولي متشكل من أعلى الأعراف التي تكسوها الثلوج موسميا، بحيث نجد أن السفوح الجنوبية والشرقية، الأقل ارتفاعا، مكرسة لامتصاص التأثيرات الصحراوية، ويمكن أن تنزل بها مقاييس الأمطار إلى 300 مم. أما السفوح الشمالية المشرفة على المدرج الأطلنتي فيمكن أن تتعدى 1000 مم.

ظروف التصحر هي الأكثر مباشرة في السفوح الجنوبية إذن، هذه السفوح التي توقف أقدامها الكثبان في بعض الحالات، في حين يحافظ العرعر الأحمر فيها على التغليفة في وجه الاجتثاث والرعي الجائر.

في ممر أركانة الذي يربط سهل سوس بالحوز عند إيمي ـ ن ـ تانوت، ضعف الارتفاع ووضعية المخبأ، تجعل جبهة القحولة تخترق هنا الأطلس اختراقا كاملا. ومع ذلك، ورغم الجفاف والملوحة، فإن ما يتجمع من مياه في واد إيسن يُنقل أساسا إلى مدينة أگادير.

يهدد التصحر السفوح الشمالية نفسها رغم غزارة الأمطار وجودة ظروف التترب، وذلك لأسباب متعددة.

فبالنسبة للأراضي الصالحة للزراعة، فهي مكتسبة على حساب سفوح قوية شيدها المزارعون بعناء على شكل مدرجات على جوانب الأودية السحيقة المنحوتة في أطيان وحُث الطبقات الترياسية. أبرز النماذج ترافق واد النفيس الأعلى. التدهور هنا ناتج عن إهمال المصاطب المبنية والتي تحتاج إلى تعهد دائم.

غالبا ما كان سلوك الإهمال هذا ومغادرة الأرض ناتجاً عن التصريف الممنهج لخيرات الجبل إلى المناطق السهلية ومنها مياه السدود، خاصة المنصوبة على الروافد الجنوبية لأم الربيع، والأخشاب والطرائد والمعادن التي همت منذ أمد بعيد أطلس مراكش، كما هو مترتب أيضا على إغراء السهولة التي تشخص الحياة الناعمة لأفواج السياح.

كانت المناطق الأخرى التي اجتذبت المزارعين دائماً ومباشرة على حساب الغابة. ويبدو أن أصلح الأراضي لهذا الغرض في الجهات الشمالية من الأطلس هي الأحواض الواسعة في أعالي أيت وربر ودمنات، تلك التي تضم أكبر نسبة من المجالات الأقرب إلى الانبساط والتي بها أتربة جيدة الاستقرار إذا ما قورنت بوضعها الجبلي. توافق هذه الأحواض من الوجهة البنيوية مقعرات شاخصة متفاوتة الاتساع مفروشة في الغالب بالطبقات الهشة الحثية، الطينية والطمية الحمراء المنتسبة للكريطاسي الأسفل القاري.

النزعة الزراعية التي تبدو في الظاهر هي الوجهة الصائبة هنا، جعلت الأهالي يغتصبون الحيز الغابوي بحدة ليس لها نظير في باقي الأطلس. حيث إن بعض الدوائر الغابوية كالتي تجاور الواد الأخضر، فقدت ثلثي مساحاتها عن طريق القطع والتسييب الزراعي. لكن التصحر سرعان ما يحل محل القطع الجائر، وهو يكتسي هنا صبغة خاصة يمكن أن تُدعى التصحر الترابي، والذي يبرر هذا التعبير بصفة كاملة هو التطور الحاصل الذي ينتهي بالتنحية التامة للأتربة والتأثر العميق على ميزانية المياه رغم أنه لا يحصل أي تغيير في الوضع المناخي الملابس. ذلك أن العراء المفاجئ للأرض بعد عملية الاجتثاث يسبب الطرق العنيف لسطح التربة من طرف قطرات المطر. مفعول الترشاش هذا يسهل السيلان على حساب التسرب، مفقراً الفرشات والعيون التابعة، مضعفا الأتربة، ومهددا بالفيضانات كلما اشتدت التساقطات التي تذهب جفاء دون أن تنفع الأرض.

بموازاة مع المسار الآلي لتدهور التربة عن طريق الترشاش، هناك التدهور العضوي والجيوكيماوي الناتج عن تعطيل البيئة الاحيائية. إذ أن تضاؤل المادة العضوية في التربة يحطم بنياتها ويضعف مركبها الماص حيث يعقب ذلك انهيار في الخصوبة والعجز على الحفاظ بالرطوبة.

على هذا الأساس، فإن التصحر متحقق بالتأكيد، لأنه حتى في حال إرجاع الأرض إلى غطائها النباتي الطبيعي، فإنه لا سبيل لعودة الغابة الأصلية. التغيرات العميقة التي نابت الأتربة تقضي بظهور تشكيلات نباتية جديدة من الصنف الجفيف.

إذن، رغم بقاء التساقطات على حالها، فإن الاستعمال

الخاطئ للأراضي يحول المجال الأحيائي إلى مستويات مرتبطة مبدئيا بمناخات أجف. الاستمرار في هذا النوع من التسيب يأتي على كل المسكات المنتجة من التربة معطية حقول شعير متقطعة تتخللها خدّات تتعمق سريعا.

بعيداً عن الوديان والأحواض القابلة للتجهيز الزراعي، قليلة هي المشاريع الاقتصادية التي يمكن أن تصرف ساكنة الأطلس عن الرعي الجائر وقطع الغابة، فحتى تلك الغابات الجميلة المتكونة من البلوط الأخضر أو من الأرز أو هما معاً، والتي توجد في الأوضاع الأكثر توازنا فإنها ليست في مأمن من الاعتداء، حيث تتعرض للإبادة بسبب السلوكات التي تحطم الهوامش النباتية للغابة، ضاربة في الأساس النظام البيئي العام. لا فرق في أن تكون تلك السلوكات القطع والرعي غير الواعيين أو أن تكون في بعض الحالات المعالجة وطريقة الاستغلال الخاطئين من طرف الأطر التقنية الساهرة على صيانة التراث الغابوي.

لمناهضة كل هذه الأوضاع، تجدر الإشارة إلى مشاريع إدارة المياه والغابات التي تهدف إلى صيانة التنوع الأحيائي بخلق منتزهات وطنية حول تويكال وفي الأطلس الكبير الشرقي كما هو الشأن في ماسة والداخلة وفي إقليم الحسيمة بالريف الأوسط وبتلاسمطان في إقليم الشاون، وفي تازكا شمال شرق الأطلس المتوسط، وفي إقليم إفران.

2) الأطلس المتوسط عبارة عن كارست يغذي بفضل مياهه الجوفية شبكات أم الربيع وسبو وملوية. هذا الدور هو ما يبرر وصفه ببرج توزيع المياه على الصعيد الوطني.

جل العمليات التي تهم سطح هضاب وأعراف الأطلس المتوسط تصب في هذا الاتجاه الذي يكتسي صبغة الأهمية القصوى بالنسبة لأنشطة المناطق الزراعية والعمرانية بالمغرب. فأكيد أن أي مساس بهذه التوازنات يمكن أن تكون له نتائج صعبة التقدير.

لا شك أن النزعة الرعي ـ غابوية، في ظروف رطوبة جيدة، وهي النزعة التي طبعت الإقليم في كل العصور هي التي سمحت باستمرار هذا الدور حتى الآن. فبجوار غابات البلوط والأرز الواسعة، هناك مجالات أوسع من الأراضي الخلاء. وقد تضافرت فيزيوكيمياء الصخور والبنية وطبيعة الغطاء النباتي والتجميع المحلي للمياه داخل بحيرات منتشرة في المجال الهضبي لتسهيل عمليات الرشحان. لكن يتحتم الحرص والحذر من تطورين على الخصوص، والتحسب للمضاعفات الممكنة :

ـ المسألة الأولى تخص بداية الطفرة الزراعية التي يعرفها الإقليم حاليا وذلك بوضع اليد على العديد من المنخفضات الكارسية الواسعة واستثمارها بواسطة مغارس الفواكه الرفيعة في استغلاليات من النوع العصري التي يقتضي حقن الرساميل الكبيرة واستنزاف الفرشات المائية بواسطة الضخ القوي، على حساب الشبكات الوطنية الكبيرة.

ـ تحقق المسألة الثانية مرتبط بالسوق العالمية للمحروقات، بحيث تعتبر الزيادة في أسعار الوقود بصفة مستديمة شرطا كافيا لانطلاق استغلال الثروة الهيدروكاربونية المحلية.

والواقع أن طبيعة هذه المخزونات مشوبة بالعديد من العراقيل. ذات البعد البيئي الخطير. ذلك أن النضيد الزيتي الموجود ضمن المقعر الشاخص لجبل القبات في ناحية تيمحضيت لا يحتوي إلا على نسبة واحد بالمائة من البترول. مضمون بهذا المستوى من الهزال يتطلب المعالجة في عين المكان مخلفا مقادير هائلة من النفايات يتحقق التخلص منها بواسطة المجاري المائية وعلى شكل هباءات تحملها الرياح. يزيد من ضرورة الحذر أن جبل القبات هو بالذات مجال توزيع المياه بين شبكات التصريف الرئيسية الثلاث. وعلى هذا الأساس فتهديد التصحر عن طريق تضاؤل الماء وتلوثه يمكن أن يتعدى الأطلس المتوسط ليهم العديد من مناطق الثقل في الاقتصاد المغربي.

3) في جبال الريف، يطغى التصحر الترابي وتكتسي ضرورة معالجته صبغة الاستعجال القصوى. بالطبع توجد بهذه المنطقة كل عوامل الاختلال الملازمة للبيئات الجبلية، لكن بزيادة ظروف مفاقمة ناتجة عن أن البنيات هنا متقطعة، فتية ومحادية للبحر مباشرة، وأن الصخور بها هشة ومصمة والتساقطات المطرية من أغزر ما تعرفه البلاد المتوسطية إطلاقا. نظام الجريان كثيف، سيلي وشديد التعمق، والسفوح قوية ومختلة.

بيئة هذه مواصفاتها لا يمكنها أن تكتسب أي نوع من الاستقرار الطبيعي إلا بمساعدة غطاء غابوي وحرجي كافي الانغلاق. يتم استغلاله الاقتصادي في حدود احترام المقتضيات البيئية.

لكن المقومات البشرية تصرفت باستمرار كعوامل مناوئة، فالكثافات السكانية هي من أعلى ما يعرفه المغرب حتى في مناطقه السهلية. مع الدور السلبي الذي لعبه وجود الحدود الاستعمارية والإهمال التام لمختلف السلطات منذ أمد بعيد والذي يتجلى على الخصوص في غياب أي شبكة للطرق أو أقطاب للتنمية.

أما الغابات التي شكلت حتى وقت قريب أهم الموارد الطبيعية فإنها عانت من غياب تام لكل تقنين، خاصة تحت الحكم الإسباني الذي استغلها بصفة جد مجحفة، يُقال عنها إنها منجمية لأنها لم تكتف بالقطع المنظم بل أبادت حتى عناصر التجديد.

لكن ظروف الاجتثاث في الريف تتعدى حافز جلب الأخشاب والاحتطاب والرعي، إلى الرغبة في إعداد الأراضي لزراعة النبتة المخدرة المعروفة بالقنّب أو الكيف. أهمية الوسائل المرصودة جعلت من هذه الظاهرة أداة بالغة العدوانية ضد الغطاء النباتي الطبيعي والأتربة. سرعة الاستشراء تظهر مثلا بوضوح من خلال تراجع غابة البلوط الفليني في المحيط المباشر لمدينة كتامة، حيث انهارت مساحاته بين 1984 و1990 فقط من 8000 هكتار إلى 500

هكتار !

الطريقة الشائعة في فتح الأراضي وإعدادها هي حرق الغابة، وهي في الواقع من أسرع الطرق للتصحر في أتربة تغطي منحدرات جد قوية. تُحدث النار تغيرات فيزيوكيماوية عميقة في البيئة الأحيائية حيث تتسبب للقطاع الترابي في التجفيف والإفقار وتشويه البنيات عن طريق حرق الأنفوضة وجزء من الدبال.

أما الإغناءات المفترضة من طرف المواد المعدنية الناتجة عن الحرق فهي ضعيفة جداً نظراً لتدرية الرماد وتحريكه السريع بواسطة السيلان الذي يصير أنشط مع تناقص قدرة الأتربة على حجز مياه الأمطار.

ما يحصل الآن هو تبديد مروع للإمكانيات الترابية لمنطقة بأكملها، آهلة بالسكان وغنية بالإمكانات. خلال سنوات معدودة، تكشف الغابة المقطوعة عن أتربة سميكة نسبيا وجيدة البناء ألوانها محمرة إلى سمراء داكنة، سرعان ما ينخرها التصويل والإفقار والبتر فتستحيل إلى بقع مبيضة تتسع رقعتها الجرداء التي لا تحتمل أي استعمال بالمرة.

الثروة الثانية للريف هي شبكة الجريان السطحي، وأهم عناصرها على الإطلاق يتمثل في حوض نهر ورغة الذي يشهد حاليا تشييد سد الوحدة، أكبر السدود المغربية. لا شك أن لهذا الإنجاز العديد من الفوائد الاقتصادية والإنمائية على صعيد التراب الوطني ككل. لكن ضخامة حجمه تطرح بالنسبة للريف بالذات بعض المشاكل النوعية، منها أن حقينته ستغمر حوالي 13.500 هكتار. يزيد من أهمية هذه المساحة أنها تخص جزءا من أحسن الأراضي الزراعية التي توجد في المنطقة على الإطلاق. فهي تغطي أراضي التيرس والحمري ضمن سهل داخلي خصيب وتام الانبساط.

ومن جهة أخرى، فإن الكلفة العالية للمنشآت تقتضي الاحتفاظ بنجاعة السد لأطول وقت ممكن في مجال ينتج بواسطة تعرية الأتربة والتخديد والانسياخ أكبر مقادير مواد الإطماء التي يعرفها المغرب. الوسيلة التقليدية لتفادي تعبئة حوض التجميع بالتراكمات الغرينية هو تشجير أهم سفوح الحوض النهري.

هذه العملية جيدة أصلا وتدخل في الاستراتيجية العامة لإعادة تشجير السفوح والحد من التدهور والإجداب. لكن، تجدر الإشارة إلى بعض العيوب التي غالبا ما تجعل التشجير في صيغته المعتمدة عندنا يحيد عن الأهداف البيئية المرجوة. فالغابة الطبيعية نظام بيئي يمتلك توازنات داخلية بين الأشجار السائدة والأشجار الأخرى المتكاملة معها والهوامش النباتية الضرورية. تحطيم هذه التركيبات لا يمكن أن يعوض بالغابات الأحادية النوع، خاصة عندما يتم القضاء على المورقات المغنية للتربة واستبدالها بالراتنجيات المحمضة، وهو سلوك جد شائع يقلب الأوضاع البيئية تحت الستار الوهمي لإعادة بناء استقرار المجال.

على العموم، فالملاحظ أن مختلف مظاهر التدهور والتصحر في المناطق القاحلة، وحتى الرطبة منها في الجبال، تفضي إلى سحب التربة النافعة من تحت أقدام أصحابها وإرغامهم في الغالب على المغادرة والنزوح بكثافة إلى البلاد الشمالية الغربية الغنية نسبيا. هناك إذن، أساس مظاهر التصحر هو ما يمكن أن نسميه بالقنبلة الديموغرافية.

III ـ تصحر الاستنزاف بواسطة الضغط الديمغرافي.

تقتضي استراتيجية مقاومة التصحر أن نشعر بإرهاصاته قبل أن نُزوف الأمر الواقع. يصير هذا الهاجس أكثر إلحاحاً في أراضي الشمال الغربي الغنية نظراً للمسؤولية التي تتحملها في تغذية المغاربة وإيوائهم وإيجاد الشغل لهم. إذن، موقعها الحاسم والخطير من الاقتصاد الوطني يعني استبعاد حدوث التصحر بمفهوميه الكارثيين السابقين، وهما الترميل على هوامش الصحراء وبروز القاعدة الصخرية في الجبال، ومحاولة تحسُّس التطورات المفضية إليه في أول أمرها، تلك التي تُستشف من خلال تناقص الإنتاج الزراعي.

وبما أن المؤهلات الطبيعية لا تحتمل هنا أياً من الاختلالات الكبرى التي تخص الجبال وهوامش الصحراء، فإن مظاهر التدهور إذن راجعة للسلوك البشري مبدأ ووصولاً.

أهم عوامل الاختلال نزوح ساكنة الصحارى وشبه الصحارى والجبال بسبب ضيق العيش وتقلص الوسائل التي كانت متاحة، بحيث يمكن أن نعتبر هذه الحركة جزئيا حركة نازحين إيكولوجيين. صحيح أن التيارات البشرية من هذا القبيل ليست بالشيء الجديد وأنها همت مختلف الفترات التاريخية. لكنها الآن تكتسي صبغة خاصة. فهي لا تقصد الأرياف الأخصب والأرطب لأن تملك الأراضي أصبح أمراً مُنتهى منه، حيث نضبت حركة الترحل والانتجاع في السهول والهضاب الخصيبة، ولم يبق من سبيل إلا اللجوء إلى المدن التي تحولت تدريجياً إلى مستودعات للنفايات البشرية، تتضخم باستمرار وتختل بنياتها الاجتماعية والاقتصادية.

النتيجة الأولى هي التوسع السريع للمدن على حساب أحسن الأراضي الفلاحية، وأكيد أن الأمر يتعلق بأخطر ضروب التصحر المطلق. صحيح إن بلديات المدن الكبرى تحرص على انجاز تصاميم التهيئة أو التصاميم المديرية التي تحدد محاور توسع المدن والأهمية التي يجب أن يكتسيها، كما ترسم خرائط المجال الزراعي المحيط وقدرات الأتربة به وكيفية استعمالها. لكنها لا تحظى بأي نوع من العناية ولا تتاح لها أي فرصة للتطبيق. ذلك أن العوامل الفعلية المتحكمة في توسع المدن لا علاقة لها بالظروف البيئية ولا بالعلم والمنطق المطلق، ولكنها مرتبطة بالمضاربات العقارية والمنطق الداخلي لهذه المضاربات. هذه قاعدة عامة ومن أبلغ نماذجها ما يحيط مثلا بتطور مدينة فاس.

النتيجة الثانية، وهي أخطر من التوسع على حساب الأحزمة الفلاحية، مرتبطة بامتصاص المدينة للموارد المائية بجشع متزايد. والواقع أن استنزاف المياه ناتج عن ضراوة التنافس عليه من طرف أقوى أولي الحقوق وعلى حساب الضعاف منهم، الذين يدركون أن الأرض تتصحر تدريجيا من تحتهم.

أقوى أولي الحقوق المدينةُ أولاً، نظراً للأسبقيات المخولة لها والوسائل المتوفرة. وثانيا ملاكو أهم الأراضي المسقية بواسطة السدود في أغنى الأراضي، وبصفة متزايدة أصحاب الملكيات الكبيرة والمضخات القوية قريبا من أقدام الجبال وخطوط العيون. احتكار الفرشات المائية والمنابع بالطرق العصرية والمكلفة هو مثلا السبب الرئيسي في التراجع الحاصل في مواطن الدير التقليدية التي كانت مزدهرة في مخارج أودية الأطلسين المتوسط والكبير على السهول الشمالية والغربية.

باقي الأراضي غير المسقية والمحصورة بين المستفيدين الكبار، هي التي تُؤوي أهم كثافات ساكنة الأرياف التي تعيش على أسوء الأتربة وأكثرها تعرضاً لمخاطر الجفاف. وجودها بين مناطق الاستنزاف يُضيق عليها الخناق ويركز المحلولات إلى حد تقوية مظاهر القشرات الكلسية المبيدة للأتربة، كما يفاقم آليات التعرية بها. النتيجة الحتمية هي تضاؤل مستمر للمنتوج الزراعي. الشيء الذي يدفع أولا إلى الإلحاح في الاستثمار بأضعف الوسائل ومنها التوسع الاضطراري فوق الأراضي الهامشية العطوبة، وأخيرا إلى الهجرة إلى المدينة.

الواقع أن الأراضي المسقية ذاتها يمكن أن تعرف بعض الصعوبات التي من شأنها أن تؤدي إلى تصحر نسبي أو مطلق. فهناك ظاهرة التمليح التي تشكل معضلا جزئيا في أراضي تريفة أو في فحص طنجة، وفي سهل الغرب. في مبقلات ولجة دكالة مثلا يصل تمليح الأتربة في سنوات الجفاف على الخصوص إلى تحول المزارعين عنها إلى غيرها.

في المناطق الداخلية بدأت مظاهر التلوث الحضري والصناعي والزراعي عن طريق المبيدات والأسمدة تُؤثر سلباً على الأرياف، كذلك الأمر في حوض واد سبو في سافلة مدينتي فاس ومكناس وفي سهل الغرب.

بالطبع، لا تقف جبهة التلوث عند حدود القارة. وعندما تتعداها لطرد أسراب السمك وإفناء العوالق فإنه يمكن توسيع مفهوم التصحر ليشمل البحار. من جملة وسائل التصحر مخاريط التسميم التي تغزو البحر انطلاقا من المدن الكبرى، ومن مصاب بعض الأنهار التي تحولت إلي ميازيب، ونفايات المراكز الصناعية، الكيماوية منها على الخصوص. ومنها كذلك الصيد الجائر الذي يزيد من حدته الجوار الصعب مع أكبر الدول المستهلكة والمسوقة والاتفاقيات غير المتكافئة.

وأخيرا وليس آخراً، هناك في هذا المجال المحظوظ على العموم العديد من البقع المحتلة بالقوة، القابلة للتصحر بعد حين، والقادرة على أن تصير عدوانية بالنسبة لمحيطها. أهمها دون شك غابة المعمورة.

تعتبر المعمورة الرئة المباشرة للمحور الحضري الرباط ـ القنيطرة ومجموعة أخرى من المدن الثانوية. لكن مساحتها من البلوط الفليني انهارت من ظرف السبعين سنة الأخيرة من أكثر من 130.000 هكتار إلى حوالي 50.000 هكتار فقط. في هذه الأثناء تعرضت إلى عمليات اجتثاث متعددة الأغراض، منها كثير من حالات التسيب بهدف الفلاحة والرعي والتفحيم. وغالباً ما جاءت محاولات التشجير حرباً على البيئة الترابية والمائية كغرس الصنوبريات مكان البلوط الفليني أو فجوات غابات الأوكليبتوس والأوكالبتوس على هوامشها الشمالية بغرض إنتاج عجين الورق.

مرة أخرى، أضعف الغرس الأحادي وإفقار التركيبات النباتية المتكاملة، النظام البيئي للمعمورة وفاقم حموضة الأتربة وتصويلها من موادها الدقيقة بصفة تكاد تكون كلية، خاصة تحت الأوكالبتوس، وغَوَّرَ مواردها المائية، فأصبحت أشجارها، حتى البلوط الفليني الأصيل منها، معرضة للأمراض وهجوم الفطريات والذبول والانكسار السهل ولو لأضعف الهبات.

الخطير في الأمر هو الطبيعة الرملية لأتربة المعمورة التي تفقد بنيتها كل يوم أكثر، وحصانتها الشجرية مهددة بالتحرر والتدرية إن لم يوضع حد للأخطاء البيئية المتكررة. فليس من المستبعد، في ظل السلوكات السائدة، أن تتكون حقول من الكثبان يمكن أن تهدد كل المحور الحضري للساحل الأطلنتي الأوسط، على غرار أفظع حالات التصحر المباشر، في قلب ما كان يصطلح عليه بالمغرب النافع.

تُظهر النماذج المعروضة أن التصحر لا يقف عند أي حد بيومناخي أو تضاريسي بل ويتهدد خارج المغرب كل مناطق العالم، إذ نسمع التنبيه من مخاطره في أوربا من جهة وحول خط الاستواء من جهة أخرى. وفي مناطق مختلفة ليست موسومة بالقحولة النطاقية بحال من الأحوال ولكنها تعرضت لأخطاء في استثمار الأراضي وتدبير المجال نتج عنها إتلاف للفرشة المائية أو تعقيم للأتربة.

فما العمل أمام هذه الموجة الجامحة التي تهدد الأوساط الطبيعية من الأساس وتنذر بأقبح الكوارث ؟ مع العلم أن مسيرة التطور حتمية لا رجعة فيها. على الأقل لأن الأعداد البشرية تتزايد باستمرار والأساليب القديمة في صيغتها الجامدة لا تُجدي. كذلك الظروف التي كانت تُقَعِّد حياة البدو الرحل مثلا لم تعد حاليا مقبولة.

ما العمل إذن بين المستحيلين ؟ لا شك أن الأمر يتطلب إبداع أساليب جديدة تنطلق من أكبر معرفة ممكنة بخصائص الأوساط المغربية مع الاستفادة من الأساليب القديمة المتكيفة وتطويرها. وارد إذن الاقتباس من التقنيات المتلطفة بالبيئة كتلك التي تقلل من حدة التعرية من خلال استعمال تداخل المزروعات المتكاملة والواقية للأرض واعتماد الدورات

الزراعية. كذلك الحفاظ على المياه عبر مختلف التقنيات المتوارثة، واستعمال الروث والمادة النباتية الطرية كسماد طبيعي.

من الضروري كذلك اعتبار فترات الجفاف الضاغطة كمركب عادي وليس استثنائياً للمناخ بالمغرب، وأخذها في الحسبان في كل تخطيط فلاحي، واختيار تقني.

على أنه يجب ترشيد التقنيات والسلوكات على أساس استخلاص العبر من تجارب البلدان التي قطعت أشواطا في ميدان فلاحات الجفاف بمنجزاتها وأخطائها، ومنها الجمهوريات الإسلامية لآسيا الوسطى في ظل النظام السوفياتي وجنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط. وكيفما كانت التقنيات فهي وحدها لا تكفي.

أكيد أن هياكل توزيع الموارد كالبنيات العقارية، ونماذج الاستيطان ومنها المدنية الأخطبوطية، تلعب أدواراً لا تقل أهمية. وفوق هذا وذاك، فإن المجهودات المحلية المعزولة وحدها لا يمكن أن تعالج الوضع الذي يكتسي في الواقع صبغة كونية، تقتضي تعاون الفاعلين الكبار في العالم.

لكن، تدل القرائن حسب جل المحللين على أن مجتمع الإنتاج المهيمن لا يتوفر على البنيات الكفيلة بتجاوز الأزمة. ألا يوجد تناقض أساسي بين هاجس الحفاظ على الطبيعة من جهة والحضارة الصناعية العصرية من جهة أخرى تلك التي أحدثت شرخا متزايدا في غلاف الأوزون، ورفعت حرارة أجواء الكوكب، وعكرت الماء والهواء، معطية للتصحر فرصة اكتساح العالم ؟

يبدو أن هناك مطالبة لازالت مكبوتة ولكنها متنامية تنادي بتعجيل التخفيف من الحضارة الصناعية وتبشر بمقدم العهد الإنساني.

استطلاعات ميدانية ؛ إبراهيم نحال، *التصحر في الوطن العربي*، بيروت 1987 ؛ الطيب جلال ومحمد عجاج، *تثبيت الكثبان الرملية وتشجيرها في شمال افريقيا*، تونس، 1986 ؛ إدريس الفاسي، *الجفاف حول الصحراء : الطبيعة والسلوك البشري*، دراسة بيئية، *مجلة جغرافية المغرب*، 6، الرباط.

Ministère de l'Agriculture et du Développement Agricole, *Lutte contre la désertification au Maroc, réalisations et perspectives. Rapport National* ; Rabat, 1984 ; *Plan National de lutte contre la désertification*, 1986 ; Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Terres, *Projet d'étude et d'identification des aires protégées et de l'élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*, Rabat, 1993 - 94 ; A. Sasson, *Développement et environnement*, Paris - La Haye, 1974 ; F. Ramade, *Eléments d'écologie appliquée*., Paris, 1976 ; E. Eckholm and L.R. Brown, *Spreading deserts. The hand of man*. Washington. D.C., 1977 ; M. Ameur, *Fès... ou l'obsession du foncier*, Tours, 1993.

إدريس فاسي وعبد المالك بنعبيد

التصدرة، في موسيقى الآلة هي المقطوعة الغنائية (الصنعة) الأولى التي تتصدر القسم الموسع من الميزان. وتغنى مباشرة بعد البغية أو التوشية على حركة إيقاعية بطيئة جدا. ومثالها تصدرة ميزان البسيط من نوبة رمل الماية، وهي بيتان ملحونان من الطويل :

صلوا ياعباد دائم على أشرف الورى ارضوا عن العشر الكرام البررا
مهما تقرب الروضة ياتينا مبشرا نسيم من الأحباب مسكا وعنبرا

ونظراً لبطء أداء التصدرة، تقضي العادة أن تخلل مقاطع كلماتها بالتراتين، وهو ما يعرف لدى أصحاب الآلة "بالشغل".

معرفة شخصية. عبد العزيز بن عبد الجليل

التصميم ← التخطيط

التصوف بالمغرب، يبدو أن ظهور أشخاص بالمغرب الأقصى يمكن أن تنسب أحوالهم وأقوالهم إلى التصوف، أي إلى ما يعرف بالتوحيد الخاص المبني على الاعتقاد بإمكان الوصل أي إدراك مباشر لبعض تجليات الذات أو حقائق الصفات واعتبار الروحانية النبوية أساساً لتحقيق ذلك على أكمل معانيه، كان ظهوراً متأخراً بالنسبة لبلاد المشرق، وبالنسبة حتى لبلاد إفريقية والأندلس، وذلك على غرار تأخر الظواهر الحضارية الأخرى ثقافية كانت أو سياسية. وقد يكون هذا التأخر فيما يهمنا هنا مرتبطاً بتأخر الآثار الكتابية الشاهدة لا بتأخر الظاهرة نفسها.

ولقد كانت أحوال الزهد والورع غالبة على أفراد ممن بلغت إلينا أخبارهم من أهل القرون الإسلامية الأربعة الأولى دون أن يرد بصدد عدد منهم ما يجعلنا نصنفه في عداد المتصوفة الاصطلاحيين، غير أن التميز بدأ في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

وقع ذكر أزيد من أربعمائة وجه من وجوه التصوف بالمغرب في هاذين القرنين في ثلاثة كتب رئيسية سمت مترجَميها بالصلحاء والعُبَّاد وأهل التصوف، وهي كتاب محمد بن عبد الكريم التميمي وعنوانه : *المستفاد في ذكر الصلحاء والعباد بفاس وما والاها من البلاد*، ألفه قبل عام 572 هـ، وليس منه بين أيدينا سوى قطعة لعلها النصف الثاني من الكتاب، وكتاب أبي يعقوب يوسف التادلي وعنوانه : *التشوف إلى رجال التصوف*، ألفه عام 617 هـ، وكتاب أبي يعقوب البادسي، وعنوانه : *المقصد الشريف في صلحاء الريف*.

وهذه الكتب الثلاثة على منحى *حلية أبي نعيم*، ولكن كل واحد منها آثر التعرض لجهة بلاده. وهكذا يبدو من خلال مادة التراجم أن ظاهرة التصوف قد شملت كل المناطق القديمة الاستقرار وأبرزها الريف وجهات فاس وبسيط تامسنا ودكالة وجهات أغمات ومراكش وجهات هسكورة وجهات رگراگة جنوبي تانسيفت ودرعة ووادي سوس.

كان من صوفية المغرب في هذا العهد من أخذ عن شيوخ مشارقة، ولاشك أن الرحلة للعلم أو للحج قد دعمت هذا الأخذ مثل أخذ عبد الجليل بن ويحلان دفين أغمات عن أبي الفضل الجوهري بمصر، وعبد الجليل هذا شيخ عبد الله ابن واكريس الدكالي شيخ أبي شعيب صاحب أزمور شيخ أبي يعزى الخ. ومنهم من أخذ عن قيروانيين أندلسيين، بل ان منتسبين إلى الصلاح رحلوا إلى المغرب من بلاد إفريقية

كما رحلوا إليه من الأندلس.

كان من الصوفية أهل حضر وأهل بادية، وكان منهم منسوبون إلى العلم الكتابي ومنهم من لم يُعرفوا سوى بورع أو كرامات، وقليل منهم في هذا العهد منسوبون لآل البيت. كان معظمهم أفراداً بلا أتباع ولكنهم كانوا يتعارفون ويتصلون، ويُقصدون في غالب الأحيان للتبرك أو لطلب الأغراض، ولم تكن الطرق قد ظهرت بعد بشكلها المعروف.

ولقد حرص المترجمون المغاربة لأهل التصوف على تخليص الكلام عنهم مما يمكن أن ينعت "بعلم التصوف" أي التعابير عن الأذواق والمعارف الخاصة، لكن نقل بعض كلامهم ينبئ عن إشارات إلى المعاني الاصطلاحية التي تحتاج إلى تأويل، وقلما ألف هؤلاء تآليف قائمة، فيتعذر إذاً، ربطهم بمذاهب ومشارب بالرغم من تحيز بعضهم للغزالي في مواقف عملية. وكان من المنسوبين إلى التصوف عائلات قليلة توارثت المشيخة على امتداد أجيال مثل آل أمغار الصنهاجيين في رباط تيط جنوبي أزمور.

يتعذر في الحالة الحاضرة للبحث في التصوف بالمغرب إعطاء أجوبة معمقة لمختلف الأسئلة المتعلقة بتصور دقيق للمنزع الصوفي ولا سيما 1) في ما يتعلق بتحقيب تطوره بشكل مقنع 2) وبخصوص التيارات الخارجية التي أثرت فيه أو أثر فيها سواء بالنسبة للمشرق أو الأندلس 3) أو قضية أنواع المعارضة التي لقيها التيار الصوفي من الجهات المتسننة في المجتمع أو من جهة المتضايقين به كسلطة رمزية يخشى من تحولها إلى شريك في السلطة الفعلية 4) ومن ذلك تصنيف الأوضاع التي وجدت فيها تيارات صوفية في مواجهة الجهاز السياسي أو في معاضدته، إلى غير ذلك من القضايا التي تبدو بعض ملامحها من خلال ما أنجز من الأبحاث ولكنها غير مكتملة ولا واضحة بما فيه الكفاية.

ففي ما يخص التحقيب يبدو العنصر الحاسم فيه هو التفاعل مع المجتمع واتخاذ شكل مؤسسي ومعانقة ملابسات التاريخ في جوانبه الأخرى، وهذا يصدق على التصوف بما غلب عليه من طابع اجتماعي في المغرب، أما من حيث المعنى الصوفي في حد ذاته فلا مجال لتحقيبه إلا على فرض أنه فكر توفيقي أو متأثر بمدارس فكرية مهما كانت طبيعتها كالإشراقية والأفلاطونية الجديدة الخ، أو على فرض أن تعبيرالصوفي عن تجاربه يصير تعبيراً موجهاً بل ومنتجاً لتجارب أخرى، أما خارج هذين المنظورين : المؤسساتي الاجتماعي التاريخي والفكري التأثري، فالمفروض أن التصوف يرتبط بتجربة الإسلام الروحية : يظهر فيها متى وأنى ظهرت، فيبقى التدوين هو الحاسم عند المؤرخين في التمييز بين مراحل من السيرورة عبر الآثار. وإذا راعينا هذا التدوين فإن القرنين الخامس والسادس الهجريين يشكلان عصر ظهور التصوف المغربي وانتشاره ونضجه وازدهاره في آن واحد بالنظر إلى أن أعلام القدوة فيه قد عاشوا في القرن السادس على الخصوص. فعندما كتب ابن الزيات عام 617 هـ كتابه في تراجم مائتين وسبعين من المنسوبين إلى التصوف في الجهات التي اهتم بها أعطانا نماذج متنوعة لمن يمكن إدخالهم في هذه الطائفة وذكر بصددهم أنواعاً من السلوك والقيم يمكن أن تُستنتج منها معايير تصنيف رجال التصوف إلى ذلك العهد، ومنها تظهر أدوارهم الدينية جلية وتتعلق كلها بالعمل بالقول والفعل والتأثير والقدوة على دمج مجتمع عجمي هامشي في إطار الإسلام وحضارته وتاريخه، وهو دور بارز حتى ولوقيس بأدوار الفاعلين الآخرين كالأمراء والفقهاء والعلماء. ولكن ابن الزيات كان يرى، في أوائل ذلك القرن السابع، وكأن تلك الحركة في أفولها بعد انصرام قرن أبي شعيب وأبي يعزى وابن حرزهم وأبي مدين وغيرهم. ولكن ابن الزيات أشار إلى شخص عامل مجدد لذلك النهج الصوفي كان بأسفي ما يزال على قيد الحياة وهو أبو محمد صالح. غير أن ابن الزيات لم يعلم بوجود معاصره بجبل العلم في أقصى شمالي غرب المغرب وهو الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي جمع، كما جمع الشيخ عبد القادر الجيلالي في الشرق، بين النسب الشريف والأستاذية في التربية الروحية على المنهج الذوقي الصوفي. لم يكن ابن مشيش أول من بدأ به في المغرب مصرع أهل التصوف على أيدي المتضايقين بهم عندما قتل عام 685 هـ، ولكنه كان رأس أحد التيارات الصوفية الكبرى في العالم الإسلامي وهو تيار الشاذلية المنطلق من المغرب والمنسوب إلى أبي الحسن الشاذلي تلميذ ابن مشيش. أمّا التيار القادري فهو عملياً دخل إلى المغرب إذا أقررنا بأن أبا مدين قد لقي الشيخ الجيلاني بالشرق وأخذ عنه، ولكن ذلك وقع قبل بروز هذا الاهتمام المتأخر بسلسلات السند الكبرى. أما ابن عربي الحاتمي بالرغم من مقامه بالمغرب من عام 590 إلى عام 597 هـ فإننا لا نستطيع أن نقارنه بابن مشيش والشاذلي من حيث التأثير، لأن تأثير الحاتمي مقتصر على حذاق القراء إلى يومنا هذا، بينما تأثير "الحركيين" حتى من أمثال أبي يعزى ظهر فعّالاً في طوائف واسعة من الأتباع والمبجلين للشيوخ.

وعلى هذا الأساس، فربط التيار الصوفي المغربي بالجنيد (المتوفى عام 297 هـ) على أنه تصوف تغلب عليه الأخلاق والسنية ويتجنب "الحقائق" تصنيف لا ينطوي إلا على الارتياح السهل الذي يتبحه كل تصنيف، ذلك أن ابن الزيات قد صرح في مقدمة كتابه أنه جرده من هذه "الحقائق" التي سماها بـ "علم التصوف"، فيفهم من كلامه أن تلك الحقائق كانت رائجة ولكنها كانت موضوع اعتراض. فتكون مراعاة الشعور السني العام في المغرب واقعاً متأصلاً ولكنه لا يعني البتة أن تلك المعاني المسماة بـ "الحقائق" يمكن فصلها عن التجربة الصوفية ولو عند رجل لم يكن يعرف من العربية إلا فاتحة الكتاب مثل أبي يعزى.

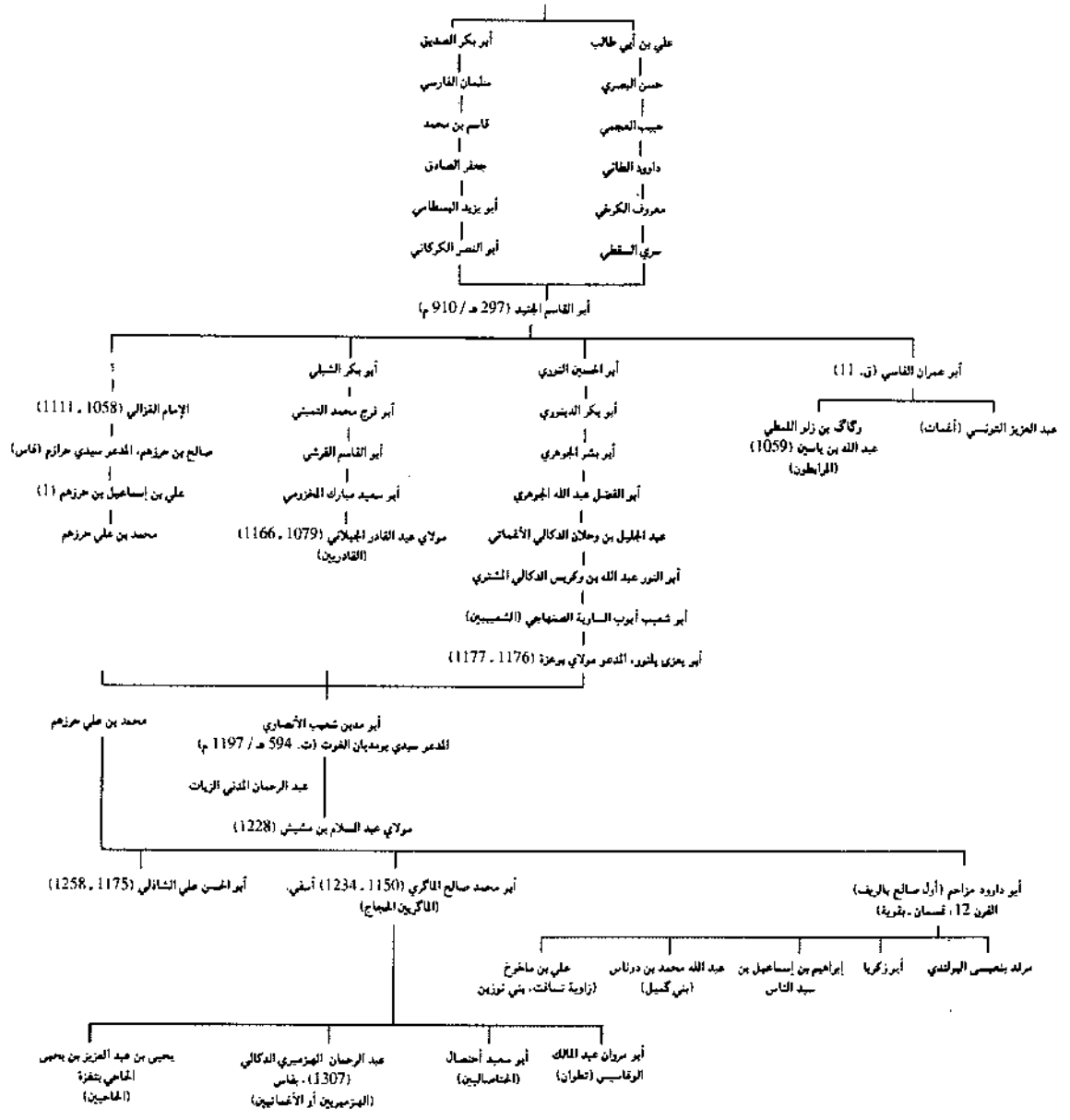

نستطيع أن نقول إن صوفية المغارب أقل تآليف في علم التصوف من صوفية المجتمع الحضري في الأندلس وعواصم المشرق وإيران، ولكن أخبار الصوفية المغاربة، وهي تتضمن مواقف وأعمالاً وأقوالا قد شكلت المادة المنقبية التي كتبها المريدون، بيد أن شذرات قليلة من الآثار التي وصلت إلينا ضمن هذه المناقب كالصلاة المنسوبة للشيخ ابن مشيش أو المبثوثة في ثنايا الصلوات التي جمعها الشيخ الجزولي أو حتى في أزجال بعض الشرقاويين أو رسائل مولاي العربي الدرقاوي أو كلام الشيخ التجاني أو الشيخ ابن عجيبة الخ. قد تضاهى في مضامينها أي تعبير صوفي آخر في مكان كان من العالم.

أما على صعيد العمل الاجتماعي أو ما سميناه بملابسة التاريخ، فإن عهد ما بعد القرن السادس الهجري في المغرب يتميز بكونه بداية تأسيس الطوائف وتكوين شبكة الإسناد الذي تفرعت عنه الطرق. فابن قنفذ القسنطيني الذي جال بالمغرب في منتصف القرن الثامن قد لاحظ هذا التنظيم واضحاً للعيان حيث ذكر أن جملة ما ترجع إليه تلك الطوائف ست هي : 1) الشعيبيون أتباع أبي شعيب صاحب أزمور وهو من أهل القرن السادس. و2) الصنهاجيون، أتباع شيوخ بني أمغار أصحاب رباط تيط جنوبي الجديدة الحالية (وهم أيضا من أتباع شيوخ عاش أعلامهم في القرنين الخامس والسادس). و3) الماگريون (طائفة أتباع أبي محمد صالح شيخ أسفي). و4) الحجاج، وغايتهم تنظيم الحج ولهم علاقة بالشيخ السابق. و5) الحاحيون من أصحاب أبي زكرياء الحاحي دفين تيغزا وجلهم في جبال درن. و6) الأغماتيون وهم طائفة أبي زيد الهزميري الذي كان بأغمات أيلان ومدفنه خارج باب فتوح بفاس.

والظاهر أن مشاهدات ابن قنفذ اقتصرت على جهات دكالة وعبدة وحاحة وجهة مراكش، ولم تشمل سوس وكبريات المدن والريف وتادلة الخ. فتكون الخريطة الدينية

الصوفية في أي عهد رهينة بالشهادات المدونة، ولكن القرائن تجيز لنا أن نتصور كثافتها في كل الجهات بالنظر إلى ما يبرز عند حدوث موجبات تسليط الضوء عليها.

بيد أن ظاهرة واضحة من شهادة ابن قنفذ بالنسبة للقرن الثامن ظلت تصدق على القرون الموالية وهي أن شيخا يصحبه مريدون حول المعنى الأساسي لتحقيق التوحيد الخالص، ولكن القيام بمهمته يستتبع في الغالب تكوين طائفة ومؤسسة هي الطريقة والزاوية، وما تلبث هذه المؤسسة أن تخضع لمقتضيات كل مؤسسة اجتماعية أو مقتضيات التعامل، يضاف إلى ذلك أن تلك المؤسسة تستمر بعد الشيخ وبلا "وارث" روحي في كثير من الأحيان، فإذا الخريطة الصوفية في وقت معين ذات سمات تشبه سمات الخريطة الجيولوجية المتنوعة التشكيلات : براكين نشيطة ومخاريط على جنباتها رماد متحجر، وقمم عالية من الأعلام وتلال شاهدة وأطئة تعود إلى أقدم الأزمنة. فالأمر الأصلي من اختصاص التشكيلات الفتية و"البركة" عند "الجميع" والأدوار الاجتماعية أكثر فعالية لدى التشكيلات المستندة إلى عوامل استيراتيجية وإلى تجارب تدعمها القرون، بينما يتعرض كل تجديد لصعوبات من قبل أطراف مختلفة. وفي مثل هذا السياق يتولد

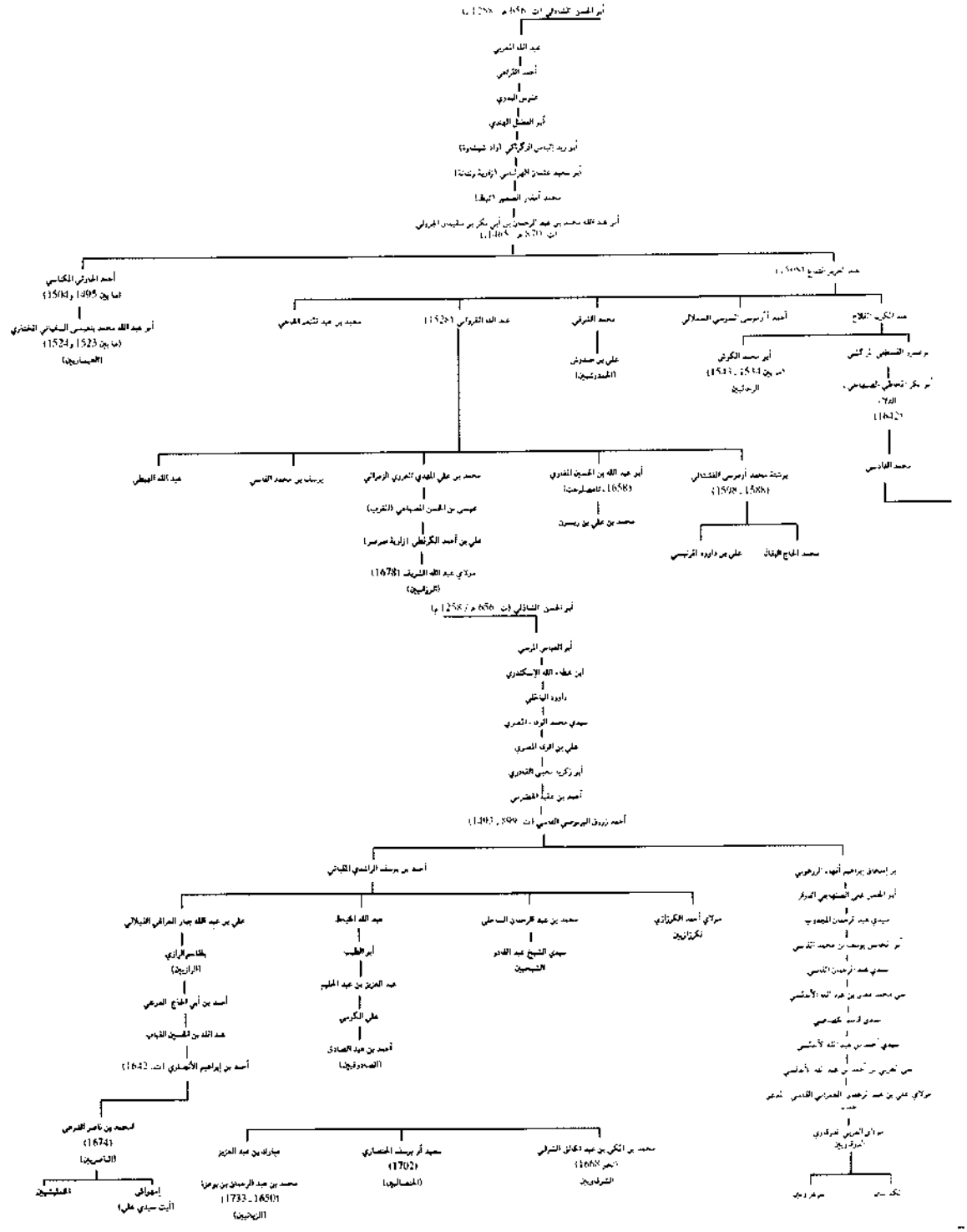

الموقف الذي اتخذته الحركة الوطنية في المغرب من بعض المحسوبين اجتماعيا على الانتماء إلى التصوف وورطوا لوزنهم الاجتماعي في ملابسات موالية للاستعمار، ولما كانت الفعالية تكمن في إيجاد تضاد وتقابل بين تيارين لفائدة الحركي منهما فقد وقع التغاضي على المواقف الجهادية لفعاليات صوفية حية قاومت التدخل الاستعماري من أواسط القرن الماضي إلى الثلث الأول من القرن العشرين.

بيد أن تاريخ المغرب في مداه الطويل يشهد للصوفية بدور إنقاذ الأرض والأمة منذ تأسيس الرباطات الأولى إلى أن احتل الإيبيريون شواطئ البلاد في القرن التاسع (15 م) وقام متصوفة شيوخ أحياء فاعلون بتعبئة القوى الشعبية لتحرير الثغور وحمل إمارة قادرة إلى الحكم للقيام بدورها بعد الفراغ الخطير الذي ترتب عن ضعف المرينيين ثم الوطاسيين. ومن سوء الحظ أن دولة السعديين التي رفعها الصوفية إلى الحكم في القرن العاشر الهجري قدضعفت لأسباب داخلية وخارجية، وهبت لاحتلال الفراغ السياسي تشكيلات لها نزعة "تصوفية" ولكنها أقرب ما تكون إلى التشكيل المرابطي القائم على وظائف اجتماعية كالتعليم والتحكيم، ومنها الزاوية الدلائية، فنسب إليها الطموح السياسي وتردد في ما بعد معرة على "المتصوفة". والواقع أن أهل الدلاء المتأخرين الذين خاضوا في أمور الإمارة ليست لهم حتى تمثيلية مؤسسي الزاوية الذين لم يدعوا شيئا غير تلمذتهم للناصريين.

لقد اغتيل الشيخ الجزولي (عام 870 هـ) كما اغتيل ابن مشيش شيخ الشاذلي قبل قرنين ونصف، ولم يُنتبه إلى أي منهما في حينه، حتى عرض ما يبعث ذلك الذكر كرمز لحركة تحققت في ما بعد، وهكذا اتخذ الجزولي رمزاً لانتصار دولة السعديين لأن تلامذته أطروا الجهاد وظهروا بمثابة "زعماء أحزاب" في حركة انبعاث اقتضتها ظرفية محفوفة بالمخاطر. ولذلك فالجزولي يستحق بالفعل أن يكون بداية مرحلة جديدة من حيث كثافة تلبس التصوف بتاريخ المغرب لا من حيث الاعتبار المذهبي الصرف. وهكذا سمي التيار السائد بعده بالشاذلية الجزولية، واعتبر الشيخ زروق من أعلام وسائطها وإن كان قد أثر عنه اعتبار القرن التاسع نهاية عهد "صاف" في تاريخ التصوف المغربي، فاحتاج إلى التذكير بقواعده التربوية التي لا تسلم قط في خضم المعانقة الشعبوية.

جدول 2

وهذا وشم موجز لأدوار التكوينات الصوفية في المغرب عبر القرون في سياق التفاعل الاجتماعي الذي اعتبرناه الأساس الممكن لأي تحقيب :

أولاً ـ الدور الديني :

إذا تجاوزنا الجانب الروحي الذي هو الأصل في المنهاج الصوفي والتفتنا إلى الأدوار المحسوسة ذات الآثار التاريخية وجدناها تشمل جوانب كثيرة منها :

1) نشر الإسلام كعقيدة في شعوب وقبائل لم يصل إليها الفاتحون.

2) بث تعاليم الإسلام في أقوام ظل إسلامهم لا يتعدى مظهر الانتماء.

3) تنظيم مواسم دينية أرست العقيدة كالموسم الذي اشتهر في المغرب برباط شاكر.

4) تنظيم الجهاد وتأطيره في أوقات كانت فيها الأمة في أخطار محققة تهددها من الخارج.

5) تنظيم السفر إلى الحج وربط المغرب بالمشرق.

ثانياً ـ الدور التعليمي والعلمي والثقافي :

أ ـ نشر حفظ القرآن الكريم.

ب ـ بناء المدارس العلمية وتدبيرها.

ج ـ إنشاء الخزائن وتعميرها بالكتب العلمية.

د ـ توفير إمكانات التأليف واحتضانه.

هـ ـ نشر الثقافة العامة الشفوية عند غير القارئين عن طريق مجالس الذكر والمذاكرة.

ثالثاً ـ الدور الاجتماعي :

1) توفير الإيواء لعدد من أبناء السبيل.

2) إطعام الطعام ولا سيما في أوقات المجاعات.

3) تأمين الطرق بالهيبة والرهبة التي عرف بها أصحاب الزوايا، وتدعيم ذلك بنشر أخبار الكرامات.

4) حماية جماعات المحكومين من العمال الظالمين والحكام المستبدين.

5) ضمان التوازن وتدبيره بين الجماعات في مجتمع انقسامي.

6) الإشراف على معاهدات التساكن بين جماعات متجاورة تنطوي وضعياتها على احتمالات عدوانية.

7) كسر الحواجز القبلية والإثنية أو تليينها على الأقل.

8) تأطير الاستقرار في المجالات الجديدة التي تغزوها الجماعات بعد فراغ ناتج عن موتان.

9) تأطير الاندماج الاجتماعي للمهمشين والغرباء والطراء.

10) تيسير التواصل الاخباري.

رابعاً ـ الدور الاقتصادي :

1) إحياء مجالات من الأرض الموات وعمارة الأرض.

2) غرس الأشجار.

3) استنباط المياه.

4) ضمان الأوقاف المتعلقة باستغلال المراعي.

5) تأطير التنظيمات الحرفية والمهنية بالمدن.

6) الإشراف على أمن الأسواق ورعايتها.

7) الربط بين مناطق متكاملة في التبادل.

خامساً ـ الدور السياسي :

1) ضمان الولاء للإمامة، وهذا المبدأ المشهور عن الصوفية تاريخياً ومع ذلك توجد استثناءات مردها إلى الاستفزاز والحذر الذي يجعل الحكام يعملون على تصفية القوات السياسية الاجتماعية التي يتقون شرها على

الساحة السياسية إذا عجزوا عن استعمالها الاستعمال المطلوب.

2) التوسط بين الحاكمين والمحكومين في سياق علاقات متوترة، وذلك بأساليب "الشفاعة" ومنح فرصة الملجأ إلى الحرم، ومراجعة الحكام في موضوع تصرفات أعوانهم.

3) استعمال الهيبة للتخفيف من تعسفات ذوي الجاه، وتقوية ذلك بأخبار الكرامات، وهو منزع كانت له فعالية تاريخية مشهود عليها.

ولقد تلاحقت أمواج التغطية الصوفية منذ السعديين لتنال بتأثيرها المتنوع جميع أطراف المغرب ولا سيما على أيدي تلاميذ الجزولي وتلاميذهم وعلى أيدي الناصريين في درعة والدرقاويين في الشمال والتجانيين الذين ظهروا في لحظة كان يتوقع أن تنتصر فيها فكرة الوهابية بالمغرب، بيد أن شيئاً من ذلك لم يكن إذ بالتجانية جدد أعيان الحواضر انتسابهم الصوفي بعد أن نشط أتباع الناصريين والدرقاويين في البوادي خاصة، بل ان التجانية ربطت المغرب من جديد بالآفاق الصحراوية والآفاق الإفريقية التي سبق أن اشتهر شيوخ منها في فاس في عهود سابقة كالشيخ البرناوي.

فالتصوف من مقومات تاريخ المغرب الروحي والديني والثقافي والاجتماعي والسياسي بل والاقتصادي. لم تقتصر آثاره على المدن بل أدمجت البوادي في الحياة الثقافية، ولم يقتصر على جماهير العامة بل صار السند العلمي والسند في الإذن الصوفي يكادان يقترنان في تراجم معاجم الأعلام، وهو من معطيات الإشعاع المغربي في اتجاه الشرق ولاسيما صعيد مصر والبلاد التي نالت الطريقة الإدريسية، وفي اتجاه الجنوب، بل وفي اتجاه أوربا في هذا القرن العشرين، وعلى الصعيد الداخلي، فمازال لتراثه حضور في النسيج الاجتماعي وفي الضمير الأخلاقي، وتجدده من طبيعة الأمور.

م. التميمي، *المستفاد*، (ستنشر قطعة منه عام 1995 بتحقيق محمد بنشريفة وأحمد التوفيق) ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، البيضاء 1984 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط 1965 ؛ ع. البادسي، *المقصد*، الرباط ؛ ابن تكلات، *إثمد العينين*، د. د. ع بكلية آداب الرباط، تح. م. رابطة الدين ؛ أحمد بن إبراهيم، *المنهاج الواضح*، د. د. ع بكلية آداب الرباط، تح ع. السعيدي ؛ ع. الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط خ. هـ. د 1501 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، الرباط 1977 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، منشور بطرابلس محققاً وورد على هامش طبعة مصرية للديباج ؛ أ. الصومعي، *المعزى في مناقب أبي يعزى*، حققه ع. الجاوي وهو قيد النشر بكلية آداب أكادير ؛ ح. اليوسي، *المحاضرات*، تح. إقبال وحجي، بيروت 1982 ؛ م. ع. الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. ح. فاس 1324هـ ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط خ. ع. ك 326 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ط. ح. فاس 1896 م ؛ *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة من انتشر* ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة 1987 ؛ *جذوة الاقتباس*، الرباط 1973 ؛ م. الزيادي المنالي، *دوحة البستان*، مخطوط خ. ع. ؛ أ. اللمطي، *الإبريز*، حققه الشماع ونشر في دمشق 1984 ؛ م. ابن عيشون الشراط، *الروض العطر الأنفاس*، د. د. ع. بكلية الرباط، تح زهراء النظام ؛ ع. القادري، *المقصد الأحمد*، ط. ح. فاس 1932 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، الرباط، 1977 ـ 1986 ؛ س. الحوات، *اليدور الضاوية*، مخطوط خ. ع. 934 ؛ *السر الظاهر* ؛ *سلوك الطريق الوارية* ؛ ح. الطاهري الجوطي، *تحفة الإخوان*، ط. ج. فاس 1906 ؛ مولاي العربي الدرقاوي، *مجموعة الرسائل*، الدار البيضاء، د. ت ؛ ع. حرازم، *جواهر المعاني*، بيروت 1963 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. ح. فاس 1895 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974 ـ 1983 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، فاس 1918 ؛ م. الكتاني، *ترجمة الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني*، سلا 1960 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الرباط 1960 ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، الرباط 1964 ؛ م. داود، *النور البراق في ترجمة الشيخ محمد الحراق*، تطوان 1968 ؛ علال الفاسي، *التصوف الإسلامي في المغرب*، منشور في الثقافة المغربية، عدد أ ص 31 ـ 41 وعدد 2 ـ 3 ص 24 ـ 44، 1970 ؟ ع. نجمي، *من تاريخ التصوف المغربي في القرن العاشر الهجري : الملامتية*، في مجلة تاريخ المغرب، 1، 1981 ؛ ع. الصغير، *غروب الفكر الصوفي في شمال المغرب* ؛ ع. الشاذلي، *التصوف والمجتمع*، سلا 1989 ؛ ع. القادري، *كتاب الزاوية القادرية عبر التاريخ والعصور*، تطوان، 1986.

O. Depont et X. Coppolani, *Les confréries religieuses musulmanes*, Alger 1897 ; E. Michaux-Bellaire, *La Maison d'Ouzzeen*, *R.M.M.* X, 1907 ; E. Lévi-Provençal, *Les historiens des Chorfas*, Paris 1992 ; G. Marçais, *Notes sur les ribats en berbérie*, in *Mélanges René Basset*, Paris 1925 ; E. Michaux-Bellaire, *Les confréries religieuses au Maroc*, *A. M.* 27, 1927, p. 1 - 86 ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951 ; E. Dermengham, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954 ; R. Brunel, *Le monachisme errant dans l'Islam, Sidi Heddi et les Heddawa*, Paris, 1955 ; A. Faure, *Le Tashawwuf et l'école ascétique marocaine des XIIème - XIIIème siècles*, in *Mélanges Louis Massignon II*. Damas, 1957 ; G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1958 ; J. Berque, *al Youssi, Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle*, Mouton-La Haye 1958 ; P. Pascon, *La maison d'Iligh*, Rabat, 1963 ; F. Skali, *La voie soufie*, Paris, 1985 ; E. Gellner, *Saints of Atlas*, London, 1969 ; M. Lakhdar, *La vie littéraire au Maroc sous la dynastie Alawite*, Rabat, 1971 ; M. Morsy, *Les Ahansala*, Paris, 1972 ; V. Capanzano, *The Hamadsha*, in Nikki R. Keddie (éd.) : *Scholars, Saints and Sufis*, *Univ. of California*, Press 1972 ; J.-L. Michon, *Le Soufi Marocain Ahmed Ibn Ajiba et son Mi'râj*, Paris, 1973 ; M. Benchekroun, *La vie intellectuelle marocaine sous les Merinides et les Wattasides*, Rabat, 1974 ; M. Tozy, *Champ et contre champ politico-religieux au Maroc*, Thèse soutenue à Aix-En-Provence, 1984 ; A.-L. De Premare, *Sidi Abder-Rahlan el Mejdub*, Paris, Rabat 1985 ; M. Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge, XIVème*, Paris, 1986 ; H. Triki et H. Ferhat, *Hagiographie et religion au Maroc médiéval, H.T.*, 1986 ; R. Brunel, *Essai sur la confrérie religieuse des Aissaouas au Maroc*, réed. Casablanca, 1988 ; H. Triki et H. Fehrat, *Faux prophètes et mehdis, H.T.*, 1988 - 1989 ; F. Skali, *Topographie sociale et spirituelle de la ville de Fès*, Thèse soutenue en Sonbonne, 1990 ; J. Hunwick, *Les relations intellectuelles entre le Maroc et les pays d'Afrique sub-saharienne*, Rabat, 1991 ; H. Fehrat, *Le Maghreb au XIIème et XIIIème siècles : les siècles de la foi*, Casablanca 1993.

أحمد التوفيق

تضاريس المغرب، متميزة بالتنوع الشديد، حيث يمكن الفصل بين ثلاثة أنواع من المجالات : مجالات جبلية تضم الأطالس والريف، مجالات اطلنتية تتكون من سهول وهضاب، ومجالات شرقية وجنوبية. هي عبارة عن أرصفة

ممتدة تبرز بها مرتفعات منعزلة.

ويرجع الأصل في تنوع المغرب إلى موقعه على البحر المتوسط الذي يفسر حداثة وعنف البنائية وتجزيء التضاريس. وتقل آثار هذه البنائية نحو الجنوب حيث نمر إلى مناطق أكثر استقراراً ورتابة، ترتبط أكثر بالمجال الافريقي القاعدي.

وتمتد السهول المنخفضة والهضاب المستوية على مساحات شاسعة. ويبرهن على ذلك الارتفاع الوسيط للبلاد الذي يصل إلى 800 م والذي يدل على أن أكثر من نصف المساحة لها ارتفاعات تقل عن 1000 م. وتمتد الجبال الحقيقية على حوالي 100.000 كلم^2 أي 1/7 من المساحة الاجمالية. ويعني هذا أنه اعتبارا للتضاريس وحدها، يتوفر المغرب على أراض ممتدة صالحة للأستعمال الزراعي، إلا أن جفاف العديد من هذه السهول أو فقر تربتها يحولان دون استعمالها.

- الجبال : يقسم الظهر الجبلي الأطلسي الممتد من غ ج

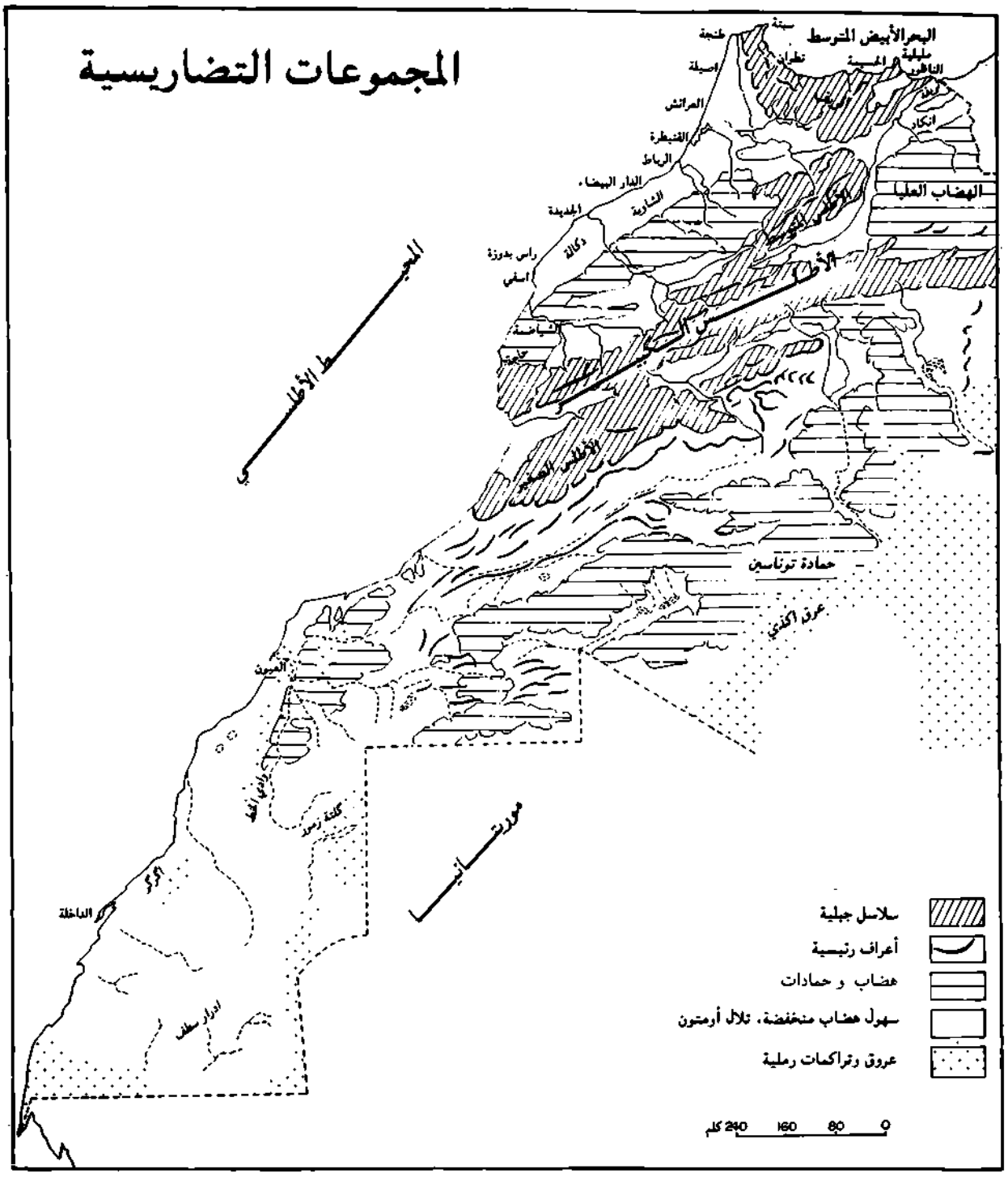

غ إلى ش ش ش إلى قسمين، مغرب متوسطي في الشمال، ومغرب صحراوي في الجنوب. ويتكون هذا الظهر أساساً من الأطلس الكبير الذي يمتد على مساحة 50.000 كلم^2 والذي يحتوي على أعلى قمم المغرب (4615 م في توبكال، 4070 م في مكون، 3737 م في العياشي). وهناك القليل من الفجاج العالية التي تسمح باجتياز هذه السلسلة في جزئه المحوري، يرتبط الأطلس الكبير عبر بركان سيروا بالأطلس الصغير الذي يمتد على مساحة 31760 كلم^2، والذي تليه جنوباً سلسلة من الأعراف المنعزلة المتوازية. أما الأطلس المتوسط، فهو يتفرع عن الظهر الأوسط في جزئه الأوسط الكتلي ليتخذ اتجاها نحو الشمال الشرقي، على مساحة 13440 كلم^2.

ويقترب الأطلس المتوسط في نهايته الشمالية من السلسلة المتوسطية المكونة لجبال الريف والممتدة على 13000 كلم^2. وهي سلسلة كتلية تنحني نحو هوامشها الجنوبية، حيث تمتد تلال مقدمة الريف.

ـ السهول والهضاب الاطلنتية. غرب وشمال المدرج الجبلي الريف ـ أطلسي، وبإشراف على الساحل الاطلنتي، تمتد مجموعة من السهول والهضاب. وسط المجموعة مرتفع، بينما جوانبها مستوية ومنخفضة.

تتكون الوحدة الهضبية المرتفعة من سطوح رتيبة قليلة التقطيع مثل هضبة خريبگة، ومن "جبال" متوسطة شديدة التجزئ مثل الهضبة الوسطى والجبيلات. في هذه المرتفعات، تعلو التضاريس إلى حوالي 1000 م أو أكثر.

تحيط بهذه الوحدة المتماسكة سهول ومنخفضات. شمالاً نجد المنخفضات جنوب الريفية التي تنعزل عناصرها، مفصولة بتلال بارزة (سهول الغرب ـ السايس ـ إناون). شرقاً وجنوباً، تمتد سهول تادلا، السراغنة والحوز عند قدم الأطالس. وغرباً أخيراً، تمثل السهول الساحلية رصيفاً عند قدم الهضاب الوسطى (سهول زعير، الشاوية ـ دكالة وعبدة).

ـ المغرب الشرقي : شرق الريف والأطلس المتوسط، وشمال الأطلس الكبير تمثل سهول وهضاب وجبال المغرب الشرقي مجالاً خاصاً له امتداد في القطرين الجزائري والتونسي. فهو يتكون من جزء متوسطي محدود ومتجزئ، عناصره سلاسل جبلية صغرى مثل بني ازناسن وجرادة، وسهول محدودة، مثل تريفة وانكاد. ويتكون ثانياً من سلسلة من الأحواض، محورها ملوية، تمتد شرق الأطلس المتوسط. لكن الجزء الأوسع، عبارة عن هضاب عالية رتيبة تدعى الهضاب العليا.

ـ المغرب الجنوبي : جنوب الأطلس، التضاريس عبارة أساساً عن سهول وهضاب قاحلة. فهناك أولاً سلسلة من السهول الفاصلة بين الأطلس الكبير والصغير وتمثل منخفضات محصورة (سوس ـ درعة الوسطى ـ تافلالت). وجنوب الأطلس الصغير، وفيما بين الأعراف المتوازية، تمتد سهول باني المستطيلة. وتمثل هضاب الحمادات مساحات ممتدة ومتدرجة (گير ـ گمگم ـ درعة). ثم جنوبها نجد هضاب الركيبات التي تعلو الساقية الحمراء وتنحني غرباً عبر طبغرافية متموجة نحو الساحل الاطلنتي.

في المجموع تمثل السهول الحقيقية 10٪ من المساحة الإجمالية، والجبال 15٪، بينما تغطي الهضاب 3/4 المغرب. إلا أن هذه الهضاب جد متنوعة الظروف، منها ما يقترب من ظروف الجبال (كالهضبة الوسطى) ومنها ما يشبه أكثر بيئة السهول مثل هضبة زعير الاطلنتية.

وتتضح الآثار البيئية العامة لهذا التقسيم التضاريسي، لما له من دور هام. فالتضرس أساس في تحديد سهولة التنقل الشئ الذي يفسر قلة الطرق التي تجتاز سلاسل الريف والأطلس بينما ترتفع كثافة الطرقات والمسالك في المناطق المستوية. والتضرس يحدد ثانياً امتداد الرقعة الزراعية، حيث ترتفع هذه الرقعة في المجالات السهلية، إما اعتماداً على الامطار أو على السقي ؛ بينما تتجزأ المساحة المزروعة إلى قطع صغيرة في الأودية وعلى السفوح المتوسطة داخل الوحدات الجبلية. والتضرس والارتفاع يلعبان كذلك دوراً مناخياً وإحيائياً متميزاً، حيث تتدرج بيئات متوالية من قدم الأطالس إلى قممها. وتكون الجبال حواجز أمام الرياح الشئ الذي يفسر التناقض الصريح بين واجهاتها الشمالية والغربية المعرضة للرياح الرطبة، وواجهاتها الجنوبية والشرقية المطلة على مناطق جافة.

ويكمن الأصل في التوزيع التضاريسي الحالي في العوامل البنيوية، المتحكمة في عنف وحداثة البنائية. وتبعاً لهذا العامل يمكن التفريق بين ـ مجالات مستقرة منذ وقت طويل، تمتد من موريتانيا جنوباً حتى الحادث جنوب الأطلسي، وتضم بالتالي سلسلة الأطلس الصغير، وحمادات الجنوب الشرقي والجنوب، وهضاب الصحراء الغربية.

ـ مجالات أطلسية، جلها جبلي، مكونة من سلاسل مرتفعة، بنيتها ملتوية ومنكسرة، رفعت بشدة في نهاية الزمن الثالث وعرفت توالي مراحل متعددة من التشويه والتعرية.

ـ مجالات رصيفية (الميسيطا) تتكون من سهول وهضاب المغرب الأطلنتي ومن هضاب المغرب الشرقي. وهي عبارة عن مناطق التوت قديماً قبل أن تعرف التسطيح التحاتي لتبقى مستقرة منذ ذلك عدا تموجات بسيطة كانت سبباً في غزو البحار للمجالات المنخفضة حيث رسبت طبقات سمكية أهمها طبقات الفوسفاط.

ينفرد المجال الريفي شمالاً بكونه ظل منطقة إرساب طيلة الزمن الثاني وجل الزمن الثالث، ولم يتشكل إلا منذ الميوسين على إثر التواءات عنيفة جداً سمحت بانزلاق فرشات زاحفة نحو الجنوب، تجاه الأخدود جنوب الريفي الذي يفصله عن المجال الأطلسي والرصيفي.

Troin [et al...], *Le Maghreb, hommes et espaces*, 360 p. 1985; Despais et Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, 570 p. 1967.

عبد الله العوينة

التّطافي، ـ بكسر التاء ـ أبو بكر بن الحسن، أستاذ متوسع في علوم الدين، والفقه، والأصول، واللغة، وعالم صالح، راسخ في الزهد. هكذا نتعرف على ملامح شخصية الشيخ من خلال الترجمة الغنية التي عقدها له تلميذه الحسن بن مسعود اليوسي ـ والتي اعتمدت في باقي المصادر ـ (وهي ثاني ترجمة من حيث الكم مع اعتبار أن فهرس الشيخ اليوسي لم يكمل). وإذا كنا نجهل العديد من التفاصيل عن نشأته، وتكوينه، ولا نعرف تاريخ ولادته ووفاته، فإننا نصنفه ضمن رجال طبقته، ونسجل حضوره ومشاركته في الحياة الفكرية خلال القرن الحادي عشر (17 م)، كما أننا نتلمس من الإشارات المقتضبة عن حياته التعليمية التعرف على المراكز التي ارتادها ونهل منها ؛ قبل أخذ العلم على الشيخ عبد الله بن علي بن طاهر الحسني (ت. 1044 هـ/ 1634 م) أحد حفاظ المغرب الثلاثة، وأشهر علماء تافيلالت، كما كانت له رحلة إلى مدينة فاس في بداية طلبه للعلم. ولا شك أنه بلغ المستوى العلمي والخلقي الذي جعل مترجمه يحليه تارة بالإمام العالم، وتارة أخرى بالأستاذ المشارك الناسك. ويقدم أكثر من إشارة على مدى حبه للعلم وشغفه به. فهو لا يفتأ ينوه بفضله وشرف اكتسابه، ويشجع طلبته على تحمل عناء تحصيله.

أما طريقته الصوفية التعليمية فيظهر أنها ارتكزت على نهج تحليل المتون والأصول المدروسة مع إغناء المجالس بالإفادات والاستشهادات النثرية والشعرية على طريقة أكبر الشخصيات العلمية في عصره.

ح. اليوسي، *فهرس*، 166 ـ 169 (مخطوط) ؛ *المحاضرات*، 49 ـ 113 ـ 302 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 117 ـ 118 ؛ م. القادري، *نشر*، 2 : 404 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، 57 ـ 58 (مخطوط) ؛ إ. ابن عجيبة، *أزهار البستان*، 245 ـ 247 (مخطوط).

نفيسة الذهبي

تطّوان أو تطاون، مدينة شهيرة في شمال المغرب لكنّ كل محاولة لإثبات أصلها التاريخي تعترضه عدة صعوبات متمثلة في ندرة المصادر المكتوبة والمادية على السواء. ويبقى الأمل معقوداً على استغلال النصوص القليلة وتحليلها ومناقشتها. وللتوصل إلى ذلك سنركز أنظارنا حول سنة 338 / 950 م لنتخذها نقطة انطلاق البحث عن ذلك الأصل. ومنها سنتراجع إلى الوراء زمنيا، وسيمكننا هذا من الانطلاق من المعلوم إلى المجهول بحثا عن أهم المحطات الزمنية وإثارة ما يتراءى لنا من التساؤلات.

ويعود اتخاذ سنة 338 هـ. نقطة التراجع الزمني، إلى أننا نعلم منها بالتأكيد وجود مدينة تطوان، من خلال ما أورده البكري حينما قال : "ومدينة تطاوان.. قاعدة بني سكين بها قصبة للأول ومنار، وبها مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء (...) وهي بسفح جبل أيشقا (...) وبجوفها جبل يعرف ببلاط الشوك...". هذه الشهادة القصيرة كافية لإثبات وجود مدينة قائمة بذاتها بجميع مرافقها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية والحربية. كانت آنذاك مدينة إدريسية، لبني محمد، تنافس مدينة سبتة وبسط الأندلسيون نفوذهم عليها منذ عام 319 هـ، وترد التهديدات التي تتلقاها منها. فمتى تأسست مدينة تطوان وعلى يد من ؟

إن قيام أي تجمع عمراني يرقى إلى مستوى مدينة يتطلب عهداً وزمناً طويلا في أغلب الحالات. لكن يختلف الأمر بين مثال المدن التي تظهر لدواع سياسية واقتصادية على يد زعماء يحتفظ التاريخ بأسمائهم، وبين المدن التي نشأن وتطور عمرانها على يد سكان المنطقة، دون أن يعلم أحد بمؤسسها. فهذا المثال الأخير ينبطق على مدينة تطوان. فإذا كنا نستند إلى ما أورده البكري لإثبات وجود المدينة، وهو من أهل القرن الخامس، فإننا نرد أصل تلك النصوص على الأقل إلى منتصف القرن الرابع الهجري، مما سجله محمد بن يوسف الوراق المتوفي سنة 362 هـ. ولذلك لا يمكن أن نرد التأسيس إلى الفترة الإدريسية التي بدأت بالشمال الغربي منذ سنة 213 هـ، إذ أن النصوص لم تصرح بذلك، وما كان علينا أن تتغافل أو تتجاهل ذلك لو أن تطوان كانت إدريسية النشأة، بل إن وجودها أقدم من ذلك.

وسكوت البكري من خلال المقتبس من الوراق عن الإفصاح عن المؤسس، دليل على أن المدينة تم تأسيسها على يد أهالي المنطقة، ولا بد أن يتم ذلك بصورة تدريجية. ولما كان نص البكري يشير إلى بني سكين المصموديين، واتخاذهم تطوان قاعدة لهم، فإن السؤال يعود : هل كان بنو سكين هؤلاء هم مؤسسي مدينة تطوان ؟. والواقع أننا نستبعد ذلك، ولو أننا لا ننكر أنهم ساعدوا على تطوير عمرانها وتثبيت مكانتها كمركز حضري.

فبنو سكين هؤلاء من سكان المنطقة القدامى، مصموديون مجكسيون، كانوا قبل سيطرة بني محمد الأدارسة سنة 213 هـ. ويمكن الإشارة إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. امتد نفوذهم على المساحة الممتدة من تطوان إلى رأس قَبْ مُنْت، الرأس الأسود الحالي، لتشمل الساحل إلى مصب واد تطوان أو مجكسة حسب البكري، صعودا مع مجرى نفس الواد إلى ما يقابل المدينة من جهة الجنوب. كان دورهم بارزاً في المنطقة، ومن الوجهة الاقتصادية خاصة. والمهم لدينا أن قرب العصر من الوراق دليل آخر على قدم مدينة تطوان، وبعد ظهورها عن النصف الثاني من القرن الثاني الهجري.

ولما كان بنو سكين هم خلفاء بني ماجكن المجكسيين على المنطقة منذ انسحاب زعيمهم ماجكن أو ماجكسن إلى سبتة بعد سنة 122 هـ. فإن أنظارنا توجهت إلى هذه الجماعة من المصمودين، قواد المنطقة قبل العقد الأول من القرن الثاني الهجري. نحن لا نستبعد أن تطوان المدينة قد نالت حظها من نتائج الاضطرابات التي عمت كلا من سبتة وطنجة بسبب الثورة الخارجية، ولكن هذا لا يمنعنا من التأكيد على وجود المدينة أثناء ذلك، استناداً إلى إشارة

البكري كذلك. إن أنه يصرح بوجود "قصبة ومنار للأُول". وحينما يستعمل البكري لفظ "الأول" نعلم ماذا كان يعني، فهو يريد الإشارة إلى زمن ما قبل العهد الإسلامي ببلادنا. فلا يسعنا سوى أن نقول إن وجود المدينة عائد إلى تلك الفترة السحيقة في القدم، بدليل وجود قصبة ومنار، فلا يمكن تصور وجودهما بدون حضور المجال العمراني والتجمع السكاني والوظائف الحضرية الضرورية. ويبقى تحديد البداية والوقوف عند ميلاد المدينة. وهذا ما لا تسعفنا به المصادر القديمة.

ويمكن التأريخ لوجود مدينة تطوان بعهد ما بعد مدينة تمودا، إذ من المستبعد التحدث عن ظهورها إلى جانب مدينة ذات مكانة في التاريخ القديم، قريبة منها على بعد ثمان كيلومترات فقط. وأيضا فإن ظهور تطوان لا يمكن أن يأتي إلا بعد انتهاء دور مدينة تمودا.

والخلاصة أن مدينة تطوان يمكن أن تكون ظهرت بعد تخريب تمودا على يد سكان المنطقة المصمودية قبل ميلاد المسيح عليه السلام لتقوم بوظائف المدينة القديمة، وموقعها المشرف على المجرى الأوسط لواد مجكسة (واد تطوان) من جهة، وهيمنتها على المصب، إلى جانب موقعها على الطريق البري المتجه إلى مدينة سبتة، وبالطبع لا يمكن التحدث عن تاريخ محدد لذلك الظهور ولا عن القوى السياسية والاجتماعية التي قادت المدينة سوى أنها مصمودية الأصل. أو عن تحديد مساحة المدينة ودرجتها العمرانية، فهذا من اختصاص أهل التاريخ القديم.

وبتلك الصورة وصلت مدينة تطوان إلى يد المجكسين ماجكن ثم بني سكين والأدارسة بعدهم. وهناك دليل آخر عن مصمودية مدينة تطوان أصلا وتأسيسا هو اسم المدينة الأمازيغي. فتطاوان جمع لمفرد تبط أي عيون الماء، ففي زمن البكري كانت بها "مياه كثيرة سائحة عليها الأرحاء". ولا شك أن تلك العيون السائحة التي أعطت المدينة اسمها هي التي تنساب اليوم بحي العيون في غرب المدينة، وأعطت اسمها أيضا للحي الذي تجري فيه.

أ. البكري، *المغرب*، 107 ـ 130 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 436 ـ 438 ـ 450 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 247 . مصطفى غطيس، *تمودة*، 43 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج. 1، 46 ؛ مارمول، *افريقيا*، 2 : 222 ؛ ج. كاني، *المغرب الشمالي في أواسط القرن الخامس الهجري*، *البحث العلمي* 1973، 130 ـ 143.

أحمد قدور

* * تاريخ تطوان، أول من قام بمحاولة كتابته هو عبد السلام سكيرج المتوفى سنة 1250 / 1834 وعنوان كتابه الذي مازال مخطوطا : *نزهة الإخوان وسلوة الأحزان في الأخبار الواردة في بناء تطوان* ؛ والمحاولة الثانية كانت لأحمد الرهوني الذي أطلق على كتابه اسم *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، ويقع في عشرة مجلدات مازالت مخطوطة. وقد قمت بتكليف من معهد فرانكو للأبحاث المغربية الإسبانية بتلخيصه في جزء باللغة الإسبانية طبع بتطوان سنة 1953.

أما المحاولة الثالثة فهي لمحمد داود الذي سمى كتابه *تاريخ تطوان*، وهو يحتوي على عدة مجلدات لم يطبع منها سوى ثمانية، ويتعلق الأمر بتأليف ذي قيمة كبرى، غير أنه لا يمكن أن يعد بمثابة تاريخ تطوان النهائي لما فيه من ثغرات يجب ملؤها وأغلاط تتطلب التصحيح. وكل ما يمكن أن يقال عن العمل الجبار الذي قام به داود هو أنه مشروع لموسوعة تطوان ولو أنه لم يقدم على شكل الموسوعات لأن مواده غير مرتبة ترتيباً ألفبائياً، بالإضافة إلى أنه يحتوي على مواد كثيرة لا علاقة لها بتاريخ تطوان، وأنه لم يعتمد أساساً إلا على المراجع العربية فلم يلجأ إلى المصادر الأجنبية إلا نادرا، حين أننا نعلم أنه بدون الاطلاع على تلك المراجع مباشرة لا يمكن لأحد أن يكتب تاريخ تطوان ولا تاريخ شمال المغرب منذ بداية القرن التاسع الهجري (15 م).

إن أقدم مصدر جاء فيه أن مدينة تطوان أو تطاون كانت موجودة في عهد الأدارسة هو كتاب *المسالك والممالك*، لأبي عبيد الله البكري ـ كما ذكرنا آنفاً ـ.

ويؤكد وجود تطاون في عهد الأدارسة ما جاء في *القرطاس* إن تطاون كانت مع طنجة وسبتة من حظ الأمير سيدي قاسم بن إدريس الثاني في تقسيم المملكة الذي قام به سنة 213 السلطان محمد الأول من دولة الأدارسة.

ويشهد جميع المؤرخين بأن القائد محمد طملس الذي جاء من الأندلس إلى المغرب بأمر من الخليفة المستنصر قد توجه إلى تطوان للقضاء على المقاومة التي كان يقودها الأمير الإدريسي الحسن بن گنون سنة 361 / 972. كما يشهد المؤرخون بالاجماع بأن القائد الفاطمي بلكين، بعد احتلاله لعاصمة فاس سنة 369 / 979 توجه إلى شمال المغرب ومر بتطاون في طريقه إلى سبتة.

ومما يدل على أن تطاون كانت موجودة في عهد المرابطين والموحدين ما جاء في كتب التاريخ بأن قائد الكتيبة المسيحية التابعة لجيش السلطان المرابطي تاشفين ابن علي وهو الإسباني ريبرطير Reverter قد التجأ إلى تطاون عند ما كان في متابعة الجيش الموحدي بقيادة الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي بشمال المغرب سنة 537 / 1142. ولا شك أن إيواء القائد المسيحي المذكور من طرف سكان تطاون كان سبب قتل ثمانمائة تطاوني من طرف الموحدين سنة 544 / 1150.

ليس لنا ما يدل على المكان الذي كانت توجد به مدينة تطاون في تلك العهود، ولكننا نتوفر على ما يثبت أن أقدم نواة لهذه المدينة كانت بحومة "السويقة" الحالية وبالضبط بالمكان المعروف بـ"المنجرة".

فعلا، هناك تقاييد تفيد أنه في سنة 542 / 1148 جاء إلى المكان المذكور الولي الصالح سيدي عبد القادر التبّين، وشرع في بناء دور ودكاكين ومسجد ومطاحن. والغالب على الظن أن هذه المدينة الصغيرة (المنجرة) هي التي أطلق عليها الجغرافي الشريف الإدريسي المتوفى سنة 560 / 1165

اسم "حصن تطوان" في كتابه *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، وهذا الحصن هو الذي وصفه الجغرافي صاحب كتاب *الاستبصار في عجائب الامصار* بمدينة قديمة. ومن المعلوم أن هذا الكتاب وضع في النصف الثاني من القرن السادس الهجري.

أجمع المؤرخون على أن السلطان يوسف بن يعقوب المريني، هو الذي أنشأ قصبة تطاون سنة 685 / 1286 ونحن نشاطر الفقيه داود رأيه في أن القصبة المذكورة هي القصبة الموجودة داخل المدينة والمعروفة بقصبة سوق الحوت القديم في المكان المعروف بجامع القصبة.

ويقول جميع المؤرخين إنه في سنة 708 / 1308 قام السلطان أبو ثابت عامر المريني ببناء "أفراگ" كبير حول قصبة سوق الحوت القديم لينطلق منه إلى مدينة سبتة من أجل محاصرتها واسترجاعها من يد الأندلسيين.

وتشهد المصادر الإسبانية بأن الذي قام بإقام بناء "أفراگ" المذكور هو السلطان سليمان بن عبد الله، فتم له استرجاع سبتة سنة 709 / 1809.

اويقول القنصل رُويزْ دي كُويفَاس (Ruiz de Cuevas) إن القلعة التي بناها أبو ثابت كانت تتوفر على بابين : باب بناحية الجنوب أطلق عليها اسم باب المدينة وباب المشور. ولا شك في أن "أفراگ" أبي عامر وكذلك قصبة يوسف بن يعقوب قد بقيا قائمي الذات طيلة القرن الثامن (14 م) بحجة أن ذكر مدينة تطاون ورد في مقدمة ابن خلدون.

ومما يدل على أن المدينة لم تكن ذات أهمية في ذلك العصر، أنها لم تذكر من بين مدن المغرب في كتاب *معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار* لابن الخطيب.

غير أن الناصري يؤكد أن تطاون بقيت قائمة الذات إلى غاية سنة 808 / 1400.

هنا يجب أن نتعرض لقصة وردت في عدد من كتب التاريخ وهي أن أسطول الملك الإسباني إنريكي الثالث قام بتخريب تطاون سنة 1399 أو 1400 / 802 . 803.

وهذه القصة لا أساس لها من الصحة فهي من اختلاق الكاتب الإسباني "گونْشَاليثْ دَابيلا" الذي جاء بها في كتابه *تاريخ حياة وأعمالَ الملك إنريكي الثالث ملك قشتالة*.

والدليل على عدم صحة هذه القصة هو أن مؤرخ دولة قشتالة آنذاك "لويس دي أجالا" لم يأت بها في كتابه *تاريخ الملك إنريكي الثالث*. وليس من المعقول أن يكون مؤرخ الدولة الرسمي قد أغفل ذكر مثل هذا الحدث المهم في حياة ولي نعمته.

ومن المعلوم أن أول كاتب أخذ هذه القصة عن "دابيلا" هو الكاتب الإسباني "مارمول كاربخال" الذي أوردها في كتابه *كشف عام لإفريقا*، وعنه أخذ المؤرخون الإسبان ومنهم المؤرخ كاسطيبانوس Castillanos الذي جاء بها في كتابه *تاريخ المغرب*.

وعن كاسطيبانوس أخذها الناصري فأوردها في كتابه *الاستقصا*، وهذا ما جعل المؤرخين المغاربة يرددون نفس القصة ومنهم الفقيهان الرهوني وداود.

والغريب أنه لا أحد من المؤرخين والكتاب اهتدى إلى ما كتبه الجغرافي الحسن الوزان الفاسي صاحب كتاب *وصف افريقيا*، الذي قال إن تخريب تطاون كان على يد البرتغاليين المحتلين لمدينة سبتة لا على يد الإسبانيين، غير أنه لم يذكر السنة التي وقع فيها ذلك، كما أنه لا أحد اهتم بما قاله المؤرخ البرتغالي دافيد لوبيس David Lopes في كتابه *البرتغاليون*، عندما أثبت عدم صحة تخريب تطاون سنة 803 / 1400 وذلك بتقديمه أدلة قاطعة لا تقبل الجدل.

تشهد الوثائق البرتغالية التي نتوفر عليها أن تطاون لم تهدم سنة 803 / 1400 بل كانت موجودة وقائمة الذات سنة 818 / 1415 وهي السنة التي احتل فيها البرتغال مدينة سبتة، بحجة أن سكان تطاون هم الذين كانوا يرابطون على مدينة سبتة فيعينون إخوانهم المغاربة المطرودين منها على مهاجمتها ومحاصرة البرتغاليين بها، بل هناك من سكان سبتة من التجأ إلى تطاون واستقر بها.

تؤكد الوثائق المذكورة أن الذي كان يترأس حصار سبتة سنتي 831 و832 / 1427 و1428 هو الولي الصالح سيدي طلحة الذي كان ينطلق إليها من تطاون. وهذا ما تؤكده المصادر الإسبانية مثل سوريدا وكربيادو أورطيگا وماركس ذي پرادو. إلا أن الأستاذ داود يقول : إن سيدي طلحة الدريج كان بتطاون حوالي سنة 653 / 1255، ونقلا عن سليمان الحوات يتأكد أن الولي المذكور انتقل من سبتة إلى تطاون فكان "يلازم الرباط للجهاد في الثغور"، وكان "له فرس يركبه للجهاد" وكان "يقاتل الكفار ومعه خمسون".

ونحن نتساءل : أين كانت توجد ثغور للجهاد وأين كان يوجد الكفار بأرض المغرب حتى يقاتلهم سيدي طلحة ويلازم الرباط عليهم في منتصف القرن السابع الهجري (منتصف القرن الثالث عشر الميلادي) والحالة هذه أن أول مدينة مغربية سقطت بأيدي الكفار كانت هي مدينة سبتة.

ونتوفر على حجة قاطعة تثبت وجود تطاون وقيامها بدور طلائعي في الجهاد ضد البرتغاليين المحتلين لمدينة سبتة، هي شهادة المؤرخ البرتغالي المعاصر للأحداث گوميسْ دي أثُورارَا (Gomes de Azurara) الذي يقول في كتاب *تاريخ الكونت دوارطي دي مينسيس* : إنه في سنة 839 / 1435 كانت تطاون مكاناً محصناً تحيط به الأسوار من كل جهة، وفيه أبراج لا تقل متانتها عن متانة القصبة، وهذا ما جعل "ابن الكونت ذي خيخون" يعتبر تطاون مدينة ذات أهمية تناسب مقامه العالي وشجاعته الأسطورية ليشارك في غزوها عسى أن يكتب له الاستيلاء عليها فيكون بذلك قد قام بعمل يناسب الاسم النبيل الذي يحمله".

ونفس الشهادة نجدها عند المؤرخ البرتغالي بالطاسار ذي أوسوريو (Baltazar de Osorio) في كتابه *سبتة خلال قيادة ضون پيدرو دي مينسيس* (1415 . 1437)، حيث يقول

إن الكونت ذي خيخون "انتقل إلى سبتة وعرض فكرته على حاكمها بيدرو دي مينسيس فوافقه عليها وأرسل معه ضد تطاون ابنه دوارطي على رأس كتيبة مكونه من خمسمائة محارب.

كان ذلك في صبيحة يوم من أيام شهر أكتوبر من سنة 1435 (ربيع الأول 839) خرجت فيه الكتيبة المذكورة من سبتة متوجهة إلى تطاون "وما أن وصلت إلى هذه المدينة حتى كان سكانها قد اتخذوا احتياطاتهم بسد أبواب المدينة".

ويقول المؤرخ أوسوريو : إن البرتغاليين تمكنوا من الوصول إلى أبواب المدينة فصاروا يقرعونها برماحهم وينادون السكان للخروج لمقاتلهم، فلم يفعلوا وعاد البرتغاليون إلى سبتة حيث لم يكونوا متوفرين على الآلات اللازمة لاقتحام مدينة محصنة.

والمؤرخ أوسوريو هو الذي جاء بخبر تهديم مدينة تطاون نقلا عن المؤرخين البرتغاليين المعاصرين للأحداث حيث قال في كتابه، ما يلي :

"في سنة 841 / 1437 نظم ضون دوارطي ابن حاكم سبتة حملة ضد تطاون، لكن سكان المدينة غادروها قبل وصوله إليها متأكدين من أنه رغم تحصينات المدينة لم يكن في إمكانهم الصمود في وجه العدد الضخم من المقاتلين البرتغاليين الذين توجهوا إليها.

"ولم يكن البرتغاليون بحاجة إلى استعمال أسلحتهم، ولكنهم تمكنوا من تحطيم الأسوار والأبراج وكل ما يمكن أن يساعد على إعادة تحصين المدينة من جديد، وكان لهذا الحدث أثر كبير في البرتغال حيث ابتهج له الجميع فأقيمت الحفلات بتلك المناسبة وكان ذلك سبباً في أن فكر الملك البرتغالي ضون دوارطي الأول في احتلال طنجة.

وفي يوم 23 صفر 841 / 26 غشت 1437 وصل إلى مياه سبتة الأسطول البرتغالي الذي كان يحمل الجيش الذي أرسله الملك دوارطي الأول برئاسة الامبرين إنريكي وهيرناندو من أجل الاستيلاء على مدينة طنجة.

ومن سبتة توجه قسم من هذا الجيش إلى طنجة عن طريق البحر وقسم آخر عن طريق البر تحت رئاسة الأمير إنريكي الذي كان يريد مشاهدة تطاون المحطة. ويقول المؤرخ البرتغالي روي دي بينا (ص. 54) في هذا الصدد : "عندما وصل الأمير إنريكي إلى تطاون يوم 10 شتمبر وجدها خاوية على عروشها، لأن ضون دوارطي ابن الكونت ضون بيدرو دي مينسيس حاكم سبتة كان قد أغار عليها منذ أيام من أجل احتلالها ولكن سكانها فروا من وجهه فما كان عليه إلا أن كسر أبواب المدينة وحطم جميع تحصيناتها.

ورغم هذا كله يقول المؤرخ البرتغالي دافيد لويس : إنه لم يتم تحطيم تطاون بصفة نهائيا سنة 841 / 1437، والغالب على الظن أنها لم تبق خالية، غير أن عدد سكانها أصبح قليلا حيث لم تكن تطاون منذ ذلك الوقت خطرا على النصارى لا في البر ولا في البحر كما كان شأنها من قبل".

وحتى إذا لم يكن الأمر كذلك، أي إذا فرضنا أنها بقيت خالية بعد تخريبها سنة 841 / 1437 فإن ذلك ينفي على كل حال القصة القائلة بأنها خربت سنة 803 / 1400، وسنرى فيما بعد أنها لم تبق خالية إلا سبعا وأربعين سنة لا تسعين سنة كما ورد في معظم كتب التاريخ.

يتضح مما تقدم أن تطاون بقيت مخربة من سنة 841 / 1437 إلى أن قام بإعادة بنائها المسلمون الأوائل الذين هاجروا من الأندلس إلى هذه الناحية سنة 888 أو 889 / 1484 / 1485. أي قبل سقوط غرناطة بثمان سنوات على الأقل.

ولم يتم ذلك التجديد الأول على يد علي المنظري كما يقول الأستاذ داود أحيانا لأن المنظري الأول لم يقم إلا بالتجديد الثاني للمدينة سنة 898 / 1493. ونقول إن الأستاذ داود يقول ذلك أحيانا لأنه ينساق وراء نظرية بعض المؤرخين الذين يشكون في وقوع التجديد الأول فيشك الأستاذ داود بدوره في ذلك، مع أنه يتوفر على حجتين : حجة جاء بها مخطوط تطوان، حيث يقول : إن التجديد الأول وقع سنة 889 / 1485، وحجة أتى بها الفقيه سكيرج الذي قال في كتابه *نزهة الإخوان* : إن ذلك كان سنة 888 / 1484.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ البرتغالي دافيد لويس بالرغم من أنه لم يطلع على مخطوط تطاون ولا على *نزهة الإخوان*، أكد أنه من المحتمل أن يكون تجديد تطاون الأول قد وقع إما سنة 888 / 1484 أو سنة 889 / 1485 ويرجح الافتراض الأول.

ونحن نتوفر على حجة قاطعة في الموضوع جاء بها المؤرخ البرتغالي كوميس دي أثورارا المتوفى سنة 892 / 1487 في كتابه *تاريخ الكونت ضون دوارطي دي مينسيس*، حيث قال إن تطاون كانت سنة 892 / 1487 "قلعة محصنة تدور بها أسوار وأبراج متينة وتوجد بها قصبة محصنة والجنود الموجودون بها هم الذين يقومون ضدنا بسبتة من حين لآخر".

وفي ذلك دلالة قاطعة على أن تطوان كان قد أُعيد بناؤها ولو جزئيا قبل سنة 892 / 1487 على أيدي الأندلسيين الذين وردوا على شمال المغرب قبل مجيء المنظري ببضع سنين ؛ وهو ما تقره المقطعة التي يستظهرها سكان تطوان أبا عن جد :

قد بُنيت تطاون بقينا ... عام تُفاحة من السنينا
في شهر شعبان في حرف الزاء ... ابتدأوا الحفير والبناء
وكُملت عند تمام الكاف ... قد صح ذا عندي بلا خلاف
وكان عدةُ الرجال الأبرار ... ميم وزاء ليس ثم أكثر
وعدة النسا فقط الياء ... فهؤلاء أسسوا البناء

ونصها في رواية أخرى :

قد بُنيت تطاون بقينا ... تُفاحة من عدة السنينا
وكُملت عند تمام الكاف ... قد صح ذا عندي بلا خلاف
في شهر شعبان في حرف الزاء ... ابتدأوا الحفير والبناء

وكان عدةُ الرجال الأبرار ميم وزاء ليس ثم أكثر
وعدة النسا فقط الياء فهؤلاء أس البناء

والغالب على الظن أن التجديد الأول لتطاون لم يشمل سوى القصبة التي بناها يوسف بن يعقوب وأفراگ الذي أنشأه أبو ثابت، أي ما كان يكوّن المدينة التي خربها البرتغاليون سنة 841 / 1437.

بعد أن أثبتنا أن التجديد الأول للمدينة في سنة 888 ـ 889 / 1484 ـ 1485 لم يكن على يد علي المنظري بقي أن نبحث عن الرجل الذي التجأ إليه الأندلسيون ليساعدهم على إعادة بناء تطوان، فنقول : إن الذي أشرف على ذلك هو أمير شفشاون علي ابن راشد العلمي المتولي أمر الجهاد بالناحية الشمالية الغربية من المغرب.

ونعتمد في قولنا هذا على ما قاله المؤرخ البرتغالي ماسكارينهاس في كتابه *تاريخ سبتة*، حيث جاء أن حاكم سبتة أنطونيو دي نورونها "قام لأول مرة سنة 893 / 1488 بهجوم ضد الأراضي المجاورة ولكنه سقط أسيراً بيد ابن راشد ومعه عدة ضباط من بينهم كريسطوڤال دي ميلو وسيمون سوسا ومرطين فاسكيس وهيرناندو كوطينيو.

وهناك إشارات برتغالية أخرى تثبت أن الشخص الذي كان في إمكانه أن يساعد الأندلسيين على إعادة بناء المدينة هو علي ابن راشد الذي تقول عنه الوثائق البرتغالية إنه كان يقوم وحده بمهاجمة مدينتي سبتة وطنجة، وذلك إلى غاية سنة 900 / 1495 حيث ظهر برفقته لأول مرة القائد المنظري.

يتضح مما تقدم أنه خلافا لما يقوله الفقيه داود فإن أول من حكم تطاون بعد إعادة بنائها الأول هو أمير شفشاون علي ابن راشد وذلك من سنة 888 / 1484 إلى سنة 898 / 1493.

وسنرى فيما بعد كيف أن كلاً من ابنه إبراهيم وبنته الست الحرة كتب لهما أن يحكما المدينة بعده.

صحيح إن التجديد الثاني لمدينة تطاون كان أهم من الأول وكان على يد علي المنظري (الأول) ولكنه لم يتم إلا بعد سقوط غرناطة، أي في شهر شعبان عام 898 / يونيو 1493.

نقول هذا اعتمادا على المصادر التالية :

أولا : كتاب *نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر* الذي جاء فيه أنه "بعد سقوط غرناطة خرج أهل رندة وبسطة وحصن موجر وقرية قردوش وحصن مرتيل إلى تطاون وأحوازها".

ثانيا : كتاب *وصف إفريقيا* للحسن الوزان الذي يقول إن "الذي قام بإعادة بناء تطاون وعمرها هو القبطان الغرناطي الذي جاء إلى فاس صحبة ملك غرناطة سنة 900 / 1495".

ثالثا : كتاب *إفريقيا* لمارمول كارباخال الذي يؤكد أن تطاون بقيت مخربة مدة تسعين سنة فتكون إعادة بنائها بالنسبة له قد تمت بعد سنة 895 / 1490.

رابعا : كتاب *تاريخ سبتة* للمؤرخ البرتغالي ماسكارينهاس الذي جاء فيه أن تطاون "بقيت مخربة مدة تزيد على تسعين سنة إلى أن قام الملك الكاثوليكي باحتلال مدينة غرناطة سنة 1492".

خامسا : كتاب *البرتغاليون* للمؤرخ دافيد لوپيس الذي يؤكد أن "المنظري من المحتمل أن يكون قد أعاد بناء تطاون قبل سنة 900 / 1495 أي قبل السنة التي ورد اسمه لأول مرة في كتب التاريخ البرتغالية".

سادسا : كتاب *الاستقصا* للناصري السلاوي الذي يعتمد على المؤرخ الإسباني كاسطيانوس فيقول إن إعادة بناء تطاون تم على يد المنظري بعد سقوط غرناطة.

سابعا : تقييد محمد العربي الفاسي الذي يقول : "إن المنظري أعاد بناء تطاون سنة 898 / 1493 وبالضبط في يوم 7 شعبان موافق 24 مايو".

إلا أن الفقيه داود يخالف هذه الآراء ويؤكد بأن المنظري هو الذي قام بتجديد بناء تطاون سنة 889 / 1485 لا في سنة 898 / 1493 دون أن يقول لنا لماذا رفض آراء أغلبية المؤرخين المعاصرين للأحداث، خصوصا وأنه يعلم أن الفقيه الرهوني يقول في *عمدة الراوين* "إن علي ابن راشد بعث الولي الصالح محمد بن علي المنظري الأندلسي الأصل الشفشاوني الدار، فأقام المنظري على بناء الاسوار، كما يقول : "إن محمد بن علي المنظري كان ساكنا في شفشاون وأرسله مولاي علي ابن راشد أمير شفشاون إذ ذاك ليبني لمهاجري غرناطة بلدا".

وعلى كل حال فإن التجديد الثاني لمدينة تطاون لم ينحصر في القصبة التي بناها يوسف بن يعقوب وفي أفراگ الذي أنشأه أبو ثابت وهو ما اشتمل عليه التجديد الأول للمدينة، بل إنه شمل مساحة أوسع وهي ما تعرف اليوم بحومة البلد. بالإضافة إلى القصبة الجديدة التي بناها المنظري الأول بجبل درسة.

ويبدو أن المدينة الجديدة كان يحيط بها سور به ثلاثة أبواب : باب المدينة القديمة، وباب بالناحية الشرقية يعرف بباب السفلي (وهو الذي يعرف الآن بباب السلوقية) وباب ثالث بالناحية الغربية أطلق عليه اسم باب السلسلة (وهو المعروف الآن بباب الصباغين) والذي حل محل باب المشور الذي صار داخل المدينة.

وهذا ما يتفق مع ما قاله محمد العربي الفاسي الذي عاش بتطاون فيما بين سنة 1032 و1052 / 1628 ـ 1648 والذي قال إن تطاون في عهد المنظري الأول كانت تتوفر على ثلاثة أبواب وأن السياج الذي كان يحيط بالمدينة يتكون من سورين علوهما سبعة أذرع وكان يدور بالسورين حفير.

لدينا من الحجج ما يثبت أن المنظري (الأول) حكم تطاون بصفته قائدا تابعا لأمير شفشاون ابتداء من سنة 898 / 1493 ولم يكن "حاكما مستقلا" أن المدينة كانت حسب تعبيره "تكون شبه إيالة صغيرة تحت إمرته" وبحكم أنه لم يكن بين المنظري وابن راشد إلا "علاقة ودية متينة".

بل الحقيقة هي أن المنظري الأول حكم تطاون بصفته مجرد قائد تابع لأمير شفشاون، والدليل على ذلك هو أن المؤرخ البرتغالي گوييش صاحب كتاب *تاريخ الملك ضون مانويل* عندما يشير إلى المنظري فإنه يصفه دائما "بقائد تطاون" لا أقل ولا أكثر، في حين أنه يطلق على علي ابن راشد لقب "سيد القوم بين المغاربة" ولفظة "السيد" (Señor) عند البرتغاليين والإسبانيين تعني "الأمير".

وهناك حجة أخرى جاء بها الفقيه سكيرج المتوفى في تطاون سنة 1250 / 1834 تثبت أن المنظري الأول كان مجرد قائد تابع لأمير شفشاون، ذلك لأن التطاونيين لم يتجرأوا على دفن المنظري عند وفاته سنة 910 / 1504 إلا بعد أن استشاروا مع علي ابن راشد في المكان الذي يجب أن يدفن فيه.

والمنظري الأول هو أب المنظري الرابع وجد المنظري الثالث والجد الثاني للمنظري السادس وعم المنظري الثاني.

توفي المنظري الأول سنة 910 / 1504 وخلفه كقائد على تطاون ابن أخيه المنظري الثاني لا حفيده كما يقول الأستاذ داود. ولا ندري لماذا اعتمد الأستاذ داود في ذلك على مارمول كاربخال الذي اعتمد بدوره على الحسن الوزان الذي زار تطاون وسمع من أهلها أن المنظري الأول خلفه "حفيده" ولكنه لم يكن يعلم أن الحفيد بالنسبة لأهل تطاون قديما وحديثا هو كذلك ابن الأخ.

وتقول المصادر البرتغالية المعاصرة إن اسم المنظري الثاني كان هو نفس اسم عمه علي، فلا معنى لكلام الأستاذ داود عندما يقول "لعل اسمه محمد".

وخلافا لما يقوله الأستاذ داود فإن المنظري الثاني لم يكن حاكما مستقلا بتطاون بل كان مثل عمه مجرد قائد تابع لأمير شفشاون.

توفي المنظري الثاني سنة 924 / 1518 لا سنة 935 / 1528، والدليل على ذلك هو أن المصادر البرتغالية المعاصرة للأحداث تؤكد أنه في سنة 924 / 1518 أصبح إبراهيم ابن راشد يحكم تطاون مباشرة وذلك إلى غاية سنة 931 / 1525 حيث سلم قيادة المدينة لاخته الشقيقة الست الحرة.

خلافاً لما عند داود من أن الست الحرة حكمت تطاون نوعاً ما في سنتي 948 و949 / 1541 - 1542 فإن حكمها للمدينة كان لمدة سبع عشرة سنة بالحساب الميلادي، وقد مرّ حكمها بأربع مراحل :

المرحلة الأولى بصفتها قائدة تابعة لأخيها مولاي إبراهيم وذلك من سنة 931 / 1525 إلى سنة 935 / 1528.

المرحلة الثالثة بصفتها سيدة تطاون كما تصفها المصادر البرتغالية المعاصرة وذلك من سنة 935 / 1528 إلى سنة 946 / 1539.

المرحلة الثالثة عندما توفي أخوها إبراهيم واضطرت إلى إشراك صهرها (زوج ابنتها) المنظري الثالث في حكم تطاون وذلك من سنة 946 / 1539 إلى سنة 948 / 1541.

والمرحلة الرابعة عندما تزوجت بسلطان فاس أحمد الوطاسي الذي حضر إلى تطوان لعقد قرانه بها يوم 5 ربيع الأول 948 / 30 يونيو 1541 وظلت بتطوان بصفتها خليفة لزوجها من ذلك اليوم إلى يوم 12 رجب 949 / 22 أكتوبر 1542 حيث تعرضت لمؤامرة أطاحت بها وحل محلها المنظري الرابع.

لقد ترتب عن الإطاحة بالست الحرة أن أصبح المنظريون يحكمون المدينة بصفة مستقلة من سنة 949 / 1542 إلى سنة 975 / 1567. وخلال هذه المدة حكم تطوان أربعة من أولاد المنظري.

ولا صحة لما جاء به كل من سكيرج والرهوني وداود من أنه بعد المنظري الرابع حكم تطوان بالتتابع كل من علي الذيب وعلي الوسخ ومحمد الصبان ومحمد بوردان وعبد الرحمن العلج حيث إنه ليست هناك أي وثيقة تثبت ذلك، وكل ما في الأمر أن سكيرج وجد أمامه فراغا في تاريخ تطوان خلال الفترة الأولى من العهد السعدي فطاب له أن يفترض حكاماً لم نجد لهم ذكرا في أي مصدر آخر سوى مخطوطه.

والحقيقة أن تطوان كانت، في عهد السلطان عبد الله الغالب السعدي، خاضعة للقائد العام الذي كان مقره بالقصر الكبير القائد رحو بن تودة، ثم أصبحت تحت حكم ولده عبد الكريم، وذلك إلى سنة 984 / 1577 حيث كان للسلطان عبدالملك المعتصم بها قائد اسمه المفضل.

وابتداء من سنة 988 / 1580 وإلى غاية سنة 1019 / 1610 أصبحت المدينة تحت الحكم المباشر لأولاد النقسيس، كان أولهم محمد بن عيسى النقسيس وآخرهم عبد الكريم النقسيس الذي سلم المدينة إلى الشيخ المأمون بعد عودته من إسبانيا في شهر شعبان 1019 / نوفمبر 1640.

وقد احتفظ المأمون بتطوان إلى أن لقي حتفه على أيدي سكان الناحية يوم 5 رجب عام 1022 / 21 غشت 1613، عندئذ عاد أولاد النقسيس لحكم تطوان إلى غاية شهر ربيع الأول 1041 / أكتوبر 1631 حيث استولى عليها المجاهد العياشي وذلك إلى أن قتل يوم 16 محرم 1051 / 30 أبريل 1641 فعاد عبد الكريم النقسيس إلى حكم المدينة، وفي السنة التالية اعترف بنفوذ الزاوية الدلائية.

وفي 30 شوال 1072 / 8 يونيو 1662 استولى الخضرغيلان على تطوان وظلت تحت نفوذه إلى يوم 11 ربيع الأول 1078 / 31 غشت 1667 حيث دخلت تحت طاعة السلطان مولاي رشيد العلوي.

وفي عهد السلطان مولاي إسماعيل أصبحت تطوان مقر القيادة العامة في شمال المملكة، أسندت أولا للقائد أحمد بن حدو الحمامي ثم للقائد علي بن عبد الله الحمامي ثم لابنه الباشا أحمد بن علي الريفي ؛ وعلى إثر وفاة السلطان مولاي إسماعيل عرفت تطوان اضطرابا كبيرا لمدة قصيرة تنازع خلالها على حكم المدينة الباشا المذكور والحاج عمر لوقش أحد أقطاب تطوان، وذلك إلى أن تولى الملك السلطان سيدي محمد بن عبد الله فدخلت المدينة تحت

طاعته بصفة نهائية.

وفي عهد السلطان مولاي عبد الرحمن هاجرت إلى تطوان أسر جزائرية جلها من تلمسان ووهران وذلك على إثر الاحتلال الفرنسي للقطر المذكور سنة 1246 / 1830.

وفي يوم 13 رجب 1276 / 6 فبراير 1860 احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان ثم غادرتها يوم 3 ذي القعدة 1278 / 2 مارس 1862 كانت المدينة تخضع لحكم الغزاة الذين عينوا إلى جانب الحاكم الإسباني باشا مغربيا هو الحاج أحمد بن علي أبعير.

وبعد مرور ثلاث وخمسين سنة عرفت تطوان احتلالاً ثانيا من طرف الجيش الإسباني، دخلها بدون قتال يوم 12 ربيع الأول 1331 / 19 فبراير 1913، وفي يوم 20 جمادى الأولى / 27 أبريل من نفس السنة حل بها أول خليفة للسلطان بشمال المغرب وهو الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل، وكان أول باشا عرفته المدينة في عهد الحماية هو الحاج أحمد بن محمد الطريس.

وفي سنة 13 ربيع الأول 1243 / 25 أكتوبر 1923 توفي الخليفة مولاي المهدي وظل منصبه شاغرا إلى يوم 26 ذي القعدة 1343 / 19 يونيو 1925 حيث عين مكانه ولده الصغير الأمير مولاي الحسن بن المهدي الذي استمر يزاول مهامه بتطوان إلى يوم 7 أبريل 1956 حيث اعترفت إسبانيا باستقلال المغرب.

المصادر المذكورة داخل النص ؛ م. ابن عزوز حكيم، الجديد في تاريخ تطوان (تحت الطبع).

* * معركة تطوان، جرت بسهل مرتين يوم 11 رجب 1276 / 4 فبراير 1860 فكانت السبب في سقوط المدينة يوم 13 رجب / 6 فبراير. فمنذ أن أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب يوم 25 ربيع الأول 1276 / 22 أكتوبر 1859 وغزت جيوشها أرض المغرب انطلاقاً من سبتة يوم 23 ربيع الثاني / 19 نوفمبر كانت القوات المغربية الغير منظمة قد انهزمت في عشرين جولة، الشيء الذي مكن الجيش الإسباني من احتلال قاعدة مرتين يوم 22 جمادى الثانية / 16 يناير 1860 ؛ ومن ذلك اليوم إلى يوم 3 فبراير والقيادة العسكرية الإسبانية تستعمل لخوض المعركة الفاصلة التي ستمكنها من الاستيلاء على مدينة تطوان.

تقول التقارير الإسبانية السرية إنه لو كان الأمير مولاي العباس قائداً عسكرياً له إلمام بقواعد الحرب لما ترك القائد الأعلى للجيش الغازي الجنرال اودونيل (O'Donnell) ينظم خلال ثمانية عشر يوماً شؤونه ويقوم بالاستعدادات اللازمة لخوض معركة تطوان، ولعلم أن الاستراتيجية العسكرية كانت تقضي بأن يظل داخل تطوان ويقوم بتحصين أسوارها بالعدد الكافي من المدافع التي كان يتوفر عليها بدلاً من أن يقيم معسكره ومعسكر أخيه الأمير مولاي أحمد خارج المدينة في مكان يصعب تحصينه، ظنا منه بأن الجيش الإسباني لم يكن يتوفر على فرقة من الخيالة قادرة على مواجهة الخيالة المغربية التي كانت تتكون من خمسة عشر ألف فارس بالإضافة إلى عشرين ألفاً من المشاة.

وتقول نفس التقارير الإسبانية السرية إن مولاي العباس كان قد قام يومي 23 و31 يناير بمهاجمة المعسكر الإسباني مرتين حيث تيقن من أن الإسبانيين سوف لن يتمكنوا من استعمال مدافعهم في حالة ما إذا قاموا بهاجمة المعسكر المغربي، إذ أنه ظن أن الإسبانيين لن يكون في وسعهم اجتياز وادي القنطرة الذي كان يفصل المعسكرين الإسباني والمغربي، حيث إنه كان يجهل استطاعة فرقة الهندسة العسكرية أن تمد قناطر خشبية فوق النهر المذكور في بضع ساعات، والحالة هذه أن تلك الفرقة تمكنت في ليلة 3 فبراير من مد أربع قناطر فوق وادي القنطرة دون أن يشعر المغاربة بذلك.

وكانت النتيجة أنه على الساعة التاسعة من صباح يوم 11 رجب / 4 فبراير تحرك الجيش الإسباني وعدده خمسة وعشرون ألف مقاتل من قاعدته بمرتين، وكان على رأسه بالإضافة إلى القائد الأعلى، الجنرالات : پريم (Prim) وروس أولانو (Ros Olano) وطرون (Toran) وألكلاً غاليانو (Alcala Galiano) وماكينا (Mackena) وأورزكو (Orozco) وكيسادا (Quesada) وذي لوس ريوس (De Los Rios) وغرثيا (Garcia) وإنريكي أودونيل (Enrique O'Donnell) أخ القائد الأعلى.

وعندما اجتازت القوات الإسبانية بمدافعها وادي القنطرة تعرضت لقصف مكثف من طرف المدفعية المغربية، ورغم ذلك استمرت تلك القوات في سيرها إلى أن أصبحت على بعد كيلومتر واحد من المعسكر المغربي الرئيسي ؛ وعندئذ أمر الجنرال أودونيل باستعمال مدافعه وعددها ستة وخمسون مدفعا لقصف معسكر مولاي العباس، وشاء القدر أن تصيب إحدى القنابل مستودع البارود فاشتعلت النيران في المعسكر حيث عمل الفزع عمله في صفوف المغاربة.

واغتنم الجنرال أودونيل ذلك الاضطراب ليأمر قواته باقتحام المعسكرين معاً، وعندئذ بدأت المعركة الحقيقية التي دامت نصف ساعة من العاشرة ونصف صباحاً إلى الحادية عشرة، كان جل القتال أثناءها بالسلاح الأبيض وانتهت باحتلال المعسكرين والاستيلاء على ما يوجد بهما من مدافع وقنابل وبارود وفساطيط وخيام ومأكولات، بل وحتى الأعلام المغربية ورايات الاميرين مولاي العباس ومولاي أحمد.

وتقول التقارير الإسبانية إن عدد خسائرهم كانت 67 من القتلى و1041 من الجرحى و7 من المفقودين أي ما مجموعه 1115 رجلا ؛ وأما الخسائر المغربية فقد كانت حسب تقديراتهم تفوق ثلاثة آلاف من الشهداء والجرحى، وقد ترك المغاربة في أرض المعركة أكثر من ثلاثمائة وخمسين جثة.

بات الجيش الإسباني ليلة 4 فبراير بالمعسكرين المغربيين وهناك استقبل الجنرال أودونيل في اليوم التالي الوفد الذي نصّب نفسه وكيلا عن سكان تطوان لمعرفة شروط استسلام المدنية، وكانت النتيجة أن وقع الاتفاق على أن يدخل

الجيش الإسباني تطوان بدون قتال، وكان الأمر كذلك حيث تم احتلال المدينة يوم 13 رجب 1276 / 6 فبراير 1860.

وقد منحت الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية (Isabel II) الجنرال ليوبولدو أودونيل (Leopoldo O'Donnell) رئيس القوات الإسبانية التي غزت المغرب، لقب دوق تطوان (Duque de Tetuan) بأمر صدر يوم 7 فبراير 1860، أي غداة سقوط مدينة تطوان بيد الجيش الإسباني، ولم ينشر إلا يوم 27 أبريل من نفس السنة.

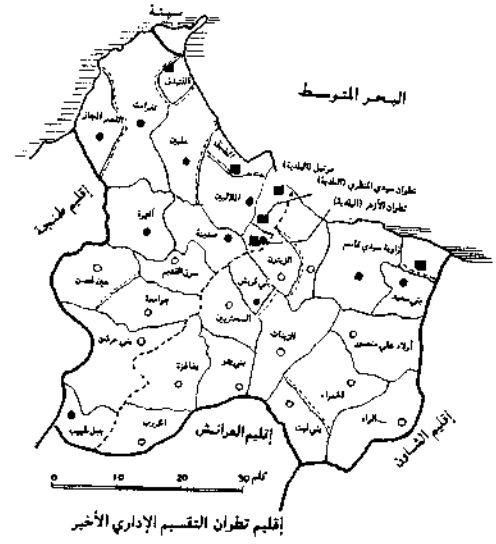

إقليم تطوان التقسيم الإداري الأخير

تطوان، مجلة للأبحاث المغربية الأندلسية، أنشأتها بتطوان وزارة التربية الوطنية ثم صارت تابعة لمعهد مولاي الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية، وكان الغرض منها ملء الفراغ المترتب عن عدم اهتمام مجلة تامودا (Tamuda) بالأبحاث الموضوعية باللغة العربية.

صدر العدد الأول منها سنة 1956، وحيث إنها كانت سنوية فقد صدر عددها الثاني سنة 1957 وعددها المزدوج 3 و4 سنة 1959 وبعد احتجاب طال مدة خمس سنوات صدر العدد الحادي عشر سنة 1971 وهو آخر الأعداد.

كانت هيأة تحريرها مكونة من الرئيس الذي لم يذكر اسمه إلا في العدد الأول وهو محمد الفاسي وزير التربية الوطنية آنذاك ؛ خليفة الرئيس محمد عزيمان نائب وزارة التربية في الشمال، وابتداء من العدد الثاني صار عضوا ولم يذكر اسمه في العد العاشر ؛ وكان محررها محمد ابن تاويت التطواني، وعضوية عبد الله گنون ومحمد المنوني وإبراهيم الكتاني وآخرين.

قامت مجلة تطوان بعمل مهم في مجال البحث العلمي، ونشرت عدداً من الأبحاث والمقالات القيمة، والنصوص المحققة أو المترجمة.

تطوان، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، الأعداد 11.

محمد ابن عزوز حكيم

التطواني أو التطاوني، أسرة سلوية عريقة أصلها من عرب الشاوية، قبيلة المذاكرة، لا يعرف تاريخ انتقالهم إلى مدينة سلا لكن يبدو أن ذلك تم قبل أكثر من قرنين. ونسبة التطواني المعروفون بها أتت من إقامة أحد أجدادهم بمدينة تطوان مدة طويلة فلما رجع إلى سلا دُعي التطواني وعُرف أهله منذئذ بالتطوانيين. وتوجد بعض الرسوم العدلية القديمة تصفهم إلى جانب التطوانيين بالشاويين السلويين. وقد أدرك الفقيه محمد التطواني آتي الترجمة بعض المعمرين من بني عمه بسلا يتصلون بذويهم في المذاكرة بالشاوية ويتزاورون معهم، ثم انقطعت الصلات بعد ذلك. وكان من التطوانيين السلويين في القرن الماضي مجاهدون بحريون وطبجيون تذكر الوثائق منهم الحاج أحمد التطواني الذي كان يسكن بدرب حرارتة ونال حظه من صلة الحسن الأول المخصصة للمجاهدين البحريين، وحجي بن الحاج المعطي التطاوني، والحاج عبد ... بن الحاج المصطفى التطاوني الذين نالوا حظهم من صلة الحسن الأول المخصصة للمجاهدين الطبجيين والبحريين السلويين بتاريخ 16 قعدة عام 1292 / 14 دجنبر 1875. كما كان منهم فلاحون وحرفيون وأخيار ناسكون مثل محمد بن سليمان التطواني مؤذن مسجد التادلاوي المذكور في زمام المؤذنين بسلا المؤرخ في 18 شعبان عام 1278 / 18 فبراير 1862 وعبد الكريم التطواني الساكن بدرب الحمام من حومة باب سبتة المدرج اسمه في قائمة الذين نالوا صلة الحسن الأول بتاريخ 5 ذي الحجة عام 1290 / 24 يناير 1874.

التطواني، أبو بكر بن محمد (ثلاث مرات) بن بوشعيب الشاوي السلوي. ولد بسلا في حدود عام 1280 / 1864.63، وبها نشأ ودرس على أعلام شيوخها أمثال عبد الله بن خضراء، وأحمد بن خالد الناصري. ثم أخذ بفاس عن الشيوخ الأجلة : مَحمد القادري والتهامي الوزاني وجعفر الكتاني ومحمد گنون. واتصل بالشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني وأخذ عنه الطريقة الكتانية ولازمه مدة طويلة، فكان يجيب عن الرسائل التي ترد على الشيخ من مختلف الشخصيات والجهات يتناول بعضها إشكالات صوفية وذوقية، أو اعتراضات على الطريقة الكتانية، فكان الشيخ الكتاني يستحسن هذه الأجوبة ويحتفظ بنسخ منها عنده، وقال ولد المترجم عنها "لو جمعت لكونت أجزاء".

اشتغل أبو بكر التطواني حين رجع إلى سلا بالتدريس، وكان من جملة الآخذين عنه إدريس ابن القائد عبد الله بن سعيد، ثم انتقل إلى طنجة في عام 1318 / 1900 حيث عين كاتباً بدار النيابة وكان يعد من الكتاب الممتازين الذين يتقاضون أعلى أجر شهري (75 ريالا) وبقي في عمله هذا أربع سنوات ثم عاد إلى مسقط رأسه يدرس ويناظر ويراسل. واشتغل بعد ذلك بالكتابة مع الأمين الباشا الصديق برگاش بالرباط قبل أن يلتحق ببلاد زمور الشلح حيث عين قاضياً بها، ثم بسيدي سليمان من بلاد بني حسن حيث بقي يزاول عمله إلى أن أدركته الوفاة هناك.

ألف شرحاً *لتحفة ابن عاصم*، إلا أنه مات قبل إتمامه ؛ *وشرحاً لقول أبي يزيد البسطامي : خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله*، بالإضافة إلى *مجموعة رسائله الكبرى*.
توفي قاضياً بسيدي سليمان في منتصف شوال عام 1337 / 14 يوليوز 1919. ودفن بجوار الولي الصالح سيدي سليمان.

التطواني، محمد بن أبي بكر بن محمد الشاوي السلوي، ويدعوه السلويون الفقيه التطواني. ولد بسلا في متم رمضان عام 1318 / 21 يناير 1901، ونشأ في أسرة عالمة متصوفة متوسطة الحال. وأخذه معه والده إلى طنجة حين عين كاتباً بدار النيابة. وقبل أن ينهي السنة الثالثة من عمره أدخله والده إلى كتاب الفقيه التوزاني بطنجة. ثم أتم حفظ القرآن الكريم وتجويده في مسقط رأسه على يد الفقهاء الأساتيذ محمد بوعلو ومحمد بنسعيد ومحمد بريطل. وقد ذكر أنهم كانوا يقسون عليه ويجلدونه حتى لا يستطيع السير على قدميه دون أن يذكر السبب. ولعل لهربه إلى البادية من حين لآخر دخلا في ذلك. كما كان والده يقسو عليه فيوقظه عند الفجر للصلاة، ويكلفه بأشغال تشق عليه وهو مايزال صغيراً، كجلب الماء من مكان بعيد عن بيتهم، وحمل الطعام للراعي ومساعدته في قيادة البقر إلى المرعى. ويذكر عن والده أنه كان معتل الصحة حاد المزاج يحب أن تنفذ أوامره دون مراجعة.

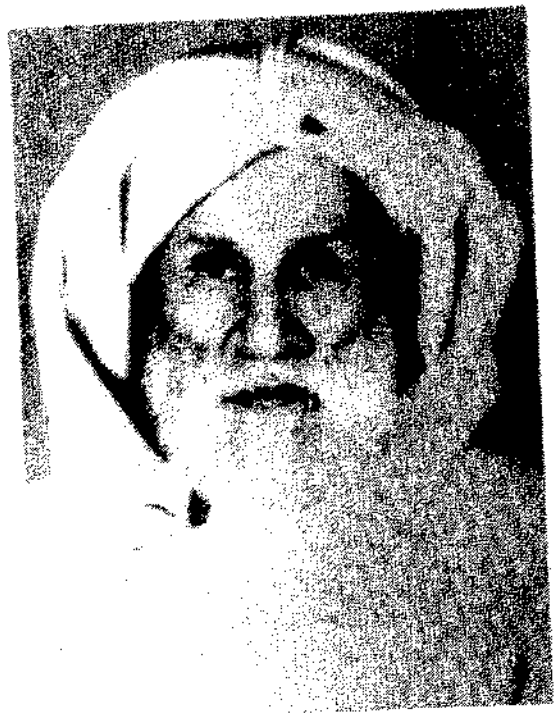

بدأ محمد التطواني دراسته اللغوية والشرعية بمسقط رأسه على يد والده، وأحمد بن الفقيه الجريري. ثم انتقل مع والده إلى بلاد زمور حين عين قاضياً بها، والتحق بفاس للدراسة في أوائل عام 1337 / 1918 لكنه لم يكد يستقر بها حتى جاءه نعي أبيه فرجع من حيث أتى، ولم يكن تراث أبيه كافياً لنفقة دراسته فاشتغل بالكتابة في إحدى الإدارات سنة ونصف سنة وفّر خلالها من أجرته البسيطة بعض المال ورجع إلى فاس لإتمام دراسته، وبقي هناك عشر سنين اتصل أثناءها بالشيخ عبد الحي الكتاني، وهو يومئذ مشتغل بالتدريس وتنمية خزانته العلمية الكبرى، فكان ينسخ له مؤلفاته ومخطوطاته ويستفيد أكبر استفادة من اطلاعه الواسع على العلوم الإسلامية والحديثة بصفة خاصة، ويحضر ـ على صغر سنه ـ مجالس كبار العلماء المسلمين والمستشرقين الذين يتوافدون باستمرار على الشيخ الكتاني وخزانته الغنية. ونحن نعلم ما كان لوالد محمدالتطواني من صلات متينة بالكتانيين وطريقتهم.

درس التطواني خلال مقامه الطويل لفاس كل ما يدرس بالقرويين من علوم نقلية وعقلية على خمسين شيخاً أجازه منهم نحو ثلاثين. وتعرف في دار الكتاني ثم في رحلاته إلى بلاد المغارب والشرق العربي على نحو تسعين عالماً. ومن أبرز شيوخه في القرويين أحمد بن الخياط ومحمد بن رشيد العراقي وأحمد ابن الحاج وعبد الله الفضيلي وأحمد ابن المامون البلغيثي والشريف التاگناوتي ومحمد بن جعفر الكتاني.

اشتغل الفقيه التطواني بعد رجوعه من فاس ببيع الكتب، فكانت مكتبته في شارع القناصل بالرباط ثم في السوق الكبير بسلا بالاشتراك مع السيد مَحمد بن عبد الله الغربي من أغنى المكتبات بأمهات المؤلفات، إذ كان كثيراً ما يتردد على مصر وبلاد المشرق لاقتناء أفيد ما أخرجته وتخرجه المطابع، وما يصادفه من مخطوطات أصيلة.

وكان زبناؤه من جميع الطبقات العالمة والمتنورة من مختلف الأعمار بالإضافة إلى الخزانة العامة بالرباط التي زودها بالعديد من المطبوعات والمخطوطات. وكم زرته في مكتبة القناصل ووجدته مستغرقاً في القراءة، فإذا سلمت عليه هش وبش ـ على عادته ـ وزودني بما أطلب في يسر ومكارمة.

شارك محمد التطواني في الحركة الوطنية فكان منزله الأنيق ملتقى الوطنيين من العدوتين وخارجهما، واعتقل في 29 يونيه 1943، فأحرقت زوجته مجموعة أوراقه خوف تفتيش الشرطة، وضاع بذلك قسط مهم من إنتاجه الفكري.

حرر الفقيه التطواني ـ وهو مايزال طالباً بفاس ـ كتباً صغيرة في بضعة كراريس نالت إعجاب أساتذته هناك، منها :

ـ *رسالة عن القاضي عياض*.

ـ *رسالة عن الشيخ المكي البطاوري*. وألف بعد ذلك كتباً مازالت مخطوطة أو أصولها محفوظة في إحدى كناشاته العلمية، منها :

ـ *ذيل فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني*.

ـ *محاضرات أدبية وتاريخية*.

أما *كناشاته* العلمية فقد اطلعنا على أربع منها مصورة من خطه في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا.

ـ كناشة رقم 454 تحتوي على مجموعة تراجم لمشارقة وأندلسيين ومغاربة، وتلخيصات وتعليقات مفيدة من كتب علي ابن ميمون الغماري دفين لبنان، وتعريف بعدد من الفهارس المغربية المخطوطة النادرة التي وقف عليها في بعض الخزائن الخاصة أو التي اقتناها، مع تقييد ـ تام ـ حول الفعل المضارع المعتل لمحمد التهامي الوزاني.

ـ كناشة رقم 455 جعلها كنواة لتراجم أعلام ما قبل القرن السابع من علماء المغرب، ويشير في بعض التراجم إلى المصادر التي يرجع إليها عند البسط والبيان، فهي كالمسودة الأولى لهذا الكتاب لذلك قال في تقديمه : "وربما تتكرر الترجمة الواحدة، والمعتمد ما سيكتب بعد، لأن المقصود بهذا الكناش إقامته مقام الجذاذات، ولذلك أشير إلى مظان تراجم بعض الوافدين على هذه البلاد" ولا ندري إن كان تم تخريج هذا الكتاب.

ـ كناشة رقم 756 وهي تكاد تكون مخصصة للحديث والحفاظ مستقاة من *طبقات الحفاظ* لابن ناصر *وذيله* لابن حجر، *وطبقات الحفاظ* للذهبي، *ونظمها* لأبي الفداء إسماعيل، *وشرح غرامي صحيح* لعبد الله الأمير في مصطلح الحديث. وقد أثبت هنا تاريخ نسخه في 9 ذي القعدة عام 1350 وتشتمل هذه الكناشة على أصول ذيل التطواني على *فهرس الفهارس* للكتاني، وتعقيبات على *سلوة الأنفاس*، *والإعلام* للمراكشي.

ـ كناشة رقم 458 وفيها مختارات من تاريخ بغداد للخطيب البغدادي *ونوازل العلمي*، *ونشر المثاني وسلوة الأنفاس والمنتقى المقصور والإعلام* للمراكشي، يلخص منها تراجم وأحداثاً من الحرص على ذكر الأجزاء والصفحات. وفيها تراجم كاملة من إنشاء الفقيه التطواني للرشيد بن الشريف العلوي ومحمد بن عبد الله وغيرهما، وأبحاث وتدقيقات حول مؤلفي كتاب *المستفاد والقرطاس* ومصادر *الشفا والدرر البهية*. إضافة إلى طائفة من أخبار فاس ومزاياها وتطور عمرانها، ومراسلات ملوكية وإخوانية، وقصائد ومقطعات شعرية.

ومن آثار الفقيه التطواني المنشورة :

ـ *ابن الخطيب من خلال كتبه* في جزئين صغيرين. وهو البحث الأول الذي نال أول جائزة لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بتطوان سنة 1948، ونشر في تطوان سنة 1955 بتقديم عبد الله گنون الذي قال عنه بحق : "كُتب على نسق مبتكر من حيث استخراج حياة ابن الخطيب من كتبه ودراسة مؤلفاته دراسة مستوعبة بحيث تعطي فكرة تامة عنها جميعاً ما وجد منها وما لم يوجد..."

ـ *جلال العرش المحمدي في ظل راية القرآن*، نال به جائزة عيد العرش.

ـ مقالات عديدة منشورة في مجلات مغربية وجزائرية وتونسية. بعضها بإمضائه الصريح وبعضها بإمضاء مستعار.

كان الفقيه التطواني مرجعاً حياً للباحثين والطلبة يزودهم بما تختزنه ذاكرته القوية من معارف ومظان لا يهتدي إليها إلا الخريتون. وقد خطب مدة بالجامع الأعظم بسلا فكانت رحابه تمتلئ بالمصلين الذين يقصدونه حتى من الأحياء النائية إذ كان الفقيه التطواني ـ على قماءته ـ يملك صوتاً جهورياً جميلا يستهوي الأسماع، وكلامه البليغ الصادر من القلب الطاهر الخاشع يؤثر في النفوس أيما تأثير.

مات محمد التطواني بمدينة سلا مساء يوم الأحد عاشر محرم عام 1410 / 13 غشت 1989 وصُلي عليه بالمسجد الأعظم عصر الغد الاثنين، ودفن بجوار ضريح الشيخ أحمد ابن عاشر الذي كان لا ينقطع عن زيارته في حياته ويقضي الليالي ذوات العدد في "بنيقاته".

م. التطواني نفسه، *كناشاته العلمية* ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 268 ؛ م. ابن الحاج، *إسعاف الاخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين*، الدار البيضاء، 1992، ص. 164. 166 ؛ م. بوشعراء، *التعريف ببني سعيد*، 1 : 45 و164، 52. 141. 152. 155. 228. 277. 279. 2 : 280 ؛ أسماء التطواني، *الفقيه التطواني ودوره في البحث العلمي*، بحث الإجازة في شعبة اللغة العربية بكلية الآداب بالرباط، 80، 1981.

محمد حجي

التعارجي ← ابن إبراهيم

التعاونية، مؤسسة تنتظم بين عدد من الأشخاص الذاتيين أو المعنويين على قدم المساواة في الحقوق والواجبات إما بقصد الإنتاج وتسويق المنتجات وإما بقصد استهلاك ما يعرض في الأسواق أو الاستفادة من بعض الخدمات الاجتماعية بأحسن الشروط. ولئن كانت التعاونية في حلتها العصرية حديثة العهد في المغرب، فإن بعض أشكال التعاون التقليدية في مجتمعنا تثبت أصالة هذه الظاهرة لدينا اجتماعيا وعقائديا، فمن حيث المجتمع يمكن اعتبار القبيلة في جوهرها تعاونية قائمة على أولي الأرحام مبدئياً ولكنها كانت قائمة في الغالب على المصالح المشتركة مثل الرعي والسقي واتقاء الأخطار، أما من جهة العقيدة فإن الاسلام نزل بالتوحيد للتوحيد ومن ذلك الأمر الصريح "وتعاونوا على البر والتقوى" (المائدة، 2) ولقد تبلور ذلك في سالف العصور في أشكال واضحة المفهوم التعاوني من ذلك مثلا ملكية الأرض على الشياع والقيام بأعمال الفلاحة بالتويزة، يعني جماعة، وتسيير الأمور العامة على يد جماعة أولي الحل والعقد الذين كان من مهامهم صيانة بيت مال الجماعة (وهو أگادير أو إغرم بالأمازيغية) وإقامة "تيمزكيدة" لتكون مأوى للجميع ومستوصفاً للمرضى أو الزمنى مؤسسة للقرض على سبيل الإسعاف، كما كان على الجماعة أن تقيم "الوزيعة" كلما

اقتضت الظروف ذلك ليكون في توزيع الاعباء والكلف على مجموع الأفراد تخفيفا على الجميع.

ولقد أضفى الإسلام على مجموع المؤسسات حلة القدسية وألبسها لباس الشريعة بأن جعل خزين الجماعة بيت مال المسلمين ومن بيوت الله والأماكن التي تقام فيها الشرائع أوقافاً حتى إنه لا يكاد يخلو مظهر من مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الإسلام من طابع التعاون، فنظام الحرف في المدن يمكن اعتباره مجرد شبكة من التعاونيات، بل قافلة الحجاج إلى بيت الله التي كانت تستغرق سنة كاملة ذهابا وإيابا يجوز النظر إليها وكأنها تعاونية متنقلة.

إن الفكر التعاوني من صميم تقاليدنا، لذلك فإن الأساليب العصرية للتعاون ما لبثتت أن انغرست في صفوف شعبنا بمجرد أن رخصت بذلك سلطات الحماية في الثلاثينات. وغني عن البيان أن هذه الأساليب العصرية كانت قد انبثقت في المجتمع الأوربي من النظريات الاشتراكية في النصف الأول من القرن التاسع عشر وبالضبط من أفكار شارل فوريه (Ch. Fourier) الفرنسي، من حيث التنظير، ومن تجربة تعاونية أولى أجريت في رتشديل (Rochdale) في أنجلترا سنة 1842 من حيث الممارسة، وعلى منوالها نسج الجميع فيما بعد على أمل أن تكون التعاونية حلا وسطاً بين الاستغلال الرسمالي وواقعيته المقيتة والمشاريع الاشتراكية وتخيلاتها البراقة.

وهكذا انطلقت التعاونيات العصرية في المغرب من منطلقين، أولا من إرادة مغربية شعبية ضاربة في القدم أثارها ما رأت من فوائد التعاون في أوساط المعمرين، وثانيا إرادة سلطات الحماية التي فضلت أن تشرف على إرساء أساليب التعاون العصري في صفوف المغاربة حتى لا يتم ذلك ضداً عليها.

ولقد أقيمت أول تعاونية مغربية في دجنبر سنة 1934 بين صغار صيادي السمك في سوس ونظراً للفراغ القانوني في مجال التعاون يومئذ فإن المؤسسين أقاموا تعاونيتهم على شكل شركة مجهولة الاسم اعتمادا على ظهير 11 غشت 1922 المقنن لذلك النوع من الشركات، واتسع حجم التعاونية في ظرف وجيز، ثم لما صدرت قوانين التعاونيات سنتي 1937 و1938 تحولت الشركة سنة 1941 إلى تعاونية حرفية لصيادي السمك في سوس (S.C.A.I.S.) وظلت تمارس نشاطها بنجاح إلى أن تعمم غداة الحرب العالمية الثانية في مياه أگادير الصيد بالمراكب الكبرى فتخلى صغار الصيادين شيئا فشيئا عن الصيد بالقوارب وتوقفت التعاونية المذكورة في أكتوبر 1948.

وأقيمت تعاونية تلقائية ثانية في سوس أيضا ابتداء من شهر ماي 1935 تحت اسم الشركة الأهلية للطحن في بيوگرا أقامها أربعون شخصا لدى قاضي إينزگان بناء على قواعد الشركة في الإسلام، وكانت في الحقيقة مطحنة ميكانيكية يقصد منها إدخال أساليب الطحن العصري في الإقليم لتحسين الإنتاج واقتصاد التكاليف، وهذه الشركة وإن لم تحمل اسم التعاونية فإنها كانت تستجيب لمفهومين من مفاهيم كل تعاونية أولهما التشارك بين مجموعة من الأشخاص على قدم المساواة وثانيهما إقامة مقاولة تسدي خدمات جماعية. ولقد نسج العديد من الفلاحين والحرفيين المغاربة بعد ذلك على هذا المنوال فأقاموا تعاونيات بينهم إما بالاعتماد على الشرع وإما بناء على الأعراف القبلية متجاهلين لقوانين الحماية أو متحفظين منها، من ذلك مثلا الشركة التي أقيمت في بني ملال سنة 1955 لبناء مائتي دار للسكن وكانت بمثابة تعاونية، لكن هذه المحاولات التلقائية كثيرا ما كانت تنتهي إلى الفشل بسبب عجزها عن الاستفادة من أدوات الاستغلال العصري وبسبب تحفظ سلطات الحماية منها.

وكانت غاية تلك السلطات مراقبة كل ما يجرى في صفوف المجتمع المغربي، ولذلك كانت قد بادرت منذ فاتح غشت من سنة 1918 إلى إحداث "الشركات الأهلية الاحتياطية" التي كانت تتسم ببعض سمات التعاون، إذ كانت تجمع حيزاً بين كل من كان يؤدى الترتيب من الفلاحين المغاربة فتقدم لهم قروضا موسمية وإرشادات تقنية وإسعافات مختلفة، مما كان يفتح باب التأطير والمراقبة أمام المراقبين المدنيين وضباط الاستعلامات الذين كانوا هم أو من ينوب عنهم المسيرين الحقيقيين لتلك الشركات التي اختفى منها فيما بعد لفظ "أهلية" ليحل محله لفظ "مغربية" ولكن الغاية السياسية منها ظلت مهيمنة على ما كانت تدعيه من مقاصد اجتماعية، ولما صدر أول ظهير منظم لتعاونيات الاستهلاك وهو ظهير 13 فبراير 1922 ظلت مقتضياته موقوفة على الجالية الأوربية وكذلك حصل بالنسبة لظهير 20 غشت 1935 حول القرض التعاوني والتعاون الفلاحي الذي لم يكن يُعنى به إلا المعمرون الدخلاء.

لكن انقلاب الظرفية السياسية في منتصف الثلاثينات وانتظام صفوف الحركة الوطنية لفضح إجحاف سلطات الحماية بحقوق المغاربة إضافة إلى ما كان من انهيار الإنتاج الفلاحي فيما بين 1935 و1937 وأيضا انتقال الحكم في فرنسا إلى الجبهة الشعبية وتعيينها للجنرال نوچيس مقيماً عاما في الرباط، كل هذه العوامل حملت سلطات الحماية إلى الاهتمام بالأسلوب التعاوني في صفوف المغاربة فاستصدرت أول الأمر ظهير 24 أبريل 1937 القاضي بإقامة "تعاونيات أهلية فلاحية"، لكن ليس على أساس الانخراط الفردي بل على أساس تعاون الشركات الأهلية الاحتياطية وذلك بقصد تسويق إنتاجها من الحبوب وخزنها والتصرف بها والاقتراض بشأنها، كل ذلك تحت مراقبة سلطات الحماية، وكان إحداث هذه التعاونيات ناتجا من جهة أخرى عن ضرورة مراقبة سوق الحبوب إذ جاء الظهير المذكور مواكبا لإحداث "المكتب الشريف للحبوب" في نفس التاريخ (ظهير 24 أبريل 1937).

ولذلك فإن الظهير المؤسس للتعاونيات في صفوف المغاربة هو ظهير 8 يونيه 1938 على ما أدخل عليه من تصويبات بظهير 19 ماي 1939 وظهير 24 أبريل 1950 حيث امتد حق إقامة التعاونيات من الفلاحين إلى الحرفيين كما لم يبق منحصراً عند تسويق الحبوب بل عم جميع أوجه النشاط الفلاحي والاقتصادي مع حق الاقتراض والرهن.

وهكذا نشطت الحركة التعاونية في العقدين الأخيرين من الحماية وتشكلت التعاونيات إما على أساس الشريعة الإسلامية أو الأعراف القبلية وإما على أساس ظهائر 1937 و1938 و1939 التي ألحق بها ظهير 11 غشت 1947 القاضي بإقامة اتحاديات بين التعاونيات الفلاحية، كما تشكلت ابتداء من سنة 1950 تعاونيات مغربية جديدة لتسويق الحبوب تحت اسم الشركات التعاونية المغربية الفلاحية (S.C.A.M) بحيث كان مجموع التعاونيات، 73 تعاونية في شهر يناير 1956 وكانت موزعة على الشكل التالي :

14 معصرة للزيت
1 اتحادية واحدة بين هذه المعاصر
24 تعاونية حرفية
11 تعاونية لاستعمال المواكين في الفلاحة
3 تعاونيات لتكييف الإنتاج
4 تعاونيات مختلفة
3 تعاونيات الحطابة
1 تعاونية لصيد السمك
7 شركات تعاونية مغربية للفلاحة (S.C.A.M.)
5 شركات مغربية للفلاحة (C.M.A.)

وهذا التصنيف يوحي بنصيب الفلاحة في الإنتاج المغربي إذ أن أزيد من نصف هذه التعاونيات كان يتعاطى الأعمال الفلاحية، هذا مع العلم أن التعاونيات الحرفية كان جلها يشتغل بالمنتجات الفلاحية مثل الصوف والجلود والأخشاب مما كان يجعل بالضرورة جل التعاونيات قائما في كبريات المدن أو في قلب أخصب المناطق الفلاحية مثل السهول الأطلسية وسهول سايس والغرب والحوز وسوس ووجدة.

ولقد سهرت الحكومة المغربية غداة الاستقلال على تقوية هذا الرصيد التعاوني بأن شجعت المنتجين المغاربة على التعاون بينهم في شتى مجالات الإنتاج فتكاثرت التعاونيات وتخلص النظام من كل ما كان يشوبه من شوائب الاحتلال الأجنبي، ولتلتحق الحركة التعاونية المغربية بالتيار التعاوني العالمي. ولهذه الغاية أنشئت في شهر شتنبر 1962 مصلحة خاصة بشؤون التعاون ملحقة مباشرة برئاسة الحكومة، وفي ذلك دليل واضح على عناية الدولة بالأمر، إلا أن الالتحاق المباشر بأعلى سلطة حكومة كان ضربا من التثبيط إذ كان يغرق المصلحة المذكورة في خضم المستعجلات اليومية ويحول بينها وبين التدخل السريع في ميادين اختصاصاتها، وتفاديا لهذا الحاجز أحدثت الدولة بظهير 13 أبريل 1975 مكتب تنمية التعاون وذلك على شكل مؤسسة عمومية متمتعة بالشخصية المعنوية وبالاستقلال المالي تحت إشراف السلطة الحكومية المكلفة بالتخطيط، ومن مهامه البحث في طلبات إقامة التعاونيات قبل أن يصدر الترخيص الحكومي بذلك، ثم مساعدة التعاونيات في التكوين التعاوني والاستثمار والقضايا القانونية مع جمع المعلومات عن التعاون ونشرها في التعاونيات، ثم تحسين الإطار القانوني للتعاونيات، ثم إصلاح ذات البين بينها في حالة وقوع أي نزاع والسهر على سيرها بناء على القوانين المعمول بها، ويشرف على سير هذا المكتب، فضلا عن طاقمه التنفيذي، مجلس إداري مركب من ممثلي مجموعة من الوزارات (الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة العصرية والطاقة والمعادن والتربية الوطنية والداخلية والمالية والسكنى والسياحة والشغل والصيد البحري) إضافة إلى ممثلين عن بعض المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية (الصندوق الوطني للقرض الفلاحي والبنك المركزي الشعبي والمكتب الوطني للحبوب والقطاني والمكتب الوطني للصيد والمكتب الوطني للنقل) كما يشارك في أعمال هذا المجلس ممثل عن كل صنف من أصناف التعاونيات القائمة ولا يقل عددهم عن ربع مقاعد المجلس، ولقد كان من أهم منجزات هذا المكتب منذ تأسيسه إعداد القانون رقم 83.24 الصادر بظهير 5 أكتوبر 1984 الذي ألغى كل ما كان موروثا عن عهد الحماية في قوانين التعاونيات وجعل لها دستوراً جديداً قائماً على 104 فصول كما أولى مكتب تنمية التعاون اهتماماً كبيراً بتشجيع تعاونيات الإنتاج بوجه خاص فإنها تعتبر عند المسؤولين عن التشغيل وطنيا ودوليا أداة من أدوات مكافحة البطالة وحلا وسطا بين الرسمالية الكبرى والاشتراكية المفرطة في المركزية. ولقد انصرف الاهتمام في السنوات الأخيرة إلى مساعدة الأفواج المتزايدة من خريجي المدارس المهنية إلى إقامة تعاونيات بينهم بحسب المؤهلات والتخصصات وأيضا إلى الأخذ بيد من يعود من عمالنا من الخارج ويرغب في إقامة مقاولات إنتاجية في أرض الوطن على شكل تعاونيات. ولقد أقيم معمل للنجارة العصرية في مدينة سلا بين مجموعة من العمال العائدين من بلجيكا واسمه "تعاونية الأمل".

ولقد كان تصنيف التعاونيات سنة 1990 على الشكل التالي :

في الفلاحة 3176 تعاونية 75.51٪ من المجموع
في الغابة 28 تعاونية 0.67٪ من المجموع
في الصيد البحري 24 تعاونية 0.57٪ من المجموع
في المناجم 32 تعاونية 0.76٪ من المجموع
في الاستهلاك 39 تعاونية 0.93٪ من المجموع
بين التجار الصغار 16 تعاونية 0.38٪ من المجموع
في السكنى 464 تعاونية 11.03٪ من المجموع
في الحرف 427 تعاونية 10.15٪ من المجموع

أما عدد المنخرطين فقد ارتفع فيما بين 1978 و1990

بحسب الأرقام التالية :

	1978	1990
عدد التعاونيات	2.040	4.206
عدد المنخرطين	82.757	130.838

مما يثبت أن الحركة التعاونية تنتشر بشكل مطرد في المغرب كما يثبت أنها مازالت تسيطر في القطاع الفلاحي ويأتي بعده القطاع الحرفي ثم قطاع الاستهلاك، أما قطاعات الصناعة العصرية فإنها مازالت دون ما يمكن أن يجنى منها في بلد مثل المغرب عريق الأصول في العمل الجماعي ملزم بالسير في هذا النهج لقلة أمواله وكثرة نسله.

الجريدة الرسمية، الظهائر المذكورة مدرجة في مجلدات سنوات صدورها ؛ *الإطار القانوني للمؤسسات التعاونية بالمغرب* (نشر الوزارة المكلفة بتنشيط الاقتصاد، 1994) ؛ *التعاونيات العمالية للانتاج* (نشر وزارة التخطيط، 1987).

Réorganisation des coopératives agricoles au Maroc à la lumière de la loi, 24 - 83 (Publications du Ministère du Plan, Rabat, 1988) ; *Annuaire statistique des organismes coopératifs*, 1990, Publications de l'Office du Développement de la Coopération ; Office du Développement de la Coopération, *Organisme de promotion du mouvement coopératif*, Publications de l'O.D.C.O.); *Analyse de la gestion des coopératives marocaines agricoles et des sociétés coopératives agricoles marocaines, Exercice 1958 - 1959*, Publication du Ministère de l'Agriculture, 1960 ; J. Celerier, *Chez les berbères du Maroc : de la collectivité pastorale à la coopérative*, *Ann. Hist. Eco. et Soc.*, Mai 1936 ; *Vingt ans de prevoyance indigène au Maroc*, Direction générale de l'intérieur, Rabat, 1937 ; *Rapport général sur le mouvement coopératif au Maroc en milieu autochtone*, 1934 - 1955, Direction générale de l'intérieur, Janvier 1956.

إبراهيم بوطالب

التعرگيبة، المصطلح مشتق من فعل "عرقب" ويقال عرقب الرجل الدابة إذا قطع عُرقوبها، أي عصب رجلها. وجرت العادة في المغرب أن يلجأ الناس إلى قطع عصب الرجلين الأماميين للثور (في الغالب) في مناسبات خاصة ترتبط "بطلب الشفاعة" أو"طلب العار" وترمز الدابة المعرقبة، وهي منحنية إلى الأمام، إلى وضعية الخضوع التي يوجد فيها المستجير أو طالب العار وإلى إقراره بالضعف والغلبة وبالتالي حاجته إلى الحماية والمؤازرة التي ينتظرها من جهة قادرة على تلبية رغبته.

ولقد ارتبطت هذه الممارسة أساساً بمؤسسة "العار" التي تعتبر إحدى الوسائل التي يلجأ إليها طالب الحماية والمؤازرة. وطلب العار (أو "رمي العار") يتم عبر طقوس مختلفة قد تقتصر على ترديد عبارات معينة مثل "ها العار عليك !" أو "أنا في عارك يا فلان !". لكن طلب الحماية أو الشفاعة يصبح أكثر قوة وإحراجاً للجهة المقصودة إذا اقترن بإراقة الدم عن طريق الذبيحة أو "التعرقيبة". وفي الغالب ما يسوق طالب الحماية الدابة التي ينوي استعمالها لهذه الغاية إلى دار الشخص الذي ترجى حمايته، فيذبحها أو يُعرقبها عند باب داره، فلا يسعه حينئذ إلا الاستجابة لرغبة الطالب وإلا تعرض لعار هذا الأخير.

وغير واضح ما يقصد بالعار. فهناك من الإثنوغرافيين مثل ويسترمارك (E. Westermarck) من فسره على أنه "لعنة مشروطة" (Conditional curse) سوف تنزل على المستجار به إذا هو رفض الاستجابة لرغبة المستجير. وفي هذه الحالة يُعبر عن الآفة التي تحل بالشخص بخروج العار فيقال عنه إذا أصابه مكروه في شخصه أو أسرته أو ماله بأن "العار قد خرج فيه" بفعل قدرة إلهية أو قدرة خارقة تتكفل بالانتقام لطالب الحماية الذي لم يحصل على مبتغاه. وهناك من يفسر العار تفسيراً اجتماعياً محضاً (جاموس، ك. براون) فيقول إن المراد بالعار هو السبة التي تنزل بالشخص في أعين المجتمع لإخلاله بقواعد المروءة التي تقتضي المساعدة عند الاقتدار، أي أن المسألة هي مسألة إخلال بقيم اجتماعية مرتبطة بالشرف (Honneur) والمروءة.

والواقع أن العار في تصور العامة من الناس يتضمن المعنيين معاً. فالشخص الذي يرفض تقديم الحماية والمساعدة لمن طلبهما هو شخص يُدينه المجتمع، ولكن المسألة لا تنحصر في هذا الجانب فقط، بل هناك اعتقاد راسخ بأن القدرة الإلهية، أو قدرة ما تُنسب للجن أو غيرهم، سوف تلاحق ذلك الشخص لتنزل به العقاب الذي يستحقه جزاء له على تنصله من العار الموجه إليه.

أما اللجوء إلى "التعرگيبة" فيتم في مناسبات عديدة لا يمكن حصرها، لكنها تجتمع في قاسم مشترك يتشمل في الإقرار بالضعف وطلب الحماية أو المؤازرة. فالقاتل الذي يخشى انتقام أسرة المقتول مثلا كان يلجأ إلى "التعرگيبة" أو الذبح عند باب دار المقتول. كما أن القبيلة التي ترغب في مساندة قبيلة أخرى لتقف معها ضد خطر يتهددها من جهة قبيلة ثالثة كانت تلجأ إلى نفس الممارسة. وكانت القبائل في السابق تلجأ إلى الذبح أو "التعرگيبة" لطلب عفو السلطان. كما استعملت قوات الاحتلال الفرنسية هذه العادة لتحصل على استسلام القبائل والمناطق التي أُجبرت على الخضوع، فكانت "التعرگيبة" في هذه الحالة رمزاً لنهاية المقاومة والقبول بسلطة الدولة الحامية. ويذكر ديل إيكلمان، على سبيل المثال، أن قبائل تادلة لجأت إلى "التعرگيبة" في سنة 1955 لإيقاف القصف الجوي الفرنسي الذي تعرضت له كنتيجة لأحداث وادزم في تلك السنة.

ومن المعلوم أن ممارسة مثل "رمي العار" واللجوء إلى "التعرگيبة" لقيت معارضة شديدة من العلماء الذين رأوا فيها ممارسات جاهلية وبقايا لمعتقدات لا علاقة لها بالإسلام.

K. Brown, *The Curse of Westermarck*, *Ethnos* (Stockholm), vol. 47, 1982, pp. 197 231 ; R. Jamous, *Honneur et Baraka : les structures traditionnelles dans le Rif*, Paris, 1981 ; E. Westermarck, *Ritual and Belief in Morocco*, London, 1926, 2 volumes.

محمد المنصور

التعريب، أي الحديث والكتابة والتأليف باللغة العربية فصيحة كانت أو عامية، مع وجود وعي بالانتماء إلى الثقافة المعبرة بتلك اللغة وتبني تراثها الحضاري والفكري

بصفة عامة. ولا نهتم هنا بالتعرض لمسألة التعريب في المغرب المعاصر، إنما ينحصر اهتمامنا في الحديث عن ظروف وآليات انتشار اللغة العربية في مغرب العصر الوسيط. وسنتناول ذلك بإيجاز من خلال المحاور التالية :

- مراحل التعريب بالمغرب خلال العصر الوسيط.
- العوامل المساعدة على انتشار اللغة العربية بالمغرب.
- حدود التعريب.

مراحل التعريب بالمغرب خلال العصر الوسيط : ميز عدد من الباحثين في تاريخ المغرب، مرحلتين من مراحل تعرب المغاربة خلال العصر الوسيط، تبتدئ أولاهما بدخول الفاتحين العرب خلال القرن الهجري الأول، وتتعزز بعد ذلك بتوافد القبائل الهلالية أواسط القرن الخامس.

المرحلة الأولى : دور الحواضر في انتشار اللغة العربية، من الجائز أن نقول بأن تعرب المغاربة بدأ منذ اتصالهم بالعرب الفاتحين، وقد أسهم الرهائن الذين كان زعماء الجيش العربي يأخذونهم من بين أعيان المغاربة وأمرائهم في نشر الثقافة واللغة العربيتين حين عودتهم إلى ذويهم وأوطانهم. غير أن العناصر الفعالة في هذه المرحلة تتمثل على وجه الخصوص في جماعات الجيوش والفقهاء والدعاة القادمين من الشرق لأسباب سياسية ومذهبية. ولا يعرف العدد الاجمالي لهؤلاء على وجه الدقة وإن كان بعض الباحثين يقدرهم بأزيد من مائة ألف. والأهم من عددهم وزنهم الثقافي والسياسي والديني ودورهم العمراني، إذ يعود إليهم الفضل في تأسيس عدد من المراكز الحضرية أو تعميرها مثل القيروان وفاس وتاهرت وسجلماسة وغيرها.

فحينما أسس الأدارسة مدينة فاس، واتخذوها عاصمة لإمارتهم، استقبلوا فيها جماعات وفدت عليهم من افريقية والأندلس، واختار من بينهم إدريس الثاني أعضاء "لحكومته" كما قرب علماءهم وفقهاءهم. ومن المؤكد أن هؤلاء أسهموا في تعزيز وجود اللغة العربية في العاصمة الادريسية التي ما فتئت تزيد ازدهاراً وعمراناً بفضل موقعها الجغرافي ومحيطها الفلاحي حتى بدأ اشعاعها اللغوي يمتد إلى البوادي المجاورة، وهذا ما أشار إليه كل من البكري (القرن الخامس) والإدريسي (القرن السادس) حين تحدثا عن وجود قبائل أمازيغية معربة بجوار مدينة فاس. وهذا دليل على أن تعرب بعض البوادي المغربية بدأ قبل قدوم قبائل بني هلال.

ويمكن أن نستنتج من مثال فاس وضواحيها أن المناطق الأكثر تعرضاً للتعريب - إلى جانب المدن - هي تلك الواقعة بين مناطق حضرية ذات إشعاع ثقافي قوي أو تلك التي تشكل ممراً تجاريا ترتاده القوافل بكثافة واستمرار، مما يدعو إلى التفكير في دور التجارة كذلك في دعم انتشار اللغة العربية بالمغرب.

وعن دور العرب الهلاليين في تعريب بعض المناطق، يذكر ابن خلدون، وهو يمهد لفصله المشهور حول بني هلال، أن بوادي المغرب لا عهد لها بالجنس العربي قبل مجيئ أفواج هلال وسليم ومعقل الذين نزحوا تباعا نحو المغرب منذ أواسط القرن الخامس الهجري ووصلت بعض قبائلهم وعشائرهم إلى المغرب الأقصى خلال العصر الموحدي وخاصة أيام الخليفة الثالث يعقوب المنصور (580-595 هـ). وقد كان الهدف من نقلهم الحد من عيثهم في أفريقية والمغرب الأوسط، والاستفادة من مؤهلاتهم العسكرية في الجهاد. وإلى جانب هؤلاء، نزحت قبائل معقل وتوجهت نحو الجنوب الشرقي فنصادفها، ومنذ العصر المريني في سوس والصحراء المغربية.

وقد كان احتكاك تلك القبائل وتجاورها مع سكان البادية المغربية سبباً في نشر اللغة العربية. وحينما بدأ شيوخ تلك القبائل ينالون "إقطاعات" من الدولة المرينية، في مقابل الخدمة العسكرية، تدعم نفوذهم اللغوي الثقافي بالنفوذ السياسي والعسكري والقانوني، فكان من السهل على قبائل أو جماعات أمازيغية الانضمام لهؤلاء عن طريق الولاء فتصبح مع مرور الزمن كأنها عربية خالصة. ولا تخلو المصادر التاريخية المغربية من الإشارة إلى حالات قبائل أمازيغية تخلت بعد مجاورتها للعرب عن عدد من مقوماتها الثقافية واللغوية، بل وعن أسمائها الأصلية.

العوامل المساعدة على التعريب : إن التعريب الذي نتحدث عليه لا يتضمن أي مفهوم عرقي لأن عدد العرب الداخلين إلى المغرب، من عهد الفتح إلى القرن السابع، ضئيل بالقياس إلى مجموع السكان الأصليين. لقد كان من الممكن أن تذوب المجموعات العربية، لغويا وثقافيا، في خضم الملايين من السكان الأصليين، لكن العكس هو الذي حصل بحيث ذابت جماعات أمازيغية، أو فقدت لغتها من جراء الاتصال بالعرب وبالثقافة العربية. وهذا الواقع يفرض علينا التساؤل عن العوامل المساعدة على انتشار اللغة العربية بالرغم من المعطيات المذكورة أعلاه.

مما لا شك فيه أن للدين الإسلامي دوراً هاماً في انطلاق حركة التعريب وتقدمها، فالتعليم في الكتاتيب والربط، ثم في المدارس، كان يتم باللغة العربية وكان يعتبر مسألة دينية قبل كل شيء. كما أن القيمة الثقافية والحضارية للغة القرآن جعلت الأمازيغيين يتهافتون على تعلمها لدرجة أن بعضهم أصبحوا يرغبون في أن يصبحوا عرباً فاصطنعت لذلك الشجرات، ووضعت الأنساب جملة، وهكذا نقرأ في كتب التاريخ أن صنهاجة من حمير وزناتة ينتهي نسبها إلى قيس عيلان، وإنما تبربرت وتغير لسانها حينما جاورت "البربر".

وإلى جانب هذه الأنساب "بالجملة" أصبح الأمازيغي، في الحواضر خاصة، ينسلخ عن طواعية من نسبه ليرتبط بالنسب العربي، ومن "رطانته" ليتعلم اللغة العربية المستكملة لكل الشروط المطلوبة.

الوضعية اللغوية بالمغرب : إن ظاهرة المثاقفة المشار إليها ما كانت لتؤتي أكلها لو لم تكن الوضعية اللغوية بالمغرب تسمح بذلك. فعندما بدأت جيوش الفاتحين العرب

تطرق أبواب المغرب، كانت اللغتان، البونيقية واللاتينية لا تزالان مستمرتين في بعض المدن والمناطق، خاصة تلك التي شهدت ازدهار الحضارة الرومانية والبيزنطية (منطقة افريقية، شمال المغربين الأوسط والأقصى)، وقد دلت النقوش والحفريات، فضلا عن الشهادات التاريخية على استمرار اللغة اللاتينية لغة للكنيسة بالمغرب إلى ما بعد القرن الخامس الهجري. أما بالنسبة للغة البونيقية، فقد اعتبر بعض الباحثين وجودها عاملا ممهدا لانتشار اللغة العربية، علماً بأن اللغتين تنتميان إلى مجموع اللغات السامية.

ومهما يكن من شأن اللغتين، فإن التعريب الحقيقي مشروط بتراجع اللغة المحلية السائدة وهي الأمازيغية التي لم تكن بدورها قادرة على الصمود بفعالية أمام المد اللغوي والثقافي العربي، خاصة في المجالات الروحية والفكرية، إذ لم يسبق لها أن كانت، طيلة تاريخها محور حركة دينية أو "قومية" ترفعها إلى مصاف اللغات الكبرى في التاريخ. لقد ظل إنتاجها المكتوب قبل الإسلام منحصرا في بعض النقوش التي ماتزال رموز بعضها غير مفهومة، ومن المستبعد أن يكون المثقفون الأمازيغيون القدامى ألفوا بها أو دونوا انتاجاتهم، ومن المؤكد أن مشاهيرهم من أمثال أبيلوس والقديس أغسطين، قد ألفوا باللغتين السائدتين في عصرهم، البونيقية واللاتينية.

وفي العصور الاسلامية الأولى ظهرت حركات دينية سياسية ثقافية معارضة للإسلام والعروبة ومن أبرزها على الخصوص، الحركة البرغواطية التي نسجت على منوال الإسلام ووضعت "قرآنا" مكتوبا باللغة الأمازيغية، واحتج المتنبئ البرغواطي على العرب بآية من القرآن "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه"، مبرزاً بذلك ولأول مرة المشكل اللغوي على صعيد حركة دينية سياسية"قومية" أمازيغية.

وبعد ذلك بعدة قرون، تبرزحركة أخرى، سنية إصلاحية، هي حركة المهدي بن تومرت الذي ألف عقيدته باللغة الأمازيغية، وعمل خلفاؤه من بعده على إلقاء الخطب الدينية والسياسية باللغة الأمازيغية، بل "كان لا يخطب ولا يؤم إلا من يعرف التوحيد باللسان العربي" كما جاء في عدد من المصادر. إلا أنه ورغم تلك الاجراءات فقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية، فهي اللغة الإدارية الوحيدة، وبها تم التأليف في مختلف المجالات العلمية والدينية والفلسفية. لاشيء يدل إذن على أن الموحدين كانوا يسعون إلى طرح المسألة اللغوية كما طرحوا المسألة المذهبية مثلا.

وهكذا فإن وضعية اللغة الأمازيغية لم تكن تؤهلها لمنافسة اللغة العربية، في الميادين العلمية "والأكاديمية" بل إن تلك اللغة تأثرت "بأختها الكبرى" على مستويي القاموس والبنية واقتبست منها مجموعة من الألفاظ والعبارات، وتمخض عن ذلك، من بين ما تمخض، ميلاد الدارجة (العامية) المغربية.

حدود التعريب، مظاهره وأسبابه : رغم أن حركة التعريب معززة بظروف ملائمة وعلى رأسها استعداد جماعات الأمازيغيين للانصهار في الثقافة العربية، فإن مجال التعريب لم يتعد بعض المراكز الحضرية وضواحيها بينما ظلت أغلبية البوادي وكل الجبال معاقل للغة الأمازيغية.

صحيح أن المغاربة المعربين ساهموا بدورهم في الإنتاج الفكري العربي الإسلامي مساهمة تبرر، رغم حدودها، ظهور مؤلفات معاصرة من قبيل *النبوغ المغربي في الأدب العربي*، إلا أنه، وكما كانت لحركة التعريب عوامل مساعدة أشرنا إلى بعضها، فإن لها كذلك حدوداً فرضتها شروط تاريخية وجغرافية واجتماعية.

ضعف العمران : إذا كانت المراكز الحضرية هي نواة التعريب الأولى، فإنه ينبغي أن نـذكّر ـ رغم أن الأمر لا يحتاج إلى تذكير ـ أن الحواضر كانت قليلة، كما أنها لم تكن كلها معربة : فمدينة فاس كانت "بمختلف الألسن لاحنة" ومراكش وأصيلا وأزمور "لسانها بربري" كما أن ظاهرة "العجمة" لم تزل بعد من سهل تامسنا، بالرغم من انتشار أفواج بني هلال (ابن الخطيب).

أما ابن خلدون، فقد أشار في عدة أماكن من *المقدمة والعبر* (ج 6)، إلى طغيان "الرطانة" في بلدان المغرب وإلى ما كان يعانيه اللسان الحضري من التردي، وفي محاولة لتفسير ذلك يقترح علينا ابن خلدون عاملين : الأول "منهجي" يتمثل في إفلاس أساليب التعليم آنذاك في نشر لغة العرب. فالمغاربة كانوا "يحفظون قوانين اللغة والنحو المجردة، ولا يمارسون التحدث باللغة العربية" لشدة عجمتهم، والثاني تاريخي يتجلى في تراجع العمران.

وإذا كان السبب "البيداغوجي المنهجي" وجيهاً، فإن مسألة تراجع العمران جديرة حقا بكل الاهتمام إذ أن مفهوم العمران الخلدوني يتضمن ازدهار النمو الحضاري والتجارة والمبادلات ونمو الفكر وغيرها من عناصر "التقدم" ....، وكلها عناصر افتقد المغرب بعضها أو جلها خلال نهاية العصر الوسيط.

العامل الجغرافي والاجتماعي : شبه بعض الباحثين انتشار الحضارة الرومانية بالمغرب بانتشار الماء، بمعنى أنها تغمر السهول وتعجز عن إدراك الجبال...، ويمكن ـ مع مراعاة الفرق بالنسبة إلينا ـ أن نشبه مسألة انتشار اللغة العربية في مغرب العصر الوسيط بانتشار الماء، فقد امتدت إلى الحواضر والسهول والصحاري، وهذا ما يشير إليه ابن خلدون بقولته المشهورة "العرب لا يتغلبون إلى على البسائط"، لذلك ظلت المناطق الجبلية بعيدة كل البعد عن تأثير اللغة العربية، اللهم إلا ما يفرضه التعليم في الكتاتيب والمدارس التي كانت تستعمل الأمازيغية أيضا في التدريس، أو ما يحمله إليها بعض أبنائها الذين تمكنوا من "إتمام" دراستهم في بعض الحواضر، مراكش وفاس على وجه الخصوص.

وإلى جانب "العامل الجغرافي الطبيعي" لا بد من الإشارة كذلك إلى "العامل الجغرافي البشري" بحيث يسهل تعريب مناطق الكثافة الضعيفة ويتعذر تعريب مناطق الكثافة المرتفعة. كما أن للتنظيمات والبنيات القبلية وأشكال استغلال الأرض وملكها أثرا على امتداد أو انحسار حركة التعريب. فالقبيلة المتماسكة بفضل نظامها الاجتماعي، حيث يسود الاستغلال والملكية الجماعية لوسائل الإنتاج أكثر قدرة واستعداداً لمقاومة التأثيرات الخارجية، وعلى النقيض منها تكون وضعية القبائل التي تفسخت روابطها الاجتماعية بفعل عوامل تاريخية أو سياسية، مثل قبائل تامسنا التي انهكتها الحروب المتوالية من عهد بني يفرن إلى العصر المريني...

إلا أنه ينبغي أن نحتاط من التسرع، ويستحسن أخذ العوامل المذكورة بعين الاعتبار وتفادي أخذها كعوامل تفسر بكيفية قطعية امتداد أو تقلص حركة التعريب بالمغرب في العصر الوسيط.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*... تح. أحمد مختار العبادي ؛ ع.

ابن خلدون، *المقدمة* ؛ *العبر*، ج 6، بيروت 1968.

W. Marçais, *Comment l'Afrique du Nord a été arabisée*, *A.I.E.O.A.*, 1938 et 1939.

رضوان مبارك

التعريب ← معهد الأبحاث والدراسات للتعريب

التعريب (مكتب تنسيق ـ)، أول ما سمي بالمكتب الدائم لمؤتمر التعريب، ثم أُطلق عليه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، ويدعى الآن مكتب تنسيق التعريب. وقد أنبثق عن مؤتمر التعريب الأول المنعقد في الرباط من 3 إلى 7 أبريل سنة 1961. وأصبح مؤسسة ملحقة بجامعة الدول العربية بناء على قرار الجامعة رقم 2541 / د ج 4 المؤرخ في 16 / 3 / 1969، ثم أصبح جهازاً من أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بعد خلقها، طبقا للقرار رقم 70 المؤرخ في 8 / 5 / 1972. وقد وافق المؤتمر الأول المشار إليه أعلاه على أن يكون مقر المكتب الدائم بمدينة الرباط في المملكة المغربية، نظراً للواقع اللغوي الذي كانت تعيشه دول المغرب العربي إذ ذاك، وكانت حديثة العهد بالاستقلال.

وسطرت مبادئ المكتب الستة التي عليه أن يعمل بمقتضاها، في مؤتمر التعريب الثاني، المنعقد في الجزائر من 12 إلى 20 من شهر ديسمبر 1963 :

ـ اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة واستمرارها. وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يتهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها.

ـ إن تأصيل العلوم وإنتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها. ولذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها، ثم مشاركتها فيها، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة التدريس، وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة لذلك.

ـ إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة دون مرحلة وإنما يجب أن يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها، حتى يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطويرها.

ـ إن ما لحق اللغة العربية من قصور في العصور المتأخرة لا يعود إلى العربية نفسها، وإنما يرتد إلى ما فرضه الغزو اللغوي ـ على درجات متفاوتة من مباعدة بينها وبين أصحابها، ومن تشكيك فيها، وعزل لها عن الحياة والمجتمع.

ـ إن اللغة العربية قادرة، بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها الذي أسهمت به في الحضارة الانسانية على أن تكون لغة العلم الحديث : تدريساً وتأليفاً وبحثاً.

ـ إن الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية والعناية بهذه اللغة لا تعني إهمال الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ولا تقصد إليه.

وجاء في النظام الداخلي للمكتب، الصادر بتاريخ 27 / 1 / 1973 ما يلي : يقوم المكتب بالمساهمة الفعالة في الجهود التي تبذل في الوطن العربي للعناية بقضايا اللغة العربية ومواكبتها للعصر، واستجابتها لمطالبه، وذلك عن طريق تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في التدريس بجميع مراحل التعليم وأنواعه ومواده، وفي الأجهزة الثقافية ووسائل الإعلام المختلفة ؛ وتتبع حركة التعريب وتطور اللغة العربية العلمية والحضارية في الوطن العربي وخارجه، بجمع الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع ونشرها أو التعريف بها ؛ وتنسيق الجهود التي تبذل لإغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح الحضاري في الوطن العربي بكل الوسائل الممكنة؛ والإعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب.

ويقوم المكتب في سبيل تحقيق أهدافه بالعمل على تنمية اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية في الخارج، وذلك بالتوسع في إصدار المعاجم المخصصة في ميادين المعرفة وإبراز دور الحضارة العربية الإسلامية في نمو المعرفة الانسانية، ووضع المصطلحات العربية الموحدة للمفاهيم الجديدة وتعميم استعمالها وتداولها، والإفادة من التقنيات الحديثة في نشر اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية في الداخل والخارج ونشر المعلومات والاستفادة منها بواسطة بنك المصطلحات، وتتبع وخزن الرصيد المصطلحي المستجد، ودعم المكتبة بالمراجع والكتب والدوريات. وإصدار مجلة دورية لنشر نتائج أنشطة المكتب (اللسان العربي)، وهي متخصصة تعنى بنشر الأبحاث اللغوية وقضايا الترجمة والتعريب ونشر المشروعات المعجمية، بالإضافة إلى نشر المعاجم التي تقرها مؤتمرات التعريب، وقد نشرت معظم هذه المعاجم، والبعض الآخر تحت الطبع.

وقد بلغ عدد مؤتمرات التعريب المنعقدة ما بين سنة 1961 و1994 سبعة وبلغ مجموع المصطلحات المصادق عليها

118.640 مصطلحاً. فعلاوة على المؤتمر التأسيسي المنعقد بالرباط سنة 1961، انعقد المؤتمر الرابع بطنجة في أبريل 1981 حيث صادق على ثمانية من المعاجم العلمية والتقنية كما انعقد المؤتمر السادس بالرباط في شتنبر 1988 وصادق على معاجم في الآثار والقانون والاقتصاد والجغرافيا والموسيقى.

بلغ عدد المعاجم التي أنجزها مكتب تنسيق التعريب بالرباط ونشرت أو هي تحت الطبع سنة 1994 سبعة وعشرين معجماً بثلاث لغات : الأنجليزية والفرنسية والعربية، وهي معاجم موحدة لمصطلحات اللسانيات، والفيزياء العامة والنووية، والرياضيات والفلك، والكيمياء، والأحياء (النبات والحيوان)، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والتجارة والمحاسبة، والصحة وجسم الإنسان، والتعليم التقني والمهني، والجيولوجيا، والبترول، والحاسبات الإليكترونية، والآثار والتاريخ، والموسيقى، والجغرافيا، والاقتصاد، والقانون، والسياحة، والبيئة، والزلازل، والطاقات المتجددة، والمياه، الاستشعار عن بعد، والتقنيات التربوية، والإعلام، والفنون التشكيلية.

ويعد حاليا في مكتب تنسيق التعريب بالرباط أربعة معاجم تهم مصطلحات الأرصاد الجوية، والهندسة الميكانيكية والمعلوماتية، وعلم البحار.

ورغبة في سلامة الإنجاز العلمي المصطلحي، ونشدانا لتوحيد المصطلح العلمي ليصبح مصطلحا عربيا متفقا عليه، عقد المكتب ندوة خاصة لكل مشروع معجمي سواء في مكتب أو في مؤسسات مختصة أو في مجامع اللغة العربية. وتوجها بمؤتمرات التعريب المشار إليها أعلاه وعقد أيضا ندوات مختصة حول المنهجية أهمها :

- ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة - الرباط 1981.

- ندوة تطوير منهجية وضع المصطلح العربي وبحث سبل المصطلح الموحد وإشاعته - عمان 1993.

هذا وقد عقد المكتب بالإضافة إلى هاتين الندوتين، ندوة خاصة بتأليف كتب تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالرباط، سنة 1980، وشارك فيها عدد من الخبراء والعلماء العرب الذين مثلوا جامعات ومؤسسات عربية وإسلامية، ومعهد غوته الألماني والمجلس الثقافي البريطاني.

كما عقد دورة تدريبية في صناعة المعجم، بالرباط أيضا، سنة 1981، شاركت فيها جامعات ومؤسسات علمية عربية ودولية، وصدرت أعمال هذه الندوة في كتاب بعنوان : *صناعة المعجم العربي لغير الناطقين بالعربية*.

وكان مكتب تنسيق التعريب بالرباط على وعي بأن تجربته المعجمية لا يمكن أن تتخذ أبعادها الحقيقية باكتفائها بجهود علماء الاختصاص المتناظرين والمؤتمرين فحسب، بل لا بد وأن تستفيد من تجارب المؤسسات الدولية والعربية ذات الاهتمام المشترك، وهكذا كان للمكتب علاقات مع المنظمة العلمية للتقييس (ISO) جنيف ومركز المعلومات الدولي للمصطلحات (Infoterm) في فيينا. واتحاد المترجمين الدوليين (ويضم رابطات واتحادات المترجمين في معظم الدول الأوربية والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سابقا (Fit) في وارسو وشركة سيمنس بألمانيا والجمعية العالمية لوضع المصطلحات (Termia) والبنك الآلي السعودي للمصطلحات (Basm) وبنك المعلوميات في منظمة الألكسو (Farabi) والمجلس الدولي للغة العربية بباريس (Cilf) وغيرها.

كما يربط علاقات علمية مع المجامع العربية، والجامعات والمؤسسات المختصة في البحث والدرس والصناعة. وفي إطار هذا التعاون المصطلحي ساهم المكتب في وضع عدد وافر من المعاجم الأخرى لمصطلحات علمية وتقنية، بحيث بلغ مجموع المعاجم التي أنجزها إعداداً أو مشاركة أو إشرافاً أو مراجعة مائة وثمانية وثلاثين مشروعاً معجمياً أو قائمة مصطلحية. ويساهم المكتب حاليا في وضع معجم العلوم الطبية المصور الذي يشرف عليه البروفسور عبد الحفيظ لهلايدي، جامعة محمد الخامس - الرباط. وسيظهر في عشرة أجزاء متضمنة لحوالي مائة ألف مصطلح تغطي منظومات العلوم الطبية الكبرى.

لم يكن المكتب يحصر جهوده في معجماته المذكورة هذه لتصدر بالطريقة التي هي عليها، بل كان له هدف آخر يقصده منها، وهو أن تكون أساسا وقاعدة معجم حضاري دعاه "معجم المعاني العام"، وقد أعد في هذا الصدد حوالي أربعين مشروعا أنجز جلها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله - المدير الأول لمكتب تنسيق التعريب - وبلغ عدد جذاذات هذا المعجم حوالي 500.000 جذاذة، وضع المكتب حاليا خطة جديدة تعتمد على الحاسوب والمناهج الحديثة المصطلحية، للاستفادة منها وتكميلها، لتتجسد عملا كاملا يوضع بين أيدي الناس. وقد نشر بعض من هاتيك المشروعات في *مجلة اللسان العربي*.

إذا كان المكتب يصب تجربته المصطلحية في ما أصدره من مشروعات معجمية، فإن عنايته بقضايا اللغة العربية والترجمة والتعريب، تمثلت في دوريته "اللسان العربي" التي ظهر عددها الأول سنة 1964، وهي حاليا سنوية، صدر منها حتى الآن سبعة وثلاثون عدداً في أربعة وخمسين مجلدا، تضمنت 1.050 بحثاً و292 مشروعاً معجمياً.

وكان المكتب ولايزال يقوم بمساعدة بعض المؤسسات الحكومية المغربية والمؤسسات الخاصة في مجالات التعريب كلما دعا الأمر إلى ذلك، عن طريق موافاتها بالمطبوعات والمعلومات والتوجيهات وتوفير المقابل العربي لما تستعمله من مصطلحات علمية. كما كان المكتب يساهم في تعريب اللافتات والواجهات ونصوص الإشهار، في بعض المدن المغربية. وكثيراً ما كانت بعض الإدارات والهيئات والشخصيات تستفتي المكتب عن طريق الهاتف، في ترجمة فورية لأمر من الأمور. ويتلقى المكتب على الدوام

قوائم مصطلحية تشمل مختلف العلوم والفنون ليجد لها المقابل العربي المطلوب.

ويفد يوميا على مكتبتي المكتب (العلمية والمعجمية) وقسمه التقني، طلاب من الكليات العلمية قصد إعداد بحوثهم العلمية باللغة العربية، كما يرد عليه أيضا عدد من الباحثين مغاربة وغيرهم للاطلاع على منجزاته ومنهجيته في إعداد المعاجم وتنسيق المصطلحات، أو لإعداد أبحاثهم أو أطروحاتهم حول نشاط المكتب ودوره في حركة التعريب في الوطن العربي.

وثائق مكتب تنسيق التعريب ؛ محمد المنجي الصيادي، *التعريب وتنسيقه في الوطن العربي*، مركز دراسات الوحدة العربية ـ سلسلة أطروحات الدكتوراه (1)، الطبعة الخامسة، بيروت، 1993 ؛ *استطلاعات إعلامية عن مكتب تنسيق التعريب في الصحافة المغربية والعربية* ؛ *مجلة القافلة* في عدديها (ربيع الثاني 1403 هـ ورمضان 1403 هـ)، وجريدة *الميثاق الوطني* في عددها بتاريخ 22 / 6 / 1983، وجريدة *عكاظ* السعودية بتاريخ 29 / 6 / 1983، ومجلة *قافلة الزيت* في عددها السابع مايو 1981، وجريدة *بغداد ابزيرفر* التي نشرت في عددها 5039 بتاريخ 2 / 2 / 1984 مقالا للسيد الأستاذ سمير الجلبي تناول فيه أهداف المكتب وأنشطته.

أحمد شحلان

التعرية المائية، عبارة تطلق على مختلف الآليات السطحية التي تعمل على تحريك الفتاتات من موقع اقتلاعها إلى مكان ترسبها، تحت تأثير المياه السائلة أو الجارية. وهي ظاهرة هامة في المغرب، كما هو الحال في باقي المجالات المتوسطية، وذلك بسبب تركز التهاطلات من جهة، وتفرق الغطاء النباتي. وتتدخل في بعض المجالات عوامل إضافية، مثل حدة التضرس وضعف مقاومة الصخور، لتجعل منها مناطق تعتبر أراضيها ذات قابلية مرتفعة للإزالة والتدهور. كما أن حدة التدخل البشري على المجال، وقدم الاستعمالات المختلفة للتربة، كان لهما الأثر الهام على استقرار السفوح.

تشير التقديرات القياسية، التي تنجزها إدارة المياه (بوزارة الاشغال العمومية) إلى خطورة التعرية المائية بالمغرب. وقد انتبهت مصالح المياه والغابات (وزارة الفلاحة) إلى هذه الظاهرة، وسخرت إمكانيات هامة للوقاية.

وترجع خطورة هذه الظاهرة أولاً إلى تأثير العامل المناخي. فالتراب الوطني تقع أجزاؤه الشمالية ضمن المناخ المتوسطي الذي يتميز بتناقض بين الفصول وبعنف التهاطلات، وأجزاؤه، الجنوبية ضمن المناخ الشبه صحراوي، المتميز بالجفاف عادة بسقوط زخات مطرية كثيفة ومركزة.

إلا أن القياسات المتوفرة تهم خاصة الاقاليم الممتدة شمال الأطلس الكبير. وتشير هذه القياسات إلى أن المجالات الجافة لها اعتدائية مناخية متواضعة ؛ وتبقى هذه الاعتدائية متوسطة في المجالات الهضبية من المغرب. وترتفع بشكل ملحوظ في الجبال الاطلسية لتصل إلى ذروتها في جبال وتلال الاقاليم الشمالية (سلسلة الريف).

وللعامل التضاريسي، دور أساسي في تحديد القابلية للتعرية. وقد تم تحديد التوزيع الجغرافي للتضاريس في الأقاليم الشمالية من المغرب، على مساحة تقديرها العام حوالي 23 مليون هكتار. تمثل فيها الجبال 35٪، والتلال المنحدرة 18٪، بينما تغطي السطوح المنبسطة والمتموجة (هضاب ـ سهول ـ تلال منخفضة) 47٪ من المساحة الاجمالية للأقاليم المتوسطة. وهذا يعني أن نصف أراضي هذه المجالات، ذو قابلية عالية للانجراف.

ودور الغطاء النباتي أساسي في الوقاية من عملية التعرية. وتثبت كل القياسات هذا الدور الأساسي، حيث تتضاعف مقادير التعرية من عشر إلى عشرين مرة، عند مرور السطح من حالة التغطية الشاملة إلى حالة الاجتثاب الكامل. وتغطي الغابة حالياً حيزاً تقديره حوالي 12٪ من مساحة البلاد (تقريبا تسعة ملايين من الهكتارات). وهذا مؤشر آخر يفسر أهمية الانجراف المائي للأراضي.

وتقدر ساكنة المغرب حالياً بحوالي 26 إلى 27 مليون نسمة، نصفها يعيش في البوادي. وهذا يعني أن الكثافة الفعلية على أراضي الارياف لا تتعدى في المتوسط 19 ن في كلم^2. إلا أن هذه الكثافة جد متغايرة مجالياً، حيث تصل إلى مقادير تفوق 100 ن /كلم في بعض النواحي كالريف الشرقي. والمجالات ذات البيئة الهشة، والساكنة الكثيفة في نفس الوقت، كالريف ومقدمة الريف هي التي تشكو من الآثار الخطيرة للانجراف.

وعلى أساس قياسات عامة (تقدير الحمولة الصلبة للأنهار من طرف مديرية المياه) وقياسات محلية (نتائج عدد من المحطات التجريبية) وتقديرات نظرية، تم تصور الخطورة الفعلية لظاهرة التعرية المائية بالمغرب.

يرتفع معامل السيل الذي يمثل النسبة السائلة من الكمية الإجمالية المتهاطلة، من المجالات نصف الجافة (حيث لا يزيد عن 10٪) إلى المجالات نصف الرطبة حيث يعلو إلى 15 ـ 20٪، إلى المجالات حيث التهاطلات جد مرتفعة (أكثر من 700 مم) ليصل إلى حدود 40 ـ 50٪ في المناطق التي تتلقى أكثر من 1000 مم. وهذا يدل على أن مقادير السيل العنيف، التي تساهم في الانجراف من جهة، ولكن كذلك في تزويد الانهار الكبري وتوفير الثروات المائية، تأتي من هذه المجالات الرطبة جداً.

وتشير القياسات إلى أن تركز المياه بالحمولة الصلبة، يتزايد من المجالات الرطبة إلى الجافة. ذلك ان كثرة الماء السائل تؤدي إلى تخفيف الخليط وبالتالي تناقص التركز. والمجالات الجافة من المغرب تسجل مقادير تتوزع بين 19 و30 غ / لتر، بينما تنخفض هذه المقادير إلى 10 ثم 5 مع تزايد المياه السائلة.

تعد التعرية المائية نتاجاً للسيل والتركز معا. وهي تزيد في المغرب بشكل سريع تبعاً لتزايد المياه السائلة. ويعبر عنها بمقدار الاقتلاع بالاطنان في كلم^2 خلال سنة.

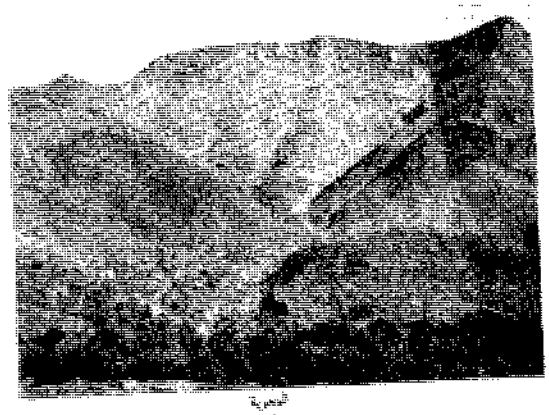

التعرية
منظر من الأطلس الصغير

يصل هذا المقدار إلى أقل من 500 طن في المجالات نصف الجافة (أقل من 400 مم من المطر). ثم يرتفع في المجالات التي تتلقى بين 400 و600 مم (حوالي 1000 طن)، لتصل إلى 1500 أو 2000 طن في المناطق الرطبة.

وتسمح التقديرات المتوفرة بتصور توزيع عام للتعرية المائية ببلادنا. فالمجالات الجافة والصحراوية التي تغطي أكثر من ثلثي مساحة البلاد، تسجل مقادير ازالة تتراوح بين 10 و50 طن / كلم^2 / سنة، والسهول والهضاب الاطلنتية مقادير بين 50 و200. أما جبال الأطلس فهي تفقد ما بين 200 و500 طن / كلم^2 / سنة. وترتفع هذه المقادير في شمال شرق الأطلس المتوسط وفي الريف ومقدمته التي لا تغطي أكثر من 6٪ من مساحة البلاد إلى أكثر من 500 طن /كلم^2 / سنة (بين 200 و500 في الريف الاوسط والغربي).

ويشير الجدول التالي إلى خصائص عدد من الاحواض النهرية المغربية وإلى مقادير التعرية المائية والسيل بها.

	ورغة	إناون	الأخضر	ملوية	أبورقراق	ماسة	زيز
(1) مساحة	6170	3680	1680	49900	9800	3780	4500
(2) ٪ الجبال	88	85	100	43	70	95	100
(3) معدل التهاطل	> 700	600	450	<300	500	230	150
(4) موارد مائية	2980	650	300	934	723	150	155
(5) تركز المياه	4	6	16	21	3.1	10.4	12
(6) الاقتلاع	2070	901	2991	336	270	385	430
(7) منقولات	12800	3320	5000	16700	2650	1460	1970

1 ـ مساحة بالكلم^2 . 2 ـ نسبة التضاريس الحادة. 3 ـ معدل التهاطل بم.
4 ـ صبيب النهر بالهكتومتر مكعب. 5 ـ تركز مياه السيل بغ / لتر.
6 ـ الاقتلاع بالطن / كلم^2 / سنة. 7 ـ المنقولات السنوية بآلاف الأطنان.

يبين هذا الجدول أن هناك مجالات تفقد مقادير هائلة من تربتها، مثل ورغة والاخضر. ويرتبط ذلك في نفس الوقت برطوبتها وشدة تضرسها. كما أن الصخارة لها دور مهم. أما صبيب المنقولات الإجمالي خلال السنة، فهو يضع ملوية في الصف الأول وذلك ارتباطا بمساحة حوض هذا النهر (7٪ من مساحة المغرب). إلا أن فحص الجدول يبين أن سهول ملوية وجبالها لا تفقد مقادير كبيرة من التربة (336 طن / كلم^2 / سنة).

وتتضح عواقب هذا الانجراف الهام في عدة مظاهر من أهمها :

- توحل حقينة السدود من جراء تراكم الفتاتات المنقولة من طرف الأنهار وبالتالي تقلص امكانيات تخزين الماء وراء السدود وإمكانيات تنظيم عملية السقي.

- تدهور أتربة الحقول وما ينتج عنها من تفقير لامكانياتها الفلاحية. هذه الظاهرة الأخيرة مرتبطة بالآليات الدقيقة التي تعمل بها التعرية.

وعلى إثر حدوث تهاطلات، يتسرب قسط من الماء إلى الاعماق، ويكون الصبيب القاعدي للانهار، لأنه لا يتعرض للتبخر، وبالتالي يشكل مخزونا يخرج على شكل عيون مغذية. يتسرب جزء ثان إلى الطبقات العليا من التربة ويساهم في تغذية النباتات. كما أنه يتحرك ويحدث وضعيات انزلاقية هامة. وعندما تتشبع التربة، ينطلق السيل على السطح. ويتخذ هذا السيل شكل قنوات متفرعة ـ متلاقية أو شكل فرشة. كما قد يتركز في خدوش تتعمق ببضع سنتيمترات، أو خدات تنحت مجراها ببضعة أمتار.

يشكل السيل الغشائي فرشة حقيقية، ممتدة وعميقة، يهم خاصة أقدام الجبال في جنوب المغرب. وتتسبب الزخات المطرية العنيفة في حدوث مثل هذه الظواهر، رغم عدم تشبع التربة، وذلك بسبب تكون قشرات تكدس واندكاك على سطحها، تساهم في انغلاق المسام. وقد تم وصف آثار مثل هذه الظاهرة في تافيلالت (Joly ،1952)، وفي المغرب الشرقي. ويظهر أن أمطار الخريف ونهاية الصيف، تمثل عواصف ذات العواقب الوخيمة في هذه المجالات القارية.

ويؤثر السيل الغشائي كذلك على السفوح الجبلية أو التلية المجتثة، أو التي تدهور غطاؤها النباتي. فابتداء من تغطية نباتية دنيا، تصبح قطرات المطر ذات فعالية تجعل منها أداة اندكاك للسطح. وتصبح عندئذ المياه السائلة قادرة على نقل الفتاتات الدقيقة وغسل السطح تاركة عنده المواد الخشنة بارزة.

ويؤدي الانتقال من السيل الغشائي إلى الخدوش المركزة، إلى اجتياز عتبة خطورة خاصة، يرتفع معها حجم النقل، وكذا مدى تدهور التربة.

إلا أن هذه الامطار العنيفة والمركزة تبقى ذات تأثير محدود بالمقارنة مع الامطار الدائمة المؤدية إلى تشبع القطاع الترابي. ذلك أن استمرار التهاطل خلال مدة هامة، يجعل التربة تمتص مقادير مائية هامة، مما يسمح للسيل الناتج عنها بأن يكون جد مركز(مقادير قد تصل إلى 30غ / لتر، أو أكثر). وتمثل هذه الكوارث المطرية كالتي حدثت في الريف سنة 1962 ـ 1963، أو في تونس سنة 1979، إلى امتداد المساحات المتأثرة بالتخديد والانزلاقات، وإلى تفاقم آثار المجاري المائية التي تعمل على توسيع مجاريها واقتلاع ضفافها.

من هنا تتجلى المظاهر المختلفة للتعرية المائية بالمغرب

والتي تتلخص في تدهور الاتربة في العاليات، وبروز عدد من مظاهر التخريب على طول الأودية، وتوحل حقينة السدود في السافلات. من هنا كذلك تتضح أهمية الوقاية من هذه الظاهرة الخطيرة.

عبد الله العوينة

الترعية الريحية، تنشط هذه الدينامية في المناطق الجافة وخاصة منها الموجودة جنوب السلسة الاطلسية وفي شرق المغرب حيث تشكل القحولة الخاصية الاساسية مع ما تخلفه من خصاص في الحصيلة المائية وفقر شديد في النبات. تعرف هذه المنطقة الشاسعة التي تمتد على مساحة 500.000 كلم^2 أي 5/7 المساحة الاجمالية سيطرة الرياح من نوعين : رياح حارة ورياح الرمال والغبار، الاولى تنتشر في كل مكان وفي كل الفصول حينما يكون هناك زحف باتجاه الشمال الغربي لكتل الهواء القارية الصحراوية أو عند مرور منخفضات جهة الرياح التجارية. أما الثانية أي رياح الرمال والغبار فإنها تكثر في جنوب الاطلس الكبير، وهي رياح دوامية لها قوة تجعلها قادرة على الهبوب حاملة معها حبات الرمال من حجم وقطر يدخل في كفاءتها. وهذه الرياح تؤثر على السطح جنوب وشرق المغرب أكثر من باقي المناطق الصحراوية الأخرى. ويعتبر ممر تانحونيت / الطاوس عند قدم الحافة الشمالية لحمادة كم كم أهم منطقة لهبوب الرياح الحاملة للرمال : 80 يوما من الرياح عند أرفود ـ بودنيب 20 يوما في عبادلة ـ 15 يوما في تبلبالة.

وتمتد الفترة الأكثر نشاطاً بين يناير وشتنبر وتصل أقصاها في شهر يونيو. هذه الرياح لا تقتصر على الازالة والنقل بل تقوم أيضاً بترتيب أنواع خاصة من التراكمات الرملية التي تكون إما منعزلة أو متجمعة على شكل أشرطة قد تتعدى عشرات الكلم وتتكون من برحانات وسيوف ونبكاة وتتركز هذه الاشكال في [illegible]ات الفاصلة بين الأعراف حيث تحافظ الرياح على نفس الاتجاه وتزيد قوة، أما فوق الحمادات والسهول حيث الرياح تغير وجهتها باستمرار فإن الاشكال تتراكب فيما بينها مكونة أشكالا هرمية.

تتمثل أخطر نتيجة للدينامية الريحية سواء في المناطق الجامة أو الساحلية في مسألة الترميل أوزحف الرمال الشئ الذي يهدد مناطق زراعية شاسعة في الواحات الجنوبية أو على سواحل دكالة والصويرة وأگادير. وقد تم الانتباه إلى خطورة الترميل في المناطق الساحلية منذ مدة طويلة لأنها موطن زراعات هامة كزراعة الخضروات. أما في المناطق الصحراوية فقد بدأ الاهتمام بزحف الرمال على الواحات وأقدام الأطلس الجنوبية مع مطلع الثمانينات تتم عملية مكافحة الترميل بتنسيق مع منظمة الأغذية والزراعة (ألفو) بعدة طرق، منها المصدات التي تتكون من شباك بلاستكية أو جريد النخل أو ألواح الاسمنت والقصدير بالإضافة إلى تشجير الكثبان المتحركة بنباتات جفافية كالصبار.

H. Plateau, *Au secours du sol marocain*, Rabat, 1952 ; A. Millies-Lacrois, *Quelques problèmes morphologiques concernant les versants instables au Maroc*, Note de Doc. S.E.G.M., n° 13, 1967 ; B. Hensch, *Le contrôle de l'érosion hydraulique au Maroc*, Rapport de Mission, Rome, SOGETHA - FAO, 1971 ; *L'érosion hydraulique au Maroc, son calcul et son contrôle*, *El Awamia*, n° 32 ; Ch. Floret, *Rapport sur l'érosion éolienne dans les régions d'Agadir et d'Ouarzazate*, Rabat, 1975.

رشيدة نافع

الترعيجة، آلة إيقاعية مصنوعة من خزف مطلي بأصباغ مختلفة الألوان. شكلها أسطواني مفتوح الطرفين، يميل إلى الضيق في الوسط. وأوسع طرفيها مغطي بقطعة من جلد الماعز.

تعتبر الترعيجة أكثر الآلات الإيقاعية شعبية، وتستعمل لضبط الوزن. كما تضطلع بدور المصاحبة الإيقاعية للإنشاد الصوتي والعزف الآلي. وهي تحتل هذا الموقع في كثير من أجواق الطرب الشعبي بالمغرب كالملحون والعيطة، وفرق أمذيازن الزمورية، كما تستخدم في الدقة المراكشية والأهازيج الشعبية الحضرية وفي مناسبات عاشوراء والأعياد والأعراس. ويطلق على ضارب "الترعيجة" اسم "الترعاجي" إلا عند إمذيازن فيطلق على ناقريها اسم "الدراري".

يميل صوت الترعيجة إلى الحدة بالنسبة لصوت البندير، ومن ثم تشكل ضرباتهما معا حوارا في وسع المستمع الواعي أن يميز بين نغماته وخاصة إذا كان جلد هاتين الآلتين "مُسخَّنٌ".

يمسك الناقر الترعيجة من وسطها باليد اليسرى على نحو عمودي بحيث يكون طرفها المغطى بالجلد إلى أسفل.

ويقسِّم الناقرون على الترعيج (الترعيجات) إلى فريقين : أولهما يوقع النقرات الأساسية والرنانة، وتسمى هذه النقرات "الأم"، وثاني الفريقين يوقع النقرات الثانوية، فيرجع نقرات الفريق الأول أو يملأ الفراغات الواقعة بينها، وتسمى هذه النقرات "الحاشية". ومن تجاوب "الأم والحاشية" يتكامل عنصر الإيقاع في العمل الموسيقي، وهو عنصر قد يحتد ويصطخب أحيانا في نهاية العرض الموسيقي كما هو الشأن في "الگباحي" عند نهاية قصيدة الملحون.

عبد العزيز بنعبد الجليل

تعْزّى بنت ناصر، ذكرها مؤلف *رحلة الوافد* ... أثناء حديثه عن "المقبرة الكبرى بعدوة وادي نفيس، التي الآن بقرب سور المدينة (تينمل) عند الطريق ..." قائلاً : "وفي وسطها (المقبرة) بيت المرابطة (التي) يقال لها تَعْزّى بنت ناصر ومعها قبور أخرى في البيت، مازال القوم يتبركون بها وبهم الآن..." (ص 174).

هذه السيدة التي نعتها المؤلف المذكور بالمرابطة لا نعرف عنها شيئاً، رغم أنها كانت لها بدون شك أهمية ما على المستوى المحلي، وإلا ما كان ليبنى عليها وما كانت لتدفن في "المقبرة الكبرى" التي بها قبور الموحدين

والصالحين والعلماء العاملين والسادات الأشراف على حد قوله.

عبد الله بن إبراهيم التاسافتي، *رحلة الوافد* ... 1993، ص. 174.

علي صدقي أزايكو

التعطير (التقليدي)، لا يمكن الحديث أبداً عن مختلف الحواضر المغربية الكبرى في القرون السالفة دون ذكر أحيائها التجارية الرئيسية. وكان من أهم أحيائها التجارية حي العطارين الذي كان السكان يرتادونه لاقتناء لوازم التطيب والتعطير التي كانت مكملا لا يستغنى عنه التجميل التقليدي سواء بالنسبة للذكور أو الإناث.

كان العطر والطيب المستعمل في المدن المغربية قبل أن تكتسح العطور الحديثة الأسواق المغربية في معظمه من أصل نباتي وحيواني إما من صنع محلي أو مستورد من بلاد المشرق. فالعطور المحلية تخصص في تقطيرها واستخراجها من الورد وأزهار الريحان والفل والقرنفل أو عود الصندل والعود القمري (يسمى الأول عود الهند والثاني العود القماري) والصمغ المعطر والمسك والعنبر أشخاص عرفوا بأسمائهم بين الناس ولقبوا في مختلف المدن المغربية بالقطارين والعطارين. أما المستوردة منها فكانت تفد إلى المغرب من المشرق على حالة صلبة ثم تعالج بطرق مختلفة للتعطير أو التبخير كعطر الجاوي الذي تصنع منه بخور الجاوي المشهورة. ويستقدم هذا العطر إلى المشرق العربي من الشرق الأقصى من جزيرة جاوة الأندونيسية، وهو صنع يستنبط من جذوع بعض الأشجار المعطرة ويستعمل في العلاج التقليدي كمرهم للدلك وفي صناعة العطور. وبما أنه يشبه في لونه اللبان فإن البعض من الناس يدعوه (لبان جاوة). ومن هذه العطور المستوردة نذكر أيضا العود القمري بضم القاف والميم، وهو خشب ينمو في جزر القمر فنسب إليها كما نسب عود الجاوي إلى جزيرة جاوة. وقد عرفه العرب في الماضي باسم العود. أما العود الهندي الذي يعرف بالصندل فينمو خشبه في بلاد الهند، كان ينقل إلى البلدان العربية ومنها يصل إلى المغرب، وقد تحول اسمه من لفظة فارسية هي دجندال إلى صندل وانتقلت هذه الكلمة بعد تحريفها عن أصلها إلى اللغات الأوربية الحديثة Santal. لذلك كانت العطور المستعملة في المغرب من نوعين أحدهما جاف صلب يحرق في مباخر خاصة لتعطير الملابس والأجسام والأماكن بروائح زكية وعطر سائل يحتفظ به في قارورات مخصصة للصيانة تختلف أشكالها وأحجامها.

وكانت العطور التي تستهلكها الأوساط المخزنية تقطر على يد نساء ورجال متخصصين كانت موارد أرزاقهم مرتبطة ارتباطا وثيقاً بحياة القصور. وكانت مهنة تقطير العطور ومعالجة الطيب وصيانتهما من بين أهم الحنط الداخلية التابعة للمخزن وكانت لها قوانينها وأعرافها ولها أمينها. وقد اشتهر على سبيل المثال عبد الرحمان العوفير في عهد السلطان المولى عبد العزيز والمولى يوسف بن الحسن بأنه كان أميناً للقطارين وأمينا للرواح وحفيظا لحقيبة التجميل السلطانية بالإضافة إلى تقلده لمنصب أمين مرسى مدينة الرباط. كان هذا الشخص هو المسؤول عن صيانة العطر والدهان والطيب وعلك المصطكا والكحل والسواك والحرقوص والعكار وما يتبع ذلك من قطن وخرق وأردية خاصة بالتجميل.

وكان تقطير العطر من بين أهم الأمور التي تتقنها النساء في العائلات الحضرية المغربية الثرية والمتوسطة، وقلما توجد عائلة لا تتقن فن التقطير أو لا تتقن تصبير بعض المواد الغذائية وتخزينها ونسج بعض الأغطية والأفرشة والملابس للاستعمال الخاص. أما سائر الناس فكانوا يقتنون العطور من القطارين في سوق العطور حيث كانت دكاكين العطارين تعج بقارورات العطر المختلفة الأحجام. لذلك كان سوق العطارين يعتبر جزءاً لا يتجزأ من منظر الحواضر المغربية التقليدية وخاصة في فاس ومكناس وتطوان والرباط ومراكش.

وقد اشتهرت فاس بأنها كانت هي أكبر مركز لتقطير العطور وصيانتها وتوزيعها في جهات كثيرة من أرجاء بلدان المغرب العربي. ومازالت دكاكين العطارين المصطفة الواحدة بجوار الأخرى في هذه المدينة تشهد على ذلك إلى اليوم. ومما تؤكده معظم الكتب التاريخية أن فاس ورثت أساليب تقطير العطر والطيب عن قرطبة التي ازدهر فيها ذلك ابتداء من القرن العاشر الميلادي على يد القطار والكيميائي الشهير أبي القاسم الزهراوي المتوفى سنة 1013م. وتذكر المراجع المذكورة بأن عطور هذا القطار كانت مضربا للأمثال في الأندلس وبلاد المغرب من طنجة إلى طرابلس خلال ازدهار الحضارة العربية الاسلامية في ربوع الأندلس في العصور الوسطى. وقد ازدادت شهرة الزهراوي بعد وفاته لأنه ترك للعطارين والكيميائيين مؤلفا دقيقا في كيفية استخراج العطور وصيانته سماه *كتاب الأدهان* ذاع صيته في مشرق العالم الاسلامي ومغربه وانتشر فيما بعد في معظم البلدان الأوربية.

عبد الرحمان بن زيدان، *العز والصولة*، الجزء الأول، الرباط، 1961؛ عبد الحي الكتاني، *تبليغ الأمانة*، مخطوط الخزانة العامة بالرباط ك 2729 ؛ مؤلف مجهول، *المرأة المغربية والحلي*، *العلم* عدد 8706، 28 أبريل 1974 ؛ كناش الخزانة الحسنية بالرباط رقم 250 ؛ محمد عزيز حلمي، *عادات الزي في المغرب الأقصى*، د. ت.، د.م.

C. Fidel, *Le commerce du Maroc*, s. l., s. d ; L. Bolens, *Les parfums et la beauté en Andalousie médiévale*, Université de Genève, s. d. ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931 ; L. Abensour, *Ce que tout français doit savoir sur l'Afrique du nord*, Paris s. d. ; E. Doutté, *En tribu*, Paris, 1914 ; *Archives marocaines*, Tome 4, 1905 ; E. Adnan, *L'artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1938.

محمد بوسلام

ابن **تعفوفت**، يحيى بن محمد، ويكتب أيضا "تعفوفت و" أ" هنا بمثابة "ابن". أكبر خدام التاج البرتغالي بمنطقة أسفي. لعب دوراً أساسياً في نشر النفوذ البرتغالي في عبدة ودكالة والحوز والشياظمة، وفي الدفاع

عن تلك المكتسبات بتصديه للوطاسيين والهنتاتيين والسعديين. وقد أعطاه ذلك العمل شهرة كبيرة لدى القبائل، وحتى داخل البلاط البرتغالي الذي كان له به مساندون ومتعاطفون. فقد وصلت شهرته إلى سوس، وتمنى قبطان حصن فونتي لو أنه وصل إلى هناك لطرد القائم بأمر الله وابنيه. وإذا كانت المصادر المغربية قد سكتت عن الأدوار التي قام بها هذا الشخص، فإن الوثائق الخاصة به، المحفوظة بالأرشيف البرتغالي، والتي توجد ضمنها رسائل بعثها بنفسه للملك البرتغالي، تسمح بتتبع الأدوار التي كلف بها. واعتماداً على تلك الوثائق، خصه المستعرب البرتغالي David Lopes سنة 1897 بدراسة مستفيضة ضمن المؤلف الذي خصصه للرسائل الأعجمية التي كانت نسبة مهمة منها موقعة من لدن يحيى أُتعفوفت. وورد اسمه هكذا بإحدى الألواح التي سن بها يحيى قوانين على قبيلة الحارث سنة 1512.

وأشار الحسن الوزان إلى أن يحيى هذا كان بعد 1506 من الطامعين في حكم أسفي، ووصفه بالشاب الشجاع الذي كان، كغيره من المغامرين المتعطشين للسلطة، يرأس جماعة من المقاتلين. وتوسع الإخباري البرتغالي دو كويش في أخبار يحيى وما قام به من أدوار خلال الحرب الأهلية التي كانت تتخبط فيها أسفي، والصراعات التي عرفتها المدينة بسبب تنافس أعيانها، وتدخل البرتغاليين في سياستها.

كانت المدينة تحت الحماية البرتغالية منذ عهد الملك ألفونصو الخامس (توفي يوم 21 غشت 1481)، وكان يحكمها قائد يسمى عبد الرحمن، بدأ يتملص من قبضة البرتغاليين الذين سبق لهم أن أوصلوه إلى السلطة بعد انقلاب نظمه بإيعاز منهم ضد عمه القائد أحمد (1498) (راجع مادة أحمد بن علي). وبعد أن تمكن يحيى وعلي بن وشمان من اغتيال قائد المدينة بالمسجد وخلال يوم العيد (1506)، اقتسما السلطة إلى أن كثر المعارضون، فاضطرا إلى الاحتماء بالبرتغاليين المستقرين آنذاك بأمگدول (الصويرة حاليا). ولما لاحظ البرتغاليون أن يحيى وعليا يعارضان سقوط المدينة في أيديهم، عملوا على خلق الشكوك بين الصديقين وجعل كل واحد منهما يعتقد أن الآخر يريد قتله. وبما أن يحيى أُتعفوفت كان هو الحاكم بأسفي، وبما أنه أصبح، إن صحت رواية الإخباري دو كويش، يعاكس المخططات البرتغالية الرامية إلى التحكم في المدينة بشكل مباشر، بعد أن تبين لهم فشل سياسة الحماية والتحكم غير المباشر، فإنهم اعتمدوا على منافسه، علي بن وشمان، الذي استنجد بقبيلة بني ماگر التي نهبت دور أنصار يحيى. وحيث إن يحيى لم يكن يعلم أن ما وقع تمّ بإيعاز من المسيحيين، فإنه التجأ إلى الحصن المخصص لهم بالمدينة وأقنعهم بإرساله إلى لشبونة ليوضح موقفه للملك البرتغالي، وهذا ما تم فعلا (قبل 13 غشت 1507). واحتلت أسفي بسهولة خلال النصف الأول من سنة 1508.

وخلال مقامه بالعاصمة البرتغالية، استطاع يحيى أن يكسب عدة صداقات، وأن يرتبط بشخصيات نافذة داخل البلاط. ويبدو أن حصار القبائل لأسفي في دجنبر 1510، ومطالبة سكان تلك المدينة سنة 1509 بعودة يحيى إلى المنطقة كي "يكون قنطرة بين المسلمين والنصارى"، جعلا الملك البرتغالي يقرر إرجاع يحيى برتبة قائد على عبدة والغربية.

وكانت العودة في نهاية 1510 أو بداية السنة التالية. إلا أنه لم يستقر بالمدينة المحتلة التي كان سكانها قد أخلوها، وأقام بقرية سرنو، شرق مدينة أسفي، إذ ورد بسجل ضرائب برتغالي اسم يحيى بالموقع المذكور إلى جانب بعض الأعيان وساكنة تتوزع سبعا وسبعين داراً. ولم تشر المصادر إليه إلا في أكتوبر 1511 إثر تنظيم قبطان أسفي الجديد، نُونُو فَرْنَانديشْ دُو أتايْد (Nuno Fernandes de Ataide) لغارة على المنطقة، إذ أن يحيى جاء لتحية القائد البرتغالي، ولامه على عدم إشراكه له في عملياته العكسرية، وأكد له أنه لو كان فعل "لتمكنوا من أسر عدد أكبر، ولاستطاعوا الاحتفاظ بكل الغنائم" التي اضطروا إلى التخلي عنها. الأمر الذي يؤكد أنه كان ينتظر من المسؤولين بأسفي تكليفه بدور أكثر فعالية. ويبدو أن القبطان البرتغالي استمر في تجاهله، ولم يشركه في أية عملية عسكرية خلال ما تبقى من سنة 1511. إلا أن الاعتماد عليه أصبح كبيرا بعد 1512.

فخلال هذه السنة، أرسله القبطان على رأس عدد من رجاله لمنطقة تانسيفت قصد إدخال ضرائبها. وهاجمه فريق من الشياظمة، إلا أنه انتصر عليه رغم قلة أعداد رجاله، وأكرهه على دفع الضرائب. واستطاع يحيى إخضاع فرع أولاد عمران الشمالي، المستقر قرب الجبل الأخضر، بدون حرب. وتحمل يحيى ورجاله العبء الأكبر خلال الصدام الذي وقع بين برتغاليي أسفي والناصر الهنتاتي الذي تحرك للجهاد بدكالة، وتكبد هزيمة بسفح جبال بني ماكر سنة 1512. ولما أعاد الهنتاتي جمع قواه تحرك في اتجاه أگوز، على الضفة اليمنى لنهر تانسيفت. وآنذاك وصلت القبطان أخبار بشأن إعداد يحيى لخيانة البرتغاليين، فأمر كل المسيحيين المرافقين له بالالتحاق بأسفي، الأمر الذي نفذوه باستثناء أقلية. واستطاع يحيى، الذي كان يقود 3.000 عبدي وغربي، الانتصار علي الهنتاتي من جديد، فازدادت بذلك شهرته، وفي نفس الوقت ازداد عداء القبطان وأعيان يهود أسفي له. وهكذا كاتب كل من القبطان وأبرهم بن زميرو، حاخام أسفي، العاهل البرتغالي وأبلغاه شكهما في يحيى الذي اتهماه بإعداد خيانة البرتغاليين والتخطيط لقتل القبطان، وبالتعسف واستغلال النفوذ والاغتناء من جمع الضرائب واتخاذ الألقاب السلطانية. وقد أرسلا إلى اشبونة كل الوثائق والشهادات المدينة، وخصوصاً أحد الألواح التي تسن بعض القوانين والتي ورد في مستهلها : "بيمن الله وتوفيقه وإذن من له الأمر والأحكام السلطانية

بمدينة أسيف، الشيخ الأجل الأفضل الأكمل الأفضل الأعز، الأرفع، الأجمل، المؤيد المنصور أبو زكريا..." وخصت هذه الوثيقة، وكذا وثيقة أخرى، يحيى بصفة "السلطان". ويبدو أن الانتصارات التي حققها يحيى، وما نتج عنها من جاه ونفوذ بالمنطقة، جعله يعتقد أن بإمكانه إنشاء دولة خاصة به، تكون تحت حماية التاج البرتغالي. وبذلك يكون قد حاول بالبادية تحقيق ما فشل فيه بالمدينة المنقسمة على نفسها. ورغم أن الملك البرتغالي أمر يحيى بالالتحاق بالبرتغال، فإن القبطان فضل الاحتفاظ بذلك الأمر، ولم يطلع يحيى عليه لشدة حاجته إلى خدماته، خصوصاً وأن التوسع البرتغالي كان في بدايته.

وبالفعل، كان دور يحيى في نشر النفوذ البرتغالي بتلك المنطقة أساسياً خلال سنة 1513. فقد أكره قبائل بمنطقة الگنتور ومشارف الحوز على الخضوع ودفع الضرائب. وبما أن القائم بأمر الله استقر في نفس السنة صحبة ابنه أحمد بالشياظمة، فإن يحيى أرسل إلى هناك لمنع القبائل، وخصوصاً القريبة من نهر تانسيفت، من الخضوع لهما. وفي فبراير من سنة 1514، كان يحيى على رأس ألف من رجاله وحوالي 300 محارب برتغالي بمنطقة الحوز. وفي نهاية نفس الشهر ساهم بشكل فعال في الهجوم الذي نظمته حاميتا أسفي وأزمور ضد تدنيست، لطرد القائم بأمر الله وأنصاره منها. وفي مارس من نفس السنة، التقى به الحسن الوزان بالحوز وهو منهمك في جمع الضرائب لفائدة البرتغاليين. وشارك يحيى برتغاليي أسفي وأزمور في "معركة الجمعة" (14 أبريل 1514) التي انهزم فيها قواد الناصر الوطاسي الذي تحرك، بأمر من أخيه السلطان محمد البرتغالي، خلال تلك السنة في اتجاه دكالة لمساعدة سكانها الذين استنجدوا به. وبعد أن تخلى الناصر عن محاصرة أزمور، قرر مطاردة يحيى بنية قتله أو استقطابه، إلاّ أن هذا الأخير تفادى الاصطدام، واكتفى بتسميم الآبار ونقط الماء لإكراه الوطاسي على مغادرة دكالة. واكتفى الوطاسي بتخريب المدينة الغربية و"سرنو"، مقر إقامة يحيى، قبل الانسحاب. وقد توصل يحيى من الملك البرتغالي بالموقع المذكور كإقطاع مع امتيازات أخرى.

وزادت هذه الانتصارات يحيى شهرة ونفوذاً داخل المنطقة، الأمر الذي زاد من تشكك القطبان، ومن حسده لكونه كان يرى في يحيى مزاحماً له. ولما أطلع القبطان يحيى على الأمر القاضي بالتحاقه بالبرتغال، امتثل بكل سهولة، وغادر أسفي في نهاية غشت من سنة 1514 صحبة ترجمانه.

ويبدو أن القبطان اتخذ القرار المذكور بعد أن اطمأن للأوضاع بالمنطقة وأنه لم يصدق ما راج بشأن قرب تحرك جيوش الوطاسي في اتجاه دكالة. كما أنه أصبح يخطط لإخضاع مراكش، وكان يرغب في احتكار ذلك المجد وتحقيقه بنفسه ودون مساعدة غيره، حتى ولو كان برتغاليا (عارض مشاركة قبطان أزمور في العملية).

ولم يؤثر هذا النفي على مكانة يحيى داخل البلاط البرتغالي، إذ أقام به مكرما مدة اثنين وعشرين شهراً، رغم استمرار القبطان وكبير يهود أسفي في اتهامه. وقد اضطر العاهل البرتغالي لإرجاعه إلى أسفي بعد قتل القبطان دو أتايد سنة 1516، وثورة كل القبائل التي كانت تدين للبرتغال بالولاء. وعاد يحيى إلى أسفي يوم 20 يوليوز 1516، برتبة قائد على كل منطقة دكالة بعد أن كان نفوذه يقتصر على عبدة والغربية.

ووجد يحيى كل القبائل في حالة عصيان، إذ أصبحت عبدة والغربية تقطعان الطرق المؤدية إلى أسفي. واستطاع يحيى إرجاعها إلى الطاعة بسرعة، مما جعله يظهر بمظهر المخلص بالنسبة للبرتغاليين. إلا أن هذا النجاح، واختلاف تصور كل من القبطان الجديد ويحيى لطريقة تسيير المنطقة والتعامل مع قبائلها، فجر من جديد مرحلة من التنافس والعداء بين الرجلين زادتها أسرة بن زميرو اليهودية حدة، فالتجأ كل واحد إلى العاهل البرتغالي. إلا أن هذا الأخير فضل الاحتفاظ بهما معا لشدة حاجته إليهما. والغريب أن قبطان أزمور كان يدافع عن يحيى وينوه بما كان يقوم به لصالح البرتغال بالمنطقة.

واستمر يحيى، رغم عداء القبطان وأعيان اليهود له في الدفاع عن المكتسبات البرتغالية، ولم تؤثر فيه المحاولات الرامية إلى إبعاده عن النصارى. فقد انتصر يوم 20 مارس 1517 على الناصر الهنتاتي، كما انتصر عليه وعلى ابن عمه مرة أخرى بعد أن حاولا دخول دكالة. وفي ربيع 1517، راجت إشاعات بشأن تحرك الوطاسي نحو هذه المنطقة. وأكرهه شك القبطان فيه وعصيان عبدة وقسم من الغربية، على الانسحاب جنوب تانسيفت. واستغل القبطان وجوده هناك لاتهامه بالتواطؤ مع الأمير السعدي واقتسام مناطق النفوذ معه. وفي رسالة إلى الملك البرتغالي، ذكر يحيى أنه ينتظر مغادرة الوطاسي للمنطقة وأنه "إذا رجع أن نَتْحزم مع هذا العْرب حتى نردْهم لسْفي بزّزْ منهم".

ولم يصلنا شيء من أخباره منذ ذلك التاريخ إلى يوم اغتياله (قبل 16 فبراير 1518)، بخيمة أحد شيوخ أولاد مطاع، على يد شيخ عبدي. وانتهى الاغتيال بعصيان جديد. وعجز البرتغاليون عن إرجاع الأمور إلى ما كانت عليه، خصوصا وأن الأوضاع لم تعد في صالحهم بعد مجاعة 1521 الكبرى، وبعد تزايد نفوذ الشرفاء السعديين الذين نقلوا، منذ 1518، عملياتهم العسكرية إلى شمال نهر تانسيفت.

ومما لا شك فيه أن الدور الذي لعبه يحيى أُتعفوقت في نشر النفوذ البرتغالي كان كبيراً كما أكد ذلك الإخباري البرتغالي دو كويش عدة مرات. غير أن القبطان دو أتايد، حاكم أسفي الشهير، كان يرى عكس ذلك، وكا يدعي أنه كان بإمكان أي "مسلم" يوضع على رأس القبائل أن يقوم بما قام به يحيى. إلا أن هذا الحكم كان بالتأكيد وليد العداء والحقد الذي كان ذلك المسؤول البرتغالي يكنه

ليحيى أ'تعفوفت، ووليد محاولاته الكثيرة إقناع الملك البرتغالي بخيانة يحيى وبعدم الاحتياج إلى خدماته.

من الأكيد أن يحيى كان رجلا شجاعا استطاع تحقيق انتصارات غير متوقعة، وفي ظروف صعبة. فقد كان مجرد وجوده يمثل ضمانة للقبائل الحليفة، الأمر الذي كان يجعلها تساهم في الغارات البرتغالية، كما كان حضوره كافياً لبث الرعب بين صفوف المهاجمين. ومكن تحكم يحيى في قبيلتي عبدة والغربية من ضمان حزام آمن حول أسفي، ومن توفير العدد الكافي من المحاربين، الأمر الذي كان يسمح بتغطية النقص في الرجال الذي كان البرتغاليون يعانون منه. كما سمحت تلك القبائل للبرتغاليين بنشر نفوذهم بخسائر بشرية قليلة، لكون تلك القبائل كانت تتحمل عبء الحرب، إذ كان البرتغاليون يبقون خلف الصفوف، في انتظار حسم يحيى ورجاله للمعركة، ليشرعوا في مطاردة المنهزمين.

ووفرت مشاركة يحيى للبرتغاليين كذلك وسائل المبيت المتمثلة في الخيام لكون القبائل الخاضعة له كانت تتحرك بكل عناصرها. وقد أكدت التقارير البرتغالية على دور تلك الخيام في نجاح التوسع البرتغالي بالمنطقة، إذ اعتبرها أحد البرتغاليين العامل الأساسي في وصولهم إلى سفح الأطلس الكبير.

ويعتقد المؤرخ البرتغالي D. Lopes أن يحيى بقي طول حياته وفياً للتاج البرتغالي، وأنه لم يستطع التغلب على العقلية التي اكتسبها من خلال صراعه من أجل السلطة بأسفي، وأن الجو المشحون بالشك والدسائس الذي كانت تعرفه أسفي بعد احتلالها رسخ لديه تلك العقلية، لذا كانت بعض مواقفه مشوبة أحياناً بالغموض وتدفع إلى الشك. وأضاف أن يحيى استطاع الحصول على ثقة الملك البرتغالي رغم الاتهامات التي وجهت له، والحجج التي جمعت ضده، وأنه استطاع كذلك الحصول داخل البلاط البرتغالي على صداقات ساندته، وختم مقاله المخصص لهذه الشخصية بقوله : يمكن الجزم بأن يحيى لم يخن أبداً القضية البرتغالية رغم أن الوثائق الخطيرة التي أرسلها القبطان أتايد وأبرهم بن زميرو إلى العاهل البرتغالي، إذ أن تلك الوثائق لا تدل إلا على استغلال للنفوذ.

ويرى روزنبرجي Rosenberger في مقال حديث (1993) أنه من الصعب اتهام يحيى بالتخطيط لخيانة البرتغاليين بعد التمكن من نشر نفوذه على القبائل باسم التاج البرتغالي، ولو أن ازدواجية الخطاب الذي نهجه باتفاق مع العاهل البرتغالي قد توحي بذلك، ولو أن تصرفات وأقوال صعب عليه التحكم فيها قد تدفع إلى ذلك الاعتقاد. كما أن الاتصالات التي اضطر إلى القيام بها مع السلطات المغربية لم تكن من باب الخيانة، بل كانت تهدف إلى حماية المكتسبات البرتغالية، وكانت تتم بعلم وتزكية المسؤولين. وأكد المقال على المشاكل والعراقيل التي خلقتها ليحيى جهات كانت ترى في وجوده مسا بمصالحها : بعض اليهود الطامعين في الوساطة السياسية والتجارية، والعسكريون الراغبون في الاغتناء من الغارات ومما توفره من غنائم وأسرى، والذين كانت سياسة الملك البرتغالي، ومنفذها بالمنطقة يعاكسان طموحاتهم. كما بين المقال أن انتصارات يحيى وأعماله العسكرية كانت تضايق القبطان الذي كان يريد أن يحتكر ما يتولد عنها من أمجاد وامتيازات. وربط الكاتب فشل يحيى بفشل مخططات الملك أمنويل بالمغرب، لقلة وسائله المادية والبشرية.

ونعتبر أن الحكم على يحيى وما قام به من أدوار يلزمنا بأخذ مرحلتين مختلفين من عمله السياسية والعسكري بعين الاعتبار.

فإلى حدود سنة 1514، اغتر كثيراً بنجاحه السريع، وبما حققه من وزن سياسي بالمنطقة، وباحتماء القبائل به. ويبدو من خلال ما حولنا من وثائق، أن فكرة الاستحواذ على السلطة اعتماداً على البرتغاليين قد خامرته فعلا، كما يتجلى ذلك من خلال الألقاب السلطانية التي خص بها نفسه، ومن خلال ما كان يعبر عنه سراً وعلانية. وقد تبلور هذا الموقف بعد 1512، أي بعد أن أكرهت جل قبائل دكالة، وحاضرتها المدينة الغربية، على الرضوخ. فهل حاولت تلك القبائل دفع يحيى إلى اتخاذ ذلك الموقف لتعتبر نفسها خاضعة لحاكم مغربي، وإن كان يدين بالولاء للتاج البرتغالي ؟ لقد كتب أحد سكان المدينة الغربية لقبطان أسفي يخبره بالاستقبال الذي خص به سكان تلك المدينة يحيى حين دخوله إليها يقول : "وفرْحوا أهلها به، وكل يوم محمد بن عمرو كان يخرج إلى الشوارع ويصيح : "الله ينصر سيدي يحيى بن تعففت". وبلغ آخر بموقف سكان المدينة المذكورة من رسالة بعثها يحيى : "وقْراه سيدي محمد على أصحابه في المدين وفرْحو به، وكان بن بمحمد يمشي ويقول : "الأ ينصر سيدي يحيى تعففت، من بْغض سيدي يحيى فليخرج من المدين". وأضاف المبلغ أن سكان المدينة الغربية اتفقوا مع قبائل "أولاد سبيطً، مع أولاد يعكي، مع أولاد عمران، يلتقو جميعا، ويتحلفو جميعا، على كْتوب بن تعففت ويسيرُ إليه بلجميع...".

وبذلك يكون يحيى قد استمر في البحث عن السلطة بالبادية هذه المرة، بعد فشله في الحصول عليها بالمدينة المنقسمة على نفسها، بالاعتماد دائما على البرتغاليين، مستغلا بذلك سياسة الملك أمنويل بالمنطقة الهادفة إلى ضمان مناطق مسالمة تدفع الضرائب وتقبل على أسواق الثغور المحتلة. لذا لم تنفع معه كل المغريات، وفشلت كل محاولات إبعاده عن البرتغاليين. وبهذا نفهم سبب عدائه للهنتاتيين أولا، ثم للشرفاء السعديين، بعد دخولهم الشياظمة، لمعاكسة وجودهم بالمنطقة لمخططاته.

أما بعد رجوعه من منفاه الثاني، فقد تطلب منه إخضاع القبائل والصمود في وجه الوطاسي وقتا طويلا. ولم يستطع استرجاع الهيبة التي كان يتمتع بها من قبل. ولم يكن بإمكانه التراجع وتصديق وعود وتطمينات

الوطاسيين، لعلمه أن ذلك يعني نهايته. ولم يعد بإمكانه كذلك خيانة البرتغاليين، أو حتى عصيانهم لشكهم فيه واحتياطهم منه، وكذا لتراجع تحكمه في القبائل. وكان استمراره في الدفاع عن مصالح البرتغال في الحقيقة دفاعا عن نفسه، ذلك أنه لم يعد بيده إلا حلان، إما أن ينجح، وإما أن يموت وهو يدافع عن مكانته. وقد كان واعيا بهذه الوضعية الحرجة التي كانت مفروضة عليه.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. 2، ص. 147 ـ 151 ؛ أ. بوشرب، *دكالة*، الدار البيضاء، 1984.

B. Rosenberger, *Yahya U Tafuft, 1506 - 1518 : des ambitions déçues*, *H.T.*, vol. 31, fasc. unique, 1993, pp. 21 - 59 ; D. Lopes, *Bentafuf, alcaide mouro ao serviço de Portugal*, in *Textos em aljamia portuguesa, Estudo filológico e histórico*, 2ème édit. revue, Lisboa, 1940, p. 107 et sq. ; P. de Cenival [et al...], *Sources inédites de l'histoire du Maroc*, 1ère série, *dynastie sa'dienne. Archives et bibliothèques de Portugal*, T.1 et 2, Paris, 1934 et 1939 ; R. Ricard, *Les Portugais au Maroc de D. de Góis*, extraits de *la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat, 1937.

أحمد بوشرب

التعليم بالمغرب في العهد الإسلامي يمكن أن يقسم إلى ثلاث مراحل كبرى : العصر الوسيط من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة المرينيين، والعصر الحديث أيام الشرفاء السعديين والعلويين إلى نهاية الحماية، والفترة المعاصرة من الاستقلال حتى اليوم.

يبتدئ التعليم في المغرب مع وصول الفاتحين العرب في القرن الأول الهجري (7 م) فهناك إشارات إلى مَن صحب الفاتحين من القراء والدعاة الذين مكثوا في هذه البلاد يعلّمون أهلها أمور دينهم ويلقنون الصغار سور القرآن ومبادئ العربية لينشؤوا على الدين الحنيف. واتسع مجال التعليم في القرن التالي بعد مجئ إدريس بن عبد الله وتأسيس مدينة فاس ونزوح أسر عربية متعلمة إليها من الأندلس والقيروان، ثم بناء جامع القرويين (248 / 862) الذي سيصبح المركز التعليمي الأول في المغرب على امتداد قرون طويلة.

وقد عرف المغرب في هذه الفترة الأولى ـ قبل فاس ـ مراكز تعليمية قديمة كسبتة وطنجة وأصيلا السباقة في ميدان التعليم لكونها نقط عبور إلى الأندلس، يقيم بها العلماء المهاجرون من المشرق مُدداً قصيرة أو طويلة ويروِّجون بها بضاعتهم. وكسجلماسة التي أسسها الخوارج من بني مدرار وراء الأطلس المتوسط في وسط القرن الهجري الثاني (8 م) واشتغل فقهاؤهم فيها بالتعليم وتلقين مبادئ مذهبهم وتكوين الدعاة. وكأغمات أوريكة العتيقة عند قدم الأطلس الكبير الشمالي التي حلّ بها أندلسيون فرّوا من وقعة رَبَض قرطبة عام 202 / 818 فتعلم الأغماتيون على يدهم. وكذلك مدينة البصرة (بصرة المغرب) التي شيدها الأدارسة في سهول الغرب بعد مرور عقود من السنين على تأسيس مدينة فاس، ولم تلبث البصرة أن أصبحت حاضرة إمارة إدريسية فرعية تنافس مدينة فاس وتباهيها بمن تجتذبهم ليقطنوا فيها من علماء العدوتين.

ومن المفارقات الغريبة في تاريخ التعليم بالمغرب في القرون الثلاثة الأولى نبوغ فقهاء كبار ينتسبون إلى المراكز التي أشرنا إليها، ويتتلمذ لهم رواد الفقه والعلم في الغرب الإسلامي ممن أدركوا شهرة واسعة، دون أن يزدهر التعليم الازدهار اللائق بمقامهم في أي مركز من هذه المراكز، بل نجدهم ـ أكثر من ذلك ـ يهاجرون مساقط رؤوسهم وينشرون علمهم في حواضر نائية في افريقية أو الاندلس. ولنضرب لذلك أمثله :

أبو محمد يحيى بن يحيى الليثي (ت. 234 / 48 ـ 849) من مصمودة طنجة الذي أخذ عن الإمام مالك في المدينة وروى عنه *الموطأ* مباشرة، استقر بالأندلس وأدخل إليها المذهب المالكي، وانتهت إليه رآسة العلم في قرطبة. وأبو يحيى حماد بن يحيى السجلماسي الذي عده القاضي عياض في *المدارك* من الطبقة الأولى الذين انتهى إليهم فقه مالك والتزموا مذهبه ممن لم يره ولم يسمع منه. تتلمذ حماد لأحد كبار الآخذين عن مالك وهو عبد الملك ابن الماجشون وروى عنه كتابه الذي يعد من أمهات كتب المذهب، لكنه حمله إلى القيروان وعنه أخذه سحنون مؤلف *المدونة الكبرى*، فكان حماد السجلماسي أول من أدخل فقه ابن الماجشون إلى افريقية، وشيخَ رواد الفقه القيروانيين، ثم استقر في القيروان ينشر علمه إلى أن توفي فيها وُعدَّ من أهلها. وخلفه ابنه حسن بن حماد السجلماسي، وكان فقيهاً متمكناً، سمع من أبيه وغيره وصار من فقهاء القيروان النابهين.

وأبو هارون عمران بن عبد الله العمري البصري (بصرة المغرب) (ت. 313 / 925) وابناه هارون وعبد الله، وكانوا ثلاثتهم فقهاء مبرزين، أتموا دراستهم بالمشرق، وحمل أبو هارون علماً كثيراً إلى الأندلس، فكان أول من أدخل إليها *كتاب ابن المواز*، واستقر مدة في بجّانة، مدينة من أعمال كورة ألبيرة انتقل أهلها بعد خرابها إلى المرية، فأخذ عنه علماؤها وأجازهم. وقد توفي هارون ـ كأبيه ـ في البصرة، لكن عبد الله بقي في الشرق وغاب خبره في الشام.

فلماذا يا تُرى رغب هؤلاء الرواد من علماء المغرب عن التعليم في مساقط رؤسهم ؟ وما الذي دعاهم إلى الهجرة إلى الشمال أو الشرق ؟

يجيب التاريخ بأن القيروان دارَ الإمارة العربية الأولى في افريقية كانت سابقة إلى العلم بمن نزل فيها من فقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من طلائع علماء المسلمين. وكذلك الأندلس التي انتقل إليها الأمويون سنة 132 / 750، تلاحق فيها الأنصار والأشياع من الشام والحجاز ومصر وغيرها. لذلك لم يكد القرن الهجري الثاني يشرف على النهاية حتى كان المناخ العلمي نشيطاً في حاضرتي افريقية والأندلس يستهوي أفئدة المتعلمين من مختلف أرجاء الغرب الإسلامي، ويزداد الإقبال عليهما جيلاً بعد جيل.

أما المغرب الأقصى فكان خلال هذه القرون دار حرب وجهاد، فهو الذي فتح الأندلس وظل يرعاها ويتدخل

عسكرياً فيها كلما دعت الضرورة إلى ذلك. وجهّز الجيوش تحت راية إدريس الأول وابنه إدريس الأزهر لبسط نفوذ الدولة الناشئة ومتابعة نشر الإسلام ومحاربة الزيغ والفساد في المناطق النائية. لذلك بقي التعليم في المغرب لا يتجاوز عموماً مراحل حفظ القرآن ومعرفة ما لابد منه من العقيدة والأحكام الشرعية واللغوية، فكان النابغون من المتعلمين يقومون برحلات يطلبون فيها العلم خاصة في المشرق العربي ثم لايرجع هؤلاء الأعلام إلى مساقط رؤوسهم، وانما يقصدون الحواضر العلمية المزدهرة التي تنفق فيها بضاعتهم، كما رأينا في الأمثلة السابقة.

كان بالإمكان أن نطمئن إلى هذا التأويل التاريخي لولا وجود نصوص أدبية رفيعة ترجع إلى هذه القرون الأولى لا يمكن أن تصدر إلا ممن تمرس باللغة العربية وحذقها وتمكن من الشريعة والسياسة، ولا يُعرف لأصحابها رحلة علمية إلى أي جهة خارج المغرب. وإذا كان المجال هنا لا يساعد على البسط والمناقشة، فإننا نجتزئ بالإشارة إلى خطبة طارق بن زياد فاتح الأندلس (92 / 711) وأشعار إدريس الثاني وخُطبه وهو ابن إحدى عشرة سنة، وعند إتمام بناء مدينة فاس (93 /809)، ومُحاضرة رفيقه في حرب برغواطة داوود بن القاسم الأوربي وغيرهم، وننبه إلى أن الموضوع بحاجة إلى بحث واستقراء وتمحيص.

وقد تغيرت الأوضاع التعليمية في المغرب الأقصى في القرن الرابع وما بعده بسبب استقرار الدولة الادريسية ولو أنها أصبحت موزعة في إمارات منتشرة في أطراف البلاد، وبالرغم على الإغارات الخارجية والنزاعات الداخلية، بالإضافة إلى عامل التنافس والتطور الطبيعي. يدل على هذا التطور وجود فقهاء لا معين ملازمين للتدريس في مساقط رؤوسهم، وبخاصة فاس وسبتة، وحولهم طلاب كثيرون يتخرّجون ويخلُفون شيوخهم في التدريس وتستمر السلسلة متصلة، أمثال أبي ميمونة درّاس بن إسماعيل الجرّاوي الفاسي (ت 357 / 967) صاحب الضريح الشهير خارج باب الجيزيين بفاس. ويعرف بالمحدث وحافظ المذهب وإليه ينتسب حتى اليوم مسجد حي مصمودة الذي يظن أنه كان يدرّس فيه. وكان قد أقام مدة بالقيروان وأخذ عنه فيها الإمامان أبو الحسن القابسي وابن أبي زيد القيرواني مؤلف *الرسالة* الشهيرة وغيرها ؛ وجبر الله بن القاسم الفاسي نزيل عدوة الأندلس، وهو ممن أدخل علم مالك إلى فاس بعد أن تخرج على يد فقيه قرطبة أصبغ ابن الفرج، وعاش مع درّاس بن إسماعيل في انسجام يوازنان بين مسائل المذهب المالكي مستعملين الحفظ والسماع والقياس، وهو أول من أدخل *كتاب ابن المواز* إلى المغرب. وكآل ابن العجوز الكتاميين الذين توارثوا العلم خمسة أجيال وانتهت إليهم رآسة العلم في بلدهم سبتة ورحل الناس للأخذ عنهم من مختلف أنحاء المغرب وعليهم دارت الفتوى. أولهم الأب عبد الرحيم بن أحمد ابن العجوز (ت. 413 / 1022)، والحفيد الأخير عبد الرحمن بن محمد ابن العجوز شيخ القاضي عياض آتي الذكر.

وفي عصر المرابطين (453 . 539 / 1061 . 1144) تم توحيد عدوتي المغرب والأندلس تحت سلطتهم، وأصبحت حاضرتهم مراكش محط أنظار علماء الغرب الإسلامي كله، واستوطنها العديد من الفقهاء والأدباء للخدمة في بلاط الدولة، واشتغلوا بالتدريس في مساجدها وبخاصة جامع علي بن يوسف ابن تاشفين ومدرسته. ونظراً للتوجه الإسلامي لهذه الدولة حظي فقهاء المالكية بنفوذ كبير لدى أمير المسلمين في مراكش وخلفائه في الأقاليم وكثر الإقبال علي دراسة فروع المذهب المالكي والعقيدة، وأُلّف في ذلك العديد من الكتب، ومن بينها أعظم موسوعة فقهية (*البيان والتحصيل*) للقاضي ابن رشد الجد بتشجيع من أمير المسلمين علي بن يوسف. وقد غالي الفقهاء في استبعاد مالا يتفق ونظرياتهم المذهبية الضيقة حتى إنهم أفتوا بإحراق كتاب الإحياء للغزالي، فجمعت نسخه وأحرقت.

يقدم فهرس القاضي عياض *الغنية*، وهو من أقدم الفهارس التي وصلت إلينا كاملة، صورة واضحة عن التعليم بالمغرب والأندلس في عهد المرابطين. يشتمل على قائمة طويلة للكتب المدروسة آنذاك في مختلف مناحي المعرفة من علوم القرآن والحديث والسير والكلام والفقه واللغة وقواعدها حتى كتب غريب اللغة وشاذّها والشعر العربي القديم. وتراجم عدد من شيوخ التدريس أيام المرابطين، نحو مائة من شيوخ عياض كثير منهم سبتيون، وفيهم طنجيون وفاسيون وبصريّون (بصرة المغرب) بالإضافة إلى أندلسيين وشرقيين. ونشير هنا إلى أن مدينة البصرة خربها العبيديون حكام افريقية أواخر القرن الرابع (10 م) وتفرق علماؤها في الأمصار. وإذا كانت مراكش نالت الحظ الأوفر في التعليم فإن المدن الأخرى كفاس وسبتة وسلا ومكناس لم تخل من حركة علمية نشيطة مستمدة من توجيهات الدولة.

وقامت دولة الموحدين (539 . 657 / 1144 . 1259) على أساس إصلاح التعليم لتصحيح العقيدة وحمل الفقهاء على الاجتهاد والرجوع إلى منابع الشريعة بدلاً من التقليد والجمود مع الفروع. وأدّاهم ذلك إلى اضطهاد فقهاء المالكية ومنعهم من تدريس فقه الفروع. وقد اتسع نطاق نفرذ الموحدين أكثر فامتد من برقة إلى المحيط، ومن أقصى الأندلس إلى تخوم بلاد السودان. فاتسع بذلك مجال التبادل المعرفي والتلاقح الفكري، وبلغت حاضرتهم مراكش أوج عظمتها العلمية بما أنشؤا فيها من مساجد ومدارس ومن بينها جامع الكتبيين ومناره الشامخ، والمارستان العجيب الذي وصفه عن مشاهدة صاحب *المعجب* وقال - "ما أظن أن في الدنيا مثله" وبما خططوا من مناهج للتعلم أدمجوا فيها الرياضة البدنية، وأولوا عناية خاصة لتنشئ طائفة من الشبان تنشئة عسكرية، فاختاروا منهم آلافاً كأنهم "أبناء ليلة واحدة" وعينوا لهم دروساً نظرية يتقنونها

وجعلوا لهم أياماً معلومة في الأسبوع لتعلّم الركوب والرمي بالقوس، والسباحة في بحيرة (صهريج المنارة). وحددوا كتب الدراسة في التفسير والحديث والسيرة والفقه والتوحيد والتصرف والنحو واللغة والأدب والحساب والمنطق والطب والمناظرة، وجعلوا للمرأة حظاً في التعليم لابد من معرفته وأفسحوا لها المجال للتوسع في الدرس، فنبغت في هذا العصور عالمات.

ونشير إلى أن معظم الملوك الموحدين كانوا علماء، وبلغ بعضهم درجة عالية في المعرفة كالمؤسس محمد المهدي ابن تومرت المبرز في التوحيد والعقائد، وتلميذه عبد المومن العالم بالأصول والجدل والحديث، وولده يوسف الفيلسوف الذي ظل يَدْرُس كتب الحكمة طوال مدة حكمه مع كبار فلاسفة عصره. وهو الذي أشار على ابن رشد الحفيد بتلخيص كتب أرسطو وشرحها، فأنافت تآليف ابن رشد علي المائة، وهي أكبر وأهم إنتاج فلسفي في تاريخ الغرب الإسلامي كله. كما امتارت أعمال الجغرافي المبدع الشريف الادريسي السبتي صاحب *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، وواضع خريطة العالم الحائطية والمائدة الفضية.

وفي عهد بني مرين (657 . 869 / 1259 . 1464) ازدهرت حركة التعليم وتعززت أكثر بما أنشؤوا من مساجد ومدارس وزوايا وربط ومارستانات في حاضرتهم فاس وغيرها من المدن في مختلف أنحاء البلاد، وبما وسعوا من أرزاق المعلمين والمتعلمين وأجْرَوا عليهم من نفقات ومرتبات من بيت المال.

اتجه المرينيون في التعليم اتجاهاً معاكساً لسلفهم الموحدين فأعادوا الاعتبار إلى المذهب المالكي المحظور سابقاً، وشجعوا الفقهاء على دراسة الفروع فراجت سوق الفقه المالكي من جديد وأقبل عليه المتعلمون، وألفت فيه كتب عديدة وأصبح منذ ذلك الحين مادة التخصص الأولى عند المغاربة إلى اليوم. وإذا كانت جذوة الفلسفة وما إليها من علوم الأوائل قد خبت في هذا العصر، فإن دراسة الحساب والفلك وما إلى ذلك من المعقولات لم تتوقف، بل عرفت تطوراً وانتشاراً، وبخاصة في مدينة مراكش موطن أحمد ابن البناء العددي (ت. 721 / 1321) الذي أنافت تآليفه على ثمانين كتاباً معظمها في الحساب والجبر والمقابلة والفلك. وتميز العصر المريني كذلك في ميدان العلوم التجريبية بكثرة من يتدارسون الطب في مختلف المراكز التعليمية لا سيما في المدرسة البوعنانية بسلا المعروفة أيضاً بالمارستان، وكانت إلى جانب تطبيب المرضى وعلاجهم تُقدَّمُ فيها دروس نظرية وعملية في الطب، وتخرّج فيها عدد من الأطباء كان لهم أثر في تسلسل هذا العلم بالمغرب في العصور التالية.

وامتاز المرينيون عمن سبقهم من الدول بالأوقاف العظيمة التي رصدوها لصالح منشآتهم الدينية والتعليمية، لا سيما المدارس التي ما تزال قائمة حتى اليوم بمرافقها الفسيحة وزخارفها الرائقة في الزليج (الفسيفساء) والنقش على الخشب والجبس والحجر، ومنشآتها الهندسيّة كالساعة النحاسية العديمة المثال بباب المدرسة البوعنانية بفاس. وكانت مجالس ملوك بني مرين لا تخلو من علماء وأدباء حضراً وسفراً، وقصة غرق نحو أربعمائة من كبار العلماء الذين صحبوا أبا الحسن المريني في رحلته إلى تونس (721 / 1321) شهيرة في التاريخ، وكذلك الدالة التي كانت للعديد من كبار شيوخ التدريس على الملوك المرينيين، والهبات السخية التي كانوا يقدمونها للرحالة المكتشفين كمحمد ابن بطوطة الطنجي (ت. 779 / 1377) صاحب *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*.

وبعد اختلال دولة بني مرين عرف التعليم في المغرب ركوداً طوال القرن التاسع (15 م) تبعاً للتدهور السياسي العام في البلاد، حيث أصبحت سلطة بني وطاس الذين خلفوا المرينيين لا تجاوز المناطق المجاورة لفاس في الشمال، وتُرك جنوب المغرب هملاً، وتوالى احتلال الثغور البحرية من طرف المسيحيين، فافتقر بيت المال ومدّ الوطاسيون أيديهم "يقترضون" من أوقاف التعليم قروضاً لا يردونها أبداً. فخلت المدارس من قُطّانها وتفرق المعلمون والمتعلمون بحثاً عن الرزق. ولم تنته هذه المأساة التعليمية إلا بقيام دولة الشرفاء السعديين عام (915 / 1509).

كوّن التعليم في عهد الشرفاء السعديين والعلويين، أي ما يعرف بالعصر الحديث، سلسلة متصلة الحلقات إلى قيام الحماية. ولم يختلف التعليم في هذا العصر عنه في العصر السابق إلاّ بكونه أصبح شبه منقطع عن الروافد التي كانت تغذيه من الشرق والشمال. فقد سُدَّ باب الأندلس بعد سقوط غرناطة (897 / 1491) وأقفلت الحدود الشرقية عند نزول الأتراك في شمال افريقيا في مطلع القرن العاشر (16م) حيث أصبحت تونس والجزائر إيالتين تابعتين للخلافة العثمانية باسطنبول. ولم تقف أطماع الأتراك عند تخوم تلمسان إلا بعد معارك طاحنه خاضها كل من السعديين والعلويين. وازدادت كثافة الحدود الشرقية بعد أن احتل الفرنسيون الجزائر (1245 هـ / 1830 م) ثم تونس، وحلوا فيهما محل الأتراك.

لكن بالرغم عن هذه العزلة المفروضة، عرف المغرب وفادات علمية مع أفواج المهاجرين الأندلسيين لا سيما بعد قرار الطرد (1018 / 1609)، وجماعات من علماء الجزائر وتونس أنفُوا من الحكم الأجنبي. ساعدت هذه الوفادات على قيام نهضة تعليمية حقيقية برعاية الملوك الشرفاء، وظهرت مدارس مغربية متميزة في مختلف ميادين المعرفة ظلت قائمة إلى يومنا هذا، منها :

- مدرسة القراءات. امتزجت فيها طرق المغاربة والاندلسيين، ولو أن قراءتهم جميعاً ترجع إلى نافع بن عبد الرحمن المدني بروايتي ورش وقالون، لكن طرقهم المتعددة كانت تتشعب إلى عدد كثير من روايات تلاميذهما. ورسخت المدرسة الجديدة رواية ودراية وتأليفاً بين القراء المغاربة حتى اليوم.

- مدرسة الحديث التي غدت تعني - علاوة على المتن - بالاسنانيد والروايات، وأفرزت عدداً وافراً من الحفاظ تسلسلت طرق رواياتهم وإجازاتهم إلى العصر الحاضر.

- مدرسة الفقه التي تجددت في هذا العصر وتوسعت بالاجتهادات في النوازل والأحكام مراعاة للمصلحة العامة وما تقتضيه الأحوال الاجتماعية. وقد عرف هذا النوع الجديد من الفقه بالعمل الفاسي، ثم اتسع نطاق الاجتهاد وظهر ما عرف بالعمل المطلق، وألف في كل منها. وأصبح "العمل" السمة البارزة التي تميز المدرسة الفقهية المغربية لا من الناحية النظرية التعليمية فحسب، ولكن أيضاً في ميدان التطبيق والحياة العملية، إذ صار القضاة مطالبين، في ظهائر تعيينهم، بالحكم بما جرى به العمل، إلى جانب المشهور والراجح من مذهب مالك.

- مدرسة الأدب. حافظت على الأسلوب العربي الأصيل لغة وتركيباً وطريقة، في حين زاحمت لغة الأتراك الحاكمين لغة الضاد في سائر البلاد العربية، وطغى الطابع الأندلسي على أدبيات هذه المدرسة شعراً ونثراً. فالصلات الأدبية المغربية الاندلسية ولو أنها قديمة، إلا أنها امتزجت في العصر الحديث امتزاجاً كاملاً وإلى الأبد.

- مدرسة التاريخ والتراجم والرحلات تواصلت خلال العصر الحديث يُذيِّل بعضها بعضاً مغطية الفترات المتعاقبة بانتظام، وكذلك الرحلات لم تعد مقتصرة على الحج، بل تنامت واتسع أفقها بعد أن أخذ المغرب يحتك بالدول الاوربية.

- مدرسة الرياضيات والفلك والطب. انبعثت هذه العلوم في العصر الحديث على يد مجموعة من الحيسوبيين والفلكيين والاطباء والنباتيين المغاربة والأندلسيين. وكان للأطباء في مراكش نقيب لا يسمح لأحد بمزاولة عملية التطبيب إلا بعد أن يختبره ويجيزه. ثم انتقل هذا التقليد إلى فاس وغيرها من المراكز العلمية.

ومن الطريف في هذا العصر تفكير بعض حذاق المدرسين في طرق التعليم الناجعة وتأليفهم كتباً تربوية تعتمد على القواعد النظرية العامة وعلى تجاربهم الشخصية، منها :

- *الأقنوم في مبادئ العلوم*، لعبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت. 1096 هـ / 1685 م). وهو موسوعة من بحر الرجز في عدة آلاف من الأبيات تعرض فيه المؤلف لجميع العلوم المعروفة في عصره على التفصيل لا على الإجمال، ومنها التعليم والتربية. فبدأ في الفصل الذي عقده لآداب القراءة بآداب تعليم الصغار القرآن في الكتّاب، وما يجب على المعلم من العدل والتسوية بين المتعلمين. وثنّى بالجانب التربوي وما يلزم المعلم من الحرص على صرف المتعلمين عن قرناء السوء، والتعدي، والقذف، والجرح ... وتشجيعهم بالمدح على الحياء والشجاعة والسخاء .. وتنفيرهم من الطمع والتبذير والحرص والشح ..

وفي الفصل المتعلق بتعليم الكبار بيّن ما يلزم الطالب من أداب مع شيخه ورفاقه، وأجود الأوقات للحفظ والمطالعة، وأحسن الأماكن للدرس والاستذكار. وألح على إفهام المتعلم بالطرق الناجحة دون تقيد بالشكل، إذ المعتبر الشرح والتقرير، لا تنميق التعبير. وذكر أن الشرط الأساسي في المدرس أن يكون حاصلاً على الملكة في العلوم التي يدرسها، جيد الفهم فيها. وعن مراحل الدرس ينصح بالبدء بإيضاح اللفظ ثم المعنى وما ينبني عليه، وبعد ذلك يورد الاعتراضات التي يمكن أن ترد، ويجيب عنها، ليتمرن ذهن الطالب على النقاش والأخذ والرد.

- *القانون*، للحسن اليوسي (ت. 1102 هـ / 1690 م)، وهو كتاب خاص بالعلم والتعليم وأحكام العالم والمتعلم، من أحسن ما كتب المسلمون في الموضوع. حدد اليوسي أولاً العلم، ومداركه الثلاثة : الاحساس، والخبرة، والنظر وأقسامه. وخصص الباب الثاني لأحكام العالم في نفسه وفي التدريس والتأليف، وأتى بجملة من المبادئ التربوية الأساسية، التي أكدت جدواها القوانين البيداغوجية الحديثة. وذكر من طرق التدريس طريقتين : الانتقال من الجزئي إلى الكلي المناسبة للمبتدئين، والجمع بين الجزئي والكلي، النافعة للمنتهين، محذراً على أي حال من القفز على البحث دون تمهيد ولا شرح، ملحاً على ضرورة الترتيب، بحيث يكون كلام المدرس لو سطر لكان تصنيفاً حسن الرصف مقبولاً ... حاضاً على التنزل مع المبتدئين إلى عبارات يفهمونها ولو لم تكن بليغة.

- *الابتهاج بنور السراج*، لأحمد بن المأمون البلغيثي شرح به *أرجوزة سراج طلاب العلوم* للعربي بن عبد الله المساري (ت. حوالي 1240 / 1824 م). خاطب المساري بأرجوزته ابنه اليافع وهو يتأهب للذهاب إلى القرويين، بعد أن حفظ القرآن الكريم والمتون الصغيرة في قريته الجبلية بني مسارة شمال فاس. وهو موضوع طريف في التأليف التربوي، وكأنه دليل دراسي لمن يقصد الجامعة لأول مرة حتى لا يتيه ويضل السبيل. ويغلب على هذا الكتاب طابع التجربة والخبرة الشخصية، فكل من الناظم والشارح عاشا في القرويين يطلبان العلم سنين عديدة، الأول كطالب قروي ساكن في إحدى المدارس، والثاني كطالب فاسي مقيم في منزله بين أهله.

وقد بين المؤلف لابنه العلوم التي عليه أن يدرسها ورتبها له ترتيباً سواء في المرحلة الأولى التي لا غنى عنها، أو في مرحلة المشاركة في سائر العلوم.

وفي الكتاب أبواب كثيرة تتعلق بحياة الطالب في المدرسة والجامع، وآدابه مع رفاقه وأساتذته، وأيام العمل وأيام الاستراحة، ومنها باب خاص بالنساخة واستعمال الكتب وإعارتها، إذ كان الطلبة المغاربة يعتمدون على نساخة الكتب لتأخر دخول الطباعة إلى المغرب.

وفي أواخر القرن الثاني عشر (18م) تدخلت الدولة رسمياً لصرف المدرسين عن الطرق البطيئة والعقيمة، وحملهم على اتباع السبل الميسرة في التعليم، مع حظر

دراسة عدد من الكتب الموغلة في التعقيد أو التطويل، أو المليئة بما لا طائل تحته. من ذلك : منشور أصدره السلطان محمد بن عبد الله إلى قاضي فاس يدعوه ليأمر المدرسين في المساجد بألا يدرسوا إلا كتباً معيّنة سماها في التفسير والحديث والفقه والتوحيد والسيرة واللغة العربية وقواعدها. ويحضّ على تدريس الحساب والفلك بالاسطرلاب، آمراً القاضي بأن يعطي الذين يدرسون هذه المواد "حظهم من الأحباس لما في ذلك من المنفعة العظيمة".

ومن ذلك أيضاً *النصيحة العامة* التي بعث بها نفس السلطان إلى جميع القبائل يحثهم فيها على تعليم أبنائهم عن طريق "المشارطة" التقليدية في البادية بعد أن ظهر بعض الفتور فيهم.

وتبلورت فكرة إصلاح التعليم مع محمد الرابع (1276 - 1290 هـ /1859 - 1873 م) الذي فرض تعليم الحساب والهندسة والفلك في المدن الكبرى على يد أساتذة مختصين، ونظّم دروساً حربية في بعض الثغور استجلب لها بعض المدربين من تونس وانجلترا. وأنشأ مدرسة المهندسين بفاس الجديد في موقع المدرسة المرينية المجاورة للقصر الملكي. وابتدأت الدراسة فيها عام 1259 / 1844م)، وكان أساتذتها مغاربة، إلا واحداً فرنسياً اعتنق الإسلام ودعي عبد الرحمن العلج.

واستمرت العناية بالهندسة وما إليها، وبالعلوم الحربية أيام السلطان الحسن الأول (1290 - 1311 / 1873 - 1894م) سواء في الدروس المنظمة في جوامع الحواضر، أو في المراكز العسكرية بالثغور، أو في مدرسة الهندسة بفاس، وكان عدد طلبة مدرسة الهندسة فيما بين أعوام 1287 - 1305 / 1870 - 1887 يتراوح بين 44 و58 طالباً تجري عليهم مرتبات يومية، ويحملون عند تخرجهم - حسب نوعية دراستهم - لقب مهندس أو موقت.

وأسس الحسن الأول عام 1292 /1875 م مدرسة ثانية بطنجة اهتمت - بالإضافة إلى الهندسة والحساب - باللغات الأجنبية التي أصبحت الحاجة ماسة إليها لنجاح البعثات التعليمية الموجهة إلى الخارج، وأوروبا بصفة خاصة. وكان طلبة مدرسة طنجة يختارون من بين نجباء التلاميذ من سائر أنحاء المغرب، ويقيمون بها من ثلاث إلى ست سنوات، كما أسس بمدينة الجديدة، في تاريخ غير محدد، مدرسة للمدفعية.

أما البعثات التعليمية إلى الخارج فبدأت على يد عبد الرحمن ابن هشام (1238 - 1276 / 1822 - 1859) وابنه محمد الرابع حيث وجها عدداً محدوداً من الطلبة إلى أوربا لغاية عسكرية بالدرجة الأولى "مع يحتاج إليه من علم الهندسة". وبلغ عدد البعثات التعليمية المغربية إلى مصر ست بعثات، أرسل أولادها محمد الرابع باتفاق مع الخديوي محمد سعيد باشا فيما بين أعوام (1276 - 1280 / 1859 - 1863م) مؤلفة من طالبين تخصصا في الجغرافيا والفلك، تلتها بعثتان أخريان، من بين أعضائها طالب درس فن الطباعة، وثلاثة درسوا الفنون العسكرية. وضمت البعثة الرابعة ثلاثين طالباً من أبناء العسكريين وغيرهم، طُلب منهم أن يتعلموا الفنون البحرية والمدفعية. وتوجهت البعثة الخامسة إلى مصر في أوائل عهد الحسن الأول، (1290 - 1312 / 1873 - 1894) وكان أفرادها كثيرين على ما يبدو، إذ قسموا - بالنسبة للمنحة - ثلاث رتب، تلتها البعثة السادسة وفيها ذهب عبد السلام العلمي أول طبيب مغربي تخرج من قصر العيني بالقاهرة.

وتعددت البعثات الطلابية إلى أوربا أيام الحسن الأول أناف عدد طلابها على مائة، ليتعلموا الفنون الحربية والمدنية ويتقنوا اللغات الأجنبية في انجلترا وإيطاليا واسبانيا وفرنسا وبروسيا (ألمانيا) وتوالت البعثات بعد ذلك إلى جبل طارق.

وقد قام بعض المتخرجين من مصر وأوروبا بعد رجوعهم إلى المغرب، بالتعليم وأنتجوا عدداً من الكتب والآلات الهندسية والفلكية والعسكرية، ألفوها أو اخترعوها أو ترجموها عن اللغات الاجنبية، كان المنتظر أن تساعد على تحديث التعليم في البلاد وتطويره لولا أطماع الدول الاستعمارية التي عرقلت كل جهود الاصلاح من أجل فرض الحماية.

التعليم في عهد الحماية : بدأ التعليم الفرنسي بالمغرب قبل إبرام معاهدة الحماية بسنوات لخلق وسيلة التفاهم اللغوي مع المغاربة، وأخذ قناصل فرنسا المقيمون في المدن المغربية المفتوحة آنذاك لسكنى الأوروبيين ينشئون فيها مدارس فرنسية بواسطة الاتحاد الاسرائيلي، ففتحت مدارس بفاس ووجدة وتطوان وطنجة والعرائش والرباط والدار البيضاء، ثم استقلت المدارس الفرنسية بالمغرب عن الاتحاد الاسرائيلي بعد فرض الحماية، سنة 1330 /1912. وبعد أن جمّد الفرنسيون التعليم الإسلامي الأصيل وضيقوا عليه الخناق أنشؤوا إلى جانبه أنواعاً متعددة من التعليم العصري المفرنس على أساس عنصري طبقي : تعليم فرنسي مخصص لأبناء الجاليات الاوروبية، وتعليم يهودي منبثق عن الاتحاد الاسرائيلي، وتعليم أهلي خاص بالمغاربة المسلمين، مقسم إلى مدارس الذكور ومدارس البنات. ومدارس الذكور أربعة أصناف : مدارس أبناء الاعيان في المدن الكبرى، ومدارس حضرية في المدن الأخرى، ومدارس صناعة بمختلف المدن، ومدارس قروية مبعثرة هنا وهناك. وحتى سنة 1940م لم يكن بالمغرب سوى عشرات من المدارس الأهلية الابتدائية، وأربع ثانويات بفاس والرباط ومراكش وأزرو.

كان أساس التعليم في المدارس الأهلية هو اللغة الفرنسية، وسمح في المرحلة الابتدائية - في غير المناطق البربرية - بحصص قليلة جداً للقرآن واللغة العربية، كانت في الأول نحو نصف ساعة في اليوم، ثم زيد فيها تحت ضغوط الانتقادات حتى صارت في نهاية المطاف ساعتين مقابل أربع ساعات للفرنسية. كما سمح بحصص يسيرة أيضاً للعربية والفقه في المرحلة الثانوية التي تنتهي بدبلوم

ـ بدل البكالوريا، معظم مواده فرنسية، مع قليل من التربية والفقه ـ في غير الثانوية البربرية ـ . وكان هذا الدبلوم يعتبر شهادة محلية لا تخوّل الحاصلين عليه متابعة دراستهم العليا بفرنسا. فكثر انتقاده ونفر الأهالي منه وصاروا يعملون على إلحاق أبنائهم بالثانويات الفرنسية أو في خارج المغرب، فاضطر الفرنسيون إلى إحداث نظام مزدوج للثانويات الأهلية أحدهما ينتهي بالبكالوريا، والثاني بدبلوم فرنسي ـ عربي. ولكن ماذا كانت حصيلة التعليم العصري بالمغرب ؟ حتى سنة 1359 / 1940، وكان قد مضى على إحداث البكالوريا بالمدارس الاهلية نحو عشرة أعوام، ومدة أطول من هذه على إقبال الناس على الانخراط في المدارس الفرنسية لم يكن يوجد في المغرب "غير ثلاثين أو أربعين تلميذاً أهلياً حصلوا على شهادة البكالوريا في طول المنطقة الفرنسية وعرضها، كما أنه لا يوجد إلا عشرة من التلاميذ الأهالي حصلوا على شهادة الليسانس" ـ *الحالة العلمية*، 32. 33 ـ .

وعرفت الفترة الأخيرة للحماية (1945 ـ 1955م) تطوراً ملموساً نسبياً بسبب تزايد الضغط الوطني، وتأثير المدارس الحرة التي سنتحدث عنها فيما بعد، فأصبحت سلطات الحماية تخطط لقبول (10.000) تلميذ جديد كل سنة، وبذلك ارتفع عدد المسجلين في المدارس الابتدائية الأهلية سنة 1954 إلى (210.018)، وفي المدارس الثانوية إلى (3.839) إضافة إلى الأطفال المغاربة المسجلين آنذاك في التعليم الأوروبي، وهم (4600) في الابتدائي و(1560) في الثانوي.

أما التعليم الحر فقد تكوّن نتيجة رد فعل وطني ضد سياسة الفرنسة والتجهيل والتنصير، بدأ ضعيفاً في أوائل الثلاثينات، إذ كان يعمل أساساً على تلقين القرآن والعربية وتاريخ المغرب والاسلام باستثناء معهد حرّ واحد في الرباط كان التعليم فيه مزدوجاً راقياً، ثم توسع التعليم الحرّ بعد تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال سنة 1944م، فأنشئت مدارس ابتدائية وثانوية مهمة في مختلف الأقاليم، بتمويل من الشعب وتحت إشراف رجال الحركة الوطنية ورعاية محمد الخامس، وأصبحت اللغة العربية هي السائدة في المدارس الحرة، مع مسايرة مناهج التعليم العصري وتلقين الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية، حتى أصبح عدد تلاميذ هذه المدارس غداة الاستقلال يعد بعشرات الآلاف. غير أن التعليم الحر بقي مبتوراً للحاجة إلى تعليم عال يستوعب الحاصلين على البكالوريا، باستثناء القرويين التي ظلت ـ رغم انتعاشها ـ جامعة تقليدية مقتصرة على فرعي الشريعة والأدب، وباستثناء الجامعات العربية التي تمكن بعض الطلبة من الالتحاق بها في القاهرة ودمشق وبغداد، رغم الحصار المضروب عليهم من السلطات الفرنسية.

ولما فرض الإسبانيون حمايتهم على المنطقة الشمالية بالمغرب (1330 هـ /1912م)، اتخذوا من تطوان عاصمة لمنطقة نفوذهم، وراحوا يضاهون بها مضاهاة باهتة مدينة الرباط في كل المظاهر السياسية والادارية والتعليمية، ولم تختلف السياسة الاسبانية في مبدأ الهيمنة والحكم المباشر عن السياسة الفرنسية إلا أن الاسبانيين جنحوا إلى شئ من التساهل والتزلف للاهالي في ميدان التعليم، فلم يضايقوا المدارس العربية الحرة التي كانت تفتح إلى جانب المدارس الإسبانية، وسمحوا باستقدام أساتذة من الشرق العربي للتدريس بها، كما سمحوا بإرسال بعثات طلابية إلى مصر، وفتح "دار المغرب" بالقاهرة للعناية بشؤون الطلاب ..

هكذا وجد المغرب المستقل أمامه تعليماً متنوعاً متنافراً مزقته الحمايتان الفرنسية والإسبانية كل ممزق، فكان عليه أن ينظر بجد في مشكل التعليم خلال السنوات الأولى للاستقلال، وأسفرت الندوات والمؤتمرات الوطنية التي عقدت، عن الاتفاق على أربعة مبادئ بالإجماع، هي التعميم، والتوحيد، والتعريب، ومغربة الأطر.

ق. عياض، *ترتيب المدارك*، الرباط، 1965 ـ 1983 ؛ *الغنية*، تح. ماهر زهير، بيروت، 1982 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ *كتاب الأنساب*، الرباط، 1971 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، تح. محمد الفاسي، سلا، 1938 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، *قسم الموحدين*، تح. جماعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1985 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981 ؛ إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972 ؛ ع. ابن خلدون، *التعريف بابن خلدون ورحلة غرباً وشرقاً*، تح. محمد ابن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951؛ *العبر*، ج 6 ؛ *المقدمة*، بيروت، 1956 ـ 1961 ؛ مؤلف مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، تح. ابن أبي شنب، الجزائر، 1920 ؛ *بلغة الامنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة من مدرس وأستاذ وطبيب*، تح. محمد ابن تاويت التطواني، *مجلة تطوان*، عدد 9، سنة 1964؛ م. الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تونس، 1966 ؛ م. ابن غازي، *التعلل برسوم الإسناد*، تح. محمد الزاهي، الرباط، 1979 ؛ علي ابن ميمون الغماري، *رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن*، مخطوط خ. ع رقم 1780 د ؛ *الرسالة المجازة في معرفة الإجازة*، مخطوط، ميكروفيلم خ. ع 1341 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر، ط 2، بيروت، 1983 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، تح. محمد حجي، الرباط، 1977 ؛ ع. السجلماسي، *الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام*، مخطوط ؛ أ. ابن أبي محلي، *إصليت الغريث*، مخطوط خ. ح رقم 100 ؛ ق. الوزير الغساني، *حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار*، تح. محمد العربي الخطابي، بيروت، 1980؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973 ؛ *المنتقى المقصور*، تح. محمد رزوق، الرباط، 1986 ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، تطوان، 1964 ؛ إبراهيم الگلالي، *تنبيه الصغير من الولدان*، مخطوط خ. ع رقم 571 ك ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، الرباط، 1964؛ م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ط. حجرية فاس، 1906 ؛ م. مبارة، *نظم اللآلي والدرر*، مخطوط خ. ح رقم 3702 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط خ. ع رقم 1420 ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط خ. ع رقم 15 ك ؛ *نظم العمل الفاسي*

وشرحه، مخطوط خ. ع رقم 1448 د ؛ م. ابن أبي دينار، *المونس في أخبار افريقية وتونس*، ط 2، تونس، 1967 ؛ ح. البوسي، *القانون*، ط حجرية فاس، 1315 هـ ؛ م. السجلماسي الرباطي، *شرح العمل الفاسي ؛ شرح العمل المطلق*، ط. حجرية فاس، 1291 و1298 هـ ؛ م. ابن سليمان الروداني، *صلة الخلف بموصول السلف*، تح. م. حجي، بيروت، 1988 ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي*، ط. حجرية فاس، د. ت ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954 ؛ م. بوجندار، *مقدمة الفتح*، الرباط، 1345 هـ ؛ أ. ابن المامون البلغيثي، *الابتهاج بنور السراج*، القاهرة، 1319 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، الرباط. وفاس، 26. 1930 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 30. 1933 ؛ م. ابن عثمان المكناسي، *الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، الرباط، 1937 ؛ أبو بكر زنيبر، *الحالة العلمية في المغرب قبل الحماية وبعدها*، مخطوط المؤلف بسلا ؛ *العمل في أحكام الفقهاء*، ملحق جريدة *المغرب* سلا، 1938 وما بعدها ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 1974 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، المحمدية، 1960 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، تطوان، 1959 ؛ روجي لوطونو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت، 1986 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس*، القاهرة، 1964 ؛ ع. گنون، *النبوغ المغربي*، ط 2، بيروت، 1961 ؛ م. ابن تاويت التطواني، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، الدار البيضاء، 1982 ؛ م. المنوني، *الآداب والعلوم والفنون*، ط 2، الرباط، 1977 ؛ *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، 1985 ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية بالمغرب*، الدار البيضاء، 1971 ؛ م. ابن شقرون، *مظاهر الثقافة المغربية*، الرباط، د. ت ؛ م. عابد الجابري، *أضواء على مشكل التعليم بالمغرب*، الدار البيضاء، د. ت ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*، بيروت، 1990 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، المحمدية، 1976 ؛ *الزاوية الدلائية*، ط 2 ، الدار البيضاء، 1988.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1903 ; M. Ben Cheneb, *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idfaza...*, Paris, 1908 ; P. Marty, *Le Maroc de demain*, Paris, 1925 ; H.P.J. Renaud, *L'enseignement des sciences exactes au Maroc*, *Hesp.*, T. XIV, 1932 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1952 ; J. Caille, *La petite histoire du Maroc*, Casablanca, 1954 ; G. Deverdun, *Marrakech*, Rabat, 1959 ; J. Berque, *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au XVIIème siècle*, Paris, 1958 ; E. Lévi-Provençal, *Al-Maghrib, vie intellectuelle*, *E.I.*, 2ème édit., 5 : 1198 - 1200.

محمد حجي

* * وبعد الاستقلال، تحولت إدارة المعارف التي كان يهيمن عليها الفرنسيون إلى وزارة التربية الوطنية. صرفت الوزارة كل اهتمامها للنهوض بالتعليم ونشره وتطويره. ففي 25 غشت 1957 اجتمعت اللجنة الملكية العليا لإصلاح التعليم وأوكل إليها أمر وضع خطة شمولية لأول مشروع تعليمي وطني. ومن أجل تأسيس مدرسة مغربية ذات تطلعات وطنية متكاملة الأركان دعت هذه اللجنة إلى تعميم تعليم مغربي موحد ومعرب على يد أطر مغربية (يرفع شعارات التغريب والتعميم والتوحيد والمغربة). وباعتماد هذه الخطة التي أملتها ظروف الاستقلال كان الوطنيون يتوقون إلى جعل التعليم في متناول الجميع واعتماده وسيلة ناجعة من وسائل تطوير المجتمع وتنميته اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا. لذلك أعطيت الأولوية لتأسيس المدارس وتكوين الأطر الضرورية وتزايد الإقبال على التعليم وانتقلت نسبة الملتحقين بالمدارس من 17٪ سنة 1956 إلى 30٪ سنة 1958 ثم ارتفعت النسبة إلى 36٪ سنة 1960 ثم 45٪ سنة 1961، أي بزيادة سنوية إجمالية قدرها 43٪ من 1956 إلى 1961.

كان التعليم في هذه الفترة يتألف من ثلاث مراحل : ابتدائي وثانوي وعالي. ففي المرحلة الأولى كان التلميذ عندما يحصل على شهادة التعليم الابتدائي يتوجه إما نحو التعليم المغربي أو التعليم الأجنبي الفرنسي. وكان التعليم الأجنبي يضم ثلاث شعب هي الشعبة الكلاسيكية والعصرية والتقنية في حين كان التعليم المغربي يتألف من نوعين : طويل وقصير : كان التعليم الطويل منقسماً إلى سلكين : سلك أول ينتهي بالحصول على شهادة التعليم الثانوي وسلك ثان يتفرع بدوره إلى فرعين : تعليم عام مزدوج وتعليم تقني. يضم الأول شعبة الآداب الأصلية، وهي مخصصة لدراسة الفقه والأصول والحديث والتفسير وغيرها من المواد الشرعية بالإضافة إلى التاريخ والجغرافيا والفلسفة والأدب العربي واللغات الحية، وشعبة الآداب العصرية وتدرس فيها المواد الأدبية المتنوعة من فلسفة ولغات وتاريخ وجغرافيا وغيرها، ثم شعبة العلوم التجريبية والعلوم الرياضية وتخصص للتلاميذ تكويناً علمياً في الفيزياء والكيمياء والرياضيات.

أما التعليم التقني فكان يوفر لتلاميذه تكويناً علمياً عملياً يؤهلهم للحصول على الباكالوريا التقنية والاقتصادية، وثلاثة أنواع من الشهادات التقنية العليا B.T.S. وهي الشهادة التقنية الصناعية والشهادة التقنية التجارية والشهادة التقنية الفلاحية، وثلاثتها تسمح للحاصلين عليها بالالتحاق بالشغل كأطر متوسطة في قطاعات الإنتاج الفلاحية والصناعية والتجارية.

أما التعليم القصير فكان التكوين فيه لا يتعدى ثلاث سنوات. وهو في مجمله يهدف إلى تكوين الأطر العادية التقنية والإدارية، ويضم خمس شعب هي الشعبة العامة والشعبة الصناعية والشعبة التجارية والشعبة الاجتماعية وكلها تهيئ الأطر الإنتاجية الصغرى.

شكل التعليم عبئاً ثقيلا على الدولة، لذلك سمحت للخواص بالمساهمة في النهوض به وخاصة ابتداء من الموسم الدراسي 1975 - 1976 حيث صرح وزير التربية الوطنية أن تعميم التعليم وتحسين سبل التربية لن يتم بمعزل عن مشاركة الخواص فيه. لذلك تأسس العديد من المؤسسات التعليمية الخاصة وفتحت أبوابها لاستقبال الرواد بدءاً من مرحلة الحضانة إلى التعليم الابتدائي فالإعدادي ثم الثانوي. وقد استقبلت العديد منها الآلاف من التلاميذ الذين غادروا المؤسسات الرسمية العمومية بعدما استنفدوا السنوات المسموح لهم بالتعلم فيها. هذا وكانت برامج هذه المؤسسات الخاصة ومقرراتها وحصصها مطابقة لما هو

موجود في التعليم العمومي في جميع الشعب والمستويات الدراسية. كما كان معظم أطرها، من مدرسين ورجال مراقبة تربوية في مراحلها التعليمية الثلاث من العاملين في القطاع العمومي، وكان المدرسون فيها ينجزون ساعات إضافية محددة بعد الحصول على رخصة خاصة بذلك من لدن الوزارة الوصية. ولم تتوقف مؤسسات التعليم الخاص عن التطور سنة بعد أخرى كماً وكيفاً تبعا لتطور شعب التعليم الرسمي العمومي وتبعاً لمتطلبات سوق الشغل، كل ذلك تحت إشراف ومراقبة وزارة التربية الوطنية.

وقد كان التلميذ في مرحلة التعليم الابتدائي يقضي خمس سنوات كاملة قبل الانتقال إلى المرحلة الثانوية. وفي نهاية السنة الخامسة الابتدائية كان عليه، حسب إصلاح 7 ماي 1963 أن يجتاز امتحانين، واحداً خاصاً بالتوجيه لولوج التعليم الثانوي وآخر للحصول على شهادة التعليم الابتدائي يكون مباشرة بعد امتحان التوجيه. إلا أن امتحان التوجيه كان أصعب من امتحان الشهادة وكان يتضمن عدة روائز واختبارات ذهنية ونفسية. وجاء ظهير 23 ماي 1964 ليلغي الامتحانين ويجعلهما امتحاناً واحداً من نجح فيه انتقل إلى الثانوي ومن رسب يعتبر محصلا بشكل تلقائي على الشهادة الابتدائية.

وفي التعليم الثانوي كان على التلميذ أن يقضي سبع سنوات موزعة على سلكين : سلك أول يسمى الإعدادي ويستغرق أربع سنوات تدعى الأولى والثانية والثالثة والرابعة من التعليم الإعدادي تنتهي بامتحان التوجيه نحو السلك الثاني والحصول على شهادة التعليم الثانوي ؛ وسلك ثان مدته ثلاث سنوات تسمى الخامسة والسادسة والسابعة من التعليم الثانوي. وينقسم هذا السلك إلى قسمين : قسم خاص بالتعليم العام ويضم شعبة الآداب الأصلية والآداب العصرية والعلوم التجريبية والعلوم الرياضية والعلوم الاقتصادية وقسم خاص بالتعليم التقني ويحتضن شعبة التجارة والصناعة والفلاحة. ويدرس التلاميذ خلال هذه المرحلة بسلكيها اللغة العربية والتربية الإسلامية والفرنسية والتاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية واللغات الحية الأخرى والفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية والتربية النسوية والرسم والفنون التشكيلية ومبادئ التكنولوجيا ويمارسون التربية البدنية. وتعتبر مرحلة السلك الثاني هي المعبر الأساسي إما نحو ميدان الشغل أو الالتحاق بالتعليم العالي.

وابتداء من شتنبر 1985 أقدمت وزارة التربية الوطنية على تبني إصلاح جديد للتعليم الابتدائي والثانوي يلغي ما كان معمولا به فيما سلف هذا التاريخ. يهدف هذا الاصلاح إلى إيلاء الأسبقية للتعليم الأساسي والتكوين المهني والتقني. لذلك أعادت توزيع مدة الدراسة بالتعليم الابتدائي والثانوي التي لم تكن إجبارية منها إلا خمس سنوات إلى مرحلتين : تعليم أساسي إجباري مدته تسع سنوات، وتعليم ثانوي مدته ثلاث سنوات.

تشتمل المرحلة الأولى على سلكين : سلك أول مدته ست سنوات ويؤدي إما إلى السلك الثاني أو التكوين المهني، وسلك ثان مدته ثلاث سنوات ويؤدي إلى التعليم الثانوي العام أو التقني أو التكوين المهني.

يستغرق التعليم الثانوي ثلاث سنوات ويبدأ التخصص فيها من السنة الأولى ويؤدي في نهاية السنة الثالثة إلى التكوين المهني أو الالتحاق بالتعليم العالي بعد الحصول على الباكالوريا. وهو يشتمل على شعب أدبية وعلمية

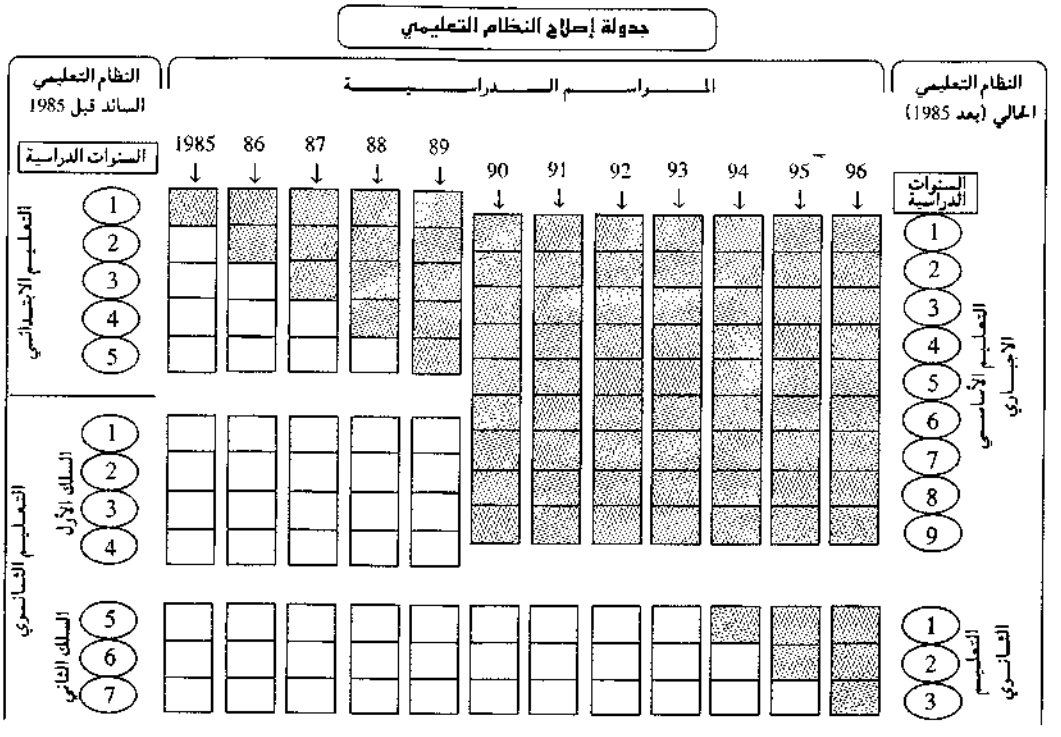

وتقنية متنوعة. وقد شرع في تطبيق هذا الاصلاح ابتداء من الموسم الدراسي 1985 - 1986. وينتظر أن يشمل تدريجياً جميع المستويات التعليمية من السنة الأولى من التعليم الأساسي إلى السنة الثالثة من التعليم الثانوي خلال الموسم الدراسي 1996 - 1997. كما توضح الخطاطة المرفقة.

وفي مستهل سنة 1994 قامت نفس الوزارة بإعادة هيكلة شُعب التعليم الثانوي امتداداً للتطورات التي عرفها التعليم الأساسي وتمشيا مع متطلبات "حاجات التنمية وسوق الشغل" فقلصت الحصص الزمنية الأسبوعية وراجعت المناهج الدراسية وخففت من كثافة المقررات "في اتجاه اتاحة الفرصة للتلميذ بالتعلم الذاتي" وجعله قادراً على التعامل مع المصادر والمراجع وارتياد المكتبات واستخدام رصيدها الوثائقي لإنتاج المعرفة واستغلالها. لذلك أصبح التعليم الثانوي ابتداء من التاريخ المذكور يتوفر على التخصصات التالية : شعبة الآداب وشعبة العلوم التجريبية وشعبة الرياضية والتعليم الأصيل بفرعيه الشرعي الأصلي والأدبي الأصلي، وشعبة التعليم التقني التجاري وتحتوي على تخصص في التسيير الإداري وأخرى في التسيير المحاسباتي بالإضافة إلى شعبة العلوم الاقتصادية. ويتكون فرع التعليم التقني الصناعي من شعبة الهندسة الميكانيكية وشعبة الصناعة الميكانيكية وشعبة تقنيات الكهرباء وشعبة الالكترونيك وشعبة الابتكار والبناء. وهناك أخيراً شعبة الفنون التشكيلية وشعبة فنون وصناعة الطباعة وشعبة الهندسة الكيميائية وشعبة العلوم الزراعية.

م. ابن شقرون، *مصادر التربية والتعليم في عهد الحماية الفرنسية والاسبانية*، الرباط، 1982 ؛ *بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي*، الرباط، 1985 ؛ م. عابد الجابري، *أضواء على مشكل التعليم بالمغرب*، الدار البيضاء، د. ت ؛ مجهول، *معركة المصير في سبيل إصلاح التعليم وتعريبه*، الرباط، 1967 ؛ وزارة التعليم وتكوين الاطارات، *التعليم : الحالة، المشاكل، الأهداف*، الرباط، 1970 ؛ وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، *كتابة الدولة في تكوين الأطر، آفاق مهنية*، الرباط، 1979 ؛ وزارة التربية الوطنية، *نحو نظام تربوي جديد*، الرباط، 1980 ؛ *منجزات وآفاق*، الرباط، 1983؛ *التعليم العالي بالمغرب صور وأرقام*، الرباط، 1985 ؛ *هيكلة التعليم الثانوي*، الرباط، 1994 ؛ *وثيقة عمل لإصلاح النظام التعليمي*، الرباط، 1985.

A. Baina, *Le système de l'enseignement au Maroc*, Casablanca, 1981 ; M. Benchekroun, *L'éducation et l'enseignement au Maroc*, Rabat, 1985 ; D. Boumnich, *Une pédagogie sans déchets*, Rabat 1989 ; K. Bouzoubaa, *L'enseignement au Maroc ou un voyage incertain*, Paris, 1982 ; *B.E.P.M.*, n° 5 Juin 1916, n° 18 Février 1920 et n° 230 Mars 1955; *B.O.*, n° 408 du 17 Août 1920, n° 2421 du 20 Mars 1959, n° 2596 du 27 Juillet 1962 et n° 3317 du 26 Mai 1976 ; J. Celerier, *L'instruction publique au Maroc*, *B.E.S.M.*, vol. 14, 1951; M. Chekroun, *Culture et pédagogie au Maroc*, Casablanca, 1989 ; R. Derout, *Le Maroc doit-il avoir son université? Le Maroc quotidien*, 16 décembre 1948 ; R. Gaudefroy- Demombynes, *L'œuvre française en matière d'enseignement au Maroc*, Paris, 1928 ; J. Hallaf, *A qui profite l'école*, Paris, 1974 ; G. Hardy, *Le Maréchal Lyautey et l'enseignement*, *A.F.*, Août 1934 ; A. Kamal, *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S. Fac Sc. Jur. Eco. et Soc., Rabat, 1983 ; Le Templier, *L'enseignement supérieur au Maroc*, *B.I.M.*, Sept. 1954; M. Machrafi, *A propos de la réorganisation de l'enseignement supérieur au Maroc*, 1966, [s.l.] ; M. Merrouni, *Le problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993 ; Ministère de l'Education Nationale, *Le mouvement éducatif au Maroc 1975 - 1984*, 3 vol., 1977 - 1981 - 1984 ; *Le mouvement éducatif 1986 - 1988*, Rabat [s.d.] ; *Le mouvement éducatif 1988-1990*, Rabat [s.d.] ; K. Mosdik, *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993 ; L. Paye, *Enseignement et société musulmane, introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992 ; Protectorat de la République Française au Maroc, Direction de l'enseignement publique, *L'enseignement public au Maroc*, Rabat, 1952 ; J. Salmi, *Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc*, Casablanca, 1985 ; A. Sekkat, *La politique de l'enseignement au Maroc 1956 - 1977*, Grenoble, 1977 ; C. Tibi, *Politique éducative et financement de l'éducation au Maroc*, Paris, 1976 ; K. Zhiri, *Définition d'une politique nouvelle de l'enseignement*, Rabat, 1969.

محمد بوسلام

* * أما عن التعليم العالي، فإن التوسع الجامعي في المغرب من العلامات الكبرى على النهضة التي حققتها البلاد في شتى المجالات. يتمثل هذا التوسع في ثلاث عشرة جامعة، منها جامعة عريقة في التاريخ، وقد تعد أقدم جامعة في العالم، هي جامعة القرويين، وجامعة ثانية تأسست عام 1958 أي بعد استقلال المغرب بعامين، وذلك في عهد جلالة الملك محمد الخامس تغمده الله برحمته، وقد تسمت باسمه: جامعة محمد الخامس، ومقرها في الرباط عاصمة المملكة المغربية، وهي أكبر الجامعات العصرية في مغرب اليوم، وهي ذات الفضل الأعظم في تهييء نسبة عالية من الأطر التي تعمل اليوم في الجامعات الأخرى. وقد انقسمت هذه الجامعة منذ السنة المالية لعام 1993 إلى جامعة محمد الخامس (أگدال) وجامعة محمد الخامس (السويسي). أما الجامعات العشر الباقية فقد تأسست كلها منذ 1960 وهي جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء وجامعة الحسن الثاني بمدينة المحمدية وجامعة سيدي محمد بنعبد الله بمدينة فاس وجامعة القاضي عياض بمدينة مراكش وجامعة محمد الأول بوجدة وجامعة عبد الملك السعدي بتطوان وجامعة مولاي إسماعيل بمكناس وجامعة ابن طفيل بالقنيطرة وجامعة أبي شعيب الدكالي بمدينة الجديدة وجامعة ابن زهر بأگادير. ولعدد من هذه الجامعات فروع في مدن أخرى. إن هذا النمو في مدة وجيزة نسبيا يعتبر في آن واحد من أسباب التحولات الكبرى في نهضة المغرب ومن نتائج هذه التحولات. ومن جهة أخرى فإن إحداث ثلاث عشرة جامعة كان نابعا من إرادة سياسية واستجابة لطلب اجتماعي وعن اقتناع بدور الجامعة في تطوير محيطها الاقتصادي والاجتماعي وفي ترقية المدارك العامة للمواطنين.

بيد أن كلا من الإرادة السياسية التي يترتب عنها تدخل الدولة وكذا الطلب الاجتماعي للتعليم ليسا بالأمرين الجديدين في البيئة المغربية، إذ أن التعليم في أعلى مستوياته القادرة على إعادة إنتاج المعرفة وتناقلها بين الأجيال وعلى التأليف والابتكار وكسب الشهرة الدولية والإسهام في الحضارة الإنسانية كانت له شواهده ووقائعه البليغة في هذا البلد.

تعينت عناصر بنية التربية والتعليم في ماضي المغرب في إطار سيرورة تكوين الأمة المغربية عبر مراحل من تاريخها الإسلامي. فقد أدى الفتح الإسلامي وانتشار متدرج لمبادئ الإسلامي ومحموله الحضاري إلى قيام دولة إسلامية ووقوع تحولات اجتماعية ولا سيما بظهور مراكز حضرية جديدة، كما أدى إلى وقوع اتصالات عميقة بين المغرب والمشرق وبين المغرب ومجالات تقع في العمق الإفريقي. فقد حمل الإسلام إلى المغرب لغة جديدة هي العربية ومعارف بعضها عربي وبعضها متوسطي أو أسيوي، وكلها انصهرت في بوتقة الرصيد العلمي والثقافي الذي صاحب انتشار الإسلام في هذا البلد. إن اللغة العربية والرصيد العلمي الثقافي حمله مشارقة إلى المغرب مباشرة أو انتقل إلى المغرب عبر الأندلس أو ذهب المغاربة لطلبه في المشرق أو في الأندلس، وقد تعزز الحضور العلمي والثقافي للمشرق في المغرب عبر المهاجرين الأفراد والقبائل المهاجرة، وساعد ارتباط الدين الجديد والاجتهادات فيه بوقائع السياسة ومذاهب الفكر على اندماج المغرب في التاريخ الإسلامي مبكرا كما ساعدت حركة التجارة والرحلة إلى الحج على تقوية الاتصال ونشر المادة العلمية المكتوبة.

بيد أن سيرورة أخرى واكبت سيرورة تلقي المغرب للعلم المشرقي ألا وهي سيرورة الاحتضان الخاص والتفاعل بين مقومات الشخصية المحلية وبين المعطيات المشرقية حيث أدى هذا التفاعل إلى تميز الشخصية العلمية المغربية في اختيارات على مستوى رسم الخط والقراءات الصوتية والتوجهات المذهبية والاجتهادات النظرية والتقاليد المدرسية، في جملة عناصر أخرى يطول شرحها.

وهنالك مبادئ ووقائع أساسية شجعت على انتشار التعليم والتعمق في مختلف فنونه، منها : 1) حض الإسلام على فريضة تلقي العلم. 2) ارتباط انتشار الإسلام بالتعليم وما ترتب عن ذلك من الحرص على فهم أصول الدين وفروعه والعناية بعلوم الآلة اللازمة لذلك وبعلوم أخرى مرتبطة به، بما فيها علوم الملل الأخرى، وقيام فئة من المختصين بهذه العلوم. 3) اعتبار رعاية العلم ورفده مجلبة للخير بالنسبة للأفراد الذين يتوخون الوجوه الشرعية للإنفاق وبالنسبة لجماعات الحواضر والبوادي التي تندمج بتلك الرعاية في النمط المبتغى للثقافة الإسلامية وبالنسبة للإمارات التي تستمد من تلك الرعاية خبرة القائمين على الدواوين وغيرها من الخطط كما تستمد منها أسباب الجاه والفخر والمشروعية.

التعليم العالي 1957 . 1994 : تطور التعليم العالي، وضمنه التعليم الجامعي، بالمغرب من بداية عهد الاستقلال إلى اليوم، أي خلال ما يزيد عن ثلث قرن، تطوراً متجاوباً مع ثلاثة عناصر تحكمت في مسار هذا التطور، ومنها :

1) طموح أبناء الأمة إلى تحصيل مستوى رفيع من التعليم كحق وكضرورة للترقية الاجتماعية والمادية.

2) تخطيط الدولة للاستجابة للطلب الناتج عن الطموح المتزايد على التعليم العالي، واستثمار نسب عالية من الميزانية العامة في سياق تزايد ديمغرافي تضاعف فيه سكان المغرب مرتين واتسع فيه الهرم السكاني بغلبة الشباب.

3) ارتباط التكوين بأهداف التنمية من حيث عمل الجامعة على توفير الأطر اللازمة لتحقيق المغربة في مختلف الميادين ومواكبة تطور حاجات القطاعات العمومية والخاصة من الكفاءات كما وكيفا.

وإذا كان من الصعب تعيين مراحل تحقيب التطور الجامعي في هذه المدة لأن الزيادات في أعداد الطلبة وإحداث المؤسسات الجامعية وإدخال التعديلات البداغوجية كانت تتراكم سنة بعد سنة، فإن بالإمكان إبراز تواريخ في هذا التطور تعد معالم مرور إلى مراحل جديدة.

1) صدور ظهير تأسيس جامعة محمد الخامس وإحداث مجلسها عام 1959، وكانت بعض مؤسسات هذه الجامعة قد بدأت عملها من قبل.

2) إعادة تنظيم جامعة القرويين بإحداث كلياتها العصرية الأربع في فاس وتطوان ومراكش وأگادير.

3) تنظيم مناظرة إفران عام 1970 حول التعليم العالي الجامعي والخروج منها بأفكار انبثقت منها بعض الإصلاحات والعناصر الهيكلية التي وقع تطويرها في ما بعد.

4) صدور ظهائر ومراسيم سنة 1975 لهيكلة الجامعة وإحداث مؤسساتها التمثيلية من شعب ومجالس وتحديد اختصاصاتها وإعطاء حق التسيير المالي وإضفاء صفة "الأستاذ الباحث" على المدرس الجامعي.

5) صدور ظهيري شهر مارس 1979 بإحداث جامعتين جديدتين هما جامعة القاضي عياض بمراكش وجامعة محمد الأول بوجدة. كما صدرت نصوص تطبيقية تحدد لائحة بأسماء الكليات والمعاهد التابعة لكل جامعة سواء القديم منها أو الحديث.

6) صدور المرسوم رقم 2. 75. 836 بتاريخ 17 محرم 1396 (19 يناير 1976) بتحديد اختصاصات وزارة التعليم العالي وتنظيم هذه الاختصاصات.

7) إحداث خمس جامعات جديدة عام 1989، وهي جامعة عبد الملك السعدي بتطوان وجامعة مولاي إسماعيل بمكناس وجامعة ابن طفيل بالقنيطرة وجامعة أبي شعيب الدكالي بالجديدة وجامعة ابن زهر بأگادير.

إن المؤسسات الجامعية التي أحدثت لاستقبال أكثر من تسعين بالمائة من الطلبة المستفيدين من التعليم العالي قد واكبها صنفان من مؤسسات التعليم العالي العمومي :

الصنف الأول مؤسسات تابعة لوزارات غير وزارة

التربية الوطنية خرجت إلى الوجود تباعا في سياق الحاجة الاستعجالية لأطر اقتضتها التنمية في تخصصات معينة ترتبط باهتمام الوزارات المؤسسة كأطر الإدارة العمومية ومهندسي التخصصات الزراعية والبيطرية، ومهندسي الإحصاء والاقتصاد التطبيقي ومهندسي الصناعة التعدينية ومهندسي المواصلات وأطر البحرية وأطر رجال السلطة وأطر الشرطة وأطر الجيش الملكي وأطر تدبير المقاولات وأطر الصحافة وعلوم الإعلام وأطر الملاحة البحرية والتجارية، إلخ. وكلها مدارس أو معاهد تسمى تجاوزا "بمؤسسات تكوين الأطر"، تمول كلا منها الوزارة التي أحدثتها ويخضع التوظيف فيها والترقية لنفس المقاييس التابعة للجامعة وبينها وبين الجامعة تواصل ما فتيء يزداد بمرور الأيام.

أما الصنف الثاني من المؤسسات العمومية التي لا تنتمي إلى التعليم الجامعي، فهي مؤسسات تابعة لوزارة التربية الوطنية تسمى "المدارس العليا للأساتذة" أو "المراكز التربوية الجهوية" وهي مختصة في تخريج مدرسين من مختلف المواد الأدبية والعلمية بالمدارس الإعدادية والثانوية يلتحق بها حاملو البكالوريا بعد النجاح في مباراة.

وإلى جانب التعليم العالي العمومي، ظهرت في الأعوام العشرة الأخيرة، لاسيما في الدارالبيضاء والرباط ومراكش، مؤسسات للتعليم العالي أسسها خواص، يدخلها حاملو البكالوريا الذين لهم استعداد لأداء الرسوم ولم يتوجهوا لسبب مّا نحو المؤسسات العمومية للتعليم العالي.

إن الجهود التنظيمية والتضحيات المالية التي أفرغت في تطوير التعليم الجامعي قد أتت نتائج لا تُنكر، أهمها 1) الهيكلة الإدارية للتعليم العالي. 2) تجهيز الجامعات بمقتضى توسع الخريطة الجامعية وفي إطار سياسة اللامركزية. 3) مواكبة التأطير ومغربته للتوسع المذكور كمًّا وكيفا. 4) إدخال إصلاحات تربوية متعددة تمس نظام الدروس والامتحانات. 5) ترسيخ المؤسسات التمثيلية الجامعية. 6) دعم ممارسة اللجان العلمية في المؤسسات الجامعية. 7) تقوية اللغة العربية والتفتح على مزيد من اللغات الحية ولغات البحث.

وفي هذا السياق ظل التعليم الجامعي تعليما بالمجان يستفيد فيه الطلبة من دعم اجتماعي يتمثل في المنح المالية التي تطال الأغلبية الساحقة منهم كما يتمثل في بوادر العناية الصحية والنشاط الرياضي.

وقد صار ارتباط التعليم بالبحث في الجامعة، دليلا على أن هذا التطور كان كيفيا أيضا ولم يكن كميا وحسب، ومن علامات هذا الارتباط تزايد في عدد المنشورات والأنشطة الوطنية والدولية للجامعة، ودخول المؤسسات في طور الاندماج مع المحيط الاقتصادي والاجتماعي ولاسيما عن طريق التعاقد لإنجاز مشاريع تستجيب لحاجيات القطاعين العام والخاص. وفي هذا الإطار تعزز التعاون الجامعي بالانخراط في شبكات للتعاون الدولي، وصارت المؤسسات تبتكر منتجات تربوية في شكل إجازات تطبيقية مفتوحة على سوق الشغل، كما عرفت الجامعة ميلاد جيل جديد من المؤسسات الجامعية هي : 1) المدارس العليا للتكنولوجيا. 2) كليات العلوم والتقنيات. 3) المدارس الوطنية للتجارة والتسيير.

ولقد كان التعليم بالمغرب في العقود الثلاثة الأخيرة "مسألة" وطنية ودار نقاش كثيف حولها بين الوزارة الوصية وبين نقابة التعليم العالي. لم ينحصر هذا النقاش في الجوانب المهنية بل نظر إليه كتعبير شامل عن اختيارات ترهن مصير عدة أطراف، ولذلك طرح مضمون التعليم وتوجهه ضمن محاور نقاش عدة إصلاحات تربوية أو هيكلية، وذلك في إطار معادلة حكمت تطور التعليم ككل والتعليم الجامعي على الخصوص، وهي معادلة الطموح والإمكانات وطرائق التدبير.

إحصائيات : كانت ميزانية الدولة عام 1994 تقدر في التسيير والاستثمار بـ 66.208 مليون درهم، حصة التعليم فيها 144.50 مليون درهم، وحصة التعليم العالي وحده 2.673.3 مليون درهم.

أما عدد طلبة التعليم في نفس هذا العام فيبلغ 234.946 يكون الإناث منهم 94.256 والأجانب 3.324 والمسجلون في ما بعد الإجازة 16.430. وقد تخرج منهم 22.677 وسكن بالأحياء الجامعية 27.606 من بينهم 14.157 من الإناث وخولت منح مالية بالداخل لـ160.264 وبالخارج لـ8.513. وقدمت في الأحياء الجامعية خلال هذا العام 7.646.286 وجبة غذائية.

أما التأطير فيتمثل في 7.566 من أعضاء هيئة التدريس منهم 1.044 في إطار أستاذ التعليم العالي و905 في إطار الأستاذ المحاضر و11.406 في إطار الأستاذ المساعد و328 من المساعدين. أما التأطير الإداري فيتمثل في 10.571 موظفا منهم 4.406 من الإناث.

أما التعليم العالي الخاص فقد بلغ عدد مؤسساته المرتكزة في المدن الكبرى 43 مؤسسة تسجل فيها 7.484 طالباً.

مؤسسات التعليم العالي ا[illegible]وزارات غير وزارة التربية الوطنية :

معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للصناعة المعدنية (الرباط). ـ مدرسة علوم الإعلام (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للإدارة (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للبريد والمواصلات السلكية (الرباط). ـ المعهد الوطني للإحصاء والاقتصاد التطبيقي (الرباط). ـ المعهد العالي للصحافة (الرباط). ـ المعهد العالي للتجارة والإدارة والمقاولات (الدار البيضاء). ـ المدرسة الحسنية للأشغال العمومية (الدار البيضاء). ـ المعهد العالي للدراسات البحرية (الدار البيضاء). ـ المعهد العالي للسياحة (طنجة). ـ المدرسة الملكية للملاحة

المؤسسات الجامعية في يناير 1995

الجامعات	الكليات والمدارس العليا والمعاهد														
	آ ع إ	ع ق	ع	ع ق	ط ص	ط أ	ت ت	م ع م	م ع ت	ع ت	ت أ	م ب	م تر
محمد الخامس (الرباط ـ أكدال)	1	1	1						1			1	
محمد الخامس (الرباط ـ السويسي)		1			1	1		1		1		3	
الحسن الثاني (الدار البيضاء)	1	1	1		1	1		1					
الحسن الثاني (الدار البيضاء ـ المعمدية)	2	1	1	1				1					
سيدي محمد بن عبد الله (فاس)	2	1	2	1					1				
القاضي عياض (مراكش ويني ملال)	2	1	1	1									
محمد الأول (وجدة)	1	1	1	1					1				
ابن طفيل (القنيطرة)	1		1										
شعيب الدكالي (الجديدة وسطات)	1		1				1						
مولاي إسماعيل (مكناس والرشيدية)	1	1	1	1					1				
عبد الملك السعدي (تطوان وطنجة)	1		1						1				1
ابن زهر (أكادير)	1		1	1			1						
القرويين (فاس وتطوان ومراكش وأكادير)											4		

مفتاح :

ع أ : التعليم الأصيل (شريعة أصد الدين، عربية). ـ آ ع إ : آداب وعلوم إنسانية. ـ ع ق : علوم قانونية واقتصادية واجتماعية. ـ ع : علوم. ـ ع. تق : علوم وتقنيات. ـ ط ص : طب وصيدلة. ـ ط أ. : طب الأسنان. ـ ع ت : علوم تربية. ـ م ع م : مدارس عليا للمهندسين. ـ م ع ت : مدارس عليا للتكنولوجيا. ـ م تر : مدرسة عليا للترجمة. ـ م ب : معهد بحث. ـ ت ت : تجارة وتسيير.

(الدار البيضاء). ـ المدرسة الملكية للطيران (مراكش). ـ الأكاديمية الملكية العسكرية (مكناس). ـ مدرسة استكمال تكوين الأطر التابعة لوزارة الداخلية (القنيطرة). ـ مدرسة المعادن (مراكش). ـ المعهد الملكي لتكوين الأطر التابعة لوزارة الشبيبة والرياضة (الرباط). ـ دار الحديث الحسنية (الرباط). ـ المعهد الوطني للدراسات القضائية (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية (الرباط). ـ المدرسة الوطنية للتدبير والتنظيم الحضري (الرباط). ـ المدرسة الوطنية الغابوية للمهندسين (سلا). ـ المدرسة الوطنية للعمل الاجتماعي (طنجة). ـ المدرسة الوطنية للفلاحة (مكناس). ـ المدرسة الملكية للصحة العسكرية (الرباط). ـ مركز التكوين المهني التابع للخطوط الملكية المغربية (الدار البيضاء). ـ المعهد العالي للمسرح والتنشيط الثقافي (الرباط). ـ المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث (الرباط). ـ مدرسة الفنون الجميلة (الدار البيضاء).

الحسين العمراني، *ترقية رجال التعليم بالمغرب*، د. د.ع.، كلية الحقوق بالرباط، 1989 ؛ *تقرير حول التعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب : منجزات وآفاق*، غشت 1989، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني ؛ النقابة الوطنية للتعليم العالي، *نحو إيجاد مشروع لإصلاح التعليم العالي وهيكلة البحث العلمي*، تقرير مقدم إلى الندوة الوطنية بالرباط يومي 21 و22 أكتوبر 1989 ؛ عبد القادر باينة، *شرعية الإصلاح الحقيقي في التعلم العالي والزامية ميثاق وطني حول التعليم والتكوين والبحث العلمي*، جريدة *الاتحاد الاشتراكي*، عدد 2815 بتاريخ 21 أبريل 1991 ؛ عبد الإله فونتير، *الجامعة وقضية البحث العلمي في المغرب العربي*، مداخلة ضمن أعمال ندوة الجامعة الشتوية الثانية، أبريل 1991، مراكش ؛ *الوضعية النظامية للأساتذة الباحثين بالمغرب*، د. د.ع.، كلية الحقوق بالرباط، 1992 ؛ وزارة التربية الوطنية، التعليم العالي، *تطور التعليم الجامعي بالارقام*.

A. Baïna, *Le système de l'enseignement au Maroc*, Casablanca, 1981.

أحمد التوفيق

تغات (جبل ـ)، بضاحية فاس قريب من جبل زلاغ، وقعت بسفحه معركة فاصلة بين ولي العهد محمد الشيخ المامون ابن السلطان أحمد المنصور، وبين الناصر بن عبد الله الغالب الذي كان لاجئاً عند الإسبان منذ معركة وادي المخازن، وهذه هي المعركة الثانية ضد هذا الثائر إذ سبق أن تغلب الناصر على جيش سرحه المنصور لقتاله عندما حل بتازا، وتعرف هذه الواقعة الحربية الأولى بمعركة الركن.

لم تذكر المصادر العربية اسم موقع المعركة الثانية "تغات" التي حضرها ولي العهد المامون، وإنما جاء ذلك فيما كتبه الصيدلي الفرنسي تريبو الذي حضر المعركة ضمن حاشية المامون، وقدم عنها كثيراً من التفاصيل. وأول ملاحظة تثير الانتباه في كتابة هذا الفرنسي أن الناصر تقدم بجيشه نحو مدينة فاس حتى بلغ مشارفها وحينئذ خرج للقائه ولي العهد خليفة أبيه المنصور في الحاضرة الإدريسية. وهذا ما لا يفهم من الروايات المغربية. وسنورد تفاصيل معركة تغات كما جاءت عند تريبو.

كان جيش محمد الشيخ المامون كبيراً يضوم فرقا من العلوج ومهاجرة الأندلس وقبيلة شراگة وغيرها من قبائل العرب والبربر منهم 11.000 من المسلحين بالبنادق مشاة وفرساناً، و7.000 من حملة الرماح وفرقة من المدفعية. أما جيش الناصر فكان أقل رجالا وسلاحا، يضم إلى جانب المرتزقة عددا من قبائل الريف وضواحي تازا.

نزل الناصر وجنوده يوم 13 رمضان 1004 / 11 ماي 1596 على بعد مسافة قريبة من فاس حيث أمسى معسكره مكشوفاً في متناول قصف مدفعية العدو، وفي الليل، تحركت جنود الناصر من جديد واختارت أن تجرى المجابهة على سفح جبل تغات، في الشمال الغربي من فاس وعلى مقربة من جبل زلاغ، وعسكرت قوات محمد الشيخ قريبا من مكان المعركة، يوم 12 ماي 1596، حسب النظام التالي :

نصبت الخيم في صفوف عديدة، وبين هذه الخيم كانت توجد مخازن الذخيرة والعتاد، يحرسها ألف من المرتزقة المسلحين بالبنادق، في حين كانت فرقة المدفعية مستعدة للعمل، من على ربوة تشرف على مواقع الناصر.

كان المشاة كلهم يتقدمون الصفوف، وهم منقسمون إلى فرقتين، تفصل بينهما مسافة ست خطوات، وتتألف كل واحدة منهما مما يزيد على ثلاثة آلاف جندي من المسلحين بالبنادق، انضمت إليهم فرقة من الرماحة، تشكل هلالا في ميدان المعركة، وفي وسط الهلال، كان يوجد محمد الشيخ الذي نصّب قائدا على جنود الصفوف الأمامية العلج الباشا مصطفى أرمان، وابنه فوفري قائدا على جميع المرتزقة المسيحيين. واقتسم الأندلسيون والعرب وما بقي من شراگة

والبرابر، جميع الصفوف الخلفية.

وما كان نظام قوات الناصر ليختلف عن هذا النظام، ولم يكن يعوزها إلا المدفعية. وأما عدد جنوده فكان يُقدر بـ 18.000، منهم 8.000 رماح، و1.000 بندقي، والباقي يتألف من المشاة المسلحين بالسيوف والرماح القصيرة، ومن أهالي الجبال بأسلحة متباينة.

انطلقت المعركة بشن جيش محمد الشيخ هجوما عاما غداة 14 رمضان 1004 / 12 ماي 1596، واستغرقت العمليات الحربية ساعتين، بدت للمقاتلين وكأنهما شهران، حرب لم تحسم لفائدة أحد. ودخل فيها من جانب محمد الشيخ، جنود احتياطيون، لكن بدون جدوى، ورأى الناصر وانصاره أنهم على قاب قوسين أو أدنى من النصر ورأى محمد الشيخ نفس الرأي، في هذه الأثناء حدثت مفاجأة كبرى، ذلك أن كتيبة من الجيش، يتقدمها عناصر من الجوقة العسكرية التي كانت ترافق أحمد المنصور، وعلم الملك يرفرف عليها، ظهرت على أحد الربى، فارتفعت معنوية جيش محمد الشيخ وأصاب الهلع الجيوش التي كانت تقاتل مع الناصر، وظنوا أن أحمد المنصور جاء بالمدد إلى ابنه محمد الشيخ، فأخذوا في الفرار عبر الجبال، واستطاع الناصر أن يفر هو كذلك على متن فرس، وتشتت جمعه. خلفت هذه المعركة في الميدان زهاء ألف قتيل وجريح في جيش الناصر، وضعف ذلك في جيش محمد الشيخ. وغنم محمد الشيخ خيم عدوه كلها واستولى على عدد كبير من الأسرى. وتعقب محمد الشيخ ابن عمه الناصر، فأخذه وحمله إلى معسكر الشيخ وقتله وبعث برأسه إلى مراكش، فعلق مدة ثم أمر المنصور بدفنه بمقبرة سيدي بلعباس بمراكش.

م. الإفراني، *نزهة*، 91، 92 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء 5 : 145، 151.

S.H.I.M., France II, III ; *Angleterre* I, II, II ; *Portugal* II ; G. Jacqueton, *P. Treillault, Pharmacien de Ahmed al-Mansour*, R.A., p. 212.

أحمد بنجلون

تغاتين أو تاغاتين، منطقة جبلية تقع إلى الشرق من مركز أنزي في الأطلس الصغير في الحدود بين إدا ويعقيل وإدا وسملال. ولكثرة صلحائها وعلمائها كانت تدعى رباط الصالحين. ويذكر أن الشيخ أحمد بن موسى السملالي كان كثيرا ما يزورها ويحثّ مريديه على زيارتها.

التغاتيني، أحمد بن سليمان بن يعزّى الرسموكي فقيه مشارك وصالح ناسك. درس في مسقط رأسه تغاتين على والده سليمان، ومَحمد بن محمد بن يعقوب والحسن بن علي بن داوود السملالي، كما أخذ عن الحسن اليوسي وغيره. وأخذ الطريقة الناصرية عن الخليفة الشيخ أحمد ابن ناصر وصاحَبَه مدة وسار على هدي الناصريين في اتباع السنة ونشر العلم والتصوف الخالص. ولما قُتل أبوه وأخوه محمد ظلماً عام 1072 / 1661 نهبت داره وهدمت من طرف فُتاك بينهم وبين التغاتيين إحَن قديمة، خرج أحمد إلى تارودانت ثم إلى فاس، وقدم إليه عرض مُغْر ليشارط في مصلحة تغازى بمشارف السودان (مائة مثقال ذهباً وأمة وعبد وكسوة رفيعة في كل عام) لكنه اعتذر وفضل الذهاب إلى مراكش فاستوطنها ساكناً في بيت علوي بسطح مدرسة المواسين عاش فيه طوال حياته عزباً مجداً في التدريس والتربية والتأليف وعمل الخير، إذ كان معظّما يعتقده العامة وذوو السلطة والأجناد ويمتثلون أمره، فانتفعت به البلاد والعباد وتخرج به جميع طلبة وقته وبلده.

كان أحمد بن سليمان مقصد المستفتين من كل أنحاء الجنوب وخاصة سوس، وقد وقف المختار السوسي على عدد كثير من فتاواه قال عنه : "لو جمع لكان وحده مجلداً أو أكثر"، وضمّن بعض هذه الفتاوي في كتابه مجموعة إلغ الفقهية.

ألف أحمد بن سليمان في الحساب والفرائض والفقه والعروض والتوقيت والتنجيم مؤلفات منها :

- *معونة الإخوان على مسألة أولاد الأعيان* في كراسه، بيّن فيه أحكاماً غريبة وتفاصيل عجيبة.

- *شرح الزايرجة السبتية*.

- *الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة*، وهي أرجوزة في علم المواريث في أربعمائة واثنين وثلاثين بيتا. وهي - كما وصفها المؤلف - سهلة، يحفظها السوسيون عن ظهر قلب حتى اليوم، ويسمونها الأرجوزة السملالية في الفرائض.

- *ذيل الأرجوزة السملالية في الحساب* بما يكمل مائة وعشرين بيتاً.

- *شروح الأرجوزة السملالية وذيلها*، كبير في اثنتي عشرة كراسة، ووسط في ست كراسات، وصغير في أربع كراسات.

- *شرح اليواقيت لمبتغي معرفة المواقيت* لعلي بن محمد الدادسي، وتعرف بالأرجوزة الدادسية. شرح كبير في عشر كراسات، وصغير في خمس كراريس.

- *شرح الأرجوزة السملالية في الفرائض*، كبير في إحدى وعشرين كراسة، وصغير في ثلاث عشرة كراسة.

- *لامية في العروض*. وهي قصيدة من بحر الطويل في سبعة وستين بيتاً.

- *شرح لامية العروض* في خمس كراسات، بيّن فيه جميع ما يُحتاج إليه في ذلك الفن، مع تقطيع جميع شواهد العلل والزحافات يغني عن غيره من كتب العروض.

توفي بمراكش يوم الاثنين الأول من رجب عام 1133 / 28 أبريل 1721. ودفن خارج باب الدباغ.

وقد نبه كل من عباس ابن إبراهيم ومحمد المختار السوسي إلى وجود فقيه آخر يحمل نفس الاسم : أحمد بن سليمان الرسموكي، نسخ المدخل لابن الحاج بجزيرة في

ثمانية وعشرين يوماً، فهذا متقدم توفي عام 984 أو 985.

م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 125 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تح. أ. عمالك، د.د.ع. الرباط ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الابدية*، 1 : 116 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، 2 : 366 رقم 256 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 51؛ *سوس العالمة*، 192 ؛ *المعسول*، 18 : 330. 337 ؛ إ. الادريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 129.

التغاتيني، أحمد بن **عبد الواسع** الرسموكي، أديب بليغ. عمل كاتباً للأمير أبي حسون بودميعة السملالي. وقد احتفظ المختار السوسي في كتابه إيليغ قديماً وحديثاً بعدة مراسلات صادرة عن بودميعة من إنشاء كاتبه أحمد بن عبد الواسع التغاتيني. ويحرف اسم المترجم أحياناً فيكتب محمد ابن عبد الواسع. وقد اضطرب السوسي في تحديد أو تقريب تاريخ وفاته، فذكر في رجالات العلم أنه توفي عام 1060 / 1650 واستنتج في المعسول أنه كان مازال حياً عام 1093 / 1682، وهو تاريخ انتهاء الرسموكي من تقييد وفياته، ولذلك لم يذكره.

م. المختار السوسي، *إيليغ*، 127. 131 ؛ *المعسول*، 329 ؛ *رجالات العلم*، 35.

التغاتيني، أحمد بن **محمد** بن يعزى الرسموكي، أديب كاتب وفقيه مفت. أخذ الأدب عن محمد بن الحسن بن القاسم اللكوسي، وأورثه ولده محمد بن أحمد آتي الترجمة. يعد من شعراء بلاط أبي حسون بودميعة في إيليغ. وكانت له عليه دالة تتبين من قصيدة فائية وجهها إليه يشتكي من بعض خصومه ويستعديه عليه، مطلعها :

ماذا يريد الثعلب المستضعف من قَسْوَرٍ منه العدا تتقصّف ؟

وهو إلى ذلك هجاء مقذع، هجا معاصره القاضي أحمد أمزوغار الوجاني ودعا إلى عزله في قصيدة مشهورة تنتهي كل أبياتها بكلمة أمزُغَر، مطلعها :

أمدٌ إلهي في المعالي مذاهباً وضعضع في قرب قواعدَ أمزغر

وهو ناظم القصيدة الطويلة التي امتزجت فيها العربية بالشلحية التي بدايتها : باسم الله في الكلام إزْوَر. ومع ذلك حلاه بلديه الرسموكي صاحب *الوفيات* بصفات لم يصف بها غيره وقال عنه : "الفقيه الأجل الكاتب العالم العلامة الدراكة النحوي اللغوي الفيلسوف صاحبنا ومحبنا.... عاصرته وجالسته وحضرت جنازته".

وفي ميدان الفقه له فتاوى كثيرة في مجموعة عبد السميع الأمزالي، *والمجموعة البرجية*. ويذكر له *كتاب في التاريخ والتراجم* لم يُعثر عليه لحد الآن.

توفي يوم الثلاثاء الثامن عشر من جمادي الثانية عام ثمانين وألف / 12 نونبر 1669.

الرسموكي، *وفيات*، 31 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 95 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 34 ؛ *سوس العالمة*، 185 ؛ *المعسول*، 18 : 271. 285 و310. 312.

التغاتيني، حسين بن داود الرسموكي، فقيه عارف بالفروع والأصول، مشارك في التفسير واللغة وقواعدها. درس في سوس وفي خارجها. ومن أشهر شيوخه داوود بن محمد التونلي التملي، ومحمد بن يوسف السنوسي التلمساني صاحب العقائد. ويظن أنه أخذ أيضاً بفاس عن الإمامين محمد ابن غازي وأحمد الونشريسي وطبقتهما.

من تآليفه الباقية :

- *شرح رسالة* ابن أبي زيد القيرواني.
- *شرح التلقين* للقاضي عبد الوهاب البغدادي.
- *مدارج الراغب على مختصر ابن الحاجب الفقهي*.
- *شرح نظم بيوع ابن جماعة*، والناظم عبد الرحمن السوسي.
- *شرحا توشيح خالد الگرسيفي في الجنة ونعيمها*. كبير وصغير.
- *نظم في تصريف الأفعال*.
- *شرح نظم التصريف*.

توفي يوم الجمعة ثامن عشر محرم عام أربعة عشر وتسعمائة / 19 ماس 1508.

م. البعقيلي، *مناقب*، 18 ؛ الرسموكي، *وفيات*، 39 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 233 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 19 ؛ *سوس العالمة*، 179 ؛ *المعسول*، 279 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها*، 115 رقم 7.

التغاتيني، داوود بن عبد المنعم الرسموكي. "علامة جليل، وأديب كبير، وشاعر مصقع... من علماء جزولة المشاركين الكبار الذين لهم في كل العلوم التي أخذوها - لغة وفقها وتفسيراً وتاريخاً وحساباً وأصولاً وبياناً - يد طولى". بهذا حلاه صاحب المعسول في طليعة ترجمته. ولد حوالي عام 1310 برباط تغاتين، وبه نشأ ودرس على والده القرآن ومبادئ العلوم، وأتم تعليمه على يد عمه أحمد بن محمد التغاتيني، وأحمد بن مسعود في المعدر، والحاج أحمد الصوابي. وأخيراً عند الأديب الكبير الطاهر الافراني بمدرسة بومروان "حيث الآداب تتدفق، وغدران القوافي تترقرق، ونجوم المشاركة في جميع العلوم تتألق".

شارك داوود التغاتيني - كشيخه الطاهر الإفراني - في حركة الهيبة ضد الاحتلال الفرنسي، فالتحق به في تيزنيت وسار معه إلى مراكش. وبعد هزيمة جيش الهيبة سار داوود مع الحاحيين الفارين إلى زاوية سيدي الزوين ومنها رجع إلى سوس، فشارط سنة في مسجد قصبة تالاغت قبل أن يلتحق بالشيخ الحاج أحمد الصوابي في مدرسة تاكوشت ويلازم مجالسه العلمية سنين. ومن ثم انتقل إلى جامع ابن يوسف فأتم تكوينه في شتى العلوم اللغوية والشرعية والعقلية والأدبية. وأهم شيوخه هناك أبو شعيب الدكالي وفتح الله بناني الرباطي، وأحمد العلمي الفاسي.

رجع داوود إلى سوس وتفرغ للتدريس في تيبوت وغيرها من المراكز القروية العلمية. وأهم إنتاجه أدبي ترسلاً

وشعراً ونقداً دقيقاً عنيفاً في بعض الأحيان، وقد أورد نماذج عديدة من ذلك في *المعسول* كما أورد قائمة طويلة بأسماء الفقهاء والأدباء التي تخرجوا بداوود التغاتيني.

توفي عام 1389 / 69 . 1970.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 241 ؛ *المعسول*، 18 : 339. 385 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1389.

التغاتيني، سليمان بن يعزى، فقيه موثق عدل، زاوج بين تلقي الشهادات وتحرير العقود، والقيام بالتعليم في مدرسة المولود بتغاتين، وهو من المتخرجين على يد الشيخ الكبير عبد الله بن يعقوب.

كان سليمان مثال الاستقامة والنزاهة، لكنه ذهب ضحية الفتن المضطرمة بين قبائل الجنوب آنذاك، فقتله بعض الأشقياء من خصوم قومه التغاتينيين هو وولده الطالب محمد ونهبوا داره وهدموها كما سبقت الإشارة إلى ذلك في ترجمة ولده أحمد بن سليمان. وقد ساق حادثة اغتياله بلديُّهُ الرسموكي صاحب *الوفيات* ووصفها بدقة وتأثر شديد.

وقف المختار السوسي على عدد من فتاوى سليمان التغاتيني في المجموعتين الفقهيتين الكبيرتين : *الأجوبة البرجية والأجوبة السميحية* "مما يدل على أنه مفتٍ كبير بين كبار المفتين في عصره".

قُتل ظلماً يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان عام 1072 / 3 أبريل 1662 في مدرسة المولود التي كان يُقرئ فيها. ولايزال في المصلى محل جمد فيه دمه رحمه الله.

الرسموكي، *وفيات*، 27 ؛ م. الخضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 747 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 34 ؛ *المعسول*، 18 : 329 . 330.

التغاتيني، عبد السميح بن محمد الرسموكي. أستاذ، حفظ القرآن والمتون الأولية، ثم درس في فاس على الإمامين: محمد ابن غازي، وأحمد الونشريسي وطبقتهما. ومن أشهر تلاميذه إبراهيم التيخفيستي السملالي الذي ترجم له، وعنه أخذها الرسموكي في الوفيات وغيره. حلاه الخضيكي بقوله : "كان ـ عبد السميح ـ فقيهاً قارئاً ناسكاً عابداً مدرساً صالحاً ناصحاً". وهو الجد الأعلى لآل عبد السميح التغاتينيين العلماء.

مات قتيلا في مسقط رأسه ظلماً وحسداً على ما آتاه الله من فضله، عام 915 / 10 . 1511.

الرسموكي، *وفيات*، 26 ؛ م. الخضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 568 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 19 ؛ *المعسول*، 18 : 280 ؛ *جامعة القرويين في ذاكرها*، 115 رقم 8.

التغاتيني، محمد بن أحمد بن محمد بن يعزى الرسموكي. أديب كبير وشاعر مفلق. ولد قبل عام 1060 / 1650، وهو رابع الأدباء السوسيين الذين كانوا يسامرون في تارودانت الأمير الأديب مَحمد العالم ابن السلطان المولى إسماعيل وخليفته في الجنوب، وقد خلد كتاب *نفحات الشباب* محاوراتهم وإنشاداتهم ومساجلاتهم. تعرّف مؤلف *النفحات*، وهو أديب روداني، على المترجم في أحد أسواق تارودانت أوائل رمضان عام 1112 / فبراير 1701، حين جاء ليحضر إلى جانب علماء سوس مجالس صحيح البخاري عند الخليفة مَحمد العالم، وكتب يصف التغاتيني : "... فوجدت طلعة بهية، ولبسة سنية، وشيبة منورة".

يبدو محمد التغاتيني في نفحات الشباب سريع البديهة، قوي الذاكرة في حفظ أشعار الأدباء ونقدها خاصة شعراء العصر العباسي، ذا قدرة فائقة على ارتجال النظم البديع. وقد بهر الخليفة مَحمد العالم بما أجاز من مصاريع أنشدها الخليفة، وهي تمثل مشاهد حية كانوا يرونها من منتزه مشرف على بستان : أشجار حولها كوم رمل، وأغصان مالت نحو أزهار، وحصّاد بمنجل في السنبل يضربه فيبدده ليلتقطه كبش معه، وصقر انقض على حمامة... كانت إجازات التغاتينيي فورية لا تكتفي بالوصف الدقيق للمشهد بل تأتي بتشبيهات وتنظيرات تدل على إحساس مرهف في لغة متينة وسبك سلس. عبّر الخليفة عن إعجابه بالتغاتيني قائلا له : لقد أعدت عصر ابن عطية، فأجاب : كما أعاد سيدنا عصر عبد المومن بن علي. يشير إلى المساحلة الأدبية الشهيرة بين الخليفة الموحدي ووزيره ابن عطية وهما يسيران يوماً في بعض أزقة مراكش.

توفي بمسقط رأسه حوالي عام 1118 / 1702.

روداني مجهول الاسم، *نفحات الشباب*، في الجزء 18 من *المعسول*، 18 : 286 . 328.

محمد حجي

التغاجيجتي أو التاغاجيجيتي، **إبراهيم** بن محمد بن الحاج علي ولد سنة 1298 / 1880 أخذ القرآن عن المقرئ بلديه الاستاذ محمد بن إبراهيم المرابط، ثم اتجه نحو مدرسة إلغ لتلقي المتون العلمية حوالي 1312 / 1894 فقرأ على الفقيه بلقاسم التاجرمونتي، ثم على فقيه المدرسة علي بن عبد الله، المشار إلى وفاتهما في مادة بلوش من معلمة *المغرب*. قال فيه مؤلف *تحلية الطروس* : "الفقيه المرشد أبو سالم إبراهيم التاغجيجتي، مقدم الطريقة التجانية (...) لقيته مرة، فوجدته صافي الأخلاق، وافي المروءة منقبضا (...) ذا دين متين، فاراً من مجالس أهل الأهواء (...) صرف أوقاته في تحصيل الفضل والعبادة، وترك فضل العيش، وفضول الناس".

أخذ الطريقة التجانية عن الفقيه أبي الحسن الالغي المذكور أول يوم تلقنها، ثم أجازه التلقين فيها الفقيه الحاج الحسين الافراني قطب التجانية في سوس توفي إبراهيم التاغجيجتي بعد أن أتم الثمانين سنة 1378 / 1958.

علي بن الحبيب، *تحلية الطروس في ذكر رجالات سوس*، مخطوط؛

الإيكراري، *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، 55 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 371 ؛ 9 : 106.

التغاجيجتي، أحمد بن بلخير بن بلعيد. ولد سنة 1337 / 1918 وأخذ القرآن في بلده عن الفقيه محمد بن الحسن التازروالتي الأصل، المتوفى 1367 هـ وعن مقرئ آخر هو الفقيه محمد بن الحسين الذي كان يشارط في آخر عمره في أيت باعمران قبيلة إصبويا.

وبعد مرحلة حفظ القرآن اتجه إلى مدرسة الجمعة بأيت عبلاً أيت باعمران، حيث أخذ عن الأستاذ القاضي محمد بن بلوش المتقدم ولازمه اثنتي عشرة سنة، خلافا لما ذكره المؤرخ السوسي من أن المدة هي ثمان سنوات، ففي رسالة طلب بها الاجازة من شيخه هذا، ذكر أنه مكث عنده اثنتي عشرة سنة وتوجد صورة الجواب عن هذه الرسالة في *كتاب المدارس العلمية بسوس* (3 : 338) وقد ورد في الرسالة ما يلي بالحرف : ..." المرام أن تكتب لي إجازة بأنني قرأت عندك العلم، ومكثت عندك اثني عشر عاماً، وأذنت لي في التدريس"...

وأخذ كذلك عن الأستاذ محمد بن الطاهر في تانكرت لازمه عامين، ثم اتجه إلى المدرسة الوفقاوية عند الأستاذ أحمد اليزيدي، ولازمه عامين، فتخرج أستاذاً لقنافهما مشاركاً، بعد ذلك شارط في بعض مدارس أيت عمران ثم تولى التعليم في المدارس الحديثة بعد الاستقلال وأخيراً ترك التعليم واتجه إلى سلك القضاء، لكنه لم يستمر فيه نظراً لطبعه وأنفته التي لا يرضى معها بقيود الوظيفة، وانتهى به المطاف الى المشارطة في المسجد الكبير في أگادير، لكنه مالبث أن غادره إلى بلده تغاجيجت، فحق فيه قول مؤرخه : "له نباهة وشفوف وألمعية، وتطلع إلى المعالي التي كان أحق بها وأهلها، مع عزوف وترفع عن الدنايا" (*المعسول*، 18 : 155) اهتم في آخر حياته بالتأليف من ذلك كتاب *نور على نور لتوضيح معالم الدين*، كما قال، *وإقناع الإخوان والمنهاج الواضح* وموضوعه صحة التوسل بالأنبياء والأولياء وزيارتهم مطلقا وله مخطوطات لم تطبع أما الثلاثة المذكورة فقد طبعت.

توفي بعد عام 1404 / 1984.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 153 ؛ ع. الساحلي، *المدارس العلمية بسوس*، 3 : 338 ؛ *وثائق ومعلومات خاصة عند الكاتب*.

التغاجيجتي، أحمد بن الحسين بن محمد الملقب أضَارْضورْ (الأصم)، وهو غير أحمد أضارضور العالم السوسي الشهير المتوفى حوالي عام 1299 / 1881 وقرأ القرآن على شيخه الفقيه بلال (ت. حوالي 1342 / 1923) المعروف بحفظه وتلاوته لكتاب الله هناك، كما قرأه على شيخه في أيت باعمران الفقيه محمد أمَجُّوضْ (ت. نحو 1368 / 1948) وذلك في قبيلة إدْمُوسَاكْنا حيث بقي المترجم إلى أن أتقن حفظ القرآن على يد هذا الشيخ ؛ وبعد ذلك اتجه إلى مدرسة أمَسْرا عند الأستاذ محمد بن المحفوظ، حيث ظل عشر سنوات، وتتلمذ كذلك على يد الإلغيين، في مدرستهم، وعلى يد الأستاذ الحسين بيبيس الاخصاصي الشهير المتوفى سنة 1339 / 1920.

وتردد أحمد التغاجيجتي بين هؤلاء أكسبه معرفة لا بأس بها، فله مشاركات تأدبية، لكن تطلعه إلى منصب الرآسة وما تقتضيه من تبعات حال بينه وبين الشفوف في المجال العلمي، ولعل السبب في هذا التطلع هو نشأته على يد أبيه الذي يعد من رؤساء القبائل الأشداء، فمن هنا اشتهر المترجم منذ صغره بصفات هي إلى الرآسة أقرب منها إلى العلم، وكان معروفاً بالإقدام والشجاعة، وفي الوقت ذاته كان يميل إلى المزاح ويغالي في اختلاق الغرائب والعجائب، دون مراعاة لمكانة أحد مهما كانت قيمته، وقد انحاز إلى جانب المحتلين الفرنسيين ضد حركة الهيبة المعروفة، فاتخذ ذلك هزؤا يباهر به أحد علماء المنطقة، ولما احتلت سوس من طرف الفرنسيين عين قائدا على قبيلته، وهذه كانت رغبته ومنيته. قال ابن الحبيب : "طلب القيادة فمنحها" وقال عن أخلاقه : "تارة يزدري بنفسه، وتارة بأبناء جنسه، فمجلسه خال من كل خير إلا من المضاحك" (*تحلية الطروس*). توفي أحمد التغاجيجتي سنة 1366 / 1946.

ع. ابن الحبيب، *تحلية الطروس في ذكر رجالات سوس*، مخطوط ؛ الإيكراري، *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، 66 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 : 108.

التغاجيجتي، أحمد بن حمّو - محمد - بن صالح بن بلخير، ولد سنة 1235 / 1819 وهو من أعلام تغاجيجت المرموقين، بدأ حياته في التعلُّم عند أحد الزگراكيين الأفاضل الفقيه : بلقاسم بن المحجوب في أحد مساجد بلده، حيث قرأ القرآن، ثم انقطع إلى مدرسة أدوز العلمية، حيث درس المتون على يد الأستاذ العربي بن إبراهيم، ولازم الأستاذ الشريف الكثيري حوالي أربع عشرة سنة، فكان يشتغل بالنساخة، حتى عُدّ له اثنان وأربعون مجلداً بخطه، ولما عاد إلى بلده وجد الناس على جهل مطبق فبذل ما في وسعه لإعادتهم إلى جادة الشريعة، فكان لجهده أثر محمود في تقويم اعوجاج أهل تغاجيجت وقد خلّف الاثر الحسن والمدارس العلمية التي تعاقب عليها، كمدرسة سيدي علي أُسعيد في قبيلة الأخصاص، ومدرسة سيدي مَحمد الشريف ومدرسة بويْزكارن وغيرها، وحظي بمقابلة السلطان الحسن الأول في زيارته لأگلميم سنة 1303 / 1885، فقد وفد عليه مع أحد علماء تلك الناحية، فأهدى إليه كتاباً، وأكرمه السلطان مع صاحبه، وزودهما بالتحرير من الالتزامات التي يقوم بها غيرهما، وقد ظل حياته كلها مدرسا ناشراً العلم حتى وهو منقطع في داره بعد مشارطاته في مختلف مدارس المنطقة، وكانت له علاقة بالالغيين، يراسل أمثال علي بن عبد الله، ويتناقش معه في مشكلات فقهية، قال

في حقه المختار السوسي : "عالم كبير القدر نوازلي، له شهرة واسعة (..)] وكان نوازليا مفتيا مقداما قوالا لما يريده، غير متلجلج (*رجالات العلم*، 181 تحت رقم 1) وقال فيه ابن الحبيب "العلامة الذي حاز قصب السبق في الفقه (...) انقشع به غمام الجهل والغي في تلك الناحية، حكم بين الناس وأفتى" (*تحلية الطروس*).

توفي في حدود عام 1314 أو 1317 أو 1320 حسب مختلف مصادر ترجمته.

ع. ابن الحبيب، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي*، 181 ؛ *المعسول*، 18 : 151.

التغاجيجتي، إدريس بن الحسن بن مَحمد. ولد عام 1293 /1875 ينتمي إلى فخذ إدْ سعيد بن إبراهيم كسابقه إبراهيم بن محمد، أسماه علي بن الحبيب الجراري : "إدريس بن محمد" وحلاّه بالفقيه العالم، وقال عنه وعن إبراهيم : "قد قرنا في قرن التدريس، ولم يفت أحدهما الآخر في الفهم النفيس".

بعد أن قرأ القرآن في بلده حتى أتم حفظه، ذهب إلى مدرسة إلغ سنة 1308 /1890 لأخذ المتون العلمية على عادة أقرانه، فتتلمذ على أبي القاسم بن مسعود التاجرمونتي، أبي الحسن الإلغي وبعد أن استتم العلوم التي تدرس هناك، عاد إلى بلده بتغاجيجت، فتصدر للإفتاء، إذ كان فقيهاً مشاركاً فرضياً، حسن الخط حسب شهادة معاصره وبلديّه. إبراهيم بن محمد المتقدم، كما كان معروفاً بورعه وتقواه.

لم يكتف بالجانب الفقهي في معارفه، بل "كان له ولوع بحفظ المقطعات الشعرية، وغرائب اللغة، حتى صار قاموساً" ـ حسب قولة ابن الحبيب الجراري فيه. توفي سنة 1365 / 1945.

ع. ابن الحبيب، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 : 107.

عبد الحميد محيي الدين الباعمراني

تَـغَـازَى، قرية تقع في أقصى شمال مالي الحالية، موقعها غرب تاودني. ضبطها ابن بطوطة بفتح التاء والزاي، وعليه المعول. وحولها سبخة (إجِّلْ) التي كان ملحها يشحن إلى أقطار السودان الغربي ويتبادل بالذهب مدة قرون عديدة، ويظهر أن منطقة الملح بما فيها تَغَازَى كانت في عصر البكري تعرف ببلاد الفَرْويين، نسبة إلى قبيلة أو عشيرة، حيث ذكر أن الملح يبدل فيها بالذهب، وقد تحكم المرابطون في الطريق الممتد بين المالح وغانا. وفي بداية رحلة ابن بطوطة إلى السودان سنة 753 / 1351 كانت تغازى ضمن التراب المغربي لأن هذا الرحالة يذكر إيوالاتْنْ كأول عمالة السودان. ولم تكن تغازى سوى قرية متواضعة، مبانيها من حجر الملح وسقوفها من جلود الجمال، ويقطنها عبيد مسوفة، وهي القبيلة ذات النشاط الاقتصادي التي استولت على الطرق التجارية الصحراوية الممتدة إلى السودان الغربي منذ أواخر الثلث الأول من القرن السادس (12 م). وعلى هذا فإن الدولة المغربية لم تؤمم ممالح تغازى قبل السعديين. وكان الملح في القرن الثامن (14 م) يقايض بالذهب كما كان قبل ذلك ولبضعة قرون أخرى بعد ذلك.

وشبه الحسن الوزان ممالح تغازى بمقاطع الرخام، وقال إن ملحها يشحن بواسطة القوافل التجارية إلى تنبكتو التي تنقصها هذه المادة نقصا شديدا. أما سكان القرية ومعدنوها فتأتيهم المواد الغذائية من سجلماسة ودرعة وحتى من تنبكتو، وارتفع ثمن حمل جمل من الملح بعاصمة مالي هاته إلى ثمانين مثقالا في أوائل القرن العاشر (16 م). لكن بالنظر لضعف السلطة المركزية والحروب الأهلية التي عرفها المغرب لمدة قرن ونصف تقريبا حتى قيام الدولة السعدية، فإن صنغاي وضعت يدها على الممالح، ولذلك لم يكد محمد المهدي الشيخ، العاهل السعدي، يستقر في الحكم حتى انتزع تَغَازَى من يد أسْكية (محمادو توري) ولكنه تنازل عن بعض خراجها للعاهل الصُّنْغائي محتفظا بسيادة المغرب عليها. واستمر الأمر على ذلك حتى خلافة المنصور الذهبي ففرض مكسا بقيمة على كل حمل يرد على تَغَازَى وأنشأ حصنا وزوده بحامية مسلحة، فأدى ذلك إلى مفاوضات دبلوماسية لم تخل من حدة، ثم إلى حرب انتهت بفتح المنصور للسودان (1000 / 1599) ومن المفارقات أن التجهيز المادي والعسكري لفتح السودان تَمَّ بفضل خراج تغازى إلى جانب خراج درعة وأموال أخرى. وبذلك أصبح المغرب يراقب من جديد مجموع الطريق التجاري الممتد من سجلماسة ودرعة عبر تغازى إلى تنبكتو التي تراجع مستواها الحضاري حينئذ شأن باقي مملكة الصنغاي. وقد ألحقت تَغَازَى بعمالة درعة بحكم قربها النسبي وبالنظر لسعة هذه العمالة خصوصا في ظل الحكم السعدي. وهذا ما توضحه رسالة من السلطان مولاي إسماعيل العلوي إلى نجله المأمون خليفته بالصحراء.

غير أن تَغَازَى ما لبثت أن أصبحت قرية مهجورة في أواسط القرن الحادي عشر (17م) وحلت محلها (تاوْدني) الواقعة شرقها، كمحطة لقوافل الملح. على أن سبخة إجِّل استمرت تزوِّد عددا من مناطق إفريقيا الغربية بحاجتها من الملح. وحتى بداية الزحف الفرنسي ظل الملح عملة مقايضة يتبادل بها الزرع والخيل والثياب والعبيد. وفي هذه الفترة بالذات كان ملاك سبخة إجِّل من الكنتيين الماليين، ويشير "إيبولار" إلى تردد عدد من الرحالين المعاصرين على منطقة تغازى القديمة.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 174 ؛ م. ابن بطوطة، *الرحلة*، ج 2، ص. 191-192 ؛ ع. القشتالي، *مناهل الصفا*، مختصر، ج 2، ص. 55، 82، تطوان 1964 ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط*، ص. 433، 522 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة : معلمة المدن والقبائل*، مادة : تغازى.

Léon l'Africain, *Description*, pp. 455, 456, 469 ; Gouraud (Général), *Mauritanie Adrar*, Paris, 1945.

إبراهيم حركات

تْغَاسْرُوتْ (أهل ـ)، تسمية أمازيغية الأصل، تُطلق على موقع بجبل بني إزناسن (إقليم وجدة) يبعد بحوالي سبعة كلم عن قرية تافوغالت من جهة الشمال، ويتوسط السلسلة الجبلية المذكورة بين ثنايا قمم عالية وسفوح قوية الانحدار. حاول البعض البحث عن أصل التسمية انطلاقا من دلالتها في اللهجة الزناتية، فاهتدى إلى رواية لها علاقة بفرقة إباحية ـ تدعى الرُّسمة ـ طردها بنو إزناسن من الجبل واستقرت بقبيلة الزكارة.

استوطنت الموقع المذكور فرقة من بني عتيگ من بني إزناسن، اشتهرت باسم تْغاسْروتْ، وإليها يُنسب أولاد لهبيل. ويرجع الفضل لهؤلاء في ذيوع اسم تغاسروت بين قبائل وجدة، حيث صارت إليهم الزعامة ببني إزناسن في نهاية القرن التاسع عشر، بعد أن كانوا يتنافسون مع أولاد البشير بن مسعود من قبيلة بني وَرْيمَش (بني إزناسن). وتولى عدد منهم منصب "القيادة" خلال النصف الثاني من القرن الماضي أثناء فترة الحماية. ومن أهل تغاسروت ينحدر السيد مبارك البكاي لهبيل، الذي تولى رئاسة الحكومة غداة استقلال المغرب.

قدور الورطاسي، *بنو يزناسن عبر الكفاح*، الرباط، 1976 ؛ عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873 . 1907*، منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، 1989.

عكاشة برحاب

تْغَاطْ، أرض غنية بمنطقة وادي نون. ولفظة تغاط تعني الشاة. تميزت البنية الإنتاجية في هذه المنطقة منذ ما قبل ظهور الجمل بأنها رعوية لها عادة وظائفها الذاتية الأساسية لإنتاج وتربية الأبقار والأغنام وتأمين ما يمكن لنمط العيش القروي شبه الترحالي أن يقدمه من الخدمات العامة. من هنا تتجلى أهمية تغاط الرعوية التي يتعدى مجال خدماتها مستوى القرى المجاورة نفسها. إذا كانت كلمة "تغاط" تعني الشاة فذلك لأن تربية الأغنام التي ميزت هذه المنطقة قد جعلت منها أداة لاستقطاب الفصائل القاصية والدانية. التركيز على هذا الجانب يحتم على الباحث الخوض في غمار إشكالية مراقبة المجال وتوضيح صورة التوزيع الحقيقي للفصائل المراقبة لتغاط منذ ما قبل أربعة قرون. لقد جعلت مدونة أسا من وادي نون وداي الحرب نظراً لكثرة الصراعات المحلية حول مراقبة المجال. ومما يثبت أهمية هذه الصراعات في تحديد مفهوم الملكية هو تضارب أنواع الوثائق حتى فيما يخص الأراضي الرعوية (F.C. De La Chapelle, *Les Tekna*, 60). هكذا تتزاحم المقولات وتتضارب من خلال الوثائق المحلية التي تدعي منذ أزيد من أربعة قرون تملك أرض تغاط الغنية (أنظر مادة أزوافيط *بالمعلمة*). بل إن هناك من العائلات المقيمة بتاسريرت (أيت باعمران) التي ما تزال تتوفر على ما يثبت حق تملكها القديم لتغاط. لقد كانت قبيلة إدا أوزال من بين الوحدات المقيمة بوادي نون خلال القرن العاشر (16 م) (F.C. De La Chapelle, *Les Tekna*, 44). وكان يومها جزء هام من فصائل أيت باعمران تتداخل بشكل قوي بفصائل وادي نون. وهو عامل يفسر لماذا ماتزال بعض العائلات التي هاجرت من وادي نون تحافظ لإثبات ارتباطها التاريخي بالمنطقة على ما يلزم من الوثائق.

تقع الآن منطقة تغاط بتراب أزوافيط بعد أن كانت في ملك فصائل لمطية أمازيغية يصعب اليوم تحديد مراحل تنقلها. وإذا أخذنا بعين الاعتبار حدود المقولة الزفاطية نفسها اتضح بأن تطويع أراضي تغاط من أجل الفلاحة ظاهرة لا ترجع إلا إلى حدود القرن التاسع عشر. بل إن أيت احماد أُعلي الزفاطيين يعتبرون عملية التطويع هذه هي السبب الفعلي في تملكها شبراً شبراً، وأن الضرورة المجالية هي التي أهلتهم لتجسيد قوة حربية فعلية حالت دون باقي مربي الماشية والانتفاع من أرض تغاط. هذه الظرفية تسهل جداً اقتلاع التفسير بالسببية الوظيفية للظواهر الحربية والسياسية منذ أقدم الفترات.

مصطفى ناعمي، مواد *أزوافيط* ؛ *أيت بلة* ؛ *التوبيع* ؛ *تيرمسين* بالمعلمة ؛ *بحث ميداني*.

F.C. De la Chappelle, *Les Tekna* ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna* ; P. Marty, *Les Tekna*.

مصطفى ناعمي

تْغَاغْطْ، موضع معروف بأعلى مقدمة السفح الجنوبي من كتلة جبل قلعية. والاسم يعني بالأمازيغية المحلية المنحدر الجبلي الشديد الوعورة. ويزيد في تلك الوعورة سيادة الصخور الجرانيتية. والموضع طريق الحوافر إلى هضبة تازوطا الآتية من ازغنغان. وقد تكبد الإسبان أثناء زحفهم نحو هضبة تازوطا خسائر في الأرواح للوصول أثناء مقاومة المجاهد الشريف محمد أمزيان قبل 1912.

خريطة طبوغرافية لسنة 1935 ؛ *تحري ميدان ورواية شفوية*.

حسن الفگيگي

* * يعد أهل تْغَاغْطْ ضمن فصائل قبيلة بني منگوش، ويوجد موطنهم على السفوح الشمالية لجبل بني إزناسن (إقليم وجدة). ويستفاد من بعض الروايات أنهم من البربر الذين نزحوا من قصر المعيز بفگيگ إلى موطنهم الحالي.

انظر مادة بني إزناسن، ج 5، ص. ؛ *كناش الخزانة الحسنية* رقم 192.

Voinot, *Oujda et l'Amalat*, pp. 196 - 197.

عكاشة برحاب

الـتَّغْرْغَرْتي، أو التاغرغرتي عبد الرحمن بن إبراهيم ابن عبد الله الأندوزالي (تاغرغرت قرية في قبيلة أندوزال) مات والده وهو صغير فربته والدته وعلّمته واشتهر بعبد الرحيم. أخذ عن أبي بكر التاگموتي كثيراً، ومحمد بن حسن الطاطائي، وأحمد التيمگيدشتي، وتخرج عالماً مشاركاً ضليعاً في الحديث وعلومه. وقضى معظم حياته في تعليم أبناء الفقراء بعد الوباء الجارف لعام 1214 / 1799 ـ 1800 وكان دؤوباً على غرس الأشجار المثمرة مستعيناً في

ذلك بكبار تلاميذه، غرس أكثر من ألف شجرة أتت أكلها كلها في حياته، كان مكباً على اختصار أمهات كتب الحديث وانتساخها. وماتزال مؤلفاته ومنتسخاته بخطه عند أحد حفدته.

وأشهر مؤلفات التغرغرتي هو كتاب في *التراجم* لخص فيه *طبقات الشعراني* و*طبقات* الحضيكي، وذيّل عليهما بتراجم شيوخه وبعض معاصريهم العلماء. وهذا الذيل أهم قسم في الكتاب، استفاد منه المختار السوسي وغيره ممن يبحثون في *تاريخ سوس العالمة*.

توفي عن سن عالية تناهز التسعين عام 1278 / 61 - 1862.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 18 : 224.

محمد حجي

التّغْزاز، أو أيْغُوب في المغرب، وميْس أو نَشَم في المشرق العربي، ميكُوكُولِيي Micocoulier بالفرنسية. ألفاظ تطلق على نوع شجري يسمى علمياً : سِلْتِيسْ أُسْتْرَاليس Celtis australis وهو ينتمي إلى فَصيلة البوقيصيات Ulmaceae.

التغزاز

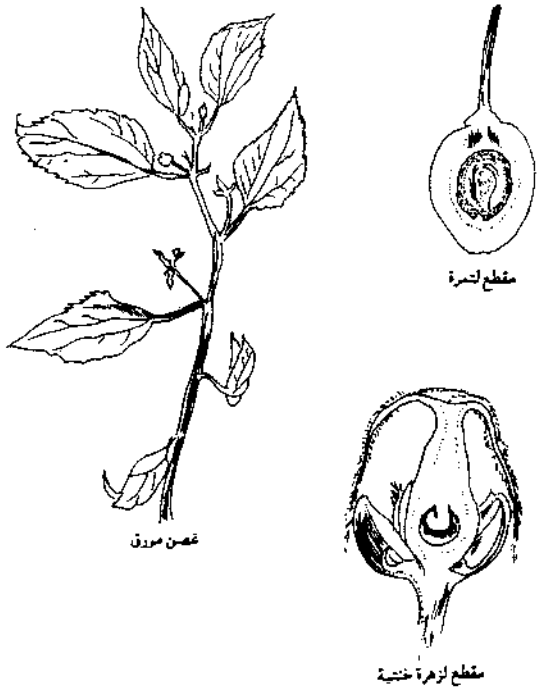

تعمر شجرة التغزاز طويلا إذ من الممكن أن يتجاوز عمرها 500 سنة. تاجه كروي الشكل. قشرة جذعه رمادية اللون وملساء. أغصانه الصغيرة زغباء. أوراقه معنقة وزغباء، رمحية أو بيضوية الشكل. تظهر الأزهار والأوراق معا في فصل الربيع. الأزهار صغيرة وقليل منها ذكرية، مجتمعة في ازهرارات صغيرة على شكل عناقيد. تظهر الثمار على رؤوس سويقات طويلة، في حجم الجلبان أو حبة صغيرة، ذات لون أصفر أولا، ثم تحمر قبل أن تسود بعد نضجها، ويصير لبها حلو المذاق ويداخله نواة.

يصادف التغزاز في الأودية الرطبة من جبال الأطلس المتوسط والكبير حتى علو 1300 م، وفي جميع الحالات لا يشكل غابة، وإنما تراه منفرداً أو مكوناً لباقات منعزلة.

أما خارج المغرب فهو يعيش في منطقة حوض البحر المتوسط من جزيرة ماديرا غرباً إلى جبال القوقاز وإيران شرقاً. يعطي التغزاز خشباً صلباً ومتيناً يستعمل عادة في إنشا المدراة أو مقبض السوط.

استطلاع ميداني.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

التَّغْصِّي أو التغسِّي، أسرة تطوانية أصلها من قرية تَغْصَّة أو تَغْسَّة بفرقة بني الحاج بقبيلة بني گرير الغمارية، ولعل اسم هذه الأسرة كان قبل انتقالها إلى تطوان هو اسم مرسية نسبة لمدينة مرسية الأندلسية (Murcia)، وقد انقرضت أسرة التغصي بتطوان في حين لازالت بها أسرة مرسية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 52 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuaníes de origen español*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

التفتيش (في الوظيفة العمومية)، تأسس نظام التفتيش في الوظيفة العمومية بالمغرب في الثلاثينات من هذا القرن إبان عهد الحماية. عملت سلطات الاحتلال الفرنسي على إنشائه بعد أن أنهت بناء هيكلتها الإدارية العامة المكلفة بتسيير أمور البلاد وتدبير شؤونها. وهو نظام لم يكن معروفا في مغرب القرون السالفة، وإنما كانت السلطات المخزنية في القرن الثالث عشر (19 م) وما قبله تكلف جماعة معلومة من المحتسبين والأمناء بمراقبة تنفيذ الأحكام السلطانية وإجرائها في مجاريها والإشراف على السير العادي للحياة العامة ومحاربة التخاذل والتكاسل وأنواع الارتشاء والشطط ونهب أموال الدولة والأشخاص.

كان نظام التفتيش الحديث في المغرب منذ تأسيسه تابعاً للنظرية الكلاسيكية الخاصة بالمراقبة السائدة في الإدارة الفرنسية على الخصوص والمجتمعات الغربية على العموم في الثلاثينات. كانت هذه النظرية تعتبر أن الشخص العامل في الوظيفة العمومية قليل الطموح لا يحب العمل ولا يقوم بواجبه على الوجه المطلوب من تلقاء نفسه. وهو بطبعه ميال إلى الخمول والكسل إذا ترك لشأنه دون إشراف عليه، ومع ذلك فهو محب للكسب ويسعى إليه. لذلك عمدت الإدارة إلى تحفيزه بواسطة التفتيش الذي كان دوره يتمثل في حث الموظف على العمل ومراقبته

واغرائه بالحوافز المادية والمعنوية التي يستجيب إليها فكان حسن استجابته وامتثاله للتعليمات الصادرة إليه معادلا للمزيد من التكريم والعطاء والتعويض عن طريق الترقيات والمكافآت المتنوعة.

يكاد لا يخلو أي قطاع من قطاعات الوظيفة العمومية في المغرب من جهاز مكلف بمهمة مراقبة الموظفين وتفتيشهم في مختلف الإدارات مدنية كانت أو عسكرية، عامة أو خاصة. وينقسم طاقم التفتيش عادة إلى أنواع معروفة من المفتشين المتخصصين العاديين والمفتشين العامين ثم المفتشين فوق العادة ولجان التفتيش المتعددة الاختصاصات. وعلى الرغم من اختلاف مهام كل نوع من هذه الأنواع، فإن دورها كلها يتمثل في ضمان السير العادي لمؤسسات الدولة وتطبيق التعليمات ومراقبة أشكال العمل ومستوى المردودية والإنتاج وأساليب تنفيذ المذكرات الصادرة من الدوائر الإدارية العليا في البلاد في كل منطقة وكل إدارة وكل اختصاص.

وتقترن عمليات التفتيش التي يقوم بها المسؤولون المذكورون بزيارة الأشخاص والإدارات وتفحص الوثائق والسجلات وأدوات العمل وتقوم باستجواب العاملين ومقابلتهم وتدقيق النظر في التجهيزات الموجودة في عين المكان. وبعد الاستعانة بمعظم أساليب المراقبة والتحري ينهي المفتشون زيارتهم بكتابة تقارير موجزة أو مطولة حسب الحالات في عدة نسخ رسمية ترفع إلى المسؤولين الإداريين الأعلين. وتتضمن هذه التقارير وصفا دقيقا لواقع الجهة التي تم تفتيشها من حيث التجهيز والتنظيم والتسيير والاجتهادات المسجلة في هذه المجالات والمخالفات المرتكبة مع مجموعة من الاقتراحات الكفيلة بإصلاح أوضاع غير سليمة في حالة وجودها. وهذه نماذج من أشكال التفتيش نذكرها على سبيل المثال لا الحصر. يقوم المفتشون العامون للشرطة ومفتشو الجمارك والملاحة البحرية مثلا بالبحث عن المخالفات المرتكبة في تطبيق قوانين الدولة في مجال الحياة العامة وأمن البلاد واحترام حدودها ومدى الالتزام بقوانين الملاحة والصيد البحري. ويهتم مفتشو الشغل وإدارة السجون ووزارة العدل بضمان حسن السير العادي للعلاقات بين المشغلين والعمال وتوفير الظروف المناسبة لنزلاء السجون وتطبيق المسطرة في تنفيذ الأحكام بالعدل والتساوي بين الناس. ويراقب مفتشو مكاتب الحالة المدنية والجماعات المحلية ووكالات توزيع الماء والكهرباء مدى دقة التسجيل الديمغرافي للولادات والوفيات وسير إدارة الجماعات القروية والحضرية بشكل يخدم المصلحة العامة وضمان حسن التوزيع للماء والكهرباء وتدقيق الحسابات المتعلقة بصبيب هاتين المادتين والأسعار المتداولة في استخلاص واجباتهما. ويسهر مفتشو الدرك الملكي والقوات المساعدة والقوات المسلحة وغيرها من الإدارات ذات الطابع العسكري على انضباط العاملين فيها للقوانين العسكرية وتنفيذ الأوامر وتحديد السلوكات طبقا لما تنص عليه المسطرة العسكرية. ويوكل إلى مفتشي المالية ومفتشي الاقتصاد والتخطيط بضبط المسائل المالية المتعلقة بالصادرات والواردات وأشكال الإنفاق ومدى تطبيق التعليمات المتعلقة بالتخطيطات التي تحددها الدولة.

م. مرغيني، *الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1978 ؛ ع. بنشنهو، *النظام الإداري بالمغرب*، الرباط، د. ت. ؛ الظهير الشريف رقم 1.53.008 بتاريخ 4 شعبان 1377 / 24 أكتوبر 1958 ؛ خ. المير وإ. قاسمي، *التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الطبعة الرابعة، الدارالبيضاء ؛ وزارة الشؤون الإدارية، *الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية*، الجزء الأول، الرباط، د. ت. ؛ *الجريدة الرسمية* رقم 3764 بتاريخ 23 أكتوبر 1984، وعدد 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985.

* * والتفتيش في قطاع التعليم اليوم خاضع للمرسوم الوزاري رقم 2.85.742 الصادر بالجريدة الرسمية رقم 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985 الذي يقسم موظفي وزارة التربية الوطنية، حسب التنظيم الجديد الذي دخل حيز التطبيق ابتداء من الموسم الدراسي 1985. 1986، إلى سبعة أصناف هي : هيئة التأطير والمراقبة التربوية (التفتيش)، هيئة رجال التعليم، هيئة تسيير المصالح الاقتصادية، هيئة التوجيه والتخطيط التربوي، هيئة التوثيق المدرسي والجامعي، هيئة الحراسة التربوية وهيئة المختبرات المدرسية والجامعية.

وتتألف كل هيئة من الهيئات المذكورة من عدة أطر متخصصة تقوم كل منها بمهام تحددها التشريعات التربوية الجاري بها العمل. أما هيئة المفتشين فتحتضن ثلاثة أنواع من التخصصات لكل نوع إطاره الخاص به : مفتشو التعليم ومفتشو التخطيط التربوي ومفتشو المصالح الاقتصادية. وينقسم مفتشو التعليم بدورهم إلى ثلاثة أصناف : مفتشو التعليم الابتدائي (السلك الأول من التعليم الأساسي) ومفتشو التعليم الثانوي ثم المفتشون الممتازون. ويشتمل إطار مفتشي السلك الأول من التعليم الأساسي على درجة واحدة ترتب في سلم الأجور رقم 10 في حين يشتمل إطار مفتشي التعليم الثانوي على درجة واحدة ترتب في سلم الأجور رقم 11. أما إطار المفتشين الممتازين فيتضمن درجة واحدة ترتب خارج السلاليم (الرتبة الاستثنائية أو خارج الإطار).

ويلتحق بمهمة التفتيش في السلك الأول من التعليم الأساسي كل معلم رسمي قضى عشر سنوات على الأقل من الخدمة الفعلية في التدريس واجتاز بنجاح مباراة ولوج المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم بالرباط. وبعد دراسة تستغرق ثلاث سنوات في شعبة السلك الأول من التعليم الأساسي واجتياز امتحان التخرج بنجاح يعين الطالب المفتش المعني مفتشا بإحدى مقاطعات نيابة من نيابات وزارة التربية الوطنية بالمملكة. ويشترط في مفتشي التعليم الثانوي، بالإضافة إلى حصولهم على إجازة جامعية أو ما يعادلها في مادة تخصصهم وأقدمية لا تقل عن

خمس سنوات في العمل واجتياز مباراة الدخول إلى المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم والتخرج بنجاح من شعبة التعليم الثانوي بعد دراسة تستغرق سنتين. ويتم الالتحاق بإطار المفتشين الممتازين بعد قضاء خمس سنوات من العمل الفعلي على الأقل في مهمة التفتيش بالتعليم الثانوي والتسجيل في لوائح الترقية للدرجة الممتازة والحصول على التزكية الإدارية. ولا تتم الترقية خارج الإطار إلا في حدود المناصب المالية الشاغرة في كل سنة.

وقد كانت هذه المهمة قبل تأسيس المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم تسند إلى معلمين رسميين يقومون مقام المفتشين في السلك الأول من التعليم الأساسي وإلى أساتذة من السلك الأول أو الثاني يكلفون بتفتيش المواد المختلفة التخصصات مقابل تعويضات عن التنقل والإقامة والمهام.

ويكلف مفتشو التعليم على اختلاف درجاتهم وأطرهم بالتأطير والمراقبة التربوية للمدرسين العاملين في المؤسسات العمومية الخاصة ومؤسسات تكوين الأطر ويتتبعون تكوين واستكمال تكوين هذه الأطر ويساهمون في تنظيم وتسيير وإجراء الامتحانات والمباريات التعليمية والتربوية والمهنية. وعند الاقتضاء يسند إليهم الوزير المكلف بالتربية الوطنية مهمة القيام بدراسات في مجال التربية والتعليم والمشاركة في تأليف الكتب المدرسية ومراجعة المناهج والبرامج الدراسية ومباشرة تقويمها وإنجاز أبحاث فردية أو جماعية قصد تحسين مردودية التربية والتعليم.

عبد الله الاشقر، *منطلقات إشكالية ومبادئ لتأسيس استراتيجية الاشراف التربوي*، ندوة *الاشراف التربوي بين النظرية والممارسة*، الدار البيضاء، 22-23 أبريل 1994 ؛ *الجريدة الرسمية* رقم 3308 بتاريخ 23 أكتوبر 1985 ؛ خالد المير وإدريس القاسمي، *التشريع الإداري والتسيير التربوي*، الدار البيضاء، 1982 ؛ عبد العزيز أمين، *الاشراف التربوي واقع وآفاق*، المجلة التربوية عدد 2 ؛ محمد عابد الجابري، *من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية*، الدار البيضاء، 1981 ؛ محمد بوسلام، *تفتيش التعليم بين النصوص والواقع*، بحث لنيل دبلوم مفتش التعليم الثانوي، المركز الوطني لتكوين مفتشي التعليم، الرباط، 1986-1987.

R. Glotin, *A la recherche de l'école de demain*, Paris 1970 ; P. Paillet, *Faut-il planifier l'éducation ?* Paris, 1974 ; *Le problème de l'inspection et l'éducation nouvelle*, Rabat, [s.d.] ; A. Baina, *Le système de l'enseignement au Maroc*, Casablanca, 1981; I.C.E.M., *L'inspection en question*, Nov. 1982, s.l.

محمد بوسلام

التفرسيتي ابن سلام، هم جماعة من القواد من أبناء وحفدة سلام بن الطيب الذي كان من القواد الأوائل المنتمين إلى هذه الأسرة. وكان لسلام أربعة أبناء : حمادي وهو أكبرهم، وعمر، ومحمد، وعبد السلام. ولأسباب تعود إلى النزاع بين الأسر على السلطة المحلية قُتل حمادي وعمر.

وحينما أظهرت الوثائق المخزنية خضوع قبيلة تفرسيت للنظام الإداري الجديد المستحدث بالقبائل، والمتميز بتوزيع القبيلة الواحدة إلى عدة قيادات، طبقاً لرغبات أهلها، وجدنا من اسمه عمر بن سلام التفرسيتي قائداً على خمس جماعات وذلك قبل عام 1301. خلفاً لوالده سلام بن الطيب ثم اتسعت شقة الخلاف بين أبناء سلام إلى شقين :

- طائفة يمثلها محمد بن سلام، وابن أخيه عياد بن عمر بن سلام وسنه ست عشرة سنة. كانا مدفوعين للمطالبة بالقيادة بمساندة العربي الوليشكي قائد بني وليشك المجاورين لتفرسيت من جهة الشمال. وانضافت إلى هذا النزاع جماعة من بني توزين تدعى بني بُويري، مستقرة بين أيت إبراهيم وأيت ملول. وبذلك تم تعيين محمد بن سلام خلفاً لأخيه عمر. إلا أن هذا توفي خلال الأيام الأولى من ربيع الأول 1301 / يناير 1884.

- طائفة يقودها عبد السلام بن سلام، ظهرت رغبته في السلطة إثر وفاة أخيه محمد، مما جعله يستولي على أملاك أخيه عمر ويحاول القبض على ابنه عياد بن عمر الذي بادر بالفرار إلى بني وليشك. ووقف في صف عبد السلام بن سلام المرابط المختار محمد بوجدّين. صاحب زاوية بوجدّين التوزانية. وللتوصل إلى غرضه جمع عبد السلام بن سلام أعيان جماعات إمّاجيرَنْ، وبُوخْفُورَة والبَراغثة ونصف جماعة زْرَاوْلَة، وهي مندرجة في فرقة بني مَحَمَّد إلى جانب جماعة مزْدَلاَّصَة المنتمية إلى فرقة بني خالد. وتوجه بهم إلى فاس قصد الاشهاد على تعيينه كما جرت به العادة. وبذلك أصبح قائداً على تلك الجماعات ابتداء من 29 ربيع الأول 1301 / 28 يناير 1884.

ورغم ما قام به عبد السلام بن سلام من استرجاع ابن أخيه عياد إلى صفه (1304) ومصالحة الجماعة المتمردة عليه، فإن ذلك لم يخفف من تحرشات العربي الوليشكي، أو من تدخلات جماعة بني بويري الذين كانوا أكثر خطراً عليه، إذ أدى بهم الأمر إلى الهجوم على داره وهدمها وإخلاء ساكنيها والاستحواذ على ما كان بها من الممتلكات، مما حمله على التوجه إلى البحث عن المساعدة المخزنية، فظل ينتظر بفاس تسعة أشهر، وإلى غاية رجب 1307 / فبراير - مارس 1890 كان لا يزال بالمكان ليعود بدون نتيجة. وبمجرد عودته تم طرده فخرج هارباً إلى المطالسة المجاورة لقبيلته، ولم يعد إليها إلا تحت حماية المحلة المخزنية الواردة في محرم عام 1310. وفي 23 منه كتب إلى السلطان : "... حينما خيمت المحلة بواد كرط، يوم ورودها من الحضرة العالية، طلبنا منهم (كذا) النزول على أهل تفرسيت والتضييق بهم. فإن جميع أهل الريف ينظرون إلى عاقبتهم. فإن أهل تفرسيت حين نهضت المحلة لسلوان، دخلوا لهم أهل الوسوسة كالتوزاني (محمد أمغار)، ونقلوا جميع متاعهم لفخذة من بني توزين يعينونهم على الفساد. وهم بني بُيير. فالمطلوب أن يأمر أخاه سيدي عثمان بالتضييق عليهم حتى يؤدوا ما بذمتهم من الحقوق ويتركون (كذا) اللّف مع أهل تفرسيت 23 محرم 1310".

استمر عبد السلام بن سلام في استمداد المخزن والإلحاح على إعادة بناء قصبة تفرسيت، ولم يتحقق عقاب

التفرسيتيين إلا في بداية 1313 على يد رئيس المحلة محمد الأمراني. ورغم ذلك فإنهم أصروا على تولية التفرسيتي عمرو بن عبد الله. وحينما أعيى السلطان أمرهم لبى رغبتهم وعزل عبد السلام ابن سلام بالأمر السلطاني الصادر إليه في 24 قعدة 1316 / 6 أبريل 1899.

وثائق مخزنية خاصة : ضابط الأمور الوطنية، 93.

حسن الفگيگي

التَّفْرَوُسْتي، عبد الله بن حسين الدرعي، التَّلْگمْتي . بجيم معقودة .، نسبة إلى تَفْرَوُست، وهو مدشر يقع على الضفة اليسرى لوادي درعة، على بعد حوالي عشرين كلم شمالي زاگورة. ترجم له مَحمد بن عبد الله الخليفتي فقال عنه : "الشيخ الصالح العالم العلامة الدراك الفهامة... ذي الخلق الحسنة والسجية المرضية، كان إماما عالما عاملا، فقيها تابعاً للسنة، زاهدا، تقيا، تاليا لكتاب الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار..." (*الدرة الجليلة*، 225).

انخرط التَّفْرَوُسْتي في سلك الناصريين على يد الشيخ أحمد ابن ناصر الدرَعي. وهو الذي أمره بالانتقال إلى تَلْجَمْت . وتسمى أيضا تافشْنة . شمال شرقي زاگورة، على بعد حوالي ستين كلم منها. بعث به إلى تلك القرية ليقوم بتعليم أهلها وإرشادهم، وبث تعاليم الطريقة هنالك ؛ فاستنابه به عنه في تلقين الأوراد الناصرية (*الدرة الجليلة*، 225). واستوطن تلك البلدة وحسنت سيرته، فانكب على التدريس والإفتاء طيلة حياته. ولاشك أنه قام بدور بالغ الأهمية من أجل ترسيخ التعاليم الاسلامية وتكريس الثقافة العربية في تلك الجهات النائية. وكان هو وباقي تلاميذ الناصريين المنبثين في تلك الجهات يشكلون حلقات متواصلة في سلسلة الطريقة القوية آنذاك، والتي عملت كلها من أجل تلك المبادئ. وهكذا كانت بينه وبين عبد الله الخليفتي المتوفى سنة 1196 / 1782، مراسلات من بينها رسالة أثبتها الخليفتي الابن في كتاب الدرة الجليلة، نتبين من خلالها مدى العلاقة التي كانت تربط بين الرجلين كتلميذين للشيخ أحمد ابن ناصر (*الدرة الجليلة*، 226).

وكان التفروستي من أشهر فقهاء تلك المنطقة، حيث تخرج على يديه تلاميذ كثيرون من بينهم عبد الله الخليفتي سابق الذكر. وقد أشار في كتابه الدرر اللوامع، الذي نقل عنه ابنه ترجمة التفروستي إلى أن والده استفاد من المترجم "فوائد".

ولم يشر الخليفتي الذي انفرد بالترجمة له، إلى تاريخ وفاته، ونرجح أن يكون قد توفي بعد وفاة والده، أي بعد سنة 1196 / 1782.

محمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تح. أحمد عمالك، 1986.

أحمد عمالك

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**
Mohamed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.
Mohamed ZNIBER, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour La Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproducion

mêrne partielles sous quelque forme que ce soit.

Editée par

DAR AL AMAN

Dar Al Aman - Rabat

Kingdom of Maroc - 4, Zanaka Mamouniat - Rabat
Tel.:+212 5 37 72 32 76 / +212 5 37 26 37 87
Fax.:+212 5 37 20 00 55
e-mail: libdarelamane@yahoo.fr

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

DAR AL AMAN

Dar Al Aman - Rabat

1ere Edition 1989 / 1410
2eme Edition 2014 / 1435

Encyclopédie du Maroc

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر

دار الأمان - الرباط

الطبعة الأولى / 1410 هـ - 1989م
الطبعة الثانية / 1435 هـ - 2014م

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984/629

جميع حقوق النقل والترجمة، جزئياً أو كليّاً بأي شكل كان،
محفوظة للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولدار الأمان - الرباط

ردمك 7-000-03-9981 (المجموعة)

دار الأمان - الرباط

المملكة المغربية - 4، زنقة المأمونية - الرباط
هاتف: 87 37 26 37 5 212+ / 76 32 72 37 5 212+
فاكس: 55 00 20 37 5 212+
بريد الكتروني : libdarelamane@yahoo.fr

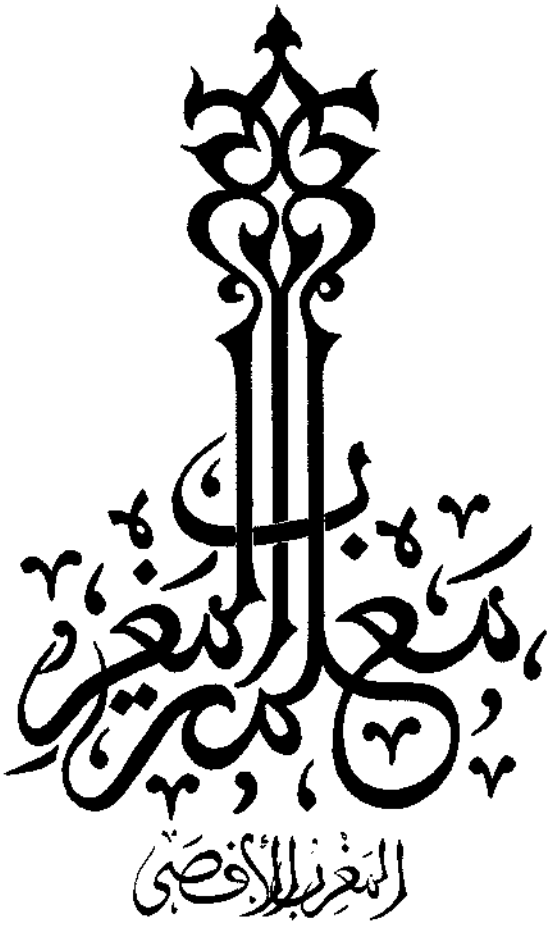
تعليم التغير
المغرب الأقصى

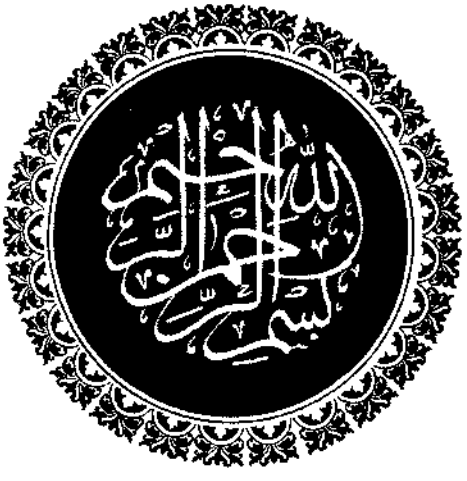
بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط

إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط

مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط

مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط

إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط

عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط

محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في تحرير مواد حرف التاء

محمد **أزهار**، كلية الآداب - المحمدية.
سعيد **أعراب**، باحث - تطوان.
الحسين **أفا**، كلية الآداب - أكادير.
عمر **أفا**، كلية الآداب - الرباط.
المختار **الأكحل**، كلية الآداب - المحمدية.
عمر **أكراز**، معهد الآثار - الرباط.
الحسين **ألواح**، باحث.
محمد **الوزاد**، باحث.
حسن **أميلي**، كلية الآداب - المحمدية.
محمد **أمين**، باحث .
حسن **أنشاد**، باحث.
حمدي **أنوش**، كلية الآداب - أكادير.
مبارك **أوسديد**، باحث - الرباط.
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
محمد **أيت حمزة**، كلية الآداب - الرباط.
بلغازي **باختي**، باحث.
عبد الحميد محيى الدين **الباعمراني**، كلية اللغة العربية - مراكش.
عبد الكبير **باهني**، وزارة السكنى والتعمير - الرباط.
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية - مراكش.
محمد **البدراوي**، المعهد الزراعي - الرباط.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب - المحمدية.
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية - القصر الكبير.
محمد **بلعربي**، باحث - الرباط.
عائشة **البلغيثي العلوي**، كلية الآداب - الرباط.
عبدالعزيز **بلّ الفايدة**، كلية الآداب - القنيطرة.
البيضاوية **بلّكامل**، كلية الآداب - الرباط.
رقية **بلّمقدم**، المركز التربوي الجهوي - مكناس.
علي **البليشي**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **بنجلون**، باحث - الرباط.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب - المحمدية.
محمد **بنشريفة**، أكاديمية المملكة المغربية - الرباط.
عبد العزيز **بنعبد الله**، أكاديمية المملكة المغربية - الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين - سلا.
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب - بني ملال.
عمر **بنميرة**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **بوخبزة**، باحث - تطوان.

عبد القادر **بوراس**، المركز التربوي الجهوي - القنيطرة.
رحمة **بورقية**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب - فاس.
عيسى **البوزيدي**، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين السبع.
مصطفى **بوشعراء**، باحث - سلا
عبد الله **بوصحابة**، المعهد العلمي - الرباط.
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب - الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب - مكناس.
عبد العزيز **بوعصاب**، كلية الآداب - القنيطرة.
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب - الرباط.
أحمد **بومزكو**، وزارة التربية الوطنية - تيزنيت.
جامع **بيضا**، كلية الآداب - الرباط.
محمد بن **تاويت التطواني**، باحث - تطوان.
عبد العزيز **تودي**، وزارة الشؤون الثقافية - الرباط.
أحمد **التوفيق**، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
أحمد **توفيق الزينبي**، وزارة الفلاحة.
عبد العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية - مراكش.
محمد **جادة**، كلية الآداب - الرباط.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية - الدار البيضاء.
محمد **الجوماني**، باحث.
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية - الرباط.
محمد **حجي**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب - وجدة.
فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الإفريقية - الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب - الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب - فاس.
محمد **حمام**، كلية الآداب - الرباط.
العربي **الحمدي**، كلية الآداب - بني ملال.
محمد **حنداين**، باحث.
محمد **حنيني**، كلية الآداب - الرباط.
علال **الخديمي**، كلية الآداب - الرباط.
محمد **خنفار**، باحث.
نجاة **الخياطي**، باحثة.
مارية **دادي**، كلية الآداب - وجدة.
المهدي **الدليرو**، وزارة الثقافة - الرباط.

المفضل دوحة، باحث.
نفيسة الذهبي، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد رابطة الدين، كلية الآداب - مراكش.
محمد رزوق، كلية الآداب - الدار البيضاء - عين الشق.
حسن رشيق، باحث.
محمد رمضاني، المعهد العلمي - الرباط.
محمد رمضاني، وزارة التربية الوطنية - وجدة.
بوجمعة رويان، باحث.
محمد زرهوني، كلية الآداب - الدار البيضاء.
العياشي الزيتوني، وزارة الجالية المغربية بالخارج - الرباط.
محمد السعديين، وزارة التربية الوطنية - سلا.
رشيد السلامي، كلية الآداب - مراكش.
عبد المالك السلوي، كلية الآداب - المحمدية.
محمد السماحي، كلية الحقوق - الرباط.
الميلود شاكر، كلية الآداب - الرباط.
أحمد شحلان، مكتب التعريب - الرباط.
محمد شقرون، كلية الآداب - الرباط.
محمد الشياظمي، باحث - الرباط.
محمد صابري، كلية الآداب - أكادير.
علي صدقي ازايكو، كلية الآداب - الرباط.
السعدية صريح، باحثة.
محمد حجاج الطويل، كلية الآداب - الدار البيضاء .
عبد الرحمان الطيبي، وزارة التربية الوطنية - الرباط.
عبد الله عاصم، كلية الحقوق - الرباط.
عبد العزيز بن عبد الجليل، المعهد الوطني للموسيقى - مكناس.
الموساوي العجلاوي، كلية الآداب - مراكش.
أحمد عزاوي، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد ابن عزوز حكيم، باحث - الرباط.
عبد الرحيم العطاوي، كلية الآداب - الرباط.
عز الدين العلام، كلية الحقوق - المحمدية.
حسن علوي حافظي، كلية الآداب - مراكش.
عبد الله العمراني، باحث - تطوان.
محمد عمراني، كلية الآداب - القنيطرة.
أحمد عمالك، كلية الآداب - مراكش.
عبد الله العوينة، كلية الآداب - الرباط.
مصطفى عياد، كلية الآداب - الرباط.
عبد الله العياشي، باحث.
عبد القادر الغزالي الغزان، باحث.
إدريس فاسي، كلية الآداب - الرباط.
عبد الإله الفاسي، كلية الآداب - القنيطرة.
يحيى أبو الفرح، معهد الدراسات الافريقية - الرباط.
حليمة فرحات، معهد البحث العلمي - الرباط.
حسن الفكيكي، كلية الآداب - القنيطرة.
محمد فلا، باحث.
مصطفى قنيتر، كلية الآداب - مراكش.
عبد القادر القادري، كلية الحقوق - الرباط.
أحمد قدور، كلية الآداب - القنيطرة.
زهرة قنينبة، معهد الآثار - الرباط
أ. الكانوني، باحث.
محمد كريبط، كلية الآداب - الرباط.
محمد كلاد، باحث.
حسن اللبادي، وزارة البريد - الرباط.
محمد اللحية، كلية الآداب - أكادير.
جاك ليفرا، باحث.
سيمون ليفي، كلية الآداب - الرباط.
حسن ليمان، محافظ مدينة وليلي الأثرية.
محمد ماكامان، كلية الآداب - مراكش.
رضوان مبارك، كلية الآداب - مراكش.
محمد مجدوب، كلية الآداب - المحمدية.
الحسن المحداد، كلية الآداب - أكادير.
محمد مستاوي، باحث - الدار بالبيضاء.
الصديق معنينو، وزارة الاعلام - الرباط.
محمد المغراوي، كلية الآداب - الرباط.
عبد الرحمن المنوني، باحث - مراكش.
محمد المنصور، كلية الآداب - الرباط.
عثمان المنصوري، كلية الآداب - الدار البيضاء.
محمد المنوني، كلية الآداب - الرباط.
محمد منيوي، المعهد العلمي - الرباط.
مصطفى مولاي ارشيد، كلية الآداب - الرباط.
فاطمة المونى، باحثة.
مصطفى ناعمي، معهد البحث العلمي - الرباط.
رشيدة نافع، كلية الآداب - المحمدية.
زهرة النظام، كلية الآداب - المحمدية.
محمد الحبيب نوحي، كلية الآداب - أكادير.
أحمد الهاشمي، باحث.
محمد عبد الجليل الهجراوي، المتحف الأثري - الرباط.
المختار الهراس، كلية الآداب - الرباط.
أحمد هوزالي، كلية الآداب - مراكش.
علي واحدي، كلية الآداب - فاس.
أحمد الوارث، كلية الآداب - الجديدة.
الطاهر وهزيز، كلية الآداب - الرباط.

بيبليوغرافيا إضافة
إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

ع. م. **إبراهيم،**

حقيقة التبشير، مجلة *الوعي الإسلامي*، ع 180، أكتوبر 1979.

ج. **أبوالنصر،**

طرقٌ صوفية في العصر الحديث : الطريقة التجانية، 1965.

ع. **الاجهوري،**

غاية التبيان لحل شرب ما لا يغيّب العقل من الدخان، مخطوط.

ح. **احبار،**

دراسة النمو الحضري لمركز تنغير، بحث لنيل الاجازة، فاس، 1989.

احتلال درعة : مراحله وحيثياته، أعمال ندوة كلية الآداب بأگادير، نونبر 1992.

ب. **الاشبيلي،**

كتاب التيسير في صناعة التسفير، نشر. ع. كنون، مجلة *معهد الدراسات الاسلامية بمدريد*، ع. 7 ـ 8. 1959 ـ 1960.

ع. **الاشقر،**

منطلقات إشكالية ومبادئ لتأسيس استراتيجية الإشراف التربوي، *ندوة الإشراف التربوي بين النظرية والممارسة*، الدار البيضاء، 22 ـ 23 أبريل 1994.

إقليم ورزازات،

مونغرافيا إقليم ورزازات، منجزات وآفاق، مارس 1986، ورزازات، 1986.

م. **الاكحل،**

انتشار المكننة الزراعية وانعكاساته على التشغيل الفلاحي والبنية المجالية : مثال من بلاد زمور، جماعة *أيت ميمون*، د. د. ع، الرباط، 1987.

ع. **امحاند،**

خطر المبشرين في المغرب، *الميثاق*، 8 مارس 1970، 23 نونبر 1970.

ع. **أمريو،**

الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو، الدار البيضاء، 1980.

ع. **أمهان،**

الفنون المغربية الأصيلة، مجلة *أبعاد فكرية*، ع 2، 1989.

ص. **أمين،**

الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، عمان، 1978.

ع. **أمين،**
الإشراف التربوي : واقع وآفاق، المجلة التربوية، ع 2.
ج. **أوفيد،**
اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية، 1905 ـ 1955، الدار البيضاء، 1988.
د. **إيكلمان،**
الاسلام في المغرب، الدار البيضاء، 1989.
أ. **باب التنبكتي،**
اللمع في الاشارة إلى حكم طبغ، مخطوط.
ع. **باينة،**
التنظيم الإداري بالمغرب، الدار البيضاء، 1991.
شرعية الاصلاح الحقيقي في التعليم العالي، الاتحاد الاشتراكي، ع 2815، 21 أبريل 1991.
المختصر في القانون الإداري المغربي، الدار البيضاء، 1985.
ع. **بدوي،**
مقالات الاسلاميين، بيروت، 1971.
البقدوري،
إتحاف أهل البدو والقرى.
خ. **بقطاش،**
الحركة التبشيرية في الجزائر من سنة 1860 إلى سنة 1879، مجلة الثقافة، ع 61، 1401 هـ.
ع. **البكريوي،**
الوجيز في القانون الإداري المغربي، الرباط، 1990.
أ. **بل،**
الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي، تر. ع. بدوي، بيروت، 1987.
أ. **ابن المامون البلغيثي،**
الابتهاج بنور السراج، القاهرة، 1319 هـ.
ع. **بلقاسم،**
تاريخ عائلات سلا.
م. **بنشريفة،**
حول كتاب المستفاد، *دعوة الحق*، ع 259.
ع. **بنشنهو،**
النظام الإداري بالمغرب، الرباط، (د. ت).
ع. **بنعبد العالي،**
الترجمة والمثاقفة، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

ف. **بوخريص،**
أحيدوس، معلمة المغرب، ج 1، الرباط، 1989.
م.ع. **بوخلفة،**
الطريق لمعرفة القصر الكبير، تطوان، 1972.
ر. **بورقية،**
العرف والشرع، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، ع 7، 1984.
أ. **البوسعيدي،**
بذل المناصحة في فعل المصافحة، مخطوط.
م. **بوسلام،**
تفتيش التعليم بين النصوص والواقع، بحث لنيل دبلوم مفتش التعليم الثانوي، الرباط، 1986 ـ 1987.
م. **بوشعراء،**
قبيلة بني حسن، 1860 ـ 1912، مخطوط.
ع. **بوفتاس،**
أمانوز، لمحات تاريخية واقتصادية واجتماعية، الدار البيضاء، 1991.
خ. **بوقرعة،**
الترجمة واللغة والهوية القومية، الوحدة، ع 61 ـ 62.
ح. **بولقطيب،**
جوانب العرف القبلي بمغرب العصر الوسيط، الاتحاد الاشتراكي الملحق الثقافي، 5 يناير 1992.
ـ *بيان تاريخي من مثقفي المغرب حول سياسة التعليم والغزو اللغوي الاستعماري للمغرب العربي*، الرباط، 1985.
م. **التراب،**
نظام الاكراه البدني كوسيلة للإجبار على التنفيذ، ضمن كتاب *نظرات في الفقه والقانون*، ج 1، الرباط، 1992.
تقرير حول التعليم العالي والبحث العلمي بالمغرب : منجزات وآفاق، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث لتنسيق وتخطيط البحث العلمي والتقني، الرباط، غشت 1989.
ع. **التامنارتي،**
ديوان، مخطوط. خ.ح.
م. **التاودي السقاط،**
خرق العوائد، مخطوط، خ. ع. 52 ك.
م. ابن **تاويت التطواني،**
تاريخ سبتة، الدار البيضاء، 1982.

ع. **أمين،**

الإشراف التربوي : واقع وآفاق، المجلة التربوية، ع 2.

ج. **أوفيد،**

اليسار الفرنسي والحركة الوطنية المغربية، 1905 ـ 1955، الدار البيضاء، 1988.

ـ **ابكلمان،**

أ. **التجيبي،**

برنامج التجيبي، تح. عبد الحفيظ منصور، تونس، 1981.

مستفاد الرحلة والاغتراب، تح. ع. منصور، تونس، 1975.

أ. **التستاوتي،**

شرح واردات العياشي التستاوتي، مخطوط، خ. ع. د 2010.

نزهة الناظر : شعر التستاوتي، جمع وتح. عبد اللطيف شهبون، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

أ. **التطواني،**

الفقيه التطواني ودوره في البحث العلمي، بحث الإجازة، الرباط، 80 ـ 1981.

ع. **التغرغرتي،**

تراجم بعض علماء سوس، مخطوط.

ـ *تقاييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الايالة السعيدة من قصور ووثائق أخرى*، الرباط.

ع. **التليدي،**

حياة الشيخ أحمد بن الصديق.

ع. **التميمي،**

التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر خلال القرن 19، المجلة التاريخية المغاربية، ع 1، يناير 1974.

دور المبشرين في نشر المسيحية في تونس، المجلة التاريخية المغاربية، ع 3، يناير 1975.

م. **التميمي،**

المستفاد، قطعة مخطوطة.

ع. **تودي،**

المسح الأثري بحوض سبو ومنطقة غمارة : نتائج الموسم الأول، مجلة كلية الآداب، الرباط، 11، 1985.

ع. **التوزاني،**

رسالة في الطريقة الناصرية، مخطوط، خ. ع مجموع 2705 ك.

م. **التوغزيفتي،**

الرسالة التوغزيفتية، مخطوط.

ابن تومرت،

أعز ما يطلب، تح. عمار الطالبي، الجزائر، 1985.

العقيدة، القاهرة، 1328 هـ.

ح. م. **جابر،**

الطريق إلى جماعة المسلمين، الكويت، 1984.

م. ع. **الجابري،**

أضواء على مشكل التعليم بالمغرب، الدار البيضاء، (د. ت).

ع. **الجشتيمي،**

الحضيكيون، مخطوط.

إ. **الجعايدي،**

إتحاف الأخبار بغرائب الأخبار، تح. ع. معنينو، د. د. ع، الرباط، 1990.

ت. **الجعيدي،**

رسالتان تتعلقان بهجوم الأسطول الفرنسي على سلا عام 1268 / 1851، مخطوط، خ. ص.

ط. **جلال ـ م. عجاج،**

تشبيت الكثبان الرملية وتشجيرها في شمال إفريقيا، تونس، 1986.

إ. **بن الجنوي،**

أبناؤنا بين أيدي المبشرين، *الميثاق*، ع 72، 1963.

م. **ابن الحاج،**

إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، الدار البيضاء، 1992.

ت. ع. **الحارتي،**

البعثات التبشيرية الاميريكية في المغرب الاقصى قبيل الحماية الفرنسية، *المجلة التاريخية المغاربية* ع 63 ـ 64، يوليوز 1991.

أ. **ابن عاشر الحافي،**

فهرس، دراسة وتح. محمد السعديين، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

ع. **حرازم برادة،**

جواهر المعاني وبلوغ الأماني، وبهامشه كتاب *رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم* لسيدي عمر بن سعيد الفوتي الطوري، بيروت، 1383 هـ.

ـ *حركة التعليم في المغرب خلال الفترة 90 ـ 91 ـ 1992*، الرباط، 1994.

ع. **حفيظ،**

حول الترجمة والتعريب والتغريب : مأساة المصطلح وفراغ المعنى، *الوحدة*، ع 61 ـ 62.

م. ع. **حلمي،**

عادات الزي في المغرب الأقصى، (د. م) (د. ت).

ب.

الحركات البشرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تونس، 1989.

م. **حمام،**

وثائق من أيت سدرات، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1978.

ل. **الحمداوي،**

واحة تنغير : دراسة في الجغرافية البشرية، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1977.

م. **حنداين،**

تارودانت ومحيطها التاريخي، 1670 ـ 1790، ر. د. ع التاريخ، الرباط، 1993.

م. حنيني،
دراسة في الجغرافية الحضرية : الخميسات، د. د. ع، الرباط، 1980.
م. **الخالدي - ع. فروخ**،
التبشير والاستعمار، بيروت 1970.
ابن خرذاذبه،
المسالك والممالك، ليدن، 1889.
ي. **ابن خلدون**،
بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، الجزائر، 1980.
م. **بن خليفة**،
القصر الكبير : أعلام أدبية وعلمية وتاريخية، القصر الكبير، 1994.
ع. **الخمليشي**،
إعلام المسلمين بمقاصد المبشرين، *الميثاق*، ع 80، دجنبر 1968، ع 107، مارس 1970.
سيدي علي خنفر،
تقييدات شرط مسجد أفركط خلال سنتي 1344 - 1345 هـ / 1925 - 1926، مخطوط خاص.
م. **ابن أبي دينار**،
المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط. 2، تونس، 1967.
الحافظ الذهبي،
سير أعلام النبلاء، تح. بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، بيروت، 1984.
م. م. **رشيد**،
المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين، الدار البيضاء، 1992.
أ. **الركني**،
شفاء القلوب في مناقب الشيخ محمد بن يعقوب، مخطوط.
ح. **ابن ريسون**،
فتح التأييد في مناقب الجد وأخيه والوالد، تطوان، (د. ت).
ع. **زمامة**،
أسماء الحرف المعروفة بفاس، اللسان العربي، 1966.
فاس وصناعتها التقليدية، *مجلة كلية الآداب بفاس*، 1980 - 1981.
أبو بكر زنيبر،
الحالة التعليمية في المغرب قبل الحماية وبعدها، مخطوط.
العمل في أحكام الفقهاء، ملحق *جريدة المغرب*، سلا 1938 وما بعدها.
أ. **الزياني**،
تاريخ بلدة خنيفرة، تح. محمد أ محزون، الدار البيضاء، 1986.

ع. ابن السائح،
بغية المستفيد لشرح منية المريد، القاهرة.
الساحلي،
بغية السالك في أشرف المسالك، مخطوط، خ. ع. 2630 ك.
ع. **السجلماسي**،
الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام، مخطوط.
م. **السجلماسي الرباطي**،
شرح العمل الفاسي، فاس، 1291 ـ 1298 هـ، ط. حجرية.
شرح العمل المطلق، فاس.
ابن مليح **السراج**،
أنس الساري والسارب، تح. محمد الفاسي، فاس، 1968.
ر. **سعيدو**،
الهجرة وأثرها على العلاقات الاجتماعية بدوار حارة المرابطين، منطقة تنغير، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1989.
أ. **السفياني**،
صناعة تفسير الكتب وحل الذهب، فاس، 1919.
أ. **سكيرج**،
إرشاد المتعلم والناسي في صفة أشكال القلم الفاسي، الجزائر، 1917.
السلطانة بنت شيخنا،
الشعر الشعبي في تكانت حتى نهاية الاستعمار، نواكشوط، 1990.
م. **السماحي**،
في مسطرة إيقاف التنفيذ أمام المجلس الأعلى، مجلة نظرات في الفقه والقانون، ع 1، 1992.
التنفيذ المعجل للأحكام المدنية في القانون المغربي : دراسة مقارنة، الدار البيضاء، 1985.
ع. **الشاذلي**،
التصوف والمجتمع، نماذج من القرن العاشر الهجري، الدار البيضاء، 1989.
م. **الشامي**،
حرب الريف والمأثور الشفوي : شعر المقاومة والجهاد، ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى، وجدة، 1986.
إ. **الشرادي**،
مجالس الجماعات الحضرية والقروية، الرباط، 1983.
م. **شفيق**،
أربعة وأربعون درسا في اللغة الأمازيغية، الدار البيضاء.
الشعر الأمازيغي والمقاومة المسلحة في الأطلس المتوسط وشرقي الأطلس الكبير، 1912، 1934، مجلة الأكاديمية، ع 4، 1989.

م. ابن **شقرون**،

مصادر التربية والتعليم في عهد الحماية الفرنسية والإسبانية، الرباط، 1982.

مظاهر الثقافة المغربية، الرباط، (د. ت).

م. **شماعو**،

المجتمع المغربي كما عرفته، الرباط، 1980.

خ. **شوقي**،

قبيلة السراغنة، د. د. ع، الرباط، 90 ـ 1991.

أ. **الصبيحي**،

مختصر تاريخ سلا، مخطوط، خ ص.

ع. **صدقي أزايكو**،

تيمتيار، الرباط، 1989.

أ. ابن **الصديق**،

التصور والتصديق.

م. م. **الصيادي**،

التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، بيروت، 1993.

م. **ضريف**،

الإسلام السياسي في المغرب، الدار البيضاء، 1992.

أ. **الطريبق**،

أدب التستاوي من خلال نزهة الناظر، د. د. ع، الرباط، 85 ـ 1986.

ع. **الطيبي**،

المجتمع الريفي قبل الحماية.

ع. **عابدين**،

التوثيق : تاريخه وأدواته، بغداد، 1982.

م. **عبد شافق**،

التوسع العمراني بمركز تنغير، بحث لنيل الإجازة، أكادير، 1993.

ح. ح. **عبد الوهاب**،

خلاصة تاريخ تونس، ط. 2، تونس، (د. ت).

م. **عبده**،

الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، تقديم رشيد رضا، الجزائر، 1978.

عبيدة الشنقيطي،

ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، القاهرة، 1951.

م. ابن **عثمان المراكشي**،

الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، الرباط، 1937.

ع. **العروسي،**

المرقي في بعض مناقب القطب محمد الشرقي، مخطوط، خ. ح. الرباط، رقم 2889.

م. ابن **عزوز حكيم،**

سفير تطواني في بلاط لويز الرابع عشر، (تحت الطبع).

فهرس خزانة الصحف العربية بتطوان، تطوان، ع 107، 1953.

مساهمة رباط تازروت في معركة وادي المخازن، الرباط، 1989.

ع. **العمري،**

كناش في أمور البحر، مخطوط.

أ. **عصيد،**

هاجس التحديث في النص الشعري الأمازيغي المكتوب، آفاق، 1، 1992.

م. **عشيش،**

المغرب الأقصى كما رأيته، القاهرة، (د. ت).

س. **علوش،**

خطاب الترجمة الأدبية : من الازدواجية إلى المثاقفة، المغرب الحديث 1912 ـ 1956، طنجة، 1990.

شعرية الترجمات المغربية للأدبيات الفرنسية، طنجة، 1991.

ح. **العمراني،**

ترقية رجال التعليم بالمغرب، د. د. ع، الرباط، 1989.

م. **عياد،**

المناطق المتجانسة الريفية ضمن التحولات الاجتماعية المجالية في الأرياف المغربية (ندوة)، الرباط، 1994.

أ. **عياش،**

المغرب حصيلة الاستعمار، تر. عبد القادر الشاوي.

ق. **عياض،**

الغنية، تح. ماهر زهير، بيروت، 1982.

م. **العيدوني،**

يتيمة العقود الوسطى، مخطوط، خ. ع. ك 305.

علي ابن ميمون **الغماري،**

رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن، مخطوط، خ. ع، 1780د.

الرسالة المجازة في معرفة الإجازة، مخطوط، ميكروفليم، خ. ع. 1341.

إ. **فاسي،**

الجفاف حول الصحراء، الطبيعة والسلوك البشري، دراسة بيئة، مجلة جغرافية المغرب، عدد 6.

ع. **الفاسي،**

نظم العمل الفاسي وشرحه، مخطوط، خ. ع، 1448د.

ـ *التبشير المسيحي وبعض الوثنيات الطائفية الهندية*، الرباط، 1973.

م. **الفاسي،**

التميمي والفندولاوي، دعوة الحق، ع 262.

أ. بن يحيى **الفشتالي،**

فتاوى علماء فاس في الدخان، مخطوط.

ع. **الفكون،**

محدد السنان في نحور أهل الدخان، مخطوط.

ح. **الفكيكي،**

عيسى البطوئي، دعوة الحق، ع. 256.

ع. **فونتير،**

الجامعة وقضية البحث العلمي في المغرب العربي، ندوة الجامعة الشتوية الثالثة، مراكش، 1991.

الوضعية النظامية للاساتذة الباحثين بالمغرب، د. د. ع، الرباط، 1992.

ش. **الفيتوري،**

الازدواجية اللغوية والازدواجية الثقافية في الوطن العربي، الوحدة، ع 61 ـ 62.

فيفري،

الأرقام العربية، اللسان العربي، ع 2، 1965.

م. **قهيسي،**

علم التوثيق والتقنية الحديثة، بيروت، 1982.

و. **قدورة،**

المستفيدون من خدمات المكتبات ومراكز التوثيق، تونس، 1986.

ج. **كاني،**

المغرب الشمالي في أوا. ط القرن الخامس الهجري، البحث العلمي، 1973.

كتابة الدولة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية،

معجم الادارة العامة، الرباط، 1984.

ج. **الكتاني،**

الرياض الربانية في الشعبة الكتانية، مخطوط، خ. ع، 497 ك.

ع. **الكتاني،**

تبليغ الأمانة، مخطوط خ. ع. الرباط، ك 2729.

ابن **الكردبوس،**

تاريخ الأندلس، مدريد، 1971.

م. **كسرير**،
أضواء على تاريخ تارودانت، خزانة معهد محمد الخامس، تارودانت.
م. **الكشبور**،
عناصر عقد الشغل في التشريع الاجتماعي المغربي، الدار البيضاء، 1989.
ع. **كنون**،
شؤون إسلامية، الدار البيضاء (د. ت).
ع. **لطفي** (وآخرون)،
تاريخ الرياضيات، اللسان العربي، ع 2 و4 و12، ج 1 و ج 15.
ع. **لعلاوي-م. البخاري**،
النصوص الإدارية، الوظيفة العمومية والاصلاح الاداري، الرباط، 1992.
إ. **اللقاني**،
نصيحة الإخوان باجتناب الدخان، مخطوط.
ع. **لهمامي** (وآخرون)،
التدبير المالي والمادي والمحاسبي للمؤسسات التعليمية، الرباط، 1988.
إ. **ليفي بروفنسال**،
مؤرخو الشرفاء، تر. ع. الخلادي، الرباط.
م. **ماكامان**،
أدب الرحلة عند المغاربة، د. د. ع كلية الآداب، الرباط.
ت. **الماكري**،
بعض المظاهر الاجتماعية واللغوية للوجود اليهودي بدرعة. بحث للإجازة، أكادير، 1987.
ح. **المجاهد**،
أمارگ، معلمة المغرب، ج 2، الرباط، 1989.
مجهول،
الابتسام عن دولة ابن هشام، مخطوط، خ. ح، 12420 ز.
مجهول،
المحلي في مناقب الشيخ محمد بن مبارك، مخطوط، خ. ج 726.
مجهول،
المرأة المغربية والحلي، العلم، ع 870، 28. أبريل 1974.
مجهول،
مجموع الدخان، مخطوط.
مجهول،
معركة المصير في سبيل إصلاح التعليم وتعريبه، الرباط، 1967.

م. **محجوبي،**

الغرامة التهديدية وتطبيقتها، الرباط، 1993.

أ. ابن أبي **محلي،**

الحكاية الأدبية والرسالة الطلبية مع الإشارة الشجرية، مخطوط.

المختار ولد حامد،

حياة موريتانيا، 1994.

مديرية الإحصاء،

النشرة الاحصائية السنوية للمغرب، الرباط، 1990.

م. **مرغيني،**

المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي، الرباط، 1984.

الوجيز في القانون الاداري المغربي، الرباط، 1978.

المركز الوطني للوثيق،

دليل الوحدات التوثيقية بالمغرب، الرباط، 1992.

ح. **مرواني،**

حول البنية الزراعية في تدغة، بحث لنيل الإجازة، الرباط، 1979.

م. **مستاوي،**

أسايس، الرباط، 1988.

إسكراف، الدار البيضاء، 1976.

م. **المنوني،**

إمارة بني يدر بسوس، *مجلة دراسات*، أكادير، ع 1، 1987.

تاريخ الوراقة المغربية، صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة، الرباط، 1991.

حضارة وادي درعة، *دعوة الحق*، س 18، ع 2، 1973.

مدائن مكناسة القديمة من العصر الادريسي إلى أواخر عصر الموحدين، أعمال ندوة الحاضرة الإسماعلية، مكناس، 1988.

ابن **موسى تيسير،**

الكتابة عند العرب نشأتها، تطورها، أدواتها. *الناشر العربي*، أكتوبر 1987، ع 7.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، 1982.

ص. **المومني،**

أوسّان صمّيضدنين، الدار البيضاد، 1983.

م. **ميارة،**

نظم اللآلي والدرر، مخطوط، خ. ح، 3702.

خ. **المير، إ. قاسمي،**
التشريع الإداري والتسيير التربوي، الدار البيضاء، 1982.
ع. **ناصيف،**
الترجمة : أهميتها ودورها في تطوير الأجناس الأدبية. الوحدة، ع 61 ـ 62.
إ. **نحال،**
التصحر في الوطن العربي، بيروت، 1987.
أ. **الندوي،**
الشيخ إلياس وحركته الدينية، (د. ت).
في مسيرة الحياة، دمشق، 1987.
النقابة الوطنية للتعليم العالي،
نحو إيجاد مشروع لإصلاح التعليم العالي وهيكلة البحث العلمي، الرباط، 1989.
م. ع. **الهجراوي،**
أشقار، معلمة المغرب، ج 2.
اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ : من قضايا المصطلح، مجلة كلية الآداب، الرباط، ع 15.
بلاد سيدي علال البحراوي، معلمة المغرب، ج 3.
الحضارة الأشولية، معلمة المغرب، ج 2.
منطقة تافيلالت خلال فترة ما قبل التاريخ، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الأولى، الريصاني، 1989.
ي. **هلال،**
النظام التوثيقي العربي، تونس، 1984.
ت. **الهلالي،**
السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ على أخطائهم، الدار البيضاء، 1979.
هويسي ميراندا،
علي بن يوسف وأعماله بالأندلس، تطوان، ع 3 ـ 4، 1958.
وقعة أفليس ومصرع دون شانجة، تطوان، ع 2، 1957.
ع. ابن **الهيثم،**
البغية في ترتيب أحاديث الحلية، مخطوط، خ. ع رقم 2842 ك.
م. **الوزاد،**
ابن تومرت الأندلسي، مجلة كلية الآداب، فاس، 11، 1990.
وزارة التربية الوطنية، التعليم العالي،
تطور التعليم الجامعي بالأرقام.

وزارة التربية الوطنية،

تطور التعليم الجامعي بالأرقام.

التعليم العالي بالمغرب صور وأرقام، الرباط، 1985.

الدخول المدرسي والجامعي بالأرقام، 93 ـ 1994، الرباط، 1993.

منجزات وآفاق، الرباط، 1983.

نحو نظام تربوي جديد، الرباط، 1980.

هيكلة التعليم الثانوي، الرباط، 1994.

وثيقة إصلاح نظام التعليم، الرباط، 1985.

وثيقة عمل لإصلاح النظام التعليمي، الرباط، 1985.

وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، كتابة الدولة في تكوين الأط ،

آفاق مهنية، الرباط، 1979.

وزارة التعليم وتكوين الأطر،

التعليم، الحالة، المشاكل، الاهداف، الرباط، 1970.

وزارة الداخلية،

وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية، ج. ر، عددان 4164 و4165.

وزارة السكن والتعمير،

تعداد السكان، 1982.

وزارة الشؤون الإدارية،

الوظيفة العمومية تشريعات وقوانين تنظيمية، الرباط، (د. ت).

م. **الوطواط،**

مناهج الفكر ومباج العبر، ضمن كتاب *Extraits inédits relatifs à l'histoire du Maghreb*, Alger, 1924 .

ف. **ولعلو،**

الاقتصاد السياسي، الدار البيضاء، 1974، ج 2 .

ف. **يكن،**

الموسوعة الحركية، عمان، 1983.

ح. **اليوسي،**

القانون، فاس، 1315 هـ، ط. حجرية.

Supplément
à la bilbiographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations

ABENSOUR, L. - *Ce que tout français doit savoir sur l'Afrique du Nord*, [s.d.].

ADAM, A. - *La Maison et le village dans quelques tribus de l'Anti-Atlas*, Rabat, 1951.

ADNAN, E. - *L'Artisanat créateur au Maroc*, Paris, 1938.

AHRENS, L.H. - *Distribution of the elements in our planet*, New-York, 1965.

AÏSSATI, A. EL. - *A study of the phonotactics of Ayt Touzin Tarifiyt Dialect*, D.E.S., Rabat, 1989.

AKERRAZ, A. - BROUQUIER, V. - LENOIR, E. - *L'Occupation antique de la plaine du Gharb, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).

AKERRAZ, A. - LENOIR, M. - *Les Huileries de Volubilis, B.A.M*, 14, 1982.

AKERRAZ, A. - REBUFFAT, R. - *El Qsar el Kebir et la route intérieure de Maurétanie Tingitane entre Tremuli et Adnovas, in 113ème Congrès des Sociétés Savantes*, Strasbourg, 1988.

ALIMEN, H. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955.

ALLUES, E. des. - *Toumliline à la recherche de Dieu au service de l'Afrique*, Paris, 1961.

ALPHONSE. - *L'Achévement de la pacification marocaine : méthodes et programme, R.M.F.*, 1935.

AMEUR, M. - *Fés ou l'obsession du foncier*, Tours, 1993.

Annuaire des assurances du Maroc, 1991, Casablanca, 1992.

ANTOINE, M. - *Aperçu sommaire sur les industries lithiques du Maroc Central, B.S.P.M.*, IV, Fasc. 1, 1930.

ANTOINE, M. - *L'Atérien du Maroc atlantique : sa place dans la chronologie nord-africaine, B.S.P.M.*, XIX, 1950.

ANTOINE, M. - *Les Grandes lignes de la préhistoire marocaine, IIème congr. Panafr. Préhist.*, Alger - Casablanca, 1952.

ANTOINE, M. - *Note de préhistoire marocaine : un gisement atérien en place dans les alluvions de l'Oued Goréa, B.S.P.M.*, VIII, 1934.

ANTOINE, M. - *La Préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes, Soc. Sc. Nat. du Maroc*, 1948.

ANTOINE, M. - *La Question atéro-ibéromaurusienne au Maroc : historique et mise au point, B.S.P.M.*, XIV, 1937.

ANTOINE, M. - *Répertoire préhistorique de la Chaouia, B.S.P.M.*, T.1, 1927.

ANTOINE, M. - *Sur l'Atérien moyen et la Grotte de Dar-es-Soltan, Soc. Sc. Nat. Maroc : C-R. Séances mensuelles*, n° 1, 1949.

AOUAD, R. - *Réseaux marocains en Afrique subsaharienne, R.M.E*, n° 4, 1993.

ARAMBOURG, C. - *Les Corrélations paléontologiques entre le Pléistocène de l'Europe et celui de l'Afrique, Bull. Soc. Géol. de France*, 7ème Ser., XI, n° 1, 1969.

ARAMBOURG, C. - *Vertébrés villafranchiens d'Afrique du Nord*, Paris, 1979.

ARNOLD, R. - *The Islamic book : a contribution to its arts and history from the VII - XVIII century*, Leipzig, 1929.

ARQUES, E. - *Tres Sultanes a la Porfia de un Reino*, Tetuan, 1953.

ASSY. - *La vie familiale à travers ses rites chez les Ziyayda du Maroc*, D.E.S, Sorbonne, 1980.

AYOUB, E. - *La Fonction publique*, Paris, 1975.

AYOUN, R. - COHEN, B. - *Les Juifs d'Algérie : deux mille ans d'histoire*, Paris, 1982.

AZAM, P. - *Sédentaires et nomades dans le Sud marocain*, C.H.E.A.M., 16 Mai 1946.

BACAICOA, D. - *Inventario de la Hemeroteca de Tetuan*, Tetuan, 1953.

BAHANI, A. - *Les structures agraires et les systèmes d'irrigation dans la palmeraie de Fezouata, Drâa Moyen*, Th. Doct., Rouen, 1990.

BALDAOUI, J. - *Les Arts indigènes au Maroc*, Paris, [s.d].

BALOUCHE, A. - *Paléoenvironnement de l'homme fossile halocéne au Maroc : apport de la palynologie*, Th. Bordeaux I, 1986.

BALOUT, L. - *L'Homme préhistorique et la Méditerranée occidentale, R.O.M.M.*, n° 3, 1967.

BALOUT, L. - *Préhistoire de l'Afrique du Nord : essai de chronologie*, Alger - Paris, 1955.

BARDE, M.M. - *Coiffures féminines du Maroc*, Aix-en-Provence, 1990.

BARY, L. - *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazighte*, Rabat, 1983.

BATES, O. - *The Eastern Libyans*, London 1914 (1970).

BAYED, A. - *Le Milieu marin*, in *G.E.M. : géographie physique*, Rabat, 1987.

BAZIN, D. - *Etude géologique et métallogénique des chainons atlasiques du Tizi-N'Firest au Nord de Ksar-es-Souk, Maroc, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

BAZIN, V. - TERRAY, E. - *Guerres de lignages et guerres d'Etats en Afrique*, Paris, 1982.

BAZZANA, A., [et al...]. - *Première prospection d'archéologie médiévale et islamique dans le Nord du Maroc, B.A.M.*, 1983 - 1984.

BEACH, P. - DUNPHY, W. - *Benedictine and Moor and Christian adventure in Moslem Morocco*, New-York, 1960.

BEAUBRUN, P.C. - *Un cétacé nouveau pour les côtes marocaines : Souza teuszii (Kukenthal, 1892), Mammalia*, 54, 1990, 1.

BEAUDET, G. - *Le Plateau central marocain et ses bordures : étude géomorphologique*, Rabat, 1969.

BEAUDET, G. - *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, Rabat, 1961, (P.S.A.M. ; 17).

BEAUDET, G. - *Les Plus anciennes industries du Maroc*, 9ème Congrès de l'U.I.S.P.P., 1976.

BEAUDET, G. - *Le Quaternaire marocain : état des études, R.G.M.*, n° 21, 1971.

BEAUPERE, - *Sur les vallées du Todgha, de l'Imider et du Saghro oriental, in Villes et Tribus du Maroc*, Vol. 9, 1931.

BELHOMME - *Les armes dans le Sous occidental, A.B.*, Vol. 2, fasc. 1, 1917.

BELHOMME, - *Les Poignards du Sous, F.M.*, n° 5, 15 Mai 1917.

BELLAOUI, - *Un exemple de régionalisation au Maroc : la région économique du Tensift, Revue de la Faculté des Lettres, Marrakech*, n° 4, 1989.

BELLICHI, A. - *Contribution à l'étude de la pluviométrie de la partie septentrionale du littoral atlantique marocain, Espace Rural*, n° 25, Juin 1991.

BELLON - HUMBERT, C. - *Les Mollusques marins testacés du Maroc : premier supplément*, Rabat, 1973.

BEN CHENEB, M. - *Etude sur les personnages mentionnés dans l'idjaza...*, Paris, 1908.

BENABID - BOUSQUET - MAHE, - *Plan de gestion du Parc National de Toubkal*, Rabat, 1993.

BENABID, A. - MAHE, - *Plan de Gestion du Parc Naturel de Talasemtane*, Rabat, 1994.

BENCHEKROUN, M. - *L'Education et l'enseignement au Maroc*, Rabat, 1985.

BENHAZERA, M. - *Six mois chez Touareg du Ahaggar*, Alger, 1908.

BENJELLOUN, A. - *Droit administratif*, Rabat, 1984.

BENSEDDIK, N. - *La Pratique médicale en Afrique au temps de Saint-Augustin, Africa Romana, Atti del VI Convegno di Studio Sassari*, 1988.

BENTAHAR, M. - *Villes et campagnes au Maroc*, Rabat, 1988.

BENYOUSSEF, A. - *Répertoire des publications des partis politiques au Maroc, 1956 - 1980*, Mémoire, E.S.I., Rabat, 1983.

BERNARD, A. - *Les Régimes des pluies au Maroc, Mem. Soc. Sc. Maroc*, n° 1, 1er Juin 1921.

BERNUS, E et S. - *Du sel et des dattes, Etudes nigériennes*, n° 31, 1972.

BERQUE, J. - *Al-Yousi, Problèmes de la culture marocaine au 17ème S.*, Paris, 1958.

BERQUE, J. - *La cité éminente, in Entretiens interdisciplinaires sur les sociétés musulmanes*, Paris, 1958.

BERQUE, J. - *Etudes d'histoire rurale*, Tanger - Fès, 1938.

BESANCENOT, J. - *Costumes du Maroc*, Rabat, 1988.

BIVAR, A.D.H. - HISKETT, M. - *The Arabic Litterature of Nigeria to 1804, B.S.O.A.*, XXV, 1, 1962.

BLANCO IZAGA, E. - *La Ley Rifeña*, Ceuta, 1939.

BOISSEL, De. - *Dans l'ombre de Lyautey*, Paris, 1954.

BOKBOT, Y. - *Habitat et monuments funéraires du Maroc préhistorique*, Th. Doct., Aix-en-Provence, 1991.

BOLENS, L. - *Les Parfums de beauté en Andalousie médiévale*, Genève, [s.d].

BONTE, P. - *L'Habitat sédentaire qsurien en Mauritanie saharienne*, in *Nomades et sédentaires en Asie Centrale, Actes du Colloque franco-soviétique*, Paris, 1990.

BORY, P. - *Métiers et arts indigènes*, Casablanca, 1941.

BOTTE, L. - *Au cœur du Maroc*, Paris, 1913.

BOUABDALLAOUI, Y. - *Rapport B.R.P.M*, 1981, Rabat, 1981.

BOUBOU, H. - *Recherches sur l'histoire des Touaregs sahariens et soudanais* , Niamey, 1967.

BOULANGER, A. - *Triton*, in *Dictionnaire Daremberg - Saglio*, Paris.

BOULIFA, S. - *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1908.

BOUMNICH, D. - *Une pédagogie sans déchets*, Rabat, 1989.

BOUKOUS, A. - *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, Th. Doct., Univ. Paris VIII, 1987.

BOUNFOUR, A. - *Linguistique et littérature*, Th. Doct., Univ. Paris III, 1985.

BOURCHOUK, K. - *Etude de paléolithique moyen à l'Aguelmane de Sidi Ali, Moyen Atlas*, Mem. I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

BOUZOUGAR, A. - *Schémas opératoires du débitage et du façonnage à la moyenne Moulouya, l'exemple de l'ensemble lithique de Megdoul*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

BOUVAT, L. - *La Parure, les vêtements et le voile, R.M.M.*, Vol. 4, 1908.

BOUZOUBAA, K. - *L'Enseignement au Maroc ou un voyage incertain*, Paris, 1982.

BREBION, H. - *Paléoclimatologie du quaternaire marin du Maroc atlantique : méthode d'études, variations dans le temps et dans l'espace, Cahiers du quaternaire, Hors-série : paléoclimats.*

BRETON, J.M. - *Droit de la fonction publique des états d'Afrique francophone*, Paris, 1990.

BRIVES, A. - *Les Richesses minérales du Maroc*, Archives du Service des Mines, 7 Avril 1919.

BROWN, K. - *The Curse of Westermarck, Ethnos* (Stockholm), Vol. 47, 1982.

BRUNOT, L. - *La Cordonnerie indigène à Rabat, Hesp.*, Vol. 33, 1946.

BRUNOT, L. - *Noms de vêtements masculins à Rabat*, in *Mélanges René Basset*, Paris, 1923, 2 Vol.

BRUNOT - DAVID, C. - *Les Broderies de Rabat*, Rabat, 1943.

BÜCHNER, H.J. - *L'Habitat post qsourien du Maroc présaharien, in Espace et Société dans les Oasis marocaines*, Rabat, 1993.

BÜCHNER, H.J. - *Types récents d'habitat oasien en remplacement du qsar : observations sur les modalités de constitution spontanée des nouveaux villages chez les Ahl Todgha*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.

BÜCHNER, H.J. - *Le Village post qsourien des Aït Atta du bas Todgha et l'impact du droit coutumier, in Le Nomade, l'oasis et la ville*, URBAMA, Fasc. n° 20, Tours, 1989.

BURCKHARDT, T. - MICHON, J.L. - *Notes sur l'enseignement des métiers d'art traditionnel au Maroc*, Rabat - Fès, 1973.

CADENE, J. - *Le Personnel administratif et la diversité des statuts juridiques, R.M.D.C.*, n° 2, 1983.

CAIA, J. - *Roches éruptives basiques et minéralisation en plomb, zinc et stromtium de la région de Tirrhist, Haut Atlas de Midelt, Notes. Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

CAILLE, E. - *Le Commerce anglais avec le Maroc, pendant la seconde moitié du 16ème S. : importations et exportations, R.A.*, T. 84, 1940.
CAILLE, R. - *Journal d'un voyage*, Paris, 1965.
CELERIER, J. - *L'Instruction publique au Maroc, B.E.S.M.*, Vol. 14, 1951.
CELERIER, J. - HARDY, G. - *Les Grandes lignes de la géographie du Maroc*, Paris, 1922.
CESAR MORAN, P. - GIMENEZ BERNAL, C. - *Excavaciones en Tamuda, 1946*, Tétouan, 1948.
CHADAÏ, L. - *Langages d'artisans à Marrakech*, Univ. de Paris 4, Doct. nouv. régim., 1986.
CHAMPION, P. - *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931.
CHARMES, G. - *Une ambassade au Maroc*, Paris, 1887.
CHARNOT, M. - *La Toxicologie au Maroc*, Rabat, 1943.
CHARVET, J.P. - *La Plaine des Triffa, R.G.M.*, n° 21, 1972.
CHAUMEIL, J. - *Le Mellah et Tahal au pays des Ammeln, Hesp.*, 1er - 2ème trim. 1953.
CHAUMIER, J. - *Les Techniques documentaires*, Paris, 1988.
CHAUVEA, A. - *L'Industrie du cuir au Maroc, Chimie et industrie*, 2ème trim. 1920.
CHAZAN, N. - *Rapport B.R.P.M.*, 1951, Rabat, 1951.
CHEIKH, A.W. - *Eléments d'histoire de la Mauritanie*, Nouakchott, 1988.
CHEKROUN, M. - *Culture et pédagogie au Maroc*, Casablanca, 1989.
CHERKAOUI, A. - *Indicateurs socio-économiques du Maroc*, Casablanca, [s.d].
Cinq ans d'exécution du plan de coordination et d'équipement de l'Union française : réalisation, 1947 - 1951 et programmes 1952, Paris, 1952.
CHOUBERT, G. - *Essai de corrélation des formations continentales et marines du pléistocène au Maroc, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, T. 25, 1965.
CHOUBERT, G. - ROCHE, J. - *Note sur les industries anciennes du Plateau de Salé, B.A.M.*, 1, 1956.
CHOUBERT, G., [et al...], *Essai de classification du quaternaire continental du Maroc, C.R.A.S.*, T. 243, 1956.
CLANDOT - HAWAD, H. - *Des états - nations contre un peuple : le cas des Touaregs, R.O.M.M.*, n° 44, 1987.
CLANDOT - HAWAD, H. - *Les Touareg ou la résistance d'une culture nomade, R.O.M.M.*, n° 51, 1989.
CLEMENT, J.F., *Révoltes et répressions au Maroc, Al Asas*, n° 13, Jan. 1979.
CLORIOND, L. - *Les Problèmes de l'eau au Tizimi et au Tafilalet, B.E.M.*, Vol. 6, n° 17, 1937.
CLOUZOT, H. - *Les Bijoux indigènes au Maroc, en Algérie et en Tunisie*, Paris, 1906.
COHEN, A. - *Le Talmud*, trad. J. Marty, Paris, 1950.
COLIN, G.S. - *La vie marocaine*, Paris, 1953.
COSLON, - *Notes sur les dinars trouvés en 1851 dans l'ancienne chapelle du monastère Del - Camp, Rev. Numismatique*, 18, 1853.
CRETINEAU-JOLY, J. - *Histoire religieuse, politique et littéraire de la compagnie de Jésus*, Paris, 1844.
CUVELIER, F. - *Histoire du livre : voie royale de l'esprit humain*, Monaco, 1982.
DAHL, S. - *Histoire du livre : de l'antiquité à nos jours*, Paris, 1960.
DAUGAS, J.P., [et al...], - *Le Néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone, C.R.A.S.*, T. 308, série 2, 1989.
DAUMAS, G. - *La vie arabe et la société musulmane*, Paris, 1983.
DEBENATH, A. - *Aspect de la préhistoire marocaine, Bull. Soc. Préh. Fr.*, T. 78, 1981.
DEBENATH, A. - *Les Atériens du Maghreb, Dossier d'archéologie*, 1991.
DEBENATH, A. - *Dar - Es - Soltan II : rapport d'activité mission préhistorique et paléontologique au Maroc*, 1981 - 82.
DEBENATH, A. - *Nouvelles familles à Dar-Es-Soltan : champ de tir d'El Menzeh, prés de Rabat, Maroc : Note préliminaire, Bull. Soc. Préhist. Fr.*, T. 69, 1972.

DEBENATH, A. - LACOMBE, J.P. - *Remarques sur la double sépulture néolithique du gisement d'El Harhoura II, Province de Témara, Maroc, Arqueologia*, 12, 1986.

DEBENATH, A. - RAYNAL, J. P. - TEXIER, J.P. - *Position stratigraphique des restes humains paléolithiques marocains sur la base des travaux récents, C.R.A.S.*, T. 294, 1982.

DECROUX, P. - *Quelques aspects de la nationalité marocaine, Hesp.*, Vol. 35, 1948.

DELAFOSSE, M. - *Haut - Sénégal - Niger*, Paris, 1912, 3 vol.

DELPY, A. - *Les divers types de poignards marocains, C.A.T.A.N.*, n° 6, 1960.

DENOUN, - *Notice sur les Aït Atta du Sahara*, 1913.

DENOUN, - *Renseignement complémentaire sur les Aït Atta*, 1924.

DEROUT, R. - *Le Maroc doit-il avoir son université ? - Le Maroc quotidien*, 16 Déc. 1948.

DESPUJOLS, P. - *Recherches minières au Maroc : des origines à 1930, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 37, 1930.

DETHIERS, J. - *Soixante ans d'urbanisme au Maroc, B.E.S.M.*, n° 118, 1970.

DEVERDUN, G. - *Les Chrétiens à Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1966.

DEVISSE, J. - *Commerce et routes du trafic en Afrique occidentale, in Histoire Générale de l'Afrique*, III, Paris, 1990.

DEVISSE, J. - ROBERT, S. - *Tegdaoust, I : Recherches sur Aoudaghost*, Paris, 1970.

Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain, Rabat, 1993 - 1994, 3 Vol.

DIDIER, CH. - *Promenade au Maroc*, Paris, 1844.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Guide du Reboisement au Maroc*, Rabat, 1978.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Le Plan National de Reboisement (P.N.R)*, Rabat, 1971.

DIRECTION DES EAUX ET FORETS ET DE LA CONSERVATION DES SOLS. - *Projet d'étude et d'identification des aires protégées et de l'élaboration des plans de gestion des parcs nationaux du Maroc*, Rabat, 1993 - 1994.

DONNET, G. - *En Sahara à travers le pays des Maures nomades*, Paris, 1989.

DONNET, G. - *Une mission au Sahara occidentale : du Sahara au Tiris*, Paris, 1896.

DOROSO, R. - *Estudio geografico - politico militar*, Madrid, 1913.

DOULS, C. - *Voyages dans le Sahara occidental et le Sud marocain, Soc. Normande de Géographie*, Jan. - Fév. 1888.

DOZY, R. - *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845.

DRESCH, J. - *Le Haut Atlas occidental*, Paris, 1951.

DRESNAY, R. du. - *Carte géologique du Haut Atals Oriental au 1 / 200.000, Notes Mem. Serv. Geol. Maroc*, n° 158, 1964.

DUBIEF, J. - *Une mission au Sahara occidental, Oct. - Déc. 1942, Travaux de l'I.R.S.*, 1943.

DUVEYRIER, H. - *Les Touareg du Nord*, Paris, 1864.

ECKHOLM, E. - BROWN, L.R. - *Spreanding deserts : The hand of man*, Washington, 1977.

EL HAJRAOUI, M. A. - *Etude paléopédologique et préhistorique dans la région de la Mamora : précisions stratigraphiques, B.A.M.*, XVII, 1987 - 1988.

EL HAJRAOUI, M. A. - *Nouvelles découvertes néolithiques et atériennes dans la région de Rabat, Grotte d'Elmnasra, Actes du Congrès Méditerranéen Historique de Lisbonne*, n° 2, 1993.

EL HAJRAOUI, M. A. - *La Région de la Mamora dans son contexte géologique et paléopédologique*, Th. 3ème cycle, Bordeaux I, 1986.

EL KHATIB, N. - *L'Archéologie marocaine de 1961 à 1964, B.A.M*, V, 1964.

EL KIRAT, A. - *Spirantization in the Beni Iznassen Dialect*, D.E.S, Rabat, 1987.

EL MEDLAOUI, M. - *Aspects des représentations phonologiques dans certaines langues chamito-sémitiques*, Th. Doct., Rabat, 1992.

EL MOUJAHID, E. - *Syntaxe du groupe nominal en berbère tachelhiyt*, Th. Doct., Rabat, 1993.

EL OUAZZANI, K. - *Coûts et rendements de l'enseignement supérieur au Maroc*, Casablanca, 1991.

EL YAAGOUBI, M. - *Le Droit administratif marocain*, Rabat, 1992.
ENNAJI, M. - *L'Emigration rurale intérieure : causes et incidences*, in *Actes du Colloque : Population et développement rurale*, Rabat, 1989.
Ensiklopedia Talmudit, Jérusalem, 1954.
ETIENNE, J. D', [et al...] - *L'Evolution sociale du Maroc*, Paris, [s.d].
EUSTACHE, D. - *Les Ateliers monétaires du Maroc, H.T.*, XI, 1970.
EUSTACHE, D. - *Le Corpus des dirhams Idrissites, B.S.H.M.*, n° 2, 1969.
EUZENNAT, M. - *Tamuda, The Princeton Encyclopedia of Classical Sites*, Princeton, 1976.
FAURE, R. - *Le Tafilalet : étude d'un secteur traditionnel d'irrigation*, Paris, 1968.
FERHAT, H. - *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles, les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.
FIDEL, C. - *Le Commerce du Maroc*, [s.l], [s.d].
FLORET, C. - *Rapport sur l'érosion éolienne dans les régions d'Agadir et d'Ouarzazate*, Rabat, 1975.
FORGET, J. - *Initiation à la documentation*, Paris, 1988.
FORTIN, J.C. - *La Nappe phréatique salée du Tafilalet : son contrôle pour le développement de la mise en valeur, H.T.E.*, n° 7, 1973.
FOUCAULT, A. - RAOUL, J.F. - *Dictionnaire de géologie*, Paris, 1988.
FOUET, R. - POMEROL, C. - *Minerais et terres rares*, Paris, 1954.
FRACESHI, H.A. - *Costumes et bijoux au Maroc, L'Oeil*, n° 294 - 295, Janv.-Fév. 1980.
FREYSSINET, J. - *Formes et mobilisation du travail dans les économies sous développées*, in *Colloque Travail et Société*, Fès, 1984.
FUGLESTAD, F. - *Les Révoltes des Touareg du Niger, 1916 - 1917, Cahiers d'études africaines*, Vol. 13, n° 49, 1973.
GABUS, J. - *Notes sur le Sahara occidental, J.S.A.*, XXII, 1952.
GART, P.S. - *The American oyster, Fish. Bull., Vol. 64, 1964.*
GAUDEFROY - DEMOMBYNES, R. - *L'Oeuvre française en matière d'enseignement au Maroc*, Paris, 1928.
GAUTIER, E.F. - *Le Chott Tigri, Annales de Géographie*, n° 135 et 136, 1916.
GAY, L. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1957.
GEERTY, C. - *Suq : the Bazar economy in Sefrou, in Meaning and order in Moroccan Soceity*, Cambridge, 1979.
Géologie des gites minéraux marocaine : substances métalliques et non métalliques, Rabat.
GHALLAHI, O.M.F. - *Essai expérimental d'élevage de l'huitre plate (O. edulis) dans la côte atlantique marocaine : langune de Moulay Bousselham et l'estuaire de Tahadart*, Mem. I.A.V., 1989.
GHIRELLI, A. - *Apuntes sobre la Cabila de Beni Itefi*, Madrid, 1956.
GHIRELLI, A. - *Monographia de la Kabila de Bokoia, Arch. Inst. Et. Afr.*, VIII, n° 32, 1955.
GIGOUT, M. - RAYNAL R. - *Recherche à la corrélation des phénomènes marins et continentaux dans le quaternaire marocain, C.R.A.S.*, T. 248, 15, 1959.
GLOTIN, R. - *A la recherche de l'école de demain*, Paris, 1970.
GOICHON, A.M. - *La Broderie du fil d'or à Fès, Hesp.*, Vol. 25, 1939.
GOLDZIHER, I. - *Le Livre de Mohamed Ibn Toumarte*, Alger, 1903.
GORICHON, - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1953.
GOURAULT, - *Mauritanie Adrar*, Paris, 1945.
GOYAU, G. - *Le Christianisme sur la côte Barbaresque jusqu'au 19ème S.*, Paris, 1930.
GOZALBEZ, E. - *Atlas arqueologico del Rif, C.B.E.T.*, 21 - 22, 1980.
GREILSAMMER, - *La Modernisation du Paysanat*, C.H.E.A.M.
GUARNER, V. et J. - *El Sahara y Sur maroqui españoles, Coll. Bibliogr. Militar*, XL, 1931.
GUERSSEL, M. - *Issues in Berber phonology*, M.A. Univ. of Washington, 1976.
GUIBERT, J. - *L'Histoire d'une ville : Tiznit*. Mem. E.H.E.S.S., Paris, 1970.
GUILLAUME, A. - *L'Oeuvre des S.I.P. au Maroc depuis la guerre, B.E.S.M.*, XIV, n° 50, 1951.

GUILLERMO GUASTAVINO, G. - *Tanger inglés*, Tanger, 1939.

GUYOT, R. - *Les Arts du cuir au Maroc*, Rabat, 1957.

HABBOUN, A. - *Etude de l'industrie lithique du Chaperon Rouge II*, Mem., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

HALLAF, J. - *A qui profite l'école*, Paris, 1974.

HAMMOUDI, A. - *Pouvoir et société : Tamegrout aux XVII et XVIII siècles, A.E.S.C.*, Mai-Août 1980.

HARBY, M.K. - *L'enseignement technique dans les pays arabes*, Paris, 1965 (UNESCO).

HARDY, G. - *Le Maréchal Lyautey et l'enseignement, A.F.*, Août 1934.

HARRIES, M.J. - *Syntactic structure of Tamazight*, Ph. D. Univ. of California, 1971.

HART, D. - *A Customry law Document from Aït Atta, R.O.M.M.*, n° 1, Sept. 1966.

HART, D. - *Assu - u - Baslam*, in *Les Africains*, T. 5.

HART, D. - *La Estructura social de las Rgaybat : nomadas arabofonos del Sahara ocidental y las antecedentes del Frente Polisario, Primer Congreso Hispano Africana de la Cultura Mediterraneas, España y El Norte de Africa.*

HATIM, A. - *La Nation d'interêt du service dans le droit de fonction publique marocain*, D.E.S., Rabat, 1988.

HENSCH, B. - *Le contrôle de l'érosion hydraulique au Maroc*, Rome, 1971.

HENSCH, B. - *L'Erosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle, El Awamia*, n° 32.

HERBER, K. - *Les Peintures corporelles au Maroc, Hesp.*, Vol. 9, 1929.

HERBER, K. - *Les Tatouages de la face chez la marocaine, Hesp.*, Vol. 33, 1946.

HERBER, K. - *Les Tatouages des bras de la marocaine, Hesp.*, Vol. 38, 1951.

HESIODE, - *Théogonie*, trad. P. Mason, Paris, 1928.

HUNWICK, J. - *Notes on a late fifteenth century document concerning Al Takrur*, in Allemand Jonhson, Ed, *African perspectives*, Cambridge, 1970.

IAZZI, E.M. - *Morphologie du verbe en Tamazight*, D.E.S., Rabat, 1991.

IBANEZ, E. - *Diccionario español - rifeño*, Madrid, 1944.

IBANEZ, E. - *Diccionario español - Senhayi : dialecto berber de Senhay de Serair*, Madrid, 1959.

IBARROLA, J. - PASQUERELLI, N. - *Nouveau dictionnaire économique et social*, Paris, 1981.

IBN AZZUZ HAKIM, M. - *La Prensa del Norte de Marruecos*, Tetuan, 1956.

IBN AZZUZ HAKIM, M. - *Titulos vobiliano, Hispano - Maruquies*, Tetuan, 1954.

INSTITUT DU MONDE ARABE. - *Répertoire des bibliothèques et des organismes de documentation sur le Monde Arabe*, Paris, 1988.

ISNARD, H. - *La Répartition saisonnière des pluies au Maroc, Annales de Géographie.*

JACQUES MEUNIE, D. - MEUNIE, J. - *Abbar et le Tafilalet d'après les textes, Hesp.*, 1 - 2 trim., 1959.

JEAN, C. - *Les Touareg du Sud-Est : l'Aïr*, Paris, 1909.

JOUANNET, C.P. - *Note sur les conditions actuelles de la vie au Tafilalet, B.E.M.*, n° 23, 1939.

KAMAL, A. - *Productivité et rentabilité de l'enseignement au Maroc*, D.E.S, Rabat, 1983.

LAADIOUI, A. - *Etude de la céramique cardiale d'Achakar et de Kaf Taht - El - Ghar dans le cadre de la néolitisation du Maroc*, Mém., INSAP, Rabat, 1991.

LA BOISSIERE, G. de. - *Monographie des Ahl Tiznit*, Mém., *Archives Diplomatiques*, Nantes, 1940.

LA CHAPPELLE, F. De. - *Histoire du Sahara occidental*, in *VIIème Congrès de l'I.H.E.M sur l'histoire du Sahara occidental*, Rabat, 1930.

LA CHAPPELLE, F. De. - *Une cité de l'Oues Dra, Hesp.*, IX, 1929.

LACOMBE, J.P. - EL HAJRAOUI, M.A. - DAUGAS, J.P. - *Etude anthropologique préliminaire des sépultures néolothiques de la grotte d'Elmnasra, Témara Maroc, Bull. Trim. Soc. d'Anth. du S.W.*, T. 26, 3ème tri., 1991.

LA COURBE, - *Premier voyage du Sieur La Courbe*, Ed. par P. Cultra, Paris, 1913.

LAMRANI, N. - *Prolétarisation de la paysannerie marocaine : évolution et forme*, Th. 3ème cycle, Grenoble, 1980.

LAOUINA, A. - *Implications spatiales et environnement des transformations socio-économiques et technologiques sur les campagnes marocaines*, in *Le Maroc : espace et société*, Rabat, 1990.

LAOUST, E. - *Le dialecte berbère du Rif, Hesp.*, 2ème trim., 1927.

LARRIBAUD, J. - *Tindouf et le Sahara occidental, Archives de l'Institut Pasteur d'Algérie*, XXX, n° 3, Sept. 1952.

LAYACHI, A. - *La Formation professionnelle*, Mémoire, cycle Sup. ENAP, Rabat, 1971 - 77.

LAZAREV, G. - *Structures agraires et grandes propriétés au pays Hayaïna, R.G.M.*, n° 9, 1966.

LEBLANC, M. - *Etude géologique et métallonégique du Jbel Bou-Arhous, et de son prolongmenet oriental, Haut Atlas oriental, Notes Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, 1968.

LEBLANC, M. - *Ophiolites précambriennes et gites arséniés de Cobalt, Bou Azzer, Maroc, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 280, 1981.

LE BRETON, J. - *La Modernisation rurale du Maroc, 1945 - 1946*, mémoire de l'I.I.A.P.

LEBRUN, A. - *La Question du Rio de Oro, A.F.*, 1929.

LECOINTRE, G. - *Recherches géologiques dans la Meseta marocaine, Mem. Soc. Sc. Nat.*, n° 14, 1926.

LE TEMPLIER, - *L'Enseignement supérieur au Maroc, B.I.M.*, Sept. 1954.

LENOIR, M. - *Les Etablissements militaires romains d'Afrique*, Rome, 1980.

LENOIR, M. - *Lixus à l'époque romaine*, in *Lixus, Actes du colloque organisé par l'I.N.S.A.P.*, Larache, 8 - 11 Nov. 1989, Rome, 1992.

Lettre pastorale aux fidèles et prêtres repandus dans le royaume du Maroc, Paris, 1936.

LEVI-PROVENÇAL, E. - *Al-Maghrib, vie intellectuelle, E.I 2*, Vol. 5.

LEVRAT, J. - *Une expérience de dialogue : les centres d'étude chrétiens en monde musulman*, Altenberge, 1987.

LHOTE, H. - *Les Touareg du Haggar*, Paris, 195.

LIMANE, H. - *Contribution à l'étude des sigillées d'importation en Maurétanie Tingitane des Ier et IIème siècles : étude du matériel de Lixus, Banasa, Tamuda*, Th. Univ. Aix-Marseille, 1988.

LIMANE H. - REBUFFAT, R. - *Voie romaine et système de surveillance militaire sur la carte d'Arbaoua, in 118ème Congrès national des sociétés historiques et scientifiques.*

LOPES, D. - *Bentafut, alcaidemouro eo servico de Portugal*, in *Textos em aljamia portuguesa, estudio filologico e historico*, Lisboa, 1940.

LUCCIONI, J. - *Les Fondations pieuses au Maroc, Habous*, Rabat.

LUQUET, A. - *Prospections puniques de la côte atlantique du Maroc, Hesp.*, XLIII, 1956.

MACHRAFI, M. - *A propos de la réorganisation de l'enseignement supérieur au Maroc*, [s.l.], 1966.

MAIGRET, J. - *Données nouvelles sur l'écologie du Sousa teuszii (Cetacea Delphinidae) de la côte ouest africaine, B.I.F.A.N.* (A), 1980.

MAIMONIDE, M. - *Epîtres*, trad. J. de Hulster, Paris, 1983.

MALVAL, - *Le Secteur sud-ouest du front marocain, A.F.R.C.*, Août 1924.

MARCY, G. - *Notes linguistiques autour du périple d'Hannon, Hesp.*, XX, 1935.

MARCY, G. - *Le périple d'Hannon dans le Maroc antique de M.J. Carcopino, J.A.*, 1943 - 45.

MARGAT, J. - *L'Alimentation en eau potable des populations de la plaine du Tafilalet, Notes Mar.*, n° 13, 1960.

MARGAT, J. - *Données sur l'habitat au Tafilalet : contribution à l'étude démographique des palmeraies du Sud marocain, Notes marocaines*, n° 11 - 12, 1959.

MARTIN, H. - *Les Tribus du Sahel et du Rio de Oro, B.I.F.A.N.*, 1, 1939.

MASSIGNON, L. - *Sahara Espagnol, Rio de Oro, R.M.M.*, 1925, 1er fasc.

MAUNIER, R. - *La Construction collective de la maison en Kabylie : étude sur la coopération économique chez les berbères du Djurdjura*, Paris, 1928.

MAURA, G. - *La Question marocaine au point de vue espagnole*, Paris, 1921.

MAXWELL, G. - *El Glaoui : dernier Seigneur de l'Atlas*, Paris, 1966.

MAYEUX, M.R. - *Cours internationaux d'été de Toumliline, 1956, 1957, 1958, 1959, Arch. Soc. Rel.*, n° 9, 1960.

MECHERFI, A. - *Les Devoirs du fonctionnaire, R.M.D.E.D.*, n° 14, 1987.

MEDCOF, J.C. : *Oyster farming in the maritimes, Fish. Res. Canada Bull.*, 131, 1961.

MEDIONI, R. - *Le Chott Tigri, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc*, T. 30, n° 225, 1970.

MEDIONI, R. - *Contribution à l'étude géologique des Hauts-Plateaux méridionaux marocains, Notes Mém. Serv. Géol. Maroc*, T. 19, n° 149, 1960.

MENCHIF KADDOUA, - *Etude comparative de développement des centres ruraux de service dans le pays Zamour*, INAO, 1984.

MERROUNI, M. - *Le Problème de la réforme dans le système éducatif marocain*, Rabat, 1993.

MESSIER, R. - *The Almovarids, West african gold and the gold currency of the Mediterranean bassin, J.E.S.H.O.*, 17.

MESSIER, R. - *Quantitative analysis of Almoravid dinars, J.E.S.H.O.*, 23.

MICHAUX-BELLAIRE, E. - *Description de la ville de Fès, A.M.*, Vol. 11, 1907.

MIEGE, J.L. - *Journaux et journalistes à Tanger au XIXème siècle, Hesp.*, 1er sem. 1954.

MILLOT, L. - *Démembrement des Habous*, Paris, 1948.

MILLIES-LACROIS, A. - *Quelques problèmes morphologiques concernant les versants instables au Maroc, S.E.G.M*, n° 13, 1967.

MINEYEV, D.A. - *Geochimical differentiation of the rare earths, Geochemistry*, 12, 1963.

MINISTERE DE L'AGRICULTURE ET DU DEVELOPPEMENT AGRICOLE. - *Lutte contre la désertification au Maroc : réalisation et perspectives*, Rabat, 1984.

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE. - *Le Mouvement éducatif au Maroc, 1975 - 1984*, Rabat, 1977, 1981 - 1984, 3 Vol.

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1986 - 1988*, Rabat [s.d].

MINISTERE DE L'EDUCATION NATIONALE., - *Le Mouvement éducatif, 1988 - 1990*, Rabat, [s.d].

MINISTERE DE L'HABITAT ET DE L'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE. - *Etude urbaine de Tiflet*, Rabat, 1983.

MINISTERE DE LA SANTE. - *Enquête nationale sur la population et la santé au Maroc*, Rabat, 1987 - 1992.

MINISTERE DE LA SANTE. - *Visite à domicile de motivation systémique*, Rabat, 1988.

MINISTERE DES AFFAIRES ADMINISTRATIVES. - *La Fonction publique*, Rabat, 1981.

MINOT, J. - *L'Entreprise éducation nationale*, Paris, 1970.

MOHIB, A. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : l'outillage du niveau M de Sidi Abderrahman, Famille Neuville et Ruhlman*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

MONTEIL, V. - *Notes sur le Sahara Espagnol*, Tiznit, 1944.

MORAES FARIAS, P.F. de - *The Almoravides, BIFAN*, 23, 13, n° 3 - 4, 1967.

MORDOCHE ABI SEROUR. - *De Mogador au Djebel Tabayoudt : Le Rabbin Mordoché Abi Serrour, résumé du journal de voyage par Henri Duveyrier, B.S.G.*, Déc. 1875.

MOSDIK, K. - *Guide de l'enseignement supérieur*, Casablanca, 1993.

MOUETTE, G. - *Histoire des conquestes de Moulay Archid connu sous le nom de Rey de Tafilet et de Moulay Ismael ou Semein son frère*, Paris, 1682.

MOUGIN, - *Les Premiers sultans saadides et le Sahara, R.O.M.M.*, 1975.

MOUNIN, G. - *Les Problèmes théoriques de la traduction*, Paris, 1976.

NAIMI, M. - *American expansionist aims in South Western Morocco during the Ninteenth Century : The Atlantic Connection, 200 years of Moroccan - American relations, 1786 - 1986*, Rabat, 1990.

NAIMI, M. - *L'Apport de l'idéologie murabitia et du contrôle de l'espace dans l'émergence de la généalogie Takna*, (étude inédite).

NAIMI, M. - *Cinétique des leffs : fléxibilité et mobilité sociale*, étude inédite.

NAIMI, M. - *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : industrie lithique du niveau D2 de Cap Chatelier, Famille P. Biberson*, Mém., I.N.S.A.P., Rabat, 1991.

NAIMI, M. - *The evolution o the Tekna confederation caught between coastal commerce and trans Saharian trade, in Tribe and state : essays* in *honour of David Montgomeny Hart*, Ed. by E.G.H. Joffe and C.R. Pennell, Cambridges - line, 1991.

NAIMI, M. - *Nomades et sédentaires dans l'évolution historique de l'ensemble confédéral Tekna, B.E.S.M.*, n° 157, 1986.

NAIMI, M. - *Nul Lamta : tableaux édifiants*, étude inédite.

NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : centre ou périphérie*, Colloque international sur *le Devenir de la Société rurale au Maroc*, Rabat, 1986.

NAIMI, M. - *Le Pays Tekna : commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in Actes du colloque : *Le Maroc et l'Atlantique*, Rabat, 1992.

NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Etat et société : quelles perspectives ? Al-Bayane, 12 Juin 1992.*

NAIMI, M. - JAZOULI, A. - *Régionalisation : Les impératifs du découpage, L'Economiste*, 8 Oct. 1992.

NASRI, Z. - *Le Droit de l'assurance au Maroc*, Rabat, 1984.

NEUVILLE, R. - RUHLMAN, A. - *La Place du paléolithique ancien dans le quaternaire marocain*, Rabat, 1941 (Coll. Hespéris, n° 8).

NICOLAS, F. - *Contribution à l'étude Twareg de l'Aïr, Paris, 1950* (Mémoires de l'IFAN, X).

NICOLAS, F. - *Tamesna : Les Ioullemmeden de l'Est ou Touareg Kel Dinnick*, Paris, 1950.

NIOLAISEN, J. - *Ecology and culture of the pastoral Tuareg, National Museum* (Copenhagen), 1963.

NOIN, D. - *La Neige au Maroc, Notes marocaines*, n° 5, 1961.

NORRIS, H.T. - *Saharian myth and Saga : the Touaregs*, Warminister, 1975.

NORRIS, H.T. - *The Tuaregs, Middle East Studies*, 1975.

NORRIS, H.T. - *Yeminis scholars of Timbutoo, J.A.H.*, III, 1962.

NOUSCHI, A. - *La Ville dans le Maghreb pré-colonial, in Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.

OFFICE AGRICOLE DU TAFILALET. - *Etude de la salinité des sols*, Juin 1980.

OULD CHEIKH, A. - SAISON, B. - *Vie (s) et mort (s) de Al Imam Al-Hadrami : autour de la postérité saharienne du mouvement almovaride, 11ème - 17ème S, Atabica*, 34, 1987.

PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Hijos de San Francisco en Marruecos, La Cruz*, 1982, t. 2.

PABLO CASTELLANOS, M. - *Las Misiones en Marruecos, Revista Fransiscana*, T. 3.

PAILLET, P. - *Faut-il planifier l'éducation ?* Paris, 1974.

PALLARY, P. - *Recherches paléolithiques, ethnologiques sur le littoral du Maroc, Anthropologie*, T. XI, 1908.

PALMER, H.R. - *Notes on Some Asben Records : Agades Chronocles, J.A.S.*, 9, 36, July, 1910.

PAQUES, V. - *L'Arbre cosmique dans la pensée populaire et dans la vie quotidienne du N.O africain*, Paris, 1964.

PASCON, P. - *La Main d'œuvre et l'emploi dans le secteur traditionnel, B.E.S.M.*, 1978.

PAYE, L. - *Enseignement et société musulmane : introduction et évolution de l'enseignement moderne au Maroc*, Rabat, 1992.

PEREDA, C. - *Estudios goegraficos de Gomara*, Ceuta, 1940.

PERGNIER, M. - *Les Fondements sociolinguistiques de la traduction*, Th. : Rennes II, 1976.

PEYRONNET, C. - *Sud Ouest Marocain, Rio de Oro, Sahara occidental, B.S.G.A*, 1928.

PIGNOL, [et al...] - *Costumes et parures dans le Monde Arabe*, [s.l], 1987.

PLATEAU, H. - *Au secours du sol marocain*, Rabat, 1952.

PLATON, P. - *Le Palmier nain, B.E.P.M*, n° 221, 1953.

POMPONIUS MELA. - *De Situs Orbis*, Leypzig, 1880.

PONS, Mgr. A. - *La Nouvelle église d'Afrique ou le catholicisme en Algérie, en Tunisie et au Maroc depuis 1830*, Tunis, 1930.

PONSICH, M. - TARRADELL, M. - *Garum et industries de salaison en Méditerranée occidentale*, Paris, 1965.

PONSICH, M. - *Note préliminaire sur l'industrie préromaine en Tingitane*, 15, 1960.

PONSICH, M. - *Nouvel aspect de l'industrie préromaine en Tingitane, B.C.T.H., N.S.*, 4, 1968.

PTOLOMEO, - *Geographike Uphegenesis*, Paris, 1901.

QNINBA, Z. - *La Mosaïque d'Orphée de Volubilis*, Th. 3ème cycle, Univ. Laval, 1988.

RACHIK, H. - *Le Sultan des autres : rituels et politique dans le Haut Atlas*, Casablanca, 1992.

RACLOT, G. - *La Vallée du Todra, R.G.M.*, n° 20, 1936.

RAMADE, F. - *Eléments d'écologie appliquée*, Paris, 1976.

REBUFFAT, - *L'Implantation militaire en Maurétanie Tingitane, VIème colloque international sur l'archéologie et l'histoire de l'Afrique du Nord* (A paraître).

REDOUANE, B. - *La Fonction marocaine face au changement, in Les services publics marocains face au changement*, Toulouse, 1987.

REDOUANE, B. - *Le Fonctionnaire marocain*, Casablanca, 1983.

REINACH, S. - *Medicus*, in Daremberg Saglio, *Dictionnaire des antiquité grecques et romaines.*

RENAUD, H.P.J. - *L'Enseignement des sciences exactes au Maroc, Hesp.*, XIV, 1932.

RENAUD, H.P.J. - COLIN, G.S. - *Tuhfat al-Ahbab*, Paris, 1934.

Les Ressources naturelles et la mise en valeur de la plaine du Haouz, R.G.M., n° 17, 1970.

RICARD, P. - *Les Arts marocains : Les broderies*, Alger, 1918.

RICARD, P. - *Reliures marocaines du 13ème S. : notes sur des spécimens d'époque et de tradition almohade, Hesp.*, XVII, Fasc. 2, 1933.

RICARD, P. - *La Renaissance de la reliure d'art à Fès*, Paris, 1925.

RICARD, P. - *Le Souq El Merktan et les broderies de Fès, F.M.*, Vol. 1, 1917.

RICARD, P. - *Sur un type de reliure des temps almohades, Ars Islamica*, I, pat 1.

RICARD, P. - *Contribution à l'étude du commerce génois au Maroc durant la prériode portugaise, 1415 - 1550, A.I.E.O*, T. 3, 1937.

RICHARDSON, J. - *Travels in the Great Desert of Sahara*, London, 1985, 2 Vol.

RICHER, A. - *Les Ouilliminden*, Paris, 1924.

RIVAS, A. - *La Presa del Lau*, Tetuan, 1943.

ROCHE, J. - *Etude sur l'industrie de la Grotte de Dar-es-Soltan, B.A.M.*, T. 1, 1956.

ROCHE, J. - *La Grotte des contrebandiers, Témara, B.A.M.*, T. 12, 1978 - 1980.

ROCHE, H. - *Premiers outils taillés d'Afrique*, Th. 3ème cycle, Paris, 1981.

ROSENBERGER, B. - *Yahya U Tafufi, 1506 - 1518 : des ambitions déçues, H.T.*, 31, 1993.

ROUILLARD, P. - *Le Commerce grec du Vème et IVème siècles avant J.C. dans les régimes de Lixus et Gadès, in Lixus : Actes du colloque organisé pour l'I.N.S.A.P., Larache, 8 - 11 Nov. 1989*, Rome, 1992.

ROUSSEAU, G. - *Le Costume au Maroc*, Paris, 1938.

ROUX, G. - *La Neige au Maroc, Mem. Soc. Sc. Nat. Maroc*, n° 11, 1935.

ROUX, G. - *La Variation annuelle des précipitation au Maroc, Bull. Soc. Sc. Nat. Maroc*, T. 27, 1947.

RUELLAN, A. - *Contribution à la connaissance des sols des régions méditérranéennes*, Mém. ORSTOM, n° 54, Paris, 1971.

RUHLMAN, A. - *A propos de la subdivision de l'Atérien marocain, B.S.P.M.*, n° 2, 1948.

RUHLMAN, A. - *Le Paléolithique marocain : esquisse d'une étude d'ensemble, B.S.P.M.*, n° 2, 1948.

RUNGS, C. - *Catalogue raisonné des Lepidopteres du Maroc*, Rabat, 1981, 2 Vol.

RUSSO, P. - *Recherches géologiques sur le territoire des Hauts-Plateaux, Maroc oriental, Annales Univ. Lyon*, nouv. série, fasc. 46, 1926.

SAAIDI, M. - *Histoire de la recherche minière au Maroc : des origines à nos jours*, Rabat, 1967.

SAAIDI, M. - *Possibilités minières et hydrogéologiques de la région d'Akka et le rôle historique de Tamdoult, Mines et géologie*, n° 28, 1969.

Le Sahara espagnol, La Documentation française : notes et études documentaires, n° 2570, Sept. 1959.

SAAIDI, - *Palmier dattier : maladies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Rabat, 1976

SAIB, J. - *A phonogical study of Tamazight Berber*, Ph. D. Univ. of California, 1976.

SALIH, A. - *Le Moustérien et l'Atérien au Maroc*, Th. Univ., Aix-en-Provence, 1990.

SALIH, A. - *Recherche sur l'épipaléolithique dans le Moyen Atlas*, D.E.A., Aix-en-Provence, 1986.

SALMI, J. - *Crise de l'enseignement et reproduction sociale au Maroc*, Casablanca, 1985.

SALMON, G. - *Contribution à l'étude du droit coutumier du Nord marocain : de l'association agricole et de ses différentes formes, A.B.*, III, 1905.

SALVY, G. - *Tawdanni, Le Monde*, 31 Janv. 1976.

SAMSON, P. - *Un gisement plombozincifère en milieu récifal, Touissit, Maroc oriental, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 242, 1973.

SARRE, F. - *Islamic book-binding*, London, 1923.

SARRIONDIA, P. - *Gramatica de la lengua rifeña*, Tanger, 1905.

SASSON, A. - *Développemenet et environnement*, Paris - La Haye, 1974.

SCHMITT, P. - *Le Maroc d'après la Géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973.

SCHROETER, D. - *Merchants of Essaouira*, Cambridge, 1988.

SCHUTZ, H. - *Le Rôle et l'organisation du Centre National de Documentation dans un pays en voie de développement*, Paris, 1975.

SEDJARI, A. - *Les Structures administratives territoriales et le développement au Maroc*, Rabat, 1981.

SEFRIOUI, A. - *Le Costume marocain, G.E.M.*, Vol. 2, 1987.

SEKKAT, A. - *La Politique de l'enseignement au Maroc, 1956 - 1977*, Grenoble, 1977.

SIRE, M. - *Le Document et l'information*, Paris, 1975.

SLOUSCH, N. - *Notes sur l'histoire des juifs au Maroc, A.M.*, VI, 1905.

SLOUSCHZ, N. - *Etude sur l'histoire des juifs et du judaïsme au Maroc, A.M.*, Vol. IV, 1905.

STAMBOULI, F. - *Système urbain et développement*, in *Système urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980.

SYLVESTRE, P. - *Rapport B.R.P.M.*, 1976, Rabat, 1976.

Le Tafilalet d'après M. Walter B. Harris, A.F.R.C, n° 1, 1909.

TAG, B. - *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Orienta*l, Th. Doct., Toulouse, 1987.

TAIFI, M. - *Dictionnaire tamazight français*, Paris, 1993.

TANGI, O. - *Aspects de la phonologie d'un parler berbère au Maroc : Ayth Sidhar, Rif*, Th. Doct. Univ., Paris VIII, 1991.

TARRADELL, M. - *El Benian : Castellum Romano entre Tetuan y Tanger, Tamuda*, I, 1953.

TARRADELL, M. - *Breves noticias sobre las excavaciones, Tamuda*, VI, 1958.

TARRADELL, M. - *Datos sobre la guerra de las romanos contro Aedem*, in *El Primero congreso arqueologico del Marruecos español, Tamuda*, II, 1955.

TARRADELL, M. - *Estado actual de nuestros conociomientos sobre Tamuda y resultades de la campaña 1948, Archivo Español de Arqueologia*, 74, 1949.

Les Tendances des réformes de l'enseignement dans les pays du Maghreb in *Actes du Colloque Euro-arabe sur la structuration des enseignements primaires et secondaires au Maghreb*, Rabat, 1992.

TERMIER, H. - OWODENKO, B. - AGARD, J. - *Les Gîtes d'étain et de tungstènes de la région d'Oulmès, Maroc central : étude géologique, pétrographique et métallogiques, Notes et Mém. Serv. Géol. Maroc*, n° 82, 1950.

TERRASSE, H. - HAINAULT, J. - *Les Arts décoratifs au Maroc*, Paris, 1925.

Les Territoires espagnols, La Documentation française : notes et études documentaires, n° 2951, Janv. 1963.

TEXIER, J.P. - *Les Pièces prédonculées de l'Atérien, Lybica : Anthropologie, Préhistoire, Ethnologie*, T. VI - VII, 1958 - 1959.

TEXIER, J.P. - *Le site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique, B.A.M.*, T. 16, 1985 - 86.

Textes administratifs, Fonction publique et réforme administrative, Casablanca, 1987.

THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Mautétanies, R.E.A.* 64, 1992.

THOUVENOT, R. - *Le Géographe Ptolémée et la route du Sous, Hesp.*, 33, 1946.

THOUVENOT, R. - *Promenade archéologique au Musée de Tétouan, R.E.A.* LII. 1950.

THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *La Mosaïque du Navigum à Volubilis, Rev. archéologique*, I, 1977.

THOUVENOT, R. - LUQUET, A. - *Les Thermes de Banasa*, Rabat, 1951, (P.S.A.M, IX).

TIBI, C. - *Politique éducative et financement de l'éducation au Maroc*, Paris, 1976.

TOLEDANO YA'AQOB MOSE, - *Ner Hamma 'arab*, Jérusalem, 1911.

TOLEDANO, J. - *Le Temps du Mellah*, Jérusalem, 1982.

TOMICHE, N. - *La Littérature arabe traduite : mythes et réalités, de l'image que se fait l'Occident du monde arabe contemporain à travers les traductions de la littérature arabe en langue française en anglaise*, Paris, 1978.

TORTOCHAUX, T. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1954.

TOURI, A. - *Les Oratoires de quartiers de Fès : essai d'une typologie*, Th. Paris, 1980.

TOUTAIN, G. - *Sur une évolution économique de la vallée du Draa, Al-Awamia*, n° 53, 1974.

URVOY, Y. - *Chronique d'Agades, Journal Soc. Afr.*, IV, 1934.

VAJDA, G. - *Un recueil de textes historiques judéo-marocains, Hesp.*, 3ème - 4ème trim. 1948, 1er - 2ème trim. 1949.

VALEE, N. - *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972.

VAUFREY, R. - *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, 1955 (Publ. Inst. Hautes Et., Tunis, Vol. 4).

VERGERO, S. - *Rapport B.R.P.M.*, Rabat, 1942.

Villes et sociétés au Maghreb, Paris, 1974.

WILLIAMS, J. - MKADMI, A. - *Possibilités d'expansion dans l'ostreiculture dans la lagune de Oualidia*, Maroc,.

WILLCOS, H.C. - *Exploration of the Rio de Oro, Geogr. Review*, 1921.

ZAINABI, A.T. - *L'Homme et la montagne en milieu sub-aride : le pays de Taznakht, Anti - Atlas*, Th. 3ème cycle, Poitiers, 1989.

ZELTNER, F. de. - *Les Touareg du Sud, Journal of the Royal Anthropological Institute*, XLIV, 1914.

ZERYOUHI, I. - *Le Moyen Atlas plissé : ressources en eau du Maroc*, Rabat, 1977.

ZHAR, M. - *Approche climatique de la région de la Haute Moulouya, Revue Fac. Lettres Sc. Hum. Oujda*, n° 1.

ZHIRI, K. - *Définition d'une politique nouvelle de l'enseignement*, Rabat, 1969.

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes Rendues des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*

E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerraniennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*
Trav. Inst. Sc. : *Travaux de l'Institut Scientifique.*

التُّفَّاح بالمغرب، لفظ التفاح يطلق على الفاكهة المعروفة عند الناس، أو الشجرة التي تنتجها والتي تسمى علميا بيروس مالوس (Pirus malus) وهي من فصيلة الورديات. وهي شجرة قصيرة القامة ذات تاج مستدير وأوراق معنقة وبيضوية الشكل، مسننة، قليلة الزغب على وجهها السفلي. الأزهار على شكل عذق أو خيمة بسيطة، أزهار ذات لون أبيض جذاب أو قرمزي. تحمل كل زهرة خمس بتلات.

كان التفاح يزرع منذ أكثر من 3000 سنة خارج المغرب، إذ عرف الرومان 22 صنفاً من التفاح. ولحد هذا العصر مازال التفاح يحتل الصدارة بين ثمار المناطق المعتدلة التي طور فيها التفاح حتى أصبح عدد طرزه يفوق 7000، وذلك يرجع إلى سهولة تهجينه.

يشمل التفاح ضربين رئيسيين :

- "الضرب الحراجي" شجرة مشوكة ذات أوراق عديمة الزغب على الوجهين، تنتج ثمارا حامضة الطعم. موطنه الأصلي هو أوربا الشرقية.

- "الضرب الزغبي" شجرة أسيوية الأصل غير مشوكة وذات أوراق مكسوة على وجهها السفلي بزغب كثيف قطني، وثمار حلوة المذاق. يعود مصدر جميع أصناف التفاح البستانية في العالم إلى هذا الضرب الأسيوي.

إذا كان التفاح غير موجود كفاكهة أصلية من بين النباتات الطبيعية بالمغرب، ولا يعرف متى أدخل إلى هذا البلد، فإن ضروبه اليوم جد متنوعة ومنتشرة في المناطق الجبلية وخاصة الأطلس المتوسط وملوية العليا وأولماس والأطلس الكبير حيث تتأقلم زراعته مع المناخ المعتدل ووفرة المياه اللازمة لسقيه.

ولقد عرفت زراعة التفاح في المغرب في هذه المناطق تطوراً كبيراً في العقود الأخيرة من حيث الانتشار وتنوع طرزه. فإذا كان التفاح المحلي أو "البلدي" من قبل لا يظهر في السوق المغربي إلا في الصيف فإن التفاح المغربي يباع اليوم في كل الفصول نظراً لكونه يتميز بخصائص غير عادية في قابليته للحفظ وخاصة في البيوت الباردة، بالإضافة إلى انتشار طرزه الصيفية والخريفية والشتوية ذات الألوان المختلفة.

يزرع التفاح في المناطق المعتدلة حتى خط عرض 65 درجة ولا تنجح زراعته في المناطق الحارة. ومن أهم مناطق زراعة التفاح بالعالم نجد أوربا وأمريكا الشمالية واستراليا، ونيوزيلندا وجنوب افريقيا.

من الممكن الإكثار من شجرة التفاح بواسطة البذور لكنها تتكاثر عادة بالتطعيم.

يعتبر التفاح من الفواكه الغنية بالأملاح والمغذية والمفضلة عند أغلبية الناس، تؤكل الفاكهة نيئة أو مطبوخة أو تجفف أو تستعمل لصناعة المربى، أو تحول إلى عدة أصناف من الشراب مثل السيد.

تعطي شجرة التفاح خشبا يتميز بمتانته وصموده وتعريقه المنتظم، يستعمل عادة في صناعة المقابض والمطارق والمساطر وأعمال الخراطة.

استطلاع ميداني : ألبرت هبل، *النبات الاقتصادي*، تر. زاهر عبد المجيد وآخرين، القاهرة ـ نيويورك، 1962.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

التفاحة السوداء، امرأة من صالحات سبتة، قد تكون من أصل سوداني، جلبت للسخرة في بيوت السادة، كما يدل كل ذلك اسمها، وهو من الأسماء التي تطلق عادة على الخدم من النساء السوداوات (تفاحة، عنبر...)، اشتهرت بالعابدة. وقبرها مزار معروف بمقبرة المنارة، من سبتة، وذلك إلى حدود القرن التاسع (15 م) (*اختصار الأخبار*، 20).

الانصاري، *اختصار الأخبار*، الرباط، 1403 / 1983.

زليخة بنرمضان

تفاحي، أو تفيفيحي وزقيقي كما هو في المعاجم جنس طير من الفصيلة الشرشورية (Fringillidae) ومن رتبة

الجوائم (العصافير) (Passeriformes) شبيه بالعصفور الدوري (جاوش)، حسن الصوت. يدعى علميا أكانتيس كنابينا (Acanthis cannabina) بالفرنسية Linotte melodieuse وبالأنجليزية Linnet وبالإيطالية Fanello وبالألمانية Bluthanfling. وتفاحي وحميري في المغرب لكثرة شبهه بلون التفاح الأحمر.

لا يتعدى طوله 13 سم ويزن 15 . 21 غرام. تبلغ بسطة جناحيه 24 سم وطول ذيله 5 . 6 سم. يعيش وسط الأدغال والحدائق والبساتين والمزارع والحقول. تمتد مدة الولادة من شهر أبريل إلى غاية شهر يوليوز. يغازل الذكر أنثاه فيمشي بجانبها مخفوض الجناحين وكأنه يجرها كما يبسط ريش ذيله ويفرقه. يبني عشه عادة بين أغصان الأشجار الكثيفة وأحيانا بين الأعشاب يتكون من قطع الأغصان الصغيرة ويفرشه بريش النباتات ومن قطع الصوف.

وغالبا ما يبني عشه في ظرف يومين، تضع فيه الأنثى من 4 إلى 6 ونادرا 7 بيضات زرقاء مصفرة مزركشة بنقط وردية وبنية وحمراء، يبلغ طولها 18.2 x 11.2 ملم. تدوم مدة الحضانة 10 . 14 يوما. تبقى الصغار في عشها 11 . 14 يوما في المناطق الحارة و14 . 17 يوما في المناطق الباردة (المناطق الجبلية). يقوم الأبوان بحراستها وتغذيتها لمدة ثلاثة أسابيع بعد التفقيس.

وغالبا ما يتوالد مرتين متتاليتين في كل سنة وأحياناً ثلاث مرات. يتكون قوته من الحبوب وخاصة منها حبوب النباتات الشوكية كما أنه يلتقط الحشرات والديدان والعناكب. يعيش في أغلب الحالات مزدوجا أو وسط مجموعات لا تتعدى عشرة أزواج وتوزيعه الجغرافي مقتصر على أوربا وآسيا الغربية وافريقيا الشمالية. تضاف كل سنة إلى المجموعات المغربية المستقرة عدة مجموعات أوربية عبر مضيق جبل طارق لتشتو في افريقيا الشمالية ابتداء من شهر شتنبر وتعود ثانية إلى أوربا في فبراير لتتوالد.

والتفاحي موجود في كل أنحاء المغرب وخاصة في فصل الربيع ويعرف بصوته الجميل الذي يزيد الطبيعة بهاء وحسناً.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc : Janvier 1986 - 87 - 88.* Documents de l'Institut Scientifique, 11, Rabat, 1988 ; W. Reade & E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids, reproduction, œufs et jeunes*, Paris, 1968 ; C. Harrision, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris, 1977, 430 p ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle east*, London, 1984.

تِفْلَق، - بكسر التاء - نوع من الطيور القواطع يألف البحيرات والأنهار، ينتمي إلى فصيلة التفلقيات Rallidae وإلى رتبة التفالق Ralliformes وهو اسمه في مصر وفي الشام وفي المغرب. يطلق عليه في المغرب أيضا اسم "دجاج الماء" إلا أن هذا الاسم يشمل عدة أنواع أخرى من نفس الفصيلة يصعب على العامة التمييز بينها. يطلق عليه أيضا في مصر "عصفور كلب الماء". يسمى علميا رالوس اكواتيكوس Rallus aquaticus وبالفرنسية Rale d'eau وبالأنجليزية Water rail.

يتميز عن باقي أنواع فصيلته بمنقار طويل، رقيق وأحمر اللون، ريشه رمادي جهة الصدر والعنق والرأس، جوانب البطن مخططة بالأبيض والأسود. الجناحان والذيل بنية سوداء والعينان حمراوان، يتراوح طوله ما بين 27 و30 سم وبسطة جناحيه بين 37 و42 سم. طول جناحه 12 سم وطول ذيله 6 سم. الإناث أقل حجما من الذكر وتشبههم في ألوان الريش. يتراوح وزنه ما بين 100 و130 غرام.

تفلق

يعد من الطيور المائية وهو شديد الحذر لا يظهر إلا نادرا ويعرف بصوته المتواصل. يفضل الجري عن الطيران أثناء الازعاج ويقضي النهار مختفيا بين الحشائش وقصب الماء. يعيش على ضفاف الأنهار والمناقع والبحيرات القارية والساحلية الكثيفة النباتات. لا يحسن الطيران وسريع المشي بين النباتات الكثيفة وفوق الأماكن الغنية بالوحل. يحسن السباحة والغوص ويكثر نشاطه أثناء طلوع النهار وغروبه. يتكون قوته من الحشرات والديدان والحلزونات البرية وصغار الضفادع والحبوب.

تمتد مدة التوالد من شهر مارس إلى شهر يوليوز. يبني الزوجان عشا ضخما بين القصب والحشائش المحاطة بالمستنقعات والبحيرات. كثيراً ما تلد الأنثى مرتين كل سنة وتضع في كل مرة من 6 إلى 11 ونادرا 16 بيضة، لونها أبيض مصفر منقط بالبني المحمر. طول قطريها 36 x 26 ملم. تتم الحضانة من طرف الزوجين أحيانا ومن طرف الأنثى في الغالب وتدوم 18 . 21 يوما ابتداءً من نهاية الولادة. تبقى الصغار في العش بضعة أيام بعد التفقيس ثم تغادره وترافق الأبوين. زغبها أسود والأرجل بيضاء محمرة. تتعلم الطيران بعد سبعة أسابيع تصير بعدها مستقلة.

يقضي أيام الربيع والصيف في أوربا الوسطى وآسيا الوسطى ويشتو في جنوب هذين القارتين. يهاجر ليلا ابتداءً من شهر شتنبر ويقضي فصل الشتاء في عدة بحيرات ومصبات الأنهار المغربية كبحيرة مولاي بوسلهام وسيدي بوغابة ومصب نهر ملوية. عدة أزواج من هذا النوع

تعيش مستقرة في كل من الضويات وبحيرة بوعرك قرب الناظور ومصب وادي ملوية وضاية أفرگاغ بالأطلس المتوسط وتتوالد هناك.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc :1980*. Documents de l'Institut Scientifique, 6, Rabat, 1988 ; W. Reade & E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids. Reproduction, œufs et jeunes*, Ed. Nathan, Paris, 1968, p. 191 - 192 ; C. Harrision, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleur*, Paris 1977, 430 p ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle east*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رمضاني

تْفَنْسَ، جماعة تنتمي إلى فرقة إزمورن من قبيلة بقيوة (بقوية)، تستقر تجمعاتها على الجانب الأيمن من مجرى واد بوسكور، محتلة الفراغ الواقع بين جبل الناظور (521 م) وجبل أغزار أوشّون (552 م)، من الهضاب الشرقية لجبال بقيوة.

كانت هذه الجماعة في أواخر القرن الماضي عش المقاومة البحرية أو ما يسميه الأوربيون القرصنة الريفية، حيث كان الأهالي يلتجئون إلى شاطئ موسى إيجدّين وبوسكور لترصد المراكب الأوربية المارة من تلك السواحل، كرد فعل طبيعي لما يتعرض له بعض أعيان تفنس المخالطين للاسبان من تقتيل ونهب لأموالهم، وخير وسيلة التجأ إليها البقيويون هو اعتراضهم لمختلف المراكب الأوربية وحجز طاقمها كرهائن للحصول على التعويضات التي يشترطونها كما تشهد على ذلك إحدى الوسائل المخزنية التي جاء فيها: "لا يخفى أن منشأ فساد هؤلاء هو ترويج باركيات (مراكب) الصبنيول التي تتصارف معهم ويتعاملون مع رؤسائها في الكنطربانض (التهريب) ويغيبون عن أهل الريف بالبعض من أعيانهم وبالدراهم التي يتصارفون بها معهم. فيترتب على ذلك ترصد أهل الريف لأخذ الثأر منهم" (رسالة أحمد بن موسى إلى النائب الطريس، 17 ربيع الأول 1315 / 6 غشت 1897).

تتكون أهم تجمعات هذه الجماعة من أيت أفراس إينغْلشّنْ وأيت بويكر وأيت ادشار وأيت شعيب وأيت يخلفَ. ومن أهم الشخصيات التي لعبت دوراً أساسيا في جماعة تفنس خلال بداية القرن الحالي دادي بن مسعود الذي يعتبر من أغنياء هذه الجماعة ووصفه أحد المغامرين الإسبان الذي قام برحلة استكشافية سنة 1905 م إلى قبيلة بقيوة أنه كان يمتلك منزلا فخما يشبه منازل المدينة ويلبس كأهل تطوان، كما كان يمتلك منزلاً آنذاك في مدينة تطوان وكان مسموع الكلمة داخل القبيلة البقيوية بالإضافة إلى صداقته الحميمة مع حكام جزيرة بادس، وشغل أيضا منصب القايد في أيام الثائر بوحمارة. ولا نعرف بالضبط متى توفي هذا الشخص.

وثائق الخزانة العامة بتطوان.

E. Arques, *Tres Sultanes a la Porfia de un Reino*, Tetuan, 1953 ; A. Ghirelli, *Monografia de la Kabila de Bokoia, Archivos del Instituto de Estudios Africanos*, Año VIII, n° 32, 1955.

عبد الرحمان الطيبي

التَّفْنُوتي، أبو القاسم بن عمرو السوسي المعروف بالشيخ . ولد في أواخر القرن التاسع (15 م)، بقرية إغرم بتادارْتْ بالأطلس الصغير، ولاشك أنه تعلم أولاً في مدارس جزولة ثم رحل إلى فاس لإتمام تحصيله بجامع القرويين، فأخذ عن ثلة من جهابذة علمائه أمثال محمد ابن غازي وأحمد الونشريسي. وقد أثار بنجابته انتباه أساتذته وأقرانه من أهل فاس الذين لم يجدوا غضاضة في الأخذ عنه (*الحركة الفكرية*، 2 : 542) وبالرغم من كون أبي القاسم الشيخ كان منشغلاً بالتحصيل بفاس فإن ذلك لم يمنعه من تعلم بعض الحرف والصنائع بها فبرع فيها براعته في علوم اللغة العربية والفقهيات والمواريث والحساب.

توجه أبو القاسم التفنوتي بعد تخرجه إلى وادي درعة فشارط بمسجد زاوية سيدي الناس بواحة فزواطة وكانت هذه الواحة آنذاك تزخر بالزوايا العلمية من أمثال زاوية تاگمادارت موطن الشرفاء الزيدانيين (السعديين) وزاوية سيدي علي، ولو لم يكن التفنوتي كفئاً لأنداده من علماء هذه الزوايا ما قبله الساهرون على زاوية سيدي الناس من الأنصاريين. وهكذا أقبل عليه الطلبة من مختلف واحات درعة وتافيلالت والسوس والصحراء، وطبقت شهرته الآفاق حتى بات لاينعت بين علماء درعة إلا بأبي القاسم الشيخ لوفرة المتخرجين على يده. وحتى لاينسى التفنوتي مدينة فاس وفضل علمائها عليه جمع مالا من شرطه بزاوية سيدي الناظل، وأرسله إلي شيخه عبد الواحد الونشريسي ليشتري به عقاراً أو مثله يخصص ريعه لكرسي تدريس حرز *الأماني* (*الدرر*، 112) وقد اشتهر التفنوتي بالزهد والورع والتجرد والإقبال على ربه متجنباً الشبهات، يخدم نفسه بنفسه ولايدع أحداً بخدمه في شيء، وكان يتعيش بما يصنعه بيده ويبعه بنفسه في السوق (*الدرر*، 112).

توفي أبو القاسم الشيخ في شهر رمضان سنة 953 ودفن بمقبرة خارج زاوية سيدي الناس، وعلى قبره بناء متواضع يقصده الزوار لقضاء الحاجات.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 1979 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، فضالة 1978 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، *دعوة الحق*، ع 2 س 18، 1973.

أحمد البوزيدي

تَفُودارْتْ أو تافودارت، منطقة صحراوية. إذا كنا نجهل معنى التسمية، فإن التحليل الوصفي والكمي للصفات التفصيلية لنمط توزيع الأفراك يميز هذا الموقع بالذات. فعلى الضفة اليسرى لوادي الساقية الحمراء شرق مدينة العيون الحالية تأخذ منطقة تافودارت شكلاً طولياً في امتدادها العام حيث تقع في قلب منطقة رعوية غنية. وبذلك فهذا الموقع الذي يقع وسط مجموعة من النقط الرعوية الموزعة على جنبات الوادي الخصب تكمن أهميته في قدرته المستمرة على استقبال أفراك صغار المنتجعين

بعد تساقط أمطار الخريف الفصلية. إذا لم تكن هذه الخاصية الطبيعية في حاجة لأي تفسير، فذلك لأن تافودارت تعد بحق مركز إنتاج رعوي متميز عن باقي مراكز الانتجاع الموزعة على ضفتي وادي الساقية الحمراء، ندرك من هنا لماذا استعمل أهل الشيخ ماء العينين تافودارت كقاعدة لأفراك مساندیهم من تكنة وباقي قبائل الصحراء. لقد لعبت تافودارت دوراً أساسياً خلال بداية هذا القرن في ترصيص العلاقات القبلية بين لفي المحادية تكنة خاصة وقبائل الصحراء المجاورة الأخرى المساندة لجهاد أهل الشيخ ماء العينين. هذا الموقع الذي استعمل كقاعدة لمؤيدي أهل الشيخ عرف أحداثاً سياسية جعله يطور التواصل السياسي والنسبي والاجتماعي لكثير من الأهالي. وليس في الذاكرة الشعبية ما هو أكثر حضوراً من صيغ الارتباط العاطفي بزمن تافودارت ولا حتى في النفسية الفردية للمتكلمين.

ينتج عن ذلك أن ينقلب موقع تافودارت إلى موسم سنوي يكشف عن صورة التوزيع المكاني للموقع واقترابه من مسالك القوافل المحلية ووفرة المياه النسبية، وكذا جاذبية الموقع وتاثيره في حركية القوافل وقتين روابط التحالف والتآلف بين عشائر الصحراء والتفافهم حول مربّيه ربّه ابن الشيخ ماء العينين خاصة. ويشكل قبر مربّيه ربه بتافودارت تعبيراً عن نواة صحراوية اجتازت بنجاح اختبار محاربة المد الفرنسي الاسباني. طبيعي إذن أن تجسد اليوم تافودارت رمزاً خضع لتجربة الذات في رفض كل المحاولات الاستعمارية.

دراسة ميدانية : انظر *جوامع المهمات في أمور الركيبات*.

J. Caro Baroja, *Estudios Saharianos*, Madrid, 1955.

مصطفى ناعمي

التّفيتف، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الريف، وقد انقرضت بتطوان في أوائل هذا القرن، وفعل تَفْتَف باللهجة الدارجة معناها لمس أو اختبر.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 52.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones*.

محمد ابن عزوز حكيم

التقاعد، نظام إداري يعني إحالة الموظف على المعاش أي إخراجه من وظيفته لقاء راتب شهري. وظهرت فكرة التقاعد في أوربا على إثر الازدهار الصناعي خلال العصر الحديث وتطورت فأصبحت نظاماً إجبارياً يساهم فيه الأجير نفسه والمؤسسة أو الإدارة التي تشغّله سواء أكان عاملاً في القطاع الخاص أو شبه العمومي أو موظفاً في القطاع العمومي، في حين لازال اختيارياً - لحد الآن - بالنسبة للحرفيين.

كان نظام التقاعد في المغرب أثناء عهد الحماية الفرنسية متطابقاً مع قانون التقاعد الفرنسي لأنه وضع في الأصل لفائدة الفرنسيين العاملين بالمغرب سواء بصفتهم موظفين أو أجراء، فكان المغاربة الموظفون يستفيدون من هذا النظام بالتبعية. وبعد الاستقلال بقيت النصوص التي كانت في عهد الحماية سارية المفعول إلى أن صدرت أنظمة مغربية للمعاشات، كنظام الضمان الاجتماعي، ونظام معاشات المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ونظام المعاشات المدنية، ونظام المعاشات العسكرية.

التقاعد أو المعاش المدني الحالي هو عبارة عن راتب يتقاضاه الموظف أو المستخدم الرسمي إثر انتهاء خدمته بصورة نظامية أو إصابته بعجز، ويؤول إلى المستحقين عنه وإلى أبويه بعد وفاته وذلك مقابل المبالغ التي تقتطع من أجرته ومساهمات الدولة أو الجماعات المحلية والمؤسسة التابعة لها. ويتولى الصندوق المغربي للتقاعد تسيير نظام المعاشات المدنية على جميع المستويات وخاصة منها الاقتطاعات والمساهمات وأداء المعاشات.

والمعاشات المدنية أربعة أنواع : معاش التقاعد، والزمانة، والمستحقين، والأبوين.

1) معاش التقاعد : يحال مباشرة على التقاعد الموظفون والمستخدمون البالغون من العمر ستين سنة دون اعتبار سنوات الخدمة علماً بأن السن يحتسب اعتماداً على أول عقد ولادة أدرج في ملف التوظيف. أما أساتذة التعليم العالي والقضاة فان الفصل الأول من حدّ السن في نظام المعاشات المدنية ينص على ما يلي : "يعين في 60 سنة حد سن الموظفين والأعوان والمنخرطين في نظام رواتب التقاعد المدنية غير أن حد سن القضاة وأساتذة التعليم العالي يعين في 65 سنة". وتجدر الملاحظة إلى أن النظام الأساسي الخاص بالقضاة حدد للإحالة على التقاعد بالنسبة للقضاة في ستين سنة مع إمكانية الاحتفاظ بهم لمدة سنتين تجدد مرتين على الأكثر.

أما اكتساب الحق في المعاش قبل بلوغ السن القانونية (التقاعد النسبي) فيتم في تسع حالات :

- بعد قضاء إحدى وعشرين سنة من العمل الفعلي على الأقل شريطة موافقة الوزير المعني. وعند رفضه يمكن اللجوء إلى الوزير الأول وكل ذلك في حدود 15٪ من عدد المناصب المالية المخصصة لكل سلك (يمكن رفع هذه النسبة). وبعد قضاء ثلاثين سنة من العمل الفعلي على الأقل وتلبّى الطلبات دون قيد أو شرط. وعلى إثر الحذف من الاسلاك بسبب إصابة بعجز ناتج عن جرح أو مرض ناشئ عن مزاولة العمل أو غير ناشئ عنها. (الفصل 4 من نظام المعاشات المدنية - تغيير 1989). أو عند القيام بعمل في سبيل مصلحة عامة أو لإنقاذ روح بشرية وكل ذلك كيفما كانت مدة الخدمات المنجزة. وعلى إثر وفاة الموظف أو المستخدم كيفما كانت الخدمات المنجزة علماً أن المعاش يرجع إلى مستحقيه (الأرملة والأيتام).

هذا وإن معاش الموظفين والمستخدمين والعسكريين الذين استشهدوا على إثر عمليات المحافظة على الأمن في الأقاليم الصحراوية المسترجعة يصفّى على أساس أربعين

سنة من العمل وذلك كيفما كانت المدة الفعلية التي قضوها في الخدمة.

وإذا تغيب الموظف أو المتقاعد لمدة تفوق سنة كاملة دون أن يطالب بالمبالغ المتأخرة من راتبه أو من معاشه يعطى المعاش للمستحقين بصفة مؤقتة (الفصل 40 من نظام المعاشات المدنية والفصول 221. 222. 223 من مدونة الأحوال الشخصية والخاصة بالشخص المفقود أو الذي انقطع خبره (ظهير رقم 1.58.112 بتاريخ 3.4.1958 الجريدة الرسمية عدد 2371 بتاريخ 4.4.1958).

- بسبب عدم الكفاءة المهنية بعد استحالة إدماج المعني بالأمر في أسلاك إدارة أو مصلحة أخرى شريطة أن يكون له الحق في التقاعد (21 سنة من العمل) والاّ فإنه يعفى. (الفصل 81 من النظام الأساسي العام للوظيفة العمومية).

- بسبب العجز الصحي وذلك بعد استنفاذ رخص المرض القانونية حيث يحال الموظف على التقاعد النسبي اضطراراً أو بطلب من الموظف (الفصلان 43 و45 من النظام الأساسي العام للوظيفة العمومية).

- على أثر عقوبة تأديبية : العزل من غير توقيف الحق في التقاعد أو الإحالة الحتمية على التقاعد.

- بسبب إعفاء الموظف من مهامه شريطة توفره على إحدى وعشرين سنة من العمل على الأقل. ولاتحتسب من أجل التقاعد الخدمات التالية : - الخدمات المنجزة قبل 18 سنة من العمر والخدمات المنجزة بعد السن القانوني للإحالة على التقاعد وكذلك الخدمات المنجزة بعد قضاء أربعين سنة من العمل الفعلي المحتسب من أجل التقاعد والخدمات المؤدى عنها في معاش تقاعد مدني أو عسكري آخر ومدة التوقيف المؤقت (الاستيداع) ومدة الايقاف عن العمل : ومدة الاقصاء المؤقت والتغيبات بدون راتب.

أما مدة الخدمة المدنية والعسكرية فتحتسب.

2) معاش الزمانة : مبالغ مالية يستفيد منها الموظف أو المستخدم بسبب عجز دائم ناتج عن جرح أو مرض أصيب به أو تفاقم أثناء مزاولة الخدمة أو بسببها، أو عند قيامه وكان العجز المصاب به لا يقل عن 25٪.

ومعاش الزمانة نوعان : زمانة ناتجة عن مزاولة المهام كعجز مؤقت لمدة معينة أو عجز دائم مع قدرة الاستمرار في العمل أو عجز دائم مع الاحالة على التقاعد كيفما كانت مدة الخدمات. ولايستفيد الموظف من معاش زمانة غير ناتجة عن مزاولة المهام إلا إذا كانت لأجل مصلحة عامة أو لإنقاذ روح بشرية. إلا أنه يمكن أن يحال على التقاعد النسبي كيفما كانت مدة العمل (الفصل 27 من نظام المعاشات المدنية).

3) معاش المستحقين : مبالغ مالية يستفيد منها أرامل ويتامى الموظفين والمستخدمين عند وفاة ذوي المعاش، سواء كان معاش التقاعد أو معاش الزمانة. ويتضمن معاش الأرامل ومعاش الأيتام. ينص الفصل 31 من نظام المعاشات المدنية على ما يلي : "يسوغ لأرملة أو أرامل الموظف أو العون ولأيتامه أن يطالبوا عند وفاته براتب لذوي الحقوق طبق الشروط المنصوص عليها بعده" والأرملة الموظفة تستفيد من معاش زوجها مادامت لم تطلق ولم تتزوج من جديد. والأيتام يستفيدون وحدهم من التعويضات العائلية ويقسم المعاش بينهم بالتساوي وفي حالة موت أحد الأيتام أو سقوط حقه لسبب من الأسباب يوزع نصيبه بالتساوي على باقي أشقائه، ويتوقف اكتساب الحق في راتب الايتام على شرطين أساسيين : أن يكون الولد شرعياً وألا يكون متزوجاً أو بالغاً من العمر أكثر من ست عشرة سنة غير أن هذا السن يرفع إلى واحد وعشرين سنة فيما يرجع للأولاد الذين يتابعون دراستهم (الفصل 34) من نظام المعاشات المدنية.

4) معاش الأبوين : مبالغ مالية يستحقها والدا صاحب المعاش الأصلي الذي كان يعولهما في تاريخ وفاته، وذلك في حالة وفاة الموظف. ويشترط فيه أن يكون الموظف يعول والديه. وتفقد الأم حقها في هذا المعاش إذا تزوجت بعد ترملها أو طلاقها ولا يستفيد الأبوان إذا توفي الموظف بسبب مرض عادي أو إثر حادثة سير لا علاقة لها بالعمل، ويمكن أن يعطى هذا المعاش لكل من الأب والأم على حدة، على ألا يقل مبلغ كل واحد عن المرتب الأساسي المطابق للرقم الاستدلالي 100.

- رصيد الوفاة : إذا توفي الموظف قبل إحالته على التقاعد تستفيد عائلته من مبلغ مالي يسمى "رصيد الوفاة" يدفع لها مرة واحدة من لدن وزارة المالية بعد تكوين ملف خاص لذلك.

- إجراءات عامة : تاريخ الانتفاع من المعاشات :

معاش التقاعد ابتداء من تاريخ الحذف من أسلاك الوظيفة العمومية.

معاش الزمانة ابتداء من فاتح الشهر الذي يلي تاريخ إجتماع اللجنة الطبية.

معاش الأرملة إبتداء من تاريخ وفاة الزوج.

معاش الايتام ابتداء من تاريخ وفاة أبيهم أو أمهم.

معاش الأبوين ابتداء من فاتح الشهر الذي يلي تاريخ وفاة الموظف.

معاش الزوج ابتداء من فاتح الشهر الذي يلي تاريخ اكتمال الزوج ستين سنة من العمر ومن فاتح الشهر الذي يلي تاريخ ثبوت إصابته بعاهة أو بمرض عضال. وتؤدي مختلف المعاشات شهرياً ولا يمكن تحويلها إلى الغير.

- الزيادة في المعاش : ينص الفصل 2.44 من نظام المعاشات المدنية على ما يلي : "تضاف إلى معاشات التقاعد ومعاشات المستحقين عن أصحابها بمقتضى هذا القانون كل زيادة تطرأ على المرتب الأساسي المخصص للدرجة والسُّلم والمرتبة أو الطبقة التي كان ينتمي إليها فعلاً الموظف أو المستخدم عند حذفه من سلك الموظفين أو المستخدمين التابع له. وتضاف إلى معاشات الزمانة المستحقة بمقتضى هذا القانون كل زيادة تطرأ على المرتب

الأساسي المخصص للرقم الاستدلالي 100".

يوقف الحق في معاش التقاعد أو الزمانة في حالة العزل مع توقيف الحق في معاش التقاعد طيلة مدة هذه العقوبة (الفصل 16 من القانون الجنائي المغربي) وفي حالة الحكم بعقوبة جنائية حسب مدلول الفصل 16 من القانون الجنائي المغربي طيلة مدة هذه العقوبة، وفي حالة التجريد من الجنسية المغربية طيلة التجريد من هذه الصفة.

المراجع المشار إليها داخل النص : إدريس قاسمي، التقاعد، سلسلة التكوين الإداري رقم 3 ؛ التشريع الإداري والتسيير التربوي ؛ المنجد الاعدادي.

محمد رمضاني

التقدم، جريدة أسبوعية للآداب والثقافة والسياسة، كانت تصدر بمدنية سلا بإدارة أحمد بن حساين النجار، مرتين في الشهر موقتاً. صدر أول عدد في بداية صيف عام 1938 وصدر العدد الرابع منها يوم الجمعة 13 رجب عام 1357 / 9 شنتبر 1938، في حجم صغير، نصف حجم الجرائد العادية.

لم يكن لهذه الجريدة كتّاب قارون سوى مديرها أحمد بنحساين النجار الذي كان يكتب المقال الافتتاحي، ويحرر المواد الأخرى، ما عدا بعض الاعداد الممتازة ـ وهي قليلة ـ كان يشارك فيها كتاب من العدوتين وفاس وغيرها. واستمر صدور التقدم ست عشرة سنة بشئ من التقطع.

وقد صارت التقدم في سنواتها الأخيرة تصدر في حجم الجرائد العادية ومن ذلك عدد خاص في ست صفحات عن الرحلة الملكية لفرنسا وانجلترا، بتاريخ 19.5.1952 وعدد آخر محلّى بالصور خاص بعيد العرش الفضي، مؤرخ في 18.11.1952. ومعلوم أن المغرب كان يعيش آنذاك أزمة سياسية خانقة أبدى صاحب التقدم فيها مَيْلاً للمستعمر فجرّ ذلك عليه محنة قاسية. وربما كان آخر عدد صدر من جريدة التقدم هو العدد 498 بتاريخ 17 صفر عام 1374 / 16 أكتوبر 1954.

مجموعة جريدة التقدم في خ. ع.

محمد حجي

التقدّم والاشتراكيّة (حزب ـ)، ظهر سنة 1974 في خضم الحركة العارمة التي عمت البلاد في ذلك الحين والتي استهدفت تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب من قبضة الاستعمار الإسباني. وكما هو معلوم، فإن هذا الحزب هو وليد وامتداد لحزبين : الحزب الشيوعي المغربي وحزب التحرر والاشتراكية.

تأسس الحزب الشيوعي المغربي قبل ما يزيد عن خمسين سنة انطلاقاً من اندماج جماعات مكونة من ديمقراطيين وشيوعيين واشتراكيين وراديكاليين فرنسيين وأروبيين آخرين، إذ أن وصول الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا، سنة 1936 أفرزت من هذه الجماعات النواة الأولى للحركة الشيوعية في المغرب التي كان ينحصر أعضاؤها في الفرنسيين أساساً ومعهم بعض الإسبان والإيطاليين والبرتغاليين دون أي عنصر مغربي. وبعد أن كان نشاطها يرمي فقط، إلى مساندة "الجبهة الشعبية" الفرنسية، التحمت مع احتلال ألمانيا لفرنسا، من أجل المساهمة، انطلاقاً من التراب المغربي، في المقاومة المنظمة ضد هذا الاحتلال.

وفي خضم هذه المقاومة، انعقدت بالدار البيضاء أول ندوة وطنية تفضل تلقيبها "بالكونفيرانس ناسيونال"، من أجل التمييز، يوم 14 نونبر 1943، ذلك التاريخ الذي اعتبر، فيما بعد، منطلقاً لتأسيس الحزب الشيوعي المغربي بكيفية رسمية. وفي الوقت الذي كانت المقررات التي تمخضت عنها أشغال "الكونفيرانس" تنادي بتعزيز المجهود الحربي للحلفاء ضد "المحور" النازي الفاشيستي، اكتفت، بالنسبة إلى المغرب، بطرح بعض المطالب الإصلاحية الديمقراطية بدون التطرق إلى صميم القضية الوطنية المغربية، مع أن جريدة شيوعية سرية هي لاناسيون *La Nation* كانت تصدر بالدار البيضاء، تبنّت في عددها لشهر ماي 1942 ولأول مرة منذ فرض الحماية على المغرب، شعار استقلال البلاد ـ في حين كان "الحزب الوطني" و"الحركة القومية" يكتفيان "بالإصلاحات المستعجلة". ولكن، لما طرحت الجماعة الوطنية التي أسست، بالمناسبة، حزب الاستقلال، هذا المطلب في وثيقة 11 يناير 1944، لم ينضم الحزب الشيوعي المغربي المعلن تأسيسه الرسمي، كما سبق أن ذكرنا، في شهر نونبر 1943، إلى هذه الحركة بل عارضها بدعوى ضرورة عدم الإخلال بالجبهة المحاربة للنازية والفاشية. في الواقع، إن الحزب الشيوعي الفرنسي، وهو الذي كان يسيّر حينئذ ما كان يسمى في ذلك الوقت بالحزب الشيوعي المغربي لم يكن قد نضج لتبني شعار استقلال مستعمرات فرنسا.

ومع ذلك، وعلى الرغم من جذوره الأجنبية التي فرضتها الظروف التاريخية، كان من شأن الحزب الشيوعي المغربي، بحكم طابعه الإيديولوجي، ونتيجة لتكيفه التدريجي مع الواقع المغربي، أن يقوم، في مجتمع طبقي، برسالة ليس من شأن أي حزب آخر أن يقوم بها. وتتجسد هذه الرسالة في تمكين الشغيلة المغربية من حزبها الطبقي ليتكفل بالتعبير عن مطالبها الطبقية الخاصة، بالارتباط مع مطالب ومطامح الشعب كافة والأمة جمعاء، ويعتني في نهاية المطاف وعلى هذا الأساس، بتنظيم صفوفها نقابياً وسياسياً، ويرشد نضالها المستقل ويكون فصيلة طلائعية من الحركة الوطنية المتعددة الفئات الاجتماعية والمتنوعة الانتماءات الايديولوجية والسياسية.

ومن أجل الوصول إلى مثل هذا المستوى، مستوى الحزب العمالي الوطني المغربي، كان لزاما على الحزب الشيوعي المغربي أن يمر عبر مراحل عديدة اتسمت بصراعات داخلية كانت أحيانا جد حادة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان على هذا الحزب منذ نشأته الأولى أن

يجابه ويناضل ضد الاضطهاد المتنوع الأشكال والمتعدد المصادر : اضطهاد الإدارة الفرنسية وبطش الإقطاعية خصوصاً في الأرياف والبوادي، ومعاداة الشيوعية الآتي من أوساط وطنية برجوازية كانت ترى فيه الخصم الطبقي والعدو الإيديولوجي والسياسي الذي تجب محاربته والقضاء عليه.

لقد تُوِّجت نهاية المرحلة الأولى، التي كانت فيها القيادة وسلطة القرار بأيدي الفرنسيين بانعقاد أول مؤتمر وطني للحزب في شهر أبريل 1946، فحدث، بهذه المناسبة، تحول تاريخي تجلى في انتخاب الوطنيين المغاربة الذين تحدثنا عنهم قبل قليل، ضمن القيادة الجديدة. لكن ورغم ذلك لم تكن المقررات السياسية التي تمخضت عنها أشغال المؤتمر في اتجاه وطني مغربي صحيح وشامل. بقيت في الجوهر، لم تتجاوز مستوى مطالب إصلاحية جزئية، وذلك لسبب بسيط هو أنها كانت من صياغة القيادة التي هيأت وسيرت أشغال المؤتمر أي القيادة الفرنسية.

ولكن، وبصعود وطنيين مغاربة إلى مراكز القيادة وبالتالي إلى مراكز القرار خلقت شروط ملائمة لتغيير الاتجاه رأساً على عقب، ليصبح اتجاها يتلاءم مع مقتضيات البلاد الوطنية ومستلزماتها. كان محور ذلك يتجسد في وضع قضية الاستقلال كشعار مركزي للبرنامج، فتوفرت بفضل هذا التحول شروط اندماج الحزب في الحركة الوطنية وجعله فصيلة متميزة من فصائلها.

وهكذا، لم تمر أكثر من أربعة أشهر على انعقاد المؤتمر الذي شكل دفعة حاسمة في اتجاه المغربة، حتى حدث ما يمكن وصفه بانقلاب على المقررات الإصلاحية. ولقد أشرفت على هذا الانقلاب وأنجزته اللجنة المركزية المنتخبة من لدن المؤتمر ذاته، فقررت، إثر اجتماعها المنعقد يوم 4 غشت 1946، إصدار بيان يلغي الاتجاه الذي حدده المؤتمر. جاء في هذا البيان، على وجه الخصوص : "إن الشعب المغربي لم يعترف قط، ولايمكن أن يعترف، بالعقود والمعاهدات التي أبرمت بدون استشارته، عقود فرضت عليه تجزيئ ترابه وقررت تبعيته السياسية والاقتصادية للاستعمار الأجنبي..." والجدير بالذكر أن اللجنة المركزية أقدمت على هذا التحول الجذري في الاتجاه المقرر من طرف المؤتمر في حين أن قانون الحزب الأساسي لم يمنحها هذه الصلاحية.

وتجب الإشارة إلى أن اللجنة المركزية، بعد تبنيها لهذا الموقف الوطني الجديد، بلغته إلى جلالة الملك محمد الخامس بواسطة وفد عنها أثناء مقابلة مع عاهل البلاد تمت في القصر الملكي يوم 20 غشت لنفس السنة أي 1946.

وبطبيعة الحال، إن هذا المنعطف التاريخي لم يجعل حداً للصراع الداخلي الذي، على عكس ذلك، لم يزدد إلا حدة بين المتعلقين بالخط الإصلاحي القديم والمتشددين له وبين أنصار الاتجاه الوطني الجديد والمناصرين له بعزيمة وطنية ثورية وحماس قوي. وإذا كان أنصار المفهوم القديم للحزب ولسياسته الإصلاحية المطبوعة بطابع استعماري كلهم من الأعضاء الأوربيين، فالمدافعون عن الاتجاه الوطني كانوا، بالطبع، مناضلين ثوريين مغاربة. ولكن مع ذلك، لم يكن الفصل يمر بالضرورة، بين أوربيين من جهة، ومغاربة من جهة أخرى، ذلك أن عدداً كبيراً من الشيوعيين الفرنسيين القدماء، ولا سيما منهم النقابيين المنتمين إلى "الاتحاد العام للنقابات الكنفدرالية بالمغرب" والمرتبطين بالتالي بالعمال المغاربة كانوا من الأنصار المتحمسين لشعار الاستقلال.

وكان من نتائج الصراع بين المتشبثين بالاتجاه القديم وبين أنصار الخط الوطني الجديد أن غادر الأولون الحزب أفواجاً أفواجاً بعد فشل محاولاتهم في إحباط التغيير الذي حصل والذي جعل من الحزب حزباً "غريباً" عنهم مثل ما كان حزبهم القديم "غريباً" عن الشعب المغربي وعن شغيلته.

ولقد استمر هذا الصراع داخل الحزب إلى حدود حوادث دجنبر 1952 الدموية العنيفة التي انطلقت من الدار البيضاء، إثر اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد.

وبهذه المناسبة، شن المستعمر حملة قمعية في منتهى الهمجية استهدفت، في البداية، الشغيلة وحركاتها النقابية، قبل أن تعم كافة الوطنيين وفئات واسعة من المواطنين في الدار البيضاء، ثم في باقي المدن والأقاليم المغربية.

في نطاق هذه الحملة الاضطهادية، اعتقل أعضاء المكتب الكنفدرالي للاتحاد العام للنقابات، الذي كان يتكون نصفه من أعضاء حزب الاستقلال والنصف الآخر من مناضلي الحزب الشيوعي المغربي.

وفي نطاق نفس الموجة القمعية، وقع اعتقال أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال وأعضاء نقابيين ينتمون إلى الحزب الشيوعي المغربي وأطر وسطى وصغرى من حزب الاستقلال. وفي نفس الاتجاه أعلن حظر حزب الاستقلال والحزب الشيوعي المغربي بقرار مقيمي واحد.

ولكن القيادة الوطنية للحزب الشيوعي المغربي كانت قد نجت من الاعتقال لأن جل أعضائها كانوا قد التجأوا إلى السرية منذ حوادث سنة 1951. لأن ملامح هذه الفترة التي شرع فيها المقيم العام "جوان" في تنفيذ مؤامرته ضد محمد الخامس والحركة الوطنية، كانت تشير إلى أن المغرب قد دخل مرحلة تصعيد المجابهات العنيفة بين الإدارة الفرنسية والحركة الوطنية. وجاءت أحداث دجنبر 1952 وما واكبها من إجراءات لتؤكد هذا التنبؤ.

غير أن الكاتب الأول للحزب الشيوعي المغربي، علي يعتة، كان يعيش في المنفى خارج أرض الوطن بقرار المقيم العام الفرنسي الجنرال "جوان"، بعد أن وقع اعتقاله في القطار الرابط بين المغرب والجزائر، وقضى سنة بسجن الدار البيضاء والرباط، نقل على إثر ذلك، وهو مقيد بالسلاسل، على متن باخرة إلى فرنسا حيث أودع السجن بباريس لمدة سنة أخرى تقريباً.

وبنفس المناسبة، وبمجرد أن انطلقت حوادث دجنبر 1952 وقع حجز جل أعضاء الحزب الشيوعي المغربي الأوروبيين لترحيلهم قسراً بالطائرة إلى فرنسا. وقد اتخذ هذا الإجراء القمعي في حق هؤلاء المناضلين، وأغلبيتهم نقابيون، عقاباً لهم على تضامنهم مع الشغيلة المغربية والشعب المغربي في نضالهما التحرري.

إثر هذه العملية القمعية التي استهدفت مناضلين شيوعيين فرنسيين قد وقع ما لم يكن في حسبان الإقامة العامة : فالشيوعيون المغاربة، بعد إبعاد رفاقهم الأوروبيين، تُركوا لوحدهم وبالتالي وجدوا أمامهم الأبواب مفتوحة ليتحملوا كامل مسؤولياتهم، فأخذوا مصير حزبهم بأيديهم، وصاروا يقررون، بكامل الاستقلالية، المواقف التي تناسب الأوضاع المغربية الجديدة وتوافق مشاعرهم الوطنية.

وهكذا، كانت حوادث دجنبر 1952، في آن واحد، مرحلة تصعيد كفاح الحركة الوطنية ومرحلة تعميق مغربة الحزب الشيوعي المغربي وتعميق اندماجه في الحركة الوطنية المغربية.

كانت هذه الأحداث بالنسبة إلى الحركة الوطنية بمثابة منعطف تاريخي جديد في مسار نضالها، وكانت في نفس الوقت، مناسبة بروز الطبقة العاملة كرأس حربة الشعب والحركة الوطنية في نضال الأمة. نقول رأس الحربة وليس قيادة، تلك القيادة التي استمرت، كما كانت سابقاً، بين أيدي الوطنيين من أصل برجوازي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى وبالارتباط مع التحول الأول، سجلت حوادث دجنبر 1952 انتقال مركز الحركة الوطنية من المدن التقليدية، كفاس وسلا والرباط الخ ... إلى عاصمة البروليتاريا، الدار البيضاء، والمدن العمالية الأخرى مثل خريبگة والمحمدية والقنيطرة إلخ...

ففي هذا السياق السياسي الجديد، وجد الحزب الشيوعي نفسه أمام مهام جديدة وجد جسيمة في حين كانت إمكانياته المادية تكاد تكون منعدمة. كان عليه أن يحافظ على مناضليه وقيادته وأن يحميهم من بطش الشرطة الاستعمارية التي كانت تطاردهم وتتصدى لهم، وكان عليه أن يضمن لهم الإيواء السري والعيش لهم ولعائلتهم ولو بحد أدنى، سيما وأنهم كانوا ينتمون إلى الطبقة الأقل إمكانيات والأشد فقراً.

وكان على الحزب أن يواصل صدور صحافته : "حياة الشعب" بالعربية و "إسبوار" بالفرنسية وهو الحزب الوحيد، الذي استطاع أن يقوم بهذا العمل طيلة مدة المقاومة المسلحة وإلى حدود إعلان الاستقلال.

وكيف ما كان الأمر، فإن حوادث دجنبر 1952، على الرغم من قساوة عواقبها على الشعب وعلى البلاد، كانت لها نتائج جد إيجابية بالنسبة للحركة الوطنية عموماً والحزب الشيوعي المغربي خصوصاً، إذ ساعدت على تجذير الحركة الوطنية وأعطت دفعة هائلة لمسلسل التحرر الوطني وخلقت بالنسبة للحزب الشيوعي المغربي ظروفاً مكنته، على الرغم من كثرة العراقيل والصعاب، من تعميق اندماجه في المجتمع والحركة الوطنية، وجعلته في آخر المطاف أكثر استعداداً لمواجهة المرحلة الجديدة التي انطلقت من دجنبر 1952 وتصاعدت إلى أن وصلت إلى المرحلة النهائية من أجل استرجاع الاستقلال أي إلى المقاومة المسلحة.

بعد حوادث دجنبر 1952 وما ترتب عنها من اعتقالات جماعية وبعد قرار حظر الحزبين الوطنيين، حزب الاستقلال والحزب الشيوعي المغربي ومنع صحفهما وتعطيل الحركة النقابية، بعد كل هذه الأعمال التعسفية، اعتقد الطاغية أنه قضى بصفة لارجعة فيها على الحركة الوطنية وعلى مقاومة الشعب، كان ظن، في عجرفة وغرور، أن المجال صار مفتوحاً أمامه لقطع "رأس الحية"، وكان الجينرال "گيوم" يعني بهذا التعبير الوقح جلالة ملك البلاد محمد الخامس. فصار، منذ ذلك الحين يهيء المؤامرة التي تمت بخلع هذا الأخير عن عرشه ونفيه خارج الوطن، يوم 20 غشت 1953.

لم ينتبه المستعمر إلى أن الحركة الوطنية، من جهتها، كانت هي كذلك تتهيأ للمجابهة النهائية معه وبأن الهدوء الظاهري الذي أعقب حوادث دجنبر 52 الدموية لم يكن، في الواقع، إلا هدوءاً من النوع الذي يسبق العاصفة. وبالفعل، كان الشعب يستعد، في الظلام، ويتكيف، في صمت، مع الظروف الحالكة الجديدة قبل أن ينطلق بانتفاضته المسلحة العارمة التي لم يكن ينتظرها العدو، فكانت مؤامرة 20 غشت المدبرة ضد ملك البلاد ورمز سيادتها، المناسبة السانحة لحدوث هذه الانتفاضة. وعاد الشعب إلى الكفاح المسلح الذي تأكد أن توقفه القسري في منتصف الثلاثينيات لم يكن سوى توقف موقت. وعلى الرغم من الحصار البوليسي الشديد وكثرة المخبرين وكل أنواع الجواسيس، استطاع الحزب الشيوعي أن يخرج من قوقعته الضيقة ليرتبط بأوسع فئات المناضلين والمقاومين لينسق معهم العمل السياسي والمقاومة المسلحة في إطار تنظيمات وحدوية مشتركة.

في هذا الاتجاه أخذ مع مناضلين آخرين مبادرة تكوين "لجنة الاتحاد الوطني" التي كانت تجمع مقاومين يعملون في تنظيمات مختلفة للمقاومة المسلحة. كان مكتبها المدبِّر المنسق لعمل أفرادها يتكون من ثلاثة مقاومين وهم عبد الله العياشي عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي المغربي وأحمد بلبشير (حكم عليه بالإعدام قبيل عودة محمد الخامس إلى وطنه ونجا من تنفيذ هذا الحكم بإعلان الاستقلال) ومحمد حجي العموري الذي اعتقل وحكم عليه بثمانية عشر شهراً سجناً، وكلاهما ينتميان إلى حزب الشورى والاستقلال، لكنهما كان يساهمان في المقاومة بصفة شخصية في حين كان يشارك في اللجنة عبد الله العياشي وهو موفد من لدن حزبه : الحزب الشيوعي المغربي. وبجانب هذه القيادة الثلاثية المنتخبة من لدن

زملائهم أعضاء اللجنة كان ينشط داخلها مقاومون شوريون واستقلاليون وشيوعيون ولامنتمون.

وبعد تكوين "لجنة الاتحاد الوطني" التي أبلت البلاء الحسن ضد الاستعمار وعملائه الخونة، اتصل بالحزب جماعة من المقاومين منهم عبد الله الحداوي والحسن الاكلاوي والطيب البقالي (صهر علي يعتة) وكلهم كتب لهم الاستشهاد على يد السيء الذكر أحمد الطويل، في واقعة عين السبع المفجعة، وشقيق علي يعتة المرحوم مصطفى يعتة. وتم بعد هذا الاتصال تكوين منظمة المقاومة العتيدة "الهلال الأسود". صارت لهذه المنظمة قيادة يترأسها الشهيد عبد الله الحداوي وكان سنه لا يتجاوز التاسعة عشرة يوم استشهاده، وانضم إليها مناضلون من الحزب الشيوعي المغربي منهم على وجه الخصوص الشهيد عبد الكريم بنعبد الله الذي كان يشارك في قيادتها.

ولم يغفل الحزب عن أهمية الثقافة في النضال التحرري بحيث اجتهد لجعلها تشكل، هي كذلك، واجهة من واجهات المقاومة حتى تلعب في مجال تعبئة الشعب دورها الخلاق. ولقد كان كثير من المثقفين ذوي الانتماءات الحزبية المتنوعة، منهم على وجه الخصوص معلمون وأساتذة وصحافيون، يشاركون مباشرة في العمل المسلح منذ انطلاقه. ومن أجل تعميق الفكر الثوري عند هؤلاء، ولاستقطاب المزيد من المثقفين إلى صفوف حركة المقاومة، أنشأت مجلة ثقافية سرية بعنوان *الفكرة الوطنية*، وكلف بالإشراف على صدورها وإدارتها عبد الكريم بنعبد الله العضو في المكتب السياسي للحزب، وسرعان ما استطاع هذا الأخير أن يجمع حوله ثلة من المتنورين ذوي انتماءات سياسية وإيديولوجية مختلفة، لكن يوحدهم إيمانهم بعدالة قضية الوطن.

والنتيجة كانت هي أن صارت الجماهير، بالإضافة إلى عمليات المقاومة المسلحة، تعود رويداً رويداً إلى مظاهرات الشارع التي توقفت اضطراراً إثر أحداث دجنبر 1952، فكانت أول مظاهرة من هذا النوع تلك التي نظمت بالدار البيضاء، بمناسبة جنازة عمر السلاوي المحامي الشاب الذي اغتالته جماعة من الإرهابيين الفرنسيين، فكانت، فعلاً، جنازة وطنية ضخمة، جمع موكبها ما يقرب من 200.000 مواطن في مقدمتهم حشد ضخم من النساء، أزلن لثامهن عن وجوههن حتى صرن سافرات وذلك بحركة منظمة واحدة، وبمجرد أن انطلق الموكب، فكانت اللحظة في منتهى التأثر والانفعال. وهكذا، تحولت الجنازة إلى تظاهرة وطنية هائلة أصبحت لما وصل الموكب إلى المقبرة، مهرجاناً شعبياً ضخماً يسهر على نظامه عدد كبير من المقاومين الحاملين لسلاحهم.

وكان الحزب الشيوعي المغربي و "لجنة الاتحاد الوطني" من المنظمين الرئيسيين لهذه التظاهرة، وتقرر أن يأخذ الكلمة باسم اللجنة كاتب هذه السطور، وذلك ما فعل، أولاً في مدخل المقبرة، ثم مرة ثانية بعد الدفن، تحت الزغاريد والهتافات الجهادية. وقع ذلك بمرأى ومسمع من طوابير ضخمة وعديدة من البوليس والجنود الاستعماريين المجهزين بأسلحتهم ومصفحاتهم. لكنهم كانوا محاصرين من طرف حشود الجماهير الغفيرة وهذا ما منعهم من أي تدخل أو تحرك.

بعد ذلك، ساهمت "لجنة الاتحاد الوطني"، مع منظمات أخرى، في تنظيم الإضرابات العظمى التي انطلقت في شهر غشت 1955 والتي رافقتها حوادث خريبكة ووادي زم الدموية.

وعلى إثر هذه الوقائع الوطنية الرائعة، تم اعتقال عضوين من القيادة الثلاثية "للجنة الاتحاد الوطني" وهما المقاومان المرحومان أحمد بلبشير الذي أشرنا أعلاه إلى كونه حكم عليه بالإعدام ولم ينج من تنفيذ الحكم إلا بإعلان الاستقلال، ومحمد حجي العموري الذي حكم عليه بثمانية عشر شهراً سجناً. أما ثالثهما وهو محرر هذا البحث، فلقد نجا من الاعتقال لسبب واحد هو أنه كان يعيش مختفياً في السرية.

وفي فاتح أكتوبر دخل جيش التحرير في المعمعة. وفي نفس اليوم أفرج عن الزعماء السياسيين والنقابيين، وأبعد الكركوز ابن عرفة. وفي آخر نفس الشهر أي أكتوبر 1955 عاد محمد الخامس من مدغشقر إلى فرنسا، استعداداً لعودته ظافراً إلى وطنه وعرشه يوم 16 نوفمبر من نفس السنة...

في هذه الوضعية السريعة التطور والمليئة بكثير من الآمال وبالمخاطر في آن واحد، شعرت منظمات المقاومة الأكثر تبصراً، ومنها الحزب الشيوعي المغربي و "لجنة الاتحاد الوطني" و "الهلال الأسود" بضرورة مناداة الجماهير إلى التحلي بالبقظة حتى لا يحرم الشعب من ثمار تضحيات شهدائه وحتى لا تفرض عليه حلول بعيدة عمّا كان يطمح إليه، لاسيما والاستعمار الفرنسي قد وقع به أعظم انهزام عسكري وسياسي عرفه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ذلك الانهزام الذي كبده إياه الشعب الفيتنامي في ماي 1954 إثر وقعة "ديان بيان فو"، كما كان بالإضافة إلى ذلك، يجابه انتفاضة الشعب الجزائري التي انطلقت يوم فاتح نونبر 1954.

ومما زاد الحزب الشيوعي شرعية، مع أنه كان لا يزال خارج القانون، الاستقبال الذي حظي به وفد عنه برئاسة علي يعتة بفرنسا من لدن صاحب الجلالة محمد الخامس يوم 6 نونبر 1955. ثم بعد عودته إلى أرض الوطن أبى جلالته إلا أن يستقبل المكتب السياسي للحزب بكامل أعضائه الموجودين في المغرب، وكان ذلك يوم 5 دجنبر 1955. ولقد قدم الحزب الشيوعي المغربي لصاحب الجلالة محمد الخامس أثناء المقابلتين مذكرتين تشتمل كل واحدة منهما على تحليل الحزب للوضعية السائدة آنذاك وتقدم باقتراحات مدققة كما كان يراها للسير بالمغرب نحو استقلاله الوطني.

استمر الحزب في عمله العلني ونضاله على جميع

الواجهات السياسية والنقابية والعمالية والطلابية بدون أن يتنازل عن حقه في التمتع بمشروعيته التي استمر بدون كلل يطالب باسترجاعها.

وفي هذا الاتجاه، وبعد توقيف جريدة *الجماهير*، قرر إصدار جريدة جديدة بالعربية تحت عنوان *الكافح* ولكنها بدورها منعت بمرسوم عن وزارة الداخلية بعلة أنها جريدة للحزب الشيوعي المحظور ! ولكن إصرار الحزب كان أقوى من قرار الحكومة بحيث تمكن الحزب، بعد مدة قصيرة، من طبعها ونشرها من جديد، أولاً في شكل أسبوعية إلى حدوه سنة 1965، ثم قرر تحويلها إلى يومية، فوقع حجزها مرات عديدة قبل أن يصدر في حقها قرار المنع النهائي.

ولكن، وبنفس العزيمة، أعاد الكرة مرة أخرى. فأصدر جريدة جديدة في نهاية سنة 1965 هي أسبوعية *الكفاح الوطني*، فلم تعمر طويلاً بحيث تقرر منعها هي كذلك بقرار من وزارة الداخلية في سنة 1969. وقع ذلك بعد أن حظر حزب "التحرر والاشتراكية" الحزب الجديد الذي أنشئ لتعويض الحزب الشيوعي الممنوع وهذا ما سنتطرق له أسفله.

وبالفعل، فقد كان الحزب الموجود دائماً، على الرغم من المنع، يجتهد ليتوصل إلى الحصول على جريدة قارة تعبر عن حاله وتبين مواقفه، على غرار الأحزاب الوطنية الأخرى، وكان في الوقت نفسه يبذل كل ما استطاع من المساعي ليسترجع مشروعيته كحزب وطني معارض ومتميز.

في هذا الاتجاه، عقد الحزب الشيوعي المحظور مؤتمره الثالث في شهر يوليوز 1966 في الخفاء، ذلك المؤتمر الذي شكل منعطفاً جذرياً في تاريخه. ولقد تم تحضير هذا المؤتمر في خضم مناقشة واسعة وجد معمقة، ساهم فيها جميع فروعه وكل أعضائه. ولقد جرت هذه المناقشة في سرية تامة على أساس أطروحات تعتمد على فكرتين أساسيتين : نقد ونقد ذاتي يتعلقان بمراجعة رصيد الحزب منذ نشأته، مع الحرص على ترك أو إصلاح ما كان يجب تركه أو إصلاحه. وتمحورت الفكرة الثانية حول الوعي بضرورة التجديد وتعميق التكيف مع واقع المجتمع المغربي ومع عقلية شعبه وتقاليده. في الحقيقة لم يكن الاعتناء بممارسة النقد والنقد الذاتي والاجتهاد للتكيف أكثر مع واقعنا الوطني، بالأمر الجديد. فلقد اتسم الحزب، منذ نشأته، بنقد نشاطه باستمرار وبالاجتهاد المتواصل لتكيفه مع واقع بلادنا. وتجسد الجديد الذي أتى به المؤتمر الثالث في الوعي بضرورة إعادة النظر في مفاهيم كانت غريبة عن مجتمع له خاصياته. ومن أجل ذلك كان الحزب يجتهد دائماً لجعل هذه المفاهيم الثورية والتحررية العامة تتطابق أكثر فأكثر مع هذه الخاصيات لجعل الحزب الأداة اللائقة لاستقطاب جماهير شعبنا وقيادتها نحو الانعتاق والتحرر.

في هذا السياق، ومنذ فترة التحضير التي دامت شهوراً عديدة، ارتكز التفكير على ضرورة تغيير اسم الحزب، لأن الممارسة أكدت أن لقب "حزب شيوعي" مع ما يحويه من شُحَن كرست فهمه الخاطئ الدعاية المعادية للأفكار التحررية، لم يكن مناسباً لا لتقاليد شعبنا ولا للمرحلة التي كان يحياها، مرحلة التحرر الوطني.

وكانت، كذلك، ضرورة التأقلم مع مجتمع متعلق بالدين الإسلامي، خصوصاً و"الشيوعية" كانت عند عامة المغاربة مرادفة "للإلحاد"، زد على ذلك أن المجتمع المغربي كان كما لا يزال، يتسم بهياكل اقتصادية واجتماعية وثقافية بعيدة كل البعد عن هياكل المجتمعات الرأسمالية الغربية المتطورة.

ففي شهر يوليوز 1968، تقدم إلى السلطات المختصة بطلب الشرعية لحزب جديد تحت لقب "حزب التحرر والاشتراكية"، فتم، فوراً، الاعتراف القانوني به بصفته حزباً وطنياً عمالياً وفصيلة متميزة من فصائل الحركة الوطنية وحزب أممي يناصر قضايا التحرر والاستقلال لشعوب العالم ويتشبث بمبادئ الاشتراكية وتكييفها مع واقع بلادنا وتقاليدها.

ظل حزب التحرر والاشتراكية يعالج القضايا الوطنية، كما فعل دائماً ولكن بأساليب جديدة، يعمل بحزم وفعالية من أجل خلاص الشغيلة التي، من أجلها، هو موجود. كما استمر كذلك في عمله لمساندة قضية الشعب الفلسطيني وباقي الشعوب العربية. كما ظل ينشط للتضامن مع كل قضايا تحرر واستقلال الشعوب في العالم أجمع، بقطع النظر عن العرق والدين واللون والقومية ...

وفي هذا السياق، ساهم وفد عن الحزب في أشغال الندوة العالمية للأحزاب الشيوعية والعمالية المنعقدة بتاريخ يونيو 1969 بموسكو. ولقد عالجت الندوة قضايا النضال ضد الأمبريالية. فاغتنمت السلطات هذه الفرصة، فقررت متابعة الحزب من أجل منعه من جديد، بعلة واهية أي "إعادة تأسيس حزب محظور شرعاً"، فاعتقلت وحاكمت علي يعتة الأمين العام للحزب وشعيب الريفي عضو ديوانه لمساهمتهما في هذه الندوة الأممية.

غير أن هذه الحملة الاضطهادية لم تحقق كل ما كانت ترمي إليه من أهداف : فلم توقف النضال الشعبي الجاري بالمدن وبالأرياف والبوادي، كما أنها لم تقض على الحركة الوطنية فلم تحقق، كنتيجة، سوى تفاقم الأزمة السياسية وكان من مظاهر هذا التفاقم محاولات للمس بالنظام في عامي 1971 و1972.

وبشكل مواز عرفت الجامعة اضطرابات وغلياناً أدى إلى بزوغ حركات يسارية متطرفة تعتمد الإرادية المفرطة والطوباوية كأسس لإخراج المجتمع من الأزمة التي يتخبط فيها. وأمام هذه الظاهرة التي لم يكن يرجى منها أي خير، اتخذ الحزب، رغم كونه كان محظوراً، موقفاً ضارماً موضحاً أن هذه الحركة، رغم نبل عواطف من انساق وراءها، لن تؤدي إلا إلى الباب المسدود سياسياً مع كل ما سيترتب عن ذلك من عواقب وخيمة غير مجدية.

لكن وبعد مخاض دام شهوراً تخللتها اعتقالات

ومحاكمات، شعرت السلطات بضرورة نوع من "التصالح" مع المعارضة وفتح حوار مثمر معها، من أجل إيجاد حل توافقي مبني على تلبية بعض مطالب الشعب ومنظماته.

في هذا السياق، فتح رئيس الدولة، جلالة الملك الحسن الثاني، مشاورات مع قادة الحركة الوطنية بما فيها حزب التحرر والاشتراكية. وتم لأول مرة في تاريخ عهد الحسن الثاني، لقاء جلالة الملك مع الرفيق علي يعتة في شهر شتنبر 1972 من أجل معرفة رأي الحزب في الأوضاع السائدة في البلاد، فكان ذلك اللقاء بمثابة اعتراف ضمني بالحزب وتقدير إصراره على مواصلة النضال كيف ما كانت الصعاب والعراقيل.

وهكذا، فُتح عهد جديد للحوار والتعامل بين الحكم والقوى السياسية الوطنية. وفي آن واحد فتحت أمام الحزب الشيوعي المغربي، كيف ما كان اللقب الذي يحمله، آفاق جديدة، آفاق الاعتراف به كفصيلة من فصائل الحركة الوطنية، له وعليه ما للآخرين وما عليهم.

وبعد أن ظل الحزب بدون صحافة علنية رسمية طيلة سنتين ونصف، تمكن في خريف سنة 1973 من إصدار جريدة بطبعة عربية وطبعة فرنسية هي جريدة *البيان* أولاً في شكل أسبوعيتين ثم صارتا يوميتين الواحدة بالعربية والثانية بالفرنسية.

في هذا الجو الجديد لم يبق أي عائق لاسترجاع مشروعية الحزب، وهذه المرة تحت اسم "حزب التقدم والاشتراكية" الذي يواصل اليوم تقاليد الحزب الشيوعي المغربي وحزب التحرر والاشتراكية. وللأحزاب الثلاثة تاريخ مشترك واحد، تاريخ مليء بالنضال والتضحية عبر مراحل اتسمت كلها بالتجديد والتكيف كلما اقتضت الضرورة ذلك. وبالفعل، تقدم في يوم 23 غشت 1974 وفد مكون من قدماء من الحزب الشيوعي وحزب التحرر والاشتراكية إلى السلطات المختصة، فوضع لها القوانين الأساسية لحزب جديد يحمل اسم "حزب التقدم والاشتراكية".

وفي هذا اليوم ذاته، وبدون انتظار استلام الإيصال الذي يسجل، حسب القوانين الجاري بها العمل، وضع مثل هذه القوانين، نظم مؤسسو الحزب الجديد مهرجانا شعبيا ضخما في قاعة المسرح البلدي بالدار البيضاء. وكان موضوع التجمع يتعلق بضرورة التعبئة الشاملة من أجل ضمان تحرير الصحراء الغربية من الاحتلال الإسباني.

وبعد أيام معدودات أعلن رسمياً تأسيس الحزب الجديد، ولقد كون الاعتراف بشرعية "حزب التقدم والاشتراكية"، في تلك الظروف بالذات، مكسبا تاريخيا جديدا، للحزب أولاً، لأنه كان إنصافا لنضاله المستمر واعترافا رسميا بوطنيته، وتقديرا لإصراره على مواصلة تقاليد الكفاح والوفاء طيلة ثلاثين عاما خلت، ومكسبا كبيرا للحركة الوطنية جمعاء ثانياً، لأنه أغناها وزاد في مناعتها ومصداقيتها كحركة تحررية عصرية متعددة التركيبات والميولات. وبالنسبة للدولة ذاتها، فلقد رفع شأنها وسمعتها إقدامها على هذا الاعتراف وبمثل هذا الحزب، "حزب التقدم والاشتراكية"، وزاد في مصداقيتها هي كذلك كدولة ملكية عربية إسلامية، تتميز عن نظم كثير من الدول العربية الأخرى، ملكية كانت أو جمهورية، إذ تجلت أمام الجميع، داخليا وخارجيا، كدولة تسعى إلى تشييد حياة ديمقراطية قوامها التعددية السياسية والإيديولوجية والحزبية والنقابية والجمعوية.

وفي ظروف هذا التحول الذي صارت بوادره تسود وطننا، نظم الحزب الجديد مؤتمره الوطني الأول وهذه المرة في العلانية، فحضرت في جلسته الافتتاحية وفود كثيرة تمثل كل فصائل الحركة الوطنية المغربية السياسية والنقابية والجمعوية بدون استثناء، كما تتبع أشغاله العديد من الوفود العمالية والاشتراكية وممثلون عن حركة التحرر الوطني، وفدوا من المشرق العربي وباقي بلدان آسيا ومن إفريقيا وأمريكا اللاتينية وأوربا الشرقية والغربية.

وما يعنينا في هذا السرد التاريخي هو فقط الانفراج السياسي الذي حدث في بداية السبعينات والذي سجل منعطفا في سياسة الحكم، بصفة عامة، وفي تعامله مع الحركة الوطنية بصفة خاصة. وهكذا جعل حدا للمجابهة التي كانت تكتسي، أحياناً، طابع العنف، وفتح عهدا جديدا : عهد التعامل الديمقراطي بين الحاكمين من جهة، والمواطنين وحركتهم السياسية الوطنية المنظمة من جهة أخرى. وهذا الانفراج الذي حدث بعد أعوام عديدة من التوتر والمجابهات والذي، في ظروفه، خرج إلى الوجود الشرعي "حزب التقدم والاشتراكية"، لم يخص بالطبع هذا الحزب وحده. فلقد كان انفراجاً عاماً شمل قوى سياسية أخرى ناضلت هي كذلك، وضحت من أجله مدة طويلة من الزمن.

ومما عزز هذه المكتسبات الديمقراطية رغم طابعها النسبي التي كانت تدخل فيما سميناه بالمسلسل الديمقراطي، كونها ارتبطت بمعركة وطنية في منتهى الأهمية، معركة تحرير صحرائنا الغربية المغربية من الاحتلال الاستعماري الإسباني، ولا سيما وقد وقع حولها إجماع وطني، جمع الحكم وكل القوى السياسية وخصوصاً منها المعارضة ومن ضمنها، طبعاً، الحزب الجديد، حزب التقدم والاشتراكية.

فبفضل هذا الاجماع المدعم، بدون تحفظ، من لدن كل الفئات والطبقات الاجتماعية لشعبنا، وبفضل جهاد القوات المسلحة الملكية، أنجزت المسيرة الخضراء، التي نظمها وقادها بإتقان جلالة الملك الحسن الثاني، والتي حققت هدفها الأساسي أي تحرير صحرائنا وعودتها من جديد إلى باقي التراب الوطني.

كانت معركة تحرير الصحراء المغربية الغربية، بفضل الانسجام بين الحكم والمعارضة، وفي احترام خاصيات ومواقف كل طرف من أطراف هذا الانسجام، نموذجاً حياً آخر يؤكد طبيعة المرحلة التي تمر منها البلاد، وهي ، مرحلة

تحرر وطني تعني كل المغاربة ذوي النوايا الحسنة، فكانت ظروف هذه المعركة تتشابه، في أكثر من مظهر، ومعركة الاستقلال الوطني التي نجحت هي كذلك بفضل وحدة ملك بشعبه ووحدة شعب بملكه، مما جعل هذه المرحلة تعرف تحت شعار "ثورة الملك والشعب". وكما كان الحزب الشيوعي المغربي منسجما كل الانسجام في تلك المعركة المصيرية، معركة عودة ملك البلاد إلى عرشه وإعلان الاستقلال، كان حزب التقدم والاشتراكية، وهو من صلب وسلالة الحزب الذي سبقه، منسجما، بدون تحفظ في الإجماع الوطني الذي بفضله انتصرت، مرة أخرى، أمتنا في معركة تحررية وطنية، معركة تحرير الصحراء. وتاريخ وطننا مليء بمثل هذه الملاحم الوحدوية. فيكفي أن نذكر معركة وادي المخازن ضد البرتغال، والثورة الحفيظية ضد مؤامرة الاستعمار لاحتلال وطننا و"ثورة الملك والشعب" المعاصرة التي تضاف إليها معركة استرجاع صحرائنا الجنوبية الغربية التي صارت حرة بعد أن كانت مغتصبة.

وهكذا، ففي ظروف انطلاق مسلسل ديمقراطي وحدوث إجماع حول معركة وطنية تولدت أوضاع جديدة سمحت بالعودة إلى إحياء مؤسسات ديمقراطية بعد توقف دام خمسة أعوام. فنظمت في هذا الصدد انتخابات تشريعية : الأولى في سنة 1977 والثانية في سنة 1984 ثم الأخيرة في سنة 1993. ولقد سبقت كل عملية انتخابية تشريعية انتخابات جماعية، حضرية وقروية.

ولقد قررت المعارضة ومن ضمنها حزب التقدم والاشتراكية أن تساهم في انتخابات 1977، على الرغم من كونها كانت منظمة على أساس دستور 1972 الذي سبق لها أن قاطعته بالإجماع. وبررت هذه المساهمة بوجود جو التعبئة العامة حول قضية الصحراء كما أخذت بعين الاعتبار ظروف المكتسبات الديمقراطية ولو كانت نسبية، و"ضمانات" تعهد بها الحكم بأن تجري الانتخابات سليمة ونزيهة.

وبعد ذلك جاءت الانتخابات التشريعية لسنة 1984 فكانت، تقريباً، صورة طبق انتخابات 1977. إلا أن الحزب، هذه المرة، ضاعف تمثيله. فبعدما كان ممثلا بنائب واحد سنة 1977، صار إثر انتخابات 1984، ممثلا بنائبين مما جعل بعض المازحين يصرحون بأن الحزب "تقدم برلمانيا بنسبة 100٪".

لكن الأهم من كل هذا هو أن الحياة البرلمانية التي صار حزبنا مشاركا نشيطا فيها، كرست بشكل تدريجي الممارسة التمثيلية التي خلقت، وهذا شيء هام، فرصة تعامل وتنسيق بين نواب المعارضة بجميع أصنافها ومكوناتها حول قضايا تشريعية عديدة واضعة بذلك لبنة لسياسة وحدوية كان هذا الحزب ينادي بها منذ نشأته ولوحده مدة طويلة. وتجاوزت تلك المبادرات الوحدوية بين نواب المعارضة حلبة البرلمان لتكتسح الساحة السياسية خارجه وتشمل قضايا وطنية كثيرة ومتنوعة، فنمت هذه الظاهرة الجديدة إلى أن تبلورت في تشكيل "الكتلة الديمقراطية" سنة 1991.

وبمجرد إعلان نتائج الانتخابات التشريعية الأخيرة، قررت ثلاث من فصائلها الخمس إبعاد حزب التقدم والاشتراكية عنها، وذلك بدعوى أنه اتخذ مواقف مغايرة وسلك سياسة مستقلة. هذا، وعلى الرغم من إعلان هذا الحزب، في كل مناسبة وحتى بدون مناسبة، تعلقه المستمر "بالكتلة الديمقراطية وبميثاقها"، يصر بعض زعماء الأحزاب التي أسس هذا الحزب وإياها الكتلة الديمقراطية على أن سبب إبعاده راجع إلى مواقفه المتميزة عن مواقفهم مع العلم بأن مثل هذا النوع من الاختلاف في الرأي والسياسة والمواقف يتجلى حتى داخل الحزب الواحد، بل وحتى بين حزب من هذه الأحزاب وبين ما يعتبره منظمات من صلبه أو موازية له مثل التنظيم النقابي والشبابي !

الحقيقة هي أن حزبنا كان "مقبولا" بنوع من "التسامح" لما كان يعتقد أنه حزب "صغير الحجم" والتأثير. أما اليوم، فلقد أصبح حزبا يؤخذ بالجدية والاعتبار. صار مثل الآخرين، هو كذلك "محاوراً" من طرف أعلى سلطة في البلاد، يستشار ويؤخذ رأيه بعناية وجدية.

في هذه الأثناء إذن جرت الانتخابات التشريعية لسنة 1993 التي اتسمت، فيما اتسمت به، بما اعتبرته أحزاب المعارضة مخالفة لشروط النزاهة.

وعلى الرغم من ذلك، خرجت منها كل أحزاب المعارضة بنتائج أحسن مما عرفته سابقا. وحزبنا، هو كذلك خرج منتصراً من هذه الانتخابات التشريعية. فمن نائب واحد في انتخابات 1977 إلى نائبين في برلمان 1984 إلى تكوين فريق تحت قبة البرلمان اليوم !.

ويشكل مواز لهذا التطور الإيجابي الذي عرفه حزب التقدم والاشتراكية، لم تنل منه الانهيارات التي وقعت بما كان يسمى بـ"المنظومة الاشتراكية"، على عكس ما حدث لأحزاب أخرى عبر العالم. ويعزى السر في ذلك إلى أن حزب التقدم والاشتراكية لم ينسق، في يوم من الأيام، وراء أي تنظيم آخر وحافظ على استقلاليته التنظيمية. كان يتصرف بحرص شديد على استقلال قراره منذ غشت 1946، معتمدا على مساندة الشعب لخطته التقدمية الساعية إلى الدفاع عن المصالح العليا للوطن وللشغيلة، حريصا كذلك على عدم التقوقع وعدم السقوط في التعصب الحزبي الأعمى.

ويمكن تفسير بقاء حزب التقدم والاشتراكية وتقويته ونجاحه بكونه كان دائما، أولاً وأخيراً، حزبا وطنيا أصيلا، رافعا، في وجه جميع التحديات، راية الوطنية ومقدما في خدمتها وبسخاء التضحيات الجسام.

معلومات شخصية : وثائق حزب التقدم والاشتراكية.

عبد الله العياشي

تَقْراطْ لْقْصايْدْ في شعر الملحون يعني القصائد التي وجدت مبتورة في الكنانيش، لأن النّسّاخ كثيراً ما

يلجأ إلى بتر جزء من القصائد التي يكتبها إذا وجد أحد العوامل التي تدعوه إلى ذلك كرداءة الخط، أو عدم الفهم أو طول القصيدة أو تضمينها ما يسمونه بالـزّرب أو التهجي. ويحدث هذا أيضاً حتى للمنشد "شيخ القريحة" فيلجأ بدوره إلى "تقراط لقصايد" خلال الإنشاد، إما هروباً من السّأم، لطول ما يُنشد ـ مثلا ـ وإمّا لحذف التهجي الذي ربما لا يتناسب مع الظرف الذي ينشد فيه.

لذلك كان "الخـزّانـة" الذين يجمعون في حوزتهم الكنانيش والكراسات، يتهافتون على ما يسمى "النسخة الأولى"، وهي التي قد تولاها بالرعاية "شيخ الملحون" نفسه إملاءً أو كتـابـةً، وتسـمـى عـنـدهم أيضـا "الـفـريـدة" و"مالـكّـلـيـل" أي الماء القليل الذي تشتد الحاجة إليه. والقصائد "المقروطة" في رواجها إنشاداً وتدويناً تحتاج إلى فطنة الدارس المحقق، كما تحتاج إلى الخبرة بنوعية الكنانيش التي يتعامل معها والإلمام ـ أيضا ـ بنوعية "الخطوط" التي كتبت بها هذه القصائد، وذلك ليتجنب الباحث ما يمكن أن يقع فيه النساخون من هفوات وأخطاء، يتأذى بها رواج هذه القصائد بوسط "شيوخ القريحة" المنشدين، ما لم يُقابل المنشد قصيدة بأخرى. والأولى عندهم الرجوع إلى المحفوظ على يد "شيخ الأشياخ" من الرجوع إلى المكتوب المدوّن في الكنانيش والكراسات التي ربما تحوي نوعاً من "تقراط لقصايد".

ع. الجـراري، *القصيدة : الزجل المغربي الملحون، بين الانشاء والتدوين*، ص. 29. 33. 46. 60 ؛ *سلسلة أعلام الملحون*، العدد الأول، الرباط، 1992.

عبد الرحمن الملحوني

التقسيم الإداري بالمغرب، هو تقطيع للتراب الوطني وفق وحدات مجالية متداخلة ومتراتبة تعكس مختلف البنيات الإدارية التي تمارس سلطتها محلياً حسب تعليمات الجهاز المركزي للإدارة الترابية. أمّا النوع الثاني من البنيات الإقليمية التي غالباً ما تتخذ نفس الإطار المجالي فيتمثل في المصالح الخارجية التي تتنوّع أنشطتها باختلاف مهامّ الإدارات المركزية التقنية أو المختصة التابعة لها. وقد أقيمت هذه الإدارة المحلية بشقيها الترابي والتقني لكي تكون وسيلة مباشرة ولا مركزية للإنعاش الاقتصادي والضبط البشري والتأطير الاجتماعي.

بهذا المفهوم الحديث للتقسيم الإداري لم يكن المغرب يتوفّر عل شبكة محلّية منمطة الهياكل ومستفيضة الانتشار وقارّة التوزيع ومحكمة الترتيب الإداري إلا في حدود مطلع القرن العشرين، عندما تغلغل النفوذ الأجنبي في البلد وتأهّبت القوات الاستعمارية لزعزعة مقوماته السياسية والترابية الأصلية والمتسمة بالتمركز والبساطة والمرونة. أطلق الاستعماريون "بلاد السيبة" على مناطق كانت تضمّ قبائل تعترف بالسلطة الدينية للسلطان من دون أداء الضرائب وترجع أحياناً إلى أعراف قديمة في معاملاتها وتعتمد في تدبير شؤونها على "جماعة" تتكوّن من الأعيان ويرأسها رئيس او قائد. باستثناء هذه المناطق، كانت تخضع سائر الأقاليم في أعلى الهرم الإداري المحلي لخليفة يمثل السلطان من الناحية الرمزية والسياسية الإدارية وحتى العسكرية عند الطلب. وكان يختار من بين الأمراء والأقرباء للسلطان على رأس الجهات الأساسية التي تحيط عموماً بالعواصم التقليدية، وهي فاس (الشمال) ومراكش (الحوز) ومكناس (الغرب) وتافيلالت (الشرق). وكانت ارتباطات الخليفة أوثق بالباشا من القائد. وهما معاً إطاران يعيّنهما السلطان ويراقبهما الصدر الأعظم.

والباشوات هم أعلى حكام المدن المغربية الرئيسية ؛ فهم مدعوون للمحافظة علي النظام وتطبيق تقارير المخزن ورعاية كل ما يهمّ المدينة، بمساعدة المقدمين. كذلك كانت تخضع بعض المدن الصغرى وأحوازها لسلطة قواد متصرفين قد ارتقى بعضهم إلى درجة عامل، كما هو شأن عاملي إقليمي وجدة وفكيك ابتداءً من عهد الحسن الأول. وتجدر الاشارة إلى أن في أكبر المدن كانت للمحتسب وضعية خاصّة، حيث لا يعتبر مجرّد موظف مرؤوس من طرف الباشا، بل كان يحكم مباشرة وبتفويض من السلطان أو من خليفته. وكان يسهر من منطلق ديني وحسب التقاليد على مراقبة التجمعات المهنية وكذا البضائع من حيث الجودة والوزن والثمن. وكان يحرص على التوازن في السوق وعلى تنظيم العلاقات بين البائعين والمستهلكين.

أمّا القائد فكان يعيّن على رأس فخذة أو قبيلة بأكملها، ويختار من بين العائلات ذات المكانة السياسية في القبيلة. ويمارس سلطته الجبائية والقضائية والعسكرية بمعاونة الشيوخ والمخازنية . إلا أن تجاوزات عديدة كانت تحصل هنا و هناك من طرف قواد وسعوا مناطق نفوذهم أو بالغوا في جمع الضرائب العادية وغير العادية لاسترجاع ما صرفوه في التوصل إلى مناصبهم. وهو الأمر الذي دفع المولى الحسن الأول إلى محاولة تكسير شوكتهم برفع عدد القيادات من 18 إلى 330.

ظل هذا التقسيم ساري المفعول مظهرياً إلى فترة الحماية، غير أنه أخذ يهمش شيئاً فشيئاً ويفرغ من محتواه لصالح تقسيم دخيل. فأنشأت قوات الحماية الفرنسية سنة 1913 منطقتين مدنيتين في الجهات المحتلة مبكراً (وجدة والدار البيضاء) وجاناً بلدية مختلطة في المدن الساحلية تحت رئاسة شكلية للباشا، وعمّمت هذه اللجان على مدن أخرى داخلية بمقتضى ظهير 1917 ليصبح مجموعها 16 بلدية. كما أحدثت بمرسوم للمقيم العامّ سنة 1919 ثلاث نواحي مدنية (الدار البيضاء ووجدة والرباط) ألحقت بها سنة 1921 ناحية الغرب. ثم تغيّر هذا التقسيم بمرسوم 1923 الذي أضاف ثلاث نواحي عسكرية (فاس ومكناس ومراكش)، فضلاً عن ثلاث دوائر مستقلة تحت رقابة مدنية (الجديدة وآسفي والصويرة).

إن الناحية هي أوّل ما أبدعته سلطات الحماية، لتجعل منها إطاراً عسكرياً سيتحوّل تدريجياً إلى وحدة مدنية لاستغلال الثروات وللمراقبة السياسية. تخضع الناحية

العسكرية لضابط والناحية المدنية لمراقب مدني. الأول ضابط سام يعينه المقيم العام لحفظ الأمن والنظام ولإخباره بمختلف الأحوال ومراقبة الفرنسيين العاملين إلى جانب السلطات المخزنية. والثاني يشرف على المراقب المدني للشؤون الأهلية الذي وضع في القبيلة إزاء القائد، وكذا رئيس الأشغال البلدية في المدينة الذي استأثر بمهام الباشا. لقد انطلقت الادارة المحلية الاستعمارية إذن من موقع الاشتراك في المراقبة، وانتهت إلى الإدارة المباشرة بعدما جرّد الباشا من صلاحياته وأصبح القائد وأعوانه الشيوخ والمقدمون عبارة عن هياكل صورية حتى إن الباشا والقائد صارا عملياً لا يعينان من طرف السلطان إلا باقتراح أو تزكية من سلطات الحماية المحلية.

عندما انتهت حرب الريف وأوشكت فرنسا أن تبسط نفوذها على البلد بأكمله أضيفت سنة 1926 دائرة واد زم إلى الدوائر المدنية السابقة (دكالة، عبدة، الشياظمة) ثم تأسست ناحية تازا العسكرية. فأصبح المغرب ينقسم سنة 1930 تحت الاحتلال الفرنسي إلى تسع مناطق : ثلاث نواح مدنية وثلاثة أقاليم مدنية وثلاث نواح عسكرية. وبعد تغييرين طفيفين تما سنتي 1940 و1947 صار التراب الوطني منقسماً إلى سبع نواح تضمّ سبعة عشر إقليماً هي الدار البيضاء (الشاوية، الدار البيضاء الجديدة واد زم تادلة والرباط (القنيطرة، وزان) ومراكش (مراكش المدينة، مراكش البادية، أسفي، ورزازات) وفاس (فاس، تازا) ومكناس (مكناس المدينة، مكناس البادية، تافيلالت، إفران) ووجدة وأگادير.

كانت هذه النواحي السبع تضمّ ست عشرة بلدية وستاً وعشرين دائرة وتسعاً وثلاثين مقاطعة وخمساً وستين ملحقة وسبعة وخمسين مركزاً وستمائة وخمساً وستين قبيلة. وكانت تتوزع السلطة المخزنية إذاك على عشرين باشا وتسعين خليفة بالمدن و ستة وثلاثين وثلاثمائة قائد وعشرة ومائة خليفة بالأرياف. بينما كانت السلطة المحلية الفرنسية تتألف من تسعة وستين وثمانمائة مراقب مدني وضابط عسكري.

كان محو التقسيم الاستعماري الذي لا يخدم أهداف الإدارة العامّة والمصالح التقنية هو من الأنشطة المستعجلة التي باشرها المغرب المستقل. فتم تعويض النواحي السبع التي كانت تحت نفوذ فرنسا والأقاليم الخمسة التي كانت في منطقة نفوذ إسبانيا بمقتضى مرسوم 19 دجنبر 1955 بحاضرتين مستقلتين (الرباط والدار البيضاء) وثلاثة عشر إقليماً (أگادير، بني ملال، الشاوية، فاس، تافيلالت، مراكش، مكناس، ورزازات ، وجدة، الرباط، أسفي، الجديدة، تازا). ثم صدر بعد بضعة أشهر ظهيران يعيدان تقسيم المغرب إلى تسعة عشر إقليماً وخمس عمالات : فاس ومكناس ومراكش وأقاليم سطات وطنجة والناظور والعرائش وتطوان وشفشاون والريف.

ومع ذلك كانت الاهتمامات منصبة في السنوات الأولى من الاستقلال على إعادة الهيكلة واستتباب الأمن. وبالتالي كان الوضع الإداري غير مستقر إلى حدود سنة 1960، لما صدر ظهير 2 دجنبر 1959 المعتمد إلى الآن والذي قلص من عدد العمالات (الرباط والدار البيضاء) والأقاليم (16)، وحدّدت جماعات تختلف قاعدتها وحدودها عن سابقاتها. فحذفت أقاليم آسفي والجديدة وسطات والعرائش وشفشاون وأضيف إقليما طرفاية والدار البيضاء (الشاوية سابقاً).

إن تزايد عدد الأقاليم والعمالات لاحقاً ستمليه ظروف سياسية على الخصوص واعتبارات جغرافية أخرى (منها خلق أقاليم حدودية وأخرى جبلية) وصعوبة الخدمات الإدارية أمام تزايد السكان وتضخم بعض المدن، خصوصاً وأن اتساع بعض الأقاليم كان كبيراً. وهكذا أنشئت أقاليم أسفي (1965) وسطات والجديدة وخريبگة (1967). إلاّ أن الشبكة الإدارية ستعرف تكثيفاً أسرع منذ سنة 1973، حيث ظهرت أقاليم قلعة السراغنة والخميسات وخنيفرة، ثم تلاها إقليم فگيگ سنة 1974. وظهرت خمسة أقاليم دفعة واحدة سنة 1974 : تيزنيت، أزلال، بولمان، الصويرة، شفشاون. حتى إن المغرب أصبح يضمّ عمالتين وثمانية وعشرين إقليماً. وسيعرف تعديلات أخرى بعد تقسيم الصحراء المسترجعة إلى أقاليم العيون وبوجدور واسمارة سنة 1976 وإنشاء أقاليم بنسليمان وتارودانت وطاطا وطانطان (الذي أصبح يضم إقليم طرفاية السابق) سنة 1978 وأقاليم تارودانت وسيدي قاسم وإفران وگلميم ووادي الذهب سنة 1981.

أمّا سنة 1982 فشهدت تحوّلا هامّاً في التقسيم الإداري مع إحداث الولاية مباشرة بعد أحداث الدار البيضاء (1981) ذلك أن الوالي أصبح يشغل منصب المنسق بين عمّال الولاية. وهكذا انقسمت الدار البيضاء وفق مرسوم 28 يوليوز 1981 إلى خمس عمالات : الدار البيضاء ـ أنفا ؛ وبنمسيك ـ سيدي عثمان ؛ وعين السبع ـ الحي المحمّدي ؛ وعين الشق ـ الحي الحسني ؛ والمحمدية ـ زناتة. ثم جاء دور ولاية الرباط في مرسوم 1 فبراير 1983 التي أصبحت تضم عمالات الرباط، وسلا، والصخيرات ـ تمارة. كما تمّ سنة 1985 إحداث إقليم العرائش والعمالة السادسة في الدار البيضاء (الفدا ـ درب السلطان).

وسيعرف المغرب تعديلات أخرى على تقسيمه الإداري في بداية التسعينات مع إحداث إقليم أسّا ـ الزاگ وعمالة سيدي البرنوصي ـ زناتة. كما سيتمّ إنشاء ثلاث ولايات جديدة بمرسوم 1 يناير 1991 المكمّل بمرسومي 30 يونيو و17 غشت 1992، وهي ولاية فاس (عمالات فاس الجديد ـ دار الدبيبغ؛ فاس المدينة ؛ زواغة ـ مولاي يعقوب ؛ إقليم صفرو) وولاية مراكش (عمالات مراكش و مراكش ـ المنارة؛ ومراكش ـ المدينة ؛ وسيدي يوسف بن علي ؛ وإقليما شيشاوة والحوز) وولاية مكناس (عمالتا مكناس ـ المنزه الإسماعيلية ؛ إقليم الحاجب).

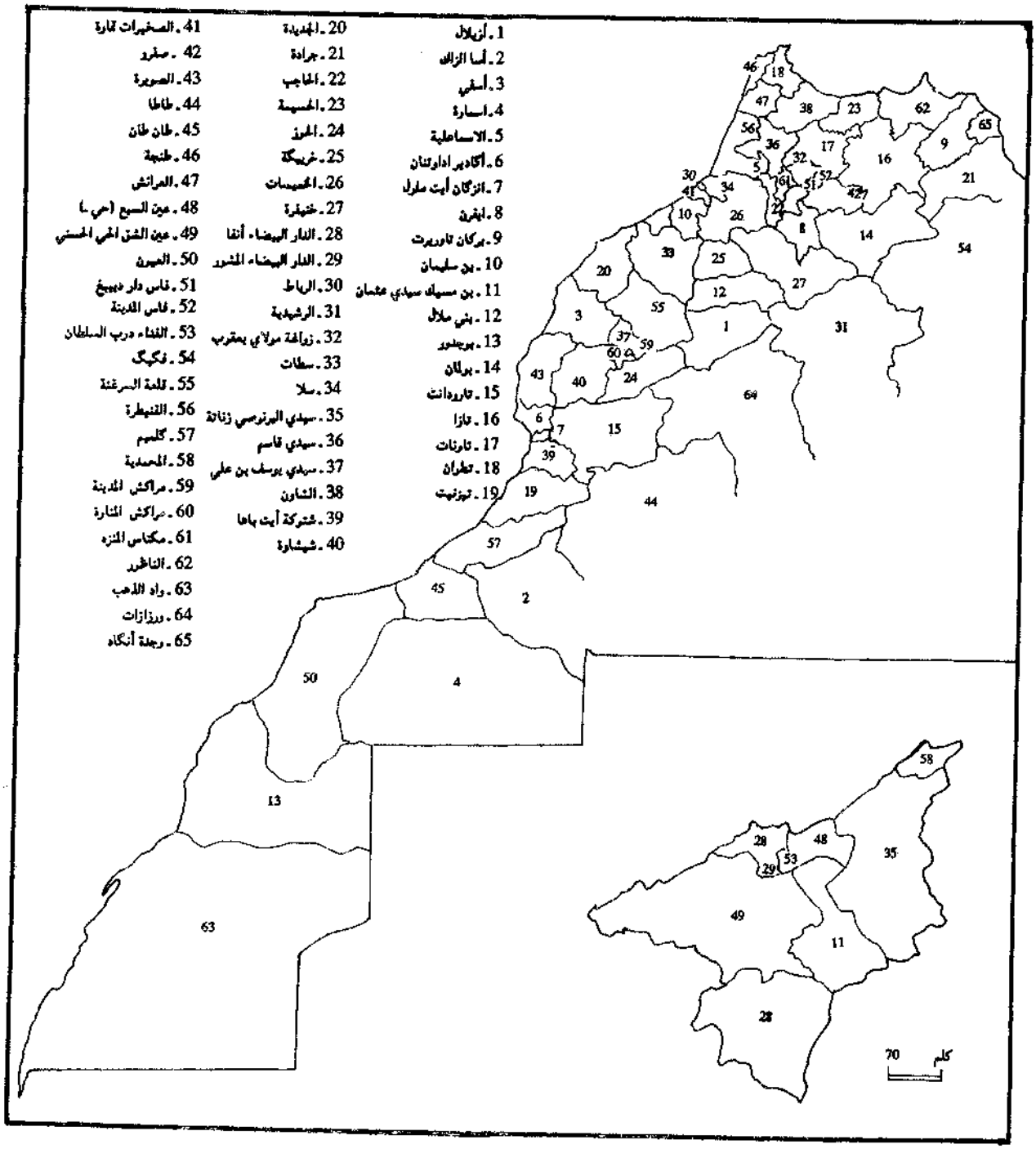

مجموع العمالات (22) والأقاليم (43)

حسب التقسيم الإداري لسنة 1994

وأخيراً، سيتم خلق أربع ولايات أخرى بمقتضى مرسوم 24 مـاي 1994 وهي ولاية وجدة (عـمـالـة وجدة ـ أنـكـاد وإقليما بركان ـ تاوريرت وجرادة) وولاية أكادير (عمالتا أكادير ـ وإدا وتنان وإنزگان ـ أيت ملول وشتوكة ـ آيت باها) وولاية تطوان (أقاليم تطوان والعرائش وشفشاون) وولاية العيون (إقليما العيون وبوجدور). هكذا يتوزع المغرب اليوم في أواخر سنة 1994 إلى واحد وثلاثين إقليماً خارج الولايات التسع التي تضم اثنتين وعشرين عمالة واثني عشر إقليماً وإلى مائتين وتسع وأربعين جماعة حضرية، وألف ومائتين وسبع وتسعين جماعة قروية.

لقد قطع المغرب ـ كما رأينا ـ أشواطاً هامة في تقسيمه الإداري لمحاولة توطيد اللامركزية. وتتمثل أهم محطاتها في قوانين 1963 (ثم 1966 و1969) المنظمة للإقليم والتي تنصّ على إنشاء مجالس إقليمية تضمّ ممثلي السكان وممثلي القطاعات المنتجة، وقوانين 1971 (ثم 1979) التي تنصّ على إحداث الجهات الاقتصادية، وقوانين 1976 التي أدخلت إصلاحات متميزة على التنظيم الجماعي لنقل بعض صلاحيات الباشا والقائد لصالح رئيس الجماعة المحلية ولتحسين مداخيلها ومستواها ووسائلها البشرية.

رغم هذه الطفرات النوعية، يسجّل على التقسيم الإداري المغربي الحالي تفاوت بين الأقاليم، وهو ناتج عن تمايزات في المساحة وعدد السكان والتجهيزات والموارد، خصوصاً بالنسبة لبعض الأقاليم التي نشأت بمقربة من الأقطاب الجهوية. أضف إلى ذلك أن الإدارات التقنية في العديد من الأقاليم لا تساير دائماً التقطيع الترابي. كما أن اللامركزية لازالت تشكو من بعض أثقال سلطة الوصاية، سواء بالنسبة للجماعات التي غالباً ما تكون عوائقها ماديّة أو بالنسبة للمجالس الإقليمية التي يعتبر العامل رئيسها الحقيقي بفعل مهامّه الدستورية التي تدعّمت سنة 1977 ثم سنة 1994 والتي تخوّل له سلطة مادية ومعنوية تجعله يشرف على انتخاب أعضاء المجلس ومراقبتهم وتنفيذ مقررات المجلس والتنسيق بين الإدارات، علاوة على اختصاصاته الأمنية والتسييرية.

الجريدة الرسمية للمملكة المغربية ؛ *معلمة المغرب*، *مواد إدارة، إقليم، باشا، بلدية* ؛ إدريس الشرادي، *مجالس الجماعات الحضرية والقروية*، الرباط، 1983 ؛ عبد القادر باينة، *التنظيم الإداري بالمغرب*، الدار البيضاء، 1991.

S. Benbachir, *L'Administration locale au Maroc*, Casablanca, 1969 ; A. Sedjari, *Les Structures administratives territoriales et le développement au Maroc*, Rabat, 1981 ; D. Basri, *L'Administration territoriale, l'expérience marocaine*, Paris, 1990

مصطفى عياد

التّفّال، أسرة أصلها من جبل حبيب كانت بتطوان، والوثيقة الوحيدة التي تشير إلى أنها كانت مازالت بتطوان هي المتعلقة بالإحصاء الذي جرى بالمدينة سنة 1257 / 1841.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 56 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 350 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo*.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **التّقْليتي**، أحمد المراكشي، ترجم له معاصره أحمد ابن القاضي ترجمة مختصرة في *درة الحجال* ولم يزد عليها شيئاً من ترجموا له بعده. إلا أن ترجمة ابن القاضي لابن التقليتي تكتسي أهمية خاصة نظراً لكونه رياضيا مثله، فقد قال عنه : "عارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادئ الهندسة، وهو شيخ جماعة الفنون المذكورة بمراكش المحروسة".

توفي بعد عام 999.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 172 رقم 217 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، 1974، 2 : 243 رقم 206 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 381.

محمد حجي

تـفْـوا، خليفة بن إسماعيل الدكالي، مقاوم ولد بسيدي بنور سنة 1922. وكان من ضمن المقاومين النشيطين بالدار البيضاء، وخاصة بحي ابن مسيك، يقوم بتوزيع المناشير والكتابة على الجدران من أجل حث المواطنين على الثورة ضد الاستعمار. ألقي عليه القبض من طرف السلطات الفرنسية بتاريخ 11 مـارس 1955، وظل معتقلا بالسجن المدني بالدار البيضاء إلى أن استشهد خنقا بالغاز بتاريخ 21 نونبر 1955.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة ؛ *كتاب الشهداء*، الجزء II.

عز الدين العلام

تَـكادا، من أبرز المجموعات الموسيقية الشعبية التي أفرزتها ظاهرة "فرق الأجيال" في السبعينات بالمغرب. انطلق نشاط هذه المجموعة في بحر عام 1972 بدافع الرغبة في تطوير واقع الأغنية المغربية، وذلك على يد ثلة من العناصر التي كانت تعمل إلى جانب الفنان المسرحي الطيب الصديقي بالدار البيضاء. وقد اهتمت ـ كمثيلاتها الأخرى ـ بالتعامل مع التراث الموسيقي الشعبي، وخاصة منه الغناء البدوي والعيطة بأنواعها الحوزية والجبلية.

وفيما تحرص المجموعة على صيانه البنية العامة للأغنية الشعبية التي تتعامل معها، فإنها في ذات الوقت لا تتردد في البحث عن أساليب التلوين والتنويع، وذلك من قبيل تحوير المقام الأصلي للأغنية بنقله إلى المقام المناسب، أو الجمع بين مقطوعتين تراثيتين في أغنية واحدة، أو توظيف مزيج من الإيقاعات المغربية بغية إحداث تجاوب عضوي مع ألحان الفقرات الغنائية. ومن هنا جاءت أغاني تَـكادا حافلة بصنوف الإيقاعات المغربية الشعبية كالتعريضة والمرساوي وأفلال، والسوسي وتَاسْكوين، كما جاءت هذه الأغاني لتؤكد أن الإيقاع هو أكثر عناصر اللغة الموسيقية إغراء للمجموعة على حساب العناصر الباقية المكونة للأغنية الشعبية.

وإلى جانب الآلات الإيقاعية التي تستخدمها المجموعة (الطبلة ـ البندير ـ التعريجة ـ القرقبة) تكاد تنفرد ـ دون غيرها من "فرق الأجيال" ـ باستخدام الكمنجة، لأنها ـ في رأي أعضائها ـ أقدر على بلورة الموقف الدرامي في العيطة المغربية.

ومن جهة أخرى تتميز المجموعة بالجمع بين المسرح الغنائي والأغنية الشعبية. ومن إنتاجها في هذا المجال : مسرحيات عبّو والريح ـ حلوف كرموس ـ سبع أيام المشماش وهو حوار خاص مع أعضاء المجموعة : محمد اللوز ـ محمد الجدور ـ عمر دخوش ـ سليمان عاطف ـ أحمد دخوش (ذاكار بمناسبة الاسبوع الثقافي المغربي بالسنيغال 26 ـ 31 مارس 1994).

من أشهر أغاني المجموعة : آجي أ'وكَانْ ـ التّبُوريدا ـ فينْ الأحْباب اللّي كانوا ـ لَلّهْ ياهْلِي ـ بَابَ ـ سلامي ليكَ.

عبد العزيز بن عبد الجليل

تَـگانة Tagana، ذكر الباحث بوزنيي بأن تگانة من المراكز التي عددها الجغرافي بطليموس (القرن II م)، ووافقت حسب نفس الباحث مدينة توگانة (Tugana) عند منابع واد تانسيفت، إلى الشرق من مدينة مراكش.

H. Besnier, *La Géographie ancienne de la Maurétanie Tingitane, A.M.* I. 1904, pp. 301 - 365.

البضاوية بلكامل

تَـگانتْ أُوگضيضْ، قرية جبلية في بلاد سملالة يعرّبها السملالي والخضيگي وغيرهما من أصحاب كتب التراجم بغابة الطير وينسبون إليها بمزج الكلمتين : تَـگانْتُوگضيضي، لكنهم لا ينسبون إلى غابة الطير ويكتفون بالسَملالي. ينتسب إلى هذه القرية جماعة من الفقهاء والصلحاء معظمهم من الوگاگيين آل الشيخ عمرو ابن يعزّى السملالي.

التگانتُوگضيضي، أحمد بن عمرو بن يعزى السملالي فقيه مشارك درّس في سوس ثم رحل إلى فاس ـ كأبيه ـ فأخذ عن كبار علماء القرويين حتى اكتمل تكوينه ورجع إلى مسقط رأسه. وقد رجع إلى فاس بعد أن دخلت في حكم السعديين ولم يذكر مترجموه إن كانت أسندت إليه مهمة رسمية في جهاز دولة الشرفاء. وفي فاس أدركته الوفاة عام 980 / 72 . 1573 ودفن في باب الگيسة (عجيسة)، ويعرف ضريحه بسيدي أحمد السوسي.

التگانتُوگضيضي، عبدالله بن أحمد بن عمرو السملالي ولد من قبله. حلاه الخضيگي بقوله : "من أجلة الفقهاء الأخيار وأولياء الله الصالحين وعلماء الدين، صائب الفراسة صادق الأحوال يشاور في الأمور والنوائب".

لم تُذكر له رحلة إلى فاس، لا في مرحلة تعلمه ولا تعليمه، وإنما ظل متصدراً للإفادة والإرشاد والتدريس والتربية الروحية في مسقط رأسه إلى أن توفي عام 1036 / 1627 . 26.

التگانتُوگضيضي، علي بن عبد الله بن أحمد، حفيد الشيخ الحاج عَمرو ابن يعزى السملالي. فقيه كبير، ومدرس شهير. درس في سوس على شيخ الإسلام علي بن أحمد الرسموكي وغيره. وقد حلاه الخضيگي بقوله : "الفقيه العالم العامل الشهير العابد الناسك الصالح المرابط المدرس. برع في فنون وأقرأها فهو شيخ المشايخ". وأخذ عنه جماعة من السوسيين وغيرهم، منهم الحسن اليوسي لما كان يدرس بسوس.

مرض علي في آخر حياته وتوفي في مسقط رأسه تگانت أو گضيض يوم الأربعاء فاتح ربيع الأول عام 1074 / 3 أكتوبر 1663.

التگانتُوگضيضي، عمرو (الحاج ـ) بن يعزّى السملالي. جد الأسرة العَمْرِيّة السملالية العالمة وإليه تنسب. وهو أحد أعلام سوس الذين لم يكتفوا بما تلقوه في بلدهم من معارف، وشدوا الرحلة إلى فاس في عهد الوطاسيين حين انتعشت الحركة العلمية فيها بمن حل بها من الأندلسيين والوهرانيين وغيرهم فأخذ عن الإمام محمد ابن غازي وطبقته إلى أن تخرج عالماً متمكناً في المعقولات والمنقولات، وحج فلقي طائفة من علماء المشرق وأخذ عنهم، فأصبح متميزاً في قطره علماً واستقامة. قال في حقه الخضيگي : "وبرع في علم المنطق والفقه وفاق الأقران... فصار من جهابذة العلماء ونقاد الفقهاء وبغار أن يتعاطى العلوم غير متقنها، في عفة وصيانة ونزاهة وديانة وورع وزهد تام".

توفي في مسقط رأسه حوالي عام 930 / 1524.

الرسموكي، *وفيات*، 17 ـ 18 ؛ م. الخضيگي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، رقم 584 و722 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 48 ـ 49 ؛ *رجالات العلم*، 17 . 27 . 28 ؛ *جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف*، 115 . 116.

محمد حجي

تكدي (أولاد ـ) ← **دليم**

تَـكْـرگُوسْتْ أو تاكركوسْت (بسوس)، قرية توجد بقبيلة سكتانة الشهيرة جنوبي مركز أولوز، أنجبت عدداً من الفقهاء والمدرسين والصلحاء. تحدث عن بعضهم التاسافتي في *رحلة الوافد*، ومحمد المختار السوسي في *المعسول*. منهم :

التكركوستي، محمد بن إبراهيم بن أحمد بن عثمان ابن مَحمد بن يعقوب، من مرابطي تاكركوست. وقد اشتهرت تاكركوست بشهرة الأسرة اليعقوبية، التي ينتمي إليها المترجم، وهي من الأسر العلمية الكبرى بمنطقة سوس، حيث عرفت بالعلم والصلاح منذ قرون. (*المعسول*، 16 : 49...). وما هذا التاكركوستي إلا فرع من تلك الدوحة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء.

ذكر محمداً التاكركوستي صاحبُ *رحلة الوافد* (ص. 197) فحلاه بقول : "المرابط الخير الدين الصالح، الفقيه، المحدث"، كان قائما على تدريس كتب الحديث المشهورة ولاسيما *الصحيحين والموطأ والجامع الصغير*. ومن كتب التفسير التي كان يدرسها، البيضاوي والثعالبي وابن جزي والجلالين، بالإضافة إلى كتب الفقه والسيرة واللغة وغيرها من الفنون.

كان المترجم شديد الحرص على ختم *صحيح البخاري*، على عادة ناصريي درعة. فقد حضر التاسافتي ختمه ثلاث سنين دأباً. ووصف ذلك الحفل البهيج، حيث يجتمع جيران الزاوية، ويقومون بإطعام كل من حضر.

وترجم له الخليفتي (ص. 241) فقال : "كان عالما زاهدا، تقيا عاملا عابدا ناسكا...". وهو من كبار تلامذة الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي، حيث أذن له إذناً عاما مطلقا في النيابة عنه في تلقين الأوراد، وإعطاء العهود. لكن الخليفتي لم يثبت تاريخ وفاته.

كما ترجم له الحضيكي، بنفس الألفاظ تقريبا، وأضاف أنه : "حج ولقي أعلام الحرمين ومصر، وأخذ عنهم علوم الحديث وغيرها. وأحيى بلاده بتلك العلوم والسنن، وبنى المدرسة، وأقام الزاوية، وأطعم الطعام وشمر في إقامة الدين، وأحيى السنن وأمات البدع، وانتفع به الخلائق... وانتشر صيته، وقُصد من بعيد"، (*طبقات*، 2 : 120).

وبالإجمال فإن محمد بن إبراهيم التكركوستي كان من كبار أساتذة سوس، في القرن الثاني عشر (18 م) وممن عملوا على نشر الطريقة الناصرية هنالك.

توفي ليلة الجمعة من شهر جمادى الثانية سنة 1134، ويذهب المختار السوسي إلى أن وفاته كانت يوم الأربعاء.

وبالرغم من أن خزانة التكركوستي قد اشتهرت في ذلك الوقت، فإن من ترجموا له لم يشيروا إلى تصانيفه.

التاسافتي، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي أزايكو، القنيطرة، 1988 ؛ الخليفتي، *الدرة الجليلة*، تح. أحمد عمالك، 1986 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 16 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، ج. 2.

أحمد عمالك

تكريم البترول ← البترول

التكريم (في الرياضة) Jubilé، تتم مكافأة اللاعبين الذين أنهوا مسارهم الرياضي بواسطة تنظيم تظاهرة رياضية تليق بمقامهم وتعد تكريماً لهم نظراً للخدمات التي قدموها لبلادهم. إن ريع المقابلات ومداخيلها تعود للاعب الذي مثل بلاده أحسن تمثيل في الملتقيات الوطنية والدولية.

لقد سار المغرب على هذا التقليد إذ نظم أول تكريم لفائدة اللاعب حسن أقصبي لاعب الفتح الرباطي المحترف بفرنسا. وقد شارك في هذا الحفل الرياضي فريق ريال مدريد الإسباني إلى جانب ائتلافي الفتح وشباب المحمدية.

ثم كان التكريم الثاني لفائدة حارس الجيش الملكي والنخبة الوطنية قسو علال، وقد شارك في هذا التكريم منتخب إفريقي لعب ضد فريق بنيفكا البرتغالي.

لقد ساهم فريق الوداد البيضاوي، مساهمة فعالة في هذا المجال، بحيث قام بتكريم عدد كبير من لاعبيه. ولتكريم اللاعبين تستدعى في غالب الأحيان الأندية الأوربية للمشاركة في هذه التظاهرات الرياضية إلى جانب النادي أو الأندية التي ينتمي إليها اللاعب. وفيما يلي سجل هذه التظاهرات التي أقيمت احتفاءً بالرياضيين سواء كانوا لاعبين أم حكاماً أو مسيرين :

3 يونيو 1971 تكريم اللاعب حسن اقصبي (الفتح) ؛ يونيو 1975 تكريم الحارس قسو علال (الجيش) ؛ 25 يناير 1977 تكريم اللاعب الزغاري (الوداد) ؛ 7 يناير 1979 تكريم اللاعب عبد الحق (الوداد) ؛ 16 يونيو 1983 تكريم اللاعب الحارس أحمد (الوداد) ؛ 10 غشت 1983 تكريم اللاعب العربي (الوداد) ؛ 30 أبريل 1984 تكريم اللاعب مجاهيد (الوداد) ؛ 26 مايو 1985 تكريم الحارس عبد القادر (الوداد) ؛ 30 مارس 1987 تكريم اللاعب عبد الخالق (الوداد) ؛ 31 يناير تكريم اللاعب كمال (الوداد) ؛ 21 يناير 1989 تكريم اللاعب الشريف (الوداد) ؛ سنة 1991 تكريم اللاعب العلوي (الوداد ـ الاتحاد البيضاوي) ؛ 9 يونيو 1992 تكريم اللاعب بريجة (الوداد).

من الرجاء البيضاوي : 27 نونبر 1983 تكريم اللاعب بونيني ؛ 16 يونيو 1988 تكريم اللاعب ميلازو ؛ 18 نونبر 1991 تكريم اللاعب بهيجة.

من المغرب الفاسي : 2 مايو 1982 تكريم اللاعب التازي؛ 25 يناير 1985 تكريم اللاعب الگزار ؛ 23 يونيو 1984 تكريم اللاعب ليمان.

من النادي المكناسي : 30 دجنبر 1983 تكريم اللاعب غويني ؛ 24 يونيو 1991 تكريم اللاعب عبد الوهاب.

من نجم الشباب البيضاوي : بابا ـ 31 دجنبر 1988 ؛ ميري كريمو ـ 28 مايو 1991.

من الجمعية السلاوية : 22 أبريل 1989 تكريم الدليلي العربي الملقب بـ"بتشو" ؛ 23 مايو 1991 تكريم اللاعب الشندرة.

من الدفاع الحسني الجديدي : 10 يوليوز 1988 "بابا" ؛ 14 يوليوز 1984 شيشا.

من المحمدية، اللاعب عسيلة (20 يناير 1985).

من أگادير، اللاعب بومزگيدة (31 دجنبر 1991).

من سيدي قاسم، اللاعب السماط (23 مايو 1985).

وأخيراً لحسن شيشا لاعب (السيام، تطوان الوداد، الفتح وحسنية أگادير) يوم 24 أبريل 1990. والمرحوم الدايدي عزيز، من النادي المكناسي، وعبد الله العمراني باخا من الجيش الملكي، واللاعب بكار من الرجاء البيضاوي.

ـ إلى جانب اللاعبين، تم تكريم الحكم السطالي سنة 1983.

ولتخليد ذكرى الرياضيين الذين انتقلوا إلى عفو الله، تقام تظاهرات رياضية، ريعها يعود لعائلاتهم. وهكذا تم

تخليد ذكرى المرحوم نور الدين أگديرة الصحفي الرياضي والمذيع يوم 29 دجنبر 1991، وذكرى المرحوم الصويري (28. 12 ـ 1991) الذي قدم خدمات مشكورة للكرة المغربية بمدينة القنيطرة.

تقاييد خاصة. K. Arsalane, *Le Football marocain.*

عبد العزيز بل الفايدة

تَـگْطَـشْـتْ، جامع بقنة جبل مطل على الشاطئ الممتد ما بين ترغة وتيجيساس (سطيحة)، بقبيلة بني زيات الغمارية، من آثار الفاتحين الأولين، ويشبه كثيراً في شكله ومادة بنائه (الطابية) جامع موسى بن نصير ببني حسان (الجامع البيضا)، وجامع طارق بن زياد باشرافات على مقربة من شفشاون.

وتَـگْطَـشْـتْ، اسم امرأة صالحة سوسية الأصل كانت تتعبد هناك، وربما أقبرت في هذا المكان، فاشتهر باسمها. وتذكر بعد المصادر أن هناك مدفن عمر بن إدريس، أمير تيجيساس، والمعروف أن عمر بن إدريس هذا، توفي ببعض جهات بلاد صنهاجة بموقع يعرف بفج الفرس، عام 220 / 932، فحمل جثمانه إلى فاس حيث صلى عليه الأمير محمد بن إدريس، ودفن بجانب والده إدريس الأصغر، لكن قبره غير معين ولا معروف، مما يشككنا في مدفنه هناك ؛ فمن المحتمل أن يكون أهله وعشيرته ذهبوا به في خفاء إلى مكان إمرته وعاصمة ولايته، حيث أقبر في حرز مكين بهذا الجبل ؛ ودفن بعض أبنائه بروضة قرب جامع تندمان، وتعرف بروضة سيدي بنعمر، ولاتزال قائمة العين إلى الآن.

وقد عقد الأمير محمد بن إدريس على عمله لولده علي ابن عمر فكان من أمره أن أثار على ابنه عمه علي بن محمد بن إدريس، فاستولى على العرش الإدريسي بالقوة، فبايعه الناس ودخلوا في طاعته، وخطب له على جميع منابر المغرب ؛ وكذلك حفيده يحيى بن إدريس بن عمر واسطة عقد البيت الإدريسي، الذي يقول فيه ابن خلدون : "لم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان" ؛ وهذه شهادة تلقاها نقيب الأشراف أبو الحسن علي بن عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب العلمي، عن فقهاء غمارة وكبرائهم، محمد بن يشرف، والشيخ أحمد ابن مرزوق الهليلي والد عبد القادر بن مرزوق، وولده الشيخ قاسم، وابن عمه السيد عبد الله ـ أن سيدي عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل ـ قبره عندهم بروضة تَـگْطَـشْـتْ المشهورة بقبيلة بني زيات ؛ وهي مزارة مشهورة، وخصوصاً في يوم عرفة، وعند طلب الغيث ورفعه. وعمر ـ على الخلاف في اسمه ـ كان متوليا عن أخيه الأكبر الأشهر مولاي محمد ابن إدريس بقصبة تيجيساس المشهورة بالبلاد المذكورة ـ وكتبه المتلقي عمن ذكر وغيرهم : علي بن عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب. وكتزكية لهذه الوثيقة، نقلها النسابة الشهير عبد السلام بن الطيب القادري في كتابه *الدر السني، فيمن بفاس من أهل النسب الحسني* (ص. 337).

ابن أبي زرع، *القرطاس*، نشر محمد الهاشمي الفلالي، 1 : 73 ـ 74 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 216 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 83 ـ 84 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 173 ـ 174.

سعيد أعراب

تْـگْفَايْتْ أو گْـفَايْتْ ـ بدون تاء ـ، زاوية تقع بسهل صغير يعرف بنفس الاسم واقع على وادي زا عند الخانق الذي حفره قبل دخوله كتلة جبال بني بوزگو، وهذا السهل على شكل مثلث طول أضلاعه 2.5 كلم، 1.5 كلم و2.5 كلم.

تقوم بهذا السهل قصبة متركبة من ثلاثة تجمعات سكنية يحيط بها سور طوله ثمانون مترا وارتفاع جدرانه يتراوح بين ثلاثة وأربعة أمتار، وبابه ينفتح على الجهة الجنوبية. استقر بهذه التجمعات السكنية في بداية القرن الرابع عشر (20 م) حوالي 300 عائلة جميعها مسلمة، لكن من أصول قبلية مختلفة. منهم بربر بني يعلا، وأولاد عمرو، وبني مطهر، وعرب أولاد بختي والمهاية.

وعلى بعد حوالي كيلومتر ونصف شمال القصبة تقع زاوية تگفايت أو گْـفايتْ، وهي عبارة عن بناء متواضع طوله حوالي خمسين متراً وعرضه أربعون متراً. تسمى هذه الزاوية زاوية تگفايت أو زاوية أولاد ابن عبد الرحمن، نسبة إلى مؤسسها الأول محمد بن عبد الرحمن. كان مستقره أول الأمر بطرابلس في ليبيا صحبة أخيه الماحي بن عبد الرحمن بهدف تلقي العلم، وكانا يتتلمذان على يدي الشيخ محمد بن سعيد الهبري. وبعد عودتهما إلى المغرب عمل الماحي على تأسيس زاوية ببني سنوس في الحدود المغربية الجزائرية، بينما اتجه أخوه محمد بن عبد الرحمن إلى تگفايت وأنشأ زاوية اشتغل فيها بالتعليم وتربية المريدين، واستمر كذلك إلى أن قتل بأولاد عمرو، فتولى أمر الزاوية أخوه الماحي بعد أن ترك ابنه المهدي بزاوية بني سنوس.

أما عن فترة تأسيس هذه الزاوية، فيشير ڤوانو Voinot إلى أن الزاوية تأسست خلال القرن الثاني عشر (18 م) من طرف السيد الماحي، بينما تذكر الرواية أن زاوية تگفايت قديمة تأسست خلال القرن العاشر (16 م). ونرجح الرواية الأولى لأنها ملائمة لعمود نسب شيوخ الزاوية الذي يذكر شيخين للزاوية هما السيد محمد وأخوه السيد الماحي قبل السيد الطيب الذي ذكره ڤوانو كمؤسس للزاوية.

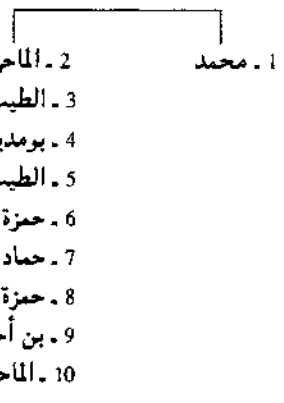

عمود نسب شيوخ زاوية تگفايت

ينتسب أهل الزاوية إلى الشرفاء الأدارسة. ويبدأ عمود نسبهم من عبد الرحمن بن أبي مدين بن أبي عبد القادر.... وينتهي إلى الحسين السبط ابن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، كما نشير إلى أن مؤسس الزاوية يلتقي في عمود نسبه بالولي أحمد الراشدي المليانى (ت. 927 / 1521) (*وثيقة نسب خاصة*). وطريقتهم جزولية شاذلية.

كانت زاوية تكفايت في أواسط القرن الثالث عشر (19 م) عبارة عن بناء بسيط ليس فيه سوى ثلاث حجرات، ولما تولى أمر الزاوية الشيخ حمادة بن حمزة المكنى محمد "حماد لعناية" قام - بأمر من السلطان الحسن الأول - بتجديد بناء الزاوية وتوسيعها، فأصبحت تتوفر على عدة غرف وبها أقواس وأعمدة ويتوسطها فناء به نافورة.

وبقيت كذلك إلى سنة 1947 م حيث أدخلت عليها إصلاحات أخرى خاصة بالتزيين، وفي سنة 1970 م أدخلت عليها إصلاحات تتعلق بتجديد السقف، ورغم هذه الإصلاحات والتجديدات فإنها حافظت على الشكل الذي كانت عليه في أواسط القرن الثالث عشر (19 م)، وهو نفس التاريخ الذي يعود إليه بناء المسجد الذي يوجد الآن بجانب الزاوية.

كان للزاوية دور ديني وإشعاع ثقافي على كافة المناطق سواء المجاورة للزاوية الأم أو البعيدة عنها، وقد تخرج على يد شيوخها علماء أجلاء نذكر منهم : "العلامة الكاتب، سمط المساجد والمكاتب، أبو العلاء إدريس بن ولي الله سيدي الطيب بن الماحي دفين تسجافايت : قرية في أعلى وادي زا، كان عالما فقيها وجيها كاتبا شاعرا... له خط بارع.. وقد طلبته الدولة العلوية في زمن وزيرها الأعظم، الفقيه ابن إدريس أن يكون كاتبا في حضرتها فامتنع أخوه رئيس الزاوية يومئذ أبو يعلى سيدي حمزة بن الطيب" (*نزهة الأبصار* للمشرفي). وعموما فإن نشاط الزاوية على الساحة الدينية والثقافية يترجمه ما كانت تتوفر عليه خزانتها الضخمة من الكتب والمخطوطات التي ضاعت بسبب الحريق الذي تعرضت له من طرف أتباع بوحمارة.

بالإضافة إلى الدور الديني والثقافي للزاوية، كانت تقوم بدور سياسي يتمثل في مساعدة المخزن في حملاته التأديبية التي كان يشنها ضد القبائل الثائرة في المنطقة، ومقابل ذلك أنعم السلاطين العلويون بظهائر التوقير والاحترام على أهل الزاوية وشيوخها.

وكان أهل زاوية تكفايت في 23 رمضان عام 1291 يحتلون مكانة مرموقة بين قبائل المنطقة ، مكنتهم من التدخل لإصلاح ذات البين بين القبائل المتناحرة، وكان السلم هو الميزة الأساسية بين أهل الزاوية وبين القبائل المجاورة لها إلا أنه خلال فترة فتنة الروكي بوحمارة دخلت الزاوية في صراعات حادة مع بعض القبائل المناصرة لبوحمارة كقبيلة أولاد سيدي الشيخ بقيادة بوعمامة حليف بوحمارة.

وأثناء الاضطرابات التي توالت على إقليم وجدة بين سنوات (1903. 1906 م) بدأ بوعمامة يحرض القبائل للوقوف بجانب بوحمارة مع معاقبة كل من يمتنع عن ذلك، وفي هذا الإطار تعرضت زاوية تكفايت إلى الاعتداء، وأخرج منها أهلها، وتعرضت ممتلكاتهم للنهب. نستشف ذلك من خلال الوثيقة المرسلة من طرف بوعمامة إلى أحد عبيد الزاوية القائم على ممتلكاتها الموجودة بكنفودة يأمره فيها بتسليمها إياه.

وقد أدى ذلك إلى أن تدخل الزاوية في صراعات مع بعض القبائل خاصة قبيلة لبخاتة التي اتخذت موقفاً عدائيا من أهل الزاوية مازال مستمراً إلى الآن.

وأثناء استفحال الاضطرابات التي صاحبت ثورة بوحمارة في المناطق الشرقية لم يستطع أهل الزاوية الصمود في وجهها فغادروا تكفايت مولين وجههم إلى مدينة وجدة التي استقروا بها طيلة فترة الثورة ودخلوا بها في حروب بجانب المخزن ضد بوحمارة، حيث قتل عدد منهم كالسيد الموفق بن حمادة (ابن شيخ الزاوية السيد حمادة) وابن عمه الماحي بن الصديق، وإدريس بن الماحي، وغيرهم...

وهكذا نرى أنه بعد أن اقتصرت زاوية تكفايت في بداية أمرها على دورها الديني والثقافي والاجتماعي دخلت هي الأخرى إلى الساحة السياسية خاصة بعد دخول المستعمر إلى الجزائر، وبذلك عرفت الزاوية منعطفا آخر في مسيرتها.

تكفايت، جماعة قروية تم إحداثها بموجب المرسوم رقم 2 / 59 / 1834 الصادر بتاريخ 2 / 12 / 1959م. مقرها بدوار الزاوية الذي يتميز بوجود مساحات سقوية شاسعة، وواحة تغطي مساحة تقدر بـ290 هكتار، وهو على بعد 90 كلم جنوب غرب مدينة وجدة، و27 كلم عن مدينة جرادة، و63 كلم عن مقر المقاطعة القروية لبني يعلى. وتبلغ مساحة الجماعة حوالي 593 كلم2.

تتوفر الجماعة القروية تكفايت على سهول داخلية ضيقة، تتخللها مجموعة من التلال، ومن أبرزها : سهل الفيضة وعكاية الكائنين بالواد الحي، وسهل الحاسي الكائن بدوار الروابح، بالإضافة إلى عدة هضاب وسلاسل جبلية ضخمة متوسطة الارتفاع. ويعتبر الواد الحي من أهم الأودية بالجماعة، حيث أن مجراه يعرف انتظاما طول السنة، وله عدة روافد تزيد في حجم مياهه التي يتم بواسطتها سقي مساحات شاسعة من الأراضي الفلاحية بالمنطقة.

كما توجد بالمنطقة عدة عيون طبيعية أهمها عين الشفاء الكائنة بدوار الزاوية السفلى، وعين خالص الكائنة بدوار الزاوية العليا. بالإضافة إلى عيون أخرى كعين غار الغولة، وعين معزوز وعين تيفراسين وأومراح. وتمثل الفلاحة وتربية المواشي النشاط الرئيسي والمورد الوحيد لسكان الجماعة.

م. العربي المشرفي، *نزهة الأبصار للذوي المعرفة والاستبصار...*، مخطوط، خ. ع. 579 كـ؛ *وثائق وظهائر* خاصة بالزاوية ؛ *مونوغرافية* جماعة تكفايت، 1992 ؛ *معلومات من المصلحة الاقتصادية* التابعة لولاية وجدة ؛ *معلومات من بعض مصالح عمالة جرادة* ؛ *بحث ميداني*.

A. Cour, *Notes sur la région de Berguent* ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat* ; *Confréries et Zaouia au Maroc Oriental*.

مارية دادي

التَّكَّة، حزام أهلي من صوف مفتول أو مظفور كان الرجل والمرأة كلاهما يشد به خصره قبل استعمال الأحزمة الجلدية والمضمات. ويطلق نفس الاسم على المكان المخصص لاحتواء الحزام نفسه في السراويل البلدية الفضفاضة. وغالبا ما تكون التكة داخلية تتحرك في مجرى باطني لا ترى منه إلا فتحتان يوجد بداخلهما طرفا الحزام. وكانت السراويل بالتكة، قبل انفتاح المغرب على البلدان الأوربية هي السائدة الانتشار في الحواضر والبوادي، على حد سواء على الرغم من استعمال بعض سكان الحواضر وخاصة منها الموجودة في شمال البلاد، لحزام منفصل عن السراويل، لكن هذا الحزام لم يكن مغربيا بل كان تركيا في أصله.

Le Dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain, vol. 1, Rabat, 1993 ; A. Sefrioui, *Le costume marocain*, *La Grande, Encyclopédie du Maroc*, vol. 2, Rabat, 1987 ; R. Dozy, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845.

محمد بوسلام

التكناوتي، الشريف بن علي الحسني المومناني الفاسي. من أسرة شريفة معروفة بفاس. وفيها ولد الشريف ـ اسماً ـ عام 1284 / 67 . 1868 ودرس في القرويين على مشاهير علمائها، أمثال عبد الله بن إدريس البدراوي، ومحمد بن قاسم القادري، وأحمد ابن الخياط الزكاري، وعبد السلام بن محمد بناني، وأحمد بناني كلاً وغيرهم، وتخرج عالماً مشاركاً في العلوم العقلية والنقلية.

قضى حياته في التدريس بالقرويين، وكان ذا طريقة حسنة في التبليغ والتفهيم، أخذ عنه أكثر الدارسين بالقرويين في العقود الوسطى من القرن الرابع عشر من الفاسيين والآفاقيين. ومن تلاميذه الذين سجلوا حسن انطباعهم عن شيخهم هذا محمد بن أبي بكر التطواني السلوي، وعبد السلام ابن سودة الذي عقد له ترجمة في فهرسه *سل النصال* وقال عنه "العلامة المطلع المشارك الكثير التدريس والإفادة والإجادة، كان يخوض في جل العلوم مع تواضع وعدم الدعوى ..." تولى عضوية المجلس العلمي بفاس إلى أن توفي بها على الساعة الحادية عشرة من ليلة الثلاثاء عاشر محرم عام ثمانية وستين وثلاثمائة وألف / فاتح نونبر 1949.

ع. ابن سودة، *إتحاف*، 1368 ؛ *سل النصال*، الترجمة 69 ؛ م. التطواني، *تقييد عن شيوخه*.

محمد حجي

تَكْنَة، اتحادية قبلية صحراوية، بذل العسكريون والباحثون الفرنسيون والإسبان جهوداً خلال العقود الخمسة الأولى من هذا القرن لبلورة منوغرافيات شاملة ومقتضبة حول الاتحادية القبلية، الأمر الذي جعلهم يحددون هويتها فيما أسموه بالكمقدرالية.

يمثل وادي نون وباني الغربية حيث يقيم القارون الذين ينتجعون الأماكن الخصبة قريبا من مداشرهم، المنطقة الحضرية لبلاد تَكْنَة. ولاشك أن مساند السفح الجنوبي الغربي للأطلس الصغير تمثل الحدود الشمالية بينما يشكل المحيط الأطلسي الحد الطبيعي الشمالي ووادي تامانارت و"معدر سلام" الحد الشرقي. يعتبر سهل وادي نون الأكثر خصوبة بالضفة الشمالية الغربية للصحراء الأطلسية. وهي خصوبة تميزها التأثيرات البحرية الملازمة للمحيط. أما كثبان وأعراف باني فتخترق الأودية بين الجبال مفجرة بذلك عيونا فياضة تسقي الواحات وتحصر حدود السكن. موقع المنطقة هذا ووفرة المياه وسهولة المواصلات جعلت من بلاد تكنة منطقة محورية لمرور القوافل. وقد بلغ عدد القرى والمداشر خلال النصف الأول من هذا القرن ثلاثة وخمسين منها ثلاثة عشر للف أيت الجمل الساحلي وأربعون للف أيت عثمان يفصلها جبلا تايسة وگير.

أما المنطقة الساحلية فتمتد بين خطي العرض 20 و32 درجة شمالا حيث ينتجع الرحل بين القعدة وإيزيك ومن وادي درعة إلى وادي نون. كما تمتد هذه المنطقة من الجنوب الغربي في اتجاه الشمال الشرقي معلنة التأثير المباشر للمحيط وخطوط العرض. غير أن وجود الجبل كحد طبيعي بينها وبين المنطقة الحضرية لا يشكل حدا فاصلا، فأماكن الانتجاع تصل إلى آخر المداشر. وربما كان الفرق الجوهري بين المنطقتين يتجسد في الأراضي السقوية واستعمال العربة. أما المنطقة الصحراوية حيث كانت قبائل تكنة تحمي القوافل مقابل ضرائب المرور، فتمتد عبر الساقية الحمراء عبر أزيد من ألف كلم تنحدر في مجملها من الشمال نحو الجنوب كما يدل على ذلك اتجاه مصبات أهم الأودية. وتلعب الحمادات دوراً مهما من حيث هي كصخور طاولية الشكل نادراً ما يزيد ارتفاعها عن 700 متر. هذه الخاصية تستطيع التأثير في العوامل المناخية وتقلبات الرياح جاعلة من الساقية الحمراء منطقة ساحلية أطلسية، وهو ما تثبته وفرة النباتات وكثافتها وعلوها واستمراريتها حتى مسافات قد تبعد بحوالي مائة كلم عن الشاطئ. كما تمتاز معظم تضاريسها ونتوءاتها بالانخفاض وبجريان المياه محليا إلى أن تنتهي في دنان. وتحاط أنجاد أربعمائة متر عادة بصخور عالية تغربلها الانخفاضات المسدودة حيث تتجمع المياه الجارية. كما تنقسم مناطق الكثبان الرملية بدورها إلى ثابتة غنية بالنباتات والمياه ومناطق أقل نشاطا حيث لا تعيش النباتات طويلا. وتعتبر الآبار كثيرة نسبيا غير أن أغلبها غير صالح للشرب، ويمكن تمييز آبار دائمة تستمد مياهها من القنوات الجوفية التي قد تصل إلى ثمانين متراً أو أكثر وأخرى موسمية يغذيها تسرب المياه

الشتوية. أما المياه الصالحة للشرب فتتمركز عموما بالشمال الغربي (زمور ـ وادي درا) وشرقا (إگيدي ـ الحنك). وباستثناء الماء فإن الملح يعتبر العنصر المعدني الأكثر استغلالا منذ قرون بعيدة.

تتميز إذن بلاد تكنة بموقعها الأكثر خصوبة واعتدالا بالصحراء الأطلسية. ونرى بوضوح دور هذا التحديد الجغرافي في تثبيت الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة كنقطة التقاء القوافل القادمة من الصحراء والعائدة إليها. من هنا نتساءل ما دور أنماط العيش المختلفة وازدواجية اللغة في ترصيص التشكيلة الاجتماعية لقبائل الاتحادية والحيلولة دون تفككها ؟ يجيبنا الازدواج اللغوي بأن تسرب لسان ذوي حسان إلى الغور الصنهاجي إنما مرده إلى عدم تكافؤ العصبيتين بعد تعايش دام أزيد من ستة قرون. لقد تمكن ذوو حسان بإمعانهم في بلورة القيم الحربية المتزايدة، من الدفع بالفصائل الصنهاجية إلى مماثلتهم لغويا. ومن هنا فإن سلطة ذوي حسان لا تتمثل فقط في قوتهم الخاصة وإنما في طمس المعالم اللغوية لكبار الرحل من لفي تكنة. على أنه إذا كانت الحسانية قد تسربت من الجنوب تدريجيا في اتجاه الشمال كبقعة زيت عائمة، فإنها تؤكد بأن قبائل تكنة لم تكن محبوسة أو غير قادرة على التحول بقدر ما تفيد كذلك ظاهرة التأثر الميداني بمعايير المجتمع الحربية والسياسية السائدة. إلا أن هذه الرؤيا تفقد مع ذلك من طابعها العلمي ما لم ننتقل إلى رصد بعض معطياتها التوثيقية الملموسة.

تجسد هذه الاتحادية القبلية البنية الوظيفية التي تتحكم في المقاييس الحربية والسياسية والاقتصادية للساقية الحمراء ووادي نون وباني الغربية حيث يمثل وادي تامنارت الحد الشرقي. ولكي نبرز أسباب هذه التسمية وعلاقتها بالجانب التسييري لتكنة يبدو مدشر تاگجگالت أيت تيكني على وادي تامنارت متين الارتباط بمحور من المحاور الأولى التي تدور حولها نشأة هذه الاتحادية. فإذا كان هذا المدشر قد عرف ميلاد عبد الله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م)، فإنه يبدو وثيق الاتصال بنول لمطة حيث كان عثمان بن مندي الجد الأعلى لتكنة عاملا لابن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني (V. Monteil, *Les Tekna*, 10 - 17). إذا حاولنا استعراض الكيفية التي ترسم نشأة هذه الاتحادية فإننا نجد مخطوط *البحر المحيط في نسب تكنا وازوافيط* فصاحبه عبد المولى ابن بوعلام يزكي هذه المقولة. فهو يضيف بأن أبا الوليد ابن رشد القرطبي قاضي علي بن يوسف بن تاشفين قد وظف دور تَكْنَة وأزوافيط الحربي في حماية أمن وسلامة القوافل عبر مسالك الصحراء الأطلسية. فيرتبط بذلك اسم تَكْنَة بمراقبة المجال الذي يترجم من حيث تركيبه التاريخي تساكن المحورين الساحلي الغربي والموازي له شرقاً. من هنا فإن مهمة تقويم المعجم وتهذيب ألفاظه على ضوء الاستعمالات هو موكول إلى مفهوم هذا التعايش الذي يكمن أيضا وراء مصطلح اللفين المكونين للاتحادية. وحتى نتمكن من إبراز أبعاد مفهوم اللف يكون لزاما أن نتخطى سياج النظرية التقليدية سواء في تصنيفها لنظام التحالفات القبلية أو نقدها له. هنا نشير إلى أن كل حلقة مراقبة محاور الصحراء تزكي تعايش الفصائل المؤسسة للاتحادية في إطار شبيه بالاشتقاق اللفظي الأمازيغي لمفهوم تكنة (الضرة ـ الزوجة الثانية) (م. ناعمي، *تشكل...*، 246). كما أن تعدد الأماكن التي تحمل اسم تَكْنين بوادي نون وما جاوره من المناطق تنضاف إلى اسم تاگجگالت أيت تيكني لتشخص لنا أبعاد الاستعمال. فكل ما في تكنة وتيكني وتكنوين بمعناه ولفظه يدل دلالة قطعية على مدى ما تدين به هذه الاتحادية لمفهوم التساكن والتعايش من أجل مراقبة المجال. وهو ما يمكن أن يوضحه استعراض الفوارق بين لفي أيت الجمل الساحلي وأيت عثمان الشرقي من حيث كونهما محورين وظيفيين يثبتان النسق الدينامي للمعادلات الممكنة. فالشريط الساحلي الممتد من حدود أيت باعمران شمالا إلى ما وراء وادي الساقية الحمراء جنوباً يسيطر عليه الترحال الرعوي بفعل المعطيات المناخية والجيومرفولوجية (م ناعمي، *معلمة، أيت بلة*، 1349 : V. Monteil, *Les Tekna*, 31 - 33 - 52)، وهو ما يزكي تعميم اسم أيت الجمل على قبائل هذا المحور كلف متميز عن لف أيت عثمان الذي يشمل كل ما عدا هذا الشريط. أما البنية السلالية القرابية فنجدها تبرر الوحدة الداخلية كاشفة جوهر التكتل في مواجهة الآخرين، ذلك أن كلا اللفين يتحرك داخل منظومة تستقي مبادئها التحالفية ومنطلقاتها من سياق التطور الذي مايزال يخول لبعض الفصائل أدلة شرعية تورثهم لدى فصائل اللف الآخر. والذي يسترعي الانتباه ويستوقف النظر هو حق بعض فصائل أيت لحسن القبيلة المركزية في لف أيت الجمل في الإرث بأسرير لدى قبيلة ازوافيط المركزية بلف أيت بلة (أيت عثمان). هذا التداخل القرابي يحدد معطيات الأسس النسبية والعصبية المشتركة التي تقوم على أساسها التشريحات التصنيفية لفيزيولوجيا الالتفاف القبلي. إن الرواية الشفوية هنا لا تنصب من جهتها إلا على مفاهيم هي حصيلة الصياغات المصلحية خلال تعاقب المراحل منذ المرابطين. فتاريخ أسرير وتاغاجيجت كما أوردناه في معلمة المغرب يعطينا أبعاد نظام التحالفات خلال الموحدين بينما تنتهي التحولات التي تخللت تاريخ أيت أوسا وإديعزى أوهدى إلى الاعتراف بقدرة تكنة على تبرير مشروعية تحالفهم خلال المرينيين (م. ناعمي، *تشكل...*، 244. 246).

نصل بعد ذلك إلى بداية التسرب الإيبيري لتجسد الوثائق الاسبانية إطاراً ملموساً لنوعية العلاقات بين هذه الاتحادية والتحالف الاسباني ـ المحلي. إلا أنه في غياب المقروء المحلي تكشف صياغة العلاقات القرابية والخلافات المصلحية عن الشكل التحالفي المركب من أجل مراقبة السواقي والمداشر والمجال الرعوي والتجاري. على أن الذي

يسترعي الانتباه هو استقطاب القرن العاشر (16 م) لأكبر حجم من الوثائق والمخطوطات المحلية. فنصل بذلك إلى نظرية المراحل التي تميز في البحث التقليدي هذا القرن عما عداه. هذه ملاحظة أساسية تسجل بأن سياق التطور الذي وفق قبل ذلك بين المصلحة الذاتية والجماعية يبقى دائما هو مراقبة المجال كشرط أساسي لحماية البنية السلالية والقرابية. وإذا كانت هذه المقولة تهيمن على جميع منازع الفكر المحلي فإن خصائص هذا القرن تميزه بنهاية الهيمنة الإيبيرية والمتحالفين معها. وليس من شك في أن القرن الحادي عشر (17 م) يزخر بالتحالفات التي يتلوها الانبعاث الصريح للغور السكاني الأقدم رغم دور التغلغل التجاري الأوربي المتزايد. هذا ما يمكن أن تقوم عليه الأسس الفاعلة في تطبيع جبهة تكنة التي تستهدف حماية مواطن الاستقرار والترحال وما تستلزمه أنماط العيش من رواج تجاري واقتصادي واجتماعي.

تلك عموماً هي الطروحات التي تتداخل من خلالها تحديدات المجال اللغوي والقرابي والعسكري والتحالفي. أما فيما يخص المجال من حيث هو كأداة لمراقبة التجارة واستغلال المناجم والمراعي وتنظيم تربية الماشية، فإن تعريف تجار تكنة بسماسرة الصحراء يؤكد السائد المعياري حول دورهم بين ضفتي الصحراء كما تثبت ذلك الرواية المحلية والمنوغرافيات القديمة والبنية الاقتصادية والاجتماعية الحالية. أما الاتفاقيات المبرمة بين قبائل الاتحادية وإمارات أدرار والترارزة وتاگانت فتنظم مراقبة المجال وحق الاستعمال وشروطه كما تحدد حماية وأمن التجار. فالمراعي التي يجول بها تكنة تمتد إلى أزيد من ألف كلم نحو الجنوب الشرقي (من طرفاية إلى جنوب تاغوينيت) وعلى مسافة خمسمائة كلم من الشمال الغربي في اتجاه الجنوب الشرقي (من إيفني إلى إيگيدي). فتبرز بذلك أنماط العيش انتقالا غير محسوس من نمط الاستقرار النسبي إلى نمط الترحال التام. على أن الانحطاط التجاري الذي جاء ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر كنتيجة للتطور التجاري الأوربي كان السبب المباشر في التصدع الكامل لبنيات الصحراء التجارية. وطبعا فقد نتج عن ذلك انهيار هذه التجارة التي جرت بدورها تضعضعاً بنيويا للحركية الاجتماعية والعسكرية. إلا أن الضربة الكبرى التي عانى منها تكنة تتجسد في معالجة فرنسا وإسبانيا لمفهوم الحدود على أنه لا يدخل إلا في سياق حساباتها المصلحية. فتكون هاتان الدولتان قد عملتا على تقسيم بلاد تكنة سياسياً وعسكرياً. إلا أن محافظة قبائل الاتحادية على عصبيتهم في مجمل أبعادها وخلفياتها جعلت منهم حتى ما بعد سنة 1934 هيكلا تأسيسيا يروم السيطرة على سياسة واقتصاد الصحراء واستيعاب كل المحاولات الهادفة إلى الإخلال به. هذا ما يؤكده حفاظ تكنة حتى اليوم على نفس الامتيازات وعلى الأولويات الاقتصادية والفلاحية والديمغرافية. وهو أيضاً ما تؤكده الوثائق المحلية المتوفرة بكثرة حول احتماء مجمل فصائل الزوايا ـ أهل العلم على اختلاف مستويات تطورهم خلال هذه المرحلة، بقبائل تكنة.

لقد أوضحنا في دراسة سابقة،حول قبيلة الرقيبات بأن العلاقة بين الحامين والمحميين ترسم أسلوب وكمية التفاعل بين تكنة المراقبين التقليديين للصحراء ومحمييهم (محمد سالم ولد عبد الحي، *جوامع المهمات*، 64ـ67). وتتضمن هذه الفكرة أن السياسة الاسبانية القاضية بتحديد الهوية عبر أوراق تعريف لا تشمل إلا الذين لم ينزحوا نحو الشمال، تعد مراجعة ذاتية لمفهوم مراقبة المجال وتحديده. ذلك أن نظام الحماية التقليدية لم يعد يترجم التعبئة التقليدية لشبكات القرابة والزبناء التابعين، فهو يطعن في الوجود الاسباني الفرنسي وفي مقاييسه التي تستهدف عزل الذات عن ذاتها.

تتضح هذه الحقيقة خاصة من خلال الأمثلة التي تركز على مدى احتكار تَكْنَة لاقتصاد الصحراء الأطلسية والتغلغل الفعلي في مواطنها الاستراتيجية بالضفة الجنوبية. وهو ما يمكن أن يعود بنا إلى ممارسة تجار الاتحادية بإمارة أدرار حين تجلت مصارعتهم للانحطاط التجاري عبر مسالك النيجر خلال القرن الثالث عشر (19 م) في احتلال موقع اقتصادي هام بمدينتي شنقيطي وأطار. فحيث كان التغلغل التجاري يقتضي التصرف في منتجات الأراضي المستصلحة والنخليل، نجدهم يعنون بحيازتها تمهيدا لمبادلة منتجاتها بالسلع الأخرى. وكانت إمارة أدرار يومها قد أصبحت منذ القرن العاشر (16 م) ملكا لقبائل الزوايا محتكري الميدانين الديني والتجاري. فكان الاندماج بهؤلاء يقتضي علاوة عن التجذر في احتكار إنتاج الأرض والنخيل، مصاهرتهم مما لا يستطيع أن يقوم به من لم يكن ذا حنكة تجارية ومرونة سياسية. ولعلنا سنتبين أكثر فأكثر استراتيجية تجار تكنة إذا علمنا أن محمد ولد علي حفيد الكوري الخنوسي أمير تيفصرت وسيد تجارة مسالكها خلال القرن الثاني عشر (18 م)، قد صاهر قبيلة الأغلال المحلية. وعندما اختط الإسبان والفرنسيون الحدود داخل بلاد تَكْنَة كانت سمعة أهل الكوري ماتزال تعترض كل مسافر يتأكد من مقدرتهم على حيازة أكبر قدر من الأراضي. لقد تجمعت يومها لأهل بيروك من قبيلة أيت موسى أوعلي شأنهم شأن مجموعة من تجار الاتحادية المقدرة الكافية لتطوير أساليب تجار أدرار التي استطاعت بفضلهم تمتين مبادلاتها مع سان لوي بالسنغال (P. Bonte, *Esquisse...*, 330). أما المحور الرابط بين تندوف وتنبكتو عبر تاودني فنجده يجسد قدرة تجار تكنة على التأقلم رغم السيطرة المتزايدة لتجار المرافئ الفرنسية. فعلى ضفاف نهر النيجر نجد من ألمع تجار تكنة بتنبكتو عمار ولد احماد او المهدي وأحمد الغموكة من فصيلة أيت بليد الزفاطية. نجدهما يحتضنان صراعات العائلات ويتصدران كل ما من شأنه أن يرمم التصدعات ويسوي الخلافات. كما نجدهما يتبنيان كل القادمين عليهم

من تكنة ويسهلان مأمورية استقرارهم مع الجالية المحلية. هذا ما يمكن أن نتأكد منه بسهولة من خلال الأرشيفات الفرنسية والوثائق العائلية وكناشات التجار وما تروجه الرواية الشفوية حول فعالية نظام التحالفات بين لفي الاتحادية على أرض الضفة الجنوبية. إن المبادلات التي أقامها هؤلاء التجار مع مختلف مدن هذه الضفة الجنوبية لم تكن تتم إلا وفق صيغة التحالف بين اللفين. فعمار ولد احماد أو المهدي وأحمد الغموكة الزفاطيان اللذان لم يتوانيا عن حماية أحمد البركة من قبيلة أيت موسى أو علي، كانا يعلمان يومها بأن هذه القبيلة كثيرا ما دخلت لف قبيلتهما وغادرته عن طواعية. ولكنهما سعيا من وراء هذه الحماية إلى تثبيت الشبكة التجارية لتكنة. لاشك إذن أننا هنا إزاء ممارسة تلقي الأضواء على الفاعلية القرابية والسياسية للفي الاتحادية في تمتين حلقات تصاعدية تتخطى المراحل التاريخية.

نكون بذلك قد عرفنا مختلف المجالات المحددة لهوية تكنة ماعدا الديني منها. وإذا كان إبراز هذا المجال يقتضي دراسة علاقة تكنة بحملة الكتاب وأهل الدين، فإن انعكاس الروابط التي كانت قائمة بين الطرفين يحدد من حيث هو بنية مجتمعية مفهوم ملكية المجال والأرض. لقد رأينا بأن عصبية تكنة التي أهلتهم للتماسك عبر عشرة قرون تعصمها خلال القرن العشرين نزوعاتها التحالفية والقرابية ومصاهراتها الاختيارية بذوي العصبيات الحربية المشابهة من قبائل هذه الضفة أو تلك. أما الاختيارات الأخرى لبعض العائلات التكنية المتاجرة فتبدو غير ذات نزوعات قرابية متماسكة. فالقناعة والمسالمة التي تبدو من شيم الزوايا تدخل في ممارسة هذه العائلات المرتبطة بأهل الحيثيات الدينية وحملة الكتاب كما رأينا بشأن أهل الحريطاني (*معلمة، أهل بلة*، 1349). وفي هذا الاتجاه تشخص لنا هذه الممارسات المختلفة عنصرا حاسما في المراهنات المستقبلية حول الاحتفاظ بالتعريفة التكنية أو الانسلاخ عنها. لقد أضحت العائلات التكنية المتاجرة بهذه الضفة تختلف باختلاف تدهور درجة تجذر سلمها القرابي حيث يحد الارتباط بالزوايا من حجم وأهمية التوارث الاجتماعي. فنرى بذلك أن ما يميز بشكل التراتب الاجتماعي هو قبل كل شيء لعبة التحالفات والمصاهرات في الحد من الطابع التكني لاصهار الزوايا. تستقر بذلك المقدرة التكنية على احترام طابعها الحربي والتجاري فوق كل الاعتبارات مساهمة بشكل حاسم في المراهنات على الاستمرارية الوظيفية للاتحادية خارج ترابها. أما داخل الساقية الحمراء حيث تطورت قبائل الزوايا منذ العقد الرابع من هذا القرن سياسيا، فأشكال ملكية المجال والنشاط الاقتصادي في وجوهها المختلفة تكشف عن مدى انصهار المحميين القدامى ضمن وحدات اجتماعية وسياسية تختلف باختلاف مواقفها من تبني الحدود الفرنسية الإسبانية. إن فاعلية أهل الزوايا حملة الكتاب شكلت خلال القرون الماضية بدون شك عامل تأطير لهيمنة تكنة على الساقية الحمراء ومسالكها. وقد جعلت السلم والتوازن الاجتماعيين مرتبطين بالعلاقات السلطوية لأهل السلاح من القبائل التكنية المتحكمة في المجال. غير أن الاستناد إلى روابط قانونية دولية كحق الشعوب في تقرير المصير وخلق دول وطنية أدى إلى بروز تباينات حول تحديد مفهوم المجال بالساقية الحمراء. على أننا إذا أسقطنا من حسابنا هاته التباينات التي ماتزال تقلص إلى حد بعيد من إمكانية التماسك المجتمعي، فإن قدرة مختلف الشرائح المجتمعية التكنية ماتزال تعمل كبنية تتصدى لكل تفتت سياسي أو اجتماعي. يكون إذن من الممكن أن نتحدث في هذا السياق عن المقابلة التي تحددت من المنظور التكني الحالي بين العصبية والتحدي الانفصالي الذي يستمد جذوره من واقع ما بعد التقسيم الفرنسي الاسباني. غير أننا نصل هنا إلى التقابل بين ضرورة احترام الخصوصيات البنيوية والانطلاق نحو تحديد مفهوم الدولة. فنجد بأن اكتمال المعرفة العلمية لا يمكنه أن ينجز مهمته إلا في إطار سياسي يعكس بكل صدق البناء الكامن وراء الظواهر بكل معطياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

يتضح للمتتبع أننا قد انطلقنا في تحديدنا لهذه الاشكالية اعتباراً من أن العنصر الأساسي للبناء الاجتماعي التكني هو أنماط السلوك الاجتماعي التي يمكن الوصول إليها عن طريق ملاحظة العلاقات الاجتماعية الواقعية. ليس في ماضي ولا في حاضر تكنة أقر ولا أثبت من وثائقها فيما تؤكده الدراسات الميدانية. وهنا نلاحظ أن أقوى القبائل التكنية سياسيا واقتصاديا بالصحراء هي التي يعصمها من الاضمحلال إما الترحال واحتكار القطاعات الحيوية أو الحجم الديمغرافي. فحين نفحص التقسيم الذي ترد إليه الدراسات الميدانية والمنوغرافيات المتقادمة في الأرشيفات، نلاحظ ارتباط منطق العصبية بمقاييس احتكار المجال. معنى هذا أن الطقوس الحربية التي قادت لفي تكنة إلى مجابهة الفرنسيين وحلفائهم بادرار والنيجر خلال الثلاثينات من هذا القرن (La Chappelle, *Les Tekna*, 63) قد ظلت تلوح بالواجهة الوظيفية للاتحادية من خلال عادات وتقاليد يصعب محوها بفعل القمع الفرنسي والإسباني. ففي الوقت الذي ظلت المعاهدات الحمائية تضمن للقبائل المحمية بالساقية الحمراء كثيراً من الامتيازات بوادي نون، تتلاءم بنود الاتفاقيات مع الخصائص المميزة لتكنة كمحتكرين للمجال حتى ما بعد الاربعينات. من هنا فإنه لا يمكن اعتبار تماسك لفي الاتحادية الحالي مجرد امتداد لأنظمة المنافسة بين الوحدات القرابية. إن ما نسميه الامتداد عبر أجيال من مراقبة الساقية الحمراء لا يمكنه أن ينفسخ إلا بتفسخ المرفولوجية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للاتحادية. وهو ما يدعونا إلى عدم إغفال المعطيات التي عززت خلال السنوات الماضية تصور العلاقات الاجتماعية وفق

مقتضيات الروابط القرابية والقبلية.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، الرباط، 1988 ؛ *أهمية التجارة بالنسبة للبنية الاجتماعية شمال الصحراء*، *البحث العلمي*، الاعداد 34 . 35 . 37 . 38 . 39 . 40 ؛ *نزل لمطة من خلال الحفريات*، ندوة حول سجلماسة، وزارة الثقافة، 1988، الرباط ؛ *المصادر الموريتانية حول الفترة العلوية*، جامعة مولاي علي الشريف، الريصاني، 1989، 117 . 128 ؛ *معلمة المغرب*، مواد *إزرگيين*، 339 . 340 ؛ *ازوافيط*، 364 . 367 ؛ *أيت أوسا*، 377 . 379 ؛ *أسرير*، 409 . 411 ؛ *أسا*، 412 . 414 ؛ *إيعزى أوهدي*، 517 . 518 ؛ *اغفار واغفير*، 537 ؛ *إفران*، 548 ؛ *أگاوس*، 597 . 598.

P. Marty, *Les Tekna du Oued Noun*, in *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Paris, 1915, 60 - 89 ; F. De la Chappelle, *Les Tekna du Sud Ouest Marocain*, 1934, 108 p ; *Histoire du Sahara Occidental, Hesp.*, in *VII Congrès de l'I.H.E.M. sur l'histoire du Sahara Occidental*, 1930, 40 p, XI, fasc. I - II ; V. Monteil, *Notes sur le Sahara Espagnol*, Tiznit, 1944, 30 p ; Id, *Notes sur les Tekna*, Paris, 1948, 60 p ; L. Massignon, *Sahara Espagnol, Rio de Oro, R.M.M.*, 1925. 1er fasc., p. 108 - 109 ; C. Peyronnet, *Sud Ouest Marocain, Rio de Oro, Sahara Occidental, B.S.G.A.*, 1928, 687 - 710, 1 carte ; V. et J. Guarner, *El Sahara y Sud maroqui españoles, Coll. Bibliogr. Militar*, XL, Tolède, décembre 1931; M. Naïmi, *La politique des chefs de la confédération Takna face à l'expansionnisme commercial européen, Revue d'histoire maghrebine*, Tunis, n° 35 - 36, 1984, 153 - 173 ; *Nomades et sedentaires dans l'évolution historique de l'ensemble confédéral Tekna, B.E.S.M.*, Rabat, n° 157, 1986, 139 - 154 ; Id, *Le pays Tekna, Centre ou périphérie*, Colloque International *sur le devenir de la société rurale au Maroc*, Rabat, 1986, *B.E.S.M.*, n° 159 - 160 - 161 ; 231 - 245 ; *Les visées des Etats-Unis sur le Sud marocain au XIXème siècle à partir des rapports de Felix A. Mathews, International Conférence on Moroccan-American Relations*, Norfolk, Virginia, Novembre 13 - 15, 1986 ; *La Rive sud saharienne de 1842 à 1872 dans les registres comptables de la famille Bayruk, l'apport de trois nouvelles sources. Colloque sur les sources arabes de l'histoire africaine*, comission internationale pour une histoire scientifique et culturelle de l'humanité, Rabat, 1 - 3 avril 1987, in Université d'été, Juillet 1987, Colloque *Le Maroc de l'avénement de Moulay Abdelaziz à 1912*, Mohamedia 21 - 31 Juillet 1987, III, 167 - 193 ; *Le pays Tekna, commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, Actes du colloque *Le Maroc et l'Atlantique du XVème siècle*, Publ. Fac. des Lettres et Sciences Humaines, Rabat, 1992, 121 - 146 ; *American Expansionist Aims in South Western Morocco During the Ninteenth Century, The Atlantic Connection, 200 years of Moroccan-American Relations 1786 - 1986*, Ed. by Jerome B. Bookin Weiner and Mohamed El Mansour, Rabat, 1990, 105 - 116 ; *The evolution of the Tekna confederation caught between coastal commerce and trans saharan trade*, in *Tribe and state, essays in honour of David Montgomery Hart*, Ed. by E.G.H. Joffe and C.R. Pennell, Wisbech, Cambridgeshire, 1991, 213 - 238 ; M. Naïmi, A. Jazouli, *Etat et société : quelles perspectives ?*, *Al Bayane*, 12/6/1992 ; Id. *Régionalisation : les impératifs du découpage*, *L'Economiste*, 8/10/1992, 35 - 36 ; Id, *Régions : des idées pour les former*, *L'Economiste*, n° 71, 1993, 32 - 35.

مصطفى ناعمي

التكني، ميلود بن محمد، عُين قائداً على حامية قنيطرة علي وعدِّي سنة 1309 / 1891، بعد فرار قائدها السابق بوعزة بن الشيحاني الشرادي وتخليه عن عمله في حفظ الأمن بالمنطقة الاستراتيجية التي كانت تمر منها القوافل الذاهبة والعائدة من شمال المغرب وشرقه مروراً بتراب فرقة عامر، من قبيلة بني حسن، وهو مكان مدينة القنيطرة الحالية.

وقد قرر المخزن سنة 1310 / 1892 بناء قصبة هناك وضع تصميمها صالح بن محمد التادلاوي الربعي وواصل الإشراف عليها بعض الوقت محمد الهواري المسفيوي وكلاهما ممن تعلم بمدرسة الهندسة العسكرية من سنة 1884 إلى 1888. واستمر العمل في بنائها عدة سنوات، وكان المعلمون السلاويون هم الذين أنجزوا أهم أشغال البناء والنجارة وغيرها. واستمر ميلود التكني في قيادة هذه القصبة حتى سنة 1318 / 1900 تعينه إدالة (حامية) متألفة من مئات جنود الگيش الشرادي.

م. بوشعراء، *قبيلة بني حسن*، 1860 . 1912، مخطوط ؛ وثائق آل بنسعيد.

مصطفى بوشعراء

التكوين المهني بالمغرب، يهدف إلى إعداد يد عاملة مؤهلة للمساهمة في التنمية وتيسير إدماج الشباب في قطاع الشغل. لتحقيق ذلك، ولإعادة الاعتبار إلى العمل اليدوي، نشأت إدارة التكوين المهني وتكوين الأطر التي حددت مهامها في التخطيط والتنسيق والتوجيه والتقييم في ميدان التكوين.

تضم هذه الإدارة، بالاضافة إلى مديرية تكوين الأطر، مديرية تخطيط التكوين المهني التي تقوم بالتخطيط للتكوين على ضوء الحاجيات، ومديرية التعليم المهني وتسهر على جودة التكوين عن طريق توجيه ومراقبة المضامين الملقنة على المستوى التقني والتربوي.

تتألف مديرية التخطيط من قسم الخريطة وقسم التنظيم والتنمية وقسم البرامج والمنجزات وقسم الدراسات. أما مديرية التعليم المهني فتتكون من قسم المراقبة وقسم التنسيق البيداغوجي وقسم التكوين المستمر والتكييف.

وترتبط الإدارة المركزية على الصعيد الجهوي والاقليمي بعدة أجهزة فرعية تعمل على تنسيق نشاط مختلف القطاعات المكلفة بالتكوين على المستوى المحلي، أهمها اللجن الإقليمية للتكوين المهني ومجالس استكمال التكوين ولهما اتصال مباشر باللجنة الوطنية على الصعيد المركزي.

تتكون اللجنة الوطنية للتكوين المهني من المشرفين على التكوين والمشغلين وممثلي الماجورين وغيرهم. وتعقد تحت إشراف السلطة الحكومية المكلفة بالتكوين المهني ثلاث دورات في السنة على الأقل تخصص للموافقة على خريطة التكوين وتقييم نظامه وتحديد آفاقه الكمية والنوعية.

وتقوم اللجن الإقليمية للتكوين المهني بتقييم نشاط التكوين المهني في العمالة أو الإقليم وتقترح ما تراه مناسباً على اللجنة الوطنية. كما أنها تقدم توصيات لإنعاش قطاع التكوين في الإقليم وتقترح التخصصات الملائمة للمحيط الاقتصادي والاجتماعي المحلي.

أما مجالس استكمال التكوين فتساهم في إعداد وتعيين أهداف ومضامين التكوين وتنظم تداريب عملية ودورات تمرينية في الوحدات الإنتاجية وتعمل على إدماج المتخرجين من مراكز التكوين في قطاع الشغل.

هذا ويساهم في التكوين، إضافة إلى مكتب التكوين وإنعاش الشغل، وزارة الداخلية ووزارة الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر ووزارة السياحة ووزارة

الصيد البحري والملاحة التجارية ووزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي ووزارة الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية ووزارة الطاقة والمعادن ووزارة الصحة العمومية والمندوبية السامية لقدماء المحاربين والمكتب الشريف للفوسفاط والمكتب الوطني للسكك الحديدية والمكتب الوطني للكهرباء. كما يساهم فيه القطاع الخاص الذي يتوفر على أكثر من أربعمائة مؤسسة تستقبل حوالي 33٪ من العدد الإجمالي للمتكونين.

وينقسم التكوين المهني إلى ثلاثة مستويات : المستوى التقني ويهدف إلى الاستجابة إلى ما تحتاجه سوق الشغل من تقنيين وأطر متوسطة. وهو مفتوح في وجه التلاميذ الذين بلغوا على الأقل مستوى السنة الثالثة ثانوي ؛ ومستوى التأهيل وخلاله يكتسب التلميذ المهارات التقنية اللازمة لمزاولة مهنة بصفته عاملاً مؤهلاً، وهو مفتوح في وجه تلاميذ السنة التاسعة من التعليم الأساسي، وكذا تلاميذ السنتين الأولى والثانية من التعليم الثانوي. أما مستوى التخصص فيسعى إلى تكوين أعوان للتنفيذ في القطاعات الأساسية للنشاط الاقتصادي وخاصة في مهن الصناعة التقليدية والبناء والفلاحة. ويستقبل في هذا المستوى تلاميذ السنوات السادسة والسابعة والثامنة من التعليم الأساسي.

تتراوح سنوات الدراسة في التكوين المهني بين سنتين وثلاث سنوات موزعة على أكثر من مائتي تخصص تستجيب لحاجات مختلف القطاعات الاقتصادية. ويتم الالتحاق بمؤسسات التكوين إما عن طريق مباراة أو بواسطة روائز نفسية وتقنية في بعض الشعب كالنسيج والملابس الجاهزة والجلد وغيرها.

وقبل ولوج مؤسسات التكوين تنظم لفائدة التلاميذ حملات إعلامية بالمؤسسات التعليمية ومؤسسات التكوين وبواسطة وسائل الإعلام. وتؤخذ بعين الاعتبار في توجيه المتكونين نحو مختلف التخصصات النتائج التي حصلوا عليها والرغبات التي عبروا عنها لدى المستشارين في التوجيه.

وينصبُّ التكوين إجمالاً في المستويات الثلاثة المذكورة على التكنولوجيا والأعمال التطبيقية والتداريب داخل المعامل والمؤسسات. كما يستفيد المتكونون من برامج التعليم العام والتربية الوطنية والخلقية والرياضية.

ويحصل المتدربون في نهاية تكوينهم على شهادة أو دبلوم في التكوين : ففي مستوى التقني يمنح للمتخرج دبلوم التقني، وفي مستوى التأهيل ينال شهادة التأهيل المهني، وفي مستوى التخصص شهادة التكوين المهني.

ويمكن للمتفوقين من المتخرجين الالتحاق بالأسلاك العليا من التكوين المهني بفضل نظام انتقال خاص بالمتفوقين يسمى نظام الجسور الداخلية، وهو نظام يسمح بالانتقال من مستوى أدنى إلى مستوى أعلى حسب الشعبة التكوينية المختارة بعد موافقة لجنة من ذوي الاختصاص وثلة من الأساتذة الجامعيين في مواد تكنولوجية مختلفة. كما أن شهادات التأهيل المهني تمكن غيرهم من المتخرجين المتوفرين على المؤهلات المطلوبة إما أن يلتحقوا بالوظائف في القطاعات العمومية أو الخاصة أو إحداث مقاولات فردية أو تعاونية.

المملكة المغربية، *حركة التعليم في المغرب خلال الفترة ما بين 90-91. 1992 ؛ التقرير المقدم إلى الدورة الثالثة والأربعين للمؤتمر الدولي للتربية*، الرباط، 1994 ؛ وزارة التربية الوطنية، *وثيقة إصلاح نظام التعليم*، الرباط، 1985 ؛ وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، *كتابة الدولة في تكوين الأطر، آفاق مهنية*، الرباط، 1979 ؛ وزارة التربية الوطنية، *هيكلة التعليم الثانوي*، الرباط، 1994.

Ministère du Plan de la formation des cadres et de la formation professionnelle, *Le Maroc en chiffres*, Casablanca 1983 ; M. K. Harby, *L'enseignement technique dans les pays arabes*, Paris, UNESCO, 1965 ; T. Burckhardt et J. L. Michon, *Notes sur l'enseignement des métiers d'art traditionnel au Maroc*, Rabat - Fès, 1973 ; A. Layachi, *La formation professionnelle*, Mémoire de cycle supérieur, ENAP, 1971 - 1972.

محمد بوسلام

تَـلاتْ ـ نْ ـ يَـعـقـوبْ، مركز وجماعة قروية بدائرة أمزميز إقليم مراكش مساحتها 520 كلم^2 وسكانها 12.301 ن (1982) تقع بوادي نفيس الأوسط على ممر استراتيجي يربط بين الحوز وسوس اشتهر بأحداث تاريخية إذ كان مهد دولة الموحدين، وميدان صراع القواد الكبار في القرن الثالث عشر (19 م) يمر به طريق ثانوي رقم 501. تنتشر أراضي الجماعة علي مقطع من وادي نفيس الذي يتبع اتجاه فوالق عبر صخور هشة : طَفْل وحُتْ پرمورتياسي مما سهل على عوامل التعرية نحته وتوسيع الوادي. يحيط به من الجهة الشرقية سلسلة أعراف ويشدان (2796 م) ومن الجهة الغربية جبل گورزا (2662 م) تتكون من صخور صلبة شيست وحُتْ وكلس الزمن الأول. تغطيها غابات البلوط الأخضر وأشجار السرْو بالقسم الأعلى من واد نفيس. أما حوض تَلاتْ ـ نْ ـ يعقوبْ الواقع بقلب المنطقة فإنه ينطبق على حوض بنيوي يتكون من مقعر واسع طوله سبعة كيلومترات ينقسم إلى قسمين، يفصل بينهما عتبة شيستية يخترقها الواد ، يتكون من صخور هشة حث پرمورتياس. تغطيه تربة رملية رقيقة نظراً لقوة الجريان السطحي المرتبط بأمطار إعصارية وتعرية هوائية. يتراوح علوه بين 1225 و1160 م، يسوده مناخ شبه قاري يتميز بدرجات حرارة قصوى (+ 40 صيفا ودون الصفر شتاء) قليل الأمطار (237 ملم) لكنها تعوض بمياه الوادي وعيون نابعة بضفته. تنتشر قرى بأطراف الحوض وعلى مجرى الوادي، يسكنها فلاحون مستقرون من المصامدة ينتمون إلى قبيلة گندافة يشتغلون بالزراعة المسقية بقعر الوادي ومدرجات بسفوحه الدنيا تنتج الحبوب والخضر والزيتون وبعض الفواكه وتعرف هذه الزراعة اليوم تطوراً بتزايد الاهتمام بمنتجات تسويقية أهمها التفاح والبطاطس. باستعمال الأسمدة والأدوية خاصة بأراضي الملاكين الكبار

الذين ورثوا أو اشتروا ملكيات واسعة كونها بعض القواد الگندافيين قبل الاستقلال. وينتشر التفاح حتى في الملكيات الصغيرة المفتتة التي تعم وادي نفيس وروافده العليا حيث تنتشر أشجار الجوز، وتنتشر زراعة بورية للحبوب فوق متون ومنحدرات الحوض، وكذلك أشجار اللوز التي تشتهر بها المنطقة. وتتكامل تربية المواشي مع الزراعة بانسجام حيث تجد الأبقار تغذيتها في الحقول وفضلات الزراعة، وتجد الأغنام والماعز مجالا واسعاً للرعي بمتون الحوض والمنحدرات الجبلية الغابوية. وقد اشتهرت المنطقة بأنشطة معدنية قديمة وحديثة : رصاص نحاس ... لكن جل المناجم أغلقت باستثناء مناجم صخور الموزايك والبارتين.

انطلق اسم مركز تَلاتْ ـ نْ ـ يعقوب من قرية عند مخرج سيل بالطرف الجنوبي للحوض ويقصد بالتسمية شعب يعقوب ولعله يعقوب المنصور الموحدي لأن معقلهم تينمل يوجد على بعد ثلاثة كلم، وفرض الاسم نفسه لارتباطه بالتنظيم الإداري الحديث على أسماء تاريخية سابقة مثل گندافة وتسافت وتَمَسستْ وإيمين أو گرزي وإيجوكاك، ومازال جلها يطلق على قرى محلية. برز اسم القرية في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) عندما بنى القائد الگندافي مقر قيادته بمكان قربها : تلات ـ ن ـ يعقوب التحتاني وزادت أهميتها عندما اختارتها السلطات الاستعمارية كمركز إداري لها فأنشأت بقربها ثكنة للمخازنية ومكتب نائب مراقب الشؤون الأهلية ونقلت إليها السوق الأسبوعي من امزوزيت، فاكتسب أهمية تجارية.

عرف مركز تَلاتْ ـ نْ ـ يعقوب نموا اقتصادياً وعمرانياً بنمو تجهيزات السوق وظهور السويقة وتزايد المنشآت الإدارية، لكن قرية تَلاتْ ـ نْ ـ يعقوب الأصلية بقيت صغيرة (180 نسمة) لأن سكن الموظفين والتجار وأصحاب الخدمات وعمال المعادن وغيرهم يتوزع بقرى متقاربة على طول الواد أو بأطراف الحوض، خاصة بدواوير البور وأمگدول وإيمي نوگرزي. ويتكون المركز اليوم من الحي الإداري الذي امتدت منشآته على طول شارع مزدوج طوله 1400م بين القيادة بنهايته العليا وملتقاه بالطريق الثانوي 501، امتدت حوله مختلف المنشآت الإدارية والاجتماعية : دار الجماعة القروية ومستوصف ومدرسة وإدارات تابعة لمختلف الوزارات، بالإضافة إلى سكن الموظفين. ويعتبر الحي الإداري القطب الحضري الذي تنتظم حوله مختلف الوحدات، فبجانبه الأيمن وعند نهايته العليا ظهر دوار البور به منازل مخصرمة للموظفين والتجار وأسر المهاجرين وبعض الفلاحين ويرتبط بوسط الشارع من جهته اليسرى السوق الأسبوعي والسويقة المتصلة به والتجمع السكني الكبير المحيط بهما : دوار أمگدول يضم منشآت خدمات شخصية كالحمام والفران ومحلات لمختلف المهن. وهناك منشآت أخرى : محطة البنزين ومصالح إدارية واجتماعية بقرى أخرى على طول الطريق. ذلك أن عدم استواء السطح والامتداد الطولي للحوض وضعف الاذخار عمل على تشتيت الحمولة الحضرية على عدد من التجمعات السكنية. ويبدو أن هناك منافسة بينها للاستئثار بأهم المنشآت الاقتصادية والاجتماعية تفوق فيها دوار أمگدول الذي يتوفر على أكبر قوة اجتذاب ونمو بفضل احتضانه للحي الإداري والسوق ويتوفر على أهم التجهيزات : مولد كهربائي صغير يعمل في المناسبات وبرج ماء شروب يزود الإدارات ومنازل قليلة. وبعض الطرق المرصفة يليه دوار إيمي نوگرزي بالطرف الشمالي للحوض عند قنطرة الطريق 501 على وادي أگنديس، وقد كان محطة قديمة لاستراحة القوافل، تحول إلى محطة طرقية وسويقة بها مقاه ودكاكين وفندق كانت تمتلكه الشركة المعدنية لگندافة أعيد ترميمه وفتحه لتنشيط الحركة السياحية. أما الدواوير الأخرى مثل إيجوكاك وأزرو ن السوق وغيرهما فقد بقيت أحياء سكنية للفلاحين وغيرهم.

ينعقد السوق الأسبوعي يوم الأربعاء، يزود السكان بالحاجيات الأساسية يباع به فائض الإنتاج المحلي حسب الفصول : اللوز والجوز والتفاح والجلود والمواشي. ونظراً لانتشار أهم القرى بجوار الطريق وبالوادي الطويل فإن الكثير من المتسوقين يأتون إليه على الشاحنات وسيارات النقل. ويلاحظ أن تحويل حركة النقل بين مراكش وسوس إلى الطريق الجديد المار عبر إيمي نْ تانُوت حَرَمَ تَلاتْ نْ يعقوب من إسقاطات اقتصادية مهمة ولم يعد يستخدم طريقه التاريخي الذي رصف آخر مقطع منه الواصل إلى تيزي ن تاست سنة 1986 سوى سكان المنطقة : بلاد گندافة. إلا أنه يعرف نشاطاً سياحياً متزايداً إذ يدخل عبوره والاستراحة بفنادقه ومطاعمه ومقاهيه والتجول بأسواقه في برنامج الكثير من الشركات السياحية.

دراسة ميدانية.

أحمد هوزالي

تَـلاَجْدُوتْ، وتكتب أيضا بالكاف المعقودة "تلاگدوت"، قرية من القرى المحيطة بمدينة مكناس في العصر الوسيط، بقي اسمها شائعاً إلى حدود الشطر الأول من القرن الثاني عشر (18 م) (*الحوالة الأحمدية*، 11). وحسب التحريات الخاصة، فإن هذا الاسم لا يجد ما يقابله في منطقة أخرى من المغرب، مما يصعب معه إعطاء تفسير ثابت لمدلوله ؛ وإنما نستطيع أن نقدم افتراضاً مرحلياً باعتبار الكلمة مركبة من"تلا" و"جدوت" فيحيل هذا على معنى المكان الذي "له الحمرة"، حيث تؤدي كلمة "تْلا" في الاستعمال الأمازيغي السائد، المعنى الأول، وكلمة "گْدَوْ" معنى الحمرة، إذا ما اعتمدنا قاموس الطوارق (*Dictionnaire Touareg*, T I, 379)، وهذا الافتراض يجد دعمه في الخصوصية الطبيعية لتربة المنطقة، التي تمتاز، كما وصفها ابن غازي، بأنها رملية حمراء، كانت تجود بها زراعة الكروم البعلية (*الروض*، 14).

يجعل هذا المؤلف، قرية تلاگدوت من عمل بني زياد،

تحدث عنها الإدريسي بأنها كانت أيام المرابطين تعتبر المركز السكاني الثاني بعد تاگرارت (*وصف افريقيا*، 52). وقد ضبط موقعها الأستاذ محمد المنوني، اعتماداً على نصوص الحوالات الحبسية، غرب مدينة مكناس الحالية، حول ضريح سيدي علي منصور. أما عن تلاگدوت، فالمؤشرات المجموعة عنها، تفيد بأن محيطها الزراعي كان يمتد على أراض سقوية وبورية ؛ فالسقوية تشمل المنطقة التي بها ضريح سيدي عبد العزيز أسفل الموضع المعروف بـ"جنان العريفة" (*مدائن مكناسة*، 182)، وفي إشارة أخرى تسمى هذه المنطقة ببلاد "ما بين الويدان" (*الحوالة الأحمدية*، 72) والقصد منها المكان الذي يلتقي فيه نهرا "بواسحاق" و"بوفكران". أما البلاد البورية فتمتد غرباً إلى حيث ضريح سيدي علي أولحاج الذي يرجع ابن زيدان أنه نفس المسمى عند ابن غازي بالشيخ أبي الحسن علي بن يوسف التلاگدوتي المدعو بسيدي علي بن يشو، من شيوخ مكناسة البارزين في العهد المريني (*إتحاف*، 5 : 455) ومن دون شك فإن موقع القرية كان بهذه البلاد البورية، بناءً على الإشارة المتقدمة من أن السكان كانوا يزرعون كرومهم على البعل.

يشير ابن غازي بخصوص تلاجدوت ظاهرتين : عناية سكانها بزراعة الكروم واستخلاصهم منها خموراً فائقة الجودة، قيل عنها بسبب ذلك، إن السكان كانوا يستصبحون بها (*الروض*، 10) فما هو أصل هذه الظاهرة ؟ أ هو تقليد روماني متجذر في المنطقة ؟ أم أنها حديثة العهد لها صلة بالعناصر الأندلسية التي نزحت إليها في وقت متقدم، والتي اشتهرت بحذقها لأساليب هذه الفلاحة، على حد رأي باحث مهتم (*علاقة مكناس*، 201) ؟.

أما الظاهرة الثانية فتتصل بالتطور اللغوي الذي خضعت له منطقة تلاگدوت، إذ نحن إزاء قرية، كان سكانها في أول الأمر عناصر أندلسية كما هو مرجح (*علاقة مكناس*، 200)، والذين منحوها اسم بلادهم وأظهروا بها حرصاً كبيراً في الحفاظ على لسانهم وأشكالهم لأمد من الزمان، ثم تحول اسمها من قرية الأندلس إلى قرية تلاجدوت وصحب ذلك تحول مماثل في العجمة (*الروض*، 11)، تحول لا نعتقد أنه قد تم باندماج العناصر الأندلسية في البيئة المجاورة، إنما باختفائها من المنطقة وحلول العناصر التلاجدوتية مكانها، في وقت غير مصرح به في *الروض*، ونقدره هنا، اعتماداً على ما تحمله كلمة تلاجدوت من مدلول لغوي له صلة بلسان الطوارق، كما وضحنا سابقاً، بأنه وقع في أيام المرابطين، مثلما هو مقترح بالنسبة لبني زياد (*مدائن مكناسة*، ص. 183)، وحتى نقتنع أكثر بفكرة التجدد البشري هذه، وقابلية المناطق المغربية عموماً لسرعة التحول في الفترات السابقة المطبوعة بعدم الاستقرار السياسي والمجالي، نذكر أنه في نهاية الدولة المرينية خضعت تلاجدوت على غرار المستقرات الأخرى المجاورة لمدينة مكناس الحالية، لعملية الإفراغ من السكان، فيصادف وجود العناصر التلاجدوتية فضلا عن مدينة مكناس بمدينة فاس (*زهرة الآس*، 356). وفي ذات الوقت التحقت ببلاد تلاجدوت، في بداية القرن العاشر (16 م) عناصر جديدة هم الحاملون اسم العرايشيين، كانوا قد صحبوا الشيخ عبد الله بن حمد لدى قدومه إليها من فاس، واستقروا بها مدة معلومة قبل أن يلتحقوا بدورهم بمدينة مكناس (*النزع اللطيف*، 276)، وهذا مهم، لأنه يوضح وجهاً من الأوجه المؤدية إلى انتقال الملكية العقارية بمنطقة تلاجدوت إلى سكان مدينة مكناس بالشكل الذي غدت معه مجالا من مجالاتها الزراعية الرئيسية.

م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ ع. الكتاني، *زهرة الآس في بيوتات فاس*، مخطوط خ. ع. الرباط ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، مخطوط خ. ح ؛ *إتحاف أعلام الناس*، ج 5 ؛ *الحوالة الأحمدية بمكناس*، رقم 3 (النسخة المستنسخة) ؛ م. المنوني، *مدائن مكناسة القديمة من العصر الإدريسي إلى أواخر عصر الموحدين*، *أعمال ندوة المحاضرة الاسماعلية*، 1988 ؛ م. بنشريفة، *علاقة مكناس بالأندلس والأندلسيين حتى نهاية العصر المريني*، *أعمال ندوة المحاضرة الاسماعلية*، 1988.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*.

محمد اللحية

التلاجدوتي، علي بن يوسف، نسبة إلى تلاجدوت إحدى قرى حارات مكناس القديمة، ذكره ابن غازي (*الروض الهتون*، ص. 15) "وهذه القرية والله أعلم هي المسماة في هذه الأعصر تلاجدوت... ومنها كان الشيخ علي بن يوسف التلاجدوتي المدعو سيدي علي بن يشو". ووصفه ابن زيدان في *الإتحاف* (5 : 455) بقوله : "علامة مشارك نقاد خير محنك مطلع متفنن من فحول عصره المشار لهم بالبنان المرجوع إليهم في تحرير العلوم العقلية والنقلية وبالأخص علوم العربية والفرائض والحساب والعروض".

تتلمذ له عدد من علماء مكناس الأجلاء منهم : محمد ابن قاسم القوري (ت. 872)، وأحمد بن سعيد الحباك (ت. 870) ومحمد بن جابر الغساني.

ولا يعرف تاريخ وفاته، ويرجح ابن زيدان أن ضريحه هو المعروف حاليا بسيدي علي والحاج الواقع على بعد ثمانية كلم شمال مدينة مكناس.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1988 م. ص. 15 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 313 ؛ 3 : 595 ؛ 5 : 455.

رقية بلمقدم

تلاغ، واد قرب ملوية إلى الشرق من ممر تازا، حدثت به إحدى المعارك الهامة بين المرينيين أمراء فاس وبني زيان أمراء تلمسان في 12 جمادى الثانية من سنة 666 / 28 فبراير 1268، مع العلم أن الطرفين ينتميان إلى المجموعة الزناتية معاً. ويعود هذا الصراع إلى عهود سابقة آخرها عهد الموحدين الذين وجدوا في بني زيان (بني عبد الوادي) مناصرين لهم ضد أخوالهم من بني مرين، واشتد الصراع

بين الطرفين منذ تحولاتهما من الإطار القبلي إلى تأسيس الإمارة بتلمسان سنة 633 وبفاس سنة 646، فكانت أولى المعارك بينهما سنة 647 في إسلي قرب وجدة (*العبر*، 7 : 172 و*روضة النسرين*، 48)، وتجدد الصراع سنة 651 (*روضة*، 48)، ثم انهزم أمير تلمسان أمام المرينيين سنتي 653 و657 (*العبر*، 7 : 127 و173)، تلا ذلك هدوء مؤقت فجره عاملان أساسيان فيما يبدو : الأول، استيلاء يغمراسن أمير تلمسان على سجلماسة سنة 662 (*بغية*، 207 ؛ *العبر*، 7 : 175 ؛ *الذخيرة*، 101)، وكان للمرينيين طمع شديد فيها وقد سبق لهم أن دخلوها قبل سنوات، بينما عجز الموحدون عن الاحتفاظ بها. والعامل الثاني ـ وهو الأهم ـ استنجاد أبي دبوس آخر الخلفاء الموحدين بأمير تلمسان للضغط على المرينيين الذين كانوا يحاصرون مراكش بدعم وتأييد من الحفصيين بافريقية، فتحرك يغمراسن بجيوشه في اتجاه تازا وعاث فساداً في المنطقة. فاضطر يعقوب المريني إلى رفع الحصار عن مراكش، والتقى مع جيش يغمراسن في وادي تلاغ، وكانت المعركة شديدة وانتهت لصالح المرينيين، وفقد يغمراسن ابنه ولي عهده، ولن يتمكن من الاستعداد لمواجهة المرينيين إلا سنة 670 حيث سيلقى هزيمة أخرى...

كانت أهم نتائج المعركة بالنسبة للمرينيين هي التفرغ للضغط على الموحدين وخاصة خلال سنة 667، بحصار مراكش تارة، وتارة أخرى لقطع مصادر التموين عنها بتخريب زروع المنطقة الخاضعة لهم أي أحواز مراكش ومنطقة تادلا واستعمالهما مراعي لمواشي بني مرين، إلى أن ضاق أبو دبوس بالحصار وخرج للقتال، فكانت نهايته ونهاية دولة الموحدين في 2 محرم 668 / فاتح شتنبر 1269 (*القرطاس*، 360 ؛ *الذخيرة*، 116. 117).

بمناسبة حديث المصادر المرينية عن معركة تلاغ (ثم معركة إسلي بعدها سنة 670) ترد بعض الإشارات التي تهم أسلوب القتال لدى الطرفين الزناتيين، فبالإضافة إلى تعبئة الكراديس (مقدمة، جناحان، قلب، ساقة) كان يحضر خلف المقاتلين نساء الفريقين على الهوادج لابسات حليهنّ يحرضن على القتال (*الذخيرة*، 115 ؛ *العبر*، 7 : 371).

ابن أبي زرع، *روض القرطاس*، ص. 305. 306 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، 115. 116 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 176. 177 و370. 371 ؛ يحيى ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، ج 1، الجزائر، 1980 ؛ ابن الاحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، ص. 48. 49.

أحمد عزاوي

تلامْغَايْت، موقع استراتيجي في حرب الريف ومركز عسكري واقع في بني توزين على الطريق الرئيسية الرابطة بين الناظور والحسيمة، فيه مركز الجماعة القروية "تسافت" بالمدينة الناشئة : "گسيطة"، (ومعناها بالأسبانية المنزل الصغير). فلم يكن فيها زمن الحماية سوى بيت صغير تتوقف عنده حافلات النقل العمومي الرابطة بين تطوان والناظور. ومع الأيام حوله الأهالي خاصة العمال العائدون من أوربا إلى مركز حضري متنام يحتوي على مصالح الجماعة ومجموعات مدارس ومهن حرفية وصناعية وتجارية.

تشتهر تلامْغَايْت بإحدى المعارك الطاحنة بين قوات المجاهدين مع محمد بن عبد الكريم الخطابي، والجيش الإسباني في الهجوم التحالفي المشترك لكل من القوات الفرنسية والإسبانية على الثورة الريفية، وذلك يوم 15 ماي 1926 قبل انتهاء هذه الحرب بحوالي عشرة أيام. فقد كانت فيالق الجيوش الفرنسية والإسبانية زاحفة على أربع جهات من الجنوب والشرق والغرب والشمال. وكانت "تلامْغَايْت" على بعد أقل من كيلومتر واحد من الحدود الفاصلة بين منطقتي الاحتلال.

ومنذ ذلك التاريخ أقام الجيش الإسباني في سفح منكشف منها معسكراً دام إلى أيام الاستقلال.

وعند إنشاء جيْش التحرير وقيام المعارك التحريرية الأولى في جزناية المجاورة قبيل الاستقلال، قامت تلامْغَايْت بدور مساعد نشيط، إذ آوت المدنيين الهاربين من القصف المتوالي للطيران الحربي الفرنسي في معظم مناطق جزناية وبني أوراين وما إليها. كما كانت تشكل شبه قاعدة خلفية للمجاهدين تتسرب منها إليهم المؤونة والعتاد والذخائر والأسلحة.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية: معلومات مستقاة من جماعة تسافت القروية : روايات شفوية*.

عبد الله عاصم

تَلْتْ، تمثل أحد العناصر الهضبية المتعددة (فوغال، أُلماس، منت، تسافت الحاج...) المكونة لوحدة البلاد العليا داخل الهضبة الوسطى المغربية. ينحصر هذا العنصر الهضبي ذو الامتداد ج ـ ش / ش ـ غ، بين تسافت الحاج شمالا ومنت جنوبا، ويشرف على أعراف وحدة المنخفض الشرقي من الجهة الشرقية وعلى هضبة أُلماس من الجهة الغربية. وهو بذلك يشكل خطا لتقسيم المياه بين حوض بهت وحوض بورقراق.

مظاهر السطح متنوعة، ففي الشرق يمتد سطح مستو يتوفر على أعلى نقطة ارتفاع (گرتيلة : 1340م)، وتنتصب في الوسط مجموعة من النتوءات الدلوريتية، ويتحول المشهد التضاريسي في اتجاه الغرب إلى مجموعة من المتون والأشرطة المتقطعة ينزل الارتفاع عندها إلى حدود 1260 م (قمة تافوغالت).

يعود هذا التنوع في مظاهر السطح بالدرجة الأولى إلى تنوع الركائز الصخرية عند تلت، إذ تبرز عند السطح صخور أولية متنوعة عبارة عن فليش وشست وحث إضافة إلى اتاوات من الدلوريت.

وقد مكنت ظروف الوسط، المتمثلة في تربة حمراء وفي تساطقات مطرية يتراوح متوسطها بين 800 و1200 مم تتوزع على مدى 60 إلى 70 يوما ممطرا، في حرارات قصوى تتراوح بين 0 و36 درجة، من خلق مستوى مناخي شبه رطب ذي

شتاء بارد يسمح بظهور غطاء نباتي طبيعي يتشكل من غابة كثيفة من البلوط الأخضر وغابة من البلوط الفليني. ويكون هذا المجال الغابوي منتجعا صيفيا لقبائل زيان والقبائل المجاورة.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures : Etude géomorphologique*, Rabat, 1969.

الحسن المحداد

التلغراف، أو ما صار يعرف باسم البرق، كلمة مأخوذة عن اليونانية وتعني "tèle" البُعد و"graphein" كتابة، تستخدم اصطلاحيا للدلالة على أول نظام للاتصالات السلكية واللاسلكية الذي بواسطته يتم استخراج المعلومات المرسلة عند طرف الاستقبال على شاكلة وثيقة مكتوبة، بمعنى أن هذه الخدمة تسمح بإرسال سريع لرسائل مكتوبة بين شخصين، يطلق عليها اسم تلغرام أو برقية، ومن ميزاتها أنها لا تتطلب توفر المرسل للبرقية أو المستلم لها على أي من الأجهزة الانتهائية كما هو الشأن بالنسبة لخدمات الاتصالات الأخرى.

برز التلغراف إلى الوجود سنة 1252 / 1834 كنتيجة لتقدم الأبحاث في ميدان الكهرباء ومنذ ذلك الحين أصبح من أكثر الوسائل شيوعا في العالم لنقل الاخبار والمعلومات في صورة مكتوبة من مكان لآخر لمدة تفوق القرن إلى حين بروز آلة التلكس، ثم إنشاء أول خط تلغرافي على أسس تجارية بين مدينتي واشنطن وبالتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية وأشرف على وضعه الفزيائي الأمريكي صمويل مورس (1791 - 1872) الذي يعتبر المكتشف الحقيقي للتلغراف في صورته المألوفة وواضع أبجديته المعروفة باسمه والتي لازال معمولا بها إلى يومنا هذا، ويقع تبادل التلغراف بين محطتين تلغرافيتين بواسطة أسلاك معلقة أو مدفونة أو منغمسة أو بواسطة الموجات الكهرومغنطيسية بمعنى الراديوية وتم استخدام الحبل التلغرافي البحري لأول مرة يوم 12 غشت 1858 لتبادل أول "كابْلغْرامْ" (Câblegramme) بين القارتين الأمريكية والأوربية.

عرف التلغراف طفرة نوعية هائلة عندما ظهرت إلى الوجود في الخمسينات الطابعة التلغرافية أو ما صار يعرف تجاوزاً باسم التِّلكْس والذي أتاح إمكانية التحاور المكتوب بين طابعتين عن بعد مهما كانت المسافة الفاصلة بينهما بفضل استخدام الشفرة القياسية التي اعتمدتها اللجنة الدولية الاستشارية للتلغراف والتلفون التابعة للاتحاد الدولي للاتصالات بجنيف، والمعروفة عالميا باسم "الألفبائية التلغرافية الدولية رقم (2) ذات الخمسة عناصر ثنائية تتيح تركيبتها إمكانية الحصول على اثنين وثلاثين عنصرا تستخدم لترميز الحروف الأبجدية والأرقام وبعض الرموز الطباعية، على أن كل عنصر يكون مسبوقا بإشارة الابتداء وينتهي بإشارة الانتهاء والتي على إيقاعها تتحرك أزرار الطابعة التلغرافية عند طرف الاستقبال.

ظل العمل جاريا بهذه الشفرة التي تسمح فقط بتبادل

الاتصالات التلغرافية في المغرب

ماي 1912

الرسائل التلغرافية المحررة بحروف لاتينية فقط إلى حين إقرار المواصفة العربية رقم 449 في بداية الثمانينات من قبل الاتحاد المذكور والتي أتاحت إمكانية تبادل التلغراف المكتوب بحروف عربية، ولغرض تعميم الألفبائية اللاتينية والعربية على ميدان المعلوميات أجازت نفس اللجنة المذكورة عاليته الألفبائية التلغرافية الدولية رقم 5 ذات السبعة عناصر.

عرف المغرب استخدام التلغراف في العقد الأول من القرن العشرين وعهد إلى تشغيله سنة 1325 / 1907 بموافقة السلطان مولاي عبد العزيز إلى شركة خاصة "الشركة المغربية للتلغراف" التي أحدثت مكاتب تلغرافية في بعض المدن الرئيسية للمملكة حتى أصبح المغرب قبل دخول الحماية الفرنسية إليه يتوفر على :

- ست محطات تلغرافية لاسلكية (راديوية) في كل من طنجة والرباط والدار البيضاء والصويرة وفاس وصفرو.
- أربعة مكاتب تلغرافية مرصولة فيما بينها بأسلاك هوائية في كل من الدار البيضاء والرباط وأسفي ومكتب أصيلة الموصول إلى طنجة.
- كان الاتصال مع العالم الخارجي يتم من خلال المحطات التلغرافية الراديوية ومحطة الكوابل (الحبال) التلغرافية المنتهية عند مدينة طنجة بما فيها كابل وهران. وحتى يتم التغلب على إشكالية تسجيل المحطات التلغرافية لدى المكتب الدولي للاتحاد التلغرافي في "برْنْ" لتسهيل تبادل التلغراف بين المغرب ودول الاتحاد المذكور فقد تم سنة 1330 / 1911 إلحاق المغرب بعضوية المعاهدة الدولية التلغرافية والراديوتلغرافية.

ظل الأمر على هذا الحال إلى حين إدماج الشركة المغربية للتلغراف بمكتب البريد والتلغراف بعد إنشائه في 29 شوال

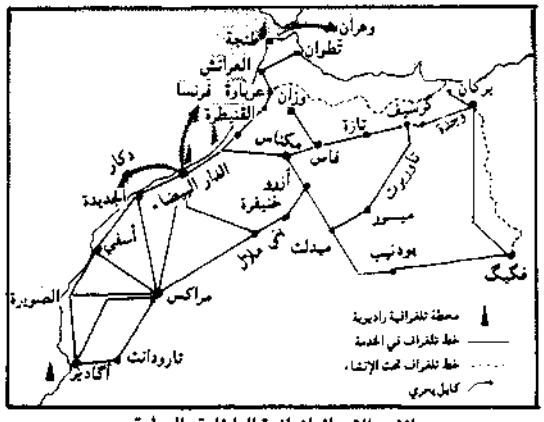

الاتصالات التلغرافية الداخلية والدولية

ماي 1937

عام 1331 / فاتح أكتوبر 1913 والذي شرع في تعزيز الشبكة التلغرافية لتلبية متطلبات الحركة المتنامية وإحداث مكاتب تلغرافية في جل المكاتب البريدية. وقد كان التلغراف أداة أساسية لخدمة أغراض الحماية بالمغرب واقتصر استخدامه في البداية على الأغراض العسكرية والسياسية التي اقتضتها الظروف آنذاك وحتى تظل مصالح الحماية على اتصال مستمر بقيادتها بفرنسا فقد تم تشغيل أول كابل تلغرافي بحري بين بريست والدار البيضاء، وبواسطته تم يوم 7 صفر عام 1335 / 11 ديسمبر 1915 إرسال أول برقية تبادلها المقيم العام مع وزارة خارجية فرنسا لإبلاغها بنجاح المشروع، ذلك لأن الدبلوماسية الفرنسية اعتبرت هذا النوع من المشاريع يحمل في طياته كثيرا من المخاطر وامتنعت عن تمويله من الميزانية العامة مما اضطر معه المقيم العام الجنرال ليوطي وباتفاق مع مدير مكتب البريد والتلغراف والتر Walter إلى تمويله من ميزانية الحكومة الشريفية.

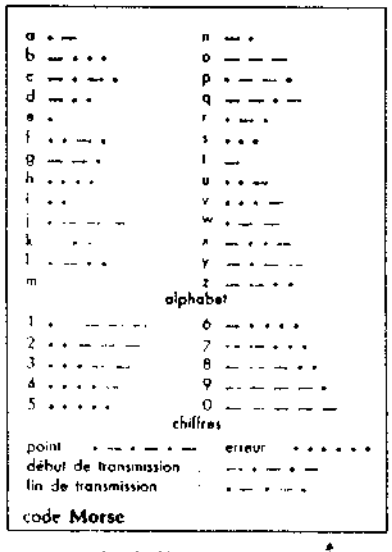

أبجدية مورس التلغرافية

وقد كانت الخطوط التلغرافية تقام داخل المغرب على المحاور التي كانت تعتبرها سلطات الحماية آمنة والتي تحظى بأهمية خاصة من قبلها كربط مناطق غرب المغرب بشرقه من خلال المحور فاس تازا كما كان للسلطات الاسبانية بمنطقة حمايتها على المغرب نفس الاهتمام وكان من المحاور الأولى التي أنشأتها الخط التلغرافي الرابط بين طنجة وعرباوة والذي استخدمته المنطقة السلطانية لربط الاتصال فيما بين الرباط والدار البيضاء ومنطقة طنجة الدولية.

وحديثاً فإنه بالرغم من وجود خدمات اتصالاتية جديدة تعوّض عمل التلغراف نذكر منها التلكس والفاكس والتلتكس فالملاحظ أن أي دولة من دول العالم لم تقدم على إلغاء هذه الخدمة لطابعها الاجتماعي وذلك بالرغم من أن حركة التلغراف لم تعد تمثل سوى النزر اليسير في معدل حركة الاتصالات المتولدة عن استخدام التلفون أو الخدمات المستحدثة الأخرى.

ومع تعميم وسائل الاتصالات الحديثة على شتى الميادين بعد إدخال التقنية الرقمية والامكانيات الحاسوبية في معالجة الإشارات وما أتاحته من إمكانيات ضخمة وميسرة الاتصالات البحرية والملاحة الجوية فإن التلغراف في شكله الأولي يكون قد فقد آخر معاقله التي كانت حريصة على الاحتفاظ به.

دراسات شخصية ؛ وثائق وزارة البريد.

التلفون، مصطلح معرب مأخوذ عن اللغة اليونانية ويعني "Téle" البعد، "Phoné" الصوت. يطلق اسم تلفون أو ما صار يعرف أيضا عربيا باسم الهاتف اصطلاحيا، على جهاز يسمح بإرسال واستلام الصوت من وإلى مسافة قد تقصر أو تبعد وشاع استعماله في العالم منذ أن اخترعه العالم الأمريكي ألكساندر بل سنة 1293 / 1876 لاستخدامه في تعليمه النطق للصم البكم.

يؤدي التلفون في مفهومه التخصصي خدمة اتصالاتية تسمح بتمرير المكالمات عبر شبكة مقسمة (commuté) لربط المكالمة الصوتية بين شخصين يوجدان في نفس المدينة أو داخل منطقة خاضعة لتعرفة محلية (مكالمات محلية) أو في مدينتين مختلفتين (مكالمات بين المدن) أو في قطرين من قارة واحدة أو في قارتين منفصلتين (مكالمات دولية) والفرق الجوهري بين كل أنواع هذه المكالمات يتمثل أساساً في التعرفة المطبقة على كل منها.

يتكون جهاز التلفون من ثلاثة أجزاء أساسية هي :

1 ـ الميكروفون وجهاز الاستقبال (السماع) الموضوعان في يد الجهاز.

2 ـ أسطوانة الترقيم أو ملمس ترقيمي.

3 ـ كلابة توضع عليها السماعة.

. يقوم الميكروفون بتحويل الإشارات الصوتية الصادرة عن المتحدث إلى إشارات كهربائية متغيرة ترسل عبر شبكات الارسال.

. دور جهاز الاستقبال هو تحويل التيار الكهربائي

المتغير الذي يصل الجهاز من أقرب مقسم تلفوني "Central téléphonique" إلى إشارات مسموعة.

- الرنان الذي يرن نتيجة التيار المتغير الذي يصله من المقسم وبواسطته يتم تنبيه المشترك إلى أن أحدا يطلبه.

- أسطوانة الترقيم أو الملمس الترقيمي بواسطتها يتم تركيب رقم المشترك المرغوب الاتصال به ويضم الرقم في أعداده إضافة إلى رقم المشترك المقسم التلفوني الموصول إليه المشترك ويتكون هذا الرقم في المغرب حاليا من ستة أرقام.

- الكلابة تقوم بقطع أو وصل التيار المتغير للتلفون حين وضع السماعة أو رفعها.

كيف تتم المكالمة التلفونية :

عند رفع سماعة التلفون : (1) يقع ربط (المشترك بأقرب مقسم تلفوني (أ) بواسطة خط المشترك، وسماع الرنة المعهودة يعني أن الربط تم بنجاح بعدها يقوم الطرف الطالب بتركيب رقم المشترك المرغوب الاتصال به التلفون (2)، بعد أن يتعرف المقسم (أ) على الرقم المطلوب يصدر تعليماته ويقرر الطريق الذي ستسلكه المكالمة إلى أن تصل إلى مكانها عبر طريق مباشر أو عبر مقسم للتوسط قد يكون واحدا أو عدة مقاسم توجد داخل نفس القطر أو في أقطار مختلفة إلى أن تصل إلى الطرف المطلوب التلفون (2) والذي بعد أن تصله الرنة ويرفع سماعته تعود الإشارة أدراجها معلنة عن قبول المكالمة وتتدرج إلى أن تصل إلى مقسم الانطلاق (أ) الذي يصدر مجموعة من التعليمات الإضافية والتي يطلق عليها اسم التشوير "Signalisation" والتي بواسطتها تحتسب مدة المكالمة والتسعرة المطبقة ومجموعة من البيانات المرتبطة بالتشغيل، وكل هذه العمليات تتم خلال ثوان معدودات لا يشعر بها طبعا طالب المكالمة بحكم أن تبادل الإشارات يحصل بسرعة الضوء. ترتبط المقاسم التلفونية فيما بينها بواسطة دارات تمرر بواسطة وسائل الإرسال المختلفة منها الكوابل المحورية، الوصلات الهرتزية، الاتصالات الراديوية، الاتصالات الفضائية عبر الأقمار الصناعية والكوابل ذات الألياف البصرية (الضوئية).

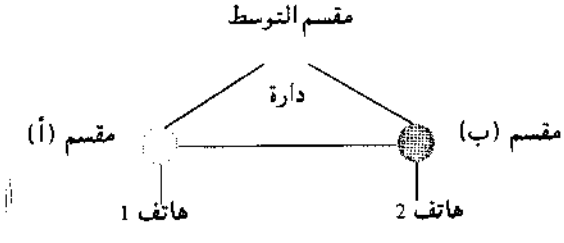

دخل التلفون إلى المغرب في مرحلة متأخرة عن غريمه التلغراف وهو من الأشياء الجديدة التي استخدمتها الحماية الفرنسية بالمنطقة السلطانية والحماية الاسبانية بالمنطقة الخليفية. وأقيم أول خط تلفوني بين الرباط والدار البيضاء وبين تطوان وسبتة بالشمال مع إحداث مكتب البريد والتلغراف في 29 شوال عام 1331 / فاتح أكتوبر 1913، وقد قال عنه ليوطي سنة 1335 / 1916 عند تقييمه لوضعية الحماية بالمغرب بأن التلفون "...أداة أساسية من وسائل العمل بالمغرب" (... un élément important de l'outillage du Maroc)

ومافتئ التلفون يكتسي أهمية كبرى حتى صار عدد أجهزته بدولة ما يعتبر مؤشرا أساسيا تعتمده الإحصائيات الدولية للحكم على مقدار النماء الذي وصلته تلك الدولة ويعبر عنه عادة بالكثافة التلفونية التي هي عدد الخطوط التلفونية الموجودة بالبلد لكل 100 نسمة، وهذه الكثافة على وجه التقدير هي : 0.4٪ بأفريقيا، 4.5٪ بأمريكا الجنوبية، 5.2٪ بآسيا (منها 40.3٪ باليابان وحده)، 19.1 بأوربا الغربية، 71٪ بأمريكا الشمالية (منها 80٪ بالولايات المتحدة الأمريكية)، وقد بلغت بالمغرب سنة 1414 / 1993 (2.98٪)، على أن متوسط هذه الكثافة هو في حدود 10٪.

عرف التلفون بالمغرب منذ بداية الثمانينات تحولات كثيرة أدركها المستعمل للتلفون في عدد الخدمات التي صارت في متناوله والتي يصل إليها من خلال جهاز تلفونه، وما كان ذلك ليتأتى لولا الاندماج الكامل الذي حصل بين ميداني التلفون والمعلوميات (Télématique) منذ السبعينيات إضافة إلى النقلة النوعية التي عرفها ميدان معالجة الإشارات بعد أن صارت تعتمد التقنية الرقمية (Numérique) بدل الإشارات التماثلية (Analogiques) والتي بواسطتها أمكن جعل التلفون أداة شخصية يتنقل به الشخص أينما أراد ويسمح له بالاتصال بأية نقطة بالعالم، بحيث يتوقع في القريب العاجل أن يصير التلفون وسيلة الإنسان الشخصية كما هو الحال للساعة المعصمية.

حسن البادي

التلفزيون المغربي، بدأ سنة 1372 / 1952 كأول تجربة على الصعيد الإفريقي، حيث تم إسناد شبكة الإرسال التلفزي إلى شركة مغربية مختصة، وذلك بمقتضى ظهير 29 ماي 1951، حين تمت المصادقة على اتفاقية خولت لشركة "تيلما" "TELMA" مهمة الإشراف على الشبكة التلفزية.

ورغم أن هذه التجربة لم تعمر طويلا فإن حصيلتها في الميدان التقني والفني جعلت التلفزة المغربية من بين التلفزات القلائل التي لم تواجه صعوبات تقنية عند بدايتها يوم 26 رمضان 1381 / 3 مارس 1962، حيث عملت على النقل التلفزي للخطاب الملكي بمناسبة الاحتفاء بذكرى عيد العرش، أو عند إحلال الألوان محل الأبيض والأسود سنة 1392 / 1972.

وللتذكير، فقد استقرت التلفزة المغربية إلى جانب الإذاعة في استديوهات ومرافق أعدت أساسا لهذا الغرض في نهاية الستينات، بعدما كان البث ينطلق من آخر طابق في مسرح محمد الخامس من سنة 1962 إلى سنة 1969.

ولقد تم إلحاق الإذاعة والتلفزة المغربية بوزارة الأنباء والفنون الجميلة والسياحة بمقتضى الظهير الشريف رقم 1.61.318 الصادر في 12 شعبان 1381 (19 يناير 1962) والذي بموجبه أصبحت التلفزة المغربية تتمتع بالكفاءة القانونية والاستقلال المالي إلا أن هذه الوضعية سرعان ما تغيرت بموجب مرسوم ملكي تحت رقم 13.66 بمثابة قانون متعلق بالإذاعة والتلفزة صدر في 7 رجب 1386 (22 أكتوبر 1966) تم بمقتضاه إحداث مؤسسة عمومية، ومنذ 7 رجب 1386 (22 أكتوبر 1966) صدر مرسوم ملكي تحت رقم 13.66 بمثابة قانون متعلق بالإذاعة والتلفزة المغربية، تم بمقتضى فصله الخامس عشر إلغاء جميع المقتضيات السالفة وإحداث مؤسسة عمومية.

غير أن هذه الوضعية لم تعمر طويلا، إذ نص المرسوم الملكي رقم 1024.67 الصادر في 29 رمضان 1387 (13 دجنبر 1967) بمثابة قانون المالية لسنة 1968، على إلغاء المرسوم الملكي رقم 13.66 المشار إليه آنفا، بينما أنشأ ميزانية ملحقة للإذاعة والتلفزة المغربية، وأحل "الدولة" محل "المؤسسة العمومية"، مما أدى إلى حصر الأسس القانونية للإذاعة والتلفزة المغربية في الفقرة الرابعة من الفصل الأول من المرسوم الملكي رقم 493.65 الصادر في 22 شوال 1386 (2 فبراير 1967) المتعلق باختصاصات وزارة الأنباء، والتي بموجبها تعمل الإذاعة والتلفزة المغربية تحت سلطة الوزير المكلف بالأنباء حسب الاختصاصات المحددة لها بنصوصها الخاصة.

وفي 25 محرم 1388 (26 دجنبر 1978)، صدر مرسوم رقم 2.78.595 المتعلق بتنظيم واختصاصات وزارة الدولة المكلفة بالاعلام وينص على أن الإدارة المركزية للوزارة تشمل الإذاعة والتلفزة المغربية، وأن اختصاصات وتنظيم هذه الأخيرة ستحدد بمرسوم لاحق، صدر فعلا سنة 1994، حيث أصبحت الإذاعة والتلفزة بمقتضاه جزءاً لا يتجزأ من إدارة وزارة الإعلام المركزية.

وقد تميزت المسيرة الإعلامية للتلفزة المغربية بمواكبة كل الأحداث الوطنية والدولية، وتغطية كل التظاهرات الفنية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والرياضية التي عرفتها البلاد كما خصصت برامج للتعريف بالمنجزات الوطنية والمشاريع الاقتصادية والإنمائية.

وقد حققت التلفزة المغربية تطورات تقنية وبشرية هامة تجلت بالخصوص في التغطية الترابية التي أصبحت تشكل نسبة 89٪، كما سخرت لذلك شبكة هرتزية طولها 16.000 كلم، ترتبط من خلالها أربع وستون محطة ربطا هرتزيا بكل من شبكات الأوروفيزيون والمغرب ـ فيزيون والمحطة الأرضية الدولية للاتصال الفضائي المقامة بالسهول، على بعد 30 كلم من مدينة الرباط.

وتتكون شبكة البث التلفزي من 34 جهازا للإرسال، و56 جهازاً لإعادة الإرسال.

ويعتبر المغرب منذ سنة 1388 / 1968 أول دولة إفريقية استعملت "سواتل انتيلسات" لتبادل الاتصالات التلفزية مع دول العالم الخارجي، بفضل إقامة محطة أرضية من عيار A، ذات هوائية يبلغ قطرها ثلاثين متراً، تمت إقامتها بمنطقة السهول.

وبعد استرجاع المغرب لأقاليمه الصحراوية، تم سنة 1982 إيصال التغطية التلفزية لهذه الأقاليم باستعمال سواتل أنتيلسات لتأمين خدمة محلية ووطنية، إذ أقيمت ثلاث محطات أرضية من عيار B بكل من الرباط والعيون والداخلة تعمل بهوائية يبلغ قطرها أحد عشر متراً.

وللإشارة، فقد تقوى استغلال التلفزة المغربية للسواتل منذ العمل بنظام "عَرَبْسَاتْ" سنة 1989، وذلك بواسطة محطات متوسطة الهوائيات (7 أمتار) مكنت من إيصال البرامج التلفزية إلى المناطق النائية من الأقاليم الصحراوية حتى الحدود الجزائرية والموريتانية، وقد لجأت التلفزة المغربية سنة 1991 إلى إقامة محطة أرضية للاستقبال والإرسال بمركز الإرسال الإذاعي والتلفزي بزعير (ضواحي الرباط)، تعمل بهوائية قطرها تسعة أمتار، وذلك لتأمين تبادل البرامج والأخبار اليومية مع مختلف الدول الأوربية من خلال الأروفيزيون.

وبمناسبة عيد العرش لسنة 1993، تم تدشين بداية بث

البرامج التلفزية بواسطة "ساتل أوتيلسات" (2F3) إلى كل الدول الأوربية، ودول حوض البحر المتوسط، حيث يمكن التقاط برامج التلفزة المغربية عبر هوائيات تتراوح أقطارها بين 0.8 و2 أمتار.

وقد خول الموقع الجغرافي للملكة المغربية، سواء على الصعيد الإفريقي أو الأوربي، انتماء الإذاعة والتلفزة المغربية إلى اتحاد إذاعات الدول العربية، واتحاد إذاعات الدول الاسلامية، واتحاد الإذاعات والتلفزات الوطنية الإفريقية، والاتحاد الأوربي للإذاعات، والمجلس الدولي للإذاعات والتلفزات الناطقة بالفرنسية، وإلى منظمات دولية أخرى.

وفيما يتعلق بالموظفين، تمت مراجعة القانون الأساسي لموظفي الإذاعة والتلفزة سنة 1990، ثم في يناير 1993، في إطار نص بمقتضاه على خلق إطار متكامل لكل من الصحافيين والفنانين والفنيين التقنيين.

كما نص على مراجعة بعض الأوضاع الإدارية المتعلقة بهذه الفئات المهنية وعلى إمكانية التوظيف بواسطة عقود لتعزيز العمل الإذاعي والتلفزي بقدرات وخبرات في المجال السمعي البصري مركزيا وجهويا.

وقد سعت التلفزة المغربية إلى مضاعفة ساعات الإرسال التلفزي، وتنويع البرامج كماً وكيفاً، كما عرفت نسبة الإنتاج الوطني التلفزي ارتفاعاً بلغ نسبة 63.14٪ مقارنة مع الإنتاج المستورد الذي شكل نسة 36.86٪، حيث تمكنت التلفزة المغربية من إبراز فعاليات فنية في تصوير مسلسلات ومسرحيات مغربية وانتاجات أخرى.

وفي إطار التغطية المحلية والجهوية، تتوفر التلفزة المغربية على وحدات تلفزية بمختلف العمالات والأقاليم، تعمل على تزويد التلفزة المغربية بمواد إخبارية وتغطيات لمختلف الأنشطة والتظاهرات المحلية والجهوية.

وتميز العمل التلفزي على مستوى الانتخابات الجماعية والتشريعية التي عرفها المغرب، بتغطية الحملات الانتخابية، وتقديم برامج ذات طابع إعلامي حول ماهية الانتخابات، وطرق ممارسة هذا الحق المخول من طرف الدستور، كما شمل العمل الإعلامي التلفزي تغطية مختلف مراحل عملية التصويت والنتائج النهائية، وقد بلغت مدة ساعات التغطية الإعلامية للانتخابات الجماعية والتشريعة لسنة 1993، 43 ساعة و36 دقيقة شاركت فيها جميع الأحزاب السياسية الوطنية، إضافة إلى العديد من البرامج التي تم إعدادها بمساهمة فعاليات سياسية وجامعية من ذوي الاختصاص.

النصوص القانونية المذكورة داخل النص ؛ وثائق دار التلفزة المغربية؛ دراسة ميدانية.

الصديق معنينو

تلكْرامَا ذيلْ ريفْ *El Telegrama del Rif* *(تلغراماً الريف)*، جريدة إسبانية كانت عند إنشائها بمدينة مليلة السليبة، مجرد نشرة إخبارية يومية تصدر في ورقة واحدة صغيرة الحجم، ومع ذلك كانت ترفع شعار جريدة صباحية تدافع عن مصالح إسبانيا بالمغرب. منشؤها ومحررها ضابط إسباني اسمه كَنْديدُو لُوبيرا خيريل Candido Lobera Girel. وقد صدر العدد الأول منها يوم فاتح مارس 1902 ؛ وفي سنة 1917 بدأت تصدر في أربع ورقات إحداها باللغة العربية ؛ وقد فرضت نفسها بصفتها الجريدة الوحيدة التي كانت توجد بمليلة على إثر الحرب الريفية الأولى سنة 1909، حيث أصبح حجمها 600 × 280 مم وعدد صفحاتها ثمان.

وفي سنة 1951 غيرت اسمها حيث أصبحت تسمى *El Telegrama de Melilla* (تلغراما مليلية). والجدير بالذكر أن محرر القسم العربي بها منذ شهر مارس 1907 إلى شهر أبريل 1915 كان هو الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي.

El Telegrama del Rif, Melilla : D. Bacaicoa. *Inventario de la Hemeroteca de Tetuán*, 1953 nº 522, p. 52.

محمد ابن عزوز حكيم

التّلاوي، مسعود بن عبد القادر الشياظمي. كان خليفة لأبيه القائد عبد القادر وبعد وفاته ولي أخوه بوجمعة القيادة ثم سجن بفاس سنة 1283 / 1866، وعين مكانه شقيقه مسعود. لكن هذا الأخير استولى على أموال الدولة التي كانت مجموعة عند أبيه وأخيه، وتحايل على أبراهام قرقوز نائب قنصل الولايات المتحدة بالصويرة. ولكي يضمن مسعود إفلاته من رد الأموال التي كان احتجنها ذهب إلى الصويرة وطلب من أحد التجار الطارقيين المنجلزين سنة 1868 وهو جوت دامونطي J. Damonté أن يتخذه سمساراً له، ففعل ونال من نائب قنصل إنجلترا بها وهو ويليام گريس W. Grace صكاً بالحماية. ولما كان مسعود متبوعا بودائع بيت المال لم يجز المخزن له أن يكون في الحماية ففر لاجئاً إلى أضرحة مراكش وأسفي والصويرة وطنجة وجبل طارق، وأخيراً هرب إلى سوس واستوطن تارودانت.

تدخل في هاته القضية نواب كل من إنجلترا جون دراموند هي والقنصل العام للولايات المتحدة دجيس ماك ماط Jess Mac Math ونائب إسبانيا فرانسيسكو دي پاولا ميري إي كولوم F. de Paula Merry Y Colom.

ولنبدأ في تناول قضية مسعود أولا بأول. في سنة 1283 / 1866 كتب الطيب بوعشرين إلى برگاش عن "التلاوي" الذي فر للصويرة واحتمى بقونْصُ النجليز، بعد أن تقاعد على مال له بال، وصار يدخل ويخرج من غير مبالاة بأحد... فإنه لا يخفاك أن في الشروط أن لا يدخل في الحماية من هو يتعلق بالخدمة المخزنية".

"وهذا وقد كثر تعرض العمال للنصارى الذين بالمرسى ورغبتهم في مخالطتهم ليجدوهم عند العزل أو الموت، فيدّعوا أن لهم عليهم ديناً كثيراً. وقصدهم أن يفوتوا ما بيدهم من متاع بين المال لعند النصارى".

وهناك رسالة عامل الشياظمة عمر الحنشوي بعث بها إلى السلطان في نفس السنة يقول فيها إن "مسعود ولد عبد القادر التلاوي أخا بوجمعة... وصهره الحاج أحمد بن الحاج إبراهيم قد أشتغلا بمن يتسوق من قبيلة الشياظمة للصويرة ويحرضانهم على الفساد ويأمرانهم بمنع الوظائف السلطانية المرة بعد المرة... وكيف لا وهو أتى بمال له قدر ومال وتقاعد عليه واشترى منه دوراً هنا بثغر الصويرة. فمن جملة ما اشتراه داران بداخل قصبة الصويرة ... أما عامل الصويرة ابن المشاوري فأوضح في رسالة له أن عدلين : أحدهما حاحي والآخر شياظمي عرّفا بخط بوجمعة وبيعه الفندق للحاج أحمد بن إبراهيم البويحياوي. "فلما رأى القاضي خط يد بوجمعة المتضمن البيع بحث في العدول الذين عرفوه. فالشياظمي رجع في شهادته، والحاحي بقي فيها".

وبعث السلطان برسالة في 18 ربيع الثاني 1284 / 19 غشت 1867 إلى برگاش الذي كان يتهيأ للخروج في سفارة إلى أوربا، يأمره أن يضيف إلى قضاياه العويصة التي سبحاج فيها نواب الأجناس، قضية مسعود التلاوي المطالب بالأموال الباهظة للمخزن.

وهي بالفعل من القضايا الشائكة التي كانت بين المخزن والسلك الديبلوماسي. وانتهى أمر مسعود إلى الفرار إلى تارودانت والإقامة بها بأهله هناك بعد أن سمح لهم بذلك.

ويبدو من خلال النصوص التي أوردت مقتطفات قصيرة منها أن السلطان شعر بتزيد في حق مسعود الذي لاشك أنه أدى ما كان عليه، وإلا لما سمح له السلطان بالمكوث بسوس.

ومن نتائجها أن المهدي بن المشاوري عزل عن الولاية التي أسندت إليه منذ عام 1279 / 1862، وعين مكانه الحاج عمارة بن الحاج محمد بن عبد الصادق المسگيني السوسي، وأن القاضي الحاج عبد القادر بن أحمد الزمراني الصومعي المتوفى سنة 1310 / 1892 أخر عن قضاء الصويرة وعوض بالحاج علال بن عبد الصادق، وأن ستة عدول رفعت أيديهم عن الشهادة بالصويرة منهم الهادي بن الطائع القادري وعلي بن بلّة الشياظمي وكان من عدول المرسى، ومنهم اثنان آخران من الأربعة الذين شهدوا "بخيارة مسعود الشياظمي، والأمر بخلاف ذلك" اسمهما علي التّناني والحاج حمو.

م. بوشعرا، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 3، ص. 1088 ـ 1097؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج. 3، ص. 386 ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، ص. 98 ـ 118، طبعة الدار البيضاء، دون تاريخ ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 8، ص. 469، الرباط، 1982 ؛ *الوثائق الملكية؛ وثائق برگاش ؛ وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات رقم 1274*.

M. Nehlil, *Lettres chérifiennes*, tableau 34, Paris, 1915.

مصطفى بوشعراء

تَـلّـوُ، أسرة جزائرية هاجرت إلى تطوان سنة 1246 / 1830، وكان من بين أفرادها من يتعاطى الصيد البحري مثل رؤساء البحر حسن تَـلّـوُ ورمضان تَـلّـو وعبد القادر تلّو وإسماعيل تلّو الذين كانت لهم شبابيك للصيد بمرسى مرتين سنة 1252 / 1836 ؛ وأسرة تَـلّـو غير أسرة تليـّو.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 202 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion, *Familias* ; Cagigas, *Familias* ; *Vademecum*, 1931.

التلمساني، أسرة تطوانية أصلها من تلمسان وكان من بين أفرادها العالم المدرس الإمام بزاوية مولاي محمد الوزاني بالقرب من باب التوت، محمد التلمساني المتوفى حسب سكيرج سنة 1192 / 1778 وحسب الرهوني سنة 1202 / 1788. وهناك شخص آخر من هذه الأسرة يحمل نفس الاسم وكان يشغل منصب خليفة الباشا ابن منصور المهدوي إلى أن سجنه سنة 1284 / 1867 الباشا الجديد أحمد الخضر السلاوي، وهذه الأسرة غير أسرة التلمساني المعروفة بالبلغيثي.

سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 5 : 217 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 96 ـ 173 ؛ 6 : 100 ـ 109 ؛ 8 : 352 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

التلمساني، إبراهيم بن أبي بكر، فقيه وأديب ولد بتلمسان آخر جمادى الثانية سنة 609 / 26 نونبر 1212. انتقل إلى الأندلس مع أبيه ولم يتعد عمره التاسعة فاستوطن غرناطة ثلاث سنين ثم رحل إلى مالقة فسكنها مدة وبها حصل على جل تعليمه. ومن أشهر أساتذته بها أبو بكر بن دحمان. ثم انتقل إلى سبتة فأخذ بها العلم عن كل من ابن عصفور وابن عميرة الذي أجاز له، وكذا يوسف بن موسى الحساني الغماري، وبقي بسبتة إلى آخر عمره، حيث تزوج بها أخت شاعرها الشهير مالك بن المرحل. وكان أديباً شاعراً مع معرفة بالفقه متضلعا في العدد والفرائض، ونظم *أرجوزة* محكمة ولم يتعد عمره ثمانية عشر عاما. روى ابن عبد الملك عنه قائلا : "وخبرت منه في تكراري عليه تيقظاً وحضور ذهن وتواضعا وحسن إقبال وبر، وجميل لقاء ومعاشرة وتوسطا صالحا فيما يناط به من التكاليف واشتغالا بما يعنيه من أمور معاشه وتخاملا في هيأته ولباسه يكاد ينحط عن الاقتصاد حسب المألوف والمعروف بسبتة". له عدة تآليف *كأرجوزته* في الفرائض الفريدة من نوعها جودة وحسنا. *ومنظومات* في السير، *وأمداح* نبوية *ومقالة* في علم العروض الدوبيتي. وله شعر كثير مختلف المستويات.

توفي بسبتة سنة 690 / 1292.

ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 107، الرباط، 1979.

عبد الإله الفاسي

التلمساني، أحمد (رايس بحري) من رياس الأسطول المغربي على عهد سيدي محمد بن عبدالله. وهو من العناصر الجزائرية التي نزحت إلى الموانئ المغربية، والمرتبة في فئة "أهل المشرق". ورد اسمه ضمن المعتمدين في الأسطول سنة 1186 / 1772، وفي نطاق الفئة الثانية من الرياس الذين لم تسند إليهم رياسة السفن. وكانت أجرته تتحدد عند كل عطاء في ريالين وكسوة مشتملة على ثوب ملف.

عبد الهادي العسري، *كناش في أمور البحر*، مخطوط، ص. 38.

حسن أميلي

التلمساني، أحمد بن محمد بن حمدان القصري، العلامة والمحدث الحافظ الراوي، دفين مدينة القصر الكبير وأحد أعلامها خلال القرن الحادي عشر (17 م) (القصر، *أعلام*، 119)، وهو غير أحمد التلمساني السّماتي، الفقيه الذي كان إماماً في علم القراءات وأخذ عنه عبد السلام الطويل من بني مَصور. كما ذكر ذلك الكتاني (*فهرس الفهارس*، 2 : 23 و24).

جمعت المحدث التلمساني علاقة متينة وصحبة الطلب ووحدة الغاية بالعالمين الشهيرين أبي عبد الله الكنيكسي وأبي العباس الهشتوكي، فتوجهوا جميعا إلى الشرق لطلب العلم، كما يبدو أنهم قد حملوا معهم من المغرب من علم الحديث والسند ماكان قد فقد في الشرق، مما نقله عبد القادر الفاسي عن العارف الفاسي عن الامام القصار عن رضوان الجنوي عن سقين، وهو سند يرقى إلى أكابر الصحابة والتابعين في الحديث، وهذا السند يقول عنه الكتاني : واشتهر في مصر أدخله إليها الهشتوكي وابن حمدان التلمساني والكنيكسي، أخذه عنهم الدمنهوري والمولاوي والجوهري... لا ندري شيئا عن الفترة التي قضاها ابن حمدان التلمساني وصاحباه في الشرق ولاشك أنها كانت غير وجيزة، جمعوا فيها من العلوم ما لم يكن متداولا في المغرب. استقر التلمساني بعد العودة مع زميله الكنيكسي بالقصر الكبير، يعقد مجالس العلم والمعرفة إلى أن وافاه الأجل المحتوم، وضريحه مزار حتى الآن بالقصر الكبير وعليه قبة حسنة البناء جددت أيام الحماية وقليل منهم من يعلم أنه إمام في الحديث (القصر، *أعلام*، 121). هذا ولدى تناول الكتاني لعبد القادر الفاسي بالترجمة في فهرس الفهارس ذكر أن ممن أجازه من تلاميذه العلامة أحمد ابن محمد بن حمدان التلمساني (*فهرس الفهارس*، 1:151).

ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ محمد عبد السلام بوخلفة، *الطريق لمعرفة القصر الكبير*، تطوان، 1972 ؛ محمد بن عبد الرحمان بن خليفة، *القصر الكبير، أعلام أدبية وعلمية وتاريخية*، القصر الكبير، 1994.

الحسين البعاوي

التلمساني، أحمد بن محمد بن القاضي، ذكر محمد بوجندار في كتابه *الاغتباط* أن أحمد التلمساني تتلمذ بالرباط على أحمد الغربي، وكان من الفقهاء المفتين المدرسين الناظمين الناثرين، وعثر على عدد من فتاويه وإجازاته للغير، وبعض إنشاءاته النثرية والشعرية، كتقريظه *لشرح الهمزية* للقاضي محمد زنيبر السلاوي وله عدة أمداح نبوية.

وقد وصفه محمد بن علي دينية بأنه علامة داهية مشارك في عدة فنون ما بين معقول ومنقول وفروع وأصول، كما جعله من كبار المفتين، ومن تلاميذه الهاشمي أشكلانط والفقيه محمد بن جلون الرباطي ومحمد زنيبر السلاوي. ويقول بوجندار إن وفاته كانت في حدود 1180 / 1766، بينما لم يقف دينية على تاريخ وفاته. ودفن بالقرب من المسجد الأعظم بالرباط، وبنيت عليه قبة وهو الضريح الذي حمل اسم الزاوية التلمسانية نسبة لدفينها، وكان الكتانيون قد اتخذوها زاوية لإقامة شعائر طريقتهم فيها مدة تقرب من الخمس سنين حتى صارت الزاوية تنسب إليهم. وبعدما بنيت زاويتهم التي بحومة مولاي إبراهيم انتقلوا إليها وعادت الزاوية إلى اسمها الأول وبدأت تقام بها الصلوات الخمس.

محمد بوجندار، *الاغتباط*، ص. 26 ؛ محمد علي دينية، *مجالس الانبساط*، ص. 108.

عبد الإله الفاسي

التلمساني، محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري، سبتي، وبها ولد سنة 676 هـ. درس على أبيه وجده، وعلى جملة وافرة من علماء بلده وغيرهم، منهم الشريف أبو علي بن أبي الشرف رفيع، وأحمد بن أبي القاسم بن أبي العباس العزفي، وأبو القاسم بن الطيب وأبو إسحاق الغافقي، والكاتب أبو القاسم بن خلف القبتوري، وأبو عبد الله بن الخضار والرحالة المحدث أبو عبد الله بن رشيد وأبو عبد الله الغماري وأبو البركات بن أحمد القنطري وأبو عبد الله الطنجالي وأبو جعفر بن الزيات وأبو عبد الله بن برطال وأبو عبد الله بن قطرال، وأبو إسحاق البرغواطي، هؤلاء وغيرهم لقيهم وقرأ وسمع عليهم.

وأجاز له خلق كثير من المغاربة والمشارقة كتابة، ومنهم الأديب مالك بن المرحل والمحدث أبو جعفر أحمد بن الزبير وأبو الحسن بن مستقور، والوزير أبو محمد ابن سماك والشيخ أبو محمد الخلاسي والقاضي أبو العباس ابن الغماز، والشيخ أبو القاسم الحضرمي اللبيدي، وأبو عبد الله بن هارون، والمحدث أبو الحسن القرافي وإبراهيم ابن أحمد بن هبة الله بن أبي منصور والإمام شرف الدين الدمياطي، وبهاء الدين النحاس وقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد وضياء الدين عيسى بن يحيى بن أحمد، وآخرون من أهل الشرف يصعب حصرهم.

كان شيخاً وقوراً مجوداً لكتاب الله على علم بالحديث النبوي والأخبار، والآداب. وكثر اهتمامه بكتب السيرة النبوية، ويلقي منها بالمسجد الجامع بغرناطة للجمهور. وقد

رحل إلى غرناطة سنة 718 هـ واستوطنها واتصل بالسلطان واختاره لمجلسه فكان أهلاً لذلك. وولي بها "خطة الحسبة" التي كانت من الخطط النبيهة عند الأندلسيين، ثم قلد خطة "تنفيذ الأرزاق". وناب عن الكاتب ابن الخطيب الغرناطي في "العرض والجواب" بمجلس السلطان.

وتوفي في محرم عام 764 / أكتوبر ـ نونبر 1362 وقد ناهز التسعين.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. م. عبد الله عنان، القاهرة، ج. 3، 1975.

محمد المغراوي

التلمساني، محمد الحاج، ابن القاضي الرباطي وهو والد الأديب أحمد سابق الترجمة، نشأ بالرباط ونهل من العلوم وأسندت إليه مختلف الخطط الدينية فكان إماماً وخطيباً وعدلا ومفتيا ثم قاضياً. وقد عثر محمد بوجندار على رسوم مكتوبة بقلمه وفتاوى ممضاة بشكله. وشُهد له بالبراعة في خطتي العدالة والقضاء. ينتمي إلى أسرة عرفت بالعلم المتوارث وبالصلاح والدين، وكان أبوه من العلماء وهو صاحب الزاوية التلمسانية بالرباط، لم يتوصل مترجمه بوجندار إلى سنة وفاته.

محمد بوجندار، *الاغتباط بتراجم أعلام الرباط*، ص. 138، الرباط، 1987.

عبد الإله الفاسي

التلمساني، محمد بن **يحيى** بن أبي الفتوح الشريف الحساني السليماني، تلمساني الأصل والمنشأ، درعيّ الدار والملحد، حلاه صاحب *الدرر* بالعلامة المقرئ الشهير بالشيخ (*الدرر*، 362) فجهل كل شيء عن نشأته وتعليمه الأولي، ويذكر صاحب *الدرر* أن التلمساني قرأ بمصر وأخذ عن شيخ المقرئين المصريين في وقته أبي العز سلطان.

وكان سبب مجيئه إلى درعة، أنه التقى بالشيخ مَحمد ابن ناصر في حجته الأولى سنة 1070 / 1659 بمصر فأخذ عنه الورد الشاذلي، فلما عاد الشيخ ابن ناصر إلى المغرب صحبه الشيخ التلمساني ونزل عنده بزاوية تامگروت وكان عادة الشيوخ الناصريين تشجيع أهل الفضل من العلماء وغيرهم على الاستقرار بالزاوية، وقد زوج الشيخ ابن ناصر الفقيه التلمساني، السيدة مريم، ثم زوجه ابنته أم كلثوم، وخلف من هذه الاخيرة جملة من الأولاد مات بعضهم في طاعون 1091 (*طلعة المشتري*، 2 : 14).

توفي التلمساني سنة 1112 / 1700 بواحة أكتارة وأقام عليه أهل المنطقة قبة كبيرة تذكيراً بفضله وعلمه.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط خاص ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، ج. 2، طبعة حجرية دون تاريخ ؛ محمد بن لحبيب التامنرگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط.

أحمد البوزيدي

التلمود Talmud، كتاب يقدسه اليهود أكثر من التوراة ويشار إليه أحياناً بكلمة شاس Shas، وهي اختصار للكلمة العبرية Shishah sedarim أي "الأحكام الستة". وهناك سفر مماثل للتلمود تماماً يسمى ميدراش Midrash.

ينقسم التلمود إلى جزءين هامين : مشناة Mishnah وهو الأصل أو المتن، وجمارا Gemara وهو شرح المشناة. وتعدّ المشناة أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة جمعها يهودا هاناشي Judah Hanashi فيما بين سنة 190 و200 م، أي بعد قرن تقريباً من تدمير تيطوس الروماني Titus للهيكل.

أما جمارا فاثنان : *جمارا أورشليم* وهو سجل لمناقشات حاخامات فلسطين لشرح أصول المشناة. وقد جُمع حوالي 400 م. ويدعى *تلمود أورشليم*، *وجمارا بابل* الذي يضم مناقشات علماء بابل اليهود حول تعاليم المشناة وانتهوا من جمعه حوالي سنة 500 م. ويدعى *تلمود بابل*، وكلاهما يطبع على حدة. وقد طبعت فصول من *تلمود بابل* سنة 1484، وطبع كاملا في البندقية فيما بين 1520 و1523. كما طبع *تلمود أورشليم* لأول مرة بالبندقية سنة 1522-1523. وقد كتب موسى بن ميمون في مقدمة كتابه شرح المشناة : "منذ أيام معلمنا موسى حتى حاخامنا القدس (يهودا هاناسي) لم يتفق أحد (من علماء اليهود) على أية عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية باسم "القانون الشفهي"، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبيه يضع مذكرة عما سمعه عن سلفه وموجهيه، لينقلها شفهياً إلى شعبه. وهكذا ألف كل فرد (من العلماء) كتاباً مماثلا ليستفاد منه، حسب درجة كفاءته، إذا كان متمكناً من القوانين الشفهية وما توصل إليه السابقون من تفسير التوراة والقرارات التي أعلنت في مختلف الأجيال وقررتها المحكمة العليا (السنهدرين). وهكذا تقدم الزمن حتى أتى حاخامنا المقدس الذي جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنة والأحكام والقرارات، وشرح القانون المروي عن موسى ـ معلمنا ـ المأمور به في كل جيل".

وقد اشتغل اليهود المغاربة بدراسة التلمود، فمن أقدمهم صمويل بن حفني، من مواليد 960 م بفاس. كان أبوه الحاخام حفني ها ـ كوهن معروفا بعلمه الواسع الديني والدنيوي، وقد بلغت شهرته آفاق المشرق، فأمسى رئيساً لأكاديمية صور بالشام، له عدة مؤلفات حول التلمود أهمها باللغة العربية : *مدخل إلى التلمود* ؛ *لوازم الأحكام* ؛ *نسخ الشرع وأصول الدين وفروعها*. ثم له أيضاً : *البلوغ والإدراك*؛ *وفي الطلاق والنفقة*، وكتاب *البيوع والالتزامات*؛ وكتاب *المجاورة والشفعة*...

أما جيل التلموديين الذين خلفوه، فكان يهيمن عليه الحاخام الربي إسحاق ها ـ كوهن الفاسي (1013-1103 م). ولد بقلعة بني حماد، وانتقل إلى فاس فأصبح قاضياً بها إلى عام 1088 م وهو تاريخ ذهابه إلى الأندلس، حيث واصل التدريس بمدينة الياسانة. من أهم مؤلفاته : هلأخوت الذي يحتوي على أهم ما في التلمود، لذا فإن كثيراً من

المؤسسات التعليمية اليهودية في العالم اعتمدت تدريس هلاّخوت، وتناولته بالشرح والتأويل، كما ترك إسحاق ها ـ كوهن عدداً كبيراً من الفتاوى، منها ما هو مكتوب بالعربية وقد نشرها اللوب اشخناز عام 1821، بمدينة ليفورن، إيطاليا ـ وما هو مكتوب بالعبرية، نشر بالقدس، عام 1899.

تميز هذا الحاخام المغربي بعقله المتفتح الذي كان وراء الفتاوى ووراء هلاّخوت، معتمداً العرف المحلي والمنهاج الذي أقره الحكماء اليهود في صيغة أحكام سموها *تقّانة*.

نذكر من بين أكبر مريديه يوسف الحلوي، الذي كلفه المعتمد بن عباد بعدة سفارات، وإسحاق بن ريوبان الفاسي، وإسحاق بن ريوبان البرشلوني.

والجدير بالذكر أن العهد الزاهر للتلموديين المغاربة بلغ أوجه على يد موسى بن ميمون (1138 ـ 1204 م) الذي قضى بفاس خمس سنوات من شبابه بعدما فرّت أسرته من قرطبة في عهد الاضطرابات الدامية الجارية بين المرابطين والموحدين. وألف ابن ميمون بفاس رسالته المشهورة التي تحمل عنوان : *رسالة في الاضطهاد* يناهض من خلالها "روح الضحية" الذي يتبناه البعض، ويبّن أنه رغم تخلي الموحدين عن الذمة وإلغائها، يبقى في استطاعة كل يهودي أن يؤدي صلواته وقراءته في بيته. ويصف ابن ميمون في هذه الرسالة، الحالة النفسية لليهود الذين أُرغموا على اختيار اعتناق الاسلام أو مغادرة البلاد. لذلك مضى عدد كبير منهم يتظاهرون بالإسلام وما هم بمسلمين، منتهجين سبيل التقية.

يبقى أن هذا الحل الإنساني الذي اقترحه ابن ميمون في إطار التلمود هو الذي مكّن اليهود المغاربة في عهد الموحدين، من اجتياز هذه المرحلة الصعبة وصيانة ثقافتهم. لذلك فإن اليهود المغاربة يعتبرون ابن ميمون مغربياً من بعض جوانب حياته وأنشطته، لأنه بفلسفته القائمة على العقل وانتمائه إلى مذهب أرسطو، مع تفتحه على الآخرين، فإن مؤلف كتاب *دلالة الحائرين* جدد ولاشك تلاوة التلمود بربطها بحياة الشعب، أما أعماله التلمودية الأخرى، مثل *مسنى ـ توراه ومشنايوت*، المكتوبة بالعبرية، فإنها صمدت في وجه عواصف الدهر، وأصبحت لا غنى عنها في الدراسات والأبحاث التلمودية.

ومن اليهود النازحين من الأندلس إلى المغرب، الذين اشتهروا بشرح التلمود وتدريسه : حاخام قرطبة إسحاق بن نحمياس الذي أستقر بفاس ابتداءً من عام 1391 م، والرّبي موشي بن دنان بن ميمون ـ والربي سعدية دنان الطبيب التلمودي الشهير الغرناطي الذي حل بفاس عام 1492 وخلّف كتاباً بالعربية عنوانه : *الدرر في اللغة العبرية*، ثم يهودا عزيل ووادال الصرفاتي وابنه إسحاق الصرفاتي صاحب التفاسير : حيدو شيم، ودينيل طوليدانو رئيس المجمع التلمودي بقشتالة الذي تم طرده من إسبانيا.

ومن اليهود التلموديين المولودين بالمغرب دنان الصرفاتي وصيريرو وأبنصور ومانصانو وصونيكو وبدريگو وطوليدانو، وكلهم ربيون مشهورون زاولوا أعمالهم بمكناس.

وفي القرن العاشر (16 م) اشتهر بفاس الربي الصرفاتي بن إسحاق (1550 ـ 1630) الذي كان يلقب "بالسنيور". ومن أهم مؤلفاته، كتاب *صوف دباش* الذي تم نشره بأمستردام.

ومن علماء القرن الحادي عشر (17 م) شموئيل الصرفاتي (1660 ـ 1708) كان ربيا قاضيا بفاس وله مقالات عديدة حول التلمود، ثم شؤول سيريرو (1566 ـ 1655) له *كتاب في الموازين* ومنزلتها في التلمود. أما الفاسي هارون ابن حييم، فإنه ذهب ليدرس التلمود بالبندقية، وأهم كتاب له يحمل عنوان "*ميدون ـ أهرون*".

وازدهرت الحركة التلمودية بمكناس في نفس القرن على يد جماعة من الربيين ينتمون إلى أسرة طوليدانو، نذكر من بينهم حبيب طوليدانو الملقب بالتقي حبيب الحاسيد، وله كتاب عنوانه *شعاري حوخمة* (أي أبواب الحكمة) انتخبه يهود مكناس رئيساً لجاليتهم.

وتجدر الإشارة إلى أن السلطان مولاي إسماعيل قرب إليه عدداً وافراً من اليهود، منهم ربيون بالخصوص، فأناط بهم عدة مرات، القيام بسفارات لدى الدول الأجنبية ومن بين هؤلاء الربيين نذكر دنييل طوليدانو وأبناءه يوسف وحبيب وحييم.

في نفس الوقت، ظهر بالمشرق يهودي دجّال ادعى أنه المسيح المنتظر اسمه شبّباي سبي، فآمن به عدد من يهود المغرب، خاصة بالرباط وسلا، فأثارت القضية جدلا في الأوساط التلمودية، بين الربي طوليدانو الذي تضامن مع يعقوب ساسبه رطاس واليهود.

إلى جانب هؤلاء الربيين، اشتهر بمكناس موشي طوليدانو (1641 ـ 1722) ثم حييم بن عطار بن موشي (1691 ـ 1743) صاحب كتاب أور ـ هاحييم، نور الحياة (البندقية، 1742) وله أيضاً حيفس هاسيم ، الإرادة الإلهية (أمستردام، 1732)، ويعقوب طوليدانو، صاحب تفسير القصص الواردة في التلمود عقدوت، في ثلاثة أجزاء تحت عنوان حبور *عال روب هاشاس*، وبيتا حياة برديگو (1764 ـ 1820)، صاحب كتاب *بيتا حياة* برديگو، ثم الربي حييم طوليدانو بن موشي، المتوفى عام 1750، صاحب *شجرة الحياة* و*شجرة المعرفة* بالعبرية.

ولم تكن سلا والرباط وتطوان بمعزل عن هذه الحركة في القرن الثاني عشر (18 م) إذ عاش بسلا حييم بنعطار، المكناسي الأصل المتوفى عام 1721. وبالرباط، اشتهر كل من صمويل دبيلا واليعيزر دبيلا الذي مارس مهامه بمراكش كذلك. وبتطوان كان الربي يعقوب ملكا التلمودي، توفي عام 1771، وقد نشر ديوانه في الفقه التلمودي ببيت القدس عام 1932، تحت عنوان : نيو معرابي (نور غربي).

وقد واصل المجمع اليهودي المحلي بفاس تكوين التلموديين، بإدارة صمويل بن الباز (1697 ـ 1749)، فتخرج

فيه عدد من الموثقين والعدول اليهود بلقب ديان، ومنهم من رفض تقاضي أي راتب عن أعماله، مثل يهودا بن عطار (1655 - 1733). التلمودي والصياغ المشهور والربي الكبير، فإنه كان يعيش من موارد حرفته في الصياغة. وألف مقالات في قوانين الزواج والطلاق، وفي الذبح الشرعي بفاس. نشر كتابه *شير مختام بفرسوفيا*.

ويقيت فاس تشهد وجود فرع الحاخامات الكبار، نذكر منهم : إبراهيم مانسانو، المتوفى عام 1781، والياهو الصرفاتي (1715 - 1805)، وافراييم صونيگو (1710 - 1780) الذي كان حاخاما بفاس ثم بتطوان وكتب شرحا للمشنا، ثم خلفهم جيل كان على رأسه رفائيل هرون صونيگو (1760 - 1840) وابنه هدييا صونيگو المتوفى عام 1868، صاحب كتاب دبار إيميت (القول الفصل)، ثم شاؤول ابن دنان، المتوفى عام 1871، القبالي وصاحب تفسير القوانين الشرعية.

إلى جانب هؤلاء نذكر رفائيل موشي السكوري، ربي بفاس مخضرم بين القرن 18 والقرن 19. أوقف حياته على شرح وتأويل المشنا والتلمود عامة، ثم إبراهيم انقاوا الذي اشتهر بكتابه الفريد من نوعه، *كرم حمير* (يعني الكرم المنتج). سبق له أن كان ربيا بسلا خلال القرن التاسع عشر، وهو كذلك صاحب كتاب *شبات إبراهيم* (راحة إبراهيم) وكتاب *سفر زياحيم شليميم*.

أما فيما يخص أهل القرن العشرين، فإن اثنين منهم يهيمنان على الساحة، هما : الربي شلومو دنان (1848 - 1929)، الذي كان بفاس، والربي رفائيل انقاوا الذي كان بسلا. كانا عضوين في المحكمة الربية العليا. الأول منهما كان خطيباً فصيحاً واستاذاً تخرج عليه عدد هام من الربيين منهم ابنه شاؤول دنان، آخر رئيس للمحكمة الربية العليا. أما رفائيل انقاوا فإنه قاض وحكيم كبير، له كتاب عنوانه *قارني رعيم* وكتب أخرى.

تجدر الإشارة إلى أن المعاهد التلمودية المغربية أنتجت عدداً لا يستهان به من الربيين أطروا الجاليات اليهودية في كل من فرنسا واسبانيا وانگلترا وكندا والولايات المتحدة الأمريكية وأميركا اللاتينية، ومايزال إلى الآن مجمع للدراسات التلمودية مفتوحاً بالدار البيضاء.

تلمود - توراة، اصطلاح مركب يعني المدارس اليهودية التي استحدثت بالمغرب خلال القرن العشرين قصد تعليم أبناء اليهود تعليماً عصرياً في مادتي اللغة العبرية والدين. وجاءت هذه المدارس لتحل محل المؤسسات العتيقة المسماة صلوات، التي كان التعليم فيها يعتمد أساساً على الحفظ والذاكرة. وأدخلت بعض المواد بالفرنسية في برامج هذه المدارس التي أصبحت تشكل نظاماً تعليمياً وسطاً بين تعليم الرابطة الاسرائيلية العالمية - وهو تعليم فرنسي محض - وبين نظام *الصلوات واليصحبة* الديني المحض - وفي بعض المدن صارت مدارس تلمود - توراة تسمى إم هبّانيم، بمعنى أم الأطفال. وكانت هذه المدارس تحظى بعطف سلطات الحماية وصار بعضها يسمى مدارس الرابطة الاسرائيلية.

ظفر الله خان، *التلمود*، بيروت، 1985.

R. Ayoun et B. Cohen, *Les juifs d'Algérie : deux mille ans d'histoire*, 1982 ; Y. Benaïm, *Malkhe Rabbanan*, Jérusalem, 1931; A. Cohen, *Le Talmud*, trad. J. Marty, Paris, 1950, 470 pp ; *Ensiklopedia Talmudit*, Jérusalem, 1954 ; A. Laredo, I, *Les noms des juifs du Maroc : essai d'onomastique judeo-marocaine*, Madrid, 1978, 1161 pp ; Maïmonide, *Epîtres*, trad. Jean de Hulster, 1983, 195 pp ; J. Toledano, *Le temps du Meliah*, Jérusalem, 1982, 374 pp ; Toledano Ya'aqob Mose, *Ner Hamma'arab*, Jérusalem, 1911 ; G. Vajda, *Un recueil de textes historiques judéo-marocains, Hesp.*, 1948, 3ème, 4ème trim. 1949, 1er, 2ème trim. ; N. Slouschz, *Etude sur l'histoire des juifs et du judaïsme au Maroc, A. M.*, Vol. IV, 1905, pp. 345 - 410 et Vol. VI, 1906, pp. 1 - 167 ; H. Zafrani, *Les juifs du Maroc : vie sociale, économique et religieuse, études de Taqqanut et responsa*, Paris, 1972.

سيمون ليفي

تَـلْمودة، بلدة صغيرة تقع جنوب جبل توبكال، غير بعيدة عن واد أيت مقور، وبين بلدتي تيزگي وأساراگ. وشيدت المجموعة السكنية على شكل مدرج على جنب جبل صغير، يوجد في سفحه واد تحيط به الحقول والجنان. ويعد هذا النهر المجاور من روافد واد تيفنوت الذي يصب بدوره في واد سوس. وتتميز المنطقة كلها من جهة أخرى بشبكة من الأنهار والجداول مثل واد أيت وطاس وواد أيت تاملدو وغيرهما، مما يجعل الجفاف لا يمسها.

أما اسم تلمودة فإن الجغرافيين المغاربة لم يعطوه تفسيراً، في حين أن بعض المستكشفين الأوربيين يذهبون إلى أن تلمودة تقع في منطقة ما فيها من قرية إلا وبها حي سكني لليهود الذين كانوا يقطنون بكثرة في هذه المنطقة مندمجين بين المسلمين، ولربما كانوا هم الذين أسسوا تلمودة مقتبسين اسمها من التلمود.

والجدير بالذكر أن أول من مر بها من الأجانب المستكشف لوي جانتي الذي نزل بها في 19 مارس 1905 أثناء استكشافه لمنطقة الأطلس الكبير، متنكراً في زيّ مغربي مدعياً أن اسمه "السي علال الوزاني"، كما تجدر الإشارة إلى أن أهالي "تلمودة" ينتمون إلى قبيلة أيت أزيلال المنضوية تحت المجموعة القبلية الكبرى أيت واوزگيت. تتوفر تلمودة على مركز إداري وبعض المؤسسات الاجتماعية.

L. Gentil, *Dans le bled es-Siba* ; J. Célerier, *Massifs et vallées du Haut-Atlas* ; J. Dresch, *Documents sur les genres de vie de montagnes dans le Grand-Atlas*.

أحمد بنجلون

تَـلْوات، مركز وجماعة قروية بأگلاوة الجنوبية بدائرة أمْـرْگـان إقليم ورزازات. يبلغ عدد سكانها 26.759 ن (1982). وتعني كلمة تلوات في اللهجة المحلية الحوض المنخفض. تتألف الجماعة في معظمها من حوض منخفض شبه دائري يتكون من صخور هشة : طين ويازلت يرجع إلى فترة الترياس يقطعه أسيف نْ تيفْـراس الذي يلتقي بروافد كثيرة تحيط به من الشمال والشرق والغرب قمم عالية تتجاوز 2800 م تتكون من الكلس والفليش والحث، كما

تظهر بينها أجزاء من الكتلة القديمة لما قبل الكامبري، ويوجد الحوض بالمجرى الأعلى للواد المالح بالسفوح الجنوبية للأطلس الكبير الأوسط، يعرف برودة قوية في الشتاء حيث تنخفض الحرارة إلى مادون الصفر وتتساقط الثلوج وتدوم على الأرض عدة أيام. أما بالقمم فتبقى عدة أشهر، ويتعرض صيفا لموجات حرارة مرتفعة ورياح الشرقي. تبلغ الأمطار حوالي 400 ملم في السنة لكنها تعرف تذبذباً من سنة لأخرى، ويلاحظ تناقصها في العقد الأخير، كما تكون الغابات رقعا منفصلة على السفوح المتوسطة خاصة القريبة من تيزي ن تيشكا، وتتكون أساسا من البلوط الأخضر والعرعار الأحمر.

يمارس السكان زراعة تقليدية معاشية مسقية تتم أساساً بأشجار الزيتون واللوز وحبوب وخضر للاستهلاك الذاتي وزراعة بورية يناصيبية للشعير برقع متباعدة بقعر الحوض حيث تتوفر التربة وببعض المنحدرات. وأهم مزروع تشتهر به المنطقة هو الثوم الذي يوجه إلى أسواق المدن الكبرى. أقام السكان شبكة ري تتكون من سواقي وصهاريج لجمع مياه العيون الضعيفة الصبيب، كما يستفيدون من فيض الوديان لري بعض المشارات وتعرف الزراعة مؤخراً بعض التحولات : بداية استعمال الأسمدة وظهور مزروعات جديدة كالتفاح والبطاطس. وتتكامل الزراعة مع تربية المواشي فتعتمد الأبقارعلى العلف وفضلات الزراعة، أما الأغنام فتجد في السفوح المنخفضة شتاء والهضاب العليا صيفا مراعي كافية إذا ما تلقت أمطار كافية، إلا أنه يلاحظ تراجع كبير في تربية المواشي الصغيرة ليس فقط بسبب توالي سنوات الجفاف بل لنقص عدد الرعاة لأن كثيراً من الشباب يفضلون الهجرة وممارسة الأعمال غير الفلاحية رافضين الرعي باعتباره حرفة الأمية والفقر.

وتعد مداخيل الفلاحين ضعيفة مما يجعل الأسر تبحث عن مداخيل إضافية تأتي غالبا من هجرة أحد أفرادها إلى المدن الكبيرة أو الخارج حيث نجد نسبة 80٪ من الأسر منها شخص مهاجر. هناك بعض مناجم الملح الصخري تكتريها الجماعة القروية لبعض المقاولين الذين يشغلون بها السكان، وتنتشر بالحوض دواوير كبيرة وصغيرة، لكن بدأ يظهر سكن متشتت خاصة على جوانب الطريق المرصف، منه ما هو مبني بالإسمنت ومنه ما يستخدم كمساكن ترفيهية للعاملين خارج المنطقة. وهكذا بدأ يتحول المنظر من سكن متراص إلى سكن متشتت كدليل على بداية تفكك الأواصر القبلية.

مركز تلوات، هو تجمع سكني تاريخي ومركز قيادة وسوق أسبوعي ومرحلة مهمة على طريق تاريخي عرف أهمية متزايدة في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) عندما بدأ نفوذ قبيلة اگلاوة يتسع في إطار الصراع القبلي على الأراضي الجيدة والمياه بزعامة عائلة اگلاوية قيادية محلية مستفيدة من وضعها الاستراتيجي على الطريق القديم الرابط بين الحوز ومراكش ووادي درعة عبر تيزي ن تلوات ومجرى الواد المالح، وذلك قبل إنشاء الطريق الحديث بتيزي ن تيشكا، فصارت تلوات في نهاية القرن التاسع عشر وخلال الفترة الاستعمارية مركز قيادة اگلاوية امتد نفوذها منها إلى أن شمل أكبر جزء من جنوب المغرب فعرفت ازدهاراً اقتصادياً وعمرانياً إذ يقصدها المتقاضون من مناطق بعيدة، والفلاحون لإنجاز أعمال السخرة : صيانة مباني القصبة والطرق والأعمال الفلاحية بأملاك القايد الأگلاوي، وبعملهم بني الطريق الثلاثي المعبد الواصل بين تيزي ن تيشكا وتلوات، طوله ثمانية وعشرون كلم.

لكن تلوات عرفت ركوداً بل تقهقراً عمرانياً كبيراً بعد الاستقلال لاختفاء النظام القائدي القائم على أعطيات السكان للقايد وأعمال التويزة والوظائف المخزنية وفرار العديد من السكان خاصة الأعيان المتورطين في مشاركة الأسرة القيادية في استبدادها. كما نقل مركز القيادة إلى إغرم أوگدال على الطريق الرئيسي نحو ورزازات، لكن السوق بقي بها، واستعادت تلوات بعض النشاط الاقتصادي والعمراني بعد عام 1980 بينما صارت مركزاً إدارياً : أنشئ بها مركز قيادة اگلاوة وظهرت بجانبها منشآت إدارية واجتماعية، كما توسع السوق الأسبوعي بإضافة دكاكين عديدة وبدأ يفد لزيارة القصبة أعداد متزايدة من السواح كما بدأت تظهر إسقاطات أموال المهاجرين. ويتكون مركز تلوات من دوار كبير هو إمَاوْنيِّين عدد سكانه 824 ن (1982) ودواوير صغيرة : تامگونْسي وأعْرابْنْ وتلاتَانْ وتلاتْ إمْزينْنْ وقصبة القايد الأگلاوي الفارغة التي تهدم معظمها باستثناء قسم صغير، بوسطها مبني بالحجارة والجير أو الإسمنت المسلح. ويوجد الحي الإداري والسوق بهضبة مستوية على الحافة الغربية، وينتشر بين هذه الدواوير سكن متشتت، ويوجد المركز على علو 1770 م. كان يعقد بتلوات سوق أسبوعي قبل الاستعمار، غيّر موقعه في الثلاثينات ليرتبط بالطريق الجديد. وسع مراراً ببناء المزيد من الدكاكين، وحظي بتجهيزات عديدة وينعقد السوق يومي الأربعاء للمواشي والخميس للتبضع، وهو سوق محلي يزود السكان بالحاجيات الأساسية وخدمات شخصية وعمومية لا يروج به كفائض إنتاج محلي في بعض الفصول سوى المواشي والثوم واللوز ومصنوعات نسيجية ترد من واد أونيلا.

بحث ميداني في خريف 1990 ؛ بحوث نهاية الإجازة لطلبة شعبة الجغرافية، كلية الآداب بمراكش.

أحمد هوزالي

التلوث، عبارة تطلق الآن للدلالة على الأضرار التي تصيب البيئة وتجعل خاصياتها تتدهور أو تضمحل، من جراء سلوك غير رشيد. وكثيراً ما تخصص هذه العبارة للدلالة على الأضرار التي تصيب المياه السطحية والجوفية، ومياه البحار. بينما يعم التلوث في الحقيقة، إلى جانب المياه، التربة والسطح والمدن ومحيطها، والجو الخ.

ويمكن اعتبار المغرب بلداً بيئته مازالت متواضعة التلويث بحيث لم يتم الاهتمام بهذه الظاهرة إلا حديثاً، عندما أصبحتْ تأخذ آفاقاً تهدد بالاتساع والانتشار.

ويأخذ التلوث أشكالاً عدة وذلك بتنوع مصادرها الغازية والمائية والصلبة. فالتلوث الغازي ناتج أساساً عن الصناعة وغازات السيارات. وان كان بلدنا لا يساهم إلا بقسط محدود جداً في التلوث الجوي الناجم عن الصناعات والذي يتسبب حالياً في تطور مناخي أكيد يهم الكرة الأرضية جمعاء، فان مدنه الكبرى تعرف تلوثاً جوياً محلياً ناتجاً عن غازات السيارات، له بالغ الأثر على صحة السكان. ويرتبط هذا المستوى العالي من التلويث بسوء تدبير حركة تنقل السيارات من جهة، وعدم مراقبة المحركات والقديمة منها خاصة.

أما التلوث بالمواد الصلبة فهو ظاهرة أصبحت تأخذ آفاقاً هامة بسبب تراكم الأزبال قرب المدن من جهة، وسوء تدبير جمعها داخل عدد من الأحياء. كما أن قلة الوعي تفسر التلويث الذي يصيب العديد من المواقع التي يتردد عليها الزوار بكثافة كالغابات المجاورة للمدن والشواطئ والمنتزهات.

إلا أن ظاهرة تلوث المياه هي التي حظيت بوافر الاهتمام لما لها من خطورة مباشرة على التغذية بالماء الشروب أو على الثروات الحيوانية السمكية.

تلوث مياه البحر : للمغرب واجهتان بحريتان هامتان، تهددهما أخطار تتمثل في مقذوفات الصناعات، المجاري المائية الحارة للحواضر، وفي الكورات الممكنة المرتبطة بالملاحة البحرية.

وأخطار التلوث البحري تكمن في نفس الوقت في آثاره الصحية من جهة، وتدميره للثروات السمكية من جهة ثانية. كما أنه يهدد المنشآت السياحية التي تقام بتكلفة باهظة.

جل المقذوفات السائلة للمدن ترمى حالياً بصفة مباشرة وبدون معالجة في البحر. وجلها مواد عضوية قابلة للتدهور التلقائي الحيوي، رغم أنها مرحلياً تؤدي إلى تعفن مياه السواحل. إلا أن الخطر يكمن في بعض المواد غير القابلة للتدهور التلقائي وأهمها الفلزات الثقيلة والمحروقات. وقد أظهرت الدراسات التي قام بها المعهد العلمي للصيد البحري بأن بعض بقع الساحل المغربي، مثل ناحية المحمدية تعرف مظاهر تلويث مرتفعة، حيث تم العثور على مواد سامة مختلفة، بعضها طبيعي وبعضها ناتج عن مقذوفات الصناعات، والحواضر والسفن التجارية العابرة. والأحياء التي تعيش عند الساحل مثل القواقع تشير إلى مقادير مرتفعة من المواد السامة مما يجعلها مضرة للتناول الغذائي.

. تلوث المياه القارية : يظهر من خلال الدراسات التي تجريها مديرية المياه أن تلوث المياه القارية مرتبط أساساً بمقذوفات الحواضر والصناعات، بصفة مباشرة وبدون معالجة، والتي ترمى في الشبكة المائية. ويُساهم التلويث الزراعي بقسط يتزايد تدريجياً في هذا التلوث الإجمالي. ويؤثر هذا التلويث معا على المياه السطحية (مياه الأنهار والبحيرات) وعلى المياه الجوفية.

فبالنسبة للمياه النهرية، يظهر تأثير المدن الداخلية كفاس ومكناس ووجدة ومراكش على الأنهار التي تجري بسافلتها (سبو، تانسفت، إسلي). وترتفع مقادير التلوث في بعض الأجزاء من هذه المجاري، وخاصة منها تلك التي لا تملك إمكانية التصفية الحيوية بسبب ندرة مياهها أو جريانها المؤقت.

ويمثل سبو أخطر حالة معروفة للتلويث على المستوى الوطني بسبب تركز حواضر هامة في حوضه من جهة، وبسبب استعمال هذه المياه من طرف أهالي السافلة من جهة أخرى من أجل السقي، بل من أجل الشرب. وبذا يكون التأثير الصحي لهذا التلوث بدرجة عالية من الخطورة. في حوض سبو الأوسط، الذي يسكنه حوالي 1.2 مليون نسمة، ترمى حالياً ويومياً 110 طن من المواد العالقة، 70 طن من المواد القابلة للأكسدة، 18 طن من الأزوط و6 طن من الفوسفور. كما ترتفع درجة تعفن المياه بتكاثر الحميات المضرة للسكان المستعملين للماء. ويُساهم التلويث الصناعي بمقدار هام، إلى جانب المقذوفات الحضرية. وصارت حالياً المخصبات والمواد السامة الفلاحية ذات دور هام، وذلك نتيجة التطور الفلاحي الذي تعرفه سهول السايس والغرب.

ويصيب التلويث كذلك مياه الفرشات الباطنية. وذلك تحت تأثير تسرب مقذوفات الحواضر من جهة (مثال مقذوفات وجدة وآثارها على فرشة أنكاد) وبسبب التنامي غير الرشيد لاستعمال المخصبات والمبيدات الزراعية. وتعلو نسبة تلوث المياه الباطنية القريبة من السطح في السهول الزراعية، خاصة منها المسقية، حيث أعلى المقادير من هذه المواد الكيماوية. ومثال تادلا يُعتبر الأكثر إبرازاً لهذه الظواهر. ذلك أن مياه المطر ومياه السقي تحلل البعض من المواد الكيمارية المستعملة وتركزها في الفرشة الباطنية. وترتفع مقادير النترات في بعض آبار تادلة إلى 50 مغ /لتر مع تزايد سريع كل سنة. وهذا يجعل هذه المياه غير صالحة للتناول.

يتضح اذن أن التلوث أصبح يصيب البيئة والثروات الطبيعية الأساسية كالمياه والموارد البحرية البيولوجية التي تلعب دوراً أساسياً في التنمية، وبذلك أصبح التلوث عائقاً أساسياً أمام اطراد النمو الاقتصادي، خاصة إذا اعتبرنا الأضرار الصحية المباشرة الناجمة عنه.

التقرير الوطني، (1992) ؛ *مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة والتنمية*، ريو دي جانيرو (137 ص) ؛ المجلس الأعلى للماء (1991)، *المحافظة على الرصيد المائي، حماية المياه من التلوث*، الدورة الخامسة (132 ص).

عبد الله العوينة

تْلِيتْ، يدل الاسم أولا على نهر دائم الجريان ينبع

شمال جبل باني ويتجه نحو الشمال الغربي، ممتداً على الطريق القروية التي تربط ضواحي فم زگيد بزاوية سيدي عبد الله أومحند جنوب تازناخت. يوجد على ضفاف هذا النهر واحة هامة غنية بمنتجاتها من الذرة والشعير والتمر والتين والأعناب.

ويدل اسم تْليتْ كذلك على قبيلة كبيرة يخترق الوادي المذكور أرضها من الجنوب نحو الشمال، ويحدها غربا وشمالا سهل زناگة الشاسع وشرقا قبيلتا أيت الحميدي وأيت الكوگوم في حين تتاخمها جنوبا قبيلة انسولة التي تشكل فرعا لأيت عطا التي تبتعد عن أصولها جغرافيا بمسافة كبيرة.

توجد أهم المراكز الإدارية والسكنية بأراضي تليت على ضفاف الوادي، وهي سوق الثلاثاء شمالا، وبجانبه تامعروفت، وقرية أمتا سگوين في الوسط ثم تاوريرت ن تليس.

Ch. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; L. Gentil et de Segonzac, *L'Anti-Atlas* ; A. Choubert, *L'Anti Atlas Central*.

أحمد بنجلون

التليدي (أسرة ـ)، توجد بتطوان عدة أسر تحمل اسم التْليدي لانتسابها إلى فرقة بني تْليدْ من قبيلة الأخماس (إقليم شفشاون) ومنها من هاجر من موطنها الأصلي مباشرة إلى تطوان ومنها من هاجر أول مرة إلى شفشاون ثم التحق بتطوان، حيث توجد زنقة بحومة العيون تحمل اسم التْليدي.

الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 33 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 351.

Las Cagigas, *Familias*, T ; Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

التّليدي، (زاوية سيدي يَسّفْ ـ) قرية تقع بفرقة بني تليد بقبيلة الأخماس (إقليم شفشاون). وأصل التسمية وجود ضريح الولي الصالح سيدي يسف (يوسف) بن الحسن التليدي بتلك القرية التي عقد فيها أول مؤتمر تمهيدي للثورة ضد الغزو الإسباني للمنطقة بتاريخ 7 ماي 1913 وذلك على إثر احتلال الجيش الإسباني لمدينة تطوان.

وقد تعرضت القرية لأعنف قصف جوي عرفته منطقة الشمال في عهد الحماية، وذلك يوم 4 أكتوبر 1920 عندما علمت السلطات الإسبانية بأنه يوجد بالزاوية عَلَم الجهاد وأرادت حرمان المجاهدين من تلك المعلمة ؛ وأما احتلال القوات الإسبانية للقرية فقد تم يوم 19 يونيو 1922.

وبالزاوية علم يعرف بعَلَم سيدي يسّف التليدي الذي كانت تتبرك به القبائل الجبلية الهبطية الغمارية من قديم الزمن، حيث كان المجاهدون يحملونه معهم في المقدمة عند محاصرتهم للجيوب السليبة في شمال البلاد وأثناء مقاومتهم المسلحة للغزو العسكري الإسباني، فكانوا يحتفظون به بزاوية سيدي يسف التليدي بقبيلة الأخماس، وعند الحاجة كانوا يخرجونه منها ويقيمون من أجل ذلك حفلا دينياً كبيراً تتلوه حفلات شعبية تشارك فيها الطبول والمزامير، وكان ذلك علامة بإعلان الجهاد ضد العدو، وكانت تقام نفس الحفلات عند إرجاع العلم إلى مكانه بالزاوية المذكورة بعد انتهاء الحرب، وقد توبعت هذه العادة إلى غاية سنة 1927.

والجدير بالذكر أنه ما أن علم الإسبان بقضية العلم حتى قاموا بقصف جوي مكثف لزاوية سيدي يسف يوم 4 أكتوبر 1920.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*.

Archivo Historico Militar, Madrid (Informe del general Berenguer del 5 de octubre de 1920).

التّليدي، يَسّفْ (يوسف) بن الحسين، يعرف عامة بسيدي يَسّفْ التّليدي وهو يوسف بن الحسين بن عبد الله ابن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن جندار بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسين بن جعفر بن عبد الله الكامل.

ترجم له الكتاني في *سلوة الأنفاس*، ووصفه ابن عسكر في *دوحة الناشر* بالشيخ "الذي كانت له شهرة عظيمة، ترد عليه الوفود والآلاف من الزوار والمريدين، ويطعم كلا على حسب شهوته، وذلك في كل ليلة، وكان له قبول عظيم في قلوب الخلق، وكان رحمه الله كثير الكتب للنواحي يأمر الناس بالتوبة ويشوقهم إلى الاطلاع على الكرامات، وكان يحفظ كتاب الله عز وجل وتوغل في طريق التصوف، وله كرامات، وكان ممن وُضع له القبول في الأرض".

وترجم له الرهوني في *عمدة الراوين* ووصفه بالشيخ الولي الشهير المجذوب الكبير القطب ذي الكرامات الجسيمة والنعوت الكبيرة العظيمة وهو تلميذ الشيخ أبي عبد الله الغزواني.

توفي سيدي يسف عن غير عقب في شهر ربيع الأول عام 948 / يونيه 1541.

ابن عسكر، *دوحة الناشر*، 17 ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 34 ؛ 5 : 9.

محمد ابن عزوز حكيم

التليضي، اسم يطلق على قريتين متقاربتين بساحل حاحة عند مدخل مدينة أگادير، أولاهما تقع بأگادير أُوفلا، اشتهرت قديماً بكثرة الفقهاء الممارسين لخطة العدالة كما تدل على ذلك كثرة العقود الحاملة لأسمائهم في هذه المنطقة منذ العهد السعدي.

وثانيتهما قرية على شاطئ قبيلة أيت أمْرْ اشتهرت بغزارة مياه عيونها وبها مسجد عتيق ومقابر كثيرة يقال إنها للمجاهدين ضد البرتغال. وأشهر من دفن فيها سيدي محمد بَعْتُوتُو.

التليضي، محند بن سعيد التامري الحاحي (ت. 1337 / 1918). شيخ الطريقة التجانية بحاحة، كان رجلا

كبير المقام حسن المقاصد بعيداً عن كل ما يخوض فيه بعض أرباب الزوايا، صافي النية محظوظا، وقد تلقى منه إذن هذه الطريقة آلاف، فأقام له زاوية بقبيلة نكنافة تدعى المحضر، دعمها بالعمل وإطعام الوافدين عليها في كل وقت وحين، فتقاطر عليه الطلبة من كل حدب وصوب حتى اكتظت المدرسة فأخذ يشارط لهم الفقهاء لتدريس العلم، والمقرئين لتلقين القرآن للمبتدئين، بينما تفرغ هو لاستقبال المريدين وتلقينهم تعاليم الطريقة الصوفية، خاصة وأنه لم تتقدم له كثرة الممارسة في العلوم الرسمية، وإنما علومه لدنية وهبية ربانية أخذها عن شيخه السيد سعيد بن أحمد الدراركي المسكيني الشهير المتوفى عام 1286 / 1871.

ومع ذلك فالتليضي يحب العلماء ويلازم مجالستهم، ويظهر من نفسه أنه العامي الصرف، وإذا غلط بعضهم في أي فن كان رده إلى الصواب بسرعة (الكاشطي، *التعريف*).

وقد كانت لمحند التليضي يد طولى في تدعيم الثورة الحاحية بزعامة محمد أنفلوس ضد التدخل الفرنسي في المنطقة، حيث دعا إلى الجهاد الإسلامي لإيقاف زحف جيوش الكفار على أرض الإسلام، فاستجاب الناس قاطبة بحاحة وإيداوتنان لندائه، فكان اللقاء بالموضع المسمى تيكّمّي اللّوضا قرب مركز سميمو بقبيلة إيداوسَارُنْ في شهر محرم عام 1331 / دجنبر 1912، وكان الشيخ التليضي يسير ببغلته المسرجة في ركاب المجاهدين يحثهم على الصمود والثبات في وجه أعداء الإسلام، ومعه جماعة من العلماء أمثال الفقيه بيحبوس والحسين أومولود النكنافيين فأظهر الحاحيون في هذه الحرب غير المتكافئة القوى من الشجاعة والثبات ما لم يُعهد مثله إلا في زمن الصحابة بفضل إرشادات هذا الشيخ الذي لم يلبث إلا قليلا حتى توفي رحمة الله عليه عام 1337 / 1918. وقد خلف أولادا مذكورين بالصلاح وخاصة منهم مقدم الزاوية حاليا سيدي الطيب الذي سلك نهج والده في تسيير الزاوية وتعمير المدرسة العلمية إلى اليوم.

م. المختار السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إليغ*، مخطوط مرقون عند ورثته، ص. 60 ؛ الكشطي أحمد بن علي التناني، *التعريف بالبلدة التنانية ذات المواهب الربانية*، مخطوط ؛ بحث ميداني في المنطقة للاستفادة من العقود العقارية والعائلية والرواية الشفوية.

محند أيت الحاج

تمارة، في فترة ما قبل التاريخ، تعتبر منطقة تمارة من بين المناطق المغربية التي اهتم بها كثير من الباحثين في فترة ما قبل التاريخ، وهكذا تم التنقيب بست مغارات ومقبرة تعود إلى العصر الحجري الحديث، وسنكتفي هنا بسرد الأبحاث التي أجريت بالمنطقة واستخلاص أهم النتائج التي توصل إليها الباحثون.

بدأ البحث في فترة ما قبل التاريخ بمنطقة تمارة سنة 1937 حيث قام رولمان بتنقيبات بمغارة دار السلطان 1، وهكذا استطاع البحث أن يستخرج عدداً كثيراً من القطع الأثرية وتبين مقطع جيولوجي معقد يشتمل على ثلاث عشرة طبقة جيولوجية.

وخلال سنة 1955 بدأ جون روش J. Roch أبحاثه بمغارة أولاد بوشيخة الملقبة سابقاً بمغارة الكونتريوندي، وتابع أبحاثه إلى غاية 1975. أجريت عدة مهمات تنقيب بالموقع تم خلالها اكتشاف عدة أدوات أثرية وبقايا حيوانية وبشرية كما تم تحديد ستة عشر مستوى أركيولوجياً متتابعة تعود للحضارة العطيرية والعصر الحجري الأعلى والحديث.

وفي أواخر الستينات قام أندري ديبينات A. Debenath بتنقيبات في مغارة دار السلطان II التي تبعد عن دار السلطان I بحوالي 300 متر، غير أن اللقى الأثرية كانت قليلة جدا في حين عثر بهذه المغارة على بقايا عظمية لإنسان الحضارة العطيرية، وخلال سنة 1978 قام نفس الباحث بتنقيبات بمغارة الهرهورة رقم II واكتشف مدفناً ثنائياً يعود إلى العصر الحجري الحديث.

ومع بداية الثمانينات تم اكتشاف مقبرة الصخيرات الروازي حيث تم العثور بها على ما يزيد عن مائة هيكل عظمي وبجانبهم عدة أدوات جنائزية من أوان فخارية وحجر مصقول وحلي.

تبعد هذه المغارات عن شاطئ البحر الحالي ما بين 200 و300 متر وهي ناتجة عن تفاعلات مياه البحر من جراء ارتفاعه خلال امتداده في حقبة الولجيان (حسب شوبير 1956). وفي بداية الثمانينات قام جاك تيكسيي J. Texier برفع لمقطع جيولوجي يمثل مختلف التراكمات الجيولوجية بين موقع مغارة دار السلطان وشاطئ البحر.

وما يميز منطقة تمارة كونها الجهة الوحيدة التي عثر بها على البقايا العظمية للإنسان العطيري بالرغم من كون هذه الحضارة موجودة بكل مناطق شمال افريقيا، وبالفعل اكتشفت هذه البقايا بموقع دار السلطان II على يد أندري ديبينات (انظر الصورة بالصفحة 1390، الجزء 4 من *المعلمة*)، ومغارة أولاد بوشيخة على يد جون روش وتيكسي، وأسندت دراستها للسيدة فيرمباك واتضح أنها من أقدم بقايا الإنسان العاقل كما أن الأدوات العظمية الوحيدة التي استعملها الإنسان العطيري اكتشفت بهذه المنطقة وبالضبط بمغارة المناصرة سنة 1992.

ومن الناحية الجيولوجية المرتبطة بالتراكمات الترابية المتزامنة مع آخر مرحلة جليدية عرفتها القارة الأوربية استمدت اسمها من موقع دار السلطان I، بحيث يطلق عليه اسم السلطاني، ورغم بعض الانتقادات الموجهة مؤخراً لهذا اللقب وخاصة على يد تيكسيي فلازال متداولا بين الكثير من الباحثين.

م. ع. الهجراوي، *منطقة تافيلالت خلال فترة ما قبل التاريخ*، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الأولى، ص. 327، 334، 1989 ؛ موقع *أشقار*، *معلمة المغرب*، ج. 2، ص. 468. 469 ؛ الحضارة *الأشولية*، *معلمة المغرب*، ج. 2، ص. 472. 473 ؛

اقتراح أسماء جديدة لأدوات ما قبل التاريخ (من قضايا المصطلح)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، عدد 15، ص. 275 . 277، 1989 . 1990 ؛ *الحضارة الإيبيروموروزية، معلمة المغرب*، ج. 3، ص. 917 . 919، 1991 ؛ *بلاد سيدي علال البحراوي، معلمة المغرب*، ج. 3، ص. 1316، 1991.

J.P. Daugas [et al.], *Le néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone*, C.R.A.S., Paris, t. 308, Série II, p. 681 - 687, 1989 ; A. Debenath, *Nouvelles fouilles à Dar-Es-Soltan, Champ de tir d'El Menzeh, près de Rabat (Maroc). Note préliminaire. Bull. Soc. Préhist. Fr.*, t. 69, p. 178 - 179, 2 fig., 1972 ; A. Débenath et J.P. Lacombe, *Remarques sur la double sépulture néolithique du gisement d'El Harhoura II, Province de Témara, Maroc. Arqueologia* 13 (espacial J. Roch-II), p. 120 - 125, 5fig., 1986 ; A. Débenath, *Les Atériens du Maghreb, Dossier d'archéologie*, p. 52 - 57, 1991 ; M. A. El Hajraoui, *Nouvelles découvertes néolithiques et atériennes dans la région de Rabat. Grotte d'Elmnasra, Actes du Congrès Méditerranéen Historique de Lisbonne*, édit. Mediterrâneo N° 2, p. 105 - 112, 1993 ; J.P. Lacombe, M.A. Hajraoui, J.P. Daugas, *Etude anthropologique préliminaire des sépultures néolithiques de la grotte d'Elmnasra, Témara-Maroc. Bull. Trim. Soc. d'Anth. du S. W.* T. XXVI. 3ème Trim., p. 167 - 176, 1991 ; J. Roche, *Etude sur l'industrie de la Grotte de Dar-es-Soltan, B. A. M.*, t. I, p. 93 - 118, 4 tabl., 9 fig., 1956 ; *La Grotte des contrebandiers. Temara, B. A. M.*, t. XII, p. 61, 1978 - 80 ; J.P. Texier, *Le site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique, B. A. M.*, t. XVI, pp. 27 - 59 ; 1985 - 86.

محمد عبد الجليل الهجراوي

تمارة، مدينة صغيرة تدور في فلك العاصمة الرباط ونظراً لموقعها التابع فإنها تتميز عن باقي المدن التي في حجمها بسعة استقطابها لتيار الهجرة.

ويعزى هذا الامتياز للموقع الاستراتيجي الذي تحتله وكذا لما تزخر به من مقومات طبيعية هائلة بالإضافة إلى القطاع الصناعي الذي عرف تطوراً كبيراً. أما المجال الفلاحي فهو عنصر يجذب العديد من اليد العاملة.

أصبحت منطقة تمارة مركز استقطاب هجروي من كل مناطق المملكة حيث استقر بها العديد من المهاجرين أتوا من جهات عديدة كالسايس وحوض ملوية والغرب وزعير والشاوية وتادلا والحوز والأطلس المتوسط وسوس وعبدة وحاحة والهضبة الوسطى ودكالة والرحامنة.

بدأ هذا التيار الهجروي قديماً، فَتَحْتَ وطأة الجفاف الذي عرفه المغرب وويلات الحرب العالمية الثانية بدأت تتقاطر على المنطقة جموعَ المهاجرين وخاصة من الجنوب استقرت أولاً في جنبات أسوار قصبة تمارة العتيقة مكونة النواة الأولى لأحياء الصفيح (دوار صحراوة).

وخلال سنة 1950 كانت تمارة عبارة عن بلدة صغيرة، وأثناء هذه الفترة بقيت الهجرة متواضعة مقارنة مع الموجة التي ستعرفها بعد الاستقلال والتي ستبلغ أوجها سنة 1971.

يعتبر حي الطيران وقدماء المغاربة من الأحياء السكنية الأولى بتمارة فحي الطيران كان يتكون من خمسين مسكناً خصصت لإيواء ضباط الجو الفرنسيين وعائلاتهم أما حي قدماء المغاربة فكان مخصصاً لبعض الأسر الميسورة التي كانت تشتغل مع إدارة الحماية بالإضافة إلى بعض الأوروبيين.

وفي سنة 1971 أصبحت تمارة مركزاً حضرياً متوسطاً بلغ عدد سكانه 7.000 نسمة جلهم من المتقاعدين. ومع حلول سنة 1980 عرفت تمارة معالم المدينة الصغيرة ووصل تعداد ساكنتها إلى 27.000 نسمة وفي الفترة الأخيرة عاشت مدينة تمارة توسعاً عمرانياً كبيراً بلغ أوجه في القسم الجنوبي من المنطقة حيث انتشرت الأحياء الهامشية، والدواوير كدوار الگيش أولاد بناصر، دوار بلمكي، دوار صحراوة، لسكار، سوق السبت، دوار بلعربي. اكتسى هذا التوسع طابع العشوائية في البناء مع انعدام الشروط الصحية للسكن. فجل الأحياء لا تتوفر على الإنارة كما أن مجاري الواد الحار منعدمة أما الماء الشروب فلا تتوفر عليه إلا بعض الدور بالإضافة إلى انتشار ثلاث أو أربع حنفيات عمومية في كل حي.

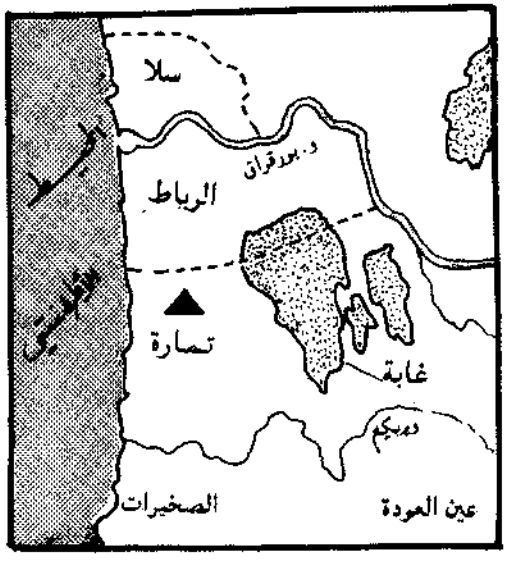

لم تقتصر هذه الفوضى في البناء على الأحياء الهامشية فحسب بل عرفها حتى مركز المدينة، فباستثناء البنايات التي تصطف على جنبات الطريق والتي تخضع لشروط التصاميم المخصصة لها وكذا الدور المحاذية للشاطئ فإن باقي البنايات تتنافى وشروط البناء الصحيح. أما الأحياء الجديدة كالمسيرة II والأودية فانها خضعت لتصاميم وضعت لها والتزم أصحابها باحترامها. ويبقى الطريق الممتد من تمارة المركز إلى الشاطئ، وكذا الشريط المحاذي للخطوط الحديدية المجال المخصص لبناء الڤيلات.

يقتصر نشاط الساكنة على مجالات الفلاحة والتجارة والصناعة، أما الخدمات أو ما يسمى بالقطاع الثالث فيكاد يكون منعدماً نظراً لقرب تمارة من مدينة الرباط. تحظى الفلاحة بالقسط الأوفر من اليد العاملة بتمارة، فضواحيها الفلاحية الممتدة الأطراف وانتشار المزارع المغطاة والخاصة بإنتاج الفواكه والخضروات خاصة الموز والبواكير، وكذا مزارع الورود، كل هذا بموازاة مع ضيعات تربية الدواجن والأبقار الحلوب جعل قطاع الفلاحة يستحوذ على ما يزيد عن 50٪ من اليد العاملة النشيطة بتمارة. أما الصيد البحري الذي يعد مكملاً لقطاع الفلاحة فهو يكاد يقتصر

على فترات معينة وبوسائل تقليدية، وهذا راجع لطبيعة الساحل الصخرية ووعورته الأمر الذي جعل من هذا القطاع قطاعاً غير منتج.

تأتي التجارة في الرتبة الثانية بعد الفلاحة ويعتبر سوق السبت الأسبوعي القطب الرئيسي الذي تنشط فيه التجارة بالمنطقة، كما أن إشعاعه فاق مجال تمارة وضواحيها إلى أماكن متعددة من المملكة، وتنتشر بالمدينة عدة متاجر وأسواق دائمة. ويشغّل هذا القطاع حوالي 33٪ من اليد العاملة النشيطة.

أما قطاع الصناعة فقد عرف النور خلال الثلاثينات واقتصر في أول الأمر على بعض المعامل الخاصة بإنتاج الفلّين. وبعد سنة 1945 بدأت المنطقة تستقطب العديد من المؤسسات الصناعية حيث أنشئت شركة تحت اسم (SEDEC) لصنع المواد الجاهزة. وخلال عقد الستينات عرفت تمارة إنشاء عدد لا بأس به من مصانع النسيج والغزل والصباغة (SOFILACOMA, BEDAMO, UTEX) ومع بداية 1973 أُعلن عن قانون جديد خاص بالاستثمارات وقرار مغربة المؤسسات الصناعية مما جعل المنطقة تعرف ظهور عدة شركات صناعية أخرى متنوعة من حجم صغير ما عدا إسمنت تمارة (ASMENT) التي تنتج سنوياً 600.000 طن والتي شرع العمل بها سنة 1976 وبجانبها مؤسستان لإنتاج علف الدواجن (SMA) و(SIMA) تعدان من أكبر المصانع العلفية على الصعيد الوطني وقد يصل الإنتاج بها سنوياً إلى حوالي 300.000 طن. وفي سنة 1980 عرفت المنطقة إنشاء حوالي تسع وعشرين مقاولة صغرى ومتوسطة كانت تشغّل ما يزيد على 2.200 عامل في غياب إحصاء دقيق لأن هذا العدد يبدو ضئيلاً بالمقارنة مع حجم هذه المقاولات.

ومع حلول سنة 1990 انتشرت عدة معامل لإنتاج اللوازم المنزلية وأدوات الكهرباء وأوراش النجارة والحدادة والنسيج خاصة ملابس الأطفال والنساء. وعلى العموم فالبرغم على انتشار المجال الصناعي وتطوره فهو لايشغّل سوى 12٪ من اليد العاملة النشيطة بالإضافة إلى قطاع السياحة الموسمية وخاصة الشاطئية.

تبقى مدينة تمارة من المدن التي تعرف تطوراً مستمراً رغم وجودها وسط شبكة من المدن الكبيرة الرباط وسلا والدار البيضاء والمحمدية.

تحريات ميدانية.

M. Belfqih, A. Fadloulah. *L'Agglomération de Rabat - Salé, Processus, mécanismes et formes de croissance.*

* * إقليم الصخيرات ـ تمارة، أنشيء بناء على الظهير الشريف رقم 1.59.351 في فاتح جمادى الآخرة 1379 (2 دجنبر 1959) في شأن التقسيم الإداري للمملكة. وعلى القانون رقم 12.92 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادر بتنفيذه الظهير الشريف رقم 1.92.90 بتاريخ 9 ذي الحجة عام 1412 (11 يونيه 1992). وقد تمت عملية تقسيم الاقليم إدارياً على الشكل التالي :

العمالة	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية والقروية
الصخيرات ـ تمارة	تمارة عين العودة	مرس الخير عين عتيق صيّاح المنزه	تمارة (البلدية) الهرهورة (البلدية) الصخيرات (البلدية) عين العودة (البلدية)

يتوفر إقليم تمارة على مقومات طبيعية وبشرية هامة ويتكون من ثلاث مناطق هي تمارة، والصخيرات التي ظهرت بها النواة الأولى سنة 1930 حيث كان يستقر بها حوالي ثمانين نسمة من بينهم اثنان وستون أوروبيا. وفي سنة 1977 بلغ عدد سكانها 3.674 نسمة وقد يصل سكانها اليوم إلى 8.000 نسمة. وتزخر منطقة الصخيرات بنشاط فلاحي كبير خاصة زراعة الخضروات والكروم والذرة. أما المنطقة الثالثة التي تُكوِّن الإقليم فهي عين العودة التي يرجع تاريخ إنشائها من طرف سلطات الحماية الفرنسية إلى سنة 1928 وقد بلغ عدد ساكنتها سنة 1936 منهم مائة وستة وسبعون أوروبيا. وفي سنة 1960 وصل هذا الرقم إلى خمسمائة وخمسين نسمة ليتضاعف عدة مرات حيث بلغ سنة 1978، ألفين وخمسمائة نسمة.

يمتاز إقليم الصخيرات ـ تمارة بموقعه الاستراتيجي الممتد على طول الساحل الاطلنتي. وشساعة مساحته وغطائه النباتي الوفير، كما أن أراضيه يخترقها نهران هما واد يكّم وواد الشرّاط، ويعد القطاع الفلاحي فيه من أغنى القطاعات الموجودة على طول الساحل. أما المجال الصناعي والمتركز في مدينة تمارة فيعتبر نموذجاً متطوراً باستمرار، كما أنّ هذا القطاع همّ كذلك جانباً من الصخيرات.

يتوفر الإقليم، على المستوى السياحي، على مكونات سياحية متعددة تتمثل في شواطئه الجميلة كالهرهورة والرمال الذهبية وميناءه الترفيهي سيد العابد والمرافق التابعة له، وسهب الذهب وشاطئ الصخيرات وغيرها. هذه الشواطئ عملت الجماعات المحلية على تجهيزها بكل وسائل الراحة والترفية لتكون في مستوى سمعة الإقليم. كما يتوفر الإقليم على بعض المركبات السياحة كمركب القصبة وبعض الفنادق الصغيرة الموجودة بين واد يكّم والهرهورة. هذا بالإضافة إلى ملاعب تروبفي الخيول بكل من تمارة والقصبة وحديقة الحيوانات المعروفة على الصعيد الوطني بوفرة وحيشها وتعدد أنواعه.

وزارة الداخلية، وثائق إحصائيات، مديرية الجماعات المحلية.

1982 ؛ *الجريدة الرسمية*، العدد 4165 بتاريخ 26 يونيه 1992 ؛ *تحريات ميدانية*.

محمد بلعربي

التمازيري أو التامازيري، **علي** بن يوسف بن أحمد، ينحدر من أسرة سوسية، هاجرت ضمن موجة من المهاجرين من بلاد جزولة إلى وادي درعة في نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العاشر (15-16 م). وقد استقر أسلافه بواحة أكتاوة.

وبالرغم من كوننا لا نعرف شيئاً عن انتقال أسرة علي ابن يوسف إلى قصر تامازيرت بترناتة، فلا نستبعد أن يكون والده، قد جاء إلى هذا القصر الذي أصبح في العقود الأخيرة من القرن العاشر (16 م) مقراً لعبد الله أُعيّاد السوسي، عامل السعديين على ترناتة في وقته، ولا تزال آثار هذا العامل مطبوعة على أسماء بعض فدادين قصر تامازيرْت إلى اليوم.

لا نعرف شيئاً عن بداية تعليم علي بن يوسف، ولا نستبعد أن يكون قد استفاد من الحركة العلمية المزدهرة بدرعة آنذاك، على يد ثلة من علماء سوس من أمثال البكريين بفزواطة وآل الجراري بترناتة، وبعد تعليمه الأولي بدرعة رحل إلى الشمال لإتمام تعليمه فنزل بالزاوية البكرية (الدلائية) بالأطلس المتوسط، التي كانت مهبطا لطلاب العلم من كل أصقاع المغرب، باستقطابها عدداً كبيراً من علماء المغرب، في وقت تعطلت فيه مجالس العلم بجامع القرويين (*الزاوية الدلائية*، 78).

وقد تخرج علي بن يوسف من الزاوية الدلائية فقيها متضلعا، وأديبا مشاركا، رائق اللفظ رائع العبارة. وبعد عودته إلى درعة، لازم مسجد تيسركات في الضفة الغربية لنهر درعة بواحة ترناتة، حيث كان يدرس اللغة العربية والفقه وعلوما أخرى لمجموعة من الطلبة بنية حسنة رغم انشغاله بمعاشه (*طلعة*، 1 : 127) . ومن أشهر المتخرجين على يده الشيخ محمد بن أحمد الناصري، ومن دعوته نال الشيخ ابن ناصر ما اشتهر عنه من علم ودين وذرية صالحة، وإقبال الخلق عليه للنفع والعلم (*الدرر*، 222).

كان علي بن يوسف يقرض الشعر وأكثر شعره في المديح النبوي، كما مدح شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي، وكان هذا الأخير يقدر أمداحه ويصله بالصلات السنية فينقلب إلى أهله مسرورا (*الزاوية الدلائية*، 60). وقد ذكر صاحب *الدرر* أن علي بن يوسف أنشأ قصيدة في مدح الرسول الكريم من ستين بيتاً رتبها على قوله تعالى "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" (*الدرر*، 222).

توفي علي بن يوسف في تاريخ غير معروف من القرن الحادي عشر الهجري ودفن بمقبرة تيسركات، وقبره مزارة إلى اليوم.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*، طبعة حجرية دون تاريخ ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، طبعة أولى، الرباط، 1964 ؛ م. ابن الحبيب التمنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط.

أحمد اليوزيدي

تمازيغْتْ أو تامازيغت، لهجة من لهجات اللغة الأمازيغية المشتركة (انظر مادة أمازيغية، *معلمة المغرب*، ج 2) تستعمل هذه اللهجة كأداة أولى للتواصل لدى المجموعات البشرية التي تقطن المجال الممتد بين جبل صغرو جنوباً وممرّ تازا شمالاً ومجرى وادي گرو غرباً ومجرى ملوية الوسطى شرقاً. ومن أهم هذه المجموعات أيت وارايين وأيت سغروشن وأيت يوسي وزمّور وگروان وأيت مگيلد وزيّان وأيت يافلمان وأيت عطّا.

لا تختلف البنيات العامّة للهجة تامازيغت عن نحو اللغة الأمازيغية المشتركة. إن أهمّ الاختلافات تخصّ النظام الصوتي حيث تحلّ الصوامت الاحتكاكية محلّ المقفلة :

ب ← پ، ت ← ث، د ← ذ، ك ← كـ، گ ← گّ؛ وتحل الصوامت المعطشة محل الصوامت المُسَرّة : ش ← تش، جـ ← د جـ. ويلاحظ كذلك وقوع بعض الظواهر الصوتية على المستوى الصوتي ـ التركيبي : ل + ث ← لّ + ذ ← لّ، ن + ث ← نّ، ن + ذ ← نّ، ر+ ن ← رّ. وفي لهيجة القسم الجنوبي من مجال تامازيغت نلاحظ تحول گ إلى ي وك إلى ش، فمثلاً كلمة أكال "الأرض" تنطق شمالاً أكالْ وجنوباً أشال، وكلمة أرگاز "الرجل" تنطق على التوالي أرگاز و أرياز.

وإذا كانت منطقة تاشلحيت هي مجال أمارگ وأحواش فإن الرقعة التي تتداول فيها تامازيغت هي ميدان إزلي وأحيدوس (انظر هذه المواد في *معلمة المغرب*).

أما الأجناس الأدبية فهي تنقسم إلى أجناس نثرية وأخرى شعرية وجلّها ينتمي إلى التقليد الشفهي بحيث يكاد الأدب المكتوب يكون منعدماً في تامازيغت. وتنحصر الأجناس النثرية في الحكاية والمثل واللغز في حين أن الشعر ينقسم إلى أربعة أصناف رئيسية وهي إزلي و تاماوايت وتايفّارت وتاميدوليت. فإزلي عبارة عن عدد قليل من الأبيات الشعرية المرتجلة يتبارى بها الشعراء ويكون عادة موضوعها الأحداث الهامة التي تسجّلها الذاكرة الجماعية ؛ وتاماوايت نوع من النثر الشعري الغنائي الذي يتغنّى به الشاعر خلال رحلاته ؛ وتايفّارت هي قصيدة مطولة تتميز بوحدة الموضوع وتتناول موضوعات مستلهمة من الدين أو الأحداث السياسية الخ ؛ وأخيراً هناك تاميدوليت وهو صنف من الشعر يُتغنى به في الأعراس ويرقص على إيقاعه في المناسبات، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ موضوع مقاومة الاستعمار أخذ قسطاً مهما من الإنتاج الشعري، ومن أشهر الشعراء حمّو يامعطور وحدّو وعمومياس وعلي ن تيريتّ وعلي أحسين والشاعرة الكبيرة تاوگرات.

م. شفيق، *الشعر الأمازيغي والمقاومة المسلحة في الأطلس المتوسط وشرقي الأطلس الكبير (1912-1934)*، *مجلة الأكاديمية*، العدد 4، ص 70-99، 1987 ؛ *أربعة وأربعون درساً في اللغة الأمازيغية*، الدار

البيضاء ؛ *المعجم العربي ـ الأمازيغي*، الرباط، منشورات الأكاديمية المغربية ؛ ف. بوخريص، أحيدوس، *معلمة المغرب*، 1 : 195 ـ 198، 1989.

E.T. Abdelmassih, *Tamazight Verb Structure*, The Hague, 1971 ; F. Bentolila, *Grammaire fonctionnelle d'un parler berbère: Aït Seghrouchen d'Oum Jeniba, Maroc*, Paris, 1981 ; F. Boukhris, *Le verbe en tamazight : lexique et morphologie, parler des Zemmours*, Thèse de 3ème cycle, Paris, EPHE, 1986 ; M. Guerssel, *Issues in Berber Phonology*, M.A. University of Washington, 1976 ; M. J. Harries, *Syntactic Structure of Tamazight*, Ph. D. Univ. of California, 1971 ; J. Saïb, *A phonological study of Tamazight Berber*. Ph. D. Univ. of California, 1976 ; M. Taïfi, *Dictionnaire tamazight - français*, Paris, 1993 ; E.M. Iazzi, *Morphologie du verbe en tamazight*, Mémoire de D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat, 1991.

أحمد بوكوس

تماسين (أيت ـ)، قبيلة تسكن منطقة ورزازات يعبرها نهر يحمل نفس الاسم. وهي واقعة على ضفاف هذا النهر بين قبيلة أيت زينب شمالا والزناگة جنوبا. أما المنطقة فإنها منحبسة وسط أربع قبائل إذ تحدها أيت أُوشَنْ على اليمين، وأيت زينب شمالا، وأيت خزامة على اليسار وأيت عامر جنوباً، وتوجد ضمن المجموعة القبلية التي تشكل منها ما يسمى واوزگيت إقليم ورزازات. تبلغ مساحة المنطقة نحو 120 هكتاراً معظمها أراض جرداء تكسوها أحجار بنية اللون ينبت بينها قليل من عشب منعدم النفع. وإلى جانب هذه الأحجار توجد جنوب المنطقة مقذوفات بركانية يميل لونها الأحمر إلى الأسود وهي واردة مما لفظته براكين السروة قديما في عهد نشاطها.

تنعكس هذه التضاريس القاسية على الإنتاج الزراعي وتعرقل غيره من الأنشطة المرتبطة باستغلال الأرض. إلا أن بعض الجداول القليلة المياه تمكن الأهالي من إقامة نظام للري الجماعي، فراحوا ينتجون بعض الخضر كالطماطم والبصل والقرع، ويعنون بأشجار اللوز والزيتون.

أهم المراكز الإدارية اليوم هي إيندیوت وتماسين وتاشوگانت. وأكبر هذه المراكز هي بلدة إيندْيوت التي تعد قديمة العهد وإن لم توجد بها أي قصبة.

تقع إيندْيوت في وسط ما يشبه واحة بين المرتفعات، وتتميز بمنازلها الصغيرة العديدة الملتحمة في الأحياء العتيقة والمتفرقة طوال الوادي أو المرتفعات تبعا للتطور. وتتألف هذه المنازل المبنية بالحجر المصقول من طابقين أو ثلاثة. وعلى العموم فإن إيندیوت تظهر كصورة مصغرة للمدن العتيقة المغربية، وقد استعاضت عن الأسوار بالمنازل الممتدة طوال الوادي وكأنها جدار أمني. وبالفعل، فإن ما يفسر التحام البيوت وترابطها أن المدينة كانت قديماً تتعرض لعمليات النهب من طرف عصابات لصوصية وتتعرض لهجمات قبائل أخرى.

تماسين وتاشوكانت محصنتان بفضل المرتفعات التي تشكل خطوط دفاع طبيعية، ولكنها لم تجعل البلدتين دائما في مأمن من الهجمات التي كانت تلحق بالأهالي أضرارا بالغة. وتأتي تماسين في المرتبة الثانية بعد إيندیون من ناحية الأهمية السكانية والنشاط الاقتصادي، ولا يعني هذا أن المنطقة مزدهرة، بل إنها تعاني من الفقر ألوانا ومن التخلف درجات، واسمها يرجع إلى النهر الذي يحمل نفس الاسم والذي يمر قريبا منها وقد أصبح جافاً، قلما تجري فيه مياه الأمطار اللهم إلا إذا كانت هذه الأخيرة عاصفية في الصيف.

والجدير بالذكر أن المنطقة لم يستوطنها أي يهودي قبل الاستقلال لأن أيت تماسين حرمت عليهم أن يطؤوا أراضيها، وفي عهد الاستعمار استوطنها زهاء ستين يهوديا بين تاجر وصانع.

J. Célerier et G. Hardy, *Les grandes lignes de la géographie du Maroc*, Paris, 1922 ; J. Dresch, *Le Haut Atlas Occidental*, 1951; L. Gentil, *Dans le bled es-Siba*, 1906 ; Joly, *Géograpie du Maroc*.

أحمد بنجلون

تمايت، (أيت ـ) إحدى الفرق الهامة المندرجة ضمن قبيلة بني سعيد الريفية. تمثل اليوم بعدد مداشرها البالغ ستة وعشرين مدشراً، المرتبة الثالثة بعد فرقتي أولاد عبد الدايم (33 مدشراً) وإزْعُومَن (32 مدشراً). تحتل أراضيها نحو ربع مساحة القبيلة، جنوب كل من إزعومن وأولاد عبد الدايم، بين مجرى واد أغبال، رافد واد البعّاج، وواد كرط وواد وردانة، رافد هذا الأخير.

يرتبط الاستقرار السكاني في فرقة تمايت بطبيعة السطح وموارده الفلاحية. ويظهر نتيجة ذلك تجمعان : قديم وحديث.

1) تمايت الجبلية، أو أهل مقدمة جنوب كتلة بني سعيد المستقرون على التلال الغربية، المتمثلة في كدية سيدي عمر الراسي (482 م) والهضيبة الشرقية المعروفة بالگعدة الحمراء. ويخترق هذا المجال مجرى واد الدفلة في اتجاه جنوبي شرقي من منبعه بكدية سيدي عمر إلى اتصاله بواد البعاج.

يتألف سكان هذا القسم من أيت تمايت الأقدمين. نعرف منهم خلال العصر المريني المتأخر المتصوف الشيخ عمر بن محمد الراسي السعيدي، جد أسرة أولاد الفقيه عيسى بن محمد الراسي السعيدي، مؤلف *مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح*، من أهل منتصف القرن الحادي عشر (17 م) (ح. الفگيگي، عيسى *البطوئي*، *دعوة الحق*، 252 ؛ *المعلمة*، 4 : 1273).

وتكونت تمايت الجبلية خلال عهد الحسن الأول من خمس جماعات :

ـ جماعة ثُلاثْ، مساكنها واقعة في الحد الشرقي من الگعدة الحمراء، بجوار أغبال إزعومن، وبها يعقد السوق القديم، يوم الثلاثاء، ولا يزال إلى اليوم محتفظا بمكانته كسوق رئيسي بالقبيلة.

ـ جماعة أولاد داود ينسب أهلها أنفسهم إلى الشرفاء الأدارسة، ويبدهم شجرة نسب وظهائر علوية (بتاريخ 1117. 3 جمادى الثانية 1272)، يعرفون بأولاد القاضي أو القضاويون وأولاد الفقيه، إخوة الذين بأمَجّاوْ وبقلعية. نعرف منهم الفقيه محمد بن محمد أمزيان القضاوي وأولاد

إخوانه القاطنين بتمايت (17 رجب 1293. 3 شوال 1298).

وتستوطن هذه الجماعة المنخفض المجاور لكدية سيدي عمر الراسي. وتتألف في الوقت الراهن من مداشر : مولاي إدريس وإيحياتن، وتالاعكشة. وقد شاركت هذه الجماعة في الجيش على عهد المولى إسماعيل، ووضعت نفسها تحت قيادة عمر بن حدّو التمسماني، آتي الترجمة، وأخيه أحمد أثناء عمليات تحرير طنجة والمعمورة والعرائش. وخلال حصار سبتة على يد علي بن عبد الله التمسماني وابنه أحمد (21 صفر عام 1089).

- جماعة الرحامنة، يستقر أهلها بجوار مركز دار الكبداني الحالي، مما يلي الغرب، بجوار إيگنصار ودركانة.

- جماعتا بني مخلوف وإمجّاطن (المجاجطة) مختفيتان في الوقت الراهن من التقسيم الإداري، لأسباب قد تعود إلى الهجرة والاندماج في غيرها من التجمعات. (أواسط شعبان 1309).

ولفرقة تمايت الجبل تاريخ على عهد الحسن الأول، إذ أنها أصبحت مركز قيادة، بموجب التنظيم الإداري الجديد المحدث سنة 1292 / 1875 بالنسبة لقبائل الريف الشرقي. وأول من نعرف من قواد الفرقة المسمى محمد الجراري التمايتي السعيدي (آتي الترجمة). وآنذاك كانت الفرقة في تمرد على قائدها من جراء امتناعها عن أداء ما كان بذمتها من الواجبات والديون الشخصية.

ولتلك الأسباب تحولت قيادة أيت تمايت إلى قائد بني سعيد على فرقة بني عبد الدايم المدعو محمد أقشيش (21 ذي الحجة 1304 ؛ 6 و8 صفر 1302). وفي عهده دخلت الفرقة في نزاع مع جارتها فرقة أمجاو، كنتيجة من نتائج تنافس الأعيان والبحث عن التحالف الأسروي.

وترتب عن تأزم الخلاف بين تمايت وأمجاو، تعيين الحسن الأول باشا طنجة محمد بن عبد الصادق التمسماني على الفرقة، بغية التوصل إلى حل النزاع المذكور (10 ربيع الأول 1302، 26 ربيع الأول، 12 جمادى الأولى 1303). ويظهر أن باشا طنجة قد تخلى عن الفرقة لغيره (محمد أقشيش) بعد عام 1304، ولكن عاد إليها، حسبما يدل عليه تعيينه الجديد بتاريخ 20 ربيع الأول 1309.

2) تمايت العزائب : يعود الاستقرار بهذا القسم إلى بداية القرن الحالي. تحتل مداشره ودوره الأراضي السهلية الجنوبية الواقعة بين واد كرط ورافده واد وردان، مجال فلاحي ضعيف بسبب فقر التربة وقلة الغطاء النباتي.

وأقدم تلك العزائب هي التي ارتقت إلى مرتبة مدشر، بعد المرور باسم مالك العزيب من الأفراد والجماعة، منها : إمَسْجَنْ، الركيبْ، تَفَارْتْ، والرحامنة الوطا. وأحدثها هي التي لازالت محتفظة باسم دار مؤسس العزيب أو صاحبها : دار الحاج مزيان، بوعزة، علال بن الطاهر، حمّو التهامي، علال بن العربي.

وحسب الإحصاء السكاني المقدم من طرف بعض المراجع الإسبانية، خلال العقد الأول من هذا القرن، فإن عدد دور أيت تمايت بلغ قبل 1936 أربعمائة وخمساً وعشرين داراً، مما يوافق نحو 2.125 ساكن. وقد تزايد عدد المداشر من اثنين وعشرين مدشرا عام 1951 إلى ثمانية وعشرين مدشراً.

وثائق شخصية بيد السيد القضاوي شعيب ؛ وثائق خ. ح. بالرباط، فترة الحسن الأول ؛ معلمة المغرب، 4 : 1273 ؛ ح. الفگيگي، *عيسى البطوئي، دعوة الحق*، 250. 251 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 95 ؛ خريطة طبوغرافية عام 1921 و1935.

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1 : 136 ; Comisión histórica de las campañas de Marruecos, *Geografía de Marruecos*, 2 : 224, Madrid, 1936.

التمايتي، محمد الجراري السعيدي، أول من نعرف من قواد ربع تمايت المندرج ضمن قبيلة بني سعيد الريفية على عهد الحسن الأول، إلا أن معلوماتنا عنه قليلة بالنسبة لما نعرفه عن غيره. تظهر أولى تلك المعلومات في انفصال تمايت عن محيط قيادة محمد أقشيش السعيدي في شهور عام 1295 / 1878 بزعامة محمد الجراري التمايتي، (14 ذي القعدة 1296)، ومن تلك المراسلة نستخلص الإجراءات النهائية التي رافقت ذلك الانفصال، إذ أن الحسن الأول استدعى الطرفين المتنازعين إلى فاس قبل ذي القعدة عام 1296 ليلزمهما بالتصالح على يد أحد رجال المخزن المركزي المدعو محمد بن العربي. وقد أعقب ذلك التصالح التعهد بالحفاظ عليه بضريح مولاي إدريس، بشهادة قائد قلعية المعروف المختار ألْغَمْ، والقائد محمد أمزيان التوزاني.

ويظهر أن قيادة التمايتي محمد الجراري لم تطل كثيراً، إذ أن أيت تمايت خرجت عن طاعته، مفضلة العودة إلى محمد أقشيش (6 رمضان 1301). إلا أن التمايتي لم يتوقف عن الحركة إلى أن تحول ربع تمايت إلى قيادة محمد بن عبد الصادق الريفي المعين في 10 ربيع الأول 1302. ليصبح المترجم له خليفة القائد الريفي المقيم آنذاك بطنجة، وفي 4 ذي القعدة عام 1304 كان محمد الجراري التمايتي مايزال بالمكان وبنفس المنصب. ولم نتوصل بعد ذلك عنه بأي خبر.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ وثائق أسرة أقشيش بطنجة.

حسن الفگيگي

تمائم، - في المغرب القديم - مفردها تميمة، والتميمة شيء يلبس على أنه تعويذة سحرية تطرد الشر. والاعتماد على مثل هذه الوسائل شائع في ثقافات كثيرة، واستعمالها لفترات بعيدة.

فقد استعمل المصريون القدماء التمائم وكذا العبرانيون وغيرهم من الشعوب.

إن مصطلح التميمة في اللغة اللاتينية Amuletum له جذور عربية، فهذا المصطلح ظهر لأول مرة عند المؤرخ اللاتيني بلين القديم في كتابه *التاريخ الطبيعي*، (XXX, 15, 47) فالقدماء أطلقوا اسم "تميمة" على كل الأشياء التي تضمن لهم الوقاية من الأمراض أو بصفة عامة إبعاد كل قوة تحمل الشر في طياتها سواء كانت بشرية أو غيرها.

إن المؤرخ بلين القديم، يقول إن استعمال التمائم نتج عن التطبيب، بحيث يجد جذوره في المعتقدات السحرية Superstition.

وكانت التمائم تستعمل كعلاج ضد الأمراض الجسدية أو لاتقائها. وبما أنه في غالب الأحيان كانت هاته الأمراض مجهولة، فإن الناس كانوا يعتقدون أن هناك قوة خارقة هي التي تسبب هذه الأمراض. كما أن التخوف من "العين" عرف انتشاراً واسعاً في عديد من الأقطار ولهذه الغاية كانت تستعمل التمائم لإبعاد عين الحسود Fascinum.

من بين التمائم التي استعملت لإبعاد الشر، هناك الأحجار التي أتى أغلبها من الشرق. لقد استفاد المؤرخ "بلين" من كتب عديدة لتأليف كتابه السابع والثلاثين من التاريخ الطبيعي والذي خصصه لدراسة الأحجار ومنافعها. من بين هذه الأحجار نجد العقيق Agate وهو يستعمل لإبعاد الأعاصير والعواصف.

كان للمعادن هي الأخرى دور وقائي وخاصة منها الذهب (بلين 25، 4، XXXIII) والحديد الذي يستعمل لإبعاد الشر عن الطفل وذلك بواسطة وضع رسم دائري في الهواء بقطعة من الحديد. أما الأعشاب فلم تستعمل فقط في التطبيب بل تعدته إلى ميدان التمائم. فعند هوميروس نجد أن إحدى النباتات قد استعملت لتحمي شخصية أوليس Ulysse الأسطورية من أعمال الساحرة كيركي Circe كما أن ورقة موسى (Laurier) على سبيل المثال كانت توضع على أبواب المعابد والبيوت لإبعاد القوى الشريرة.

إلى جانب هذه المواد، لعبت الحيوانات بالنسبة للقدماء دوراً وقائياً، حيث كان الفلاحون يضعون بعض أحشائها فوق الأشجار أو في عتبات بيوتهم، كما أن بعضها كان يستعمل بأكمله كالخفاش (Pline XXIX, 83).

أما بالنسبة للطريقة التي كانت تستعمل بها هذه التمائم، فقد كانت خاصة على شكل قلادات أو أسورة أو أقراط (Boucles d'oreilles)، أما التمائم التي لم يكن من الممكن حملها للتزيين، فكانت توضع في سدادات (Capsules) يطلق عليها اسم (Bulles) وتربط بقلادات في العنق.

أما فيما يخص الأشكال الرمزية التي كانت تمنح لها خاصية إبعاد الشر فهناك صور الأوثان التي تعد ضمانة خاصة. ويبدو أن الأوثان التي كانت منتشرة أكثر هي الأوثان الأجنبية التي دخلت عبادتها في فترة متأخرة إلى العالم الروماني والإغريقي مثل ديانا من مدينة Ephése (بتركيا) ومترا (إيران)، وإيزيس وأنوبيس وخاصة سيرابيس (مصر).

واستعمل المسيحيون أيضا، خلال القرن الرابع، الصلبان والتمائم والتي كانت تضم أشياء مقدسة ونصوصا دينية.

Daremberg-Saglio, *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, col. 252 - 257, S. V. *"Amulettes"* ; Riess, *Real Encyclopadie*, *"Amulette"*, col. 1904 - 1098 ; Pline, *Histoire naturelle*, livres 29, 33, 37.

عبد العزيز بل الغايدة

التمثيل ← المسرح

التمدين بالمغرب، يعني التمدين التجمع الديموغرافي في أماكن مختارة، كما يعني النشاطات المتنوعة التي تعرفها هذه المجالات المختارة من أجل نشر ما يمكن أن نسميه بالحضارة المدينية.

ويتميز التمدين الذي عرفه المغرب بخاصيتين أساسيتين:

- التمدين الحديث بالمغرب سابق عن التصنيع، عكس ما حدث في الدول الصناعية التي كان فيها التصنيع هو العامل المحرك للتمدين.
- سبقت أنماط العيش الحديثة بدورها مرحلة التمدين.

ودون الدخول في تفاصيل تتعلق بأسباب هذه الوضعية فيلاحظ أن التمدين يختلف عما يوجد في المجتمعات المصنعة، وأن المدينة المغربية لا تعكس متطلبات النمو الصناعي. إن أهم ما يميز هذا النوع من التمدين بدون تصنيع هو مشكل الشغل. إن المتمدنين الجدد الذين يشكلون أغلبية السكان الحضريين بالمغرب لا يمثل الشغل بالنسبة لهم عامل اندماج في الحياة المدينية. يتم اندماجهم عبر مساهمتهم السلبية والبعيدة في نماذج الاستهلاك الصادرة عن مراكز التمدين بالمغرب. كما أن نماذج الاستهلاك هذه تشكل الحبل الأساسي الذي يربطهم بالمجتمع المديني. إن هذه النماذج الاستهلاكية قد اقتحمت القرى نفسها مساهمة في تفكيك المجتمع التقليدي القروي وأنماط عيشه.

إن القرويين المتمدنين يحملون معهم مجموعة من الممارسات والمعتقدات والأنماط الحضارية والعادات الاجتماعية يتم ترسيخ استمراريتها وبقائها عبر التضامنات العائلية والقبيلة والجهوية التي تشكل القاعدة في كل المدن المغربية الحالية.

وقد مر التمدين الذي عرفه المغرب الحديث بمرحلتين: مرحلة الحماية ومرحلة ما بعد الاستقلال. وقبل أن نتناول عمليات التمدين في هاتين المرحلتين نود أن نشير في البداية إلى مميزات التمدين في مرحلة ما قبل الحماية.

1 - التمدين والنظام السياسي قبل الحماية:

لقد كان المغرب إلى حدود بداية القرن العشرين بلداً ذا تمدين ضعيف بالرغم من توفره على بعض المدن المعروفة. لقد كانت هذه المدن داخلية بعيدة عن الشواطئ، وهذه خاصية نجدها في أغلب الدول العربية الإسلامية.

كانت هذه المدن نقطة التقاء طرق تجارية تمر من السودان إلى الأندلس. ولهذا السبب لم تكن هذه المدن تعيش أساسا من البوادي، لأن البادية نظراً لضعفها الاقتصادي لم يكن بإمكانها تقديم الفائض الضروري لحضارة مزدهرة داخل أسوار المدن. لقد كانت البادية في تنظيمها على شكل جماعات عشائرية منعزلة تشكل خطرا دائما على المدينة التي كان يرتكز نشاطها على التجارة البعدية. ولضمان أمنها من هذا الخطر الدائم كانت المدينة تلجأ إلى إقامة

تحالفات مع القبائل المترحلة على حساب القبائل المستقرة التي كانت تعيش من زراعة الأرض والتي بقيت في معزل عن الحركات التجارية الكبرى وعن التيار الإسلامي. وقد أشار ابن خلدون إلى عزلة الفلاحين في الجبال وإلى قلة مساهمتهم في ازدهار المدن الكبرى التجارية. وقد كان التحالف مع المترحلين راجعا لأسباب أمنية تهم ممرات القوافل.

وينعكس الدور الاقتصادي والاجتماعي لهذا التمدين القديم في تصاميم المدينة المغربية التقليدية. لقد كان المركز يتكون من السوق، ويوجد في وسط السوق المسجد الكبير، وبعد هذا تأتي الفنادق التي كانت تودع بها البضائع وتؤوي الغرباء من التجار. وإلى جانب الفنادق كانت توجد المدارس. وبعدهما تأتي القيصارية التي كانت مستودعا للمنتجات النادرة. وبالقرب من القيصارية يوجد محل الصرف أو مكان لسك النقود. وكانت تحيط بهذه النواة المركزية دكاكين الصناع والحرفيين. وخارج حياة المدينة كان يوجد المعمار العسكري للقصبة الذي كان يحتل موقعا استراتيجيا وبشكل وحدة مستقلة. وبعد دكاكين الحرفيين كانت توجد الأحياء السكنية ذات الطابع العائلي والقروي. وكان تنظيم السكن يخضع لشكل واحد : أربع غرف مغطاة تحد وسط الدار العاري. وكانت هذه الغرف مفتوحة على الداخل ومعلقة عن الخارج.

ومن مميزات التمدين في هذه المرحلة القديمة ما يلي :

- وجود المسجد الكبير الذي يتجه نحوه كل شيء ومنه يتشعب مثله مثل القلب في الجسم.
- وجود أحياء ذات طابع عائلي وقرابي في مستويات متراتبة.
- وجود استمرارية لنفس النموذج العقاري والمعماري وثباته.

في هذا الإطار كان يتحدد الانتماء للمدينة بالتمثيلية في أبعادها الأساسية الثلاثة : الحرف والتجارة والعلم. وقد كانت تنتظم حياة المدينة وفق الوظائف الأساسية للمحتسب ولأمين الحرفيين وأمين الأمناء أو نقيب الأشراف.

وقد كان المحتسب أو صاحب السوق يشرف على ضبط المعاملات ويسهر على تطبيق الاتفاقات. وقد كان المحتسب بمدينة فاس مثلا يعين من طرف السلطان لمراقبة التبادل والتأكد من الوزن وأدوات القياس وتحديد الأثمنة ومراقبة الأفرنة والحمامات والأسواق والحناطي (المهن) والحرف، الخ....

أما الأمين فكان يقوم بتمثيل مصالح "حنطة" الحرفيين. وكان يعتبر الحكم في النزاعات بين الصناع المنتمين لنفس الحنطة، وكان الملكف بتقديم قرارات الحنطة للمحتسب. كما كان يعتبر الواسطة بين السلطة المركزية والحنطة فيما يتعلق بالجبايات والهدايا والخدمات المجانية، الخ...

أما أمين الأمناء فقد كان هو زعيم كل أمناء الحنطات. وبفضل هذه السلطة الثلاثية الأبعاد كان يراقب كل الدكاكين وكل الحرف أي كل عمليات الإنتاج والتوزيع والخدمات. وقد عرف هذا النوع من التمدين تراجعا مع مجيء الحماية

2 ـ أحدث فرض الحماية تحولا عميقا في النظام المديني وفي مميزات التمدين القديمة بالمغرب. وكنتيجة لهذا أصبحت المدن الداخلية (فاس، مكناس، مراكش مثلا) مدنا تعرف انحطاطا ونكوصا أمام تقدم ونهوض المدن الساحلية أو مدن الموانئ التي ستتحول إلى قواعد وسيطة في إطار عملية التراكم الرأسمالي لأوربا.

وسيعبر هذا التحول في توجيه التمدين عن النموذج التنموي الاقتصادي والاجتماعي للحماية وكذا عن التفكك الذي سيصيب التمدين القديم والعلاقات الاجتماعية المرتبطة به. ومن بين المؤسسات المدينية التقليدية التي ستعرف تقهقرا مع إرساء قواعد تمدين من نوع جديد نجد الأمين والمحتسب.

لم تقم سلطات الحماية الفرنسية بمهاجمة التنظيمات الحرفية بطريقة مباشرة. بل نجد عكس هذا إذ أن الفرنسيين كانوا مهتمين بتقهقر هذه التنظيمات الحضرية القديمة واعتبروها حصنا منيعا أمام تأثير الخطابات النقابية الحديثة واليسارية الراديكالية. ومن أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط رموز النظام الحضري القديم يمكن أن نذكر التغير الذي حصل في هياكل السلطة خلال الحماية وخصوصا ما يتعلق منها بسلطة المحتسب والأمين والحنطة.

لقد اعتبر الفرنسيون حتى قبل الحماية أن الباشا هو المسؤول عن كل القضايا المحلية الخاصة بالمدينة ونظامها. هذا التعامل مع الباشا القائم على تصور مغلوط أصبح حقيقة خلال الحماية. وهكذا أصبحت السلطة مباشرة بعد معاهدة فاس، مركزة بين يدي الباشا الذي كانت قراراته تابعة لموافقة الرئيس الفرنسي للمصالح البلدية. وكان يقوم بخلافة الباشا مجلس بلدي جديد يحظى بمهمة استشارية فقط، وكان المحتسب من بين أعضاء هذا المجلس. بهذه الكيفية صار المحتسب الذي كان يتمتع بسلطة كبرى في المدينة ولا يخضع إلا لأوامر السلطان مجرد مستشار للباشا. وقد حاولت سلطات الحماية تصحيح هذا الوضع فيما بعد ولكن بقي الباشا هو الوحيد الذي يملك السلطة التنفيذية. وستتحول مجموعة من الوظائف الشرعية الخاصة بالمحتسب إلى المراقبة المباشرة للباشا الذي أصبح يقصده أمناء الحرف عند حدوث نزاع داخل الحنطة.

وبالإضافة إلى هذا صدرت عدة قرارات أخرى أسهمت في تراجع سلطة ووظيفة المحتسب، أهمها إصدار قانون من طرف رئيس المصالح البلدية الفرنسي سنة 1914 والذي يقتضي أن المراقبة أصبحت من اختصاص البيطري الذي له الصلاحية في إتلاف أو إبعاد كل إنتاج مشكوك فيه (اللحم، السمك، الحليب). ثم هناك ظهير 1923 الذي سيقوم بفرض النظام المتري.

وفيما يتعلق بالتنظيم الحرفي بالمدينة فإن إقصاء

المحتسب قد أدى أوتوماتيكيا إلى إقصاء الأمين وكذا البنية التنظيمية الحرفية. قد قامت سلطات الحماية بإصلاح النشاط الحرفي فصارت بمقتضى ذلك النشاطات التي تتطلب الممارسة في محرف أو حانوت أو خزين مفصول عن المسكن هي النشاطات المبدأة (Activités patentées). وستقصى من جراء هذا التنظيم مجموعة من الحرف كالبناء والنجارة. ولم يعد للأمين أي وجود حتى في قائمة المختصين المبرئين.

وبالإضافة إلى كل هذا أحدثت سلطات الحماية مدرسة جديدة للتكوين المهني تكلفت بتكوين الشباب المغربي في حرفتي البناء والنجارة حسب المعايير الأوربية وكذا في حرفتي الميكانيك الفلاحي وميكانيك السيارات. وفيما يتعلق بالتعمير قام ليوطي Lyautey باستدعاء متخصصين لإقامة تنظيم للمدن التي كانت بها مصالح السكان الأوربيين. ومن بين أوائل هؤلاء المختصين نذكر هنري پروست Henri Prost الذي وصل إلى الرباط سنة 1913 وبقي بها لمدة عشر سنوات. وقد أُسندت له مهمة تخطيط عشر مدن جديدة هي الدار البيضاء والرباط وفاس ومكناس ومراكش وصفرو وتازة ووزان وأگادير والقنيطرة فيما بعد.

وقد فرض ليوطي ثلاث قواعد كان على پروست أن يحترمها :

- عزل المدينة القديمة عن المدينة الأوربية.
- المحافظة على التراث الحضاري والمعماري للمغرب.
- إنشاء تمدين عصري للأوربيين.

وقد بدأ التنظيم القانوني بالظهير حول التعمير الذي صدر سنة 1914 والذي كان وسيلة مكيفة مع ضرورة العمل بسرعة حتى يتم التحكم في النمو السريع للمدن. ولم يكن هذا القانون معروفا بفرنسا إذ أنه لم يطبق بها إلا بعد مرور خمس سنوات على تطبيقه بالمغرب.

وقد تم تصميم المدن في هذه المرحلة كما لو كانت المدينة الأوربية هي التي سيتزايد سكانها. إلا أن المدينة القديمة هي التي سيعرف سكانها تزايدا مهما سيؤدي بليوطي إلى إقرار إنشاء أحياء جديدة للمغاربة على نموذج المدينة القديمة. وقد سميت هذه الأحياء بأحياء الحبوس بمدينة الرباط ومدينة مكناس ومدينة الدارالبيضاء. وتم إنشاء أحياء سكنية وفق هذا النموذج للعمال المغاربة المشتغلين في المعامل المهمة. ومن بين هذه الأحياء، أحياء كوزومار Cosumar بالدار البيضاء وأحياء المكتب الشريف للفوسفاط في بوجنيبة وخريبگة. وقد أحيطت هذه الأحياء بأسوار مثلها مثل المدينة القديمة.

وقد وصلت آثار الأزمة الاقتصادية العالمية للمغرب سنة 1931 مما أدى إلى انخفاض أثمان المواد الفلاحية، ومن جراء هذا انخفض دخل الفلاحين المعمرين مما سيسبب في ارتفاع معدل الهجرة من البوادي للمدن. وفي هذه الظروف ازدادت البطالة وعرفت المدن تزايدا من التكديح والقروانية. وسينتج عن هذا ظواهر تمدينية جديدة : "مدن الصفيح" و"الدواوير" أو السكن غير القانوني وتضخم عدد سكان المدينة القديمة. وبدأت سلطات الحماية بمحاولة جمع المدن الصفيحية في مكان واحد لتسهيل مراقبتها. وهكذا ظهرت المدن الصفيحية الأولى في الثلاثينات بمدينة الدار البيضاء وارتفع عدد سكان هذه المدن الصفيحية من 50.000 نسمة سنة 1940 إلى 100.000 سنة 1950.

وقد وصلت في الثلاثينات أفواج جديدة من المهاجرين الأوربيين الذين هربوا من أهوال الحرب، مما أدى إلى إنشاء المكتب الشريف للسكنى الأوربية (O.C.H.E.) سنة 1942. وأمام ضغوط الحركة الوطنية التي بدأ يكثر أتباعها بعد تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال نظراً للظروف الصعبة التي كان يمر بها المغاربة آنذاك قامت سلطات الحماية بوضع اسم محايد لهذا المكتب وهو "المكتب الشريف للسكنى" (O.C.H.). وابتداء من هذه المرحلة بدأت الإصلاحات المتعلقة بالسكنى يستفيد منها حتى المغاربة القاطنون بالمدينة القديمة أو مدن الصفيح.

وقد أصبح المجال الحضري في هذه الفترة يعيد إنتاج كل التغيرات البنيوية العميقة التي أحدثتها الحماية سواء فيما يتعلق بتصور هذا المجال أو باحتلاله وبالإقامة به. وسيصبح وسط المدينة معزولا عن وظائفه التقليدية (الإنتاج الاقتصادي (السوق) والنشاط العقدي (المسجد الكبير).

3 ـ التمدين منذ الاستقلال

عرف التمدين بعد الاستقلال سرعة لا مثيل لها مقارنة بما قبل. وتعود أسباب هذه العملية إلى تظافر عدة عوامل نذكر من بينها : الانفجار الديموغرافي وتعويض الأوربيين بالمغاربة وحدوث التغيرات في مجال الفلاحة وانخفاض مستوى معيشة الفلاح وتطور التمدرس وارتفاع الحركية الاجتماعية وبداية التصنيع.

ونتيجة لكل هذه العوامل عرف المغرب عملية تمدين كبيرة بعد ما كان بلدا قرويا وبدويا إلى حدود سنة 1960. لقد وصلت نسبة التزايد السنوي المتوسط للسكان الحضريين إلى 4.4٪ ما بين سنة 1971 وسنة 1982. وترتب عن هذا التزايد معدل للتمدين يكاد يصل إلى 50٪ حاليا بعد ما كان لا يتجاوز 35٪ سنة 1971 و29٪ سنة 1960. أما عدد المدن الكبرى فقد وصل إلى 14 مدينة سنة 1982 تجمع ما يزيد عن 64.3٪ من السكان الحضريين في حين أن هذا العدد كان هو 8 مدن سنة 1960 و11 مدينة سنة 1971. أما عدد المدن المتوسطة فقد مر من 15 مدينة سنة 1960 إلى 46 مدينة سنة 1982. وقد كانت نسبة التزايد السنوي المتوسط لسكانها هي 6.8٪. أما المدن الصغرى فقد مر عددها من 94 مركزاً سنة 1960 إلى 186 سنة 1982.

إن التناقضات التي نتجت عن حركة التمدين هذه تتعلق أساسا بالمشاكل العديدة التي لازالت مطروحة بحدة، كتضاعف حركة الهجرة من البادية إلى المدينة واتساع البطالة ونمو اقتصاد غير منظم وغير مهيكل وارتفاع معدل اللامساواة بين الفئات والطبقات الاجتماعية بالمدن. ولم

يعد إرث الحماية ولا التبعية للرأسمالية العالمية يبرران تفسير ارتفاع هذه التناقضات.

وفي إطار هذه التناقضات المميزة للتمدين بالمغرب يمكن وضع مشكل مدن الصفيح والأحياء العفوية. لقد تضاعف عدد المدن الصفيحية وسكانها منذ الاستقلال إلى الآن على الرغم من وجود المنفذ الذي خلقته الهجرة إلى الخارج. ومن أهم مميزات سكان هذه المدن الصفيحية هي البطالة والبطالة المقنعة وضعف التكوين المهني والمدرسي والمستوى المعيشي وممارسة النشاطات غير الخاضعة للتأطير الإداري والقانوني. يشكل هؤلاء السكان، إذا ما أضفنا إليهم سكان أحياء المدن القديمة المكدسة، أكثر من نصف سكان أهم المدن المغربية.

وهكذا فإن التمدين الذي عرفه المغرب منذ الاستقلال تميز بعدة أعراض مزمنة أهمها :

- عدم المساواة في امتلاك الأرض والنظام التعاوني الحديث في مجال الفلاحة أديا إلى تسريع الهجرة نحو المدن وإفقار الفلاحين.

- تحطيم تيارات الإنتاج الفلاحي التقليدي وإخضاعه لمنافسة القطاع العصري الذي أصبح مهيمنا أدى إلى تبعية هذا القطاع التقليدي للسوق العالمية مما أدى بدوره إلى تزايد البطالة.

- تفاقم انعدام التطابق بين السكان القرويين الذي يزداد عددهم باستمرار والإنتاج الفلاحي الذي لم يعد يلبي حاجيات هذا التزايد.

- عدم المساواة في المستويات المعيشية وفي الخيرات بين السكان الحضريين والسكان القرويين.

- ضعف الإمكانيات الاندماجية للفلاح. ويتجلى أثر هذا التفكك في ارتفاع معدل الهجرة للمدن.

- التباين الحقيقي بين امتداد الهجرة والإمكانيات الحقيقية للنظام الإنتاجي في كليته.

- ضعف إنتاج النظام الحضري (الحرفي والصناعي) أعاق ارتفاع الإنتاجية باستعمال أيد عاملة متوفرة ورخيصة.

- التمدين المفرط يعتبر من المظاهر المميزة لدينامية التنمية بالمغرب. لقد ارتفع عدد السكان الحضريين بنسبة 200٪ تقريبا خلال نصف قرن في حين أنه لكي تصل أوروبا إلى هذه النسبة فقد تطلب ذلك قرنين من الزمن.

- تتجاوز الاستثمارات الضرورية المخصصة للحفاظ وصيانة التجهيزات الحضرية الموجودة من الضياع الاستثمارات الحقيقية.

- هذا التمدين غير متزن وغير موزع بطريقة متساوية بين كل المدن، يخص بعض المدن دون غيرها، إذ تجمع مدينة الدار البيضاء وحدها، مثلا، النسبة العالية لتزايد السكان والجزء المهم من الخيرات والمعرفة ووسائل الاتصال والترفيه والامتيازات.

- تضخم القطاع الإداري يتجاوز بكثير الحاجيات الحقيقية لهذا القطاع.

- تزايد التفاوت الاجتماعي بين "الطبقات الجديدة المحظوظة" و"الجماهير الحضرية". ويرجع عمق هذه الهوة إلى انخفاض المستوى المعيشي "للجماهير الحضرية" وارتفاع المستوى المعيشي "للطبقات الجديدة المحظوظة" الذي يفرض نفسه بطبيعته المتباهية والمعبرة عن ثراء حديث العهد.

- الحاجة الماسة عند تخطيط المدن إلى مزيد من العناية بمن يشكلون الأغلبية الساحقة من سكان المدن وهم الأطفال والشباب (أكثر من 60٪ من سكان المغرب تقل أعمارهم من 20 سنة).

J. Berque, *La Cité éminente*, in *Entretien interdisciplinaire sur les sociétés musulmanes*, Paris, 1958 ; M. Bentahar, *Villes et campagnes au Maroc*, Rabat, 1988 ; F. Stambouli, *Systéme urbain et développement*, in *Systéme urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980, pp. 54- 67 ; A. Nouschi, *La ville dans le Maghreb pré-colonial*, in *Systéme urbain et développement au Maghreb*, Tunis, 1980, pp. 37 - 53 ; J. Dethiers, *Soixante ans d'urbanisme au Maroc*, *B.E.S.M.*, n° 118 - 119, 1970 ; Collectif, *Villes et sociétés au Maghreb*, Paris, 1974.

محمد شقرون

التّمر - لغويا - هو حمل النخل متى نضج وذبل، يجمع على تمرات وتمور وتمران. كثير في المناطق الصحراوية الإفريقية وفي البلاد العربية ولاسيما في العراق ومصر وله ضروب عديدة أصلها من نوع Phoenix dactylifera.

إن التمر والحليب يمثلان رمز الكرم وحسن الضيافة المغربية منذ القدم ويبقى التمر من بين الثمار الأكثر استهلاكا والأفضل اختيارا في تقاليد الأكل بالمغرب وخاصة في شهر رمضان.

يبلغ عدد أشجار النخيل المنتجة للتمر بالمغرب 4.251.300 كلها موزعة في الواحات وضفاف الأنهار بالمناطق شبه الصحراوية من تافيلالت إلى تافراوت. يتراوح المحصول السنوي ما بين 139.400 قنطار (سنة 1985) و503.800 قنطار (سنة 1988) يتجر منها ما بين 40 . 60٪.

التمر أنواع عديدة موزعة في مختلف المناطق المغربية الجنوبية وتختلف هذه الأنواع عن بعضها حسب لون القشرة الخارجية وسمكها وحسب الحجم والتكوين من حيث جودة الحلاوة والتجفيف. يبقى ضرب "المجهول" وضرب "بوسكري" من أجود الضروب من حيث الحجم والحلاوة ويليهما كل من "بوسطامي" الأبيض والأسود و"بوفگوس" أوموسى وبوفگوس وسائر الليلات وإيكلان وتامدت وغيرها.

تعيش بداخل التمر عدة أنواع من دود الفراشات الليلية تتغذى منها وتنقص من جودتها. نذكر منها الأكثر انتشارا في المغرب وهي : Arenipses sabella الذي يوجد في التمر سواء فوق النخيل أو المذخر في المخازن، Ephestia calidella (Cadra) الذي يعيش في مخازن التمر وثمار التين الجافة. Tineola Muriella و Cryptoblabes gnidiella يخلفان أضرارا في عدة أنواع من الثمار من بينها التمر.

من بين المراحل التي تمر منها ثمرة النخيل البسرة أي التمرة قبل إرطابها ثم البلحة والرطبة وهي كل ما نضج من

البسر قبل أن يصير تمراً. يحتوي التمر على 60 ـ 73٪ من سكريات سهلة الهضم وتعطي للعضلات عدة وحدات حرارية كما يحتوي أيضا على فيتامين "أ" و"ب" وعلى الأملاح المعدنية كأكسيد المغنيزيوم والكلس.

ينضج التمر في شهر أكتوبر ويتم جنيه في شهر نونبر كثيرا ما يختتم جنيه بحفلات موسمية كما هو الشأن في تافيلالت حيث توزع جوائز تشجيعية على أحسن المنتجين. ينضج التمر تدريجيا ويصعد الجاني إلى أعلى أعجاز النخل ليمد التمر بواسطة الحبال ثم تفرز التمور إلى عدة أنواع : النوع الممتاز وهو تمر ناضج سالم من المرض ومن الحشرات، حجمه كبير وكثير الرطوبة. يتكون النوع الثاني من التمر الناضج، سالم من المرض وصغير الحجم وقليل الرطوبة أما النوع الثالث فيتكون من التمر الجاف بمختلف أحجامه.

Ministère du Plan, *Annuaire statistique du Maroc*, 1989 ; C. Rungs, *Catalogue raisonné des Lepidopteres du Maroc*, tome 1 et 2, 1981 ; A. Akoka, *Le médical du XXème siècle, Encyclopédie médicale*, volume 7, Paris, 1980 ; Saaidi, *Palmier dattier, Maladies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Tome 1, Rabat, 1976.

نجاة الخياطي

تمرة، فخذة من الأفخاذ الثمانية التي تتكون منهما قبيلة البحاترة من عبدة، تقع في الجهة الشمالية الغربية منها، وتتصل شمالا بدكالة وغربا بقبيلة ربيعة. تبعد عن مدينة أسفي بحوالي خمسة وعشرين كلم، وتقدر مساحتها بحوالي ثلاثمائة كلم2.

تتميز فخذة تمرة بتربتها الخصبة من التيرس والحرش، وهذا ما جعلها تحتل أهمية من الناحية الفلاحية، باستثناء الشريط الشمالي الذي يتكون من حزام صخري يمتد ما بين "مول البرگي" ودكالة.

بدأت فخذة تمرة تحتل مكانة داخل مكانات قبائل عبدة منذ أن استأثر القائد الشهير عيسى بن عمر العبدي بزمام أمور عبدة، وذلك خلال القرن التاسع عشر، ويرجع السبب في ذلك إلى عناصر منها :

1 ـ أن فخذة تمرة كانت تشكل عصبية القائد عيسى بن عمر، ومنها كان ينتقي أعوانه ومساعديه، وكان يعتمدها في كل تحركاته. وهي التي قاسمته محنته أثناء مجابهته لانتفاضة "أولاد زيد"، لذلك أصبحت فخذة تمرة أكثر تميزاً داخل قبائل عبدة. ولازالت الذاكرة الشعبية تحتفظ بقولة شهيرة حول حدّة وبأس هذه الفخذة، تقول : "مائة جمرة وجمرة ولاّ حَرّ التمرة".

2 ـ أن فخذة تمرة كانت مقراً لقيادة عبدة، وبها أقام القائد عيسى بن عمر قصبته الشهيرة، التي لازالت تشكل معلمة من معالم عبدة عموما. وقد وصفها أحمد بن محمد الصبيحي بقوله :

"... ودار السّي عيسى بفرقة تمرة من عبدة معروفة بهذا الاسم، وهي قوية تامة المرافق كالبلد الصغير".

3 ـ انتقلت فخذة تمرة من مستوى مشيخة إلى مستوى قيادة من بين القيادات الخمس لعبدة، لكنها كانت الأقل أهمية داخل مجال عبدة، وذلك خلال السنوات الأولى من الفترة الاستعمارية (أكتوبر 1913 ـ يوليوز 1914).

تضاءلت أهمية تمرة بمجرد انتهاء دور القائد عيسى بن عمر العبدي، ولم تعد تمثل سوى مجال قروي من مجالات عبدة، تضم سوقين أسبوعيين لهما أهميتهما في التبادل الفلاحي، وهما :

ـ سوق الخميس : وهو سوق قديم، كان يقام بدار القائد السي عيسى نفسها.

ـ سوق الأربعاء : أحدث منذ سنة 1928، يقام بمول البرگي، وهو من صلحاء عبدة، يقال إنه شريف سباعي، ويعقد له موسم في السابع من عيد المولد النبوي الشريف.

أ. الصبيحي، *باكورة الزيدة مخ. خ.ص* ؛ *عيسى بن عمر ونظائمه : صلحاء أسفي وعبده* ؛ م. فنيتير، *قواد الجنوب الكبار : نموذج القائد عيسى بن عمر العبدي (1879 ـ 1914)*، رسالة د. د.ع، كلية الآداب الرباط.

مصطفى فنيتير

تمسمان، قبيلة هامة وواد بالريف الشرقي، تحتل القسم الشمالي الغربي من مساحته، بين مجرى واد النكور الذي يفصلها عن أراضي قبيلة بني ورياغل مما يلي الغرب، حيث تنتشر مداشر فرقة تْرُوگّوت، وبين قبيلتي بني توزين وتفرسيت من جهة الجنوب، تقع على تلك الحدود مداشر فرقة الربع الفوقي. ويفصل بين تمسمان وجارتها بني أولّيشكْ مداشر فرقة بني مرغنين من جهة الشرق، بينما تمتد أراضي فرقة بني بويْدير في الشمال وتشرف على البحر المتوسط.

وجميع أراضي تمسمان جبلية، مؤلفة من كتلة ذات أصل بركاني. وتوجد فوهة البركان حول رأس سيدي شعيب المفتاح بأقصى الشمال غربي. وربما اكتسبت القبيلة اسمها من انبعاث النار البركانية بجوار مياه البحر. فسميت في الأصل الأمازيغي تمسٌ (نار) أمان (الماء). وحينما جمع الكاتب العربي اللّفظين سجل تمسمان. من أهم القمم البارزة، تلك السلسة التي تشرف على البحر ووادي النكور : جبال إيڤارْ أڤضيسْ (634 م)، تبوذا (589 م)، جوب القامة (743 م)، بوعمر (838 م).

يخترق القبيلة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي واد تمسمان، المدعو أيضاً وادي أمقران (الكبير). منابعه من بني توزين (بني علي، وبني بلعيز). مبدؤه بتمسمان عند دخوله أراضي فرقة الربع الفوقي، عند اتصاله برافده واد سبو، حيث مواطن بني ملكْشَنْ (بني ماكسن)، ويسمى هناك بواد الجماعة، حيث يمر بجوار مدشر بني بويعقوب. ويتصل به هناك واد العرسة وواد خميس بودينار. ومن هناك يدخل ببسيط إيگارْ أرگّمام، حيث يتصل به واد أبي الحسن، ثم تنساب مياهه بين أراضي فرقة بني مرغنين الواقعة على الضفة اليمنى، وبين مداشر بني تعبان المنتشرة على الضفة اليسرى.

يترك الساحل عدة فجوات استغلت مراسي منذ القديم، نجد منها مرساة سيدي داود بمدشر الحديد، وهو المرسى الذي سماه البكري إيكار أفطيس لوقوعه عند قدم الجبل الذي يحمل نفس الاسم. ثم مرساة سيدي شعيب المفتاح، نسبة إلى صاحب رابطة هناك بأقصى الشمال الغربي، ويقابله في الشمال الشرقي مرسى رأس الطرف المذكور من طرف الإدريسي، وهو المعروف خلال القرن السابع عشر بمرسى بوحسون، وسماه الاسبان برأس كيلاتس (Quilates) ثم مرساة سيدي ادريس الواقعة بمصب واد تمسمان، وهي المرساة التي ذكرها البكري باسم بُدكّون بوادي البقر. ولازال الاسم الأخير متداولاً.

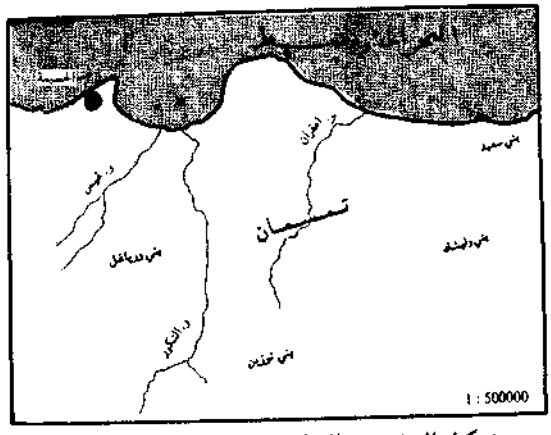

تشكل التقسيم الإداري منذ ما قبل القرن التاسع عشر. وتنقسم القبيلة إلى خمسة أقسام أو فرق وتتألف من ثمانين مدشراً : فرقة تْرگّوتْ تتكون من واحد وأربعين مدشراً موزعاً على السفوح الغربية المجاورة للضفة اليمنى من واد النكور ؛ فرقة بني بويدير، تتألف من واحد وعشرين مدشراً منتشراً على الكتلة البركانية الشمالية الغربية المشرفة على خليج الحسيمة ؛ فرقة الربع الفوقي عدد مداشرها أربعة عشر، تمتد على الحوض الأعلى من واد تمسمان وعقبة تيزي عزاً ؛ فرقة بني تَعْيان وبها تسعة مداشر تحتل الضفة اليسرى من حوض واد تمسمان الأدنى ؛ وتقابلها على الضفة اليمنى فرقة بني مَرْغْنين بنفس العدد من المداشر.

ولقبيلة تمسمان تاريخ معروف منذ القديم. أول من عرفنا باسمها أبوعبيد الله البكري، بمناسبة استعراض تاريخ إمارة النكور، ومراسي الساحل الريفي. وأقدم من نعرف من السكان الفصيلة الصنهاجية التي تدعى بني يصليتن، كانوا خلال القرن الأول الهجري مستقرين على واد تمسمان من مجراه الأعلى إلى مصبه. ويضاف إليهم أهل تلكاتة، وهم ترگوت الحالية، من أصل صنهاجي كذلك.

كانت تمسمان عماد قيام إمارة النكور، فبمرساتها بَدكّون من واد البقر، بمصب واد تمسمان نزل صالح بن منصور اليمني حوالي عام 92 هـ. ونشر الإسلام بالقبيلة ونظم شؤونها لتصبح نواة إمارة، عاصمتها مدينة النكور على يد ابنه إدريس. وتدخلت القبيلة في نزاعات أمراء النكور بالانحياز إلى المعارضين منهم، مثلما حدث في أواخر القرن الثالث الهجري، حينما قام سعادة الله بن هارون ضد سعيد بن صالح. كما كانت ملجأ الأمراء من غارات العبيديين على النكور، والمساند لهم على استرجاع النفوذ، مثلما حدث سنة 306 هـ على عهد صالح بن سعيد وسنة 324 هـ على يد موسى بن المعتصم. وباستيلاء أمراء ازداجة الوهرانيين على النكور عام 410 وعام 460 هـ. دخلت القبيلة تحت نفوذهم إلى أن وصل المرابطون إلى النكور عام 473 هـ. وبتمسمان مدينة تدعى إيغرم، يقال إنها من عمل المرابطين بالقبيلة، واقعة ببني تعبان الساحلية.

وحينما مر بها عبد المومن الموحدي سنة 535 هـ، كانت تمسمان مقبلة على تأسيس مركز للتصوف والثقافة الدينية على يد شيخها أبي داود مزاحم البطوئي، المتوفى عام 578 برابطته بساحل تغلال. واستمر هذا المركز إلى العهد المريني على يد أحفاد أبي داود، يجمعهم المدشر الذي تكون هناك باسم أولاده. اختفت عنا أخبار تمسمان خلال العصرين الوطاسي والسعدي، لتعود إلى الظهور مع بداية العهد العلوي. ففي الوقت الذي كان فيه مولاي رشيد ساعياً لتوطيد نفوذه بالمغرب الشرقي، كان أولاد حمامة، من فرقة بني مرغنين أول من بادر إلى بيعته سنة 1074 / 1663 بزعامة الشيخ عمر بن محمد الحمامي البطوئي، الذي ارتقى إلى مرتبة الوزارة أيام مولاي رشيد والمولى إسماعيل، إلى أن نكبه هذا الأخير، بسبب التآمر مع بن محرز. وقد انتدب المولى إسماعيل بعض أعيان تمسمان للاشراف على قيادة حركة الجهاد بالثغور الشمالية الغربي، كان منهم أحمد بن حدو التمسماني وابن عمه علي بن عبد الله الريفي، وأحمد ابن هذا الأخير. وأسرة بني عبد الصادق المستقرة بطنجة المعروفة في تاريخ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تنتمي إلى تمسمان.

وعلى عهد الحسن الأول كان القائد دادوش التمسماني (1292 / 1875)، تقيد على ثلاث فرق (الربع الفوقي، بني تعبان وبني مرغنين) ثم عزل. ومحمد بن حمّ البويديري (1292 .1875) ثم محمد بن عبد الله البويديري (1302 / 1884) وأحمد بن محمد بن عبد الله البويديري (1304 / 1886)، وهم الثلاثة قواد بني بويدير. وظهر في الربع الفرقي شعيب بن حم التمسماني (1304 / 1886). وحينما ظهر بوحمارة بالريف الشرقي كانت تمسمان إحدى القبائل التي قاومت توسيع نفوذه. وبأراضي القبيلة حقق الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي أهم انتصاراته ضد الغزو الاسباني في معركة أنوال عام 1921.

أ. البكري، *المغرب في ذكر أخبار افريقية والمغرب*، 90 ؛ البيذق، *أخبار المهدي*، 55 ؛ عبد الحق البادسي، *المقصد الشريف*، 56 .62 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 439 .440 .491 ؛ *وثائق خاصة ؛ ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، 90 .91 ؛ عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الاكم*.

La relation de Roland Frejus, S.I.H.M, France, 1 : 125 - 126 - 131 ; G. Mouette, *Histoire de Mulay Rchid et My. Ismaël*, 63 -

69 - 85 ; A. Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 1 : 102 - 104.

حسن الفگيگي

التمسماني، أسَر تطوانية متعددة يرجع أصلها جميعا إلى قبيلة تمسمان الكرتية، ومازالت موجودة بتطوان حيث احتفظ بعضها بنفس الاسم في حين أن البعض الآخر عاد إلى استعمال الاسم الذي كان قبل انتقالها لتطوان، ونذكر من بين هذه الأسر الأخيرة أسرة اليعقوبي والبهيوي وابطّيو والحمامي وأولاد حدّو.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán*, 1921 (T) ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (T).

محمد ابن عزوز حكيم

التمسماني، إبراهيم بن عيسى بن الشيخ أبي داود مزاحم آتي الترجمة. ولد عام 560 هـ بجماعة بني ورتّرُد المستقرة حول جبل الحديد (اليوم بني أبي داود، فرقة تروگوت). نشأ تحت كفالة جده، إثر وفاة أبيه في سن مبكرة، وعنه درس وتلقى أصول ومبادئ التصوف، مما جعله مؤهلا عن سن ثمان عشرة للقيام بشؤون الرابطة، ابتداء من وفاة أبي داود سنة 578 هـ.

نعرف أخبار الحاج إبراهيم مما قصه حفيده عبد الرزاق، على عبد الحق البادسي، صاحب *القصد الشريف*. فعلاوة على ما سار عليه اقتداءً بنهج جده، من رعاية الرابطة والقيام بشؤونها الدينية، يمكن لنا التعرف على بعض أخبار فرقة تروگوت، مما له علاقة بصاحب الترجمة.

نعلم أن ساحل تغلال، ومعه رابطة أبي داود، كان معرّضا للغارات القرصنية الأوروبية وما كان يترتب عنها من أسر السكان. فأبو داود لم ينج هو نفسه من الأسر. وهذا كان حظ الحاج إبراهيم أيضا وذلك قبل 635 هـ. إذ أنه بقي في الأسر أقل من ثلاث سنوات، دون أن نعرف التفاصيل، خاصة عن طريقة افتدائه.

وربما كانت جماعة القراصنة التي أسرته، هي نفسها التي اقتحمت منزله الذي بناه بإزاء الرابطة، لنهب ما كان بداخله من ودائع بني ورتـرُد الذين اضطرتهم المجاعة الشديدة لمغادرة مواطنهم إلى جهات أخرى. تمت تلك الغارة أثناء غياب الحاج إبراهيم في أسره.

ووصل إلينا من ضمن أخبار بني مرين وحلفائهم بني وطاس، من خلال ترجمة الحاج إبراهيم ما لم يصلنا من جهات أخرى. فالمرينيون بعد تمركزهم بقلعة تازوطا منذ عام 610 هـ (*معلمة المغرب*، ج. 6) واحتلالهم لتازا وفاس تركوا بوادي الريف الشرقي وضواحي أمصاره إقطاعا للوطاسيين وجباية لهم. قدم هؤلاء قبل سنة 635 هـ إلى بني ورترد لإرغامهم على أداء ما تخلد بذمتهم من المغرم. فما كان على الوطاسيين سوى الالتجاء إلى نفوذ صاحب رابطة أبي داود الحاج إبراهيم للقيام بدور الوساطة واقناع بني ورترد للنزول من معقلهم الساحلي. وهي المهمة التي توجه إليها صاحب الترجمة متثاقلا، وعاد منها بالفشل. وفيما يقرب من تلك السنة عاد ياسين بن الوزير الوطاسي إلى تروگوت في نطاق تفقد قبائل حوض النكور الأدنى، وكان من ذلك، الزيارة التي قام بها الحاج إبراهيم في سنة كانت المجاعة لاتزال على أشدها.

ولن نغفل الحديث عن المجاعة التي تعرضت لها بلاد الريف بسبب سوء المواسم الفلاحية المتوالية، ظهر آثارها ببني ورترد في آخر حياة الحاج إبراهيم. فقد كثرت الرواية عن تقشفه لمكافحة الفاقة. ولا أدل على ذلك من التجاء أهل جماعته إلى الهجرة، بل إلى بيع الأبناء للزائرين من الأوربيين لساحل تغلال، مما أدى به هو نفسه بالهجرة إلى داخل تمسمان.

كان الحاج إبراهيم قد عزم في السنوات الأخيرة من حياته على الانتقال من منزله الكائن بجوار الرابطة، نتيجة المجاعة وانعدام الأمن بالساحل المعرض للغارات القرصنية. اختار الانتقال إلى سكنى فرقة بني تعبان التمسمانية الواقعة شمال مصب واد تمسمان (واد أمقران)، بعد أن وهب له أحد صالحي مدشر أروجن قطعة أرض فلاحية، بجوار الواد الذي لا يزال حاملا لنفس الاسم، وقرية أبو معاد الحالية. وحينما أدركته الوفاة بالرابطة، على ما يبدو من سياق حديث البادسي أوصى بنقل جثمانه إلى مقر سكناه الجديد. كانت وفاته سنة 650 هـ. ولايزال قبر الحاج إبراهيم بنفس المكان قائما إلى اليوم، بارز القبة.

ع. البادسي، *القصد الشريف*، 52. 59. 60. 62 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 30 ؛ خريطة طبوغرافية 1935.

التمسماني، أحمد دادوش، قائد مخزني من فرقة بني مرغنين التمسمانية، كان عام 1298 / 1880 قد قضى عدة سنوات في قيادته على الجماعات المستقرة على واد تمسمان المندمجة في ثلاث فرق : بني مرغنين المستقرة على الضفة اليمنى من حوض واد تمسمان الأدنى، وبني تعبان التي تقابلها على الضفة اليسرى، ثم فرقة الفوقي الموزعة على الحوض الأوسط من نفس الواد. ونعتقد أنه القائد الأول الذي تحمل المسؤولية بالقبيلة في ظل التنظيم الإداري الجديد المستحدث على عهد الحسن الأول سنتي 1291 . 1292 / 1873 . 1874 بالنسبة للريف الشرقي.

قضى أحمد دادوش السنوات الأخيرة من حكمه في خلاف مع أهل جماعة إعَوّادَن التي سعت إلى تعيين الطالب الحاج محمد بن عبد السلام أميناً مكلفاً بالاشراف على التنظيم المالي للقيادة. ويصور هذا الخلاف ما كتب به الأمين إلى الحسن الأول، حسبما يظهر من الجواب السلطاني: "الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني، وصل كتابك مخبراً بأن خديمنا دادوش حرك لإخوانك في مدة غيبتك بشريف حضرتنا وأخذ منهم مائة ريال، ثم حاز من إخوانك إعَوّادن مائتين ريالا ظلماً وتعدياً، زيادة على هدم دورهم. كما وظف على القبيلة مونة وهدية، وطلبت أن يحاز منه ذلك...".

لكن المشكل الأساسي هو الذي ترتب عن اتهام السلطان بتهاون أحمد دادوش في ضبط التهريب، ليس فقط بالنسبة لحراسة مرسى سيدي إدريس التابعة لبني مرغنين، والواقعة بمصب واد تمسمان، ولكن بالنسبة لمتابعة المشتغلين بالتهريب في المراسي المجاورة، مثل مرسى سيدي حسابن (أفراو الحالية) الواقعة بمصب واد سيدي حسابن في ملتقى حد بني سعيد وبني وليشك. ومرسى أبي داود بأرض بني بويدير التمسمانية. هذا هو ما حدث حينما جلب اثنان من مواطنيه مائة واثنى عشر برميلا من زيت الكاز إلى مرسى سيدي حسابن وتباطأ دادوش في القبض عليهما. ومن أجل ذلك كتب إليه الحسن الأول : "القائد أحمد دادوش التمسماني فقد تحقق لدينا من عدة طرق أن الغديوي (بوشعيب بن ميلود) عندك، وأنك آويته مع أنّا كنا أمرنا بالبحث عنه، لما هو مشتغل به من أمور الكنطربانض وغيرها. وعليه فبوصوله إليك اقبض عليه ووجهه واصلا لحضرتنا الشريفة... وإلا كنت مؤاخذاً به وبجرائمه. في 12 صفر 1301". وازداد تأزم علاقاته بالمخزن خلال الأشهر التالية إلى أن تم عزله وصدر الأمر بالقبض عليه ومحاسبته على متروكه في 18 حجة السنة. والظاهر أنه اكتفى في هذه المرة الأولى بعزله، إلا أن الشكايات الواردة على البلاط الحسني وعدم امتثاله لتسليم ما بيده من متاع المخزن أدى إلى القبض عليه في 13 صفر 1306، ليضاف إلى أخيه المسجون بمكناس وأحد أبنائه وصهره المحبوسين بمراكش. ثم بيعت أمتعته على يد خلفه القائد شعيب بن حمّ التمسماني.

وثائق مخزنية، كناش خ. ح. 348، ص. 87 ؛ ضابط الأمور الوطنية، 90.

التمسماني، أحمد بن محمد بن عبدالله البيديري، تم اختياره من طرف أعيان خمس بني بيدير إثر مقتل والده، حسب رسالة مؤرخة في 15 قعدة 1304، وتسلم تعيينه المؤرخ بتاسع ذي الحجة من نفس السنة. اشتغل باله منذ البداية بمتابعة قاتل أبيه محمد بن حم التمسماني إلى أن توصل لمقصده. وعادت في وقته مسألة النزاع على الحدود بين خمسي بني بيدير وتروكوت، على مدشر "الحديد" الواقع عند مصب واد الحديد من الجانب الشرقي لساحل خليج المزمة، بجوار مرسى أبي داود. والنزاع بين الفرقتين على المدشر قديم بدأ بين القائد الحاج بوعزة التروكوتي والحاج محمد بن عبد الله البيديري، وتجدد بين علال بن بوعزة وأحمد بن أحمد. ومن أجل فض النزاع كلف السلطان مولاي عثمان رئيس المحلة المتوجهة للريف في ذي القعدة عام 1309. وبذلك رد المدشر إلى تروكوت، بناء على سابق الانتماء. وبعد هذا التاريخ آخر علمنا به وباستمراره في قيادته.

وثائق مخزنية، كناش خ. ح. 166، ص. 21. 35 ؛ ضابط الأمور الوطنية، 90.

التمسماني، إسماعيل بن سيد الناس البطوئي، من فرقة الفوقي، خمس تمسمان، ومن مدشر بني عيسى الكائن بجوار واد العيون، الذي ينتهي إلى الضفة اليسرى من واد أمقران، وعلى السفح الجنوبي من كدية بني بويعقوب. والشيخ إسماعيل تلميذ أبي داود، استقر بعد وفاة شيخه بالموضع المعروف بتازروت من مدشره، وبه قضى مدة حياته، نقل عنه البادسي جملة من أوصاف الصلاح حافظ عليها إلى وفاته.

ع. البادسي، *المقصد*، 85 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90 ؛ خريطة طبوغرافية، 1935.

التمسماني، بوعزة التروكوتي، هو أول من نعرف من قواد تروكوت على عهد الحسن الأول، وذلك منذ ما قبل 1297. وفي هذه السنة كان قد توفي ليخلفه ابنه محمد. تولى على فرقة تروكوت الكائنة بالقسم الجنوبي الغربي من حدود تمسمان، بين واد النكور وفرقتي بني بيدير والربع الفوقاني التمسمانيين، إلى جانب خمس بني عكي التوزاني. تنتمي أسرته إلى جماعة بني أبي داود، داره مشرفة على المرسى المعروفة بنفس الاسم. وفي عهده أثير الخلاف بين تروكوت وبني بيدير المجاورة للفصل في الجهة التي ينتمي إليها مدشر "الحديد"، الواقع عند مصب واد الحديد بساحل شرق خليج المزمة. فبعد الاحتكام إلى الحسن الأول رُد المدشر إلى حدود تروكوت. وقد ترك بوعزة التمسماني ثلاثة أبناء ممن نعرف، اثنان منهم ورثا منصب القيادة على تروكوت، وهما على التوالي محمد وعلال.

ضابط الأمور الوطنية، 90 ؛ *وثائق مخزنية*.

التمسماني، حمادي البُيْديري، أول من نعرف من قواد بني بيدير إثر توزيع تمسمان إلى قيادات، متمثلة في الأخماس. فكان خمس بني بيدير من نصيبه. ولدينا وثيقة واحدة مؤرخة في 14 ذي القعدة 1293، أبلغه فيها الحسن الأول توصيته لصالح شرفاء أولاد لقمان المستقرين بقرية "إيجار أُفَضيس"، الواقع على الجانب الغربي من جبل الحديد. وكان هؤلاء قد انتقلوا إليها من قرية تزوغت ببني ورياغل. بقي في منصبه إلى أن خلفه محمد بن حمّ البيديري حوالي 1298 / 1880.

وثائق خ. ح. بالرباط.

التمسماني، شعيب بن حم بن الطاهر، من فرقة "الربع الفوقاني" ومدشر "عين كثير" الواقع بجوار خميس بودينار شرقاً. تولى القيادة خلفاً لأحمد دادوش التمسماني على فرق بني مرغنين وبني تعبان والربع الفوقاني. تَمّ تنصيبه على يد رئيس المحلة محمد الأمراني تبعاً للرسالة السلطانية المؤرخة في 18 حجة عام 1301. كُلف كسابقه بتشديد المراقبة على التهريب من مرسى سيدي إدريس

الواقعة بمصب واد تمسمان ومتابعة المشتغلين به من التمسمانيين، مما كان من لوازمه حيازة ما تبقى من أملاك المخزن بيد أحمد دادوش وبيعه، مثلما جرت به العادة إثر وفاة القائد أو عزله. بقي هذا المشكل قائما إلى أن تم له القبض على دادوش عام 1306 وكعادة عمال الريف مع أمناء الفرق والجماعات الداخلة تحت حكمهم، فإن الخلاف كان على أشده مع الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني المتولي منذ 1300. ويصور هذا الخلاف ما ذكره الأمين في شوال 1304 : "إن القائد شعيب أمر إخوانه بقتل رجل من الربع الفوقاني، فوقع البارود، فقمت بترقيع ما خرق. طلبت القائد شعيب التمسماني بإعطاء الحق لأرباب الدم، فأبى كإخوانه.. غير أنه لم يرض بحضوري معه عند قبض مال سيدنا. لم يرض بما أمرني به سيدي من الحضور معه عند الفرض وعند القبض...". ونجهل الأسباب التي عجلت بإصدار أمر القبض عليه لكبير المحلة مبارك بن الطاهر الرحماني في 9 شوال عام 1306. وإسناد حكم الفرق الثلاث إلى قائد فرقة "تروكوت" علال بن ج بوعزة التمسماني. غير أن القائد شعيب سيعود إلى الحكم مرة ثانية بطلب من أهل الفرق ومساندة الأمين حسب وثيقة مؤرخة في فاتح جمادى الأولى عام 1309. وبعد ذلك تختفي عنا أخباره.

وثائق مخزنية : ضابط الأمور الوطنية، 90.

حسن الفكيكي

التمسماني، العربي بن محمد الطنجي. انتقل جده الفقيه أحمد من قبيلة تمسمان بالريف في جملة المجاهدين الذين فتحوا طنجة وطردوا الأنجليز منها عام 1095 / 1682، فسمي أحمد التمسماني قاضيا بالمدينة المحررة إلى أن توفي بها فغدت دار مقام عقبه حتى الآن.

ولد العربي التمسماني بطنجة في فاتح شوال عام 1299 / 16 غشت 1882 وبها حفظ القرآن الكريم في كتّاب الأستاذ العربي بن عبد الكريم المدور الطنجي بجوار الجامع الجديد من حومة الشرفاء بطنجة، ودرس مبادئ العلوم الشرعية واللغوية على الأخوين محمد ومَحمد الغماريين، وعلى الفقهاء الوافدين على طنجة لتقلد مناصب القضاء كعبد السلام الهواري ومحمد بن أحمد الهواري وعبد السلام العلوي ومحمد زويتن وغيرهم. ثم درّس في الجامع الكبير بطنجة وخطب فيه، وانتصب للشهادة في سماط العدول، وشغل عدة وظائف إدارية وشرعية. كان كاتب اللجنة المكلفة بتنظيم أشغال مؤتمر الجزيرة الخضراء بطنجة (24. 1326 / 6 . 1908) ثم عدلا بالمرسى فقاضيا شرعيا بطنجة، فباشا المدينة. وله كتاب *التنويه بقدر النبي الكريم في آي الذكر الحكيم* ؛ ومجموع *خطب الجمع والأعياد* ؛ *وأشعار في أغراض شتى* لم تجمع في ديوان.

توفي بمسقط رأسه ليلة الثلاثاء سادس شوال عام 1389 / 16 دجنبر 1969 ودفن بضريح سيدي بوعراقية.

م. ابن الحاج، *إسعاف*، 465 . 468.

محمد حجي

التمسماني، علال بن بوعزة التروكوتي، تولى القيادة بفرقة تروكوت إثر مقتل أخيه محمد قبل 11 ربيع الثاني عام 1309. ووصول الإعلام بذلك إلى الحسن الأول، ففي جمادى الثانية من نفس السنة تم استدعاؤه إلى فاس، وآنذاك كان قد قضى وقتاً يسيراً في مهمته الجديدة. وقد تجدد النزاع بينه وبين أحمد بن محمد بن عبد الله البيديري على مدشر "الحديد" الواقع على مقربة من مصب الواد المعروف بنفس الاسم، مشرف من شرق ساحل خليج المزمة، حسبما كلف به السلطان رئيس المحلة المتوجهة إلى الريف مولاي عثمان : "... وعليه فنامرك أن تطالع مكاتب ولايتهم، ومن وجد تهم عنده أقر عليهم وكف الآخر. 5 قعدة 1309". وقد شهد لصالح القائد التروكوتي العربي الوليشكي، قائد بني وليشك. ويمكن تعقب أخبار القائد علال خلال السنوات التالية إلى عام 1315 / 1897 حينما علمنا أن الواجبات المخزنية المفروضة على تروكوت قد ارتفعت إلى 2.200 ريال.

وثائق مخزنية، *كناش* ، 195 و199 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

التمسماني، عمر بن **حدّو**. أضافت إليه بعض المصادر نسب الريفي. وهو من أولاد حمامة التمسمانيين الذين عينا موقع جماعتهم في ترجمة التمسماني عمر بن محمد الآتية، مثله مثل أخيه التمسماني أحمد بن حدّو، سابق الترجمة (البطوئي أحمد، *المعلمة*، 4 : 1272)، وابن عمهما علي بن عبد الله، وابن هذا الأخير أحمد بن علي المعروفين بالريفي.

انخرط عمر بن حدّو بالجيش الرشيدي في جملة أولاد حمامة الذين تحت رئاسة الشيخ عمر بن محمد، ولم يبرز إلا في عهد المولى إسماعيل، ابتداء من المشاركة في حصار فاس ومطاردة كل من أحمد بن محرز عن تازا، والخضر غيلان من إقليم الهبط. وبمجرد مقتل هذا الأخير عينه السلطان عاملا على المنطقة الواقعة بين طنجة والقصر الكبير، أي ما كان معروفاً آنذاك بالفحص والهبط الأصلي. تم ذلك التعيين في عام 1084 / 1679، حسبما سجله عبد الكريم الريفي في زهر الأكم. ساعده عن قرب أخوه وخليفته أحمد بن حدّو، ويحوز تطوان ابن عمه علي بن عبدالله. قاعدة ولايته مدينة القصر الكبير.

ظهرت المهمة الرئيسية التي ألقاها المولى إسماعيل على عاتق عمر بن حدّو منذ بداية ولايته. تمثلت تلك المهمة في العمل على استعادة مدينة طنجة من قبضة الأنجليز. وإن لم يتحقق له ذلك فقد واتته الفرصة لاسترجاع المعمورة من يد الإسبان. وحينما عين القائد التمسماني عاملا على إقليم الغرب كله، ونائب السلطان به، اهتم بمشاكل مراسي الثغور الساحلية الواقعة بين طنجة وسلا.

1) صرف عمر بن حدّو معظم جهوده ضد طنجة منذ توليته إلى أن باغتته الوفاة يوم 18 رمضان 1092 / 2 نوفمبر 1681، أثناء زيارته لمدينة مكناس. كانت المدينة المحتلة من

طرف البرتغال (869 / 1471) قد انتقلت إلى الوصاية الإسبانية. وحينما استعادها البرتغاليون حولوها إلى النفوذ الإنجليزي منذ 25 جمادى الأولى 1072 / 16 يناير 1662، على عهد قائد الهبط الخضر غيلان. ومنذ ذلك شرعوا في بناء سلسلة من التحصينات وتشييد الأبراج الخارجية، مستغلين الظروف التي عاشتها البلاد مع بداية الدولة العلوية، وحرب المولى رشيد للرايس غيلان منذ سنة 1077 / 1666.

كان الأنجليز متحصنين بالمدينة وقصبتها، ولكنهم كانوا في حاجة إلى مجال أمني خارجي أوسع من جهتي الغرب والجنوب، فأقبلوا على إحداث سلسلة من الحواجز متصلة بالأبراج الخارجية، بامتدادها على شكل شبه دائري حول المدينة، ابتداء من الجرف الشمالي الساحلي المشرف على مياه المضيق إلى ساحل خليج طنجة، جنوب المدينة. هذا الستار الخارجي هو الذي سمح لهم بالتجول داخل مساحة تبعد عن أسوار المدينة بنصف فرسخ كمقياس متوسط، حسب تقدير المصادر المعاصرة.

وقد ساعد تضرس السطح حول مدينة طنجة لإنشاء تلك الأبراج على التلال البارزة بالجهتين الغربية والجنوبية. وهناك رسمان معاصران للعمليات الجهادية التي قادها عمر ابن حدّو، يوضحان توزيع تلك الأبراج ومواقعها، إلى جانب المواقع المغربية المجاورة لها. ولا يقل عدد تلك الأبراج عن ثلاثة عشر برجاً، أغلبها مجاور بمحطة للمراقبة ومركز الإغاثة.

أمام هذه الكثافة من التحصينات الخارجية المحدثة خلال أمد قصير أصبح من المستحيل تحقيق الأمل الذي راود المولى إسماعيل في شأن تحرير المدينة من الاحتلال الأجنبي. لذلك كانت مهمة القائد عمر بن حدّو منحصرة في التمكن من هدم تلك الأبراج، وهي نفس السياسة التي كلف بها السلطان قائده بقلعية محمد بن مسعود القيطوني، تجاه أبراج مليلة، في نفس الفترة.

تتلخص خطة القائد عمر بن حدّو لهدم الأبراج أو اقتحامها في عزلها كخطوة أولى عن المدينة، بواسطة حفر الخنادق، وصل عمق بعضها إلى إثني عشر قدماً، أي أربعة أمتار. وشرع المغاربة كخطوة ثانية في حفر الأنفاق الباطنية في اتجاه أساس الأبراج، ليتسنى بعد ذلك تفجيرها بواسطة قارورة مشحونة بالبارود. وتتم عملية التفجير عادة عند الغروب، وآنذاك يكون المجاهدون على استعداد لتنظيم هجوم عام على البرج المحاصر، إذا لم يلعن المتحصنون استسلامهم. وقد اعتاد عمر بن حدّو توجيه الدعوة إلى حاكم طنجة لإرسال من ينوب عنه للتأكد من العمليات الحربية المعدة ضد الأبراج، قصد التأثير عليه وإرغامه على الاستسلام.

وتألفت قوات المجاهدين الذين تحت إمرة القائد عمر بن حدّو من فيلق دائم يشكله أهل الريف، يضيف إليه السلطان متى دعت الضرورة إلى ذلك فيلقاً آخر من عبيد البخاري. وأكبر قوات المجاهدين تكونت مما كان يصل من متطوعة فاس ومكناس وسلا والقصر الكبير وتطوان، عامتها وشرفائها وفقهائها ورجال الزوايا، إلى جانب المستجيبين لنداء الجهاد من إقليمي الغرب والهبط. ولذلك أخبرت المصادر الأجنبية بتعبئة ما تراوح بين ثمانية وعشرة آلاف مجاهد.

أشعرنا مويت Mouette أن القائد عمر بن حدو كان في جمادى الثانية عام 1085 / شتنبر 1674 قد شرع في الضغط على ميدان طنجة، مما دفع بحاكم المدينة ويت Whet إلى الوفادة على فاس لطلب الهدنة، وبرفقته عدد من أسرى مدينة سلا، كانوا قد وقعوا في أسر إحدى السفن الأنجليزية. تلك الهدنة التي عارضها بشدة أحد كبار الفقهاء، مما أدى إلى فشلها.

ويعود علمنا بأولى الحركات الجهادية، إلى ما أخبرنا به مويت Mouette في مذكراته عن تاريخ المولى إسماعيل، وما أكده رويت Routh في مؤلفه عن طنجة، وكلاهما أخبر أن القائد عمر بن حدو حاصر برجين هما : كندال Kendal وهنريتا Henrietta وذلك ما بين 6 و16 يناير 1678، مما يوافق 13 و25 ذي القعدة من عام 1089. والبرجان المذكوران ظاهران بالرسم تحت رقمي 24 و31 في آخر خط الأبراج الغربية المقابلة لوادي اليهود، يتوسطهما حصن مرشان أو "شارل".

اختار المجاهدون المساحة التلية الواقعة غرب ظهر مرشان، ميداناً لتحركاتهم بين ما يسمى آنذاك بالوادي الكبير وواد اليهود، لتنظيم هجوماتهم على البرجين. وقد عاد عمر بن حدّو من هذه الغزوة بأول انتصار على الإنجليز، حين تمكن من إجلائهم عن البرجين، وأسر عشر من الجنود، والحصول على قطعة مدفعية برونزية. وكل ذلك بفضل المدفع الذي جلبه إلى الميدان.

هذا هو الانتصار الذي استحق به القائد عمر تقدير المولى إسماعيل وتسميته عاملا للغرب كله ونائبه به. ولهذا التعيين معناه في المجال الديبلوماسي، وفوق ذلك فإنه عد أكبر مشجع على متابعة خطة الجهاد.

فقبل شوال عام 1090 / نوفبر 1679 نظم القائد حملته الثانية على أبراج طنجة، بعد وصول تعبئة جاءته من فاس ومكناس وسلا للانضمام إلى ما تهيأ جمعه من القصر الكبير وتطوان ومن إقليم الغرب. عاد من تلك الغزوة التي نجهل بعض تفاصيلها بثمانية عشر أسيراً، وقطعة مدفعية برونزية أخرى.

وعلمنا من وقائع الحملة الثالثة التي انتهت يوم 16 شوال 1090 / 20 نوفمبر 1679 بحصار المجاهدين وهدمهم لأبراج آن Anne ومُونْمُوثْ Montmouth وجيم Jaime. وكلها من الأبراج الجنوبية المتقدمة، تظهر بالرسم تحت أرقام 29 و21 و31 على التوالي. ووجدت آنذاك المواقع المغربية متحصنة بشعاب الضفة اليسرى من واد العين.

وفي أغلب الاعتقاد أن تعليمات المولى إسماعيل إلى القائد عمر أثناء الإعداد للحملة الرابعة، حثته على السعي

لاحتلال أكبر تحصينات طنجة الواقعة بالميدان الخارجي، يدعوها الإنجليز حصن شارل Charles، نسبة إلى الملك شارل الثاني وسماه عبد الكريم بن موسى الريفي قصبة مرشان وهو واقع في الحد الغربي من هضبة مرشان، مما يقابل باب قصبة المدينة على بعد منه بنحو 660 م. يعلو بناؤه الضخم بالكدية المشرفة على الحوض الأوسط من وادي واد اليهود، مربع الشكل، تبرز من زواياه الأربع أبراج صغيرة تطل منها أفواه المدافع. ويتسع لنحو مائتي جندي وعشرين قطعة مدفعية. أشير إليه في الرسم برقم 28.

هذه هي المهمة التي ساقت عمر بن حدو إلى قيادة حملة رابعة لمحاصرة الحصن. بعد أن أمده السلطان بثمانية آلاف محارب من عبيد البخاري، ونعرف بعض التفاصيل عن هذه الغزوة مما قدمته المصادر الأجنبية.

صدر الأمر السلطاني إلى القائد التمسماني في بداية ربيع الأول عام 1091 / بداية أبريل 1680، فغادر مكناس ليصل إلى القصر الكبير يوم عيد المولد النبوي 12 ربيع الأول / 12 أبريل، وتوجه إلى ميدان طنجة في اليوم الموالي، ليبدأ الحصار يوم 14 من نفس الشهر، ويستمر خلال شهر كامل، دون أن يبدي أهل المدينة أي اهتمام بمساعدة المحاصرين اعتماداً على حامية حصن مرشان المتكونة من مائتي جندي وعلى ما كان بمخزن الأقوات من المؤونة الكافية لستة أشهر. وكان لا بد من فرض الحصار كذلك على برج "هنْريتا" المجاور له من جهة الشمال (رقم 24). كان قد أعيدَ ترميم ما تخرب منه خلال الحملة السابقة.

اتخذ الجيش المغربي محلته المعهودة بالجهة الغربية على الضفة اليسرى من واد اليهود، مما يقابل البرجين المذكورين. أمر القائد عمر بن حدّو في البداية بحفر ثلاثة خنادق، ذات وجهة شمالية جنوبية بين البرجين وباب قصبة المدينة، للتمكن من قطع الإمدادات الخارجة من المدينة. بلغ عمق أحد الخنادق نحو أربعة أمتار، حسب شهادة أحد الضباط الانجليز، وتم تحصينها بالأحراش وجذوع الأشجار وأكوام الأتربة والأحجار.

وأشرف القائد التمسماني من جهة أخرى على البدء في حفر نفق موجه ضد أساس حصن مرشان، في ظروف صعبة حتمتها طبيعة الصخر وعدم استواء السطح، علاوة على مقاومة أهل الحصن. وربما لم تختلف مواصفات الأنفاق عما فصله لنا أحمد بن القاضي الكعداوي في *تقاييده*، بالنسبة لما كان يقوم به مجاهدو قلعية ضد أبراج مليلة في نفس الفترة.

بدأ المجاهدون الهجوم يوم 21 ربيع الأول / 21 أبريل بتصويب ضربات مدفعين في اتجاه برج "هنْريتا"، ويفضلهما تم إحداث خرق في جانبه الغربي، مما أدى إلى استسلام أهله يوم 22 ربيع الثاني 1081 / 18 ماي 1680، الأمر الذي كان له أبلغ الأثر على إضعاف قوة دفاعية حصن شارل (مرشان). وهذا ما كان يرمي إليه المجاهدون من البدء باقتحام البرج المذكور.

بسقوط برج "هنريتا" أصبح المجال مفتوحاً أمام حصن مرشال من الجهة الشمالية، مما سمح بمضاعفة الحصار من تلك الجهة، في وقت حاول فيه القائد عمر بن حدّو التأثير على معنويات المتحصنين، مهدداً إياهم بتخريب الحصن بواسطة النفق الممتد إليه، وهو ما أمر بتنفيذه بمجرد عودة شاهد عيان من المدينة تم استدعاؤه لتلك الغاية.

وعلى الرغم من أن عملية حفر النفق لم تكن متقنة إذ أنها أخطأت في قياس المسافة على بعد من أساس البرج، إلا أن الانفجار أشاع الفزع بين المعتصمين، وكان السبب في حدوث انشقاق بين الجنود الذين فضلوا الاستسلام وضباطهم، مما سهل مهمة اقتحام الحصن، سيما بعد نجاح المجاهدين في صد هجوم المدينة. فلم ينج من مائتي جندي سوى اثني عشر منهم، وتم أسر أربعين منهم. أما الباقون فقد قتلوا. تحقق هذا الفوز يوم 24 ربيع الثاني 1091 / 24 ماي 1680، حسبما تم ترجيحه.

ولا بد من التنبيه إلى أن عبد الكريم بن موسى الريفي أشار إلى هذه الغزوة، ولكنه أخطأ أثناء تعيين سنة حدوثها، حين أشار إلى تخريب قصبة مرشان وبرج الصفيحة الذي عنى به برج "هنريتا" ولا شك، وأضاف إليهما برج البحر، أي برج المراقبة المجاور لهنريتا من جهة الشمال والمشرف على ساحل المضيق (رقمه بالرسم 25). وحدد تاريخ الغزوة في 25 ربيع الثاني من عام 1092 أي موافق 14 ماي 1681. ونحن على علم من أن القائد عمر بن حدو كان في ذلك التاريخ بميدان المعمورة، ما بين صفر / مارس، وما بعد ربيع الثاني / بعد أبريل، منهمكاً أولاً في إجراءات استرجاع المدينة، ومشتغلا بعد ذلك في التغلب على المشاكل الحربية والاقتصادية المترتبة عن تحريرها، مثلما سنقف عليه.

لا تخفى علينا أهمية هذا الانتصار، ويمكن إضافة نتائج حربية إيجابية أخرى بتتبع أخبار المجاهدين خلال الأيام المتبقية من شهر ربيع الثاني / ماي. فقد لاحظ الانجليز سرعة تحركات الجيش المغربي بمواقعه الغربية، إذ أن المجاهدين نصبوا أربعة مدافع على كدية واقعة بين حصن مرشان وبرج پول (Pole) الظاهر في الرسم تحت رقم 20. كان ذلك يوم 25 من الجارين حينئذ. ومن ذلك الموقع شرعوا في إطلاق النار على أسوار المدينة. وشرعوا خلال اليومين التاليين في حفر خندق طويل يمتد بين برجي "موفوت" و"يورك" (Yorck)، وهما من ضمن الأبراج الجنوبية الشرقية، رقمهما بالرسم على التوالي : 21 و18. والغاية من حفر الخندق اتصاله بخندق آخر ممتد بين برجي : "نوروود" (Norwood) و"پول" من الأبراج الوسطى.

واستهدفت هذه العمليات الحربية تطويق المدينة من جهتيها البريتين الوحيدتين، الغربية والشمالية استعداداً لعمليات أوسع. هذا هو ما تبين خلال الأيام الثلاثة الأخيرة من شهر ربيع الثاني / ماي، بإحداث ساحة مركزية، استعداداً للهجوم، اختار لها القائد عمر فراغاً بين برجي

"جاك" و"مُونْموث".

الواقع أن القائد التمسماني لم يكن ينوي اقتحام المدينة بالقدر الذي كان فيه راغباً لجر الانجليز إلى هدنة تضمن له الاحتفاظ بالمكتسبات التي توصل إليها بالميدان خارج أسوار المدينة. وهذا هو ما تأكد إثر استدعاء ثلاثة ضباط من المدينة لمعاينة استعدادات المغاربة. فقد صرح أولئك لحاكم المدينة أن هناك عشرين قطعة مدفعية مستعدة للتدخل، كما أن الجيش مقسم إلى قسمين يحيطان بالأسوار من الجهتين الغربية والجنوبية، مما دفع حاكم طنجة لطلب الهدنة لمدة أربعة أشهر، تم الاتفاق المبدئي على بنودها في 3 جمادى الأولى 1091 / أول يونيه 1680. هكذا اتفق على أن لا يعود الانجليز إلى تعمير الأبراج التي وقع اقتحامها، أي الأبراج المتقدمة، الغربية والجنوبية. واحتفاظ الحامية ببباقي الأبراج الواقعة بالمحور الأوسط من الميدان. ويتعلق الأمر ببرج العين (Fuente) رقم 15، وبرج كمْبَرْدْج (Cambridge) رقم 16، وبرج بيسس (Belleses) رقمه 17 وبرج پول (Pole) رقم 20، وبرج ويتْ هال (White Hall) رقم 22. ويمكن لأهل طنجة حسب الاتفاق الخروج إلى الميدان لقضاء مختلف أغراضهم خلال مدة الهدنة التي ستنقضي مع نهاية شهر شتنبر.

وقد فهم ناقلو أخبار تلك الهدنة الغاية التي يهدف إليها الطرفان، حين ذكروا أن الأنجليز كانوا يرجون من وراء ذلك انتظار وصول الإمدادات الكافية. كما أن القائد عمر وقع الاتفاق رجاء جمع القوات الكفيلة باقتحام المدينة. ومهما كانت تلك الغايات فإن عمر بن حدّو لم يعد إلى ميدان طنجة للضغط على المدينة وأبراجها على الرغم من تفقده لأحوال الحراسة. علاوة على أن غاية الطرفين المغربي الأنجليزي عادت في أكتوبر للتعبير عن الرغبة في تجديد الهدنة لمدة أطول.

ففي مستهل شوال عام 1091 / نهاية أكتوبر 1680 بعث حاكم طنجة رسالة إلى المولى إسماعيل وأخرى إلى القائد عمر بن حدّو يعبر فيهما عن رغبة العاهل الأنجليزي في إرسال سفير لبحث اتفاق الهدنة. وسرعان ما كلف السلطان عامله على الغرب بتسهيل إجراءات نقل السفير. ويظهر أن الهجوم الذي باغت به الأنجليز الحراسة المغربية المتمركزة خلال فترة الهدنة بقصبة مرشان لم يُؤثر على استمرار المحادثات. وبذلك عقد القائد عمر عدنة لمدة ستة أشهر وذلك ما بين 3 ذي القعدة / 25 نوفمبر و14 ذي القعدة 1091 / 6 ديسمبر 1680. أي أن نهايتها محددة، إذا اعتبرنا الغايتين 14 ذي القعدة و6 ديسمبر، بمنتصف جمادى الأولى 1092، وبداية يونيه 1681.

ولم يلبث أن عاد حاكم طنجة لطلب عقد هدنة مطولة تستغرق أربع سنوات. ومن أجل تلك الغاية حل بمكناس في 5 صفر 1092 / 24 فبراير 1681، برفقة القائدين عمر بن حدو وابن عمه علي بن عبد الله، قائد تطوان. وحضرا استقبال السلطان للسفير في اليوم الموالي، وعقد الاتفاق وتوقيعه.

هكذا فإن تاريخ نهاية الهدنة سيكون في صفر 1096 / فبراير 1685.

2) وفي الوقت الذي كانت فيه السفارة الانجليزية بمكناس والقائد عمر بن حدو برفقتها حوالي 10 ربيع الأول 1092 / آخر مارس 1681 بلغ إلى السلطان خبر عن المعمورة لم يكن في الحسبان. ذلك أن إسبانياً فر من المدينة وحث على احتلالها، نتيجة حالتها المتدهورة بفرط المجاعة والأمراض. هذا هو ما قصه علينا الأسير "مويت" الذي كان آنذاك بتطوان بعد أن تم افتداؤه. وقد تأكدت أقوال المخبر من تتبع أطوار الحصار والسرعة التي تم بها استسلام المدينة.

كلف المولى إسماعيل قائد القصر الكبير بتعبئة الرجال الذين بلغوا عشرة آلاف محارب من فاس ومكناس وسلا والقصر الكبير وتطوان. وقد حضر من سلا الولي الصالح أحمد حجي. وبالجميع بدأ الحصار في أواخر ربيع الأول 1092 / منتصف أبريل 1681.

أمر القائد عمر أولا باختراق الحواجز الصخرية من السور الشمالي إلى ضفة واد سبو على مسافة طلقة بندقية ليكون قريباً من السور الشمالي. ومن تلك الجهة وجه نظره إلى اقتحام برجين، كانت مهمتهما منحصرة في حماية السفن الداخلية إلى حلق سبو وتم له ذلك.

وفي أغلب الاعتقاد فإن البرجين المقتحمين هما اللذان سماهما عبد الكريم الريفي بالقبيبات والفندق، كانا بمثابة مخزن للبضائع والأقوات، مضيفاً أن الاقتحام كان يوم الاثنين الموافق ليوم 27 ربيع الأول / 15 أبريل. كما أن المغاربة حالوا بين الاسبان وبين البئر الذي كان منه شربهم.

استخدم القائد عمر أسرى البرجين لإخبار حاكم المعمورة بالحصار المحكم حول المدينة، وبعزمه على البقاء إلى أن يتم له ما أراد. وسرعان ما بعث الحاكم اثنين من ضباطه لبحث بنود الاستسلام يوم 3 ربيع الثاني / 22 أبريل، ولكن الاتفاق لم يكتمل بين الطرفين إلا بعد أربعة أيام تالية. تم إثرها إخبار المولى إسماعيل الذي كانت محلته بواد أم الربيع واستعجاله للحضور وتوقيع شروط الاستسلام. وهذا هو ما تم يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني 1092 / 30 أبريل 1681.

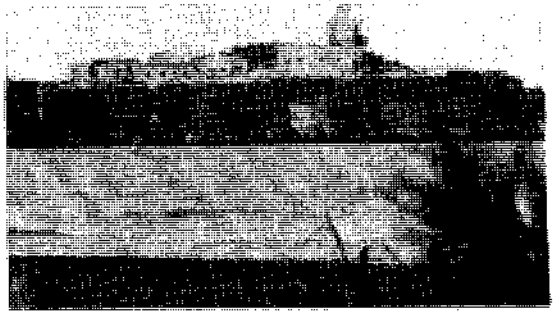

قلعة النكور
مقر عمر بن محمد التمسماني

بإجماع المؤرخين المغاربة والأجانب.

قضى عمر بن حدّو ما تبقى من حياته في ترتيب شؤون معمورة وتطبيق تعليمات المولى إسماعيل الخاصة بهذا الشأن. فإذا تخطينا ما وجب إحداثه من إصلاحات داخلية تساير الوضع الجديد للمدينة، فإننا نعلم أن أوامر السلطان إلى القائد عمر خصت تحصين المدينة من جهة الحلق ببناء الأبراج من جهتين. ومحاولة خلق مركز تجاري هناك. فقد لوحظ أن المصب يسمح بدخول السفن ذات الحمولة المتراوحة بين 500 و600 طن، وأن دخولها إلى المرسى أسهل من دخولها إلى سلا. وراج التفكير في خلق حوض لبناء السفن، باستغلال خشب غابة المعمورة.

3) اشتغل القائد عمر أيضاً بحل مشاكل القرصنة، إذ أن المولى إسماعيل أضاف إلى مهامه السهر على شؤون الثغور الواقعة بالغرب وفي مقدمتها مدينة سلا، التي تشكت من الحصار البحري المفروض عليها من طرف أسطول فرنسي مكون من عشر سفن، يقودها الفارس "شاتو رونو" (Chateau Renault) منذ جمادى الثانية - رجب 1091 / يوليوز 1680، والغاية جر المغرب إلى عقد اتفاق يرضى عنه لويس الرابع عشر.

كلف المولى إسماعيل قائد الغرب وثغوره البحرية ببدء المحادثات. ومن أجل ذلك انتقل السفير الفرنسي "شاتو رونو" إلى مصب واد تاهدارت شمال أصيلا، لقطع الطريق من هناك براً إلى القصر الكبير والاتصال بقائد المدينة. وهناك الرسالة التي بعثها عمر بن حدو إلى السفير الفرنسي بتاريخ 9 شعبان 1091 / 4 شتمبر 1680، يتضح منها ما توصل إليه الطرفان من الاتفاق : يتعذر على السلطان توقيع الهدنة خلال شهري شعبان ورمضان، ولكنه يمكن تطبيق بنود الاتفاق، بدءا من تاريخ المراسلة، خلال مدة خمسين يوماً. وبناء على ذلك سيسمح للفرنسيين بالنزول إلى البر والبقاء به خلال المدة المذكورة. ويمكن للسفن التزود بالماء والحطب وغير ذلك من الأقوات بدون أي عرقلة.

ويظهر أن عمر بن حدو اشترط على الفرنسيين تزويد البلاد بالبارود لقاء ما يحصلون عليه من المراسي، وهو أهم ما يلح عليه السلطان المولى إسماعيل. وهذا هو ما طلبه وأصر عليه قائد مرسى تاهدارت، وأثار مخاوف السفير الفرنسي. مما اضطر قائد القصر الكبير إلى طمأنته ببيان أن هذا النوع من التبادل هو الجاري مع التجار الانجليز والفرنسيين أنفسهم.

وآخر الشروط التي تبرزها الرسالة، معاملة السفن المغربية المتجولة بين مراسي الدول بنفس المعاملة خلال الأجل المحدد الذي سينتهي يوم 25 أكتوبر 1680. وبعد انقضاء ذلك الأجل تابع الفرنسيون البحث للتوصل إلى عقد الهدنة منذ نهاية شتنبر 1681 / 17 رمضان 1092، حينما بعثوا سفينتين الواحدة إلى تاهدارت والثانية إلى سلا وعلى ظهرها عدد من يهود مدينة أمستردام الهولندية.

تأكدنا من العودة إلى المحادثات من الرسالة التي وجهها القائد عمر بن حدو وهو آنذاك بميدان طنجة في 20 ذي الحجة 1091 / 11 يناير 1681، يخبر فيها باتفاقه مع "شاتو رونو" على بنود الهدنة، وإرسال سفير السلطان الحاج محمد تميم التطواني إلى لويس الرابع عشر. وبناء على ذلك بعث لويس الرابع عشر بتعليماته إلى "دو لا بار" (De La Barre) لمتابعة المحادثات وتحرير نص البنود، مؤرخة بـ 9 أبريل 1681 / 20 ربيع الأول 1092.

ولا شك أن المحادثات كانت قد توقفت بسبب عمليات استرجاع المعمورة (أوائل ربيع الثاني / أواخر أبريل) ولم تستأنف إلا خلال الشهرين الموالين، لتظهر بنود الاتفاق في صورتها الأولى مع بداية يوليوز 1681 / 14 جمادى الثانية 1092 وفي صورتها النهائية يوم 13 يوليوز / 27 جمادى الثانية.

توجد بنود الاتفاق منشورة بوثائق دو كاستري بنصيها الإسباني والفرنسي وتتكون من ستة عشر بنداً. ويزيد النص الفرنسي على الإسباني في آخره بإضافة بندين سريين. وتم عقد الاتفاق بالمعمورة بين القائد عمر بن حدو و"شاتو رونو". قصد منه ضمان أمن تحركات السفن القرصنية بين المغرب وفرنسا، وتنظيم العلاقات التجارية بين مراسي البلدين، إلى جانب تحرير الأسرى. وتعلق شأن البندين السريين بأمر السفن الحربية القاصدة لمراسي البلدين.

وعلمنا في 26 غشت 1681 / 10 شعبان 1092 برفض لويس الرابع التوقيع على الاتفاق في الرسالة الموجهة إلى "شاتو رونو"، يأمره فيها بإعلان الحرب على قراصنة سلا إلى أن يرضخ المغاربة لتوقيع بنود أكثر ملاءمة لفرنسا. وقد اهتم الوزير الفرنسي كولبير (Colbert) ممثل بلاده في المحادثات بضعفه أمام جليسه القائد عمر بن حدو حين وافق له على تسريح أزيد من أربعمائة أسير مغربي، من سلا خاصة كانوا قد أسروا بعرض الساحل البرتغالي، لقاء اثني عشر فرنسيا فقط. وقد انضاف إلى ذلك ما أقدم عليه القائد عمر من أسر سفينة ليجي (Leger) الفرنسية، إثر أسر سفينة سلاوية كانت للرايس علي (Ali Baudy) وهذا هو الموضوع الذي كاتب المولى إسماعيل لويس الرابع عشر في شأنه بتاريخ آخر شعبان 1092 / 18 شتنبر 1681.

اختفت عنا أخبار عمر بن حدو خلال الشهرين التاليين إلى أن أعلنت وفاته بمكناس من جراء إصابته بالوباء، وذلك في 18 رمضان عام 1092 / 2 نوفمبر 1681، خبر أعلن من طنجة وقادس. ودفن بضريح سيدي عبد الله بن محمد، خارج المدينة، وتولى مكانه ابن عمه القائد علي بن عبد الله الريفي.

عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهرة الأكم*، 151 - 158 - 166 - 168 - 169، الرباط، 1992 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 63 - 64 ؛ *معلمة المغرب*، 4 : 1272.

S.I.H.M., 2ème série, *France*, 1 : 489 - 490 - 491 - 492 - 493 - 499 - 500 - 501 - 503 - 507 - 532 - 537 - 539 - 540 - 541 - 559 - 560 - 566 - 567 - 594 - 603 ; *S.I.H.M.*, *Hollande*, 2 : 340 ; G.

Mouette, *Histoire de Mulay Rachid et Mulay Ismaïl*, 79 - 162 - 168 - 170 - 171 - 172 - 193 - 196 - 198 - 180 - 193 - 196 ; Routh, *Tanger*, 162 - 168 - 170 - 171 - 172 - 175 - 193 - 198 - 180 - 193 - 196 ; T. Garcia Figueras, *Miscelaneas*, 285 ; G. y de Vera, *Memoria historica*, 275 - 276 ; J. Castillanos, *Historia de Marruecos*, 93 - 94 - 443 ; G. Guillermo Guastavino, *Tanger inglés*, 6 - 10, Tanger, 1939.

التمسماني، عمر بن محمد، يضاف إليه لقب المريني، لانتسابه إلى بقايا الأسرة المرينية الباقية بتمسمان إلى الوقت الراهن. ويكنى أيضا بالحمامي، نسبة إلى جماعة أولاد حمامة القديمة الاستقرار بفرقة بني مرغْنين، حول ضريح جدهم محمد الحمامي الإدريسي، منذ القرن الرابع الهجري (محمد السنوني، *الدرر السنية*، 125)، بجوار واد تجزرين (الجزيرات)، رافد واد تمسمان.

أول من عرفنا بالشيخ عمر التمسماني، التاجر الفرنسي"رولان فريجوس" (Roland Frejus)، حين تكلف بنقله من مرسى المزمة إلى فاس في ربيع عام 1078 / 1666. كما أشار إليه عبد الكريم بن موسى الريفي في *زهر الأكم*، وخصص له الأسير "مويت" (G. Mouette) مكاناً في *مذكراته*، منفرداً بتفاصيل عن تمرده على المولى إسماعيل.

برز الشيخ عمر التمسماني المريني في منتصف القرن الثاني عشر (منتصف 18 م) بتمسمان، في ظروف ظهور قوة شيوخ القبائل بالريف الشرقي أواخر الدولة السعدية. تكونت نواة بحثه عن السلطة بالقبيلة بجماعة أولاد حمامة، وفرقة بني مرغْنين، في وقت كانت فيه قبائل تمسمان وبني توزين وتافرسيت تابعة للشيخ أحمد أعراص، صاحب المزمة وحوز بادس، آخر قواد السعديين بالريف. (*معلمة المغرب*، 2 : 515).

ففي عام 1072 / 1660 الذي وصلت فيه الدعوة العلوية إلى الريف الشرقي، بثبوت طاعة أحمد أعراص لمولاي مَحمد بن الشريف، أثناء مقدمه الأول إلى المغرب الشرقي، كان النزاع قائماً بين الشيخين على تمسمان وتافرسيت. وكان على الشيخ التمسماني الانتظار إلى حين ظهور حركة مولاي الرشيد بالريف الشرقي. فبمجرد حلوله بكبدانة وقلعية بادر إلى تقديم الطاعة إليه عام 1074 / 1662 وإقناعه للزحف بنفسه لإجلاء أعراص عن تافرسيت ومتابعته إلى حوض النكور وعاصمته المزمة.

كان هذا الفوز هو الذي جعل الجبال الواقعة شرق النكور تحت قيادة الشيخ عمر. إلا أن مشاكله لم تكن قد انتهت بعد مع أعراص، إذ أنه تعرض لهجومه، أثناء تأهب مولاي الرشيد للزحف على فاس، فلم يسترجع التمسماني اعتباره إلا بعد عودة حليفه إلى النكور وتخريب المزمة في نفس السنة المذكورة.

وعادت المحنة إلى الشيخ عمر أثناء زحف مولاي مَحمد بن الشريف إلى الريف ومحاصرة أولاد حمامة بقصبتهم، ولم ينجوا من بطشه إلا لكونهم فروا إلى بني إزناسن. ولم يحن وقت الانفراج إلا بعد مقتل مولاي مَحمد عام 1075 / 1663، وتنظيم زحف أخير على أحمد أعراص، وهدم قصبته بتلا بادس، من قبيلة بني يطّفت، بعد التجائه إلى إسبان حجرة بادس. (وجودهم بها منذ 1564). وسيبقى بها إلى أن يصدر العفو عنه، ويتم بعد ذلك نقل أسرته إلى فاس.

وإصدار العفو على الأعارصة جعل الشيخ عمر يعمل جنباً إلى جنب معهم طيلة ما تبقى من حياة المولى الرشيد وسنوات من عهد المولى إسماعيل. ولا شك أنه شارك في احتلال فاس (1076 / 1664) ومراكش (1079 / 1668) بالجيش الريفي، وساهم في الجانب السياسي، بحكم المكانة التي كان يحتلها في نظر مولاي الرشيد، مما جعل عبد الكريم الريفي يسند إليه منصب الوزارة. غير أنه ينبغي أن نرد إليه فقط مرتبة أهم قواد الجيش الريفي، وما كان تحت سلطته من حكم الريف الشرقي.

انتقل الشيخ عمر، حين استقرار أوضاع الجزء الغربي من الريف الشرقي لصالحه، من سكناه بجماعة أولاد حمامة وفرقة بني مرغنين إلى مدشر بني بويعقوب، فرقة الفوقي، واتخذه مقر إدارته. يقع المدشر على الكدية الواقعة بين واد تمسمان، المدعو هناك واد الجماعة وبين واد العرصة، رافده. ولا يزال المسجد وقبة سيدي بويعقوب اللذين شاهدهما رولان فريجوس في 20 أبريل 1666 / 15 شوال 1076 قائمين، كما أن هناك دوراً واسعة، محصنة بواسطة أسوار منخفضة وعريضة، قيل إنها عائدة إلى تلك الفترة، وإحداها هي التي أقام فيها التاجر الفرنسي، وقدم لنا بعض ملامحها. ووجدت بالمدشر جالية يهودية كانت مكلفة بالتجارة مع النكور والمزمة.

وأحاط الشيخ عمر نفسه بعدد من المساعدين اختارهم من أفراد أسرته، أقربهم إليه الشيخان عبد الكريم وعبد العزيز، ولدا عمه، ومن قواده عيسى بن عدو ومحمد المتيوي، وتألفت قوته الحربية الدائمة من عشرين فارساً، يستعملهم أثناء جمع الجباية، أو مواجهة عصيان، مثلما حدث يوم عشرين أبريل بالنسبة لبني توزين.

وفي يوم 25 رمضان 1076 / بداية أبريل 1666 كان الشيخ عمر بمنزله في بني بويعقوب، حينما رست سفينة فرنسية بمرسى المزمة الكائن بالصخرة المقابلة لها (صخرة النكور). وعلى ظهرها التاجر الفرنسي رولان فريجوس، وعلم من الرسالة الموجهة إليه بتاريخ 5 أبريل أنه راغب في الاتصال بمولاي الرشيد، موهماً إياه أنه سفير لويس الرابع عشر. وسرعان ما طيَّر الشيخ الخبر ورسالة التاجر إلى مولاي الرشيد. وتوصل بالجواب بنفس السرعة يوم 19 من نفس الشهر، يأذن فيه الشريف العلوي بنقل الزائر إليه.

بدأ الشيخ عمر في تنفيذ الأمر بقطع حوض النكور من المزمة إلى مدينة النكور، وهو في طريقه وجهة بني بويعقوب. ومن هناك سلك بالتاجر الطريق المار بتافرسيت وأراضي المطالسة واگزناية وتازا إلى فاس. وبعد استقبال مولاي الرشيد لرولان فريجوس مرتين، شرع الشيخ في طريق العودة مع بداية شهر ماي / 7 ذي القعدة 1076.

لم يلبث أن انكشف لمولاي الرشيد زيف سفارة

فريجوس، فتم طرده بعد أن ضبطت لديه ورقة عليها رسم أعده مشروعاً لبناء قلعة على صخرة النكور. وكان هذا سبب صدور أمر مولاي الرشيد إلى الشيخين محمد بن عمر ويحيى أعراص للإشراف على بناء القلعة على الصخرة، حسبما جاء به عبد الكريم بن موسى الريفي، اتقاء لشر غزو أجنبي، إذ أن الفرنسيين والانجليز كانوا عازمين على تأسيس شركة المزمة.

اشتغل الشيخ عمر التمسماني مع يحيى أعراص ببناء القلعة، في تاريخ نقدره بين 1076 و1082 / 1666 و1671، إذ أننا علمنا باكتمال بنائها قبل وفاة مولاي الرشيد. ولا شك أن شكل البناء هو الذي وجده عليها الإسبان حينما داهموها عام 1086 / 1674 في بداية أمر المولى إسماعيل، وهو في شكله الخارجي نفس المحيط الظاهر إلى اليوم (*المعلمة*، 2 : 515).

احتفظ الشيخ عمر التمسماني بمكانته في البلاط المخزني، كأحد رجال الجيش البارزين، خلال السنوات الأولى من حكم المولى إسماعيل. وفي أغلب الاعتقاد أن ميله بدأ يتحول منذ ثورة فاس عام 1083 / 1667 لصالح أحمد بن محرز. فحسب "مويت" أخذ الشيخ التمسماني على صهره المولى إسماعيل سوء معاملته لأخته. ولكن أهم المآخذ هي التي جمعها تصريحه في الاجتماع السري الذي دبر فيه اغتيال السلطان.

تبين من خطاب الشيخ عمر الذي ألقاه أمام ثمانية من أولاد أعراص : عبد العزيز بن أحمد أعراص، وابنه عبد الله، عبد الله أعراص وأخوه محمد، وعبد الكريم بن عبد الله، ومحمد بن يحيى أعراص، والأخوان عبد القادر وعبد الله أعراص، أكد فيه تدني مرتبة أهل الريف وقواده عما كانت عليه أيام المولى الرشيد، مشيراً إلى بعض الأسباب :

1) رفض السلطان الاستجابة لما طلبوه من العفو لأهل الريف، وهو يعني بذلك الجماعة التي كانت بسجن فاس من المقبوض عليهم عام 1083 / 1672، أثناء ثورة الريف لصالح بن محرز، والجماعة التي ردت الحركة الموجهة إلى الريف لجمع الجباية. ومن ذلك أيضا رفض السلطان إصدار عفوه على يحيى أعراص، خليفته بمراكش المنحاز إلى أحمد بن محرز في ربيع 1087 / 1675 (*المعلمة*، 2 : 516).

2) أن السلطان كان عازماً على إنزال أقسى العقوبات بأهل الريف، تبين هذا من الحركة التي وجهها إلى الناحية بقيادة خليفته بفاس عبد الرحمن الفيلالي ومن الأوامر الصارمة التي تلقاها لتأديب السكان، مما جعل قواد الريف الموجودين بمعية السلطان غير آمنين على أنفسهم، نتيجة المراقبة المستمرة لتحركاتهم.

لم ينفض المجلس إلا بعد الكتابة لأحمد بن محرز الموجود آنذاك بمراكش وبمعيته يحيى أعراص. وتعهد الشيخ عمر في الأخير بالإقدام على الخطوة الأولى باغتيال السلطان. فمتى دبرت المؤامرة ؟

لم يتمكن عبد الكريم بن موسى، في *زهر الأكم*، من ضبط تاريخ تلك المؤامرة التي عبر عنها بنفاق أهل الريف، حين رده إلى سنة 1083 / 1671 وربطه باحتلال أحمد بن محرز لتازا، وثورة فاس الموالية إذ أن التفاصيل التي قدمها "مويت" تبطل ذلك. وتتبع تلك التفاصيل يقودنا إلى ضبط ذلك التاريخ، مستعينين بتاريخ ثورة الريف (1083 / 1672) وبانحياز يحيى أعراص إلى ابن محرز، وتعيين عبد الرحمن الفيلالي قائداً على فاس، بدل مولاي هشام الذي بعثه المولى إسماعيل إلى تافيلالت في ربيع 1087 / 1675، أي في الوقت الذي كان فيه السلطان بالجبل الأخضر من دكالة، أثناء زحفه من سلا إلى مراكش في محاولة لطرد ابن محرز.

عقد الشيخ عمر اجتماعه السري حين حلول الجيش المغربي بقرية "مائة بير" من حوز أسفي، وذلك في صفر 1087 / أبريل 1675. وقد نفّذ وعده بإطلاق رصاصة أصابت المولى إسماعيل إصابة خفيفة بأحد كتفيه. وكانت النتيجة مقتل الشيخ عمر في عين المكان على يد حراس السلطان من عبيد البخاري، وملاحقة الأعارصة وأولاد حمامة. وقد قدم لنا مويت لائحة المقتولين من أولاد أعراص، سواء من الذين دبروا المؤامرة مع الشيخ عمر المشار إليهم، أم من الذين كانوا بفاس، مثل الشيخ المسن محمد بوراس أعراص. ومن كان بمراكش ممن استطاع الفرار إليها : عبد الكريم بن عبد الله أعراص ومحمد بن يحيى أعراص وعبد القادر، بعد أن تكلف بالمتابعة والتنفيذ عبد الرحمن الفيلالي.

عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، 123 . 126 . 130 . 143 . 146 . 150 . 162 . 201 . 211، تح. ابن عدادة ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 106 ؛ *معلمة المغرب*، 2 : 514 . 515 . 516 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90 ؛ خريطة طبوغرافية 1935 ؛ زيارة ميدانية.

Relation de R. Frejus, S.I.H.M., France 2ème série, 1 : 125 - 128 - 131 - 188 ; G. Mouette, *Histoire de Mulay Rchid et Mulay Ismail, S.I.H.M., France*, 2ème série, 2 : 63 - 69 - 85 - 86 - 87 - 88- 89 - 90 - 115.

التمسماني، محمد بن **أحمد** البُيْديري من جملة قواد خمس بني بُيْدير التمسمانيين، دلت الوثائق على أنه كان قائد الحسن الأول بين 1306 و1309 (1888 . 1891)، فهو بذلك معاصر للقائد أحمد بن محمد بن عبد الله البُيديري (1304 . 1309)، مما دلنا على أن خمس بني بُيْدير كان بدوره مقسماً إلى قيادتين، على الأقل خلال تلك المدة. ولكننا نجهل طريقة التقسيم تلك.

ظهر محمد بن أحمد أول مرة بالوثائق المخزنية بتاريخ 11 جمادى الأولى 1306. حينما خاطبه الحسن الأول في شأن انتخاب الرماة من إيالته للمشاركة في حركة الغرب، والحضور بهم إلى فاس في أوائل شعبان تلك السنة. ونعلم بعد ذلك أن الواجب عليه من جباية سنة 1306 وصل إلى 1.500 ريال، وفرض عليه نفس المقدار ذعيرة، نتيجة عدم مشاركته في حركة الغرب (13 و14 ربيع الثاني 1307).

وكما جرت العادة، كلما توجهت الحركة المخزنية إلى

الريف، توصل محمد بن أحمد بمراسلتين، أمر في الأولى بإعداد المؤونة للمحلة عند نزولها بتمسمان في الأماكن المعينة لها (5 رمضان 1309) وأخبر في الثانية بالتأهب لجمع رجاله وملاقاة الحركة في أوائل بلاد الريف بحدود بني بويحيى المتصلة بواد ملوية من جهة أگرسيف، ومرافقتها إلى قصبة سلوان، والاستمرار في رفقتها أثناء تنقلاتها إلى أن تستوفي أغراضها ثم التوجه معها إلى فاس (12 رمضان 1309). وهذه آخر مراسلة متصلة بأخباره.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ *كناتيش خ. ح.* بالرباط، 1062. 165.

التمسماني، محمد بن بوعزة التروگوتي، تولى خلفاً لأبيه قائدا على فرقة تُروگوت، يعود أول علمنا بوجوده بتلك الصفة إلى 14 رجب عام 1297، بمناسبة وصول الخبر إليه للشروع في قبض الواجبات المخزنية المعتادة. وقد بلغت آنذاك 1933 ريالا. استمر في الحكم إلى أن أُعلن عن اغتياله قبل 11 ربيع الثاني عام 1309. وتظهر الوثائق حسن علاقته مع الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني والفرق التي كانت تحت تصرفه، ومع القائد التوزاني محمد أمغار. بينما كانت علاقته على خلاف ذلك مع القائد شعيب بن حم التمسماني، الذي أخبر عنه : "... وأما الخديم محمد فهو مجاور لمرسى سيدي أبي داود، وقريب من جزيرة النكور. وقد كثر تردده إليها في الذهاب والإياب، ولطالما تكرر ذلك منه مراراً، حتى أفضى به الحال إلى أن عزم على أناس من النصارى من الجزيرة، فأضافهم إلى داره، وباتوا لديه، وتعاملوا بالهديات من الجانبين، وقد شوهد يتماشى معهم بالشط نهاراً... في 6 شعبان 1306". لا نعرف دواعي اغتياله من طرف شخصين معلومين فرا إلى طنجة، فخلفه أخوه علال.

وثائق مخزنية ؛ كناتيش خ. ح. 152. 166. 175. 468. 747 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

التمسماني، محمد بن حمّ البُيْديري، قائد مخزني، عُين على خمس بني بُيْدير الواقع في الشمال الغربي من أراضي تمسمان، خلفاً لسابقه حمادي البيديري. ظهر اسمه في الوثائق المخزنية عام 1298 / 1880 حين نظم الهجوم على جماعة بني مرغنين، التابعة آنذاك للقائد أحمد دادوش، كانت مهامه الأساسية قائمة على حراسة النقط الساحلية الداخلية في كتلة رأس الطرف أو سيدي شعيب المفتاح، مثل رأس سيدي شعيب وشاطئ سيدي داود ورأس الطرف. ولم ينج من الاتهام في قضية تهريب زيت الگاز إلى مرسى سيدي حساين، من قبيلة بني سعيد عام 1301، إذ أن المراسلات المتأخرة أشارت إلى تهاونه، منها ما كتب إليه الحسن الأول في 12 صفر عام 1301 : "وبعد فقد أخبرنا خديمنا القائد أحمد دادوش التمسماني أنه لما قبض على بوشعيب بن ميلود، المشتغل بإنزال الكنطربنض بمرسى سيدي حساين، عملا بما أمرناه به، تعرض له صهرك محمد بن عبد القادر أمغار وتشاد معه وأفلتوه حتى فر لداره. وهو من الافتيات والسعي في الفساد في الأرض الذي يستوجب مرتكبه العقوبة الشديدة. وعليه فنامرك بالقبض عليه وتوجيهه لعلي مقامنا، وإلا كانت عهدته عليك ومصيبته راجعة إليك...".

وهذا مما شجع معارضه الحاج محمد بن عبد الله البيديري على انتزاع القيادة منه. وحينما استدعاه السلطان يوم 12 شوال عام 1301، كان منافسه قد حصل على التعيين في اليوم الموالي وتوصل بإذن القبض عليه. إلا أن محمد بن حم لم يستسلم لتلك الهزيمة، وأثار الفتن في وجهه بمساعدة بني مدين ورجال من بني تعبان إلى أن تمكن من اغتيال محمد بن عبدالله، والتجأ إلى قائد فرقة تروگوت محمد بن بوعزة. غير أن أحمد بن محمد المقتول، المتولي مكان والده طالب المخزن بملاحقته. وفي 6 شعبان عام 1306 أعلن عن مقتل محمد بن حم بمساعدة رجال المحلة المخزنية.

وثائق مخزنية ؛ كناتيش خ. ح. 348. 121. 370 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

التمسماني، محمد بن عبد السلام، أمين مخزني من مدشر إعَوادن، فرقة بني مرغنين. عين أمينا لفرق بني تعبان المقابلة لها على الضفة اليسرى من نفس الواد. ثم فرقة الربع الفوقاني الواقعة حول المجرى الأوسط. تم تعيينه في شعبان عام 1300، إثر الزيارة التي قام بها للحسن الأول على رأس وفد يضم أعيان بني مرغنين أثناء قيادة أحمد دادوش على نفس الفرق. واستمر في مهمة الأمين إلى ما بعد 13 رجب 1314، معاصراً للقائدين شعيب بن حمّ التمسماني وأخيه علال بن حمّ.

عاش محمد التمسماني في أزمة مع قواد الفرق بسبب الخلاف الناشئ بينهم على التصرف في شؤون المالية من زكاة وأعشار وهدايا وذعائر، والمؤونة التي هي من مهام الأمين. وكان من لوازمه أيضا مراقبة ما يصل من التهريب إلى مرسى سيدي إدريس الواقعة بمصب واد تمسمان، ومن ذلك ما أخبر به بمسألة تهريب زيت الگاز على عهد أحمد دادوش في محرم 1301. ومن أجل ذلك كثرت الاتهامات والشكايات بينه وبين القواد، ومثل ذلك ما كتب به مولاي عرفة، رئيس المحلة في 13 رجب 1314 : "وصل أمره الشريف فيما كان بلغ لعلم سيدنا من أن خديمه القايد علال ابن محمد التمسماني استوفى من القبيلة عدداً من الأموال وتقاعد عليه واشتغل بإيقاد نار الفتنة واحراقه لعدد من المداشر التي من جملتها مدشر سكنى الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني، فاقتضى نظر مولانا أن أصدر له أمره بالإقلاع عن شنيع تلك الأفعال... فأجاب بعدم وقوع شيء من ذلك... ولا طاقة له بحرق دار واحدة، فضلا عن حرق مداشر، وإنما الأمين المذكور هو الذي سعى في فساد القبيلة بالخوض، حتى اهتمت بالارتحال من أجله مراراً، ثم انقلبوا عليه ونفوه أياماً وأحرقوا داره، وحيث رجع لها صار

يقلب الحقائق على عادته..." وهذا آخر علمنا بالأمين وبمصير أحواله.

وثائق مخزنية ؛ *كناش* 166، ص. 21. 35 ؛ *كناش* 353، ص. 90 ؛ *كناش* 117، ص. 85 ؛ *كناش* 348، ص. 81. 209 ؛ *كناش* 121، ص. 158 ؛ *كناش* 370، ص. 3. 203.

التمسماني، محمد بن عبد الله البُيديري، قائد مخزني من خمس بني بيدير، ومدشره تغْزَ، الواقع عند منبع واد بوعياش. مما يقابل رأس الطَرف من ساحل تمسمان. انتزع القيادة من سابقه محمد بن حم البيديري التمسماني، وتم تعيينه في 13 شوال عام 1301، بعد التمكن من جمع أعيان الفرقة والتوجه لهم بحراً إلى مرسى بادس للنزول عند القائد محمد بن عبد السلام أمقشد، قصد التدخل لصالحه لدى الحسن الأول. وبذلك انتقل إلى فاس برفقة وفد القبيلة وتسلم هناك تعيينه. وقد عانى من الاضطراب الذي كان يحدثه له سابقه القائد محمد بن حمّ. ومن ذلك ما قصه علينا الطالب الأمين الحاج محمد بن عبد السلام التمسماني : "... إن القائد الحاج محمد بن عبد الله البيديري التمسماني لما ولاه سيدنا على إخوانه، فقام الحاج القائد الذي كان عليهم في السابق ثم انتُزع، وهو محمد بن حمّ البيديري، بالسعي في فساد الإيالة، فوقع البارود، فغُلبت طائفة من إخوان المتولي وانهدمت ديارهم، ونهبت أموالهم وتفرق الأصل منهم والحاشية، وتشتتوا سكان تلك القرية من أصول وأملاك ومواشي وشعير، نحو خمسون مطامير (... كذا) في تمام جمدى الأوى عام 1303".

ولم ينج محمد بن عبد الله من ملاحقات منافسه إلى أن توصل إلى اغتياله قبل 15 قعدة عام 1304"، وهذا التاريخ هو الذي يحدد تعيين ابنه أحمد خلفاً له من طرف أعيان القبيلة.

وثائق مخزنية ؛ *كناش* خ. ح. 360، ص. 153. 183 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

التمسماني، محمد بن محمد سحنون، نعتته الوثائق المخزنية بالطالب، أسرته من غزاوة الغمارية. عثرنا على تعيينه أمين بني بُيْدير في رسالة 12 رجب 1302، إلى جانب القائد محمد بن عبد الله البُيْدبري، المعين في 13 شوال 1301. وحينما اغتيل هذا الأخير في ذي القعدة عام 1304 على يد منافسه شعيب بن حمّ البُيْديري، سهر على تولية أحمد بن المقتول، ومن أجل ذلك كون وفداً قصد به مبارك بن علي الدّويلالي، قائد إدالة الريف بقلعية، للإعلان عن تلك الرغبة والتوجه إلى فاس. وهذا هو ما تم بالفعل. مما يفسر حسن علاقة الأمين مع قائد بني بُيْدير أحمد بن محمد. ولم نعلم بعد ذلك بنهاية مهمة الأمين أو وفاته. ولا يزال أعقاب سحنون إلى اليوم بتمسمان.

وثائق خ. ح. بالرباط.

التمسماني، مركاب بن عيسى، ويضاف إليه البُلُنْدي، نسبة إلى جماعة بني بُلُنْد الكائنة بعقبة تيلخاشت المندرجة في فرقة تْروكوت. وحسب البادسي فإن بلند هو ابن يصليتن من قبيل بَطُّوية. وصاحب الترجمة أول المذكورين من تلامذة الشيخ أبي داود مزاحم المتوفى بتروكوت عام 578 هـ. وتدخل مرحلة تلمذته ما بين 560 هـ وتاريخ وفاة شيخه.

اعتاد مركاب زيارة رابطة أبي داود، وهي على بعد يزيد عن الفرسخين من منزله. وقيام الليل مع صاحبها الذي كان معجباً بحسن تلاوته لكتاب الله، يقدمه إماماً أثناء تهجده. لم يذكر البادسي تاريخ وفاته.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 56. 57 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

التمسماني، مزاحم يكنّى أبا داود وبه اشتهر. أول وأشهر من نعرف من متصوفي الريف الشرقي خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري (12 م). أورد الخبر عنه عبد الحق البادسي في كتابه *المقصد الشريف*، استناداً إلى الرواية التي أفاده بها عبد الرزاق بن عبد الواحد التمسماني، أحد أحفاد أبي داود، وإلى ما أخبره به بعض من اتصل بهم أثناء جولته بالقبيلة.

قدم لنا عبد الحق البادسي تسلسل نسب أبي داود على الشكل التالي : مزاحم بن علي بن جعفر بن سليمان، بن علي بن أبي عزيز بن أبي حربيل، بن ورترد بن يصليتن بن بطوي. إلا أن اختبار هذا التسلسل، بناء على تاريخ وفاة أبي داود سنة 578، دل على أنه غير موافق مع ما نعرفه من توغل تاريخ وجود بني يصليتن وبني بطوي في القدم. وبناء على ذلك إذا سلمنا بصحة القسم الأول من النسب الممتد إلى أبي حربيل، الجد السابع الذي كان حياً في آخر القرن الرابع الهجري، فإن ما جاء في القسم الثاني يدل فقط على انتساب أبي داود إلى بني ورترد وبني يصليتن وبني بطوي (*معلمة المغرب*، 5 : 1601) المستقرين بتمسمان منذ ما قبل الفتح الإسلامي بالمغرب.

ينتمي أبو داود إلى جماعة بني ورترد أو بني ورتدى (*معلمة المغرب*، 5 : 1589) التابعة لفرقة بني يصليتن، المستقرين منذ ما قبل الثاني الهجري بجبل أبي الحسن وحوض واد تمسمان ولقبيل بطوية، سكان الريف الشرقي الحالي. وفي القرن السادس الهجري كان بنو ورترد مستوطنين بالسفوح الشرقية المشرفة على ساحل خليج المزمة، المعروف آنذاك بساحل تغلال (*المعلمة*، *تغلال*)، مما يوازي في الوقت الحاضر جماعة أبي داود المستقرة بجبل إيگر أُفاضيس وجبل الحديد أوتبوذا.

ففي وسط جماعة بني ورترد ولد أبو داود بمدشر إفلاس في تاريخ نقدره بأوائل القرن السادس الهجري، ونشأ به وتلقى دراسته الأولى. وإذا كان اسم مدشره لا أثر له في التقسيم الإداري الحالي، فإننا نجزم أنه مدشر الرابطة الراهن، إذ أنه بنى الرابطة في أرض أحد جيرانه من نفس

المدشر. ويعود تقديرنا لتاريخ ولادته بأوائل القرن السادس إلى سنه المتقدم وفقدان بصره وأخيراً تاريخ وفاته المصرح به في عام 578.

ولا يسعنا لتتبع مراحل تكوين أبي داود سوى النظر في مراحل وأطوار حياته، إذ أننا نعلم أنه غادر بني ورترد أول مرة بالاتجاه نحو الأندلس، وبعد العودة انتقل إلى فاس، قبل استقراره النهائي ببلدته. وعلينا أن نتصور أنه لم يغادر قريته إفلاس إلى الأندلس إلا فيما قرب أو زاد على العقد الأول من القرن السادس (11 م) بعد أن استكمل تكوينه الأولي بالمنطقة. وحيث إننا توصلنا إلى أن صاحب الترجمة كان مستقراً بإفلاس منهمكاً في تنفيذ مشروعه على الأقل منذ سنة 560 هـ. فإننا نقدر أن أبا داود أمضى العقد الثاني من حياته لاستكمال التكوين الثاني بدءاً من قرطبة إلى الالتحاق بفاس. ونفهم من عبدالحق البادسي أن المدة التي قضاها بالأندلس المرابطية أطول من التي قضاها بفاس. لكننا من جهة أخرى نجهل كل شيء عن هذه المرحلة الدراسية.

ومعرفتنا بزيارة أبي داود لفاس أفضل، رغم ما هي في حاجة إليه من التوضيح. فرواية البادسي تشير إلى اتصال أبي داود بأبي مدين الغوث، دفين العباد من تلمسان. والواقع أنه يخامرنا الشك فيما بلغنا عنه في هذا الصدد، في وقت نبحث فيه عن تاريخ ذلك الاتصال.

فأبو مدين المولود عام 520 هـ، قصد مدينة فاس في منتصف القرن السادس لنفس الغاية التي ساقت الشيخ أبا داود، وهو أكبر سناً منه. استخلصنا تاريخ وجود الرجلين من شيوخ أبي مدين : الدقاق المتوفى في منتصف القرن، وعلي بن حرزهم المتوفى عام 559، وأبي يعزى المتوفى سنة 561 هـ. فالظاهر من هذا أن أبا داود كان بفاس خلال العشر سنوات الأولى من النصف الثاني من القرن السادس الهجري، أو قبل ذلك بقليل. نقول هذا لأن أبا مدين غادر فاساً في آخر تلك المدة المقدرة متوجها إلى المشرق ولم يعد إليها بعد ذلك. كما أن أبا داود كان ببلدته حوالي سنة 560 هـ، مثلما سنراه.

والسؤال الذي نطرحه، ألم يكن من الأوفق أن نقول إن أبا داود قد اكتفى بربط صلاته مع أبي مدين والتتلمذ جنباً إلى جنب على شيوخ فاس المعاصرين ؟. فهذا مما اشتبه على حفيده عبد الرزاق في آخر القرن السابع، حين ذكر أنه شيخه، وهذا يؤدي بنا إلى نفس ما قيل عن اقتباس أبي داود طريقة في التصوف عن دفين العباد، إذ أن صاحب الترجمة لم يعد إلى الاتصال بعد فاس برفيقه أبي مدين. فحين أدركته الوفاة عام 578، كان أبو مدين لا يزال بالمشرق، ولم يصل بعد إلى بجاية التي استدعاه منها يعقوب المنصور الموحدي في آخر عمره.

ونفس الاعتبارات هي التي تسمح لنا باعتقاد أن أبا داود كان بمدشر إفلاس قبل عام 560. فقد كانت أمامه ثمان عشرة سنة فقط لتأسيس أول مركز لتصوف الريف الشرقي. ومن أجل ذلك لم يلبث أن أقنع جاره الورتردي بالتنازل عن مساحة بناء المسجد الذي أصبح رابطة بعد إضافة مرافق أخرى بمساعدة ما توصل به من مساعدة الصالحين.

شيدت الرابطة في مكان قريب من البحر بين مدشري الساحل والحديد الحاليين، عند نقطة خروج مجرى سيل منحدر من منتصف السفح الغربي البارز من جبل إيكار أفاضيس. ووجد بجوار الرابطة منبع ماء في آخر المنحدر المتصل بشاطئ صغير من ساحل تغلال.

اعكتف أبو داود في رابطته الجديدة، التي سرعان ما جلبت إليه عدداً من الطلبة الذين استحقوا من البادسي اسم الصالح المتعبد الزاهد والمجد الفاضل، وغير تلك الأوصاف. كان منهم التمسمانيون : مركاب بن عيسى البلندي، وإسماعيل بن سيد الناس، ومحمد بن دوناس، وإبراهيم بن عيسى، ثم البقويي الحاج حسون الأدوزي. وهؤلاء هم الذين ساعدوا أبا داود على تثبيت مكانته في مرتبة الصوفية بالمنطقة، بما أحدثوه من المراكز الدراسية الثانوية وبما بلغوه من درجة الصلاح.

وليس هناك أي صعوبة في اكتشاف طريقة الشيخ أبي داود الصوفية، إذ أنها بسيطة وخالية من التعقيدات المذهبية، قائمة على استحقاق أكبر قدر من سمات الصلاح والفلاح، بواسطة المبالغة في ممارسة الشعائر الدينية، والزهد في مباهج الدنيا وتقديم الخدمات الاجتماعية للغير.

اهتم أبو داود بالنظر في مصير الرابطة بعد وفاته. ويظهر أنه لم يخلف سوى ذكرين. ولم يكن راضياً عن ابنه يوسف الذي لم يقتف أثره في الصلاح. أما ابنه عيسى فقد توفي في شبابه، بعد عام 560. وبذلك التمس رجاءه في إعداد حفيده إبراهيم، الذي تولى تسيير الرابطة منذ سنة 578 هـ، إثر وفاة جده أبي داود، وعمره آنذاك ثمان عشرة سنة.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 50 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 9 ؛ خريطة طبوغرافية، 1935.

حسن الفكيكي

التَّمْلي، أسر من قبائل شتى تسكن حول حوض أَمْلَنْ الكبير بالأطلس الصغير شمالي مركز تافراوت، وتنتسب إليه على غير قياس. وتكتب أحياناً ممدودة بالفتح (التاملي) وبالكسر (التيملي) والنسبة الأقرب هي التَّمْلي - بفتح التاء دون مد - وأشهر قبائل أمْلن : أكْنْسْ وأسيفْ (داخل الواد) أفْلاّ وأسيفْ (فوق الواد) إداوْميلكْ، تاهالا، تيزخت، تودما. وقد فضلنا أن ننسب مباشرة إلى القبائل الثلاث الأخيرة، تبعاً للاستعمال الغالب في كتب التراجم، وإن كانوا جميعاً في عداد التمليين. وتجب الإشارة إلى أن التمليين نجُب منهم في العصر السعدي عدد وافر من الفقهاء والأدباء والقواد تولوا مناصب سامية في دولة الشرفاء، سواء في حاضرتهم الأولى المحمدية (تارودانت) أو في بلاط مراكش، أو فاس دار مقام ولي العهد. وكذا في مختلف الأقاليم التي امتد

إليها نفوذ السعديين حتى ما وراء الصحراء من بلاد السودان.

محمد حجي

* * وهناك أسرة التَّمْلِيّ التطوانية لعل أصلها من سوس، اشتغل أفرادها بتلقي الشهادات طوال القرن الثالث عشر (19 م)، منهم الفقيه أحمد بن المختار التملي الذي تعاطى خطة العدالة فيما بين عام 1259 ـ 1265 / 1843 ـ 1849، والفقيه أبو بكر بن اليمني التملي الذي كان على قيد الحياة عام 1274 / 1858، والفقيه محمد بن عبد المجيد التملي الذي كان يزاول خطة العدالة عام 1251 / 1835.

وهناك فرقة أخرى من التَّمْلِيين في تطوان جاؤوها من بني گرفط، ولعل أصلهم أيضاً من سوس، منهم الفقيه عبد العزيز التملي الذي اشتغل بالعدالة عام 1230 / 1815، وأحمد التملي الجندي في المدفعية الذي كان يعمل بحامية تطوان عام 1246 / 1830.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 214 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

* * وتوجد أسرة سلوية تدعى التَّمْلِيّ أصلها من سوس، عرفت بالعلم والنسك. ومن بين أفرادها محمد بن عبد الله التملي الذي كان من العدول المنتصبين لتلقي الشهادات في مدينة سلا عام 1107 / 1695 وكان مايزال بقيد الحياة عام 1132 / 1719.

كناشة الفقيه محمد التطواني، مصور خ. ص. ؛ *رسوم عدلية* في خ. ص. ؛ م. بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*، مخطوط.

مصطفى بوشعراء

التَّمْلِيّ، أحمد بن علي بن سليمان السوسي، فقيه أديب سياسي محنك، خدم الدولة السعدية بإخلاص وتفانٍ، وشغل ـ كأبيه ـ أهم منصب في حكومة أحمد المنصور الذهبي، وهو ولاية المظالم التي كان المنصور يقوم بها أحياناً بنفسه، ولا يُنيب عنه فيها إلاّ من يثق بكفايته واستقامته وصرامته.

ولي أحمد التملي خطة المظالم بعد وفاة أبيه في مطلع القرن الحادي عشر، وقام بأعبائها خير قيام. حلاّه أحمد ابن القاضي في *درة الحجال* بقوله : "فقيه نحوي معقولي" ولقيه أحمد المقري حين حل بمراكش عام 1010 / 1601 ووصفه في *روضة الآس* (ص. 211) "بالفقيه الأجل العلامة..." وأورد له قطعة شعرية من قصيدة طويلة أجاب بها الأديب العدل علي المرواني المطاعي، مطلعها :

أدمعُ جفونك بالمحفل تفيضُ وخلّك في المنزل

لكن خطورة المنصب وتكاليفه شغلت المترجم ـ على ما يبدو ـ عن التدريس والنظم والتأليف، فلم يحفل به أصحاب كتب التراجم ولم يذكروا حتى تاريخ وفاته. ولعله هلك في خضم الوباء الجارف الذي ذهب بمخدومه أحمد المنصور عام 1012 / 1603.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 170 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 211. 212.

التَّمْلِيّ، أبو بكر بن أحمد التازولتي (تعرّب نسبته في كتب التراجم بالإثمدي أو الاثمودي) فقيه لغوي أديب بارع في الترسل وقرض الشعر. أخذ عن بلديه شيخ الجماعة الحسن بن عثمان التملي في تيبيوت، واشتغل بعده بالتدريس فيها إلى أن اتصل بمحمد المهدي الشيخ فصار من كتّابه بحاضرته الأولى المحمدية.

وقد عفّى الزمان على إنتاجه الأدبي عدا رسالة فريدة بليغة بعث بها أبو بكر إلى الأمير محمد الشيخ يطلب فيها الانخراط في سلك كتابه، أثبتها في *المعسول* (8 : 289). كما عفّى على شرحه *مقصورة المكودي*، وهو كتاب متميز في الإنتاج الأدبي للسوسيين في ذلك العصر.

توفي بمراكش عام 977 / 69. 1570.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 1 : 227، رقم 333 ؛ م. الفشتالي، *اللامية*، البيت 169 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 193 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1 : 208 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 22 ؛ *سوس العالمة*، 180 ؛ *المعسول*، 8 : 288. 290 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 572.

التَّمْلِيّ، الحسن بن عثمان، شيخ الجماعة بسوس وفقيهها الكبير الذي سارت بعلمه وتحقيقه وجدّه الركبان. ولد في قرية أسْگّاوْرْ بأمْلن وفيها نشأ ودرس على فقهاء قومه، ثم ارتحل إلى فاس ودرس فيها إلى أن تخرج على يد الإمامين محمد ابن غازي وأحمد الونشريسي مؤلف *المعيار*. ولما انفصل عنهما سنة 908 / 2. 1503 قال في حقه ابن غازي : "الآن أجزأت فاس" أي ولدت الإناث، كناية عن كثرة من سيتخرج على يده من العلماء، وشيعه الونشريسي بنفسه تقديراً لتحصيله وفضله. وقد ردد أحمد المنجور صدى الإعجاب والتقدير الذي تركه الحسن بن عثمان في الحاضرة الإدريسية فحلاّه في *الفهرس* بألقاب عالية، وروى ـ بالسند ـ جملة من أخباره العلمية. ومما قاله فيه : "كان صاحبَ جد في العلم والعمل مجانباً للراحة كثير السّهر والدرس والتدريس والعبادة. وكان إذا غلب عليه النوم يضع رأسه على حجر لتوقظه قسوة الحجر ولا يستغرقه النوم، ويطول في مجلس تدريسه حتى قد يُقرأ عليه في المجلس الواحد أربع عشرة دولة (= أربعة عشر درساً)... وكان حافظاً *لتوضيح خليل* لكثرة ملازمته بالنسخ والتدريس، ويقال إنه نسخه أربع عشرة مرة". كما ردد عبد الرحمن التامنارتي فيما بعد ذلك صدى تقديس السوسيين لعالمهم الكبير الحسن بن عثمان، وحلاه في *الفوائد الجمة* بما لا يقل عمّا جاء في كتب المنجور وابن القاضي الفاسيين.

أسس الحسن بن عثمان بعد رجوعه من فاس مدرسة في قرية تيبيّوت بضاحية تارودانت نشر فيها علمه وقصده الطلاّب من جميع الجهات. وكان من جملة الآخذين عنه فيها الأمير السعدي محمد المهدي، والعالم الكبير محمد بن إبراهيم الشيخ التامنارتي، والأديب الشهير أبو بكر بن

أحمد التملي سابق الترجمة.

لم يقتصر نشاط الحسن بن عثمان على التدريس، وإنما قام إلى جانب ذلك بدور سياسي هام في إرساء قواعد دولة الشرفاء الناشئة، وظل يرشد تلميذه الأمير المهدي الشيخ ويؤازره في الخطوات التي خطاها في تمهيد الجنوب ومطاردة المحتلين الأجانب، كما قام في ميدان التشريع باجتهادات منها رأيه التوفيقي في ألواح سوس التي تعتمد عليها القبائل في بعض القضايا الجنحية.

توفي الحسن بن عثمان في تيبّوت عام 932 / 25 ـ 1528. وقيل في السنة بعدها. وضريحه مازال معروفاً حتى اليوم في بُويت وسط مقبرة تيبّوت.

أحمد المنجور، *فهرس*، 51 ؛ أ. ابن القاضي، جذوة، 1 : 182 رقم 143 ؛ *درة الحجال*، 1 : 240 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ الرسموكي، *وفيات*، 50 ؛ م. الخضيكي، *طبقات*، تع. أ. بومزگو، الترجمة 237 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 192 ؛ *سوس العالمة*، 157 ؛ *المعسول*، 7 : 22 و13 : 269 ـ 271 ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 299 و2 : 571 ـ 572.

التَّمْلِيّ، داوود بن محمد بن علي التُّونْلي "فقيه عصره، ووحيد دهره" حسب عبارة الخضيكي. تخرج على يد الشيخ حسين الشوشاوي، وانقطع للتعليم بالمدرسة التي أسسها بفم أگشتيم من قبيلة أفْلاّ واسيفْ بأمْلنْ. وتخرج على يده فيها جماعة من الفقهاء، منهم حسين بن داوود التغاتيني سابق الترجمة.

ألف داوود التَّمْلِيّ كتباً في فقه الوثائق والنوازل والقراءات، وكلها ماتزال مخطوطة في خزائن خاصة بسوس :

- *أمهات الوثائق وما يتعلق بها في العلائق*، لقيت قبولا ورواجاً واسعاً في أوساط الفقهاء السوسيين.
- *أجوبة* لأسئلة تلميذه حسين التغاتيني.
- *وسيلة النشأة* في شرح أرجوزة الرگراگي الوادنوني في القراءات وهي في نحو مائتي بيت.

توفي داوود التملي في ثامن المحرم عام تسعة وتسعين وثمانمائة / 19 أكتوبر 1493.

الرسموكي، *وفيات*، 40 ؛ م. الخضيكي، *طبقات*، تع. أ. بومزگو، الترجمة 264 (وفيها أن جده عبد الحق بدل علي، وهو خطأ) ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 22 ؛ *سوس العالمة*، 178 ؛ *المعسول*، 18 : 279.

التَّمْلِيّ، سعيد بن عبد الله بن يدير، فقيه مشارك في كثير من الفنون، انتقل من قريته في أمْلن إلى حاضرة السعديين الأولى المحمدية ليقوم بالتدريس في جامعها الكبير، وكان من بين الطلبة الذين أخذوا عنه فيها عبد الرحمن التامنارتي فترجم له في *الفوائد الجمة* في جملة شيوخه وقال "...وحضرت دروسه سنة كاملة في الفقه والعربية والعقائد والأصول والبيان. وله خط حسن وشعر مليح ورسائل فصيحة وكان يُستناب في قضاء الجماعة".

وهناك فقهاء سوسيون آخرون يحملون نفس الاسم "سعيد بن عبد الله" لكن أسماء جدودهم تختلف عن يدير، وهم من السملاليين أو العباسيين، وتختلط أخبارهم في كتب التراجم بأخبار سعيد المترجم هنا.

توفي سعيد التَّمْلِيّ في شهر رمضان عام 1003 / ماي ـ يونيه 1595.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 38 ؛ م. الخضيكي، *طبقات*، تع. أ. بومزگو، الترجمة 764 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 47 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 409.

التَّمْلِيّ، سليمان بن إبراهيم بن سليمان الصنهاجي، من أبناء عمومة الشيخ الحسن بن عثمان دفين تيبّوت سابق الترجمة. ولد عام 968 / 60 . 1561 وتكوّن فقيهاً أديباً شاعراً ناثراً، من كُتّاب بلاط أحمد المنصور الملازمين له إقامة وظعناً. قال عنه معاصره أحمد ابن القاضي إنه "شاعر مطبوع". وشعره مرآة لبيئته المراكشية، وسجلّ لتحركات مخدومه في ضواحيها وخاصة أغمات التي كان لا يغبّ عنها. ومن ذلك قطعة يذكر فيها أفراكْ المنصور الجميل الذي وصفه أصحاب الرحلات، مطلعها :

ومحلةٍ ملأ البسيطةَ حسنُها وتشرّفت لنزولها أغمات

توفي بعد عام 999 / 1591.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 312 رقم 1410 ؛ *المنتقى المقصور*، 603 . 604 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 56 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 153 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، 10 : 42 رقم 1525.

التَّمْلِيّ عبد العزيز بن محمد بن عبد الله الصنهاجي، أديب خدم ولي العهد محمد الشيخ المامون في فاس، ونظم في مدحه قصائد عديدة. وألفّ له كتاب *طلائع اليمن والنجاح فيما اختص بمولانا الشيخ من الأمداح*. جمع فيه ما قيل في ولي العهد من الأمداح بمناسبة حفلات عيد المولد وغيرها. والباقي من هذا الكتاب يشتمل على قصائد لأربعة عشر شاعراً أكثرهم من كتاب بلاط المامون بفاس، ومن بينهم المؤلف عبد العزيز التملي وأخوه أحمد بن محمد التملي وشعراء من بادية المغرب كزمران وحصين والخلط لم يرد ذكر أسمائهم في غير هذا الكتاب.

ومن شعر عبد العزيز رائية رقيقة طويلة في مدح الشيخ المامون مطلعها :

تجلت بطاحُ الأرض في حلل خضر بديعات وشيٍ أتقنته يدُ القَطرِ

توفي بعد عام 1030 / 1621.

عبد العزيز التملي نفسه، *طلائع اليمن والنجاح*، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، 1 : 413 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 444 رقم 1265 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، أ : 155 رقم 574 ؛ أ. المكناسي، *أهم مصادر*، 91 ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 29 ـ 30 والهامش 74.

التَّمْلِيّ، علي بن سليمان بن عبد الله بن عثمان، ابن أخي الحَسن بن عثمان التَّمْلِيّ سابق الترجمة. ولد حوالي عام 930 / 1524 وهو وإن كان مثل عمه فقيهاً ومشاركة وتحصيلا، فإنه لم يشتغل بالتدريس والتربية، وإنما شغلته السياسة ومهام السلطة. يمثل السياسي المحتك ورجل السلطة السامي المثالي نزاهة وتواضعاً وإحساناً، أجمع على ذلك معاصروه الذين عرفوه عن قرب. فقد روى عنه أحمد المنجور في *الفهرس* بعض أخبار عمه الحسن بن عثمان، وحلاه بصفات علمية وأخلاقية راقية : "الثقة المشارك النجيب الخير الناصح أبو الحسن علي بن سليمان..." وقال عنه أحمد المقري في *روضة الآس* : "الشيخ الحجة القدوة". وحلاه معاصره أحمد بن القاضي في *درة الحجال* بالفقيه البركة المحسن عمدة المساكين، وقال عنه "ومن محاسنه أنه لم تثبت عنه رشوة قط ولا أكل ثمن الجاه منذ ولي خطته، ولا سمع عنه... أعقل أهل زمانه وأعلمهم بالأمور".

وتحدث عنه بلديّه وعشيره في البلاط الكاتب صاحب القلم الأعلى محمد بن عيسى التَّمْلِيّ في المقامة الأدبية بقوله :

"قلت : وأين الفقيه أبو الحسن علي بن سليمان ؟ فقال : رجل الدين واليقين، وحامل راية المتقين، ليس أحد في طريقته مثله، فلا أحد إلا ويشكر دينه وفضله، شأنُه التسهيل والإيناس، والسعي في مصالح الناس، والنصح للمستنصحين، واقتفاء أمر عباد الله الصالحين، خصته الدولة بخطة المظالم، يعالج بجده السقيم منها والسالم، متبلّغاً باليسير، زاهداً إلا في زَاد المسير، معتقداً أن مثري هذه الدار أسير. وبالجملة، فهو بركة الوقت وزاهده، وصلة موصول العدالة وعائده. فخرت منه السوس بثاني ابن الجراح، فإن تكن اقترحته على الله فقد جاء والحمد لله وفقَ الاقتراح".

كان علي بن سليمان محط ثقة الملوك السعديين ومستشارهم الخاص والقائم بخطة المظالم على أبوابهم، وموضع تقدير ومحبة سائر الذين خلطوه أو اتصلوا به من خاصة الناس وعامتهم. فقد ختم المنجور حديثه عنه بالدعاء له قائلا : "أعانه الله على ما هو بصدده من الأخذ بأيدي المسلمين".

توفي بعد عام 999 / 1591.

أ. المنجور، *فهرس*، 51 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 3 : 254 ـ 255 رقم 1295 ؛ *المنتقى المقصور*، 1 : 249 و409 ؛ أ. المقري، *روضة الآس*، 211 ؛ الرسموكي، *وفيات*، 46 ؛ ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 1536 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 620 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 572.

التَّمْلِيّ، محمد بن **عيسى** الصنهاجي، هذا هو المشهور في نسبته مباشرة إلى جده الثاني عيسى. وهو محمد بن محمد بن أحمد بن عيسى، ولقبه الغالب عليه في ألسنة معاصريه : الكاتب، وفي كتب التراجم : صاحب القلم الأعلى. عالم أديب شاعر ناثر، من أكبر كتاب الدولة السعدية منذ عهد عبد الله الغالب، وابنه المتوكل، وعبد الملك المعتصم، ثم كتب لأحمد المنصور بمراكش، وولي عهده المامون بفاس، وألف في مخدومه كتاب *المنتقى المقصور من سنا أبي العباس المنصور*، وهذه التسمية ـ كما قال أحمد المقري في *نفح الطيب* ـ وحدها مطربة، وحلاه بالرئيس كاتب أسرار المنصور. وعده معاصره أحمد المنجور في *الفهرس* من العلماء الذين ذاكرهم واستفاد كل منهم من صاحبه، وحلاه بالفقيه الأديب الماهر الكاتب البليغ الناظم الناثر، كما حلاه رفيقه أحمد ابن القاضي في *الجذوة* بالفقيه الكاتب الأديب وقال "كان له نثر فائق ونظم لا بأس به وخطوط منوعة في الحسن". وقد أُتلف ـ عمداً ـ *كتابُه المنتقى المقصور* لأسباب تحاشى معاصروه ذكرها، كما أُتلف معظم آثاره الأدبية حين قُتل في سجن قصبة فاس لأسباب لم يفصح عنها كذلك الذين كتبوا عنه من رفاقه ولداته. وأظن أن لذلك علاقة بسلوكه الخلقي.

وقفت عندما كنت أهيئ أطروحتي عن الحركة الفكرية أيام السعديين في الخزانة الحسنية بالرباط على مجموع أدبي صغير سميته *أدبيات ابن عيسى*، تحتوي صفحاته الاثنتا عشرة الأولى على أدبيات هذا الكاتب الشاعر، وتكاد تكون المجموعة الوحيدة مما بقي من نفثات أقلامه. يذكّر أسلوب ابن عيسى بأسلوب بديع الزمان الهمداني متانة وإشراقاً، ولا ينحط شعره إلا قليلا عن شعر أدباء عصره. وله مقامات في الجد والهزل، منها *مقامة* تناول فيها بعض معاصريه على طريقة ابن شهيد في التوابع والزوابع إلا أنه لم ينتقدهم مثله، وإنما استعرض محاسن المحسنين منهم : عبد الواحد الحسني، وعلي بن سليمان التملي، وأحمد الغرديس. وله *مقامة* أخرى بعنوان *في الحكة والإشارة إلى ما تحت التكة*، أفحش فيها وأقذع. وكنت أعتزم نشر دراسة خاصة عن هذا الكاتب المتميز فلم يتيسر ذلك حتى الآن.

توفي محمد بن عيسى قتيلا بسجن قصبة فاس عام 990 / 1582 واستولى محمد المامون على ماله ومتاعه الثمين.

م. ابن عيسى التملي نفسه، *أدبيات ابن عيسى*، مخطوط خ. ح. رقم 5408، ص. 1 ـ 12 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 326 رقم 344 ؛ *درة الحجال*، 2 : 226 رقم 672 ؛ *لقط الفرائد*، 315 و318 ؛ *المنتقى*، 1 : 465 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 17 : 82 ؛ م. الإفراني، *نزهة*، 149 ـ 150 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمتان 300 و492 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 172، رقم 646 ؛ أ. النميشي، *تاريخ الشعر والشعراء بفاس*، 63 ؛ م. ابن تاويت، *الأدب المغربي*، 431 ـ 434 ؛ *الوافي بالأدب العربي*، 3 : 699 ـ 705 ؛ ع. الرندي، *الكتابة والكتاب*، 24 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 160 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، 81 ؛ ع. گنون،

رسائل سعدية، 7 رسائل وظهائر من إنشاء الكاتب ابن عيسى ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 29 ؛ 2 : 372 والهامش 72.

التَّمْلي، محمد بن يحيى بن عيسى ابن عم محمد ابن عيسى الكاتب سابق الترجمة. وهو أديب مثله، أورد عصريُّه أحمد ابن القاضي طائفة من أشعاره في *المنتقى المقصور* قائلا عنه "وكان ـ رحمه الله ـ ناظماً ناثراً مطبوعاً فكاهة". وربما كانت له دالة على المنصور إذ نجده يستشفع بقصيدة لأحد بني الأحمر ملوك الأندلس القدامى ويستمطر له فضل أحمد المنصور مطلعها :

أتاك ابن نصر مستغيثاً وما له مَتاتٌ إليك غيرَ ما خلّد الدهرُ

وهي على نسق قصيدة ابن الخطيب الشهيرة : "سلاهل لديها من مُخبِّرة ذكرُ".

توفي قبل عام 998 / 1590، وهي سنة انتهاء ابن القاضي من تأليف *المنتقى المقصور* حيث ذكره فيه وترحّم عليه.

أ. ابن القاضي، *المنتقى المقصور*، ص. 607 وفي مواضع متفرقة.

التَّمْلي، محمد بن يوسف بن أحمد المراكشي. كان أبوه يوسفُ أستاذاً صالحاً يؤدب الصبيان في مراكش، مشرفاً على خزانة المصاحف في جامع المنصور وبيده مفاتحها إلى أن توفي في حدود عام 982 / 1574 ويبدو أن محمد بن يوسف ولد في مراكش ونشأ بها ودرس على علمائها وعلماء فاس. ومن أشهر شيوخه الحسن الدراوي، ومحمد بن يوسف الترغي، ومحمد الصغير المستغانمي، وأحمد المقري.

تخصص محمد بن يوسف ـ كأبيه ـ في علوم القرآن، إلا أن دائرة معارفه اتسعت بالمشاركة في الفقه واللغة والأدب. وانتشر ذكره وأدبه في المغرب والمشرق. وله مراسلات مطولة مع شيخه المقري نظماً ونثراً، سواء حين كان المقري مقيماً بفاس أو حين انتقل إلى المشرق، وقد أثبت المقري نصوص هذه المراسلات والقصائد في *نفح الطيب* وغيره وأثنى عليها وعلى منشئها.

كان محمد بن يوسف التملي في أول عهده بالتدريس يقتصر على تعليم أبناء الملوك وعليّة القوم، ثم اهتدى إلى تعميم تعليمه وأخذ يعقد مجالس عامة في مدرسة ابن يوسف (الغالبيّة) فكثر الآخذون عنه سواء في القراءات والتجويد أو في اللغة العربية وقواعدها والفقه وفروعه. وتتحدث فقرة من رسالة بعث بها التملي إلى المقري بعد رجوعه من فاس إلى مراكش عن تقدير الطلبة له واشتياقهم لدروسه، وتسمّي بعض الكتب التي كان يلقنها لهم : "...ولا زائد على ما نعرّفكم به سوى ما ألهم الله بفضله من معاطاة كؤوس القراءات مع طلبة هذه الحضرة. ولقد خرجوا للقائي متعطشين لمرحلة عن مراكش في جمع كثير أزيد من ثلثمائة طالب. وقد بدأت مع الطلبة بالمدرسة الغالبية *الشاطبية ولامية الأفعال* بعد العصر، *والكراريس* بعد العشاء، ووقت التجويد من طلوع الشمس إلى العصر...".

تخرّج على يد محمد بن يوسف التملي عدد وافر من الأساتذة والفقهاء والأدباء، وفي مقدمتهم عبد الرحمن ابن القاضي إمام القراءات في عصره وصاحب التآليف الكثيرة الشهيرة المنتشرة في المغرب وخارجه. وعبد العزيز الزياتي مؤلف *الجواهر المختارة في فتاوى جبال غمارة*، ومحمد بن سعيد المرغيتي مؤلف *العوائد المزرية بالموائد*.

ألف محمد بن يوسف التملي كتباً وتقاييد وأراجيز في مواضيع شتى، منها :

ـ *تحفة الطلاب في قراءة ابن كثير*.

ـ *تقييد في الوقف*.

ـ *أرجوزة في السيرة النبوية*، نظم فيها سيرة اليعمري، وزاد عليها.

ـ *مقامة في بستان المسرة بمراكش*.

ـ *فهرس* جمع فيه أخبار أشياخه.

توفي بمراكش عام 1048 / 38 . 1639.

أ. المقري، *فتح المتعال*، 238 . 241 ؛ *روضة الآس*، 25 . 26 ؛ *نفح الطيب*، 2 : 470 . 478 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. المحبي، *خلاصة الأثر*، 4 : 271 . 273 ؛ ع. ابن معصوم، *سلافة*، 404 . 406 ؛ أ. ابن عطية، *التفكر*، 46 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 136 ؛ م. القادري، *الإكليل*، تح. م. دادي، الترجمة، 340 ؛ *التقاط الدرر*، 108 ؛ *نشر المثاني*، 1 : 373 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 331 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 5 : 66 . 274 ؛ المختار السوسي، *سوس العالمة*، 187 ؛ س. أعراب، *القراء والقراءات بالمغرب*.

محمد حجي

التَّمّ، ـ بكسر التاء وتشديد الميم ـ كما هو في الفصيح وفي المعاجم وفي النطق الدارج المغربي في كثير من الجهات، وينطق به في جهات مغربية أخرى إوَز وإوزّ عراقي، وهو جنس طير مائي أبيض، كبير الحجم، من رتبة صفيحيات المناقر (Anseriformes أو Lamellirostres) ومن فصيلة كفيات الأقدام (Anatidae) ومن الوزيات (Anserinae) التي تشمل البط والإوز والتم. شبيه بالإوز على أنه أطول منه عنقا وأكبر منه حجما. اسمه في مصر التم، وإوز عراقي في باقي الدول العربية.

يشمل جنس التم Cygnus خمسة أنواع تعيش في المناطق الباردة والمعتدلة من العالم. نوعان منها يعيشان في المغرب :

التم الأخرس المسمى علميا Cygnus olor وبالفرنسية Cygne muet أو Cygne tubercule وبالأنجليزية Mute swan. إنه طائر أهلي يربى في البوادي بجانب البط والإوز الأهلي وشائع في حدائق الحيوانات العمومية المغربية. المنقار مصفح وعريض، ليموني محمر ومحفوف قرب العينين بنتوءات سوداء كبيرة عند الذكور وصغيرة عند الإناث. عنقه طويل ومقوس يساعده على التقاط المأكولات بداخل المياه. الريش أبيض عند الكبار ورمادي بني عند الصغار. الأرجل قصيرة وسوداء.

يحسن السباحة ولا يغطس كما يفعل باقي البط والإوز. يمتد العنق إلى الأمام والأرجل إلى الخلف أثناء الطيران وتتعدى سرعة طيرانه 63 كلم في الساعة. يبلغ طوله 1.52 متر ويعتدى وزنه 12.5 كلغ. تبلغ بسطة جناحيه 2.75 متر. طول جناحه 74 سم وطول ذيله 27 ـ 30 سم.

يتوالد ما بين أبريل ومايو ويبني الأبوان عشا ضخما بين القصب والحشائش المحاطة بالمستنقعات والبحيرات، يفرشانه بالريش وتضع الأنثى فيه من 6 إلى 8 بيضات ونادراً 12، لونها رمادي مخضر إلى رمادي أزرق وغير منقطة، يبلغ طول قطريها 11.5 x 7.5 سم.

تضع الأنثى بيضة كل يومين تحضنها بعد انتهاء الولادة لمدة تتراوح ما بين 34 و38 يوماً. تبقى الصغار في العش يوما أو يومين بعد التفقيس ثم ترافق الأبوين إلى البحيرات وكثيراً ما تصعد فوق ظهور الأمهات. تبقى بجانب الأبوين زهاء أربعة أشهر وذلك من أجل الحماية والمساعدة على التقاط المأكولات التي تتكون من النباتات المائية ومن العساقيل والجذور وبعض الحشرات والديدان المائية.

يقضي النهار وسط البرك والبحيرات والمستنقعات غير العميقة ويرمي بمنقاره في الماء بحثا عن المأكولات. يقوم الزوجان برقصات وبحركات غريبة فيُقوسان الجناحين ويرفعان الذيل أثناء السباحة ويدور الزوج حول عشيرته عدة مرات ليغازلها قبل أن يتم التزاوج.

التم الوحشي المسمى علميا Cygnus oygnus يعرف بالفرنسية Cygne sauvage والأنجليزية Whooper swan. كثير الشبه بالتم الأخرس ويختلف عنه في منقاره الأصفر الخالي من النتوءات قرب العينين. الأرجل قصيرة وصفراء عند الكبار والصغار، عنقه طويل ومستقيم ولا يتقوس. يبلغ طوله 1.62 متر ولا تتعدى بسطة جناحيه 2.47 متر. طول الجناح 66 سم وطول الذيل 22 سم. تتعدى سرعة طيرانه 75 كلم في الساعة ويفوق وزنه 11 كلغ.

يتوالد ما بين مايو ويونيو ويبني الأبوان العش وسط الحشائش والقصب المجاورة للبحيرات تضع فيه الأنثى من 4 إلى 8 بيضات ناصعة البياض وغير منقطة. تضع الأنثى بيضة كل يومين تحضنها مباشرة بعد وضع البيض لمدة تتراوح ما بين 35 و42 يوماً. يكسو الصغار ريش رمادي بني كثيف.

يعد هذا الطائر من القواطع، يقضي الصيف في شمال أوربا وآسيا ويشتو في جنوب أوربا وكثيراً ما يقضي شهري دجنبر ويناير في بحيرة مولاي بوسلهام ومصب وادي ملوية عندما يكون فصل الشتاء شديد البرودة في أوربا. إنه طائر شديد الحذر وغير قابل للتدجين.

المعلوف أمين، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة 1932.

P.C., Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc*, Janvier 1981. Document de l'Institut Scientifique, Rabat, 1982 ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids : Reproduction, œufs et jeunes*, Paris, 1968, 300 p. ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, 320 p.

محمد رمضاني

التمّاق، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الفاسي، جدوده من الغرناطيين المهاجرين إلى فاس في عصور سابقة، وهم معدودون من أولاد السراج. "كان فقيها مفتيا نوازليا يبحث البحث الذي لا يُدرى، ويجيب بالجواب المحكم" (*نشر المثاني*، 4 : 213)، "كثير المباحث، مع ملكة التعبير وجودة الخط وإحكام الشكل والضبط، موصوف بالإتقان..." (*الروضة المقصودة*، ص. 62) وبالإضافة إلى هذا اشتهر بالزهد والورع والتواضع : "لا يأكل إلا من عمل البراعة، يرتاد الخلوات... اتخذ مأوى بظهر زاوية شيخه أحمد بن عبد الله مَعْن (ت. 1120 / 1709) بأقصى حومة المخفية فكان ينسخ هناك ويقيد ويدرس سنين... ثم أُلزم التصدر للانتفاع به بأمر من سلطان الوقت فخرج لمجال الظهور على إكراه، وانتفع به من أهل فاس الجم الغفير..." (المصدر السابق، 63). كما كان يقرض الشعر ويجيد النثر.

تمّ تكوينه على يد عدد من الشيوخ أمثال : محمد بن عبد القادر الفاسي وأخيه عبد الرحمان، وعبد السلام بن الطيب القادري وأخيه محمد العربي ومحمد بن أحمد القسنطيني الكماد الحسني، والقاضي العربي بن أحمد بردلة، ومحمد المسناوي الدلائي، وأحمد بن محمد اليمني، وأحمد بن عبد الله معن الأندلسي.

تولى الخطابة بجامع القرويين والقضاء بمدينة فاس سنة 1140 / 1728 بعد طول امتناع زمن السلطان أحمد الذهبي العلوي، وعزل بعد مبايعة أخي السلطان المذكور عبد الملك في نفس السنة، بعد ثمانية أشهر بدون "ريبة".

من مؤلفاته : *حاشية على شرح الحصن الحصين* لشيخه محمد بن عبد القادر الفاسي، *وإزالة الدلسة عن أحكام الجلسة*، *وجمع الأقوال في لبس السروال*، إلى أبحاث على *التحفة*، *ولامية الزقاق*، *والعمليات الفاسية* التي كان يدرسها مع *الموطأ* و*الرسالة* وغير ذلك، *وكنانيش* متعددة بخطه.

توفي عشية يوم الأربعاء 10 جمادى الأولى سنة 1151 / 26 غشت 1738 ودفن بفاس. ولم يقف القادري في *نشر المثاني* على تاريخ وفاته فذكره في الخاتمة.

م. القادري، *نشر المثاني*، 4 : 213 ـ 214 ؛ التاودي ابن سودة، *فهرسة*، مخطوط خ ع. رقم 725 د ؛ س. الحوات، *الروضة المقصودة*، مخطوط، خ. ع. رقم 2211 د ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 4 : 121 ـ 122 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 2 : 464 ؛ إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*.

محمد رزوق

التُّمنْجَلي ← التامناگالي

تمنوگالت أو تامنوگالت، قصبة من القصور القديمة بواحة مزگيطة بعالية وادي درعة. والنسبة إليها تامنوگالي

أو تمنوگالي (بدون تاء أخيرة) أُعطيت لدلالة تمنوگالت ومعناها عدة تفسيرات، فهناك من يرى بأن هذا الاسم تحريف لكلمة تمنوالت الأمازيغية، وتعني الخيمة (*Districts*, 42) وهناك من يرى أن الكلمة تحريف لتمنوگارت، حيث حل اللام مكان الراء، وتعني المكان الذي يُلتقى فيه أو يُجتمع به (*Cadres Sociaux*, 4) ويرتكز هذا التفسير على معطيات اقتصادية وسياسية، ذلك أن قصبة تمنوگالت بنيت بالقرب من سوق قديم يعرف بسوق الخميس، وقد ظل هذا السوق قائماً إلى أن ألغته سلطة الحماية بعد تحويله إلى مركز أگدز الحالي. والمكان يساعد أيضا على إقامة تجمعات قبلية (قبائل أهل مزگيطة) لاتخاذ القرارات التي تنظم العلاقات العامة، سواء فيما يتعلق بقبائل مزگيطة فيما بينها، أو فيما بينها وبين القبائل المجاورة.

أما الرأي الثالث، فيرى أن اسم تمنوگالت مشتق من الفعل الأمازيغي "أگل" بمعنى علّقَ الشيء يعلقه، فيكون معنى تنموگالت "المعلقة" لكون القصبة تظهر من الضفة الغربية لنهر درعة وكأنها معلقة في أكناف جبل كيسان الذي يشرف على الضفة الشرقية لنهر درعة.

كان قصر تمنوگالت قبيل قيام الدولة السعدية، كغيره من قصور واحة مزگيطة، مندرجاً ضمن مجموعة تمنوگالين، أو أيت تمنوگالت وتضم هذه المجموعة أسليم نزدار، وزاوية سيدي مولود وتمنوگالت وغيرها. وما كاد الأمر يستتب للدولة السعدية حتى وجهت عنايتها بشكل خاص لواحات وادي درعة، فعملت على توفير ظروف الأمن والاستقرار لسكان الوادي وحمايتهم من قبائل أولاد عمران وأولاد سليم المعقلية، حيث كان شيوخ هذه القبائل يفرضون الإتاوات الباهظة على سكان الوادي (*افريقيا*، 3 : 146) وهكذا أقام السعديون سلسلة من التحصينات العسكرية على شكل قصبات محصنة في مختلف واحات الوادي. ومن قصبات واحة مزگيطة قصبة أبرنوص وقصبة تمنوگالت.

وفي إطار التهيئ لفتح السودان، جدد السلطان أحمد المنصور السعدي تحصينات وادي درعة وعززها بالحاميات العسكرية والعتاد الحربي، وجعل من تمنوگالت عاصمة للمنطقة ومقراً للعامل المخزني حيث باتت كل قصبات الوادي تخضع لأوامره، وقد عرفت قصبة تمنوگالت إبان هذه الفترة ازدهاراً كبيراً وتحولت إلى كعبة للقاصدين من سكان الوادي وغيرهم من المناطق المجاورة. وبعد وفاة أحمد المنصور عام 1012 / 1603، عرف وادي درعة نكسة خطيرة بسبب النزاعات المستمرة بين أبناء المنصور على السلطة، حيث كان كل أمير من المتسلطنين يحاول السيطرة على الوادي باعتباره أهم طريق تجاري بين إفريقيا السوداء والمغرب. وأصبحت قصبات المنطقة هدفا للمتحاربين، ذلك أن المستولي على هذه القصبات يسهل عليه التحكم في طرق الوادي ومرافقه الاقتصادية. وقد عانت قصبة تمنوگالت الأمرين لكونها مقراً للعامل المخزني ولموقعها في عالية الوادي، حيث كانت تتحكم في كل المنافذ التي تربط وادي درعة بدادس شرقا، وبسوس غربا وورزازات شمالا وباقي واحات درعة والصحراء جنوبا.

وعلى إثر ظهور إمارة العلويين بتافيلالت، تطلع مَحمد ابن الشريف في أواسط القرن الحادي عشر (17 م) إلى السيطرة على وادي درعة، وكانت واحاته الشمالية خاضعة لنفوذ وسيطرة أبي حسون السملالي، ونستشف من بعض الإشارات التاريخية أن قصبة تمنوگالت قادت معارضة المسلاليين بالمنطقة، وحتى يكون بإمكانها التصدي للسملاليين نجحت في خلق تحالف قوي بين أهل مزگيطة وقبائل إمغران. ويظهر أن السملاليين أدركوا خطورة هذه التحالفات القبلية ضد وجودهم بدرعة، لذلك حشد أبو حسون السملالي قوة كبيرة وهاجم واحة مزگيطة سنة 1050 / 1640، فهدم عددا من القصور وخرب السواقي، ثم قام القائد عدي السوسي بمحاولة اقتحام قصبة تمنوگالت، إلا أن أهل مزگيطة وإمغران، تصدوا لهجوم القوات السملالية وألحقوا بها خسائر فادحة، فقتلوا من أهل سوس ما يزيد على تسعمائة رجل واستولوا على ذخائر هامة من الأسلحة والأموال (*إيليغ*، 117 . 118) وتؤكد كل الدلائل والمعطيات التاريخية أن هذه المعركة، كانت قاصمة بالنسبة لأبي حسون السملالي، إذ لم يتمكن بعدها من فرض وجوده بدرعة، كما فتحت الباب أمام أنصار مَحمد بن الشريف العلوي بوادي درعة.

وبعد بزوغ نجم السلطان الرشيد العلوي، على إثر مقتل أخيه مَحمد ببسيط أنگاد سنة 1075 / 1664، كانت بلاد درعة تشكل أحد أعمدة إمارته، فعهد للقائد محمد الأنگادي (جد آل القائد التامنوگالي) بالإشراف على إدارة أمور وادي درعة، فاستقر القائد محمد بقصبة تمنوگالت وقد ظل حفدة القائد يمارسون السلطة على قبائل أهل مزگيطة، انطلاقا من قصبة تمنوگالت منذ ذلك الحين إلى غاية الثلاثينات من القرن العشرين.

كانت قصبة تمنوگالت، في عهد أسرة آل القائد التامنوگالي، مقصدا لأهل الصلاح والعلم، حيث كان بعض قوادها يحرصون على تشكيل حاشيتهم من أهل الصلاح والعلم، وهكذا استقدم القائد الحسن بعض مرابطي زاوية سيدي صالح بأكتاوة، ثم بدا له أن يستقدم بعض الناصريين من تامگروت. وكان لهؤلاء المرابطين دور حيوي في الحفاظ على التوازن الداخلي لسكان قصبة تمنوگالت، كما كانوا يقومون بدور صمام أمن إبان الأزمات الاجتماعية والسياسية، سواء بالنسبة لدار القيادة أو بالنسبة لسكان قصبة تمنوگالت خاصة وقبائل أهل مزگيطة عموماً، حيث كان هؤلاء المرابطون يقومون بدور الحكم للحفاظ على الاستقرار والأمن العام.

ويرجع الفضل للناصريين والصالحيين في إنشاء مدرسة علمية بقصبة تمنوگالت، وقد عرفت هذه المدرسة أوج عزها بشكل خاص مع العلامة محمد المكي الناصري الدرعي (المتوفى سنة 1356 / 1937) وقد كان هذا الرجل علماً من

أعلام الشريعة والعلوم الفقهية في وقته، ليس بقصبة تمنوگالت فحسب وإنما في كل وادي درعة، وقد تخرج عليه جم غفير من فقهاء درعة من أمثال القاضي محمد بن الشافعي الأنصاري، ومحمد الترغي، ومحمد بن لحبيب التامنوگالي صاحب *العقود الجوهرية* وغيرهم (*أعلام درعة*، 68). كما استقدم غيره إلى قصبة تمنوگالت بعض الأشراف العلويين من قصر تمتيگ بفزواطة، لخلق توازن جديد أمام المرابطين الذين اندمجوا في الحياة العامة لقصبة تامنوگالت بعد سلسلة من المصاهرات مع دار آل القائد التامنوگالي.

برزت قصبة تمنوگالت في نهاية القرن الثالث عشر (19م) ومطلع الرابع عشر (20 م) كأقوى مركز معارض لنفوذ أسرة الأگلاوي بوادي درعة كما سنرى تفاصيل ذلك خلال تراجم ورجال أيت القائد التامنوگاليين. وبالرغم من أن آخرهم القائد علي التامنوگالي أدرك أن الظروف تسير لغير صالح دار القيادة بتمنوگالت فإنه حاول أن يتعاون مع السلطة الفرنسية، إلا أن نفوذ كلمة الأگلاوي بوادي درعة جعل دور قصبة تمنوگالت وقيادتها يتقلص باستمرار. وانتهى دور قصبة تمنوگالت السياسي والإداري بعد تأسيس مكتب الشؤون الأهلية بتلال أگدز على بعد حوالي عشرة كيلومترات شمال تمنوگالت. وتحولت القصبة إلى قصر عادي لا يختلف عن باقي القصور إلا بشموخ جدرانها وبقايا الأوشام المعمارية على أبراجها تحكي في استحياء لزوارها ما كان لها من أمجاد في عصور غير بعيدة.

م. ا بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ المهدي الناصري، *الرحلة الزاهرة إلى درعة العامرة*، مخطوط ؛ *أعلام درعة*، البيضاء، 1974 ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ* ؛ مارمول كاربخال، *افريقيا*، ج 3، تر. محمد حجي ومن معه، الرباط، 1989 ؛ أ. البوزيدي، *تاريخ درعة الاجتماعي*، د. د. ع. الرباط، 1988.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la Haute Vallée du Draa*, A.M., V. 9n Tome II ; *Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1951 ; *Les pays inaccessibles du Haut Draa*, R.G.M., n° 1 et 9, 1929 ; Ouhajou, *Cadres Sociaux de l'irrigation dans la vallée du Draa* (inédit).

أحمد البوزيدي

تَمُورُو، من الأسر الرباطية التي عدّها محمد بوجندار من الأسر الأندلسية القاطنة بالرباط. وبما أن المهاجرين الأندلسيين إلى الرباط (ضفتي أبي رقراق) كانوا قد هاجروا بعد سنة 1018 / 1609 أي بعد قرار فيليب III بطرد مسلمي الأقاليم الأندلسية، فتكون أسرة تمورُو قد هاجرت ضمن المطرودين من العائلات الأندلسية مثل مورينو وأشكلانط وبلامبو... واللائحة طويلة.

إن المؤلفات التاريخية وكتب الحوليات والسير مثل *كتاب الضعيف* و*أعلام* بوجندار ودينية تعرضت إلى أغلبية الأسر الرباطية التي لعبت فيها الأسر ذات الأصل الأندلسي دوراً مهما في السياسة والعلم والثقافة، ولكن هناك أسر تكاد تكون مغمورة، فأصحاب المؤلفات المذكورة لم يشيروا إلى بعضها ومنها أسرة تمورُو عدا ما جاء في كتاب *مقدمة الفتح* الذي أشار فيه مؤلفه إلى أنها من الأسر الأندلسية، فربما يعزى ذلك إلى عدم اشتهار أفرادها بما يستحق ذكره عندهم.

محمد بوجندار، *مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح*، الرباط 1345هـ ص. 194 ؛ *معلومات خاصة*.

عبد الإله الفاسي

التموين بالمغرب خلال الحرب العالمية الثانية، خلقت الحرب بالمغرب أحوالاً من الضيق والقلة جعلت سلطات الحماية تنظم تزويد السكان بالمواد الأساسية، بعد أن سنت من القوانين ما تصبح بمقتضاه كل الموارد الطبيعية والبشرية والاقتصادية في خدمة المجهود الحربي الفرنسي.

وقد خلق تفاحش الاستغلال الفرنسي للمغرب في هذه الفترة، بسبب ما كانت تنقله فرنسا من ثروات وخيرات، وضعية خصاص كبير، أصبحت معه المواد الأساسية نادرة، وقلّت الثياب والصابون ومواد الوقود، مما حتم اتباع نظام جديد في توزيع المواد الضرورية. وظهر ما سمي آنذاك بنظام "التموين"، ويقضي بتقنين المواد وحصر الكميات الموزعة منها، وتحديد حصة كل شخص منها في الشهر. كان لهذا النظام قد طبق في فرنسا ابتداءً من يونيو 1940، ثم انتقل العمل به إلى المغرب، وتم ذلك بقرار مقيمي ظهر بالجريدة الرسمية في 19 يوليوز 1940 وضعت بموجبه بطاقات التموين للحصول على المواد المقننة. ويعتبر هذا القرار تتمة لثلاثة قرارات سابقة : هي قرار شتنبر 1938، وشتنبر 1939، المتعلقان بتنظيم البلاد في حالة الحرب، وقرار منتصف شتنبر 1939، الذي تأسست بمقتضاه إدارة المصالح الاقتصادية في حالة الحرب. ولم يكن قرار التموين هذا يهم في البداية سوى الأوربيين، لكنه اتسع فيما بعد ليشمل المغاربة. وكانت بطاقات الحصول على المواد المقننة تمنح من قبل رؤساء المصالح البلدية والسلطات المحلية، على إثر طلب يتقدم به الشخص، ويتضمن الأشخاص الموجودين تحت كفالته. وكانت كل بطاقة مصحوبة بورقة موزعة إلى قسيمات مرقمة يسمى كل واحد منها "تقطيع" أو "مقتطع" أو "بون"، ويمثل كل منها منتجا مقننا رصدته لها إدارة التموين. وكانت لا تصلح إلا لشهر واحد. ويتغير لونها كل ستة أشهر.

وانطلاقا من صدور القرار المنظم للتموين بالبطاقات، أصبحت بلديات المدن هي التي تتولى توزيع المواد الضرورية. وكانت المقادير المخصصة لكل شهر قليلة جدا، بالإضافة إلى أنها كانت تتناقص شهراً عن شهر. ففي أبريل مثلا من سنة 1942 وزعت بلدية الرباط مقابل ورقة التموين :

السكر 700 غرام للشخص
الشاي 20 غرام للشخص
الزيت 400 غرام للشخص
الصابون الجامد 125 غرام للشخص
الصابون المائع 100 غرام للشخص

وفي يوليوز من السنة ذاتها، وزعت نفس البلدية 700 غرام من السكر مقابل المقتطع 15 من بطاقة التموين، ومن الزيت 230 غرام فقط مقابل المقتطع 17، أما حصة الشاي فقد نقصت إلى 5 غرامات. ورغم النزول الأمريكي بالمغرب في نونبر 1942، وما كان يروج من أن قوات الولايات المتحدة تحمل معها الخيرات، فإن الحصص الموزعة من المواد الأساسية لم تعرف أي تحسن، وظل المغاربة يقتنون حاجياتهم الضرورية بالشكل الذي عرف منذ سنة 1940. بل إن كميات السكر نقصت من 700 غرام في أبريل 1942 إلى 400 غرام في نونبر من نفس السنة.

وأصدرت "مصلحة التموين الأهلي" في مارس من سنة 1945 إعلاناً تنهي فيه إلى علم العموم أنها ستوزع 370 غرام من الزيت مقابل المقتطع 138 من بطاقة التمويل، و300 غرام من السكر مقابل المقتطع 138، وتجدر الإشارة هنا إلى أن البلاد عرفت خلال سنة 1945 هذه، مجاعة تعد من أخطر المجاعات.

كانت الصفوف تمتد أمام مراكز التموين، حيث كان الناس يذهبون إلى باب القاعة في الساعة الثانية عشر ليلا لانتظار توزيع قدر بسيط من الزيت على كل فرد، وهناك من كان يظل واقفاً عشر ساعات دون الحصول على قطرة واحدة. وقد عبر المرحوم الحسين السلاوي في أغنية له تحت عنوان "أحْض راسك لا يْفُوزُوا بك القَوْمَانْ يا فْلان"، عن اصطفاف المغاربة نساء ورجالا للتزود بالقليل من الزيت والكتان، وما كان يتخلل مدة الانتظار الطويلة من شجار وتلاكم بين المصطفين من أجل "النوبة"، ليصل أحياناً إلى العض والرعاف.

ونتيجة كثرة الطلب على المواد الأساسية، خلال فترة تقنين المواد وتوزيعها مقابل "البون"، كان المراقب وأعوانه من الشيوخ والمقدمين يحتكرون أوراق التموين لبيعها بأثمان مرتفعة جداً، أو لتقديمها مقابل خدمات في ضيعات المعمرين ومشاريعهم. وبهذا فإن عملية تقنين توزيع المواد الأساسية كانت تفتح الباب على مصراعيه أمام استغلال أوراق التموين لمآرب شخصية، وأمام الاغتناء والاحتكار والسوق السوداء. ثم إن التقنين لم يكن مفروضاً بالشكل الذي رأيناه من التقشف والتقتير، سوى على المغاربة. ذلك أنه من بين أربع عشرة مادة أساسية مقننة كان للفرنسيين كامل الحرية في الحصول عليها، لم يكن يسمح للمغاربة بالحصول سوى على خمس منها وبمقدار. وبينما كان الفرنسيون يحصلون مثلا على 500 غرام من السكر للشخص و250 غرام من الصابون، بالإضافة إلى الشكولاطة والكاويبل، في سنة 1945، وهي سنة مجاعة مهولة، لم يكن المغاربة يتوصلون سوى بالقليل الأقل من السكر والصابون.

انتهت الحرب العالمية الثانية، واستمر العمل ببطاقات التموين طيلة سنة 1946، حيث أخبر قسم التموين التابع لإدارة المصالح البلدية أنه سيوزع 500 غرام من السكر مقابل المقتطع 171، و400 غرام من الزيت مقابل المقتطع 172، و150 غرام من الصابون مقابل المقتطع 173. وتابعت مصلحة التموين العمل بالبطاقات على طول سنة 1947 وجزء كبير من سنة 1948.

وقد أوضحت الفترة التي استمر فيها التموين بالأوراق، من يونيو 1940 إلى صيف 1948، بما لا مزيد عليه من البيان، ما كان يطبع عملية توزيع المواد من تمييز بين الفرنسيين الذين كانت الخزائن رهن إشارتهم، والمغاربة الذين كانت تقدم لهم المواد بكثير من التقتير والتقشف. وكان لهذا التمييز في التعامل أثر كبير في فتح أعين المغاربة على زيف الشعارات التي كانت تلوح بها الدولة الحامية.

الجريدة الرسمية؛ *السعادة*؛ *الوداد*؛ *العلم*؛ *الرواية الشفوية*.

P. Esquillat, *Le ravitaillement en France en temps de guerre*; Parti de l'Istiqlal, *Maroc*.

بوجمعة رويان

تَميم، أسرة تطوانية لاشك أن أصلها تونسي لأن أول فرد من هذه الأسرة بتطوان تذكره الوثائق كان يسمى تَميم عاشور بن محمد، ومن المعلوم أنه لم يكن من عادة التطوانيين التسمية بعاشور والشخص المذكور كان من بين الذين شهدوا بظلم أولاد النقسيس وطغيانهم عندما قرر مولاي الرشيد استغراق ذمتهم وبيع أملاكهم وذلك بتاريخ 21 شوال 1078 / 4 أبريل 1668.

ومما يدل على المكانة الاجتماعية لأسرة تميم بتطوان أن ثلاثة من أفراد هذه الأسرة تولوا حكم المدينة في عصور مختلفة، حيث نجد الباشا محمد تَميم (الأول) يحكمها سنة 1002 / 1681، ونجد شخصا آخر يحمل نفس الاسم (تميم الثاني) حاكما بتطوان من سنة 1156 / 1743 إلى سنة 1163 / 1750. كما نجد ثالثا يدعى أحمد تميم يتولى حكم المدينة نيابة عن الحاكم العام بشمال المغرب الوزير السلاوي في حدود سنة 1224 / 1809.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 7؛ 39؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1؛ 239، 3؛ 242؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2؛ 338؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

تميم، بن زيري بن يعلى اليفرني، أبو الكمال، أحد أمراء بني يفرن بسلا خلال النصف الأول من القرن الخامس (11 م). وكان أخوه حمامة أسس إمارة سلا مقتطعة من إمارة فاس المغراوية التي كانت في أول أمرها تابعة للأمويين بالأندلس على عكس اليفرنيين، ووصل نفوذ إمارة سلا إلى تادلا أيام الأمير حمامة ثم أخيه تميم (*العبر*، 7؛ 44-45). ويفهم من ظهير صادر عن الأمير تميم مؤرخ بأوائل ربيع الأول من سنة 409 / 1019 لفائدة الشيخ أبي جعفر إسحاق بن إسماعيل شيخ رباط آل أمغار في تيط (قرب أزمور) امتداد نفوذ إمارة سلا على ساحل تامسنا أيضاً، حيث يتضمن الظهير إعفاء آل أمغار من المغارم، ومنحهم حق التصرف في الزكاة والأعشار المحلية لتوزع

مباشرة على ذوي الحاجات (*بهجة الناظرين*، 52 ـ 53).

وبمقارنة التاريخ الوارد في الظهير وهو 409 مع تاريخ وفاة الأمير تميم الوارد في *روض القرطاس* وهو سنة 448 يتبين أن مدة حكم هذا الأمير استمرت حوالي نصف قرن، فكان أهم أمراء سلا البفرنيين خاصة إذا تفحصنا علاقته مع كل من برغواطة وإمارة فاس، فامتداد نفوذه جنوبا إلى تادلا داخليا وإلى أزمور (على الأقل) ساحلياً يفرض اصطدامه مع إمارة برغواطة التي ظهرت بأرض تامسنا منذ القرن الثاني (8 م)، وواجهت كلاً من الأدارسة وأمويِّي الأندلس في فترة العامريين... يقول صاحب *القرطاس* عن تميم : "كان مولعاً بجهاد برغواطة، كان يغزوهم في كل سنة مرتين فيقتل منهم ويسبي، فلم يزل على ذلك إلى أن مات سنة 448" (ص. 110)، ويقول ابن خلدون : "فغلبهم على تامسنا، وولّى عليها من قبله بعد أن أثخن فيهم سبياً وقتلا" (*العبر*، 6 : 434)، أما البكري المعاصر للأحداث فيقول عنه : "غلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من بقي منهم، واستوطن ديارهم، وانقطع أمرهم، وعفا آثارهم، ولم يبق لضلالتهم باقية..." (141).

وتبرز المصادر الأمير تميم حاكما عادلا ومجاهدا، إذ أنها اعتبرت الحرب ضد برغواطة "جهادا" لاتهامها بالانحراف عن الإسلام. ويبدو أن إمارة برغواطة انهارت ـ أو على الأقل تقوقعت في بعض الجهات الداخلية الحصينة من أرض تامسنا ـ لتفسح المجال لامتداد نفوذ سلا إلى تادلا وما وراءها، وستسترجع قواها بعد موت تميم، لكن صعود المرابطين من الجنوب لم يتح لها الاستمرار (*العبر*، 7 : 434).

هذا الامتداد جنوباً لإمارة سلا منذ العشرينات خاصة كانت تقابله عملية امتداد شرقاً بالاتجاه إلى فاس في العشرينات أيضاً، حيث تمكن تميم بواسطة حملة عسكرية مهمة من إبعاد أمرائها المغراويين نحو المغرب الأوسط طيلة خمس أو سبع سنوات، ثم تمكن هؤلاء من استرجاع نفوذهم بفاس، وتراجع الأمير تميم إلى عاصمته سلا. بحيث يمكن القول إن الأمير تميماً ربما كان أعظم أمراء المغرب الأقصى وأوسعهم نفوذاً خلال العشرينات من القرن الخامس. ومن الملاحظ أن بعض المصادر عندما تتحدث عن وجود الأمير تميم بفاس تذكر قتله لعدد كبير من يهودها دون أن تبرر ذلك، مكتفية بالإشارة إلى أنه "أخذ أموالهم وسبى حريمهم" *(القرطاس)*، فهل يرجع السبب في ذلك إلى محاولة جمع المال لتمويل أعماله العسكرية ؟ أم أن العملية تدخل في إطار محاولة لإضعاف مكانة فاس الاقتصادية التي كانت سلا عاجزة عن منافستها على أساس افتراض أن اليهود كان لهم دور اقتصادي هام بالمدينة ؟ فالقرطاس يتحدث عن هذه الأهمية لمدينة فاس في النصف الأول من القرن الخامس قبل بدء التحرك المرابطي داخل المغرب الأقصى الشمالي (ص 111 و113).

ضعفت إمارة سلا بعد موت تميم حيث تكونت إمارتان يفرنيتان على حسابها ـ فيما يبدو ـ في تادلا وأغمات، كما انتعشت من جديد إمارة برغواطة ولكن لسنوات قليلة حيث سيتغلب المرابطون عليها وعلى بقية الإمارات في الخمسينات والستينات من القرن الخامس.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 141 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 109 ـ 110 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 434، 7 : 44 ـ 45 و73 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام*، 2 : 165 ـ 166 ؛ ع. الزمـوري، *بهجة الناظرين*، مخطوط خ. ع. د. 1343 ود 1501 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1 : 172 ـ 173.

أحمد عزاوي

تـميـم، محمد التطواني (الأول)، كل ما نعرفه عن هذا الشخص هو أنه كان يحكم تطوان نيابة عن الحاكم العام بشمال المغرب الباشا علي بن عبد الله الحمامي الريفي عندما عينه السلطان مولاي إسماعيل سفيراً له لدى ملك فرنسا لويس الرابع عشر Louis XIV، حيث كان محمد تميم أول سفير بعثه العاهل المغربي إلى فرنسا وكان وصوله إلى ميناء بريست يوم 17 أكتوبر 1681 وإلى باريس يوم 30 ديسمبر من نفس السنة، وأما استقباله من لدن العاهل الفرنسي فقد كان يوم 4 يناير 1682.

وفي يوم 20 محرم 1093 / 29 يناير 1682 وقّع السفير المغربي على معاهدة صلح وصداقة بين المغرب وفرنسا، وفي يوم 10 فبراير استقبل تميم استقبال وداع من طرف العاهل الفرنسي وفي يوم 25 من نفس الشهر غادر تميم العاصمة الفرنسية متوجهاً إلى ميناء طولون عبر ليون وأفينيون ومرسيلية وكان حلوله بطولون يوم 28 مارس وهو اليوم الذي غادر فيه الميناء المذكور.

تميم حاكم تطوان

ونتوفر على رسالتين وجههما تميم إلى كل من ملك فرنسا وإلى الوزير Seignelay من تطوان بتاريخ 27 ربيع الثاني / 5 ماي 1682. وقد أعاد نشرهما الفقيه داود في كتابه *تاريخ تطوان* (1 : 265).

وفي سنة 1098 / 1687 توجه تميم مرة ثانية إلى فرنسا ولكنه لم يسمح له بمتابعة سفره عند وصوله إلى ميناء طولون كما يستنتج من الرسالة التي وجهها الباشا علي بن عبد الله الحمامي إلى الملك لويس الرابع عشر بتاريخ 30 جمادي الأولى 1098 / 13 أبريل 1687.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 261 ـ 265 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان ؛ سفير تطواني في بلاط لويز الرابع عشر* (تحت الطبع).

Ch. Penz, *Les rois de France et le Maroc*, Casablanca, 1945.

تميم، محمد التطواني (الثاني)، قائد حكم تطوان بعد مقتل الباشا أحمد الريفي سنة 1156 / 1743 وكان في أول الأمر يشتغل بحرفة النجارة. ويبدو أن تعيينه حاكما على المدينة كان من طرف سكانها ثم وافقهم على ذلك السلطان مولاي عبد الله بن إسماعيل. وكان أول عمل قام به بعد توليته هو إعادة بناء أسوار المدينة وقصبتها التي كان قد هدمها الباشا أحمد الريفي، وصرف على ذلك من ماله الخاص الذي ورثه من أخ له توفي باسطنبول سنة 1157 / 1744.

وفي سنة 1160 / 1747 ثار الأمير مولاي المستضئ ضد أخيه السلطان مولاي عبد الله، وبعد مبايعته من طرف سكان العرائش وأصيلا وطنجة توجه إلى تطوان مطالبا بمبايعته، وحيث إن أهل تطوان، وعلى رأسهم قائدهم التميمي، امتنعوا من تلبية رغبته، فقد قام بمحاصرة المدينة لمدة ثلاثة أشهر كان خلالها يقوم بقنبلتها بواسطة المدافع التي أعاره إيّاها حاكم سبتة الإسباني لكن دون جدوى، لأن مولاي المستضئ اضطر إلى رفع الحصار.

وفي سنة 1163 / 1750 عرفت تطوان أحداثا مهولة على يد عصابة كانت تقوم بأعمال الشغب ضد الأهالي، وتتكون العصابة من خمسة أشخاص هم عبد الفضيل الصّردو وعبد السلام بن محمد بن قريش وعبد الكريم الصّردو ومحمد البشري ومحمد بن عبد السلام الغازي، وكانت النتيجة أن اغتيل الباشا تميم وهو يصلي بجامع القصبة يوم الجمعة 7 ذي القعدة 1163 / 9 أكتوبر 1750.

م. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 7 : 39 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 231 ـ 239، 3 : 58 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

تميم، بن معنصر المغراوي، وهو حفيد حماد بن معنصر ابن المعز بن زيري بن عطية المغراوي وآخر أمراء قبيلة مغراوة الزناتية التي حكمت منطقة فاس بين سنة 362 هـ / 972 م و سنة 462 هـ / 1070 م بعد أن طردوا الأدارسة منها إلى المناطق الشمالية الغربية. وقد تزامنت فترة حكم تميم المغراوي (460 هـ / 1068 م ـ 462 هـ / 1070 م) مع تصاعد وتيرة فتوحات المرابطين بالمغرب الأقصى ونهاية إمارة مغراوة بفاس. وإذا كانت المصادر قد أهملت الحديث عن فترة ولاية تميم، كما هو الشأن بالنسبة لمعظم أحداث القرن الخامس (11 م)، فإنها ركزت مع ذلك على اللحظات الأخيرة من حكمه عندما اصطدم بالجيش المرابطي الزاحف لتوحيد البلاد والقضاء على الإمارات والكيانات السياسية مثل برغواطة بتامسنا وبني خزرون بسجلماسة ومغراوة بفاس... الخ. وتجدر الإشارة إلى أن والد تميم معنصر بن حماد حاول قبله صد الهجمات المرابطية التي كانت تستهدف مدينة فاس بعد أن استعاد سيطرته عليها من جديد، وتمكن من قتل عامل يوسف بن تاشفين عليها ومن كان معه من لمتونة. ثم زحف بعد ذلك إلى صاحب مكناسة مهدي بن يوسف الجزنائي حليف المرابطين فهزمه بعد مواجهات عنيفة انتهت بمقتله وبعث برأسه إلى صاحب سبتة سقوت البرغواطي عدو المرابطين اللدود، لكن تصميم وعزم صنهاجة اللثام على حصار فاس كان أقوى من صمود معنصر الذي قتل سنة 460 هـ / 1068 م.

تحت تأثير هذه الأحداث وحدة تصارعها بايع أهل فاس الأمير تميماً الذي كان يعلم جيداً أن البيعة في هذه الظروف تعني متابعة مسيرة والده معنصر في مدافعة الخطر المرابطي عن فاس، فكانت أيامه أيام حصار وفتنة وجهد في مواجهة اللمتونيين الذين كانوا يهددون إمارته في كل لحظة وحين. ومن المعلوم أن يوسف بن تاشفين كان في هذه الفترة مشغولاً بفتح بلاد غمارة الشئ الذي ساعد تميماً على الاستمرار في حكم فاس سنتين أخريين. ولما انتهى يوسف ابن تاشفين من فتح بلاد غمارة، وأخضع لسيطرته أغلب مناطق الريف الغربي توجه إلى المناطق الوسطى وبالضبط منطقة فاس بهدف ربط شمال المغرب الأقصى بوسطه إذ كانت فاس تشكل في هذه الفترة موقعاً استراتيجيا بالغ الأهمية بالنسبة لمسار الفتوحات المرابطية في اتجاه الشمال والغرب والشرق. لذلك وجه الامير المرابطي كل ثقله العسكري والبشري لحصار المدينة وتشديد الخناق عليها، فلما رأى تميم بن معنصر أن "الأمر قد اشتد عليه وطالت عليه الفتنة وانقطعت عنه المواد والموارد وعدمت الأقوات جمع جيشاً عظيماً من مغراوة وبني يفرن وخرج إلى المرابطين، فكانت الهزيمة عليه" (*القرطاس*، 140). وتمكن المرابطون من اقتحام فاس وقتل أميرها تميم بن معنصر سنة 462 ومن كان معه من قبائل مغراوة وبني يفرن ومكناسة وخلق كثير إلى درجة أن المصادر اختلفت في تحديد عدد القتلى، فابن خلدون يشير إلى أن هذا العدد وصل إلى ثلاثة آلاف بينما يذكر ابن الخطيب أن الحصيلة تتعدى العشرين ألفاً وبلغ التناقض مداه عند ابن أبي زرع الذي أشار في *القرطاس* إلى الرقمين السابقين معاً خلال حديثه عن دولة تميم، ومرة أخرى عندما تحدث عن الأعمال العسكرية ليوسف بن تاشفين. وعلى الرغم من التضارب الواضح في هذه الروايات فإن ما يمكن استنتاجه منها هو الخسائر البشرية الفادحة التي مني بها الزناتيون، ومما يؤكد هذا أن نفس المصادر أجمعت على أن قتلى زناتة ملأت

أسواق المدينة وشوارعها وكذلك جامع القرويين وجامع الأندلس حتى عجز الناس عن دفنهم فرادى، فاتخذوا لهم الأخاديد وأقبروا جماعات. لكن المرابطين لم يكتفوا بهذا بل نجد يوسف يأمر جنده بهدم أسوار المدينة التي تفصل عدوة القرويين عن عدوة الأندلس، وجعلها مجالاً واحداً وأحاطها بسور واحد حتى لا تقوم فيها لزناتة بعد ذلك قائمة.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، بيروت، 1983، 4 : 28 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972، ص 113، 114، 139، 140، 141 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979، ص 28 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7 : 75 ـ 76 ؛ ابن الخطيب، *أعمال الاعلام (القسم الثالث)*، تح. أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، 1964، ص 163 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1951، 1 : 224.

رشيد السلامي

تميم، بن **يوسف** بن تاشفين، يكنى أبا طاهر، وهو من أهم رجالات لمتونة لما عرف به من حنكة ودراية بأمور الإدارة والجيش. ولاه أبوه في سنة 467 / 1074 على منطقة اغمات ومراكش وبلاد السوس والمصامدة وتادلا وتامسنا (*القرطاس*، 142 ؛ *الاستقصا*، 2 : 30). ويغلب على الظن أنه اشتغل بهذا المنصب مدة طويلة من الزمن لأن المصادر التاريخية لم تشر إلى ما يدل على قيامه بأي نشاط آخر حتى سنة 500 / 1106 باستثناء عبوره إلى الأندلس رفقة أبيه يوسف في جوازه الرابع (*الحلل*، 77).

لما توفي يوسف بن تاشفين أعلن تميم بيعته لأخيه الأصغر علي ولي العهد. واضطر مع رفض الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين والي فاس مبايعة علي بن يوسف إلى التقدم بالجيوش من مراكش في اتجاه فاس قبل أن يلتحق به السلطان علي، لكن لما علم يحيى بن أبي بكر بأن لا طاقة له بحرب الجيوش المرابطية فرّ عن مقر ولايته وأسلم المدينة لعمه يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر سنة 500 / 7 دجنبر 1106.

عين تميم بن يوسف واليا على مدينة فاس بعد إبعاد يحيى بن أبي بكر عنها. ومعلوم أن ولاية فاس كانت من المناصب الجليلة لدى المرابطين لأن المشتغل بها كان بمثابة أمير المغرب تماماً كما هو الحال بالنسبة لولاية غرناطة التي كان صاحبها هو أمير المرابطين على الأندلس. وقد تم عزل الأمير يحيى عن هذا المنصب بعد أن اجتاز علي بن يوسف جوازه الأول إلى الأندلس فعين تميماً على ولاية غرناطة وشرع في ممارسة مهامه في منصبه الجديد سنة 501 / 1107.

وجه الأمير تميم اهتمامه نحو الجهاد فعمل على النظر في أسباب الغزو وأحسن إلى الجند ثم خرج من غرناطة إلى جيان وهناك انتظر اجتماع جيوش الأندلس فاجتمع إليه صاحب قرطبة ابن أبي زنفي وصاحب مرسية أبو عبد الله محمد بن عائشة وصاحب بلنسية أبو محمد عبد الله بن فاطمة ثم قصد بعد ذلك حصن أقليش Uclés وكان له مع القشتاليين به حرب دارت فيها الدائرة على النصارى وقتل فيها أمير قتشالة دون سانشو Don Sancho وعدد كبير من الكونتات فكان هذا الانتصار دليل يمن وبركة بولاية علي بن يوسف في أول دولته، وكانت هذه الوقعة في نفس سنة تعيين تميم أميراً على الأندلس (*ابن الكردبوس*، 114 ؛ *القرطاس*، 159 ؛ *البيان*، 4 : 50 ؛ *نظم الجمان*، 66 ؛ هويسي ميراندا، *علي بن يوسف*، ص، 153 ـ 157 *ووقعة أقليش*، ص. 115 ـ 130).

عزل تميم عن ولاية غرناطة سنة 503 / 1109 لما جاز علي ابن يوسف إلى الأندلس جوازه الثاني الذي كان الغرض منه فتح مدينة طلبرية، وعين واليا على تلمسان مدة تراوحت بين سبع وثمان سنوات على اعتبار أن ابن عذاري جعل تاريخ عزل تميم عن غرناطة سنة 504 هـ / 1110 م (*البيان*، 4 : 56). ويهمنا أن تميما كان واليا على بلنسية عام 511 هـ / 1117 م (*القرطاس*، ص. 164). ثم عين سنة 515 هـ / 1121 م على ولاية غرناطة والأندلس بأجمعها بعد ثورة أهل قرطبة على الوالي المرابطي أبي يحيى بن رواده (*الحلل*، 70 ـ 71 ؛ *نظم الجمان*، 32).

استمرت ولاية تميم على غرناطة سنة كاملة ثم عينه أخوه علي بن يوسف على إشبيلية سنة 516 هـ / 1122 م ثم عزله عنها بعد سنة وأربعة أشهر (*البيان*، 4 : 67). وفي سنة 519 هـ / 1125 م عين مجدداً على غرناطة وهي السنة التي قام خلالها ألفونسو المحارب ملك أراغون بالهجوم على كل بلاد الأندلس في حملة دامت ثلاثة عشر شهراً اتجه خلالها نحو غرناطة بدعوة من النصارى المعاهدين (*الإحاطة*، 1 : 110 ؛ *البيان*، 4 : 70 ـ 71 ؛ *الحلل*، 93 ـ 94).

وفي سنة 520 / 1126 عزل تميم عن إمارة الأندلس من قبل أمير المسلمين علي بن يوسف بعد أن ساءت علاقته بأهل غرناطة. فقد ورد في كتاب *الحلل* أن القاضي أبا الوليد بن رشد لما قدم إلى مراكش في هذه السنة سعى إلى السلطان المرابطي في غرضين : أولهما تغريب النصارى المعاهدين وإخراجهم من ديارهم بسبب ما صدر منهم من الإعانة للفونسو المحارب ملك أرغون في حملته على الأندلس وثانيهما عزل الأمير تميم عن ولاية الأندلس (*الحلل*، ص. 98).

ويرجع السبب فيما وصلت إليه العلاقة بين أبي طاهر تميم وأهل غرناطة إلى ما نسبوه إليه من تقاعس في مواجهة حملة الفونسو المحارب، ذلك أنه لما تحركت جيوش أراغون من وادي آش Guadix في اتجاه غرناطة خرج الأمير تميم على رأس جيوشه للقاء العدو فمشى مسافة أميال ثم صدر إلى المدينة فظهرت طلائع جيوش العدو في غد صدوره إليها (*البيان*، 4 : 70) وبعد أن أقامت الجيوش الأراغونية ما يقرب من عشرة أيام بضواحي غرناطة دون مواجهة مع الجيوش المرابطية ارتحلت إلى الجبال المجاورة فتعقبها الأمير تميم حتى حصن أرْنِسُولْ Arnizol إلى الجنوب من غرناطة. وحدث أثناء ذلك أن أمر تميم برفع خبائه من وهدة كان فيها

إلى ربوة عالية فأساء الناس به الظنون وأخذوا في الفرار واختل أمر جيوشه (*البيان*، 4 : 71)

عين الأمير تميم واليا على مدينة فاس بعد عودته من الأندلس واستمر في شغل هذا المنصب إلى أن عزله السلطان علي بن يوسف وولى مكانه محمد بن يزول سنة 523 هـ / 1129 م (*البيان*، 4 : 78). فيكون بذلك كل من ابن أبي زرع والناصري قد جانبا الصواب حين جعلا تاريخ وفاة تميم سنة 520 هـ / 1126 م (*القرطاس*، 124 ؛ *الاستقصا*، 2 : 68). وقد انقطعت أخبار تميم من مختلف المصادر المتداولة بعد تاريخ عزله عن ولاية فاس وهو ما يرجح أن يكون تاريخ وفاته بعد ذلك بقليل.

ابن الكردبوس، *تاريخ الأندلس*، مدريد، 1971 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، الدار البيضاء، 1954 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ج. 4، بيروت، 1983 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، ج. 1، القاهرة، 1973 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، بيروت 1990 ؛ هويسي ميراندا، *علي بن يوسف وأعماله بالأندلس*، مجلة *تطوان*، العدد 3.4، 1958 ؛ "*وقعة أقليش ومصرع دون شانجة*"، مجلة *تطوان*، العدد الثاني، 1957.

حسن حافظي علوي

التميمي، أسرة عربية نابهة دخلت بلاد المغرب والأندلس في وقت مبكر ربما يرجع إلى عهد الفتح الإسلامي. ومن أوائل رؤسائهم المذكورين في التاريخ الأغلب بن سالم التميمي، من دعاة العباسيين طبقة أبي مسلم الخراساني. وجهه أبو جعفر المنصور العباسي إلى افريقية ليضبط شؤونها ويطارد الخوارج الملتجئين إليها. وهو والد إبراهيم بن الأغلب رأس الامارة الأغلبية التي حكمت افريقية وصقلية نحو قرن ونصف قرن.

ذكر ابن خلدون أن سلف التميميين كانوا في المهدية من جملة أجناد بني تميم إلى أن انتقل منهم علي بن إبراهيم إلى تونس لخدمة السلطان الحفصي المستنصر محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص (647 - 675 / 1249 - 1277) فقلده خطة القضاء واستعمله على كتابة علامته في الرسائل والأوامر الكبرى والصغرى، كما أسند إلى ولده محمد بن علي التميمي قضاء تلمسان. ولما استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان أعجب بشخصية قاضيها التميمي وسعة أفق علمه، فاختصه بتعليم ولده أبي عنان وتأديبه. وهكذا دخل هذا الفرع التميمي إلى فاس. وعاش فريق آخر من التميميين قبل ذلك في تاهرت، ومنها انتقل بعضهم في القرن الخامس (11 م) إلى فاس ثم إلى سبتة. وقد نجب من التميميين عدد وافر من الفقهاء والأدباء تولوا أسمى المناصب من وزارة وحجابة وكتابه وقضاء في كل الحواضر التي عاشوا فيها.

محمد حجي

التميمي، محمد بن **الحسن** بن عتيق بن الحسن بن محمد بن حسن بن منصور الجنب. أصله من المهدية بإفريقية، وسكنت أسرته مراكش، وعرفت بخدمة الموحدين، وقد تسلسل القضاء في أسرته. عين قاضيا بكل من شريش بالأندلس، وأغمات أُوريكة، كما ولي بمراكش خطة قضاء المناكح.

وتوفي بمراكش سنة 650 هـ ودفن بجبانة باب تاغزوت، واحتفل الناس لشهود جنازته وأثنوا على صلاحه.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بن شريفة، الرباط، 1984، 8 : 286؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ط. الرباط، 4 : 552.

التميمي، محمد بن **عيسى** بن حسين السبتي، ويعرف بابن الدقاق. أصل أسرته من تاهرت، ومنها انتقل جده إلى مدينة فاس، وبها ولد سنة 428 هـ، ثم انتقل مع أبيه إلى سبتة وهو شاب، وبها درس على عدد من العلماء، فلازم الشيخ أبا محمد المسيلي وتفقه عليه وعلى أبي عبد الله بن العجوز. ثم رحل إلى أشبيلية طلبا للعلم، فأخذ الأدب عن أبي بكر بن القصيرة، وبعد رجوعه إلى سبتة تقلد خطة الشورى في أخريات أيام سكوت البرغواطي. ثم عاود الرحلة إلى الأندلس طلبا للمزيد من العلم مرتين، كانت إحداهما إلى ألمرية سنة 480 هـ، فسمع من أبي عبد الله بن المرابط صحيح *البخاري*، وأجاز له أبو العباس العذري الدلائي.

أما رحلته الثانية فكانت إلى قرطبة سنة 488 هـ، وفيها سمع من بعض العلماء كأبي علي الجياني وابن الطلاع وأبي عبد الله بن فرج وأبي مروان بن سراج وأبي الحسن العبسي. وقد أقام بقرطبة نحواً من عامين.

وقد أكثر التميمي من الاتصال بالعلماء والأخذ عنهم، فسمع من ابن سعدون وأبي القاسم الباجي وابن وضاح، والقاضي أبي علي الصدفي عند مروره بسبتة راجعا من المشرق.

أصبح التميمي بفضل توسعه في طلب العلم من أجل شيوخ سبتة، وكان حافظا، عارفاً بالفقه حتى اعتبر إمام المغرب في وقته، كما كان مليح الخط والكتابة والمحاضرة.

درّس الفقه بسبتة، فتفقه عليه عدد كبير من فقهائها، ومنهم جماعة من العلماء أمثال قاضي الجماعة في العصر المرابطي عبد الله بن منصور اللخمي، وقاضي سبتة أبو اسحاف بن يربوع، والفقيه أبو بكر بن صلاح، والفقيه أبو عبد الله ابن قاسم، والفقيه أبو علي بن سهل، وأبو محمد ابن شبونة وقاضي سبتة محمد بن عبود التنوخي، والفقيه المؤرخ محمد بن حمادة البرنسي صاحب *اختصار المدارك* الذي ذكره فيه وبالغ في الثناء عليه.

أما أكثر تلاميذه ملازمة له فهو القاضي عياض الذي ناظر عليه في *المدونة والموطأ*، وسمع منه عدداً من مصنفات الحديث، وذكره على رأس شيوخه في *الغنية*.

وقد اشتهر علمه وذاع صيته، فرحل إليه طلاب العلم من مختلف البلدان، حتى قال عنه تلميذه محمد بن حمادة: "ولم يكن في قطر من الأقطار بعد يحيى بن يحيى من

حمل عنه الناس أكثر منه ولا أكثر نجابة من أصحابه، وما منهم أحد إلا قدم للقضاء والشورى" (*ترتيب المدارك*، 8 : 200).

وعرف عنه تضلعه في الفقه المالكي، فكان أحفظ الناس للمسائل، لذلك اعتمد عليه عدد من القضاة في الفتوى، وكانت الأسئلة تأتي إليه من قاضي الجماعة ابن حمدين بقرطبة، ومن القاضي ابن شبرين من أشبيلية، ومن قاضي فاس ابن الملجوم وغيرهم.

وقد جمع إلى سعة العلم نبل الأخلاق وحسن العشرة، فكان شديد الاهتمام بتلاميذه كثير السؤال عنهم والمواساة لهم، كما كان عميق التدين كثير الإقبال على الصدقة وأعمال البر، إلى جانب اهتمامه بالمظهر والتأنق في اللباس والسمت الحسن حتى سمي بالفقيه العاقل، وقد جلب له كل ذلك حب الناس فحظي بتعظيم الخاصة والعامة.

ولي قضاة سبتة نحو ست سنوات، ثم طلب إعفاءه من ذلك لأسباب لم تذكرها المصادر، وطال إلحاحه فأُعفي سنة 496 هـ، وخلال مدة قضائه أشرف على توسيع جامع سبتة، وزاد فيه مقدار الثلثين.

وبعد تركه للقضاء بقي مشاوراً بسبتة لقاضيها أبي القاسم المعافري، إلى أن عرض عليه قضاء مدينة فاس فرفض، وسجن من أجل ذلك فقبله سنة 503 هـ، وخلال مدة قضائه بفاس أشرف على الزيادة في جامع القرويين حيث زيد فيه الباب الغربي الذي أصبح يعرف بعد بباب العدول.

وقد كان التميمي مدة قضائه نزيها محمود السيرة حريصا على إقامة العدل إلى أن توفي في جمادى الأولى سنة 505 هـ بسبتة، وخصص له أهلها جنازة حافلة "وولعت العامة بنعشه مسحا بالأكف ولمساً بأطراف الثياب تبركاً به". (*الغنية*، 29).

القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، تح. سعيد أعراب، الرباط، ج 7: 42 ؛ *الغنية*، تح. ماهر جرار، بيروت، ط. 1، 1982، ص. 27. 29 ؛ ابن حمادة البرنسي، *مختصر المدارك*، ملحق بالجزء 8 من *ترتيب المدارك* لعياض، تح. سعيد أعراب، المحمدية، 1983، ص. 199 ـ 201 ؛ ابن بشكوال، *الصلة في تاريخ أئمة الأندلس*، القاهرة، 1966، ج 2 : 605 ؛ ابن الأبار، *المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي*، القاهرة، 1967، ص. 101 ؛ *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة، 1955، ص. 372 ؛ الجزنائي، *جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، الرباط، 1967، ص. 65 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ج 1 : 252 ـ 254 ؛ أ. المقري، *ازهار الرياض في أخبار عياض*، ج 3، تح. مصطفى السقا وآخرين، المحمدية، 1980، ج 3 : 159 ؛ شمس الدين الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تح. بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، بيروت، 1984، ج 21 : 266 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، بيروت، 1349، ص. 124.

محمد المغراوي

التميمي، محمد بن **قاسم** بن عبد الرحمن بن عبد الكريم. تدل نسبته على أنه عربي ينتمي إلى قبيلة تميم، مثله في هذه النسبة مثل معاصره عبد الواحد المراكشي التميمي مؤلف *المعجب*، ولا نعرف متى نزل أهله بمدينة فاس، ويبدو من معرفته الكبيرة بأعلام هذه المدينة وتاريخها أنه فاسي عريق. لم يذكر الذين ترجموا له تاريخ ولادة، ونقدر بناء على بعض القرائن أنه قد يكون ولد في العقد الثالث من القرن السادس الهجري.

كان أول شيخ جلس بين يديه لتلقي العلم في فاس ـ بعد أن حفظ القرآن الكريم ـ هو العالم المصلح القاضي العادل أبو عبد الله محمد بن علي المعروف بابن الرمّامة (ت.567 هـ) وقد أخذ العلم عن غيره من أئمة العلم في فاس يومئذ كأبي إسحاق إبراهيم ابن قرقول (ت. 569 هـ) وأبي الحسن علي بن أحمد بن حنين (ت. 569 هـ) وأبي الحسن علي بن الحسن اللواتي (ت. 573 هـ) وأبي الحسن علي بن موسى المعروف بابن النقرات (595 هـ).

وأبرز هؤلاء الشيوخ بعد ابن الرمامة هو ابن حنين الذي غلبت عليه هذه الشهرة "لتجديده مسجداً منسوباً لابن حنين والتزامه الإمامة به والتدريس فيه ستا وستين سنة".

ولم يكتف التميمي بما قرأ وروى عن هؤلاء الشيوخ في مدينة فاس وطمحت نفسه إلى المزيد من الرواية فقصد مدينة سبتة وأخذ العلم عن اثنين من كبار علماء الحديث بها وهما أبو عبد الله محمد ابن الغازي صاحب القاضي عياض وتلميذه (ت. 591 هـ) وأبو محمد عبد الله ابن عبيد الله الحجري (ت. 591 هـ).

إن أبرز شيء في حياة التميمي هو رحلته إلى المشرق وإقامته الطويلة فيه، فقد حجّ وأقام ببلاد المشرق خمسة عشر عاماً ولقي خلال إقامته وفي طريق ذهابه وإيابه عدداً كبيراً من أهل الحديث، إذ كان منذ بدايته مولعاً به وأصبح لذلك "محدثا حافظا ذاكرا للحديث ورجاله وتواريخهم وطبقاتهم.. وحدث بالمشرق والمغرب".

وقد بلغ عدد شيوخ العلم الذين أخذ عنهم نحو مائة شيخ ذكرهم بتفصيل في برنامج سماه : *النجوم المشرقة، في ذكر من أخذنا عنه من كل ثبت وثقة*، ويبدو أنه شعر بطول هذا البرنامج فاختصره في مجلد لطيف، وقد وقف المؤرخ المحدث ابن عبد الملك المراكشي على هذا *البرنامج المختصر* ونقل عنه معظم أسماء المحدثين الذين روى عنهم التميمي في الأمصار الإسلامية التي مرّ بها أو أقام فيها بالحجاز ومصر وليبيا وتونس.

ولما رجع التميمي إلى فاس أقبل على بث العلم الذي اكتسبه في صدور الرجال وتدوينه واحتفل بتدوينه في بطون الكتب، وقد ذكر ابن عربي الحاتمي في *الفتوحات المكية* أن التميمي كان يؤم بالناس ويلقي دروسه في المسجد الأزهر الموجود في الحي المعروف بعين الخيل وهو مسجد لايزال قائم الذات ويصعد إليه بدرج كما يقول الأستاذ المرحوم محمد الفاسي.

لقد حدث التميمي بالمشرق والمغرب، وروى عنه الحديث جماعة منهم أبو الحسن علي الشلطيشي وأبو عبد الله

محمدابن مجبر التجيبي السبتي وأبو العباس أحمد بن أبي الربيع بن ناهض وأبو مروان عبد الملك التوزري المعروف بابن الكردبوس مؤلف كتاب *الاكتفاء في أخبار الخلفاء*، وقد لقيه التميمي بالاسكندرية وسمع منه *الموطأ* ثم لقيه بتونس وأخذ عنه أيضا بها.

وممن أخذ عن التميمي بفاس الشيخ محيي الدين ابن عربي كما سبق ذكره، فقد روى عنه في *الفتوحات المكية* (4 : 541) خبراً يتعلق بأبي عبد الله الدقّاق وقال : "خرج مناقبه شيخنا أبو عبد الله ابن عبد الكريم المذكور آنفاً في كتاب *المستفاد، في ذكر الصالحين والعُبّاد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد*". وروى عنه في *الفتوحات* أيضا (4 : 549) حديثا سمعه منه بمدينة فاس سنة 591 هـ وحديثاً آخر سمعه منه بالمدينة نفسها سنة 594 هـ.

وقد وجدت البلوي مؤلف كتاب *ألف با* يسوق في كتابه هذا (2 : 395) حديثاً مسلسلاً يرويه التميمي فلعله ممن أخذ عنه بالاسكندرية أو لقيه بالأندلس. ومن تلاميذ التميمي الذين لم يذكرهم ابن عبد الملك ابن فرتون الفاسي مؤلف كتاب *الذيل* فقد ذكره في هذا الكتاب وقال فيه : "شيخنا الحاج محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمي" ونقل عن كتابه *المستفاد*.

وإذا كان ابن عبد الملك المراكشي لم يتتبّع عدد الآخذين عن التميمي فإنه عنى بإثبات معظم مصنفاته فذكر منها ما يلي :

1 ـ *كتاب المستفاد، في مناقب العباد، بمدينة فاس وما يليها من البلاد*. وهو يقع في سفرين. 2 ـ *أدب المريد السّالك، والطريق إلى الواحد المالك*. 3 ـ *رسالة البرهان، في ذكر حنين النفوس إلى الأحبة والأوطان*. 4 ـ *اللمعة، في ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده السبعة*. 5 ـ *الإنابة، في ذكر طريق أهل الاستجابة*، وهو يقع في جزأين. 6 ـ *الإيضاح، عن طريق أهل الصلاح*. 7 ـ *كشف أحوال المفتونين، عن الدنيا بالدين*. 8 ـ *بستان العابدين، وريحان العارفين، في ذكر أهل الصفوة، والانقطاع إلى الله بالخلوة*. 9 ـ *التعزية، في المصائب والرزية*. 10 ـ *الأغذية، مما جاء في الحديث*. 11 ـ *تحفة الطالب، ومنية الراغب، في الأحاديث النبوية، العلية السنية*. 12 ـ *المنتقى من بهجة المجالس*. ويبدو أنه اختصار لكتاب ابن عبد البر الذي اختصره أيضاً بعد التميمي أبن ليون التجيبي. 13 ـ *زاد الحاج*. وهو في مناسك الحج. 14 ـ *الأربعون حديثا*. وقد أنهى ابن عبد الملك هذا التعداد بقوله : "إلى غير ذلك.." وهي عبارة يفهم منها أن للتميمي مصنفات أخرى غير التي ذكرها.

ومهما يكن من أمر فإنه لم يصل إلينا من مصنفات الرجل إلا قطعة من الكتاب الأول الذي هو *المستفاد*. أما المؤلفات الأخرى فهي مع الأسف ممّا ضاع من تراثنا المغربي القديم "وهذا ـ كما يقول الأستاذ المرحوم محمد الفاسي ـ أقصى ما يمكن أن يبلغ إليه الإهمال وعدم الاكتراث، عفا الله عن سلف أمتنا". وقد كاد الاهمال وعدم الاكتراث يسلب التميمي أشهر تآليفه الذي هو *المستفاد*، إذ نسبه عدد من المؤلفين إلى محمد بن علي الفندلاوي وهو عالم فاسي كان معاصراً للتميمي.

ونظراً لضياع مصنفات التميمي فإن كل ما يمكن معرفته عنها هو ما تدل عليه عناوينها، فبعضها ـ حسب ذلك ـ في الحديث النبوي والسيرة النبوية والطب النبوي والأدب النبوي ومناسك الحج، وبعضها الآخر ـ وهو معظمها ـ في التصوف وما يرجع إليه، ويعتبر *المستفاد والبرنامج المختصر* الوحيدين من كتب التميمي الذين ورد وصفهما أو النقل عنهما في بعض المصادر ؛ فقد وقف ابن الأبار على *البرنامج المختصر*، وذكر ابن عبد الملك أنه وقف كذلك على نسخة من هذا المختصر بخط التميمي نفسه. وأما كتاب *المستفاد* فقد ذكره ونقل عنه عدد من المؤلفين، ووصل إلينا لحسن الحظ جزء صالح منه يشتمل على 80 ترجمة، وجميع المترجمين هم من العبّاد، وفيهم المشهورون مثل أبي يعزى وأبي مدين، وفيهم المغمورون وهم الأكثرون عدداً، وكلهم عاشوا زمنا قل أو كثر في مدينة فاس، وقد عرف التميمي عدداً كبيراً منهم وخالطهم في فاس وغيرها.

وإذا كان هذا الكتاب يعرفنا بالزهاد والعباد الذين عاشوا في فاس في القرن السادس الهجري فإنه يعرفنا أيضا بالتوجه الصوفي للتميمي وهو التوجه الذي كان له من بداية حياته إلى نهايتها، يقول في ترجمة أبي يعزى : "رأيته بمدينة فاس وصل إليها وأنا إذ ذاك صغير، فحملني إليه والدي ودعالي وجريده على رأسي، ثم لما كبرت سافرت إليه إلى موضعه مع جماعة من المريدين".

وقد تعلق التميمي بهذا الشيخ ذي المناقب والأحوال العجيبة، وسافر للقائه في مراكش لما استدعي الشيخ إليها، وأراد أن يلازمه في إروكان فلم يوافقه الشيخ، قال : "وفي وقت إقامتي عنده أخذتني حالة فبُغّضت إلي الدنيا، وكرهت الرجوع لموطني، وقلت لا أدخل مكانا عصيت فيه ربي، وعزمت على ذلك، فقال لي الشيخ : لا يمكنك ذلك لأن لك والدة والمقام معها وبرك بها أفضل، فامتنعت من ذلك وبكيت فعزم علي فرجعت"، ومن كبار شيوخ التصوف الذين تأثر بهم : أبو الحسن علي بن حرزهم فقد أدركه واختلف إليه كما يقول في *المستفاد* وقال إنه لم يخلفه مثله في الكلام على *الرعاية* للمحاسبي.

ومن مظاهر التوجه الصوفي عند التميمي أيضا أنه كان منذ صغره يتأبط *رسالة القشيري* وقد ذكرها في *المستفاد* أكثر من مرة، قال في ترجمة أبي مدين الغوث :

"وفي أول اتصالي به أتيته في منزله فوجدته وحده فأدخلني في البيت فأخرجت كتاب *الرسالة* للقشيري فقلت له ياسيدي أريد أن أقرأ عليك هذا الكتاب فقال لي : أنت صغير ويطول عليك الكتاب لكن اعمل بحديث واحد وقد حصل لك جميع الكتاب والعمل به فقلت له وما ذاك ؟ فقال لي : قال النبي صلى الله عليه وسلم : حب الدنيا رأس كل خطيئة. فازهد فيها واتركها تنلْ فضيلة هذا الحديث وان عملت به كفاك".

وقد بدا توجه التميمي الصوفي واضحاً خلال رحلته وسياحته الصوفية وجواره بمكة المكرمة، ويبدو أن رحلة التميمي إلى المشرق كانت بعد وفاة شيخه ومربيه أبي يعزى التي كانت عام 572 هـ بل إنها كانت بعد عام 575 هـ أو خلالها لأنه يخبرنا في *المستفاد* أنه لقي المهدوي بفاس في هذا العام.

وقبل رحلته بنية الحج بشّره بذلك الشيخ الصالح المقرئ أبو عبد الله التاودي قال في ترجمته : "ومشيت إليه يوماً زائراً فوجدته في الكتّاب مع الصبيان، فقال لهم : سلّموا على عمكم الحاج ففعلوا ذلك، فقلت له : ما هذا ؟ فقال لي : هذا وقع بسرّي، فقلت لعل الله يفعل ذلك، فما أقمت إلا قليلا وخطر ببالي المسير إلى الحج ويسّر الله ذلك بمنه" وقد كان هذا قبل سنة 577 هـ لأنه ذكر في ترجمة أبي يدّو ما يلي : "كنت اجتمع مع أبي يدّو عند الشيخ أبي مدين رحمه الله بمدينة فاس حرسها الله تعالى، ثم خرج من مدينة فاس إلى المشرق لأداء حجة الفريضة فأداها ثم استوطن بمدينة الاسكندرية فلما مشيت إلى المشرق اجتمعت به وكنت أزوره، وتوفي رحمه الله بالاسكندرية وحضرت جنازته وذلك في عام 577 هـ أو بعد ذلك أشك في ذلك".

ونقدّر أن بداية رحلته كانت خلال سنة 575 هـ وهذا ما يستفاد من كلام له يقول فيه : " لما مشيت للمشرق كنت قد ريّضت نفسي على الصبر والاحتمال لأني قلت إني أتغرب وأدخل بلاداً لا أعرف فيها، فلما وصلت الاسكندرية أقمت بها أشهراً في المدرسة عند الإمام الحافظ السلفي وتأدبت بأدب الذين رأيت هناك من المصريين وأهل الشام والعراق والعجم، فلما توفي الحافظ رحمه الله خرجت إلى مكة". ومن المعروف أن وفاة الحافظ السلفي كانت "خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين وخمسمائة".

ولا بأس أن نورد بقية كلامه لما له من دلالة على تصوفه وطبيعته المغربية : "وكنت ألقى طلبة العلم والعلماء والصوفية في كل بلد أدخله حتى وصلت إلى مكة ودخلتها وفي رأسي نخوة الصوفية وقلت : ماتت نفسي، فدخلت يوماً إلى زمزم وبيدي ركوة فيها شربة وذلك في أيام الموسم فوجدت على البير جماعة من المشرق هم من اليمن وليس عندهم بما يستقون من الماء فلما ألقيت الركوة في البير ورفعتها أخذها أحدهم فشرب ثم ناولها آخر فشرب ثم آخر حتى فرغت فألقيتها في البير مرة ثانية ورفعتها فلما وصلت فم البير أخذها أيضا أحدهم فشرب ثم أعطاها لصاحبه ثم دارت بينهم حتى فرغ الماء فألقيت بها مرة ثالثة وقد خالطني الغضب ولست أدري أين أنا مما غلب علي من الغضب، فلما طلعت الركوة وحصلت على فم البير أخذها أحدهم فشرب فلما أزالها عن فيه خطفتُها من يده وضربته بها على وجهه، وبالله ما عرفت ما صنعت ولا أين كنت، فما انتهرني ولاسبني وما زاد على أن قال لي : يا حاج أو في مثل هذا الموضع تصنع هذا وأنا وأنت ومَنْ حضر هنا ضياف الله فكيف تصنع هذا بضيفه في بيته ؟ فرجع إلي عقلي وألقيت بنفسي على رجله أقبلها وقلت له : اجعلني في حل، فقال لي : غفر الله لك وجعلك في حل مما صنعت".

لقد ذكرنا قبل أن التميمي كان مولعاً بطلب الحديث ولقاء رجاله ولكن ولعه بالتصوف وأهله ـ كما رأينا ـ هو الغالب عليه، قال في ترجمة ابن الحداد تلميذ ابن حرزهم : "ولما اجتمعت به بمكة بعد قضاء الحج رآني أتكلم في أمر السفر فقال لي : إلى المغرب ترجع لأجل الوالدة ؟ قلت له : إنما أريد العراق، فقال لي : ما كان الظن بك هذا، تأتي إلى بيت الله ثم تتركه وتمشي إلى العراق ما أرى نيتك كانت خالصة لهذا البيت، إنما جئت لترى البلاد وتتنزّه فيها فيكون حظ نفس عاجل وما أعتقد فيك ذلك، فنبّهني على قبح ذلك الخاطر الذي خطر لي مع أني ما كنت أريد دخول العراق إلا للقاء العلماء وأهل الحديث، وعلمت أيضا أن الحق في الذي قال لي، وما كان ذلك الخاطر إلا خاطر طرد عن الحرم الشريف".

ولعلّ ممّا يدل على أن التصوف تغلب على الحديث عند التميمي ما لاحظه أصحاب النقد الحديثي عليه، فقد قال ابن الأبار فيه : "ولم يكن بالضابط وقفت بخطه على أوهام وأغلاط" وقال ابن عبد الملك : "ولم يكن في ضبطه بذاك".

هذا هو التميمي الفاسي الذي نعتبره المؤسس السابق لأدب المناقب في المغرب والثاني اللاحق به هو التادلي مؤلف *التشوف*، وثالثهما عبد الحق البادسي، فقد توفي الأول آخر سنة ثلاث وستمائة أو في أول سنة أربع وستمائة وتوفي الثاني سنة سبع أو ثمان وعشرين وستمائة وعاش الثالث فيما يبدو إلى ما بعد هذا التاريخ.

م. التميمي نفسه، *المستفاد*، قطعة مخطوطة ؛ م. ابن الابار، *التكملة*، 682، ط. 1956 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 8 : 352. 356 ؛ م. ابن عربي، *الفتوحات المكية* ؛ م. ابن عيشون، *الروض* (نسخة مرقونة من إعداد زهراء النظام) ؛ ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أ. التوفيق ؛ م. بنشريفة، *حول كتاب المستفاد*، *دعوة الحق*، عدد 259 ؛ م. الفاسي، *التميمي والفندلاوي*، *دعوة الحق*، عدد 262.

محمد بن شريفة

التميمي، محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن عبد الله أبي عمرو، فقيه مشارك، أخذ عن والده القاضي وغيره من علماء فاس وتربى لحسن حظه مع الأمير أبي عنان المريني ونسب إلى جده الأعلى فدُعي محمد بن أبي عمرو، وحظي منذ صغره بما يوفره البلاط المريني من امتيازات وأسباب الرفاهية مما لم يحلم به كثير من متعلمي ذلك العصر، حتى إذا شب وصلب عوده اصطفاه السلطان أبو عنان لما تولى حكم البلاد (749-759 هـ / 1348-1358 م) "وجعله من أقرب مقربيه وأخلص خلصائه ورقاه من منزلة إلى أخرى، حتى إذا أوفى به على سائر المراتب، وجعل إليه العلامة والقيادة والحجابة

والسفارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر ألقاب دولته وخصوصيات داره، فانصرفت إليه الوجوه ووقف ببابه أشراف من الأعياص والقبائل والشرفاء والعلماء، وسرب إليه العمال أموال الجباية تزلفاً وتقرباً إليه لقضاء حاجة أو للظفر بالتفاتة" (*العبر*، 7 : 607).

تؤكد أهمية هذه المناصب مدى قوة شخصية ابن أبي عمرو وحضوره السياسي لدرجة أصبح معها الرجل القوي الذي يعتمد عليه السلطان أبو عنان في كل أمور دولته "فكان في الحضرة الفاسية الناهي الآمر، والراكب من أفراس تدبيرها الجسيم لا الضامر" (مستودع، 36) ومن الأمور الحسنة التي تنسب إليه أنه لعب دوراً إيجابياً في رأب الصدع الذي وقع على إثر ثورة أبي عنان على والده السلطان أبي الحسن، فاستطاع بنفوذ شخصيته وذكائه، تحسين العلاقات بين الأب وابنه ونسيان سلبيات الماضي ليعترف الأول بمتغيرات الواقع السياسي الجديد ويتخلى لابنه عن السلطة.

وعندما كان أبو عنان يتخذ من تلمسان قاعدة لتوجيه حملاته العسكرية إلى كل من المغرب الأوسط وتونس، كانت تقوم بين الفينة والأخرى ثورات محلية معارضة للوجود المريني، من أخطرها ثورة أهل بجاية بزعامة الحاجب فارح مولى محمد بن سيد الناس التي انتهت سنة 753 / 1352 بمقتل عمر بن علي الوطاسي عامل أبي عنان على المدينة. وقد دفعت خطورة هذه الأحداث السلطان إلى اختيار الحاجب محمد ابن أبي عمرو التميمي على رأس قوة عسكرية مكونة من خمسة آلاف فارس لإخماد ثورة بجاية والقضاء على زعمائها، حتى إذا تمكن من تحقيق ذلك عينه أبو عنان خليفة له على بجاية سنة 754 هـ فكان مدة ولايته بها حميد السيرة عادلا بين الناس كما شهد بذلك ابن خلدون الذي كان من بين المرافقين للحاجب ابن أبي عمرو إلى بجاية وقد حصل بدوره على الخُلع والجوائز من السلطان، كما وعده بتجديد الإقطاعات التي كانت لقومه ببلد بجاية، ومن غير المستبعد أن يكون أبو عنان قد أوصى حاجبه التميمي بالاهتمام بابن خلدون والإبقاء على الامتيازات المادية والمعنوية لأسرته.

استمر ابن أبي عمرو على بجاية مدة عامين ثبّت خلالها الوجود المريني بالمنطقة وحارب المتمردين بها أو بالمناطق المجاورة خاصة قسنطينة إلى أن وافته المنية سنة 756 هـ / 1355م، فنقل السلطان نعشه إلى مقبرة والده القاضي محمد التميمي بتلمسان حيث دفن بجواره.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7 : 597، 601، 603. 610 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً*، تح. محمد بن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951 ؛ ابن الأحمر، *مستودع العلامة*، تح. محمد التركي ومحمد بن تاويت، تطوان، 1964، ص 36، 37 ؛ *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص 28 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. محمد الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1971، 2 : 265 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 3 : 184. 186.

التميمي، محمد بن محمد بن أحمد سابق الترجمة، يكنى أبا الفضل. فقيه أديب حيسوبي، وسياسي محنك قال في حقه لسان الدين ابن الخطيب : "حامل العلوم التي سد بها الذرائع، والمطيل لسانه في حفظ علوم الشرائع، المستولي على المعرفة بالفقه والفرائض، ومذلل جماح جياد الأصول إذ لم يزل لها براثض، وأستاذ العربية والحساب ..." (*مستودع العلامة*، 38).

تولى الحجابة والكتابة للسلطان المريني أبي فارس موسى بن أبي عنان في مدة حكمه ما بين 786 / 1384 و788/ 1386، وكأنه ورث منصب الحجابة والكتابة عن أبيه.

وعن بداية تولية أبي الفضل لشؤون الحجابة تشير المصادر إلى أن السلطان موسى بن أبي عنان لما بسط نفوذه على المغرب الأقصى بعد إقصائه لسلفه أبي العباس أحمد بن أبي سالم ونفيه إلى الأندلس، كانت له رغبة أكيدة في التخلص من استبداد حاجبه ووزيره مسعود بن ماساي الذي كان يعتبر الآمر الناهي في أمور البلاد والرجل القوي في الحكم، مما جعل السلطان موسى يفاوض كاتبه أبا الفضل التميمي في تنحية ابن ماساي ويقربه هو إليه "فاستخلصه للشورى، ورفعه على منابر أهل الدولة، وجعل إليه كتابة علامته على المراسم السلطانية، كما كان لأبيه، وكان يفاوضه في مهماته ويرجع إليه في أموره" (*العبر*، 7 : 751) وكان يبعثه في مهام سفارية إلى الأندلس عند بني الأحمر ملوك غرناطة.

لكن هذه الحظوة لم تجعل أبا الفضل في منأى عن المؤامرات والدسائس التي أصبح مستهدفاً لها من طرف كثير من أعدائه وخصومه كمسعود بن ماساي والقاضي إبراهيم اليزناسني اللذين عملا كثيراً على زعزعة علاقة التميمي بالسلطان موسى وزحزحته من موقعه السياسي في الدولة. وفي خضم الأحداث التي تلت وفاة السلطان المريني سنة 788 هـ / 1386 م والتي تميزت بالسرعة والحدة من خلال تولية أميرين على حكم المغرب في فترة وجيزة جداً هما : المنتصر بالله أبو زيان محمد بن أبي العباس بن أبي سالم الذي حكم حوالي ثلاثة وأربعين يوماً فقط تحت استبداد الوزير مسعود بن ماساي، ثم الأمير الواثق بالله أبو زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن الذي بويع بعده في نفس السنة تحت هيمنة ابن الأحمر صاحب غرناطة واستبداد الوزير مسعود. وبعد نشوب النزاع بين صاحب غرناطة والأمير المريني بسبب رغبة الأخير في استرجاع مدينة سبتة من هيمنة غرناطة إلى الحكم المريني، حاول ابن الأحمر ضرب أمراء بني مرين بعضهم ببعض واستغلال الأمراء الفارين إليه لخلق قلاقل وفتن داخل المغرب، هكذا أرسل صاحب غرناطة الأمير المريني المخلوع أحمد بن أبي سالم فاستولى على سبتة وفاس وخلع الأمير أبا زيان ثم بويع البيعة العامة سنة 789 هـ /1387 م واستعاد بذلك حكم المغرب للمرة الثانية، وقد دشن عهده بالانتقام من الذين كانوا وراء خلعه وتآمروا ضده أثناء ولايته الأولى التي

امتدت من 776 / 1374 م إلى 786 / 1384 م، واعتقل الوزير مسعود بن ماساي وقتله بعد تعذيبه وامتحان أهله وحاشيته، ثم اعتقل أيضاً أبا الفضل التميمي لموقفه منه خلال فترة نفيه بالأندلس إذ كان يمر عليه في بعض سفرياته عن سلطانه موسى بن أبي عنان إلى غرناطة ولا يهتم به ولا يقوم بتحيته، فأسرها أحمد في نفسه إلى حين عودته إلى المغرب واسترجاع ملكه لينتقم من التميمي ويعتقله. وقد أمر بتعذيبه وضربه بالسياط إلى أن قضى نحبه بالسجن وحمل إلى داره ليدفن، لكن السلطان إمعاناً في التنكيل بالتميمي أمر بحمله من نعشه وسحبه من حبل ربط في رجله والطواف به في شوارع وأزقة مدينة فاس ثم إلقاء جثته في بعض مزابلها، وكان ذلك سنة 789.

ومن غريب الصدف أن يكون عهد أبي العباس هذا قد شهد مقتل شخصيات لامعة في ميدان الفكر أو السياسة ذهبوا كلهم ضحية المساومات والمناورات أو الاطماع الشخصية، ومن هؤلاء المترجم له محمد بن محمد بن أبي عمرو التميمي، ولسان دين ابن الخطيب والوزير أبو بكر بن غازي ابن الكاس الورتاجني، والوزير محمد بن عثمان بن الكاس والوزير مسعود بن ماساي ثم القاضي رزوق بن توقريطين.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7 : 735، 738، 739، 751، 752 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص 36 ؛ *مسترد ع العلامة*، تح. محمد التركي ومحمد بن تاويت، تطوان، 1964، ص 37، 38 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص 237 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1971، 2 : 276 ؛ *لقط الفرائد، ألف سنة من الوفيات*، 224 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954، 4 : 75.

رشيد السلامي

التمييز، مصطلح عسكري تنظيمي موحدي يتضمن في ما يتضمنه مدلول الاستعراض العسكري وتنظيم الجيش استعدادا للمعركة أو للتنقل.

ويعود ظهوره، لأول مرة، إلى أيام المهدي بن تومرت، حيث قام عبد الله بن محسن البشير، أحد أقطاب الدعوة الموحدية بـ"تمييز" القبائل المخلصة من المشكوك في ولائها للدعوة ولصاحبها . وكانت النتيجة تصفية خمس قبائل حسب ما يذكر البيذق. ولا يماثل هذه العملية في القسوة، إلا ما حدث في بداية عهد الخلافة (544 هـ) لما قام الموحدون بوضع قوائم لجماعات تنتمي لمختلف القبائل فأعدموها. وهذه التصفية الثانية لا يطلق عليها اسم تمييز بل سميت "بالاعتراف".

وعلى هذا، وانطلاقا من قرائن أخرى، يبدو أن التمييز في عهد الأمبراطورية الموحدية لم يعد يتضمن معنى التصفية بل أصبح عملية تنظيمية تتوفر، مع تقدم الدولة ونظمها، على جهاز إداري يتمثل في ظهور "زمام" أو ديوان التمييز الذي يشرف عليه موظف سام يكلف بتنظيم وترتيب العساكر. هذا، ورغم وجود ذلك الموظف فإن عملية "التمييز" تتم دائما بحضور أحد أمراء أو قواد الجيش، أو بحضور الخليفة نفسه وذلك حين الاستعداد للغزوات أو التنقلات الكبرى.

ويستنتج من بعض المصادر أن ديوان التمييز، يهتم كذلك بإحصاء الجنود وتسجيل أسمائهم ورتبهم لضبط مبالغ أرزاقهم. ويذكر ابن صاحب الصلاة أن تمييز العرب وحدهم سنة 566 هـ دام خمسة عشر يوما مما يدل على أن الأمر لا يقتصر على مجرد استعراض بل يتعداه إلى الاهتمام بمختلف الجوانب المادية والبشرية والتقنية لأفراد الجيش الموحدي.

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*... الرباط 1971 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. ع. التازي، بيروت 1964.

رضوان مبارك

تناخة (أهل-) ← الركيبات

تناسة، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انقرضت بتطوان سنة 1126 / 1714 وهي غير أسرة تاناسة المتقدمة الذكر.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias* ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)*, 1932 ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos*.

محمد ابن عزوز حكيم

التناكر، اسم كان يطلق على حي سكني شعبي بالدار البيضاء خلال القرن التاسع واشتهر اسمه بمناسبة تعرض المدينة للقنبلة في غشت سنة 1907 من طرف الأسطول الفرنسي.

كان حي التناكر يقع إلى الغرب من مدينة الدار البيضاء، أي غرب المدينة القديمة. ويمتد من باب مراكش إلى سيدي علال القيرواني. وكانت مساكن الحي في غالبيتها من النوايل المبنية بالقصب والتراب أحياناً. وكان معظم ساكنيه من الطبقة الشعبية الفقيرة التي هاجر أفرادها إلى الدار البيضاء من القبائل المجاورة وكذلك من قبائل بعيدة كسوس وحاحة.

ومن وجهة نظر الأوربيين، كان حي التناكر حي العرب المعوزين، يقابله حي الملاح الذي يسكنه اليهود، والذي كان يقع بالجنوب الشرقي للمدينة. أما المدينة نفسها والتي كانت تحتضن باب مرسى الدار البيضاء، فكانت مقراً لسكنى التجار والموظفين والجالية الأجنبية كما كانت مقراً للقنصليات الأجنبية.

ويبدو أن حي التناكر كان في نظر الأوربيين وخاصة الفرنسيين هو الحي الذي يحتضن المعارضة الوطنية للمشاريع الاستغلالية الأجنبية. يتأكد ذلك من القمع الذي تعرض له السكان خلال حادثة الدار البيضاء المشار إليها.

ففي الصباح الباكر من يوم 5 غشت 1907 أفاق سكان حي التناكر على دوي المدافع تدك حيطان مساكنهم وألسنة النيران تلتهم نوايلهم، ذلك أن قائد البارجة الفرنسية

"غاليلي"، قد أرسل من طنجة إلى الدار البيضاء عقب مقتل تسعة عمال بالمرسى يوم 20 يوليوز، كمقدمة لحملة فرنسية موجهة لاحتلال المدينة ؛ غايتها فيما يبدو إرهاب سكان الدار البيضاء خاصة والمغاربة بصفة عامة، فشرع القائد في صباح ذلك اليوم في قنبلة الدار البيضاء مبتدئاً بحي التناكر الذي هدمت مساكنه وفر من بقي من ساكنيه أحياء إلى البوادي المجاورة. ومن سكان حي التناكر من التجأ إلى أرض عارية غرب حي التناكر، وهي أرض السور الجديد الذي كان الحسن الأول بناه لتتحول إليه الجالية الأجنبية، لكنها فضلت البقاء بالمدينة. وبالسور الجديد ارتكب الأسطول الفرنسي الذي وصل إلى الدار البيضاء يوم 7 غشت مجزرة جديدة في حق سكان الدار البيضاء ومعظمهم من سكان حي التناكر.

ويظهر أنه منذ هذه الكارثة التي حلت بالدار البيضاء سنة 1907 لم يعد لحي التناكر وجود في ظل الاستعمار الفرنسي، كحي شعبي من أحياء الدار البيضاء قريب من المدينة القديمة.

علال الخديمي، *التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب*، 1991.

E. Aubin. *Au seuil du Maroc moderne*, 1948 ; Georges, *Ce que j'ai vu au Maroc, les journées de Casablanca*, 1908.

علال الخديمي

تَنَالْتْ، مجموعةٌ من القرى تكوِّن قسماً من قبائل أيت صواب بالأطلس الصغير، وتبعد عن مدينة أگادير إلى جهة الجنوب الشرقي بحوالي 141 كلم عبر الطريق الممتد نحو بِيُوگْرا وَأيتْ باها وأيت صواب، وبلغ سكان تانالت سنة 1971 حوالي ستمائة أسرة.

تعتبر تَانالت من الناحية الإدارية إحدى قيادات إقليم هشتوكة أيت باها الذي نشأ بموجب التقسيم الإداري الأخير سنة 1994. وهي جماعة قروية مركزية تمثل ثلاث جماعات لا مركزية : تانالت، وتارگانتُوشْكا وأوگْنْ. توجد بها عدة مرافق اقتصادية واجتماعية، منها : سوق أربعاء تنالت وثمان عشرة مدرسة من المدارس العتيقة أكثرها أهميةً مدرسة تنالت العلمية، وقد عرفت ازدهاراً علمياً واسعاً منذ منتصف القرن الثالث عشر (19 م) إلى الآن، وكان الأمر يعود في هذه الشهرة إلى جملة من العلماء الأجلاء من بينهم الحاج محمد اليزيدي (سنة 1283) والحسين التّياسِينْتي وعمر المقرىء الشهير (سنة 1304) وداود الگرسيفي الأسگاوْري، ومحمد بن عبد الله الصوابي (أقاريضي) والحاج عابد البوشواري، والحاج الحبيب التنالتي (1397) ثم الحاج إبراهيم الغازي (1412) وكان عدد الطلبة بهذه المدرسة سنة 1391 هو 130، وسنة 1408 هو 142 طالباً وعدد بيوت الطلبة 120 في هذه السنة الأخيرة، ومعلوم أن تموين هؤلاء الطلبة تقوم به القبيلة من قسط الأعشار والهبات. كما تساعد وزارة الأوقاف ابتداء من السنة المذكورة بمنحة تبلغ أربعين درهماً لكل طالب شهرياً.

التنالتي، محمد الحبيب بن إبرهيم بن عبد الله الإدريسي نسباً البوشواري أصلاً الميلكي الهشتوكي مولداً التنالتي مقاماً. ولد حوالي سنة 1282 / 1866 بقبيلة أيت ميلك إحدى قبائل هشتوكة، وكان والده قد انتقل من قبائل أيت وادريم وتزوج بهشتوكة حيث ولد صاحب الترجمة. حفظ القرآن على يد ثلّة من الفقهاء الأجلاء بهشتوكة أمثال محمد بن عبد السلام الميلكي ومحمد بن العربي المزالي، وأحمد بن محمد نايت لامين، والحاج علي الهلالي وسعيد المغراوي وغيرهم، وأتقن قراءات ورش وقالون والمكي، وأنهى هذه المرحلة الدراسية سنة 1314/ 1896 ثم شد الرحال في طلب العلم إلى جهات كثيرة، فدرس في سوس على العالمين العربي بن إبراهيم الصوابي والحاج عابد ـ عبد الرحمان ـ البوشواري ؛ وقرأ في مراكش على العلماء الطاهر بن محمد الهشتوكي (ازنيض) وأحمد الجيشتيمي ومحمد بن إبراهيم السباعي ؛ وفي تيزنيت على الشيخ ماء العينين ثم على ابنه المجاهد أحمد الهيبة وأخويه الشيخين النعمة ومربّيه ربّه.

وما أن انتهى من تحصيل العلوم في حدود سنة 1322 / 1905 حتى ندب نفسه للعلم والجهاد والتفاني في المصلحة العامة وإنكار الذات، فقرر العزوف عن الزواج والأولاد والأموال وكرس حياته للتدريس بالمدارس العتيقة فترة من الزمن. وعند إعلان الحماية الفرنسية على المغرب في 11 ربيع الثاني 1330 هـ / 30 مارس 1912 م كان محمد الحبيب التنالتي من بين العلماء المشاهير في منطقة سوس وقد هبّ منادياً للجهاد في إطار حركة أحمد الهيبة، وتقدم المجاهدين الهشتوكيين الذين لبوا دعوته لينضم إلى هذه الحركة في تيزنيت ويلتحق بجملة من العلماء المتنورين ممن اصطحبهم الشيخ أحمد الهيبة إلى مراكش بعد أن بايعوه

ليتولى رئاسة الجهاد، أمثال الشيخ المحفوظ الأدوزي والفقيه المؤرخ محمد بن أحمد الإكراري، والأديبين الطاهر ابن محمد الإفراني والبشير بن المدني الناصري، والشيخ علي بن عبد الله الإلغي، والشيخ محمد أُوعَبُّو. وكان الحبيب، في هذه الفترة، مستشاراً خاصاً لأحمد الهيبة، وإلى جانب هؤلاء هناك جماعة من قادة الجهاد البارزين ممن سجلوا صفحات من الكفاح الوطني في مواجهة الاحتلال أمثال القائد الناجم الأخصاصي والقائد سعيد الباعمراني والقائد أحمد الأصباوي والقائد المدني الأخصاصي، وغيرهم.

وقد انطلقت الحركة من تيزنيت بقيادة الشيخ أحمد الهيبة متجهة إلى مراكش ومنها إلى سيدي بوعثمان، وأمام زحف الجنود الفرنسيين هناك واجهت الحركة الجهادية جيوشاً منظمة ومجهزة بأحدث الأسلحة فكانت النكسة، وعاد المجاهدون إلى سوس بعد أحداث لامجال لذكرها، حيث توجه الحاج الحبيب إلى مدرسة تنالت بقبيلة أيت صواب، وهناك واصل المقاومة الوطنية في عدة واجهات، فكان إلي جانب قيامه بالدور العلمي يؤازر الشيخ الهيبة بما يسدي إليه من نصح ومشورة وبما يقوم به من تعبئة السكان وتوعيتهم ضد الاستعمار وجيوشه التي غدت تزحف نحو جبال سوس والأطلس الصغير.

وأثناء قيامة بالسفرة الأولى لأداء مناسك الحج سنة 1331 / 1913 أخذ بالمدينة المنورة عن الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ـ وكان مهاجراً هناك ـ والشيخ يوسف بن إسماعيل النبهان، كما أخذ عن الشيخ عمر حمدان التونسي في الحرمين الشريفين. ووسع رحلته فزار دمشق ولبنان وإسطنبول. وتلقى من كل هؤلاء العلماء والمشايخ إجازات تثبت تضلعه في العلوم والمعارف السائدة يومئذ، وبالخصوص علوم الفقه والنحو والآداب العربية وعلوم التفسير والحديث والمنطق والبيان والحساب والسير والتاريخ. وإلى جانب الانهماك في تحصيل هذه المعارف كان مفتوناً بقراءة أمهات الكتب مما استغرق كل أوقاته.

كان لهذه التوعية التي يضطلع بها الحاج الحبيب في زمرة من رفاقه العلماء أثرها الواضح في إذكاء حماس رجال المقاومة وتعزيز صمودهم أمام الاحتلال الفرنسي في منطقة سوس، مما أخر احتلال هذه الجهة لمدة اثنتين وعشرين سنة، دارت خلالها عدة معارك، من بينها معركة أيت باها وأيت باعمران وأيت عبد الله وتافراوت وغيرها. إلى أن انقضّت الجيوش الفرنسية على جبال الأطلس الصغير وسوس فاحتلت كامل المنطقة سنة 1352 / 1934، فتم توزيعها بين الاستعمارين الفرنسي والإسباني.

وفي هذه الأثناء كان الحاج الحبيب مطارداً في جبال أيت صواب يتنقّل في خفاء إلى أن التجأ إلى أيت باعمران فعاش في منفاه هناك عدة شهور إلى أن توجه إلي الشرق لأداء فريضة الحج للمرة الثانية عام 1353 هـ / 1934 م. ولما عاد من الحج نزل بطنجة وكتب إلى القائد مولاي مَحمد يرعاه قائد هشتوكة بسوس ليستأذن له المخزن في الرجوع إلى بلده لمتابعة عمله في القيام بالتعليم، فعاد إلى تنالت من جديد وكانت شهرتها قد طبقت الآفاق منذ أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وقد مر بها ثلّة من الفقهاء المشهورين آخرهم العلامة الصوفي الحاج عابد البوشواري أحد شيوخ الحاج الحبيب التنالتي. وقد حول الحاج الحبيب هذه المدرسة إلى مركز إشعاع علمي وثقافي ومركز إرشاد وتوعية استمر زهاء ستين سنة من حياته حيث كانت تأوي مئات الطلبة الوافدين من جهات مختلفة.

وكانت منهجيته في التربية والتعليم مبنية على أساس التدرج والتوسط والمثابرة، فرتب طلبته على مستويين أولي ومتقدم، وسلك لكل منهما مسلكاً خاصاً، ولكنه لا يفرق بينهما في الرعاية والحنو، وعلى أساس من الشفافية في العلاقة بينه وبين طلبته كانت تتجلى له أحوالهم فيتحدث إليهم في شبه مكاشفة مما يعدُّونه من كراماته، فيجتهدون في التحصيل، وهم يبادلونه نفس الإحساس مما نجده في شهادة أحد طلبته حيث يقول : "أثناء إلقاء الدرس تُحس بشعاع من الضوء يتسرب إلى أعماق قلبك حيث يلين له الكلام وتستجيب له المعاني متدفقة متناسقة" فكان اهتمامه منحصراً في تثقيف الطلبة وتنمية معارفهم وتعهد أحوالهم، فإذا أحس بقلق أحد الطلبة، وكان الأمر يتعلق بحالته المادية، فإنه يعينه ويشجعه على التحصيل، وإذا تعلق بالجانب النفسي يختار له آيات من القرآن الكريم ويلقنه أدعية، وما أن يقرأها الطالب حتى ينجلي ما انطوت عليه نفسه فيطمئن قلبه للاجتهاد والتحصيل.

وقد كان قمة شامخة في العلم، ويعتبر العلم بالنسبة إليه عبادة، إذ كان لا ينصرف إلى الدرس إلا على طهارة وصلاة ركعتين والجلوس مستقبلاً القبلة، وقد درَّس مختلف العلوم والفنون : الفقه وأصوله والتفسير والحديث والنحو والصرف واللغة، والأدب العربي والبيان والبديع والعروض وعلم المنطق والمواريث والتصوف، فكان إلى جانب اعتماد الكتب المرتبطة بالمواد الدراسية يوسع مطالعات الطلبة إلى بعض الكتب مثل *زاد المعاد* لابن القيم، *وشرح المرتضى لإحياء علوم الدين* للغزالي، *ولطائف المنن*، *والأنوار القدسية* للشعراني *وديوان الجشتيمي وظهر الإسلام* لأحمد أمين، *وفي ظلال القرآن* للسيد قطب، وكان يتبع عن كثب كبار العلماء المجاهدين ويستأنس بمواقفهم، أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وابن باديس وأبي شعيب الدكالي ومحمد بن العربي العلوي.

وقد تخرج على يد الحاج الحبيب أفواج كثيرة من المتعلمين على اختلاف مستوياتهم، منهم علماء وفقهاء ومحدثون انتشروا في المدارس العتيقة والعصرية، ومنهم تجار وموظفون يؤدون مهامهم في مختلف القطاعات الاجتماعية. ونظراً لتعلقه بالتدريس لم يخلف في مجال التأليف سوى بعض *الفتاوى ومقطعات شعرية* ونماذج من *إجازات وخطب وابتهالات*.

وفي مجال الإرشاد والتوعية الاجتماعية قام الحاج

محمد الحبيب بدور فعال، فهو وإن كان معرّضاً لمضايقات كثيرة ومراقبة صارمة من حكّام سلطة الحماية الفرنسية، مما تشهد به سجلات المركز الإداري بتنالت، فإن اشتهاره بالزهد والتجرد وحب الخير للجميع جعلت إشعاعه يتجاوز حدود هذه القيود والمضايقات، فتدفقت عليه ـ في عهد الحماية وعهد الاستقلال ـ أعداد هائلة من الزوار الوافدين من مختلف جهات المغرب، فإلى جانب قيامه بإرشاد سكان القبائل المجاورة وتحفيزهم ضد سلطات الاستعمار، وإصدار فتاوى في نوازلهم، والقيام بالمصالحة والتحكيم في النزاعات بين تلك القبائل، كان يستقبل في مجلسه وفوداً من مختلف الشرائح الاجتماعية من تجار وعلماء وموظفين ورجال الدولة وغيرهم، وقد أقبلوا عليه التماسا لنصائحه واستشاراته، أو تبركاً بعلمه وصلاحه لما يعتقدون فيه من خير ـ وهو أهل لذلك من غير شك ـ فإنه نظراً لما يتميز به من شفافيه روحانية سرعان ما ينفذ إلى نفوس زواره وتنشرح له صدورهم، فيستفيدون من علمه وإرشاده ويستشيرونه في أخص شؤونهم، وبعضهم يضمرون أموراً من أجلها قدموا للزيارة، وأثناء حديث الشيخ ترد في سياق كلامه عبارات يتناولها الزائر حسب ما يضمر في نفسه كجواب له، وهذا التجاوب عبّر عنه الكثيرون شعراً ونثراً.

لقد كان بحق يرشد إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، ويحارب الجهل والشعوذة، وكل آثار العقلية الخرافية في الإسلام، فكان يربي تربية ذاتية تنبع من صميم سلوكه اليومي، فلم ينتم إلى جمعية أو حزب أو طريقة من الطرق أو زاوية، إنه كان إشعاعاً بنفسه.

هكذا كان الحاج الحبيب مجاهداً في مجال العلم، أفنى أزيد من ستين عاماً من حياته في الدراسة والتدريس وتربية جيل كامل من الطلبة وفرّ لهم أسباب التحصيل. وكان مجاهداً في ميدان المقاومة ضد الاستعمار، ثم ظل متفانياً في سبيل المصلحة العامة وحب الخير للجميع، متصفاً بالتضحية ونكران الذات، معرضاً عن الجاه والمال والولد. كما كان مجاهداً في النفس ـ الجهاد الأكبر ـ فأقبل على الله. وقد اشتهر عنه أنه كثير التهجد ليلاً، يقرأ القرآن كاملاً في ركعتين واقفاً، سيما في ليلة القدر، كثير الأذكار.

كان الوسط الذي نشأ فيه الحاج الحبيب قد وفر له ـ في إطار أسرة محافظة قنوعة ـ بيئة مشبعة بالسلوك العقدي القويم، وفر له جواً جهادياً عاشته البلاد يوم كان المجتمع كله يتحفز لمناهضة الوجود الأجنبي. وتعتبر القدوة الحسنة من المنظور التربوي عاملاً مؤثراً أكثر من المواد الدراسية، وقد تمثلت هذه القدوة في سلسلة من الفقهاء والمشايخ والمتصوفة داخل البلاد وخارجها، ممن نهل من معينهم.

قد تجتمع هذه المكونات والعناصر لفرد آخر دون أن تنتج عنها شخصية مماثلة، ذلك أن الحاج محمد الحبيب توفر له فوق ذلك استعداد شخصي متميز جعل منه تلك الشخصية الخيّرة التي أحبها الجميع وأعجب بها في كل مراحل حياته حتى التحق بالرفيق الأعلى يوم الإثنين 26 محرم عام 1397 الموافق 17 يناير 1977. فهبّ لرثائه ـ رحمه الله ـ عدد من كبار العلماء والأدباء الشعراء.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 17 : 282 ـ 288 ؛ *رجالات العلم العربي في سوس*، ص 219 ؛ موحتاين عبد الله الفارسي، *كتاب الرثائم الجميلة في ذكريات الحبيب الجليلة*، الدار البيضاء، 1992 ؛ م. العثماني، *علماء مجاهدون، العلامة الحاج الحبيب أستاذ مدرسة تنالت*، مجلة *الكلمة*، لجمعية علماء سوس سنة 1972 عدد 4 ؛ *تقرير عام عن المدارس العلمية القرآنية العتيقة سنة 1972* بتكليف من وزارة الشؤون الثقافية والتعليم الأصيل ؛ *وفاة عالم جليل*، جريدة *الميثاق* لرابطة علماء المغرب سنة 1977، عدد 241 ؛ م. الحبيب الفرقاني، *علم من أعلام العلم والجهاد الحاج الحبيب في ذمة الله*، جريدة *المحرر* تاريخ 27 فبراير 1977 ص 5 ـ 6 ؛ ح. البونعماني، *ديوان شعر الحسن البونعماني*، تع. أفا الحسين، 1992، د. د. ع، كلية الآداب، الرباط، القصيدة 40 ؛ ح. جهادي، *لمحة عن حياة فقيه تنالت الحاج الحبيب البوشواري*، أعمال الدورة الثالثة لجمعية الجامعة الصيفية بأگادير 1988، ص 284 ؛ عمر الساحلي، *المعهد الإسلامي بتاروودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس*، الدار البيضاء، 1990، ج 4 ص 126 ؛ إبراهيم النوراوي، *تعريف بالشيخ الحاج محمد الحبيب البوشواري في سطور*، بمناسبة تسمية المركب الثقافي لمدينة أنزا باسم الحاج الحبيب (من *محاضر المجلس البلدي بأگادير*).

عمر أفا

التناني، إبراهيم بن علي التيغانيمي، يكني أبا سالم وترفع كتب المناقب نسبه إلى علي بن أبي طالب عن طريق جعفر (أخي إدريس الأكبر) بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط. والتناني نسبة إلى قبيلة إدا وتّنانْ أخذ في مسقط رأسه حاحة عن بلديّه الشيخ العالم الصالح سعيد بن عبد المنعم ثم عن الشيخ أحمد بن موسى في تازروالت. وكان يقول إذا سئل عمّن أخذ : "سيدي سعيد بن عبد المنعم طهرآنيتي، وسيدي أحمد بن موسى ملأها عسلا".

اشتهر إبراهيم بتربية المريدين أكثر من اشتهاره بتلقين المتعلمين ولو أن بضاعته العلمية ـ على ما يبدو ـ كانت غير مزجاة. واعتقده السوسيون عموماً والتنانيون خصوصاً خلفاً عن سلف منذ قرون، ونسبوا إليه خوارق عادات وكل ما يقع في أرض قبيلتهم من النفع والضرر.

وقد وقف صاحب *المعسول* على ظهير لأحمد المنصور الذهبي بتعظيم الشيخ إبراهيم بن علي وتحريره من الكلف المخزنية. ويقال إن الشيخ لقي السلطان المنصور قبيل وفاته. ومازال التنانيون حتى الآن يعظمون حفدة الشيخ إبراهيم بن علي ويقاسمونهم محصولات حقولهم وبساتينهم، ويقيمون مواسمهم عند ضريحه في زاوية تيغانيمين. وزارها المختار السوسي سنوات بعد الاستقلال ووصف موقعها.

توفي إبراهيم التناني في شهر جمادى الثانية عام 989/ يوليوز 1581.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة* ؛ م. الافراني، *صفوة*، 153 ؛ م. المهدي الفاسي، *متع الاسماع*، 104 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أبومزگو، الترجمة رقم 148 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 15 ، 72. 75.

محمد حجي

التناني، أحمد بن **عبد الله**. كان والده عبد الله التناني نديم المولى عبد الرحمان ابن هشام لما كان واليا بمدينة الصويرة، وبسببه تعرف بأحمد هذا، فضمه إلى ولده سيدي محمد بن عبد الرحمن، فأخذا العلم معا على العالم عبد الرحمان العلج، وكان لهذا الأخير باع طويل في العلوم الرياضية والعسكرية الحديثة وهو من عائلة فرنسية تدعى دوستلي، اعتنق الإسلام وورد على المولى عبد الرحمان بن هشام، ونشر هذه العلوم بالمغرب.

ولما ولي مولاي عبد الرحمان ملك المغرب، قدم عبد الله التناني وولده أحمد لمراكش سنة 1238 / 1822 ـ 1823 ومن هناك استوطن أحمد مراكش، فأخذ العلم على علماء هذه المدينة وقيد الكثير مما سمعه من أساتذته بها في *كناشة علمية*. وأصبح متضلعا في الحساب عارفا بالتوقيت والتنجيم وعلم الأحكام الفلكية والتعديل وتسطير الرخامات وعملها وما يتعلق بها وعلم الهيأة، وله مؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر والمقابلة واللوغاريتم، وحل أشكالا هندسية ونقلها إلى الأعمال الحسابية، وله مشاركة أيضا في العربية والحديث والفقه.

وظف في الثمانينات من القرن الثالث عشر كاتبا وخليفة وزير الحرب، وكانت له حظوة لدى السلطان محمد ابن عبد الرحمان الذي كان له اهتمام بالعلوم العقلية كالحساب والتوقيت والتنجيم والهندسة والهيئة والموسيقى وأسس مدرسة لتلك العلوم في خلافته على عهد والده المولى عبد الرحمان بجوار القصر السلطاني بفاس الجديد، فكان أحمد التناني من أساتذة هذه المدرسة التي ابتدأت الدراسة بها سنة 1260 / 1844 وكانت مازالت قائمة بها سنة 1296 / 1879. وكان السلطان المولى الحسن قد سلك مسلك والده فاعتنى بهذه المدرسة. واتخذ أحمد التناني رئيساً لطلبة الحساب والمهندسين وكان عدد هؤلاء الطلبة يتراوح بين 44 و58 طالباً. وكان مقربا لدى السلطان المولى الحسن يحضر مجلس *البخاري* بحضرته ويوجهه لحل القضايا المهمة.

وقد أخذ عن أحمد التناني عدد من المهندسين أمثال محمد بن المكي المسفيوي المراكشي وعبد القادر العلج الذي أسلم سنة 1295 / 1878 ومحمد بن سعيد الجرجوري الذي تولى باشوية الصويرة، ومحمد بن أحمد المكناسي أمين الصائر على الطبجية وغيرهم.

كما أخذ عنه إدريس بن الطايع البلغيثي مشاركه في الأخذ عن عبد الرحمان العلج. وممن استفاد منه الموقت الحيسوبي محمد ابن شقرون، والكاتب الطاهر ابن المحجوب الحمري المراكشي الذي وصفه صاحب كتاب *الإعلام* بصاحبنا البارع في التعليم والذي له كتاب *الدستور في أوقات المعمور*، واستفاد منه عباس بن إبراهيم نفسه ووصفه بأن له نفساً عالية وكونه قليل الكلام إلا فيما يفيد. ونسب إليه أخلاق الكرم والعطاء فقال إنه كان "يبذل الكساوي والدراهم والبغال" وكان "كريم المائدة لا يأكل وحده ويفرق الضحايا على المائة من المساكين".

توفي بضريح سيدي عبد الله غياث، ونقل من هناك ودفن بضريح سيدي يوسف بن علي وجعلت على رأسه مقبرية من رخام عليها تاريخ وفاته وذلك يوم الجمعة 23 محرم عام 1320 / أبريل ـ ماي 1902 عن نحو أربعة وتسعين عاما.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الطبعة الجديدة، 2 : 453 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، ج. 1، الرباط، 1973، من 103 إلى 106.

عبد الإله الفاسي

التناني، أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم الوعزوزي المدعو الصويري. أحد كبار علماء أسفي والصويرة في أواخر القرن الثالث عشر والثلث الأول من القرن الرابع عشر الهجري. ولد بسوس سنة 1263 / 1847 واستوطن الصويرة ثم أسفي حيث كان ينوب عن قضاتها. درس بسوس والصويرة وفاس، وتخرج على يديه عدد كبير من الفقهاء الأسفيين أمثال الفقيه السيد محمد بن إدريس مولاي الحاج والفقيه حسن بن الحاج أحمد بن حسن بن الشيخ والفقيه إدريس بن محمد بن الطيب بن هيمة والفقيه إدريس بن الحاج بن ناصر ميتة... وعن تآليفه يقول الكانوني : "*شرح البردة والهمزية وشرح لامية الأفعال وتلخيص الشفا وتعليق على الشمائل وصحيح البخاري ولامية الزقاق والمرشد المعين*، رأيت بعض ذلك في مسوداته، وله كتابة على هوامش الكتب التي درسها، لكن تفرق ذلك بأيدي الناس فلم يحظ بجمع".

توفي بأسفي عام 1335 / 16 ـ 1917.

م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*.

عبد الرحيم العطاوي

التناني، أحمد بن **محمد** بن مَحمد. انحدر من أسرة ذات علم وصلاح، وإذا كان مولده معروفاً عام 1293 / 1876 فإن وفاته غير محددة، على رغم شهرته وذيوع فضله. تنوعت مصادر معرفته، إذ تنقل في مدارس عديدة لحفظ القرآن، وأخذ فنون العربية ومواد العلوم الإسلامية، على أن أستاذه الكبير هو محمد بن مسعود (1330 / 1911) في مدرسة بونعمان التي لازمها حتى موت أستاذه. واكتفاؤه أخيراً بهذه المدرسة دليل على تخرجه فيها وقد أصبح متمكنا، يؤكد هذا أنه بعد أن حذق علوم العربية والفقه وغيرها، أخذ أستاذه ينيبه عنه في تلقين المواد لبعض الطلبة أيام الدراسة، وكذا تعليم الناس في أيت براييم خلال العطل الموسمية، ويتضح من مسيرة حياته، أن الجانب الروحي كاد يطغى على معالم حياته الأخرى، إذ الجانب

العلمي لا وجود له، إذا قيس بالعلوم والمعارف التي أتقنها، فلا أثر لعلمه في طلبته، كما أنه لم يكن طموحاً لفرض وجوده على مستوى المدارس العلمية التي تعتبر مجالا لمن هم في طبقته، فلم يتجاوز بعض المساجد التي علّم فيها كتاب الله، على أنه بالنسبة إلى تحفيظ القرآن كان مثالاً للجد والمثابرة، ولعل ميله إلى التصوف كان له أبلغ الأثر في اتجاهه الذي ترتب عليه انغماره في بيئته، وانطماس مواهبه، على الرغم من أن القرن الماضي الذي عاش فيه شهد تطوراً ملحوظاً في المدارس العلمية بالمنطقة، وعرف ازدهاراً تجلّى في بروز أندادٍ له على مختلف المستويات.

توفي بعد عام 1382 / 1962.

م. السوسي، *المعسول*، 15، 63، 65 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية*، 3 : 145.

عبد الحميد محي الدين الباعمراني

التناني، الحسين بن الحاج محمد أو بّاعزيز، من نوابغ الشعر العربي الذين تألقوا في سماء مراكش مع بداية عصر النهضة بالمغرب.

ولد بقبيلته إداوتّنان بسوس عام 1330 / 1911 وبها تلقى دروسه الأولية، قبل أن يلتحق بمراكش وينخرط في سلك طلبة المدرسة الحرة التي أنشأها محمد المختار السوسي، وبذلك احتك مع نبغاء أدباء هذه المدرسة السوسيين من أمثال إبراهيم الإلغي والحسن البونعماني ومحمد التناني التامروتي وغيرهم من المراكشيين.

ولما أخرجت السلطات الاستعمارية الشيخ محمد المختار السوسي من مراكش، التصق الحسن التناني ببيئة شاعر الحمراء، وهي بيئة أدبية عالية لكنها كانت مصابة بأدواء اجتماعية.

وقد عمل التناني كاتباً عند الاگلاوي باشا مراكش وقال فيه وفي محمد الخامس قصائد بليغة "وقد انطلق في ميدان الشعر حتى كان أكثر أقرانه شعراً" (*المعسول*، 15 : 94).

وقد هدّ الإدمان صحة الشاعر الشاب، واشتد به مرض السل فرجع إلى بلده حيث توفي وهو في الثانية والثلاثين من عمره عام 1362 / 1943 ودفن بمسقط رأسه في إداوتنان ووصّى أهله بإيصال مسودات شعره إلى شيخه المختار السوسي قائلا لهم : "لا مال عندي ولا متروك إلا هذا، ولا كان بعدي من يقدرها حق قدرها إلا أستاذي وحده". وقد أثبت له المختار السوسي في الجزء الخامس عشر حوالي ستمائة وثلاثة وستين بيتاً موزعة على خمس وعشرين قصيدة في الأمداح والمراثي والوطنيات والإخوانيات وغيرها من الموضوعات التقليدية والجديدة في عصره.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 15. 93. 118 ؛ *بعض قصائده الواردة في كنانيش شيخه الكشطي بالمدرسة التنانية : روايات شفوية للطلبة الذين عاصروه*.

محند أيت الحاج

التناني، الحسين بن **سعيد** بن محمد التامگوستي أصلاً ومنشأ، ولد عام 1272 / 1855 وينتهي نسبه إلى الشريف سليمان بن الحسن الادريسي المدفون في أباينو قريباً من حمّة الماء الشهيرة المقصودة من الزوار والسياح لخصائصها الشبيهة بحمة مولاي يعقوب قرب فاس للاستشفاء بمائها من الأمراض الجلدية، وتبعد تلك الحمة عن مدينة أگلميم بحوالي عشرة كلم، وإذا كانت هذه الشخصية قليلة الأثر في الميدان العلمي، فإن مجالاً آخر استأثر بها حتى كادت لا تلتفت إلى غيره، ذلك هو ميدان التصوف حسب الطريقة الدرقاوية. على أن المترجم كان له ولوع بالمعرفة والعلم، ومطالعة الكتب المختلفة المشارب، وله نظرات تقدية في بعضها، فقد سأله ولده القاضي عبد الحميد بطريقة غير مباشرة عن كتاب *إحياء علوم الدين* فقال "إنما هؤلاء قطاع الطريق، فالطريق إلى الله لا يحتاج إلى هذا التعب عند أهل هذا الزمان".

على أن هذه النظرة هي من نفس المنبع، وبذلك تتضح الصورة وينجلي المضمار الذي ظل يلازمه، وهو ما جعل مؤرخ سوس يخصه بقوله : "عارف بالله، كبير المقام، عظيم القدر، أمضى عمره وقضى شبابه كله في باب الله، ولم يزل طوال عمره في ميدان التوجه إلى الله إنابة وإرشاداً، إلى أن أسلم روحه لربها".

وهو يعتمد في قوله على معرفته الشخصية به، وعلى ما كتبه ولده القاضي المذكور، ويكفيه أنه من المشايخ الذين لهم فضل في توجيه أمثال صاحب *المعسول* إلى طريق القوم، على استقصاء أحيانا، وارتقاء أحياناً وهو على سنن أمثال الشيخ سعيد بن محمد آتي الترجمة، الذي كان يتخذه المترجم قدوته، مسلماً إليه وإلى الشيخ علي الدرقاوي القيادة بكل طواعية واختيار ؛ وفي حياته جانب آخر، فقد نفاه الاستعمار الفرنسي أعواماً، وله مكاشفة تنبئ برحيل الاستعمار تحققت حسب ما قال سنة 1365 / 1945 م.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 10، 274، 15 : 122، (وقبلها ص 19، 25).

التناني، سعيد بن محمد بن أحمد، ولد بقرية أزيار بإداوتنان سنة 1280 / 1863 وترعرع في بيت علم وصلاح، وتهيأت له أسباب العلم والعمل، وإن طغى عليه جانب الطريقة الدرقاوية، حتى كادت حياته تتخلص إلى التصوف والزهد فكان مثالاً فريداً في بيئته. اتفق مترجموه على تحليته بألقاب تدل على مكانته العلمية والعملية، فهو "الفقيه العالم العلامة الورع الخاشع الصوفي المتقشف"، حسب شهادة : الإيگراري : (*طاقة ريحان*، 68) ولتأثره بالشيخ الحاج علي الدرقاوي (ت. 1328 / 1910) انقطع إليه، وانتقل من بلده إلى إلغ حيث ألقى عصا التسيار، وشرب من كأس شيخه حتى الثمالة، على أن الجانب العلمي لم يهمله، إذ شارط في مدارس كتيديلي بإداوتّنانْ، وكان

يبث العلم أينما حلّ دون حاجة إلى مكان قار، وأغلب من أخذ عنه مريدو الطريقة الدرقاوية بموافقة من شيخها المذكور، ولعل لعزوفه عن المكاسب المادية دوراً في بقائه مرتبطاً بإلغ بعيداً عن المدارس الكبرى التي يطمح إليها أمثاله، وكذا المناصب العليا لعلماء المنطقة كالقضاء والفتيا، وعن تحوله من ميدان التدريس إلى ميدان الطريقة، يذكر مترجموه أنه كان يقرئ الطلبة في مدرسة فجاز به الشيخ الدرقاوي، ومنذ تلك اللحظة تغيرت حاله، فأصبح لا يرى مصلحته إلا في اتباع الطريقة والإعراض عما سواها "فنهض عن طلبته، وأعرض عن والديه" (*طاقة ريحان*، ص. 68) وهذه الحالة التي أصبح عليها هي التي لازمته طوال حياته، سواء في إلغ أو بعد رجوعه إلى إيداوتنان. وتذكر له كرامات ورُؤى، جعلته فريد عصره في هذا النطاق الروحي، حتى إن مؤرخ المنطقة المختار السوسي نقل عنه من ذلك ما يقضي منه العجب، ومن ثم نفهم التقدير الذي أولاه إياه مؤرخ سوس، حتى عدّ ترجمته له إحدى المفاخر التي سجلها في كتابه، وهي الطافحة بصفحات في الإشادة، والملأى بعواطف التلميذ نحو شيخ جليل.

توفي في مسقط رأسه إيداوتنان عام 1343 / 1924.

م. المختار السوسي، *طاقة ريحان*، 68 ؛ *المعسول*، ١، 236، 15 : 5 ، 148، 150، 151، 155، 161.

التناني، علي بن إبراهيم التازروالتي، أحد رجالات الأسرة المنتسبة إلى الشيخ الصالح أحمد بن موسى السملالي دفين تازروالت. من هذه الأرومة انحدر مترجمنا ما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر، إذ نجهل تاريخ ولادته، انتقل من مسقط رأسه تازروالت إثر تخرجه في المدرسة البونعمانية على يد الشيخ مسعود المعدري فاكتسب نجابة وتقدما في المعارف، حتى أصبح فقيهاً يفضّ النوازل عقوداً من السنين وبذلك نال مجداً وشرفاً وحسن سمت، ودماثة خلق، من علماء المنطقة الذين شارطوا في أحد مساجد إيداوتنان فنسبت إليه آثار أدبية شهد لها مؤرخ سوس، وكان يزور مدينة مراكش، ويلازم زاوية الرميلة حيث مقر محمد المختار السوسي ويزور شيخ هذا الأخير سعيد التناني المذكور.

ناله بعد احتلال قبيلته من لدن الفرنسيين قبل وفاته بعشر سنوات ما أدى إلى فقدان مكانته، فظل مغموراً إلى وفاته بعد أن ناهز السبعين من عمره في 28 شوال عام 1358 / 11 دجنبر 1939.

م. المختار السوسي، *إيليغ*، 24 ؛ *رجالات العلم*، 243 ؛ *المعسول*، 12 : 61.

التناني، محمد بن **أحمد** لقب بـ"رُشّنْ" أي الذئب، عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م)، ينتسب أهله أيت وازغي إلى فريق من التنانيين انحدروا من رجل كان في خدمة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي يوم نزل هناك، بعد ما أجلاه سكان أسفي. والمترجم فقيه له مكانته بما أحرزه من العلوم، فقد كان يحضر دروس الأديب محمد بن أحمد الكنسوسي (1294 / 1877) بمدينة مراكش، وكتب بعض رسائل شيخه هذا، وكان متميزاً بحسن خطه، حتى إن السلطان الحسن الأول حرره وأعفاه من الالتزامات التي لا يعفى منها إلا ذوو المواهب الخاصة.

له آثار أدبية وتقاييد تاريخية، سجل فيها بعض أخبار وقته، ووقف عند الظروف العصيبة التي عاشها مجتمعه، من جوع ووباء، وصوّر حالات مهولة مما وقع في سنتي 1266 و1267 وغيرهما، وكذا ما عاناه التنانيون من ظلم الولاة وتسلطهم، مما يدل على أنه ذو حاسة مرهفة، إزاء ما كان يتعرض له الناس في محيطه، إذ لم يكن من النوع الذي يلزم خويصة نفسه، فلا يبالي إلاّ بما يهمه، ويبدو أنه يحذو في ذلك حذو المؤرخين، كالناصري، من حيث تسجيل الأحداث والوقائع، وإن كان نَفَسُه أقل، ومجاله التاريخي والاجتماعي أضيق.

توفي حوالي عام 1316 / 1898.

م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في ترجمة أكنسوس*، 207 ؛ *المعسول*، 15، 10.

عبد الحميد محي الدين الباعمراني

التناني، محند بن **عبد الله**، ولد بقرية تافكّاخت من قبيلة أيت واعزّون التنانية عام 1280 / 1863، حيث نشأ وحفظ القرآن الكريم على يد عثمان البعريري، ثم التحق بمدرسة ايسقال التنانية لأخذ العلوم على يد فقيهها الشهير إبراهيم بن الحسن التانكرتي (ت. 1295 / 1878) الذي لازمه لزوم الظل لصاحبه إلى أن توفي الأستاذ فشد التفكّاختي رحاله إلى مدرسة بونعمان بسوس حيث استتم أخذه للعلوم على يد أستاذه المشهور بالجد في التدريس الشيخ مسعود فلازمه نحو سبع سنين إلى أن ظهرت نجابته في علوم النحو والفقه واللغة، فدار عليه أمر المذاكرة بين الطلبة لما أعطاه الله من ذهن ثاقب وفهم مستقيم، فانتفعوا به حتى صار لهم شيخاً، فلا تشكل عليهم مسألة في المجلس إلا حل لهم إشكالها وأوضح وجهتها، فأحبه الشيخ مسعود محبة خالصة ودفع له أولاده ليعلمهم لما رآه من نجابته وصدق طويته.

وفي سنة 1302 / 1884 شد محند التناني رحاله من جديد إلى تارودانت ليستتم الأخذ عن كبار علمائها، فانتفع بعلم عبد الرحمان الجشتيمي كما أخذ عن الشيخ أحمد أمزاركو. وقد نال التافكّاختي حظوة كبيرة لدى هؤلاء الفقهاء الأجلاء بعلمه فأصبح مقربا إليهم ومن خاصة خاصتهم، فلما قرأ عليهم ما رجا أن تعود عليه بركته عاجلا وآجلا، طلب منهم الإذن فأذنوا له وأجازوه في جميع مرغوبه، ثم تصدر للتدريس بمدرسة رأس الواد بموضع تالگجونت عاما واحدا حوالي 1310 / 1892، ثم عاد إلى بلدته التنانية ليتولى التدريس بمدرسة إيكّي نحو سبع وعشرين سنة، امتلأت عليه المدرسة بالطلبة من كل جهة، فقام على ساق الجد في

تعليمهم فتخرجت عليه أفواج من كبار الفقهاء والأدباء الذين هم زينة هذا العصر في بلاد إيداوتنان وحاحة ومنهم أولاده أحمد أستاذ مدرسة سيدي غانم بقبيلة أيت زلطن المتوفي عام 1366 / 1946، وشقيقه الذي خلفه فيها عبد الرحمان المتوفي عام 1395 / 1975، وشقيقهما الفقيه الحاج محمد التافگّاختي الذي ملأ مدرسة ألْمَا التنانية بتدريس العلوم العربية وتلقين الطريقة التجانية إلى الآن.

فلما ذاع صيت محند بن عبد الله التناني، وعم نفعه سائر الآفاق أتت إليه قبيلة بني تنانة المنسوب هو إليها وطلبوه بالإقامة في مدرستهم الكبيرة إزاء زاوية الشيخ إبراهيم بن علي التغانيميني، التي هي مجمع أمورهم ومقام أسلافهم، فامتنع في الأول لتواضعه معتذراً بأن المقام عظيم ومشهور بفحول العلماء وأكابر الأولياء فأبرز لهم ذلك نثرا ونظما، إلا أن إلحاحهم عليه جعله يقبل الالتحاق بمدرسة تيغانيمين عام 1338 / 1919 فلما استقر بها ازداد أمره وارتفع قدره لما ظهر من وفور علمه وإصابة رأيه واشتهار عدله في أحكامه، فلم تبق قبيلة إلا أتت إليه مذعنة، وفي نيل خيره راغبة، وبسطت عليه الدنيا، وهو مع ذلك لا يفارق حال الزهد، فانتفع الناس بعلمه لكثرة المتخرجين عليه أمثال العلامة الحاج أحمد بن علي الكشطي (ت. 1374 / 1954) أستاذ مدرسة ألْمَا الذي تخرج عليه بدوره جيش جرار من الطلبة النجباء لاتزال قبائل إيداوتنان وحاحة مزدانة بهم إلى اليوم، وقد ألف الكشطي كتاباً في التعريف بفضائل شيخه التافگّاختي، ذكر فيه شيوخه في العلوم العقلية والنقلية، وأكابر مشايخه في الطريقة الأحمدية مع ذكر مشاهير تلاميذه ومريديه الذين اتسعت دائرتهم حتى شملت كل قبائل إيداوتنان فسمى تأليفه هذا *التعريف بالبلدة التنانية، ذات المواهب الربانية*.

ويتمتع محند بن عبد الله التناني بموهبة أدبية في نظم الشعر ارتجالا، وكتابة الرسائل الإخوانية الدينية والأدبية، وتحرير الإجازات العلمية، إلى جانب نبوغه في طرق التعليم والإرشاد الديني بما رزقه الله من الفتح المبين، فهو أول شاعر تناني وصلتنا أشعاره في *ديوان* مخطوط خاص جمعه ولده أحمد، يضم هذا الديوان 1682 بيتاً موزعة على خمس وخمسين قصيدة متأرجحة بين الطول والقصر في مختلف الأغراض الشعرية التقليدية، أهمها قصيدة *في طريقة التعليم بالكتاتيب* والمدارس العلمية العتيقة، وأخرى *في الحث على الجهاد* ضد الفرنسيين الذين خرجوا من ثغر الصويرة بجيوش الاحتلال قاصدين هتك القرى والبلاد فارتكبوا أشنع الجرائم بانتهاك حرمات الزوايا والمقدسات الدينية دون أن يحرك الرؤساء ساكنا.

وفي سنة 1348 / 1929 اعتزل محند التناني التدريس وانتقل لداره بعدما بنى قربها مسجداً عازماً على أن يلازم المذاكرة فيه، ولكنه توفي بعد ذلك بسنة فقط عام 1349 / 1930.

محند التناني نفسه، *التعريف بالبلدة التنانية ذات المواهب الربانية*، مخطوط.

محند أيت الحاج

تَنْشَرْفي أو تانشرفي حوض جبلي بالهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست بالمغرب الشمالي الشرقي، ضمن كتلة بوخوالي التي تعتبر أعلى قمة بالمنطقة. موقعه الهامشي يجعله منطقة اتصال بين الأراضي المنخفضة الهضبية والسهلية القاحلة (ممر العيون ـ تاوريرت) والكتلة الجبلية الرطبة نسبيًّاً، يعرف بذلك ضغطاً بشرياً نوعياً متزايداً، على الخصوص خلال السنوات الجافة.

يتميز الحوض من الناحية الطبغرافية بالانغلاق شبه التام، إذ لا ينفتح إلا في الواجهة الشمالية على هضاب مستگمار بواسطة واد بوصدان الذي يصب مباشرة في بحيرة سد محمد الخامس وفي الجنوب والجنوب الشرقي يمتد عرف بوخوالي، تتراوح قممه ما بين 1400 و1700 م ؛ في الغرب والجنوب الغربي ينتصب عرف بولرواح وتلال سيدي يحيى، أما في الشمال والشمال الشرقي فتمتد تلال ومتون توريرين (1200 م)، ويزيد انحدار السفوح المحيطة بالحوض في أغلب الحالات عن 30٪، وأطولها يتعدى 700 م ويغلب على الأجزاء الوسطى في الحوض (1000 م) الانبساط رغم الانحدار الخفيف في اتجاه الشمال على شكل حادورات طويلة.

ارتبط التنوع الطبغرافي بالخصائص الصخارية والنباتية، حيث الحوض عبارة عن جون عريض، مكون من صخور تنتمي أساساً للزمن الجيولوجي الأول منها على الخصوص الصخور الاندساسية والبزلتية. تعلو هذه المجموعة القديمة، وبشكل متنافر، صخور طينية وبزلتية ترياسية، ثم الصخور الكلسية الدولوميتية لبداية الزمن الثاني.

تعرضت المنطقة للرفع بشكل مبكر مما أدى إلى نشاط التعرية بشكل مسترسل، تمكنت بإفراغ المحدب وتكوين بهرة واسعة (7 كلم مربع) محاطة بأضلاع قممها كلسية وسفوحها متنوعة الصخارة.

نتج عن التفسخ العميق لمختلف الصخور الگرانيتية، بوسط الحوض، انبساطه في جهة وتشكيل حادورات مختلفة تعكس مراحل دينامية الحوض خلال الرباعي.

تبعاً للتدرج الطبغرافي من القمم (1700 م) إلى مخرج الحوض (700 م) تتنوع المعطيات والظروف البيومناخية بشكل صريح. على القمم والسفوح حيث تزيد التساقطات عن 400 ملم / سنة، تنوعت التشكيلات النباتية الطبيعية حيث تسود على الخصوص أشجار البلوط الأخضر على شكل غابة حقيقيةأحياناً، وعلى شكل أحراش مختلطة من الشجر العفصي البونيقي والعرعار ... في حالات أخرى. لكن سرعان ما يحصل المرور إلى النباتات السهوبية بقعر الحوض حيث تقل التساقطات عن 300 ملم / سنة، إذ نجد على الخصوص شجيرات العنّاب والحلفاء بالهوامش الشمالية للحوض.

سكان المنطقة بربر باستثناء أولاد سيدي بلقاسم، إذ

رغم لهجتهم ونشاطاتهم وعاداتهم التي لا تختلف بشيء عن الأمازيغ، ينسبون للشرفاء الأدارسة.

في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19. 20 م) كان السكان يعيشون داخل قصبات واسعة، محاطة باسوار عالية لا تزال شواهدها قائمة مثل قصبة حمادة وأولاد الماحي وأولاد موسى وقصبة رابعة لأولاد أعلي بجنوب الحوض. بُنيت هذه القصبات على نمط قصور فكيگ التي استُقدم منها الحرفيون لوجود علاقات عائلية بين المنطقتين. لكن في نهاية النصف الأول من القرن العشرين، حيث استقر الأمن نسبياً، أخذت القصبات تنفجر إلى حدود إفراغها والتخلي عنها بشكل نهائي، وعاد السكان إلى نصب الخيام داخل كل مجال الحوض. حالياً وبشكل تدريجي تُبنى بجانب كل خيمة بيوت من الحجارة التي أخذت تعوض السكن الهش.

واستبدال القصبات بالخيام دلالة على أصل واهتمام السكان بالرعي الذي كان يحتاج إلى الترحال والتنقل، وقد استقر السكان حالياً بشكل نهائي مما دعا إلى بناء اصطبلات والتخلي تدريجياً عن الخيام.

كان لانفجار القصبات وانتشار السكان على كل الحوض أثر بيئي واضح حيث إن السكان غلب عليهم الاستقرار بجوار السفوح ولذلك اشتدت ظاهرة الاجتثاث لتوسيع الأراضي الزراعية على حساب المجالات الرعوية، حيث تم اقتلاع ما يقرب من 80٪ من أشجار العنّاب ما بين 1950 . 1986 (مقارنة الصور الجوية).

تميز الحوض بالإضافة للرعي والزراعات المسقية والبورية بوجود ثروات معدنية هامة (المنغنيز على الخصوص)، تم استغلالها خلال فترات متقطعة باسم "مناجم تانورالت" والتي توقفت منذ سنة 1969 حتى الآن رغم هجرة بعض العمال إما للخارج أو إلى المراكز الحضرية المجاورة، ورغم كثافة السكان الطفيفة فإن الضغط البشري اشتد على الموارد المرتبطة بالنشاط الفلاحي.

أصبح الرعي يمارس بشكل جائر على الأوساط الطبيعية حيث ارتفع عدد رؤوس الماشية بالأوساط الغابوية أثناء فترات الجفاف إلى ثمانية رؤوس من الماشية الصغيرة /هـ، بالإضافة إلى عملية الاحتطاب حيث تستهلك سنوياً كل أسرة ما يزيد عن خمسين قنطاراً من الحطب، مما أدى إلى عراء سفوح الحوض وتجدد دينامية مختلف نظم التعرية بها.

لعل أبرز خاصية لحوض تَنْشَرْفي بوجه خاص وكتلة بوخوالي بوجه عام، هو استمرارية قيام الروابط بين السهل والجبل، حيث إن جل سكان المناطق المنخفضة لا يزالون يملكون بعض الرقع الأرضية بالمنطقة الجبلية التي انحدروا منها، لذلك لا يزال لهم الحق في استغلال المجال الجبلي كلما اشتدت القحولة في السهول.

يمكن القول إن جبهة التدهور تزحف حالياً وبشكل سريع نحو القمم التي لم تعد تعتبر إلا واحات حقيقية مهددة بالانقراض.

التدهور البيئي بحوض تنشرفي ليس إلا نموذجاً من أساليب تدهور المناطق الجبلية النصف جافة وخاصة تلك المحاطة بالمجالات القاحلة حيث يضطر سكانها إلى اقتلاع أغلب حاجياتهم من الجبل المجاور.

تحريات ميدانية. شاكر المبلوه

تنظيم الأسرة ← التخطيط العائلي

التنفيذ في القضاء المغربي، هو المظهر العملي لتلك الحماية التي يتمخض عنها العمل القضائي. وهي بدورها لا يمكن أن تكون إلا عامة غير خاصة. ذلك أنه ما كان للدولة أن تحرم على الفرد اقتضاء حقه بنفسه ولا تقوم بما يكفل له الحماية الواجبة. وهي إن نظمت سلطة قضائية لهاته الغاية، إلا أن هاته الحماية الموضوعية المتفرعة عنها لا تكفي في حد ذاتها، ولا بد من صورة أخرى لهاته الحماية القضائية تترجمها إلى الواقع، وتمكن صاحب الحق من حقه بشكل ملموس ولو عن طريق وسائل الإجبار التي تملكها الدولة، تسخرها لفائدته، حماية للقانون، وللحق المعترف به.

إن التنفيذ القضائي هو العمل الذي يقوم به القضاء لإزالة مخالفة القانون، وذلك بتغيير الواقع الخارجي، حتى يصبح موافقاً له، عن طريق ما يمتلكه من أجهزة قضائية لهذا الغرض، لا يتوقف استعمالها على إرادة المنفذ عليه، ويمكن أن يتم عن طريق جميع وسائل الإجبار التي تمتلكها الدولة لهاته الغاية.

ويقتضي القانون لنشوء الحق في التنفيذ، حصول صاحبه على سند تنفيذي حكما كان أو غيره، متوفراً على القوة التنفيذية التي تخوله الحصول على الحماية المتطلبة.

وهكذا فإن كان صدور الحكم نهاية في حد ذاته للحماية الموضوعية المتوخاة من القضاء، فإن القوة التنفيذية للحكم تعتبر بداية للحماية التنفيذية المنشودة، أو بعبارة أخرى يمكن أن نقول إن الحماية القضائية يلتمسها صاحب الحق على مرحلتين : الأولى هي صدور الحكم وحصوله على حجية الشيء المحكوم به (Autorité de la chose jugée)، والمرحلة الثانية تبدأ حين إضفاء القوة التنفيذية عليه، كي يستطيع المحكوم له بلورة هاته الحماية القضائية إلى واقع ملموس عن طريق التنفيذ الجبري الذي يرجع إليه حق تحريكه.

والمسلم به أن الأحكام لا تكون جميعها محلا للتنفيذ الجبري، فالأحكام الإجرائية، كالحكم في مسألة الاختصاص ينفذ بتخلي المحكمة عن نظر الدعوى، ولا يحقق أية حماية مادية لحقوق الأفراد. ولهذا يقع تقسيم الأحكام إلى تقريرية ومنشئة، وأحكام إلزام، وإن التنفيذ الجبري لا يلحق الصنفين الأول والثاني منها، وهو مقصور على أحكام الإلزام.

والأصل أن الأحكام إنما تنال هاته الدرجة عن طريق القوة التنفيذية، بعد أن تكون قد أصبحت نهائية بحكم استقر عليه القضاء. ولكن طول الإجراءات المسطرية التي

يجب اتباعها لبلوغ هذا النوع من الحماية، والتعقيدات التي تتبعها قد يفوت على المحكوم له الاستفادة فعليا منها، كأن يعسر المدين خلال جريان دعوى الطعن، أو يتلف ما أمر برده ابتدائيا، مما دفع بالمشرعين إلى التفكير في حماية أخرى مؤقتة، تستجيب لعالم السرعة، وتضمن للأحكام فاعليتها وتلبي حاجة من يطمح إلى الحماية القضائية، وذلك عن طريق السماح له باللجوء إلى بعض الإجراءات التحفظية، أو عن طريق إضفاء النفاذ المعجل على الأحكام الابتدائية.

وما التدابير التحفظية إلا أحد أشكال الحماية المؤقتة التي يمنحها القضاء، ووظيفتها السماح لطالبها عن طريقها بتحقيق ما من شأنه أن يسمح له فيما بعد من الاستفادة من الحماية القضائية، بعد أن تصبح أحكامها على درجة الاستقرار تسمح بالخروج بها إلى حيز التنفيذ.

والأمثلة المألوفة منها الحجوز التحفظية على المنقول أو العقار، والحراسة القضائية، وحجز ما للمدين لدى الغير، والتنفيذ الاحتياطي على الرسوم العقارية، ووضع الأختام على الأمكنة، وجرد أموال الشركات وتعيين متصرفين قضائيين لتسيير شؤونها وغير ذلك. ويختص بالأمر بها في أغلب الأمثلة السابقة قاضي المستعجلات لدى المحكمة الابتدائية.

وتذهب بعض التشريعات الأجنبية إلى أبعد من ذلك، وتسمح للدائن بأن يلمس في دائرة هاته الحماية المؤقتة، منع خصمه المحكوم عليه من السفر إلى الخارج كإجراء تحفظي لفائدته.

وتتميز هاته التدابير التحفظية بالبساطة في المسطرة الرامية إليها، وهكذا فلا يتطلب في الحصول عليها توفر الطالب على حكم نهائي، وأن مجرد حصوله على حكم ابتدائي، ولو غير قابل للتنفيذ، يمكن أن يعتمد أساسا لمنحها، رغم قابلية هذا الحكم المحتج به للطعن فيه بطرق الطعن العادية وغير العادية منها (الفصل 452 من ق. م. م.).

بعض هاته التدابير التحفظية كالحجوز مثلا يمكن تحويلها إلى حجوز تنفيذية عندما يصبح الحكم الصادر في الموضوع قابلا للتنفيذ. ومعلوم أن قابلية الحكم للتنفيذ تتوقف على توفره على القوة التنفيذية، ومثل هذا لا تتمتع به إلا الأحكام الحائزة لقوة الشيء المقضي به، أي بعد أن تكون قد استنفدت طرق الطعن العادية، من تعرض أو استئناف.

لكن ما تجب الإشارة إليه أن هاته القاعدة تعرف بعض الاستثناءات، حين يتعلق الأمر بالديون المستحقة للدولة، فتسلك في سبيل تحصيلها ما نسميه التنفيذ المستمر، أو حين يتمتع الحكم الابتدائي بالنفاذ المعجل، فيشذ بدوره عن القاعدة العامة في التنفيذ.

والأصل أن لا يتم الانتقال إلى مرحلة التنفيذ إلا بعد أن يقول القضاء كلمته أولاً. ولكن هاته القاعدة تجد لها استثناء حين يتعلق الأمر بديون الدولة من مدخولات الأملاك المخزنية ومستغلات الغابات وكافة الضرائب وغيرها.

ينتقل القابض حينذاك، بعد أن يستوفي إنجاز الإنذارات المنصوص عليها في ظهير 21 غشت سنة 1935، إلى المتابعة من أجل استخلاص الديون بكيفية مباشرة على مراحل، يكون أولها الإنذار القانوني ثم الحجز على أمتعة المدين فبيعها بعد ذلك. غير أن تعديلا صادرا في 6 مارس سنة 1961 جعل المرحلة الثانية بعد الإنذار هي الإكراه البدني مباشرة، دون التفات لإمكانية الحجز قبل ذلك. وهو ما يعتبر إجحافا بحقوق المدينين ومخالفا للمسطرة العادية في التنفيذ التي تعلق اللجوء إلى مسطرة الإكراه البدني على عدم وجود ما يحجز للمنفذ عليه.

ومعلوم أن المنازعة في هاته التنفيذات المباشرة يضبطها ظهير 22 نونبر 1924، والقوانين الخاصة المنظمة لكل ضريبة على حدة (الفصل 3 في هذا الظهير)، وكذا قانون 3 نونبر 1993 المؤسس للمحاكم الإدارية.

أما الاستثناء الثاني للقاعدة العامة في التنفيذ، فيجد له مجالا واسعا لدى المؤسسات العمومية والدائنين المتوفرين على رهن عقارات لضمان الدين. وتعفى هاته الفئة من الدائنين بحكم الرهن المسجل لفائدتهم على عقار المدين من ضرورة التوجه إلى المحكمة قصد استصدار حكم لفائدتهم والحصول على سند تنفيذي يباشرون به استخلاص الدين، ذلك أن ظهير 2 يونيه 1915 قد أجاز لهم بمقتضى الفصل 204 منه أن يسلكوا مسطرة مختصرة تنتقل بهم مباشرة بعد توجيه إنذار للدائن، كي يتابعوا بيع عقار المدين بالمزاد العلني لاقتضاء الدين.

والملاحظ أن المؤسسات العمومية وشبه العمومية التي تمنح إمكانية استعمال مقتضيات ظهير 21 غشت 1935 وكذا مباشرة التنفيذ في إطار ظهير 2 يونيه 1915 المتعلق بالعقارات المحفظة تختار ما هو أجدى لها من المسطرتين، وكثيراً ما تلجأ إليهما معا، بالرغم بما في ذلك من إخلال بمبدإ المساواة بين حقوق وواجبات أطراف النزاع لدى القضاء.

وفي جميع الأحوال فإن المتضرر من هاته المساطر المباشرة في التنفيذ، يستطيع أن ينازع في صحتها والالتجاء إلى القضاء لإلغائها وإيقاف مسطرتها أحياناً.

والشائع لدى الناس أن الملزمين بالضريبة لا يسعهم إلا الدفع، وأن المنازعة في الضريبة مهما كان نوع هاته المنازعة لا يمكنها أن تعوق الوفاء بها. ولكن هاته الشائعة ليست صحيحة كل الصحة، لأن الفصل 15 من ظهير 21 غشت 1935 تولى تأكيدها من جهة، ولكنه من جهة ثانية نص على مسطرة خاصة يؤدي اللجوء إليها إلى تأجيل دفع القسط المتنازع فيه. وإنما يستنكف الناس عن سلوكها للتعقيدات المسطرية التي تكتنفها.

أما الجهة القضائية المختصة فقد كانت المحاكم العادية

منذ صدور قانون 26 يناير 1965، ويؤول الاختصاص النوعي بصددها اليوم إلى المحاكم الإدارية المؤسسة بالظهير رقم 90.41 الصادر بتاريخ 3 نونبر 1993.

ونجد المشرع المغربي قد تناول الاختصاص المكاني لها في القانون المنظم للمحاكم الإدارية وأورد استثناءات تخرج عن القواعد العامة في الاختصاص، بحيث جعل المحكمة المختصة هي دائما محكمة المكان الذي يجب أن يتم فيه تحصيل الدين المستحق للدولة. (المادة 29.30.31.32).

ومهما كان الأمر وكما سبق القول فإنما يصار إلى التنفيذ كقاعدة عامة عندما تحوز الأحكام قوة الشيء المقضي به، ومتى توفر لها هذا الوصف لا يجوز إيقافها، ولو مع الطعن بالنقض، لأن هذا الطعن الأخير لا يوقف التنفيذ في المجال المدني، إلا في حالات أربع :

1 ـ في مادة الأحوال الشخصية (الفصل 361 من ق. م. م.).

2 ـ في الزور الفرعي.

3 ـ في التحفيظ العقاري.

4 ـ الأحكام الصادرة في القضايا الانتخابية (الفصل 40 من ظهير فاتح شتنبر 1959).

ومعلوم أن مقتضيات الفقرة الثالثة من الفصل 361 من ق. م. م. كانت في صيغتها الأصلية تسمح بصفة استثنائية بأن تقدم للمجلس الأعلى طلبات إيقاف تنفيذ الأحكام المدنية المطعون فيها بالنقض، غير أن المشرع تراجع عن هاته المسطرة بالقانون رقم 82.04 الصادر بتاريخ 10 شتنبر 1993، ورجع بذلك إلى تطبيق القواعد العامة التي تحكم الآثار الناتجة عن الطعن بالنقض، وهي قواعد تجعل المحكوم له يطمئن إلى أن صدور الحكم عن محكمة الطعن العادية يوصد في وجه خصمه المحكوم عليه كل إمكانية لإعاقة تنفيذه، ويجعل الحكم الحائز هكذا لقوة الشيء المقضي به قابلا للتنفيذ بجميع وسائل الإجبار المسموح بها قانوناً.

ويقابل التنفيذ الجبري التنفيذ الاختياري، وهو على عكس هذا الأخير يمكن أن يتم بواسطة كافة وسائل الإجبار القانونية المتوفرة، بما في ذلك الإكراه البدني، واللجوء إلى استعمال القوة العمومية، إن دعت الضرورة لذلك. ويحتاج التنفيذ الجبري إلى تقديم طلب بذلك من لدن المحكوم لفائدته، ومثل هذا الطلب يقيد صاحبه، ويجعله يتحمل نتائج إقدامه عليه، ونتائج التعويض عن الأضرار الناجمة عنه، خاصة عند إلغاء الحكم المعتمد في التنفيذ، وإصدار المحكمة أوامرها برد الحال إلى ما كانت عليه قبل التنفيذ.

وقد كانت المسطرة الحالية تنص على أن تنفذ كتابة الضبط تلقائياً كل قرار أصبح يكتسي قوة الشيء المقضي به دون حاجة إلى طلب من المستفيد من الحكم، (الفصل 428)، ثم تراجعت عن ذلك فيما بعد بمقتضى الظهير رقم 2.82.222 الصادر بتاريخ 5 أكتوبر 1984. وهكذا غدا المحكوم له يقرر بنفسه، في أمر تحريكها أو عدمه، وهو الموافق للصواب. ويخضع التنفيذ للقواعد التالية :

(1) تنفيذ الأحكام في مجموع التراب الوطني. تحدد قواعد الاختصاص المحلي المحكمة ذات الاختصاص المكاني للبت في النزاع. غير أن حكمها يكون قابلا للتنفيذ خارج دائرتها وفي مجموع التراب الوطني. بل إن هذا الحكم يجد له مجالا في التنفيذ حتى خارج الحدود الوطنية، لكن على أساس أن يتقيّد في ذلك بما تتضمنه الاتفاقيات الثنائية والدولية، وعلى أن يذيل بالصيغة التنفيذية لدى الدولة المطلوب مساهمتها في تنفيذه.

(2) يرجع تنفيذ الحكم للمحكمة التي أصدرته : ومع ذلك فليس هنالك ما يمنع محكمة الاستئناف، من أن تعهد بتنفيذ قراراتها إلى محكمة ابتدائية. (الفصل 429 من ق. م. م).

من المعلوم أن أحكام محكمة الاستئناف، حين تكون قابلة للتنفيذ، نجدها لا تخرج عن نوعين اثنين : الحكم بتأييد الحكم المستأنف، والحكم بإلغاء الحكم المستأنف، وبعد التصدي، إصدار أمر جديد قابل للتنفيذ.

ففي الحالة الأولى يكون الحكم المقدم للتنفيذ هو الحكم الابتدائي، وبذلك فإن المحكمة التي أصدرته يرجع إليها أمر تنفيذه. أما في الحالة الثانية، فإن الحكم المنفذ يكون هو الحكم الاستئنافي، وعليه فيختص بتنفيذه المحكمة المصدرة للحكم الابتدائي، أو المحكمة التي تعهد إليها محكمة الاستئناف بذلك.

هذا التمييز في الوصف تظهر فائدته حين الاستشكال من التنفيذ وإثارة صعوبات قانونية وواقعية في وجهه، عندما تدعو الحاجة إلى معرفة الجهة القضائية المختصة للنظر في الصعوبة.

(3) يتم التنفيذ بمقتضى النسخة التنفيذية. نسخ الأحكام إما عادية أو تنفيذية. والنوع الأخير منها هو ذلك الذي يذيل بالصيغة التنفيذية، حسب ما وردت في الفقرة الثانية من الفصل 433 من ق. م. م. على الشكل التالي :

"بناء على ذلك يأمر جلالة الملك جميع الأعوان ويطلب منهم أن ينفذوا الحكم المذكور (أو القرار)، كما يأمر الوكلاء العامين للملك ووكلاء الملك لدى مختلف المحاكم أن يمدوا يد المعونة لجميع قواد وضباط القوة العمومية وأن يشدوا أزرهم عندما يطلب منهم ذلك قانونيا".

ومما تجب الإشارة إليه أنه لا تسلم إلا نسخة تنفيذية واحدة للمحكوم له، وأنه، في حالة ضياعها، يكون عليه أن يتوجه إلى قاضي المستعجلات لطلب نسخة ثانية قصد التنفيذ.

ولا تذيل بالصيغة التنفيذية إلا الأحكام الحائزة لقوة الشيء المقضي به، أي تلك التي لم تعد تقبل أي طريق من طرق الطعن العادية، تعرضاً كان أو استئنافاً، كما تذيل بالصيغة التنفيذية، على سبيل الاستثناء الأحكام الابتدائية النافذة معجلا، أو الأحكام الغيابية الصادرة عن المحكمة الاستئنافية، المتمتعة بدورها بامتياز النفاذ المعجل.

وتظل النسخة التنفيذية سنداً للتنفيذ، مدة ثلاثين سنة، منذ اليوم الذي صدر فيه الحكم موضوع طلب التنفيذ، فإذا انصرمت المدة المذكورة، سقط الحق في تنفيذها تبعا لذلك (الفصل 428 من ق. م. م.).

ووجب التأكيد على بنية القوة التنفيذية للأحكام، بمعنى أنها إنما تسري في حق أطراف الدعوة دون الغير، إلا أن يكون هذا الغير مدعواً فقط للإسهام في تنفيذ ما يؤول للمحكوم عليهم في الدعوى (الفصل 437 من ق. م. م.).

(4) يباشر التنفيذ على الأموال المنقولة أولا.

يملك المحكوم له أن يباشر ضد المحكوم عليه، الحجز على أمواله العقارية منها والمنقولة (الفصل 445 من ق. م. م.). غير أنه لا يستطيع التنفيذ على الأموال العقارية إلا بعد مباشرة التنفيذ على المنقولة، وفي حالة عدم كفاية هاته الأخرى يمكن عندها التنفيذ على عقارات المحكوم عليه.

لكنه يستثني من ذلك الديون التي تتمتع بضمان عيني عقاري مباشرة على العقار المراد التنفيذ بالحجز عليه وبيعه من أجل ذلك. هذا الاستثناء أكده المشرع مرتين، بالفصلين 445 و469 من قانون المسطرة المدنية، ويجد تطبيقاته في إطار ظهير 2 يونيه 1915 المتعلق بالعقارات المحفظة. وهو امتياز جاء لصالح المستفيد من الضمان، غير أنه ضمان لا يمنعه من الرجوع إلى المنقولات عند عدم كفايته، لاستخلاص مبلغ الدين وجميع ما وقع الحكم به من تعويضات ومصاريف، ومباشرة كافة وسائل التنفيذ المسموح بها قانوناً.

وسائل التنفيذ : التنفيذ إما أن يتم طواعية من لدن المحكوم عليه، أو يكره عليه بوسائل التنفيذ الجبري. وإنما يصار إلى الإجبار بعد إعذار المحكوم عليه لذلك عن طريق عون التنفيذ، لمعرفة نواياه وموقفه من الحكم (الفصل 440 من ق. م. م). لكن إذا عبر عن رغبته في الامتثال لمقتضياته، والتمس أجلا لذلك، لزم العون التوقف عند ذلك والرجوع إلى رئيس المحكمة الابتدائية، ليرى ما إذا كانت ظروف المحكوم عليه تقتضي إمهاله أجلا معقولا لتنفيذ الحكم الصادر ضده. لكن الملاحظ لدى كثير من المحاكم الابتدائية، أن المنفذ عليهم يفضلون التماس هذه المهلة في إطار القضاء الاستعجالي، بواسطة مقال يرمي إلى الحصول على الأجل الاستعطافي، بالرغم من أنه لا يوجد أي نص في القانون المغربي يعطي هاته الصلاحية لقاضي المستعجلات، بل يجلعها من صميم اختصاص قاضي الموضوع، وكذا من صلاحيات رئيس المحكمة الابتدائية، في إطار سلطته الولائية والإدارية. يملك رئيس المحكمة بهاته الصفة أن يقرن الإمهال بالأمر بالحجز تحفظيا على أموال المدين، إذا رأى ذلك ضروريا للحفاظ على حقوق المستفيد من الحكم (الفصل 440 من ق. م. م.). غير أنه يشترط لذلك أن يصرح المدين برفضه أداء الدين، أو بعجزه عن الوفاء به، حيث يكون على عون التنفيذ أن يلجأ عندها إلى وسائل الإجبار المعروفة قانونا، من حجوزات مختلفة، وإكراه بدني.

وتجب الإشارة إلى وسيلة خاصة، تأتي وسطاً بين التنفيذ الاختياري والجبري، وهي تلك المتمثلة في مسطرة الغرامة التهديدية L'astreinte. هاته الغرامة كما يدل عليها اسمها، غايتها التهديد والضغط معنوياً على المحكوم عليه حتى يتخذ موقفا إيجابيا من التنفيذ، وهي لذلك يحكم بها ضده عن كل يوم يتأخر فيه عن الامتثال لما حكم به عليه، وغالباً ما يكون مبلغها اليومي مرتفعاً جداً، حتى تؤدي دورها التهديدي. لكن ما تجب ملاحظته بمثابتها أنها لا تكون قابلة للتنفيذ بمجرد صدور الأمر بها ضمن الحكم البات في الجوهر، أو بمقتضى أمر صادر عن رئيس المحكمة الابتدائية (الفصل 448 من ق. م. م.)، وأنه يجب معاودة القضاء في موضوعها، من أجل الأخذ علما بموقف المحكوم عليه، وإصدار حكم جديد بتصفيتها، ويكون للمحكمة في ذلك إما أن تخفض منها، وهو الغالب، أو تبادر إلى تثبيت المبلغ المحكوم به، أو إلغائها بالمرة متى ثبت لها حسن نية المحكوم عليه وسلامة موقفه من التنفيذ. ويكون من المفيد التأكيد على أنها غير التعويض عن الضرر، بالرغم من الموقف المخالف الذي ذهب إليه المجلس الأعلى في ذلك، حيث استبعد إمكانية الحكم بها، إلى جانب الحكم بالتعويض عن الضرر، ولأن من شأن التمييز بينهما في نظر المجلس أن يؤدي إلى تعويض المحكوم له مرتين، وهو إثراء بلا سبب يرى المجلس أنه لا يجوز قانونا في مادة الغرامة التهديدية، لأن أساس تصفيتها يقتضي حصول الضرر من عدم التنفيذ أو التعويض عنه بواسطتها.

وفي جميع الأحوال، فقد لا تكفي الغرامة التهديدية لإرغام المحكوم عليه على الرضوخ لتنفيذ ما أمر به قضائياً، مما يفتح أمام المستفيد من الحكم سبل التنفيذ الجبري، وخاصة منه مسطرة الاكراه البدني الذي يهدف بدوره كوسيلة من وسائل التنفيذ إلى الضغط على المدين المحكوم عليه، لكن ضغطاً مادياً، عن طريق إيداعه في السجن، حتى يذعن إلى الوفاء بما حكم به عليه.

عرف التشريع المغربي نظام الإكراه البدني بواسطة قانون المسطرة الجنائية الصادر بتاريخ 10 يبراير 1959. ووقع تعميمه على القضايا المدنية الصادرة عن جهة المحاكم المدنية بالظهير رقم 1.10.305 الصادر بتاريخ 20 يبراير 1961، بينما نجد تشريعات أخرى لا تطبقه في المجال المدني إطلاقاً، كالقانون الألماني، أو تجيزه بصفة استثنائية في مواد خاصة، كما فعل المشرع المصري الذي نص على إمكانية تطبيقه لتنفيذ الأحكام الصادرة في النفقة والرضاع والمسكن.

أما معاهدة نيويورك الدولية المؤرخة في 16 / 12 / 1966 فقد اتخذت موقفاً مغايراً، ونصت على عدم جواز سجن الإنسان إذا لم يكن قادراً على الوفاء بالتزاماته التعاقدية. وقد صادق المغرب عليها بالظهير رقم 1.79.186 المؤرخ في

17 ذي الحجة 1399 موافق 8 نونبر 1979. ومع ذلك مايزال العمل جارياً بمبدإ الإكراه البدني على نطاق واسع بالمغرب، وفي مجال استخلاص الضرائب خاصة.

لكن ما تجب ملاحظته أن القانون المغربي قد بادر إلى الأخذ به في الميدان الضريبي في 6 ـ 3 ـ 1961، بعد أقل من شهر على تعميم الأخذ به في القضايا المدنية. كما تجب الملاحظة كذلك أن عدة نصوص منظمة لأنواع مختلفة من الضرائب صدرت بعد سنة 1961، وأحالت على بعض المساطر الواردة في ظهير 21 غشت 1935، دون التأكيد على الأخذ بالتعديلات المدخلة عليه بعد ذلك.

يجب التأكيد هاهنا على أنه يتحتم التقيد بالإحالة للشرطة والإحجام عن التوسع فيها حتى تشمل التعديلات اللاحقة في التاريخ.

وانطلاقاً من هذا الموقف، نقول بضرورة الالتزام بمقتضيات النص الأصلي لظهير 20 غشت 1935، في موضوع اللجوء إلى الإكراه البدني، وأنه في هذه الحالة تحكمه المقتضيات العامة الواردة بتاريخ 20 يبراير 1961 دون غيرها.

لكن متى جاز الأخذ بتعديلات 6 ـ 3 ـ 1961، في المجال الضريبي واستخلاص مبالغها عبر الإكراه البدني، كان بإمكان المدين أن يتحلل من إكراهه عليه عبر إثباته لحالة عسره، على أن يدفع بذلك خلال العشرين يوما الموالية لتاريخ تبليغه بالإنذار القانوني من لدن مصالح الضريبة.

غير أن هاته الوسيلة لا تجدي المدين نفعاً، في غير الديون الضريبية، ولا تقيه الحبس من أجل تنفيذها، وإنما تمنحه تخفيض مدة الحبس بنسبة النصف، عملا بمقتضيات الفصل 679 من ق. م. ج، سواء تعلق الأمر بتنفيذ أحكام مدنية تابعة، صادرة عن جهة القضاء الزجري، أو أحكام مدنية صرفة، مصدرها القضاء المدني.

ومع ذلك نجد النيابات العامة عندنا تميز بين النوعين من الأحكام المدنية المشار إليها، فيما يرجع لتطبيق مسطرة الإكراه البدني في سبيل تنفيذها. وهكذا تشترط في مسطرة الإكراه البدني بالنسبة للأحكام المدنية الصادرة عن جهة القضاء الزجري، أن يكون الحكم حائزاً لقوة الشيء المقضي به، وغير قابل لأي طريق من طرق الطعن العادية أو غير العادية. بينما لا تتطلب في الأحكام الصادرة عن المحاكم المدنية إلا أن تكون قابلة للتنفيذ.

وهي تستند في موقفها هذا إلى عدم الإحالة الصريحة على مقتضيات الفصل 645 من ق. م. ج. ذلك أن ظهير 20 ـ 2 ـ 1961 لم يأخذ بجميع القواعد التي تحكم مسطرة الإكراه البدني كما وردت في قانون المسطرة الجنائية، واكتفى بالإشارة إلى بعض فصولها وهو الفصل 675 وما يليه إلى الفصل 689، وأن الفصل 645 غير وارد ضمنها بطبيعة الحال.

أما عن شروط تطبيقه فقد ألزم المشرِّع المحاكم الزجرية بأن تحدد من تلقاء نفسها مدة الإكراه البدني، كلما قضت بالحكم بغرامة، أو بالمصاريف، أو رد ما يجب رده، أو بأداء تعويضات مدنية (الفصل 676 من ق. م. ج). أما المحاكم المدنية فيلتمس ذلك منها المحكوم لفائدته، وتستنفد ولايتها في الموضوع بعد البت في الحكم. وهي تحكم بالإكراه وبتحديد مدته، في أدناها أو الأقصى (الفصل 678 من ق. م. ج.). غير أنه يمتنع الحكم بالإكراه البدني بالنسبة للأحكام الآتية :

1 ـ الأحكام الصادرة في المخالفات السياسية.

2 ـ عند الحكم بالإعدام أو السجن المؤبد.

3 ـ متى كان المحكوم عليه لم يبلغ عمره ست عشرة سنة، عند تاريخ ارتكاب المخالفة.

4 ـ يمتنع مباشرة تنفيذ الإكراه البدني ضد الشخص الذي بلغ من العمر أكثر من خمس وستين سنة.

5 ـ يمتنع الحكم به لفائدة أحد الزوجين، أو ضد الأصول والفروع، والإخوة والأخوات، والأعمام، والعمات، وابن الأخ وابن الأخت وبنت الأخ وبنت الأخت ومن تربطه به مصاهرة في نفس الدرجة (الفصل 676 من ق. م. ج.)

6 ـ ويمتنع مباشرته في آن واحد ضد الزوج والزوجة، ولو بمثابة دينين مختلفين (الفصل 677).

ومع ذلك لا يمكن إلغاء القبض على المحكوم عليه وتطبيق مسطرة الإكراه البدني في حقه، إلا بعد استيفاء الإجراءات التالية :

ـ أن يوجه إنذار له للأداء، ويبقى دون جدوى بعد مرور عشرة أيام على توصله به (الفصل 680 من ق. م. ج.).

ـ أن يطلب اعتقاله الفريق المطالب بالمتابعة.

بعد ذلك فقط يوجه وكيل الملك الأوامر اللازمة إلى رجال القوة العمومية لكي يلقى القبض على المحكوم عليه ويزج به في السجن، مثلما يتم بالنسبة للأحكام بالسجن الصادرة عن العدالة بصفة عامة (الفصل 680 من ق. م. ج.).

وللمحكوم عليه بالإكراه البدني أن ينازع في صحة هاته الإجراءات وسلامة مسطرة تطبيقها ضده، ينازع في ذلك أمام القضاء، وبالضبط أمام المحكمة الابتدائية لمكان الاعتقال أو التنفيذ سواء كان معتقلا بالفعل أو ألقى عليه القبض من أجل تطبيق الإكراه البدني ضده (الفصل 683 من ق. م. ج.).

ويرى بعض الفقهاء أن المنازعة في إجراءات الإكراه البدني لا يمكن طرحها إلا أثناء مرحلة التنفيذ الفعلي حينما يصبح المحكوم عليه رهن الاعتقال، وأن رئيس المحكمة الابتدائية يكون غير مختص قبل ذلك، كما لو تمت المنازعة بمجرد إنذار المحكوم عليه بالأداء في إطار الإكراه البدني، لأن النظر في سلامة إجراءات الإكراه البدني من الناحية الشكلية والقانونية يؤول إلى وكيل الملك، قبل أن يأمر بإلقاء القبض على المحكوم عليه، ويعتمدون في موقفهم هذا على مقتضيات الفصل 683 من ق. م. ج. الذي يحيل على اختصاص رئيس المحكمة الابتدائية لمحل إلغاء

القبض أو الاعتقال، وعلى ما ذهب إليه المجلس الأعلى من أنه إذا ما تبين لرئيس المحكمة عدم صحة الإجراءات المتبعة في الإكراه البدني، فإنه ليس من اختصاصه الأمر بإطلاق سراح الشخص المعتقل في إطار هاته المسطرة.

ومعلوم أنه إذا كان رئيس المحكمة الابتدائية لا يؤول إليه أمر إطلاق سراح المعتقل، فإن تصريحه ببطلان الإجراءات المتبعة في التنفيذ يلزم وكيل الملك ويتحتم عليه الأخذ بالنتائج التي تترتب عن هذا البطلان.

ولا يخفى كذلك أنه يتطلب لتحريك مسطرة الإكراه البدني توفر الحكم موضوع طلب التنفيذ في أدنى مراتبه، على قوة الشيء المقضي به. وأن رئيس المحكمة الابتدائية عندنا، يعتبر قاضي التنفيذ، ويقع الاستشكال لديه، كقاضي المستعجلات، للنظر في صعوبات التنفيذ، والقانونية منه على الخصوص. ومن الصعوبات القانونية أن لا يتوفر الحكم على قوة الشيء المقضي به، ويراد اعتماده في مسطرة الإكراه البدني. لا نرى كيف نوصد باب القضاء الاستعجالي أمام المهدد بالاعتقال عن طريق مسطرة الإكراه البدني، ولا نسمح له باستصدار ما يعتمده لدرء هذا الخطر عنه.

إن الإكراه البدني مجرد مسطرة استثنائية لتنفيذ الأحكام المدنية خاصة، ويكاد يشبه دور النيابة العامة فيها الدور الذي تضطلع به لتحريك القوة العمومية المرخص باستعمالها لتنفيذ الأحكام المدنية كذلك، وهو يفترض وجود ملف تنفيذي، وإعذار المحكوم عليه للوفاء بالدين أو التعريف بموقفه من ذلك. وإنما يصار إلى التنفيذ الجبري، بما فيه الإكراه البدني، بعد تحرير محضر بالرفض أو التماس إمهال يعرض على أنظار رئيس المحكمة الابتدائية (الفصل 440 من ق. م. م.).

وهكذا يظل ملف التنفيذ تحت أنظار رئيس المحكمة الابتدائية دائما، وهو لم يخول هاته الصلاحية بمقتضى نصوص قانون المسطرة الجنائية، بل يستمدها من الاختصاصات القضائية والإدارية الممنوحة له في المسطرة المدنية.

ونعتقد أن المقتضيات القانونية التي تضمنها الفصل 683 من ق. م. ج.، تتعلق بالنزاع الذي تقع إثارته بعد أن يكون المحكوم عليه قد ألقي عليه القبض أو معتقلا فعلا، وقد ألح المشرع بواسطته على أن قاضي المستعجلات يختص بالنظر في مثل ذلك، غير أن هذه الإشارة إلى اختصاصه لا ترجع عن اختصاص النظر في المنازعة التي تثار قبل إلقاء القبض والاعتقال. لكننا نؤكد دائما، أن قاضي المستعجلات لا يملك حق الأمر بإطلاق السراح، لأن مجال صلاحياته لا يخرج عن التصريح بسلامة إجراءات التنفيذ أو عدمها. أما وضع الحد لاعتقال المحكوم عليه، فيتم عن طريق تنازل صادر عن الدائن المحكوم له، وكذا بعد قضاء فترة الاعتقال المحددة في الحكم موضوع طلب التنفيذ. ومعلوم أن المحكمة تحدد الإكراه البدني في حده الأقصى أو الأدنى، كما ورد في الفصل 678 من ق. م. ج. ولا يقع اللجوء إلى هاته المسطرة في التنفيذ إلا بعد أن يكون الحكم قد حاز قوة الشيء المقضي به، مما يعني استثناء التنفيذ المعجل في مجالات تطبيقاته.

وجدي راغب، *النظرية العامة للتنفيذ القضائي*، ص. 56 ؛ فتحي والي، *قانون القضاء المدني*، 1 : 217 ؛ محمود محمد هاشم، *المجلة العربية للفقه والقضاء*، ص. 30 ؛ محمد السماحي، *في مسطرة إيقاف التنفيذ أمام المجلس الأعلى*، *مجلة نظرات في الفقه والقانون*، العدد 1، ص. 5، سنة 1992 ؛ محمد محجوبي، *الغرامة التهديدية وتطبيقتها*، الرباط، 1993، ص. 34 ؛ مصطفى التراب، *نظام الاكراه البدني كوسيلة للإجبار على التنفيذ*، بحث منشور في سلسلة *نظرات في الفقه والقانون* للأستاذ إدريس طارق السباعي، العدد 1، ص. 76، سنة 1992 ؛ *قرار المجلس الأعلى ـ الغرفة المدنية* مؤرخ في 17 يوليوز 1964 منشور *بالمجلة المغربية للقانون*، فاتح نونبر 1964، ص. 339 ؛ *مجلة المحاكم المغربية*، *G.T.M.*، 10 يونيه 1964، ص. 62.

التنفيذ المعجل، استقته البلاد العربية من أوربا عن طريق فرنسا في غالبية الأحوال، وتصطلح عليه هاته الأخيرة بالتنفيذ المؤقت (L'exécution provisoire)، ولكننا نجد الاصطلاح الشائع في البلاد العربية، هو المعجل مكان الموقت.

أما في المغرب حيث تصدر النصوص القانونية باللغتين العربية والفرنسية، فقد حافظ النص الفرنسي على مثيله المتعارف عليه في القانون الفرنسي، بينما اقتبس النص العربي من الاصطلاحات الشائعة في البلاد العربية وفرنسا معاً. وهكذا بعد أن استعمل المشرع لفظة التنفيذ أردفها بكلمة المعجل بدل المؤقت (الفصل 147 من قانون المسطرة المدنية) بينما استعمل كلمة الموقت بالنسبة لقانون المسطرة الجنائية مثلا (الفصل 400 من قم . م. ج.).

لكن ما هو المدلول القانوني للاصطلاحين المؤقت والمعجل ؟ إن هذا التنفيذ مؤقت لسببين :

لأنه يتم عن طريق التسبيق (Par provision). ولأنه غير نهائي.

إنه يتم عن طريق التسبيق، بمعنى أنه تدبير احتياطي يراد منه تفادي الضرر الحاصل من الإبطاء في التنفيذ، ومؤقت كذلك لأنه غير نهائي. ويجب أن تسقط الأعمال التي تمت بمقتضاه إذا ما ألغي الحكم المعتمد في التنفيذ.

أما لماذا سُمي معجلا، فلأنه تنفيذ يتم قبل الأوان العادي له، أي قبل أن يصير الحكم نهائياً حائزاً لقوة الشيء المقضي به، لا يؤثر بإيقافه لا التعرض أو الاستيناف، ولا آجالهما.

والواقع أن اختلاف الاصطلاحين لا يؤدي إلى فارق جوهري في مفهوم نظام هذا النوع من التنفيذ سواء قلنا إنه معجل أو مؤقت. وأنه وردت في موضوعين عدة تعريفات تعتمد وصف الموقت تارة، ووصف المعجل تارة أخرى،

ونقترح له من جهتنا تعريفا تظهر فيه نتائج صفتي التعجيل والتوقيت معا، فنقول ... إنه حق يمنحه القانون، أو رخصة من لدن المحكمة، تتيح للمحكوم له، وتحت مسؤوليته إمكانية تنفيذ الحكم الصادر لفائدته قبل الأوان العادي له، تنفيذاً يتم بصورة مؤقتة.

والحقيقة أنه إذا كانت أزمة القانون حالياً تكمن في عدم استطاعته إضفاء حمايته على الحقوق المعتدى عليها، بالسرعة التي تحافظ لهاته الحماية على فاعليتها، فإن نظام التنفيذ المعجل يعتبر إحدى الوسائل الناجعة التي تبنتها كثير من المجتمعات، لتفادي ما يمكن أن يعتريها من عقم أحياناً.

نظام التنفيذ المعجل تعرفه التشريعات الأوربية منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر ولم يعرفه المغرب إلا منذ بسط الحماية الأجنبية على ترابه أوائل القرن العشرين.

لا يمكن أن يتصور نظامه إلا بالنسبة للقوانين التي لا تضفي قوة تنفيذية على أحكام محاكم الدرجة الأولى، أو تسبغها عليها، ولكنها تجعل للتعرّض والاستئناف أثراً واقفاً للتنفيذ.

والتنفيذ المعجل بالدول التي أخذت به، ومن بينها المغرب، مايزال في تطور مستمر، لم تعرف نصوصه بعدُ استقراراً نهائياً، نتيجة التيارات الفقهية المتباينة التي تتجاذب أحكامه. وقد كان المغرب بحق حقل تجارب متعددة لنظام التنفيذ المعجل، بحيث عرف أكثر من نوع بحكم تعدد المحاكم عندنا، وخضوعه لاحتلال دولتين أجنبيتين، واحتكاكه بقوانينهما، وكذا بتطبيق نظام دولي اختصت به مدينة طنجة في عهد الاحتلال. يضاف إلى هذا وذاك حفاظ المغرب على بعض مظاهر أصالته المتمثلة في المحاكم الشرعية والتنظيم القضائي الخاص بها.

وهكذا عرف كل نوع من هذه المحاكم المختلفة في الشمال والجنوب العصرية والشرعية والعبرية والمخزنية والدولية، نظاماً للتنفيذ المعجل خاصاً بها، وتمخض عن كل هاته التجارب، النظام الحالي، الذي يمكن أن نقول عنه إنه جاء وسطاً بين التيارين اللذين يتجاذبان الفقهاء في موضوع التنفيذ المعجل، فهو قد سلك بدوره طريق الجرد لحالاته، والتزم نفس التقسيمات التي عرفت في أكثر من تشريع، بين نافذ بقوة القانون وواجب أو جائز قضائياً، ولكننا نجده في نفس الوقت قد ساير التيار الآخر الداعي إلى إعطاء أوسع الصلاحيات للقاضي في هذا المجال.

ونعتقد أنه إذا كان القانون المغربي يحتوي على قواعد المسؤوليتين الشخصية والموضوعية، بالرغم من أنه لا يتضمن نصوصاً خاصة يقر فيها العمل بمبدإ تحمل تبعة المخاطر، فإننا لا يمكن أن نعتمد قواعد إحدى المسؤوليتين فقط لمواخذة المستفيد من النفاذ المعجل، ونرى أن يأتي الحل منسجماً مع التمييز الذي أقمناه لأنواع النفاذ المعجل الذي صنفناه مع زمرة الرخص والنوع الذي أرجعناه إلى الحقوق بصفة عامة.

إن استعمال الرخصة يؤدي إلى مسؤولية طالب التنفيذ حتماً في إطار المسؤولية الشخصية، مسؤولية أساسها الخطأ أو عدم التبصر في استعمال الرخصة.

أما استعمال الحق، فهو إما أن يصحبه التعسف، فتكون المسؤولية شخصية، أو أن يأتي بعيداً عن ذلك، فلا تتوفر شروط التعسف، وتتحقق مسؤولية المحكوم له طالب التنفيذ مع ذلك، لكن في إطار المسؤولية الموضوعية لا غير.

م. السماحي، *نظام التنفيذ المعجل للأحكام المدنية في القانون المغربي، دراسة مقارنة*، الدار البيضاء، 1985 ؛ وقائمة المصادر والمراجع المذكورة في آخر هذا الكتاب.

محمد السماحي

التنفيذة، تعني حق المنفعة أو الانتفاع بملك من أملاك بيت المال أو من أملاك الأحباس، ويعتبر هذا الحق امتيازاً خاصاً، يمنحه السلطان فيضع تحت تصرف المنعم عليه بهذا الحق بعض الأملاك قصد استغلالها والانتفاع بمواردها.

والتنفيذة حسب گريگوري لازاريف (Grigori Lazarev) تعني الظهير الذي يتم بموجبه الإنعام بأرض مخزنية. كان إقطاع أرض مخزنية يتم على شكل عقد يطلق عليه التنفيذة.

وتنشأ التنفيذة بظهير سلطاني يحرر غالبا على الشكل التالي : "ننقل بالتنفيذة إلى السيد.... حق الانتفاع بالقطعة الأرضية الكائنة بـ.... والتي كانت سابقا بيد.... لينتفع بها...". كما تنقطع بقرار سلطاني، ويمكن أن تجدد عند مبايعة سلطان جديد.

والأملاك المنفذة، غير قابلة من الناحية التشريعية للتملك أو التفويت، فظهير التنفيذة، يمنح المستفيد حق الانتفاع لا غير، بينما يحتفظ المخزن بحق الرقبة.

إن بدايات العمل بالتنفيذة غير واضحة المعالم، مما يصعب معه تحديد العصر والسياق الذي نشأت فيهما. فهي تشترك في عدة وجوه مع "إقطاع الاستغلال" الذي عرفه المغرب منذ العصر الوسيط. ويبدو أن التنفيذة أخذت شكلها التأسيسي في العصر السعدي، فقد جاء عند پول پاسكون Paul Pascon : أما في العهد السعدي فإذا كان قد أشير إلى هذا التشريع أحياناً، فإن استعماله أصبح نادراً، ووقع تعويضه بتشريع التنفيذة التي لها نفس معنى إقطاع الاستغلال قانونيا". فقد منح أحمد المنصور السعدي ظهائر متعددة للعائلات وللشخصيات نذكر منهم العالم قاسم بن سودة (. 1004 / 1596 م)، الذي منحه مجموعة من الأراضي بناحية فاس، مقابل قيامه بمهمة القضاء في فاس ومكناس وناحيتهما.

ونجد المولى إسماعيل في العهد العلوي، حسب ما ورد عند ابن زيدان في *النزع اللطيف* (ص 77) ينفذ للشريف محمد بن عبد القادر الشبيهي : "قطعة الأرض.... المتسعة الاكناف الجيدة التربة التي لا تقل عن ألف زوج الواقعة بسلفات في مزارع الشرارده"، وللنقيب عبد القادر ابن عبد

الله الجوطي : "ولجة لسقي الأرض الهائلة النفع الكائنة بسيدي علي المخفي من مزارع مكناسة... حسبما وقفت في ظهير التنفيذ بالإقطاع لمن ذكر".

وتعمق العمل بالتنفيذة في القرن الثالث عشر (19 م)، وانتشر بشكل خاص في النصف الثاني منه، وبلغ ذروته في عهد مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ، كانت قبائل "الجيش" وقوادهم أول المنعم عليهم بالتنفيذة مقابل خدماتهم العسكرية، وعن طريق "التنفيذة" كان السلطان يمنح أفراد الجيش الأراضي اللازمة لمعاشهم"، وكانت تلك التنافيذ توزع عليهم بكيفية جماعية تحت إشراف بعض موظفي المخزن أو قواد القبيلة.

أما تنافيذ القواد (الباشا، وقايد المايه، وقايد الرحى..) فكانت تمنح لهم من قبل السلطان حال تقلدهم مهامهم. وكانوا يؤدون إلى جانب الخدمة العسكرية واجب الزكاة والأعشار وجميع الكلف والضرائب المخزنية.

ومن القبائل التي استفادت من الأراضي المنفذة في هذا القرن مقابل تأمينها لـ"طريق المخزن" نذكر قبائل دخيسة وذوي منيع وأعراب سايس بين مكناس وفاس وأيت اسحق وأيت حمو بكروان، فقد كانت فرق الغنائمة مثلا تستغل منطقة واد الرمان، بينما كانت تعمر گدارة البواخر منطقة واد مكس.

لقد ارتبطت التنفيذة في مراحلها الأولى بالأرض، لكنها تطورت، إذ أنعم المولى الحسن ومولاي عبد العزيز، ومولاي عبد الحفيظ بتنافيذ شملت دوراً وحوانيت وأراوي وأراحي وهبات مالية، كما تنوعت العناصر المستفيدة لتضم الفقهاء والعلماء والقضاة وأفراداً من العائلة المالكة، وعائلات أكابر المخزن والشرفاء، مثل الأرض التي منحت لأحد الشرفاء المرانيين بواد الجديد بنواحي مكناس. ويتضح من كنانيش أملاك المخزن بالخزانة الحسنية أن كثيرا من دور مدينة مكناس كانت منفذة لعائلات قواد الجيش كالقائد بوعزة بن ميلود والقائد عتّ البويدماني.

وقد طرأ على التنفيذة تحول كبير في نهاية القرن الثالث عشر (19 م)، حيث فقدت جانباً كبيراً من معناها كانتفاع مؤقت قابل لأن ينزع من المستفيد منه، واستغلت في تكوين الممتلكات الشخصية على حساب أراض تخص بيت المال، حيث عمدت بعض الشخصيات والأسر الكبيرة ممن كانوا يتولون مهام قيادية إلى تملك الأراضي المنفذة لها، وأصبحت نتيجة ذلك تفوت وتورث وتباع وتحبس، فقد ادعى القائد محمد ابن حمّ الگرواني شراء جزء كبير من أراضي گروان، وكاد أن يستولي عليها لو لا تدخل السلطان مولاي الحسن. كما أصبح القايد عبد الرحمن الجامعي مالكاً للأرض المنفذة له ببلاد عزابة بنواحي فاس، ولم يستطع المخزن إثبات حقوقه في هذه الأرض إلا عن طريق الحجز بعد نكبة أولاد الجامعي حوالي عام 1313 / 1895.

وقد تفاقمت عادة تملك الأراضي المخزنية المنفذة مع ضعف المخزن وتزايد عدد المحميين. وقد أشار إلى ذلك محمد الحبابي : "قام المستفيدون من بعض الأراضي المخزنية ببيع هذه الأراضي التي لم يكن لهم فيها سوى حق الانتفاع، بعد أن تحصنوا في الغالب بحماية أجنبية"، فأصبحت أملاك عديدة للمخزن في حوزة أفراد يتمتعون بملكيتها حق التملك.

وقد طالت التنفيذة أراضي الأحباس أواخر هذا القرن، حيث كان السلاطين يمنحون بواسطة ظهير حق الانتفاع من أملاك حبسية (أراض وبناءات) لأفراد من المخزن، وللموظفين الدينيين : خطباء وأئمة ومؤذنين ومؤقتين ـ وهذا غير الحبس المعين ـ وللقضاة وللشرفاء من أعضاء الأسرة المالكة خاصة الفقراء منهم. وهذا ما أشار إليه لوي ميو L. Millot حين قال : "يمكن للسلطان بواسطة عقد اسمه التنفيذة أن يمنح حق الانتفاع بأملاك حبسية لقواد الجيش والعلماء مقابل خدماتهم الهامة أو لمساعدة الفقراء من أبناء العائلة الحاكمة". كما جاء بقلم جوزيف لوسيوني (J. Luccioni) "هناك عدد من الدور الهامة والجيدة كانت تمنح تنفيذة انتفاع مجاني للقضاة وبعض الموظفين الدينيين... وأعضاء من الأسرة المالكة وبعض الشرفاء والأعيان".

وهكذا مثلا أنعم سيدي محمد بن عبد الرحمن سنة 1276 / 1860 على عبد الرحمن الشرفي ـ أحد موظفي المخزن ـ بأرض حراثية من أوقاف جامع القرويين.

وذكر الناصري في *الاستقصا* (7 : 168) أن السلطان مولاي الحسن أنعم على الفقيه عبد الله بن خضراء بتنفيذة من مال الأحباس : "أنعم عليه السلطان أعزه الله بالإذن في الإفتاء وبظهير الاحترام ونفذ له راتبا من أحباس جامع ابن يوسف إعانة له على الدرس". وبلغ الإنعام بتنافيذ من أملاك الأحباس ذورته في عهد المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ.

ونجد في وثيقة حبسية مؤرخة بـ 19 محرم عام 1331 إحصاء للتنافيذ بمكناس نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

ـ بلاد الشبلية بنواحي مكناس كانت منفذة للفقيه بلقاسم بصري بظهير عزيزي يحمل تاريخ 13 رجب عام 1321 هـ.

ـ فدان الشيخ نفذ للحاج السعيد غريط في عهد مولاي عبد الحفيظ بتاريخ 22 جمادى الثانية عام 1326 هـ.

بلاد فرج منفذة لسيدي قدور آل سيدي سعيد بمقتضى ظهير يوسفي مؤرخ بمتم شوال عام 1330 هـ.

ـ دار الاسبوع كانت منفذة للفقيه المدرس محمد السوسي.

ـ دار بصوراتة منفذة لأولاد الفقيه المختار الأجراوي.

وشملت التنافيذ إنعامات مالية من مداخيل الأحباس استفاد منها عدد من الفقهاء والمدرسين والأئمة والمؤقتين والقضاة والأشراف، منهم بمكناس مثلا :

الفقيه المدرس المعطي ابن عبود 90 ريالا، والفقيه المدرس محمد السوسي 60 ريالا، والفقيه المدرس القاضي محمد الطاهري 120 ريالا، والفقيه النقيب مولاي عبد الرحمن بن زيدان 1050 ريالا، وغيرهم كثير مما لا يتسع المجال لتعداده.

ويظهر من هذا أن التنافيذ أصبحت مرادفة للراتب وللحبس المعين. استناداً إلى حق الانتفاع الذي تخوله التنفيذة قام المنتفعون بالاستيلاء على ما بأيديهم من العقارات الحبسية، فعائلة الزبدي وبعض الشرفاء العراقيين مثلا تمكنوا من امتلاك أراض حبسية بأولاد الحاج قريبا من فاس وقد تفاقمت هذه العادة مع ضعف المخزن مما ترتب عنه تبديد وضياع عدد هام من الأملاك الحبسية.

وقد اصطدم المسؤولون عن الأحباس في بداية عهد الحماية عندما شُرع في جرد الأملاك الحبسية، بتجزئة وضياع الكثير من هاته الأملاك المنفذة مما حدا بسلطات الحماية إلى إلغاء التنافيذ المقتطعة من أملاك الأحباس خاصة الأراضي، بمقتضى ظهير صدر في 10 رمضان 1331 / 1912 موجه إلى إدريس اللجائي الكاتب العام للبنيقة الحبسية ومما جاء فيه ".... تأمرك أن تكتب للنظار كافة بأن يلتفتوا إلى التنافيذ السالفة في استيفاء الكراء الوقتي في الأوقاف المنفذة لمن هي بيده بدون كراء أو بكراء..." ومع ذلك لم يقف العمل بالتنافيذ نهائيا فنجد في وثيقة حبسية مؤرخة بـ 20 جمادى الثانية 1336 عبارة عن رسالة من مراقب أحباس مكناس محمد بوعشرين يطلب فيها من الوزارة تقديم تنفيذة مالية لمهندس فرنسي مقابل خدماته. "وبعد فإن مهندس الفنون الجميلة مسيو فيل... قد استحق.... أن تعطاه منحة من الأحباس المكناسية مجازاة على خدماته... وعليه فلينفذ بسيطات 600 من الأحباس التي قام بخدماتها مكافأة له على عمله".

يتضح إذاً أن "التنفيذة" عرفت تطورا نوعيا وكميا في نهاية القرن الثالث عشر (19 م). وأخذت في التقلص منذ بداية عهد الحماية. وانتهى العمل بالتنافيذ المرتبطة بالأرض بعد انتشار الاستيطان الرسمي، وصدور ظهير 1919 الذي حدد الملكية الجماعية باسم المصلحة العامة، وظهير 1927 الذي اعتبر من المصلحة العامة أيضاً نزع الأراضي الصالحة للزراعة من يد "الأهالي" ومنحها للمعمرين. بينما ظل الإنعام بالتنافيذ المالية قائما في إطار جد محدود.

إحصاء الأملاك المخزنية بمكناس، خ. ح. بالرباط، كناش 454 ؛ عهد المولى الحسن 1307 هـ / 1886 م، وثائق خ. ح ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9، الدار البيضاء، ص. 168 ؛ ع. ابن زيدان، *المنزع اللطيف*، مخطوط خ. ع. بالرباط، (ج 595) ص 77 ؛ گريگوري، *الاقطاعات العقارية بالمغرب*، القسم الثاني، دار النيابة، العدد 8، 1985، ص 52. 53 ؛ نفس المرجع، القسم الثالث، العدد 25، 1990 ص. 25. 28.

Habous - contrôle inventaire de bien (1912 - 1927), 19

Meknès ; J. Luccioni, *Les fondations pieuses au Maroc, les Habous*, Rabat, p. 44, 127, 161 ; L. Millot, *Demembrement des Habous*, Paris, 1948, p. 40 - 42.

رقية بلمقدم

التنقيب عن الآثار (ما قبل التاريخ)، لعل الهدف الأصلي والوحيد من كل عملية تنقيب يبقى دائماً هو اكتشاف آثار الذين سبقونا ومحاولة التعرف عليهم وعلى عاداتهم وتقاليدهم وهمومهم ومشاكلهم اليومية قدر المستطاع.

وإذا كان ضروريا القيام بهذه الحفريات للوصول إلى الأدوات المساعدة واستخراجها ودراستها للتعرف على حقائق الحضارات الغابرة، فإن هذه العملية في نفس الوقت هي هدم وتخريب، لأننا حينما نجمع هذه اللقى الأثرية سنعمل على تغيير موضعها الأصلي حيث تركها الإنسان القديم منذ سنين خلت. وفي هذا الصدد ندرج كمثال مقبرة الصخيرات، لقد تم العثور على هذا الموقع في بداية الثمانينات عن طريق الصدفة. فحينما كان العمال يستخرجون الرمل من مقلع قرب مصب وادي الشراط عثروا على عظام بشرية، فتم إشعار المصالح المختصة التابعة لوزارة الشؤون الثقافية، وبالفعل توجهت مجموعة من المتخصصين وأجروا حفريات فاستخرجوا ما يزيد عن مائة هيكل عظمي وبجانبها عدة أدوات جنائزية منها أوان فخارية وحجر مصقول وأدوات عظمية وحلي.

ومما تجدر الإشارة إليه كون هذه الهياكل العظمية وتلك الأدوات الجنائزية ظلت على الحالة التي وضعها فيها الإنسان منذ حوالي أربعة آلاف وخمسمائة سنة ولم تتأثر بأي عامل من عوامل الطبيعة إلى غاية بداية الثمانينات. إننا ملزمون بهذه الحفريات. ولولاها لما استطعنا أن نعرف مثلا بأن سكان الصخيرات منذ حوالي أربعة آلاف وخمسمائة سنة خلت كانوا يدفنون أمواتهم إما منكمشين على الطريقة الجنينية وإما نصف جالسين وبجانبهم أدوات جنائزية جد متنوعة ومختلفة.

يجب علينا أن نعرف بأن أية قطعة كيفما كان حجمها وشكلها ولونها يمكن أن تكون لها دلالات كبيرة عن وجودها في مكان معين دون غيره، فمثلا أحجار الصم التي وُجدت مجتمعة بموقع القبعة الحمراء بضواحي سلا وهي تعود إلى الحضارة العطيرية (حوالي 30000 سنة)، تبين أن الإنسان الذي عاش بالمنطقة بنى الخيام وجمع الأحجار لتدعيم أعمدتها. فعلى المنقب إذن أن يسجل جميع الملاحظات والمعطيات حتى التي تبدو له بديهية ودون أهمية.

لكل هذه الاعتبارات، يستحب أن لا تُجرى الحفريات إذا نحن لم نتوفر على الإمكانيات المادية والمعنوية اللازمة وكذا الخبرة الضرورية والوقت الكافي للقيام بها جيدا وفي أحسن الظروف، اللهم إذا كان الموقع مهدداً بالخراب والضياع.

تعرى الأدوات داخل كل مربع بحذر وبعناية فائقة حتى

تبقى كل قطعة في محلها الأصلي، ويرسم فوق الورق الميلمتري كل مربع على حدة ويسجل مكان واتجاه كل قطعة، ثم تأخذ الصور العامة للمساحة التي تم التنقيب بها، وصور جزئية للمربعات والأدوات (انظر الصورة رقم 2) كما تؤخذ الإحداثيات العمودية X et Y والأفقية Z لكل قطعة، وبالنسبة لـ Z يختار الباحث نقطة الصفر في بداية التنقيب بمكان ثابت حتى لا تضيع، وبمنطقة يمكن رؤيتها من جميع جوانب الموقع.

وحتى يتسنى للباحث تمديد وقت الحفريات يتم في بعض الحالات تحويل التنقيب إلى المتحف، وذلك إما عن طريق القولبة، وكمثال له : هياكل مغارة الهرهورة المعروضتين حاليا بالمتحف الأثري بالرباط (الصورة رقم 3) أو عن طريق التلفيف وكمثال له : الهياكل المستخرجة من موقع الروازي بالصخيرات ومغارة المناصرة قرب شاطئ تمارة (الصورة رقم 4).

وللتنقيب في فترة ما قبل التاريخ خاصيات تميزه عن التنقيب بباقي المراحل التاريخية. ويمكن تحديد هذه الخاصيات في النقط التالية :

- إن الباحث في الفترات التاريخية يجد عدة آثار ثابتة على الأرض كالأسوار والبيوت والحمامات والفسيفساء... يمكن الاحتفاظ بها في عين المكان وزيارتها بعد عملية التنقيب للتأكد أو مراجعة بعض النظريات والاستنتاجات، بينما يبحث المنقب في فترة ما قبل التاريخ في غالب الأحيان عن أدوات متحركة يزيلها بعد التنقيب ولا يترك وراءه إلا طبقات جيولوجية عذراء، وبالتالي يمحو أثر الموقع بذاته.

- نوعية الآثار المنقب عنها. إذا كان الهدف من علم الآثار عامة هو التقرب من الذين سبقونا عبر ما خلفوه من أدوات وعمران، فإن طبيعة هذه الأدوات وكذا أهميتها تختلف من مرحلة إلى أخرى، وكمثال لذلك بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ تجمع عدة لقى لا أهمية لها بتاتاً بالنسبة للباحث في الفترات الموالية كالبقايا العظمية للحيوانات والطيور (فقريات، فئران...) التي تعطي فكرة عن المناخ القديم الذي عاش فيه الإنسان وتطوره وكذا الحيوانات والنباتات التي كانت موجودة آنذاك وكمثال ثان نذكر المقابر، ففي الفترة الإسلامية لا تدرس الهياكل العظمية المدفونة بنفس الطريقة التي تدرس بها بالنسبة لفترة ما قبل التاريخ، وذلك لعدة اعتبارات أهمها، كون طريقة الدفن خلال فترة ما قبل التاريخ تبقى جد مختلفة عن الفترات اللاحقة ولها عدة أساليب، ولكشف أسرارها لا بد من دراستها من جميع الجوانب، ثم إن مورفولوجية الهيكل العظمي عرفت تطوراً ملحوظاً، وللإحاطة بها لا بد من الأخذ بعين الاعتبار لعدة معطيات وجوانب لا يعيرها الباحث بالنسبة للفترات اللاحقة أي اهتمام.

- إن اللقى الأثرية التي تعود إلى الفترات التاريخية تكون مدفونة تحت التراب بعمق بسيط. في حين أن المستويات الاركيولوجية الماقبل تاريخية توجد بأعماق جد مختلفة تفوق في بعض الحالات عشرات الأمتار (مثلا موقع أولاد احميدة حوالي عشرين متراً).

- تعرف المواقع الماقبل تاريخية في كثير من الحالات وخاصة المغارات، تعاقب عدة حضارات خلال فترات زمنية جد متباعدة. مثلا مغارة المناصرة عرفت الحضارة العطيرية وحضارة العصر الحجري الأعلى ثم حضارة العصر الحجري الحديث. وقد تكون هذه الحضارات متفرقة بطبقات جيولوجية عذراء (انظر المقطع الجيولوجي رقم 1).

يوازي تاريخ التنقيب والحفريات بالمغرب من الناحية التاريخية في خطوطه العريضة تاريخ البحث في أوربا، حيث بدأ الاهتمام في بداية الأمر بجمع الأدوات "الجميلة"، دون إعطاء أية أهمية للأدوات "الخشنة" والستراتيغرافيا والمحيط الطبيعي للإنسان القديم. وخلال السنوات الأخيرة تطور البحث والتنقيب الأثري بأوربا وسائر المغرب هذا التطور، وهكذا تعددت التساؤلات والتخصصات والمعطيات والفرضيات والنتائج المتوخاة من البحث الأركيولوجي بصفة عامة. لكن يبقى لكل منطقة خاصيات تميزها، ويمكن أن نقسم تاريخ البحث في فترة ما قبل التاريخ بالمغرب إلى أربع مراحل مرتبطة بأربعة أحداث مهمة وذلك على النحو التالي :

تبتدئ المرحلة الأولى مع بداية البحث بالمغرب في هذا المجال (سنة 1875) وتنتهي بتأسيس أول جمعية للباحثين في هذا المجال سنة 1925، والملاحظ خلال هذه الفترة هو أن جل الأعمال كانت فردية ومتفرقة. أما المرحلة الثانية فتسير بنا إلى حين تسجيل أول موقع مغربي ضمن التراث الوطني سنة 1951 وتتميز بتعدد التخصصات التي أصبح الباحث الأثري يلجأ إليها (الجيولوجيا، الإحاثة، الأنتروبولوجيا...). وتمتد المرحلة الثالثة إلى غاية 1985 حيث تكونت الأطر المغربية الأولى المتخصصة في حقل ما قبل التاريخ، ومن مميزاتها تعميم البحث بمختلف مناطق المغرب، وتطور التقنيات والدراسات، وصدور عدة كتب ساهمت في التعريف بأهمية المواقع المغربية. وتهم المرحلة الرابعة البحث خلال السنين الأخيرة، ومن خاصياتها مشاركة الأطر المغربية بصفة مكثفة ومسترسلة في القيام بحفريات ودراسة الأدوات، فتعددت الأطروحات والمقالات الخاصة بهذا المجال.

يعود تاريخ أقدم مقال يتحدث عن وجود آثار ما قبل التاريخ بالمغرب إلى ما كتبه الدكتور بلايشير سنة 1875، وخلال سنة 1906 بدأ بالاري Pallary تنقيباته الأولية بناحية العرائش والناظور، وفي سنة 1908 اكتشف الدكتور پينشون Pinchon عدة مواقع أثرية قرب مدينة وجدة كمغارة تافوغالت، كما قام كامباراد Compardou بحفريات في كهف بالغماري.

خلال عقد الخمسينات تم تسجيل موقع سيدي عبد الرحمان ضمن التراث الوطني، كما نشرت عدة كتب تهم

البحث في فترة ما قبل التاريخ بشمال إفريقيا عامة وبالمغرب خاصة. فصدر سنة 1955 كتابان يحملان نفس العنوان *"ما قبل التاريخ بافريقيا"* الأول لأليمان Alimen والثاني لڤوفري Vaufrey. كما نشر بالو Balout خلال نفس السنة كتابه *"حضارة ما قبل التاريخ بشمال افريقيا"* واكتشف بيبيرسون Biberson بقايا الإنسان المنتصب بناحية الدار البيضاء وفي السنة الموالية (1956) عثر جون روش Roche على أولى بقايا الإنسان العطيري بمغارة أولاد بوشيخة الملقبة سابقا بمغارة الكُنْتْرُوبُنْدِيي Contrebandier. وفي الفترة ما بين 1951 و1955 قام نفس الباحث بتحريات وتنقيبات منهجية بمغارة تافوغالت.

ومع بداية الستينات وبالتحديد سنة 1961 ظهر كتابان لبيبيرسون تحت عنوان *حضارة العصر الحجري القديم بالمغرب الأطلسي والاطار الجيوغرافي القديم لما قبل التاريخ بالمغرب الأطلسي*. هذان الكتابان يعتبران المرجع الأساسي للبحث في هذه العهود الغابرة بالشمال الغربي للمغرب إلى يومنا هذا.

وخلال سنة 62 ـ 1963 تم اكتشاف جمجمتين بجبل إيغود قرب مدينة أسفي يعود تاريخهما حسب المعطيات الحالية إلى حوالي 100.000 سنة تم تصنيفهما حالياً ضمن الإنسان العاقل القديم.

وخلال سنة 1963 نشرت أطروحة جونْ روشْ تحت عنوان *حضارة العصر الحجري الأعلى بالمغرب* كما تم اكتشاف مقبرة الكيفان Kiffan قرب مدينة الدار البيضاء وفي سنة 1974 نشر كامبس Camps كتابا ملخصا للدراسات السابقة تحت عنوان *حضارات ما قبل التاريخ بشمال إفريقيا والصحراء* استعرض فيه جميع حضارات ما قبل التاريخ بالمغرب وعرض المشاكل الخاصة بها كانتشارها وتطورها وتأريخها... ورغم كون الباحث اهتم بالخصوص بالعصر الحجري الحديث فإن الكاتب استطاع أن يخرج مرة أخرى إلى الوجود مختلف مشاكل حضارات ما قبل التاريخ بهذه المنطقة.

وتميزت السنة الموالية (1975) باكتشافات جد مهمة تتجلى في العثور على بقايا الانسان العطيري بمغارتي السلطان II وأولاد بوشيخة بضواحي مدينة الرباط، الأولى على يد أندري ديبينات Debenath والثانية على يد جون روش وتيكسيي Texier. ومن خلال الدراسة التي قامت بها فيرمياك سنة 1978 لهذه البقايا استنتجت بأن إنسان دار السلطان ينتمي إلى صنف الإنسان العاقل ويعود تاريخه إلى حوالي 30.000 سنة. ومنذ سنة 1978 استأنفت الأبحاث بمقالع سيدي عبد الرحمان (كموقع سيدي عبد الرحمن امتداد، ورأس شاتولبي) كما أعيد النظر في الستراتيغرافيا التي رسمها بيبيرسون وأقيمت عدة تنقيبات بمغارة الهرهورة على يد ديبينات، وموقع القبعة الحمراء على يد تيكسيي، وتوبعت التحريات بالمغرب الشرقي على يد فانكلير Wengler.

وخلال سنة 1985 تم تقديم الأطروحات الأولى لباحثين مغاربة، كما تم إحداث المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث ابتداء من الموسم الجامعي 86 ـ 1987، فبدأت الأطر المغربية تتكون داخل المغرب.

وتوبعت الأبحاث بمختلف مناطق المغرب فتكلفت الباحثة فاطمة الزهراء الصبيحي العلوي، والسيد جون بيير دو گاس Daugas بالتنقيب بمقبرة الصخيرات الروازي، كما ساهمنا في هذه التنقيبات التي دامت أربع سنوات، واستأنف أندري ديبينات خلال سنة 1982 أبحاثه بموقع سيدي عبد الرحمان، وقمنا في نفس الفترة بالتنقيب في موقع الضاية الحمراء الموجودة قرب مدينة تيفلت.

وخلال سنة 1985، استأنفت الأبحاث بمقلع طوماس I على يد السيدة الصبيحي العلوي والسيد جون بول رينال J.P. Rynal، أما الدراسة الجيولوجية فقد عهد بها للباحث جون بيير تيكسيي، وفي نفس الفترة كذلك بدأت التنقيبات بمواقع الشمال على يد دوكاس وخاصة مغارتي كهف تحت الغار والغار الكحل وكذا مغارات رأس أشقار. وفي سنة 1988، قام فريق مكون من باحثين مغاربة وإسبان بتحريات بمنطقة وادي لاوْ بشمال المغرب.

وخلال سنتي 1990 و1991 ساهمنا في عدة تنقيبات بمغارة المناصرة الموجودة قرب شاطئ تمارة كما تم خلال سنة 1991 اكتشاف موقع أولاد حامدي (1) بضواحي مدينة الدار البيضاء وتوبعت التنقيبات بمغارة كهف البارود قرب مدينة بنسليمان.

ومجمل القول فإن عملية التنقيب تبقى دائماً الوسيلة الوحيدة للوصول إلى اللقى الأثرية، وتبقى دون أي خطر إذا ما نحن أخذنا جميع الاحتياطات اللازمة، وخصصنا الوقت الكافي للتأمل والدراسة قبل الشروع في أي عمل ما. ولم نجعل من الوصول وجمع الأدوات الهدف الأسمى ولكن لنجعل من حصر جميع المعلومات الهدف الأول من عملنا، لأن الباحث يشعر أثناء التنقيب، وحين ظهور أول مؤشرات عن وجود الموقع الأثري، بفرحة لا يشاطره فيها غيره، ورغبته في العثور على المزيد والمهم قد يزيغه عن طريق الصواب، لذلك فالباحث المتزن هو الذي يعرف كيف يتغلب على إحساساته الداخلية ويعمل أولا وقبل كل شيء لصالح العلم وتاريخ الإنسانية جمعاء، ويفكر في كل لحظة وحين في كل خطوة يريد أن يخطوها. وما يجب التأكيد عليه أن أخطاء عالم الآثار أثناء التنقيب قد تشوه معالم تاريخية وحضارات بائدة تركت بصماتها في تاريخ الإنسانية.

H. Alimen, *Préhistoire de l'Afrique*, Paris, p. 578, 1955 ; M. Antoine, *Répertoire préhistorique de la Chaouia*, n° 134, *B.S.P.M.*, t. I, 1927 ; *Aperçu sommaire sur les industries lithiques du Maroc central*, *B.S.P.M.*, t. IV, Fasc. I, Casablanca, pp. 29 - 49, 1930 ; *Note de préhistoire marocaine : un gisement atérien en place dans les alluvions de l'Oued Goréa*, *B.S.P.M.*, t. VIII, 1934; *La question atéro-ibéromaurusienne au Maroc : Historique et mise au point*, *B.S.P.M.*, t. XIV, 1937 ; *Préhistoire du Maroc atlantique et ses incertitudes*, Pub. de la soc. des sc. nat. du Maroc, pp. 361 - 389, 1948 ; *Sur l'Atérien moyen et la Grotte de Dar es Soltan*, Extrait de la Société des Sc. Nat. du Maroc, *compte rendu des séances mensuelles*, n° 1, p. 13, 1949 ; *L'Atérien du Maroc atlantique, sa place dans la chronologie nord*.

la Grotte de Dar-Es-Soltan, B.A.M., t. I, p. 93 - 118, 4 tabl. 9 fig., 1956 ; *L'Epipaléolithique marocain*, Lisbonne, t. I, 1963 ; *L'Atérien de la Grotte de Taforalt, B.A.M.*, t. III, pp. 11 - 55, 1967; *La grotte des contrebandiers, Temara, B.A.M.*, t. XII, p. 61, 1978 - 80 ; A. Ruhlman, *Le Paléolitique marocain : esquisse d'une étude d'ensemble, B.S.P.M.*, n° 2, 1945; *A propos de la subdivision de l'Atérien marocain, B.S.P.M.*, n° 2, 1948 ; *La Grotte préhistorique de Dar-Es-Soltan*. Coll. *Hespéris*, N° 11, Paris, 210 p., 67 fig., 2 pl, 1951 ; A. Salih, *Recherche sur l'épipaléolithique dans le Moyen Atlas*, Mémoire de D.E.A., Université Aix-En-Provence, 1986 ; *Le Moustérien et l'Atérien au Maroc*, Thèse d'Université, Aix-En-Provence, 1990 ; J. P. Texier, *Le Site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique, B.A.M.*, t. XVI, pp. 27 - 59, 1985 - 86 ; *Le Site atérien du Chaperon Rouge I, Maroc et son contexte géologique. B.A.M.*, t. XVI, pp. 27 - 59.; *Les Pièces pédonculées de l'Atérien. Libyca : Anthropologie - Préhistoire - Ethnologie*, t. VI - VII, pp. 127 - 158, 1958 - 59 ; R. Vaufrey, *Préhistoire de l'Afrique*, T. I. *Maghreb*, Paris, vol. 4, 458 p., 1955.

محمد عبد الجليل الهجراوي

التنقيب عن البترول، بدأ نشاط التنقيب عن البترول مبكراً في المنطقة الشمالية بجبل الفُقْرة في مقدمة الريف، حيث وجدت آثاره منذ سنة 1880 م، هذا ما جعل المنقبين الفرنسيين عن هذه المادة يعلنون عن وجود البترول بالمنطقة سنة 1910 م. وفي المرحلة ما بين 1912 ـ 1913 قامت شركة فرنسية تدعى بشركة بيرسون Pearson بأبحاث عن هذه المادة بتسلفات. وفي شهر يونيو 1914 م قررت مجموعة من الفرنسيين إرسال باحث جيولوجي إلى المغرب وذلك لتقصي حقيقة وجود البترول من جهة وتكملة الاستكشاف من جهة ثانية. وفي مارس 1915 م شكلت هذه المجموعة من الفرنسيين ما سمي بالنقابة الجزائرية ـ المغربية، وبعدها نقابة البترول الجزائري ـ المغربي، وبعد ذلك أصبحت النقابة الجزائرية المغربية للأنقاب والبحث وكان يديرها شوطارد Chautard، حيث أرسل هذا الأخير إلى الولايات المتحدة لاقتناء أدوات الحفر واستخراج البترول. وفي أواخر يونيو 1916 م كان شوطارد قد أنهى دراسته للناحية الموجودة بين مولاي إدريس زرهون والريف.

أنجزت منذ سنة 1917 عدة محاولات للتنقيب عن البترول، حيث قام لوي جانتي Louis Gentil بثلاث مهام في هذا الإطار، وصحبه بعد ذلك لوجون Lugeon وجولو L. Joleaud سنة 1918 ؛ وكذلك مرازيك Mrazec ومساعدهم لوطود Luteaud في غشت ـ نوفمبر من نفس السنة.

وقد أسفرت هذه المحاولات عن تمكين الشركة الشريفة للبحث والأنقاب من تكملة التنقيب والتأكد من الاستكشافات التي وصلت إليها عن طريق الأهالي في منطقة الغرب. وعلى إثر هذه النتائج قُرر حفر نقبين وما يناهز عشرين بئراً صغيرة بجبل الفُقْرة، كما حُفر مسبران بجبل تُسلفات حيث أعطى أحدهما قدراً من زيت البترول من عمق اثنين وعشرين متراً.

إلا أن نشاط التنقيب عن البترول حقيقة ابتدأ منذ سنة 1919 م، حيث عثر على عدة قرائن زيتية في عدة أماكن من حوض الغرب. وكان البحث آنذاك يعتمد على الحفر بجانب القرائن الزيتية، حيث أدى سنة 1923 م إلى اكتشاف التجمع النفطي بالقرب من سوق أربعاء الغرب (العين الحمراء)،

africaine, B.S.P.M., t. XIX, 1950 ; *Les grande lignes de la préhistoire marocaine, IIè Congr. Panaf. de préhist., Alger - Casablanca, 1952* ; C. Arambourg, *Les corrélations paléontologiques entre le Pléistocène de l'Europe et celui de l'Afrique, Bull. Soc. Géol. de France*, Paris, 7ème série, t. XI, N 1, pp. 106 - 115, 1969 ; *Vertébrés villafranchiens d'Afrique du Nord*, Fondation Singer-Polignac, éd. 141 p, 1979 ; A. Balouche, *Paléoenvironnement de l'homme fossile holocéne au Maroc : apport de la palynologie*, Thèse, Univ. Bordeaux I, 1986 ; L. Balout, *Préhistoire de l'Afrique du Nord, essai de chronologie*, Alger-Paris, 554 p, 29 fig. 2 pl, 1955 ; *L'homme préhistorique et la Méditerranée occidentale, R.O.M.M.*, 3, pp. 9 - 29, 1967 ; G. Beaudet, *Le quaternaire marocain : Etat des études, R.G.M.*, 21 : 3 - 66, 1971 ; P. Biberson, *Le cadre paléogéographique de la préhistoire du Maroc atlantique, P.S.A.M.*, 16, 253 p, 2 cartes, 23 pl, 1961 ; *Le paléolithique inférieur du Maroc atlantique, P.S.A.M.*, 17, 544 p., 52 fig., 194 pl, 1961 ; *Les plus anciennes industries du Maroc*, 9ème congrès de l'U.I.S.P.P., pp. 1 - 13, 1976 ; Y. Bokbot, *Habitat et monuments funeraires du Maroc préhistorique*, Thèse de Doctorat, Aix-en-Provence, 1991 ; K. Bourchouk, *Etude du paléolithique moyen à l'Aguelmane de Sidi Ali, Moyen Atlas*, Mem. Fin d'étude,I.N.S.A.P., 1991 ; A. Bouzougar, *Schémas opératoires du débitage et du façonnage à la moyenne Moulouya, l'exemple de l'ensemble lithique de Megdoul*, Mém. fin d'étude I.N.S.A.P., 1991 ; Ph. Brebion, *Paléoclimatologie du quaternaire marin du Maroc atlantique, méthoée d'étude, variations dans le temps et dans l'espace, Cahier du quaternaire*, hors série : *Paléoclimats*, pp. 179 - 186 ; G. Camps, *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*, Paris, 372 p., 100 fig., 39 tabl., 1974 ; G. Choubert [et al.], *Essai de classification du quaternaire continental du Maroc, C.R.A.S.*, Paris, t. 243, pp. 504 - 506, 1956 ; G. Choubert et J. Roche, *Note sur les industries anciennes du plateau de Salé, B.A.M.*, t. 1, pp. 9 - 37, 1956 ; *Essai de corrélation des formations continentales et marines du pleistocène au Maroc, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, t. 25, p. 36, 1965 ; J.P. Daugas [et al.], *Le Néolithique nord-atlantique du Maroc : premier essai de chronologie par le radiocarbone, C.R.A.S.*, t. 308, Série II, p. 681-687, 1989 ; A. Debenath, *Nouvelles fouilles à Dar Es-Soltan, Champ de tir d'El Menzeh près de Rabat, Maroc, Note préliminaire, Bull. Soc. Préhist. Fr.*, t. 69, p. 178 - 179, 2 fig., 1972 ; *Aspect de la préhistoire marocaine, Bull. Soc. Preh. Fr.*, t. 78, p. 133, 1981 ; *Dar Es-Soltan II, rapport d'activité mission préhistorique et paléontologique au Maroc*, p. 27 - 30, 1981 - 82 ; A. Debenath, J.P. Raynal et J.P. Texier, *Position stratigraphique des restes humains paléolithiques marocains sur la base des travaux récents, C.R.A.S.*, Paris, t. 294, pp. 1247 - 1250. 1982 ; A. Debenath [et al.], *Mission préhistorique et paléontologique françaises au Maroc, Rapports d'activités, 1981 - 1982 et 1983* ; A Debenath et J-P. Lacombe, *Remarques sur la double sépulture néolithique du gisement d'El Harhoura II Province de Témara, Maroc, Arqueologia*, 13 (espacial J. Roche - II), Porto, p. 120 - 125, 5 fig., 1986 ; A. Debenath, *Les Atériens du Maghreb, Dossier d'archéologie*, p. 52 - 57, 1991 ; M.A. El Hajraoui, *La région de la Mamora dans son contexte géologique et paléopédologique*, Thèse de 3ème cycle, Univ. Bordeaux I, 1986; *Etude paléopédologique et préhistorique dans la région de la Mamora, Précisions stratigraphiques, B.A.M*, t. XVII, pp. 13 - 32, 1987 - 88 ; *Nouvelles découvertes néolithiques et atériennes dans la région de Rabat Grotte d'Elmnasra*, Actes du congrès méditerranéen historique de Lisbonne, édit. Mediterrâneo N° 2, p. 105 - 112, 1993 ; M. Gigout et R. Raynal, *Recherche à la corrélation des phénomènes marins et continentaux dans le quaternaire marocain, C.R.A.S.*, 15, t. 248, Paris, pp. 2223 - 2225; D. Ferembach, J. Datsugue et M.J. Poitrat-Targowla, *La nécropole épipaléolithique de Taforalt, Maroc oriental, Etude des squelettes humains*, Rabat, 176 p., 1962 ; A. Habboun, *Etude de l'industrie lithique du Chaperon Rouge II*, Mém. fin d'étude, I.N.S.A.P., 1991 ; A. Laadioui, *Etude de la céramique cardiale d'Achakar et de Kaf Tahti- el-Ghar, dans le cadre de la néolitisation du Maroc*, Mém., INSAP, Rabat, 1991 ; G. Lecointre, *Recheches géologiques dans la Meseta marocaine, Mém. Soc. Sc. Nat.*, n° XIV, pp. 241 - 263. 1926 ; J.P. Lacombe, M.A. El Hajraoui, J.P. Daugas, *Etude anthropologique préliminaire des sépultures néolithiques de la grotte d'Elmnasra, Témara-Maroc, Bull. Trim. Soc. d'Anth. du S.W.* T. XXVI, 3ème trim., p. 167 - 176, 1991 ; A. Mohib, *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : l'outillage du niveau M. de Sidi Abderrahman. Fouille Neuville et Ruhlman*, Mem. fin d'étude, I.N.S.A.P., 1991 ; E. Nami, *Contribution à l'étude du paléolithique ancien de Casablanca : industrie lithique du Niveau D2 de Cap Chatelier, Fouille P. Biberson*. Mém. fin d'étude I.N.S.A.P., 1991 ; P. Pallary, *Recherches paléolithique. ethnologique sur le littoral du Maroc, Anthropologie*, t. XI, p. 168, 1908 ; R. Neuville et A. Ruhlman, *La place du paléolithique ancien dans le quaternaire marocain*, Rabat, 1941 ; H. Roche, *Premiers outils taillés d'Afrique*, Thèse de 3ème cycle, *Société d'Ethnographie*, 261 p., 1981 ; J. Roche, *Etude sur l'industrie de*

وقد كان معظم هذا النفط ينبع من عدسات رملية تنتمي إلى الميوسين الأعلى. وبعد ذلك وعلى عمق يناهز سبعمائة متر تم اكتشاف أحجار خزينة في الليلس أعطت إنتاجاً يقدر بحوالي مائتي وخمسين طنا يومياً، وفتح هذا المجال للتنقيب عن البترول في صخور الليلس في أماكن أخرى غير منطقة الريف.

ونشير هنا إلى أن اكتشاف النفط بمنطقة الغرب قد شجع على استعمال عدة تقنيات معاصرة منها المسح الجيولوجي والجيوفزيائي (طريقة الاهتزاز الانعكاسي، كرافيمتري، المانيتومتري، وبعض المقاطع السيسميكية، والقبروسايز).

ومن بين الشركات التي ساهمت في عملية التنقيب في هذه المرحلة نذكر :

- الشركة الشريفة للبحث والأنقاب، والشركة الفرنسية لبترول المغرب، ونقابة دراسة البترول بالمغرب، وشركة بني عيشة، وشركة النفط للمغرب الأوسط.

وفي سنة 1946 م اكتشف حقل وادي بهت (الجنوب الغربي لتلال ما قبل الريف)، وحقل باثون سنة 1947 م، وحقلا وازرار وبودراع سنة 1955. وإذا ما استثنينا حقل بودراع الذي أنتج بعض النفط من الأحجار الجيرية، فإن إنتاج باقي الحقول كان يأتي من صخور الغرانيت، والباليوزوي وكذلك صخور الليلس الجيرية وحجر رمل الميوسين.

حدث مباشرة بعد اكتشاف حقل الحريشة في الشمال وجبل بودراع والذي كان يأتي إنتاجه من الأحجار الرملية المنتمية إلى الجوراسيك المتوسط المغطى بالميوسين، أن تحمل مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (B.R.P.M.) المؤسس بالظهير الشريف المؤرخ 15 دجنبر 1928 م مسؤولية البحث عن البترول بالمغرب. وقد توسع على إثر ذلك نطاق البحث فشمل كافة التراب الوطني.

بالطبع كان لنشاط التنقيب بعد سنة 1949 انعكاسات جد إيجابية حيث بلغ إنتاج البترول حوالي 1200 طنا شهريا سنة 1949، مقابل 1000 متر من الحفر.

أما فيما يخص منطقة تلال ما قبل الريف، فلقد بدأت الدراسات الأولية سنة 1973 واستمرت إلى ما بعد 1977، ويعلق المختصون آمالا كبيرة عن هذه المنطقة، لتوفرها على كافة الشروط اللازمة لوجود النفط الخام.

إلا أن التنقيب قد شمل مجموع التراب الوطني، حيث اكتشفت على إثر ذلك عدة أحواض بمناطق مختلفة أهمها :

1 - حوض الصويرة : لقد تم اكتشاف الغاز بحقل كشولة سنة 1957، وحقل جبل الجير 1958 م. أما في سنة 1964 فلقد تم اكتشاف البترول بحقل سيدي غالم حيث أنتج هذا الأخير ما يزيد على 800.000 طنا من النفط الخام إلى غاية 1977 م ولم يتوقف التنقيب عند هذا الحد، بل تم اكتشاف النفط بحقل توكمت، والغاز بحقل ندارك سنة 1975 م.

2 - حوض دكالة : بدأ التنقيب عن النفط بهذه المنطقة منذ 1962 م حيث تم حفر بئر هلال حتى عمق 2.472 متراً، ولم تعط هذه الأخيرة أية آثار للنفط. وتوسع التنقيب بحفر بئر عمقه 2.842 متراً، بشمال أسفي، والتي أعطت علامات نفطية مهمة في الصخور الشعابية بالدفونيان المتوسط، وبعد ذلك تم حفر بئر ثالثة بالوالدية على عمق 2.380 متراً، ورابعة على عمق 3.421 متراً، إلا أن هذه المجهودات لم تعط أكلها. وفي سنة 1970 أعيد مسح المنطقة ودراستها جيولوجيا بوسائل أحدث، والتي على إثرها تم حفر بئر أولاد بوزيد وأولاد زيان وكذا أولاد يعقوب سنة 1973 م.

ورغم أن هذه المجهودات الجبارة لم تسفر على أي نتائج مشجعة، فإنه أعيد تقويم كل الدراسات السابقة سنة 1974 م.

3 - منطقة الهضاب العليا : بدأت أول مرحلة من الاستكشافات سنة 1963 م واستمرت إلى غاية سنة 1967 م. وبعد دراسة دقيقة من الناحيتين الجيولوجية والجيوفزيائية تقرر حفر بئرين بتندرارة للتعرف على الرسوبيات الفتاتية في قاعدة الدور التريلسي والدلوميت والحجر الجيري بالليلس، حيث استنتج أن صخور قاعدة الدور التريلسي كتيمة وصخور الليلس قد غزتها المياه العذبة.

أما ثاني مرحلة للتنقيب عن البترول فبدأت منذ سنة 1975 م، حيث أعيد على إثرها النظر في الدراسات السابقة كما أجريت دراسة جيوفزيائية تكميلية، والتي على إثرها تم حفر عدة آبار عينية قصد التعرف على طبيعة بعض الآفاق السطحية التي أظهرتها الدراسات الاهتزازية. ولقد أدت هذه المجهودات إلى اكتشاف وجود سلسلة رسوبية متطورة تنتمي إلى الباليوزوي الأعلى المتأثر بالحركات التشكيلية الهرسينية.

4 - حوض گرسيف : كل الدراسات التي أجريت على هذه المنطقة من سنة 1969 إلى غاية 1971 أبانت على أهمية الميوسين، الكامنة في طبقاته السفلية الرملية والتي تشير إلى احتمال وجود عدسات حابسة للنفط أو الغاز. وعلى إثر هذه الدراسات تم سنة 1972 م حفر بئر شمال گرسيف على عمق 1.967 متراً، إلا أن هذه البئر أبانت عن وجود طبقة سميكة من الطين الأزرق الميوسيني الخالي من كل آثار النفط والغاز.

5 - منطقة الراشدية : بدأ التنقيب عن البترول بحفر بئر تَمَشْرو في نهاية 1963 م حيث أوقف الحفر بهذه البئر على عمق 1.831 متراً رغم أنه قد أبان على وجود آثار نفطية وغازية في الليلس. وتوبع نشاط الاستكشاف بحفر بئر تْزوجَرْت، غير أنها لم تسفر عن أي نتيجة، وأوقفت البئر على عمق 927 متراً، وبحفر بئر قصر السوق، وقد أوقفت هذه الأخيرة على عمق 1.344 متراً دون جدوى.

6 - حوض تندوف وطرفاية : بدأ التنقيب عن البترول منذ سنة 1958 بهذه المنطقة، وأجريت عدة دراسات معمقة، نتج عنها حفر أربعة آبار عميقة أحدها في تندوف، إلا أنه

ينعدم في هذه الأخيرة وجود صخور خزينة للبترول ؛ والباقي في حوض طرفاية وينعدم فيه وجود مصدرية للبترول.

7 ـ حوض العيون : لقد تم حفر ما يزيد عن سبعين بئراً، وذلك منذ سنة 1962 م، إلا أن ما استنتج من خلال الدراسات التي أجريت على هذا الحوض أن سحنات الميزوزوي أحسن في قيمتها داخل البحر.

8 ـ التنقيب عن النفط في مجال البحر : بدأ التنقيب عن النفط في مجال البحر سنة 1967 وذلك في عرض المحيط الأطلسي حيث تم حفر تسعة آبار عرض شاطئ طرفاية. أما في عرض المحيط فلقد تم حفر بئر واحدة غرب أگادير سنة 1972، وثانية في منطقة إيفني، وأخرى غرب حوض الصويرة ودكالة سنة 1970 ـ 1971 م، وأخيراً حفرت بئر استكشافية غرب مدينة العرائش، ونشير هنا إلى أن هذه المجهودات الجبارة لم تسفر على أي نتائج مرضية. وبالرغم من كل هذا، فلقد استمر التنقيب عن البترول عرض البحر المتوسط سنة 1974، شرق كدية الطيفور ومنطقتي الحسيمة والناظور.

هكذا شمل التنقيب عن البترول كافة الأحواض المذكورة من طرف مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية والشركة الشريفة للبترول في مرحلة ما بين 1958 ـ 1981 م، حيث أُنجز 176 منقباً، اكتشفت على إثرها تكدسات من الزيت والغاز في حوضي الصويرة والغرب.

وفي أبريل 1981 أسس المكتب الوطني للأبحاث والاستثمارات النفطية (ONAREP) حيث كلف بجميع الأبحاث التي تخص البترول بالمغرب معتمداً في ذلك على إمكانياته الخاصة، وأحياناً أشرك في أبحاثه بعض شركات البترول الأجنبية.

وتجدر الإشارة إلى أن المجهودات التي قامت بها هذه المؤسسة أسفرت على نتائج هامة نذكر منها على سبيل المثال، حفر ستة وسبعين منقباً تم على إثرها اكتشاف حوض من الغاز بمسقالة (حوض الصويرة) وتكدسات مختلفة من الغاز البيوجيني في حوض الغرب.

التنقيب عن المعادن، ذكر ابن خرداذبّه حوالي سنة 226 هـ / 840 م أنه كان بدرعة المدينة الكبيرة الكثيفة السكان آنذاك مَكْمَن من الفضة. وقد أشار البكري سنة 442 هـ / 105 م إلى مكمنين واقعين على الضفة اليمنى وعلى مقدار يوم واحد سيراً من النقطة التي تغادر فيها طريق أغمات ـ سوس الأطلس. ولا بد من التذكير أن عاصمة سوس كانت آنذاك تسمى إگلي (قرب تارودانت)، وكانت على حوالي يومين من المشي من واد النُّفيس حيث وجدت عدة آثار لأسواق كثيرة تمتد إلى المحيط الأطلسي. ويمكن أن يكون أحد هذه المكامن مكمن تازَرارْت. وقد أشار البكري كذلك إلى مكمن آخر من النحاس في تيحمامين على حوالي يومين من المشي من سجلماسة عن الطريق المؤدية إلى ورزازات.

لا بد أن مكامن درعة قد بدأ استغلالها قديما، حيث كان مَوْلَى سجلماسة يأخذ الخماسية على المنتجات في ذلك الوقت. وفي سنة 529 هـ / 1134 م أشار الإدريسي إلى مكمن آخر من النحاس الخالص بالأطلس المتوسط قرب بني ملال على طريق فاس المؤدية إلى مراكش عبر تادلا. ونشير هنا إلى أنه كان هناك مشعب يربط هذه الطريق بجبل عوام.

وذكر *روض القرطاس* أنه كان هناك عبر باب الحديد بفاس طريق مؤدية إلى جبل فزاز ومكامن عوام. ونعلم أن باب الحديد صنع في عصر إدريس الثاني، في آخر القرن الثاني الهجري (أوائل 9 م). وبقي المكمن ينتج المعدن حتى ربيع الأول 647 هـ / 1249 م حيث خرج آنذاك الأمير أبو يحيى من فاس قاصداً مكمن عوام (منطقة فزاز). وعندما زار الحسن الوزان بلد عوام وجدها خراباً خالية من السكان، ويقال إن مكمن جبل عوام كان قد خلا منذ أكثر من مائتين وخمسين عاماً أي حوالي 659 / 1260. ولقد أعيدت الحياة في منجم عوام مع بداية استغلال المكمن من طرف البرتغال حيث أعطى الكثير من معدن الرصاص. وتذكر أسطورة "السلطان الأسود" الذي كان يحكم بلد عوام والتي تقول إنها كانت بلداً شاسعة، وأن مسابكها ودكاكينها كانت تغطي المرتفعات عن آخرها، وتشير الأسطورة إلى أن بَلْجَة نار المسابك كانت ترى من مكناس وفاس. ومن بين المآثر المنسوبة إلى البرتغال خطأً بقايا قصبة توجد قرب جبل عوام وداخلها توجد بقايا التراب المحروق، والآجُر، وكذلك خبث المعادن.

وأشار الحسن الوزان Léon L'Africain أنه يوجد بإفران في سوس أربعة قصور كان الصناع التقليديون يصهرون بها النحاس، وغير النحاس. وكانوا يصنعون بها أعمالا فنية مختلفة من النحاس (كالكؤوس مثلا).

وفي مطلع القرن السابع عشر كان سادة تافيلالت يسكون عُمُلات من الذهب والفضة، إلا أن الذهب كان يأتي من السودان عن طريق المقايضة. ومما تجدر إليه الإشارة أن ملك فرنسا هنري الثاني Henri II قد كلف قنصله سنة 987 / 1579 للتحاور مع السلطان مولاي أحمد المنصور لتموين فرنسا بحوالي 40.000 قنطاراً من النحاس. أما في 1019 / 1610 فقد كتب الشريف مولاي زيدان في إحدى رسائله إلى الدول المتحدة المشتركة الهولاندية، لإلقاء نظرة على خيرات المغرب وهذا موجزها : "المغرب غني بمكامن الذهب والنحاس والكبريت والرصاص والحديد وغيرها من المعادن والأشياء الضرورية للحرب". ويجب ألا ننسى أن الأهالي وعلى الخصوص الموجودين قرب المكامن، كانوا يستغلونها لصناعتهم الخاصة وتمكنوا من استخراج أكثر من 70٪ من المعدن الخام (مثلا الرصاص).

ومن أول أعمال البحث الجيولوجية بالمغرب، أعمال الجغرافي أحمد بن الحسين المتيوي سنة 1213 / 1789،

وتوسعت سنة 1220 / 1805 بدقة أكثر مع علي باي العباسي. وفي سنة 1306 / 1888 أخرج طمسون Thomson أول خريطة جيولوجية بمقياس 1.500.000 / 1، وبعدها، أدت أعمال جانتي Gentil وبريف Brives إلى نشر خريطة جيولوجية من مقياس 2.500.000 / 1 سنة 1329 / 1911.

إلا أن التنقيب عن المعادن بمعناه الصحيح لم يبدأ بالفعل إلا بعد سنة 1331 / 1912 م، وينقسم إلى مرحلتين :

- الأولى وكان يُعتمد فيها أساسا على المعلومات المستمدة من الأهالي.

- الثانية اعتمد فيها على أعوان الشركات المعدنية الكبرى، والجيش، والمستكشفين الخواص وغيرهم، حيث كان هؤلاء يطلعون ويعيدون النظر في المناجم الصغيرة للكحل، والنحاس والحديد والملح الخام، والتي كانت تستغل من قبل بطريقة تقليدية من طرف بعض القبائل المغربية. إلا أن أكثر هذه المعلومات غير صحيحة.

وعلى إثر هذه المعطيات، وبعد هذه المرحلة الثانية أضحى التنقيب عن المعادن من طرف الشركات الخاصة، وعلى الخصوص بعد اكتشاف الفحم الحجري والبترول بالغرب، غير كاف ودون المستوى. وهذا ما دفع المسؤولين آنذاك لخلق مؤسسات تابعة لجهاز الدولة كمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية، ومصلحة المناجم والخريطة الجيولوجية (ظهير 15 دجنبر 1928)، بدأ بدراسة بعض المكامن المعدنية المعروفة، ورسم خريطة جيولوجية أدق. ونظراً لأهمية المعادن بالمغرب أسست بعد ذلك سنة 1942 شعبة دراسة الرواسب المعدنية. وفي سنة 1958 بدأت تصدر مديرية المعادن والجولوجيا مجلة على رأس كل ثلاثة أشهر (*مجلة المناجم والجيولوجيا*)، هدفها الأساسي نشر الأبحاث المعدنية والجيولوجية لتسهيل الاستكشاف والتنقيب عن المعادن بالتراب الوطني.

ولكي نوضح أكثر تاريخ التنقيب عن المعادن بالمغرب فلا مناص من أن نهتم بالتاريخ القريب لعملية استكشاف أهم المعادن المغربية كالفوسفاط، والرصاص والخرصين والحديد والكوبالت والنيكل والقصدير.

1 - يبدو أن الإعلان عن وجود الفوسفاط لأول مرة جاء في تصريح 21 أبريل 1908 م على لسان بريف Brives. أما أول من عثر عليه وحَلّله، فكان صيدلياً عسكرياً وتم ذلك سنة 1911 م، وتبعه تصريح كومبلا Combelas يوم 3 دجنبر 1912 م والذي عثر على الفوسفاط قرب الآبار المحفورة من طرف السكان للحصول على الماء الشروب.

إلا أن هذه المحاولات وغيرها لم تعط أكلها، حتى أواخر سنة 1917 حيث قام جانتي Gentil على رأس بعثة علمية وذلك قصد رصد الدلائل ومكامن الفوسفاط بالبروج وواد زم. وبعدها مباشرة بدأت مصلحة المعادن في نوفمبر 1917 بأول أعمال للكشف بشمال وغرب البروج، وفي سنة 1919 وسعت مصلحة المعادن أعمالها إلى شرق البروج حيث حفرت خنادق وسراديب عدة في المنطقة، مكنت المصلحة من التعرف على أهم مكامن الفوسفاط.

وعلى إثر هذه النتائج أُسس المكتب الشريف للفوسفاط التابع للدولة بظهير 7 غشت 1920 والذي أُسند إليه كل ما يتعلق بهذه المادة بالمغرب (تقييم الرواسب، عملية الإنتاج، الخ...). وأهم إنجازات هذا المكتب تخص عملية التنقيب الواسعة والتي شملت مسقالة، وأولاد عبدون، الناحية الغربية حتى طريق البروج المؤدية إلى سطات في المرحلة ما بين 1921 - 1922 م ثم انتقلت الاستكشافات بعد ذلك إلى مناطق الگنتور، أولاد عبدون حتى شرق تادلة، حوض إمي - ن - تانوت وشيشاوة، وحوض الگرگوري في مرحلة ما بين 1923 - 1924 م. ويمكن تلخيص هذه الأعمال في حفر ما يزيد على 1.138 متراً من الخنادق و124 متراً من السراديب و568 متراً من الآبار. وبعد هذه المرحلة التمهيدية والتي على إثرها تبين أن هذه الراسب جد غنية من حيث الاحتياط وكذا من حيث معادنها ذات النسبة المرتفعة على الصعيد العالمي، تلتها مرحلة استغلال المكامن المذكورة إلى حدود 1951. بعدها أقيمت عدة دراسات تكميلية بتقنيات حديثة نذكر منها الدراسات الاستراتيغرافية والباليونتولوجية، والمرحلة الأهم بدأت من 1960 م إلى يومنا هذا دائماً تحت إشراف المكتب الشريف للفوسفاط، وتمتاز هذه الفترة بتكثيف دراسات المكامن، والدراسات الرسوبية والجيوكميائية، وهمت هذه الدراسات حتى مكامن بوكراع بالصحراء المغربية.

2 - لقي التنقيب عن الذهب والفضة والنحاس حماساً كبيراً، لوجودها خالصة في الطبيعة، ولا تستدعي أي جهد إضافي، بخلاف الحديد وأوكسيد الحديد المختلط بالمرو أو بالكلس أو بالكلوريت أو بغيرها، يتطلب استخلاصه حرارة عالية تتراوح ما بين 800 و900 درجة حرارية، وأحياناً أكثر بكثير. وغالب الظن أن هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل التنقيب عن الحديد يبدأ متأخراً بالمغرب إذا ما قارناه مع معادن أخرى.

تحدث بعض المؤرخين عن وجود مكامن الحديد في جهات مختلفة من المغرب. إلا أن مرحلة التنقيب المنهج لم تبدأ بالنسبة للحديد بالمغرب إلا في مطلع القرن العشرين. ومن أهم أعمال التنقيب تلك التي قامت بها الشركة الإسبانية لمناجم الريف، حيث استعملت فيها التقنيات المعاصرة. وفي 1935 م اكتشفت هذه الأخيرة مكمن سطولازار بجبل ويسان مستعملة في ذلك المانيتومتري. وفي 1954 م وبنفس التقنية وضعت خريطة جيولوجية ومغْنَطيّة بمقياس 2.000 / 1 أعطت العديد من الشذوذ التي أبانت بعد سَبْرها على عدة مكامن من الحديد.

وبالموازاة لهذه المجهودات قامت مديرية المعادن والجيولوجيا بعدة حملات استعملت فيها تقنية المانيتومتري الجوية شملت مجموع منطقة بني بوفرور، وقد أسفرت هذه المجهودات عن نتائج جد مهمة تم فيها الكشف عن مكامن أخرى جديدة بالريف الشرقي.

أما في منطقة المغرب الشرقي فقد بدأ التنقيب عن الحديد في مرحلة 1914 ـ 1920 م من طرف شركة المعادن لوجدة بناحية جبل عزوز وجبل محسول حيث حفر 2.709 م من الخنادق و107 م من الآبار و602 م من السراديب. وفي مرحلة 1927 ـ 1929 م قامت شركة مقطع للحديد بعدة استكشافات شرق جبل عشمان على بعد ثلاثين كلم من الجنوب الغربي لوجدة حيث حفرت ما يزيد على 36 م على شكل آبار.

في 1917 م قام بوسي Bosset بمحاولات عدة للتنقيب عن الحديد في المغرب الأوسط بمكامن بولحوت، وبالتعاون مع شركة مقطع للحديد أمكن استمرار التنقيب بمناجم بولحوت خلال مرحلة 1918 ـ 1919 م. وفي سنة 1929 ـ 1930 م أسند أمر التنقيب عن هذه المادة بالمنطقة إلى شركة معادن الحديد للروينة.

وفي غشت 1925 قام لوفيڤر Lefévre جنوب تافيلالت بعدة محاولات للتنقيب عن الحديد، أسفرت عن حفر خندق يبلغ طوله 180 متراً، وعمقه ما بين 3 و7 أمتار، إلى جانب سرداب طوله 120 متراً وعلى عمق 17 متراً.

وفي سنة 1929 قامت شركة مقطع للحديد بأولاد سعيد بالمغرب الأوسط بحفر 109 بئر (تبلغ في المعدل 10 أمتار عمقاً)، و200 متراً من الخنادق و166 متراً من السراديب.

وفي سنة 1922 اكتشفت مناجم خنيفرة بالمغرب الأوسط من طرف النقابة المعدنية المغربية حيث قامت بحفر 190 متراً من السراديب و170 متراً من الآبار. وفي فترة ما بين 1925 ـ 1926 حفرت هذه الأخيرة بنفس المنطقة حوالي 2.780 متراً على شكل سراديب تحت إدارة سافري Savary. وفي سنة 1929 انتقلت هذه المناجم إلى شركة الدراسات والاستكشافات المعدنية لتادلة. وفي نفس السنة قامت شركة مقطع للحديد بمكامن مشرع بن عبو *(المغرب الأوسط)* بحفر 122 متراً من الآبار، و73 متراً من السراديب.

3 ـ إقليم وجدة وملوية العليا : بدأ التنقيب عن الرصاص والخرصين بهذه المنطقة منذ سنة 1908 من طرف الشركة الملكية الاستوريانية للمعادن بجبل محصور. وفي 1920 ـ 1921 قامت الشركة المعدنية لوهران بأبحاث بنواحي تيولي، ثم شركة المعادن لوجدة بجبل عزوز وجبل محصور، وكذا الشركة الفرنسية لمعادن المغرب بجرف وزان والشركة الملكية الاستوريانية بجبل محصور وحاسي تويسيت وأخيراً شركة صناعة المعادن والمناجم الفرنسية المغربية بسيدي لحسن. إلا أنه لم يحتفظ بعد سنة 1922 سوى بالشركات الثلاث الأخيرة لتقوم بمهمة التنقيب. وفي سنة 1924 أضيف إليها المنقب برودان Brudenne قرب حاسي الكرمة والمنقب سيمون Simon بمنجل الخال. ومنذ 1926 كرست شركة المعادن لزليجة جهودها لعملية التنقيب ببوبكر، وأخيراً قامت شركتا أعمارة الشرقي بدراسة بني إزناسن وبيرشو Perchot بدراسة جبل بوالعروة.

وفي سنة 1925 قام دلهاي Delhaye بالتنقيب عن الرصاص والخرصين بمكامن أحولي وبوسلوم مع بداية الدراسة الجيولوجية التي قام بها هذا الأخير في حوض ملوية. وكُلّفت بعد ذلك بمهمة الاستكشاف الشركة المعدنية لافريقيا الشمالية، حيث قامت سنة 1930 م بإنجاز 1.754 متراً من الآبار و3.548 متراً من الخنادق.

لقد استمر التنقيب بمنطقة المغرب الشرقي (أحولي، ميبلادن، بوبكر، تويسيت) على يد شازان Chazan سنة 1948 م، وفوفلي Fauvelet في مرحلة ما بين 1949 ـ 1951م وكذلك من طرف مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (BRPM) من سنة 1948 إلى غاية 1951، إلا أن هذه المجهودات كلها لم تعط إلا رصد بعض الدلائل.

أما بعد 1968 م فاجتازت مكامن تويسيت مرحلة صعبة تحت إدارة الشركة الملكية الاستوريانية للمعادن حيث كادت على إثرها أن تغلق أبوابها، لولا البحث الذي قام به سامسون Samson آنذاك والذي مكن الشركة من اكتشاف مكمن بَدْيار على بعد كيلومترين في الجنوب الغربي للمكمن القديم.

وبالأطلس الصحراوي كان مكمن جبل مليلس الموجود على الحدود الجزائرية على بعد ستة كلم من مدينة فگيگ الناحية الجنوبية أول ما اكتشف في هذه الجهة سنة 1909 م، أما الجهة الشمالية فتم اكتشافها سنة 1923 م، ومن سنة 1924 إلى 1928 م قامت شركة المعادن لبوعرفة بأعمال بحث في مكمن بجبل الگروز على بعد عشر كلم شمال بوعيش. أما في مرحلة ما بين 1926 ـ 1927 قامت الشركة المعدنية لإفريقيا الشمالية بأبحاث قصد التنقيب عن الرصاص والخرصين بجبل حوانيت. ولا بد أن نشير هنا إلى أن الشركة المعدنية للگير الأعلى قد أعادت التنقيب ثانية بالنسبة لأغلب هذه المكامن بالمنطقة.

بالأطلس المتوسط بدأ التنقيب منذ سنة 1925 م من طرف الشركة المغربية لجبل الشيكر، وهو يقع على حوالي 18 كلم في الجنوب الشرقي لمدينة تازا. وفي سنة 1930 م كانت هذه الأخيرة قد حفرت ما يزيد عن 235 متراً على شكل خنادق وسراديب.

عُرف معدن الرصاص بالمغرب الأوسط بمنطقة عوام (قرب مدينة مريرت) منذ زمن بعيد، ولربما استغله السكان من قبل. إلا أن التنقيب بمعناه الحقيقي قد بدأ بجبل عوام سنة 1924 من طرف الشركة الملكية الاستوريانية حيث حفرت حتى سنة 1930 ما يعادل 15 متراً من الآبار و1.636 متراً من الخنادق.

وقد تحملت الشركة المعدنية لعوام (SMA) فيما بعد، مسؤولية البحث والتنقيب عن معادن الرصاص والخرصين وغيرهما. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الشركة قامت ولاتزال، بأبحاث جد مهمة مكنتها من الاستمرار في استغلال مناجم عوام إلى يومنا هذا.

ـ وفيما يخص الكوبالت والنيكل كان السكان ببوازار

يستعملون منذ القديم الإيتيرين (زرنيخ الكوبالت) كمبيد للحشرات والفئران. ولا يستبعد أن السكان كانوا يستخرجون النحاس بتسهيل ذهاب الكبريت أثناء الانصهار. وهذا ما أثار انتباه المنقبين عن الكوبالت، وكان أولهم هو الدمناتي من سكان المنطقة، حيث قام هذا الأخير بتحليل عينة واحدة سنة 1925.

وفي سنة 1928 م أشار كورناند Cornand إلى وجود مكمن للنيكل في بوازار، وإلى حدود 1933 كان إبينة Epinat قد رصد ما يناهز 70 دلالة معدنية بمنطقة بوازار لگرارة. وعلى إثر هذه النتائج أسندت مأمورية التنقيب والإنتاج إلى الشركة المعدنية لبوازار لگرارة (Smag). وفي سنة 1956 م انتقل التنقيب إلى ناحية إيغْتَمْ بنفس المنطقة.

ويجب أن نشير إلى أنه قد تعاقب عن البحث والتنقيب عدة باحثين ومنقبين نذكر منهم جورفسكي Jouravsky من سنة 1938 م إلى سنة 1963 م، وكان هو أول من أعطى تحليلا مفصلا عن نشأة فلزات الكوبالت والنيكل بالمنطقة ؛ وتبعه في ذلك كولسون Colson في مرحلة ما بين 1949. 1952 م ؛ وبعده مباشرة گولوبينوف Gouloubinov من سنة 1952 إلى 1957 م ؛ ثم صْزابو Szabo من سنة 1957 إلى سنة 1961 م ؛ وتْراي Trey في مرحلة ما بين 1961 و1965 م ؛ وكْلافال Clavel من سنة 1966 إلى غاية 1970 م ؛ ولبلان Leblanc في مرحلة ما بين 1967. 1975 م.

أما في مرحلة ما بين 1969. 1971 م فقد أقيمت أكبر حملة للتنقيب بالمنطقة من طرف فريق من الباحثين السوفيات اسمه تكنوإكسپور Technoexport، استعملت فيها أحدث التقنيات، نذكر منها الجيوفزياء والجيوكيمياء وكذا عملية الاستبار. وقد أدت هذه المجهودات إلى اكتشاف مكامن جديدة كانت مخبأة تحت سطح الأرض على بعد 150 متراً.

ـ عُرف قصدير أُلماس (المكمن الوحيد الموجود بالمغرب) على الأقل قبل القرن السابع عشر. ونشير إلى أن گاسبار دو راستان Gaspard De Rastin كتب رسالة إلى ريشليو Richelieu بتاريخ 16 يوليوز 1639 من مدينة سلا المغربية يذكر فيها أنه قد اكتشف منذ ثمانية شهور قبل تاريخ الرسالة مكمن للقصدير بالمغرب يمكن أن يكون أهم من مكمن القصدير بأنجلترا آنذاك، إلا أنه لم يعط أي معلومات حول مكان وجوده بالضبط ؛ ويمكن أن نفسر هذا بمجيئ معدن القصدير من منطقة والماس عن طريق سكان ناحية القريت وذلك قصد تصديره إلى ما وراء البحار انطلاقا من مدينة سلا.

في سنة 1917، وبمناسبة ذهاب أحد المنقبين الفرنسيين المدعى جوفري Jouffray إلى منطقة أُلماس، سلم له أحد سكان ناحية القريت كيساً من القصدير، وبهذا اعتبر هذا الأخير أول من عثر عن القصدير في أُلماس، الشيء الذي دفع بريف Brives للذهاب إلى عين المكان، قصد دراسة المكمن للدفع بعلمية الاستكشاف أكثر. وفي أبريل 1919 م أعطى هذا الأخير أول دراسة عن المنجم.

وفي يوليوز 1920 صاحب بريف بعثة من المختصين الجيولوجيين، أشرفت على إرسالها الشركة المعدنية الفرنسية بالمغرب. وقد أنجزت هذه الأخيرة 231 متراً من الخنادق والعديد من الآبار والتي يبلغ معدل عمقها متراً واحداً.

وفي مارس 1934 م انتقلت إدارة منجم القريت من الشركة المعدنية الفرنسية المغرب إلى مانَفْرُيْ Manafroy الذي أسس شركة معادن القصدير للقريت. وفي مرحلة ما بين شتنبر 1938 وشتنبر 1939 ويتعاون مع تارمبيي Termier قام أوودنكو Owodenko بالتنقيب عن القصدير في عروق المرو بمنجم القريت. ونشير هنا إلى أن التنقيب حاليا مستمر تحت إشراف مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (BRPM).

Léon L'Africain, *Description de l'Afrique*, édition Schefer I, Comte de Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série, *France*, t. III ; *Roudh el Kartas* (1326), Trad. A. Beaumier, 1860 ; Luis de Marmol, *L'Afrique*, t. III, Paris, 1667 ; El Idrissi, *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, trad. R. Dozy et M.J. de Goeje, Paris, 1866 ; Ibn Khordadbah, trad. par M.J. de Goeje, 1889 ; El Bekri, trad. par Mac Guckin de Slane, 1913 ; A. Brives, *Les richesses minérales du Maroc*, Archives du Service des Mines, 7 Avril 1919 ; P. Despujols, *Recherches minières au Maroc, des origines à 1930, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 37, 1930 ; H. Termier, B. Owodenko et J. Agard, *Les gîtes d'étain et de tungstène de la région d'Oulmès, Maroc central, étude géologique, pétrographique et métallogénique, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 82, 328 p, 1950 ; D. Bazin, *Etude géologique et métallogénique des chainons atlasiques du Tizi-N' Firest au Nord de Ksar-es-Souk, Maroc, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, p. 37 - 96, 1968 ; J. Caia, *Roches éruptives basiques et minéralisation en plomb, zinc et stromtium de la région de Tirrhist, Haut Atlas de Midelt, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, p. 7 - 27, 1968 ; M. Leblanc, *Etude géologique et métallogénique du Jbel Bou-Arhous et de son prolongement oriental, Haut Atlas marocain oriental, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 206, p. 117 - 185, 1968 ; Ph. Samson, *Un gisement plombozincifère en milieu récifal, Touissit, Maroc oriental, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 242, 133 p., 1973 ; M. Leblanc, *Ophiolites précambiennes et gîtes arséniés de Cobalt, Bou Azzer - Maroc, Notes et Mem. Serv. Géol. Maroc*, n° 280, 306 p., 1981 ; *Mines et géologies* du n° 1 au n° 43, Publication de la Direction des Mines de la Géologie et de l'Energie ; *Activité du secteur minier de 1950 à 1986*, Publication de la Direction des Mines, de la Géologie et de l'Energie.

عبد الله بوصحابة

التنكية أو التنقية، تفيد باللهجة الحسانية ـ مثلما هو في العربية الفصحى ـ تصفية حبوب القمح والشعير من الشوائب حتى تصبح صالحة للطحن. على أن هذه التسمية تأخذ بعداً اجتماعياً متميزاً يرتبط بمراسيم عملية الزواج ويوجد هذا الطقس في جهات مختلفة من المغرب حيث تسمى في سوس وجبال المصامدة مثلا باسم "أفْران".

فيوم التنكية يعلن اقتراب ليلة الزفاف ويهيأ بما يعمله من رموز ودلالات مرجعية لمجموعة من الممارسات التقليدية. تختار أم العريس من بين النساء القريبات من تريد إشراكهن في العملية محددة الموعد مسبقا. وعندما تنطلق العملية صبيحة اليوم المحدد تكون الأم قد دست مجموعة من قطع السكر أو حبات التمر. فيكون البحث من خلال التنكية مبرراً إضافيا للتغني الجماعي الذي يعرف محليا بالتسنگيف. تتميز وليمة هذا اليوم بأنها تتكون أساساً من دقيق الشعير خاصة. تعمل الكميات التي تمت

تنكيتها داخل عينات صحراوية من الأكياس المخصصة لهذه الأغراض. وفي طريقهن إلى مجرى مياه ساقية القرية تكون أم العريس قد دست مرة أخرى خلخالا نسويا سيكون على الشبان التباري من أجل العثور عليه. تستمر عملية التسنكيف عبر الطريق الرابطة بجداول الساقية حيث تنشد النساء عادة :

وازرع ياگحي مع المصارف خيي يدُورْ الزينْ مَبْرُومَاتْ السالف

تنتهي عملية التنكية بعد ذلك مباشرة بعثور أحدهم على الخلخال الذي يعيده لذويه بعد أن يكون قد استبشر بقرب زواجه. يكون الشبان قد تأملوا في انسياب حبات القمح أو الشعير مع الجداول كانسياب السوالف. ويكونون قد تباروا من أجل العثور على خلخال يرمز إلى تباريهم من أجل رمز الأنوثة. الماء والأرض والزرع والخلخال تجسد هنا رموزاً ودلالات واضحة المعنى للدارس المتأمل في ضوابط الطقس المجتمعي. وهي دلالات ورموز تعود بنا إلى أبعد الفترات التاريخية القديمة مما يجسد عمق الامتداد الحضاري للغور السكاني الأقدم بوادي نون وسلسلتي أيت باعمران وباني.

دراسة ميدانية.

محمد الجرماني

التنّ، والتون والتونيت، جنس أسماك بحرية كبيرة، مغزلية الشكل وطويلة الزعانف زعنفته الذيلية هلالية الشكل وكبيرة. ينتمي إلى الأسماك العظمية الشائكات الزعانف Osteichthyens Actinopterygiens ورتبة Perciformes وفصيلة الأسقمريات التونية Scombridae, Thunnidae.

تعيش معظم أنواع سمك التن في البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي وبينما لا توجد هذه الأسماك إلا في أجزاء من المحيط الأطلنطي معتدلة الجو ودافئة، فإنها توجد في كل مكان من البحر المتوسط، على الأقل في أوقات معينة من السنة. يغوص إلى الأعماق شتاء أو يهاجر من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلنطي ماراً بمضيق جبل طارق. يصعد إلى أعلى في أوائل الربيع وبعد ذلك يشق طريقه وسط أفواج متساوية الحجم نحو الشواطئ الأكثر حرارة والأقل عمقا حيث تضع الإناث بيضها. تنتشر أسماك التن في جميع الاتجاهات للبحث عن الأكل والذي يتكون من السردين والنشوفة والرنجة Herrings.

في بداية الصيف، وعند اعتدال الجو يمكن مشاهدة عدد كبير من بيضات سمك التون سابحة في أعماق البحر غير بعيد عن الشواطئ، توجد داخل غلاف صغير على هيأة كبسولة بها نقطة صغيرة من الزيت هي التي تحفظها عائمة. يتراوح قطر البيضة ما بين 8 و11 ملم.

تلتهم الأسماك معظم هذا البيض وتبقى كمية صغيرة هي التي تعطي سمك التن الذي يغدو الفريسة المحببة لأسماك القرش الشرهة والطعام السائغ والأفضل جودة للإنسان. تضع الأنثى عدة ملايين من البيض كل عام وبعد بضعة أيام تنفجر البيضة وتخرج منها سمكة صغيرة عارية بدون زعانف يصل وزنها بعد ثلاثة شهور 500 غرام ولا يصل وزنها إلى 100 كلغ إلى في أوائل العام الخامس وتصل إلى أقصى حجمها عندما يصبح عمرها ما بين 15 و20 سنة.

جسم سمك التن قوي جدا وخفيف الحركة، ومع كبر حجمه فإن الزعنفة الذيلية الهلالية الشكل والقوية مع جسمه المغزلي الشكل، تمكنه من حركات قوية الاندفاع وقطع مسافات طوال في البحار الدافئة.

لون ظهر التّنّ أزرق مائل إلى السواد، الجوانب والبطن رمادية فضية، الجسم أملس تغطيه قشور صغيرة وتوجد بمنطقة الصدر حراشف كبيرة تكون درعا وتستخدم كسلاح للوقاية. توجد في مؤخرة البطن والظهر عدة زعينفات (7 . 9) تربط الزعانف الظهرية والبطنية بالزعنفة الذيلية كما هو الشأن عند سمك بينيث الذي ينتمي إلى نفس الفصيلة، توجد على الظهر زعنفتان متواصلتان. يتميز عن باقي أنواع الأسماك بدرجة حرارته الداخلية التي تفوق بعدة درجات حرارة المياه التي يعيش فيها وعلك عوامة السمك Vessie natatoire. نشاطه التنفسي قوي جداً وتعتبر لحومه من أجود اللحوم السمكية.

تعيش في البحار المجاورة للمغرب أربعة أنواع من سمك التن تلعب دوراً هاما في اقتصاد البلاد :

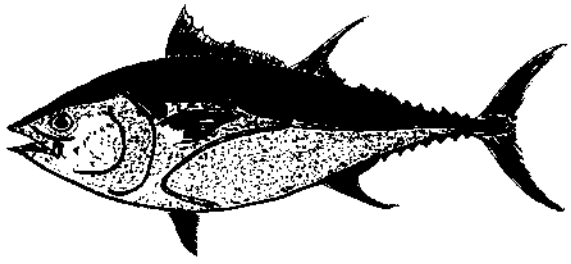

التن الحر أو التن الأبيض أو الباكورة كما يدعى في أسواق الأسماك المغربية. يسمى علميا Thunnus alalunga وبالفرنسية Germon أو Thon blanc وبالأنجليزية Albacore وبالإسبانية Aton Blanco. لا يتعدى طوله المتر، وشائع ما بين 50 و80 سم وهو أصغر أنواع سمك التن في المغرب.

يعيش في أعماق لا تتعدى مائة متر وفي المياه التي تتراوح درجات حرارتها ما بين 16 و21 درجة. يتنقل وسط أفواج متعددة الأفراد ويقطع مسافات طويلة. يتوالد ما بين يوليوز وشتنبر قرب جزر البليار والشواطئ الجزائرية ويصير بالغاً بعد ست سنوات. صيده شبه صناعي وتقليدي ورياضي أيضا. يعيش في البحر المتوسط وفي المحيط الأطلسي ويتميز عن باقي أنواع سمك التن بزعانفه الصدرية الطويلة ولحمه الأبيض الذي يختلف عن اللحم القرنفلي للتن الأحمر. يصاد هذا النوع عند وصوله

للشواطئ لوضع البيض في فصل الصيف وكذلك عند اتمام وضعه وعندما تكون جائعة وعلى استعداد لأكل أي طعم.

التن الأحمر أو منيرفا كما هو شائع في مدينة الجديدة يسمى علميا Thunnus Thynnus thynnus وبالفرنسية Thon rouge وبالأنجليزية Northern blue fin tuna وبالإسبانية Aton. زعانفه الصدرية صغيرة، الظهر أبيض والجوانب والبطن بيضاء. الزعينفات بنية حمراء.

إنه أكبر أنواع سمك التن حجما حيث يبلغ طوله ثلاثة أمتار وشائع ما بين 50 . 150 سم. يعيش غير بعيد عن سطح البحر ويقطع مسافات طويلة أثناء تنقلاته، يفضل الصغار العيش في المياه المرتفعة الحرارة بينما تعيش الكبار في المياه الباردة وتقتات من الأسماك الصغيرة الحجم ومن القشريات والرخويات. يتوالد ما بين مايو ويوليوز قرب جزر البليار وسواحل جنوب أوربا المتوسطية. يصير بالغا بعد ثلاث سنوات، يبلغ طوله خلالها تسعين سم.

إنه سمك أوقيانوسي يعيش أحياناً في أعماق تتعدى 1500 متر ويتغذى من الأسماك والرخويات والقشريات ويعد من أفضل الأسماك جودة. إنه تحت التجارب الأولية في جنوب سبتة وقرب المضيق من طرف شركات يابانية وصينية تحاول التمكن من ولادته وتربيته حتى يمكن تكاثره ويرتفع انتاجه.

التن العادي يدعى علميا Thunus albacares وبالفرنسية Albacore وبالأنجليزية Yellow-fin tuna وبالإسبانية Rabil. يختلف عن الأنواع الأخرى بزعنفته الظهرية الثانية الطويلة وبجوانبه المخططة. لا يتعدى طوله مترين وشائع ما بين متر ومتر ونصف. يعيش في البحار الدافئة تتراوح حرارتها ما بين 18 و31 درجة. شائع في السواحل الأطلنطية ومفقود في البحر المتوسط.

التن السمين يدعى علميا Thunnus obesus وبالفرنسية Thon obese وبالأنجليزية Begeye tuna وبالإسبانية Patudo. يختلف عن التن الأحمر بزعنفته الصدرية الطويلة وبزعينفاته الصفراء المحفوفة بالأسود. يبلغ طوله أحيانا 2.4 متر وشائع ما بين 1.5 و1.8 متر. يعيش في المياه الأطلنطية الدافئة التي تتراوح حرارتها ما بين 13 و29 درجة.

تصاد أسماك التن بواسطة شباك تسمى المزربة Madrague اخترعها العرب حوالي سنة 1000 ميلادية وهي عبارة عن قفص ضخم مبني من الشباك المثبة عادة في قاع البحار وتقام في الأماكن التي تشاهد فيها أسماك التن بكثرة. تثبت في مكانها بالقاع بواسطة عدد كبير من المرساة Ancres وعدد كبير من الفلين والعوامات الحمراء.

تتكون المزربة من جزئين أساسين : الذيل والجزيرة. يتركب الذيل من شبكة قوية ثقوبها واسعة، توضع في أعماق تفوق 160 متراً ويستغرق تنصيب هذه الشبكة شهوراً عديدة. تقام الجزيرة على حافة الذيل وقد يصل طولها في المزربات الكبيرة 330 متراً وهي عبارة عن ممر طويل وضيق مقسم إلى حجرات مصنوعة من شباك يمكن رفعها أو خفضها بالهيمنة عليها عند سطح البحر. والشباك المكونة للحجرات كلها عمودية وللحجرة الأخيرة شبكة أفقية ثقوبها ضيقة وتسمى حجرة الموت.

حينما تقترب أسماك التن من المزربة تسبح حولها وهي لا تدري أنها تدخل دهليز الجزيرة وتستمر في الدخول محاولة بثقة وبعد ذلك تبدأ الريبة تراودها ولكنها حتى الآن تكون محتجزة في المصيدة. يراقب الصيادون الشباك من على سطح البحر ويغلقون الشباك المتصلة بعد مرور السمك من جهة لأخرى حتى لا يتسطيع الرجوع إلى الوراء. يمكن الاحتفاظ بالسمك داخل الحجرات كما لو كان في حجرة انتظار وبذلك يتم صيده على مراحل.

تسمى الحجرة الأخيرة حجرة الموت وتشكل المرحلة الأخيرة لصيد سمك التن عندما يبلغ كمية كبيرة. يغلق الحاجز الأخير وتحيط المراكب بالشباك لرفعها أفقيا وبعد ذلك يضرب الصيادون السمك الواقع في الأسر بحراب طويلة من الحديد مزودة بخطاطيف فيصبغ الماء بالدم وتقاوم الأسماك المجروحة بجنون ضاربة بأذيالها وكثيراً ما يقتل بعضها بعضاً. تجمع الشباك وتنقل حصيلة الصيد الذي تبلغ أحياناً 400 سمكة.

تعد البحار المجاورة لكل من أصيلا وطنجة وسبتة والمضيق قرب تطوان من أهم الأماكن المغربية التي توضع بها المزربات ويقدر عددها حالياً سبع مزربات يبلغ معدل محصولها السنوي 400 طن (800 طن سنة 1992 و400 سنة 1993 منها 258 طن من سمك التن الأحمر و136 طن من سمك منيرفا). يقدر معدل المحصول السنوي لسمك التن المصطاد في أعالي البحار بأربعة آلاف طن تصدر معظمه إلى الأسواق الأجنبية بالخارج.

يؤكل سمك التن طازجاً أو محفوظاً وتعتبر القطع الموجودة حول البطن أطيب مذاقاً وأكثر القطع طلباً.

أمين المعروف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

G. Bianchi, *Ressources halieutiques de l'Atlantique marocain, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1984, p. 59 - 62 ; W. Fisher, M. Schneider et M.L. Bauchot, *Mediterrannée et Mer Noire, Fiches F.A.O. d'identification des espèces pour les besoins de la pêche*, 1987, p. 1264 - 1279.

محمد رمضاني

* * عرف الإنسان صيد التن منذ القديم (الفينيقيون والإغريق) (*La Méditerrannée*, 44)، وعرف المغرب أيضاً صيده منذ تاريخه القديم (Boutaleb et al..., *Histoire du Maroc*) خاصة في المنطقة الشمالية على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، وكشفت الحفريات الأثرية عن بقايا محلات معالجة هذا السمك وتمليحه وتصنيعه، وعن نقود تحمل رسوم التن. ويكتب أيضاً بالطاء (الطّن).

لم تشر المصادر العربية الأولى التي تحدثت عن المغرب إلى وجود التن لكن ذلك لا يعني أن صيده توقف بل إن الظروف التي صاحبت نهاية الوجود الروماني بالمغرب وكذا حروب الفتح الإسلامي والاضطرابات التي صاحبت ذلك حالت دون استمرار تصدير السمك ومشتقاته (الگاروم)

وبالتالي صيده.

وأول المصادر التي تحدثت بتفصيل عن التن وطريقة صيده هو *نزهة المشتاق* (5 : 529) ومما جاء في وصفه : "بسبتة مصايد للحوت... ، يصاد بها السمك المسمى التن الكبير الكثير وصيدهم له يكون "زرق" بالرماح... ولهم في ذلك دربة وحكمة سبقوا فيها جميع الصيادين لذلك...".

لعب صيد سمك التن إلى جانب أنواع أخرى كثيرة وبكميات كبيرة دوراً إلى جانب مواد كالمرجان في نشاط المدن التجاري وفي إثراء العديد من الأسر كأسرة العزفي مثلا. ومن هؤلاء الأثرياء شخص ورد ذكره في *أزهار الرياض في أخبار عياض* (1 : 42 ـ 43) سماه الشريف أبا العباس الحسني.

إن الكميات الكبيرة التي ذكرها الإدريسي أكدها بعده ابن سعيد المغربي (*بسط الأرض*، 45) وذلك يدل على أن التن كان يصدر قديداً مجففاً، وطرياً حسب المناطق المصدر إليها، وكان المغرب والأندلس يستهلكانه طرياً في وقته ومجففاً في غير وقته (*فضالة الخوان*، 141 ـ 142). استمر صيد التن نشيطا إلى حين اضمحلال الدولة الموحدية وما ورثه العهد المريني الأول عنها من ازدهار اقتصادي، ومن الإشارات الأخيرة عنه وعن طريقة صيده، وصف العمري في *مسالك الأبصار* قال إن سبتة يصاد بها مئات الأنواع من الأسماك من بينها التن، ثم يدخل في وصف الطريقة وأدوات الصيد مثل من سبقه نقلا عن الإدريسي، توفي العمري عام 749 / 1348 ـ 1349. ويظهر أن قلة ذكر التن بعد ذلك يدل على تدهور الصيد.

بعد احتلال شمال المغرب من طرف الاستعمار الإسباني وإخضاع المغرب للحماية الفرنسية كانت معامل تصبير التن من بين الصناعات التي أقامها المستعمر، وقد استمر بها العمل إلى أن أغلقت في الستينات من قرننا هذا، بسبب تقدم التقنيات المتبعة في الصيد بأعالي البحار، إذ أصبحت (الرادارات) تترصد قطعان التن أثناء هجرتها من وإلى البحر المتوسط فتعترض سبيلها (البواخر ـ المصانع). كان الصيادون المغاربة في عهد الإدريسي وما قبله على علم بهذه الهجرة، وقد وصفه لنا ابن سعيد المغربي (*بسط الأرض*، 45) قائلا : "... الجون الأخضر... وفيه يتربى التن ويدخل مرة واحدة في العام إلى بحر الزقاق فيزعم الناس أنه يحج إلى حجر معلوم في جزائر البحر ثم يعود فيعيش منه أهل السواحل، بر العدوة والأندلس..." فخط الرحلة واضح من نص ابن سعيد ،فهو يتنقل من المحيط الأطلسي من عرض سواحل إفريقيا الغربية (جزر الرأس الأخضر ؟) إلى البحر المتوسط متبعاً حركة التيارات البحرية (تيار الكناري).

وقد اعترف بروديل في كتابه *البحر المتوسط* *La Méditerranée* للعرب بأسبقيتهم وتقدمهم في تقنيات صيد التن وبرهن على ذلك بالمصطلحات واللغة والأناشيد المستعملة اليوم في موسم صيد التن بسواحل صقلية بإيطاليا، لكنه لم يعترف للمغرب ولمدينة سبتة على الخصوص بتفوقها في هذا الميدان وأن التقنيات واللغة المستعملة اليوم موروثة عنها.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ابن سعيد المغربي، *بسط الأرض* ؛ ع. العمري، *الروض المعطار* ؛ العمري، *مسالك الأبصار* ؛ ابن رزين التجيبي، *فضالة الخوان وطيبات الطعام والألوان*، تح. محمد بن شقرون، 1981 ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، 1980.

محمد حجاج الطويل

التنوخي، عبود بن سعيد السبتي، ويعرف بابن العطار، ولعله الذي ينسب إليه حمام عبود بسبتة كما في *مختصر الأخبار* للأنصاري، ورد ذكره كذلك في *مذاهب الحكام* لمحمد بن عياض.

أخذ عبود عن أبي عبد الله المسيلي، وابن جماح ؛ وسمع من أبي الأصبغ ابن سهل القرطبي وحضر مجلسه ؛ وأخذ عن مروان بن عبد الملك اللواتي المعروف بابن سمجون؛ وهو أول قاض بسبتة على عهد المرابطين، ذلك أنه لما فتح يوسف بن تاشفين سبتة، أراد أن يولي قضاءها مروان بن عبد الملك اللواتي فتأبى، وأشار عليه بقاضيها أبي عبد الله الأموي، فلم يرتض ذلك، لكونه كان مولى من قبل خصومه البرغواطيين، فولى مكانه عبود بن سعيد هذا؛ وكان يشتغل بالقراءة والتجارة، فحاز السبق في القضاء والخطبة ؛ وكان صادعا بالحق، غير هيوب للأمراء، لا تأخذه في الله لومة لائم. وهو من القضاة الذين أغفلهم د. حسن أحمد صاحب كتاب *قيام دولة المرابطين*.

وبقي قاضيا بسبتة إلى أن توفي سنة 480 / 1087.

التنوخي، محمد بن عبود، تعلم ببلده سبتة وأخذ عن مشايخها ـ كأبي عبد الله بن عيسى التميمي، وأبي إسحاق إبراهيم بن أحمد، وأبي عبد الله بن عبد الله الأموي ـ وكان مختصا به، وبإشارته ولي القضاء على سبتة، وعلى فتياه كان معوله ؛ وكان محمد التنوخي مثال العدل والاستقامة، مغلظاً على أهل البدع والأهواء، منقبضا عن الناس إلى أن استعفى فعوفي ؛ وكان حزمه وورعه أكثر من علمه كما يقول ابن حمادة.

لم أقف على تاريخ وفاته، وهو من أهل القرن الخامس الهجري (11 م).

ق. عياض، *ترتيب المدارك*، ج 8، الملحق الرابع، ص. 197 ـ 208، تحـ. س. أعراب ؛ ابن حمادة، *مختصر المدارك* (مصورة خاصة خ. ح. بالرباط رقم 672) ؛ س. أعراب، *جوانب من الحياة الفكرية بسبتة*، مجلة كلية الآداب بتطوان، ع 3، ص. 227 ـ 246.

سعيد أعراب

التهالات، تتباين انتماءات أتباع أحمد الركيبي مؤسس قبيلة الركيبات كما أشار إلى ذلك محمد سالم بن لحبيب بن الحسين بن عبد الحي في مخطوطه *جوامع المهمات*. كانت السمة الطاغية على هذه النواة هي

استيعاب كل الطلبة وحملة القرآن والتباع. ذلك ما يمكن أن نستشفه في هذا المخطوط حين يفيد بأن الطالب سيد علي ابن الطالب جد أهل سي علي، والطالب احماد جد أهل الزيغم وأهل صالح وأهل لبهيل قد وصلا إلى هذه النواة في وقت لاحق لوفاة الشيخ المؤسس. أما الطالب إبراهيم جد التهالات فقد ورد على عمرو بن الشيخ المؤسس.

كان الطالب التهالي قد خرج من بلده بإدا أولتيت ليقيم مع أهل تاگونيت حيث تزوج وأنجب الطالب سيد أحمد التهالي. انتقل بعد ذلك إلى أفراگ إذا أ'علي حيث تزوج من أم هاني بنت المامون فأعطته ابنه الثاني الطالب سيد عبد الرحمان. وصل بعد ذلك إلى مجموعة الطالب عمرو بن الشيخ مؤسس القبيلة. وبذلك يكون الإطار المحدد للعلاقة بين الطرفين مرده إلى الاشتغال بتعليم القرآن وإنعاش زاوية الشيخ سيدي أحمد الركيبي.

وإذا حاولنا تحديد مدى فاعلية هذه العلاقة، فإنه يكفي أن نعلم بأن وفرة أمطار سنة 1199 / 1784 . 1785 قد جعلت الطالب سيد إبراهيم يقرر العودة إلى أهله بالأطلس الصغير للاستفادة من وفرة الإنتاج الفلاحي كاشفة بذلك عن تضارب المصالح. تكون يومها قد مضت على وفاة الشيخ المؤسس حوالي 15 سنة تقريبا (*جوامع المهمات*، 72 وهامش 7) تشهد كلها على أن الروابط التي كانت تشد الطالب سيد إبراهيم التهالي إلى وسائل العيش هي أبلغ وأمتن من ارتباطه بالنواة المؤسسة للقبيلة المسالمة. ولا أدل على ذلك من أن علي بن الشيخ المؤسس الذي كان يجسد عنصرا فعالا في تقوية هذه النواة، قد عمد إلى ذبح كبش أمام خيمة الطالب سيد إبراهيم مرغما إياه على ترك أبنائه إلى عودته من إدا أو لتيت. فتجلى بذلك دور الذبيحة كمرتكز أساسي يرمز لضرورة المحافظة على الارتباط وصيانته. لم يكن الطالب سيد إبراهيم التهالي يعلم أن الوفاة ستحول دونه والعودة إلى حيث سيشكل ابناه الطالب سيد أحمد والطالب عبد الرحمان النواة الفعلية لفصيلة التهالات بجوار الركيبات الساحليين.

إذا انتقلنا إلى مستوى العلاقات التحالفية بين التهالات وباقي الفصائل الساحلية للركيبات وجدنا حفدة الطالب سيد إبراهيم ملتزمين بالمقولة التي تلتصق بالأوصاف الذاتية وتحتفظ بالهوية الجزولية إلى أواسط هذا القرن (F. De La Chappelle, *Les Tekna*, 78 ؛ المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 3 . 8 . 9 ؛ البعقيلي، *مناقب*، 23). بل إن البحث الميداني مايزال يكشف عن أن ما يشد التهالات إلى الفصائل الساحلية من الركيبات هو التحالف والتعايش في إطار بنية متبلورة هي المحدد الرئيسي لما تنسجه بينها من روابط.

لقد ترعرعت مجمل فصائل الركيبات وما إليها في ظل الحماية الفعلية للفّي تكنة. فبعد أن استطاعت هذه الاتحادية طرد إدا أويلال عن المنطقة وخوض غمار ومعارك طويلة انتهت بجلاء ذوي حسان بما فيها الفروع الساحلية والشرقية لأولاد دليم وذوي سلام، تمكنت النواة الركيبية من الترعرع في أحضان لفي تكنة. ابتدأت هذه الفصائل المسالمة من الطلبة وحفظة القرآن في تربية الأغنام وقليل من النياق الحلوبات. وهو ما جعلها تنتمي إلى صغار الرحل ذوي النجعات المحدودة الارتباط بحركية الأغنام البطيئة والارتباط العضوي بأفراگ تكنة حاملة السلاح وحامية المجال ومراقبة مسالك الصحراء. كانت حركية الأفراگ تعتمد على إرشادات المنيرين الذين كانوا يوجهون الرعاة نحو الكلأ. كانت عملية اقتسام المنافع تقتضي مرعى لكل خمسة خيام مما يجعل إحياء الأرض الموات أمراً غير وارد. فالاقتصار على استغلال المرعي والمياه حدد أنماط التملك الجماعي وارتبط أساساً بالقدرة الحربية على المراقبة الفعلية والاستقرار.

وصل محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي صاحب *الرحلة الحجازية* إلى فريگ أهل الدخيل من التهالات خلال النصف الثاني من شهر شوال 1312 / 28 مارس إلى 11 أبريل 1895 ليجدهم على هذا الحال. تربيتهم للأغنام جعلت مسيرتهم منذ وفاة الطالب سيد إبراهيم (قرن وعشر سنين) هي أشبه ما تكون بالتطور الملازم لباقي الركيبات الساحل. فبعد أن نزل الولاتي ومرافقوه ضيفاً على بعض السواعد وصل إلى أهل الدخيل ليتخلى له محمد المهدي بن الحاج البشير عن خيمته ثلاث ليال ذابحا له كل يوم شاة (*الرحلة الحجازية*، 87). وإذا كان هذا الموقف يزكي تمسك هذه الفصيلة التعالية بطابعها الزاوي الملازم لاحترام الفقهاء وحملة الكتاب، فإن قاضي الركيبات الساحل ولد عبد الحي يؤكد في مخطوطه على أنهم قد أصبحوا في ذات الوقت من المشاكسين لا يلبث أن يتجنبهم المسالمون.

نخلص بذلك إلى أن ظروف تطور التهالات قد أسهمت خلال قرن وعشر سنين من التطور في تقوية عودهم حربيا ودينيا أيضا. ولا غرابة في ذلك طالما أنهم يجسدون أحد الرموز الدينية التي باسمها دخلت فصائل الركيبات في مرحلة من الدفاع عن النفس ضد خطر ذوي حسان وخاصة منهم أولاد دليم. وبموازاة هذا التطور، فإن الارتباطات الحمائية مع تكنة لم تعرف أي فتور كما يشهد على ذلك إبقاء هذه الاتحادية على تسيدها على الساقية الحمراء، فطلب الحماية من قبائل تكنة سيظل قائماً إلى ما بعد الثلاثينات من هذا القرن العشرين. ولعل في ذبيحة التهالات على أهل المعطي ما يؤكد جسور الارتباطات السياسية القديمة سنة 1329 / 1911 (*جوامع المهمات*، 66. 67). أهمية الوثيقة في هذه المرحلة بالضبط تكمن في قدرتها على إبراز بعض المحددات المباشرة لثوابت العلاقات التي تنير فهمنا لطبيعة وحدود التحول الذي طرأ على العلاقة بين الطرفين. نبدي هذه الفكرة لنؤكد على أن الذاكرة الشفوية ماتزال تمتع النهج السردي بكامل قواه رغم اندثار المسنين التدريجي.

محمد يحيا بن محمد المختار الولاتي، *الرحلة الحجازية*، 87 ؛ م.

المختار السوسي، *المعسول*، I، 3.5.8.9 ؛ محمد سالم بن لحبيب ابن الحسين بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، 66، 67.

J.C. De La Chappelle, *Les Tekna du sud ouest marocain*, 78; D. Hart, *La estructura social de los Rgaybat, nomadas arabofonos del Sahara Occidental y los antecedentes del Frente Polisario, Primer Congreso Hispano-Africana de las culturas Mediterraneas Espana y el Norte de Africa*, in Manuel Almedo Preminez, éd. Espana y el Norte de Africa, *Actas Historicas de Una Relacion Fundamental "aportation Sobre Melilla*, Fernando de los Rios, Nuriti, 11 al 16 de Junio 1984, 2 vol, I, 463 - 482, 1987 ; Cabot Brigg Lloyd, *Tribes of the Sahara*, Cambridge, 1967; S. Caratini, *Les Rgaybat (1610 - 1934)*, Paris, 1989.

مصطفى ناعمي

تَهالة، قبيلة سوسية عالمة، اشتهر منها شيوخ عديدون، وفي نفس الوقت هي اسم لجماعة قروية تابعة لدائرة تافراوت إقليم تيزنيت، تقع في قلب جبال الأطلس الصغير، على بعد حوالي خمسة عشر كلم غرب مدينة تافراوت على الطريق الرابط بين تافراوت وتيزنيت، وتحيط بتهالة القبائل الآتية : أمْلن في الشمال، وإغْشان في الشرق، وإداوسملال في الجنوب. بلغ عدد سكانها 5.683 نسمة حسب إحصاء سنة 1982.

من أهم منتجات تهالة اللوز، وبها مدفن عبد الله بن سعيد جد الإلغين في مدشر إيسور. وكان بتهالة ملاح كبير لليهود قرب السوق الأسبوعي الذي ينعقد يوم الأحد.

تحريات ميدانية ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، سوس 1822 - 1906 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، I : 80 ؛ السكان القانونيون للمغرب حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى لسنة 1982.

J. Chaumeil, *Le Mellah et Tahala au pays des Ammeten*, *Hesp.*, 1953, 1er et 2ème trim., p. 227 - 240.

حسن أنشاد

التهالي، عبد الله بن سعيد الإيموري، الجد الأعلى للإلغيين أسرة محمد المختار السوسي. ولد حوالي عام 955 / 1548 ويقال إن أصله من مدينة تامدولت المندثرة، وإنه أخذ عن الشيخ الصالح يحيى بن عبد الله التملي (ت. 999) وسكن بأمر منه في وادي إيمور، فتكاثر مريدوه، وكان همه بالإضافة إلى التربية الروحية والسلوك الصوفي أن يبني مع مريديه مخازن للماء (نطفيات) فكان يجوب معهم القفار جنوبي سوس لإقامة النطفيات في المواقع التي يقل فيها الماء، فأسس منها اثنتي عشرة معروفة مواقعها بأسمائها.

وقد أورد في *المعسول* نصوص عدد من المراسيم التي حرر بها قواد أحمد المنصور ومَن بعده من الملوك السعديين والعلويين في سوس الشيخ عبد الله التهالي الإيموري وأولاده من الكلف المخزنية. ورغم أن الشيخ عبد الله التهالي كان أمياً فإنه كان يحب أهل العلم وينحاش إليهم ويستشيرهم. تقول الروايات الشفوية إنه كان من الواقفين على تأسيس مدرسة أوجو، وجعل لها نصيباً من الحبوب يؤديه كل سنة من ماله، وأوصى أولاده بالعمل على ذلك بعد وفاته، ومازالوا يسهرون على هذه المدرسة حتى الآن.

توفي عبد الله في إيمور بقبيلة تهالة يوم الأربعاء 27 ربيع الثاني عام 1040 / 4 دجنبر 1630.

م. البعقيلي، *مناقب*، 23 ؛ الرسموكي، *وفيات*، 25 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 600 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، I : 80.116، وهي أول ترجمة فيه.

التهالي، يحيى بن حمزة التملي، من الفقهاء الذين خدموا الدولة السعدية منذ نشأتها، وهو أول قاض لمدينة المحمدية ولاّه عليها محمد المهدي الشيخ حين أنهى بناء هذه المدينة، واستمر في عمله إلى أن مات محمود السيرة في تاريخ غير محدد، فخلفه في قضائها ابنه محمد بن يحيى التهالي، وكان مثل أبيه فقهاً واستقامة. كل ذلك في منتصف القرن العاشر (16 م).

الرسموكي، *وفيات*، 29 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 804 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 23.

محمد حجي

ابن **التهامي**، أسر تطوانية ثلاث، إحداها شريفة أصلها من وزان، وقد اشتهر عدد من أفرادها بالعلم مثل سيدي عبد الكريم بن عبد الله بن العربي ابن التهامي الذي كان خليفة للسلطان بمدينة تطوان سنة 1236 / 1821. وكان من بين الموقعين على وثيقة بيعة مولاي سعيد ابن السلطان مولاي اليزيد العلوي بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821 ؛ والعالم سيدي عبد القادر ابن المختار ابن التهامي الذي اشتغل بالفتوى من سنة 1238 / 1823 إلى سنة 1241 / 1826 ؛ والفقهاء الذين كانوا يتعاطون خطة العدالة : سيدي التهامي بن أحمد من 1242 / 1827 إلى 1246 / 1831 ؛ وسيدي المختار بن عبد الرزاق من 1243 / 1828 إلى 1251 / 1836 ؛ وسيدي عبد الله بن عبد الكريم من 1250 / 1835 إلى 1259 / 1844 ؛ وسيدي العربي بن المختار من 1292 / 1874 إلى 1308 / 1891 ؛ وسيدي محمد بن أحمد من 1293 / 1875 إلى 1299 / 1882.

داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 267.

Delegación Asuntos Indígenas, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **التهامي**، أسرة سلوية مازالت حتى اليوم معروفة بالمروءة والاستقامة. وكان من بين أفرادها محمد ابن التهامي فقيهاً عدلاً موثقاً منتصباً لتلقي الشهادات وتحريرها بمسقط رأسه، وآخر ما وقفت عليه من آثاره رسم شهد فيه مع رفيقه الفقيه محمد بن عمر گلزيم بتاريخ 28 محرم عام 1293 / 24 فبراير 1876.

رسوم قديمة عند العدل عبد النبي النجاري السلاوي.

محمد حجي

التّهامي، أسرة نبيلة من شرفاء جبل العلم، تنتسب إلى جدها الشّيخ الصوفي الشهير مولاي التهامي بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله الشريف مؤسس مدينة وزان ودفينها آتي الترجمة. كان لمولاي التهامي ستة وعشرون

ولداً ذكوراً تفرقوا هم ومن انتسل منهم في عدد من المدن والقرى بمختلف جهات المغرب واشتهرت من التهاميين منهم فرقتان، الأولى بوزان وفاس يعرفون بالوزانيين التهاميين، والثانية بسلا والرباط يعرفون بالتهاميين الوزانيين. وهؤلاء الأخيرون هم المعنيون في هذا المدخل بالمعلمة. بينما يدخل الآخرون في حرف الواو (الوزاني). ونشير إلى أن التهاميين على العموم يمثلون الفرع الأول لشرفاء وزان بينما يمثل أبناءُ عمهم الطيبون (حفدة مولاي الطيب شقيق مولاي التهامي) الفرع الثاني لشرفاء وزان. وقد أنجبوا كلهم طوال القرون الثلاثة الأخيرة عدداً وافراً من الصلحاء والعلماء قاموا بأدوار دينية واجتماعية وسياسية بارزة في تاريخ المغرب الحديث، ترجم لستة وعشرين منهم محمد بن الطيب القادري في آخر نشر المثاني (4 : 253 ـ 268) علاوة على ترجمات أخرى موسعة موزعة في الكتاب حسب سني الوفاة. والتهامي ـ بكسر التاء ـ نسبة إلى تهامة، منطقة واسعة في الجزيرة العربية موالية للبحر وفيها مكة المكرمة، والحجاز يفصل بين تهامة ونجد. والعامة في سلا والرباط تنطق بها بضم التاء "تُهامي" وتسمّي دار التهاميين الوزانيين دار الضمانة.

التّهامي، إبراهيم بن محمد الوزاني الحسني السلوي، من علماء المدينة وأعيانها تخرج على يد أعلامها أمثال الشيخ أحمد الجريري، وعبد الله ابن خضراء، وأحمد ابن خالد الناصري، واشتغل بالتدريس والإفادة، وكان ذا طريقة حسنة في التعليم، يوصف من طرف مترجميه بالنفاعة. ويتعيش في كفاف وعفاف من تلقي الشهادات وتحرير الرسوم العدلية.

توفي بمدينة سلا عام 1331 / 1912. ودفن بالزاوية التهامية في حومة الصف.

التّهامي، أحمد بن عبد الله الوزاني الحسني الرباطي. درس في مسقط رأسه على علماء المدينة أو الطارئين عليها أمثال محمد بن عبد السلام الرندة، وعبد الكريم الوزاني، والحافظ أبي شعيب الدكالي، وأحمد بن المامون البلغيثي، وعبد الرحمن بن القرشي، وكان ذكياً حسن الخطّ أصيب في فترة من حياته بانحراف نفسي، ثم عوفي منه وعمل كاتباً بمندوبية المعارف بالقصر الملكي، وبعد الاستقلال انتقل إلى العمل في الأمانة العامة للحكومة.

توفي بالدار البيضاء وهو يعالج في أحد مستشفياتها ليلة الخميس 12 ربيع الثاني عام 1387 / 20 يوليوز 1967 ونقل إلى الرباط حيث دفن بمقبرة محمد بن عبد القادر بحومة الدورة.

التّهامي، التهامي بن إبراهيم بن أحمد الوزاني الحسني الرباطي. ولد بوزان وبها نشأ ودرس على علمائها، ثم انتقل إلى الرباط وتزوج فيه وبقي يتردد على وزان لزيارة أهله هناك. وصفه قريبه العربي التهامي في معجمه *بلوغ المنى والآمال* بقوله : "الفقيه العلامة ذو الأخلاق الحسنة والسيرة المستحسنة...".

كان له مجلس علمي حافل بضريح مولاي المكي في حومة الدورة بالرباط، يحضره أكابر العلماء أمثال الفقهاء محمد بناني والحاج عبد السلام الزبيدي ومَحمد ملين والمهدي متجينوش والمكي الأزرق والمحتسب الفقيه محمد الزكي. وكان مولعاً بالأدب مواظباً على قراءة *نفح الطيب* لأحمد المقري، وغيره من كتب الحكم والأمثال، معجباً بالطرب معتنياً بأهله يقرأ كتاب *الحايك*.

لم يذكر مترجموه تاريخ وفاته، ولعله توفي في مطلع القرن الرابع عشر (20 م).

التّهامي، عبد القادر بن **بوسلهام** بن عبد الله الوزاني الحسني السلوي. ولد بسلا عام 1318 / 1900 وحفظ القرآن وأخذ مبادئ العلوم الشرعية واللغوية. وخلف والده في العناية بمريده الكثيرين في قبائل شمالي مدينة سلا إلى أن منعه الفرنسيون من الاتصال بهم بسبب نشاطه الوطني. وكان من الرعيل الأول في الحركة الوطنية، له موقف متحمس مشهور فيما يعرف بيوم محاربة الخمر بسلا (10 محرم 1353 / 25 أبريل 1934) وظل طوال حياته يقاوم المستعمر ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وقد منعت سلطات الاستعمار مدةً رفاقَه في الكفاح من الاتصال به في بيته. ولم يتشوف بعد الاستقلال لأي منصب أو جاه.

توفي بمسقط رأسه سلا يوم الخميس 9 صفر عام 1390 / 16 أبريل 1970.

التّهامي، عبد القادر بن محمد الوزاني الحسني

السلوي، فقيه وجيه تخرج على أكابر علماء عصره السلويين وشارك أخاه إبراهيم سابق الترجمة في جل شيوخه. وأكثر أخذه عن العالم الصالح أحمد ابن الفقيه الجريري، وظل يحضر مجالسه العلمية حتى بعد أن تقدم سنه وأصبح ذا مكانة اجتماعية مرموقة في المدينة. أصهر إلى الفقيه أبي بكر بوزيد باشا الدار البيضاء الشهير بابنته فأنجبت له ذرية صالحة. وكان يشتغل أولاً بتلقي الشهادات، ثم ولي قضاء مدينة سلا ونواحيها في 29 جمادى الثانية عام 1335 / 22 أبريل 1971 عند عزل سلفه القاضي علال الثغراوي، واستمر عبدالقادر التهامي في هذه الخطة نحو سبع عشرة ستة إلى أن مات وهو قاض.

قال في حقه معاصره عبدالله الجراري : "كان له ولوع بالنوازل الفقهية والأحداث القضائية. ومن تحريه - رحمة الله عليه - أنه كان يُحضر العلماء في بعض النوازل قصد استشارتهم وأخذ آرائهم كما هو المطلوب فقهاً".

توفي صبيحة يوم الأحد 12 محرم عام 1352 / 7 ماي 1933 ودفن بالزاوية التهامية بحومة الصف بسلا.

التهامي، عبد الله بن عبد القادر بن محمد الوزاني الحسني السلوي. ابن القاضي سابق الترجمة. ولد بسلا عام 1336 / 1917 ودرس في مدرسة أبناء الأعيان الفرنسية ثم في ثانوية مولاي يوسف بالرباط، إضافة إلى دراسته العربية في مدرسة درب العلو الحرة وعلى والده وغيره من علماء المدينة وأدبائها، فتكوّن تكويناً مزدوجاً متيناً، واشتغل - بمباراة - كمترجم ومحرر في إدارة الداخلية، والإذاعة المغربية، وبعد الاستقلال عمل مديراً لديوان ابن عمه الوزير التهامي الوزاني ثم انتقل إلى الترجمة برآسة الحكومة وظل يعمل بها إلى أن وافاه الأجل.

اشتهر عبد الله التهامي بدماثة الأخلاق وكرم النفس وأسهم إسهاماً فعالاً في التعليم العربي الحر أيام اشتداد الأزمة السياسية فكان من عُمد المدرسين بمدرسة الأميرة عائشة بسلا تطوعاً واحتساباً.

توفي بمسقط رأسه في أواخر شوال عام 1388 / يناير 1969 وأبنه رفاقه الأوفياء عند دفنه بالزاوية التهامية بحومة الصف، وفي ذكرى الأربعين نثراً ونظماً. ومن ذلك قصيدة دالية طويلة للشاعر محمد عرفة الفاسي مطلعها :

قضيت فضاع العزم مني والرشد وعمّ رجال الفضل من فقد كم سهد

وأخرى نونية لشاعر سلا محمد بن محمد حركات، مطلعها :

الله أكبرُ كل حي فـــانِ باوي الضريحَ ملفّف الأكفـان

التّهامي، عبد الله بن العربي الوزاني الحسني الرباطي. أديب كاتب شاعر قرأ بمسقط رأسه على الشيخين إبراهيم التادلي وأبي حامد البطاوري، وكان هذا الأخير معتمده ومجيزه. قال في حقه بلديُّه بوجندار في *الاغتباط*: "دوحة الشّرف، وذرة المجد العالية الشُّرف ... ذو وجه وسيم، وثغر بسيم، وخلق يزري بلفظ النسيم، إلى جود وسخاء، ونعمة وثراء، وهمة شمّاء، تُطاول السماء ... وتعاطى الإنشاء نثراً ونظماً، وكم له من خدمات، وأسفار ورحلات إلى أن أصيب بإقعاد في آخر حياته".

توفي بالرباط في شهر ربيع عام 1338 / دجنبر 1919 ودفن بالزاوية التهامية المجاورة لدار سكناه، ورثاه صديقه محمد اليمني الناصري بنونية طويلة (انظرها في *الاغتباط*، 393 . 394).

التهامي، العربي بن عبد الله بن محمد الوزاني الحسني الرباطي. عالم الشرفاء الوزانيين بالرباط ونقيبهم (المزوار). ولد عام 1250 / 1834 ونشأ في رعاية والديه اللذين اهتما اهتماماً فائقاً بتربيته وتعليمه وتهذيبه، وكان شغوفاً باقتناء الكتب العلمية والأدبية فكانت له مكتبة غنية عامرة. وقد عين في عام 1327 / 1909 نقيباً عاماً لجميع الشرفاء الوزانيين بالمغرب. وألف عدة كتب في آخر حياته، منها *لوائح الأنوار في الصلاة على النبي المختار* في سبعة أجزاء، على غرار *ذخيرة* الشيخ المعطي بن الصالح الشرقاوي ؛ وكتاب على نسق *دلائل الخيرات* سماه : *مسالك الفتوحات في الصلاة على أشرف المخلوقات* ؛ وكتاب في مناقب عمه الحاج العربي الوزاني وابنه عبد السلام ؛ *وفيض النيل* في الفروسية وركوب الخيل ؛ *وشرح أرجوزة* القادري في الخيل ؛ ومعجم *تاريخي* ضمنه فهرسه وتراجم شيوخه سماه *بلوغ المنى والآمال، فيمن لقيته من المشايخ أهل الفضل والكمال*. ويعد هذا الكتاب من مصادر كتاب *الاغتباط*، نقل عنه مؤلفه محمد بوجندار كثيراً. "وله *قصائد* في الملحون رقيقة المعاني، فائقة المباني، كلها حقائق غامضة، ونكت إشارية، على طريق الصوفية، وبعضها في المديح النبوي".

توفي بمسقط رأسه الرباط زوال يوم الخميس 5 شعبان عام 1339 / 14 أبريل 1921 ودفن بروض صغير داخل روضه الكبير حبّسه على دفنه ودفن أبنائه من بعده.

التهامي، المكي بن محمد بن عبد القادر بن الشيخ مولاي التهامي الوزاني الحسني الرباطي. صوفي شهير، وولي كبير، قال عنه في *الاغتباط* : "من ذوي الأحوال، ومن الأكابر الكمال، وكان يقال له معوّم السفن" عاش بالرباط في أوائل القرن الثالث عشر (19 م) وهو صاحب الضريح المعروف (مولاي المكي) بالدوره من حي سيدي فاتح بالرباط، وكان دار سكناه، فلما توفي دفن به وبنته والدته بنت الحاج العربي اللوشي الأندلسي. وهو غير مولاي المكي بن محمد بن مولاي عبد الله الشريف الوزاني دفين الرباط أيضاً المعروف مسجده الكبير كذلك بمولاي المكي. فهذا الأخير غير تهامي ومن رجال القرن الثاني عشر (18 م).

م. القادري، *نشر الثاني*، 3 : 219 . 227 ؛ 4 : 253 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، طبعة الرباط المصورة، 1987، ص 283، 339، 340، 391، 394، 427 . 429 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 2 : 292 ؛ جعفر الناصري، *تقييد في قضاء سلا*، ص 6، مخطوط خ. ص ؛ *كناشة* الحاج عمر عواد، ص 14، مخطوط خ. ص ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 323، 365، 387، 409 ؛ أ. الصبيحي، *مختصر تاريخ سلا*، ص 27، مخطوط خ. ص ؛ *تقاييد* بخزانة الحاج أحمد معنينو بسلا ؛ جريدة الشعب، ع 964 بتاريخ 27 . 1 . 69.

محمد حجي

التهامي (مولاي .)، بن محمد بن عبد الله اليملحي العلمي الحسني، شيخ الزاوية الوزانية الثالث. أجمع مترجموه على وصفه بالخمول والزهد في المأكل والمشرب والملبس. ومازالت الكرامات المتواترة عنه وكذا قبره الذي غطي سقفه بالقش، على خلاف باقي أضرحة الأشياخ الوزانيين، شاهدا على هذه الأوصاف.

أخذ عن جده في حياته ثم عن والده، وكان الاثنان يكلفانه المشاق في خدمة الزاوية ومريديها وزوارها. وقد اختاره والده من بين أبنائه السبعة ليحجز في القصر الملكي بمكناس كرهينة وعربون عن ولاء الوزانيين للدولة العلوية الإسماعيلية.

خلف أباه على رأس الزاوية الأم عام 1120 / 1708، وكان أعضاء زاوية الشرشور بفاس أول من رشحوه لهذا الأمر. ويتجلى من بعض كتب المناقب أن أخاه مولاي الطيب كان معرضاً عنه في أول أمره لكنه سرعان ما انحاش إليه وأصبح حاجبه الأول.

كان مولاي التهامي كثير الذكر لله وكثير الدعاء للمسلمين ولأمير المومنين خاصة، يحض على الجهاد ويكرس قسطا من مداخيل الزاوية ومدخرات الشرفاء للإنفاق على المجاهدين المرابطين بسبتة. وكان إذا استُشير في أمر أجاب إما بآية قرآنية أو حديث نبوي شريف أو بحكم من حكم عطاء الله، وفي المسائل العويصة كثيراً ما كان يلجأ للأمثلة المبسطة الملموسة لتقريب الفهم.

اتسع نفوذ الزاوية في أيامه داخل المغرب وخارجه فكانت الوفود والمراسلات والمشاورات وطلب الدعاء تأتيه من أعيان وفقهاء مصر والشام والعراق والجزائر والبلاد الصحراوية.

توفي المترجم يوم فاتح محرم عام 1127 / 7 يناير 1715 بوزان، وكان قد أوصى في حياته لأخيه مولاي الطيب.

الوزاني عبد الله بن الطيب، *الروض النفيف*، ج II، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، عدد ك / 2304 ؛ ع. القادري، *التحفة القادرية*، مخ. خ. ع. بالرباط، عدد ك / 2310 ؛ حمدون بن محمد الطاهري، *تحفة الإخوان*، مخ. خ. ح. بالرباط، عدد 4063 ؛ العلمي محمد بن الطيب، *الأنيس المطرب فيمن لقيته من أدباء المغرب*، طبعة حجرية، 1887 ؛ القادري محمد بن الطيب، *نشر المثاني*، ج III، ص. 219 . 227.

G. Drague (Spillman), *Esquisse d'histoire religieuse*, Paris, 1951.

فاطمة الحراق

التّهاميون، أو تهامة، هم شرفاء وزان آل الشيخ مولاي التهامي حفيد مولاي عبد الله الشريف، وهم أيضا أتباع الشيخ مولاي التهامي المذكور صاحب الزوايا الوزانية المنتشرة داخل المغرب وخارجه.

كاد ذكر الشرفاء التهاميين في كتب الأنساب والمناقب أن يقتصر على الأعلام البارزين الحضريين، ويستفاد من هذه المصادر أن التهاميين بمدينة فاس على سبيل المثال، اختاروا السكن في عدوة القرويين بأحياء كان يوجد بها أسلافهم، كحومة قرن الكوشة، وسقاية الدمناتي، وسويقة

ابن صافي، وانواعربين، والشرشور. وقد أحصى صاحب *الدرر البهية* منهم سبعة وعشرين نفراً كانوا قيد الحياة زمن التأليف. وميز في سرده بين جماعتين : جماعة وصف أفرادها بالوجاهة والثروة والحظوة لدى السلطان، وجماعة أخرى اشتهرت بالصلاح والزهد واقتفاء أثر السلف، وعاشت على استثمار الرموز الموروثة وممارسة وظائف التصوف المعروفة. ويظهر من خلال النصوص أن التهاميين بفاس، رغم وجودهم بالقرب من جامع القرويين، لم ينجبوا علماء بارزين في الوسط العلمي إلا في حالات نادرة. ولم يكن للتهاميين بفاس نفس المرتبة التي كانت لأبناء عمهم حفدة مولاي الطيب الوزاني المعروفين بالطيبيين. ولعل ذلك راجع إلى استقرار الولاية والمشيخة في هذا الفرع، بعد وفاة الشيخ مولاي التهامي.

أما المتصوفة التهاميون المنتسبون للطريقة الوزانية التي كان مولاي التهامي شيخها الرئيسي فترة غير قصيرة من الزمن، تمييزاً لهم عن الطيبيين المنتشرين بالجزائر وتونس. فإنهم يعمرون الزوايا التهامية في الريف وجبالة، والأطلس المتوسط والتسول وغياثة وهوارة وسوس وتوات وتافيلالت والصحراء، بالإضافة إلى بعض الحواضر كفاس ومكناس وسلا والرباط. وتجاوزت شهرة الزاوية التهامية المغرب وذاع صيتها في تونس ومصر والشام والعراق وانتشر ذكرها في بلاد السودان وبلاد النصارى، كما ورد في مناقب الشرفاء الوزانيين. كان هذا الانتشار نتيجة عدة أسباب، منها : سهولة الطريقة الوزانية الشاذلية الجزولية، وموقع الزاوية الأم بين القبائل الجبلية، وقربها من طريق المخزن، ووجودها على الطريق المؤدية إلى ضريح مولاي عبد السلام بن مشيش صاحب جبل العلم حيث كانت الزاوية محطة لاستقبال ركبان "الزيارة". هذا فضلا عن الدعم السياسي والمادي الذي لقيته الزاوية من طرف السلطان مولاي إسماعيل بعد حدوث التصالح بمدينة مكناس بينه وبين مولاي التهامي.

شكل الأتباع التهاميون، زمان مولاي التهامي وبعده، طوائف صوفية منتظمة في الفروع التابعة لزاوية وزان، وأهمها فرعا فاس اللذان كان لهما اعتبار خاص لدى مولاي التهامي : فرع زقاق الشرشور بحي الشرابليين الذي أسسه الحاج الخياط الرقعي أحد الأتباع القدامى وتلميذ الشيخ مولاي عبد الله الشريف، وذلك أثناء مشيخة مولاي محمد. ضم هذا الفرع فيما بعد أتباعاً من أعراق مختلفة استوطنت مدينة فاس، كأهل توات وتافيلالت، وفرع زقاق الحجر بسويقة ابن صافي الذي تأسس على يد قاسم ابن رحمون الزرهوني أحد الأتباع الأوفياء للشيخ مولاي التهامي، وقد تحول مع الأيام إلى زاوية خاصة بأهل فاس. يلاحظ من خلال مناقب الشرفاء الوزانيين أن المتصوفة التهاميين كانوا يتقاسمون كغيرهم المعتقدات الصوفية ويؤمنون ببركة الشيخ إلى درجة القداسة ويدافعون عن مناقبه وكراماته بين الشيوخ، إلا أن الوحدة العقائدية لم تكن تعني التجانس بين الأتباع، إذ عكست العلاقات التي ربطت هؤلاء بالشيخ البركة تفاوتا بيناً بين فئتين، على مستوى ممارسة طقوس الزيارة ويمكن قياس درجة التفاوت بالخدمات والهدايا المقدمة من طرف الزوار إلى الشيخ البركة. جاءت في كتب المناقب إشارات إلى أعيان الفقراء وإلى الأصحاب المقربين وتطرقت إلى اخبارهم كما حددت نوع الصلات التي كانت تربطهم بالشيخ ونوع الخدمات التي كانوا يقدمونها إليه. ومثل الأصحاب قلة عددية من مجموع الزوار وكان جلهم منتميا إلى الوسط الحضري الفاسي. ونجد من بينهم التاجر الذي يمزج بين الزيارة والتبادل والحرفي الذي يقوم بنفس الشيء والفقيه والمقدم أبرزهم قاسم بن رحمون الزرهوني ومحمد القادري، وقد حظيت هذه الجماعة التي كانت تتردد كثيراً على الزاوية الوزانية بالجلوس بين يدي الشيخ مولاي التهامي والاطلاع على أسراره. وإذا كان الزواج داخل الأسرة الوزانية محافظاً ويتم في دائرة الشرفاء فإن صحبة الشيخ أدت أحيانا إلى الخروج عن هذا التقليد حيث تم زواج شريف من إحدى بنات الأصحاب مثلما حدث بين مولاي أحمد بن التهامي وابنة الحاج الخياط الرقعي. ويجب أن نشير إلى أن أعيان الاتباع لعبوا دوراً هاماً في الدعاية للشيخ مولاي التهامي من أجل استخلافه بعد وفاة والده وإضفاء المشروعية على التبعية له.

لقد تكرر ذكر العوام في كتب المناقب، وموطنهم في البادية. توالت زيارتهم إلى دار الضيافة كل سنة بقصد قضاء الحاجات والتماس بركة الشيخ. وهؤلاء مثلوا الكثرة إلى درجة التراكم زمان مولاي التهامي، إلا أن الاتصال بالشيخ كان يتم في الغالب بواسطة، إذ أن أسئلتهم كانت تضايقه أحياناً إذا ما حدث اتصال مباشر.

ويتجلى التفاوت أيضاً في تقديم الطعام للزوار ـ كما جرت العادة في العديد من زوايا المغرب ـ حيث عددت كتب المناقب أصنافا من الطعام وصنفته إلى صنفين مع تبرير ذلك : طعام الخاصة وطعام العامة، بل ويظهر التفاوت جليا حتى على مستوى تنظيم ركبان الزيارة.

م. ط. القادري، *نشر الثاني*، الجزء 3، الرباط 1986، ص. 219، 227 ؛ حمدون الطاهري، *تحفة الاخوان*، طبعة حجرية فاس 1906، ص. 79 ـ 114 ؛ محمد بن حمزة المكناسي، *الكوكب الأسعد*، مطبوع على هامش التحفة المذكورة أعلاه، ص. 58 ـ 73 ؛ إدريس الفضيلي، *الدرر البهية*، الجزء الثاني، طبعة حجرية فاس 1898، ص. 77 ـ 91.

E. Aubin, *Le Maroc d'aujourd'hui*, Paris, 1904, p. 466 - 477; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1950, p. 230 ; G. Spillman, *Ouezzan et les Taïbiyine - Thamiyine*, Direction des affaires indigènes, Rabat, 1938 ; Michaux-Bellaire, *La maison d'Ouezzan*, *R.M.M.*, vol. 5, 1908, p. 23 - 89, voir p. 34, 39, 41.

محمد عمراني

التهدئة La pacification، أطلقت الإدارة الاستعمارية مصطلح التهدئة على كل العمليات العسكرية وكل أشكال

التوغل والغزو التي تستهدف احتلال المغرب وجعله تحت سيطرة الإقامة العامة الفرنسية. وقد التجأت إدارة الحماية إلى استعمال هذا المصطلح لأسباب سياسية : إذ يتبادَر إلى الذهن لأول وهلة أن المغرب كان يعيش في حالة من الفوضى والحروب تستدعي تدخل فرنسا لإحلال التهدئة والسكينة وتوحيد البلاد. وإلى هذا المعنى يشير الكولونيل مارك ميرو Marc Meraud في كتابه *ضباط الشؤون الأهلية* :

".. التهدئة مصطلح لا يروق المغاربة كثيراً. فالتهدئة مرحلة تاريخية خصصت لتوحيد المغرب تحت إمرة السلطان كما هو مسطر في معاهدة الحماية سنة 1912 في المادة الثانية التي تجيز للحكومة الفرنسية القيام بالاحتلالات العسكرية الضرورية... ولهذا فإن استعمال لفظة التهدئة أمر مناسب له محله، إذ أن الأوامر التي صدرت من ليوطي "رجل التهدئة" كانت تلح على عدم استعمال القوة العسكرية إلا عند الضرورة القصوى. ومعنى ذلك العمل على تهدئة البلاد بواسطة كلمة الشرف والالتزام وبواسطة الثقة المتبادلة. ومع ذلك فالمقيم العام ليوطي يعرف أكثر من غيره أن الخصم القوي يحترم أكثر من الضعيف، ولهذا فهو في كل فرصة وفي كل مناسبة ينادي بتطبيق شعار "ضرورة إبراز القوة لتلافي وتجنب استعمالها" وقد كان ضباط الشؤون الأهلية الذين كُلفوا بمهمة انجاز التهدئة يعملون باستمرار على استقطاب القبائل بدون إراقة الدماء".

غير أن القصد الحقيقي من هذا المصطلح هو الإمعان في التعتيم والتضليل للرأي العام في فرنسا وخارجها حتى يبدو وكأن فرنسا تقوم برسالة حضارية في المغرب تتجلى في تهدئة البلاد، والتمويه بالالتجاء إلى المكائد السياسية للاقتصاد في القوة العسكرية التي لا بد من استعمالها. ومما يؤيد هذا التنكر للحقيقة هو ما يقوله الفرنسيون عن تقسيم المغرب إلى مغربين اثنين متعارضين أجنبيين عن بعضهما البعض : مغرب بلاد المخزن، وهو كيّان دائم الغليان والتمرد ضد السلطان المرهق له ضرائبيا، ومغرب بلاد السيبة الذي يشبه قطعاً من الفيسفاء، وهو عبارة عن عالم مستقل عن سلطة السلطان ويعيش في حروب انتقامية لأتفه الأسباب. وهذا ما يرصده المتمعن في مقدمة عقد الحماية. وهذا الاعتقاد هو الذي حدا بالمارشال جوان Juin إلى أن يقول مفاخراً ما معناه : "... إن عمليات التهدئة لم تتم إلا في سنة 1934، وذلك لأول مرة في التاريخ، وبفضل فرنسا خضع مجموع القبائل لراية السلطان".

هكذا نلاحظ أن الطروحات الاستعمارية سعت إلى نزع كل قيمة عن الحكم المركزي (المخزن) وركزت تقارير ضباط الشؤون الأهلية ومختلف الدراسات التي قام بها العملاء من مختلف الاختصاصات على فرضية تتصور القبيلة المغربية كوحدة منافية للدولة، وروجت لنظرية المغربين : بلاد المخزن وبلاد السيبة، وكان الهدف من ذلك نفي الوحدة المغربية، ومن ثم إبراز الدور الحضاري لفرنسا في المغرب الذي يتجلى حسب الطرح الاستعماري في توحيد البلاد وإحلال التهدئة محل الفوضى القبلية. وقد تمكنت فرنسا من جلب بعض الأعيان والقواد الكبار وتجنيد المغاربة في صفوف جيوشها باسم التهدئة، بل حتى إزاء الشعب الفرنسي نفسه، ذلك لأن هناك في فرنسا حركة واسعة للرأي العام مناوئة ومنددة بالحرب الاستعمارية التي تخوضها فرنسا في المغرب باسم التهدئة. وعلى ضوء هذا كله نرى أن "التهدئة" ليست نوعاً جديداً من العلاقات بين الدول القوية والدول الضعيفة، وإنما هي مرحلة ووسيلة لاستعمار المغرب، تستمد شرعيتها من معاهدة الحماية التي فرضتها فرنسا على المغرب، ثم خرقت بنودها لتوسيع سلطاتها.

وبمجرد توقيع معاهدة الحماية، عُين ليوطي كأول مقيم عام لفرنسا في المغرب لإنجاز عملية التهدئة. وقد وقع الاختيار عليه نظراً لما يتميز به من خصال حربية ونظراً لماضيه الاستعماري وتخصصه في الغزو العسكري، لأنه شارك في احتلال بلاد طونكان بالصين ومدغشقر، وله خبرة أيضا بشؤون غزو المغرب بصفة خاصة لأنه تولى منذ سنة 1903 قيادة الجيش الفرنسي العامل على طول الحدود الجزائرية ـ المغربية، وكان قد برز باستعمال الدسائس للتدخل في المغرب والاستيلاء على بعض أجزائه بطريق التفريق بين القبائل كما عمل على اصطناع العملاء حتى لا يريق دم الجيش الفرنسي ويتم ذلك الاحتلال دون إثارة

الرأي العام في فرنسا وخارجها. ومن ذلك مثلا : احتلاله قرية رأس العين بالتراب المغربي مما أثار أزمة ديبلوماسية بعد احتجاج المخزن، وبسرعة غيّر اسم رأس العين فأصبحت تدعى برگانت. وكذلك فعل في بشار التي أطلق عليها كلومب بشار.

وهكذا تمكن ليوطي فيما بين 1903 و1910 من قضم أجزاء من التراب المغربي وإضافتها إلى الجزائر، بدعوى حماية الحدود الجزائرية من هجمات قبائل بني إزناسن المغربية. وتم ذلك كله بواسطة ما يسميه ليوطي بقعة الزيت التي تنتشر بسرعة دون إثارة الانتباه، أو ما كان يطلق عليه السياسة الأهلية، حجر الزاوية بالنسبة لنظرية التهدئة التي وضعها ليوطي من أجل احتلال المغرب باسم التهدئة.

ولقد أجبرت ظروف الحرب العالمية الأولى المقيم العام على إرسال القوات العسكرية الفرنسية المرابطة بالمغرب. وبدل التخلي عن الأراضي الواسعة الأطراف التي احتلتها فرنسا مع الاحتفاظ بالمراكز الحيوية فقط في المغرب حسب الأوامر التي تلقاها لم يتراجع ليوطي عن الأراضي المحتلة. بل تابع سياسة التوسع أو التهدئة بفضل سياسة القواد الكبار التي اتبعها. وستصبح هذه السياسة أمراً واقعاً بفضل استعمال عناصر محلية عميلة في الإدارة والجيش. وقد استمرت مقاومة القبائل المغربية للاحتلال الفرنسي والوقوف في وجه ما سمي بالتهدئة أزيد من عشرين سنة بحيث لم يستسلم آخر معقل للمقاومة المسلحة إلا سنة 1934.

كردية إبراهيم، *السياسة البربرية للحماية الفرنسية في المغرب*، البيضاء، 1985.

M. Méraud, *Histoire des A.I du Maroc*, T.3- *Lakoumia*, Paris, 1990 ; J. Saulay, *Histoire des A.I du Maroc*, T. I, Paris, 1985 ; J. Celerier, *Le Maroc*, Paris, 1936 ; G. Spillman, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; *Souvenirs d'un colonialiste*, Paris, 1968 ; G. Oved, *La Gauche française et le nationalisme marocain , 1905 - 1955*, Paris, 1984 ; G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif*, Rabat, 1981 ; C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes, 1415 - 1956*, Paris, 1978; Le Général de Boissel, *Dans l'ombre de Lyautey*, Paris, 1954 ; A. Huré, *La pacification du Maroc dernière étape, 1931 - 1934*, Paris, 1934.

عبد القادر بوراس

التهذيب ← التربية

تهليط، مدينة قديمة كانت تقع بجوار وادي اللكوس، اختفت آثارها في أزمنة غير معروفة، الأمر الذي أدى إلى صعوبة تحديد موقعها، ومع ذلك يمكن توطينها اعتماداً على الخريطة التي وضعها د. أوستاش D. Eustache على الضفة اليمنى لنهر اللكوس، إلى الغرب من مدينة قصر ابن عبد الكريم (القصر الكبير)، بعيدة عنها بمسافة قليلة نحو سافلة النهر، أو تحت القصر حسب البيذق.

ويعتبر البيذق الوحيد الذي ذكر هذه المدينة، دون أن يبين حالتها المادية والبشرية، فلا يعرف شيء عن أسوارها ومؤسساتها وأبوابها، كما يجهل كل شيء عن سكانها وبانيها. وجاء ذكرها عند حديث البيذق عن المرابطين الذين نزلوا بها خلال المواجهات العسكرية الطويلة بين الطرفين الموحدي والمرابطي، وانتهت بدخول الموحدين إلى مدينة مراكش سنة 541 / 1146. بقي المرابطون في تهليط اثني عشر يوماً، ومنها انتقلوا إلى تيطاون دون أن يلحقوا بها أي أضرار، مما يدل أن تهليط كانت ماتزال قائمة على عهد الموحدين.

من المرجح أن تاريخ هذه المدينة يعود إلى فترة قديمة، وأن وجودها مرتبط بالعهد الروماني في هذه المنطقة، وخربت في أزمنة قبل الفتح العربي، ثم بنيت من جديد في عهد الإسلام، إثر قيام تجارة السودان، فارتبط تطورها بهذه التجارة التي كان اتجاهها من الجنوب نحو الشمال، فنما هذا الموقع، وتطورت ساكنته، وأصبح مدينة صغيرة على عهد الأدارسة الذين ساهموا في بناء مدن كثيرة بهذه الجهة.

وقد سبب عدم ورود اسمها في المصادر العربية الوسيطية مزيداً من الغموض عن وجودها، لولا اكتشاف نقد يعود إلى عهد إدريس الثاني، ضرب بهذه المدينة، ويحمل اسمها "تهليط" وتاريخه سنة 197 هـ. وأكد هذا الاكتشاف قيام هذه المدينة في موقعها السابق الذكر منذ دخول الإسلام، وأنها عمرت زمناً طويلاً يمتد على الأقل إلى عهد المرابطين.

وكتب على ظهر هذا النقد "والمهدي إدريس بن إدريس" إلى جوار "محمد رسول الله" وهذه إشارة مفيدة، ذلك أن إدريس الثاني - حسب هذا النقد - ادعى المهدوية، لمواجهة الدعوة البرغواطية المنحرفة عن الإسلام، غير أن هذه الإشارة وردت في نقد وحيد لا غير، ولا توجد إشارة مماثلة في أي مصدر، وهذا يعني أنها حالة فريدة، فهل كان سكان هذه المدينة أغلبهم من الشيعة ؟ وهم الذين قاموا بكتابة هذه الكلمة على ظهر هذا النقد. مع العلم، أنه لا تعرف الكيفية التي كان يسمح بها لأي موقع في سك النقود، أم هي مبادرة محلية للمواقع المتوفرة على مادة الفضة أو الذهب، في إطار مسطرة متفق عليها تحدد نوع النقد وقيمته ؟ غير أن ذلك يتطلب شروطاً تقنية واقتصادية واجتماعية من المحتمل أنها توفرت في هذه المدينة، فكانت إحدى المدن التي ضربت بها السكة في عهد الأدارسة.

أ. البكري، *المغرب*، بغداد، ص. 110 - 114 ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، ص. 55، الرباط، 1971 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة*، 179 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*.

D. Eustache, *Etude sur la numismatique et l'histoire du Maroc*, p. 140.

أحمد قدور

التهيئة الحضرية ← التمدين

التواتي، أسرة تطوانية أصلها من واحة توات، كانت بتطوان إلى حدود سنة 1321 / 1903 حيث انقرضت وكان من بين أفرادها معلم اشتهر بطريقته الخاصة لاكتشاف منابع المياه الجوفية واسمه محمد بن بوشعيب التواتي.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 52 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanes ; Vademecum de Intervenciones* (año 1931).

محمد ابن عزوز حكيم

التواتي، أسرة صحراوية انتشرت بربوع المغرب في فترات شتى، قادمة من واحة توات الكبرى التي احتلها الفرنسيون عام 1900، يوم كان المغرب يجتاز أزمة من أكبر الأزمات التي عرفها في تاريخه. وقد نزح التواتيون تبعاً لذلك وطلباً للعيش وامتهنوا صنائع وباشروا خدمات وضيعة ورفيعة معاً، وعرفوا بالعفة والأمانة في مختلف المدن التي عاشوا فيها، ومنها سلا التي كان لبعضهم فيها شغوف في حفظ القرآن والعلم والقضاء.

مصطفى بوشعراء

التواتي، عبد الرحمن معاذ، صاحب الضريح الشهير خارج باب الجيسة. ولي صالح، كان صلاحه مشهوراً عند أهل فاس، ذا أحوال كثيرة ومقامات، لا يأكل إلا من عمل يده، يؤاجر نفسه لخدمة الفأس ونحوها، ويجلس حتى يفرغ من إنفاق ما خدم به ثم يعود، وكهذا... وكان لا يشرب من ماء داخل فاس، بل له قلة يأتي فيها بالماء ليشربه من خارج المدينة. وهو من تلاميذ علي بن عبد الرحمن التادلي، ومن جملة تلاميذه عبد السلام التواتي دفين طالعة فاس.

توفي في الحادي عشر من ربيع الأول عام أربعة ومائة وألف / 20 نوفمبر 1692. ودفن خارج باب الجيسة من فاس قرب ضريح سيدي يوسف المصمودي، وضريحه معروف لحد الآن معظم مزار.

م. القادري، *نشر*، 3 : 60 ؛ *التقاط*، 265، ع 399 ؛ *التاج والإكليل*، 420، ع 499 تح. مـاريـة دادي، ص. 118 من المخـطـوط ؛ م. الزيادي، *دوحة البستان*، مخ، خ، ع، الرباط 390) ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 149.

التواتي، عبد السلام بن محمد الجعفري. ينتسب لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي. كان من الزهاد الملازمين مسجد القرويين. يجلس إليه أقوام لسماع معارفه، فكان يأتي من ذلك بما يسحر الألباب، يتبرك به عامة الناس وخاصتهم.

كان أول أمره يتعاطى أسباب الدنيا مدة عشرين سنة، ثم انتقل لبيع الكبريت قرب سوق الغزل من عدوة فاس القرويين، ثم تجرد للعبادة والذكر ولازم الانفراد في الكهوف والبراري واقتصر على القوت من ربيع الخلاء وما يلتقطه من الطريق، وكان يقول : أولها ـ أي الطريقة ـ فنون، ووسطها جنون، وآخرها : قيل يكون وقيل لا يكون. ثم دخل إلى مدينة فاس ولازم الجلوس في مسجد القرويين وكان أميا لا يحفظ القرآن.

أخذ صاحب الترجمة عن الشيخ مولاي التهامي دفين وزان، ثم عن الولي سيدي عزوز دفين طالعة فاس وسيدي عبد الرحمان معاذ، وعن سيدي عنتر. لقيه وتبرك به من لا يحصى كثرة ومن جملتهم محمد القادري صاحب *نشر المثاني*.

توفي في مهل رجب عام خمسة وخمسين ومائة وألف / 1 شتنبر 1742، ودفن بدار بطالعة فاس قرب سيدي أبي الرجاء، وبنيت عليه قبة.

م. القادري، *نشر*، 4 : 32 ؛ *الالتقاط*، 390 ع 526 ؛ *التاج والاكليل*، 436 ع 524، تح. مارية دادي، (12 من المخطوط ؛ م. الشاوي بن سودة، *فهرسة*، مخطوط ؛ م. الزيادي، *سلوك الطريق*، 213 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 248.

مارية دادي

التواتي، عثمان أبو عمرو حلاه مؤرخ سلا محمد بن علي الدكالي السلاوي بالفقيه العلامة. كان من أعلام سلا وأعيانها ومدرسيها. ولي قضاء سلا سنة 1150 / 37 . 1738 وكانت وفاته بها يوم الأربعاء 22 شوال عام 1158 / 17 نونبر 1745، ودفن داخل روضة الشيخ الحاج أحمد بن عاشر.

التواتي، محمد بن **أحمد**. كان أيضاً من عدول المدينة وفقهائها، انتصب للشهادة بسماط العدول، وكان سنة 1212 هجرية بقيد الحياة.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 84 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، تح. م. بوشعراء، ص. 114 ؛ *إتحاف أشراف الملا*، مخ. خ. ع.، رقم 11، ص. 66 ؛ أ. الصبيحي، *الروض*، مخطوط خ. ص.، رقم 248، ص. 152.

مصطفى بوشعراء

التواتي، محمد الرامي (الحاج.) بهلول مشهود له بالولاية والتفضيل، كان هو صاحب الوقت بفاس قبل ورود الشيخ أبي المحاسن إليها، ولم يقدم هذا إليها إلا بعد أن استأذن الشيخ التواتي، فأذن له وخرج هو منها محمولا لأنه كان مقعدا، وسكن خارجها، ولم يدخلها بعد ذلك إلا مرة لأمر مهم. وكان قبل خروجه من فاس قاطناً بباب النقبة من عدوة القرويين.

أخذ عنه جلول العيساوي دفين داخل باب الجيسة وإليه ينتسب فيقال جلول بن الحاج لأنه كثيراً ما كان يقول : أنا بَبَ جلول بن الحاج، ولا يعرف له شيخ في الطريق.

توفي أواخر القرن العاشر أو أوائل القرن الحادي عشر ودفن خارج باب الجيسة بقرب ضريح الأديب مالك بن المرحل.

م. ابن عيشون، *الروض*، 104 ـ 356 ؛ المهدي الفاسي، *ممتع الاسماع*، 88 ؛ القادري، *القصد الأحمد*، 294 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 101.

زهراء النظام

التواتي، محمد بن عبد الكريم، لقيه أبو سالم العياشي في رحلته المشرقية الأخيرة سنة 1072 / 1662 بتاكرت حيث استقر به المقام بعد أن قضى أعواماً في مدينة ورگلة.

بدأ حياته التعليمية بمسقط رأسه، قصر تيمنطيط بإقليم توات، واستفاد من الجو العلمي الذي نشأ فيه، فوالده الشيخ عبد الكريم عالم توات، ومتولي خطة القضاء بها في زمانه. وتشهد مكانة أسرته الاجتماعية على إمكانية تفرغه للدرس، واطلاعه على الأصول منذ المرحلة التعليمية الأولى الشيء الذي جعله يرحل إلى الجزائر "وقد شدا طرفا من الفقه، والنحو، وله بعض الخبرة بعلم العروض" (*رحلة*، 49). ولا شك أن إشارة أبي سالم تدل على دور المرحلة المغربية في تكوينه الفقهي خاصة وأن بضاعة أهل البلد مزجاة في هذا الفن "فليس عندهم من يعتمد على قوله من الفقهاء" (*رحلة*، 51). وهو في مستوطنه الجديد طالب علم، شغوف بالسؤال عن أهله، مقبل على التعلم والقراءة فقد سمع على أبي سالم شرح منظومة أبي الفرج الإشبيلي في ألقاب الحديث، وظل يتردد عليه مع نخبة من المهتمين يسألون، ويتبادلون المؤلفات طيلة إقامتهم هناك. كما أنه أول من أقبل على أفراد الركب عند وصولهم يسأل عن عدد من المسائل والروايات التي اختلف متفقهة البلد في شأنها.

ولم يغفل أبو سالم في التعريف الموجز الذي خصه به إبراز بعض صفاته الشخصية "فهو رجل دمث الأخلاق، طيب الأعراق... أجزل الضيافة جهده".

أ. العياشي، *رحلة*، ج 1 ؛ م. القادري، نشر، ج 2.

نفيسة الذهبي

التواتي، محمد بن عبد الله فقيه من عدول المدينة السلاوية، باشر الشهادة بها، وكان بقيد الحياة سنة 1225.

م. بن علي، *الاتحاف الوجيز*، ص. 144 ؛ أحمد الناصري، *الاستقصا*، ج 8، ص 84 ؛ تقييد جعفر الناصري عن قضاة سلا ؛ رسوم الخزانة الصبيحية ؛ م. بوشعراء، *ذيل الاتحاف الوجيز*، الجديد، مخطوط.

مصطفى بوشعراء

التوارگ أو الطوارق بالمغرب، على الرغم من الوضوح النسبي الذي يميز وفرة الدراسات الانتربولوجية والتاريخية حول هذه القبائل بالصحراء، فإن تساؤلا عريضا ومشروعا حول علاقتهم ببعض نقط الاستقرار شمالا يقتضي مزيدا من الفهم. كلمة تارگا التي لا تفيد إلا مجاري الأودية والسواقي تنطبق على عدة أماكن بالضفة الشمالية للصحراء منذ أبعد الفترات كما تشهد على ذلك كتب الجغرافيين العرب الأولى، على أن الذي يكمن وراء صيغة التوارگ هو الانتماء إلى إزناگن كَلْ إيموهَّاق (صنهاجة الناطقين باللغة الإيمُوشَّاقية). من هنا فإن إطلاق هذه التسمية على مجموعة من الأماكن خارج الصحراء إنما يقتضي دراسات ميدانية تتعدد بتعدد المواقع. من المعتقد أن قبائل التوارگ حوَّرها أبو عبيد الله البكري إلى تارگا كانت تقيم قبل القرن الخامس (11 م) بمجموعة من القصبات المجاورة لوادي درعة غير بعيد عن سجلماسة. كما كانت تنتجع قبائل أخرى بمحاذاة رباط واگاگ بن زلو اللمطي بأگلو السوس الأقصى. ولعله من الضروري الإشارة إلى أن غزو عبد الله بن ياسين وجيش المرابطين لسجلماسة قد تم بإيعاز من فقهاء لمطة القاطنين بالمدينة. كما أنه من الضروري الإشارة إلى أن لمتد ابن ناصر اللمطي هو الذي قاد عملية الغزو ضد الزناتيين ورئيسهم مسعود بن وانودين. وتتجسد صرامة هذا القائد اللمطي في قساوة الإصلاحات التي قام بها في عين المكان كما أوضح ذلك ابن خلدون. تؤكد لنا الصورة المتاحة هنا بما لا يدع مجالا للشك ما تتداوله أمهات المصادر بشأن الارتباط القديم والمتصل بين قبائل لمطة (إلمِيضن) وهوارة (إهگارن) وتارگة (التوارگ). لا شك أن وصول المرابطين وتشييدهم أبراجاً وحصونا بالمواقع الخصبة والاستراتيجية كسهل الحوز (مراكش) ورباط سلا قد أدى إلى تسهيل عملية تنقل قبائل لمطة والتوارگ وهوارة نحو بعض المواقع التي ماتزال تحمل اسمها.

O. Bates, *The Eastern Libyans*, London, 1914 (Réed. 1970) ; M. Benhazera, *Six mois chez les Touareg du Ahaggar*, Alger, 1908 ; E. et S. Bernus, *Du sel et des dattes, Etudes nigeriennes*, n° 31, Niamey, 1972 ; A.D.H. Bivar et M. Hiskett, *The Arabic Litterature of Nigeria To 1804, B.S.O.A.*, XXV, 1, 1962 ; Hama Boubou, *Recherche sur l'histoire des Touaregs sahariens et soudanais*, Niamey, 1967 ; M. Delafosse, *Haut Sénégal - Niger*, I - III, Paris, 1912 ; H. Duveyrier, *Les Touareg du Nord*, Paris, 1864 ; F. Fuglestad, *Les révoltes des Touareg du Niger 1916 - 1917, cahiers d'études africaines*, n° 49, vol. XIII, 1973, 82 - 182; J. Hunwick, *Notes on a Late Fifteenth Century Document concerning "al Takrûr", African Perspectives*, éd. C.H. Allen and R.W. Johnson, CUP, 1970 ; C. Jean, *Les Touareg du Sud-Est, l'Aïr*, Paris, 1909 ; H. Lhote, *Les Touareg du Haggar*, Paris, 1955, *B.I.F.A.N.*, B, XVII, 1955, 334 - 370, et 1956, 391 - 407 ; J. Niolaisen, *Ecology and Culture of the Pastoral Tuareg, National Museum*, Copenhagen, 1963 ; F. Nicolas, *Tamesna, Les Ioullemmeden de l'Est ou Touareg Kel Dinnick*, Paris, 1950 ; Id., *Contribution à l'Etude Twareg de l'Air, Mémoires de l'IFAN*, X, Paris, 1950 ; H.R. Palmer, *Notes on Some Asben Records "Agades Chronicles", J.A.S.*, 9, 36, July, 1910 ; J. Richardson, *Travels in The Great Desert of Sahara*, Vol. I - II, London, 1853 ; A. Richer, *Les Ouilliminden*, Paris, 1924 ; Y. Urvoy, *Chronique d'Agadès, Journal de la Société des Africanistes*, IV, 145 - 177, Paris, 1934 ; Fr. de Zeltner, *Les Touareg du Sud, Journal of the Royal Anthropological Institue*, XLIV, 351 - 375, London, 1914; H.T. Norris, *The Tuaregs, Midle East Studies*, 1975, 234 p ; H. Claudot - Hawad, *Les Touareg ou la résistance d'une culture nomade, Les Prédicateurs Profanes au Maghreb, ROMM*, n° 51, 1989, 63 - 73 ; Id., *Des états - nations contre un peuple : le cas des Touaregs, ROMM*, n° 44, 1987, 2 - 48 ; V. Bazin et E. Terray, *Guerres de lignages et guerres d'états en Afrique*, Paris, 1982.

مصطفى ناعمي

التوارگة ← الرباط

التوازيط، بطن كبير من فرقة أولا نعيم من قبيلة بني حسن، يتبع إدارياً لقيادة سيدي يحيى الغرب وضمن مركزها المستقل المسمى باسم سيدي يحيى أيضاً. والقيادة المذكورة داخلة في نطاق دائرة أحواز مدينة القنيطرة. كان تعداد فخذات التوازيط ودواويرهم وخيامهم في بداية عهد الحماية 396 مفصلة كما يلي :

الفخذات	الدواوير	الخيام
. أولاد حمدو :	المخاليف ـ أولاد الكتاوي المكانيس ـ الكرارمة الگراض	58
. الركابي :	أولاد كريش ـ أولاد الحسن أولاد بوشايبة(أو أولاد بوشعيبة ؟) أولاد عياد ـ أولاد ابن دامو	109
. أولاد بعيش :	أولاد علي ـ أولاد محمد الخطاطبة	38
. الشافة :	أولاد سيدهم ـ الشافة البيض الشافة الحمر ـ الرهاونة	78
. الحلالبة :	القاسمية ـ المشايبية ـ أولاد الوجيهية ـ الحلالبة	61
. أولاد فضل :	أولاد عدي ـ أولاد الكنانسة	52

ويوجد أولاد فضل أيضاً بسفيان، فاقتضت المصلحة جعلهم مع إيالة أولاد نعيم. وهناك تزوطيون آخرون مع قيادة أولاد يحيى ضُموا إليها اعتباراً للعامل الجغرافي.

أما قبل العهد الحسني فقد كان أولاد ابن القرشي متولين على كافة أولاد نعيم وغيرهم من الفرق الأخرى مثل عامر السفلى المجاورة لقصبة القنيطرة. وطرأ تنظيم جديد أدخله الحسن الأول، وأسند القيادة إلى عمال توازيط.

مصطفى بوشعراء

التوأمة Jumelage، من فعل تاءم بمعنى زاوج، والتوأمة عملية حديثة تفيد معنى إقامة ارتباط أخلاقي بين مدينتين تنتميان إلى دولتين مختلفتين من أجل توطيد روابط التعاون الأخوي وتطوير العلاقات الثقافية والرياضية والاقتصادية والسياحية وغيرها.

والأمثلة على هذه التوأمات عديدة، كتوأمة باريس وروما سنة 1958. إلا أن ما يهمنا في هذا الصدد هو توأمة المدن المغربية بمدن أخرى عربية شقيقة على الصعيد الرياضي.

لقد سارت المدن المغربية على هذا التقليد منذ أمد غير بعيد وهكذا تمت في 22 أبريل سنة 1982 توأمة مدينتي جدة ووجدة وجرت بالمناسبة بمدينة وجدة مقابلة جمعت مولودية وجدة واتحاد جدة السعودي. وفي نفس السنة تمت توأمة مدينتي سلا وأريانة (تونس) وجرت مقابلتان للتعبير عن هذا الارتباط، المقابلة الأولى جرت بتونس والثانية بمدينة سلا.

أما في 24 يناير عام 1989، فقد تمت توأمة مدينتي مراكش وبنياس (الامارات العربية). وجرت مباراة بالمناسبة "بأبو ظبي" جمعت فريقي الكوكب المراكشي وبنياس الإماراتي.

ومن شأن هذه التوأمة تطوير ممارسة الرياضة في البلدان العربية الشقيقة الراغبة في تمتين هذه الروابط والاستمرار في هذا النهج.

تقاييد خاصة.

Dictionnaire Encyclopédique Quillet, p. 3634.

عبد العزيز بلفايدة

تويكال، جبل عال توسع مدلوله وصار يطلق على كتلة جبلية ومنتزه وطني. وتعدّ قمة تويكال أعلى قمة بالمغرب تقع بالأطلس الكبير الغربي (المركزي أو المراكشي) تم تحديدها وقياس ارتفاعها لأول مرة من طرف بعثة استكشافية وجغرافية برآسة الباحث الفرنسي "دو سيگونزاك" في 12 يونيه سنة 1923، ولم يكن معروفاً عند سكان الأودية المحيطة به لبعده عن الأماكن المأهولة. فقد كان سكان وادي نفيس يعتبرون جبل وانوكريم أعلى قمة لضخامته واتساع مراعيه التي كانوا يرتادونها. كما كان أهل تيفنوت يعتبرون بعض القمم المشرفة على راديهم الأعلى مثل جبل إفروان هي أعلى قمة وأطلقوا عليها : أدرارْنْ إدْرارْنْ أي جبل الجبال.

ظنت بعثة سيكونزاك أن جبل إفْرُوان بمنابع واد أُوريكا هو أعلي قمة : 4001 م ولكن عندما صعدت إليه تراءى لها بوضوح تفوق قمة تويكال. كانت مراعيه بواد غيغاية الأعلى تابعة لأهل تيفنوت حارمين منها أقرب السكان إليها : أهل أرمض وإمليل بوادي غيغاية الأعلى. وكانت هذه القمة معروفة لدى الرعاة الذين يرتادون سفوحها الدنيا صيفاً للرعي ويطلقون عليها : "توگ أكال" أي أعلى الأرض بلهجتهم المحلية، ولعل هذا هو معنى تويكال. حددت الخرائط السابقة علوه بـ 4165 م لكن عملية القياس الحديثة (قسم الخريطة المغربية بالرباط) حددت علوه 4166.20 م. ويتكون تويكال من صخور صهيرية قاتمة من الريوليت والاندزيت تبدو ككتلة اندفاعية يبلغ سمكها 2000 م تظهر بها نتف من الگرانيت والبازلت وتدفقات بركانية.

تطلق كتلة تويكال على مجموعة من القمم والأودية العالية التي تضم منابع أهم روافد نهري تانسيفت وسوس. تمتد بين وادي نفيس غرباً وأوريكا شرقا وتضم أعلى القمم بالأطلس الكبير الغربي التي تتجاوز 4000 م وهي التي كان يطلق عليها بعض المؤرخين القدامى اسم "أدرارن إدرارن" أو أدرارن درن كما تضم فجاجا عالية تزيد على 3000 م وهي جبال تتميز بأشكالها الكتلية وقممها القبيبة وسفوحها العمودية المنطبقة على فوالق تكثر فيها الصخور الصهيرية يغلب عليها اللون القاتم، والگرانيت وهو نوعان صلب قاتم بمنابع أوريكا وهش ورديء بمنابع واد تيفنوت، وكلها صخور قديمة ترجع إلى الزمان الأول وما قبل الكامبري يظهر فوقها بقايا من الأغطية الرسوبية للزمن الأول وقد عرف تكوينها تطوراً جيولوجيا معقداً ينطلق من جبال هرسينية سوتها عوامل التعرية وحولتها إلى سهل تحاتي

غمرته البحار وخلفت عليه رواسب بحرية متنوعة وتعرض لحركات رفع متتالية في نهاية الزمن الجيولوجي الثاني وبداية الثالث متفقة مع الحركتين البيرينية والألبية أدت إلى ارتفاع الكتلة وتصدعها وفقدها لأغطيتها الرسوبية بالأماكن العالية. كما خلفت بها الحركات البركانية آثاراً بارزة على شكل طفوح وكتل تأثرت بالتعرية الجليدية والصقيعية في الزمن الجيولوجي الرابع خلفت بها أودية عريضة وبحيرات صغيرة تحول معظمها بالطمر إلى مروج. وهي عارية من الغابات تغطيها الثلوج شتاء وعندما تذوب صيفاً تظهر بين شظايا الصخور نباتات شوكية متباعدة وأعشاب قليلة.

يشمل المنتزه الوطني لتوبكال القمم والهضاب والأودية العالية التي تربطها فجاج كثيرة وبحيرة إفني وذلك بقلب كتلة توبكال، مساحتها 36.000 هـ أحدثت بقرار وزاري سنة 1942 بهدف تنمية السياحة الجبلية وحماية البيئة، تغطي الغابة 15٪ من مساحتها بوادي أزاضن، وفيما عدا بعض المروج الصغيرة بقعور الأودية والحلبات الجليدية القديمة وبعض الأودية التي تنبت بها أعشاب ونباتات شوكية فإن معظم أراضي المنتزه تغطيه الصخور الخالية من كل نبات وقد كانت هذه المناطق مجالا طبيعيا للوعول لكنها انقرضت بعد أن غزا مجالها قطعان المواشي والسواح ومازال بها بعض الحيوانات الصغيرة والطيور والجوارح وأسماك التروتة المحلية (فاريو) بالأودية العالية كما يوجد بها عزبان يرتادها الرعاة صيفا ولايوجد بها سكن دائم، وتمنع السلطات أي استغلال اقتصادي وتضعها رهن الدراسات العلمية، وهي تابعة لوزارة الفلاحة والمياه والغابات لكنها تخضع لحقوق جماعية للرعي. يوجد بها أربعة مآو جبلية شجعت على توسع السياحة والرياضات الجبلية منذ بداية الأربعينات. وقد توسعت بها كثيراً حتى باتت تعاني من سلبياتها. وأخيراً بدأت تتصدى لها شركات تنظم الجولات لجماعات الهواة وتعمل المصالح المختصة على تقنين هذه الأنشطة وحماية البيئة، ويحيط بالمنتزه عدد من الفنادق وأمكنة للمبيت لدى السكان بالقرى التي تستعمل كمحطات للانطلاق كإمليل وويرگان وتاشديرت وستي فاضمة بأعلى أوريكا. ويعتبر إمليل بأعلى وادي غيغاية أهمها.

وأحدث بالقسم الغابوي من المنتزه بوادي أزاضن سنة 1969 محمية تاخرخورت لحماية الحيوانات المهددة بالانقراض خاصة الوعول ذات الاكمام تبلغ مساحتها 1600 هكتار، وتعد هذه الغابة من أجمل غابات الأطلس الكبير تتميز بضخامة أشجار البلوط المختلطة في أجزاء منها بفصائل من العرعار الأرزي والسنديان الزياني والعرعار الفواح بالأعلى مع نباتات ثانوية أخرى. وتتلقى المحمية عناية كبيرة من مصالح المياه والغابات مكنت الوعول من التكاثر إلى أن فاق عددها 600 رأسا وكذلك الخنازير والسناجب والضربان، وحوربت الذئاب التي تقضي على صغار الحيوانات. ويفكر المسؤولون في توسيع المحمية بعد أن ضاقت بحيواناتها وبدأت تتفرق في الغابات المحيطة بها التي أكثرتها شركات الصيد السياحي.

التحولات المجالية والاقتصادية بالأطلس الكبير المراكشي، د. د. ع. الرباط 1987.

J. Dresch et Y. Lepincy. *Le Massif du Toubkal, Guide Alpin*, Rabat, 1938 ; J. Dresch, *Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du grand Atlas de Marrakech, le Haouz et Sous*. Tours, 1941.

أحمد هوزلي

* * أنشئ المنتزه الوطني توبكال رسميا سنة 1942 كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لكنه لم يحظ بالعناية اللازمة لإعداد المنتزهات إلا في سنة 1993.

الأهداف المتوخاة، في بداية الأمر، من خلق هذا المنتزه هي حماية ما يلي :

- أجمل غابات البلوط الأخضر والعرعر الفواح في منطقة أطلس مراكش.
- أعلى قمم جبال الأطلس مثل توبكال ووانكريم وأسكوال...
- مواقع رائعة الجمال على سفوح هذه الجبال وخاصة تلك التي تضفي على الوجه الجنوبي طابعا خاصا بوجود بحيرة إفني.
- أنواع حيوانية مهددة بالانقراض كالاروية والقردة وثدييات أخرى.

يقع منتزه توبكال في الجهة الوسطى من الأطلس الكبير ما بين وادي نفيس غربا ووادي أوريكة شرقا. وهي المنطقة التي تسمى جبل درن وباللسان المحلي "أدرارْنْ درنْ" (جبل الجبال) والتي تضم أعلى قمم جبال شمال إفريقيا.

ينفرد المنتزه الوطني لتوبكال بميزات خاصة وفريدة من نوعها :

- على المستوى الجيومورفلوجي يتميز المنتزه بقمم مسننة أو شبه مسطحة مكونة من صخور بركانية قديمة حمضية تشمل الأندزيت والريوليت والگرانيت. تظهر على الوجه الشمالي هضاب عالية من البرموترياس.

تتجه أهم قمم المنتزه الوطني من الغرب إلى الشرق : سطح تازاغارت (3995 م)، وانكريم (4089 م)، توبكال (4167 م)، تيشكا (3753 م)، أزرون تمادوت (3664 م)، أكَسْوالْ (3910 م)، ريو إيگنْوان (3882 م)، إينَغْمَار (3892 م).

في المنتزه منابع عدد كبير من الوديان الدائمة الجريان التي تؤمّن السقي في السافلة، وأهمها نفيس، وغيغاية وأوريكة على السفح الشمالي، وسوس على السفح الجنوبي.

- على المستوى المناخي، يعرف المنتزه خاصيات لا مثيل لها في سائر سلاسل الأطلس. مناخ جد متنوع حيث تصادف البيومناخات من شبه الجافة المعتدلة الحرارة إلى بيومناخات الجبال العالية ذات الشكل الصقيعي مروراً بالبيومناخات الرطبة وشبه الرطبة الباردة جداً. تتساقط

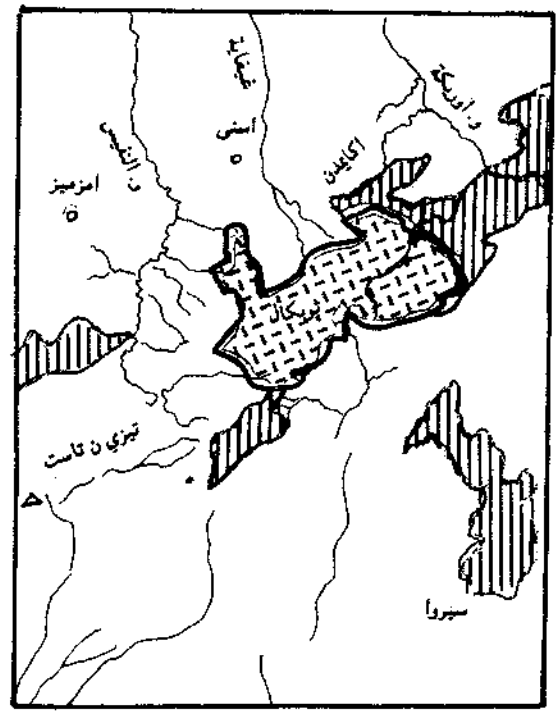

منتزه توبكال

الثلوج بكثرة وهي تلعب دوراً هاماً بالمنتزه.

- على مستوى الثروة النباتية يمتاز المنتزه بكثرة الأنواع القبسية والتشكيلات النباتية المختلفة والمتوزعة على طوابق المتوسطي الدافئ والمتوسطي وفوق المتوسطي والجبلي المتوسطي وفوق الجبل المتوسطي. وتشكل التجمعات النباتية الغابية أو شبه الغابية من طرف العرعر البربري والبلوط الأخضر والعرعر الأحمر والعرعر الفواح. لكن قمم الجبال الشاهقة تبقى الميدان للتجمعات النباتية المكونة من الأنواع الشوكية أو العشبية. وأكثر الأنواع القبسية تعيش في الطوابق العالية.

- على مستوى الثروة الحيوانية كان منتزه توبكال غنياً، لكن حدث تراجع لأعداد الحيوانات. نذكر من الثدييات الأروية، والشيهم والقط البري والأوّس والأرنب والقرد. عدد أنواع الطيور المعششة يناهز المائة، منها النسر، والعقاب، والباز. وتشمل الزواحف والضفدعيات عددا كبيرا من الأنواع القبسية.

- على مستوى المجال الطبيعي يتميز المنتزه بجمال طابعه الجيولوجي والتضاريسي، ووفرة مياهه، وتشكيلاته النباتية ومناخه ووديانه.

- على مستوى التراث الثقافي تزخر منطقة المنتزه بوجود عدد كبير من النقوش الحجرية، ومعالم تاريخية أخرى بالإضافة إلى التراث المعماري الأصيل الذي يتجلى في بناء القرى داخل المنتزه أو المحاذية له.

- على مستوى السياحة، يزور المنتزه عدد كبير من السواح الأجانب خاصة للتمتع بجمال طبيعته وثرواته وتسلق جباله الشاهقة مشياً على الأقدام أو ركوبا على البغال. يسلك السواح ممرات خاصة ويبيتون ببعض الملاجئ المخصصة لهذا الغرض.

وفي انتظار إعداد المنتزه وتنظيمه في السنوات المقبلة، يتوقع تكاثر أعداد السواح وذلك بعد تشييد المتحف الايكولوجي وبناء الأبواب والملاجئ، والقيام بحملات إعلامية تُعرِّف الزوار بمزايا المنتزه، بالإضافة إلى القيام بإنجاز برامج اجتماعية واقتصادية تدخل في إطار تنمية المناطق المجاورة وذلك لتدعيم جهود المحافظة على الثروات الطبيعية وإعادة الاعتبار لها.

أبحاث ميدانية.

Benabid, Bousquet et Mabe, *Plan de gestion du Parc National de Toubkal*, Direction des Eaux et Forêts et de la Conservation des Sols, Rabat, 1993.

عبد المالك بنعبيد

* * *

يعد توبكال من أسماء الأعلام المغربية التي تحتفظ بسر معناها في أعماق التاريخ. وتكتم كل شيء عمن أطلق الاسم وأجراه، ويجيء الاستعمال الممتد على مدى قرون ليدخل تعديلات شتى على الكلمة (النحت أو تغيير أماكن الحروف داخل الكلمة أو إبدال حرف بحرف آخر...) فيبعدها التداول عن مفاتيح الفهم وتبقى علما خارج الذاكرة يتعدى كل تأويل أو تصنيف.

ومن هذا النوع من الأسماء "توبكال" الذي يطلق على أعلى قمة جبلية في المغرب (4166 م). في مثل هذه الحالة لا يملك الباحث إلا أن يترصد القرابة المحتملة بين الكلمات ويقترح الفرضيات الممكنة.

يوجد فعل "إيكْبْلْ" الذي يمكن أن ينطق كذلك "إيبْكْلْ"، ومنه "تيكْبَالْ"، وتعني كلمات هذه المادة : المساندة والدعم والتقوية... ماديا ومعنويا، إيجابيا وسلبيا. وتوجد كلمة "إيبْكَالْ" وتعني القمة المذببة أو الجبل المذبب القمة أو القمم.

ويبدو لي أن كلمة "توبكال" لها علاقة بالكلمات المذكورة سواء من حيث الشكل أو المضمون.

تقع قمة "توبكال" ضمن كتلة جبلية شامخة وسط الأطلس الكبير أو جبل "دْرَنْ" والتي تتميز عن منافستها في الغرب : كتلة تيشكا بواسطة وادي نهر نفيس، وعن منافستها في جهة الشرق : كتلة إيغيلْ ـ نْ ـ مْكُونْ بواسطة وادي نهر غْداتْ ووادي نخر أوْنَيلْ. وتشرف على ثلاثة أقاليم تاريخية كبيرة هي : حوض درعة وحوض سوس وحوض تانسيفت.

وهكذا تبدو كمحور هائل تسيل منه المياه في كل اتجاه وتسقي الأراضي المنخفضة، ويدور حوله الإنسان ويزرع تلك الأراضي باستمرار، كل هذا يجري في هدوء يليق بهيبة عُلَى الأطلس.

أما المجموعات البشرية المجاورة لتوبكال، فهي أيت واوزگيتْ من جهة الجنوب والشرق والغرب، وإيوْريكْنْ (وريكة) وإيغيغايْنْ (غيغاية) وإيمْسَيوانْ (مسّيوة)، من الشمال جهة مراكش ويكفي أن نذكّر بدور هنتاتة

(إينْتَانْ) في تاريخ المغرب ليتأكد المرء بأن كتلة تويكال لم تكن حاجزاً يثبط حركة التاريخ.

Ch. De Foucauld. *Dictionnaire*. II. p. 729 - 30 - 31 ; Collectif, *Géographie du Maroc*, 1964, pp. 130 sqq ; J. Dresch [et al...], *Le massif du Toubkal*. 2ème éd., 1942, pp. 185 sqq et passim.

علي صدقي أزايكو

التّوبيت، قماش منسوج من صوف خفيف شفاف أو قطن أو كتّان مقطن أو ساتان. يعرف عند بعض السكان الحضريين تحت اسم الكاليكو، وهي لفظة أعجمية تدل على أن هذا النوع من القماش كان يستورد من بلدان أوربية ازدهرت فيها صناعة النسيج منذ منتصف القرن الثامن عشر الميلادي.

ويتميز قماش التوبيت بأنه فاقع اللون، ناعم الملمس، لامع المنظر، مقطن من داخله. يسميه العديد من الناس الأطلس أو الطلس ويدعى في اللغة العربية بالطليسة. كان البعض من المغاربة يتخذ منه الطيالس (جمع طيلسان)، وهي عبارة عن أردية مازال أهل الصعيد المصري والفلاحون منهم على الخصوص يضعونها فوق جلابيبهم للزينة في المناسبات ويضع الأثرياء منهم قطعاً فارهة منها على الكتف الأيمن وبعضهم الآخر يتخذ منها الطيالس والعمائم البديعة من نفس اللون.

لا نعرف الأصل في تسمية هذا النوع من القماش بالتّوبيت، لكن اللفظة سائدة الاستعمال في المراسلات المخزنية وفي الوثائق الخاصة الموجودة في مكامن مختلفة من المغرب. كانت النساء ومازالت المتقدمات في السن منهنّ إلى اليوم يفصلن منه الأقمصة التحتية وبعض الأنواع من القفاطين والفوقيات وخاصة في فصل الخريف والشتاء لأنه مقطن مبطن ناعم يصلح ليرتدى كملابس داخلية تجلب الدفء للجسم. وتتخذ من أنواعه الأقل جودة ملابس متوسطة غير متينة في الفصول المعتدلة والحارة لأنها لا تحتفظ بحرارة الجسم والطبيعة تسمى "التوبيتة".

Le dictionnaire Colin d'arabe dialectal marocain, vol. 1. Rabat 1993 ; H. Zafrani, *Mille ans de vie juive au Maroc. Histoire et culture, religion et magie*, Paris, 1983 ; G.S. Colin, *La vie marocaine*, Paris, 1953.

محمد بوسلام

التوت، نبات يشتمل على أنواع منتمية إلى أجناس وفصائل مختلفة، أهمها :

- التوت الشجري وهو ما يسمى بالفرنسية Mûrier. وهو جنس موروس Morus الذي يضم نوعين أُدخلا من آسيا إلى منطقة حوض البحر المتوسط ومناطق أخرى من العالم للتمكن من تربية دودة القز وانتاج الحرير. ينتمي الجنس إلى فصيلة التوتيات Moraceae.

- توت العُلّيق أو السّتّيق وهو بالفرنسية رونس Ronce، كما يسمى بالعربية عوسج وشوكل وشوك، نوع معترش ومتسلق وشائك وهو من جنس روبوس Rubus وفصيلة الورديات Rosaceae.

- توت الأرض أو الفراولة أو الشليك وهو فريز Fraise بالفرنسية، نبات عشبي لا يتعدى ارتفاعه عشرين سنتيمتراً. والفصيلة التي ينتمي إليها هي الورديات Rosaceae.

أهم المميزات لكل نوع من التوت :

1) التوت الشجري من جنس موروس Morus يشمل نوعين بالمغرب : التوت الأبيض Le mûrier blanc وهو موروس آلبا Morus alba والتوت الأسود Le mûrier noir وهو موروس نيگرا Morus nigra.

أ ـ التوت الأبيض : شجرة يمكن أن تعطي تاجا كروي الشكل، جذعها قصير، لون قشرته ضارب إلى الرمادي، أوراقها جد متغيرة في أشكالها وأحجامها، فمنها الكاملة المسننة ومنها المفصصة والمسننة، غير متماثلة ملساء وذات

ثمرة

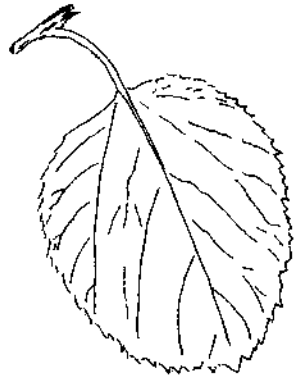

ورقة التوت

زهرة أنثوية

زهرة ذكرية

لون، وجهها العلوي أخضر فاتح، عروقها قليلة الزغب. تظهر أزهارها في الربيع وغالبا ما تكون ثنائية المسكن. الذكرية منها على شكل سنبلة معنقة تحمل أزهاراً صغيرة مكونة من أربع كأسيات، والأنثوية منها مجتمعة في سنبلة معنقة وذات مبيض عديم العنق. وثمار التوت سنبلية الشكل بيضاء أو قرمزية لحمية، مذاقها حلو لكنه عديم الطعم.

والموطن الأصلي للتوت الأبيض معروف بآسيا الوسطى والشرقية. ولا يعرف متى أدخل إلى المغرب. تكمن أهميته في كونه يستعمل كشجرة علفية لتحسين المراعي وللزينة في الحدائق وعلى جوانب الطرق والشوارع وكغذاء مفضل من طرف دودة القز، وهو يعتبر أحسن الأنواع النباتية لتربيتها. كما يستعمل خشبه ذو القيمة الجيدة، وتستخرج من جذوره صباغة صفراء اللون.

يغرس التوت الأبيض في المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة الدافئة والمعتدلة أي لا يتجاوز المستوى السطحي للطابق المتوسطي الدافئ لأنه لا يتحمل البرودة مثل التوت الأسود. ويغرس هذا النوع في الأراضي ذات التربة الرملية والطينية.

ب ـ ويختلف التوت الأسود عن التوت الأبيض بقامته التي تبلغ عشرين متراً وبأوراقه الخرشاء، ذات اللون الأخضر الغامق، وكثير الزغب، قلبية الشكل، وبأزهاره الأنثوية، ذات عنق قصير جدا، وبثماره السوداء الضاربة إلى الاحمرار وذات المذاق اللذيذ وقليل الحموضة.

ومصدر التوت الأسود هو آسيا الغربية الممتدة بين أرمينيا وإيران. زرع منذ أقدم العصور. ذكر كثيراً في الإنجيل، وكان معروفا عند الإغريق والرومان. وقد أدخل إلى أوربا في القرن الثاني الميلادي وبعده إلى شمال افريقيا.

يغرس التوت الأسود لثماره التي تستعمل كفاكهة وللزينة وكشجر علفي لتحسين المراعي ولإنتاج الخشب. إنه أكثر تحملا للبرودة من التوت الأبيض حيث من الممكن غرسه في الطابقين المتوسطي الدافئ والمتوسطي شبه الجافين وشبه الرطبين والرطبين ذوي الأشكال الدافئة والمعتدلة والباردة. أما من حيث التربة فهو يفضل الأراضي السميكة رملية كانت أو طينية.

2) العُليق أو السّتيف : جنس روبوس Rubus يضم أنواعا عديدة ممثلة بنوع واحد طبيعي بالمغرب وآخر دخيل اسمه بالفرنسية Framboisier، ولا يوجد هذا النوع الأخير إلا في عدد قليل جدا من البساتين كزراعة تجريبية لإنتاج هذا النوع من الثمار.

التوت البري

والنوع الطبيعي بالمغرب هو ما يسمى علميا بروبوس أولميفوليوس Rubus ulmifolius.

إنه شجيرة معترشة ومضطجعة شائكة لها أوراق قلبية الشكل تغطيها أشواك أو شعر قوي. أزهارها تشبه وردة صغيرة. ثمارها متجمعة، تحتوي على مبايض كثيرة لزهرة واحدة، تنتج ثماراً خضراء ثم حمراء، وأخيراً سوداء عند نضجها.

يعيش الستيف في المناطق البيومناخية شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة جدا ذات الأشكال الدافئة والمعتدلة والباردة والقارسة والقارسة جدا، وفي جميع الطوابق ابتداء من سطح البحر إلى علو 2500 م من العلو.

يصادف الستيف في البيومناخ شبه الجاف على جوانب الأنهار والسواقي وعلى أتربة سميكة وخصبة. أما في البيومناخات الأخرى فهو ينتشر في الغابات منفرداً أو على شكل باقات كثيفة.

يستعمل الستيف كسياج حي للبساتين يصعب اختراقه إذا كان كثيفا، نظرا لتشابك أفرعه المختلجة ولكثرة أشواكه. وفي هذه الحالة يلعب دوراً هاماً في تكاثر بعض الحيوانات من الزواحف والقواضم التي تختبئ في تشكيلاته.

يؤكل توت الستيف طازجاً أو يستعمل استثنائيا في المربات.

3) توت الأرض أو الفراولة أو الشليك : أنواع عديدة من جنس فْراگاريّا Fragaria وأشهرها تلك التي تعطي الثمار الصغيرة المحببة إلى النفس في جميع المناطق المعتدلة. إنه نبات عشبي قصير ومعمر. أوراقه مركبة من ثلاث وريقات. ينتج أغصاناً رئدية تتجذر وتمكنه من التكاثر. تتكون ثماره في الثمار الفقيرة الجافة المغطية لسطح زهري كبير ومتشحم.

عرفت زراعة توت الأرض بأوربا في القرن الرابع عشر، وربما لم تدخل إلى المغرب إلا في بداية القرن العشرين ولم تزدهر إلا في الثمانينات حيث بدأ توت الأرض يغزو أسواق المغرب منذ ذلك الوقت في فصلي الشتاء والربيع وحتى بداية الصيف ثم يظهر قليلا في فصل الخريف.

وأشهر مناطق توت الأرض بالمغرب هو الساحل الأطلسي الممتد شمال القنيطرة حيث تغرس أصناف عديدة منه تحت الخيمات البلاستيكية المعدة لذلك.

يتطلب توت الأرض تربة جيدة ومناخا معتدلا، وسقيا منتظما.

ويستعمل للأكل وكفاكهة تحلية وفي الحلويات ولصناعة المشروبات والمربات، كما يحفظ ويعلب.

استطلاعات ميدانية : ألبرت هيل. *النبات الاقتصادي*، ترجمة عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Mètro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

التوت (باب ـ)، اسم كان يطلق على بابين من أبواب مدينة تطوان السبعة، ولم يبق من البابين سوى واحد لأن الباب الثاني هدم في عهد الاستقلال ؛ وقد سمي بباب

التوت لوجود هذا النوع من الشجر بكثرة خارج البابين.

وأقدم وثيقة نجد فيها ذكر باب التوت يعود تاريخها إلى سنة 1174 / 1761. ومن المعلوم أن الإسبانيين عند احتلالهم لمدينة تطوان سنة 1276 / 1860 أطلقوا عليها اسم باب السيد Puerta del Cid، والسيّد هذا هو لقب المغامر الإسباني رودريگو ديياث (Rodrigo Díaz) الذي قاوم الجيش المرابطي بناحية بلنسية إلى أن وافته المنية سنة 1049م.

وعند احتلالهم لتطوان للمرة الثانية سنة 1331 / 1913 أطلق الإسبانيون على هذا لباب اسم باب طنجة Puerta de Tánger.

وتوجد بجانب الباب الذي مازال قائماً قناة بناها باشا المدينة القائد محمد لوقش سنة 1168 / 1748. وفي أعلى القناة أبيات منقوشة نقلها الفقيه داود في كتابه *تاريخ تطوان* (2 : 243).

م. داود، *تاريخ تطوان*، 2 : 243، 339، 342.

P. Antonio de Alarcon. *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, Madrid, 1860.

محمد ابن عزوز حكيم

التوتة، حي سكني قديم شيد في العهد المرابطي بمدينة مكناس، ولا يعرف سبب أكيد لهاته التسمية. وقد شيد المرينيون بهذا الحي جامعا يحمل اسم "جامع التوتة" وتبلغ مساحته 158.22 متراً مربعاً، وقد ذكر محمد المنوني في مقاله *التخطيط العماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور* (ص. 41) ما نصه : "ويذكر ابن مرزوق أن أبا الحسن بنى بهذه المدينة مسجداً دون أن يحدد موقعه، بينما يصنف البعض جامع التوتة ضمن المساجد المرينية". كما شيدوا قبالة الجامع سقاية يعلوها كتّاب كان يعرف وقتئذ بـ "مكتب أحمد بن جابر". وتبدو معالم العمارة المرينية الجميلة واضحة من خلال "مشربيات" هذا الكتّاب.

م. المنوني، *التخطيط العماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور*، *مجلة الثقافة المغربية*، الجزء السابع، 1972، ص 41 ؛ ر. بلمقدم، *أوقاف مكناس في عهد المولى إسماعيل*، د.د.ع، الرباط، 1991، مرقونة.

رقية بلمقدم

التوتة، مقبرة بمدينة سبتة الإسلامية، كانت توجد شرق الميناء، على سفح جبل المينا أو جبل آشو Acho كما هو معروف حاليا، قد تكون من أقدم مقابر المدينة ؛ أشار إليها البكري خلال القرن الخامس (11 م)، واعتبرها ثانية مقابر سبتة. ومع مطلع القرن التاسع (15 م) عدها الأنصاري ضمن الثلاث عشرة مقبرة الموجودة آنذاك. وذكر من مزاراتها ضريح أبي زرعة الذي اعتبره ـ نقلا عن بعض شيوخ سبتة ـ أول من أدخل القرآن إلى المغرب. ذكر أيضاً المقري موضعاً من سبتة بهذا الاسم يوجد به كثير من الياقوت الأحمر.

الأنصاري، *اختصار الأخبار كما كان بثغر سبتة من سني الآثار*، الرباط، 1983، ص. 13. 50 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، 1978، ج. 1، ص. 36.

El-Bekri. *Description de l'Afrique septentionale*. Alger. 1913, p. 202 - 203.

زليخة بنرمضان

التُّوتْليني، علي أوتالگط، نسبة إلى فخذة أيت تُوتْلين من قبيلة ولتانة. تقع مواطنها جنوبي مدينة دمنات، على السفح الجنوبي للأطلس الكبير الأوسط (*إينولتان*، 96). كان عالما مشاركا، ناصري الطريقة، تتلمذ على يد الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر.

ومن بين الأحداث الكبرى التي شهدها المترجم ثورة يوسف بن سعيد الحنصالي الذي قام بمداهمة منطقة تادلا، حيث كان التوتليني قاطنا بالصومعة (*الدرة الجليلة*، 268). ومن خلال الإشارات الواردة في تضاعيف ترجمته، يتضح أنه لم يكن متفقا مع الحنصالي، وكيف لا وقد نهب بعض جنوده داره، وأتلفوا كتبه (م. س. ن. : 269).

لم نقف على تاريخ وفاته إلا أنه كان حيا سنة 1145 / 1733.

مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أ. عمالك، 1986.

أحمد عمالك

التوتيا أو التوتياء، أكسيد الزنگ الذي يرمز إليه في الكيمياء الحديثة بـ ZNO أي الزنگ + الأوكسجين. والتوتيا لفظ معرب يحمل معاني كثيرة، فهو اسم لصدف بحري مفرطح له شوك حاد صلب ومن داخله شيء كمح البيض صالح للأكل (*محيط المحيط*، مادة توت). وهو أيضاً حجر يكتحل به (*لسان العرب*، مادة توت). والتوتيا المعدنية ذات لون أبيض لامع يضرب إلى الزرقة ويسميها الإفرنج بالزنك، وتعرف في الأمازيغية باسم أزاريفْ وهو الشب أيضاً.

تعددت استعمالات التوتيا بالمغرب قديما وحديثا وتنوعت بين التعدين والعلاج الطبي التقليدي. وأهم الصناعات التي كانت تحتاج إلى هذه المادة ولا تقوم بدونها صناعة النحاس. قال المراكشي "وهي التوتيا التي يُصبغ بها النحاس الأحمر فيصير أصفر" (*المعجب*، 510) كما كانت تستعمل في تنحيس الذهب المسبوك، والتنحيس معناه خلط الذهب بمقدار معين من النحاس ليجعله أكثر صلابة شريطة أن لا تفوق كمية النحاس قدراً معنيا فيفسد عيار الذهب ويصبح ذلك الذهب مغشوشا (*الأصداف المنفضة*، 47. 49).

ومازالت التوتيا تستعمل في الصناعات المعدنية التقليدية حتى اليوم بصفة مسترسلة، ففي حالة تفضيض الأواني المعدنية يتم خلط طلاء الفضة بالتوتياء قبل وضعه على تلك الأواني فيصبح الطلاء أكثر لمعاناً مما لو اقتصر الأمر على اعتماد طلاء الفضة وحده. كما تستعمل التوتياء في عملية لحام مختلف القطع المعدنية خاصة

صفائح القصدير حيث يتم وضع اللحام على التوتيا قبل وضعه في المكان المراد لحامه والغاية من هذه العملية تخليص مادة اللحام من الشوائب التي تكون علاقة بها. والشائع عند المشتغلين بصناعة القصدير في مدينة مراكش أن التوتياء التي يستعملونها اليوم في صناعتهم والتي هي عبارة عن قطعة معدنية مصنوعة يتم جلبها من أوربا تختلف عما كان عليه الأمر في السابق لما كانت تلك القطعة عبارة عن حجر على هيئته الطبيعية لم تتدخل في صناعته يد الانسان.

وتستعمل التوتياء في صباغة المنسوجات على الطريقة التقليدية وذلك عن طريق مزجها بمسحوق النباتات التي كانت تستخدم في هذه العملية كالحناء والفوة. والغرض من استعمالها في تحضير الكحل إلى اليوم بواسطة خلط مسحوق مواد عديدة نذكرها حسب الأولوية على الشكل التالي : الحجرة الزرقاء (تازولت = الكحلة)، التوتياء الحديدة الحمراء (أكسيد النحاس) بالإضافة إلى عود الدفلة، نواة التمر، نواة الزيتون، وهذه المواد الثلاث يتم حرقها ودقها ثم غربلتها بعناية، وأخيراً يضاف القليل من زيت الزيتون.

وتستعمل التوتيا أيضاً في تحضير عطر تقليدي يتطيب به النساء ويتركب من التوتياء بكمية كبيرة ثم من المسك والجاوي الأبيض وقليل من الشب. وهذا الطيب من أجود الأنواع التي يتم تحضيرها بالطرق التقليدية وأغلاها ثمنا بسبب ارتفاع ثمن التوتياء.

كانت التوتيا قليلة بالمغرب الأقصى على ما يظهر، فقد تحدث المراكشي عن منجم واحد لهذا المعدن بمنطقة سوس في العصر الوسيط (*المعجب*، 510). ولم تصلنا إشارات عن غيره من المناجم بعد ذلك رغم تعدد معادن النحاس في جهات كثيرة من البلاد واستغلالها منذ فترة مبكرة من العصر الوسيط. وقد استمر النقص في هذه المادة بالمغرب حتى العصور المتأخرة لذلك عرفت التوتياء باسم التوتياء الهندية تأكيداً لندرتها وما يتطلبه جلبها من مشاق بسبب بعد المسافة بين المغرب والهند، رغم أن استيرادها كان يتم من البلاد الأوربية. وقد اختصت هذه المادة بالغلاء كما هو الحال بالنسبة لكل السلع النادرة في كل المجتمعات وهذا ما يعكسه المثل الشعبي القائل : "صْدَاقْ الأندلُسية مْشَى لِيهَا فالتُّوتيَا" كناية عما كان يتطلبه استعمال التوتيا في تحضير الكحل والطيب من مصاريف مالية باهظة.

ع. المراكشي، *المعجب*، تح. محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء، 1978 ؛ أ. الجزنائي، *الأصداف المنفضة عن أحكام صنعة الدينار والفضة*، تح. خالد بن رمضان ؛ الرواية الشفوية ؛ علي بن يوسف الحكيم، *الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة*. صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السادس، 1958.

حسن حافظي علوي

التوثيق (مركز .)، الوثيقة بمفهومها الواسع هي كل وعاء يحتضن معرفة أو طريقة لاستعمالها سواء كان وعاء ورقيا يتضمن الصور والخرائط والمؤلفات أو وعاء ممغنطا يتضمن أشرطة سمعية وبصرية أو سمعية. ويندرج ضمن هذا التعريف الشامل بطبيعة الحال الكتاب والخريطة والصورة الشمسية والصورة الشفافة والشريط المسجل والممغنط والفيلم الوثائقي والفيلمان الطويل والقصير والجذيذات والفليمات Les microfiches et microfilms والأدوات المتحفية على اختلافها والمسكوكات والملبوسات وغيرها.

وتقتضي عملية التوثيق جمع جزء من هذه الأوعية أو كلها، أو جرد مكامنها ومكان وجودها وتصنيفها وترتيبها وصيانتها بهدف تهييئها للاستعمال من قبل رواد مراكز التوثيق سواء كانوا باحثين متخصصين أو قراء عاديين أو مكلفين للتحضير لندوات أو ملتقيات مختلفة وطنية ودولية أو غيرها.

والتوثيق علم قائم بذاته له تقنياته ووسائله ولغته الخاصة وقوانينه ورجاله وتجهيزاته وهو يستعين بعدة علوم مساعدة له أهمها الرياضيات والإحصائيات وتقنيات التصنيف وتحليل النظم وعلوم اللغة وعلوم الإعلام. إنه فن معالجة جميع المعلومات غير العددية بأسلوب علمي دقيق. وهو فرع من فروع علوم الإعلام أو علم المعلومات التي لا تستطيع الاستغناء عن الاستعانة بآخر التطورات التقنية للحصول على المواد الأولية الإخبارية ومعالجتها وتهييئها للاستعمال. وقد تخصصت في مهمة التوثيق في جميع دول العالم المعاصر مؤسسات متخصصة يندرج العالمون فيها فيما يسمى عادة "جنود معاهد الخفاء" لأنهم يساهمون بطريقة خفية وغير علنية في تقدم البحث العلمي في بلداتهم ودعم مجهودات التنمية في عدة ميادين.

ويقوم بالإشراف على هذه المؤسسات موثقون متخصصون متخرجون من مدرسة علوم الإعلام أو أساتذة باحثون أو غيرهم من ذوي الخبرة الواسعة أو المحدودة في مجال تنظيم وتسيير مراكز التوثيق.

وتسمى العمليات التوثيقية الدقيقة المتداولة في مراكز التوثيق "السلسلة التوثيقية". تتألف هذه السلسلة من ست مراحل أساسية تبدأ من اقتناء الوثيقة بالشراء أو الهبة والهدية إلى الإعلام بها ونشرها بين الرواد والقراء والمهتمين والباحثين مروراً بتسجيل الوثيقة وتجهيزها ووصفها وصفاً ببيبلوغرافيا (*الفهرسة البيبلوغرافية*) ومعالجتها وتحليل محتواها ثم تصنيفها التصنيف الملائم وصيانتها في أماكن خاصة معدة لترفيفها.

ويمكن تجاوزاً اعتبار كل مكان يحتوي جزءاً أو كلا من الأوعية الوثائقية المذكورة وتطبق فيه أساليب التوثيق الحديثة في بعضها أو مجملها مراكز للتوثيق من مكتبات مدرسية وجامعية ومكتبات البلديات ومكتبات الوزارات والبعثات الثقافية والسفارات ومكتبات المصالح الإدارية

ودور الوثائق والمخطوطات العامة والخاصة والمكتبات العامة أو الوطنية. إلا أن مراكز التوثيق الحقيقية هي تلك التي تتخصص في معالجة الوثائق التي تتوصل بها معالجة راقية وحديثة فتكون الوثيقة مهما بعدت عمن طلبها أقرب إليه من حبل الوريد. في هذه المراكز يتم الاستغناء عادة عن الوثيقة الأصلية (المادة الخام) وتعوض بوثيقة معالجة يحتفظ بها إما في الحاسوب الآلي أو على شكل جذيذات أو فيلمات أو غيرهما يمكن طلبها والعثور عليها بسرعة ومساءلتها واستثمارها في أقل وقت. يتوفر المغرب على مركز واحد من هذا النوعد يوجد مقره بالرباط وعلى سبعة فروع له في جهات المغرب الاقتصادية المعروفة.

تأسس هذا المركز في 18 دجنبر 1972 وحددت مهامه واختصاصاته وتنظيماته الداخلية بتاريخ 4 يونيو 1980 وكان تابعا منذ نشأته الأولى لوزارة الدولة المكلفة بالتخطيط. وقد أسندت إليه مهمة "البحث عن المعلومات المتصلة بالمغرب وتتبعها عبر مختلف ميادين المعرفة سواء نشرها بالداخل أو الخارج، من قبل مغاربة أو أجانب، بهدف تنظيمها ومعالجتها وخزنها وإغنائها باستمرار ونشرها لتكون أداة لخدمة التنمية والتطور". وكان تأسيس هذا المركز في إطار مشروع موله برنامج الأمم المتحدة للتنمية ونفذته منظمة الأمم المتحدة للتغذية والزراعة. وبسبب حاجته المتزايدة إلى الأطر المتخصصة، أشرف المركز الوطني للتوثيق بدوره على إنشاء مدرسة علوم الإعلام التي فتحت أبوابها في 1974 ـ 1975.

ويختلف المركز الوطني للتوثيق في وظيفته عن المكتبة. فعندما يطلب المستعمل الوثيقة فإنها تسلم إليه من مكتبة الجذيذات ليطلع عليها في عين المكان بواسطة مقرئات ضوئية مجانا. كما أنه بإمكانه أن يطلب الاستنساخ إما على الجذيذات أو على الفيلمات أو على الورق وأيضا على نسخ مصورة من الورق إلى الورق أو على صور ضوئية من الجذيذات. وتتوفر مصلحة الأسئلة والأجوبة الموجودة داخله على مكتبة متخصصة في ميدان علوم الاعلام (مراكز التوثيق والمكتبات وغيرها) وعلى مجموعة من المصادر والمراجع الأساسية من معاجم وقواميس وموسوعات ودوريات متخصصة وكشافات وبيبليوغرافيا وطنية ودلائل متنوعة ووثائق منظمات متخصصة عالمية كالبنك الدولي للإنشاء والتعمير ومنظمة الأغذية والزراعة ومصلحة المعلومات التقنية الأمريكية ومركز التوثيق التابع للأمانة العامة لجامعة الدول العربية وغيرها مما هو موضوع رهن إشارة رواد المركز. كما تقوم مصلحة الأسئلة والأجوبة في حالة عدم تمكنها من الحصول على أجوبة دقيقة وتوفيرها للمتخصصين بتوجيههم إلى مصادر الحصول عليها داخل الوطن وخارجه. ويفتح المركز المذكور أبوابه لكل راغب في التدريب في مجال التوثيق ويمنح إرشادات تقنية في ميادين التوثيق وتكنولوجيا استعمال المعلومات. وله اتصالات مباشرة مع أكثر من مائتي بنك دولي للمعطيات ويتوفر على أزيد من ستين مليون تسجيلة في جل ميادين المعرفة. ويتلخص دوره على الصعيد الدولي في تمثيل المغرب بالندوات الدولية المهتمة بقطاع التوثيق والمعلومات وبنوك قواعد المعطيات وإبرام الاتفاقيات مع المؤسسات والمنظمات المتخصصة في هذا الميدان. وقد أصبحت للمركز ابتداء من الثمانينات سبعة فروع موزعة في المناطق الاقتصادية السبعة. كلفت هذه الفروع بإنجاز نفس المهام الموكولة إليه والتي تتلخص في جمع الإنتاج المعرفي الذي توفره المصالح والإدارات والمؤسسات على الصعيد الجهوي وتقديم مختلف الخدمات التوثيقية للمستعملين في عين المكان وتنسيق أعمال التوثيق بين الوحدات التوثيقية في المنطقة وتمثيل المركز جهويا.

هذا ويرتبط المركز الوطني للتوثيق عبر حاسوب مركزي بعدة مؤسسات وطنية ودولية مقيمة بالمغرب بواسطة مطاريف للاستجواب البُعدي (الفاكس والتلكس) أهمها وزارة الطاقة والمعادن ووزارة الإعلام ووزارة التربية الوطنية ووزارة التخطيط (سابقا) ووزارة الفلاحة والإصلاح الزراعي والشركة الوطنية لدراسات المضيق ومؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية والبنك الشعبي المركزي بالدار البيضاء. كما يرتبط بمؤسسات ومنظمات جهوية أخرى داخل المغرب وخارجه كمركز التوثيق والمعلومات التابع للأمانة العامة لجامعة الدول العربية وغيرها.

عبد المجيد عابدين، *التوثيق، تاريخه وأدواته*، بغداد، 1982 ؛

محمد قبيسي، *علم التوثيق والتقنية الحديثة*، بيروت، 1982 ؛

يحيى هلال، *النظام التوثيقي العربي*، تونس، 1984 ؛ وحيد قدورة، *المستفيدون من خدمات المكتبات ومراكز التوثيق*، تونس، 1986 ؛

المركز الوطني للتوثيق، *دليل الوحدات التوثيقية بالمغرب*، الرباط، 1992.

J. Forget, *Initiation à la documentation*, Paris, 1988 ; M. Sire, *Le document et l'information*, Paris, 1975 ; J. Chaumier, *Les techniques documentaires*, Paris, 1988 ; H. Schutz, *Le rôle et l'organisation d'un centre national de documentation dans un pays en voie de développement*, Paris, 1975 ; Institut du Monde Arabe, *Répertoire des bibliothèques et des organismes de documentation sur le Monde Arabe*, Paris, 1986.

محمد بوسلام

التوجيه، مجموعة من العمليات البسيكوتربوية والسوسيو اقتصادية مساعدة للتلميذ والطالب على السواء في عملية اختيار مسلك دراسي أو مهني.

وفي هذا المضمار يبدو جليا أن التوجيه، مدرسياً كان أو مهنياً، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإعلام الذي يشكل قاعدته العامة من حيث إعطاء الفرد معلومات عن مختلف المسالك الدراسية والمهنية ومختلف محتوياتها والجانبيات الخاصة بالمهن التي توصل إليها، كما يشكل قاعدته الخاصة من حيث إخباره التلميذ عن ذاته وقدراته والكشف عن مؤهلاته.

وفي هذا المضمار، فرض نظام التوجيه المتبع في المغرب وذلك بجرد مختلف العمليات، مع الإشارة إلى التغيير

الذي طرأ على هذا النظام من خلال مقارنته مع النظام المتبع في السابق.

فتوجيه التلاميذ يتم في النظام التعليمي على مستويين : مستوى السنة الرابعة الإعدادية أي التاسعة من التعليم الأساسي. ومستوى السنة الأولى من التعليم الثانوي. إلا أن المستوى الأول في عملية التوجيه يبقى الأكثر تأثيراً، في الحياة المستقبلية الدراسية أو المهنية للتلميذ، إذ أنه يحدد مساره الدراسي نحو أحد فروع التعليم الثلاثة العلمي والأدبي أو ما يصطلح على تسميته بالتعليم العام، والنوع الثالث هو التعليم التقني الذي يتضمن أحد عشر تخصصا.

ويواجه التلميذ الملتحق بإحدى شعبتي التعليم العام مستوى آخر للتوجيه في آخر السنة الأولى من التعليم الثانوي وذلك رغبة في تخصص أكثر دقة تبعا لتنوع الشعب واختلافها.

وهكذا يمكن توجيه تلاميذ السنة الأولى ثانوي من الجذع المشترك لشعبة الآداب، إلى السنة الثانية من التعليم الثانوي حسب رغبة التلميذ إما إلى :

- الآداب العصرية

أو - الأقسام الإعدادية للغة الأنجليزية

أو - " " " الألمانية

أو - " " " الإسبانية

أو - " " للتربية البدنية

أو - العلوم الاقتصادية

أما التلاميذ الموجهون للجذع المشترك العلمي فيمكن أن يختاروا، بناء على استعداداتهم ومؤهلاتهم، إعداد البكالوريا في إحدى المسالك الثلاثة التالية :

- العلوم التجريبية
- العلوم الرياضية
- العلوم الاقتصادية

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أنه انطلاقاً من السنة الدراسية 1990 - 1991، شُرع في تجربة لازالت سارية في عدد من النيابات، الغرض منها وضع الأسس لمسطرة في التوجيه تعتمد مستوى واحداً خلال السنة الرابعة الإعدادية، أي التاسعة أو النهائية من التعليم الأساسي، وهكذا سيصبح التخصص مباشراً وسيتم خلال السنوات الثلاث من التعليم الثانوي بالنسبة لجميع المسالك المؤدية للبكالوريا.

ومن جهة أخرى، وفي إطار التعاون بين وزارة التربية الوطنية ووزارة الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر تم الشروع في تجربة التوجيه المباشر للتلاميذ نحو مراكز التكوين المهني، وذلك بنيابة القنيطرة لتوسع خلال الموسم الدراسي (1991 - 1992) إلى سبع نيابات إقليمية أخرى على أساس أن يتم التعميم تدريجيا مع مراجعة الإجراءات التقنية المتبعة في التوجيه المهني.

هذا ونظراً لكون العتبة الثانية في التوجيه هي في طريق الانقراض، سنقتصر على وصف إجراءات التوجيه إلى عتبته الأولى أي خلال السنة الرابعة الإعدادية.

أهلية المجلس الخاص بالتوجيه. قبل صدور المنشور 112، كان المجلس الخاص بالتوجيه يناقش القرار الذي يجب اتخاذه بالنسبة لكل حالة فيما يخص الانتقال إلى السلك الثاني (التعليم الثانوي) وتعيين الشعبة بالنسبة لكل منتقل إلى التعليم الثانوي وهو ما يصطلح عليه "بالتوجيه" ويقرر المجلس ضمنيا حالات التكرار، حيث تمنح لكل تلميذ فرصتان اثنتان بالتكرار خلال السلك الأول، أما إذا استنفدهما ولم ينتقل إلى القسم الأعلى فيتقرر في حقه التوقيف النهائي.

وكل هذه القرارات يعتمد فيها مجلس التوجيه على النتائج الدراسية وملاحظات وتقديرات وآراء الأساتذة.

وثائق التقدير المعتمدة من طرف مجلس التوجيه :

1 - بطاقة التوجيه : تضم إلى جانب المعلومات المتعلقة بهوية التلميذ، السنوات الدراسية بكل مستوى والرغبات الثلاث من بين الشعب الموجودة بالتعليم الثانوي (السلك الثاني) مرتبة حسب الأفضلية، كما تزوّد المجلس أيضاً بنقط ومعدلات المواد خلال الدورات الثلاث للسنة الرابعة الإعدادية وكذا المعدل السنوي العام.

2 - الملف المدرسي الذي لا يرجع إليه المجلس إلا بالنسبة لبعض الحالات التي يصعب البت فيها نتيجة ضعف في المبول ونقص في النتائج الحالية التي قد تؤدي إلى إقرار عدم متابعة الدراسة. هذا ويضم الملف المدرسي وثائق مختلفة :

- ملف امتحان الالتحاق بالسنة الأولى بالإعدادي.
- مستخرجات النقط الخاص بكل سنة قضاها التلميذ في السلك الأول.
- دفتر النقط.
- بطاقات الغياب.
- مستخرج العقوبات التأديبية.
- الشواهد الطبية التي تقدم بها التلاميذ خلال دراسته.

إلا أنه بعد سنة 1986، عند صدور المنشور 112، شرع في ترتيب التلاميذ تنازليا بناء على المعدل السنوي العام المحصل عليه من طرف التلميذ، ولكون عدد التلاميذ الذين يمكن قبولهم بالسلك الثاني أصبح محدداً من طرف الخريطة المدرسية، فإن المجلس الخاص بالتوجيه يجتمع لكي يقرر توزيع التلاميذ المقبولين، على مختلف الشعب بناء على المؤهلات الدراسية والذاتية لكل تلميذ وعلى رغباته وباعتبار عدد المقاعد المتوفرة بكل شعبة.

توجيه تلاميذ التعليم الخاص : إن عملية التوجيه تهم تلاميذ التعليم الخاص الذين تتوفر فيهم الشروط التي يخضع لها تلاميذ التعليم العمومي والتي نجملها فيما يلي :

1 - أن يكون التلميذ قد نجح في امتحان الالتحاق بالسنة الأولى إعدادي.

2 - أن تكون الدراسة عادية أي أن يقضي التلميذ أربع

سنوات على الأقل بالسلك الأول إبتداء من سنة الالتحاق بالسنة الأولى إعدادي.

3 ـ أن لا يكون قد سبق في حقه قرار طرد من مؤسسة عمومية.

اللجنة الخاصة بتغيير التوجيه : بالنسبة للتلاميذ الذين لم تلب رغبتهم في الاختيار ورأوا بأن الشعبة التي تم تعيينهم فيها غير ملائمة لهم ـ إذا لم يكونوا قد وجهوا لإحدى الشعب التقنية ـ يمكنهم أن يتقدموا بطلب لمراجعة قرار التوجيه إلى اللجنة الإقليمية الخاصة بتغيير التوجيه إذ لها الصلاحية الكاملة للبت في مثل تلك الطلبات. ويترأس هذه اللجنة نائب وزارة التربية الوطنية ويدخل في عضويتها، طبقا للمذكورة 29 بتاريخ 7 فبراير 1983، كل من :

ـ رئيس مصلحة التخطيط بنيابة وزارة التربية الوطنية.
ـ مدير إعدادية.
ـ مدير ثانوية.
ـ أستاذ عن كل مادة تدرس بقسم الرابعة إعدادي.

اللجنة الجهوية الخاصة بالاختيار الأولي

تتكون هذه اللجنة من المفتش الجهوي للتوجيه التربوي، ومن رؤساء مصالح التخطيط التابعين للنيابات التي يهمها الأمر ومن ممثلين عن التعليم التقني (مفتشي التعليم التقني ورؤساء الأشغال وأساتذة التعليم التقني).

وتجمع هذه اللجنة في أواخر شهر أبريل أو أوائل شهر ماي، وتقوم بدراسة بطاقات الترشيح للتعليم التقني وبعملية الاختيار الأولي ووضع لائحة بأسماء التلاميذ الذين وقع عليهم الاختيار حسب الشعبة والنيابة الأصلية التي توجه إليها نسخة قصد أخذها بعين الاعتبار أثناء انعقاد مجالس التوجيه التي تبقى لها الكلمة الأخيرة في اتخاذ القرار الملائم.

المجلس الخاص بالتوجيه : يتكون المجلس الخاص بالتوجيه من :

ـ مدير المؤسسة بصفته رئيسا.
ـ المستشار في التوجيه.
ـ جميع أساتذة القسم.
ـ أحد أساتذة السلك الثاني، في حدود الإمكان، بصفة استشاري.
ـ ممثل عن آباء التلاميذ بصفته ملاحظا.

إعداد التلاميذ الموجهين بكل شعبة : كل من اللجنة الجهوية للاختيار الأولي للشعب التقنية والمجالس الخاصة بالتوجيه ولجنة تغيير التوجيه ملزمة أثناء مزاولة المهام، باحترام الأعداد المقررة من طرف مصالح الخريطة المدرسية.

وثائق ومنشورات وزارة التربية الوطنية.

محمد فلاّ

التوحيد (علم ـ) ← **العقيدة**

التوحيد (مصطلح موحدي)، اعتبر المهدي ابن تومرت أتباعه الموحدين الحقيقيين لله تعالى، فكان هذا أصل تسميتهم بهذا الاسم، وقد ارتكزت عقيدة "التوحيد" عند ابن تومرت على مجموعة مسائل أهمها : مسألتا الصفات الإلهية والآيات المتشابهات.

فبالنسبة للصفات يذكر صاحب *المعجب* أنه كان على رأي المعتزلة في نفيها، أي أن الصفات ليست زائدة عن الذات الإلهية ولا منفصلة عنها ؛ فكان ابن تومرت يختلف في هذه النقطة مع النّقليين ومنهم فقهاء المالكية بالمغرب المدعمون للحكم المرابطي، فاعتبر هؤلاء الذين يأخذون برأيهم "مشركين".

وبالنسبة للآيات المتشابهات اعتمد ابن تومرت في تفسيرها على الأشاعرة، قال ابن خلدون : "ذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث"، والمقصود بذلك الآيات التي توهم بالتشبيه والتجسيم، وقال صاحب *المعجب* عن فقهاء المالكية بالمغرب إنهم كانوا ينافرون "علم الاعتقاد على طريق الأشعرية" ؛ فاعتبر ابن تومرت المرابطين الذين لا يأخذون برأي الأشاعرة في هذا الميدان "مجسّمين" للذات الإلهية، كما وصفهم بالكفرة والمشركين، فجعل جهادهم "أعظم من جهاد الروم وسائر الكفرة بأضعاف مضاعفة".

وتطور مصطلح "التوحيد" مع انتقال الحركة الموحدية إلى إطار الدولة فأصبح يعبر عمّن دخل تحت سلطتها بكونه "وحّد" ومن خالفها فقد "ارتدّ" ؛ وهذان المصطلحان يردان كثيراً فيما كتبه البيذق المعاصر لحركة الموحدين في الفترة الأولى من دولتهم.

أ. عزاوي، *رسائل موحدية* (مجموعة جديدة)، (الرسالة رقم 2) ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت...*، الرباط 1971 ؛ م. ابن تومرت، *أعزّ ما يطلب...*، الجزائر 1983 ؛ م. المراكشي، *المعجب* ؛ سعد زغلول عبد الحميد، *محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب والأندلس* (منشورات جامعة بيروت العربية) ؛ ألفرد بل، *الفرق الإسلامية في الشمال الافريقي*، بيروت 1981.

E. Levi-Provençal, *Documents inédits d'histoire Almohade*, Rabat, 1928.

أحمد عزاوي

ابن **تودة، رحّو** أو رحُّ أو أُرحّو قائد مجاهد كان يحكم الناحية الغربية من شمال المغرب ومقره بالقصر الكبير حيث كان نفوذه يشمل مدينتي العرائش وأصيلا وقبائل الخلط وأهل سريف وبني يَسَّفْ وسُماته وبني زكّار وبني گرفط والساحل وبني عروس والغربية وذلك في عهد السلطان عبد الله الغالب بالله وبداية عهد المتوكل على الله أواسط القرن العاشر (16 م).

وتقول الوثائق البرتغالية إنه كان يقود حركة الجهاد ضد الوجود البرتغالي بمدينتي طنجة وأصيلا وأنه كُتب له أن يكون أول من دخل أصيلا بعد أن انسحبت عنها البرتغال يوم 10 شعبان 957 / 24 غشت 1549 ؛ وتؤكد نفس الوثائق أنه بعد أن نقل مقر قيادته إلى أصيلا كان شغله الشاغل هو تضييق الخناق على مدينة طنجة حيث سجلت تلك

الوثائق المعارك التي جرت بضواحي المدينة المذكورة في الأيام التالية :

يوم 30 جمادى الأولى 857 / 16 يونيو 1550 حيث قتل عدد كبير من البرتغاليين وأصيب بجروح خطيرة حاكم المدينة البرتغالي بيدرو مينيسيس Pedro de Meneses الذي مات من جرائها بعد أربعة أيام.

يوم 29 ربيع الأول 959 / 25 مارس 1552، حيث جرح الحاكم الجديد خوان ألفاريث Juan Alvarez.

يوم 27 ربيع الأول 960 / 13 مارس 1553 حيث قتل أكثر من ستين برتغالياً ولقي حتفه الحاكم لويس ذي لوريرو Luis de Lurero الذي كان قد سبق له أن أذاق المغاربة الأمرين عندما كان حاكماً بالقصر الصغير وأصيلا ومازاگان (الجديدة).

يوم 15 جمادى الأولى من نفس السنة / 29 أبريل حيث قتل الحاكم الجديد لويس ذي سيلفا Luis de Siva.

يوم 21 جمادى الأولى / 5 ماي من نفس السنة حيث قتل الحاكم پيدرو ألفاريث Pedro Alvarez الذي كان الحاكم البرتغالي الرابع لمدينة طنجة، لقي حتفه على يد القائد ابن تودة، ولذلك لقبه البرتغاليون بـ "جلاد البرتغال".

وتذكر نفس الوثائق البرتغالية أن القائد المذكور هاجم طنجة يوم 20 صفر 972 / 27 سبتمبر 1564 ويوم 7 رجب 972 / 8 فبراير 1565.

ومن هذه الأحداث نعلم أن القائد رحُّو كان يحكم تلك الناحية على الأقل من سنة 957 / 1549 إلى سنة 972 / 1565؛ وهذا القائد هو والد القواد عبد الكريم وعزوز وعلي ابن تودة.

Fernando de Meneses, *Histoire de Tanger*, Traducion española, Tanger, s. a. ; G. Rittwagen, *Guerra del Moro en Africa datos, fechas y estadisticas, MS. n° 66 de 4 / 3 / 34*, Biblioteca de la Secretaria General del Protectorado ; *S.H.M.* Portugal V, 62, 79, 110 ; France I, 528 ; Angleterre I, 392 ; Ibn Azzuz Hakim, *Un siglo de la historia de Arcila*, (Sous presse).

ابن **تودة، عبد الكريم** بن رحُّو سابق الترجمة. كان في أول الأمر حاجبا للسلطان عبدالله الغالب بالله سنة 981 (1574)، ولم نجد له في المصادر المغربية ما يمكّننا من وضع ترجمته الكاملة لأن الوثائق البرتغالية والإسبانية التي نتوفر عليها تتعلق بفترة ما بعد وفاة السلطان الغالب بالله. وبعد مبايعة ابنه محمد المتوكل على الله أصبح المترجم له يحظى باعتبار أهم بصفته مستشاراً للمتوكل بفضل كون أخته كانت من بين زوجات السلطان وكذلك بفضل زواجه بابنة الصدر الأعظم علي ابن شقرا.

تقول المصادر الإسبانية إن عبد الكريم ابن تودة كان بجانب المتوكل في المعركة التي خاضها ضد عمه عبد الملك بالمكان المعروف بالركن بأحواز فاس يوم 16 ذي الحجة 983 / 17 مارس 1576 وانهزم فيها المتوكل، فكان المترجم له من القواد القلائل الذين ظلوا بجانبه بعد أن فر إلى فاس ومنها إلى مراكش. وتذكر المصادر البرتغالية أن المترجم له لم يتبع المتوكل إلى مراكش بل توجه بأمر من السلطان المهزوم إلى الناحية الشمالية الغربية من المملكة ولم يشارك في معركة خندق الريحان التي جرت على ضفة وادي الشراط يوم 12 ربيع الثاني 984 / 9 يوليوز 1576 ولا في المعارك التي جرت فيما بعد بين المتوكل وعمه عبد الملك بناحية سوس.

ولا غرو في ذلك لأن المتوكل كان على علم بالنفوذ الذي كان يتمتع به عبد الكريم ابن تودة بناحية جبالة والهبط، فأراد بوجود القائد عبد الكريم بها أن يحول دون انحياز سكان الناحية إلى جانب عمه عبد الملك.

وتدل القرائن كلها على أن المترجم له استطاع أن يحول دون تسرب نفوذ عبد الملك إلى تلك الناحية بدليل أنه بالرغم من الرسائل التي كان يوجهها السلطان عبد الملك المذكور إلى مدن الشمال تمكن المترجم له من السيطرة على مدينة القصر الكبير والعرائش وأصيلا وتطوان فترة من الزمن، إلى أن اضطر، في ظروف غامضة، إلى مغادرة القصر الكبير واللجوء إلى العرائش في شهر شوال عام 984 / يناير 1577 وهو الشهر الذي نجده يتصل فيه بالملك البرتغالي دون سيباستيان ويعرض عليه تسليمه المدينة المذكورة مقابل مساعدة يقدمها للمتوكل.

لم يستجب العاهل البرتغالي لطلب عبد الكريم لأسباب عديدة. منها أنه لو قام باحتلال العرائش دون قتال لما تمكن من أن يبرر أمام رجال دولته وخاله الملك الإسباني فيليبي الثاني الحملة الصليبية التي كان يهيؤها من أجل الاستيلاء على العرائش حتى لا يبقى للأتراك مينا، في الساحل الأطلسي بترددون عليه ويهددون منه البرتغال وإسبانيا معا.

عندئذ غادر عبد الكريم مدينة العرائش في شهر ذي الحجة عام 984 / مارس 1577 واعتصم بأصيلا ومنها اتصل بحاكم طنجة البرتغالي دون دوارطي ذي مينيسيس Duarte de Meneses وعرض عليه تسليمه أصيلا المدينة الوحيدة التي ظلت وفية للمتوكل في شمال المملكة، وذلك خوفاً من ان يكون مصير اصيلا هو نفس مصير تطوان التي بايعت عبد الملك حسب ما تشهد به الرسالة التي وجهها الملك المذكور إلى حاكمها يوم 28 ذي الحجة عام 984 / 18 مارس 1577.

ولم يتردد الحاكم البرتغالي في قبول عرض المترجم له فطلب منه أن يبعث أخاه عزوز ليظل رهينة بطنجة إلى أن تتم عملية التسليم فتم ذلك في منتصف شهر ربيع الثاني عام 985 / أوائل شهر يوليوز 1577 حيث قامت كتيبة برتغالية مكونة من سبعمائة رجل باحتلال أصيلا بعد أن أخرج منها سكانها. ثم أرسل عزوز إلى لشبونة ليخبر دون سيباستيان بتلك العملية التي تمت بدون علم سابق من طرفه. وكانت هذه هي المرة الثانية التي تحتل فيها البرتغال مدينة أصيلا.

وهكذا لم يبق لعبد الكريم مدينة يعتصم بها، ومع ذلك ظل نفوذه قائماً بقبائل الناحية الشمالية الغربية التي ظلت تدين بالولاء للمتوكل، والدليل على ذلك هو أنه بعدما

ضاقت عليه الأرض بجنوب المملكة لم يجد صعوبة في اللجوء إلى قصبة اسّنادَة بقبيلة بني يطفت الريفية، وكان عبد الكريم هو الذي مهد الجو ليتمكن المتوكل من اللجوء إلى القصبة المذكورة في شهر رمضان عام 985 / نوفمبر 1577 حيث وجد المترجم له في انتظاره هناك صحبة عدد من قواد القبائل الريفية، وظل الجميع بجانب المتوكل إلى أن انتقلوا معه إلى الشاطئ الموالي لجزيرة بادس المحتلة من طرف إسبانيا.

أغرب ما في الأمر أنه في الوقت الذي كان المتوكل يكاتب من قصبة اسنادة ملك إسبانيا فليبي الثاني ويطلب منه مدّ يد المساعدة كان المترجم له يكاتب ملك البرتغال دون سيباستيان في نفس الموضوع حيث نجده يقول له في رسالة بتاريخ 25 شوال 985 / 5 يناير 1578 بأن الوقت قد حان ليتدخل في الحرب القائمة بين المتوكل وعمه عبد الملك.

وعلى كل حال فان العاهل الإسباني لم يستجب لطلبات المتوكل فكان على هذا الأخير ان يغادر قصبة اسنادة ويتوجه إلى الشاطئ الموالي لجزيرة بادس حيث ظل إلى يوم 17 محرم عام 986 / 26 مارس 1578 وهو اليوم الذي أبحر فيه من الجزيرة المذكورة متوجها على ظهر باخرة برتغالية إلى مدينة سبتة المحتلة آنذاك من طرف البرتغال، في حين أن ابن المتوكل الأمير مولاي الشيخ توجه صحبة المترجم له وباقي أنصار والده إلى سبتة عن طريق البر.

وفي منتصف ربيع الأول 986 / أواخر ماي 1578 غادر المتوكل مدينة سبتة متوجها نحو طنجة عن طريق البحر في حين أن الأمير مولاي الشيخ والمترجم له توجها صحبة أنصار المتوكل إلى نفس المدينة عن طريق البر.

وفي يوم ثاني جمادى الأولى / 7 يوليوز وصلت الحملة الصليبية البرتغالية لميناء طنجة وعلى رأسها الملك دون سيباستيان الذي تقابل مع المتوكل وأجرى معه محادثات سرية لم يحضرها سوى المترجم له.

وفي يوم 7 من الشهر المذكور / 12 يوليوز غادر المتوكل ميناء طنجة على ظهر سفينة دون سيباستيان متوجها نحو مدينة أصيلا، في حين أن الأمير مولاي الشيخ والمترجم له توجها صحبة أنصار المتوكل إلى نفس المدينة عن طريق البر.

وطيلة المدة التي قضاها الجيش البرتغالي بأصيلا ظل المترجم له بجانب المتوكل يحضر جميع الاجتماعات التي كان يعقدها هذا الأخير مع العاهل البرتغالي.

وفي يوم 24 جمادى الأولى / 29 يوليوز غادر الجيش البرتغالي مدينة أصيلا. وفي يوم 29 من نفس الشهر / 3 غشت عقد دون سيباستيان مع المتوكل اجتماعا بالمكان المعروف بتامدة (وادي المخازن) وأراد أن يعرف رأي عبد الكريم ابن تودة في الخطة العسكرية التي يجب اتباعها، فكان جوابه أنه من المستحسن أن يؤخر موعد المعركة بيوم واحد وذلك لأن الأمير مولاي الناصر أخا المتوكل كان قد فر من معسكر عبد الملك وأخبره بأن هذا الأخير يوجد على فراش الموت.

وجرت المعركة الفاصلة يوم 30 جمادى الأولى / 4 غشت وفيها لقي حتفه كل من دون سيباستيان والمتوكل وسقط عبد الملك شهيداً، ومن بين المغاربة أنصار المتوكل الذين تمكنوا من النجاة والفرار إلى أصيلا نجد عبد الكريم ابن تودة الذي ظل بتلك المدينة يعالج من جروحه إلى أن توجه صحبة أزواجه وأبنائه إلى لشبونة في أوائل شهر شوال عام 986 / أوائل ديسمبر 1578.

وقد خصصت لعبد الكريم ابن تودة إعانة مالية على أساس اعتباره لاجئا سياسياً، وكانت تصرف له من خزينة الدولة إلى أن توفي الملك البرتغالي الأسقف إنريكي في منتصف ذي الحجة عام 987 / أوائل سنة 1579 وحل محله الملك الإسباني فيليبي الثاني الذي أمر بقطع الإعانة عن المترجم له بسبب وقوفه بجانب الأمير البرتغالي دون أنطونيو الذي كان يطالب بعرش البرتغال.

ويبدو أن المترجم له ساءت حالته المالية لدرجة أنه اضطر إلى بيع خيوله وأمتعته في رمضان عام 989 / أكتوبر 1581 ومع ذلك لم يسمح له بالعودة إلى المغرب لأن الملك فيليبي الثاني كان يريد الاحتفاظ به في البرتغال رهينة يهدد بها السلطان أحمد المنصور الذهبي.

ولم يكن السلطان المذكور يغافل عما كان يقصد ملك إسبانيا باحتفاظه بالمترجم له وبالأمير الشيخ وعمه الناصر، لذلك نجد العاهل المغربي يوجه في منتصف شهر ربيع الأول 995 / 22 فبراير 1587 رسالة إلى فيليبي الثاني يطلب منه فيها السماح للقائد ابن تودة بالعودة إلى المغرب وقد وصفه في الرسالة "بخديم هذه الإيالة المعروف الحظوة الجليل المكانة القائد الوجيه النبيل النابه الأجل الأجيل المثيل الأثيل القائد عبد الكريم بن رحُّ ابن تودة".

ولم يستجب العاهل الإسباني لطلب الملك أحمد المنصور وظل ابن تودة بالبرتغال إلى أن قرر فيليبي الثاني نقله صحبة الأمير مولاي الناصر إلى مقاطعة الأندلس في شهر ربيع الثاني عام 997 / مارس 1589 وذلك كرد فعل على المحادثات التي كان يجريها ملك المغرب مع ملكة انكلترا من أجل إبرام معاهدة تحالف ضد إسبانيا.

ونجهل ما كان يقوم به المترجم له من سنة 997 إلى سنة 1005 / 1589 . 1596 وكل ما نعرف عنه أنه عندما علم بأن الأمير الشيخ ابن المتوكل قرر اعتناق الدين المسيحي، قام بمحاولة تسميمه في شهر رمضان عام 1001.

والغالب على الظن أن المترجم له لم يشارك من قريب ولا من بعيد في الحركة التي قام بها الأمير الناصر ابن عبد الله الغالب عندما توجه إلى مليلية ومنها إلى بلاد الريف يطالب بعرش المغرب. وكان من أمره ما كان حيث تصدت له جيوش المنصور الذهبي وقتل بالقرب من فاس في شهر رمضان عام 1004 / ماي 1596.

ويبدو أنه في هذه السنة بالذات أراد عبد الكريم ابن تودة أن يتوجه إلى تركيا فعلم العاهل المغربي بذلك وكتب

إلى ملك إسبانيا بتاريخ 28 ربيع الأول عام 1005 / 19 نوفمبر 1596 يطلب منه عدم السماح له بمغادرة التراب الإسباني والتوجه إلى تركيا. وقد لبى العاهل الإسباني طلب السلطان وأخبره بذلك برسالة مؤرخة في 28 شعبان 1005 / 16 أبريل 1597.

وظل المترجم له بإسبانيا إلى أن مات الملك فيليبي الثاني وخلفه الملك فيليبي الثالث الذي أذن للمترجم له بالعودة إلى المغرب وحمّله رسالة موجهة إلى أحمد المنصور بتاريخ 19 جمادى الثانية 1007 / 17 يناير 1599 يوصيه فيها خيراً بحاملها القائد ابن تودة.

وفي شهر رجب من السنة المذكورة (فبراير) ركب ابن تودة البحر من جبل طارق متوجها إلى تطوان ومنها التحق بالسلطان في مراكش. وتقول المصادر الإسبانية إن أحمد المنصور الذهبي رحب بالمترجم له وجعله من المقربين إليه إلى أن توفي بمراكش في شهر ربيع الأول عام 1010 / سبتمبر 1601.

وأخيراً يجب أن نشير إلى أن عبد الكريم ابن تودة هو من بين الشخصيات الرئيسية في المسرحية التي ألفها الكاتب المسرحي الإسباني الشهير لوبي ذي فيكا تحت عنوان *La tragedia del Rey don Sebastian* *مأساة الملك دون سيباستيان* كما أنه هو الشخص الذي اعتمد عليه المؤرخ البرتغالي الراهب بيرناردو دا كروث في وضع كتابه: *Chronica de El Rei Dom Sebastian* *وقائع الملك دون سيباستيان* الذي لم ينشر إلا في سنة 1837 بلشبونة.

م. الإفراني، *نزهة الحادي*، ص. 49 و55 و100 و101 ؛ *رسالة السلطان المنصور إلى فيليبي الثاني*، بتاريخ 19 نوفمبر 1596 (الأرشيف العام بسيمانكاس، ملف 179) ؛ *رسالة السلطان المنصور إلى فيليبي الثاني*، بتاريخ منتصف ربيع لأول 995 (نفس الأرشيف والملف) ؛ *رسالة السلطان المتوكل إلى فيليبي الثاني*، بتاريخ 10 رمضان 985 ؛ *S.I.H.M* إسبانيا، الجزء الثالث صفحة 444، 446 ؛ كريم عبد الكريم، *المغرب في عهد الدولة السعدية*، الدار البيضاء، 1977 صفحة 195.

Agrippa d'Aubignée, *Histoire universelle depuis l'an 1601*, Paris, 1886 - 1897 (*S.I.H.M.* France t. I, p. 628 - 648, Paris, 1905), Biblioteca Nacional de Madrid (ms. n° 7453) ; Dario Cabanels, *El caid marroquí Ibn Tuda refugiado en la España de Felipe II*, Miscelanea de Estudios Arabes y Hebraicas, Granada, 1963 - 1964, vol. XII - XIII, fas. 1, pag. 75 - 88 ; *Carta del gobernador de Tanger al Rey Don Sebastian, 30 septiembre 1564* (ms. Biblioteca Nacional de Madrid n° 2422 folio 15 - 20) ; *Carta del mismo gobernador al mismo Rey, 10 febrero 1565* (ms. de la misma Biblioteca n° 2422 folio 11 - 14) ; *Carta de Juan Silva a Felipe II, Lisboa 17 julio 1577* (Archivo General Simancas, Estado, leg. 394 f. 266 = *S.I.H.M.* España t. III, pag. 320 - 323) ; *Carta del caid Abd al-KariM a Don Sebastian, 5 enero 1578* (Ar. G. Simancas Estado 395 = *S.I.H.M.* España t. III, pag. 376 - 377); *Carta de Cristobal Moura a Felipe II, Lisboa 10 diciembre 1578* (colección de documentos inéditos para la historia de España, Madrid, t. 40, pag. 208) ; *Carta del Duque de Alba a Felipe II, 30 agosto 1580* (colección citada t. 32, pag. 493) ; *Carta del Duque de Medinasidonia a Felipe II, 14 febrero 1597* (Archivo General Simancas, leg. 179) ; *Cedula de Felipe II, Lisboa 30 octubre 1581* (*S.I.H.M.* Angleterre t. I, p. 392 - 2) ; Fr. Cruz Bernardo, *Chronica de El-Rei Don Sebastian*, Lisboa, 1837 y 1903 ; Jeronimo de Franchi Connestaggio, *L'Union du royaume de Portugal à la Couronne de Castille*, Paris, 1680 (*S.I.H.M. France*, t. I, Paris 1905, pag. 506 - 574) ; Luis de Ojeda, *Comentario que trata de la infelice jornada que el Rey don Sebastian hizo en Berberia el año 1578*, Madrid, 1929 ; Jaime Oliver Asin, *Vida de Felipe de Africa, principe de Fez y de Marruecos*, Madrid - Granada, 1955, pag. 47, 56 a 60, 60 a 77 ; Jose Pereira Baiao, *Portugal cuidadoso e lastimado com a vida e perdida do senhor Rei Dom Sebastiao*, Lisboa, 1737 (Bib. Nacional Madrid, ms. 205-4-B) ; J.M. de Queiroz Velloso, *Dom Sebastiao 1554 - 1578*, Lisboa 1935, trad. española de Ramon Garciasol, Madrid, 1943, pag. 189, 190, 193, 194, 229, 238, 239, 273, 298 ; Fr. Manuel dos Santos, *Historia Sebastica*, Lisboa, 1735, Libro II cap. XXVI ; *S.I.H.M.*, Portugal, t. V (1552 - 1580), Paris, 1953 ; *S.I.H.M.*, France, t. I, pag. 346, Paris 1905 ; Lope de Vega, *Tragedia del Rey Don Sebastian*, Madrid, 1618 y 1898.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن تودة، عزوز بن رحّو، قائد في عهد محمد المتوكل السعدي وهو أخو القائد عبد الكريم بن تودة وخليفته في قيادة الناحية الشمالية الغربية من المملكة، شارك في معركة الركن بجانب المتوكل الذي بعثه إلى لشبونة حيث اتصل بالملك البرتغالي دون سيباستيان Don Sebastian وتذاكر معه في أمر المساعدة للسلطان ضد عمه عبد الملك الغازي في سبيل الله، وأسفرت المذاكرات عن تسليم مدينة أصيلا لحاكم طنجة، وتم ذلك في شهر ربيع الثاني عام 985 / يوليوز 1577 ؛ وقد شارك عزوز في معركة وادي المخازن، ثم لجأ إلى لشبونة وظل بها عدة سنوات إلى أن عاد إلى المغرب صحبة أخيه عبد الكريم.

Bernardo da Cruz, *Chronica de El Rei Don Sebastian*, Lisboa, 1837, cap. 41.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **تودة، علي** بن رحّو، قائد عسكري في عهد السلطان عبد الله الغالب السعدي. يقول عنه الإفراني : إنه "دخل البريجة التي بثغر أزمور وأخذ أسوارها وعزم أن يستأصل في الغد بقيتها ولا يُبقي للكفر بها أثراً. فكتب له السلطان مولاي عبد الله ينهاه عن ذلك، فتراجع النصارى إليها بعد أن ركبوا البحر عازمين على الجلاء عنها". ويتعلق الأمر بالحصار الذي ضربه المغاربة على مدينة مازاگان (الجديدة) سنة 969 / 1562.

وتتفق رواية الإفراني مع ما جاء في المصادر البرتغالية والإسبانية، في حين نجد الناصري يقول : إن القائد الذي حاصر الجديدة هو عبد الرحمن بن تودة العمراني (*الاستقصا*، 5 : 42).

م. الإفراني، *نزهة الحادي*، 49 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 42.

Archivo de la Torre de Tombo, Lisbon ; Bernardo de Cruz, *Cronica del Rey Dom Sebastian*, Lisboa, 1837

محمد ابن عزوز حكيم

تودما، قرية في قبيلة أيت صواب بالأطلس الصغير. ينسب إليها عدد من الفقهاء والصلحاء، منهم :

التودماوي، موسى بن أحمد الصوابي، أستاذ متمكن في القراءات منقطع لتلقينها في حاضرة السعديين الأولي مدينة المحمدية (تارودانت). قال عنه الإفراني في *الصفوة* "كان أستاذاً محققاً حريصاً على تعليم الناس خيراً ديناً ورعاً". ومن بين الآخذين عنه الأمراء أبناء محمد المهدي الشيخ، لذلك حين ولي أحمد المنصور الذهبي الخلافة ووفد موسى التودماوي عليه قام له وأجلسه إلى جانبه

وأكرمه رعياً لأستاذيته وكونه من أول شيوخه في الكتّاب. وتذكر كتب التراجم أنه "كساه وأجرى عليه جراية حياته".

ومن الطلبة المتأخرين الذين أخذوا عن موسى التودماوي عبد الرحمان التامنارتي الذي ترجم له في *الفوائد الجمة* وأثنى على كفايته وتفانيه في تعليم المبتدئين والشادين قائلا : "جئته أول دخولي مدينة تارودانت سنة إحدى وتسعين أو التي تليها (991 . 992 هـ) وأنا ذو ذؤابة لأقرأ عليه لوحي في مورد الظمآن، فأبطأ معي فيها حتى ارتفع النهار...".

توفي عام 1003 / 94 . 1595.

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط، 51 ؛ م. الافراني، صفوة، 130 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 509 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 410.

محمد حجي

التوراة ← **التلمود**

توربو أو **تَرْس**، جنس أسماك بحرية مسطحة من فصيلة المفلطحات سكوفتاليدي (Scophthatmidae) ومن الأسماك العظمية (Osteichtyens). يتميز بعدة أوصاف : فالجسم مضغوط جانبيا والعينان موجودتان على الجانب الأيسر فقط ويبقى الجانب الأيمن أعمى. الذنب دائري وخال من الشعاعات. يعرف في أسواق الأسماك المغربية تحت اسم توربو المأخوذ من الاسم الفرنسي Turbot. ويعرف أيضا بسمك الترس في الجنوب.

يعيش نوعان من هذا الجنس في البحار المحيطة بالمغرب :

الترس الكبير (Psetta maxima) وسابقا يسمى بالفرنسية Turbot وبالأنجليزية Scophthalmus maximus وبالإسبانية Rodaballo ويعرف في المغرب حسب النطق الدارج وحسب المناطق باسم توربو والقرعة والقوبع ورودابالو في كل من طنجة والعرائش وتطوان والعيون وطرفاية. والترس في العيون وطرفاية.

يتميز هذا النوع بجسم شبه دائري سميك شيئا ما. الفم كبير ومنحرف. يحمل الفكان أسنانا صغيرة وحادة. تمتد الزعنفة الظهرية من أسفل العين العلوية إلى مقدمة الذنب وتتكون من 57 . 80 شعاعا. الزعنفة الذنبية دائرية وخالية من الشعاعات العظمية. الخط الجانبي واضح في كلا الجانبين ومقوس فوق الزعنفة الصدرية. الجسم خال من الحراشف وتكسوه شويكات عظمية دقيقة ومتعددة. يتغير لونه حسب الأماكن الموجودة فيها مما يساعده على التنكر. لونه في أسواق الأسماك رمادي بني جهة اليسار وأبيض مصفر جهة اليمين. لا يتعدى طوله المتر الواحد. يفضل العيش في أعماق لا تتعدى مائة متر وخاصة منها الرملية والصخرية، ويرتبط هذا بتغذيته المكونة من الأسماك الصغيرة ومن الإربيان والقشريات الأخرى الصغيرة ومن الديدان التي تعيش في الرمال.

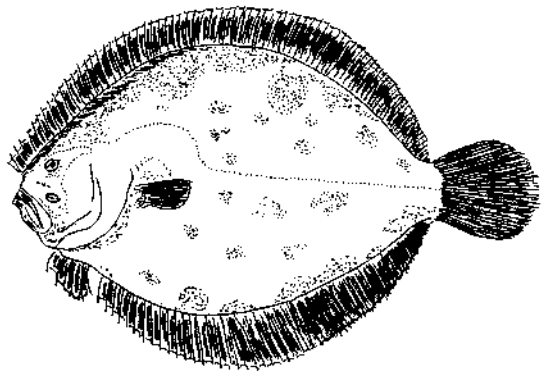

يلد الترس في فصل الربيع بين شهري مارس وأبريل ويصل سن البلوغ بعد ثلاث سنوات بالنسبة للذكر وما بين أربع وخمس سنوات بالنسبة للإناث. يعمر الذكر سبع عشرة سنة والأنثى سبعاً وعشرين سنة. شائع في البحار المغربية والأوربية وفي البحر المتوسط. يتم صيده بواسطة الشباك المختلفة الأحجام وبواسطة الصنانير. متوفر باستمرار في الأسواق المغربية الكبرى. ويصدر معظمه للخارج. يأكل طريا ولحمه لذيذ. يبلغ محصول الصيد السنوي في العالم لهذا النوع ستة آلاف طن. نظراً لكثرة الاقبال عليه يحتمل متسقبليا أن تبدأ تربيته في إحدى الجهات من البحر المتوسط ليرتفع إنتاجه.

يدعى النوع الثاني علميا Scophthalmus rhombus جسمه بيضوي الشكل وفمه شديد الانحراف. تتكون الزعنفة الذنبية من ستة وخمسين إلى اثنين وستين شعاعا وشكلها دائري. تتكون الزعنفة الظهرية من ثلاثة وسبعين إلى ثلاثة وثمانين شعاعا. يتكون الخط الجانبي من 115 . 125 حرشفة. تكسو الجسم حراشف صغيرة ودائرية، لونه في الأسواق رمادي بني ملطخ ببزاقع دائرية تارة بيضاء وتارة سوداء. لا يتعدى طوله 75 سم وشائع ما بين 20 . 4 سم. يعيش في الأعماق الصخرية والرملية التي لا تتعدى 125 متراً من العمق. يتوالد في شهر فبراير ومارس ويصير بالغاً بعد ثلاث سنوات ويعمر ما بين 17 و25 سنة. يتغذى من الأسماك الصغيرة والافقريات الصغرى. صيده تقليدي في شمال المغرب ومتوفر باستمرار في الأسواق المغربية.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

W. Fischer et M. Schneider, *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Méditerranée et Mer Noire, zone de pêche* 37, volume II, *Vertébrés*, Rome, 1984 et 1987 ; J.R. Schouten et M. Ramdani, *Fish of the Khnifiss lagoon and the Tarfaya coast*, Rabat, 1988 ; G. Bianchi, *Guide des ressources halieutiques de l'Atlantique marocain*.

محمد رمضاني

توربيس (Turbice)، مدينة مغربية قديمة ذكرها جغرافي رافينا (Géographe de Ravenne) (عاش في القرن 9 م ونقل عن مصدر يعود للقرن السابع الميلادي) ضمن المراكز القريبة من مدينة طنجيس (طنجة الحالية) وهي حسب نفس المصدر تُروى من مياه نهر توربولينتا (Turbulenta)، بمعنى "النهر الصاخب". فأي أنهار شمال

المغرب كانت تنطبق عليه هذه المواصفات ؟ كل ما نعرفه، باعتمادنا على المصدر ذاته بأن هذا النهر كان يحمل كذلك اسم داڤينا (Davina).

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*. Paris, 1924.

البضاوية بلكامل

توردیسیاس (Tordesillas)، مدينة تقع بمقاطعة بلاد الوليد Valladolid الإسبانية، وقّعت بها المعاهدة البرتغالية الإسبانية الثانية من أجل المغرب الذي كانت البرتغال من جهة، وقشتالة من جهة أخرى، تدعيان أن لهما وحدهما "الحق" في "فتح" المغرب وضمه إلى ممتلكاتهما وتنصير سكانه ؛ وكانت البرتغال قد تمكنت من الاستيلاء على مدينة سبتة سنة 818 / 1415، وبذلك أصبحت تدعي أن لها الأسبقية في "فتح المغرب". وقد وافقها على ذلك البابا أوجينيو الرابع (Eugenio IV) بمقتضى صكه المؤرخ في 5 يناير 1443 ؛ هذا الصك الذي أقره البابا "نيكولاس الخامس" (Nicolas V) يوم 8 يناير 1455 والبابا "كاليكسطو الثالث" (Calixto III) يوم 13 مارس 1456.

وحيث إن قشتالة كانت تدعي من جهتها أن لها "حق الأسبقية" في "فتح" الجزر الخالدات، فلم تبق مكتوفة الأيدي أمام "الفتوحات" التي كانت تحرز عليها البرتغال بأرض المغرب حيث تمكنت من احتلال القصر الصغير سنة 1458 ومدينتي أصيلا وطنجة سنة 1471، الأمر الذي أدى إلى نشوب حرب بين قشتالة والبرتغال.

وتدخل البابا سيكسطو الرابع (Sixto IV) وفرض على المملكتين الدخول في مفاوضات لحل النزاع القائم بينهما، وانتهت المفاوضات بإبرام معاهدة ألكاثوباس (Alcazobas) ليوم 4 سبتمبر 1479 والتي أصبح بمقتضاها الحق لقشتالة في "فتح" الجزر الخالدات وانفردت البرتغال "بحقها في فتح المغرب" ؛ وقد وافق البابا على المعاهدة المذكورة حسب صكه المؤرخ في 9 يونيو 1481.

وما أن تمكنت قشتالة من بسط نفوذها على جميع جزر الخالدات حتى بدأت تطالب بحقها في جزء من التراب المغربي مدعية أن معاهدة الكاثوباس قد فرضت عليها بالقوة.

ومرة أخرى تدخل البابا في النزاع الجديد وفرض على الطرفين الدخول في مفاوضات انتهت بعقد معاهدة "توردیسباس" ليوم 7 يونيو 1494 والتي بمقتضاها اعترف الملك البرتغالي خوان الثاني Juan II بحق قشتالة في "فتح" مدينتي مليلية وغساسة والاحتفاظ ببرج سانطاكروث ذي مارْبيكينْيا (Santa Cruz de Mar Pequeña) الواقع بناحية وادي نون المغربية.

وقد صادقت ملكة قشتالة إيسابيل الكاثوليكية (Isabel la Católica) على المعاهدة يوم 2 يوليوز من نفس السنة كما صادق عليها العاهل البرتغالي يوم 5 شتمبر.

والجدير بالذكر أن هذه المعاهدة الثانية بخصوص اقتسام المغرب بين البرتغال وقشتالة لم تكن هي الأخيرة، لأن قشتالة التي لم تحترم معاهدة الكاثوباس سنة 1479 لم يكن في نيتها احترام معاهدة توردیسیاس سنة 1494، فكانت معاهدة ثالثة أبرمت بمدنية "سينطرا" يوم 18 سبتمبر 1509.

Eleuterio Fernandez, *Historia de Tordesillas*, Valladolid, 1914 ; Rumeu de Arueg, *España en Africa Atlantica*, Madrid, 1957 ; *España Calpe*, t. 62, p. 957.

محمد ابن غزوز حكيم

تُورْزِيـن، نعال خفيفة معروفة في جنوب المغرب، وخاصة في منطقة سوس، تستعمل عندما يريد الإنسان أن يقطع مسافة طويلة مشياً على الأقدام. وتتكون هذه النعال من قطعة جلد متينة تسمى تَمْسِلْتْ يضع عليها الإنسان أخمص قدمه. وتُلصق بها خيوط من صوف يُدخلها الراجل بين إبهامه والأصبع الذي يليه، ويربطها على ظهر قدمه. والجدير بالملاحظة أن مثل هذه النعال الخفيفة معروفة في أماكن أخرى وبأسماء مختلفة : إبُورْكْسْنْ (دَادْس، وأيت بُوولّي)، إخْرْكَسْ (إنْفْضْواك)، أرْشَاصْنْ (أيت وراين). وبصفة عامة فمختلف هذه النعال منها ما هو بسيط (قليل الخيوط) وما هو معقد (كثير الخيوط).

تحريات ميدانية.

E. Laoust, *Mots et choses berbères*, Rabat, 1983, p. 131 - 132.

محمد حمام

توركوز، قبيلة صحراوية تنص مشجراتها على أن جدها وجّد أيد إگزمبو هو عبد الرحمان الركّاز سليل عقبة ابن نافع (W. Cheikh, 19 - 53). ونلاحظ بأن أولاد سيد أحمد الذين يمثلون إحدى أهم القبائل التوركوزية ينفردون بمقولة تجعل من الشيخ الإمام الحضرمي المرادي قاضي أبي بكر بن عمر اللتموني المرابط على أزوگي خلال القرن الخامس (11 م) جدهم الاسمي (W.O. Cheikh et B. Saison, *Vie(s)*, 60 note 43). فنستنتج بذلك تضارباً والتباساً يؤكده بما لا يدع مجالا للشك P.F. de Moraes Farias (*The Almoravids*, 856). وقد أظهرت التحريات الميدانية أن باقي قبائل توركوز أهل بركة وأهل عبد الرزاق والغواريب وأولاد تيگي يفصلون بين النسب كتصور ديني ونظامهم القرابي كحقيقة قائمة. وهي مسألة تقتضي مساءلة دورهم الاجتماعي كأهل علم وحملة كتاب يمارسون الانتجاع. نجدهم عبر القرون متنقلين بين القبائل القبلية متميزين بمقدرة علمية تؤهلهم للتأثير في مجال التنافس خاصة بين تكجانت وأولاد بو السبع وكنتة. إن الأحداث الكبرى من صراعات بين الزوايا وحسان يمكن أن نعتبرها مراحل لم تحل دون توركوز وتطوير أساليب تعايشهم شمال وجنوب الصحراء. فبقدر ما نجد شمس الدين الديماني الذي ترأس حرب شربّه التباري بين الزوايا وحسان خلال القرن الحادي عشر (17 م) يحرص على انتقال توركوز إلى سهلي آمدير الواقعين بين شنقيطي وأطار (H.T. Norris, *Saharan Myth*, 148)، نجد عوينة توركوز بمنطقة باني الأطلس الصغير تجسد قدرة هذه القبيلة على التساكن مع قبيلة أيت أوسا التكنية (انظر مادة أيت أوسا بالمعلمة). لقد تمكنت

كل فصيلة من فصائل توركوز من التعايش مع قبائل الضفتين كاشفة بذلك عن ميكانيزمات ومسالك لدرء خطر التفكك عن كيانها. وقد تمثلت المقدرة التحالفية لتوركوز ببلاد تكنة في التسرب إلى وعرون أغنى منطقة خلال القرن الماضي بوادي نون لتحظى هناك بحماية امبارك "التريكزي" (انظر مادة أهل التريكزي بالمعلمة). وقد تمثلت محاولات هذه القبيلة لاتقاء مخاطر أزمات نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن بالمغرب في الهجرة إلى الموانئ والمناطق الصناعية. وقد عملت الجماعات التوركوزية على تعزيز مكانتها وقدرات بعض عائلاتها المتميزة بالمدن التي أصبحت اليوم تمثل جزءاً من سكانها.

م. الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدبا، شنقيط*، 381 . 396 ؛
م. المختار السوسي، المعسول، 18 : 159.

A. Ould Cheikh, *Eléments d'Histoire de la Mauritanie*, CCF, Nouakchott, 1988 ; Id. et B. Saison, *Vie (s) et mort (s) de Al Imam Al-Hadrami, autour de la postérité saharienne du mouvement almoravide (11ème - 17ème S) : Arabica*, XXXIV, 1987, 48 - 79 ; P.F. Moraes Farias, *The Almoravids : Some questions concerning the character of the movement during its periods of closest contact with the Western Sudan, B.I.F.A.N.*, XXIX, 13, n° 3 - 4, 1967, 794 - 878 ; H.T. Norris, *Saharan Myth and Saga*, 148.

مصطفى ناعمي

* * وهناك واحة توركوز، وهي صغيرة بها مركز إداري بإقليم أسًا ـ الزاگ، جنوب جبل تيسوت، في منطقة يغلب عليها المناخ الصحراوي الجاف. وقد كانت قبل عام 1975، محطة للأرصاد الجوية والأبحاث البيولوجية، تابعة لكلية العلوم بالرباط. لا يخلو موقعها الجغرافي من أهمية استراتيجية لأنها جاءت في الطريق الوطنية الثانوية الرابطة بين أسا وطانطان. أهاليها يشكلون قبيلة توركوز المتفرعة عن المجموعة القبلية المسماة تكنة.

أنشطة البحث بكلية العلوم، (غير مطبوع).

أحمد بنجلون

تورمالين (أو الحجر الكهربائي). سيليكات معقد من البورق (B) وسلسلة من عناصر أخرى كالصوديوم (Na)، والألومينيوم (Al) والحديد (Fe)، والمنغنيسيوم (Mn) والكلسيوم (Ca)، حيث ينعكس هذا على تركيبتها الكيميائية الجد متنوعة :

$Al_6\ Y_3\ Na\ [(Si_6, O_{18})\ (BO_3)_3\ (OH, F)_4]$ ، ويمكن أن تكون Y منغنيزاً (Mg) أو حديداً ومغنيسيوم (Fe, Mn) أو ليتيوم وألومينيوم (Li, Al) ؛ نظامها البلوري موشوري سداسي، شكل بلوراتها موشوري أو إبري. كثافتها 3.3 . 3.3 ؛ صلابتها 7,5 . 7، ألوانها متنوعة وتترجم تركيبتها الكيميائية المختلفة، ومن أهمها سكورليت (Y = Fe, Mn) ولونها أسود، ودرافيت (Y = Mg) ولونها أسمر إلى أخضر، والألبيت (Y = Li, Al) ولونها أزرق ثم الرويليت (Y = Li, Al) ولونها وردي. لمعانها زجاجي.

تعد التورمالين من بين المعادن غير الأساسية التي كثيراً ما تجتمع إلى الأباتيت، والأرتوز، والمرو، والبريل والزبوجد، بالصخور الصهارية والتحولية. فنجد مثلاً سكورليت مرتبطة بالاعبل، والبجماتيت، والاركزة المروية، والنضيد الميكائي، والغنايس ؛ أما درافيت فتجدها في الصخور الكلسية، والدولومي، والنضيد المتحول ونشير إلى أن الصخور التي تتكون في أغلبها بالتورمالين تسمى التورماليتيت.

نجد التورمالين بالمغرب مرتبطة بالصخور الصهارية وعلى الخصوص الجرانيت والبجماتيت، والاركزة المروية الحرمائية، والنضيد التحولي، والصخور الرسوبية.

تعتبر التورمالين أحد أهم معادن التوْرق، حيث يستعمل هذا الأخير في الصناعات المعدنية والصيدلة وصناعة الزجاج وصناعة الجلد، والنسيج، والحكاك، والحفّار، والمتفجرات، وصناعة الألوان.

توريوم، رمزه الكمياني Th، وزنه الذري 232,12، وثقله النوعي 12,1. من أهم معادن التوريوم التوريت والتوريانيت والمونازيت.

1 ـ التوريت : هي سيليكات التوريوم $Th\ SiO_4$ مركبة من ThO_2 = 81,42٪ وSiO_2 = 18,58٪، وتشتمل على عناصر دخيلة كالأورانيوم (U)، والرصاص (Pb)، والحديد (Fe)، والكالسيوم (Ca)، والفوسفاط (P)، والألومينيوم (Al)، والتيتان (Ti). نظامها البلوي تربيعي ؛ بلوراتها على شكل أهوام ومواشير. ثقلها 4,4 . 4,7 ؛ صلابتها 4,5 . 5 ؛ لونها أسمر أصفر إلى أسمر قان، ليموني وأحيانا أسود ؛ لمعانها زجاجي إلى زيتي.

توجد التوريت في الصخور الصهارية كالسيانيت والبجماتيت، أو مُتموهة وممتزجة بثاني أوكسيد الأورانيوم (UO_2) وثاني أوكسيد الرصاص (PbO_2) في العزين.

2 ـ التوريانيت : هي أوكسيد التوريوم ThO_2، مركبة أساساً من ThO_2 = 100٪، وتشتمل أحياناً على عناصر دخيلة قارة كأوكسيد الأورانيوم (UO_2، UO_3، وU_3O_8) الذي يجعل من التوريانيت بلورات قوية الإشعاع. نظامها البلوي تكعيبي ؛ وشكل بلوراتها سداسي. كثافتها 10 ؛ صلابتها 6 ؛ لونها أسمر إلى أسود ؛ لمعانها شبه معدني.

مكمنها الأولى في كثير من صخور البجماتيت والكاربوناتيت، وفي بعض الرمال حيث نجدها مجتمعة إلى البلورات ذات كثافة عالية، كالزركون والجيكليت، والتوريت، والمونازيت.

3 ـ المونازيت هي : فوسفاط السريوم واللنتانوم والتوريوم $(Ce, La, Th)\ PO_4$ ؛ نظامها البلوي أحادي الميل؛ كثافتها 4,9 . 8,3 ؛ صلابتها 5 . 5,5 ؛ لونها أسمر إلى أسمر بنفسجي ؛ لمعانها زجاجي أو صَمغي.

تعد المونازيت من بين البلورات الثانوية لصخور الأعابيل المشتملة على الميكا السوداء (ليوتيت)، والبجماتيتات المرتبطة بها وكذلك بصخور الشارتوكيت حيث توجد المونازيت الغنية بالتوريوم بكثرة.

يستعمل التوريوم لتسيير المُفَاعلات النوية، وصنع

الاقواس الكهربائية، والخلايا الكهربائي ضوئية لأشعة ما فرق البنفسجية (U.V.)، وصنع أسلاك التنكستين الضوئية.

نجد التوريوم بالمغرب مجتمعا إلى الترابة النادرة في الرمال التابعة للاكادي بالأطلس الصغير، وكذلك في صخور الكربوناتيت المرتبطة لصخور السيانيت في تمازيوت بالأطلس الكبير (ميدلت).

عبد القادر بوصحابة

التُّوزاني، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني توزين الكرتية حيث كانت تعرف بأولاد الباز، غير أنها عندما انتقلت إلى تطوان صارت تعرف بالتوزاني، وهي نسبة شائعة على غير قياس، والقياس التوزيني وهو قليل كما سياتي. وكان من بين أفرادها بتطوان الفقيه محمد بن عبد الصمد التوزاني الذي كان يتعاطى خطة العدالة بالمدينة سنة 1305 / 1888، والفقيه أحمد بن حمو التوزاني الذي كان هو الآخر يزاول نفس المهنة سنة 1315 / 1897.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes* ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

التوزاني، الحسين بن أحمد، المعروف بـ"تُرينْت"، فقيه تخرج من مدرسة زاوية إيگرموّاس الشهيرة ببني توزين منذ العصر المريني (إيْرموّاس : *المعلمة*، 3 : 926). توصل بتعيينه قاضياً على بني توزين، وعلى فرقته بني بلعيز خاصة بتاريخ 5 رمضان عام 1292 /5 أكتوبر 1875، وهو جد الأسرة التي مازالت بالمكان والفرقة، معروفة بآل تُرينْت، بجوار بني محسن وإخمّالاً، جماعة إيگرموّاس.

وثائق خ. ح. بالرباط : كناش خ. ح. بالرباط رقم 682 / 79 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 92 ؛ خريطة طبوغرافية 1935.

التوزاني، حميدو (حميدة أيضاً) من جماعة بني ملّول على ما يظهر، فهي الجماعة الوحيدة التي ظلت متمسكة بحكمه طيلة مدة قيادته. ومن أوائل قواد بني توزين على عهد الحسن الأول، دلنا على ذلك اتساع نفوذه قبل التقليص الذي تعرض له في أوائل شوال عام 1301 / يوليوز 1884. نعرف الإطار الجغرافي لقيادته بناء على ما جاء في مراسلته بتاريخ 23 رمضان 1301 :

1) نصف فرقة إغْرِيبِّنْ : مداشر هذه الفرقة ممتدة من حدود فرقة بني بَلْعيز بجهة إيگرمّوّاس في اتجاه جنوبي شرقي عبر مساحة جبلية (طلعة تمرْزوگة 1.286 م ـ أزرو أمَحْلي 1.387 م ـ أدْرارْ الرّواضي 1.324 م). ويُدعى سكان تلك الجهات من الفرقة بإغْرِيبِّين الجبل. ولانعرف ممن هم داخلون تحت حكم حميدو سوى أولاد القاسم المستقرين بجوار جدهم سيدي بلقاسم بطلعة بوبَنْدُوزْ. منهم أهل إمسارْ. وانضاف إليهم بني بويري الجبل وإمَدِّيّون الجبل لوجود إخوان لهم بإغْرِيبِّن الوطا.

ويستمر توزيع سكان فرقة إغْرِيبِّن بانتشارهم على سفح جبل بني توزين أو الدير، حيث بني بويري الوطا إلى عزيب مضار ومجرى واد ملّول، مما هو داخل في إغريبِّن الوطا. وإذا علمنا أن فرقة إغريبِّن كانت مؤلفة من ثمان جماعات في أواسط شعبان عام 1309، فإن أربعاً منها كانت تحت نفوذ حميدو التوزاني، أغلبها في تجمعات أهل الدير أو الوطا.

2) قبائل الدير الشرقي من جبل تسافت، وتتكون من :

ـ أولاد إبراهيم بن علاّ (عليّ) : جماعة مستقرة على السفح الجنوبي من جبل عليّ أُبراهيم المشرف على منخفض تافرسيت (504 م)، منها إبَرْداعَنْ وتَرَمْزيتْ.

ـ بني ملّول : مستقرون بين بني بويري الدير وبني تعبان، من تجمعاتها أيت بولَبْضايَع. ولم تشر وثيقة 23 رمضان 1301 إلى بني بويري المستقرين بين جماعتي أولاد إبراهيم بن علاّ وبني ملّول.

ـ بني تعبان وبني عزيمان : مستوطنون بآخر الدير مما يلي الجنوب، مجاورون هناك لبني ملّون. تكونت الفرقة عام 1309 من خمس جماعات، أهمها بني عزّيمان.

وهناك أيضاً أولاد العلاّم الذين لا أثر لهم في التقسيم الإداري الحالي، مما جعل علينا توطينهم مستعصياً.

3) ثلث بني بلعيز : اسم الفرقة الكامل أيت حسن بن بلعيز، مداشرها موزعة على أعالي واد تمسمان (واد مقران). من أهم مراكزها إيگرموّاس. كان من نصيب حميدو الثلث من جماعاتها التي عدت سنة 1309 بست جماعات. ويعني هذا أن اثنتين منها كانت تحت نظره، لكننا لا نستطيع معرفة أسمائها بما لدينا من الوثائق.

سيفقد القائد حميدو جميع ما كان بيده من الجماعات المستقرة بجبل بني توزين : بإغْرِيبِّن الجبل، وبني بلعيز. وسيحتفظ فقط بالجماعات المستوطنة بالدير (أولاد إبراهيم ابن علاّ، بني ملّول، بني تعبان وبني عزّيمان)، نتيجة سعي نقيب زاوية بوجدّين المختار بن محمد البوجدّيني سابق الترجمة إلى رد حكم جبل بني توزين لابن عمه محمد بن محمد أمغار التوزاني آتي الترجمة وهذا هو ما تم في آخر شوال عام 1301 (14 شوال ـ فاتح ذي القعدة 1301).

وسيزداد نطاق قيادة حميدو تقلصاً بسبب تحرشات آل بوجدّين الذين أصبحوا خصومه الأساسيين، وفي مقدمتهم محمد بن محمد أمغار الذي سيجلب إليه ما تبقى من إغريبِّن الوطا وبني تعبان وبني عزّيمان. وفي آخر سنة 1301 أظهرت الوثائق أنه لم يبق بجانب حميدو سوى بني ملّول وأولاد إبراهيم بن علاّ (7، 11، 16 حجة 1301).

اختفت عنا أخبار التوزاني حميدو خلال عدة سنوات، ولم نعلم باستمراره في مهمته إلا في فاتح ربيع الأول عام 1306، بمناسبة عودة قسم من بني تعبان إليه فراراً من محمد بن محمد أمغار، لتتوارى عنا أخباره مرة أخيرة. ودل وجود بني ملّول تحت حكم أمغار عام 1309 / 1891 ؛ على أن

حميدو كان قد أبعد من السلك المخزني قبل ذلك. ونشير على سبيل الترجيح إلى تنحيته في آخر عام 1306، وهو التاريخ الذي عزل فيه الحسن الأول عدداً من قواد الريف (انظر البويفروري)، نتيجة إحجامهم عن المشاركة في حركة الغرب. وهذا مما حدث بالنسبة لجاره القائد محمد أمزيان التوزاني.

وثائق خ. ح. بالرباط؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 91. 92؛ *خريطة طبوغرافية* عام 1935؛ *رواية شفوية*، 1975.

التوزاني، سليمان بن يحيى المعروف بابن ستّهم. من فرقة بني بلعيز، ومدشر بني محسن، الواقع ضمن التقسيم الإداري الحالي بجوار فرقتي صوف وأيت تَريمْت، من جماعة إيگر موأس. لا نعرف أوكياته، من تاريخ وَلادته ووفاته حسب سرد البادسي، إذ أنه لم يعاصره. كما لم يغن تتبع أخبار معاصريه، أمثال أخيه زكرياء، وعبد الكريم بن ورشون ويوشعبان البادسي في شيء. ومع ذلك نبادر إلى التقدير أن الشيخ سليمان كان حيا خلال العقد الأخير من القرن السابع الهجري (13م)، استناداً إلى أن البادسي الذي كان حيا سنة 722 / 1322 أدرك بعض أصحاب الشيخ ممن أفادوه بأخباره أثناء تجوله بالريف في أوائل القرن الموالي، وإلى ما سيتضح من مشاركته في حملات الجهاد بالأندلس.

لم يشر البادسي كذلك إلى المصدر الذي استقى منه الشيخ سليمان أصول صلاحه ومسلكه في التصوف، وما إذا كان من المتأثرين بحركة الشيخ التمسماني أبي داود، سابق الترجمة. وكلُّ ما عرّفنا به في هذا الباب أنه وفق في تأسيس زاوية بمدشره بني محسن، معروفة باسمه، للقيام بالوظائف المعهودة للزاوية.

كانت زاوية بني محسن مركزاً لتعليم الصبيان، رتب بها شيخها الطالب المعلم عبد الكريم بن ورشون، كما كان بابها مفتوحا في وجه الطلبة والإخوان والفقراء من مريديها بقبائل الريف الشرقي. وثبت اتصال الزاوية برابطة الجنّ المنسوبة إلى أبي يعقوب البادسي الكائنة آنذاك بمدينة بادس. ويظهر من جهة أخرى أن الزاوية وصاحبها كانا معروفين لدى أهل زوايا الجنوب الغربي المغربي. فهذا هو ما يفهم من ورود جماعة حجاج المصامدة عليه، بعد أن تقدم إليه الخبر بقدومها لزيارته.

وسجل لنا عبد الحق البادسي مشاركة الشيخ سليمان وزاويته في حركة الجهاد الأندلسية المعروفة على العهد المريني، حين أشار إلى وجوده بقصر المجاز (القصر الصغير) ضمن جماعة المجاهدين من بني توزين. ومعلوم أن هذه القبيلة كانت أكثر القبائل الريفية ارتباطاً ببني مرين منذ أول أمرهم، وكانت مرجعهم لتزويد حملاتهم ضد تلمسان وفي اتجاه الأندلس.

وإذا كان تاريخ تلك المشاركة قد حجبه عنا ما نجهله عن عصر صاحب الترجمة، فإننا نعود إلى تقدير أن الشيخ سليمان بن يحيى كان من المشاركين في إحدى الحملات الأربع التي قادها يعقوب المنصور المريني إلى الأندلس خلال سنوات 674 و676 و681 و683. (*الاستقصا*، 3 : 39، 58). دون أن نرجح هذه أو تلك.

ومن تلك التواريخ نستطيع تقريب تاريخ وفاة الشيخ سليمان إلى أذهاننا. ويبدو أنه مات عن سن غير متأخرة، إذ أن منيته عجل بها الورم الذي أصابه في وجهه وعانى منه لمدة غير يسيرة. ونعود إلى جعل سنة 683 هـ، كنقطة للاسترشاد في معرفة نهاية حياة شيخ بني محسن سواء بالالتجاء إلى الزيادة أو النقصان. وتولى شؤون الزاوية بعده أخوه زكرياء.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 117؛ الناصري، *الاستقصا*، 3 :39؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 92؛ *خريطة طبوغرافية* 1935.

حسن الفگيگي

التوزاني، علي بن عبد الله بن أحمد بن علي، صوفي صالح، حفيد صنو مؤسس الزاوية الناصرية بمدينة تازا. لقيه سليمان الحوات بفاس، فأخذ عنه ولقنه الورد الناصري. وذكر في *الروضة المقصودة* (ص. 385) "أنهم (أي آل التوزاني) باقون على المحافظة على السنة والقيام بالطريقة الناصرية".

وقد علا كعب المترجم في الطريقة الناصرية، وفشا أمره بين الخاص والعام؛ فألف *رسالته في الطريقة الناصرية*. جاء ت هذه الرسالة على شكل وصية وجهها إلى مختلف أتباع الطريقة، يدعوهم إلى التمسك بطريقتهم الرامية إلى اتباع السنة وترك البدعة. ودعم كلامه بنصوص شرعية تحذر من التفرقة، وتدعو إلى الوحدة. وقد ألح على المحافظة على الصلوات في أوقاتها والإكثار من النوافل وتلاوة القرآن والاشتغال بالاذكار حسب الأوراد الناصرية المعلومة. وشدد على مجاهدة النفس والعزلة والزهد في الدنيا، وشكر النعم، واجتناب الحسد والطمع، وتحسين الظن بالله، كما لوّح إلى وجوب طاعة السلطان معضدا ذلك بأدلة وشواهد من الكتاب والسنة.

وفي القسم الأخير من الرسالة حذّر عليّ التوزاني من التردد في الانتساب، حيث ينبغي سلوك طريقة واحدة، ويدعو الفقراء إلى الابتعاد عن "الدجالين المحسوبين على الطريقة الناصرية". ملحاً على أخذ الإذن من أهل الطريقة، و"عدم الإحداث فيها مما ليس منها".

يتضح من هذه الرسالة أن المنتسبين إلى الطريقة الناصرية بدأوا يخرجون عن أصولها الأولى، ويرجع هذا إلى بداية الانحراف الذي أصاب الزاوية الأم بصفة عامة.

وفي شوال من عام 1212 / مارس - أبريل 1798، وفد عليّ التوزاني على السلطان المولى سليمان "فأعطاه خمسمائة ريال وخمسين شقة كتانا وأربعين طرفا من الملف، وأمره أن يبني داره بفاس" (*الضعيف*، 303). وفي عام 1232 / 1807

وصل نفس السلطان زاوية علي بن عبد الله التوزاني بهدية لم يذكر صاحب *الاستقصا* مبلغها (8 : 132).

ولم نقف على تاريخ وفاته في المصادر التي رجعنا إليها. ولكنه مات بعد عام 1232 / 1807.

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. عبد العزيز تيلاني ؛ علي بن عبد الله التوزاني نفسه، *رسالة في الطريقة الناصرية*، مخطوط خ. ع. الرباط، رابعة مجموع 2705 ك ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

أحمد عمالك

التوزاني، علي (الحاج.) بن **عيسى** بن ماخوخ، من صلحاء الريف الشرقي، مؤسس الزاوية المعروفة باسمه بجبل تسافت من قبيلة بني توزين. نعرف تفاصيل نسبه بما ورد في شجرة أولاد الحاج علي الماخوخي، المحفوظة بيد أحفاده، وبناء على ما أدلى به صاحب كتاب *التشوف الصغير* وما جاء في كتاب *أنساب العشماوي* وكتاب *زهرة الأخبار*، فهو علي بن عيسى (المكنّى أبا وكيل) بن موسى (المكنى ابن ماخوخ). وتوفي عيسى بواد زيز بعد أن خلف ولديه محمداً الذي بقي بموطن أبيه بينما فضل عليٌّ الهجرة، ليستقر في الأخير بقبيلة تمسمان من الريف الشرقي، تحت رعاية الشيخ محمد اليستيتني، مؤسس زاوية بجبل بني عيسى بن يحيى بمكان تازروت، فرقة الفوقي الحالية.

قصد علي بن عيسى تمسمان في شبابه لدوافع لجهلها، ولا يمكن أن نقول إن الهجرة تمت لغاية علمية، لأنه وصل إلى الزاوية أمياً، واكتفى في البداية بخدمتها، إلى أن أصبح أقرب خدام الشيخ محمد اليستيتني إليه، ثم أتاح له وجوده هناك تعلم الكتابة والقراءة والشروع في حفظ القرآن، ولم يتم حفظه إلا في كبره بشهادة زوجته المطالسية. والثابت أنه غادر الزاوية إثر وفاة شيخه، إذ أنه كان حاضراً حين لفظ اليستيتني أنفاسه الأخيرة في تاريخ نجهله نتيجة عدم اهتمام عبد الحق البادسي بتسجيل تواريخ من صادفهم من الطلبة والصلحاء. ونعلم من جهة أخرى أن القرار لم يستقر بعلي بن عيسى إلا بعد أوبته من الحج واتصاله بالشيخ يوسف الأقْصُري بمصر.

وإذا كنا لا نعلم تاريخ عودة علي التوزاني من المشرق وأسباب استقراره بجبل تاسفت، فإننا متأكدون من أنه كان في عام 685 / 1286 قد أسس زاويته، وأصبحت معروفة في أنحاء الريف الشرقي والغربي، تعج رحابها بالفقراء. وفي هذا التاريخ زار الحاج علي يحيى بن حسون البادسي، خال صاحب *القصد الشريف*. ولم يتأخر عبد الحق البادسي عن زيارة الشيخ علي خلال السنة الموالية.

أسس الحاج علي زاوية بأعلى جبل تاسفت، على بقعة واقعة غرب قمة إسْراخْ (1327 م) مشرفة على واد عبد الكريم الحالي، مما يقابل قمة جبل قَشْ قَشْ. ومبناها جد بسيط، كان على عهده مؤلفاً من مسجد ومرافق أخرى متصلة به، أنشئت استجابة لوظيفة استقبال الزائرين، ثم أضيف إليها ضريح الشيخ علي. وخارج المبنى وبالقرب منه وجد مسكنه.

لم يسمح تكوين علي بن عيسى المتواضع في مجال التصوف بتميزه عن غيره من صلحاء عصره. فلم يخرج عن طريقة الإكثار من التعبد والصيام والزهد في الدنيا، إلى أن أصبح صاحب كرامات. وبقي على تلك الحال إلى حين وفاته قبل عام 711 / 1311 وهو التاريخ الذي أنهى فيه عبدالحق البادسي قسم التراجم الخاص بصلحاء الريف.

وقد حافظ أولاد الحاج علي على مكانة زاوية جدهم، وتكون حولها مدشر لا يزال يدعى أولاد الحاج علي المخوخين. وتوجد بأيديهم شجرة نسب شرفهم، مؤرخة بعام 1245 / 1829 أصدرها في حقهم السلطان عبد الرحمن بن هشام، وعليها طابعه.

شجرة أولاد الحاج علي الماخوخي ؛ ع. الصومعي التادلي، *التشوف في رجال السادات أهل التصوف* (التشوف الصغير) ؛ أ. التلمساني، *زهرة الأخبار في كنز الأسرار* ؛ مجهول، *أنساب العشماوي*.

التوزاني، محمد بن **أحمد**، أحد أفراد أسرة بوجدّين ونقيبها بعد ابن عمه بوجدين المختار بن محمد، سابق الترجمة. كان في عام 1309 / 1891 قد قضى عدة شهور في نفس المهمة. ففي ذي القعدة من نفس السنة كان بفاس، ولكنه عاد سريعاً بمجرد علمه بتوجه المحلة إلى الريف، ليكون معيناً لها على استيفاء الواجبات المخزنية (26 ذي القعدة عام 1309). وبذلك عول عليه ابن عمه القائد محمد ابن محمد أمغار التوزاني سنة 1310 لمساعدته على جمع أداءات بني توزين، كما تبينه المراسلة التي تمت بينهما. (2 ربيع الثاني عام 1310). ولم نتوصل إلى معلومات عن صاحب الترجمة بعد ذلك التاريخ.

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ كناش خ. ح. بالرباط، رقم 185.

التوزاني، محمد أغاي، حسبما سجلته الوثائق المخزنية، ربما من اللفظ التركي آغا. وحسب ما توصلنا إليه من الرواية الشفوية (علال لعبيش بمضار عام 1975)، فإن ضبط النطق باللقب هو غايُ. ينتمي صاحب الترجمة إلى إغَـرْبِيّـن الوطا المستقرين حول عزيب مضار. ظهر أول مرة بمراسلة مؤرخة في 5 ذي الحجة عام 1313 / 1895. ففيها تبيّنت الطريقة التي توصل بها إلى تعيينه قائداً. إذ حمل إغـرْبِيّـن الوطا، أهل مضار، وآل زاوية سيدي يحيى المرابطين، من إغربيّن الجبل، للتمرد على القائد محمد بن محمد أمغار، لأسباب غير ظاهرة. وتمكن من قيادة وفد ضم أعيان الجماعتين، زار به الحسن الأول، وعاد بظهير تعيينه، قبل وصول الشهادة السيئة التي حررها في حقه مولاي عرفة مبعوث السلطان المولى عبد العزيز للنظر في أحوال الريف.

وتعود أولى مراسلات محمد أغاي إلى فاتح ربيع الثاني عام 1314 / 9 شتنبر 1896، الدالة على أن تعيينه شمل أيضاً بني بويري، أهل الدّير الذين كانوا آنذاك في نزاع مع أهل تافرسيت على عهد قائدها عبد السلام بن سلام التافرسيتي، بتحريض من القائد محمد أمغار (11 رمضان 1314). وتورط محمد أغاي في نزاعه مع بني بويري، مما كان يريده له منافسه (9 رمضان 1315) ولم ينفع تدخل الحاج حمّ الوليشكي، خلف أمغار، مما تطلب لردهم للإذعان إلى الاستعانة بقوات تافرسيت وبني وليشك. وآخر ما نعلمه عن محمد أغاي ما حملته رسالة 29 محرم عام 1318 / 29 ماي 1900.

وثائق خ. ح. بالرباط : *ضابط الأمور الوطنية*، 92 ؛ *رواية شفوية*، 1975 ؛ *خريطة طبوغرافية*، 1935.

التوزاني، محمد أمزيان بن حدو بن عمر. قائد من فرقة إغربيّن الوطا، تعرفنا عليه بواسطة مراسلته المؤرخة في 23 رمضان عام 1301، كان آنذاك قد قضى وقتاً في مهمته. وربما كان قبل شوال عام 1301 قائدا على نصف إغَرْبيّن وثلثي بني بلعيز مما تبقى عن القائد حميدو التوزاني السابق الذكر، إذ أننا نجده في نفس المراسلة يشتكي من المختار بوجدّين وتدخله فيما تحت نظره. وأخبرت مراسلة الحسن الأول المؤرخة في 16 ذي الحجة عام 1301 اقتصار نفوذه على أهل الدير إلى جانب جاره حميدو التوزاني، يفصل بينهما سوق خميس عزيب مضار.

ونعتقد أنه كان بيده جماعة بني بويري الوطا، إذ أنها لم ترد ضمن ما كان في حكم القائدين المعاصرين له، حميدو ومحمد بن أمغار. ولا ندري ما إذا كان له حظ في إغربيّن الوطا.

تقع جماعة بني بويري الوطا، تمييزاً لها عن بني بويري الذين بالجبل، على الدير الشرقي من جبل تاسفت، بين أولاد إبراهيم بن عملاً وبني ملّول الذين كانوا بيد القائد حميدو. تبدأ مساكن الجماعة من أدْرَارْ الرّواضي لتتوزع على مجريين هما : واد إسْرَنْ وواد تَعْمامْت المتصلين بواد ملّول. من مداشرها أيت وعْلاتَن وأولاد مْحَنْد أُفارِسْ وإغْرِبَن (الغرباء).

اختفت عنا أخبار محمد أمزيان إلى غاية جمادى الثانية من عام 1306 / فبراير 1889، وهو التاريخ الذي أخبر فيه بتأهبه للمشاركة في حركة الغرب التي حتمت على قواد الريف كافة الحضور إلى فاس في أوائل شوال السنة. وأغلب الاعتقاد أن أمر العزل قد شمله أيضاً، سيما وأننا وجدنا أهل بني بويري سنة 1309 / 1891 بيد محمد بن محمد أمغار البوجدّيني.

وثائق خ. ح ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 91، 92 ؛ *خريطة طبوغرافية* 1935 ؛ *رواية شفوية* 1975.

التوزاني، محمد بن علال، فقيه ومرابط، نقيب أسرة مرابطي زاوية سيدي يحيى التوزانية الكائنة بفرقة بني بَلْعيز، مشيخة إغَرْبيّن الجبل، بجوار إمدّيوَن وبني بويري الجبل. تاريخ هذه الزاوية غير معروف لدينا. وحسب تقييد أواسط شعبان سنة 1309 / 1891، فإن جماعة أيت يحيى كانت مؤلفة من مدشرين، مما دل على قدم وجود الزاوية بالمكان.

ظهر صاحب الترجمة بالوثائق المخزنية في ثلاث مراسلات، حررت كلها في منتصف ربيع الثاني من عام 1307 / 1889، متعلقة بالشكاية التي قدمها نقيب الزاوية محمد بن علال إلى السلطان الحسن الأول من قائد العسكر محمد بن الفقيه البخاري، آنذاك ببني توزين في ضمن قوات المحلة المخزنية سنة 1307، وذلك إثر إقدامه على خرق حرمة الزاوية بإخراجه منها شخصين كانا محترمين بداخلها، بدل الترصد لهما خارج بنايتها، مثلما جرت العادة بذلك. وقد أعاد السلطان الاعتبار للمرابط محمد بن علال والحرمة لزاويته بتوبيخ القائد البخاري على فعله. (منتصف 15 و16 ربيع الثاني 1307).

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ *كناش خ. ح.* بالرباط، 682 / 72 ؛ *خريطة طبوغرافية* سنة 1935 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 90.

حسن الفكيكي

التوزاني، مَحمد بن علي. وقد نبه سليمان الحوات على هذه النسبة على غير قياس في *الروضة المقصودة* (381) بقوله : "حذفت الباء لالتقاء الساكنين، وفتحت الزاي لمناسبة الألف". وهذه النسبة بالألف هي الجارية على الألسنة، والقياس أن يقال التوزيني، نسبة لبني توزين، بالزاي بعد الواو. ويعرف رهط هذا الشيخ فيهم بأولاد المقري، وهو بيت قديم في العلم وتجويد القرآن والقيام على تلاوته مع الدين المتين.

أخذ محمد بن علي التوزاني عن الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر الدرعي، وكان من كبار أصحابه وأتباعه قولا وفعلا، حتى صار من كبار مقدّميه في تلقين الأوراد. ويذكر نفس المصدر أنه كان : "متمسكا بالسنة مجانبا للبدعة، كثير الصلاة والتلاوة". (م. س. ن. : 382).

ومن المرجح أن محمداً التوزاني هو الذي نقل الطريقة الناصرية إلى تازا، وهو مؤسس الزاوية هنالك.

توفي سنة 1151 / 1739 بمدينة تازا، وضريحه بها معلوم. وبعد وفاته عهد بالخلافة إلى ابن أخيه الشيخ عبد الله بن أحمد بن علي التوزاني المتوفى سنة 1164 / 1751. وإثر وفاة هذا الأخير قام مقامه ولده الشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد بن علي المتوفى سنة 1193 / 1780، ثم عهد هذا الأخير لأخيه علي بن عبد الله بن أحمد بن علي التوزاني (م. س. ن. : 385).

س. الحوات، *الروضة المقصودة*، تح. عبد العزيز تيلاني، رسالة د. د. ع. مرقونة.

أحمد عمالك

التوزاني، محمد بن محمد أمغار، ولاه الحسن الأول القيادة بمساعدة ابن عمه بوجدّين المختار بن محمد مقدم زاوية بوجدّين على جماعات من بني توزين مستقرة بجبل تاسفت، الداخل ضمن فرقة إغربيين الجبل، منها أولاد الحاج علي ماخوخ التوزاني، وأولاد العالي، وبني يحيى، وذلك ما بين 1301 / 1883 و1303 / 1885. ومنذ هذا التاريخ الأخير انتزع من جاريه حميدو التوزاني ومحمد بوزيان التوزاني جماعتي بني تعبان وبني عزيمان المنتميتين إلى فرقة إغربيين الوطا. ولهذا كثرت نزاعاته مع القائدين المذكورين وحليفهما العربي الوليشكي، قائد بني أوليشك. ولقاء هذه القيادة كان يدفع للجانب المخزني كلما حلت مناسبة عيد من الأعياد الدينية خمسة وعشرين ريالاً، ويجمع من المؤونة نصف مد من الشعير، وربع دقيق، وأربع أواق من السمن وفرنكاً واحداً لكل دخان (كانون). وابتداء من سنة 1310 / 1892 غابت عنا أخباره لنجده سنة 1313 / 1895 في نزاع مع جيرانه، خاصة مع محمد أغاي التوزاني، خلف حميدو التوزاني ومحمد بوزيان على إغربيين الوطا ومن ورائه أهل تافرسيت وبني أوليشك، إلى أن علمنا بالقبض عليه على يد الحاج حمُّ الوليشكي وأودع سجن فاس العليا. ومن هناك وجه رسالة شكوى للوزير أحمد بن موسى، وهي مؤرخة بخامس عشر رمضان عام 1315 يطلب فيها النظر في قضيته والتعجيل بتسريحه.

مراسلات مخزنية خاصة : ضابط الأمور الوطنية، 92.

حسن الفگيگي

التوزاني، مَحمد (الحاج.) بن **ميمون** الوليشكي الأصل، عالم صوفي مجاهد ولد سنة 1301 / 1883 بميضار الأعلى، وهي بلدة محاذية لجبال بني توزين بالريف الشرقي، تبعد عن ميضار بسبعة كيلومترات (حوالي 70 كيلومتراً غرب مدينة الناظور)، وكان يقول عن ميلاده : "أسيرُ أنا والقرن سواء". من سلالة سيدي الورداني الموجود ضريحه بقبيلة بني وليشك، ويسميه العامة : "سيدي الحاج مَحمد". تلقى دراسته القرآنية في بني توزين وبني وريغل على يد شيوخ القراءات، يذكر منهم الفقيه السيد الحاج بن هدّي العزّماني، والفقيه السيد محمد المرنيسي (المتوفى عشية يوم الجمعة 3 عيد الفطر 1332)، والفقيه محمد بن مُنَى الملقب بـ"موزّور"، أي الغليظ. ثم رحل إلى جبالة، حيث تتلمذ على الشيخ أحمد بن يرمق السوماتي بعين بيضا وهو الذي أمره بالتوجه إلى فاس لدراسة العلم (تواريخ منقولة عن قصاصاته المحفوظة في خزانته). وفي سنة 1327 / 1909، رحل إلى فاس صحبة رفيقه الشيخ علال التنوتي، ثم التحق بهما رفيق ثالث هو السيد الحاج ميمون بن محمد الشرقاوي، الذي سيصبح فيما بعد شيخ الطريقة الدرقاوية بالريف، بعد أن نصحه شيخه السيد البودالي بتلقي مبادئ العلوم في جامعة القرويين (راجع كتابنا، *الطريقة الدرقاوية ببلاد الريف*).

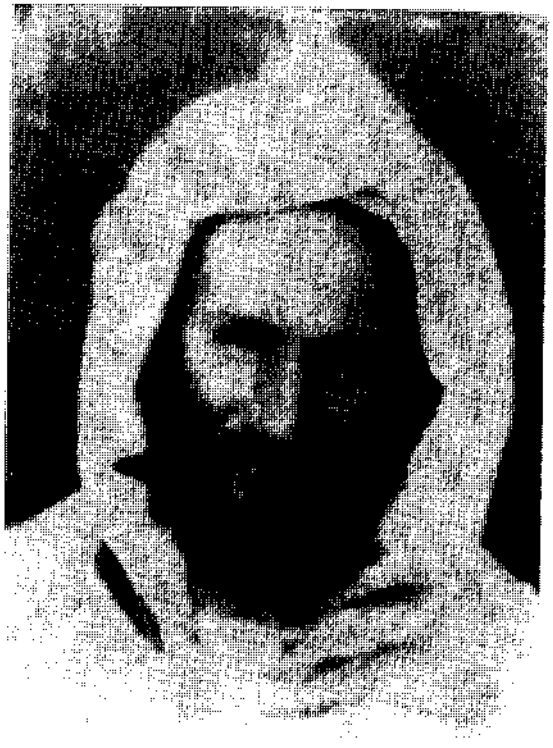

من اشهر أساتذته بالقرويين الذين يذكرهم في كتاباته : شيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزگاري الحسني، صاحب *الحاشية على شرح الإمام الخرشي لفرائض الشيخ خليل*، والشيخ إدريس المراكشي إمام القرويين والشيخ مولاي أحمد المزواري والفقيه أحمد العلمي، ثم العالم محمد الشريف بن علي المومناني المشهور بالتگناوتي.

عن هؤلاء وغيرهم كان يتلقى المعارف السائدة في ذلك الوقت، من فقه ونحو وفرائض وتوقيت وصرف وبلاغة وحساب وحديث وتوازل وتفسير.. وحتى مبادئ علم الأوفاق وأراجيز في الطب والأدوية، طوال سبع سنوات. ولاتزال خزانته تحتوي على العديد من القصاصات والمخطوطات التي كان ينقلها عن هؤلاء الأساتذة، أحيانا بخطه، وأحيانا بخطهم الأصلي.

وفي منتصف ليلة الخميس، فاتح ربيع الثاني عام 1333 / 16 فبراير 1915، التحقت روح والدته فطوش بنت الفقيه السيد محمد أمياي بباريها لتضع حداً لإقامته بفاس، ويعود إلى جانب والده وإخوته.

ففي 7 جمادى الثانية عام 1329 / 5 يونيه 1911، عند احتلال فرنسا لفاس، وهو طالب بها يومئذ، كتب إلى والده يقول : "تعلمكم أن مدينة فاس قد اكتنفها العدو وأحاط بها، وجميع أهلها يأتون إليه ويسلمون عليه كل صبيحة، وتحرك الأمير بقوته، وشاع الغلاء في السوق وتفدت المؤونة وكل ما نشتهيه إلا وندفع الدراهم فيه".

وفي يوم خميس من السنة التالية 1336 / 1917، التقى برفيقه الشيخ الحاج ميمون بن محمد بن محمد بن عمر الملقب بأشرقي الذي تلقى إذناً من شيخه البودالي بتأسيس

فرع جديد للطريقة الصوفية الدرقاوية فاندفع معه بصورة كلية في هذا المنحى وأخذ ينشر الطريقة في مختلف البقاع حتى عمت معظم مناطق الشمال، وبسبب جهودهما برزت إلى الوجود نواة حركة صوفية جديدة بالريف الشرقي.

في هذه الأثناء التي كان فيها التوزاني مندمجا في طريق التصوف كانت فيالق الجيش الإسباني آخذة في التحرك إلى الغرب انطلاقا من مليلية، ولمجرد وصولها إلى أطراف قبيلة "مطالسة" سنة 1338 / 1919، أقامت معسكراً في موضع يعرف بـ"الجرف الأحمر" (تيوْرِينْ تزوّاغينْ)، وقد ذهب التوزاني لمشاركة المجاهدين في المعارك التي سبقت سقوط المعسكر سنة 1339 / 1921 بحوالي خمسة وأربعين يوماً. وكان التوزاني يتابع باهتمام تطورات الزحف الإسباني على أراضي الريف الشرقي، ومما سطره قلمه عنها في قصاصاته : "دخل الجيش الإسباني بلاد الريف بقبيلة مطالسة وأطراف بني توزين وقبيلة تافرسيت في عام 1338 / 1920 وفي أول عام 1339 / 1921 دخل قبيلة بني أوليشك وبني سعيد في يومين. وفي آخر هذا العام في شهر ذي القعدة خرج من قبائل الريف كلها، وكان أول خروجه في 15 من الشهر المذكور (21 يوليوز 1921). وفي يوم السبت خرج من تافرسيت وعزيب ميضار والعبابدة وبني سعيد وبني أوليشك، وبقي في بعض المواضع إلى صبيحة يوم الأحد، وفي بعضها إلى يوم الأربعاء 20 ذي القعدة، وهو قصبة سلوان، وآخر مكان بقي فيه هو :"أعروي" بين بني يوحيي وقلعية، حيث أخذه المسلمون يوم الثلاثاء ثالث ذي الحجة عام 1339 / 8 غشت 1921، ورجع عدو الله فدخل بلاد الناظور بقلعية في شهر محرم عام 1340، ووصل العبابدة في صبيحة الاثنين 19 شعبان، ونصب أنواع المدافع الصغيرة والكبيرة فيها نحو ثلاثة أشبار ونصف الشبر في رأس قذيفته.

وأخذت طائراته تقصف جميع الأسواق والديار والجبال وغير ذلك، وعدد العساكر التي جاء بها لقبائل الريف، أربعون ألف جندي، كلهم نصارى. وأما عدد المسلمين الذين دخلوا في حكمه فيقدّر بتسعة آلاف بوليسي.

وبعد التحاق الشيخ التوزاني بجيش المجاهدين، بأقل من شهرين، منيت الجيوش الغازية بواحدة من أشنع وأفظع الهزائم التي عرفها الاستعمار على الأرض، وهي هزيمة "أنوال" الشهيرة الواقعة في صيف 1921، في نواحي "أنوال" و"إغريبن" و"أبَران" و"مضار" وتافرسيت ودريوش وأعروي والناظور، وما إليها من المواقع. ثم أخذ سلاح الجو الإسباني في الانتقام، فطفق يصب جام غضبه على القرى والأمصار الآمنة يدكها بالقنابل والقذائف والأسلحة الكيميائية السامة.

استقر الحاج مَحمد التوزاني في البداية بقرية إمزيرن، الواقعة بحجرات القضا، على الحدود الفاصلة بين بني توزين وجزناية، حيث ولد له ابنه الأكبر محمد يوم الأحد 10 جمادى الثانية عام 1341. وخفت الحرب فانطلق التوزاني من جديد إلى تخميرت الواقعة على بعد حوالي 300 كلم داخل التراب الجزائري، لاستكمال مراحل الترقي الروحي، لدى الشيخ البودالي الذي هو التلميذ المباشر للصوفي المغربي الشهير الهبري الكائن قبره بأحفير.

وهناك بتخميرت كان عليه أن يتفرغ لما يعرف بعبادة الخلوة، مدة ستين يوما وليلة "منقطعاً عن الخلائق، متجرداً من العلائق، متحرراً من العوائق إلى أن تنبثق الحقائق".

وبعد عودته إلى حجرات القضا إذا به ينتقل إلى بلدة مجاورة هي إيّارْ أحْذوذْ، من أعمال جزناية أيضاً، حيث لازم مسجد سيدي بوزيد بقرية تمجونْت، فأقبل على إرشاد الناس وتعليمهم آداب السلوك وفرائض الدين وسننه، وكان يعطي الأوراد للفقراء والفقيرات الذين هبوا من جميع المناطق، فذاع صيته وكثر رواده وأتباعه حتى بلغت أصداؤه إلى مسامع محمد بن عبد الكريم الخطابي في أجدير فاستدعاه إليه.

لم تهدأ الحياة في إيار أحذوذ الذي بدأت تبسط عليه فرنسا سيطرتها، وأخذ الجيش الفرنسي يقصف نواحي جزناية بشدة، فنزح التوزاني من جديد بعائلته إلى موضع يعرف بسيدي علي بن داود، داخل أراضي مرنيسة، ولكن القصف قد سبقه إلى هناك أيضا، فمكث نحو تسعين يوماً، ثم قفل عائدا إلى مضار، وقال : مادام العدو موجوداً في كل مكان، فمن الخير أن يلوذ المرء بمسقط رأسه، وذلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها واستولت الدولتان على مجموع أرض الوطن.

لم ينج التوزاني من مضايقة سلطات الحماية عندما تولى القيادة محمد علال أُمْحنْد على القبيلة.

يُعدّ الإفتاء والتدريس والخطابة والطريقة من المشاغل الرئيسية التي قضى فيها التوزاني بقية حياته منذ إنهاء دراسته، فلم يتول قضاء ولا عدالة ولا سلطة معينة. وفيما يخص الإفتاء كانت فتاويه بمثابة أحكام عامة وكان القضاة يستندون إليها قدر إمكانهم، فيكتبون حولها عبارة : "قد تكفل المفتي أعلاه بما ليس الرجوع إلا إليه".

وتنوعت مهمة التدريس عند التوزاني نوعين : فهناك التدريس الخاص الذي كان يمارسه في المساجد، خاصة في مضار الأعلى منه والأسفل، حيث تتلمذ عليه العديد من المثقفين، منهم الفقيه العدل السيد بناصر الباز، والفقيه أحمد الطاهر الوليشكي، والفقيه بلحاج المرنيسي، والعالم محمد بن الراضي شوحو. وهناك التدريس العام الذي كان يمارسه أينما حل وارتحل، فإذا شرع فيه ساد السكون والطمأنينة الأشهاد، وأفرغت الأسماع والقلوب إليه، فكأنما يحفر حديثه فيها حفراً. كانت الخطابة تسير مع التدريس في جوامع الخطبة التي يتولى ملازمتها.

أما الطريقة فقد رأينا بعض خطوطها العريضة من قبل، وتكفي الإشارة إلى ما كان يروي عنه معارفه من تطبيقاتها السلوكية. وقصته مع العالم الفقيه السيد محند أوزيان مشهورة بالريف.

يتمتع الحاج مَحمد التوزاني بمكانة مرموقة في الحقل الثقافي بالريف الشرقي، تتجلى في وفرة آثاره، فقد كان كثير المطالعة والاستنساخ للمؤلفات الفقهية والصوفية واللغوية.

تشمل تآليفه الفتاوى والتعاليق وأدب الرحلات ومتنوعات.

تتناول الفتاوى مختلف أوجه الحياة من عبادات ومعاملات، أشهرها : ـ فتوى تتعلق بتحريم المخدرات عامة. وكان قد كتبها أساساً في شأن "الدخان"، وله أيضا فتوى حول الأمانة ومسؤولية من أودعت لديه ؛ وفتوى حول إمامة المعطوبين في الصلاة.

تشكل التعاليق تأويلات وتصويبات توضع على حواشي المؤلفات الفقهية واللغوية وغيرها، إنها شرح لشرح آخر، ويمكن تقسيمها إلى قسمين : تعاليق يقصد بها التركيز على معنى للاستفادة والانتباه إلى المغزى من الموضوع. وفي هذه الحالة يضع سطراً على المعنى المقصود ويشكله ويشير إليه في الهامش بما يدل على فائدته أو الحث عليه ؛ وتعاليق يقصد بها الشرح والتمحيص أو التصويب. وأهم ما نذكر هنا : *حاشيته على شرح ابن كيران لمنظومة ابن عاشر في قسم التوحيد منها*. ومنها *إيضاحات وتصويبات* كثيرة، بعضها موضوع من قبله، وبعضها الآخر منقول عن مؤلفين آخرين، وهي في حجمها تكاد تعادل حجم الكتاب الذي وضعت عليه.

وفي سنة 1347 قام برحلة إلى الديار المقدسة، صحبة وفد من أصدقائه الحجاج يتكون من سبعة أشخاص. وكتب في ذلك *رحلة* حجازية سجل فيها جميع تفاصيل الحياة اليومية لهذا الوفد وما سمعه وما رآه من مظاهر وأحداث بشكل دقيق، منذ خروجهم من الزاوية التي اجتمعوا بها يوم الخميس 9 شوال 1347 إلى تاريخ عودتهم، مارين بالمغرب العربي والبحر ومصر والحجاز. ووصف مظاهر الحياة في تونس التي أقام فيها أسبوعين ونظام الدراسة في جامعة الزيتونة.

وتعرف في السفينة على كبار علماء تونس، منهم قاضي عمالة تونس محمد بن عبد الغفار من الطريقة التجانية والمكي الحفناوي بن عبد الحفيظ من الطريقة الرحمانية، ومحمد المدني مقدم الطريقة العليوية بتونس. فتحولت السفينة بطبقاتها الثلاث إلى حلقات للدروس والمذاكرة في مناسك الحج والحضرة والأذكار وتلاوة القرآن. وفي الرحلة معلومات كثيرة عن مآثر مكة والمدينة وجدة وتونس. كما أورد فيها قصة ريفيين ذهبا مشياً على الأقدام طوال عشرة أشهر من بني ورياغل إلى مكة. أما المتنوعات ففيها تحقيقات لغوية وتقييدات لوقائع حدثت في زمنه وتسجيل لغرائب للعبرة. ورسائل متداولة مثل *رسالة الشيخ الهيري ورسائل من الشيخ البودالي ورسائل كثيرة من رفيقه الشيخ السيد الحاج ميمون الشرقاوي*. وضع تلخيصات فقهية كثيرة وأحاديث وقصائد صوفية وأدعية ورسائل الشيخ ابن عجيبة وحكم مأثورة وكتب في الترغيب والترهيب وكتابات علاجية ونصائح طبية.

توفي الحاج مَحمد التوزاني صباح يوم الخميس 15 رمضان عام 1362 / 16 شتنبر 1943، على الساعة التاسعة والنصف. ودفن بمضار الأعلى. عثر في محفظته يوم مماته على مبلغ نقدي يعادل سبعين سنتيماً، وكانت زوجته الحاجة فطوش تسأله : ماذا تركت لأولادك فيشير إلى مكتبته قائلا : "تركت لهم خيراً كثيراً".

مؤلفات التوزاني المخطوطة المحفوظة في خزانته ؛ *مستنسخاته* ؛ *تقييداته للأحداث والوقائع* ؛ عبد الله عاصم، *أصل الطريقة الصوفية الدرقاوية في أقاليم الريف*، الرباط، 1984 ؛ *صراع القبائل*، مركز الاتحاد كتاب المغرب ؛ *روايات شفوية معاصرة* ؛ م. ع. حكيم، *معارك الثورة الريفية* ؛ *معركة أنوال*.

R. Forman, *Le rêve d'Abdelkrim, esquisse d'histoire marocaine* ; Benoist - Mechin, *Lyautey l'Africain, ou le rêve immolé*.

عبد الله عاصم

التوزونيني، مبارك بن الحسين، قائد المقاومة في تافيلالت فيما بين عام 1332 و1337 / 1914 و1919. يقول عنه المختار السوسي : "الثائر المشهور في تافيلالت وبه خرجت القوات الفرنسية منها بعد احتلالها لها أكثر من سنة" (*العسول*، 16 : 263). هو حفيد محمد بن أحمد بداح من قرية توزونين بقبيلة أقّا، من أسرة فقيرة بها. غادر بلده لينضم إلى فقراء زاوية إلغ عام 1323 / 1908 ومقدمها الشيخ مولود اليعقوبي. وأظهر التوزونيني اجتهاداً في العبادة والأذكار، ولربما باسط الفقراء بقوله : "لا بد أن أكون سلطانا".

التحق مع جماعة من إخوانه الفقراء بحركة أحمد الهيبة، وعرف أسباب هزيمة الهيبة بمراكش وهو اغتراره بالأبهة وخيانة القواد الكبار. فغادر التوزونيني مراكش وتنقل بين البلاد ثلاث سنوات إلى أن حل بتازارين قرب جبل صغرو، ثم توجه إلى واد الرگ في اتجاه تافيلالت تحت خفارة أهل ذلك الواد من سكان أيت عطا السود (إملوان) فنزل هناك في قبة محمد أُويْفروتن، فكان يعظ الناس حتى أُعجبوا به لأنهم وإن كانوا غير قارئين فإن كراهة الكفر متأصلة فيهم، فصاروا يأتونه بالأعشار، فذاع صيته وصار يستنهض الناس لإعلاء كلمة الدين وينذد بأيت عطا الذين فرطوا في تافيلالت حتى وقع احتلالها.

أحاط التزونيني نفسه بهيبة ولقب نفسه بـ "أويْفروتن" ومعناه بالأمازيغية صاحب القول الفصل في المشاكل والمنازعات. ونظر إليه خدامه من إملوان بأنه "المهدي المنتظر". وكل ذلك من جانبه خلق الشروط الضرورية لقيادة الجهاد، وهي شروط لا تتأتى في ذلك الظرف إلا إذا آمن أصحابه بأنه يستطيع خرق العوائد. وكان سلوكه ينمي تلك الاعتقادات، ومن ذلك أنه كان إذا أتته هدايا من الناس أعاد توزيعها على المحتاجين.

كانت بعثة عسكرية قد حلت في تافيلالت عام 1916،

ولما كان عام 1918، قام التوزونيني بتكليف أحد أعوانه باغتيال حاكم تافيلالت الفرنسي آنذاك وهو الضابط المستعرب أ'وستري Oustry وذلك يوم 3 يونيو 1918. وانطلقت من ذلك الحين المقاومة التي نظمها لتشمل واحات تافيلالت وزيز وغريس وفركلة وتدغة ودرعة. وكانت هذه الحركة تخالف في حقيقتها الصورة الشوهاء التي قدمتها بها كتابات المستعمرين الذين ركزوا على أنه "مغتصب سائب ادعى أنه مبعوث بإذن إلهي ليطرد النصارى وأحاط نفسه بما بين ثلاثمائة وأربعمائة من قطاع الطرق البؤساء من قبائل أيت عطا وأغراهم بالسحر والشعوذة" (Spillman, *Aït Atta du Sahara...*, p. 99).

ومن الفقهاء من اتهم هذا المجاهد بالتدجيل متجاهلا أهدافه، ومن هؤلاء المهدي الناصري مؤلف كتاب *نعت الغطريس النحسيس هيان بن بيان المنتمي إلى سوس* وفيه قام بالتهجم على التوزونيني وخليفته بلقاسم النگادي حيث اعتبر نشاطهما الجهادي بدعة، وفي هذا الموقف ضيق نظر طائفي وتحريض بعض القواد الموالين للاستعمار، وتتلخص حجة هذا المتهجم، في قوله : "... إن الجهاد الشرعي قد تعذر منذ أحقاب، فكيف نطلبه اليوم ! فإن كنت تسارع إلى الحرب لتدركه جهلا منك بحقيقة الأمر، فاعلم أنك تسارع إلى إيقاد نار الفتنة وإيجاد العدو السبيل عليك، وإمكانه من ثغرك وتسليطه على السبي لحريمك ومالك ودمك".

وسع التوزونيني حركته، فبعث برسائل إلى مختلف قبائل أيت عطا من تافيلالت إلى درعة يدعوها إلى الجهاد، واتخذ العدة للحرب ببناء بيوت للمجاهدين في قرية أفليون حذاء روضة سيدي محمد أويفروتن، واتخذ فيها المرابط للخيل والدواب وأكثر من الشكائم والأرسان *(نعت الغطريس)*. وقدم عليه محمد بن أبي القاسم النگادي وقدمه للأعوان واتخذه صاحب رايته. وبعد ذلك كون مجلسا للحرب يضم ممثلين عن كل الأخماس المكونة لقبائل أيت عطا، سبعة ممثلين لخمس أيت يعزى وثلاثة لأيت الفرسي واثنين لأيت إسفول واثنين لأيت عيسى أ'براهيم وثلاثة لأيت بويكنيفن وواحداً لأيت به أ'حسو وواحداً لأيت أوشان. وقد ضم هذا المجلس ممثلين عن قبائل تافيلالت وأيت مرغاد وأيت يافلمان. ويعد هذا التمثيل الواسع تكذيباً لظنون المخططين الاستعماريين الذين قرروا في كتاباتهم أن تشكيل الإثنيات في تلك النواحي أضعف من القدرة على المقاومة (الضابط عباس، *مجلة الجغرافيا*، عدد 9، عام 1919، ص. 61).

لقد تغلبت حركة التوزونيني على التناقضات القبلية وأحلت الأخوّة الدينية محل تنافس القبائل كما أغرت القبائل بوعود تحقيق عدد من المنافع المعيشية. وتدخل التوزونيني في نزاعات قبلية ففصل فيها وسوّاها. وقد أقر الاستعمار بنجاعة هذا الأسلوب منذ سنة 1918، واستغربوا لتوحد القبائل بشكل لم يسبق له مثيل في تلك المنطقة (تقرير اليوتنان گوليس). والواقع أنه قد انضم للحركة حتى أيت يافلمان الذين كانوا يعدون مناوئين لأيت عطا، كما انضم إليها عرب الصباح، وغالبيتهم قبائل من البربر.

مرت حركة التوزونيني بمرحلتين : 1) مرحلة انتصارات بدأت باغتيال الضابط أ'وستري ورد فعل الفرنسيين بإرسال قوات إلى تافيلالت من بوذنيب ومكناس لمحاصرة المنطقة، وقد انضم إلى حركة الجهاد شيخ الزاوية الدرقاوية بفركله "سيدي العربي" وله نفوذ عند أيت مرغاد، والتحق بها أيت حديدو، ودعمها أهل تدغة ببضع مئين من المقاتلين. وترأس الجميع محمد بن بلقاسم النگادي، ووقعت المجابهات القتالية الأولى مع الفرنسيين يوم 9 غشت 1918، فقد استدرج المقاومون العدو إلى مكان يدعى "البطحاء" كثير أشجار النخيل وفوجئ الجيش الفرنسي بمحاصرة المجاهدين له فحاول التراجع ولكنه أ'بيد عن آخره واستولى المسلمون على ذخائره. وكان هذا الانتصار مشجعا للحركة الجهادية، فانتقل التوزونيني إلى الريصاني واستقر بها بعد جلاء الفرنسيين عن تافيلالت، وكان جنوده حوالي أربعة آلاف. وبدأ يمهد لمرحلة موالية وصار يراسل زعماء الجهاد في جهات أخرى، كأعالي ملوية وگير الأعلى، كما راسل الثوار المجاهدين أمثال أحنصال قرب أزيلال والحسين أ'وتمگا وموحا أ'وسعيد في الأطلس المتوسط وتادلا، ودخل في علاقات مع الهيبة الذي استقر بكردوس، واتصل بقبائل غياثة والريف في الشمال وكذا مع الزعيمين سيدي الصغير وسي الكبير اليعقوبي (القبطان كوطار، *مجلة فرنسا ـ المغرب*، عدد 5، بتاريخ 15 / 5 / 1919، ص. 136 ـ 138).

كوّن التوزونيني حوله مجلسا مصغرا للجهاد وفيه قاض للإفتاء، وجعل حرسه الخاص من حراطين إملوان وعين محمد بن بلقاسم النگادي قائدا للجيش يساعده أربعة رؤساء حرب منهم قائد من زمور وحسن العيساوي من الزاوية الشرقاوية وباعلي من حراطين تازارين وهاجم التوزونيني ممتلكات الأعيان والرؤساء الموالين للاستعمار واستولى عليها ولم يفتح في وجههم باب التوبة كما فعل الهيبة.

أما المرحلة الثانية من حركة التوزونيني فتتميز بانزعاج كبير أظهرته القوات الفرنسية ضد نجاح التوزونيني فصارت تنكل بأهل تافيلالت وتحمل مسئولية ذلك للأعيان، وقد نشرت الرعب بتحليق الطائرات فوق المنطقة، وإطلاق مناشير تهدد بتخريب البلاد إذا اتبع الناس القائم بالجهاد الذي تصفه هذه المناشير بالقتّال الفتّاك، ثم انطلقت تعزيزات فرنسية من بوذنيب لفك حصار تغمرت يوم 3 أكتوبر فدمرت سد "أمربوش" الذي ينظم توزيع مياه نهر زيز في واحات تافيلالت، بل قاموا بتحويل مجرى هذا النهر خارج الحقول بقصد الضغط على السكان حتى يتخ عن مساندة المقاومة.

وبموازاة لهذه الضغوط قام باشا مراكش بتنظيم حملة عسكرية على تدغة قوامها عشرة آلاف مقاتل ما بين دجنبر

1918 وأبريل 1919. وكان إلى جانب الاگلاوي في هذه الحملة الجنرال دولاموط De La Mothe، وكان غرض الحملة قطع الدعم الذي تتوصل به حركة التوزونيني عن طريق تدغة، وكذا التشويش عليها بجلب الأعيان واستمالتهم، وقد وقع فعلا استمالة علي الهواري مقدم الدرقاويين بفركلة حيث دعا أيت مرغاد إلى الانسحاب من المقاومة، ومنذ ذلك الحين صارت حركة التوزونيني تتلقى الضربات من الخلف. على الرغم من المواجهة المسلحة بين أيت عطا وجيوش الاگلاوي، وقد ظهرت خلافات بين التوزونيني وقائده بن بلقاسم النگادي، ووقعت في معاملته لأهل تافيلالت ومطالبته لهم بالعطاء أخطاء أضعفت صفوفه.

انتهى الأمر باغتيال التوزونيني على يد قائده النگادي في أكتوبر 1919، وخلفه النگادي فحقق عددا من الانتصارات في درعة واستمر يقاوم بتأييد من جماعة من أيت خباش وأيت حسو إلى عام 1934، حيث اضطر بعد إجهاد إلى الاستسلام بعد أن واجه قوات لا قبل له بعددها ولا بعدتها، وظل مع ذلك رمزاً للمقاومة والصمود في تلك الجهة.

المهدي الناصري، *نعت الفطريس الخسيس هيان بن بيات، المنتمي إلى سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 16 ؛ ع. بوراس، *مقاومة أهل تافيلالت والاسطوغرافيا الاستعمارية*، *مجلة دار النيابة*، ع 28، 1991 ؛ م. المعزوزي وهاشم العلوي، *الكفاح المغربي*، الرباط، 1986.

G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la Pacification du Haut Draa* ; Abès, *R.G.M.*, n° 9, 1919 ; Coutard, *France-Maroc*, n° 5, du 5 / 5 /1919 ; A. Hammoudi, *Aspects de la mobilisation*, SRESM, Aix, Juin 1979.

عبد القادر بوراس

التوزيني، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني توزين الكرتية (نسبة على القياس) وقد انقرضت بتطوان حوالي سنة 1323 / 1905، وكان من بين أفرادها الفقيه عبد السلام التوزيني الذي كان على قيد الحياة سنة 1279 / 1863، والفقيه أحمد بن حدو التوزيني الذي كان يزاول خطة العدالة سنة 1295 / 1878، والفقيه أحمد بن محمد التوزيني الذي كان يتعاطى نفس الخطة سنة 1307 / 1890.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación, *Familias : Familias ilustres* ; Isidor de las Cagigas, *Familias tetuanies*.

محمد ابن عزوز حكيم

التوشية، في موسيقى الآلة، معزوفة آلية موقعة في الغالب على ميزان ثلاثي الضربات تحدث عنها التادلي، فذكر أنها "مجال لتفاضل المعلمين، فالماهر من عنده ثلاث تواشي فأكثر". وهي ثلاثة أنواع :

1 ـ توشية النوبة. ويعهد بها لعزف النوبة، بقصد الإعلام بطبعها الموسيقي، ويتجلى في عبارة واردة في مقدمة *كناش الحايك* أنه كان لكل نوبة توشيتها، غير أن أغلب التواشي ضاع ولم يحفظ الاستعمال منها سوى زهاء عشرين، أروعها التواشي السبع التي تتصدر نوبة الحجاز المشرقي.

2 ـ توشية الميزان. ويقصد بها المعزوفة التي يعهد بها للدخول في الميزان، ويبلغ ما تبقى من تواشي الميازين زهاء الثلاثين.

ويبدو أن التمهيد للنوبة والميازين بعزف التواشي تقليد ضارب في القدم، فقد لمح مالك بن المرحل في إحدى قصائده إلى ما يفيد ذلك إذ قال :

كضارب العود وشّى فيه توشية ... وبعد ذلك غنى فيه أشعارا

3 ـ التوشية الداخلية. وتسمى أيضا توشية الصنعة. وهي فقرات لحنية رشيقة تتوسط بعض صنعات الميزان، وتقع من أبياتها موقع الحجارة الكريمة من القلائد الثمينة.

إ. التادلي، *أغاني السقا*، ص. 84.

عبد العزيز بن عبد الجليل

التوظيف (نظام ـ)، بعد الاستقلال عرّف ظهير 1.58.008 الصادر بتاريخ 4 شعبان 1377 / 24 فبراير 1958 الموظف بأنه "كل شخص يعين في وظيفة قارة ويرسّم في إحدى رتب السلم الخاص بأسلاك الإدارة التابعة للدولة". وينص الفصل 12 من دستور 1992 على أنه "يمكن لجميع المواطنين أن يتقلدوا الوظائف والمناصب العمومية وهم سواء فيما يرجع للشروط المطلوبة لنيلها" دون تمييز بين الذكر والأنثى أو الوضعيات الاجتماعية والاقتصادية.

ويستفاد من هذا التعريف بأن المتعاقدين الوطنيين والأجانب والمتمرنين والأعوان المؤقتين والعرضيين والمياومين والمتدربين لا يندرجون ضمن فئة الموظفين. كما أن رجال القضاء والمتصرفين بوزارة الداخلية وموظفي الجماعات المحلية والأعوان غير الموظفين لا يشملهم هذا التعريف إذ لهم نظامهم الخاص بهم.

وقد حددت وثيقة النظام الأساسي للوظيفة العمومية الصادرة في الجريدة الرسمية عدد 2372 بتاريخ 11 أبريل 1958 كيفية وشروط الانخراط في الوظيفة العمومية والخروج منها وحقوق الموظف ومسؤولياته والضمانات الإدارية والقانونية الممنوحة له والعقوبات التأديبية التي قد يتعرض لها في حالة الإخلال بواجبه.

وبناء على ما سبق يتضح بأن الموظفين نوعان : نوع يخضع لقانون الشغل، ونوع قار منظم في أسلاك الوظيفة العمومية ممن يجري عليه القانون الإداري وتربطه بالدولة التي تشغله مجموعة من الحقوق والواجبات.

يتقاضى الموظف أجرة محددة ويتمتع بالرخص والإجازات والعطل المختلفة ويرقى إلى الدرجات الأعلى، وله الحق في طلب الاستقالة من وظيفه والحق في الإيداع والتعويض عن حوادث الشغل والاستفادة من الضمان الاجتماعي والحصول على معاشات التقاعد والزمانة والحق في الدفاع عن نفسه من أي شطط إداري والطعن في القرارات الجائرة والتمتع بمختلف أنواع التعويضات المخصصة للتنقل والإقامة والتكليف بالمهام.

ويخضع الموظف مقابل ذلك لمجموعة من الشروط والواجبات منها قبول المنصب المسند إليه والوفاء بالعمل دون تأخر أو تغيب وممارسة المهام الموكولة إليه بشكل فعلي وضمير مهني والتمسك بالأخلاق الحميدة والامتناع عن ممارسة أي عمل آخر واحترام سلطة الدولة والتسلسل الإداري والالتزام بكتمان السر المهني وإنجاز العمل بكفاءة وإخلاص ومسؤولية، ونبذ كل تهاون، والصد عن الارتشاء واستغلال النفوذ.

وكما أن التوظيف يقع "في كل منصب من المناصب إما عن طريق مباريات تجري بواسطة الاختبارات أو بناء على الشهادات أو بواسطة امتحانات الأهلية وتمارين إثبات الكفاءة"، فإن كل الإدارات تسهل لجميع موظفيها الذين يتوفرون على الكفاءة المطلوبة الارتقاء إلى السلاليم العليا طبقا لنفس الأساليب بواسطة المباريات والامتحانات المهنية أو التسجيل في لوائح الترقية. وبعد كل ترقية تنشر أسماء الموظفين الذين تتم ترقيتهم في الجريدة الرسمية. وتعمل الإدارة كل سنة على تنقيط موظفيها بالأرقام المصحوبة بتقييم مهني عن الكفاءة المهنية والفعالية والإنتاج والمواظبة والسلوك. ولكل الموظفين الحق الكامل في الاطلاع على النقط الممنوحة لهم من قبل رؤسائهم.

ويكون الموظف في علاقته بالإدارة في ثلاث وضعيات: وضعية الموظف النشيط وهي الحالة العادية والسائدة، وضعية التفرغ لمهام معينة أو إبداع مؤقت لسبب ذاتي أو موضوعي، وهي حالة استثنائية. كما أنه قد يكون في رخصة خاصة.

وعلى مستوى التأجير يرتب موظفو الدولة في سلاليم أجور تمتد من السلم الأول إلى السلم الحادي عشر. ويكون بعضهم في وضعية متميزة وخاصة إذا تعدى في ترقيته جميع السلاليم وأصبح خارج الإطار أو خارج السلم. وتتم ترقية سائر الموظفين في سلاليم الوظيفة العمومية حسب ما تنص عليه أساليب التنقيط والترقية الموضحة في القانون العام للوظيفة العمومية كما هو وارد في ظهير 24 فبراير 1958 وفي المرسومين الوزيريين رقم 2.62.344 الصادر بتاريخ 8 يوليوز 1963 ورقم 988 المؤرخ في 17 ماي 1968.

الجريدة الرسمية، عدد 2372 بتاريخ 11 . 4 . 1958 ؛ *ظهير 1.58.008* بتاريخ 4 شعبان 1377 هـ / 24 . 2 . 1958 ؛ *المرسوم الوزيري رقم 2.62.344* بتاريخ 8 . 8 . 1963 ؛ المرسوم الوزيري رقم 988 بتاريخ 17 . 5 . 1968 ؛ المملكة المغربية، وزارة الشؤون الإدارية، الأمانة العامة للحكومة، *النظام العام والنظم الأساسية الخاصة بموظفي الإدارات العمومية*، الرباط 1969 ؛ عبد النبي ميكو، *المدخل لدراسة القانون*، الرباط، 1974 ؛ عبد القادر باينة، *المختصر في القانون الإداري المغربي*، الدار البيضاء، 1985.

A. Benjelloun, *Cours de droit administratif*, Rabat, 1978 ; *Droit administratif*, 2 vol. Rabat, 1984 ; A. Hatim, *La notion d'intérêt du service dans le droit de la fonction publique marocaine*, D.E.S en droit public, Rabat, Fac. Sc. Jur. Econ. et Soc. 1988 ; A. Mecherfi, *Les devoirs du fonctionnaire*, *R.M.D.E.D.*, n° 14, 1987, pp. 93 - 110 ; B. Redouane, *Le fonctionnaire marocain*, Casablanca, 1983 ; *La fonction marocaine face au changement*, in *Les Services publiques marocains face au changement*, Toulouse, 1987 ; Royaume du Maroc, *Textes administratifs, fonction publique et réforme administrative*, Casablanca, 1987 ; Ministère délégué auprès du Premier Ministre chargé des affaires administratives, *Législation, textes administratifs*, tome I, Rabat, 1987 ; O. Mouddani, *L'évaluation du processus d'adaptation de la fonction publique marocaine de développement*, Rabat, 1984 ; E. Ayoub, *La fonction publique*, Paris, 1975 ; M. Piquemal, *Le fonctionnement, devoirs et obligations*, Paris, 1973 ; J. Cadene, *Le personnel administratif et la diversité des statuts juridiques*, *R.M.D.C.*, n° 2, pp. 29 - 35, 1983.

محمد بوسلام

التوغزيفتي، مَحمد ـ فتحا ـ بن الحسن بن سعيد بن إبراهيم الگرسيفي، ينتسب إلى عثمان بْن عفان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ذكر ذلك المترجم نفسه في مؤلف له صغير اسمه *الرسالة التوغزيفتية* جاء في *سوس العالمة* (ص. 216) عند ذكر مراجع التاريخ السوسي "*رسالة التوغزيفتي الگرسيفي*، وهو الفقيه سيدي محمد بن الحسن بيّن نسبهم، وذكر بعض ما يتعلق بأسرتهم" وقد احتفل المترجم بنسبه الذي ساقه في رسالته كثيراً، وأفاض في الحديث عن المواضع التي دفن فيها رجال سلسلة النسب، لاسيما في سوس، حلاّه مترجموه بنعوت تتفق مع جلالته وعلمه، فهو "العلامة الجليل كان عالماً صالحاً مجاهداً في التعليم طول عمره" له نظرات وأقوال تدل على مدى تجربته وعلمه، مثل قوله : "من حق الحَكَم أن يتربص بحكمه سنة، ليفهم تفاصيل النازلة، أو لعل الخصمين يسأمان فيتصالحان" (*المسول*، 17 : 61).

ترتكز مصادر معرفته على الأخذ عن العلامة مسعود المرزگوني الذي أخذ بدوره عن الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر وتنقل في مدارس علمية كمدرسة بومروان أو مدرسة المولود على مايرجحه المؤرخون.

كان معمراً، لكن تاريخ وفاته غير مضبوط، فقد كتب رسالته المشار إليها سنة 1212 بناء على تقريظات كتبت عن هذه الرسالة مؤرخة في هذه السنة.

ويذكر أنه ربما كان ممن جرفهم وباء عام 1214 / 1799.

م. التوغزيفتي، *الرسالة التوغزيفتية*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 216 تحت رقم 27 ؛ *المسول*، 17 : 43، 60.

عبد الحميد محيي الدين الباعمراني

توفالعزت (أيت ـ)، فرع من أيت وَسّ ضمن قبائل إيلالن المستوطنة الحدّ الشمالي للأطلس الصغير الأوسط. ينتمي سكان توفالعزت النسب الجعفري. وحسب ما يتضمنه مشجرهم، فإن جدهم الأعلى هو توفالعزت بن گنون بن ظريفة بن تگنت... من مداشرهم الرئيسية : إمغرز، وتگنضوط، ودوتلغ، وتمجشت. وتتوزع داخل أراضيهم مجموعة من المخازن الجماعية أهمها : تولّوْن، وأسري. ومن علماء أيت توفالعزت المشهورين : علي بن سعيد التوفالعزتي (1260 . 1329)، محمد بن أحمد التوفالعزتي (ق 13 هـ)، أحمد بن محمد التوفالعزتي (كان حيا عام 1265).

البقدوري، أحمد، *إتحاف أهل البدو والقرى بسلالة زينب الكبرى*، ص. 123 . 124، مخطوط.

أحمد بومزگو

التوفير (صندوق ـ)، تستعمل كلمة التوفير في المغرب للدلالة على الادخار، والادخار في معناه اللغوي هو خزن الشيء إلى حين الحاجة إليه، ونعني بالشيء هنا نقوداً عينية وفي معناه العام ادخار جزء من الدخل الفردي أو من الإنتاج الوطني والامتناع عن استخدامه لأغراض استهلاكية.

صندوق التوفير الوطني مؤسسة مالية عمومية معفاة من دفع الضرائب والرسوم للدولة، أحدث بالمغرب بموجب الظهير رقم 288.57.1 بتاريخ 10 / 2 / 1959 وأعيد تنظيمه على أسس جديدة بموجب الظهير رقم 118.87.1 بتاريخ 2 / 4 / 1992، وحسب هذا القانون فإنه لا يسمح لأي مؤسسة أو هيئة خاصة بحمل هذا الاسم مهما تشابه اختصاصها بصندوق التوفير.

المهمة الأساسية التي يضطلع بها صندوق التوفير هي استلام الودائع النقدية من أشخاص عاديين (المدخرين) في حدود سقف تحدد قيمته الدولة والعمل على رسملتها سنويا وتظل الودائع تحت تصرف مالكيها يسحبونها كاملة أو مجزأة متى شاؤوا.

يقوم البريد المغربي بواسطة شبكته الواسعة من المكاتب والوكالات البريدية بتأمين هذه الخدمة لحساب صندوق الإيداع والتدبير بضمانة من الدولة لقيمة الودائع والفوائد المترتبة عليها وبذلك أصبحت هذه الخدمة في متناول الجميع بحكم التغطية الشاملة التي تؤمنها المصالح البريدية في مجموع الأقاليم المغربية بما فيها القروية. وسهولة إجراءات فتح الحساب بالصندوق لكل من أراد وبقيمة زهيدة حددها المشرع بخمسة دراهم، مما يجعل منه أداة فعالة لجلب الادخار الوطني على نطاق واسع.

السنة	عدد المدخرين	رصيد الادخارات (بالدرهم)
1975	440.861	293.590.000
1980	504.376	429.470.000
1985	590.286	780.000.000
1990	597.894	1.663.000.000
1993	667.573	2.342.000.000

التقارير السنوية لنشاطات المكتب الوطني للبريد والمواصلات

بحكم القانون الجديد رقم 83.05 (2 / 4 / 1992) الخاص بإعادة تنظيم هذه المؤسسة صار للصندوق مجلس إداري مسؤول عن تسييره ومكوّن من عضوية كل من ممثل عن الحكومة، ووالي بنك المغرب أو من يمثله، ومدير صندوق الإيداع والتدبير أو من ينوب عنه، إضافة إلى مدير المكتب الوطني للبريد والاتصالات أو ممثله ؛ كما أسندت للصندوق مهام جديدة وسعت اختصاصاته بحيث أصبحت تشمل :

1 ـ فتح الحسابات لتلقي الودائع النقدية.
2 ـ منح تسبيقات أو سلف للمدخرين.
3 ـ تقديم تسبيقات على المعاشات المدنية أو العسكرية بقيمة الاستحقاقات عن شهرين كحد أقصى.
4 ـ اقتراح عقود تأمين على الأشخاص.

نصوص القوانين المشار إليها أعلاه.

حسن اللبادي

توڤنو، ريموند R. Thouvenot، من المؤرخين المرموقين الذين سعوا في التعريف بالمغرب الأقصى القديم. مارس الأستاذية بمعهد الدراسات العليا المغربية (كلية الآداب والعلوم الأنسانية بالرباط، حاليا) ؛ كما أنه كان مفتشاً للآثار القديمة، حيث سيظل اسمه مرتبطاً بالإنتاج الوافر والخاص بموريطانيا الطنجية من خلال مجلتي *P.S.A.M.* (منشورات مصلحة الآثار القديمة بالمغرب) و*B.A.M.* (مجلة الآثار المغربية) ومجلات أجنبية (فرنسية على الخصوص)، يهم إنتاج توڤنو الجغرافيا التاريخية والتاريخ العام والمخلفات الأثرية والمعتقدات العتيقة. راجع إنتاجه بالتفصيل في المرجع التالي.

مصطفى م. رشيد، المغرب الأقصى عند الإغريق واللاتين، الدار البيضاء، 1992.

مصطفى مولاي رشيد

تُوگًا ـ بتضعيف الگاف ـ تعني الشهادة لإثبات شيء أو نفيه، سجلت في جميع الأعراف الأمازيغية المكتوبة. كما وقع تقنينها وتقنين عقوبتها أو جزائها الإيجابي. فعندما تهمّ تلك الشهادة المجتمع القبلي عامة، كأن يؤديها شاهد لجماعة إنفلاس لإثبات أمر جلل، وتكون تلك الشهادة أساسا في فض المشكل، فإن الشاهد ينال جائزة يعلن الجمع العام عن مقدارها قبل ظهور الشاهد.

كما يكون للشهادة وزن كبير عندما تصدر عن شخص تقي بعيد عن كل الشبهات، وفي نفس الوقت تكون العقوبة قاسية متى كانت الشهادة زورا، كل ذلك مقنن في الأعراف، واسم الشاهد إينيگي وجمعه إينَاگـان.

م. العشماني، *ألواح جزولة*، ذ. د. ع ؛ أوزال، *المحرض في الفقه المالكي باللسان الأمازيغي*، تح. الرحماني عبد الله الجشتيمي ؛ *عرف أيت باعمران، عرف العونة وآل تزنيت* ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*.

الحسين جهادي

توكودا، أمير ينتمي إلى قبيلة البكواتيين في موريطانيا الطنجية، خلال فترة السيطرة الرومانية. وهو أول من وقّع مع السلطة الرومانية في ولاية موريطانية الطنجية على معاهدة سلم، ترجع إلى عهد الامبراطور الروماني أنطونينوس Antoninus، حوالي سنة 140 للميلاد.

وقد تمتع هذا الأمير البكواتي بحق المواطنة الرومانية، ولذلك أُعطي لقب أيليوس Aelius. ووردت هذه الأخبار في نقيشة مكتوبة باللاتينية، عثر عليها في مدينة وليلي،

جاء فيها ما يلي : Aelius Tuccuda Princeps Gentis Baquatium.

M. Euzennat et J. Marion, *Inscriptions antiques du Maroc*, 2, *Inscriptions latines*, Paris, 1982 ; E. Frezouss, *Les Baquates et la province romaine de Maurétanie Tingitane*, B.A.M., 2, 1957, p. 65 - 116 ; M. Rachet, *Rome et les Berbères : un problème militaire d'Auguste à Dioclétien*, Paris, 1970.

محمد مجدوب

تولا، إحدى قرى قبيلة سُمَاتَة، مندرجة ضمن فرقة الشناتفة، واقعة على ظهر الكتلة الجبلية المشرفة على واد المخازن من شمال القبيلة، بجوار الشناتفة والرواوسة. يتجمع السكن حول عين الحديد، أحد منابع واد الرواوسة، رافد واد المخازن. من القرى التي تعرضت كثيراً للغارات البرتغالية انطلاقاً من أصيلا، سيما سنة 1529، حين سلب جنود أصيلا منها ومن القرى المجاورة لها ما زاد على ألفي رأس ماعز. ووصل البرتغاليون إليها عن طريق بني گرفط وبني ومراس العروسيين.

ضابط الأمور الوطنية للمنطقة الخليفية، 57 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، 2 : 426.

B. Rodrigués, *Annis de Arzila*, 2 : 86 - 129 - 130.

حسن الفگيگي

تولال، قصبة شيدها السلطان الحسن الأول من أجل تقوية المرافق الدفاعية لمواجهة هجمات القبائل على مدينة مكناس، ولذلك اختار موضعها غرب المدينة على الضفة اليسرى لواد بوإسحاق، عند أهم نقطة اتصال بينها وبين قبائل گروان، وأسكن بها أهل تولال الذين ينتسبون إلى تولال أحد أودية صحراء تافيلالت حسب ما ورد عند ابن زيدان في *إتحاف أعلام الناس* (1 : 217).

لم يكن مجيء هؤلاء إلى مكناس مرتبطاً ببناء القصبة. ذلك أن نقلهم من صحراء تافيلالت تم بأمر من السلطان مولاي عبد الرحمن عقاباً لهم على تمردهم. وأُنزلوا بدار دبيبغ بنواحي فاس، وجعلوا تحت إمرة القائد فَرَجي. ولجأ المولى محمد بن عبد الرحمن سنة 1882 م إلى ترحيلهم من فاس، وأسكنهم بضواحي مكناس جنوب قصبة سيدي سعيد، وأدرجهم في الجيش البخاري، بهدف تقوية هذا الأخير الذي كان قد وصل إلى أقصى درجات الضعف والتردي. وظلوا يسكنون الخيام إلى أن بنى لهم المولى الحسن القصبة التي اقترنت باسمهم لتقوم بحراسة مكناس في وقت كثرت فيه هجومات القبائل المجاورة خاصة أثناء الأزمات.

ظلت هاته القصبة تقوم بدورها طيلة العهد الحسني، ثم أهملت وتلاشت دورها وأسوارها خاصة بعد فرض الحماية على المغرب، فقد كانت تولال من بين المناطق التي شملتها التجارب الاستيطانية الأولى سنة 1915 م، واستحوذ إيميل پانيو Emile Pagnon ـ أكبر معمري الإقليم ـ على جل أراضي تولال الجماعية، وحولها إلى ملك خاص له.

وتعتبر تولال اليوم أهم مركز حضري في الضاحية الغربية لمدينة مكناس سواء من حيث تعداد سكانها (10.540 نسمة حسب تقديرات 1992) أو من حيث توسعها المجالي (117 هكتار). أما القصبة فلم يبق منها ماثلا للعيان غير بعض الأسوار المتلاشية.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام*، الجزء الأول، ص. 217 ؛ *زيارة ميدانية*.

رقية بلمقدم

تولوك Tulluck منصِّرة بريطانية من مواليد إيقوسيا، وصلت إلى طنجة سنة 1884 وماتت بعد سنتين، وأطلقت بعثة نورث أفريكا ميشن North Africa Mission على أحد مستشفياتها بطنجة اسمها تخليداً لها.

ميج، *البعثات البروتيستانية بالمغرب* 1875 . 1905، في مجلة *تمودا*، المجلد 42 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1401.

مصطفى بوشعراء

التوليد التقليدي في المغرب القديم، إن المصطلح المستعمل بمعنى القابلة أو المولدة التقليدية هو Obstetrix iatromaea بمعنى تلك التي تقطع حبل الصُّرَّة ونصادف أحيانا مصطلح Medica وخاصة فوق النقائش اللاتينية الإيطالية (*Cil*, VI, 1477).

كانت النساء الطبيبات في روما وبلاد اليونان يتخصصن في ميدان التوليد ولم يكن الأطباء يتدخلون في هذه العملية إلا في الحالات المستعصية. وقد لاحظ الطبيب أبوقراط Hippocrate في كتابه *الجامع في أمراض النساء* قلة خبرة الأطباء في هذا المجال (مجال التوليد) نظراً لعدم لجوء النساء الحوامل لخدماتهم.

لم يكن التوليد في المغرب الهاجس الوحيد الذي كان يهدد صحة النساء، فقد كانت القابلات يعالجن أمراضاً أخرى كالعقم وغيره، كما أشار إلى ذلك كل من Martial (XI, 71) و Juvénal (*Sat*, II, 141) وبلينيوس الشيخ (*H N*, XXVIII, 82). وقد اشتهرت في القديم، قابلة عرفت تحت اسم Salpé أشاد المؤرخ بلينيوس بروحها العلمية.

كانت القابلات محط تقدير، يتم اختيارهن في الغالب من بين المعتقات للعمل في هذا الميدان. وقد ورد على روما أطباء إغريق وقدمت معهم مولدات إغريقيات عوضن في روما المتجالات Matronnes.

ترك لنا سقراط وهو ابن قابلة صورة حية عن هذه المهنة، وكذلك فعل الطبيب اليوناني سورانوس Soranus

خمسة قرون بعده في مؤلفه *Gynaecia* (القرن الثاني الميلادي) يقول سقراط : " إن أي قابلة لا يمكن لها أن تولد نساء أخريات مادامت هي قادرة على الإنجاب".

إن القابلات يعرفن كيف يخففن من آلام النساء الحوامل عن طريق بعض الأدوية وقد عرض الطبيب سورانوس في مؤلفه السابق الذكر، وبتفصيل، للخصائص التي يجب توفرها في القابلة ومن بينها معرفة الكتابة والتمتع بعقل سليم وبصحة جيدة وأن تكون لها معرفة بالتغذية والصيدلة وكذا الجراحة. كما أن سورانوس كان يحذرهن من المعتقدات الباطلة Supersition ومن عملية الإجهاض التي عرفت انتشاراً واسعاً خلال العهدين الجمهوري والأمبراطوري بروما، في حين كان يقدم لهن نصائح طبية هامة خاصة فيما يتعلق بعمليات التوليد المستعصية كانقلاب الجنين وكذا الحالات التي يجب اللجوء إليها لإخراج الجنين من الرحم لإنقاذ حياة الأم Embrytomie.

وقد حملت النقائش الإغريقية بعض أسماء أولئك اللاتي امتهن حرفة التوليد التقليدي بحيث عثر في مدينة Tiboursouk (*Ilalg* I, 1377) على شاهد قبري لقابلة تدعى Irene عاشت خمسا وثلاثين سنة وهي زوجة أحد الأطباء.

ومن Thagaste (*Ilalg*, 887 = AC, 1914, 240) جاءتنا نقشية هي الأخرى عبارة عن شاهد قبري لقابلة تدعى Caelia Victoria عاشت 26 سنة.

إن هذه الشهادات التي تعود للقرن الأول للميلاد ربما وجدت استمرارية خلال عهد القديس أُغسطين وبعده بقليل بحيث ترك لنا أحد الأطباء (القرن VIم) موجزاً طبياً عنوانه Muscio استفاد فيه من مؤلف Cynaecia للطبيب اليوناني Soranus، وقد عرف هذا الموجز نجاحاً كبيراً خلال القرون الوسطى.

S. Reinach, "*Medicus*", in *Darenberg-Saglio, Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, p. 1674 et suiv. ; N. Ben Seddik, *La pratique médicale en Afrique au temps de Saint-Augustin, Africa Romana, Atti del VI convegno di studio Sassari*, 1988, 663 - 682 ; *Inscriptions latines d'Algérie*, T. I ; *Année Epigraphique*.

عبد العزيز بل القايدة

ابن **تومرت، محمد** بن علي أو محمود أو محمد المغربي الأندلسي المالكي. وهو غير المهدي ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين، إلا أنهما قد يكونان من أسرة واحدة. لذلك وقع الخلط بينهما عند بعض أصحاب كتب التراجم والفهارس المتأخرين كصاحب *كشف الظنون* ومؤلف *هدية العارفين*، اللذين جعلاهما شخصاً واحداً بنفس تاريخ وولادة ووفاة المهدي (485 - 543)، ونسبا مؤلفات محمد بن علي للمهدي.

والذي تنبه للتمييز بين الشخصين هو بروكلمان في كتابه *الأدب العربي*، وقال إن ابن تومرت المغربي الأندلسي من رجال القرن الرابع (توفي عام 391 / 1001 م) ويُروى أنه صنف نحو خمسمائة كتاب، وكانت له في مكتبة جوتا سبعة عشر مخطوطاً لم يبق منها إلا الصفحة الأولى من كتاب في أصول الدين، وقطعة من كتاب في الطب، وعزز هذا الرأي المستشرق كولدزيهر مؤكداً وجود عدة نسخ مخطوطة تامة لأحد كتب ابن تومرت هذا في الخزانة الخديوية بالقاهرة وهو *كنز العلوم والدر المنظوم في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة*.

وعلق محمود مكي على كتاب *كنز العلوم* في جملة من المخطوطات التي اطلع عليها أثناء زيارته للمغرب في يوليوز سنة 1961. ورقمه في الخزانة العامة بالرباط 1563 ك، ونسبه لابن تومرت الأندلسي المغربي، إلا أنه عده - تبعاً للمستشرقين السابقين - من أهل القرن الرابع واستنتج على ذلك بطلان ما يردده بعض الباحثين من عدم رواج العلوم الفلسفية أيام الخلافة الأموية والدولة العامرية. وقد اطلع محمد إبراهيم ألوزاد على هذا المخطوط وقارنه بمخطوط آخر بتونس، فتبين له تطابقهما، وترجح لديه أخذاً من نصوص الكتاب واستشهاداته أن المؤلف ابن تومرت من رجال القرن السابع، وقال إن الكتاب مازال يفتقر إلى تحقيق علمي.

حاجي خليفة، *كشف الظنون*، 2 : 1518 ؛ إ. باشا البغدادي، *هدية العارفين*، 2 : 90 ؛ ع. كحالة، *معجم المؤلفين*، 10 : 312 ؛ ك. بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، تر. النجار، 3 : 391 ؛ محمود مكي، *صحيفة المعهد المصري بمدريد*، مجلد 9-10، ص. 445 ؛ م. إبراهيم ألوزاد، *ابن تومرت الأندلسي وكتابه كنز العلوم*، *مجلة كلية الآداب بفاس*، العدد 11، 1990، ص. 133-162.

I. Goldziher, *Le livre de Mohamed Ibn Toumarte*, Alger, 1903, Appendice I, p. 103 - 105.

محمد حجي

ابن **تومرت، المهدي** هو - كما عند ابن خلدون - محمد بن عبد الله بن وجليد بن يامصال. أمازيغي من قبائل مصمودة. والرأي الغالب أنه ولد عام 471 أو 474 هـ الموافق 1078 أو 1081 م.

وصلنا من تآليفه بالعربية : *كتاب أعز ما يطلب* وأبوابه في الفقه والعقيدة، رواها عنه خليفته عبد المومن ؛ *وشرح المرطأ* للإمام مالك برواية يحيى المخزومي، رواه عنه عبد المومن كذلك ؛ *وسفر في تلخيص صحيح مسلم* ؛ *ورسائل* وأقوال متفرقة.

يتبين من خلال هذه النصوص أن عقيدة ابن تومرت تتمحور حول مسألتين رئيسيتين في الكلام الإسلامي الوسيط : مسألة التوحيد ومسألة الإمامة. تتميز منهجيته بالرجوع إلى الأصول ونبذ كتب الفروع التي انكب عليها التقليد السلفي في المغرب والأندلس واعتمدها وحدها في تقرير مبادئ العقيدة.

مسألة التوحيد : أجمع الذين أرّخوا للدولة الموحدية على أن دعوة المهدي ابن تومرت في بلاد المصامدة عرفت أول خطواتها الحاسمة بإثارته لتهمة التجسيم في وجه المرابطين. ففي *أعز ما يطلب* "باب في بيان طوائف المبطلين من الملثمين والمجسمين وعلاماتهم" (ص. 242) وفيه نجد

أيضاً رسالة تذكر ضمن ما يبرر ضرورة الجهاد في المرابطين وقتالهم تهمة التجسيم وإكرام المجسمة، ويتكرر في هذا النص الربط بين التجسيم والفساد. وأن من "قُتل من المجسمين والمفسدين فهو في النار ومن قتل من الموحدين والمجاهدين فهو شهيد" (ص. 264 ـ المصدر). كما نجد فيه باباً صريحاً في "وجوب جهادهم على الكفر والتجسيم" (ص. 246 ـ المصدر).

إن تهمة التجسيم هي التي منحت مسألة التوحيد موقع الصدارة في دعوة ابن تومرت وحركته. ذلك أن الأمر يتعلق بموقفين متعارضين منذ ظهور الإسلام من الذات الإلهية وصفاتها : موقف المجسمة وموقف المنزهة. وتوحيد ابن تومرت يدعم الاتجاه السني العام في التوحيد : إدانة كل تعطيل وتجسيم للذات الإلهية وتكفير أصحابه والإلحاح على المباينة المطلقة بين الخالق والمخلوق، بين الله والعالم أي التصريح بالتنزيه المطلق كما أشاعه التقليد الاعتزالي ـ الأشعري في المشرق، وظل غريبا عن سلفية الفقهاء في دولة المرابطين.

إن ثمة من شكك في تهمة التجسيم كما شكّك في سائر التهم الغليظة التي صدرت عن المهدي بن تومرت في حق المرابطين وفقهائهم واعتبر هذه التهم مجرد دعاية سياسية تستغل سذاجة الأتباع شأنها في ذلك شأن أساليب الادعاء التي لجأ إليها المهدي بن تومرت لتعظيم شخصه غير أن قراءة متأنية لأهم مؤلفات أعلام الفقه في دولة المرابطين ككتاب *الشفا* للقاضي عياض وكتاب *العواصم من القواصم* للقاضي أبي بكر بن العربي لا تؤيد هذا التشكك، فتردد الحرفية واللاأدرية عند عرض الآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات الإلهية أو التي يرتبط فهمها بمسألة الصفات كحديث الإسراء والمعراج ينحو منحى التجسيم إن لم يُعلنه صراحة.

بل إن هذا المنحى يفرض نفسه رغم أن هذه المؤلفات في أماكن أخرى تدين التجسيم وتتبنّى التنزيه المطلق. فالمهدي ابن تومرت استفاد من المأزق الذي وقعت فيه سلفية المرابطين التي تتحاشى التأويل الكلامي. وأمكنه ذلك لعلمه الدقيق بالممارسة الكلامية خلال رحلته إلى المشرق وحضور دروس عدد من أئمة الأشاعرة كالطرطوشي. (ولو أن صلته بالغزالي غير ثابتة رغم ذيوع أمرها). ذلك أن الأشعرية في المشرق خلال هذه الفترة منحت للتوحيد أولوية في تصانيفها، وتقلص لديها، إن لم ينقرض تماماً، باب العدل. والملاحظ أن تهمة التجسيم كانت حاضرة في السجال الكلامي آنذاك. بل إنها كانت الرد الحاسم على دعاوي الحنبلية النقلية التي استفحل أمرها في بغداد.

لا نجد في أقوال المهدي ابن تومرت ما يشير تهمة التجسيم التي كفّر بسببها المرابطين، ذلك أن مسألة التوحيد عموما لم يلتزم في تقديم قضاياها المنهجية التقليدية في صناعة الكلام : فحصر اعترافات سائر الأطراف وبناء استدلالات النفي والإثبات عبر هذا الفحص وفي نطاقه. فالمهدي ابن تومرت في سائر نصوصه تحاشى هذه المنهجية الجدالية، وحرص ما أمكنه ذلك، على تقديم تعاليمه في صيغة تغلب عليها النزعة التقريرية ـ الوثوقية. فموقعه كداعية وسط جمهور لا عهد له بالجدل الديني وروح الفقهية التي ظلت أصيلة في شخصيته، كل ذلك له صلة بطريقته في العرض التي حرصت على بيان التوحيد دون بيان التجسيم.

ففي *المرشدة* يحكم المهدي بن تومرت أن وجوب الإيمان بعقيدة التوحيد واجب كسائر الواجبات الشرعية على المكلفين، فوجب على كل "مكلف أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه خلق العالم بأسره" وأن جميع الخلائق "مقهورون بقدرته" وأنه موجود "قبل الخلق" وأنه "كوّن المكان ودبّر الزمان لا يلحقه وهم ولا يكيفه عقل" (*أعز ما يطلب*، ص. 228).

ويضع المهدي بن تومرت في أحد أبواب التوحيد، إثبات الواحد ونفي ما سواه كحد فاصل بين الإيمان والكفر. فكل من يعبد سواه "يجب نفيه والكفر به والتبرؤ منه" (*أعز ما يطلب*، ص. 267). إن هذه القضية المسلم بها في الوسط الإسلامي قدمها المهدي في صياغة لا تزال تحمل إلى اليوم دلالة سياسية ـ تحريضية. فقد استعمل الوهابيون في العصر الحديث ما يماثل هذه الصياغة. فالتوحيد كما قال ابن تومرت "هو إثبات الواحد ونفي ما سواه من إله أو شريك أو ولي أو طاغوت" (*أعز ما يطلب*، ص. 267).

بيد أن عرض ابن تومرت لمسألة التوحيد تخللته بعض الاستدلالات. وأهم ما يمكن الوقوف عنده الاستدلال الذي بدأ به أبواب هذه المسألة. فقد بين ما أكده المعتزلة والأشاعرة من كون "الواحد" سبحانه يعلم بضرورة العقل. وأن هذا العلم ينبني على "افتقار الخلق إلى الخالق" وعلى "وجوب الخالق". (*أعز ما يطلب*، ص. 272). كما أنه حاول أن يقدم بإيجاز مبسط بعض الدلائل على وجود الله : فبحدوث "نفسه يعلم الإنسان وجود خالقه". وبجميع "المخلوقات يعلم وجود الباري سبحانه" (*أعز ما يطلب*، ص. 214. 215).

وينتقل المهدي بن تومرت بعد ذلك إلى إثبات أن الخالق يستحيل أن يكون من جنس "المخلوقات" إذ لو كان من جنسها "لعجز كعجزها" وعندئذ يستحيل منه "وجود الأفعال" (*أعز ما يطلب*). وإذا علم نفي "التشبيه بين الخالق والمخلوق" علم وجود الخالق "على الإطلاق" من غير تشبيه أو تكييف. ليس له مثل "يقاس عليه". فلا يلحقه الوهم ولا يكيفه العقل (*أعز ما يطلب*، ص. 216. 217).

من الصعب تتبعا لهذا المدخل وما يلحقه أن يقارن توحيد المهدي بن تومرت بما وضعه أئمة المعتزلة والأشاعرة في المشرق. فأقربُهم إلى عهد ابن تومرت إمام الحرمين الجويني (المتوفى عام 478 هـ / 1085 م) وضع مصنفات لا مثيل لها في النظر والتدقيق والعمق وفيها أعاد صياغة دليل الحدوث صياغة خلص منها إلى إثارة قضايا فلسفية

"طبيعية" تتعلق بحدوث الجواهر والأعراض، أثارت جدلا ونقاشاً في الوسط السني. ولا وجه لأن يقارن توحيد ابن تومرت أيضا بما وضعه ابن حزم الأندلسي الظاهري (المتوفى عام 456 هـ / 1064 م) في أبواب كتابه المعروف *الفصل في الملل والأهواء والنحل*.

لكن ابن تومرت منح للتوحيد ما عجزت عنه كتب المتكلمين وسجالهم في المشرق والأندلس. فالبساطة في التعبير وقوته قرّبت ما هو نظري مجرد وبالغ التعقيد والالتباس إلى نفوس العامة فنشأ له اقتناع في عقولهم وإيمان في قلوبهم. وبدت لهم دعوة ابن تومرت امتداداً لدعوة الرسول لمقاومة الوثنيين الكفار المجسمين المفسدين.

مسألة الإمامة : تؤكد المصادر أن المهدي ابن تومرت أعلن أنه هو "المهدي" بعد استقراره بتينمل (على وادي نفيس) سنة 515 / 1121. وبايعه الناس على ذلك وقمع كل المخالفين والمشككين في مهدويته وانكب بعد ذلك على تنظيم أنصاره وتسيير الحملات العسكرية ضد المرابطين.

إن هذا التطور السياسي له صلة بمسألة الإمامة. فإذا كانت مسألة التوحيد قد هيأت الإطار المذهبي للدولة الموحدية الناشئة فإن مسألة الإمامة حددت البنية التنظيمية لهذه الدولة ومشروعية سلطتها.

ارتبطت مسألة الإمامة في نصوص المهدي بن تومرت بتهمة أخرى في حق المرابطين : تهمة الظلم والفساد السياسي، فله باب فيما "أحدثوه من المناكر والمغارم وتقلبهم في السحت والحرام.." (*أعز ما يطلب*، ص. 244). ويفهم من تفاصيل هذا الاتهام العنيف أن المرابطين في نظر ابن تومرت أباحوا ما حرّمه الشرع : تبرج النساء، شيوع الخمر، الاختلاط في الأماكن العامة، فرض المغارم والمكوس.. إلخ. فبطلت طاعتهم ووجبت مخالفتهم وبغضهم ومعاداتهم وتحريم الاقتداء بهم. والأهم من هذا "وجوب جهادهم على ارتكاب المناكر" وعلى "العناد والفساد في الأرض" (*أعز ما يطلب*، ص. 245-249).

والواقع أن المهدي ابن تومرت رسخ بهذه التهمة تقليداً دأبت على إحيائه كل الحركات السياسية المتمردة في الوسط السني. وقد نجح ابن تومرت عبر هذا التشهير بفساد الدولة المرابطية في النيل من مشروعية إمامتها، وتقديم نفسه وأنصاره كبديل لهذه الدولة الفاسدة. ومن ضمن أسباب هذا النجاح أن الدولة المرابطية التزمت في دعوتها وسياستها تطبيق الشريعة الإسلامية بكل دقة وصرامة، وقدم أمراء الدولة أنفسهم في صورة زهاد ومجاهدين فأصابت تهمة ابن تومرت صميم هذا الخطاب الرسمي وتيسر لها الطعن في مثاليته الدينية، يضاف لذلك أن هذه الدولة لم تتلقب بألقاب الخلافة واكتفت بولاء لا وزن له لخليفة ضعيف ببغداد بعد أن شنّع خصومها في الأندلس بنسبها الأمازيغي الصريح الذي يتنافى مع شرائط الإمامة في كتب المتكلمين.

لذلك حرص المهدي بن تومرت على تقديم نظرية في الإمامة تمنحه مشروعية السلطة وإقامة دولة على أنقاض المرابطين. وهي نظرية تستفيد من الجدال التقليدي في هذه المسألة لكنها تتميز بتفردها.

فابن تومرت طرح مسألة الإمامة كما طرحتها الفلسفة الشيعية في أفق تاريخي شمولي. فلا تنحصر الإمامة في خلافة الرسول ولا تبتدئ بوفاة الرسول. إن الإمامة هي مدار التاريخ الإنساني كله. ماضيا وحاضرا ومستقبلا. إن مسألة الإمامة هي مسألة الحق في الدنيا منذ آدم إلى نهاية الحياة الدنيا. "فلا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة" (*أعز ما يطلب*، ص. 229). إن للإمامة نفس مقام التوحيد ومكانة التوحيد. فهي تشكل مع التوحيد في مذهب ابن تومرت قطبين رئيسيين للإيمان الصحيح.

لكن ابن تومرت ينفصل عن التحليل الشيعي لهذه التاريخانية، فهي لا تتعلق عنده بميتافيزقيا باطنية مخالفة للعقيدة السنية، بل هي مجرد قراءة مركزة للتاريخ الديني المقدس في المدونة السنية، تاريخ الرسالات السماوية وتاريخ الخلفاء الراشدين وما بعدهم. رغم أن تعبير ابن تومرت يستلهم البيان الشيعي : "إذ لا يقوم بحقوق الله إلا العدل الرضا المعصوم من الفساد والفتن كلها". والإمام هو العمود "الذي قامت به السموات والأرض في سائر الأزمان في الدنيا" ومتى زال العمود "خر السقف من فوق" (*أعز ما يطلب*، ص. 230).

تبتدئ الإمامة أو تاريخ الإمامة في نظرية ابن تومرت بمرحلة أولى تتميز بعصمة الإمام : بعصمته من الضلال والفساد والفتن. وهي المرحلة : "من آدم إلى نوح ومن بعده إلى إبراهيم". وتتميز المرحلة الثانية "من بعد إبراهيم والنبيئين إلى داود" ببروز الأمر الإلهي. أمر الله أن يحكم في الناس "بالحق" وأن يلتزم الناس "الطاعة" للإمام. وفي المرحلة الثالثة "من داود إلى عيسى" أصبحت الإمامة تفيد الطاعة المطلقة ولو في "أدنى الأشياء" (*أعز ما يطلب*، ص. 229-230).

وبهذه المراحل الثلاث تكتمل فترة ما قبل الرسول المصطفى (صلعم) كما تكتمل معالم الإمامة الثلاث (العصمة / الأمر / الطاعة). وفي فترة الرسول تجسدت هذه المعاني في إمامته في أكمل صورها. فجعله الله "إمام المتقين في زمانه ورسوله إلى العالمين وأظهر دينه على الدين كله" وأخلص له أتباعه الطاعة في القليل والكثير "وبذلوا له المهج والنفوس ولزموه لحسن الصحبة" (*أعز ما يطلب*، ص. 231).

إن فترة الخلفاء الراشدين سماها ابن تومرت "بمدة خلافة النبوة" واستمرت ثلاثين سنة بعد المصطفى (صلعم). والملاحظ أنه لم يساير النقد الشيعي أو الخارجي لهذه الفترة، بل إنه أقر كأهل السنة عموماً بإمامة أبي بكر وعمر. فالرسول اختار أبا بكر للصلاة بالناس وقدمه على غيره من الصحابة. فرضيه للناس "إماما في دينهم" وكان

من الطبيعي أن يرتضيه المسلمون إماماً لدينهم ودنياهم بعد وفاة الرسول (*أعز ما يطلب*، ص. 232) وانبنت إمامة عمر على قيامه بالحق "أحسن قيام" وطاعة الناس له. "كما ثبت من صفاته وأخباره" (*أعز ما يطلب*، ص. 332).

لكن المهدي بن تومرت تحاشى ذكر إمامة عثمان وعلي واكتفى بالقول بأن الأمر ظل على نفس النهج بعد وفاة عمر إلى أن اكتملت السنة الثلاثون بعد وفاة الرسول، أي (تاريخ مقتل علي بن أبي طالب)، فتمكّن بذلك من تلافي الخوض في السجال الديني ـ السياسي الذي أسهبت فيه كتب الفرق في تفسيرها للأحداث الخطيرة التي هزت الضمير الإسلامي في صدر الإسلام. (الثورة على عثمان ومصرعه والمعارك الدامية بين علي وخصومه...) كما أمكنه التخلص من المواقف التقليدية في هذا السجال.

إن الفترة التي أعقبت الخلافة الراشدية تبدو في وصف ابن تومرت ذات ملامح سوداوية، وتمتد إلى زمنه. فكل الدول المتعاقبة في المشرق والمغرب الإسلامي لم تتوفر فيها شرائط الإمامة الصحيحة. فقد تفرقت "السبل وتفرقت الآراء وظهرت الفتن". وذهب العلماء "بالكفر والفسوق والعصيان" وتغيرت "بالبدع والأهواء" وامتلأت "بالجور والظلم والهرج والفتن". وساد في تعاقب الدول مبدأ "الاستيلاء والغلبة". ويسهب ابن تومرت في هذا الوصف الظلامي ـ الذي لا يزال يلقى ترحيبا في الوسط السلفي إلى اليوم ـ وقصده الرئيسي أن يضع المقدمة الضرورية والأساسية لإثبات ضرورة عودة الإمامة بأسمى معانيها في شخص المهدي لإنقاذ الأمة بعد طول انتظار، ولإثبات كونه هو ذلك المهدي وزمنه هو زمن "المؤيد المنصور القائم بالحق بعد ذهابه" (*أعز ما يطلب*، ص. 233). فالمهدي جاء في "زمن الغربة" الزمن الذي "عكست فيه الأمور وقلبت الحقائق وبدلت الأحكام" (*أعز ما يطلب*، ص. 234). وقد خصّه الله "بما أودع فيه من معاني الهداية ووعده قلب الأمور عن عاداتها وهدمها بهدم قواعدها ونقلها إلى الحق" (*أعز ما يطلب*، ص. 234). وعبر هذه الفوارق (الظلام والنور ـ الظلم والعدل ـ الباطل والحق ـ الجهل والعلم.. إلخ) انتقلت إمامة ابن تومرت من مجال الذاكرة الإيمانية (تاريخ الأنبياء والخلفاء الراشدين) إلى مجال العلم السياسي ـ الديني، حكم الإمامة، حكم الحق في الدنيا، حكم الأمل الذي انتظرته طوائف الشيعة والخوارج وانتظره المعلم الثاني أبو نصر الفارابي، وحكم المستحيل في مذهب الغزالي وابن باجة وابن رشد وابن خلدون.

ولا نعتقد أن نقد مهدوية ابن تومرت وما ادعاه من عصمة ونسب نبوي وما زعمه من تجسيد لكل علامات "المهدي" التي شاعت في التراث الإسلامي يمكن أن يخلق أي اضطراب جوهري في مذهب ابن تومرت السني. ذلك أن الإمامة ظلت في الكلام السني منفصلة عن "بقية الأبواب" ظلت منطقة تعكس التعارض بين الواقع والمنال، تتعدد فيها الاجتهادات التي كانت تتوخى كلها تجنب التطرف الشيعي أو الخارجي. بيد أنها دوما كانت منطقة الذكرى والحلم. منطقة تصور الإنسان الكامل المنقذ. ويحدو الأمل دوما السلفية السنية إلى اليوم في إحياء عهد النور النبوي وعهد الخلفاء الراشدين.

لا شك في أن فقه ابن تومرت يستحق الدرس والتحليل، لكنه لم يبلغ رغم عودته إلى الأصول مقام عقيدته التي أوجزنا أهم ملامحها في التوحيد والإمامة، فهي عقيدة وإن تعذرت مقارنتها نظريا بكلام أئمة الاعتزال والأشعرية في زمنه فإنها تفردت عنهم جميعا، فالمهدي بن تومرت وضع عقيدة سياسية كان لها التأثير والحضور والفعالية. فأسس في الوسط السني التكامل الذي ظل مفقوداً بين النظر والعمل. إسلام الأدلجة والتنظيم والتحريض. الإسلام الذي يتحاشى الجدال والسجال ويغذي الحلم الجماعي في مدينة فاضلة يحكمها الأمر الإلهي.

ابن تومرت، *أعز ما يطلب*، تح. عمار الطالبي، الجزائر، 1985 ؛ *العقيدة*، القاهرة، 1328 هـ ؛ البيذق، *كتاب أخبار المهدي*، تح. ليفي برفنسال، باريس، 1928 ؛ ألفريد بل، *الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي*، بيروت، 1987 ؛ محمد ألوزاد، *ابن تومرت الأندلسي*، *مجلة كلية الآداب فاس*، 11، 1990 ؛ ع. بدوي، *مقالات الإسلاميين*، بيروت، 1971 ؛ المراكشي، *المعجب*، ص. 198 ؛ ابن الأثير، *الكامل*، ج ـ ص. 571 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، ص. 45 ؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب*، ص. 193 ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر*، ج 6، ص. 488.

I. Goldziher, *Le livre de Mohamed Ibn Toumarte*, Alger, 1930 ; *Encyclopédie de l'Islam*, Nlle. Éd., T. III, *Ibn Toumarte* ; *Hespéris*, 1924.

محمد ألوزاد

تومليلين ← تيوملیلين

التومي، أسرتان تطوانيتان، أصل الأولى من مدشر عين التوم بفرقة العزابة من قبيلة بني عروس (إقليم العرائش)، وقد اشتهر أفرادها في الماضي بمهارتهم في صنع "السفنج" (كعك من العجين المقلي). والثانية أصلها من الجزائر، وكان جل أفرادها ينتمون إلى الجندية حيث نجد ذكر بعضهم في الوثائق مثل محمد التومي الذي كان جندياً بفرقة البحرية سنة 1246 / 1831 وعبد الرحمن بن أحمد التومي الذي كان مدفعيا بحامية المدينة سنة 1292 / 1875 والبحّار أحمد بن عبد الخالق التومي الذي كان ينتمي إلى نفس الحامية سنة 1296 / 1879، والجندي أحمد بن البشير التومي الذي كان مدفعيا سنة 1300 / 1883.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 55 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 170، 8 : 212، 250 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias : Vademecum de Intervenciones* (año 1931) 1932 (T).

محمد ابن عزوز حكيم

تُونْزي، محمد بن أحمد، أحد أنشط المقاومين ضد الاستعمار الفرنسي. ولد سنة 1931 بمدينة أسفي، واشتهر

كأول مسؤول عما كان يعرف "بالمجموعة البريدية" التي كانت مكلفة بنقل المناشير والرسائل السرية من الأمانة العامة لحزب الاستقلال بالرباط إلى أسفي، ومنها إلى كل من الصويرة ومراكش وأگادير. وكانت هذه المجموعة تضم علاوة عليه السيد عبد الخالق الشقوري والسيد بُريك...

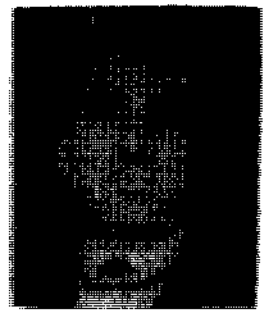

تونزي محمد

ولعب السيد محمد تونزي دوراً أساسياً في نجاح مهام لجنة تموين المعتقلين الوطنيين المنحدرين من مدينة أسفي ونواحيها بمختلف سجون المغرب، فكان رحمه الله، يسهر على توزيع التموين عليهم ويعمل جهد المستطاع لمعرفة أحوالهم الصحية... كما أن السيد تونزي كان أحد الأعضاء النشيطين في خلية "أسود التحرير" التي أسست بأسفي إبان أزمة 1953 ـ 1956 والتي كان لها نشاط ملحوظ في مجال مقاومة الاستعمار.

اعتقل السيد تونزي عدة مرات. وتوفي بأسفي يوم 15 جمادى الأولى عام 1412 / 22 نونبر 1991.

معلومات شخصية وروايات شفوية ؛ استجواب مع السيد مُحمد بن الخضير، في جريدة "العلم" بتاريخ 11 / 12 / 1989.

عبد الرحيم العطاوي

تونس والمغرب، ترجع العلاقات بينهما في العصر الإسلامي إلى عهد الفتح العربي في منتصف القرن الهجري الأول (7 م). وقد دعا العرب القطر التونسي ـ تبعاً للرومان ـ افريقية، كما دعوه أيضاً المغرب الأدنى لقربه من بلادهم في مقابل المغرب الأقصى البعيد عنها. فبعد أن أسس عقبة بن نافع الفهري القيروان عام 50 / 670 ثم فتح المغرب الأقصى عام 62 / 682 توالي الولاة على حكم هذه المنطقة الممتدة من المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى من مدينة القيروان باسم الأمويين ثم العباسيين إلى أن جاء إدريس بن عبد الله الكامل فأسس بأقصى المغرب عام 172 / 788 دولة مستقلة في وليلي بجبل زرهون ثم في فاس بعد تأسيسها. وبذلك انفصل المغرب الأقصى عن نظر العباسيين بالشرق وولاتهم بالقيروان.

وللتشويش على الدولة الناشئة أقام العباسيون إمارة بني الأغلب في القيروان (184 / 800) ليكونوا شوكة في حلق الأدارسة، لكن العلاقات بين فاس والقيروان ولو أنها اصطبغت بصبغة الحذر والتربص لم تصل قط إلى المواجهة.

ولما حل العبيديون الفاطميون الشيعة محل الأغالبة في افريقية (297 / 910) حاولوا ـ بدون جدوى ـ بسط نفوذهم على المغرب الأقصى، وجهز رابع خلفائهم أبو تميم المعز لدين الله جيشاً قوياً بقيادة جوهر الصقلي تمكن من الدخول إلى فاس بسبب ضعف دولة الأدارسة، لكن النفوذ الفاطمي لم يعمر طويلاً بعد نزوح جوهر الصقلي ومخدومه المعز إلى مصر. وقد أعاد الكرة الصنهاجيون حلفاء الفاطميين وخلفاؤهم في افريقية لكن حملاتهم على المغرب انتهت بالفشل أمام مقاومة الأمراء الزناتيين الذين خلفوا الأدارسة.

وتعتبر فترة المرابطين (453 ـ 539 / 1061 ـ 1145) فترة توقف في العلاقات بين المغرب وافريقية (تونس). ذلك أن المرابطين الذين امتدت امبراطوريتهم من جبال الذهب بالسودان جنوباً إلى أقصى بلاد الأندلس شمالاً رأوا أن تتوقف حدودهم الشرقية في وسط الجزائر بالرغم على الاستنجاد المتكرر من الصنهاجيين حكام افريقية الذين اضمحل نفوذهم بتوالي الضربات عليهم براً من قبل أعراب بني هلال وبحراً من أساطيل النورمانديين والجنويين وغيرهم. وتذكر المصادر التاريخية أن أساطيل المرابطين هاجمت أحد ثغور صقلية فلم يشكّ روجار ملك النورمانديين أن ذلك كان بإيعاز من الحسن بن علي آخر الملوك الصنهاجيين فكانت حملة الأسطول النورماندي الكبرى على افريقيا عام 536 / 1141، وانتهت باحتلال العاصمة المهدية ومعظم الثغور البحرية وانقراض الدولة الصنهاجية.

ولما قامت دولة الموحدين في مراكش (539 ـ 664 / 1145 ـ 1265) صارت افريقية (تونس) تابعة للمغرب وجزءاً من الامبراطورية الموحدية العظمى الممتدة من برقة إلى المحيط. ذلك أن الخليفة عبد المومن الموحدي بعد أن أرسى قواعد ملكه بالمغرب، خرج في حملة عسكرية كبرى دامت سنتين (554 ـ 555 / 1159 ـ 1160) قضى فيها على الفتن والإمارات المتناحرة في المغربين الأوسط والأدنى، وطرد النورمانديين من المهدية وغيرها من الثغور المحتلة، فنظم شؤون تلك البلاد وجعل نائبه في حكمها مقيما في تونس وغدت منذ ذلك الحين مدينة تونس عاصمة افريقية، وحمل المغرب الأدنى اسم عاصمته الجديدة تونس، إلى جانب الاسم القديم إفريقية إلى أن اختفى هذا الأخير.

وفي عام 600 / 1204 توجه رابع الخلفاء الموحدين محمد الناصر إلى تونس للقضاء على ثورة ابن غانية ومكث فيها ثلاث سنين يرتب شؤونها، وقبل أن يرجع إلى المغرب في رمضان عام 603 / أبريل 1207 استخلف على تونس وزيره عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص الهنتاتي، وبعد وفاة أبي حفص خلفه في حكم تونس أبناؤه باسم الموحدين ملوك مراكش، إلى أن آل الأمر إلى رابعهم يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي، وكان نجم الموحدين قد أخذ في الأفول، فاستبد يحيى بالسلطة وقطع الخطبة للموحدين وجعلها لنفسه، فكان ذلك بداية قيام الدولة الحفصية

بتونس عام 626 / 1229.

ولما آلت دولة المغرب إلى بني مرين، وكان أمر الموحدين المصموديين قد بقي راسخاً في النفوس، رأى المرينيون أن يدعوا للحفصيين ملوك تونس باعتبارهم فرعاً للموحدين وشعبة منهم "تأليفاً لأهل المغرب واستجلاباً لمرضاتهم وإتياناً لهم من ناحية أهوائهم" ـ حسب عبارة *الاستقصا* ـ وكان الحفصيون من جهتهم يهتبلون بهذا التقارب ويهادون المرينيين ويمدونهم بالمال والسلاح وغير ذلك. وقد كتب يعقوب بن عبد الحق المريني حين عزم على منازلة مراكش إلى محمد المستنصر الحفصي وبعث بكتابه مع ابن أخيه عامر بن إدريس بن عبد الحق في جماعة من وجوه بني مرين، فأكرم المستنصر وفادتهم. ولما تم ليعقوب فتح مراكش بعث إليه المستنصر بهدية فيها الكثير من أصناف الخيل الجياد والسلاح والثياب الرفيعة... واتصلت المودة والمهاداة بين المستنصر والسلطان يعقوب سائر أيامهما، ولو أن يعقوب المريني قطع دعوة الحفصيين. ثم حدث فتور في العلاقات المغربية ـ التونسية لمدة تنيف عن ستين سنة بسبب انشغال يعقوب المريني وبنيه من بعده بأمور الجهاد في الأندلس وغيرها، إلى أن هاجم أبو تاشفين صاحب تلمسان الحفصيين في عقر دارهم ودخلت جيوشه مدينة تونس سنة 729 / 1329 وخلعوا ملكها أبا بكر بن يحيى الحفصي واستبدلوا به صنيعة لهم. فالتجأ الملك المخلوع إلى مدينة بونة جريحاً وأوفد ابنه أبا زكرياء ووزيره ابن تافراجين إلى حضرة السلطان أبي سعيد المريني يستصرخه، فنهض أبو سعيد لغزو تلمسان، وقبل أن يصل إليها تمكن أبو بكر الحفصي من الرجوع إلى حاضرته تونس، وانعقدت المصاهرة بين الطرفين فحُملت فاطمة بنت السلطان أبي بكر الحفصي في موكب فخم بحراً وزفت لولي العهد أبي الحسن ابن أبي سعيد المريني (731 / 1331)، "واحتفل السلطان أبو سعيد رحمه الله لوفدها وأعراسها بما لم يُسمع به في دولتهم وتحدث الناس به دهراً" (*الاستقصا*، 3 : 117).

تمتنت الصلات بين السلطان أبي الحسن المريني وأصهاره الحفصيين ملوك تونس، وكان أول ما قام به أبو الحسن هو الانتقام من أبي تاشفين صاحب تلمسان الذي رفض أن يرد إلى الحفصيين المدن التي استولى عليها في المغرب الأوسط، ودام حصار تلمسان ثلاث سنوات انتهى بدخول أبي الحسن إليها عنوة وقتل أبي تاشفين وأولاده وكبراء دولته في سابع وعشرى رمضان عام 737 / 29 أبريل 1337.

وفي معركة طريف بالأندلس التي محص الله فيها المسلمين، فقد أبو الحسن زوجته فاطمة الحفصية، فزوجه السلطان أبو بكر الحفصي أختها عزونة (746 / 1346) وأرسلها في موكب فخم رأسه شقيقها أبو العباس الفضل، ولم تكد تصل العروس إلى المغرب حتى جاء نعي أبيها أبي بكر ومبايعة ابنه عمر لتغيب ولي العهد عن الحاضرة. وقد حاول أحمد استرجاع حقه في الملك وقاتل أخاه فكانت الحرب بينهما سجالا وانتهت بقتل أحمد، وقدم الوزير ابن تافراجين على أبي الحسن المريني "وقص عليه الخبر وأغراه بتملك افريقية وأوجب عليه النظر للمسلمين فيها" (*الاستقصا*، 3 : 155).

سار أبو الحسن في جيش جرار إلى تونس، وملك في طريقه جميع المدن والأقاليم في بلاد الواسطة وما وراءها ونصّب فيها الولاة، وقبل أن يصل إلى تونس خرج عمر الحفصي فاراً إلى الصحراء، فأدركه جيش أبو الحسن وقتله، ودخل أبو الحسن مدينة تونس يوم السبت حادي عشر جمادى الثانية عام 748 / 18 شتنبر 1347 في موكب بلغ غاية الفخامة والأبهة بمن حضره من العلماء والرؤساء والأمراء الحفصيين وغيرهم تخفق عليه راياته التي كانت نحو مائة، وقد شاهد ابن خلدون، وهو ابن ست عشرة سنة، هذا الموكب العظيم ووصفه بدقة وقال في خلاصته : "وكان يوماً لم يُرَ مثله فيما عقلناه." (*العبر*، 7 : 562).

أقام أبو الحسن قرابة ثلاث سنوات في تونس ينظم أحوالها ويحصن ثغورها. لكنه اصطدم بمشكل الأعراب الذين ألفوا الإقطاعات والامتيازات الكثيرة أيام الحفصيين، فلم يطيقوا تضييق أبي الحسن عليهم وضربه على أيديهم، فثاروا به وهزموا جيوشه في القيروان وحاصروا حاشيته في تونس. وثار أثناء ذلك صهره أبو العباس الفضل لاسترجاع ملك أبيه، وجرت على أبي الحسن محن وأهوال وركب البحر أخيراً من تونس راجعاً إلى المغرب في أوائل شوال عام 750 / 1349. وفشا الطاعون وغلت الأسعار والفصل شتاء فعصفت بهم الريح وتكسرت السفن في شواطئ الجزائر، وغرق الكثير من حاشيته وفيهم نحو أربعمائة عالم ونجا السلطان على لوح.

وبعد ثمان سنوات أعاد أبو عنان المريني الكرة على افريقية فدخلت في طاعته طوعاً أو كرهاً. لكنه اصطدم ـ كأبيه ـ بمشكل الأعراب واضطر إلى الرجوع إلى فاس. وفي السنة الموالية وجه أبو عنان حملة عسكرية إلى تونس قامت بتأديب العصاة من الأعراب، ولم يلبث أبو عنان أن توفي في قام نفس السنة 759 / 1358 وصرف المرينيون بعد ذلك نظرهم عن تونس بحيث لم يعد نفوذهم يجاوز تلمسان التي كانوا يتداولون حكمها هم والمتأخرون من ملوك بني عبد الواد إلى أن ملكها الأتراك وأصبحت الجزائر إيالة عثمانية.

بعد أن غزا الامبراطور شارلكان تونس عام 942 / 1535 وجعلها تحت حمايته بمشاركة حلفائه الحفصيين المتأخرين المتناحرين على السلطة، وجه الخليفة العثماني سليم الثاني عام 981 / 1574 أسطولا حربياً بقيادة الوزير سنان باشا لطرد الإسبانيين من تونس، وشارك في هذه الحملة الحربية الأميران المغربيان عبد الملك (المعتصم) وأحمد (المنصور الذهبي) اللذان كانا ملتجئين آنذاك إلى تركيا. وتقول بعض الروايات التاريخية إن الأميرين المغربيين سبقا ببشارة فتح تونس إلى السلطان العثماني، فأسعفهما بجيش من انكشارية الجزائر صحبهما إلى فاس، واستردا بذلك ملك

أبيهما.

وقد استمر الحكم التركي المباشر لتونس منذ هذا التاريخ إلى أن حلت محله الحماية الفرنسية سنة 1298 / 1881، كما فرضت الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1330 / 1912، وبذلك انقطعت الصلات السياسية عمليا بين المغرب وتونس خلال القرون الخمسة الأخيرة.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ط. بيروت، 1959، الجزء 7 ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي*، ط. الحجرية بفاس ؛ م. الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تح. محمد ماضور، تونس، 1966 ؛ م. ابن أبي دينار، *المونس في أخبار افريقية وتونس*، تح. محمد شمام، تونس، 1967 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. الدار البيضاء، 1954، الجزء 3 ؛ ح. حسني عبد الوهاب، *خلاصة تاريخ تونس*، ط. 2، تونس د. ت.

محمد حجي

* * تجددت العلاقات بين المغرب وتونس بعد الاستقلال بكيفية أقوى وأوسع. ففي ثاني مارس سنة 1956، وقّع المغرب وفرنسا تصريحا مشتركا بمقتضاه تعترف فرنسا باستقلال المغرب على نحو غير مشروط، منهية بذلك عهد الحماية. وهو اتفاق جاء في شكل مبسط Accord en forme simplifiée، بمعنى أنه ينفذ بمجرد التوقيع دونما حاجة إلى التصديق عليه. كما يتضمن برتكولا ملحقا وتبادل رسائل. وفي العشرين من نفس الشهر أقدمت فرنسا على الاعتراف باستقلال تونس واضعة بذلك حداً لمرحلة ما عرف بالاستقلال الداخلي. وهكذا انتقل كل من المغرب وتونس من مركز الدولة المحمية إلى مركز الدولة المستقلة. وأصبحا يتمتعان بمواصفات السيادة بما في ذلك حق تبادل العلاقات الدبلوماسية وحق إبرام المعاهدات الدولية. تأسيسا على ذلك تَمَّ إلغاءُ المادة السادسة من معاهدة فاس بتاريخ 30 / 3 / 1912 التي تصرح بأن على جلالة السلطان أن يلتزم بأن لا يعقد أي اتفاق ذي طبيعة دولية إلا بموافقة مسبقة من قبل حكومة الجمهورية الفرنسية.

ونفس الأمر طال المادة الثانية من معاهدة قصر سعيد المؤرخة بـ 12 / 5 / 1881 التي كانت بدورها تنص على أن صاحب السمو الباي يلتزم بأن لا يعقد أي اتفاق دولي دون أن يخبر بذلك حكومة الجمهورية الفرنسية ودون أن يتفق معها مسبقا.

ترمي هذه المادة إلى استجلاء طبيعة الاتفاقات الثنائية المبرمة بين المغرب وتونس، ذلك أنه علاوة على وحدة الانتماء الجغرافي والحضاري فالبلدان يعرفان قضايا متشابهة (التنمية، الاستقرار، وحدة الرؤية فيما يخص العلاقات مع دول الشمال) الخ.

ارتكازاً على هذه المعطيات الأولية، فإن المسح المونغرافي الذي قمنا به لدى الدائرة القانونية التابعة لوزارة الخارجية المغربية يكشف لنا أن عدد الاتفاقات الثنائية وصل إلى 124، منذ التوقيع على أول اتفاقية في عام 1957 إلى آخرها في عام 1994. ويتعلق الأمر باتفاقات في معناها الواسع وفق التعريف الذي تقدمه اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات بتاريخ 26 / 5 / 1969. يراد بعبارة "معاهدة" كل اتفاق دولي يبرم كتابة بين دول، ويجري عليه القانون الدولي سواء كان محرراً في وثيقة فريدة أو في وثيقتين أو عدة وثائق مرتبطة فيما بينها، وكيفما كان الاسم الخاص المطلق عليه.

يندرج إذن ضمن هذا التعريف كل التعابير والمصطلحات المرادفة للفظ "معاهدة" نسوق منها على سبيل المثال لا الحصر : اتفاقية، تصريح مشترك، برتكول، أشغال لجان، ميثاق، عهد الخ، على أنه يستثنى من هذا الجرد "العقود" المبرمة بين الدولة والشركات الخاصة وكذلك التوصيات والمقررات الصادرة عن المنظمات الدولية أو عن المؤتمرات الدبلوماسية.

يتجلى من قراءة فاحصة للاتفاقات المبرمة بين المغرب وتونس خلال 37 سنة أنها لا تخرج عن نطاق ما هو جارٍ به العمل الاتفاقي من حيث تقنيات الإبرام وتنفيذ الاتفاق وطرق التعديل والإلغاء. ليس هناك إذن إبداع، والاتفاقات المعقودة تم التفاوض في شأنها ثم حررت باللغة العربية مع وجود نص فرنسي، ثم التوقيع عليها والمصادقة إلا إذا اتفق الطرفان على الاقتصار على التوقيع لتدخل الاتفاقية في حيز التنفيذ. وهو نوع يعرف بالاتفاقات ذات الشكل المبسط على خلاف الاتفاقات الرسمية التي تتطلب استيفاء كل الإجراءات. وبعد ذلك تدخل إلى حيز التنفيذ. غير أن العديد من الاتفاقات، بالرغم من توفرها على الإجراءات لا تطبق في الواقع لأسباب سياسية أو ظرفية أو على الأقل تعلق أو تعوض باتفاقات مماثلة حيث تطبق في هذه الحالة نظرية المعاهدات المتعاقبة والمتتالية Traités successifs. حيث تُعوَّضُ الاتفاقيةُ اللاحقة الاتفاقية السابقة شريطة أن يكون موضوعهما نفس الموضوع، والطرفان هما نفس الطرفين.

من حيث الموضوع نجد هذه الاتفاقات لا تخرج عن المعتاد : تتكون من ديباجة أو تصدير هو عبارة عن إعلان النوايا والمبادئ التي تدخل كلها في بوتقة الوحدة المغاربية والتضامن العربي الإسلامي والإفريقي وتؤكد على مستلزمات التعاون والاندماج التدريجي. ويختلف متنها حسب الموضوع. فإذا كان الموضوع سياسيا، كاتفاقية الأخوة والتضامن التي دشنت مسيرة العلاقات الثنائية بين المغرب وتونس، فهي عادة تشكل إطارا كان يكمل بالتوقيع على برتكولات تقنية هي عبارة عن تطبيق عملي لأهداف الأخوة والتضامن. وهذا ما نجده فعلا بالنسبة لاتفاقية سنة 1961 التي دعمت بالتوقيع في عام 1990 على ستة برتوكولات تجسد هذه الرغبة في المجالات القنصلية والثقافية والبريدية والصحية والقضائية. ولما انتهى العمل بهذه الاتفاقيات لبلوغها الاجال القانونية تم تعويضها باتفاقات لاحقة في عام 1991.

وقد يكون موضوعها يتعلق بالأشخاص العاديين. وفي

هذه الحالة نجد اتفاقات الاستيطان Conventions d'établissement غير أنها ليست اتفاقيات تنفذ ذاتيا دون حاجة إلى اللجوء إلى الإجراءات المتعارف عليها. وقد يكون موضوعها شموليا متعلقا بالتعاون في جميع الميادين :

- الثقافة والإعلام.
- القضاء : تنفيذ الأحكام، تسليم المجرمين.
- الصحة والشغل والضمان الاجتماعي.
- التعاون القنصلي وإلغاء التأشيرة.
- المواصلات والنقل.
- التجارة والصناعة.
- إلغاء الازدواجية الضريبية.
- التعاون التقني.
- الطب والطب البيطري.
- التجهيز.
- الصيد البحري.
- الزراعة والتعاون بين المعاهد الزراعية.
- التعليم العالي (الطلبة).
- الشباب والرياضة.
- الخبرة.
- السكن والتعمير.

لقد تناولت هذه الاتفاقات كل المجالات ولم تستثن منها شيئاً.

وقد يكون موضوعها تأسيس لجان (كاللجنة المختلطة أو اللجنة المشتركة أو اللجنة الكبرى التي تضم العديد من الوزارات المعنية والتي تجتمع دوريا وبالتناوب في عاصمة كل من البلدين، كما تعطي للتعاون دفعاً وتنسيقاً وحجماً أكبر مما كان عليه الأمر في الماضي. وهو تنسيق يتناول قضايا الخارجية والداخلية، غير أنه ليس بمثابة اندماج Intégration.

عبد القادر القادري

التونسي، اسم لعدة أسر تطوانية لا علاقة لها ببعضها سوى أن أصلها من القطر التونسي، حيث إن هناك أسرة هاجرت إلى تطوان على إثر الاحتلال الفرنسي للقطر المذكور سنة 1305 / 1888 ؛ وهناك أسرة تونسية استوطنت مدينة شفشاون قبل انتقالها إلى تطوان وكان جل أفرادها يتعاطون حرفة البناء مثل المعلم محمد بن أحمد التونسي المتوفي سنة 1334 / 1916 والمعلم عبد الرزاق التونسي المتوفى سنة 1337 / 1919 والمعلم أحمد بن عبد الصادق التونسي الذي كان على قيد الحياة سنة 1340 / 1922 ؛ وهناك أيضاً أسرة تونسية جاءت إلى تطوان في عهد الحماية.

وأخيراً هناك أسرة تونسية لا علاقة لها بالقطر التونسي لأن أصلها من قرية التوانسة الواقعة بفرقة اسبيطة من قبيلة الغربية (إقليم طنجة).

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres* ; Isidoro de las Cagigas, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

التونسي، سعيد (رايس بحري)، من رياس الأسطول المغربي العاملين خلال عهد سيدي محمد بن عبدالله، تونسي الأصل من ضمن البحريين المقربين من فئة "أهل المشرق"، ورد اسمه ضمن المعتمدين في الأسطول سنة 1186 / 1772 في نطاق الفئة الثانية من الرياس الذين لم تسند إليهم قيادة السفن.

العسري، *كناش في أمور البحر*، (مخطوط)، ص. 38.

S. Timoule, *Le Maroc à travers...*, T. I., p. 310.

حسن أميلي

التونسي، صادق وأخوه المختار، طالبان من طنجة تعلما بإيطاليا بمدينة ليفورنو في مطلع القرن العشرين ولبثا هناك بضع سنوات، بعد أن كانا قد تعلما اللغة بمدينة طنجة.

م. المنوني، *مظاهر يقظة*، 2 : 296 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، 4 : 1359.1361 ؛ *الوثائق المغربية*.

مصطفى بوشعراء

التونسي، عبد الحكيم بن محمد بن عبد الحكيم، ولد بتونس العاصمة، وتلقى تعليمه ببلاده حيث تخرج من أشهر المدارس التونسية العصرية، ثم أكمل تعليمه بمصر. وتشهد رسائله التي تبادلها مع بعض أصدقائه المغاربة، على متانة تكوينه وسعة علمه. فمن خلال مجموعة من الرسائل، التي كتبها في المغرب يوم كان يقوم بمهمة ما لصالح المخزن، يظهر أن الرجل كان مثقفا ثقافة سياسية وقانونية رفيعة المستوى، وأنه كان يتقن اللغتين الفرنسية والإنجليزية. وعلى خبرة تامة بمعطيات السياسة الدولية في بداية القرن العشرين ؛ ووضع هذه الخبرة في خدمة بلده الثاني المغرب في مواجهة الضغوط والمشاريع التوسعية الفرنسية خاصة.

هاجر عبد الكريم إلى المغرب مع أبيه وبعض إخوته، في أواخر عهد الحسن الأول، حوالي سنة 1311 / 1894، واستوطنت أسرته مدينة مراكش. وتجدر الإشارة إلى أنه انتسب لاحقاً إلى امْزوغة بنواحي أمزميز قرب مراكش. وادعى أن أصله مغربي من جهة أبيه الذي كان قد هاجر إلى تونس. ولسنا في حاجة إلى مناقشة مدى صحة هذا الادعاء الذي أدلى به الرجل عندما حاول الفرنسيون نفيه من المغرب سنة 1902 - كما سنرى - بل نبادر إلى القول : إن عبد الحكيم قضى بقية حياته بمراكش التي توفي بها أبوه سنة 1320 / 1902، وأنه تزوج إحدى بنات باشا مراكش سابقاً عباس بنداود. وكان يزاول مهنة المحاماة في عهد الحماية الفرنسية. وظل مثالا للاستقامة والنزاهة، ومساعدة الضعفاء إلى وفاته.

لا نعلم الكيفية التي التحق بها عبد الحكيم التونسي بالمخزن، ولكن من خلال رسائله العديدة، تأكد لنا أنه

التحق بالمخزن سنة 1317 / 1899. ونظراً لثقافته الواسعة ومعارضته الشديدة للمطامع الفرنسية، فسُرعان ما كون له أصدقاء داخل المخزن وخارجه. نذكر من هؤلاء : الوزير المهدي المنبهي والنائب الحاج محمد الطريس والقائد عبد الله بن سعيد السلوي والأمين عبد السلام التازي الرباطي والكاتب أبا بكر التطواني والفقيه الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني والتاجر الركينة التطواني وغير هؤلاء.

أما الوظيف الذي كان يشغله فيبدو أنه لم يكن وظيفاً رسمياً معروفاً. وربما كان ذلك نتيجة لأسباب سياسية. فمن خلال مراسلاته نتأكد من أنه كان يقوم بدور المستشار القانوني والسياسي للسلطان مولاي عبد العزيز وللوزير المهدي المنبهي قبل عزله من الوزارة سنة 1322 / 1904. كما كان عبد الحكيم يطلع أصدقاءه على التطورات السياسية بأوربا، خاصة ما تعلق منها بالمغرب. وكان يقدم لهم النصح والمشورة في كل ما يهم العلاقات المغربية مع الدول الأوربية.

كان عبد الحكيم التونسي عنصرا نشيطاً في مقاومة الأطماع الفرنسية في المغرب، وفضح مشاريعها في الوقت المناسب. وقد كوّن مع أصدقائه الذين تعرفنا على بعضهم، نخبة وطنية معادية للتدخل الفرنسي وداعية للتعاون مع الدول الإسلامية مثل تركيا.

ولكي نتعرف على مدى اقتدار الرجل وفهمه العميق لمجريات التطورات السياسية في وقته واطلاعه الواسع على أحكام القوانين الدولية، نعرض لبعض الأمثلة من مواقفه من قضايا التدخل الأجنبي بالمغرب : فحول أهم قضية، وهي قضية الحمايات القنصلية التي نتجت عنها عواقب سياسية واقتصادية واجتماعية خطيرة، نجد عبد الحكيم التونسي ينبه وينذد بإهمال المسؤولين لهذه المسألة الخطيرة، وتضييعهم لحقوق المغاربة في مواجهة تعسفات الأجانب ؛ فالأجانب ـ حسب عبد الحكيم ـ كانوا يحكمون المغاربة بدون حق. بل كان يكفيهم قول شفاهي يبعثون به إلى الحاكم المغربي فيعمل بمقتضاه بدون بحث ولا تعقب ولا نظر، هذا إذا كان المدعي أجنبيا، أما إذا كان الضحية مغربيا، "فإن حقه ضاع إلى يوم القيامة" حسب تعبير عبد الحكيم. وتبعاً لهذا المنطق في الحكم، فإن الأجانب كانوا مبرئين دائما مع أنهم هم المعتدون في غالب الأحوال.

وغير خاف أن مسألة الامتيازات السياسية والقانونية التي حصل عليها الأجانب بالمغرب بمقتضى معاهدات لا متكافئة هي التي جعلت المخزن يقف عاجزاً أمام تطرفاتهم، وزيادة على ما كان يتصف به المغرب من ضعف عام في مواجهة دول قوية وطامعة تتربص به الدوائر.

كان لعبد الحكيم التونسي موقف إصلاحي واضح من ضرورة تجديد بعض المرافق كالسكة أو العملة، نبه عبد الحكيم إلى ضرورة النظر في أمر تبعية العملة المغربية إلى العملات الأجنبية الإسبانية والفرنسية خاصة، لأن ذلك ليس في "مصلحة الوطن". واقترح أن يكون ضرب السكة المغربية على يد من يوثق به لكي لا يغش فيها مثل ما فعل بعض الفرنسيين والإنجليز الذين أضاعوا حقوق المغرب.

وفي سنة 1322 / 1904 كان لعبد الحكيم موقف واضح من مشروع "الإصلاحات" الفرنسية المقدمة للمغرب، تلك الإصلاحات التي كان الهدف منها فرض حماية فرنسية مبكرة. فبعد الاتفاق الودي بين فرنسا وبريطانيا، ظنت الحكومة الفرنسية أن الوقت قد حان لقطف الثمرة المغربية، ولذلك هيأت مشروعاً يرتكز على منح الفرنسيين الإشراف على المالية والجيش والإدارة. وقد قدم هذا المشروع السفير الفرنسي سان روني طايندي Saint René Taillandier، في شكل مطالب بإصلاحات تتناول الميادين المذكورة. لكن المغاربة رفضوا المشروع وكان لعبد الحكيم التونسي دور كبير في فضح النوايا الفرنسية في حينها.

فقد كتب رسالة من باريز بعثها لصديقه عبد الله بن سعيد شرح فيها النوايا الفرنسية الحقيقية. وأكد عليه بمزيد من الإلحاح في ضرورة أن ينصح ويحذر السلطان، حتى لا يسلم للفرنسيين أي شيء من النفوذ في البلاد، لأن الفرنسيين إذا استولوا على المال استولوا على الرجال. وقد اقترح عبد الحكيم فكرة سياسية هامة هي جمع أكابر العلماء والأعيان، للتشاور معهم. وكانت هذه الفكرة هي أساس جمع مجلس الأعيان الذي ناقش المشروع الفرنسي ورفضه سنة 1323 / 1905.

ونتيجة لنشاط عبد الحكيم في فضح النوايا الاستعمارية في حينها ولو بكيفية سرية، خاصة وأنه كان يقوم بمهمات سرية لصالح المخزن بأوربا وربما بتركيا كذلك، يبدو أن المفوض الفرنسي بالمغرب كان يتتبع منذ وقت مبكر نشاط الرجل. وبدأ يحيك مؤامرة لإخراج عبد الحكيم من المغرب. وقد استعان ببعض المغاربة العاملين بالمخزن، ممن كانوا مقربين من الأوساط الفرنسية مثل غنّام بدار النيابة والجباص وغيرهما.

وهكذا لما علم سان روني طايندي، بسفر عبد الحكيم بمهمة مخزنية خارج المغرب سنة 1320 / 1902، بعث إليه بورقة النفي وهو يستعد لركوب السفينة بميناء طنجة. ومما جاء فيها : "أنا نائب الدولة الفرنسوية بالمغرب، بناء على الشكايات التي وردت بعبد الحكيم بن محمد بن عبد الحكيم من رعايا تونس وتعددها من اليوم الذي دخل فيه لمملكة المغرب... فإن نائب الدولة الفرنسوية قد ظهر له أن يمنع عبد الحكيم المذكور من السكن بالمغرب حيث كان في جلوسه بالغرب تحيير الراحة العامة...".

لم يقف عبد الحكيم مكتوف الأيدي أمام هذا التعسف الأجنبي بل رفض الأمر الفرنسي، وناقشه من الناحية السياسية والقانونية، نقاشاً واسعاً ودقيقاً بين اقتدار الرجل وسعة عارضته ومتانة ثقافته القانونية والسياسية. فقد اقترح الردود المناسبة التي يجب أن يواجه بها المخزن ادعاءات النائب الفرنسي في كل نقطة نقطة من مذكرة

النفي.

ولم يكتف عبد الحكيم، بصراعه مع الأوساط الاستعمارية على الواجهة المغربية، بل يظهر أنه وضع قضيته أمام العدالة بفرنسا، ووكل عنه بعض المحامين أشهرهم محام انجليزي كان يسكن جبل طارق وله علاقات متينة مع الأوساط الوطنية المغربية اسمه متشل Michel.

وقد آتت جهود عبد الحكيم أكلها في النهاية. وتمكن بتعاون مع أصدقائه المغاربة، وبمساندة المخزن المالية، من الانتصار والعودة إلى المغرب، ليعيش فيه مكرماً محترماً، بالرغم من نظام الحماية الفرنسية التي جاهد للحيلولة دون فرضها جهاداً صادقاً.

توفي عبد الحكيم سنة 1351 / 1932 ولم يخلف عقبا يرثه ولذلك تذكر الرواية الشفوية أن أحد إخوته جاء من تونس واستحوذ على ميراثه بعد أن تزوج امرأته.

مجموعة المراسلات التي تبادلها عبد الحكيم مع أصدقائه، والمحفوظة بخزانة الحاج العربي بن سعيد بسلا رحمه الله ؛ م. المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، الجزء الثاني ؛ ع. الخديمي، عبد الحكيم التونسي، أو نموذج مغمور من التضامن بين المغاربة والتونسيين لمقاومة التدخل الأجنبي بالمغرب في بداية القرن (20 م)، ضمن أعمال الجامعة الشتوية، يفوت 1988. الكتاب الثاني.

علال الخديمي

التونسي بن **مبارك** العوني، فقيه متصوف. يكتب بعض النسابة نسبه كالتالي : التونسي بن مبارك السباعي أصلا، نسبة إلى أولاد أبي السباع القبيلة المغربية الشهيرة، الرحالي العوني الدكالي داراً وموطناً، بحكم إقامته بفرقة اولاد رحال بقبيلة العونات من دكالة (مجموع، 1).

وإذا علمنا أن أولاد أبي السباع ينتسبون للشرفاء الأدارسة كما هو مشهور (*المعسول*، 15 : 267) فمن تحصيل الحاصل القول بأن التونسي بن مبارك شريف النسب من الفرع الحسني. وقد نصت على ذلك مختلف مصادر الزاوية التونسية، منها وثيقة في مجموع مخطوط يوجد بخزانة الزاوية نفسها مما جاء فيها "الشريف الأمجد ذو السلالة النبوية الأشهر... التونسي بن مبارك..." (مجموع، 1).

وتقول الروايات الشفوية إن "التونسي" لقب لابن مبارك هذا وحسب، وليس اسمه الشخصي، وأنه لُقّب به بحكم إقامته الطويلة التي قدرت بسبع سنوات في بلاد تونس، خلال إحدى أوباته من الحج. ومن ثم عرف بالتونسي بن مبارك إلى حد نسيان اسمه الشخصي الحقيقي.

ولد التونسي بن مبارك بشيشاوة بحوز مراكش حيث أقام ذووه ضمن مضارب أهاليهم أولاد أبي السباع في تاريخ لم تفصح عنه الروايات مكتوبة كانت أو شفوية. لكننا نرجح أوائل القرن الثاني عشر للهجرة (18 م) تاريخاً لذلك، بحكم معاصرته لبداية فترة حكم السلطان المولى محمد بن عبد الله العلوي الموافق لـ 1171 هـ - 1750 م / 1201 هـ - 1783 م.

وعلى إثر الحركة الشهيرة التي نظمها السلطان المذكور على مضارب أولاد أبي السباع نزح التونسي بن مبارك صحبة والده من بلدته الأصلية (مجموع، 4.2)، على غرار كثير من بني قومه الذين تفرقوا بمختلف نواحي البلاد (*الروضة السليمانية*، 125). وقد نزل المترجم له - صحبة ذويه - أول الأمر بقبيلة "حمر" عند العم المسمى حرمة الله، شقيق السيد مبارك والد التونسي، وهناك توفي السيد الوالد ودفن بالقبيلة نفسها، ولشهرته نسبت المقبرة التي دفن بها إليه وأصبحت تعرف إلى الآن بروضة سيدي مبارك (مجموع، 6.4).

وبعد وفاة والده انتقل التونسي بن مبارك إلى دكالة ونزل بفرقة أولاد رحال بقبيلة العونات من دكالة، واستقر بها يشارط في مساجدها، الأمر الذي يفسر نسبته المذكورة : الرحالي العوني، على نحو قول مؤلف مجهول بمناسبة حديثه عن نسبته إلى أولاد رحال، مؤداه "وانتسب إليهم على حسب القاعدة المألوفة لدى المؤرخين حيث إذا مر بقبيلة أو مكث بها شخص مدة أربعة أعوام انتسب إليها ولقب باسمها" (مجموع، 6). كما يبدو أيضا أنه أخذ العلم بفرعيه الظاهر والباطن أي علوم الشريعة والحقيقة إبان رحلاته هاته من حوز مراكش إلى حمر إلى أولاد رحال، لكن المصادر لم تهتم بذكر شيوخ التونسي بن مبارك في العلم الظاهر، واكتفت بالقول بأنه انخرط في سلك التصوف على يد الشيخ سعيد احنصال أحد كبار شيوخ الطريقة الحنصالية الشاذلية بمغرب القرن الثاني عشر (18 م)، وصاحب الزاوية الشهيرة بالجهة الشمالية من مرتفعات الأطلس الكبير (مجموع، 6).

وامتداداً لنشاط شيوخ التصوف ولاسيما في الطريقة التي اعتنق مبادئها، عمل الشيخ التونسي على إنشاء زاوية له، واختار لإقامتها تلا صغيرا يدعى "كدية العرعار" بجوار واد جاف، في قلب قبيلة العونات ببلاد دكالة، حيث لاتزال أعمدتها قائمة ونشاطها العلمي متواصلا، إلى الآن.

وتذكر روايات آل التونسي الشفوية أن تأسيس هذه الزاوية تم في أواخر عهد السلطان المولى محمد بن عبد الله الممتد بين 1171 هـ - 1752 م / و1206 هـ - 1783 م. ورغم أن هذا الخبر شفوي فإننا نرجحه على قول آخر مكتوب لصاحب "*كتاب المغرب*"، الذي يرى بأن الزاوية التونسية تأسست سنة 1100 هـ / 1822 م (*كتاب المغرب*، 48)، خاصة إذا علمنا أن السلطان المولى سليمان زار هذه الزاوية، وهو الذي بدأ حكمه قبل التاريخ المذكور وهي في أوج ازدهارها، وأن أبناءه درسوا بها، كما سنرى.

ومهما يكن من أمر، فقد اتخذ الشيخ التونسي بن مبارك من "كدية العرعار" بالعونات مقراً له، وشرع في توفير أسباب الاستيطان بها، من بيوت وماء ومزارع ومحطب ومرعى... فأُقيم المسجد وبنيت دار الزاوية، وعلى رأسها مسكن الشيخ الذي ما زالت آثاره قائمة إلى الآن، على بابه خاتم السلطان المولى سليمان باللون الأحمر،

كما حفرت الآبار، من أشهرها بئر بجانب الزاوية، أعيد إصلاحه سنة 1974 من طرف أحفاد الشيخ المؤسس، حسب رواية شفوية لآل التونسي، وغرست الأشجار، ولا سيما أشجار الزيتون، التي بلغت من الكثرة حدا جعلت الشيخ التونسي يخصص أعواناً مهممتهم الأساسية رعاية حقول الزاوية، كانوا يسمون بالحواضة، لازال دوار يحمل اسمهم إلى الآن.

هذا، ويستفاد من الوثائق المحفوظة بخزانة الزاوية أن الشيخ التونسي خلف ثلاثة أبناء أكبرهم يوسف وكان فقيهاً عالماً، وثانيهم أحمد، وكان فقيهاً صالحاً، ثم محمد، وكان ولياً مجذوباً *(ظهائر سلطانية خاصة)* كما يفهم من الوثائق أن الشيخ أحمد بن التونسي المكنى بابن الطالب هو الذي خلف والده في تسيير شؤون الزاوية التونسية *(ظهائر سلطانية خاصة ؛ مهرجان*، 35). هذا من جهة، ومن جهة ثانية تخبرنا بعض المصادر أن هذا الشيخ كان مثل والده حنصالي الطريقة، وأنه عاش وتوفي خلال القرن الثالث عشر للهجرة (19 م) *(جواهر*، 1 : 61) حيث دفن بزاوية والده، وقبره بها مشهور إلى الآن، باسم قبر سيدي ابن الطالب، ويفهم من الظهائر السلطانية كذلك أن الفقيه التونسي بن أحمد بن التونسي هو الخليفة الثالث للزاوية المذكورة، وأنه عاصر فترة حكم السلطان المولى الحسن الأول *(ظهائر سلطانية خاصة)* ثم ظل آل التونسي من أبناء وأحفاد الشيخ المؤسس يتوارثون هذه المهمة إلى عهدنا هذا.

وفيما يلي جدول يبين أبناء وأحفاد الشيخ التونسي ابن مبارك، ومن ضمنهم شيوخ الزاوية التونسية كما ورد ذلك في الوثائق *(ظهائر سلطانية)* و*روايات آل التونسي* الشفوية.

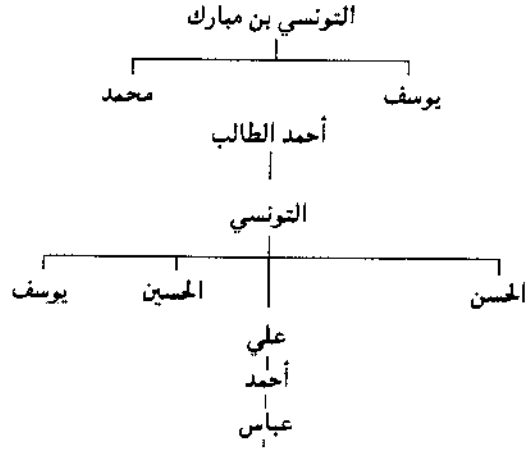

أحمد (توفي في السنوات الأخيرة)

وثائق خاصة بتاريخ الزاوية، خزانة الزاوية التونسية ؛ مؤلف مجهول، *مجموع مخطوط عن الزاوية التونسية*، خزانة الزاوية التونسية، بدون رقم ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال في تراجم الرجال*، ج. 1، البيضاء، 1356 ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية*، مخطوط، خ. ع.، الرباط، رقم 658 د ؛ الصديق بن العربي، *المغرب*، الرباط، ط. 3، 1404 هـ ؛ *كتاب مهرجان دكالة*، بلدية سيدي بنور، إقليم الجديدة.

أحمد الوارث وفاطمة الموني

التونسية (الزاوية ـ)، من المراكز الحضارية التي عرفت نوعاً من الازدهار في عهد الدولة العلوية. توجد في قبيلة العونات بدكالة، على بعد عشرين كيلومتراً تقريباً من مركز أربعاء العونات على الطريق المؤدية إلى صخور الرحامنة ؛ وهي تقع فوق تَلّ على واد جاف لأن المنطقة تلال متوازية.

لقد وصف گولفان الزاوية في عام 1917 بقوله : "هذه الزاوية عبارة عن مجموعة من الدور العتيقة المحاطة بالقباب البيضاء وبغابة من أشجار الزيتون. وتشتمل إحدى هذه الدور على فناء رحب ومفتوح تحف به أعمدة عالية تحمل إفريزات من الخشب المنقوش وعلى غرفة طويلة ذات سقف مُتقن الصنع ومُلون على الطريقة الأزمورية في اتساق بديع. ومن مميزات هذه الزاوية أنها تقع في ناحية غنية بالصَّمْغ والزيتون واللوز".

وفيما يتعلق بتاريخ تأسيس الزاوية التونسية، فإن كتاب *ناحية دكالة* من مدن وقبائل المغرب، يقول : إن هذه الزاوية تأسست في عهد السلطان المولى إسماعيل. ومن الراجح أن تأسيسها كان، حسب بعض الروايات الشفوية في العهد الموالي للعهد الإسماعيلي. ويمكن أن يكون هذا التاريخ صحيحا إذا ثبت أن المولى سليمان زار الزاوية التونسية لما كانت في أوج ازدهارها العلمي.

أما مؤسس هذه الزاوية فهو الفقيه التونسي بن مبارك العوني، وهو ينتسب لفخذ من أولاد مبارك بقبيلة الشرفاء أولاد أبي السباع. وكان من تلامذة الشيخ أحنصال. ورد على قبيلة العونات وفتح بها مدرسة وبدأ يُدرس بها، غير أن الزاوية لم تعرف قمة نشاطها العلمي إلا على عهد الفقيه التونسي أحمد بن مبارك الذي يوجد ضريحه في مقبرة الزاوية قرب ضريح الفقيه أحمد بن الطالب.

كانت الزاوية التونسية تحتوي على المرافق التالية :

1 ـ المقصورة : وهي مكان إلقاء الدروس وإقامة الصلوات.

2 ـ مجموعة من الغرف المخصصة لسكنى الطلبة الذين كان عددهم يتجاوز المائة أحياناً.

3 ـ المكتبة : التي تزود طلبة الزاوية بما يحتاجونه من كتب في مختلف العلوم الفقهية واللغوية والتي ما يزال بعضها محفوظا لحد الساعة بدار السيد أحمد بن عباس. وجل هذه الكتب مخطوط.

4 ـ دار السلطان مولاي سليمان : إن أهل الزاوية التونسية يدعون أن هذا السلطان كان قد أرسل ابنه للدراسة بالزاوية المذكورة. وهذا الادعاء يحتاج إلى برهان.

وعلى أيّ، فقد قامت هذه الزاوية بدور بالغ الأهمية في الإشعاع الفكري بالمنطقة، وكانت تؤدي رسالتها كمؤسسة تعليمية تهتم بتدريس اللغة والنحو وعلوم القرآن والتفسير والحديث.

وكان الطلبة مقسمين إلى طبقتين :

المبتدئون : هم الذين يدرسون المتون مثل *الأجرومية والألفية* في النحو و*لامية الأفعال* في التصريف و*متن ابن عاشر* في التوحيد والفقه ومبادئ التصوف وغير ذلك من المتون التي تلائم مداركهم.

الكبار : وهم الذين يتعمقون في النحو والفقه والحديث والتفسير. وبعد إتمام دراستهم بالزاوية التونسية، ينتقلون إلى فاس أو مراكش لنيل الإجازة العلمية.

ويذهب بعض أحفاد الفقيه التونسي إلى القول : إن الزاوية استمرت في مهمتها التعليمية أزيد من قرنين منذ عهد سيدي محمد بن عبد الله حتى عهد السلطان محمد الخامس، كما يؤكدون أنها لعبت دوراً وطنياً طلائعياً، إذ كان الفقهاء يحثون الطلبة على مقاومة المستعمر الدخيل... بل يشاع أن بعض رجالاتها وشيوخها كانوا على اتصال برجال المقاومة والفداء بالدار البيضاء ؛ غير أن أحد أفراد الأسرة التونسية، وهو القائد علال التونسي، اختار العمل إلى جانب الاستعمار وأصبح يضيق الخناق على الزاوية التونسية وشيوخها حتى اضطرت إلى إقفال أبوابها وإيقاف نشاطها الثقافي الذي امتد طيلة قرنين من الزمن.

وعلى الرغم من أن الشيوخ والفقهاء الذين تعاقبوا على التدريس بالزاوية المذكورة اشتهروا بتقواهم وزهدهم وورعهم وتفرغهم للعلم والعبادة، فإنهم لم يُخلفوا طريقة صوفية كما هو الشأن بالنسبة لعدد الزوايا المنتشرة بأنحاء المغرب.

م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة* (مخطوط) ؛ *مدن وقبائل المغرب*، ناحية دكالة، تر. محمد الشياظمي، وزارة التربية، *أعلام ومآثر دكالة*، 1981.

Goulven, *Cercle des Doukkala*. 1917.

محمد الشياظمي

تونفيت، تقع في منطقة ملوية العليا، وبالتحديد في نقطة التماس بين السفوح الشمالية للأطلس الكبير الأوسط وحوض ملوية العليا. ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي 2.000 متر، وتتميز المنطقة من الناحية البنيوية بكونها تقع في منطقة الحادث التكتوني الشمال أطلسي (شمال الأطلس الكبير)، حيث يروز صخور الترياس في السفح الشمالي المنكسر لجبل المْعَسْكَرْ (3.277 متر) والذي يقع جنوبها. من الناحية الإدارية فهي جماعة قروية تقدر مساحتها بـ 946 كلم^2 تابعة لدائرة ميدلت عمالة خنيفرة.

رغم وجود منطقة تونفيت في منطقة جبلية، إلا أن عامل الارتفاع لا يغير من المميزات المناخية العامة التي نجدها في حوض ملوية العليا، ذلك أن الجفاف يبقى هو السمة العامة للحوض وهوامشه المرتفعة، يقدر معدل التساقطات السنوية لمحطة تونفيت للفترة المتراوحة ما بين 1954 و1979 بحوالي 460 ملم يسقط معظمها خلال فصل

تونفيت

الربيع، وبالخصوص خلال شهر أبريل، هذا مع الإشارة إلى أهمية العواصف الرعدية التي تعرفها المنطقة خلال الصيف. الصقيع ظاهرة واضحة خلال فصل الشتاء، فعلى امتداد ستة أشهر تسجل أرقام حرارية أقل من 0 درجة، أما متوسطات الحرارة العليا خلال الصيف فلا تتعدى 30 درجة، كما تعرف المنطقة تساقطات ثلجية خلال فصل الشتاء (حوالي 20 يوماً) بمحطة تونفيت، وأكثر من ذلك في المرتفعات الجبلية الواقعة جنوبها.

الغطاء النباتي غابوي في السفوح والمنحدرات الجبلية، وذلك على مساحة تقدر بحوالي 54.223 هكتار، أما في الحادورات المطلة على وادي ملوية فتنتشر النباتات السهوبية، وخاصة نبات الشيح.

يتميز النمو الديموغرافي بالمنطقة بكونه ظاهرة لافتة للنظر، وهي ميزة عامة نجدها في كل مدن وقرى منطقة ملوية العليا، حيث إن تطور عدد السكان يعد بطيئاً وضعيفاً، والجدول التالي يوضح ذلك.

السنوات	1936	1943	1951	1961	1971	1982
عدد سكان جماعة تونفيت	10.547	12.882	12.968	8.757	10.208	11.610

من خلال هذه الإحصائيات نستنتج بأن هناك تناقصاً بعد 1951 ثم نمواً متوسطاً أو ضعيفاً بعد ذلك نسبياً في عدد سكان المنطقة، هذا الاستقرار لا يمكن تفسيره فقط بتوازن ما بين نسبة الولادات ونسبة الوفيات، بل هناك عامل الهجرة، فنظراً للعزلة التي تعيشها المنطقة وقلة الطرق وضعف التجهيزات الأساسية ونقص الموارد، فإن سكان قبيلة أيت يحيى يغادرون منطقتهم في اتجاه المراكز القريبة كميدلت وزايدة أو المدن البعيدة كفاس ومكناس، أو نحو الخارج.

تقدر الكثافة السكانية بمنطقة تونفيت بحوالي 10.7 ن / كلم^2.

إن مركز تونفيت عبارة عن تجمع سكني لمجموعة من القصور الممتدة على شكل شريط مواز للضفة اليمنى لواد أودغيس، حيث يقدر عدد سكان هذه القصور بـ 4.250 نسمة

(حسب إحصاء سنة 1982)، ويقوم السكان باستغلال ضفاف هذا الواد في زراعات مختلفة ومتنوعة، إلا أن أهم مورد للسكان هو تربية الماشية، وذلك راجع لوفرة المراعي والمروج الجبلية، وكذا المراعي السهوبية، والجدول التالي يوضح أهمية هذا القطاع.

الأبقار	الأغنام	الماعز	الإبل
829	32.504	22.683	12

مصلحة تربية المواشي بميدلت، *إحصائيات سنة 1983*، مديرية الإحصاء.

Ressources en eau du Maroc, Tome 3, *Domaines atlasique et sud atlatique*, N.M.S.G., N° 231, Rabat, p. 122 ; R. Raynal, *Plaines et piémonts du bassin de la Moulouya, Maroc oriental, Etude Géomorphologique*, Thèse d'Etat, Rabat, p. 273, 1961 ; *La terre et l'homme en Haute Moulouya*, B.E. S.M., Rabat, 1991 ; M. Zhar, *Approche climatique de la région de la Haute Moulouya, Revue de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Oujda*, 1er année, n° 1, p. 17.

محمد أزهار

تونّارت بن علي، أبو ولگوط الأيلاني من أهل حومة ثلاثاء موسى بن يلول من عمل مراكش. كان من أهل العلم تتلمذ عليه عبد الغفور بن يوسف الأيلاني المتوفى بأغمات وريكة سنة 583 هـ / 1190 م. كما كان من الزهاد المنقطعين للعبادة وقد أقام معتكفا مدة ثلاثين سنة، أما وفاته فكانت سنة 571 هـ / 1175 م (*التشوف*، 248. 249 ؛ *الإعلام*، ج. 3 : 79 وج. 8 : 450).

ذكر محقق كتاب *التشوف* أنه جاء في طرة نسخة الأستاذ محمد المنوني التي يرمز إليها في التحقيق بحرف "غ" أن أبا ولگوط تونارت بن علي الأيلاني هو الذي بالزيتون بالحوز وهو والله أعلم الذي يقال له سيدي سعيد برباط عقبة نفيس وقال بأن هذه الإشارة تفيد أن معنى تونارت هو سعد، وقد ترجم ابن الزيات لثلاثة ممن يحملون اسم تونارت وكنى كل واحد منهم أبا ولگوط كما ترجم لاثنين ممن يحملون اسم ولگوط وكنى كل واحد منهما أبا تونارت (أحمد التوفيق، *التشوف*، هامش 609 ص. 248).

ب. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1984، ص. 248 وهامش 609 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 3، 1975 وج 8، 1988.

حسن حافظي علوي

التويبيع، قبيلة صحراوية كانت معروفة بحماية القوافل. وتكشف بعض كتب الرحلات وجل الإشارات المحلية عن المقدرة الحربية المتميزة لقبيلة أزوافيط بمنطقة وادي نون والساقية الحمراء (*أزوافيط*، *المعلمة*، 364. 367). فعلى الرغم من أهمية الحضور الصنهاجي والحساني المتميز بالصحراء الأطلسية كانت قبيلة التويبيع مؤهلة عبر القرون لحماية ومرافقة القوافل على امتداد المحور التجاري الرابط بين الضفتين. لم يكن مرد هذه القدرة الحمائية إلى احتكار أزوافيط أهم أسواق وادي نون ومواسمه (گويرة السوق وأسرير). فما تؤكده مجمل المنوغرافيات حتى النصف الأول من هذا القرن يضاف إلى كتب الرحلات ليركز على المقدرة الحربية في تشبيت الحضور الزفاطي بمسالك الصحراء. فخلال القرنين الحادي والثاني عشر (17 و18 م) كان الحضور الدليمي والإداوبلالي بالساقية الحمراء يفترض إرادة سياسية وحربية كبيرة للدفاع عن حركية أسواق ومواسم وادي نون وباني.

هذا ما يفسر يومها نزوع أزوافيط المتزايد لاحتكار الأراضي الأكثر خصوبة والحفاظ على ديناميكية موسمي گويرة السوق وأسرير. كان الاستعداد الأمني لهذين الموسمين يتطلب أزيد من عشرين يوما من الاتصالات لكل واحد. لم يكن موسم گلميم قد ظهر بينما عرفت أسواق تاگاوست انحطاطا تدريجيا منذ القرن العاشر (16 م) (*تاگاوست*، *المعلمة*، 2084. 2089). وإذا أضفنا إلى ذلك حضور أولاد دليم وادا اويلال بالساقية الحمراء، وجدنا رفض أزوافيط للتحالف مع هاتين القبيلتين دليلا لاحتكارها الوظائف الأمنية (P. Marty, *Les hautes tribus*, 61). لم تكن الأسلحة النارية قد أصبحت مشاعة بين القبائل منذ وصولها إلى مرافئ السعديين. إلا أن مادة البارود كانت معروفة من طرف الغور السكاني الأمازيغي منذ مدة (*إيعزى أوهدى*، *المعلمة*، 517. 518). من هنا تظهر أهمية منطقة التويبيع الواقعة بين وعرون وأسرير حيث كان الناس يقومون بتبخير التراب لاستخراج البارود، استحواذ أزوافيط على هذه المنطقة في وقت لم يتسربوا فيه بعد إلى وعرون القريب (*أگاوس*، *المعلمة*، 597. 598)، زاد من تطورهم بشكل متميز مقلصا إلى حد بعيد إمكانيات القبائل الأخرى. هذا العامل أفسح المجال أمام المد الزفاطي على أخصب الأراضي وأهم المداشر. ومع ظهور الأسلحة النارية بكثرة على السواحل القريبة، أصبح سوق البارود بأسرير من بين ما اشتهر به من سلع متميزة. رسخت القبيلة من قدراتها الفعلية معززة بذلك لدى القبائل الأخرى تصور العلاقات الاجتماعية وفق مقتضيات التنافس بين لفي تكنة. وإذا انتقلنا إلى مستوى العلاقات بين اللفين خلال القرن الماضي وجدنا شاعر أزوافيط علي فال يشهّر بالمد الزفاطي على وعرون قائلا :

ارشگ يا وعرون اگطاطيك واللي تعرف فيك ألاّ فيك
نَعرفْ فيك ألاّ ما تَلبانْ يَعْرفْها ملك نْمَلِكْ
ويَعْرفْها عسكر بُجَخّانْ

دراسة ميدانية ورواية شفوية.

مصطفى ناعمي

التويجر، تصغير لكلمة تاجر. وهو اسم أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر، ولعل تسميتها بالتويجر يرجع سببه لوجود علاقة مع عائلة أخرى تدعى "التاجر".

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán*, 1921 (T) ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuanles de abolengo*, 1929 (T) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (T).

التويرس، أسرة تطوانية أصلها من إحدى قبائل الريف. وآخر فرد منها بتطوان هو أحمد التويرس الذي كان جندياً بحامية المدينة سنة 1261 / 1845. والكلمة تصغير للتيرس.

م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 269، 279 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias* (T) ; Cagigas, *Familias* (T) ; *Vademecum 1931*.

محمد ابن عزوز حكيم

التويزة، مساعدة جماعية تطوعية، أصلها من الأمازيغية : تويزي من فعل جذره ي س، بمعنى حمل أو ساعد على حمل شيء ثقيل. وهي مساعدة جماعية في شكل عمل، تقدم عن طواعية وبدون أي إكراه، من طرف أهل الدوار أو القبيلة لفرد، أو عائلة لا تستطيع بمفرد طاقتها أن تقوم بذلك العمل. وهي لا تلزم المستفيد أداء أي أجر أو مقابل.

والتعبئة الجماعية قصد إنجاز بعض الأشغال ظاهرة عرفتها كثير من المجتمعات. إلا أنه في شمال إفريقيا على العموم والمغرب على الخصوص يتميز بكونه نوعاً من أنواع التعاضد الاجتماعي يطلق عليه التويزة.

فالأعمال التي تكون موضوعاً للتويزة متعددة، أهمها تلك التي تتعلق بالأرض كالحرث والحصاد، ونزع الأعشاب المضرة، وجمع المحصول ونفضه ودراس السنابل.

قد يستفيد الدوار أو القبيلة من التويزة حينما تدعو الجماعة إلى ذلك، من أجل إنجاز أعمال ذات مصلحة جماعية، كبناء مسجد أو تحويل مجرى مياه من أجل السقي.

تعد التويزة في جل القبائل المغربية واجبة في حق بعض الأشخاص كالطالب مثلا. كانت واجبة عند قبائل نتيفة في حق الطالب والنجار، لاعتقادهم أن الأول حامل للبركة والثاني يصلح المحاريث بدون مقابل. (*بوريلي*، 140). كما أنها واجبة أيضاً في حق الأرامل والأيتام. ويلاحظ "روبير مونطاني" بأنها تجب في حق أمغار عند قبائل الأطلس الكبير. (*البربر والمخزن*، 247).

فما عدا هذه الحالات كل فرد احتاج إلى عملية التويزة يمكن له أن يطلبها من الجماعة، حيث يقدم ذبيحة (ما يسمى بالأمازيغية تغرسي) أمام المسجد فيتقدم إليه الناس، ويعلن جهرا عن طلبه، فيقبل الجميع ويتم الاتفاق على يوم محدد وعلى طبيعة العمل المطلوب لكي تتم التويزة. (بوريلي، 140) قد تستعمل التويزة في كثير من القبائل خلال كل موسم فلاحي، بحيث يستفيد منها كل دوار على حدة وهو ما يسمى بالبربرية بـ "تَوَلا" أي الدور، إلى أن ينتهي الموسم. (لاووست، 326).

تعبئ التويزة عمل الرجال والنساء والأطفال، وفي بعض الحالات يتم توزيع العمل تبعاً للجنس أو للسن حسب طبيعة العمل المطلوب إنجازه. هناك مع ذلك أعمال لا تتطلب إلا العمل النسوي كتلك التي تتعلق بالحياكة. فكل امرأة تجد نفسها مضطرة قبل بداية أي عملية نسيج لطلب مساعدة النساء الأخريات. (بوليفا، 193 ـ 194 ـ 195).

تكون المساعدة عن طريق التويزة إما بتقديم اليد العاملة أو الدواب. تستعمل التويزة بالدواب في حالة دراس المحصول نظرا لكون هذه العملية تتطلب الطاقة الحيوانية التي لا تتوفر عليها كل عائلة بمفردها، بحيث تتم التوزيرة بالتناوب (تولا) بين العائلات في الدوار. (بوريلي، 14).

يعتبر الأفراد المجندون في عملية التويزة بمثابة ضيوف حلوا على الشيخ المستفيد منها، إذ يتكلف بإطعامهم خلال المدة التي يقضونها في خدمته، وإن كانت التويزة لا تجبر مبدئياً المستفيد منها على ذلك. وفي حالة ما إذا كان فقيراً فهو غير ملزم بإطعام ضيوفه. (هنوطو ولوطورنو، 499).

إن التويزة التي حظيت باهتمام الإثنوغرافيين هي تلك المتعلقة بالأعمال التي تدور حول الأرض من غرس وحصاد ودراس...، في حين أن هناك أنواعاً أخرى لا تقل أهمية. ولقد خصص رونيه مونييه في بداية القرن العشرين دراسة للتويزة المتعلقة ببناء الدور في قبائل "القبائل" بالجزائر.

تعبِّر التويزة مبدئياً عن أهمية القرابة المباشرة (العائلة) والقرابة في شكلها الموسع (الدوار أو القبيلة). فما من فرد إلا ويعتبر ملزما مبدئيا بتقديم يد المساعدة لأقربائه. وتعبر لفظة "أيت تويزي أو جماعة التويزة" التي تطلق على المشاركين فيها عن العلاقة الأخوية التي تربط الأفراد فيما بينهم خلال إنجاز عمل جماعي، (لاووست، 327).

فعلى الرغم من أن التويزة شكل من أشكال التعاضد الاجتماعي باعتبار أنها مساعدة أخوية تقدم لكل من احتاجها، فهي تخضع لمبدإ الدَّين ورد الدَّين. فالفرد الذي يقدم المساعدة عن طريق التويزة يستثمر جهداً و عملا يردان إليه في وقت آخر. والفرد الذي يستفيد من التويزة يعتبر نفسه مدينا معنويا للآخرين، وتفرض عليه عزة نفسه وأنفته أن يرد الدين عند الطلب. (هنوطو ولوطورنو، 499). إن المساعدة في إطار التويزة هي مساعدة مجانية من حيث المبدإ الظاهري، إلا أنها في العمق تستدعي رد المساعدة في المستقبل. فكل فرد يشارك في التويزة يفترض بأن الأفراد الآخرين سيقومون بدورهم بتويزة لصالحه إذا ما احتاجها. (مونييه، 64).

هناك تمييز لدى القبائل في الجزائر بين التويزة وما يسمى بأمدول. وأمدول كلمة مشتقة من الفعل العربي دال ومنه متداول، تعني العقد الذي يتم بحكمه الاتفاق على تقديم المساعدة للآخر على أساس أنه سيردها بدوره فيما بعد. والفرد الذي لا يرد الدين يكون محط احتقار في قبيلته. أما الذي لا يستطيع فيؤديه نقدا. (هنوطو ولوطورنو، 497).

فالفرق إذن بين أمدول والتويزة ينحصر في كون الأول

هو مساعدة ـ دين يصرح بها الطرفان المعنيان بالأمر، أما في حالة التويزة فليس هناك تصريح بذلك ومع ذلك تخضع التويزة هي الأخرى، ولكن ضمنيا لمبدإ الدَّين ورد الدَّين.

إن التويزة ظاهرة تتداخل فيها عدة جوانب من الحياة الاجتماعية :

ـ فهي ظاهرة اقتصادية تتجلى في خدمة الأرض، بناء الدور، القيام بأعمال الحياكة وأعمال ذات مصلحة جماعية. فعبر التويزة تتم إذن عملية الإنتاج في شتى مظاهرها.

ـ وهي أيضا ظاهرة اجتماعية في التعاون الجماعي الذي تصاحبه عدة طقوس. تبدأ التويزة بذبح الأضحية أو برمي العار. وخلال التويزة يتم العمل في جو احتفالي. (لاووست، 327). ففي بعض المناطق (إداوْتَنَانْ) بعد الإنهاء من التويزة تتقدم بنات المستفيد منها بالزغاريد نحو العاملين يحملن قضيباً علق عليه منديل كرمز لمسح العرق المتصبب على جبينهم. ويتبع ذلك حفل يغني ويرقص فيه الجميع. فكل تويزة تنتهي بمأدبة جماعية، وفي حالة بناء المنزل تنتهي بذبح أُضحية. وغالباً ما يكون طقس الأضحية إعلانا عن بداية التويزة وعن انتهائها.

ـ التويزة هي أيضاً ظاهرة إبداع جماعي خصوصا عندما يتعلق الأمر ببناء الدور أو إنجاز أشغال الحياكة.

تجد التويزة مكانتها داخل النظام القبلي وضمن مختلف أشكال التضامن الاجتماعي التي عرفها هذا النظام في الماضي وخصوصا قبل بداية التدخل الاستعماري. إلا أنه مع بداية هذا التدخل طرأت على هذه المؤسسة كثير من التحولات بفعل التغيرات التي تعوض لها هذا النظام نفسه. لقد أصبحت التويزة في نهاية القرن الثالث عشر وبداية الرابع عشر (19ـ20 م) نوعاً من الكلفة تجبر السكان على إنجاز أعمال لصالح القائد أو الشيخ. فحسب ما أورده سالمون في *"شمال المغرب"*، يجمع الشيخ أفراد القبيلة التي توجد تحت نفوذه، فيجبرهم على حرث أرضه أو حصادها أو درس المحصول عن طريق التويزة. وإذا ما رفضوا يقادون إلى السجن. (سالمون، 396). كما يلاحظ سالمون بأن التويزة في شكلها القديم اختفت من شمال المغرب مع بداية هذا القرن (سالمون، 397).

وفي حالات أخرى يفرض القائد على السكان عددا من الأيام في السنة يعملون فيها لصالحه. ويكون الإطعام على حساب كل مشارك في التويزة، بل وأكثر من ذلك يتكلف كل منهم بإطعام عبيد القائد المكلفين بالإشراف على العمل. (مونطاني، 247) وأصبح السكان ينظرون إليها كما ينظرون إلى "الفريضة"، ذلك الاكتتاب الذي يفرض عليهم من طرف ممثلي المخزن.

أصبح للتويزة إذن طابع إكراهي، يستعملها الأعيان لقضاء مصالحهم الخاصة، وذلك بتسخير السكان وإرغامهم على القيام بمختلف الأعمال الشاقة لصالحهم. (بوريلي، 142) مما جعل البعض يرى فيها نوعا من الاستغلال الفيودالي الذي عرفته المجتمعات الأوربية في المرحلة الفيودالية. (بيرك، 30) و(لاووست، 328).

A. Hanoteau et Letourneux, *La Kabylie et les coutumes kabyles*, Paris, 1893, vol. II ; G. Salmon, *Contribution à l'étude du droit coutumier du Nord marocain : De l'association agricole et de ses différentes formes, A. B.*, T. III, 1905, pp. 331 - 412 ; S. Boulifa, *Textes berbères en dialecte de l'Atlas marocain*, Paris, 1908 ; E. Laoust, *Mots et choses berbères. Notes de linguistique et d'ethnographie : Dialectes du Maroc*, Paris, 1920 ; R. Maunier, *La construction collective de la maison en Kabylie : Etude sur la coopération économique chez les berbères du Djurjura*, Paris, 1926 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, Paris, 1930 ; Joseph Bourrilly, *Eléments d'ethnographie marocaine*, Paris, 1932 ; J. Berque, *Etudes d'histoire rurale maghrébine*, Tanger-Fes, 1938 ; G. Marcy, *Le droit coutumier Zemmour*, Alger, Paris, 1949.

رحمة بورقية

تْويسِّيتْ، موقع يبعد عن مدينة وجدة بنحو سبعة وعشرين كيلومتراً جنوباً، وعن الحدود الجزائرية بنحو أربعة كيلومترات. تسكن حوله قبيلة تسمى تويسيت أيضا وتنتمي إلى قبيلة بني حمليل التي تذهب إلى أن أجدادها شرفاء من فگيگ استوطنوا هذه المنطقة في مستهل القرن الثاني عشر (18 م)، وأن جدهم المشترك هو عبد الله بن محمد ابن عزوز.

ظل هذا المكان لا يستأثر بالاهتمام ولا يلفت الانتباه حتى كان عام 1325 / 1907، حيث اكتشف فيه خبراء إسبان قدموا من الجزائر معدنا للرصاص.

وبدأت الدراسات والتقديرات، لكن الظروف السياسية والأجواء المضطربة التي تميز بها المغرب عموماً والمغرب الشرقي خصوصا مع ثورة بوعمامة وثورة بوحمارة وتدخل فرنسا المتكرر واستفزازاتها المتعددة، جعلت القائمين بالدراسات حول مناجم تويسيت تتعطل حينا وتستأنف حينا آخر حتى عام 1333 / 1914. وما أن قررت الشركة الإسبانية الشروع في الاستغلال بموافقة فرنسا حتى أخذت بوادر أزمة عالمية تهز أركان أوربا خاصة، فانشغلت بها الدول كلها وتعطلت المشروعات، ومنها مشروع تويسيت.

وفي عام 1340 / 1921، استأنفت "الشركة الملكية الأستورية" أعمالها، لا سيما وأن معدن الرصاص، في بعض الجهات من تويسيت، يكاد يظهر على وجه الأرض مما جعل استغلاله هينا في البداية.

وأخذ مركز تويسيت يثير الاهتمام، ويستقطب طالبي الشغل من المواقع المجاورة، واستبشر الخبراء بكميات الاحتياطي وبالأرباح التي سيحققونها، مع اكتشاف معدن الزنگ في المنجم ذاته. وسجل عام 1343 / 1924، بداية الاستغلال والتسويق، فانتج المنجم 245 طنا في هذه السنة، وفي العام الموالي، تبين أن منجم تويسيت يحتاج إلى آليات لغسل المعدن في عين المكان، فتحسنت التجهيزات، ودخلت تويسيت في عهد الاستغلال الرشيد. وتوقفت عمليات الاستغلال موقتا عام 1348 / 1929 حتى تنهي الشركة المسؤولة إعادة تنظيم العمل على ضوء ما ستأتي به من تجهيزات متطورة ومعدات لغسل وتنظيف المعدن واثرائه برفع النسبة المائوية من محتواه من الرصاص الخالص والزنگ الخالص. وفي عام 1350 / 1931، اكتشفت الشركة

إمكانات جديدة وآباراً جديدة، في كل جهات تويسيت. وتضاعفت التنقيبات بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وكان للحدث انعكاس على قرية تويسيت التي لم تكن إلى حدود عام 1359 / 1940، غير مدشر مجهول ليس به أي مدرسة.

ثم في عام 1370 / 1950، أخذ تطور تويسيت يفرض نفسه وأقامت به سلطات الحماية مكاتب إدارية القصد منها مراقبة السكان والتحكم في الهجرة. وأتت النشرات الإخبارية والإحصائية تؤكد أن القرية تؤوي زهاء ستمائة أسرة بمعدل خمسة أفراد للواحدة. وأنشأت الشركة مركزاً صحياً صغيراً للعمال، وبعض أقسام مدرسية لأبنائهم وبعض مرافق الحياة، وعدد العمال يومئذ زهاء ألف. وارتفع بعد ذلك إلى 1.700 عامل.

وبعد الاستقلال، تزايد الاهتمام بتويسيت، اجتماعيا وإداريا وعمرانيا، فأنشئت بها مدرسة عمومية ومركز قيادة إدارية، ومصالح الأمن ومستشفى قروي وغير ذلك. وتزايد الاهتمام بها لموقعها على مقربة من الحدود الجزائرية، ومحط أنظار الشركات الاستغلالية وخصوصا "زليجة" صاحبة مناجم جرادة للفحم، ومناجم بويكر للحديد والزنك والرصاص، وهذه الشركة هي التي أنشأت وحدات صناعية بواد الحيمر، في نفس المنطقة، لصهر المعادن المستخرجة من تويسيت وبويكر. ويوجد مركز واد الحيمر على بعد سبعة عشر كيلومتراً من وجدة.

نشير إلى أن الإنتاج من الرصاص الخالص، ارتفع كثيراً عام 1395 / 1975، واستعمل أغلبه في المغرب. ثم كاد الاستغلال أن يتوقف لسبب نضوب الآبار الرئيسية. إلا أن الحكومة المغربية وعت خطورة هذا الاتجاه وقرّرت مواصلة البحث عن مكامن أخرى، فكانت النتائج إيجابية، ولايزال العمل جاريا إلى الآن، رغم ما تعرفه مادة الرصاص من اضطراب في الأسعار الدولية. وتقوم الشركة حاليا بمعالجة 1.500 طنا يوميا من المعدن.

ومن الناحية الاجتماعية، صارت تويسيت اسما مرادفا للمركز المعدني، وأسست الشركة قريتين سكنيتين للعمال تتألفان من 410 منازل، منها 140 منزلا للأطر التقنية والإدارية، كما أسست مستشفيين مجهزين تجهيزاً عصريا بآلات الراديو والجراحة وغيرها، ومختبرا للتحليلات البيولوجية وصيدلية وناديا فيه مطعم حديث ومسبح للعمال، وناديا آخر للأطر بجميع مرافقه الضرورية والترفيهية ومسجدا وحماما وخزانة وغير ذلك.

يبلغ عدد عمال تويسيت اليوم زهاء ألف عامل، وقد أنشأت به وزارة الطاقة والمعادن، منذ بضعة أعوام، معهداً تقنياً لحاملي البكالوريا به ثلاث شعب : شعبة الكهرباء والميكانيك، وشعبة الرسم الهندسي، وشعبة تكوين مراقبي المناجم. هذا زيادة على المؤسسات التابعة لوزارة التعليم. كما أن الوزارات الأخرى أنشأت بتويسيت مصالح لها، مما يشكل مؤشراً لآفاق مستقبلية زاهرة لهذا المركز المعدني.

Voinot, *Oujda et l'Amalat* ; Fardel, *La plaine des Angad* ; Service du Protectorat, *Les tribus marocaines* ; Ministère des Mines, *Panorama de l'industrie minière*, t. 1 et 2.

أحمد بنجلون

تْيَاوْتْ أو **تَكَاوْتْ**، الاسم الأصلي المحلي لواد سلوان الذي يجري بأرض قبيلة قلعية. يستمد مياهه بالسفح الجنوبي من كتلة وكْسان بانحدار مياه كل من واد بوجدار وأنْداحْ إلى ضفته اليسرى. ويتصل بضفته اليمنى واد سيدي علي بن موسى بجوار عْرَوَاتْ (جبل عَرْوِي).

ويعود الأصل الأمازيغي تياوت (من إيوِي، أي حمل معه أو جرف) إلى التعبير عن الخسائر المترتبة عن الجريان السريع الطارئ أثناء تهاطل الأمطار الإعصارية من غرق الأنفس والمواشي، وبمجراه العميق الممتد بين سيدي علي بن موسى الوكيلي وسيدي علي الحسّاني خاصة، بعد مروره بقصبة سلوان ومصب واد تياوت بسبخة بوعرك.

تعيش حول حوض تياوت الأوسط منذ القرن الثامن (14 م) إلى الآن تجمعات تنتمي إلى بني وكيل ملوية وبني بويحيى، تعرف ببني وكيل العساري. استوطن جدها سيدي علي بن موسى الوكيلي هذا المكان إثر مرافقته لأحلاف أولاد شعيب المعقليين الداخلين إلى سهب گارت خلال القرن الثامن الهجري. وقد أشارت الوثائق المخزنية إلى اسم تكاوت وأهله بني وكيل خلال عهد الحسن الأول. (16 حجة 1296 هـ).

وثائق خ. ح. بالرباط ؛ ح. الفگيگي، *قلعية*، 1 : 129 ؛ *زيارة ميدانية* ؛ *خريطة طبوغرافية*، 1921 و1935.

حسن الفگيگي

تيبَرْبارينْ، أحد دروب مدينة مكناس القديمة، وتكتب أحياناً "إيبربارين" كما جاء في حوالة المساجد الصغار رقم 4، الخاصة بمكناس. واللفظ جمع في اللغة البربرية. وقد استعمل للدلالة على حامية من البربر كانت تعمل بالجيش المرابطي، واستوطنت الدرب الذي حمل اسمها. وكان يمثل أحد خطط القطاع العسكري الذي شيد صرحه المرابطون في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. وشمل هذا القطاع إضافة إلى درب تيبربارين خططا أخرى هي : درب الفتيان الذي استقر به فريق من الإسبانيين، وحومة گناوة (بالجيم المعقودة) التي سكنتها طائفة من السودانيين، وهما معا يدلان على حاميتين عسكريتين كانتا بالجيش المرابطي، هذا إضافة إلى عدد من الأسواق، والأحياء السكنية.

وما زال "درب تيبربارين" قائما محتفظا باسمه وراء رياض الجامعي، ومنه نخرج إلى درب سيدي عمرو بوعوادة قريبا من مكتبة الجامع الكبير.

حوالة المساجد الصغار، نظارة أحباس مكناس، الجزء الرابع، ص. 83 ؛ م. المنوني، *التخطيط العساري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور*، *مجلة الثقافة المغربية*، الجزء السابع، 1982، ص. 23.

رقية بلمقدم

تيبوحنايكت، موقع بأيت بوالطيب، قبيلة هشتوكة.

ترتبط شهرته بالواقعة التي جمعت القائد المخزني سعيد الگيلولي بمحمد بن الحسين الإليغي سنة 1313 / 1895. وتأتي هذه الحادثة عقب وفاة السلطان الحسن الأول، حيث توالت موجة من الاضطرابات. وفي هذا السياق نسجل نوعاً من التشابه في ردود فعل القبائل، وكان المستهدف من ذلك بعض رجال المخزن، وخاصة من قبائل رسموكة وأيت باعمران وأگلو والمعدر والأخصاص... وقد أحدثت هذه الانتكاسة وضعاً متأزماً ودخلت بسببها المنطقة في بوتقة من الصراعات اللفية (تحگات وتاگوزلت). ويبدو أن صدى هذه الاضطرابات بلغت إلى الجهات المسؤولة، وهكذا أوعز الوزير أحمد بن موسى إلى القواد المطرودين من قبائلهم بالمرابطة في موقع تيبوحنايكت، وذلك لتجميع الفعاليات المخزنية، في انتظار إرسال قوة مخزنية بقيادة سعيد الگيلولي. وكانت دعامته قبائل لف تحگات (تزنيت، أولاد جرار، بعقلية...) وطابورين من الجيش الحاحي، بينما عسكر في مقابل المحلة السلطانية محمد بن الحسين الإليغي بموضع تيبوزار، وقد حظي بمساعدة ودعم من قبائل لف تاگوزلت. نحن هنا أمام وضعية تواطأت فيها مجموعة من الأطراف، وقد تم تدارك الأمر بتدخل من العلماء حقناً للدماء رغم النهب الذي تعرضت له المحلة المخزنية. ولم يتوان الگيلولي بعد ذلك عن نهج سياسة انتقامية ضد القبائل المناوئة له، حيث فرض عليها غرامة مالية تقدر بعشرة آلاف ريال. كما دشن حملات واسعة لاحتواء مواقع استراتيجية (ويجان، أيت باعمران) إجمالا كانت المعركة حدثاً حاسماً، مهدت الطريق للمخزن لاسترجاع مواقعه السابقة، كما تبين مدى حرص المخزن العزيزي على الحيلولة دون تطويق مركز تيزنيت، وتأمين الطريق الذاهبة إلى الجنوب.

وثائق خزانة بودميعة البخاري (تيزنيت) : كناش الأدوزي (مخطوط) ؛ الاگراري، *روضة الأفنان*، ص. 10 - 20 ؛ *تاريخ الوجاني* (مخطوط) ؛ *المعسول*، ج 3 : 252 ؛ 14 : 112 ؛ 15 : 206.

L. Justinard, *Notes d'histoire et de littérature berbères : les Haha et les gens du Sous*, *Hésp.*, T XXXVI, 3ème - 4ème tr. 1949, pp. 346 - 347.

أحمد بومزگو

تيبيبْط، طير صغير من العصافير يألف المدن والقرى. يطلق عليه في مصر وفي الشام الصعو. تيبيبط اسمه الشائع في المغرب ويسمى في المعاجم أرطلان ودريسة الشعير.

ينتمي إلى رتبة العصافير Passeriformes وفصيلة Emberizidae التي تشمل عدة أنواع من الدريس تعيش في المغرب وفي أوربا وآسيا. يسمى علميا Emberiza striolata وبالفرنسية Bruant striolé وبالأنجليزية House bunting أو Striped bunting.

يتميز تيبيبط بجسم صغير لا يتعدى طوله 13.5 سنتمتر ولا يفوق وزنه 10 غرامات. طول بسطة جناحيه 30 سم وطول جناحه 8 سم، ريشه بنّي عند الإناث ورمادي جهة العنق والرأس عند الذكور وباقي الجسم بُنّي. المنقار قصير ورمادي مسود والأرجل بُنّية سوداء.

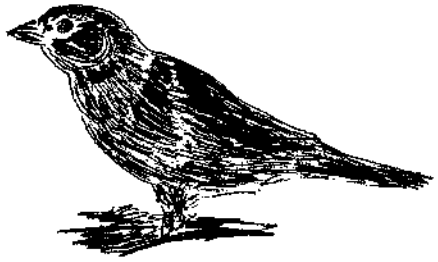

يتوالد ما بين مارس وأبريل، وكثيراً ما يلد مرتين في كل سنة. يضع العش بين جدران البيوت المشقوقة كما يفعل طائر الزاوش. يتكون العش من الحشائش اليابسة وقطع التبن ويفرش بريش الطيور. تضع الأنثى من بيضتين إلى أربع ببضات بيضاء مخضرة منقطة بالأحمر والأسود. يبلغ طول قطرها 20 x 15 ملم. تدوم مدة الحضانة من طرف الأم 27 يوماً يقوم الزوج خلالها بحراسة مشددة. تبقى الصغار داخل العش أسبوعين تقريباً، يسهر الأبوان خلالهما على الأكل والحماية. يتكون قوته من الحشرات الصغيرة كالنمل ومن الديدان والعناكب كما يلتقط الحبوب وبعض بقايا مأكولات الإنسان.

يعد تيبيبط من الطيور المستأنسة بالإنسان وكثيراً ما يختلط مع طيور الزاوش فيصعب على الإنسان التمييز بينها نظراً لكثرة التشابه. يقتصر توزيعه الجغرافي على المناطق الجافة وشبه الجافة في افريقيا الشمالية وفي شمال مصر والخليج العربي وجنوب آسيا.

إنه طائر شائع في المدن والقرى الموجودة في المناطق المغربية الجافة وشبه الجافة نذكر منها مراكش وبني ملال والدار البيضاء والجديدة وورزازات وبوعرفة ووجدة وأگادير. مفقود في مناطق الأطلس المتوسط والشمال الغربي من البلاد.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc*, 1980, Documents de l'Institut Scientifique, 6, Rabat, 1981 ; W. Reade & E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids : Reproduction, œufs et jeunes*, Paris, 1968, p. 191 - 192 ; H. Heinzel, R. Fitter & J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 124 - 125.

محمد رمضاني

تيبيداس Tepidas، مدينة قديمة ورد ذكرها عند جغرافي راڤينا Geographe de Ravenne (القرن IXم). وهي بالنسبة له تنتمي لسلسلة مدن موريطانيا الطنجية. ولازال يجهل موقعها. وانظر ما علاقتها بقرية تيداس الشهيرة اليوم في بلاد زمور في طريق أُلماس.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

البيضاوية بلكامل

تيحمّامين، معدن نحاس يقع في الجنوب الغربي

لمدينة سجلماسة على بعد يومين، وهو بذلك يتوسط المسافة الفاصلة بين هاته المدينة والمكان الذي كان يلتقي فيه طريق سجلماسة ـ غانا بمجرى وادي درعة ليسير عبره حتى مدينة تامدولت ومنها إلى نول لمطة أو ملاحة تاتنتال (انظر مادة التجارة المغربية في العصر الوسيط). تعود أول إشارة وصلتنا عنه إلى القرن الخامس (11 م).

ذكر البكري هذا المنجم في معرض حديثه عن طريق سجلماسة ـ أغمات الذي كانت مراحله على الشكل التالي: من سجلماسة إلى تيحمامين يومان ومن تيحمامين إلى وادي درعة يومان ومنه إلى موضع يقال له أدامست ومنه إلى ورزازات يومان ثم يمشي المسار في بلد هسكورة أربعة أيام ليصل إلى جبل هزرجة ومنه مسافة يوم إلى أغمات (البكري، *المغرب*، 152 ـ 153).

إن المسافة التي كانت تفصل سجلماسة عن تيحمامين والتي هي يومان من المشي في اتجاه الجنوب الغربي تدفعنا إلى تحديد موقع تيحمامين في منطقة النّيف الحالية. ومن ثم فإن منجم النحاس الوحيد المستغل منذ القديم في كل تلك المنطقة والذي ينطبق عليه ما ذكره البكري هو منجم النحاس المعروف باسم تازلافت الذي يقع على بعد تسعة عشر كيلومترا غرب مركز النيف. وإذا أضفنا هذا الرقم إلى المسافة الفاصلة بين النيف والريصاني عبر أشبارو وأم صيصي التي تبلغ عبر الطريق المستعمل حالياً تسعين كلم فإن مجموع ما نحصل عليه يتطابق مع المسافة التي ذكرها البكري بين سجلماسة وتيحمامين إذا اعتبرنا اليوم من المشي يساوي ما بين 50 و60 كلم.

إن موقع تيحْمَامينْ على طريق سجلماسة ـ أغمات يؤكد أهمية هَذا المنجم في تزويد المدينتين بخام النحاس نظراً لما كان للمصنوعات النحاسية من أهمية في سلع تجار أغمات إلى بلاد السودان من النحاس الأحمر والملون (الإدريسي، *نزهة*، 42) وكذلك سلع سجلماسة من نفس المادة رغم إغفال المصادر لذكر ذلك، لأن هاته المدينة توفرت كغيرها من المدن الرئيسية الفاعلة في التجارة الصحراوية على حي خاص بالصفارين، خصوصا وأن مجالاتها كانت تتوفر على مناجم للنحاس كما هو الحال بالنسبة لمنجم تيحمامين ومنجم تينودادن (انظر ماد تينودادن).

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريس، 1965 ؛ *الخريطة الطبوغرافية* لألنيف 100.000 / 1 ؛ ش. الإدريسي، *وصف افريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957.

حسن حافظي علوي

تيخفيست، قرية تقع في قبيلة إدا وْسْمْلال بالأطلس الصغير. ينسب إليها فقهاء وصالحون ترجم لتسعة منهم محمد المختار السوسي في *المعسول* (5 : 32 ـ 34) منهم :

التيخفيستي، أحمد بن عبد الله بن سعيد السملالي، فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، ولي قضاء بلده، وتعدد القضاة في جدوده كسعيد والحسين.

ووُصف بالصلاح والاستقامة. توفي بداره بتيخفيست يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادى الأخيرة عام 1079 / 29 نونبر 1668.

الرسموكي، *وفيات*، 32 ؛ م. الخضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 78 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 26 ؛ *المعسول*،

التيخفيستي، سعيد بن إبراهيم بن الحسين السملالي. فقيه ولوع بالبحث والمناقشة، كثير المراسلات لمعاصريه من فقهاء سوس. ولي القضاء في بلاد سملالة ورسموكة كما تولى قضاء إفران في العقد الثامن من القرن العاشر، وله أسئلة فقهية في *الفتاوى البرجية* موجهة إلى محمد بن الشيخ محمد ابن إبراهيم التامنارتي.

توفي في أزاريف من قرى بني حامد شرق تيزنيت عام 1001 / 92 . 1593.

الرسموكي، *وفيات*، 27 ؛ م. الخضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 759 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 33 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 597.

التيخفيستي، عبد الله بن إبراهيم السملالي، من المتخرجين على يد الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي، حلاه الخضيكي في *الطبقات* بأوصاف عالية كثيرة، فقال : "كان فقيهاً ورعاً زاهداً خيراً ديناً فاضلاً صالحاً ذا سمت حسن وسيرة حسنة، دمث الأخلاق، من أورع الناس وأزهدهم في الدنيا وأهلها، دائم الذكر والخشوع، كبير الشأن متين الدين". وقد سبقه في التنويه بهذا العالم الصالح السملالي صاحب *الوفيات* وكان يعرف عبد الله التيخفيستي وحضر جنازته والصلاة عليه.

توفي بتيخفيست في شهر صفر عام 1041 / غشت ـ شتنبر 1631.

الرسموكي، *وفيات*، 25 ؛ م. الخضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 599 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 26 ؛ *المعسول*، 5 : 32 . 33.

محمد حجي

تيدّاس، مركز يقع على الطريق الثانوية رقم 209، الرابطة ما بين تيفلت (مع الخميسات) وأُلماس عبر المعازيز. وهو يحتل موضعاً متضرسا على هضبة بلاد زمور العليا، ذات طابع جبلي ومؤهلات رعي زراعية، يفوق ارتفاعها 500 م، استقرت فيها قبيلتان : بني حكم وحوْدرَان، المنتميتان، حاليا، للإقليم الإداري للخميسات، دائرة أُلماس.

ولقد اختارت السلطات العسكرية الاستعمارية هذا الموضع بالذات، ـ كموضع حصين دفاعي لكونه عبارة عن تل مرتفع (ـ 527 م) ـ لإنشاء ثكنة عسكرية في نوفمبر 1912، وذلك بعدما تبين لها أن الثكنات الأخرى غير كافية لمراقبة مجموع قبائل زمور. وهكذا كانت أولى وظيفة المركز هي الوظيفة العسكرية التي أتاحت له ازدهاراً نسبياً في العشرينات. وبعد الاستقلال أصبح يعيش تدريجيا حالة ركود.

تطور عدد سكان المركز كالتالي : 1960 : 1.336 نسمة (تَم إحصاؤه كـ"دوار") ؛ 1971 : 1.779 ن ؛ 1982 : 2.808 ن. إنه يتسم بتطور ديموغرافي ضعيف جدا، حيث إن نسبة الزيادة السنوية ما بين إحصائي 1941 . 1960، لم تتعد 2,6٪؛ بل ظلت تقريبا راكدة فيما بعد : 2,9٪ في الفترة ما بين إحصائية 71 و1982. فهذه النسبة الأخيرة تُعادل المتوسط العام للزيادة السنوية على المستوى الوطني ؛ وضعيفة جدا بالقياس إلى المعدل العام للزيادة السنوية للمدن : 44٪ (ما بين 1971 و1982).

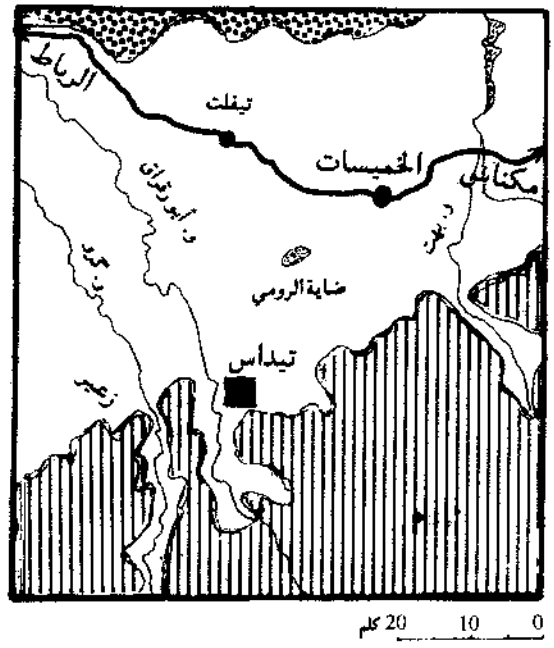

لقد غدا هذا المركز القروي، بعد الاستقلال وبالأخص في السنوات الأخيرة، يعرف هجرة معاكسة، حيث إنه لم يعد يحتفظ بسكانه، فلا يستقر فيه اليوم إلا المهاجرون المضطرون إلى الاستقرار، من بين فلاحي المنطقة الخلفية وعائلات المتقاعدين والعسكريين والعمال المياومين الفلاحين والأرامل والعجزة ومستخدمي المصالح العمومية.

ويمثل المهاجرون من إقليم الخميسات حوالي 77٪، مقابل 23٪ فقط من الأقاليم الأخرى للبلاد، مع القلة القليلة من عدد من المدن. يبدو المركز، على العموم وكأنه مجرد مقر إقامة أو "مأوى" لنسبة كبيرة من الأسر (58٪ حسب معطيات "بحث حول الأسر" (Enquête - menage) لسنة 1983.

تعيش تيداس وضعية ركود في موقع شبه منعزل، فلا غرابة إذا أصبحت المراكز المجاورة والبعيدة (المعازيز، تيفلت، الخميسات...) تمارس جاذبية على المهاجرين المغادرين لهذا المركز، وخاصة التجار ؛ كما أن الرواج الطريقي لم يسمح بظهور نواة تجارية طريقية، وأن الجهاز التجاري غير كاف كَمّاً ونوعاً، وأن السوق الأسبوعي، ليوم الاثنين، يبقى سوقاً صغيراً محلياً، عاجزاً عن مواجهة منافسة الأسواق الأخرى مثل سوق المعازيز المجاور (وسوق الأحد).

كل هذه الأوضاع الاقتصادية ـ الاجتماعية كانت لها انعكاسات سلبية على التوسع العمراني وعلى تشكيل المجال "الحضري"، الذي يتضمن أربع مجموعات سكنية عشوائية التوزيع، ويطغى عليها طابع السكن الهزيل ونقص التجهيز الأساسي، باستثناء مجموعتين شبه مندمجتين، من بينهما قرية نموذجية حديثة الإنتاج. فالتوسع الحضري سيبقى مستحيلا بدون التدخل الرسمي للدولة، مادامت المبادرة الخاصة منعدمة.

المنشورات الإحصائية الرسمية.

Menchif Kaddoua, *Etude comparative de développement des centres ruraux de services dans le pays Zemour*, I.N.A.U., 1984.

محمد حنيني

تيداس، لعبة من نوع الشطرنج أو الضامة، كانت سائدة في المغرب منذ القديم، لكنها أصبحت حاليا لا توجد إلا في منطقتي ورزازات ووادي درعة، وهي حاليا في طريق الانقراض بسبب رواج "الضامة" الرومية.

تعني تيداس الوقفة والمواجهة الحربية، من كلمة تيدّي وهي الوقفة والموقف. وذكر عدد من المسنين أن لعبة تيداس عبارة عن أرض للمعركة، لاعبها هو القائد، والبيادق جنود، يجب أن يقاتلوا دائما في شكل صفوف، وليس بشكل متفرق في الميدان. ويعتمد اللعب على الذكاء والخبرة والمكيدة، والهدف هو تحقيق الانتصار بأقل عدد من الجنود.

هناك قصة متوارثة حول لعبة تيداس، قال السيد شَلُّوح مبارك ابن أحمد بتاگنيت، موضع قصر بني صبيح، عمالة ورزازات، ولد سنة 1914 م، قال : سمعنا عن المسنين، أن تيداس خلصت سلطانا أبيض من قبضة سلطان أسود، وذلك أن السلطان الأبيض قدم من شمال المغرب متوجهاً نحو بلاد السود جنوبا، ومعه جيوشه قصد أخذ الجزية من أولئك السود، فأمر جيشه بأن يحيط بمحلة السلطان الأسود، على شكل مربع هندسي، فإذا بالسلطان الأسود قد أدار مربعين اثنين بنفس الشكل من جنوده على محلة السلطان الأبيض، وذلك ما تمثله تيداس (انظر الرسم).

فكانت إذن نسبة الجنود البيض في مأزق، ولم يبق للسلطان الأبيض لإنقاذ جيشه سوى الحيلة والمكيدة، وهنا وجد جنديين يلعبان تيداس ويُرددان عند اللعب بالأمازيغية ما معناه بالعربية "خذ هذا يابْنَ هذا الذي دخل ولم يعرف كيف يخرج"، فقال السلطان الأبيض : هذه قضيتي، لكن كيف نطبق هذه اللعبة ونحن في حصار تام ؟ فقالا له : عليك بالخدعة والمكيدة، وذلك بأن تعلن للسلطان الأسود أنك جئت لتصالحه وتهدي له ليستمر السلم. وهنا فك عليه السلطان الأسود ذلك الحصار المضروب، قائلا : قبلت صداقتك، أما الهدايا فإن السود هم الذين يقدمونها للبيض". فتم الأمر على ذلك.

تتكون مواصفات تيداس من مربع في الوسط ومن ستة

عشر شكلا شبه منحرف وتلعب باثني عشر بيذقا لكل لاعب، لكنها توضع واحدا واحدا بالتناوب بين اللاعبين، والبيذق لا يكون إلا على الزاوية، وينتقل في جميع الجهات، عبر خط مستقيم من زاوية إلى الزاوية التي تليها، فكلما تكون صف من ثلاثة بياذق إلا ويؤخذ بيذق واحد للخصم، واللعبة متشعبة ودقيقة.

الحسين جهادي

تيدرارين (أولاد ـ)، لا تعدو قولة أولاد تيدرارين بانتمائهم إلى الأنصار أن تكون دعوة إلى مساءلة انحدارهم من الغور الصنهاجي القديم بالصحراء الأطلسية. بهذه المنطقة تبنت جل الفصائل المنحدرة من "كلّ انْتَصَار المسّوفيين" القول بانتمائها إلى النسب الأنصاري بعد انهزامها أمام المد الحساني (البكري، *المغرب*، 164 ـ 310 ؛ Chennafi, *Tegdaoust*, I : 526). نلاحظ أن كلمة تيدرارين تعبر عن المنحدرين من أصل جبلي مجسدين بذلك تركيباً لا يعني أكثر مما يوحي به معنى الكلمة. ما يزكي هذا الاحتمال أن تجزئات أيت تيدرارين الخمس والعشرين تعد من أكثر القبائل انتشارا وأكبرها حجما بالمنطقة الفاصلة بين أدرار وحوز مراكش (ابن حامد، *حياة موريتانيا*، 10، ص. 1 من ملف قبائل الأنصار). أورد المختار ولد حامدون هذه التجزءات بين قوسين في المشجر التالي :

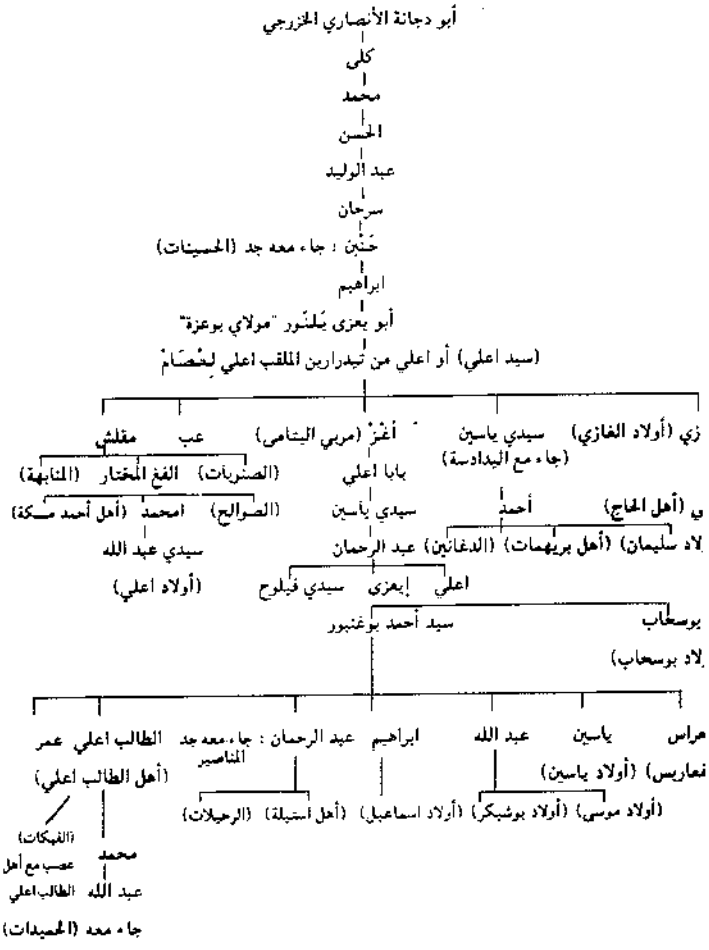

يعتبر حنبن بن سرحان أقدم الجدود اقترانا بالرواية الشفوية. فقد قدم من ودان حيث ترك أبناءه ليتزوج بمنطقة الساحل من قبيلة گندوز التي تنسب إليها البئر المشهورة حالياً ببئر گندوز. تؤكد الرواية الشفوية على قيام حنبن بتعليم الصبيان القرآن وعلوم الدين إلى أن دفن بالمسيد حيث مايزال قبره مزاراً بشمال بوجدور. وهو بنظر الرواية المحلية الجد المباشر (أب أب) لأبي يعزى يلنور بن ميمون الذي خصه الصومعي بالمعزي (*التشوف*، 213). تؤكد هذه المقولة بما فيها من غموض وبما تدعو إليه من احتياط أن استجلاء المنطق الباطني للعلاقة بين حنبن وأحد أعلام التصوف خلال القرن السادس (12 م) يكشف نقطة الالتقاء والارتباط بممارسة التصوف. بل إن التقاء أغلبية بطون تيدرارين عند علي لعصام المنسوب إلى أبي يعزى إنما يصبغها بشيء من امتهان حمل الكتاب في زمان لم تصبح فيه بعد هذه الممارسة حكراً على المنهزمين أمام المد الحساني. يحق لنا في غياب المعطيات التوضيحية أن نتساءل عن طبيعة تطور أيت تيدرارين خلال الفترة الممتدة بين القرن السادس (12 م) والحادي عشر (17 م). هنا نسجل بأن المشجر يستعمل ضمنياً اختياراً عفوياً يميز طبقة الصوفية وذوي العلم الظاهر عن كل ماعداها من الطبقات. فخمسة أجداد يفصلون علي لعصام عن سيد أحمد بنغنبور نجد في مواصفاتهم ملاحظات كثيرة تتعلق بتداخل ممارسة العلوم وحمل الكتاب. على أن الذي يضع القبيلة في بداية الانتماء إلى حملة السلاح هو الطالب علي الذي كتب له إخوته الرئاسة التامة عليهم خلال المائة التاسعة للهجرة. هذا المعطى السودي وإن كان جديراً بكل تحفظ قد يعكس انتقال الأوصاف الحربية إلى جماعة أيت تيدرارين. حقاً إن سليلي سيد أحمد بوغنبور الحاليين يحسبونه العاشر أو الحادي عشر من أجدادهم، على أن هذا التحديد الزمني لا يمكن أن يقدم لنا من الإثباتات سوى بعض التدقيق الذي لا يغير من شيء في جوهر التطورات الحاصلة. لقد وجه المولى إسماعيل إلى محمد بن الطالب علي بن سيد أحمد بوغنبور رسالة توقير واحترام عام 1126 / 1714. كما بلغ أيت تيدرارين في زمن رئاسة سيد إبراهيم بن محمد بن الطالب علي بن سيد أحمد بوغنبور من القوة ما أهلهم للقضاء نهائياً على الحسينات الذين بادلوهم الصراع منذ أن أتى جدهم الأعلى مع حنين بن سرحان. أصبح الحسينات خلال هذه المرحلة التاريخية من المحميين التابعين لأيت تيدرارين.

كانت القوة الحربية لأيت تيدرارين تتمثل في قدرتهم على الحفاظ على مجالهم الواقع بين أدرار الشرقي (أدرار التمر) وأدرار الغربي (أدرار اسطوف) خاصة في مواجهة الشناگلة. ولهذا السبب نجد في بعض الوثائق المكتوبة والمروية ما مفاده أن اسمهم الحقيقي هو أيت إدرارين الذين ماتزال بعض آثارهم القديمة متمثلة في القرى القريبة من وادان (اگصر ايت ادرارين). وإذا التفتنا إلى تملك الماء والعيون والسواقي وجدنا حرف الدال المنقوش على عيون

هذه المنطقة هو نفسه الذي ماتزال مجمل فصائل أيت تيدرارين تضعه على الجانب الأيمن من رقاب إبلها. وكانعكاس للواقع المعيش فإن احتفاظ هذه الفصائل بملكياتها خلال هذه المرحلة الحافلة بالصراع الصنهاجي - الحساني من أجل مراقبة المجال يمثل في حد ذاته حقيقة قائمة. لقد عثر على وثيقة مؤرخة بعام 1182 / 1768 وكّل بمقتضاها الحاج أحمد الصغير التيدراريني صديقه امحمد بن الحسين من إيد أو الحاج على أراضيه المتبقية في وادان (ابن حامدون، *حياة*، x، 3). كما أن جملة من الظهائر الإسماعيلية تحدد موقع أيت تيدرارين بمنطقة تيرس وأدرار حادة بذلك من تسلط أولاد دليم خلال هذه المرحلة. إذا كان سيد أحمد بوغنبور وابنه الطالب علي مدفونين بالمسيد فإن أبناء هذا الأخير قد تميزوا بقدرة مثالية على مواجهة المد الدليمي. أما الفصائل المهاجرة شمالا فتجسد الشكل العام للقبيلة بعد أن تعددت صيغ الوجود الحربي والسياسي الحساني. نجد منها على سبيل المثال أولاد علي وبعض أولاد ياسين وكثير من اليدادسة بالمنطقة المسماة آلرار أولاد اعلي. كما نجد أهل الصنويبي في تيورار بمنطقة أگادير (سوق ثلاثاء الحاج أحمد علي وادي سوس). والصوالح في الصويرة وبعض أولاد ياسين وأولاد سليمان بسوق خميس سيدي بوزيد بالبير الجديد بينما بعضهم الآخر في أرض الرحامنة أو في قبيلة السراغنة.

لقد عرفت قبيلة أيت تيدرارين تقلبات اجتماعية وسياسية متوالية فيما بين القرن الحادي عشر (17 م) والقرن الثالث عشر (19 م). فهي لم تعد من القوة بحيث تزيح الهيمنة المتزايدة للمد الدليمي ولا حتى المد الركيبي ابتداء من نهاية القرن الثاني عشر (18 م). لم يعد بإمكان أيت تيدرارين المحافظة على جهاز قبلي موحد وثابث ولا حتى المحافظة على اسمها الذي تحول من أيت إلى "أولاد". لم تعد تستند إلا إلى جهاز ديني مختص في المحافظة على الجانب المثالي القديم وممارسة شعائر وتقاليد متمايزة عبر مختلف الأرباع التي أصبحت تعيش بها الوحدات التيدرارينية المختلفة. وقد أصبحت تمثل في الصحراء هدفا سهلا بالنسبة لأولاد دليم خاصة، مما زاد من تهميش وحداتها. لقد شارك دول C. Douls في إحدى الغزوات الدليمية التلقائية أودت بحياة ثلاثة وعشرين تيدراريني وتم فيها سبي القافلة والنساء والأطفال المرافقين لها (C. Douls, *Voyages*, 15 - 16). ويتضح بما لا يدع مجالا للشك أن البنية السياسية لأولاد تيدرارين الموجودين بمنطقة بوجدور قد أصبحت تتميز على غرار قبائل الزوايا بالاعتماد على نظام الحماية القبلية. إننا عثرنا لدى قبائل تكنة وأولاد دليم وركيبات بداية من هذا القرن على وثائق تثبت حمايتهم لمختلف فصائل أولاد تيدرارين. بل إن بول مارتي P. Marty لم يتوان في إدخالهم في إطار تابعي أولاد دليم (*Les tribus*, 14 - 15). على أن محاولاتهم التحررية قد أدت بهم خلال سنة 1910 إلى الدخول في مفاوضات سرية مع فرنسا للخروج من تحت النفوذ الدليمي. وقد كان الشيخ سيدنا بابا بن الشيخ سيدي الكبير أكبر المدافعين عن مقولتهم هذه لدى الفرنسيين بنواكشوط. على أن رغبة فرنسا في عدم إثارة أولاد دليم حالت دونها وتحقيق المطالب التيدرارينية.

أهم ما يمكن أن نقف عنده اليوم بشأن هذه القبيلة هي السمات الطاغية على جل تجزؤاتها الموزعة ما بين تيرس والسراغنة. فالتصور الذي ينبغي اتخاذه أداة للبحث هو سبب ارتباطها بممارسات وطقوس تجسد نموذجاً خاصاً في رصد سيرورتها التعاقبية، لماذا يرفض أولاد تيدرارين شراء أوعية شرب حليب النياق ولماذا يعتبرون ما تبقى من هذه المادة بالأوعية دواء شافياً للإبل لا يمكن شربه بأي حال من الأحوال ؟ لماذا ترفض مختلف فصائل أولاد تيدرارين سقي إبلها يوم الجمعة ولماذا يعد يوم السبت يوم المعالجة والاستشفاء بينما تخشى النساء التزين بالحلي الذهبية ؟ هذه التساؤلات تفضي بنا إلى الفرضيات الموجهة للبحث. هل يمكن تفسير مختلف أشكال الانغلاق على الذات التيدرارينية بالانتماء القديم إلى البافور - إيگدالن الذين حاربوا المد المرابطي ؟ إن بعض الوقائع والظواهر القبلية الصنهاجية قد عرفت على امتداد الفترة التي تفصلنا عن المرابطين من التشبث ببعض القيم والعادات ما لا يمكن التغافل عنه (انظر مادة *تازگاغت بالعلمة*). يمكننا الانطلاق فقط من الخاصيات الميدانية التي يشتمل عليها النموذج التيدراريني لاستشفاف المسار العام الذي يعود بنا إلى ما قبل المرابطين.

مختار ولد حامدون، *حياة موريطانيا*، ج. 10 ؛ *قبائل الأنصار* ؛ محمد الغربي، *الساقية الحمراء ووادي الذهب*.

C. Douls, *Voyages dans le Sahara Occidental et le Sud Marocain*, *Société Normande de Géographie*, Jan. - Fév. 1888, 15-16 ; P. Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*.

تيدرگيت، مدشر تاريخي على الساحل الأطلسي بوادي نون والساقية الحمراء، تقطنه قبيلة أيت لحسن كبيرة أحد لفي اتحادية تكنة أيت الجمل. ولا تعدو هذه التسمية أن تكون مجرد تجسيد لممارسة تربية الإبل كنمط أساسي للعيش عبر المحور الرعوي المحادي للساحل الأطلسي بوادي نون والساقية الحمراء (انظر مادة *أيت بلة بالعلمة*). السمات التي يمكن أن نستعرضها بشأن قبيلة أيت لحسن كبيرة هذا اللف الساحلي هي من صميم بنيتها الاجتماعية، فانطلاقها نحو نمط العيش هذا لا يعني أنها قديمة العهد بالترحال الرعوي الكبير النجعات. فمازال أيت بومگوت أكبر فصيلة بهذه القبيلة يطالبون بحقهم في ساقية ونخيل أسرير حيث كانوا يقيمون إلى حدود القرن الحادي عشر (17 م). تسببت صراعات مفتوحة يومها بينهم وبين أيت احماد أوعلي في انسحابهم إلى المنطقة الفاصلة جنوبا بين وادي درعة الشبيكة حيث أقاموا مدشر تيدرگيت (V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, 17). كانت قبيلة

إزرگيين تنتجع يومها حوالي منطقة آوريورة المجاورة للمحيط الأطلسي. وقد كانت تمثل امتدادا فعليا لفصائل أزوافيط شأنها في ذلك شأن أهل أمغار اسعيد بمنطقة الركن بتاسريرت المسماة حاليا بسلسلة جبال أيت باعمران (انظر مادتي *إزرگيين* و*تاسريرت بالعلمة*). ولما تمكن تحالف فصائل أيت لحسن من طرد أولاد إدريس من القصابي الحالية (انظر مادة *تگاوست بالعلمة*) خلال القرن الثاني عشر (18 م) بدأت فصائل إزرگيين في التوجه نحو وادي الساقية الحمراء والدورة. عرف هذا القرن تقوية النفوذ المحلي لتكنة على حساب أولاد مبارك وأولاد دليم المعقليين الذين انسحبوا نحو مواقعهم الحالية بتيرس وأدرار. بل نجد أن إعادة تشكيل التحالفات بين مختلف الفصائل تتداخل وتتقاطع مع الصراعات ذات الطابع الانقسامي. فقد عرف هذا القرن طرد أيت احماد من تاغاجيجت إلى فصك ومن تيغمرت إلى إيغرم إيگزولن مستندين في ذلك إلى مبادئ تحالفيه مع منافسي أيت إبراهيم وأزوافيط الذين طردوهم.

من هنا يمكن أن نقول بأنه لا وجود لأية مطابقة بين التوزيع المجالي ومدى انصهار تجزؤات كل قبيلة ضمن وحدات اجتماعية وسياسية أشمل. فلا يمكننا التغافل مثلا عن الفرق الشاسع الذي يفصل دائماً بين أهالي تيدرگيت من أيت لحسن وفصيلة الرويمات الكويتين بنفس القبيلة. لقد أبرزت فاعليات التحالف مع المد الإيبيري منذ سنة 1500 دور التعبئة الفعلية للرويميات إلى جانب الحضور الإسباني. وهذا مبدأ لا انقسامي سوف يعمل باستمرار على الفصل الحثيث بين الرويميات وأيت بومگوت المرتبطين بدينامية القيم المحلية والرموز الدينية. إذا كان أهل بوعيدة قد فرضوا نفوذهم بفعل مواقف وانتماءات، فإن أيت بومگوت ومجمل أهل تيدرگيت من أيت لحسن قد لعبوا أدواراً هامة على صعيد السياسة التي انتهجوها داخل تحالفات أيت الجمل.

ليس صدفة أن يجتمع ممثلو أيت الجمل ليعلنوا منذ القرن الثاني عشر (18 م) نزوعهم إلى الحياد والمسالمة والتحالف مع لف أيت عثمان. فقد كان اللفان مندمجين في إطار وحدة فاعلة ومتنافسة كثيرا ما عرفت استقبال تيدرگيت لمجالس جماعية من الحجم الكبير. لم تنحصر قط دائرة مدشر تيدرگيت في سلطة أيت لحسن بل بقي سكان المدشر بحكم تعاملهم مع منتجعي الأودية والسهول المجاورة من الأهمية ما جعلهم يمثلون نواة تجارية محلية. وبعد أن حاولوا ولو بشكل متواضع الاستجابة لمتطلبات الأفراگ الجهوية، نجدهم ينساقون في تيار تثبيت الحضور الفعلي لقبيلتهم. حقا لا أحد من الكبار الذين تعاقبوا على رأس تيدرگيت تمكن من فرض هيمنة متواصلة. والسبب يكمن دونما شك في أن السلطة لم تكن ممركزة إلى درجة تجعل من المدشر عاصمة محلية راسخة. فقد كان أكبر وأهم شيوخ القبيلة هم أعيانها وكبار فصائلها المحورية. وعلى غرار المجتمع الذي يمارس نمط العيش الترحالي تميزت البنية الاجتماعية لمدشر تيدرگيت بالهشاشة وبتداخل مختلف مستويات أفراگ القبيلة بعيداً عن عاصمتهم القصابي.

يبقى أهم شيء يمكن أن نميز به دور تيدرگيت التاريخي خاصة خلال القرن الثالث عشر (19 م) هو قدرة أيت لحسن المحلية على احتكار الماء الصالح للشرب. هذا ما يمكن أن نستشفه من خلال الكيفية التي تعامل بها أهل تيدرگيت مع مسألة استغلال الماء وتوزيعه على الأفراگ المجاورة. إن ندرة الماء الصالح للشرب بهذه المنطقة المحادية للمحيط المالح تجعل من تيدرگيت بحق محطة نادرة لرصد وتحليل مجمل التفاعلات والدوافع والأهداف التي حدت بأيت لحسن إلى إنشاء هذا المدشر. إذا كان استغلال المراعي يعد جماعيا على امتداد مختلف فترات وفرة الكلأ، فإن التحكم في المياه الجوفية النادرة لم يكن يستند هنا على أساس المبادئ المشتركة، وهو بالضبط ما يؤكد قدرة أيت لحسن الفعلية على التحكم في المجال الحيوي سواء على مستوى تنظيم الحياة الرعوية أم على مستوى الحفاظ على وحدة المجال التكتني. كانت التعارضات بين أيت لحسن وأزوافيط قد شكلت ميكانزما أساسيا للحفاظ على ثنائية اللفين التكتنيين وجسدت القدرة الفعلية للسلطة القبلية على مراقبة المجال. وإذا كان أزوافيط قد احتكروا منذ زمن بعيد أهم المداشر بوادي نون (انظر مادة *أزوافيط بالعلمة*)، فإن تيدرگيت انضافت إلى القصابي لتجعل من قبيلة أيت لحسن إطاراً فعلياً للتعبير عن شخصية أيت الجمل.

دراسة ميدانية وروايات شفوية.

مصطفى ناعمي

تيدسي، قرية بسوس، تقع قرب أولاد تايمة الحالية، وقد كان لها دور تاريخي خلال بداية القرن العاشر (16 م)، حيث بايعت بها قبائل سوس محمد القائم بأمر الله، مؤسس الدولة السعدية. ولعل الحسن الوزان، في هذا القرن، هو أول من أشار إليها ووصفها بأنها "مدينة كبيرة تحتوي على أربعة آلاف كانون، أسسسها الأفارقة على بعد ثلاثين ميلا من شرق تارودانت (...) وهذه البلاد منتجة خصبة (...) وفيها أناس يتاجرون مع بلاد السوادن (...) لهم نظام جمهوري حيث يحكم البلاد ستة أشخاص يختارون بالقرعة، ويعوضون بآخرين كل ستة عشر شهراً (...) وفيها عدد كثير من الصناع اليهود كصياغين وحدادين (...) وقد دخلت تيدسي عام 920 في طاعة الشريف الذي اتخذ منها عاصمة له" (*وصف افريقيا*، ص. 119).

يقدم لنا هذا النص معلومات مفيدة ودقيقة حول هذه القرية، فهي قديمة رغم أن البكري (ق 5 هـ) لم يشر إليها. ويبدو الرقم الذي أورده الوزان بالنسبة لعدد السكان مبالغا فيه (4.000 كانون x 5 = 20.000 نسمة).

يرتبط تاريخ تيدسي بظهور الدولة السعدية، حيث إن أبا عبدالله القائم بأمر الله لبى دعوة زعماء القبائل السوسية حيث "جاء معهم إلى قرية يقال لها تيدسي قرب

تارودانت فبايعه الناس بها" (*نزهة*، 16). إن مبايعة السوسيين لمؤسس الدولة السعدية في تيدسي يجعل الباحث يطرح تساؤلات عن الأسباب الكامنة وراء ذلك الاختيار. إذ من المعلوم أن الشرفاء السعديين انطلقوا من قرية في درعة تحمل نفس الاسم "تيدسي". وإذا فهمنا من النصوص أن هناك قريتين تحملان نفس هذا الاسم فما هي طبيعة العلاقة بين قصر تيدسي بدرعة مقر الشرفاء السعديين، وقرية تيدسي بسوس مقر انطلاق حركتهم السياسية ؟

هنالك احتمالان : إما أن تكرار تيدسي في درعة وسوس يدخل ضمن ظاهرة تكرار أسماء الأعلام الجغرافية في الجنوب المغربي الناتج عن تنقل القبائل من مواطنها الأصلية إلى أماكن أخرى، تطلق عليها أسماء منطقتها الأصلية، مثل ما حدث في تكرار أسماء الأعلام الجغرافية في سهل سوس وجبل درن ؛ وإما أن يكون لاسم تيدسي علاقة مباشرة بالشرفاء السعديين الذين قد يكونون أسسوا زاوية لهم بالمنطقة لها علاقة ما مع زاويتهم بدرعة (Meunié, *Le Maroc*, T. 1, 432).

ومما يعزز الاحتمال الأخير عثورنا على ظهير توقير لأهل زاوية تيدسي أرسله السلطان المنصور الذهبي إلى الشريف عبد الله التيدسي مؤرخ في أواسط ذي الحجة الحرام عام 1012 / 1602 قبل وفاته ببضعة أشهر. وتشير الوثيقة إلى أن عادة التوقير قديمة ومما جاء فيه "... ولم تجر عليه عادة الغرامة قط من قديم إلى الآن (....) ولا سبيل لأحد في خرق العادة عليهم" (م. حنداين، *تارودانت*، ملحق الوثائق).

ومما لا شك فيه أيضا أن شرفاء تيدسي (سوس) كان لهم دور كبير في إقناع زعماء قبائل المنطقة ببيعة محمد القائم بأمر الله، وفي التوفيق بين الآراء أثناء التخطيط لقيام الدولة السعدية. ويورد الإفراني نصاً يتضمن الصعوبات التي وجدها مؤسس الدولة في تيدسي مع أحد الرؤساء قائلا : "ثم إنه رجع إلى مكانه من تيدسي المذكورة فوقع بينه وبين أحد الرؤساء هنالك منافرة أدت إلى ارتحاله عنها ورجوعه إلى درعة، فلم يزل بدرعة إلى عام ثمانية عشر فرجع إلى مكانه من تيدسي واطمأنت به دارها..." (*نزهة*، 16).

نستخلص من كل ذلك أن دخول قرية تيدسي إلى التاريخ، كان مرتبطاً بظهور الدولة السعدية بسوس. واستمرت تلعب دوراً ثقافياً ودينياً طيلة فترة السعديين، مما يفسر إصدار ظهائر التوقير والاحترام لشرفائها. ورغم أن دورها عرف نوعا من الفتور خلال الفترة العلوية، إلا أن السلاطين العلويين احتفظوا بتقليد اصدار ظهائر التوقير لشرفاء تيدسي. ويؤكد ذلك ظهير توقير أصدره السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام مؤرخ بـ 29 ذي الحجة الحرام عام 1255.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي*، نشر هوداس. د. ت. ؛ م. حنداين، *تارودانت ومحيطها التاريخي خلال القرنين 17 و18*. ر. د. د. ع. الرباط، 1993.

D.J. Meunié, *Le Maroc saharien*, T. 1, Paris, 1982.

محمد حنداين

تيدسي، قصر بوادي درعة، ونستشف من بعض الإشارات التاريخية، أن قصر تيدسي بدرعة يعتبر من القصور القديمة بالبوادي، وقد كان موطنا لأسلاف الأشراف السعديين الذين استقدموا إلى الوادي في بداية القرن الثامن الهجري. ويبدو أن قصر تيدسي كان مركزاً تجاريا مهما بواحة ترناتة خلال نفس القرن، فقد ذكر ابن خلدون، أن نهر درعة "يمتد إلى أن يصب في البحر، وحفافيه قصور لا تحصى، شجرتها النخل، وقاعدتها بلد تادنست، بلد كبير يقصده التجر للسلم في النيلج وانتظار خروجه بالصناعة" (*العبر*، 6 : 88 . 89). وقد علق صاحب *طليعة الدعة في تاريخ وادي درعة*، على كلمة "تادنست" الواردة عند ابن خلدون بقوله : "لعلها تيدري أو تيدسي، لأن في هاتين البلدتين من الخراب ما يدل على عمارتها وحضارتها، وإلا فهو خطأ وتحريف من الناسخ لأن هذا الاسم (تادنست) لا يعرف بدرعة" (*طليعة*، 5). وقد صحح لفظ "تادنست" باسم "تيدسي" في بعض النسخ المطبوعة لتاريخ ابن خلدون (*دعوة الحق*، ع 2 . 1973 : 132).

وقصر تيدسي الذي أشار إليه صاحب طليعة الدعة، يقع فوق تل متوسط الارتفاع بواحة ترناتة على يمين الطريق الذي يربط بين مدينة زاگورة وقصر بني صولي بالضفة الشرقية لنهر درعة، ولاتزال بالقرب من تيدسي أطلال ضخمة تعرف محليا بالقصر الخالي، ولا شك أن هذا القصر الخالي هو قصر تيدسي القديم الذي كان موطن أسلاف السعديين قبل انتقالهم إلى تاگمادارت بواحة فزواطة، ولعل ما يؤكد وجود قصر تيدسي القديم بترناتة، هي التحلية التي كان يضفيها صاحب كتاب *الدولة السعدية التگمادارتية* على بعض ملوك السعديين بقوله : التگمادارتي الترناتي (*الدولة السعدية*، 105). ويشرف القصر الخالي على فضاء من الأرض يعرف بحدب الحاج عبد الله، وقد كان هذا المكان ملتقى للقوافل التجارية قبل تخريب قصر تيدسي (*وثائق قصر أولاد الحاج*).

متى خرب قصر تيدسي القديم ؟ ومتى بني قصر تيدسي الحالي ؟ ليس من السهل الإجابة على السؤالين لضياع أخبار قصر تيدسي القديم في غمرة الأحداث التي عرفتها بلاد درعة خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16م)، وهي أحداث تميزت بصراع حاد بين قبائل الرحل الصحراويين وسكان الوادي المستقرين، ولم ينته هذا الوضع الشاذ إلا بتمكن الدولة السعدية من إحكام سيطرتها على درعة في بداية النصف الثاني من القرن العاشر (16 م) (*التاريخ الاجتماعي لدرعة*، 145 . 150). ويظهر أن قصر تيدسي القديم، فقد أهميته كمركز تجاري مهم بترناتة في بحر القرن التاسع (15 م) بدليل أن الحسن الوزان لم يشر إليه

ولو أدنى إشارة عندما زار وادي درعة في مطلع القرن العاشر (16 م).

ونستشف من بعض الوثائق المحلية التي عثرنا عليها في قصر بوخلال الواقع قرب قصر تيدسي الحالي، أن عددا من قصور ترناتة قد بنيت خلال القرن الثاني عشر (18 م)، حيث اضطرت عدة قبائل بترناتة إلى تجميع عشائرها في قصور محصنة لمواجهة هجومات قبائل أيت عطا الصحراويين آنذاك، فهل يمكن القول إن بناء قصر تيدسي الحالي يرجع إلى القرن الثاني عشر (18 م) ؟

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، بيروت، 1981 ؛ م. الافراني، *نزهة الحادي : مجهول، الدولة السعدية الدرعية التكمادارتية*، الرباط، 1934 ؛ م. المكي الناصري، *طليعة درعة*، مخطوط ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة*، دعوة الحق، ع 2 السنة 18 ـ 1973.

G. Spillman, *Districts et tribus de la haute vallée du Dra*, *A.M.*, Vol. 9, Tome II, Paris, 1931 ; Dj. Jacques Meunié, *Le Maroc Saharien : des origines au XVIème siècle*, Paris, 1982.

أحمد البوزيدي

الـتيدسي، بركة بن محمد بن أبي بكر، ويكتب أيضاً بصيغة الجمع : بركات. شيخ صوفي كبير، وأستاذ عارف بالروايات والقراءات. قضى حياته في زاويته بتيدسي سوس يعلم القرآن ويربي المريدين، ويسهر على توجيه المجاهدين المقاومين للتوسع البرتغالي في سواحل سوس، ويسعى إلى فداء الأسرى وإبرام هدنة مع المغيرين ليطمئن السكان ولو إلى حين. حتى إن السوسيين عرضوا عليه أن يبايعوه، كما عرضوا ذلك على معاصره شيخ زاوية أقا محمد بن مبارك. لكنهما رفضا وأشارا على الناس بمبايعة فقيه درعة الشريف محمد بن عبد الرحمن الزيداني (جد السعديين) لكفايته ونسبه القرشي وبلائه البلاء الحسن في جهاد المحتلين. وفي زواية تيدسي بايع السوسيون محمد بن عبد الرحمن الذي تلقب بالقائم بأمر الله عام 915 وكان ذلك منطلق حركة جهادية انتهت بطرد المحتلين من سواحل سوس وإقامة صرح الدولة السعدية.

توفي الشيخ بركة بتيدسي في السابع عشر من جمادى الثانية عام 934 / 9 مارس 1528.

الرسموكي، *وفيات*، 38 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 228 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 24 ؛ م. حجي، *الحركة*، 1 : 42 ـ 43.

الـتيدسي، علي بن عبد الملك بن بركة. فقيه صالح، تمتع ـ كأبيه وجده ـ بحظوة كبرى لدى السعديين، وولّوه قضاء بلده وبقي على ذلك إلى أن توفي ليلة الاثنين الثاني عشر من رمضان عام 1012 / 13 فبراير 1604.

الرسموكي، *وفيات*، 116 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 623 ؛ م. المختا السوسي، *رجالات العلم*، 51.

محمد حجي

تـيديگين، جبل يقع بأرض قبائل كتامة وبني سدات وبني بونصار وبني خنوس الصنهاجية، وبه توجد أكبر غابة لشجر الأرز بشمال المغرب، وحيث إن ارتفاعه على سطح البحر يبلغ 2.453 متر فهو أعلى جبل بسلسلة جبال الريف، ولذلك سمي بتيديگين أي "العملاق" باللهجة الريفية.

ع. بنبعد الله، *معلمة*، 157.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografía de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 27 y 110 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografía de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 71.

محمد ابن عزوز حكيم

تيديلي، اسم أمازيغي يطلق على المناطق الخصبة ذات المياه الجارية والبساتين الفيحاء، لأن كلمة تيديلي مشتقة من فعل "تدلّ" بمعنى سَقَفَ، فتعني بذلك الحدائق المعلقة، ومن الأماكن المشهورة بهذا الاسم قبيلة تيديلي بإقليم ورزازات الواقعة على السفح الشمالي للأطلس الكبير وتضم عشرات الدواوير الممتدة على ضفاف وادي واوزگيت الذي شيد عليه سد المنصور الذهبي قرب مدينة ورزازات.

وبقبيلة إيداوتنان توجد قرية تضم الآن حوالي مائتي كانون تدعى تيديلي، وهي فرقة من قبيلة تانكرت التنانية، وتمتاز هي الأخرى بعيونها الجارية وبساتينها الظليلة، فهذا الرحالة المختار السوسي يحدثنا عن مدى إعجابه بقرية تيديلي وجارتها تامارووت. وقرية تامارووت في واد متسع ملتف الاشجار والحقول وأسفل منها بقليل قرية تيديلي، وحوالي القريتين حقول متصلة مخضرة أنيقة وقد تباعد ما بين الجبال التي تحيط بها، وهناك زياتين كثيرة والجوز واللوز وأنواع الفواكه ويسقى الجميع بعيون متعددة انبعثت قرب الحقول. وهذا المكان يقع في أعالي جبال ايداوتنان ولكن يشتد فيه البرد إلا أنه مع ذلك أبهج مكان رأيته في هذه الجهات إذا استثنينا "أنسري" المتقدم (*خلال جزولة*، 4 : 82).

وقرية تيديلي متشبعة بالروح الدينية كغيرها من القرى التنانية فنجد فيها من الشرفاء الأدارسة المنحدرين من أسرة السيد إبراهيم بن علي التيغانيسيني أعدادا كثيرة كما نجد من بينهم حفظة القرآن وعلماء أجلّة أمثال السيد علي ابن إبراهيم التازروالتي. ولسكان تيديلي اهتمام كبير ببناء المساجد وتعميرها منذ القدم. وأول ما استرعى انتباه محمد المختار السوسي أثناء زيارته لهذه القرية هو قدم جامعها الذي يُبرز مدى اعتناء بني تنانة بالمؤسسات الدينية والعلمية حيث قال : "سرعان ما وصلنا ـ تيديلي ـ فدخلنا إلى الجامع الذي تقام فيه الجمعة وهو مسجد عتيق مثل مسجد تامارووت وقد تخطى أكثر من ثلاثة قرون، فاستحضر أهل القرون الوسطى كيف كانوا في حرارة دينية صارت تبرد اليوم شيئا فشيئا في هذه الأجيال الأخيرة، وقد اعتنوا كما ترى ببناء المساجد هكذا في قمم الجبال وفي أعماق الشعاب على كيفية هي أعلى ما يعرفونه إذ ذاك في فن معمارهم، ثم كسا القدم هذا الفن حلة أخاذة في نظر أمثالي" (*خلال جزولة*، 4 : 82).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 82 ؛ *تحريات ميدانية* ؛ *تقرير*

حول *إداوتنان* أعده قائد دائرة حاحة الجنوبية (لاتيرون) عام 1924.

محند أيت الحاج

تيذنْتْ، قالة أي مرسى صغير، واقع على الساحل الشرقي المتوسطي من شبه جزيرة هرك (ورك أيضا)، بين مدينة مليلة ورأس هرك. يحتل موضع القالة النقطة الوسطى من الجون الممتد بين رأس تَرْيات (حسب الإسباني بيرميخا Bermeja) ورأس الزاوية القادرية (حسب الإسباني سبانيا Sabanilla). ويعود استعمالها إلى استغلال المراكب الصغرى لمصب واد سيدي الحاج مْحَنْد (محمد) للإرساء أسفل الأجراف المشرفة من علو ثلاثمائة متر.

عرّفنا أبو عبيد البكري بموقع مرسى تيذنت الذي لم يكن مستغلا سوى في فترة الصيف، مشيراً إلى دوره في التجارة الصحراوية، إذ أنه كان من احتكار مرسى المنكّب الأندلسي.

واستغل بنو شكر القلعيون هذا الموقع، خلال العصر الحديث، لاعتراض السفن الإسبانية الآتية من مالقة محملة بالمؤن والعتاد الحربي إلى مليلة المحتلة. ويدخل المرسى في الوقت الراهن ضمن مدشر "ثْلاث" التابع لفرقة بَجِيوَة بني شكر.

أ. البكري، *المغرب*، 99 ؛ ح. الفكيكي، *قلعية*، 1 : 30 ؛ *ضابط الأمور الوطنية*، 100 ؛ خريطة طبوغرافية، 1921 و1935.

حسن الفكيكي

التيرس (قسم "الأتربة المتقلبة" المغربية) التيرس من أكثر الأسماء حضوراً عند تناول موضوع الأتربة المغربية على مستوى التصنيفات البلدية والأسباب في ذلك عديدة.

أهمها أنه التربة المثلى للحبوب وذلك بأسمى المعايير، فهو يسهم بقسط وفير في تغذية سكان المغرب. ويُنتظر منه أن يُضاعف إسهامه بزيادة المردودية. كما أن مجالات انتشاره غالباً ما توافق أغنى الأراضي لأنه يكاد يكون حكراً على السهول والأراضي الشاسعة المتيسرة التجهيز، بالإضافة إلى ارتباطه الوثيق بمصادر المياه وظروف تجميعها، وهي لاشك أثمن الظروف في نطاق جغرافي يَحكُمه هاجس الجفاف.

التيرس إذن تراب نفيس استرعى اهتمام الدراسين والمستعملين على السواء. يقتصر هذا العرض على التعريف المختصر به وبمميزات استعماله، مع تناول لأهم خصوصياته التحليلية وظروف وأبعاد تطوره بمختلف بقاع التراب الوطني التي تتوفر على رصيد كاف.

شهرة التيرس مرتبطة كذلك بالسهولة النسبية في التعرف عليه ميدانياً. فهو يوافق الأتربة الطينية الداكنة اللون، العسيرة المعالجة حيث إنها تصير ثقيلة في حالة ترطيبها واكتنازها بالمياه، كما أنها تكتسب عند تجفيفها البنية الخشنة والصلابة. أقرب التسميات العلمية للمفهوم البلدي للتيرس هو مصطلح الأتربة المتقلبة Vertisol حسب الترتيب الفرنسي للأتربة (CPCS 1967) والتصنيف الأمريكي (Soil Taxonomy, 1975).

على أن التيرس عندنا يتعدى مفهوم الأتربة المتقلبة ليشمل كل فصول الأتربة الأخرى متى توفرت على بعض الخاصيات القالبة، كما هو الشأن بالنسبة للأتربة الضعيفة التطور، والكلسمغنيزية والسيدبالية والمتحدسلة والأندوتربات ذات النزعة البينية.

أما بالنسبة لإمكانات الاستعمال فمعلوم أن الخاصيات الآلية للتيرس غير مواتية في ظروف الرطوبة والجفاف معاً. فهي لصوقة لدنة في الحالة الأولى وصلبة مصمتة في الثانية. نسبة انتفاخ السمكتيت المحتقنة يمكن أن تبلغ عشرة أضعاف حجمها الجاف. عمليات التمدد والتقلص والقلب بهذه الأبعاد غير ملائمة للنبات ذي التجذر القوي.

في مجالات الزراعة المكثفة، يتعرض التيرس لمشكلين هامين : الاندكاك والتمليح. فمعالجته خلال الفترة الرطبة بواسطة الجرارات الثقيلة، ومرور الشاحنات الكبيرة على سطحه يتسبب في حالات اندكاك جزئياً لارجعية تُفقده المسامية والهيكلة الحاصلة بفعل الأطيان.

كذلك يُحدث السقيُ بواسطة مياه متواضعة الجودة تراكماً للأملاح الذووية والصوديوم المستبدَل بسبب ضعف الإيصالية المائية لهذه الأتربة. وفي غياب نظام ملائم للتصريف، ينجُمُ عن التمليح والتُقلية تدهورٌ لقيمة التربة.

في مجال الهندسة المدنية، مشاكلُ توازن المنشآت المختلفة تُطرح بحدة حيث إن مدّ الطرقات فوق التيرس يستلزم عمليات تثبيت بالجير أو الإسمنت على سمك كاف، أو حتى إزاحة التربة الطينية بصفة تامة. نفس الصعوبات تعترض كل مشروع تشييد للمباني والسدود ومحطات الضخ والأعمدة الكهربائية وغيرها. لكن التوارس أتربة مشهود لها بالخصوبة الكيماوية العالية. وهذا يشفع لها من كل العيوب. وهي وإن كانت في حاجة إلى مقادير هامة من المياه حتى تتبلل وتُكَوِّن الذخيرة النافعة التي يمكن أن تستفيد منها جذور النباتات المزروعة، فإنها تَكُون في هذا الحال قد جَمَّعت مخزوناً مائياً يُمدِّد تزويده للغطاء النباتي عبر المراحل الجافة. لذا كانت هذه الأتربة مجال زرع تفضيلي لأنواع القمح والذرة ونوار الشمس، وما شابه ذلك من ذوات التجذر الدقيق.

تتميز أنواع التيرس ـ تشكيلياً ـ عن الأتربة الأخرى من حيث اللون والبنية والنسيج.

ـ ألوان التيرس داكنة في جل القطاع، تتراوح بين الأسود والأسمر الداكن أو الرمادي. حدة السواد لا علاقة لها بحاصل المادة العضوية حيث إنه غالباً ضعيف، ولكنها تُعزَى لنوع العلاقات التي تربط بين المادة الدبالية الجيدة التكاثف والأطيان النفوخة.

ـ تختلف بنية التيرس حسب مستواه من التبلُّل : في وضعية الرطوبة، تكون بنية التيرس متجانسة، كتلية، منصهرة، تجعل منه مادة لصوقة لَدنة. وفي حالة الجفاف، تصير البنية انشطارية، شديدة الخشونة، يُحدث تواتر

دورات التبليل والتجفيف تضريساً صُغْرياً يحمل اسم الگلگاي (Gilgaï) يتجسد في شكل مُتورِّم للسطح ذي أبعاد ديسمترية في الأراضي البوار.

تتكون المسكة السطحية في الغالب، من جلطات ناتجة عن تشتت الكتل الترابية. يتعمق التجفف في جوف المادة الطينية التي تتفكك على أساس شبكة من شقوق التراجع، عازلة مواشير كبيرة مصمتة وصلبة.

في المستويات الوسطى من القطاع، حيث تطول مدة الرطوبة واللدانة، تزيد حدةُ الضغوط فتتكون مجمعات خشنة، حادة الأضلاع ولامعة السطوح مع بعض الميل والتشوه، تُدعى مصقلات Slickenside. مع تقدم التجفيف، تتعمق الشقوق وتتسع وتزداد صلابةُ التربة وإصماتها.

يحتمل التيرس تراكُمات جيرية في عمقه على شكل أكداس فَتُوتَة، كما يمكن أن يقع فوق قشرة كلسية حقيقية بالنسبة للأتربة ذات الخاصيات المتقلبة القليلة العمق.

- في معظم الحالات، القطاع النسيجي للتيرس غير متغاير، طيني، أحياناً طيني - طميي متجانس على مدى عمق التربة.

- تتراوح نسبة الطين عامة بين 30 و80 بالمائة مع هبوط للرمال إلى مادون 10٪. ومن ضمن القسم الطيني، تُمثل السمكتيت أكثر من 50٪ مع إمكانية الوصول إلى 90٪.

وقد أبانت الدراسات العدانية الدقيقة على أن سمكتيت توارس الشاوية والغرب والسايس هي من فصيلة البيدليت المتحددة، وهي ذات شحنة إجمالية جد عالية (0.5 إلى 0.66 شحنة في النصف عقدة) توجد منها 60 إلى 70٪ في الفرشة الرباعية الأوجه (Badraoui, 90). المعادن القليلة الأخرى المشاركة للسمكتيت، يمكن أن تكون الإليت، الكاولنيت، البيمتطبقات النفوخة، الكلوريت والباليگورسكيت. يقع جانبٌ كبير من سلوك التيرس إزاء الماء والعناصر المعدنية تحت مراقبة السمكتيت.

ارتباطاً بالنسيج والطبيعة العدانية، تتوفر التوارس على قدرات تبادل كاتيونية مرتفعة، حيث تصل إلى 70 ملي مُكافئ في 100 غرام من توارس الشاوية والغرب واَللكوس وسايس. إشباع مُركَّب التبادل حاصلٌ أساساً بالكالسيوم والمغنزيوم. وتفوق نسبةُ الإشباع بالقواعد 90٪. ومن خصوصيات مركب التبادل، تزايدُ المغنزيوم والصوديوم في عمق القطاع على حساب الكالسيوم، حيث تصير آفات التقلية أمراً واردَ الوقوع حتى من غير سقي.

تمتص التوارس عموماً مقادير هائلة من المياه بسبب تركيبها النسيجي. ومع ذلك فإن خزينة الماء المستعملة من طرف النباتات، في كل وحدة حجمية من التربة، تبقى نسبياً ضعيفة بسبب مَناسيب الماء العالية المحتجزة لدَى نقطة الذبول الدائم. غالباً ما يعوض عن هذا الوضع بعمق أكبر للتجذر يسمح باستغلال كميات كبيرة من الماء.

مضمون المادة العضوية في توارس المغرب ضعيف، غالباً دون 1.5٪ باستثناء أتربة المروج في الغرب. لكن هذه النسبة الضعيفة من المادة العضوية عميقة الاندماج مع التربة.

تكلُّس التوارس ضعيف إلى منعدم. منسوب الكلس الإجمالي عامة أقل من 20٪ في المسكات العلوية. كما يبدو أن آليات القلب لم تعق حلحلة الكلس في أدنى القطاع والتي ولاشك لها علاقة بالمناخ وعمر التربة.

تتراوح نسبة الهيدروجين في توارس المغرب بين 7 و9. أما القيم العالية فمرتبطة بمناسيب الإشباع بالصوديوم والمغنزيوم المرتفعة في قاعدة القطاعات.

توجد التوارس في مناطق مختلفة من المغرب، تقدر مساحتُها بحوالي المليون ونصف مليون هكتار يتمركز جلها في الغرب ومقدمة الريف واللكوس وفحص طنجة والشاوية ودكالة وزعير وسايس وتادلة (Mamva 94 Wilbert 65).

المناطق	المساحة بالهكتار	النسبة المائوية
الغرب، مقدمة الريف اللكوس، فحص طنجة	1.050.000	69.5
دكالة وعبدة	200.000	13.5
الشاوية	180.000	11.9
زعير	50.000	3.3
تادلة، سايس	30.000	2

جدول توزيع التوارس بالمغرب

أما الأتربة التي تُعتبر من ضمنها حقيقةً متقلبة فهي لا تتعدى ثلث المساحة الإجمالية للتوارس، وينحصر جلها في الغرب والشاوية وزعير.

- يتسم التوزيع المجالي للتيرس على العموم بنوع من المرونة، وإن كانت له بعض الضوابط المناخية والطبوغرافية والصخرية، يمكن إجمالُها في توفر قاعدة صخرية أو فسخة ذات نسيج طيني، تغلب عليه الأطيان النفوخة في ظروف تطورية تتعاقب فيها على التربة ظروفُ التهوية والاحتقان. حصول مَسْهة موسمية خلال فترة متفاوتة من السنة أمر ضروري، وأبسط ظرف لتحقيقه هو الانبساط الطبوغرافي مع نزعة لعرقلة الجريان المركز في سياق تساقطات كافية، وأخيراً، تواتُر فترات الترطيب والتجفيف شرطٌ في عملية قلب التربة وهيكلتها.

يُعتبر توفير النسيج الطيني حاصلاً متى ضمت القاعدة الصخرية أكثر من 30٪ من الطين الحُبيبي الغني بالأطيان النفوخة، أو متى تهيأت الظروف لتحويل الأطيان المُتاحة إلى الفصائل الطينية المطلوبة.

- تخص ظروف التساقط المواتية للتترس في المغرب حيزاً واسعاً جداً، يتراوح بين 30 و800 مم. فالانحباس الطبوغرافي يساعد في التغلب على ظروف القلة المطرية، ذلك أن مقادير المياه التي تتجمع في قيعان المنخفضات بمساعدة السيلان تفوق كثيراً ما تسمح به التساقطات وحدها. أضف إلى ذلك أن الاحتباس يعزز كميات الطين

النفوخ والعناصر الألقلية (كالسيوم ومغنزيوم).

أكيد إذن أن اتساع المجال المعتبر، بالمرونة الملحوظة، راجع لإمكانية التغليب المحلي لعامل واحد من عوامل تحقيق التترس على العوامل الأخرى، فمن جهة، تتجلى التبعية المناخية في وجود أهم المجالات التيرسية داخل المدرج الطبوغرافي الكبير الشمالي الغربي الذي تشكله السهول والهضاب والتلال المنخفضة المنفتحة على التيارات المحيطية. ويزيد من ذلك التناقص البيِّن كلما ابتعدنا عن الساحل وتراجعت الرطوبة.

لكن الملاحظ من جهة أخرى أن التترس لا يقف عند مستوى عتبة مضبوطة لتساقط الأمطار، بل يمكن أن يتحقق في ظروف هامشية، بها فائض أو عجز مطري، متى حصل التعويض الكافي من طرف انغلاق الطبوغرافيا، أو توفر القاعدة الصخرية الملائمة.

لذا، أمكن تمييز فصيلتين كبيرتين من التيرس. تلك التي يمكن أن تقبل بطبوغرافيا بها بعض الميل، وتسمى الصخر تابعة lithomorphe، وتلك التي تستلزم السهول والمنخفضات وتُدعى الطبو تابعة topomorphe. تتطور الأولى على حساب الصخور الطينية الغنية بالسمكتيت كما هو الشأن في الصلصال الميوسيني، ضمن تلال مقدمة الريف مثلاً، وتقتصر الثانية على المنخفضات ذات التصريف المُعاق وأهم نماذجها في سهل الغرب.

يبقى أن أوسع وأغنى ضروب التيرس هي دائماً من النوع الثاني، ويدخل أهمها في سياق السهول الفيضية، مثل الغرب واللكوس، والأحواض البنائية، مثل دكالا.

أما توارس زعير وجزء من الشاوية فهي توافق مقتضيات النوع الأول.

ثم هناك مجالات مركَّبة منها مقدمة الريف والسهل الداخلي لوادي ورغة وسايس وفحص طنجة.

توارس السهول الفيضية: أكبر رصيد من أتربة التيرس وأعمقها على الإطلاق يوجد في سهل الغرب. ذلك أن التطور الذي صنع سهل الغرب على حساب خليج بحري قديم، انغرز تدريجياً خلال البليوسين والرباعي، ما انفك يشتغل حتى الآن، لكنه في الوقت الراهن يُنتج مواد متفاوتة التترس منذ حوالي عشرة آلاف سنة، وذلك بنفس الأدوات وهي أنهار سبو وورغة والرضم والبهت.

استمر نفسُ التركيم الغريني انطلاقاً من الريف والهضاب الوسطى، ونفس التهدل في وسط الغرب الذي استوعب كميات هائلة من الرواسب. كل ما هنالك أن المواد التي كانت رصيصية، خشنة في بداية الأمر، تطورت حالياً إلى عناصر دقيقة تتكفل المنعرجات النهرية عبر عمليات الكشط الواسعة التي تقوم بها، وكذلك الفيضانات الموسمية منها والاستثنائية، بتوزيعها على مجموع السهل.

تترس من هذا النوع من شأنه أن يبقى ضعيف التطور بسبب النشاط الجيومرفولوجي المستمر الذي لا يفتُر عن تجديد السطح ولا يسمح بتطور كاف للأطيان. يظهر ذلك من خلال اللون الأسود المشوب بالرمادي ومختلف درجات التترس عبر سلسلات تربط بين مواد أرصفة الأنهار الخشنة نسبياً والغنية بالطمي (الدهس) والمواد المنقعية التي كانت تطغى عليها مظاهر الميهة قبل عمليات الاستصلاح، والتي بدأت هي الأخرى تتطور نحو التربة التيرسية الصرفة (المرجة الكبيرة).

ظاهرة الغرب هذه تكاد تكون استثناء في مجموع المغرب، حيث إن الإقليم كله يتطور، وحتى الآن، بوصفه سهلاً فيضياً نشيطاً، وذلك في الواقع مصدر غناه الترابي والمائي معاً.

- هناك مناطق أخرى عرفت تطورات مشابهة في مراحل مختلفة من تاريخها الجيولوجي، ثم غيرت من سلوكها في مراحل متأخرة، فكانت النتائج مخالفة على المستوى الترابي. مثال ذلك منطقة تادلا. عرفت تادلا خلال الثلاثي وثلثي الرباعي تاريخاً قارياً يغلب عليه الانحباس. فتجمعت فيها أكداس من المواد الخشنة ومختلف المواد الدقيقة والرواسب البحيرية. لكنها انفتحت على المجال الخارجي في الثلث الأخير من الرباعي، وتعمق فيها وادي أم الربيع. ومع ذلك بقي هناك مجال تهدل في المحور البنيوي للمُقَعّر الأصلي، في قدم الأطلس، في الميدان الفاصل بين القصيبة وسوق السبت. طبيعتُه المنقعية السابقة للاستصلاح، وتصريفه الضعيف على العموم هو المسؤول عن التكوينات التيرسية للسهل والتي تمثل هنا رصيداً ثميناً في ناحية بني موسى على الخصوص، أهم قطاع زراعي سقوي في تادلا.

أنواع التيرس التابعة للبنية والصخور مرة أخرى، تخلق الأراضي التيرسية محطات ترف نسبي في الأقاليم التي توجد بها. في زعير، الشاوية ودكالة، تظافرت لهذا الغرض طبيعةُ الصخور ونوع البنيات.

- تَعْرِضُ منطقة زعير رصيداً تيرسياً يتصف موقعُه بنوع من الغرابة الطبيعية لأنه يُغلِّف مجالاً هضبياً على شكل مثلث تقريبي يجمع بين مراكز احد البراشوة ومرشوش والمعازيز، شمالي حوض الرماني، وفي قدم الجرف الذي يرتفع إلى زعير الأعلى. موطن الغرابة الثاني هو أنه يكاد يوافق تماماً كل الظهورات الكلسية المنتمية لنهاية الميوسين. ورغم مظاهر الشذوذ هذه فإن التربة هنا جيدة التطور، خلقت منظراً زراعياً راقياً ذا مردودية عالية من الحبوب، إلى حد أن المنطقة كان متعارفاً عليها منذ الخمسينات بأنها "هضبة أصحاب الملايين".

من أسباب تطور التيرس في هذا الظرف التموجُ المترفق الواسع الانحناء، واختلاف مظاهر التفسخ الذي عرفته الضلفاء الكلسية الميوسينية على مدار الرباعي، حيث التقببات المتواضعة تظهر عليها مسحة خافتة الحمرة تشير إلى أصلها المتحدسل، والغنية بالأطيان من بنية 1 : 2 في حين أن المنخفضات العريضة تبدو داكنة السواد بلون التيرس المتطور الذي يُعبِّئها، وقد استحال سطح الكلس

في قرارها إلى فُليس أبيض شبيه بالطباشير. يساعد التموج على تزايد إغناء المنخفضات بالأطيان، كما أن الفليس يسهم في خلق الوسط القاعدي الذي يُهيء ظروف التحولات العدانية وتنشئة الأطيان النفوخة.

مسألة التصريف الخارجي للكلس الذي من شأنه أن يُناوئ عملية التترس، قد أمكن فعلاً الحدُّ منها بفضل الفسخات التي تغلفه وضعف سمكه ووجود البازلت الترياسي الشديد التفسخ والكتيم تحته.

محلياً، تبرز القاعدة البازلتية على هامش الهضاب، وحتى في وسطها، حيث تحمل أتربة تيرسية متفاوتة التطور حسب أهمية الانحدار الطبوغرافي. تتكرر هذه الأوضاع، ليس بعيداً إلى الغرب والشمال الغربي، وعلى مدى أوسع، في سهول وهضاب الشاوية.

يشغل التيرس حيزاً واسعاً من الشاوية السفلى في سهل برشيد ـ الگارة ومديونة ـ سيدي العربي، قريباً من الدار البيضاء والمحمدية. وهي مجالات بنيوية معدة لهذا الغرض لكونها مقعرات في طبقات الكريتاسي بدورها محمولة على قواعد من الترياس. هذه الأحواض البنيوية مغلَّفةٌ بالمستويات الكلسية والصلصالية "المغربية" (البليوسين الأوسط) والفواراتية (البليوسين الأعلى) التي تقع عند قدم جرف انتناء سطات. الكثبان الرباعية المتصلبة الموازية للساحل، على عمق يتعدى 10 كلم، تعوق التصريف إلى البحر، وتخلق ظروف انحباس نسبي. بعض عناصر النشر الدقيق تساعد كذلك على الإغناء بالمواد الطينية.

يتقدم حيزُ التيرس، متعدياً خط الانتناء، إلى الجنوب الغربي من سطات في مستوى أولاد سعيد. في الشاوية العليا، طبقات الكريتاسي الأعلى والإيوسين متوفرة على أطيان السمكتيت وأطيان ليفية قابلة للتحول إليها. لكن القشرة الكلسية منتشرة على هذه القواعد الصخرية، وسمك التيرس ضعيف.

لاشك أن الإيوسين يُفيد سافلته حول برشيد بإغناءات سليسية ثمينة تساعد على التترس انطلاقاً من التعقدات الصوانية الكثيرة التي تتخلل سحنته الكلسية.

كما يغلف التيرس سطوح البازلت الترياسي، خاصة بين عاليتي واد المالح وواد النفيفيخ. التربة هنا أعمق وأثقل، لأن البازلت شديد التفسخ، وظروف تنشئه السمكتيت مواتية على حساب معادن الصخر من بلاجيوكلاز ومختلف الحديد مغنيزيات.

ـ مجالات التيرس في دكالة تكتسي صبغة خاصة نظراً للتضارب الكبير الموجود بينها وبين أراضي الساحل الحجرة الجرداء التي تحدها غرباً، والمرتفعات الأولية بالرحامنة في الشرق. فهي أساس منخفض بنائي يمتد من اثنين غربية إلى حدود سيدي بنور.

الوضع البنائي حرمه من أي تصريف إلى البحر وجعل منه مكان استقبال لمختلف الرواسب المنحدرة من العالية الشرقية.

أهم هذه الرواسب الأطماء الحمراء التي وفدت ربما في فترة العصيري وبصفة مؤكدة وبصورة كثيفة خلال السلطاني. تحولات الدور الغربي جعلت من هذه الإتاوات أتربة تيرسية بينية تتطور من المتحدسل والسيدبالي إلى التيرس.

مشاكل المجالات التيرسية في دكالة من الوجهة الفنية لها العديد من مواطن الشبه مع المناطق الأخرى، ومنها سُبُل الرفع من المردودية. لكنها هنا تأتي في الموقع الثاني بعد تلك التي تشوب التعامل بين الأوساط التقنية الإدارية والصناعية من جهة، والأهالي بكثافاتهم العالية وعراقة النشاط الزراعي عندهم من جهة أخرى.

توارس المجالات المركَّبة، تشترك في صُنعها الصخور والبنيات المناسبة، كما هو الشأن في زعير والشاوية، وكذلك ظروف الانحباس في سهول فيضية متفاوتة النشاط والأحجام على غرار سهل الغرب.

ـ مواطن الجريان المعرقَل والسهول الفيضية تتعاقب على أقصى شمال الساحل الأطلنتي من ظهير طنجة إلى سهل الغرب. أهم العوامل المساعدة هي التقطعُ التضاريسي للكتل المتقدمة عن الريف في اتجاه المحيط، اعتراضُ الكثبان الساحلية لتصريف سهول توجد في مستوى سطح البحر، الغزارةُ النسبية للمياه وعنف تركزها، وكثافة المنقولات الغرينية.

لذا تشهد وديان بوخالف وتاهدارت والحاشف والغريفة وخاصة اللكوس متواليات ينتمي جلها للأتربة الانطاقية والطينطاقية، تجمع بين بعض مظاهر التترس والمواد الغرينية الضعيفة التطور والقطاعات الميهة.

ـ أما مقدمة الريف الواسعة، من حدود تاونات إلى شمال سايس فإن الثوابت التي تجمع بين عناصرها هي الصخرتبعية والتعقيد البنيوي والتغاير الطبوغرافي.

المظهر البنيوي الغالب هو أكداس المواد المختلطة الزاحفة نحو الجنوب والمكونة أساساً من صلصال وحث، وعلى الخصوص التوضعات البحرية الصلصالية المنتمية للميوسين الأعلى والنهائي. يوفر هذا الأخير تركيبة مثالية بحوالي 40٪ من الكاربونات. المادة غير الذوبة طينية بأكثر من النصف والمهم أن نسبة الأطيان النفوخة من ضمن الطين الدقيقة تشكل أكثر من 90٪. قواعد بهذا المستوى من الغنى تسمح للتيرس بأن يَستقر على بعض السفوح. لكن باستثناء المنخفضات، التضاريس التلية تقطع التيرس وتخلطه بأتربة بينية ضعيفة التطور.

ـ شمال الإقليم البنيوي، وفي حدود الريف الأوسط، يجري نهر ورغة في سهل داخلي طولي من الشرق إلى الغرب، يمثل أفضل الأراضي الزراعية داخل المجموعة الريفية على الإطلاق.

تعبئتُه بصلصال الميوسين في ميدان تام الانبساط يجعل جل أتربته تيرسية. يتوفر وادي الورغة على نماذج واسعة من المصطبتين الحديثتين على الخصوص، لهما دور

في تنويع المتواليات الترابية.

تتكون المصطبة السلطانية، قريباً من السطح، من مواد طينية وطميية حمراء مُنَزْكَلة، تعرضت لعسف تيرسي يكاد يكون شاملاً، تزداد دُكنتُه بعيداً عن الهوامش.

أما المصطبة الغربية فهي طمي ـ رملية، سمراء فاتحة، كلسية ـ

لا تقتصر المواد الغربية على المصطبة وحدها، بل تشكل بعيداً عن المجرى وشاحاً رفيعاً، طميياً، وهو كلسي جزئياً، يُصلِحُ من شأن الصلصال الميوسيني بتخشينه بعض الشيء، وتجنيب أتربته مطبّات التدهور بواسطة الميهة.

تجمع المتواليات هنا بين التيرس الذروي وأتربة بينية متحدسلة، سيدبالية، كلسمغنيزية، وغرينية تنزع إلى التيرس.

التيرس بين الموروث وأبعاد المستقبل : مقدمة الريف وسايس والغرب وزعير والشاوية ودكالة وعبدة وتادلا ... في كل مرة يأتي قطاع التيرس لينقد الاقتصاديات الزراعية لهذه الأقاليم. لكنه يبدو في نفس الوقت عطوبا لأسباب متعددة منها : أنه بحكم ظروف تطوره يوجد في السهول، إذن غالباً في السافلات. لذلك فهو يتأثر بكل أنواع التلوث. كما يعجز عن تصريفها إلى البحر نظراً للانبساط الكبير والانحباس.

أخطر الأوضاع في هذا الصدد يعيشُها حالياً سهل الغرب لكونه يستقبل نفايات مدينة فاس التي تُعتبر أكبَر منتج للنفايات وأكثرها إضراراً بالبيئة على صعيد كل المدن المغربية الداخلية، مضاف إليها نفايات العديد من المدن الأخرى والصناعات والكيماويات الزراعية ...

مشاكل تلويث وتدهور السهول التيرسية الأخرى مطروحة بمقادير مختلفة، خاصة مع انعدام استراتيجية مضبوطة للتعامل مع القمامة والمياه العادمة الصادرة عن مختلف التجمعات السكنية. كما أن ضوابط استعمال الأسمدة والمبيدات في الحقول لازالت مختلة.

سبب آخر لهشاشة الوضع الراهن للتيرس راجع لتاريخ تطوره الجيومرفولوجي في المغرب. فمن المرجّح أن هذا النوع من التربة الداكنة ليس موروثاً بل هو متكيف مع البيئة البيومناخية الحالية إلى حد بعيد، حيث يمكن أن نراقب تجدده الآن في سهل الغرب مثلاً.

لكن يبدو أن ظروف نشوئه المثلى وانطلاق تطوره أول الأمر كان خلال آخر قمة رطوبة عرفها الرباعي منذ حوالي ثمانية عشر ألف سنة قبل الوقت الحاضر، حيث إنه، داخل منظومة أتربة داكنة أخرى، خَلَفَ الأتربة الحمراء السلطانية إما بالتغطية أو العسف أو التعويض اللاحق للتعرية.

حصل بعد ذلك، خلال الهولوسين، بعض التجفيف، نجم عنه إقفار الصحاري المجاورة وتراجع حضاراتها، فتدهور التيرس ومعه الأتربة الداكنة الأخرى، نتج عن التعرية فانحدرت من مواقعها إلى هوامش الأنهار مكونة المصاطب الرمادية لقيعان الأودية.

كما أن الأتربة التيرسية التي لازمت أماكنها قد ابتُليت ببعض التشويهات كالبتر أو التطعيم أو القشرنة الكلسية المحَطِّية.

مظاهر التيرس التشكيلية : يمكن إجمالها في لونه الداكن وسمكه وتجانسه وثقل الأطيان المبتلة أو صلابتها الكبيرة عند التجفيف، وكذلك خصوبته .. كلها توحي بكثير من الاستقرار، الشيء الذي أوهم المستعملين أن لا داعي لاتخاذ الاحتياطات حتى ظهرت المشاكل متنوعة ومعقدة.

فأكيد أن التدخل البشري الذي تسبب في كثير من الاختلال عن جهل بدواليب البيئة الطبيعية، عليه الآن أن يسخر معلوماته لإصلاح الأعطاب. فاستثمار التيرس على الوجه المطلوب أمر حيوي لأنه يتعدى دائماً وفي كل مكان محصول الحبوب المعاشي، ليرقى إلى المحصول التسويقي الذي يوفر الغذاء لأكبر الأعداد من السكان. لذلك كان له عمق استراتيجي في مشروع ضمان الاكتفاء الذاتي الغذائي للبلاد.

M. Badraoui, *Iron-rich high-charge beidellite in vertisols and mollisols of high Chaouia region of Morocco, Soil Sci. Soc. Amer. Journal*, vol. 54 : 267 - 273, 1990 ; G. Bryssine, *Les propriétés physiques des tirs du Maroc, Cah. Rech. Agron.*, n° 20, pp. 87 - 279, 1965 ; *Contribution à l'étude de la typologie des sols du Maroc : typologie des tirs, Attorba*, vol. III, n° 4, 3 - 56, 1980 ; Commission de Pédologie et de Cartographie des sols, *Classification des sols*, 1967 ; MAMVA - DC PCC, *Carte des sols du Maroc au 1 : 2.000.000*, 1994 ; Soil Survey Staff, *Soil Taxonomy : a basis system of soil classification for making and interpreting soil survey*, USDA-SCS Agri. Handb. 436, Washington DC, 1975 ; J. Wilbert, *Localisation géographique de la tirsification au Maroc, Cah. Rech. Agron.*, n° 20, pp. 1 - 22, 1965 ; *Tirs et sols tirsifiés du Maroc, Cah. Rech. Agron.*, n° 20, pp. 23 - 85, 1965

إدريس الفاسي ومحمد البدراوي

تيرس، منطقة صحراوية تقع بين زمور والساقية الحمراء شمالا والمحيط الأطلسي غربا وأدرار التمر جنوبا وأدرار ستوف والمريكلي شرقا. تتجه أوديتها من الشمال الشرقي في اتجاه الجنوب الغربي عبر حمادة تنوسان وحمادة البركة. ترتفع بها درجات الحرارة حسب الابتعاد عن الساحل الأطلسي الذي يعمل على ترطيب المناخ وإنعاش الغطاء النباتي. يحد تيار كناريا البارد من التساقطات مما يجعلها نادرة حيث تعد منطقة إيگيدي (الأوهيلة) خاصة قليلة المياه. على أن تعدد السبخات وظاهر السطح وعوامل التعرية علاوة عن المخلفات البحرية وتعدد نقط المياه والواحات المتبقية تدل كلها على أن المنطقة كانت من أكبر المستودعات المائية خلال الأزمنة البعيدة. فلربما كانت هناك بحيرات من حجم كبير وشامل حلت محلها اليوم سبخات تحيط بها الكثبان الرملية. ترسم هذه الكثبان اتجاهات الرياح خاصة منها الساحلية الغربية الغالبة متجاوزة ارتفاع 200 متر. فلا نستغرب إذن إذا كان الغور السكاني الأسبق (الصنهاجي) قد أطلق اسم الكثبان الرملية (إيگيدي) على المنطقة الشرقية من تيرس.

تعتبر قدرة تيرس على تخزين مياه التساقطات ودور الرطوبة الساحلية الممتدة إلى أزيد من مائة كلم شرقا،

السبب في امتداد حياة الغطاء النباتي أزيد من سنتين لكل سنة ممطرة. هذا المعطى الأساسي يفسر تنافس الغور السكاني منذ أزيد من ألف سنة على احتكار المجال وتقاسم المراتع. فتيرس التي تعد في نظر الرواية المحلية رمزاً للخصوبة، تنبت الإبل كما ينبت المطر العشب (محمد الأمين الشنقيطي، *الوسيط*، 339. 440). وللاستدلال على ذلك تضيف الرواية المحلية أن السنة الممطرة تكاد تفسد ضروع النياق من كثرة الحليب مما يستدعي الاستعانة بالفصلان للرضاعة وبالرعاة لحلب ما قد يهرق أرضا إذا فاض عن الحاجة. ندرك من هنا لماذا تعد تيرس بنظر الباحثين رحم الحركة البشرية الترحالية نحو مختلف المناطق التي تفصلها عن نهر السنيغال منذ ألف سنة (P. Bonte, *L'habitat*, 60). أما دورها في تأطير المد البشري في اتجاه وادي نون والأطلس الصغير فهو ما يمكن أن نتتبعه منذ ما قبل الحركة المرابطية. لقد قامت أركان الحملة المرابطية انطلاقا من انتشار العمران بمحور تيرس الساحلي حيث جسد البافور ـ إيگدالن أفضل أسباب النماء العمراني. كما أن ملاحتي أوليل وإيجيل القريبتين قد حققتا أسباب غنى أمراء صنهاجة وتبثتا هياكل التجارة المنتظمة وقوانينها المحلية. وإذا كان المد المرابطي قد أفرغ هذه المنطقة من لمتونة (إيويليميضن)، فإن القرن السادس (12 م) قد تميز، شأنه شأن القرون الثلاثة اللاحقة، بهيمنة مسوفة (إيمسوفن). لقد كان المجتمع تركيبا قبليا لا يعني أكثر مما توحي به كلمة صنهاجة (إزناگن) التي تفيد المراقبة الحربية للمجال وممارسة الانتجاع الترحالي. جاءت مضاعفات المد المرابطي لتخضع تيرس لمستلزمات منطق الفصل بين المحاربين وممتهني التعليم والعلوم النقلية على رأس سلم التراتبات المجتمعي. وعندما نستنطق الوقائع، نجد أن وصول بني حسان إلى المنطقة خلال القرن الثامن (14 م) سيعمق من هوة الانفصام بين حملة السلاح وحملة الكتاب. كان التنظيم الاجتماعي تنظيماً سياسياً في نفس الوقت، والنفوذ والقوة من مظاهر الواقع المميز لحملة السلاح. فلم يبق على ذوي حسان سوى الدخول في صراع مفتوح مع الفصائل المحاربة لينتهوا بالسيطرة على الغور السكاني الأقدم خلال القرن الحادي عشر (17 م).

لا مناص هنا من الوقوف عند دور تيرس في نمو وتطور أهم فصائل ذوي حسان لنكشف أهم أسباب التطور السياسي والاجتماعي بمجمل الصحراء الأطلسية خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م)، عندما نتتبع مصادر هذه الفترة المتميزة نجد أن الصراع بين فصائل الغور السكاني الأقدم وقبائل ذوي حسان على شدته لم يتحول بعد إلى مواجهة مفتوحة. ما يميز هذه المواجهة بتيرس هو سيطرة "أولاد" تيدرارين الصنهاجيين على أولاد دليم، الاتحادية التي كانت تشمل يومها علاوة على أولاد دليم الحاليين أولاد اللب وأولاد المولات وأولاد غيلان. كانت كل الفصائل الحسانية القادمة من منطقة وادي نون والساقية الحمراء ماتزال تنطوي تحت تسمية المغافرة. إلى جانب هذه التسمية كانت قبائل أولاد امبارك وسلام و عبدة والرحامنة واحمر والأوداية تنتجع ما بين تيرس جنوبا وسهول دكالة شمالا عبر نفس المحور الساحلي الذي حمل قبل ذلك گدالة إلى منطقة تيط حيث تأسس على يدهم رباطها. والذي يجب أن نسجله هنا هو كون بداية القرن التاسع (15 م) عرفت فقدان الغور الصنهاجي لتصنيفاته القديمة حيث لم يبق منه بتيرس سوى "أولاد" تيدرارين وتجكانت و"أولاد" بو السبع الذين يعتقد الكثيرون بعدم وجودهم آنذاك. إلى جانب هذه الفصائل كانت مجموعة من صغريات الفصائل المحلية القديمة تمتهن مختلف الحرف من صيد بحري وفلاحة وحدادة وغناء. وإذا كانت قبيلة أولاد تيدرارين من أشد الفصائل الصنهاجية، فإن موقعها بتيرس سيأخذ في التناقص منذ القرن الحادي عشر (17 م) بفعل مدة المواجهات الدليمية. وسيحمل القرن الموالي معه الغربة القاضية التي أنهكت قوى الغور السكاني جنوب الصحراء الأطلسية. نكتفي بتسجيل هذه الخطوط العريضة دون الخوض في التفاصيل لنصل إلى الوضعية التي جعلت من الغفر مصطلحا حسانيا يفيد مجازاً الضريبة المفروضة من طرف ذوي حسان المغافرة على الزوايا واللحمة من الغور السكاني الأقدم.

استطاعت قبيلة إدا أويلال أن تفرض وجودها العسكري والسياسي المكثف بالساقية الحمراء ووادي نون إلى أن طردتها تكنة خلال هذا القرن الحادي عشر (17 م). كان التحالف الإدا أويلالي الدليمي قبل ذلك قد أسهم بشكل كبير في حدة التناقضات مع لفي الاتحادية تكنة. فكان أن اتفقت فصائل هذين اللفين على تحديد أسلوب التعامل مع أولاد دليم. وقد جاءت أفضل وسيلة لتمتين جبهة المواجهة هي تعيين رئيس إحدى صغريات القبائل ليقود العمليات الحربية. معلوم بهذا الصدد أن سيد أولاد بلحويلات التكنيين خلال الفترة الحاسمة التي عرفت إقصاء آخر الوحدات الدليمية من وادي نون والساقية الحمراء هو ولد امريزيگ الذي تزعم كل العمليات الحربية. كانت آخر الوحدات الدليمية تتجسد في فصيلتي امعرف واسنان اللتين كانتا تراقبان بئر إنزران. وغير بعيد عن هذا المكان وقعت المعركة الفاصلة في الموقع المعروف حاليا بمگيسم ولد امريزيگ. كانت تيرس تستقبل باستمرار القبائل الهاربة من شدة الجدب، وهو ما أدى سنة 1116 / 1699 بالمولى اسماعيل إلى تنظيم الأعشار وزكاة الإبل والغنم جاعلا على أولاد دليم بفصائلهم المتعددة وأولاد تيدرارين خراجا سنويا.

كانت فصائل أولاد دليم تتزود بما تحتاج إليه من مواد أساسية عن طريق إدا أويلال. غير أن انهزام الطرفين في معاركهما بالساقية الحمراء أدى إلى تفكك العلاقات التحالفية. وقد اعتمد أولاد دليم على العروسيين في تزويدهم بما يحتاجون إليه ابتداء من القرن الثاني عشر

(18 م). خلال هذا القرن استطاع أولاد دليم أن يدخلوا أولاد تيدرارين في نطاق محمييهم بعد أن أنهكوا قواهم الحربية وتغلبوا على فصائلهم القديمة. سيعرف هذا القرن أيضاً ظهور قبيلة الركّيبات المسالمة. فولا حماية لفي تكنة لاستطاع أولاد دليم القضاء عليها نظراً لما تميزوا به من ممارسات حربية ومواصفات لا تخص المسالمات من قبائل الزوايا بأية مهادنة (*جوامع المهمات*، 76). وإذا عرفنا قبيلة أولاد دليم بأنها محاربة تحرص على مراقبة تيرس بقسميها الغربي والشرقي منذ القرن العاشر (16 م)، أصبح من السهل التأكد من عدائها المعلن لكل محاولات التسرب الأوروبية عبر السواحل. كل الشهادات التي خلفها المسجونون والرحالون الأوروبيون تعكس شخصية أولاد دليم الحربية وتؤكد بما لا يدع مجالا للشك استقلالهم عن منابع التجارة التي تخصص تكنة في احتكارها. ويرى بول مارتي P. Marty أن علاقة أولاد دليم بالفرنسيين لم تبدأ إلا مع بداية القرن العشرين (*Les Tribus de la Haute*, 15). شكل بيع السلاح بالداخلة *Villa Cisneros* سنتي 1905. 1906 بداية العلاقة التجارية بين أولاد دليم والإسبان. وقد تلخصت تجربة المحاولات الإسبانية خلال هذه المرحلة في مد القبائل بالسلاح قصد الحد من التطلعات الفرنسية وتمتين أسباب وجودها في عين المكان. انطلق أولاد دليم في حدود سنة 1910 إلى غزو فصائل قبائل أدرار وغيرها التي بدأت منذ سنة 1905 في التعامل مع الوجود الفرنسي (P. Marty, *Les Tribus*, 21). وهي وضعية ستمتد عبر العشرينات والثلاثينات إلى أن تمكن الوجود الفرنسي من تثبيت قواعده ابتداءً من سنة 1935. مجموع القيم المتولدة يومها عن الغاية العليا لقبائل تيرس تقتضي حمل كل الأسلحة العسكرية والدينية وغيرها من أجل محاربة الغزو الأوربي والحفاظ للذات على خصوصياتها. وقد تعددت بعد هذا التاريخ أشكال ارتباط أهل الصحراء بذاتهم في نطاق المنظار المحلي المجسد لحقائق القرون الماضية.

م. الامين الشنقيطي، *الوسيط* ؛ م. بن المختار الكنتي، *الرسالة الغلاوية* ؛ *الطرائف والتلائد* ؛ الشيخ سيديا بابا بن الشيخ سيديا الكبير، *تاريخ إمارتي اد ويعيش ومشظوف* ؛ م. بن سعيد الدالي، *شيم الزوايا* ؛ *مناقب الامام ناصر الدين* ؛ محمد سالم بن لحبيب بن الحسين بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*؛ المختار ولد حامدون، *جغرافيا* ؛ *حياة موريتانيا* ؛ مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*.

P. Bonte, *L'habitat sédentaire qsûrien en Mauritanie saharienne*, in *Nomades et Sédentaires en Asie Centrale : Apports de l'Archéologie et de l'Ethnologie*, Actes du Colloque franco-soviétique, Alma Ata (Kazaklstan) 17 - 26 Oct. 1987, Paris, 1990, 57 - 67 ; P. Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, Paris, 1914 ; A.W. Ould Cheikh, *Eléments d'Histoire de la Mauritanie*, CCF, Nouakchott, 1988 ; J. Asensio, Note présentée au Congrés par Mr. le Col. J. Asensio au nom de la délégation espagnole, *Hesp.*, XI. fasc. I - II, Paris, 17 - 33 ; H. T. Norris, *Saharan Myth and Saga*, Oxford, 1972 ; J. Léon L'Africain, *Description de l'Afrique* ; *La documentation française, Notes et études documentaires : le Sahara espagnol*, Paris, Sept. 1959, n° 2570 ; Id., *Les territoires espagnols d'Afrique, Janvier 1963, n° 2951* ; G. Donnet, *Une mission au Sahara Occidental, du Sénégal au Tiris*, Paris, 1896 ; id., *En Sahara à travers le pays des Maures nomades*, Paris, 1989 ; C. Douls, *Cinq mois chez les Maures du Sahara Occidental*, Paris, 1888 ; J. Dubief, *Une mission au Sahara Occidental*, Oct.-Déc. 1942, *travaux de l'IRS*, Alger, 1943, 199 - 204 ; T.Garcia Figueras, *Santa Cruz de Mar Pequeña. Ifni. Sahara*, Madrid, 1941 ; J. Gabus, *Notes sur le Sahara espagnol*, *J.S.A.*, XXII, Paris, 1952 ; *Histoire du Naufrage et de la captivité de Monsieur de Brisson*, Paris, 1884 ; La Courbe, *Premier Voyage du Sieur La Courbe*, Paris, 1913 ; A. Lebrun, *La question du Rio de Oro, A.F.*, Paris, 1929, 13 - 20 ; H. Martin, *Les tribus du Sahel et du Rio de Oro, Bull. IFAN*, I, 1939, 587 - 629 ; L. Panet, *Relation d'un voyage du Sénégal au Maroc*, Paris, 1968 ; H. C. Willcox, *Exploration of the Rio de Oro, Géogr. Review*, London, 1921, 372 - 383 ; J. Caro Baroja, *Estudios saharianos*, Madrid, 1955 ; M. Naïmi, *Le pays Tekna, Commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in *Le Maroc et L'Atlantique*, Rabat, 1993, 121 - 146.

مصطفى ناعمي

تيرغيوين أو ترغيوين، لفظة أمازيغية مفردها تارغاً، وهي جورب من الصوف المتين والجلد الرطب أو الجلد غير المدبوغ. ومن الناس من كان يجعلها حذاء إذا صنع أعلاها من دوم أو قنب أو حلفاء ومتن أسفلها تصبح حذاء محلياً أولي الصنع مادته الأولية غير مكتملة الإتقان غير دقيقة. وهي تقرب في شكلها وطريقة صناعتها المحلية من أجكجوض التي تسود في جنوب المغرب في منطقة سوس وجبال الأطلس الصغير، لا فرق بينهما تقريباً اللهم إلا في أن الأولى لا يتعدى مجال استعمالها جبال الأطلس المتوسط ومناطق الدير من تادلا.

J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, Rabat 1988, réédit. ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris 1931 ; A. Chauvea, *L'industrie du cuir au Maroc*, *Chimie et industrie*, 1920, 2ème trim., sans n°.

محمد بوسلام

تيرْمسين، منطقة تقع بتراب قبيلة أزوافيط شرق ازريويلة. قدّ يكون مفرد الكلمة هو تريت الذي يفيد نوبة السقي بمياه السواقي المحيطة بمباشر وادي نون. وهو احتمال يصل بنا إلى أن منطقة تيرمسين ربما تكون قد استعملت قديما في صنع المكاييل المائية لقياس الوحدات الزمنية حول السواقي. على أن ما يحد من صلاحية هذا الاحتمال هو غياب أي منجم للنحاس المستعمل عادة في صنع المكاييل المائية وعدم وجود أي أثر لوحدة إنتاجية مهما كان حجمها. يبقى والحالة هذه أن مرفلوجية المكان الذي يخترقه رافدان من روافد وادي نون يجعله من أغنى المناطق ماءً وأكثرها صلاحية لتجريب صلاحية المكاييل المائية. وإذا كان أهل احماد أوعمار قد تمكنوا من تطويع أرض تريمسين، فذلك لأن باستطاعتهم مواجهة المزاحمة الفعلية لأيت ياسين المجاورين الشرقيين. ولولا أن أهل احماد أعمار يتميزون بشخصيات يضرب المثل بقدرتها الحربية على امتداد القرن الثالث عشر (19 م)، لما استطاعوا فعلا صد المحاولات المتكررة لأيت ياسين (انظر مادة *تيسرگيوين بالعلمة*). فأيت ياسين هم على ما يبدو سكان المنطقة السابقون لأهل احماد أوعمار ولربما كانوا مالكي تيرمسين قبل القرن الثاني عشر (18 م). مهما يكن من أهمية هذا الاحتمال، فإن الواقع الحالي للأبحاث يكشف بما لا يدع مجالا للشك عن دور أهل احماد أوعمار المحلي في تنمية الفلاحة واستعمال ازريويلة كمخزن لمحاريثهم الكثيرة ومطاميرهم

لخزن الحبوب. ولاشك أيضا في أن دور تيرمسين في توفير الكلأ الكثير قد ساهم بشكل فاعل في تأطير نظام التحالفات بين الفصائل الزفاطية وكرس قدرتها على مراقبة المجال الاستراتيجي. لقد كان عبد السلام بن أحمد بن سعيد مرابط أساكا بأيت باعمران القريبة من الذين تخصصوا في مشاكل تقسيم الماء حيث استعان على ذلك بمجموعة ممن عينهم خلال منتصف القرن الثالث عشر / 1840 (*المعسول*، 12 : 218 - 219). وهي إشارة إلى دور المرابطين والزوايا في تطوير آليات التحالف حول مراقبة المياه والأراضي المسقية. ويمكننا في هذا السياق العودة إلى سنة 1040 / 1630 - 1631 حيث شكلت دار الشيخ محمود بازرويلة تهديداً لمدى تماسك السلطة الفعلية لبودميعة أبي حسون السملالي سلطان إيگزولن بإليغ (*إيليغ قديما وحديثا*، 96). فالنزاعات الداخلية حول مراقبة المجال والسواقي بوادي نون أهلت بودميعة لشراء عدد من الأماكن المسقية بإيگيسل ووعرون والقصابي وإفران وتاغاجيجت. وهو ما لم يكن يتماشى مع التعارض الانقسامي داخل قبائل تكنة الذين جابهوه من داخل وخارج قلاعهم الكثيرة. جسدت دار الشيخ محمود يومها قلعة متميزة للحد من تطلعات الغزاة وكل المحاولات الخارجية. وفيما يخص إزرگيين الذين كانوا يجسدون جزءاً من أزوافيط شأنهم في ذلك شأن أهل أمغار اسعيد بالركن (أيت باعمران) (م. ناعمي، *تشكل*، 307 - 25)، وإن الصورة التي تضفيها الرواية المحلية على تناقض المصالح تركز على الاستبداد المتواصل لأزوافيط. مايزال البحث الميداني يسمح بكشف الجذور الممتدة في التاريخ لنظام القرابة الزفاطي والأزرگي. وفي هذا ما فيه من ارتباطات فعلية بين إزرگيين وتيرمسين.

مصطفى ناعمي، تشكل اتحادية تكنة كنموذج للعلاقة بين الرواية الشفوية والعلوم الاجتماعية والانسانية، الجامعة الصيفية - أگادير، الرباط، 1990، 307 - 325.

مصطفى ناعمي

تيريگيوتْ، قصر على واد دادس، من أهم قصور قبائل أيت إحيا السدراتية. يقع على الضفة اليمنى لوادي دادس جنوب نقطة التقاء هذا الأخير بوادي مگُون. وهو في وقتنا الحاضر عبارة عن أطلال هجره سكانه تدريجيا - كما هو الحال بالنسبة للقصور القديمة بالمنطقة - خلال العقود الأخيرة فبنوا مساكن جديدة غير بعيد منه. إذا كانت منازل قصر تيريگيوت القديم متجمعة ومتراصة وعالية الارتفاع، حيث كانت تتوفر على ثلاث أو أربع طبقات، فإن السكن الجديد يغلب عليه التبعثر وانتشار المنازل على مساحة أوسع، إضافة إلى أن ارتفاعها لا يتعدى في الغالب طبقة واحدة. وهذه السمات وغيرها، هي على العموم، سمات السكن بوادي دادس في وقتنا الحالي.

وحسب الرواية الشفوية المتداولة لدى سكان القصر وسكان المنطقة، كان قصر تيريگيوتْ آخر قصر احتفظت به قبائل مگونة (إمگون) بمنطقة آيت إحيا قبل أن ترغمها قبائل أيت سدرات - في وقت يصعب تحديده بالضبط - على التخلي عن نفس المنطقة بصفة نهائية والتراجع إلى أعالي وادي جامُو (الاسم القديم لوادي إمگون).

بيد أن أول وثيقة تاريخية مكتوبة تشير إلى وجود قصر تيريگيوتْ تعود إلى سنة 1180 / 1766 - 1767. وهذه الوثيقة تتعلق بموضوع جد مهم ألا وهو بناء وصيانة سور قصر تيريگيوتْ. ومما جاء في تلك الوثيقة بعد الحمدلة والتصلية : "اتفقت الجماعة أهل ترجوت بأن الصور (السور) التي بنوه أهل القبيلة بأنهم شرطوا في شرطهم كل واحد يرعى قدام داره من الماء وغيره مما يضره، ومن فرّط فيه حتى يهدم له فيعاونه له أهل القبيلة حتى يصلون أربعة ألواح ثم يكمله إلى تسعة ألواح وهذا ما قالوا بلسانهم وزمّمه في الورقة وبتاريخ وربع عام ثمنين ومائة وألف لحسن بن محمد أعرب كان الله له آمين".

ودون الدخول في مناقشة لغة هذا النص، فإن هذا الاتفاق الجماعي يؤكد أن على السكان أن يتضامنوا في بناء سور قصرهم ويعتنوا به ويحفظوه من كل ما يمكن أن يسيء إليه كالماء وغيره، ذلك أن المنطقة التي يوجد بها قصر تيريگيوتْ كثيراً ما كانت معرضة - ولا تزال - لفيضانات السيول المكونة لواد تَگُلزيتْ خلال فصلي الخريف والشتاء (فترة الأمطار) فتجرف الحقول والفدادين وترتطم بجدران القصر. وإذا لم يشر النص إلى العوامل الأخرى التي بإمكانها الإساءة إلى السور كالحروب مثلا فربما يرجع ذلك إلى كون المنطقة خلال الثلث الأخير من القرن الثاني عشر - وهي الفترة التي يرجع إليها تاريخ النص المذكور أعلاه - كانت تعيش في أمن وسلام. ورغم أنه لم يبق من سور قصر تيريگيوتْ إلا شذرات قليلة في الوقت الحاضر فإن ذلك السور - حسب دراسة ميدانية حديثة - يمكن أن يكون ارتفاعه قد تعدى سبعة أمتار (7.20 م).

تيريگيوت

بُني قصر تيريگيوت القديم فوق مكان صخري مسطح تحيط به الفدادين من كل الجوانب. ويظهر أن بناءه خضع لتصميم محكم فرضته اعتبارات متعددة من بينها على الخصوص الحفاظ على انسجام وتماسك العظام (إغْصانْ) الثلاثة التي كانت تشكل هيكلته البشرية والاجتماعية،

وذلك لكي تتوفر لها القوة الكافية للدفاع عن نفسها عندما يتعرض القصر لكل طارئ خطير يهدد أمن وسلامة سكانه (مثل الحروب والفيضانات، الخ...). أما عظامه فهي حسب أهميتها : أيت مَحمد، وأيت موسى وأيت حدّو. فالعظم الأول بُنيت منازله في الجهة الجنوبية، في حين شُيدت منازل العظم الثاني في الجهة الشمالية. أما منازل العظم الثالث فتوجد في وسط القصر (بين منازل العظمين الأول والثاني). وعلى العموم فإن القصر كانت تتقاطعه ثلاثة أزقة رئيسية متوازية : بعض أجزائها مسقوفة وبعضها الآخر كان مفتوحا لإدخال الهواء والضوء اثنتان منها (وهما الجنوبية والوسطى) تؤدي كل واحدة منها إلى باب رئيسي، إذ كان لهذا القصر مدخلان رئيسيان يُقفلان ويُحرسان أثناء الليل.

وكان هذا القصر متوفراً على مرافق خارجية مهمة لها ارتباط وثيق بحياة سكانه في مختلف تجلياتها. وهكذا نجد أن ما تبقى في الجهة الشرقية من المكان الصخري المسطح الذي بُني فوقه القصر، مخصص للنوادر (إرْنارنْ) الصالحة لجمع مختلف المحاصيل الزراعية بعد حصادها. وهناك إلى جانب هذه النوادر ساحة تصلح للاجتماعات والسمر يؤدي إليها الباب الشرقي للقصر مباشرة. وكانت هذه الساحة تُسمى تَسَمْرْتْ نَيْتْ بوحَدُّو. وتَسَمْرْتْ معناها اصطلاحا المكان المشمس. وفي هذا المكان بالضبط كانت تتم وتُقام مراسيم أعراس وأفراح القصر.

ويوجد بالجهة الجنوبية لنفس القصر منخفض هو على شكل حُفرة عميقة واسعة يظهر أنه كان المقلع الذي منه أُخذ التراب الذي شيدت به منازل القصر. وقد تحول هذا المكان إلى مأوى يُقيم به التجار المتجولون (من عطارين أو إقْدارْنْ الذين يقومون ببيع أواني الفخار بعد صُنعها). وبهذا المكان أيضا كان ينزل الحدادون (إمْزيلْنْ) عند تجوالهم بالمنطقة، فيمكثون به مدة للقيام بمختلف الخدمات التي يحتاجها السكان والتي تخص الأدوات المنزلية والآلات الفلاحية.

وبجانب هذا القصر في الجهة الجنوبية، تمر ساقية كبيرة هي استمرار لساقية منطقة أيت إحيا التي اشتقت مياهها من وادي امگون على بعد بضعة كيلومترات. وبعد أن تسقي هذه الساقية فدادين مختلف قصور أيت إحيا تروي تباعا فدادين قصور تيريگيوت وإقْدارْنْ ثم أيت گْمَاتْ. ومما تجدر ملاحظته إليه كذلك، أن السكان يتزودون من نفس الساقية بما يحتاجونه من ماء شروب وغيره. إلا أن هناك آباراً داخل بعض المنازل تُستعمل عند الضرورة (حالة حصار أو عندما تنضب مياه الوادي فتجف الساقية).

أما خارج السوق من جهة الشمال فتوجد المقبرة التي بُني بها ضريح ولي القصر.

وحسب التحريات التي أجريناها بعين المكان يظهر أن الحياة الاجتماعية داخل هذا القصر وخارجه كانت تُقنّنُها أعراف منها ما هو شفوي ومنها ما هو مكتوب، وقد أصبحت الآن في طي النسيان.

كان لهذا القصر دور سياسي مهم لدى قبائل أيت سدرات عموماً وأيت إحيا خاصة. وتجلى ذلك في كون شيخ فرقة هامة من نفس القبيلة ينتمي إلى إحدى الأسر المكونة له وهي أسرة أيت مَحمد. وحسب الوثائق المتوفرة لدينا فقد استمرت الشياخة بدون انقطاع في أعضاء نفس الأسرة منذ العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر إلى بداية الاستقلال. وتجلى ذلك أيضا في كون أحد شيوخه وهو السي علي نيت مَحمد لعب دوراً أساسياً في بناء زاوية أيت بومسهول في منطقة أيت إحيا بقيادة المتصوف مولاي عبد المالك الذي انتقل من زاوية إيماسين إلى منطقة سكورة فإيمغران ثم إلى دادس (منطقة أيت إحيا بالقرب من قصر تيريگيوت) وذلك إثر خلاف وقع بينه وبين أعمامه بهذه الزاوية الأم خلال الربع الأخير من القرن الماضي.

يتوفر سكان هذا القصر اقتصاديا على ممتلكات مهمة نسبياً تتمثل في امتلاكهم مجموعة من الأراضي في أيت إحيا تسمى تَمَزرْتْ. كما أن لهم أيضا أراضي أخرى مهمة في أوسْروتُو (جمع أوسْروتوتْنْ) التي يُقصد بها الأراضي العالية نسبيا على مستوى الوادي ومن ثمة فهي تُسقى بصعوبة.

ويشكل الميدان الثقافي بشقيه الديني والأدبي أحد الميادين الأخرى التي كان لقصر تيريگيوت فيها نصيب وافر. وبالفعل كان قصر تيريگيوت يتوفر على أعظم مساجد المنطقة كلها. كانت مقصورته الواسعة تغص بالمصلين لأداء صلاة الجمعة. ومن هؤلاء من كان يأتي إليه من أماكن بعيدة. وقد كان لأحد أئمته خلال الفترة الممتدة من الأربعينات إلى الستينات من قرننا الحالي شهرة طبقت الآفاق. وهذا الفقيه هو العلامة السيد محمد بن أحمد الزكري (نسبة إلى أيت زكري) المغراني الذي كان مقصد الطلبة وحفظة القرآن من دادس وإمگون وإيمغران. وبفضل ودراية هذا الفقيه المتضلع كان مسجد قصر تيريگيوت مدرسة لحفظ القرآن وتلقين علوم الدين والفقه لأبناء المنطقة وغيرهم. وهكذا تخرّج على نفس الفقيه بنفس المسجد عدد كبير من طلبة القرآن والعلم لنفس المنطقة. ومما ساعد على هذا الازدهار كون مسجد تيريگيوت يتوفر على بعض الحجرات المخصصة لإيواء الطلبة القادمين من أماكن بعيدة. ولا يمكن إغفال الدور الأساسي الذي لعبه السكان عن طريق تشجيعهم لإمام المسجد ولطلبته حيث وفروا لهم كل ظروف التحصيل من إقامة ومؤونة. ومما تنبغي الإشارة إليه، أن السكان كانوا يؤدون لإمام مسجدهم راتبا سنويا منه قدر عيني وآخر نقدي.

وكان مسجد قصر تيريگيوت يتوفر على حجرة للاستقبال في الطابق الثالث منه تُسمى تَنْصْرِيتْ. وهذه الحجرة ذات الجدران المطلاة بالجير كانت تحت تصرف إمام المسجد لاستقبال ضيوفه. ولكنها أيضا هي رهن إشارة أعيان القصر عند الاقتضاء للاجتماع فيها لتدارس مشكل

جماعي أو لاستقبال أحد ضيوف القبيلة (شريف أو مرابط عند مروره بمنطقتهم، الخ...).

أما على المستوى الأدبي فقد تميز سكان هذا القصر بمساهمتهم المحمودة في الشعر الأمازيغي الذي كانوا مضرب الأمثال فيه. وكان من أشهر شعرائه على الخصوص مُوح أُحْماد نيت مَحمد الذي كان شيخاً (أمغار) على قبيلته وعلى قسم مهم من قبائل أيت إحيا السدراتية. وهكذا جمع هذا الشيخ بين السياسة والشعر. وبالفعل فمازالت بعض أشعاره ومأثوراته الأدبية متداولة بين شعراء أيت سدرات خصوصا ودادس عموما.

وفي الأخير بقي أن نشير إلى أن الدور السياسي والاقتصادي الذي كان يلعبه هذا القصر في منطقة أيت إحيا تراجع شيئا ما في الآونة الأخيرة لصالح قصور أخرى نتيجة التطورات السياسية والاقتصادية التي شهدتها نفس المنطقة خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

محمد حمام، *وثائق من أيت سدرات*، تحقيق وتعليق، بحث لنيل الإجازة، كلية الآداب، الرباط، 1978 ؛ *تحريات ميدانية*.

A. Touri et M. Hammam, *Tradition écrite et architecture : Acte coutumier d'un village du Dadès, "Tirigiwt", H-T.*, vol. XXIV, 1986, pp. 213 - 229.

محمد حمام

تيزخت، إحدى القبائل الخمس الكبرى المكوِّنة لأسرة التمليين. تقع مراطنهم في السفح الجنوبي لجبل الكست المُطل على حوض أمْلن شمال مركز تافراوت. منهم :

التيزختي، أبو بكر بن علي بن أبي بكر التملي. من تلاميذ الزاوية الناصرية الأم بتامگروت، أخذ فيها عن الإمام مَحمد ابن ناصر، والعلماء الذي كانوا يقومون بالتدريس في زاويته، أمثال محمد بن أحمد الورزازي المعروف بالصغير، وعبد الكريم التدغي وأحمد أحوزي الهشتوكي.

طالت صحبة التيزختي للشيخ ابن ناصر سنين عديدة فزوجه الشيخ أخته وعاش في الزاوية إلى ما بعد وفاة الشيخ، فرجع إلى موطنه في أمْلن يُعلِّم ويُرشد ويُربي إلى أن أدركته الوفاة عن سن عالية نحو خمس وتسعين سنة، ليلة الخميس سابع ذي القعدة عام 1179 / 17 أبريل 1766. وكانت جنازته مشهودة، ودفن في مقبرة الويدان بقبيلة إيسافن نايت هارون شمال شرق تافراوت.

التيزختي، علي بن أبي بكر التملي. أستاذ عارف بالقراءات حلاه الحضيكي "بالمقرئ الناسك العابد التالي الورع الزاهد الولي الصالح". تفرَّغ لإقراء القرآن طوال حياته، وهجر مسقط رأسه إلى مكان خال لايعيش معه فيه إلا الطلبة، وبقي على تلك الحال إلى أن أدركته الوفاة بمكان إقرائه في أيت فيد شمال شرق تافراوت في ربيع الثاني عام 1088 / يونيه 1677.

م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 608 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 46 ؛ *سوس العالمة*، 122.

تيزرگين، إحدى قبائل إيگنان إيسي، تقع مواطنها جنوب شرق تافراوت، وتسمى أيضاً عين الطلبة لكثرة العلماء المسگداديين النازلين بها. وإليها ينتسب فريق من أسرة علمية سملالية شريفة كبرى من أبناء عمومة الشيخ أحمد بن موسى انتقلت قبل القرن التاسع (15 م) إلى إيمسگدادن في قبيلة إيسي، ثم تفرقت في مواطن شتى بسوس.

التيزرگيني، أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المومن المسگدادي المصمودي ولد قبل عام 880 / 1475 وأخذ بسوس عن شيخ جماعتها الحسن بن عثمان التملي في تيبّوت وتخرج بفاس عالماً مشاركاً وصوفياً صالحاً على يد الإمامين محمد ابن غازي وأحمد الونشريسي وطبقتهما. لقي عدداً من كبار الصالحين في عصره وأخذ عنهم وفي مقدمتهم الشيخ أحمد بن موسى السملالي. "كان - حسب الحضيكي - فقيهاً عالماً من علماء المسلمين صالحاً عاملاً جلداً صارماً قوالاً للحق أماراً بالمعروف تقياً واقفاً على حدود الله لا تأخذه في الله لومة لائم، له قدم راسخ في العلم والعمل". وكان - كمعظم علماء سوس وصالحيها - على صلة بالملوك السعديين الأوائل يفد عليهم وينصحهم ويعظهم. وكان محمد المهدي الشيخ يقول عنه وعن بعض معاصريه : "إن سيدي أحمد بن عبد الرحمن يخاف الله ولا يخافنا، وسيدي محمد بن إبراهيم (التامنارتي) يخاف الله ويخافنا، وفلان لأحد مرابطي سوس لايخاف الله ويخافنا".

تفرغ أحمد التيزرگيني للتدريس والتربية في مسقط رأسه، وقدم إليه أهل أقا عروضاً مغرية لينتقل إلى قُراهم يدرس بها فأبى وكتب إليهم : "تبننا خير من تبركم. ومَن أراد العلم فليأته وليطلبه في محله" وتخرج على يده أعلام من الفقهاء والصلحاء.

ومن شدة أحمد التيزرگيني وصلابته في الحق موقفه الصارم من معاصره وصديقه الحميم الشيخ العالم سعيد بن عبد المنعم الحاحي الذي دخله وسواس الملك بعد انتقال محمد المهدي الشيخ إلى مراكش وموته، وكأنه استضعف ابنه عبد الله الغالب ورأى نفسه في منعة من قومه الحاحيين وحلفائهم السوسيين، فبعث إليه أحمد التيزركيني برسالة مطولة صريحة فصيحة إلاّ كلمات عامية مؤثرة، مما جاء في أولها : "بلغنا عنكم أنكم عازمون على مخالفة الشرع العزيز، وعلى الرمي بأديانكم وأبدانكم وأرواحكم وعقولكم وأولادكم وأموالكم وأحبابكم وأتباعكم وأزواجكم في بحور الهوى والردى، ولاسفينة ! وعلى التورط في مهواة الذنوب تتشبثون فيها بالصغيرة والكبيرة، وذلك طلب الملك والولاية، ومنازعة أرباب الدولة بالقتل والمشاقة. هاه هاه هاه ! كلا لا ! كلا لا ! كلا لا ! أين عقولكم الراجحة ؟ أين علومكم الراسخة ؟ أين بصائركم الثاقبة ؟ أين عهودكم للسادة السالفة ؟ انتهوا خير لكم. انتهوا خير لكم. وإنّي لكم والله من الناصحين".

ومن المعلوم تاريخياً أن سعيد بن عبد المنعم تراجع عن طموحه، وأن عبد الله الغالب أبعده عن حاحة وأسكنه في أسيف نْتامَّنتْ بزداغة في حدور الأطلس الكبير المطلة على تارودانت، وأن نعرة السلطة بقيت في أحفاد الشيخ سعيد حتى نهض بها يحيى بن عبد الله الحاحي في فترة الاضطراب التي أعقبت وفاة أحمد المنصور، وملك سهول سوس ردحاً من الزمن.

ألف أحمد التيزرگيني في مواضع دينية متنوعة عفّى الزمان على بعضها منها :

- *منظومة في العقائد*.
- *كتاب في التصوف* أجاب به الشيخ أحمد بن موسى السملالي.
- *كتاب في التاريخ*.
- *رسالتان* إلى الشيخ أحمد بن موسى.
- *رسالة* إلى تلميذه يبورك الهشتوكي.
- *فتاوى* كثيرة بعضها في *المجموعة الفقهية السوسية*.
- *رسالة* إلى سعيد الحاحي المذكور آنفاً، إلى غير ذلك من الرسائل.

توفي بتيزرگين عام 958 / 1551. وضريحه بها معروف.

أ. أذفال، *مناقب الشيخ أحمد بن موسى* ؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 28 ؛ ع. التامنارتي، *الفرائد الجمة*، مخطوط ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1 : 158 ـ 159 ؛ *درة الحجال*، 1 : 164 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 86 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 2 ؛ م. المختار السوسي، *جامعة القرويين في ذكرها* ؛ *خلال جزولة*، 2 : 20 ؛ *رجالات العلم*، 21 ؛ *سوس العالمة*، 179 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 198 ـ 599.

التيزرگيني، عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن، ابن مَنْ قبله وملازمُه المتخرج على يده في العلم الظاهر والباطن. شارك أباه في الأخذ عن الشيخ أحمد بن موسى السملالي، وأقام مدة في زاويته بتازروالت حيث روى عنه الشيخ أذفال كثيراً من أخبار والده وعلاقاته بالشيخ ابن موسى.

واشتغل عبد الله بالتدريس في تيزرگين إلى جانب والده، ثم خلفه بعد وفاته فصار قطب الرحى في مركز عين الطلبة وما حولها. ولايعرف له من التأليف غير *أرجوزة في التصوف* ذكر فيها شيوخ الشاذلية بالمغرب، أمثال مَحمد ابن سليمان الجزولي، وعبد العزيز التباع وأحمد بن موسى السملالي.

توفي بمسقط رأسه بعد عام 971 / 1563 ودفن بإزاء والده.

أ. أذفال، *مناقب الشيخ أحمد بن موسى* ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزگو، الترجمة 559 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 21 ؛ *المعسول*، 13 : 268 و278 ـ 279 ؛ م. حجي، *الحركة*، 2 : 599.

محمد حجي

تيزطُوطين، اسم هضبة تقع بقبيلة بني بويحيي إقليم الناظور، وقد يخطه من يكتبه تيستوتين نقلا عن الإسبانية Tistutin وذلك لأن اللغة الإسبانية تفتقر لحرف الزاي ؛ وقد احتل الجيش الإسباني الهضبة المذكورة يوم 23 يونيو 1914 وبنوا بها ثكنة عسكرية تحولت مع الأيام إلى قرية، وعند اندلاع الثورة الريفية التجأت القوات الإسبانية الفارة من أنوال إلى تيزطُوطين يوم 23 يوليوز 1921 وفي اليوم التالي حاصر المجاهدون المركز إلى أن أرغموا الجنرال ناڤارو Navarro على مغادرته يوم 29 بعد أن فقد ثلاثة كولونيلات وستة قباطنة وخمسة ملازمين وأربعة ضباط صف وخمسة وسبعين جنديا.

غير أن الجيش الإسباني استطاع أن يحتل تيزطوطين للمرة الثانية يوم 21 ديسمبر من نفس السنة.

وتيزطوطين اليوم مقر جماعة قروية تحمل اسم القرية وهي تابعة للدائرة.

ع. بنعبد الله، *المرسوعة*، 158 ؛ ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*.

Domenech, *Zona Norte*, 25 ; Cabello, *Geo. Marruecos*, 73, 185 ; Martinez Campos, *España belica*, 116, 120, 249 ; Comision historica, 119, 149, 185, 481, 493.

محمد ابن عزوز حكيم

تيزغَة، أو أوْسَرْد بالأمازيغية، أو السُّماق أو الجُدَيرية أو الجُدَاري أو الزَّواي بالعربية أو العامية، أسماءٌ تطلق على أنواع من جنس رُوسْ Rhus الذي ينتمي لفصيلة البطميات Anacardiaceae التي تشمل الفستق أيضاً وأجناساً أخرى.

ولفظ تيزغَة الأمازيغي أكثر تداولا عند الناس بالمغرب، وهو يرمز إلى اللون الأحمر (أزگاغ).

يوجد بالمغرب ثلاثة أنواع طبيعية من تيزغَة :

1 ـ رُوسْ بِنْتَافيلاَ : Rhus Pentaphylla أو السُّماق الخماسي، وهو تيزغَة المعروفة والواسعة الانتشار في المنطقة الوسطى من المغرب. شجيرة أو شجرة قصيرة القامة لايتجاوز ارتفاعها سبعة أمتار، جد متفرعة ومشوكة، ذات تاج عريض ومنبسط على الأرض، أوراق شبه دائمة وغير متقابلة جرداء بالنسبة للبالغة منها، ومجزأة إلى ثلاث أو خمس وريقات، ذات لون أخضر زاه. طول الوريقة من واحد إلى ثلاثة سم، وعرضها من اثنين إلى خمسة مم. أزهار بسيطة صفراء مجتمعة على شكل عناقيد مركبة وقصيرة وغير كثيفة، ثنائية المسكن. للأزهار الأنثوية كما للذكرية خمس فصلات وخمس بتلات. الثمار مفردة النواة في شكل عدسة وفي حجم حبة كرز صغيرة، لونها أصفر غير أن جزءاً منها يظهر بلون أحمر قان.

يعيش هذا النوع في الغابات الغير الكثيفة المكونة من العرعر البربري أو الزيتون البري أو العرعر الأحمر أو البلوط الفلّيني أو في فرجاتها لأنه ألبف الشمس. ويصادف في الطابق المتوسطي الدافئ حيث نراه لايتجاوز 1000 م من الارتفاع. أما من حيث البيومناخ فهو يوجد في

المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة الدافئة منها والمعتدلة. ولا يصادف إلا استثنائياً في المناطق الجافة.

يعيش هذا النوع في الأراضي الغنية بالطين الموجودة على سفوح الهضاب أو الجبال قليلة الارتفاع أو في المنخفضات.

توجد تيزْغَة في الجهة الشمالية من المغرب أي شمال سلسلة جبال الأطلس الكبير والأطلس المتوسط وخاصة في الهضبة الوسطى. ولانراه إلا استثنائياً في المنطقة الجنوبية من المغرب ويظهر أيضاً في شمال الجزائر وتونس وفي صقلية.

ينتمي هذا الصنف مع النوعين التاليين إلى شعبة ممثلة بأنواع عديدة تكثر في جنوب افريقيا خاصة، وافريقيا المدارية والهند أيضاً مع وجود نوع واحد بأستراليا.

وقد وجدت تِيزْغَة في المنطقة المتوسطية منذ العصر الطباشيري.

تيزْغَة نوع غني بمادة الدباغة التي توجد بكثرة في قشرة أغصانه وجذوره وذلك بنسبة تتراوح ما بين 27 و30٪ وهي نسبه تجعله أغنى من أنواع البلوط التي لاتحتوي إلا على 10 إلى 16٪. أما الأكاسيا (جنس الطلح) فهو يحتوي على نسبة تصل إلى 35 أو 40٪ مقابل 60٪ لشجرة القسطل. كما يمكن استعمال الأوراق التي تجمع في الخريف عندما تبدأ في الاحمرار ثم تجفف وتطحن لتصبح مسحوقاً.

استعمل هذا النوع في المغرب والبلدان الأخرى التي يوجد بها منذ قديم الأزمان، وخاصة في عهد الحماية، كمادة دباغة وصبغ للجلد الذي يكسب لوناً أحمر وبناء رَخْواً وهو أفضل الجلود لتجليد الكتب وصناعة الصُّرات والحقائب والمحفظات والمشبنات والقفازات.

ونتيجة للاستغلال المفرط من طرف المستعمرين تراجعت تشكيلات هذا النوع بنسبة خطيرة في نهاية عهد الحماية حتى كاد يندثر تماماً بسببها. لكن من حسن الحظ انتهى الاستعمار وظهرت مصادر أخرى طبيعية واصطناعية للدباغة والتلوين، فتكاثر النوع من جديد نظراً لقلة استغلاله ابتداء من عهد الاستقلال، وبدأ ينتشر ويحتل جل مناطقه الأصلية.

بالإضافة إلى مادة الدباغة والصبغ، واستعماله في التطبيب التقليدي ضد أمراض الجهاز الهضمي، تعطي تيزغة خشباً جد صلب ذا لون ما بين وردي وأسمر صقيل من الممكن استعماله في إنشاء أدوات صغيرة الحجم. كما تنتج ثماراً تؤكل من طرف الإنسان دون الإكثار من أكلها. وتلعب دوراً مهماً في إغناء التربة بالدبال الجيد، وحمايتها ضد الانجراف، وفي دينامية وتجديد الأنظمة الغابوية نظراً لكونه يحمي تحت فَنَادَقه أنْواعا عديدة من الحيوانات والنباتات وخاصة شُتَيْلاتَ الأشجار التي تجد هنا الظروف البيئية الملائمة لنموها.

2 ـ رُوسْ ثْرِيبَارتِيتَا : Rhus Tripartita أو رُوسْ أُوكْسِيَانْثَا : Rhus Oxyacantha أو ما يمكننا أن نسميه بالسُّمَاق الثلاثي، يسمى أيضاً تيزغة في المناطق الوسطى والشرقية من المغرب، والجداري (لفظ جماعي) والجديرية (لفظ مفرد) و أوْسَرْد في المناطق الصحراوية. للتذكير فإن الاسمين الأخيرين أُعطيا لبلدتين في المناطق الصحراوية المغربية.

إنها شجيرة أو شجرة قصيرة القامة لايتعدى ارتفاعها ستة أمتار تميل أغصانها إلى الاحمرار، قصيرة ومشوكة، أوراقها دائمة الاخضرار، معنقة، وثلاثية الوريقات، ذات لون أخضر باهت. طول الوريقة الواحدة ما بين 1.5 وأربعة سم، ونصلها عميق التسنن. أزهارها ثنائية المسكن تظهر في فصلي الشتاء والربيع. الثمار مفردة النواة في حجم جلبانة، أي أصغر بكثير من ثمار النوع السابق، ذات لون أحمر داكن.

يصادف هذا النوع في المناطق شبه الجافة والجافة والصحراوية الدافئة والمعتدلة، في الطابقين المتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي. وفي أغلب الحالات يوجد منفرداً أو مجتمعاً على شكل باقات منتشرة في تشكيلات العرعر البربري وأرگان، والبطم الأطلسي والعرعر الأحمر والطلح الصحراوي، غير أنه ينظم تشكيلات كثيفة نسبيا في المنخفضات المسماة بالگْرارات (الغْرارات) الموجودة في حمادة الساقية الحمراء شرق مدينة العيون إلى نواحي اسمارة.

يلاحظ وجوده في وادي شراط وسهول الرحامنة والحوز والشياظمة وعبدة وحاحة والمغرب الشرقي والجهة الغربية من الأطلس الكبير، وجل السفوح الجنوبية من الأطلس الكبير، وسوس والأطلس الصغير، وجل المناطق الصحراوية من المحيط إلى آسيا الصغرى مروراً بكل البلدان الإفريقية الموجودة شمال الصحراء، وصقلية.

يقطن السماق الثلاثي الأراضي الصخرية في شمال مجاله الطبيعي، ولايوجد إلا على الأتربة السميكة نسبياً في المناطق الجافة والصحراوية.

يعرف هذا النوع نفس الاستعمالات المذكورة بالنسبة للنوع السابق، لكن بصفة أخف نظراً لقلة وجوده بمجاله الطبيعي، وإنه يلعب نفس الدور في المحافظة على التربة وفي دينامية الأنظمة الغابوية وتجديدها.

3 ـ رُوسْ آلْبِيدَا : Rhus Albida أو السماق الأبيض وهو الـزَّوَّايْ أو تَيزْغة أيضاً. شجيرة قصيرة لايتجاوز ارتفاعها مترين، عديمة الأشواك، تتميز بأوراق ذات لون أخضر ضارب إلى الرمادي نظراً لكثافة الزغب. أوراقها ثلاثية الوريقات، دائمة الاخضرار وصغيرة. طول الوريقة من سنتيم واحد إلى سنتيمترين، وعرضها من 0.5 إلى 0.8 سم. عنق الورقة مجنح. الأزهار ثنائية المسكن، تظهر في بداية فصل الربيع لتعطي ثماراً في فصل الشتاء من نفس السنة.

يصادف السماق الأبيض في البيومناخ شبه الجاف والجاف والصحراوي وينبت أتربة رملية أو قليلة الصخرية،

موجودة على طول الساحل الأطلنتيكي ما بين أسفي والصويرة، لكنه يوجد بكثرة بالجهة الشمالية لهذا الساحل أي ما بين الصويرة وأسفي حيث يلعب دوراً جد هام في تثبيت الكثبان الرملية التي بدأت بزحفها الحالي تهدد المنطقة الساحلية، نتيجة اجتثاث مساحات شاسعة من تشكيلات هذا النوع.

بهذا النوع القبسي بعض الميزات المذكورة بالنسبة للنوعين السابقين لكن استعمالاته شبه منعدمة.

استطلاعات ميدانية.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaitre*, Paris, 1938.

عبد المالك بنعبيد

تيزغْتْ أو تزغْتْ، قرية على واد تعلاوت قرب دمنات لعل اسمها من حمرة أرضها، يوجد بها منجم لاستخراج حجر الملح، كان معروفاً ومستغلاً منذ عدة قرون. فقد حفر السكان لاستخراج هذا الحجر غاراً اشتغلوا فيه عشرات السنين حتى بلغ في نهاية القرن الماضي عمق ثمانمائة متر تقريباً فنفد المعدن من ذلك المكمن وشرع السكان في حفر نفق آخر.

تكونت قرية تيزخت الحالية من ثلاث أسر أصلية هي : أسرة أيت عاشور التي تذكر الرواية الشفوية أنها من قبيلة إمغران. جاء الجد إلى مستقره الجديد في عصابة من أهله، وطلب الضيافة فرفض طلبه وتربص بالسكان حتى خرجوا لإقامة طقوس عاشوراء بظاهر البلد عام 1198 / 1789 فاقتحم البيوت على أهلها. وأسرة أيت بادو وأصلهم من هنتيفة وأسرة أيت ناصر وأصلهم من زمور.

لاحظ أبناء هذه الأسر ظهور حجر الملح على جوانب وادي تعلاوت، فقاموا بالحفر واستغلال مرتب. ويظهر أنهم تنازعوا على الزبناء وعلى أسعار البيع وتنظيم استخراج الحجر وحفره، فاصطلحوا أخيراً واتفقوا على استغلال منجم واحد اشتغلوا فيه حتى تهدم بابه وبداخله سبعة أشخاص لم يغاثوا وهم أحياء، وكان ذلك حوالي عام 1250 / 1834. ووقع الاتفاق من جديد على حفر غار آخر في ملك أيت عاشور، وتقرر في العقد أن يكون الاستغلال لورثة النفر الثلاثة الأصليين من الذكور دون الإناث، وعند موت واحد من أصحاب الحق ترجع قسمته للجماعة.

وعندما بلغوا في الحفر حوالي مائتي متر، أقاموا من أعلى التل الذي يوجد تحته الغار منفذاً عمودياً للتهوية، التقي بأقصى عمق الغار. أما الإنارة أثناء الحفر فكانت تستعمل فيها قناديل الزيت. وكان الحفر يتم بفؤوس يسمى الواحد منها محلياً "أگليم"، وهي ذات رؤوس حادة وأخرى غليظة مزودة بمقابض من خشب الدفلي لأنها قابلة لانثناء خفيف عند الإجهاز دون انكسار.

وفي داخل الغار كان كل مستفيد يحدث حفيراً في هيئة مشكاة لايشاركه فيه أحد. يحفر حجر الملح خلال ثلاث ساعات أو أربع في اليوم، ولم يكن يتولى الحفر إلا من درب عليه. وكان يتم إخراج ما حفر من طرف عمال، يحمل الواحد منهم حجارة الملح الضخمة على كتفيه بعد شدها بالحبال. ومعظم القائمين بالحفر عمال أجرة الواحد منهم سدس ما استخرج. وكان العمل دائماً على مدار السنة لايفتر إلا في بعض مواسم الفلاحة.

وكلما استخرجت كمية من الحجارة إلى باب الغار حضر رؤساء الأسر المستفيدة وأخذوا في البيع طيلة يوم يعلمه الزبناء القاصدون من آفاق مختلفة، وبعد البيع يخصمون الصوائر ويوزعون ما تبقى أنصبة بين أصحاب الحق، لكل على حسب النسبة المعلومة له.

كان المشترون للملح يقدمون من جهات بعيدة كوادي زم وخريبگة وتادلة والشاوية والسراغنة بقوافل الجمال. وكان الزبناء من القبائل الجبلية المجاورة يأتون بالحمير أو البغال. ويتم الكيل بالقفة بالنسبة للحجر الملح المكسر، ويحمل الجمل (أربعة أحجار كبرى) بالنسبة للملح غير المكسر، والمقابل يكون نقداً أو حبوباً بالمقايضة.

وقد كان بعض المتمولين يتدخلون لكراء أنصبة من ذوي الحقوق في استغلال معدن الملح، كما كان بعض متمولة الدمناتيين يشترون الملح حين رخصه لادخاره إلى وقت غلائه، إلا أن النظام الجماعي لاستغلال هذا المعدن كان يمنع تفويت الحقوق بالبيع ويحول دون السطو عليها.

ولا نستطيع أن نقدر إنتاج غار ملح تيزخت، إلا أن تقييداً في كناش قائد دمنات الجيلالي الدمناتي ينص على أن خمسة أشخاص قد التزموا في متم ربيع الثاني عام 1300 / 9 مارس 1883 بأداء عُشُر غار الملح وقدره مائة مثقال.

أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان 1850-1912*، الرباط، ط. ثانية 1983.

أحمد التوفيق

تيزگان، مرسى تقع بشاطئ قبيلة بني زيات الغمارية على البحر المتوسط، وتعرف أيضا بمرسى تاغسراس. كانت بها من قديم ترسانة لصبغ السفن الصغيرة وإصلاحها ؛ وفي عهد الحماية اقتصر العمل بهذه الترسانة على إصلاح السفن. وكان آخر معلم ماهر في هذه الصناعة هو المعلم أحمد بن محمد الهواري المتوفي سنة 1378 / 1959. وبسبب وجود الترسانة تعرضت مرسى تيزگان لعدة هجومات قامت بها حامية سبتة البرتغالية، وأهمها الحملة التي نظمها سنة 886 / 1481 حاكم المدينة السليبة فيرناندو ذي مينيسيس Fernando de Meneses وتكونت من خمسين سفينة حاملة على ظهرها خمسة آلاف من الجنود، وأسفرت عن تحطيم الترسانة والسفن التي كانت تصنع أو تصلح بها.

وفي يوم 29 رجب عام 1009 / 3 فبراير 1601 تعرضت مرسى تيزگان لهجوم قام به الحاكم الإسباني لمدينة سبتة بواسطة أسطول يتكون من خمس عشرة سفينة، إلا أنه وجد سكان الناحية في انتظاره ورد على أعقابه مهزوما بعد أن فقد ثمانية وسبعين من جنوده وعلى رأسهم قبطان.

وفي عهد الحماية تكن الأسطول الإسباني من احتلال المرسى يوم 9 شعبان 1339 / 18 أبريل 1921، غير أنه اضطر إلى الانسحاب منها يوم 2 نوفمبر 1924 ليعود إليها مرة ثانية في 9 يوليوز 1926.

وبهذه المرسى يوجد ضريح سيدي عمران وبجواره مقابر تعرف بمقابر "مائة فاطمة وفاطمة" استشهدن أثناء هجوم تعرضت له المرسى من طرف النصارى.

C. Pereda, *Estudios geograficos de Gomara*, Ceuta, 1940 ; C. Martinez Campos, *España belica, El siglo XX, Marruecos*, Madrid, 1972.

محمد ابن عزوز حكيم

تيزگي، معناه الخانق المحدث في الوادي في أسفل السلسلة الجبلية، إما لاختلاف الطبقات أو لمصادفة الثنية المقعرة، ولذلك تعد تيزگي، ممراً طبيعياً في أسفل الجبال، مثل تيزي في قمة الجبال.

والذي يهمنا هنا هو تيزگي بقبيلة أيتْ اخْلَفْ، ويها يمر النهر الذي يصب في مدينة سيدي إفني، وتتوفر تيزگي على الحطب والمياه العذبة، وكانت بها عين غزيرة، تسقي أراضي شاسعة، إلى بداية هذا القرن الميلادي فانطمست.

وفي سنة 1367 / 1948 اختارت إسبانيا بلاد تيزگي هذه، فأمرت السكان بالرحيل منها، بدعوى أنها ستقيم فيها سداً كبيراً يكفي أيت باعمران بكاملها، إلا أن قبيلة أيت اخْلَفْ عدت ذلك محاولة لمصادرة أراضي القبيلة، ولما كان شيخ القبيلة عبد الكريم والسيد أنفلوس عيسى بن عثمان وعائلة بوريگ، سيصابون بخسارة أكبر، وكلهم من أعيان القبيلة، فقد رفضوا أي تفويت أو بيع لدولة إسبانيا، فتحركت القبيلة وقال الملاك الكبار لحكام إسبانيا، نحن مقيمون هنا إلى أن ترحلنا مياه سدكم، فاستعملت إسبانيا التهديد، إلى أن تدخل الشيخ عبد الكريم فأوصل الخبر إلى الجنرال فرانكو بالذات فتوقف المشروع.

توجد في تيزگي هذه آثار قديمة منها أگادير نداوْتْوزيَا ورسوم على أحجار، ومقابر على هيئة قعود ومحراب مسجد في اتجاه الجنوب (*معلمة المغرب*، 1 : 222).

لعبت تيزگي هذه دوراً كبيراً في حرب التحرير بأيت باعمران، إذ كان فيها مركز السلاح والتموين والمياه والخضر، وكانت دار الشيخ عبد الكريم تتوفر على فرن للخبز وجميع لوازم التموين حتى مطامر الحبوب ومحركات للسقي وبساتين وصهاريج، وفيها نزل الجيش الملكي الذي واجه الإسبان بعد إدماج جيش التحرير حتى استقلت أيت باعمران، وانضمت إلى الوطن الأم.

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*.

الحسين جهادي

التيزكيني ← تيسرگوين

ابن **تيزمْتْ**، أبو بكر ومعناه ابن اللبوءة، وتيزمت مؤنث إيزَمْ أي الأسد. كان ابن تيزمت هذا من بقية الأمراء المرابطين الذين اقتحم عليهم الموحدون عاصمتهم مدينة مراكش، ولنلخص أخبار هذه الشخصية نقلا عن كتاب *أخبار المهدي بن تومرت* لأبي بكر المكنى بالبيذق قال : ثم رجع أبو الحسن إلى إيگيليز، جبل شمال مراكش المدينة، وقتل فيه أولاد السلاطين (يقصد المرابطين) ولم يبق منهم إلا أبو بكر بن تيزمت وإسحاق وغلامه طلحة. وكان إسحاق يتضرع للخليفة عبد المومن ليبقيه، لكن غلامه نهره قائلا : أصمت عنا هل رأيت ملكا يتضرع لملك مثله، ويذكر التاريخ أن إسحاق هذا هو عم إبراهيم بن تاشفين آخر ملوك المرابطين سنة 539 هـ. وكان كل هؤلاء الثلاثة صبياناً، فرق لحالهم عبد المومن الموحدي وقال لأبي الحسن : "اترك هؤلاء الصبيان ما الذي نعمل بهم" فصاح أبو الحسن قائلاً: ويوا ويوا الموحدين ! ارتد علينا عبد المومن، يريد أن يربي علينا فراخ السبوعة"، فغضب عبد المومن وانسحب ومع ذلك قُتل الأمير إسحاق هذا، وكذلك غلامه طلحة، لكن بعدما احتال على أبي الحسن الموحدي فقتله وقُتل من بعده.

أما أبو بكر بن تيزمت فقد رفعوه إلى أمير المومنين عبد المومن، ودافع عن نفسه بدعوى أنه خصم لعلي بن يوسف المرابطي لكن عبد المومن رد عليه بأن "السنة قتلته" لأنه حمل المهدي بن تومرت إلى السجن، مما يدل على أن ابن تيزمت هذا كان من رجال الدولة المتولين منذ ظهور المهدي ابن تومرت. وكما أن الغلام طلحة السابق احتال على أبي الحسن ليفك وثاقه من أجل أن يسلم له سلاحه قبل أن يموت، ولما أجيب إلى ذلك طعن أبا الحسن فقتله، فإن ابن تيزمت هذا لما تأكد من قتله قال لعبد المومن، قبل أن أقتل عندي بُرْمتان (قدران) من مال كلها ذهب يأخذها الموحدون، لأني أخاف أن أموت وأحاسب عليها، فأعطني أمناء... فاختار عبد المومن اثنين من كل قبيلة وعدد اثني عشر أمينا، ولما دخلوا الدار في إيگيليز... شد عليهم ولم يسلم منهم إلا واحد، ثم قبض الموحدون على ابن تيزمت وأعدموه، وكان آخر من بقي من أمراء المرابطين ورجالهم الحربيين الذين أسروا في حصار مدينة مراكش.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، 65 ؛ *أعلام المغرب العربي*، 1 : 235.

جهادي الحسين الباعمراني

تيزْمَمْت، موضع بقبيلة إيداوسلال بين أنزي وتافراوت. كان مستقر أعيان أيت وليلي، مشهوراً بغناه بمعدن الفضة في مغارة تعرف بـ"تفْريت نْتغاط"، وقد وصفه أحمد بن محمد التيمگيدشتي قائلا "هو أكحل وأرفع منه ما شئت حجراً أو تراباً".

كتاب عبد العزيز الأدوزي (مخطوط).

أحمد بومزگو

تيزنيت، ـ طبونيميا ـ ذكر م. المختار السوسي وثيقة ترجع إلى العهد السعدي تقول إن امرأة هي التي مصّرت مدينة تيزنيت بسوس منذ عهد عقبة بن نافع الفهري (القرن الأول للهجرة)، وتحكي الوثيقة قصة هذه المرأة التي كانت

من بنات الملوك البرابر، ذات جمال بارع، ونسب ومال، غير أنها كانت زانية، فلما أسلمت على يد عقبة، أدت فريضة الحج، ونزلت بموضع تيزنيت، وكان قاعا صفصفا، فحفرت فيه على الماء هي وجواريها، واتخذت مسجداً للعبادة والتعليم، وتنبأت بما ستؤول إليه المدينة من تبرج النساء وظهور المناكر، إلى غير ذلك (*خلال جزولة*، 2 : 188). وقد انتقد المختار السوسي هذه الحكاية وبين ضعفها التاريخي واللغوي، وسنحاول فيما يلي استكناه المعنى اللغوي التاريخي للفظة تيزنيت من خلال تحليل بنية الكلمة وتقريبها من كلمات أخرى لها معنى معروف لأن المعجم المحلي لم يحتفظ بمدلول الكلمة. ونقدم في هذا الاطار افتراضات ثلاثة :

ـ الافتراض الأول : تيزنيت باعتبار زايها بقيمة الهاء عند التوارگ، وضعنا هذا الافتراض استناداً إلى مبدإ تطور الحروف الصفيرية في الأمازيغية الشمالية إلى حروف حلقية في الأمازيغية الجنوبية (*المدلاوي*، 1990 ص 57)، فالزاي في تاشلحيت مثلاً تقابلها الهاء في لهجة التوارگ، وكلمة أهني جمع إهنان تعني عندهم الخيمة، ومنه تينهنان (ذات الخيام) اسم أميرة أمازيغية قديمة (*معجم دوفوكو*، 2 : 609). وتسمية الخيمة ومرادفاتها مألوف في الأعلام الجغرافية، ومنه تسمية الفسطاط بمصر في قصة معروفة، فيكون أهني بمعنى ازني عند التذكير، وتهنيت بمعنى تزنيت عند التأنيث.

ـ الافتراض الثاني : تيزنيت باعتبار زايها مبدلاً من السين، وهذا الإبدال ظاهرة مألوفة في لهجات اللغة الأمازيغية، ومبررة باشتراك الصوتين في المخرج والصفة ولايختلفان إلا في سمة الجهر والهمس، ونجد في الطوبونيميا المغربية العلم الجغرافي أسْني الذي نراه صيغة المذكر للعلم تسنيت المفترض أصلاً لتيزنيت واسني علم على حوض فلاحي سقوي بمنطقة جبال الأطلس الكبير (*معلمة المغرب*، مادة أسني) وتيزنيت بدورها معروفة بعينها وساقيتها ونشاط سكانها الزراعي السقوي، كما أن "تيزنيت ومزّر" في جبال إداولتيت ـ حسب ما وصفه لنا من عاين المنطقة ـ يزاول أهلها زراعات بسيطة أساسها السقي بمياه الآبار الكثيرة بالمنطقة ويُعدون لذلك أحواضاً خاصة.

ولعل مما يدعم هذا الافتراض أن جذر السين والنون تشتق منه سينيت أو السانية، وهي لفظة تستعمل في صيغها المختلفة للدلالة على البئر أو أداة السقي كالناعورة والدلو الكبير المجرور ببهيمة، أو الأرض المسقية ... الخ. ولو صدق هذا التحليل لانفتح الباب لشرح علم آخر هو "تامسنا" ومايقاربه من أعلام جغرافية.

تحليل آخر تقبله لفظة تيزنيت لاعتبار زايها مبدلا من السين، مع اعتبارها تركيباً إضافياً مكوناً من تيسّي ونون الإضافة وإيطّ بمعنى العين، فيكون التقطيع كالتالي : تيسّي / ن / إيط بمعنى سقي العين، أي الأرض التي تروى بماء العين وبكثرة الاستعمال يخفف نطق التركيب إلى تسْنيتْ، وبجهر السين تصبح تيزنيت.

ـ الافتراض الثالث : تيزنيت باعتبار زايها معاقباً للجيم، فقد أورد محمد شفيق في معجمه (1990 ج 1 ص 298) والحسن نبيل في *دراسة* له (1989 ص 112) كلمة تَگْنيتْ بمعنى الحوض الذي تجمع فيه مياه السقي ومعلوم ما بين الجيم والزاي من علاقة صوتية، وتعاقبهما في بعض لهجات شمال المغرب، فتكون زاي تيزنيت معاقبة لجيم تجنت بالمعنى نفسه المرتبط بالفلاحة والري، فيلتحق هذا الافتراض بالافتراض السابق ولعلهما الأقرب إلى طبيعة المنطقة وتاريخ الاستقرار بها المرتبط بظهور عينها واستغلالها من قبل الوافدين إليها من الجبال الولتيتية على الخصوص.

محمد المدلاوي، *مبادئ المقارنة الحامية السامية*، *مجلة كلية الآداب*، وجدة ع 1، 1990 ؛ محمد شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، ج 1 ، الرباط، 1990 ؛ دوفوكو، *Dictionnaire touareg-français*, Tome 2 ؛ الحسن نبيل، *Essai de toponymie*، (*مجلة كلية الآداب ـ تطوان* ع 1، 1986).

أحمد الهاشمي

* ـ جغرافيا ـ مدينة تيزنيت أو تزنيت في موقع متميز في جنوب المغرب، فوجودها على بعد تسعين كيلومتراً تقريباً من أكبر قطب حضري في الجنوب (أگادير)، وعلى طول الطريق الرئيسية رقم 30 جعل منها محطة مهمة وصلة وصل بين شمال المغرب وجنوبه، كما أنها تحتل موقعا وسطا في سهل يحمل اسمها (سهل تيزنيت) مبتعدة بذلك عن البحر بحوالي سبعة عشر كيلومتراً. فموقعها الإستراتيجي هذا أثر كثيراً على تاريخها وتطورها وجعل منها مركزاً حضرياً يتعدى إشعاعه في بعض المجالات تراب الإقليم سيما في اتجاه الجنوب. كما أن استرجاع الأقاليم الصحراوية أعطى المدينة بعداً جديداً ونفساً قوياً.

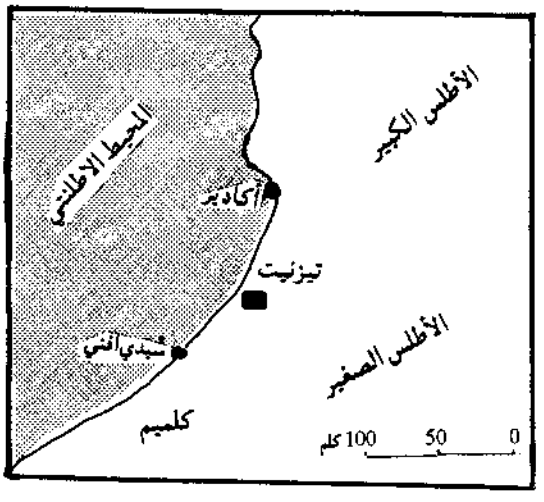

عرفت تيزنيت تطوراً ديمغرافياً بمرحلتين، المرحلة الأولى غطت سنوات الستينات وما قبلها لأن المدينة كانت عبارة عن مركز صغير لم يتجاوز عدد سكانه 5.000 نسمة سنة

1959 و7.694 نسمة سنة 1960. أما المرحلة الثانية التي تغطي السبعينات والسنوات اللاحقة فعرفت المدينة قفزة ديمغرافية حيث انتقل عدد سكانها من 14.413 نسمة سنة 1971 إلى حوالي 22.922 سنة 1982. وأغلب سكان المدينة ينتمون إلى القبائل البربرية المجاورة في السهل والأطلس الصغير. كما كانت المدينة تضم إلى عهد قريب طائفة يهودية مهمة غادرت المدينة إما في اتجاه المدن المغربية الأخرى أو إلى الخارج.

فبموازاة مع النمو الديمغرافي شهدت مدينة تيزنيت توسعاً مجالياً عرف أوجه منذ السبعينات واستمر إلى وقتنا الحاضر حيث عرفت ظهور مدينة جديدة خارج الأسوار. ويرجع هذا التوسع من جهة إلى الدور الذي بدأت تلعبه المدينة منذ سنة 1975 حيث أصبحت تستقبل المصالح الجهوية لمختلف الوزارات كما عرفت كذلك توافد الموظفين وعائلاتهم، ومن جهة أخرى لعبت الهجرة القروية دوراً مهماً في التوسع الحضري حيث أصبحت مدينة تيزنيت قبلة لمهاجري الأرياف المجاورة في السهل والأطلس الصغير بحثاً عن فرص العمل. كما أن المدينة استفادت من تيارات الهجرة الدولية باعتبار الإقليم من أهم المناطق المغربية المصدرة لليد العاملة إلى الخارج (فرنسا خاصة)، وبذلك أصبحت مجالا خصباً لاستثمار موارد الهجرة سيما في الميدان العقاري الذي عرف سوقه توسعاً مثيراً حيث تعددت التجزئات السكنية من طرف الدولة أو الخواص، وأصبحت المدينة قبلة للمضاربات العقارية (فطلبات إنجاز التجزئات السكنية المودعة لدى مصالح وزارة السكنى يفوق مائة مشروع) كما ساهمت موارد الهجرة الدولية في تطور الأنشطة الاقتصادية والتجارية منها بالخصوص، مما زاد من جاذبية المدينة لأعداد جديدة من المهاجرين الريفيين. ويتميز النسيج الحضري لتيزنيت بوجود نواة قديمة ومدينة عصرية.

المدينة العتيقة : تحيط بها الأسوار من جميع الجهات على طول سبعة كيلومترات تقريبا وبعلو يقارب ثمانية أمتار، وتتصل المدينة بالمجال الخارجي بواسطة تسعة أبواب مختلفة الاتساع والأهمية.

تنقسم هذه المدينة إلى أربعة أحياء كبرى هي : - إدزكري - أيت امحمد - إضلحا - إداوكفا، وهي في الأصل عبارة عن أربعة دواوير مختلفة من حيث قدم المعمار بها. ويبدو من خلال شكل البنايات وتنظيم الأزقة أن إضلحا وإداوكفا يعتبران أقدم الأحياء بمدينة تيزنيت حيث يغطيان المنطقة الشمالية للمدينة ويمتازان بكونهما أساس أحياء سكنية تقل بهما المنشآت التجارية وذلك بالرغم من التطور المتزايد لهذا القطاع على طول شارع سيدي عبد الرحمان. أما المنطقة الجنوبية للمدينة (حي إدزكري وحي أيت امحمد) فتعرف تركزاً للأنشطة التجارية والحرفية بجميع أصنافها حيث تنتشر المتاجر والقيساريات حول ساحة المشور باعتبارها النواة الفعلية للمدينة وعلى طول الشوارع المؤدية إليها، وكان هذا الجزء من المدينة العتيقة يضم إلى عهد قريب أغلب الإدارات العمومية.

تعرف المدينة العتيقة مقارنة بمثيلاتها في المدن المغربية الأخرى كثافات سكانية ضعيفة تتخللها مجالات فارغة عبارة عن أجنة وبقع أرضية غير مبنية، إلا أن نمو ساكنة المدينة وتطور أنشطتها أدى إلى تحولات كان أهمها تقلص المساحات الفارغة وإعادة بناء المنازل القديمة وذلك بتبني تصاميم جديدة واستعمال مواد البناء العصرية الشيء الذي أدى إلى تغيير المنظر العام في بعض جهات المدينة.

تنتشر المدينة الحديثة خارج الأسوار وتمتد خصوصا جنوب المدينة العتيقة وهي عبارة عن أحياء حديثة ظهرت أساساً بعد سنة 1975 (حي الموظفين 946 بقعة، إيراك 996 بقعة، البرنامج الإجماعي 840 بقعة، سيفم 447 بقعة، بالإضافة إلى أحياء اليوسفية، المسيرة، أفراگ، والأحياء الجديدة على طول الطريق المؤدية إلى گلميم). فهذا التوسع الحضري زاد من جاذبية المدينة الحديثة للسكان وبانتقال أغلب المصالح الإدارية والمؤسسات البنكية ومؤسسات التأمين إلى جانب استقبالها لجميع الفنادق المصنفة وتخصصها في التجارة الراقية وتجارة الجملة... كما تتميز المدينة من جهة بوجود حي صناعي في الجهة الشرقية على طول الطريق الرئيسية المؤدية إلى مدينة أگادير، يضم أربع وحدات صناعية كبرى استقر أغلبها بالمدينة خلال الثمانينات. ومن جهة ثانية عرفت المدينة الحديثة انتقال السوق الأسبوعي (الخميس) إليها واحتضانها في المستقبل القريب المحطة الطرقية.

وبصفة عامة، إن توفر مدينة تيزنيت على نواة عتيقة جعل منها قبلة للسواح الأجانب، مستفيدة بذلك من قربها من أهم مدينة سياحية مغربية (أگادير) ومن وجودها في نقطة عبور للرحلات السياحية في اتجاه مدينة گلميم أو تافراوت. وهذا العنصر أدى إلى نمو الطاقة الإيوائية للمدينة (20 فندقا من مجموع 23 هي عبارة عن فنادق غير مصنفة ينتشر أغلبها حول ساحة المشور أو الشوارع المؤدية إليها).

J. Guibert, *L'histoire d'une ville : Tiznit*, mémoire de l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales, Paris, 1979, 9, 178 ; *Documents de la province de Tiznit : Documents des différentes délégations ministerielles à Tiznit.*

يحيى أبو الفرح

* * إقليم تيزنيت، من الأقاليم الحديثة أُنشئ سنة 1975 وكان تقسيمه الإداري آنذاك يحتوي على خمس دوائر وخمس عشرة قيادة وأربع وأربعين جماعة، منها جماعتان حضريتان ومركزان مستقلان. يحد الإقليم من الجهة الشرقية إقليم طاطا، ومن الغرب المحيط الاطلنتي، ومن الشمال إقليم أگادير، ومن الجنوب إقليم گلميم.

وبناء على القانون رقم 12.92 المتعلق بوضع ومراجعة اللوائح الانتخابية العامة وتنظيم انتخاب مجالس الجماعات الحضرية والقروية الصادر بتنفيذ الظهير الشريف رقم 1.92.90 بتاريخ 9 ذي الحجة 1412 / 11 يونيو 1992 تمت إعادة عملية تقسيم إقليم تيزنيت إدارياً على النحو التالي :

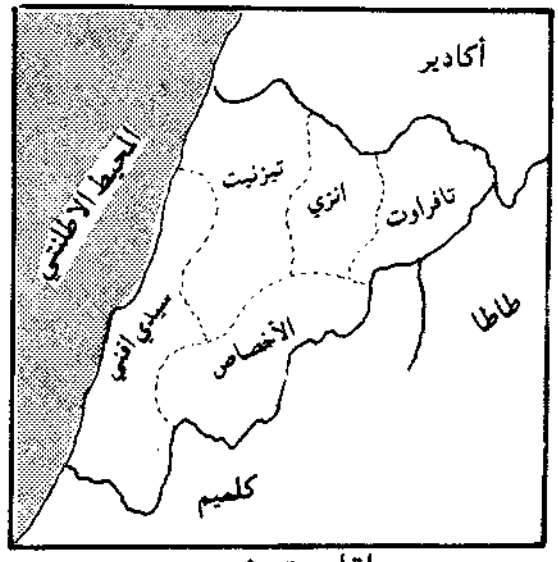

إقليم تيزنيت

- خمس دوائر هي : إفني - تافراوت - أنزي - الأخصاص - تيزنيت.

- ست قيادات هي : أملن - أفلا إغير - أحد تاهلة - سيدي حساين - أيت الرخا - تيغيرت.

أما الجماعات فبلغ عددها تسعة، منها أربع جماعات حضرية وهي سيدي إفني (البلدية) - تيزنيت (البلدية) - تافراوت (البلدية) - الاخصاص (البلدية) وبقي خمس جماعات قروية هي : أملن - تارسوط - تاسريرت - سيدي مبارك - سيدي حساين أعلي .

الإقليم	الدوائر	القيادات	الجماعات الحضرية أو القروية
تيزنيت			سيدي إفني (البلدية) تيزنيت (البلدية) تافراوت (البلدية) الاخصاص (البلدية)
	إفني تافراوت	أملن	أملن تارسواط تاسريرت
		أفلا اغير	
		احد تاهلة	
	أنزي		
	الاخصاص	سيدي حساين	سيدي مبارك سيدي حساين أوعلي
		أيت الرخا	
		تيغيرت	
	تيزنيت		

تبلغ مساحة إقليم تيزنيت 6.937 كلم^2 وقدرت ساكنته سنة 1982 بـ 310.797 ن كما أن الكثافة السكانية بلغت أقصى حد لها في مدينة تيزنيت حيث وصلت إلى 1510 ن في كلم^2، وتقدر مساحة تيزنيت المدينة باثني عشر كلم، وتعتبر جماعة أيت الرخا من أضعف الكثافات السكانية بالإقليم حيث وصلت الكثافة إلى 38 ن في كلم^2 وعلى مساحة قدرها 110 كلم.

مدينة تيزنيت هي عاصمة الإقليم من أكبر التكتلات السكانية حيث بلغ عدد ساكنتها 22.922 ن وهي تحتل موقعاً هاماً داخل الإقليم، فهي لاتبعد عن الساحل إلا بسبعة عشر كلم، كما أن قربها من أكبر حواضر الجنوب (أكادير) ومحاذاتها للطريق الرئيسية رقم 30 خولها لتكون صلة بين الشمال والجنوب.

يعتبر إقليم تيزنيت من الناحية الاستراتيجية ذا أهمية متميزة على صعيد التراب الوطني، فهو يحتل موقعاً هاماً نظراً لمحاذاته الساحل الاطلسي وتوغله داخل القارة وكذا مقوماته الطبيعية والبشرية والحيوانية. يعتمد اقتصاد أهالي الإقليم على بعض المزروعات المعاشية والرعي والصيد البحري الموسمي والتقليدي والتجارة والصناعة التقليدية خاصة صياغة الحلي الفضية وبعض المنحوتات الحجرية والخشبية والنسيج وأدوات التجميل التقليدي.

في المجال السياحي تبقى البنية الأساسية لهذا القطاع جد متواضعة رغم المقومات الطبيعية والخصوصيات التراثية التي قد تجعل من المنطقة قطباً سياحياً هاماً. فالإقليم لايتوفر إلا على بضع فنادق مصنفة وشاطئ يعتبر من أجمل الشواطئ الاطلنتية (مير اللّفت) الذي تقطنه موسمياً جاليات أجنبية مهمة تغذي الحركة الاقتصادية بالمنطقة وتدر عملة صعبة مهمة. ويتوافد على هذا الشاطئ خاصة الألمان والإسكندنافيون وبعض الفرنسيين الذين يستقرون بصفة شبه دائمة وجلهم من المسنين المتقاعدين.

ويبقى الخصاص في مد الإقليم بالمحاور الطرقية التي تصل إلى الشواطئ والغابات وبعض المرتفعات التي تجلب السياح، كما أن الفنادق المتوسطة والمخيمات منعدمة تماماً.

وأمام هذه العزلة نشطت حركة الهجرة خاصة في أواسط الشباب منذ الستينات على الصعيدين الداخلي والخارجي فكانت وجهة عدد منهم إسبانيا وفرنسا. أما الباقي فكانت تستقطبه الحواضر المغربية الكبرى كأكادير والبيضاء والرباط. وبعد تحرير الأقاليم الصحراوية اتجه العديد من المهاجرين إلى الأقاليم الجنوبية كالعيون والداخلة، كما أن حركة الهجرة عرفت الطريق نحو بعض الأقطار العربية كليبيا والسعودية ودول الخليج العربي.

وزارة الداخلية، وثائق المديرية العامة للجماعات المحلية ؛ الجريدة الرسمية، رقم 4166 و4165 ؛ وزارة السكنى والتعمير، *تعداد السكان*، 1982.

محمد بلعربي

* * * - تاريخ - من الصعوبة بمكان تحديد كرونولوجية دقيقة بتاريخ تيزنيت، فما نتوفر عليه حالياً لا يعدو مجرد إشارات عابرة، أو أنها تدخل ضمن إطار التاريخ العام لمنطقة

سوس ولا يحتفظ سكانها إلا بذكريات ومعلومات غامضة.

فالاسم لم يرد في المصادر الوسيطية وكتب الرحلات، حتى الحسن الوزان لم يذكره في وصفه لحواضر وقرى سوس، ولم تصلنا أولى الإشارات إلى تيزنيت إلا في العهد السعدي (*ديوان قبائل سوس*). ومما يتضح من خلال خريطة ممتلكات إيليغ من الأراضي والعيون بمنطقة أزغار، أن تيزنيت تستأثر بالنصيب الأكبر مما هو منصوص عليه في ديوان الواجبات المذكور وذلك بمقدار 32.303 مثقال ما بين 1623 - 1659 ويبدو أن ذلك كان مرتبطاً بالهبات التقليدية التي تقدم لتازروالت أو أن أبا حسون السملالي حصل عليها بالقوة أو عن طريق المعاملات التجارية (*Maison d'Iligh*).

ويظهر من خلال شتات الإشارات والنصوص المبعثرة في المصادر والوثائق أن البلدة أصبحت تستأثر ببعض الزعامات المعارضة. ففي خضم الانقسام والاضطراب السياسي الذي شهدته منطقة سوس بعد وفاة أحمد المنصور، ظهر عبد القادر التاهرتي بتيزنيت مدعياً المهدوية (1626 - 1630). ويمدّنا عبد الرحمان التامنارتي بإفادات نستخلص منها أن الداعية كان يخطط لمشروع سياسي طموح، وأن ميدان نشاطه شمل بالأساس جنوبي البلدة نحو وادي نون (*الحركة الفكرية*، ج 1 ص 231). وخلال فترة الأزمة السياسية بعد وفاة المولى إسماعيل انبثقت زعامات محلية متمردة على المخزن، ومن أهم الحركات التي كان لها الأثر الكبير علي منطقة تيزنيت :

- حركة يزيد بن محمد المعروف بأبي دربالة (*رحلة الوافد*، 186).

- حركة محمد المكاوي، الذي تمكن من استقطاب اتباع له بين قبائل المنطقة إلا أنه أخفق في مشروعه سنة 1170 / 1756 (*الحضيكيون*، 9 ؛ *المعسول*، 14 : 25).

- وعقب وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله ثار أبو حلايس بمنطقة أيت باعمران. وكان يزعم أنه المولى اليزيد ابن محمد بن عبد الله، ليدعي بعد ذلك أنه المهدي المنتظر، وتمكن بذلك من كسب الأتباع في صفوف العامة. لذا تصدى له الشيخ محمد بن أحمد التاسكاتي في مجموعة من القبائل السهلية، متخذاً تيزنيت مركزاً للإشراف على عمليات ملاحقة الداعية. وقد تحقق القضاء عليه بقرية العوينة عام 1208 / 1793 (*نزهة الجلاس*، 31).

إن اهتمام المخزن بتيزنيت كان قديماً حيث برزت على مسرح الأحداث عدة مرات كقاعدة للحملات المخزنية التي استهدفت الجزء الجنوبي من سهل سوس. وما يبين أهمية تيزنيت أنها أختيرت كنزالة من نزائل السلطان أحمد المنصور (*ديوان قبائل سوس*). وفي نهاية القرن الحادي عشر (17 م) سجلت المصادر توقف المولى الرشيد بالمنطقة في طريقه إلى إيليغ، وكانت مناسبة حرر فيها السلطان ظهائر توقير لأولاد سيدي عبد الرحمان الخنبوبي بزاوية تيمزليت قرب تيزنيت (Justinard, 267). ويتضح من خلال ظهائر التوقير لبعض شرفاء تاضوارت، أن أحمد بن محرز، قد باشر أثناء تمرده علي المولى إسماعيل بعض مهامّ السلطة المركزية، وذلك بإقراره لظهائر التعيين وتحرير الأسر العلمية والزوايا من الكلف المخزنية. كما تبين الرسائل التي وقفنا عليها طبيعة علاقة الجهاز المخزني المرتكز بتارودانت بقبائل سوس خاصة بين محمد العالم وقبائل إيداولتيت، ويظهر من خلالها مدى هيمنة المخزن على المجال السهلي، وسعيه لتسهيل انتقال بعض المجموعات البشرية واستقرارها بأزغار، كما هو الشأن بالنسبة لإمْجّاضْ نْتْزْلّمي، إلى جانب حرصه على تلبية حاجيات القاضي أحمد بن محمد أمزوغار، بما في ذلك تحرير أملاكه بساقية تيزنيت (*وثائق الأمْزُوغَاريين*).

وتسجل الوثائق في عهد سيدي محمد بن عبد الله هيمنة القائد محمد بن أحمد الدليمي على أزغار تيزنيت. وكان للبلدة الدور المهم في ذلك، حيث استعملت كقاعدة لتوجيه واستقبال الحملات التي يرسلها القائد المذكور إلى كل من أگلو وويجّانْ والسيحل. كما مر بها المولى سليمان أثناء زيارته للجنوب المغربي سنة 1222 / 1807. وكانت مناسبة جدّد فيها ظهائر توقير واحترام لورثة سيدي عبد الرحمان الخنبوبي (*تاريخ الضعيف*، 341). وفي عهده أيضاً قام القائد محمد أغنّاج الحاحي بحملة على سوس مستهدفاً مركز إيليغ. وكانت دعامته الأساسية في ذلك قبائل أزغار من لف "تحگاگ" وتنسب إليه القصبة القديمة غرب العين الزرقاء داخل تيزنيت (Justinard, 337).

إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس ...* تح. عمر أفا، أگادير، 1987 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1983 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الضعيف*، تح. أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ ع. الزرهوني، *رحلة الوافد*، تح. علي صدقي، د.د.ع، الرباط، 1988 ؛ ع. الجشتيمي، *الحضيكيون* (مخطوط) ؛ م. الأدوزي، *نزهة الجلاس في أخبار أبي حلايس* (مخطوط) ؛ ع. المرادي، *لمحات من تاريخ سوس* (نسخة خاصة) ؛ *رسائل الامزوغاريين* ؛ *ظهائر التوقير لشرفاء تاضوارت* ؛ الأدوزي محمد بن محمد بن عبد الله، *الأجوبة الفقهية* (خزانة أزاريف) وثائق خاصة ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 2، الرباط، 1932 ؛ م. الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ ج. الوجائي، *تاريخ سوس* (مخطوط) ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب*، 1976، ج 1 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 1، 2، 4، تطوان، 1966 ؛ *المعسول*، (الأجزاء العشرون) الدار البيضاء، 1963؛ *إيليغ قديماً وحديثاً*، 1966 ؛ ع. الادوزي، *كناشة* (مخطوط) ؛ *وثائق خزانة البخاري بردميعة* ؛ الاگـراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تح. حمدي أنوش، د. د. ع. الرباط، 1989.

L. Arnaud, *Au temps des Mehalla*, Casa, 1952 ; Gatelle, *Description du Sous*, *Bulletin de la Société de Géographie*, mars-avril, 1871 ; E. Aubin, *Le Maroc d'Aujourd'hui*, Paris, 1904; G. Rehlps, *Mein erster Aufenthaltin Morokko*, Bremen, 1873 ; Renou, *Description géographique de l'empire du Maroc*, Paris, 1816 ; M. de Segonzac, *Itinéraires au Maroc, 1904 - 1905*, Paris, 1910 ; C.B. Segonzac, *Excursion au Sous...*, Paris, 1901 ; Bourguignon, *Tiznit*, *Arch. S.H.M.*, 1913 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud-ouest marocain, Bassins cotiers entre Sous et Draâ*, Paris, 1891 ; E. De Segonzac, *Voyage au Maroc 1899 - 1901*, Paris,

1903 ; H. Dugard, *La conquête du Maroc : La colonne du Sous 1917*, Paris, 1918 ; E. Gérenton, *Les expéditions de Moulay El Hassan dans le Sous 1882*, *A.F : R.C*, 1914 ; G. Guibert, *Histoire d'une ville : Tiznit*, 1979 ; L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, 1939 ; P. Ricard, *Les guides bleus : Le Maroc*, 7ème éd., 1950 ; H. Bordeaux, *Le visage du Maroc*, Paris, 1946 ; Godard, *Description et histoire du Maroc*, Paris, 1860 ; R. Basset, *Relation de Sidi Brahim de Massat*, Paris, 1882 ; J. Lafond, *Les sources du droit coutumier dans le Sous*, Agadir, 1949 ; R. Aspinion, *Contribution à l'étude du droit coutumier berbère*, 2ème éd., Casablanca, 1946 ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, Paris, 1988 ; Mouette, *Histoire des conquêtes de Moulay Archy*, Paris, 1963 ; L. Justinard, *Un petit Royaume berbère : Le Tazeroualt*, Paris, 1954 ; *Un grand chef berbère*, Casablanca, 1951 ; *Notes sur l'histoire du Sous au XIX siècles*, *Hesp.*, 1925 - 1926 ; P. Pascon et M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous al-Aqsa : la correspondance politique de la maison d'Iligh 1821- 1894*, Casablanca, 1988 ; *La Maison d'Iligh...*, Rabat, 1984 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930

أحمد بومزگر

* * وفي التاريخ المعاصر لم تكن تيزنيت قبل عام 1300 / 1882 سوى واحة كبيرة تنتظم قصباتها حول وادي توخسين الذي يخترقها. وتستوطن هذا المجال مجموعات بشرية ذات أصول مختلفة، أهمها الأربعة التالية :

- أيت امحمد : أصلهم من أيت باعمران، استقروا بالشمال الشرقي للواحة.
- إد زكري : نزحوا إليها من وادي نول، فاستوطنوا الجنوب.
- إد ضلحا : أصلهم من إداوسملال، استقروا بالجنوب الشرقي.
- إدا گفا : نزح أغلبهم من إداوباعقيل وإداوسملال، فاستوطنوا الشمال الشرقي.

وبالبلدة وافدون آخرون من إسموگن، وإسكتان، وأگلو... التحمت كل هذه المجموعات رغم تباين أصولها لتشكل ما يعرف بـ"أيت تيزنيت". ويشير الجغرافي الفرنسي جواكيم گاطيل Joachim Gatell إلى تيزنيت في مقال نشره سنة 1871 في إحدى الدوريات الباريسية على أنها مركز أكبر من أگلو، توجد فيه مياه غزيرة وفواكه مختلفة، ويقام فيه سوق أسبوعي كل يوم خميس.

إن موقع تيزنيت في أزغار وسط وحدات بشرية كبرى (أيت باعمران غرباً وإداولتيت شرقاً ووادنول جنوباً) جعلها تستقطب موجات بشرية إما غازية أو قاصدة الانتجاع أو الاتجار. وكان طبيعيا، والحالة هذه، أن يدخل أهل تيزنيت في صراع مستمر مع الوافدين من الجبال المجاورة، خاصة إداولتيت، والذين يعتبرون أزغار منتجعا لقطعانهم وجزءاً من ترابهم.

وقد يكون رغبة أيت تيزنيت في التخلص من هيمنة إداولتيت وراء تأييدهم لحملة محمد بن يحيى أغناج، خليفة أحمد بن مولود الحاحي بتاودانت، ضد إيليغ وزعيمه هاشم ابن علي سنة 1224 / 1810 م. وبعد جلاء الحاحي عن سوس الأقصى، ضرب الولتيتيون، وعلى رأسهم هاشم، حصاراً شديداً على تيزنيت (1237 / 1821). ومع أن البلدة لم تكن آنذاك محصنة إلا بسياج قصير من قصب (السوسي، *إيليغ*، ص. 241-242). فإن أهلها استطاعوا أن يردوا المهاجمين على أعقابهم، خاصة بعد أن استفادوا من مؤازرة قبائل أزغار.

لعل موقع تيزنيت كصلة وصل بين واد نول والسويرة، ورفضها لسلطة إيليغ، وتأييدها المستمر لعمال المخزن بتاروادنت، من العوامل الأساسية التي حدت بالمخزن إلى اختيارها قاعدة لسوس الأقصى. بل إن السلطان المولى الحسن برر اختيارها كمركز مخزني إلى جانب تاروادنت بكونها "محل المخزن في القديم" (*الاستقصا*، 9 : 177). وبذلك أصبحت تيزنيت - القرية، منذ زيارة السلطان لها سنة 1300 / 1882، قاعدة مخزنية لمجموع سوس الأقصى من وادي أولغاس (ماسة) إلى وادي نول، بها خليفة السلطان وكذا حامية عسكرية لتسهيل مهمة مراقبة وحماية السواحل الجنوبية من التسرب الأوروبي (محاولات ماكنزي Mackenzie وكورتيس Curtis...) وتثبيت النفوذ المخزني بتلك الأصقاع.

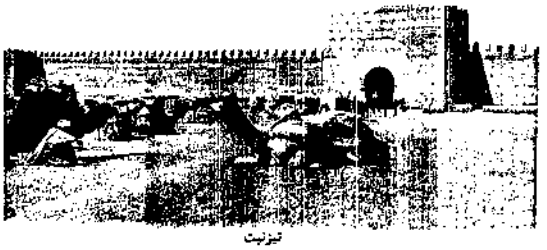

تيزنيت

أمر السلطان المولى الحسن بتسوير تيزنيت، وكلف الأمين مسعود الراشدي بالتنسيق مع أمناء السويرة قصد تمويل ومراقبة البناء. فابتدأ بناؤها عام 1301 / 1883 واستغرق سنتين ونصف. ورغم أنه لم يحط بكل مداشر تيزنيت فإنه حصن أغلبها، وقد عاب السلطان على المشرفين على البناء ضيق السور بقوله : "ضيقتم على أنفسكم السور" (*روضة الأفنان*، 11). كان ذلك أثناء حركته الثانية إلى سوس سنة 1304 / 1886 عندما عين خليفته بتيزنيت في شخص محمد بن أحمد أُحسون التيزنيتي. وقدرت ساكنة المدينة حينئذ بحوالي ألف نسمة (Erckman, p. 56).

بعد بناء تيزنيت، استقطبت يهوداً قدموا إليها من الأطلس الصغير (إفران، وجان، *تازروالت* ...) أو من مراكز أبعد مثل تاروادنت والسويرة. وشكل هؤلاء الوافدون "ملاحا" بالمدينة، فنشطوا في صياغة الفضة وبيع الأثواب، كما لعبوا دوراً تجارياً مهماً بين البلدة والسويرة التي يجلبون منها السكر والشاي والمواد المصنعة.

لما وافت المنية السلطان المولى الحسن عام 1312 / 1894 استشرت الفتن بسوس الأقصى، فقام أهله على ساق واحدة ليمحوا ما فيه رائحة قواد المخزن (*روضة الأفنان*، 19)، وقصدت القبائل تيزنيت فحاصرتها عدة مرات، ولم ينقذها من الخراب سوى سورها المنيع وما بقي بها من عسكر السلطان. ظلت المدينة في محنة حتى دخلها القائد سعيد

الگيلولي سنة 1315 / 1897 كخليفة للسلطان المولى عبد العزيز. لكنه ما لبث أن نتف القبائل جميعاً ولم يوقر أحدا فجاوز الحد في الأحكام (*روضة الأفنان*، 21) فنُحِّيَ سنة 1318 / 1900 ليعوض ببلديه أنفلوس الحاحي الذي لم تكن سيرته أفضل من سيرة سالفه. بقي بتيزنيت حتى وفاته في شعبان ـ رمضان عام 1321 / نونبر 1903.

دخلت تيزنيت ومن جديد في صراع مع القبائل المجاورة واضطر المخزن، بالرغم من انشغاله بثورة بوحمارة في الشمال، إلى إرسال حامية عسكرية يرأسها الحسين المزميزي. وإن لم تسمح هذه القوة بإخماد الفتن، فإنها على الأقل نجحت في فك الحصار عن تيزنيت وحالت دون دخول المهاجمين إليها. بعد ذلك عين القائد الحبيب باقا الفطواكي بالمدينة، غير أنه لم يتمكن من ضبط الأمن حتى داخل أسوارها، فاقتصر دوره على مراقبة دار المخزن بها. وفي 1327 / 1909، وبإيعاز من المخزن، نزل بها الشيخ ماء العينين الذي أرغمته القوات الفرنسية على مغادرة زاويته بالسمارة. وقد ساهم بنفوذه الروحي في حماية البلدة من غارات القبائل المجاورة، بل أعاد لها مكانتها السابقة فأصبحت قبلة للعلماء والتجار. وبعد وفاة الشيخ في خريف عام 1327 / 1910، استمر ابنه أحمد الهيبة على نهج والده ليتجاوز نفوذه أسوار المدينة ويشمل معظم قبائل المنطقة.

لما تمكنت فرنسا من فرض نظام "الحماية" على المغرب، التفت القبائل حول الهيبة وأعلن بتيزنيت قائداً للجهاد ضد الغزاة. ومن هذه المدينة انطلق إلى مراكش لمجابهة قوات الإحتلال، لكن سرعان ما انكسرت شوكته في سيدي بوعثمان (رمضان ـ شوال عام 1330 / شتنبر 1912). وإثر هذه الهزيمة، طرد التيزنيتيون الشيخ النعمة الذي استخلفه الهيبة عليهم. وفي نفس الوقت عين الحبيب باقا قائداً على تيزنيت للمرة الثانية لمعرفته السابقة بالمنطقة وأهلها، غير أنه توفي إثر غرق القارب الذي كان يقله في ساحل أگلو (جمادى الأولى ـ الثانية عام 1331 / ماي 1913). سرعان ما عوض الهالك بالقائد محمد بن دحان العبدي، لكن نفوذه لم يتجاوز أرباض المدينة نظراً لكون القبائل مازالت تكن التقدير لأحمد الهيبة، بل إن بعضها قد أقدم على محاصرته في تيزنيت لمدة شهرين.

كان التأييد الألماني للهيبة من العوامل التي عجلت بجعل فرنسا تسعى إلى تكثيف وجودها بتيزنيت بعد أن احتلت كلا من تارودانت وأگادير. وفي ظلال الحرب العالمية الأولى، تعزز ذلك الوجود بإرسال القائد عبد الرحمن الحاحي ـ المعروف بحاديمان ـ إلى المدينة (1335 / 1916)، يؤازره في مهمته ضابط الشؤون الأهلية القبطان جوستينار Justinard. فعملا على جمع المعلومات من المخبرين وإفشال المخططات الألمانية بالمنطقة. وفي هذا الإطار، تدخل حملة حيدة بن ميس إلى أيت باعمران سنة 1336 / 1917، لكن اندحارها أظهر للكولونيل دولاموط De La Mothe استحالة المراهنة كثيراً على القبائل وحدها لإخضاع المقاومين. فقاد دولاموط بنفسه حملة عسكرية معززة بالمجندين من قبائل حوز مراكش برئاسة قوادهم الكبار أمثال التهامي الاگلاوي والطيب الگندافي. وقد شبه دخول هذه الحملة إلى تيزنيت بدخول مُوانْيِي Moinier فاس سنة 1330.29 / 1911 نظراً لأبعادها الإستراتيجية الهامة. وكان على حملة دولاموط أن تتجه إلى من اعتبرهم الفرنسيون منشقين عن المخزن من وجّانْ وأيت باعمران، وبعد حملات عنيفة ضدهم انسحب دولاموط مخلفاً بتيزنيت الطيب الگندافي باشا للمدينة ونائباً للمخزن بسوس الأقصى.

حاول الگندافي أن يستميل أعيان القبائل المجاورة لتيزنيت، فراهن على السياسة والإغراء أكثر من القوة. لكن في رمضان ـ شوال عام 1339 / يونيو 1921، ولأنه فشل في إخماد انتفاضة أيت وادريم بأشتوكن، تمت إقالته (لأسباب صحية !) من منصبه فعوض بمولاي الزين، أخي السلطان مولاي يوسف الذي كان من قبل خليفة بمراكش. إلا أن منصب هذا الأخير كان شرفياً قبل كل شئ، فتم إسناد باشوية المركز إلى القائد أحمد بن البشير الرحماني الذي بقي في منصبه حتى وفاته سنة 1353 / 1934 فخلفه ابنه الفاطمي.

في ظل الاستعمار الفرنسي، شكلت تيزنيت مركز انطلاق ودعم لكل العمليات التي كانت تخوضها فرنسا في المناطق الجنوبية قصد استكمال سيطرتها العسكرية على مجموع التراب المغربي وإخضاع القبائل الرافضة للامتثال، كما شكلت مرصداً لمراقبة الأطماع الإسبانية في إيفني والتخوم الصحراوية. أما دورها الإقتصادي، فلم يشهد أي ازدهار، سيما وأن أسباب ذلك شبه منعدمة : ندرة الأمطار وضعف الإنتاج الفلاحي وانعدام الثروات المنجمية والبنيات الصناعية. ولذا فضل أهل تيزنيت الهجرة بحثاً عن الأرزاق، فانتشر بعضهم في ربوع البلاد المغربية، وفضل البعض الآخر الرحيل إلى الجزائر أو تونس أو البلاد الأوروبية، خاصة فرنسا. وظاهرة الهجرة هذه لفتت انتباه الملاحظين منذ العشرينات من القرن الحالي. وقد تقوت غداة الحرب العالمية الثانية عندما كانت أوروبا، وهي تعيد بناء ما لحقه الخراب، في حاجة ماسة إلى السواعد العاملة الرخيصة.

م. الإگـراري، *روضة الأفنان في وفيات الأعيان*، تح. حمدي أونوش، د. د. ع، الرباط 1989، غير منشور ؛ بيضا جامع، *سقوط أگادير تحت الاحتلال الفرنسي و"سياسة القواد الكبار"* بالمنطقة في عهد ليوطي في أعمال ندوة أگادير الكبرى (المحور التاريخي)، منشورات كلية الآداب، أگادير، 1990، ص. 155-170 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 2، 3-4، 20-12 ؛ *خلال جزولة*، ج 1-2 ؛ *إيليغ قديماً وحديثاً* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ...، ج 9.

C. Dominique. *Fiche de la tribu des Ahl Tiznit, rapport dactylographié établi à Tiznit en mars 1953*. conservé aux Archives Diplomatiques de Nantes, cote : Maroc, 415 ; H. Dugard, *La conquête du Maroc : la colonne du Sous*. Paris. 1918; J. Erckmann. *Le Maroc moderne*. Paris. 1885 ; J. Gatell. *Description du Sous. Bulletin de la Société de Géographie*. Paris.

mars - avril 1871, p. 81 - 106 ; J. Guibert, *L'histoire d'une ville : Tiznit*, Mémoire pour l'obtention du diplôme de l'Ecole des Hautes Etudes en Sciences Sociales, Paris, 1978 - 79 ; Justinard, *Un grand chef berbère : le caïd Goundafi*, Casablanca, 1951 ; G. de La Boissière, *Monographie des Ahl Tiznit*, mémoire dactylographié daté de mars 1940, conservé aux Archives Diplomatiques de Nantes, cote : Maroc, D.A.L., 426 ; A. Le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest marocain, bassins côtiers entre Sous et Draâ*, Paris, 1891 ; Malval, *Le secteur sud-ouest du front marocain, A.F. : R.C.*, août 1924, p. 245 - 254.

حمدي أنوش وجامع بيضا

تيزنيت (أيت ـ)، يحيل الاسم إلى قبيلة متميزة، تستوطن الجزء الجنوبي الغربي من سهل سوس، غير بعيد عن المحيط الأطلنتي. تحدها مرتفعات الأطلس الصغير في الجنوب والشرق، بينما تبقى جهاتها الشمالية منفتحة على سهل هشتوكة.

لا تتعدى تسمية "أيت تيزنيت" الإشارة إلى انتظام مجموعات سكانية على شكل وحدات متجانسة معمارياً حول بلدة تيزنيت. وبالرغم من جهلنا لتاريخ بداية هذا القبيل، إلا أنه يبدو مرتبطا بالعناصر الوافدة على أزغار تيزنيت من مرتفعات الأطلس الصغير والهوامش الصحراوية، والتي ضاقت بها سبل العيش تحت ضغط ظروف مختلفة كالصراعات المحلية والأزمات الطبيعية. لذا غدت جبال الأطلس الصغير، وخلال فترات زمنية طويلة، خزاناً بشرياً ومورداً رئيسياً للمنطقة، إما انتجاعاً للمراعي، وإما غزواً وامتلاكاً، وإما نزوحاً قسرياً.

وحدات أيت تيزنيت

الوحدات الكبرى	فروعها	الأصل
1 ـ تيزنيت	ـ إيداومگنون	ـ من العناصر الأولى المستقرة، ويقال إنهم من عرب بوالسباع.
	ـ إيمزكري	ـ من منطقة أبانّو بواد نون. وهم شرفاء ينتسبون إلى سليمان بن الحسن الوادنوني.
	ـ إيدضلحة	ـ لا نعرف موطنهم الأصلي.
	ـ إيداگفا	ـ إيداوگارسموكت (رسموكة) ـ إيداوبعقيل (بعقيلة)
	ـ أيت مَحمد	ـ من منطقة إيسگ بأيت باعمران. ينتسبون إلى مَحمد بن يعقوب، وهو من ذرية أحمد بن إبراهيم الايسگي دفين تارودانت.
2 ـ تاضوارت	ـ إيد سيدي المختار ـ أيت حدا ـ أيت موسى	ـ أصلهم من إيداوگارسموكت وإيداوسملال. استقروا بالمنطقة خلال القرن 11 حسب رسومهم.
3 ـ دوترگا	ـ أگادير ـ تالعينت	ـ عناصر وافدة من قبائل إيداولتيت.
4 ـ أتبان	ـ إيديورغ ـ أيت المرح	ـ تيرمسانا، إيدبحمان
5 ـ العوينة	ـ أيت تلمشت ـ أيت بنوح ـ أيت البيگ	ـ أيت باعمران، أمانوز، إيداوبعقيل، تامنارت.

تظهر هذه العلاقة جليا في انتساب عدد من الأسر داخل القبيلة إلى قرى ومداشر جبال جزولة، أو إلى عائلات تحمل نفس الألقاب، أو إلى جد مشترك تتفرع عنه وحدات عائلية (فرع واسلام، فرع أحمد بن موسى، فرع كوغرابو...) أو أنها على الأقل تحمل مجموعة من التقاليد والعادات التي تتوافق ومزاج أهل الجبل. ويمكن تلمس هذه العلاقات أيضاً من خلال أسماء الأفخاذ التي تحتفظ بأسمائها الأصلية (تاضوارت، ايداگفا، إتبان، أيت بنوح...) إن استمرار تداول هذه الأسماء يبين رغبة الجماعة التي تحملها في الحفاظ بها وربط خيوط التواصل مع أماكن نزوحها. وهذه سمة مشتركة بين القبائل السوسية. من هنا تبرز الأهمية التاريخية لتكرار نفس الأسماء في مجالات جغرافية مختلفة. وكما يتضح من خلال الجدول، فإن قبيلة "أيت تيزنيت" عبارة عن نسيج متشابك، تخفي تنوعاً كبيراً، وتتقاطع عبرها عدد كبير من الأصول المستقرة خلال الفترة التي عرف فيها أزغار تيزنيت تناثراً سكانياً كبيراً (القرن العاشر). وبعدها توسعت القبيلة لتستوعب أفواجاً من العناصر السوداء، ويهود إيليغ وإفران.

كراس حول نسب إيدزكري (مخطوط) ؛ *شجرة نسب أبناء مَحمد ابن يعقوب* (أيت مَحمد) ؛ *ظهائر توقير لشرفاء تاضوارت* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 10 : 275 . 276 ؛ *خلال جزولة*، 4 : 29.

L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIXème siècles*, in *Hesp.*, 1926, VI, p. 246.

التيزنيتي، مَحمد بن أحمد بن عبد العزيز المعروف بمَحمد واعزيز، صوفي كبير مشهور بالولاية والصلاح انتقل من قبيلة السباعيين بالصحراء، فاستقر فرع من الأسرة بقرية تيمگديشت قبل أن ينتقل إلى بلده تيزنيت في بداية القرن الثالث عشر (19 م).

تشير المصادر إلى ورعه وصلاحه، وقد مكنته مكانته الدينية من القيام بأدوار في تعامله مع المحيط القبلي الذي عاش فيه، حيث كان يتدخل لحل المشاكل بين القبائل مهتماً بإرشاد السكان وتنبيههم على ترك البدع. كما استعمل نفوذه بين أهل تيزنيت في استنفار سكان البلدة أثناء حصار هاشم التازروالتي لتيزنيت في بداية القرن الماضي. له أخبار وكرامات متداولة لدى سكان المنطقة، كما شهد له معاصروه بالتفوق. وهو من أعمدة الطريقة الناصرية بسوس.

م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*، ص، 240 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 11 . 12 ؛ *المعسول*، 12 : 93 . 94.

التيزنيتي، مَحمد بن أحمد المعروف بـ**هِمُّو** قائد من عائلة إيدَوْحْسُّونْ التي يرجع أصلها إلى منطقة إيسگ بأيت باعمران. لذلك يدعى في الوثائق المخزنية محمد

أُحْسُّونْ وعائلته من الأسر العريقة في بلدة تيزنيت من حيث الرئاسة والنفوذ المادي، ومنها إبراهيم بن أحمد بن حسون والحسين ابن أحمد، وهما من كبار نفاليس أعيان قبيلة تيزنيت ضمن فخذ أيت مَحمد.

ويبدو أن هذا النفوذ الاجتماعي هو ماحدا بالسلطان مولاي الحسن الأول أثناء رحلته الأولى إلى سوس عام 1299 / 1882، إلى تعيين مَحمد بن أحمد التيزنيتي قائداً على قبيلة أيت تيزنيت. نستطيع من خلال بعض الإشارات التي وردت في الوثائق التي تحصلت لدينا تلمس دور القائد المذكور في تعامله مع محيطه القبلي، إذ تمكن من تركيز السلطات المخزنية بالنواحي وذلك بضم عدد من القبائل التي سبق أن عين عليها السلطان قواداً محليين كما هو الشأن في أيت براييم وأولاد جرار والمعدر وأگلو، كما أوقف أطماع الحلف الآخر (تاگوزولت) في التوسع نحو المناطق المهمة بأزغار تيزنيت خاصة : العرينة، بونعمان... وهي مجالات تتعارض في إطارها مصالح القوى القبلية المجاورة (أگلو، أيت باعمران إيليغ ...) في إطار لفي : تحگات وتاگوزولت. وغالباً ما يكون الصراع حولها تحت غطاء مبررات هامشية (العيون المائية، الأراضي الزراعية، مراقبة الطرق التجارية). وهذه الاعتبارات هي التي حدت بالقائد التيزنيتي إلى التدخل غير ما مرة لحماية وتطويق أكبر قدر ممكن من المجال الترابي المحيط بتيزنيت كإجراء وقائي تحت مظلة التأييد المخزني، إذ عادة ما يتدخل السلطان لصالحه في كل مناسبة يشتكي فيها الطرف الآخر، وبسبب ذلك تحصلت لديه أملاك عقارية كثيرة في سواقي : تيزنيت، العوينة، تاگنسة، أساكا ... مما جعله في مصاف القواد الكبار بالمنطقة.

توفي سنة 1321 / 1903 وخلفه ابنه القائد مبارك.

م. الايگراري، *روضة الافنان في وفيات الاعيان*، تح. حمدي أنوش، رسالة لنيل د. د. ع، في التاريخ 1989 ص 107 ؛ م. المختار السوسي، *طاقة ريحان من روضة الافنان*، مطبعة الساحل 1984 ؛ ع. ابن زيدان، *اتحاف أعلام الناس*، ج 2، الرباط 1932.

E. Gerenton, *Les expéditions de Moulay El Hassan dans le Sous, A.F. : R.C.*, N° 4, Avril 1917, p. 273 ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIX siècles, Hesp.*, T. V, 3ème trim., 1925 ; T. IV, 4ème trim., 1926 ; P. Pascon et M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa 1821 - 1894*, Casablanca, 1988, p. 203 ; *Bulletin du Comité de l'Afrique française*, N° 3, Mars 1917 ; Bourguignon, *Tiznit*, in *S.A.M.*, 1913, p. 3.

التيزنيتي، محمد بن **عبد الرحمان** فقيه من عائلة آل گوغرابو المستقرة بتيزنيت. أخذ عن سعيد بن أحمد الكشيري المعروف بالشريف (ت 1296 / 1879) وانتدب للتعليم بالجامع الكبير بالبلدة 1275 / 1858، كما تصدر للقضاء والإفتاء مدة. كان في آخر عمره كثير الانزواء والابتعاد عن مخالطة الناس.

توفي سنة 1309 / 1891.

م. الإيگراري، *روضة الأفنان*، تح. حمدي أنوش، د. د. ع في التاريخ 1989، ص 270 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم العربي في سوس*، طنجة 1989، 131 . 151.

أحمد بومزگو

التيزنيتي، محمد بن **محمد** البعقيلي ينحدر من أسرة كبيرة من العلماء الأغرابونيين الفضلاء الذين اختار طائفة منهم النزول بمدينة تيزنيت حتى نسبوا إليها كما اتصلوا بالدولة العلوية لذلك (*رجالات*، 131) اشتهر والده محمد بن بلقاسم بحسن التقييد ونسبوا إليه كناشة في النوازل وأخرى في الجفريات باللسان الامازيغي الشلحي (*المعسول*، 11 : 121 . 122).

وبعد أن أخذ المترجم عن أحد علماء أسرته القرآن الكريم طائفة من المعلومات في الفقه والحساب زاحم الاستاذ الشهير سعيد بن الطيب الأگماري (ت. 1354 / 1935) المفتي القاضي المتميز في المنطقة حتى اضطر هذا الأخير إلى مصالحته ومهادنته.

ولعل تنقلاته مدرساً في مناطق بسوس بادية وحاضرة وتولية خطة العدالة عند قاضي تيزنيت ورحلته إلى الديار المقدسة بالإضافة إلى مزاحمته للعلاقة سعيد الأگماري آنف الذكر، مما أكسبه تجارب واطلاعاً على كثير من المفارقات وحصل بكل ذلك وبغيره على روح المرح والدعابة اشتهر بهما إلى درجة الاستفاضة بحيث لايمكن أن يفلت مُجالسه من عدوى الاستغراق في الضحك لما يتفنن فيه صاحب الترجمة في تصوير وارتجال النكت والغرائب المضحكة (*المعسول*، 11 : 122) وقد عاش غريبا إلى حينّ وفاته سنة 1345 / 1926.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 81 ؛ 121 . 122 ؛ *رجالات*، 133.

محمد البابك

تيزي، لفظ أمازيغي، يطلق على ممر طبيعي في قمة سلسلة جبلية، يكون أسهل على القوافل من غيره.

ومن أشهر هذه الأسماء : تيزي ـ نْ ـ تيشكا وتيزي ـ ن تاسْتْ بالأطلس الكبير، وتارْفاتينْ بالأطلس الصغير.

والذي يهمنا هنا هو تيزي الفاصل بين سهل أزاغار جنوب مدينة تيزنيت، وبين سهل تاگراگرا على بعد أربعين كلم على ارتفاع 580 م فوق مستوى سطح البحر، وكلما ذكرت كلمة تيزي في الجنوب المغربي، إلا وانصرف الذهن إلى معركة تيزي أو "تيزي المعركة" وفي هذا الممر دارت المعركة القاسية سنة 1335 / 1917 بين قوتين غير متكافئتين : قوة الحماية الفرنسية في الشمال، وقوة المقاومة الرافضة للاحتلال في الجنوب.

وكان قائد الحملة الفرنسية هو الجنرال دولاموط De Lamothe معززاً بجميع أنواع الأسلحة وخمسة وسبعين ألف مقاتل، وعشرين مدفعاً، وكان قائد المقاومة المغربية الباعمرانية هو القائد مَحَنْدْ بن القاضي سيدي علي الخلفي المعتمد على تحريك الهمم وإلهاب العقول بالشعور الديني والوطني، وقد استمر حصار هذه الحملة الفرنسية سبعة أيام، ولما خاف الجنرال من أن يلقى المصير الذي لقيته حملة الباشاحيْدا بن مايْس منذ ثلاثة أشهر فقط، فإنه فضل الرجوع إلى تيزنيت، فاختار ممر تيزي لتلك المعركة الفاصلة، وأعد لها عدتها. وقد لخص صاحب *المعسول* ذلك

بقوله : "فأوعزت الحكومة إلى جميع القواد الكبار من مراكش إلى الجنوب... أن يكونوا جميعاً على أهبة الزحف، كل واحد يقود رجاله، ومن وراء ذلك فيالق تبلغ عشرين ألفاً من الجند المنظم الحكومي" (*المحسول*، ج 4، ص. 206).

فإذا كان أيت باعمران ومن معهم من القبائل قد استطاعوا أن يردوا الحملة الفرنسية هذه منهزمة، فإن تلك المعركة قد حصدت المقاتلين حصدا، فقضت على الرؤساء والشجعان، وعلى رأسهم الرأس المدبر القائد محند الخلفي. وهناك مقبرة كبيرة تنسب لشهداء تلك المعركة الأولى، على أن فرنسا أعادت معركة أخرى في عين المكان بعد ذلك بسبع عشرة سنة عام 1353 / 1934، وبعد هذه المعركة الأخيرة قبل أيت باعمران المشاركة في اتفاقية ثلاثاء الأخصاص 1934 وخروج الإسبان في 6 أبريل نفس السنة من سيدي إفني.

م. المختار السوسي، *المحسول*، ج 4، ص. 206 ؛ *الثقافة الشعبية بين المحلي والوطني*، أعمال الدورة الثالثة لجمعية الجامعة الصيفية بأكادير 1988.

الحسين جهادي

تيزي ألما، فجّ طبيعي، ومرصد جهادي يقع على مشارف الجبال بين بني توزين وتافرسيت على مقربة من مركز تيزي عزا الشهير غرب مدينة الناظور بعيداً عنها بحوالي تسعين كيلومتراً.

يتميز الفجّ بتدفق المياه المنحدرة الناجمة عن ذوبان الثلوج أو النابعة من العيون. كان المجاهدون أيام عبد الكريم الخطابي يستعملون تيزي ألما في الحرب الريفية الثالثة مرصداً مساعداً نظراً لقربه من المركز الجهادي والثغر الحربي الهام تيزي عزا، ونظراً لارتفاعه وانكشافه إذ يسمح برؤية القبائل والمواقع القريبة والبعيدة سواء في تافرسيت أو بني أوليشك أو تمسمان وبني توزين.

يقول الملازم الاسباني لويس كسادو Luis Casado الضابط الوحيد الذي نجا من معركة إغريبن الشهيرة بالقرب من أنوال، في كتابه الذي يحمل اسم هذه المعركة : "وفي صباح يوم 16 يونيو 1921 شاهدنا من إغريبن وجود عسكة بتيزي ألما وأخرى بكدية سيدي إبراهيم (كدية الاشجار) وثالثة فوق مدشر أزغول، وكانت كل واحدة من هذه العسس تابعة لأحد المعسكرات التي أسسها عبد الكريم بمدشر أجدير وأُشانا وأعَنْكيسْ في حين أن المعسكر الرئيسي كان يوجد بأمزاورو حيث يوجد عبد الكريم بصفته القائد الأعلى لتلك الجيوش".

م. بن عزوز حكيم، *معركة أنوال : معارك الثورة الريفية*.
La Charrière, *Le rêve d'Abdelkrim, esquisse d'histoire marocaine* ; Benoist-Mechin, *Lyautey l'Africain*.

عبد الله عاصم

تيزي أوسلي، ممر جبلي في الريف بأعالي مجرى واد مسون ـ على ارتفاع 1330 م وعلى بعد ثمانين كلم شمال تازا. في وسط قبائل بني يونس (گزناية).

تُشكل تيزي أوسلي أهم نقطة تماسّ بين منطقتي الاحتلال سابقاً الإسباني شمالاً والفرنسي جنوباً، كما أنها تشكل إلى جانب بوريد وأكنول شمالاً وإمُوزار مرموشة جنوباً العمق الاستراتيجي بالنسبة لممر تازا. ونظراً لهذه الأهمية الاستراتيجية عرف تيزى أوسلي أحداثاً تاريخية طوال عهد الحماية إلى الاستقلال، وشكل إلى جانب المراكز الأخرى المذكورة أهم معقل من معاقل المقاومة ضد الاستعمار، وكان ذلك عبر مراحل.

المرحلة الأولى 1914 ـ 1920 : بمجرد توقيع معاهدة الحماية كان هم الإدارة الاستعمارية هو ربط الاتصال بين المغرب الشرقي والعاصمة فاس عبر ممر تازا، وفي هذا الإطار تم استنفار قوات ضخمة لاحتلال ممر تازا الذي تم يوم 10 ماي 1914. وكان على القوات الاستعمارية أن تحارب القبائل المحيطة بهذا الممر خاصة البرانس وغياته والحيابنة التي اعتصمت بالمعاقل الجبلية في أعالي واد مسون وواد اللبن وورغة، وشكلت تيزى أوسلي خلال هذه المرحلة معقلاً رئيسياً للمقاومين. وقد تكبدت جيوش الاحتلال بقيادة الجنيرال گورو Gouraud خسائر جسيمة. ولولا الإمدادات العسكرية الضخمة التي ساندته بقيادة الجنرال "بومگارتن" Baumgarten لما استطاعت الجيوش الاستعمارية السيطرة على ممر تازا مؤقتاً.

وتبتدئ المرحلة الثانية على أثر اندلاع الثورة الريفية بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي، تحول مركز تيزى أوسلي إلى قاعدة خلفية للمقاومة الريفية لمواجهة الاحتلال الإسباني. ونتيجة للانتصار الساحق الذي حققته جيوش ابن عبد الكريم في معركة أنوال سنة 1921 أصيبت الإقامة العامة الفرنسية بالذعر وسارعت قبل الشروع في المواجهة العسكرية المكشوفة ضد جيش التحرير إلى إقامة مراكز وقواعد عسكرية على امتداد مقدمة الريف ـ كما عين المارشال ليوطي يوم 13 دجنبر 1922، الجنرال "بويميرو" (Poeymireau) كقائد أعلى للعمليات العسكرية في المناطق العسكرية الثلاث : ـ فاس ومكناس وتازا. وأصبح احتلال تازا والمراكز المحيطة بها مثل تيزي أوسلي يعرف في الوثائق العسكرية الفرنسية الرسمية بعبارة : "مهمة احتلال تازا La tâche de Taza"، وتميزت هذه المرحلة بتسديد المقاومة ضربات لجيوش الاحتلال مما جعل الحكومة الفرنسية تخطط بشكل جدي للانسحاب من تازا والمراكز المحيطة بها لولا معارضة المقيم العام ليوطي الذي رأى في هذا الانسحاب خطراً محدقاً بفاس مباشرة. وجندت فرنسا جيوشاً ضخمة يقودها ضباط لامعون أمثال الجنرال جيرو Giraud والقبطان بورنازيل Bournazel. وبموازاة لهذه الإجراءات التي استهدفت وقف المقاومة المغربية، كانت حكومة بانلوفي Painlevé تتابع بقلق كبير الانتصارات التي حققها المغاربة والتي أدت إلى تحرير مناطق الاحتلال الإسباني. ولهذا سارعت إلى تعيين المارشال بيتان Pétain كمنسق عام للعمليات العسكرية بالمغرب وأمدته بحوالي

250.000 جندي ومعدات عسكرية ضخمة. وعين الجنيال نولان Naulin كقائد للعمليات العسكرية بينما احتفظ ليوطي فقط بالمهام السياسية والإدارية ـ نظراً لكونه يميل إلى الاحتلال العسكري خطوة خطوة ـ في حين أخذ الاتجاه العام يسير لفتح الحرب ضد جيوش محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وخلال هذه المرحلة من الحرب الفرنسية ضد المقاومين الريفيين تمكن المغاربة بفضل حماسهم وشجاعتهم من تحقيق عدة انتصارات على الجيوش الاستعمارية المغيرة، وتم فتح عدة جبهات ضد الاستعمار الفرنسي الذي عجز عن تحقيق انتصار مباغت مما مرغ هيبة فرنسا في التراب وعرضها للإذلال. وأصبحت وسائل الإعلام الاستعمارية تتميز بالتعتيم والتضليل وتتحدث عن المقاومين كأنهم قوة عسكرية ضخمة تماثل الجيوش الفرنسية !! وكان الهدف من ذلك كله التقليل من حجم الانتكاسة التي أصابت الجيوش الاستعمارية. والتجأت فرنسا إلى وسيلة أخرى للنيل من معنويات المقاومين الشجعان ـ إذ استعانت بالقواد والأعيان أمثال القائد المذبوح والقائد عمار داحميدو وزودتهم بالأسلحة في حين استنفر هؤلاء القبائل التي يسيطرون عليها قهراً وبذلك وحسب تعبير شارل أندري جوليان : "تكون فرنسا قد نظمت الحرب الأهلية في البلد الذي تدعي أنها جاءت لحمايته".

ففي 31 أكتوبر 1925 حاول القائد عمار داحميدو" انطلاقاً من بوريد استرجاع تيزي أوسلي الذي استولى عليه المقاومون، إلا أنه هُزم وفر بحر الهزيمة إلى بوريد وتعقبته كتائب المقاومين وتبعثرت فلول أتباعه. وانطلاقاً من تيزي أوسلي أيضاً شن المقاومون يوم 17 نونبر 1925 هجوماً كاسحا على الجيوش الاستعمارية وتعقبوا فلولها إلى أن بلغوا تازا. ومرة أخرى استعانت الإدارة الاستعمارية بالقائد المذبوح للهجوم على تيزى أوسلي ودعمت القوات الفرنسية هجومه على هذا المركز بالقصف الجوي بالإضافة إلى وابل مسترسل من النيران من مختلف الأسلحة. ومع ذلك ظل مركز تيزي أوسلي يُقاوم الاستعمار وعملاءه لمدّة شهرين إلى أن سقط في أواخر دجنبر سنة 1925. وبذلك سيطر الاستعمار على أهم مركز استراتيجي متقدم في الريف يتحكم في الطريق المؤدية إلى بوذنيب وبوريد ومنطقة وادي كرت وأصبح تيزي أوسلي يُرادف مقاومة قبائل گزناية ضد الاستعمارين الفرنسي والإسباني والتحامه بالثورة الريفية.

وبعد احتلال تيزى أوسلي تم إنشاء مركز الشؤون الأهلية به سنة 1926، على غرار مركز بوريد الذي أنشأ به الضابط بورنازيل مركز الشؤون الأهلية قبل التحاقه بثافيلالت. وقد تعاقب على تيزي أوسلي ضباط يجمعون بين الوظيفة العسكرية والوظيفة السياسية والإدارية. لهذا حولوا تيزي أوسلي بالتدريج إلى مقر حامية عسكرية يقيم فيها الگوم والمخازنية. كما تجند ضباط الشؤون الأهلية لرصد تحركات قبائل المنطقة. وتم وضع بطاقات تتضمن المعلومات المستفيضة عن كل قبيلة تسمى بطاقات القبائل *(Les fiches de tribus)* وكان الهدف من ذلك هو معرفة البنى العميقة للقبائل التي ساهمت بتقاليد التماسك والتضامن في تنظيم المقاومة ضد الاستعمار. لهذا كان الاستعمار يستهدف من هذه المعرفة استكشاف مواطن الضعف في هذا الكيان القبلي للنفاذ منه وبالتالي هدم القبيلة كوحدة مقاومة للاستعمار. وبالإضافة إلى البحث الميداني، سعى ضباط الشؤون الأهلية إلى إبراز الدور الحضاري المزعوم لفرنسا بالمغرب وتم الاهتمام ببعض الأشغال العمومية كمد الطرق والقناطر بين تيزي أوسلي والمناطق المجاورة لها كالقنطرة التي أقيمت في اتجاه مركز بوريد. وكذلك توسيع أنشطة السوق الأسبوعي وتقديم بعض الخدمات الصحية. والتحكيم في بعض النزاعات الظرفية التي تنشأ بين الفلاحين. وفي نفس الوقت ساهم ضباط الشؤون الأهلية في تدعيم سياسة الأعيان وإطلاق أيديهم لنهب القبائل وتكديس الثورات، كما فتح المجال لأبنائهم لولوج التعليم في تازا ومكناس.

وهكذا حاول الاستعمار خلال عهد الحماية تدعيم وجوده بتيزي أوسلي كغيرها من مناطق المغرب، إلا أنه لم تكد تصل سنة 1955 حتى تحول هذا الممر الجبلي الوعر من جديد إلى مركز للمقاومة من أجل استقلال المغرب. وكانت مدينة الناظور مقراً لقيادة جيش التحرير بالشمال، بحكم أن هذه المدينة كانت خاضعة للنفوذ الإسباني من جهة، ثم في ضواحيها كان ينزل السلاح من جهة ثانية، وهذه القيادة كانت تشرف على سير العمليات الحربية التي دارت رحاها بإقليم تازا وإقليم بولمان (مرموشة).

وشكّل تيزى أوسلي إلى جانب بوريد وأكنول وبركين وبوزينب وإيموزار مرموشة، أهم المراكز التي اندلعت فيها أولى عمليات جيش التحرير ضد الاستعمار الفرنسي. ففي الساعة الواحدة من صباح يوم الأحد ثاني أكتوبر سنة 1955 تم هجوم موحد على كل من تيزى أوسلي وبوريد وأكنول أي على ما يعرف بالمصطلح الحربي بمثلث الموت (Le triangle de la mort) وغنم المقاومون خلال هذه العمليات أسلحة متنوعة، كما تم إحراق مراكز الشؤون الأهلية في هذا المثلث ورغم وصول الإمدادات العسكرية الضخمة. فإن المقاومين تمكنوا من الإفلات دون خسائر كبيرة في الأرواح لكونهم كانوا يختارون من سكان المداشر المجاورة لمناطق الحرب حيث تتوفر لديهم معرفة المسالك والأدغال وغيرها من المخابئ الحربية للقضاء على العدو دون أن يصاب جانب من المقاومين بأضرار. وإلى هذا يذهب شارل أندري جوليان في كتابه *المغرب في مواجهة الأمبرياليات* (ص 460) في القول "إن القوات الفرنسية التي كانت تقوم بعملياتها العسكرية في مثلث الموت ـ أكنول، بوريد، تيزى أوسلي ـ لاتجد أبداً أمامها قوات منطقة لمجابهتها. ورغم تمكنها من السيطرة على المراكز الثلاثة المكونة لمثلث الموت فإن أكبر مهمة تعود لفرق

الهندسة التي كان عليها كل صباح إصلاح ماتم تخريبه خلال الليل، وهذا ما جعل العقيد بيلوت Billotte يصرح "بأننا أمام حرب المستنقعات في مجابهة الأشباح". وغالباً ما تقوم القوات الفرنسية بقنبلة المداشر المحيطة بمثلث الموت واعتقال الشيوخ للبحث عن مكان المقاتلين، ولكن دون جدوى.

هكذا ساهمت تيزى أوسلي بفضل صمود أبنائها في الكفاح التحرري ضد الاستعمارين الإسباني والفرنسي طيلة عهد الحماية لموقعها الإستراتيجي وشجاعة الجبليين وشدة إيمانهم.

مجلة المقاومة وجيش التحرير، الاعداد، 8 ؛ 1984 ؛ 14 ؛ 1985 ؛ 16 ؛ 1986.

C. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes : Le Memorial du Maroc*, Tome V, Rabat, 1983 ; J. Saulay, *Histoire des Goums marocains*, Tome I, Paris, 1981 : L. Voinot, *Sur les traces glorieuses des pacificateurs du Maroc*, Paris, 1939 ; J. Allard, *La guerre du Rif 1925 - 1926*, *La Koumia*, n° 94, Sept. 1984, p. 17 - 20.

عبد القادر بوراس

تيزي عَدْنيت، رابطة للجهاد ومركز للتدريس والثقافة الدينية والتربية الصوفية بقبيلة بني سعيد الريفية من بطوية الريف الشرقي، عرفنا بنشاطه الثقافي الفقيه عيسى بن محمد الراسي البطوئي، صاحب كتاب *مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح* منذ أواخر القرن العاشر ومنتصف الذي يليه (16 . 17 م). ينتمي المركز إلى فرقة أولاد الفقيه ببني سعيد، وهو كائن بجوار منبع واد رأس الدفلة (إخْفْ إغْزَارْ أ ُليلي). موطن كل فقيه يحمل كنية "الراسي"، سواء أولئك الذين ظلوا بالمركز، أو ممن اشتهر بفاس خلال تلك الفترة.

تعود نشأة هذا المركز إلى أسرة عيسى البطوئي، وإلى ما بذله هو من توطيد مكانته في مجال الثقافة الدينية، وإلى الوافدين عليه من رجال التربية الصوفية. وما نعلمه من خلال *مطلب الفوز والفلاح* أن رابطة تيزي عدنيت استمرار لرابطة أخرى مجاورة لها كانت نشيطة خلال القرن النصف الأول من القرن العاشر الهجري، مقرها وردان من قبيلة بني أ ُليشك، جارة بني سعيد. بدأت نشاطها بفضل الشيخ المتصوف الحاج يحيى الورداني الفجيجي، ففيه تكون بعض الراسيين، أمثال علي بن سالم الراسي، وأحمد ابن يحيى الراسي وعيسى بن إبراهيم اليزناسني، وكل هؤلاء درسوا على الشيخ أحمد بن عبد الله المديني البطوئي، أحد تلامذة بن غازي المكناسي، وساهموا في التدريس برابطة تيزي عدنيت.

برز مركز تيزي عدنيت حينما آوى إليه طلبة وردان واشتغلوا بالتدريس به، وزاد اشتهاره بفضل من قصده من شيوخ التربية الصوفية. ومن صنف هؤلاء الأخيرين الشيخ أحمد الفيلالي، دفين قبيلة بني بوزرة الغمارية، كان قد حل به قبل عام 996 / 1587 وظل به إلى بداية القرن الحادي عشر. وورد على المركز الشيخ أحمد بن أبي بكر بن جعفر السوسي سنة 998 / 1589 ومكث به خلال عامين. ومن مدرسيه الراسيين الأوائل الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد الراسي المتوفي عام 1039 / 1629. وهؤلاء كلهم شيوخ عيسى ابن محمد البطوئي. وفيه تعلم ودرّس الشيخ علي وارث الغساسي القلعي، المتوفى يوم الجمعة آخر صفر عام 1033 / 22 دجنبر 1623، وعلي بن سالم الراسي (ت. 1032 / 1625) وأحمد بن يحيى اليحيوي الراسي (ت. 1040 / 1630) وأحمد ابن عيسى بن الفقيه الراسي (حي 1040)، ومحمد بن صالح البقيوي. وقصد المركز آخرون من صلحاء القبيلة السعيدية، من فرقتي أمجاو وتْشُوكَتْ، ومن القبائل المجاورة، مثل بني توزين وبني أ ُوليشك وقسمان وقلعية، خاصة بعد عودة عيسى البطوئي من رحلته العلمية الطويلة إلى فاس فتلمسان، في آخر العقد الأول من القرن الحادي عشر الهجري، والاشراف على نشر طريقة شيخه محمد بن مريم المليتي التلمساني، صاحب كتاب *البستان*، والشروع في تأليف كتابه في التصوف المعنون *بمطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح*، وإلى غاية عام 1040 / 1630 كان شيخ تيزي عدنيت قائماً بدوره الديني والثقافي بالريف الشرقي.

لا تزال رابطة تيزي عدنيت على الحالة التي عاش فيها عيسى البطوئي، محتفظة بسماتها الأولى، باستثناء التوسعة التي عرفها المسجد الجامع. يتألف الأصل من غرفتين طويلتين، بابهما من خشب العرعر السميك. والظاهر أن الغرفة الأولى الغربية هي التي كانت مخصصة للصلوات الخمس وللجلسات التعليمية، بينما كانت الثانية مأوى الشيوخ الغرباء والطلبة المشارطين. ويوجد في الزاوية الشمالية الغربية قبر الفقيه عيسى بن محمد البطوئي.

عيسى البطوئي، *مطلب الفوز والفلاح*، مخطوط بالخزانة الحسنية، 1667 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين*، 454. 456 ؛ ح. الفگيگي، *عيسى بن محمد الراسي البطوئي*، دعوة الحق، عدد 250 . 251 . 252 . 253 . 256.

حسن الفگيگي

تيزي عـزا (معركة ـ)، اشتهر الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي كما اشتهرت الثورة الريفية بمعركة واحدة هي معركة إغريباً التي تعرف بمعركة أنوال، وكأنه لم تكن هناك معركة بل معارك أخرى في مستوى المعركة المذكورة، والحالة أنه خلال السنوات الخمس التي استمرت فيها الثورة الريفية التحريرية جرت عدة معارك لا تقل عن أهمية معركة إغْريباً، غير أنها ظلت مغمورة ؛ ونخص هنا بالذكر معركة تيزي عَزاً.

وتيزي عـزاً اسم ربوة تقع بقبيلة تافرسيت (إقليم الناظور) كان والد الأمير الخطابي قد أسس بها يوم 6 شوال 1338 / 23 يونيو 1920 رباطاً للجهاد عندما قرر مقاومة الزحف العسكري الإسباني نحو قبيلة بني وريـاغل، غير أن القاضي عبد الكريم ألم به مرض جعله يغادر تيزي عـزاً

ويعود إلى مدشره بأجدير حيث وافته المنية يوم 22 ذي القعدة / 7 غشت.

وفي يوم 7 ربيع الأول 1341 / 28 أكتوبر 1922 قام الجيش الإسباني باحتلال ربوة تيزي عزاً لينطلق منها إلى غزو قبيلة بني وريـاغل، وقد كلفت بهذه المهمة الخطيرة فرقة اللفيف الأجنبي برئاسة الكولونيل ميـيَان أسْطْرايْ Millan Astray الذي كان يساعده الكولونيل رافايل بالينثويلا Rafael Valenzuela.

وكان رد فعل الأمير الخطابي على ذلك أنه أمر القائد الأعلى للجيش النظامي الريفي للجبهة الشرقية القائد أحمد بوذرة بمحاصرة المركز الذي أقامه اللفيف الأجنبي بتيزي عزاً، وكان القائد المذكور مصحوبا بالقواد : عبد السلام عَجْرود ولُقْسان وعلوش المرابط العزيزي ومُوح بن عمر سلام السعيدي وموح الكندوزي وشعيب أبلى.

وقع الهجوم الأول على المركز المذكور يوم 11 ربيع الأول 1341 / 1 نوفمبر 1922، وتلاه هجوم في اليوم التالي الذي جرح أثناءه قائد الحامية الإسبانية الكولونيل ميـيان أسطراي فنقل إلى مليلية وحل محله بالمركز خليفته الكولونيل بالينثويلا.

واتضح للأمير الخطابي أن الطريقة الوحيدة للقضاء على المركز هي الحيلولة دون تمكن حاميته من التوصل بما تحتاج إليه من مؤونة وعُدة، وأن الوسيلة الوحيدة لذلك هي حفر الخنادق حول المركز ؛ واستغرقت العملية أكثر من ثلاثة أشهر حيث لم يهاجم المركز من جديد إلا يوم 24 شعبان / 11 أبريل 1923، وقد أسفر الهجوم على مقتل ضابط وخمسة عشر من الجنود الإسبانيين ؛ ثم كان هجوم يوم 21 رمضان / 7 ماي حيث قتل ضابط وثلاثة من الجنود وجرح ضابط و20 جندياً. وفي يوم 11 شوال / 27 ماي تمكن المجاهدون من حفر حزام من الخنادق بالقرب من المركز الذي هوجم في اليوم التالي فكانت النتيجة أن قتل من الإسبانيين الكومندار ريبويس Repolles وأربعة ضباط وقائدان من القواد المغاربة المرتزقة اسمهما أحمد الزرهوني وإبراهيم بن الحسن، وثمانية عشر من الجنود الإسبانيين وسبعة عشر من الجنود المغاربة المرتزقة، وقد جرح أربعة ضباط وقائد مرتزق اسمه محمد الملالي وثلاثة وثمانون من الجنود الإسبانيين.

وفي يوم 14 شوال / 30 ماي، حال المجاهدون دون تمكن قافلة التموين من الوصول إلى المركز، وكان يرأسها الكولونيل گوميث موراطو Gomez Morato، وقتل من حراس القافلة مائة وثلاثون جندياً وجرح منهم مائة وأربعة وعشرون.

وفي اليوم التالي هاجم المجاهدون المركز وقتلوا من الإسبانيين ضابط وواحد وثلاثون جندياً واثنان وأربعون من الجنود المرتزقة كما جُرح أحد عشر ضابطاً واثنان وسبعون جنديا إسبانيا وثلاثة وستون جندياً مرتزقا وذلك بالرغم من مشاركة الطيران في المعركة وإلقاء القنابل المسمومة (الكيماوية).

وأثناء الهجوم الذي تعرض له المركز يوم 16 شوال / فاتح يونيو، بلغت خسائر الإسبانيين ثلاثة وستين من القتلى وثمانين من الجرحى ؛ وكان يوم عشرين من نفس الشهر (5 يونيو) على موعد مع معركة جرت بالقرب من المركز عندما اعترض المغاربة طريق قافلة تموين كانت تحرسها كتيبة تتكون من ثلاثة آلاف جندي برئاسة الكولونيلات گوميث موراطو ورويث پورطال Ruiz Portal وفيرناندیث بيريث Fernandez Perez وسالشيدو Salcedo ومورالیس Morales يعززها الطيران ؛ وقد أسفرت المعركة التي شاركت فيها حامية تيزي عزاً عن مقتل رئيس المركز الكولونيل بالينثويلا وأربعة من الضباط ومائة وأربعين من الجنود الإسبانيين واثنين وخمسين من الجنود المرتزقة، وكان عدد الجرحى خمسة وثلاثين ضابطا وقائداً مرتزقاً اسمه محمد بن الحسن ومائة واثنين وسبعين من الجنود الإسبان وتسعة وتسعين من الجنود المرتزقة، بالإضافة إلى فقدان تسعة عشر جنديا إسبانيا لم يعثر لهم على أثر. وتقول المصادر الإسبانية إن عدد الشهداء في صفوف المجاهدين ناهز ستمائة وتقول نفس المصادر إن الجيش الإسباني خسر في المعركة من أجل المحافظة على مركز تيزي عزاً إلى يوم 5 يونيو، من القتلى : الكولونيل رئيس المركز وكومندار واحد وثمانية عشر من الضباط وقائدين مرتزقين وأربعمائة وأربعة وثمانين من الجنود الإسبان ومائتين واثني عشر من الجنود المرتزقة. وكان من الجرحى الكولونيل رئيس المركز Millan Astray وخمسة وستون من الضباط وقائدان من المرتزقة وستمائة وأربعة وخمسون جنديا إسبانيا وأربعمائة واثنان وثمانيون من الجنود المرتزقة. ومن المفقودين، أربعة وعشرون من الجنود الإسبان لم يعثر لهم على أثر، واتضح فيما بعد أن خمسة منهم فروا إلى المعسكر المغربي.

وكان لهذه الخسائر الفادحة أثر كبير على الرأي العام الإسباني حيث بدأت الصحافة الإسبانية تطالب بإيقاف الحرب، الشيء الذي جعل الحكومة الإسبانية تقوم بإعفاء الحاكم العام لناحية مليلية الجنرال پيدرو ڤيڤيس Pedro Vives وتعيين خلف له الجنرال خوليو إشاگوي Julio Echagüe الذي حشد جميع قواته بالناحية ودفع بها إلى تيزي عزاً لرفع الحصار المضروب على المركز، وتمكنت تلك القوات من فك الحصار لأن عددها كان يناهز ثلاثة عشر ألفاً من الجنود.

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*.

Martinez Campos, *España belica*, 273, 277, 281, 294 - 97, 371 ; Comision historica, 118.

محمد ابن عزوز حكيم

تيزي - ن - تالغمت ← تالغمت

تيزي - نْ - تلْوَاتْ، أو ثنية الاگلاوي، عبارة عن ممر هام يخترق الأطلس الكبير الغربي في اتجاه واحات درعة ودادس وتدغة انطلاقاً من الحوز ومراكش. ولهذا يحتل ممر تلوات أو تِيزي - نْ - تَلْوَاتْ وضعية مهمة بين درعة

ودادس وتدغة وتافيلالت في الجنوب والجنوب الشرقي، وبين الحوز ودمنات في الشمال والشمال الشرقي.

تعتبر تيزي ـ نْ ـ تَلْوَاتْ من الممرات التاريخية الهامة، ذكرها البكري في *المسالك والممالك*، وقال إن هسكورة كانوا يراقبون الطريق بين سجلماسة وأغمات لوقوعهم على طول مسافة أربعة أيام بين ورزازات وزركطن عبر ممر تلوات، ويقال إن عقبة بن نافع مرّ بها عند رجوعه إلى أغمات ليتابع طريقه إلى سوس.

وبصفة عامة كانت تيزي نْ تَلْوَاتْ من الممرات التجارية الإستراتيجية التي لا بد للسلطة المحلية من التحكم فيها. وقد جاء أن "عامر" أمير هنتاتة كان يتحكم في الممرات المؤدية إلى درعة ودادس وأمكنه ذلك من السيطرة المطلقة على الأطلس الكبير فكان بذلك في مركز قوة لمعارضة أو مساندة الوزراء المرينيين.

وقد مر السلطان المولى إسماعيل سنة 1090 / 1679 عبر تيزي نْ تَلْوَاتْ وهو قادم في حركة من تافيلالت وتعرضت جيوشه لعاصفة ثلجية أثناء هذا المرور، الشيء الذي جعل "أمغار اگلاوة" بتلوات يقدم المساعدات والإغاثة للحركة المخزنية. وقد تكررت مثل هذه الواقعة أثناء مرور جيوش الحسن الأول الذي كان بدوره على رأس حركة سنة 1311 / 1894، فقدم له شيخ اگلاوة المدني الاگلاوي المساعدات الضرورية مما جعل السلطان يزوده بالأسلحة ويعيّنه خليفة للمخزن على تافيلالت ودادس ودرعة وتدغة.

وهكذا اجتاز بمر تلوات بعض الرحالين الذين زاروا المغرب في إطار التمهيد للاحتلال والقيام بالجاسوسية، ومن هؤلاء شارل دوفوكو الذي تحدث في رحلته عن تلوات وممرها وكذلك الماركيزْ دي سِكُونزَاك الذي ألف كتاباً سماه في *قلب الأطلس*.

وبصفة عامة كانت تيزي نْ تلْوَاتْ المسلك التقليدي للقوافل التجارية من ورزازات وتدغة نحو مراكش وبين الحوز ودرعة. وقد سعت الدول التي توالت على حكم المغرب إلى الاستفادة من هذه الوضعية بفرض رسوم على نشاط القوافل وكذلك إحكام السيطرة على القبائل بأسر عدد منها لإخضاعها لطاعة المخزن. ومن ذلك على سبيل المثال ما وقع لأهل تدغة، وهي قبائل ترتبط بممر تلوات للقيام بنشاطها التجاري بين تدغة ومراكش من جهة ودمنات من جهة أخرى عن طريق ممر فدغات. وقد حدث أن اقتصر تجار تدغة في تجارتهم على مراكش فقط خاصة لما تولى القائد الجيلالي الدمناتي بتفويض من السلطان أمر تلك القبائل التدغية. ولم يعد تجار هذه القبائل يستطيعون وضع أقدامهم في دمنات خشية أن يؤخذوا رهائن حتى يتعهد إخوانهم بالولاء لممثل المخزن بهذه المدينة فأخذوا يفضلون صرف تجارتهم إلى مراكش عن طريق ثنية الاگلاوي بعد أن كانوا يتخذون سبيلهم إلى دمنات عن طريق ممر فدغات، وقد استغلت أسرة الاگلاوي ممر تلوات بإحداث سوق جديدة هي سوق أنزال في طريق القوافل.

ورغم أن المخزن ـ كما جاء في رسالة الحسن الأول إلى محتسب مراكش عبد الله البوكيلي المؤرخة بعاشر ربيع الأول عام 1306 / 14 نونبر 1888 ـ حاول إبطال هذا السوق لأنه يحول دون وصول بضائع درعة إلى مراكش، إلا أن سوق أنزال ظل محتفظاً بدوره مع السماح للأمناء منذ 1310 / 1892 بالقيام بدورهم، وقد اشترى الاگلاوي منهم منفعته السنوية باثنين وثلاثين ألف مثقال.

هكذا نلاحظ أن تيزي ن تلوات قامت بعدة وظائف ولعبت أدواراً سياسية واقتصادية وظلت معبراً أساسياً للقوافل نحو الواحات وبلاد الفائجة انطلاقاً من الحوز ومراكش. ولهذا قامت سلطات الاحتلال لتعزيز هذا الدور بإقامة مركز للشؤون الأهلية بتلوات منذ سنة 1927 فاتخذ كقاعدة عسكرية للتوغل في إقليم ورزازات، كما تم شق الطريق إلى درعة وورزازات انطلاقاً من تيزي ن تلوات محاذية لها عبر تيزي نْ تيشْكا.

أحمد التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، إينولتان*، الرباط 1983، ص. 53.

P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, Tome I, Rabat 1977 ; J.et J. Tharaud, *Marrakech ou les seigneurs de l'Atlas*, Rabat, 1953 ; J. Brignon [et al...], *Histoire du Maroc*, p. 167.

عبد القادر بوراس

تيزي ـ نْ ـ تيشكا أو توشكا، ممر ومراع جبلية عالية بالأطلس الكبير الغربي، بها عشب يعرف بأمشكي (م. أوجامع) ويشتهر من بينها مكانان هما : تيزي ن تيشكا وهي فج مرتفع (2.260 م) يقع على الطريق الرئيسية رقم 32 بين مراكش وورزازات يتكون من سطيح مستو بمنطقة ضعف بنيوي عند ملتقى سحنتين من الشيست، الأولى بالجهة الشرقية تنتمي إلى الزمن الأول والثانية بالغرب ترجع إلى ما قبل الكامبري. ويحيط به من الجهتين قمم عالية من صخور اندفاعية صلبة. ويتكون المرعى من شريحة طولية ضيقة تجري بها عين تنبت أعشابا رطبة وبها مراع جافة على المنحدرات المحيطة بها، يقطعها الطريق الرئيسي على طولها حوالي أربعة كيلومترات تغطيها الثلوج لعدة أسابيع أو أشهر شتاء. وفي الصيف تنبت بها أعشاب جيدة مما جعل منها مرعى غنيا تحرص القبائل المجاورة على المحافظة على حقوقها للرعي به، وهي أيت الربع وأهل تلوات وأهل أگلموس وكلهم من مجموعة اگلاوة، وأهل تيديلي من أيت واوزگيت. يبدأ بها موسم الرعي في منتصف مايو وينتهي في أكتوبر بناء على أعراف متوارثة. ومرعى تيزي ن تيشكا ليست به أشجار ولا سكن دائم وإنما بعض العزبان في السفوح الدنيا، ولأهميته كمرحلة على الطريق وجمال مناظره ظهرت به منشآت سياحية وهي مقهى ومأوى بجانب خميلة من الأشجار المغروسة بجانب الطريق عند مدخل المرعى من جهة مراكش وهي منشأة قديمة بقيت من عهد الاستعمار، ويقع عند مدخله من جهة ورزازات معرض مرتجل للحجارة والصخور التجميلية تحول في منتصف الثمانينات إلى مجموعة دكاكين وبازارات تبيع الصخور

والتحف والمصنوعات التقليدية وحاجيات أخرى يطلبها المسافرون والسواح خاصة، كما بنيت مقاه ومطاعم، إذ تحول المكان إلى استراحة للسواح يلقون منها نظرة على المنحدرات الجنوبية للأطلس الكبير من أعلى مكان بفج تيشكا.

تيشكا (هضبة ـ)، هي مرعى جبلي واسع يوجد بجماعة امْزُوزيتْ دائرة أمزميز بإقليم مراكش، يتكون من كتلة مسطحة من الكرانيت، تتخلله بقع من الكرانيتوديوريت والماگماتيت، يتراوح ارتفاعها بين 2.100 و2.900 م، وتتناقص هذه المسطحات والمحدبات بعنف مع الأودية السفلى ذات السفوح العنيفة والصخور المسننة والأعراف الحادة يحيط بها هالة من القمم المتكونة من صخور صلبة ومتحولة : كوارتزيت وشيست ترجع للزمن الأول أهمها رأس مولاي علي 3.349 وجبل أوليم 3.043 م وتاگونست 3.095 م. تعتبر هذه الهضبة برج ماء طبيعي ينبع منها ومن القمم المحيطة بها المجاري العليا لوديان نفيس وسكساوة والمالح وأسيف المال وسوس. ويتكون المرعى من محدبات ومتون تمر بينها جداول تكون منابع واد نفيس، ينبت بجوانبها عشب طري يتكون مرجا أگدال ويعرف هنا بأزمور. تغطيها الثلوج شتاء من نونبر إلى مارس.

ومن الصعب تحديد كمية التساقطات السنوية لانعدام مرصد بها. وللمقارنة نشير إلى أن معدل تساقطات تيزي نْ تاسْتْ القريبة منها والواقعة على علو 2.100 م هو 384 ملم. ويمنع الرعي بها ابتداء من 10 مارس لحماية العشب حتى يكتمل نموه إلى منتصف يوليوز فيصعد الرعاة وبعض الأسر ويقيمون احتفالات افتتاح موسم الرعي، ويفتتح الموسم برعي الأبقار والدواب أولا ثم الماعز والأغنام.

وقد أثارت حقوق الرعي نزاعات تاريخية، وأهم القبائل التي تمتلك حقوق الرعي اليوم هي سكساوة بالسفوح الشمالية والغربية وگندافة بالسفوح الشرقية وإيگوگا بالسفوح الجنوبية، ولكل مجموعة قروية عزبانها التي تنتشر فوق المنحدرات وتسمى أداغاسْ إذا كان البناء قارا أو أسْگنْ إذا كان حظيرة بسيطة أو حائطاً للمواشي والرعاة، وتحتضن العزبان عادة حضيرة وغرفة صغيرة مسقوفة بالقش والتراب لمبيت الرعاة وطهي الطعام، وكل المباني هشة لا تحمي من البرد، يتجمع في ساحتها سماد المواشي، يقيم بها غالبا الرعاة، ولكن هناك قرى يأتي معظم أفرادها إلى المرعى للاصطياف واستهلاك حليب المواشي. وتتجمع معظم العزبان في مرج أزمو گنسيف على علو 2.600 ـ 2.700 م حيث تكثر الترشحات والعشب الندي الذي يزدان بأزهار صفراء في فصل ربيع متأخر : مايو ـ يونيه. وهو ملكية قروية لا ترعى فيه سوى الأبقار وبعض الأغنام لأن العشب الرطب يضر الماعز. وينمو بالمنحدرات أعشاب حولية ونباتات شوكية دائمة مكورة لمواجهة قساوة الشتاء الطويل تكون طبقة الأعشاب الألبية، وهي مرعى للماعز والأغنام مشاعة لجميع القبائل التي تمتلك عزبانها بالهضبة. ولا يوجد بهضبة تيشكا سكن دائم ولا زراعة لارتفاعها وقساوة برودتها، وأقرب التجمعات السكنية إليها هي قرى أغبار بوادي نفيس الأعلى وقرى تيگوگا بأعلى واد تلگجونت، رافد واد سوس بالسفوح الجنوبية حيث يعقد أقرب سوق أسبوعي إليها يوم الاثنين في مكان على علو 1.840 م وتصله بعض الشاحنات يوم السوق.

بحث ميداني ؛ تحليل خرائط طبوغرافية وجيولوجية ؛ معلومات من الأستاذ محمد الإدريقي، باحث بيولوجي.

J. Berque, *Structures sociales du Haut Atlas - Seksawa*, Paris, 1955.

أحمد هوزالي

تيزيران، جبل كان يعرف في القديم بجبل الكواكب حسب الشريف الإدريسي (ص. 110)، في حين أن البكري قبله يذكره باسمه الحالي (ص. 210). يقع هذا الجبل بقبيلة بني خالد الغمارية وبه توجد منابع وادي أمشار ويبلغ ارتفاعه 2.101 متر فوق سطح البحر، وبه اعتصم الثائر سبع بن منغفاد عندما ثار على السلطان يوسف بن عبد المومن سنة 561 / 1166.

يذهب الأستاذ بنعبد الله في معلمته (ص. 167) إلى أن اسم تيزيران قد يكون محرفا عن تزاران أي جبل المنظر الجميل.

أ. البكري، *المغرب*، 210 ؛ م. الشريف الإدريسي، *النزهة*، 110 ؛ م. الوزان الفاسي، *وصف افريقيا* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2 ص. 132 ؛ ع. بنعبد الله، *المعلمة*، 158، 165، 167.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografía de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 28 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografía de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 69.

محمد ابن عزوز حكيم

تيزيمي، منطقة محيطة بجبل أرفود الذي قال عنه البكري إنه جبل موت لاعمارة حوله، فيه حمة ويبعد عن مدينة سجلماسة بمرحلة جهة الشمال (*المغرب*، ص 147). معدل الحرارة بها في أغلب فصول السنة 21,7°، وتتجاوز في فصل الصيف 40، يحدها شرقاً وادي زيز وغرباً وادي غريس وشمالاً منطقة الرتب وجنوباً تافيلالت بالمعنى المحلي للكلمة أي الواحات المحيطة بالريصاني. ولا نعرف معنى لهذه التسمية. لكن سكان هذه المنطقة مازالوا يتداولون حتى اليوم أن معناها التربة المالحة أي السبخة. وإذا كان مدلول هذا الاسم يحتاج إلى عارف بالاشتقاقات في اللغة الأمازيغية لتأكيد هذا المعنى أو نفيه فإن التفسير المحلي لمعنى تسمية هذه المنطقة يجد مبرره في ملوحة التربة والمياه بها كما جاء في المصادر الجغرافية القديمة (*المغرب*، 148، الكتبي من خلال، E. Fagnan, p. 54، العمري 140).

أكدت الدراسات البيدولوجية الحديثة أن نسيج التربة بتيزيمي يتكون من الطمي المتراكم عبر فيضانات وادي زيز والرمل الذي تنقله الزوابع الغبارية. والتربة في غالب الأحيان ذات لون رمادي مفتوح، لكن كلما كثر الصلصال بها صار لونها أحمر (Office Agricole de Tafilalt, p. 19).

ولأن أغلب أراضي هذه المنطقة سبخة كما هو الشأن بالنسبة لأغلب مناطق تافيلالت (البكري، 148) فإنه غالباً ما تطفو الملوحة على سطح التربة مشكلة فرشة بيضاء يطلق عليها المحليون اسم البَخْبَاخْ.

ولا تنفصل ملوحة التربة بهذه المنطقة عن ملوحة مياهها الجوفية التي تنقسم إلى قسمين : مياه قريبة من سطح الأرض يتراوح عمقها ما بين أربعة وثمانية أمتار وهي التي يتم استغلالها بواسطة التقنيات العتيقة كأعزور والناعورة، وأخرى على عمق كبير تتوفر على احتياطي مائي مهم لكن استغلالها يتطلب تقنيات متطورة. وطبيعة الماء في الفرشتين المائيتين معا يمتاز بالملوحة لملامسته طبقات جيولوجية تكثر بها مادة الملح (*Problème de l'eau au Tizimi, 238*) وهذا ما يبرز قول البكري في معرض حديثه عن سجلماسة "وماؤها زعاق وكذلك جميع ما ينبط بها" (البكري، 148). وتتراوح نسبة الملوحة في المياه الجوفية بتيزيمي ما بين 0.8 و5 غرام في اللتر، غير أن أغلب الآبار التي يتم استعمالها يبلغ تركز الملح بها 4 غرامات في اللتر وتزيد هذه النسبة قليلاً في الآبار الموجودة بالشمال الغربي (C.P. Jouannet, J. Masgat, *L'Habitat*, p. 54 ; *Le Tafilalet*, p. 29). كما تضم هذه المياه مواد أخرى تزيد في رداءتها كالكلور والصوديوم اللذين تتراوح نسبتهما ما بين 700 و900 مليغرام في اللتر (J. Masgat, *L'alimentation en eau*, p. 21) ولا وجود للمياه العذبة بمنطقة تيزيمي باستثناء مصدر مائي وحيد هو عين المشارفة في مجرى وادي زيز التي يبلغ صبيبها عشر لترات في الثانية (*Le Tafilalet*, p. 12).

اعتمدت تيزيمي في نشاطها الزراعي على مياه وادي زيز التي يتم تحويل اتجاهها بواسطة السواقي انطلاقاً من سد البروج شمال المعاضيد والذي تتراوح قدرة تحويله للمياه ما بين 10 و15 م^3 في الثانية. كما تعتمد على مياه الآبار التي تنبط لاستغلال الفرشة المائية الجوفية القريبة من سطح الأرض وعددها اليوم حوالي 180 بئر. أما الخطارات فلا وجود لها بهذه المنطقة لاستواء سطح الأرض وانبساطه ويقتصر ما هو مستغل منها بمنطقة تافيلالت على الجرف والسيفة (J. C. Fortin, *La Nappe phréatique*, p. 112 - 113 ; C.P. Jouannet, p. 9).

لم يكن لتيزيمي دور هام في المجال الزراعي وقت ازدهار مدينة سجلماسة (البكري، 147) لكنه ابتداء من القرن الثامن (14 م) أصبح لهذه المنطقة مكانة بارزة في هذا المجال، ومرد ذلك إلى استقرار عرب أولاد حسين بها واتخاذ زعمائهم لها مقراً لإقامتهم كما هو الحال بالنسبة لأولاد خالد بن جرمون الذين ينتسب إليهم علي بن غانم زعيم أولاد حسين أيام السلطان أبي الحسن المريني وابنه يوسف الذي آلت إليه الزعامة بعد أبناء عمه في النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) (*العبر*، 6 : 87 و7 : 475).

إن إرتباط ازدهار تيزيمي باستقرار أولاد حسين بها لاينفصل عن صراعهم مع أبناء عمومتهم من عرب المنبات والعمارنة أسياد سجلماسة وضواحيها، لأن تحكم أولاد حسين في مجالات تيزيمي حرم سجلماسة من الاستفادة من مياه وادي زيز بصفة منتظمة بعد تحويل هاته المياه نحو أرضهم الجديدة التي بنوا بها قصوراً تحمل أسماء بطونهم أو أسماء زعمائهم كما هو الحال بالنسبة لقصر أولاد غانم. لذلك لم يكن من قبيل الصدفة ما عرفته سجلماسة من تراجع في إنتاج الحبوب خاصة القمح في القرن الثامن (14 م) بحجة إغفال المصادر الجغرافية ذكر هذا الإنتاج الزراعي رغم ما اشتهرت به المنطقة من فائض في إنتاجه (البكري، 148 ؛ الإدريسي، 38) واقتصار حديثها على إنتاج التمور فقط (ابن بطوطة، *الرحلة*، 773 ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، 180 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، 5 : 164، العمري 1409).

إن الذي يؤكد استفادة تيزيمي في المجال الزراعي على حساب المناطق الواقعة إلى الجنوب منها في القرن الثامن (14 م) على وجه الخصوص هو التراجع الذي عرفته سجلماسة خلال هذه الفترة بسبب صراع بطون عرب معقل فيما بينهم خاصة صراع أولاد حسين مع الأحلاف، وهو ما أثر على الحياة الفلاحية والتجارية بالمنطقة. غير أنه بالنظر لما كان لعرب أولاد حسين من نفوذ وقوة على الصعيد المحلي وعلى صعيد المغرب ككل خلال هذه الفترة فإن الاستفادة من مياه وادي زيز ـ مع إيلاء الاعتبار لما للماء من دور حيوي في المجال الواحي ـ كانت من نصيب أراضيهم بتيزيمي دون أراضي أبناء عمومتهم الأحلاف في سجلماسة بحكم موقع موطنهم في العالية بالنسبة للمجال وبحكم ما تمتعوا به من جاه وظهور على سائر بطون عصبيتهم من ذوي منصور (سجلماسة، 269 ـ 285).

أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن بطوطة، *رحلة*، بيروت، 1975 ؛ ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، المحمدية، 1976 ؛ القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج 5، القاهرة، 1915 ؛ *مسالك الأبصار*، الدار البيضاء، 1988 ؛ ش. الإدريسي، *إفريقيا الشمالية*، الجزائر، 1957 ؛ ح. حافظي، *سجلماسة وأقليمها في القرن الثامن (14 م)*، مرقون، فاس 1989.

J. Margat, *Données sur l'habitat au Tafilalet condition à l'étude démographique des palmeraies du sud marocain*, *N. M.*, N° 11 - 12, 1959 ; *L'alimentation en eau potable des populations de la plaine du Tafilalet*, *N.M.*, N° 13, 1960 ; J.C. Fortin, *La nappe phréatique salée du Tafilalet, son contrôle pour le développement de la mise en valeur*, *R.H.T.E.*, N° 7, 1973 ; L. Cloniond, *Les problèmes de l'eau au Tizimi et au Tafilalet*, *B.E.M.*, Vol. 6, N°17, 1937 ; R. Fauve, *Le Tafilalet étude d'un secteur traditionnel d'irigation*, Paris, 1968 ; C.P. Jouannet, *Note sur les conditions actuelles de la vie au Tafilalet*, *B.E.M.*, N° 23, 1939 ; Office Agricole du Tafilalet, *Etude de la salure ses sols*, Juin, 1980.

حسن حافظي علوي

تيزيْمي، باب وقصبة في مدينة مكناس. شيد السلطان المولى إسماعيل باب تيزيمي قريباً من مكان باب دردورة الذي تحدث عنه ابن غازي في *الروض الهتون*، ضمن التعديلات الكبيرة التي شملت أطراف المدينة المرابطية

والموحدية في عهد هذا السلطان. وسمي هذا الباب باسم تيزيمي الصغيرة تمييزا له عن تيزيمي الكبيرة، القصبة الشهيرة الكثيرة السكان الكائنة داخل باب البراذعيين". ويقع باب تيزيمي في الجانب الشمالي من المدينة خلافا لما جاء عند عبد الرحمن ابن زيدان، ويصل قصبة تيزيمي في المدينة القديمة بحمرية، خاصة بمنطقة كرأس إغيل" عبر قنطرة دردورة، و"تنفتح دفتاه بين قوسين يسترهما سقف أعلاه غرفة معدة للقائم بحراسته".

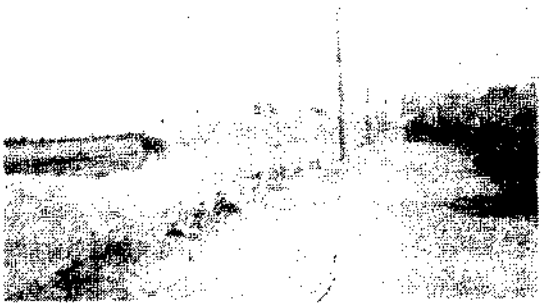

وحسب الوثائق الحبسية الخاصة بالعهد الإسماعيلي فإن هذا الباب ظل ينعت كذلك بـ"باب دردورة".

حوالة المساجد الصغار بمكناس (رقم 4)، نظارة أحباس مكناس، ص. 217 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون*، تح. عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، (الطبعة الثانية)، الرباط، 1408 / 1988، ص. 31 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس*، الجزء الأول، مطابع "ابديال" (الطبعة الثانية)، الدار البيضاء، 1410 / 1990، ص. 57، 158، 225، 227.

رقية بلمقدم

* * أما قصبة تيزيمي، فأسسها السلطان المولى إسماعيل (1672 - 1727) ضمن قصبات أُخر، ويرجع أصل هذه التسمية إلى قبيلة أُخرج أهلها من سلجماسة، وأسكنوا في الموضع الذي أصبح يحمل اسمهم، وكان هذا الموضع قبل استقرار أهل تيزيمي به دار عمل الفخارين الذين أخرجوا منه، واستوطنوا بالضفة الشرقية لوادي بوفكران، ومازال المكان الذي استقر فيه هؤلاء الفخارون يحمل نفس الاسم قرب المنظر الجميل حالياً.

وقد وطن عبد الرحمان بن زيدان (*الإتحاف*، ج 1 ص. 170) قصبة تيزيمي أثناء حديثه عن باقي القصبات، بقوله : "... ومنها القصبة المعروفة بتيزيمي الكبير خارج باب البراذعيين القديمة التي موقعها الآن على يسار الداخل لباب البراذعيين الجديد، وهو الذي يعنون عنه بهذا الاسم الآن فالجدار الذاهب عن اليسار المذكور من الباب الجديد المذكور إلى الباب القديم أمامه هو لقصبة تيزيمي الكبرى المذكورة، والباب الذي عن يسار الداخل للباب القديم المذكور هو لها..".

وهكذا، تقع قصبة تيزيمي، متصلة بباب البراذعيين الجديدة - وهي من بناء المولى إسماعيل - التي يخرج منها لضريح عبد الله بن حمد، حيث توجد قبور الشهداء. وقصبة تيزيمي، تنقسم إلى قسمين : تيزيمي الكبيرة وهي الواردة في النص أعلاه، الشهيرة والمعروفة بكثرة سكانها وهي واقعة يسار الداخل من باب البراذعيين الجديدة.

وتيزيمي الصغيرة التي يوجد بها الباب المنسوب للقصبة - باب تيزيمي - الذي بني على أنقاض باب دردورة المتهدم، ويقع بالشمال الشرقي لمكناس، بنيت فوقه غرفة معدة للقائم بحراسته، وأمامه سقاية السبيل المعروفة بسقاية الذهب التي لم يبق لها أثر يذكر، وكانت قرب المكان المعروف بالرهيبات في عهد الحماية. وقد بنيت بقصبة تيزيمي سقايات عديدة في عهد المولى إسماعيل، وأصابها الخراب بعده، إلى أن جُدد بناؤها في بداية عهد الحماية الفرنسية، أيام السلطان مولاي يوسف، وهكذا تم إصلاح سقاية حمادشة في تيزيمي الصغيرة، وسقاية أخرى في تيزيمي الكبيرة، وقد فتح بهذه الأخيرة في نهاية العشرينات من هذا القرن، باب لدخول البقر منه عند عودته من المسارح. واعتبر عبد الرحمان بن زيدان (*الإتحاف*، ج 1 ص 114)، تيزيمي الكبيرة وتيزيمي الصغيرة من الحومات التسع والعشرين المهمة في مكناس خلال الثلاثينات. ومن بين الشخصيات المرموقة في المدينة التي سكنت في قصبة تيزيمي الكبيرة الباشا بنعيسى البخاري.

تغيرت حاليا المعالم العمرانية لهذه القصبة المطلة على واد بوفكران المار بحارة تاورا، وشوهت معالمها الأثرية، بما أحدث بها من تغييرات، سواء ما أقيم بها من بنايات، أو ما هدم منها من أسوار ودور،

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1929.

بوشتى بوعسرية

تيستا، شارل Ch. Testa، كان قبل سنة 1303 / 1885 الترجمان الأول بسفارة ألمانيا بإسطنبول، حيث قضى مدة اكتسب فيها خبرة واسعة بشؤون الشرق والإسلام، وكان له طموح كبير واتسم بلباقة وعرف بنشاطه وإخلاصه لبلاده. ولما أحيل تيودور فيمبير على المعاش في منتصف سنة 1303 / 1885 عين تيستا سفيرا بطنجة عوضاً عنه، فاستعمل همته في حث الحكومة المغربية على ربط علاقات مع الدولة العثمانية. غير أنه تجاوز الحد المخطط له، حتى بلغت أخبار اتصالاته إلى علم الدولة المنافسة لألمانيا وهي فرنسا. فارتأت حكومته إقالته، بل ربما كان هو الذي استعفى في 18 مارس 1887 "فأعفته دولته لما ألمَّ به" على حد تعبير السلطان. ولما أقيل رجع إلى تركيا لممارسة عمله الأول، وعين خلفاً له بطنجة البارون طراڤرس Travers بوصفه مكلفاً بالأشغال، في انتظار تعيين طاطنباج Christian Graaf von Tattenbach سنة 1306 / 1888.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 1 ص. 130 و142 وج. 2 ص. 449 و450 ؛ *الوثائق الملكية* ؛ *وثائق مكتبة تطوان*.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. IV, p. 177.

مصطفى بوشعراء

تيسّة، اسم يطلق على المركز الحضري الذي يوجد بالمنطقة الوسطى لتلال مقدمة الريف، شمال شرق مدينة فاس. كما تطلق هذه التسمية على الجبال المحيطة بهذا المركز، أي على ما يسمى بمنخفض تيسة. يقع هذا المركز شرق الطريق الثانوية رقم 302 الرابطة بين فاس وتاونات على الطريق الثانوية رقم 318 المؤدية إلى كل من رأس الواد ومطماطة، على بعد خمسة كيلومترات من ملتقى الطريقين.

يوجد موضع المركز الحضري في قلب المنخفض المذكور على الضفة اليمنى لواد اللبن، يتخذ شكلاً طولياً ويمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. وتعتبر تيسة من المراكز الحضرية الحديثة النشأة مع بداية الاستعمار بالمغرب. وقد عرفت في السنين الأخيرة توسعاً كبيراً مثل باقي المراكز كعين عائشة، قرية ابا محمد وجرف الملحة وأسجن وعرياوة، وكلها مراكز توجد في الجنوب الريفي.

من الأكيد أن تيسة كلمة بربرية تطلق على المنبسط العالي وعلى عملية السقي أو الشرب. فالعناصر الدالة على هذين المعنيين متوفرة بمنخفض تيسة. فبالنسبة للمنبسطات الموجودة أساساً بالمجال الذي يحتله مركز تيسة، ترتبط في تكوينها بتوضعات واد اللبن خلال فترات الزمن الجيولوجي الرابع. أما بالنسبة للموارد المائية فمصدرها الأساسي هو الواد السابق الذكر الذي يتزود منه السكان لسد حاجياتهم ولتوريد مواشيهم ودوابهم ؛ كما تستعمل مياهه لسقي الأراضي الفلاحية القريبة من مجراه.

ونشير إلى أن الأصل البربري لكلمة تيسة لايشكل مفارقة باعتبار أن سكان المنطقة يتكلمون حالياً اللغة العربية. فالحقائق التاريخية توضح بأن قبائل "الحياينة" ذات أصول بربرية لأن المنطقة عرفت توافد السكان من صنهاجة في الشمال ومن سوس وتادلا.

يتكون مجال منخفض تيسة من الناحية الطبيعية من ثلاث وحدات طبوغرافية متميزة (انظر خريطة موقع وموضع تيسة).

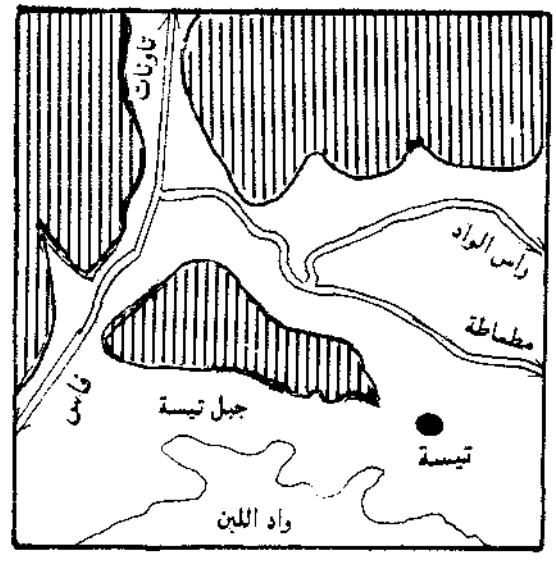

1 ـ السهل الفيضي : هو المجال المنخفض الرطب في هذه المنطقة، يوجد بمحاذاة واد اللبن وعلى جوانب أهم روافده : واد الحومة في الشمال الشرقي، واد العنصر في الشمال الغربي. تتراوح الارتفاعات في هذا السهل بين 200 م في الشمال الشرقي و170 م في الجنوب الغربي، ويتميز بضعف انحداره في اتجاه سافلة واد اللبن الشئ الذي ينعكس على خط مجرى هذا الواد الذي تتعدد منعطفاته. ويشكل هذا السهل الفيضي الدرجة النهرية السفلى والحديثة.

2 ـ المستويات النهرية العالية : رغم امتدادها المجالي المحدود بالمقارنة مع العناصر الطبوغرافية الأخرى، فإن بقايا هذه المستويات تدل على التطور الذي عرفه واد اللبن خلال فترات الزمن الجيولوجي الرابع. إن أهم هذه البقايا توجد في موضع المركز الحضري لتيسة على الضفة اليمنى لواد اللبن.

أما على الضفة اليسرى فإن بقايا هذه المستويات عرفت تراجعاً بفعل عمل التعرية، ولم تبق إلا أجزاء متناثرة من المستوى الخامس تشرف مباشرة على المستوى الأول الذي يمثل السهل الفيضي المشار إليه آنفاً. تصل أقصى الارتفاعات في هذه الدرجات إلى حوالي 280 م فوق الدرجات النهرية العليا.

3 ـ المجالات التلية : تحيط بمنخفض تيسة شمالاً وجنوباً تلال متوسطة الارتفاعات، تتراوح بين 493 م في الزاوية الشمالية الغربية و348 م في الجنوب. تنتمي تكويناتها الصخرية إلى الطيات الزاحفة من الشمال، وتتكون من الصلصال والصلصال الكلسي والحث، إضافة إلى التكوينات الطينية والمحلية والجبصية التي توجد أساساً بجبل تيسة المحلي.

لهذه التلال أشكال بسيطة عبارة عن قمم محدبة، طولية ومستديرة وأحياناً حادة. سفوحها ذات انحدارات متوسطة إلى قوية. وتخترق هذه التلال أودية موسمية يتجاوز تعمقها 200 م. ورغم طابع التقطع وسيادة الانحدارات، فإن هذه التلال تشكل مجالات للزراعات الموسمية وللمغروسات وأهمها الزياتين. ومن الملاحظ أن السكن بهذه التلال يحتل مجال القمم وأواسط السفوح رغم التطورات الحالية حيث يتوطن السكان في المجالات المنبسطة وخصوصاً في السهل الفيضي لواد اللبن. إن جل وقع هذا المركز توجد في مواضع منبسطة تبعاً لتوزيع الدرجات النهرية وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المركز الحضري لتيسة إلى ثلاثة أقسام :

أ ـ تيسة السفلى : وهي النواة الأولى لهذا المركز، وتوجد على الدرجة النهرية الأولى. كانت في البداية عبارة عن سكن هش ويطلق عليها لحد الآن "المحلة" وعرفت في السنوات الأخيرة حركة معمارية مهمة تجلت في انتشار السكن الصلب وفي توسيع الرقعة المبنية، إضافة إلى تطور الحركة التجارية.

ب ـ تيسة الوسطى : موضعها أساساً فوق الدرجة

النهرية الرابعة، وتحتوي بالإضافة إلى السكن على منشآت اجتماعية وإدارية كالثانوية والملجأ الخيري والمستشفى ومقر الجماعة. ونتيجة لهذه الوظائف عرف هذا الجزء توسعاً في الرقعة المبنية منذ أواخر السبعينات.

جـ ـ تيسة العليا : هي النواة الأولى التي أنشأها المعمر الفرنسي كمقر إداري استراتيجي. ولازال هذا الموضع يحتفظ بنفس الوظيفة إذ يوجد به مقر الدائرة ومقر الدرك الملكي فضلاً عن بعض البقع التي يحتلها السكن. وتحتل هذه النواة الدرجة النهرية العليا أي الدرجة السادسة.

يتبين من خلال هذا التقسيم الحضري مدى تأثير الطبوغرافية على مرفلوجية المركز. وقد عرف تطور كبيراً من الناحية العمرانية واحتل مجالات مهمة من السنوات النهرية المتدرجة.

فبعد ما كانت النواة الأولى عبارة عن مساكن هشة في الجزء الأسفل، أصبحت الآن مركزاً حضرياً يشهد التوسع الافقي والعمودي فضلا عن التغير النوعي في السكن (من السكن الهش إلى السكن الصلب). يوازي هذا التوسع الزيادة في عدد السكان الذي مر من 1385 نسمة سنة 1971 إلى 2251 نسمة سنة 1982، ليتضاعف أكثر في بداية التسعينات.

تمثل تيسة من الناحية الإدارية مقراً للدائرة، وقد أصبحت منذ التقسيم الإداري سنة 1983 تابعة لعمالة تاونات، بعد ما كانت قبل هذا التاريخ تابعة لعمالة فاس. وتحتوي هذه الدائرة على أربع قيادات.

أما من الناحية القبلية، فإن تيسة هي مركز لسكان قبائل "الحياينة" وعددها ثلاث :

- أولاد عمران في الشمال إلى حدود واد ورغة.
- أولاد عليان في الوسط على جانبي واد اللبن.
- أولاد رياب في الجنوب بمحاذاة واد إيناون.

يتضح من بعض المعطيات التاريخية المستمدة من دراسة لازاريف G. Lazarev حول البنيات الفلاحية والملكيات الكبرى في بلاد الحياينة (*مجلة جغرافية المغرب*، رقم 9، 1966)، أن هذه المنطقة عرفت توافد سكان من أصول عربية وبربرية. فقد شهدت منذ القديم توطناً من طرف الصنهاجيين ومن أهم قبائلهم قبيلة بني وأعمود، حل محلهم بعد ذلك سكان من أصل حجازي ممن هاجر إلى المغرب من العرب. ولم يظهر توطن الحياينة والحديث عنهم إلا خلال حكم السعديين حيث اعتبروا عرباً متميزين عن البربر الصنهاجيين.

وهناك من يذكر بأن هذه المنطقة قد فوتت للحياينة في إطار نظام الگيش وخصوصاً بعد حدث سنة 1558 حيث وقعت معركة حاسمة بين السعديين والباشا التركي حسين على واد اللبن. ومما يؤكد هذا التفويت وجود تسميات محلية ترجع إلى أصول سوسية وتادلية.

وقد عرف الحياينة في القرنين السابع والتاسع (13ـ 15 م) كقبيلة مخزنية ارتبط مصيرها بفاس (أداء الضرائب العسكرية، التدخل في المعارك). وقد تميز الجيش الحياينى بالاستقرار الجغرافي وبملكيته للأراضي الزراعية.

من شأن هذه المعطيات التاريخية تأكيد الوجود الفعلي للبربر في بلاد الحياينة، مما يدل على أن بعض التسميات المحلية ذات الأصل البربري مثل تيسة لم توجد بمحض الصدفة. وفي نفس هذا السياق، فإن المعمر الفرنسي ترك في هذه المنطقة بعض بصماته التي مازالت تتداول لحد الآن، مثل أسماء بعض الضيعات. ولم يقتصر الفرنسيون في احتلالهم على الجزء الأعلى من تيسة، بل احتلوا كثيراً من الأراضي الفلاحية الخصبة على طول واد اللبن وواد العنصر وغيرهما.

إن تيسة كمركز داخل حلقتيه الصغرى والكبرى تطبعها خصوصيات طبيعية وبشرية، يمكن إجمالها فيما يلي :

- جبل تيسة ومنجمه المحلي : تسمية الجبل هي تسمية محلية فقط لأن الشكل الحقيقي هو التل، وهو عبارة عن كتلة صخرية مكونة من الطين الأحمر والملح والجبس وفتاتات من الدوليريت، وكلها تكوينات ترياسية، تمتد في الجنوب الغربي من مركز تيسة بمحاذاة واد اللبن يبلغ طول هذه الكتلة حوالي كيلومترين وعرضها يتراوح بين نصف كيلومتر وكيلومتر واحد. يستغل الجزء الجنوبي الغربي من هذه الكتلة لاستخراج الملح، حيث أقيمت لهذه الغاية أحواض للمعالجة.

- السوق الأسبوعي لتيسة : يعتبر هذا السوق الأسبوعي الذي يقام كل يوم أربعاء، من أكبر أسواق منطقة الحياينة. تسوق فيه منتجات محلية كالحبوب والخضر والفواكه والمواشي والدواب ومن أهمها الخيول. وهو سوق يتعدى إشعاعه حدود المنطقة، ليمتد إلى السايس والأطلس المتوسط والريف في الشمال. وتعتبر مدينة فاس المزود الرئيسي لهذا السوق وللمركز الحضري لتيسة بالمواد الأساسية.

- موسم الخيول بتيسة : تشتهر تيسة بصفة خاصة، ومنطقة الحياينة بصفة عامة، بموسم الخيول الذي ينظم في شهر شتنبر من كل سنة. ينشط هذا المهرجان بإقامة حفلات تستعرض فيها الأجواق الفلكلورية وبتنظيم مسابقات للخيول. ويدل تنظيم هذا الموسم على أهمية تربية الخيول والعناية بها في هذه المنطقة.

الاحصاء العام للسكان والسكنى ؛ بحث ميداني شخصي.

A. El Bouzid, *Vallée moyenne de l'Oued Lebène Prérif Maroc : Etude de cartographie géomorphologique*, thèse de doctorat de 3ème cycle, Université de Poitiers, France, 1987 ; G. Lazarev, *Structures agraires et grandes propriétés en pays Hayaïna*, R.G.M., n° 9, p. 23 -57, 1966.

عيسى البوزيدي

تيسّو، شارل جوزيف Tissot، عالم فرنسي له أبحاث مهمة في تاريخ المغرب القديم، ولد بباريس في 29 غشت سنة 1828، ينتمي إلى أسرة عريقة أصلها من إيطاليا العليا. دخل إلى تونس كتلميذ قنصل عام 1852 وتعلم العربية والتركية، واستوته الأبحاث الأثرية في هذا البلد

حيث قام بعدة اكتشافات، كانت له ثقافة واسعة وعلم بالنصوص الإغريقية واللاتينية.

في سنة 1865 زار مصر ورودس ولبنان وسوريا، وبعد ذلك تابع بدون ملل بحوثه *الجغرافية المقارنة للمقاطعة الرومانية بإفريقيا*.

وفي سنة 1871 حقق حلمه المتعلق بالعودة إلى أرض إفريقيا، حيث تقلد منصب وزير مفوض مطلق الصلاحية بالمغرب وهكذا استعاد حيويته، ليبدأ اكتشافاته من جديد. ويقترن مقامه بالمغرب ما بين 1871 - 1876 بأخصب فترة من حياته الاركيولوجيه، لقد استطاع أن يتتبع كل الطرق الرومانية بالمغرب، محاولا رسم جميع بقايا المدن والمراكز الرومانية التي استطاع مصادفتها في رحلاته. لم يستطع من جاء قبله أن يقوم بدراسة مستفيضة لموريطانيا الطنجية القديمة، وفي نفس الوقت الذي كان يحرر بحثه حول موضوع *بحوث حول الجغرافية المقارنة لموريطانيا الطنجية*، كان يتابع عمله حول طرق المواصلات القديمة بتونس، لقد استطاع نشر النقوش اللاتينية القديمة التي اكتشفها بسيدي علي بوجنون، بالمجلة الأركيولوجية، هذه النقوش التي ساعدته على اكتشاف موقع مستعمرة بناصا. وبعد رحلاته المتعددة إلى مختلف المناطق المغربية اكتشف مجموعة من النقوش اللاتينية الجديدة بموقع وليلي. لقد كان شارل تيسو في دراسته لهذه النقوش يستعين بخبرة صديقه المتخصص ليون رينيي Léon Renier. بعد انتهائه من تحرير عمله حول موريطانيا الطنجية يضعه بين أيدي صديقه Ernest Desjardins ليطلع عليه ما بين 16 يوليوز 1875 و7 أبريل 1876. ونتيجة لهذا العمل حظي بانتخابه أو بقبوله عضواً مراسلاً للأكاديمية. ويحمل هذا الانتخاب في طياته اعترافاً ضمنياً بقدراته العلمية لكنه عوض أن ينشر عمله آنذاك فضل الاحتفاظ به إلى أن يدخل عليه مجموعة من التغييرات. وبالإضافة إلى هذا، فإن انشغاله بمهمة أثرية بتونس لم تساعده على نشر هذا العمل في أوانه. بعد انتهاء هذه المهمة انتهت مهمته كذلك بالمغرب.

شرع تيسو سنة 1879 في إعداد برنامج بحث جديد بتونس، وهو محاولة جرد وادي بگرادا Bagrada، ورغم ظروف العمل القاسية والمرض الذي أصابه فقد استطاع تحرير بحث جيد حول هذه المهمة عنوانه *حوض بگرادا والطريق الرومانية من قرطاجة إلى هيبون مروراً ببيلا ريگيا* Bella Reci. لقد مكنه هذا العمل من انتخابه كعضو حر بالأكاديمية وذلك سنة 1880.

وخلال هذه السنة بدأت صداقته مع المؤرخ الالماني توماس مومسن. كان هذا الأخير قد شرع في نشر *مدونة النقوش اللاتينية لإفريقيا* والتي سيساهم فيها شارل تيسو، بحيث وضع رهن إشارة مومسن كل النقوش اللاتينية التي عثر عليها والتي لم ينشرها بعد، على إثر هذه العلاقة التي جمعته بتومس مومسن، سيقوم هذا الأخير بتنصيب شارل تيسو كعضو عادي بالمعهد الأمبراطوري الألماني.

وفي مارس سنة 1881، فتحت معاهدة الحماية التي فرضت على تونس، عهداً جديداً أمام البحث الأثري. لقد اهتم عدد كبير من الباحثين ومن بينهم مجموعة من الطبوغرافيين بعمليات نقل النقوش اللاتينية والتصاميم الطبوغرافية لمختلف المناطق التونسية، هذا الاهتمام أكد النتائج التي توصل إليها تيسو، ولكنها أوشكت على تخطيها بكثير. كان تيسو في هذه الفترة يباشر مهمة سفير في القسطنطينية، ومع ذلك فإنه حاول أن يشرف على هذا التهافت الاثري لمختلف الباحثين، كما حاول توجيهه إلا أنه كان لابد من وجوده في عين المكان. وفي نفس الصدد حاول سلمون ريناخ Salomon Reinach أن يكلف بعض أعضاء المدرسة الفرنسية لروما بالبحث الأثري بتونس، إلا أن هذا الاقتراح قوبل من طرف تيسو بالرفض، بدعوى، كما كان يردد دائماً، أن إفريقيا ولايته. وأمام هذا الاهتمام المتزايد للباحثين بتونس، قرر تيسو تخليه عن مهامه الديبلوماسية وانكبابه على مهمة تسيير البحث بتونس. وفي هذه الفترة قدم بحثه حول سرية القيصر بإفريقيا وذلك بالمعهد حيث حصل على نجاح جد مهم.

لم يعد شارل تيسو في أواخر حياته يهتم إلا بكتابته حول الولاية الرومانية بإفريقيا وبحفرياته بقرطاجة، وآخر عمل قام به هو تصحيح تصميم قرطاج وتحريره لفصل خاص عن طبوغرافية قرطاجة الذي عرضه على صديقه سلمون ريناخ، وانطفأت شعلة حياته في 3 يوليوز 1884، تاركا جميع مخطوطاته ورسومه لسلمون ريناخ الذي عمل على نشر كل أعماله.

يتضح أن هذه الشخصية التي يقترن اسمها بمجموعة من الأعمال والأبحاث الأثرية المغربية استطاعت أن يجمع ما بين البحث الأثري والحياة الدبلوماسية، أي أنه استفاد من مجموعة من التسهيلات والامكانيات التي لم تتوفر لشخص آخر. يضاف إلى هذا قدرته العلمية وثقافته اللامعة، بحيث إنه كان على أطلاع على جميع النصوص القديمة التي أشارت إلى مختلف المواقع سواء في تونس أو في المغرب، وأهم مثال على ذلك هو الاشارات إلى المؤرخين القدامى التي يستعملها بالنسبة للمواقع المغربية في بحثه المستفيض حول *الجغرافية المقارنة لموريطانيا الطنجية*. نشر شارل تيسو العديد من البحوث التي مازالت تعتبر مرجعاً إلى يومنا هذا في الميدان الأثري وهذه المؤلفات هي كالتالي :

رسالته الجامعية بعنوان :

- *Des Proénies grecques et leurs analogies avec les institutions consulaires. et de Tritonid lacu*, Dijon, 1863. *Itinéraires de Tanger à Rabat*, Paris, 1876.

- *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, dans Mémoires et l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres, T. IX, Paris, 1877.

- *Le bassin du Bagrada et la voie romaine de Carthage à Hippone par Bella regia*, Paris, 1881.

- *Recherches sur la compagne de César en Afrique*, Paris, 1884.

- *Fastes de la province romaine d'Afrique*, publié par S. Reinach, Paris, 1885.
- *Géographie comparée de la province romaine d'Afrique* (Publié par S. Reinach), 2 vols + 1 vol, Atlas, Paris, 1884 - 1891.

حسن ليمان

تيسرگيوين، أو تسرگون، أسرة صحروية لعبت أدواراً تاريخية مهمة، وماتزال قرية تيغمرت تجسد مخلفات نول لمطة بوادي نون حيث احتفظ الشارع التجاري المركزي باسم تامسوقت منذ ما قبل المرابطين. على مقربة من معمل سك الدينار الذهبي المرابطي كانت تتجلى أهمية هذا السوق المركزي في أثمان المنازل التي اشترى عمار بن محمد تسرگونْ إحداها حوالي سنة 1160 / 1750. تبرهن وثيقة الشراء على تداخل المشجرات النسبية داخل فصيلة أيت احماد أعلي من قبيلة أزوافيط (إزفاضن) حين تؤكد انتماء المشتري إلى هذه الفصيلة. كيف يمكن لمن تأمل صيغة تسرگون التي تخص بها الوثائق هذه العائلة أن يتأكد من علاقات الامتزاج القرابية ؟ ما يسترعي الانتباه هنا هو كون صيغة تسرگون لاتستنفد إمكانيات المقارنة مع الصيغ المشابهة. أول شيء يجب أن نؤكد عليه هو أن الكتابة السليمة لصيغة تسرگون تعتبر محلياً هي تيسرگيوين. وهي صفة إلزامية تفيد الجبليين المنحدرين من مرتفعات الأطلس الصغير إلى السهول حيث استقرت منهم هذه العائلة بتيغمرت. إذا كانت صيغة إيبودرارن هي المرادفة الفعلية لصيغة تيسرگيوين، فإنه يكون لزاما علينا الرجوع إلى ما قالته المصادر لمعرفة ما جاء حول هذا الموضوع.

لكي نتبين صور الترابط المجالي والنسَبي يحسن بنا أن نعود إلى ما قاله الباعقيلي منذ أربعة قرون حين تحدث خلال القرن العاشر (16 م) عن تيغمرت التي قضى بها أربع سنوات. علاوة عن كونه يعتبرها قاعدة نول لمطة القديمة نجده يؤكد بأن بلدة تيزرگين تدخل في نطاق المجال المجاور لها. وهو ما يؤكد بأن القرب المجالي يشكل لحاما لاستقراء الذاكرة التي تصب كلها في قالب نسبي معين. قد لايتعلق الأمر هنا ببلدة تيزرگين القريبة من أمانوز بقدر ما يتعلق بمدشر أخذ في التلاشي والاندثار منذ زمن الباعقيلي (*مناقب*، 28). مهما يكن فإن شهرة فقهاء تيزرگين ستتأكد على لسان الباعقيلي والتامنارتي على حد سواء في شخص العالم الصوفي أحمد بن عبد الرحمان التيزرگيني المعاصر لمحمد الشيخ السعدي. بل إن التامنارتي يؤكد على أن هؤلاء الفقهاء كانوا يستثنون منطقتهم من بلد سوس الذي كانوا يسمونه "بلد الملك" (م. السوسي، *المعسول*، 3 : 267 ؛ At Tamanarti, *Fawa'id*, 80 - 81). كما أن من المقاربات التي استوجبت يومها الربط بين بلدة تيزرگين وتيغمرت وفرة الماء والخضرة التي تغنى بهما الشعراء في هذه الضفة الصحراوية. أورد م. المختار السوسي بعض ما قاله البونعماني في حق تيزرگين مستوجبا بذلك تميز المكان عما حواليه من اصفرار وقلة ماء وحرارة مفرطة (*المعسول*، 3 : 278).

نرى إذن أن الوقائع تستوجب مقارنة تيسرگيوين بتيزرگين التي يحورها الحضيگي بدوره إلى صيغة تصرگن (*طبقات*، 1 : 12، 13) فيصبح بذلك لزاما علينا أن نعتمد الدراسة الميدانية لنستشف أي هذه الصيغ أقرب إلى الوثائق التي بين أيدينا والتي تقتصر على تسرگون. هنا نسجل بأنه إذا كانت صيغة تيسرگيوين هي أقرب هذه الصيغ إلى الاستعمال اليومي فإن الصيغ المتبقية تكشف عن دور الفقهاء في تنويع الصيغ المكتوبة وتحريف النطق. وقد يكون من الضروري لتبيان طبيعة التفاعل بين الصيغ المتقاربة الربط هنا بين تيسرگيوين القدامى وإحدى فصائل الغور الصنهاجي الأقدم بمنطقتي تيرس وأدرار بالصحراء الأطلسية (المختار حامدون، *حياة موريتانيا*، x : 9 من ملف الأنصار ؛ P. Marty, *Les tribus*, 31). فبتيرس حيث مايزال أحد الآبار يحمل اسم إسرگاو تمثل قبيلة إسرگاون علامة من علامات التاريخ الصنهاجي الممتد عبر القرون البعيدة. ولربما كان للانتجاع الكبير ونمط العيش الترحالي دوره في الوصول بإسرگاون إلى بسيط أگادير حيث اعتادت محلة السلطان مولاي الحسن الأول الإقامة قرب المرسى (ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 217، 245) وحيث أقيم فيما بعد أقدم مطار بالمدينة. لا تندرج آليات الحركة الانتجاعية الكبيرة فقط ضمن السياق الداخلي لتحالف فصائل صنهاجة بل أيضاً في مواجهة المد الحساني منذ القرن الثامن (14 م) وبذلك يبدو معنى القرب المجالي بين تيغمرت وتيسرگيوين خلال القرن العاشر (16 م) كمن يركز على أن التحالف لايعود فقط إلى التوازنات الانقسامية، بل كذلك إلى المهام الأمنية التي تنهض بها كل فصيلة أو تجزئة صنهاجية. فيكون من بين أهم الاحتمالات التي يمكن أن نصل إليها هو أنه يصعب علينا الحديث عن بنية حربية تحالفية.

في قصم المد الحساني ـ المعقلي على وادي نون والساقية الحمراء خلال القرن العاشر (16 م)، لم يحل اضمحلال نول لمطة التجاري دون صمود أيت الخنوس وأيت يكو وإدا أولگان وأيت امحند أو لحسن وأيت احماد في تيغمرت. تقدم أيت احماد أوعلي لإقامة حزام واق يحد بين هذه الفصائل والهجمة الحسانية خاصة لأولاد مبارك يومها. على أن صراعاً مفتوحاً سينتهي بطرد إبلا أوعقّان المقيمين حالياً بتارگمايت محدداً دور أيت أوعلي في اكتساح المجال القروي. قبل هذا الاكتساح، كان أيت احماد أوعلي ينتجعون قرب المداشر والقصبات فارضين مقاييس جديدة تعتمد يومها التدخل الحربي على المستويين المحلي والجهوي. بهذا المعنى، فإن إدماج أسلاف "عمار تسرگون" الذي رأيناه يشتري داراً بتيغمرت في منتصف القرن الثاني عشر (18 م) في إطار أيت احماد أوعلي يركز على مفهوم التحالف ويطرحه على أنه الإطار المحدد لآليات القرابة. لاشك أن قلة المعطيات الأولية تحول دوننا والتأكد

هنا من صحة المقولة التي تجعل من أسلاف "عمار تسرگون" أمراء وأعياناً أعطوا الأولوية يومها لجوانب الصراع المفضي إلى طرد مزاحميهم. حقاً كانت تيسرگيوين لا تقل ماء وخضرة عن تيغمرت، غير أن اندماج أسلاف "عمار تسرگون" في إطار أيت أحماد أوعلي يعد نتيجة أوضاع جديدة مختلفة عن الوضعية السابقة. ولعل في التأكيد على جوانب هذا التداخل ما يحدد هنا المستوى الاجتماعي المميز لأسلاف عمار تسرگون. فبينما لا يرتبط ذكر هذه العائلة إلا بالنشاط الحربي أو الفلاحي، تؤكد الرواية الشفوية تعاقب كبارها على رأس لوائح أعيان القبيلة ولف أيت عثمان التكني.

إذا تناولنا لوائح أعيان قبيلة أزوافيط على امتداد القرون الثلاثة الأخيرة وجدنا أن أهل عمار لن يتجردوا من الانتساب إلى "تسرگون" قبل عام 1229 / 1814، على أن عدم التصاق هذه النسبة يسعفنا هنا في معرفة حلقة قوية في سياق تبلور فصيلة أيت احماد أوعلي داخل قبيلة أزوافيط. إن اندراج كل عين من أعيان القبيلة ضمن إطار اجتماعي كلي يبرز بما لا يدع مجالا للشك مكانة أهل عمار على رأس سلم التراتبات المجتمعية. كما أن تصدرهم الأحداث الحربية والسياسية يتجلى في قدرتهم على احتكار أرض تيرمسين باعتبار أن تملك منطقة بكاملها يمس جوهر الحياة الاجتماعية. لن يفوتنا إذن التأكيد على أن هذا التمكن يجعل من أهل عمار كيانا مستقلاً قائماً بذاته يندرج في سياق احماد أوعلي كوحدة متكاملة، حقاً لم يكن الناس يوثقون ممتلكاتهم من الأرض البورية خلافاً للماء والبساتين المسقية والمنازل، على أن الشهادات العينية تؤكد بأن آليات التحالف مع أهل الفيجج (أهل علي أوعبد الله قائد المولى إسماعيل) كانت قد تجاوزت منذ القرن الثاني عشر (18 م) التعارضات الانقسامية. بل إن من شأن مصاهرة عمار تسرگون لأهل علي أوعبد الله أن تحجب عنا التباينات النسبية مرجحة تكافؤ الوزنين الاجتماعي وتوظيف النفوذ الحربي في الاستحواذ بشكل أو بآخر على الأرض والساقية (أزوافيط، *المعلمة*، 364 ـ 367). على أننا إذا أسقطنا من حسابنا ممارسات أبناء عمار تسرگون التي ترجع في أصلها إلى تمتين النفوذ الذي خلفه والدهم، نكون قد أهملنا دور الصلات المعقودة في تجاوز التعارضات الانقسامية وتجسيد مفهوم التماسك الزفاطي.

خلف عمار بن محمد تسرگون الجد الفعلي لهذه العائلة ثلاثة أولاد هم احماد وبلال وبيروك خلال فترة تميزت في أواخر القرن الثامن عشر بطرد إحدى فصائل أيت احماد من تيغمرت إلى إيغرم إيگزولن (V. Monteil, *Notes*, 17). تتمثل علاقة هؤلاء الأبناء بالأرض المسقية في شراء احماد أوعمار ليلة ماء بساقية تيغمرت تقدر بـ24 ساعة مائية أهمية هذه العملية تنكشف أكثر إذا علمنا أنها قد تمت في آخر ربيع الأول 222 / 6 ـ 7 ـ 1807 حسب ما خطه العدل عبد العزيز بن علي الزيات. ذلك أن طاعون 1798 ـ 1800 كان يومها قد جمد الديناميات الفلاحية والبشرية بسهول سوس ودكالة والشاوية وحال دون الفلاحين والاستفادة من وفرة الأمطار (Jakson, *An Account*, 175). وإذا كنا نجهل ما إذا كانت مدة هذا الطاعون قد ضربت وادي نون بنفس الدرجة، فإن الخلافات التي انفجرت بين أبناء عمار بن محمد تسرگون حول اقتسام دار تامسوقت في أوائل ربيع الأول 1223 / 27 ـ 4 ـ 1808 تبدو مرتبطة فقد شكل تملك احماد التعسفي لهذه الدار سبباً في احتداد الصراع بينه وبين أخويه إلى أن تراضوا في التاريخ المذكور بشهادة مبارك بن العبد الثناني الزروالي. يبقى إذن والحالة هذه أن نتساءل ما إذا كان تفكك الهياكل المحلية بفعل الطاعون وهجرة أيت احماد هو الذي فسح المجال أمام توزيع الملكيات المهجورة والموارد المائية ؟ للإجابة عن هذا السؤال يجب ألا نتغافل عن كون تشبث أبناء عمار بن محمد تسرگون بالأرض والساقية يصب في اتجاه التملكات الخاصة والاقتطاعات التي سنها والدهم منذ منتصف القرن السابق. نقطة ثانية يجب أن نأخذها بعين الاعتبار هي دور وثائق القرى والمداشر المجاورة في إثبات زحف الملكية الخاصة ونزوعها المتزايد يومئذ إلى التوسع على حساب الأرض الجماعية التي أصبحت بسبب ذلك تفقد تدريجيا وزنها القديم في الحياة الاجتماعية. من هنا فإن التنافس على تملك الأراضي والساقية يدخل دون شك في إطار تطوير الدور الفلاحي الذي كان يعززه أبناء عمار في تيغمرت وأحوازها. على أن ثالث نقطة يجب أن نقف عندها هي دور أنماط الملكية والوزن المختلف لكل منها على مستوى انتظام أبناء عمار بن محمد تسرگون في الحياة الاقتصادية بتيغمرت.

إذا كنا لا ندري مدى تأثر وادي نون بمضاعفات الطاعون الجارف، فإن هجرة إدا أويلال وأولاد دليم وأولاد بوالسبع إلى ظاهر تاسريرت (أيت باعمران) ومراتع تكنة (*المعسول*، 3 : 250) قد رفع من مستوى الطلب على المواد الاستهلاكية. نتصور أن فئة من التجار قد تكون تصدرت لمهمة إمداد المنطقة بما تحتاجه من حبوب مستندة في ذلك إلى أرستقراطية حربية أحكمت تنظيم النقل من الشمال. هذا ونتساءل لماذا اشترى احماد أو عمار كمية هامة من الحبوب بالمنطقة الشمالية (التل) سنة 1223 / 1808 ؟ قد تساعد هذه العملية على تسليط الأضواء على ازدواجية دوره التجاري والحربي أو قد تفيد توفره على فائض نقدي كبير أهله لتقليص وطأة الطبيعة. هذا الاحتمال الأخير يبدو مستبعداً لسببين : أولهما أن وفرة الأمطار خلال هذه السنوات قد سهلت تربية المواشي وتحقيق الاكتفاء الذاتي من الحبوب. ثانيهما أن طغيان تربية المواشي على الفلاحة بفعل هجرة الرحل قد هيأ لمحتكري الأراضي الفلاحية المسقية فرصة التفتح بدرجة أكبر على تجارة الأسواق ومنتجاتها النباتية. نرى إذن أن الطاعون الذي تسبب في إعادة توزيع الثروات لا يساعدنا في الحكم على نزوع أبناء عمار بن محمد تسرگون نحو الاستحواذ على الفائض

الزراعي. هذه السمة الطاغية على متملكي الأرض المسقية جسدت دائماً سعيهم إلى الحفاظ على التحامهم والدفاع عن كيانهم ضد مخاطر مد الرحل مربي المواشي.

إذا حاولنا في الواقع الراهن للبحث أن نتتبع مسار هذه العائلة، فسنكون مضطرين للاقتصار على وثائق احماد أوعمار بن تسرگون وابنه عمار. خلال إحدى وعشرين سنة التي ربطت بين 1807 و1828 تخول إحدى عشرة وثيقة لاحماد أوعمار التحكم في قدر هام من ماء ومرافق ساقية تيغمرت حسب ماتسمح به نصوص العرف المحلي والشريعة الإسلامية. تميزت هذه الفترة بظهور طاعون 1819.1820 (الزياني، *الترجمان*، 435) ومجاعتي 1817 (J. F. Clement, *Revoltes*, 20 - 40) و1825 (الزياني، *الترجمان*، 435). من بين هذه السنوات الإحدى والعشرين، تمثل فترة 1810.1819 مرحلة سعي احماد أوعمار الحثيث إلى إنماء ملكيته وتوسيع نطاقها كمؤشر واضح عن عدم استفادته من السنوات العجاف، وهي حقيقة تؤكد ما رأيناه من عدم اعتماده على مضاعفات الكوارث الطبيعية للاستفادة والاستغناء السريع. بل نسجل على العكس من ذلك أن طاعون 1819. 1820 قد حد بشكل حاسم من وتيرة مشترياته العقارية والفلاحية. معنى هذا أنه رغم استحواذ الفلاحة على قسط كبير من جهوده يعتمد على تربية الماشية في تحسين مداخيله. وهو ما يفسر إلى حد كبير مدى تأثره بظاهرة تفشي الوباء الجارف التي كانت تقتضي ضرورة التنقل والترحال بعيداً عن المداشر.

نظراً لتباين مكونات المحيط الزفاطي ولما يسود لدى أيت احماد أوعلي من قيم مساواتية، فقد اقتضى قانون المعاملات الداخلي الاندماج الفعلي في عمليات الدفاع والهجوم. تعددت أسباب الاصطدامات القبلية وكشفت يومها عن قدرة احماد أو اعمار بين ذويه حيث ماتزال الرواية المحلية تفرده بصفات مميزة كانت السبب في اطلاق تسمية "الحمّير" عليه هذا ما يمكن أن نتأكد منه إذا نحن تصفحنا وثيقة 1 رجب 1231 / 1816.5.28. كان التعايش بين أشباه الرحل من شماليي الصحراء وذوي النجعات الكبيرة يصل إلى حد الاندماج بالساقية الحمراء وتيرس. كما أن أراضي وادي نون البورية لم تكن مفصولة عن أراضي الرعي إلاّ خلال فصول الاستغلال في السنوات الممطرة. ندرك لماذا جسدت هجرة بعض قبائل الصحراء إلى المنطقة مقتضيات الالتحام الزفاطي. فمهما تكن حدة الخلافات، نجدها لاتنفي كون الخط العام للعلاقات يغلب عليه طابع التوافق والتساند. ومن الملاحظ بهذا الصدد أن حماس احماد أوعمار للدفاع عن مرس ازريويلة ومدشرها الذي غادره إزرگيين وأيت بلقاسم، دفعه إلى بناء إحدى أكبر منازل المدشر في حركة كانت تستهدف إقرار الأمن الداخلي. عمد احماد أوعمار إلى حصر فائض الإنتاج الفلاحي ضمن حدود توفير الاحتياطي الضروري لمواجهة طوارئ الخصاص، كان لابد أن يدرج هذه العملية الاقتصادية في سياق عام من الممارسات القرابية التي سهلت فعالية التحالف مع أيت بليد إحدى فصائل أيت احماد أوعلي، لم تكن صدفة أن تتعزز مكانة احماد أوعمار داخل أيت بليد في وقت كان هدف أيت ياسين المجاورين لازريويلة هو إضرام النار في مطاميره وداره المتميزة. فالمعايير التي يتم على أساسها التمايز الاجتماعي لم تكن تأخذ أشكالا اقتصادية صريحة بقدر ما كانت تتلبس بقيم ورموز مقبولة اجتماعياً، أو تختفي وراء فاعليات لاتجرؤ على تبيان معالمها ومراميها الاقتصادية. لسنا ندري في الواقع الراهن للأبحاث ما إذا كان احماد أوعمار قد خلف أبناء من أم تنتمي إلى أهل المهدي الذين يمثلون أقدم عائلة بوليدية، على أن مصاهرة جل أبنائه وسليله لهذه العائلة يسمح لاختبار مدى نجاعة الاستراتيجية القرابية والمكانة المتميزة للطرفين. لقد كان الزواج ينظم التعايش ويسهم في تقوية التداخل القرابي مع المحافظة على تعارضات البنية الانقاسمية البلدية. لقد جسد أهل اعمار بدون شك عامل تقوية لم يكن يتعارض مع المبادئ التي كان يقوم عليها أيت بليد كما سنرى.

لاشك أن احماد أوعمار بن محمد تسرگون قد توفي بعد آخر رسم يحمل اسمه في منتصف ربيع الأول عام 1244 / 1828.9.25 وأول رسم يحمل اسم ابنه عمار في غرة شعبان عام 1244 / 1829.2.6 عن سن تناهز المائة حسب الرواية الشفوية. السمات المميزة لهذه السنة هي ظهور داء الكوليرا الذي ضرب المغرب مخلفاً عدداً كبيراً من الضحايا قد يكون احماد أوعمار من بينهم. تكون بذلك مرحلة الخصوبة التي ميزت الحقبة السابقة قد مكنت المتوفى من توظيف نفوذه الحربي والفلاحي في فسح المجال أمام أبنائه. إذا كان تراتب هذا المجتمع يقوم بدرجة كبيرة على أساس هيمنة المعيار القرابي والاجتماعي، فإن سياسة ابنه عمار ستجسد امتداداً فعلياً. تندرج الرسوم التي بين أيدينا من 1244 / 1828 إلى سنة 1284 / 1867 لتكشف باسم عمار بن احماد أوعمار عن ثمان وثلاثين سنة من العمل على توسيع نطاق الملكية العائلية في إطار مزاولة الفلاحة وتربية المواشي.

يكشف استعراض هذه الأنماط من الملكية التباينات القائمة ما بين تيغمرت وازريويلة والوزن المختلف لكل منهما على مستوى انتظام الحياة الاقتصادية للسكان. فإذا كانت ازريويلة مشاعة اقترن دخول أيت بليد وباقي أيت احماد أوعلي إليها بأحداث الفترة المعاصرة لاحماد أوعمار، فإن أشكال الملكية في ساقية تيغمرت قد انتقلت لتقترن بدينامية القيم الأحماد أوعلي. إذا لم نسقط من حسابنا هذا النمط من التملك التعسفي الذي يرجع في أصله إلى سيطرة أعيان أيت احماد أوعلي، وجدنا عمار بن احماد أوعمار يحصل بساقية ازريويلة على أربع وعشرين ساعة مائية كأكبر وحدة تم احتكارها. ولا أدل على ذلك من أن بقايا الغور الأزرگي الأقدم (أهل ازريگين وأهل بومزيريگ)

الذين كانت لهم أولوية استقبال الوافدين من مرابطي أيت إيعزى وهدى لم يتمكنوا من توظيف نفوذهم من أجل محاربة مد أهل لحمير، تسجل المصادر الشفوية الالتحام الزفاطي المتمخض يومها عن تحريك دينامية قيم التملك التعسفي كمظهر من أقوى مظاهر التضامن الزفاطي وأوثقه. يكفي أن ننظر لدور هذه القبيلة الحربي في تخريب قصبة گليم يومها لنتأكد من الالتحام الزفاطي على جميع الواجهات الحربية. لم يكن السواد الأعظم من أفراد القبيلة ينتجون ما يستهلكون معتمدين على تربية المواشي كوسيلة للتبادل. أما انفتاحهم على منتجات السوق، فإنه لم يبرز من بينهم إلا قليل جداً من الوسطاء المختصين في مهام التوزيع بصفة متواصلة. كان عمار بن احماد أوعمار شأنه شأن جل أزوافيط مربيا للماشية فلاحاً لايقيم بداريه بتيغمرت وازريويلة إلا خلال الشتاء بائعاً ومستهلكاً محتضناً صراعات أيت بوليد وباقي الفصائل على أنها الحد الأدنى لما يمكن أن يحدق به من خطر. هذه السمات هي من صميم البنية الاجتماعية كما يمكن أن تكشفها الوثائق التي بين أيدينا.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 ؛ م. البعقيلي، *مناقب*، 1987 ؛ م. الحضيكي، طبقات 1355 / 1936 ؛ م. المختار السوسي، *العسول*، 3 ؛ المختار بن حامدون، *حياة موريتانيا*، ملف الانتصار ؛ مجهول، *الابتسام عن دولة ابن هشام*، مخطوط خ ح ز 1242 ؛ الزياني أبو القاسم، *الترجمان المغرب*، مخطوط خ ع، د 658 ؛ محمد سالم ولد لحبيب ولد الحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، 1992 ؛ *معلمة المغرب*، *مواد أزوافيط*، *تيغمرت*، *أيت بوليد*.

J.F. Clement, *Révoltes et repressions au Maroc*, *Al Asas*, n° 13, Janvier 1979, 20 - 40 ; F.C. De La Cappelle, *Les Tekna du S-O Marocain* ; J. C. Jackson, *An Account of the Empire of Morrocco*, London, 1811 ; P. Marty, *Les Tribus de la Haute Mauritanie*, 1914 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna du Sud Ouest Marocain*, 1948 ; Tamanarti, *Fawa'id al Jamma*, 1953.

مصطفى ناعمي

تيسْكاوينْ، أو تاسْكاوين، جمع تسْكت وهو القرن بالتأنيث المراد به التصغير في لغة المصامدة، وقبيلة أيت تيسكاوين أو أيت تاسكاوين من قبائل الأطلس الكبير، عرفت بهذا الاسم لأن أهلها توارثوا، لسبب له علاقة بجهاد الأجانب الغازين للمغرب في بداية العصر الحديث، تقليد حمل قرون من فضة مثل تلك التي يوضع فيها البارود، والقرون التي ظلوا يحملونها اليوم. إنها يحملونها فوق الكتف الأيسر للتزين عند أداء رقصة صارت تعرف برقصة القُرينات وقد اختصت بها هذه المجموعة دون غيرها، وهي تؤديها في حركات تحكي الكر والفر وحركات تربص ومخاتلة.

تنتشر رقصة تيسكاوين بالقرى الممتدة في أودية جبال الأطلس الكبير الغربي في جبال گدميوة ولدى قبائل أغبار وخاصة سكساوة وإدا ومحمود، وتتجلى رمزيتها الاجتماعية في مظهرين أساسيين :

أولاً : في التنظيم المحكم لفرقة الرقص، حيث إن أفرادها يمثلون مختلف الأسر والسلالات التي يتكون منها المدشر، كما أنها تخضع لرئيس الفرقة أو المقدّم. ويلتزم أفرادها بلباس أبيض ويحمل كل واحد منهم على كتفه الأيسر قرناً مرصعاً بالفضة قد يصلح أيضاً كوعاء للذخيرة الحربية، وأثناء أداء الرقصة يلتقون في شكل دائرة حول الرئيس وهو مركز الرقصة وعنه تصدر التوجيهات لأداء الحركات بإيقاع سريع وموزون.

ثانياً : في الوظيفة الاجتماعية والثقافية لفرقة تيسكاوين سواء داخل القبيلة أو خارجها : إذ تتكون أساساً من الرجال دون النساء، ويغلب فيها الرقص والحركة على الكلام الموزون. وهي رقصة تصويرية تمجد خصال القبيلة وتعمل على تبليغ خطابها عن طريق حركة الجسم وجمل تتكرر من حين لآخر، وهذا ما دفع بالذين اهتموا بدراسة مجتمع الأطلس الكبير الغربي أمثال جاك بيرك إلى نعت هذه الرقصة برقصة الحرب تشبيهاً لها ببعض رقصات الحرب لدى الهنود الحمر. وقال عنها روبيرمونطاني في كتابه *البربر والمخزن في جنوب المغرب* (ص 191) : "تبدأ الحفلات عادة بالرقصة الحربية التي يقوم بها أيت تيسكاوين حيث يقوم حوالي خمسة عشر من الرجال يلبسون جبة من القطن الأبيض بهذه الرقصة ويزيّنون أكتافهم بقرن من الفضة يسمى تيسكت".

وعندما تستقبل القبيلة ضيوفها من قبيلة متحالفة معها فان استحضار فرقة تيسكاوين للرقص يعد من علامات الحفاوة بالضيوف. ومن رموز استمرار التحالف العسكري مع القبيلة التي ينتمي إليها الضيوف.

تتوارث الأسر القرن التي توضع على كتف الراقص "تيسكت" على امتداد الأجيال بحيث يمنع بيعها، إذ تعتبر بمثابة الرأسمال الرمزي للأسرة من جملة علامات انتمائها العريق للقبيلة. ومنذ أواخر العهد الاستعماري إلى اليوم لم تعد "تيسكاوين" تلعب تلك الأدوار الاجتماعية والثقافية، بل أصبحت اليوم عبارة عن فرقة فلكلورية عادية يؤتى بها للفرجة في المناسبات السياحية. أما في القبيلة فنادراً ما يؤتى بتيسكاوين للرقص ما عدا في بعض حفلات أعراس بعض الأسر المترفة.

الحسين بو لقطيب، *بعض جوانب العرف القبلي بمغرب العصر الوسيط*، *الاتحاد الاشتراكي*، *الملحق الثقافي*، 5.1.92.

J. Berques, *Structures Sociales du Haut Atlas*, Paris, 1959 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc*, Paris, 1930.

عبد القادر بوراس

تيسْگنانْ، قصبة ببسيط وادي نون وعند سفح سلسلة جبال أيت باعمران لا تبعد عن شمال القصابي إلا ببضعة أميال (انظر مادة *تگاوست بالعلمة*). وتيسْگنَانْ تبرز كامتداد عضوي لتگاوْسْتْ القديمة حيث تمثل القصبتان مع قصبة أگاوس مجمل الصفات الطبيعية والحضارية والبشرية لملتقى بسيط وادي نون بمرتفعات أيت باعمران

(انظر مادتي *أگاوس وتاسريرت بالعلمة*) تمر الطريق المتوجهة من باقي مداشر وقصبات نول لمطة القديمة بقصبة تيسگنان (انظر مادة *أسرير وتغاجيجت وتيغمرت بالعلمة*). وهي إشارة ذات أهمية قصوى تفيد مدي اقتراب تيسگنان من الجبل، ومن هنا دراسة نمط الاستقرار القروي بأماكن هي أشبه ما تكون بالبوابات الجبلية. قد يكون استخدام الكثافة الحسابية المطلقة للسكان هنا مقياساً مفيداً، رغم عيوبه، للمقارنة وإظهار التباين النسبي في التوزيع السكاني حسب الانتماء إلى الجبل أو السفح من جهة وكمؤشر لتوضيح التركيز السكاني في الموقع الأقرب إلى الجبل. فالخريطة التاريخية تكشف منذ ابن سعيد والإدريسي عن اكتظاظ موقع تگاوست وأكاوس وتيسگنان وعبودة ونول لمطة بالسكان (انظر مادتي *أگاوس وتگاوست بالعلمة*). ولاشك أن الغور الكوشي اللمطي الجزولي والصنهاجي قد شكل أسلوباً محلياً في التداخل. كان التداخل بين لمطة ولمتونة من جهة وبين جزولة وگدالة من جهة أخرى يتم تبعاً لمقاييس حركية الترحال الرعوي وحقيقة الاندماج الفعلي بين سكان البسيط والجبل (انظر مادتي *تغاجيجت وتگجگالت وأيت تيكني بالعلمة*). فسكان الجبل يتوفرون على مساكن بقصور ومداشر وادي نون مما يجعل منهم جزءاً لا يتجزأ من الغور الإثني المندمج. وكل محاولة للفصل يومها بين الجبليين وسكان البسيط تفشل أمام حتميه الانتماء الإثني والتداخل البين. ندرك من هنا لماذا فشل المد الحساني والشباني على المنطقة خلال خمسة قرون من احتكار المجال الترحالي المجاور في تغيير أو بلورة المعطيات الإثنية الأساسية. هذا ما يمكن أن نتأكد منه إذا تتبعنا مجمل المصادر المواكبة لهذه المرحلة الزمنية الممتدة منذ بداية القرن السابع (13 م) إلى حدود القرن الثالث عشر (19 م). بل الأكثر من هذا وذاك أن مقاييس التداخل الإثني مازالت تحد إلى يومنا هذا من صلاحية نظام التحالفات المجالي الذي ظهر بظهور اتحاديتي تكنة وأيت باعمران. ففي مثل هذه الجهات المتميزة بمجاورة صحراء الترحال يمثل الماء والسواقي عنصراً إنتاجياً نفيساً يربط الأهالي بالأرض على امتداد القرون ويحد من دور الهجرة والتنقل المحلي في تفتيت عوامل الارتباط الإثني.

هذا ما يمكن أن نقوله بشأن جل المداشر والقصبات، غير أن الواقع يختلف إلى حدما بالنسبة لتيسگنان. فقد أثبتت وثيقة الحماية التي أمضاها أهالي بوطاطا على امتداد تاسريرت ووادي نون وتامنارت وإفران سنة 1499 مع الحاكم العام الإسباني بجزر كناريا، تورط شيوخ بعض القبائل بهذه المنطقة في تحالف سياسي مع ملك وملكة قشتالة (M. Naïmi, *Le Pays Takna*). وقد أصبح من السهل تبعاً للمعطيات التي كشفت عنها دراسة هذه الوثيقة إعطاء تفسير موضوعي لخلو تيسگنان من أهاليها الأصليين بعد أن استقر بها أحد شيوخ أولاد عمران بجيشه وعتاده وأهاليه. كانت معرفته للغة القشتالية ومصاهرته لشيخ تگاوست الذي ينتمي لنفس القبيلة من أكبر الدلائل على تجذره النسبي بعين المكان حيث كانت للمقيم العام الاسباني على جزر كناريا دار للإقامة بتگاوست. وتبعاً لذلك ندرك كيف تمكن هذا الشيخ وذووه من الاستيطان النسبي بتيسگنان الصغيرة المساحة. لم تكن هذه القصبة تبدو أكبر مما هي عليه اليوم، تحيط بها كمية من مياه السواقي لسقي المحاصيل وللأغراض المنزلية. وكان طبيعياً أن يهجرها غورها السكاني الأقدم حيث يشكل الجبل القريب أحسن أداة للتحصن من تحالف المد المعقلي الإيبيري. ندرك إذن لماذا أصبحت القصبة مباشرة بعد سطو الغور الأقدم عليها وطرد أولاد عمران والإيبيريين من المنطقة سنة 1500 م مقر إقامة الشرفاء الذين لايجرؤ أحد على معاداتهم (انظر مادة *أساكا بالعلمة*).

استوطن الشرفاء وعمروا تيسگنان، فمازال دور أهل القصبة في التدخل بين المتخاصمين وحسم الصراعات المحلية والجهوية كبيراً إلى يومنا هذا. للتحقق من صحة هذه الرؤية أو عدم صحتها، فإن قياس العلاقة الفعلية بين أهل تيسگنان الشرفاء وباقي الفصائل المنحدرة من الجبل أو المقيمة بالبسيط يمكننا وحده من تحليل صيغ التحالفات المحورية أو المرحلية التي قامت منذ أربعة قرون. يمكننا أن نقارن بشكل تقريبي وعام تاريخ أيت باعمران كما يبينه لنا شرفاء تيسگنان بتاريخ تكنة. من هذا المنطلق يصير تاريخ الاتحاديتين تاريخاً للعلاقات المحورية بين البسيط والجبل وبنية مجالية تضفي على الصيغة التحالفية جوهراً سياسياً محضاً ويجعل من الاختلاف الإثني عنصراً معزولاً غير واقعي وغير قادر على تفسير النمو الفعلي للعلاقات بين فصائل الغور السكاني الأسبق بالسفح والجبل.

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*.

F.C. De La Chappelle et P. de Cenival, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa Cruz de Mar Pequeña et Ifni*, *Hesp.*, 1935, 2 - 4ème trim., 19 - 77 ; Id. et Th Monod, *Description de la Côte d'Afrique de Centa au Sénégal par Valentin Fernandès, 1506 - 1507*, Paris, 1938, 214 p. ; Id., *Les Tekna du Sud Ouest Marocain*, *A.F.*, 1934, 108 p. ; Cl. Justinard, *Villes et Tribus du Maroc*, Vol. VIII, *Tribus berbères*, T. I, *Les Aït Ba Amran*, 1930, 144 p. ; R. Ricard, *Les Portugais et le Sahara Atlantique au XVème siècle*, *VIIème Congrès de l'IHEM*, *Hesp.*, 1930, 97 - 110 ; M. Naïmi, *Le pays Takna, Commerce et ethnicité avant la constitution confédérale*, in *le Maroc et l'Atlantique*, Faculté des Lettres, Rabat, 1992, 121 - 146.

مصطفى ناعمي

تيسُوگَة، جبل يقع بأرض قبيلتي بني زجل والأخماس، يطل على مدينة شفشاون، وبه توجد العين التي تحمل اسمه وتكوِّن أحد منابع وادي لأوْ. وأما علو الجبل على سطح البحر فيصل إلى 2.120 متر. ومن المعلوم أنه يوجد بقبيلة الأخماس مدشر يحمل اسم هذا النهر ويقع بفرقة تحمل نفس الاسم أيضاً.

A. Domenech Lafuente, *Apúntes sobre geografía de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 28.

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **تيسيت**، عبد المنعم بن محمد (أو ابن أحمد)

الأغماتي، يكنىّ أبا القاسم. اختلفت المصادر في رسم اسم شهرته، فإذا كان ابن صاحب الصلاة وابن عبد الملك المراكشي يتفقان حول هذا الاسم كما ورد سابقاً، فإن ابن الخطيب يرسمه هكذا ابن تست بدون يائين بعد التاء والسين، أما ابن القاضي فقد رسمه ابن تيست بياء واحدة بينما سماه ابن أبي زرع ابن تسميت بإضافة الميم، وهو مالم يرد في بقية الروايات. وعلى عكس ذلك نجد مصادر أخرى أشارت إلى كنيته فقط دون ذكر باقي الاسم، ومن هؤلاء ابن القطان والسيوطي والتجيبي.

كان عبد المنعم ابن تيسيت فقيهاً أديباً جميل الطلعة أزرق العينين، انتقل من مسقط رأسه أغمات إلى فاس أيام الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي واستوطنها، لكن المصادر لم تذكر شيئاً عن ولادته أو وفاته. ومن خلال المعلومات القليلة نستنتج أن ابن تيسيت كان أحد أدباء العصر الموحدي الأول وفقهائه، إذ تتلمذ على يد كبار فقهاء هذه الفترة وأدبائها من أمثال القاضي الأديب أبي بكر عبد الله ابن ميمون القرطبي وأبي محمد اللخمي السبط، وقاسم الزقاق وغيرهم، فأصبح بفضل هؤلاء من أهل العلم عارفاً باللغة والأدب والحساب. كما أخذ عنه الكثير من أهل عصره، إذ يذكرُ ابن الأبار أنه وقف على إجازة بخط ابن تيسيت لبعض أصحابه مؤرخة في غرة رمضان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة.

ومع ذلك فإن المصادر المغربية الوسيطية بمختلف أنواعها لم تول عناية للجانب العلمي والأدبي في شخصية ابن تيسيت بقدرما اهتمت بقصة علاقته بأستاذه أبي بكر ابن ميمون. تشير أحداث هذه القصة إلى أن ابن ميمون كان يحضر مجالس الخليفة عبد المؤمن إلى جانب جملة من العلماء والأدباء يتجاذبون أطراف العلوم والآداب. وفي أحد هذه المجالس أنشد أبياتاً يتغزل فيها بابن تيسيت مطلعها :

أبَا قاسِم والهَوى جِنَّةٌ وها أنا من مَسِّهَا لمْ أفِقْ

وعندما سمع عبد المومن هذه الأبيات هجر أبا بكر ومنعه من حضور مجالسه بعد ذلك، كما منع أبناءه من القراءة عليه.

ومن المعروف أن ابن ميمون نظم كثيراً من المقطعات الغزلية في أبي القاسم ابن تيسيت حفظها الناس وتناقلوها فيما بينهم، لكن لم يبق منها إلا شذرات في بعض المصادر. وقد حاول بعض الذين ترجموا لأبي بكر أن يبرزوا في حياته الجانب الأخلاقي والسلوكي فوصفوه بأنه كان حسن الخلق متواضعاً، فكه المحاضرة، مليح المداعبة وكان في الطبقة العليا من الطَّهارة والعفاف (*الذيل*، سفر 6، 319 ـ 320) وكأنهم بذلك يريدون التأكيد على أن علاقة أبي بكر بأبي القاسم كانت عادية لا تتجاوز مداعبة الأدباء وملاطفاتهم. وليس من الغريب أن يصنف ابن ميمون كتابين في هذا الموضوع، الأول هو *شرح مُعَشَّراته الغزلية*، والثاني مصنف ضخم كفَّر به عن تغزله وهو *شرح مكفراته الزهدية*.

توفي ابن تيسيت بعد عام 598 / 1 ـ 1202.

أ. التجيبي، *زاد المسافر*، تح. محداد، بيروت 1939، ص 6 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. التازي، ط 3، بيروت، 1987، ص 159 ـ 160 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. م. مكي، بيروت، 1990، ص 212 ؛ ابن الأبار، *التكملة لكتاب الصلة*، تح. العطار، مصر، 1956، ص 511 ؛ م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. احسان عباس، السفر السادس، بيروت، 1973، ص 319 ـ 321 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972، ص 205 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. عنان، القاهرة، 1975، 3 : 85 ـ 87 ؛ جلال الدين السيوطي، *بغية الوعاة*، تح. م. أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1964، 1 : 254 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974.

رشيد السلامي

تيسينت، واحة من مجموع الواحات الواقعة على طول جبل باني جنوب الأطلس الصغير بين طاطا وفم زگيد (انظر جبل *باني* : *المعلمة*) كانت تيسينت في عهد الاستعمار مركزاً إدارياً لشؤون الأهالي على قدم جبل تاينزور، إحدى قمم جبل باني الذي يبلغ ارتفاعه 1159 م. تقطن تيسينت جماعة قروية تنتمي حسب التقسيم الجماعي القديم إلى دائرة فم زگيد المنتمية بدورها إلى إقليم طاطا عندما تم إحداثه سنة 1977.

تتكون واحة تيسينت من عدة قصور توجد على ضفتي واد يحمل اسم واد تيسينت، ويتشكل من ثلاثة صجار مائية تلتقي كلها في منطقة عميقة تسمى الخنگ عند قرية أقانيت سدي. وبهذه القرية تجرى مياه مالحة تشبه في ملوحتها مياه البحر. وتتكون قرى هذه الواحة من أقانيت سدي، تأنزيضا وتغيت، القصبة وأيت ويران وتازنوت والزاويت، وبني موسى ومغاميما وأگادير ن تيسينت مركز القيادة ونواة مركز حضري، وفيه يقام السوق الأسبوعي للواحة يوم الثلاثاء.

استوطن الانسان هذه الواحة كباقي واحات السفح الجنوبي للأطلس الصغير منذ أقدم العصور. وفي العصور الوسطى لعبت قبائلها المختلفة، نظراً، لموقعها الهام في منطقة تمر عبرها الطرق التجارية الرابطة بين المغرب والسودان، دوراً مهماً على المستوى الاقتصادي أي على مستوى العمليات التجارية بين السودان الافريقي والشمال الافريقي خاصة في عهد الأعشاب المجلوبة من المناطق الصحراوية. وهؤلاء معروفون في جل المدن الغربية وخاصة ساحة جامع الفناء في مدينة مراكش. إذ نرى هؤلاء يتحدثون عن أصل هذه التجارة وموادها التي تتكون من بيض النعام وريشها وجلود الأفاعي الكبرى والخواتم الفضية. وأهم الدواوير التي يتعاطى سكانها إلى الآن هذا اللون من التجارة هم دوار تانزيضا و الزاويت وأگادير.

وفي عهد المولى إسماعيل تولى القضاء الرسمي في قرى هذه الواحة محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر

الأقاوي سنة 1124 هـ وهذا ظهر توليته : "لكتابنا هذا ... بيد حامله المرابط الفقيه ... سيدي محمد بن أبي بكر بن محمد ابن أبي بكر الأقاوي من حصن أرز يتعرف الواقف أننا ولييناه خطة القضاء بالمشمس (اناصر) من تيسينت إلى واد نون وأحوازه من عربان وغيرهم والفتوى فيها. فعليه بتقوى الله في السر والعلانية. وبسطنا له اليد على القضاة والفقهاء ينظر في أمورهم. ومن تعداه فلا يلوم إلا نفسه، ولا يجني إلا على رأسه والله حسيبه والسلام وفي الثاني من شهر رمضان المعظم عام أربعة وعشرين ومائة وألف وفوقه الطابع الكبير ...". ثم إنه لم يكن قاضياً فقط، بل قاضي القضاة الموجودين في تخوم الصحراء السوسية من تيسينت بطاطا إلى وادي نون الواقع على البحر المحيط. وذلك يشمل إيالة كبيرة تضم كل ما تحت جبل باني وتامانارت وتاغاجيجت بإفران الأطلس الصغير (*العسول*، 18 : 185). وفي عهد الحسن الأول خضعت قرى هذه الواحة لحكم القائد محمد بن علي بن احماد بن أبي النعيلات المعروف ببونعيلات، حيث تولى القضاء الرسمي من طرف السلطان لما زار المنطقة. "ومن حكومة هذا القائد تيسينت وأيت جلال الأعراب. وقد سمعت بعض الناس يقولون : إن القرى التي تحت يده تناهز ثلاثا وأربعين قرية، فيها من طاطا زهاء ثلاثين قرية وست من تيسينت وما إليها، وقرية أقا نايت سدي وقرية تامزيت وقرية تغيت وقصبة أنكارف..." (المختار السوسي، *الرحلة الثالثة*).

عرفت هذه الواحة عبر الفترات التاريخية ألواناً شتى من القبائل. ويظهر هذا من خلال العادات والتقاليد التي ما تزال تسودها. وأغلب هذه القبائل ذات أصل من جنوب الصحراء جاءت إلى المنطقة خلال مراحل مختلفة. كما أنها تحتوي على قبائل عربية : رحل إدا وبلال وأيت أشا وأيت جلال، ثم هناك الشرفاء المرابطون الذين يسكنون في الزوايا. وقد امتزجت هذه القبائل وتعايشت جنباً إلى جنب. كما أن الواحة كانت تسكن بها طائفة يهودية تتعاطى التجارة وبعض الحرف.

يتخذ استقرار السكان على جوانب الأودية في هذه الواحة كما هو الحال في كل الواحات المرتكزة على مشارف وادي درعة شكلَ قصور ومداشير يستغلون بقعاً أرضية لمزاولة الزراعة المختلفة اعتماداً على العيون أو السواقي المنبثقة من الأودية. وقد كان أسلوب النواعر إلى جانب السواقي أحد أساليب السقي في الواحة ببعض الدواوير في ما مضى، إلا أن إدخال المحركات الحديثة المستخدمة بالديزل والبنزين حلت محلها، واستغلها الفلاحون أحسن استغلال في زراعتهم. تتكون هذه الزراعة غالباً من أشجار مثمرة أهمها النخيل وفيه عدة أنواع، كالمجهل وبوسكري وبوفگوس، والحبوب وخاصة الشعير بالإضافة إلى الخضر والفصة والحناء.

أما السكن فهو عبارة عن تجمعات بشرية منتظمة تبني بالتابوت عادة أو بالأحجار مسقفة بجذوع النخيل والكالبتوس وسعف النخيل. وتتوسط كل تجمع ساحة عمومية يجتمع فيها رؤساء القبائل للنظر في أمور قريتهم أو تستعمل للأفراح والمناسبات. بل هناك قرى مثل تانزيضا أهلها يسكن في كهوف ومغارات حفرت على تلال من الكلس، وقد كان هذا النمط من السكن فيما مضى ذا أهمية بالغة حيث تتبارى به الأسر، بل إلى هذا اليوم ما زالت بعض الأسر تملكه وتستغله خلال فصل الشتاء وأيام تهاطل المطر.

إلا أنه نظراً للتحولات الاقتصادية والظروف الاجتماعية وما عرفته الواحات وقع تطوير شكل البناء سواء من حيث المواد أو التصميم. أما الخيام التي كانت في ما مضى هي الأخرى أحد أنواع السكن لقبائل الرحل فلم تعد لها هي الأخرى الأهمية التي كانت لديها.

أما تقاليد وعادات الواحة فمن مظاهرها في ما يعرف بالمنطقةبالهرمة والشمرة وأحواش، بل هناك فرقة فلكلورية مشهورة في الواحة تسمى فرقة تيسينت تشترك على الصعيد الوطني في مهرجانات فلكلورية أو دولية، تتكون من الرجال والنساء. فالرجال يلبسون زياً أزرق عبارة عن أقمصة ذات نمط صحراوي زرقاء وعمائم سوداء، متقلدين خناجر من فضة. أما النساء فيلبسن زياً أسود في الغالب ويتحلين بالحلي التقليدية المعروفة في الواحة "بالخلالة" "وإزَرْزْ" "وأسَرْسْلَ". تدخل إحداهن الوسط وتتبارى مع أحد الرجال في الشطحات والرقصات كأنها خذروف.

وقد اشتهر سكان قرى هذه الواحة في الصناعة التقليدية المحلية لصياغة حلي الفضة معتمدين في ذلك على المواد المحلية إذ بالمنطقة توجد بعض مناجم الفضة، والحدادة والخرازة والنجارة تستعمل فيها جذوع النخل. كما اشتهرت بعض الأسر في قرية تانزيضا في صناعة الفخار، وكذا قرية تغيت التي اشتهرت في صناعة الملح الأبيض. كما اكتشف بها في الآونة الأخيرة في منطقة تسمى "أگولزي" منجم للرخام إلا أنه مازال لم يستغل بعد. أما نساء المنطقة فهن بارعات في صناعة الأواني المنزلية ولوازمها كالطباق والقفاف، يعتمدن في صناعة ذلك على سعف النخيل كما يشتغلن في الغزل والنسيج. وتعقد في قرى هذه الواحة عدة مواسم سنوية أشهرها موسم إبراهيم بن عبد الله في تانزيضا وموسم عبد الله بن محمد في الزاويت أيام عيد المولد النبوي ثم موسم الحاج إبراهيم في أقا إغان. ورغم أن هذه القرية بعيدة شيئاً ما عن الواحة إلا أن أهل دواويرها يزورون هذا الموسم بل يحضرون حفلاته التي تشتهر بطهي العصيدة وتوزيعها على كل أفراد القرى.

م. السوسي المختار، *العسول*، 3 : 204 ـ 206 ؛ 18 : 185 ؛ الرحلة الثالثة ؛ *معلمة المغرب*، 3 ص. 1016 ـ 1017 ـ 1018.

مبارك أوسديد

تيشيشت، عاصمة قديمة بوادي نون. وتعتبر قريتا تيغمرت وأسرير المجسدتين الفعليتين لبقايا نول لمطة على ضفاف وادي نون بالضفة الشمالية الغربية للصحراء

الأطلسية (انظر مادتي *أسرير* و*تيغمرت بالمعلمة*). وقد اعتمد مونتوي V. Monteil الرواية المحلية ليسجل خلال الأربعينات بأن تيشيشت التي تقع حيث يقيم أيت مسعود بتيغمرت هي مركز العاصمة القديمة (*Notes sur les Tekna*, 21). لم يتوان D. Eustache بدوره انطلاقاً من هذه الفرضية عن تحديد موقع ورش سك الذينار الذهبي المرابطي بتيشيشْتْ (*Les Ateliers*, 95 - 102). معلوم أن دخول المرابطين القادمين من الصحراء إلى نول سنة 448 / 1056 - 1057 قد تم في إطار عقد تحالف قبل بموجبه أهل المدينة دفع ثلث ممتلكاتهم للمرابطين "ليطيب لهم بذلك الثلثان" (البكري، *المغرب*، 166).

كانت نول تمثل يومها عاصمة الضفة الشمالية الغربية لمسالك الصحراء الأطلسية الساحلية. فقد كانت تحتكر مسلك نول ـ أوليل. كما كانت قوافلها تصب في المحور الرابط بين سجلماسة وأوداغست. فلم يجد المرابطون لذلك أي صعوبة في إنشاء معمل لسك الدينار الذهبي الذي ما تزال المتاحف الأوربية والمغربية والجزائرية تحتفظ بعينات كثيرة منه. تميزت الفترة الفاصلة بين 497 / 1103 و540 / 1146 بوفرة معامل سك الدينار المرابطي الذي كان يزيد وزنه عن أربعة غرامات من الذهب. وقد أوضحنا في دراسة خاصة عن معمل نول خلال هذه الفترة أن إنشاءه يعود بنظرنا إلى ما قبل سنة 486 / 1093 - 1094 معتمدين في ذلك على مكانته البارزة في الإنتاج. كان يمثل رابع معمل بالمنطقة الجنوبية مع سجلماسة ومراكش وأغمات. فبينما تخصصت تامدولت وتارودانت وإيجلي في سك الفضة. كان التبر يصل إلى نول على شكل تراب أو حبات أو قضبان أو أشكال هندسية مختلفة الأحجام. ما كان يميز تبر آبار الغرب الافريقي المتعددة هو اعتباره يومها ذهباً خالصاً قابلاً للسك دونما تحليل. وبالرغم من أن أبحاث R. Messier المختبرية قد أثبتت وجود نسبة صغيرة جداً من النحاس والفضة، فإن هذا الذهب يظل مع ذلك أفضل مادة ذهبية قابلة للسك المباشر، نصل من هنا إلى إشكالية المقادير المسكوكة وما إذا كانت الكميات الواصلة من آبار الغرب الافريقي تسمح بالاستعمال النقدي المباشر ؟ إذا كان الباحثون قد أجهدوا أنفسهم في تحديد المقادير الذهبية العابرة للصحراء دون جدوى، فإن التقديرات والاحتمالات لا تسمح حالياً بمعرفة ما إذا كانت الكميات المسكوكة توفر المقدرة التأطيرية للمبادلات المحلية والجهوية كما كان عليه الشأن بالنسبة لمجتمعات البحر المتوسط (J. Devisse, *Commerce*, 416). نعلم فقط بأن عملية سك الذهب لم تستهو أهالي أوداغست وغانة حتى بعد سنة 442 / 1050 وهو تأكيد لعدم احتياجهم التعامل بمسكوك ذهبهم العائد من الضفة الشمالية. من هنا ندرك بأن رواج الدينار المرابطي لم يتجاوز الصحراء جنوباً وأنه أخذ وجهة الأندلس وما وراءها شمالاً. ما تزال تكشف التنقيبات الأوربية عن عينات من هذا الدينار المرابطي الذي جسد نوعية العلاقات التجارية بين ضفتي المتوسط وفق مقتضيات البنيتين الاقتصادية والاجتماعية (Colson, *Notes*, 241). لقد تمثل التمايز الاقتصادي بين الضفتين إلى حد بعيد في قدرة الشماليين على جلب موفور الدينار لتوطيد دعائم اقتصادهم وإدماج تجارة القوافل في محيطه. وهي إشارة إلى أن معمل نول لمطة لسك الدينار لم يكن، شأنه في ذلك شأن باقي المعامل الجهوية، قادراً على تأطير النشاط الاقتصادي وتعميم مفهوم التبادل بالعملة المسكوكة. وقد زاد من حدة هذا العجز استقلالية سياسة السك بهذه المعامل الجهوية. كان تحكم أمراء المرابطين ومديري معامل السكة في قرار السك يهم بشكل أو بآخر القضايا السياسية والاقتصادية العالقة. هذا ما يمكن أن نقره بشأن إبراهيم بن أبي بكر بن عمر اللمتوني عامل سجلماسة (462 / 1069 - 70، 467 / 1074 - 1075). وهو أيضاً ما يؤكده تمسك معمل نول لمطة بسك دينار مرابطي سنتين بعد انهيار دولة المرابطين على يد الموحدين.

انطلاقاً من هذه الاستقلالية الإدارية والعسكرية، نرى أن سك التبر الإفريقي لم يكن يرقى رغم جودة الدينار وسمعته المتميزة، إلى مستوى الاستغلال المكثف للأسواق الشمالية البعيدة. بل الملاحظ أن سياسة سك الذهب لم تكن مندمجة ضمن أي مشروع لخلق بنية ترويجية متكاملة في الضفة الشمالية للصحراء، بقدر ما كان منعزلاً عن المبادلات الداخلية وتابعاً لحاجيات الضفة الشمالية للبحر المتوسط. استناداً إلى هذا المنظور ندرك لما ذا توقف معمل نول لمطة عن العمل بعد فترة قصيرة من انهيار المرابطين. فرغم ما أورده Th. Monod و P. Cenival بشأن استمرار العمل به خلال الموحدين وبعدهم، نرى غياب شواهد الإثبات، من مسكوكات ومصادر، كفيلا وحده بعدم الاقتناع بهذا الاحتمال (*Description de la Côte*, 159 - 161, note 191). على أنه لا يمكننا التغافل عما قامت به نول لمطة من دور طلائعي في تطوير المبادلات بين ضفتي الصحراء من جهة وبين سوس والبحر الأبيض المتوسط من جهة ثانية. لقد أبرزت فاعليات الرواج التجاري أهمية نول في التحام فصائل لمتونة وتبعاً لذلك فإننا لسنا هنا أمام تعارض بين مفهوم التلاحم القبلي وتأسيس معمل لسك الدينار الذهبي. ونفس الملاحظة يمكن أن نبديها بشأن التداخل النسبي بين البنية التجارية المحلية وتسرب استعمال النقود الذهبية. فمجرد إقامة علاقة اقتصادية من هذا النوع ما كانت لتثير مثل هذا النقاش لو لم تكن تعزيزاً لمسلسل تسرب القيم النقدية.

مصطفى ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة*، الرباط، 1988.

Colson, *Notes sur les dinars trouvés en 1851 dans l'ancienne chappelle du monastère Del-Camp*, *Revue Numismatique*, XVIII, 1853, 240 - 243 ; J. Devisse, *Commerce et routes du trafic en Afrique Occidentale*, *Histoire Générale de l'Afrique* III, *L'Afrique du VIIème au XIème siècle*, Paris, 1990, 397 - 463 ; D. Eustache, *Les ateliers monétaires du Maroc*, *H-T*, 1970, 95 - 102, carte ; R. Messier, *Quantitative analysis of Almoravid dinars*, *J.E.S.H.O.*, XXIII, parts I - II, figures 2 et 3, 105 - 114 ; Id., *The Almoravids. West africain gold and the gold currency of the mediterranean*

bassin. J.E.S.H.O., XVII, part I, 1 - 47 ; Th. Monod et P. Cenival, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal, par Valentin Fernandès*, Paris, 1938 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna du Sud Ouest Marocain*, Paris, 1948 ; M. Naïmi, *L'apport de l'idéologie murabitia et du contrôle de l'espace dans l'émergence de la généalogie Takna*. Etude inédite in *Pays Takna. Commerce, Histoire et Structures*.

مصطفى ناعمي

تيضَافْ أو تيظاف، كلمة أمازيغية تعني الحراسة والمراقبة والمتابعة والتجسس والسهر على الشيء. وقد استعملت استعمالات أخرى في المجال العسكري عند الموحدين كما سنرى.

الفعل من الكلمة هو "ءيضُوف" ويعني عايَن، راقب، تربّص، تجسس، تابع، سهر على... وقد استعملت الكلمة منفردة أو مركبة كاسماء أعلام بشرية أو جغرافية للدلالة على معنى مرتبط بالمعاني السابقة الذكر. وهذه أمثلة على ذلك : إيَدَوْنيضيفْ، إيگْنْتَافنْ، يحيى ابن گُنْدَافْ، ءانْضَافْ، تَاضَافْتْ، تِينْضُوفْ (أي تِنْدُوفْ الحالية) أزرو وَاضَافنْ ...

دخلت الكلمة قاموس التاريخ المكتوب منذ القرن السادس (12 م) على أقل تقدير، حين كتب أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق كتابه عن *أخبار المهدي*. ويكفي أن نورد هنا العبارات التي وردت فيها الكلمة في الكتاب المذكور، لتتضح المعاني التي تؤديها في المجال العسكري على الخصوص :

"... وجعل المعصوم (ابن تومرت) برجا (بتينملّ) يقال له برج تيظاف، وجعل فيه طبلا، فكان يمسك الطبل عبد السلام آغيبي ..." (ص 80) (قارن مع *الحلل الموشية*، ص. 112).

"... فدخلنا أزرو (جيش عبد المومن) وسكنا به (...) ثم تقاسم العسكر على أعداد، خرج ابن زگو لبني كانون وخرج آخر لتيظاف..." (ص 89) "... ثم قلع الخليفة (عبد المومن بن علي) من أگرسيف يريد فاسا، فنزل بالمقر مدة، فجاءه أبو بكر بن الجبر بعسكر غمارة، فقال الخليفة للموحدين : أعطونا تيظاف يمشون إلى فاس ويتعرفون إن كان هذا الرجل (والي فاس) في قوة أم لا ..." (ص 99).

"... ثم قال الخليفة (عبد المومن) للموحدين أعزهم الله : أعطوني تيظاف يصرفون لمكناسة، فخرج إليهم يدّر بني ولگوط فقتلهم جميعاً إلا ثمانية من الخيل..." (ص. 100).

انطلاقاً عن هذه الفقرات يتبين ان كلمة "تيضاف" يمكن أن تعني في المجال العسكري المعاني التالية : برج المراقبة أو طلائع الجيش أو كتائب الاستطلاع أو فرق الحراسة.

والجدير بالذكر أن الكلمة لا تزال متداولة في اللسان الأمازيغي رغم التراجع الذي وقع في استعمالها إذا تعلق الأمر ببعض معانيها المذكورة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، باريس، 1928 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء، 1979 ؛ م. شفيق، *المعجم العربي الأمازيغي*، 1990، ص. 260.

Ch. de Foucauld, *Dictionnaire...*, I, p. 260 ; E. Destaing, *Vocabulaire*, Paris, 1920, p. 270 ; E. Laoust, *Contribution.....* Paris, 1942, p. 72.

علي صدقي أزايكو

تيط، كلمة بربرية تعني العين الجارية، واسم الموقع الكامل : "تيطنفطر" أي عين الفطر. وقد عربه ابن قنفذ في *أنس الفقير* بأنه العين الباردة. ويفهم من الزموري صاحب *بهجة الناظرين* أن لهذه التسمية علاقة بالتعاليم الصوفية للأمغاريين مؤسسي رباط تيط، فكانوا يفطرون هم ومريدوهم من ماء عين متفجرة في صخرة داخل البحر، ومن كرامة شيوخ بني أمغار أنهم كانوا يسيرون على الماء للوصول إليها.

وهناك تأويل وجيه لمعنى تيطنفطر ساقه محقق كتاب *التشوف* لابن الزيات، رأى فيه أن أقرب تأويل يقبله هذا الاسم هو أنه تيطنفطر أي عين انفطر، ومعنى انفطر إناء معروف من قديم يشبه المد الذي به تحسب زكاة الفطر وتقتسم به مياه الري (*التشوف*، ص. 209، هامش 462).

تبعد تيط عن مدينة الجديدة بنحو أربعة عشر كيلومتر جنوباً، ويلاحظ أن مركز الاستقرار البشري القديم يبعد عن ساحل تيط الصخري بحوالي ثلاثمائة متر، ويأخذ موقعا مرتفعاً عن سطح البحر، تحيط به أراض صالحة للزراعة من كل الجهات، باستثناء الجهة الغربية، ولا توجد بهذه الأراضي أي عيون ماء ولا آثار لمظاهر السقي.

ودأب مؤلف *البهجة*، منذ بداية حديثه عن مجهود الأمغاريين السقوي، على التمييز بين العين القديمة والعين الجديدة. وهذه الأخيرة هي التي اتخذها شيوخ الرباط مستقراً لهم أثناء انقطاعهم للعبادة. وبالفعل، أمكن ملاحظة العديد من العيون ذات النبع الباطني، التي يرتبط ظهورها بحركة المد والجزر. وماء بعضها حلو عذب، لذا يحتمل أن تكون إحداها هي المقصودة من وصف الزموري.

يزخر الساحل الدكالي بمثل هذه المنابع، خصوصا في الناحية الممتدة بين أزمور وأبير (جنوبي تيط) وأن ميزة تيط لا تنطوي على أي خصوصية جغرافية بقدر ما توحي بخصوصية ميزت عينا من عيونها الكثيرة، وقد تكون هذه الميزة هي البرودة والنقاوة التي أوحى بها وصف ابن قنفذ. لقد أثرت هذه المعطيات في تاريخ تيط الطويل، وفي اقتصادها القائم على الصيد والزراعة. كما شكلت تلك المعطيات عنصر استقطاب للبرتغاليين الذين وجدوا في مركز تيط الوسطى القريب من أزمور ومازيغن (الجديدة) عاملا استراتيجيا في خطتهم الاستعمارية.

يتوطن مركز تيط ساحلا صخريا، يمتد على نطاق واسع، من أزمور في الشمال إلى أسفي في الجنوب. ويتصل بالبحر بواسطة أجراف متباينة الارتفاع، باستثناء خلجان وألسن بحرية وفرت أحواضاً صغيرة كانت كافية في السابق، لاستغلالها كموانئ صغيرة، ومن ضمنها ميناء تيط.

أما من الناحية المناخية، فلا تختلف ناحية تيط عن

باقي مناطق دكالة الساحلية، حيث ساعد اعتدال الساحل على التخفيف من جفاف المنطقة واحتفاظها بمستويات حرارية معتدلة خلال فصول السنة، وقيام نشاط زراعي ساحلي (الوجة) وانتشار غطاء غابوي حول تيط يحتمل أن يكون من العوامل المشجعة للاستقرار المبكر الذي عرفته هذه الجهة.

وتعتبر الوجة النطاق الزراعي الرئيسي لمحيط تيط، وبالرغم من مساحتها الضيقة، فإنها كانت توفر إنتاجاً كثيفاً ومتنوعاً. فخلال نهاية القرن السابع (13 م)، كانت بتيط جنان تنتج الأعناب وأراض لزراعة الحبوب (*البهجة*، ورقة 18) وينتشر خارج نطاق تيط مجال إضافي شاسع أسماه الزموري بفحص تيط. وقد استعمل هذا المجال في الفترة المرابطية كمرعى لصنهاجة دكالة.

وسنلاحظ في فترة لاحقة إن إنتاج تيط للحبوب جعلها من المزودين الرئيسيين للبرتغاليين بهذه المادة. كما رشحت تيط باستمرار لتكون المخزن الرئيسي لحبوب سائر المناطق المحيطة، سواء منها الحبوب التي استخلصت كإتاوات، أو تلك التي كانت تشترى لحساب الملك البرتغالي.

تأثر الموضع البشري في تيط بنفس المؤثرات التي تحكمت في سائر المراكز الدكالية قبل القرن العاشر (16 م) وتتلخص هذه المؤثرات، من جهة، في استقرار القبائل العربية وما أعقبه من تغيرات في البنية البشرية الدكالية، ومن جهة ثانية في الاستعمار البرتغالي ومخلفاته الاجتماعية والاقتصادية.

هكذا ظلت تيط كغيرها من المراكز الدكالية الأخرى بربرية اللسان، على الأقل إلى حدود القرن الثامن (14 م) بشهادة لسان الدين ابن الخطيب في *نفاضة الجراب*.

وقد شكل تعمير تيط حلقة من حلقات التغيير البشري الذي عرفته هوامش تامسنا الجنوبية وأطراف دكالة الشمالية، بسبب حروب برغواطة المستمرة إلى القرن السادس. وسوف يشكل وصول صنهاجة إلى ناحية أزمور تتويجاً لانتصارات المرابطين على الحركة البرغواطية. وهناك من المؤرخين من يربط بين هذه الانتصارات وتأسيس رباط تيط الأمغاري. إلا أن هذا الرأي لا يطابق المعطيات التاريخية المتوفرة عن هذا الرباط، فاستقرار مؤسس الرباط (إسماعيل) بناحية أزمور كان سابقا لقيام دولة المرابطين، ويحتمل أن يكون استقراره المبكر بطرف تامسنا الجنوبي مرتبطاً بدوره الصوفي الرامي إلى تصحيح معتقدات السكان ومحاربة عقيدة البرغواطيين. وظلت تيط محتفظة بشخصيتها القبلية - شأنها في ذلك شأن سائر مناطق صنهاجة أزمور - لم تندمج في الوسط العربي إلا تدريجياً، وهو ما تؤكده بوضوح المعلومات القليلة التي وفرتها مشاهدات بعض الرحالين ومراسلات برتغالية متأخرة. ويمكن اعتبار النصف الثاني من القرن التاسع (15 م) مرحلة انتقالية بين المرحلة البربرية من تاريخ تيط والمرحلة العربية.

لا تساعد الإشارات العارضة التي وردت في الحوليات التقليدية عن تيط، الباحث على تتبع تطور هذا المركز - الرباط وأدواره الصوفية والاقتصادية، وهو ما جعل بعض الدارسين المتأخرين يولون أهمية خاصة لتاريخ هذا المركز بصفة عامة ولعمارته الأثرية بشكل خاص. وقد استنتج بعض هؤلاء، مثل باصي وطيراس أن عمارة تيط تمثل مفارقة كبيرة في التاريخ الأثري المغربي، ومجهوداً ضخماً في إنجاز غير مخزني أهمل من طرف المؤرخين المغاربة. ويحتمل أن يكون لهذا الإهمال علاقة بما أوحت به ملاحظة الدارسين السابقين، من أن المبادرة في التشييد لم تكن للمخزن بل كانت لأسرة مرابطية. ويمثل صمت المؤرخين عن ذكر أخبار تيط إجحافاً بمجهود أسرة صوفية كان لها عطاء متميز في مجال جد حساس. فقبل أبحاث باصي وطيراس عن عمارة تيط، لم نكن نعرف عن هذا المركز إلا بعض الإشارات المتفرقة التي لم تتعد في الغالب تحديد موقعه على خريطة المغرب، وسوف تمكن هذه الأبحاث من إثارة الانتباه إلى عنصر جديد لم يكن وارداً في أخبار المؤرخين القدامى، ويتعلق الأمر باحتمال استقرار بشري قديم بمركز تيط قبل الفتح الاسلامي للمغرب.

إن مثل هذه الحقيقة ستغير من النظرة إلى تاريخ الأمغاريين مؤسسي رباط تيط، الذين ارتبط وجودهم ونشاطهم الروحي بهذا المركز، ويحد لا محالة تأويلاً مغايراً لما هو سائد في الحوليات التقليدية ويحدّ من القيمة الرمزية التي اكتسبها الأمغاريون طيلة خمسة قرون من زعامتهم لهذا الرباط. ولتنظيم أخبار تيط المبعثرة يستحسن استعراضها من خلال مرحلتين : - مرحلة قديمة وهي التي كشفت عنها أبحاث باصي وطيراس وتمت معاينة بعض بقاياها الأثرية. - مرحلة السيادة الأمغارية، وتطابق أخبارها دور تيط الصوفي العلمي.

ولنغض الطرف هنا عن المرحلة القديمة مكتفين بمرحلة السيادة الأمغارية : تنحصر أخبار هذه المرحلة في مجموعة محدودة من المعلومات، تم جمعها من خلال ثلاثة مصادر متباينة الأصول : مصادر إخبارية مغربية ومراسلات برتغالية ومخلفات أثرية.

لعل ابن الزيات أول من تحدث عن تيط كرباط ديني "في بلاد أزمور" (*التشوف*، ص. 209) ولم يتعد كلامه هذا التحديد البسيط لموقع الرباط. واكتفى ابن قنفذ فيما بعد، باعطاء المقابل العربي لتسمية تيطنفطر (*الأنس*، ص. 71) ولخص ابن الخطيب في *معيار الاختيار* (ص. 30) رحلته إلى رباط تيط في وصف وجيز ذي قيمة تاريخية مهمة. ويسجل على مؤرخ الأسرة الأمغارية ابن عبد العظيم الزموري إغفاله لذكر أي مظهر من مظاهر الحياة العمرانية بتيط، بحيث يصعب على متتبع هذا الكتاب أن يجد فيه إشارات مفيدة تهم مثلا تطور سكان رباط تيط أو تاريخ بنائه أو بناء سوره الكبير، وانحصر حديثه في بعض الجمل المتعلقة بالمسجدين العتيق والحديث.

وبخلاف المؤرخين السالفين، قدم الحسن الوزان في

وصفه لتيط خلال بداية القرن العاشر (16 م) إشارات تاريخية مفيدة تهم الآثار السلبية الناجمة عن تعامل سكان تيط مع البرتغاليين، وتوضح الطريقة والسبب في ترحيل سكانها من طرف السلطان الوطاسي محمد البرتغالي.

ونستنتج في النهاية أن جل المعلومات المتعلقة برباط تيط، جاءت عارضة في أغلب الأحيان، ولم تتعد مجرد التلميح الهامشي. وعلى أهميتها جاءت المعلومات المستقاة من المراسلات البرتغالية محدودة، لا تهم إلا الفترة الممتدة بين سنتي 919 و921 / 1513 و1515 (سنة إخلاء تيط).

ويندرج اهتمام البرتغاليين بتيط ضمن خطتهم الاستعمارية الرامية إلى التعرف عن قرب على إمكانيات المناطق المجاورة لأزمور المحتلة، والوضع الداخلي لهذه المناطق، وكذا علاقاتها السياسية بالسلطة الوطاسية. وما دامت تيط إحدى المراكز الخارجة عن السلطة البرتغالية، فقد أولاها البرتغاليون أهمية خاصة تمثلت في مراقبة تجارتها والتضييق بسكانها، وهي الخطة التي أفضت في النهاية إلى إجبار شيوخها على التماس الحماية البرتغالية يوم 10 جمادى الثانية عام 919 / 13 غشت 1513 م. ومن أهم المراسلات البرتغالية التي تهم هذه المرحلة، رسالة من القائد "استاڤو رودريگيش" إلى الملك البرتغالي "عما نويل الأول"، ضمنها حقائق هامة عن مركز تيط، منها أهميته الاستراتيجية وما يوفره ميناؤه الصغير من إمكانيات لوسق الحبوب فضلا عن أهمية محيطه الغابوي ووفرة الأحجار الجيرية به. ويفهم من مضمون هذه الرسالة أنها وسيلة لإغراء الملك البرتغالي لقبول القيام بحملة عسكرية تدعم الولاء الشكلي لشيوخ تيط (تاريخ هذه الرسالة 31 غشت 1513).

شكلت البقايا الأثرية، بغض النظر عن المصادر الإخبارية السابقة مصدراً هاماً لتاريخ تيط الاسلامية قبل التخريب. وتأخذ هذه البقايا مدلولات مختلفة. فهي في مضمونها دينية صرفة وفي مظهرها دفاعية. وتبقى هذه المخلفات أهم الوثائق الحية لتاريخ تيط الطويل، وبفضلها أمكن تجاوز صمت المؤرخين الذين أهملوا - عن قصد أو غير قصد - ذكر آثار صوفية ودينية ضخمة شيدت في الأساس للدفاع عن الإسلام.

إن المتجول اليوم بتيط (المعروفة بمولاي عبد الله أمغار) لا تثيره بهجة ساحلها أو فسحة محيطها، بل تشده في المقام الأول تلك المسحة الصوفية التي مازالت تطبع أطلال سور مندرس وأبراج متداعية ومقابر تعلوها القباب والأضرحة. إن تتبع مختلف البقايا (اتجاه السور ومواقع الأبراج) يبين بوضوح أن رباط تيط كان في الأصل رباطاً بحرياً مفتوحاً على الساحل بواسطة برج ضخم. وتثير هذ البقايا مجموعة من التساؤلات تتعلق بتاريخ بناء العمارة الدفاعية والقصد الحقيقي من إقامتها، خصوصاً وأن المصادر التاريخية لم تشر إليها. وتشمل هذه البقايا مجموعتين كبيرتين، أولاهما دينية وثانيتها دفاعية. تضم المجموعة الأولى مسجدين وصومعتين. ينسب المسجد الأول لأبي جعفر إسحاق الأمغاري، أما الثاني فغالباً ما يرجع المؤرخون تشييده إلى ابنه محمد أمغار الكبير.

لقد مكنت أبحاث باصي وطيراس من تحديد النواة الأصلية لمسجد أبي جعفر إسحاق، وبفضل المعاينة المباشرة لهذا القسم تبين فعلا أنه ما زال يحتوي على كل مواصفات المسجد العتيق، فبداخله يوجد حصن متوسط المساحة وقبة صغيرة يرقد بداخلها جثمان مشيده، وإلى جواره شيدت عمارة أوسع تشمل حجرة واسعة يتقدمها محراب عتيق بسيط المظهر.

وتدل معالم هذا القسم على أنه استعمل كمسجد صغير، تم توسيعه فيما بعد بإدماج منزل أبي جعفر إسحاق فيه. والملاحظ أن ابن الخطيب وبعده الزموري لم يقفا في وصفهما لتيط عند صومعة هذا المسجد، وأكتفيا بذكر منارة المسجد الحديث، وهو ما تخالفهما فيه نتائج الأبحاث الاركيولوجية التي كشفت عن بقايا صومعة عتيقة بموضع مسجد أبي جعفر. وحسب نفس النتائج فإن هذه المنارة كانت خالية من كل تكلف ولم تكن متقنة البناء، وإن علوها قارب السبعة أمتار، وتطابق في كل مواصفاتها النموذج القرطبي والزناتي. أما المسجد الحديث فقد اكتمل بناؤه حوالي سنة 652 / 1254، بناء على إشارة كتبت على قطعة خشبية وضعت قرب محرابه، وجاءت معالم منارته واضحة، تقارب في مظهرها العام منارة الكتبيين بمراكش.

أما المجموعة الثانية من البقايا الأثرية فتشمل سوراً ضخماً وأبراجاً عالية، تدل على قوة رباط تيط الدفاعية. فعلى بعد قرابة مائتي متر من الساحل يحيط سور ضخم بمساحة كافية لاستيعاب مدينة بأكملها (باصي، ص. 121) ويميل تخطيطه الهندسي إلى الاستدارة، باستثناء الواجهة البحرية الممتدة على مسافة تتراوح بين 200 و300 متر، وتأخذ شكلاً مستقيماً.

تتخلل هذه الواجهة أبراج عالية تتمركز عند الزاوية الجنوبية للسور، وهي الجهة المقابلة لنقطة الرسو عند الخليج الصغير. وانطلاقا من هذه الزاوية يمتد ممر عريض في اتجاه الساحل الصخري منتهيا عند برج ضخم يمثل النقطة الأكثر توغلا في الساحل، وينفتح السور على الخارج بواسطة ثلاثة أبواب : باب جنوبي (باب أسفي) وباب شمالي (باب الجديدة) وآخر شرقي (الباب القبلي) ويعتبر الجزء المطل على الساحل أمتن أجزاء السور إذ يتوفر على قاعدة صلبة، بينما تفقد الأجزاء الأخرى من صلابتها كلما توجهنا ناحية الجنوب الشرقي، أي قبالة بلاد دكالة.

وتباينت أشكال الأبراج بين الشكل الدائري والنصف الدائري والمربع والمستطيل، ومازال البرج البحري يحتفظ بكل مواصفاته القديمة : قاعدة صلبة مسلحة بأحجار كبيرة تتلاحم موادها بصخور الساحل. ويلاحظ أن الطريقة التي شيد بها السور والأبراج كانت تتوخى إعاقة عمليات الإنزال البحري المحتملة. وإذا ما كُتب لهذا الرباط أن يسقط فعن

طريق البر وتحت ضربات متتالية، وهو ما لم نتأكد من حدوثه. ويبقى إشكال تشييد هذه العمارة الضخمة أمراً وارداً ما دامت المعلومات المتوفرة لا تسعف الباحث بمعرفة الأسباب الحقيقية لذلك.

وعموما، ستظل عمارة تيط الدفاعية مظهراً عمرانياً متميزاً ولغزاً تاريخياً محيراً، بالرغم على أن تيط لم ترق إلى مستوى المراكز الدكالية المجاورة، كمدينة أزمور حاضرة الإقليم الصنهاجي.

لقد كان لبعد تيط عن مراكز الأحداث دور كبير في تهميشها وانغلاقها عن مسايرة التفاعلات السياسية المختلفة التي شهدها المغرب منذ العصر المرابطي إلى حين تخريبها في بداية القرن العاشر. كما أن لموقع تيط الهامشي بالنسبة للمسالك التجارية التقليدية أثراً كبيراً في عزلتها. تضاف إلى هذه العوامل محدودية مينائها منذ البداية.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، تح. أحمد التوفيق، الرباط، 1984 ؛ ل. ابن الخطيب، *معيار الاختيار*، تح. م. شبانة، المحمدية، 1976 ؛ *نفاضة الجراب*، تح. م. مختار العبادي ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير* ؛ أ. بوشرب، *دكالة والاستعمار البرتغالي*، الدار البيضاء، 1984.

S.I.H.M., 1ère série *Portugal*, Volume I ; H. Basset-Terrasse, *Sanctuaires et forteresses Almohades, le Ribat de Tit*. *Hesp.*, Vol. 7, 1927.

محمد المازوني

تيط ـ روتوبيس (Rutubis)، استرعى موقع تيط انتباه الكتاب قدمائهم ومحدثيهم، فاعتبرها الحسن الوزان مدينة قديمة من بناء الأفارقة الذين أسسوها على شاطئ المحيط. ونسب مارمول Marmol اسم المدينة القديمة توت (Tut) نقلا عن المؤرخ اليهودي يوسيفوس Josephe لحفيد نوح توت الذي نقل أتباعه التوتيين إلى موريطانيا الطنجية. وذكر مارمول بأن بطليموس Ptolemée جعلها عند خط 7°30'. وأضاف مارمول قائلا بأنه حتى زمانه اعتبرت من المدن الليبية ـ فنيقية.

وتحدث الباحثان طيراس Terrasse وباصي Basset عن وفرة مقابر هذا الموقع التي تعود لمرحلة ما قبل الإسلام. وأكد المختص في الحضارة البونية سنطاس Cintas هذا الرأي. ومن ثمة بدأت الافتراضات حول موضعة موقع روتوبيس Rutubis البوني. وقد نحا الباحثون المعاصرون منحاه، ففريق وطنها بموقع مازيغان (الجديدة) وفريق ثان طابقها بتيط (مولاي عبد الله).

وكان ڤيڤيان دوسان مارتان Vivien de Saint Martin من أول الباحثين الذين تحدثوا عن ميناء روزيبيس Rhusibis البطولومي والوارد عند بوليب تحت اسم روتوبيس. وذكر بأن الفرق بين المصطلح من خلال المصدرين هو كون لائحة بطليموس تحدد الميناء شمال نهر أصاماس Asamas بينما يجعله المؤرخ بوليب على بعد ثمانية أميال وراءه أو جنوبه. ومال ڤيڤيان إلى المصدر الثاني لمصداقية كتابات صاحبه وأيضا لأن شهادته يؤكدها الميدان كشمال نهر أم الربيع وعلى مجال يقرب خمسين ميلا رومانيا لا يوجد أدنى أثر لميناء على الساحل الأطلسي بينما نجد مباشرة بعد النهر فتحة Baie واسعة تحميها عند طرفها الجنوبي المدينة المحصنة مازيغان وتفسح كذلك المجال للسفن لتبحر في مكان رحب ومناسب. ونحس بحيرة ڤيڤيان عندما يذكر أنه لا يدري أي الأسماء يلزم الاحتفاظ بها هل مصطلح بوليب روتوبيس Rutubis أم مصطلح بطليموس روزبيس Rhusibis. ويقول ڤيڤيان بأن المدينة تتوسط هذه الفتحة وهي بذلك توجد في مساحة متساوية من الموقعين الحاليين أزمور ومازيغان.

ويحدد تيسو Tissot ميناء روتوبيس البوليبي وروزيبيس البطوليمي عند مرسى مزيغان أو البريجة والمصطلح الأخير هو الشائع الاستعمال بين الأهالي.

ويخالف تيسو ڤيڤيان الرأي ويعتبره خاطئا عندما وطن الميناء عند الفتحة نصف الدائرة التي تمتد من البريجة إلى أزمور. فالصخور البارزة على الشاطئ تجعل المكان غير مناسب. وإلى يومنا هذا يعد مرسى مازيغان هو المكان الوحيد الصالح لرسو السفن إذ يحميه الرأس الصخري المكون من الطرف الجنوبي للفتحة، واسم روتوبيس يستند عليه تيسو ليؤكد فرضيته المتمثلة في توطينه لميناء روتوبيس عند رأس البريجة نفسه. فالمصطلح هو من التراكيب الفينيقية التي يندرج ضمنها مصطلح رأس Rus ذو الدلالة اللغوية الواضحة.

ويردد بزنيي Besnier وگزيل Gsell بدورهما ما ذكره تيسو. يقول بزنيي بأن بوليب أو أگريبا اللذين توصلنا بخبر رحلتهما عن طريق بلين يجعلان ميناء روتوبيس على بعد سبعة أميال جنوب نهر أناتيس. وبطليموس بدوره يوطن خطأ ميناء روزيبيس شمال هذا النهر، ويحدد بزنيي الميناء في مرسى الجديدة عند رأس البريجة.

ويذكر توڤنو Thouvenot بأن ميناء روتوبيس يوافق مازيغان، ويقع هذا الميناء على بعد ثلاثمائة وعشرين كلم من ليكسوس، وعلى مسافة أقل من تلك التي ذكرها بلين وبوليب وهي مائتان وأربعة وعشرون ميلا. ويحتفظ بنفس الرأي في العديد من كتاباته ويضيف في إحدى مقالاته قائلا بأن رتيبيس توافق مازيغان، هذا إذا كنا قد أخذنا قياساتنا من الساحل بدءا من رأس سپارطيل.

يقدم مارسي G. Marcy تفسيراً لغويا لمصطلح روتوبيس أكثر ضبطا وتفصيلا، فيقسم المصطلح إلى كلمتين راس (Rus) وإبيس (Ibis)، يرجعه لأصل بربري ليبي ويعطى كمقابل له بالفرنسية مطلح رأس الغليان (Cap du bouillonnement)، يعتقد بأن الرأس يوافق به شط الرأس الأبيض الذي استقى اسمه من الصخور الشاطئية التي تتكسر عندها الأمواج وتبدو للعيان بزبدها الأبيض. ويتفق بدوره على أن ميناء رتيبيس يوافق مدينة مازيغان.

ويوافق پديش Pedech هو الآخر بين ميناء روتوبيس ومرسى مازيغان. ويقع الميناء بالضبط وكما دل على ذلك

بلين القديم برجوعه لبوليب على بعد مائتين وأربعة وعشرين ميلا من ليكسوس. وباعتماد أيام الإبحار يقع هذا الميناء على بعد أربعة أيام من النهر المذكور.

ويطابق موني Mauny بدوره ميناء روتوبيس بمرسى مازيغان. ويذكر في نفس الصدد بأن مازيغان يقع فوق رأس بحري، والمصطلح البوني له نفس الدلالة : رأس Rus. وهو الميناء الوحيد الذي يوجد تقريبا عند المسافة المذكورة بعد ليكسوس 224 ميلا. ويوافق أيضا ميناء روزبيس الوارد عند بطليموس.

وذكّر موني بخاصية المراكز البونية، فهي تقع عند المجاري المائية مثل ليكسوس وسلا وأزمور. وفي بعض الحالات عند الرؤوس Caps للاحتماء بها وكمثال روتوبيس ـ مازيغان وميناء ريسادير Rhyssadir ـ أگادير (؟).

واكتفى كاركوپينو Carcopino بترديد ما قدمه هذا الفريق من معطيات عندما وافق هو الآخر بين روتوبيس ومازيغان. ولكنه وطنه خطأ على بعد مائتين وأربعة وثلاثين ميلا وليس على بعد مائتين وأربعة وعشرين ميلا كما هو وارد عند جل الباحثين المذكورين وضمن المصدر نفسه (بلين القديم، *الكتاب V*، الفقرة 9).

وكان الباحثان طيراس Terrasse وباصي Basset من الذين لفتوا الأنظار لقدم مآثر تيط التي تقع على بعد بضع كيلومترات جنوب غرب مازيغان وبالقرب من البحر وتشتهر في القرون المتأخرة تحت اسم مولاي عبد الله. وتيط حسب الباحثين المذكورين رباط بحري مهم من السهل أن ترسو فيه سفن ذات حمولات صغرى.

وأكد طيراس وباصي على قدَم التعمير فيه كما تدل على ذلك المقابر العديدة الموجودة إلى الجنوب الغربي عند الساحل الصخري. وهي أحواض مستطيلة Cuves rectangulaires ذات أبعاد مختلفة، مصطفة بانتظام ومفصولة عن بعضها في بعض الحالات بجدار صخري ضعيف السمك. وقد تعرضت هذه الآثار للتعرية البحرية التي غيرت من معالم بعضها كما أن حركية الأرض خفضت المستوى القديم الذي وجدت فوقه المقابر.

ولقد شبه الباحثان طيراس وباصي شكل المقابر في حالتها الناجمة عن التعرية بشكل مقابر طنجة وتازة. وذكرا أيضا بأن المنطقة شكلت تجمعا بحريا مهما خلال العصر البوني الجديد Neo-punique وعن اسم التجمع وأهميته اعترفا بأنهما لا يدريان أدنى شيء، ورجعا بدورهما لشهادة الحسن الوزان ولمارمول اللذين حصرا تيط ضمن المدن الليبي ـ فنيقية. ولا نعرف ما هي باقي مصادر مارمول القديمة التي اعتمدها للقيام بتصنيفه.

وقد تعرض الباحثان طيراس وباصي لخاصية الموقع، فالفتحة الضيقة صالحة لرسو السفن والمياه متوفرة. ولا يطلب المزيد لتركيز السكان، فتيط القديمة هي بلا شك قرية بحرية.

وتحدثت التقارير البحرية البرتغالية بدورها عن مميزات تيط وعن الفتحة ذات الاتساع المناسب التي يمكنها أن تستقبل من عشر سفن إلى اثنتي عشرة سفينة صغيرة. ويوجد بالموقع إضافة لذلك خليج صغير Crique يسمح للزوارق أن تدخل إليه عندما يكون الجو هادئاً.

واعتبر سنطاس موقع تيط أقدم من مازيغان وعاصمة سابقة للمنطقة قبل أن تحتل مازيغان مكانتها بعد أن أضحت الأولى أطلالا وأهملت. وذكر سنطاس هو الآخر بالعدد الهائل للحفر المنحوتة في الصخر وبين أنه من الصعب أن تعرف استعمالاتها بيقين تام. فهي فارغة من محتواها الأثري ـ إذا كان لها بالفعل محتوى ـ وقد تعددت حولها الآراء والكل ينسى ـ وعلى حد قول سنطاس ـ بأن موقع وأبعاد أحواض تيط تقترب بشكلها من القبور البونية الحديثة Neo - puniques.

ومن الواضح أنه بموقع تيط توجد مقابر روزبيس القديمة المطلة على الساحل بموضع مناسب لرؤيا البحارين البونيين وهو موضع أفضل من الموضع الذي تقع فيه مازيغان الحديثة.

والجدير بالملاحظة أن أحواض تيط حفرت بقاعدة تعود لتلال تنتمي للزمن الرابع. وهي تحيط بالفتحة الصخرية وتحمي الشاطئ وتصطف بالنسبة للجزء المرئي منها والقريب من البحر بانتظام. ولا شك أن للحفر نفس الشكل نحو داخل الأراضي.

ولقد آمن سنطاس إيماناً قوياً بأن تيط موقع بوني، فالرسو فيه سهل، وهو مخبأ ضد الصابيات Alizès وأيضا منبع للمياه العذبة وضواحيه وافرة الثراء، ومن الممكن أن يكون البحارون البونيون قد عرفوا ميزة مياهه واستعملوا طرقا خاصة بهم لتجميعها من الساحل نفسه.

وخلص سنطاس إلى أنه توجد بتيط وبرأس كانتان Cap Cantin بقايا مقابر تغمرها مياه المحيط، ويمكن أن تكون مقابر السكان الأوائل للمستعمرات البونية، أما المقابر التي تقع على بعد ثلاثمائة متر من الساحل برأس كانتان وعلى بعد خمسمائة متر أو كيلومترين بداخل تيط فيمكن أن تطابق مقابر المعمرين الذين وفدوا على المنطقة في مرحلة الاستعمار الثانية.

وأثبت لوكي Luquet وجود أحواض Cuves بتيط على بعد عشرة كيلومترات جنوب مازيغان. وقام بحفريات بهذا الموقع البوني المعروف والموجود شمال شرق المقابر، ولكنه لم يصل إلى نتيجة تذكر. وبمساعدة مونيي Meunier تابع الحفر في جهة أخرى فبحث على بعد حوالي 500 متر من الساحل وجنوب أسوار تيط الإسلامية فتعرف على مدافن عديدة، وأسفرت الحفريات في مجموعها عن مقبرة كبيرة بتيط وعلى ثمان عشرة مقبرة صغرى لها أهميتها بالضواحي، كما تم الكشف شمال أسوار الموقع على خمسين بئراً. وهكذا تبين للأثريين أن مدينة تيط البربرية تقع بلا ريب في موضع المدينة البونية نفسها. ومن الواضح أن الجبانة كانت ـ كما هو سائد بالنسبة لمعظم الحضارات ـ

خارج الأسوار. أما ركمور Roquemaure الذي اهتم بموقع تيط اهتماما كبيرا فرأى أنّ العمود المحاط بحجارة والموجود أمام جامع مولاي عبد الله لعمود أحادي Monolithe شبيه بذاك الذي كان يضعه الفينيقيون بمزاراتهم.

وأستحضر رايموند روجي R. Roget مصدر بلين الذي ورد ضمنه مصطلح روتوبيس وذكر بأن الكاتب القديم حدد الموقع نقلا عن الرحالة بوليب على بعد 19 ميلا جنوب أناتيس (ليكسوس ← روتوبيس = 224 ميلا، ليكسوس ← أناتيس = 205 ميلا. إذن فمسافة روتوبيس ← أناتيس هي 224 - 205 = 19 ميلا).

أما اللائحة البطوليمية فوطنت الميناء خطأ شمال نهر أناتيس وأطلقت على الموقع اسم روزبيس. وهكذا ومن خلال هذه اللائحة تم قلب وضع النهر والميناء.

ولخص روجي الدراسات التي وافق أصحابها بين روتوبيس والرأس الصخري البريجة (أو ميناء الجديدة) وأصحابها كما سردهم روجي وكما بيناه أيضا وهم على التوالي : تيسو وبوزنيي وگزيل، الخ...

وحسب روجي يوجد على بعد اثني عشر كلم من مازيغان بمولاي عبد الله أي على بعد حوالي تسعة وعشرين كلم جنوب أزمور ميناء يقع على مصب نهر أم الربيع يوافق تسعة عشر ميلا الواردة عند بلين القديم. وتؤكد المقابر القديمة الشبيهة في شكلها بتلك التي اكتشفت بطنجة وتازة والتي تم استخراجها من الحصن الموحدي على قدم المنطقة.

وعاد روجي هو كذلك للحسن الوزان ولمارمول ونبه إلى خاصية الموقع : منبع وخليج صغير صالح لرسو السفن. ولذا احتمل أن توافق تيط روتوبيس القدماء والتي حلت محلها بعد ذلك مازيغان.

ويعد دوزانج Desanges آخر من اهتم بهذا الموضع فاعتبر بأن تعريف ميناء روتوبيس المحطة المهمة في الرحلة البوليبية يتم انطلاقا من نهر ليكسوس على بعد أربعة أيام من الإبحار التي توافق 224 ميلا بوليبيا. ومن نهر أناتيس إلى ميناء روتوبيس 19 ميلا أي حوالي 27 كلم جنوب النهر الذي يوافق بلا شك نهر أم الربيع. ومع ذلك يعتبر دوزانج ميناء روتوبيس من المواقع التي يصعب ضبطها بيقين.

وهكذا نرى بأن معظم الدراسات تميل إلى مازيغان المعاصرة التي تقع على بعد ستة عشر كلم من نهر أناتيس ويميل بعضها لتيط (مولاي عبد الله) الذي يوجد على بعد حوالي ثلاثين كلم فأكثر من النهر. ويجمع الباحثون على اعتبار روتوبيس البوليبي موافقاً لروزبيس البطوليمي.

وبما أن نهر أناتيس يقع على بعد مائتين وخمسة أميال من ليكسوس وإذا آمنا بموافقة نهر أناتيس لنهر أم الربيع فستوافق رتبيبيس بلا شك تيط (مولاي عبد الله) التي توجد على بعد ثلاثين كلم من مصب هذا النهر عوض مازيغان التي لا تبعد عنه إلا بحوالي ستة عشر كلم.

ح. الوزان الفاسي، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الاخضر، بيروت، 1983، ج 1، ط. 2، ص. 152.

Marmol, *L'Afrique*, trad. par Perrot Sieur d'Ablancourt, Paris, Tome II, chap. 55, pp. 94 - 95 ; Vivien de Saint Martin, *Le Nord de l'Afrique dans l'antiquité grecque et romaine : Etude historique et géographique*, Paris, 1863, p. 361 et p. 421 ; Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, 1876, p. 101 note 2, p. 361 et p. 184 ; H. Basset et H. Terrasse, *Sanctuaires et forteresses almohades, le ribat de Tit*, *Hesp.*,VII, 1927, pp. 117 - 121 ; R. Ricard, *La côte atlantique du Maroc au début du XVI siècle d'après les instructions nautiques portugaises*, *Hesp.*, VII, 1927, pp. 224 - 225 ; R. Roget, *Index de topographie antique du Maroc*, P.S.A.M., 4, 1938, p. 69 ; R. Thouvenot, *La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien*, *Hesp.*, XXVI, 1939, p. 116 et p. 117 ; R. Thouvenot, *Le géographe Ptolémée et la route du Sous*, *Hesp.* 1946, p. 381 ; R. Thouvenot, *Défense de Polybe*, *Hesp.*, XXXV, 1948, p. 88 ; R. Thouvenot, *La côte océanique du Maroc, ce qu'en ont connu les anciens*, *B.E.P.M.*, 205, 1951, p. 46 ; G. Marcy, *Le périple d'Hannon dans le Maroc antique de M. J. Carcopino*,*J.A.*, 1943 - 45, pp. 24 25 ; P. Cintas, *Contribution à l'étude de l'expansion carthaginoise au Maroc*, Paris, 1954, p. 25; A. Luquet, *Prospections puniques de la côte atlantique du Maroc*, *Hesp.*, XLIII, 1956, p. 120, pp. 125 - 126, p. 128 et pp. 130 - 132; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, p. 160 ; J. Desanges, *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique VIème av. J.C - IVème ap. J.C*, Paris, 1978, pp. 134 - 135.

البضاوية بلكامل

تيعَزّيتْ، زاوية في قبيلة هنتيفة. وينطقها أهل البلد تعَزّيطْ، بتاء مكسورة وعين مفتوحة وزاي مفخمة مشددة مكسورة، فياء فطاء ساكنة، وهي لفظة أمازيغية معناها الوعر الصعب المنال. وتدعى أيضا زاوية سيدي عبد الحق.

تقع تيعزيت في شعب عميق يدعى محلياً شعبة تلاّنزيدْ، تحيط بها تلال مرتفعة من ثلاث جهات. كما تقع على الضفة اليسرى لوادي العبيد الذي يفصلها عن أيت عتاب. وتبعد عن مدينة دمنات بحوالي ستين كلم جهة الشمال الشرقي. وتنتمي لفخذة بني حسان من ضمن قبيلة هنتيفة السهل (*Répertoire*, 467).

تأسست زاوية تيعزّيت على يد المتصوف سيدي عبد الحق بن عبد الرحمن القيرواني دفينها، وهو من أصحاب الشيخ أبي عبيد مَحمد الشرقي البجعدي، يستفاد من وثيقة عثرنا عليها في الزاوية المذكورة أن سيدي عبد الحق المذكور من نسل جعفر بن أبي طالب، وأنه قدم إلى تيعزيت في رجب سنة 1025 / يوليوز - غشت 1616.

وقد ذُكرت تيعزّيت في كتاب *المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي* عند ترجمة أبي عبيد الشرقي حيث ذكر عبد الحق بن عبد الرحمن من بين أصحاب الشيخ المترجم. ولعل زاوية تيعزيت قد انتمت إلى سند الشرقاويين آنذاك. وفي القرن الحادي عشر (17 م) ارتبط ذكرها بالناصريين، حيث تتلمذ لهؤلاء بعض أعلام هذه الزاوية. وقد ترجم الخليفتي لاثنين منهم. أولهما محمد بن الهاشمي التّيعزّيتي الذي أخذ عن الشيخ أحمد ابن ناصر الدرعي طريق القوم (*الدرة الجليلة*، 275). ثانيهما أحمد الصنهاجي الذي كان من بين أساتذة تامگروت. وبذلك غدت تيعزّيت محطة في طريق الناصريين إلى فاس، زارها الحسينَ الشرحبيلي البوسعيدي حين كان متوجهاً من تامگروت إلى فاس (*الدرة الجليلة*، 276). وذكرها صاحب *الإعلام* أثناء ترجمة الشيخ محمد العربي بن محمد المعطي

الشرقاوي، حيث كانت بين شرقاوة وأهل تيعزيت علاقة مصاهرة، إذ تزوج والد المترجم بامرأة حقاوية "من ذرية الشيخ سيدي عبد الحق القيرواني دفين جبل تعزيط". مما يدل على أن الصلات كانت وثيقة بين الجانبين. وهذا ليس غريبا باعتبار الصحبة التي جمعت بين الشيخين سيدي عبد الحق وسيدي مَحمد الشرقي، ونظراً لانتمائهما معا إلى الطريقة الناصرية (*الإعلام*، 6 : 183).

وصُنفت تيعزيت حسب إحصاء سنة 1936 كقصر بلغ عدد سكانه 512 نسمة (*Répertoire*، 467).

وثيقة من زاوية تيعزيت ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ عبد الخالق بن محمد العروسي، *المرقى في بعض مناقب القطب مَحمد الشرقي*، مخطوط خ. ح.، رقم 2889 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*. *Répertoire*.

أحمد عمالك

تيعقّيدين، مصطلح شائع التداول بين القبائل الأمازيغية في الجنوب الشرقي المغربي، خاصة قبائل أيت عَطّا واتحادية أيت يَفَلْمَان، وهو مأخوذ من لفظ "العقد" العربي بمعنى الوثيقة. ويعني عندهم تسطير القواعد التقليدية الموروثة عن الأجداد، كما يعني الاتفاق والميثاق بين المجموعة القبلية لخدمة الصالح العام. ويطلق أيضاً مجازاً على المجلس الذي يسهر على تطبيق القواعد أو الشروط المتفق عليها، وعلى المكان الذي ينعقد فيه المجلس. ففي أيت عطّا يطلقون "تيعقّيدين" على مكان يوجد بجبل ضغرو ويسمى "إغرم أمزدار" كان يُعقد فيه مجلسهم.

وتطلق تيعقّيدين كذلك على مجموع الأحكام والأعراف المدعوّة أيضاً "إزرْف" أي القانون العرفي أو"شرط خمس خماس نايت عطا". تهم هذه الأعراف جوانب مختلفة من الحياة اليومية، فهي تشمل الملكية والحيازة الزراعية وتنظيم الانتجاع والحرث وجني الثمار، والضيافة والكرم ومعاملة الضعيف، والغزو والثأر ومعاملة الأسرى، وكذلك طريقة التعامل مع أمور العائلة وقضايا الشرف والعرض والعار وضبط العلاقات مع الأجانب عن القبيلة إلى غير ذلك من الممارسات اليومية.

تحافظ قبائل الأطلس على الأعراف أو "تيعقيدين" عن طريق "الرواية الشفوية" وهذا لا يمنع من اجتماع الأعيان أو أهل الحل والعقد في القبيلة أحياناً لتدوين شروط "تيعقيدين" وإعطائها طابع المشروعية والإجماع، يشار في مقدمة التقييد إلى أسماء الحاضرين ومكانتهم الاجتماعية.

ورغم أن "تيعقيدين" توجد على شكل مدونات فإن طابع الشفوية يغلب عليها وهذه الخاصية ربما هي المسؤولة عن الاختلافات في تطبيقها من منطقة إلى أخرى.

وفي إطار السياسة البربرية للحماية الفرنسية التي استهدفت التفرقة بين عناصر الشعب المغربي، وتكريساً لخطة الظهير البربري، أحيت سلطات الحماية الأعراف القديمة من مرقدها وشجّعت سكان المناطق الجبلية على

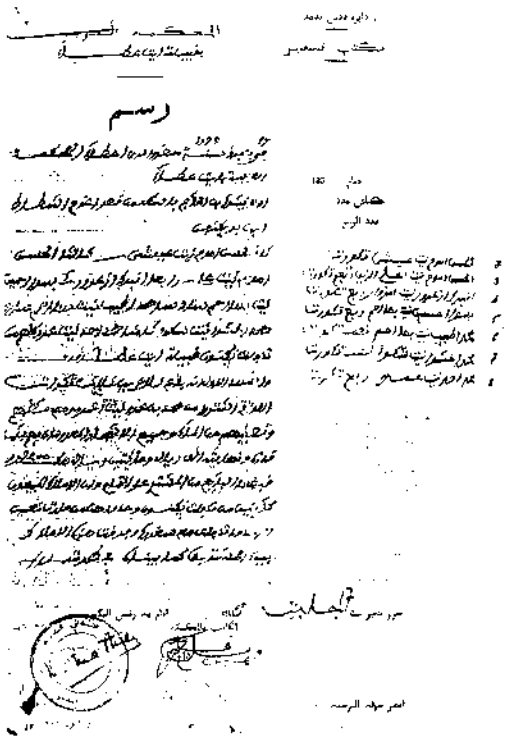

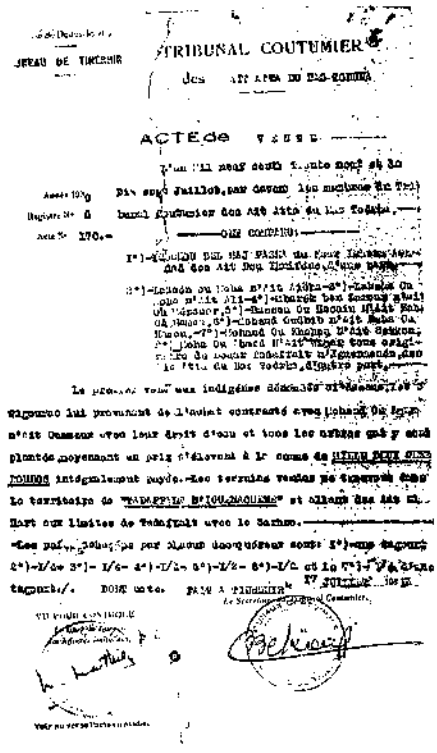
TRIBUNAL COUTUMIER

التمسك بها في محاولة لسلخهم عن الشريعة الإسلامية، مجندة لذلك رهطاً من الاداريين والمتفقهة الاستعماريين، وأحاطت تيعقيدين في أيت عطا وغيرها من القبائل الجبلية بهالة من الاعتبار المصطنع، وأوجدت الوسائل الكفيلة بتسجيل الأحكام والعقود العرفية بالفرنسية ثم بالعربية أيضاً (انظر نموذج العقد المحرر بمكتب تينغير من قبيلة أيت عطا). لكن هذه السياسة باءت بالفشل وعمت الأحكام

الشرعية الإسلامية بعد الاستقلال جميع أطراف المغرب سهلا وجبلا، مع بقاء بعض الأعراف المحلية التي لا تصادم مبادئ الشريعة السمحة.

وقد كتبت الباحثة المغربية رحمة بورقية بحثاً حول عرف "تيعقيدين" جاء فيه "ينبغي أن لا نفسر العرف بكونه نظاماً قانونياً متعارضاً مع الشرع كما لجأ إلى ذلك البحث الاستعماري الذي قسم المجتمع المغربي إلى ازدواج المخزن ـ السيبة / العرب ـ البربر / الشرع ـ العرف، بقدر ما هو تقنين لحياة اجتماعية وسياسية خاصة وللتناقضات التي تتخلل هياكلها. لذلك يستمد العرف ـ على الرغم من تأثره بالشرع ـ عناصره الضرورية من التعبير عن الحياة الاجتماعية والسياسية لهذه القبائل".

أ. التوفيق، *المجتمع المغربي في القرن 19 م : إينولتان (1850 ـ 1912)* ؛ ج. م. العثماني، *ألواح جزولة والتشريع الإسلامي*، ميكرو فيلم خ. ع. رقم 1340 ؛ ر. بورقية، *العرف والشرع*، *المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع*، ع. 7، 1984، ص. 155 ـ 173 ؛ الحسين بولقطيب، *بعض جوانب العرف القبلي بمغرب العصر الوسيط*، *الاتحاد الاشتراكي*، *الملحق الثقافي*، العدد 382، 5 يناير 1992 ؛ أعمال ندوة الجامعة الصيفية بأگادير، الدورة الأولى 1980 ؛ أفا عمر، *بعض العلاقات الداخلية في مجتمع البادية في القرن 19*، ص. 119 ـ 134 ؛ إ. العمراني وإ. الغربي، *التنظيم القبلي نموذج أيت عطا*، بحث لنيل الإجازة بكلية الآداب، أگادير 1990 ـ 1991.

G. Spillman, *Les Aït Atta du Sahara et la pacification du Haut Dra*, Rabat, 1936 ; D. Hart, *Assa - u - Baslam, Les Africains*, Tome 5 : *A Customary Law Document from Ait Atta*, *R.O.M.M.*, n° 1, Sept. 1966 ; L. Mezzine, *Le Tafilalet : Contribution à l'histoire du Maroc au 17ème et 18ème siècles*, Rabat, 1987 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud marocain*, Paris, 1930 ; Denoun, *Notice sur les Aït Atta du Sahara*, 1913 ; *Renseignement complémentaire sur les Aït Atta*, 1924 ; Mont de Savasse, *Le régime foncier chez les Aït Atta du Sahara*, C.H.E.A.M, 1951.

عبد القادر بوراس

تيعلاّلين (قصر في الأطلس الكبير ← **تامراكشت**

تيغالين، مدينة مغمورة في مياه البحر، تقع أمام رأس كنتان، اللسان الصخري الداخل في الماء، الذي تقع عليه منارة (فنار) كاب (رأس) كنتان، ويسميه أهل المنطقة (رأس بدّوزة) Bedouza الذي دشن سنة 1334 / 1916، وهو من أقوى الفنارات المغربية وأهمها.

وتوجد بجوار تيغالّين على بعد كيلومتر تقريبا إزاء الرأس مدينة تغمرها مياه المحيط وتسبب تياراً دائرياً تطفو أمواجه حتى حينما يكون البحر هادئاً لارتطام التيارات المتعاكسة في قعر البحر بسبب التعاريج التي تسببها الممرات (الشوارع) والسواري الغارقة. ويحكي البحارون أنهم يشاهدون تلك الأشكال الهندسية المختلفة حينما يكون البحر هادئا في ساعات الجزر. وكان أولئك البحارون المغاربة أبناء المنطقة وكذلك السياح الأجانب عشاق رياضة الصيد في الأعماق يقصدونها لأنها تجمع أنواعاً عديدة من الأسماك المطلوبة في الأسواق كذئب البحر (الدرعي) والسنيور (الفرخ) واللانكوس (جراد البحر).

والآن منعت السلطات الصيد فوق مياه المدينة بعد أن كثر الحديث حول خباياها المجهولة. ويعود سبب غمرها تحت الماء إما إلى زلزال قوي أو بفعل جيولوجي غير معروف.

وقبالة هذه المدينة، وتحت منحدرات الفنار نحو البحر، يوجد ضريح تَسّاوِلْتْ، يشاع بين سكان المنطقة أنها سيدة خرجت من البحر على ظهر قارب، وألقت بها الأمواج على الصخور فسكنت هناك مدة حتى توفيت فتحول مركبها إلى حجرة (مازالت مقصودة هناك). وبنى الأهالي قرب ضريحها مسجداً صغيراً ما زال حتى الآن، ويحكي حراس الفنار المتوارثون ذلك أباً عن جد أسطورة مفادها أنهم فوجئوا كثيراً من الأحيان بظهور حُفر قرب ضريحها والمسجد ووجود حجر عملاق مقلوب لا يستطيع إنسان مهما كانت قوته وحتى عشرة أشخاص، تحريكه، سوى "عفاريت" يستخدمها بعض فقهاء سوس الذين يقصدون الموقع لاستخراج الكنوز التي جاءت بها تلك السيدة المجهولة. ومازالت آثار تلك الحفر موجودة في تلك المنطقة حتى الآن.

تيغانيمين، فخذة من قبيلة إيداوتّنانْ السوسية الشهيرة بغربي الأطلس الكبير. كما توجد قبيلة تيغانيمين أيضاً شرقي مدينة تارودانت، على بعد حوالي ستين كيلومتراً. وهي المقصودة بهذا التعريف. ارتبط ذكرها بانتقال الطريقة الناصرية إلى أولوز التي توجد في أراضي تيغانيمين.

فعلى إثر وفاة الشيخ مَحمد ابن ناصر سنة 1085 / 1674، وقعت منافرة بين الشيخ أحمد الخليفة وأخيه علي، الشيء الذي دفع هذا الأخير إلى الانتقال إلى أولوز، ليستقر بين ظهراني قبيلة تيغانيمين، حيث أسس زاوية ناصرية هنالك، وسميت فيما بعد بزاوية البور، بمدشر رأس الوادي (*الروض الزاهر*، 122 ـ 124 ؛ *طلعة المشتري*، 2 : 4 ؛ *المعسول*، 10 : 34). إلا أن الشيخ علي بن مَحمد ابن ناصر لقي معارضة قوية من طرف أهل تيغانيمين، الذين ضيقوا عليه وذاق معهم شتى ألوان النكال. كما يتضح من رسالة جوابية وجهها إلى أخيه الشيخ أحمد الخليفة، يستغيث به وبالرجال الناصريين، بعد مقاطعة طويلة بين الرجلين. ومما جاء فيها : "واغوثاه إليك ثم للأشياخ من عصابة الغيّ والفساد وجرثومة العناء والعناد، أهل تيغانيمين، أن يبيح الله ديارهم، ويستأصل شأفتهم، ويهتك أستارهم..." (*الدرة الجليلة*، 85). يظهر أن الشيخ الناصري قد غضب بسبب النصب الذي لاقاه من أهل تيغانيمين. لكن ما هو السبب في هذا العداء المستحكم بين قبيلة وزاوية ؟

يذكر محمد المكي الناصري أن عليا ابن ناصر حين نزل بأولوز "ابتنى ديارا، واشترى به الأجنة ومعادن الحرث" (*الروض الزاهر*، 122). أي أن الزاوية قد توسعت في المنطقة وأصبح لها إشعاع. فهل معنى ذلك أن توسعها تم على حساب السكان الأصليين الذين ظلوا ينظرون إلى الزاوية

كطارئ على المنطقة ؟ أم أن تلك المعارضة نابعة من انتماء أولئك السكان إلى طائفة أخرى ؟ ولا ينبغي أن نستبعد أن أهل تيغانيمين كانوا من بين من لم يأخذ التصوف بأفئدتهم بعد، لذلك ظلوا يناوئون الزاوية.

ومهما يكن من أمر فقد آذى أهل تيغانيمين الشيخ الناصري إذاية كبيرة على الرغم من مكوثه بين أظهرهم طيلة ثمان عشرة سنة. وفي ذلك يقول محمد المكي الناصري : "كان (علي) لا ينام من الليل إلا قليلا من كثرة اللصوص، كلما أحس بهم نقبوا نقبا من خارج الدار ضرب بيده على مقابلة النقب من داخل فيعلمون أنه متيقظ فينصرفون" (*الروض الزاهر*، 124).

ويمكن استشفاف مدى الإذاية التي لاقاها علي ابن ناصر من لدن أهل تيغانيمين من خلال قصيدة هجاهم بها، رتبها على حروف المعجم ؛ وذكر فيها بعض أوصافهم وأفعالهم (*الروض الزاهر*، 124).

وقد ظلت العلاقات متوترة بين زاوية علي ابن ناصر، وقبيلة تيغانيمين حتى وفاته سنة 1109 / 1698 (*الدرة الجليلة*، 86). ورغم ذلك فقد استمرت ذريته من بعده قائمة على الزاوية الناصرية هنالك إلى عهد قريب (*طلعة المشتري*، 2 : 5) و(*المعسول*، 10 : 34).

محمد المكي الناصري، الروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الأكابر، مخطوط خ. ع.، الرباط، رقم 2261 ك ؛ م. ع. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *طلعة المشتري*؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج. 10.

أحمد عمالك

* * وهناك زاوية تيغانيمين المنسوبة للولي الصالح الشيخ إبراهيم بن علي التناني (ت. 989 / 1581) والواقعة بموضع "ايضمين" من قبيلة أيت واعزون التنانية على قمة الجزء الغربي من الأطلس الكبير شرق مدينة أكادير بحوالي مائة كلم. ويقال إن هذه القرية سميت تيغانيمين لأن الشيخ انتقل إليها من تيغانيمين من قبيلة الساحل. هذا ما يقال وإن كان الذي جاء من هناك هو والد الشيخ (*المعسول*، 15 : 75).

أما عن تاريخ بناء زاوية تيغانيمين فقد ذكر محمد المختار السوسي نقلا عن مضيفه الشيخ الحسن بوناگة : "أن ثلاثة من التنانيين كانوا وقفوا حتى بنيت قبة الشيخ سيدي إبراهيم بن علي ومسجده ومتوضأه وهم : الحاج عبد الكريم الواعزوني، والحاج أحمد أهدار، وهما المعروفان عندهم، ورجل آخر من أهل ـ أبي الرَّايْ ـ أي صاحب الرأي، كانوا توصلوا بمال فصرفوه بعد ما قسموا ما يُبنى، فبنى على ذلك أهل تانْكَرْتْ القبة وأهل واعزون المسجد وأهل ايفسفاسن المتوضأ، ولا يزال إصلاحها إلى الآن على هذا المنوال، وذكر لي الرئيس بوناگة أن سلطان ذلك العهد، يعنون سيدي محمد بن عبد الله باني الصويرة، كان داخل المذكورين ليتمكنوا من الثائر الطالب صالح فدفع لهم ثلاثمائة من الخناجر والبنادق من النوع الذي ينسب للطالب صالح مع مال كثير، وكان ذلك المال موهوبا منهم لسيدي إبراهيم بن علي، ولعله هو الذي بني به ما تقدم" (*خلال جزولة*، ج 4 : 84).

نالت زاوية تيغانيمين وأولاد الشيخ المقيمون بها من الاحترام والمكانة وسمو المقام ما تتذبذب دونه كل المقامات. واعتاد التنانيون أن يقوموا بحاجة جميع أولاد الشيخ بما يقاسمونهم من محصولات حقولهم، ومستغلات أشجارهم، حتى إنهم فرقوا أولاده على أفخاذهم الثلاثة أهل تانكرت وأيت واعزون وإفسفاسن، فيعرف كل شريف خدامه وخدام آبائه منهم. فيحوز المعتاد من الشعير والذرة والزيت واللوز والغنم. ثم ينزل هؤلاء في أيام مواسم الشيخ على شرفائهم فيقدمون لهم ما يأتون به إليهم خاصة. زيادة على ما تأتي به كل فخذة من الذبائح والبسيس والبيض والزبد. والعادة أن يذبح هناك من القبر والغنم الكثير، فيقتسم الشرفاء الجميع على عادة لهم متوارثة. (*المعسول*، 15 : 73).

ويرى روبير مونطاني أن سيدي إبراهيم أُوعلي وأحفاده هم الذين كانوا ينظمون قبيلة إيداوتنان سياسياً إلى بداية عهد الحماية (*التنظيم الاجتماعي والسياسي للقبائل الأمازيغية ـ نموذج إيداوتنان ـ* (مونطاني، *مجلة الدراسات الاسلامية*، 244).

وقد أشاد الفقيه الحاج أحمد بن علي التناني (الكاشطي) المتوفى عام 1374 / 1954 بمناقب الشيخ التيغانيميني وفضائل أولاده المشهورين بالعمل والصلاح حيث قال : "وقد اشتهر أولاد أبي سيدي إبراهيم بن علي في كل جبل بالعلم، وفيهم فحول أذعنت لهم رقاب الملوك في نواحي سوس وحاحة. ومن كراماته رضي الله عنه أن مدرسته ومحل ضريحه الأنور من قديم الزمان عامر بتدريس جميع فنون العلم من الحديث والتفسير والأصول وغير ذلك، ويتنافس الناس بالقراءة في ذلك المحل الشريف لما يحصل من النجابة في أقرب مدة للقارئ فيها، ولا يخفى ما يصيب المحل وأهله من الخيرات والرحمات" (الكاشطي، *التعريف*، ص. 97).

وفي يوم الثلاثاء 26 ربيع الأول عام 1379 / 29 شتنبر سنة 1959 قام الوزير محمد المختار السوسي بزيارة زاوية تيغانيمين فوصف مشاهداته بقوله : "رأيت الزاوية في شعبة بين جبلين شامخين والماء قليل. وليس هناك إلا منابع من آبار وعوينة تحت مشهد الشيخ بني عليها، ينزل إليها بالمراقي تبض بقليل من ماء، ثم دخلنا القبة الفسيحة، وفيها محراب، وأمامها مبلط، وإزاء هذا المبلط نطفية ماء. قالوا إنها موجودة من عهد الشيخ. ثم نزلنا من درج فدخلنا إلى مسجدين أعلى فوق أسفل، وعليهما معا رونق جميل بالاعتناء بتحسين بنائهما ثم ملنا إلى مدرسة صغيرة قديمة متداعية البناء فيها الأستاذ سيدي الحسين بن موسى الإفراني التانكرتي من المتخرجين بشيخنا سيدي محمد بن الطاهر الإفراني يلقي دروسا على ثلة من الطلبة. كما رأينا هناك صبية يتعلمون القرآن. ثم ضيفنا الشرفاء في نزل

حسن الفراش، بطعام طيب، فاستنهضتهم على الاعتناء بالعلم والدين. فإنه لا شرف إلا بالعلم والدين. ثم لَوَّحْتُ لهم بأن الواجب عليهم أن يربوا الأولاد منذ الآن على مزاولة الأعمال الحرة. لينبذوا التكفف المألوف من الناس، فإن ذلك الاعتقاد الذي كان يسود على الماضي فينتفع به أمثالهم صار اليوم ينقشع شيئاً فشيئاً" (*المعسول*، ج 5 : 74).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 15 : 72، 80 ؛ *خلال جزولة*، 4 : 84 ؛ أحمد بن علي الكشطي التناني، *التعريف بالبلدة التنانية*، مخطوط، ص. 90 ؛ روبير مونطاني، *مجلة الدراسات الإسلامية* سنة 1927، ص. 244 بعنوان *التنظيم الاجتماعي والسياسي للقبائل الأمازيغية، إداوتنان نموذجاً*.

محند أيت الحاج

* * ونجد بسوس موضعاً آخر يدعى تيغانيمين، بقبيلة مسگينة على بعد ثمانية كيلومترات شمال مدينة إنزگان في الطريق الثانوية الممتدة نحو السفوح الجنوبية للأطلس الكبير مخترقة أراضي مسگينة صوب مدرسة إيغيلالن.

يتألف هذا الموضع من أربع قرى تنتظم على ضفتي واد جاف يسار الطريق، قريباً من أيت علاّ (بتفخيم اللام) وانتظامها يمتد من الشمال إلى الجنوب كما يلي : أجاريف، وإگيزولن وإيغوشان والزاوية.

ويبدو من الناحية التاريخية أن قرية الزاوية هي النواة الأصلية لموضع تيغانيمين منزل الشرفاء أحفاد سيدي إبراهيم بن علي، واشتهر من الشرفاء هناك المدني بن إبراهيم وإخوته محمد ومحند والحسين، وخلفوا أحفاداً انتقل بعضهم مثل الأخوين الحسن والحسين فسكنا قرية أزرو شرق إنزگان نتيجة مصاهرتهم للعدل سيدي إبراهيم المشهور هناك.

ومن الناحية الاقتصادية يمارس سكان تيغانيمين بصفة أساسية صناعة الحُصُر وقد نقلوا هذه الصناعة عن أصهارهم (أيت علاّ) الذين امتهنوا هذه الصناعة منذ بداية القرن الثاني عشر (18 م) عقب تخليهم عن العمل العسكري في العهد الإسماعيلي واستقروا في هذه الجهة شأنهم شأن ابن عيادن، وأهل تاماعيت. كما اشتغل سكان تيغانيمين إلى جانب ذلك بالفلاحة البورية وتربية محدودة للماشية وخاصة الماعز.

ومن الناحية الاجتماعية تتميز وضعية تيغانيمين بنوع من الوجاهة باعتبارها مأوى الشرفاء آل سيدي ابراهيم بن علي. ويوجد بها مسجد لتحفيظ القرآن كما أسست بها مؤخراً مدرسة ابتدائية حديثة بينها وبين أيت علا لتعليم أبناء هذه الجهة.

م. الخضيكي، *الطبقات* ؛ البعقيلي، *تبيين الاشراف* ؛ *رواية شفوية* من أحمد أُوبيهي أُردود بتاباطكوكت.

عمر أفا

* * أما جبل تيغانيمين، فيقع بقبيلة بقّيوة الريفية (إقليم الحسيمة) حيث يوجد مدشر يحمل نفس الاسم، وعلو الجبل فوق سطح البحر نحو 1.050 متر ؛ وقد أطلق عليه الإسبان اسم مالموسي Malmusi عند احتلالهم له في شهر شتمبر 1925.

Misión histórica, 273 ; Martínez Campos, *España bélica*.

محمد ابن عزوز حكيم

تيغْرَمْت ← إغْرَمْ

تيغْزَى، أماكن كثيرة في جنوب المغرب وشماله، مثل تيغزى بأيت حربيل وأمانوز بسوس. لكن لا بد أن تضاف إلى علم بميزها، ما عدا تيغزى أيت باعمران، فهي علم مفرد. والكلمة أمازيغية تعني المنخفض من فعل إغوز. وهذا ما تبين من مقارنة بين المسميات بذلك.

تقع تيغْزَى الباعمرانية في سهل تاگراگرا، وأقدم سكنى هناك هو أگادير ـ ن ـ بُواغاطن، وهو كبير وقديم جدا، قيل إنه هُدم غدراً في قصة لا تخلو من حقيقة، وقد يكون الوباء هو الذي قضى على سكانه، ويزعم البعض أن المقبرة الكبيرة الباقية حتى الآن، كان يدفن فيها المسلمون واليهود على السواء. ويُنسب إلى سيدي حسين الشرحبيلي صاحب *رسالة الذكرى* إلى السوسيين، أنه لما مر هناك قال : "ينبغي لمن وقف على مقبرة تيغزى أن يخصص بدعائه المسلمين لما فيها من اليهود".

ويضيف البعض إلى أن الإسلام هناك بدأ في عهد المرابطين، لكن القاضي محمد أسلاّم، كان يردد أن الاختلاط موجود فقط بسبب الوباء الجارف سنة 1214 / 1799 ـ 1800. وفي تيغزى مدرسة أيت بوبكر العتيقة التي نزل فيها سيدي حسين المذكور عندما أعاد إقامة سوق خميس أيت بوبكر، بعد مجاعة مجحفة.

ويرجع وجود كثافة السكان في تيغزى إلى خروج عين غزيرة هناك تسمى عين أفُولُوسْ "الديك" ولم يبق منها الآن إلا مكان الحفارات، وقد طمست حوالي سنة 1330 / 1912 وشاع أن القائد باقا الذي حاصره أيت باعمران حتى أخرجوه قهرا من هناك لأمور يطول شرحها، هو الذي قام بطمسها.

تعدُّ تيغْزَى أهم مركز مخزني في تلك النواحي، فقد حل بها السلطان مولاي الحسن الأول، عند قائده الرسمي أحمد بن الشيخ همو، وذلك في رحلته سنة 1303 / 1886، فأعجب بتلك العين الغزيرة وبالمكان، فأمر بشراء أرض هناك من مال المخزن، فقامت عائلة القائد بذلك، وشرع في بناء سور محلة السلطان ويعرف بهذا الاسم حتى الآن، وعمرت بالحراسة المخزنية حتى عهد السلطان مولاي عبد العزيز، فطُرد من فيها لتهمة صحيحة، وكان الشيخ الحسن الخلفي وأمغار أحمد بن الأشقر هما اللذان تزعما ذلك الحصار.

تيغْزَى أكبر ثكنة للاستعمار الإسباني بعد بَاطَايُونْ بمدينة سيدي إفني، وقد اختار الإسبان النزول بها منذ سنة 1934 م بدعوى أنهم ورثة المخزن المغربي هناك، لكنهم لما أحسوا بأيت باعمران يتقولون حول تفويت محلة السلطان، تنحّوا جانبا، واشتروا أرضاً أخرى من نفس العائلة، وبنوا ثكنة عسكرية لا تقل جيوشها عن خمسمائة فرد، بالإضافة

إلى مرافقها من سوق ومدرسة، ومستشفى وسجن، واستخراج المياه...

أعلنت تيغْزَى نصر السلطان سيدي محمد بن يوسف يوم الخميس (السوق العمومية) سنة 1366 / 1947 وكان ردّ الاسبان قاسياً، إذ قبضوا على أعيان أيت باعمران وصادروا ممتلكاتهم، وزجّوا بهم في السجون بإفني وبالداخلة لمدة سبع سنوات، وفي تيغزى هذه بدأت إسبانيا في تطبيق الجنسية الإسبانية على أيت باعمران، وأمرت بتصوير النساء قصد الحصول على ورقة التعريف، وكادت الثورة العامة أن تشتعل، لولا تراجع حكام إسبانيا. ومنذ حوادث 1947 م صارت العلاقة مع إسبانيا تتأزم، إلى أن قامت ثورة التحرير سنة 1957 م، فحوصر مركز تيغزى من طرف جيش التحرير لمدة ستة عشر يوما، حتى قدمت جيوش جرارة من مدينة سيدي إفني لفك الحصار، ونفس الشيء في ثكنة أمَلوُ ومركز تاليوينْ، فحوصر الجميع في إفني حتى سنة 1969 عندما حل الجيش الملكي بصفة رسمية محل الإسبان. هذا وإن جيش التحرير قام بهدم كل ما بنته إسبانيا في تيغزى وهو الكثير، ولم يبق منها محترما إلا السوق العمومية ومحلة السلطان والمدرسة العتيقة.

رجع إلى تيغْزَى شبابُها فأصبحت بعد الاستقلال مركز القيادة والجماعة القروية، وأجريت فيها أول انتخابات مؤقتة منذ سنة 1963 م وكان أول منتخب فيها هو العلامة سيدي محند بن محمد أباراغ، وكان أول قائد مدني مغربي حل بتيغزى هو السيد صَيَّاسْ ثم القائد عمر أگوداد الذي صار عاملا على أگلميم حاليا، لكن كل ذلك بشكل مؤقت.

وبعد إرجاع إفني والمراكز التابعة لها حسب اتفاقية فاس عام 1969، بدأ طور البناء والتأسيس، فانتخب مبارك جهادي الخلفي، كما عين أحمد يازين حاكما للجماعة، وكان عدد سكان الجماعة حينذاك واحدا وعشرين ألفا لكنها قسمت فيما بعد إلى جماعات متعددة.

ومازالت تيغْزَى تنمو وتؤدي دورها الاجتماعي على أحسن وجه كما أراد لها مؤسسها السلطان الحسن الأول.

ح. الجهادي، جانب من تاريخ أيت باعمران، مخطوط.

الحسين جهادي

* * أما تيغْزَى الشمال فهي عبارة عن قرية وزاوية في الجهة الشمالية من قبيلة قسمان بالريف الشرقي، اشتهرت بالزاوية الوزانية التي أسست فيها وانتشرت في المناطق المجاورة، وتؤكد المعطيات المتوفرة لدنيا أن أول انتقال الوزانيين إلى هذه المنطقة يعود إلى أواخر القرن الثاني عشر (18 م) نظرا "للفراغ الصوفي" الموجود آنذاك بهذه القبيلة. فالزاوية الناصرية الموجودة بقبيلة بني توزين لم تجد المنفذ إلى كسب قبيلة قسمان المجاورة لها لأسباب نجهلها، مما يدل على أن القبيلة كانت إلى غاية أواخر ذلك القرن تعيش في معزل عن الطرق الصوفية المعروفة بالريف آنذاك.

وإذا بحثنا عن سبب مجيئ الوزانيين إلى هذه القبيلة وجدنا أنه يعود إلى الشهرة التي نالتها الزاوية الأم بمدينة وزان، إذ بعد أقل من قرن على تأسيسها اتسع نفوذها الروحي وأقيمت لها فروع في عدد من الجهات بفضل قيام شيوخ الزاوية بإرسال أبنائهم للاستقرار في تلك الجهات.

وتحكي الرواية الشفوية أن التمسمانيين شكلوا وفداً من أعيانهم وذهبوا إلى مدينة وزان للإتيان بأحد الشرفاء للتبرك به أثناء الأزمات وحل مشاكلهم مع المخزن. ورأوا في شخص مولاي عبد الله بن التهامي الوزاني الرجل المناسب لهذه المهمة، وبمجرد وصول هذا الشريف إلى القبيلة اختلف كبراؤها في إيوائه فأراد كل واحد منهم أن يكون له قصب السبق لنيل بركة الشريف. إلا أن عبد الله، تفاديا للنزاعات، اقترح حلا مشابها لما قام به النبي - عليه السلام - أثناء وصوله إلى المدينة المنورة بعد هجرته من مكة. حيث طلب الشريف الوزاني من علية القوم أن يركب فرسه ويترك له العنان إلى أن يتوقف عن المشي، وسيكون مكان توقفه هو موضع إقامته. وحسب الرواية الشفوية دائماً فإن الحصان وقف في مدشر تيغْزَى وتم هناك تأسيس الزاوية الوزانية. وأصبح الشريف يتمتع بنفوذ قوي داخل القبيلة ويتوسط بين الأطراف المتنازعة لفض الخصومات.

أما الرواية الثانية فانها لاتختلف كثيراً عن الأولى، وتشير إلى أن أول مؤسس للزاوية الوزانية بمدشر تيغْزَى هو مولاي عبد الله بن التهامي بن المكي بن إدريس بن الطاهر بن الشيخ مولاي التهامي بن محمد بن محمد عبد الله الشريف الذي كان يقطن آنذاك في قبيلة بني وليد الواقعة على الضفة اليسرى لنهر ورغة. ويرجع سبب قبوله المجيئ إلى مدشر تيغْزَى هو إلحاح التمسمانيين عليه للتبرك بالشرفاء الوزانيين والتوسط لهم في فض نزاعاتهم.

ولعل الرواية الأولى هي الراجحة، فإن وصول السيد عبد الله بن التهامي إلى تيغْزَى كان متزامنا مع انتقال الشيخ إبراهيم بن عبد السلام بن العربي التهامي إلى قصبة اسْنَادَة حوالي سنة 1206 / 1792 م. ومنذ ذلك الوقت بدأ النفوذ الوزاني في الظهور والترسخ بمنطقة الريف.

ويظهر أن مولاي عبد الله بن التهامي الذي تكفل بتسيير زاوية تيغْزَى خلفه بعد موته أبناؤه وأحفاده، منهم الحاج محمد بن العربي الوزاني والسيد محمد بن محمد الوزاني. كما التحق بهم بعض الأقارب من قصبة اسْنَادَة أمثال الحاج العربي بن محمد الوزاني الذي تزوج بإحدى بنات أحمد الريسوني عندما كان هذا الأخير في قبضة الزعيم الريفي محمد بن عبد الكريم الخطابي بقرية تامْسينْت الورياغلية.

وتجدر الاشارة إلى أن شيخ تيغزى كان شيخ بركة فقط، شأنه شأن شيخ زاوية اسنادة بقبيلة بني يطفت. فالناس كانوا يرون فيه جانب الشرف قبل غيره، ومن أجل ذلك كانوا يحترمونه ويجلونه، وربما برز هذا الاحترام للوزانيين كشرفاء قبل أن يكونوا شيوخ تصوف نتيجة الشهرة التي كانت للزاوية الأم بوزان. كما ان الشيوخ المتعاقبين على

تيغْزَى وحتى على اسنادة كانوا مجرد "مقدمين" يجمعون الهدايا والزيارات ويشرفون على أملاك الزاوية ثم يصرفون جزءاً مما يتوصلون به على زاويتهم والباقي يوجه إلى المقدم الرئيسي المقيم بوزان، بالإضافة إلى أن دورهم الديني في مجال التصوف والإرشاد كان محدوداً بسبب عدم اهتمام شيوخ الزاوية الأم بتحصيل العلوم كما هو الشأن بالنسبة للزاوية الناصرية مثلا. فالشرف والبركة هما العملتان اللتان كانتا وراء شهرة شيوخ اسنادة وتيغزى بالريف، وبفضلهما تمكنوا من اقتحام المجال الاجتماعي والسياسي ومكنهم من كسب الانصار وتوسيع نفوذ الزاوية الوزانية. والملاحظ في زاوية تيغْزَى أن نفوذها لم يتعد المدشر المذكور المجاور لها بعكس ما لاحظناه في زاوية اسنادة ببني يَطَّفْت التي تعدى نفوذها مجال القبيلة المذكورة ليشمل قبائل أخرى كبني بوفراح وبني ورياغل وبقيوة. وما تزال الزاوية الوزانية في مدشر تيغْزَى قائمة إلى اليوم.

رواية شفوية : ع. المنصور، *تصوف الشرفاء : الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية الوزانية من خلال مناقبها*، التاريخ وأدب المناقب، الرباط، 1989.

Et-Tabyi, *Retazos de Historia Marroqui*. Tetuan, 1955 : P. Pascon, *Les Beni Boufrah*. Rabat, 1963.

عبد الرحمان الطيبي

* * *

وبشاطئ تيغْزَى الواقعة بفرقة بني بويدير من قبيلة قمسان المتحدث عنها آنفاً يوجد نهر ومرسى. ينبع النهر من جبل تيكرياست ويصبّ في البحر المتوسط غرب رأس سيدي شعيب المفتاح الذي سماه الشريف الإدريسي برأس تغلال. ويعرف عند السكان برأس الطرف وعند الإسبانيين برأس كيلاطيس Cabo Quilates ؛ ولعل هذا النهر هو الذي سماه البكري بوادي البقر (ص. 90).

وتقع مرسى تيغزى عند مصب النهر، ولعلها أيضاً المرسى التي سماها البكري مرسى وادي البقر.

البكري، *المغرب*، 91.

A. Domenech Lafuente. *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de Espana en Marruecos*, p. 37. Madrid. 1942.

محمد ابن عزوز حكيم

تيغَشْت، أو تيغيغبتْ أو تيغيغُشْتْ، أسماء أمازيغية تطلق على سيليني ڤولگاريسْ Silene Vulgaris أو ميليني كوكوبالوس Silene Cucubalus سيليني إنْفْلاتَا Silene Inflata. والأسماء العلمية الثلاثة مرادفة لهذا النوع المنتمي لفصيلة القرنفليات Caryophyllaceae.

إنه نوع نباتي معمر بجذوره التي تعطي في أواخر الشتاء سيقانا مورقة تترعرع في فصل الربيع وتزهر ثم تندثر في أوائل الصيف. تتوزع الأوراق متقابلة وعند مستوى التصاقها بالساق يكون هذا الأخير منتفخا. أهم مميزات الأزهار هي كؤوسها المنتفخة التي يستعملها الأطفال في لعبهم ليفرقعوها على جبهاتهم. تويجات الأزهار بيضاء ضاربة إلى الاصفرار.

كان هذا النبات قبل ظهور الصابون الاصطناعي المصدر الوحيد لغسل الصوف لأنه يحتوي، كأنواع أخرى من نفس الفصيلة، على مواد صابونية موجودة بكثرة في جذوره ذات اللون الأسود على ظاهرها، والأصفر بباطنها. ومن استعمالاته الأخرى أنه إذا طبخت عصارة الجذور حتى تصبح مثل القطران، ودهنت بها السِّهَام صارت هذه الأخيرة مسمومة، إذ أن الجذور تحتوي على سموم قاتلة.

استطلاع ميداني.

H.P.J. Renaud et G.S. Colin. *Tuhfat al Ahbab*. Paris. 1934.

عبد المالك بنعبيد

تيغْلالْ أو ثغلال، موقع ورابطة بتمسمان، ينطبق عند الشريف الإدريسي على الكتلة البركانية المشرفة على البحر المتوسط من شمال أراضي قبيلة تمسمان بالريف الشرقي. وهي نفس الكتلة المعروفة في الوقت الحاضر برأس سيدي شعيب المفتاح، نسبة إلى مرابط معروف هناك. ويمتد ساحل كتلة طرف تيغْلالْ من مبدئه الغربي بجبل الحديد إلى أولاد أمغار شرقاً، ويميز امتداد الكتلة في البحر رأسان : غربي هو رأس سيدي شعيب المفتاح، وشرقي يدعى رأس الطرف. ولا زال اسم تيغلال اليوم دالا على الساحل الغربي من الكتلة، الرابط بين رأس سيدي شعيب وقرية الحديد. كان ساحل طرف تيغلال، بفضل تعدد قلاته إحدى المحطات البحرية الرابطة بين مرسى المزمة من بلد النكور ومرسى گرط من بلد قلعية.

وبساحل طرف تيغْلالْ أسس الشيخ المتصوف أبو داود مزاحم التمسماني، المتوفى عام 578 / 1182 رابطة إثر عودته من رحلته العلمية إلى الأندلس، قبل عام 560 / 1164، بالمكان الذي مازال إلى اليوم يعرف بالرابطة، بين قريتي الساحل والحديد، من ساحل خليج الحسيمة الشرقي، عند نهاية انحدار جبل غدّو (641 م). اختار لها أبو داود مكاناً بأرض جماعة بني ورتدّى، وبجوار عين ماء، كانت معروفة لدى رجال البحر من القراصنة الأوروبيين. أسست الرابطة بتعاون بين موسري الجماعة بالآجر والخشب والزواق، كما ذكره عبد الحق البادسي في *المقصد الشريف*.

أصبحت الرابطة منذ عودة أبي داود من تلمسان بعد 560 هـ، واتصاله بشيخه في التربية الصوفية أبي مدين الشافعي، مركزاً للثقافة الدينية، إذ أنه سرعان ما التف حول مؤسسها عدد من طلبة الريف وغيره، أمثال مركاب بن عيسى البلندي التمسماني، ويحيى بن علي الغساسي القلعي ومحمد بن دوناس البطوئي والحاج حسون الأدوزي البقوئي. وبوفاة أبي داود خلفه بالرابطة حفيده إبراهيم بن عيسى بن أبي داود (560-650 هـ). وفي بداية القرن الثامن كان القائم بشؤونها أبو عقيل عبد الرزاق من أحفاد المؤسس. وتشهد قائمة الطلبة والصلحاء المتخرجين من الرابطة أو الواردين عليها، على أن آثارها كانت حسنة على الثقافة الدينية بالريفين الشرقي والغربي خلال العصر الموحدي خاصة.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 533، ميلانو ؛ ع. البادسي، *القصد الشريف*، 50، 55، 60، 63، الرباط، 1982.

حسن النگيگي

* * ومن ثم رأس تيغلال، وهو الاسم الذي أطلقه الشريف الإدريسي (ص. 111) على الرأس الذي يعرف برأس سيدي شعيب المفتاح وبرأس الطرف والذي يقع شرقي خليج النكور بشاطئ قبيلة تمسمان الموالي للبحر المتوسط. والجدير بالذكر أن جميع خرائط الملاحة الأوربية الموضوعة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد أطلقت عليه اسم طرف كيراطو Tarfo Quirato كما سماه هومين Homen سنة 1572 م بطرف گراطو Tarfo Grato وسماه خوان مارطينيث Juan Martinez سنة 1579 بطرف كيرا Tarfaquira.

ومن هذه الأسماء كلها اتخذ الاسبان اسم رأس كيلاطيس Cabo Quilates.

ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، 111.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografía de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 48 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografía de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 62 ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografía de Marruecos, protectorados y posesiones de España en Africa*, Madrid, 1936.

محمد ابن عزوز حكيم

تيغْمَرْت، موقع بحاذاة مدشر أسرير (*معلمة*، 409-411) على ضفاف وادي نون حيث يتفرع الرافدان وارگ النون ووادي بوكيلة. وهو اسم صنهاجي مرادفه تارمگيست بمعنى الزاوية أو الركن أو المرفق. هذه السمة المميزة للموقع تحدد خصائصه بالنسبة لأسرير المجاور أو تاغاجيجت شرقاً أو تاگاوست غرباً على نفس الوادي. ولكي نعطي هذا التمييز معنى مشخصا علينا أن نرجع إلى ما يسجله الباعقيلي الذي قضى بتيغمرت أربع سنوات خلال القرن العاشر (16 م) حيث لا يفردها باسم نول لمطة دون جارتها أسرير بنفس الموقع (*مناقب*، 28-29) وهو معطى لن يتوانى عن تأكيده V. Monteil اعتماداً على الرواية الشفوية خلال بداية هذا القرن حين يحدد مركز نول لمطة ببقايا تيشيشت بديار أيت مسعود بتيغمرت (*Les Tekna*, 21).

هذا ما تكشف عنه في غياب الحفريات، الدراسات والتحريات الميدانية حيث تتضح بحي السوق القديم (تامسّوقت) آثار ومعالم حي تجاري وصناعي بحجم مهم يتوسطه مسجد كبير ويحده موقع السوق الأسبوعي يوم الخميس. وبذلك فإن تعدد الاحتمالات يعكس تصوراً متعدد الجوانب لاتزيد من غناه إلا مقولة أهل أسرير المجاورين. فهم يؤكدون بأن نول لمطة كانت سابع مدينة بعد سجلماسة وفاس وتلمسان وأغمات وقرطبة وغرناطة. وهو بالضبط ما يؤكده حجم المسكوكات من الدينار المرابطي بنول المتبقي بمتاحف باريس ولندن والرباط والجزائر، فنجد أنفسنا إزاء تداخل مجالي لايتنافى مع أهمية نول لمطة كعاصمة كبيرة تشمل تيغمرت وأسرير على حد سواء.

لقد أكد البكري بأن حجم رواج المسكوكات لم يكن كبيراً قبل المرابطين. وهي مرحلة تؤكد أقدم مصادرها العربية وجود نول لمطة كعاصمة للتاجرة المنتظمة بين ضفتي الصحراء. من هنا فإن سك الدينار يؤكد النمو المتواصل خلال القرن الخامس (11 م) محدداً بذلك الصورة المتطورة لمستوى نمو القوى التجارية والإنتاجية كما أورد ذلك الإدريسي. أما دور المرابطين كأداة فاعلة في الربط بين ذهب جنوب الصحراء ومعامل سك الدينار بنول، فيعبر بقوة عن تكامل لمطة (إيليميضن) وواد نون بلمتونة (إيويليميضن) ذلك أنه حتى إذا كان تداول هذه العملة قد اقتصر على شمال الصحراء وعلى بلاد الأندلس (J. Devisse, *Commerce et routes*, 416) فإنه يكشف عن درجة نمو الإنتاج ونوعية المنتجات التي تتطلب مراقبة المجال ودمج فعالياته ومردوديته. بذلك يجوز الاعتماد على تكامل تيغمرت وأسرير في الانتقال بأهل وادي نون إيليميضن إلى المقام الأول في تحديد الإثنية بنول لمطة. وهو ما يتأكد أكثر إذا تتبعنا الاندفاعة التي ميزت نول خلال القرن السادس (12 م) كنتيجة لتحالف لمطة مع لمتونة.

هناك ملاحظة أساسية تتعلق بمكانة هذا التحالف داخل التصنيفات التي وضعتها المصادر العربية لقبائل صنهاجة (إزناگن). فالتحديد إما غائب تماماً أو أنه يقتصر على شغل حيز ثانوي كمساعد على الوصف. يتضح ذلك من القراءة الأولى حيث لايخرج التصنيف عن الخط التقليدي الاعتيادي الذي يحشر نسابة العرب ضمن الاتجاه العبراني الأقدم كما هو واضح لدى ابن حزم وناسخه ابن خلدون. وهكذا نجد لمطة يرتبطون بصنهاجة الصحراء مما يضفي عليهم طابعاً محدداً يستند إلى أسس إثنية توثق التداخل بينهم وبين جزولة (إيگزولن) الأطلس الصغير. ومن فحص المواقع التي تستند إليها هذه الأسس لايعمل النسابة العرب على إدخال التصنيف مجال الشرعية إلا انطلاقا من مراقبة المجال. تتضح من هنا عدم عناية هؤلاء النسابين بتدقيق المشجرات مما يدعو إلى ضرورة تجاوزها. ولتوضيح هذا الجانب، فإن الأولى هو الانطلاق من منطلقات التحالف القبلي ومن طبيعة التفاعلات المصلحية التي قامت بين إيليميضن نول وبعض الفصائل الصنهاجية المقيمة بسوس خلال القرن السادس (12 م). نسجل هنا أن الأحداث الواردة بكتاب *أخبار المهدي ابن تومرت* لأبي بكر البيذق تكشف، شأنها في ذلك شأن رسالة يهودية مؤرخة بـ 542 / 1148 (A. Chouraqui, *Histoire*, 120)، عن حجم المجابهة بين عبد المومن الموحدي والتجليات المتنوعة لتماسك إزناگن إيليميضن بوادي نون. أما إيگزولن، فإن كتاب *البيان المغرب* يساهم في رصد التراكيب القبلية التي لا تسمح بكشف نوعية ولا حقيقة تلاحمهم بإيليميضن. فتيغمرت وأسرير تبرزان كقاعدة مركزية للمطة بملك لمتوني. وتتجلى أهمية هذا التحالف في القدرة التامة على مجابهة جيوش عبد المومن إلى حدود 550 / 1155، يومها فقط عمد عبد

المومن وقائده الأعلى أبو حفص إلى غزو أمهات القرى بوادي نون مستعملا في ذلك ثلاثة جيوش دفعة واحدة. وإذا كان أحد هذه الجيوش قد دخل تاغاجيجت سنة 548 / 1153 (البيذق، *أخبار*، 77-87) فإن أهكار اللمتوني سلطان تيغمرت وأسرير وربما تاگاوست أيضا، قد توجه بطلب المساعدة إلى اللمتوني المكنى الصحراوي. لم يلبث هذا القائد أن عاد لتوه من الصحراء ملبيا النداء. فلم تكتف فصائل قبيلة لمطة بالمجابهة، بل قامت بغزو المنطقة الواقعة بين سوس الأعلى ووادي درعة حادة بذلك من المد الموحدي. بهذه الكيفية، نستطيع أن نفهم حركة التوجه من الصحراء نحو وادي نون ثم العودة إليها على نحو ما يمكن أن نشبهه بالمد والجزر في مواجهه الخطر الخارجي. وتصبح بذلك قدرة لمطة ولمتونه على مراقبة المجال أكثر وضوحاً. بعبارة أخرى، فإن هذه المجابهة المستمرة للموحدين التي لم يقف عندها أبو بكر البيذق بما يكفي من التأني، قد ساهمت في تحديد هوية أهل تيغمرت حيث ظهرت قبيلة أزوافيط منذ نهاية المرابطين.

يكشف مخطوط *البحر المحيط في نسب تكنا وأزوافيط* عن دور أبي الوليد ابن رشد قاضي علي بن يوسف بن تاشفين خلال القرن السادس (12 م) في توظيف المقدرة الحربية لبعض فصائل أزوافيط في مرافقة القوافل العابرة للصحراء، وهو ما تؤكده الصياغة الصنهاجية لفعل إسفد الذي يشتق من إسافادن. تاريخ هذه القبيلة كما أوردناه (*معلمة، أزوافيط*، 364-367)، لا ينصب من جهته إلا على مفاهيم هي حصيلة الصياغات المصلحية منذ المرابطين (م. ناعمي، *تشكل*، 244-245) وحتى نتمكن من إبراز أهمية هذه المفاهيم، يكون لزاما أن نتخطى سياج النظرية التقليدية حول البنية القبلية الالتفافية حول مراقبة المجال سواء في تصنيفها لنظام التحالفات أو نقدها له. وهنا نصل إلى دور أزوافيط في تحديد سيرورة لف أيت عثمان بالنسبة للف أيت الجمل الساحلي. ذلك أن مفهوم التحالف الذي يكمن وراء الاصطلاح اللغوي يرجع بأزوافيط إلى عثمان بن مندى كجد لمجمل اتحادية تكنة التي تراقب وادي نون والساقية الحمراء وبائي الغربية. فإذا كان عثمان بن مندى هو عامل ابن ياسين وأبي بكر بن عمر اللمتوني على نول لمطة، فإن حلقات تماسك لفي الاتحادية يكشفان بما لا يدع مجالا للشك عن بنية سلالية قرابية تبرر الوحدة الداخلية. ذلك أن كلا اللفين يتحرك داخل منظومة تستقي مبادئها التحالفية ومنطلقاتها من سياق التطور الذي يجعل فصائل أيت لحسن (لف أيت الجمل) ترث في ماء وساقية ونخيل أسرير وتيغمرت (لف أيت عثمان). وهو ما يؤكد أن تعميم اسم أيت الجمل على قبائل الشريط التكنى الساحلي الممتد من حدود أيت باعمران إلى ما وراء منطقة زمور جنوب الساقية الحمراء، انما مرده إلى سيطرة الترحال الرعوي وتربية الإبل بفعل المعطيات المناخية والجيومرفولوجية.

إذا كانت تيغمرت تحمل اسم المرفق فذلك لأنها ترسم شكلا محدداً يبرز بوضوح معالم موقع مائي رئيسي ببسيط وادي نون. على أن تحديد مظاهر التشكيل على هذا الموقع وضبط الآليات والعوامل التي تتحكم فيه لاتتم إلا بتحديد مجموعة العوامل المسؤولة عن ذلك. فنوعية التربة تسمح بتنوع وكثافة الغطاء النباتي الذي يقلل نسبياً من تركز الرياح. وإذا كان تركز الرياح لايستطيع زعزعة حجم وكثافة النخيل وأشجار الرمان والزيتون والإجاص والحناء، فإن لشبكة الري المحلية دورها في ترطيب المناخ بما تهيئه من غطاء نباتي. فنلاحظ بذلك أهمية عامل الري في نشاط المساحات المسقية حيث تحد نباتات الرطم المتناثرة من فعالية التشكل الريحي. أما دور التدخل البشري، فإنه يكتسي أهمية بالغة بتدخلاته المختلفة سواء عندما يؤدي إلى اختلاف التوازنات البيئية أو عندما يعيدها ويدرأ خطر التعرية أو يقلل من أهميتها بواسطة إعادة التشجير أو إقامة المشاريع السقوية. عموما فإن هذه العوامل مجتمعة، تساهم منذ القرن الخامس (11 م) على الأقل في تشكيل المساحات المسقية الممتدة بجوار القرى والمداشر.

لقد لعب سيدي محمد بن عمرو اللمطي دفين أسرير قطب وادي نون خلال القرن السادس (12 م) دوراً هاماً في تقسيم الماء المار من تيغمرت نحو أسرير. إذا كان اشتغاله بهذا التقسيم يعد بمثابة عامل تأكيد لدوره الكبير كسلطة فعلية خلال هذه الفترة، فإنه ينبغي أن نؤكد على أن تصوفه ظل بعيداً في غالب الأحيان عن كل نزعة باطنية، شأنه في ذلك شأن التصوف الجهوي بشكل عام (ابن خلدون، *شفاء السائل*، 59 ؛ *المقدمة*، 323). وفي هذه المقاربة علاقة جوهرية بين سيدي امحمد بن عمرو وأهل تيغمرت والبنية العقائدية والثقافية المحلية. ولعل مما يساعد خلال هذه الفترة على تحديد تصور دقيق للنشاط الفكري اضطلاع أبي سليمان داوود بن علي الحيحاني بتدريس مادتي الحساب والفرائض بطريقة موسعة. فنجد بين يديه سنة 663 / 1264-1265 تلميذه عبد الله بن أبي بكر بن يحيى الجدميوي الصودي، يأخذ عنه الحساب وكتاب *الكافي في الفرائض* ويتقن عليه المادتين. أما الصودي فهو واضع ثلاثة مؤلفات في الفرائض يحمل أكبرها اسم نهاية *الرائض في خلاصة الفرائض* وثانيها *كفاية المرتاض في تعاليل الفراض* وثالثها *مفتاح الغوامض في أصول الفرائض*. والمؤلفات الثلاثة يضمها مجموع مخطوط بدار الكتب الناصرية بتامگروت تحت رقم 1647. وبذلك يتضح أن تيغمرت كانت مسرحاً لنشاط تعليمي تتعدى أبعاده نطاق وادي نون بما يوفره لأهل الصحراء وسوس من أساتذة وطلبة. فندرك من هنا أن الحركية المحلية لم تنمح بما ذهب عن لمطة من الشوكة خلال زمن الموحدين. بل الأكثر من هذا أن ازدهار التجارة خلال القرن السادس (12 م) ساعد على إيجاد متنفس لليهود الفارين بدينهم من القمع الموحدي، وهو متنفس مرده إلى التكافل الاجتماعي الذي ميز دائماً العلاقة بين نول

لمطة ويهود إفران القريبة (Chouraqui, *Histoire*, 119 ; V. Monteil, *Gens*, 394 - 4). على أن مستوى العيش سيعرف نوعاً من الركود حاداً بذلك من تطور الوسائل والقوي الإنتاجية بعد نهاية القرن. ذلك أن اضمحلال تجارة المحاور الغربية للصحراء بظهور امبراطورية مالي شرقاً سيسبب بعض الركود الاجتماعي والاقتصادي. فقد أخذت تامدولت في الاندثار لتحل محلها تدريجياً أقا. وإذا كان علي بن يدر المنشق عن الموحدين بسوس قد ساهم في دخول الشبانات وذوي حسان وأولاد جرار إلى المنطقة (*البيان*، الموحدون ، 457. 461. 3 / 124)، فإن تمايزاً سياسياً واجتماعياً سوف يميز مواقف لمطه بوادي نون عن كل من لمتونة بالصحراء وجزولة بسوس. لقد أصبحت المنطقة مسرحاً لتبدلات عامة نتيجة لعاملين : الركود الاقتصادي والتجاري ثم الخراب العمراني الذي عمل على تفتيت البنية المجالية المتناسقة الأبعاد. بذلك يتحول تاريخ تيغمرت تدريجيا إلى سيرة ذاتية يمكن تسجيل مراحلها من خلال الإشارات المتفرقة.

إن الجهد الذي بذله أهل تيغمرت يومها من أجل بلورة عادات وتقاليد سياسة متوارثة تقتضي الاحتفاظ بمهامهم السلطوية الاقتصادية والاجتماعية، يحيلنا على عصبية محلية تكاد اليوم تكون مجهولة. فمخطوط *البحر المحيط* بعد أداتنا الوحيدة لتسجيل طروحات تتداخل من خلالها الإشارات حول السطور العريضة لتاريخ أهل تيغمرت. لقد وصل بلّة، الجد الاسمي لأيت بلة، ومن معه إلى تامدولت أقا قادماً إليها من توات. ومن خلال الاستقبال الذي حظي به من لدن صاگ، جد القائد الجزولي التامانارتي، تتضح أهمية دوره في توظيف المقدرة الحربية للقضاء علي تامدولت. هذه العملية التي نراها تواكب انحطاط عاصمة ايگزولن خلال القرن السابع (13 م) تكشف عن عصبية بلة ومن معه وتستعرض الشروط التي تخصهم كرحل وكقوات مساعدة. فيبقى بذلك السؤال مطروحاً حول علاقتهم الفعلية بأزوافيط الذين رأيناهم يحمون قوافل الصحراء منذ القرن الخامس (11 م). يجيبنا المخطوط بانتقال بلة ومن معه إلى تاگجگالت أيت تيكني حيث ينتهي بهم الترحال بعد ذلك إلى مزاحمة أمازيغ القاطنين بتاغاجيجت. غير أن الصراع حول مراقبة المجال ينتهي ببلة ومن معه إلى حط الرحال قرب جبل تايَرْت على مقربة من تيغمرت حيث كان يقيم إذا أُوعفان وأسرير حيث يوجد يومها اذا اوبوزيا. فما موقع ازوافيط من الصراع الذي سينشب بين الرحل الوافدين وإذا وعفان واذا أُوبوزيا ؟ المخطوط الذي لايدقق موقفه من هذا السؤال يعتبر القوة القبلية هي وحدها القادرة على تغيير البنية التحالفية المتآكلة. لقد ابتدأ التدخل الذي اعتبره صاحب المخطوط معاينة فعلية لاندماج بلة ومن معه بالغور السكاني الأقدم باستغلال التناقضات المصلحية. وإذا كان اهتمام بلة يومها بأسرير وتيغمرت مرده إلى غياب قوة متماسكة تستظل بظل التماسك والتحالف فذلك لأن عدم اصطدامه بعصبيات قوية يعد المحدد الوحيد لوظيفته الجديدة بعين المكان. من هنا فأولية تطور سلطة بلة راجعة إلى عدم دقة المصطلحات التي استعملها المخطوط لتوضيح الترتيب القبلي وراجع أيضاً إلى غياب وصف لتطور السلطة في مختلف مستوياتها.

إن نظرة علي مستويات السلطة تكشف بسهولة عن تباين مواقف الواردين على المنطقة والغور السكاني الأقدم حيث يعتبر الامازيغ أنفسهم خارجين عن الانتماءات القبلية بوادي نون وباني (La Ruelle, *Id Brahim*, 11). كما أن من الشواهد التي يمكن أن نعرض لها دور أيت بلة في طرد اذا عفان من تيغمرت إلى حيث مواقعهم الحالية بتارگامايت بجوار تاغاجيجت. ولعل لهيمنة أيت بلة ما يدعو إلى تكريس نظرية تغلب الرحّل على المستقرين وإيرادها كتبرير للمقولة الخلدونية. إلا أن تاريخ وتطور تيغمرت لاينبغي مطلقا أن يتجاوز مستوى التأويل الذي يفترضه تعدد الروايات وتشابكها. فما أكثر ما نصادف في الوثائق العائلية القديمة إشارات إلى اعتداء الرحل الواردين على الساقية والأرض واغتصابها بشكل لايقدم لنا تاريخاً مفصلاً بقدر ما يلتزم بتعميق معرفتنا بحدة الصراع من أجل مراقبة المجال واستغلال الأرض، ونشير في هذا الباب إلى أن النعوت التي كان يطلقها ابن خلدون علي وادي نون يومها تجعل من نول لمطة عاصمة سوس والمناطق المجاورة (H.B., 1 : 155 - 156 - II : 280). وياتكائنا أيضاً على وطواط نسجل وفرة السدود الصغرى التي كانت تعود إلى زمن المرابطين. أما الأرحاء التي كانت تحركها مياه الأودية فقد كانت تتكفل بطحن الأقوات وتكشف عن وفرة القرى والمداشر المحصنة والخصبة على ضفاف الأنهار. وحتى بعد انتصار المرينيين على ذوي حسان والشبانات فإن غنى الأسواق المحلية كان ما يزال يجذب نحوها التجار من الأصقاع البعيدة. على أن حفريات الضفة الجنوبية للصحراء بأودغست قد كشفت عن تطور ظاهرة القحولة خلال القرنين السادس والسابع (12 - 13 م) (J. Devisse, *Tegdaoust*, I : 23). ومع ذلك، فإن شهادة ابن خلدون تتيح لنا مادة هامة عبر تعدد الإشارات عن وفرة المياه واستغلالها من طرف الغور السكاني الأقدم. كانت المنطقة أيضاً مجالا لتسرب الأوبئة وازدياد الضغط المعقلي. فبينما نلاحظ أصطياف ذوي حسان والشبانات بحوض وادي نون ومرتفعاته، كانت سياستهم تقتضي التركيز على حدة الصراعات بين الفصائل المحلية القديمة.

هذه الصراعات تنقلنا مباشرة إلى دور استراتيجيات تسرب الواردين على المنطقة أعرابا كانوا أم أمازيغا إلى فصائل الفرقاء المحليين. فتفاقم الصراعات المحلية يتجلى في ظاهرات استيطان الواردين نتيجة لتلاشي العصبية المحلية وعجز فئاتها عن ممارسة أدوار دفاعية. ولعله يحسن أن نعود إلى مخطوط *البحر المحيط* لنجده يتحدث عن كيفية استقرار بعض فصائل قبيلة أزوافيط في أسلوب

تقليدي لايخرج عن الموروث. فهو يعتبر أسعيد أُواحماد الجد الإسمي لإحدى فصائل أزوافيط من فصيلة أيت بومگوت التي تنتمي إلى قبيلة أيت لحسن التكنية. كما يرى بأن سعيد أُواحماد قد دخل ومن معه الصراع في صف إدا أُوعفان بتيغمرت ضد إذا أُو بوزيا بأسرير. فما كان من هؤلاء إلا أن احتجوا لدى مجمع تكنة ضد هذا التدخل الذي يخل بالحياد المعمول به من طرف الجميع. فكانت النتيجة أن أحرقت خيمة سعيد أُواحماد حسب مقتضيات الاتفاق المعمول به في هذا الشأن. فيضطر بذلك أهل تيغمرت، إضفاء للشرعية على تحالفهم مع سعيد أُواحماد إلى إعطائه ما قدره يوم وليلة من ماء الساقية ما يزال يحمل اسم تاصدرت أهل اسعيد أُواحماد ومائه حلقة بستان وربوة السوق القديم (تامسوقت). لن يلبث بواغارون الذي كان ينتمي أيضاً لنفس أيت بومگوت من قبيلة أيت لحسن أن يخطو ومن معه نفس الخطوة عندما تدخل إلى جانب إدا أويوزيا بأسرير. وسينتهي الأمر بهؤلاء إلى تسليمه القصبة التي أصبحت تعرف حالياً بالخربة غير بعيد عن مدخل المدشر من الجهة الساحلية وجزءاً من الطريق الواصلة إلى ربوة سوق الأحد القديم الذي سبق سوق گلميم. ويتكرر نفس الإخلال بالحياد مع الجد الإسمي لأيت ياسين المقيمين حالياً بالربوة المعروفة بربوة أيت ياسين ومع أحد أولاد مبارك اسمه محمد، حصل بدوره على جزء من الوادي قرب سوق خميس تيغمرت وأردوم القريبة من الساقية. يتضح بذلك انقباض أيدي الغور السكاني الأقدم من أمازيغ وأيت بلقاسم وأهل حايين وإدا أوعفان وإدا اويوزيا واذا اولگان وأيت بكو عن صد الهجرة والتسرب إلى الأراضي والساقية. عملية الاستقرار التدريجي تكشف هنا عن استغلال التناقضات الداخلية كاستراتيجية للتدخل السريع المباشر. لقد ابتدأ المتدخلون كما رأينا بتبني الاتفاق الجماعي الذي يقوم على أسس الحياد كقاعدة تسمح للمخلين بتكوين ارستقراطية حربية إقطاعية. يضفي التصنيف المحلي على هذه الوحدات شرعية محددة ستكون المسبب الحقيقي في طرد إدا اوعفان وادا اويوزيا إلى مواقعهم الحالية. فالتناقضات والصراعات المحلية تتيح للعصبيات الجديدة امكانية الاستيلاء على المجال وإعادة الدورة التاريخية الخلدونية المعهودة. نرى إذن أن المخطوط الذي ينحى منحى السرد يتميز بغياب التواريخ فيضطرنا إلى اعتباره عملا تركيبيا لفترة تظل مراحلها الأساسية غامضة لاتشمل إلا بعض النتف عن التفاصيل الضرورية. وإذا كنا وقفنا عند هذا المخطوط فذلك لنبرز خاصية الروابط بين الفصائل وتنوع انتمائها إلى تكنة.

عندما حاولنا فحص الروابط بين فصائل تيغمرت خلال القرن التاسع (15 م)، فإننا لم نعثر باستثناء وثيقة 904 / 1499 على ما من شأنه أن يساهم في الحد من غياب المعطيات الأولية (Naïmi, *Le Pays de Takna, Commerce*) يشغل التاريخ بالفعلي لتيغمرت بهذه الوثيقة حيزاً معيناً ينضاف إلى ما نعرفه عن تطور نول لمطة منذ اضمحلال تجارة المسالك الساحلية وتسرب المد المعقلي وتكالب المضاعفات السياسية لهذا المد والكوارث الطبيعية. والجديد مع هذه الوثيقة الهامة أنها تكشف عن دور الاقتراب من الساحل الأطلسي حيث بدأ التسرب الإيبيري، في تمييز تاگاوست عن تيغمرت. يتضح أن قبيلة أولاد عامر الهلالية كانت تهيمن يومها على قرى ومداشر إيفني وإفران وتامصارت وبعض قرى ومداشر وادي نون كتاگاوست وأگاوس وتيسگنان.

رغم حملات أهل كناريا المكثفة وغزو قرى وقصبات وادي نون خلال نهاية القرن التاسع (15 م) فإن بعض الوثائق الكنارية تدل على بداية التعامل التجاري المنتظم بين الطرفين (P. de Cenival et La Chappelle, *Possessions*) فهل تعامل تجار تيغمرت مباشرة مع الجزر الكنارية القريبة أم اقتصروا على تجارة القوافل عبر المواسم الأسبوعية والموسمية ؟ عن الكيفيات الفاعلة الأولى التي ميزت علاقة أهل تيغمرت بمحيطهم التجاري والسياسي نسجل لجوءهم إلى الأساليب الاحتياطية السائدة. فبعض الوثائق العائلية تدل على مدى حرصهم على تطوير نظام المراقبة والاستعداد الدائم لإغلاق بوابات القصبة تحسبا لكل الهجومات. كانت گويرة السوگ يومها هي مقر السوق الموسمي الأكبر بوادي نون ولم يكن لهذا الموسم من منافس حقيقي سوى موسم مغيمسة القريب من طاطا الذي أشار إلى أهميته الحسن الوزان الإفريقي. ندرك من هنا أن احتكار السوق الموسمي يعد من بين الأولويات التي كان يتنافس حولها أهل تيغمرت وأعراب تاگاوست. وهي إشارة تؤكد ما تورده المصادر عن التداخل النسبي بين الأعراب والغور السكاني خلال نهاية هذا القرن. إلا أن الإشارات إلى تطور العلوم الدينية داخل القصبة تؤكد بأن المعارف والنشاط التجاري كانا يومها مايزالان محورين لتفهم أهمية وحجم تيغمرت (الديماني، *روضة التحقيق*).

إن يسير ما أوردناه فيه دلالة كافية على أن تيغمرت قد ورثت عن الحقب المتلاحقة هيكلا عمرانيا أغنته التجارب وهدته التقلبات. فإذا كان ادا اولگان قد حموا وحرسوا بودميعة، فإنهم لم يتوانوا عن صده عندما أمعنوا الملاحظة وتأملوا فيما دعاهم إليه من خلاف مع لف أيت الجمل. وإذا كان ماضي أيت مسعود قد أورثهم إمعان الروية عند التعرض لخلافاتهم مع جيرانهم، فإنما ذلك مرده إلى دور تيغمرت كهيكل منظم مرتب ومنسق تحتل فيه كل فصيلة مكانة محترمة في سلم التدرج. وإذا كان أيت امحند لاينفصمون عن سياستهم التوفيقية بين الفرقاء فذلك لأنهم ورثوا عن أسلافهم حكمتهم وقناعتهم. إنا نعلم أن أيت الخنوس قد جسدوا أمجاد تيغمرت خلال القرن الثاني عشر (18 م)، لذلك فإن تيغمرت تدخل القرن اللاحق صحبتهم بهمة لاتلين وشهرة لاتنقص كما رأينا. لقد ظهر بوحلايس بأيت باعمران ووادي نون مباشرة بعد مقتل المولى

اليزيد سنة 1206 / 1792. وإذا كانت حركته قد لقيت إقبالا كبيراً في بدايتها، فإن قتله لمجموعة من مرابطي أسرير وشريفين بتغيمرت يكشف عن حدة الصراع بينه وبين أهالي نول لمطة. هذه النزعة التحريرية تصور دور العصبية الحاسم في التعليلات السياسية. لقد تدرع اعبيد الله أو سالم والد بيروك بوجود ابن المولى عبد الرحمن معه قبل أن يخلف المولى سليمان، لينتزع من أهل تيغمرت حق إنشاء موسم جديد بگليميم، لكنهم أفهموه أن التجارة والعمران توأمان لا ينفك أحدهما عن الآخر. ارتبط هروب اعبيد الله أو سالم بعد ذلك من وادي نون بفشله أمام بوحلايس، وبالمقابل نقرأ حماية علي ولد الكوري لمسالك أگاوس (وعرون) وأمن گويرة السوق وقمتين نظام التحالف. حاول الحسين أوهاشم حفيد بودميعة بعد ذلك تحطيم هذه الخطة مضيفاً إلى تحديه لسلطة بيروك التجارية. غير أن تحالف تاكنة الاعتيادي ضد الأخطار الخارجية حد من تطلعات دار إليغ. لقد ابتدأ أيت إبراهيم بطرد الحسين أوهاشم من إيفران فلم يلبث أهل تيغمرت أن حدوا نهائياً بينه وبين وادي نون (La Ruelle, *Id Brahim*, 8) هناك إذن فارق هائل بين ما يهدف إليه منافسو تكنة وما يمكنه أن يحصل بين اللفين وداخل كل لف من تفاعلات وتناقضات. تدور مراقبة المجال في نطاق گويرة السوق حول المرونة والخبرة الحربية لأزوافيط المتأصلة. وهي استمرارية لن تنعدم إلا حين سيؤثر تفاقم الصراع بين اللفين خلال نهاية القرن التاسع عشر في الإطار العام الذي يتحكم في ديناميكية گويرة السوق. نقرأ في بعض الوثائق أن تحالف أيت الخمس الباعمرانيين بلف أيت الجمل وتجار إليغ قد أدى إلى إحداث سوق الأحد بگليميم لتبقى أسواق أيت بلة محصورة في نطاق محلي محض. إذا انزلق موسم گويرة السوق إلى مكانه الحالي قرب زاوية سيدي امحمد بن اعمرو، فذلك بسبب وطأة الصراعات المحلية التي قضت على حيوية وعرون والمداشر القريبة منها. نصل بذلك إلى استقراء عام تدخل على إثره تيغمرت إلى القرن العشرين الذي تستبد خلاله المقاييس الفرنسية والإسبانية بالتطور الاقتصادي والسياسي والاجتماعي للمنطقة. وبانتصاف هذا القرن تظهر الهجرة نحو أوربا من أجل العمل كضرورة مرحلية أدت بأهل تيغمرت، شأنهم في ذلك شأن باقي أهالي وادي نون، إلى التغاضي عن مشكلاتهم البنيوية العالقة. وهي وضعية ستعكسها بشكل متزايد التجربة المحلية بمغرب ما بعد سنة 1956. إن الخطوة التي ميزت سيرورة أهل تيغمرت داخل بيئتها ومجتمعها وبالتالي قادتها إلى رفض مبدئي للتيارات المستحدثة، تكمن في كونهم لم يكتشفوا بديلاً أو ميداناً جديداً للبحث عن نشاط ميداني يغنيهم عن الهجرة نحو أوربا كيد عاملة رخيصة وإلى گليميم التي أصبحت تعكس أحوال مجتمع مشرد.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 10 : 166. 211 ؛ م. ناعمي، *إيعزى ويهدى، معلمة المغرب*، 517. 518 ؛ *أيت إبراهيم، معلمة*، 1127. 1130.

E. Lévi-Provençal, *L'Histoire des Almohades*, in *Documents inédites d'histoire Almohade*, Fragments manuscrits du "Legajo" 1919 du Fonds Arabe de l'Escurial, Paris, 1928, 194 ; V. Monteil, *Gens et choses du Bani. Hesp.*, 1946, 3 - 4, 393 - 394 ; Id., *Chronique de la zaouia d'Asa, in Mélanges Mohamed El Fassi*, publiés à l'occasion du dixième anniversaire de l'Université Mohammed V, 1957 - 1967, Rabat, 8 1 -90 ; Cl. La Ruelle, *Id Brahim*, CHEAM ; A. Chouraqui, *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1985, 119 - 120.

مصطفى ناعمي

تيغْمي، مجموعة من القرى الواقعة إلى الجنوب الشرقي من مدينة تيزنيت على الطريق الرابطة بين المدينة وتافروات يحدها أنزي شمالاً، وزاوية أحمد بن موسى جنوباً وتيزغارن وثلاثاء ايذگگمار شرقاً وسبت ويجان غرباً.

تتضارب الآراء حول تسمية تيغْمي، بيد أن ما هو متداول في الرواية الشفوية يرجع اللفظة إلى التربة الحمراء التي تكسو أرضية المنطقة فيقال تْغْمَى بمعنى ملونة ومصبوغة. أما من حيث أصول السكان، فأغلبية الأسر ترجع أصولها إلى تامدُلت أُوُّفّا بعد تخريبها، ويبدو أن صدى هذه الرواية كثيراً ما يتردد أثناء استقصاء أصول بعض الأسر الولتيتية (نسبة إلى قبائل إيداولتيت) المستوطنة لجزء كبير من الأطلس الصغير.

ومن الناحية التاريخية اضطلعت منطقة تيغْمي بدور علمي كبير لاسيما مدرسة "موزايت" التي تعتبر الآن من المزارات الكبرى بالمنطقة. وإلى عهد قريب كانت المدرسة منبعاً لتخريج الطلبة ومركزاً صوفياً متميزاً. وقد اندرست أخبار مَن درسوا بها أو سكنوها للتعبد باستثناء موسى بن أحمد المعروف بسيدي عمرو وهو من أصحاب الشيخ أحمد بن موسى.

واعتباراً لموقع حوض تيغمي، فإن مجاله الترابي غالباً ما كان في الماضي مسرحاً لصراعات دامية خاصة بين إيليغ وقبيلة إداوُعْقيل كما هو الشأن في معركة تيغمي في بداية القرن الماضي. ويترتب عن ذلك أثر سلبي على الحياة الاجتماعية لأهل تيغمي (الاحتماء المستمر بالقبائل المجاورة، والهجرة الاجبارية إلى مناطق مانعة كجهة أفا أو زُورْ ...).

م. المختار السوسي، *إيليغ قديماً وحديثاً*، ص. 246 ؛ *تحريات ميدانية*.

تيفَاوْتْ (أيت ـ)، فرع من أيت مليل ضمن قبائل إيلالن. تكتب في الرسوم القديمة معربة بصيغة "أهل الضياء"، والنسبة إليها الضيائي.

يرفع سكان تيفاوْتْ نسبهم إلى جدهم الأعلى تفاوت بن مليل بن ميمون بن تگنت بن ألوى... ذكرهم صاحب *ديوان قبائل سوس* ضمن المساهمات الجبائية لقبائل إيلالن بثلاثمائة سرحة. من علماء أيت تيفاوت أحمد بن علي الهشتوكي المدفون بفاس (ت. 1046 هـ) وإبراهيم بن علي التوزگني (كان حيا سنة 1221)، وعبد الله بن محمد الاگتلي (كان حيا سنة 1290).

القدوري، *إتحاف أهل البدو والقرى*، ص. 132.

أحمد بومزگو

تيفُـرْ، إحدى قرى أهل سريف الهبطية، واقعة بأقصى جنوب الكتلة الجبلية، مشرفة من علو مائتي متر على الضفة اليمنى من مجرى واد اللكوس، عند نقطة التقائه برافده واد أزلاً، اختير لها موضع مقتطع من الغابة، وهي اليوم أهم قرى فرقة مرق الديان.

ولهذه القرية تاريخ خلال فترة الحماية الإسبانية بشمال المغرب، إذ أن الإسبان الذين احتلوا مدينتي العرائش والقصر الكبير منذ 1911، سرعان ما جلب موقع القرية أنظارهم، فبادروا إلى اتخاذه مركزاً حربياً لعملياتهم العسكرية بحوض اللكوس، ضد قبائل أهل سريف وسماتة وبني يسف وبني زكار، وذلك منذ 14 ديسمبر 1918، تاريخ احتلال القرية. ومن هذا المركز تشوفت قيادة العرائش على يد الجنرال بَرِّيرا Barrera لفتح الطريق تجاه مدينة شفشاون مساهمة في مخطط عسكري عام.

ولذلك أمرت إدارة العرائش بتعزيز مكانتها الحربية بالحامية والذخائر والمعدات والأقوات، وشق إليها الطريق من القصر الكبير عبر تَاطُوفْت وبُرْخا، بجوار زهجوكة.

خطط المسؤولون العسكريون للتوسع العسكري انطلاقاً من تيفُر منذ يوم 14 شتمبر 1919، فتقرر تمهيداً للوصول إلى مدنية شفشاون، البدء باحتلال قرى تاريا والحمة والقلة، من بني يسف في اتجاه زاوية سيدي يَسَّفْ التليدي. كما اتفق على السير نحو قرية الناسل فتاوجّاخت شمال بني زكار.

اصطدمت تلك المشاريع التوسعية بمقاومة أهل الناحية تحت إشراف مولاي أحمد الريسوني المستقر آنذاك بتازروت بني عروس وخليفته ولد احميدو السُّكّان. هذا هو ما حدث أثناء زحف الإسبان نحو قرى تاريا والحمة وعزيب المريني من قبيلة أهل سريف خلال النصف الثاني من ديسمبر 1919، وأثناء الاتجاه نحو سوق أربعاء القلة، من بني يسف خلال ربيع السنة الموالية.

وتحسباً للصعوبات الناتجة عن المقاومة ووعورة التضاريس، أمرت الإقامة العامة من تطوان بتوقيف مشروع الزحف نحو شفشاون، حسب أمر 6 أكتوبر 1920. إلا أن قرية تيفر لم تفقد مكانتها العسكرية بذلك. وقد عاد إليها أهلها الذين كانوا قد غادروا دورهم تدريجياً بعد استقرار الوضع العسكري بالشمال وبذلك بلغ عدد الأسر قبل سنة 1940 نحو ست عشرة أسرة.

خريطة طبوغرافية 1935.

D. Berenguer, *Campañas en el Rif y Yebala*, Madrid, 1948 ; *Geografía de Marruecos*, comisión Histórica, 2 ; 193 ; *Vademecum*, Tanger, 1951.

حسن الفگيگي

تيفَرْمين، جبال يعدّها الجغرافيون من جبال الأطلس الصغير تارةً، وتارة يطلقون هذا الاسم على أحد هذه الجبال، وهو أضخمها وأعلاها، يبلغ ارتفاعه 1430 مترا.

أهم ما يميز هذه المنطقة من جهة التضاريس، أنها تحتوي على عدد من الأودية العميقة ذات المنعرجات، وتحتفظ بالثلوج أكثر من خمسة أشهر في السنة. وتقع في الجهة الشرقية من الأطلس الصغير، الأمر الذي جعل الخبراء في علوم الأرض يحيرون في ترتيبها وتصنيفها جغرافيا إذ أن طائفة منهم تذهب إلى أن تيفرمين وما جاوره من الجبال والربى يعدّ من الأطلس الصغير، بينما يقول آخرون عكس ذلك، اعتباراً لمجاورة الصحراء، لهذا الجانب من السلسلة الأطلسية. لذلك، اتفق هؤلاء وأولئك على تسميته تيفرمين بجبل أگدز نظراً لكونه يشرف على هذا المركز من الشمال، كما يسمونه بجبل أيت ساون وهي القبيلة الكبيرة التي تستوطن هذه الجهة.

يحد تيفَرْمين شرقاً جبل ساغو، وغرباً جبل تازناخت، أو بعبارة أخرى، يتاخم من الشرق قبائل أيت عطّا الصحراوية بما فيها أيت سدرات وغيرها، ويتاخم من الغرب المجموعة القبلية واوزگيت.

تيفرمين هو الجزء الشمالي للمنطقة من الأطلس الصغير يخترقه واد درعة في طريقه من ورزازات إلى زاگورة وأهم مركز إداري فيه هو أيت ساون (انظر الخريطة).

تيفرمين غني بالمعادن المختلفة وأهم منجم يستغل يقع قرب مركز تاسگّالت.

أحمد بنجلون

تيفسور، مرسى بشاطئ قبيلة بني بوگافر الموالي للبحر المتوسط غرب رأس ورك بإقليم الناظور، وتعرف أيضاً بمرسى إيفري أو مرسى غساسة.

وتيفسور هو اسم قرية تقع بفرقة امهياتن من القبيلة المذكورة. وقد أبلى سكان القرية البلاء الحسن في الدفاع عن حوزة الوطن لأنهم كانوا يتعرضون لهجومات إسبانية برية وبحرية في آن واحد. وهكذا جرت بالقرية خلال عهد الحماية خمس معارك، معركة يوم 24 ديسمبر 1911 انتهت باحتلال الإسبان للقرية، ومعركة 10 مارس 1912 مكنت المجاهدين من استرجاع القرية، ومعركة 19 من نفس الشهر أسفرت عن احتلال القرية للمرة الثانية، ومعركة 25 يوليوز 1921 كانت نتائجها استرداد القرية، ومعركة 11 نوفمبر من نفس السنة مكنت الإسبان من احتلالها للمرة الثالثة.

Comision historica, 416, 428 ; Martinez Campos, *España belica*.

محمد ابن عزوز حكيم

تيفْلْت أو تِفْلْت، مدينة على الطريق الرئيسية الرابطة بين الرباط ـ سلا ومكناس ـ فاس. كانت بلاد زمور، التي تتوسط تيفلت مجالها، تعيش قُبيل الاحتلال الاستعماري، أوضاعاً في أشد الاضطراب حالت دون استقرار السُّكان، وظهور السَّكَن الثابت، متفرقاً كان أم مُتجمعاً.

فَلا وُجودَ آنذاك على الإطلاق لآثار مَا كان يُدعى منذ القرن العاشر (16 م) بـ"تفَلْفَلْتْ"، التي وصَفَها الحسن الوزان (ليون الافريقي) بأنّها "حاضرة صغيرة شُيِّدت على سهل رملي على بُعد ثمانية عشر ميلا من المعمورة ..."،

وبأنها استمدت اسمها من كلمة "الفُلفُل" (تفلفلت الامازيغية)، وهو إنتاج ربما كان مُتوفراً على ضفاف واد تفلت المُجاور، كَمَا وُصفت أيضاً بكونها كانت تقوم بدور "مَأوى المُسافرين" ـ أي بدور نزالة ـ ما بين حاضرتي مكناس وسلا، وذلك حسَب ما أوردَه لوي مسينيون (Massignon, 1908) ورونو (E. Renou).

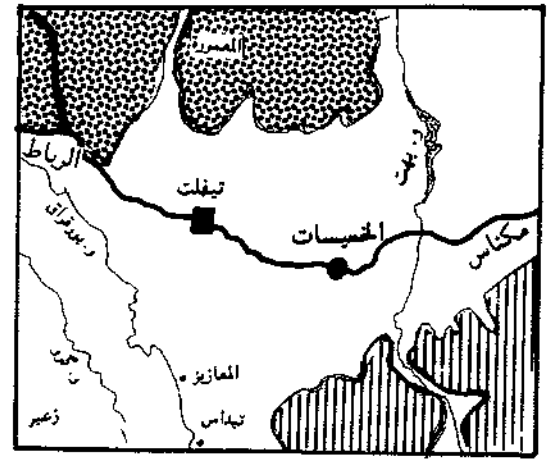

وتيفلت مدينة مُستحدثة، بل مخططة التشييد، أنشأتها الإدارة الاستعمارية سنة 1912، لهدف استراتيجي واضح، يتجلّى أساساً في كونها ظهرت أصلا كمجرد ثكنة عسكرية ـ "قشلة" لدى الأهالي ـ تنحصر مُهمتها في مراقبة وتأطير القبائل المجاورة (شكل 1)، هذه القبائل التي تمت "تهدئتها" بعد تدخل عسكري عنيف سنة 1911، لوضع حد لما كان ينعتُ بالسيبة ولتوقيف التحركات المجالية التقليدية التي كانت أساس نمط العيش النصف ترحالي، الرعي زراعي لسكان المنطقة (H. Lesne, 1959).

لقد اختارت إدارة الاحتلال لمركز تيفلت موضعاً وموقعاً مُتميزين :

شُيِّدت المدينة علي هضبة شبه متموجة علوها 350 م، في موضع تلي يشرف على واد متعمق نسبيا في الجهة الشرقية، وهو موضع ملائم بطغرافيته للأهداف الاستراتيجية ولاستغلال مياه الواد. ومما يزيد هضبة تيفلت فائدة، كونها أقل قاريّة لقربها من المحيط (56كلم) وبالتالي لاعتدال مناخها : متوسط الحرارة السنوي يستقر في 18° وتبلغ التساقطات السنوية : 500 ملم، والأيام المطيرة في السنة : 60 إلى 70 يوماً. كل هذه الظروف الطبيعية جذبت الاستيطان الاستعماري بصورة أقوى في هذا الجزء من المنطقة، خاصة وأن الموقع الجغرافي ملائم جداً.

تحظى تيفلت بموقع مزدوج الفائدة : ـ من جهة أولى : موقع يتوسط الجزء الغربي من "بلاد" زمور، مما دفع الإدارة إلى الاهتمام بهذا المركز الذي كان يلعب دور "عاصمة" زمور، بوصفه المركز الرئيسي لدائرة زمور، التي تتوسط المنطقة كلها ـ لتقوم بهذا الدور الإداري، إلى أن ارتقت إلى مرتبة عاصمة الإقليم سنة 1973.

ـ من جهة ثانية موقع حيوي على المحور الطريقي الوحيد مكناس ـ الرباط ـ سلا، الذي يمتاز بكثافة كبيرة للسير الطرقي، مما يترتب عنه رواج تجاري هام.

تبعد المدينة عن الرباط بستة وخمسين كلم، وعن مكناس باثنين وثمانين كلم، ولا يفصلها عن الخميسات سوى مسافة خمسة وعشرين كلم، وهي مسافة ليست حقا في صالح تيفلت، الناقصة التجهيز والمرتبة الإدارية بالقياس إلى الخميسات.

السنة	1936	1952	1960	1971	1982	1983
العدد	1.079	3.735	7.233	14.142	29.658	31.164
التزايد السنوي	٪8	٪8.6	٪6.3	٪7		

المصدر : المنشورات الإحصائية الرسمية، Enquête - menage, 1983

من خلال هذه المعطيات الإحصائية، يتبين أن مدينة تيفلت تعتبر من بين المدن المغربية الأسرع نمواً ديموغرافياً، حيث إن نسبة هذا النمو تفوق متوسط معدل النمو العام الحضري (4.3 ٪ مابين 1960 . 1971 ؛ و4.5٪ مابين 1971 . 1982)؛ وأن حجم المدينة البشري يتضاعف مرتين، تقريبا، كل عشر سنوات. وبهذه الوتيرة يمكن توقع بلوغ عدد السكان، سنة 1993، ما يقدر بحوالي 51.000 ن كحد أدنى و61.000 ن كحد أقصى، حسب توقعات الإسقاطات الديموغرافية (M. H. A. T. 1983).

يتضح من المعطيات الإحصائية ومن نتائج الدراسات الميدانية الرسمية (M. H. H. T. 1983) أن نسبة التزايد السكاني عن طريق الهجرة تعادل أزيد من 50٪ من معدل النمو (4٪ على مجموع 7٪ في الفترة 1971 . 1982).

وتساهم الأرياف بنصيب وافر جداً (76٪ من المهاجرين) معظمهم نازحون من قبائل زمور المجاورة والذين يشكلون اليوم غالبية سكان المدينة، وبالأخص منذ الاستقلال، وبصورة مدهشة ابتداء من الستينات. أما في الفترة الاستعمارية، فكان معظم المتوافدين "البرانيين" ينتمون إلى مناطق دكالة والشاوية والحوز وتافيلالت، أي عموماً إلى المناطق شبه الجافة أو الجافة من البلاد ؛ في حين كانت الحواضر ممثلة تمثيلا ضئيلا جداً (سلا، الرباط، مكناس، فاس).

وتجدر الإشارة إلى أن الاستقطاب المتزايد لمهاجري أرياف زمور يعود أساساً إلى تعدد أوجه النقص المفرط لمختلف التجهيزات والخدمات في المنطقة، زيادة على المشاكل البنيوية التي تعيشها هذه البوادي، ومنها الأوضاع العقارية العتيقة وبعض التقاليد العرفية الموروثة (H. Lesne, 1959).

لكن أمام الضغط الديموغرافي الهائل ظلت تيفلت، بالنظر إلى إمكانياتها، عاجزة عن توفير بنيات الاستقبال

الضرورية. فكانت النتيجة الحتمية : انتشار القطاع اللاشكلي لقلة التشغيل، والتوسع العشوائي للمجال الحضري.

تعد تيفلّت، حالياً، أحد مقرات الدوائر الأربع لإقليم الخميسات منذ سنة 1973، تشرف إدارياً على تسيير ثلاث قيادات تشمل ست جماعات قروية أصغرها جماعة تيفلت نفسها. وهذا الدور الإداري ـ الذي حرمت منه منذ 1923 ـ كان من العوامل الرئيسية المساهمة في تنشيط الأدوار الأخرى وأهمها الدور التجاري.

فالجهاز التجاري يتضخم باستمرار (476 محلاً تجارياً سنة 1971 ؛ 773 في سنة 1982 ؛ ثم 954 في سنة 1992)، وذلك لتلبيته حاجيات السكان المحليين والمجاورين والمسافرين العابرين وسكان الأرياف عن طريق الأسواق الأسبوعية.

تقوم المدينة بدور نشيط كموصل طريقي تجاري على المحور الطريقي الرباط ـ مكناس حيث يشكل مركز قلب المدينة شريطاً متواصلا تتمركز فيه محلات تجارية وخدماتية متنوعة، كما هو الحال بالنسبة للخميسات بالدرجة الأولى.

تلعب المدينة أيضاً دور قطب سوقي أسبوعي جهوي يأتي في المرتبة الثانية بعد الخميسات كقطب جهوي رئيسي (Troin, 1974) ؛ فهو يشرف على شبكة كثيفة مكونة من أربعة عشر سوقا يشملها نفوذ المدينة التجاري غير المباشر، حيث ينطلق منها كل أسبوع حوالي 1080 من التجار المتجولين أو "السواقة".

ويعتبر سوق أربعاء تيفلّت، وحيداً في منطقة نفوذها، من بين القلة النادرة من الأسواق المتخصصة في تجارة الأبقار، حيث يعد قطاع المواشي المحرك الأساسي للرواج التجاري، وذلك تلبية لطلبات الحواضر الكبرى المجاورة (الرباط ـ سلا ...) التي تعتمد عليها هذه المدينة الناشئة في التزود بالمواد الحضرية.

ويتشكل النسيج الحضري لتيفلّت من عشرة أحياء تحتل حالياً حوالي ثلاثمائة هكتار، منها 205 ـ أي ما يعادل 68٪ من المجال، ينتشر فيها السكن الهزيل في شكل "دواوير" هامشية شبه قروية، مرتفعة الكثافات، (123 إلى 263 من / هـ)، تختلط فيها مواد البناء وأنواع من المساكن (براريك، نوالات، دور صغيرة ...).

تحمل هذه التجمعات السكنية أسماء قبائل أو أشخاص أو أماكن : القطبيين، سَكْويلة (المدرسة)، لكاف، دوار الجديد، أولاد شريفة العيسى ... ورغم تغيير أسماء بعضها، فإن الواقع لم يتغير.

أما الأحياء المندمجة نسبيا، القديمة (الحي الإداري، موكا) والجديدة (الدير، أمل، بلوك، الأندلس) التي هي تجزءات الدولة، فإنها تامة التجهيز بصورة متفاوتة.

فعلى العموم تطور مجال المدينة بشكل عشوائي، وذلك لأسباب متكاملة المفعول : ضعف القاعدة الاقتصادية، عدم مسايرة التجهيزات الأساسية للضغط السكاني، هزالة مداخيل غالبية السكان، حداثة استقرار معظم المهاجرين من أصل ريفي وذوي تقاليد رعوية قديمة لا تساعد على الاندماج بسرعة في الوسط الحضري.

والدراسات جارية في الوقت الحاضر لمحاولة إنقاذ المدينة من سرطان "السكن غير اللائق" وذلك بالاهتمام، قبل كل شيء بإعادة هيكلة المدينة.

محمد حنيني، *دراسة في الجغرافية الحضرية : الخميسات*، د. د. ع، كلية الآداب ـ الرباط، 1980.

Léon l'Africain, L. Massignon, E. Renou cités par M. Lesne, *Evolution d'un groupement berbère, les Zemmours*, Rabat, 1959, p. 401 ; J.F., Troin, *Les Souks Marocains*, Aix-En-Provence, 1974, 495 p ; Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire, *Etude urbaine de Tiflet*, 1983.

محمد حنيني

ابن **تيفلويت**، أبو بكر بن إبراهيم المسوفي، أحد كبار رجال الدولة المَرابطية، وصف بكونه ـ وهو في صحراء مسوفة ـ "رئيسا على بعض قبيله"، كان خروجه من الصحراء فيما يبدو وتجاه سجلماسة في بداية عهد الأمير المرابطي علي بن يوسف، ومنها اتجه نحو مراكش، وعرف له الأمير حق قدره "وعقد له على أخته" واستعان به في العمل الإداري بالأندلس. ولعل أولى ولاياته بها كانت هي غرناطة، وهذه المهمة هي التي جعلت ابن الخطيب يذكره ضمن تراجم الإحاطة.

كانت ولايته لغرناطة ـ حسب ابن الخطيب ـ سنة 500، وهي أولى سنوات حكم الأمير علي بن يوسف (500 ـ 537 / 1106 ـ 1143)، وذكر رواية شك في صحتها تتحدث عن تمرده بغرناطة أو عن صراع بينه وبين الهيأة المرابطية بالمدينة، ثم عفو الأمير عنه وتكليفه بولاية أخرى (*الإحاطة*، ج 1، 408).

وقد وردت إشارة في أحد هوامش *كتاب المغرب* لابن سعيد (تحقيق د. شوقي ضيف، ج 1، ص. 260 / هـ 1) إلى ولاية ابن تيفلويت على المرية، وهي إشارة لم تتأكد صحتها من خلال المصادر المذكورة أسفله.

كما أنه تولى على مرسية التي كانت درعاً لولاية سرقسطة في الثغر الأعلى خلال مدة أميرها محمد بن الحاج المرابطي الذي فتحها في أواخر سنة 502 أو أوائل سنة 503 / 1109 من يد ملكها عماد الدولة ابن هود آخر ملوك الطوائف، فالتجأ إلى بعض حصونه غرب سرقسطة وتحصن بها في حماية ملك أراگون.

وبعد استشهاد ابن الحاج المذكور سنة 508 أو 509، عين الأمير علي بن يوسف صهره أبا بكر ابن تيفلويت (أو ابن تافلويت كما وردت في *القرطاس*) صاحب مرسية والياً على سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى وعلى مدينة بلنسية وما حولها من جهات الشرق (وهي نفس الولاية التي كانت لابن الحاج قبله). وقد جمع أبو بكر في سرقسطة بين مجالس العلم والطرب والمظاهر الملوكية وبين الحزم والشجاعة في مواجهة العدو الأراگوني وحليفه ابن هود،

وإن كان هذا لم يمنع من محاولة تفاهم مع ابن هود انتهت بالفشل كما ذكر ذلك صاحب *القلائد*. ويمكن القول إن أبا بكر خلال سنتي حكمه كان يتعرض لضغوط متتالية من طرف قوات ملك أراگون من أجل إضعافه إلى وفاته سنة 510 بعد أن ضاق ذرعاً بطاغية الروم الذي أناخ عليه بكلكله (*الإحاطة*، 1 : 408). وينحي صاحب *القلائد* باللائمة على خصمه الفيلسوف الوزير ابن باجة لكونه كان سيئ التدبير، وأنه جرّأ الأراگونيين ـ بكيفية غير مباشرة ـ للضغط على سرقسطة.

والواقع أن المرابطين منذ هذه الفترة أخذوا يتعرضون لهزائم متتالية في الأندلس خصوصاً في الشمال الشرقي لمواجهة الأراگونيين ومن يدعمهم من أهل قشتالة ونڤارة والمتطوعين ورجال الدين القادمين من وراء جبال البرانيس، مما سيؤدي سنة 512 هـ إلى سقوط سرقسطة بيد أراگون وبكيفية نهائية خاصة بعد موت أميرها ابن مزدلي الذي لم يكن أقل شجاعة من الولاة السابقين. فقد أصبحت الظروف في غير صالح المرابطين بالأندلس أولا ثم في المغرب بعد سنوات قليلة بظهور الحركة الموحدية، وظلت منطقة شرق الأندلس تمثل نقطة ضعف عسكري للمرابطين طيلة الفترة المتبقية من حكمهم سبب التفكك الداخلي والروح الصليبية المتأججة في أوربا.

ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة 1973، ج 1، ص. 404 ـ 409 ؛ ابن خاقان، *قلائد العقيان*، ص. 301 ـ 306، ط بولاق 1283 هـ ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 161 ـ 162، ط الرباط، 1973 ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، ص. 98 ـ 99، البيضاء، 1979 ؛ المقري، *نفح الطيب*، 1 : 682 وج 7 : 20 ـ 23، بيروت، 1968 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 4 : 53 ـ 55 و61، بيروت، 1967 ؛ محمد عثمان، *عصر المرابطين والموحدين*، ق. 1 : 73 وما بعدها، ط القاهرة، 1964.

أحمد عزاوي

تيفنّاغ، جمع مؤنث لمفردة "تافينق" ومعناها الخط أو العلامة أو الحرف. وهي منظومة الحروف والعلامات التي تمثل أقدم كتابة عرفها التوارگ بكل من جنوبي وشمال وساحل إفريقيا (حاليا، حوض نهر النيجر والتخوم الجزائرية الليبية وصحراء الهگار وشمالي نيجريا وفولتا العليا والنيجر ومالي...)، وذلك منذ ما يناهز 3000 سنة قبل الميلاد، على الأقل. وكثيرا ما تنسب إلى الخط الليبي ـ البونيقي الذي تم فك بعض رموزه بفضل النقوش الصخرية التي عثر عليها بنوميديا القديمة. وتوجد أقدم شواهد حروف تيفيناغ على بعض النقوش الحجرية في الصحراء وجنوبي الصحراء، كما أنها متداولة حاليا في بعض البلدان الإفريقية وخاصة في النيجر حيث تستعمل في برامج محو الأمية بعد تبني اللغة الأمازيغية المحلية (التوارگية) كإحدى اللغات الرسمية الوطنية.

أما عن اشتقاق مصطلح "تيفناغ"، فيرى اللسانيون أن له قرابة مع جذر ف ـ ن ـ غ المماثل لجذر ف ـ ن ـ ق وكلاهما ذو صلة محتملة مع الكلمة اللاتينية پونيگا (Punica) وكذا مع الاصطلاح الروماني "پونيقي" (Punique) الدال على كل ما ينتسب إلى منطقة نوميديا.

وفي الوقت الراهن لا وجود في اللغات الأمازيغية لكلمات حاملة للجذر الذي اشتقت منه كلمة "تيفناغ" إلا أن من المرجح ربطه بكلمة أسفيناغ "asfinagh" التي تعني من الأصل "التفسير"، حيث يمكن إعطاء الكلمة مدلولا يفيد "شرح الكلام والإفصاح عنه".

ـ خصائص ألفباء تيفنّاغ : حروف تيفناغ في مجملها صامتية، إذ لا يشتمل نظامها سوى على حرف صائتي واحد هو (.) المقابل لحركة الفتح في العربية (ـَـ) ولا يكون إلا في آخر الكلمة.

أما حركتا الرفع (u) والجر (i) فيرمز إليهما، في غير انتظام، على التوالي بكل من شبه الصامت (:) (= و ، w) وشبه الصامت (ⵢ) (= ي، y) وذلك أيضا في آخر الكلمة، إذ تكون لهما قيمة صامتية وسط الكلمات.

وتتميز هذه الكتابة بنوعين من القصر أو الاختلاس :

أ) انعدام تشديد الحروف الصامتية، لا بتضعيفها ولا بإضافة علامات إعجام ؛ ب) في بعض الحالات، يمكن تمثيل صامتين مختلفين بحرف خطي واحد ذي قيمة صامتية مزدوجة.

تعدد وتنوع ألفباء تيفناغ : كشفت الأبحاث (انظر على الخصوص أغالي زاكارا ودروان 1977) أن هناك على الأقل عشر منظومات الفبائية لتيفنّاغ، تتوزع على مناطق مختلفة من البلاد الإفريقية، وهي إذ تشترك في جوهر الكتابة الأصلية، تتنوع من حيث عدد الصوامت (من 20 إلى 27) وعدد الصوامت المزدوجة المشكّلة من الصوامت الفردية (من 20 إلى 26)، وعموما، فالعدد الإجمالي للحروف الخطية المستعملة من قبل المعنيين يتراوح، حسب المناطق، مابين 29 و42 حرفا. وفي كل المتغيرات الجهوية لألفباء تيفنّاغ، لايعتمد ترتيب قار في سرد الحروف وتعلمها. ويرجع المتداولون لهذا النظام هذا الأمر إلى التكافؤ بين الحروف وانعدام التراتبية بينها، حيث تبقى للمستعمل حرية سردها في أي ترتيب شاء.

وما يميز بين حروف تيفناغ هو شكلها، فهي مكونة من نقط (تَانْبُبْقْت، ج تَانْبُبْقًا) وسطور (أَلاوگ، ج : إيلوگوان) وهي عناصر تنتظم إما منعزلة أو مجتمعة، مما يعطي نوعين من الحروف : حروف منبطحة (تْنسًا) أو حروف قائمة (تْبْدَاد).

تقنيات التدوين :

ـ اتجاه الكتابة : يمكن للكتابة أن تتخذ عدة اتجاهات، إذ ليس هناك من أعراف أو قيود (أَسْشُرُوض) في هذا المجال أيضا، كما هو الحال بالنسبة لعدد وترتيب الحروف. إلا أن العنصر الأساسي المعتمد في اختيار أحد الاتجاهات الممكنة هو الحيز المتوفر الذي يتأتى معه التدوين في ارتياح كامل (أَسْنْفْلَايْ)، حيث يكتب المرء في الاتجاه الذي تتحرك فيه يده بحرية. وهكذا يمكن للكتابة أن تتخذ اتجاها

عموديا، من أسفل إلى أعلى ومن أعلى إلى أسفل، أو اتجاها أفقيا، من اليمين إلى اليسار أو العكس، أو اتجاها دائريا أو لولبيا أو قلبيا (يمكن من قراءة السطور عكسا وطردا).

وقد جرت العادة أن تكون الكتابة العمودية، من أسفل إلى أعلى أكثر شيوعا باعتبارها النموذج التقليدي العريق والمتداول لدى الشيوخ والنساء. ويقال عن هذه الطريقة بأنها الكتابة الطبيعية "أمام الجسد" أي أن العلامات تُنضّد انطلاقا من الجسم مبتعدة عنه تدريجيا، وخاصة حين تتم الكتابة على التراب حين يكون صاحبها جالسا القرفصاء أو منبطحا على جنبه ومتكئا على ذراعه (أسْغُمْرْ / من تَاغْمْرْت : المرفق) إذ يكون حدّ تمدّد الذراع هو حدّ تسلسل الحروف على نحو أعمدة، وتكرر العملية بإضافة أعمدة موازية إلى العمود الأول، يمينا أويسارا إلى النهاية :

↑ ↑ ↑ ↑ ↑

3 2 ← 1 → 2 3

أما الكتابة الأفقية فيظهر أنها نتجت عن تأثير الكتابة اللاتينية، وخاصة في الاتجاه من اليسار إلى اليمين. وبالكتابة العربية بالنسبة للاتجاه من اليمين إلى اليسار. ولا يعتبر المعنيون هذا النمط أسلوبا قديما، إذ لم يتبين وجوده في العصور القديمة. وللتعبير عن هذين الاتجاهين الأفقيين، يشار إلى المجال الحر الذي تتجه نحوه الكتابة وإلى موقع هذا المجال من مكان يد الكاتب، أي بالنسبة لراحة الكف أو ظهرها : ـ فالكتابة من اليسار إلى اليمين تكون خلف اليد (دقّر أفوس)

⟶

اتجاه الكتابة

المجال الواسع ⟶ ظهر الكف (["م"

ـ أما الكتابة من اليمين إلى اليسار فتكون أمام اليد (داتْ أفُوس)

⟵

اتجاه الكتابة

[راحة الكف)

"م" ⟵ المجال الواسع

ـ أما الأنماط الكتابية الأخرى، فهي كاللولبية أو الدائرية (أكَـاتَابْ إغْـلاَين، أكَاتَابْ وَان ـ تْـگَـلْـلْتْ) فهي ذات استعمال جد هامشي بالمقارنة مع الكتابتين الأفقية والعمودية، وهي مخصصة أساسا للممارسات الترفيهية والإبداعية والزخرفية كما هو الحال بالنسبة لبعض الاستعمالات الفنية للخط العربي.

وبصفة عامة، فالنساء والشيوخ قد درجوا على تداول النمط التقليدي، أي الكتابة العمودية من أسفل إلى أعلى، بينما الشباب المتمدرس بالعربية أو الفرنسية يعتمد الكتابة الأفقية.

ومن الملاحظ أن هناك نقطة انطلاق قارة في الكتابة أو القراءة تتخذ شكل صيغة كتابية أو شفوية غايتها تقديم الكاتب والترميز إلى هويته، وتتخذ شكل الحروف الثلاثة :

: ∴ ا

"و" "ن" "كـ" = أي أوَانْـكْ = هـذا أنـا (فلان)، وذلك على النحو العمودي من أسفل إلى أعلى.

∴ "كـ"

– "ن"

•• "و"

أو على النحو الأفقي باتجاهيه :

⟶ أو ⟵

"و" "ن" "گ" "و" "ن" "گ"

وتعرف هذه الصيغة بالحرف الأول "و" (إيوّي) حيث يقال إن على الكاتب اتباع الـ "إيوّي" الخاص به والاحتفاظ به.

ـ أشكال الحروف : تتكون رموز تيفيناغ من سطور ونقط ودوائر، تكون إما منفردة أو مركبة، وحسب أشكالها، فهي قد تشير كليا أو جزئيا إلى اتجاه الكتابة وعليه، يمكن تصنيفها من هذا المنظور كما يلي :

أ ـ حروف لا تتضمن علامة توجيهية، وهي في الغالب ذات طابع تماثلي :

• :: ⌗ + ⊙ 0

ر س ت. ج ق أ

ب ـ حروف تقابل بين الاتجاهين الأفقي والعمودي :

⋮ ... ⋮ ⁚ ⁞ ᛪ ‖ ا 亖 ①

ب ف ن ل ز گ و غ خ ه

ج ـ حروف مفتوحة أو غير متماثلة، تقابل بين العمودي والأفقي وبين اليمين واليسار :

∴ ᑫ ᕒ Ɛ [

"م" د ز ش ک

وهناك حروف مركبة تجمع بين علامتين خطيتين، وتعرف بالحروف الثنائية أو المزدوجة ومنها خيارات متعددة :

1 ـ ⊙ > 0 + ⁚ ⦿ > [+ ① ①

"رك" > "ر" + "ك" "مب" > "م" "ب"

2 ـ ⍋ > 0 + ا + ┼ ┼ > ا + ┤ ┼

"رن" > "ر" + "ن" "نت" "ن" + "ت"

3 ـ ⌗ > ا + ⌗ ✱ > ا + ✱ ✱

"نج" > ن + ج "نز" "ن" + ز

4 ـ 亖 > ا + 亖 ⊖ > Ɛ + ا ⊓ > [+ ①][

نف ن ف ، "ند" ن د ، مب "م" + ب

وتتسم هذه الحروف الثنائية بالتعقيد لصعوبة فكها وإعطائها قيمتها الأصلية، خاصة وأن استعمالاتها تختلف

من منطقة إلى أخرى.

- ومن صعوبات قراءة نصوص تيفناغ التقليدية كونها عبارة عن حروف متسلسلة من غير فاصل بينها، تفترض في القارئ معرفة بالعلامات وقيمتها وقدرة على تجميعها في وحدات معجمية وتركيبية. إلا أنه في الوقت الراهن، قد درج الكتاب المتمدرسون بالعربية والفرنسية على استعمال علامات الحصر والترقيم Ponctuation للفصل بين عناصر النص، وذلك باستعمال العلامات السائدة في الكتابة العربية أو الفرنسية :

- الفسحة بين الكلمات (تيفاوْت / تيفاوين) والنقطة (.) رغم استعمالها كصائت (فتحة) في آخر النص.

- مجالات الكتابة وأدواتها :

- العناصر المادية : وهي التراب والأشجار والصخور. فالكتابة على الرمل شائعة لدى الطوارق، خاصة في التواصل الظرفي السريع وفي تعلم الكتابة والممارسات الترفيهية، وتستعمل السّبابة كأداة عملية. أما الكتابة على الأشجار فهي قديمة جدا، ومنها ما يرجع إلى قرنين فأكثر. ونفس الشيء بالنسبة للكتابة نقشا على الصخور، ومنها ما يرجع إلى عهود غابرة، ولم يتمكن الدارسون من فك رموزها لحد الآن.

ومن الدعائم المادية المتحركة الخشب بأنواعه المختلفة وخاصة الأواني المنزلية والمعادن الممثلة في الأسلحة والحلي والأدوات المختلفة ثم الورق والقماش.

- وتتم عملية النقش على الخشب والمعادن بواسطة منقش (جَاجُوُل).

وتقتصر الكتابة على الورق والقماش على نصوص نفعية كالمعلومات الخاصة بالضرائب والمذكرات الإخوانية. ويستعمل في ذلك مداد تقليدي من صنع محلي (تادّوات) أو صباغة ملونة (تَيِنْغَمِيتْ) من أصل نباتي (أَلْمُوزْ). وبالطبع فإن هذه التقنيات التقليدية قد عوضت باستعمال الأدوات الحديثة كالأقلام الحبرية وغيرها.

- عراقة تيفناغ ووضعيتها الراهنة :

هذه الكتابة التي يرجع عهدها إلى ما قبل آلاف السنين مازالت حية ومتداولة في المجتمعات التقليدية بالبلدان الإفريقية التي نشأت فيها أصلا. وفي الوقت الراهن قد تم إحياؤها وتجديدها لأسباب مختلفة، يكتسي بعضها دلالة ثقافية ورمزية لاقترانها بالهوية الثقافية الأصلية للأمازيغ بهذه البلدان.

ففي النيجر هناك العديد من المنشورات المحلية (أزاواغ أيير) تصدرها هيئات حكومية، تهدف إلى الإخبار وتعميم المعارف المبسطة في مجالات التربية الصحية ومحاربة الأمية لدى الكبار. كما أن بعض الجمعيات القبائلية (من أصل جزائري) المتواجدة بأوربا تستعمل نموذج تيفناغ الهوغاري الأصل مجددة إياه في بعض منشوراتها الثقافية والإيديولوجية، ونفس الشيء بالنسبة لبعض الهيئات الثقافية المغربية المهتمة باللغة والثقافة الأمازيغيتين، والتي تتبنى نموذجا متطورا، مقتبسا من عدة أشكال أصلية (انظر مجلة أمازيغ، ومجلة تيفناغ على سبيل المثال لا الحصر).

عربي	لاتيني	القديم	المحدث	نموذج مغربي
ب	b	◘ ⊙	◘ ⊙	⊙
م	m	⊂ ⊃	⊏ ⊐	⊏
ف	f	⊐	⋕ ⋕	⊐
ت	t	+ ×	+	+
ث	ṯ	⋋		×
د	d	⊏ ⊐	∧ ∩	∧
ذ	ḏ	-	-	-
ط	ṭ	⊱	∃ ∈	⊔
ض	ḍ	-	∈ ∃	∈
ن	n	–	|	⁞
ني	ñ	-	⋕	⁞
ل	l	⥤	=	=
ر	r	◘ o	◘ o	o
س	s	⊵ ⋕	⊡ ⊙	⊙
ز	z	⊍	⋇	⋇
ز	ẓ	⊓ ⊔	#	*
ص	ṣ	⅄ ⅄	-	⊘
ش	š	⋎ ⋔	⋔ ⋔ ⋔	⊛
ي	y	⊰ ⊰ ⊐	⊰ ⊰	⊓
ك	k	⊹ ⊹	⊹ ⊹	⋋
گ	g	∨ ∧ ⅄	⋇ ⋇ ⋇	⋇
ج	ǧ	⊹ ÷	⊹ ⊹	⋇
ر	v	‖	:	∪
غ	ɣ	ⅢⅢ ≡	⁝	⅄
ح	ḥ	-	: :	⅄
خ	ḫ	–	: :	⋇
ه	h	ⅢⅢ	⁝	⊘
ق	q	⊁ ⅄	····	∾
ع	ʿ	–	-	-
ء	ʾ	⊢	•	∘

جدول تيفناغ (انظر باسي (1959) بالنسبة لجزء من الجدول)

م. الشامي، *إشكالية الكتابة الأمازيغية*، أعمال الدورة الأولى لجمعية الجامعة الصيفية بأكادير، ص. 155، 174، 1980.

M. Aghali-Zakara et J. Drouin, *Recherches sur les Tifinagh, GLECS*, 1978 ; A. Basset, *Ecritures libyques et touarègues : articles de dialectologie berbère*. Paris, p. 167-177, 1959 ; E. Littman, *L'origine de l'alphabet Libyen, J.A.*, 10, série 4, p. 428-440, 1904 ; G. Marcy, *Introduction à un déchiffrement méthodique des inscriptions Tifinagh du Sahara Central, Hesp.*, 1er, 2è trim. 1937, p. 89 -118, 1937 ; M. Reygasse, *Contribution à l'étude des gravures rupestres et inscriptions tifinar du Sahara Central*, Alger, 1932.

الحسين المجاهد

تيفنوت، اسم واد كبير بالمنحدرات الجنوبية للأطلس الكبير المركزي، أهم روافده واد سوس، طوله حوالي خمسين كلم، يتلقى روافده من القمم العليا، توبكال وإفروان... ومن بحيرة إفني الموجودة بواد ضيق جنوب قمة توبكال. وله حوض واسع يقدر بحوالي ثمانمائة كلم2. اختلف في مدلول التسمية. يرى البعض أنها مشتقة من إفني، وهو مكان تجمع الماء على عمق كبير. إفني، أي العمق الذي ، فرار له، وتيفنوت تصغير إفني لأن البحيرة تزوده بمورد دائم، إذ ينبع من حاجزها الانهدامي عين غزيرة تنعش

الزراعة بوادي إسلاني أحد روافد تيفنوت الأعلى. ويفسر البعض الآخر بأن تيفنوت تعني الباب، لأن سكان الأودية العليا يجدون في طريقهم إلى حوز مراكش فجاجا عالية كأنها أبواب مقفلة تحول دون تنقلهم شمالا إلى حوز مراكش.

يتكون حوز تيفنوت من صخور گرانيتية هشة تتحلل بسهولة تمتد من القمم العليا إلى جبل سيروا، ترجع إلى الزمن الأركي وما قبل الكامبري تظهر في بعض جوانبه صخور اندفاعية وسطوح تعرية وبنيوية تحتفظ برقع من أغطية رسوبية للكريتاسي والأيوسين تتكون من رصيص وطفل وكلس غالباً ما تكون إفريزات تقطعها مسيلات. ويقطع مجرى الواد نحو الجنوب بشكل مستعرض سلسلة فوالق متدرجة ذات اتجاه شمالي غربي مما يجعله يتدرج في الانخفاض نحو الجنوب إلى أن يتصل بهضبة أيت إديكل. ويحيط بالوادي كتل مرتفعة بلورية خاصة بالضفة اليمنى تفصله عن الأودية المجاورة تتصل بسيول ووديان عديدة خاصة بضفته اليمنى أهمها : أُومومن وتافوگت.

تشتد البرودة بهذا الحوض المنعزل شتاء والحرارة صيفاً إذ يتعرض كثيراً لرياح الشرگي وتتساقط الثلوج وتبقى عدة أشهر بالقمم العليا، لكن التساقطات ضعيفة، عموما حوالي ثلاثمائة ملم، تتذبذب من سنة لأخرى مما جعل الغطاء النباتي ضعيفا، ينحصر في رقع من البلوط الأخضر والعرعر الأحمر خاصة بمنحدرات الضفة اليمنى. وتنتشر غابة واسعة خفيفة لأشجار أرگان بالمجرى الأسفل. وتغطي معظم الحوض أعشاب برية وشوكية حيث ما وجدت تربة مستقرة على المنحدرات.

وتنتشر على طول الوادي وروافده قرى تقليدية كبيرة وصغيرة لازال بعضها يحتفظ بمخازنه المتهدمة، (إغرمان، ج. إغزم)، أهمها : تاسا وايگيد وأساراگ وآگرد ونوگادير... يسكنها مجموعات من قبيلة أيت واوزگيت الصنهاجية التي يمتد مجالها إلى ورزازات.

تمارس زراعة مروية خاصة بالأودية العليا حيث تغزر المياه وتكثر أشجار الجوز واللوز والتين، ويهتم السكان بزراعة الشعير والذرة والعلف للأبقار وبعض الخضر للاستهلاك الذاتي والملكية ضيقة ومفتتة. وهناك بقع متناثرة لزراعة يناصيبية للشعير على المتون والمنحدرات التي تتوفر على تربة. ويوفر الحوض مساحات واسعة للرعي مما يجعل السكان يولون أهمية خاصة لتربية المواشي يقومون بتنقلات واسعة إلى حوض تازناخت والمنحدرات الجنوبية الشرقية للأطلس الكبير وحواشي سهل سوس شتاء ونجعة صيفية إلى الهضاب والأودية العليا حيث يمتلكون مراعي من بينها مراعي أودية تويكال. وتتوزع مساحات الحوض على ثلاث جماعات قروية تابعة لدائرة أولوز إقليم تارودانت هي جماعة أهل تيفنوت وجماعة إوْزيوْنْ وجماعة ثالثة تنتشر بالوادي الأسفل والمنحدرات الشمالية لسيروا هي أسكاون.

يبلغ عدد السكان حوالي أربعة وثلاثين ألف نسمة والكثافة العامة ضعيفة (30.20 ن / كلم²) تساوي نصف مثيلاتها بالمنحدرات الشمالية، فالنمو الديموغرافي ضعيف بسبب انخفاض مستوى العيش وارتفاع نسبة وفيات الأطفال. وتصعد القرى مع روافد الواد إلى ارتفاع 23.000 م ونظراً لتكرار سنوات الجفاف وشح الموارد يهاجر السكان منذ القديم أفراداً وجماعات إلى أودية السفوح الشمالية، فهم الذين يكونون قبيلة أُوزگيتة بهضبة كيك، ومنحدراتها الشمالية. كما يهاجرون اليوم إلى سوس للعمل الفلاحي وإلى المدن الكبرى خاصة أگادير.

لاتزال تسود في هذا الحوض تقاليد أصيلة تظهر في البناء والنسيج والرسوم وأدوات العمل وأساليبه وذلك لانزواء الوادي وقلة اتصال سكانه بالخارج، وكان اليهود موزعين بمختلف القرى لا يجمعهم حي خاص، يمارسون مختلف الحرف والتجارة كما يلاحظ أن الوادي قليل الأضرحة والزوايا. وتعتبر البغال أهم وسيلة للتنقل، أما المواصلات الحديثة فمازالت ضعيفة لصعوبة المسالك إذ لا يصل الوادي أي طريق مرصف ويعتمد في النقل إلى خارج المنطقة على شاحنات تنزل مع الوادي إلى سوس أو تنحرف في وسطه لقطع سلاسل الجبال عبر مسالك وعرة إلى أگويم على طريق ورزازات، لكن حركتها تتوقف عندما تسقط الأمطار. وينعقد بوادي تيفنوت سوقان أسبوعيان الأول بقرية أساراگ بالمجرى الأوسط للواد يوم السبت، والآخر بالمجرى الأسفل بقرية إيگلي يوم الاثنين. على أن أهم الأسواق المزودة للمنطقة بحاجياتها الأساسية وحيث يباع فائض المواشي والجوز واللوز تقع خارج الوادي بأسكاون وإيوْزيوْنْ (أوزيوة).

بحث ميداني ؛ معلومات مأخوذة عن مهندس سد أولور مصطفى الصبار ؛ كتب عامة لجغرافية المغرب.

J. Dresch et J. Lepiney, *Le Massif du Toubkal, Guide Alpin*, Rabat, 1938 ; J. Dresch, *Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand Atlas de Marrakech, le Haouz et Souss*, Tours, 1941.

أحمد هوزالي

التِّيفْنوتي، أبو القاسم بن عمرو السوسي الدرعي، ولد في قرية بتيفنوت تدعى إغْرمْ نِ قْدَّرْن. صوفي مشهور من أهل سوس الذين استوطنوا درعة. ترجم له صاحب *الفوائد الجمة* فقال : "ومنهم الشيخ الصالح الفقيه المحصل المفيد الزاهد الورع المتجرد، سيدي أبو القاسم بن عمرو التيفنوتي، المعروف بالشيخ، ويعرف عند أهل فاس بالكوش". ودعي بالكوش لأنه كان أسمر اللون.

تعلم بفاس حيث ظهرت نجابته مبكراً، وبرع في فنون مختلفة مثل الفقه والعربية والحساب والقراءات والفرائض. وهو أول من وقف كرسي كتاب *حرز الأماني* للإمام الشاطبي. وجاء في *الحركة الفكرية* عن كراسي فاس العلمية : "وكرسي *حرز الأماني* في تجويد القرآن الكريم بمسجد الشرفاء، من إنشاء ووقف أبي القاسم الشيخ

الكوش الدرعي" (1 : 119). فقد أوقف مبلغا من محصول شرطه الزهيد ليشتري به عقاراً بفاس، أوقفه ليصرف ريعه على نشر فن التجويد في فاس، احتسابا لله تعالى (نفس المصدر، 2 : 543).

من أشهر شيوخه أحمد الونشريسي ومحمد ابن غازي. وبعدما تخرج عالما في فاس وتكون تكويناً رصيناً رجع إلى زاوية سيد الناس بدرعة، فتصدر لتدريس العلم في تلك القرية التي صارت فيها سوق العلم نافقة في عهده. يذكر صاحب *الدرر المرصعة* أن : "موضع درسه باق إلى الآن بضريح ولي الله سيدي الحاج إبراهيم المتقدم الذكر بزاوية سيد الناس" (*الدرر المرصعة*، 142).

وعرف التيفنوتي بالشيخ لأنه تخرج على يديه جماعة وافرة من الفقهاء، منهم سعيد بن علي الهوزالي، أحد أشهر قضاة مدينة تارودانت، وأحمد البوسعيدي المعروف بأگجيل، ومحمد بن عبد الله الوحلاني، ومحمد بن أحمد الدادسي المعروف بالكبير، ومحمد بن محمد العشاب وغيرهم. وكان يحض طلبته على تعلم الصنائع والاحتراف لكسب عيشهم إلى جانب طلب العلم (*الدرر المرصعة*، 139) ؛ لأنه كان بدوره عالماً محترفاً، لا ينتهي من الدروس حتى يقوم لأشغاله اليدوية ؛ وكان يتقن حرفا كثيرة تعلمها في فاس زمن اشتغاله بالطلب (*الحركة الفكرية*، 1 : 122).

توفي أبو القاسم التيفنوتي بدرعة سنة 953 / 1546 ودفن غربي تامگروت غير بعيد عنها.

أ. المنجور، *فهرس*، 75 ؛ ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة* ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*.

أحمد عمالك

تيفنيت ← إفني

تيقّي أو تـقّ، لفظة تفيد بمبناها أنها أمازيغية. وهي نوع من الشجر تشمل ثلاثة أنواع مشهورة.

أولها : العرعر ويدعوها العامة تَـايْدَةْ. وينتشر شجره كثيرا في جبال الأطلس المتوسطة الارتفاع (حوالي 1800م). ويتعدى ارتفاعه عشرين متراً. يستخرج منه اللصاق والقطران. واستعملت قشرته ـ وما تزال ـ في دباغة الأدم. أما أوراقه فقد اعتاد المصابون بمرض البواسير التداوي بها. واستعملته النساء للإجهاض.

ـ ثانيها تَـافْغَـه، حسب تسمية سكان دير الأطلس المتوسط. وهي شجرة شوكية، تنتشر في الهضبة الوسطى، وفي السفوح الدنيا الشمالية لجبال الأطلس الكبير المتوسط. يستعمل ورقه كدواء تقليدي للجروح، وخاصة في أثناء الختان ؛ إذ يدق ويخلط بزيت الزيتون، فيعوض الحناء.

وتنبت هذه الشجرة فاكهة، في شكل عناقيد لا تتجاوز حباتها حبات الجلبان، ولا يقبل الناس على أكلها إلا عند الضرورة القصوى، مثل المجاعة.

وهذه الشجرة قصيرة لا يتجاوز ارتفاعها خمسة أمتار، وتتميز بشدة تكاثف أغصانها وتعددها. وفي هذا السياق يتردد بيت شعري على ألسنة سكان الأطلس المتوسط، في مدح هذه الشجرة :

تُوفْ تِقّ الزّيْتُونْ يُوفْ أُدْرَارْ أَزْغَارْ

ومعناه :

تفضل تِقّ الزيتون كما يفضُل الجبلُ السهل

نسب هذا البيت لحمامة كان طائر الباز الجارح قد طاردها في السهل، حيث تنتشر أشجار الزيتون، فعانت كثيرا من مطاردته، لكنها حين بلغت الجبل استطاعت الإفلات منه لما لجأت إلى شجرة تق ذات الأغصان الملتفة.

ـ ثالثها : لا يعرف إلا بتـقّ، وهي شجرة لها أوراق كبيرة تتجاوز أوراق الجوز. قد يبلغ ارتفاعها ثلاثين متراً، وتنتشر في الدير، وخاصة فيما بين واوزغت وصفرو. كما ينتشر في المناطق الجبلية الرطبة. خشبها كبير الجودة، ويستخرج منها نوع من اللصاف ويدبغ بقشورها الأدم. تنتج تيقي فاكهة بمقدار حبات النبق لونها أصفر، شديدة الحلاوة.

وقد ذكرت في بعض مصادر التاريخ من بين الأغذية التي يتناولها الناس في زمن المجاعات. أورد عبد الله بن عمر العياشي في كتابه *الإحياء والانتعاش في تراجم سادات أيت عياش* مقطعة عدد فيها بعد المواد الغذائية البرية التي صار الإقبال عليها كبيراً من طرف الناس، أثناء مجاعة عام 1071 ـ 1072 / 1660 ـ 1661 (مصورة خ. ع، رقم 1433 د. ص 263) ؛ ولم يفته التنبيه على مضار بعضها بصحة الإنسان.

يتبين من خلال البيت الخامس من هذه المقطعة أن تيقي أكثر جاذبية وإثارة ـ من بين مختلف المواد المذكورة ـ بسبب حسن منظرها ولونها الأصفر الفاقع، حتى شبهها الناظم بغادة الحي. لذلك يقبل الجياع كثيراً على تناولها. وعلى الرغم من أن مذاقها شديد الحلاوة يكثر الإقبال عليها، فإنها لا تدفع الجوع ؛ بل قد يقوّي تناولها الرغبة في الأكل، كأنما تساعد في تقوية الشهية بسبب طعمها اللذيذ.

وعلى الرغم من أهمية هذا النوع من الشجر فإنه في تراجع مستمر.

عبد الله بن عمر العياشي، *الإحياء والانتعاش* ؛ *التحري الميداني*.

E. Laoust, *Contribution à la toponymie du Haut Atlas*, Paris, 1942 ; M. Charnot, *La toxicologie au Maroc*, Rabat, 1943, p. 191.

أحمد عمالك

تيقّي ← تاقا

تيقّيتْ، تـگّـيت، تـغّـيت، قرية في شمال المغرب مندرجة اليوم ضمن قبيلة بقوية، فرقة أزغار، إلى جانب سمّار وعين ماية في جنوب أراضي الفرقة. وهذا الموقع الحالي مخالف لما استعرضه عبد الحق البادسي في *المقصد*، إذ أن القرية كانت بأرض إزمّورَنْ، وجماعة بني وروجن، بجوار مرسى بُوسَكُورْ (بوزكور)، عاش بها آنذاك كل من أولاد منصور وبني يفراسن.

وإلى قرية تيڤْيت ينتمي عدد من رجال التصوف ببقوية، أمثال عبدون بن علي اليفراسني التيقيتي وزكرياء ابن يحيى التيقيتي، درسا بمسجدها القديم المشرف على جبل الرابطة المنسوبة إلى أمّ أيْمن. ودرس بنفس المسجد المدعو أبو العباس أحمد الگميلي، القائم بحوز بادس حوالي سنة 685 / 1286.

وخلال القرن الماضي كانت قرية تيقيت لاتزال بالموطن الأصلي المعين لها من طرف البادسي، لها مرسى، عد من المراسي المشتغلة بتهريب الأسلحة (الكنطربانض) والبضائع الممنوعة، مثل زيت الگاز الواصلة إليه من الساحل الأندلسي ومن الجزر المحتلة.

ونجهل الظرف الذي أرغم أهل تيقيت على التخلي عن موطنهم الساحلي القديم وانتقالهم إلى موقع داخلي بفرقة أزغار. وربما كان لتدخل المخزن العزيزي يد في ذلك، خاصة أثناء الحملة التي قادها بوشتى البغدادي ضد بَقُّوية، في محاولة لمنع رجالها القرصان من التعرض للسفن الأوربية، وذلك سنة 1315 / 97 ـ 1898.

البادسي، *المقصد*، 115 ـ 120 ـ 128 ؛ *تقييد قبائل الريف*، كناش خ. ج. بالرباط، 192 ؛ أ. البوعباشي، *حرب الريف*، 248 ـ 251 ؛ ع. الطيبي، *قبائل الريف الأوسط*، د. د. ع، 114 ـ 245.

S. Ghirelli, *Monografia de la Cabila de Buena* ; Comisión histórica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos*.

حسن الفگيگي

تيگّا، مصطلح عند سكان جبل درن يُعتمد عند من يشتغلون بالتدريس. والتدريس عندهم ـ قديماً ـ يباشَر في المسجد (تيمزگدة) ومن مؤسسات المسجد بناية خاصة بالتدريس تدعى "لَحْضَرْ" وأيضاً من تتمة بناية "تيمزگدة" في الدواوير الكبيرة مساكن للطلبة الوافدين على الدوار من جهات مختلفة، قد يقلون أو يكثرون، حسب قدرة أهل الدوار على التموين وحسب شهرة الأستاذ "الطالب". والطلبة الوافدون على الدوار يسمون "المسافْرين" وغالباً ما يكونون كبار السن، وقبل الطلبة الوافدين يغشى "لَحْضَر" أطفال الدوار ويسمون "إمْحضَارْنْ" والعناية بهم جزء من مهمة "الطالب" التي تدخل في "الشرط" ولكون كلمة "إمحضارن" مهذبة ولطيفة جعل الناس يطلقونها على "المسافرين" أيضاً احتراماً وتلطفاً ..

وهكذا فكما أن "الطالب" مطالب بإقامة الصلوات الخمس يومياً فكذلك مطالب بأن يقوم بتعليم "إمحضارن" يومياً وهذا داخل في "الشرط" كما قلنا. غير أن عملية الصلوات تتم في "المقصورة" بينما عملية التعليم تتم في "لحضر" وبما أن عملية التعليم يصعب أن تستمر يوماً بعد يوم للظروف الاجتماعية والإنسانية، لذلك حُددت أيام ومواسم تتوقف فيها الدراسة.

وأيام التوقف هي : الأربعاء مساء، والخميس صباحاً ومساء والجمعة صباحاً. وهذا التوقف يسمى "سُنْتْ".

وقد يدخل على "الطالب" عزيز من أصدقائه الطلبة أو أحد شيوخه فيعلن تلك الحصة "سُنْتْ" أي عطلة، بحيث يبلغهم ذلك بقوله "أگلْتْنْتْ" يعني علقوا الألواح. أما المواسم التي تتوقف فيها الدراسة فهي مواسم الأعياد بحيث تتوقف الدراسة عشرة أيام قبل العيد وعشرة أيام بعده. وهذا التوقف هو أحد مدلولي كلمة "تيگا". وهكذا فكلمة "تيگا" تطلق على هذا التوقف للدراسة بمناسبة العيد، وذلك قصد فسح المجال للطلبة "المسافْرين" ليقضوا أيام العيد مع أهليهم وأصدقائهم، وليأخذوا قسطاً من الراحة وليعدوا العدة لاستئناف العمل الجاد والشاق من جديد. وكذلك يستفيد من هذه العطلة "إمحضارن" أطفال الدوار حيث يقضون أيام العطلة في تحرر من واجبات "لحضر" يمرحون ويسرحون.

غير أن أبناء الدوار قبل أن يغادروا أو على الأصح قبل أن ينقطعوا لا بد أن يؤدوا مبالغ مالية تقدر من طرف "الطالب" حسب ظروف التلميذ ومكانة وليه الاجتماعية. هذا المبلغ المالي هو ما يسمى أيضاً "تيگا" ويسميه أهل بعض المناطق "لعواشر". و"تيگا" بهذا المفهوم يحددها "الطالب" وقد تكون عبارة عن مبلغ مالي، وقد تكون عبارة عن عدد من البيض أو آنية سمن أو.. على حسب أريحية أولياء التلاميذ، لكن المتعارف عليه أن "أمحضار" لا ينقطع عن الحضور إلى "لحضر" حتى يؤدي ما التزم به أو ما أوجب عليه "الطالب" ولو كانت الدراسة متوقفة.

و"تيگا" بمعنى العطلة يعلن عنها في حفل مؤثر، حيث يجتمع "المسافْرين" و"إمحضارن" ويلتفون "بالطالب" الذي عادة ما يلمسون فيه ليونة ولطفا قلما يجود بهما في أيام العمل. وتعلق الألواح بكيفية جماعية وترفع الأكف بالدعاء، الطالب يدعو، وإمحضارن يؤمنون.

وبعد الدعاء يعلن الطالب عن بداية "تيگا" ونهايتها ويحدد للمسافْرين التاريخ الذي يجب أن يحضروا فيه وأحياناً يحتفظ ببعض الأفراد من المسافْرين إن اقتضت الظروف ذلك وهم من يخاف أن ينسوا ما حفظوا. وبالنسبة للمنصرفين يحملهم تحايا لآبائهم ويوصيهم بالاجتهاد وبكثرة التلاوة حتى لا ينسوا ما حفظوا، في حين يُعيّن "الطالب" لأبناء الدوار مقادير "تيگا" التي يجب أن يأتوا بها ومنهم من يلزمه بالتوارد على "لحضر" ليستمر على تلاوة "الأسوار" وهو ما يعرف "بالعرض". وإذن فكلمة "تيگا" لفظ مشترك يطلق على المدة التي تتوقف فيها الدراسة بمناسبة الأعياد، وهو ما عرف مؤخراً بـ"العطلة" ؛ وتطلق على مساعدة مادية يقدمها التلميذ المقيم للأستاذ الذي هو "الطالب" بمناسبة إعلان العطلة.

بحث ميداني.

الحسين ألواح

تيكات، (Thicath) مدينة مغربية قديمة. يعد الجغرافي بطليموس Ptolémée (القرن 2 م) الوحيد الذي أشار إليها واعتبرها من المدن الداخلية لموريطانيا الطنجية *(المغرب على عهد الرومان)*. وحددها بين خطي 30' 8° و30' 32°.

والجدير بالذكر أن جرد بطليموس تضمن أسماء اثنتين وعشرين مدينة وعدد من خلاله أسماء مدن مهمة كوليلي وليكسوس وبناصة مع أخرى أقل مكانة. كما أن بعضها الآخر شكل بالأساس معسكرات في حين ليس من السهل معرفة موقع أو وظيفة مراكز أخرى. ومعلوم أن مدينة "تيكات" (إذا صح أن نعتبرها مدينة) احتلت المرتبة التاسعة عشرة في قائمته.

يعاب على بطليموس إهماله الكبير للمناطق والمراكز الموجودة بليبيا الداخلية (المناطق الداخلية لشمال إفريقيا). فكثيراً ما أورد تحديدات خاطئة. وعكس الاتجاهات بشكل خطير. فهل يسهل تحديد موقع تيكات استنادا إلى الشذرات البسيطة التي قدمها بطليموس ؟ وماذا توافق حالياً ؟

يجمع الباحثون المعاصرون علي توطين تيكات بشمال المغرب، وكان مولار Muller (القرن 19 م) أول باحث حاول موافقتها من جهة بمعسكر دوگة Duga الوارد ذكره ضمن لائحة الاعيان *La Notice des dignités* (تعود للقرن 7 م)؛ ومن جهة ثانية طابق معسكر دوگة بضاية الروم Dayat er-Roum عند المجرى الأعلى لوادي سبو. وعلى عكسه موضع تيسو Tissot معسكر دوگة عند البنيان El Benian وهي أطلال مهمة تقع بين مدينتي تطوان وطنجة وكانت ماثلة بشكل واضح إلى حدود القرن الماضي. وقد تعارف سكان المنطقة على تسميتها بالبنيان أي المباني، بمعنى أنهم كانوا يجهلون تسميتها الأصلية.

ويظهر من خلال وصف تيسو بأن البنيان اتخذت شكلاً متوازي الاضلاع Parallélogramme طوله 183 م وعرضه 140 م. وكانت مسورة بجدار استعملت فيه حجارة كبيرة. وازدانت بأبراج مربعة الشكل قائمة بزواياه الأربع وبأبراج واصلة، اثنان عند الواجهة الشمالية والأبراج الأخرى بباقي الجهات. (انظر التصميم الخاص بالمنطقة التي تمت بها الاستبارات).

ذهب تيسو إلى اعتقاد أن البنيان شكل معسكراً، وكانت تربط تامودة Tamuda بمركز السوبير المنبع. وبذلك فصلت السكان الخاضعين للإدارة الرومانية عن باقي سكان الريف.

مَوْضَعَ الباحث الاسباني طراديل Tarradell كلا من دوگة وپكاتيانا Pecatiana بالبنيان، في حين ذكر تيسو قبله بأن لاشئ يساعد على ضبط موقع پكاتيانا. وخلص كركوبينو Carcopino بعد استحضاره لرأيي المولفين إلى قول بأن لاشئ يؤكد بأن البنيان كانت تعرف تحت اسم دوگة بدل پكاتيانا، وهو نفس الاستنتاج الذي انتهى إليه پونشيش Ponsich وقد اكتفى كركوبينو بقول إن دوگة وپكاتيانا من المراكز الدفاعية الموجودة شمال نهر اللكوس.

ومعلوم بأن بطليموس لايورد اسم دوگة ضمن جرده لمدن موريطانيا الطنجية. ويحدد پكاتيانا (وهي من خلال نسخة مولار بُسيانا Pisciana بين خطي 9° و20' 34°.

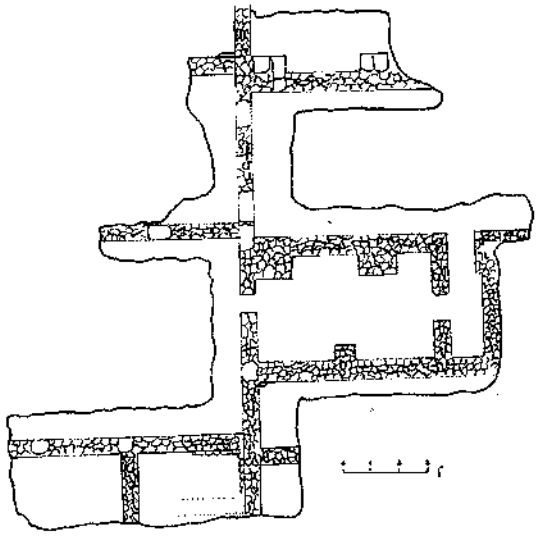

وفي حالة ما إذا استبعدها پكاتيانا وافترضنا بأن تيكات ودوگة تسميتان لنفس الموقع ـ كما اقترح ذلك بوزيني ـ فهل ينطبقان معاً على المعسكر المعروف تحت اسم البنيان ؟

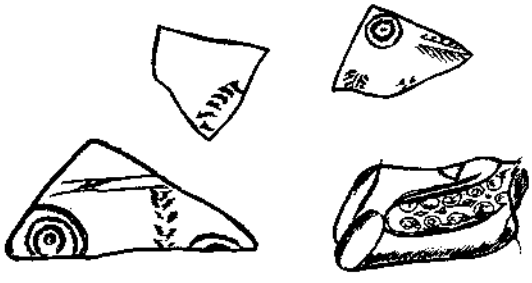

يتبين من خلال الحفريات التي أجراها طرّاديل بهذا الموقع بأن معسكر البنيان يعود إلى القرن الثالث الميلادي، وبأنه استمر مأهولاً طيلة القرن الرابع الميلادي. وقد اعتمد الباحث في تأريخه على قطع الفخار (انظر اللوحة) وشظية قنديل مسيحي من القرن الرابع الميلادي وعلى قطع نقود برونزية لأباطرة حكموا خلال الفترة الممتدة من نهاية القرن الثالث إلى نهاية القرن الرابع.

وعليه، فموقع البنيان يندرج ضمن سلسلة مراكز دفاعية أنشئت بقرار الأمبراطور الروماني ديوكليتيان

Dioclétien (284-305 م) القاضي بتقليص امتداد الأمبراطورية الرومانية، وانسحاب إدارته بالنسبة لموريطانيا الطنجية شمال وادي اللكوس.

وتدفعنا هذه المعطيات إلى القول بأن آثار البنيان هي لموقع يتفق تاريخ بنائه مع منشآت العصر المتأخر الروماني، ومنها معسكر الگندوري القريب منه والمعاصر له كما يدل على ذلك تشابه موادهما. بمعنى آخر لم يكن لموقع البنيان وجود خلال القرن الثاني الميلادي الذي يوافق عصر الجغرافي بطليموس.

وعلى كل لا تساعدنا المصادر المتداولة حالياً في فك إشكالية تيكات، دوگة والبنيان، واعتبرنا بأن تسمية دوگة السابقة هي تيكات. فتاريخ هذا الموقع الأخير لاينطبق مع آثار البنيان.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc, Maurétanie Tingitane, A. M.* I, 1904, pp. 301 - 365 ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Paris, 1947 ; M. Ponsich, *Recherches archéologiques à Tanger et dans sa région chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Tarradell, *El Benian, Castellum Romano entre Tetuan y Tanger, Tamuda* I, 1953, pp. 302 - 309 ; Tissot, *Géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, Paris, IX, 1878.

البيضاوية بلكامل

تيگديت، إحدى الفرق الهامة المكونة لقبيلة بقوية، سواء بالنظر إلى عدد مداشرها البالغ خمسة عشر مدشراً، إلى جانب أزغار وإزمورن، أو بالنسبة لمساحتها. فمجالها الطبيعي المشرف على ساحل البحر المتوسط يمثل القسم الأوسط من القبيلة، ابتداء من ساحل الأجراف المتوسطي (173 - 247 م) إلى الجزء الجبلي المتصل به (جبل مولاي رشيد، جبل بويا أحمد، جبل تغزا). وتنتهي الفرقة جنوبا بقسم سهلي يشرف عليه جبل الناظور بعلو 547 م.

تنتمي الفرقة في الوقت الراهن إلى دائرة بني بوعياش، جماعة الرواضي، ويبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف وثمانمائة نسمة، حسب إحصاء 1982. ويظهر بالفرقة تجمعان :

- شمالي : تتوزع مداشره بالقسم الجبلي، حول مدشر أدوز، مقر الزاوية الأدوزية الحسونية (*المعلمة*، 1 : 286). فإلى جانبه تظهر المداشر : أيت حَرشن وأيت بُيْدير والمرابط وإخَنْتُورَنْ.

- وجنوبي : يلتف حول تجمع الرُّواضي، المحتضن لسوق الأحد. ظهرت أهميته خلال القرن الرابع عشر (19 م). ونجد في غرب الرُّواضي المحتضن لسوق الأحد. تغْزا وتيزي علي وتگراگرا الحصن القديم، وبوغَمْبُوبْ وَتُونيل. أما جنوب الرواضي فتستقر به مداشر : تيگديت الذي استعير منه اسم الفرقة، وتُذْكُونْت وتَجُّوط وإسْروتَن. ويشكل هذا القسم الحدود مع قبيلة بني يطوفت بمقابلته لمدشري العرص والعماير.

نعرف من أبناء الفرقة فقهاء ورجال تصوف ريفيين نشأوا بقرية أدوز، قيدومهم الحاج حسون الأدوزي البقوي، المتوفى أواخر القرن السادس (12 م). ونشأ بقرية تذكونت الواقعة بالقرب من منبع إغزار كركر على الطريق الذاهب من بادس إلى سوق حد الرواضي في الشمال، الحاج علي التذكونتي، المعاصر للحاج حسون الأدوزي. أسس بها مسجده المشهور باسمه. ومن رجال الفرقة كذلك عمران أمصول التغزي، من أحياء النصف الثاني من القرن السابع (13 م) (*المعلمة*، 3 : 780).

البادسي، *القصد*، 91 - 92 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف*، 1 : 246 - 251 ؛ ع. الطيبي، *المجتمع الريفي*، 1 : 166 - 168 ؛ *معلمة المغرب*، 1 ؛ *خريطة طبوغرافية* 1921 و1935.

A. Ghirelli, *Monografia de la Cabila de Beloia*, Madrid, 1955 ; R. Doroso, *Estudio geografico-politico militar*, Madrid 1913.

عبد الرحمن الطيبي

تيگري، (شط -) منخفض مغلق مستطيل الشكل يمتد بإقليم فگيگ في القسم الجنوبي الشرقي من الهضاب العليا الشرقية المغربية، ويبلغ طوله حوالي ستين كلم بين التخوم المغربية الجزائرية شرقاً والطريق الرئيسية رقم 19 غرباً، وعرضه حوالي ثلاثين كلم. وتعد هذه المنطقة ذات كثافة سكانية ضعيفة جداً إذ تتجول فيها وحولها قبائل بني وكيل المعروفة بنشاطها الرعوي عبر غطاءات نباتية تضم الحلفاء والشيح أساسا في هذا الوسط القاري ذي القحولة الواضحة، وتعتبر ضمنها مراعي شط تيگري هزيلة بسبب ملوحة التربة والنبات.

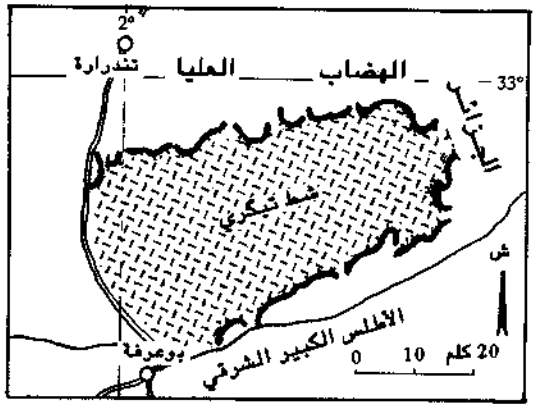

ينحصر شط تيگري بين مرتفعات تندرارة في الشمال الغربي وتجاعيد الأطلس الكبير الشرقي في الجنوب والأطلس الصحراوي في الجنوب الشرقي. وتكمن أهميته في خاصياته الجيولوجية والجيومرفلوجية ؛ ويتكون مثل سائر المنخفضات المائية الريحية من مجموعة من الضايات الموسمية الضحلة ذات القعر المنبسط، تنتشر فيها المواد الدقيقة من رمال وطمي وصلصال وأملاح مرتبطة بالتصريف الداخلي وشدة التبخر.

وتشرف على هذه القعور أجراف وآكام (گور - گارة) يؤرخ تباين مكوناتها ومستوياتها لمراحل التطور الجيومرفلوجي الذي عرفه هذا المنخفض المغلق منذ الزمن الجيولوجي الثالث. فالتكوين الجيولوجي مرتبط بالعصر الكريتاسي الأعلى (مستويات رسوبية من الحث والرمل والصلصال والكلس والرصيص) وبنهاية عصر النيوجين

(طفل وصخور بركانية). أما التطور الجيوموفلوجي فيرتبط بالإزالة بواسطة المياه والرياح فوق حدود يتكون أساسه من طبقات ضعيفة التماسك وقليلة الميل نحو الشمال ويمتد في قدم السفح الشمالي لجبل الكلخ (الأطلس الكبير الشرقي)، ويؤكد هذا وجود المواد والكثبان الرملية القديمة والحديثة والحالية المنتشرة في مختلف أجزاء الشط. ويحتوي الأساس الجيولوجي لشط تيگري على سديمة مائية مهمة قد تستغل قريبا في تزويد مدينة بوعرفة بالماء الشروب.

E.F. Gautier, *Le Chott Tigri, Annales de Géographie*, Paris, 25ème année, n° 135 et n° 136, pp. 181 - 189 et 291 - 302, 1916 ; R. du Dresnay, *Carte géologique du Haut-Atlas Oriental au 1/200.000, feuilles topographiques de Bouarfa, Ich, Talzaza et Figuig, Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 158, 1964 ; R. Medioni, *Contribution à l'étude géologique des Hauts-Plateaux méridionaux marocains, Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, Tome 19, n° 149, pp. 7 - 53, 1960; *Le Chott Tigri, Hauts-Plateaux du Maroc Oriental, stratigraphie, tectonique et évolution morphologique à la lumière d'observations nouvelles, Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, Tome 10, n° 225, pp. 11 - 20, 1970 ; Ph. Russo, *Recherches géologiques sur le territoire des Hauts-Plateaux Maroc Oriental, A. Univ. Lyon*, nouv. sér., fasc. 46, 195 p., 1926 ; B. Tag, *Des mutations agro-pastorales à l'urbanisation dans le Maroc Oriental*, thèse de Doct. Let. Sc. Hum., Univ. Toulouse, 2 T, 698 p., 1987.

عبد الرحمان الحرادجي

تيگريگرة أو تگرگرة (سهل ـ) يمثل حوض اتصال بين الأطلس المتوسط الهضبي الغربي وشمال شرق الهضبة الوسطى العليا، مما يجعل المنطقة تحظى بطبيعة خلابة المشاهد ومتكاملة الموارد طبعت الحياة الاقتصادية والاجتماعية بشكل متميّز، مما يجعل منها أرض عبور على مرّ العصور، وذلك عبر طريقين يربطان فاس بمراكش ومكناس بالرشيدية ويلتقيان عند مدينة أزرو التي تعدّ أهم مركز حضري محلياً.

يمتد هذا السهل على قدم هضبة أزرو الكلسية التي يتراوح ارتفاعاتها بين 1500 م و2000 م تغطيها تدفقات بركانية من البزالت الأسود ؛ وتشرف الهضبة على تيگريگرة بواسطة حادث طبغرافي متقطع يضفي على المنطقة طابعاً جبلياً بارزاً. يبدأ السهل من منطقة أگماس شرقاً (1400 م) وينتهي غرباً عند أمغاس (1000 م)، وتتخلله هنا وهناك تلال متوسطة الارتفاع. تغطي السهل تربات غنية مكوّنة أساساً من التيرس الأسود والدّهس، كما يزخر بموارد مائية وافرة تتمثل في عيون شاعت شهرتها، ونذكر منها على الخصوص عيون بن صميم ورأس الما وتيط احْسن وأغبال. فخضرتها الباهية ومياهها العذبة جعلت منها أماكن فسيحة للفلاحة والاستجمام وتربية أسماك ممتازة من نوع التروتة.

تغذّي هذه العيون واد تيگريگرة الذي يحمل اسم واد ابن صميم في الأعالي وواد بهت (أحد روافد سبو) في اتجاهه نحو الغرب. ويشكل هذا المجرى أهم مصدر مائي في السهل بصبيب يتراوح بين 400 و3000 ل / د، إلا أن الامتداد المتزايد للزراعة الشجرية المسقية وكذا التقلبات المناخية الأخيرة جعلت مياه واد گير كافية لتغطية

الحاجيات المائية المتضخمة للفلاحة. فبدأ التهافت على مياه الفرشة الباطنية يتزايد، الأمر الذي جعلها تتعرّض لضخّ آلي مكثف وغير مراقب، هذا في الوقت الذي عانت فيه المنطقة كسائر المناطق المغربية من وطأة جفاف كبير أصبح يشكل معطاة أساسية مميّزة لمناخ المغرب.

تخضع المنطقة في الفترات المناخية العارية لمناخ متوسطي جبلي يتميز برطوبة الشتاء وبرودته، حيث يتعدى متوسط الحرارة 7°، غير أن فترات البرد القارس متعدّدة، فتنزل إذ ذاك الحرارة إلى 10° وحتى 15° تحت الصفر. ويصل الحجم السنوي للتساقطات إلى 700 ـ 800 ملم، على أن الثلوج تسقط مع اشتداد البرد مرتين أو ثلاثاً في السنة. كما يتميّز فصل الصيف بارتفاع الحرارة التي قد يفوق أقصاها 40°، مع هبوب رياح الشرقي الساخنة، فيعمّ الجفاف خلال هذه الفترة، اللهم إذا استثنينا بعض العواصف الرعدية التي تسقط على شكل أمطار عنيفة وبَرَد فتبلل الحقول وتفلس المحاصيل الشجيرية، ولذا يقاومها كبار المزارعين بآلات متطورة.

شكل حوض تيگريگرة في بداية القرن العشرين ممراً تسلكه الأسر والقطعان المتنقلة في صعودها نحو الجبل أو هبوطها إلى الأزغار. لقد استطاعت قبائل إركلاون وأيت عرفة وأيت عبدي المنتمية إلى بني مگيلد البرابر، بعد قدومها من منطقة ملوية العليا، أن تغزو في منتصف القرن الثالث عشر (19 م) هذه المنطقة، طاردت بذلك قبائل گروان نحو ضواحي مدينة مكناس حتى إن تسمية السهل جاءت حسب الرواية الشفوية انطلاقاً من الطرد العنيف الذي لحق قبائل گروان "يْرَانْ أيْرا" وهي تعني بالأمازيغية "ارموهم رمياً".

لقد فرضت الظروف الطبيعية على القبائل الغازية تكييف نمط عيشهم مع بيئة هذا الوسط الجديد، فأصبحت تنقلاتهم تخضع لحركات عمودية بين قمم المرتفعات الغابوية الرعوية والمنخفضات التي كانت تستغلّ في زراعة الحبوب والرعي في المسارح. كثيراً ما كان يبدأ الصعود في أواخر أبريل بعد إنهاء الأشغال الزراعية من حرث وزرع، وفي يوليوز يعود الرجال لجمع المحاصيل التي يحتفظ بها في بيوت مشيدة بالطين (الركز) ومغطاة بسطوح أفقية من

الشيست (آسگيي) تدعى "إغرم" (أي المخزن). أما العودة في اتجاه أزغار فتبدأ تدريجيا في أوائل الخريف، حيث تنزل القطعان المكوّنة أساساً من الأغنام بمعية الأسر والبغال والحمير المحمّلة بالأمتعة والخيام التي تنصب فوق الأراضي الزراعية بمجرّد الوصول إلى إغرم : إغرم أقديم بأزرو، إغرم أيت يحيى وعلا، إغرم حشارة، إغرم أيت بن عتّو. إلاّ أن أسس نظام هذا النوع من نصف الترحال قد تعرّضت إلى تغييرات منذ دخول الاستعمار الفرنسي.

وبعد أن أقام الاستعمار مراكز إدارية للتسيير والمراقبة بأزرو وعين اللوح سنة 1914 بدأ الأوربيون يستوطنون بالمنطقة ويتهافتون على شراء الأراضي الفلاحية من الأهالي، حتى إنهم سيطروا منذ بداية الحماية إلى الخمسينات على ما يقرب من 6000 هـ في هذا السهل الصغير معظمها (3260 هـ) كانت مستغلة بصفة بورية بزراعات سنوية تسويقية من قمح طري وصلب وزراعات علفية قصد القيام بتربية الماشية داخل الاصطبلات. أما باقي الأراضي (380 هـ) فكانت تمارس فيها زراعات متخصّصة من أشجار التفاح والخوخ والإجاص والكرز، تعتمد زراعتها على الري وعلى أساليب وتقنيات متطورة، مع انفتاحها على السوق لتلبية حاجياتها وتصريف منتجاتها.

أدخل قطاع فلاحة المعمرين علاقات إنتاج جديدة تعتمد على التأجير، واستطاع بذلك فسخ البنيات الإنتاجية المحلية، حيث بدأت التنقلات الفصلية للقبائل تتراجع وأصبح الاستقرار ينتشر في صفوف نصف الرحل وفي ظروف عيش متدهورة صار النشاط الرعوي الفصلي محاصراً ليس فقط بسبب التملك واستحواذ المعمرين على آلاف الهكتارات في الأراضي الزراعية والرعوية بالسهل، ولكن كذلك بسبب حرمان القبائل الرعوية من استغلال الغابة التي تبلغ مساحتها 22000 هـ في جماعة إركلاون فقط والتي تمّ ضمها إلى ملكية الدولة. وبدأت حركة الانتجاع تأخذ مكان التنقلات نصف الترحالية، خاصة عند فئة المربين المتوسطين والكبار الذين يقدرون على تحمّل التكاليف التي تستلزمها الظروف الجديدة لتربية الماشية كبناء الاصطبلات وتوفير المواد العلفية والتطبيب وأجور الرعاة.

على العكس من ذلك، سجلت الزراعة منذ بداية الاستقلال توسعاً متواصلا يرجع أصله جزئياً إلى تعاطي فئات حضرية واسعة للزراعة غير المباشرة. فانتقلت مساحتها من 7.500 هـ إلى أزيد من 22.800 هـ. كما أن استعمال الري واتخاذ أسلوب إنتاجي عصري أدخلا تغييرات على المشاهد الريفية التي أصبحت توحي بالتطور والرخاء نظراً لجمال البساتين. وتغطي المساحة الشجرية في بداية التسعينات ما يقرب 2.220 هـ في الوقت الذي كانت لاتصل فيه إلى 400 هـ في نهاية عهد الحماية، ذلك أن سهل تيگريگرة يعد الآن من أكبر المناطق المغربية المنتجة لفواكه التفاح والإجاص والخوخ والكرز، وتبقى الزراعات الحولية مع ذلك سائدة في اتجاه الغرب، وتتكون من الحبوب والقطاني والخضر والزراعات العلفية.

لم تنحصر التحوّلات التي شهدها سهل تيگريگرة على الأنشطة الفلاحية، بل سجّل تحولات أخرى شملت السكن القروي الذي عرف تطوراً كبيراً جعله يميل إلى التفرق بسبب تفكك البنيات الاقتصادية والاجتماعية القديمة وتعاطي زراعة متخصصة تستلزم العناية والاهتمام طيلة السنة وأصبح ينتشر في مختلف أجزاء السهل ويبتعد عن الخلايا الأصلية وهي الحصون"الإغرمات"، كما أن نمط السّكن القديم الذي يعتمد على تقنية "الركز" المستوردة من الأقاليم الجنوبية بدأ يتراجع بسبب إدخال نمط جديد للبناء يستعمل المواد المصنّعة، وبدأ يظهر بجلاء تفسّخ للوظائف المجالية داخل المنزل لصالح تخصّص البيوت.

دراسة ميدانية.

عائشة البلغيتي العلوي

تيگْزيرين، قرية بخمس أيت يوسف من قبيلة أيت أمْرْ الحاحية، اشتهرت برؤسائها التيگزيريين الذين سنعرف بمشاهيرهم. وتيگْزيرين جمع مؤنث لتيگْزيرْتْ التي يبدو أنه مأخوذة منا كلمة (جزيرة) العربية، مُزِّغَت بإبدال الجيم گافا وزيادة تاء التأنيث في الأول والأخير فحلت محل تاكامُومْت المندثرة في الشلحة المحلية. وسُميت قرية أيت أمر هذه بتيگْزيرين لأنها محصورة بين واديين التقيا أسفلها ليكوّنا نهر أيت أمر الذي يصب قرب سوق الإثنين في المحيط الأطلسي كأنها جزر. لذلك اشتهرت القرية ببساتينها الغنية بأنواع الخضر وأشجار الفواكه كالموز والرمان اللذين تنتج منهما عرصات القائد المسماة "الدوملت" نوعا خاص يتميز بالجودة وحلاوة المذاق.

وقد شيد رؤساء تيگْزيرين أبنية رفيعة على الطريقة المخزنية المغربية، فيها أبراج تستعمل للمراقبة والدفاع أيام السيبة، خاصة وأنها على حدود قبيلة إداوْتَنَانْ السائبة في عهود ما قبل الحماية. ولا تزال تلك الأبنية والأبراج قائمة إلى اليوم يستعملها ورثة الرؤساء التگزيريين. وقد ذكر المختار السوسي في *المعسول* (10 : 274 ـ 278) أن أول من وفد منهم على حاحة قادما من سوس هو جدهم الأعلى :

الـتيگزيريني، أحمد بن **سعيد** الذي ينتهي نسبه إلى الشريف سليمان بن الحسن دفين أبايْنُو قرب مدينة گلميم. كان قدومه إلى قرية تيگزيرين في أوائل القرن الثالث عشر (19 م)، حيث اشترى أملاكا وقام بغرسها بمختلف أنواع الأشجار، وأدار بها سياجا حجريا منيعا مازال قائما إلى الآن، ثم إنه لحسن سيرته وعلو همته وشدة اعتنائه بأمور الدين والعلم، زيادة على شرف نسبه، اختارته القبيلة شيخاً (أمغار) عليها في عهد القائد عبد الملك بن بيهي أُمُولود الحاحي (1190 ـ 1256 هـ) وقام بتسيير شؤون القبيلة خير قيام، مما جعل السكان يتمسكون

بأولاده رؤساء عليهم من بعده وأشهرهم :

التيگزيريني، أحمد بن علي بن أحمد بن سعيد. تولى بدوره مشيخة القبيلة في عهد القائد الكبير الحاج عبد الله أُوبيهي (ت. 1284 . 1867) وامتد نفوذ هذا الشيخ ليشمل أيت أمْرْ ومدينة أگادير، فهو مشهود له بالعلم والتقوى والصلاح وشرف النسب عند أهل عصره، كما جاء في إشهاد عدلي أورده المختار السوسي (*المعسول*، 10 : 278) ويبدو أنه اتُّهم بخيانة من دار المخزن فحاول أن يبرئ ذمته بهذا الإشهاد، خاصة إذا عرفنا أنه اعتقل في نهاية عهده بإذن من السلطان محمد بن عبد الرحمن عام 1280 / 1863 (م. السوسي، *رحلة من الحمراء إلى إيليغ*، مخطوط، ورقة 32).

التيگزيريني، الحسن بن أحمد بن علي. لما بويع الحسن الأول عام 1290 / 1873، توجهت جماعة من أعيان قبيلة حاحة بالبيعة والهدية على العادة، وفي ذلك الحين ولى عليهم السلطان ثلاثة قواد : القائد مبارك أنفلوس والقائد الحسن أُوتگزيرين (التيگزيريني) والقائد عبد الرحمن بوعشرة. (*إيقاظ السريرة*، 1 : 108). وبتقسيم قبائل حاحة على عدة قواد أُضرمت نار الحرب الأهلية التي قادها أولئك القواد المخزنيون أنفسهم رغبة في التوسع على حساب بعضهم البعض، مما أدى إلى انتصار القائد مبارك أنفلوس على القائد الحسن التيگزيريني فأجلاه وخرب داره بتيگزيرين، فذهبت الحكومة بالقائد الحسن التيگزيريني إلى ناحية مكناس حيث عينته قائداً على القصابي، لتنتفع به هناك (*المعسول*، 15 : 197). وقد خلف بحاحة أولاداً ساروا على نهج آبائهم في طلب العلا ومجد الرئاسة، هم : محمد وعمر وسعيد وعائدة التي تزوجها القائد المحجوب الگيلولي عام 1308 / 1890. وبنت أخرى تزوج بها بوناگة شيخ تانكرت.

التيگزيريني، سعيد بن الحسن بن أحمد. ظهر مع بداية عهد الحماية سنة 1330 / 1912 كشيخ على قبيلته أيت أمْرْ، فانتهز فرصة إلقاء القبض على القائد عبد الرحمن الگيلولي من طرف إدارة الحماية في نفس السنة، ليستبد بمداخيل محطات النزالات في الطريق التجارية الرابطة بين أگادير والصويرة عبر أيت أمر إداگيلُول. ولما امتدت سلطات الاحتلال جنوبا إلى أگادير خاف الشيخ سعيد التيگزيريني من الوقوع في يدها، فقدم الفقيه الحسن بن إبراهيم التامري الذي كان مشارطا في مسجد إيمي - واسِّيف ليكون بينه وبين الحكومة، فصار الحسن أُبراهيم من كبار قواد الحكومة، ثم ارتقى باشا على مدينة أگادير، فبدأ القائد سعيد التيگزيريني يتقرب إليه (*خلال جزولة*، 1 : 39). وفي سنة 1343 / 1924 انتهز فرصة تطلع إدارة الحماية إلى إخضاع إداوتَنَان المتحصنين بجبالهم المنيعة، فساعدها على ذلك بكل ما في وسعه حتى استمال رؤساءهم وأعيانهم أمثال ابن اخته الشيخ الحسن بوناگة، فقدموا الطاعة بدون محاربة، ودفعوا ما بأيديهم من أسلحة عام 1346 / 1927. فعلا بذلك مثل الشيخ سعيد التيگزيريني لدى الحكومة الفرنسية، فأسندت إليه القيادة على قبيلته أيت أمر، ثم أُضيفت إليه إيالة القائد الحاج الحسن الگيلولي بعد وفاته عام 1351 / 1932. فاتخذ القائد سعيد التيگزيريني تامنار مقراً إدارياً لقيادته، فاتسع نفوذه وكثرت أمواله فاعتنى بالفلاحة والعمران في قصبته الأصلية التي تدعى الدُّومْلْت بقرية تيگزيرين، حتى أصبحت جنة فوق الأرض يضرب بها المثل على كل لسان. وقد ظل قائداً على كل قبائل حاحة الجنوبية إلى نهاية عهد الحماية، فعزل عن الحكم على أيدي جيش التحرير سنة 1375 / 1955، واستقر بالصويرة إلى أن توفي إثر مرض ألم به، يوم 9 محرم الحرام عام 1377 / 6 غشت 1957، عن عمر يناهز المائة سنة.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ السويرة*، 1 : 108 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 15 : 197، ج 10 : 274 . 278 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 39، 4 : 87 ؛ *تحريات ميدانية وتقاييد خاصة*.

محند أيت الحاج

تيگسَاسْ، قرية قديمة واقعة بقبيلة بني زيات ببلاد غمارة على شاطئ البحر المتوسط، تبعد عن مدينة تطوان بنحو سبعين كلم إلى الشرق منها. يروي الزياني من باب الأسطورة أن تأسيسها كان نتيجة حفر الخليج الموصل بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي بأمر من الإسكندر حتى لا يبقى للبربر أي منفذ للدخول إلى الأندلس (*الترجمانة الكبرى*، ص. 77)، ويروي أن سبب التسمية آت من قبل مؤسسها (تجساس الغماري) الذي كان أميراً عليها (المصدر نفسه). ولما وصلها الفتح الإسلامي أصبحت قاعدة لعمر بن إدريس الذي مدنها وبنى بها القلاع والحصون ومختلف مرافق الحياة، حتى جعلها تتحكم في منطقة الريف الغربي من سبتة غرباً إلى مدينة النكور شرقاً. وبقيت آهلة بسكانها، عامرة بمرافقها إلى حدود سنة 800 / 1398 حيث جلا عنها سكانها بسبب ما لحقهم من جور فارح بن مهدي عاملها من قبل المرينيين.

زارها محمد العربي الفاسي في القرن الحادي عشر (17 م) ووصفها بأنها "تقع في موضع كثير الحجارة والصخر في سفح جبل في غربيها، تحتها في شمالها جرف كثير الصخر عظيمه، على مكسر موج البحر، لها نهر نبّاع يجلب إليها منه جدول، ولها بسيط تركبه الجداول من كل جهة، فيسقي الزرع والكتان والثمار، فأهلها في أمن من القحط وهي مدينة قديمة العمران" (*مرآة*، ص. 165).

ويضيف أبو حامد الفاسي أن سورها كان ما يزال ماثلا عند زيارته لها. ووصفها موليبراس Mouliéras بأنها "مدينة جميلة ومرسى بحري محاطة بالحدائق الغناء" (*Le Maroc inconnu*, T.2, p. 256).

سقطت مدينة تيگساس في أيدي الإسبان كغيرها من الثغور المغربية، فشيدوا فيها المعاقل الحربية وإدارة المراقبة حتى غدت من أحصن القواعد العسكرية في تلك الجهات، ولما داهمتهم قوات الأمير عبد الكريم الخطابي قصفوها بالطائرات والمدافع الحربية فدمروها مع كثير غيرها من القرى المجاورة لها، وقد امتدت إليها أخيراً يد الإصلاح فجهزت بالماء والكهرباء، وانتشر بها العمران فغدت مصطافاً جميلا يقصده السياح مغاربة وأجانب خصوصاً في فصل الاصطياف، وأصبحت الآن تعرف بقرية "سطيحات". زارتها في الخمسينات من هذا القرن بعثة أثرية بقصد التعرف على مآثرها فلم تأت بنتائج تذكر، لكن عندما شقت الطريق الرابطة بين تطوان والجبهة في الستينات من هذا القرن عثر فيها العمال على صومعة بكاملها مدفونة تحت الأنقاض مزينة جدرانها بقطع من المرمر الأخضر وعلى بقايا من الأدوات تعود إلى عصر قديم.

وكنت سمعت من شيخنا المرحوم التهامي الوزاني أنه عثر على كتاب لمؤرخ أجنبي أثبت فيه أنه كانت توجد في هذه المدينة جامعة تدرس فيها المرأة الغمارية الرياضيات إلى جانب أخيها الرجل، ويؤيد ما يشبه هذا الكاتب الفرنسي (موليبيراس) في كتابه *المغرب المجهول*.

م. العربي الفاسي، *مرآة المحاسن*، ص. 165، ط الحجرية بفاس ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى*، ص. 77.

Moulières, *Le Maroc inconnu*, T.2, p. 256.

عمر الجيدي

* * واسم تيگساس على الأرجح صيغة جمع أمازيغية تدل على تضاريس وقد تدل على جرح أو انكسار في معركة، وقد يكون معناها العالية (Chaker, *La langue*).

اشتهرت جهة تيگساس بنتاج خيل بني حميد التي كانت تصدر إلى الأندلس (البكري، *كتاب المسالك*، 2 : 78، تونس 1992). أما الإدريسي فقد ذكر أن تيگساس حصن وكتب اسمها بالقاف بدل الكاف، وجعل موقعها قرب مرسى أنزالن.

ومما ورد بشأن تيگساس أن حميد يسلي عاملها بعد احتلال بني أمية سبتة عام 334 / 931، قد عُهد إليه بتخريب تطوان. ويبدو أن تيگساس وهي بأرض بني زيات الغماريين كانت في صراع دائم مع جيرانها (البادسي، *المقصد الشريف*، ص. 111، الرباط، 1982).

وفي القرن السابع (13 م) عدَّ العمري تيگساس من كبريات مدن المغرب (*المسالك*، الترجمة، ص. 162، هامش 16 وص. 168 هامش 1).

ولم تلبث المحنة أن حلت بتيگساس حيث إن الثائر عثمان بن أبي العلاء قد استولى عليها قبل أن يزحف على القصر الكبير. وينسب المؤرخون خراب تيگساس لسوء تدبير شؤونها على يد عاملها الجبار من لدن المرينيين فارح ابن المهدي، فقد ترتب عن تعسفه هجرة السكان من المدينة إلى الجهات المجاورة ولا سيما عند بني زيات المحيطين بها في نهاية القرن الثامن (ابن خلدون، *العبر*، 2 : 146 - 354). وقد اندثرت مدينة تيگساس في نهاية القرن الثامن (14 م) وحلت محلها ترغة. ومع ذلك نجد الحسن الوزان يذكر تيگساس مدينة صغيرة مزدهرة وعامرة (*وصف افريقيا*، ص 225).

م. داود، *تاريخ تطوان*.

S. Chaker, *La langue berbère à travers l'onomastique médiévale Al Bakri*, *ROMM*, 1, 135, 1983 ; Moulières, *Le Maroc inconnu*, Paris, 1899 ; P. Cressier, *Première prospection d'archéologie médiévale et musulmane dans le Nord du Maroc*, *BAM*, T. IV, 1983.

حليمة فرحات

* * ورد ذكر تيگساس عند الجغرافيين العرب القدماء، فقد وصفها البكري بـ"مدينة تيقيساس" (ص. 108) والإدريسي بـ"حصن تيقساس" (ص. 110) وسماها ابن أبي زرع بـ"مدينة تيگساس" (ص. 51).

ويتعلق الأمر بالمدينة التي أطلق عليها الفينيقيون اسم Thigisitanus وسماها الرومان بـ Taenialouga، وبعد تخريب تيگساس في عهد المرينيين أمر أمير شفشاون مولاي علي ابن راشد سنة 877 / 1472 بإعادة بنائها وجعل منها قاعدة بحرية للجهاد. وفي عهد الحماية تمكن الجيش الإسباني من احتلالها يوم 19 أبريل 1921 غير أنه اضطر إلى مغادرتها يوم فاتح سبتمبر 1924.

وهناك نهر تايگساس الذي يعرف بوادي بوهيا عند منبعه بجبل أگرود بقبيلة بني سلمان الغمارية، ثم تنضاف إليه مياه الأنهار التالية : الشرفة وتامشيش وتاسيفت والأحد ؛ وعندئذ يتخذ النهر اسم وادي تيگساس لأنه يصب مياهه بالمرسى التي تحمل اسم مدينة تيگساس. وعند مصب النهر تقع مرسى تيگساس بشاطئ قبيلة بني بوزرة الغمارية (إقليم شفشاون) الموالي للبحر المتوسط، وتعرف هذه المرسى عند الإسبان بخليج أشجار الحور Suremada de Jos Alamos.

أ. البكري، *المغرب*، 108 ؛ ش. الادريسي، *نزهة المشتاق*، 110 ؛ البادسي، *المقصد*، 111 ؛ ع. بنبعد الله، *الموسوعة*، 110، 157.

Contribución histórica a ... 51 - 52 - 59 - 179 ; Martínez Campos, *Expedición ...* Peñones ... Norte, 39 - 49 ; Cubello, *Gerse...*

تيكني (أيت ـ) بسيط آت في سوس، إحدى التقسيمات الكبرى لقبيلة أيت أمربيط. يمثل هذا البسيط شريطا يضم ما يقرب من ثلاثين قرية وواحة منفصلة بعضها عن بعض. يعد أگجگال أيت تيكني مع مدشري أگادير الهنا وأديس أكبر هذه القرى. ما يميز أيت تيكني عن باقي أيت امربيط أن مجالها يقع على الحدود الفعلية لتراب اتحادية تكنة (انظر مادة *تگجگالت* أيت تيكني، *معلمة*، 2090 - 2089).

ولاشك أن أول سؤال يتبادر إلى الذهن هو عن حقيقة العلاقة بين أيت تيكني وتكنة. هنا نسجل بأن جل الاحتمالات تجعل من أيت امربيط جزءاً من لمتونة القادمين

خلال حكم المرابطين من الصحراء ليستقروا حول تحصينات أسرير وتغاجيجت (انظر *أسرير ـ أيت إبراهيم ـ تغاجيجت بالعلمة*). لقد قامت عملية اندماج أيت امريبط بالمنطقة على أنقاض التقسيمات القبلية الكبرى قبل القرن الثامن (14 م). وإذا كانت تسمية تكنة قد سعت إلى استحداث كتلة تحالفية تلغي أسماء التقسيمات الأقدم بباني الغربية ووادي نون والساقية الحمراء، فإن تقسيمات أيت امريبط حافظت من الأسماء على ما يجسم الحقائق التاريخية كأقا إزناگن (*المعسول*، 18 : 228).

إن ما يبدو مجسما للحقيقة التاريخية هو كون تنظيم التعايش لم يصل إلى حد الاندماج الكلي بين فصائل تكنة كامتداد محلي للغور اللمطي الجزولي الأقدم وأيت امريبط القادمين عليهم منذ القرن الخامس (11 م). فتكنة الذين ينتمون إلى لف إيگزولن يضفون على أيت امريبط صفة الانتماء إلى لف تاحگات. مثل هذا الحد الأدنى من الاستيعاب المجالي ظل من اختصاص الأعراف والقيادات المحلية مما أعطى لتحالف أيت أمريبط وأيت حريبل حق تنظيم العلاقات بينهما (*المعسول*، 9 : 117). ونسجل من جهة أخرى أن احتفاظ أيت امريبط بالانتماء إلى أبي بكر بن عمر اللمتوني يجعل منها ذاكرة مليئة بالإشارات إلى باقي التجزئات القبلية المحملة بنفس الاعتقاد على امتداد التراب الموريتاني الحالي.

يمكن أن نتساءل ماهو دور أيت امريبط في تطوير الأحداث التي تسببت في انهيار تامدولت وتعويضها خلال القرن السابع (13 م) بأقّا؟ نسجل هنا بأن مراقبة أيت امريبط لبسيط أقا يعد في حد ذاته مؤشرا على قدرتها الفعلية على التحكم في المجال. بل كثيراً ما تكشف الإشارات التاريخية عن عدم اكتفائها بالمعاينة الميدانية وصدها للهجومات اللمطية الجزولية (V. Monteil, *Gens*, 393). كانت تاگونيت القريبة من أقا تمثل مركزاً تجارياً لتبادل السلع بكمل حركية ورواج البسيط، وكانت الهياكل التجارية تندمج بشبكة القوافل العابرة للصحراء مما يفترض التنظيم المستمر لأحوال السوق ونظام التحالفات (V. Monteil, *Les Tekna*, 20). وسوف يلعب محمد بن إبراهيم الشيخ قطب تامنارت خلال القرن العاشر (16 م) دوراً أساسياً في هذا المضمار (*المعسول*، 7 : 10). فقد اجتمعت واجهة أيت امريبط على يديه لترسخ علاقاتها بجيرانها التكنيين. وهو ما حد لزمن من الصراعات وزكى مفهوم الارتباطات الميدانية التي لاتتسم دائماً بنفس الصيغة التوفيقية.

أنظر مادة تگجگالت أيت تيكني بالعلمة.

V. Monteil, *Notes sur les Tekna ; Gens et choses du Bani, Hesp.*

مصطفى ناعمي

تيگودرين، عبارة عن تل منعزل قرب مركز بُولْغْمَانْ، إلى الجنوب الغربي من مدينة تيزنيت. وهو من المزارات المشهورة التي يرتادها سكان أيت براييم. توجد به آثار قديمة، مما يوحي بكونه قد استعمل كحصن طبيعي للتخزين، وفي مراقبة الطريق التجارية الآتية من أيت باعمران عبر ممر تيزي نحو تيزنيت. ونظراً لمناعته الطبوغرافية، استعمل كملجأ يتحصن فيه سكان دواوير بونعمان، وذلك في خضم الاحتواء الذي تمارسه القبائل المجاورة (الاخصاص، أولاد جرار، تيزنيت...) لمجال قبيلة أيت براييم.

شهادات محلية.

أحمد بومزگو

تيگيلاّتْ أو تگلاّت أو تجلات، موقع في جهة نفيس بضاحية مراكش، والكلمة أمازيغية جاءت فيما يبدو من : أگُلْ بمعنى البحيرة، ومنها تگُلاّتن وهي : مجموعة بحيرات (أگوگن)، وكذلك تگُلاّتن، وتطلق أيضاً على اللفت الأبيض. ومنه في اللسان العربي الدارج الگُلْتَة أي بركة الماء.

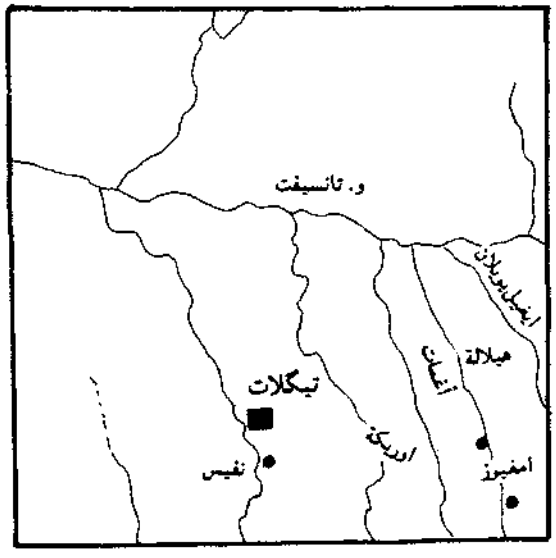

فالكلمة لها علاقة مباشرة بالماء. وهو عامل طبيعي، كانت جهة نفيس تتوفر على كميات هامة منه، الشيء الذي ساهم في شهرتها الفلاحية خاصة مردودية الإنتاج وجودته، وتنوع الغلة. كما أشارت إلى ذلك كتب الجغرافيين والرحالين المسلمين كالبكري والشريف الإدريسي. وإذا كان الموقع الجغرافي لتيگيلات يوجد في منطقة نفيس، فإني لم أقف على ما ينير السبيل إلى تحديد موقعه بشكل دقيق. وقد أشار إليه ابن تيگيلات أثناء استعراضه لإحدى كرامات شيخ الطائفة الأغماتية أبي عبد الله الهزميري (ابن تيگيلات، *إثمد العينين*، 1 : 205).

ولعله الأصل الجغرافي لعدد من مريدي وأتباع طائفة الأغماتيين كابن تيگيلات صاحب كتاب *إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين الهزميريين*...، وابن تيگيلات أبي عبد الله الشيخ الصوفي نزيل الجانب الشرقي من مراكش خلال النصف الثاني من القرن السابع (13 م).

ومن غير المستبعد أن تيگيلات كانت تدخل في نطاق المجال الجغرافي الذي تميز بإشعاع ملحوظ للطائفة الأغماتية خاصة في زمن مشيخة أبي عبد الله الهزميري.

أ. البكري، *المغرب*، ط. الجزائر، 1857 ؛ الشريف الادريسي، *نزهة المشتاق*، ط. الجزائر، 1857 ؛ أبو عبد الله ابن تيگيلات، *إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الاخوين*، د.د.ع. التاريخ، تح. م. رابطة الدين، كلية الآداب ـ الرباط 1986.

ابن **تيگيلاّت**، مؤلف كتاب *إثمد العينين*، ويكتب في المصادر القديمة بالجيم وبدون مد، لم نعثر له على ترجمة خاصة في كتب الطبقات والتراجم القديمة التي عرفت بأعلام من عاصروه أو سبقوه أو جاؤوا بعده، وإنما يرد اسمه عرضاً أثناء حديث المترجمين عن أبي عبد الله وأخيه أبي زيد الهزميريين. لا باعتباره مصدر ترجمتهما وإنما لكون مؤلفه خاصاً بهما. فابن قنفذ الذي يحتمل أن يكون قد عاصر صاحب *إثمد العينين* لم يتحدث عنه وإنما أشار إلى أنه فقيه مقرئ من مراكش وله تأليف في مناقب شيخي الطائفة الغماتية. بينما لم يشر إليه ابن مرزوق في *المسند* رغم تلميحه إلى الشيخين معا. ونقل أحمد بَابَ السوداني ما جاء في *أنس الفقير* مع اختلاف طفيف في العبارة. والكتاني في *سلوة الأنفاس* حافظ هو الآخر على النص دون إضافة.

أما الكتابات الحديثة فتأتي في طليعتها على مستوى حجم المعلومات ونوعها، كتاب *الإعلام* لابن إبراهيم المراكشي الذي خصص لابن تيگيلات ترجمة محدودة، من خلال تقديمه لبعض المصادر التي أشارت إلى أخباره. وتضمنت تحديد الاسم. وبعض الشيوخ الذين أخذ عنهم، وتأليفه لكتاب *إثمد العينين*. وعكس ما قام به ابن إبراهيم، فإن ابن الموقت في *السعادة الأبدية* تجاهل ابن تيگيلات، رغم إشارته *لإثمد العينين* في كتابه أكثر من مرة. أما ابن سودة في *دليل مؤرخ المغرب* فاكتفى بتقديم ملاحظتين : أولاهما تفيد وجود ابن تجلات في عشرينيات القرن الثامن (14 م). وثانيتهما تتعلق باستقراره في مراكش، لكن دون إشارة لمصادره في ذلك. وقد أدرجه ليڤي برفنسال في كتابه *مؤرخو الشرفاء* بشكل سريع ومختصر دون إضافة أي جديد.

أما *إثمد العينين* فلم يقدم معلومات شافية حول مؤلفه. وإنما وردت من خلال النص بشكل عرضي عناصر من شأنها أن تسهم في إغناء المعرفة حوله مثل كشفه عن بعض الشيوخ الذين أخذ عنهم والمهنة التي اشتغل بها، وتلميحات قد تعكس حالته المادية ثم الإطار الاجتماعي الذي تعامل معه.

فمن هو ابن تيگيلات ؟ هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن تيگيلات الأغماتي المراكشي. لم نتمكن من تحديد تاريخ ولادته ووفاته. وقد سبقت الإشارة إلى أنه كان حياً بعد العشرين وسبعمائة / 1320م، وربما استنتج ابن سودة ذلك من كون ابن تيگيلات كان معاصراً لأبي العباس بن البناء (ت. 721). على أن بعض الإشارات التي أمكن تجميعها من *إثمد العينين* تفيد أن الرجل كان على قيد الحياة في فترة حكم السلطان أبي الحسن المريني (731 ـ 753). ودليل ذلك معاصرته لكاتبين من كتاب هذا السلطان هما : محمد بن محمد بن أبي طلاق المراكشي، وأخوه أبو القاسم بن أبي طلاق.

فمعاصرته للأول تؤكدها روايته المباشرة عنه حيث يقول : "وحدثني الشيخ الأجل الصالح أبو عبد الله محمد بن أبي طلاق" (*إثمد*، ص. 187). أما الثاني فتعليق لابن تيگيلات على رواية مرتبطة به، ويقول عنه "وهو الآن من كتاب الخلافة العلية" (*إثمد*، ص. 243).

ويبدو أن أصل المترجم من منطقة تيگيلات، الواقعة جهة نفيس بدليل انتسابه إليها، إلا أنه عاش بمراكش، وبها تلقى تكوينه، وامتهن التعليم وتأديب الأطفال. وهذا الإطار الجغرافي الضيق كان يمثل خلال النصف الأخير من القرن السابع وبداية الثامن مركز ثقل الطائفة الأغماتية، وفي نفس الوقت نقطة إشعاع ثقافي بالحوز. تعكس ذلك على سبيل المثال ثقافة ابن البناء، ودروس البقوري وتنقلات طلبة العلم بين مراكش وأغمات لأغراض التحصيل.

وقد كان لخصوصيات هذا المجال أثرها في تشبع ابن تيگيلات بما كان يروج من معطيات تراثية أو معاصرة له في التصوف وبالتالي استهلاكه لما كان عاماً في ثقافة الوقت من علوم الدين والأدب ومستلزماته.

فمن خلال قراءة *إثمد العينين* يتضح أن المؤلف يتوفر على تكوين ثقافي متوسط في اللغة التي كتب بها إذ تسمح لنا بأن نستنتج أن ابن تيگيلات كان متمرساً باللغة العربية وعلومها. كما يبرز نفس التكوين حضور علوم كانت تعرف إقبالاً ملحوظاً من طرف مثقفي الوقت. فإلى جانب القرآن والحديث كان التصوف والأدب. ومن الشيوخ الذين أخذ عنهم : أبو عمرو ميمون المدعو بعياد والمليانى، وأبو درهم.

ويبدو أن ابن تيگيلات تربى في إطار جغرافي عرف وجود تقاليد للسلوك الصوفي، قريب من نفيس الذي كان يَختزن تراكماً لتراث صوفي سابق، يضاف إلى ذلك تردده عليها في سياحاته (*إثمد*، ص. 202). ومن العناصر المشجعة على ذلك وجود ممارسات صوفية داخل العائلة يغلب عليها التوجه الأغماتي، وتعكس ذلك أهمية وزن ابن تيگيلات الشيخ صاحب الرسالة مع أبي عبد الله عند الأغماتيين، وزيارة والد المؤلف لأبي زيد الهزميري وبمعيته الكاتب وهو "شاب حدث" (*الإثمد*، ص. 222).

وبناء على هذه المعطيات الاجتماعية والتكوينية المتميزة بالخصوصيات الدينية والثقافية السابقة، يمكن استنتاج دوافع تبنّي المؤلف للمسلك الأغماتي. فانتماؤه للطائفة واضح، ومن دلائله : *الإثمد* نفسه باعتباره خطاباً

للدعوة والتوجيه، وورود صيغ النسب الطائفي إلى الشيخ أبي عبد الله مثل "قال شيخنا" (*الإثمد*، 330) ؛ والتعظيم المبالغ فيه للشيخين والطريقة.

أما الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه ابن تيگيلات فيبدو أنه كان متواضعاً، بدليل أنه كان متزوجاً وله عشرة من الأولاد ويسكن في غرفة ضمن دار مشتركة ؛ وهو يحكي عن حاله قائلا : "فمرضت مرضاً شديداً وأخرجت من البيت إلى فناء الدار وكان ذلك زمن القيظ، فرأيت ناراً قد علت وهي تخرج من غرفة توالي غرفتنا (*الإثمد*، ص. 408).

بعد هذا نتساءل عن البيئة الاجتماعية التي تعامل معها ابن تيگيلات. تسمح قراءة *الإثمد* بأن نستنتج أن العناصر التي تعامل معها المؤلف تعكس بيئات اجتماعية وثقافية متباينة على مستويين كبيرين هما :

- مستوى البادية : حيث لانجد في *الإثمد* معطيات تفيد استقرار ابن تيگيلات بالبادية في فترة نضجه، إلا أن كتابته لمؤلفه من الممكن أن تفرض عليه الذهاب إليها قصد جمع الأخبار، خاصة وأن بعض رواياته تفيد تنقله من أجل هذا الغرض. وباعتبار أن مجال نشاط أبي عبد الله وتحركه تركز أساساً على البادية، وفي هذا الاطار تعكس أسماء المخبرين الانتساب القبلي أكثر مما تحمل من دلالات اقتصادية واجتماعية لهم مثل : اللمطي والدغوغي والغساري والصنهاجي. والخلاصة التي يمكن الوصول إليها في هذا المستوى هي أن الرجل كان له انفتاح على المجال القروي بما يضمه من تكوينات اجتماعية خاصة به. إلا أنه يظهر بشكل أقل من المدينة، وربما يمكن تفسير ذلك بأن البادية بالنسبة له وسيلة فقط لجمع المعلومات على أساس أنها أصل الطائفة بينما المدينة هي المجال المستهدف للتحرك.

- ومستوى المدينة : يبدو أن ابن تيگيلات عاش معظم أيامه بمراكش. وهذا ما مكنه من جمع معلومات وفيرة خاصة عن أبي زيد الهزميري باعتبار أن هذا الأخير كان كثير الزيارة لها. وإذا اعتبرنا أن الرجل كان تابعاً للطائفة، وكتابه موضوع للدعوة والتوجيه، فإن هذه العناصر تفرض عليه الانفتاح على مختلف فئات المجتمع المحيط به. تتضح بعض ملامح ذلك في الملاحظات التالية :

- الانفتاح على وسط شعبي يمثله المؤدبون والحرفيون.

- الانفتاح على وسط المثقفين ويمثله العلماء كابن البناء والفقهاء كالبقوري.

- الانفتاح على وسط رجال الدولة، ويمثله أبو عبد الله ابن أبي طلاق وأخوه أبو القاسم.

والخلاصة التي يمكن الخروج بها هي أن ابن تيگيلات تحرك في إطار اجتماعي حضري متنوع العناصر. ومن هنا نتساءل ما هي حدود إشعاعه في هذا المجال ؟ وأهمية السؤال نابعة من ظرفية التأليف ومن كون الرجل كما يبدو لم يكن يعيش في عزلة عن محيطه. وصعوبة الجواب راجعة إلى عدم تمكننا من الجزم بكونه اتخذ تلاميذ تكونوا على يديه في نطاق التصوف، وهل كان له تأثير في توجيه طائفته : علما بأنه من خلال *الإثمد* تظهر إشارات يمكن أن تعكس مواقف تَحَفُّظ ابن تيگيلات من ممارسة السلوك الصوفي من طرف بعض المريدين، ثم إمكانية الشعور بتراجع للنشاط الصوفي نفسه داخل الطائفة الأغماتية على عهده.

ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق. البيضاء، 1984 ؛ أبو عبد الله ابن تيگيلات، *إثمد العينين*، تح. م. رابطة الدين، رسالة ديلوم الدراسات العليا في التاريخ، 85 / 1986 ؛ أ. ابن قنفد، *أنس الفقير*، نشر محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965 ؛ م. ابن مرزوق التلمساني، *المسند الصحيح الحسن*، نشر ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر 1981 ؛ أ. بَابَ السوداني، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام*، ج : 8، الرباط، 1977 ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الابدية*، طبعة فاسية، 1936 ؛ ع. ابن سودة، *دليل مؤرخ المغرب*، ط. ثانية، البيضاء، 1960 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط 1979.

E. Lévi-Provençal, *Les Historiens des Chorfa*, Paris, 1922 ; G. Deverdun, *Marrakech, des origines à 1912*, T. I, Rabat, 1959

ابن **تيگيلات**، أبو عبد الله المتصوف غير مؤلف كتاب *إثمد العينين* ورد ذكره في الباب التاسع عشر من هذا الكتاب (ص. 263) بمناسبة رسالة بعث بها إليه الشيخ أبو عبد الله الهزميري بواسطة أبي الحسن علي القصداري.

وما هو مثير للانتباه في هذه الرواية هو تطابق اسم مؤلف *الإثمد* مع اسم المرسل إليه وليس إياه قطعاً، بدليل أن الصياغة التي جاء بها النص تجعل المؤلف مخاطبا جاهلا بأحداث شارك في صنعها لو كان هو صاحب الرسالة، وهو أمر مخالف لما جرت عليه طبيعة الأشياء. وأن المخبر، وهو المبعوث في نفس الوقت، ينعت المرسل إليه بالشيخ علماً بأن المؤلف يشير إلى أنه زار الشيخ أبا زيد الهزميري وهو "شاب حدث". وأبو زيد أصغر سنا من أبي عبد الله، الشيء الذي يستحيل معه أن يكون ابن تيگيلات المؤلف شيخا في مستوى أبي عبد الله، سواء من جانب السن، أو درجة التصوف، بل أكثر من ذلك فإن صاحب *الإثمد* بقي على قيد الحياة حتى بعد منتصف القرن الثامن الهجري.

وقد أشار ابن تيگيلات إلى أنه زار، وهو شاب حدث صحبة أبيه، الشيخ أبا زيد الهزميري في أغمات. وهذا يفيد من جهة وفاة أبي عبد الله، وخلافة أخيه له من جهة ثانية. وهو حدث يبطل بشكل قطعي أن يكون أبو عبد الله بن تيگيلات المؤلف هو صاحب الرسالة.

ومن بين خصوصيات العمل الصوفي لدى الهزميريين القول بالمصاحفة، وفي هذا الإطار أورد ابن تيگيلات الخبر التالي : يقول : "دخلت يوماً على الشيخ أبي عبد الله الصدفي فوجدته يأكل خبزاً فسلمت عليه فرد علي السلام،

وأعطاني قشرة وقال لي : كلها وأبشرك ببشارة، فأخذت شيئاً منها وأكلته، ثم قال لي : هات يدك أصافحك ! فصافحته، فقال لي : صافحت سيدي أبا عبد الله وصافح سيدي أبو عبد الله الخضر وصافح الخضر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فبيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يدان : يد الشيخ ويد الخضر، ويكون أنت بينك وبينه صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيد. ففرحت والله بذلك فرحاً شديداً (*الإثمد*، ص. 215).

ومن بين ما يمكن أن نستفيده من هذا الخبر، أن الالتقاء المباشر بين ابن تيگيلات المؤلف والشيخ أبي عبد الله الهزميري لم يقع وإنما أخذ عنه بواسطة. وما يزيد في تأكيد ذلك ما ذكرته من كون المؤلف بقي حياً بعد منتصف القرن الثامن الهجري. بل إن الخبر يثبت ضمنيا عدم المعاصرة.

يمكن أن نستنتج على ضوء الملاحظات السابقة أن اسم أبي عبد الله بن تيگيلات علم لشخصين من طريقة صوفية واحدة. وربما قبيلة واحدة. المؤلف أصغر سنا من صاحب الرسالة. وللتمييز نقترح نعت صاحب "*الإثمد*" بأبي عبد الله بن تيگيلات المؤلف.

ويبدو أن ابن تيگيلات المتصوف هذا كان من أهل الجانب الشرقي من مراكش. ولعله كان إماماً راتباً بأحد المساجد القديمة آنذاك من باب الدباغين. ومن غير المستبعد أن يكون مكلفاً من طرف أبي عبد الله الهزميري بتنظيم أتباع الطائفة الأغماتية في مراكش.

م. ابن تيگيلات، *إثمد العينين* ؛ أ. بَابَ السوداني، *نيل الابتهاج*.

محمد رابطة الدين

تيـلـزارْت، يحمل هذا الاسم قريتان : الأولى بقبيلة قلعية معروفة بمرابطي تيلزارت، والثانية ببني ورعش من بني إزناسن. واللفظ من أصل أمازيغي مرتبط بالكدية بالنسبة للقرية الأولى وبالجبل بالنسبة للثانية. لسنا متأكدين من معناه الأصلي.

فتيلزارت المرابطين (إمْرَبْضَنْ) قرية معروفة بقبيلة قلعية، يختص بسكناها شرفاء من أصل إدريسي منذ أواخر القرن الحادي عشر (17 م)، تابعة من الوجهة الإدارية إلى خمس الگعدة، حسب التقسيم القديم، وإلى بني سيدال حسب التنظيم الحالي، مندرجة في جماعة إلْحْيانَن (اللحانية) المنتمية إلى فرقة إعَدُّوين (عدوية) الوطا. تبعد القرية عن مدينة أزْغَنْغَان بنحو سبعة كيلومترات، وتنتشر دورها يمين الطريق المؤدي إلى واد كرط، السائر في اتجاه دار الكبداني ببني سعيد.

تشغل أرض تيلزارْتْ كدية مساحتها شبه مستطيلة الشكل، قسمها الغربي واقع عند منبع واد تيلزارْتْ الجنوبي، رافد إغْزَرْ أُماسِينْ، وقسمها الشرقي ممتد جنوب كدية ابن الوزير (نسبة إلى الوزير الوطاسي الداخل مع عبد الحق المريني إلى ربوع الريف الشرقي عام 610 هـ)، بجانب منبع شرقي يصب بواد تيلزارْتْ. ويقابل القرية هناك من المداشر : سيدي بوصْبار، وإبُگْرونْ، وأيت غانم. ويقرب منها كل من مدشر إدْرايا وإشْوطاراً وأيت غانم من جهة الشرق، ومدشر إلحيانا الوطا من جهة الغرب. ومن القطاعات المعروفة بتيلزارْتْ : الحمّام، وهو القطاع الواقع حول المنبع الجنوبي، ثم الدُّمْنَتْ (الدمنة) وإنْدْرارَن (النوادر) وتخَرْبين (الخرائب) وتسَهْبيتْ (السهب الصغير)، وكلها غراسات لشرفاء تيلزارْتْ.

تلك هي المساحة التي استوطنها مرابطو تيلزارْتْ أول مرة في تاريخ معلوم لدينا، وعقبوا فيها في ظروف بعضها معروف بفضل الرسوم والوثائق التي وجدناها محفوظة لدى صاحبها الأستاذ المرابط الطاهر بن عمر التّيلزارتي، قاض بمحكمة الاستئناف بوجدة. ونعرف بداية استيطان التيلزارتيّين من رسم تقسيم تركة جد الأسرة الحاج عزوز. يعود تاريخ الرسم إلى أوائل محرم عام 1074 / غشت 1663. ثم جددت كتابته مرتين، في أول رمضان 1089 / 17 أكتوبر 1678، وفي أواسط ذي القعدة عام 1292 / دجنبر 1875.

وجد الأسرة هو عزوز (عبد العزيز) بن علي بن يعلا الدّراجني القلعي، أحد رجال التصوف والبركة المعروفين بقلعية خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م). والظاهر أنه أول من التجأ إلى القبيلة من الأسرة، لدواع وظروف نجهلها، وذلك خلال سنوات النصف الأول من القرن السالف الذكر. اختار الاستقرار بجماعة ثْلاثْ الگعدة (بني سيدال الحالية) في ظل حماية مدشر إدْراجَنْ (إدْرايَن أيضاً)، بجوار من هناك من التجمعات الإدريسية السابقة مثل أولاد داود ببني وغْمرَنْ تازوطا، وإلْحْيانَنْ الجبل، وأولاد عمر بن عيسى القيطَونيين بالگعدة. ففي سنة 1069 / 1657 كان الحاج عزوز لايزال على قيد الحياة، وربما كان تقدم سنه هو الذي حتم عليه الإسراع إلى توزيع ملكه الكائن بعزيب تيلزارْتْ على أبنائه الأربعة. غير أنه كان في عام 1074 / 1663 قد توفي، تاركاً وراءه مقاماً مشهوراً. وإليه تنسب الرواية الشفوية مواقف جهادية تتلخص في تقديم حصة مجاهدي خمس الگعدة، تحت إمرة قائد تازوطا آنذاك من أفراد أسرة أولاد عمر بن عيسى القيطونيين (الفگيگي، *قلعية*، 1 : 134 ـ 142). وتوجد قبة جد التيلزارْتيين على الضفة اليسرى من واد تازوطا، عند مخرجه من الخانق إلى مدشر إدراجَن، من أربعاء ثْلاثْ بني سيدال.

انتقل أبناء الحاج عزوز من مقر أبيهم إلى موطنهم الجديد تيلزارْتْ، على بعد ما يقرب من خمسة كيلومترات من ثْلاثْ، مما يلي الجنوب الغربي، وهم أربعة ذكور، رتبهم التقسيم الذي تم حسب رغبته ومشورة أخيه أحمد بن علي، المعروف بابن "تايَزْيات" إلى فريقين :

ـ عبد الله وأحمد، وهما شقيقان من أم واحدة، كان من نصيبهما القسم الشرقي من ملك تيلزارْتْ.

ـ عبد الدايم وأخوه المسمى "الحاج"، وهما من أم واحدة أيضاً، أسند إليهما أمر التصرف في القسم الغربي من نفس

الملك.

وليس ببعيد أن تكون القطعة الأرضية التي ملكها الحاج عزوز بعزيب تيلزّارتْ، ناتجة عن هبة تسلمها من مدشر إدراجن أو من جماعة عدّوية التي كانت لها عزائبها بتلك الجهة، أثناء نزوح أهلها عن الجبل لسكنى "الوطا"، فهذا مما جرت به العادة تكريماً للصلحاء، وفي حالة الحاجة إلى ممثل للبركة، التي كانت تعنى من جملة ما تعنيه توفير أكبر قدر من المتطلبات الدينية للأفراد، وتيسير خدماتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، فهذا كان دائما من مشاغل بال الجماعات بالقرى المغربية.

ومن أعضاء الفريقين السالفين انحدر مرابطو تيلزّارتْ قلعية. وبتتبع وثائقهم الصادرة بين 1069 و1314 / 1657 . 1896 نستطيع تصور تعمير القرية الجديدة، من جهة، واستحضار التسلسل النسبي وبيان دور التيلزارتيين بقبيلة قلعية خلال تلك الفترة من جهة أخرى. ففي الوقت الذي تقف فيه معلوماتنا عند مجرد أبي الأسرة أحمد بن عزوز، تقل معرفتنا بعقب أخيه عبد الله، إذ لا تصل بنا الرسوم إلى أبعد من سنة 1213 / 1798. وتزداد الأخبار بالنسبة لخلف عبد الدايم بن عزوز، بامتداد فترتها إلى غاية سنة 1300 / 1882. على أن أوفر المعطيات هي التي قدمتها لنا الوثائق الخاصة برابع أبناء عزوز الدراجني المسمى الحاج، فيمكن تتبع أخبار عقبه إلى غاية 1314 / 1896.

حرص مرابطو تيلزّارتْ على مواصلة خطة جدهم القائمة على الاشتغال بالقراءة وتحصيل العلوم الدينية والتدريس، والظهور بمظهر الصلاح. فمنذ بداية استقرارهم بالقرية بنوا مسجداً، لايزال رسمه قائما، وقد تغيرت بعض معالمه الأصلية بعد التجديدات التي أدخلت عليه، تميزه الصومعة العالية، كان بمثابة بداية مدرسة لتخريج التيلزارتيين خاصة. فهذا هو ما تعبر عنه الوثائق التي بأيدينا. فهي تبين حضورهم ومشاركتهم في مجال الفقه والخدمة بالقضاء والعدالة.

ويمكن الإشارة إلى عدد من العدول أمثال : أحمد بن المختار بن علي التيلزارتي الذي كان حيا سنة 1127 / 1715، ومحمد بن الجلاني التيلزارتي، من أحياء ما بين سنة 1234 و1299 / 1867 . 1889. ظهر اسمه على رسوم تيلزّارْت ورسوم أولاد داود التازوطيين وأولاد عسو البوگافريين. ونعرف من فقهاء تيلزّارت :

التيلزّارْتي، محمد بن الحاج أحمد بن المختار بن عمر بن محمد، الذي ضرب الرقم القياسي في العدالة ثم القضاء، ليس فقط من عدد الرسوم التي تحمّل مسؤولية توقيعها، وعددها أربعة عشر رسماً، بل من المدة التي قضاها في المهمتين، وهي تصل إلى نحو عشرين سنة. فتواريخ الرسوم ممتدة بين سنوات 1282 و1302 / 1865 و1884. سجل أثناءها ووقع عقود البيوع والمنازعات الخاصة بأهل تيلزّارْت وأولاد داود وأولاد عسو التابعين لخمس الگعدة.

وهناك ما يشهد للفقيه محمد بن الحاج أحمد بزعامة الدفاع عن مصالح التيلزّارْتيين. ففي سنة 1283 / 1871 كان نقيب المرابطين، شكل وفداً مؤلفاً خاصة من شقيقه محمد الصغير، وابن عمه الطالب أحمد بن علي بن المختار التيلزّارْتي، توجه به إلى السلطان محمد بن عبد الرحمن، وبيده شكوى ضد قائد قلعية آنذاك المعروف المختار بـ"ألْغَمْ" بعد أن خرق عليه عادة احترام الشرفاء وطالبه بأداء الواجبات المخزنية المعتادة. وقد عاد التيلزّارتي بتوصية موجهة إلى حاكم الريف عبد الصادق الريفي، مؤرخة في 12 جمادى الثانية عام 1288، مفادها إقرار التيلزّارْتيين على احترامهم واتباع عادتهم المعهودة.

التيلزّارْتي، محمد بن الحاج الكبير بن محمد بن الحاج بن عزوز، كان له نفوذ روحي بالقبيلة، إذ كان مرجعها وسندها لحل مشاكلها. ثبتت حياته سنة 1127 / 1715، على عهد قائد مولاي إسماعيل بقلعية المدعو الطاهر بن عمر القيطوني، حاكم تيمزار. ونشير كذلك إلى الفقيه التيلزارتي الشيخ علي، نقيب مرابطي تيلزارت على عهده، كان حياً في بداية القرن الثالث عشر (12 م).

ولما كان تحرير الشرفاء من التكاليف المخزنية، من المشاكل المثيرة لحكام القبائل، بما كان يترتب عن التحرير من اختلال التزامات القواد المالية تجاه المخزن، فإن مطالبة الشرفاء بأداء قسطهم من تلك الواجبات، وإنكار نسبة شرفهم تكررت من حين لآخر. فحينما تكرر خرق العادة على شرفاء تيلزارت من طرف قائد الگعدة حمُّ بن الهادي القلعي، قصد أعيان تيلزارت أمين قلعية آنذاك ميمون بن المختار الفرخاني المزوجي. وكان على الأمين إخبار السلطان بشكايتهم بتاريخ 16 محرم عام 1307 / 1889، وبما أبداه الوفد من زيارة السلطان. ولم يلبث التيلزّارْتيون أن توصلوا بإذن تلك الزيارة بتاريخ 8 صفر 1307، فعادوا بعدها برسالة ملكية إلى قائد الگعدة بوجوب احترام شرفاء تيلزارت وإعفائهم من الكلف المخزنية.

وإلى غاية نهاية القرن الثاني عشر (19 م) لم تشعرنا الوثائق التيلزارتية بانفصال عدد من أهل القرية عن موطنهم الأصلي. ولكننا تأكدنا بعد ذلك من هجرة بعض الأسر نحو الجنوب الشرقي، حسبما دلت عليه الرواية الشفوية وتفقد مواقع الاستيطان الجديدة. ويمكن تفسير أسباب تلك الهجرة بضيق المجال الحيوي الذي يقابله التكاثر السكاني. ونضيف إلى ذلك الصعوبة التي وجدها التيلزارتيون في التفاهم مع قواد جماعتهم ومراعاة حقوق نسبهم، مما جعل بعضهم ينتقل من قيادة الگعدة إلى قيادة بني بويفرور.

وكنتيجة لذلك الانفصال نشير إلى ظهور تجمعين جديدين، يحملان اسم مرابطي تيلزارت، وبأيديهما بعض الوثائق التي تثبت ذلك الانتماء :

- فضل الأول منهما الاستقرار بمحاذاة قمة بجبل

وكْسان، مندرجاً في الجماعة التي تحمل نفس الاسم، واضعاً نفسه تحت قيادة بني بويفرور. وهذا التجمع هو السبّاق إلى الانفصال، ربما كان ذلك أثناء ثورة الروكي بوحمارة ووجوده بقلعية، وقبيل الحماية الإسبانية. ولهذا الانفصال علاقة بفتح أشغال منجم حديد وكسان.

ـ استقر التجمع الثاني بعد ذلك، أثناء فترة الحماية، بآخر منحدرات جبل وكسان الجنوبية، بالقرب من منبع واد تْياوْتْ (واد سلوان) بالموضع المعروف ببوجدارْ، حيث لايزال إلى اليوم، ملحقاً بجماعة أغْمير.

والملاحظ أن هجرة أهل تيلزارت قد توالت، سيما بعد استقلال البلاد ووحدة طرفيه الشمالي والجنوبي. وتفرقت سكناهم بين مدن الناظور ووجدة ومكناس. ولم يبق بتيلزّارت أسر قليلة العدد، حسب علمي. ويعد تتبع تنقلات التيلزّارتيين مثالا من أمثلة نزوح الجبليين من الجهات السهلية في تاريخنا المعاصر.

وهناك تيلزّارت أيضاً، القرية الداخلة في إطار قبيلة بني وريمّش، أحد أقسام اتحادية بني إزناسن، وهي تابعة في الوقت الراهن من الوجهة الإدارية إلى فرقة أولاد علي الشباب. تحتل أراضيها مساحة مقتطعة من الغطاء الغابوي الشمالي، وموقعاً مشرفاً على عدة منابع، أهمها مجرى واد بورمّع، المنحدر إلى واد ثْلاثْ تَلْغَمْت، أحد روافد واد ملوية في تلك الجهة.

وثائق تيلزارت ؛ ح. الفكيكي، *قلعية*، 1 : 134 ـ 142 ؛ برحاب عكاشة، *المغرب الشرقي خلال القرن التاسع عشر*، 1 : 52 ؛ *خريطة طبوغرافية*، 1935 ؛ *رواية شفوية*.

حسن الفكيكي

تيلُوتَانْ ابن تلاكاكين، أحد زعماء صنهاجة الرمال قبل ظهور حركة المرابطين. عرف في المصادر التاريخية بأسماء مختلفة منها تين يروتان بن ويسنو بن نزار (*المغرب*، 159) وتيلوتان بن تلاكاكاين الصنهاجي اللمتوني (*القرطاس*، 120) وبرويان بن واشنق بن يزار (*العبر*، 6 : 242).

ورغم الاختلاف في اسم هذا الشخص في روايات مختلفة المصادر فإنها اتفقت حول أخباره وآثاره ببلاد الصحراء والمناطق الواقعة جنوبها أي بلاد السودان الغربي. ويستخلص من معلومات هذه الروايات أنه ينحدر من أسرة اختصت بالزعامة في صنهاجة، كان أبوه تلاكاكين ملكاً على الصنهاجيين قبل أن ينتقل الملك إلى ولده في تاريخ غير معروف، واستمرت الزعامة في أعقابهما حتى سنة 306 / 918 (*القرطاس*، 120 ـ 121)، بل إن زعماء المرابطين بالغور الصحراوي وحتى بعد سيطرتهم على المغرب الأقصى والأندلس ينتسبون لبني تلاكاكين أو تلاجاجين الذين هم من بني وتنطاق (*المغرب*، 165 ؛ *العبر*، 6 : 241 ـ 242 ؛ *الاستقصا*، 2 : 5).

اتخذ تيلوتان من أوداغست عاصمة له في مدة حكمه التي شملت أواخر القرن الثاني الهجري والعقدين الأولين من القرن الثالث (9 م). وبلغ نفوذ صنهاجة على عهده درجة كبيرة من القوة في بلاد الصحراء وبلاد السودان لم تعرف هذه القبائل مثيلا له بهذه المناطق حتى بعد قيام دولة المرابطين. فقد دان لهذا الزعيم أكثر من عشرين ملكاً من ملوك السودان كانوا يؤدون له الجزية (*المغرب*، 159 ؛ *القرطاس*، 120). واستطاع بفضل الجيوش التي جهزها وقوامها مائة ألف فارس أن يبسط نفوذه على مجال امتد في الصحراء مسيرة شهرين من الشمال إلى الجنوب ومثلها من الشرق إلى الغرب (*المغرب*، 159)، وقيل مسيرة ثلاثة أشهر في مثلها (*القرطاس*، 121).

توفي تيلوتان سنة 222 / 837 بعد أن تجاوز الثمانين سنة، وكانت مدة حكمه خمسا وستين سنة، فيكون بذلك قد تولى الزعامة شاباً يافعاً لم يبلغ بعد العشرين من عمره (*القرطاس*، 121).

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريس، 1965 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 197، الرباط ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 6، دار الفكر، بيروت، 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 2، الدار البيضاء، 1954.

حسن حافظي علوي

تيلوگيت، موقع تاريخي في قلب الأطلس الكبير الأوسط ينتمي من الناحية الإدارية إلى إقليم أزيلال، ويرجع الأصل في تسميته إلى وجود قنطرة صغيرة على وادي أقا نوڤريال يرجع تاريخ بنائها إلى فترة زمنية طويلة. وكلمة تيلوگيت تعني باللهجة الأمازيغية المحلية "قنطرة". لذلك سميت الجماعة القروية هناك بجماعة تيلوگيت.

يحد هذه الجماعة من الشمال جماعتا تاگلفت وورايزغت، ومن الجنوب جماعتا زاوية أحنصال وأيت امحمد وشرقاً جماعة أنركي. أما من الجهة الغربية فتحدها جماعة بين الويدان وأزيلال (انظر الخريطة).

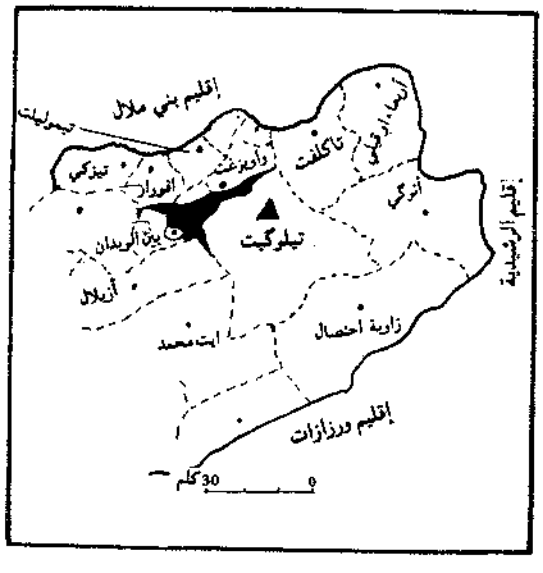

تتميز تضاريس هذه المنطقة بطابعها الجبلي المتميز بأعراف ذات اتجاه أطلسي، (شمالي شرقي، جنوبي غربي)

حادة ومتصلة فيما بينها، تنتهي بسفوح وعرة وشديدة الانحدار، تكسوها غابات كثيفة ذات أصناف نباتية مختلفة (العرعر الأحمر والبلوط الأخضر وصنوبر حلب). أعلىٰ قمة بالمنطقة هي جبل الكرون حوالي 2.600 م.

تتخلل هذه الأعراف الجبلية أحواض ضيقة تمتد غالباً على طول المجاري المائية التي تخترقها من الوسط. وتعتبر هذه الأحواض المجال الرئيسي الذي يقام فيه النشاط الزراعي. وتتوافق هذه المعطيات الطبوغرافية مع بنية التوائية تتكون من محدبات تتوافق مع صخور كلس دولوميتية ترجع إلى اللياس الأسفل والأوسط ومقعرات تتكون من صلصال بني اللون يرجع للّياس الأعلى يعلوه حت وطين أحمر من الجوراسي الأوسط القاري، وتنفرد هذه المقعرات بتربات خصبة ومتنوعة لعبت دوراً أساسياً في النشاط الفلاحي بالمنطقة.

تتميز المنطقة من الناحية المناخية بخصائص المناخ القاري الجبلي، فهو حار وجاف صيفاً وشديد البرودة وممطر شتاءً، تتراوح الحرارة في فصل الصيف ما بين 20 و36 درجة وفي فصل الشتاء ما بين 11 و0 درجة. أما المعدل السنوي للتساقطات المطرية فهو 260 ملم فقط، غير أن القمم العليا تستأثر بتساقطات ثلجية هامة ابتداءاً من نونبر إلى شهر أبريل من كل سنة.

يقدر سكان جماعة تيلوگيت حسب إحصاء سنة 1982 بحوالي 12.452 نسمة بكثافة سكانية تناهز 19.15 ن / كم2 وتطغى على هذه الساكنة بنية شابة لا تتجاوز أعمارها 35 سنة.

يعيش هؤلاء السكان على نمط ريفي جبلي تسود فيه الحياة الرعوية إلى جانب النشاط الزراعي، وتقدر المساحة الإجمالية للنشاط الفلاحي بحوالي 22.000 هكتار، موزعة ما بين 1.000 هكتار مسقية من بعض العيون الكارستية ومياه واد أحنصال وأسيف ملول و9.700 هكتار بورية و11.300 هكتار عبارة عن أراض رعوية غير صالحة للزراعة، وبما أن قطعان الماشية تفوق بكثير المساحة المخصصة للرعي، فإن الرعي الجائر في المجال الغابوي الذي يغطي في هذه الجماعة حوالي 30.471.66 هكتار هو السائد لدى السكان، فعدد الرؤوس الموجودة ينحصر في الماعز بالدرجة الأولى حيث يمثل 42.160 رأساً يليه عدد الأغنام وهو 37.840 رأساً والأبقار حوالي 1.470 رأساً.

غير أن المنتجات السائدة بهذه الجماعة هي الشعير والقمح ونسبة قليلة من الخضروات والقطنيات، أما الأشجار المثمرة فهي الزيتون واللوز والجوز والكروم.

يعتبر سوق تيلوگيت الذي ينعقد كل يوم سبت وسوق أيت مازيغ وتباروشت المراكز التجارية التي تعرض فيها هذه المنتجات إلى جانب مدينتي بني ملال وأزيلال. وأهم ما يلاحظ هو أن هذه الجماعة تعاني من قلة طرق المواصلات لفك عزلتها من جهة، ومن جهة ثانية تعتبر الغابة أفضل مجال يوفر إمكانيات متعددة للاتجار فيها من الناحية الاقتصادية تجلب خشب الصناعة من صنوبر صلب وإنتاج الفحم من شجر العرعر والكروش وجلب خشب التدفئة. كما توفر إمكانية الصيد البري خصوصاً وأنها تزخر بثروة حيوانية كثيرة إضافة إلى ظاهرة الرعي السالفة الذكر.

تتميز هذه الجماعة بوجود بعض أنواع المعادن كالزنك والرصاص والمنغنيز، حيث تستخرج منهما سنوياً كمية تقدر بحوالي 36.000 م3 ويتم تصدير هذه العناصر إلى بلجيكا.

توجد في تيلوگيت عدة مآثر تاريخية تستهوى السياح الأجانب الذين يتوافدون عليها (حوالي 2.000 سائح أجنبي كل سنة). وتتجلى هذه المآثر في منازل قديمة تم بناؤها بالتابوت يطلق عليها اسم "إغرمان"، كما توجد صخرة "تامگّة" الشاهقة وعدة مناظر خلابة ومخيمات طبيعية على ضفاف واد أحنصال.

تحريات ميدانية.

عبد الرحيم بنعلي

تِيلْوِينْ أو "تِيلوين ـ نْ ـ وَاعْرابنْ" أي قصر العرب وهو عبارة عن تجمع سكاني ضخم يقع بين واحة غريس وواحة فركلة بإقليم الرشيدية. وترجع الأهمية التاريخية لهذا القصر إلى الاصطدام المسلح الذي حدث حوله بين أيت عَطّا وأيت يَافَلْمَانْ حيث عارض أيت يافَلْمَان خاصة أيت مَرْغَادْ سيطرة أيت عطا على هذا القصر، ووقعت معركة تيلوين المشهورة سنة 1301 / 1883.

كان لهذة المعركة نتائج على المستوى التنظيري حيث بنى عليها مخططو السياسة الاستعمارية الفرنسية لوضع خطاطة عن واقع الحال في مغرب القرن التاسع عشر. وهذا الواقع هو الذي نجده في *مذكرات* الراهب شارل دوفوكو Charles de Foucauld الذي قام مابين 1883 و1884 برحلة استكشافية اخترق فيها مغرب الجبال : جبال الريف وجبال الأطلس ذهابا من طنجة بالشمال الغربي إلى وادي درعة على تخوم الصحراء جنوباً ـ وإياباً من أگادير إلى وجدة على الشمال الشرقي. وقد قدم مذكراته إلى الجمعية الجغرافية الفرنسية بالجزائر التي كانت تتولى مهمة القيام بالاستكشافات الاستعمارية فتولت الجمعية المذكورة طبعها كما اعتمدتها مرجعا أساسياً آنذاك. فماذا يقول دوفوكو عن معركة تيلوين ؟

"... وقعت خلال السنة الفارطة معركة بين أيت عطا وأيت مرغاد في تيلوين وهي واحة صغيرة معزولة في شرق فركلة ـ وكان أيت عطا مكونين من جميع أخماسهم وقدر عدد المقاتلين العطاويين بحوالي 8.000 راجل و6.000 فارس. وأما قوات أيت مرغاد فقدر عددها بحوالي 12.000 راجل و7.000 فارس، وانتهت المعركة بانهزام أيت عطا وتم إجلاؤهم عن تيلوين، وقدر عدد القتلى بحوالي 1.600 منهم، 400 من أيت مرغاد والباقي من أيت عطا. ورغم أنني أجد صعوبات في تصديق هذه الاحصائيات إلا أنه تم تأكيدها لي في أربع مناطق مختلفة وهي : تدغة وفركلة وغريس وقصر السوق".

هكذا نلاحظ كيف حاول دوفوكو فرض هذه المعركة ووصف ضخامتها مبدياً تحفظه وتشككه لإبراز اعتماده على البحث والتمحيص ليفرض في النهاية تلك الاحصائيات الضخمة كواقع. والهدف من ذلك هو إبراز استقلال بلاد البربر في المغرب عن السلطة المركزية وعدم تقيد أهلها بأية سلطة. مع التأكيد على التناحرات والفوضى القبلية، وهو بذلك يؤكد على أهمية الاستعمار لإحلال التهدئة والتحكيم وفرض السلطة (سلطة الحماية). وهكذا فإن الإسهاب في وصف معركة تيلوين، وغيرها من المعارك كان يهدف إلى التمهيد النظري لمعاهدة الحماية كأن المغرب في حاجة إلى قوة فرنسا لتوحيده وإحلال النظام فيه !

والواقع أن معركة "تيلوين" تدخل ضمن المعارك التي تقع بين القبائل في المغرب من أجل المراعي والأراضي الزراعية والمياه وخاصة في المناطق شبه الصحراوية ذات الإمكانيات المحدودة. وغالباً ما يتم الحسم في هذه النزاعات الظرفية إما بتدخل المخزن أو الزوايا أو الجماعات المسيرة للقبائل. وفي غالب الأحيان فان الصلحاء أو إكرامن ينجحون في فض النزاعات وإصلاح ذات البين بين مختلف العشائر والقبائل من خلال الضغط المعنوي الممارس على الأطراف المتنازعة.

وقد كاد محمد بلعربي شيخ الزاوية الدرقاوية في قصر رحمة الله أن ينجح في الحيلولة دون حدوث معركة تيلوين لولا ماظهر منه للطرف الآخر وهم أيت مرغاد من ميل لصالح أيت عطا.

والجدير بالذكر أن تموقع الصلحاء على نقط الحدود من شأنه أن يساعد على إرساء المعاهدات الفصلية التي تحدد قواعد الانتجاع بين المراعي الجبلية والمناطق الصحراوية ويسهل كذلك المبادلات التجارية. وإلى جانب فشل الزاوية الدرقاوية في الحيلولة دون وقوع معركة تيلوين، فإن حدوث المعركة تم أيضاً بفعل تحرشات الأعيان من كلا الطرفين، لأن مثل هذه النزاعات الظرفية من شأنها تقوية سلطة هؤلاء، ذلك لأن توفر بعضهم على الخصال الحربية أو حصافة الرأي يزيد من نفوذهم أثناء الحرب أو خلال عقد الصلح.

وقد وجد منظرو الجهاز الاستعماري في معركة تيلوين دعامة للترويج لنظرية المغربَين، بلاد المخزن وبلاد السيبة التي تمتد في الهوامش، خاصة الجبال حيث تتميز القبائل باستقلالية عن بلاد المخزن وهي في نظرهم بلاد الحروب المتواصلة لأتفه الأسباب.

والواقع أن مخططي السياسة الفرنسية الاستعمارية كانوا أقل إدراكاً لواقع المجتمع، كانوا يرون في هذا الطرح المغرض أسهل السبل لاحتلال المغرب. لهذا لما حلوا بالمناطق التي أطلقوا عليها بلاد السيبة وجدوا أمامهم مقاومة شديدة مما يعد دحضاً نهائياً لنظرياتهم حول بلاد السيبة، وإلا فكيف أمكن لهذا المجتمع القبلي الغارق في الفوضى والحروب الأهلية منذ قرون كما يزعم المؤرخون الاستعماريون . أن يتحول في لمحة عين بعد دخول الجيوش الاستعمارية إلى قدوة يقتدى بها في غاية التنظيم والانسجام والشجاعة والبأس ؟ ! حين كونت قبائل أيت عطا وأيت يافلْمَانْ جبهة موحدة ضد الجيوش الاستعمارية متناسية خلافاتها الظرفية.

عبد القادر بوراس، *أعمال ندوة المقاومة المسلحة المغربية 1900-1934*، (كلية الآداب ـ مراكش، 28-30 نونبر 1990) ص. 187-205.

C. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, Paris, 1988 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc*, Paris, 1930 ; G. Ayache, *Etudes d'histoire marocaine*, Rabat, 1979.

عبد القادر بوراس

تَيْلِيت، أحد مداشر أيت سدرات الواقعة بضواحي وادي دادَس جنوبي الأطلس الكبير، وإليه ينسب بعض الفقهاء والصلحاء المتصوفين، مثل :

التَّيْلِيتي، أحمد بن عبد القادر، اشتهر هذا الرجل بانتسابه إلى الطريقة الناصرية، حيث تتلمذ لأحمد بن محمد ابن ناصر، وكان من أجلّ تلامذته، "مشتغلا بما يعنيه، عليه سمة حسنة" (*الدرة الجليلة*، 227). وكانت وفاته بالوباء الواقع في سنة 1155 / 1742.

التَّيْلِيتي، محمد الصغير. كان فقيها مشاركاً، تولى القضاء مدة بدادس وأحوازها. وحسنت سيرته في هذه الخطة. وهو أيضاً من أكابر تلاميذ الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر. اشتهر في تلك المنطقة بتصوفه وسخائه. وكانت وفاته بعد سنة 1129 / 1717.

مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أ. عمالك د. د. ع. كلية الاداب، الرباط، 1986.

أحمد عمالك

تيلِّيو، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث مازالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Tello، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان على إثر الوباء الذي قضى على جل سكان المدينة سنة 1088 / 1677، وهذه الأسرة غير أسرة تلُّو.

م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 338 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegación de Asuntos Indígenas, *Familias ilustres de Tetuán*, 1921 (T) ; Isidoro de las Cagigas, *Familias tetuaníes de abolengo*, 1929 (T) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (T) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuaníes de origen español*, 1949.

محمد ابن عزوز حكيم

تيليوين بالسوس الأقصى، إذا ما أخذ بعين الاعتبار الوضع المجتمعي بهذه القرية كنتاج لتفاعل سلسلة جبال أيت باعمران (انظر مادة *تاسريرت بالعلمة*) وبسيط وادي نون (انظر مواد *اسرير وأيت بلة وأزوافيط بالعلمة*) اتضح دور تيليوين كتعبير مجسد عن التقاء سكان البسيط والجبل. لهذا المعطى أهمية قصوى تتحدد في دور تيليوين

كواقع مجالي وبشري يجسد المخزون المجتمعي للأدلة المتوفرة حالياً على تداخل الغور السكاني الأقدم لأيت باعمران وتكنة. فعلى امتداد قرى تيليوين وتسگنان وعبودة ووعرون والقصابي وگليم وأسرير وتيغمرت تعكس علاقات القرابة بين وحدات الغور الأمازيغي الأقدم حقيقة العلاقات المجتمعية والتحالفية التي كانت قائمة بالبسيط والجبل قبل تشكل اتحاديتي تكنة وأيت باعمران. وحقيقة إثنية كهذه تفصح عن جوهر البنية المتداخلة لنظام القرابة الذي يجد مكذباً كل المقولات المتعددة حول الفصل بين مكونات الاتحاديتين الأساسية. يمكننا أن نؤكد مثلا بأن أيت مسعود المقيمين حالياً بتالوست أيت باعمران رغم احتفاظهم بوثائق تملكهم لجزء من تيليوين هم أنفسهم الذين مايزال قسم منهم يقيم على أرضه وممتلكاته بجوار أزوافيط بكل من أسرير وتيغمرت (انظر مادتي *أزوافيط* و*أيت بلة بالعلمة*). كما أن إيدحماد أُو بوجمعة وإيدبوهوش الذين مايزالون يتوفرون على وثائق تملكهم لقسم من مدشر تيليوين بعد استقرارهم بالجبل هم أنفسهم الذين اندمجت بعض فصائلهم بأزوافيط تيغمرت وبعض أيت أوسا. وعلى هذا الأساس فإن دور تيليوين التاريخي يتأكد من خلال تأطير التداخلات الإثنية والهجرات اللاحقة.

لقد توالت هجومات يوتلان وإيزيگيتن على أمازيغ تيليوين حتى بعد التحاقهم بأعلى أگادير القرية. وهي حقيقة لن تحول دوننا والقيام بفصل مبدئي بين هذه الفصائل ومرابطي بوگرفة وأهالي تالوست وأيت إيشيمور وإيدحمّو رغم تحالف الجميع الإسمي مع أيت إيّـوي، فمادامت الصيغة التنافسية من أجل احتكار المجال تكتسي قيمة مرجعية في تحديد علاقات التحالف، ندرك أن السياق العام يسير في اتجاه الصراع. مايزكي هذا الاتجاه هو أن مدونة أسا (انظر مادة *أسا بالعلمة*) تسمّي وادي نون بوادي الحرب. وهي خاصية أولى موجهة نحو تعيين عناصر الخطاب بين الفصائل القديمة والدخيلة. ذلك أن بناء نظام من الصيغ الخاضعة لمعيار التنافس والصراع من أجل احتكار المجال يشكل مرحلة ضرورية وأساسية في سيرورة فك رموز نظام التحالفات. لقد زار الإسباني گاتيل Gatell هذه المنطقة سنة 12 ـ 1313 / 1865 حيث سجل قصة السلطانة النصرانية المسماة نونة. بعد أن تمكنت من السيطرة الفعلية على المنطقة، أقامت عاصمتها بأگادير نونة المجاور لتيليوين حيث كانت مرتبطة بسلطان محلي كانت عاصمته تگاوست المجاورة (F.C. de la Chappelle, *Les Tekna*, 29) بهذه الكيفية تؤكد الرواية المحلية دور الموقع المتميز في تحديد كل القضايا المتعلقة بمراقبة المجال وتداخل علاقات القرابة القديمة. يمكن للأفق الذي يتجسد فيه اسم تيليوين ـ ن ـ تاروميت (عنق الرومية) أن يتسع لمجموعة من الاحتمالات الممكنة. غير أن هذه الاحتمالات تصب كلها في اتجاه أهمية الموقع المحصن للمراقبة واحتكار المجال. من هنا فإنه لايصعب تقبل الاحتمال الذي جاء به H.T. Norris حين قارب بين تيليوين والمواضع الذي كان يصنّف به إيوليميض (لمتونة) حسب ما أورده أبو عبيد الله الكبري (*المغرب*، 168). الأفق الذي كان يتجسد فيه قانون المعاملات بين كبار الرحل اتسع ليشمل مجمل قبائل "صنهاجة" بما فيهم "لمطة". كان النشاط الرعوي الموسمي محور تحالف خلال الصيف يصبغ أنشطة مكثفة على امتداد المحور الرابط بين وادي نون والضفة الجنوبية للصحراء الأطلسية. هذا ما أثبته ابن سعيد والإدريسي خلال القرن السادس (12 م) نقلا عن ابن حوقل خلال القرن الرابع (10 م). وقد فصلنا هذا الجانب الحيوي من النشاط الاقتصادي في سياق دراسة الروابط المجالية والقرابية التي كانت تحتم المقارنة الوثيقة يومها بين لمطة ولمتونة *Histoire et structures ; Les Pays Tekna ; Commerce*.

لقد جسد لمطة مع الكوشيين وبعض الفصائل الجزولية أقدم سكان وادي نون وتاسريرت فلم يخطئ H. T. Norris حين ركز علي دور تيليوين التي وردت لدى البكري علي صيغة تاليوين، كمستقر صيفي يمتاز بوفرة المياه والخضرة وكل مامن شأنه أن يجلب كبار الرحل (*The Arab conquest*, 139). ولم يستبعد جوستينار Justinard بدوره أن يكون باها أُويحيى جد إيد باها أو يحيى المتكونين حالياً من أيت الخمس واصبويا وأيت ايعزى وأيت عبد الله هو نفسه إبراهيم بن يحيى الگدالي صاحب وگاك بن زلو اللمطي الذي ولد ودرس بالركن في منطقة تاسريرت (*Les Aït Ba Amran*, 76). كانت علاقة إيگدالن (گدالة) يومها بمنطقة تاسريرت وماسة وتيط وثيقة مما يزكي فرضيته.

ويؤكد طبيعة التفاعل بين الفصائل الساحلية المتحكمة بصورة اعتيادية في الحياة اليومية (انظر مادة *تگجگالت أيت تيكني بالعلمة*) لذلك لن يستحيل على الباحث أن يضع على هذا المستوى من الارتباط المجالي كل الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي تتوهج وتخبو حسب متغيرات مراحل التطور.

في تيليوين ينصاع أيت أيوب نحو الأنشطة التجارية أولا ثم الفلاحية. وهم يشكلون بحق النواة المركزية الصلبة والدائمة التي استقرت جيداً بمجتمعي البسيط والجبل. ومن المناسب أن نتبين في هذا الإطار إلى أي حد يكون إدراك أيت أيوب المحلي لخطاب غير متمايز. فتسرب الحسانية إلي تگاوست ووعرون وتسگنان وأسرير وگليم لم يزد أهل تيليوين إلاّ تمسكا بلغتهم الأصلية شأنهم في ذلك شأن سكان الجبل. كما أن حدة الصراع التي دهمت الوجود التكني علي أبواب الجبل أهلت أهل تيليوين للتحصن السريع عبر اقتطاع أماكن بالجبل يمكن اللجوء إليها بسرعة عند الاقتضاء. فموقع أيت أيوب بالجبل يتوسط الطريق الرابطة بين وادي نون وخميس أيت بوبكر شأنهم في ذلك شأن اصبويا. فعبر أوخريب وزاوية سيدي سليمان بوتوميت التي نشأ وترعرع بها وگاك بن زلو اللمطي تنعرج الطريق في اتجاه املو واسيف ند العروسي لتصل قصبة أيت أيوب

في أعلى أسيف أگجگال. هذا الكشف عن نمط التوزيع المكاني والتركيب الوظيفي لمركزي الاستيطان بالسفح والجبل يساعدان على تحليل العوامل الطبيعية التي تأخذ نصيبا أكبر من اهتمامات أيت أيوب وباقي أهل تيليوين. فالاقتراب المكاني بالسفح والجبل على حد سواء يكشف عن صلة الجوار مع تكنة وأيت باعمران كأدق مقياس للمقارنة بين أنماط العيش القروي أو الترحالي. فصلة الجوار لا تتحدد عملياً من خلال المسافات الحقيقية الفاصلة بين مركزي أيت أيوب وأقرب النقط البشرية المجاورة لها عبر مختلف المراحل السابقة. فإذا سجلنا خلال القرن العاشر (16 م) تحالف أيت أيوب بإيدا أوبلال المسيطرين يومها على جل مداشر وادي نون الساحلية أمكننا الاستدلال على مرونة الاتجاه الذي سلكه أيت أيوب في التعامل مع الجار. وعندما انتقل أيت بومگوت من أسرير إلى تادرگيت مطرودين من طرف أزوافيط (انظر مادة *تادرگيت بالعلمة*) نجد أيت أيوب يحافظون على صلة الجوار التي ميزت علاقتهم بإزرگيين المقيمين يومها بأوريورة. لاقت هذه المرونة التحالفية اعتماماً كبيراً من قبل الوحدات والفصائل والقبائل المحلية مما جعلهم يعجزون عن تصنيفها في خانة أيت باعمران أو تكنة خلال القرن الحادي عشر (17 م) غير أن تحليل نمط التوزيع المكاني لمستوطنات أيت أيوب بالسفح والجبل يجعل منهم حلفاء دائمين لقبائل المحور الساحلي. هذا مايمكن أن نتبينه من أحكام أحمد بن علي المصلوحي قاضي وادي نون المتوفي عام 1062 / 1651 ـ 1652 (الحضيگي، *طبقات*، 1 : 67). لقد تمكن اصبويا جيران أيت أيوب بالجبل من شراء بوسمارة من إدا أويلال كما أثبتت ذلك وثيقة 1579 (V. Monteil, *Les Tekna*, 17). وقد جاء كنتيجة لهذا التوسع الذي عرفه اصبويا أن أصبح لمفهوم التنافس مع أيت أيوب مدلول كبير. فتوثقت علاقات التحالفات بين أيت أيوب مع أيت لحسن الذين تمكنوا من طرد أولاد إدريس من القصابي خلال القرن الثاني عشر (18 م) بينما ترسخت تحالفات اصبويا بأزوافيط التكنيين.

لقد أثر جفاف بسيط وادي نون المتزايد خلال القرن الثالث عشر (19 م) على البيئة المحلية بتيليوين تسبب في النقص العام في مياهها الجوفية السطحية وطبيعة سطحها الحوضي. وقد كان للطريقة المتبعة قبل ذلك لاستعمال مياه السواقي التي كانت قاصرة على كميات محدودة للري وللشرب، أثرها الواضح في سيادة القصبات مع كثرة عددها وتقاربها مع بعضها البعض، بل وتزاحمها أسفل الجبل. فدراسة نمط توزيع القصبات والمداشر يكشف عن خصائص وصفات الأهالي الذين تتفاوت أهميتهم بتفاوت أحجام قصباتهم. ولما كانت تيليوين تجسد تعايش إمازيغن والمرابطين وأيت أيوب، فقد كانت تمثل نموذجا يمثل حداً دقيقاً متعدد الظواهر بين السفح والجبل. تشابهها في البيئة الطبيعية وفي الأساس الاقتصادي والاجتماعي مع مداشر وقصبات وادي نون يجعل أهلها قادرين علي فرض وجودهم ومراقبة مجالهم القروي وساقيتهم. أما بعدهم التاريخي الذي يجعل منهم امتداداً لأهل الجبل فيتفق مع محاور شبكة الطرق الجبلية التي تتجه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي أو العكس. هذا ما يمكن أن نستشفه من الصيغ الشفوية المستخدمة محلياً لوصف علاقة أيت أيوب بالبسيط والجبل. بعبارة أخرى فهذه الصيغ تعد في حد ذاتها مصطلحات محلية ترد في سياق الكلام بغرض تحديد الأنماط التوزيعية التاريخية المختلفة لعمليات التنقل. لذلك فالحاجة تدعو إلى زيادة الاهتمام بالمصطلحات الوصفية وتحديد مفاهيمها تحديداً دقيقاً واستخدامها كوسيلة في التحليل والمقارنة.

يسجل جوستينار Justinard سنة 1930 أنه بينما يمثل أيت إيسيمور الموزعون بدورهم بين وعرون (M. Naïmi, *Cinétique des leffs, flexibilité et mobilité sociale*) حوالي 500 عائلة، لايمثل أيت أيوب سوى 200 عائلة. والفصيلتان تمثلان خمساً واحداً من بين مجمل فصيلة أيت الخمس (1.800 عائلة). ولا يعادل حجم أيت أيوب إلا إيدموسّاكنة بينما يعادل أيت اعلي أوگوگ أيت إيسيمور. أما إيد أوسگوم فيبلغون 400 عائلة، ليستقر الجميع فيما يمثل أكبر قسم من حوض وادي إيفني وروافده الممتد على السفح الغربي للأطلس الصغير (*Aït Ba Amran*, 72).

ولما كانت هذه المنطقة تعرف انعكاساً سريعاً بسبب متغيرات السفح وبسيط وادي نون وقراه ومداشره، فإنها كانت تشهد تغييراً في التوزيع المكاني للسكان بحسب الهجرة من وإلى الجبل. فهناك مثلا وباء سنة 1798 ـ 1800 الذي ساهم في هجرة السكان من الجبل وأرياض وادي نون وأفراگه. كما أن سنوات الجفاف قد انعكست علي الجبل بسرعة الهجرة إليه من البسيط وعلى تغيير أحجام قراه وتوسعها المساحي وعلى تركيبها الوظيفي وبالتالي على نمط التوزيع ذاته.

يفيدنا الشاعر المغني الحاج بلعيد خلال نهاية القرن 1901
الثالث عشر (19 م) وبداية هذا القرن أن شيخ تيليوين كان هو محماد أو يحيا الذي عانى من منافسة إمازيغن وعدم خضوع المرابطين لسلطته. وبالرغم من أنه كان يمثل أيت أيوب بتيليوين، فإنه كان يحاول جاهداً تثبيت سلطته المحلية حتى بقصبة أيت أيوب بالجبل. ولاشك في أن عدم التناسق السياسي بين مواقف أهل وفئات تيليوين المذكورة قد ألغى تماسك موقفها في مواجهة شيخ لقصابي محمد المختار.

أ. البكري، *المغرب في وصف افريقية* ؛ م. الحضيگي، *طبقات* ؛ م. ناعمي، *تشكل اتحادية تكنة*.

F.C. de la Chappelle, *Les Tekna* ; V. et J. Guarner, *El Sahara y Sur Maroqui Espagnolas, Colleccion Bibliografia Militar*, TXL, Tolède, decembre 1931 ; Cl. Justinard, *Villes et Tribus du Maroc, Tribus Berbères*, T. I, *Les Aït Ba Amran*, Paris, 1930 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna* ; H. T. Norris, *The Arab Conquest of The Western Sahara*, chap. 9, *The Arabisation of the Sahara, The Wadi Dar'ah and the Sus*.

مصطفي ناعمي

تيمْتيك، قصور تقع وسط واحة فزواطة بدرعة الوسطى على الضفة اليسرى لواد درعة. تبعد عن مدينة زاگورة بعشرة كلم من جهة الشرق وتتكون من خمسة قصور هي : قصر تيمتيك الحذب والقصبة الوسطانية وقصيبة أيت بولخلاط وأيت بلْوليد وأيت مولاي الكبير.

اشتق اسم تيمتيك حسب الرواية الشفوية من كلمة "تيمتيْوين" أو "تينومتين" (أي ركام الحصى الذي يجمعه الشخص أمامه وهو يحاور أو يتسامر مع الآخرين)، أطلق على قرية قديمة تقع في الموضع الحالي لتيمْتيك الحذب ويجهل كل شيء سواء عن نشأتها أو عن ظروف تخريبها على عهد يعقوب المنصور. بنيت القرية شرق قصر تيمْتيك الحذب كانت تستعمل لانطلاق الجيوش نحو السودان، وهي ما يُعرف بدار المجاهدين. لم يبق منها حالياً سوى بقايا أسوار تحيط بمساحة أحد عشر هكتاراً ومقبرة تمتد على حوالي أربعة هكتارات ونصف.

يعتقد أن السكن كان مشتتاً داخل المحيط الزراعي، ونظراً لعدم توفر الأمن اضطر السكان إلى التجمع داخل سكن مجموع ونظام جماعي للدفاع عن أنفسهم في إطار ما يعرف بالقصر. وقد اتخذ مكان دار المجاهدين كموقع لهذا السكن الجماعي، ثم غيروا معظمهم إلى حقول الرحبات. لكن تكرار عمليات النهب التي كانوا يتعرضون لها دفعهم لنقل القصر إلى الموضع الحالي لقصر تيمتيك الحذب حيث يحمل كل درب اسم الفخذة التي سكنته أثناء نشأة القصر. وهذا الموضع عبارة عن جرف يطل مباشرة على الحقول ويسهل مراقبة أي هجوم مباغت.

ونظراً لتوسع محيط القصر نتيجة النمو الديموغرافي ظهرت عدة صراعات ونزاعات بين مختلف المجموعات السوسيو ـ اجتماعية، بل وبين أفراد المجموعة الواحدة نفسها، مما دفع ببعض الأفراد والعائلات إلى مغادرة القصر وبناء سكن لها خارجه، وهذا ما أدى إلى بناء قصيبة أيت بولخلاط. وأدت نفس الظروف إلى نشأة قصيبة أيت مولاي الكبير في بداية العشرينات. أما قصيبة أيت بَلْوليد فقد بنيت ـ على ما يبدو ـ باختيار جدهم.

أما تيمتيك الوسطانية، فتعد من أقدم القصور التيمتيكية التي حافظت على موضعها. توجد بها زاوية هي فرع للزاوية الوزانية، ويقام بها موسم يعرف بـ"اللأمَة" في اليوم العشرين من شهر ذي الحجة من كل سنة يؤمه زوار من مختلف قصور المنطقة.

إلى جانب هذا السكن، هناك سكن مشتت داخل المحاط، تسكنه عائلات أيت عطا الذين يراقبون باستمرار مزروعات التيمتيكيين مقابل دفع عيني.

تجدر الإشارة إلى أن سكان تيمتيك وزعوا فيما بينهم الأراضي الموجودة حول قصر تيمتيك الحذب. ومرة أخرى نلاحظ أن جميع سكان قصور تيمتيك يسكنون متجاورين في موضع واحد.

قبل القرن الحادي عشر (17 م) كان يقطن بتيمتيك عدد من المجموعات البشرية من ادراوة : أهل ايماولان وأهل إيكرفصة وأهل إقلمون. إضافة إلى مجموعات أخرى كارعاجنة وأهل تاوزينت. ومن المرابطين أو الأحرار : أولاد تابت وأولاد مهرة. من العرب : أولاد سلطان وأولاد عرفة إضافة إلى بعض عائلات أيت عطّا.

وبعد ذلك أتى إلى تيمتيك شخص يدعى مولاي أحمد ابن العربي الذي تنحدر منه عائلات الشرفاء التي انضافت إلى عائلات أخرى من أيت عطّا وادراوة وتكوّن ما يسمى حالياً بأهل تيمتيك أو قبيلة تيمتيك

تتكون ساكنة قصور تيمتيك من عناصر اجتماعية مختلفة : ادراوة أو الملونين والشرفاء العرب والمرابطين وأيت عطّا والمعتوقين... كان عدد سكان تيمتيك أربعمائة وثمانين عائلة في أواسط العشرينات، وانخفض هذا العدد إلى مائتين وخمس وخمسين عائلة سنة 1971 ليصل إلى 2.124 نسمة سنة 1986. يتوزع هذا الرقم الأخير بين العناصر السوسيو اجتماعية كما يلي :

العناصر السوسيو اجتماعية	ادراوة	الشرفاء	أيت عطّا	المرابطون	العرب	المعتوقون	آخرون	المجمو
العائلات (٪)	48	35.3	7.3	2.2	5.1	1.4	0.7	100

والملاحظ أن مناخ درعة شبه الصحراوي المعروف بتكرار فترات الجفاف الطويلة قد أدى إلى إفراغ وادي درعة من سكانه، نذكر على سبيل المثال جفاف الثلاثينات وأواخر الأربعينات المعروف محليا بعام "الروز" أو عام "الجوع". وهكذا فقد غادر قصور تيمتيك ما بين العشرينات وسنة 1986 نحو مائتين وستين عائلة واستقرت بمختلف مدن درعة وغيرها كالدار البيضاء والقنيطرة والمحمدية.

ع. الكبير باهني، *قصر تيمتيك، واحة فزواطة : دراسة بشرية ؛ البنيات الزراعية ونظام السقي بواحة فزواطة*، د. ج. روان، فرنسا 1990.

عبد الكبير باهني

تيمزُورگة، رأس يقع بشاطئ قبيلة بني سعيد الغمارية الموالي للبحر المتوسط بالقرب من مصب وادي أمسا، وهو من المواقع الجغرافية القليلة التي احتفظ الاسبان بأسمائها الأصلية.

A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografía de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 29 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografía de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 69.

محمد ابن عزوز حكيم

تيمزگدَوين، موقع معدني بالسوس الأقصى، والكلمة تعني المساجد، وربما أطلقت على الأطلال الواقفة إلى جنوب المنجم بحوالي ثلاثمائة متر، ويبعد الموقع بثلاثة وعشرين كلم مستقيمة إلى الشمال الغربي من مدينة تامدولت المندثرة (انظر الخريطة الطبغرافية لتافراوت 100.000/1). ولاحظ شازان عند زيارته للمنطقة سنة 1951، أن جل سكان المناطق المحيطة يعرفون المنجم، مع العلم أن

قلة منهم زارت الموقع، ويستنتج أن تيمزگدوين ترك بصمات في الذاكرة الشعبية المحلية.

تغطي الترسبات المعدنية مساحة 50.000 م2 (100 x 500 م) واستغل المنجميون القدامى عروقا معدنية تحتوي على الكالامين ($Sio_2Zn\ OH_2O$) والهيدروزنكيت (ZnO) وهي ما كانت تعرف في المصادر التاريخية بالتوتيا، واستُغلت كل العروق المعدنية البارزة على مسافة خمسمائة متر بواسطة خندق يتراوح اتساعه مابين متر واحد وثلاثة أمتار وعمقه متران، بالإضافة إلي بئرين يوجدان إلى الشرق من الخندق. كما استغلت ترسبات معدنية أخرى تمتد على طول مائة متر بواسطة دهليز من 8 م x 1 م x 5 م، وينتهي في شرفه برواق من خمسة أمتار إلى ستة أمتار طولا.

ولاشك أن المنجميين القدماء استغلوا زنك هذا الموقع في عملية خلطه مع النحاس لتبييضه، وهو ما اشتهر به المغرب وخاصة منطقة سوس ما بين القرن الرابع والثامن (10 - 14 م)، وشكل مادة أساسية في التجارة مع السودان، وهو ما ردده المؤرخون والجغرافيون كالبكري وصاحب كتاب *الاستبصار* والإدريسي والزهري وغيرهم.

رغم الحديث عن النحاس الأصفر والأبيض أو النحاس السوسي أو الصيني، فإن أي مصدر لم يتعرض لمنجم الزنك أو التوتيا عدا عبد الواحد المراكشي في القرن السابع (13 م)، الذي يشير في كتابه *المعجب في تلخيص أخبار المغرب* إلى التوتيا قائلا : "ويسوس أيضاً معدنان للنحاس ومعدن توتيا وهي التوتيا التي يصبغ بها النحاس الأحمر فيصير أصفر" (*المعجب*، ص. 510).

وعند دراستنا الميدانية للمناجم القديمة بالمنطقة، لم نعثر إلا على موقع تيمزگدوين الذي توجد به آثار لاستغلال نوع الزنك المعروف قديماً بالتوتيا. ونعتقد أن المنجم المشار إليه في كتاب عبد الواحد المراكشي هو تيمزگدوين، ويعتبر النص الوحيد الذي يشير إلى منجم التوتيا رغم ورود هذا المصطلح في كتب دار السكة ومعالجة المعادن، والتي استعملت بالأساس في تبييض النحاس والصباغة وصناعة الخزف (انظر مادة *توتيا*).

عبد الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ الخريطة الطبغرافية، تافراوت 1 / 100.000.

W. Chazan, *Rapport B.R.P.M.*, Juin 1951.

الوساوي العجلاوي

تيمْسُورِيِّين، اسم خاص في حاحة بقصبة رؤساء إنْفْلاَسْ، ترتعد لذكره الفرائص في عهد حكمهم ما بين عام 1288 / 1874 وعام 1331 / 1912، لأن موقعها الإستراتيجي هو مصدر قوتهم وعظمتهم الذي أثار مخاوف جيرانهم المتوگين والگيلُوليين، وأقلق الدوائر المخزنية العليا وأوقف مَدَّ قوات الاحتلال في زحفها نحو أگادير والجنوب عامة زمناً غير يسير. ونكاد نجْزم في القول بأن موقع قصبة أنفلوس الحالية تيمسُوريِّين هو نفسه موقع قليعة المريدين التي ذكرها الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* (ص. 107)، دليلنا على ذلك :

- مطابقة وصف الكاتب لموقع قليعة المريدين في القرن العاشر الهجري لما نشاهده اليوم من تضاريس في المنطقة التي تتبوأها قصبة تيمْسُورِيِّين النفلوسية، فهي واقعة على قمة جبل شاهق بين جبلَين عاليين كذلك. وفي هذه الجبال كلها صخور عظيمة تحيط بها غابات كثيفة. ولا يمكن الصعود إلى هذه القلعة إلا من ممر ضيق منحوت في حجر الجبل، إذ تقع هذه الصخور على جهة، وجبل تاسگدالت (أگَامُوضْ حالياً) القريب بنحو ميل ونصف على جهة أخرى. وتبعد أيت داود (مقر جماعة إداوْتْوزيا حاليا) عن القليعة بثمانية عشر ميلا (الوزان، *وصف إفريقيا*، ص. 107).

- وجود ضريح ومدرسة محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 1465) الذي حمله مؤسس قليعة المريدين عمرو السياف في تابوت وهو يحارب قبائل حاحة مطالباً بثأر شيخه حتى قتلته بنته في المكان المسمى بحاحة إيمي ن تقانـدوت فوق جرف هناك، فدفن الشيخ الجزولي هناك أيضاً، وبني عليه مشهد لايزال معروفاً مزاراً إلى الآن. وهناك مدرسة علمية قديمة، ثم نقل شلو الشيخ في زمن السعديين إلى مراكش (*خلال جزولة*، 4 : 89). وذكر الحسن الوزان بأن قليعة المريدين من تأسيس عمرو السياف الثائر والمقتول فيها، وحدد المختار السوسي موقعها الحالي بمعلمتين مشهورتين بجوار تيمْسُورِيِّين هما مشهد الشيخ الجزولي وكهف إيمي - ن - تقانْدُوت المسكون بالجن، في نظر العامة. وقد شاع عند الجميع في مطلع القرن العشرين بأن رؤساء إنفلاس الحاحيين يستمدون قوتهم الخارقة التي لا تهزم من بركة الولي الصالح الشيخ ابن سليمان الجزولي المعروف في التاريخ بنصرة من استنصره، وخدامه من الجن الموجودين بكهف تلاقاندوت !

فهذا الرحالة الفرنسي إدْمُون دوتي زار قصبة أنفلوس بتيمْسُورِيِّين وما حولها سنة 1904 م، وهو يحدثنا عن القوة السحرية لأنفلوس مستشهداً بقول صديقه علال عدي نائب المستشار بالقنصلية الفرنسية بالصويرة في مقال صحفي له : "يوجد على مسافة قليلة من الصويرة، في بلاد تسمى "تكنافة" والتي يحكمها القائد أحمد أنفلوس، كهف تسكنه كتيبة من الجن، نعم الجن الحقيقي، وهو محكم بشكل يخالف الشكل المعروف عند روحانيينا العاديين... إن القائد أحمد أنفلوس الذي لست في حاجة إلى أن أقدمه لكم، والذي له قصبة قريبة من هنا، والذي نما وترعرع ووصل إلى الحكم بفضل الجن، جيرانه الطيبين، يستخدم إيمي - ن - تقانْدُوت، وهل يؤمن بها حقا ؟ قد لا أستطيع الجواب عن هذا السؤال، أولا - لأسباب سبق عرضها. ثم من يستطيع أن يقرأ ما في قلب رجل مثل أحمد أنفلوس ؟ لا أحد سوى الله. على أي حال، فإن الأحداث على ما يظهر تجيب عن نفسها، وتُظهر أن أنفلوس كان يظن بأن تسليح جيوشه ببنادق جيدة والرصاص الضروري يسهل على الجن

أن تقدم له يد المساعدة، ولهذا الهدف يعمل أحمد أنفلوس دائما على توطيد علاقته مع الناس القادرين على أن يزودوه ببنادق (أوربية) جيدة والرصاص الضروري، أما الجن فلاحاجة إلى القول بأنها تُسلِّح نفسها وتتجهز على نفقتها. وقد وقع هجوم على أحمد أنفلوس في السنوات الأخيرة من طرف عشرات من القواد أو الباشاوات ـ كما يدعون ـ فتوجه أنفلوس إلى جيرانه الذين نصحوه ليلاً بما يلي : "كلما عزمت على حمل السلاح، اذبح ثورا أسود على باب الكهف الذي هو مسكننا، أو بعبارة أخرى مركز تجمعنا، ويجب أن يكون الذبح عند الغروب، وإذا أُكلت الذبيحة من طرفنا فلأننا سنساعدك وسيكون انتصارك مضمونا" (ادمون دوتي، *في القبيلة*، ص. 282).

ويضيف في الصفحة 285 : "الكل هنا يؤمن بعظمة هذا الكهف، ومع ذلك فإن المتعلمين منهم يربطون ذلك الاعتقاد بالدين، دون أن يتركوا الجن جانباً، وفي نظريتهم أن سر عدم انهزام النكنافيين يأتي من الولي الصالح سيدي محمد أوسليمان الجزولي المدفون قرب إيمي ـ ن ـ تقاندوت، وما الجن إلا خدامه المتواضعون الأوفياء. وأحمد أنفلوس الذي يتأرجح قلبه بين مصدري القوة المذكورين يساوي بينهما، حيث إنه لا يقدم ذبيحة للواحد دون أن يقدمها للآخر. ونستطيع القول بأن هناك عدة عوامل موضوعية اجتمعت لتضفي على أنفلوس وقصبته تيمْسُوريِّين هذه الهالة والعظمة الخارقة للعادة منها :

ـ الظرفية السياسية آنذاك في المغرب المتسمة بالاضطرابات نتيجة ضعف المخزن المركزي أمام التغلغل الأجنبي المتمثل في تسرب الأسلحة إلى أيدي الأهالي عن طريق الأوربيين الذين يتاجرون في السوق السوداء. ويعد أنفلوس من كبار زبنائهم في ميناء الصويرة العظيم الشأن حينئذ.

ـ ما يتمتع به رؤساء إنفلاس من قوة وشجاعة وفروسية نادرة، ويدربون عليها أبناء قبيلتهم بطريقة منظمة.

ـ الموقع الاستراتيجي المحصن بالجبال لقصبتهم تيمسوريين يدل على موقفهم المسبق من المخزن.

ـ يشهد العارفون بأن تيمْسوريِّين كانت أكبر مخزن للأسلحة الأوربية الخفيفة في المنطقة بفضل ما عاد به أحمد أنفلوس من مال وسلاح من سوس واشترى أضعاف ذلك من الصويرة، وأمده السلطان المولى عبد العزيز من طنجة بسفينة محملة بثلاثمائة جندي وأربعمائة جندي من الرباط مع ما يلزمهم من سلاح وعتاد، فواجه بها قوات سلطان الجنوب المولى عبد الحفيظ المقدرة بألفي رجل محارب يقودها عشرات الباشاوات (*Bulletin du Comité de l'Afrique française*, 1906).

ـ وأخيراً يأتي دور القوة السحرية المستمدة من جني كهف تقاندوت كعامل نفسي يرفع من معنوية رجال أنفلوس البدويين السذج.

ويقي أن نلقي نظرة على قصبة تيمسوريِّين من الداخل بعين أحد زوارها الملاحظين ألا وهو الدكتور ليريس دو كامبريدون الذي رافق تاجراً فرنسياً ذهب لزيارة أحمد أنفلوس، فقال في مذكراته : "في أواخر سنة 1905 أخبرني السيد بيرنارد ذات يوم بأنه يعتزم القيام بزيارة لأنفلوس من أجل تصفية بعض القضايا التجارية بينهما، واقترح علي أن أرافقه فوافقت على اقتراحه بسرور.

كان أنفلوس في ذلك العهد قائداً مستبداً على قبيلة حاحة البربرية، وكانت قصبته توجد على نحو خمسين كيلومتراً جنوب الصويرة، وكانت هذه القصبة بمثابة عُشّ غُراب، وصلنا إليها بالمرور عبر طرق ملتوية ووعرة مما جعل منها حصناً حصيناً في زمنها، وتحت حماية جدرانها كان سيدها يجلس بكل ارتياح وأمن من أعدائه الذين ليسوا بقليلين".

"لقد خرجنا من الصويرة باكراً ثم وصلنا قبالة القصبة العظيمة حوالي الساعة العاشرة، ولما كان حضورنا منتظرا فالأوامر قد أُعطيت فدخلنا إلى القصبة بدون صعوبة، ومازلت أتذكر هذه الأماكن كما لو كانت الزيارة بالأمس، بعد ما اجتزنا بابا كبيرا محروسا بجماعة من المسلحين، وفي عمق القصبة توجد البناية الخاصة بالقائد، واستقبلنا هذا الأخير في غرفة واسعة مستطيلة، وكان بها شيوخ القبيلة المؤطرون، وكانت جدران هذه القاعة مغلفة بثوب حيطي مزركش، والأرض مفروشة بالزرابي البربرية السميكة.

كان الاستقبال حبيا كما كنا نتمناه، وكانت هذه المأدبة من المآدب الأولى التي تناولت فيها الكسكوس والمشوي وكعب غزال والشاي المنعنع. يقدم لنا كل ذلك من طرف عبيد تحت أصوات المزامير والدفوف، كان أنفلوس رجل الأربعين أحول العينين خلاسيا، وإصابته بالحول كانت بارزة. كانت له هيئة كبار قطاع الطرق، أما ما تبقى من شخصيته فقد كانت خرافية في جميع هذه المنطقة الجنوبية من المغرب فيما يخص تعصبه في الحرب وغدره وخيانته ورغبته الأكيدة في سفك الدماء".

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 5 : 40 ـ 103 ؛ *روايات شفوية*.

E. Douté, *En tribu*, p. 282 ; D. Leyris de Campredon, *Quarante cinq ans de souvenirs marocains, 1904 - 1948*, p. 34, 1949 ; H. Alis, *Bulletin du Comité de l'Afrique française*, 1906.

محند أيت الحاج

تيمْگيدُشْت، قرية في جبال جزولة قامت شهرتها على زاوية ومدرسة ارتبطتا بها. تقع جنوب مركز تافراوت وتبعد عنه بما يقارب خمسين كيلومتراً في قبيلة إيسي، مدفن الشيخ محمد بن أحمد الحضيكي مؤلف *المناقب*. موقعها على واد خصيب، به عيون جارية وأشجار مثمرة باسقة وأرض طيبة قادرة على إعالة سكان القرية بما يحتاجون من زرع وخضر مما ساعد على الاستقرار وتعميرها وأغرى العلماء والطلبة بالالتجاء إليها والإقامة بها.

قامت زاوية تيمگيدُشت بالجمع بين نشر العلم والتصوف عن طريق التدريس والإرشاد، أجيالاً متلاحقة

منذ العقد الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) إلى اليوم، وكانت الزاوية قد تأسست في بداية أمرها على التصوف وحده، ولكن الشيخ أحمد بن محمد الميموني، وابنه الحسن من بعده، جعلا منها مركز إشعاع علمي استقطب الطلبة من كل أنحاء الجنوب ليرتووا من منابعها العلمية الصافية، ثم يتوزعوا في مناطق مختلفة في سوس وأحواز مراكش يؤسسون المدارس وينشرون العلوم التي تلقوها في تيمگيدشت حفظا وتدريسا، أو نقلوها من مصنفات شيوخ هذه المدرسة.

كانت الزاوية في عهد الشيخ أحمد وابنه كما قال المختار السوسي : "قد عُبدت إليها السبل، ووُطئت لها الشهرة، ورفرفت فوقها ألوية المعارف، لما للشيخ من شهرة علمية واسعة، قصده الأساتذة الكبار من كل ناحية، والطلبة المتعطشون للعلم من كل جهة وإقليم، فتسارع فيها البنيان وانتشر فيها العمران، وتعوّد السكان على استقبال الضيوف وإكرامهم، فتسابق السكان في الاهتمام بزوار الزاوية وإنزالهم منازلهم اللائقة لرفعة مكانتهم الاجتماعية والعلمية، فاهتم السكان بذلك فوفروا ما تحتاج إليه المدرسة والزاوية على مدار السنة من دقيق وإدم ولحم وتوابل، واجتهدوا في ذلك أيما اجتهاد، فصار ذلك علامة مميزة لهم إلى اليوم".

ولم تؤسس الدراسة العلمية في تيمگيديشت إلا على يد الشيخ أحمد الميموني، نسبة إلى سيدي ميمون، صاحب الضريح والمدرسة التي بمدشر المزار قرب أيت ملول بضواحي أگادير گسيمة، أما قبل ذلك فلم تكن القرية إلا كما وصفها ابن الشيخ الحسن بن أحمد التيمگيدشتي بقوله : "على أن هذه القرية قبل ظهور الوالد المقدس فيها (...) لم تكن فيها مدرسة تقوم بتدريس العلوم، وإنما بنى فيها المدرسة وعمرها بالعلم وأحيى فيها السنة الوالد رضي الله عنه... فسبقت السعادة لذلك المحل واشتهرت، وبه ذكرت" (*المعسول*، 2 : 270).

ونظراً لمكانة هذه المدرسة العلمية، واتساع إشعاعها الروحي والعلمي، أصبحت تصرف إليها أعشار معظم القبائل في سوس من إرزان على ضفاف نهر سوس بضواحي تارودانت وتزالاغت بجبال الأطلس الصغير وبلاد أيت باعمران والأخصاص وغيرها من القبائل السوسية الأخرى. وقد أمر السلطان العلوي مولاي عبد الرحمان آل إيرز أن يصرفوا أعشارهم إلى تيمگيدشت لإعالة المدرسة وطلبتها، على إثر خلاف وقع بين القائد بومهدي، قائد تارودانت، وبين آل إرزّان، الذين يكنون للشيخ التيمگيدشتي تقديراً وإجلالاً كبيرين، مما دفع بالقائد بومهدي إلى اعتقال الشيخ أحمد التيمگيدشتي وابنه بدعوى أنهما ضد المخزن وبعث بهما إلى السلطان بمراكش، لكن المولى عبد الرحمان لما استمع إلى الحسن الذي تحدث باسم أبيه أمام السلطان، أعلى قدر الشيخ، وأمر الإرزّانيين بدفع أعشارهم إلى تيمگيدشت، وفوّض للشيخ البت في كثير من الأمور في سوس.

قضى الشيخ في المدرسة ما يناهز خمسين عاما وهو متصدر للتدريس والإفتاء والإرشاد، فأصبحت في عهده حاضرة عامرة يلتقي فيها البادي والحاضر، وتعج بالوفود التي ترد عليها يوميا من كل ناحية. ولما توفي أمر وزير الدفاع - العَلاّف - بأمر من السلطان المولى عبد الرحمان ببناء قبة على ضريح الشيخ.

وقد خلفه بعد وفاته ابنه الحسن بن أحمد وسار على الدرب الذي سار فيه أبوه، ورفع من قدر المدرسة والزاوية واتسعت شهرتهما العلمية والصوفية. وكان يرسل التلاميذ الذين يتخرجون على يده إلى القبائل للتدريس، وتأسيس المدارس.

تضم الزاوية خزانة عامرة بالمصنفات في مختلف الفنون والعلوم، ونفائس الكتب، ولم يبق منها اليوم إلا القليل النادر، ومازالت مدرستها تؤدي دورها العلمي إلى اليوم، وعدد طلبتها يفوق الخمسين، جلهم من الغرباء عن المنطقة.

وقد حملت الزاوية التيمگيدشتية نبراساً وهاجاً من العلوم والمعارف في سوس منذ تأسيسها على يد الشيخ سيدي أحمد الميموني التيمگيدشتي إلى اليوم بواسطة التلاميذ الذين أخذوا عن شيوخها أو عن طريق مؤلفاتهم التي تعتمد في انصبة الدروس على المدارس العلمية العتيقة في مختلف جهات سوس.

وقد ألف العربي المشرفي الفاسي كتاباً عن تيمگيدشت وشيخيها أحمد والحسن، حين وفد عليها بإيعاز من الوزير عبد الله بن أحمد أيام سيدي محمد بن عبد الرحمان العلوي، سماه *نزهة الابصار لذوي المعرفة والاستبصار*. جاء فيه وصف موقعها : "هي مدشر فسيح، في بسيط مليح، طيب التربة، ملم شعث الغربة، منور البراح، للقلب فيه انشراح، وإن اعتراك قبض في الصباح، تنشط ثمة بدون اقتراح، وإن أصابتك من هموم الدنيا جراح، برئت في الحين بجلوسك في عرض البطاح، وما أجل المشي والتردد في ذلك المراح، وأحزانك الطارئة، تذهبها عينه الجارية، وبها نخل وبساتين، ومن أشجار الزيتون والتين، وما أفسده حر هاجرة، تصلحه في العصر الرياح العاطرة. دارت بها الجبال الرواسي، فلا ينالها مكروه من الأناسي، حصنها بالشوامخ ملك الملوك، وأتقنها بحكمته التي لا يقدر عليها غني ولا صعلوك".

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 162 ؛ المعسول، 2 : 270 ؛ ع. المشرفي، *نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط خ. ع. رقم 579 ك.

الحسين أفا

التّيمْگيدّشْتي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميموني الإيسّي، أول من أسس الزاوية في تيمگيدشت بل هو أول من نزل هنالك من أهله، فهم أجانب عنها، وينتسبون إلى سيدي ميمون بگسيمة الذي ينتسب إلى الشرف. وكان الشيخ أحمد من أتباع الطريقة الناصرية ومن

شيوخها. تلقى تعليمه على يد والده محمد بن إبراهيم الميموني، والفقيه الصوفي محمد بن الحسن الطويلي ويوسف بن محمد الناصري وآخرين. وقد أرشده إلى تأسيس الزاوية بتيمگيدُشت شيخه الحاج محمد بن عبد الكريم الوايبغدي الحاحي الأصل، وعُرف الشيخ أحمد بكراماته ومكاشفاته.

ذكر الشيخ أحمد التيمگيدُشتي المؤرخ الإيگراري، وصاحب *فهرس الفهارس*، وخصص له ولده الحسن ترجمة مفصلة في كراسة سماها *رسالة الأنوار*. وكانت للشيخ مكانة لدى السلطان المولى عبد الرحمان خاصة بعد حادثته مع القائد بومهدي، وتبادل الرسائل معه ومع الوزير محمد ابن إدريس.

أما تلامذته فبلغ عددهم مائة وتسعة وعشرين تلميذاً على رأسهم ولده الحسن والعربي الأدوزي، وقد رثاه كلاهما بعد وفاته بقصيدة مؤثرة.

توفي أحمد التيمگدشتي عام 1274 / 1858 وبنى عبد الله بن أحمد باشا فاس قبة على قبره.

التِّيمْگِيدُشْتِي، الحسن بن أحمد بن محمد الميموني الايسّي ولد سنة 1233 (1817 م) وتربّى في كنف والده وأخذ عنه معظم العلوم، تولى أمورَ التدريس بالزاوية بعد وفاة والده وبلغت الزاوية في عهده مكانة هامة واتسع نطاقها، وقد وفد الشيخ عدة مرات على السلطان المولي عبد الرحمان وخلفه المولى محمد بن عبد الرحمان فكان يقابل بكل احترام خاصة من طرف الباشا عبد الله بن أحمد، وهو الذي أمر العربي المشرفي بتأليف كتاب في مناقب آل تيمگيدشت، ومما يدل على مقدار الحسن التيمگيدشتي في الدوائر المخزنية إذ ذاك أنه هو الذي وُجهت إليه رسالة عامة ليبلغها إلى علماء المنطقة وقبائلها ويحثهم على الدفاع عن البلاد أثناء حرب تطوان. وزار السلطان الحسن الأول سنة 1293 / 1876. وكان الشيخ دائم التحرك، يتفقد فروع المدرسة التيمگيدشتية في الحوز خاصة مزوضة. كما كان كثير المراسلة مع القبائل في سوس من أجل الوعظ والإرشاد. ومن مؤلفاته : *رسالة الأنوار* في أخبار والده و*المواهب القدسية في الفتوحات السوسية* و*تحفة الحبيب* وهي منظومة.

وأما تلاميذه فذكر منهم صاحب *المعسول* ستة وأربعين تلميذاً.

توفي الشيخ الحسن التيمگيدُشتي في رجب عام 1297 / يونيه - يوليوز 1880.

العربي المشرفي، *نزهة الابصار لذوي المعرفة والاستبصار*، مخطوط، خ.ع.ك. 579 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الجزء 2 و3 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 6 : 262 ؛ *سوس العالمة*، ص. 201 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، رقم 906 و1531 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، 2 : 101 ؛ *محريات ميدانية*.

علي أنشاد

تِيمُولاَيْ، مدشر قديم في الأطلس الصغير. قد يكون معنى الكلمة مرادفاً لتگاوست أو أكاس وهما يفيدان مرتفعا أو كدية (انظر مادتي *أكاوس* و*تگاوست بالعلمة*). وإذا لم يكن هذا المدشر القديم قد لاقى اهتماماً كبيراً من طرف الجغرافيين والمؤرخين فذلك راجع لموقعه الذي يبعد عن شرق بويزكارن بمدخل فايجة وادي نون بأربعة عشر كيلومتراً وعن شمال قرية إفران التاريخية بعشرة كيلومترات. أما تغاجيجت مقر قبيلة أيت إبراهيم التكنية فتبعد عنه بحوالي ستة وعشرين كيلومتراً إلى جهة الشرق.

يرتبط هذا الموقع الجبلي البعيد عن رطوبة السواحل الأطلسية بهبوب الرياح الشرقية الحارة وبصفاء الجو وبسقوط أشعة الشمس بصورة شبه عمودية، فيتحدد نوع المناخ السائد في منطقة وعرة تقل فيها التساقطات المطرية وتنحصر لذلك أهمية الأراضي المستصلحة. من هنا فإنه لايمكن أن نحلل نمط العلاقات الاجتماعية القائمة بتيمُولاَيْ إذا لم نشر إلى ارتباطها العضوي بقصور ومداشر تيسلات وأغرغار وأيت جرار المجاورة. فعلاوة على كون التوزيع السكاني يتجه نحو النمط المتباعد نظراً لعدم استواء السطح وبسبب نظام الملكية الزراعية المستقلة وشبكة الطرق الجبلية، فإن التنافس الشديد من أجل احتكار الساقية والمراعي والأغراس يزيد من الترتيب التصاعدي لقيمة الأراضي المستصلحة.

تجعل تيمولاي التي تنقسم إلى عليا (أفلاً) وسفلى (أزدار) من قسميها تجسيداً لعلاقات نظامية تربط بين صيغتين للعلاقات مع المداشر المجاورة. فمعدل المسافة الفاصلة بين كل قسم والمداشر الأخرى يجعل من الأراضي المستصلحة الفاصلة مقياساً مجالياً كميا يمكن على ضوئه تحديد نمط العلاقات التحالفية. تعتبر الرواية المحلية إدْهيَط سكان القسم الأعلى أقدم من سكان القسم الأسفل الوَافدين عليهم. وإذا كان الكل ينتمي إلى أيتْ ارْخَا، فجفاف البيئة المحلية والنقص العام في مياهها الجوفية والسطحية وطبيعة السطح المعقد قد أثر إلى حد كبير في نمط الاستقرار، شكله واتجاهاته. وكان لطريقة تخزين مياه التساقطات أثرها الواضح في سيادة نمط العيش الجبلي. فأفضل طريقة لصياغة العلاقة المتبادلة بين الجبليين وسكان السفح هو تحديد مستويات التبادل الذي يصلح لقياس النشاط الفلاحي والتجاري. هنا نستدل على ما قلناه بحرص أهل تيمولاي على حيازة ماء وُرشان من أهل مسجد الناجمة الموروث عن أبي حسون السملالي المكنى بودميعة (*المعسول*، 12 : 218). فقد ساهمت هذه العملية في تحديد نفسية التراضي من أجل اقتسام المجال والأراضي الرعوية. يتوقع عموماً عند التطبيق العملي لصلة الجوار أن يكون هناك تشابه في نمط العيش وفي الأساس الاقتصادي والاجتماعي والبعد التاريخي. ولعل أهم وثيقة تحدد الملامح التاريخية للتطورات السياسية والاقتصادية المحلية يمثلها ديوان سنة 1287 / 70 . 1871 الذي

لخص ملابسات تحالف أيت النص التكنيين بأيت بلة (انظر مواد *أيت بلة* و*تغاجيجت* و*أيت إبراهيم بالمعلمة*).

م. المختار السوسي، *العسول*، 12 : 207 - 218.

Cl. La Ruelle, *Les Id Brahim*.

مصطفى ناعمي

تيمُونَاي، ميمون. مقاوم ولد سنة 1337 / 1919 بأيت يوسي كيو إمُوزّار مرموشة (بولمان). وصرّح أحد مسؤوليه في العمل الكفاحي أنه كان "مخزنيّاً" وأن سلطات الاستعمار اتهمته بالتعاون مع جيش التحرير المغربي، وأنه أبان عن غيرة وطنية صادقة حيث ظل يكافح إلى جانب إخوانه في جيش التحرير إلى أن استشهد بتاريخ 18 صفر عام 1375 / 6 أكتوبر 1955 بإموزّار مرموشة.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة : كتاب الشهداء، ج 3.

عز الدين العلام

تيمْياتيرِيُون Thymiaterion، موقع مغربي ورد ذكره في نص *رحلة حانون* (القرن الخامس ق. م). يقول النص : "بعد أن اجتزنا الأعمدة وأبحرنا لمدة يومين، أسسنا المستعمرة الأولى التي أخذت اسم تيمْيَاتيرِيُون وكانت محاطة بسهل كبير". إن أغلب الدارسين للرحلة يرون أن المدينة توجد على مصب نهر سبو حيث توجد المهدية الحالية بينما يرى آخرون ومن بينهم الباحث روسو (Rousseau, *R. Af.*, 1949) أنه يجب البحث عن هذه المدينة حول المضيق حيث مدينة طنجة.

إذن، فالمعنى الذي سيعطى للأعمدة هو الذي سيحدد موقع المدينة، فإذا كانت الأعمدة تعني مدينة قادس فإن موقع تيمْيَاتيرِيُون سيكون على الشاطئ الأطلسي بعد مسافة تقدر بيومين من الإبحار ابتداء من الجنوب الغربي الإسباني إلى مصب نهر سبو. أما إذا كانت الأعمدة واقعة بمدخل المضيق فإن المدينة يمكن أن تطابق موقع طنجس الحالي اعتباراً لقدم الناحية ومعاصرتها للفترة القرطاجية.

إلا أننا لا نتوفر على معلومات تفيدنا معرفة اتجاه وقوة الرياح، فقد تكون الرحلة القرطاجية قد قطعت مسافة خمسين كلم الرابطة بين سبتة وطنجة في ظرف يومين نظراً لصعوبة الملاحة وقد تكون أيضا قد قطعت مسافة مائتين وثلاثين كلم الرابطة بين مدخل المضيق ومصب سبو في نفس المدة.

من المستبعد أن تكون مدينة طنجة هي المقصودة نظراً لقدمها فهي سابقة لحانون ولا يمكن أن تكون قد أسست من طرفه، فكثير من الروايات تشير إلى أسطورة تأسيس المدينة من طرف سوفاكس ابن هرقل.

إذا كان مصطلح تيمْياتيرِيُون لم يرد سوى في الرحلة القرطاجية، فإن اسم "تيمْياتيرِيّا" ورد ذكره في *رحلة* سكيلاكس الزائف، يقول النص : "وبعد الأنيدس Anides (وادي غرينة حسب دوزانج) يوجد نهر آخر كبير هو لكسوس، والمدينة الفينيقية الحاملة لنفس الاسم. وبعد لكسوس نجد نهر كرابيس وميناء والمدينة الفينيقية تيمياتيريا".

ويقول المؤرخ إتيان البيزنطي : "إنها مدينة اللوبيين ويتفق مع الرحالة حول الشكل، أي تيمياتيريا".

من خلال هذه الشهادات يتضح أن المقصود هنا، مدينة توجد على مصب النهر كما ورد في رحلة سكيلاكس وكما تشهد على ذلك أيضا الإتيمولوجيا. فحسب مارسي Marcy، كانت تيمياتيريا مؤلفة من شطرين : تومِيا Tumia، وتعني مصب، وTaria (الوادي) - أي مصب الوادي - وبالتالي فهي من المحتمل أن تدل على مصب سبو. وتكون إذن تيمياتيريون أو تيمياتيريا هي المهدية، ويكون للباحث شارل تيسو السبق في الإشارة إلى كون موقع المهدية هو الوحيد الذي بإمكانه موافقة الوصف الذي قدمته الرحلة (رحلة حانون) لتيمياتيريون.

J. Ramin, *Le periple d'Hannon* ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens* ; L. Chatelain, *BSAF*, 1942, p. 102 - 103.

عبد العزيز بل الفايدة

تيمِيزَار، إحدى محطات القوة المخزنية بقلعية في العهد الإسماعيلي. والاسم مشتق من لفظ "تَمَزِيرْتْ" الأمازيغي، الذي يعني الأرض وما في معناها كالموطن والبلدة. وهو في صيغة الجمع. ظهر هذا المركز خلفا لقلعة تازوطا التي انتهى دورها الجهادي بتسلم الأسرة الإدريسية القيطونية زمام القيادة الجهادية بقلعية، واحتفظ بتلك المكانة إلى أن حلت مكانه قصبة فرخانة على عهد الحسن الأول في أواخر القرن التاسع عشر.

تأسست تيميزار دار المخزن عام 1095 / 1684 على يد قائد قبيلة قلعية ورئيس المجاهدين بها عمر بن محمد بن مسعود الگعداوي القبطوني. أسسها بالگعدة، إحدى جماعات قبيلة بني سيدال القلعية بالموضع المعروف بگعدة "بُونِخْفَاوْنْ"، بجوار المزارة المعروفة بمسجد الأرض. وقد نما عمران المركز بما أضافه أبناؤه الثلاثة : الطاهر وعبد الكريم وعمر الصغير. لكن ظهور تيميزار بمظهر القوة تم على عهد حفيده القائد عمر بن عمر، قائد سيدي محمد بن عبد الله على القبيلة، ورئيس المجاهدين أثناء حصار مليلة، وآنذاك كانت تيميزار شبيهة بالمدينة برافقها واتساع عمرانها، يدل على ذلك مجموع الخرائب التي مازالت إلى اليوم ماثلة للعيان إلى أن تم هدمها على يد القبائل القلعية، أثناء التمرد على قائدها البخاري في أواخر القرن التاسع عشر.

أحمد بن حمد بن القاضي الگعداوي، *تقييد*، مخطوطة خاصة ؛

حسن الفگيگي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*، 1 : 232، 2 : 324، 325، 332، 336.

حسن الفگيگي

تِيمِيشْ ← **الصوان** (حجر.)

تيميشْ، قصر يقع على الضفة اليسرى لواد دادس بمنطقة أيت إحيا فرقة أيت سدرات الوادي (أيت واسيف)، يقطنه شرفاء من أصل إدريسي، كان له أهمية كبرى إذ منه

وإليه كانت تصل الطريق التي تربط بين هذه المنطقة ووادي درعة. ومن الجدير بالذكر أن الراهب شارل دوفوكو حينما أتى قادماً من وادي درعة في اتجاه وادي دادس مروراً بجبل صغرو، سلك هذا الطريق وتوقف في قصر تيميشْ، وقضى به ليلة 22.23 أبريل من سنة 1884 قبل أن يستأنف استطلاعه بوادي دادس.

تحريات ميدانية.

C. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883 - 1884*. Paris, 1888, p. 215.

محمد حمام

التين، أو الكَرْمُوس بالعربية الدارجة أو تازارت بالأمازيغية، كلمات تطلق على ثمرة شجرة تسمى بالعامية المغربية "كَرْمَة"، وقد تعمّم في بعض مناطق المغرب فتصبح مرادفة لشجرة كيف ما كان نوعها. أما الاسم العلمي لشجرة التين فهو فِيكُوسْ كارِيكَا Ficus Carica وهو من فصلية التوتيات Moraceae.

والتين هو النوع الوحيد الذي يمثل جنس فِيكُوسْ Ficus في المنطقة المتوسطية. ومن المعروف أن هذا الجنس يحوي 650 نوعاً تُصادَفُ كلها طبيعيا ما بين المدارين، ومنها تلك التي نراها مستعملة للزينة في المنازل أو في الحدائق أو على جوانب الطرق أو الشوارع الكبيرة مثل شارع النصر أو شطر من شارع محمد الخامس بالرباط. ومن أنواع هذا الجنس تلك التي تعطي المطاط الطبيعي.

وُجد التين بالمنطقة المتوسطية منذ الحقبة الثلاثية. وقد زرع منذ قديم الزمان. ويعتقد أن زراعته نشأت وتطورت في جنوب شبه الجزيرة العربية ومنها انتشرت إلى كل مناطق البحر المتوسط. وقد ذكر التين في الإنجيل وفي القرآن. وذكر الفيلسوف سُقْراط عدة أصناف منه.

التين شجيرة أو شجرة قصيرة القامة. لها جذع قصير وقشرة ملساء وشهباء. تاجها غير كثيف. تحتوي على عصارة لبنية. أغصانها متدلية. أوراقها معنقة ومفصصة بشكل يميزها وعدد فصصها من ثلاث إلى سبع أوراق نفضية، يصل طولها إلى خمسة عشر سم وعرضها إلى عشرة سم، وجهها العلوي أحرش ذو لون أخضر غامق، ووجهها السفلي زغب ذو لون أخضر فاتح. أزهارها مجتمعة داخل حامل لحمي وأجوف في شكل إجّاصة يمثل في الحقيقة محاور للازْهرار، يظهر في إبط الأوراق أزهار صغيرة جداً ثنائية المسكَن ومعنقة. ثمارها الحقيقية فقيرة صغيره ووحيدة النواة تُحْمَل على أعناق قصيرة ومجتمعة داخل التينة.

تنتج شجرة التين نظرياً ثلاث مرات في العام الواحد : ينضج المحصول الأول في فصل الربيع إلى بداية الصيف، والثاني في آخر الصيف، والثالث في الخريف وبداية الشتاء. وتظهر ثمار هذا المحصول في إبط الأوراق التي تساقطت في الشتاء السابق، وتسمى بالبَاكُور أو البَكُور. وتنشأ ثمار المحصولين الآخرين على براعم تلك السنة وهي الكَرْمُوس أو التين العادي. لكن غالباً ما يقتصر إنتاج التين على مرتين في العام.

يعتبر النظام الزهري للتين وعلاقته مع التلقيح الخَشَري من الظواهر العجيبة في بيولوجية الأزهار. لا يمكن للتين إنتاج البذور إلا بمساعدة زنبور وهو حشرة صغيرة تشبه الذبابة وتسمى علميا بْلاسْتُوفَاگَابْسِينِيسْ Blastophagapsenes وبالعربية آبرة التين (نوع من حشرات تنتمي إلى فصيلة الآبرات تخصب التين). تلاءم هذا الزنبور مع الأزهار الأنثوية التي لها مبايض ذات أقلام قصيرة والتي ينحصر دورها في صيانة بيض الحشرة وتغذية يرقاتها مما يجعلها لاتعطي بذوراً. يفقس الجيل الجديد من الحشرة بعد شهرين ويتطور داخل الثمرة. وأثناء خروجه من فتحتها القمية التي توجد بها أزهار ذكرية، تُغَطي حبوب اللقاح أجسامه ثم يطير إلى أزهار أنثوية لتينات أخرى. ولا يمكنه أن يضع بيضه إلا في الأزهار قصيرة الأقلام. كل زهرة من هذه تأوي بيضة واحدة، ونتيجة لنمو الحشرة تصبح الزهرة عفصية. يحدث التناسل للحشرة داخل التينة، فتخرج الحشرات الأنثوية المجنحة والمخصبة مغطاة باللقاح للبحث عن الأزهار العفصية. ويحدث إخصاب الأزهار الأنثوية طويلة الأقلام بواسطة الحشرات أثناء بحثها عن الأزهار العفصية فتنتج البذور.

لكن نوع أشجار التين المغروسة بالمغرب أو ببلدان أخرى لا تعطي إلا الأزهار طويلة الأقلام. أما الأزهار الذكرية فنادرة جداً أو غير موجودة تماماً. والإنتاج عديم بالنسبة للأزهار العفصية.

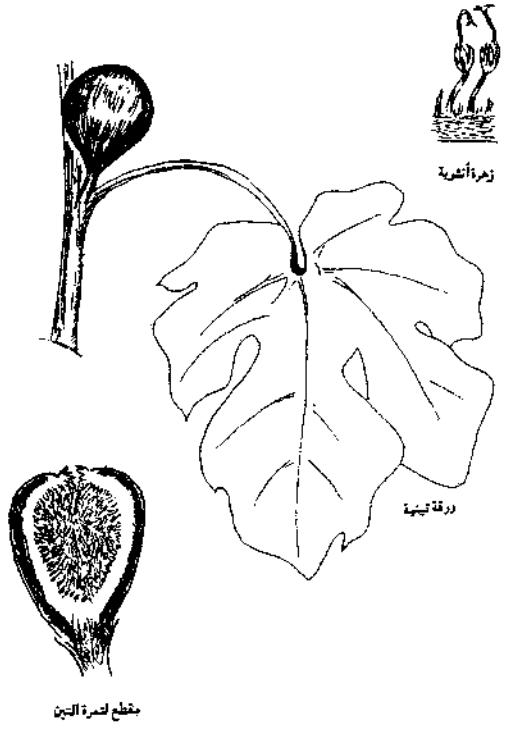

لكن هذا النوع من الأزهار غير الموجود عند الصنف المغروس، تصادف مع أزهار أنثوية خصبته على أشجار التين التي تنمو طبيعيا والمعروفة بالذُكّار. وتسمى

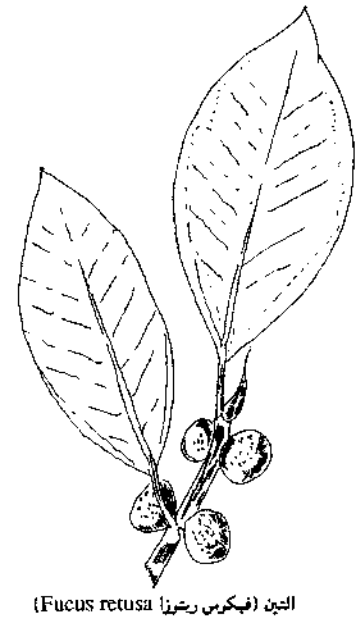

التين (فيكوس ريتوزا Fucus retusa)

بالفرنسية تين كابري Caprifiguier. ويرى الفلاح المغربي كل المنفعة في وجود الذُّكّار بمقربة من أشجار التين. ولكي يكثر من كمية المحصول نراه يقوم بتَأبير التين (عملية تخصيب التين) فيعلق في تيجان أشجاره بعض ثمار الذكار التي تأوي الزنبور الذي يقوم بعملية التخصيب.

يعتبر بعض الباحثين أن الذكار يعطي ثماراً لا تؤكل والذي يعيش في منطقة البحر المتوسط هو الطراز البدائي ومصدر الضروب الحالية المزروعة. لكن هذا النوع البري لاينتج بصفة منتظمة ثلاث مرات في العام. وعندما يحدث هذا، تعطي الشجرة في المرة الأولى تيناً يشمل أزهاراً ذكرية وأزهاراً عفصية ثم أزهاراً ذكرية مع عدد قليل جداً من الأزهار الأنثوية الخصبة، وأخيراً عدداً قليلا من الأزهار الذكرية وأزهاراً عفصية.

من الممكن إذا كان هذا التعاقب منتظماً أن يُؤَمَّن خلق هذا النوع. لكن الجيلين الثاني والثالث قد ينعدمان في بعض الأحيان فيستحيل الإخصاب في هذه الحالة وينعدم إنتاج البذور.

ويوجد صنف آخر اكتشف بإيطاليا سمي بالصنف الأصلي. يعتقد أنه المصدر للأصناف المزروعة حالياً، لكونه ينتج بصفة منتظمة ثلاثة محاصيل في العام. يشمل المحصول الأول ثماراً لا تؤكل وهي محتوية على أزهار ذكرية وأخرى عفصية كما هو الشأن عند الذكار. أما الإنتاج الثاني فهو يعطي ثماراً تؤكل، وهي ذات بذور لأنها مكونة من أزهار أنثوية طويلة الأقلام ومخصبة بواسطة أنثيات الزنبور أثناء بحثها عن الأزهار العفصية. وأخيراً يتكون المحصول الثالث بثمار لا تؤكل لأنها لاتحتوي على أزهار عفصية.

يتبين مما سبق أن الأزهار الذكرية تسود عند الذكار، ويلاحظ عكس ذلك عند الأصناف المغروسة التي تنتج في الغالب أزهاراً أنثوية. تقتصر الأصناف المغروسة بالمغرب على إنتاج محصولين اثنين أو محصول واحد في العام. يشمل الأول ثمار البَاكُور التي هي أكبر حجماً ولا تحتوي على بذور لأن أزهارها طويلة الأقلام عقيمة. تؤكل عادة طازجة ولاتجفف وهي تحمل على الأفرع الكبيرة السن. أما الجيل الثاني فهو يتكون من التين الذي يحمل بذوراً لكن التكاثر يتم بسهولة بالعُقَل.

عدد الطرز المغروسة بالمغرب ربما يفوق العشرين. أشهرها من ناحية الانتشار والقيمة التجارية ثلاثة أو أربعة من هذه الضروب التالية :

- الغُدَّاني أو الغُدَّانْ : تين أسود طويل الشكل. معروف في كل مناطق المغرب. لا يتطلب تأبيراً، من الممكن أن تجفف ثمار الجيل الثاني لكن قيمتها التجارية منخفضة.

- بيَاضَا : طرز تين "أبيض" وفي الحقيقة أخضر. إذا لم يتم تلقيح أزهار الجيل الثاني فإنها تتساقط دون أن تنضج. يعرف هذا الطرز في جميع أنحاء المغرب من جْبَالَة بالشمال إلى واحات الصحراء بالجنوب يُعْرَف الباكور الكُرَوي الشكل وكبير الحجم ولذيذ الطعم في جميع الأسواق المغربية في موسمه. يعد هذا الطرز من أهم الأصناف التجارية من حيث الكمية التي توجد بالأسواق والتي تجفف. من الممكن أن نقول إنه أهم المصادر إن لم نقل الوحيد للإنتاج المحلي من التين المجفف (الشريحة) بالمغرب.

- الرُّومي : تين أحمر ضارب إلى السواد، طويل الشكل، وشجرته قصيرة القامة. يقتصر انتشاره على المناطق الشرقية.

- بُونَاصرْ : تين أخضر داكن.

- حُوَّاضَ : تين أخضر فاتح يميل إلى الاصفرار.

- النَّابوت : تين أخضر ضارب إلى الرمادي مذاقه قليل الملوحة.

- الأزرق : تين أزرق ضارب إلى السواد. مالح.

- الوَجْدي : تين أزرق مالح.

- مَزَّاگا : تين أخضر يميل إلى الاصفرار وهو مالح المذاق.

باستثناء الطرزين الأولين، لاتصادف الطرز الأخرى إلا بالمنطقة الشرقية من المغرب التي عرفت حكم العثمانيين الذين أدخلوا العدد الكبير من النباتات المغروسة من المشرق إلى شمال إفريقيا التي كانت خاضعة لهم.

وهكذا نجد أن أشهر وألذّ التين وأغلاه في المغرب هو الشَّتْوي الذي بدأت تنتشر زراعته من الشرق إلى الغرب. فإذا كانت الأصناف المذكورة أعلاه تنتج الباكور في يونيو، والتين في يوليوز وبداية غشت، فإن الشتوي الذي لاينتج إلا مرة واحدة في العام، لا تبدأ ثماره في النضج إلا في أواخر غشت ليستمر موسمه إلى نهاية أكتوبر أو نونبر ويبقى قسط منها حتى بداية دجنبر بعد تساقط الأوراق.

ثمار الشتوي كروية الشكل ذات لون أخضر ضارب إلى الرمادي أو الأحمر، وذات مذاق جد لذيذ. ولهذا يؤكل ويباع كل إنتاجه طازجا ولاتبقى أي كمية لتجفف. لكن القسط الكبير من التين المجفف المستورد من بلدان الشرق الأوسط وخاصة تركيا، مصدره الشّتْوي.

وأكبر سن لأشجار التين الشتوي المَغربية هي التي توجد بمشيش بالقرب من أحفير، وقد غرست في أوائل النصف الأخير من القرن التاسع عشر أُتي بها من الجزائر.

يزرع التين في أغلب الدول شبه الحارة. انتشرت زراعته في المغرب لكن مازالت تقليدية في جميع السهول وعلى سفوح الجبال إلى ارتفاع 1000 م في الشمال و1600 م في الجنوب، أي أنه يعيش في الطابقين المتوسطي الدافئ وتحت المتوسطي الدافئ. أما من حيث البيومناخ فهو يتطلب المناطق شبه الرطبة وشبه الجافة واستثنائيا الجافة منها. لا يمكن زراعة التين في هذه الأخيرة وفي الصحراء إلا بالسقي كما نرى ذلك في الواحات.

تستعمل ثمار التين كما رأينا طازجة أو مجففة أو معلبة أو في صناعة المربيات. والمعروف أن له قيمة غذائية كبيرة وأهمية في الطب، كما تستعمل عصارته اللبنية في ترويب الحليب أو صناعة الجبن.

استطلاعات ميدانية ؛ البرت هبل، *النبات الاقتصادي*، تر. عبد المجيد زاهر وآخرين ، القاهرة، 1962.

L. Emberger, *Les arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris, 1938 ; A. Métro et Ch. Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora*, Rabat, 1955.

عبد المالك بنعبيد

تين وَاوَزْ، إمارة بأيت واوزگيت في وادي درعة، قامت في نهاية القرن التاسع وبداية العاشر (15 ـ 16 م) عندما تراجع نفوذ الدولة الوطاسية بالمناطق الممتدة جنوب الأطلس الكبير وأضحى الحكم الفعلي بيد كبار شيوخ القبائل. ويعرف هؤلاء الشيوخ آنذاك على الصعيد المحلي بإمَزْوَارَنْ (مفرده أ مَزْوَارْ أو المزوار وهو كبير القوم ومقدمهم). وقد استطاع هؤلاء المزواريون تأسيس مشيخات كبرى، تحول بعضها إلى إمارات محلية، لها جيش قوي ونفوذ واسع على عدد كبير من المشيخات الصغرى، ومن هذه المشيخات إمارة تين وَاوَزْ التي كان مزوارها يستمد شرعيته من الولاء الشكلي للسلطان الوطاسي بفاس، ويحرص على تجديد مراسيم البيعة، وإرسال الهدايا السنية إلى العاصمة إبان الأعياد والمواسيم الدينية (*وصف افريقيا*، 1 : 134).

لم يتفق الباحثون على موقع إمارة تين وَاوَزْ، فماسّينيون يرى أن موقعها قد يكون بقصبة تلوات الحالية بقلب الأطلس الكبير، حيث جبل الأگلاوي الشهير المجاور لجبل گدروز (*Le Maroc*, 206). ولا شك أن ماسّينيون، استند في طرحه هذا إلى لقب المزوارين الذي تتحلى به عائلة الأگلاوي ذات النفوذ الواسع بالمناطق الجنوبية في عهد الحماية.

ويرى سَبْلْمَان أن موقع إمارة تين وَاوَزْ قد يكون في مكان قصبة تَامْنُوگَالتْ بواحة مزگيطة في عالية وادي درعة الأوسط (*Districts et tribus*, 42).

أما الباحثة جاك مونْبِي، فترى ـ تبعاً للحسن الوزان ـ أن موقع إمارة تين وَاوَزْ قد يكون بجبل سِيرْوَا بقلب مجال قبائل أيت واوزگيت (*Le Maroc Saharien*, 1 : 326) ونرجح هذا الرأي لأن الوزان أول من أشار في كتاباته إلى هذه الإمارة، ذكر أن جبل أيت واوزگيت يقابل ناحية هسكورة على منحدر الأطلس المتجه إلى الجنوب (*وصف افريقيا*، 1 : 134). وتنطبق هذه المواصفات على جبل سِيرْوَا الذي كان خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م) القلب النابض لتجمعات قبائل أيت واوزگيت ومن انحاش إليها من الهساكرة. بل إن الحسن الوزان عندما يتحدث عن جبل تانسيطة يؤكد بأنه يبتدئ غرباً عند نهاية جبل أيت واوزگيت ويمتد جبل تنسيطة شرقاً إلى جبل دادس. وهذه المعطيات الواردة عند الحسن الوزان يؤكدها الواقع الجغرافي، حيث إن جبل بوزروال القائم بواحة تينزولين، مجال إمارة تانسيطة التاريخية، يحد شرقاً بجبل دادس وغرباً بجبل سِيرْوَا.

أما مارمول كاربخال فبعدما تحدث عن جبل أيت واوزگيت، مستعرضا نفس المواصفات التي ساقها الحسن الوزان، أضاف بأن الجبل يجلله الثلج طيلة فصول السنة (*افريقيا*، 2 : 112). ومازلنا اليوم نشاهد الثلج في قمة جبل سيروا طيلة فصول السنة. وهكذا يمكن القول وبشكل تأكيدي إن موقع إمارة تين واوز المزوارية كان في نقطة ما من السفوح الشرقية بجبل سيروا، حيث كان هذا الجبل يمثل معقلا من المعاقل المحصنة لتجمعات قبائل أيت واوزگيت منذ العصور الوسطى. إذن فما هو المجال الذي كانت تتصرف فيه إمارة تين واوز ؟ وما هي قوتها وما علاقاتها بالدولة السعدية بعد قيامها ؟

يمكن أن نستخلص من هذه المعطيات التي سمحت لنا بتحديد موقع إمارة تين وَاوَزْ المزوارية أن هذه الإمارة ـ المشيخة كانت تبسط نفوذها على قبائل أيت واوزگيت الجنوبية، وهي القبائل التي كانت منذ العصور الوسطى وإلى اليوم تنتشر بالأطلس الصغير الأوسط وهضاب لگرارة التي تربط وادي درعة في عرض تينزولين ببلاد سوس، ويعتبر جبل سِيرْوَا القلب النابض في هذا المجال والحصن المنيع لأيت واوزگيت إذا مادا هما أي خطر خارجي.

وتستمد إمارة تين واوز قوتها من سيطرتها على الطريق التجاري الهام الذي يربط واحات درعة الوسطى ببلاد سوس عبر تارودانت، كما كانت تستغل لصالحها مناجم الفضة بزگندر بجبل سيروا.

أما علاقة هذه الإمارة بالدولة السعدية، فلا نكاد نعرف عنها أي شئ خلال العقد الثاني من القرن العاشر (16 م)، ولكن لانستبعد أن يكون مزواريو تين واوز قد عارضوا السعديين في بداية الأمر شأنهم في ذلك شأن مزواريي تانسيطة (*L'Afrique*, 3 : 115). ويستشف من

إشارات مارمول أن إمارة تين واوز خضعت لنفوذ الأشراف بعد استتباب الأمر لهم، إلا أن السعديين كانوا حذرين في تعاملهم مع المزواريين الذين لايترددون في إعلان ثورتهم كلما أمكنهم ذلك.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. م. حجي ومن معه ؛ مارمول كاربخال، *افريقيا*، تر. م. حجي ومن معه، 1982.

D.J. Meunier, *Le Maroc Saharien*, Paris, 1982 ; G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, Paris, 1931.

أحمد البوزيدي

تينْتْغَالّين، قلعة في الأطلس المتوسط. والكلمة أمازيغية مركبة من جزءين، تِينْ وهي للإضافة ومعناها "ل" وتغالين جمع تغالت وتعني أنثى الفرس. ولعل في هذا دلالة على أن المنطقة كانت مرعى أو مكاناً لإناث الخيول.

وقيل حول هذه التسمية إن المنطقة عرفت سرقات متكررة للخيول، وقيل أيضاً إن حية لدغت تلك الدواب، فقتلت عددا كبيرا منها، وظل سبب قتلها غامضا مدة طويلة. وحين تبين السكان السبب سموا المنطقة تينتغالّين، أي لإناث الخيول.

كما تجدر الإشارة إلى أن الناصري يدعوها تَغالّين. يقول بصدد ذلك : "وكتب في الديوان من أيت يمور ألف فارس، وأنزلهم مع علي بن بركات بقلعة تغالّين" (*الاستقصا*، 7 : 81). أي بقلعة إنات الخيول. لعل في ذلك إشارة إلى أن تلك القلعة كان من نصيب حاميتها إناث الخيول فقط، الشيء الذي يمكن أن يثير انتباه السكان فدعوها قلعة إناث الخيول.

تقع قلعة تينتغالّين بين مدينتي أيت إسحاق والقباب، على بعد بضعة أميال غربي المدينة الأخيرة. وينتمي سكانها إلى فخذة أيت محمد أُيعقوب من قبيلة أيت يعقوب أُعيسى، ضمن اتحادية أيت إشْقيرنْ الصنهاجية، بالأطلس المتوسط الغربي (*Répertoire*, 478).

لم ترد الإشارة إلى تينتْغَالّين إلا في القرن الحادي عشر (17 م). ففي أثناء حركته الثانية إلى جبل فازاز سنة 1090 / 1679 أنزل السلطان إسماعيل حامية عسكرية بقلعة تينْتْغَالّين، وأسند شؤونها إلى نظر علي أُبَرْكة الذي عينه قائدا على أيت يَمُّور (Drague, 146). ويتفق جل المؤرخين المغاربة على أن تاريخ الحركة الكبرى التي وجهها السلطان المذكور إلى "جبل فازاز" كان سنة 1104 / 1693، وفي أثنائها تم إنزال علي أُبَرْكة وبمعيته أيت يَمُّور بقلعة تينْتْغَالّين (*الروضة السليمانية*، 66 ظ ؛ *البستان الظريف*، 40. 41 ؛ *الترجمان المغرب*، 24 ؛ *الجيش العرمرم*، 77. 78 ؛ *الاستقصا*، 7 : 80. 81).

فهل معنى ذلك أن بناء قلعة تينْتْغَالّين تم مباشرة بعد القضاء على ثورة أحمد بن عبد الله الدلائي ؟ هذا أمر غير مستبعد، لأن السلطان كان قد شرع في بناء القلاع بالأطلس المتوسط منذ سنة 1095 / 1684 (*الاستقصا*، 7 : 66). إلا أن الزياني، العارف بالمنطقة، لم يشر إلى تينْتْغَالّين إلا ضمن أحداث سنة 1104 / 1693، حيث قال : "وأمر السلطان علي بن بركة أن يبني داره بتينْتْغَالّين وينزل معه إخوانه أيت يمور.." (*الترجمان المعرب*، 24). معنى ذلك أن القلعة كانت موجودة. واقتفى أثرَه كل من أكنسوس والناصري. قال الأول : "فنزلوا بتينْتْغَالّين" (*الجيش العرمرم*، 77). وقال الثاني : "وأنزلهم... بقلعة تغالين" (*الاستقصا*، 7 : 81). فلا يمكن أن يكون النزول في مكان غير مبني.

نستنتج من هذه المعطيات أن قلعة تينتغالّين كانت مبنية جاهزة لاستقبال حامية مكونة من ألف فارس في السنة المذكورة، ومن ثم اتخذها القائد علي بن بركة منطلقا لتطويع القبائل المنتفضة ضد المخزن، كما كان الحال لما توجه ذلك القائد على رأس أيت يمُّور، وانطلاقا من تينتغالّين للمشاركة في الحصار الذي نظمه السلطان أثناء حركته الكبرى التي أوقع خلالها "ببرابرة فازاز" (*الاستقصا*، 7 : 79). فصارت إحدى القواعد العسكرية، تتوغل عبرها الجيوش السلطانية في مجال أيت أومالو واستطاع المخزن بفضلها إيقاف زحف عدد من تلك القبائل على البسائط المجاورة وخاصة سهل تادلا. وفعلا استطاعت الحامية المقيمة بتينْتْغَالّين أن تقطع الصلة بين إشْقيرنْ وجيرانهم أيت سْري (De La Chapelle, 49 note 3).

ولعل الناصري قد أدرك جيدا هدف المولى إسماعيل من اختطاط تلك القلعة، حيث قال : "وكتب في الديوان من أيت يَمُّور ألف فارس أنزلهم مع علي بن بركات بقلعة تغالين، وأنزل محلتهم على رأس أيت أُومَالو..." (*الاستقصا*، 7 : 81). وقد أتت تلك الخطة أُكلها، إذ استقرت الأوضاع بعد ذلك في الأطلس المتوسط، طيلة بقية عهد السلطان المولى إسماعيل، بل إن أيت أمهاوش الذين كانوا يتخذون من ضواحي تينتغالّين مركزا لهم، اضطروا للانتقال إلى أغبالة ليبتعدوا عن القلعة العسكرية (Drague, 152).

وكانت تينْتْغَالّين مقر أتباع للناصريين، يذكر الخليفتي أن الشيخ موسى الناصري عرج عليها سنة 1142 / 1730 قبل أن يتوجه إلى زاوية الشيخ (*الدرر الجليلة*، 134). وكان أيت أمهاوش في بداية أمرهم ناصريين أيضاً، حيث أسس شيخهم علي أمهاوش زاوية هنالك ؛ بعدما تلقن الورد على يد الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي ؛ وتصدر بها لتلقين الأوراد وإطعام الطعام (*الدرة الجليلة*، 367). لكن أخلافه انخرطوا في سلك الطائفة الدرقاوية. ولعل تغيير الانتماء الصوفي جاء مواكبا للانتقال من ضواحي تينتغالّين إلى أغبالة، كما ألمحنا إلى ذلك أعلاه.

وبعد ذلك اختفى ذكر تينْتْغَالّين من المصادر المغربية حتى نهاية القرن الثالث عشر (19 م). فعلى إثر مقتل الأمير سرور صنو السلطان مولاي الحسن سنة 1305 / 1888، وجه هذا الأخير حركة ضد أيت شخمان، وأنزل بتينْتْغَالّين

مجدداً حامية عسكرية. غير أن تلك الحامية لم تستطع الاستمرار لأن المخزن لم يتعهدها بالرعاية، مما اضطر الجنود إلى مغادرة قلعة تينتْغَالّين بعد حوالي سنة تقريبا (Drague, 152). وصنفت تينتْغَالّين كقصر بلغ عدد سكانه 131 نسمة حسب إحصاء 1936 (*Répertoire*, 478).

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة* ؛ أ. الزياني، *الروضة السليمانية* ؛ *البستان الظريف* ؛ *الترجمان المغرب* ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*.

F. De La Chappelle, *Le Sultan Moulay Ismaïl et les berbères sankaja...*, *A.M.*, n° 27, 1927 ; *Répertoire alphabétique* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*.

أحمد عمالك

تينْزرت، موقع أثري وبرج، هكذا سماه أحمد بن القاضي المكناسي في *تقاييده*، خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م)، وهو تل مستدير الشكل، واقع على الضفة اليمنى من مصب واد المدور (واد الذهب Rio de Oro، حسب الإسبان) داخل المساحة المحتلة من طرف إسبان مليلة، يبعد عن المدينة بنحو ستمائة متر، ارتفاعه سبعة وعشرون متراً فوق سطح البحر، تشرف قمته على فحص المدينة، وعلى ساحل البحر من مسافة مائة متر. ولا وجود لهذا التل اليوم، كان اختفاؤه نتيجة للحاجة إلى المساحة المبنية.

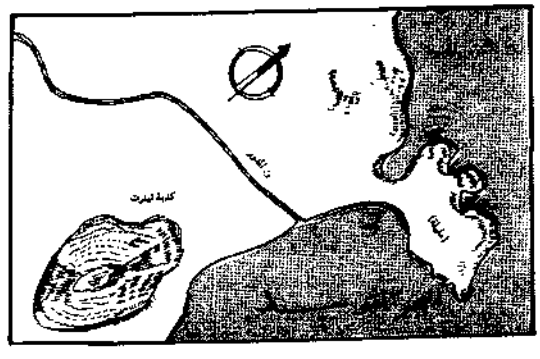

تعود أهمية الكدية أولا إلى ما أسفرت عنه الحفريات التي أجريت على سطحها بين سنة 1904 و1940، وإلى مكانتها في سجل المقاومة المغربية المنظمة ضد مليلة المحتلة، على عهد السلطانين المولى إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله.

دلت نتائج الحفريات على أن كدية تينرت كانت نواة مدينة مليلة، إذ أنها كانت مركزاً تجارياً فينيقياً وقرطاجياً ثم محطة رومانية، ساعد على ذلك موقعها الملائم على واد المدور لوصول الزوارق الصغرى إليها، بعد إرساء السفن بالجون الذي تحميه مياه الصخرة الكلسية التي ستحمل مباني مدينة "رس در" (مليلة الفترة الإسلامية). بدأ الإسبان الحفر في المكان الذي يحتله اليوم مبنى "مجزرة البلدية" Matadero Municipal فتم اكتشاف هياكل بشرية إلى جانب جابيتين كبيرتين، دلت الدراسة على أنهما تعودان إلى فترة ما قبل العهد الروماني، وبالضبط إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وفي سنة 1908 اكتشف مبنى مخزن الحبوب Casa de los Silos على السفح الشرقي من الكدية وعدد من قطع فخارية جد قديمة، وعدد من الجابيات الكبرى من أصل بونيقي.

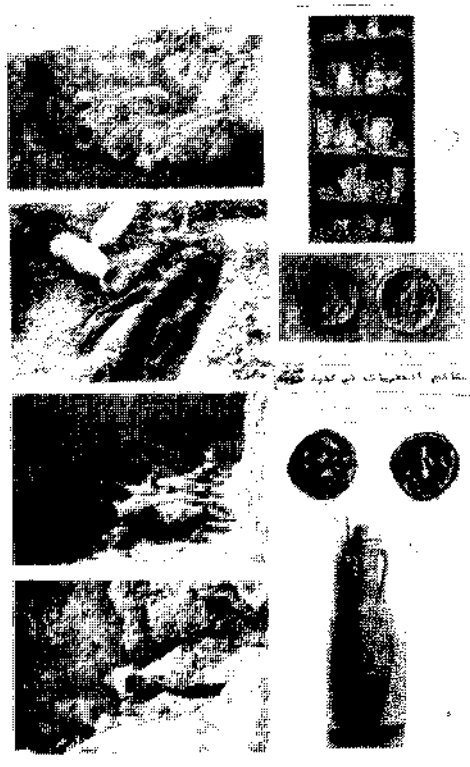

وأظهرت عمليات الحفر بالقسم الأعلى من الكدية وجود عدة مقابر على عمق بضع سنتيمترات فقط من سطح الأرض، نتيجة تأثر السطح بعمليات التعرية، تمتاز جثثها بالقامة الطويلة، ولوحظ من جهة وجود مجموعات متناثرة من شظايا المفرقعات والكرات المدفعية وقطع الأسلحة النارية الأخرى. يعتقد أن آثار تلك المقابر عائدة إلى فترة الحصار المغربي لبرج تينرت على العهد الإسماعيلي، وحصار مليلة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

توصلت الأشغال الأركيولوجية إلى إزاحة الستار عن المقابر البونيقية الموضوعة تحت مستوى قبور العهد العلوي السابق الذكر، وجدت على عمق متراوح بين متر ونصف وثلاثة أمتار. لوحظ كذلك وجود عدد فردي دائماً من الأواني الفخارية، متناسب مع مساحة القبر. فالقبور الصغرى كانت بها ثلاث أوان، بينما وصل عددها إلى تسع أواني بالنسبة للقبور الكبرى. وأبرزت إلى جانب القبور البونيقية سلسلة من القبور يعتقد أنها منتمية إلى العصر الروماني، بناء على شهادات من زارها، كان من زوارها مدير متحف تلمسان سنة 1916.

وانتهت التحريات الأثرية سنة 1940 بالعثور على أساس البرج الإسباني المعروف ببرج "سانْ لُورَنْشُو" Fuerte de San Lorenzo المشيد بسنة 1583 من طرف حاكم مليلة،

على القسم الشمالي من الكدية، لمراقبة تحركات مجاهدي قلعية برباط مليلة. وهو مربع الشكل يسع عشرين جنديا، وسطحه لا يصلح لوضع المدفعية بني داخل أراضي قبيلة مزوجة القلعية، ولذلك سماه ابن القاضي ببرج كدية مزوجة.

لم تبرز أهمية برج تينرت إلا في العصر الحديث، حينما وجه مجاهدو قلعية عنايتهم لهدمه. وقد تعرض البرج لحصارين اثنين. حدثنا عن أولهما الاخباري الاسباني أنطونيو دي اصطرادا J. Antonio de Estrada في كتابه Población general de España. بدأ الحصار في أوائل جمادى الثانية عام 1088 / أوائل غشت سنة 1677 واستمر إلى غاية شعبان / أكتوبر نفس السنة، حيث سقط في أيدي ثمانمائة من رجال قلعية. وحينما أعاد حاكم مليلة بناء البرج عاد إليه المجاهدون في ربيع الأول 1091 / أبريل 1680، حسبما سجله أحمد بن القاضي في *تقاييده*، وتوصلوا إلى هدمه بواسطة حفر نفق يمتد إلى أساسه وتفجيره بالبارود، ليتسنى تنظيم هجوم عام على المتحصنين به. فعنه يقول ابن القاضي :

"خرج القائد محمد بن مسعود القيطوني في ربيع الأول عام 1091 بعساكره، وبدأوا بالحفر من جهة الحصن للبرج، وقهروا الكفار من حينهم عن البرج، وحال المسلمون بين أهل الحصن والبرج. وبعد خمسة عشر يوماً بلغوا أساس البرج، وكان الغازي محمد بن مسعود خرج بمائتين رامياً شجاعاً وحال بين الكفار وبين الحصن الكبير والبحر، فلم تبق لهم الاستغاثة بإخوانهم أهل الحصن. واشتد الكرب والخوف والوجل بهم وانقطع كل تدبيرهم، تركوا المسلمين إلى أن ذهبوا ليعلفوا خيولهم ففروا من البرج إلى حصنهم هاربين. وغنم المسلمون كل ما وجدوه في البرج وهدموه".

وحينما حاصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله مليلة ما بين 5 شوال عام 1188 و 13 محرم 1189 / 9 دجنبر 1774 و16 مارس 1775، اتخذت القوات المخزنية كدية تينرت إحدى المواقع الهامة لنصب قطع المدفعية، مؤلفة من ست قطع، أشير إليها في رسم معاصر ببطارية J (خ) لضرب جنوب المدينة، والحيلولة دون دخول السفن إلى المرسى.

أحمد بن القاضي، *تقاييد*، مخطوطة خاصة ؛ حسن الفكيكي، *قلعية ومشكل الوجود الاسباني بمليلة*، 221 . 225.

J. Antonio de Estrada, *Población general de España*, T. 3, p. 510 - 511 ; R. Fernando de Castro, *Melilla prehispanica*, p. 221 - 225.

حسن الفكيكي

التينْزَرْتي، أحمد بن يحيى السوسي، من قرية تينْزَرْتْ برأس الواد شمال تارودانت. أستاذ مقرئ مدرس نَفَع أخذ عن الشيخ مسعود بن علي الهشتوكي. انتقل إلى المحمدية (تارودانت) حاضرة السعديين الكبرى في سوس، يقرئ علوم القرآن في الجامع الجديد، وكان مجتهداً في ذلك غاية الاجتهاد، حسب تعبير تلميذه عبد الرحمن التامنارتي الذي ذكره في *الفوائد الجمة* في عداد شيوخه وأثنى عليه قائلا : "قرأت عليه ختمتين، وبدأت عليه السبع باللوح إلى *واذكروا الله*، فذهب للمشرق".

وكان التينزرتي يصلي الأشفاع في رمضان بالجامع الكبير بتارودانت، "فيحضر لذلك جميع أهل حومته لترتيل قراءته وحسن صوته وكثرة خشوعه وبكائه فيخشعون ويبكون. فلما ذهب للحج تأسف الناس عليه ولم يجدوا من يقوم مقامه" (*الفوائد*، ص. 48).

ع. التامنارتي، *الفوائد الجمة*، 48 ؛ م. الافراني، *صفوة*، 40 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومزكو، الترجمة 49 والهامش 285 ؛ م. المختار السوسي، *رجالات العلم*، 51.

محمد حجي

تينزولين أو تانْزُولين، ـ جغرافيا ـ واحة في وسطها مركز يحمل هذا الاسم ويقع على الضفة الغربية لنهر درعة، يعد ضمن المجال الإداري لدائرة زاگورة، وتوجد على بعد مائة وعشرين كيلومتراً إلى الجنوب من مدنية ورزازات. كانت من المحطات التي تنزل بها قوافل التجارة الصحراوية ـ السودانية.

يقع مركز تينْزُولين في قلب واحة تمتد مساحتها على أزيد من 4.000 هكتار، ويتميز الاستغلال الفلاحي بارتكازه أساساً على إنتاج الحبوب والكلأ والتمر. وتتم عملية السقي بواسطة مياه نهر درعة التي تحول إلى الواحة بواسطة السواقي التقليدية والعصرية. وتتحكم الظروف المناخية بشكل قوي في المساحة المزروعة بحيث تتراوح بين 2.400 هكتار كمعدل أقصى.

وقد ارتفع عدد سكان مركز تينْزُولين من 658 نسمة سنة 1961 إلى 1.031 نسمة سنة 1971. ومكن التوسع العمراني من إدماج مجموعة من القرى المجاورة في حظيرة المركز، أهمها قصبة المخزن وزاوية أمداغ وقصر الحدان وقصر أيت الحاج احساين وقصر أيت رحُّو وقصر أمردول.

دراسة ميدانية. أحمد التوفيق الزينبي

* * وعن تاريخ واحة تينْزُولينْ في وسط درعة. يذكرون أن صيغة تينزولين أمازيغية للفظ العربي "النُّزالة" وهو الطعام الذي يقدم لضيافة الناس، أو يقدم للضيوف (*لسان العرب*، 11 : 658). وقد تطور معنى اللفظ فأصبح يطلق في المناطق الجنوبية على المكان الذي تنزل فيه القوافل. ويذكر الوزان أن أهل درعة كانوا يطعمون أصحاب القوافل مدة إقامتهم بين ظهرانيهم ولا يأخذون منهم أي مقابل إلا ما يتركونه لهم عن طيب خاطر (*وصف افريقيا*، 2 : 120) ولاتزال عدة مواقع بالمغرب على طول شبكة الطرق التجارية تعرف إلى اليوم بالنزالة. من ذلك على سبيل المثال نزالة بني عمّار بولاية مكناس ونزالة العظم بإقليم قلعة السراغنة.

ومنذ العصر السعدي، أصبحت كلمة تينْزُولينْ، تطلق على الواحة التي تمتد من إخْف نُوزْرُو (رأس الحجر) بالمدخل الجنوبي لواحة مزگيطة، إلى إيمي نْزْلاگْ بالمدخل الشمالي لواحة ترناتة، على طول درعة الوسطى. وتتشكل واحة تينْزُولين من الشريط الأخضر الذي تكوّن حول نهر

درعة، ومن هَضاب لگرارة وكدية أولاد يحيى ويجاورها من الناحية الشرقية جبل بُوزَرْوال وهو جزء من الذراع الشرقي لجبل باني، وتتخلل جبل بُوزَرْوال عدة منافذ أهمها "فم وَرْتي" الذي يعتبر الممر التاريخي للهجرات القبلية من بلاد تازرين ودادس إلى وادي درعة.

أما قصور واحة تينْزُولين فيتجاوز عددها خمسين قصراً، تتقاسمها قبائل أيت سدرات في شمال الواحة وقبائل أولاد يحيى بمنطقة أولاد جرى بالضفة الغربية وقبائل أهل تينْزُولين، وقبائل الروحة الفوقانيين بالإضافة إلى بعض قبائل أيت أُونير التي استولت على بعض القصور في نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحالي إبان الغليان الاجتماعي الذي عرفته المنطقة.

يتضح من خلال المعطيات التاريخية، أن سكان واحة تينْزُولين في القرن التاسع (15 م) كانوا خليطاً من قبائل أيت واوزگيت وبعض العناصر الجزولية الوافدة إلى وادي درعة بالإضافة إلى بقايا الهساكرة، وقد تكتلت هذه المجموعات البشرية فيما يعرف محلياً بقبائل القصور، أو أهل تينْزُولين تمييزاً لها عن القبائل الأخرى من أيت عطا والروحة وأولاد يحيى، التي نزلت بواحة تينْزُولين في القرنين الأخيرين. وبعد انحسار السلطة الذي عرفته بلاد درعة خلال النصف الثاني من القرن التاسع (15 م) بسبب انشغال الوطاسيين بمشاكل المغرب الشمالي، بادرت قبائل القصور بواحة تينْزُولين إلى تشكيل تحالف قوي بقيادة العائلة المزوارية الواوزكيتية، وقد بات المزواريون يتحكمون في واحة تينْزُولين بقوة العصبية العددية للعنصر الواوزكيتي ومن انحاش إليه من بقايا الهساكرة (*وصف افريقيا*، 1 : 136 ـ 137).

ونستشف من إشارات الوزان الذي زار بلاد درعة في مطلع القرن العاشر (16 م) أن مشيخة المزواريين لتينْزُولين بلغت حداً من القوة، جعل شيوخها، آنذاك، يتحولون إلى أمراء حقيقيين لإمارة تنسيطة، ومقر هذه الإمارة بقصبة المخزن على الضفة الغربية لنهر درعة بوسط تينْزُولين. ومن الراجح أن نفوذ تنسيطة كان يشمل كلاً من واحة تينْزُولين وواحة ترناتة.

وقد ظلت العائلة المزوارية تمارس الحكم على تينْزُولين سواء في ارتباطها بالحكم المركزي، أو في إطار المشيخة المحلية، منذ العقود الأخيرة من القرن التاسع (15 م) إلى نهاية عهد الحماية في أواخر القرن الرابع عشر (20 م) وبعد ظهور السعديين بسوس. ونظراً لأصلها الدرعي، فقد شعرت المشيخة المزوارية بنوع من التشويش على وضعها السياسي والاجتماعي بالمنطقة، فحاول أمَزْوَارْ بن عمر شيخ تينْزُولين في وقته، التصدي لنفوذ السعديين بدرعة، وبلغ به الأمر إلى حد التحالف مع البرتغاليين المسيطرين على أگادير ضد محمد الشيخ السعدي (*افريقيا*، 2 : 113). إلا أن عزم محمد الشيخ السعدي على إخضاع بلاد درعة لنفوذ الدولة السعدية جعل أمَزْوَارْ بن عمر يراجع موقفه من السعديين وينضم إلى صفوفهم، وبالمقابل ترك السعديون للمزواريين كل ما كانوا يتمتعون به من امتيازات اجتماعية وسياسية بواحة تينْزُولين، بل عملوا على توطيد علاقاتهم بالمزواريين والاستفادة من خبرتهم السياسية، وحنكتهم في الميدان الحربي والتنظيمي (*Le Maroc Saharien*, 1 : 329). وفي هذا الإطار عين السلطان عبد الله الغالب المزوار حَمُّو ابن علي حاكماً على تَرگالتْ بواحة محاميد الغزلان، لأهمية هذه الواحة على أبواب الصحراء، لمراقبة حركة القوافل التجارية وضبط مداخيل هذه التجارة (*افريقيا*، 3 : 150). ونستفيد من إشارة مارمول الذي زار بلاد درعة خلال العقد الثامن من القرن العاشر (16 م) أن السعديين أعادوا تنظيم واحة تينْزُولين، وأحدثوا بها قصبة أفْرَ أولاد سلطان إلى جانب قصبة المخزن، وكان الهدف من إحداث هذه القصبة الثانية بتينْزُولين، هو حماية الواحة من هجومات قبائل الأعراب، خاصة أولاد منصور وأولاد عمران من جهة، وحماية الطرق التجارية التي كانت تخترق واحة تينْزُولين لسهولة مسالكها من جهة أخرى (*افريقيا*، 3 : 146).

وقد اضطربت أوضاع تينْزُولين، مباشرة بعد وفاة عبد الله الغالب سنة 982 / 1574، ذلك أن المتوكل التجأ إلى قصبة المخزن بعد أن داهمه عمه عبد الملك محاولا التحصن بها في تينْزُولين، إلا أن قوات عبد الملك فاجأته من ناحية سوس فغادر المنطقة وانسحب نحو الشمال.

ولما استتب الأمر للسلطان أحمد المنصور، بعد معركة وادي المخازن، أعاد تنظيم أمور وادي درعة في إطار التهيئ لفتح السودان، فاسترجعت قصبة المخزن ما كان لها من نفوذ على واحة تينْزُولين، كما استرجعت أسرة المزواريين نفوذها بين قبائل قصور تينْزُولين. ذلك ان أحمد المنصور كان بحاجة إلى خبرة المزواريين ونفوذهم لتوفير ظروف الأمن والاستقرار. ليس بواحة تينْزُولين فحسب، وإنما في كل واحات درعة لأهمية هذا الوادي في المشروع الإفريقي للمنصور السعدي، وقد استفادت واحة تينْزُولين من هذا الاهتمام المخزني، فساد الأمن والاستقرار، وأقبل الناس على ممارسة التجارة والزراعة وباتت خزينة الدولة تجبي من وادي درعة حوالي 150.000 مثقال ذهبا (*Districts*, 51).

وبعد وفاة أحمد المنصور السعدي سنة 1012 / 1603 تعرضت واحة تينْزُولين لتطورات خطيرة، ذلك أن الصراع على السلطة بين أبناء المنصور وما نتج عنه من انهيار لهيبة الدولة، أتاح الفرصة لبعض أدعياء التصوف ليجربوا حظهم في ممارسة السلطة، وهكذا بزغ نجم ابن أبي محلي بتافيلالت، فزحف إلى درعة وهزم جيش السعديين بها. وبعد مقتل ابن أبي محلي بمراكش سنة 1022 / 1613 على يد شيخ زداغة أبي زكريا الحاحي، حاول هذا الأخير الاستيلاء على قصبة تينْزُولين، إلا أنه فشل في تحقيق غايته، لصمود حامية القصبة ولرفض سكان تينْزُولين التجاوب

مع حركته، خاصة أنه كان يسلك سياسة انتقامية مع الرافضين لحركته وهم عموم سكان تينْزُولين.

ما كادت تينْزُولين تتنفس الصعداء بوفاة يحيى الحاحي سنة 1035/1625 حتى فوجئت بقوات أبي حسون السملالي، بقيادة عبد الله بن سعيد المراكشي، تحاول اقتحام قصبة المخزن فيها، وقد جند السلطان زيدان السعدي كل إمكاناته للحفاظ على درعة ككل، وعلى واحة تينْزُولين بشكل خاص لأهميتها الاستراتجية. وفي هذا الإطار عجل زيدان بإرسال أربعمائة مقاتل من الأندلسيين لقصبة تينْزُولين للتصدي لهجومات أبي حسون السملالي، وبالرغم من التفوق الكبير الذي كانت تتمتع به قوات السملاليين، ووفاة زيدان السعدي المفاجئة عام 1037 / 1627، فإن الحامية العسكرية بقصبة تينْزُولين استماتت في الدفاع عنها ولم تسقط بيد السملاليين إلا سنة 1039 / 1629 بعد سلسلة من المعارك هلك خلالها الكثير من الجانبين (*إيليغ*، 59). فما هي الأسباب التي جعلت السملالي يركز كل طاقاته العسكرية بدرعة للاستيلاء على واحة تينْزُولين ؟ لاشك أن هذا التركيز يجد مبرراته في الاعتبارات الآتية :

- إن المتحكم في قصبة المخزن تينْزُولين بإمكانه مراقبة الطرق التجارية التي تربط بين شمال الوادي وجنوبه، وبالتالي السيطرة على الحركة التجارية الصحراوية.

- إن تفتح واحة تينْزُولين على بلاد سوس عبر لگْرارَة وكدية أولاد يحيى ومنافذ الأطلس الصغير الأوسط تسهل على القوات السوسية الاتصال السريع والفعال بمركز انطلاقها بتارودانت. كما أن السيطرة على هذه الواحة معناه مراقبة كل حركة عسكرية قد تطرأ على وادي درعة من المنافذ الشرقية عبر تيزي نْ تافيلالت وفم ورتى، وهي المنافذ التقليدية للقوات المخزنية المركزية.

- وجود عناصر سوسية، جزولية على الخصوص، قد تمركزت بواحة تينْزُولين منذ القرن التاسع (15 م) ومن السهل على السملاليين إقناع هذه العناصر بالانضمام إلى صفوفهم.

لم يكد أبو حسون السملالي ينتهي من معاركة مع أهل تينْزُولين وأهل مزگيطة حتى فوجئ بريح مولاي محمد ابن الشريف العلوي تهب عليه من تافيلالت.

وبالرغم من أن محمد بن الشريف تجنب المواجهة المباشرة مع قوة السملاليين، فإنه نجح في إثارة القلاقل في وجه أبي حسون بدرعة عامة وبواحتي تينْزُولين ومزگيطة بشكل خاص حتى اضطر السملالي في نهاية المطاف إلى التخلي نهائياً عن درعة سنة 1051 / 1641 بعد سلسلة من الهزائم بِبُودْهيرْ وزاگورة ومزگيطة وخاصة معركة ترگانْلمالْ الذي فقد فيها السملاليون ما يزيد على ثلاثة آلاف قتيل (*إيليغ*، 118). وقد أثرت هذه الاضطرابات تأثيراً سيئاً على واحة تينْزُولين فهاجر السكان إلى جهات أخرى من درعة، وتراجع الإنتاج الزراعي، وتوقفت الحركة التجارية حيث تحولت الطرق إلى جهات أخرى أكثر أمناً واستقراراً.

ومع بداية العهد الإسماعيلي، عادت واحة تينْزُولين إلى بؤرة الأحداث من جديد، ذلك أن أحمد بن محرز بعد انهزامه أمام عمه بالمناطق الشمالية التجأ إلى الجنوب، وكان مجال تحركه ينحصر بين تارودانت غربا وقصبة تينْزُولين شرقا، حيث كان يجد العون من بعض القبائل الصحراوية، خاصة قبائل بني محمد (*إلى ولدي المامون*، 24). وتكشف بعض الوثائق المحلية، أن أحمد بن محرز كان يفضل الاستقرار بتينْزُولين حيث كان يشرف مباشرة على تسيير أمور القبائل.

وظهرت من جديد أسرة المزواريين على مسرح الأحداث بعد غياب طويل. وقد تفرعت هذه الأسرة في نهاية القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر (17-18 م) إلى فرعين كبيرين : فرع ابّا الحسين، ويقيم برباط تينْزُولين، وفرع ابّا عْلي، ويقيم بقصبة المخزن التاريخية وكانا يتنافسان على الرياسة بواحة تينْزُولين. وإذا كانت أسرة ابّا الحسين الرباطية تعتبر نفسها الوريث الشرعي للأسرة المزوارية التاريخية، فإن أسرة ابّا عْلي، وانطلاقاً من قصبة المخزن، تعتبر نفسها المعنية بقيادة تينْزُولين على اعتبار أنها حامية قصبة المخزن، الرمز التاريخي لأسرة المزواريين وسائر قبائل تينْزُولين.

ورغم المحاولات التي بذلتها الأسرة القصبوية لبسط نفوذها على واحة تينْزُولين فإن نتائج هذه المحاولات بقيت محدودة جداً، ذلك أن الأسرة الرباطية نجحت في الاحتفاظ لنفسها بمنصب "الشيخ الفوقاني" أي الشيخ الأعلى لكل قبائل القصور تينْزُولين، الأمر الذي يسمح لها أن تحضر في كل التحركات الاجتماعية والسياسية لقبائل القصور تينْزُولين، من انتخاب جماعة القبيلة وشيخها إلى أبسط قرار تتخذه الجماعة.

ونلاحظ من خلال جملة من الاتفاقيات التي كانت تعقدها قبائل القصور في حالة ضعف السلطة المركزية، أن أسرة ابّا الحسين الرباطية كانت تلقي بظلالها على هذه الاتفاقيات في شخص "الشيخ الفوقاني" بشكل يضمن لها هيمنتها على الأوضاع الاجتماعية والسياسية بواحة تينْزُولين ويحمي مصالحها ومصالح أنصارها. وتفاقم النزاع بين مزوار الرباط ومزوار القصبة في أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، الأمر الذي جعل الحسن الأول يتدخل بنفسه في محاولة لفض هذا النزاع حسبما جاء في رسالة سلطانية يرجع تاريخها إلى عام 1293 / 1876.

ويبدو أن هوة النزاع بين الأسرتين قد تعمقت بشكل خطير، يتجلى ذلك في انقسام قبائل قصور واحة تينْزُولين إلى فرقتين متناحرتين، وباتت كل فرقة من المزواريين تبحث لها عن حليف قوي من خارج واحة تينْزُولين وبين قبائل أيت عطا الرحل في هوامش وادي درعة. ونستفيد من إشارات محمد بن لحبيب التامنوگالي، أن بعض أعيان

درعة انتدبوا أهل تينْزُولين للصلح، لتجنيب الواحة المزيد من النزاعات وإراقة الدماء وتخريب السواقي واغتصاب القصور (*العقود الجوهرية*، 70). إلا أن هذا الصلح لم يعمر طويلا، ذلك أن شيخ قصبة المخزن في وقته علي أحمد المزواري، وبطريقة جد تقليدية، استضاف إلى منزله، الشيخ عبد الرحمن المزواري رئيس العائلة الرباطية فاغتاله بطريقة بشعة، وذلك سنة 1330 / 1911.

نصبت العائلة الرباطية الشيخ محمد بن الفاطمي مكان الشيخ عبد الرحمان، وقد جَدَّ منذ بداية أمره في الانتقام من علي أحمد القصبي الذي اختفى عن الأنظار لعدة شهور، فغلب على سكان واحة تينْزُولين طابع التناحر بكل ما يصحبه من دمار للسواقي وأشجار النخيل واغتصاب للقصور. ولم تنته هذه الحالة من الفتنة إلا بتدخل شيخ أيت واحليم في وقته حَمُّو بن الحسن بن مُرْغي سنة 1335 / 1916، فانتدب أهل تينْزُولين للصلح (*Districts*, 78). وقد وجد هذا الصلح الهش ما يدعمه في ظهور عائلة الأگلاوي مدعمة بفرنسا على مسرح الأحداث بوادي درعة.

ونستشف من بعض وثائق العائلة المزوارية الرباطية، أن الشيخ محمد بن الفاطمي مدعوماً بالتهامي الأگلاوي، نجح في الحصول على منصب خليفة الباشا بواحة تينْزُولين، وهذا يعني استعادة العائلة الرباطية لنفوذها كاملا على واحة تينْزُولين بما في ذلك قصبة المخزن.

وفي عهد الاستقلال فقدت العائلة المزوارية كل ما كانت تتمتع به من امتيازات ونفوذ قبائل تينْزُولين، ولم يعد للمزواريين الأحفاد ما يميزهم عن باقي سكان تينْزُولين.

ومن التحولات التي عرفتها تينْزُولين في العقدين الأخيرين استحداث جماعة قروية، ثم قيادة لتظهر بعد ذلك البنايات الحديثة ومايصحبها من كهرباء وتيلفون وغير ذلك. وقد اعتُمد قصر الرباط، مقر عائلة ابًا الحسين المزوارية، مركزاً للقيادة المستحدثة ومقراً للجماعة على جانبي الطريق الرئيسي رقم 31 الرابط بين مراكش وزاگورة عبر ورزازات.

وثائق قصبة المخزن، ورباط تينْزُولين بحوزة الكاتب ؛ محمد بن الحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ محمد بن الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، تر. د. حجي ومن معه ؛ مارمول كاربخال، *افريقيا*، تر. د. حجي ومن معه، ج 2 ؛ المزريوي، *مذكرة خطية في* حوزة الكاتب ؛ م. المختار السوسي، *إيليغ* ؛ *مجلة الوثائق* التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية ـ مجموعة رقم 1 ؛ ابن منظور، *لسان العرب* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 6.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, Paris, 1931 ; *Les Aït Atta du Sahara*, Rabat, 1936 ; Dj. J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, T. 1, Paris, 1982.

أحمد البوزيدي

تينغير، ـ جغرافيا ـ وحدات مجالية مختلفة فوق نتوء تضاريس تغرمت ـ ن ـ إغير داخل المنخفض التكتوني لجنوب الأطلس الكبير، عند مخرج واد تدغة. تقع تينغير على الطريق الرئيسي رقم 32 الرابط بين الرشيدية وورزازات. وتبعد عن عاصمة تافيلالت (الرشيدية) بـ137 كلم وعن مدينة ورزازات بـ169 كلم.

كلمة تينغير أمازيغية تشير إلى وحدات مجالية وإدارية مختلفة. وهي مركبة من : تي ـ ن ـ إغير. فالجذع هو إغيرْ ويعني الكتف أو ما يشابهه من الأشكال الطبوغرافية (نتوء ـ جبل) والتاء (تي) للنسبة، والنون للاشياع، فأُدغم الكل ليعطي : تينغير.

تنتمي تينغير إدارياً إلى دائرة بومالن دادس وهي إحدى الدوائر الثلاث المكونة لإقليم ورزازات (ورزازات وزاگورة وبومالن دادس).

وتطلق الكلمة على وحدات مجالية مختلفة : المقاطعة الإدارية تينغير (قيادة) وجماعة تينغير وبلدية تينغير وأخيراً قصر تينغير.

تطرح معرفة المحتوى المجالي والبشري لمختلف هذه الوحدات إشكالات عديدة منها إشكال تينغير وتطور الاسماء والنعوت والمفاهيم المستعملة إدارياً، إضافة إلى تعدد وتنوع التقسيمات التي عرفتها المنطقة.

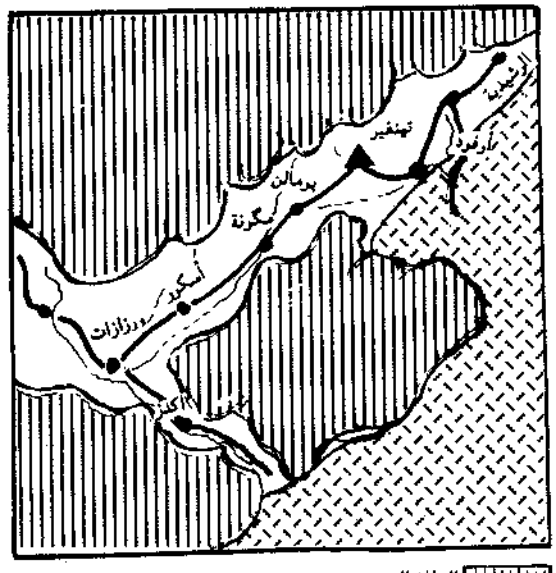

نشأت المقاطعة الإدارية لتينغير بعد المعارك التي خاضها الأگلاوي لبسط نفوذه على المنطقة (1919)، حيث أحدث مكتب الشؤون الأهلية خلال العشرينات وضم آنذاك حسب ما يبينه إحصاء 1936 حوالي 24.337 نسمة. وتتقاسم هذا العدد ثلاث قبائل هي : أهل تدغة (أيت تدغت) 12.256 نسمة، وأيت عطا تدغة السفلى 6.595 نسمة، وأيت عطا بصاغرو وإميضر 3.812 نسمة. إضافة إلى جزء من قبيلة أيت مرغاد (تمتتوشت) 1.023 نسمة. كما يشير الإحصاء إلى وجود جالية يهودية تسكن تدغة يبلغ عدد أفرادها 477 نسمة وجالية أجنبية بالمركز قوامها 174 فرداً.

بعد إحداث المقاطعة الإدارية لإكنيون قصد تأطير أيت عطا بصاغرو ومقاطعة أيت هاني قصد تأطير أيت مرغاد، تقلصت مساحة تينغير وعدد سكانها. فحسب التقطيع الإحصائي لسنة 1960 أصبح مفهوم قيادة تينغير يطلق على ثلاث جماعات قروية ومركز : جماعة تاغزوت (3.357 نسمة) وتضم قصور أيت عطا بتدغة السفلى، وجماعة تينغير (21.081 نسمة) وتتكون أساساً من عناصر قبيلة أيت تدغت، ويتوسطها مركز تينغير بـ 2.664 نسمة بالإضافة إلى جماعة إميضر. ونفس التقسيم احتفظ به خلال إحصاء سنتي 1571 و1982.

	المركز	أيت تدغة	أيت عطا تدغة السفلى وإميضر	أيت عطا صاغرو	أيت مرغاد
1936		12.907	6.595	3.810	1.023
1960	2.664	تينغير 21.081	تاغزوت 3.357	إميضر 5.508	
1971	3.361	21.938	4.568	7.143	
1982	10.527	25.100	6.516	9.893	
1994	بلدية	تدغة العليا تدغة السفلى	تاغزوت	ج. إميضر	ج. وَكليم

مكونات مقاطعة تينغير

أما التقسيم الإداري الأخير فقد أحدث محل جماعة تينغير جماعتي تدغة العليا وتدغة السفلى وبلدية تينغير واحتفظ بجماعة تاغزوت وأضاف جماعتي إميضر وواكليم.

تتكون بلدية تينغير المستحدثة من المركز الإداري وما ينيف عن اثني عشر قصراً موزعاً على ضفتي وادي تدغة.

ترجع هذه الدينامية وهذا التوسع إلى عوامل نذكر منها :

- الموقع الاستراتيجي على الطريق الرابط بين واحتي تافيلالت ودرعة والذي يغذي مجالات الواجهة الجنوبية بحاجياتها من المواد المصنعة انطلاقاً من مراكش عبر ورزازات أو من مكناس وفاس عبر الرشيدية. وتعتبر تينغير المحطة النهائية لعدد من الخطوط البرية التي تنطلق من الرشيدية - مراكش - ورزازات بل ومن الرباط.

- تشتهر تينغير ضمن ما يسمى بـ"طريق القصبات" بجمالية معمارها وبغنى مناظرها الطبيعية (واحة تدغة، عين السمك المقدس، مضايق تدغة ...) وتعد بذلك إحدى العواصم السياحية الجنوبية. وتوفر المدينة لتلبية الطلبات المتزايدة أزيد من ثلاثمائة سرير موزعة على عدة مؤسسات أشهرها فندق صاغرو (120 سريراً) إضافة إلى تجهيزات أخرى كالمطاعم والمخيمات.

- تركت الجالية اليهودية بعد رحيلها بالمنطقة تقاليد صناعة تقليدية قوامها صناعة الأحذية وصناعة المنافخ وصناعة أدوات الحلج والنسيج والدباغة إضافة إلى الصناعات الحديدية. وتشغل هذه القطاعات أزيد من 16٪ من سكان المركز الحضري مكونة بذلك إحدى القطاعات المندمجة حيث تلبي الحاجيات المحلية وحاجيات القطاع السياحي المتنامي.

- تعد الهجرة أحد العوامل الهامة في خلق دينامية مجالية، وفعلا فالتينغيريون اتجهوا منذ القدم نحو الجزائر وبعد الاستقلال نحو أوربا (89٪ نحو فرنسا) ثم بعض الدول العربية كليبيا والسعودية والإمارات (4.7٪) ويبلغ عدد المهاجرين حوالي 2.631 عاملا.

وقد أدت الاستثمارات التي يقوم بها هؤلاء داخل المدار الحضري إلى هجرة داخلية (من القصور نحو المركز)، وتعزز هذا التيار مؤخراً تحت وطأة الجفاف (هبوط سكان الجبال نحو المدينة) واتجهت استثمارات المهاجرين أساساً نحو البناء والتجهيزات المنزلية (75٪) ونحو الفلاحة (14.5 ٪) ثم التجارة (10.5٪) إضافة إلى الاستثمارات الاجتماعية التي لم يتم تعميمها بعد.

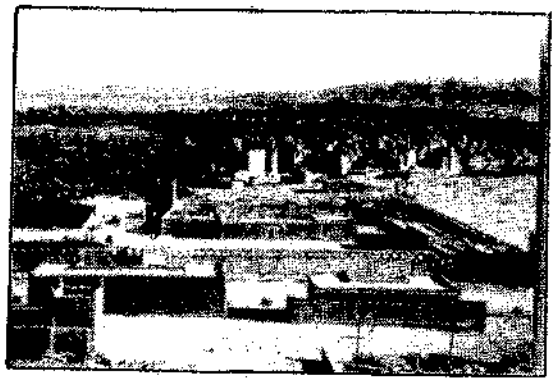

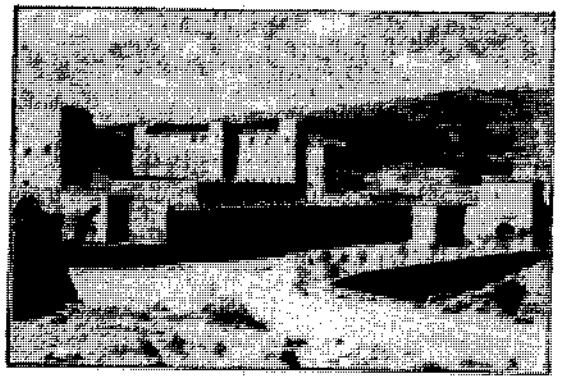

كانت لهذا التوجه تأثيرات سواء على توسع حركة البناء حيث ظهرت تجزئات كتجزئة بوگافر - تشكا وتجزئة المؤسسة الجهوية للتجهيز والبناء (ERAC). وقد بلغت نسبة المنازل الفارغة داخل المدار الحضري 18.5٪ مما يبين أهمية الجانب الاجتماعي والنفسي لهذا القطاع.

- استفادت مدينة تينغير أيضاً من إعادة فتح منجم الفضة بإميضر (توزاگت) حيث أقامت شركة مناجم إميضر مركب سكني للعمال والأطر بتينغير قوامه حوالي أربعمائة مسكن وملحقات اجتماعية.

أدى هذا التطور الحديث للمدينة إلى ظهور عدة خدمات

كأبناك ومؤسسة تأمين، وأطباء القطاع الخاص، وصيدلية، إضافة إلى التجهيزات العمومية (إعدادية ـ ثانوية، مصالح وزارة الفلاحة، الدرك، الشرطة ...). غير أن توسيع المدار الحضري وضم عدد من القصور القروية أخلاً بالتوازن العمراني للمركز. فالقصور المدمجة داخل مدار البلدية تفتقر إلى عدد من مقومات المدينة (شبكة التطهير ـ شبكة الطرق، شبكة الماء الصالح للشرب...) كما أن هذا التوسع جعل المدينة تحيط بعقارات قد تترتب عنها مشاكل مثل المطار والشكنة العسكرية ومجالات تستدعي الحماية والاهتمام كالقصور التي تكون معماراً أصيلا وتراثاً ثقافياًيستوجب عناية خاصة، ومجال الواحة الذي يخشى أن تطفو عليه البنايات والإسمنت المسلح.

حسن أحبار، *دراسة النمو الحضري لمركز تينغير*، بحث لنيل الاجازة في الجغرافية. كلية الآداب بفاس، 1989 ؛ لحسن الحمداوي، *واحة تينغير : دراسة في الجغرافية البشرية*، بحث لنيل الاجازة في الجغرافية، كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرباط، 1977 ؛ سعيد ورشيد، *الهجرة وأثرها على العلاقات الاجتماعية بدوار حارة المرابطين، منطقة تينغير*، بحث لنيل الاجازة في علم الاجتماع كلية الآداب بالرباط، 1989 ؛ مصطفى عبد شافق، *التوسع العمراني بمركز تينغير* بحث لنيل الاجازة في الجغرافية، كلية الآداب بأگادير، 1993.

Beaupère, *Sur les vallées du Todgha, de l'Imider et du Saghro oriental, villes et tribus du Maroc*, Vol. IX, Paris, 1931 ; H.J. Bücner, *Types récents d'habitat oasien en remplacement du qsar : Observations sur les modalités de constitution spontanée des nouveaux villages chez les Ahl Todgha*, in *Le Maroc : espace et société*. Acte du colloque maroco-allemand du Passau 1989, pp. 23 - 36, 1980 ; *Le village "post qsourien", des Aït Atta du bas Todgha et l'impact du droit coutumier*, in *Le nomade, l'oasis et la ville*. URBAMA, fasc. n° 20, Tours, pp. 187 - 203, 1989 ; *L'habitat post qsourien au Maroc présaharien. Reflexion sur une approche géographique du remodelage récent de l'habitat villageois oasien*, in *Espace et Société dans les oasis marocaines*, Meknès, Fac. des Lettres, pp. 105 - 115, 1993 ; Direction de la Statistique, *Recensements de la population (1936 - 1960 - 1971 et 1982)*.

محمد أيت حمزة

** من الناحية التاريخية، تم تأسيس مركز الشؤون الأهلية بتينغير إثر احتلال واحة تدغة من طرف الجيوش الاستعمارية خلال شهر نونبر 1931، لم تكن تينغير تكتسي أهمية كبرى بالنسبة لسكان الواحة. إذ كانت توجد بها مجموعة من القصور يطلق عليها قصور أهل تينغير، تأسست بها الزاوية الناصرية حين أقبل إليها "سيدي إسماعيل" من تامگروت حوالي عام 1165 / 1751.

وعلى عكس واحة تدغة التي ورد ذكرها عند الحسن الوزان Léon l'Africain ومرمول Marmol والرحالة الألماني جيرارد رولف Gérard Rholfs والرحالة الراهب شارل دو فوكو Charles de Foucauld والماركي دوسيگونزاك Le Marquis de Segonzac، تحدث هؤلاء عن تدغة وبعض قصورها في حين لم يرد ذكر تينغير في مؤلفاتهم.

وتجدر الإشارة إلى أن واحة تدغة عرفت مرور بعض السلاطين بها في إطار جهودهم الرامية إلى توحيد البلاد تحت إمرتهم، وذلك منذ عهد المرابطين، في حين كانت تدغة على عهد الأدارسة عبارة عن إمارة مستقلة تضرب بها السكة بسبب وجود منجم للفضة بها، ولم تخضع للحكم الإدريسي إلا في عهد يحيى بن إدريس حوالي عام 223 / 838.

وانطلاقا من مطلع القرن الثالث عشر (19 م) حل المولى سليمان بتدغة ونزلت حركته بالمكان الذي شيدت فيه تينغير إذ ثبت أن هذه الحركة عسكرت "بإغير" الذي أطلق عليه منذ ذلك الحين "إغير المحلة" أي محلة السلطان واتخذته جيوش المخزن قاعدة لإخضاع قبائل أيت عطا بجبل صاغرو والمناطق المجاورة له.

وكما ورد في تقرير والتير هارس Walter Harris الذي تعقب أثر حركة السلطان المولى الحسن من تافيلالت إلى مراكش، أن محلة السلطان عسكرت بدورها وخيمت في إغير المحلة أثناء مرورها بتدغة وهي في اتجاه مراكش سنة 1311 / 1893.

وتتجلى أيضاً الأهمية التاريخية لتينغير أو إغير المحلة في كونه يحتضن الاجتماعات الدورية التي نظمها "المجلس الأعلى" لقبائل تدغة أو ما أطلق عليه "الجماعة العليا" أي "الجميعت نوفلا" أو أهل الأربعين "أيت أربعين"، وذلك للبت في النزاعات الظرفية التي تحدث بسبب مشكل توزيع مياه نهر تدغة على مختلف أجزاء الواحة وكذلك تنظيم المجال الزراعي والدفاع عن الواحة والتحكيم في بعض القضايا.

ونظراً للأهمية التاريخية لهذا الموقع، فقد اختاره باشا مراكش التهامي الگلاوي سنة 1337 / 1919 لتشييد قصبة لخليفته في تينغير.

وتحتل قصبة الگلاوي فوق إغير مكاناً استراتيجياً شديد التحصين، كما أنه بالإمكان مراقبة تحركات قبائل تدغة انطلاقاً من القصبة. ولازالت الذاكرة الشعبية تحفل بالكثير من الحكايات عما رافق بناء هذه القصبة من تعسفات. وكان لتعسفات الگلاويين وجيوشهم دور كبير في تزايد نقمة السكان، إضافة لكون حركة الگلاوي إلى تدغة جاءت لإضعاف مقاومة أهالي تافيلالت التي قادها مبارك ابن الحسين التوزنيني وخليفته بلقاسم النگادي. كما أن استقرار نفوذ الگلاوي في تينغير تدغة أدى إلى قيام حرب أهلية بين مناصريه ومعارضيه وتسبب ذلك أيضاً في إرسال قائد تافيلالت لحملات تأديبية ضد بعض قصور تدغة الموالية للگلاوي وهي مغلوبة على أمرها. ونستشف ذلك كله من خلال المراسلات المتبادلة بين شيخ الزاوية الناصرية بتينغير الذي تحالف مع الگلاوي ومبارك بن الحسين التوزنيني الذي تزعم المقاومة بتافيلالت، وجاء في إحدى هذه الرسائل : "إلى المهدي بتينغير... تزعم أنك أعلم أهل زمانك، وأنك إمام أوانك، على أنك لم تعمل بعلمك، بل اشتغلت بالبنيان، وتحسين الملابس، ووالیت الگلاوي والفرنسيس، ولم تبال بأمور الجهاد، وستعاين إن ظفرنا بك ما يسوؤك بحيث لا يخلصك أحد من أيدينا

والسلام".

أدرك سكان تدغة النوايا العدوانية للأگلاوي وحلفائه، وعملوا على محاصرة القصبة حتى أصبح نفوذه منحصراً في الرقعة الجغرافية التي تشغلها القصبة. وهذا ما جعل الجيوش الفرنسية تهب لنجدة حليفها الذي مهد لها الطريق بإضعاف السكان وإشغالهم في معارك هامشية عوض الاستمرار في مساندة المقاومة في تافيلالت. واستعملت الجيوش الفرنسية الطائرات حيث كانت تهاجم تجمعات السكان مثل سوق أيت أجانا، إذ ألقت الطائرات على المحتشد القنابل فكانت الخسارات في الأرواح مهمة، كما تم إحراق الغلات الزراعية في البيادر، وتم خنق عشرات السكان داخل المطاجن بواسطة قنابل خانقة. وبذلك مهد الطيران الحربي لتقدم الجيوش الاستعمارية التي حلت بتدغة يوم 7 رجب عام 1350 / 18 نونبر 1931. وأرغموا الأعيان على استقبال هذه الجيوش التي يتقدمها العقيد شاردو Le Colonel Chardon. وإمعانا في الإذلال والإهانة فرضوا عليهم ذبح ثور على نمط "التعرگيبة" لطلب الأمان وعفو المخزن !!

وتم إنشاء مركز الشؤون الأهلية بتينغير سنة 1931 وعين على رأسه القبطان پولان Le capitaine Paulin. ولم يقتصر دور مركز تينغير على الوجود العسكري، إذ سرعان ما تحول إلى مركز لاستقطاب القبائل، وجمع المعلومات حول قبائل أيت عطا وأيت يافلمان التي تعتزم تنظيم المقاومة ضد الاستعمار. وتم تنظيم شبكة محكمة للتجسس يسهر عليها ضابط للشؤون الأهلية، إذ كان لا بد من شراء ضمائر العملاء من الأعيان بواسطة الإغراءات والمكافآت المادية. كما تم بناء سوق تينغير سنة 1353 / 1934 وكان قبل ذلك عبارة عن "نوالات"، ولعب هذا السوق دوراً في جلب السكان وربطهم بالاقتصاد السلعي، كما تم تشييد مجموعة من الدكاكين وزعت على التجار اليهود والمسلمين على السواء. ومنح هؤلاء امتياز احتكار المواد الغذائية مثل السكر والشاي والزيت والدقيق، ودفع السكان للخدمة في شق الطرق مقابل أجور زهيدة قصد الحصول على النقد الضروري لشراء المواد التي أغرق بها الاستعمار السوق. وهكذا أصبح دور مركز تينغير يتعاظم بتزايد وظائفه الاقتصادية والسياسية في المنطقة.

وتوزعت السلط في تينغير بين قطبين أساسيين :

- ضابط الشؤون الأهلية المكلف بالمهمة العسكرية وإخماد المقاومة وجمع المعلومات عن قبائل تدغة وأيت عطا ووضع بطاقات القبائل Les fiches de tribus بحيث يقوم الضابط بإحصاء عدد السكان ومختلف موارد عيشهم ورصد تحركات السكان بواسطة منح رخص السفر. كما يشرف ضابط الشؤون الأهلية على الأشغال العمومية كبناء مكتب الشؤون الأهلية بتينغير والدكاكين وبعض المرافق الإدارية بواسطة العملة التي فرضت مناوبة على سكان تدغة.

- خليفة الأگلاوي، وقد كان سعيد التيفنوتي أول خليفة للأگلاوي بعد احتلال تدغة من طرف الفرنسيين وأنيطت بالخليفة مهمة تنظيم الأحكام الشرعية وتعيين القضاة. وكذلك الفصل في بعض النزاعات المتعلقة بالإرث والعقار الخ... كما أطلق يد الخليفة في القبائل التي مارس عليها مختلف أنواع الضغط الجبائي والابتزاز بالإضافة إلى أعمال السخرة. هذا زيادة على تعبئة الحرفيين من قصورهم، خاصة المعلمين المهرة، واستخدامهم في حفر الخطارات وصيانتها، إذ كان يبعث بهم دورياً للعمل في أراضي الأگلاوي بالحوز. يُضاف إلى ما ذُكر إجبار السكان للمساهمة في الهدايا التي يبعثها الخليفة إلى ولي نعمته باشا مراكش التهامي الاگلاوي في مختلف المناسبات وفي الأعياد الدينية. وقد تضايق ضابط الشؤون الأهلية من تجاوزات خليفة الاگلاوي ومن تحديه لسلطته، فحدث شنآن بين السلطتين، وكان ذلك سبباً في عزل الخليفة سعيد من طرف التهامي الاگلاوي سنة 1936.

ولعب مركز تينغير دوراً في تنظيم التنقلات الموسمية للرحل من قبائل أيت عطا نحو منطقة الدير (أزيلال الحالية) وذلك بالتنسيق مع مختلف ضباط الشؤون الأهلية لعدد من المراكز. كما تشهد على ذلك مئات التقارير والمراسلات التي عالجت الرحلات الموسمية لقبائل أيت عطا وما أثارتها من نزاعات حول المراعي بين أيت عطا الصحراء وأيت عطا الدير.

وفي مطلع الخمسينات نضجت في تينغير نواة للحركة الوطنية، ففي أوائل سنة 1370 / 1951 امتدت الأفكار التحررية إلى منطقة تينغير، وأول ما قام به الوطنيون هو الاتصال بالمغفور له محمد الخامس بمدينة إفران، ومن بين الوطنيين الذين قابلوا السلطان السيد عيدي علي بن الحسين والهاشمي محمد بن عمر من تجماصت بتينغير والسيد البشير والفقيه سيدي امحمد بن داود من تاسكا بتينغير. وهؤلاء جميعاً هم الأوائل الذين قاموا بتأسيس الخلايا الأولى للحركة الوطنية بتينغير وربطوا الاتصال بالسيد عبد القادر بن يوسف النجار، فأخذ عدد الخلايا يتزايد ليشمل كل دواوير واحة تدغة. وأصيبت السلطات الاستعمارية بالذهول، لكونها اعتبرت تينغير منطقة محصنة من المد الوطني. لهذا أسرعت الإدارة الاستعمارية إلى الزج بالوطنيين في السجون، كما نفت العديد منهم، ولم يطلق سراحهم إلا بعدما أشرف المغرب على انتزاع استقلاله.

أصبحت تينغير بعد الاستقلال مركزاً للقيادة التابعة لدائرة بومالن دادس. كما تحولت أيضا إلى جماعة قروية في كل الانتخابات المتتالية إلى حدود عام 1412 / 1992 حيث أصبحت جماعة حضرية، تحتضن المجلس البلدي.

وقد تضاعف عدد سكان تينغير بشكل سريع وساهمت عائدات أبناء المنطقة المهاجرين إلى دول أوربا الغربية في تنشيط التجارة وبعض الحرف الخاصة، كل الحرف التي لها

علاقة بقطاع البناء والاستهلاك المنزلي. وساهمت الشركة المعدنية لمناجم إيمطر في توسيع المدار الحضري لتينغير وذلك بإقامة حي سكني مكون من ثلاثمائة مسكن.

وهكذا عرفت تينغير على امتداد تاريخها مجموعة من التحولات حيث انتقلت أولا من قصر يحتضن الزاوية الناصرية التي قامت بدور التعليم إلى جانب دورها الديني والسياسي، ثم أصبحت تينغير مركزاً للشؤون الأهلية يقوم بوظائف اقتصادية وإدارية لتدعيم الاستعمار. أصبحت تينغير مركزاً يحتوي على جماعة حضرية، وتحولت إلى مدينة متوسطة الحجم، إلا أنها عرفت تضخماً سكانياً اصطناعياً يفتقر إلى البنيات التحتية الضرورية من مجاري المياه ومساحات خضراء ومرافق عمومية مثل مستشفى الاختصاصات. وعلى العموم فهي مدينة بحاجة إلى التهيئة للمجال الحضري، إذ نما فيها السكن وتضخم عدد سكانها بشكل مصطنع الشيء الذي جعل عدداً من الجغرافيين ينبهون إلى مخاطر هذه الوضعية على البيئة وعلى السكان.

مونوغرافية عمالة ورزازات، سنة 1986 ؛ المهدي الناصري، *نعت الفطريس الفسيس هيان بن بيان المنتمي إلى السوس*، مخطوط ؛ مرواني الحسن، *البنية الزراعية في تدغة*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1979 ؛ عبد القادر بوراس، *المقاومة في الناحية الوسطى للأطلس الكبير وصاغرو*، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1973 ؛ افليين الحسين، *موجز عن تاريخ المقاومة بإقليم ورزازات*، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، 9 دجنبر 1988، ص. 48 - 56.

Chardon, *La préparation des opérations du Todra*, Rapport d'occupations du Gl. Commandant Tinerhir (A.S.H.A), 1931 ; Lt. Beaurpère, *La vallée du Todra*, in *Villes et tribus du Maroc*, T. II, Paris, 1931, pp. 205 - 227 ; G. Raclot, *La vallée du Todra*, *R.G.M.*, N° 20, 1936, pp. 89 - 109 ; G. Spillman, *Note provisoire sur le Todra*, Telouet, 27 Janvier 1928, (A.S.H.A° ; *Le Tafilalet d'après M. Walter B. Harris A.F : R.C.*, N° 1, 1909 ; H. Buchemer Joachim, *Thèse sur l'émigration dans le Todra*, Université de Mainz 1986.

عبد القادر بوراس

تينْفُو، مجموعة من القصور والقصبات بدرعة ومنها القصر الكبير والحارة والقصبة اليمنى والقصبة الفوقانية وزاوية أيت بويحيى. تبعد تينْفُو عن مدينة زاگورة بحوالي اثنين وعشرين كلم إلى الشرق، وسط واحة فزواطة بوادي درعة الأوسط. قدرت ساكنة تينْفُو بأربعمائة كانون في أواخر العشرينات وقد انخفض هذا الرقم إلى 201 عائلة أي 1.733 نسمة حسب إحصاء 1982.

تتكون ساكنة تينفو من مزيج سكاني متنوع يغلب عليه ادْرَاوَة (حوالي 59٪ من العائلات) الذين يسكنون بالأساس بالقصر الكبير والحارة. والمرابطون (حوالي 27٪) الذين يستقرون بزاوية أيت بويحيى وقصبة اليمنى.

يعرف محيط تينْفُو المزروع تقلصاً مستمراً بسبب التصحر وزحف الرمال التي احتلت منه حوالي ثلثي المساحة وقد قامت المنظمة العالمية للتغذية FAO بمشروع لمحاربة

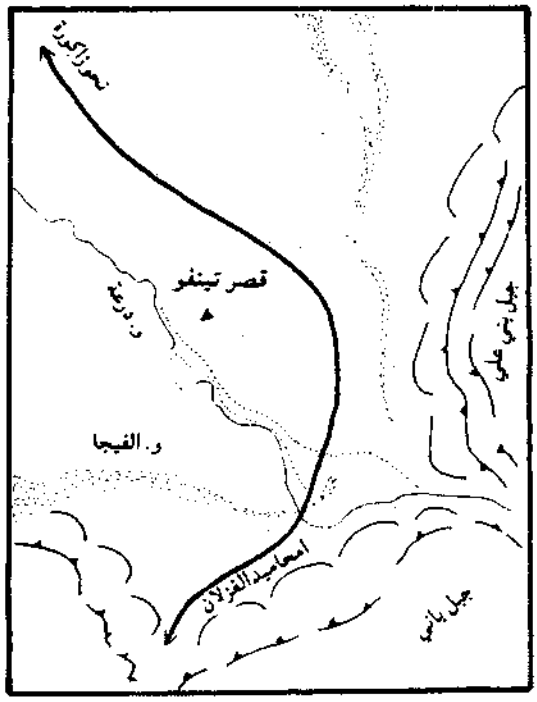

زحف الرمال وذلك بزرع أشجار Acacia aphyla داخل مربعات محاطة بجريد النخيل، ويرعى المشروع مصلحة المياه والغابات.

دراسة ميدانية.

عبد الكبير باهني

التِّينْفُوي، عبد الكبير بن أحمد ولد بقصر تينْفُو، بمنطقة بني علي جنوب تامگروت بواحة فزواطة، في وقت غير معروف من القرن الحادي عشر (17 م).

وبالرغم من كوننا لانعرف شيئاً عن بداية تعليمه ومكان هذه البداية، فإن عبد الكبير قد يكون أخذ مبادئ القراءة وحفظ القرآن الكريم بقصور بني علي نفسها، وكانت لهذه المنطقة منذ القديم عناية بالتعليم وتحفيظ القرآن الكريم (*العقود الجوهرية*، 14). وبعد ذلك شد الرحال إلى مراكش لطلب العلم، فأخذ عن صالح علماء المدينة أبي العباس العطار (*الإعلام*، 2 : 329) ثم توجه إلى فاس فأخذ عن محمد بن عبد القادر الفاسي، وأثناء عودته من فاس توقف بسجلماسة فأخذ عن عالمها في زمانه عبد الملك التاجموعتي، وكانت خاتمة هذه الرحلة العلمية زاوية تامگروت القريبة من مسقط رأسه، فأخذ عن إبراهيم بن علي السباعي والشيخ أحمد بن ناصر. ويذكر صاحب *الدرر* أن هذه الثلة من العلماء أجازوا عبد الكبير إجازة عامة مما يدل على تحصيله في الفقهيات. وكانت له جولات في النوازل والأحكام الشرعية إذ لانزال اليوم نصادف تعقيباته وتوقيعاته على الرسوم بمختلف واحات درعة.

استقر عبد الكبير بن أحمد في مسقط رأسه بقصر تينْفُو، ثم عين قاضياً بوادي درعة بأمر إسماعيلي سنة 1101 / 1689. وكان قوالا للحق لا يخشى لومة لائم فيما

يصدره من أحكام، وعلى عكس عدد من قضاة درعة فإننا لم نتمكن من العثور ولو على تعقيب واحد على أحكامه، بل إنه كان يعتمد كمرجع وحجة في بعض القضايا التي لها علاقة بالحياة اليومية لسكان واحات درعة، وقد اعترف له معاصروه من علماء درعة بالفضل وسعة الاطلاع، الأمر الذي أهله بعد ذلك ليتولى منصب قاضي القضاة بالوادي (*العقود الجوهرية*، 15).

وظف عبد الكبير علمه وأدبه في تقربه إلى ولاة المخزن على وادي درعة إبان العهد الإسماعيلي، وقد سجل لنا صاحب *الدرر* جملة من القصائد كان التينفُّوي يمدح بها أبناء مولاي إسماعيل أثناء عملهم كولاة على درعة، وبشكل خاص الشريف ابن إسماعيل، وقد توطدت العلاقة بينهما. ولما عُزل الشريف عن ولايته سنة 1114 /1702 ورحل إلى قصبته بواد الرتب بتافيلالت، رحل إلى زيارته عبد الكبير وأنشده قصيدة يمدحه فيها ويندب فيها حظه وما لحقه من عثرات الدهر بعد غياب الأمير.

وبعد حوالي عشر سنوات عاد مولاي الشريف والياً على وادي درعة سنة 1124 /1712، فتعززت مكانة عبد الكبير بين أنداده واعترف له الأمير بجميل وفائه له، فقربه إليه وأصبح لا يفارق مجالسه. وقد أفاض عبدالكبير في مدح الشريف مخلداً أعماله في ضبط الأمن والاستقرار بالوادي طيلة ولايته الثانية التي استمرت إلى عام 1136 / 1723. ومما يدل على ما بلغه من مكانة عند الأمير، أن هذا الأخير كان يعهد إليه للفصل في بعض القضايا ذات الطابع السياسي والاجتماعي. وهكذا تولى الفصل في مسألة مشيخة زاوية تامگروت، بعد وفاة الشيخ أحمد بن ناصر، ذلك أن التقليد المتبع منذ تأسيس الزاوية أن الشيخ يختار قبل وفاته من توفرت فيه الكفاية بقطع النظر عن قرابته، وعلى هذا الأساس عهد أحمد بن ناصر بالمشيخة إلى أحد أكبر أتباعه وهو الحسين الشرحبيلي، إلا أن الناصريين تحزبوا ضده لأهمية الموارد الاقتصادية لزاوية تامگروت ورفعوا أمره إلى الشريف بقصبة إغلان شمال تامگروت، فأمر قاضي القضاة بالفصل في المسألة، فلما حضر الشرجبيلي مجلس الأمير بحضور القاضي عبد الكبير، منعه هذا الأخير من العودة إلى تامگروت وهدده بالضرب بالمنشار وهي أقسى عقوبة تتخذ في حق من يعترض تنفيذ أوامر الأمير. وقد اضطر الشرحبيلي إلى الانتقال من وادي درعة إلى بلاد صنهاجة حيث أسس زاوية أمان مَلْولَن على الطريق الرابط بين وادي درعة وسوس (*المسول*، 18 : 239-243).

توفي عبد الكبير التينفُّوي بمسقط رأسه قصر تينفُّو سنة 1146 /1733.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ محمد بن لحبيب التامنوگالي، *العقود الجوهرية في الأنباء الدرعية*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 2 ؛ م. المختار السوسي، *المسول*، ج. 18.

أحمد البوزيدي

تينْگمرْتْ أو تينغمرت، هضبة بقبيلة بني شيكار (إقليم الناظور) حرّفه الاسبان إلى تانيغما Tanigma ثم إلى تانيما Tanima وأخيراً إلى تاويما Tauima وذلك على إثر احتلال الهضبة من طرف الجيش الإسباني يوم 25 شتنبر 1909 حيث بنوا ثكنة خاصة باللفيف الأجنبي وأنشأوا أول مطار للطيران العسكري بشمال المغرب.

وعند اندلاع الثورة الريفية، تمكن المجاهدون من استرجاع المركز يوم 25 يوليوز 1921، غير أنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ به سوى شهرين.

وعندما قام الجنرال فرانكو بالانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية، كانت حامية تينگمرت هي الحامية الأولى التي انضمت إلى الثورة يوم 17 يوليوز 1936.

ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*.

Nomenclator cabilas, 1953 ; Martinez Campos, *España bélica*.

محمد ابن عزوز حكيم

التِّينْمَسْلاوي، إبراهيم بن علي، نسبة إلى تينْمَسْلاَ أحد مداشر وادي درعة، يقع على ضفته اليسرى، على بعد حوالي خمسة وثلاثين كلم جنوبي أگدز، في مجال قبيلة أيت زيري.

والتينمسلاوي المترجم هو أحد تلامذة الشيخ أحمد بن مَحمد ابن ناصر الدرعي، اشتهر في تلك المنطقة بعلمه ومتابعته للطريقة الناصرية، ويتضح من ترجمته أنه كان كثير التنقل لمواصلة إخوانه في الطريقة (*الدرة الجليلة*، 223-224).

لم يستطع الخليفتي تحديد تاريخ وفاته، ويبدو وأنه توفي بعد سنة 1182 / 1769.

مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة*، تح. أ. عمالك، 1986.

أحمد عمالك

تينْمَلْ، قرية صغيرة تقع وسط المجرى الجبلي لنهر نفيس، أحد روافد نهر تانسيفت. وهي على بعد حوالي مائة كلم جنوب غرب مراكش، على الطريق التي تربطها بتارودانت عبر الممر الجبلي تيزي ـ نْ ـ تاسْتْ. وتبعد بضعة كيلومترات فقط من المركز الإداري الحالي : تالاتْ ـ نْ ـ يعقوب، ومن زاوية تاسافت ومن قلاع القائد الگونتافي ومنازله. وبها بقايا مسجد تينملْ الموحدي الذي اهتمت بعض الشركات بترميمه في السنوات الأخيرة.

ارتبطت شهرة "تينمل" بظهور زعيم الموحدين محمد بن تومرت وتكوين الدولة الموحدية، إذ كانت مركز انطلاق حركتهم ضد المرابطين، وأصبحت بعد تأسيس دولتهم ونزوحهم إلى عاصمتهم مراكش مدينتهم المقدسة التي يحج إليها ملوكهم وأنصارهم باعتبارها رمز التأسيس وموطن أضرحة المؤسسين.

ورغم شهرة تينملْ وكثرة ورودها في كتب التاريخ

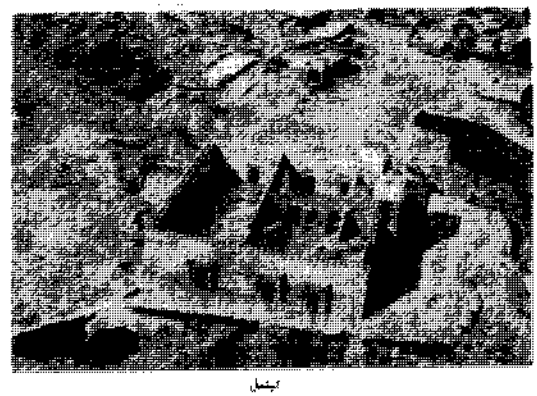

تينملل

اختلف المؤرخون في شكل كتابتها، فقد كتبها البيذق :تينملل" وكذا ابن القطان وابن خلدون، وكتبها الإدريسي تانفللت، ويبدو أنه انفرد بكتابتها بهذا الشكل. وكتبها صاحب *الحلل الموشية* "تينمال" وكتبها مؤلف كتاب *الروض المعطار* "تامللت".

أما ابن صاحب الصلاة، فقد كتبها مرة متصلة ومرة منفصلة على الشكل التالي : "تنملل" أو "تين ـ ملل". وكتابتها على هذا النحو الأخير جعل البعض يميل إلى الاعتقاد بأن الكلمة مركبة من "تين" و"إيميلال"، ومعناها : ذات المدارج. لأن كلمة "ءامياليل" وجمعها "إيميلال" تعنى الجوانب المبنية من المدرجات الزراعية المعروفة في المناطق الجبلية.

أما ابن عذاري، فقد كتبها هكذا : "تينمل" والنسبة إليها : التينملّي:، ونسب إليها صاحب *التشوف* بنفس الشكل، وكتبها مؤلف كتاب *الاستبصار* "تينمل، وكتبها حسن الوزان "تينمل" بلام مشددة، وعلى هذا المنوال كتبها صاحب *رحلة الوافد*، وكذلك ينطقها سكان المنطقة حالياً.

وأعتقد أن النطق الصحيح للكلمة هو "تِينْمِيلاَّلْ" وأنها ليست مركبة، بل هي كلمة واحدة وأنّ معناها هو المزار أو الحج والحَرَم والحُرمَة، وأن هذا المعنى لم تكتسبه بمجيئ ابن تومرت إليها، لأن تنميلاّل كانت موجودة قبل الحركة الموحدية. فدورها كمكان مقدس تعقد فيه العقود والعهود بين القبائل المجاورة ربما كان بارزاً قبل القرن السادس (12 م) ولايستبعد أن يكون دورها هذا من أهم الدوافع التي جعلت ابن تومرت يختارها لتكون نقطة انطلاق سعيه لتوحيد مصامدة جبل دَرْنْ.

كانت تِينْمِيلاَّلْ في وسط بلاد إيزْمِيرَنْ أو هزميرة الذين كانوا منتشرين في حوض نهر نفيس جبلا وسهلا. ويبدو أن هؤلاء هم الذين استقدموا ابن تومرت إلى تِينْمِيلاَّلْ في بداية أمره. وقد روى ابن القطان قصة هَزميرَة مع ابن ترمرت هكذا : "وقال اليسع في استيطان الإمام المهدي رضي الله عنه لِتِنْمِلَّلْ : أن أهل مدينة تِينْمِلَّلْ بعثوا رسلهم إلى الإمام المهدي رضي الله عنه يعلمونه بطاعة هزميرة الجبل وان مجيئه وسكناه عندهم أصلح له، وأقرب من تسامع الناس به، فرحل إليهم رضي الله عنه بجميع من أطاعه، وحصل بتِنْمِلَّلْ وأكرمه أهلها، وأنزلوه في المدينة وأضافوه وأطاعوه وبايعوه، فرأى من كثرتهم ومنعة موضعهم وحسن بلدهم ما راقه. فكان يخرج إلى الشريعة خارجَها ويجلس على حجر مربع أمام محراب الشريعة، فيعظ الناس. وكانت هزميرة يسكون العدة. فقال لهم الإمام يوما : ما لكم تمسكون العدة وأصحابنا إخوانكم الموحدون أعزهم الله تعالى لا يمسكونها ؟ فأقاموا على ترك عدتهم زمانا، وقد كان الإمام ـ رضي الله عنه ـ خاف من جهتهم لكثرتهم ومنعتهم، وكوشف من حالهم بما اقتضى له تدقيق النظر في أمرهم، فوصلوا في بعض الأيام إلى الوعظ دون عدة ؛ فما شعروا إلا وأصحابه الموحدون أعزهم الله تعالى ورضي عنهم معهم العدة قد أحاطوا بهم فقتل منهم في ذلك اليوم نحواً من خمسة عشر ألفا. وقتل من ذلك القبيل كل من حضر في ذلك اليوم بتِنْمِلَّل، وسبى حرمهم وغنمت أصولهم فقسم أرضهم وكرومهم بين الموحدين من أصحابه، وأصفى ديارها جوائز جوائز، لكل قبيلة جائزة، ثم أدار على المدينة سوراً أحاط بوهدتها، وبنى على رأس الجبل سوراً، وأفرد في قنته حصناً يكشف ما وراء الجبل".

ومنذ هذه الحادثة التي يصعب الشك في وقوعها رغم الغلو المحتمل في عدد قتلى هزميرة، أصبح سكان وادي نفيس خليطاً من قبائل سوس التي ناصرت ابن تومرت منذ بداية أمره.

بقيت تِينْمِيلاَّلْ مدينة عامرة طيلة عهد الدولة الموحدية، متوفرة على مسجد فريد من نوعه في المنطقة الجبلية، ذلك الذي بناه عبد المومن بن علي بعد انتصار الموحدين على المرابطين. غير أنها تراجعت بعد تخريبها من قبل المرينيين في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق عام 674 / 1275.

وقد أفادنا كتاب *رحلة الوافد* بجملة من المعلومات النادرة عن آثار مدينة تِينْمِيلاَّلْ في القرن الثاني عشر (8ام) من ذلك أن مسجد تِينْمِيلاَّلْ كان لا يزال مسجداً جامعاً وكانت به خزانة من الكتب يرجع عهدها إلى العهد الموحدي الأول (ص. 60) وأن سور المدينة كان يمتد جهة الشرق إلى فحص تاسافت أي على الضفة اليمنى لنهر نفيس (ص. 63). وهذه مقتبسات مما كتب عن المدينة : "وكانت الدور متصلة البناء من ناحية المغرب إلى بلدة بني عثمان، وإلى وادي أُكُدْمْتْ، ومن ناحية الجوف إلى مشرق الاعتدال، إلى بلدة إِكْرْسَافْنْ فما فوق، وإلى تاسافت وبحيرة السلطان. ومازال الناس الآن يجدون أثر ذلك في البناء الدائر وقبور منسية دون المقبرة العظمى التي بإزاء السور هناك، ودراهم سكتهم (الموحدين) عند نزول الصب والمطر الوابل يجدونها مربعة (...)، وهي مكتوب فيها : الله ربنا ومحمد رسولنا والمهدي إمامنا، والوجه الثاني : لا إله إلا الله الأمر كله لله، بخط مرقوم حسن، قد شاهدناه، وتتبرك الناس به وبعلاقته للأكابر والصبيان، ويجعلونه في

الأمتعة وأوعيتهم وأكياسهم (ص. 155).

وتعجبت من ذلك البناء الذي بسورها (تينْمِيلاَلْ) من ناحية باب الرواح، كأنه مبني هناك، وما بقي في المسجد بالأمس : بنيان مرصرص متقون لم أقف على مثله بفاس ومراكش والقاهرة المصرية (...) ولم يبق الآن من الديار بتينملّ إلا نحو من ستين كانونا (ص. 156).

"... وكان مسجد هناك بباب الرواح عند سور تينملّ بخارج بابه مقبرة، مازال الناس إلى الآن يتبركون فيه..." (ص. 158).

"... وأما دار الملك هناك، لم يظهر أثرها، لأن عدوهم حين سلطه الله عليهم، من ملوك بني مرين، بعد انصرام دولة الموحدين، خرب وادي نفيس كله. وهدم الديار على أربابها هناك بتينملّ. قد ذكر لي بعض من لقيته من أهل مدينة تينملّ أنهم وجدوا في مدة الشيخ يحيى واكْرِيم، في دار فوق البلد داثرة عظام امرأة بإزاء رحى وبيدها سوار من النحاس الأصفر باق من ذلك الوقت إلى الآن..." (ص. 159).

"... وأول زيارتي لصالحي مدينة تينملّ والورود على بابهم المنيف، كان عام أحد عشر بعد المائة والألف (1700 م)..." (ص. 173).

"... ولما أشرفنا على المدينة (أرسل معه أبوه أحد أتباع زاويته) من ناحية ثنية موضع يقال له أسْقِمُ، فيه هناك مقبرة قديمة، وزرنا من بها من الصالحين، واستقبلنا حينئذ المقبرة الكبرى بعدوة وادي نفيس، التي الآن بقرب سور المدينة عند الطريق، وتوسلنا بصالحيها ومن فيها من العلماء العاملين وساداتنا الأشراف، وأراني موضعهم ومقبرتهم في أعلى المقبرة العظمى، وقبور الموحدين على يمين مصلى من ناحية الجبل، وفي وسطها بيت المرابطة يقال لها تَعْزّى بنت ناصر (...) وأراني مسجد الإمام ومناره وبقية ديار تينملّ وأجنتها الحسناء..."

"... ودخلت المسجد وتعجبت من حسنه ورونق صنعته، وله ستة أبواب، ثلاثة مفتوحة لشرق البلد ولناحية السور، وثلاثة أخرى مفتوحة لناحية غربها مما يلي ربوة البهوميين، وفيها أربع قبب في زواياها كلها، في غاية الحسن والصنعة المتقفة (...) ولم يبق إلا (الصف) الأول صالحاً مع قبتين الغربية والشرقية، واندرس غيرهما..." (174).

وفي عصر مؤلف *الرحلة* أشاع بعض الناس خبر انحراف قبلة مسجد تينملّ، فهجره المصلون، مما ساعد بدون شك على تدهور بنيانه منذ ذلك الوقت ..

تحدثت كل كتب التاريخ التي تضم أخبار الموحدين بشكل أو بآخر عن تينملّ. وقد انفردت *رحلة الوافد* لعبد الله التاسافتي بإعطاء وصف مفصل عن المدينة ومسجدها في القرن الثاني عشر (18 م). وقد كتب عنها كذلك دارسون أوربيون مثل هانري طيراس في مجلة *هسبيريس*، ولاووست في كتابه عن *الطوبونيميا في الأطلس الكبير*.

علي صدقي أزابكو

تِينُودادَنْ، معدن نحاس كان موقعه على الطريق التجاري الرابط بين سجلماسة ومدينة تيومتين حاضرة درعة (انظر مادة *تيومتين بالعلمة*) ويبعد عن هذه الأخيرة بثلاث مراحل وعن سجلماسة بمثل ذلك، فهو يتوسط المسافة بينهما، فمن تيومتين إلى تامجائت مرحلة، ومنه إلى أمان تيسن (ومعناه الماء المالح) مرحلة، ومنه إلى تينودادن (أي ذات الأياييل) مرحلة ومنه إلى أجروا مرحلة، ومنه إلى تونين ن وگلّيد (أي آبار الأمير) مرحلة، ومنه إلى أمان يسيدان (أي ماء النعام) ومنه إلى إجران وُوشان (أي فدان الذئب) إلى أمرغاد مرحلة. وأمرغاد آخر بساتين سجلماسة ومنها إلى سجلماسة ستة أميال (البكري، *المغرب*، 156).

حاولنا توطين معدن تِينُودادَنْ حسب وصف البكري وما توفره الخرائط الحديثة من معلومات، وخلصنا إلى أن منجم النحاس الذي تم استغلاله في القرن الخامس (11 م) واشتهر باسم تينودادن وهو منجم النحاس الذي مازال يستغل حتى يومنا هذا ويعرف باسم أم الجران ويقع في مجالات أيت واحليم حسب الخريطة الإدارية لإقليم الرشيدية 1/ 500.000 عند خط طول خمس درجات وست دقائق (5 و6) غرب غرينيتش وخط عرض ثلاثين درجة وثلاث عشرة دقيقة واثنتي عشرة ثانية (30 و13 و12) شمال خط الاستواء (خريطة إقليم الرشيدية 1/ 500.000).

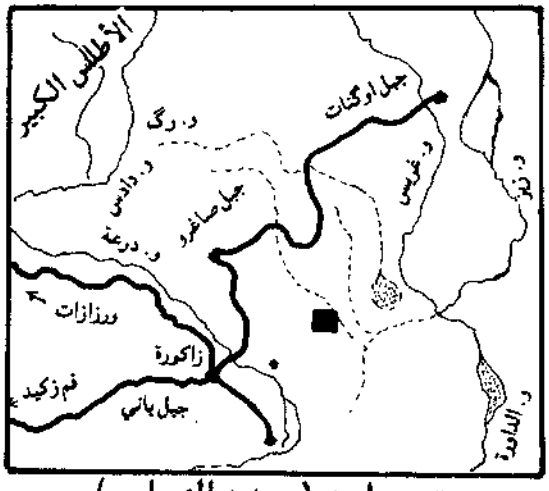

تينودادن (معدن النحاس)

إن الذي دفعنا إلى تحديد موقع تِينُودادَنْ في أم الجران الحالية هو تطابق المسافة التي ذكرها البكري بين سجلماسة وهذا المنجم مع المسافة الحالية الفاصلة بين أم الجران والريصاني. فالرحلة بين سجلماسة وتينودادن كانت تتطلب مسيرة ثلاث مراحل وستة أميال أي حوالي مائة وخمسة كلم وهي نفس المسافة التي تفصل أم الجران عن الريصاني عبر مصيصي وادي رگ ووادي حصية. وهذه المسافة، كما هو معلوم، تقل بخمسة وثلاثين كلم عن مسافة الطريق الحالي الرابط بين الريصاني وأم الجران عبر مصيصي، أشبارو ألنيف، أيت سعدان والحزيان ثم أم الجران (انظر الخريطة). ومرد ذلك إلى كون هذا الطريق لايمر بمجاري

الأودية الصحراوية كما كان الأمر في العصر الوسيط لما كانت القوافل تسير عبر هذه المجاري لما توفره من أعشاب ومصادر ماء بل يحاذيها بغرض المرور بجميع المراكز القروية الحالية كأشبارو والنيف وأيت سعدان ومنها إلى تَزارين فتيزي ـ نْ ـ تافيلالت فزاگورة أي أنه يخترق حمادة گم گم ويتبع السفوح الجنوبية لجبال أوگنات وجبل صغرو (*خريطة المغرب الطريقية* 1/ 1.400.000).

وتبعد أم الجران عن زاگورة بحوالي أربعة وثمانين كلم عبر تيزي نْ تافيلالت وتيسيمونين. وتصل هذه المسافة إلى مائة وستة وعشرين كلم عبر الطريق الرابط بين زاگورة والريصاني عبر تيزي ن تافيلالت، علي وحسو، تازارين، أيت سعدان، الحزبان فأم الجران. (*خريطة المغرب الطريقية* 1/ 1.400.000).

أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ *الخريطة الإدارية لإقليم الرشيدية* 1/ 500.000، 1977 ؛ *خريطة المغرب الطريقية* 1/ 1.400.000، 1980.

حسن حافظي علوي

تينيا لونگا Taenia Lounga، من المواقع القديمة بالشاطئ المتوسطي لموريطانيا الطنجية، وطنها الجغرافي بطليموس بإحداثيات 9°30'-35°45'. لكن، تُلاحظ المبالغة في توطينها، حيث جُعل خط عرضها يفوق خط عرض أبيلا Abyla أو سبتة 35°40'. وتوجد ما بين موقع رأس Cap 9°, 34°55'، وموقع راس سيستياريا Cap Sestiaria, 35° 10°. كما أنها تشكل النصف الغربي من الشاطئ المتوسطي لموريطانيا الطنجية.

المصطفى م. رشيد، موروزيا، أبحاث في الجغرافيا التاريخية للمغرب الأقصى القديم، بوزاشان (فرنسا) 1987 ؛ *والمغرب الأقصى عند الاغريق واللاتين*، الدار البيضاء، 1992.

المصطفى م. رشيد

التيهرتي، أحمد بن فتح ابن الخراز، أصله من تيهرت بالمغرب الأوسط، وولي قضاءها. وكان شاعراً راوياً للأخبار، هاجر إلى المغرب الأقصى فتنقل بين مدنه، ودخل مدينة فاس، ولا ندري ما هي الأسباب التي دفعته إلى أن يهجو أهلها هجاءً مقذعاً.

ثم انتقل إلى مدينة البصرة، واتصل بأميرها ابن أبي العيش عيسى بن إبراهيم ابن إدريس الثاني، ومدحه في قصيدة مطلعها :

ما حاز كل الحسن إلا قبنة بصرية في حمرة وبياض

وولي بعد ذلك قضاء مدينة مليلة، ثم دخل الأندلس سنة 325 / 937 لما زحف عسكر بني عبيد إلى المغرب، وقدم على عبد الرحمن الناصر الأموي بقرطبة مستجيرا فأجاره، وأعاده إلى قضاء مليلة وبها توفي عام 332 / 3 . 944.

ابن الفرضي، *تاريخ العلماء والرواة بالأندلس*، القاهرة، 1966، ص. 61 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، بيروت 1984، 1 : 103 ؛ أبو عبيد البكري، *المغرب*، طبعة باريس 1965، 110 ـ 117 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، بيروت، 1 : 440 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي*، الرباط، 1979، 2 : 287.

محمد المغراوي

التيهرتي (الثائر بسوس) ← **التاهرتي**

تيولي أو تيولْ، مكان يوجد جنوبي مركز تامصلوحت (جنوب غرب مراكش) في اتجاه جبال سكتانة، وحسب المعلومات التي تقدمها الوثائق المحلية، كانت هذه المنطقة صغيرة المساحة لكنها تتوفر على خصائص طبيعية متنوعة، منها انبساط أرضها وجودة مياهها وموقعها الوسطي بين منخفض تامصلوحت وجبال سكتانة. ظهرت أهميتها حين امتد نفوذ الزاوية المصلوحية إلى أراضي القبائل السكتانية.

وتعتبر النفرة التي وقعت في منتصف القرن العاشر (16 م) بين ولي من أولياء سكتانة وشيخ زاوية تامصلوحت من الأسباب التي جعلت ذكر هذه المنطقة يتكرر في الوثائق المحلية.

ومبعث هذه النفرة أن الولي السكتاني عارض بشدة مد نفوذ الزاوية إلى منطقة تيولي التي اعتبرها جزءاً من أراضي قبيلة ام احجارن السكتانية. والظاهر أن تلك المنطقة لم تكن مستغلة زمن ضمها إلى عقارات الزاوية المنافسة، بدليل أن شيخ هذه الزاوية آنذاك (عبد الله بن حسين الأمغاري الولي الشهير) اعتمد على حالة أرضها المتعطشة ورغبته في إنعاشها، كحجج لإسقاط مطالب الولي السكتاني، إضافة إلى كون الزاوية كانت متمسكة بعقد شراء أرض تيولي من أصحابها الأصليين. وقد أثبتت بعض القرائن أنهم ربما كانوا من إحدى القبيلتين المساندتين للزاوية المصلوحية، وهما قبيلة بني مداس المصمودية وقبيلة لعكاكرة المجهولة الموقع.

إن استغلال قطاع تيولي بصورة منتظمة منذ منتصف القرن العاشر (16 م) يبين مدى التنامي المبكر لنفوذ الزاوية المصلوحية ـ الحديثة التأسيس ـ في منطقة لم تكن لها بها صلة فيما سبق، لأن نفوذ الامغاريين أسياد تامصلوحت الجدد ظل محصوراً في منطقة الجنوب الشرقي المغربي. كما أن التمسك بنفس القطاع سيعزز مكانة الزاوية أمام مضايقات القبائل السكتانية وحرصها على حصر نفوذ الزاوية ضمن محيط تامصلوحت الضيق.

لقد خرجت الزاوية المصلوحية من صراعها هذا منتصرة، بل تمكنت في ظرف وجيز أن تفرض نفسها كزاوية مهيمنة على سائر القبائل المجاورة لها، ومن ضمنها قبائل سكتانة، التي أسست بأراضيها، السهلية منها والجبلية، فروعاً لها، كانت أكثرها نفوذاً زاوية كيك التي شيدها المولى إبراهيم ابن أحمد الأمغاري، حفيد مؤسس زاوية تامصلوحت.

وثائق الزاوية المصلوحية ؛ *خريطة تامصلوحت الطبغرافية*، مقياس 1/ 50.000.

محمد المازوني

تيومْتينْ، حاضرة درعة وقاعدتها في القرن الخامس (11 م). كانت مبنية على مشرف من الأرض حتى لا تأتي عليها فيضانات وادي درعة في فصلي الشتاء والربيع. وهي عاصمة إدريسية حكمها علي بن أحمد بن إدريس بن يحيى بن إدريس الأزهر، وبها مسجد جامع وأسواق ومتاجر (البكري، *المغرب*، 155).

لا نعرف المكان الذي وجدت به هذه المدينة بنوع من التدقيق، غير أن إشارة البكري إلى أن وادي درعة يقع بقبليها وأن جريانه بمجالاتها من الشرق إلى الغرب جعل لوسار J.M. Lessard يحدد موقعها إلى الجنوب من منعرج وادي درعة ما بين زاگورة وتاگونيت.

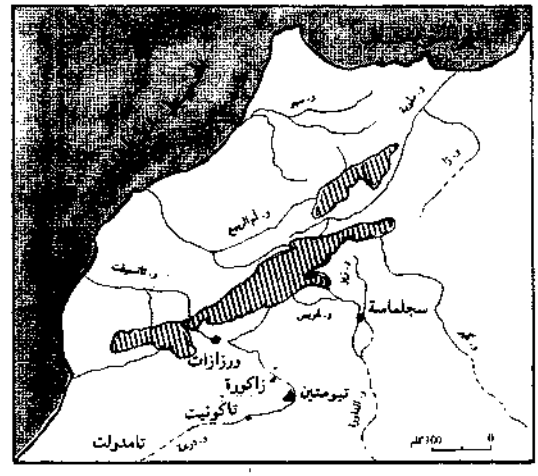

تتطابق الأوصاف التي خص بها البكري تيومْتينْ مع الأوصاف التي وردت في المصادر الجغرافية اللاحقة عن مدينة بنفس المنطقة عرفت بأسماء مختلفة كاسم درعة وتافرسيت التي خربت في القرن السادس (12م) (*الاستبصار*، 206 ؛ الحميري، 235 ؛ الزهري، 117) وقرى بني صبيح التي آل إليها النشاط التجاري في تلك الجهات في القرن العاشر (16 م) *وصف افريقيا* (2 : 119) وانظر تعليق المحقق هامش رقم : 8 من نفس الصفحة). وتجب الإشارة هنا إلى أن الإدريسي الذي نفى وجود أية حاضرة بوادي درعة أشار في معرض حديثه عن مدن السوس الأقصى إلى مدينة يشبه رسم حروفها رسم كلمة تيومتين. ويتعلق الأمر بمدينة تيويوين ثاني أهم مدينة بالسوس الأقصى بعد تارودانت (الإدريسي، 40). ولاندري إن كانت هذه الإشارة تخص مدينة تيومتين أو مدينة أخرى غيرها نجهل كل شئ عنها.

إن تعدد أسماء حاضرة درعة يدفع إلى القول بأن مركز الثقل الاقتصادي بمجالات وادي درعة عرف تغيرات مهمة مع الزمن تبعاً للنفوذ السياسي المحلي واتجاه الطرق التجارية الرابطة بين سجلماسة وتامدولت من جهة، وبين سجلماسة وأغمات ثم مراكش من جهة ثانية، وهذا ما يبرره الاختلاف في التسمية الذي نجده في المصادر الجغرافية بين زمان البكري وزمان الوزان.

تبعد مدينة تيومتين عن سجلماسة بحوالي ست مراحل ذكرها البكري على الشكل التالي : من تيومتين إلي تامجاثت ومنها إلي أمان تيسن ومنه إلي تنودادن ومنه إلى أجروا ثم تونين ان وگليد فأمان يسيدان ثم إجران ووشان ثم إمرغاد ومنه إلى سجلماسة ستة أميال (*المغرب*، 156). كما تبعد عن تامدولت أيضاً بنفس المسافة (*المغرب*، 167) وهي بذلك تتوسط الطريق الرابط بين المدينتين الذي كان يستعمل من قبل التجار المتجهين إلى غانا.

أ. البكري، *المغرب*، باريس، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، تح. سعد زعلول، عبد المجيد، الدار البيضاء، 1985 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1984 ؛ الزهري، *كتاب الجغرافية*، محمد حاج صادق، بورسعيد، بدون تاريخ ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية، الجزء الثاني، بيروت، 1982.

حسن حافظي علوي

تيوي، فاطمة بنت أحمد، مقاومة من مدينة تازا. ولدت سنة 1339 / 1921 بدوار أخندوت (إقليم تازا). انضمت لصفوف جيش التحرير غداة تأسيسه بالشمال. قامت تيوي فاطمة بكل الأعمال التي من شأنها أن تخفف آلام جرحى جيش التحرير، كما كانت تهيئ الطعام للمجاهدين. استشهدت هذه المناضلة بتاريخ 2 ربيع الأول عام 1375 / 12 أكتوبر 1955 نتيجة القصف الجوي الذي قامت به الطائرات الاستعمارية ضد مراكز تجمع المجاهدين.

وثائق المندوبية الاسلامية للمقاومة كتاب الشهداء.

عز الدين العلام

تيويزي ← **التويزة**

تيويوينْ، بمعنى الإماء. مفرده تاوايا أي الأمة. وهي حاضرة قديمة بسوس، ذكرها الإدريسي عند حديثه عن الصراع المذهبي في سوس حيث ذكر أن أهل تارودانت مالكيون وأهل تيويوين شيعيون. (*نزهة المشتاق*، ص. 79). أما مكانها فبالقرب من تارودانت دون تحديد. ولربما انتقل الشيعيون الذين كانوا بتارودانت إلى تيويوين بعد حصار عبد الله بن ياسين لتارودانت. وفي فترة الصراع بين المرابطين والموحدين، نجد المرابطين بتيويوين إلى أن انتصر عليهم الموحدون.

ولما ثار علي ابن يدر على الموحدين كان ينزل في مركزه بتانصاصت وفي تيويوين. ولا ندري متى اختفت تيويوين، حيث إن صاحب *وصف إفريقيا* لم يذكرها.

ش. الادريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*.

محمد حنداين

التيّارات البحرية. تتميز المحيطات بشكلين من التحركات : التحرك الأول لايمثل تنقلاً لحجم الماء ولكن فقط حركات منتظمة ودائرية، يندرج ضمن هذا الصنف الأمواج وتيارات المد والجزر. يتجسد التحرك الثاني على

شكل تنقل لأحجام مائية، ويمثل هذا الصنف التيارات البحرية.

والتيارات البحرية أشكال، منها تلك التي تنقل المياه الباطنية ببطء مساهمة في إعادة توازن الحرارة والكثافة بين المحيطات، ومنها التيارات السطحية المتميزة بسرعة عالية والتي تحدد اختلاف الحرارة والملوحة. لهذه التيارات الأخيرة تأثيرات واضحة على مناخ القارات وعلى توزيع الحياة البحرية.

تصنف التيارات البحرية، حسب أصل نشأتها إلى أنواع أهمها :

- تيارات الدفع Courants d'impulsion : تنشأ بفعل قوة الرياح.

- تيارات التوازن Courants de compensation : تنشأ بالضبط في حالة وجود تيارات الدفع : تُعَوَّضُ المياه المدفوعة بقوة الرياح كي تملأ الفراغ المائي في المجال الذي تهب منه الرياح. ويمكن أن ندرج، ضمن هذا الصنف، التيارات البحرية المتحركة بفعل الاختلافات في الحرارة والكثافة.

- تيارات التصريف Courants de décharge : تنشأ بفعل الاختلاف في مستويات البحار والمحيطات.

يقدر طول السواحل المغربية الشمالية والغربية بـ3000 كلم. وتشهد هذه السواحل تيارات بحرية يرصد أهمها بمياه المحيط الأطلنتي.

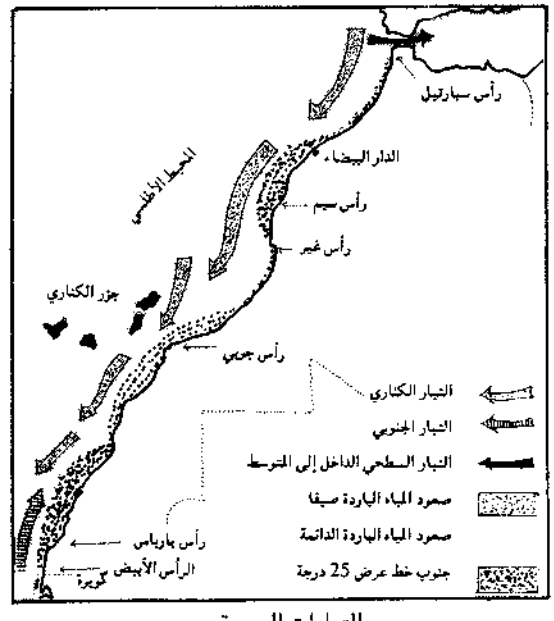

التيارات البحرية

تنتج تيارات البحر المتوسط عن تبادل المياه بين البحر المتوسط والمحيط. هذا التبادل وليد الاختلاف بين مياه الحوضين من حيث الكثافة والمستوى : يفتقد البحر المتوسط على شكل تبخرٍ مياهاً تفوق تلك التي يتوصل بها عن طريق الأنهار. وينتج عن نقص مستوى مياهه، عند ممرّ جبل طارق، امتصاص للمياه، يُعوّض هذا الامتصاص جزئياً، بتيار باطني من المتوسط نحو المحيط. يتحقق هذا التبادل عموماً على الشكل التالي :

- تدخل إلى البحر المتوسط، وبسرعة تتجاوز 150سم / ث، كمية من مياه المحيط السطحية (سكمها حوالي 100 م) الدافئة والأقل ملوحة.

- ترجع إلى المحيط وبسرعة متوسطها 5 سم / ث، مياه متوسطية عميقة، باردة، مالحة ومرتفعة الكثافة.

- توجد بين كتلتي المياه الداخلة والخارجة من البحر المتوسط طبقة تختلط فيها المياه جزئياً وحيث تسجل حرارة وملوحة انتقاليتان. تبقى طبقات المياه الثلاث هذه متميزة حتى داخل بحر البوران.

تنقسم المياه المتوسطية بعد وصولها إلى المحيط إلى فرعين : الأول يتوجه إلى جنوب السواحل البرتغالية والثاني يسير بمحاذاة شمال السواحل المغربية.

تيارات المحيط : يمكن التمييز بين ثلاثة تيارات داخل هذا المحيط : الشمالية والجنوبية وتيارات المياه الصاعدة (انظر الخريطة).

1 - تنقسم المياه القادمة من وسط شمال الأطلنتي (تيار الخليج) والمتجهة نحو الجنوب الشرقي إلى مجموعة فروع من بينها تيار الكناري الذي يهم السواحل المغربية سرعة هذا التيار هي 0.2 م / ث.

2 - على طول السواحل الموريطانية والسينغالية، تصعد مياه وسط جنوب الأطلنتي (تيار غينيا المعاكس) الدافئة والقليلة الملوحة، لتلتقي مع مياه وسط شمال الأطلنتي في منطقة الكويرة. وينشأ عن هذا اللقاء تيار عكسي شبه سطحي يسمح بصعود هذه المياه حتى حوالي خط عرض 25 درجة شمالا.

3 - تحت تأثير رياح الصابيات ودوران الأرض، تتأثر مجموعة من الشواطئ المغربية بصعود المياه العميقة والباردة. حرارة هذه المياه الصاعدة من أعماق تتراوح بين 100 و300 م، وهي منخفضة مقارنة بحرارة المياه السطحية، الشيء الذي يؤدي إلى رصد شذوذ حراري أينما صعدت. ويلاحظ صعود هذه المياه على طول الساحل الإفريقي الممتد بين خطي عرض 12° و35° شمالاً.

تصعد المياه الباردة بالنسبة للمغرب، قرب رأس سبارتيل، في عرض المياه المقابلة لسهل الغرب وخصوصاً بين أسفي والكويرة. صعود هذه المياه متأثر بمرفلوجية الساحل، وبطغرافية الرّصيف القاري وبتنقلات المرتفع الأصوري. ونظراً لهذه المؤثرات الجغرافية، لاتصعد المياه الباردة في كل المناطق وفي نفس الوقت، ترصد على طول السنة بين خطي عرض 20° و25° درجة شمالاً، بينما لاتصعد صيفاً إلا شمال خط عرض 25° درجة.

تتميز التيارات البحرية، وخصوصاً منها صعود المياه الباردة، بغناها من حيث علق البحر النباتي والحيواني. هذا العنصر يفسر كون المنطقة المغربية المنحصرة بين الرأس الأبيض ورأس بوجدور، مجال الصعود الدائم للمياه

الباردة، متميزة من حيث ثروتها السمكية والرخويات والقشريات.

A. Bayed, *Le milieu marin, G.E.M., Géographie physique*, pp. 46 - 50, 1987 ; A. Guilcher, *Précis d'hydrologie marine et continentale*, Paris, 1965.

عبد المالك السلوي

التَّيَّال، أسرتان تطوانية وسلوية. أما التطوانية فأصلها من فرقة بني تليل بقبيلة الأخماس، كانت بتطوان إلى حدود سنة 1219 / 1804 حيث انقرضت، وكان من بين أفرادها الفقيه أحمد بن عبد المومن التيال الذي كان يتعاطى العدالة من سنة 1214 / 1801 إلى سنة 1216 / 1802، والفقيه عبد الرزاق بن عبد الله التيال الذي كان مفتيا سنة 1257 / 1840، غير أن أشهر رجل من هذه الأسرة هو الولي الصالح سيدي يوسف بن يامون التيال الملقب بالتليدي والمتوفى بتطوان سنة 1024 / 1615، وقبره يوجد بضريح سيدي السعيدي، ولا علاقة له بالولي الصالح سيدي يَسُف ابن الحسين التليدي صاحب الزاوية المنسوبة إليه بفرقة بني تليد من قبيلة الأخماس.

أما أسرة التيال السلوية فهي عريقة في هذه المدينة أنجبت كثيراً من الفقهاء والمدرسين والعدول والمجاهدين خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر (19. 20 م) وكان بعض أفراد هذه الأسرة ضمن الطلبة الذين بعثهم الحسن الأول إلى إيطاليا أواخر القرن الماضي قصد التكوين.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 : 33 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 329.

Cagigas, *Familias*.

محمد ابن عزوز حكيم

التيال، أحمد بن عبد الله السلوي. قرأ القرآن الكريم وبعض المتون على شيخه الأستاذ عبد الله بن سعيد، وكان سنة 1278 / 1861 من عدول سلا وفقهائها، علّم في كتّاب الفقيه التيال بدرب ابن شعبان بحي الطالعة بسلا. وعليه تخرج عدد من أهل سلا وأعيانها. ولم أقف على تاريخ وفاته.

التيال، الطيب بن محمد، كان فقيهاً مؤدباً تعلم عليه جماعة من أهل سلا، منهم مؤرخ سلا محمد بن علي الدكالي. ولم أقف على تاريخ وفاته، إلا أنه كان حياً في أواخر القرن الثالث عشر (19 م).

التيال، عبد الله. طالب سلاوي تعلم اللغة الأجنبية والمبادئ العلمية بطنجة قبل توجهه إلى إيطاليا لإتمام تعليمه هناك سنة 1306 / 1888. وقد درس العلوم العسكرية بالمعهد الدولي الإيطالي بمدينة طورينو، ثم التحق بمدرسة المشاة بمودينا. ولما أتم دراسته سنة 1315 / 1897 وعوّل على الرجوع إلى وطنه وافته المنية هناك بعد مرض قصير. كان عبد الله التيال من أنجب الطلاب كما رواه زميله في الدراسة الحسين بن محمد الزعري السلاوي.

التيال، محمد المعروف بالتيال **الكبير** ولعله صاحب الكتّاب المعروف بمسيد *الفقيه التيال* برأس درب ابن شعبان، تعلّم عليه جماعة من أهل سلا، مثل الحاج محمد ابن الحاج محمد السدراتي قاضي سلا المتوفى سنة 1330 / 1912، ولم أقف على تاريخ وفاته.

التيال، محمد بن مَحمد السلوي. فقيه ملازم للتدريس كان عدلا بمرسى الدار البيضاء سنة 1276 / 1859، ثم صار عدلا بمرسى العدوتين. وكان بقيد الحياة سنة 1292 / 1875.

عبد الهادي العسري، *كناشة في شؤون بحارة العدوتين*، ميكروفيلم، خ. ع. رقم 1409 ص. 77 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ م. بوشعراء، *التعريف*، 1 : 30. 41 ؛ 2 : 54، 57 و150 و185 و30 و40 و58 ؛ *ذيل الاتحاف الوجيز*، ص. 155. 188 ؛ *الاستيطان والحماية*، 4 : 1336 و1378 و1360 ؛ م. الطيب العلوي، *دعوة الحق*، ماي 1978.

مصطفى بوشعراء

تيبُوتْ، مدينة واقعة بالجنوب الشرقي من تارودانت تبعدُ عنها بحوالي ثلاثة عشر كلم على ضفة أحد روافد واد سوس، وكائنة كذلك شمال مناجم نحاس تاتاوت على بعد حوالي ثمانية كلم (*الخريطة الطبوغرافية* : *تارودانت*) وهي منفذ نحو إغرم وتازلاغت، وتشكل بذلك محطة لولوج جبال الأطلس الصغير. كما أن موقعها الجغرافي بين مناجم النحاس وعاصمتي سوس القديمتين إيگلي وتارودانت، أعطاها دوراً أساسياً لتصنيع وتصريف نحاس الأطلس الصغير، وعلى الخصوص مناجم تاتاوت وتالاتْ نْ وَمَانْ.

لم يرد ذكر تيبُوت في المصادر الجغرافية العربية القديمة، ولأسباب متعددة برز دور تيبُوت بالأساس في القرن العاشر (16 م)، الشيء الذي جعل الحسن الوزان يوليها أهمية في كتابه *وصف افريقيا*، وجاءت مكتوبة في طبعة الرباط بشكل تيبّوت. يذكر الوزان أنها مدينة سهلية متكونة من ثلاثة أقسام يبعد كل قسم منها عن الآخر بحوالي ميل وتكون شكلاً مثلثاً، وبها ساكنة مهمة يحددها الوزان في ألف كانون، وأنها قريبة من نهر سوس، وتعرف زراعات القمح والشعير والخضر وقصب السكر الذي كان ينتج بكثرة في هذه المدينة، وحسب الحسن الوزان، فإن تجار فاس ومراكش وبلاد النيجر كانوا يقصدون تيبوت لشراء السكر، وأن وسيلة الأداء كانت هي التبر، مما يدل على وجود كمية معدنية عامة من الذهب الخام، لذلك علاقة بوجود تجار النيجر بالمدينة. كما استعملت في تيبوت بضائع أخرى كقطع القماش الصغيرة والتي يقول عنها الوزان إن قيمة الواحدة تعادل مثقالاً بالإضافة إلى قطع حديدية صغيرة تزن الواحدة منها أوقية وكانت تعرض القطع النقدية النحاسية.

كل هذه المعلومات عن طرق الأداء بتيبوت، توضح أن سوق هذه المدينة كان يعرف ما يسمى بتسعير البضائع والأداء بها، فالتبر من المواد المجلوبة من السودان. أما القماش، كما جاء في إحالة المترجمين لكتاب الوزان، فكان يستورد بواسطة التجار الأوربيين، ويصعب وضع نقود صغيرة من النحاس لوجود تيبّوت في قلب مناجم النحاس وربما لهذا السبب تم تعويضها بقطع حديدية. كما أن الوزان يؤكد قلة الفضة، ولذلك نلاحظ أن القطع الذهبية المسكوكة حل محلها الذهب الخام (التبر).

وكانت الفضة تعوض بالقماش وحل الحديد محل النحاس. ويذكر الوزان أن الفواكه كانت قليلة بهذه المدينة عدا التين والعنب والخوخ، ويستورد الزيت ويُصنع بالبلدة الجلد القرطبي المعروف في إيطاليا بالمغربي، ويعطينا الوزان بعض أثمنة المواد المباعة بتيبوت.

ونظراً لقرب تيبُوت من السفوح الشمالية للأطلس الصغير، فإن الوزان يخبرنا بأن القسم الجنوبي، أي القريب من جبال الأطلس، كان أكثر ساكنة من القسم الشمالي "لأنه عبارة عن سهل بيد العرب". وبالمدينة جامع عُرف باسم الجامع الكبير، تخترقه ساقية من النهر، وأن الحكم بها يعود إلى مجلس متكون من ثلاثة رؤساء ينتخبون لمدة ثلاثة أشهر.

وكان بالمدينة فقهاء وقضاة يرجع إليهم في الأمور الدينية، ويشير الوزان إلى وجود عدد كبير من الصناع اليهود، غير أنهم يؤدون الجزية. ولباس أهل تيبّوت حسب الوزان يتكون من قميص وعمامة من الكتان الأبيض.

ونجد كذلك ذكْراً لمدينة تيبوت في القرن الثاني عشر (18 م) في كتاب الزرهوني، *رحلة الوافد*، عندما يعرض للباشا عبد الكريم ومولاي الشريف ابن السلطان مولاي إسماعيل عندما توقفا بتيبوت في سنة 1127 / 1716.

وتذكر تيبّوت أيضاً في أحد السجلات المخزنية في القرن الثالث عشر الهجري (19 م) والتي سلمت مستحقاتها للمخزن، وهي عبارة عن 503 رطل من النحاس برسم سنة 1251 / 1835.

ونعتقد أن تيبُوت ارتبطت في بداياتها الأولى بالأنشطة التجارية والصناعية لإيگلي وتارودانت ومناجم تاتاوت وتالاتْ ـ نْ ـ وامان وأنها شكلت محطة طرقية مهمة من تارودانت نحو الجبال المجاورة.

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 1، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، 1980 ؛ م. الزرهوني، *رحلة الوافد في أخبار الشيخ الوالد*، خ. ح بالرباط، كناش رقم 15 ؛ *الخريطة الطبغرافية* ـ تارودانت 1 / 250.000.

الموساوي العجلاوي

تيبُومْليلين أو تومْليلين، مكان بالقرب من مدينة أزرو في الأطلس المتوسط. كان من بين الأجانب المقيمين في المغرب إبان الحماية فئة من المسيحيين تتمنى الاعتزال في مكان خاص بالعبادة والتأمل، فاتصلوا برئيس دير "انكالكات" قرب مدينة تولوز بفرنسا وطلبوا منه تأسيس دير في المغرب. فأدت محاولتهم بتزكية مونْسينْيور لوفيفر أُسقف الرباط إلى تأسيس دير للرهبان البينيديكتيين في تِيبُومْليلين على مقربة من أزرو في الأطلس المتوسط.

وقد وصل إليه أول فوج من الرهبان في شهر أكتوبر من سنة 1952. وسرعان ما عرف الدير إشعاعاً كبيراً في إطار تلك السنوات ذات الهيجان الفكري الكبير التي سبقت استقلال المغرب وحقته. وإذ أظهر دير تيبوماليلين منذ أول عهده ابتعاده القاطع عن مؤيدي الاستعمار، فسرعان ما أصبح مكاناً ممتازاً للقاء والتذاكر بين المغاربة والأجانب وبين المسلمين والمسيحيين.

وإن حسن الاستقبال والإطار والمكتبة وكذلك كفاءة المحاضرين الذين كانوا يستدعون للمشاركة ومستواهم الرفيع، كل هذا كان من شأنه أن يجلب باستمرار، وخاصة بمناسبة الدروس الصيفية، شخصيات بارزة وبالخصوص من الطلاب والمثقفين الشباب، سواء من المسيحيين أو من المسلمين. وأتيح لهم أن يعيشوا في تيبوماليلين تجربة من اللقاء والمشاركة والبحث أثرت على كثيرين منهم تأثيراً عميقاً.

ابتداء من سنة 1953 أصبح كثير من الطلاب من فاس ومكناس وما وراءهما يؤمون الدير تلقائيا. وفي صيف 1955 بلغ عددهم حوالي الأربعين، فبادر إذ ذلك الرهبان إلى تنظيم محاضرات من أجلهم في الآداب والتاريخ والموسيقى وعلم الفلك. ثم إن نجاح هذه الدروس والطلب الذي وجهه المهدي بنبركة إلى رئيس الدير بقوله : "وفروا لنا اتصالات" أديا إلى انتشار "الدروس الدولية الصيفية" التي دشنت في السنة التالية.

وهكذا ففي شهر غشت من سنة 1956 اجتمع خلال ثلاثة أسابيع مائة وعشرون مشاركاً ينتسبون إلى اثنتي عشرة جنسية من بينهم ثلاثة وخمسون مغربياً حول موضوع "المدينة" وهو موضوع جد مناسب في تلك السنة التي شاهدت استرجاع المغرب استقلاله الوطني.

وفي شهر غشت من سنة 1957 اجتمع مائتان وخمسون مشاركاً من ست وعشرين جنسية حول موضوع "التربية" الذي اقترحه الأمير ولي العهد إذ ذاك مولاي الحسن، كما شاركت في هذه الندوة شقيقته الأميرة للا عائشة وستة وزراء من الحكومة المغربية.

ثم في الصيف التالي وقع تغيير في أسلوب العمل، إذ خوفاً من تكاثر بالغ من الوافدين تقرر عن قصد تخفيض عدد المشاركين، وذلك بأن يجتمع في كل أسبوع فريق من ذوي الكفاءات العالية لدرس موضوع معين مثل "مشكلة الجماعات" و"قانون الأحوال الشخصية في بلد مسلم وتطوره" و"التعليم الأصلي والتعليم العصري" و"تعايش الحضارات".

وفي سنة 1959 نظمت حلقتان دراسيتان حول "سبل التنمية الاقتصادية" و"التنمية الاقتصادية والإنسية". ومن الملاحظ أن نسبة المشاركين المسلمين إذ ذاك قد تقلصت، ومع تتابع السنين أصبحت هذه الحلقات الدراسية أقل إشهاراً، فكان في سنة 1964 تنظيم آخر حلقة حول موضوع "التعاون الدولي".

هذا وإن الدير نفسه نشر بيانات مفصلة عن الحلقات الدراسية للسنتين الأوليين في كتيبات عنوانها "تيبوموليلين 1" و"تيبوموليلين 2" و"تيبوموليلين 3". ثم ابتداء من سنة 1958 بشكل أوجز في مجلة "صور من تيبوموليلين". ويمكن أن نذكر من بين المشاركين في تلك الحلقات الدراسية أسماء : لويس ماسينيون وعثمان يحيى وهنري لاوست ومحمد حميد الله وإيمانويل ليفيناس ويواكيم مبارك ولويس گاردي.

ومن بين المجلات التي كانت تنشر بانتظام بيانات حول الحياة في الدير نخص بالذكر مجلتي "كونفلوان" (الملتقى) و"أعمال وأفكار".

وكانت إلى جانب كل ذلك تنظم في تيبوموليلين عدة أنشطة خاصة بالمسيحيين كحلقات دراسية ورياضات روحية وزيارات دينية، وكل هذه الأنشطة قد ارتسمت دائما بطابع الاحترام التام للتقاليد الدينية والثقافة المغربية.

ولكن تجربة تيبوموليلين لم تكن لها جذور عميقة فكان مصيرها التدرج إلى النهاية. إذ أن إنشاء ديرين في إفريقيا السمراء حرم الدير من جزء مهم من حيويته. فبعد توقف الدروس الصيفية بدأت بقية النشاطات تتوقف الواحدة تلو الأخرى إلى أن غادر الدير نهائيا من بقي من الرهبان في شهر يوليوز من سنة 1968.

E. des Allues, *Toumliline, à la recherche de Dieu au service de l'Afrique*, Paris, 1961 ; P. Beach and W. Dunphy, *Benedictine and Moor, and christian adventure in moslem Morocco*, New-York, 1960 ; J. Levrat, *Une expérience de dialogue, les centres d'étude chrétiens en monde musulman*, Altenberge, Christlich-Islamisches Schrifttum, 1987, particulièrement pp. 337 à 340 ; M-R. Mayeux, *Cours internationaux d'été de Toumliline*, 1956, 1957, 1958, 1959, *Archives de Sociologie des Religions*, n° 9, 1960, pp. 81 à 94.

جاك لوفرا

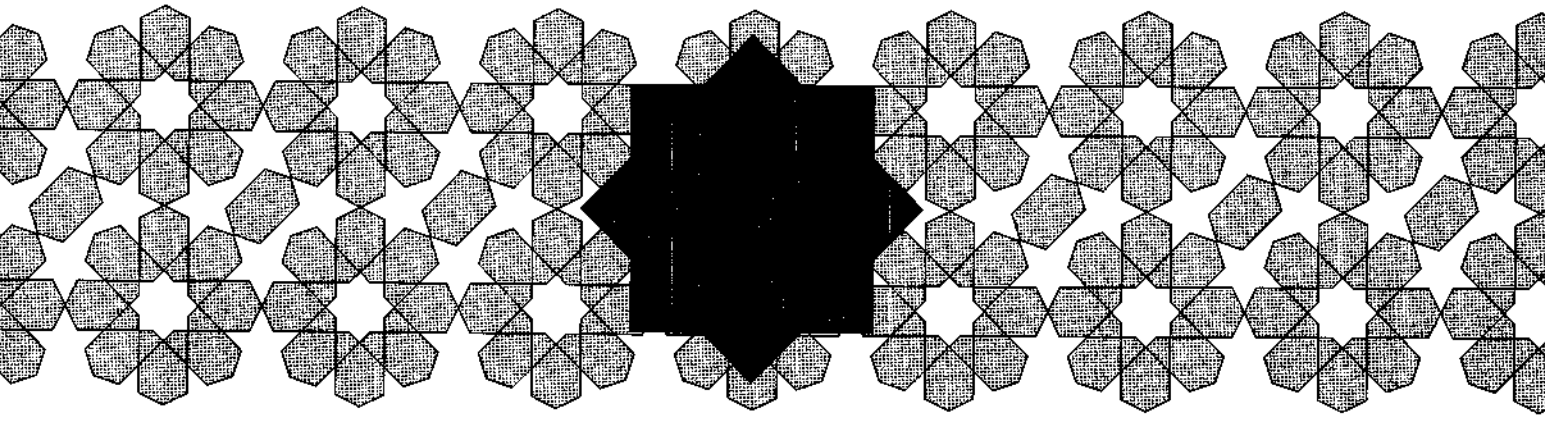

أبو **ثابت، عامر** بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب من سلاطين بني مرين. اشتهر بكنيته، وتمثل فترة حكمه بداية مرحلة من الانكماش السياسي امتدت ما بين وفاة السلطان يوسف سنة 706 / 1307 وبداية عهد أبي الحسن 731 / 1331.

بويع أبو ثابت بالحي المريني خارج تلمسان المسمى بالمنصورة أو تلمسان الجديدة، وذلك بعد مقتل جده يوسف خلال حصاره لمدينة تلمسان، وهو الحصار الطويل الذي امتد منذ سنة 697 / 1298 وكانت هذه المدينة آخر ما تبقى من مملكة بني عبد الواد خارج طاعة المرينيين. وتذكر بعض المصادر المرينية وقوع الإجماع على بيعة أبي ثابت، بينما تذكر مصادر أخرى خلاف ذلك (*اللمحة*، 65 ؛ *البغية*، 211)، يقول ابن خلدون : "وكاد أمر بني مرين أن يفترق وكلمتهم أن تفسد" (*العبر*، 7 : 486)، حيث انقسم المرينيون خارج تلمسان بين اتجاهين : اتجاه الحاشية والوزراء المؤيدين لأبي سالم ابن السلطان يوسف (ولم يكن ولياً للعهد)، واتجاه أغلبية بني مرين وأهل الحل والعقد المؤيدين لأبي ثابت حفيد السلطان الذي تقوّى مركزه أيضاً بأخواله بني ورتاجن الزناتيين (من زناتة المغرب الأوسط) وباتصاله مع أمير بني عبد الواد والتواعد معه على فك الحصار في حالة انتقال الحكم إليه.

ولما انتقل الحكم إلى أبي ثابت وفّى بعهده وصالح بني زيان، ورحل إلى فاس. كانت تلك المصالحة لفائدة الطرفين : لبني زيان لاستعادة حكمهم على قبائل ومدن المغرب الأوسط خاصة قبائل توجين ومغراوة، وستصل الحملات الزيّانية إلى بجاية وقسنطينة الحفصيتين انتقاماً من موقف الحفصيين المؤيد لبني مرين ضد تلمسان (*البغية*، 212. 214 ؛ *العبر*، 7 : 201. 203) كما أن المصالحة كانت ضرورية بالنسبة للمغرب الأقصى الذي كان يعاني من ضغوط المنافسين على السلطة المدعّمين بالخصوص من سلطات غرناطة لتخفيف ضغط الحصار على تلمسان، حيث ساعدت غرناطة شيخ "الغزاة" المرينيين بالأندلس عثمان بن أبي العلاء على الانتقال إلى عمارة والدعوة لنفسه. وقد سبق للسلطان يوسف المحاصر لتلمسان أن وجّه إليه ابنه أبا سالم فانهزم هذا أمامه، وأخذ يمدّ نفوذه إلى الجهات المجاورة كأصيلا وقصر كتامة (القصر الكبير) خصوصاً بعد أن استولى بنو الأحمر على مدينة سبتة خلال سنة 705 / 1306. ويبدو أن هذه الوضعية كانت عاملا أساسياً في فك الحصار عن تلمسان.

كان على السلطان الجديد أبي ثابت علاج الثورات في جنوب المغرب وشماله : فقبل الإقلاع من تلمسان أرسل عنه يوسف بن محمد بن أبي عياد قائداً على مراكش، غير أنه قتل واليها واتخذ المظاهر الملوكية داعياً لنفسه (*العبر*، 7 : 489). فاضطر أبو ثابت ليقود حملة عسكرية انتهت بالقضاء على تمرد ابن أبي عياد. كما أن هذه الحملة جعلت عبد الله السكسيوي، أحد شيوخ المصامدة، يقدّم طاعته للسلطان. وكان مريضاً في طاعته للسلاطين، ويصفه ابن خلدون "بشيخ الفتنة المستعصي منذ أول الدولة (أي المرينية)" (*العبر*، 6 : 569. 570). وبعث السلطان فرقة عسكرية لمطاردة قبائل زكنة بأرض السوس ففرت في اتجاه الصحراء.

وخلال حركة السلطان من مراكش نحو فاس عبر تامسنا قتل جماعة من شيوخ سفيان والخلط بتهمة قطع الطرق، وفعل نفس الشيء بعرب منطقة الغرب وهم بنو رياح. ويعلّل ابن خلدون هذا العمل "بالإحَن القديمة" أي الانتقام من هؤلاء العرب الذين كانوا يعاكسون استقرار النفوذ المريني بمنطقة العرب منذ أواخر الموحدين. ولكن يبدو أن السبب الحقيقي هو دعم عرب رياح لحركة الثائر عثمان بن أبي العلاء الذي وصل نفوذه إلى قصْر عبد الكريم (القصر الكبير) كخطوة نحو فاس.

وبعد استراحة السلطان بفاس تحرك نحو الشمال لإنهاء

تمرّد ابن أبي العلاء وتحرير سبتة من يد بني الأحمر، وجعل طريقه على قصر كتامة فأكّد نفوذه بمنطقته، وتحرك إلى طنجة، بينما تراجع ابن أبي العلاء إلى جبال غمارة وسينتقل إلى سبتة ثم إلى الأندلس. ولكي يواجه السلطان مشكلة سبتة اتخذ أسلوبين : أسلوباً دبلماسياً بتوجيه مبعوث عنه إلى سلطان غرناطة للتخلّي عن سبتة سلماً، وأسلوباً عسكرياً يتمثل في الاستعداد للحملة على المدينة من جهتين : من جهة طنجة غرباً، ومن الجهة الجنوبية لسبتة انطلاقاً من حصن تطاون الذي شرع في بنائه. ولعله استفاد في هذا من تجربة جده يوسف في بناء منصورة تلمسان لمداومة الحصار على المدينة، غير أن أبا ثابت مات بطنجة خلال هذا الاستعداد، وقبل أن يصله جواب غرناطة. وستكون مهمة تحرير سبتة على عاتق أخيه وخلفه في السلطنة أبي الربيع سليمان.

هكذا لم ينعم السلطان أبو ثابت بالراحة خلال مدة حكمه التي قضاها في مواجهة المتمردين حيث مات في شهر صفر عام 708 / يوليوز ـ غشت 1309.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، 389 ـ 392، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 201 ـ 202 و484 ؛ يـ. ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، 211 ـ 214، الجزائر، 1980 ؛ ل. ابن الخطيب، *اللمحة البدرية في تاريخ الدولة النصرية*، بيروت، 1978، 65 ـ 66 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين في دولة بني مرين*، الرباط، 1962، ص. 22 ؛ م. عبدالله عنان، *نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين*، القاهرة، 1966، 113 ـ 114.

أحمد عزاوي

أبو **ثابت عامر** بن محمد ← **الهنتاتي**

ابن **ثابت، عبد الكريم** بن الحسين. شاعر كاتب ولد في مدينة فاس (حي درب الطويل) قلب المدينة القديمة حوالي سنة 1915 من عائلة متوسطة، وبورجوازية في منظور الفترة من حياة فاس، والده السيد الحسين وجده السيد محمد ابن ثابت.

عمل والده في التجارة كجده. وكان كبعض التجار الموسرين، يملك ضيعات فلاحية. غير أنه لا يشتغل بها، وإنما كان يتركها للفلاحين يخدمونها بالمساهمة في الإنتاج. عمل السيد الحسين والد الشاعر موظفاً في بداية الثلاثينات كناظر لأوقاف القرويين. وبذلك تخلى عن التجارة إلا ما كان له من مساهمات تجارية مع بعض الشركاء في القنيطرة. وكانت يومئذ ما تزال مدينة صغيرة يتاجر فيها بعض التجار من فاس ويبنون فيها متاجر وبيوتا، كما يشارك بعضهم في استثمار صيد السمك (الشابل) في نهر سبو. وكان السيد الحسين يشارك بعض هؤلاء التجار في التجارة والعقار.

عائلة ابن ثابت محدودة العدد لا نعرف غيرها في مدينة فاس. وهي من العائلات الشريفة. لا أدري إذا كانت حسنية أو حسينية فقليل من العائلات المعروفة بالشرف من يعرف الناس هل هي حسنية أم حسينية. والذي أعرف ـ معرفة سماع لا معرفة موثقة ـ أنها قدمت إلى فاس من الجزائر (تلمسان) وكثيرة هي العائلات بفاس التي كانت تنسب إلى أصل جزائري تلمساني على الأخص. وإذا كانت الصلة بين المدينتين قديمة منذ كانت تلمسان جزءاً من المملكة المغربية، فأغلب الظن أن كثيراً من هذه العائلات نزحت إلى المدينة على أثر الاحتلال الفرنسي بالإضافة إلي الهجرة المتبادلة بين المدن المغربية والجزائرية ـ وخاصة مدينتي فاس وتلمسان ـ بعد الفرار من الأندلس في وجه المد الصليبي.

كان عبدالكريم أوسط ثلاثة إخوة بالإضافة إلى أخوات يكبرنه ويصغرنه. وهم وهن من أمهات مختلفات. توفيت والدته وهو صغير السن. فلم يكن يتحدث عن أمه، ولا له ذكريات عنها، ولا انطباع لها في شعره وفيما كتب. ولعله لهذا كان أحب إخوته إلى والده، فكان يعامله معاملة متميزة.

بدأ تعليمه في مدرسة عربية وطنية من تلك المدارس التي أنشئت في فاس على عهد الحماية، وكانت تطويراً للمدارس القرآنية، أنشئت في بداية العشرينات كرد فعل للمدارس المفرنسية. وكانت تعلم العربية إلى جانب الحساب ودروس الفقه والدين. ولم يطل به المقام في هذه المدرسة فقد انتقل إلى إحدى مدرستين أو ثلاث كانت إدارة الحماية قد أنشأتها بنظامها التربوي المفرنس. ولم يطل به المقام أيضاً في هذه المدرسة. فقد تخلى عنها بعد أن تعلم قليلاً من الفرنسية. وكان مصير معظم تلاميذ هذه المدارس لا يختلف عن مصيره، غير أن تعلقه بالعربية وآدابها فتح أمامه طريقين :

طريق استكمال الدروس العربية على يد الأساتذة الوطنيين الذين كانت الدراسة عنهم امتداداً للمدارس الوطنية العربية. وأصل دراسته على هؤلاء الأساتذة وفي مقدمتهم : علال الفاسي وبوشته الجامعي وعبد العزيز بن

إدريس العمراوي. كانوا يدرسون مختلف العلوم من اللغة العربية وأدواتها وآدابها حتى المنطق والتاريخ والجغرافيا. ودراسة النصوص الشعرية والنثرية العربية.

الطريق الثاني : قراءة دواوين الشعراء المحدثين، وكان أشهرهم آنذاك البارودي وشوقي وحافظ ثم العقاد. وكان من بين التلاميذ القلائل الذين ينغمرون في قراءة دواوين هؤلاء الشعراء إلى جانب الأقدمين من أمثال المتنبي وأبي تمام والبحتري. ولم يكد يلتحق بالقرويين بعد تنظيم الدراسة في أوائل الثلاثينات حتى أخذ يقلد الشعراء ويكتب الشعر. كان يقرأ شعره على زملائه، ولو أنه كان شعراً بدائياً. ولعل أول محاولة رأت النور من شعره هي التي نشرتها مجلة "المغرب" التي كانت تصدر بالرباط في الثلاثينات، فقد بعث للمجلة رسالة بمناسبة ما، وبها بضعة أبيات نشرتها كنموذج لمحاولات شبابية.

كانت دراسته في القرويين متقطعة، ولكنه كان دؤوبا على القراءة وخاصة ما يتعلق بالأدب والشعر وكان يواصل تعلمه اللغة الفرنسية على يد أساتذة خصوصيين.

التحق في الفترة الأولى من الثلاثينات مع زملائه الذين تعلموا في المدارس العربية بالخلايا الوطنية. وبدأ تكوينهم السياسي من خلال الدرس والخلية على يد الأساتذة الذين ذكرناهم وبدأ حماسه للعمل الوطني يوازي حماسه في القراءة الجادة في الكتب والمجلات الأدبية. كانت مدرسة هؤلاء الأساتذة تدفع بتلاميذها إلى الكتابة وقول الشعر. وكان علال الفاسي بالأخص يرعى كتابة هؤلاء وشعرهم. وبرز ثلاثة من تلاميذ خليته في كتابة الشعر، إلى جانب الذين برزوا في كتابة النثر، هم : عبدالكريم بن ثابت وعبد المجيد بن جلون ومحمد الجندي، وكان علال يصحح خطأهم ويرشدهم ويقترح عليهم بعض الموضوعات لقصائدهم ومقالاتهم.

بدت عليه مخايل الشاعر في سن مبكرة فكان يرتاد الحدائق في ضواحي المدينة القديمة، ويسعى إلى نهر "واد فاس" ويحلو له في ليالي الربيع والصيف أن يسهر مع النجوم والقمر وخفيف الأشجار وهدوء الليل.

وأتاحت له الضيعة التي كان يملكها والده أن يقضي فترة من فصل الربيع في البادية مع بعض زملائه في "نزهة ربيعية"، ينعم بمتعة الحياة في الأحراش والمزارع والسهول والمرتفعات، ينغمر في الطبيعة ويهيم بجمال الريف ويحيى مع الفلاحين والأبقار والأغنام ويتطلع إلى ضوء القمر ولألأة النجوم في صفائها واتساع آفاق ضيائها حيث لا تقف في وجهه حدود المدينة وقيودها. كان يشعر بالحرية ويعب منها حتى الثمالة. يقرأ عن الحرية فيما يقرأ من كتب الأدب ودواوين الشعر ويتملى إحساسه بها فيما يعيشه في البادية المتفتحة على جمال الطبيعة وصباح الوجوه من بنات القرية، ويقرأ في عيونها السوداء وخدودها المتوردة آيات الجمال. ويهفو من خلال الحرية إلى الحب، حب بلاده ونساء بلاده.

عرف طعم الحرية في أبسط صورها، الحرية التي تتيحها حياة الريف، حرية من قيود المجتمع الضيق في المدينة، ومن قيود الرقابة التي تحصي الأنفاس في دروب فاس ومنعرجات زقاقاتها. وكان أحب شيء إليه وهو في فاس الابتعاد عن صخب الحياة والالتجاء إلى ركن قصي من مقهى متواضعة أمام جدول رقراق يمر وسط المنتزه العمومي للمدينة. في هذا الركن القصي كان يخلو إلى الشعر يقرأه، ويخلو إلى الورق يكتب شعراً أو مقالاً (من مقدمة *ديوان الحرية*).

تزامن تكوينه الوطني مع تكوينه الثقافي. وما كادت الأزمة بين الحزب الوطني والإقامة العامة تشتد في شتاء عام 1355 / 1936 على إثر تقديم المطالب المستعجلة فيعتقل الزعماء وتعلن المدن المغربية مظاهرات الاحتجاج، حتى كان مع خليته الوطنية يقرر المشاركة في المظاهرات. فاعتقل مع زملائه في معركة "جامع الرصيف"، لكن السلطة لم تبعث به إلى السجن مراعاة لمركز والده ووظيفته.

فكر في السنة التي بعدها أن يرحل مع زملائه إلى مصر لاستكمال دراستهم. وفي القاهرة التحق بكلية الآداب من جامعة القاهرة "قسم اللغة العربية وآدابها" وهناك اتسعت مداركه الثقافية والأدبية وأدرك من الحرية في القراءة والدراسة، وفي الحياة جميعها ما لم يكن يجد له مثيلاً في المغرب. وقد كانت ظروف الحرب العظمى الثانية من أقسى الظروف التي عرفها الطلاب المغاربة، وابن ثابت منهم، ولكن الحرب رغم قوتها كانت درساً وغذاء لحب الحرية والشوق إليها. فقد كانت الحرية الشعار الذي ترفعه الحرب نفسها وكانت جماعة الطلبة المغاربة الذين يعيشون في القاهرة يفكرون في مستقبل بلادهم مابعد الحرب.

فكروا في قلب المعركة في إنشاء "رابطة الدفاع عن مراكش" للدفاع عن حقوق الوطن في الحرية والاستقلال. وقد كان عبد الكريم بن ثابت من بين الذين فكروا في إنشاء الرابطة ومن بين أعضاء مكتبها العاملين النشطين. في مكتبها كان يعمل باستمرار، يكتب النشرة الخبرية أحياناً ويطبعها أحياناً بنفسه ويوزعها على الصحف أو يشارك في ذلك. العمل كان جمعويا بين أعضاء الرابطة وكان منهم : أحمد بن المليح وعبد المجيد بن جلون وعبد الكريم ابن ثابت وعبد الكريم غلاب.

وجاءت فترة المطالبة بالاستقلال أواخر سنة 1943 وفكر مع زملائه - دون سابق اتصال بالمغرب، لأن الاتصالات كانت منقطعة تماماً - في تقديم عريضة للمطالبة بالاستقلال إلى "مكتب فرنسا الحرة" الذي كان ينوب عن السفارة التي أقفلت بعد أن قطعت مصر علاقاتها مع فرنسا التي استسلمت للاحتلال الألماني. كما قدمت العريضة إلى سفارات الحلفاء : انجلترا وأمريكا والاتحاد السوفياتي وإلى الحكومة المصرية. تزامن هذا العمل مع العريضة التي قدمها حزب الاستقلال إلى جلالة محمد الخامس والسلطات الفرنسية وتمثيليات الحلفاء في الرباط يوم 11 يناير 1944. ومما يذكر أن صحف القاهرة نشرت خبر عريضة رابطة

الدفاع عن مراكش يوم 13 يناير، الشيء الذي دهشت له السلطات الفرنسية، واعتقدت أن هناك اتصالا سرياً بين حزب الاستقلال ورابطة الدفاع عن مراكش في القاهرة. ومما يذكر أن بعض قادة حزب الاستقلال : أحمد مكوار، عبد العزيز ابن إدريس، الهاشمي الفيلالي عذبوا في استنطاق الشرطة عذاباً شديداً حتى يعترفوا بالعلاقة التي تربط الحركة برابطة الدفاع عن مراكش، وكيف تمت المراسلة بينهما لتقديم العريضتين في نفس التاريخ.

موقف آخر وقفه عبد الكريم ابن ثابت أمام السفير الفرنسي رئيس فرنسا الحرة (لا أذكر ما إذا كان ذلك قبل تقديم عريضة الاستقلال أو بعدها) فقد أقام السفير حفلة شاي تكريماً للطلبة المغاربة والجزائريين في يوم عيد الفطر. ولم يكد السفير يرحب بضيوفه حتى وقف عبد الكريم ابن ثابت خطيباً دون أن يتفق مع زملائه. وقال مخاطباً السفير : إننا يا سيدي السفير، لا نحتفل بعيد. عيدنا لم يحن بعد. عيدنا هو اليوم الذي نحقق فيه استقلال بلادنا وحريتها ... فما كان من السفير إلا أن انسحب بهدوء غاضباً وترك كاتباً في السفارة ـ لعله كان جزائرياً ـ ينهي مع الضيوف حفلة الاستقبال.

وفي القاهرة نمت مواهب ابن ثابت في الشعر، وقد أتيح له من ظروف الحياة الشعرية ما لم يتح له من قبل : أحب وهام في الحب العذري الرفيع. وما كان يسلو ـ شفاء أو يأساً ـ من حب حتى يقع في حب آخر يكون زاداً لروحه ووقوداً لشعره الغزلي الرومانسي الرائق ... وفي القاهرة اتسع الجدول الرقراق الذي كان يلجأ إلى كنفه في الحديقة العمومية بفاس فأصبح نهراً (أو هو بحر كما يطلق عليه المصريون) النيل طال بقدر ما اتسع. وفي القاهرة وجد القمر الذي يسطع في أغلب فصول السنة فيعكس ضياءه الباهر على النيل، وتتلألأ لتملأ نفس الشاعر فتنة وسحراً، ولتسلبه كل حبه، فيهيم في حب الصديق الذي اختاره وائتنس به وأنس إلى جواره. وعلى أمواج النيل تنعكس مصابيح النجوم فيتطلع إليها الشاعر في صفحة الماء لا في صفحة السماء (من مقدمة الديوان).

أغلب قصائده الغزلية والرومانسية التي تغنى فيها بالحرية كتبها في القاهرة. وقد وجد شعره صدى تقدير وإعجاب في كثير من المحافل الأدبية ونشرت بعض قصائده مجلات مهمة كمجلة *"الكاتب المصري"* التي كان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين. وترجمت إحدى قصائده إلى الفرنسية (عزاء) توجد بالديوان ص. 20 نشرت في إحدى المجلات الفرنسية (لوكليما) ونقلتها بالعربية والفرنسية مجلة *"البشير"* المصرية غير أن معظم شعره هذا قد ضاع مع كامل الأسف في تنقلاته بعد ذلك بين القاهرة والرباط وفاس وتونس.

شارك عبد الكريم ابن ثابت في مؤتمر المغرب العربي وتكوين "مكتب المغرب العربي" الذي أنشأه المؤتمر في أبريل 1947 خلفا لرابطة الدفاع عن مراكش ومكتب حزب الدستور التونسي ومكتب حزب الشعب الجزائري فقد ضم مكتب المغرب العربي الهيئات الثلاث وكان عضواً بارزاً في المكتب. وأسهم مع أعضاء المكتب في تحرير الزعيم محمد ابن عبد الكريم الخطابي في المغامرة الوطنية الكبرى التي قام بها المكتب حينما مرّ الزعيم الأسير بقناة السويس وهو في طريقه من منفى إلى منفى في أبريل 1947. وكان ذلك من الصفحات الوطنية التي تكتب في تاريخ المناضلين المغربيين الذين عملوا في القاهرة تحت اسم رابطة الدفاع عن مراكش ثم تحت اسم مكتب المغرب العربي.

عاد عبد الكريم ابن ثابت إلى المغرب في ديسمبر 1948 بعد إحدى عشرة سنة قضاها في مصر دارساً ومناضلاً. وعمل في الصحافة كمحرر في جريدة *العلم* بالرباط ثم انتقل إلى مدينة فاس مبعوثاً *للعلم*.

عاش في فاس حياة الشظف والفاقة في كنف والده الذي كان قد تقاعد عن العمل في الوظيفة وعجز عن مواصلة تجارته أو استثمار أرضه الفلاحية. ولكنه عاش بكرامته فلم يلتجىء إلى طلب وظيفة ما، بل إنه كان في مدينة فاس مراقَبا من سلطات الإدارة الفرنسية التي كانت تحسب حساب عمله النضالي وكتاباته في جريدة *العلم* ومجلة *رسالة المغرب*. وكان ملفه لدى الإدارة يحمل ولاشك المراسلة الساخرة التي كتبها عن زيارة الجنرال گيوم إلى مدينة فاس بعد أن خلف المرشال جوان على رأس الإقامة العامة سنة 1951. وعَهدُ هذا الجنرال اتسم بالعنف والقمع. ودشن مرحلة دموية في المغرب انتهت بعدوانه على السيادة المغربية والإقدام على نفي محمد الخامس رحمه الله وعائلته الكريمة.

وبعد الاستقلال التحق عبد الكريم ابن ثابت بوزارة الخارجية عند تأسيسها في مايو 1956 وعمل مستشاراً في سفارة المغرب بتونس عند إنشائها في نفس السنة. وفي تونس نشط في الاتجاهين معا : الاتجاه الدبلوماسي وكانت صداقته مع الرئيس الحبيب بورقيبة ـ من أيام إقامة الزعيم التونسي في مصر كعضو في مكتب المغرب العربي ـ مفتاح عمله الدبلوماسي، سواء في العلاقات السياسية أو الثقافية. أما الاتجاه الثاني فهو العلاقات الشخصية الأدبية التي ربطها مع كثير من المثقفين والأدباء الذين كانوا يقدرون شعره وكتاباته. وفي تونس نشر كتابه حديث *مصباح* الذي نشره قبل ذلك تباعاً في مجلة *رسالة المغرب* (في مرحلتها الأسبوعية) قضى في عمله بتونس حوالي خمس سنوات عاد بعدها إلى الرباط. لم يلبث إلا شهوراً معدودة حتى داهمه مرض مفاجئ ـ التهاب في الرئة ـ وكان يسكن وحيداً في أحد فنادق الرباط نقل على إثره إلى المستشفى حيث لفظ نفسه الأخير بعد أيام معدودات وحيداً دون أن يدري به أحد حتى أخبرت إدارة المستشفى بوفاته رحمه الله يوم 12 رجب عام 1381 / 20 ديسمبر 1961 ونقل إلى مدينة فاس حيث ووري جثمانه الطاهر في محفل حضرته عائلته وبعض أصدقائه.

بقدر ما كان عبد الكريم ابن ثابت حفيا بشعره مقدرا لإنتاجه يكون سعيداً وهو يقرأه على أصدقائه، وسعيداً وهو يجده منشوراً في الصحف والمجلات يتغنى به، وهو يسير وحيداً في الليالي المقمرة على شاطئ النيل، ويناجي القمر والنجوم بصوت هامس عيناه معلقتان بين السماء والماء، بقدر ذلك كان مهملا جمع قصائده وترتيبها فأجرى طبعها في ديوان.

يعود ذلك إلى نوعية حياته كشاعر بوهيمي يعيش للشعر والحب، قد لا يحفل بحياته الخاصة ولا بما يكسب أو ينفق. ولذلك عاش أعزب فقيراً، رغم أن والده كان ينفق عليه وهو طالب ككثير من زملائه الطلبة الذين هاجروا للدراسة على حسابهم دون أن يكونوا بعثة حكومية، وكان فقيراً وهو موظف في السفارة المغربية بتونس، قد ينفق مرتبه في أيام معدودات لا يقيم وزنا لغيرها. لم يكن يقيم وزنا للمال بقدرما كان يقيم الوزن الكبير للأصدقاء وللأدب والفن.

مات وشعره موزع في الأوراق وقليل منه في الصحف والمجلات. وقد وجدت صعوبة وأنا أحاول أن أجمع ديوانه. بحثت في المغرب، وتونس، والقاهرة فلم أعثر إلا على مجموعة محدودة هي التي نشرتها بمقدمة تحت عنوان *ديوان الحرية* في سلسلة *"كتاب العلم"* سنة 1968. قليل من هذه القصائد مؤرخ بما بين سنتي 1948 و1951. (اعتماداً على تاريخ النشر أو التاريخ الذي قد يكون سجله على القصيدة) وهي السنوات التي عاشها في المغرب بين رحلتي القاهرة وتونس. ولكنه ـ كما سبق القول ـ كتب عدة قصائد قبل الهجرة المصرية وفي مصر وفي تونس. هذا الشعر قد ضاع، ولعل بعضه مما بقي لهذا الديوان، وكان قد قرأ على الكثير مما كتبه في القاهرة على الأخص. وكنت أطرب لشعره أذكره ولاأحفظه. وتلك إحدى مآسي الشعراء والكتاب، وخاصة الذين وجدوا في بيئة ثقافية كالمغرب لم يكن يتاح فيها النشر إلا لماما.

أطلقت على هذه المجموعة *ديوان الحرية* لأنه كان دائم التغني بها يحاول أن يتحرر من القيد، قيد الروح والجسد والفكر، لا يحسبه في الاستعمار، ولا في القيد المادي، ولكنه، بنظرته الوجودية، يحسبه في الوجود والكون، في مآسي الكون، في العالم وكأنه يسمع نحيبه، في ظلام الحياة وهو "يستر النور ويخفي كل جمال وفنون"، في الفكر "قبل أن يوجد إنس على الأرض وجان" "قبل أن نعرف من نحن وفي أي مكان". "في الروح التي لم تعرف السكينة قط قبل أن توضع في الجسم سجينة". "قيد لاتراه عين ولايعرف أين". "خفي مُبْهم غرق في صمته" لايسمع أنينا ولا يرد جواب سائل. صيحة للحرية رددها شاعر في قصيدة جميلة رائعة مؤثرة هي التي أوحت بعنوان الديوان.

شعره يكشف عن نفس حزينة كئيبة غمرها الأسى حتى الثمالة. هل هي حياته التي كانت "كهفاً تمخر فيه أفاعي الأسى"، وفي "السآمة قد أينعت". "كما أثمرت شجرات الشجون". الذي عرف عبد الكريم ابن ثابت دائم الابتسامة فياضا بروح الدعابة، يطرد عنه الحزن ولو تمكن منه أسى ولوعة وشقاء، من عايش عبد الكريم يدرك أي تناقض كان يعيشه بين ظاهره وباطنه ؟ أي روح معذبة سكنت جسمه الطافح بالبشر والابتسام والضحكة العارمة حتى لتفيض عيناه دموعاً وهو يضحك ثم ينشد في قصيدة آسية بعنوان "ليل وصباح".

وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا ؟ وكيف أقضي السنين ؟
فباءت بصمت عميق رهيب
وفاضت دموعي ... وهل تنفع ؟

كان يلجأ إلى الطبيعة : ليسهر مع شعاع القمر، يتطلع إلى نور السماء وسحر النجوم يملأه السناء روحا وسلاماً. ثم ينادي : لماذا ؟ وكيف أقضي السنين. يطوف بنفسه وروحه وفكره وعاطفته وقلبه جميعاً أرجاء السموات والأرض يسأل : لماذا ؟ وكيف أقضي السنين ؟ حتى يظفر أخيراً بجواب من الأعماق :

فقالت لأجل الخلود الحبيب تعيش وتخلق ما ينفع
يثير ديباجي هذا الأجل
جهاد وحب وصدق الأمل

المجموعة التي بين أيدينا تضم شعراً رومانسياغزلا أو تأملات في الحياة والطبيعة والتجارب الذاتية في الحب حتى الوله والهجران والسأم من الحياة. ولكنه يطفح بنظرات وجودية أو فلسفية على العموم. ويتراوح بين النظرة التشاؤمية من الحياة والأرض والنعيم :

لا تسلنا عن أمانينا ولا أين نسرى لا وما ينفعنا
قد مللنا الأرض والناس وما ثم فوق الأرض ما ينفعنا
لا تدعنا نهبط الأرض فما أرضنا إلا مكان الاشقياء
تلكم الأرض وما أشأمها نحن فيها في قيود وسجون
كلما طافت بنا صورتها رعبتنا، وكأنا في جنون

.....

كلنا يرثي لأرواح لنا هبطت للحزن والدمع الهتون
ما أثمنا قبل هذا رينا فلماذا قد هبطنا لنهون

شعر راقص لغته جميلة أوزانه حية تتفق مع مضمونه الحي، تجد كلمة قد لاتكون في مكانها من البيت، ولكنها في مكانها من الأداء، والنظرة الطافحة بالأمل والحب واستقامة الحياة ينزع فيه إلى القص واستذكار الماضي والحوار الداخلي، وحوار المخاطب : إنساناً، حبيباً صديقاً، طيفاً، روحاً ... يعيش فيه أحيانا مع الواقع مع الأحلام، يتمثل حبيبته وقد وصلته بعد هجران، أو هجرته بعد وصال. شعره على قلته يطفح بالحيوية، يطفح بالوفاء للحب، للصديق، للوطن، للمدينة.

ويحسن أن نورد هنا بعض ما كتبته "جريدة *لوكليما*" عند ترجمة قصيدة "عزاء" في عددها المؤرخ في 23/1/1947 فقد خصصت للقصيدة مقالا بعنوان : "شاعر مغربي شاب يكتشف الوجودية". وبعد أن ترجمت للشاعر بضعة

أسطر قالت : درس بجامعة القرويين، ثم بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة، ويعيش في هذه المدينة الأخيرة، حيث ظل يكاتب منها جريدة *العلم* المغربية بانتظام، وأثبت من خلالها أنه شاعر عربي شاب يعد بمستقبل كبير.

إن النص الذي يحمل عنوان "عزاء" من القصائد الأخيرة التي ظهرت بجريدة *العلم* يوم 13 دجنبر 1946. وإذا كانت الترجمة إلى الفرنسية لم تتمكن من نقل إيقاع ونغمة النص الأصلي، فإننا ارتأينا، مع ذلك، أن من شأن هذه القطعة أن تفيد القارئ لأنها تجسد حقيقة مرحلة حاسمة من الأدب المغربي الشاب.

وإذا كنا في هذه القصيدة نجد صدى خفيا للشاعر الكبير عمر الخيام، فإننا نكشف أيضاً آثاراً للقصيدة العربية الحديثة ـ وهي غير معروفة بما فيه الكفاية بفرنسا ـ التي يتميز فيها شعراء من أصل سوري ولبناني يعيشون في المهجر (أمريكا) وفي مقدمتهم ميخائيل نعيمة.

إن الأمر يتعلق هنا بشعر جديد كلية سواء من حيث مضمونه أو شكله. ولم تعد القصيدة تلك السلسلة من الحلقات المستقلة، أو ذلك العقد حيث يمكن عزل أي جزء منه بدون التأثير على جمالية وبناء الكل. إننا نجد هنا عاطفة جياشة وفكراً متوجهاً يسريان عبر هذا "العزاء".

لكن هناك ما هو أغرب، حيث يظهر أن عبد الكريم بن ثابت يأخذ بفكر سارتر، حيث قدم الشاعر بعض جوانب هذا الفكر لقراء *"العلم"*.

والمثير هنا أن نلاحظ كيف أنه في هذا "العزاء" نجد بعض أغراض الشعر العربي القديم (التغنى بالليل مثلاً) تجمع بين الجانب المظلم من الثورة الكونية وماهية ذلك المبدإ الانثوي عند التاويين، وعلى الخصوص في الأبيات الأخيرة، حيث تأخذ تلك الأغراض معنى إضافياً يتمثل في الوضع المأسوي للعالم الذي نوجد ونبرز ويتجسد وجودنا فيه بالكفاح والكرم الذي يأخذ هنا معنى الشهامة.

كان اهتمام عبد الكريم بن ثابت بالنشر كاهتمامه بالشعر فقد كتب عدة مقالات وقصص نشر معظمها في جريدة *العلم*، ومجلة *رسالة المغرب*. وكان له في الرسالة ركن أسبوعي كتبه تحت عنوان *"حديث مصباح"* ابتدأ في العدد الثالث من السلسلة الأسبوعية بتاريخ 14 مارس 1949. وقد جمعت هذه الأحاديث بعد ذلك عندما كان في تونس في أواخر الخمسينات ونشر في كتاب من سلسلة *"البعث"* التي كان يصدرها الأستاذ أبو القاسم محمد كرو.

كان استهلال هذه الأحاديث القيمة : "إنه مصباح يتحدث إليّ في بطء ويملي عليّ في توأدة وأكاد لك أنى كنت أسمع خلال ضوئه الشاحب صوت الحياة، بما في الحياة من قوة وعنف، وما فيها من وداعة وظرف، وسذاجة وبساطة ... لقد كانت ليلة ليلاء، تلك التي ابتدأ حديثه فيها. كان الجو بارداً كالجحود قائماً كأفكار الحائرين، متقلباً كضمير المنافقين".

تحدث *حديث مصباح* في أسلوب جديد طريف قصصي عن قضايا أساسية : الفن "الفن لغزلا يحله إلاّ العبقري فإذا لم يستطع حله افترسه" وتحدث عن الجمال : "يخيل إلى الناس أن الجمال موضوعي لاذاتي ... والحق أن الجمال ـ يقول المصباح ـ في أذهانكم أنتم البشر، وفي بصيرتكم، فلو فقدتم الإحساس بالجمال لما كان هناك جمال مطلقاً ... "وتحدث عن العلاقة بين الفنان والحب : "لابد للفنان المبدع من الحب. الحب أساس الإحساس بالجمال ... سرُّ ارتباطكم بالأرض والطبيعة هو الحب" وتحدث عن الحرية وعلاقتها بالفن : "الحرية من المقدسات بالنسبة للإنسان العادي، لكنها بالنسبة للفنان أقدس المقدسات، وأولاها بالحب والإجلال وأجدرها بالتضحية". الفنان الحر رسول يحمل رسالة سماوية بطريق الموهبة والالهام ... أكثر العيوب تأثيراً في الفن وتشويها له ومسخاً لحقيقته ونزولاً به عن مستواه هو القيد".

تناول *حديث مصباح* الفن والأدب وعرض لبعض الفنانين، موسيقيين وشعراء : شوبان، جوته، وعلي محمود طه. بعض أحاديث مصباح شوهتها الرقابة بحذف بعض فقراتها أو حذفها جميعها ولكنها لم تستطع أن تنال منها جميعاً.

وكان لهذه الأحاديث صدى عند القراء جميعاً، واحتفل لها الكتاب كما احتفلوا لشعره، لأنها كانت تنبض بأفكار جديدة وموحية ولافتة للنظر. وقد كتب الأستاذ عبد الكبير ابن المهدي الفاسي بحثاً في ثلاث حلقات عن "وجودية *حديث مصباح*" في الأعداد 15 ـ 16 ـ 17 بتاريخ 30 مايو و6 و13 يونيو 1949 من *رسالة المغرب* تحدث فيها عن الذاتي والعرضي في القيم والأشياء بعقل رياضي فلسفي، وعن الفلسفة الوجودية عموماً. وكانت مناقشة علمية جادة لحديث أدبي انطباعي ذاتي أكثر منه بحثاً فلسفياً عميقاً.

ترك عبد الكريم ابن ثابت عدة آثار أدبية، من الظلم له وللتاريخ الأدبي بالمغرب أن تضيع مع أوراقه التي ضاعت، أو تبقى في الصحف والمجلات مبعثرة دون أن تجمع في كتاب يجمع شتات فكره وأدبه وإبداعاته.

رحمه الله لم يتمتع بالحياة التي كان يعشقها ويغني لها في ألوانها الزاهية والمظلمة على السواء. ومع ذلك فقد اختصر حياته وعاشها بالعرض لا بالطول كما قال زميله الشاعر المرحوم عبد المجيد بن جلون في رثائه.

عبد الكريم ابن ثابت، *ديوان الحرية*، الرباط، 1968؛ *حديث مصباح*، تونس ؛ عبد الكبير الفاسي، *وجودية حديث مصباح* ؛ *رسالة المغرب*، الأعداد 15 ـ 16 ـ 17 / مايو ـ يونيه 1949.

عبد الكريم غلاب

ابن **ثابت علي** بن سعيد ← **التلمساني علي**

ثابت، محمد بن الجيلالي مقاوم من مدينة الدار البيضاء وُلد سنة 1937. انضم إلى صفوف المقاومة السرّية المسلحة بعد نفي الملك محمد الخامس، وظل يعمل ويقاوم من أجل الاستقلال إلى ان استشهد في الحادثة المعروفة

باسم حادثة سيدي معروف بالدار البيضاء وذلك بتاريخ 29 شتنبر 1955.

وثائق الندوية السامية للمقاومة.

عز الدين العلام

ثرثارة، طائر يسمى هكذا في المناطق الصحراوية وكما هو في المعاجم أيضاً، من جنس رتبة الجواثم پاصّيريفورمْ Passeriformes ومن فصيلة تيماليدي Timaliidae التي تتكون من مائتين وستين نوعاً تعيش في إفريقيا وآسيا وأستراليا، منها نوع واحد يدعى علمياً ترولواد پولريز Turdoïdes fulvus مهده المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الافريقية ويوجد بكثرة في المناطق المجاورة للأطلس الصغير وجنوب المغرب الشرقي وسهول سوس.

يسمى بالفرنسية Craterope fauve وبالإنجليزية Fulvus babbler يبلغ طوله خمساً وعشرين سم، الجناحان دائريان وقصيران، الذيل طويل، المنقار مقوس وقوي، الريش بُنّي مصفر فاتح جهة البطن وداكن جهة الظهر.

يعيش وسط مجموعات صغيرة في الأدغال المكونة من أشجار أقاقيا Acacia والعُنّاب (السدرة، Jujubier) وهو كثير الصياح مما أدى إلى تسميته بالثرثارة. يتوالد ابتداء من شهر نونبر إلى شهر يوليوز وذلك حسب المناطق وحسب وفرة الأكل الذي يتكون من الحشرات ومن الثمار العنبية (Baies).

يبني الزوجان العش فوق أشجار الأقاقيا والعُنّاب ويتراوح بعده عن الأرض ما بين متر ومترين. يتكون العش من قطع الحشائش ويُفْرَش بقطع الصوف وبالزغب النباتية. تضع الأنثى فيه من ثلاث إلى ست بيضات ملساء زرقاء ناصعة. يبلغ قطرها الكبير 24.5 ملم وقطرها هلال صغير طوله 17.5 ملم. تدوم مدة الحضانة ثلاثة أسابيع على الأكثر وتغادر الصغار العش قبل أن تتعلم الطيران وتبقى مجموعة فوق أغصان الأشجار تنتظر الأكل الذي يقدمه لها الأبوان.

من بين المناطق الذي يوجد فيها هذا الطائر نذكر جهات بوعرفة وفگيگ والريصاني والرشيدية ووادي زيز ووادي درعة وتارودانت وتافيلالت وگلميمة وضواحي طرفاية والعيون.

C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins*, Paris, 1977, 429 p ; M. Thevenot, P. Bergier et P. Beaubrun, *Compte-rendu d'ornithologie marocaine*, Document de l'Institut Scientifique, 1981, n° 6 : 78 - 79 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe with North Africa and the Middle east*, London, 1979, 320 p.

محمد رمضاني

الثريد، كلمة عربية وتعني المكسور من المواد الغذائية، لحماً أو خبزاً وعليه مرق. فأصل الكلمة ثرد أي هشم ومن الفعل نحتت أسماء وأفعال أخرى كالثريد والثريدة وأثرد ومثرود ومثرد إلى غير ذلك مما نجده مفصلاً في المعاجم (*لسان العرب المحيط*. مادة ثرد).

لم يعرف الثريد كأكلة في المغرب إلا من خلال المصادر العربية، وأُولى الإشارات عنه وردت في *كتاب التشوف* (ص. 80، 354 ـ 372) وهو كتاب يتحدث عن العهد الموحدي الأخير، ومعنى ذلك أن الثريد حديث العهد بالمغرب وقد ارتبط بدخول العرب الهلاليين في العهد الموحدي. إلا أن ذلك لاينفي وجود أنواع مشابهة لهذه الأكلة عرفتها القبائل البربرية من قبل، كأكلة المصامدة المعروفة بالأمازيغية بـ"أسماس" (*أخبار المهدي بن تومرت*... 33) أو العصيدة (تاگلا) أو البيصار (تارخشا) وكلها أسماء أمازيغية تعني أكلات مشابهة للثريد إلا أنها ليست الثريد نفسه كما حددناه لغوياً، فهو لا يعني الحساء ولا العصيدة.

وردت عند صاحب *التشوف* عدة أنواع من الثريد : فقد تحدث عن "ثردة الفول بالسمن" (*التشوف*، 80) وهي غير ما يعرف عندنا بالبيصارة لأن هذه كالحساء أو العصيدة الغليظة المزاج. هذا النوع "ثردة الفول بالسمن" لم تعد مستعملة اليوم في المغرب وتتمثل في طبخ الفول مقشوراً ووضعه في الصحفة قبل أن يتحلل وصب السمن ذائباً ـ أو وضع مقدار غير ذائب منه ـ عليه. هذا النوع من الثريد كان شعبياً جداً شائعاً لدى الفقراء وعامة الناس وخاصة العمال والفلاحين، وقد أورده صاحب *التشوف* كأكلة خاصة بالحصادة أخرجها لهم صاحب الفدان المشتغلين عنده في ضواحي فاس : ثم الثريد الخاص بالأغنياء والأعيان ويتخذ من الدقيق الممتاز الذي عرف آنذاك بالدرمك أو الحواري (*التشوف*، 354) هذا الثريد غالباً ما كان يصنع بلحم الدجاج أو الوحوش المصطادة (أرانب، حجل ...) ولا يصنع الأغنياء هذا الثريد إلا ومعه اللحم والإدام، فالسلطان المريني أبو عنان وهو عائد من حملته إلى المغارب أصابت محلته عاصفة تعذر معها وصول "... الأثقال بأحمال الأموال، فضلا عن الأطعمة المتروكة الإيصال، وكان السلطان بخير إلا أنه ما تعشى تلك الليلة إلا بقليل ثريد مادوم بشيء من سمن وطرف قديد ..." فالثريد لابد له من إدام (سمن ولحم) (*فيض العباب*، 282) وما بين النوعين نوع وسط عادي خاص بالفئات المتوسطة من المجتمع المغربي، غير أن عامة الناس وهذه الفئة لا تأكل النوع الممتاز من الثريد إلا في المناسبات.

أشار صاحب *التشوف* إلى نوع آخر سماه ثريدة اللبن، لا نعرف بالضبط ماذا تعني إلا أنها لا تعني ما يعرف عندنا اليوم في المغرب بسيكُوك. وأقرب الأنواع الموجودة عندنا اليوم لإشارة التادلي هو بَرگُوكَشْ فهو شبيه بالكُسكُس إلا أن حباته كبيرة الحجم ولابد له من الحليب والزبد الطري يسقى به إلى أن يطفو على سطح الإناء.

والثريد أنواع كما أشار إليه صاحب *التشوف* وهي إشارات عابرة فمنه أنواع للضعفاء وعامة الناس، وأنواع للخاصة والأعيان والمناسبات. وقد انتشرت هذه الأكلة في المغرب بشكل كبير منذ العهد الموحدي ووجدنا بعد *التشوف* إشارات وحديثاً عنها في عديد من المصادر منها *فضالة الخوان* (ص. 10) *مسالك الأبصار* (ص. 306) *ونفاضة*

الجراب (ص. 46) ويمكن أن نميز اليوم بين ثلاثة أنواع من الثريد : 1) الثريد المحضر انطلاقاً من الدقيق الخالص الذي يصنع منه رغائف (مسمن) ؛ 2) والثريد المحضر انطلاقاً من السميد الذي يصنع منه خبز صلب (المحراش والحرشة) والنوعان يحتاجان إلى الإدام واللحم ؛ 3) النوع الذي يصنع انطلاقاً من الخبز العادي أو من بقايا الخبز وليس فيه لحم وهو نوع شائع عند الفقراء.

للأنواع الثلاثة أسماء خاصة بها، فالنوع الأول احتفظ بالاسم الأصلي الثريد ولعله هو الأصل في هذا النوع من الأكلات. أما النوع الثاني فشائع أكثر بين القبائل العربية ويعرف بالرفيسة. والنوع الثالث يعرف بالرفيسة الحافية أو تامسحَلّبت نسبة إلى الحلباء لأنه يحضر بها. أشهر المناسبات التي يؤكل فيها الثريد والرفيسة، النفاس، حاگوزة خلال فصل الربيع (موسم توفر اللبن والزبد الطري).

ونظراً لقيمة الثريد في النظام الغذائي العربي والإسلامي وأهميته في حضارتنا فقد ضرب به المثل رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" حديث شريف أورده *لسان العرب المحيط* ولأهمية الرفيسة وقيمتها الغذائية ومكانتها في المجتمع المغربي ضرب بها المثل التالي : "قالو كْليتْ الرْفيسة، قالو في حَنْكَكْ ثْبَانْ".

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، 1971 ؛ ب. التادلي ابن الزيات، *التشوف*، 1958 و1984 ؛ ابن رزين التجيبي، *فضالة الخوان وطيبات الطعام والألوان*، 1981 ؛ ابن فضل الله العمري، *مسالك الأبصار*: مقتطفات منه في 1) 2 Fagnan, *Extraits inédits* م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية*... ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، القاهرة بدون تاريخ ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت بدون تاريخ.

محمد حجاج الطويل

ثرينكي، Thrinké مدينة من المغرب القديم، انفرد بذكرها الكاتب الاغريقي هيكاتي الميلتي Hecatée de Milet الذي عاش بين أواخر القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد. لقد أوضح الكاتب أن مدينة ثرينكي تقع بالقرب من أعمدة هرقل، وهو مضيق جبل طارق عند القدماء.

وصلتنا معلومات مقتضبة لهيكاتي الميلتي حول مواقع المغرب القديم بواسطة إتيان البيزنطي Etienne de Byzance تتخلص هذه المعلومات في ذكر ثلاث مدن هي : ثرينكي، ثينگي Thingé ومليسّة Melissa.

فقد أجمع الباحثون بخصوص ثينگي على أن مدينة طنجة تغطي آثار هذه المدينة، والاسم الحالي للمدينة لا يختلف عن الاسم القديم الذي ورد في عدة مصادر. أما مدينة مليسّة، فهناك من يرى تطابقاً بينها وبين مليته Melitta التي يعتبرها حَنُّون في رحلته إحدى المستوطنات التي أقامها على ساحل المحيط الأطلنتي، بين رأس صوليس Soloeis ونهر لكسوس. وهناك من يظن أنها تطابق مدينة ليسّة Lissa التي أشار إليها بلينيوس القديم مع مدينة كوطَة Cottae على أنهما مدينتان مندثرتان لم يبق لهما أثر في عهد الكاتب (Pline L'Ancien, 5, 2).

أما مدينة ثرينكي، فلم يشر إليها أي مصدر بعد هيكاتي، ولم تحظ باهتمام الدارسين المحدثين لمحاولة التأكد من موقعها. فبينما سكت عنها تيسو Tissot، فإن گسيل Gsell يظن أن ثرينكي توجد بموقع رأس أشقار، حيث عُثر على آثار تعود لفترة ما قبل التاريخ. وقد رده كاميس Camps هذا الرأي دون تعليق. أما كاركوپينو Carcopino فيعتبر أن ثرينكي وليسة مدينتان فنيقيتان، جاعلاً موقعهما بين رأس سبرطيل ونهر اللوكوس أي لكوس القديم.

G. Camps, *Aux origines de la Berbérie, Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca*, 8, 1960 ; J. Carcopino, *Le Maroc antique*, Paris, 1948 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924.

محمد مجدوب

الثريا، مصابيح شبهت بكوكب الثريا لكثرة ضوئها، لا يعرف أصل صناعة الثريات بالضبط، وإن كان الرأي الغالب من خلال استقراء مختلف المصادر، أنها صناعة تطورت عن القناديل والمصابيح الزيتية القديمة التي عرفها الإنسان منذ القديم وتفنن في صنعها وعلقها في المعابد والقصور (عند الاغريق والرومان) وتطورت صناعتها من الخزف إلى البرونز والمعادن الأخرى.

عرفت في المغرب أشكال القناديل والمصابيح المذكورة، وعرفت الثريات منذ تاريخه الوسيط (العهد الموحدي)، فقد وفرت نواقيس الكنائس في الأندلس بعد الفتح الإسلامي وخاصة في العهد الأموي والموحدي، الأرضية التي اعتمدت عليها صناعة الثريات (*وصف إفريقيا*، 1 : 177 ؛ *جنى زهرة الآس*، 75)، فأصبحت تقليداً اتبعه ملوك المغرب وقادة جيشه استمر إلى عهد الجزنائي صاحب *جنى زهرة الآس* والحسن الوزان صاحب *وصف افريقيا*. وبرع فيه الصناع المغاربة وأبدعوا وكان ذلك بأمر من السلاطين وتحت إشرافهم أو من ينوب عنهم.

ذكرت المصادر الوسيطية ثلاثة مساجد كانت بها ثريات متفاوتة الحجم والصنعة. هي مسجد القرويين، ومسجد الأندلس بفاس، ثم المسجد الأعظم بتازا. وأول مصدر قدم لنا تفاصيل جد مدققه عن الثريات وكيفية صناعتها وتحويلها من نواقيس إلى فوانيس تضيئ بيوت الله هو الجزنائي (انظر وصفه في *جنى زهرة الآس*، ص. 75) وأولى هذه الثريات يبدو أنها موروثة عن العهد الموحدي هي الثريا الكبرى الموجودة بجامع القرويين بفاس. فقد ذكر صاحب *القرطاس* (ص. 66. 67) "... انها تخلقت بطول الدهر فتكسرت ..." فأمر السلطان المريني يوسف بن يعقوب بإنزالها وإعادة تصنيعها، فسبكت وزيد عليها مقدار وزنها من النحاس، واشتغل فيها عدد من الصناع. وبلغت

تكاليف صناعتها سبعمائة وسبعة عشر ديناراً ودرهمين ونصفاً، وزنها سبعة عشر قنطاراً ونصف وثلاثة عشر رطلاً تحمل من الزيت قنطاراً وسبع قلل، عدد قناديلها خمسمائة وتسعة قناديل.

أعطى ابن أبي زرع نبذة عن تاريخها إضافة إلى ما ذكر فقال إنها كانت تستعمل (تسرج) ليلة 27 رمضان، واستمر العمل بهذا التقليد الذي بدأ مع الموحدين إلى أن ولي جامع القرويين القاضي الحبوني فقام بوقف إشعالها. ولم تعد للاشتعال إلا في سنة 687 / 1283 ـ 1284 بأمر من السلطان المريني السالف الذكر واستمر العمل بذلك إلى المؤلف الذي كان حياً إلى سنة 710 / 1307 وإلى عهد الجزنائي الذي كان حياً سنة 766 / 1365 ـ 66.

استمر العمل بالثريات بعد ذلك في القرويين وفي غيرها من مساجد فاس بل انتقل إلى خارج فاس ليصبح من تحف المساجد وجزءاً من الحضارة المغربية الأندلسية. ولم تكن هذه الثريا التي أطنب في الحديث عنها ابن أبي زرع إلا واحدة من عدة ثريات تزين جامع القرويين وتضيئه إلا أنها أكبرها، لذلك كان استعمالها في المناسبات فقط. لم يكن جامع القرويين ينفرد بالثريات والثريا الكبرى بل إن مساجد أخرى في فاس كالجامع الجديد توفرت على ثريا كبرى وزنها سبعة قناطير وخمسة عشر رطلاً وعدد كؤوسها مائة وسبعة وثمانون كاسا (قناديلها) (*القرطاس*، 405). وفي إطار اهتمام السلاطين المرينيين الأولين بمدينة تازا واعتبارها عاصمة ثانية لهم ومدينتهم التاريخية والإستراتيجية جددوا العديد من بناياتها ووسعوا مسجدها الأعظم وزودوه بثريا كبرى تفوق ثريا جامع القرويين حجماً ووزناً وجمالاً، وذلك سنة 699 / 89 ـ 1290 وزنها اثنان وثلاثون قنطاراً من النحاس وعدد كؤوسها (قناديلها) خمسمائة وأربعة عشر كأساً وتكاليف صناعتها ثمانية آلاف دينار ذهب.

وفي عهد أبي الحسن المريني جلب ناقوس كبير من جبل الفتح (جبل طارق) على يد أحد الأمراء المرينيين وتم تصنيعه بطريقة فنية، حتى أصبح ثريا جميلة حسب وصف جنى *زهرة الآس* (ص. 75) علقت في "البلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين" من جامع القرويين في منتصف شوال سنة 737 / 1337 ـ 1338 : وزنها قبل إدخال الزوائد عليها عشرة قناطير، بلغت تكلفة صناعتها سبعين ديناراً ذهباً.

وما يمكن استنتاجه من مختلف الأوصاف التي وردت في المصادر :

ـ ان صناعة الثريات دخلت المغرب من الأندلس إلا أن المغاربة برعوا فيها وأبدعوا.

1 ـ انتشر استعمال الثريات في المساجد ثم باقي البنايات العمومية والخصوصية الكبرى، مدارس، زوايا، قصور، أضرحة وغيرها.

2 ـ تشغيل الثريات الكبرى تطلب كمية كبيرة من الزيت وتوفره غير مضمون باستمرار لغلائه خاصة أوقات الشدة وبخل المحسنين عن التبرع به أحياناً.

3 ـ زمن الاضطراب وانعدام الأمن والحروب لايقضي على إمكانية الحصول على الزيت فقط لعرقلة العمل الفلاحي، ولكنه يؤدي إلى انتزاع الثريات لاستعمالها في أغراض أخرى صناعية، خاصة عند فقدان الحديد والنحاس والمعادن الأخرى.

4 ـ عادة استعمال الثريات وتزيين المباني الكبرى بها عريقة في المغرب فلا غرابة أن وجدناها اليوم تنتقل إلى مختلف الفئات الاجتماعية، خاصة وأن الصناعة الحديثة توفر لها ما تتطلبه حسب مستواها.

ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، الرباط، 1972 ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، 1967 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1980.

محمد حجاج الطويل

ثريا بنت عبد الواحد الشاوي ← الشاوي ثريّا

الثعبان، جنس حيوان وحشي من الفقريات Vertébrés ومن الزواحف Reptiles ومن رتبة الثعبانيات أو الحيات Ophidiens التي تضم ألفي وسبعمائة نوعاً في العالم منها أربعة وخمسون نوعاً ساماً يلسع ويطعم السم القاتل أحياناً بواسطة أسنان خاصة. يتراوح طول الثعبان ما بين بضع سنتميترات لدى البُرَيْمِيّات وعدة أمتار لدى أنواع أخرى كالأصلة والبُواء. تسميها العامة أفاعي وأحناشاً وثعابين وحيات، وباللغة المِصْرية القديمة أف وأفو وحفي، وبالعبرانية أفعي.

والثعابين حيوانات لا تتوفر على قوائم، طويلة الجسم والذنب، العينان صغيرتان وبدون جفون تبقى مفتوحة في كل وقت. الجسم مغطى بقشور مقرنة عديدة ومختلفة الحجم والشكل : عريضة وضيقة جهة البطن مرتبة على صف واحد، طويلة دائرية الجوانب جهة الظهر والجوانب ومرتبة على صفوفه، يتراوح عددها ما بين سبعة عشر وواحد وأربعين حسب الأنواع. تكسو الرأس صفيحات عريضة ومنتظمة يُعتمد عليها في تصنيف الفصيلات والأجناس والأنواع.

تتوفر الأنواع السامة على سِنَّيْن سامتين مقنيتين من الداخل على غرار إبرة الحقَن الطبية، مما يجعل السم يسري بداخلها بعد إفرازه بواسطة الغدد السامة التي تضغط عليها العضلات الحازّة بواسطة الفك الأعلى أثناء الدفاع عن النفس أو اصطياد الفريسة. بعض هذه الأسنان متحركة، تكون منثنية إلى الوراء إزاء الحنك وتنتصب عند الحاجة بواسطة عضلات صغيرة. يوجد بداخل الفم لسان طويل، رهيف ومفلوق قابل الانكماش والتقلص. في حالة السكون يبقى منكمشاً داخل غمد يقع تحت الجهاز التنفسي ويستعمل للذوق واللمس واستكشاف الوسط الذي يحيط بالحيوان.

تعرف الثعابين بالتبدل الفزيولوجي لغشائها الذي يحصل مرتين إلى أربع مرات في السنة. ينسلخ الغشاء

قطعة واحدة بعد أن يحتك الثعبان بالأحجار أو بجذوع الأشجار. تحتفظ قطعة الانسلاخ بجميع الأوصاف التي يعتمد عليها في تصنيف النوع.

يتم التناسل والتوالد في فصل الربيع وفي فصل الخريف وذلك عبر عدة أساليب مختلفة حسب الأنواع. بعض الأنواع سَرْلودة تضع حوالي أربعين بيضة وبعضها سَروءة (بيوضة) تبيض أكثر من مائة بيضة. وهناك أنواع ولودة تتناسل فيما بينها لتلد ما بين فردين أو أكثر دفعة واحدة.

يعمر الثعبان أربعين سنة على الأكثر، وقد عرفه الإنسان منذ القدم سواء لترويضه وتربيته المعروفة عند الحواة "Charmeurs" أو لاستخراج سمومه التي تستعمل في صنع الأدوية.

تعرف أنواع الثعابين توزيعاً جغرافياً واسعاً حيث توجد في كل من المناطق المعتدلة والصحراوية والباردة وفي الأوساط الهضابية والجبلية إلى غاية ارتفاع يتعدى أحياناً 3.000 متر.

تتميز الحيات السامة عن باقي الأنواع غير السامة بجسم سمين وذنب قصير ورأس مثلث مفصول عن الجسم بعنق رقيق. تمتاز هذه الأنواع بقدرة فائقة على التَستّر تساعدها على اصطياد فرائسها بسهولة وتقْتات بالأساس من الفيران والعظايات وغيرها من الحيوانات الصغيرة. تكون نشيطة على العموم خلال الليل بينما ترتاح أثناء النهار مختفية في الجحور وتحت الأحجار أو بين جذوع الأشجار.

يُوجد في أوربا سبعة وعشرون نوعاً من الثعابين ويحتضن المغرب وحده ستة وعشرين نوعا تنتسب إلى خمس فصيلات : الأفاعي أنبوبيات الأخاديد منها الأفاعي Vipèridés ، والحيات Elapidés وعديمات الأخاديد منها الأصلال أو الأصليات Boïdes والثعبانيات أو الحفافيث Colubridés والحيات الرقيقة العمياء Leptotyphlopidae.

تتكون الأفاعي أنبونيات الأخاديد من سبعة أنواع كلها سامة وخبيثة تؤدي لدغاتها إلى القتل. الرأس عريض ومثلث تكسوه حراشف صغيرة والصفيحات غير موجودة. يحمل الفك العلوي أنياباً كبيرة ورقيقة أنابيبها مرتبطة مباشرة بالغدد الرأسية التي تفرز السموم.

الأفعى الحرة أو أفعى الأهرام تدعى علمياً Echis carinatus وبالفرنسية Vipère des pyramides وبالأنجليزية Saw viper أو Carpet viper وبالأمازيغية ايفيغَرْ وأبَنْكال وأزْرم وتطلق هذه الأسماء على كل أنواع الثعابين في المغرب.

إنها حية خبيثة جداً تسميها العامة أفعى في الدول العربية وتسمى في مصر الأفعى الغريبة. على ظهرها خطان أسودان متعرجان كالطفيتين. ومنه الحديث النبوي الشريف "اقتلوا من الحيات ذات الطفيتين والأبتر". ويفهم من الحديث أن ذات الطفيتين من أخبث الحيات. ظهرها ضارب إلى الحمرة أوالصحمة، تمشي مثنية بثنيتين أو ثلاث أثناء يحُكُّ بعضها بعضا، إنه حيوان ولود يضع من ثلاثة إلى اثني عشر صغيراً. يعيش في المناطق الجافة المجاورة بالأماكن الصحراوية يبلغ طوله ما بين 65 و83 سم. كثيراً ما يرقي على فرسيته ليلدغها.

نادر في الصحراء المغربية وموطنه الأصلي شمال أفريقيا وأوغندا وغانا والكامرون وكينيا والجزيرة العربية والعراق وإيران وباكستان وأفغانستان وروسيا الشرقية.

الأفعى الصامدة تدعى علميا Bitis arietans وبالفرنسية Vipère heurtante، تعيش في المناطق شبه الصحراوية الممتدة من المغرب إلى شبه الجزيرة العربية شرقاً وإلى جنوب افريقيا. يتراوح طولها ما بين متر ومتر وعشرين سنتيمتراً. تتميز بأنياب كبيرة وقوية وتحمل في غددها كمية هامة من السم في استطاعتها أن تقتل به من أربعة إلى خمسة أشخاص. تعد من أخطر الحيات، تتغذى من الضفادع والفيران وهي ليلية النشاط، بطيئة المشي. تنتفخ أثناء الإزعاج وتحدث صفيراً قوياً ثم تصطدم بعدوها لتلدغه. ظهرها مخطط بخطوط متعرجة ضاربة إلى السواد والحمرة ويُعد هذا النوع أيضا من ذي الطفيتين المذكور في الحديث النبوي. شائع في ضواحي طرفاية وفي جبال الأطلس الكبير الغربي. شائع أيضا عند رواد الثعابين في ساحة جامع لفنا بمراكش، تعصر غدد سمومها المطلوبة لصنع الأدوية وتحذف أنيابها.

تضع الأنثى في فصل الربيع من ثمانية إلى أربعين صغيراً داخل الجحور. تتوفر على السموم منذ الصغر وكثيراً ما تخلف الكبار خسائر في الماشية حيث تلدغها وتقتلها.

أفعى "ليبيتي" تدعى علمياً Vipera lebetine mauritanica وبالفرنسية Vipère lébétine وتعد من أطول الأفاعي السامة وأكبرها، تسكن افريقيا الشمالية وبعض الجزر اليونانية وآسيا الوسطى. يبلغ طول الإناث متراً ونصفاً. إنه حيوان بيوض ولود يتكاثر نشاطه ليلا وفي الغروب أثناء فصل الصيف ويخرج نهاراً في الشتاء والخريف. يتغذى من الفيران والطيور. الظهر مبرقع بخطوط بنية سوداء ضاربة إلى الحمرة وأنيابها طويلة وحادة مملوءة بالسموم القاتلة.

تعد الأفعى الوحيدة التي تعيش في المناطق الرطبة في المغرب ومعروف عند البدو أنها تخرج نهاراً أيام فصل الربيع وليلا أثناء فصل الصيف. تسكن داخل الأحجار والصخور وتغزو أحيانا الحدائق المنزلية للبحث عن الفيران. شائعة في الأطلسين المتوسط والكبير وضواحي أُولماس وسهول الغرب ونواحي بن سليمان وسيدي بطاش وفي جبال الريف.

الأفاعي القرناء تتكون من أربعة أنواع في المغرب أطولها هي أفعى لطاست Vipera latastei تسمى بالفرنسية Vipère de lataste تعيش في المناطق الجافة الباردة وخاصة

منها المناطق الجبلية التي تفوق ألف متر من الارتفاع. لا يتعدى طولها خمسا وسبعين سم عند الذكور وستين سم عند الإناث. يحمل الرأس قرناً صغيراً في مقدمته، الظهر مبرقع بخطوط منعرجة عريضة بنية سوداء مائلة إلى الحمرة، البطن رمادي مسود.

يعيش ضرب من هذا النوع Vipera latastei monticola في المناطق المرتفعة من الأطلس الكبير (ما بين 2.000 و4.000 متر) ولا يتعدى طولها أربعين سنتيمتراً تخرج نهاراً لتبحث عن الضفادع والفيران ولدغاتها قاتلة.

الأفاعي القرناء Cerastes vipera وCerastes cerastes تتميز بقرنين اثنين فوق رأسها، ويعيش هذان النوعان في المناطق الصحراوية يختفيان نهاراً وسط الرمال ويبحثان ليلا عن الفيران والزواحف الصغيرة. وتقطعان مسافات طوالا بسرعة للبحث عن الفريسة، لونها شبيه بلون الرمال مما يجعل اكتشافها صعباً.

يتكون قرناها الصغيران بامتداد الحراشف فوق العينين. الذنب قصير. تمشي جانبياً مثنية بثنيتين. الإناث بيوضة تضع من عشر إلى عشرين بيضة تعطى الصغار بعد ثمان وأربعين ساعة تحت حرارة قريبة من 28 درجة. لا يتعدى طولها أربعين سنتيمتراً ولدغاتها قاتلة، شائعة في المناطق الصحراوية المغربية وتعيش أيضا في سائر افريقيا الشمالية وفي الجزيرة العربية وآسيا الوسطى. سمي هذا النوعان بالأبتر في الحديث النبوي وذلك لأنهما أقصر الأفاعي وأصغرها طولا وأخبثها.

تُعد عشيرة الحيات Elapidae من أخبث الأفاعي وأطولها. تفرز سموماً قاتلة للأعصاب ويقتصر التوزيع الجغرافي لأنواعها التي تفوق ثلاثين نوعاً في العالم على المناطق الحارة لكل من افريقيا واستراليا وآسيا الجنوبية.

يمثل هذه العشيرة في المغرب نوع واحد يدعى Naja haje haje وبالفرنسية Cobra égyptien أو Cracheur وبالأنجليزية Egyptien cobra وبالبرتغالية Cuspideira. تسميه العامة في شمال افريقيا "بوسَكّة" و"بومْرَيَات" و"بودرگة" وذلك لأنه يرفع مقدمته من الأرض مقدار ذراع أثناء الإزعاج ثم ينفخ رأسه فيصير العنق عريضا ومسطحا ويبقى الرأس أفقيا ليُخيف العدو. يطلق عليه في مصر وفي الشام الناشر المصرية والصّل المصري، وحية ناشر، وثعبان ناشر وبزّاقة.

إنه حيوان شائع عند الحواة المغاربة حيث يعتبر أنيسهم المفضل وذلك لسهولة تدجينه وتجاوبه مع الموسيقى. يقول المعلوف في شأن هذا النوع "قد أجمع المحققون على أن الناشر المصرية هي الصلّ المصري المعروف عند الإغريق باسم Aspis وكانت مقدسة عند قدماء المصريين وهي الحية التي قتلت بها كليوباطرة نفسها. وسماها ابن سينا البزاقة لأنها تنفث السم عن بعد فتقتل من يقع عليه بصاقها".

يتعدى طول هذا النوع المترين أحياناً، لونه رمادي داكن يميل إلى البنّي المسودّ وهو كثير الشبه بالثعابين غير السامة "الثعبانيات Colubridae" نظراً لوجود الصّفيحات العريضة فوق الرأس. يكثر نشاطه في فصل الصيف سواء بالنهار أو بالليل وهو بيوض. إنه أشد سموما من الناشر الهندية Naja naja وشائع في المناطق الجنوبية المغربية وخاصة منها التي تحيط بالأطلس الكبير وبالأطلس الصغير.

إنه حيوان مرغوب فيه من لدن المختبرات بمعهد باستور لاستخراج سمومه واستعمالها في الأدوية.

يمثل فصيلة الأصليات أو الأصلال Boïdés في شمال إفريقيا نوعاً واحداً تسميه العامة الدّساس أو الدسيس. ويدعى علميا Eryx jaculus وبالفرنسية Boa des sables أو Eryx javelot وبالأنجليزية Sand Boa. اسمه في الشرق وفي مصر الدسّاس لكثرة اختفائه في الرمال، وأُعيرج ونگاز.

موطنه شمال إفريقيا وشبه الجزيرة العربية وآسيا الجنوبية والجنوب الشرقي لأوربا. إنه ثعبان خال من السموم، قصير يتراوح طوله ما بين أربعين وثمانين سنتيمتراً، محدد الطرفين، ذنبه قصير ودائري في مؤخرته. الجسم ضخم ودكين، لونه رمادي مصفر، وبُنّي أحمر جهة الظهر، وأصفر يميل إلى البيضا جهة البطن. العينان صغيرتان وأفقية الحدقات. القشرات الظهرية والبطنية صغيرة ودقيقة. تتخلل الظهر عدة بقع مادية غير منتظمة تختلف أشكالها حسب الأفراد.

إنه ثعبان ولود بيوض يضع صغاره نشيطة منذ الولادة ويتراح عددها ما بين خمسة واثني عشر فردا. ويعيش في المناطق الغنية بالرمال حيث يختفي فيها طول النهار ويخرج أثناء الغروب وفي الليل ليصطاد فريسته المتكونة من الفيران والزواحف الصغيرة التي يخنقها بين طيات جسمه ثم يبتلعها. كثيرا ما يتخذ جحور الفيران مسكناً له ويقتصر توزيعه الجغرافي في المغرب على المناطق الشرقية ويعد من الحيوانات النادرة في البلاد.

يعد نوع ليبتوتيفلوبس ماكرورانكوس Leptotyphlops macrorhyncus الممثل الوحيد في المغرب لفصيلة الحيّات العمياء الرقيقة Leptotyphlopidae وهو ثعبان صغير لا يتعدى طوله عشرين سنتيمتراً وسطره سنتيمتر واحد وعشرون مليمتراً. يسمى بالفرنسية Serpent minute وSerpent fouisseur ولقلة انتشاره في المغرب لا يوجد له اسم خاص به.

يعيش هذا النوع في شمال وجنوب الصحراء، يختفي نهاراً وسط الرمال والجحور ويخرج ليلا ليقتات من يرقات الحشرات والنمل. فمه صغير وقريب من الجهة البطنية وخال من الأسنان والسموم مما يجعله لا يُؤذي الإنسان. لا يرى بعينيه ويعتمد على السمع. موطنه المناطق الحارة الإفريقية والأمريكية وشائع في بعض الوديان الصحراوية الجنوبية بالمغرب.

يعيش في المغرب ستة عشر نوعاً من فصيلة الأحناش

أو الثعبانيات العدية الأخاديد Colubridae وكلها غير سامة بالنسبة للإنسان إلا أن لذغاتها قد تسبب ضرراً طفيفاً في بعض الأحيان. تسمى في المغرب أحناش وهي شائعة عند الحواة ويطلق عليها في مصر حفث وحفاث وحنْفش وحنفيش. كل هذه الثعابين بيوضة وتتميز عن باقي الحيات السامة الخبيثة بقشور كبيرة ومصفحة فوق الرأس يعتمد عليها في التصنيف وبذيل طويل ورقيق. الأنياب موجودة بداخل الفك العلوي تستعملها لتبنيج الفريسة قبل ابتلاعها.

من بين الأنواع الأكثر انتشارا في المغرب Coluber hippocrepis الذي يدعى بالفرنسية Couleuvre fer - à - cheval أي حنش حدوة الجواد. يبلغ طوله أحياناً مائة وخمسين سنتيماً وتتخلل ظهره عدة بقع بنية داكنة وسوداء، لونه أسود مخضر جهة الظهر وأصفر برتقالي جهة البطن.

نشيط بالنهار وشائع في المنازل المهجورة والجدران القديمة وذلك لوجود الفيران والزواحف الصغيرة هناك. يتسلق بسهولة الأشجار بحثا عن فراخ العصافير وسط الأعشاش مما أدى إلى تسميته في بعض المناطق المغربية بالحنش الصياد ويسميه بعضهم بوفيران وبالأمازيغية بُويْغَرْضاين.

وهو شائع شمال المغرب من الأطلس الصغير إلى الريف، ويوجد في الجنوب نظيره Coluber algirus الذي يعيش بين الأحجار والصخور بالمناطق الجافة وشبه الجافة.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*.

J. Bon et B. Girot, *Clé illustrée des reptiles du Maroc*, Trav. Inst. Sci. Chérif., Rabat, n° 26, 1962, 62 p ; A. Villiers, *Les serpents de l'ouest africain*, Dakar, 1963, 190 p ; E. N. Arnold et J. A. Burton, *Tous les reptiles et amphibiens d'Europe*, Elsevier, Paris, 1978, 266 p ; H. Saint Girons, *Les serpents du Maroc*, *Soc. Sci. Nat. et Phys. Maroc*, Rabat, n° 8, 1956, 29 p ; G. Pasteur et J. Bons, *Catalogue des reptiles actuels du Maroc, Révision des formes d'Afrique, d'Europe et d'Asie*, *Trav. Inst. Sci. Chérif. Zoologie* n° 21, 1960, 132 p.

محمد رمضاني

الثعلب، جنس حيوان وحشي من الفقريات الثديية Vertebres, Mammifères. شائع وسط العامة يضرب المثل به في الخدعة والاحتيال والمكر والروغان. ينتمي إلى رتبة اللواحم Carnivores وإلى عشيرة الثعلبيات Vulpidae التي تتكون من اثني عشر نوعاً في العالم. وهو أصغر حجماً من ابن آوى ويميز بينهما في الحدقة فهي إهليلجية عند الثعلب ومستديرة عند ابن آوى. وتسمى الأنثى ثعلبة وزوجها الثعلبان.

تعيش في المغرب ثلاثة أنواع من الثعلبيات :

- الثعلب الأحمر يدعى علميا Vulpes vulpes Lin وبالفرنسية Renard roux وRenard Fauve وبالإنجليزية Common red fox وبالاسبانية Zorro وبالأمازيغية أباغوغ وأكعب. متكه طويل وحاد، وأذناه طويلتان، وذنبه كثيف الشعر وطويل ينتمي بخملة كبيرة من الشعر الأبيض ترى من بعيد وينعت إليه بسببها بونوارة. يكسو جسمه شعر أحمر مصفر داكن جهة الظهر والقوائم وفاتح جهة الصدر والبطن. يتراوح طوله ما بين 50 و55 سم جمعا بين الرأس والجسم، وطول ذيله 33 . 40 سم وطول رأسه 12.5 . 15 سم وطول الجمجمة بين 9.3 و11.3 سم. علوه عند الغارب 30 سم وطول القدم الخلفية 12 . 13 سم. يتراوح وزنه ما بين 6 و10 كلغ.

صيغة أسنانه كالتالي : 3 / 3 قواضم، 1 / 1 أنياب، 4 / 4 أضراس أمامية، 2 / 3 أضراس = 42 سنا كلها قوية وحادة.

يعيش وسط الغابات والأدغال والجبال في جميع المناطق المغربية ما عدا الصحراوية منها وشبه الصحراوية، حيث يحد الأطلس الصغير توزيعه الجغرافي جنوباً، ويعيش أيضاً في إفريقيا الشمالية وأوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا.

الثعلب حيوان ليلي النشاط طول السنة إلا أنه يستانف نشاطه أحياناً في النهار خلال فصل الشتاء. يعيش الزوجان مع أبنائهما داخل جحور يحفرانها أو يتخذان جحور الأرانب مسكناً لهما بعد تنظيمه وتوسيعه. كما أن هذا الحيوان يستعمل المغاور وشقوق الصخور مسكناً له. يتكون غذاؤه من الحيوانات اللبونة الصغرى وخاصة منها الفيران والجرد والأرانب كما أنه يتسلل ليلاً إلى المنازل بالبوادي ليختطف الدجاج.

يتوالد في فصل الربيع وتضع الأنثى من ثلاثة إلى سبعة ونادرا اثني عشر صغيراً بعد حضانة تدوم بين واحد وخمسين وثلاثة وخمسين يوماً. تولد الصغار مغمضة العينين ولا تفتحهما إلا بعد اثني عشر أو خمسة عشر يوماً. تصير بالغة بعد عشرة أو اثني شهراً وتعمر إحدى وعشرين سنة.

يصاد الثعلب ويقتل لفروه المطلوب في أسواق الملابس ويضايق من طرف رعاة الغنم خوفاً على صغار الأغنام والدواجن التي تربى في البوادي.

يدعى ثعلب الصحراء علمياً Vulpes rueppelli (Sch.) وبالفرنسية Renard famelique وبالإنجليزية Sand fox وبالإسبانية Zorro famelico وبالأمازيغية أكعب وأباغوغ. وهو أصغر حجماً من الثعلب الأحمر حيث لايتعدى طوله عند الغارب 25 سم وطوله 40 . 48 سم جمعا بين الرأس والجسم وطول ذيله 30 . 39 سم. يتراوح وزن الكبار ما بين 3 و4 كلغ. القوائم قصيرة، الأذنان طويلتان وعريضتان، الذيل كثيف الشعر أبيضه في المؤخرة، شعره أصفر فضي ملطخ، داكن على ظهره وفاتح على البطن والجوانب. شعر الذيل بُنيّ مصفر ممزوج بالشعر الأسود.

يعيش في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية الجنوبية الممتدة من الأطلس الصغير إلى الحدود الموريطانية. يمتد توزيعه الجغرافي العالمي من المناطق الصحراوية المغربية إلى إيران وأفغانستان.

والثعلب قوي البصر يتمتع بسمع حاد ودقيق. يعيش غالباً وسط مجموعات تتكون من أفراد الأسرة يشبه الثعلب الأحمر في الولادة ويعمر عشر سنوات.

- ثعلب الرمال أو الفنك يدعى علمياً Fennecus Zerda وبالفرنسية وبالانجليزية Fennec وبالاسبانية Fenek. يعد من أصغر أنواع الثعلبيات حجماً حيث لا يتعدى طوله عند الغارب 21 سم وطوله 35.41 سم جمعاً بين الرأس والجسم. وطول ذيله 18.30 سم. يتراوح وزنه ما بين 1.2 و1.5 كلغ. ويعرف بأذنيه الكبيرتين اللتين تتعديان عشر سم من الطول وبعينيه الواسعتين والكبيرتين، متكه ضيق، طويل وحاد، لون شعره شبيه بلون الرمال، مؤخرة ذيله كشيفة الشعر وسوداء.

يتوالد في فصل الربيع وتضع الأنثى من اثنين إلى خمسة صغار بعد حمل يدوم حوالي خمسين يوماً. يعيش وسط مجموعات تتكون من ثلاثة إلى أفراد.

وهذا الثعلب شائع في ضواحي وادي درعة وتافيلالت وطرفاية والساقية الحمراء ولكويرة واسمارة، ويمتد توزيعه الجغرافي من المغرب إلى شبه الجزيرة العربية.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grands mamifères d'Afrique*, Lausanne, 1976, 286 p.

ثعلب الماء، أو كلب الماء كما هو شائع عند العامة في شمال إفريقيا، أو قضاعة كما هو في المعاجم. حيوان وحشي في حجم القط، من الثديبات Mammifères ومن رتبة اللواحم Carnivores وفصيلة السرعوبيات أو السراعيب Mustelidae. يدعى علمياً Lutra lutra angustifrons وبالفرنسية Loutre وبالإنجليزية Otter وبالإسبانية Nutria وبالأمازيغية بأغوغ نْ وامان. ويعرف في لبنان باسم القندس.

إنه حيوان بَرْمَائِيّ يحسن السباحة بواسطة الغشاء الموجود بين أصابعه. يبلغ طوله بين 60.70 سم جمعا بين الرأس والجسم، ويبلغ طول ذنبه 35.50 سم وعلوه عند الغارب 30 سم. يتراوح وزن الكبار مابين 6.14 كلغ والإناث أقل حجماً ووَزْناً من الذكور. القوائم قصيرة جداً ومتينة، الرأس طويل ومفلطح، الأذنان والعينان صغيرتان. صيغة أسنانه كالتالي :

3/3 قواضم، 1/1 أنياب، 3/4 أضراس أمامية، 2/1 أضراس = 36 سنا قوية وحادة. يكسو جسمه شعر كثيف، أحمر بُنّي داكن جهة الظهر وفاتح جهة الصدر والبطن.

يتوالد في فصل الربيع وتضع الأنثى، بعد حضانة تدوم ثلاثة وستين يوماً، بين اثنين وأربعة صغار داخل الجحر، تُفَتِّح أعينها بعد أربعة أو خمسة أسابيع. تدوم مدة الرضاعة ستة أو سبعة أسابيع وتصير الصغار بالغة ما بين سنتين وثلاث سنوات وتعمر ثمانية عشر عاماً.

وهو حيوان ليلي النشاط لا يظهر بالنهار. يعيش بجانب الأنهار والبحيرات الغنية بالأسماك حيث يتكون قوته اليومي مما يقرب من 75٪ من الأسماك ومن 20٪ من الضفادع والاربيان (Ecrevisse) ومن 5٪ من الطيور والزواحف. يسكن الجحور التي يبنيها غير بعيدة عن الضفاف ويعرف وجوده بواسطة آثار أقدامه وبرفشه (excrément) الغني بقشور وحراشف الأسماك وخاصة منها سمك التروتة والزنجور والشبوط والبوري.

يعد هذا الحيوان من أكبر أعداء مربي الأسماك بالأطلس المتوسط إذْ يخلّف خسائر كبيرة في الأسماك بالبحيرات، وقد عرف تقلصاً كبيراً في المناطق الفلاحية بسهول الغرب، وهو شائع في الأطلس المتوسط والكبير وفي جبال الريف.

يقتصر توزيعه الجغرافي على أوروبا وشمال إفريقيا والشرق الأوسط.

أمين معلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1934.

5. Aulanier, et M. Hevenot, *Catalogue des mammifères sauvages du Maroc*, 1986, 163 p ; J. Dorst et P. Dandelot, *Guide des grandes mammifères d'Afrique*, Paris, 1976, 286 p.

محمد رمضاني

تـامــدة
انظر صفحة 2172

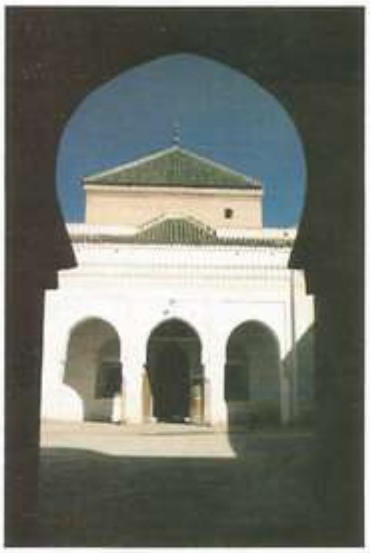

تـامگـروت
انظر صفحة 2189

التـامـول
انظر صفحة 2209

تَـاوَرا
انظر صفحة 2237

تـاوْريـرْت
انظر صفحة 2239

تُـراث إنسـانـي
انظر صفحة 2310

التَّـــرْق
انظر صفحة 2330

تْـرُوتَـــة
انظر صفحة 2341

تشجيـر في الريـف
انظر صفحة 2376

تشجيـر بشـاطـئ وادْ لاَوْ
انظر صفحة 2377

التـغْـزاز
انظر صفحة 2441

التفـاح : أغصـان مثمـرة
انظر صفحة 2491

تَـلْـوات
انظر صفحة 2530

تـــمْ
انظر صَفحة 2561

التنقيب عن الآثـــار
انظر صفحة 2590

تـوبكـال ـ جبل
انظر صفحة 2611

تـوبكـال ـ مُنتَزَه
انظر صفحة 2613

تـوت الأرض
انظر صفحة 2614

تـوت العُلّيق
انظر صفحة 2615

تيـزْغَـة
انظر صفحة 2673

تيـزْنْتـاسَـتْ
انظرها (ملحقة)

تيسْـكـاويـن
اَنظر صفحة 2699

التِّـيـن
انظر صفحة 2753

تـيـنْـمَـلْ
انظر صفحة 2765

تينْمَلْ
انظر صفحة 2766

ثعبان ـ بُودَرگة
انظر صفحة 2787

ثعبان
الأفعى القَرنَاء
انظر صفحة 2787

ثعبان ـ بوصْفيحَة
انظر صفحة 2787

الثعلب
انظر صفحة 2788

ثعلب الماء
انظر صفحة 2789

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**
Mohamed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.
Mohamed ZNIBER, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour La Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproducion

mêrne partielles sous quelque forme que ce soit.

Editée par

DAR AL AMAN

Dar Al Aman - Rabat

Kingdom of Maroc - 4, Zanaka Mamouniat - Rabat
Tel.:+212 5 37 72 32 76 / +212 5 37 26 37 87
Fax.:+212 5 37 20 00 55
e-mail: libdarelamane@yahoo.fr

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

DAR AL AMAN

Dar Al Aman - Rabat

1ere Edition 1989 / 1410
2eme Edition 2014 / 1435

Encyclopédie du Maroc

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء، يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

9

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

1998 - 1419

المغرب الأقصى

رقم الإيداع القانوني
بالخزانة العامة للكتب والوثائق - الرباط
1984 / 629

جميع حقوق النقل والترجمة . جزئياً أو كلياً بأي شكل كان . محفوظة
للجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ولمطابع سلا

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ - 1998
ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome IX) 9981 - 03 - 009 - 0

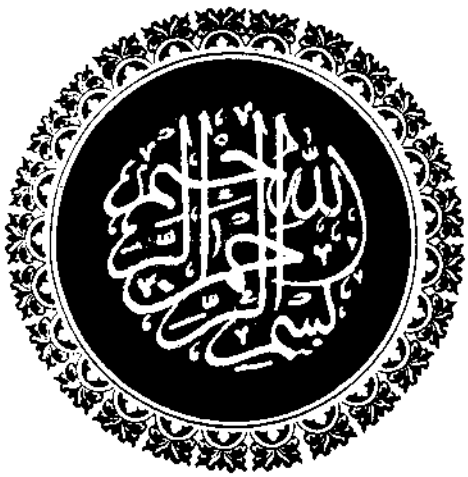
بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الإنسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
إبراهيم بوطالب، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيومورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي وأستاذ بكلية العلوم، الرباط

اختصارات

ت.	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. ت	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. ت	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

المشاركون في تحرير هذا الجزء

محمد **أخريف**، وزارة التربية الوطنية ـ القصر الكبير.
محمد **الأخصاصي**، باحث ـ الرباط.
أحمد **أشعبان**، باحث ـ تطوان.
سعيد **أعراب**، باحث ـ تطوان
مصطفى **أعشي**، معهد الدراسات الإفريقية ـ الرباط.
عمر **أفا**، كلية الآداب ـ الرباط.
إبراهيم **ألوزاد**، كلية الآداب ـ فاس ظهر المهراز.
حسن **اميلي** ـ كلية الآداب ـ المحمدية.
محند **أيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء.
عبد الكبير **باهني**، وزارة السكنى والتعمير ـ الرباط.
الهادي **بجيبجو**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.
محمد **البدراوي**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط.
ثريا **برادة**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد الأمين **البزاز**، كلية الآداب ـ الرباط.
الحسين **البعاوي**، وزارة التربية الوطنية ـ العرائش.
محمد **بكراوي**، كلية الآداب ـ فاس.
عبد الرحمان **البكريوى**، كلية الحقوق ـ الرباط.
محمد **بلعربي**، باحث ـ الرباط.
المختار **بلعربي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
عائشة **البلغيشي العلوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد العزيز **بلفايدة**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب ـ الرباط.
رقية **بلمقدم**، وزارة التربية الوطنية ـ مكناس.
عبد الإله **بلمليح**، كلية الآداب ـ وجدة.
علي **البليشي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **بنجلون**، باحث ـ الرباط.
عبد العزيز بن عبد الوهاب **بنجلون**، باحث.
لطيفة **بنجلون العروي**، باحثة ـ الرباط.
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد **بنشريفة**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الوطنية الغابوية ـ سلا.
عثمان **بناني**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **بوخبزة**، باحث ـ تطوان.
عبد القادر **بوراس**، وزارة التربية الوطنية ـ القنيطرة.

أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب ـ فاس ظهر المهراز.
محمد **بوسلام**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء عين الشق.
مصطفى **بوشعراء**، باحث ـ سلا.
عبد الله **بوصحابة**، كلية العلوم ـ فاس.
إبراهيم، **بوطالب**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **بوعزيز**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط.
بوشتى **بوعسرية**، كلية الآداب ـ مكناس.
أحمد **بومزگو**، كلية الآداب ـ أگادير.
جامع **بيضا**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **ابن تاويت التطواني**، باحث ـ تطوان.
عبد العزيز **توري**، وزارة الثقافة.
أحمد **التوفيق**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد العزيز **تيلاني**، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
خليل بن أحمد **جزوليت**، باحث ـ الرباط.
حسن **جلاب**، كلية اللغة العربية ـ مراكش.
الحسين **جهادي**، وزارة التربية الوطنية ـ الدار البيضاء.
أحمد **جومائي**، باحث ـ الرباط.
محمد **جومائي**، باحث ـ الرباط.
جعفر ابن **الحاج السلمي**، كلية الآداب ـ تطوان.
حسن **حافظي علوي**، كلية الآداب ـ مراكش.
محمد **حجاج الطويل**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء بن مسيك.
ميمون **حجوظ**، المندوبية السامية لقدماء المقاومين ـ الرباط.
محمد **حجي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب ـ وجدة.
فاطمة **الحراق**، معهد الدراسات الافريقية ـ الرباط.
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الرحمان **الحريشي**، باحث ـ الرباط.
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب ـ فاس ظهر المهراز.
علال **الخديمي**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **خربوعة**، المعهد العلمي ـ الرباط.
إسماعيل **خياطي**، كلية الآداب ـ الجديدة.
نجاة **الخياطي**، كلية العلوم ـ الرباط.
مارية **دادي**، كلية الآداب ـ وجدة.
محمد بن عبد العزيز **الدباغ**، وزارة الثقافة ـ فاس.

المهدي **الدليرو**، وزارة الثقافة ـ الرباط.
نفيسة **الذهبي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب ـ مراكش.
شفيق **الرفاگ**، كلية الآداب ـ أگادير.
علال **رگوگ**، كلية الآداب ـ بني ملال.
محمد **رمضاني**، كلية العلوم ـ الرباط.
بوجمعة **رويان**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد **زروال**، باحث.
محمد **زنيبر**، كلية الآداب ـ الرباط.
قاسم **الزهيري**، باحث ـ الرباط.
عبد الفتاح **الزين**، البحث العلمي ـ الرباط.
محمد **السعديين**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا.
عبد السلام **السعيدي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
رشيد **السلأمي**، كلية الآداب ـ مراكش.
مصطفى **الشابي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث ـ مراكش.
صالح **شكاك**، وزارة التربية الوطنية ـ تمارة.
المصطفى **شويكي**، كلية الآداب ـ الدار البيضاء عين الشق.
محمد **الشياظمي**، باحث ـ الرباط.
منير **صالح**، باحث.
أبو بكر **الصبيحي**، باحث ـ سلا.
محمد **الصوفي**، باحث.
عبد الرحمان **الطيبي**، وزارة التربية الوطنية ـ سلا.
عبد العزيز بن **عبد الجليل**، وزارة الثقافة ـ مكناس.
توفيق **العبقري**، باحث ـ الرباط.
زكية **عراقي سيناصر**، وزارة الثقافة ـ الرباط.
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
محمد ابن **عزوز حكيم**، باحث ـ تطوان.
عبد الرحيم **العطاوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **عمالك**، كلية الآداب ـ مراكش.
عبد الله **العمراني**، باحث ـ تطوان.
محمد **عمراني**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
الحاج موسى **عوني**، كلية الآداب ـ فاس.
مصطفى **عياد**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الخالق **غازي**، باحث.
حياة **الغراس**، باحثة ـ مراكش.
إدريس **الفاسي**، كلية الآداب ـ الرباط.
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.

حسن **الفگيگي**، كلية الآداب ـ القنيطرة.
بوشتى **الفلاح**، باحث.
المصطفى **فنيتر**، كلية الآداب ـ مراكش.
عبد الإله **فونتير**، كلية الحقوق ـ الرباط.
عبد القادر **القادري**، كلية الحقوق ـ الرباط.
محمد مصطفى **القباج**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
محمد، **القبلي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **قدور**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **كريبط**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **كلاد**، وزارة التربية الوطنية ـ أسفي.
محمد **اللبار**، كلية الآداب ـ ـ وجدة.
سيمون **ليڤي**، كلية الآداب ـ الرباط.
حسن **ليمان**، وزارة الثقافة ـ وليلي ـ مكناس.
محمد **ماگامان**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
أحمد **متفكر**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
محمد **مجدوب**، كلية الآداب ـ المحمدية.
المكي **مربي**، وزارة التربية الوطنية ـ مراكش.
محمد **مرزاق**، وزارة التربية الوطنية ـ وجدة.
نجاة **المريني**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **مزيان**، كلية الآداب ـ فاس.
الرشيد **المصلوت**، باحث ـ تارودانت.
عز المغرب **معنينو**، وزارة التربية الوطنية ـ الرباط.
محمد **المغراوي**، كلية الآداب ـ الرباط.
أحمد **المكاوي**، باحث.
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث ـ مراكش.
محمد **المنصور**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **المنوني**، كلية الآداب ـ الرباط.
محمد **منيوي**، المعهد العلمي ـ الرباط.
عبد الحي **مودن**.
شاكر **الميلود**، باحث.
محمد **الناصري**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة ـ الرباط.
مطفى **ناعمي**، البحث العلمي ـ الرباط.
عبد الله **نجمي**، كلية الآداب ـ الرباط.
زهرة، **النظام**، كلية الآداب ـ المحمدية.
محمد **هشمي**، المدرسة الوطنية الغابوية ـ سلا.
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب ـ مراكش.
أحمد **الوارث**، كلية الآداب ـ الجديدة.
مصطفى **يعرف**، باحث ـ وجدة.

بيبليوغرافيا إضافية
إلى ما ذكر في الأجزاء السابقة

ع. ابن **إبراهيم**،
إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش السبعة رجال، مخ. خ. ح. رقم 232.

م. **أخريف**،
إطلالة على أولياء مدينة القصر الكبير، مارس 1989.

إ. **الإدريسي**،
إعلان الصناعة الفاسية بنهضتها السامية، فاس، 1938.

ع. **الإدريسي**،
كشف الغطا عن سر الموسيقى ونتائج الغناء، الرباط، 1935.

س. **أدى شير**،
معجم الألفاظ الفارسية المعربة، بيروت، 1980.

م. **الأسدي**،
التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار، تح. ع. طليمات، القاهرة، 1968.

ي. **أشباخ**،
إسبانيا والبرتغال في عهد سيادة المرابطين والموحدين، تطوان، 1939.

س. **أعراب**،
جامع البيضاء، معلمة المغرب.
تاكطشت، معلمة المغرب.

م. **أعشي**،
العلاقات السياسية والعسكرية في موريتانيا الطنجية بين المور والرمان من 140 إلى 285 م، د. د. ع، الرباط، 1980.

م. **أعفيف**،
الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان، مجلة كلية الآداب الرباط، ع 7، 1980.

ع. **أقضاض**،
تأسيس جيش التحرير المغربي في الشمال، مجلة *المقاومة وجيش التحرير*، ع 12.

ح. **أميلي**،
الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17، د. د. ع، الرباط، 1989.

ح. **أنوش**،
بورحيم، معلمة المغرب، ج 5.

أ. **باكار**،
المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة، [د. م] : [د. ت]، 2 ج.

باه النعمة،

الشعر الحساني المجال النقدي والمرجع، الدار البيضاء، 1992.

البخاري،

الجامع الصحيح، بيروت، [د. ت].

ع. **بدوي،**

أفلاطون في الإسلام، تهران، 1974.

م. **برادة غزيول،**

مدونة وتنظيمات الجمارك والضرائب غير المباشرة، 1995.

ع. **بردلة،**

رسالة إلى مولاي إسماعيل، مخ. خ . ع رقم د163.

م. **برگاش،**

مراسلات مخزنية، مخ. خ. ع الرباط، ميكروفيلم.

ع. **البكريوي،**

الوجيز في القانون الإداري المغربي، الرباط، 1990.

ع. **البلغيثي،**

المنار، مخطوط.

ر. **بلمقدم،**

أرقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل، الرباط، 2 ج.

ع. **بنعبدالله،**

الأثر الاسلامي في الفن المغربي، *البينة*، ع 10، فبراير 1963.

ع. **بنعبيد،**

التوت، *معلمة المغرب*، ج 8.

م. **بنعلي،**

جوانب من نشاطات جيش التحرير بمنطقة فگيگ، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 2.

م. **بناني،**

فهرسة أحمد بن العربي ابن الحاج، مخ. خ. ح.

م. **بنميرة،**

الجماعات المحلية والممارسة المالية بالمغرب، مراكش، 1994.

م. **بوجندار،**

ترجمة صاحب الفضيلة والمعالي محمد بن الحسن الحجوي، *السعادة*، ع. 6054، 19 يناير 1944.

م. **بوخلفة،**

الطريق لمعرفة القصر الكبير، 1972.

ر. **بورقية،**

حول القبيلة في المجتمع المغربي في القرن 19 م، *مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية*، الرباط، ع 14، 1988.

إ. ابن **بوزيد السلاوي،**

الكناشة العلمية، مخطوط.

ح. **البوسليماني**،
روضة الأزهار ونزهة الأبصار، مخطوط.

أ. **بوشرب**،
المغاربة والبحر، مجلة بحوث، ع 4، 1991.
وثيقة برتغالية جديدة تتعلق بواقعة المليحة، مجلة كلية الآداب فاس، ع 2 ـ 3، 1979 ـ 1980.

إ. **بوطالب**،
الإدارة، معلمة المغرب، ج 1.

ب. **بوعسرية**،
مكناس المدينة الجديدة : التأسيس، البنيات الإدارية، التناقضات، 1911 ـ 1939، د. التاريخ، الرباط، 1995.

ح. **بوعياد**،
الحركة الوطنية : الظهير البربري 1348 / 1930، الدار البيضاء، 1979.

ي. **بوغانم**،
سوسيولوجيا الأغنية : أغنية جيل جيلالة نموذجاً، الدار البيضاء، 1990.

م. **البومسهولي**،
من المسؤول عن إفلاس تعاونية الدباغين في مراكش، الاتحاد الاشتراكي، ع 3621، 9 يوليوز 1993.

إ. **التادلي**،
أغاني السيقا ومعاني الموسيقى، مخطوط.

ع. **التازي**،
دور الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي العربي، المناهل، 1986.

ع. **التاغرغارتي**،
تراجم بعض علماء وفقهاء سوس، مخطوط.

إ. **التامري**،
المتعة والراحة في تراجم أعلام حاحة، الدار البيضاء، 1995.

ص. **التجيبي** بن إدريس،
زاد المسافر، بيروت، 1970.

ح. **التريكي**،
المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين، ضمن أشغال الملتقى الأول حول مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، الدار البيضاء 1989.

أ. **التستاوتي**،
ذيل ممتع الاسماع، مخطوط.

ج. **التستاوتي**،
مجموع، مخ. خ. ع. رقم ك 309.

أ. **التغاتيني**،
فتاوى فقهاء جزولة، مخطوط.

التقي العلوي،
أصول المغاربة : الاتحاديات الأطلسية، أيت عطا، البحث العلمي، ع 23، 1974.

ع. **التليدي**،
المطرب في مشاهير أولياء المغرب، طنجة، 1987.
ح. **التمنوگالي**،
العقود الجوهرية، مخ.
م. **التنسي**،
تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح. م. بوعياد، الجزائر، 1985.
الثعالبي،
تحفة الوزراء، تح. ح. الراوي وأ. م. الصفار، بغداد، 1977.
م. **ابن جابر**،
منية العابر، تح. ع. العمراني.
ع. **الجادري**،
اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار، ضمن كتاب *علم المواقيت أصوله ومناهجه*، تح. م. ع. الخطابي، المحمدية، 1986.
م. **الجاني**،
مقمع الكفرة بالسنان والحسام في بيان إيجاب الاستعداد وحرب النظام، مخ. خ. ح.
خ. ع. **الجباري**،
تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري، الدار البيضاء، 1989.
ع. **الجراري**،
الخصيب في آثار الحبيب، مخطوط.
مدخل لرحلة الحضيكي، المناهل، ع 10.
م. **ابن الجزري**،
غاية النهاية في طبقات القراء.
م. **الجزري**،
النشر في القراءات العشر، تح. م. علي الضباع.
م. **الجزولي**،
ذكريات من ربيع الحياة، الرباط، 1971.
المواهب القدسية، مخ. خ. ع رقم ج 97.
خ. **جزوليت**،
المختار جزوليت شهيد انتفاضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، مخطوط.
ع. **الجشتيمي**،
الحضيكيون، مخطوط.
ح. **جلاب**،
معجم عراصي مراكش، مجلة *التراث الشعبي*، ع 5، 1981.
إ. **ابن جلون**،
التراث العربي المغربي في الموسيقى، 1981.
الدروس الأولية للموسيقى الأندلسية.
الجهة، الجهوية والتنمية المحلية، *المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية*، ع 8، 1996.

ع. **الجيلالي**،
تاريخ الجزائر العام، بيروت، 1965.

ابن الحاج،
الدر المنتخب المستحسن، مخ. خ. ح، رقم 1920.

م. أيت **الحاج**،
مظاهر الحياة الثقافية بحاحة وإيداوتنان، د. د. ع.

ج. ابن **الحاج السلمي**،
وثائق بيت شيخ الجماعة أحمد بن العربي ابن الحاج السلمي بتطوان، ضمن كتاب تطوان خلال القرن 18، 1727 - 1822، تطوان، 1993.

ط. ابن **الحاج السلمي**،
الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، مخ.
رياض الورد، تح. ج. ابن الحاج السلمي، دمشق، 1993.

م. ابن **الحاج السلمي**،
إسعاف الإخوان، الدار البيضاء، 1992.

م. ابن **الحاج العبدري**،
المدخل، بيروت، 1977.

ط. **الحبيب بن الملولي**،
تاريخ درعة، مخطوط.

م. **حجاج الطويل**،
الفلاحة المغربية في العصر الوسيط، د. د. ع، الرباط، 1988.

أ. **حجي**،
الفتوحات الالهية.
مواهب الملك الحق المعبود، مخطوط.

م. **حجي**،
موسوعة أعلام المغرب، بيروت، 1996 - 10 ج.

ع. **الحجرتي**،
الروض الطيب العرف، مخطوط.

م. **الحجوي**،
الأحداث السياسية على عهد مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ، مخ. خ. ع.

إ. **حركات**،
النشاط الاقتصادي الاسلامي في العصر الوسيط، الدار البيضاء، 1996.
النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، الدار البيضاء.

م. **حركات**،
الاقتصاد السياسي : مراحل تكوين المعرفة الاقتصادية، الرباط، 1996.

حزب الاستقلال،
قائمة الشرف، الرباط، 1988.

الحسن الثاني،
التحدي، الرباط، 1983.
ع. **الحسني،**
الإلمام ببعض من لقيت من علماء الإسلام، مخطوط.
ع. **الحسيني،**
أضواء حول مشاركة قبيلة أولاد جرير في صفوف جيش التحرير بالمنطقة الشرقية، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 9.
م. **الحضيكي،**
الرحلة الحجازية، مخ. خ. ح رقم 405.
فهرست، مخطوط.
ق. **الحلفاوي،**
شمس المعرفة في سيرة غوث المتصوفة، مخ. خ. ابن يوسف مراكش، رقم 171.
ب. **الحمومي،**
رسالة فيما اشتمل عليه الاتاي من المنافع وبيان طبخه وطريق استعماله وسبب ظهوره، فاس، ط. حجرية، 1908.
ت. **الحمومي،**
المقصد في التعريف بالشيخ أبي العباس أحمد بن الحسن الحمومي وشيخه المولى التهامي، مخ. المسجد الأعظم، وزان.
س. **الحوات،**
تمرة أنسي في التعريف بنفسي، مخ. خ. ع. رقم ك 1264.
السر الظاهر فيمن أحرز بفاس النسب الطاهر، فاس، ط. حجرية.
م. ع. **الخطابي،**
الطب والأطباء بالأندلس الإسلامية.
أ. **خطوري،**
أضواء على انطلاقة عمليات جيش التحرير بإيموزار مرموشة، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 14.
م. **خليل،**
محمد المختار السوسي : دراسة لشخصيته وشعره، الدار البيضاء، 1985.
ع. **الخياري،**
الرأسمالية والصناعة التقليدية، د. اقتصاد، الدار البيضاء، 1983.
م. **الخياطي،**
جواهر السماط في ذكر مناقب سيدي عبد الله الخياط، مخطوط.
الخوجة، ترتيب العسكر، مخ. خ. ع رقم د 2733.
م. **الداودي،**
طبقات المفسرين، بيروت، 1983.
م. **الدباغ،**
من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني، الدار البيضاء، 1992.

م. أ. **دعمان**،
معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق، 1990.

ع. **الدوماني**،
روضة التحقيق في فضائل آل الصديق، مخطوط.

ح. **الذهبي**،
المشتبه في الرجال، تح. م. البجاوي.

ت. **ابن رحمون**،
شذور الذهب في خير نسب، مخ. خ. ع رقم د 1484.
مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام بن مشيش، مجموع مخطوط، خ ع. رقم 1484.

هـ. هـ. **رشيد**،
ما يجب أن تعرف عن جامعة الدول العربية، تونس 1980.

ع. **ركوك**،
بعض الدلالات التاريخية من خلال العيطة، بيان اليوم، 10 فبراير 1992.
التصوف الغنائي في منطقة الصويرة والشياظمة، بيان اليوم الثقافي، 12 / 3 / 1992.

أ. **الرهوني**،
مختصر عمدة الراوين، مخطوط.
حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني، القاهرة.

أ. **الريفي**،
تقييد في أسرة الجيديين، مخطوط.

ع. **الرياحي**،
تعطير النواحي بترجمة سيدي إبراهيم الرياحي، تونس، 1320 هـ.

م. **ابن زاكور**،
الاستشفاء من الألم في التلذذ بذكر صاحب العلم، مخ. خ. ح. الرباط.

م. ابن **زكري الفاسي**،
حاشية على صحيح البخاري، مخ. خ. ح. رقم 11149.

ع. **زمامة**،
ابن حسون الوزاني، البحث العلمي، ع 17، 1971.

م. **الزميلي**،
لباس المرأة وزينتها في الفقه الإسلامي، عمان، 1982.

م. **زنيبر**،
ابن بطوطة، معلمة المغرب، ج 4.

ز. **زوكاغي**،
أحكام القانون الدولي الخاص في التشريع المغربي : الجنسية، الرباط، 1992.

أ. **زوكاغي**،
وثائق الجنسية المغربية، الرباط، 1994.

ع. ابن **زيدان**،
معجم طبقات المؤلفين في عهد الدولة العلوية، مخ. خ. ح رقم ز 12564.

ع. **الزين**،

العلاقات بين المدينة والبادية بحوض الرباط، د. د. ع، علم الاجتماع، الرباط، 1987.

ح. **الزيات**،

ثياب الوثني، *مجلة الشرف*، ع 4، يناير ـ مارس 1947.

أ. **الزياتي**،

عقد الجمان في شمائل مولاي عبد الرحمان، مخ. خ. ع. رقم 40.

م. **الزيادي**،

سلوك الطريق الوارية، مخطوط.

ع. **سالم**،

المغرب الكبير، بيروت، 1981، 2 ج.

ع. **السعود**،

تطوان في أواخرالقرن 19، د. د. ع، الرباط، 1992.

أ. **سكيرج**،

نزهة الاخوان في تاريخ تطوان، مخطوط.

كشف الحجاب، القاهرة.

ع. **سكيرج**،

مذكرة الزبير سكيرج 1850 ـ 1932، *مجلة دار النيابة*، ع 8.

أ. ع. **سلامة**،

المبسوط في نظام الجنسية، القاهرة، 1993.

السلطان مولاي حفيظ،

داء العطب قديم، مخطوط.

السملالي،

مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن، مخ. خ. ح. رقم 81.

ع. **السوسي السملالي**،

منتهى النقول ومشتهى العقول، مخ. خ. ع. الرباط، رقم 633.

م. ع. **سيناصر**،

مسجد الحسن الثاني، بنيراك (فرنسا)، [د. ت].

ع. **السيوطي**،

لب اللباب في تحديد الأنساب، بغداد.

ع. **الشاذلي**،

أسفي، *معلمة المغرب*، ج. 2.

ح. **الشبيهي**،

الجراوي، *شاعر الموحدين*.

م. **الشراط**،

الروض، تح. ز. النظام، الرباط، 1997.

م. **شفيق**،

أمازيغ، *معلمة المغرب*، ج 2.

أ. **الشفيري**،
الجامعة العربية : كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية، تونس، 1979.

م. **شماعو**،
المجتمع المغربي كما عرفته، الرباط، 1980.

أ. **شوارق**،
حقائق تاريخية عن عملية افراغ الباخرة دينا، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 18.

ح. **شوقي**،
قبيلة السراغنة خلال القرن 19، د. د. ع، الرباط، 1990.

م. **شويكي**،
إنتاج وهيكلة المجال الحضري بالدار البيضاء، د. الرباط، 1985.

م. **صالح**،
من الفقيه بن صالح إلى ميلانو : الهجرة الدولية المغربية إلى إيطاليا وتأثيرها على مناطق الانطلاق، د.د.ع، الرباط، 1996.

أ. **الصبيحي**،
الرحلة الحجازية، مخ. خ. ص.

م. **صلك**،
من معارك إقليم وادي الذهب سنتي 1957 ـ 1958، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 33.

ع. **الصنهاجي**،
مذكرات من تاريخ حركة المقاومة وجيش التحرير المغربي من 1947 إلى 1956، المحمدية، 1987.

م. **الصوفي**،
ديبلوماسية مؤتمرات القمة في العلاقات العربية، د. د. ع، القانون العام، الرباط، 1982.

م. **الصومعي**،
التشوف الصغير، مخ. خ. ع رقم د 1103.

أ. **طربين**،
انجازات جامعة الدول العربية في دعم الاستقلال السياسي للأقطار العربية، مارس 1912.

ط. **الطويل**،
حوار مع الحاج الحسين التولالي، *جريدة كل الفنون*، 9 أبريل 1994.

ع. **العافية**،
الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها، المحمدية، 1982.

م. **ابن عبود**،
مراكز الأجانب في المغرب، الرباط، 1988.

إ. **عبد الباقي**،
الجنسية في قوانين دول المغرب العربي الكبير، تونس، 1971.

ع. **ابن عبد الجليل**،
معجم مصطلحات الملحون.
طرب الملحون المغربي، *مجلة التراث الشعبي*، ع 10، 1980.
الموسيقى الأندلسية المغربية، *عالم المعرفة*، ع 129، 1989.

ص. ابن **عبد الحليم**،
كتاب الانساب، مخ. خ. ع الرباط، رقم ك 1275.
ف. **عبد الرزاق**،
المطبوعات الحجرية في المغرب، الرباط، 1989.
ح. ح. **عبد الوهاب**،
شهيرات النساء التونسيات، تونس، 1353 هـ.
م. ابن **عثمان المراكشي**،
الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة، 1937.
م. **العجلان**،
تأليف في الأشربة والمعاجين والأدهان والسفوفات والمراهيم والأكحال والمربيات واللطوخات، مخ. خ. ع رقم د 761.
ح. **العرائشي**،
انطلاق المقاومة المغربية وتطورها، الرباط، 1982.
العروسي،
السلطنة الحفصية - بيروت.
أ. **عزاوي**،
رسائل موحدية جديدة، د. د. ع، الرباط، 1986.
م. ابن **عزوز حكيم**،
باب التوت، معلمة المغرب، ج 8.
التطور الطبوغرافي لمدينة تطوان، مجلة تطوان، ع 4 - 5، مارس 1993.
حاكمة تطوان، الرباط، 1983.
م. ابن أبي **عسرية الفاسي**،
رحلة، مخطوطة.
أ. ابن **عطية**،
سلسلة الأنوار، مخ. خ. ع، رقم ك 2458.
ع. **عفيفي**،
الملامتية والصوفية وأهل الفتوة، القاهرة، 1956.
ع. **العكاري**،
البدور الضاوية في ذكر الشيخ وتلاميذه وبناء الزاوية، مخطوط، خ. ع رقم د 88.
إ. **العلوي**،
بني مالك، معلمة المغرب.
ع. **العلوي**،
صناعة النسيج في المغرب الوسيط : الانتاج والمبادلات، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية فاس، ع 2، 1985.
م. ابن **علي الدكالي**،
السفينة المنجية في أخبار أهل الزاوية الحجية، مخطوط.
ك. **علي**،
جامعة الدول العربية والمنازعات الاقليمية العربية، د.د. ع، الرباط، 1980.

ع. **عمرو**،
اللباس والزينة في الشريعة الاسلامية، عمان، 1985.

أ. **العماري**،
مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر، د. كلية الآداب الرباط، 1981.

ف. **العيساوي**،
جوانب من علاقة المخزن بالحرف، د. د. ع، الرباط، 1989.

م. **عياد**،
الشريف الإدريسي، معلمة المغرب.

ح. **الغراس**،
هدة البارود بجامع الفنا على لسان شاهد عيان، مجلة أطلس مراكش، ع 2، 1994.

أ. **غرسياخايين**،
الفن والفنانون المسلمون، مدريد، 1951.

ع. **غلاب**،
تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الرباط، 1987، 2 ج.

ط. **الغنيمي**،
جامعة الدول العربية، الاسكندرية، 1974.

ر. م. **غورضو**،
تعقيب وتوضيح حول مقال دور مركز كارمة إبان المقاومة وتأسيس جيش التحرير، مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 31.

ع. الله **الفاسي**،
الإعلام، تح. ف. نافع د. د. ع. الرباط.

علال **الفاسي**،
الشاعر عبد الرحمن حجي، العلم، 21 يونيو 1965.

م. **الفاسي**،
شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوي، الرباط.
شعراء الملحون السلاويون، المناهل، ع 33.

م. المهدي **الفاسي**،
تحفة أهل الصديقية. خ. خ. ع. رقم : ج 79.

س. **الفشتالي**،
تقييد. مخ، خ، ع، د 283.

س. **فنيش**،
الفقيه عبد السلام حركات. د. د. ع، التاريخ، الرباط، 1994.

أ. **القادري**،
ـ *العلامة المفتي أحمد الجريري : شيخ الجماعة بسلا 1277 ـ 1353 هـ* الرباط، 1985.
ـ *محمد حصار*.
ـ *مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930 إلى 1940*، الدار البيضاء، 1992، ج 1.

م. **القصار**،

فهرس، مخ، خ. ع. رقم : ك 1427.

ع. **الكاديكي**،

الامراض المعدية.

كتاب القوانين الداخلية المتعلقة بمشاة العسكر الجهادية في سبيل الله. مخ. خ. ع. رقم : 1258.

ع. الحي **الكتاني**،

الآيات النفاعات فيما يتعلق بالحمامات. مخ. خ. ع. رقم : ك 2942.

أشرف بقعة، *مجلة المغرب*، يونيو 1936.

إعلام الأئمة، فاس : ط. حجرية.

تبليغ الأمانة في مضار الاسراف والتبرج والكهانة. مخ. خ. ع. رقم : ك 2729.

توفير المنة. مخ، خ. ع. رقم : ك 2404.

زهر الآس في بيوتات فاس. مخ. خ. ع. رقم : ك 1281.

كتاب في الخطاب. مخ. خ. ع. الرباط، رقم : ك 3208.

م. **الكتاني**،

الاعلام ببعض ما يتعلق بالمكانات الجلاة من الأحكام. مخ. خ. ع. رقم : ك 1180.

رفع الألباس وكشف الضر والباس ببيان ما للعلماء النحارير الاكياس في مسألة الجرير التي وقع فيها الخوض بين الناس. مخ. خ. ع. رقم : ك 1180.

ع. **كنون**،

أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي، بيروت [د. ت].

ابن عبدون، أحمد بن شعيب الجزنائي، تطوان [د. ت].

جني زهر الآس في شرح نظم عمل فاس ، القاهرة [د. ت].

م. **كنون**،

كفاية المحتاج في استعمال المحلي والديباج. مخ. خ. ع. رقم : د 1231.

م. **لشكر**،

ملحمة جيش التحرير بالصحراء المغربي، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*. ع 19.

ح. **المباركي**،

الري وندرة الماء : مشكل الفلاحة العصرية بحوز مراكش. د.د. ع. الرباط، 1987.

م. **المجاطي**،

شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ نافع.

م. **مجدوب**،

مملكة الموريين وعلاقتها مع رومة لغاية سنة 33 ق. م. د. د. ع. فاس، 1990.

مجهول،

تمسك الفقير الحقير بطريقة الولي الشهير الخطير سيدي محمد بن عيسى الكبير. مخ.

ورقات في أسرار بعض الصنائع. مخ. خ. كلية الآداب الرباط، رقم : 216 مكل.

محمد الخامس،

خطاب بمناسبة استقبال جيش التحرير سنة 1956، *مجلة المقاومة وجيش التحرير*، ع 2.

أ. **المداني**،
مراحل الكفاح الوطني بالجنوب المغربي وانطلاقة جيش التحرير ومقاومة قبائل ايت أوسا نموذجا مجلة المقاومة وجيش التحرير. ع 35.

أ. ت. **المدني**،
حرب لثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، الجزائر، [د. ت].
كتاب الجزائر، الجزائر، 1350 هـ.

أ. **المرابي**،
تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان. مخ. خ. ع. رقم : ك 154.

المرأة المغربية والحلي، *العلم*، ع. 870، 28 أبريل 1974.

م. **المرغيتي**،
العوائد، مخطوط.

ع. **المريني**،
النضال الجبلي : الأنظمة الاجتماعية الجبلية، طنجة 1988.

ع. **المزريوي**،
مذكرات. مخ.

م. ع. **المشرفي**،
مشموم عرار النجد.

ج. **مطر**، ع. **هلال**،
النظام الاقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية، بيروت، 1983.

أ. **معنينو**،
تكوين جيش التحرير بقبيلة الحزناية بإقليم تازة مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع 20.

ش. **مفيد**،
جامعة الدولة العربية ميثاقها وإنجازاتها، القاهرة، 1978.

أ. **المقري**،
أزهار الكمامة في أخبار العمامة ونبذة من ملابس المخصوص بأسرار الإمامة. مخ. خ. ع. رقم : د 984.

ع. ابن **المقفع**،
الأدب الصغير تم الأدب الكبير في رسائل البلغاء. تح. م. كرد علي، القاهرة 1954.

م. **المكودي التازي**،
الإرشاد والتبيان لرد ما أحدثه الروساء من أهل تطوان، مخطوط.

م. ابن **الميك**،
بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال. مخ. خ. ع. الرباط.

ع. **المنتوري**،
الفهرسة. مخ. خ. ع. رقم : 1578.

ابن **منظور**،
لسان العرب، بيروت، [د. ت]..

ح. **المنفلوطي**،
تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الانام قطب جزولة. مخ. خ. ع. رقم : 925.
م. **المنوني**،
التخطيط العماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور ـ مجلة الثقافة المغربية، ع 7، 1972.
حل مشكلة تتصل باسم وعصر مؤلف الروض المعطار، *المناهل*، ع 10، نونبر 1977.
ح. **مهديوي**،
الزي التقليدي لقبائل الأطلس، *جريدة الأنوار*، ع 122، 31 دجنبر 1996.
م. **مولاي رشيد**،
المغرب الأقصى عند الاغريق واللاتين، الدار البيضاء، 1993.
م. **ميارة**،
الدر الثمين، *شرح المرشد المعين*، القاهرة، 1306 هـ.
ج. **الناصري**،
قضاة سلا. مخطوط، خ. ص.
م. **ناعمي**،
ازوافيط ـ معلمة المغرب، ج 2.
ع. **نجمي**،
عكاكزة. د. د. ع. الرباط.
أ. **الهشتوكي** بن **داود**،
هداية الملك العلام. مخ. خ. ع. رقم : ق 147.
ن. **همزان**،
تدوين تاريخ جيش التحرير بالجنوب المغربي ـ مجلة المقاومة وجيش التحرير، ع. 12.
أ. **همشي**،
انطلاقة جيش التحرير بتازة عجلت بارجاع الملك واعلان الاستقلال، **مجلة المقاومة وجيش التحرير**، ع 38.
ع. **الهلالي**،
وفيات الهلالي، مخطوط.
أ. **هوزالي**،
التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي. د. د. ع، الرباط، 1987.
ف. م. **الهوني**،
تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية.
أ. **هيل**،
النبات الاقتصادي، تر. عبد المجيد زاهر [وآخران] - القاهرة، 1962.

Supplément
à la bibliographie des ouvrages et des articles cités dans l'encyclopédie avec leurs abréviations

ABDEL JALIL, J.M. - *Le Maroc*, Paris, 1942.

ABOU EL KARAM, F. - *Répertoire des gouvernements du Royaume du Maroc, 1955 - 1988*, Casablanca, 1988.

ADAM, A. - *Le Costume de quelques tribus de l'Anti - Atlas, Hesp.*, 3ème - 4ème trim., 1952.

ADMINISTRATION DES EAUX ET FORETS ET CONSERVATION DES SOLS. - *Quantification de la consommation de bois de feu au Maroc*, Casablanca, 1994.

AHERDANE, M. - *Signes symboliques et peintures corporelles, Amazigh, n° 6, 1981.*

AIT HAMOU, H. - *Mutation de l'espace péri-urbain casablancais : le cas des communes des Aït Harrouda et Tit Mellil*, Th. 3ème cycle, Géo., Tours, 1988, 2 vol.

ALAOUI, Y. A. - *Guide du chasseur au Maroc*, Rabat, 1992.

ALARCON. - *Melilla*, Madrid, 1909.

ALBERT, Lt. - *Les Ida Ubaqil*, Arch. S.H.A., 1915.

ALBERT, Lt. - *Renseignements sur la tribu des Ilalen, Sous, Anti - Atlas,* Arch. S.A.H., 1914.

ALBERT, P. - *Les Tribus du Sahel atlantique, Sous, Tazeroualt, Dra, Oued Noun, Seguiet et Hamra*, Paris, 1960.

ALDECOA, M. De. - *Cours d'arabe marocain*, Paris, 1942.

ALMAGRO CORREA, A, *Las Torres bereberes de la Marca Media, Cuadernos de la Alhambra*, 12, 1976.

AL-MAKARI, A. - *Focus et topique en Hassaniyya*, Th. 3ème cycle, Rabat, 1987.

APPIEN. - *Bellorum civilium liber, Libya, Punica* in *Historia Romana*, Teunber, 1906.

ARSALANE, K. - *Le Foot-ball marocain*, Casablanca, 1990.

ASEBRIY, L. - *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central, définition du domaine subrifain*, Th. Doc. d'Etat, Rabat, 1994.

AUBERT, Cap. - *Les Harratine de l'annexe de Tafingout*, Arch., S.H.A. 1913.

AYMARD, A. - *Aspects de la défense romaine en Afrique, I.H.*, 1952.

AZAN, P. - *L'Emir Abd el-Kader, 1808 - 1883 : du fanatisme musulman au patriotisme français*, Paris, 1925.

BADUEL, R. - *La Production de l'espace national en Maghreb, A.A.N.*, XXIII, 1983.

BAIDA, J. - *La Presse marocaine d'expression française, des origines à 1956*, Rabat, 1996.

BALDOUI, J. - *L'Artisanat marocain à la croisée des chemins*, Alger, [s.d.].

BALLETTO, L. - *Da Genova al Maghreb, 1222 - 1226, Archivo Storia Sardo di Sassari*, 1982.

BELLOUCHE - DAMBLON. - *Nouvelles données palynologiques sur la végétation holocène du Maroc, Trav. Sct. Sc., Tech.* XXV.

BARDON, H. - *Contribution à l'étude épidémiologique et chimique de la rougeole au Maroc, Bull. Inst. Maroc*, n° 3-4, 1951.

BASRI, D. - *La Décentralisation au Maroc : de la commune à la région*, Paris, 1994.

BASRI, D. / Dir. - *Précis de fiscalité des collectivités locales et de leurs équipements,* Rabat, 1993.

BASSET, H. - *La Fête de Lalla Ksaba, F.M.*, n° 6, 1917.

BASSET, H. - *Les Rites du travail de la laine à Rabat, Hesp.*, 1er - 2ème trim., 1922.

BASSET, R. - *Hadjar al - Nasr, E.I.*, T. 2.

BAUDY, P. - *Economie forestière nord - africaine : description forestière du Maroc*, Paris, 1958.

BAUMONT, G. - *L'Avenir des corporations artisanales au Maroc*, [s.l.], 1949.

BEAUDET, G. - MAURER, G. - MARTIN, J. - *Remarques sur quelques facteurs de l'érosion des sols*, *R.G.M.*, n° 6, 1964.

BEAUDET, G. - *Types d'implantation humaine en pays Zaïan*, *R.G.M.*, n° 8, 1965.

BELLAOUI, A. - *La Place de Jamaa El Fna entre le visiteur et l'usager : premier bilan d'un sondage d'opinin*, *Atlas*, n° 2, 1994.

BENABID, A. - *Etudes phytosociologique et phytodynamique et leur utilité*, *Ann. Rech. Forest. du Maroc*, n° 24, 1984.

BENCHEHIDA - SBIHI, - *Proverbes de vieilles femmes marocaines*, Fès, 1930.

BENCHEKROUN, M. - *La Vie intellectuelle marocaine sous les mérinides et les wattasides*, Rabat, 1974.

BEN CHENEB, M. - *Proverbes arabes de l'Algérie et du Maghreb*, Paris, 1907.

BENHALIMA, H. - *L'Artisanat traditionnel Sefrioui*, *R.G.M.*, n° 1, 1977.

BENKHALIFA, S. - *Le Costume dans la tradition*, *Echanges*, vol. 1, n° 3, 1979.

BENSLIMAN - HASSAR, J. - *Aïn Karouach : un nouveau site archéologique dans le Gharb*, *B.A.M.*, 12, 1980.

BENTOLILA, F. / Dir. - *Proverbes berbères*, Paris, 1993.

BERGIER, P. - *Les Falconiformes marocains, statut, répartition et écologie*, *Annales C.E.E.P.*, n° 3, 1987.

BERNES, J.P. - ALAIN, J. - *Arts et objets du Maroc : céramique, bijoux, armes*, *ABC Décor*, mars 1974.

BERQUE, J. - *La criée publique à Fès*, *Rev. d'Econ. publique*, mai 1940.

BERRADA, T. - *Aspects de la question militaire au 19ème S.*, *Maroc Europe*, n° 7, 1994.

BERTRAND, A. - *Tribus berbères*, Lausanne, 1977.

BESANCENOT, J. - *Bijoux arabes et berbères du Maroc*, Casablanca, 1953.

Bijoux, *E.B.*, 10.

BIREBENT, J. - *Aquae Romanae : recherche d'hydraulique romaine dans l'Est algérien*, Alger, 1962.

BLACHERE, R. - *Contribution à l'étude de la littérature proverbiale des arabes à l'époque archaïque*, *Arabica*, I, 1954.

BLANFORD, H.F. - *On the connection of the Himalaya Snowfall and seasons of drought in India*, *Proceedings Royal Society London*, 37, 3, 1884.

BLOCK, D.P. - *Histoire et toponymie*, *A.E.S.C.*, Juil.-Août 1969.

BOIX, C. - *Années de disette, années d'abondance : sécheresse et pluies au Maroc*, *B.S.G.* (Paris), mars 1872.

BON, G. - *Tatouages berbères*, *Public mondial*, n° 25, 1950.

BONJEAN, P. - *Esquisse d'un portrait de la marocaine*, Casablanca, [s.d.].

BORELY, J. - *Mon plaisir au Maroc*, Paris, 1927.

BOUCHARB, A. - *Les Crypto - musulmans d'origine marocaine et la société portugaise au 16ème S.*, Th.

BOUGIS, P. - *Les Poissons marins*.

BOULARD, M. - *Les Orthoptères - Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques. Zoologie*, Paris, 1984.

BOULNOIS, L. - *La Route de la soie*, Paris, 1963.

BOURGUIGNON, Lt. - *Reconnaissance aux Ida ou Zekri*, Arch., S.H.A., 1917.

BOURNON, J.Y. - *Le Dictionnaire des proverbes et dictons de France*, Paris, 1986.

BRADINET, P. - *Le Régime douanier du Maroc*, Th. Doct., Bordeaux, 1932.

BROSSARD, L. - *Les Fils et les tissus*, Paris, 1977.

BRUNOT, L. - *Au seuil de la vie marocaine*, Casablanca, 1950.

BRUNOT, L. - *Proverbes et dictons arabes de Rabat*, *Hesp.*, 8, 1928.

BRUNOT, L. - MALKA, E. - *Proverbes judéo-arabes de Fès*, *Hesp.*, 3ème trim., 1937.

BUFFE, Cap. - *Les Ahl Tata*, Arch. S.H.A., 1938.

BUFFE, Cap. - *Les Id ou Blal*, Arch. S.H.A., 1938.

BURCKHARDT, J.L., *Arabic proberbs*, London, 1875.

BURLET, J. - *La Laine et l'industrie lainière*, Paris, 1972.

BUTTIN, J. - *Les Poignards et les sabres marocains, Hesp.*, 26, 1936.

CABRERA, A. - *Al-Maghreb Al-Aksa*, Madrid, 1924.

CAMPS, G. - *Acridophages - E. B.*, I, 1984.

CAMPS, G. - *Recherches sur les origines des agriculteurs noirs du Sahara, R.O.M.M.*, n° 7, 1970.

CAMPS - FABER, H. - *L'Origine des fibules en Afrique du Nord, R.O.M.M.*, n° 13 - 14, 1973.

CAMPS - FABER, H. - *Problèmes posés par l'origine de l'orfévrerie émaillée en Afrique du Nord, R.O.M.M.*, 1970.

CANGARDEL, H. - *Essais anti-acridiens, campagnes 1957 - 1958 et 1958 - 1959, Cah. Rech. Agron.*, 10, 1960.

CAPPERON, L. - *Au secours de Fès*, Paris, 1912.

CARRE, O. - *La Ligue des Etats Arabes, Revue Française des Sc. Pol.*, vol. XXI, n° 2, avril 1971.

CASTRO, R.F. De. - *El Rif : territorios de Guelaia y Quebdana*, Madrid, 1911.

CENIVAL, P. de. - *La Zaouia dite de Berada'a, Hesp.*, XV, fasc. 1, 1932.

CESAR MORAN, A. - *Visita de Marruecos. Mauritania*, 1942.

CHABERT, M. - *Situation et défense de la soirie lyonnaise, B.E.M.*, I, 1933 - 34.

CHAJAI, L. - *Langage d'artisans à Marrakech*, Doct. nouveau régime, Paris IV, 1986.

CHAMPAULT, D. - *La Main : ses figurations au Maghreb et au Levant*, Paris, 1965.

CHAMPION, M. - *La Situation des métiers et des arts indigènes*, Rabat, 1917.

CHANTREAUX, G. - *Les Tissages décorés chez les Beni Mguild, Hesp.*, 1945.

CHATELAIN, L. - *L'Histoire militaire du Maroc antique, Rev. int. hist. mil.*, 1950.

CHATIN, B. - *Les Tanneries traditionnelles de Fès*, Th. 3ème cycle, Bordeaux I, 1985.

CHAUMEIL, J. - *Histoire d'une tribu maraboutique de l'Anti-Atlas : Les Aït Abdellah ou Saïd. Hesp.*, 1er trim., 1952.

CHAUVEAU, A. - *L'Industrie du cuir au Maroc, Chimie et industrie*, 2ème trim., 1920.

CHAVAGNAC, M. - *De Fès à Oujda*, [s.l.], 1887.

CHEBEL, M. - *Le Corps dans la tradition au Maghreb*, Paris, 1984.

CHEESMAN, T.L., - *The Auxilia of the Roman Imperial Army*, Oxford, 1914.

CHENAIL, A. - *Dessins d'art marocain*, Rabat, 1930.

CHERKAOUI, T.E. - HATZFELD, D. - *Evaluation de l'aléa sismique au Maroc, 7ème congrés int. de l'AIGI*, Lisboa, 1994.

CHOTTI, Cap. - *Aït Oumribete*, Arch. S.H.A., 1950.

CHOUBERT, G. - *Histoire géologique du précambrien de l'Anti-Atlas, Notes du service géologique*, n° 162.

CHOUIKI, M. - *Settat et son rôle régional*, Th. 3ème cycle, Géo., Tours, 1989.

CHRAIBI, D. - *La Civilisation ma mère*, Paris, 1980.

CHURCHILL, C.H., - *Vie d'Abd el-Kader*, Alger, 1974.

CIASCA, R. - *Un centro marocchino del traffico genovese nel medio evo - Revista internazionale di scienze sociali*, T. XLIII, fasc. 4, 1935.

CLEMENTE, G. - *La Notitia Dignitatum*, 1968.

CLOUZOT, H. - *Les Arts du métal*, Paris, 1934.

CLOUZOT, H. - *Les Métiers manuels à Fès, Hesp.*, 1er trim., 1924.

COHEN, D. - *Le Dialecte arabe Hassaniyya*, Paris, 1963.

COLIN, G.S., *Chrestomatie marocaine*, Paris, 1955.

COLIN, G.S. - *Noms d'artisans et de commerçants à Marrakech. Hesp.*, 12, fasc. unique, 1952.

CORRIENTE, F. - BOUZINEB, H. - *Recopilacion de refranes andalusies de Alfanso Del Castillo*, Zaragoza, 1994.

CRESSIER, P. - *Prospection géophysique sur le site médiéval d'Aïn Karouach, B.A.M.*, 14, 1981.

DAKKI, M. - ARAHOU, M. - MOUNA, M. - *Les Insectes, G.E.M. Faune*, Rabat, 1987.

DAOUD Z. - *Interview avec Aherdan, Lamalif*, n° 175, mars 1986.

DARMON, J.P. - *Nympharum Domus : les pavements de la maison des nymphes à Néapolis et leur lecture*, Leiden, 1980.

DAVIES. - *Cohortes quitate, Historia*, 20, 1975.

DAVIS, S.J. - *Osmanli proverbs*, London, 1898.

DECAMPS, M. - *Contribution à la faune du Maroc - 3 : Acridoïder du Maroc saharien, Bull. Soc. Ent. France*, 75, 1970.

Décentralisation - déconcentration, R.M.F.P.E., n° 8, 1992.

DELANNOY, H. - *Aspects du climat de Marrakech et de sa région, R.G.M.*, n° 20, 1971.

DELERIS, Lt. - *Les Ahl Tissint*, Arch., S.H.A., 1915.

DELPY, A. - *Notes sur le tissage dans les Zemmours, C.A.T.A.N.*, n° 3, 1954.

DERENBOURG, J et H. - *Opuscules et traités d'Abul - Walid Marwan Ibn Janah de Cordoue*, Paris, 1880.

DERINY, S.M. de. - *Marrakech et les ports du Sud*, Paris, 1918.

DESANGES, J. - *Les Territoires gétules du Juba II, R.E.A.*, 66, 1964.

DESANGES, J. - *Un Curateur de la sauterelle sur la portica de Carthage en 48 - 49 de notre ère, E.O.S.*, LXV, 1976.

DESPUJOLS, P. - *Historique des recherches géologiques au Maroc : des origines à 1930, Notes et mémoires*, n° 25, n° 37.

DEVILLETTE, J. - *La Collection de bijoux de la région de Taza au Musée de l'Homme. H.T.*, fasc. 2, 1960.

DEZ, G. - *La Grèce et l'Orient*, Paris, 1964.

DOLLFUS, H.-P. - *L'Etablissement d'un fichier ichtyologique du Maroc Atlantique de Tanger à l'embouchure de l'Oued Dra*, Rabat, 1955.

DOMENECH LA FUENTE, A. - *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942.

DRESCH, J. - *Recherches sur l'évolution du relief dans le Massif Central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous*, Tours, 1941.

DRESCH, J. - *Systèmes d'érosion en Afrique du Nord, R.G.L.*, vol. 28, n° 3, 1953.

DUBOIS, A.L. - *A travers trois républiques*, Paris, 1972.

DUBOIS, P. - *Tableaux économiques du Maroc*, 1915 - 1959.

DUFOURCQ, Ch. - *Aperçu sur le commerce entre Gênes et le Maghrib au 13ème S.*, in *Mélanges offerts à E. Perroy*, Paris, 1973.

DUMEZIL, G. - *Encore Genius*, in *Hommages à R. Shilling*, Paris, 1938.

EANEZ DE ZURARA, G. - *Cronica da tomada de Ceuta por el Rei D. Joao I*, Lisboa, [s.d.].

ECHIGUER, M.H. - *Les Aït Yadine*, Doct. Sorbonne, Paris, 1978.

EDDIANI, A. [et al...]. - *Evaluation économique à postériori des petits barrages réalisés entre 1984 et 1986*, Rabat, 1988.

EL ALAOUI, Myl. - *Le Droit douanier au Maroc*, Casablanca, 1997.

EL- ATTAR, B. - *Les Proverbes marocains*, Casablanca, 1992.

EL- FASSI, M. - *Lettres inédites de Moulay Ismaïl, H.T.*, 1962.

ELMASTOUR, A. - *Contribution à l'étude de la biologie et du mode de vie du sanglier (Sus scrofa barbarus)*, Mém. 3ème cycle, I.A.V., Rabat, 1982.

EL MOUDDEN, A. - *Etat et société rurale à travers la harka au Maroc du 19ème S., The Maghreb Review*, 8, n° 5-6, 1983.

Etude sur les populations habitants dans les cités construites par la Compagnie Immobilière Franco-Marocaine, Casablanca, 1955.

EUDEL, P. - *Dictionnaire des bijoux de l'Afrique du Nord*, Paris, 1906.

EVANS - PRITCHARD, E. - *La Femme dans les sociétés primitives*, Paris, 1971.

FASSI, D. - *Les Formations superficielles du Saïs de Fès et de Meknès : du temps géologique à l'utilisation actuelle des sols*, Th. Paris I, Sorbonne, 1993.

FAUR, J. - *Caligula et la Maurétanie à la fin de Ptolomée - Klio*, 55, 1973.

FEGHALI, M. - *Proverbes et dictons syro-libanais*, Paris, 1938.

FELZ, J. - *Au Maroc inconnu*, Grenoble, 1935.

FERREY, E. - *La Réorganisation marocaine*, Paris, 1905.

FONTANES, J. - *Histoire des métiers d'art*, Paris, 1950.

FOSSET, R. - *Pression démographique et système de culture dans les plaines atlantiques*, in *G.E.M. : géographie humaine*, Rabat, 1987.

FOSSET, R. - *Quelques aspects de la vie rurale dans l'arrière pays de Mohammédia, R.G.M.*, n° 13, 1968.

FOUCHER, L. - *Inventaire des mosaïques, feuille 57,* in *Atlas archéologique de Sousse.*

FOWLER, H.W. - *The Marine fisher of West Africa, Bull. Am. Mus. Hist.*, vol. LXX, fasc. 1, 1936.

FRANCESCI, A. - *Costumes et bijoux au Maroc, L'Oeil*, n° 294-295, Janv. - Fév. 1980.

FROMENTIN, E. - *Un été dans le Sahara*, Paris, 1952.

GABUS, J. - *Sahara : bijoux et techniques,* Neuchâtel, 1982.

GALLOTI, J. - *Le Lanternon du Minaret de la Koutobia de Marrakech, Hesp.*, II, 1er trim., 1923.

GALLOTI, J. - *Les Métiers d'art au Maroc, F.M.*, n° 4.

GARCIA DE RESENDE. - *Cronica de Dom Joao II e Miscelania*, Lisboa, 1973.

GARCIA PEREZ, A. - *Isla del Perejil*, Madrid, 1906.

GASCON, Cap. - *Les Aït Ouadrim*, Arch. S.H.A., 1916.

GASCON, Cap. - *Etude sur les leffs Tahouggat et Igouzoulen dans les tribus de l'annexe des Aït Baha*, Arch. S.H.A., 1946.

GASCOU, J. - *Marius et les Gétules, M.E.F.R.*, 61, 1969.

GAUD - HENDLER. - *La Rougeole au Maroc, B.I.H.M.*, n° 3-4, 1950.

GAYOT, H. - *La Broderie de Fès*, Rabat, 1959.

GAYOT, H. - *Le Décor floral dans l'art de l'Islam occidental*, Rabat, 1955.

GAYOT, R. [et al...]. - *Les Cordonniers de Fès, Hesp.*, 23, 1936.

GENDRE, F. - *Voyageurs et géographe, pionniers inconnus ou oubliés de la France au Maroc, R.G.M.*, 1946.

GHALI, B.B. - *La Crise de la Ligue Arabe, Ann. Fr. Dr. Int.*, 1968.

GIRAUD, J.B. - *Les Origines de la soie*, Lyon, 1989.

GODBARGE, H. - *Deux corporations berbères à Fès. B.E.S.M.*, 10, 1948.

GOLVIN, L. - *Aspects de l'artisanat en Afrique du Nord*, Paris, 1957.

GOLVIN, L. - *Le Métier à la tire des fabricants de brocart de Fès. Hesp.*, 37, 1er - 2ème trim., 1950.

GOMAA AHMED. - *The Foundation of the League of Arab States*, London, 1977.

GONTHIER, J. - *La Soierie de Lyon*, Paris, 1978.

GOUDARD, J. - *Bijoux d'argent de la tâche de Taza. Hesp.*, 8, 1928.

GRAND, R. - *L'Agriculture à travers les âges*, Paris, 1950.

GROHMAN, A. - *Tiraz, E.I.*, T. 4.

GSELL, S. - *Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord, Hesp.*, 1928.

GUENNOUN, S. - *La Montagne berbère : les Aït Oumalou et le pays Zaïan*, Paris, 1929.

GUIZOT, F. - *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, Paris, 1858 - 1867, 8 vol.

HAJJI, M. - *Les Droits de douane au Maroc*, Thèse, Paris, 1981.

HAKIMI, R. - *La Ville de Berrechid dans l'espace casablancais*, Th. 3ème cycle, Géo, Tours, 1984.

HARAKAT, M. - *L'Audit dans le secteur public au Maroc*, Rabat, 1994.

HARAKAT, M. - *Le Droit de contrôle supérieur des finances publiques au Maroc*, Rabat, 1992.

HARDY, A. - *Les Babouchiers de Salé, B.E.M.*, 5, 1938.

Harir, E.I., T. 3.

HART, D.M. - *Les Institutions des Aït Morhrad et Aït Haddidou, B.E.S.M.*, 1978.

HASTENRATH, S. - HELLER, L. - *Dynamics of climatic hazards on North Est Brazil, Quaterly Journal of the Royal Meteorological Society*, 103, 1977.

HERBER, J. - *La Boucle d'oreille et les lobes percés chez les marocaines, Hesp.*, 32, 1945.

HERBER, J. - *Influence de la bijouterie soudanaise sur la bijouterie marocaine, Hesp.*, 37, 2ème trim., 1950.

HERBER, J. - *La Main de Fathma, Hesp.*, 1927.

HEUSCH, B. - *L'Economie dans le Prérif : une étude quantitative de l'érosion hydrique dans les collines marneuse du Prérif occidental, Ann. Rech. Forest., Maroc*, n° 12, 1970.

HEUSCH, B. - *L'Erosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle, Al Awamia*, n° 36, 1970.

HOSNI, M. - *La Répression des fraudes commerciales en droit marocain*, Thèse, Paris X, 1985.

HUMBERTO, F. - *Cornacero Henares, Alcazarquivir, 1950*, Tetuan, 1953.

HUVELIN, P. - *Mouvements pré-atlasiques et récents dans les Jbilets et sur leur pourtour, Notes et Mémoires du Service Géol.*, Maroc, 249, 1973.

L'Industrie marocaine des peaux, B.I.D.M., Juil. 1942.

JACOB, A. - *Arts et objets du Maroc, A.B.C. Décor*, 1974.

JACQUET, P. - *Le Maroc de notre jeunesse*, Montpellier, 1987.

JEHEL, G. - *Gênes et le Maghreb au Moyen Age, Studi Maghrebini*, XXII, 1990.

JEHEL, G. - *Les Génois en Méditerranée occidentale, fin 11ème - début 14ème siècle*, Paris, 1993.

JOHNSTON, R.L.K.N. - *The Songs of Sidi Hammou*, London, 1907.

JOLY, A. - *L'Industrie à Tétouan, A.M.*, 15, 1909.

JOUDAMY, K. - *Périphérie Nord -Est de Casablanca : étude géographique*, Th. 3ème cycle, Géogr., Bordeaux III, 2vol.

JULIEN, C.A. - *Histoire de l'Afrique blanche*, Paris, 1966.

JULIEN, C.A. - *Histoire de l'expansion et de la colonisation française : les voyages de découverte et les premiers établissements XV - XVIème S*, Paris, 1948.

JULIEN, C.A. - *Histoire de l'Océanie*, Paris, 1942.

JULIENNE, M. - *En dissidence*, Paris, 1933.

JUSTINARD, L. - *Poèmes chleuhs recueillis au Sous, R.M.M.*, 2ème trim. 1925.

KADDACHE, M. - *L'Algérie dans l'antiquité*, Alger, 1972.

KENBIB, M. - *Protection, protectorat et nationalisme, 1904 - 1938, H.T.*, 1978 - 1979.

KERR MALCOM, H. - *The Arab Gold War : Gamal Abd Al-Nasir and his rivals, 1958 - 1970*, London, 1971.

KHALLOUK TEMSAMANI, A. - *Pays Jbala : Makhzen, Espagne et Ahmed Raissouni*, Tanger, 1996.

KHATIB BOUJIBAR, N. - *Bijoux et parure du Maroc*, Casablanca, 1974.

KILITO, A. - *Architecture et sacré : une saison au hamam*, in *Le Maroc : espace et société*, Passau, 1990.

KOCHER, L. - *Présentation d'un ver luisant recemment découvert au Maroc, C.R. Soc. Sc. Nat. Maroc*, 31.

KRUEGER, H.C. - *Genove trade with North Africa, Speculum*, VIII, 1933.

LABRUSSE, C. - *Mariage, Encyclopoedia Universalis*, vol. 10, 1962.

LACROIX, F. - *Procédés agricoles, R.A.*, 1870.

LACROIX, M. - *Notes sur les produits tinctoriaux, C.A.T.A.N.*, n° 5, 1959.

LAJUGIE, J. [et al...]. - *Espace régional et aménagement du territoire*, Paris, 1985.

LAKHLIFI, N. - *L'Artisanat de production à Meknès*, Th. 3ème cycle, Toulouse, 1985.

LAMAZIERE, A. - *Le Maroc secret*, Paris, 1952.

LAMB, P.J. - PEPPLER, R.A. - *North Atlantic oscillation, concept and an application, Bull. Am. Meteo. Society*, 68, n° 10, 1987.

LAMDOUAR BOUAZZAOUI, N. - *Maladies infectieuses du nouveau né, du nourrisson et de l'enfant*, Rabat, 1989.

LAMOUROUX, M. - *Etude de sols formés sur roches calcaires : pédogenèse fersiallitique au Liban*, Th. Strasbourg, 1972.

LANDAU, R. - *The Beauty of Morocco*, London, 1951.

LAPANNE - JOINVILLE, J. - *Les Métiers à tisser de Fès, Hesp.*, T. 27, 1940.

LA PORTE DE VAUX, A. de. - *Notes sur le peuplement juif du Sous, BESM*, XV, n° 54, 1952.

LA PUENTE, C. de. - *La Familia de Abu Ishaq Ibn Al-Hajj De Velefique : estudios onomastico - biograficos de Al-Andalus*, Madrid, 1992.

LAUREL, A. M. - MARÇAIS, P. - *Les Coiffures à Tindouf, Travaux de l'Inst. Rech. Sah.*, n° 12, 1954.

LEGLAY, M. - *Le Culte du serpent dans les cultes africains*, in *Hommages à W. Deonna*, Paris, 1957.

LEMOINE, P. - *Mission dans le Maroc occidental*, Paris, 1905.

LENS, A.R. De. - *Pratiques des harems marocains*, Paris, 1925.

LEVI-PROVENÇAL, E. - *Conférences sur l'Espagne musulmane*, Le Caire, 1951.

LEWICKI, T. - *Banu Ifren, E.I.*, Nlle éd., T. 3, 1971.

L'HERITIER, G. - *Observation sur le comportement de Pelania mauritanica L. (Col. Lampyridae), Bull. Soc. Sc. Nat. Phys. Maroc*, 35, 3.

Livre d'or du Maroc, Paris, 1934.

LOMBARD, M. - *Les Textiles dans le monde musulman*, Paris, 1978.

LOPES, D. - *Os Portugueses en Marrocos*, in *Historia de Portugal* / Dir. D. Pires, Parcelos, 1931.

LOPES, F. - *Cronica del Rei Dom Joao I da boa memoria*, Lisboa, 1973.

LOPEZ, E. - *Yabala*, Madrid, 1947.

LOPEZ, R. - *Studi sull economia genovese nel medio evo - I Genevesi in Africa occidentale*, Turin, 1936.

LOUIS, A. - *Le Hamam au Maghreb, E.I.*, Tome 3.

LYNEBORG, L. - *Mammifères d'Europe*, Paris, 1972.

MADRAS, D. - *Au Sud de l'Atlas*, Casablanca, 1950.

MANNEVILLE, R. - *L'Expérience Castor aux carrières centrales de Casablanca, Notes marocaines*, n° 7, 1956.

MANZANO RODRIGUEZ, M.A. - *La Intervencion de los Benimerines en la Peninsula Ibérica*, Madrid, 1992.

MARÇAIS, G. - *Le Costume musulman d'Alger*, Alger, 1930.

MARÇAIS, W. - *Djellab, E.I.*, 1ère éd., Tome 1, 1913.

MASCARELLO, A. - *Quelques aspects des activités italiennes dans le Maghreb médiéval, R.H.C.M.*, n° 5, 1968.

MASSONNAUD, A. - *L'Evolution des corporations depuis notre installation au Maroc, B.E.S.M.*, 4, 1937.

MAUSS, M. - *Manuel d'ethnographie*, Paris, 1967.

MAZUDE, C. - *La Guerre du Maroc, R.D.M.*, 1860.

MENSIA, M. - *Essai sur la bijouterie arabe*, Th. 3ème cycle, Paris, 1976.

MERCIER, H. - *L'Arabe par l'image : textes ethnographiques*, Rabat, 1946.

MESSAOUDI, L. et M. - *L'Art de vivre marocain*, Paris, 1981.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *Le Gza et la Guelsa, R.M.M.*, 1911.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - *L'Impôt de la naïba et la loi musulmane au Maroc, R.M.M.*, VII - VIII, 1910.

MICHAUX - BELLAIRE, E. - SALMON, G. - *El-Qçar El-Kebir : une ville de province au Maroc septentional. A.M.*, 1904.

MILLES - LACROIS, A. - *La Lutte contre l'érosion dans le domaine rifain, Mines et Géologie*, n° 23, 1965.

MILLOT, G. [et al...]. - *L'Epigénie calcaire des roches silicatées dans les encroutements carbonatés en pays subaride, Anti Atlas, Maroc, Sc. Géol. Bull*, 30, 3.

MINISTERE DE LA SANTE PUBLIQUE. Direction de l'Epidémiologie et des programmes sanitaires. - *Guide Lepre*, Rabat, 1993.

Monographie de la ville d'El Hajeb, Bull. Econ. Soc. Province d'El Hajeb, 1994.

Monographie de la Province de Figuig, Figuig, 1993.

MONTAGNE, R. - *Où en est l'évolution sociale du Maroc, A.A*, n° 9, 1er trim., 1950.

MONTAGNE, R. - *Un essai de régionalisation au Maroc*, C.H.E.A.M.

MONTALEMBERT, A. de. - *En colonne chez les Zaers, A.F.*, 1911.

MONTLAHUC, Y. - *Les Oudaïas bastion des corsaires de Salé*, Casablanca, 1980.

MONTMARIN, A. de. - *Les Nouvelles solutions en matière d'habitat, leur application au Derb Jdid. BESM*, n° 80.

MOUREAU, Cap. - *Les Sociétés des Oasis : une race, les Harratin*, Arch. S.H.A., 1955.

MOZERE, L. - *Le Printemps des crêches : histoire et analyse d'un mouvement*, Paris, 1992.

MUZI, J. - *Le Corps orné, le corps masqué*, Paris, 1978.

NAVARRO AL BARRACIN. - *El Hayk en la zona atlantia del Marruecos español, Tamuda*, 2, 1954.

NOGUES, G. - *Artisan et métiers marocains*, Casablanca, 1941.

NORMAN, C. - *Une lettre inédite de Moulay Ismaïl aux gens de Fès, H.T.*, XV, 1974.

OLIVEIRA MARQUES, A. H. - *Joao I*, in *Dicionario da Historia de Portugal*, vol. 3, Porto.

OSSENDOWSKI, F.A. - *Le Maroc en flamme*, Paris, 1927.

OTHMANI, M. [et al...]. - *Tizerzaï : la fibule au Maroc*, Milan, 1987.

OUACHI, M. - *La Maurétanie Tingitane, Mémorial du Maroc*, I, 1983.

OUACHI, M. - *Les Rapports militaires, Memorial du Maroc*, III, 1983.

OWODENKO, B. - *Le Bassin houiller du Jerada, Notes et Mém. Serv. Geol. Maroc*, n° 207, 1976.

PARENT, Cap. - *Confédération des Ammeln*, Arch. S.H.A., 1953.

PASCON, P. - *Segmentation, stratification dans la société rurale marocaine. B.E.S.M.*, n° 138 - 139, 1979.

PAUSSET, E. - *Histoire de la soie*, Paris, 1985.

PAUTY, E. - *Les Hamams de Rabat-Salé, R.A.*, 1944.

PEGOLOTTI, B. - *La Pratia della meratura, Cambridge* (Mass.), 1936.

PEGURIER, J. - *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981.

PEGURIER, J. - *L'Intégration urbaine dans le Sud-Ouest marocain, BESM*, n° 131 - 132, 1976.

PERIGNY, M. de. - *Fès, capitale du nord*, Paris, 1917.

PFISTER, R. - *Les Premières soies sassanides, Etudes d'orientalisme*, vol. 2, 1932.

PHILIPPONEAU, M. - *Décentralisation et régionalisation*, Paris, 1981.

PICARD, G.C. - *Authenticité du périple d'Hannon, C.T.*, 25ème année.

PILLANT, M. - *Notes contributives à l'étude de la confédération Zaïan. A.B.*, T. V, 1919- 1920.

PIQUE, A. - *Géologie du Maroc : les domaines régionaux et leur évolution structurale*, Rabat, 1994.

PLAISANCE, E. - *L'Ecole maternelle aujourd'hui*, Paris, 1977.

Les Psychologues et la psychologie dans les institutions de l'enfance, Psychologie scolaire, 12, n° 12, 1982.

RABATE, M. R. - *Les Bijoux de l'Atlas et du sud marocain*, Th. 3ème cycle, Paris 5, 1972.

RAGOUG, A. - *Quelque réflexion au sujet de la sita, Al-Bayan*, 10 - 2 -1992.

RAMDANI, M. - TOURENQ, J.N. - *Notes sur les chironomides de la merja Sidi Boughaba, Bull. Inst. Sc.*, 6, 1982.

RENOU, A. - *Le Mouton*, Paris, [s.d.].

Les Ressources naturelles et la mise en valeur actuelle de la plaine du Haouz, R.G.M., n° 17, 1970.

REURE, Cap. de. - *Les Ahl Aglou*, Arch. S.H.A., 1938.

REVAULT, J. - *Le Tissage et le tatouage dans le Moyen Atlas*, Fès, 1933.

RICARD, P. - *Arts et industries indigènes du Nord de l'Afrique*, Fès, 1918.

RICARD, P. - *Les Arts marocains et leurs rénovations*, Bordeaux, 1930.

RICARD, P. - *Le Batik berbère, Hesp.*, 5, 4ème trim., 1925.

RICARD, P. - *L'Industrie indigène au Maroc, B.E.M.*, 1933.

RICARD, P. - *Recherche sur le vocabulaire du vêtement hispano-mauresque, Bull. Hispanique*, 1951.

RICARD, P. - *Une lignée d'artisans : les Ben Chérif de Fès, Hesp.*, T. 37, 1950.

RICARD, R. - *Notes sur la tactique militaire dans les places portugaises du Maroc, Bulletin Hispanique*, XXXV, 1933.

RICARD, R. - *Le Problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord, A.E.S.*, 1936.

RIERA, A. - *España en Marruecos : cronica de la campaña de 1909*, Buenos Aires, 1910.

Rif et Jbala, B.E.P.M., n° 71, 1926.

ROGERS, J.L. - *The Association between the North Atlantic oscillation and the Southern oscillation on the Northern. Hemisphere, Month Wea. Rev.*, 112, 1982.

ROMAN, J. - *Fragmentos sobre Al-Hocemas*, Melilla, 1994.

ROMANELLI, P. - *Topographia e archeologia dell' Africa Romana*, 1970.

ROSENDE - CASAS, J. - *El cultivo del gusano de seda en Marruecos, Mauritania*, n° 198, 1 mayo 1944.

ROUACH, D. - *Bijoux berbères au Maroc*, Paris, 1989.

ROUSSET, M. - *Politique administrative et contrôle social*, in *Le Maroc actuel*, Paris, 1992.

ROUX, A. - *Quelques documents manuscrits sur les campagnes de Moulay El Hassan, Hesp.*, fasc. 1, 1936.

ROXAN, M.M. - *The Auxilia or Mauretania Tingitane, Latomus*, XXXIII, 1973.

RUHLMAN, A. - *A propos d'une plaquette de caractère militaire trouvée à Thamuda, PSAM*, I, 1935.

RUHL MANN, A. - *Moules à bijoux d'origine musulmane, Hesp.*, 21, 1935.

RUI DE PINA. - *Chronica del Rey Don Joao II*, in *Cronicas de Rui de Pina*, Porto, 1977.

SABA, K.S., [et al...]. - *Malafies et ravageurs des plantes cultivées au Maroc*, Rabat, 1976.

Safi et sa région, Casablanca, 1951.

SALMON, G. - *Le Droit d'asile des canons, A.M.*, vol. 3, 1905.

SAUMAGNE, C. - *Les Piscines romaines de Capsa, R.T.*, 15, 16, 1933.

SAVAIN, Capit. - *Tribu des Beni M'tir*, Serv. Hist. Arm. Terre, Février 1928.

SAVINE, A. - *Le Maroc il y a cent ans*, Paris, [s.d.].

SECRET, E. - *Les Hamams de Fès, B.I.H.M.*, 2, 1942.

SEFRIOUI, A. - *Le Costume citadin, G.E.M.*, vol. 2, 1987.

SEFRIOUI, A. - *Le Cuir, G.E.M.*, vol. 2.

SEFRIOUI, A. - *La Sellerie, G.E.M.*, 2, 1987.

SEGUY, R. - *Quelques experts de Fès*, in *La Renaissance du Maroc : dix ans de protectorat*, Rabat, 1922.

SERRAO, J.V. - *Joao II*, in *Dicionario da Historia de Portugal*, vol. 3.

SETHOM, S. - *Une paire de fibule marocaine. Cahiers des Arts et Traditions Populaire*, n° 4, 1971.

SICAULT, G. - *Epidémiologie de la variole au Maroc, Bull. Inst. Hyg. Maroc*, Nelle série, T. II, 1942.

SIERRA ARTES, A. - *Recuerdos de la guerra del Rif, 1911 - 1912*, Barcelona, 1914.

SIMONPOLI, J.F. - *La Conversation enfantine*, Paris, 1991.

SOUVILLE, G. - *Petits bronzes de Jupiter et de Vénus trouvés en Maurétanie Tingitane, Hesp.*, 1957.

SPILMANN, G. - *Les Pays inaccessibles du Haut Draa, R.G.M.*, n° 2, 1929.

STUMME, H. - *Dichtkinnst und Gedichte der Shluch*, Leipzig, 1895.

SUETONE, *Vie des douze Césars*, Paris, 1922, 3 vol.

SUTER, G. - *Carte géologique du Rif au 1/500.000, Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, 1965.

TACITE. - *Annales*, Paris, 1965.

Tanger 1800 - 1956 : contribution à l'histoire récente du Maroc, Rabat, 1991.

TAUXIER. - *Les Deux rédacteurs du périple d'Hannon, R.A.*, 1882.

TENESE, M.L. - *Introduction à l'étude de la littérature orale, A.E.S.C.*, n° 5, Sept. - Oct. 1969.

TERRASSE, H. - *Notes sur l'origine des bijoux du sud marocain, Hesp.*, 11, 1930.

THARAUD, J. et J. - *Les Seigneurs de l'Atlas*, Paris, 1918.

THAUVIN, J.P. - *Ressources en eau du Maroc : domaine du Rif et du Maroc oriental*, Rabat, 1971.

THEWYS, G. - *Essais d'utilisation du DDVPC 2 : 2 (Dichlorovinyl - phosphate) en lutte antiacridrenne, campagne 1968 - 1969, Al Awamia*, 1970.

THODEN, R. - *Abû l-Hassan 'Ali : merinidenpolitik zwischen Nord-afrika und Spanien in den Jahren 710 - 752 H - 1310 - 1351*, Freiburg, 1973.

TRABUT, L. - *Etude de l'halfa*, Paris, 1889.

TREMEAU, H. - *Le Droit douanier*, Paris, 1988.

TRIKI, H. - *Abdelmalek As-Saadi*, in *Le Mémorial du Maroc*, vol. 3.

TRIKI, H. - DOVIFAT, A. - *Médersa de Marrakech*, Paris, 1990.

TROIN, J.F. - *Montagnes et ville dans le Nord - ouest du Maroc, R.O.M.M.*, n° 41 - 42, 1986.

TROTTES, P. - *Our mission to the Court of Morocco in 1880*, Edinburg, 1881.

TUCCI, R. Di. - *Documenti inediti sulla spedizione e sulta Mahona der Genovesi a Ceuta*, Gênes, 1935.

VANACHER, C. - *Géographie économique de l'Afrique du Nord, Annales*, Mai-Juin 1973.

VATTIER, J. - *Au Maroc utile, B.G.M.*, 3, 1923.

VIGEL, L. - *Soieries marocaines : les ceinture de Fès*, Paris, 1913.

VIGY, P. de. - *Notes sur quelques armes du musée de Dar Batha à Fès, Hesp.*, 2ème trim., 1923.

VIGY, P. de. - *Les Sabres marocains, Hesp.*, 1er trim. 1924.

VIGNET - ZUNZ, J. - *Djebala, E. B.*, XVI, 1995.

VINOGRADOV, A.R. - *The Aït Madir of Morocco : A Study of the social transformation of a Berber tribe*, Ann.-Arbor, 1974.

WALKER, G.I. - *World weather, Quaterly Journal of the Roy, Meteo. Society*, 1928.

WALKER, G. T. [et al...]. - *World Weather, Mem. Roy. Meteo. Soc.*, 1932.

WEYRE, G. - *Au Maroc : dans l'intimité du Sultan*, 1950.

WILDI, W. - *La Chaîne tello - rifaine : structure, stratégie et évolution du trias au miocene, Rev. Géol. Dyn. Géogr. Phys.*, vol. 24, n° 3, 1983.

WITTE, C.M. - *Une lettre inédite du Roi Jean II au Pape Innocent VIII sur l'affaire de Graciosa, Studia*, 1958.

XIN, J. - *Notes sur le souk el Attarine, La vie tunisienne illustrée*, n° 17, 1924.

XIN, J. - *Notes sur les parfums orientaux, La vie tunisienne illustrée*, n° 16, 1924.

YVER, G. - *Correspondance du Capitaine Daumas, consul à Mascara*, Alger, 1912.

YVERT, B. - *Dictionnaire des Ministres, 1789 - 1989*, Paris, 1990.

ZEIGLER, D.J. - FASSI, D. - *Rediscovering : the roots of moroccan geography in era of interdependence. The Geographical Bulletin*, 1966.

Liste des principales abréviations des périodiques

A.A : *L'Afrique et l'Asie.*
A.A.N : *Annuaire de l'Afrique du Nord.*
Acad. Sc. Col. : *Académie des Sciences Coloniales.*
A.E.S.C : *Annales : Economie, Sociétés, Cultures.*
A.F : *Afrique Française.*
A.F : R.C : *Afrique Française : Renseignements Coloniaux.*
A.I.E.A : *Archivos del Instituto de Estudios Africanos.*
A.I.E.O : *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*
A.M : *Archives Marocaines.*
A.M.S : *Archives Marocaines de Sociologie.*
And. : *Al-Andalus*
Ann. Rech. Forest. Maroc : *Annales de la Recherche Forestière au Maroc.*
Ant. Afr. : *Antiquités Africaines.*
B.A.M : *Bulletin d'Archéologie Marocaine.*
B.A.R : *British Archeological Reports.*
B.C.T.H : *Bulletin du Comité des Travaux Historiques.*
B.E.P.M : *Bulletin de l'Enseignement Public au Maroc.*
B.E.S.M : *Bulletin Economique et Social du Maroc.*
B.G.M : *Bulletin de Géographie du Maroc.*
B.I.D.M : *Bulletin de l'Information et de la Documentation Marocaine.*
B.I.F.A.N : *Bulletin de L'Institut Français d'Afrique Noire.*
B.M.S.A.P : *Bulletin et Mémoires de la Société d'Anthropologie de Paris.*
B.L.O.A.B : *Bulletin de Littérature Orale Arabo-Berbère.*
B.L.S : *Bulletin de Liaison Saharienne.*
B.S.G : *Bulletin de la Société Géographique (Paris).*
B.S.G.A : *Bulletin de la Société de Géographie d'Alger.*
B.S.G.A.O : *Bulletin de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran.*
B.S.H.M : *Bulletin de la Société d'Histoire du Maroc.*
B.S.O.A.S : *Bulletin of the School of Oriental and African Studies.*
B.S.P.M : *Bulletin de la Société de Prehistoire du Maroc.*
Bull. Archéol. : *Bulletin Archéologique.*
C.A.A : *Cahiers de l'Afrique et de l'Asie.*
Cah. Rech. Agron. : *Cahiers de la Recherche Agronomique.*
C.A.T.A.N : *Cahiers des Arts et Techniques d'Afrique du Nord.*
C.B.E.T : *Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuan.*
C.C.E.J : *Collection des Centres d'Etudes Juridiques.*
C.E.A : *Cuadernos de Estudios Africanos.*
C.H.I : *Cuadernos de Historia del Islam.*
C. Méd. : *Cahiers de la Méditerranée.*
C.R.A.I.B.L : *Compte-Rendus de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
C.R.A.S : *Comptes Rendus des Séances de l'Académie des Sciences de Paris.*
C.T : *Cahiers de Tunisie.*
E.B : *Encyclopédie Berbère.*

E.I.1 : *Encyclopédie de l'Islam. (1ère édition).*
E.I.2 : *Encyclopédie de l'Islam (2ème édition).*
E.T.A.M : *Etudes et Travaux d'Archéologie Marocaine.*
Et. Medit. : *Etudes Méditerranéennes.*
F.M : *France - Maroc.*
F.S.S.A.N : *Fédération des Sociétés Savantes d'Afrique du Nord.*
G.E.M : *Grande Encyclopédie du Maroc.*
Hesp : *Hespéris.*
H-T : *Hespéris-Tamuda.*
H.T.E : *Hommes, Terre et Eaux.*
I.G : *Information Géographique.*
I.H.E.M : *Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
I.H.E.M : N-D : *Institut des Hautes Etudes Marocaines : Notes et Documents.*
Inst. Gen. Franco de Est. e Invest. Hisp. Ar. : *Instituto General Franco de Estudios e Investigaciones Hispano Arabe.*
I.S.C : *Institut Scientifique Chérifien.*
Isl. Cult. : *Islamic Culture.*
I.S.P.M : *Institut Scientifique des Pêches Maritimes.*
J.H.S.N : *Journal of the Historical Society of Nigeria.*
M.A.I.B.L : *Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.*
Medit : *Méditerranée.*
M.E.F.R : *Mélanges de l'Ecole Française de Rome.*
N.A.M.S.L : *Nouvelles Archives des Missions Scientifiques et Littéraires.*
P.I.H.E.M : *Publications de l'Institut des Hautes Etudes Marocaines.*
P.S.A.M : *Publications du Service des Antiquités du Maroc.*
P.S.H.M : *Publications de la Section Historique du Maroc.*
R.A : *Revue Africaine.*
R.A.P : *Revue de l'Action Populaire.*
R.C.C : *Revue de la Chambre de Commerce.*
R.D.M : *Revue des Deux Mondes.*
R.E.A : *Revue des Etudes Anciennes.*
R.E.I : *Revue des Etudes Islamiques.*
R.E.L : *Revue des Etudes Latines.*
R.G.L : *Revue de Géographie de Lyon.*
Rev. Geo. Phys. Géol. Dyn. : *Revue de Géographie Physique et de Géologie Dynamique (Paris).*
R.G.M : *Revue de Géographie du Maroc.*
R.H.C.M : *Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb.*
R.H.E : *Revue d'Histoire Economique.*
R.H.M.C : *Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine.*
R.M.D.E.D : *Revue Marocaine de Droit et d'Economie du Développement.*
R.M.E : *Revue Maroc-Europe.*
R.M.F : *Revue Militaire Française.*
R.M.F.P.E : *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie.*
R.M.M : *Revue du Monde Musulman.*
R.P.P : *Revue Politique et Parlementaire.*
Rev. Inst. Hist. Mil. : *Revue Internationale d'Histoire Militaire.*
S.G.L : *Sociedade de Geografia de Lisboa.*
S.I : *Studia Islamica.*
S.I.H.M : *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc.*
Soc. Sc. Nat. Phys. Mar. : *Société des Sciences Naturelles et Physiques du Maroc.*

الثغراوي، عليّ بن الفقيه الحسناوي السلاوي، وأكثر ما كان يدعى بعلال. ينتسب إلى الثّواغر، أكبر فصائل أولاد سگير، الذين يُكوّنون أحد شقي قبيلة بني حسن العربية القاطنة في سهول الغرب بين مدينتي سلا والقصر الكبير.

اشتهر والد علال بين قومه بلقب الفقيه حتى عفّى على اسمه، وكانت والدته أيضاً فقيهة. أخبر الشيخ علال الثغراوي والدي ـ رحمهما الله ـ أنه قرأ *الأجرومية* و*المرشد المعين* على والدته. ولا يُعرف من شيوخه غير والديه، لكنه قرأ ـ ولاشك ـ على علماء عصره في فاس والعدوتين وهم متوافرون آنذاك. وقد أصهر علال الثغراوي إلى آل الگدّاري الحسناويين الذين توارثوا القيادة والثروة والجاه في قبيلتهم. وكانت لهم عقارات كثيرة بمدينة سلا، سكن الشيخ علال الثغراوي في دار منها بحي رأس الشجرة. وكان ملحوظاً من طرف سكان المدينة وعاملها العالم الحاج محمد الصبيحي، وأديا معاً فريضة الحج عام 1334 / 1916 في جماعة وافرة من أعيان السلويين وغيرهم.

كان علال الثغراوي موسراً منقطعاً للتدريس والإفتاء، يلقي دروساً متنوعة بمختلف مساجد مدينة سلا، وبخاصة الزاوية التجانية التي يعدّ من أعيانها وفضلائها، وأكثر دروسه في الفقه، ومختصر الشيخ خليل بصفة خاصة. كان يحفظ هذا *المختصر* ويستظهر ما قاله شراحه ومُحشّوه، ويضرب ـ كما يقولون ـ أوّله بآخره وآخره بأوّله. وكان يحضر المجالس العلمية التي تعقد بحضرة السلطان المولى يوسف إلى جانب صديقه الشيخ شعيب الدكالي. فكان لهما ـ نظراً لرسوخ معلوماتهما وقوة استحضارهما ـ الظهور البيّن في هذه المجالس التي تضمّ علية المحدّثين والفقهاء.

كانت فتاوى الشيخ علال الثغراوي في غاية الضبط والتحرير إلا أن معظمها ضاع، والفتوى التي ننشرها هنا بخطه في موضوع نزاع حول غبن في قسمة إراثة بين بعض أعيان الرباط وإن كانت غير مؤرخة فإنها تحيل على رسم مثبت حولها مؤرخ في سابع عشر حجة الحرام متم عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف.

تولى علال الثغراوي قضاء مدينة سلا بعد أن أخر عنه الحاج علي عواد عام 1333 / 1915 واستمر في هذه الخطة إلى أن استعفى منها في 29 جمادى الثانية عام 1335 / 22 أبريل 1917 فخلفه القاضي عبد القادر التهامي سابق الترجمة.

ذكر لي سيدي الوالد ـ وكان من أخلص أصحاب الشيخ الثغراوي وأحبائه وجلسائه ـ أن الإقبال على دروس الشيخ الثغراوي الفقهية في الزاوية التجانية كان عظيماً لبساطة أسلوبه ووضوح تفسيره ومزجه بين الفصحى ولهجته العامية البدوية، ولحسن تمثيله واستطراده الذي يُضفي على المجلس البهجة والانشراح. وأن أحكامه ـ يوم كان قاضياً ـ سريعة ومنصفة، فكان مجلسه في المحكمة خالياً من المتقاضين في أغلب الأحيان، وله في مخاطبة المُلدّين في الخصام من الرجال والنساء حكايات طريفة بلسانه البدوي المليح.

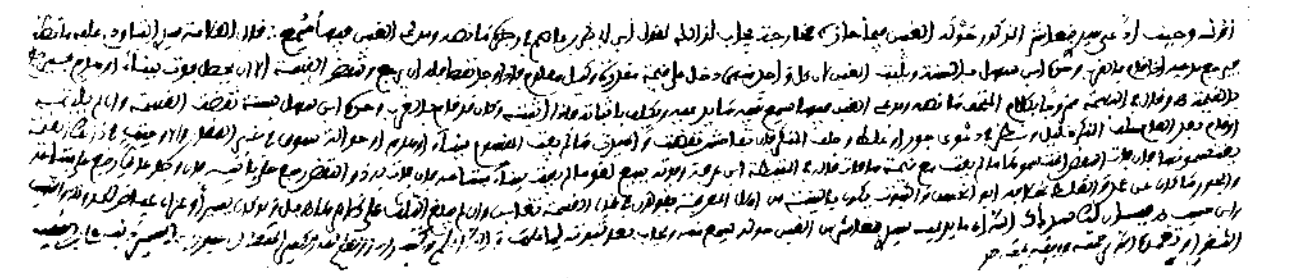

صورة الفتوى بخط الشيخ علي الثغراوي

توفي بسلا ليلة الثلاثاء 28 شوال عام 1344 / 11 ماي 1926 وكانت جنازته حافلة شارك فيها علماء العدوتين وعامة سكان المدينة وخاصتها. ومما قاله الشيخ شعيب الدكالي في كلمة تأبينه : "إننا لا ندفن اليوم الفقيه علال الشغراوي ولكننا ندفن الشيخ خليل ومختصره".

جعفر الناصري، قضاة سلا، مخطوط خ. ص ؛ أ. الصبيحي، *الرحلة الحجازية*، مخطوط خ. ص ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 258، 559 ؛ م. بوشعرا، *التعريف*، 2 : 275 ؛ *قبيلة بني حسن*، مخطوط ؛ *رواية شفوية*.

محمد حجي

الثغور المحتلة، استطاع الإسبان والبرتغاليون، خلال القرنين التاسع والعاشر (15 و16 م) أن يحتلوا عدداً من الثغور المغربية. ولم تتداخل مكتسباتهم لخضوع الغزو لاتفاق مسبق بين الطرفين تمخض عن عدة معاهدات تمت تحت إشراف البابوية بعد مفاوضات حادة وتنافس كبير. وهكذا عاد للإسبان، الذين كان اهتمامهم بالمغربين الأوسط والأدنى أكبر نصيب من المراكز الموجودة شرق مدينة بادس، وعاد للبرتغال الذي كان منهمكاً في عملياته الاستكشافية وفي البحث عن طريق بحري إلى الهند، ما بغربها.

وخضع الغزو المذكور لاعتبارات ثلاثة : موقع المدينة المهاجمة، وتاريخ الهجوم، والفئات الاجتماعية المشرفة عليه والمخططة له.

وعموماً كانت الدوافع الإستراتيجية المرتبطة بالرغبة في القضاء على الجهاد البحري الذي تقوّى بوصول الأندلسيين والأتراك إلى سواحل المغرب العربي، عاملاً حاسماً في اختيار الإسبان للمواقع المهاجَمة وفي التمسك بها. وهكذا احتلوا مليلة سنة 903 / 1497، ثم غساسة سنة 912 / 1506، وحجرة بادس سنة 915 / 1508. واقتصرت مكتسبات الإسبان بالمغرب على الثغور المذكورة دون أن يتمكنوا من التوسع داخل التراب المغربي، كما لم تتحقق رغبتهم في احتلال تطوان التي ضايقهم جهادها البحري، لمعارضة البرتغال لذلك.

مر الغزو البرتغالي بمرحلتين مختلفتين في الزمان والمكان، وفي الوسائل المسخرة له، وكذا في الغايات المتوخاة منهما. وقد طغت الاعتبارات الإستراتيجية (الرغبة في القضاء على الجهاد البحري ومنع سقوط الثغور المغربية في أيدي العثمانيين) على المرحلة الشمالية التي همت سبتة عام 818 / 1415 والقصر الصغير عام 862 / 1458 وأصيلا وطنجة عام 875 / 1471. وسيطرت العوامل التجارية (المرتبطة بتجارة غرب أفريقيا وبحاجة البرتغال إلى المواد الفلاحية المغربية) على تعامل البرتغاليين مع السهول الغربية. (راجع مادة البرتغال *بالمعلمة*).

ونتج عن احتلال الثغور المغربية إخلاؤها من لدن سكانها الأصليين، واقتصار ساكنتها على البرتغاليين وبعض المرتزقة الإسبان، وعلى جالية يهودية كانت مهمة وذات نفوذ سياسي ومالي في بعض الثغور كأسفي وأزمور. فقد غادر كل سكان أزمور المدينة قبل دخول البرتغاليين إليها، واستقر بعضهم بسلا أو بفاس. وهكذا كان بالمدينة خلال ربيع 920 / 1514 حوالي أربعة آلاف شخص كانوا كلهم جنوداً برتغاليين. ولاشك أن هذا العدد المرتفع مرتبط بكون الاحتلال تم في خريف 912 / 1513، وبكون المدينة كانت تستعد لمواجهة تحرك الجيش الوطاسي في اتجاه الثغور الدكالية. وسرعان ما تراجع عدد السكان. فقد أصبحوا خلال صيف 937 / 1530 لا يتعدون ستمائة وثمانين شخصاً يعيشون على جرايات الدولة، كان ضمنهم اثنا عشر قسيسا، وثمانية بحارة، وأربعة عشر مجرما في حالة نفي.

وعرفت الثغور المحتلة تغييرات واضحة في معالمها. فقد اضطر الغزاة إلى التقليص من رقعة المدينة ليتمكنوا من الدفاع عنها بسهولة. ففي أزمور مثلاً، بدأ التفكير مبكراً في التخلي عن المدينة كلها والاقتصار على قصبتها. لذا توقف حفر الخندق حول السور المغربي الذي شرع فيه بعد ثلاثة أشهر من احتلال المدينة. وبعد تردد كبير، تقرر تحصين القسم المشرف على النهر، واحتفظ بالسور المغربي لحماية البساتين التي عوضت الدور.

وتم تشييد الأسوار والأبراج والأبواب والمرافق الدينية حسب الطريقة المعتمدة بالبرتغال، أي اعتماداً على النموذج الإمنويلي الذي كان يمثل أرقى ما وصل إليه المعمار البرتغالي. وأنجزت تلك المنشئات على يد معماريين كانوا يعتبرون من أحسن ممثلي تلك المدرسة. وكانت التحصينات المستحدثة بالثغور تختلف عما كان معمولاً به في المغرب. فقد اقتصرت على الحجر المقصوص الذي كانت بعض أجزائه المنحوتة الحاملة لشارات معينة تجلب من البرتغال. كما جلبت مواد البناء الأخرى من البرتغال : الخشب والركائز والقرميد، وحتى الجير بعد أن تبين للمشرفين على البناء سوء نوعية ما صنع منه بأسفي وأزمور. وأولى المشرفون على البناء أهمية قصوى لثلاثة اعتبارات :

- السرعة في البناء نظراً للحصار المفروض باستمرار على الثغور.
- تفادي التبذير والتقليل قدر الإمكان من المصاريف. لذا جاءت البنايات بسيطة، لا تحتوي إلا على القليل من الزخرفة.
- اعتبار ما جد في ميدان الأسلحة وإنشاء تحصينات تستطيع تحمل طلقات المدفعية التي تزايد اعتماد المغاربة عليها بعد العقد الثالث من القرن السادس عشر.

ويلاحظ اختلاف بين التحصينات المشيدة بالشمال عن تلك التي عرفتها الثغور الدكالية. فبخلاف السجوف الطويلة والعالية، والأبراج المربعة والكبيرة، التي يمكن

مشاهدتها بأصيلا، احتوت أسوار أزمور وأسفي، وخصوصاً مازيغن (البريجة)، على الخصائص الجديدة التالية :

- أصبحت البِسْتْيونات والسجوف أقل ارتفاعاً لتسمح للمدفعية بتسديد طلقات منحدرة.

- أصبح التدعيم الجانبي خاضعاً بدوره لهذه الغاية الهجومية.

- ظهر بأسفي البستيون "المستدير ليوضع عليه عدد أكبر من قطع المدفعية.

- شيدت أسوار سميكة سمحت بإحداث ممرات للحراس فوقها، كما يلاحظ اليوم بالجديدة. ولكي تصمد أكثر، عزز أسفلها بمنحدر سميك مبني من الحجارة.

- أحاط البرتغاليون بعض تلك التحصينات بخنادق مائية لمنع المهاجمين من الاقتراب منها.

وبذلك يكون البرتغاليون "قد كدسوا بمساحات ضيقة كل ما كان يسمح به المعمار العسكري المعروف في زمنهم، وذلك من أجل استعمال مدفعيتهم أحسن ما يمكن، وللحصول على أحسن مردود من حاميتهم القليلة العدد".

عرفت الثغور المحتلة تنظيمات إدارية وعسكرية وتجارية. فقد كان القبطان المسؤول الأول بالثغر، وكانت بيده سلط إدارية وسياسية وعسكرية وقضائية بصفته ممثل الملك البرتغالي. وكان القباطنة يختارون من النبلاء وممن أسهموا في الغزو البرتغالي وفي الدفاع عن مكتسباته. وخص القباطنة برواتب مغرية وبامتيازات مالية مهمة، كخمس الغنائم والأسرى، واحتكار بيع بعض السلع. وكان يساعد القبطان عدد من الموظفين المدنيين والعسكريين. فمن الفئة الأولى كان المحاسب (Contador) مسؤولاً عن أموال ومصالح الملك بالثغر، وكان إلى جانب هذا أهم موظف بعد القبطان، إذ كان ينوب عنه في حالة الوفاة أو الغياب. ومن مهامه كذلك أداء رواتب الجنود وتحديد قيمة الضرائب التي تدفعها القبائل الخاضعة، والإشراف على استخلاص الضرائب الجمركية والمكوس. وأشارت وثائق إلى إشرافه على عمليات الترميم والبناء. وكان الوكيل التجاري (Feitor) يشرف على المتجر الملكي، ويهتم بكل ما يتعلق بالتجارة : بيع السلع التي أرسلتها المصالح المختصة بلشبونة، واقتناء ما يرغب الملك في شرائه. وكان يساعده قابض الفيطورية وكاتبها. وتنحصر مهمة المشرف (almoxarife) في ما يتعلق بتموين الثغر، وبشراء كميات الحبوب التي كان الملك البرتغالي يأمر بها.

ومثّل "الدليل" (adail) الساعد الأيمن للقبطان ونائبه في الشؤون العسكرية. فهو الذي كان يقود الجنود في حالة غياب المسؤول الأول عن الثغر. وكانت مهمة "المقدم" (almocadem) هي الاطلاع على أوضاع المنطقة التي سيمر منها الجنود وتحديد الطريق الأكثر سلامة. وكان يساعده في ذلك عدد من الجواسيس التابعين. وكان : القائد" (alcaide) مسؤولاً عن القصبة، بينما كان الإشراف على الميناء موكولا إلى "قائد البحر" (alcaide do mar).

واعتمد القباطنة على تلك القوات والأسلحة لخوض حروب ضد القبائل المجاورة، وتعريضها لهجمات مفاجئة قصد الحصول على الأسرى والغنائم وإكراهها على دفع الضرائب والإقبال على أسواق الثغور. وكانت حامية أصيلا أنشط حاميات الشمال، وإن اعتمدت في عدة مناسبات على مساعدة عسكريي طنجة. فقد وصلت غارات تلك الحامية إلى القصر الكبير وجبل حبيب. وقَدّرَ بَاحثٌ عدد الأسرى الذين أسرهم البرتغاليون من منطقة بني گرفط وحدها بخمسة آلاف شخص. واستغلت حاميتا أسفي وأزمور الفراغ السياسي الذي كانت تعاني منه المنطقة، وكذا تناحر الشيوخ، ووجود عملاء كبار سخروا قبائلهم لفائدة التوسع البرتغالي للهجوم على مناطق بعيدة. فقد وصل مدى الغارات المنظمة انطلاقاً من أزمور مدينة الرباط. ووصلت غارات برتغاليي أسفي منطقة زمران الحالية، ومنابع تانسيت ومنطقة حاحة. وبالطبع مكنتهم تلك السطوة من غنائم هائلة ومن مآت الأسرى. فقد استطاع برتغاليو أزمور أسر ما لا يقل عن ألفي شخص من الشاوية وحدها فيما بين 1518 ـ 1519. وأحصينا الإشارات الواردة بمصدرين برتغاليين، فألفينا أن عدد الأسرى المحصل عليهم خلال تلك الغارات بلغ 9287 شخصاً مع العلم أن المؤلفين لم يحددا عدد الأسرى إلا بالنسبة لعدد قليل من الغارات التي ذكراها. ولم تطل سطوة البرتغاليين، إذ سرعان ما جعلت التحركات الوطاسية على عهد محمد البرتغالي، والعمليات التي قادها قواد الهبط بالشمال، (إبراهيم ابن راشد، المنظري)، وتلك التي أطرها السعديون بالجنوب، حدا لتلك الوضعية.

واشتكى القباطنة باستمرار من قلة أعداد المحاربين بالثغور المحتلة، وكانوا يطالبون بتعزيزها. وللتغلب على هذا النقص، اعتاد برتغاليو أصيلا وطنجة ضم قوات الثغرين لعملياتهم ضد القبائل، في حين اعتمد قباطنة دكالة والسوس على القبائل الخليفة المؤطرة من لدن قواد كبار، كيحيى بن تاعفوفت ومالك بن داود. كما غطى التفوق البرتغالي في ميدان الأسلحة النارية (المدفعية والبنادق) والتحصينات والتكتيك، النقص المذكور. واتقى برتغاليو الثغور هجمات المغاربة المفاجئة بعدد من التدابير، كإرسال عدد من الفرسان، يسمون "الطليعة" (atalaia) لمراقبة البادية، أو تكليف آخرين بتفتيش الأماكن القابلة لنصب الكمائن (cortadores). وهناك مراقب يشرف على البادية من أعلى الأبراج (ribate) يتلقى إشارات الطليعة ليخبر من كان من السكان خارج الأسوار بإشارات معينة.

وانعكست هذه الوضعية على عيش سكان الثغور المحتلة، إذ جعلهم الجهاد والمقاومة المؤطرة من لدن الفقهاء والمتصوفة وبعض القواد والأنظمة القائمة آنذاك بالمغرب، (انظر مادة *الجهاد*) يعيشون في حالة حصار مستمر،

خصوصاً بعد اندحار حامية المعمورة (1515)، وقتل أكبر قباطنة أسفي (N.F. de Ataide) سنة 1516 واغتيال يحيى ابن تاعفوفت سنة 1518. وبذلك تغير ميزان القوة لصالح الشرفاء السعديين.

ولم يستطع البرتغال إرجاع الأمور إلى ما كانت عليه لمرور امبراطوريته بعد 1520 بظرفية اقتصادية سيئة، تميزت بالركود التجاري وبتزايد التهريب والقرصنة في كل أطراف تلك الإمبراطورية. وفي هذا الوقت بالذات، ارتفعت مصاريف إدارة وحماية الثغور الشمانية. فإذا كانت تلك المصاريف قد بلغت سنة 1515 خمسين مليون ريال، فإنها تضاعفت بعد خمس عشرة سنة. ووصل ما دفع كرواتب للحمايات خلال سنة 1534 وحدها عشرة ملايين. وتطلب العون الذي توصلت به أسفي خلال حصارها من لدن السلطان أحمد الأعرج أربعة ملايين. هذا مع العلم بأن البرتغال كان مطالباً بالهند بمجهود أكبر نظراً للمقاومة الإسلامية العنيفة التي واجهته.

وبسبب الحصار المضروب على الثغور، وتعذر القيام بأي نشاط زراعي، كان على البرتغال تزويدها بانتظام بالحبوب والأقوات. فقد توصلت الثغور الشمانية سنة 1436 بـ 5420 مد برتغالي من القمح. وأصبحت الثغور التي كانت تصدر الحبوب، كأسفي وأزمور ومازيغن، مستوردة لها. بل أكثر من هذا، توصلت أسفي مرة بسفينة محملة بالماء الصالح للشرب !

واشتكى القباطنة باستمرار من قلة الأقوات بالثغور، ومن تجاهل المسؤولين لأوضاع سكانها السيئة، خصوصاً وأن الرواتب كانت تتأخر لشهور، ولم تكن تصل أحياناً إلا بعد سنة، كما أن الاستفادة من الغنائم والأسرى قلت كثيراً بعد انحصار الغزاة داخل قلاعهم. ومما أزم وضعية السكان أكثر، الطريقة المعتمدة في أداء الرواتب والجرايات، والتي كانت تتم اعتماداً على سلع معينة، يدفعها احتكاريون متعاقدون مع الملك، الأمر الذي كان يعرض العسكريين لابتزاز كبير، إذ كان عليهم قبضها بثمن مرتفع وإعادتها لنفس المحتكرين - لحاجتهم للأموال - بثمن زهيد. وتعطينا رسالة موجهة إلى الملك البرتغالي سنة 1530 فكرة عن تلك المعاناة : "إن هذه المدينة في طريق الموت من جراء المجاعة الكبرى التي احتدت منذ أربعة أشهر (...) فالقباطنة الذين يريدون اكتناز الأموال يغتنُون على حساب اليهود والمسلمين، واليهود على حساب النصارى الذين يضطرون إلى رهن رواتبهم وبيع جراياتهم بعشرة أو خمسة عشر ريالاً للكبر، لأن المسؤولين عن الأداء لا يؤدون ما عليهم. لقد توقفوا عن أداء أي شيء منذ سبعة أشهر، وذلك باتفاق مع القبطان، الشيء الذي نتج عنه انعدام الأموال والحبوب. لذلك أصبح فرساننا وباقي السكان في بؤس كبير. يساعد المسؤول عن الأداءات يهوديان أو ثلاثة، يشترون من السكان رواتبهم بالثمن الذي يريدونه لأنهم محاطون بالبحر ويتضورون جوعاً، ولأنهم محاصرون من لدن المسلمين. فهم لذلك يخسرون خمسمائة ريال في كل ألف، وذلك إذا أرادوا أخذ الأموال مقابل الأثواب، الشيء الذي منعه سموكم في عقدته. كما أنهم يشترون منهم بـ"كروزادو" واحد - أي أربعمائة ريال - ما قيمته مائة وعشرون ريالاً بقشتالة، أما الثوب المصنوع من القنب، والذي يساوي ثلاثين ريالاً فيبيعونه بمازيغن بمائة وعشرين ريالاً.

لذا اضطر السكان عدة مرات إلى بيع متاعهم لشراء ما يسدون به رمقهم، ومات بعضهم بالجوع، واضطر آخرون للخروج إلى البادية والعيش من القطف، والتجأ القباطنة عدة مرات إلى مصادرة ما كان داخل البيوت من حبوب. ونظراً لما كان الجنود يعانونه من ابتزاز، احترفوا السرقة ليلاً وبواضحة النهار أحياناً. فقد تعددت الدور التي تعرضت للسرقة ليلاً بكل من أسفي وأزمور، وأضحت الأيدي تمتد إلى متاع وأموال اليهود في واضحة النهار. ويبرر قبطان أزمور تلك الوضعية بتأخر أداء الرواتب وفاقة السكان، بينما أرجعها طبيب المدينة إلى السببين المذكورين وإلى مبالغة التجار في ابتزاز السكان. وأضاف أن السراق يعتبرون أن عملهم شرعي، يهدف إلى استرجاع ما ابتز منهم بدون حق. واعتادت الثغور المحتلة على أجواء الحرب الأهلية، وقلت هبة الحكام، خصوصاً بعد تأكد تورطهم في سرقة ما كان يرسل من حبوب وبسكويت، وتواطئهم مع كبار التجار والمسؤولين عن الأداءات. فقد تعددت الشكايات المرفوعة إلى البلاط ضد تصرفات القباطنة والاحتكاريين المتحالفين معهم. إلا أن تلك الشكايات لم تجد آذانا صاغية نظراً للعجز المالي الذي كانت تتخبط فيه الخزينة البرتغالية، ولكثرة مشاكل الدولة البرتغالية. وامتناع الناس عن الخدمة بتلك الثغور، مما حتم الاعتماد على المرتزقة الذين زادوا من حدة الفتن التي كانت تعرفها بعض المدن.

وأمام هذه الأوضاع، فكر الملك البرتغالي يوحنا الثالث في إخلاء بعض الثغور. وهكذا أرسل سنة 1529 شخصاً لدراسة إمكانية إخلاء أگادير وربما أسفي، إلا أن النبلاء والعسكريين عارضوا ذلك بشدة. وبعد الحصار الذي ضربه أحمد الأعرج على أسفي سنة 1534، كاتب الملك أعيان دولته واستشارهم في إخلاء آسفي وأزمور، وأطلعهم على أوضاع البلاد المالية، إلا أنه خاب في مسعاه مرة أخرى. وبعد اندحار البرتغاليين بأگادير في ربيع سنة 1541، اضطر الملك البرتغالي إلى إخلاء أسفي وأزمور بدون حرب في أكتوبر سنة 1541. كما اضطر إلى إخلاء القصر الصغير وأصيلا سنة 1550 إثر دخول محمد الشيخ السعدي إلى فاس سنة قبل ذلك. وبذلك لم يبق في أيدي البرتغاليين إلا مازيغن (البريجة) التي لم تحرر إلا في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1769)، وطنجة التي حررها المولى إسماعيل سنة 1684. واحتفظت إسبانيا بسبتة رغم استعادة البرتغال لاستقلاله سنة 1640. ولاتزال هذه الثغور التي اغتصبها الإسبان تعاني من الاحتلال.

أ. بوشرب، *دكالة*، الدار البيضاء، 1984.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila, cronica do seculo XVI*.

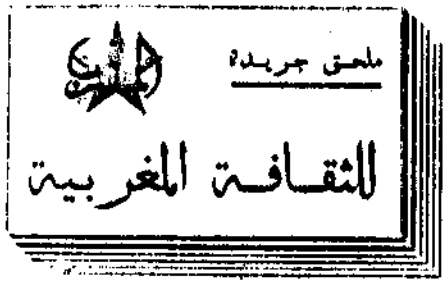

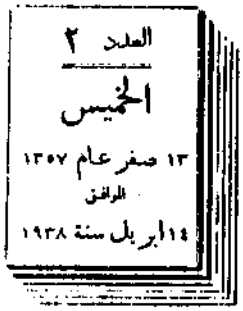

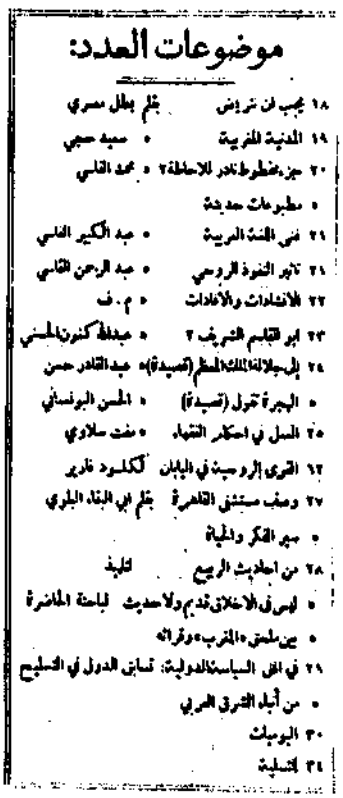

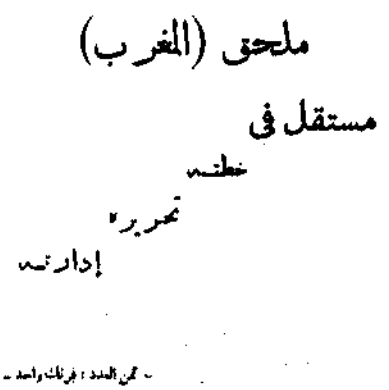

Publ. D. Lopes, Coimbra, t. 1, (1508 - 1525), 1915, LII + 498 p, t. 2, (1525 - 1535, supplemento : 1536 - 1550), 1919, XIX + 536 p ; R. Ricard, *Les Portugais au Maroc de D. de Gois. extraits de la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat, 1937, 268 p ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord. extraits des Annales de Jaen II de Luis de Sousa*, Paris, 1940, 208 p ; *Mazagan et le Maroc sous le règne du Sultan Moulay Zidane. (1608 - 1627) d'après le Discurso de Gonçalo Coutinho, gouverneur de Mazagan (1629)*, Paris, 1956, 188 p ; *Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVIIème siècle*, Paris, 1932, 72 p ; *Notes sur la tactique militaire dans les places portugaises du Maroc. Bulletin Hispanique*, XXXV, 1933, pp. 448 - 483, repris in : *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1955, pp. 345 - 355 ; *Le problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord. Annales. Economie. Société*, 1936 ; D. Lopes, *Os Portugueses em Marrocos*, in: *Historia de Portugal*, direct. D. Pires, Barcelos, 1931, t. 3, pp. 385 - 544, t. 4, pp. 78 - 121 ; P. de Cénival, *Chronique de Santa Cruz du Cap de Gué. (Agadir). texte portugais du XVIème siècle*, Paris, 1954, 170 p ; J. Figanier, *Historia de Santa Cruz do Cabo de Gué. (Agadir). 1505 - 1541*, Lisboa, 1945, 403 p.

أحمد بوشرب

الثقافة المغربية. (مجلة -) هناك سلسلات من مجلاّت تحمل كل منها اسم *الثقافة المغربية*، أولاها مجلتان حرتان صدرتا في فترات متقطعة بمدينة سلا في الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن بإدارة سعيد حجي، والثانية مجلات حكومية أنشأتها الوزارات المكلفة بالشؤون الثقافية بعد الاستقلال.

بدأت المجلة السلوية تصدر أسبوعية تحت عنوان ملحق جريدة المغرب *للثقافة المغربية* في حجم كبير (35 x 28 سم) في حلة قشيبة وغلاف أزرق زاه على بساطته. صدر أول عدد منها في 6 صفر عام 1357 / 7 أبريل 1938. وكان يشارك في تحريرها ثلة من المثقفين الوطنيين الرواد في ميدان الصحافة وكتابة المقالة والقصة والشعر والأبحاث الاجتماعية والأدبية والتاريخية وغيرها. أمثال محمد الفاسي وعبد الله كنون وعبد الكبير الفاسي وعبد الله إبراهيم وأبي بكر زنيبر، وباحثة الحاضرة (مليكة الفاسي) وأحمد باحنيني، وعبد الرحمان الفاسي وعبد القادر حسن وعبد الرحمن حجي والحسن البونعماني، وعبد الكريم بن الحسني ومحمد العبدي الكانوني وغيرهم.

كان كل عدد من هذه المجلة يتصدره مقال افتتاحي بقلم مديرها سعيد حجي لا يكاد يتخلف في موضوعات قومية متنوعة. وتثير مقالات المجلة في كثير من الأحيان نقاشاً ونقداً بناءً يزيد المسائل المطروحة توضيحاً وتقويماً، ويخلق في نفس الوقت جواً جديداً من الحوار والشجاعة الأدبية وحرية التفكير.

لم أتمكن من ضبط كل الأعداد الصادرة من هذه السلسلة الأولى، وآخر ما وقفت عليه منها العدد 18 بتاريخ 13 أكتوبر 1938 وتحمل صفحاته أرقام 327 إلى 345.

استقلت *الثقافة المغربية* بعد ذلك عن جريدة *المغرب*. وأصبحت مجلة فكرية شهرية، صدر أول عدد منها في غشت 1941 في حجم عادي (23 x 16 سم) بنفس الغلاف الأزرق الأنيق البسيط، وقد انضم إلى الكتّاب الرواد المذكورين، طائفة من الشباب الحي الطموح أمثال قاسم الزهيري وأحمد بناني والصديق بن العربي والطاهر زنيبر وعبد السلام العلوي وعبد الكريم سكيرج وعبد القادر الهاشمي، وإدريس الكتاني، وحماد العراقي، وبعض العلماء الشبوخ كالقاضيين عبد الحفيظ الفاسي ومحمد السايح.

كانت مجلة *الثقافة المغربية* السلوية في حلتيها القديمة والجديدة تُعنَى بالموضوعات الاجتماعية والأدبية والتاريخية والسياسية والاقتصادية المتعلقة بماضي المغرب وحاضره وتطلعاته المستقبلية، بالإضافة إلى المعلومات

العامة والمقالات المترجمة والإفادات والإنشادات. صدر العدد السابع والأخير منها في يبراير - مارس 1942 ينعي مديرها الماسوف على شبابه سعيد حجي.

لم تمض ستة أشهر حتى استأنفت مجلة *الثقافة المغربية* الصدور في سلسلة جديدة تحمل عنوان : *مجلة الثقافة المغربية للآداب والعلوم والفنون*، في حجم كبير (26.5 x 20 سم) وبإدارة أحمد بنغبريط. صدر العدد الأول من هذه السلسلة يوم الثلاثاء 19 شعبان عام 1361 / 1.9.1942 كبداية لسنة ثانية للمجلة اعتباراً للأعداد الصادرة في حياة سعيد حجي سنة أولى. وتوالت أعداد هذه السلسلة بصفة منتظمة حتى العدد العاشر في ماي - جوان 1943، بنفس المستوى وبأقلام معظم الكتاب السابقين. ثم توقفت المجلة في فترة المطالبة بالاستقلال، واعتبرها المسؤولون عنها سنة ثالثة بيضاء لتسانف الصدور في سنتها الرابعة بعدد يوليوز 1944 لكنها كانت قد فقدت معظم كتابها المقتدرين القدامى وبدا عليها الهزال والضحالة، ولم تنته هذه السنة بالعدد المزدوج 9.10 بتاريخ رجب - شعبان عام 1364 / جوان جويي 1945 حتى توقفت بصفة نهائية.

ملحق جريدة
الثقافة المغربية

العدد ٢
الخميس
١٣ صفر عام ١٣٥٧
الرابط
١٤ أبريل سنة ١٩٣٨

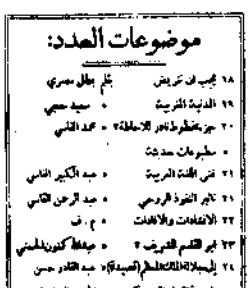
موضوعات العدد:

١٨ نجيب ال تريس — بقلم بطل مصري
١٩ الدولة الفريدة — • سعيد حجي
٢٠ جزء محفوظ من الأحاديث — • محمد الفاسي
• مأثورات حديثة
٢١ فتى الدولة الفريدة — • عبد الكبير الفاسي
٢٢ تاجر الفرنج الفرنسي — • عبد الرحمن الفاسي
٢٣ الاتفاقات والاتفاقات — • م. ف
٢٣ أمير القلم الشريف ؟ — • عبد الله كنون الحسني
٢٤ إلى صديقي الأستاذ عبد القادر حسن (قصيدة) — • عبد القادر حسن
• الهجرة إلى الريف (قصيدة) — • المكي البوعناني
٢٥ السيل في أحكام التقليد — • محمد بلعربي
٢٦ الغربي الروحية في البلدان — لكاتب غربي
٢٧ وصف مستغل القاهرة — بقلم أبي البقاء الغربي
• سير الفكر والحياة
٢٨ من الحديث الشريف — القيمة
• أبي في الأخلاق القديم والحديث — لجنة المذكرة
• بين المغرب والمشرق — وزراء
٢٩ في عالم السياسة الدولية: تنافس الدول في الشرق
• من أدباء الغرب العربي
٣٠ البريدات
٣١ القيمة

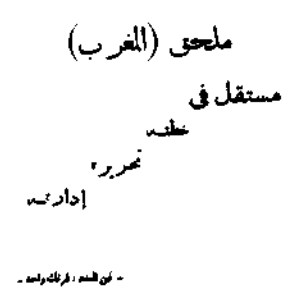
ملحق (المغرب)
مستقل في
خطه
تحريره
إدارته
- لمن القلم والقرطاس والمداد -

أما مجلة *الثقافة المغربية* الحكومية، فصدر أول عدد منها بالرباط في يناير - فبراير سنة 1970 (حجم 23 x 15.5 سم) عن وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، وهي أول وزارة أسندت إليها مهمة الثقافة بعد الاستقلال. وجاء في تقديم هذا العدد بقلم الوزير محمد الفاسي : "أن هذه المجلة ستهتم بكل ما يرجع لتاريخ المغرب العربي وإسبانيا وصقلية الإسلاميتين وجغرافيتها وآدابها ولغاتها وعوائدها وفنونها الشعبية في الماضي والحاضر". وقد اشتمل هذا العدد فعلاً على مقالات تتحدث عن دور المغرب الأقصى في توحيد الثقافة بين دول المغرب العربي، وعصر النهضة في هذه المنطقة. وحضارة العرب في الأندلس، ومؤلفات ابن حزم ورسائله وابن عربي. كما اشتمل العدد المزدوج الثاني والثالث والعدد الرابع على مقالات متعددة تعني بشؤون المغرب الكبير والأندلس.

وابتداء من العدد الخامس الصادر في ذي القعدة عام 1391 / دجنبر 1971 أصبحت مجلة *الثقافة المغربية* تابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي والأصلي وتكوين الأطر وظهر بعد ذلك عددان يحملان رقم 6 و7، فلم يقع كبير تغيير في مضمون المجلة إلاّ أن مجال موضوعاتها تقلص حتى كاد يقتصر على المغرب الأقصى.

الثقافة المغربية
للآداب والعلوم والفنون

نفمبر - دسمبر
١٩٤٢

لاتفة يتخلق لادين له فان الخلق يصله بحفظ نفسه اكثر مما يصله بواجبات الناس؛ ولا بفيلسوف ملحد لأن الفلسفة تمرجه بالمادة اكثر مما تمرجه بالانسانية ، ولا بمصلح يتسامح من الدين لأن إصلاحه صور من غروره ، ولا بعالم جامد لأن علمه كهندسة الشوارع كلها من اجل آخرها.

وفي سنة 1393 / 1973 انتقلت مجلة *الثقافة المغربية* إلى أحضان وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة. وتحدثت افتتاحية العدد الثامن عن رغبة المسؤولين عن المجلة في التجديد والتغيير فقالت : "لماذا هذا التمسك بإطار جغرافي في ميدان لايعرف حدوداً ولا أقطاراً وهو ميدان الفكر والثقافة ؟ إنه في الواقع مجرد اصطلاح بين المجلة وقرائها على أن ما يكتب لهم هو مرآة حقيقية لمجموع الثقافة الإنسانية التي يساهم فيها المغربي بالنصيب الأوفى والأوفر. وليس من رأينا أن تكون هذه المجلة مجرد ملف أبحاث رصينة يكتب فيها رجالات ممن

عركتهم التجربة وبلغوا من أفق المعرفة درجة تدخلهم في عداد الباحثين. فليس في المغرب الصغير ولا الكبير بحاثون فقط، وليس في الثقافة تراث ينقب ويصان فحسب، بل فيها خلق وفيها فكر شاب ينظر إلى الأشياء نظرة جديدة ...".

هذا الطموح في أن ترتفع المجلة عن محيط الغرب الإسلامي (الضيق) إلى الصعيد الانساني (الفسيح)، وإشراك المبدعين والفنانين الشباب لم يكتب له التحقيق إلا بكيفية جزئية ومحدودة إذ لم تلبث المجلة أن توقفت بعد صدور العدد التاسع سنة 1973.

وبعد نحو عشرين سنة عادت مجلة *الثقافة المغربية* إلى الصدور في سلسلة جديدة بحجم كبير (31 x 23 سم) وشعار: مجلة ثقافية جامعة تصدرها وزارة الثقافة كل شهرين. صدر العدد الأول في ماي - يونيه 1991. ولأول مرة أصبح لمجلة *الثقافة المغربية* هيئة تحرير من أساتذة جامعيين وصحافيين مقتدرين بينما كان المشرفون على السلسلات القديمة موظفين إداريين يعملون في مصالح الوزارة الوصية. وتنوعت محاور الموضوعات في هذه المجلة من دراسات وشعر وقصة وحوار وقضايا وآراء إلى تشكيل وعمارة وفنون شعبية وسينيما وقراءات في كتب ومتابعات. غير أن عمرها لم يكن أطول من سابقاتها فكان آخر عدد صدر منها هو السابع في ماي - يونيه 1992.

مجموعات المجلات المذكورة في صلب النص.

محمد حجي

الثقافة (وزارة -)، تسمى اليوم وزارة الشؤون الثقافية. في إبان عهد الحماية وفي السنوات الأولى من عهد الاستقلال كانت شؤون الثقافة والفنون في المغرب موزعة على وزارة التربية الوطنية ومن اختصاص إدارة الفنون الجميلة، وقطاع الشبيبة والرياضة الذي كان يشرف على المسرح والجمعيات الثقافية والفنية والثقافة الشعبية. وغداة الاستقلال وضع محمد الخامس حماية الثقافة الوطنية وتطويرها ضمن أولويات اهتمامه فخصص الثقافة الشعبية بمجلس أعلى بموجب ظهير 24 ذي القعدة عام 1378 / 1 - 6 - 59.

وفي سنة 1968 عين محمد الفاسي وزيراً مكلفاً بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي ؛ من ذلك الحين تعاقب على الشؤون الثقافية الوزراء السادة :

- محمد العسكي الذي عين وزيراً للثقافة والتعليم العالي والثانوي والأصلي وتكوين الأطر سنة 1971 وعهد بالشؤون الثقافية إلى مديرية تابعة لوزارته.
- محمد المكي الناصري الذي عين وزيراً للأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة سنة 1972.
- الحاج مَحمد أبا حنيني الذي عين وزيراً للدولة مكلفاً بالشؤون الثقافية سنة 1974.
- سعيد بن البشير الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1982.
- محمد بن عيسى الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1985.
- محمد علال سيناصر الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1992.
- عبد الله أزماني الذي عين وزيراً للشؤون الثقافية سنة 1995.
- عزيزة بنماني كاتبة الدولة في الثقافة عينت سنة 1997.

عرفت وزارة الشؤون الثقافية تطوراً متصاعداً في اختصاصاتها وهيكلتها، واستقرت هذه الاختصاصات والهيكلة في صيغتها النهائية بمقتضى مرسوم رقم 2.94.222 (1994) نص على أن مهمة الوزارة هي : "إعداد وتنفيذ سياسة الحكومة المتعلقة بالتراث والتنمية الثقافية والفنية" وتتولى الوزارة القيام بما يلي :

- توحيد التوجهات وتنسيق الأعمال الهادفة إلى تقوية النسيج الثقافي الوطني.
- المساهمة، باتصال مع الوزارات والمصالح المعنية، في النهوض بالثقافة الوطنية والحفاظ على خاصياتها.
- استخدام جميع الوسائل الكفيلة بضمان ازدهارها واشعاعها.
- استخدام جميع الوسائل الملائمة لمتابعة ودعم كل عمل أو مبادرة ترمي إلى الحفاظ على التراث الثقافي وصيانته واستثماره.
- ابتكار وإعداد استراتيجية محكمة للتنمية الثقافية على المستوى الجهوي والمحلي قصد الرفع من المستوى الثقافي والفني.
- المساهمة في تنشيط أعمال الإبداع والبحث في مجالات الثقافة والفن والأدب.
- إعداد مشاريع القوانين والأنظمة المطبقة في المجالين الثقافي والفني، وكذا المهن المرتبطة بهما والسهر على تطبيقها.
- إقامة علاقة تعاون مع الهيآت والمؤسسات والجمعيات الثقافية والفنية داخل المغرب وخارجه.
- المساهمة باتصال مع الوزارات المعنية في حماية البيئة ولاسيما البيئة الثقافية.
- القيام بدراسات تعريفية واستطلاعية في الميدانيْن الثقافي والفني على المستوى المحلي والجهوي وإعداد البرامج المتعلقة بها.

وبمقتضى نفس المرسوم (في مادته الثالثة) تتكون الإدارة المركزية من : كتابة عامة ، ومفتشية عامة، ومديرية مركزية للتراث، ومديرية مركزية للتنمية الثقافية، ومديرية للكتاب والخزانات والمحفوظات، ومديرية مركزية للفنون، وقسم للموارد البشرية والشؤون العامة.

استعانت وزارة الشؤون الثقافية بلجان وهيآت استشارية عقدت سلسلة من الدورات، وهي التالية :

- اللجنة الوطنية للثقافة التي أحدثت بالمرسوم رقم 549. 74. 2 (1975)، عدل وتمم بمرسوم آخر رقم 558. 81. 2 (1982) اجتمعت أول لجنة وطنية للثقافة يوم الثلاثاء 27 شعبان 1401 يونيه 1581 برئاسة الحاج مَحمد أبا حنيني.

- المجلس الوطني للثقافة الذي انعقدت دورته تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، الرئاسة الفعلية لصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد بالرباط يومي 24 و25 رجب 1413 / 18 و19 يناير 1993.

- المجلس الأعلى للثقافة والمجالس الجهوية للثقافة بالمرسوم رقم 288. 94. 2 ؛ الذي تنص مادته الثالثة من الجزء الأول على أن المجلس الأعلى والمجالس الجهوية "هيئة استشارية تهدف إلى مناقشة السياسة الثقافية ومحتواها، واقتراح التوجهات والمواضيع ذات الأولوية للعمل الثقافي، كما سيكون عليه تحديد الوسائل التي يتعين تسخيرها من أجل تسيير الحياة الثقافية ولاسيما في الوسط القروي وتوطيد الروابط بين الإدارة المكلفة بالشؤون الثقافية ومختلف شركائها. وفي هذا الصدد يخول إلى المجلس (الأعلى والمجالس الجهوية) تقديم اقتراحات من شأنها تنمية الثقافة الوطنية وأشكال التعبير التي تقوي هويتها وتدعم أصالتها الخاصة، والمساهمة باقتراحات دقيقة وملائمة في إعداد اختيارات ذات أولوية في شأن السياسة الثقافية والهادفة إلى تقوية البنيات وتنشيط الإنتاج الثقافي، والإخبار بالتجارب الجديدة التي من شأنها تحسين فعالية العمل الحكومي في المجال الثقافي، وتنمية التشاور بين مختلف الأطراف المعنية ولاسيما الوزارات والجماعات المحلية والجمعيات والمؤسسات العمومية وشبه العمومية والخاصة ...".

عقد هذا المجلس دورته تحت الرئاسة الشرفية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني والرئاسة الفعلية لصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد بالرباط يومي 16 و17 رجب 1415 / 19 و20 دجنبر 1994 وتوزعت أعماله على ست لجان :

- الاستراتيجية الثقافية
- واقع الثقافة وآفاقها
- الحفاظ على التراث
- تركيز الثقافة في جميع الجهات
- قضايا التكوين
- التدبير والتمويل

بالإضافة إلى هذه الهيآت الاستشارية أشرفت الوزارة على سلسلة من المناظرات والندوات الوطنية التي تحاورت حول القضايا الثقافية والفنية انطلاقاً من رسائل ملكية سامية تضمنت توجيهات عامة. نذكر من هذه المناظرات والندوات على الخصوص :

- المناظرة الوطنية الأولى حول الثقافة المغربية بتارودانت أيام 13 - 14 - 15 يونيو سنة 1986.
- الملتقى الأول للكتاب وقضاياه في المغرب أيام 29. 30 - 31 يناير سنة 1988 بمدينة العيون، والثاني بالدار البيضاء سنة 1990.
- المناظرة الوطنية الثانية حول الثقافة المغربية يوم 30 نوفمبر سنة 1990 بمدينة فاس.
- المناظرة الأولى حول المسرح الاحتفالي يوم 14 ماي سنة 1992 بمدينة الدار البيضاء.
- الندوة الوطنية حول مسرح الهواة يوم 17 نوفمبر سنة 1992 بمدينة الرباط.
- الثقافة واللامركزية بتطوان يومي 25 و26 ماي سنة 1993 (بتعاون مع وزارة الداخلية والإعلام).
- اليوم الدراسي حول المقاولة والثقافة يوم 3 يوليوز سنة 1993.

اليوم الدراسي حول الثقافة والسياحة يوم 29 يوليوز سنة 1993.

- مؤتمر المجمع العربي للموسيقى الذي احتضنه المغرب سنة 1994 بمدينة الرباط.

وتشرف الوزارة على مؤسسات ومراكز للدراسات والأبحاث والتكوين وفعاليات موسمية أهمها :

- المعهد العالي لعلوم الآثار
- المعهد الوطني للمسرح
- المعهد الوطني للرقص والموسيقى
- دار المناهل للطباعة والمسرح
- الصندوق الوطني للعمل الثقافي
- المعهد الوطني للفنون الجميلة
- جامعة الشريف الإدريسي المفتوحة بالحسيمة
- جامعة مولاي علي الشريف الخريفية بالرشيدية
- مركز الدراسات والأبحاث العلوية بالريصاني
- مركز الدراسات والأبحاث الأندلسية بشفشاون
- مركز الأبحاث والدراسات الغرناطية بوجدة
- مهرجان الأندلسيات بشفشاون
- مهرجان الأغنية المغربية
- مهرجان فنون الشاوية بسطات
- مهرجان ربيع المسرح العربي
- المعرض الدولي للكتاب بالدار البيضاء
- المعارض الجهوية للكتاب
- مساهمة المغرب في عديد من المعارض الدولية على الصعيد المغاربي والعربي والأوروبي.
- الأسابيع الثقافية المغربية في الخارج.

كما تشرف الوزارة أيضاً على عدد هام من المتاحف الأركيولوجية والإتنوغرافية وهي : متحف البطحاء بفاس

(أسس سنة 1915)، متحف الآثار بالرباط (أسس سنة 1920)، متحف دار الجامعي بمكناس (أسس سنة 1920)، متحف القصبة بطنجة (أسس سنة 1920)، متحف الأوداية بالرباط (أسس سنة 1925)، متحف باب العقلة بتطوان (أسس سنة 1929)، متحف دار السي سعيد بمراكش (أسس سنة 1932)، متحف تطوان الأثري (أسس سنة 1939)، متحف البرج الشمالي بفاس (أسس سنة 1963)، المتحف الأركيولوجي بالعرائش (أسس سنة 1979)، متحف سيدي محمد بالصويرة (أسس سنة 1980)، المتحف الوطني للخزف بآسفي (أسس سنة 1990)، متحف الفن المعاصر بطنجة (أسس سنة 1990). وهناك مشاريع لإنشاء المتحف للفنون بالرباط، والمتحف الوطني للفنون الصحراوية، ومتحف قصر الفايضة بالريصاني، ومتحف موقع شالة بالرباط، والمتحف الجهوي بورزازات.

ومن المؤسسات الهامة التي تشرف عليها الوزارة في مجال الكتاب : الخزانة العامة بالرباط والخزانة العامة بتطوان بالإضافة إلى ست وتسعين مكتبة عامة وخزانة بلدية بمختلف أقاليم المملكة، ومركز للوثائق والمخطوطات بالرباط، ومركز وطني لترميم المخطوطات بالرباط (أسس سنة 1594)، وتقوم الوزارة حالياً بدراسات تقنية لإنشاء مكتبة وطنية بالرباط.

وفي ميدان الفنون التشكيلية تشرف الوزارة على قاعات للعروض في مختلف أنحاء المملكة نذكر منها في الرباط قاعة باب الرواح وقاعة الشرقاوي وقاعة الأوداية وقاعة محمد الفاسي.

تصدر الوزارة سلسلة من المنشورات والدوريات في مجالات التراث والأدب والتاريخ والثقافة المغربية والفنون وآداب الأطفال، وتحتل مجلة الوزارة *المناهل* (ظهر منها لحد الآن 44 عدد) مكانة وطنية وعربية ودولية مرموقة، كما تصدر مسلسلاً معجم اللسان الدارج لكولان، ومعلمة الأعراف والعادات وروائع النصوص المسرحية المغربية.

للوزارة سياسة للجوائز لتشجيع الإنتاج والنشر، ويدخل في هذا الإطار منح جائزة سنوية للكتاب في مجالات الإبداع الأدبي، والنقد الأدبي والفني والعلوم الإنسانية والاجتماعية، والعلوم الدقيقة والتكنولوجيا، والترجمة، ومنح جائزة الاستحقاق منذ سنة 1987 لتكريم رجالات الثقافة المغاربة الذين أكدوا حضورهم العلمي والإبداعي من خلال عطاءاتهم، ومنح جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق.

للوزارة اتفاقيات وطنية ودولية أهمها :

- بروتوكول للتنسيق والتعاون الثقافي والسياحي مع وزارة السياحة.
- اتفاقية للتعاون مع وزارة التربية الوطنية
- اتفاقية للتعاون مع وزارة الشبيبة والرياضة
- اتفاقية تعاون مع جمعية أنجاد.
- بروتوكول اتفاق مع القرض العقاري والفندقي.
- اتفاقية تعاون مع وزارة الثقافة في جمهورية مصر العربية.
- وقيد التوقيع اتفاقية تعاون مع مديرية الجماعات المحلية بوزارة الدولة في الداخلية.

أحدثت الوزارة مندوبيات إقليمية بمقتضى قرار وزاري رقم 87. 546، وتمّ لحد الآن تعيين أكثر من ثلاثين مندوباً موزعين على مختلف أنحاء المغرب. مفيد أن يشار إلى أن وزارة الشؤون الثقافية لا تحظى في ميزانية الدولة إلا بنسبة ضئيلة منذ تأسيسها، على سبيل المثال لم تتجاوز هذه النسبة سنة 1995 : 0.19٪ ولمواجهة ضعف الموارد المالية المخصصة للثقافة يُفكّر في إحداث مجلس وطني للرعاية الثقافية (الميصينا). يبلغ عدد موظفي الوزارة وطنياً وجهوياً : حوالي ثلاثة آلاف موظف.

ظهير شريف بتاريخ 24 ذي القعدة 1378 / فاتح يونيه 1959 ؛ *الجريدة الرسمية*، عدد 4277 ـ 13 جمادى الأولى 1415 / 19 أكتوبر 1994 ؛ مرسوم رقم 222. 94. 2 صادر في 13 من ذي الحجة 1414 / 24 ماي 1954 بتحديد اختصاصات وتنظيم وزارة الشؤون الثقافية؛ مرسوم رقم 549. 74. 2 بتاريخ 22 جمادى الثانية 1395 / 3 يوليوز 1975 ؛ مرسوم رقم 558. 81. 2 بتاريخ جمادى الأولى 1402 / 22 مارس 1982 ؛ *وثائق مركز التوثيق* بمديرية الكتاب والخزانات والمحفوظات بالوزارة.

محمد مصطفى القباج

الثلاثي، بحر من بحور القصيدة الزجلية، من أنواع "المبيّت" ويتركب البيت الواحد منه من ثلاثة أشطار ويسميه أهل الملحون، "لَمْثَلْث" نحو قصيدة "مينة" لشيخ أشياخ مراكش الحاج محمد بن علي الملحوني : نَصْرو مينة ألْمَالكني مَنْ صَالتْ بَالْبْهَا وْزِينْ * لغزَالا للأمّينْ * مِينَةَ، مِينَة اضياعْياني سوْدْ النجَلات يَامْنَة.

وكقول النجار ربيب الجيلالي امشيرد وشيخ أشياخ فاس :

ثلاث زَهْوا وَامْرَاحَا * يَهْوَاهُمْ مَانَاسَاحِي * اركوبْ الخَيْلْ والبْنَاتْ كيسَانْ الراحْ.

مرويات شفوية عن رجال الملحون (ب) *وثائق مؤتمر رجال الملحون* المنظم بمراكش في ربيع سنة 1970 ؛ م. الفاسي، *معلمة الملحون*، ج ا ق ؛ ع. الجاري، *القصيدة* ؛ *معجم مصطلحات الملحون*.

عبد الرحمن الملحوني

ثلاثاء إداگوگمار ← **تيزنيت** (إقليم)

ثلاثاء أزلاف ← **الناظور** (إقليم)

ثلاثاء أسيفانّ ← **شفشاون** (إقليم)

ثلاثاء أولاد دليم ← **مراكش** (إقليم)

ثلاثاء أولاد الصغير ← **سطات** (إقليم)
ثلاثاء أولاد فارس ← **سطات** (إقليم)
ثلاثاء إيغُود ← **أسفي** (إقليم)
ثلاثاء بني زرانتل ← **خريبكة** (إقليم)
ثلاثاء تاسريرت ← **تيزنيت** (إقليم)
ثلاثاء تاگموت ← **تاگموت**
ثلاثاء الجبل ← **الناظور** (إقليم)
ثلاثاء جبل الحبيب ← **تطوان** (إقليم)
ثلاثاء الحنشانْ ← **الصويرة** (إقليم)
ثلاثاء الخصاص ← **تيزنيت** (إقليم)
ثلاثاء ريسانة ← **تطوان** (إقليم)
ثلاثاء سيدي بوگدره ← **بوگدرة** (سيدي.)
ثلاثاء شگران ← **خريبكة** (إقليم)
ثلاثاء الگناديز ← **خريبكة** (إقليم)
ثلاثاء مْزَم ← **السراغنة** (إقليم)
ثلاثاء الوْطَا ← **الناظور** (إقليم)

الثلج بالمغرب ـ تاريخ ـ. لم تهتمّ المصادر العربية بالثلج إلا عرضاً، وحتى التي تناولته بهذا الشكل قليلة. إلا أن ذلك لايعني أن الثلج لم يكن بصفة ملحوظة في جهات المغرب، بل قد يعود صمت هذه المصادر (كتب التاريخ)، إلى اعتبار الظاهرة عادية لا تستحق الوقوف عندها، وهذا ما لاحظناه عند كتاب الحوليات الذين يختمون مؤلفاتهم عادة بجرد لأهم الأحداث التاريخية والطبيعية مرتبة حسب السنوات ويركزون في الأحداث الطبيعية على الظواهر غير العادية. كما كان اهتمام الجغرافيين العرب بالظاهرة مقتضباً، ويتميز عنهم الحسن الوزان في الجزء الأول من *وصف إفريقيا*، بتقديم شبه جرد للمناطق الدائمة الثلج والجبال الباردة التي تتلقى الثلوج خلال فترة معينة من السنة.

أول إشارات المصادر كانت عن جبال الريف، فقد جاء في رسالة موحدية رسمية وبأسلوب بديع أن جبال الريف دائمة الثلج "... زاحم (جبل الكواكب من جبال الريف) بمنكبه وتطاول بأنفه، فلمنكبه العَمَمُ الذي لايفرع، ولأنفه الشمم الذي لا يقرع ولا يقدع ..." (*رسائل موحدية* مرقونة) هذه إشارة مباشرة. وأما الإشارات غير المباشرة التي تتحدث عن فيضان الأنهار بسبب ذوبان الثلج فترجع إلى أبعد من العهد الموحدي، إلى بداية العصر الوسيط.

وعن جبال الأطلس المتوسط قالت المصادر إن كثرة الثلج المتساقط على الجبل تطرد سكانه إلى المناطق الدافئة، إلى السهول الأطلنتيكية (*الاستبصار*، 187) (*الروض المعطار*، 221) جبل درن (الأطلس الكبير) لايقل برودة عن الأطلس المتوسط (جبل فازاز)، فالثلج في بعض قممه يدوم طول السنة لشدة ارتفاعها. ومع ذلك فالمصامدة يسكنون ولا يغادرون "... وفي الجبل من المصامدة أمم لا تحصى وأكثر عيشهم من العنب والزبيب والرُّب وهم لا يستغنون عن شربه لشدة برد الجبل وثلجه..." (*الروض المعطار*، 235) وحسب أوصاف المؤرخين الجغرافيين فإن جبل درن يشمل جزءاً كبيراً من الأطلس الكبير والأطلس الصغير، ولذلك كانت الأوصاف المقدمة في المصادر عن درن تشمل ما بيّناه، ويمكن أن نقول إن الجبال المغربية كانت المكان الطبيعي والعادي لتساقط الثلوج، إلا أن ما يلاحظ من استقرائنا لمصادر عديدة وعن فترات مختلفة، أن الثلوج كانت تتجاوز بكثير الأماكن التي تعرفها اليوم، أو بعبارة مناخية أن خط الثلج الدائم وغير الدائم كان أوسع مما هو عليه الآن (*القرطاس*، 409) (*وصف إفريقيا*، 1 : 90 ـ 108 وما بعدها) كما أن كمياته المتساقطة كانت كبيرة، أكبر مما هي عليه الآن. بل إن مناطق جبلية كانت تعرف عواصف ثلجية شبيهة بعواصف المناطق الباردة من الكرة الأرضية (*وصف إفريقيا*، 1 : 285) مما كان يعوق حركة التنقل بين شطري المغرب الذي تفصل بينهما جبال درن وفازاز وتحول دون التنقل ما بين ساحل البحر الرومي (المتوسط) والداخل، لأن الممرات القليلة الموجودة فيها تقع على ارتفاع كبير فتتراكم فوقها الثلوج وتتعرض للعواصف، ذكر الحسن الوزان أحدها وسماه ممر بوريش وقال سمي بذلك لكثرة ثلوجه، ونفس الاسم أطلق على ممر آخر يربط ما بين الصحراء الشرقية والداخل خنگ الغربان (الذي سمي الريش) لكثرة ثلجه. أكبر مثال على هذه العراقيل يقدمه لنا *التشوف* (ص. 89) فقد استغرقت عودة وفد من المصامدة ذهب لزيارة أحد الأولياء في رباط ماسة أزيد من ستة شهور (بسبب الأمطار والثلوج).

فتنقل القوافل التجارية من السودان وإليه كان مرتبطاً بزوال الثلج من الممرات الجبلية، أو على الأقل توقف تساقطه، ومع ذلك كانت العواصف الثلجية تفاجئ أحياناً هؤلاء المسافرين وغيرهم فتقبرهم تحت أكوامها ؛ والحسن الوزان نفسه شهد أهوال إحدى هذه العواصف (*وصف إفريقيا*، 1 : 285).

شَلّت الثلوج والأمطار التي تهاطلت على شمال المغرب وبالذات شمال جبال فازاز شتاء عام 537 / 41 ـ 1142 حركة الجيوش الموحدية والمرابطية أزيد من خمسة عشر يوماً عانى فيها الفريقان الكثير من الأهوال. كما أن الأنهار المنحدرة من هذه الجبال أو القريبة منها كانت عائقاً آخر في وجه التنقلات خاصة في فترة تساقط الأمطار والثلوج وذوبانها.

إلى جانب هذه العوائق فإن التساقطات الثلجية تعتبر خيراً وبركة. فالأنهار والينابيع والآبار تتزود منها كما أن أساس الخصب الفلاحي الذي تحدثت عنه المصادر وأعجب به البكري وابن حوقل في سجلماسة وتامدولت ـ وهي مدن واقعة على نهر زيز ودرعة ـ (*المغرب*، 163 ؛ *صورة الأرض*، 91) كان سببه فيضان تلك الأنهار بفعل ذوبان الثلوج المتراكمة على جبل درن، وعدم سقوطها أو قلة الكميات المتساقطة منها يحكم على تلك المناطق بالقحط والمجاعة، ويرجع خراب المدينتين الكبيرتين إلى عدة عوامل أهمها الجفاف وقلة المياه في النهرين لقلة تساقط الثلج الذي عرفه المغرب دوريا ابتداء من العهد المريني وأواخر العهد الموحدي.

فالثلج إذن تغيرت وتيرة تساقطه وإيقاعه الموسمي منذ العصر الوسيط الأدنى والأوسط، بل إننا وجدنا ـ حسب المصادر ـ اختلافات ما بين فترة وأخرى بل وما بين سنة وأخرى. تتبع الحسن الوزان في *وصف إفريقيا* بدقة مناطق التساقطات الثلجية والمناطق الشديدة البرودة في الجبال المغربية فكانت في معظمها مطابقة لأوصاف من سبقه من الكتاب، لكن خط الثلج الذي نستخلصه من *وصف إفريقيا* قد تراجع اليوم كثيراً، وهو تراجع حصل بعد تذبذب عرفه خلال التاريخ الحديث والمعاصر، فمدينة فاس كان نزول الثلج بها أمراً عادياً في فترات من العصر الوسيط، يغطي سطوح المنازل لفترة طويلة حتى إن أصحاب الدور كانوا مزودين بمجارف (مدرات) لإزاحته من أعلى المنازل ومن الأزقة، بل إن صلاة الجمعة كانت لا تقام في المساجد في حالة نزول الثلج وتعذر زواله (*المعيار*، 1 : 163) إلا أنه في التاريخ المعاصر سجل الضعيف نزول الثلج باندهاش في مدينة فاس والرباط رغم أنه وصف طريق إزاحته من أعلى البيوت والأزقة بنفس الطريقة القديمة :

ـ 12 جمادي الثانية 1107 / 12 يناير 1695 نزل ثلج عظيم وألهى الناس عن معاشهم أياماً (*تاريخ الضعيف* (مرقون)، 1 : 145).

ـ 9 ربيع الثاني 1167 / 3 فبراير 1754 نزل في الرباط ثلج عظيم ما رآه قطّ ولا ذكره أحد من المُسنين. ونزل بفاس ثلج عظيم ودام من الغداة إلى الليل واستمر إلى الصباح والزوال وملأ السطوح بارتفاع ذراع، ثم انقطع لكنه بقي ينزل بالمرات.

هذا الاندهاش من الضعيف الرباطي لم يكن من قبلُ خاصة في العهد المريني الأول، إذ كانت المناطق المجاورة للجبال والهضبة الوسطى التي تقع فيها الرباط وسط مناطق تدخل ضمن خط الثلج العادي. وما يمكن استنتاجه من هذه الإشارات القليلة والمتفرقة في الزمان والمكان عن الثلج، ومن الجرد الذي قدمه لنا الوزان، أن خط الثلج والثلج الدائم عرف تمدداً وتقلصاً خلال العصر الوسيط والحديث والمعاصر، إلا أن الغالب عليه هو التراجع الأفقي والعمودي الذي ازداد حدة منذ الستينات من هذا القرن. أسباب هذا التراجع مدروسة علمياً اليوم لكنها في حاجة إلى دراسة تاريخية أعمق.

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، 1911 ـ 1965 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، 1938 ؛ أ. عزاوي، *رسائل موحدية جديدة*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا قدمت لكلية الآداب بالرباط (مرقون) 1986 ؛ مراكشي مجهول، *الاستبصار في عجائب الامصار*، 1958 و1985 ؛ التادلي ابن الزيات، *التشوف*، 1985 ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار*، 1957 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 1980 ؛ الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا قدمت لكلية الآداب بالرباط، 84 / 85 (مرقون).

محمد حجاج الطويل

الثلج ـ جغرافيا ـ ← التساقطات الثلجية

الثّليجَة، (عام ـ) حدث مناخي استثنائي شهده المغرب سنة 1167 / 1754 ؛ إذ عرفت العدوتان سلا والرباط وفاس برداً قارساً مع هطول ثلج عظيم ليلة السبت 9 ربيع الثاني / 3 فبراير، لم تعرف مثله قط، واستمر التهاطل إلى يوم الإثنين الموالي، وبلغ ارتفاع الثلج أكثر من ذراع.

ولاستثنائية وقوع هذا الحدث المناخي، أطلق المغاربة على ذلك العام، اسم "عام الثليجة".

م. القادري، *نشر المثاني*، 4 : 98 ـ 99 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص 156.

حسن أميلي

ثنية الأگلاوي ← تيزي ـ نْ ـ تَلوَات

ثَنيَّة الساسي، إحدى معالم الحدود بين المغرب والجزائر بموجب اتفاقية مغنية الموقّعة بين المغرب وفرنسا سنة 1845. وهي عبارة عن منخفض طويل بين جبليْن، مما أضفى عليها طابعاً مميّزاً إلى حد اعتبارها إحدى معالم الحدود بين البلديْن، ويشكّل الموقع المذكور نهاية القسم الأول من الحدود المتفق عليها بين الطرفيْن. حيث كانت الاتفاقية المذكورة قد قسمت الحدود إلى ثلاثة أقسام، يمتد القسم الأول من مصب واد كيس في البحر المتوسط إلى ثَنيَّة السَّاسي الواقعة على بعد 150 كلم إلى الجنوب، وتَميّز هذا القسم من الحدود بتعيين معالمه بدقة نسبية.

علي السوسي السملالي، *منتهى النقول ومشتهى العقول*، مخطوط خ. ع رقم 633 الرباط ؛ أحمد العماري، *مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر*، رسالة جامعية كلية الآداب ـ الرباط 1981 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، ج 5 ؛ *الوثائق*، مديرية الوثائق

الملكية ـ الرباط، العددان الأول والثاني 1976 : عكاشة برحاب، *شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي*.

La Martinière et Lacroix, *Documents*, T. I ; L. Voinot, *Oujda*.

عكاشة برحاب

ثـور (بنو -)، فريق كبير من الصفافعة قبيلة بني حسن إقليم القنيطرة. موطنهم بالشمال الغربي من هذا الإقليم قرب لا لأيَطُو. وقُدر عدد خيامه (أسره) في مطلع القرن العشرين بأزيد من ستمائة 600 خيمة. وبنو ثور اليوم قسمان، قسم يمثل الجزء الشمالي الغربي من جماعة الصفافعة، بينما يمثل القسم الثاني الجزء الشرقي من الصفافعة ويحمل اسم جماعة "القصيبية".

نبغ من الثوريين عدد من الولاة والأمناء والشخصيات المهمة في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) وبداية القرن الحالي، منهم من عرفوا بأسماء أخرى كآل بنخدة وآل ابن الشليح، ومنهم من احتفظ باسم الثوري.

مصطفى بوشعراء

الـثُّـوْر (جبل -)، رأس يقع بشاطئ قبيلة أنجرة الموالي لبوغاز جبل طارق، ويعتبر جبل الثور بداية سلسلة جبال الريف. تقول الاسطورة اليونانية إن هذا الجبل هو الملك الموريطاني "أطلس" Atlas ابن نبتونو Neptuno أو جوبتير Jupiter وقد تحوّل إلى جبل وحُكم عليه بأن يحمل الأرض على ظهره إلى الأبد.

ولاشك أن اسم مرسى الثُّورة الموالي لهذا الرأس وكذلك اسم جزيرة ثُورة القريبة منه مأخوذٌ من اسم الرأس الذي حرفه الإسبان فأطلقوا عليه اسم رأس ثيريس Punta Cires.

أبو عبيد البكري، *المغرب*، 106.

Blazquez y Delgado, *Estudios geograficos-historicos de Marruecos*, Madrid, 1913 (*La Odisea de Homero*) ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 50 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 64 ; Comision historica de las campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos : protectorados y posesiones de España en Africa*, Madrid, 1936.

ثُـورة أو طورة (جزيرة -) تقع جزيرة ثُورَة بمياه بوغاز جبل طارق على الشاطئ المغربي بعيدة بثلاثمائة متر من ساحل قبيلة أنجرة شرقي رأس الثور ؛ وتُقدّر مساحتها بسبعين ألف متر مربع وعلوُّها فوق سطح البحر يصل إلى أربعة وسبعين متراً.

وقد ذكرها البكري (ص. 105) باسم ثُورة وثُورة، وقال إن الجغرافي محمد بن يوسف سماها "المبخة"، في حين أنها تعرف اليوم عند سكان القبيلة بجزيرة "الطُّورة" وقد أطلق عليها الأجانب عدة أسماء نذكر منها : جزيرة الاوبيسبُو Isla del Obispo (جزيرة الأسقف) وجزيرة الكورال Isla del Coral (جزيرة المرجان) وجزيرة البيرجيل Isla del Perejil (جزيرة المعدنوس) وهذا الاسم الأخير هو الذي تبناه جميع الكتّاب المغاربة وكأن الجزيرة ليس لها اسم مغربي تعرف به من قديم الزمن إلى يومنا هذا وهو اسم مأخود ولاشك من اسم الثّور الذي يوجد بالقرب منها.

والاخصاصيون في الأساطير اليونانية يؤكدون أن جزيرة ثورة هي الجزيرة التي أشار إليها هوميرو Homero في ملحمته *أوديسيا Odisea* وسماها بجزيرة أُوخيخيَا Ogigia حيث كانت توجد الملكة كاليپسو Calipso بنت ملك موريطانيا الملك أطلس Atlas، والملكة المذكورة هي التي حجزت البطل اليوناني أوليسبس Ulises بالجزيرة المذكورة.

رأس الثور

ولجزيرة ثورة تاريخ حافل بالأحداث يتنافى مع ما جاء بخصوصه في *معلمة المدن والقبائل*.

أ. البكري، *المغرب*، 105 ؛ ع. بنعبد الله، *معلمة المدن والقبائل*، 174.

Berard, *Les phéniciens et l'Odyssée*, Paris, 1902, t. I, p. 241, 302 ; A. Garcia Perez, *Isla del Perejil*, Madrid, 1906 ; A. Domenech Lafuente, *Apuntes sobre geografia de la Zona Norte del Protectorado de España en Marruecos*, Madrid, 1942, p. 50 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, Tetuan, 1951, p. 64

محمد ابن عزوز حكيم

ثورة الدباغين بفاس ← **بنيس محمد** بن المدني

ثورة الملك والشعب، هو الاسم الذي أطلق جلالة الملك الراحل محمد الخامس على ذكرى يوم 20 غشت 1953

وهو التاريخ الذي خلعت فيه السلطات الفرنسية جلالته ونفته إلى جزيرتي كورسيكا أولاً ومدغشقر ثانياً. فلما عاد من منفاه وتبوأ العرش من جديد أعلن في الذكرى الثالثة لهذا الحدث يوم 20 غشت 1956 : "ها نحن نستقبل هذه الذكرى التي أطلقنا عليها اسم ثورة الملك والشعب والتي تقرر إحياؤها كل سنة". وفعلاً لم ينقطع الاحتفال بها منذ ذلك الوقت حتى الآن. وهي مناسبة للتذكير بالنضال الذي خاضه العرش والشعب في سبيل الاستقلال والتنبيه إلى ما ينبغي القيام به للدفاع عن حوزة الوطن والنهوض به. وبهذه المناسبة يلقي العاهل المغربي خطاباً في موضوع من مواضيع الساعة.

لنذكر باختصار وقائع حادث 20 غشت 1953 في الأزمة التي شهدتها العلاقات المغربية ـ الفرنسية منذ المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944، وامتناع فرنسا بإصرار من تلبية هذا المطلب. اشتد النزاع بين جلالة محمد الخامس والحركة الوطنية من جهة، وسلطات الحماية المدعومة من الحكومة الفرنسية من جهة أخرى. واستفحلت الأزمة بالخصوص في عهد المقيمين العامين المريشال جوان وخلفه الجنرال گيوم إلى أن أفضت إلى قمع الحركة الاستقلالية واعتقال ونفي قادتها ومصادرة جميع الحريات العامة يوم 8 ديسمبر 1952 تمهيداً لخلع جلالة محمد الخامس.

حاولت سلطات الحماية بعد ذلك أن تُرهب العاهل المغربي لتثنيه عن موقفه من المطالبة باستقلال بلاده. فما أفلحت بالرغم عن جميع أنواع التهديد والوعيد. فقررت ـ بعد الحصول على تصديق الحكومة الفرنسية ـ أن تخلع محمداً الخامس.

في 20 غشت 1953 طوقت القوات الفرنسية كل الأحياء المحيطة بالقصر الملكي وأقفلت الأبواب وقطعت الطرق المؤدية إليه، كما وضعت المطار العسكري بسلا في حالة تأهب. وفي الساعة الثانية بعد الزوال توجه الجنرال گيوم مقيم فرنسا العامّ إلى القصر الملكي تحيط به جماعة من كبار الموظفين الفرنسيين يتقدمهم مدير الأمن الفرنسي بعد ما طلب مقابلة مستعجلة من محمد الخامس. خرج العاهل بلباس خفيف لمقابلته محاطاً بنجليه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن وصاحب السمو الملكي الأمير مولاي عبد الله. لم يؤد الجنرال گيوم التحية المعتادة لرمز السيادة المغربية، وإنما وجه له الخطاب في نبرة متجهّمة ووجه عبوس طالباً منه أن يتنازل عن سلطاته للصدر الأعظم. فرفض محمد الخامس عرض فرنسا. فما كان من هذا الأخير إلا أن أومأ برأسه لمدير الأمن فتقدم ووضع يده على كتف العاهل. ثم أشار الجنرال گيوم إلى ضابط من ضباط حرسه فجذب محمداً الخامس وجذب ابنيه من ورائه شاهراً رشاشة في ظهرهما. ولم يسمح الجنرال گيوم للعاهل ونجليه بتوديع أهل بيتهم وساقهم ضباط الدرك تحت تهديد المسدسات والرشاشات. أقلتهم سيارة عسكرية مغطاة إلى المطار العسكري حيث وُضعوا في طائرة صغيرة كانت تنتظرهم، وحطّت بهم في مطار أجاكسيو بجزيرة كورسيكا. واختارت الحكومة الفرنسية قرية زونزا مقراً لنفيهم.

خلعت السلطات الفرنسية محمداً الخامس ونصبت مكانه دميةً لها اسمه ابن عرفة بتآمر مع جماعة من كبار المتآمرين أمثال باشا مراكش الحاج التهامي الأگلاوي وأحد كبار العلماء عبد الحي الكتاني. وأراد أصحاب هذه المؤامرة أن تكون قضاء مبرماً على كل أمل في حرية المغرب واستقلاله، فكانت بداية معلمة بطولية أدى أدوارها محمد الخامس وشعبه وعُرفت بثورة الملك الشعب.

في نفس اليوم الذي خُلع فيه محمد الخامس ـ 20 غشت 1953 ـ وجه الزعيم علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال نداء من إذاعة القاهرة ندد فيه بالمؤامرة ضد المشروعية المتمثلة في العاهل المخلوع معلنا : "إن الملك الشرعي كان وسيظل هو محمداً الخامس" وأهاب بالشعب في الختام "أن يواصل كفاحه من أجل استقلال البلاد وأن يبذل كل ما يستطيع للذب عن كرامة ملكنا الشرعي وإعادته إلى عرشه عالي الرأس موفور الكرامة". كما أكد الزعيم باسم الشعب المغربي"إننا لن نتقهقر عن موقفنا أو نحيد عن خطتنا إلى أن نحقق آمال الأمة في الحرية والاستقلال".

لقد مُس الشعب المغربي بإبعاد محمد الخامس رمز السيادة الوطنية في شرفه وأقدس ما يملك. فانتفض للثأر والدفاع. "في نفس اليوم الذي خلع فيه محمد الخامس انتظمت جماعة لمدينة القنيطرة تتألف من ثلاثة أشخاص وصمموا على الكفاح بالوسائل المباشرة. وسرعان ما انتشر "الارهاب" ضارباً لا الأشخاص وحدهم بل الممتلكات بتحطيم العمارات وإحراق المحاصيل الزارعية كذلك" على حد قول أحد المؤرخين. وقد انتشر العنف في كثير من الجهات، في المدن وفي القرى، وحفلت الصحف الاستعمارية بالتقارير والتعليقات عن تلك الأحداث.

بعد ثلاثة أسابيع من خلع محمد الخامس، وقعت أول عملية فدائية ضد ابن عرفة "رمز الخيانة" حين خرج يوم الجمعة 11 شتنبر وسط الهيئة المخزنية وتحت حراسة مشددة لأداء صلاة الجمعة في مسجد "المشور" بالساحة المجاورة للقصر الملكي بالرباط. كانت أول مرة يبدو فيها ابن عرفة لعموم السكان. اقترب الموكب الرسمي من المسجد، حين اخترق رجل الصفوف في سيارة قديمة وصدم فرس الدعي ابن عرفة الذي سقط على الأرض، فهوى عليه الرجل بسكين يريد قتله لولا أن الضابط الفرنسي المكلف بحراسة ابن عرفة أطلق النار على الفدائي فأرداه قتيلاً. كان هذا الرجل واسمه علال بن عبد الله أول شهيد آذن بتفجير الثورة العارمة التي استمرت مدة سنتين "ولم تهدأ حتى رجع محمد الخامس".

وقع تخريب خط السكة الحديدية الدار البيضاء ـ الجزائر

مرتين قتل أثناءهما وجرح العشرات. ألقيت القنابل في الرباط على موظفي الإقامة العامة. صرع الكثير من أعوان الباشا الأگلاوي. بمناسبة رأس السنة الميلادية سنة 1953. وضعت قنبلة في السوق المركزي بالدار البيضاء أسفرت عن عشرين قتيلا وعشرات الجرحى. وبالرغم عن اعتقال المآت وصدور الأحكام بالإعدام والأشغال الشاقة مدى الحياة أو لفترات طويلة، لم تهدأ عمليات الفداء.

في 20 فبراير 1954 ألقى الفدائيون بمراكش على التهامي الأگلاوي قنبلة أخطأته وأصابت مقتل بعض حراسه. وفي يوم 5 مارس قام ابن عرفة بزيارة رسمية لمراكش واستُقبل بحفاوة بالغة من لدن المقيم العام الجنرال گيوم والباشا الأگلاوي. وفي المسجد الذي ذهب لأداء صلاة الجمعة فيه ألقيت قنبلة على ابن عرفة أصابته بجروح في وجهه. وفي أبريل من نفس السنة قَتَل فدائيٌ الدكتورَ إيرو مدير جديدة "لافيجي ماروكان" وأحد الاستعماريين المتطرفين. لكن أكبر عملية فدائية قامت بها جماعة في مراكش بمناسبة زيارة وداع المقيم العام الجنرال گيوم في 24 مايو 1954 ألقيت قنبلة على الموكب الرسمي مستهدفة بذلك رأس المؤامرة ورمز الجيش الفرنسي.

هذه أمثلة فقط عن الأعمال الفدائية التي فجرتها ثورة الملك والشعب والتي لم تتح بعد فرصة تسجيلها تسجيلاً دقيقاً محكماً هي والامتحانات العسيرة والاستشهادات الرائعة التي استهدف لها مئات، بل آلاف الفدائيين من المقاومين وجيش التحرير بعد ذلك. فمسحوا العار، وأسهموا بأوفى نصيب مع التضحية الكبرى التي أقدم عليها جلالة محمد الخامس وأسرته ومن حوله الحركة الوطنية في إعادة المشروعية برجوع العاهل الكريم ومعه الحرية والاستقلال.

قد يطول ذكر جميع الفدائيين الذين استرخصوا أرواحهم أو استبسلوا وضحّوا بسنوات عديدة من أعمارهم دفاعاً عن المشروعية والاستقلال. فلنقتصر على بعض الأعلام البارزين منهم : علال بن عبد الله، محمد الزرقطوني، أحمد الراشدي، حمان الفطواكي، محمد السلاوي، عباس المسعدي، إبراهيم الروداني، الحسن بن حموش الزكرتي، محمد الحنصالي، الحاج عمرو الريفي، فاطمة الزهراء، عبد الله الشفشاوني وغيرهم كثير ممن لايتسع المقام لذكرهم جميعاً.

ذكرنا أن جلالة محمد الخامس قرر بعد عودته من المنفى إحياء ذكرى 20 غشت كل سنة. ولم ينقطع الاحتفال بهذه السُّنة إلى اليوم حيث يلقى العاهل بهذه المناسبة خطاباً في موضوع من مواضيع الساعة. لقد ذكر محمد الخامس في الخطب التي ألقاها بهذه المناسبة قبل وفاته : "إن يوم 20 غشت الذي أريد أن يكون نهاية كفاح كان يوم يقظة وانتباه". وقال أيضاً : "لكن كانت ثورة 20 غشت لتحطيم سيطرة الأجنبي، فمعركة اليوم للمحافظة على ما جنيناه وتربية الجماهير تربية سياسية قومية ولاستئصال آثار التفرقة والتخاذل والتباغض" وفي ذكرى أخرى قال جلالة المرحوم : "علينا أن نتذكر ما لقينا من شدة، وقاسينا من بلاء لنواصل العمل ونضاعف الجهود لبناء استقلالنا والمحافظة على حريتنا".

وقد سار جلالة الحسن الثاني على سنن والده، فركز في بداية عهده على عدة قضايا وقتية بمناسبة ذكريات 20 غشت. من جملتها الجلاء وتوحيد البلاد، وتحديد الاختيارات في الميادين العامة، واسترجاع أراضي الاستعمار وتنظيم الحكم على أساس ملكية دستورية. وفي ذكرى 1969 نبه إلى وجوب الاهتمام بالمشاكل الوطنية الكبرى لاسيما القوات المسلحة والسيادة الخارجية وعدم النظر إليها بنظرة ضيقة بل بشمولية تتسع إلى القرن الحادي والعشرين.

أكد العاهل بمناسبة الانتخابات التشريعية في خطاب غشت 1970 على الحرية ومفاهيمها وقيمتها الخلقية وأوصى الشعب بقوله : "أنت مقبل على الانتخابات. فاستفت قلبك وضميرك. كل واحد إذا انتخب فسيقوم بواجب وطني وواجب تفرضه عليه المواطنة". وحين وقعت أحداث الصخيرات والاعتداء على الطائرة الملكية استخلص جلالة الحسن الثاني النتائج وندد بالانشقاق في صفوف المؤسسات الوطنية.

في غشت 1975 حين صح عزم جلالة الملك على تحرير الصحراء وقبيل المسيرة الخضراء، ذكر في خطابه بتلك المناسبة : "صرحت أمام الملإ أجمع وأمام الضمير العالمي : نحن نريد تحرير صحرائنا بالوسائل السلمية وبالطرق القانونية. إن الحرب هي المعركة الأخيرة التي يمكن أن يركبها الإنسان إذا فشلت المعارك الدبلوماسيّة كلها". وفي 1981 حين قرر جلالة الملك لاستفتاء في الصحراء قال في خطابه : "سنقوم باستفتاء ولكن في ذهننا هذا الاستفتاء هو استفتاء تأكيدي". كما عاد جلالته إلى الموضوع مرات عديدة في مناسبات 20 غشت مؤكداً على وجوب وضع حد لخرافة البوليساريو والجمهورية الصحراوية.

هذا، وقد تطرق جلالة الحسن الثاني بمناسبة ذكريات ثورة الملك والشعب إلى قضايا وطنية عامة في الاقتصاد والاجتماع وخاصة التعليم. وفي الذكرى الأخيرة تعرض جلالته إلى الحكم معلناً أنه سيختار رئيس الحكومة في نهاية سنة 1994 من المعارضة وأكد ذلك في افتتاح السنة التشريعية الثانية بمجلس النواب إذ أعلن جلالته أنه سيُعيّن الوزير الأول من صفوف المعارضة تدشيناً لمبدإ التناوب، ولأحزاب المعارضة أن تتحالف مع من تشاء من الأحزاب الأخرى في البرلمان لضمان أغلبية قارة.

هذه عجالة عن "ثورة الملك والشعب". والأمل أن يتوفر الباحثون على تحرير قصة تلك الملحمة الرائعة التي قام بها ملك بطل وشعب أبيّ حتى حقق الحرية والاستقلال.

الخطب الملكية السامية بمناسبة ذكرى 20 غشت المجيدة، الذكرى الأربعون لثورة الملك والشعب (1953 . 1993)، (نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير) ؛ الحسن العرائشي، *انطلاق المقاومة المغربية وتطورها*، الرباط، 1982 ؛ قاسم الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*، الرباط.

S. Bernard, *Le conflit franco-marocain. 1943 - 1956* ; C-A Julien, *Le Maroc face aux impérialismes. 1415 - 1956*, Paris, 1978.

قاسم الزهيري

الثوري، بوشعيب بن الجيلالي بن قاسم من بني ثور الحسنويين. كان سنة 1311 / 1894 ضمن قواد الصفافعة متولياً على فخذات المكاثرة والشراوطة وبني گمرة والغراريين وسواهم. والمظنون أنه عزل بعد ذلك إلى أن كانت سنة 1326 / 1908 فعين قائداً على الدواغر أيضاً ثم على العبابدة. ومكث كذلك إلى سنة 1330 / 1911. ولما عين قائداً على العبابدة الذين كان لهم قائدهم منذ سنة 1322 / 1105 وهو الجيلالي بن الحسن العبادي الملقب بوخريص، كتب بوشعيب إلى السلطان أن خصمه الجيلالي المذكور وصل إلى السلطة بطريقة غير مشروعة على يد الفرنسيين.

الثوري، عبد الكبير بن أحمد أكبر وأشهر عمال الصفافعة خلال العهد الحسني. ولي على بني ثور حوالي سنة 1295 / 1878، وامتدت ولايته على كافة الفرقة. وقد أصبح ذلك ميسراً له لما عزل القائد الراضي بن الطاهر بن الراضي الخدلاوي الداغري للمرة الثانية سنة 1296 / 1879، وتوفي الحاج يحيى الحنوني قائد أولاد حنون سنة 1302 / 1885 وسجن قائد العبابدة مسعود بن عبد الرحمان العبادي سنة 1297 / 1880 حتى توفي هو وولده حمو بحبس سلا سنة 1301 / 1884، وسجن قائد أولاد عبد الله والرسوم عبد السلام بن تَهُّوم العبدلاوي سنة 1302 / 1885. وهكذا أصبح عبد الكبير قائداً على جميع الصفافعة.

وكان حازماً ضابطاً ناصحاً قوي الشكيمة، فكان السلطان مولاي الحسن يعهد إليه بمهمات كبيرة مثل شد عضد عمال بني حسن على إخوانهم أو نصرتهم على عدوان جيرانهم زمور.

ومع أن سيرته كانت محمودة فقد سعى به بعض الأمناء الذين عينهم السلطان بالقبائل لإطلاعه على ما يجري ذاكرين أنه أهمل وظيفته بغيابه عن إيالته. فكتب إلى السلطان مبينا سبب ذهابه إلى سلا لصلة الرحم مع ولد له يقرأ بأحد كتاتيب المدينة، وعودته إلى بني ثور بعد ثلاثة أيام فقط.

وكانت له مكانة رفيعة عند السلطان لأنه كان يباشر أعماله بنفسه : "والعز كل العز بمباشرتنا لأمور المخزانية بنفسنا، ولا نتكل فيها على أحد غيرنا ... وأما ما جاد عليّ به مولانا وأنعم علينا به من العلو في الرتبة والزيادة فيها لا يقاس فضل مولانا ولا يخفى حسبما برسالته إلى السلطان سنة 1302 / 1885 لما أصبح قائداً وحيداً للصفافعة. واستمر في منصبه إلى وفاته سنة 1310 / 1893. ولما أُحصي متروكه وجد فيه 4.000 ريال و6 من الخيل، بحيث لم تجاوز جميع ثروته 7.807 ريالات.

الثوري، محمد بن عبد الكبير بن أحمد ولي بعد وفاة أبيه مباشرة، واستمر عاملا نحو السنتين حتى أمر المخزن بتشقيف أملاكه التي كانت بحوزته ومنها داران. ولاشك أن عزله ووضع الحجر على أمواله كانا بسبب شططه، إذ نسب إليه تسلطه على أمة على وجه الظلم والتعدي سنة 1312 / 1895. ولم يلبث أن مات في السنة الموالية.

م. بوشعرا، "*علاقة المخزن بأحواز سلا*"، قبيلة بني حُسَن، 1860 . 1912، ص. 99 . 107 . 113 . 114 . 115 و117 ؛ *التعريف ببني سعيد*، ج 2 ص. 170.

مصطفى بوشعراء

الثُّوم، بالعربية وتِيشْرْتْ أو تيسكرت بالأمازيغية، نبات يسمى علمياً أَلْيُوم سَاتِيفُومْ Allium Sativum وهو من نفس جنس وفصيلة البصل وهي الزنبقيات : Liliaceae.

الثُّوم نبات من وحيدات الفلقة، معمر ببصلته التي تحتوي على فصوص بيضاوية أو هلالية الشكل ومغطاة بغشاء أبيض. أوراقه مبططة ضيقة، وأزهاره ذات لون أبيض ومجتمعة على رُوَيس يكون مغطى بغشاء قبل تفتح النورات.

يُزرع الثوم بالمغرب في الأراضي السقوية والبورية من المناطق شبه الجافة وشبه الرطبة والرطبة، وينتج درنات وفصوصاً عرفت منذ القدم، وخاصة في تتبيل الأطعمة المطبوخة أو الطازجة مثل السلاطات.

يستهلك الثوم كثيراً بالمغرب، وخاصة في المناطق الساحلية، ويدخر في باقات معلقة تحفظه لمدة طويلة. وللثوم أهمية غذائية وطبية معروفة في التطبيب التقليدي والعصري، نظراً لكونه يحتوي على مواد مطهرة ومضادة للباكتيريا.

ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، تر. عبد المجيد زاهر وآخرين، القاهرة، 1962 ؛ *دراسة ميدانية*.

عبد المالك بنعبيد

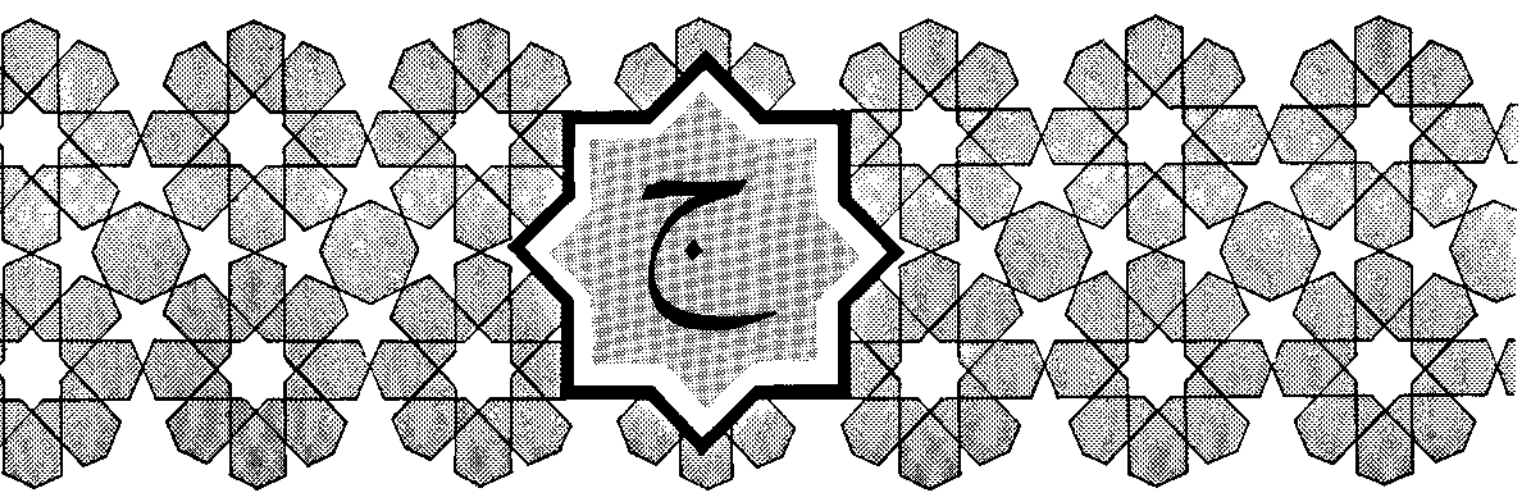
ج

الجَابَاضُول ـ بالضاد واللام وليس بالدال والراء كما شاع بين الناس ـ رداء خارجي حضري يوضع فوق الملابس الداخلية عند رغبة الرجل في التزين أو الخروج من منزله لقضاء مآربه الخاصة. وهو شبيه بالجلباب لكنه يختلف عنه في أنه مفتوح من الأمام ولاقُبَّ له وتنتهي أكمامه وحواشيه كلها بالسفيفة والأشرطة المظفورة.

نقل رداء الجاباضول إلى المغرب من الشرق مع الأتراك العثمانيين حين بسطوا نفوذهم على معظم بلاد المشرق وشمالي إفريقيا. وإن لم يتمكن الاتراك من إدراج المغرب ضمن المناطق التي كانوا يحكمونها، فان تأثيرهم لم توقفه الحدود بين الجزائر والمغرب ابتداء من القرن العاشر (16م)، خاصة على مستوى الغذاء واللباس وبعض العادات الاجتماعية الأخرى، لاسيما في الحواضر وعند الأوساط الاجتماعية العليا حيث كانت عادات السلوك في أمور الحياة لدى الأتراك نموذجا يقتدى به ويقتبس منه.

كان الجاباضول يلبس في تركيا كرداء خارجي فوق الملابس. استعمل في بادئ الأمر للحفاظ على دفء الجسم في المناطق الباردة من تركيا من جبال الأناضول، ثم تطور شكله وارتقى، وأصبح لباساً خارجياً يرتديه معظم سكان تركيا في جميع المناطق والفصول والمناسبات. لقد كان هذا

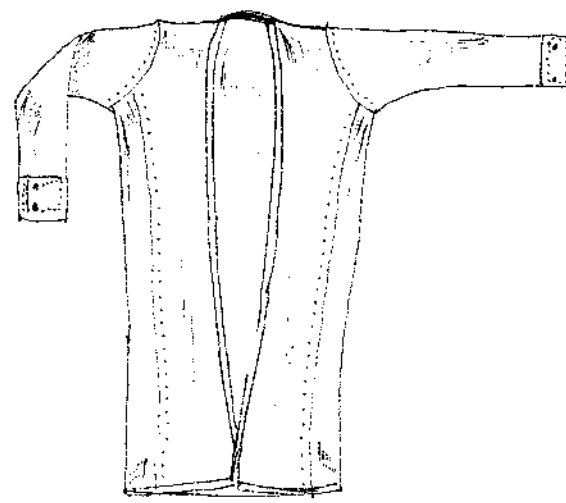

الجاباضول

الرداء بتعبير آخر جلباب الأتراك ثم انتشر استعماله في سائر أرجاء المشرق والمغرب كما وقع للقفطان نفسه، فانتقل من بلاد فارس إلى باقي بلدان المشرق والمغرب على يد الأتراك أيضاً.

تتكون لفظة الجاباضول في الأصل من كلمتين عربيتين هما جلباب الأناضول أدغمت الأولى في الثانية ثم خفف نطقها. حرف السواد الأعظم من الناس هذه الكلمة، مسلمين ويهوداً على السواء، من جاباضول إلى جاباضولي ثم زابادول وزابادولي وجابادور.

مازال عدد من الناس يطلقون اسم الجاباضول خطأ على كسوة المحصور التي كانت تتألف من أربع قطع يوضع الجاباضول فوقها، فسماها العامة باسمه على التغليب. وكان الكثير من أهل الحواضر المغربية يسمي كسوة المحصور بالكسوة الرباعية لأنها تتكون من أربع قطع. وإذا أضيفت إليها قطعة خامسة هي رداء الجاباضول تكون عادة من نفس لون القطع الأخرى، دعوها الكسوة الخماسية أو الخماسية مجردة لأنها تتكون من خمس قطع هي السراويل الفضفاضة وبدعيتان (صدريتان)، واحدة سفلى وثانية عليا، ومعطف لايتعدى الخصر يسمى المنتال أو الكبوط ثم الجاباضول وهو الرداء الخارجي.

وكانت الكسوة الخماسية هي اللباس المفضل بالنسبة للتجار والحرفيين الميسورين ورؤساء البحر والعديد من الطلبة والفقهاء في عدة مدن مغربية. وكان يوصف من يرتديها بالأناقة والذوق الدقيق. لكن ارتداء الجاباضول فوق القطع الأربع المذكورة بدأ يختفي بالتدريج منذ أواخر القرن الثالث عشر (19م) فظلت الكسوة الرباعية وحدها تحافظ على الاستمرار. إلا أنه في الوقت الذي تراجع فيه الجاباضول حلّ محله الجلباب القديم وخاصة عند المغاربة المسلمين. أما المغاربة اليهود فظلوا يحافظون على ارتدائه لمدة طويلة تحت نفس الاسم أو باسم البلكة. ومازال الجاباضول يشاهد دالا على ماض تليد في الزي الرسمي الذي تلبسه فرقة الخمسة والخمسين الموسيقية النحاسية التابعة للحرس الملكي حتى اليوم، لكنه يتحول بشكل واضح إلى قطعة متحفية.

P. Jacquet, *Au Maroc de notre jeunesse*, Montpellier.

1987 ; A. Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain. 1912 - 1956*, Paris, 1977 ; J. Besancenot, *Costumes du Maroc*, rééd., Rabat, 1988 ; J. Erckmann, *Le Maroc moderne*, Paris, 1885 ; O. Lenz : *Timbouctou : Voyage au Maroc et au Soudan*, Paris, 1886 ; R. Letourneau, *Fès avant le Protectorat*, Casablanca, 1949 ; S. Benkhalifa, *Le costume dans la tradition*, *Echanges*, n° 3, vol. 1, 1979.

محمد بوسلام

جابر، بيت قديم بفاس، لم يتحقق صاحب جنى زهر *الآس* هل هم بربر من أيت جابر من بني سادَن، أم عرب من بني جابر من جُذام القحطانيين، والنسبة إليه "جابر". ولم يبق منهم بفاس في وقت تأليف الكتاب - منتصف القرن الرابع عشر (20 م) - سوى علال بن مَحمد بن الحاج عبد النبي جابر، وابن عمه إدريس بن محمد بن الحاج التاودي جابر، وكلاهما مؤذنٌ بضريح المولى إدريس، ولكل منهما أولاد ذكر المؤلف أسماءهم.

ابن **جابر، محمد** بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني النَّجار، المكناسي الدار، لاتُمدُّنا المصادر التي بين أيدينا بتاريخ ولادته. يذكره ابن غازي في جملة شيوخه قائلاً : "ومنهم الأستاذ المقرئ الشاعر المجيد المحسن شيخ شيوخنا أبو عبد الله محمد ... ابن جابر ذو التصانيف الحسان، والقصائد العجيبة ..."

عاش ابن جابر في العصر المريني، وتوفي في عهد آخر ملوك هذه الأسرة أي عبد الحق بن أبي سعيد عثمان المريني (824 - 869) : وعاصر فطاحل علماء المغرب والأندلس وأدبائهما، أمثال لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون.

نال ابن جابر من التعليم والعلم ما كان يناله طالب مغربي مجد في هذه الفترة من التاريخ، فقد حفظ القرآن الكريم وقرأه بروايات القراء السبعة، ودرس العلوم المختلفة الرائجة في عصره. وأسهم في تكوينه وتربيته جمّ غفير من أساتذته الذين ذكر بعضهم في كتبه، معترفا بفضلهم، ومشيداً بكفاءتهم العلمية ومنهم : الإمام محمد بن علي المصمودي المراكشي الشهير بابن عليوات. ومحمد بن علي الذكواني الأندلسي. وأبو القاسم بن داود السلوي، وعبد الله بن الحسن اللخمي المعروف بابن الأصفر. والعالم العددي الفرضي علي بن يوسف التلاجدوتي المعروف بسيدي علي بن يشّو، وهو من شيوخ مكناسة المرموقين. والقاضي محمد بن قاضي الجماعة أحمد الغمّاز، فقد أخذ عنه *صحيح البخاري* بسنده المتصل بالإمام مؤلفه، وأحمد ابن محمد المصمودي الماجري التلمساني الذي روى بالمدينة المنورة عن الإمام جمال الدين الكازروني، وأحمد بن يحيى ابن عبد المنّان.

ومن تلاميذ ابن جابر الغساني ابنه محمد الذي يصفه ابن غازي بالشيخ المعمّر، ويروي عنه بعض ما يتعلق بوالده، ويحلّيه في كتابه *الروض الهتون* قائلاً : شيخنا الزكيّ الواعية، أبو عبد الله ابن الشيخ الاستاذ الحافظ، استفدت منه كثيراً. ومن أغبط ما أخذت منه المصافحة المروية عن طريق أبي العباس الخضر. ومحمد بن قاسم القوري اللخمي المكناسي (804 - 872)، أستاذ ابن غازي والشيخ عبد الله الزموري شارح كتاب *الشفا* للقاضي عياض. وعلي بن محمد الزقّاق التجيبي خطيب جامع الأندلس بفاس وناظم *المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب*، أي مذهب الإمام مالك. والمفتي وخطيب القرويين أبو مهدي عيسى بن أحمد الماواسي. ومحمد بن عبد العزيز - المعروف بالحاج عزوز - الصنهاجي المكناسي الذي يصفه مؤلف *الروض الهتون* بالشيخ الذكي المتفنّن الحجّة.

ومن شعره :

نَظرتُ إلى الوجود بعَيْنِ قَلبي ... فلمْ أرَ فيه غيْرَ اللّه وحْدَهْ
فكُنْ باللّه، وارْجُ اللّهَ، واعْمَلْ ... لِلُقْيَا اللّه، تَأمَنْ كلَّ شِدَّهْ

لابن جابر مؤلفات يعتبر بعضها مفقوداً أو شبه مفقود ؛ وهذه أهمها :

تأليف في رسم القرآن الكريم ؛ *وشرح التلمسانية في الفرائض*، ومؤلفها هو التلمساني أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري التلمساني الغرناطي المالقي السبتي (609 - 690 هـ) وقد وصف لسان الدين ابن الخطيب هذه المنظومة "بالشهيرة في الفرائض، وأنها لم يصنّف في فنّها أحسن منها"، *وتسميط البردة* للإمام البوصيري ؛ *ونظم رجال الحلية* للأصبهاني ؛ *وتقييد إصلاحات على مورد الظمآن* للشريشي. *ونزهة الناظر* في التعريف ببلده مكناسة الزيتون ؛ *ومنية العابر* وهي أرجوزة في تعبير الرؤى، تحتوي على ثمانية وعشرين وخمسة آلاف بيت.

م. ابن جابر، *منية العابر*، تح. ع. العمراني ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، مجلد أول، تح. ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، جزء 3 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون* (طبعة فاس الحجرية) ؛ أ. ابن القاضي، *درّة الحجال*. الترجمة رقم 772. 1 : 289 - 290.

عبد الله العمراني

بنو **جابر** ← **جُشم**

الجابري، أسرة فاسية عريقة من عرب جذام القحطانيين، "كان منهم بفاس العدول والأخيار والصالحون" منهم محمد بن أحمد الجابري الذي كان منتصباً للشهادة بسماط العدول عام 1114، وابن عمه الفقيه العدل محمد بن محمد الجابري عام 1130، وبقيا على العدالة إلى وفاتهما. وذكر مؤلف *جنى زهر الآس* بعد ذلك أن أولاد الجابري مازالوا بفاس حتى ذلك الوقت (منتصف القرن الرابع عشر (20 م) وعدٌّ جملة وافرة منهم.

الجابري، أحمد حمدون بن عثمان الفاسي، كان صالحاً بهلولاً متجرداً ملامتياً لا يُعرف له شيخ ويدعى "عَيْشَه اختي". يذكر الناس له كرامات كثيرة ويعتقدونه ويجلونه. وكان ينتقد سلوك قومه على طريقة البهاليل : حضر يوم عيد بالمصلى، فلما نزل الخطيب صعد المنبر وجعل يأمر الناس بعكس ما أمرهم به الإمام، إشارة إلى أنهم لا يسمعون ولا يطيعون ولا يتأثرون بالمواعظ.

توفي مطعوناً سنة 1056 / 1646، ودفن وراء روضة الصالح محمد بن الحسن خارج باب عجيسة.

م. الإفراني، *صفوة*، 82 ؛ م. القادري، *نشر، موسوعة أعلام المغرب*، 4 : 1425 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 130 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ ع. الكبير الكتاني ، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

الجابري، أحمد بن المجذوب (الحاج -) بن عبد الرحمان بن عبد الكريم اللمطي، من أولاد الجابري المعروفين بفاس. عالم مشارك مطلع ذكر ابن سودة في *إتحاف المطالع* أنه كان ولوعاً باقتناء الكتب على اختلاف فنونها، ويعرف خطوط جل علماء فاس المتأخرين، وخطوط النساخ المحترفين بفاس، وجمع خزانة مهمة "كانت تعدّ بفاس من أغلى الخزائن" وحبّسها على أحفاده في آخر عمره.

توفي بعد غروب يوم عيد الأضحى من عام 1359 / 9 يناير 1941 ودفن بزاوية سيدي المحجوب التي صارت تدعى زاوية الشيخ محمد بن علال الوزاني بحومة الزنجفور بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 3080.

الجابري، طاهر القصري يكنى أبا البقاء، قال في حقه في *نشر المثاني* "الفقيه الأديب خطيب الجامع السعيد من القصر".

توفي عام 1126 / 1714.

م. القادري، *نشر، موسوعة أعلام المغرب*، 5 : 1948.

الجابري، عبد الحق الفاسي، تعلم الموسيقى الأندلسية على يد المطرب الشهير ابن نصيحة الذي كان لدى السلطان محمد بن عبد الله كالموصلي لدى الرشيد العباسي، وقد تفوق الجابري حتى أصبح آية في عزف الرباب خاصة، وإلى ذلك كان حسن الصوت في السماع وفي تقطيع نغمات الأطباع. وقد أشاد بغنائه الشيخ حمدون ابن الحاج (ت. 1232) قائلاً :

إن السماع لمُقْلَةٌ إنسانُها في الجابري

وكان مقرباً إلى السلطان عبد الرحمان بن هشام (1238-1276 هـ) إلاّ أنه لا يعرف تاريخ وفاته.

أ. سكيرج، *كشف الحجاب*، الطبعة المصرية، ص. 274-277.

الجابري، عبد السلام الفاسي، موسيقي آخر، عاصره المؤرخ محمد الضعيف، وأتى على ذكره من بين الموسيقيين الفاسيين الذين ضمهم مجلس سمر انعقد بمدينة وزان عام ستة ومائتين وألف على العهد السليماني، وكان عازفا على العود.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أ. العماري، ص 258.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الجابري، عبد الله الرهوني، نسبة إلى قبيلة رهونة الغمارية وأحد مشاهير الصوفية في المغرب خلال القرن العاشر (16م). وإذا كان كتّاب التراجم والمناقب لم يهتموا بتفاصيل حياته الشخصية أو العلمية، فإنهم ذكروا أهم مميّز نشاطه الصوفي.

وهكذا يصنف عبد الله الجابري، ضمن مريدي الشيخ الشهير عبد الله الغزواني (دوحة، 36 ؛ *ممتع*، 72)، أكبر مريدي الشيخ عبد العزيز التباع، خليفة الشيخ الأكبر مَحمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الجزولية الشاذلية. وهذا يعني أن عبد الله الجابري ينتمي إلى الطبقة الثالثة في الطائفة الجزولية، أخذ عن مؤسسها بواسطتين.

ويلاحظ أيضاً أن عبد الله الجابري امتاز في "جزوليته" بسلوكات وصفات وشارات خاصة أهمها :

- التقشف والزهد وما شاكلهما من ورع ومسكنة وتواضع، حتى إنه اشتُهر بلباس خاص مكون من "كساء صوف لايلبس معها غيرها" (دوحة، 36) عكس كثير ممن انتسبوا إلى الجزولية واشتهروا بلباسهم الرفيع الأنيق، مثل الشيخ بوعبيد الشرقي دفين أبي الجعد.

- التبري من الدعاوي (دوحة، 36) ومن ثم وبالنظر إلى سنده العالي في الطريقة الجزولية وسلوكه الصوفي المتميز، بلغ عبد الله الجابري مقاماً عالياً في هذه الطريقة على غرار شيخه، كما يبدو من الصفات التي وُصف بها في كتب التراجم، والتي يُلخّصها صاحب *الدوحة* بقوله : "كان إذا توجه إلى أمر انفعل بقدرة الله تعالى، وكراماته منقولة بالتواتر، وكان رحمه الله إذا هاجت الفتن بين القبائل يخرج فيدعو الناس إلى العافية (= السلم) فمن تأبّى عنها أظهر الله فيه الاعتبار بقدرته في الحال ولم تقم له قائمة... وكانت إجابة دعوته كفلق الصبح ... نادرة من نوادر الزمان، حدثني عنه غير واحد من الفقهاء والفقراء بعجائب وغرائب كثيرة لاتحصى رحمه الله" (دوحة، 36).

توفي عبد الله الجابري الرهوني، حوالي عام 939 / 1532، ودفن بزاويته بقبيلة رهونة في بلاد غمارة الجبلية.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. م. حجي، الرباط، 1396، 1976 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية بفاس 1313، 1896 ؛ أ. الوارث، *الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب*

خلال القرن السادس عشر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، مرقونة بكلية الآداب بفاس، 1988م.

أحمد الوارث

الجابري، محمد بن عبد الرحمان الساهل، فقيه عدل، كان يعلّم الصبيان بكتّاب في سويقة ابن صافي بفاس. توفي في رمضان عام 1072 / 1661.

ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، موسوعة *أعلام المغرب*، 4 : 1510.

الجابري، يوسف بن العز من أهل بادية سلا، ومنها انتقل إلى فاس، حلاه في *جنى زهر الآس* بـ "الولي الصالح، الشيخ المجتهد الناصح، المنور الباطن والظاهر، المتحلي بحلية الأخيار والأكابر، أبي يعقوب وأبي الحجاج ...". كانت له خاصية إبراء عدد من العاهات المزمنة، وفراسة قوية للتمييز بين الأبرار والأشرار وكأنه ينظر إلى قلوبهم وبواطنهم.

توفي بفاس عام 773 / 1371.

م. الحضرمي، *السلسل العذب* ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 319 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

الجادري، عبد الرحمان بن محمد المديوني، ولد بكناسة الزيتون سنة 777 / 1376 م واستوطن مدينة فاس. كان فقيهاً محدثاً وعدلاً مبرزاً ونحوياً حسوبياً. تولى خطة التوقيت بجامع القرويين إلى جانب تصدره للإفتاء حيث أورد له الونشريسي في *المعيار* مجموعة من فتاويه.

تتلمذ الجادري على كثير من علماء عصره في المغرب وخارجه، فأخذ الفقه والحديث والنحو والقراءات عن كل من الفقيه محمد الفخار ومحمد القيسي وعبد الرحمان المكُّودي وإسماعيل ابن الأحمر وعلي ابن الإمام وعثمان الزرويلي وأضرابهم. ودرس علم التوقيت على شيخ الفلكيين في عصره محمد ابن عمر الموقت المشهور. وأخذ عنه كثير من طلبة مكناس وفاس، منهم علي بن هارون المكناسي وعلي بن منُّون المكناسي وعبد الله ابن العريف وغيرهم.

ترك الجادري مؤلفات كثيرة أدبية وعلمية وفقهية وفلكية ذكر ابن القاضي بعضها في *الجذوة*، منها في الفلك شرح رجز *أبي مقرع*، استطرد فيه بعض ما يقع في المغرب من العادات في بعض أيام السنة، و*روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار*، هو رجز من ثلاثمائة وستة وثلاثين بيتاً وشرحه بنفسه بكتاب *اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار*، فلقي إقبالاً من الدارسين من عهد المؤلف إلى أيامنا هذه، ووضعت عليه شروح كثيرة أخرى لمغاربة وغيرهم.

وله *كتاب في الفلك* جمع فيه بين العمل بآلة الأسطرلاب وبالصحيفة الشكازية وبربع الدائرة والعمل بالحساب والجدول وهو في اثنين وأربعين بابا ؛ و*تنبيه الأنام على ما يحدث في أيام العام*، عارض به تقييد ابن البناء العددي المراكشي الذي تكلم فيه عن تحديد الساعات وبداية كل فصل من الفصول الأربعة بمراكش، فحاول الجادري أن يجاري ابن البناء ويقوم بنفس العمل حول مدينة فاس. وله في القراءات رجز سماه *النافع في أصول (أو أصل) حروف نافع* ؛ و*شرح الدرر اللوامع في مقرء الإمام نافع* لعلي بن محمد التسولي اللمطي المعروف بابن بري ؛ و*شرح أرجوزة* شيخه القيسي في الضبط ؛ ومختصر *شرح الخاقانية* للداني. وله في النحو *كتاب المذكر والمؤنث* ؛ و*فهرس* عدّ فيها مشيخته، كما *شرح بردة البوصيري* التي رواها عن عدد من الشيوخ، أمثال إسماعيل ابن الأحمر، ومحمد بن أبي الفضل بن عبد الله بن أبي مدين العثماني وأحمد بن محمد التينملي المراكشي والشيخ محمد بن جابر الوادي آشي. وتجدر الإشارة إلى أن شرح الجادري للبردة ماهو في الحقيقة إلا مختصر من شرح شيخه ابن الأحمر المذكور. ولايزال هذا الشرح مخطوطاً في نسختين، توجد الأولى بخزانة القرويين تحت رقم 643 والثانية بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 368 ضمن مجموع.

توفي الجادري سنة 818 / 1415 م ودفن داخل باب الفتوح بفاس وقيل في وفاته غير هذا.

ع. الجادري، *اقتطاف الأنوار من روضة الأزهار*، وهو منشور ضمن كتاب *علم المواقيت أصوله ومناهجه*، تح. م. العربي الخطابي، المحمدية، 1986 ؛ م. ابن غازي، *التعلل برسوم الإسناد*، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 85 ؛ *الروض الهتون*، الرباط، 1952، ص.26 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1982، الاجزاء 3 و 4 و 6 و 7 و 12 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 237-404-491 ؛ *درة الحجال*، تح. م الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1979، ج 3 : 250 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت د. ت. ص. 171 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 4 : 502 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982، 1 : 295-296؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، الرباط، 1983، ج 1 : 116 ؛ *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 277-278 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية بالمغرب*، المحمدية، 1976، ج 1 : 158 ؛ *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 138 ؛ م. الدباغ، *من أعلام الفكر والأدب في العصر المريني*، الدار البيضاء 1992، ص. 116-146.

M. Benchekroun, *La vie intellectuelle marocaine sous les mérinides et les wattasides*, Rabat, 1974, pp. 247 - 250.

رشيد السلامي

الجاري، أحمد. مقاوم ولد سنة 1338 / 1919 بدوار أيت العيز قبيلة أيت مساعد بإيموزار مرموشة. انخرط في صفوف جيش التحرير أثناء ثورة ثاني أكتوبر 1955 ضمن

تشكيلة السيد ميمون أُعقى. شارك في الهجوم على مستودع للسلاح الفرنسي حيث سقط شهيداً إثر انفجار قنبلة أثناء وجوده داخل المستودع، وكان ذلك في 1375 / أكتوبر 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، 2 : 31.

الجاسوس، متصوف مجهول الهوية، عاش بمدينة تطوان زمن حكم السيدة الحرّة في أواسط القرن العاشر (16م)، أشار ابن عسكر في *دوحة الناشر* إلى أن إطلاق لقب الجاسوس عليه يعود إلى كون هذا الرجل صادفته سريةٌ من المسلمين متوجهة للإغارة على نصارى سبتة، وهو على ساحل البحر بقربة من المدينة المحتلة، فظنوه من الجواسيس وقبضوا عليه وقدموا به إلى تطوان حيث تم اعتقاله بها مدة طويلة.

ولما أطلق سراحه، أصبح يأوي مع طلبة العلم في مصرية على ميضأة الجامع محبسة لذلك الغرض، منعزلاً عن غيره، لايتكلم مع أحد، باستثناء الصبيان الصغار الذين كان يحدثهم بكلام تغلب عليه رطانة البربر. وكان لايقبل من أحد شيئاً إلا من رجل أو رجلين لايأخذ منهما إلا الطعام دون أن يكلمهما. وأما القطع النقدية فكان لا يقبلها، ولا يمسها بيديه البتة. كما كان يظهر التخليط في صلاته وركعاته.

وأما لباسه، فكان يشتريه له الرجل الصالح محمد البهجة الأندلسي من أصحاب الشيخ أبي الحسن علي الفحل التطواني، يشتري له على رأس كل سنة برنسا وجلبابا وشاشية، يحملها ويترصده بالمسجد حتى يمر به، فيُلبسه إيّاها ويتصدق بالثياب البالية وهو لا ينكر من فعله شيئاً.

وقد أورد ابن عسكر عن بعض طلبة العلم، ان مكوث هذا الرجل معهم بالمصرية المذكورة كان في زاوية منها لايزاحمه فيها أحد منهم، ويبقى في موضعه حت ينام الجميع، فيقوم ويشد حزامه، ويجعل رمحه في يده، ويتقلد سيفاً كان عنده، ثم يبارح المصرية والأبوابُ مغلقة، ولايدرون أين ذهب. حتى إذا أصبح الصبح، وجاء البوابون لفتح الأبواب، وجدوه في الخارج وعليه أثر السفر، وبلل الندى على رجليه وثيابه، وكان هذا شأنه على الدوام.

ولما اشتهر عنه ظهور الكرامات، ازدحم الناس عليه وهو يفر منهم، إلى أن كانت وفاته في العشرة السابعة من القرن العاشر.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 42 ـ 44.

حسن أميلي

جاكسن جيمز گري، James Grey Jackson رحالة إنجليزي قدم إلى المغرب صدر القرن الثالث عشر (19م)، وتجول في ربوعه، وكتب عن رحلته تأليفاً عنوانه : عرض عن *إيالة مراكش* : *An Account of The Empire of Morocco*، طبع الكتاب بلندن سنة 1814.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 4 : 1508.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. I, p. 79.

مصطفى بوشعراء

جالفة، Galapha مدينة من المغرب القديم، انفرد بذكرها الجغرافي بطوليمايوس Ptolémaeus الذي عاش خلال القرن الثاني للميلاد، وهو ينتمي لمدينة الإسكندرية في مصر.

حدد الكاتب موقع هذه المدينة على خريطة موريطانية الطنجية شرق نهر ملوية Molochath والمدينة التي تحمل نفس الاسم. وذلك حسب الإحداثيات التالية : الطول 11 درجة، العرض 32 درجة و40 (Ptolémée, IV, 1, 7).

اعتبر بعض الدارسين المحدثين أن هذه المدينة تقع في أقصى نقطة شرق موريطانية الطنجية، على الطريق الداخلية التي تربطها مع موريطانية القيصرية عبرممر تازا الحالية، انطلاقاً من مدينة تريسديس Trisides مروراً بمدينة بينته.

وعلى هذا الأساس اقترح توفنو Thouvenot أن مدينة جالفة تقع في المغرب الشرقي بناحية العيون ووجدة، بينما جعلها شميت Schmitt في نواحي عين گتارة بشمال بلاد الگعدة في المغرب الشرقي كذلك.

R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; *Index de topographie antique du Maroc, P.S.A.M.*, 7, Rabat, 1938 ; P. Schmitt, *Le Maroc d'après la géographie de Claude Ptolémée*, Th. 3ème cycle, Tours, 1973 ; R. Thouvenot, *Le géographe Ptolémée et la jonction terrestre des deux Maurétanies*, *R.E.A.*, 64, 1962, p. 82 - 88.

محمد مجدوب

الجالية المغربية بالخارج، تجمع معظم الأدبيات التي اهتمت بالهجرة الدولية المغربية، على أن هاته الأخيرة عرفت انطلاقتها الحقيقية ـ كهجرة للعمل ـ من بداية القرن العشرين وبشكل خاص مع التغلغل الفرنسي بالجزائر، حيث كان المغاربة يعملون داخل ضيعات المعمرين. لقد تم توطيد أولى أسس الهجرة الدولية المغربية أثناء الحماية، هاته الأسس التي تنامت لتأخذ أبعاداً أكثر أهمية عبر الزمان. ارتبطت هاته الهجرة في بدايتها بمنطقتي الريف الشرقي وسوس كمناطق انطلاق من جهة، وبفرنسا كدولة وصول من جهة ثانية. غير أن مناطق الإنطلاق ستتوسع كما ستتوسع مناطق الوصول أيضاً.

أخذت فرنسا تستقطب معظم تيارات الهجرة الدولية قبل الستينات. فكان المغرب يشكل خزانا لليد العاملة

التي تحتاجها فرنسا غداة فترة الحماية وأثناء الاستقلال، وهكذا عرفت الهجرة الدولية المغربية إلى فرنسا باعتبارها بلد الاستقبال الوحيد آنذاك. تطوراً غير منتظم حسب حاجياتها. فعلى سبيل المثال جلبت فرنسا حوالي 3500 مغربي خلال الفترة 1914. 1918، إضافة إلى حوالي 3700 مغربي آخر تم إقحامهم ضمن الجبهات الحربية، بعد أن كان عدد المهاجرين المغاربة بفرنسا لا يتعدى 7000 مهاجر سنة 1915. بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تقلص عدد المهاجرين المغاربة المقيمين بفرنسا بشكل قانوني إلى 3000 مهاجر فقط سنة 1919 ليصبح حوالي 21000 مهاجر سنة 1930. غير أن عدد المغاربة بفرنسا تطور من جديد أثناء الحرب العالمية الثانية حيث بلغ حوالي 44.000 سنة 1945.

وتدخلت الدولة الفرنسية في أكثر من مرة من خلال مجموعة من الظهائر قصد تقنين هاته الهجرة كظهائر 1924 و1925 و1931. وقد استقر المعدل السنوي للهجرة الدولية المغربية إلى فرنسا في 3000 مهاجر خلال الفترة 1956. 1960. وتم التركيز على فرنسا باعتبارها بلد الاستقبال الأول للهجرة المغربية إن لم نقل الوحيد قبل الستينات.

بعد مرحلة الستينات عرفت الهجرة الدولية المغربية مناحي أخرى عديدة، فرغم أن فرنسا ظلت تستقطب أعلى نسبة من تيارات الهجرة الدولية المغربية حيث تراوحت بين 78٪ سنة 1972 و98٪ سنة 1974، بدأت هاته النسبة في التراجع بعد الستينات نتيجة توقيع المغرب لمجموعة من الاتفاقيات بشأن الهجرة الدولية. وهكذا ظهرت أسواق عمل جديدة تمثلت في البداية في هولاندا وألمانيا وبلجيكا. ونظراً لهذا الوضع الجديد فإن فرنسا لم تستقطب خلال الفترة 1960. 1972 أكثر من 73٪ من التيارات الهجرية المغربية متبوعة بهولاند بنسبة 11.43٪ مقابل 7.38٪ بالنسبة لألمانيا و7.38 بالنسبة لبلجيكا خلال نفس الفترة.

وعموماً فإن المعدل السنوي للهجرة الدولية المغربية بشكل عام عرف تطوراً متلاحقاً إلى حدود منتصف السبعينات، ويبرز ذلك على سبيل المثال من خلال المعدل السنوي للمهاجرين المغاربة المتوافدين على دول المجموعة الأوربية (الشكل رقم 1). فإذا ما استثنينا سنوات 1965 و1967 و1971 و1972 فإننا نلاحظ أنّ منحنى التطور ظل في تصاعد مستمر إلى حدود 1974. وقد جاء هذا التطور نتيجة ضغوط أرباب العمل على حكوماتهم من أجل إفساح المجال بشكل أكبر لليد العاملة إثر الثورة الصناعية التي عرفتها أوربا الجنوبية خلال الستينات وبعدها.

غير أن هذا المعدل السنوي للهجرة الدولية المغربية سيتناقص من 30578 مهاجر سنة 1974 إلى 9922 مهاجر 1975، ليتراوح بين 11869 و13122 مهاجر خلال الفترة 1976 و1982، بيد أنه لم يتعد 3775 مهاجر سنة 1987 (الشكل رقم 1). إن هذا التراجع للمعدل السنوي جاء إثر أزمة البترول حيث عملت الدول الأوربية على التقليص من اليد العاملة.

شكل رقم 1 : مناطق انطلاق الهجرة الدولية المغربية 1969 ـ 1972

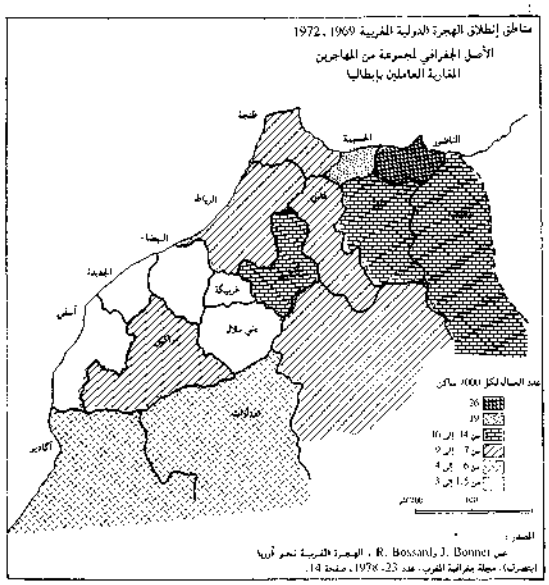

إن تراجع المعدل السنوي لم يعن بأي حال من الأحوال تراجع الهجرة الدولية المغربية بشكل عام، ونلمس ذلك بوضوح من خلال المنحنى العام لتطور الجالية المغربية بالخارج. ويعزى هذا التطور بالأساس إلى انفتاح تيارات الهجرة الدولية على أسواق عمل جديدة بشكل لافت للنظر خاصة في منتصف الثمانينات وبداية التسعينات، الشيء الذي أعطى نفساً جديداً للهجرة الدولية المغربية. ونخص بالذكر هنا إيطاليا كدولة استقبال جديدة. فعدد المهاجرين المغاربة المقيمين بإيطاليا بشكل قانوني لم يكن يتعدى 1.188 مهاجر سنة 1981 تم أصبح 17.107 سنة 1987، غير أن هذا العدد انتقل إلى 100.752 مهاجر سنة 1993. وتجدر الإشارة إلى أن نسبة المهاجرين المغاربة المقيمين بإيطاليا بشكل غير قانوني كانت تتعدى 30٪ في بداية التسعينات. وتحتل إيطاليا المرتبة الرابعة حالياً كدولة استقبال للهجرة الدولية المغربية بعد فرنسا وبلجيكا وهولاندا.

شكل رقم 2 : الأصل الجغرافي لمجموعة من المهاجرين المغاربة العاملين في إيطاليا

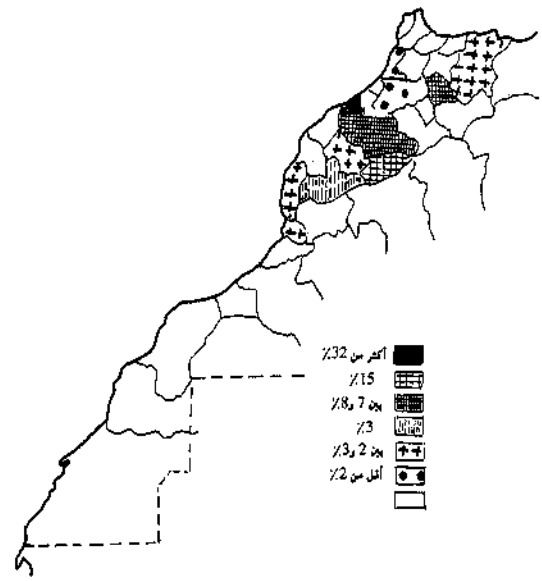

ما يمكن استخلاصه إذن هو تراجع الهيمنة الفرنسية من حيث استقطابها الكلي لتيارات الهجرة الدولية المغربية وذلك نتيجة ظهور دول استقبال جديدة سواء داخل أوربا أو خارجها.

فعلى سبيل المثال تقلصت نسبة استقطاب فرنسا لتيارات الهجرة الدولية المغربية من 59.4 ٪ سنة 1984 إلى 52.43 ٪ سنة 1992، بينما ارتفعت نسبة استقطاب إيطاليا للجالية المغربية من 1.8٪ نسة 1984 إلى 9.67٪ سنة 1992، وبذلك انتقلت من الرتبة الثامنة من حيث استقطابها للجالية المغربية سنة 1984 إلى المرتبة الرابعة سنة 1992 (الشكل 2 والجدول رقم 1).

جدول رقم 1 : التوزيع الجغرافي الراهن للجالية المغربية المقيمة بالخارج

الدول	عدد المهاجرين	الدول	عدد المهاجرين
فرنسا	703.000	العربية السعودية	11.000
هولاندا	180.000	الإمارات العربية	03.000
بلجيكا	160.000	الكويت	700
إيطاليا	130.000	عمان	110
إسبانيا	80.000	اليمن	180
ألمانيا	65.000	مجموع د. الخليج العربي	14.990
بريطانيا	18.000	السنغال	2.000
دول أوربية أخرى	17.300	ساحل العاج	1.500
مجموع د. أوربا	1.353.300	بلدان اخرى	1.500
ليبيا	90.000	المجموع	5.000
الجزائر	100.000	كندا أمريكا	65.000
تونس	15.000	بلدان آسيوية	200
موريتانيا	300	استراليا	800
مجموع المغرب العربي	205.300	م. دول امريكا واسيا	66.000
المجموع العام		1.644.590	

المصدر : وزارة الجالية المغربية

كانت مناطق انطلاق الهجرة الدولية بالمغرب ضيقة تنحصر أساساً في المناطق الريفية ومنطقة سوس. وظل الوضع كذلك إلى غاية فترة الستينات، حيث ساهمت الأقاليم الشمالية ضمن تيارات الهجرة الدولية المغربية سنة 1965 بنسبة 33.5٪ مقابل 23٪ بالنسبة لمنطقة سوس. وتم تقسيم مناطق انطلاق الهجرة الدولية المغربية في بداية السبعينات إلى أربع مناطق تبعاً لأهمية التيارات الهجرية المنطلقة منها حيث سجلت نفس الملاحظة السابقة (الجدول رقم 2).

جدول رقم 2 : توزيع الهجرة الدولية المغربية حسب جهات الانطلاق (1969 ـ 1972)

الأقاليم الشمالية	41.700	37.79
محور القنيطرة ـ البيضاء	23.000	20.86
الجنوب	22.000	19.95
فاس ـ سايس ـ مكناس	16.000	14.51
باقي الجهات الأخرى	7.600	6.89
المجموع	110.300	100.00

يبدو من خلال الجدول أعلاه أن نسبة تيارات الهجرة الدولية غير متجانسة جهويا. فالأقاليم الشمالية ومحور القنيطرة ـ البيضاء يساهمان بأكثر من 58٪ ضمن تيارات الهجرة الدولية. بينما لم تساهم باقي الجهات الأخرى (الجهات غير المحددة) والمتمثلة في السهول الأطلنتية والداخلية وهضبة الفوسفاط بأكثر من 6.89٪ (الجدول رقم 2).

ويبرز عدم تجانس مناطق انطلاق الهجرة الدولية من حيث مساهمتها ضمن تيارات الهجرة الدولية أيضاً، من خلال الخريطة رقم 1. وتعتبر أقاليم بني ملال وخريبگة والبيضاء والجديدة وآسفي أضعف المناطق مساهمة في مسلسل الهجرة الدولية، فهاته المناطق لم تندمج بعد بشكل واضح ضمن مسلسل الهجرة الدولية. إلا أن عدم الاندماج هذا لن يطول كثيراً. فالهجرة الدولية لم تعد حكراً على المناطق الأولى التقليدية، كمنطقتي الريف وسوس، بل أصبحت تهم مجموع الجهات المغربية سواء كانت فقيرة أو غنية، ونخص بالذكر منطقة تادلا باعتبارها من أهم المناطق الفلاحية المسقية بالمغرب. إلا أنها أصبحت الآن من أهم مناطق انطلاق الهجرة الدولية الحديثة والمتجهة أساساً إلى إيطاليا. وتنطبق نفس الملاحظة على منطقة خريبگة والبيضاء ومنطقة بني مسكين. والجدير بالملاحظة هو أن التيارات الهجرية الحديثة انطلقت أساساً من المناطق التي كانت تبدو ضعيفة من حيث مساهمتها في تيارات الهجرة الدولية المنطلقة قبل نهاية السبعينات وبداية الثمانينات،

ونلمس ذلك بوضوح من خلال مقارنتنا للخريطتين 1 و2، فالخريطة رقم 2 توضح اندماج جهات متعددة ضمن مسلسل الهجرة الدولية الحديث، وخاصة المتجهة منها إلى إيطاليا.

إن واقع الهجرة الدولية المغربية تطور بشكل جلي في الوقت الراهن، إن على مستوى دول الوصول، حيث ظهرت أسواق عمل جديدة من بينها إيطاليا واسبانيا، أو على مستوى الانطلاق، حيث اندمجت جهات جديدة بكل ثقلها ضمن مسلسل الهجرة الدولية كأقاليم سطات والبيضاء وخريبگة وبني ملال. يعزى انتشار الهجرة الدولية ضمن مجموع التراب المغربي إلى أسباب متداخلة بعضها مرتبط بالمغرب كبلد انطلاق وبعضها الآخر مرتبط بدول الاستقبال.

منير صالح، *من الفقيه بن صالح إلى ميلانو، الهجرة الدولية المغربية إلى ايطاليا وتأثيرها على مناطق الانطلاق*، رسالة لنيل د.د.ع، كلية الآداب بالرباط 1996 ؛ والمصادر المذكورة في آخر هذه الرسالة.

A. Belguendouz, *Le cadre général de l'émigration marocaine en liaison avec la problématique de l'immobilier au Maroc pour la communauté marocaine à l'étranger*, 1991 ; M. Berriane, *Etude des mouvements migratoires du Maroc vers la communauté européenne*, 1992 (Rapport préliminaire 1992) ; M. Refass, *Un siècle d'émigration marocaine vers l'étranger*, vol. 15, nouvelle série, n° 1 et 2, 1993.

منير صالح

الجامع، مسجد كبير تقام فيه صلاة الجمعة. ولم يرد الجامع بهذا المعنى في القرآن، وإنما ورد فيه المسجد، فكان يقال مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد قُباء والمسجد الاقصى. نعم جاء الجامع في الحديث وصفاً للمسجد إذ ترجم البخاري في *الصحيح* : باب الاستسقاء في المسجد الجامع.

وقد وُجد في المغرب المسجد والجامع، واستُعمل فيه الاسمان معاً دون أن يكون بينهما حد فاصل، إلا أن الجامع أخذ اهتماماً أكبر في كتب التاريخ والحوليات والحوالات الوقفية لأهميته وسعته وتعدد مرافقه وزخارفه ووفرة ريع أوقافه في أغلب الأحيان.

عرف المغرب الجامع ـ كالمسجد ـ مع دخول الإسلام في منتصف القرن الهجري الأول، وإذا كان أول جامع أسس في منطقة المغرب الكبير هو جامع عقبة الذي بناه في ولايته الأولى على افريقية وسط مدينة القيروان عام 50 / 670، فإن هذا الفاتح العربي في ولايته الثانية عام 62 / 682 توغل حتى وصل إلى المحيط، فكان من آثاره الباقية في جنوب المغرب الأقصى المسجد الجامع المنسوب إليه : مسجد عقبة أو رباط عقبة على ضفة نفيس أحد الأنهار المتفرعة عن وادي تانسيفت بضاحية مراكش. ووردت نسبته إليه عند أبي عبيد البكري في *المسالك والممالك*، وكذلك المسجد الجامع المنسوب لأحد أصحابه شاكر : مسجد شاكر أو رباط شاكر على ضفاف وادي تانسيفت الذي قال عنه ابن الزيات في *التشوف* : "إن الصالحين كانوا يسافرون إليه في كل رمضان" يجتمعون فيه لقراءة القرآن وختمه ليلة السابع والعشرين. ثم صار رباط شاكر ـ في جملة رباطات أخرى ـ دار جهاد لمقاومة نحلة البرغواطيين المنتشرة في بلاد تامسنا. وكان موسى بن نصير اللخمي والياً على افريقية عام 85 / 704 وفتح سبتة من يد يوليان حاكمها من قبل البيزنطيين أو القوط، حوّل كنيستها إلى جامع أدخلت عليه تغييرات مهمة في مطلع القرن الخامس (9 م) وظل يعد الجامع العتيق بسبتة (*اختصار الأخبار*، ص 10) كما أسس جامعاً آخر نسب إليه : جامع موسى بن نصير على ربوة عالية في قبيلة بني حسان جنوبي مدينة تطوان على نحو خمسة وثلاثين كلم منها، ويسمى أيضاً جامع البيضاء وجامع الملائكة، يحيط به حتى اليوم ثلاث عيون جارية من جهات الشرق والغرب والجنوب، وكانت تقام فيه الجمعة والصلوات الخمس، ثم أصابه تلاش فجُدد مراراً وصُغر حتى أصبح اليوم مربع الشكل لايتعدى طوله خمسة أمتار (*معلمة المغرب*، ص 1950). ويوجد جامع آخر شبيه بجامع موسى في شكله ومادة بنائه يسمى جامع تكطشت في قمة جبل مطل على شاطئ البحر المتوسط الممتد بين ترغة وتيجساس بقبيلة بني زيات الغمارية، وجامع ثالث ينسب إلى فاتح الأندلس طارق بن زياد باشرافات على مقربة من شفشاون (*معلمة المغرب*، ص 2509).

جامع القرويين

ثم تكاثرت الجوامع في المغرب بعد عهد الفاتحين الأولين وطوال العصر الإسلامي بحيث يصعب إن لم أقل يتعذر إحصاء ما اندثر منها ومابقي، وسأجتزئ في هذه العجالة باستعراض خاطف لأشهر الجوامع المشيدة في مختلف الجهات منذ نشأة الدولة المغربية إلى اليوم، وألمّ في النهاية إلماماً خفيفاً بالدور التعليمي للجامع.

عندما أسس إدريس الأزهر مدينة فاس شرع في بناء عدوة الأندلس يوم الخميس مهل ربيع الأول عام 192 / 4 يناير 808 حتى إذا أكمل سورها بنى بها جامعاً للخطبة سمي جامع الأشياخ فكان الجامع العتيق لمدينة فاس وهو المعروف اليوم بجامع النوار في أعلى عقبة الصفاح من حومة جرواوة. ثم أخذ في بناء عدوة القرويين في مهل ربيع الأول من العام التالي 193 / 23 دجنبر 808 فلما أكمل سورها بنى بها جامعاً للخطبة سمي جامع الأشراف حيث ضريح المولى إدريس (*الدر الثمين*، 203) وفي عهد حافده يحيى الأول أسست أم البنين فاطمة الفهرية جامع القرويين وأختها مريم الفهرية جامع الأندلس في عام 245 / 860 م. ورغم كبر هذين الجامعين فإن صلاة الجمعة ظلت تقام بفاس طيلة عهد الأدارسة في كل من جامع الأشياخ وجامع الأشراف باعتبارهما الجامعين العتيقين، ولم تُنقل الخطبة إلى جامع القرويين وجامع الأندلس إلا في سنة 321 / 933 م عندما دخلت مدينة فاس تحت حكم الزناتيين (*المصدر الأخير*، ص 304). فقامت ضجة بين الفقهاء، من مؤيد ومعارض، دامت زهاء خمسة قرون وكان أحمد الونشريسي مؤلف *المعيار* من آخر مَن أفتى وألف فيها.

ولما أسس المرابطون مدينة مراكش شيدوا فيها مساجد عديدة أيام يوسف بن تاشفين، ثم بنى فيها ولده علي بن يوسف في مطلع القرن السادس (12 م) الجامع العظيم المنسوب إليه : جامع ابن يوسف فكان آية في السعة والمتانة والدقة في اتجاه القبلة، ثم نافسهم الموحدون عند ما آلت إليهم الدولة، فشيد عبد المومن بن علي جامع الكتبيين الشهير، وبنى جامع تينمل بجوار ضريح المهدي ابن تومرت في الممر الجبلي الرابط بين مراكش وتارودانت، بعد انتصاره على المرابطين عام 541 / 1146.

وبلغ حافده يعقوب المنصور الغاية في إقامة الجوامع حيث بني في مراكش جامع المنصور وأنشأ به المقصورة الهندسية العجيبة التي كانت تظهر إذا استقر هو ووزراؤه بصلاه منها وتختفي إذا غادروا الجامع. ولما عزم المنصور على الجواز إلى الأندلس بقصد الجهاد عام 591 / 1195 أمر ببناء صومعة جامع الكتبيين بمراكش. وتأسيس رباط الفتح وجامعه الكبير وبناء جامع حسان وصومعته، وأشرف في الأندلس على بناء جامع اشبيلية وصومعته، فكانت هذه الجوامع والصوامع الثلاث آية في الضخامة والفخامة وضرب بها المثل في العلو والأناقة والإتقان. وبعد رجوع المنصور إلى المغرب أمر بتشييد الجامع الأعظم بسلا في حي الطالعة "كان يعمل في بنائه ونقل حجارته وترابه سبعمائة أسير من أسارى الإفرنج في قيودها" (*الاستقصا*، 2 : 174).

وقد اتجهت سياسة المرينيين إلى تشييد المدارس بالدرجة الأولى بإزاء الجوامع الكبرى في مختلف الحواضر، ومع ذلك لم يخل عهدهم من إقامة جوامع كان لها ذكر في التاريخ، منها : جامع المدينة البيضاء (فاس الجديد) التي اختطها إلى جانب فاس الإدريسية، السلطان يعقوب بن عبد الحق، عام 677 / 1278، والجامع الأعظم بتازا الذي شيده يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق عام 689 / 1290 م. ولما جدد الأندلسيون المهاجرون مدينة تطاون في أواخر القرن التاسع (15 م) أنشأوا بها الجامع الكبير "وهو جامع القصبة الذي مازال معروفاً بهذا الاسم إلى الآن وقد جُدد بناؤه في أوائل هذا القرن" (*تطوان*، 1 : 93).

ثم عرفت حركة تشييد الجوامع انطلاقة جديدة مع دولتي الشرفاء، فأسس محمد المهدي الشيخ السعدي بحاضرته الأولى المحمدية (تارودانت) في أوائل العقد الرابع من القرن العاشر (16 م) ثلاثة جوامع، هي الجامع الكبير بوسط المدينة، وجامع القصبة السلطانية، وجامع سيدي أُسيدي (*خلال جزولة*، 4 : 148 ـ 149). ونالت مدينة مراكش في عهد السعديين الحظ الأوفر من هذه المؤسسات الدينية حين جددوا معالمها بعدما أصابها في القرون الخالية من إهمال وخراب، فأحيوا جوامعها العتيقة، وأنشأ عبد الله الغالب حوالي عام 965 / 1558 جامع الشرفاء بحي المواسين وسط المدينة، وبنى أبو فارس عبد لله الواثق الجامع الكبير بجوار ضريح أبي العباس السبتي. وشيدت مسعودة الوزگيتية والدة السلطان أحمد المنصور الذهبي عام 995 / 1587 جامع الحرة بباب دكالة.

وفي الفترة الأخيرة من عهد الدولة السعدية، أسس الشيخ أبو بكر الدلائي (ت 1021 / 1612) في زاويته القديمة بالأطلس المتوسط الجامع الكبير الذي أصبح مركزاً علمياً مقصوداً كما سنرى، وشيد حفيده السلطان محمد الحاج الدلائي في مدينة الدلاء أو الزاوية الدلائية الحديثة عام 1048 / 1638 جوامع متعددة، من بينها الجامع الكبير بجوار القصر.

وعند قيام دولة الشرفاء العلويين حرص المولى إسماعيل على إقامة جامع في كل ثغر تم تحريره من الاحتلال الأجنبي : في طنجة سنة 1095 / 1684 والعرائش سنة 1100 / 1689 وأصيلا سنة 1102 / 1691. ثم انصرفت عنايته أكثر إلى حاضرة مكناس، فجدد عام 1107 / 1696 جامعها العتيق الذي يرجع تأسيسه وتوسيعه إلى عهد الموحدين والمرينيين، وأنشأ بها عدداً من الجوامع، مثل الجامع الكبير داخل القصبة السلطانية المجاور لقصر النصر الذي بناه عندما كان خليفة لأخيه الرشيد والجامع الأخضر، وهو أعظم من السابق جعل له بابين باباً إلى القصبة وباباً

إلى المدينة، وجامع للاعودة ذي المنار الشامخ ومستودع آلات التوقيت وغير ذلك من الموافق، وجامع الأنوار الذي تقارب سواريه الرخامية المائتين.

ولما أسس سيدي محمد بن عبد الله مدينة الصويرة عام 1178 / 1760 شيد بها أربعة جوامع : الجامع الأعظم بالقصبة وهو العتيق الذي تقام فيه الجمعة الأولى، وجامع سيدي يوسف بسوق الحدادين، وتقام فيه الجمعة بعد العتيق، وجامع سيدي أحمد بن محمد بسوق الحدادين كذلك، وجامع البُاخَر، نسبته إلى جيش البخاري، وكان يدعى في البداية جامع قاسم، وأنشأ في رباط الفتح جامع السنة، وفي الدار البيضاء الجامع العتيق المجاور لدار المخزن بالمدينة القديمة، وذلك عام 1201 / 1786. وكان قد جدد وهو يومئذ مايزال خليفة لوالده بمراكش جامع المنصور بالقصبة واستصلح في سائر أنحاء المغرب عدداً لايحصى من الجوامع.

ولم تقلّ عناية السلطان المولى سليمان ببيوت الله عن سلفه فأحيى جامع ابن يوسف وصومعته بمراكش حتى كأنه أنشأهما إنشاء على الحالة التي هما عليها اليوم، وشيد جوامع الخطبة في كل من وزان وبوجعد، والجامع الكبير المنسوب إليه بحي السويقة بالرباط : جامع مولاي سليمان، وأنشأ سلسلة من الجوامع والمساجد في وجدة وسلا وتطاون وغيرها. وسلك نفس المنهج خلفه السلطان عبد الرحمان بن هشام في مدينة مراكش حيث أسس جامع أبي حسون، وجامع القنارية، وابنه محمد بن عبد الرحمان جدد في دار مقامه بالرباط جامع أهل فاس داخل المشور، وجامع السنة خارجه وبنى جامع السوق بالدار البيضاء.

جامع الحسن الثاني بالدار البيضاء

على أن مدينة الدار البيضاء التي عرفت أخيراً نمواً ديموغرافياً هائلاً تكاثرت فيها الجوامع، وفي طليعتها الجامع اليوسفي في حي الأحباس نسبة للسلطان يوسف بن الحسن، والجامع المحمدي نسبة لمحمد الخامس، وتُوج ذلك عام 1414 / 1993 بجامع الحسن الثاني، المعلمة الإسلامية الفنية الكبرى، المقام على مياه البحر، الذي تبلغ مساحته بمرافقه وأفنيته تسعة هكتارات، وتتسع قاعة الصلاة لخمسة وعشرين ألفاً من المصلين، علاوة على ثمانين ألفاً آخرين يصلون في الصحن، ويعد بذلك اليوم أكبر وأفخم جامع بالمغرب على الإطلاق.

* * *

لم تقتصر مهمة الجامع في المغرب ـ كما هو الشأن في سائر البلاد الإسلامية ومنذ عهد النبوة ـ على إقامة الشعائر الدينية من صلاة وأذان وطهارة، وإنما اضطلع إلى جانب ذلك بتعليم المسلمين أمور دينهم وإرشادهم إلى مايفيدهم في معاشهم ومعادهم، وغلب الجانب التعليمي في بعض الجوامع فأصبح يشغل حيزاً زمنياً مهمّاً يفوق فترات إقامة الصلوات. وبالإجمال كان تعليم الصغار في المسجد المحرف في لسان العامة إلى "المْسِيدْ" وتعليم الكبار في الجامع. وإذا كانت المصادر لم تسعف بتسجيل الأطوار التي تقلب فيها التعليم بالجامع في المغرب، فهناك إشارات متفرقة سبقت الإشارة إلى بعضها تدل على الدور التعليمي الذي قام به الجامع في المراحل الإسلامية الأولى بهذه البلاد، كاجتماع الصالحين برباط شاكر في رمضان من كل سنة، ولاشك أن مثل ذلك ما كان يجري أيضاً في جامع عقبة القريب منه جغرافياً وتاريخياً، حيث يتم الاتصال بأكبر عدد ممكن من سكان المنطقة المصامدة الذين كانوا بحاجة إلى مزيد من التعرف على قواعد الإسلام وتعاليمه والتمرن على إقامة شعائره وحفظ سور من القرآن الكريم.

أما التعليم المتنوع المنظم في حلقات بالجوامع على غرار ما عرف بالمشرق في الحجاز والشام والعراق فإنه عُرف في المغرب أولَ ما عُرف بمدينة فاس في جامعي القرويين والأندلس، لكن لايوجد نص يُحدد تاريخ بداية هذا الصنف من التعليم فيهما. ولو أن بعض الباحثين يفترض اقتران ذلك بتاريخ تأسيسهما في منتصف القرن الثالث (9 م) أو بداية الذي يليه. يزكي ذلك وفود أسر عالمة هاجرت في فترات متلاحقة إلى فاس من القيروان والأندلس واستوطنتها وأصبحت تعد من أهلها، ونبوغ الفقيه درّاس بن إسماعيل الفاسي (ت. عام 357) الذي قرأ على شيوخ بلده وشيوخ افريقية وقضى حياته يدرس في فاس وله جامع منسوب إليه فيها مازال يعرف حتى اليوم يقال إنه كان يدرّس فيه علاوة على جامع القرويين. والفقيه أبي عمران الفاسي موسى بن عيسى ابن أبي حاج الذي ينسب إليه درب بوحاج بطالعة فاس (ت. عام 430) الذي انتقل

لأسباب سياسية إلى القيروان فكان شيخ الجماعة بها يأخذ عنه التونسيون والمغاربة الوافدون عليه. وقصته مع يحيى الگدالي ودوره في إقامة الدولة المرابطية بواسطة تلميذه وجّاج بن زلُّو وعبد الله بن ياسين مشهورة. وفي جذوة *الاقتباس* لأحمد ابن القاضي مآت التراجم لعلماء فاسيين وطارئين عليها منذ القرن الخامس (11 م). وزاحمت سبتة مدينة فاس في الريادة التعليمية في جامعها العتيق المشار إليه آنفاً ذي الخزانتين العلميتين العامرتين في شرقي صحنه وبإزاء باب الشواشين أحد أبوابه. وكانت كتبهما من الكثرة "بحيث لم يشذّ منها فن من الفنون ولا نوع من المعارف أصلا مع تعدد مصنفات ذلك الفن وكثرة دواوينه" (*اختصار الأخبار*، ص 10) ومن أشهر الأسر العلمية في سبتة في القرنين الرابع والخامس (10 ـ 11 م) بنو العجوز، والتميميون والأمويون الذين عرف منهم محمد بن عيسى التميمي ومحمد بن عبد الله الأموي من شيوخ القاضي عياض (*الغنية*) وكفى بالقاضي عياض علماً شامخاً من علماء سبتة حتى قيل فيه : "لولا القاضي عياض لما ذكر المغرب".

وفي القرن السادس (12 م) احتلت مراكش مكانتها التعليمية في جامع ابن يوسف ثم جامع الكتبيين وجامع المنصور، ولم تلبث أن غبّرت في وجه فاس وسبتة واحتلت الزعامة التعليمية بفضل ما استقطبت من شخصيات علمية بارزة مرموقة انتقلت إليها من فاس وسبتة وبخاصة من الأندلس على عهد الموحدين مثل ابن طفيل وابن زهر وابن رشد الحفيد والإمام السهيلي وغيرهم من أئمة المعقول والمنقول.

ولا يتسع المقام لتتبع المراحل التي قطعها تعليم الجامع في المغرب سواء في هذه الحواضر الثلاث أو في غيرها من المدن والقرى. وإنما نشير إلى أن الاهتمام بتنظيم التعليم في القرويين بدأ مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي أصدر منشوراً عام 1203 / 1789 إلى شيخ القرويين ينهاه عن تدريس الكتب المختصرة ويأمره بالرجوع إلى الأمهات، ويذكر أسماء الكتب التي ينبغي تدريسها، والقائمة طويلة، ويحث في الأخير على تشجيع تعليم الحساب والأسطرلاب وتخصيص مكافآت لمن يدرسهما من ريع الأوقاف. وسلك نفس النهج السلطان عبد الرحمان بن هشام فكتب إلى شيخ القرويين خطاباً في 12 محرم عام 1261 / 21 يناير 1845 يستنكر جمود بعض المدرسين مع طرق عقيمة تضيع عمر الطلبة سدى، ويقول له : "فبوصول كتابنا هذا اجمع المدرسين وأرشدهم لما فيه المنفعة العامة والفائدة التامة وهو الاقتصار في التقرير على حل كلام المؤلفين وإفهامه للسامعين المتعلمين ... إذ المقصود هو حصول الفهم والإفادة". كما نشير إلى أن جامعي القرويين وابن يوسف أصبحا أخيراً بدعيان جامعتي القرويين وابن يوسف، وربما كان ذلك بتأثير من الأزهر الذي أدخلت إليه تنظيمات جامعية حديثة منذ بداية عصر النهضة العربية أيام محمد علي، لاسيما في عهد شيخي الأزهر المصلحين محمد المهدي العباسي وحسونة النواوي.

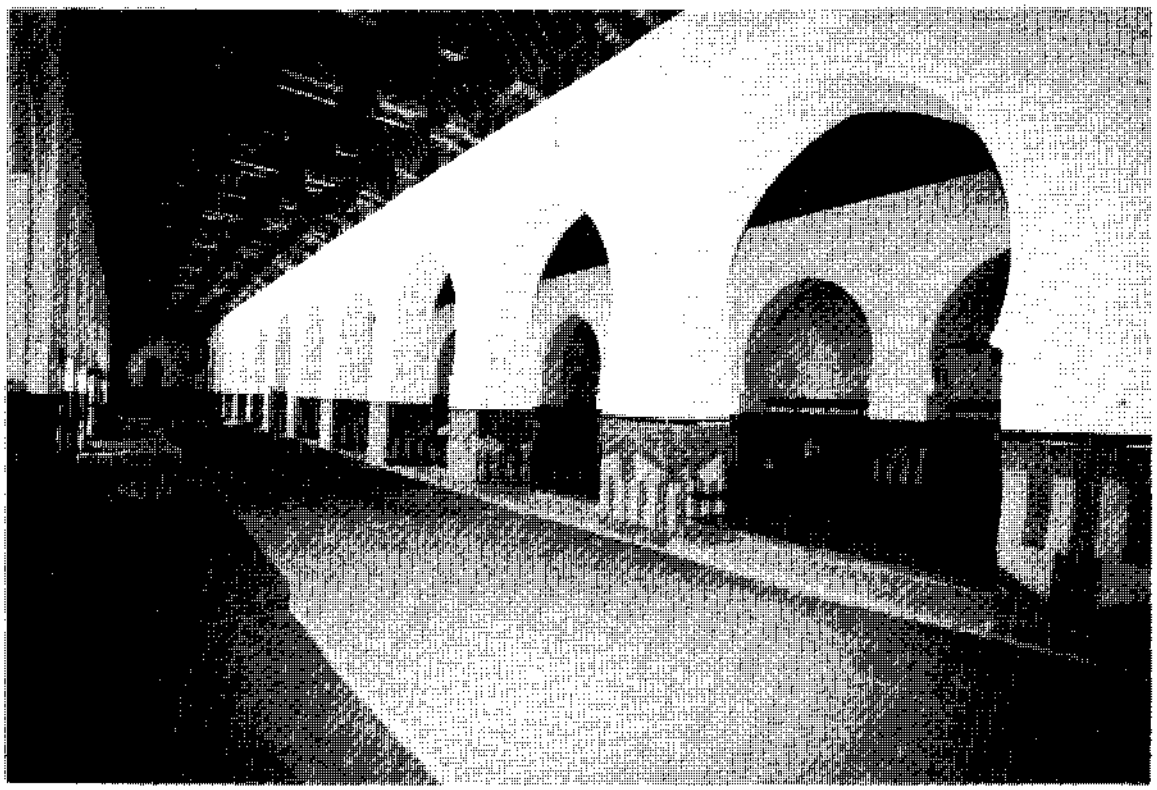

جامع ابن يوسف بمراكش

وكان لآراء جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده الإصلاحية صداها القوي في القرويين، لاسيما بعد أن رجع من الشرق العالمان السلفيان الشيخ عبد الله السنوسي في عهد الحسن الأول والشيخ أبو شعيب الدكالي في عهد السلطان عبد الحفيظ فكانت دروسهما في القرويين فتحاً جديداً فكراً وأسلوباً. ثم صدر الأمر في أوائل الحماية سنة 1332 / 1914 بإدخال النظام إلى القرويين، وكان المشرف عليه الفقيه محمد الحجوي نائب الصدر الأعظم في المعارف والتعليم فأسس "مجلس العلماء التحسيني للقرويين" وبعد صعوبات عديدة تحدث عن بعضها الحجوي في كتابه *الفكر السامي* (4 : 30 ـ 34) تم تنظيم الدراسة في القرويين في ثلاث مراحل تنتهي بشهادة العالمية. وفي عام 1380 / 1960 أقيم في فاس مهرجان دولي للاحتفال بالذكرى المائة بعد الألف "لجامعة القرويين" دشنه محمد الخامس وحضره عدد وافر من رؤساء الجامعات العربية والأجنبية وكبار الأساتذة. وأصدرت وزارة التربية الوطنية كتاباً ذهبياً بهذه المناسبة.

وكأنّ علماء مراكش نفسوا على إخوانهم في فاس إضفاء صفة الجامعة على القرويين وحدها فسموا جامعهم العتيق "جامعة ابن يوسف" وألف في ذلك محمد بن عثمان المراكشي سنة 1365 / 1937 كتابه : *الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، أرّخ فيه لنشأة الدراسة في هذا الجامع منذ تأسيسه في مطلع القرن السادس (12 م) وبعد الاستقلال ازداد إشعاع جامعي القرويين وابن يوسف، وأنشئ نظام التعليم الأصيل على رأسه جامعة القرويين بفاس، وكليات متخصصة تابعة لها منها كلية اللغة العربية بمراكش في بنايات مستقلة عن جامعي القرويين وابن يوسف.

م. البخاري، *الجامع الصحيح*، بيروت، د. ت. ج 1 : أ. البكري، *المسالك والممالك* ؛ عياض السبتي، *الغنية*، تح. ماهر زهير جرار، بيروت، 1982 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، تح. أ. التوفيق، 1404 / 1984، ص. 51 ـ 52، 314 ـ 315، هامش 34 و836 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، تح. محمد الفاسي، سلا، 1938 ؛ م. ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. كولان وليفي بروفنسال، بيروت، د. ت. ج 1 ؛ قسم الموحدين، تح. م. محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، الدار البيضاء، 1985 ؛ صالح ابن عبد الحليم، *كتاب الأنساب*، مخطوط، خ. ع 1275 ك ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط ، مجهول، *الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية*، الجزائر، 1920 ؛ ع. الجزنائي، *زهرة الآس*، الجزائر، 1922 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت ؛ م. الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1975 ؛ م. بن قاسم الأنصاري، *اختصار الأخبار*، مجلة *تطوان*، ع 1 : 3 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1964 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1991 الجزء الأول ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، الجزء الأول ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*، تح. عبد الله گنون، تطوان ؛ م. ميارة، *الدر الثمين*، شرح *المرشد المعين*، مصر، 1306 هـ ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، ط. حجرية بفاس، أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 9 أجزاء ؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، ط. الأولى، الجزء الرابع ؛ م. ابن علي الدكالي السلوي، *الإتحاف الوجيز*، الرباط، 1986 ؛ محمد بن عثمان المراكشي، *الجامعة اليوسفية بمراكش في تسعمائة سنة*، 1937 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*...، ج 1 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط، ج 1 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 4 ؛ ع. الكتاني، *أشرف بقعة*، *مجلة المغرب*، يونيه 1936؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ج 1 ؛ وزارة التربية الوطنية *الكتاب الذهبي*، *جامعة القرويين*، د. ت ؛ سعيد أعراب، *معلمة المغرب*، مادة *البيضاء*، *وتاكطشت* ؛ م. علال سي ناصر، *مسجد الحسن الثاني*، د. ت.

محمد حجي

الجامع (أدغار ـ)، منطقة بورية خارج الشريط السكني لمدشر أسرير بوادي نون. وأدغار هو الموضع أو القرية. يؤكد الموقع على أهمية الامتداد المجالي لنول لمطة إذا اعتبرنا أن المقاييس الحالية تبين أن الجامع (المسجد) المقصود هو "تمزگيدة" القديمة التي ترجعها الرواية الشفوية إلى مخلفات نول عاصمة وادي نون في القرن الخامس (11 م)، والتي كانت التجمعات العمرانية تمتد بها غرباً حتى مشارف وعرون (أگاوس) كما تشهد على ذلك التوزعات الطوبونيّة والمخلفات الأثرية، وكذا الملكيات الكبيرة للجامع والتي يجهل فعلاً حقيقة انتقال جانب منها إلى الجامع الحالي بأسرير كما ترى الروايات الشفوية، ولكن إذا كان نصيب أدغار الجامع حبسا فكيف تم تملكه ؟ ولماذا لم ينتقل كغيره من الأملاك ؟ وهل يؤرخ ذلك بالعكس إلى ظرفية القطيعة خلال القرنين الثامن والتاسع (14 ـ 15 م) أم إلى مظاهر الاستحواذ على الأراضي خاصة وأن أهل حابين (انظر *المعلمة*) يملكون أكبر نصيب من الأراضي بأدغار الجامع.

وعلى العموم فهذا الأخير يبيِّن التطور الداخلي للمدشر وتحول الاستغلاليات ونمط الملكية، كما أنه إلى جانب مواقع طوبونيمية عديدة يسمح لنا بمقاربة ومحاولة استكشاف تاريخ المنطقة عبر التاريخ الداخلي للمداشر والبوادي الوسيطية (Block, 946).

O.P. Block, *Histoire et toponymie*, *A.E.S.C.*, juil.-août 1969

أحمد جومانى

جامع (أولاد ـ)، قبيلة عربية يقال للواحد منهم "ابن جامع" لا "جامعي"، وقد ذكر ابن خلدون أن أصلها من دَهْمان من بني علي أحد بطون رياح الهلالية العربية ؛ وأنهم لما دخلت العرب إلى افريقية تمكن كبيرُهم بكر ابن كامل ابن جامع من الوصول إلى الولاية على قابس،

واستبد على صنهاجة ولم يزل كذلك إلى أن هلك وقام بأمره بَعْدَهُ رافع ثم رشيد بن كامل ابن جامع فمحمد بن رشيد ابن كامل ابن جامع، وكان آخر من مَلَكها منهم مُدافع بن رشيد بن كامل ابن جامع الذي لحق بعبد المومن بن علي فأكرمه ورضي عنه.

هكذا، كان يدعى الواحد من أولاد جامع "ابن جامع" خلال العصر الوسيط، ولا شك أنهم لعبوا أدواراً مُهمةً في الحياة السياسية والعسكرية ونالوا المراتب السامية في الدولة أيام الموحدين هُمْ مِنْ هذه الأصول أمثال : إبراهيم ابن جامع وابنه أبي العلاء إدريس ابن جامع وعبد الله بن إسحاق ابن جامع وغيرهم.

يُوجَدُ ببني زروال حالياً عائلة من عائلات ابن جامع يَنْتَسِبُ أفرادُها إلى أحد أجدادهم المتأخرين وهو العباس أحمد بن موسى ابن جامع دفين داره بمدشر بني خالد من قبيلة غمارة المتوفى سنة 1612/1021، وهي من أشهر العائلات الزروالية، تسكن مدشر أولاد جامع بفرقة بني ملول، أنجبت العديد من الصلحاء والعلماء المشتغلين بالتدريس كجدهم أحمد بن موسى ابن جامع والذي قال عنه الإفراني في *الصفرة* إنه كان من أهل الجدّ والاجتهاد في العبادة، زاهداً في الدنيا، أخذ عنه قاضي فاس أبو محمد عبد الواحد الحُميدي *وظيفة* الشيخ زروق، وقال عنه "ما رأيت أحداً أتقن لعبادة ربه من سيدي أحمد ابن جامع وسيدي رضوان الجنوي".

ترجم له كذلك القادري نقلاً عن صاحب *التحفة* وأثنى عليه كثيراً.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 196، 198، 273، 282 ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 174، 285، 287، 294، 296، 297 ؛ ب. الفاسي، *قبيلة بني زروال*، 73، 89.

محمد مرزاق

ابن **جامع، إبراهيم** يكنّى أبا إسحاق، وهو جد أسرة كان لها سطوة ونفوذ في ظل الدولة الموحدية، من رجالها إدريس ابن جامع الذي كان وزيراً لأبي يعقوب يوسف بن عبد المومن، وأبو سعيد ابن جامع الذي كان وزيراً للناصر ثم المستنصر، وأبو يحيى ابن جامع الذي كان أيضاً وزيراً ؛ وقد نوه صاحب *المعجب* بالأسرة ومركزها في الدولة المومنية.

وقد أمدنا عبد الواحد المراكشي ببعض المعلومات عن أصل إبراهيم، فذكر أنه من الأندلس وأن آباءه من مدينة طليطلة. ولعل الأسرة هاجرت منها بعدما سقطت في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة. فهو يذكر أن إبراهيم نشأ بساحل مدينة شريش على البحر الأعظم بضيعة تسمى روطة. وبعد ذلك انتقل إلى عدوة المغرب ليشتغل بصنعة النحاس. وفي تلك الأثناء، التقى بابن تومرت وصار من أصحابه.

ولا شك أن صعود نجم الأسرة يرجع في الأساس إلى العلاقة الوثيقة التي كانت بين إبرهيم والمهدي بن تومرت، إذ يذكره البيذق في قائمة أهل دار الإمام، وفي ذلك برهان واضح على مبلغ الثقة التي حظي بها لدى مؤسس المذهب الموحدي، فكان باب الطموح والتشوف إلى أعلى المناصب مفتوحاً أمامه بعد وفاة المهدي، فنجده في ركاب عبد المومن حينما انطلق في غزوته الطويلة التي طارد فيها تاشفين بن علي اللمتوني إلى وهران. ولما عزم عبد المومن على العودة إلى المغرب، بعد أن كان قائماً على محاصرة تلمسان للاحقة يحيى الصحراوي الذي قصد فاساً في قسم من جيش تاشفين، أسند رياسة الجيش لإبراهيم ابن جامع لمواصلة الحصار. هذا ما ورد في رواية ابن خلدون، وإن كانت روايات أخرى تختلف معه. والاختلاف راجع، في الحقيقة، إلى كون الحرب لم تنته بين الطرفين وإلى كون الأوضاع لم تتضح في الجهتين.

على أن عبد المومن ما لبث أن استقدم إبراهيم بن جامع بعد أن طرد الصحراوي من فاس وفتحها. ويذكر ابن عذاري أن عبد المومن حاصرها سبعة أشهر وتم له الاستيلاء عليها في ذي القعدة من سنة 540 / أبريل ـ ماي 1146، فأقام بها أربعة أيام ثم رحل عنها وترك والياً عليها أبا إسحاق بن جامع. هاته الإشارات الأولى المتناثرة في المصادر التاريخية تقدم لنا رجلاً يجمع بين مزايا القائد العسكري والإداري الحازم الذي يمكن أن توضع فيه الثقة وتسند إليه مسؤوليات كبيرة. لكنه برهن، أيضاً، على أنه رجل اتصالات وعلاقات ذات صبغة بروتوكولية ودبلوماسية. وكان من أدق القضايا وأصعبها بالنسبة لعبد المومن، بسط نفوذ الموحدين بالأندلس التي كانت الأوضاع بها تعاني كثيراً من التعقيد والغموض، فارتأى أن يسلك خطة الاتصال بكبار العلماء والأعيان بالأندلس عساه أن يستميلهم إلى الدولة الموحدية ويتخذ منهم سبباً لبسط سيطرتها في شبه الجزيرة. ومن أهم وفود الأندلس التي جاءت لتقديم البيعة لعبد المومن وفد إشبيلية الذي كان يضم من بين رجاله القاضي أبا بكر بن العربي والخطيب أبا عمرو ابن الحجاج، وأبا بكر ابن الجد وغيرهم. وكان لقاؤهم بعبد المومن مشجعاً إذ قدّموا بيعة إشبيلية للخليفة وخطبوا بين يديه ونالوا من جزائه وإكرامه.

ولكن، سرعان ما راجت الإشاعة بأن أهل إشبيلية ارتدوا في جملة من ارتد عن بيعة الموحدين من مدن وقبائل. وهكذا ما لبث الوفد الذي حل بدار في مراكش أن شاهد الموحدين يحيطون بتلك الدار وهم شاهرون لأسلحتهم. ويصف ابن عذاري حالة أعضائه بقوله : "فمنهم من غُشي عليه، ومنهم من بُعث وظهر الموت لديه، ورقب عليهم الرقباء ليلاً ونهاراً، ورأوا الموت عياناً وجهاراً. ودام ذلك ثلاثة أيام إلى أن وصل الحق ببراءة أهل إشبيلية بكتاب الشيخ أبي يعقوب بن سليمان من إشبيلية فاستدرك الأمير

أرواحهم، وعجل سراحهم. فوجه إليهم أبا إسحاق ابن جامع وعبد الله ابن سليمان معتذرين لهم. فقالا لهم : إنما وجه لكم الرجال إشفاقا عليكم ونظراً حسناً إليكم، لأن الأمير رضي الله عنه قال : إن وصلهم خبر ارتدادهم، يغرون على وجوههم، فتأكلهم الطرق بمن فيها من الثائرين. فتابت إليهم نفوسهم" ص. 34.

ولسنا ندري متى حدثت وفاة إبراهيم ابن جامع بالضبط. وأغلب الظن أنها جرت في عهد عبد المومن، إذ يذكر ابن عذاري أن ولده إسحاق هو الذي كان من جملة الشخصيات الكبرى في الدولة التي رافقت السيد أبا حفص سنة 560 هـ لتلقي أخيه السيد أبي سعيد في جبل "الفتح". وما كان الابن ليقوم بهاته المهمة لو كان الأب مازال على قيد الحياة، اللهم إلا إذا افترضنا أنه توقف عن كل نشاط بسبب الشيخوخة والهرم.

لإبراهيم ابن جامع حفيد يحمل نفس اسمه، إذ هو إبراهيم بن إدريس بن إبرهيم ابن جامع وكان والياً على سبتة حوالي سنة 621 هـ / 1221 م وقد ورد ذكره في *الحلة السيراء* لابن الأبار، ج. 2 ص. 293 (ط. القاهرة 1963).

أ. البيذق، *الأنساب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن سعيد المغربي، *المغرب* ؛ ع. ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 6 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، ج 3 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

ابن **جامع، إدريس** بن إبراهيم، يكنى أبا العلاء وأبا علي وأبا العلي. استوزره الخليفة عبد المومن بن علي الكومي ثم اشتغل بعد ذلك وزيراً لابنه أبي يعقوب يوسف. كان أبو العلاء إدريس بن إبراهيم ابن جامع يقعد بين يدي السيد أبي حفص عمر الهنتاتي في عهد عبد المومن، (*القرطاس*، 205 ـ 206) ومعنى ذلك أنه كان وزيراً للأمير أبي حفص، ولما تولى أبو يعقوب يوسف خلافة الموحدين أصبح أبو العلاء وزيراً له سنة 560 / 1165 بعد أن وَزَر لهذا الخليفة أخوه أبو حفص عمر أياماً يسيرة ثم ارتفع قدره عن الوزارة إذ رآها دونه (*المعجب*، 355) فاختص بالحجابة.

نشأ أبو العلاء إدريس نشأة الأمراء، شأنه شأن "السادة" من بني عبد المؤمن فاكتسب بذلك الكفاءة اللازمة للقيام بمهام الإدارة وشؤون التسيير، وقام بأمر الوزارة أحسن قيام، "لا يصدر شيء إلا عن رأيه، ولا تنتجز عدة من أمر الخليفة إلا عن شفاعته وسعيه" (*المن بالإمامة*، 342) مع عفاف في طبعه، وكفاف في إذاية الناس في رفعه، إذا وفد عليه الوافد رحّب وأرجاه في طلبه وأنزله وأسكنه وأنساه أهله ووطنه وسعى له في خير ووصله بكل خير (*المن بالإمامة*، 169). وقد ذكر ابن صاحب الصلاة أنه خصص له ولإخوته فصلاً في كتابه *المن بالإمامة*، وقد يكون ذلك في القسم الثالث الذي يعد في حكم المفقود كما هو الحال بالنسبة للقسم الأول.

كان أبو العلاء إدريس ابن جامع يستعين بأخيه أبي محمد عبد الله في أمور التسيير، وكذلك الشأن بالنسبة لابنه يحيى الذي ساعده في الإشراف على غرس ثمار بحيرة إشبيلية سنة 567 / 1171 وقصر الخليفة أبي يعقوب يوسف بها الذي بناه أحمد بن باسه عريف البنائين بالأندلس خارج باب جهور من إشبيلية في الموضع المعروف عند الناس قديماً بلقم فرعون (*المن بالإمامة*، 372 ـ 375). كما شاركه في التسيير أيضاً الفقيه أبو محمد المالقي شيخ طلبة الموحدين في عهد الخليفة يوسف والذي كان من المقربين للخليفة أيضاً (*المن بالإمامة*، 434).

نال أبو العلاء إدريس بن إبرهيم ابن جامع حظوة سامية ومكانة بارزة في البلاط الموحدي حتى نكبه الخليفة أبو يعقوب يوسف وأبعده رفقة أبنائه وإخوته عن الخدمة وغربهم إلى ماردة Merida بالأندلس لأسباب غير معروفة. وتتضارب المصادر حول التاريخ الذي تم فيه ذلك بين سنة 573 هـ / 1177 م (*البيان*، 139 ؛ *والاستقصا*، 2 : 152) وسنة 575 هـ / 1179 م (*العبر*، 6 :323) وسنة 577 هـ / 1181 م (*المعجب*، 355). وقد ذكر ابن عذاري أن نكبة ابن جامع كانت بعد اشتغاله بالوزارة خمس عشرة سنة وأن تغريبه بماردة دام ستة أعوام فيكون تاريخ نكبته على ذلك هو عام 575 هـ / 1179 م لأنه شرع في ممارسة مهامه كوزير سنة 560 / 1165. وقد طلب أبو العلاء إدريس من الخليفة أبي يعقوب يوسف أن يأذن له ولبنيه في مرافقته في غزوة شنترين سنة 580 هـ / 1184 م فأذن لهم في الحين ومشوا في جملة المجاهدين (*البيان*، 16). ولما مات أبو يعقوب يوسف في نفس سنة غزوة شنترين عفا خلفه أبو يوسف يعقوب المنصور عن ابن جامع فاختفت بعد ذلك أخبار أبي العلاء إدريس ابن جامع من مصادر التاريخ ولم نعرف في النتيجة تاريخ وفاته، في حين أن أخاه أبا محمد عبد الله اشتغل والياً ليعقوب المنصور على مدينة سبتة ثم قائداً للأسطول الموحدي في الحروب مع بني غانية.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1987 ؛ ابن القطان، *نظم الجمان*، بيروت، 1990 ؛ عبد الواحد المراكشي، *المعجب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان*، قسم الموحدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6، بيروت، 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، الدار البيضاء، 1954.

حسن حافظي علوي

ابن **جامع، الحسن** بن سعيد، مقاوم، ولد سنة 1918 بأيت باعمران إقليم تيزنيت. كان يعمل في صفوف الجيش

الإسباني، وبعد تأسيس جيش التحرير بالصحراء المغربية، بادر إلى مساعدته وذلك بإمداده بالسلاح والمعلومات التي مكنت جيش التحرير من نصب عدة مكامن للعدو الإسباني، وحين علمت إدارة الاستعمار بغيرته الوطنية قامت بمحاكمته ونُفذ فيه حكم الإعدام سنة 1956.

كتاب شهداء الاستقلال، 4 : 122.

ابن **جامع، سَلْم** بن السيد مقاوم من مواليد 1944 بالساقية الحمراء. انضم إلى صفوف جيش التحرير وعمل بالمقاطعة الثامنة، مركز الساقية الحمراء، تحت مسؤولية

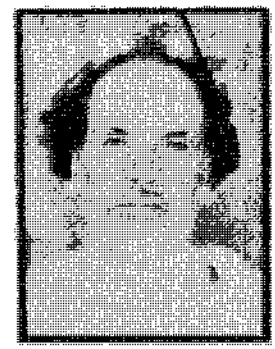

أعلي بويا ميارة منذ سنة 1956، كان مثالاً للرجل المجاهد، شارك في عدة معارك بالساقية الحمراء إلى أن استشهد بها رحمهُ الله سنة 1957.

كتاب شهداء الاستقلال، 2 : 30.

ابن **جامع، عبد الله** بن إبراهيم، عيّنه الخليفة يوسف الموحدي على ولاية سبتة وجهاتها وأسطولها سنة 576 إثر هزيمة ابن مردنيش أمام البحرية البرتغالية، فحقق عبد الله ابن جامع - بتعاون مع أسطول إشبيلية - انتصاراً هامّاً على الأسطول البرتغالي في مياه شلب في مطلع سنة 577. ويبدو أن ولايته لم تطل حيث يرجّح صاحب *المعجب* قتله بأمر من الخليفة يوسف، وهذا لايتجاوز سنة 580 التي هي سنة وفاة هذا الخليفة.

ابن **جامع، عثمان** بن عبد الله بن إبراهيم، عيّنه الناصر الموحدي في الوزارة، فتمكن من إبعاد أهم الأشياخ الموحدين عن الناصر واستبدّ بمشورته، حتى قيل إنه كان أحد أسباب هزيمة الجيش الموحدي في معركة العقاب سنة 609 بسبب إغفال المشورة خاصة مشورة القادة الأندلسيين (*القرطاس*، 236 - 238).

كان لعثمان ابن جامع أيضاً الدور الأساسي في بيعة يوسف المستنصر بن الناصر الصغير السن حتى يتمكن من الاستبداد عليه وجعله تحت وصايته، وقد تدهورت أحوال الأمن في عهد وزارته حتى في ضواحي العاصمة مراكش، بل هناك من وجّه التهمة لابن جامع بتفريطه في مصالح الرعية وتشجيعه - بشكل ما - على النهب في الطرق الموصلة إلى العاصمة (*الذيل*، 8 : 176 - 177). وحاول المستنصر أن يسترجع نفوذه سنة 615، فعزل ابن جامع عن الوزارة بسعاية من ابن برجان، إلا أنه أعاده إليها حتى سنة 617 فيما يبدو، فعزله ثانية ثم توفي بين هذه السنة وسنة 620 التي هي سنة موت المستنصر، ولم نسمع بعد هذا عن دور آل ابن جامع فيما تبقّى من عهد الموحدين.

مجهول، *المقتبس من كتاب الأنساب*، ص 25 ط. الرباط 1971 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، 310 - 311، 324 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 3 : 20، 116، 118، 140، 230، ط. تطوان ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 205، 236، 239 ؛ ع. الحميري، *الروض المعطار*، مادة : جنجالة ؛ ابن خلدون، *العبر*، 6 : 507، 523، 524.

أحمد عزاوي

ابن **جامع، عمر**، أبو علي، من أسرة ابن جامع أهل الإدارة والوزارة في خدمة الموحدين من أيام المهدي إلى أيام العادل الموحدي. وأصلهم القديم من الأندلس، من مدينة طليطلة. وعمر هذا هو ابن أخي الوزير إدريس بن أبي إسحاق ابن جامع، كان بافريقية فطال مكثه بها، وحنّ إلى بنيه فاستدعاهم من مراكش، وقال في ذلك شعراً خطّه في رقعة، ثم نشأت له قبل وصولهم غزاة إلى سُلَيْم من العرب فقتل فيها، ووُجدت الرقعة في جيبه. ومن أبياتها :

سقتنا بعدكم أيدى الفراق ... كزوساً طعمها مرُّ المذاق
فأضرمت الحشا ناراً وأجرَتْ ... دموعاً تستهلُّ من المآقي

عاش بمراكش آخر القرن السادس (12 م).

الحلة السيراء، 2 : 275 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للأعلام البشرية*، 1 : 58.

أحمد متفكر

جامع الفنا، أشهر ساحة بمدينة مراكش، تعدت شهرتها المدينة والمغرب، لتصبح من الساحات العالمية المشهورة.

إن ترك ساحات واسعة في وسط المدينة، وأمام المسجد الجامع الكبير بها، خاصية من خصائص العمارة الإسلامية. وبمدينة مراكش، حيث تعدُّ الحومة وحدة متكاملة تتوفر فيها إلى جانب المنازل السكنية : باب كبير يغلق ليلاً، وفوقه غرفة الحارس الليلي، والمطحنة والفرن والمسجد، توجد ساحة متوسطة أمام المسجد تسمى "رگ الجامع" وتنهض على مستوى الحومة، بنفس الوظائف التي تنهض بها الساحة الكبرى على مستوى المدينة.

وقد اختلفت الآراء في تفسير مدلول كلمة جامع الفنا، وقد يعني "الفناء" الساحة أو الساحة الوسطى وقيل أيضا وهذا مستبعد، إنها سميت كذلك لما كان يُقطع ويعلق بها

من رؤوس الثوار والخارجين عن الدولة عبد العصور.

وقيل كذلك بأن السلطان أحمد المنصور السعدي أنشأ بهذه الساحة جامعا، ووضعه وضعاً عجيباً، فسمي بذلك جامع الفناء، ثم شغل عنه بترادف المحن، ولم يكمله حتى توفي فسمي جامع الفناء *(تاريخ السودان)*.

وقد شهد جامع الفنا بعض الأحداث المهمة، مثل هدة البارود التي حدثت يوم السبت 14 شعبان سنة، 1280، فقد كان بجامع الفنا فندق في بعض بيوته نحو 400 قنطار من البارود، وشيء من فحم الريش، وقعت فيه نار ومرت منه إلى البارود فنفض وقت الغروب، والناس كثيرون حول الفندق. فطار الفندق بما فيه وطار من كان حوله من الناس، قيل نحو ثلاثمائة، منهم من لم يوجد أصلا، ومنهم من وجد بعضه من يد أو رجل. وتهدمت كل دار كانت متلاشية بمراكش، وانخلعت الأقفال من الأبواب وصرصرت السقوف (*الاستقصا*، 9 : 112 ؛ *السعادة الأبدية*، 106).

وشهدت ساحة جامع الفنا أحداثاً عند دخول أحمد الهيبة لمدينة مراكش ومبايعة أهلها له بعد إعلان الحماية الفرنسية للمغرب سنة 1330 / 1912. وقد صور صاحب *الإعلام* (2 : 477) ذلك قائلاً : " ... فلما دخلوا قامت غوغاء الرعاع، وأوباش الناس؛ وهاجوا في المدينة وماجوا، وطفق العسكر الذي في قشلة جامع الفنا النظامي يخرج بعدته، فقصدوا فنادق الأجانب ونهبوا ما فيها وضاعت في ذلك أموال ودماء ... وهدمت قشلة العسكر وبعض بناء الأجانب ودام ذلك نحو ثلاثة أيام".

وقد نهضت هذه الساحة بوظائف وأدوار مختلفة خلال التاريخ : كانت تجتمع بها الجيوش السلطانية عند دخولها من حرب أو خروجها إليها (*تاريخ الضعيف*، 1 : 424)، كما كانت فضاء لعقاب الثوار والخارجين على المخزن، فقد قُتل بها الباشا عبدُ الكريم ابن منصور ـ باشا مولاي إسماعيل والثائر بودربالة سنة، 1127 / 1715 (*الإعلام*، 8 : 319). وأمر المولى اليزيد بقطع رأس أحد الثوار بساحة جامع الفنا، فلما همّوا بتطبيق الحكم، طلب منهم أن يقتلوه بالرصاص. (*تاريخ الضعيف*، 1 : 391).

وقد حلت ساحة جامع الفنا بذلك محل باب الشريعة من مراكش حيث كانت تضرب الأعناق، وتصلب الأشلاء وتعلق الرؤوس حتى أواخر العصر الموحدي (*الاستقصا*، 3 : 43) وفي العهود القريبة علق بجامع الفنا رأس الجيلالي الروكي ويده أواسط شعبان سنة 1278 / 1861 (*الاستقصا*، 9 : 109). كانت أيضاً مكاناً لرمي القتلى وحرق جثتهم : ففي حديث الضعيف (1 : 418) عما فعله جيش مولاي اليزيد بأهل مراكش قال : (دخل البعض على جامع بريئة فوجدوه مملوءاً بالرجال بأهل مراكش. فأخذوا في قتلهم حتى كانوا يخرجونهم على البغال يرمون القتلى بجامع الفنا.

أوقع مولاي اليزيد بأولاد ابن عمران فأخرج العباس بن عمران من قبره بضريح عبد الله الغزواني وأمر بحرقه بجامع الفنا (*الضعيف*، 1 : 419).

وإلى جانب هذه الوظائف، كانت الساحة معروفة بطابعها الترفيهي، فقد سجل الحسن اليوسي ذلك منذ

ساحة جامع الفنا بمراكش

أواسط القرن الحادي عشر (17 م) خلال زيارته لها في صباه، قال (دخلتُ في أعوام الستين وألف مدينة مراكش عند رحلتي في طلب العلم وأنا إذ ذاك صغير السن، فخرجت يوماً إلى الرحبة، أنظر إلى المداحين فوقفت على رجل مسن، عليه حلقة عظيمة، وإذا هو مشتغل بحكاية الأمور المضحكة للناس (*المحاضرات*، 1 : 202).

واستمرت هذه الوظيفة إلى اليوم : فلا يكاد يخلو كتاب من كتب الرحالين والسياح الأجانب الذين وصفوا مشاهداتهم بمراكش من حديث مفصل عما تزخر به الساحة من أنواع الموسيقى البربرية والگناوية، والفرجة والقصاصين والبهلوانيين ومروّضي الأفاعي.

واشتهر من أعلام الفرجة والضحك بساحة جامع الفنا أبطال كوميديون أمثال : باقشيش العربي، وباقشيش البربري، وبرغوث، وڤليڤلة، والمَلك جَالُوق. ورواة القصص الشعبية والحكايات كسيرة عنترة وسيرة سيف بن ذي يزن. ومن أشهر هؤلاء الرواة شخص اسمه التّمعيشة، وآخر اسمه الكبيري، ومولاي أحمد النّويگة.

ومن شعراء الملحون الذين مروا بها السكوري، وكثير من المغنين والموسيقيين الذين اشتهروا على الصعيد الوطني فيما بعد، كانت بداياتهم من ساحة جامع الفنا.

ومن أشهر حلقات الساحة : هدّاوة أتباع سيدي هدّي، بآلاتهم الصاخبة وألغازهم وحكاياتهم، وجماعة "بن حمامة" المشهورة بطربها الحوزي، وفقهاء الوعظ والإرشاد باللغة العربية أو اللغة الأمازيغية، أو في مشاهد الناس تعلموا الكثير من أمور دينهم هناك.

ومن فرق الألعاب البهلوانية بها : أولاد سيدي احماد وموسى، والمتفننون في ألعاب على الدراجة العادية، وفرقة للملاكمة ...

وممن يجلسون بالساحة أفراد يفسرون الأحلام، ويذكرون الطالع بقراءة الورق (الكارطا) وخط الرمل، أو النظر في البيض.

ومن وظائف الساحة عرض مواد الاستشفاء بواسطة الأعشاب والعقاقير الطبية، يعرضها باعتها طول النهار، ومعظمهم صحراويون. ويغلب على الساحة حالياً الطابع التجاري إذ أصبحت فضاء لبيع أنواع السلع والبضائع، وأصناف من المأكولات والمشروبات. وبذلك تقلصت المساحات المعدة من قبل للفرجة والتنشيط، لحساب العربات وحلقات التجارة، مما جعل المسؤولين عن المدينة يفكرون في إعادة هيكلتها بشكل يحفظ لها طابعها التاريخي والسياحي، دون أن يفقدها مكانتها كمكان للتعامل، باعتبارها مركزاً تصب فيه كل أحياء المدينة القديمة، وقد قدمت أبحاث ودراسات في الموضوع لمتخصصين قصد تهيئ الهيكلة السابقة الذكر (انظر الإشارة إلى استطلاع الرأي المذكور باشراف الدكتور أحمد بلاوي، *أطلس مراكش* 2 : 1994).

م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. م. البوزيدي الشبخي، ط : 1، 1988 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. الدار البيضاء ؛ م. ابن الموقت، *السعادة الأبدية*، ط، حجرية فاسية 1335 ؛ حياة الغراس، *هدة البارود بجامع الفنا على لسان شاهد عيان*، مجلة *أطلس مراكش*، العدد 2 : 1994.

J. et J. Tharaud, *Les Seigneurs de l'Atlas*, Paris, 1918 ; *Jama' Elfna de Marrakech*, *Hespéris*, T. X, 1930 fasc. 1, p. 122 - 123 ; A. Bellaoui, *La place de Jamaâ El fna entre le visiteur et l'usager : premier bilan d'un sondage d'opinion*, *Atlas* (Marrakech), n° 2 / 1994.

حسن جلاب

جامعة الأخوين بإفران. بيّن صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في خطاب وضع حجر الأساس لجامعة الأخوين بإفران يوم 29 غشت 1993 أن "إنشاء جامعة عالمية تكون رأس الرمح العلمي والثقافي والتثقيفي لجميع اللغات وجميع الأجناس وبالأخص اللغة العربية" حلم طالما عانق جلالته. ويبين نفس الخطاب أن المال الموظف في بناء هذه الجامعة بإفران من أصل 50 مليون دولار قدمها الملك فهد بن عبد العزيز لإعانة المغرب على كارثة بيئية كان يتوقعها المغرب بتسرب الزيت من سفينة أجنبية قرب سواحل المغرب الأطلسية. ولما صرف الله تلك الكارثة عن البلاد صُرف المبلغ المذكور بأمر من جلالته لبناء جامعة سماها جامعة الأخوين أي فهد بن عبد العزيز والحسن الثاني.

وفي مذكرة قدمها إلى جلالته مستشاره أندري أزولاي بنفس تاريخ التدشين تحددت لجامعة الأخوين هذه الأسبقيات :

1 ـ الانسجام والإبداع والعقلانية في نظام التسيير ؛

2 ـ التواصل داخل الجامعة ؛

3 ـ التواصل مع الخارج وطنيا ودوليا ؛

4 ـ الانفتاح على المجتمع المدني بمكوناته في ميادين الأعمال والتربية والعلم.

وتبعا لمناقشات مجلس للوزراء بتاريخ 3 غشت 1993، صيغ ظهير بمثابة قانون بإنشاء "جامعة الأخوين بإفران" ومن جملة مقتضياته :

ـ تأسيس جامعة الأخوين بإفران تحت الرئاسة الشرفية لجلالة الملك، وبصفتها مؤسسة غير تجارية للتعليم والبحث العلمي تتمتع بشخصية معنوية واستقلال مالي، مقرها إفران مع إمكانية فتح ملحقات في جهات أخرى.

تعطي الجامعة عناية خاصة للحضارة العربية الإسلامية وتتخذ اللغة الأنجليزية الوسيلة الغالبة في التلقين والتواصل.

ـ وضعت الجامعة تحت المراقبة الإدارية للجنة تتألف من وزير الأوقاف ووزير التربية الوطنية وأمين السر الدائم لأكاديمية المملكة وأمين السر الدائم لأكاديمية الحسن الثاني للعلوم والتكنولوجيا.

- حُددت للجامعة أهدافُ القصدُ منها أن تكون رائدة في مجال التعليم والبحث والتطبيق العلمي ونشر المعارف والموافقة بين محتوى التعليم ومتطلبات النمو.

ينص الظهير المؤسس لجامعة الأخوين على :

- تكوين مجلس لأمناء الجامعة يتكون من ستة وعشرين عضواً على الأقل، يكون له رئيس ونائب وكاتب عام، يجتمع مرتين على الأقل في السنة. .

- قيام النظام الأكاديمي على تعيين رئيس للجامعة ويكون له نائب في الشئون الأكاديمية ونائب في الشئون الطلابية ونائب في التنمية والبحث. ولكل كلية عميد ولكل مركز بحث مدير.

- تحدثت موارد الجامعة على أنها أساسا من :

- مقابل خدمات الجامعة وأنشطتها.

- مداخيل ممتلكات الجامعة.

- رسوم الدراسة والتسجيل.

- منح عمومية وخصوصية وهبات وطنية ودولية.

وقد نص الظهير على مقتضيات تجعل جامعة إفران لا تجري عليها مقتضيات ظهير 1975 المنظم للجامعات المغربية وظهير 1991 المنظم للتعليم الحر وظهير 1960 المنظم لمراقبة الدولة على مالية المؤسسات وظهير 1934 المقنن للهجرة.

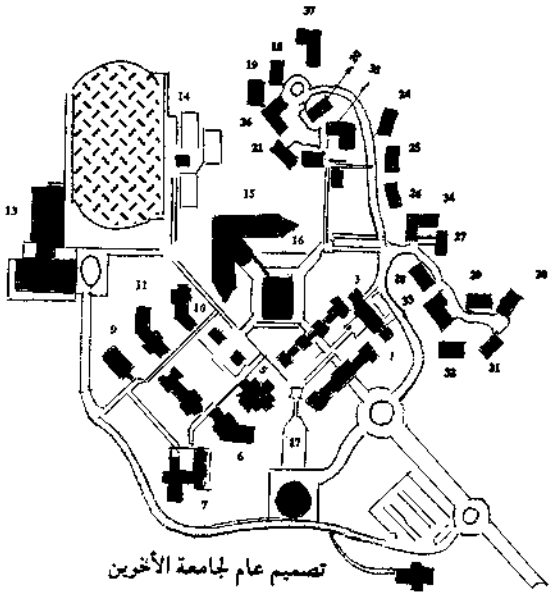

تصميم عام لجامعة الأخوين

1 . إدارة
2 . مأوى الطلاب
3 . مطعم جامعي
4 . تعليم عام
5 . علوم 1 بيولوجيا
6 . علوم 2 كيمياء
7 . هندسة 1
8 . علوم إنسانية
9 . هندسة 2
10 . علوم اجتماعية
11 . تسيير
12 . محلات تقنية
13 . مسبح
14 . مركب رياضي
15 . مكتبة
16 . مسجد
17 . قائمة للوسائل السمعية البصرية
18 إلى 37 . إقامة

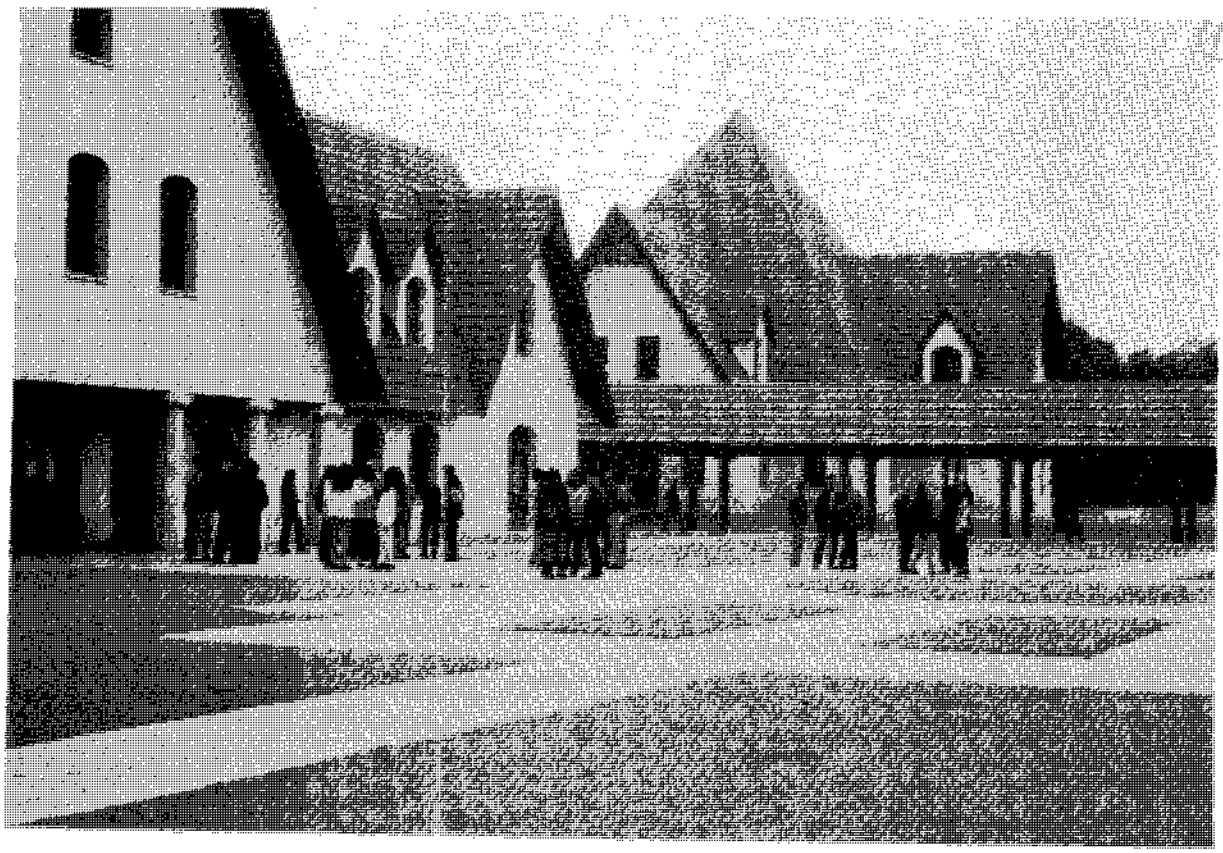

فتحت جامعة الأخوين أبوابها في خريف 1994 بثلاث كليات هي كلية الهندسة وكلية تدبير الأعمال وكلية الإنسانيات.

التحق بها عدد من المدرسين من الجامعات المغربية كمؤطرين وكمعلمين وباحثين، ووظفت عددا من الأطر من الجامعات الأجنبية ولا سيما الأمريكية.

استمرت شركة تربوية تسمى مجموعة تكساس في إعطاء المشورة للجامعة بعد أن شاركت في وضع وثائقها الأساسية وخطتها التوجيهية.

ولجامعة إفران طموح تسعى لتحقيقه في سنواتها الأولى في ميدان ضمان الشغل لكل متخرج منها وفي جلب الاعتراف الأكاديمي الدولي وفي تكوين مكتبة غنية واستقطاب كفايتها من الطلبة تكون نسبة مهمة منهم من الأجانب وفي تحقيق الاستقلال المالي وتحصيل رأس مال يجلب لها الفوائد الضرورية وفي التمكن من سد جزء مناسب من حاجاتها من مداخيل الرسوم، وفي إعطاء البرهان على استحقاق إعطاء الخبرة والخدمات المهنية، وفي الإسهام في تنمية منطقتها، وفي الارتباط بالخبرة الدولية عن طريق تأطير أجنبي بنسبة مهمة، وكل هذا من أجل أن تكون رائدة في ميادين المعلومات والتكنولوجيا والاتصال.

خطاب جلالة الملك بمناسبة تدشين الجامعة : ظهير تأسيس الجامعة: تصريحات بعض مسئولي الجامعة.

الجامعات التعليمية بالمغرب، بلغ عدد الجامعات بالمغرب إلى غاية نهاية الموسم الجامعي 1996 ثلاث عشرة جامعة. أقدم هذه الجامعات جامعة القرويين التي تأسست جامعا بفاس في منتصف القرن الثالث (9 م)، وكان جامعها مكانا لكراسي المستويات المتقدمة من العلوم العربية الإسلامية عبر قرون تاريخ المغرب الإسلامي، وكان لهذا الجامع ما يماثله في هذه المهمة في مدن أخرى أو مراكز بدوية كجامع ابن يوسف بمراكش أو مدارس سوس أو الريف. وقد كان هذا النظام التعليمي الأصيل الذي يمثله جامع القرويين محل عناية أمير المومنين محمد بن يوسف الذي أصدر ظهير إصلاح التعليم به عام 1933، وكان لهذا "النظام" معنى رمزي في الضمير الوطني الذي بدأ يقظته وعمله الطامح إلى التحرير آنذاك. وبعد استقلال المغرب عام 1955 تكاثر الوافدون على القرويين وابن يوسف من مدارس البوداي، وظهر مشكل ذمج هذا التعليم في إطار النهضة الجامعية الجديدة مع المحافظة على طابعه المتميز بالتركيز على تدريس العلوم الشرعية واللغوية ومكملاتها من المعارف، وهكذا تأسست جامعة القرويين بظهير فبراير 1963 لتتكون من كليات أربع وريثة مراكز محلية عريقة هي كلية الشريعة بفاس وكلية أصول الدين بتطوان وكلية اللغة العربية بمراكش وكلها تأسست في نفس سنة 1963، بينما تأسست كلية الشريعة بأيت ملول قرب أكادير عام 1979، بيد أن عمادة جامعة القرويين ظل مقرها بفاس.

والتأسيس الرسمي لجامعة القرويين في حلتها الجديدة سنة 1963 يجعلها ثانية جامعة مغربية، حيث إن جامعة محمد الخامس هي الجامعة المغربية الأولى بعد الاستقلال، تأسست عام 1957 تحت اسم جامعة الرباط وورثت مؤسسات للتعليم العالي كانت من إنشاء نظام الحماية. بدأت جامعة محمد الخامس نشاطها الفعلي في الرباط بثلاث مؤسسات هي كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وصدر ظهير تنظيمها يوم 21 يوليوز 1959، وكلية العلوم وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية. وتعززت هذه المؤسسات بالرباط بمؤسسات جديدة، وكانت لها فروع بالدار البيضاء وفاس والقنيطرة، ثم تكونت من هذه الفروع وما أضيف إليها جامعات جديدة عام 1975 وعام 1989.

قامت جامعة محمد الخامس بدور رائد في التعليم الجامعي بالمغرب بعد الاستقلال، سواء من حيث تكوين الأطر أو من حيث النوعية العلمية والثقافية وتطوير التجربة الجامعية على أيدي النخبة الأولى من أساتذتها. ولقد انقسمت هذه الجامعة ابتداء من العام الجامعي 1992 - 1993 إلى جامعتين : جامعة محمد الخامس بأگدال وجامعة محمد الخامس بالسويسي.

تضم جامعة محمد الخامس بأگدال كلية الآداب والعلوم الإنسانية وكلية العلوم وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بأگدال والمدرسة المحمدية للمهندسين والمدرسة العليا للتكنولوجيا بسلا والمعهد الجامعي للبحث العلمي.

أما جامعة محمد الخامس السويسي فتضم كلية الطب والصيدلة وكلية طب الأسنان وكلية علوم التربية وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالسويسي والمدرسة الوطنية العليا للمعلوميات وتحليل النظم والمعهد الجامعي للبحث العلمي ومعهد الدراسات والأبحاث للتعريب ومعهد الدراسات الإفريقية.

أما جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء فقد تأسست رسمياً عام 1975 من مؤسسات كانت تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط ومن مؤسسات جديدة، وكان لها فرع في المحمدية إلى عام 1989. وفي هذا التاريخ انقسمت جامعة الحسن الثاني إلى فرع عين الشق وفرع المحمدية وهي تضم مؤسسات بالبيضاء وأخرى بالمحمدية.

ومؤسسات فرع عين الشق هي كلية الآداب (عين الشق) وكلية العلوم (عين الشق) وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية وكلية الطب والصيدلة وكلية طب الأسنان والمدرسة العليا للكهرباء والميكانيك والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

أما جامعة الحسن الثاني - المحمدية فمؤسساتها هي كلية الآداب (ابن مسيك) وكلية الآداب (المحمدية) وكلية العلوم (ابن مسيك) وكلية العلوم القانونية والاقتصادية

والاجتماعية (المحمدية) وكلية العلوم والتقنيات (المحمدية).

أما الجامعة العصرية التي تأسست بفاس فقد أحدثت عام 1975 وتحمل اسم واحد من أشهر ملوك الدولة العلوية وهو سيدي محمد بن عبد الله (1721 ـ 1790). وقد ضمت في بدايتها فروعا كانت تابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط ثم توسعت لتشمل كليتين للآداب (ظهر المهراز وسايس) وكلية للعلوم وكلية العلوم والتقنيات وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

وتأسست بمدينة وجدة عام 1978 جامعة كانت نواتها الأولى تابعة لجامعة فاس، وهي تحمل اسم جامعة محمد الأول المتوفى عام 1664، وتضم كلية الآداب وكلية العلوم وكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

أما جامعة مدينة مراكش فتحمل اسم القاضي عياض أحد أعلام المالكية الفقهاء المتوفى عام 544 / 1149. تأسست هذه الجامعة عام 1978 وهي تضم اليوم كلية للآداب بمراكش وكلية للآداب ببني ملال وكلية للعلوم وكلية للعلوم والتقنيات بمراكش وكلية للعلوم والتقنيات ببني ملال والمدرسة العليا للتكنولوجيا بأسفي.

وفي مدينة مكناس تأسست جامعة المولى إسماعيل (1645 ـ 1727). من نواة كانت تابعة لجامعة فاس منذ سنة 1982 وهما كلية الآداب وكلية العلوم، ولما قامت بنفسها عام 1989 صارت هذه الجامعة تضم إلى جانب الكليتين المذكورتين كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والمدرسة العليا للتكنولوجيا وكلية العلوم والتقنيات بالرشيدية.

وتأسست بمدينة تطوان جامعة عبد الملك السعدي (ت 986 / 1578) من نواة أولى كانت تابعة لجامعة فاس منذ سنة 1982، ثم قامت الجامعة بنفسها عام 1989، وهي تضم كلية الآداب وكلية العلوم وهما بتطوان، ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة والمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير وكلية لعلوم والتقنيات، وهذه المؤسسات الثلاث بمدينة طنجة.

وفي مدينة الجديدة تأسست جامعة شعيب الدكالي (1878 ـ 1938) وهو من كبار سلفية المغرب المتأخرين. وكانت كلية الآداب وكلية العلوم تابعتين بهذه المدينة لجامعة الدار البيضاء منذ سنة 1986. وقامت بنفسها هذه الجامعة عام 1989. وتأسست بها كلية العلوم والتقنيات والمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير وكلاهما بمدينة سطات منذ سنة 1991.

وفي مدينة القنيطرة تأسست جامعة ابن طفيل من كليتي الآداب والعلوم، وكانتا تابعتين لجامعة محمد الخامس إلى أن قامت الجامعة المذكورة مستقلة عام 1989.

وفي مدينة أگادير قامت جامعة ابن زهر عام 1986. وتضم كلية الآداب وكلية العلوم والمدرسة الوطنية للتجارة والتسيير والمدرسة العليا للتكنولوجيا.

فمراحل تأسيس الجامعات هي 1959 و1975 و1978 و1989، وتعتبر النصوص التشريعية الصادرة عام 1975 إطار الهيكلة والتسيير، مع تعديلات لبعض جوانبها صدرت في مابعد.

لكل جامعة عميد هو رئيسها يساعده كاتب عام ولكل مؤسسة قيدوم إن كانت كلية أو مدير إن كانت مدرسة أو معهداً. ويساعد رئيس المؤسسة نائب، ولها كاتب عام.

مجلس الجامعة هو مؤسسة التسيير التربوي للجامعة بحكم القانون، يضم رئيس الجامعة (العميد) ورؤساء المؤسسات ونوابهم وممثلي الأساتذة الباحثين وهم منتخبون، ويضم ممثلي الطلبة المنتخبين، وأعضاء معينين يمثلون قطاعات عمومية وخصوصية لها صلة بالإنتاج والصناعة. والهيكلة التربوية داخل المؤسسات الجامعية هي على شكل شعب تخصصات لها رئيس منتخب لسنتين ولها مجلس. كما للمؤسسة مجلس ولجنة علمية.

وقد استجاب توسع الجامعات لتزايد أعداد الطلبة ولتنفيذ سياسة اللامركزية الجامعية. ومعظم الطلبة يتلقون منحا ويستفيدون من المطاعم الجامعية ومن خدمات طبية محدودة، كما أن نسبة منهم تستفيد من السكن الجامعي.

شهدت الجامعات تضخما في أعداد الطلبة في كليات الآداب والحقوق والعلوم التي يلجها كل من شاء بدون مباراة، بخلاف الكليات الأخرى التي تقبل على أساس معدلات عالية في الدراسة الثانوية.

وفي معظم كليات الآداب والحقوق والعلوم أسلاك للدراسات العليا والدكتوراه، وقد صارت تحاول تطبيق معايير الامتياز في التسجيل بهذه الأسلاك للحد من تضخم أعداد لا سبيل إلى تأطيرها بشروط الجودة المطلوبة.

وقد صارت أزمة تشغيل المتخرجين تضغط على الكليات لإعادة النظر في البرامج، ومن نتائج هذا التوجه إنشاء "إجازات مطبقة" وإنشاء جيل من كليات العلوم والتقنيات والمدارس العليا للتكنولوجيا ومدارس التجارة والتسيير. وقد سبطر شعار الإصلاح الجامعي علي الجو في المؤسسات الجامعية وفي الوزارة الوصية عليها وفي العلاقات التربوية والنقابية بين الطرفين، وكان هذا الإصلاح موضوع تحليلات ودراسات ومشاريع ينتظر صدور نصوص تضعها في صياغة معينة، ونقطها الرئيسية تدور حول رواتب الأساتذة الباحثين ونظام الدكتوراة وتفعيل الدواليب الديمقراطية لنصوص 1975 وتحسين المردودية العلمية.

أقل الجامعات من حيث عدد الطلبة هي جامعة ابن طفيل التي بلغ طلابها عام 1994 من الذكور 5879 ومن الإناث 4412. وأكثرها جامعة محمد الخامس أگدال التي بها من الذكور 14383 ومن الإناث 15513 ومجموع طلبة

الجامعات يتعدى 120.000 في العام المذكور بينما يؤطرهم 7566 من المدرسين والباحثين و9776 من الإداريين، وقد بلغت ميزانية التعليم العالي الجامعي 2.673.300.000 درهماً عام 1994، بينما مجموع ميزانية الدولة في نفس العام هو 66.208.300.000 درهماً.

وزارة التعليم العالي، *دليل الجامعات المغربية*، الرباط 1995.

أحمد التوفيق

الجامعات الرياضية بالمغرب، كانت الألعاب الرياضية الشعبية بالمغرب تمارس في فترات المواسم والأعياد والأعراس بالأحياء وفي الساحات العمومية والمداشر والقرى بدون أي تأطير قانوني. ومن أهم الألعاب التي كانت سائدة بالمغرب الفروسية والرماية والقنص والألعاب البهلوانية ولعبة "الشيرة" وكلها رياضات تهمّ سكان البوادي والجبال، أما ساكنة الحواضر فقد كانت تمارس رياضة "مبارزة الغَرْس" وهي لعبة كانت شائعة بين أوساط الدباغين وخاصة في مكناس وفاس ومراكش وسلا والقصر الكبير وتطوان والشاون وتارودانت. وابتداءً من فترة الحماية أخذت الجاليات الأوربية بالمغرب، وخاصة الفرنسيين والإسبان، تمارس أنشطتها الرياضية المتنوعة والغريبة عن أهالي البلاد. مما جعل بعض المغاربة يمارسون هذه الألعاب بين صفوف الفرنسيين ويحتكون بهم، وربما أثار بعضهم إعجاب الأجانب بمهاراتهم ولياقتهم البدنية، فأخذت السلطات الفرنسية تنظم مباريات في رياضات متنوعة يشارك فيها المغاربة، وظهرت بعض العصب الرياضية الحرة التابعة للجامعة الفرنسية لألعاب كرة القدم والريگبي وسباق الدراجات والتنيس والملاكمة والگولف. أما في المنطقة الخليفية فقد عملت السلطات الاسبانية على دمج الفرق المغربية بالشمال داخل البطولة الإسبانية كما كان الشأن بالنسبة "لأتلتيكو تطوان" المغرب التطواني حالياً. وفرق طنجة والعرائش وسبتة ومليلية.

وبعد الاستقلال اتجه نظر المهتمين بشؤون الرياضة إلى إنشاء جامعات رياضية وطنية منضوية تحت لواء الجامعات الرياضية الدولية، وهكذا تم إنشاء أول جامعة رياضية مغربية باسم : الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم. انبثقت عن العصبة الحرة لكرة القدم التي كانت تابعة أيام الحماية للجامعة الفرنسية. وقد تأسست يوم 7 غشت سنة 1955 على إثر الجمع العام الذي انعقد في بورصة الشغل. هذا الجمع العام منح للجنة مؤقتة مهمة وضع روزنامة للمنافسات الرسمية للموسم الرياضي وكذا الدعوة لعقد اجتماع للمجلس الوطني للجامعة، ثم تحرير القوانين العامة والداخلية وتعيين أعضاء اللجن المركزية. كما سهرت هذه اللجنة على تهييء مقابلات تمهيدية إقصائية لمعرفة الفرق التي ستشكل القسم الوطني الأول (16 فريق) والفرق الأخرى التي ستلعب في الأقسام الصغرى. وهكذا تم الإعلان عن انطلاق أول بطولة للمغرب تحت إشراف الجامعة يوم 5 شتنبر 1955، وهذا مادفع بالجامعة إلى تكوين المجلس الوطني مكان اللجنة المؤقتة، هذا المجلس الذي ضم عدداً من الفعاليات والمسؤولين الرياضيين (كالأب جيكو)، وقد صدرت عن المجلس عدد من القرارات منها :

- تكوين اللجن المركزية ؛
- تأسيس العصب الجهوية التي وضعت برنامجا للمنافسات التي تهمها ؛
- تأسيس اللجنة المركزية المهنية ؛

وفي سنة 1960 انخرطت الجامعة المكلية المغربية لكرة القدم بصفة رسمية في الاتحاد الدولي (F.I.F.A) وارتبطت بجامعات أجنبية، وقد حظيت بالرعاية السامية لجلالة المغفور له محمد الخامس وبالرئاسة الفعلية لولي عهده آنذاك الأمير مولاي الحسن.

وخلال الموسم الأول توصلت الجامعة بعدد من الانخراطات وتم توزيع الفرق إلى سبع عصب : سوس، الجنوب، الشاوية، الغرب، الشمال، الشمال الشرقي، الشرق (+ عصبة تادلة)، كما تم خلق عدد من المنافسات : بطولة العصب، بطولة الشبان، بطولة الفتيان، البطولة الوطنية، كأس العرش، كأس محمد الخامس.

الجامعة الملكية المغربية للريگبي. تعتبر رياضة الريگبي من أقدم الرياضيات التي مورست بالمغرب في فترة الحماية حيث تم إنشاء العصبة التابعة للجامعة الفرنسية في سنة 1918. وفي سنة 1956 تأسست الجامعة الملكية المغربية للريگبي، وتعتبر هذه الجامعة من أقدم الجامعات على الصعيد الافريقي والعالم العربي والإسلامي.

تضم الجامعة أحد عشر ناديا، ويبلغ عدد المنخرطين بها حوالي 13.250 لاعب.

الجامعة الملكية المغربية للكرة الحديدية (la longue)، تأسست سنة 1956 ثم توقفت أنشطتها لقلة الممارسين لهذه اللعبة لكن استرجعت مكانتها كجامعة، وتعتبر مدينة الدار البيضاء المجال الوحيد لممارسة هذه اللعبة.

الجامعة الملكية المغربية للكرات الحديدية (la pétanque) وهي تختلف عن السابقة سواء في شروط اللعبة أو في قوانينها. فبينهما تُلعب الأولى في ملعب يتوفر على أبعاد معينَة فإن الكرات الحديدية تلعب في كل المجالات وفي الهواء الطلق، ويعتبر المغرب من أكثر الدول ممارسة لهذه اللعبة وبطل العالم فيها.

الجامعة الملكية المغربية للزوارق الشراعية. تأسست سنة 1956 إلاّ أن نشاط هذه الجامعة مازال يقتصر على الشريط الساحلي الأطلسي : القنيطرة - الرباط - المحمدية.

الجامعة الملكية المغربية لرفع الأثقال. تأسست في أواخر سنة 1956 وعرفت في بدايتها انتعاشا كبيراً، إلا أن الفتور أصابها خلال السبعينات، وبرسم موسم 94 - 95 بلغ عدد

الأندية التابعة لها 155 ناديا فيما بلغ عدد المنتخرطين 7.867 منخرطاً.

الجامعة الملكية المغربية للسباحة. تأسست سنة 1956، وبقي نشاطها محصوراً في المدن التي تتوفر على مسابح كمكناس والدار البيضاء والرباط، ومازالت تفتقر إلى الأطر الكفأه والمسابح المغطاة.

الجامعة الملكية المغربية للجمباز. كانت مدينة الرباط سباقة في إنشاء جامعة الجمباز بمبادرة من آل جوريو والعوفير الذين كانوا يمارسون هذه اللعبة منذ فترة الحماية. ففي سنة 1956 قامت هذه الجامعة بالرباط وبدأت تعرف انتشاراً واسعاً في سائر المدن. وتعتبر مدينة اليوسفية أكثر تعاطيا لرياضة الجمباز في الفترة الأخيرة.

الجامعة الملكية المغربية لكرة السلة. قامت هذه الجامعة خلال سنة 1956 على أنقاض العصبة الحرة التابعة للجامعة الفرنسية على يد الأستاذ بناني سميرس الرئيس الأول لهذه الجامعة.

الجامعة الملكية المغربية لكرة الطاولة. لم تعرف هذه الجامعة نشاطا مكثفا إلا في الفترة المتأخرة رغم أن تاريخ تأسيسها يرجع إلى سنة 1956، وكان نشاطها مقتصراً على بعض الأندية في الرباط والدار البيضاء لكنها سرعان ما تقاطرت عليها انخراطات متعددة من كل أرجاء البلاد، وتعتبر مدينة الخميسات حاليا المدينة الأكثر تعاطيا لهذه اللعبة.

الجامعة الملكية المغربية للگولف. تأسست سنة 1956 كذلك، مع أن هذه الرياضة معروفة بالمغرب منذ سنة 1920، وتعتبر مسالك گولف مدينة طنجة أول ملعب في المغرب، وكان يستهوي كبار رجالات السياسة في العالم آنذاك.

الجامعة الملكية المغربية لألعاب القوى. تأسست سنة 1957، وإنجازات هذه الجامعة أكثر إيجابية حيث انتعشت رياضة العاب القوى وأصبح المغرب حاضراً في كل المحافل الدولية لهذه الرياضة، بل حمل أبطاله غير مامرة أرقاما قياسية لازالت في حوزتهم إلى الآن.

الجامعة الملكية المغربية للتنيس. تأسست سنة 1957 واقتصر نشاطها على ممارسة بعض الأندية التي تضم منخرطين أجانب وبعض المسورين المغاربة، لكن في منتصف الثمانينات عرفت بعض الانفراج وأصبح العديد من الشباب يمارس هذه الرياضة، كما انتشرت في عدد من المدن والمراكز الصغرى.

الجامعة الملكية المغربية للدراجات. تأسست سنة 1957 وكانت من أنشط الجامعات الرياضية إبان الاستقلال، إلا أنها عرفت فتوراً في السنين الأخيرة وتراكمت عليها مشاكل التسيير مما جمد نشاطها حالياً.

الجامعة الملكية المغربية للكرة الطائرة. تأسست كذلك سنة 1957.

الجامعة الملكية المغربيةللمصارعة. تأسست أيضاً سنة 1957.

الجامعة الملكية المغربية للملاكمة. تأسست 1957، وتعتبر رياضة الملاكمة شعبية لدي الشباب، وقد أنجبت هذه الرياضة الكثير من الأبطال الذين تجاوز صيتهم حدود الوطن.

الجامعة الملكية المغربية للمسايفة. وتعتبر الجامعة الوحيدة التي تأسست خلال سنة 1958.

الجامعة الملكية المغربية لكرة اليد. تأسست سنة 1959.

الجامعة الملكية المغربية للجيدو. تأسست سنة 1959.

الجامعة الملكية المغربية للشطرنج. تأسست سنة 1963 وإلى حدود موسم سنة 94.95 بلغ عدد الأندية المنضوية تحتها 67 ناديا بينما بلغ عدد المنخرطين بها 1299 منخرطا.

الجامعة الملكية المغربية للطيران الخفيف والرياضي. تأسست بتاريخ 3 فبراير 1981 وهي جامعة منضوية تحت لواء الجامعة الدولية للرياضيات الجوية (F. A. I) وكذا الاتحاد العربي للقفز بالمظلات وألعاب الهواء (F. A. A) ومن أهم انجازات هذه الجامعة توثيق عرى الصداقة بين مختلف المنظمات الدولية ذات الاهتمام الرياضي وكذا تحقيق إنجاز المشغل الوطني لصيانة الطائرات بمساعدة المكتب الوطني للمطارات ومديرية الطيران والنادي الملكي لتيط مليل بالدار البيضاء.

الجامعة الملكية المغربية للتكواندو. تأسست هذه الجامعة سنة 1981.

الجامعة الملكية المغربية لرياضة الأشخاص المعاقين. كانت دورة لوس أنجلس الأولمبية الحافز الأول لإنشاء جامعات خاصة برياضة المعاقين بدنيا. وقد أقيمت دورة أولمبية لهؤلاء الأشخاص سنة 1984 وهي نفس السنة التي تأسست فيها الجامعة الملكية المغربية للأشخاص المعاقين في مختلف الأنواع الرياضية.

الجامعة الملكية المغربية لقوارب الگياك. تأسست سنة 1989، ويقتصر نشاطها على الفترات الطقسية الملائمة لأنها لاتمارس إلا في الأودية والأنهار ذات الجريان المهم والدائم.

الجامعة الملكية المغربية للفول كونتاك. من الجامعات الحديثة العهد التي تهتم بفنون الحرب، وقد تأسست سنة 1990.

الجامعة الملكية المغربية للرماية بسلاح الصيد. بلغ عدد الأندية المنضوية تحت لواء هذه الجامعة سبعة أندية بينما وصل عدد المنخرطين بها إلى 200 منخرط. وقد تأسست سنة 1994.

الجامعة الملكية المغربية للكراطي. تأسست سنة 1994.

اسم الجامعة	سنة التأسيس
الجامعة الملكية المغربية لألعاب القوى	1957
الجامعة الملكية المغربية للتكواندو	1981
الجامعة الملكية المغربية للتينس	1957
الجامعة الملكية المغربية للجمناز	1956
الجامعة الملكية المغربية للجيدو	1959
الجامعة الملكية المغربية للدراجات	1957
الجامعة الملكية المغربية لرفع الأثقال	1956
الجامعة الملكية المغربية للرماية بسلاح الصيد	1994
الجامعة الملكية المغربية لرياضة الأشخاص المعاقين	1984
الجامعة الملكية المغربية للريكبي	1956
الجامعة الملكية المغربية للزوارق	1956
الجامعة الملكية المغربية للسباحة	1956
الجامعة الملكية المغربية للشطرنج	1963
الجامعة الملكية المغربية للطيران الخفيف والرياضي	1981
الجامعة الملكية المغربية للفول كونتاكت	1990
الجامعة الملكية المغربية لقوارب الكياك	1989
الجامعة الملكية المغربية للكرات الحديدية	1956
الجامعة الملكية المغربية للكراطي	1994
الجامعة الملكية المغربية للكرة الحديدية	1956
الجامعة الملكية المغربية لكرة السلة	1956
الجامعة الملكية المغربية للكرة الطائرة	1957
الجامعة الملكية المغربية لكرة الطاولة	1956
الجامعة الملكية المغربية لكرة القدم	1955
الجامعة الملكية المغربية لكرة اليد	1959
الجامعة الملكية المغربية للگولف	1956
الجامعة الملكية المغربية للمسايفة	1958
الجامعة الملكية المغربية للمصارعة	1957
الجامعة الملكية المغربية للملاكمة	1957

رغم توفر الجهاز الرياضي بالبلاد على العديد من الجامعات في مختلف الأنواع الرياضية إلا أن الاهتمام يبقى منصبا بالأساس على بعض الأنواع الرياضية دون غيرها، فكرة القدم تعدّ الرياضة الأكثر شعبية، تليها ألعاب القوى ثم الملاكمة، وأخيراً الكرات الحديدية، لكن الاهتمام المادي والتقني الذي تحظى به رياضتا الگولف والتنيس يجعلهما في تقدم مستمر وينتظر أن تلقى سائر الأنشطة الرياضية مزيداً من الإقبال والتوسع في السنوات القادمة.

الجامعة الملكية لكرة القدم، *مجلة كرة القدم*، سنة 1988 ؛ وزارة الشبيبة والرياضة، *وثائق مديرية الرياضة* ؛ *وثائق خاصة*.

K. Arsalane, *Le foot-ball marocain*, Casablanca, 1990.

محمد بلعربي وعبد العزيز بل الفايدة

جامعة الدول العربية والمغرب، تعتبر جامعة الدول العربية من أقدم المنظمات الإقليمية، إذ أُنشئت عقب الحرب العالمية الثانية، تعبيراً عن رغبة العرب في تجميع صفوفهم، وتوحيد كلمتهم، وتحقيق آمالهم في الاستقلال والسيادة والوحدة، خاصة وأن الأطماع الاستعمارية كانت قد تنبهت إلى ما تمثله المنطقة العربية من أهمية استراتيجية واقتصادية.

وتشير الدراسات المتعلقة بنشأة "الجامعة" إلى وجود سببين رئيسيين أديا لذلك : أولهما : وجود تيارات وحدوية قومية تسعى إلى توحيد البلدان العربية في إطار قومي واحد. وثانيهما : إيعاز بريطانيا إلى بعض الحكام العرب خلال الحرب العالمية الثانية، بالمبادرة إلى إنشاء كيان ضعيف، يدعى التمهيد للوحدة العربية، في الوقت الذي يعمل فيه على تكريس سيادات الدول الاعضاء، وحفظ مصالحها الضيقة وترسيخ حدودها المصطنعة. عملاً بسياسة "اجمع واحكم". وبغض النظر عن أي السببين أقرب إلى الواقع، فقد تم إنشاء الجامعة العربية قبل منظمة الأمم المتحدة بثلاثة أشهر، وهي المنظمة الاقليمية الوحيدة التي يطغى عليها الطابع القومي، وتجمع أبناء أمة واحدة، وتستخدم دولها نفس اللغة.

بدأت الاتصالات والمشاورات بين الدول العربية المستقلة آنذاك، وهي مصر ولبنان واليمن والأردن والعراق والسعودية وسوريا، قصد إنشاء منظمة إقليمية تجمعهم. وأسفرت هذه المشاورات التي عُرفت باسم مشاورات الوحدة العربية عن إصدار بروتوكول الأسكندرية يوم 7 أكتوبر 1944. وهو يتضمن المبادئ العامة للجامعة. ثم انعقد المؤتمر العربي العام بمدينة القاهرة حضرته الدول السالفة الذكر، التي وقعت على ميثاق جامعة الدول العربية يوم 22 مارس 1945، باستثناء اليمن التي لم توقع عليه إلا يوم 5 ماي 1945 في صنعاء. وقد دخل ميثاق الجامعة حيز التنفيذ يوم 10 ماي 1945.

وفيما يخص أهداف "جامعة الدول العربية"، فقد نصت المادة الثانية من الميثاق على أن "الغرض من الجامعة هو توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية، تحقيقاً للتعاون بينها. وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها". وتهدف الجامعة إلى تحقيق التعاون الوثيق بين دولها في الشؤون التالية :

أ ـ الشؤون الاقتصادية والمالية، ويندرج ضمن ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة.

ب ـ شؤون المواصلات بما في ذلك السكك الحديدية، والطرق والطيران، والملاحة والبرق والبريد.

جـ ـ شؤون الثقافة.

د ـ شؤون الجنسية والجوازات والتأشيرات، وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين.

هـ ـ الشؤون الاجتماعية.

و ـ الشؤون الصحية.

ومن أهداف الجامعة كذلك صيانة استقلال الدول الأعضاء وسيادتها، وحل المنازعات بالطرق الودية. حيث تفرض المادتان الخامسة والسادسة من الميثاق، على الدول الأعضاء ضرورة اللجوء إلى مجلس الجامعة لعرض المنازعات وفض الخلافات القائمة فيما بينها، إما بالتحكيم أو التوفيق وعدم اللجوء إلى القوة لحل تلك المنازعات، رغبة في الحفاظ على السلم والأمن العربيين، وضمان استقرار المنطقة العربية.

كما تهدف الجامعة إلى النظر في مصالح الدول العربية بصفة عامة، وكان المقصود بهذا النظر، رعاية مصالح الدول العربية التي لم تكن قد استقلت بعد وقت انشاء الجامعة. وتتوخى الجامعة أخيراً إقامة علاقات وطيدة مع دول العالم والمنظمات الدولية القائمة أو التي قد تنشأ في المستقبل.

أجهزة الجامعة : ينص ميثاق جامعة الدول العربية على أن أجهزتها تتكون من ثلاث هيئات هي : مجلس الجامعة، اللجان الفنية الدائمة، الأمانة العامة.

1 ـ مجلس الجامعة : هو الهيئة العليا في الجامعة، ويتكون من ممثلي الدول الأعضاء. ويكون لكل منها صوت واحد، وبما أنه لم يتم التنصيص على مستوى التمثيل فللدول إعلان من يمثلها من الوزراء أو السفراء أو غيرهم، والأمين العام هو الذي يتسلم وثائق الاعتماد والتفويض.

ويختص مجلس الجامعة بتحقيق أغراضها، ومراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول الأعضاء فيها من اتفاقات. ودعم التعاون بين الدول العربية، والهيئات الدولية المعنية بحفظ السلم والأمن الدوليين، وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الدول الأعضاء، وفض ما قد ينشأ بينها من منازعات، وتعيين أمين عام الجامعة، والموافقة على ميزانيتها، وتحديد نصيب كل عضو في نفقاتها. ووضع النظام الداخلي للمجلس واللجان الدائمة والأمانة العامة.

كما يختص باتخاذ التدابير اللازمة لدفع العدوان الذي قد يقع على إحدى الدول الأعضاء، والقيام بحفظ الأمن والسلم عن طريق التعاون بين الدول الأعضاء بمختلف صوره.

وينعقد المجلس في دورات عادية خلال فصلي الربيع (شهر مارس) والخريف (شهر أكتوبر) من كل عام. ويمكن أن ينعقد في دورات استثنائية كلما دعت الضرورة إلى ذلك، بناء على طلب دولتين أو أكثر من دول الجامعة، أو بناء على طلب عضو معتدى عليه. ويتولى الأمين العام تحديد موعد الانعقاد الذي يكون بمقر الجامعة أو مكان آخر يعينه المجلس.

وتكون اجتماعات المجلس صحيحة إذا حضرها أغلبية الأعضاء، وتُمَارسُ رئاسة المجلس بالتناوب بين الدول الأعضاء، حسب الترتيب الأبجدي لأسمائها، ويتولى الأمين العام توجيهه الدعوة إلى المجلس للانعقاد، وذلك قبل موعد الانعقاد بشهر على الأقل.

ويأخذ نظام التصويت في المجلس بمبدإ الإجماع حتى يكون القرار ملزماً لجمع الدول الأعضاء، أما ما يقرره المجلس بالأغلبية فيكون ملزماً لمن يقبله. ولا يدخل في حساب الإجماع رأي الدولة المعتدية إذا كان المجلس بصدد اقرار التدابير اللازمة لدفع الاعتداء. أما القرارت التي يصدرها المجلس من إطار التحكيم، وكذلك القرارات الخاصة بالتوسط، فهي تصدر بأغلبية الأراء.

2 ـ اللجان الفنية : تنص المادة الرابعة من الميثاق على أن "تؤلف لكل من الشؤون المبينة في المادة، لجنة خاصة تمثل فيها الدول المشتركة في الجامعة، وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه، وصياغتها في شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيداً لعرضها على الدول المذكورة. ويجوز أن يشترك في اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية الأخرى (المقصود البلاد العربية غير المستقلة آنذاك) ويحدد المجلس الأحوال التي يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين، وقواعد التمثيل".

وقد تم تشكيل اللجان الدائمة وعددها اثنتا عشر لجنة على الوجه التالي : اللجنة السياسية، اللجنة الثقافية الدائمة، اللجنة الدائمة للمواصلات، اللجنة الاجتماعية الدائمة، اللجنة القانونية الدائمة، لجنة خبراء البترول العربي، اللجنة العسكرية الدائمة، اللجنة الدائمة للاعلام العربي، اللجنة الصحية الدائمة، اللجنة الدائمة لحقوق الإنسان، اللجنة الدائمة للشؤون الإدارية المالية، اللجنة الدائمة للأرصاد الجوية.

3 ـ الأمانة العامة : أنْشَأ ميثاق الجامعة، أمانة عامة تتولى تصريف الأمور الإدارية والمالية والسياسية للجامعة، وتشكل الأمانة العامة الجهاز الإداري للجامعة، وهي تتكون من الأمين العام للجامعة والأمناء المساعدين ومجموعة من الموظفين والمستشارين ويتم تعيين الأمين العام بقرار من مجلس الجامعة يتخذ باغلبية ثلثي الأعضاء، وينتخب الأمين العام لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد. ولايمثل الأمين العام الدولة التي ينتمي إليها، ولا يتلقى تعليمات من أية دولة أخرى. وتتمثل مهمة الأمين العام في العمل على تنفيذ الميثاق وقرارات مجلس الجامعة من جهة، والاشراف على أعمال الامانة العامة الفنية والإدارية من جهة ثانية.

دور جامعة الدول العربية في استقلال المملكة المغربية : فُرضت الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912، وأخضعت

البلاد للحكم الفرنسي الغاشم سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وقد كافح الشعب المغربي ضد هذا الاحتلال منذ بدايته، فحمل أبناؤه السلاح في ثورات عارمة ضد جيوش الحكم الاستعماري الفرنسي والإسباني، وكانت أشهر هذه الثورات ثورة عبد الكريم الخطابي بطل حرب الريف. غير أن الاستعماريين تعاونا على إخماد هذه الثورة. كما تمكنا من إخماد ثورات أخرى في مختلف ربوع المملكة، وخلال عقد الثلاثينات من هذا القرن بدأت تتبلور معالم الحركة الوطنية المغربية، التي قادت الكفاح السياسي ضد الاستعمار، وتمكنت من تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944، بدعم وتوجيه من الملك محمد الخامس. غير أن فرنسا واجهت هذا التحرك النضالي بالقمع والإرهاب، فكان من الضروري أن يلجأ مجلس جامعة الدول العربية إلى ممارسة دوره في الدفاع عن القضية الوطنية المغربية، التي أصبحت تعرف في نطاق عمل الجامعة بالقضية المراكشية".

بادر مجلس الجامعة إلى تمثيل المغرب في لجان الجامعة العربية، وبذل الكثير من الجهود والمساعي لتحرير الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي قامت فرنسا بنفيه سنة 1946. وقد تمكنت الجامعة العربية من استقباله سنة 1947 في بورسعيد. وأُسنِدَت إليه رئاسة تحرير لجنة المغرب العربي.

وواصلت الجامعة العربية سعيها لتحرير المغرب، فأصدر مجلسها في دورته الخامسة عشرة، المنعقدة بتاريخ 10 أكتوبر 1951 قراراً يؤكد قراره السابق بشأن قضية المغرب، الذي يقضي باتخاذ إجراءات معينة لمساندة الشعب المغربي في كفاحه ضد الاستعمار ومن هذه الاجراءات :

1 ـ "تقديم مذكرة إلى الحكومة الفرنسية بصيغة موحدة من دول الجامعة العربية كافة، يطلب فيها إلى الحكومة الفرنسية تسوية الأمر في مراكش بما يكفل إزالة الشكوى ويطمئن الرأي العام العربي والإسلامي".

2 ـ "الاتصال ببعض الدول للتوسط لدى الحكومة الفرنسية لحل المسألة المراكشية حلا عادلاً".

3 ـ "إذا لم تكلل هذه المساعي بالنجاح تعرض القضية المراكشية على الأمم المتحدة في دورتها السادسة عشرة".

كما قرر المجلس بأن تتقدم دول الجامعة العربية الأعضاء في الأمم المتحدة بالطلب القانوني إلى السكرتير العام للأمم المتحدة، بادراج القضية المراكشية في جدول أعمال الأمم المتحدة في دورتها السادسة التي تعقدها يوم 6 نوفمبر 1951. وقد لبت المجموعة الأسيوأفريقية دعوة مجلس الجامعة، فتقدمت بالطلب، وأدرجت المسألة المغربية في الدورة السابعة للأمم المتحدة سنة 1952.

وعندما قامت السلطات الفرنسية الاستعمارية بنفي الملك محمد الخامس لمطالبته باستقلال بلاده، وتعاونه مع الحركة الوطنية في سبيل تحقيق السيادة المغربية، تمت دعوة مجلس الجامعة إلى اجتماع عاجل لتدارس الموقف من شتى نواحيه. وقرر المجلس في جلسته الأولى من الدورة التاسعة عشرة التي عقدت في 7 سبتمبر 1953 بأن جامعة الدول العربية : "تعتبر القضية المراكشية قضية عربية تهدف إلى الحرية والاستقلال. وأن الجامعة العربية تستنكر العدوان على السيادة المراكشية" وأكدت الجامعة على أن ما تقوم به فرنسا في المغرب، مناف لميثاق الأمم المتحدة. وينتهك صراحة المعاهدات الدولية الخاصة بالمغرب، والجامعة العربية حرصاً منها على رعاية الأماني الوطنية للشعب المغربي لا تعترف بتاتاً بالأوضاع غير الشرعية التي تفرضها فرنسا على المغرب.

وعاد مجلس الجامعة العربية إلى بحث القضية المغربية في 27 يناير 1954، ورأى ضرورة دعم الجبهة الوطنية المغربية في نضالها من أجل الاستقلال ورد سلطان البلاد الشرعي إلى عرشه. وقرر المجلس إحداث صندوق تموّله الدول الأعضاء للإنفاق على القضية المغربية.

وظلت الجامعة العربية قائمة بهذه المهمة، باثارتها للمشكلة في المجال الدولي حيث عاودت عرضها على هيئة الأمم المتحدة من جديد، وكانت النتيجة في صالح المغرب عندما أيدت الجمعية العامة للأمم المتحدة الأماني القومية والوطنية للشعب المغربي وطالبت بتسوية مرضية لقضيته. وقد ترافقت هذه المساعي مع الانتفاضة الشعبية المغربية الصارمة المطالبة بالاستقلال، وبعودة الملك الشرعي إلى بلاده وعرشه. ورضخت فرنسا مجبرة بعد فشلها في قمع الانتفاضة المفاوضة الحركة الوطنية، وأعادت السلطان محمد الخامس من منفاه من نوفمبر 1955 ليفاوض بنفسه رئيس الجمهورية الفرنسية حول استقلال المغرب، وشهد المغرب استقلاله سنة 1956 بعد إعادة دمج المنطقة الشمالية التي كانت خاضعة للحماية الإسبانية، وعودة طنجة إلى السيادة المغربية وإلغاء إدارتها الدولية.

وفي شهر يونيو 1956 زار القاهرة وفد رفيع المستوى من المغرب برئاسة ولي العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن (صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني اليوم). فقابل الأمين العام لجامعة الدول العربية، وأعرب له عن امتنان المغرب للجامعة واعترافها بجهودها في دعم مساعيه من أجل تحقيق استقلاله. وقد كانت مهام بناء الدولة الجديدة، وإقامة الإدارة المغربية على أنقاض الإدارة الاستعمارية، سبباً في تأخير انضمام المغرب إلى الجامعة العربية زهاء سنتين من الزمن حيث انضم المغرب إلى الجامعة يوم فاتح أكتوبر 1958.

دور المغرب في العمل العربي المشترك ومؤتمرات القمة العربية : أبدى المغرب منذ انضمامه إلى جامعة الدول العربية استعداد نشيطاً في دعم العمل العربي المشترك، وكان من الدول السباقة إلى المطالبة بتعديل ميثاق الجامعة، فقد أشار الملك محمد الخامس في خطابه الافتتاحي للدورة الثانية والثلاثين لمجلس الجامعة في الدار

البيضاء، بتاريخ أول سبتمر 1959، إلى أن "الوقت قد حان للسعي في جعل الجامعة العربية متلائمة مع مقتضيات الوقت، ومشاكل الساعة الراهنة، نظراً لتغير الآفاق الدولية واستقلال الكثير من الأقطار العربية بالإضافة إلى التطورات الجوهرية في العالم". وكان هدف المغرب من هذه الدعوة دعم التضامن العربي، ووضع حد للحرب الباردة العربية التي كانت تخيم على العالم العربي خلال عقدي الخمسينات والستينات. وقد واصل المغرب اهتمامه بمسألة تعديل الميثاق بعد ذلك، فأصبح مندوبه الدائم في الجامعة رئيساً للجنة تعديل الميثاق هذه اللجنة التي استفرت أشغالها عن تهييئ ميثاق جديد لجامعة الدول العربية، وقد وضع الميثاق الجديد على جدول أعمال القمة الثانية عشرة في فاس (نوفمبر 1981)، ولازال ينتظر موافقة الدول العربية عليه منذ ذلك التاريخ.

وعندما بدأت جامعة الدول العربية تدعو إلى عقد مؤتمرات قمة دورية، ابتداء من مؤتمر القاهرة الأول سنة 1964، حرص المغرب على حضور جميع هذه المؤتمرات، والاسهام في أشغالها بفاعلية وكفاءة على أعلى المستويات. وقد مكنه من لعب هذا الدور، الخط المعتدل لسياسته الخارجية، واحجامه عن الانخراط في صراعات ومحاور الأنظمة العربية. وقد بلغ عدد مؤتمرات القمة الدورية من يناير 1964 إلى غاية نوفمبر 1982، اثنى عشر مؤتمراً للقمة، احتضن المغرب ثلثها. أي أربع مؤتمرات للقمة هي : مؤتمر القمة العربي الثالث بالدار البيضاء في سبتمبر 1965 الذي خصص لدعم منظمة التحرير الفلسطينية وتوقيع ميثاق التضامن العربي. ومؤتمر القمة العربي الخامس بالرباط في يناير 1969 الذي كان يهدف إلى تقديم الدعم المادي لدول المواجهة، ومؤتمر القمة العربي السابع بالرباط في أكتوبر 1974، الذي خصص لبحث تمثيل الشعب الفلسطيني والاعتراف بمنظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، بعد تنازل الاردن عن تمثيله. وأخيراً مؤتمر القمة الثاني عشر في مدينة فاس في نوفمبر 1981، والذي خصص لبحث الأزمة اللبنانية ومبادرة السلام السعودية. لكن المؤتمر أجل بعد جلسته الأولى ليجتمع مرة ثانية بعد مرور حوالي سنة على دورته الأولى. فكان أول مؤتمر للقمة يعقد على دورتين، وأسفر عن الاتفاق على مبادرة السلام السعودية التي تقدم بها الملك فهد ولي عهد آنذاك. وعن حل الأزمة اللبنانية بالسماح للقوات السورية بالفصل بين الأطراف المتناحرة في لبنان.

وخلال عقد الثمانينات عقدت ست مؤتمرات للقمة تميزت بكونها قمم غير عادية أو استثنائية. أو ما اصطلح عليه بالقمم الطارئة. وقد استطاع المغرب خلال هذه الفترة أن يحتضن اثنين منها هما : مؤتمر قمة الدار البيضاء في شهر غشت 1985 الذي أعلن تضامن الدول العربية مع العراق في حربها ضد إيران، ومؤتمر القمة الاستثنائي بالدار البيضاء في ماي 1989، وهو المؤتمر الذي لعب فيه المغرب دوراً أساسياً في عودة مصر إلى حظيرة الجامعة العربي بعد قطيعة دامت عشر سنوات كاملة، نُقل فيها مقر الجامعة من القاهرة إلى تونس وعلقت خلالها عضوية مصر من الجامعة. كما مهدت هذه القمة الطريق أمام عودة الجامعة العربية إلى مقرها الأول بالقاهرة.

وهكذا طبع المغرب الديبلوماسية العربية بحضوره الفاعل واسهامه النشيط في دعم قضايا العمل العربي المشترك، وحل النزاعات العربية. وتيسير السبل أمام جامعة الدول العربية للقيام بدورها على أحسن وجه.

هارون هاشم رشيد، *ما يجب أن تعرف عن جامعة الدول العربية*، تونس 1980 ؛ أ. الشقيري، *الجامعة العربية، كيف تكون جامعة، وكيف تصبح عربية*، تونس 1979 ؛ ش. مفيد، *جامعة الدول العربية، ميثاقها وانجازاتها*، القاهرة 1978 ؛ م. طلعت الغنيمي، *جامعة الدول العربية، دراسات قانونية سياسية*، الأسكندرية 1974؛ ج. مطر، ع. الدين هلال، *النظام الإقليمي العربي، دراسة في العلاقات السياسية العربية*، الطبعة الثانية، بيروت 1983 ؛ ك. علي، *جامعة الدول العربية والمنازعات الاقليمية العربية*، لنيل د. د. ع في القانون العام كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية ، الرباط 1980 ؛ م. الصوفي، *ديبلوماسية مؤتمرات القمة في العلاقات العربية*، رسالة لنيل د. د. ع القانون العام كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط 1982 ؛ أ. طربين، *انجازات جامعة الدول العربية في دعم الاستقلال السياسي للاقطار العربية*، مارس 1982، ص 350 ـ 365.

Gomaa Ahmed. *The foundation of the League of Arab States : Wartime diplomacy and inter-arab politics, 1941 to 1945* London. 1977 ; H. Kerr Malcolm, *The Arab Cold War : Gamal Abd-Al Nasir and his Rivals, 1958 - 1970.*, London. Third edition 1971.; Olivier Carré, *La Ligue des Etats Arabes*, Revue Française des Sciences Politiques, Vol. XXI. n° 2. Avril 1971, p. 362'; Boutros Boutros Ghali, *La crise de la ligue arabe*, Annuaire français du droit international, vol. 1968, p. 96.

محمد الصوفي

الجامعي، أسرة فاسية عريقة تنتسب إلى قبيلة أولاد جامع المذكورين آنفاً، وأصبحوا ينتسبون هكذا : "الجامعي" بدل "ابن جامع" منذ أن استوطنوا الجهة الشرقية الشمالية لمدينة فاس، وربما كان ذلك في عهد الدولة السعدية. وأصبحت تتكون من عشائر حمود الحجر الشريفة والويدان وسوق الأربعاء وسوق السبت كما ذكر عبد الرحمان بن زيدان في كتابه *العز والصولة* (ج. 1، ص. 152)، وانضمت هذه القبيلة سنة 1849 إلى الجيش المخزني الذي نظمه السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام (1822 ـ 1859) على إثر هزيمة القوات المخزنية في معركة إيسلي ـ غشت 1844 ـ.

وارتقى أفراد من الجامعيين إلى مستوى كاتب ـ وزير ـ خلال حكم السلطان المذكور، والمقصود هو العربي بن

المختار الجامعي، واحتل ابنه محمد نفس المنصب في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873) الذي كانت تربطه علاقة مصاهرة مع آل الجامعي لأن زوجته للا الطام تنتمي لقبيلة أولاد جامع وهي أم السلطان مولاي الحسن (1873 ـ 1894).

ونظراً لهذه القرابة فقد أصدر سيدي محمد بن عبد الرحمان ظهيراً بتاريخ 2 غشت 1866 أسدل به أردية التوقير والاحترام على أصهاره وخاصة منهم محمد بن العربي بن المختار الجامعي، كاتبه ـ أي وزيره ـ في حين أسند له ابنه مولاي الحسن منصب الصدارة العظمى أي أمور المخزن الخارجة عن القصر سنة 1878 بعد وفاة الحاجب الوزير موسى بن أحمد البخاري وتقسيم الأعمال التي كان يزاولها بين ابنه أحمد (احماد) الذي كلف بالحجابة، وبين محمد بن العربي المذكور خال السلطان، وبقي في هذا المنصب إلى سنة 1891، حيث تولى مكانه أخوه المعطي بن العربي (1891 ـ 1894) مدة ثلاثة وثلاثين شهراً إلى نهاية حكم المولى الحسن.

وبلغ نفوذ الجامعيين القمة على عهد السلطانين سيدي محمد بن عبد الرحمان وابنه مولاي الحسن، فسيطروا على مقاليد المخزن ودواليبه، إذ كان منهم الصدر الأعظم أو صدر الوزراء، وهو منصب أحدثه لأول مرة في تاريخ المغرب السلطان مولاي الحسن، كما أسند المعطي بن العربي الجامعي منصب وزارة الحربية لأخيه محمد الصغير، وقرب له العناصر الموالية للأسرة، في حين تم إبعاد كل من حامت حوله الظنون تجاه هذه الأسرة ومناهضتها، مما خلف كرهاً شديداً لها من قبل بعض أعضاء المخزن الحسني، وفي مقدمتهم الحاجب احماد ابن موسى.

ولم يدم جاه أسرة الجامعي طويلاً، فمباشرة بعد وفاة السلطان م. الحسن، بدأ العد التنازلي لسلطتها، ونكب أفرادها في ممتلكاتهم على يد الحاجب المذكور الذي كان له من العز والقوة داخل جيش البخاري، فتمكن من إسقاط الوزراء الجامعيين وأنصارهم، وزج بهم في السجون بعدما اتهمهم بالإيقاع بينه وبين السلطان، وكان ذلك أوائل عهد مولاي عبد العزيز، لما صار أحمد بن موسى صدراً أعظم، وكانت بداية هذه النكبة في مكناس حينما دخل الحاج المعطي الجامعي على السلطان في قصره بهذه المدينة يحمل معه صكوك الأوامر والظهائر السلطانية كما جرت العادة، للتوقيع عليها، فأمره بتقديمها إلى ابنّا احماد ابن موسى، فامتنع عن القيام بهذه المهمة التي اعتبرها إهانة له، فلم يسع السلطان إلا إعطاء تعليماته ـ بإيعاز من حاجبه ـ لقائد المشور إدريس بن العلام البخاري، ليبلغ الصدر الأعظم السابق إعفاءه من وظيفه ولزوم داره صحبة أخيه، لأنهما في نظره طغيا في البلاد وشقا عصا الطاعة، في الأمر الذي وجهه ابن العلام لباشا مكناس حم بن الجيلالي البخاري لإلقاء القبض على أولاد الجامعي المعطي وأخيه محمد الصغير وصهرهما العربي الزبدي ـ الذي كان السلطان قد أرسله سنة 1876 سفيراً لبعض الدول الأوربية لمناقشتها في مشكل الحمايات القنصلية في المغرب ـ واستئصال أموالهم ومخلفاتهم من الأثاث ولكل تركاتهم، وبيعها في العواصم المغربية، فأرسلا مقيدين ـ بأمر من ابا احماد ـ إلى ثغر تطوان ـ فيما أرسل الزبدي إلى سجن أسفي ـ فتوفي المعطي بمعتقله بعد أن قضى فيه 33 شهراً، وبقي محمد الصغير في سجنه إلى أن أطلق سراحه أواخر الدولة العزيزية فنقل إلى طنجة التي عاش بها أحلك أيامه إلى أن توفي بها، وبذلك أفل نجم الأسرة الجامعية ونكب وزراؤها بعدما تحكموا في مقاليد الشؤون المخزنية طيلة النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

ع. ابن زيدان، *العز والصولة في معالم نظم الدولة*، ج. 1، الرباط 1961 ؛ *الوثائق*، 1976، ع. 2، 3.

بوشتى بوعسرية

الجامعي، أحمد بن إدريس الفاسي، كان عدلاً مبرزاً بمحكمة أحواز الدار البيضاء، وتعاطى الإفتاء بها ثم انتقل إلى القضاء بطنجة.

ألف كتاب *زجر الطغاة وقمع البغاة*، ردّ فيه على قاضي أحواز الدار البيضاء أحمد بن العباس التازي الفاسي. طبعته المطبعة الجديدة بفاس عام 1351 في 68 صفحة وبآخره واحد وعشرون تقريظاً لفقهاء العصر.

إ. الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، ص 80.

الجامعي، إدريس بن محمد بن المختار، أمُّه السيدة راضية بنت الحاج المعطي صفيرة الأندلسي، ناظر الأحباس بمدينة فاس، في حدود العقدين الأولين من القرن الثالث عشر (19 م). والمترجم هو أيضاً من أبناء عمومة الوزير الصدر الفقيه محمد بن العربي بن المختار الجامعي وأخويه الوزيرين المعطي بن العربي ومحمد الصغير، وثلاثتهم شغلوا منصب الوزارة على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وخلفه السلطان المولى الحسن.

وقد حلاّه صاحب *زهر الآس في بيوتات فاس*، بوصف "الطالب"، حين تعرض لذكر أسرته (ص. 510). وهذا يعني أن الرجل تعلم على يد بعض مشايخ القرويين، وإن لم يكن قد ارتقى إلى درجة "العالم"... وقد عثر على اسمه في قائمة "الفقهاء" الموزع عليهم خيام جديدة في شهر شوال من سنة 1310 هـ (*العز والصولة*، 1 : 225). وتوحي هذه الإشارة إلى أنه كان من كتاب الحاشية السلطانية وممّن كان مقرّراً أن يُرافقوا السلطان في رحلته المقبلة إلى ناحية تافيلالت، في نفس التاريخ.

وكانت سكناه بسبع لُويَاتْ، من عدوة القرويين بفاس، كما كان حيّا في حدود 1340 / 1921 ـ 1922.

م. عبد الكبير بن هاشم الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، ص 510 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 1 : 225.

مصطفى الشابي

الجامعي، بوشتى، وطني مكافح ينتمي إلى قبيلة الجامعيين (أولاد جامع) المجاورة لمدينة فاس. ولد سنة 1323 / 1905 في هذه المدينة، ودرس بها، وانضم في سن مبكرة إلى الخلايا الوطنية الأولى التي أسسها الرعيل الأول للحركة الوطنية من الشباب خريجي جامع القرويين المتشبعين بالفكر السلفي، أو ممن درس في المدارس الفرنسية ومعاهدها في الداخل والخارج. ونظراً لنشاط بوشتى الجامعي المعارض لسياسة فرنسا في المغرب وممارسات حكامها الإقليميين في فاس وفي غيرها من المدن والبوادي ـ فقد تعرض للاعتقال والسجن سنتي 1928 و1929، والنفي من مدينته إلى منطقة الحباينة. وبعد عودته سنة 1930 إلى فاس مسقط رأسه عمل على تكوين تنظيم خلية تضم طلاب القرويين وخريجيها لمقاومة الظهير البربري الصادر يوم 16 ماي من نفس العام، كما كان من بين متزعمي حركة إصلاح التعليم داخل جامع القرويين، وأسفرت هذه الحركة عن صدور ظهير 31 مارس 1933 المتعلق بتنظيم هذا التعليم وإصلاحه بمختلف أسلاكه ـ الابتدائي والثانوي والعالي ـ سواء تعلق الأمر بالمواد المقررة أو سير الدروس والامتحانات.

انضمّ بوشتى الجامعي في بداية الثلاثينات من هذا القرن إلى الخلايا السياسية السرية الأولى التي كان يشرف عليها التنظيم المعروف بالزاوية، وهو ـ التنظيم الذي كان النواة الأولى لنشأة أول حزب سياسي مغربي منظم وعلني ومعترف به، تحت اسم : كتلة العمل الوطني سنة 1934 بقيادة أبناء النخبة الحضرية بأهم المدن المغربية ـ فاس والرباط وسلا ومراكش ومكناس ... ـ وقدمت الكتلة المذكورة *مطالب الشعب المغربي* للمسؤولين وذلك في شهر نونبر سنة 1934.

ولم تمنع التزامات بوشتى الجامعي السياسية من مواصلة اهتماماته التعليمية. سواء في فاس أو في وجدة، ورغم النفي والمتابعة والمراقبة المستمرة لتحركاته، فقد تمكن من إلقاء عدة دروس توجيهية وتعليمية على الطلاب في أماكن متعددة وخاصة في منزل رفيقه وصديقه الهاشمي الفيلالي بفاس.

كما أسس أول نقابة للسائقين، ومدرسة حرة في مدينة القنيطرة سنة 1937، هذه المدينة التي كانت بها الحركة الوطنية متألقة بقيادة نخبة من الرواد الأوائل أمثال محمد الديوري. وخلال هذه السنة بالذات كان الوضع السياسي في المغرب متأزما لدرجة الاصطدام الدموي في بعض المدن بين السكان وقوات الأمن، وفي مقدمة تلك المدن مكناس حيث جرت أحداث بوفكران ـ وأسفرت هذه الحالة عن عدة اعتقالات في صفوف زعماء الحركة الوطنية كعلال الفاسي ومحمد حسن الوزاني وغيرهما، وكان من بين المعتقلين بوشتى الجامعي الذي كان مصيره السجن في كل من سطات والريش وعين مومن وغبيلة، إلا أن سنوات الحبس لم تؤثر في مبادئه إن على المستوى السياسي والتعليمي، فلم يلبث أن واصل نشاطه في الاتجاهين معا، فكان من الموقعين على وثيقة الاستقلال بتاريخ 11 يناير 1944.

توفي بالدار البيضاء يوم تاسع جمادى الثانية عام 1410 / 7 يناير 1990.

بوشتى بوعسرية

الجامعي، العربي بن المختار، كان من جملة كتاب السلطان عبد الرحمان بن هشام، وعند وفاة الوزير الصدر محمد بن إدريس عيّن السلطان محمد بن علي الحاحي النكنافي وزيراً ليشغل هذا المنصب حتى يظهر له من هو جدير به، فعيّن بعد ذلك العربي الجامعي سنة 1264 / 1847. وكان الجامعي قد صاهر بأخته الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمان.

وقد عرفت فترة وزارته بعض المصاعب بالنسبة للسياسة الخارجية للمغرب، ففي سنة 1263 / 1848 كان لكل من إسبانيا وفرنسا مطامع توسعية في مصب نهر ملوية، كما أصبحت بريطانيا من جانبها تضغط على المغرب لإلغاء سياسة الاحتكارات (الكنطردات) التي يستفيد منها التجار المغاربة وتطالب المغرب أيضاً بأن يعمل على تخفيض الرسوم الجمركية على السلع في المرسى. كان الوزير الجامعي يعارض إلغاء سياسة الاحتكارات لأسباب عامة وخاصة منها أنه كان يستفيد منها، وقد قدر قنصل فرنسا مداخيل الجامعي السنوية من تجارة الاحتكار بمائة ألف بسيطة (90 فرنك لكل قنطار من الجلد يخرج من مدينة فاس).

وفي آخر سنة 1270 / 1853 عُزل العربي الجامعي من منصبه، وقد تضاربت الآراء حول أسباب عزله، فابن زيدان

يشير إلى أن عزله كان بطلب من الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمان لأن الوزير صار لا يبالي به، بينما أشالبعض القضايا على السلطان ويذكر أكنسوس مصير الجامعي بعد عزله فيقول : "... ومع ذلك فإن سيدنا ما نقص له من حاله شيئاً ماعدا التأخير عن الحجابة، فلم يزل ملازماً حضرته وبابه وخطته التي هي الكتابة، وقيل إنه أعطى ما تيسر عليه من المال عن غير تكليف ولا إلزام..."

ويمكننا تزكية شهادة أكنسوس حول سبب عزله باعتباره كان معاصراً للأحداث وتربطه في نفس الوقت علاقات مع الوزير، وإذا كان سبب عزله غير واضح فإنه من المؤكد في جميع المصادر أن الجامعي تولى بعد ذلك القيادة العسكرية لقبيلة شراكة التي أبلى فيها البلاء الحسن بإخماد فتنة المولى عبد الرحمان بن سليمان الذي ظهر في صدر دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1276 / 1859 مطالباً بالملك، فحمل الجامعي الناس على الثبات والتمسك بطاعة السلطان.

توفي الجامعي على إثر خمود تلك الفتنة بعد إغماء شديد وذلك سنة 1276 / 1859. وقد أبقى السلطان على أولاده وظيفته وجميع أملاكه وأصوله وبلاده.

م. أكنسوس، *الجيش العرمرم الخماسي*، ج. 1 ؛ م. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 9 ؛ خالد بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر*، المحمدية 1990.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. II.

جامعي، محمد مقاوم ولد سنة 1917 بآيت عمّار من بني خيران، انخرط في صفوف المقاومة السرية بمنطقة وادي زم ضمن فرقة صوت الاتحاد التي كان يرأسها ممدوح محمد، وقد شارك في الأحداث الدامية التي عرفتها مدينة وادي زم يوم 20 غشت 1955 أثناء الانتفاضة الشعبية العارمة التي نظمت تخليداً للذكرى الثانية لنفي ملك البلاد. وقد استمر في النضال إلى فجر الاستقلال وتوفي بمسقط رأسه بتاريخ 14 / 1 / 1995.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.

الجامعي، محمد بن إدريس بن مُحمد بن المختار، من أبناء عمومة الوزير الصدر الفقيه محمد بن العربي الجامعي وأخَويْه الوزيرين المعطي بن العربي الجامعي ومحمد الصغير في عهد السلطان المولى الحسن. وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن هذا الجد هو أحد إخوة السيدة فاطمة بنت المختار الجامعي، والدة السلطان المولى الحسن، أمكننا وضع المُترجَم في المكانة الرفيعة الخاصة به.

وُلد بفاس حوالي عام 1290 وأخذ عن أحمد بن الخياط والفاطمي الشرادي وأضرابهما من الشيوخ، وانخرط بعد ذلك في سلك الكتاب بالدواوين المخزنية، واحتفظ بمنصبه سنوات عديدة. بعد ذلك، أسندت إليه مهام باشوية مدينة تارودانت لمدة عشر سنوات تقريبا، وبقي بها إلى أن عزلته سلطات الحماية من وظيفه سنة نفي محمد الخامس (1372 / 1953).

وقد ذكر ابن سودة في *إتحاف المطالع* جامعياً بنفس الاسم (محمد بن إدريس) ولم ينسب إليه باشوية تارودانت، وإنما ذكر أنه تولى الكتابة بالصدارة العظمى مدة، ثم قضاء زعير والحياينة، وأخيراً رجع إلى فاس وتوفي بها صبيحة تاسع وعشري شعبان عام 1376 / 31 مارس 1957.

ع. ابن زيدان، *العز والصولة*، 2 : 175 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3325.

الجامعي، محمد بن العربي (الصغير)، تمييزاً له عن أخيه الأكبر محمد الكبير، الوزير الصدر في عهد السلطان المولى الحسن.

وقد تمكّن نفوذ الجامعيين في الأوساط المخزنية والحاشية السلطانية بالقرابة التي حظيت بها أسرتهم، حين صارت بنتان من بنات السيد المختار جد المترجم، إحداهما وهي السيدة فاطمة الجامعية زوجاً لولي العهد آنذاك السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، والأخرى وتُدعى السيدة خيرة، زوجا للأمير مولاي عبد السلام بن عبد الرحمان. ومعلوم أنّ السيدة فاطمة هي أم السلطان المولى الحسن وبالتّالي عمة مُترجمنا محمد الصغير. وهكذا، اجتمعت جميع أسباب الحُظوة والتألق في أيدي الأسرة الجامعية، حين اعتلى عرش المغرب السلطان المولى الحسن سنة 1290 / 1873، وبعدها صار هذا النفوذ وهذه الوجاهة شركةً بين عائلتي آل موسى بن احماد بن مبارك، ويمثلون فئة الخُدّام المنحدرين من عبيد البُخاري وآل الجامعيين الذين يُعتَبرون نمُوذج الأسرة المخزنية "الأرستقراطية"، علاوة على انتسابهم إلى فرقة گيش شراگة (W.B. Harris, *Le Maroc disparu*, p. 18).

عند وفاة الفقيه الحاجب موسى بن احماد في محرم عام 1296 / يناير 1878 وبعد الانتهاء مباشرة من مراسيم تشييع الجنازة بمدينة مراكش، عيّن السلطان السيد محمد ابن العربي بن المختار الجامعي في منصب الوزير الصدر وأخاه الأصغر، مُترجمنا، وزيراً للحربية، بينما عُهد إلى ابن الحاجب الراحل، احماد بن موسى (ابّا احماد) بمهام الحجابة.

وقد احتفظ هؤلاء الثلاثة بمناصبهم على عهد السلطان المولى الحسن بأكمله. ونلمس من خلال كتابات الإخباريين المغاربة الذين تحدثوا عن مغرب القرن الماضي، بدءاً من أعمال محمد بن إبراهيم السباعي المراكشي وأحمد بن خالد الناصري السلوي، وانتهاءً بمؤلفات عبد الرحمان ابن زيدان وعبد الكبير بن هاشم الكتاني، بأنّ كفة الجامعيين قد

رَجحَت في هذا العهد، حيث أضحت كلمتهم مسموعة وأوامرهم نافذة. وقد تحدث صاحب *زهر الآس* عن هذا الجانب وقال بأنهم أدركوا "الجاه والكلمة والثروة أيام السلطان الأعظم المولى الحسن ..." ويبدو أنّ الصراع بين الأسرتين كان على أشده، دون أن تطفح على السطح مظاهره، وكان كل من العائلتين يتفانى في النيل من الطرف الآخر والكيد إليه وتشويه سمعته وتصرفاته في أعين السلطان وحاشيته.

كان محمد الصغير الجامعي، بصفته علاقا كبيراً ومن أصهار السلطان المولى الحسن، مُلازماً لهذا الأخير باستمرار يُرافقه في تنقلاته وتطوافه عبر أرجاء البلاد. ولاشك أن الرجل كان معتزاً بنفسه وبهذه القرابة العائلية، ولا يأبه بوجود الحاجب ابًا احماد. ولربّما صدر عن المترجم له ما أغاظ البعض من رجالات المخزن، أو من النخبة العلمية والتجارية، أو عارض مصالحهم. ومهما يكن، فإنّنا نجد أثراً لهذا الانطباع عند صاحب *البُستان الجامع لكل نوع حسن، وفَنّ مُستحسن في عَدِّ بعض مآثر السلطان مولانا الحسن*، حيث يقول : "وكان قُرب نهوضه هذا لمكناسة أيّده الله [السلطان مولاي الحسن الذي كان مقيماً بمدينة فاس في سنة 1303 هـ]، ووجّه ولَدَ خاله كبير العسكر أخا الوزير [الفقيه الصدر محمد بن العربي الجامعي] وهو المُسَمّى محمد الصغير، لجمع العسكر بدُكالة والشاوية، وهو وإن جُعل من كُبراء الجيش، ففيه خفّة عقل وطيش ..." (ص. 120).

وأمّا عبد الكبير بن هاشم الكتّاني، فيقول في هذا الصدد : "وكانت أحواله [مُحمد الصغير] لا تنضبط وعقلاء المخزن تُلاطفُه ظاهراً وتخشى عواقبَه باطنا ..." [*زهر الآس ... ص.* 152].

وقد ازداد الحاجب احماد بن موسى اغتباطاً حين سَمّى السلطان المولى الحسن شقيق مترجمنا، وهو المعطي بن العربي الجامعي، في منصب الوزير الصدر، بعد وفاة الفقيه الوزير بالنّيابة، محمد بن أحمد الصنهاجي الفاسي سنة 1309 / 1891، لأن الحاجب أبًا احماد يقدر أن هذا المتولى الجديد لم يكن أهلاً للمنصب الذي أسند إليه، حيث كان يَرى أنه أحق منه به، ممّا جعل الصراع الخفي بين الفريقين المُتنافسين يستحكم ويشتد (*إتحاف*، ج 1، ص. 373 وما بعدها). بَيْدَ أنه لم يحدث ما يشعر بأن السلطان كان ميّالا لأيّ من الطرفين أو كان يرغب في إنهاء هذا التنافس الذي كان، في واقع الأمر، يضمن التوازن بين أسرتين ممتازتين ومُتميزتين في الأوساط المخزنية. ولَعَلّ هذا لا ينفي العطف السلطاني على الجامعيين وهم أقاربه بالمُصاهرة، وهو أمر طبيعي لايُستبعد أن يكون عاملاً من عوامل تأجيج نار الحزازات بين الجامعيين وبين عائلة ابًا احماد. وقد كان هذا الأخير لايَشُكُّ في أنّ آل الجامعي ذوو حُظوة وسوف يظلون كذلك ما حيي السلطان مولاي الحسن، ولامناص بالتالي، من مُداهنتهم ومسايرة رغباتهم، في حين كان يترقب فيهم الفرصة ويُهيئ الخُطة التي يمكن تنفيذها في الظرف المناسب. وظَلّ ابًا احماد يَعْمل بلا توان من أجل توطيد أركان سلطته في أوساط المخزن ومن أجل تكوين شبكة واسعة من الأبناء والأتباع، لاسيما في أوساط العُمّال وقواد القبائل والأمناء والعلماء ...، في كبريات الحواضر ممّن قد يستند إلى تأييدهم إذا آن الأوان. وكان موت السلطان مولاي الحسن، وهو في طريق رجوعه من حركة تافيلالت، الفرصة السانحة لميل كفّة آل موسى بن احماد على تلك التي لآل الجامعي. فقد كان ابًا احماد حاضراً إلى جانب السلطان حين وفاته بدار ولد زيدوح بتادلا، فتمكّن من زمام المُبادرة واتخذ الإجراءات الأمنية اللازمة لتتمكن المحلة السلطانية من بلوغ المناطق الآمنة، قبل أن يشيع خبر موت السلطان، وسهر من جهة أخرى على تدبير مُبايعة المولى عبد العزيز سلطانا على البلاد وهو دون البلوغ. وقد تمت هذه المُبايعة بالرغم من مُعارضة محمد الصغير وشقيقه المعطي الجامعي ومؤيديهم، وخاصة الأمين العربي الزبدي الرباطي الذي كانت تربطه بالجامعيين علاقة مُصاهرة.

لقد عزم ابًا احماد على تنفيذ خُطته ضد الجامعيين، فوجّه المحلة السلطانية إلى مدينة مكناس، فاضطر الجامعيّان إلى العدول عن الذهاب إلى معقل أسرتهما فاس ومصاحبة الركب السلطاني إلى العاصمة الإسماعيلية مقر الجيش البُخاري واتباع الحاجب وأنصاره، وفي مقدمتهم عامل المدينة الباشا الشهير حم بن الجيلالي البُخاري. وما أن بلغت المحلة إلى مكناس حتى أمر ابًا احماد باعتقال الوزير الصدر المعطي بن العربي الجامعي وأخيه محمد الصغير وزير الحربية، ووراءهما في غياهب سجن تطوان، في حين اعتقل الأمين العربي الزبدي لأنه من حزبهما وتربطه وآل الجامعي علاقة مصاهرة، ووُجّه إلى سجن أسفي. وكان هذا الأخير هُوَ أيضاً مُتّهما بالتآمر ضد السلطان المولى عبد العزيز وموالاة أخيه مولاي مَحمد بن الحسن. وقد صودرت أملاك محمد الصغير ورفيقيه في المحنة وبيعت في الأسواق (*إتحاف*، ج 1، ص. 373 وما بعدها).

وبإزاحة آل الجامعي وأنصارهم عن الحكم، صفا الجو لأبًا احماد ليَستبدَّ بأمور البلاد حتى وفاته سنة 1318 / 1900.

ظل محمد الصغير في السجن أربع عشرة سنة ولم يُفرج عنه إلاّ أواخر العهد العزيزي، بعد أن ذاق أنواع العذاب والحرمان. وأمّا شقيقه المعطي، فقد تُوفيّ في مُعتقله سنة 1315 / 1898، بعد مُضي ثلاثة وثلاثين شهراً من الاعتقال الرهيب. وهذه ارتسامات الصحفي والمخبر الأنجليزي الخطير لويس هاريس الذي كان يزور محمد الصغير، من حين لآخر، بمدينة طنجة :

"لقد أفرج عن رجل مُحطم مادّياً ومعنوياً، فقد كل شيء، حيث صودرت ممتلكاته وبيعت عقاراته. وأمّا أهله، فقد ماتوا حُزناً وآلاماً. لقد خرج من السجن وهو أعمى تقريباً مُدْمَى اليدين والرجلين، بسبب آثار القُيود الحديدية التي كانت تُثقله ولا تبرحه أبداً، صباح مَساءً. قد يكون محمد الصغير ارتكب بعض الأخطاء، وطال ظلمُه وحيفُه أشخاصاً أيّام عزه وصولته، غير أنّ الثمن المُؤدّى كان فادحاً بالمُقارنَة مع هفواته وأخطائه ..." (ص. 21 وما بعدها).

لم يُسمح لمحمد الصغير بالعودة إلى مسقط رأسه فاس للعيش بين أهله وذويه بقية عمره، بل أجبر على العيش بمدينة طنجة، غريباً مُشرداً، يُعاني من ضيق العيش ووَيلات الدهر ونوائبه، إلى أن تُوفي سنة 1325 / 1908، عن غير عقب، وأقبر بضريح الشيخ محمد صالح بنفس المدينة.

م. الكتاني، *زهر الأس*، 152 ؛ م. ع. المشرفي، *مشموم عرار النجد*، ص 284 ؛ السباعي، *البستان الجامع*، ص 120 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 1 : 373.

الجامعي، محمد بن العربي (الكبير) ولد في عقد الخمسينات من القرن الثالث عشر (19 م)، وهو ابن الوزير العربي الجامعي وحفيد الوزير المختار الجامعي، قرأ العلم على يد الفقيه ابن عبد الرحمان والحاج محمد گنون، ثم أصبح كاتباً بالبنيقة الكبرى مدة قليلة ثم ترقى فصار وزيراً للحربية في دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873)، وقد أقره خلفه أيضاً في هذا المنصب، وكانت له منزلة خاصة لدى السلطان المولى الحسن نظراً لصلة القرابة التي تجمعهما، وقد تولى محمد الجامعي منصب وزارة الصدارة عام 1296 / 1878، وذلك عقب وفاة الحاجب الوزير موسى ابن احماد البخاري. وبقي الجامعي يباشر أعماله إلى حدود عام 1303 / 1886 حيث أصيب بداء الشلل. وبالرغم على ذلك احتفظ بالوزارة وكلف محمد ابن أحمد الصنهاجي بالنيابة عنه. ولما طال مرضه نحو الخمس سنين أصبح الصنهاجي وزيراً بدلاً منه.

وقد عُرف محمد الجامعي باهتمامه بأهل العلم والأدب حيث كان يكرمهم ويحسن إليهم، فكان يخصص يوم الجمعة لإكرام العلماء، ويوم الخميس للكتاب. كما قام بتحبيس جنان له يعرف بعرصة ملينة على الحرم النبوي الشريف. توفي سنة 1333 / 1915.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 2، الوثائق، ج. 3 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية*، ج. 2.

الجامعي، المختار بن عبد المالك، من الجامعيين القاطنين في ضواحي مدينة فاس. انخرط المختار الجامعي في الخدمة المخزنية منذ عهد السلطان المولى سليمان (1792. 1822) الذي كلفه ببعض المهمات. إنّ ما تقدمه المصادر من معلومات لاتسمح لنا بمعرفة مستوى تكوينه الثقافي، إلا أنه من المرجح أن يكون ذا مستوى جيد يسمح له بشغل منصب الصدارة الذي أسند له من طرف السلطان عبد الرحمان بن هشام بمراكش سنة 1247 / 1831، وكان ذلك باقتراح من رؤساء جيش الأوداية إثر انتهاء تمردهم على السلطان بالصلح في نفس السنة. وحل المختار الجامعي في الوزارة مكان محمد ابن إدريس الذي عزل منها في التاريخ المذكور.

ظل المختار الجامعي على رأس الوزارة إلى أن توفي بمراكش في فاتح محرم عام 1251 / 29 أبريل 1835.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 9 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ج. 7 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، ج. 1.

الجامعي، المعطي، أخو الوزير محمد بن العربي الجامعي سالف الترجمة. تولى الصدارة بعد وفاة الكاتب محمد بن أحمد الصنهاجي عام 1309 / 1891، وقد عرف بالصرامة والجفاء في تعامله مع العمال والكتاب، كما كانت له منافسة شديدة مع الحاجب احماد بن موسى الذي انتهز فرصة وفاة السلطان المولى الحسن عام 1311 / 1894 فأخذ البيعة للمولى عبد العزيز مع صغر سنه وصار يدبر الأمور بنفسه فعمل على إبعاد الوزير المعطي وأخيه محمد الصغير الجامعي الذي كان وزيراً للحربية وألقي القبض عليهما بواسطة باشا مكناس حمُّ بن الجيلالي البخاري، وتمت مصادرة أملاكهما وبيعت ممتلكاتهما في المدن، وزُجَّ بهما في سجن تطوان، وهناك توفي المعطي الجامعي بعد حوالي ثلاث سنوات من سجنه.

م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، ج. 1.

مصطفى الشابي

الجامعي (دار ـ) بمكناس، توجد هذه الدار محاذية لساحة "الهديم" الشهيرة، تقابل واجهتها الجنوبية باب منصور العلج التي يعود تاريخ بداية تشييده إلى عهد السلطان المولى إسماعيل ابن الشريف. وتتوسط دار الجامعي مجموعة من الأزقة هي : "درب تيربارين" شمالا، و"درب الصباغين" غربا، و "درب الجامعي" شرقا. وتفيد لوحة جبسية حاملة لتاريخ 1299 / 1882 نقشت بقبة الدار أن البناء يعود إلى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) حيث إن تاريخ 1299 هـ قد يكون إما تاريخ الانتهاء من بناء الدار وإما تاريخ تشييد القبة التي تحمله. ومهما يكن من أمر فهذه الإشارة تحدد فترة تصادف عهد

الوزير محمد بن العربي الجامعي الكبير، الذي استوزره السلطان المولى الحسن الأول عند وفاة وزيره موسى بن أحماد سنة 1296 / 1878 ويبدو أن محمد بن العربي الجامعي الكبير الذي سكن هذا القصر إلى أن أصابه مرض اضطر معه إلى مغادرة مكناس والانتقال إلى فاس حيث بنى بها قصراً آخر أصبح جانب منه فيما بعد فندقا مشهوراً.

وبعد وفاة السلطان المولى الحسن واعتلاء ابنه مولاي عبد العزيز عرش البلاد، بدأت كما هو معروف محنة آل الجامعي ونكبتهم على يد الوزير احماد بن موسى "بّاحماد" الذي أمر باستصفاء أموالهم وممتلكاتهم وسجن كبارهم وتتريكهم. وكان يسكن دار الجامعي بمكناس آنذاك الحاج المعطي الجامعي الذي ألقي عليه القبض وأرسل سجينا إلى طنجة حيث بقي إلى وفاته سنة 1322 / 1904 م.

وعند بيع تركة آل الجامعي، آلت دار مكناس إلى الباشا المدني الأگلاوي الذي اشتراها كما يوجد في أحد تقارير مفتش مصالح الفنون والحرف المغربية بمائة ألف فرنك (100.000) إلا أن الأگلاوي لم يسكن على ما يبدو هذه الدار إلى ان اشترتها منه مصالح الحماية الفرنسية سنة 1912 م لتجعل من قسمها الأوسط مستشفى عسكريا أطلق عليه اسم "مستشفى لويس"، ومن جناحها الأيمن محكمة عسكرية قبل ان يصبح هذا الجناح سنة 1916 "مقراً لمصلحة الفنون الجميلة"، ويحتضن الباقي مصالح إدارية مختلفة.

وفي سنة 1920 تقرر وضع مجموع البناية رهن إشارة المفتشية الجهوية للفنون الجميلة التي أحدثت بها النواة الأولى لمتحف إثنوغرافي إلى جانب دار للصناعة التقليدية. وفي نفس السنة تم ترتيب البناية ضمن المآثر العمرانية المحمية بنص ظهير شريف مؤرخ بـ 19 نونبر 1920، وفي سنة 1926 عينت أول إدارة قارة للمحتف الذي أصبح قائم الذات تحت اسم "متحف الفنون الأهلية بمكناس". وفي سنة 1958 انفصلت الصناعة التقليدية عن البناية لتحوي هذه الأخيرة مختلف مرافق المتحف.

ولعل تعاقب المصالح المختلفة السالفة الذكر على دار الجامعي كان له أثر في تغيير جوانب منها، وإحداث تقسيمات أو توسيعات ببعض غرفها وذلك حسب ما تتطلبه حاجات وأغراض كل مصلحة على حدة. لكن إن كان كل هذا قد أثر فعلا على التصميم العام في بعض جزئياته، فإنه لم يُفقد الدار رونقها ولا طابعها المتميز الشاهد على عمارة القرن الماضي تصميما وزخرفة.

تمتد دار الجامعي بمكناس فوق مساحة تعادل 4410 متر2، وكانت في بداية أمرها تضم مرافق متعددة منها ما هو خصوصي (القصر ومكوناته) ومنها ما هو عمومي كبعض الدكاكين وحمام وفرن وفندق ومجزرة ؛ ولم يبق الآن قائما من كل هذا سوى القصر أو ما تبقى منه.

تتوزع مرفق القصر حالياً على ثلاث مجموعات :

- المنزل أو المسكن الرئيسي، ويمتد في النصف الشمالي على مساحة تقدر بـ 816 متر2 ويجمع هذا المسكن عدداً

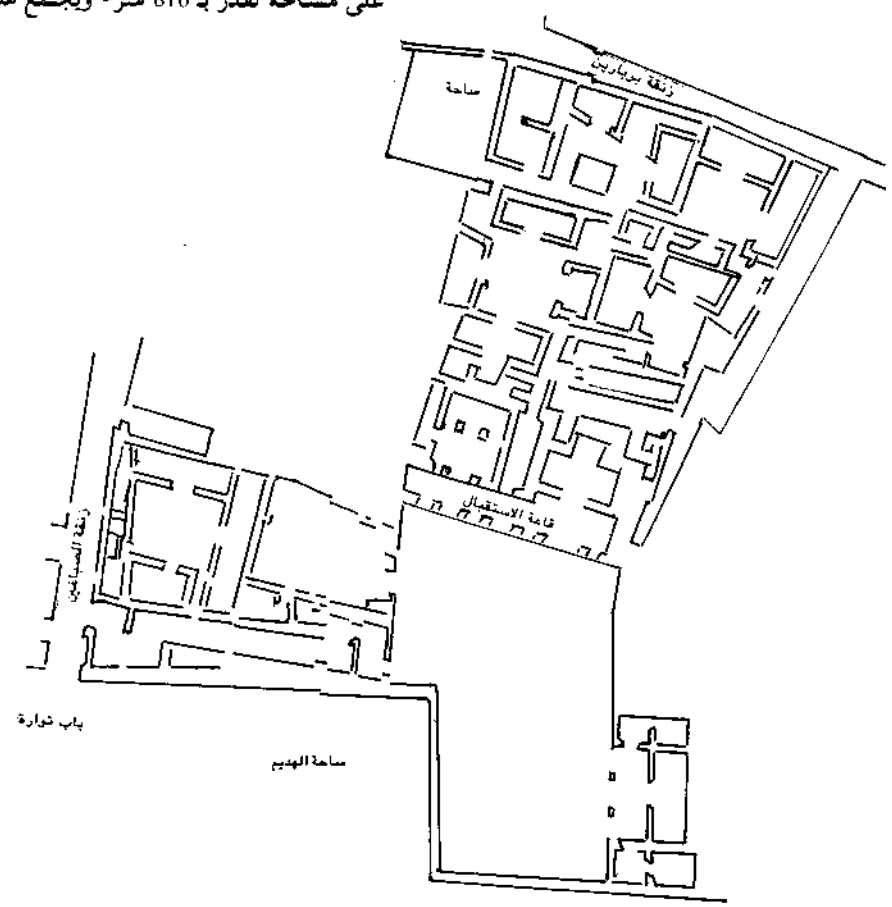

كبيراً من الغرف موزعة على طابقين ارضي وعلوي. أما الطابق الأرضي ففيه 18 غرفة تقوم حول أربعة أفنية أو "وسط الدار" كما تعرف عند العامة، وبه حمام من غرفتين. كما أن فناء آخر يوجد بالزاوية الشمالية الغربية، له باب يفتح مباشرة على "درب تيبربارين" وإليه تستند إلى الشرق غرف الحمام السالف الذكر ؛ أما الطابق العلوي فأهم ما به القبة الفخمة التي كان صاحب الدار يستقبل فيها ضيوفه، وهي قبة مزخرفة بالجبس المنقوش الملون، وبالخشب المخروط والمنقوش والمصبوغ، والزليج المختلف الألوان على الطريقة التقليدية المعروفة.

- الرياض : يحتل النصف الثاني من المساحة إلى الجنوب الشرقي على طول 26 متراً وعرض 24 متراً أي ما يعادل 624 متر2، ويعد هذا الرياض من أكبر الرياضات المعروفة بمكناس، به مختلف النباتات والأزهار، وبه منزه جميل متكئ على الجدار الجنوبي، وإلى الزاوية الشرقية غرفة مستطيلة الشكل (7.90 متر x 2.83 متر) أمامها رواق مفتوح على الرياض بأقواس ثلاثة، كما يحد الغرفة من جانبها الجنوبي غرفتان صغيرتان متداخلتان (5.40 متر x 2.40 متر)، ومن جانبها الشمالي أحد الادرج المؤدية إلى الطابق العلوي.

- المسجد ومرافقه وخاصة المدرسة القرآنية، وتحتل الجانب الجنوبي الغربي فوق مساحة 176 متر2 تقريبا. وقد تغيرت هذه الجهة من الدار تغيراً جدرياً لتصبح قاعة عرض كبيرة مفتوحة أمام معارض مؤقته.

ومن أهم عناصر دار الجامعي المعمارية مدخلها الرئيسي الذي حُول إلى جهة ساحة الهديم سنة 1967 (إذ قبل هذا التاريخ كان مفتوحا على درب الصباغين) حيث فتح بابه على بهو و"أسطوان" طوله 17.30 متر، على طول جدراه الجنوبي مقعد (دكانة) كان يجلس عليه الحراس والبوابون.

الجامعي (قصر -) بفاس بني هذا القصر على مقربة من باب الجيسة (الگيسة أو عجيسة) شمال عدوة القرويين وسط مساحة تقدر بـ 6800 متر2، احتلت البنايات منها 610 متر2 وترك الباقي رياضا مخضرا فسيحا تم تنظيمه على طريقه المدرجات، وهو يطل على مباني المدينة العتيقة. إلا أن تغييرات جذرية دخلت على هذا القصر ومرافقه أضاعت على فاس إحدى منجزاتها العمرانية الفخمة الشاهدة على عمارة القرن الماضي في ثلثه الأخير.

ذلك أن قصر الجامعي الذي يظهر حسب الرواية الشفوية أن بناءه ابتدأ سنة 1297 / 1879 م على يد الوزير محمد بن العربي الجامعي الكبير تحول إلى فندق عصري منذ الثلاثينيات من هذا القرن. فكان من نتيجة التحول أن أُضيفت مبان جديدة هي عبارة عن غرف نوم ولوازمها، ألصقت بالدار الرئيسية التي احتفظت مع ذلك ببعض مكوناتها الأصلية.

تحتل المباني الأصلية لقصر الجامعي التي تعود إلى نهاية القرن الماضي الزاوية الشمالية الغربية من الفندق وتتكون أساسا من قسمين كبيرين يجمع بينهما أسطوان طويل. يمتد القسم الأول شمالا على مساحة 350 م2 ويتكون من ثلاث مستويات :

الطابق الأرضي وكان مخصصا لاستقبال الضيوف وإقامتهم، ويضم ثلاث غرف متوسطة المساحة وقاعة كبرى يغطيها سقف جميل على شكل قبة من خشب الأرز المنحوث والمزين بزخارف مصبوغة بطريقة "الزواق" المعروفة، وطابقان علويان كانا مخصصين لأفراد العائلة ولخدامها، ويتكونان من مجموعة غرف سكنية عادية وأخرى لخزن المؤن والمواد المختلفة.

ويمتد القسم الثاني غرب الأول على مساحة 260 متر2 ويتكون من طابق أرضي وآخر علوي. يتميز الارضي بقاعة كبيرة مغطاة بقبة خشبية، وبغرفتين تنتظمان على جانبي قاعة ثانية مغطاة كذلك بقبة خشبية. أما العلوي فأهم ما يميزه وجود منزه جميل وغرفة وسطح شاسع يطل على مجموع المدينة العتيقة، لكنه اليوم يحمل في جزء كبير منه بنايات مختلفة أقيمت حسب أغراض الفندق.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 165 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 373 ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، 60.

L. Arnaud, *Au temps des Mehallas* ; H. Terrasse, *Villes impériales*, p. 161 ; A. Laroui, *Origines sociales*, p. 86 ; *La Vigie Marocaine*, 24 avril 1927.

عبد العزيز توري

الجامكية، أجرة الجنود أيام الموحدين. وهو تعريب للفظ الفارسي "جامگي" المشتق من "جامه" بمعنى اللباس، ويرى دوزي أن معناه اللغوي هو "مصروفات دولاب الملابس"، وتستعمل الكلمة بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة الشهرية. والجامكية من الكلمات التي انتشرت في سائر البلاد العربية واستعملت بمعان قريبة من المعنى المشار إليه.

لا نجد إشارات إلى هذا المصطلح في المصادر المغربية الوسيطية، باستثناء عبد الواحد المراكشي، فهو الذي أشار إلى الجامكية كاسم للرواتب التي كانت تُعطى لفرقة الغز، وهي فرقة من الجنود الأتراك الذين كانوا في جيش الأيوبيين ثم قادهم القائد قراقوش الغزي في حملته المغربية إلى افريقية قبْل سنة 569 / 1173، وعلى إثر انهزامهم أمام الجيش الموحدي في الحملة التي قادها الخليفة المنصور بنفسه وأدخل بعض فرقهم إلى المغرب منذ سنة 584 / 1188، فانخرطوا في الجيش الموحدي، ثم جاءت دفعة أخرى منهم بعد ذلك، وبذلك، أصبحوا يشكلون فرقة لها أهميتها، خاصة وأنهم كانوا من الجند النظامين، وهذا ما يدل على أن مصطلح جامكية قد دخل المغرب مع هؤلاء. وأصبحت الجامكية تقدم لهم كل شهر (*المعجب*، 289)،

في الوقت الذي كان فيه الأجناد المغاربة يحصلون على "البركة" في أوقات معينة يحددها المراكشي بثلاث مرات في السنة، أي مرة كل أربعة أشهر (*المعجب*، 220)، وأحياناً كل شهر في زمن الحروب (*المن بالإمامة*، 286). ويظهر أن هذا الامتياز الذي حصل عليه الغُز كان بسبب انقطاعهم عن وطنهم، وتعويضا عن الامتيازات التي كانت فئات من الجند المغاربة تحصل عليها إضافة إلى البركة كالإقطاعات والإحسانات وغيرها.

لا توفر لنا المصادر أرقاما محدودة لقيمة الجامكية، ولكن للتقريب فقط يمكن الاستئناس بمبالغ "البركة" التي كان الجند المغاربة يحصلون عليها، فمثلاً أثناء استعداد الخليفة يوسف بن عبد المومن للجواز إلى الأندلس في ربيع الأول سنة 566 / نونبر ـ دجنبر 1170. وزعت البركة على الجنود كالآتي :

- الفارس الكامل : 10 دنانير
- الفارس غير الكامل : 8 دنانير
- الراجل الكامل : 5 دنانير
- الراجل غير الكامل : 3 دنانير

بينما حصل العرب على مبالغ أكبر من ذلك وهي كالآتي :

- الفارس الكامل : 25 ديناراً
- الفارس غير الكامل : 15 ديناراً
- الراجل : 7 دنانير

لاشك أن قيمة الجامكية كانت تتجاوز ما كان الجنود المغاربة يتقاضونه إضافة إلى انتظامها الشهري. ويظهر أن هذا المصطلح قد انقطع من الإدارة العسكرية المغربية فيما بعد العصر الموحدي، رغم أن الغز بقيت منهم فرق في الجيش المريني، وبلغ عددهم في عهد أبي الحسن المريني حوالي 1500 رجل (*مسالك الأبصار*، 100)، ومع ذلك فقد بقيت كلمة الجامْكية (بسكون الميم) مستعملة إلى الآن في اللسان المغربي الدارج ببعض المناطق للدلالة على الذعيرة أو الضريبة الثقيلة.

ع. الواحد المراكشي، *المعجب في تلخيص أخبار المغرب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن صاحب الصلاة، *تاريخ المن بالأمامة*، بيروت، 1964 ؛ العمري، *مسالك الأبصار*، تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988 ؛ م. الاسدي، *التيسير والاعتبار والتحرير والاختبار فيما يجب من حسن التدبير والتصرف والاختيار*، تح. عبد القادر طليمات، القاهرة، 1968 ؛ ع. بن غيث بلادي، *معجم الكلمات الأعجمية والقريبة في التاريخ الإسلامي*، مكة المكرمة، 1990 ؛ أ. السعيد سليمان، *تأصيل ما ورد في الجبرتي من الدخيل*، القاهرة، 1979 ؛ م. أحمد دهمان، *معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي*، دمشق، 1990 ؛ السيد أدي شير، *معجم الألفاظ الفارسية المعربة*، بيروت، 1980.

R. Dozy, *Supplément aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 1981

محمد المغراوي

الجامور، عمود تتوسطه أربع تفافيح مصنوعة من النحاس، يقل حجمها من الأسفل إلى الأعلى، ويُعتبر أعلى عنصر في مكوّنات الصومعة، إذ تشكل قبة الصومعة قاعدته التي يرتكز عليها، ويعرف عند البنائين بالعَزْري" (J. Gallotti, *Le lanternon du minaret de la Koutobia de Marrakech*, *Hespéris*, Tome III, 1er trim. 1923, p. 37 - 68). ينعت الجامور عند أهل الأندلس أحياناً بالتفاحات (*المن بالإمامة*، ص. 392 ـ 393). وأحياناً بالرمانات، (*البيان المعرب*، ج. 2، ص. 228). ومن أقدم الإشارات إلى اسم الجامور تلك التي وردت في المصادرالمغربية المتداولة، جاءت في *رحلة العبدري* (ص. 92).

والجامور ليس بعنصر جديد في معمار الصومعة بالغرب الإسلامي، لكن الجديد فيه حصل خلال القرن السادس (12 م) وهو أساساً حجم الجامور وقيمته ووظائفه، يتضح ذلك من خلال جامور منارة أشبيلية ـ الخيرالْدا ـ إذ بلغت قيمة الذهب الذي طُليت به تفافيحه سبعة آلاف مثقال بعقوبي كبير. (*المن بالامامة*، 393)، والوُسطى من هذه التفافيح لم تدخل من باب الصومعة إلا بصعوبة (*القرطاس*، ص. 229)، وتم وضعها في مكانها من أعلى الصومعة في إطار احتفال مخزني ترأسه الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (*المن بالإمامة*، 393). فهل كانت للجامور وظيفة داخل الصومعة ؟

الجامور

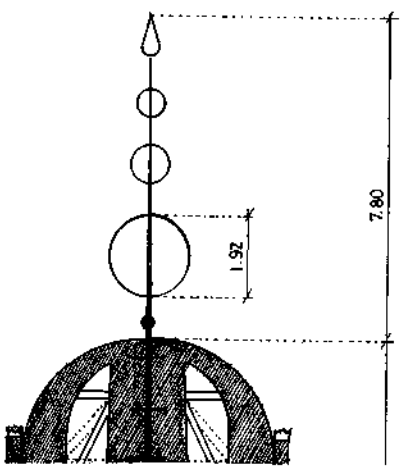

مما لاشك فيه أن الجامور عنصر جمالي على مستوى الشكل واللون والموقع في الصومعة، غير أن هذه الجمالية التي تبقى متفردة طول النهار تجمع إليها دون شك جانباً وظيفياً بالليل. ولعل في تتبع المعنى اللغوي والاصطلاحي للجامور، ومعرفة تركيبه المعدني، وتفاعلاته الفزيائية والكيماوية خاصة مع النار ما من شأنه أن يسهم في فهم هذا الجانب. فهو يطلق على الرأس (*تاج العروس*، 10 : 470) وعلى "شحم النخلة التي في قمة رأسها" (نفس

المصدر، ص. 465)، ويقال : "أجمرت الليلة، أي استمر فيها الهلال" (*الوسيط*، ج. 1 : 133).

يمكن اعتبار القاسم المشترك بين هذه الدلالات الثلاث هو : العلو، ووضوح الرؤية. فالعلو ثابت باعتبار الجامور يُشكل أعلى عنصر في مكونات الصومعة. أما وضوح رؤيته للناظر فتهم اساسا الليل، ذلك أن الجامور في تركيبه المعدني يتكون من معدن النحاس بصفة خاصة. ومن مميزات هذا المعدن قابليته لامتصاص الحرارة وعكس الضوء، خاصة وأن اللون الأصفر يساعد في تسهيل هذه العملية، علماً بأن جامور كل من صومعة جامع الكتبيين، وجامع المنصور بمراكش كان قد وضع فوقهما طلاء من الذهب (Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Tome 1, p. 192, 240, 241) وهو ما يفيد أن الجامورين معاً قد توفرت لهما أسباب تقوية عملية عكس الضوء والأشعة. ومن المعلوم أن رفع النار فوق أعلى الصوامع بالليل كان العمل به جارياً في المغرب والأندلس، واعتبر من البدع المستحسنة.

فما هي إذاً العلاقة بين النار والجامور ؟ لعل هذه العلاقة تبدو في كون الجامور يضاعف من قوة الضوء الذي يُرفع ليلاً فوق أعلى المنارات، وبذلك يسهم في القيام بعمليات ثلاث هي : التوجيه في المجال، والإعلان عن حلول أوقات الصلوات الليلية، خاصة للبعيد والمسافر، والإخبار والإعلام خاصة في أمور الأمن، بواسطة إشارات ضوئيّة متعارف عليها بين المكلفين بذلك.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. ع. التازي، بيروت، 1987 ؛ ابن عذاري المراكشي، *البيان المغرب*، ج. 2، تح. جورج كولان، وليفي بروفنسال، بيروت ؛ العبدري، *رحلة العبدري*، تح. م. محمد الفاسي، الرباط، 1968 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، *القرطاس*، الرباط، 1973 ؛ الزبيدي، *تاج العروس*، تح. إبراهيم التزتري، ج. 10، الكويت، 1972 ؛ مجمع اللغة العربية، *المعجم الوسيط*، ج. 1، مصر، 1972.

J. Gallotti, *Le lanternon du minaret de la Koutobia de Marrakech*, *Hesp.*, T. II, 1 ère trim. 1923, p. 37 - 68; Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, T. 1, Rabat, 1959.

محمد رابطة الدين

الجاناتي، أو الجناتي، أسرة تنتسب إلى قبيلة جاناتة أو جناتة إحدى القبائل الزناتية التي كانت تستقر بجبال فازاز (الأطلس المتوسط). يذكر ابن خلدون أن النسبة تعود إلى جانا بن يحيى والد زناتة وصيغته هذه هي أصل زناتة.

لما ضعفت دولة الموحدين وتقلص نفوذها في مناطق متعددة من المغرب الأقصى كثرت الفتن وتمردت القبائل على السلطة المركزية، فكانت جاناتة وغيرها من القبائل البربرية والعربية "يقطعون الطرقات ويغيرون على القرى والمجاشر مع الأحيان والأوقات" (*القرطاس*، 288). وفي سنة 620 / 1224 قام الأمير أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المريني بغزو جاناتة وأخضعها لنفوذه، فتحولت بذلك إلى حليف رئيسي ومساند قوي لبني مرين في حربهم ضد الموحدين.

وقد برز في هذه القبيلة بعض الأسر التي ظلت تحمل اسم جاناتة حتى عندما انتقلت إلى فاس لما اتخذها بنو مرين عاصمة لهم. فكان من هذه الأسر من تدرج في تسلق مناصب كبيرة في الدولة، أو اتخذ من العلم والفكر وسيلة أخرى للحظوة الاجتماعية. ومنها أسرة ابن عطّو الجناتي التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الدولة المرينية وحظيت برعاية ملوكها، فتقلب أفرادها في دواليب الحكم وخاصة الوزارة في بداية الدولة المرينية.

ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7 : 14، 350، 351 ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962.

Khanboubi, *Les premiers sultans mérinides*, Paris, 1987, p. 104 - 105.

الجاناتي، أحمد بن عبد الله بن عطو، أحد أفراد أسرة ابن عطو، كان وزيراً للسلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب (710 - 731 / 1311 - 1331).

الجاناتي، إسحاق، أبو إبراهيم، قاضي مدينة تكدا شمال بلاد السودان. ذكر ابن بطوطة أنه في عودته من رحلته إلى بلاد الزنوج سنة 754 / 1354 وصل إلى مدينة تكدا وقد اشتد به المرض بسبب شدة الحر، فقرر النزول بها عند شيخ المغاربة سعيد بن علي الجزولي. ثم بعد ذلك استضافه قاضي المدينة إسحاق الجاناتي. وكانت لهذا القاضي مواقف حسنة مع ابن بطوطة جعلت هذا الأخير يثني عليه ويصفه بالقاضي الفاضل. من ذلك أن الرحالة عندما دخل تكدا رغب في شراء خادم فلم يجدها، فلما علم القاضي الجاناتي بذلك بعث إليه بخادم لبعض أصحابه واشتراها بخمسة وعشرين دينارا ذهبيا. كما يلاحظ من كلام ابن بطوطة أن القاضي الجاناتي كان محبوبا في مدينته محترما موثوقا به عند الخاص والعام من أهلها ومن أهل المناطق المجاورة. فقد حدث، في أيام إقامة ابن بطوطة بالمدينة، أن نشب نزاع بين أميرها ويسمى أزار وأمير آخر يسمى التكركري (ربما التكروري ؟)، فتدخل القاضي الجاناتي وبعض كبار البلد كالشيخ سعيد بن علي الجزولي والخطيب محمد والمدرس أبي حفص لحسم النزاع بين الطرفين، وتم الصلح بين الخصمين.

ابن بطوطة، *تحفة النظار*، بيروت، القاهرة، د. ت.، ص. 453، 454.

الجاناتي، أبو بكر بن عبد الودود، فقيه كبير من حفاظ *المدونة* وأحد القائمين عليها. توفي بعد سنة 700 / 1301.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. م. الاحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، ج. 1 : 220.

الجاناتي، عبد المؤمن بن محمد بن موسى، أبو محمد، ذكر الونشريسي وابن القاضي وغيرهما أنه وُلد في حدود سنة 675 / 1277. أما أحمد بابَ التنبكتي فقد أشار إلى أن مولده كان سنة 695 / 1296، ويؤكد هذا الفارق الكبير بين التاريخين المقدر بعشرين سنة على وجود خطإ مّا، مما يجعلنا نعتقد بصحة الرقم الأول وبأن الرقم الأخير هفوة من الناسخ الذي لم يتبين الفرق بين كتابة رقم سبعة وتسعة وهو خطأ شائع بين نساخ المخطوطات.

عبد المؤمن هذا أحد فقهاء مدينة فاس وأعلامها المشهورين بمعرفة مسائل *التهذيب والمدونة*، وقد وصفه ابن مرزوق بالفقيه المفتي، الصالح الزاهد، وأضاف أنه لبس المرقعة. أخذ الفقه وعلومه عن عدد من أبرز فقهاء عصره وعلى رأسهم شيخه النوازلي علي بن عبد الحق الزرويلي الشهير بأبي الحسن الصُّغَير، وجلس مجلسه في الإفتاء بعد وفاته. كما تتلمذ على الجاناتي كثير من الفقهاء المعروفين كخالد بن عيسى البلوي صاحب الرحلة *تاج الفرق في تحلية علماء المشرق*، وقرأ عليه الفقه محمد بن عبد الرحمان بن سعد التميمي التِّسلي الكرْسُوطي، كما كان له اتصال بالإمام القاضي محمد بن محمد المقري التلمساني جد أحمد المقري صاحب *نفح الطيب وأزهار الرياض*.

ومما يروى عن عبد المومن أنه كان يحسن إلقاء مسائل *التهذيب* في طلبته بفاس، إلا أنه كان ضعيفاً في العربية فنسبت إليه حكاية أوردتها جملة من المصادر مفادها أنه قرأ في أحد مجالسه العلمية قول أبي سعيد في التهذيب : "والدجاج والإوز المُخلات وغيرها". فقسم تقسيماً حسناً وتكلم على مسائل المياه كلاماً حسناً وذكر أقوال العلماء والفقهاء في ذلك. فلما انتهى الجاناتي من ذلك وكأنه أعجب بنفسه قال مخاطباً طلبته : انظر هل يقال الدجاج أو الجداد، والجداد أفصح لأنها لغة القرآن، ثم أضاف، قال تعالى : *(ومن الجبال جُدَدٌ بيض، وحمرٌ مختلفٌ ألوانها، وغرابيب سود)* الآية، فضحك كل من حضر المجلس، وكانوا أزيد من أربعمائة طالب، فطارت سقطته في البلاد وعزل بعدها من منصبه.

ومما يحكى عنه أيضاً ما أورده ابن مرزوق في مسنده خلال حديثه عن مناقب السلطان المريني أبي الحسن وتحمله لما يصدر عن بعض الفقهاء والصلحاء من إغلاظ القول وشديد العبارة وحمله ذلك منهم على أجمل المذاهب وأحسن المقاصد، حيث ذكر أن السلطان في بعض مجالسه بقصبة فاس قال للحاضرين من فقهاء وأعلام المدينة : "تعلمون أني طُوقت من هذا الأمر عظيماً وتحملت منه صعباً، وحق عليكم أن تشاركوني". وكان كلامه موجها إلى الشيخ أبي محمد عبد العزيز القوري الجالس على يمينه، وبعد أن اشتدت وتيرة الحديث الذي كان موضوعه يدور حول تجاوزات بعض القضاة والفقهاء الذين يتولون قبض الزكوات، وتأكيد الحاضرين على مسؤولية السلطان في ذلك، غضب هذا الأخير وانسحب من المجلس، فتبعه الشيخ أبو محمد عبد المؤمن الجاناتي ليطلب منه المغفرة والاعتذار له قائلاً : "إلى أين ياسلطان تقوم عنا غاضباً، من ذا الذي يحمل جهلنا إن لم تحمله، ومن ذا الذي يستر عوارنا إن لم تستره ؟" (*المسند*، 160)، وتدل هذه الجرأة والشجاعة من الجاناتي على حسن منزلته عند أبي الحسن، إذ كان يقربه إليه ويجلسه بجانبه ويستدل بمحافظته على خصال الفطرة واستعماله النظافة سلوكا له على الرغم مما قيل عنه من إشاره الزهد ولبس المرقعة والثياب الخشنة (*المسند*، 280).

توفي عبد المؤمن الجاناتي سنة 746 الموافق لعام 1346م.

م. ابن مرزوق، *المسند*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، تح. ع. عنان، القاهرة، 1975، ج 3، ص. 131 ؛ ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962 ؛ ص. 18، 21، 24 ؛ أ. الونشريسي، *وفيات*، الرباط، 1976، ص. 115 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص 186، 147، 448 ؛ *درة الحجال*، 3 : 172، 173 ؛ أ. بَابَ التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351 هـ، ص 179 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، ج 5، ص 137 م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 305 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 220.

الجاناتي، عمران بن موسى المكناسي، يكنى أبا موسى، فقيه حافظ وشيخ من شيوخ مكناسة الزيتون. تتلمذ على بعض كبار علماء المغرب في عصره كالإمام الحافظ موسى العبدوسي الذي يعتبر عمدته في *المدونة*. وأخذ عن الجاناتي علومَ الفقه وغيرها جملةٌ من الفقهاء من أمثال الشيخ ابن غازي والفقيه محمد بن قاسم القوري والفقيه أحمد بن سعيد القيجميسي.

اشتهر أبو موسى الجاناتي بتقييده البديع الذي وضعه على *المدونة* في عشرة أسفار، وقف على بعضه ابن غازي وأشار إلى أنه يوجد بجامع الأندلس بفاس. كما ذكر التنبكتي على لسان الفقيه القوري أن لأبي موسى *تقييداً* آخر على *رسالة* ابن أبي زيد القيرواني حيث أكد الونشريسي في معياره أنه رآه واطلع عليه.

توفي أبو موسى الجاناتي سنة 830 / 1426 بمكناسة الزيتون ودفن خارج باب عيسى، وهو صاحب الضريح المجاور من الجهة الشرقية لضريح عبد الرحمان المجذوب.

أ. الونشريسي، *المعيار المعرب*...، بيروت، 1982، ج. 3، 376 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، 1952، ص. 22 ؛ *التعلل*

برسوم الإسناد، تح. م. الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 71 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 498 ؛ *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1970، ج. 3 : 6 - 7، 185 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351، ص. 217، 343 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ج. 1 : 314 ؛ ج. 3 : 595 ؛ ج. 5 : 503 ؛ م. حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 140، 244

الجاناتي محمد، فقيه صوفي زاهد ذكره ابن قنفذ في كتابه *أنس الفقير* كأحد كبار صلحاء المغرب الأقصى. وقد عرف بالعلم والصلاح والزهد والورع والفلاح. وعند زيارة ابن قنفذ لمدن المغرب وبواديه فيما بين عام 759 وعام 776 لقي محمداً الجاناتي بمدينة فاس واتصل به ورافقه في رحلته طوال ثمانية عشر عاماً يزور خلالها الصلحاء ويتنقل بين الأضرحة والأولياء.

كان محمد الجاناتي محبا للقراءة كثير المطالعة لكتب الإمام أبي حامد الغزالي خاصة *إحياء علوم الدين*، متقشفاً في كل شيء، لم يتجاوز في لباسه عباءة من تليس أو جبة من صوف، وكان لا يغطي رأسه إلا في زمن البرد. كما أنه لم يكن يأكل إلا ما يظفر به أو ما يطعمه به الصلحاء.

وحسب ابن قنفذ فإن الجاناتي لم يحدث أن ضحك يوما أو رفع بصره في طريق أو قبل من أحد شيئا من غير العلماء والصلحاء. واشتهر بتفانيه في خدمة الغريب والمريض، فكان بذلك يبره الفقهاء وترمقه العامة وتشير إليه بالولاية والصلاح.

توفي محمد الجاناتي سنة 780 / 1379.

أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965، ص. 76.

الجاناتي، محمد بن **أيوب** بن يكنول اليفسحي، يكنى أبا يحيى، ويضيف الجزنائي أنه من بني سدرا. تقلد عدة مهام دينية في بداية الدولة المرينية. ففي سنة 686 / 1287 عين ناظراً على أحباس القرويين، وفي السنة التالية تولى قضاء مدينة فاس خلفا للقاضي أبي حامد ابن البقال. وفي سنة 689 / 1290 أصدر السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني ظهيرا عين بموجبه الفقيه الجاناتي إماما وخطيبا بجامع القرويين بعد أن عزل كلا من الشيخين الفقيهين عبد الرحمان ابن مسونة عن الخطبة وأحمد ابن أبي زرع عن الإمامة، ولم تتجاوز مدة توليتهما سبعين يوما. هكذا تولى الجاناتي تسيير شؤون جامع القرويين من إمامة وخطبة ونظارة أحباس، إضافة إلى القضاء. وقد ساهم هذا الموقع الديني في ارتباط اسم الجاناتي بالإصلاحات التي أدخلها على الجامع والزيادات التي زيدت فيه خلال مدة تحمله المسؤولية. ومن بين هذه الاصلاحات تشير المصادر إلى أن الفقيه المعدل محمد بن الحباك قام أيام الجاناتي سنة 686 بإصلاح قبة منار جامع القرويين العليا وذلك بأن جعل بدنا من فخار في القبة العليا فيه ماء وجعل على الماء طستا نحاسيا فيه خطوط وأثقاب. والهدف من ذلك خروج الماء من الأثقاب بقدر محدود إلى أن يصل للخطوط، فيتم بهذه العملية معرفة أوقات الليل والنهار في الأيام والليالي الغائمة. لكن تم التخلي عن هذه الطريقة فيما بعد.

وفي سنة 689 هـ عاين الجاناتي ما آلت إليه صومعة جامع القرويين من إهمال وما لحقها من أضرار وتلاشٍ منذ أن بناها الأمير الزناتي أحمد بن أبي بكر سنة 345 / 956 مما جعل الطير يعشش بالأثقاب والفجوات والفتحات المنتشرة بجدرانها، فاستشار السلطان أبا يعقوب يوسف المريني في إصلاح وتبييض ما فسد. فكان له ما أراد وخصص لذلك قسطا هاما من أموال الأحباس وشرع في إصلاح الصومعة وتبييضها بالجبص والجير، كما سمر فيها من الخارج أكثر من ثلاثة قناطير من المسامير الكبيرة بين أحجارها ليثبت التلبيس والبناء. بعد ذلك قام ببناء غرفة تطل على باب الصومعة ليستقر فيها المؤذنون والمؤقتون.

كما نشير إلى مساهمته في إصلاح المجال الفاصل بين باب الحفاة، أحد أكبر أبواب جامع القرويين في الجانب الشمالي، والصحن الذي كان مفروشا بالآجر لاتساعه حيث جدد هذا الفرش بأن وضع الرخام الأبيض والأسود مكان الآجر فجاء آية في الجمال والرونق. إضافة إلى ذلك كان القاضي الجاناتي قد أمر والي فاس محمد الحدودي بإعادة بناء الفندق الكبير الذي بسوق الشماعين بعد أن خُرب وأهمل، وقد كان هذا الفندق من جملة ما أوقفه السلطان المريني يوسف على جامع القرويين.

أما فيما يتعلق بالزيادات فقد ذكرت المصادر أن العنزة التي بجامع القرويين صنعت أيام ولاية الفقيه الجاناتي على الجامع، وأنفق عليها من أموال الأحباس. وقد بدأ العمل في صنع العنزة في أول شهر ذي القعدة من عام سبعة وثمانين وستمائة وانتهى من ذلك وتم تركيبها في موضعها يوم السبت الخامس من شهر ربيع الأول عام تسعة وثمانين وستمائة. ومن المعروف أيضا أن الثريا الكبرى بجامع القرويين التي صنعت في أيام الفقيه الخطيب عبد الله بن محمد ابن المعلم، كانت قناديلها الخمسمائة والعشرون تارة تسرج وتارة لا تسرج كلها في ليالي رمضان إلى أن عمل الفقيه الجاناتي عند توليته أمور هذا الجامع على إسراجها كلها في ليلة القدر من كل رمضان. وسار العمل على هذا النحو بعد ذلك مدة طويلة.

وباستثناء ما أشار إليه ابن أبي زرع من حدوث أزمة في العلاقات بين السلطان المريني يوسف وبعض خدامه أدت سنة 697 / 1298 إلى نكب مشهورين على رأسهم الفقيه المترجم له والشاعر الكبير عبد العزيز الملزوزي

ومحمد الكناني. باستثناء ذلك نلاحظ أن الفقيه الجاناتي ظل يحتفظ بموقعه المتميز لدى ملوك بني مرين. فبالإضافة إلى المهام السابقة عينه السلطان يوسف نائبا عنه في الإشراف على إقامة الاحتفالات في فاس بمناسبة ليلة المولد النبوي، وقد حدث ذلك لأول مرة سنة 691 / 1292 في إطار اهتمام السلطان بتعميم هذه الاحتفالات في جميع أنحاء المغرب بعد أن كانت تنفرد بها مدينة فاس أيام يعقوب، وقبل ذلك سبتة في عهد بني العزفي. ويستفاد من كلام ابن أبي زرع أن هذا التعميم كان بإشارة من الفقيه عبد الله بن أبي القاسم العزفي الذي كان أميرا بسبتة في هذا التاريخ، أي في سنة 691 هـ، والذي تصادف مع وجود السلطان يوسف خارج العاصمة في قلعة صبرة من بلاد ملوية.

لم تقتصر أدوار الجاناتي على هذا الجانب الديني والثقافي فقط بل تجاوزته إلى الجانب السياسي والمساهمة في حل بعض المشاكل. فقد ذكرت المصادر أن السلطان أبا ثابت عامر المريني أوفد الفقيه الجاناتي إلى غرناطة بالأندلس سنة 708 / 1309 للتفاوض مع أميرها ابن الأحمر في شأن التخلي له عن سبتة التي كان قد احتلها منذ سنة 705 / 1306 بعد دعمه للثائرين بها بزعامة عثمان بن أبي العلاء، وفي أثناء ذلك توفي السلطان المريني في حين استمر الفقيه في التفاوض مع صاحب غرناطة إلى أن نجح في عقد الصلح معه وانسحاب الثوار من سبتة واسترجاعها إلى السلطة المرينية.

اختلف المترجمون لمحمد بن أيوب حول تاريخ وفاته. فذكر الجزنائي وابن القاضي في *الجذوة* أنه توفي في سابع ذي القعدة من عام ثلاث وتسعين وستمائة، ثم أشار في *لقط الفرائد* إلى أنه توفي سنة 706 / 1307. وأورد ابن أبي زرع تاريخاً آخر هو 694 مع أنه ذكر الجاناتي في أحداث سنة 697 وسنة 708. كما ذكره ابن خلدون أيضا في أحداث سنة 708. لذلك يبدو من تضارب هذه التواريخ أن وفاة محمد بن أيوب الجاناتي كانت سنة 708 أو بعدها اعتباراً لكونه حضر وفاة السلطان المريني أبي ثابت عامر في نفس السنة.

ابن أبي زرع، *القرطاس*... الرباط، 1973 ص. 57، 65، 67، 71، 76، 375، 383، 385، 392، 409؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 63، 138 ؛ أ. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط، 1991، ص. 50-51، 60، 61، 69، 72، 73، 79 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، ج. 7 : 494-495 ؛ إ. ابن الاحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 21 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1982، 7 : 487 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1974، ص. 54، 61، 69، 72، 548 ؛ م. المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين*، الرباط، 1979، ص. 194 ؛ م. حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 165.

الجاناتي، محمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن أيوب، يكنى أبا يحيى، حفيد السابق، من فقهاء فاس وخطبائها وعدولها. كان له حانوت بسماط شهود فاس يمارس فيها مهنة الشهادة، ويجالسه بها بعض فقهاء وعلماء عصره للمذاكرة والمناقشة. من هؤلاء الشيخ الفقيه العدل محمد بن أحمد بن إبراهيم بن موسى الكومي والشيخ الرئيس ابن الأحمر الذي كان يحضر إلى حانوت الجاناتي ويذاكره في بعض الأمور الفقهية والأدبية ويستفيد من علمه الواسع. كما كان يجالسه أيضا الفقيه العدل أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن بلال الأشعري.

عاش أبو يحيى الجاناتي في آخر القرن الثامن (14 م) معاصراً وصديقاً للأديب إسماعيل بن الأحمر المتوفى سنة 807 / 1405.

إ. ابن الأحمر، *نثير الجمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 434-435.

الجاناتي، محمد بن عبد الله بن عطو، وسقط أحياناً اسم والده عبد الله فدعي محمد ابن عطو، ذكر ابن خلدون أنه كان "من موالي دولتهم ولاء الحلف" (*العبر*، 7 : 439). ويعتبر هذا الموقف السياسي لقبيلة جاناتة عامة ولأسرة ابن عطو خاصة من العوامل الأساسية التي ساعدت محمدا على تسلق مناصب هامة في الدولة المرينية، إذ عُين وزيراً لدى السلطان يعقوب بن عبد الحق، وشارك إلى جانبه في حملاته الجهادية بالأندلس سنة 684 / 1285. وإذا كان ابن الاحمر قد أكد على تولية ابن عطو للوزارة في عهد يعقوب وكذلك في عهد خليفته يوسف فإن مؤرخين آخرين لم يذكروا ذلك؛ بل حتى ابن أبي زرع الذي تعوّد ذكر أسماء موظفي ملوك بني مرين لم يشر إلى اسم ابن عطو ضمن وزراء السلطانين المذكورين. وعلى العكس من ذلك أجمعت المصادر على أن الجاناتي هذا عُين واليا على مراكش وأعمالها في أيام دولة السلطان يوسف بن يعقوب وأنه بقي في منصبه إلى حين ثورته على مخدومه وفراره نحو تلمسان. وحاولت نفس المصادر تقديم تفاصيل هامة عن هذه الأحداث وطبيعة مساهمة الجاناتي في تطوراتها.

ففي سنة 686 / 1287 شهدت منطقة درعة اضطرابات عنيفة تزعمها عرب المعقل مما دفع بالسلطان يوسف إلى تنظيم حملة عسكرية في شهر رمضان لتهدئة الأوضاع وكسر شوكة المتمردين، فانتهى الأمر بقتل وسبي عدد كبير منهم، وعلقت رؤوس القتلى بشرفات أسوار مراكش وفاس وسجلماسة ليكونوا عبرة للمعتبرين. وبعد استقرار بلاد درعة عاد يوسف إلى حضرة مراكش في أواخر شهر شوال من نفس العام وقام بخلع محمد بن علي بن محلى الذي كان أول عامل لبني مرين على المدينة منذ استيلاء يعقوب ابن عبد الحق عليها من يد الموحدين سنة 668 / 1269.

ويعود سبب هذا الخلع إلى ارتياب السلطان في علاقة عامله بالأحداث التي عرفتها درعة، فلم يكتف بعزله بل اعتقله وحبسه إلى أن توفي في شهر صفر من عام 687 / 1288. على إثر ذلك عقد يوسف لوزيره محمد ابن عطو على ولاية مراكش وأعمالها خلفاً لابن محلي وترك معه ولي عهده الأمير أبا عامر عبد الله ثم ارتحل إلى عاصمة ملكه فاس. وفي أواخر شهر شوال من عام 687 / 1288 قام الأمير أبو عامر بالثورة على والده بمراكش بمساعدة وتحريض واليها الجاناتي، الأمر الذي غضب له السلطان ودفعه إلى توجيه حملة بقيادته إلى مراكش فنزل بضواحيها وحاصر المتمردين بها. وأمام هذا الضغط العسكري خرج الأمير والوالي لمدافعة السلطان، وبعد مواجهات عنيفة اضطر الثائران إلى التراجع إلى داخل المدينة وغلقها في وجه يوسف. وعندما انتصف الليل قام الأمير بقتل مشرف المدينة ابن أبي البركات وحمل كل ما يوجد في بيت مالها ثم فر مع شريكه ابن عطو إلى جبل المصامدة. وقد مكث الثائران بين أهل الجبل حوالي ستة أشهر لجأ بعدها إلى تلمسان سنة 688 / 1289 واحتميا بسلطانها أبي سعيد عثمان بن يغمراسن.

إن تسلسل هذه الأحداث وتطورها بدءاً باضطرابات عرب المعقل بدرعة والتمردات التي شهدتها مراكش ومنطقة سوس، وانتهاءً بلجوء أبي عامر والجاناتي إلى تلمسان لتؤكد بدون شك تورط بني عبد الواد في تحريك هذه الأحداث والمساهمة في تدعيمها لزعزعة الاستقرار بالمغرب الأقصى، وهي سياسة لم تكن وليدة هذه الظروف فقط بل ظهرت منذ انهيار الأمبراطورية الموحدية واحتدام الصراع بين الحفصيين والزيانيين (بني عبد الواد) والمرينيين حول وراثة الأمبراطورية الموحدية واستمرت فترات طويلة.

وبما أن يوسف بن يعقوب كان يعي جيدا خلفيات وأبعاد المحاولات الزيانية فقد عمل على حل مشكلة لجوء ابنه وعامله بالأسلوب الدبلماسي، فبعث مبعوثين عنه إلى صاحب تلمسان من أجل عودة الفارين إليه ونجح فعلا في استعادة ولده الأمير أبي عامر، في حين فشلت مساعيه في تليين موقف عثمان بن يغمراسن من قضية تسليم ابن عطو الجاناتي. وقد أشارت المصادر إلى أن أمير تلمسان امتنع عن الاستجابة لمكاتبات السلطان المريني ورفض رفضا قاطعا التخلي عن الجاناتي، بل وتجاوز حدود اللياقة بأن اعتقل الرسول المريني وأمعن في إذلاله، الشيء الذي أثار غضب يوسف ودفعه إلى إعلان الحرب على بني زيان. وقد اعتبر بعض المؤرخين كابن أبي زرع وابن خلدون أن هذه الواقعة كانت سببا مباشرا في توتر العلاقات بين تلمسان وفاس والفتيل الذي أشعل نار الحرب بين الطرفين. في إطار هذا الجو المشحون غادر السلطان يوسف مدينة مراكش في صفر من عام 689 / 1290 بعد أن عين عليها واليا جديدا من بين أولاده هو الأمير أبو عبد الرحمان. وعند وصوله إلى فاس استنفر جنوده وشرع في حملته، وهي الأولى خلال فترة حكمه، صوب عاصمة بني عبد الواد فحاصرها حوالي أربعين يوما ثم ارتحل عنها عائدا إلى فاس دون أن يفلح في تحقيق هدفه المتمثل في الضغط العسكري على عثمان بن يغمراسن لتسليمه محمد ابن عطو الجاناتي. استمر الوضع على هذا الحال من التوتر وتعددت حملات يوسف على تلمسان دون معرفة ما انتهى إليه مصير الجاناتي، ولم تعد المصادر تتحدث عنه أو تشير إلى أخباره بعد سنة 689 / 1290. وقد ذكر ابن الأحمر في *روضة النسرين* (ص. 24) أن عمر بن محمد بن عبد الله ابن عطو تولى الوزارة في عهد السلطان المريني أبي سعيد عثمان بن يعقوب.

ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1972، ص. 342، 378، 379، 386 ؛ ي. ابن خلدون، *بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد*، الجزائر، 1903، 1 : 118، 119 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، ج. 7 : 428، 439، 441، 445 ؛ إ. ابن الاحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 18، 21، 24.

Deverdun, *Marrakech des origines à 1912*, Rabat, 1959, p. 310 ; Kably, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*, Paris, 1986 ; Khanboubi, *Les premiers sultans mérinides*, Paris, 1987, p. 80, 104 - 105.

الجاناتي، محمد بن عبد المؤمن، أحد فقهاء فاس ومفتيها، ينتسب إلى طبقة الفقيه المفتي أبي عمران موسى العبدوسي المتوفى سنة 776 / 1375. نقل عنه الونشريسي في *المعيار* كثيرا من الفتاوى في قضايا ونوازل مختلفة تهم على الخصوص مسائل الطلاق والحيازة والميراث وبعض الطوائف الصوفية المنحرفة كطائفة جزناية شيعة المهدي بن تومرت وطائفة العكاكزة. وقد وصفه الونشريسي بالفقيه والقاضي والمدرس والمفتي والمشاوَر القدوة، وهي أوصاف تؤكد على مكانة الرجل العلمية والفكرية بين شخصيات عصره. كما أشارت بعض المصادر إلى أن الونشريسي لم يكن الوحيد الذي نقل عن الجاناتي بل اعتمده غيره من الفقهاء دون أن يحدد هويتهم.

لم نقف على ترجمة وافية لمحمد بن عبد المومن الجاناتي وهو ما خلص إليه أحمد باب التنبكتي نفسه، الأمر الذي يجعلنا نجهل تماما تاريخ وفاته وإن كان كلام المصادر يفيد بأنه عاش في القرن الثامن (14 م) فتكون وفاته غير بعيدة عن وفاة العبدوسي المذكورة آنفا.

أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت، 1982، الأجزاء 1 و2 و 3 و4 و5 و6 و 10؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 238 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت.، ص. 270.

رشيد السلامي

جاناطيلي، أ. جانتيلي Gianatelli A. Gentele من مواليد مدينة جنوة سنة 1857، عين ترجماناً بمفوضية إيطاليا بتونس، وفيها بلا شك تعلم العربية. وفي أكتوبر

سنة 1878 التحق بطنجة ليكون الترجمان الأول للوزير المفوض ستيفانو سكوڤاصو S. Scovasso وخلفه روميو كانطاغالي R. Cantagalli وحوالي سنة 1912 عين قنصلاً عاماً بالدار البيضاء مكلفاً بجميع المناطق جنوب هاته المدينة.

كان جاناطيلي معروفاً لدى الأوساط الأروبية وتصاهر مع آيون بيرديكاريس Ion Perdicaris اليوناني الأصل، الأمريكي الجنسية الذي استوطن طنجة عقوداً طويلة. وكانت له اتصالات وطيدة مع القصر والحاشية السلطانية ومختلف السلطات، وهو الذي تولى الإشراف على تعليم الطلبة المغاربة اللغة الايطالية بطنجة قبل سفرهم إلى إيطاليا في بعثات طلابية.

كما أن الأمناء، كانوا يعرفونه جيداً، فكان لبقاً ومحنكاً إلى حد أن وصفوه هو ومنصور ملحمة اللبناني الذي كان ترجماناً للمفوضية الألمانية بأنهما كانا "قطعة سم". أما عامل فاس إدريس ابن العلام فقد نعته بكثرة الجدال في رسالة وجهها إلى الحاجب احماد ابن موسى سنة 1314 / 1897 : "لأنه لاتخفاك دسائسه، وأنه إنما يبحث عن السبب الذي يتوصل به إلى كثرة الهرج".

عاش جانتيلي (وهو اسمه) جاناطيلي (وهو نسبهُ) أزيد من ثلاثين سنة بالمغرب تعرف خلالها جيداً على مشاعر المغاربة. وكان في رسائله المكتوبة إلى السلطات المغربية يستلطف بطابعه المستدير : "جنطيلي، لطف الله به".

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج.2 ص. 579 و ج. 4، ص. 1360 ؛ *الوثائق الملكية*.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. IV, p. 98.

مصطفى بوشعراء

لوي جانتي Louis Gentil، فرنسي ولد بالعاصمة الجزائرية سنة 1868، وتابع دراساته العليا بباريس في العلوم الطبيعية وتخصص في علوم الأرض وهيأ أطروحة الدولة عام 1902 بدراسة المنطقة البركانية الممتدة من وهران إلى الحدود المغربية، فنال دكتوراة الدولة في الجيولوجيا. وكان ملما باللغة العربية المنطوقة والمكتوبة، ويحسن اللهجتين الجزائرية والمغربية بما فيها الريفية.

وفي الوقت الذي كانت العلاقات الدولية في أقصى درجة التوتر بسبب النزعة الاستعمارية عامة، وتزاحم الدول الأوربية على أبواب المغرب خاصّة، كان لوي جانتي يمارس التعليم العالي بالسوربون بباريس، وربط علاقات قوية مع أوساط البحث العلمي ومع الحزب الاستعماري الذي أسسه بعض الأساتذة الجامعيين، كان على رأسهم رئيس ما كان يسمى "بلجنة المغرب"، أوجين إيتين Eugène Etienne وصحبه.

أخذ لوي جانتي يتسلل إلى المغرب كما كان يفعل في ريعان شبابه، ويتأجّج رغبة في القيام بعمل مُا لصالح البحث العلمي. وخطط مشروعاً للدخول إلى المغرب. فإذا بالظروف المغربية والدولية تصبح مواتية لمثل هذه المغامرات، إذ أبرمت فرنسا وانكلترا اتفاقاً بتاريخ 8 أبريل سنة 1904، ينصّ على إطلاق يد فرنسا بالمغرب مقابل إطلاق يد انكلترا بمصر، وأمسى هذا الاتفاق ساري المفعول لحينه، كما بات مشفوعاً باتفاق سرّي أبرم بتاريخ 3 أكتوبر 1904 بين فرنسا واسبانيا يحمل وعداً للاعتراف لمدريد ببسط نفوذها على منطقة شمالية من المغرب سيتم تحديدها فيما بعد، عندما ينتهي خبراء البلدين من تحديد مساحتها ومعرفة قبائلها.

وفي هذا الإطار أخذت البعثات العلمية الاستكشافية الأوربية تصل إلى المغرب وتتجوّل في أمن عبر المناطق التي لم تكن القبائل فيها تنازع في سلطة المخزن. أما في غيرها، فإن المخزن لم يكن مسؤولاً عن أموال وحياة الأجانب الذين يتوغلون فيها. من بين هذه البعثات، بعثة يرأسها الماركي ريمون دوسيگونزاك وبمعيته لوي جانتي حظيا بالمساندة المعنوية والمادية من عدة جهات علمية فرنسية ودوائر مسؤولة، قدمت إلى المغرب في أواخر شتنبرسنة 1904، وحدّدت لكل منهما الجهة التي سيتوجّه إليها. وفي هذا السياق اختار لوي جانتي ناحيتي طنجة وتطوان ثم الحوز المجاور لها، ثم غرب الأطلس الكبير وسروة وسوس، ومناطق أخرى سيستكشفها في مناسبة أخرى.

استغرقت الرحلة الأولى للوي جانتي زهاء سبعة أشهر وتنقسم إلى شطرين، شطر خصصه لاستكشاف غرب شمال المملكة، وشطر خصصه لاستكشاف مناطق من جنوبها.

شمل الشطر الأول : أنجرة وإقليم تطوان حتى مشارف الشاون في الذهاب، والحوز في الإياب إلى طنجة. استغرقت هذه الجولة الاستكشافية قرابة أسبوع، قام بها لوي جانتي وهو متنكر في زي مغربي. تميزّت هذه الجولة بدراسة ميدانية شملت الجوانب الطوبوغرافية والجيولوجية والمناخ، ومواقع اليحفوريات الحيوانية مما يتعلق بالبيئة البشرية وغيرها.

الشطر الثاني : ويشمل الجولة الاستكشافية الجنوبية في المناطق التالية : الشياظمة (ناحية الصويرة) : رحل لوي جانتي إلى الصويرة على متن إحدى سفن شركة "پاكي" التي كانت تربط المغرب بفرنسا يوم 11 أكتوبر 1904 فوصل إلى الصويرة بعد أسبوع فوجد هناك استقبالاً وديًا من طرف السلطات المخزنية التي كانت على علم مسبق بقدومه، ثم حصل على مساعدات أساسية مثل الدواب التي ستحمل بضائعه ومرافقين التزما بمصاحبته عدة أسابيع. وتلقى أيضاً معلومات إضافية ودروساً نظرية تتعلّق بتحركاته وحركاته أمام المغاربة، وحلق رأسه على الطريقة المحلية وارتدى ملابس مغربية، واتخذ لنفسه اسم

"السي علال"، هذا زيادة على رسائل تزكية وتوصية موجهّة إلى بعض الشيوخ والأعيان.

قام لوي جانتي بجولة بإقليم الصويرة استغرقت عدة أيام، أسفرت عن بعض الفوائد العلمية.

استكشاف سوس : بدأ لوي جانتي رحلته الاستكشافية إلى سوس يوم 20 دجنبر 1904، انطلاقاً من الصويرة ومروراً بإمي نْ تانوت. ووصل إلى ضواحي تارودانت بعد عشرة أيام، ثم واصل رحلته إلى مراكش التي حلّ بها يوم 10 يناير 1905. استنتاجاته العلمية لاتفيدنا كثيراً باستثناء ما يتعلق بوجود مناطق تحتوي على يحفوريات نباتية ترجع إلى عصور جيولوجية قديمة. إلا أن ملاحظاته حول شجر أرگان كانت مفيدة في وقتها.

كاد أمر لوي - جانتي ينكشف خلال هذه الجولة، اذ شك فيه بعض القوم، من هذه القبيلة أو تلك، لأنهم لم يروا في حياتهم أهليا من طراز "السي علال"، يلاحظ ويكتب، ويرتب الأوراق. فكان يقول عن نفسه إنه من تطوان ومن أصل ريفي، يحدث بالعربية والفرنسية والإسبانية والانجليزية ويتقن اللهجة الريفية. وكم من مرّة وقع في موقف حرج، أمام آخرين، في هذه المحطة أو تلك، وهو ينظر إلى البارومتر الذي أخفاه تحت جلبابه، فيُفاجَأ، وعندما يُسأل، يجيب أحد رفاقه إنه يقتل قمله. وكم من مرّات كذلك، كاد يعتقل، فيقول إنه طبيب، فيتهافت عليه بعضهم ملتمسين أدوية، فيمدّهم ببعض الأقراص ... وينجو بنفسه. وكان يوهم الناس أنه يتهجد في الليل، فيزداد "السي علال" تقديراً في أنفسهم وإعجاباً بثقافته الواسعة عندما يحدثهم عن بعض صفحات تاريخ المغرب أو تاريخ العرب.

استكشاف حاحة : بعد إقامة يومين بمراكش، ولّى أعقابه إلى الصويرة، ومنها قصد حاحة، فجال بين قراها وجبالها وسهولها، متخذاً كثيراً من الاحتياط، مثل رسائل التزكية الموجّهة لبعض الشيوخ، والحيلولة دون الوقوع في قبضة القائد أنفلوس، بين الشياظمة وحاحة لأنه سبق أن منعه من الظهور بالمنطقة. وتمت جولته عند مشارف أگادير، مروراً بأودية وأماكن لايتحدّث عنها المؤرخون، وقلما يصفها الجغرافيون، وشاهد من الطبيعة ما لم يهتمّ به غيره.

وبعدما أنهى هذه المهمّة، عاد لوي جانتي مرّة أخرى إلى الصويرة، فرتّب أموره، وأخذ من السلطات رسائل أخرى، ثم رحل إلى مراكش.

استكشاف كتلة السروة : لم تكن الرحلة عبر الأطلس خالية من الأخطار، سواء بين مراكش وكتلة السروة، أو بين السروة وورزازات، وبين هذه المدينة وتلوات ودمنات تظهر المخاطر عند كل جبل وعند كل واد، وتشتد الحراسة من طرف القبائل على القوافل ضدّ تسرّبات "الأروام"، لأن الحكم يومئذ كان للقياد والشيوخ.

وتنكر "السي علال" في هيئة ابن سبيل فقير، عليه جلباب رث تحته معدّات علمية صغيرة لقياس الحرارة والارتفاع والضغط والمسافات وآلة تصوير، ليست له خيمة ولا حمار ولا ملابس، يمشي على القدمين، ويقوم بمهمته الاستكشافية ويطلب لدى المداشر ما يسدّ به رمقه ورمق مرافقيْه الاثنين. لكنه كان يلقى الترحاب لدى الشيوخ الذين يعطيهم رسائل "المجاملات"، فمنهم من كان يمنحه المأوى، مبيت ليلة، ومنهم من كان يكرمه، ومنهم من كان لا يهتم به. وغادر المغرب في أواخر مارس سنة 1905، على أمل العودة مرّة أخرى لاستكمال استكشافاته، وللوقوف على أسرار كتلة السروة بالخصوص. وفي باريس أخذ ينشر مقالات عن المغرب، يعرّف به من جميع الواجهات، ثم ألف سنة 1906، كتاباً عن المغرب، عنونه : *في ربوع بلاد السيبة*.

عاد لوي جانتي إلى المغرب خلال سنة 1907، موفداً من قبل وزارة الخارجية الفرنسية ووزارة الأشغال العمومية قصد استكشاف إقليم مراكش، إلا أن الحوادث التي كانت مراكش مسرحاً لها والتي أدّت إلى مقتل الدكتور موشان، أرغمته على تحويل اتجاهه إلى الشاوية ثم عمالة وجدة.

وأعاد الكرّة خلال سنة 1908، بهدف استكمال أبحاثه في المغرب الشرقي، وخاصة بمنطقة بني إزناسن مع العودة إلى الشاوية. وقام بسفر آخر إلى المغرب لدراسة المنطقة الساحلية الممتدّة من الصويرة إلى أگادير على طول الشاطئ وذلك عام 1909.

ثم سافر مرة أخرى إلى المغرب، عام 1910 لاستكشاف ملوية السفلى. وأخيراً في عام 1911، خصص سفره السادس لدراسة الأطلس الصغير وجنوب الأطلس الكبير. إلا أنه لما نزل بأگادير، منعه الاخوان الألمانيون المدعوون مانسْمَانْ Manessman من التوغل في سوس وما وراءه، فعاد على أعقابه نحو الصويرة، ومنها ذهب لدراسة المنطقة الممتدة من ناحية فاس إلى الشاطئ الأطلسي.

وبعدما عاد لوي جانتي إلى بلده وهو يحمل في حقائبه ثروة من العينات الحجرية التي التقطها، ومعها المعلومات التي اكتسبها خلال جولاته في المغرب، أخذ يحلل ويفحص ما جمع واجتمع لديه، وشرع ينشر في عدة مجلات مختصّة ارتساماته وبعض نتائج أبحاثه.

وألّف كتاباً فريداً من نوعه في وقته، عنونه *المغرب الطبيعي Le Maroc physique*، صدر له سنة 1912. فقررت سلطات الحماية إنشاء "مصلحة للجيولوجيا والمعادن" بالمغرب، تابعة لمديرية الأشغال العمومية، وذلك في غضون دجنبر سنة 1912. وقد سبق نشر هذا الكتاب بقليل، طبع أول خريطة جيولوجية للمغرب بسلم 1 / 2.500.000، من وضع لوي جانتي نفسه.

وحالت الحرب العالمية الأولى دون مواصلة استكشافات المغرب، فاتخذها لوي جانتي فرصة للانكباب على تحليلات أخرى لأعماله وإعادة تقييمها. فوضع خريطة جيولوجية أخرى أرقى من الأولى وأكثر إتقانا بسلم 1 / 1.500.000،

في عام 1922، لم يدخل عليها الباحثون من بعده، وعلى إثر أبحاث متقدمة، إلا تغييرات جزئية، وبقيت خريطة لوي جانتي هي الأم والمرجع الأساس.

تشكل الرحلة الأخيرة السفر السادس الذي قام به لوي جانتي إلى المغرب، وذلك في ربيع عام 1923، بهدف استكشاف جبل سيروة وجبل باني اللذين ظلا إلى ذلك الحين منطقة تعد من مجاهل الكون بالنسبة للأوربيين. ولم يعد لوي جانتي في حاجة إلى التنكر ليتوغل في "المجهول"، فأنجز هذه المهمّة الكبرى في ثلاثة أشواط :

غادر لوي جانتي مراكش يوم 31 مارس، واتبع نفس الطريق الذي سلكه خلال رحلته الأولى عام 1905، فقطع الأطلس الكبير عبر فجّ تيزي ـ ن ـ تاست ومرّ بجبل تبديلي ونهر تفنوت ليصل إلى سيروة. إلا أن سقوط الثلوج بغزارة في الوقت ذاته حال دون تحقيق هدفه، رغم محاولته تحدي الطبيعة، فأرغم على تغيير اتجاهه واللجوء إلى تارودانت. وعندما تحسنت أحوال الجو، رجع إلى مراكش بعد أن قام بجولة في منطقة تيزُّوتْ وگندافة وأسني.

يعد الشوط الثالث من هذه المرحلة الثانية أهم هذه الأشواط، فقد وضعت الحامية العسكرية الفرنسية بتزنيت، لفائدته وخدمته، فرقة تتألف من أكثر من مائة شخص، من بينهم جنود مغاربة وزودتهم بالمؤونة الضرورية والأدوية وغير ذلك مما تحتاجه قافلة علمية ستتوغّل بهذا الكمّ لأول مرّة، في مناطق لم يدخلها أجنبي مكشوف الهوية من قبل.

وفي هذه الظروف انطلقت بعثة لوي جانتي من تارودانت يوم 10 شتنبر 1923، فمرّت بإغرم، ثم تاگموت وطاطا. وعندما بلغت القافلة إلى واحة توجد على مشارف تيسنت، انفصل عنها لوي جانتي ولم يبق معه إلا ثلاثة من المرافقين تطوعوا لمصاحبته.

بعد ذلك مضى يستكشف بعض الجهات من جبل باني، وقد أطل على نهر درعة، فكان أول أجنبي يقف في هذه الأمكنة التي باتت حينا من الدهر محرّمة حتى على بعض القبائل، إذ كان أهل قبائل تكنة يهيمنون عليها بصورة مطلقة.

ثم انطلق نحو سيروة من الجنوب ؛ مروراً بعدة مواقع استلزمه عبورها مع ذلك أن يدلي بهويته ويهدف مقامه وتجواله. وقال له أحد شيوخ قرية : "أتذكر أن رجلاً اسمه السي علال، فقيه وعالم مر من هنا منذ عشرين سنة، وأعطاني أدوية". فأجابه لوي جانتي : أنا هو السي علال، في ذلك الوقت ابتسم الشيخ وأضاف : "إنك نجوت من الموت".

فالصعود إلى سيروة، هذا الجبل البركاني الميت الضخم، شاقّ ومتعب، لكثرة الالتواءات الوعرة، والانكسارات الخطيرة، ولأرضه المغطاة بالصخور والأحجار المسننة على السفوح، وما سيروة الاكتلة متعددّة القمم والفوهات، كانت المقذوفات البركانية تكسوها من كل جهة.

اضطر لوي جانتي إلى الإقامة يومين وهو عرضة للأخطار، وسط مناخ جاف من جهة الشرق، رطب من جهة الغرب. المكان موحش، حتى الطيور لا تقترب منه، ليس فيه حشرات ولا ما تقتات به الزواحف الصغيرة التي عادة ما تتساكن بين الأحجار.

وتغلّب هذا العالم في النهاية على المعاناة وعلى الطبيعة القاسية أرضاً وجواً، فكان أول شخص بلغ أعلى قمّة سيروة، فوجدها فوهة تكاد تكون منغلقة بمواد تحجّرت منذ ملايين السنين بجانبها وحولها أحجار صوانية وأخرى تتضمّن أكسيدات حديدية مختلفة. ولما قام بقياس ارتفاع القمّة عن مستوى البحر، وجد أنها تبلغ 3034 م.

كان هذا العمل ختام الرحلة الثانية التي لم تستغرق أكثر من شهر، ولم ير المغرب لوي جانتي من بعدها، لأنه توفي بباريس سنة 1925، وعمره ستون سنة.

ونشير في الختام إلى أن سلطات الحماية أطلقت اسم "لوي جانتي" على القرية العمّالية التي تأسست خلال الفترة الممتدّة من 1931 إلى 1933، بمنطقة گنتور (بين عبدة والرحامنة) لاستغلال الفوسفاط الذي عثر عليه في هذه الجهة. وتقع قرية "لوي جانتي" على خط السكة الحديدية الرابط بين بنگرير وأسفي. وفي عام 1936، خرج أول قطار فوسفاطي منها نحو ميناء أسفي. ولما استقلّ المغرب، ازدادت "لوي جانتي" تطوراً وتنمية، ولم تمض إلا أشهر حتى تقرّر تغيير اسم البلدة لتصبح هي مدينة اليوسفية، تخليداً لذكرى السلطان مولاي يوسف.

أحمد بنجلون، *من تاريخ أسفي* (مخطوط).

P. Despujols, *Historique des recherches géologiques au Maroc* ; L. Gentil, *Dans le bled es-Siba* ; *Explorations dans l'Atlas marocain* ; G. Choubert, *Histoire géologique du précambrien de l'Anti-Atlas* (*notes du service géologique*, n° 162) ; Ministère de l'Energie et des Mines, *Panorama de l'industrie minière*, tomes 1 et 2 ; *Bibliographie analytique des sciences de la terre* ; F. Gendre, *Voyageurs et géographes, pionniers inconnus ou oubliés, de la France au Maroc*, *R. G. M.*, t. 1, 2, 3, 4, année 1946.

أحمد بنجلون

جَّاوْش أو زَّاوْش أو جَّاوْجْ ـ حسب اختلاف النطق الدارج في المغرب ـ طائر يسمى في المعاجم وفي بلدان المشرق العربي "عصفور دُوري" أو "عصفور بُيُوتي" ـ وهو جنس طيور بريّة من رتبة الجواثم Passeriformes ومن فصيلة Ploceidés يضم عدة أنواع، أربعة منها تعيش في المغرب، كثيراً ما يصعب على غير المختصين التفريق بينها نظراً لكثرة التشابه، مما جعل كلمة "جَّاوْش" تطلق على الأنواع الأربعة الموجودة في المغرب العربي.

من بين الأنواع المستقرة الشائعة في بلادنا نوع أهلي يسمى علمياً Passer domesticus ويدعى بالفرنسية Moineau domestique وبالأنجليزية House sparrow وبالإسبانية Gorrión comun. وهو طائر يألف المدن

والبوادي والجبال والسهول. يبلغ طوله 14.5 سم وبسطة جناحيه 25 سم. المنقار مخروطي الشكل وقوي متخصص في أكل الحبوب. ريش الإناث بُنّي محمر تختلف عنها الذكور ببقع سوداء على صدرها. يتراوح الوزن ما بين 25 و35 غ، ويعمّر هذا الطائر عدة سنوات.

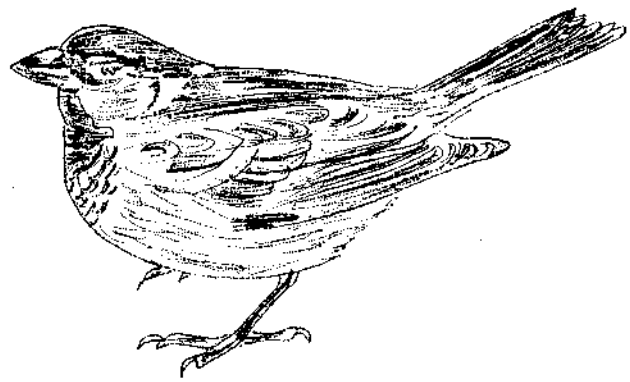

الجاوش

تأقلم هذا الطائر مع حياة الإنسان حيث يعيش غير بعيد عن المنازل ويتكون غذاؤه من الحبوب (القمح والشعير) وكثيراً ما يتوارد على الحقول ويخلف أضراراً في المحصولات الزراعية، مما يجعل منه طائراً غير مرغوب فيه. وقد حاول الإنسان محاربته بعدة وسائل لكنه يقاوم الانقراض بشدة ذكائه.

يعيش وسط مجموعات متعددة الأفراد ويكثر صياحه في الصباح والمساء وسط الغابات وفوق الأشجار، وكثيراً ما تنضم الصغار إلى الكبار، وأحياناً تنضم عدة مجموعات مع بعضها لتكون أسراباً يفوق عددها الألف.

يتوالد ما بين مارس وشتنبر، ويتعاون الزوجان على بناء عش ضخم كروي الشكل بواسطة الأعشاب اليابسة ويفرشانه بالريش وبقطع من الصوف أو القطن. تلد الأنثى البيض مرتين إلى ثلاث مرات في السنة وتضع في عشها من ثلاث إلى خمس، ونادراً ما تضع ثمان بيضات، لونها أبيض مخضر وهي منقطة بالرمادي والبني والأسود. تزن كل منها 2.1 ـ 3.3 غرام ويبلغ طولها 15.7 × 22.5 ملم. توضع الأعشاش بين الجدران والسقوف وفوق الأشجار العالية وخاصة منها أشجار الصنوبر Eucalyptus. تحضن الأنثى بيضها مدة أسبوعين (11 ـ 14 يوماً)، ويقدم الأبوان الغذاء لصغارهما مدة أسبوعين وتتكون غالباً من الديدان والحشرات الصغيرة. يعيش الجاوش في كل من آسيا وأوروبا وافريقيا الشمالية، وقد تم إدخاله أخيراً إلى أمريكا.

يسمى الجَّاوش الإسباني علمياً Passer hispaniolensis وبالأنجليزية Spanish sparrow وبالفرنسية Moineau espagnol وبالإسبانية Gorrion moruno وهو كثير الشبه في الشكل والحجم بالجاوش الدُّوري، ويوجد الاختلاف عند الذكور فقط حيث تتميز بريش بُنّي فوق الرأس وببقعة كبيرة على العنق والصدر ممتدة جانبيا إلى الجناحين. باقي الجسد بني ورمادي. لايتعدى طوله 15 سم، وطريقة عيشه وتوالده شبيهة بالجاوش الأهلي، إلاّ أنه غالباً ما يهاجر وسط البلدان المغاربية ويقوم بتنقلات وسُط مجموعات تعد بمئات وآلاف الأفراد يقطع خلالها مسافات طوالاً للبحث عن المزارع والحقول الزراعية ويُخلّف أضراراً في محصولات الحبوب مما يجعل الفلاح يتصدى له بعدة وسائل لإبعاده من الضيعات. كثيراً ما يتطلب من الفلاحين حراسة متشددة ومتواصلة لمقاومة هذا الطائر.

يسمى جَّاوش الصخور علمياً Petronia petronia وبالفرنسية Moineau soulcié والانجليزية Rock sparrow وبالاسبانية Gorrión chillón وبالايطالية Passera lagia. لايتعدى طوله 13.8 سم، ويتميز عن السابقين بعدم وجود البقعة السوداء على العنق والصدر وبخطين أسودين على الرأس. تتخلل الصدر بقعة صغيرة من الريش الأصفر وباقي الجسد بنيٌ رمادي. إنه طائر جبلي شائع في جبال الأطلس وجبال الريف ويقتصر توزيعه الجغرافي على المناطق المجاورة للبحر المتوسط.

يتوالد في المناطق الجبلية وسط الغابات والصخور، وكثيراً مايتخذ شقوق الصخور وجذوع الأشجار مكانا لوضع عشه. يتوالد في فصل الربيع ابتداء من شهر أبريل، ونادرا مايضع البيض مرتين في السنة. تغادر الصغار الأوكار بعد ثلاثة أسابيع وتلتحق بالكبار لتكوّن مجموعات صغيرة. يقتات من الحشرات ومن الحبوب، ولا يقترب كثيراً من الإنسان. هناك بعض المجموعات تتخذ الصخور الشاطئية مسكنا لها نذكر منها منطقة قرية أركمان ورأس كبدانة بالبحر المتوسط وتتكون المجموعة من أزيد من ستين زوجا.

الجَّاوش الأبيض Passer simplex، يسمى بالفرنسية Moineau blanc وبالانجليزية White sparrow أو Desert sparrow، وذلك لأنه يعيش في المناطق الصحراوية فقط، منها الصحراء الكبرى وصحراء الخليج العربي. تعيش بعض مجموعاته جنوب جبال الأطلسي الكبير والصغير. يتميز الطائر بريش رمادي أبيض على رأسه وظهره وبطنه، وتتخلل صدره وجناحيه بقع من الريش البني المسود. يبني عشه بين أوراق النخيل وفوق الشجيرات وأحيانا في الثقب الموجودة بجدران المباني. يتوالد مرتين في السنة ما بين مارس وأبريل وتضع الأنثى ما بين بيضتين و6 بيضات تحضنها مدة أسبوعين.

يلاحظ خلال فترة هجرة الطيور القادمة من أوروبا إلى المغرب في فصل الشتاء أن بعض المجموعات من نوع Passer montanus المسمى بالفرنسية Moineau friquet وبالأنجليزية Tree sparrow، تأتي أحيانا إلى المناطق المجاورة لطنجة وتطوان والعرائش لتقضي شهري دجنبر ويناير هناك ثم تعود لتتوالد في أوروبا.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

J. Pineau et M. Giraud-Audine, *Les oiseaux de la Peninsule tingitane*, Rabat, 1979. *Trav. Ist. Sci., Zoologie* n° 38 ; P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux au Maroc, janvier 1986 - 87 et 88*, Rabat, 1988, *Doc. Inst. Sci. 11* ; W. Read et Hosking, *Les oiseaux, leurs nids et leurs œufs, Reproduction - Oeufs et jeunes*, Paris, 1968, p. 281 - 282 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The birds of Britain and Europe with North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 298 - 301.

محمد رمضاني

الجاوي، (بخور) - ينطق به في المغرب بتشديد الجيم - من عادة المغاربة تعطير أجسامهم وملابسهم ومساكنهم وأماكن إقامتهم أو مساجدهم وأضرحتهم وزواياهم وخاصة في الأعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية. وقد كان تبخير الأماكن، شأنه شأن تعطير الملابس، لازماً من لوازم الحياة الدينية والاجتماعية في المغرب، ولايمكن مطلقاً تصور حياة الناس وخاصة في الحواضر بدونهما. وكان أبرز أنواع البخور المستعملة في هذه الحواضر بخور الجاوي (جَاوي).

وهو مادة صلبة متحجرة ذات لون أشقر يشبه اللُّبَان في شكله ومظهره. لذلك كان من سكان الحواضر من يسميه أيضاً لُبَان جاوة. وهو يستمد اسمه من جزيرة جاوة إحدى كبريات جزر أندونيسيا الإسلامية في الشرق الأقصى. كان المسلمون يستوردونه منها إلى المشرق العربي حيث تتم معالجته في بعض بلدان شبه الجزيرة العربية وبعض بلاد الرافدين ليوزع على سائر البلدان الإسلامية الأخرى في الشرق والغرب ومن ضمنها المغرب الأقصى.

والجاوي في الأصل صمغٌ يستخرج من أنواع خاصة من الأشجار يتصلب ويتحجر ويجمع في أوقات معلومة ويستعمل بالشرق الأقصى في الصيدلة والتعطير أيضاً. ومن بلدان الشرق الأقصى انتقلت استعمالاته إلى المشرق العربي. وكان العديد من الناس يدعوه "الجاوي المكاوي" ويقصد به البخور المشترى من مكة أو المعالج بها. إلا أن صفة المكاوي كانت تضفي على هذا البخور نفحات قدسية من نوع خاص.

كان الجاوي يُدرج في عدة وصفات طبية لمعالجة بعض الأمراض البدنية والنفسية. فقد كان دهانه المنقع في ماء الورد والزهر والريحان والقرنفل وغيره من العطور يستعمل لذلك المفاصل ومعالجة التوعكات والتورمات ومسد بعض الأنواع من مغص الأطراف والأمعاء وآلام الظهر والعمود الفقري. وكان المصابون ببعض الأمراض العصبية وبحالات فجائية من الاكتئابات يستنشقون دخانه للتخفيف من الآلام التي تنتابهم. كما كان يستعمل من قبل الأمهات والمولدات والمشاطات (النگافات) لجلب السعد للعرائس وتسهيل الولادة وتبديد الأمزجة غير الملائمة التي قد تتخلل العلاقات بين العروسين ليلة الزفاف. وكان اللواتي يتعاطين السحر والشعوذة يستعملنه لإضفاء أجواء خاصة على الحلقات التي كنَّ يخصصنها لزبنائهن.

أ. المقري، *فتح المتعال*، مخطوط خ. ع العامة 1463ك ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972 ؛ غ. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974.

Archives berbères, vol. 2 fasc. 3, 1917 ; *B.E.P.M.* n° 63, janvier 1925 ; H. De Lamartinière, *Souvenirs du Maroc, 1822 - 1918*, Paris, 1919 ; A.R. De Lens, *Pratiques des harems marocains*, Paris 1925 ; L. Bolens, *Les parfums et la beauté en andalousie médievale*, Genève [s.d.].

محمد بوسلام

جاي، Jay منصِّرة إنجليزية من هيئة نورث أفريكا ميشن North Africa Mission وصلت إلى مدينة طنجة سنة 1886 ومكثت بها إلى غاية 1898. ولكنها أقامت بين هاتين المدتين بمدن أخرى مثل فاس سنة 1890، والدار البيضاء سنتي 1891 و1892، وبعد ذلك رجعت للإقامة بطنجة التي اتخذت فيها مدرسة لتعليم البنات استمرت مفتوحة حتى بعد رحيلها. لها مقالات عن المغرب نشرت بجريدة الهيئة المنتمية إليها.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 4 : 1402.

J.-L. Miège, *Les missions protestantes au Maroc*, p. 158 ; *Le Maroc et l'Europe*, T. I, p. 124.

مصطفى بوشعراء

الجَايْ، أسرة فاسية عريقة، أصلها من بلاد الجَّاية في جبال غمارة، وتكتب أحياناً بالهمزة أو بالياء قبل ياء النسبة : "الجائي" أو "الجايي" ويضاف اللاّم إلى أولها في الغالب : اللجائي. انظر مادة (اللجائي).

الجاي، أحمد مقاوم، ولد بفاس سنة 1332 / 1913. انضم إلى صفوف المقاومة المسلحة بمنطمة الهلال الأسود بالقنيطرة تحت مسؤولية تويرتو عبد السلام. كان يزود أعضاء المنظمة بالأسلحة والذخيرة التي كان يجلبها بوسائله الخاصة من المعسكرات الفرنسية وساهم أيضاً في تهريب بعض المقاومين عن عيون السلطة الفرنسية. تعرض في حياته الفدائية إلى عمليات اعتقال من طرف الفرنسيين وحكم عليه بثلاثة عشر شهراً حيث زج به في سجن القنيطرة قبل أن يتم تهريبه من السجن بواسطة خطة محكمة لأصدقائه.

توفي يوم الأحد 25 رمضان عام 1375 / 6 ماي 1956.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 4 : 146.

الجاي، أحمد بن عبد السلام وزير، ولد بمدينة فاس سنة 1276 / 1860، وبها بدأ تعليمه الأولي وأكمل دراسته في جامع القرويين، لكنه ما لبث أن تعاطى التجارة بمسقط رأسه في مستهل حياته العملية، ثم انتقل فيما بعد إلى أرض الكنانة واستقر بالقاهرة لمزاولة أعماله التجارية، وقضى هناك عشر سنوات، عاد بعدها إلى المغرب لا ليتابع عملية البيع والشراء ولكن ليدخل في سلك الخدمة المخزنية في عهد السلطان المولى عبد العزيز (1894 ـ 1907) حيث اسندت إليه مهمة أمين نظراً لخبرته بشؤون المال ثم مهمة كاتب أول بوزارة المالية، وما لبث أن ابتعد عن مزاولة هذه المهام أثناء المرحلة الانتقالية لحكم السلطانين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ (1908 ـ 1912) لمدة أربعة أعوام عاد خلالها لمزاولة مهنته الأصلية ـ أي التجارة ـ، ثم عاد ثانية للعمل في دائرة المخزن الحفيظي، فعينه السلطان محتسبا لمدينة فاس ثم أمينا لأملاكها المخزنية وأخيراً وزيراً للشكايات. وفي عهد السلطان مولاي يوسف عيّن أحمد الجاي رئيساً لإدارة عموم الأحباس أو بنيقة الأحباس بدار المخزن الشريف كما كانت تسمى، كما هو مثبت في ظهير 20 قعدة عام 1330 / 31 أكتوبر 1912، وذلك لمراقبة الأحباس العمومية في المغرب وضبط تصرفات النظار وتنظيم حساباتهم الشهرية والسنوية، وإحصاء الأملاك الحبسية داخل المدن وخارجها، والتأكد من مداخيلها والقيام بإصلاحها وصيانتها من التلف، ووضع تقارير سنوية عن كل نظارة، وبالفعل سهر أحمد الجاي على القيام بهذه المهمة التي أسندت إليه كما أُمر تحت نظر مراقبة الأحباس، مما خوله عضوية المجلس الأعلى للأحباس المؤسس بظهير 12 ماي 1914. ونظراً لكفاءته ـ في نظر المخزن اليوسفي ـ في تدبير شؤون المديرية المذكورة التي تحسنت أحوال مداخيلها بعد ترتيبها على أسس عصرية وتنمية أموالها وحراستها من مطامع المعتدين عليها، اقتضى نظر المسؤولين ترقية الجاي إلى رتبة وزير كما جاء في ظهير 10 شوال عام 21/1333 غشت 1915، كما استحق وسام جوقة الشرف الذي كانت حكومة الحماية تمنحه للموظفين السامين.

توفي أحمد الجاي صباح يوم الخميس ثامن شوال عام 1346 / 29 مارس 1928. ودفن بزاوية الشيخ ابن رحمون من حومة النجارين.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*. موسوعة *أعلام المغرب*، 8 : 2971 ؛ *الجريدة الرسمية*.

بوشتى بوعسرية

الجَايْ، إدريس شاعر مغربي وُلد بفاس يوم السبت عاشر ذي القعدة عام 1339 / 16 يوليو 1921. أصله من قبيلة لجاية الجبلية، استقر والده بالعاصمة العلمية فاس، وكان من الفقهاء المقرئين الصالحين يعلم القرآن بأحد الكتاتيب حيث تلقى إدريس الجاي تعليمه الابتدائي. قبل أن يلتحق بجامعة القرويين.

ظهرت عليه منذ نعومة أظفاره مخايل الموهبة الشعرية والفنية حيث أخذ ينظم القصائد ويرسم الألواح التي كانت تنال استحسان المنصتين والمشاهدين. أودعته سلطات الحماية السجن وهو مراهق بسبب قصائده المناهضة للاستعمار الفرنسي خاصة سنة 1356 / 1937 حين قام إدريس الجاي خطيباً في جموع طلبة القرويين المضربين الذين كانوا يطالبون بإصلاح نظام التعليم بهذه الجامعة العتيقة.

توجه إدريس الجاي بعد ذلك إلى تطوان، وكانت كما هو معلوم تحت السيطرة الإسبانية، فأحسن خليفة السلطان مثواه وبعثه إلى إسبانيا لدراسة الأدب الإسباني. وعاد إلى تطوان بعد سنتين. ثم إلى الرباط حيث اشتغل بالإذاعة التي كانت تحت الإدارة الفرنسية، وبعد ذلك أوفده مديرها إلى إذاعة باريس لما لاحظ من تفوقه، فاشتغل هناك من سنة 1944 إلى سنة 1956 في القسم الأدبي حيث اشتهر بإنتاجه وإبداعه. وحين أبدى رغبته في العودة إلى بلاده بعد استقلالها، استقدمه مدير الإذاعة الوطنية وأسند إليه القسم الأدبي الذي عرف في وقته تقدماً باهراً، وبقي على رأسه أزيد من عشرين سنة. وكان له حضور في جل النشاطات الأدبية والفنية.

صدر له ديوان تحت عنوان *السوانح*، من مطبوعات القصر الملكي، تقديراً لإنتاجه الأدبي، وذلك سنة 1971. قدم الديوان العلامة الكبير الاستاذ عبد الله گنون فحلله وبوّأ صاحبه مقاماً بارزاً بين أقرانه من أمثال الشاعر المطبوع عبد الله القباج وشاعر الحمراء محمد بن إبراهيم فكتب ما يلي :

"ضرب إدريس الجاي بسهم في كل باب من أبواب الشعر : فمن مدح ورثاء إلى وصف وغزل، ومن هذه إلى شعر وطني واجتماعي يذكي الحماس في النفوس ويدعو إلى إصلاح الأوضاع، ومن هذا إلى شعر الخواطر والتأملات الفلسفية وغير ذلك من الأغراض والمقاصد. فهو يمدنا بثروة شعرية طائلة هي حصيلة مانظمه في شبابه الناعم منذ تفتقت براعم شاعريته".

ينقسم ديوان إدريس الجاي كما أشار إلى ذلك صاحب *النبوغ المغربي في الأدب العربي* إلى حماسيات ووجدانيات وتأملات وهواجس وإخوانيات تجمع بين "روعة البيان وعمق الفكرة وجيشان العاطفة" مما يجعل قصائد الشاعر إدريس الجاي من مختار الشعر الإنساني الجيد.

توفي إدريس الجاي بالرباط يوم عاشر رمضان عام 1398 / 26 غشت 1977.

ع. گنون، *تقديم السوانح*، الرباط، 1971 ؛ *معرفة شخصية*.

قاسم الزهيري

بني **جْبَارة**، فرقة من قبيلة الأخماس السفلى، واسم لمدشر يقع بجبال بني جبارة، وهي المرتفعات التي تقع جنوب غرب مدينة شفشاون وتظهر منها، وبها بعض القمم المرتفعة التي يزيد ارتفاعها عن 1500 متر عن سطح البحر، مثل جبل المنصورة (1523 متر)، وجبل السكان (1603 متر).

ونشطت بهذه المنطقة دروس العلم في القرنين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17 م)، كما كان عليه الأمر في بعض مناطق جبال غمارة والهبط. ونجد ذكر بني جبارة كثيراً في كتب الأنساب من خلال المناقشات التي كانت تدور بين النسابين حول شرف أهلها، أو بعض أسرها منذ قرون، وربما يعود الأمر إلى كثرة من استقر من الشرفاء الأدارسة بهذه المناطق الجبلية منذ فتنة ابن أبي العافية.

ع. العافية، *الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، بشفشاون وأحوازها*، المحمدية، 1982 ؛ المريني العياشي، *النضال الجبلي، الأنظمة الاجتماعية الجبلية*، طنجة، 1988 ؛ العمود في نسب الأدارسة، طنجة.

الجْبَاري، أسرة قصرية تنحدر من مدشر بني جبارة بقبيلة الأخماس الجبلية، انتقل بعض أفرادها إلى مدينة القصر الكبير في صدور القرن العاشر (16 م)، وأصبحت من الأسر النبيهة لظهور أبنائها من بين العلماء الأفذاذ.

وقد أشارت بعض المصادر إلى النقاش الموجود بين النسّابين حول شرف بني جبارة، فالشريف العلمي يشكك في *نوازله* في شرف بني جبارة وبني جرير وبني حسان وبني زيات وغيرهم من أهل الجبل، وكذلك ابن رحمون التطواني في كتابه *النجوم الزاهرة في الذرية الطاهرة*، ومنه انطلق الباحث ميشوبليز فيما كتب عنهم في مؤلفه عن القصر الكبير.

في حين كتب بعض أبناء هذه الأسرة في إثبات نسبها الشريف، فألف الحسين بن عمران الجباري (ق 11 هـ) كتاب *الأدلة المختارة في إثبات شرف بني جبارة* (مخطوط)، وألف السيد الخضر بن عبد السلام الجباري كتابا نشره سنة 1989 بعنوان *"تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري"* حقق فيه نسبة أسرته من خلال مناقشة شجرة نسبها في كتب الأنساب، واعتمد مجموعة من الوثائق والشهادات العدلية يعود أقدمها إلى سنة 888 هـ، وعزز ذلك بمجموعة من الظهائر للسلاطين : مولاي إسماعيل (بتاريخ 16 ربيع الأول 1126)، ومولاي سليمان (مؤرخ بـ 24 جمادى الأولى 1238) ومولاي عبد الرحمان ابن هشام (مؤرخ بـ 15 رمضان 1238)، وسيدي محمد بن عبد الرحمان (بتاريخ 27 رجب 1277)، ومولاي الحسن الأول (مؤرخ بـ 24 ذي القعدة 1296) ومولاي عبد العزيز (مؤرخ بـ 28 ربيع الأول 1312). وكلها ظهائر توقير واحترام وإعفاء من الوظائف المخزنية وجهت لنبهاء الأسرة الجبارية من العلماء.

الجْبَاري، أحمد بن **الحسين** القصري تصفه إحدى الوثائق العدلية الأسرية "بالفقيه العالم العلامة الدراكة الفهامة المدرس النحرير المدعو الحافظ سيدي أحمد" (*تيسير الباري*، 25). ولا تذكر تاريخ وفاته.

الجْبَاري، أحمد بن **محمد** بن الطاهر القصري، شقيق السابق. عالم أديب مصلح، ولد عام 1321 / 1903 ودرس بمسقط رأسه قبل أن يلتحق بفاس حيث مكث ثلاث سنين يأخذ عن أعلام القرويين. كان ناظراً للأوقاف بالقصر الكبير، وساهم مساهمة فعالة في التعليم الحر بها حيث كان يدرس ويدير في نفس الوقت " المدرسة الأهلية" التي لعبت دوراً متميزاً في الحفاظ على التعليم العربي الإسلامي والهوية الوطنية إبان مرحلة الاستعمار الإسباني بشمال المغرب. وكان أغلب أطر هذه المدرسة على ارتباط بالحركة الوطنية في الشمال، وقد أوذي السيد أحمد الجباري بسبب نشاطه الوطني وعزل من منصب نظارة الأوقاف. وتوفي يوم الأربعاء عاشر شعبان عام 1386 / 24 نونبر1966.

ع. ابن سودة، *إتحاف الطالع، موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3394.

الجْبَاري، الحسين بن عمران القصري : عالم صوفي زاهد، عاش في القرن العاشر، وتوفي أوائل القرن الحادي عشر (17 م)، يعتبر جد الأسرة الجبارية بالقصر. وقد نقل عنه الشريف العلمي في *نوازله* وسماه خطأ الحسن. ألف عدة كتب منها :

ـ *الأدلة المختارة في إثبات شرف بني جبارة* (مخطوط بزاوية سيدي حمزة بإقليم الراشدية، في أوراق).

ـ كتاب جمع فيه *فتاوى العلماء المتأخرين* (مفقود).

ـ *قصائد ومنظومات* في الأمداح النبوية الشريفة (كانت بحوزة أحد فقهاء مدينة القصر الكبير ممن توفي قبل سنوات).

الجْبَاري، الخضر بن عبد السلام، شغل منصب العدالة بإدارة الأحباس بالقصر، كما ولي خطبة مسجد السويقة، وكان فاضلاً خيراً، توفي سنة 1368 / 1948.

الجْبَاري، عبد السلام بن الخضر، ولد بمدينة القصر الكبير حوالي عام 1323، وبها حفظ القرآن الكريم وتعلم التجويد على الفقيه سيدي عبد الله الصرصري، ثم حفظ من المتون *صغرى* الإمام السنوسي *والمرشد المعين والألفية والعاصمية والزقاقية* ومختصر الشيخ خليل وغيرها. وأخذ العلم عن بعض علماء القصر مثل الفقيه أحمد مومن، وعلي المجول وأحمد السوسي البعقيلي، والقاضي علي نخشى ومحمد المري التطواني حين كان قاضياً بالقصر.

ثم قصد مدينة فاس وانتسب لجامعة القرويين في صفر 1342. وبها درس على العلامة أحمد بن المامون العلوي البلغيثي، وعبد السلام العلوي، وإدريس المراكشي وعبد الله الفضيلي، والراضي السناني ومحمد الطايع بن الحاج السلمي، ومحمد ابن إبراهيم ومحمد أقصبي، والشريف النكناوتي والعباس المزكاري المكناسي، ومحمد العلمي الميقاتي، ومحمد البكراوي، والحسين العراقي وأبي الشتاء الصنهاجي، وأخيه محمد الصنهاجي.

وحضر دروساً على المحدث محمد بن جعفر الكتاني، والشيخ أبي شعيب الدكالي والشيخ الفاطمي الشرادي، والقاضي إدريس بناني والقاضي ابن أحمد الزرهوني وغيرهم.

وأجازه من أساتذته كتابة عبد الله القصلي وأحمد العلمي الميقاتي ومن ذكر بينهما.

وأجازه الشيخ إدريس المراكشي مشافهة، وتواريخ هذه الشهادات كلها عام 1350 هـ وهو العام الذي رجع فيه إلى القصر الكبير حيث تعاطى الإفتاء ابتداء من سنة 1936، والعدالة من الدرجة الأولى ابتداء من سنة 1937. ثم انخرط في سلك التعليم بالطور الثاني الثانوي بالمعهد الديني بالقصر ابتداء من نفس السنة، ثم عين عضواً مستشاراً لمجلس الأحباس الذي كان قد أسس بمدينة تطوان سنة 1939م.

كان فقيهاً أصولياً وفرضياً ونوازلياً، شغل منصب الإمامة بالجامع السعيد ثاني أكبر مساجد القصر الكبير مدة خمسين عاماً حتى أقعده المرض، وكان عضوا نشيطا برابطة علماء المغرب وعضوا بلجنة التشريع المنبثقة عنها. وعين في فترة مرضه رئيسا شرفيا لفرع الرابطة بمدينة القصر الكبير.

ترك العديد من *الرسائل والفتاوى* الفقهية مخطوطة، ومجموعة من *الأشعار* في أغراض مختلفة.

وتوفي في شهر شتنبر 1982.

الجْبَاري، عبد السلام بن الطيب الأصيلي، درس بفاس على علماء العصر، ورجع إلى مسقط رأسه يدرس ويربّي "ويبث النهضة فيها على هدي السلف الصالح وينشر دعوة الإسلام الصحيح. وقد كابد الاستعمار الاسباني وعذب وسجن... وتخرج على يده عدة علماء".

توفي ولده عبد الجبار في حادثة طائرة سقطت قرب طنجة بعدما حصل على الدكتوراة بفرنسا، فكان ذلك سبب غمه وموته في أواسط محرم عام 1394 / أوائل فبراير 1974.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3451.

الجباري، فاطمة بنت أحمد القصرية ولية صالحة، كان والدها من علماء المدينة، وهو المترجم قبل. اشتهرت بتنظيم حلقات الذكر بمنزلها، وكانت ظاهرة البركات. توفيت بمدينة القصر الكبير في أواخر القرن الحادي عشر (17 م). ودفنت بدار سكناها بحي باب الواد، ثم أقيمت عليها قبة، وبني بازاء ضريحها مسجد تقام فيه الصلوات الخمس. ومازال أبناء الأسرة الجبارية بالقصر الكبير ينظمون سنويا بضريحها حفلا لإحياء ليلة المولد النبوي الشريف.

الجباري، محمد بن محمد بن الطاهر القصري. كان رجلا صالحا ورعا منقطعا للعبادة ذا فراسة وهيبة ظاهرة، وقد حظي بمحبة واحترام واسعين لدى سكان المدينة. تفرغ عمره لتلقين القرآن الكريم وتربية الولدان بكتّابه الكائن بحي للاعائشة الخضراء، وتخرّج على يديه المئات من حفظة الذكر الحكيم. وكان له طريقة في تلقين الكتاب العزيز انفرد بها عن غيره من المدرسين. توفي رحمه الله سنة 1383 / 1963.

الخضر عبد السلام الجباري، *تيسير الباري في ثبوت النسبة النبوية الشريفة لأولاد الجباري*، الدار البيضاء، 1989 ؛ المريني العياشي، *العمود في نسب الأدارسة*، طنجة (د. ت).

Michaux-Bellaire et Salmon, *El-Qçar El-Kebir une ville de province au Maroc septentrional*, A. M., 1904 ; F. Humberto, Cornacero Henares, *Alcazarquivir 1950*, Tetuan, 1953

محمد المغراوي

الجبّاري، المفضل بن أحمد القصري، كان صوفياً كبيراً وفقيهاً عدلاً موثقاً. أخذ عن الحسين بن محمد الحراق، وتصدر في الطريقة الدرقاوية في القصر الكبير، وكانت داره بمثابة زاوية من الزوايا لاتخلو في غالب الأحيان من الفقراء الواردين عليه (*إطلالة*، 102). تولى خطبة الجامع السعيد مدة طويلة وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة 1303 / 1886 بعد رجوعه من زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش.

م. أخريف، *إطلالة على أوليا، مدينة القصر الكبير*، مارس 1989.

الحسين البعاوي

جبالة. - تاريخ - أول مصدر مغربي نبهنا إلى تداول اسم جبالة هو *زهر الأكم* لصاحبه الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي، الذي كان حيّا عام 1143 / 1730، حينما أخبرنا بتعيين المولى إسماعيل للقائد عمر بن حدو التمسماني (*معلمة المغرب*، التمسماني) على "ناحية جبالة" عام 1084 / 1672. ثم اختفى عنا اللفظ اختفاء كاد أن يكون كليا باستثناء مارددده محمد الضعيف الرباطي في تاريخه، مما يخص أخبار السلطانين عبد الله بن إسماعيل وابنه محمد بن عبد الله. كما أن ظهور اسم جبالة في الوثائق المخزنية نادر جداً فيما أمكننا العثور عليه. لذا كان من الضروري الالتفات إلى المصادر الأجنبية المعروفة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، أمثال "موليراس" A. Mouliéras، صاحب *المغرب المجهول Maroc inconnu* المصادر الاسبانية المعروفة قبل الحماية وأثناءها.

إلا أن هناك ما يساند قولنا بقدم تداول لفظ جبالة قبل الإبان الذي أعلن عنه *زهر الأكم* استناداً إلى التباين الطبيعي الموجود بين مجالي الهبط الأصلي والسلسلة المشرفة عليه من جهة الغرب.

نحن على علم من أن المجال الجغرافي لغمارة الأصلية يشمل القسم الجبلي الشرقي من مجموع محيط الشمال الغربي بحدوده الساحلية من مصب واد تطوان أو من واد لأوْ إلى مصب واد أرينكا عند رأس الجبهة من متيوة الساحلية، بينما تتوغل حدوده الداخلية لتشمل أعالي السفوح المتجهة نحو البحر المتوسط. فاسم غمارة مرتبط بهذا المجال ارتباطا تاريخيا معروفاً، لم يفارقه في وقت من الأوقات إلى يومنا.

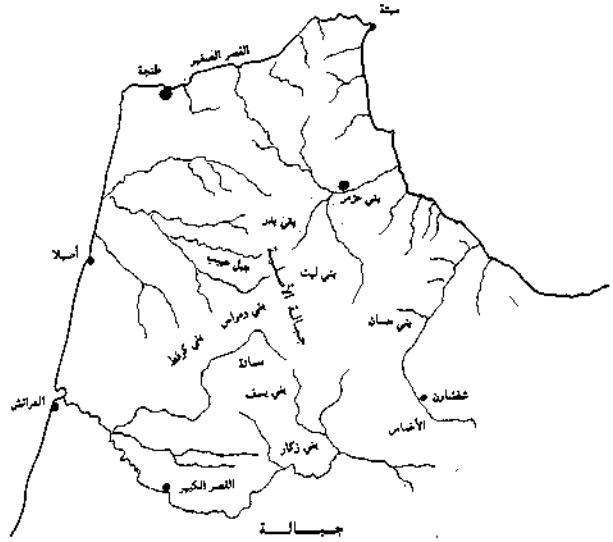

يتبين لنا من بحث مواطن كل من غمارة الأصلية وفق المجالين المعروفين لدينا تاريخيا أن هناك منطقة جبلية فاصلة بين المجالين السابقين ممتدة طوليا وبشكل مواز لهما تتشكل من المرتفعات المشرفة على تطوان من الزاوية الشمالية الشرقية وعلي طنجة من الناحية الغربية، ليستمر توزيعها على محورين : يضم الأول هضبة بني حسان والأخماس بقسميها العليا والسفلى، بينما يساير المحور الثاني موقع كل من جبل حبيب وبني ومراس وبني عروس وسماتة وأهل سريف، ليلتقي المحوران أخيراً بمجرى واد اللكوس عند كتلة بني زكار.

لا شيء يميز هذا المجال من الوجهة الطبيعية عن غمارة الأصلية وكثيراً ما ألحق بها، باستثناء ميزة واحدة فقط : ارتباطه بالهبط الأصلي من الوجهتين الطبيعية والاقتصادية. ونعني بالوجهة الاقتصادية علاقة الجبال بالمدن والمراكز الإدريسية المنبثة على الساحل والسهل معا.

وهذا التجاوز الجغرافي والارتباط الاقتصادي هو الذي جعلنا نعتقد جازمين أن هذه المنطقة الوسطى هي التي استحقت حمل اسم جبالة في فترة موازية لظهور لفظ الهبط الأصلي في القرن الثالث (9 م). فإذا كان أهل الهبط يدعون بالهبطيين أو الوطويين في القرن الثالث للإشارة إلى سكان السهل، مما هو ثابت تاريخيا لدينا، لزم علينا التوصل إلى أن أهل الجبال المجاورة وسكانها كانوا ينعتون هم بدورهم في نفس الفترة بجبالة وبالجبليين.

والسؤال المطروح متعلق بظاهرة اختفاء وظهور لفظ جبالة رغم ما علمناه من قدم تداوله. وقبل كل شيء ينبغي الاعتراف بأن الاختفاء المقصود هو مايخص الكتابة التاريخية لاغير، أما تداوله الشفاهي العادي فقد ظل مستمراً ثابتاً في عرف أهل المنطقة وغيرها.

يخضع ظهور واختفاء لفظ جبالة من كتاباتنا التاريخية حسب نظرنا لاعتبارات مرتبطة بالأحداث الهامة التي تجلب عادة أنظار كتاب أحداث التاريخ وهم يتابعون خطوات الحركات السلطانية، واعتبارات أخرى متعلقة بالطوارئ الداخلة على التنظيمات الإدارية التي يقوم بها المخزن من وقت لآخر.

1) فاحتجاب لفظ جبالة واختفاؤه من الكتابات التاريخية إلى غاية منتصف القرن الثاني عشر (18 م) عائد إلى سيادة وغلبة كل من لفظي غمارة وإقليم الهبط.

2) ولا يفسر ظهوره في آخر القرن الحادي عشر سوى القرار الإسماعيلي بخلق قيادة جامعة بين جبالة الأصلية والهبط الأصلي أول الأمر لتضاف إليهما غمارة الأصلية أيضاً، تحت إشراف الأسرة الحماية التمسمانية، قاعدتها الأولى مدينة القصر الكبير والثانية بعدها مدينة تطوان.

3) وسيترتب عن تفكك وحدة السلطة الإدارية بالشمال الغربي وتقسيمها إلى عدة قيادات عودة لفظ جبالة إلى الاحتجاب، فهذا هو ما حدث خلال القرن الثالث عشر (19 م) ابتداء من عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام. وآنذاك وجدنا الشمال الغربي موزعا إلي ثلاث عمالات :

عمالة تطوان التي كانت متحكمة في الجزء الجبلي الشرقي الممتد بين تطوان والجبهة، أي غمارة الأصلية وقسم من جبالة الأصلية، ثم عمالة طنجة التي ضمت المنطقة المشرفة على ساحل المضيق مع التعمق جهة الجنوب نحو جبل حبيب، أي الجزء الشمالي من جبالة الأصلية. وعمالة الغرب التي كانت متركزة بمدينة العرائش.

4) وهناك سبب آخر دفع لفظ جبالة للعودة إلى الظهور على صفحات الكتابات الأجنبية الآخذة بنظرة وحدة الشمال الغربي الجغرافية، دون اعتبار للتقسيم الإداري القائم آنذاك على عهد سلاطين المغرب، بدءاً من الحسن الأول. ويمكن تأريخ ذلك بأواخر القرن الثاني عشر وبداية الذي يليه. ونجد المثال الحي في الحيز الهام الذي خصه أو غسط موليبراس في كتابه *المغرب المجهول*. ولابد أيضاً من تصفح المصادر الإسبانية لأخذ نفس الفكرة عن المجال الجغرافي الذي يطلق عليه لفظ جبالة خلال هذه الفترة.

ومن الملاحظ اليوم عودة لفظ جبالة إلى الاحتجاب من مصنفاتنا ومن القاموس الإداري بعد دخول المغرب في مرحلة الاستقلال. وربما كان ماسبقت إليه من احتجاب لفظ جبالة مشابها لما نراه نحن اليوم.

عبدالكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، ص. 143، تح. أ. بنعدادة ؛ محمد الضعيف الرباطي، *تاريخ الدولة السعيدة*، ص. 106، 144، 145، 160 ؛ كناش خ. ح. بالرباط رقم 126 ص. 55 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، 1 : 36 ؛ *القصر الكبير قاعدة بلاد الهبط*، نشرة مجموعة البحث حول جبالة ؛ *وثيقة خاصة* بتاريخ 29 رجب عام 1260 هـ ؛ *وثيقة أخرى* بتاريخ 4 جمادى الثانية عام 1316 ؛ *خرائط المغرب القديمة*. *خريطة 1848*، القسم الخرائطي بالرباط ؛ *خريطة منطقة الحماية الإسبانية*، *1936*.

Mouliéras, *Maroc inconnu*, 2 : 769 ; *Nuestro protectorado El Rif Yebala*, p. 201 - 224 ; D. Berenguer, *Campañas en el Rif y Yebala* ; A. Riera, *España en Marruecos* ; Alta Comisaria de la Republica espanola, *Vademecum*, Ceuta 1931 ; Comision Historica de las Campañas de Marruecos, *Geografia de Marruecos* 2, Madrid, 1936 ; A. Cabrera, *Al-Maghreb Al Aksa*, Madrid, 1924.

حسن الفكيكي

جبالة، ـ جغرافيا ـ يعود تحديد جبالة لأصول تاريخية وإدارية، إذ كانت تسمى عمالة الهبط في أيام الوطاسيين (حسن الوزان).

وبعدما كانت منطقة جبالة محسوبة على قبيلة واحدة هي غمارة، أصبحت تتألف حالياً من أكثر من أربعين قبيلة تفرعت عن مصمودة وصنهاجة والبرانس والقبائل العربية، تستوطن الريف الأوسط والغربي ومقدمة الريف ؛ بعضها استقر بإيعاز من المخزن لضمان سلامة الطريق بين فاس وطنجة (Khallouk Temsamani, 1996 ; Vignet Zunz, 1995) وهي منطقة محاطة بمجموعة من الحواضر التي تدل على تعمير قديم يعود إلى عهود ما قبل الميلاد : (لكسوس، طنجيس، تمودة ...) تجدد في العصر المرابطي والموحدي أيام أوج المد الاسلامي الأندلسي (بادس، نكور) ليشهد بداية التراجع والانغلاق أيام السعديين (Troin, 1986 ; Michaux-Bellaire et Salmon, 1905).

تعني "جبالة" سكان المناطق الجبلية الواقعة بالجزء الغربي من سلسلة جبال الريف بدءاً من خط طولي يربط حجرة بادس على البحر المتوسط شمالاً ومدينة تازا في الجنوب وحتى شبه جزيرة طنجة. وهو تحديد يميز هذه الجهة عما يمكن نعته ب "ريافة" أي ساكنة الجزء الشرقي من السلسلة الممتد حتى مجرى نهر ملوية (Martin, 1964).

ذهب العديد من الجغرافيين (Maurer, 1968) إلى التمييز بين "جبالة"، وتوافق الريف الرطب المخضر، وبين "الريف" أي الجزء الشرقي من السلسلة وهو ميدان شبه جاف وقاحل ؛ أو بين جبالة الشرقية وجبالة الغربية والشاطئ الاطلنتي (Joly, 1960). كما أن شبه جزيرة طنجة تمثل الجزء الغربي فقط من جبالة (El Gharbaoui, 1981)...

إذن يقتضي تحديد منطقة جبالة جغرافيا مرونة تتفادى الاعتبارات القبلية الموروثة (غمارة، بني حسان، بني عروس، الخلط، الجيش ...) أو المرتبطة بوحدات جغرافية متعارف عليها (الريف الأوسط، الريف الغربي، الهبط، شبه جزيرة طنجة ...) أو ذات بعد بسلالي يعتمد التمييز بين الأصل والفصل على مستوى الأنساب والأسبقية اللغوية ؛ أو ذات مرجعية تاريخية بحكم أنها شهدت فترات مد وجزر الحضارة الإسلامية المغربية ـ الأندلسية. فمن شأن محاولة تدقيق المقصود أصلا بجبالة الدخول في متاهات لم يحصل أي توافق بشأنها من لدن الباحثين، لذلك يجدر اعتبار جبالة هي الشطر الغربي من جبال الريف بما في ذلك غمارة على الواجهة المتوسطية وشبه جزيرة طنجة ثم مقدمة الريف.

جبالة شكل 1

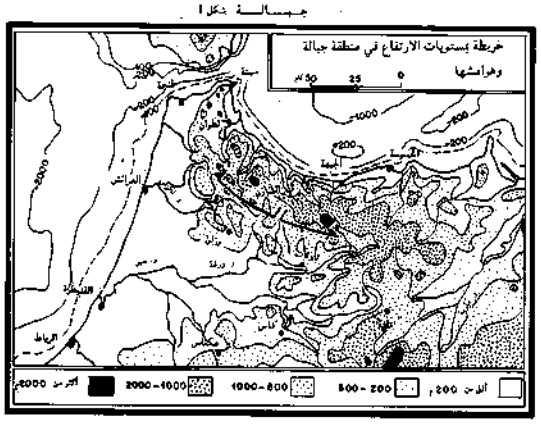

يتمحور الاتجاه العام للتضاريس من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي (شكل 1) وهو يغاير الاتجاه المعهود في باقي الجبال المغربية لأسباب بنيوية وبنائية، مرتبطة بنشأة السلاسل الألبية، وهو اتجاه يضفي عليها أشكالاً تضاريسية طولية.

تشرف جبالة على ثلاث واجهات بحرية هي المتوسط، والبوغاز والأطلنتي، وهذا يكسبها موقعا متقدماً باتجاه أوربا وميزة مناخية تتمثل في مقادير أمطار وفيرة ومصادر مياه تؤمن لها شبكة هدرلوجية كثيفة.

تمتاز جبالة بتضاريس ممزقة ذات أودية شديدة التعمق تفصل بينها أعراف وقمم تارة كوارتزيتية وتارة كلسية وتارة أخرى حتية. وهي مجزأة بفعل شبكة كثيفة من المجاري المائية التي تأخذ وجهات متغايرة صوب البحر المتوسط (بحر البرهان) أو بحر البوغاز أو المحيط الاطلنتي. ارتفاعاتها لا تتجاوز 1500م إلا في بعض القمم، ونادرا ما تفوق 1000م في الجهات الغربية حيث تتحول التضاريس من حالتها الجبلية إلى مجال متنوع تسوده التلال والمنخفضات وسهول تناسب سفوح الهبط أو بمحاذاة أودية لمحرحر، لكوس، ردات أو ورغة.

إشراف جبالة على البحر المتوسط شمالاً يكسبها موقعا ذا بعد متوسطي وتقابلا مع القارة الأوربية ومراقبة لأحد أكبر الممرات المائية بالعالم (ممر جبل طارق).

تنتظم سواحل جبالة كما يلي :

- يمتد الجزء المحاذي للبوغاز ما بين سبتة ورأس سبارتل على مسافة 50 كلم قاطعا بكيفية متعامدة عدداً من الوحدات الطولية إما على شكل جبال أو خلجان.

- يمتد الساحل المتوسطي ما بين سبتة ورأس الصيادين (الجبهة) على مسافة 130 كلم وهو في جزئه الجنوبي (جنوب واد مرتيل) ساحل صخري شديد التمزق يمتاز بالوعورة والانحدارات (25°. 45°) ضمن تكوينات بني بوزرع التي تشرف مباشرة على البحر بمئات الأمتار (600م إلى 400م). ولا ينفتح هذا الشاطئ إلا على مخارج بعض الأودية (أمسة، لاو، تجيساس، متر، تاغزوت، ورينجة).

- بين رأس سبارتيل ومصب نهر اللكوس حيث تقوم مدن أصيلة والعرائش، يمتد الشاطئ الأطلنتي على مسافة 80 كلم ضمن إرسابات البحار الرباعية أو التراكمات القارية الحمراء الممتدة شمالاً وجنوباً حتى مشارف سهل الغرب.

تنتشر جبالة على وحدات جيلوجية متباينة في أصولها البنيوية والتكتونية (شكل 2) منها ما ينتسب إلى الريف الداخلي والظهر الكلسي، كما أن بعضها محسوب على الريف الخارجي (Piqué, 1994) بما في ذلك الريف الأوسط والريف الغربي المتكونان من وحدات غمارة، كتامة، طنجة، لكوس، وزان، وفرشات متعددة منها فرشة تزيغن والفرشة النوميدية ...، وقد دأب الباحثون على التمييز بين أربعة نطاقات هلالية هي كما يلي :

1 - الريف الداخلي Rif interne، ينتمي هذا النطاق إلى صفيحة البرهان التي انفردت خلال الزمن الثاني بين إفريقيا وأوربا ؛ ويتألف من عدة وحدات بلورية ورسوبية :

- البلورية أو السبتية (نسبة إلى سبتة) تتشكل من بريدوتيت وغنس وميكاشست وشست متحول.

- الرسوبية تناسب وحدة غمارة والصخور الأولية وغطاء الزمن الثاني المحيط بها .. بالإضافة إلى فرشات الفليش التي تناسب إرسابات فتاتية توضعت في منخفض عميق على هامش صفيحة البرهان، وذلك على امتداد الكريتاسي والاليجوسين والميوسين.

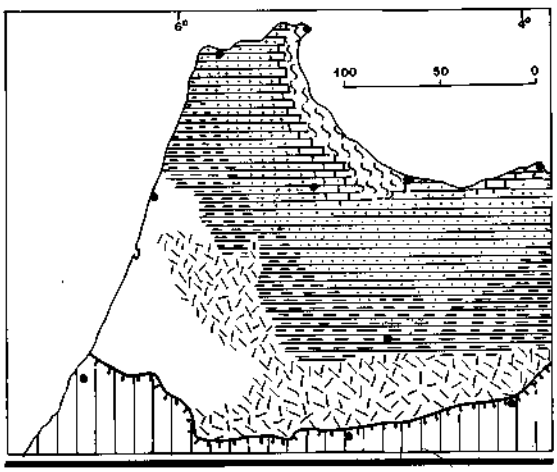

جبالة
الوحدات الجيلوجية شكل 2

2 - الظهر الكلسي Dorsale calcaire، يتألف من مجموعة من الكتل : الحوز بالشمال الغربي، وصنهاجة السراير في الوسط وكتلة بقّويه شرق بني بويفراح. ومن أهم جبال هذه الوحدة : موسى، الحوز، غرغيز، كلتي، لقرع، تيسوكا ...، وهي عادة ما تشكل خط مفترق المياه بين الأحواض المتوسطية والأطلنتية.

يمتاز هذا الحزام الكاربوناتي بارتفاعات تقارب 2000 م وباستقرار كثيف للمداشر على جوانبه (حوالي العيون). واعتباراً لميل طبقات الكلس وأوضاعها الشبه عمودية إضافة إلى شروط مناخية مناسبة، تفرز هذه الجبال نماذج كارستية سطحية وباطنية نتيجة تحلل الصخور الكلسية. فلا غرابة إذن من وجود أحد أعمق الهوات الكارستية في العالم (هوة تغوبيت) جنوب جبل بوحلا، على بعد بضع كلمترات شمال غربي الشرافات (خريطة باب تازا 1/ 50.000) بعمق يناهز 400 م وطول مسالك تزيد عن الكلمتر مع تعدد القاعات الفسيحة (Thauvin, 1971).

3 - الريف الخارجي Rif externe يستقطب هذا النطاق كل المجالات التي تلي الظهر الكلسي إلى الغرب والجنوب،

يمتد على مسافة 200 كلم من طنجة إلى شرق تاونات بعرض لا يقل عن 40 كلم. وهو من منظور الجغرافيا القديمة يناسب أخدودا تمركز على الهامش شمال الافريقي، امتلأ بتوضعات سميكة من الزمنين الثاني والثالث ؛ وهو يتميز عن باقي المجالات الريفية بتكويناته وصخوره الصلصالية والفريشية.

تتشكل أعلى مستويات هذا الجزء في الغرب ؛ صخوره حثية سليسية قد يصل سمكها مئات الأمتار ضمن طبقات تفرق بينها مستويات طينية. هذه السحنات تعرف بالسحنات النوميدية التي يرجعها البعض إلي مخلفات فرشة كبيرة كانت تغلف السواحل المغاربية والأندلسية، لم يتبق منها حاليا إلا أحجام منعزلة ذات اتجاه شمالي غربي - جنوبي شرقي. وهي تشرف بانحدارات قوية ضمن صلصال الاكيتاني على فرشة طنجة وأحيانا ترتبط بها بواسطة تغليفات وتراكمات سفحية من الرباعي القديم تستقر فوقها أشجار البلوط الفليني (جبل خزانة، جبل سكنى، جبل بوهاشم ، جبل حبيب ...). وأفضل نموذج لهذه الأعراف النوميدية جبل العلم (1338 م) الذي يستقر فوقه مقام مولاي عبد السلام بن مشيش.

بيّن عدد من الدارسين (Asebriy, 1994 ; Michard, 1976 ; Suter, 1965 ; El Gharbaoui, 1981 ; Piqué, 1994). أن الريف الداخلي يوجد في وضع زاحف نحو الجنوب الغربي والجنوب أي فوق وحدات الفليش التي بدورها تتوضع فوق الوحدات الخارجية، وقد ساهم حادثا "نكور" و "الجبهة - الشرفات" بكيفية فعالة في بناء هذه السلسلة بدليل اختراقهما شبه الأفقي الممتد لكل من الريف الشرقي والأوسط، وهي طبعا معطيات تكتونية مغايرة لبنائية الأطلس نظراً لانتشار الوحدات الرسوبية أو النقلية المصاحبة للأرساب.

مقدمة الريف Prérif : هي الهامش الجنوبي الأقل ارتفاعا والأنسب للأنشطة الزراعية من مجالات جبالة الأخرى. وهو الأحدث نشأة لا على المستوى الرسوبي فحسب (توضعات سميكة لمواد صلصالية ميوسينية) وإنما على المستوى التكتوني حيث شهد تنقل كتل متغايرة الأحجام والأعمار من الشمال إلي الجنوب نتيجة انزلاقها وتراكبها في قعر بحر الميوسين. لذلك يعمل الجيلوجيون على التمييز بكثير من التعميم بين :

- أراضي نقلية على شكل قدات (ملح، جبس، كلس، حث، صلصال ...) عادة ما تنتمي إلى التورياس والكريتاسي والإيوسين والاليجوسين ؛
- قاعدة صلصالية محلية (ميوسين).

وينتهي هذا النطاق النصف دائري الزاحف فوق الأقاليم الجيلوجية المجاورة كالأطلس المتوسط، وسايس، والهضبة الوسطى.

عرفت صفيحتا أوربا وإفريقيا وبينهما صفيحة البرهان خلال الزمن الثالث فترة تحدد خلالها تطور التضاريس بمنطقة جبالة كما في باقي المجال الريفي، بحيث نشطت الحوادث العميقة وتجدد نشاط الانكسارات السابقة وتوالى التشويه التكتوني في جنوب الريف مما أدى إلى تراكب الوحدات النقلية.

تتعدد القمم الطولية لأسباب بنيوية أو لتقطيع الأودية التي تتألف لتشكيل أحواض ورغة ولكوس وتاحضارت ومارتيل ولاو.. كما تكثر المنخفضات والسهول في شبه جزيرة طنجة بأحجام متباينة إلى حد يوحي بغلبتها خاصة على طول الأودية أو عند مصبها أو في قدم السفوح الممتدة في الأجزاء الغربية المحاذية للشاطئ الأطلنتي (منخفض الفحص، دار الشاوي، بني عروس). وهذا يفيد بتطور متسارع وعنيف لتشكيلات الزمن الرابع المرتبطة بالتفسخ والتعرية المتغايرة وتراكم المواد المفرغة من الأعالي الجبلية ونشرها في الهوامش (هضاب الرمل وخميس الساحل وأصيلة) ثم ما يتبع ذلك من إنشاء الأتربة السميكة وتطورها (El Gharbaoui, 1981) وفق الشروط المناخية والنباتية السائدة (Benabid, 1984).

وتعتبر الصفوف ظاهرة تضاريسية بارزة من حيث إنها تفصل الريف الأوسط عن مقدمة الريف بين وزان وحتى منطقة كهف الغار وتاينست شمال تازا.

كذلك نجد القمم المعزولة والممتدة حسب الاتجاه السائد محاطة بسفوح وحادورات متوسطة إلى ضعيفة الانحدار تنتهي عند مجرى الماء ليبدأ في الواجهة لمقابلة نفس الشكل السفحي مما يجعل التضاريس مهواة ومفتوحة أكثر من حالتها في الريف الأوسط والشرقي.

أما تضاريس الساحل فغلبة الحافات والأجراف البحرية يقابلها قلة الشواطئ الرملية (مرتيل، خليج طنجة، أصيلة) وهي خاصية طبيعية ساهمت في بقاء المنطقة والمغرب عامة مجالا منيعا عن كل غزو.

مناخ منطقة جبالة من النوع المتوسطي، شتاؤه معتدل ورطب، وصيفه جاف وحار ؛ تساقطاته تتوزع بين الخريف (25٪) والشتاء (50٪) والربيع (25٪). أما المعدل السنوي للأمطار فهو يتجاوز 500 مم / سنة بمقدمة الريف لتتساوى التساقطات الملمترية بمقدار الارتفاع فوق الجبال. بحيث تزيد في كثير من الحالات عن 1500 مم / سنة (جدول 1).

ويضفي موقع المنطقة على المجال الحدودي بين الواجهة الأطلنتية وإقليم البحر المتوسط الغربي خاصية التنوع. فالواجهة الأطلنتية تخضع لدينامية المرتفع الاسوري التي تفسر بأسباب فيزيائية كونية ؛ أما ضغوط غرب المتوسط فهي مرتبطة بمنخفض البليار، وتأثيره ضعيف على السواحل الشمالية.

تتعرض جبالة أحيانا إلى تسلل ما يعرف بالنقط الباردة خلال ضعف التيار النفاث (Jet Stream) ؛ فتحول دون تصاعد الهواء الرطب متسببة في أمطار عاصفية وطوفانية فوق المرتفعات. وفي الظروف العادية تسجل

التساقطات تزايداً ملحوظاً من الغرب نحو الشرق إضافة إلى تزايدها مع الارتفاع.

ويتميز مناخ هذه المنطقة كذلك بما تسببه رياح الشرقي من نقص في الرطوبة خلال فصل الصيف عكس ما يحصل خلال فصل الشتاء حيث ترتفع الرطوبة بفعل تأثير التيارات البحرية المتصاعدة (upwelling) من الرصيف القاري في عرض الساحل بين رأس سبارتيل ومولاي بوسلهام فيعم الضباب المنخفضات والأودية.

تتناسب التشكيلات النباتية مع الأوضاع الطبغرافية والبيئة المناخية الرطبة وشبه الرطبة (الأرز، البلوط بأنواعه، العرعر، الضرو، الزبوج، الخروب...) غير أن الغطاء النباتي تعرض لعملية اجتثاث متوالية بوتيرة تصاعدية خلال الربع الأخير من القرن العشرين (حرائق مفتعلة، إزالة مقصودة للغابة، تحايل من أجل تملك الأرض..) فبعد أن كانت غابات جبالة تغطي أكثر من 50٪ من الأراضي في حدود منتصف القرن (بشهادة السكان والدراسات المتخصصة) أصبح هذا المجال أرضاً عراء بنسب مهولة (90٪)، يفتقد إلى الغابة حالياً وإلى الأتربة مستقبلاً.

وبالنظر إلى الفراغ النباتي المتزايد وسيادة الصخور غير النافذة بهذه المنطقة فإن الجريان يكون آنيا يؤدي إلى امتلاء الأودية عن آخرها وقت التهاطل (أكتوبر - أبريل) لتجف طوال الأشهر الجافة (ماي - شتنبر) وتعتبر التساقطات ونوع الركيزة الصخرية والانحدار مصدر دينامية التعرية التي تزيل ما تبقى للسفوح من أتربة. وحين يستقر الجفاف المستديم بأضراره، أو تصيب الرخات والعواصف المطرية والرعدية (خاصة الخريفية) فإن الأتربة المفككة تتعرض للزوال، وهذا يعني تعاقب التعرية المائية والريحية. وما فيضانات 4 شتنبر 1995 وما أسفرت عنه من إتلاف شبه كلي للأتربة فوق سفوح مقدمة الريف (بما في ذلك أولاد زباير، عين كدح، وطابوعبان، تيسة، القرية) إلا مثال لمخاطر التعرية ومخلفاتها الكارثية التي تتهدد المنطقة.

جدول 1 : الحرارة والتساقطات ببعض محطات منطقة جبالة

المحطة	خط طول	خط عرض	ارتفاع (م)	معدل حرارة دنيا	معدل حرارة عليا	الأمطار (مم/سنة)
العرائش	6°09'	35°11'	10	6	26,9	756
أصيلة	6°02'	35°28'	12	7	28,5	758
طنجة	5°49'	35°47'	75	8,5	28,6	745
تطوان	5°22'	35°34'	5	8,6	30,2	770
واد لاو	5°04'	35°26'	3	8,1	32,7	485
الجبهة	4°40'	35°14'	2	--	--	358
الشاون	5°15'	35°10'	280	5,9	33,9	893
وزان	5°38'	34°47'	164	5,3	35,1	885
تاونات	4°37'	34°32'	668	4,9	36,5	761
تايناست	4°08'	34°33'	1250	1,6	35	1058

تعتبر قياسات الحمولة الصلبة (جدول 2) في هذه المنطقة استثنائية ومهولة بحيث بلغت بمحطة لمجعرة حوالي 15 مليون طن بين 1960 و1990. وقد سجلت نفس المحطة سنة 1963 ما مجموعة 2760 مليون م^3 خلال 20 يوما (أي ما يعادل حجم تخزين سد الوحدة خلال سنة). ولاشك أن ما سجل خلال الموسم الأخير (1995 - 1996) قد تجاوز ذلك بكثير.

جدول 2 : حمولة المجاري المائية مؤشر على عنف التعرية
(عن Heusch, 1970 a et b، بتصرف)

المواد	محطة القياس	مساحة الحوض كم2	التعرية ط/كم2 / سنة
السرى	قنطرة سكير	486	3500
أولاي	غفساي	776	2960
أودور	تافرانت	1039	3850
ورغة	المجعرة	6183	2250

تعبر كميات التعرية بمختلف الأحواض عن إزالة مهولة للاتربة تتحمل حقينات السدود تبعاتها.

مظاهر حركية السفوح : تتميز السفوح النشيطة بشكل عام مقعر، تفصل بينها تضاريس المتون والتلال. وتتجلى مظاهر ديناميتها في توالي أشكال مقببة منتفخة ذات قطاع محدب وأخرى منخفضة تحتقن بها المياه لأسابيع وشهور. وهي مظاهر تتجدد خلال السنوات المطيرة كسنوات 62 - 1963 و69 - 1970 و95 - 1996. وقد تختفي معالم الانزلاقات بسبب استصلاح الأراضي وعمليات الحرث والغرس وبناء الأسوار...

كما أن كثرة الشعاب وتعمقها المتزايد دليل على سيادة دينامية فعالة ومتجددة. تأخذ مظاهر التعرية والتصريف بمختلف أشكالها أهميتها من أغلفة الاستثمارات الهيدروفلاحية الموظفة بمحيط جبالة والتي تتمثل في أكبر حقينة سد مغربي (سد الوحدة) بالإضافة إلى سدود أخرى (واد المخازن، الحاشف، ابن بطوطة، اسمير، تلمبوط، النخلة). فالتعرية القوية تفرغ هذه المشاريع وتحكم عليها بالمحدودية (Jeanette et Millies-La Croix, 1965).

وهكذا تعرف سفوح جبالة دينامية كتلية من حيث الحجم بأبعاده الثلاثة، فهي تتعرض لتغيرات فجائية أو مستمرة في أشكالها من جراء حركات نميز فيها بين :

- الدحب reptation : ظاهرة تعم الصخور الهشة تتمثل في حركة سطحية للفتاتات الدقيقة تؤثر في وضعية التربة التي تنتقل مع مرور المواسم نحو أسفل السفح.

- انهيال éboulement : وهي سقوط أحجام متغايرة من الصخور الصلبة بفعل الجاذبية أو الاهتزاز أو تشبع الحافات بالمياه، فتنفصل الأجزاء وتتراكم في قدم الحافات الكلسية أو الحتية أو الصفوف حسب مقدار الإشراف وحجم المواد :

وهذه حالة تصاحب الاهتزازات الأرضية (الحسيمة، ماي 1994) كما تتأثر بطبيعة الصخور والانحدار.

- انهيار écroulement ؛ يناسب انفصال جزء من واجهة الجرف ونزوله بكيفية فجائية دون انتظام على الأراضي السفلية فيتسبب في أضرار قد تترتب عنها أحداث كارثية إذا اعترض مسارها تجمعات سكنية (الشرافات ـ 1973).

- انسياخ solifluxion ؛ قد تتناسب مع ما تخلفه ممرات القطعان فوق السفوح الصلصالية القوية الانحدار، كما تنشأ بفعل ضغط دكات الثلوج حيث يكون تشققها سبباً في انتشار أشكال الانزلاق بسمك ضعيف لكنه يشوه السطح ويتلف التربة.

- نسف fauchage ؛ يحدث حين تتعرض الصخور للتمدد وللتقلص ولنفاذية الماء، وهي ظاهرة تكثر في المتواليات الشيستية والنضيد والميكاشست القوية الميل ؛ وللانحدار دور فعال في تكرارها على طول ساحل الريف الداخلي بين الجبهة وواد لاو.

- اندكاك tassement ؛ تنفصل أجزاء كاملة من المستويات الصلبة المشرفة فتحصل قطيعة مع الحافة الأصلية ثم يغوص الجزء المنعزل ببطء في القاعدة الهشة أو ضمن الصخور اللزجة. فيحصل انتفاخ وتقبب في أسفل السفوح. وهو مظهر شائع بمجموع مقدمة الريف وبالريف الأوسط.

7 ـ انزلاق دوار glissement rotationnel ؛ يتحقق هذا النوع في أوضاع صخرية هشة ومتجانسة. يبدأ الانزلاق من الأعلى بواسطة شق نصف دائري ثم تتوالى شقوق ثانوية متدرجة في أسفل السفح تفصل بين مستويات منبسطة أو مقعرة تحتقن بها المياه (المرجات) وأخرى مقببة تعمل على إيقاف وفرملة الانزلاق كما قد تنتهي بألسنة لزجة متحركة. وفي العمق يمتد الوجه السفلي للانزلاق وفق أقل المستويات احتكاكا. وتمثل انزلاقات سفوح باب تازا، باب بَرّد وتاونات وجل السفوح الواقعة تحت إشراف الحث النوميدي مجالات يسود بها هذا النوع من التشكيل.

ومن مخلفات هذه الديناميات كذلك ما تشكله من احتمالات بحدوث خسائر من جراء مخاطر تهدد حياة الإنسان وتتعرض لها المنشآت.

يجمع المختصون على أن ساكنة الريف نجحت في سالف عهودها في استغلال جيد لإمكانات طبيعية تمتاز بوفرة المياه والغابات ؛ في حين أن ما يناهز 2,5 مليون نسمة حاليا (في جبالة فقط) تعاني من صعوبة التوفيق بين متطلبات العيش والمصادر الأولية.

ورغم تعدد الهيئات الوصية (مشروع الريف الغربي، مشروع سبو، مشروع تيسة القرية، المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي باللكوس ثم وكالة تنمية الأقاليم الشمالية) فإن دراسة التعرية بقيت دون مستوى العلاج الناجع ويغلب عليها الطابع الإحصائي ؛ فالمسألة لا تقتضي فقط إظهار نماذج وأصناف الإزالة الترابية :قطع الغابة، تفكك البنيات الترابية، عدوانية مناخية، سيل غشائي سائح، تخديد عميق أو مركز، أساحل، استقرار مظاهر التصحر... مرفقة بإحصاءات من أجل حث المسؤولين والمستثمرين والفلاحيين على معالجتها. بل أكثر من ذلك ما تنتظره منطقة جبالة هو النظرة الشمولية المتكاملة لمشروع تنمية مستديمة ومستمرة تحفظ للطبيعة بالبقية الباقية من عناصرها الحيوية والإحيائية، ولسكانها بمستوى عيش من حجم طموحاتهم.

تشكل جبال الريف 10٪ من مساحة المغرب وتؤوي أزيد من 5 ملايين نسمة (20٪ من السكان) 80٪منهم سكان قرويون. وتظهر ساكنة مجال جبالة كثافات هائلة (150 نسمة / كلم^2) تناهز ثلاثة أضعاف المعدل الوطني. أما سكان الحواضر فيتوزعون بين مدن كبرى (طنجة، تطوان، العرائش، القصر الكبير) وأخرى أصغر منها (الشاون، تاونات، قرية بًا محمد، وزان، أصيلا، واد لاو...) دون احتساب سبتة الخاضعة للاحتلال الإسباني. وقد ساهمت هذه الكثافات في هجرة أعداد مهمة من السكان نحو أوربا بحثا عن ظروف عيش أفضل.

ينتظم سكان جبالة ضمن عشرات القبائل المتفرعة عن مصمودة وصنهاجة والبرانس والعرب... ؛ يحيط بهذه المنطقة شريط ساحلي لا يقل عن 300 كلم تستقر فوقه جل الأنشطة الصناعية والخدماتية المرتبطة بالمدن، وأخرى تختص بالصيد (العرائش، أصيلة، المضيق، واد لاو، برأحمد، الجبهة) أو بالنقل البحري (محور طنجة ومحور سبتة ـ تطوان) أو إلى أمد قريب جداً بتجارة التهريب والسوق السوداء مع ما تسببه من بوار للقطاعات المنتجة محليا ووطنيا. تستقطب طنجة وتطوان جل الصناعات الحديثة على تنوعها (غذائية، تحويلية، نسيجية، كيماوية، إلكترونية) وتتوزع الخدمات المرتبطة بسياحة المصايف بين واد لاو، مرتيل، رستينكا، خليج طنجة، أصيلة، الشاون...

ومن جهة أخرى ترتبط الأنشطة البشرية الجبلية بزراعة الحبوب والقطاني (تلال مقدمة الريف) ومغارس الزيتون والتين (وزان، تاونات، تازا) وتعتمد في ذلك أساليب تقليدية بعدما تخلت تدريجيا عن الرعي. فيما تتجه الجهود إلى طرح بدائل لوقف انتشار الزراعات الممنوعة (الكيف) التي عرفت تطوراً متسارعاً خلال العشرين سنة الأخيرة من القرن العشرين، بالطبع على حساب المجال الغابوي والفلاحي.

أما في أقدام السفوح والمنخفضات فاتجهت المزروعات منحى جديداً يعتمد السقي بالرش واستغلال كثيف للأرض من أجل تسويق منتجات المضاربة، بعضها لتزويد الأسواق الاروبية. وتعتبر منطقة اللكوس من أهم القطاعات الهيدروفلاحية التي تزود المنطقة بقصب السكر، الشمندر، الفراولة، الفول السوداني، الخضراوات ...

غير أن القطاع الفلاحي، على أهميته يعاني حالياً من تقلص في غنى التربة وتراجع في مردوديتها عن كل هكتار. من هنا يصبح لانتاجية التربة موقع حيوي بالنسبة للاستقرار البشري ومدى استعداد السكان للبقاء ومقاومة النزوع إلى الهجرة.

إنّ منطقة جبالة جزء من سلسلة جبلية حديثة تمثل النهاية الجنوبية الغربية لحوض البحر المتوسط، وتمتاز ببناء جيلوجي متداخل زاد من تعقيده نشاط بنائي ألبي. أفرز به التطور المرفلوجي مظاهر سطح متنوعة ساهمت في تشكيلات بيومناخية غنية. إلا أن السفوح تخضع بهذا المجال إلى دينامية تعرية عنيفة داخل الأودية وعلى السواحل.

يتخلل مناخ جبالة، رغم ملامحه المتوسطية، استثناءات قاسية وعدوانية تارة يتسبب فيها الجفاف (1995) وتارة تنتج عن العواصف الرعدية والأمطار الطوفانية (1995 / 1996). ويأتفاق الجميع تعتبر البنيات الأساسية بالريف وجبالة بنيات هزيلة أو منعدمة أو أصابها التلف كما لا ترقى لتلبية حاجيات السكان المتزايدة. ومن المتناقضات أن قرب هذه المنطقة من أوربا (كمحور اقتصادي عالمي) لا ينعكس على مستوى تجهيزاتها. وما يواجه مجال جبالة لا ينحصر في مجرد توازنات بل يتعداها إلى إشكالية بيئية تزداد تأزما بخطر نفاد المصادر الأولية (غذاء، نباتي، مياه، أتربة). والمؤكد هو أن مقاومة انجراف التربة عملية تتطلب تدخلا عاجلا ومتواصلا بوسائل تتعدى قدرات الأفراد والجماعات إلى إمكانات من حجم الدولة.

من ردود فعل الكثافة السكانية وتداعي التوازنات داخل المنظومة الطبيعية في جبالة ترسخ القناعة لدى السكان بالهجرة نحو السواحل والنفور من الجهات الجبلية. غير أن التكدس المتزايد على السواحل أدى إلى بروز ظاهرة تصحر مماثلة هناك أيضاً ؛ وقد بدأنا نشهد معالم ذلك على طول الشريط الساحلي للغرب والمعمورة كما في الريف وجبالة.

م. حسن الوزاني، 1982، *مذكرات حياة وجهاد 2 حرب الريف*، بيروت، ص. 464 ؛ محمد بن تاويت، 1982، *تاريخ سبتة*، الدار البيضاء، ص. 231.

L. Asebriy, *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central, définition du domaine subrifain.* Thèse d'Etat, Univ. de Rabat, 1994, 284 p. ; A. Benabid, *Etudes phytosociologique et phytodynamique et leur utilité. Ann. Rech. Forest. du Maroc*, n° 24, 1984, pp. 3-35 ; *Bulletin de l'Enseignement Public du Maroc, Rif et Jbala*, n° 71, 1926, p. 89 ; J. Dresch, *Systèmes d'érosion en Afrique du Nord. RGL*, vol. 28, n° 3, pp. 253-260, 1953 ; *Les changements de climat et les mouvements de sol en Afrique du Nord*, 1960 ; A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule Tingitane, étude sur l'homme et le milieu naturel dans le Rif occidental*, Rabat, 1981, p. 439 ; B. Heusch, *L'érosion dans le Prérif, une étude quantitative de l'érosion hydrique dans les collines mameuses du Prérif occidental. Ann. Rech. Forest. Maroc*, n° 12, 1970 a, pp. 9-176 ; *L'érosion hydraulique au Maroc : son calcul et son contrôle, Al Awamia* n° 36, 1970 b, pp. 39-63 ; A. Jeannette et A. Milles-Lacroix, *La lutte contre l'érosion dans le domaine rifain, Mines et Géologie*, n° 23, 1965 ; F. Joly, *Une carte au 1/1.000.000 de l'utilisation du sol au Maroc, application de la méthode cartographique à la recherche des régions géographiques*, p. 115, annexe de cartes ; A. Khallouk Temsamani, *Pays Jbala, Makhzen, Espagne et Ahmed Raissouni*. Tanger, 1996, p. 121 ; J. Martin (et al.), *Géographie du Maroc*, Paris, 1964, p. 253 ; G. Maurer, *Les montagnes du Rif central, étude géomorphologique*. Rabat 1968 (*Travaux de l'Institut Scientifique, série géologie et geographie physique*, n° 14), p. 499 ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*. Rabat 1976 (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 252) ; Michaux-Bellaire et G. Salmon, *Les tribus arabes de la vallée du Lekkous, A.M.*, 1905, p. 443 ; A. Piqué, *Géologie du Maroc, les domaines régionaux et leur évolution structurale*, Rabat, 1994, p. 284 ; G. Suter, *Carte géologique du Rif au 1/500.000*, Rabat, 1965 (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*) ; J.P. Thauvin, *Ressources en eau du Maroc, domaine du Rif et du Maroc oriental*. Rabat, 1971, (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 231), T. 1, p. 321 ; J. F. Troin, *Montagnes et villes dans le Nord-ouest du Maroc. R.O.M.M.*, n° 41-42, 1986 ; Université Mohammed V et Université Abdelamalek Es-Saâdi, *Tanger 1800 - 1956. Contribution à l'histoire récente du Maroc*, Rabat, 1991, p. 550 ; J. Vignet-Zunz, *Djebala. E. B.*, XVI, 1995, pp. 2398-2408 ; W. Wildi, *La chaîne tello-rifaine : structure, stratégie et évolution du Trias au Miocène. Rev. de Géol. Dyn. et de Géog. Phys.*, vol. 24, n° 3, (n° spécial), 1983.

بوشتى الفلاح

جبالي يهودا، ربّي شهير لدى الطائفة اليهودية بشمال المغرب، يعد من أهم مَن تتبرك بهم الطائفة اليهودية لمدينة القصر الكبير.

توفي الربي جبالي يهودا في سنة 1780 م أي ما يوازي سنة 5540 حسب التقويم العبري، وضريحه مزارة كبرى لليهود بالقصر الكبير.

Laredo, *Les noms des Juifs au Maroc*, Madrid, 1978.

شمعون ليفي

الجباية، بالمغرب. في العصر الوسيط، هي عند ابن خلدون من الوظائف الضرورية للملك وحفظ حقوق الدولة..." (*المقدمة*، 243) وترد الكلمة في المصادر بصيغ مختلفة : المجبى ـ المجابي مادة المجبى، وتتداخل المعاني والدلالات المالية والسياسية والعسكرية أحياناً مثل قول صاحب *البيان* (3 : 329) : "جبيت القبائل الفازازية والغمارية جباية عظيمة"، فالأمر هنا يتعلق (بحَرْكة) مخزنية أخضعت فيها هذه المناطق للمخزن الموحدي وهو في فترة ضعفه على عهد الرشيد.

وردت الإشارات الأولى عن الجباية في المغرب الوسيط

ضمن حديث المصادر العربية المشرقية عن المغرب الإسلامي، وقد تركزت الإشارات على الخراج : (مقاديره العينية ومبالغه النقدية). أما أهم مصدر يمكن الارتكاز عليه فهو كتاب *صورة الأرض* لابن حوقل الذي زار المغرب في سنوات الثلاثين من القرن الرابع (10 م)، وطاف بمختلف أنحائه، فقد أشار إلى أنواع من الجبايات فرضها الحكام المحليون على رعاياهم وعلى التجار المقيمين والمجتازين بتلك النواحي (*صورة الأرض*، 79 ـ 96 ـ 97 ـ 99)، ولم يفته تتبع تطور المبالغ الجبائية المحصلة من المغرب ومدى تفاوتها ما بين فترة الولاة والدولة الفاطمية ؛ وفيما يخص المغرب الأقصى، فإن السياسة الجبائية منذ فتحه عرفت بعض التعسف والجور وابتعدت عن الشرع، بل إن بعض الولاة وعمال الأمويين والعباسيين تجاوزوا الحدود فقامت ضدهم الثورات البربرية العارمة (*البيان*، 1 : 27 ـ 38 ـ 39 ـ 43 ـ 51 ـ 52 ـ 83).

إذا تتبعنا مراحل التاريخ الوسيط سواء في المغرب أو في سائر البلدان الإسلامية، نلاحظ تشابهاً كبيراً في الأحداث السياسية الكبرى، فكل ثورة كبيرة كانت أم صغيرة نجد من أقوى أسبابها التعسف في فرض الجبايات والجور في تحصيلها، فالثورة المرابطية ـ التي يقال إنها وجدت ترحاباً في المغرب، وعلى الأصح لم تلق مقاومة عنيفة من سكان المناطق المفتوحة ـ كان من بين أسباب قبول السكان لها، رغبتهم في التخلص من الإمارات الزناتية التي لم يعد من مهامها أواخر عهدها سوى فرض الجبايات والتذرع بأوهى الأسباب لابتزاز أموال الرعية والأعيان وكبار التجار، وأكبر أنواع الجبايات وأثقلها على السكان : القبالة وهي الرسوم المفروضة على السلع التي تدخل الأسواق والمدن، ويتم تحصيلها عند الأبواب ويبدو أن القبالة هي الضريبة التي عُرفت فيما بعد بالمكس والصنك، ففي بعض المصادر نجد ما يفيد ذلك (*القرطاس*، 137 ؛ *نزهة المشتاق*، 3 : 235)، وفي بعضها الآخر وردت بصيغة الجمع "القبالات" فهل القبالات تعني المكوس أي الضرائب المفروضة على مختلف أنواع السلع، أم أنها تعني كل الضرائب غير الشرعية ؟ إن الإدريسي وغيره ممن استعمل المصطلح يقصد ذلك حتى إنه نحت من المصطلح صيغاً أخرى مثل قوله في معرض حديثه عن مدينة مراكش. "..وأكثر الصنع متقبلة .." (*نزهة*، 3 : 235)، وفي المصادر المتأخرة عن الإدريسي ترد القبالات أو المكوس بمعنى الضرائب أو الجبايات، وتتضارب استعمالات هذه المصطلحات في المصادر وأحياناً في المصدر الواحد نفسه، وباستثناء الجبايات الشرعية وهي الزكاة والعشر والخراج والجزية، فإن القبالات والمغارم والمكوس هي جبايات غير ما ذكر.

لم تصبح لائحة الجبايات واضحة نسبياً إلا ابتداءً من أواخر العهد الموحدي، ويرجع ذلك بالأساس إلى اضطرار الخلفاء الموحدين المتأخرين، وسلاطين بني مرين وكذا شيوخ بني وطاس إلى فرض أنواع متعددة من الجبايات متميزة بأسمائها ومقاصدها، ولم يكن من سبقهم في حاجة إلى ذلك :

فالمرابطون قاموا ضد القبالات لكنهم وجدو أنفسهم مرغمين على فرض قبالات وجبايات جديدة شملت حتى أبسط المواد المستهلكة حتى ولو كانت ظرفية مثل الجراد (*نزهة المشتاق*، 3 : 235) وقد استخدموا في استخلاص الجبايات المرتزقة المسيحيين (*الحلل الموشية*، 84).

اتخذ الموحدون من بدعة المرابطين ذريعة قوية للدعاية ضدهم، وبعد صعودهم حرصوا على تجنب السقوط في التناقض المرابطي، فاكتفوا في بداية أمرهم بالضرائب الشرعية ومنها زكاة الفطر التي كان المخزن الموحدي يجمعها، لكن الموحدين كانوا متشددين في جبايتها حتى إن الممتنع عن أداء الزكوات كان يقتل ؛ (*رسائل موحدية*، 167) ومن تشددهم كذلك أنهم اعتبروا البلاد المفتوحة أو التي تأخرت في الالتحاق بالموحدين ملكاً خالصاً لهم، وأن الرعية ماهم الا متصرفون بأمر منهم، وان الفلاحين مجرد "عمال في الأرض" عليهم أداء مابين نصف المحاصيل الزراعية وثلاثة أرباعها للمخزن الموحدي. كادت هذه السياسة المتشددة أن تقضي على الوجود الموحدي بما أثارته من تمردات وثورات عارمة عمت المغرب من شماله إلى جنوبه، واضطر الموحدون إلى التراجع مكتفين بمشاركة الناس في فلاحتهم وأنشطتهم التجارية والصناعية يأخذون مابين الثلث والنصف في بعض الجهات ومن بعض المحاصيل، وفي جهات أخرى تتم مقاطعتهم على مبلغ مالي معلوم يؤدّى سنوياً (*الروض الهتون*، 24).

كانت السياسة المالية والجبائية الموحدية ـ رغم التشدد ـ واضحة مما جعل الناس ينصرفون إلى العمل والإنتاج، فانتعش اقتصاد البلاد وتطور العديد من القطاعات (*المن بالامامة*، 347 ؛ *الروض الهتون*، 28) وأمكن الحديث عن وجود اقتصاد حقيقي للسوق. واتباع الموحدين لسياسة جبائية واضحة ومرنة يرجع ولاشك إلى تقاليد المصامدة وتجربتهم في سهولهم وجبالهم المرتكزة أساساً على التنظيم والانضباط وقت السلم والحرب فيما عرف "بإغرم وأگادير" المترجم إلى العربية بكلمة مخزن ؛ تلك التجربة التي طورها الموحدون متأثرين في ذلك بالحضارة الرومانية والإسلامية. من ذلك قيام الخليفة عبد المومن بإحصاء الأراضي الزراعية، وهو ما عرف بالتكسير والذي تحددت على أساسه الجبايات الشرعية من خراج وزكاة وجزية.

قامت الثورة الموحدية كمشروع شامل ومتكامل، استطاع المغرب خلاله تحقيق بعض التقدم على العديد من المستويات، ويتزعم العالم الإسلامي مكوناً أكبر امبراطورية إسلامية وأقواها في ذلك العصر، كل هذه الإنجازات كانت نتيجة تراكم مادي وسياسي استثمره المصامدة خير

استثمار، وقد ارتكز بنيانه على مجموعة من التوازنات ما بين السادة والأشياخ على مستوى القمة، ومابين العصبية الحاكمة (الموحدين) والمحكومين (الرعية) على مستوى القاعدة وعلى سياسة مزدوجة تتراوح مابين المرونة والشدة ؛ وأهم ما ميز الدولة الموحدية في عهد الخلفاء الأوائل هو تحقيق تلك التوازنات وخاصة منها التوازن مابين متطلبات المخزن وحاجيات السكان. ويتبين من السياسة المالية والجبائية للخلفاء الثلاثة الأوائل أنها كانت سياسة مخططة ومدروسة أو على الأقل لها مبرراتها إذ كانت تقدم خدمات اجتماعية : مارستانات، حارات الجذمى وذوي الأمراض المعدية، حفلات الختان العمومي لأبناء الفقراء، رعاية الأيتام، توزيع الصدقات والتبرعات على المعوزين من ذوي البيوت، إضافة إلى توفير الأمن وتنظيم المهام العسكرية والإدارية...

هذه التوازنات والأهداف كانت مراقبة بصرامة من قبل الخلفاء والأجهزة التابعة لهم. لكن بدأت التوازنات الموحدية تختل بعد وفاة الخليفة الموحدي يعقوب المنصور، وباختلالها طفت على السطح الكثير من الأمراض المجتمعية والسياسية والإدارية، فظهر المرابون والسماسرة، واستغلال النفوذ ... فاغتنت فئات جديدة على حساب عامة الناس وعلى حساب المخزن نفسه (*الروض الهتون*، 24 ؛ *الذيل والتكملة*، 177 ـ 178).

دخل المرينيون المغرب في ظروف ضعفت فيها الدولة الموحدية بعد معركة العقاب وتخريب تلك الفئات الانتهازية للبلاد، فقلّت ساكنة المغرب وهزل اقتصاده، دخل هؤلاء قصد الاستفادة من خيرات البلاد الطبيعية ليس لديهم مشروع سياسي أو دعوى دينية إصلاحية، بل هدفهم الاستيلاء على الأرض وتوزيعها فيما بينهم، (*القرطاس*، 282) فكل قبيلة وقرية تغلبوا عليها إلا وأخضعوها لإتاوات وجبايات سنوية أو لمغرم مالي يقبضونه فوراً، وبسيطرتهم التدريجية على المغرب وجدوا أنفسهم بعد استتباب سلطتهم مضطرين لتغيير سياستهم ونظرتهم التي دخلوا بها إلي البلاد، فكان هاجس البحث عن الشرعية يقض مضاجعهم، فاندفعوا في اتباع سياسات منسجمة حيناً ومتباينة أحياناً لاستمالة الشرفاء وملاطفة المتصوفة واصطناع الأتباع من الفقهاء والعلماء والدخول في مسلك بناء وتشييد المدارس والمساجد والزوايا والقصور ... إلى جانب بعض الهدايا إلى الخارج وتوفير العطايا والجرايات في الداخل ... كل ذلك كان يتطلب أموالاً أكثر فأكثر لم تكن تجارة القوافل المتعثرة ولا الاحتكار التجاري لبعض المواد كافياً لتوفيرها، فعمد المخزن المريني إلى نهج سياسة جبائية واسعة ـ عمودياً وأفقياً ـ فكان كل سلطان أو شيخ من أشياخ العصبية المتحالفة الحاكمة يجتهد في ابتكارها فتعددت المغارم والمكوس والوظائف والملازم ... وتعددت أساليب تحصيلها والاستفادة منها، فكان الإقطاع الجبائي ونظام الالتزام أشد أساليبها ضرراً بالعامة (*مسالك الأبصار*، 305 ـ 306 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 194 ـ 195 ـ 196 ـ 197).

لم يحرص المرينيون على التمييز مابين الشرعي وغير الشرعي في الميدان الجبائي للأسباب التي أشرنا إليها، فبقيت المسألة موكولة إلى مزاج السلاطين والأشياخ وقوة أو ضعف شخصيتهم، ومرتبطة أيضاً بدرجة التقبل أو الرفض عند الرعية، وهكذا وبمناسبة صعود سلطان جديد إلى الحكم يعمد إلى سياسة "التلميع" بإزالة بعض الجبايات وتوزيع الصدقات ومواساة الفقراء، لكنه سرعان ما يقع في التناقضات فيعمد إلى فرض أنواع جديدة من الضرائب تحت أسماء وعناوين أخرى وهكذا نستطيع بتتبعنا للتاريخ المفصل للمرينيين والوطاسيين ومن الإشارات القليلة المتناثرة في المصادر أن نضع لائحة أولية بأنواع الضرائب (مرتبة ترتيباً هجائياً).

النوع	قروية	حضرية	المرور	المفروضة عليهم
الأعشار	x	x		بضائع التجار والغنائم
الإنزال	x	x		بعد العائلات
(إيزْدَغْنْ)	x	x		المهاجر من بلده
البرنس	x	-		؟
التعشير		x		على البضائع والتجار
الجامكية	x	x		على جميع المخالفين
الجزاء	x	x		المتأخر في الأداء
الجزية	x	x		أهل الذمة
الجمون	x	-		الفلاحين في الواحات
الحبل	x	-		؟
الخراج	x	-		على الفلاحين
الخرص	x	-		في الواحات (البستنة)
الخطبة	x	x		على الجميع
الرتب			x	على المسافرين
الزكاة	x	x		على المسلمين
الضيافة	x	x		بعض القبائل
الفطر	x	x		المسلمين
القاعة	-	x		التجار
القانون	x	-		على الرؤوس
المطوى	؟	؟		؟
المعونة	x	x		على الجميع
مغارم	x	x		جميع السكان
مغرم الماء	x	-		عند المخالفة
مكوس	-	x	x	البائع والمسافر
الوظيف	x	x		الجميع

أنواع الضرائب

بقراءة سريعة لهذه اللائحة نستطيع الخروج بالاستنتاجات التالية :

1 ـ أن الضرائب المفروضة على القرى والبوادي أكثر عدداً وأثقل وقعاً.

2 ـ إذا أضفنا إلى اللائحة طرق استخلاص الجبايات وغالباً ما كانت تعطى إقطاعاً لكبار الموظفين مدنيين وعسكريين ولشيوخ بني مرين والأمراء والحاشية ... جاز لنا أن نتصور ما يتعرض له الملزمون أو الضحايا من تعسف (*مسالك الأبصار*، 305 ـ 306 ؛ *وصف افريقيا* (م س) 1 : 194 ـ 194 ـ 196 ـ 197).

3 ـ الغموض والخلط الذي يلجأ إليه بعض الحكام لتضليل الناس، فضريبة الخرص والجمون مثلاً يتم التلاعب بها. فهي حسب بعض الفقهاء خاصة بالأشجار المثمرة في الواحات (*المعيار*، 1 : 295) لكنها ربما فرضت على جميع الفلاحين، وهكذا يتم تمديدها وتقليصها بحسب الحاجة وحسب السنوات والمحاصيل. والخلط والتلاعب نفسه حدث في الزكاة، فقد عمد المرينيون إلى تحديد زكاة الفطر التي كانت في العهد الموحدي من مداخيل المخزن، لكنهم عمدوا إلى تسمية أنواع أخرى من الضرائب غير الشرعية زكاةً (*أنس الفقير*، 23) ولتثبيت السكان في الأرض والحد من الهجرة أو الفرار استحدثت مغارم خاصة عرفت بايبزعدن (ابيزغدن) بالنسبة للمهاجر إذ عليه أن يؤدي ما هو مفروض عليه في بلده وفي المهجر. والقانون وهي ضريبة على الأشخاص القادرين على العمل. أما الضرائب الحضرية فأبرزها وأثقلها على النفوس المكوس، وقد تلاعب فيها الكثير من الحكام، فرغم قول المصادر عن السلطان عند توليه إنه "هدم المروس وأزال المكوس" فالواقع أن حركته لم تكن إلا تمويهاً، أو فاتحة خير ـ عن حسن نية ـ لكنه لن يلبث أن يدرك الواقع ويدخل في التناقضات فيعود إلى سنها والتشدد في جبايتها أكثر ممن سبقه، ونظرة إلى اللائحة تبين أن تلك المكوس قد فصلت فأعطى لكل منها اسم، مثل القاعة والخطيئة، ومغرم كذا وكذا ...

لم يكن للمرينيين ما يبرر سياستهم الجبائية سوى الجهاد في الأندلس في عهد السلاطين الأوائل وتأمين الطرقات والمدن، أما في الفترة التي تلت السلطان أبا عنان فإن الضرائب أصبحت وسيلة من وسائل التسلط أي أن الأموال العمومية (بيت المال) لا تصرف إلا في تثبيت سلطة فلان أو فلان ضد خصومه وإرضاء شهواته ورغبات الأتباع واصطناع المؤيدين ...

أصبح هذا الاتجاه التسلطي أكثر وضوحاً في العهد الوطاسي، فهؤلاء شكلوا الحلقة الضعيفة في التحالف المريني عند دخوله المغرب، ومنذئذ لم يفارق هاجس الانتصار لأنفسهم من خصومهم شيوخَهم، ولما تمكنوا من الوصول إلى السلطة كانت البلاد قد ضعفت ولم يأبه شيوخهم بذلك، بل مارسوا سلطتهم وزادوا في غيهم فعمدوا إلى إقطاع الضرائب وأضافوا إلى اللائحة أعلاه أنواعاً أخرى من الجبايات ووزعوا بينهم أحسن المناطق وأجود الأراضي وأصبحوا في نهاية عهدهم مثل عصابة تبتز الناس وتبقي القبائل والقرى تحت نفوذها، لا لشيء إلا لأداء الضرائب (*وصف افريقيا*، 1 : 120 ـ 121 ـ 122 ـ 126).

ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت د. ت ؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء 1979 ؛ ابن عذاري، *البيان*، بيروت 1948 وتطوان 1960 ؛ يـ. ابن الزيات، *التشوف*، الرباط 1958، 1980 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، الرباط 1965 ؛ ابن حوقل، *صورة الأرض*، ليدن 1938 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، الطبعة الايطالية نابولي د. ت 5 أجزاء ؛ ل. بروفنصال، *مجموعة رسائل موحدية* ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط 1964 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، بيروت 1964 تونس 1987 ؛ ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة* ... السفر السادس الجزء الأول ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972؛ أ. العمري، *مسالك الأبصار* ؛ محمد المنوني، *ورقات عن الحضارة المغربية في عهد بني مرين* ؛ فانيان، *مقتطفات*، الجزائر 1924 ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط 1980 جزآن.

محمد حجاج الطويل

الجبّاد، الذي يسرّح الملابس والثياب بعد غسلها. وكان المغاربة إلى ما قبل عقود معدودة من السنين ينظّفون ملابسهم ويمددونها لتزول انكماشاتها بطرق تقليدية متوارثة.

وكان بعض الناس في عدة مدن مغربية قد تخصصوا في تصبين الملابس كما تخصص آخرون في تسريحها. يسمى الشخص المتخصص في إزالة الأوساخ عن الأثواب والأردية والأقمشة الصبّان، ويدعى القائم بتسريحها الجبّاد. ومازالت بعض الأسر المغربية حتى اليوم تحمل أسماء "الصبّان" و"الجبّاد" مما يدل على أن مهنة تنظيف الملابس وتمديدها كانت مهنة معروفة مثل سائر المهن التي لايستغني عنها كل مجتمع وخاصة مجتمع الحواضر.

يقوم الجبّاد بتسريح الملابس حتى تتمدد، وكانت التقنية التي يستعملها الجباد بسيطة تتطلب شد اللباس من جميع جوانبه وجرّ أطرافه وحصرها بواسطة ألواح مهيأة لذلك، منها ما كان يوضع في القب والأكمام وعلى طول اللباس وعرضه حتى يحافظ على التمدد لمدة قد تطول أو تقصر. وبعد نزع ألواح التسريح يعمد الجباد إلى كبرتة الملابس لحماية قماشها من الأرضة التي قد تعلق بالثوب وقد يعرض اللباس مرة ثانية إلى الغسل الكثيف بالماء والصابون المختلط بالحدج قبل مباشرة كبرتته مرة أخرى إذا لاحظ وجود العتة بها (التونيا). وتكون آخر مرحلة من مراحل الاعتناء باللباس هي تطييبه وتعطيره بأنواع عادية من عطر ماء الزهر أو الريحان (الحبق).

وكان الجباد في عدة مدن مغربية يجمع بين تصبين

الملابس وتسريحها. لكن التصبين عادةً عملية منفصلة عن التسريح فكانت الملابس التي تنظف إما في المنازل أو على ضفاف الأنهار أو العيون والسواقي وغيرها تسلم إلى الجباد ليقوم بتسريحها. وكانت الملابس التي تسلم إليه في معظمها خارجية أهمها الجلابيب والسلاهيم ثم بعض الملابس الداخلية كالاكسية والقفاطين. إلا أن عامة الناس كانوا يرتدون ملابسهم مباشرة بعد تصبينها دون الاعتناء بتسريحها على يد الجباد. أما أهل اليسر والثراء عموماً وخاصة منهم الأمراء والفقهاء والقضاة والعلماء والتجار والكتاب والموظفون المخزنيون والقواد والعمال فكانوا لايرتدون ملابسهم إلا نظيفة ممددة منجرة ومعطرة. وكانت حنطة تصبين الملابس وتسريحها والعناية بها وتطييبها وتعطيرها وصيانتها في صناديق ورفوف مصنفة من بين أهم الحنط الداخلية في القصور المخزنية.

م. داود، *تاريخ تطوان*، الجزء السادس، 1978 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء 15، 1960 ؛ عبد الكبير الكتاني، *توفير المنة*، مخطوط خ. ع، 2404 ك ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف اعلام الناس*، الجزء الرابع، 1931 ؛ *العز والصولة*، 1961.

P. Lemoine, *Missions dans le Maroc occidental*, Paris, 1905 ; J. Borely, *Mon plaisir au Maroc*, Paris, 1927 ; A. Lamazière, *Le Maroc secret*, Paris, 1952 ; L. Brunot, *La cordonnerie indigène à Rabat*, *Hesp.*, vol. 33, 1946 ; H. Triki et A. Dovifat, *Medersa de Marrakech*, Paris, 1990 ; H. Triki, *Abdelmalek As Saâdi*, in *le Mémorial du Maroc*, vol. 3.

محمد بوسلام

الجبّاص، أو الجبّاصي أسرة فاسية عريقة أصلها من قبيلة سفيان ببلاد الغرب. ذكر طائفة منهم صاحب *جنى زهر الآس* وقف على أسمائهم في رسوم عدلية من القرن الثالث عشر (19 م) تتحدث عن معاملاتهم بفاس بالبيع والشراء والكراء. ومازال هذا القبيل بالمدينة الإدريسية على قلة.

ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

الجبّاص، مَحمد السفياني الزرهوني ثم الفاسي، وُلد حوالي سنة 1264 / 1847 بمدينة فاس وكان من النخبة السياسية الجديدة التي تلقت تكوينا عصريا بالمدارس العليا البريطانية، ارتقي في عدة وظائف مخزنية منذ عهد السلطان الحسن الأول إلى أن تقلد منصب الوزير الصدر في عهد المولى يوسف إبان الحماية.

تلقى محمد الجباص تعليمه بجامع القرويين، وهناك أخذ العلم والمعرفة من علمائها ولاشك أنه كان متفوقاً في دراسته، لذلك تم انتقاؤه من بين الطلبة النجباء، وسنه لا يتجاوز الثانية والعشرين، الذين كان السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمان يعتزم توجيههم لتعلم مبادئ العلوم الرياضية العصرية بمصر سنة 1286 / 1869 "... ونفذ لهم

المؤونة، إلا أن ذلك لم يتم لأسباب سياسية، وأقاموا بفاس يقرؤون على شيخ ماهر عينه المخزن لذلك، وهو مولاي إدريس البلغيثي" (وثائق فانسين).

ولعل هذه الحظوة هي التي زادت من صقل مواهبه وتألقه، وأهلته ليكون من بين الطلبة النابغين والمتفوقين الذين تم اختيارهم للبعثة التي قرر السلطان مولاي الحسن ارسالها إلى أوربا وكان سنه آنذاك 28 سنة.

كان الجباص من بين الطلبة الخمسة عشر الذين وقع عليهم الاختيار في إطار بعثة تعليمية إلى دول أوربا لتعلم اللغات والعلوم "... ولما وصلوا مدينة طنجة أقاموا بها يتعلمون مبادئ الألسن، وكان محمد الجباص هو الذي يترأس المجموعة أثناء دراستهم بمدينة طنجة" (*مذكرات* سكيرج، ص. 29) ولما اكتمل تكوينهم "... فرقوا على بلدان أوربا، فتوجه إلى بلاد النجليز محمد الجباص وإدريس بن عبد الواحد، والزبير سكيرج" (*مظاهر*، ا : 167). وكان درموندهاي، القنصل البريطاني، قد قام في هذا الصدد بمراسلة حكومته سنة 1875، للسماح لهؤلاء الطلبة بتلقي العلوم في بريطانيا، ويذكر الزبير سكيرج عضو البعثة في *مذكراته* (1845 - 1932) أنه سافر رفقة زميله إلى بريطانيا لتلقي العلوم المتنوعة بمدينة شاتهام Chatham، وهي مركز حربي لبناء المدرعات، وبها مدرسة ملكية للمهندسين تسمى Royal Engeneers of Chtham.

وقد أكد الجباص خلال مدة الدراسة جدارته ونجابته، وهذا ما تؤكده الرسالة التي بعث بها احماد ابن موسى إلى درموندهاي، يقول فيها : "... وعرفنا ما أخبرت به عن الطلبة الثلاثة المتعلمين العلوم في بلادكم من ظهور نجابتهم

سيّما الجباص منهم" (ابن الصغير، ص 433).

ونظراً للمكانة التي كان يتبوأها، فقد وقع عليه الاختيار من بين أصدقائه لوضع خريطة مفصلة ومدققة للمغرب، وظف فيها كل المعارف التي اكتسبها في ميدان الرسم الطبوغرافي والهندسي، واعتمد في إنجازها على نماذج من خرائط فرنسية وأنجليزية، وذلك سنة 1879 (ابن الصغير، ص 433 / هامش 357)، وتوجد نسخة وحيدة من هذه الخريطة بقسم الجمعية الملكية للجغرافيا بلندن، وقد أسقط من هذه الخريطة جزء من طرفاية، ولعل ذلك كان بتوجيه من بريطانيا، لأن مشكل طرفاية كان قائماً آنذاك بين المغرب وبريطانيا، فالمخزن المغربي كان قد احتج آنذاك ضد استقرار ماكينزي بطرفاية سنة 1879، والخريطة وضعت في دجنبر 1879. وكانت بريطانيا تسعى من وراء وضع الخريطة إلى استعمالها كحجة ضد المخزن لتؤكد بأن طرفاية لم تكن تدخل ضمن ممتلكات السلطان (*مظاهر*، 1 : 167) وقد دامت مدة دراسة محمد الجباص ببريطانيا خمس سنوات عاد بعدها إلى المغرب سنة 1880 ليتقلّد مناصب مخزنية.

تبين عودة البعثة من أوربا الطريقة التي تعامل بها المخزن مع الأطر المتعلمة في أوربا علوما عصرية، فبعد عودتهم لم يكن بإمكان المخزن ومؤسساته العتيقة أن تستوعب هذه الأطر بمعارفها وعلومها الجديدة، لذلك كان على أعضاء البعثة، ومنهم محمد الجباص أن يكتبوا للمخزن قصد استخدامهم والاستفادة من معارفهم، وهذا ما توضحة الرسالة التالية :

"... ويدعون بخطوط أيديهم أنهم بعد تحصيل اللسان حصلوا جل العلوم الحربية والهندسية، وحيث إنهم مازالوا لم يستخدموا في شيء مما تعلموه، لم يتحقق عندنا صدق ما يدعون وإنما تظهر ثمرة الأعمال بتطبيق القواعد على الأعمال" (*مظاهر*، 1 : 168 ؛ *العز والصولة*، 2 : 150).

وبعد استخدامهم كلف كل منهم بمهمة :

- فالزبير سكيرج : تركيب الموازين بالمراسي
- إدريس بن عبد الواحد : طبجية طنجة
- محمد الجباص : الخدمة الشريفة

وبذلك يكون محمد الجباص قد اندمج في سلك الخدمة المخزنية المركزية وأصبح مفروضا عليه أن يؤكد جدارته. كان سنّ محمد الجباص لما عاد من بريطانيا سنة 1880 لا يتعدى 33 سنة تقريبا، فكان له من الوقت ما يكفي لتأكيد جدارته في الخدمة الشريفة، وأن يتقرب أكثر من أطر المخزن (*الأصول* : 288). فقد وظفه السلطان مولاي الحسن كاتبا بالصدارة، ونفّذ له المؤونة بالوزارة الحربية، ثم صار "يتخابر معه في عدة مسائل وهو يحسن الجواب ويصيب الصواب، فأقبل - رحمه الله - عليه، ووجه اعتناءه إليه، وكثيراً ما كان يسأله عن أحوال أوربا ولما شاهده من عجائب رقيها وتمدنها، ويستفيد منه أموراً لبعد المواصلة إذ ذاك بين المغرب وأوربا، وعدم اطلاع بعضها بعضا على العوالم الوطنية والتنظيمات الإدارية (*وثائق نانت*، 1917) وهذا معناه أن محمد الجباص، أصبح مقربا من السلطان مولاي الحسن يحظي بثقته. ولما توجه السلطان إلى مدينة مراكش "أذن له في إلقاء دروس بالمدرسة المخزنية هنالك على طلبة خصصوا لذلك، رغبة منه - قدّسه الله - في تعميم النفع" (*وثائق نانت* لسنة 1917 + *الكتاب الذهبي*، ص 112) كما رافق السلطان في حركته الأولى إلى سوس سنة 1299 / 1881، لأنه كان خبيراً في شؤون الحرب، ثم انتدبه السلطان لمعالجة مسألة النزاع مع الشركة البريطانية حول رأس جوبي، وكان معززاً بالعامل ولد بيروك، وحصل على نتائج حسنة.

وفي سنة 1300 / 1882 عينه السلطان بجانب أمين المال محمد التازي موخا، وأحدثت لهما بنيقة خاصة لمباشرة مسألة "الترتيب" الذي اعتزم تجربته في إطار محدود داخل قبائل دكالة والشاوية.

وبعد وفاة السلطان مولاي الحسن وتولية ابنه مولاي عبد العزيز عين محمد الجباص كاتبا أول في وزارة الحربية سنة 1882 باقتراح من الوزير الوصي احماد ابن موسى الذي كان يقربه إليه ويطلعه على بعض أسرار السياسة مدة حياته (*وثائق نانت* + *الكتاب الذهبي*، 112).

محمد الجباص في سفارة الجزائر : (1900 - 1903) ولما انتدب السيد عبد الكريم ابن سليمان وزير الخارجية سفيراً لروسيا وألمانيا، كان بمعيته "أبو عبد الله محمد فتحا الجباص ... ومن نتائج سفارة ابن سليمان .. تعديل مسألة الحدود الجزائرية المغربية، وكان الذي رشح للوقوف على تصفيتها محمد الجباص بصفته رئيساً (*إتحاف*، 1 : 98، 397). وبعدما صادق عبد الكريم ابن سليمان في مارس من سنة 1901 على اتفاقية الحدود المغربية - الجزائرية، ووقع التوقيع عليها في باريس بين Delcassé ديلكاسية من جهة وابن سليمان من جهة أخرى بتاريخ 20 يوليوز 1901، عين محمد الجباص لوضع الاتفاق التطبيقي للمعاهدة مع الجنرال كوشميز Cauchemez بالجزائر في 20 أبريل 1902 وبيرمهولف Peyerimhoff موظف الحكومة الفرنسية بالجزائر في 7 ماي 1902 (C. Alain, Agadir 1911, p. 55).

- وأثناء سفارته للجزائر قام بمبادرة الاطلاع على بعض القوانين العصرية التي كانت تسير عليها إدارة الجزائر، وذلك رغبة منه في عرضها على السلطان عبد العزيز ليختار منها ما يوافق طبيعة البلاد ولا يعارض القواعد السياسية للحكم، وقد أسعفه الحاكم الفرنسي في ذلك، فقدم لمحمد الجباص مجموعة من النصوص وقوانين الإدارة الجزائرية بعد ترجمتها للغة العربية (*مظاهر*، 2 : ص 139) وكان بالفعل قد ابتدئ في البحث عن كيفية دخول أنظمة جديدة إلى المغرب، وكان ذلك كما يقول السليماني

"...دخول هذا النظام وتأسيساته ومبادئه مع الفقيه السياسي الغيور المتفنن السيد محمد الجباص السفياني، حين توجه لمدينة الجزائر معتمداً في بعض الشؤون" (*التهافت*، 142)، ولاشك أن هذا النظام الجديد كان بلاشك هو بداية التفكير في تنظيم مداخيل الدولة بإحداث ما سمي "بالترتيب".

وفي سنة 1321 / 1903 عاد محمد الجباص إلى المغرب ليخلفه في ماموريته آنذاك محمد بن الحسن الحجوي. الذي قال في ترجمته لمحمد الجباص "وقد خلفته في سفارته لما تولى وزارة الحرب" (*مختصر العروة*، ص 17) وكلفه السلطان بوزارة الحرب بعد أن عزل المنبهي عنها، ويذكر بوعشرين في كتابه *التنبيه* إلى أن هذه التولية كانت بإشارة من الوزير عبد الكريم ابن سليمان وزير البحر (الخارجية) "لقرابة بينهما واتصال" (*التنبيه*، ص. 113)، ولأنه في نفس الوقت كان يشغل منصب الكاتب الأول لوزارة الحرب منذ فترة وصاية احماد ابن موسى.

ولعل هذا الاختيار كانت له مبررات اذكر من بينها :

- أن الجباص كمهندس متخرج من المدارس الحربية الانجليزية، كانت له مؤهلات ثقافية وعلمية تؤهله للقيام بمهام عسكرية.
- أنه انخرط في سلك وزارة الحربية منذ البداية وتمرس على بعض المهام العسكرية وتعرف علي خباياها.
- أنه كان مسانداً ومدعما من طرف أحد رجالات المخزن وهو عبد الكريم ابن سليمان لقرابته، لهذا تم اقتراحه لتحمل هذه المسؤولية، وعضد السلطان هذا الاقتراح.
- لاشك أنه كان لفرنسا نصيب في تدعيم اختيار مَحمد الجباص كوزير للحرب، خصوصاً وأن الفرنسيين استطاعوا التأثير عليه وكسبه إلى صفهم أثناء مفاوضاته في الجزائر لعقد اتفاقيات الحدود سنة 1902، ولعه سيسعى مستقلاً لتدعيم مركز فرنسا داخل المغرب.

وقد حاول مَحمد الجباص، من موقع مسوولیته کوزیر للحرب، أن يقوم بمبادرة لإصلاح الجيش "فأنشأ مدرسة لتكوين بعض أطر المخزن بمدينة فاس سنة 1906 واستقدم إليها رشيد أفندي المصري، وأسند إليه تعليم الرياضيات التي كان يدرسها في نفس دار الوزير لأحد عشر تلميذاً على نفقة المخزن" (لوتورنو - *فاس*، ص. 677)

وقام بتعيين قواد طوابير البوليس، وبقي محافظا على الأمن العام ما بين طنجة والعرائش والقصر وتطوان والقبائل الجبلية المحيطة بها إلى أن ظهر مولاي عبد الحفيظ (*نانت*، 1971).

كان مَحمد الجباص قد شارك النائب الحاج محمد الطريس في أمور دار النيابة بطنجة، وذلك بأمر من السلطان عبد العزيز، ثقة بالجباص واعتماداً عليه. وبعد موت الطريس واتمام الأمر للسلطان عبد الحفيظ أقره على دار النيابة وحده وذلك سنة 1326 / 1908 وأنعم عليه بالوسام الحفيظي من الرتبة الأولى، ولكن مع ذلك، فإن طبيعة الصراع التي ميزت هذه المرحلة، وتشابك المصالح والأغراض، جعلت مَحمد الجباص يبقى وفياً لحكومة السلطان مولاي عبد العزيز (R. Daniel, T. 1, p. 93) بل اعتبر من جهة أخري أنه كان أكثر ارتباطاً بالمفوضية الفرنسية والكاي دورساي، وكانت الاشاعات تتحدث عن نقله أو عزله عن دار النيابة بطنجة واستدعائه إلى فاس.

وقد وافق الكاي دورساي على منحه الحماية الفرنسية هو وأسرته (C. Alain, *Agadir*, p. 53) وقد كان محمد الجباص هو آخر نائب سلطاني يتولى هذه المهمة قبل إعلان الحماية على المغرب سنة 1912.

يمثل محمد الجباص بحق نموذجا بارزاً من بين النخبة السياسية المغربية التي تعاملت مع الظرف الجديد بدون تحفظ، والذي قررت فرنسا الاعتماد عليه في تطبيق سياسة الحماية بأطر محلية لها تجربة عريقة في مجال الخدمة المخزنية.

فلما أقر المقيم العام الفرنسي ليوطي عزل محمد المقري من منصبه اختار من بين عدة شخصيات مخزنية محمد الجباص، الذي عينه وزيراً أعظم للسلطان الجديد مولاي يوسف، لأن محمد الجباص كان ميالا للتعامل مع فرنسا من جهة، ولأنه كان ينتمي إلى تلك الشريحة الاجتماعية الجديدة التي أفرزها المجتمع من جهة أخرى وحسب تعبير دانيل "فهو نموذج البورجوازي الفاسي الكبير من أصل أندلسي (! ؟)" (دانيل، ص. 77. 176).

لقد توج هذا التعيين بظهير سلطاني صدر في متم رجب من عام 1331 / 1912 جاء فيه : "... فقد أعفينا خديمنا الطالب محمد الجباص من التكليف هناكم (ثغر البيضاء) ووظفناه بالوزارة الكبرى، وأسندنا لابن عمنا الأرضى سيدي محمد الأمراني الوظيفتين المذكورتين خليفة الحضرة الشريفة وعامل البلد في ثغر البيضاء" (*الإتحاف*، 4 ص. 293).

لعل المنصب المخزني الذي أُسند لمحمد الجباص كوزير أول لم يعد إلا منصبا شكليا، حيث احتكرت سلطات الحماية كل الصلاحيات وركزتها بيد المقيم العام الذي أصبح يتحكم في خيوط اللعبة السياسية داخل المغرب، ويداهن أطر المخزن المتلاشي. وهكذا قال في حفل أقيم بمدينة الرباط سنة 1914 بعد أن أنهى الوزير الصدر محمد الجباص خطابا باسم المخزن الشريف، فأجابه ليوطى بقوله : "كما كان من حظ الدولة الفرنسوية أن رأت جلالة السلطان معضدا برجل سياسي مثلكم، فإن خبرتكم الكاملة وإتقانكم لأمور السياسة، وما أو تيتم من الفطانة والنباهة التي أظهرتموها في مناصبكم السالفة قد وجدت في وظيفتكم السامية التي تشغلونها اليوم ميدانا فسيحا تجلت فيه وتوطدت بالثقة التي جعلها فيكم جلالة السلطان ولقد برهتم على ذلك كله براهين ساطعة" (*سمط اللئالي*، ص.35 و34).

فهل أدرك محمد الجباص، وهو يمارس وظيفة الوزير الصدر، ما آل إليه المخزن المغربي الذي أصبح مجرد واجهة شكلية، فقرر نتيجة لذلك طلب الإعفاء من منصبه ؟ أم أن ظروفه الصحية وكبر سنه هما اللذان كانا وراء تقديم استقالته من منصب الوزير كما ذكر دانيل (3 : 119). لقد كان عمره آنذاك سبعين سنة حينما استقال من الوزارة سنة 1917، ومع ذلك احتفظت له الحماية الفرنسية بلقب الوزير الصدر، كما أقره السلطان مولاي يوسف على "رئاسة المجلس العلمي الأعلى لتعليم المعارف الإسلامية حتى لا تضيع نصائحه وسوابقه ولا تنقطع مع المخزن الشريف علائقه، وسدل عليه وعلى ذريته وأصهاره وقرابته أردية العز والوقار ومكنه من ظهير شريف بذلك" (*وثائق نانت*، 1917).

وانسحب محمد الجباص إلى مدينة الجديدة التي استقر بها زهاء سبع عشرة سنة من سنة 1917 إلى سنة 1934) ورحل إلى الشرق لأداء فريضة الحج سنة 1352 / 1934، وعمره آنذاك يناهز 87 سنة، وعندما أتم مناسكه وولى وجهه نحو المدينة المنورة وافاه الأجل المحتوم أثناء الطريق ودفن برابغ، "وكان له شغف عظيم بالوصول إلى المدينة والإقبار بها رحمه الله" (*العز والصولة*، 2 : 150).

وهو ما يؤكده كل من محمد الحجوي في *العروة الوثقى* وصاحب *الكتاب الذهبي* بخلاف ما ذكره المنوني الذي قال بأن وفاته كانت بالجديدة عام 1352 (*مظاهر*، 2 : 7 هامش 12 ؛ *الأصول*، ص. 268 هامش 69).

ترجمة محمد الجباص، *وثائق نانت*، DACHCAO, Nantes, Carton, 26 sept. 1997 ؛ م. الحجوي، *مختصر العروة الوثقى*، سلا، 1938 ؛ السليماني، *اللسان المعرب*، الرباط، 1971 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث*، بيروت، ج 2، 1986 ؛ الحسن بوعشرين، *التنبيه المعرب عما عليه الآن حال المغرب*، تح. محمد المنوني، 1994 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، الرباط، 1933 ؛ *العز والصولة*، ج.2 الرباط، 1962 ؛ علي الطرابلسي، *مسقط اللثالي من سياسة المشير ليوطي نحو الأهالي*، 1926 ؛ خالد بن الصغير، *المغرب وبريطانيا العظمى في (19 م)*، الدار البيضاء، 1990، *مذكرة سكيرج* ؛ روجي لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، تر. م. حجي وم. الأخضر، بيروت.

Daniel Rivet, *Lyautey et l'institution du protectorat français au Maroc, 1912 - 1925*, Paris, 1988, 3 vol. ; *Livre d'or du Maroc*, Paris, 1934 - 1935 ; A. Laroui, *Les origines...*, Paris, 1977 ; J. Claude Allain, *Agadir 1911*, Paris, 1976.

المصطفى فنيتر

جبُور، أسرة تطوانية يقال إنها أندلسية. أقدم مَن عرفنا منها السيد العربي جبور من أهل القرن الثاني عشر (18 م) كان متزوجاً السيدة ثاثة بنت محمد الناصر. وله منها ابن يسمى أحمد جبُور كان حياً سنة 1215 هـ.

جبُور عبد الرحيم بن عبد الكريم، كان عارفاً باللغة الإسبانية متجنسا بالجنسية الإسبانية ومتزوجاً بإسبانية عمل أيام الحماية ترجمانا بنيابة الأمور الوطنية. وسمي : مؤرخ تطوان الرسمي. له *مقالات في التاريخ* بالإسبانية، *ومحاضرة في تاريخ تطوان وعائلاتها*.

عين بعد الاستقلال مديراً لديوان عامل تطوان (بنونة) وتوفي بعد ذلك.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، جزء 3 حرف ج ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ج نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان.

محمد بوخبزة

الجبُوري، الجيلالي المدعو البحر، أحد قواد جيش البخاري في عهد الحسن الأول، يعود إليه - وإلى ابن الحفيان قائد المائة - فضل إنقاذ السلطان وحاجبه موسى بن احماد وإخراجهما - بعد عناء - من شعبة بوقرية المعروفة بالشقة إثر الهزيمة التي ألحقتها قبائل غباثة بجيش المخزن في 26 جمادى الثانية عام 1293 / 19 يوليوز 1876.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 2 : 159.

ابن **الجبر، أبو بكر** الصنهاجي يكنى أبا يحيى وينتمي إلى قبيلة صنهاجة القبلة (ايزناگن) جنوب مراكش، ويصنّفهُ البيذق من ضمن "أهل الخمسين المستدركين بعد التمييز" (*المقتبس*، 35).

وقد أصبح ابن الجبر أحد قادة الجيش الموحدي، ولعب أدواراً هامة في الصراع بين الموحدين والمرابطين. فمنذ وصول الموحدين إلى قبيلة بني سعيد بجبال غمارة وتوحيدها، بقي ابن الجبر قائداً لجيش الموحدين بهذه المنطقة الشمالية في "تاغزاوت متاع بني يزيد" (*أخبار المهدي*، 54) بقبيلة بني سعيد.

وعندما غادر الخليفة عبد المومن أگرسيف يريد فاساً نزل بالمقرمدة فجاءه أبو بكر ابن الجبر بعسكر غمارة للمشاركة في فتح مدينة فاس، وقد تطوع لمعرفة خبر وقوة يحي بن غانية بفاس، حيث أخذ معه 500 راجل من صنهاجة ومثلهم من هسكورة، وسار بهم إلى جبل زلاغ المشرف على المدينة وأشعل النار على قمته، فأدرك أهل المدينة أن الموحدين (وكانوا يسمونهم الخوارج) قد اقتربوا منها، فخرج ابن غانية من الغد لقتالهم، وقد قدر ابن الجبر عسكر ابن غانية بألف وخمسمائة رجل ما بين لمتونة وأهل فاس، فقاتلهم أبو بكر بن الجبر بمن معه ثم رجع الصحراوي إلى فاس، وصعد ابن الجبر ثانية إلى قمة الجبل وأشعل النار ليفت في عضد جيش المرابطين وسكان المدينة.

وقد استعصى فتح فاس على المرابطين رغم أن القوة التي كانت بها لم تكن ضخمة، ويعود جزء من ذلك إلى طبيعة الأسوار الجديدة التي أحاط المرابطون بها فاساً، والتي سيأمر الخليفة عبد المومن بتحطيمها بعد فتح المدينة. لذلك فإن عبد المومن لما رأى أن فتح المدينة يتطلب حصاراً طويلاً قسم جيشه إلى قسمين، قسم قاده بنفسه وتوجه به إلى جبل العرض، والقسم الآخر جعله تحت إمرة أبي بكر

ابن الجبر، وكان مكونا من صنهاجة وهسكورة، فتوجه إلى "نوگ" إيگران" على مشارف فاس وحاصرها.

وفي غضون حصار ابن الجبر لفاس، جرت بينه وبين عبد الله ابن خيار الجياني مشرف فاس من قبل المرابطين اتصالات أدت إلى الاتفاق مع الجياني على تسهيل فتح المدينة. وفعلا خرج الجياني إلى الموحدين وفتح لهم أبواب المدينة فدخلوها سنة 540 / 1145 بعد حصار دام تسعة أشهر، ولم يجد ابن غانية خياراً سوى الفرار بجيشه في اتجاه حصن أمرگو، ومنه إلى الأندلس، في حين تحول الجياني إلى خدمة الموحدين فأقروه على إشراف فاس.

طارد ابن الجبر فلول المرابطين إلى حصن أمرگو فقتل مجموعة من قوادهم، منهم يوسف الجياني ومحمد السايبة، وتم أسر القائد عمر بن نيتان اللمتوني، الذي طلب عبد المومن عدم قتله امتثالاً لوصية المهدي بن تومرت بعدم قتل أبناء نيتان لأنه هو الذي أخرجه من سجن علي بن يوسف وساعده على الفرار من مراكش.

وساهم ابن الجبر أيضاً في عملية إخضاع القبائل الغربية للسلطة الموحدية، فقاد عملية إخضاع قبيلة صنهاجة وجراوة، وقتل منهم ألف شخص في موضع يسمى بالعمرى سنة 541 / 1146.

وفي أثناء عملية "الاعتراف" التي تمت سنة 544 / 1149، في شكل مجازر رهيبة عمت كل مناطق المغرب الأقصى لتصفية معارضي السلطة الموحدية، نجد ابن جبر يتدخل ليشفع في نساء أهل "تازرفت نْ يملوان" الذين سيقوا بعد قتل رجالهم إلى تادلا، فقبلت شفاعته فيهن، فلم يبعن في أسواق الرقيق (*أخبار المهدي*، 71). ولا ندري الدافع الأساسي لهذه الشفاعة، الذي لايبعد أن يعود إلى تقاليد القرابة والدم القبلية.

ولا نعلم متى وأين توفي ابن الجبر، لكنه ترك ابنا اسمه يحيى كان مقربا من الأمير أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن وشارك إلى جانبه في مواجهة هجومات ابن مردنيش وابن همشك على إشبيلية سنة 554 / 1159 (*أخبار المهدي*، 80).

أ. البيذق، *القتبس*، الرباط 1971 ؛ *أخبار المهدي*، الرباط 1971.

محمد المغراوي

جبران، عبد السلام بن علي بن عبد الله المسفيوي المراكشي، ولد عام 1333 / 1914 بقرية حاجب أيت سولت بقبيلة مسفيوة على بضعة كيلو مترات من أغمات. حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنوات بقراءة نافع، وابن كثير، و أبي العلاء البصري. ثم انتقل إلى مدرسة تغنبوشت بأيت عبد السلام بمسفيوة التي بقي بها نحو سنتين حتى حفظ جملة من المتون والأمهات أهلته للتوجه إلى مراكش والالتحاق بجامعة ابن يوسف. فانكب على تلقي العلم على يد عدد من الشيوخ منهم : الفقيه ابن الحسن الدباغ وعبد الجليل بلقزيز ومولاي أحمد العلمي وعلي السباعي رافع والمختار السباعي والمختار السوسي وغيرهم.

انقطع جبران عن الدراسة ليشتغل موظفاً بإدارة الأملاك المخزنية. وبعد تأسيس النظام بالجامعة اليوسفية، تقدم لمباراة الأستاذية بها فنجح وعين أستاذاً رسمياً عام 1362 / 1943. فزاول التدريس بالابتدائي مدة، ثم انتقل للثانوي، ثم النهائي في سنة 1371 / 1952، ثم فصل عن العمل بسبب أفكاره الوطنية.

ومع بزوغ فجر الاستقلال رجع جبران إلى عمله في التدريس بالأقسام النهائية في ابن يوسف بالإضافة إلى القيام بمهمة إدارة الطور الأول من التعليم الأصيل، وبقي قائماً بأداء الواجب الملقى على عاتقه إلى أن أنشئت كلية اللغة العربية بمراكش، فعين بها أستاذاً ونائباً للعميد، كما عين عضواً في المجلس العلمي بمراكش، وبعد وفاة الرئيس الرحالي الفاروقي عين مكانه كرئيس للمجلس العلمي. وشارك أكثر من مرة في الدروس الحسنية الرمضانية، وكانت تتخلل دروسه نكت أدبية واستشهادات شعرية لكثرة محفوظه الأدبي نثراً وشعراً.

توفي بمراكش يوم الثلاثاء رابع وعشري ربيع الأول عام 1413 / 22 شتنبر 1992، ودفن بمقبرة باب أغمات.

أ. متفكر، *ذيل الإعلام*، مخطوط ؛ *معرفة شخصية وروايات شفوية*.

أحمد متفكر

جبراني، مبارك بن صالح مقاوم، ولد سنة 1336 / 1917 بهوارة إقليم أگادير، وعند انتقاله إلى مدينة

الدارالبيضاء دفعته غيرته الوطنية واحتكاكه ببعض الأصدقاء إلى الانضمام إلى المقاومة السرية بالمدينة.

شارك في عدة مواجهات واشتباكات ضد القوات الفرنسية واستمر في نضاله الوطني إلى أن تم اعتقاله من طرف الشرطة الاستعمارية التي مارست عليه التعذيب والتنكيل إلى أن استشهد بتاريخ 7 شتنبر 1955.

كتاب شهداء الاستقلال، 4 : 173.

الجبرائيلي، محمد بن حسن المراكشي أديب ملهم وشاعر موهوب ملأ اسمه الساحة الأدبية بمراكش في عصر الظلم والظلام - عصر الاستعمار - وأصبح اسمه مقروناً بقرض الشعر الجيد، فهو أحد رواد الحركة الشعرية في الثلاثينيات. كان يُدعى محمد بن حسن المراكشي، وأصبحت أسرته بعد الاستقلال تحمل لقب (الجبرائيلي). ولد عام 1326 / 1908. كان والده تاجراً بسوق السباط، ومقدم أصحاب *دلائل الخيرات*، أي (الطائفة الجزولية). أدخله والده إلى كتاب الحي فحفظ القرآن الكريم مع بعض المتون المتعارف عليها آنذاك، ثم التحق بالجامعة اليوسفية وجالس شيوخ العلم بها أمثال شيخ الجماعة الحاج العربي الرحماني البربوشي والفقيه ابن القرشي والفقيه علي السباعي (رافع) والفقيه الصوفي محمد بوستة (السي امّان) كما أخذ عن الشيخ السلفي أبي شعيب الدكالي.

استطاع محمد بن حسن بذكائه وقوة حافظته، أن يلفت إليه الأنظار، ويصبح محط إعجاب شيوخه وزملائه، ويتفوق تفوقا كبيراً على أقرانه، ولم تمر فترة دراسته عادية، بل اكتنفتها طرائف وقصص مع شيوخه الذين لم يكن راضياً عن بعضهم، ولم تقنعه دروسهم لما له من المؤهلات الفكرية والذكاء القوي، والمزاج الحاد، إلى جانب فورة الشباب، وجموح المراهق.

لم تدم دراسته بالجامعة اليوسفية طويلاً، إذ انقطع عن الدراسة لظروف عائلية واجتماعية، لكن علاقته بالثقافة، وقراءة الكتب والمجلات الشرقية بقيت مستمرة لاينفك عن التزود بها.

أنشأ المترجم له قصائد في منتهى الجودة والإتقان، في الخمر والغزل والهجاء والوطنية والوصف والرثاء وغير ذلك من أغراض الشعر العربي، يطلق الشعر على سجيته حانياً رقيقاً، وثائراً ملتهباً، وساخراً هازئاً، لكن ضاع شعره معه، ولم يبق منه إلا النزر القليل. أما أكثره فقد أحرقه بيده، أخبرني بذلك شاهد عيان، وهو صديق حميم للشاعر.

ولعل هذا السلوك اللاواعي ناتج عن أزمة نفسية عنيفة مر بها الشاعر، وصدمة داخلية مكبوتة أثرت على نفسه ومزاجه تأثيراً عميقاً، جعلته يعيش في حالة شذوذ نفسي وفكري، ساخراً من الحياة ومن بالحياة :

نفسي دعيني للعلى والسؤدد ... نلت المنى إذ كان مني مرشدي
ماضاق فهم قضية في مشهد ... وتوقفت أنظار من في المشهد
إلا وقال الكل يا لمحمد ... طربي يقول الكل يا لمحمد
لكنني أقضي حياتي لا أرى ... إلا خصوماً مظهرين تودد
يبدون لي عند اللقاء مودة ... وإذا خلوا نالوا منال المبرد

سبق أن قلت إنه تعرض لأزمات نفسية عنيفة جعلته يعيش حياة لهو واستمتاع بملذات الحياة، غير مكترث بالقيم الأخلاقية والاجتماعية. ولو ساعدت الظروف ببقاء شعره، أو الزمرة التي كانت تعاشره لوصلنا إلى حقيقة أمره، والدواعي التي أدت إلى التمرد والثورة على المجتمع الذي ولد فيه، والذي تكتنفه غيوم مطبقة على الأفق، وجور الحكام واضطهادهم لحقوق أفراد المجتمع.

فرغم هيمنة الأگلاوي وسطوة الاستعمار، انفجرت شاعريته، وعبر بكل صدق وإخلاص عن مشاعر أبناء مراكش، وما تجيش به صدورهم من غضب وحقد تجاه الباشا الذي كان يدعوه الوطنيون سنة 1937 (فرعون) وخليفته البياز (هامان)، وبأسلوب فكه يعرض بنسيهما :

في منامي رأيت آدم عينا ... معَ حواء في جدال نزيه
آدم قال : إن فرعون نجلي ... وأخوه هامان لا ارتضيه
خبريني : حواء من أين هذا ... واصدقتي فما أنا بأبيه
لست مرتابا في عفافك لكن ... حار ذهني في أمر هذا السفيه
إن قابيل دونه في عقوقي ... أبداً يلحق الأذى بذويه
ساءني كيده بني تباعا ... أينما كان لعنتي تقتفيه
فأجابت حواء في الحال جهراً ... ليس هذا مما تفكر فيه
قد أتاني الشيطان به يوماً ... وادعى أنه اعز بنيه
فاستعذت الإله فانفلت الشيـ ... ـطان جريا وقال : نجلي خذيه
فاصطفاه فرعون هذا قرينا ... فلعنا فرعون لعن أخيه

مات في مطلع الشباب عام 1362 / 1943 بعد أن عاش هذا العمر القصير في مكابدة ومصارعة مع رغباته النفسية، ومع المجتمع الذي لم يجد فيه متنفساً لآماله ورغائبه، وشيعت جنازته من محل سكناه بحي سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي إلى مقبرة باب أغمات.

روايات شفوية : أ. متفكر، *ذيل الاعلام*، مراكش، مخطوط.

أحمد متفكر

الجبس، سلفات الكلسيوم المموه ($CaSO_4.2H_2O$)، نظامه البلوري أُحادي الشكل، بلوراته مُصفحة، أو على شكل ألياف أو "حصصة الرمال" إذا ما كان التبخر في الصحراء ؛ كثافته 2.3 إلى 2.4 ؛ صلابته 1.5 إلى 2.0. إن أنواع الجبس الشفاف،قليلة جداً، إذ يكون مبدئياً أبيض أو ملوناً بالأشهب، أصفر، وأحياناً أحمر ؛ لمعانُه زجاجي إلى حريري.

من بين أنواع الجبس نذكر الـهَيْصَم ذا حبيبات دقيقة، والسِّلنيت أو جبس القمر، ونَجدُه على شكل ألياف شفافة، صافية البياض. كثيراً ما نجد الجبس على شكل تلاصف بلوري، أو "حديد الحربة" أو "ذيل الخطاف".

يتكون الجبس بعملية تبخر المياه الغنية بالملح، إذ نجده

مجتمعاً إلى حجر الملح والايندْريت. يستعمل الجبس الطبيعي خاصة في صناعة البناء، حيث يُعَرَّض لحرارة تتراوح ما بين 300° و400°، ويتحول على إثرها إلى جبس صناعي "أكثر صلابة. ويستعمل الجبس كذلك في ميدان الطب والصباغة. أما إذا ما رفعنا حرارته إلى ما فوق 400°، فإنه ينقطع عن امتصاص الماء، ونستعمله بعد ذلك في صناعة الألوان والإسمنت والنحت، وكذلك كحجر نفيس (سلنيت). ونستعمل الجبس أيضاً في صناعة الكبريت وحامض الكبريت.

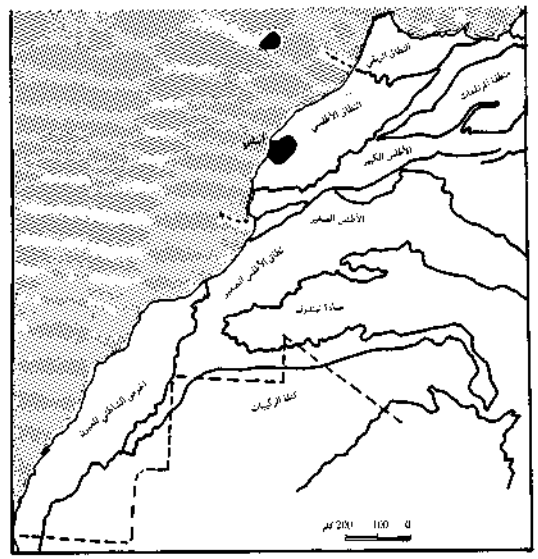

نجد الجبس بالمغرب في مناطق أسفي واليوسفية وسيدي تيجي وعين النقرة بالمغرب الأوسط وجبل معزوز (بناحية تاوريرت)، وگرسيف ووزان وواد نكور بالريف. يوجد الجبس في مناطق أسفي على هيئة طبقات وعدسات شبه أفقية متداخلة في صخور الجوراسي العلوي. وأيضاً نجد الجبس في الثلاثي والطباشيري والميوسين في عدة أماكن من المغرب، نذكر منها ناحية عين النقرة (المغرب الأوسط) وجبل معزوز (قرب تاوريرت) وگرسيف ووزان وواد نَكورْ (الريف).

يستعمل الجبس بالمغرب خاصة في صناعة البناء، والألوان، والإسمنت، والنحت وكذلك في صناعة الكبريت وحامض الكبريت. وتقدر الاحتياطات فيه بما يزيد عن 6 مليارات من الأطنان إلى حدود سنة 1977 م، ويصل إنتاج المغرب السنوي من هذه المادة إلى حوالي 100.000 طن يخصص الجزء الكبير منه للتصدير.

عبد الله بوصحابة

الجبلي، أحمد السوسي، أصله من بلاد جبالة بشمال المغرب، وهو من مواليد 1318 / 1900، حصل على نصيب لا بأس به من العلم فكان مجوداً للقرآن ومتمكناً من العربية والنحو، له إلمام بالفقه، إضافة إلى سلوكه القويم ودماثة أخلاقه ورغبته في المزيد من التحصيل، قضى فترات طويلة متنقلا في البوادي مجاهداً وطالباً وداعياً إلى جمع كلمة المسلمين ضد العدو المحتل للبلاد، جاهد تحت قيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي في الريف ولما استسلم هذا الأخير في سنة 1926 صمم أحمد الجبلي على متابعة الجهاد في أماكن أخرى بالمغرب، فالتحق بثورة محمد بن بلقاسم النگادي بتافيلالت واشتغل كذلك بتعليم الصبيان في مسجد مضغرة. ولما تمكنت فرنسا من احتلال هذا الإقليم توجه إلى تامگروت وقضى بها سنة ثم شد الرحال إلى المدرسة الإلغية بسوس وأقام بها سنتين طالبا وداعيا للجهاد، محاولا استنهاض الهمم وإيقاظ الشعور الديني والوطني في صفوف السكان بلسانه ومقالاته داخل المدرسة، وقد أورد له محمد المختار السوسي منشورين، الأول مؤرخ في أواخر عام 1350 / 1932 والثاني يحمل تاريخ 14 محرم 1351 / 20 ماي 1932 يدعو فيهما إلى الجهاد ويحلل فيهما الأوضاع داخل المغرب وفي فرنسا وأطماع الدول فيها. ومما ورد في الأول قوله :

"ألم يكن في علمكم أن العدو ساع في طلبكم سعيا حثيثا، ويبذل مجهوده ليكون مالكا لرقابكم ولأرضكم وارثا، ولدينكم وأنسابكم مغيرا وعائثا... أرضيتم بالعيش على هذه الصفة بعدما كان أسلافكم ذوي كرم وعفة وأنفة". ويستطرد قائلا : "فإن فرنسا التي تخشون بأسها قد انتقلت من الذكورة إلى أن صارت فتاة عمومية وكل دولة تحاول الاختصاص بها، فعدوتها ألمانيا بما لديها مما اشتهرت به من أوصاف اليهودية تريد المساحقة بها عند اشتداد شبق السيطرة بها. وأميركا تريد الاستمتاع بها تحت ما لها من الديون ووفرة دنانيرها، وإيطاليا تناوشها وروسيا تسعى في إتلافها جزاء ما دسته لها من الدسائس إذ ورطتها في تلك الثورة العارمة وفقدت بذلك مالها ورجالها..."

وأما المنشور الثاني فيضم خمس صفحات ويصف في نفس المحور حيث أفاض في بيان فظائع الاستعمار ومعابثة الأهالي الخاملين أو المستسلمين للواقع، وتطرق فيه كذلك إلى المدعين المخادعين وإلى العلماء والأولياء واعتقاد الناس فيهم فيناشدهم قائلا :

"فما هذا الذهول أيها المسلمون، النوم اعتراكم حتى لم تبالوا بانكشاف سوءاتكم ؛ والدفاع عن أعراضكم لازال في استطاعتكم، ومجال العمل متسع لديكم، والظروف لكم مساعدة..." وبذل جهده لإقناع مخاطبيه بأنهم بإمكانهم الانتصار على جيوش الاحتلال بشتى الوسائل إذا جمعوا شملهم في انتظام. وفي هذا الشأن يقول لهم : "أما الحروب ففي أثناء العمل ياتيكم من يدبرون شؤونها بمنتهى الدقة ويخوضون غمارها ويقتحمون أخطارها بلاءً وابتلاء إن دعت الضرورة لها..." وإذا أتيح للقارئ أن يطلع على المنشورين المذكورين في نصهما الكامل فسيقف على أن أحمد الجبلي كان سبّاقا لنشر الوعي السياسي الذي عرفته

الحواضر الكبرى لبعض العالم القروي الذي كان في أشد الحاجة إلى التأطير السياسي. فهذا الرجل جمع بين العلم والدعوة إلى الجهاد نظرياً وعملياً والإلمام بالأوضاع الداخلية والعالمية وبكل أسف لم يجد آذاناً صاغية.

ولما تمكنت جيوش الاحتلال من السيطرة على نواحي سوس في ذي القعدة سنة 1352 ؛ خشي الجبلي على نفسه فغادر البلدة متجها نحو أزاغار ثم مدرسة إيغيلالن عند الأستاذ الحاج مسعود الوقفاوي فأخذ عنه ما تيسر من العلوم وبعدها انتقل إلى الحواضر، ويبدو أنه توفي بعد سنة 1382 / 1962.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 331.

الجبلي، أحمد بن **محمد** الكنكسي، الأغزاوي الأصل، المكناسي النشأة والدار، فقيه مشارك، ماهر في التوقيت والتعديل وعارف بالنحو والفقه، من تلامذة الشيخ محمد ابن حلام والشيخ حمدون ابن الحاج السلمي، وقد اشتغل بالتوقيت بكل من جامع سعيد المشنزائي بمكناس وجامع مولاي إدريس بزرهون كما ساهم في التأليف وإن كان إنتاجه لا يتجاوز كتابين اثنين هما :

. *النفحات الوردية والمطيبات الطيبية في تاريخ مكناس الزيتون المولوية* وهو كتاب في التاريخ غير عام.

. *روض الورد والزهر في مولد المصطفى خير البشر*.

وقد وقف المؤرخ عبد الرحمان ابن زيدان على هذا المؤلف الأخير وتحدث عنه في كتابه *الإتحاف* وأورد فقرة من مقدمته تعكس محبة الجبلي للجناب النبوي الشريف.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 364 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع ؛ دليل مؤرخ المغرب الأقصى*، 1 : 63.

محمد ماكامان

الجبلي العيدوني، أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب العلمي حسبما أورده بنفسه في *مذكراته* التي قال فيها إن أصل أسرته من بني عروس، وأن جده عبد الله انتقل إلى الرباط سنة 1173 / 1759 حيث ولد فيها ابنه محمد والد أحمد المترجم.

كان أحمد الجبلي العيدوني ضمن البعثة الطلابية الموجهة إلى إيطاليا أوائل القرن الرابع عشر (19 م). ولما عاد إلى المغرب سنة 1314 / 1896 انخرط في الأسلاك العسكرية حتى سنة 1320 / 1902 فقدم استقالته.

زودني ابنه الدكتور أحمد الجبلي العيدوني (وهو سمي أبيه) بصورة من المذكرة المشتملة على تفاصيل حياته وتعلمه بالخارج. قال فيها إنه ولد بالرباط يوم 13 صفر عام 1283 / 27 يونيو 1866، وأنه خرج من طنجة يوم 8 ربيع الأول عام 1305 / 24 نونبر 1887 على متن الجوالة الإيطالية "كاريبالدي" فوصلت إلى جنوة يوم 27 منه. ثم التحق بالمعهد الدولي الإيطالي بمدينة طورينو حيث تلقى تعليماً أساسياً هو وجماعة من المغاربة. وفي أكتوبر سنة 1891 التحق بمدرسة تكوين ضباط المشاة بمدينة مودينا. وفي أكتوبر من السنة التالية 1892 نجح في مباراة الدخول إلى الأكاديمية العسكرية لضباط المدفعية بمدينة طورينو. وفي 22 محرم عام 1313 / 15 يوليوز 1895 تخرج منها ضابطاً ثم أكمل تدريبه العسكري بمراكز بإيطاليا.

ولما عاد إلى المغرب بعد غيبة دامت نحواً من تسع سنوات وُظف في الجهاز العسكري وشارك في الحملات المخزنية بالشاوية وتادلة (1897)، وأنجز مهمتين طوبوغرافيتين، وخريطة للمغرب. وفي سنة 1900 توجه إلى ألمانيا بوصفه رئيساً لوفد عسكري زار معامل كروب ومعه أمين الصائر أحمد مدينة وثلاثة من رفقائه السابقين بإيطاليا وهم محمد بن عمر العبّاري الحريزي الرباطي ومحمد التدلاوي الرباطي ومحمد بن الوزاع الرباطي. وفي سنة 1901 كان عضواً في اللجنة المغربية الفرنسية لتخطيط الحدود بين الجزائر والمغرب برئاسة مَحمد الجباص. لكنه في سنة 1902 قدم استقالته من الجيش، ووصله السلطان بجراية صغيرة وزوده برسالة تسمح له بأن يفتح بالرباط مدرسة لتعليم الرياضيات واللغات الأجنبية لأولاد المدينة، غير أنه وجد معارضة من لدن قاضي البلد، بسبب التعصب كما قال.

كان أحمد الجبلي العيدوني متزوجاً بامرأة نبيلة من روسيا أنجبت له ثلاثة أطفال : محمد الذي سيصبح محامياً بمراكش ثم سيموت، والآخران أحدهما هو الدكتور أحمد الذي أفادني بأن أباه لما استقال من الجيش أخذ يشتغل في الحقل الزراعي، وأنه كان من مثقفي عصره ومن الواعين. ولذلك قُبض عليه وسجن في قضية الظهير البربري سنة 1930. وكانت له مواقف ضد غلاة الاستعمار، فكان يحاول التعبير عنها.

توفي بالرباط يوم 21 شعبان عام 1355 /6 نونبر 1936.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 4 : 1357 ؛ *مذاكرة مع ولده الدكتور أحمد الجبلي* ؛ *الوثائق الملكية*.

Les mémoires d'Ahmed Jebli, texte intégral in Bouchaara, *"Al-Istitan"*, Tome IV.

مصطفى بوشعراء

الجبلي، محمد بن **الهاشمي** الحمري "الفقيه العلامة المشارك المدرس الخيّر الدّين"، من أشياخ السلطان الحسن الأول. وجهه هذا الأخير إلى بلد احْمَر من قبيلة عبدة للتدريس به، فقام بما طُلب منه إلى أن أدركته المنية هناك عام 1300 / 1882.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2678.

محمد حجي

الجبهة، مدينة شاطئية صغيرة تابعة لإقليم الشاون تتوسط الساحل الريفي المطل على البحر المتوسط عند تلاقي الاحداثيات الجغرافية '40°4 طولا و'13°35 عرضا، كما توجد في مقدمة منطقة غمارة غرب رأس الصيادين ؛ ورغم كونها تتوسط المسافة بين تطوان والحسيمة فقد ظل سبيل الوصول إلي الجبهة، حتى منتصف الثمانينات، مقتصراً إما على الطريق الثلاثية رقم 8500 التي تصلها بالطريق رقم 39 على مسافة 60 كلم، أو على البحر.

انفتحت الجبهة إلى جانب بادس وقلعة طريس والنكور وسبتة ومليلية على البحر المتوسط لتمارس التجارة وتراقب مجالا بحريا ظل، لقرون عديدة، مصدر تهديد للأساطيل الرومانية وبعدها الصليبية الإسبانية، فتوفقت لذلك مرات وفشلت مرات أخرى.

يرتبط موقع مدينة الجبهة بمجموعة من القبائل الغمارية تحيط بها (بني جميل، مسطاسة، متيوة، بني رزين، بني سميح، بني جرير، بني منصور، بني خالد ...) ؛ وبعنف الاتصال بين القارة والبحر وبتغير السحنات الجيولوجية وقوة مفعول البناء الصخري ونوعية الاشكال المرفلوجية، وتعدد مظاهر الإثارة لدى زائرها من خلال عدة معطيات إضافية (شكل 1) :

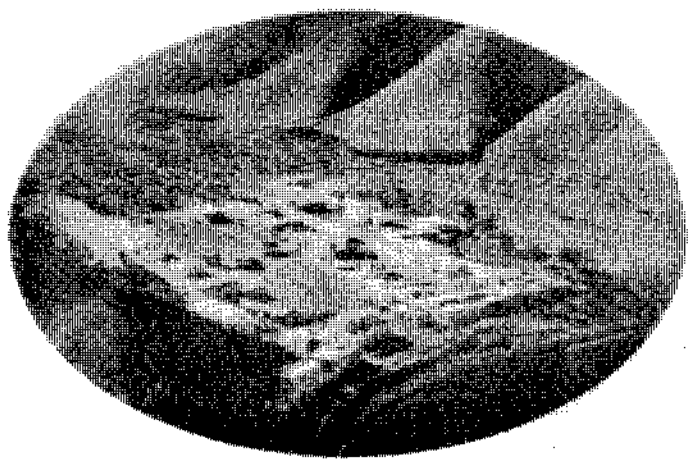

الجبهة سنة 1939

1 ـ تزايد الارتفاعات نحو الداخل بشكل سريع ولافت للنظر بحيث تنتقل من 400 م فوق السفوح المشرفة على البحر إلى أزيد من 1000 م على بعد بضع كلمترات من الشاطئ (جبل حمدون 1003 م، إقروشن 1069 م).

2 ـ موضعها عند قدم جرف كبير يمتد من الشرق نحو الغرب بهيأة حرف "س" يشرف عليها وعلى البحر بعشرات الامتار (رأس الصيادين).

3 ـ وجود مدرج دائري الشكل، فريد النوع، شرق رأس الصيادين، يدير ظهره إلى الجبهة، يشبه فوهة بركان مفتوحة نحو الشمال، محاطة بسفوح شبه عمودية، تملؤها مياه البحر.

4 ـ يظهر الشريط الساحلي شكلا خطيا منتظما (فيما عدا رأس الصيادين) وهو صخري في مجمله، يمتاز بالوعورة والانحدارات القوية (<35°) كما يفسح المجال لشواطئ ممتدة رملية وحصوية في الشرق وفي الغرب.

5 ـ اقترن اسمها بحادث تكتوني كبير، ساير التطور الجيوديناميي للبحر المتوسط الغربي منذ نشأته :

يوجد ساحل الجبهة ضمن تكوينات الوحدة الموريتانية أو الماسلية (كريتاسي) أي بين هضبة بقوية الكلسية والريف الداخلي الذي يناسب كتلة بني بوزرع المؤلفة من بريدوتيت وصخور أولية يغلفها ويحيط بها غطاء رسوبي من الزمن الثاني (غمارة). وهي عبارة عن فرشات الفريش أو الفليش التي تناسب إرسابات فتاتية توضعت في منخفض عميق على هامش صفيحة البرهان وذلك على امتداد الكريتاسي، والزمن الثالث (Wildi, 1983). وقد ساهم حادث "الجبهة ـ الشرافات" إلى جانب حادث "نكور" الذي يمر شرق الحسيمة بكيفية فعالة في بناء السلسلة الريفية (Piqué, 1995). فقد أدى حادث الجبهة المياسر إلى انزلاق الجزء الريفي ـ البيتيقي لصفيحة البرهان في اتجاه الجنوب الغربي وذلك على امتداد الزمن الثاني والزمن الثالث ؛ وكان من نتائج ذلك زحف وحدات النطاق الداخلي فوق فرشة تزيرن. ولازال دور هذا الحادث محوريا في أغلب الحركات الزلزالية التي يتعرض لها النطاق الريفي (Asebriy, 1994 ; Cherkaoui, 1991 ; Asebriy, 1994 ; Michard, 1976).

يخترق الشريط الساحلي تكوينات جيولوجية، تشرف مباشرة على البحر، أحيانا بمئات الأمتار (600 م إلى 400م)، فيما تنعدم مخلفات الزمن الرابع القارية والبحرية نتيجة استمرار مفعول الانتهاض الذي عرفته جبال الريف ؛ ويقتصر الإرساب الحديث على قعر واد ورينجة والشاطئ الذي يقترن بتوضعات رملية وحصوية. فالساحل الرملي عند مصب واد ورينجة يستمر شرقا بمحاذاة الطريق الساحلي على مسافة 4 كلم حتى الجبهة، بينما تشرف عليه من الجهتين اليمنى واليسرى سفوح بمئات الامتار : (زمانة 500 م وتاوسات 800 م). وهي شواطئ تمثل مجال استقبال ورصيداً سياحياً كبيرين.

يمتاز مناخ الجبهة بكونه متوسطياً تقل فيه التساقطات (350 مم كمعدل سنوي) ويغلب عليه الفصل الجاف لأسباب عدة منها :

ـ اعتراض الظهر الكلسي والسلسلة البتيقية لجل الاضطرابات المحيطية الغربية.

ـ انعدام العلو بحكم موقع المدينة على البحر.

- تأثير ضعيف لضغوط غرب المتوسط المرتبطة بمنخفض البليار على السواحل الريفية.

وانضاف لهذه السلبيات المناخية ما تعرض له الغطاء النباتي خلف الجبهة من اجتثاث ممنهج خلال القرن العشرين (سياسة الأرض المحروقة من طرف الإسبان أثناء حرب الريف، حرائق مفتعلة لتفادي العمليات الفدائية في الخمسينات، تحايل السكان من أجل تملك الأرض في الربع الأخير من القرن العشرين). وبذلك تحولت كل السفوح إلى أراض عراء، وهو ما يشكل خطورة قصوى على استقرار الأتربة والأنشطة الحيوية. وبالنظر إلى الفراغ النباتي المتزايد نتيجة أوضاع طبغرافية وبيئية متدهورة، يعرف الجريان المائي تصريفا آنيا يؤدي أحيانا إلى احتمال وقوع مخاطر طبيعية ذات مخلفات كارثية من جراء قوة انحدار السفوح وعدم نفاذية الصخور وعنف التعرية التي تهدد الطرق والمنشآت.

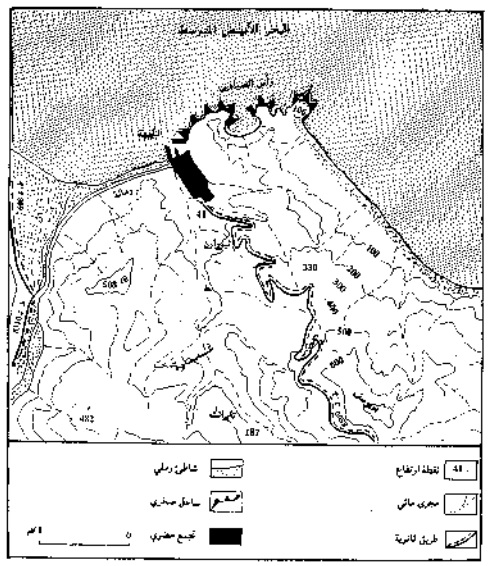

مستقبل الجبهة في فك عزلتها : تسجل الكثافة السكانية حوالي الجبهة أدنى مستوياتها في جبال الريف، ومرد ذلك لأسباب منها :

- سيادة المناخ شبه الجاف
- قلة موارد المياه السطحية والباطنية (Thauvin, 1971)
- قوة انحدار السفوح، اجتثاث الغابة والافتقار للتربة
- هجرة السكان إلى خارج المنطقة بحثا عن مصادر العيش
- انعدام الطرق ووسائل النقل

والواقع أن ارتباط الجبهة بتطوان (80 كلم) بواسطة الطريق الساحلي رقم 608 يعود إلى منتصف الثمانينات فقط، وبالطريق رقم 8310 التي تربطها بالطريق رقم 39 بين كتامة وباب بَرّد إلى أوائل التسعينات ؛ في حين يشهد الطريق المتقادم 8500 الذي ينزل رأسا من كتامة إهمالاً ملحوظاً استمر عشرات السنين.

ومن شأن إكمال جزء من الطريق الساحلية الذي يفصل الجبهة عن بني جميل غرب بني بوفراح (حوالي 30 كلم) وربطه بالطريق رقم 610، تحقيق أحد أهم الإنجازات في الريف بعد طريق الوحدة. والنتيجة المنتظرة هي فك عزلة طالما عانى منها اقتصاد الساحل المتوسطي وساكنة الجبهة وجبال الريف بل واقتصاد المغرب كله.

ظلت الجبهة على امتداد القرن العشرين عبارة عن تجمع سكاني متواضع وهي حالياً مدينة صغيرة بها عدة مقومات حضرية خاصة بعد ربطها بالطريق الساحلية القادمة من واد لاو. يتمثل نشاطها فيما تقوم به جماعة الجبهة وجماعة بني سميح من مشاريع وهي قليلة، وفي الخدمات المرتبطة ببعض المصالح الإدارية ؛ بينما يختزل الميناء أهم نشاط اقتصادي منتج إذ يجمع إنتاج الصيد البحري ويسوقه في المناطق المجاورة. ويبقى ساحل الجبهة مجالاً خصباً قابلاً للاستثمار وتوظيف الجهود واستقبال عناصر التهيئة والتعمير شريطة إعداد محكم.

ونشير أخيراً إلى أن موقع الجبهة على ساحل يمتاز بالوعورة حال دونها وطرق المواصلات أواسط القرن العشرين، وقد اكتسبت مؤخراً أهمية متنامية من تحسن البنيات الأساسية على امتداد الواجهة البحرية للريف الأوسط خاصة الطرقية ومن انفتاحها على البحر المتوسط. وهي تتطلب عناية حقيقية بالجوانب البيئية للسفوح المطلة على المدينة. بالمياه الإقليمية المتوسطية درءاً لكل تلوث. وبمنطقة رأس الصيادين باعتبار أهمية الموقع الجيولوجية وأصالة الأنواع الإحيائية القارية والبحرية.

L. Asebriy, *Evolution tectonique et métamorphique du Rif central : définition du domaine subrifain*, Th. d'Etat, Univ. de Rabat, 1994, 284 p. ; T.E. Cherkaoui - D. Hatzfeld, *Evaluation de l'aléa sismique au Maroc*, 7ème Cong. Intern. de l'AIGI, Lisboa, pp. 2065 - 2073, 1994 ; G. Maurer, *Les montagnes du Rif central, étude géomorphologique*, Rabat, 1968, (*Travaux de l'Institut Scientifique, série géologie et géographie physique*, n° 14), p. 499 ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat 1976, *Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 252) ; A. Piqué, *Géologie du Maroc : les domaines régionaux et leur évolution structurale*, Rabat, 1994, p. 284 ; J.P. Thauvin, *Ressources en eau du Maroc: domaine du Rif et du Maroc central*, Rabat 1971, (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, n° 231), T. 1, p. 321 ; W. Wildi, *La chaîne tello-rifaine : structure, stratigraphie et évolution du trias au miocène*, *Rev. de Géol. Dyn. et de Géog. Phys.*, vol. 24, n° 3 (n° spécial), 1983

بوشتى الفلاح

الجبيلات، سلسلة جبلية تمتد وسط البلاد من الغرب نحو الشرق، بكيفية مستطيلة ومُوازية لأطلس مراكش. وهي وحدة تضاريسية متوسطة الإمتداد. طولها حوالي 170 كلم. ويتراوح عرضها بين 7 و40 كلم. تقارب مساحتها 3800 كلم. يحدها شمالاً منخفض البحيرة ـ السراغنة السهلي وهضبة الكنتور، وجنوباً سهل الحوز الممتد عند قدم

الأطلس المراكشي. تحدها غرباً هضبة المويسات الكلسية وشرقاً النهاية الغربية لأطلس بني ملال. وعموماً فالجبيلات مجموعة من التلال الخطية أو المنعزلة المتواضعة الارتفاعات. تتخلل هذه التلال سهول وأحواض صخرية. والمجموع معرض للالتواء العنيف. وهي تضاريس غير متماثلة، بحيث توجد أعلى التلال شمالاً والتي تشرف على منخفض البحيرة ـ السراغنة بكيفية عنيفة، في حين تمتد الحادورات الطويلة التي تغوص تحت المواد الفتاتية لسهل الحوز جنوباً.

أ ـ التضاريس :

يسمح كل من الانتظام التضاريسي والامتداد الطولي والتكوين البنيوي بتقسيمها إلى ثلاث مناطق هي من الغرب نحو الشرق.

1.1 ـ الجبيلات الغربية : تتكون كليا من رواسب النظام الكمبري، لكن في اتجاه الشرق تبرز مواد الأردوفيسي. وهي مواد سميكة جداً ومتناقضة صخاريا. وقد تطورت فيها تضاريس متواضعة جداً، إذ لاترتفع إلا قليلاً عن سهل الحوز الغربي. وتتكون من أعراف خطية متوازية شمالية ـ جنوبية أهمها من الغرب نحو الشرق : جبل إغود، جبل علاب (334 م)، جبل مويتكور (713 م)، جبل بوگادر (783 م)، ثم جبل سغليف (944 م). معظم هذه الأعراف عبارة عن عوارض من الصخور المقاومة (الحث، المروة، الكلس) قوية الميل. وتفصل بينها منخفضات مشكلة في صخور هشة ترياسية (منخفض سيدي شيكر + منخفض زيما) أو أولية شيستية خضراء عبارة عن سهول صخرية واسعة. وتصير هذه المنخفضات أكثر وضوحاً نحو الشرق. والطابع الأساسي للتضاريس هو التغاير والتقطع الشديد وكونها أبلاشية أولية مختلفة. تغوص غرباً تحت الغطاء الثانوي الجوراسوكريتاسي في حين تزداد ارتفاعاً وتعقيداً في اتجاه الشرق.

2.1 ـ الجبيلات الوسطي : مجال تتطور فيه ظاهرة الأعبلة والتحول الذي أصاب صخور الفليش النيوڤيزي الخضراء السميكة جداً. وهكذا تلاحظ عند توجهك إلى مراكش على عين الطريق الرئيسية رقم 7 الرابطة بينها والدار البيضاء النهاية الغربية لجلس أولاد واسلام الگرانيتي الذي يخترق صخور الڤيزي الحاضنة التي تعرضت للالتواء العنيف والمعقد.

والتضاريس عبارة عن أعراف عالية وثقيلة تتخذ الاتجاه العام للسلسلة خاصة شرق الطريق. أهمها من الغرب نحو الشرق : جبل زق الطير (836 م)، جبل تكزيم

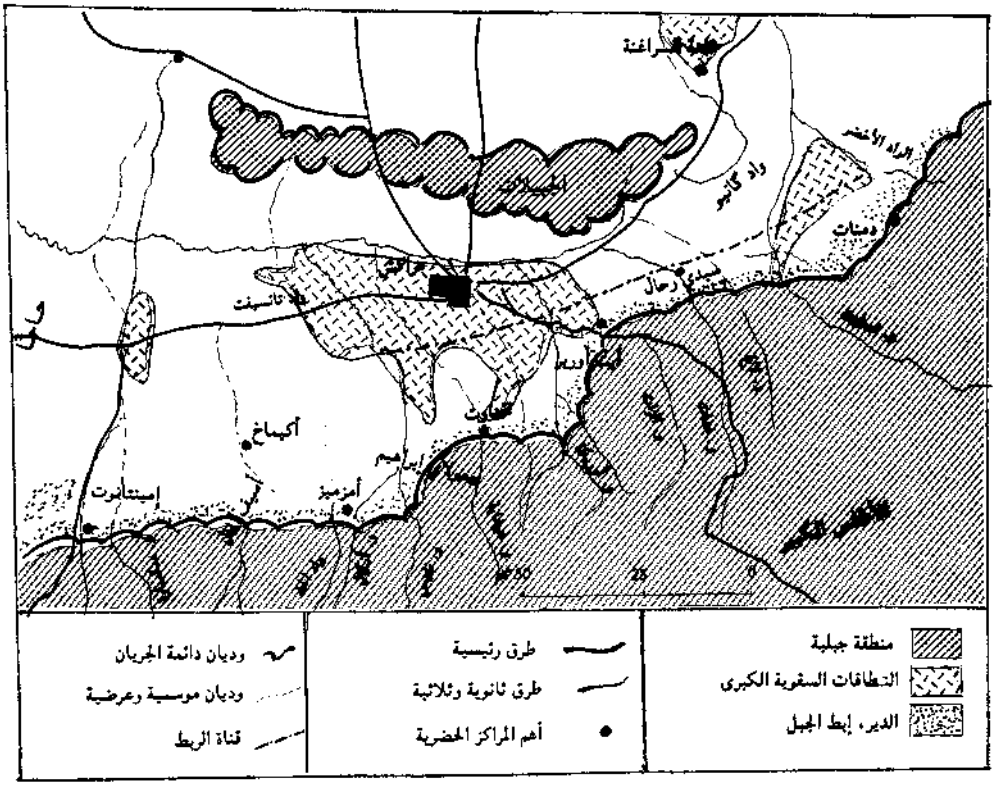

الجبيلات

(1061م)، جبل خروبة (1022 م)، جبل سماحة (907 م). أهم ما يميز هذه الأعراف التحدب والانسطاح التي لقممها. كما تفصل فيما بينها منخفضات مختلفة الاتساع : شرق سيدي بوعثمان : المنخفضات واسعة والتضاريس مهواة، في حين نجدها شرق جبل تكزيم تصبح ضيقة، عميقة وشبه مغلقة إذ لا تنفتح عن المنخفضات المجاورة للجبيلات سوى بأقدام ضيقة. وهكذا تتخذ جبيلات هذا الجزء مظهر تضاريس جبلية حقيقية.

3.1 ـ الجبيلات الشرقية : تتكون أساساً من صخور الفليش القيزي التي تغطيها فرشة أولية (كمبروأردوفيسية) نقيلة. وانطلاقاً من كديتي مولاي علي (747 م) والمنجل (693 م)، وبالضبط شرق ثغرة واد گانيو الذي يحفر مجراه بمحاذاة مدينة قلعة السراغنة، تتخذ التضاريس تنظيماً مشابهاً لما نجده بالجبيلات الغربية : أعراف خطية موازية شمالية ـ جنوبية. وتتكون من صخور مقاومة (حث، مروة). تفصل بينها منخفضات مالحة أحياناً وتتخللها عروق صخرية تدعى صخيرات متواضعة الارتفاع. ويستمر هذا التنظيم حتى ثغرة وادي تساوت، حيث تقل الارتفاعات وتغوص الأعراف تحت الغطاء البرموترياسي. وهكذا نجد مرة أخرى تضاريس أپلاشية بالطرف الشرقي للجبيلات.

2 ـ البيومناخ والثروات المائية :

1.2 ـ البيومناخ : تبدو الجبيلات كمجال جاف إلى شبه جاف. وتجدر الإشارة إلى أنه لاتوجد محطات مناخية بالسلسلة، بينما نجدها بأطرافها. بالحاشية الشمالية تتناقص الأمطار نحو الشرق : الشماعية (241 ملم) بن جرير (222 ملم)، قلعة السراغنة (249 ملم). وترجع هذه الزيادة لعامل الارتفاع الذي يتمثل في الجبيلات الشرقية. بالحاشية ـ الجنوبية : شيشاوة (175 ملم) مراكش (242 ملم).

ورغم تواضع التضاريس، فإن الجبيلات تشكل حاجزاً يسمح بالزيادة سواء في الكمية العامة للأمطار أو في مدة التهاطل بالمقارنة مع المناطق المجاورة مباشرة. مثلاً الأمطار المرتبطة بالاضطرابات الشمالية تصل بين جرير 80 ملم، ويسد المجنون بقعر سهل البحيرة 60 ملم لترتفع، بالسفوح الشمالية للجبيلات إلى 150 ملم على الأقل بالأعراف العليا. وبعد اجتياز القمم تتناقص في اتجاه تانسيفت إذ تصل إلى 490 ملم بمراكش، ويُضاف إلى ذلك التساقطات الضبابية وأهمية السحب الطبقية التي تتسلق الأعراف. ويلاحظ تزايد في الأمطار كذلك من الغرب نحو الشرق. وترجع هذه الظاهرة المعاكسة للوضع العادي لعامل تزايد الارتفاع. وهكذا تنقسم الجبيلات إلى منطقتين مطريتين مختلفتين حسب مخطط H. Delannoy المناخي : الجبيلات الغربية من جهة والجبيلات الوسطى والشرقية من جهة ثانية. في الأولى تتراوح الأمطار بين 200 و300 ملم، في حين تفوق التهاطلات 300 ملم في الثانية، لكن دون أن تتعدى 400 ملم. ذلك أن الجبيلات لا تشكل حاجزاً مسترسلاً ومتعامداً مع التيارات الشمالية سوى شمال وشمال شرق مراكش، في حين تتجزأ غرباً إلى أعراف خطية موازية لها. والخاصية العامة هي ضعف الأمطار وعدم انتظامها زمانياً ومجالياً.

ويقوي هذه النزعة نحو الجفاف الحرارة المفرطة خلال الفصل الساخن والتناقضات الحرارية اليومية والفصلية القوية، أضف إلى ذلك ارتفاع نسبة التبخر وتعرض المنطقة لهبوب رياح الشرگي خلال الصيف بالخصوص. ومن خلال رسم H. Delannoy، يظهر أن متوسط الحرارة الدنيا بالجبيلات الغربية أقل من ثلاث درجات (3°)، في حين يتراوح متوسط الحرارة العليا بين 36° و38°. أما بالجبيلات الوسطى والشرقية يتراوح متوسط الحرارة الدنيا بين 3° و6°. ومتوسط الحرارة العليا بين 38° و40°. وقد تتعدى الحرارة العليا القصوى 45°، والدنيا القصوى ـ3° كما هو الحال بمحطة قلعة السراغنة الموجودة بأحضان الجبيلات الشرقية.

وتتجلى القحولة كذلك في نوع ومظهر الغطاء النباتي، بحيث يتكون من أصناف متدهورة متخلفة عن التشكيلة الذروية. وحسب R. Negre، يجب أن تسود غابة مفتوحة من العناصر التالية :

الأقاقيا أو السنط Accacia gummifera، العصفية Tetraclinis articulata مصحوبين بالزيتون البري أو العُتْم Olea europea (الزبوج)، والدوم Chamaerops humilis. وحسب Emberger تسود بالمنطقة سهوب مفتوحة مكونة من السدر أو العناب Ziziphus lotus، والبطم Pistacia atlantica اللذين يميزان المستوى الجاف. كما نجد بعض العناصر النادرة جداً من نبات الخروب Ceratonia siliqua كما هو الحال بجبل خروبة. كل هذه الأصناف تعرضت للتدهور، مما أدى إلى اختفائها (الدوم، العصفية، البطم) أو ندرتها الكبيرة (الزيتون البري، الخروب) أو الإفقار بفعل التدخل البشري (العناب السنط). وقد تسبب ذلك في إفقار وتدهور التربة وتعرية السطح على مجالات واسعة.

من الناحية الترابية، نجد أساساً أتربة هيكلية ضعيفة التطور بقعور الأودية وبالسفوح الخفيفة. أما السفوح الوعرة فتبدو مغسولة أو بها أتربة حجرية فوق الصخور المقاومة أو تربة فوق الصخور الرخوة. كما نجد أتربة ملحية خاصة بالجبيلات الشرقية.

2.2 ـ الثروات المائية :

1.2.2 ـ المياه السطحية : رغم كثافة الشبكة المائية وأهميتها، فإن الجريان السطحي محدود. وهو عبارة عن وديان موسمية أثناء حدوث التهاطلات ولفترة وجيزة جداً على شكل امتطاحات عنيفة. وتتجه إما نحو حوض

تانسيفت جنوباً أو نحو منخفض البحيرة ـ السراغنة المغلق شمالاً. والمحور المائي الرئيسي الذي يعبر الجبيلات شرقاً هو واد تساوت، لكنه ينبع من الأطلس الكبير الأوسط.

2.2.2 ـ المياه الباطنية : بما أن الجبيلات مكونة من صخور أولية ضعيفة النفاذية، فإنها لا تحتوي على فرشات مائية عميقة أو سديات مهمة. ومع ذلك هناك جريان باطني يستغل شبكة الشقوق والتصدعات ومناطق التفسخ والتكونات السطحية، وبذلك تخضع المذخرات المائية لكمية وأهمية تلك المكامن. ورغم الإمكانيات المحدودة للمخزون المائي، فإنه ذو أهمية كبيرة لتزويد السكان والقطيع بالماء، وإقامة زراعة سقوية محدودة.

3 ـ الاستيطان ومراحل التعمير :

تستوطن الجبيلات قبائل عربية متنوعة من بني معقل أساساً. وقد عمرت المنطقة منذ عدة قرون.

1.3 ـ الجبيلات الغربية : تعمرها قبائل إداويلال جنوباً وأولاد دليم شمالاً، وأولاد يوسف وجزء من احمر غرباً. وهي صحراوية الأصل تنتمي إلى مجموعات أهل سوس. وقد استوطنت المنطقة في أواخر القرن العاشر (16 م)، حيث كانت تشكل گيش السعديين.

2.3 ـ الجبيلات الوسطى : عمرتها قبائل عربية كذلك من أصل صحراوي من مجموعات أهل سوس. غرباً نجد جزءاً من أولاد دليم وحريبل. شرقاً يُعمرها جزء من قبائل الرحامنة الجنوبية المعقدة التركيب : عريب عطاية، أولاد عبد الله، سلام، أولاد عقيل على طول الحاشية الجنوبية، البرابيش وجزء من بني حسان شرقاً. وهذه القبائل مجموعة قوية أتت أولاً إلى سهل الحوز مقتفية أثر السعديين منذ بداية القرن العاشر (16 م) بعد ما طردت هسكورة البربرية. ولقد تم طرد الرحامنة من الحوز وإجلاؤهم شمال تانسيفت من طرف الگيش في العهد العلوي الذي منعهم من مراعي دير الأطلس. واستمرت مقاومتهم لهذا الطرد قرنين ظلوا خلالهما رعاة مسلحين. وابتداء من سنة 1897 بدأ عهد جديد ونزوع نحو الاستقرار.

3.3 ـ الجبيلات الشرقية : يعمرها جزء من قبيلة أولاد سيدي رحال من جبل خروبة غرباً إلى ثغرة واد گاينو شرقاً. وانطلاقاً من هذه الثغرة نجد قبائل سرغينية هي ادزور جنوباً وأولاد يعقوب وجزء من أهل الغابة الجنوبية شمالاً. وقد عمرت هذه القبائل المتعددة والمتباينة المنطقة في فترات مختلفة منذ بداية العصر الموحدي مكان قبائل مصمودية وبعد صراعات مريرة معها.

4 ـ النظام الرعيُزراعي بالجبيلات :

الجبيلات مجال طابعه المميز هو الفلاحة، حيث يتنازع الرعي والزراعة، الخاضعان للظروف المناخية المكانة الأولى في الحياة الاقتصادية.

1.4 ـ النشاط الرعوي أو "الكسب" : يُمارس هذا النشاط في معظمه بطريقة تقليدية وبكيفية واسعة. ورغم أهمية الكسب، فإن القطيع يبقى متواضعاً ومعرضاً لأخطار الجفاف والأمراض وتقلص المراعي نتيجة امتداد المساحات المزروعة. ولعل للإرث التاريخي وزنه في ذلك :

بالنسبة لقبائل الجبيلات الغربية، الوسطى فقد أتت إلى المنطقة بنمط عيشها الذي كان يعتمد على الرعي (جمال، أغنام، خيول). لذا منذ مجيئهم لم يحتلوا المجال باستمرار ولابكيفية دائمة، بل كانوا ينتقلون بين دير الأطلس ونهر أم الربيع بحثاً عن المراعي. ولم يساعد هذا النمط من العيش هذه القبائل على تطوير علاقتهم بالمجال. ومع بداية القرن العشرين وتطور الفلاحة تدريجيا، تقلصت المراعي، مما غير طريقة التعامل مع المجال وأدى إلى الاستقرار وممارسة الزراعة إلى جانب الرعي.

2.4 ـ النشاط الزراعي : الزراعة بالجبيلات زراعة احتمالية تعتمد أساساً على الأمطار، إذ معظم المجال عبارة عن أراضي بور. وهي كذلك زراعة معاشية تقليدية ترتكز أساساً على إنتاج الحبوب (الشعير، القمح الرطب، القمح الصلب) خاصة الشعير لأنه يتحمل الجفاف. وقد بدأ بعض الفلاحين حديثاً يزرعون الكمون. المردودية ضعيفة (5 قناطر في الهكتار)، يزيد من رداءتها ضعف التربة وذبذبة التهاطلات وعدم انتظامها، والبنية العقارية (باستثناء مجال الرحامنة، معظم باقي الأراضي جماعية).

يمارس السكان كذلك الزراعة المسقية، لكنها محدودة جداً. ونجدها ببطون الأودية، حيث إمكانيات وجود عيون ضعيفة الصبيب أو فرشة مائية محدودة تغذي الآبار. كما نجدها على طول ثغرتي گاينو وواد تساوت بالجبيلات الشرقية حيث إمكانيات السقي أهم. فواد گاينو يصرف جزءاً من مياه الحوز الشرقي. أما واد تساوت فيصرف جزءاً من مياه الأطلس التي ساعدت إلى تطوير ولجة على طول الثغرة. لكن أساليب الري تقليدية تعتمد على استعمال "أغرور" وجمع المياه في صهاريج لاستعمالها في ري بقع صغيرة عبارة عن أشرطة خضراء متقطعة. كذلك استعمال أسلوب الساقية بثغرة گاينو وولجة تساوت. وحديثاً بدأ بعض الفلاحين يستعملون محركات لضخ مياه الآبار، مما ساعد على ظهور مساحات خضراء خارج بطون الأودية وحيث يبدو الري ضرورة ملحة. وتهتم الزراعة المسقية بالمزروعات التالية : الحناء، الفصة، البصل، البقول، بعض الخضروات وبعض الأشجار المثمرة في مقدمتها الزيتون.

5 ـ الثروات والصناعات المعدنية :

تعتبر الجبيلات منطقة متعددة المعادن، إذ تضم رواسبها ثروات معدنية متنوعة، لكنها عبارة عن مكامن على شكل عدسات طويلة أو ركازات أو تركزات محلية.

1.5 ـ الجبيلات الغربية : نجد من الغرب نحو الشرق :

ـ مكامن عدسية ممتدة بقاعدة الجوراسي الأعلى من الرصاص والنحاس.

ـ الكلس المتعدن (الباريتين) بجبل إغود.

- ركـازات مـتـعـددة من البـاريتين بالرواسب الكمبروأردوفيسية، من سلفور النحاس والحديد برواسب الأردوفيسي (الدراع لكحل)، ركازات أوكسدات من البيريت Pyrite والمانيتيت Magnetite (أولاد احميدة)، ثم ركازات متعددة من الرصاص، الزنك، النحاس، الكوبالت، النيكل بمنطقة بوگادر.

- عدسات سلفورية نحاسية حديدية كثيلة بقطارة.

2.5 - الجبيلات الوسطى : نجد من الغرب نحو الشرق :

- ركازات متعددة من الرصاص والزنك بجبل سغليف برواسب القيزي الأعلى.

- مكامن متعددة مرتبطة بالجلس الگرانيتي بأولاد واسلام وهي :

- ركازات قصديرية (بتابوشانت). فضية (بالكدية الحمراء، وبروك بلان) نحاسية (بالجبل الحيمر)، أُعبلية غليظة (سيدي بوعثمان).

- الگرافيت أو الاسْرُب بالكلس المتحول (فراگ الماء جنوب سيدي بوعثمان).

- مكامن حديدية بالمنطقة المنحدرة (بجبل تكزيم).

3.5 - الجبيلات الشرقية : ركازات نحاسية جنوب جبل سماحة وبجبل ادزور

وتدل هذه الثروة المعدنية على أن الجبيلات عرفت نشاطاً منجمياً مكثفاً في السنوات الماضية القريبة خاصة بناحية سيدي بوعثمان وقطارة. لكن كل هذه المناجم مغلقة ومتوقفة ماعدا منجم الميكابسيدي بوعثمان لأنها غير منتجة اقتصاديا (تكلفة أكبر من سعر السوق العالمي).

6 - آفاق التنمية : بالتفكير في مشاريع هيدروفلاحية واستغلال الثروات الطبيعية، يمكن تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالجبيلات التي تمثل حالياً مجال طرد بشري.

من الناحية الهيدروفلاحية تم انجاز سدين صغيرين (تليين) لأهداف زراعية أو لتوفير مياه الشرب للقطيع وهما : سد نزالة العزري بالجبيلات الغربية، وسد الرويش بالجبيلات الشرقية. لكن مثل هذه المشاريع لازالت محدودة جداً نظراً لصعوبة المسالك ووعورة التضاريس. لذا تم التفكير في نهج أسلوب بناء سلسلة من السدود المتواضعة على طول المجرى الواحد بهدف الدفع من مخزون السدية (مشروع قدر بـ 150 مليون درهم). وبما أن المنطقة فلاحية، يمكن التفكير في مشاريع لتصنيع الإنتاج الحيواني وتحسين المراعي عن طريق تعويض زراعة الحبوب بزراعة الكلأ والشجيرات الرعوية على غرار مشروع التنمية واستطلاح الأراضي الرعوية بالرحامنة الشمالية.

من الناحية المنجمية، هناك تشجيعات لرخص البحث والتنقيب عن المعادن والرفع من الإنتاجية. وبما أن الجبيلات تضم أحجاراً رخامية ومواد بناء متنوعة، يجب كذلك تشجيع البحث وتعدد الحملات الاستكشافية لمكامن هذه المواد.

G. Beaudet, G. Maurer et J. Martin, *Remarques sur quelques facteurs de l'érosion des sols. R.G.M.*, N° 6, 1964 ; P. Baudy, *Economie forestière Nord-Africaine : Description forestière du Maroc*, Paris, 1958 ; H. Delannoy, *Aspects du climat de Marrakech et de sa région. R.G.M.*, N° 20, Rabat, 1971 ; J. Dresch, *Recherches sur l'évolution du relief dans le massif central du Grand Atlas, le Haouz et le Sous*, Tours 1941 ; P. Huvelin, *Mouvements pré-atlasiques et récents dans les Jbilets et sur leur pourtour*, Rabat 1973, (*Notes et Mémoires du Service Géologique, Maroc*, T. 33, N° 249); *Carte géologique et gitologique des Jbilets au 1 : 200.000 ; Etude géologique et gitologique du massif hercynien des Jbilets (Maroc central)*, , Rabat 1977 (*Notes et Mémoires du Service Géologique*, N° 232 bis) ; J. Martin (et al...) *Géographie du Maroc*, Paris ; A. Michard, *Eléments de géologie marocaine*, Rabat 1972, (*Notes et Mémoires du Service Géologique du Maroc*, N° 252).

محمد زروال

الجُحْرَة، أسرة تطوانية قديمة مازالت موجودة أواخر القرن الهجري الثالث عشر. كانت تعرف بابن عَبُّو ثم غلب عليها لقب الجُحْرَة - بضم الجيم وسكون الحاء وفتح الراء - وتطلق الجُحْرَة في الدارجة على وعاء خزفي مخطط الداخل بخطوط محفورة تُحك فيها أوراق التبغ ثم يغربل مسحوقها ويضاف رماد فيطلع منه (طابا) التي تستنشق.

عرف من المتأخرين من هذه العائلة المعلم الحاج أحمد الجُحْرَة الدباغ حرفة توفي عن ولده المعلم عبد القادر الجُحْرَة الخراز حرفة، وهو والد الأستاذ الصحفي السيد مَحمد الجُحْرَة مدير مجلة *الأنيس* الثقافية الفنية التي صدرت بتطوان خلال عقود من السنين.

م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ج، نسخة المؤلف بخطه بمكتبته بتطوان.

محمد بوخبزة

الجَحْموم - حسب النطق الدارج في المغرب - أو الشُحرور في اللسان العربي الفصيح، جنس طير من رتبة الجواثيم Passeri formes ومن فصيلة الدُجّ Turdidae. يسمى علمياً توردوس مرُولا Turdus merula ويدعى بالفرنسية Merle noir وبالأنجليزية Blackbird وبالإسبانية Mirlo وبالإيطالية Merlo.

وهو طائر أسود اللون، حسن الصوت يسمى بالشحرور لسواد لونه. ومادة شحر تعني السواد، وتدل مادة جحموم أيضاً على اللون الشديد السواد.

يبلغ طول الكبار خمسة وعشرين سم، وبسطة الجناحين 38 سم. يتراوح وزنه ما بين سبعين ومائة وعشرين غرام. تتميز الذكور بريش شديد السواد ومنقار أصفر قوي وبعينين محاطتين بالأصفر. وريشُ الإناث بني داكن قليل السواد، أما المنقار فهو بني.

يحب الجحموم الانعزال وكثيراً ما يعيش مزدوجاً في الأدغال والغابات والوديان الكثيرة الأشجار، ومع مرور الزمن تأقلم مع الإنسان وأخذ يعيش في البساتين والحدائق المنزلية سواء في المدن أو في القرى وهو طائر كثير الانتشار في المغرب.

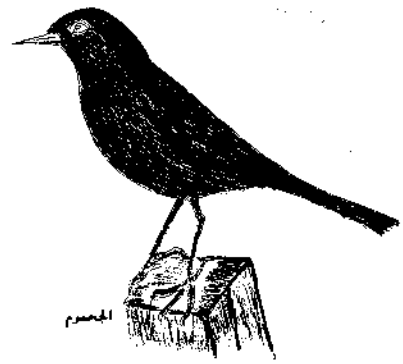

الجحموم

تمتد مرحلة التوالد من شهر مارس إلى شهر يوليوز وغالباً ما تضع الأنثى البيض مرتين ونادراً أربع مرات في السنة. تلد من 3 إلى 5 بيضات و9 بيضات نادراً، لونها أخضر يميل إلى الأزرق منقطة بالأسود والأحمر. تزن كل بيضة من 6 إلى 9 غرام ويبلغ طولها 29.4 × 21.7 ملم.

إنه طائر شديد التستر يبني عشه في أماكن خفية يصعب العثور عليها وسط الأدغال والغابات الكثيفة الأشجار. توضع الأعشاش على الأشجار وتصنع من الأعشاب اليابسة وقطع الأغصان المخلوطة بالتراب المُبلل. يفرش الوكر من الداخل بأوراق الأشجار اليابسة وبقليل من رئيس الطيور. تلد الأنثى بيضة كل 48 ساعة وتدوم مدة الحضانة من 11 إلى 17 يوماً يقوم الزوج خلالها بالحراسة وبعد تفقيس البيض يقدم الزوجان الطعام إلى الصغار مدة أسبوعين أو ثلاثة ريثما تصبح الفراخ قادرة على الطيران.

يتغذى الشحرور من الديدان والحبوب والفواكه كالتين والعنب، وكثيراً ما يصاد في البوادي من طرف الأطفال.

أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement d'oiseaux d'eau au Maroc, 1986, 1987 et 1988.*, Rabat, 1988, (*Doc. Inst. Sci. 11*) ; W. Reade et E. Hosking, *Les oiseaux, leurs œufs et leurs nids : Reproduction, œufs et jeunes*, Paris 1968, p. 260 - 261 ; C. Harrisson, *Les nids, les œufs et les poussins d'Europe en couleurs*, Paris 1977, 430 p. ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe With North Africa and Middle East*, London, 1984, p. 256 - 257.

محمد رمضاني

الجدرتي، الهاشمي بن قدور المراكشي. كاتب فاضل صدوق خيّر دين، من كبار ولاة المخزن بالجنوب، كان له الإشراف على أمناء بلاد حاحة.

توفي ليلة الأحد 29 قعدة عام 1303 / 29 غشت 1889.

م. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، 125 ؛ ع. ابن سودة *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2766.

محمد حجي

الجُدَري، مرضٌ مُعدٍ وفتاك، عرفته الإنسانية منذ القديم، يصيب جميع الأعمار لكنه أكثر ما يصيب الأطفال. يتميز هذا الوباء على الخصوص بظهور الطفح الجلدي على شكل حبيبات صغيرة، تكبر وتتحول إلى فقاقيع قيحية. وهناك وصف قيم عنه للطبيب العربي أبي بكر الرازي (865 - 925 م) وهو أول من ميز بينه وبين الحصبة. انتشر هذا المرض تدريجيا من مصر في مجموع حوض البحر المتوسط، وغالباً ما كان ضمن الأوبئة التي اجتاحت بلدان المغرب الكبير والتي نعتها المؤرخون عادة بالطاعون. بيد أننا نجد الإشارة إليه عند المؤرخين المغاربة، كابن عذاري وابن خلدون، وعند ليون الافريقي، وهم يذكرون بالخصوص الأوبئة التي اجتاحت افريقية في السنوات : 830 ؛ 843 ؛ 881 ؛ 915 ؛ 923 ؛ 929 ؛ 1004 ؛ 1076.

ظل الجدري يندلع في المغرب في السنوات اللاحقة في دورات، تختلف المدة الفاصلة بين كل منها بين أربع وتسع سنوات. وفي القرن الثاني عشر (18 م) ألف الطبيب والشاعر المغربي عبد الوهاب أدراق منظومة عنه بعنوان : *هز السمهري فيمن نفى عيب الجدري*. إلا أن الأدبيات المغربية لم تزودنا عنه، عموماً سوى بإشارات مقتضبة لاتساعد على تتبع زحفه أو تحديد خسائره البشرية. ولزم علينا انتظار حلول النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م) لنجد تفاصيل من هذا النوع في التقارير التي تركها الأطباء الأجانب المستقرون في المراسي المغربية التجارية. ففي سنة 1284 / 1867 اتخذ الجدري شكلاً كاسحاً في مراكش إلى حد أنه لم يسلم من ضرره سوى العدد القليل. وتزامن ظهوره في عام 1294 / 1878 مع أزمة غذائية حادة وتفشي أوبئة فتاكة أخرى، كالكوليرا والتيفوئيد ؛ ومن 7 شتنبر إلى 16 أكتوبر فتك في الدار البيضاء بـ 987 شخصاً (منهم سبعة وستون يهودياً) جلهم من الأطفال (60٪) وخلف في الصويرة مائتي ضحية (يوليوز - غشت) وفي آسفي 500 ضحية (يوليوز - شتنبر) وفي الأشهر الأخيرة من عام 1298 / 1882 اكتسح جل المدن، وفتك في الرباط خلال شهر واحد (دجنبر) بـ 250 شخصاً، وخلف خسائر كبيرة في مراكش ومكناس، قُدرت في المدينة الأولى بنحو 300 ضحية في اليوم. ولم تمض سوى سنوات معدودات حتى عاد إلى الظهور في العام 1305 / 1888، وبقي متفشيا في الدار البيضاء خمسة أشهر، مخلفا بها 20 ضحية في اليوم جلهم من الأطفال. وتفشى من جديد في السنوات 1891 - 1893 بدءاً من

الصويرة حيث فتك خلال صولته بها بما تراوح بين 20 و30 ضحية في اليوم، ليبلغ مجموع ضحاياه بها في أبريل 1892 حوالي ألف وخمسمائة ضحية، أي ما يعادل 12٪ من سكان المدينة (10.000 ـ 12.000 نسمة) ؛ من الصويرة انتشر الوباء جنوباً في مراكش وسوس، وشمالاً في الدار البيضاء وطنجة ؛ وفي نهاية 1892 وبداية 1893 كان مايزال يخلف يومياً 6 ضحايا في أسفي و50 ضحية في تطوان. وقبل أن ينتهي القرن الثالث عشر (19 م) أحدث خسائر كبيرة في مراكش إلى حد أنه فتك فيها بـ 2.500 طفل (صيف 1899).

ورغم الجهود التي بذلت في عهد الحماية الفرنسية لمحاربة هذا الوباء، فانه ظل متركزاً في المدن بشكل مستمر، ففتك في ربيع 1913 بأبي الجعد (7 إلى 10 ضحايا في اليوم)، خلال سنة 1914 تجاوز عدد الحالات المسجلة 2.500 حالة بالنسبة لمجموع المنطقة الخاضعة للنفوذ الفرنسي، وسجلت حالات أخرى في السنوات 1916، 1919، 1923، 1927 قبل أن يضرب الوباء بقوة من جديد في السنوات 1932 و1941 ـ 1942. مع ذلك، كان عدد الموتى به يقل من وباء إلى آخر. فخلال 1932، أحصي 381 مريضاً في المستشفيات الرئيسية، توفي منهم ما يعادل نسبة 31٪ ؛ ومن يناير إلى شتنبر، أحصي 1354 مريضاً لم يهلك منهم سوى خمسين، أي ما يعادل 3،6٪ فقط.

أمّا التلقيح ضد المرض، فقد مارسه السكان بوسائلهم التقليدية منذ عهد بعيد. والتلقيح الحديث بدأ استعماله في المغرب منذ الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) بفضل الأطباء الأجانب. وخلال وباء سنة 1882 قام الطبيب الفرنسي لينارس (F. Linares) بتلقيح عدد من السكان المسلمين، خاصة من عائلة النائب السلطاني محمد برگاش. إلا أن الحملة لم تتعمم إلا في عهد الحماية. وكان معهد التلقيح بالرباط هو الذي يتولى في البداية مهمة توفير الحقن اللازمة، قبل أن يضطلع بها فيما بعد معهد باستور بالدار البيضاء. ومن 1914 إلى 1942 أجريت العديد من التلقيحات (17 مليونا في ظرف 28 سنة).

وابتداء من الأربعينيات من القرن العشرين شرع في إنجاز برنامج موسع يستهدف الحقن الجماعي للسكان في كل سنة، كما شرع في التاريخ نفسه في تلقيح المولودين الجدد. وقد توبعت هذه الجهود في عهد الاستقلال مما لعب دوراً حاسماً في السيطرة على المرض، بحيث إنه لم يعد مشكلة صحية تذكر.

م. الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب*، الدار البيضاء، 1992.

G. Sicault, *Epidémiologie de la variole au Maroc*, *Bull. de l'Inst. Hyg. du Maroc*, Nouvelle série, T. II, 1942, Rabat, 1943.

محمد الأمين البزاز

الجديدة ـ تاريخ ـ مدينة شهيرة جنوبي الدار البيضاء، كانت تدعى مازغان ثم البريجة، ولما تحررت من الاستعمار البرتغالي على يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1183 / 1769، بعد احتلال دام 267 سنة ؛ قام البرتغاليون قبل ركوب البحر، بإحراق جميع الأثاث الذي لم يقدروا على حمله معهم وبإتلاف الأسلحة الخفيفة والمدافع والوثائق كما زرعوا الألغام في الحصون وداخل الأبواب الرئيسية كل واحد منها ما بين 40 و50 برميلا من البارود، فانفجرت تلك الالغام أثناء دخول المغاربة إلى البريجة، وتهدمت الأسوار والأبراج، وأسفر الانفجار عن قتل أزيد من خمسة آلاف مغربي، هذا بالإضافة إلى البيوت والمخازن التي كانت المدافع المغربية قد خربتها أثناء الحصار، فخلفت تلك الانفجارات وذلك العدد الهائل من الضحايا اثراً سيئاً ورعباً كبيراً في نفوس سكان الناحية جعلهم يسمون البريجة بالمهدومة، مرددين هذه المقولة المنسوبة لسيدي عبد الرحمان المجذوب : "بَاتْ حْذا دُومَة، لاتْبَاتْ في المهدومة!"

وظلت البريجة مخربة مهجورة، طيلة خمس وخمسين سنة، لايجسر على دخولها إلا بعض المغامرين للبحث عن بعض الأثاث أو لنقل بعض الأبواب والنوافذ. ويقول شينيي Chenier الذي زار البريجة سنة 1195 / 1781، أي بعد تخريبها باثنتي عشرة سنة : "توجد مدينة البريجة اليوم في حالة خراب تام، وهي خالية تقريباً من السكان، ولقد عمد الأهالي إلى انتزاع ألواح البيوت وجوائزها، فأصبحت الجدْران لاتتماسك إلا بأعجوبة. ولقد شاهدت بها في سنة 1781 اسقالة ألحقت بها القبائل بعض الأضرار، وهي جديرة بإثارة إعجاب السواح من حيث أناقة بنائها، ويتم النزول إليها بواسطة دَرَج، وهي مُضاءة إضاءة رائعة وقبتها محمولة على 25 عموداً في غابة التنسيق".

ولاشك ان من بين أسباب الإهمال الذي ظلت تعاني منه البريجة تلك المدة الطويلة، المجاعة العظمى التي اجتاحت المغرب من سنة 1190 إلى 1196 / 1776 ـ 1782 والتي اضطر الناس أثناها إلى أكل الجيفة وحتى لحم بني آدم، ثم الثورات التي كان مولاي هشام يقوم بها بمعونة أهل دكالة على السلطان سيدي محمد بن عبد الله والتي ظلت قائمة إلى عهد السلطان مولاي سليمان. غير أن هذا الأخير لم يعر هو الآخر أي اهتمام لإعادة بناء البريجة لأسباب يطول شرحها، فبقيت مهدومة تنتظر الإصلاح إلى عهد السلطان مولاي عبد الرحمان (1238 ـ 1276) الذي عين ابن عمه محمد بن الطيب العلوي عاملا على تامسنا ودكالة، فقام هذا الأخير بإصلاح ما تهدم من البريجة، وحسب قول الناصري السلاوي فإن ذلك كان عام 1239 / 1824 م، وسماها بالجديدة وهدّد كل من يسميها بالمهدومة بالعقاب الشديد.

ولابد من التذكير هنا بأن اسوار البريجة كانت أيام

الاحتلال البرتغالي تدعمها خمسة حصون سموها : حصن القديس سيباستيان St. Sébastien من الشمال وحصن القديس مَلَك St. Ange من الشرق وحصن روح القُدُس St. Esprit من الجنوب وحصن الوالي Le Gouverneur من الجنوب الغربي وأخيراً حصن القديس انطوان St. Antoine من الغرب.

لم تُرمّم هذه الحصون كلها باستثناء حصن الوالي الذي كان البرتغاليون قد عمدوا إلى هدمه بالمرة اثناء إخلائهم المدينة. أما الأسوار فإنها كانت ماتزال محتفظة بشكلها العتيق باستثناء السور الغربي المقابل لسوق المدينة والذي أعيد بناؤه ففقد كثيراً من أصالته. ومن أحسن الآثار التي خلفها البرتغاليون نذكر اسقالة الشهيرة التي لازالت قائمة إلى الآن.

وبعد أن تم ترميم أسوار المدينة وإصلاح بيوتها، انتدب السلطان مولاي عبد الرحمان لعمارتها عدداً من سكان دكالة من مسلمين ويهود، بل وحتى من سكان سوس، فسكن بعضهم في المدينة العتيقة، وأنشأ الآخرون قرية من النوايل لإيوائهم.

ثم قام السلطان مولاي عبد الرحمان بانتداب عدد من العلماء والفقهاء لتأطير هؤلاء النزلاء البدو الذين لم يكن لهم إلمام كبير بشؤون الدين والذين لم يعتادوا حياة المدن، فكان من أول من انتدب لهذه الغاية الفقيه الحاج أحمد بن صالح هو وبنوه، وكان أستاذاً عالما مجداً في نشر القرآن والدين، فأخذ يطوف على الناس ويحبب إليهم الدين والصلاة ويبالغ في تأليفهم بالإطعام تارة وبالدراهم أخرى حتى انتشرت تعاليم القرآن بين أولئك بين النزلاء. توفي هذا العالم حوالي سنة 1830 ودفن بمقربة من نخل أصبح يدعى بمقبرة سيدي أحمد مولى النخل".

ثم وفد على الجديدة سنة 1264 / 1848 أحمد بن إدريس التطواني فاستقر بها وصحب الفقيه الصوفي الكبير الحاج محمد بن دَحٌ. وكان ابن إدريس تاجراً مقتدراً، لكنه خسر في تجارته فاستخدم أمينا بديوانة مرسى الجديدة، وكان دينا فاضلا كثير الجود والكرم فجعل داره مأوى لأهل العلم يُدرِّس بها البخاري ويرتل بها الطلبة القرآن الكريم بكرة وعشيا، زيادة عن اعتنائه بالزاوية المختارية بأزمور وبمدرستها وساهم في نشر موسيقى الآلة التي كان مولعاً بها، وكان له جوار يضربن العود في أوقات معلومة إلى أن توفي عام 1307 / 1890، ومازال أحد الاحياء العتيقة بالجديدة يعرف باسمه حتى الآن.

لم تلبث الطوائف الدينية أن بدأت تنتشر بالجديدة، وكانت أول زاوية بنيت بها هي الزاوية الدرقاوية التي قام بإنشائها من ماله الخاص السيد محمد الزوين العبدي سنة 1281 / 1864 م والتي كان أول مقدم لها الحاج محمد بن الحاج يَسّف الدكالي الفرجي، ثم خلفه بعد وفاته سنة 1293 / 1876 الفقيه السيد محمد الشياظمي. وفي سنة 1316 / 1898، قام هذا الأخير ببناء زاوية درقاوية ثانية من ماله الخاص كان يتولى فيها تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية ورسائل الشيخ مولاي العربي الدرقاوي وحكم ابن عطاء الله، ويقدم للفقراء طعام العشاء كل يوم.

وتوالى تأسيس الزوايا بالجديدة وأصبحت جل الطوائف الدينية ممثلة بها. وعرف الربع الأخير من القرن الثالث عشر (19 م) علماء أجلاء نذكر منهم على سبيل المثال الفقيه

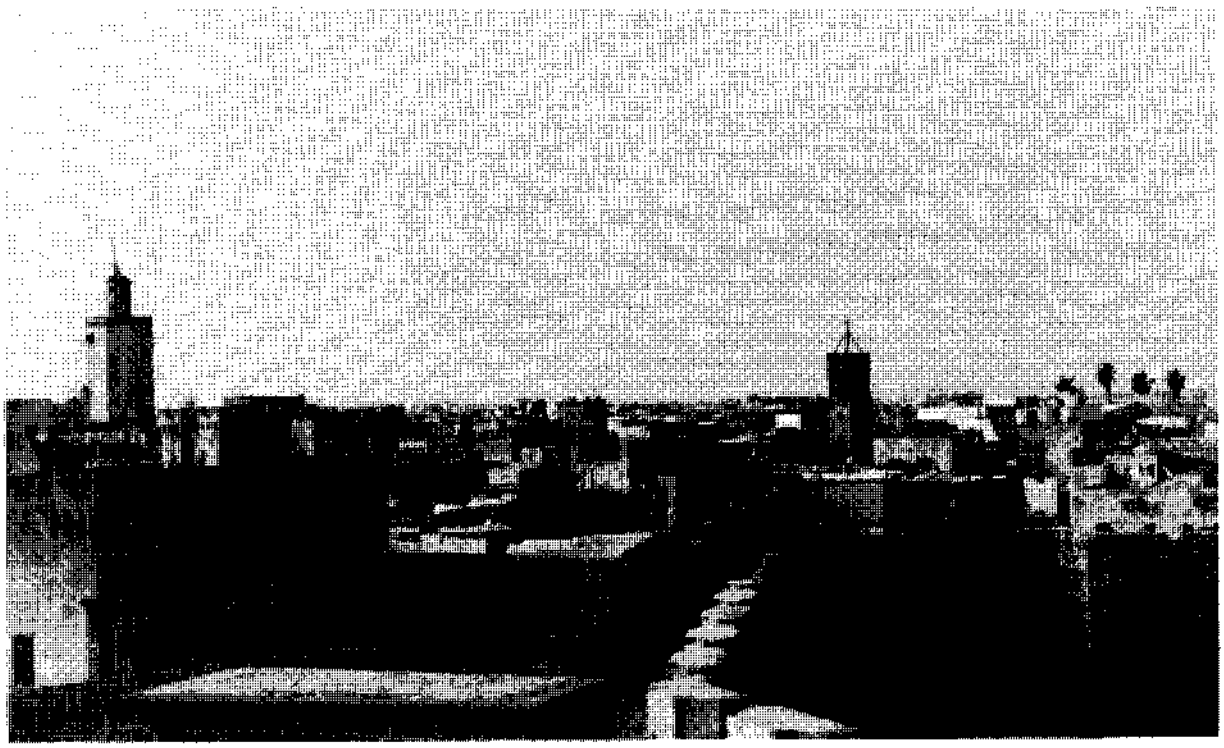

المفتي مُحمد ابن الهيبة التريعي الذي أنشأ مدرسة علمية ظل يدرس بها ويطعم طلبتها نحوا من ثمانَ عشرة سنة، ثم خلفه واقتفى أثره ولده القاضي سعيد بن محمد بن الهيبة التريعي، والعلامة مَحمد الرافعي، والفقيه الحاج أحمد بن الحاج العربي المديلي العُمري، العالم المشارك الذي كان يرجع إليه في النوازل الفقهية، والقاضي أبو شعيب المبخوت والخطيب القاضي محمد الريفي والفقيه القاضي السيد عمور بن الحاج الجبلالي الكميتي الأزموري والفقيه إدريس ابن المختار والخطيب السيد محمد الحطاب والفقيه السيد أحمد الازموري والفقيه القاضي البحبوحي وغيرهم.

وموازاة مع الانبعاث العمراني والديني والفكري بالجديدة، انتعشت الحركة الاقتصادية وأخذ ميناء الجديدة يستقطب تجارة إقليمي دكالة وعبدة، كما أنه أصبح أهم ميناء بالنسبة لمراكش، إذ أن هذه المدينة كانت تتلقى منه تقريبا جميع ما تستورده من السلع. أما مصدرات مراكش فكان يتقاسمها ميناء الصويرة وميناء الجديدة، فكان الأول يتولى ما تصدره من جلود الماعز والبقر والغنم بينما كان ميناء الجديدة يتولى تصدير اللوز وشمع العسل والجوز والزيوت، إضافة إلى تصدير ما تنتجه دكالة وعبدة من ذرة وفول وحمص وزريعة الكتان وبشنة وكامون وحلبة وكزبرة، وأصواف وبيض إلى فرنسا وألمانيا وأنجلترا وإسبانيا.

وكانت دكالة مشهورة بكثرة إنتاج البيض، فأصبح ميناء الجديدة في أوائل القرن العشرين أكبر مصدر للبيض، فكانت تصدر منه كميات كبيرة إلى فرنسا (2.465.728 فرنك سنة 1915) و7.153.696 فرنك سنة 1916) وإلى انجلترا (981.689 فرنك سنة 1915) و(456.032 فرنك سنة 1916) وإلى اسبانيا (138.827 فرنك سنة 1915). ثم أصبحت فرنسا تحتكر خلال الحرب العالمية الأولى بيض دكالة بكامله، بحيث صار البيض يأتي في الدرجة الأولى من بين المواد المصدرة من ميناء الجديدة، وكان تجار البيض تقريبا كلهم من اليهود، فكانوا عندما يشترون البيض من أسواق دكالة يقومون بفرز الطري من المَذر ويسهرون على تلفيفه ووضعه في صناديق من الخشب يسع كل واحد منها 1440 بيضة، وكان التلفيف يتم في نشارة الخشب المستوردة من تريبستا Trieste ومن بلاد السويد، حتى يصل البيض في حالة جيدة إلى أوربّا. وكانت تساعدهم على ذلك فرضة الميناء الهادئة التي كانت تمكن من شحن هذه السلعة على ظهر البواخر بالسرعة المطلوبة حتى لايتبلل البيض فتتلفه الرطوبة. وهكذا ازدادت كمية البيض المصدرة من الجديدة أثناء الحرب فأصبحت تبلغ 55 مليون بيضة في السنة. واستمرت هذه التجارة مزدهرة سنوات عديدة إلى أن اختفت بعد الحرب العالمية الثانية.

كانت تحتكر تجارة الميناء، شركات كبرى منها ست شركات انجليزية وأربع شركات اسبانية وشركتان فرنسيتان وشركتان ألمانيتان وواحدة إيطالية بالإضافة إلى بعض التجار اليهود المغاربة أو الذين قدموا من الجزائر. وكان لكل واحدة من هذه الشركات وكلاء قاطنون بمدينة مراكش، كما كان لها سماسرة وأعوان يختلف قبائل دكالة واسواقها لشراء الحبوب والأصواف والبيض لحساب تلك الشركات.

ومما يدل على أهمية الحركة التجارية بالجديدة في ذلك العصر الرسالة التي بعثها السلطان مولاي الحسن سنة 1873 إلى أمين الأمناء الحاج محمد بن المدني بنيس يخبره فيها بوصول وَفْر ميناء الجديدة، إذ أن هذا الميناء كان بالإضافة إلى ما يصدره من السلع، يستورد من أوربا الأثواب ومواد البناء والسكر والشمع والصابون والادوية وغيرها.

وانتشرت في تلك الأثناء حركة البناء خارج أسوار المدينة العتيقة التي أصبحت تعرف بالملاّح نظراً لإقامة ضعاف اليهود بها، فشيدت قيساريتان هما قيسارية التازي وقيسارية ولد ناهون، كما شيد كثير من الدور والمتاجر والمستودعات، وتوافدت على المدينة عائلات من فاس والرباط كعائلة المسفّر والقادري والحلو والتازي والأوراوي والطاهري وغيرهم، بقصد تعاطي التجارة بالجديدة.

كان عدد سكان الجديدة سنة 1902 قد بلغ 15.000 نسمة منهم 3.500 يهودي و400 أجنبي جلهم إسبانيون أو منحدرون من جبل طارق غالبيتهم من الصناع. أما الفرنسيون فلم يكن عددهم يتعدى اثني عشر شخصاً، أكثرهم من اليهود الوارِدين من الجزائر، فقام أحدهم بمعونة زوجته بفتح أول مدرسة فرنسية مختلطة بالجديدة، أصبح يتردد عليها أبناء بعض تجار اليهود وأبناء الجالية الأوربية، كما أنشأت بعثة كاثوليكية إسبانية مؤسسة صغيرة لتعليم ابنائها.

وفي تلك الأثناء كانت المدينة تتوفر على طبيبين أحدهما إسباني والآخر سويسري وعلى صيدلي واحد، كما أنشئ نادي أطلق عليه اسم "النادي الدولي" كانت تتردد عليه الجالية الأوربية.

وكانت تربط ميناء الجديدة عدة خطوط بحرية بأوربا منها اثنان مع فرنسا والجزائر وتونس، وثلاثة مع انجلترا وواحد مع بلجيكا وواحد مع ألمانيا وواحد مع النمسا وواحد مع هولاندا وآخر مع اسبانيا.

وكانت كل البلدان التي تتعامل معها الجديدة ممثلة تقريباً بها على مستوى القنصليات.

وكانت توجد ثلاثة مراكز بريدية : فرنسي وألماني وإسباني ومن العمال الذين توالوا على مدينة الجديدة منذ عهد مولاي الحسن الأول فأشهرهم علال بن إبراهيم بن اضْوَيْو القاسمي والحاج محمد بن يحيى والحاج محمد بن الحمدونية مؤسس الجامع الكبير المسمى بالجامع البرّاني ؛ وبعد فرض الحماية كان على رأس الجديدة سنة 1933 الباشا العربي بن محمد الجرّاري الذي تولى هذا المنصب بمقتضى

* *ظهير مؤرخ في 29 يوليوز 1933، بينما ظل يساعده كخليفة له السيد عبد الله التباري الذي كان يشغل هذا المنصب منذ سنة 1904. ومن أشهر قضاة الجديدة في عهد الحماية أحمد سكيرج والعابد بن أحمد ابن سودة، ومحمد ابن عبد السلام السائح والبشير بن عبد الله الفاسي.

مدن وقبائل المغرب، ج 10، دكالة. تر. الشباطي (مخطوط) ؛ م. الشباطي، *حياة الفقيه المقدم سيدي محمد الشباطي* (مخطوط)؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال : أبحاث ميدانية*.

J. Goulven, *Le cercle des Doukkala*.

محمد الشباطي

* * الجديدة ـ جغرافيا ـ شبه جزيرة متوغلة في المحيط الأطلسي. بعد تحريرها من الاحتلال البرتغالي أخذت تعرف حركة تنموية وواكبها توسع حضري ارتبط بمجموعة من المشاريع المختلفة والمتنوعة. تقع على أحد أهمّ الطرق المغربية الرئيسية (رقم 28) وهي الطريق الساحلية الرابطة بين الدار البيضاء وأگادير التي تتفرع عنها جنوب المدينة (في مستوى مدينة سيدي بنور ـ سيدي إسماعيل) الطريق الرئيسية رقم (9) المؤدية إلى مراكش.

استمر الاهتمام بالجديدة لا سيما في عهد السلطان مولاي الحسن الأول الذي أمر بإدخال تعديلات عليها أخذت الجديدة تعرف أهمية اقتصادية، حيث ازدهرت بها التجارة بفعل نشاط الميناء ابتداء من سنة 1844 حتى بداية القرن العشرين جعل من المدينة العاصمة الجهوية والمركز التجاري الرئيسي لمناطق دكالة والرحامنة، وانتقل عدد السكان من 2.500 إلى 20.000 ما بين 1875 و1900 فازدهرت التجارة بالمدينة وأخذت تتسع خارج أسوار القلعة البرتغالية على شكل محلات ومراكز تجارية في عهد الاستعمار الفرنسي ؛ بالإضافة إلى بعض المراكز الإدارية. إلا أن هذا التطور أخذ يعرف تراجع نشاط الميناء منذ الثلاثينات وذلك بسبب العوائق الطبيعية للميناء والمتمثلة في ضعف عمقه وتقلص أحواضه وهو الأمر الذي لم يسمح بتلبية الحاجيات الجديدة للبواخر، كما أن اختيار الدار البيضاء كأول ميناء بالمملكة، ساهم بشكل كبير في ركود مدينة الجديدة الأمر الذي جعلها تتخلف عن مواكبة التطور الحضري إلى جانب مدن مغربية أخرى. في السنوات الأخيرة أخذت مدينة الجديدة تعرف نمواً مكثفاً لم يتوقف عن دفع حركة التطور العمراني الذي ساهم بشكل كبير في توسع المجال الحضري على شكل تصميم شعاعي نصف دائري حيث أصبح النسيج الحضري القديم (الحي البرتغالي، الرجيلة، حي القلعة ...) يدفع بفئات سوسيولوجية مهنية إلى الخارج نحو النسيج الحضري الحديث ويستقبل فئات أخرى قادمة من المناطق الريفية لدكالة وعبدة والرحامنة وغيرها. لقد ساهمت هياكل استقبال رئيسية في هذا التطور الحضري السريع، وتتجسد في بنياته الأساسية التي كثفت في الهجرة الحضرية لفئات سوسيومهنية ذات تكوين يتجاوب ومتطلبات هذه الهياكل وتتمثل هذه البنيات في مشاريع الاستثمار الصناعية الكبرى، بالإضافة إلى ما تستمده المدينة من ظهيرها الغني بفعل التجهيزات الهيدروفلاحية وماتلعبه من دور في تنظيم المجال المحيط بها، إذ أخذت تقطع العلاقات التي كانت تربط المراكز المجاورة لها بمدينة الدار البيضاء، كسيدي بنور وخميس الزمامرة.

يضاف إلى هذا عامل رئيسي آخر ساهم بدوره في تطوير وتحسين المشهد الحضري للمدينة الذي أصبح يقدم الخدمات الإدارية. لقد أخذ التوسع الحضري الأفقي يمتد على مساحات عريضة تم تقسيمها وإعدادها في تجزئات تستجيب لضابطة تقسيم التهيئة وتتكامل مع إبراز انتاج معماري أخذ يخرج من الهشاشة ويعتمد اطارات مرجعية للخصوصيات المحلية انطلاقاً من الشرايين المتجهة نحو تحول الإطار المبني الذي يخلف فيه الحديث القديم إذ أخذت

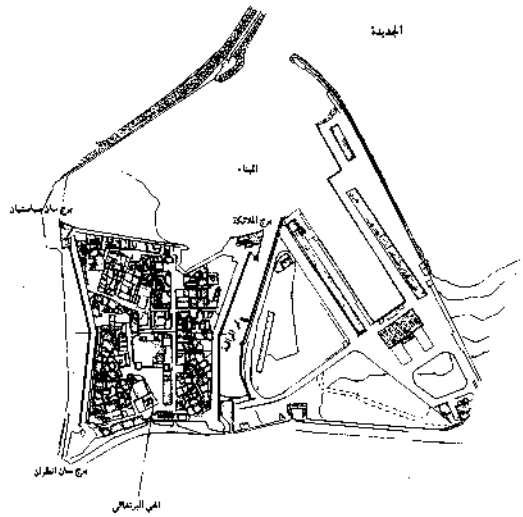

تتزاوج أشكال المعمار ذات الطابع المتميز كالحي البرتغالي والبنايات الاروبية والبناء العصري المستمد من المحيط البيئي، الأمر الذي يشكل ثلاثية معمارية تعبر بوضوح عن بنيات حضرية مستقلة في التاريخ ومتراتبة في نفس الوقت. عرفت عاصمة إقليم دكالة استقطاب بنيات أساسية ساهمت في جلب استثمارات مهمة تعمل على تنمية معطيات الإقليم المتوفرة، وتلعب دوراً رئيسياً في هيكلة المجال الحضري وتوسيعه ليشمل تجمعات سكنية أخرى تنضم إلى المدينة. ومن هنا كان تصور التصميم التوجيهي للتهيئة الذي رسم "الجديدة الكبرى" انطلاقاً من مدينة أزمور إلى الجرف الأصفر على طول الساحل، وبعمق ستة كلومترات انطلاقاً من الشاطئ البحري بتوفر هذا المجال الذي جدده التصميم المديري (دراسة 1983 التقرير النهائي) على مؤهلات اقتصادية ضخمة أخذت تبوؤه المرتبة الصناعية الثانية على الصعيد الوطني بعد الدار البيضاء، تمتد المنطقة الصناعية بالجديدة على مساحة 117 هكتاراً

(بها حالياً 61 وحدة صناعية نشيطة و58 وحدة في طور البناء) وتمتد منطقة الصناعات المرتبطة بالجرف الأصفر المرتقبة على مساحة 160 هكتار ستسخر لتوظيف استثمارات صناعية لها صلة بحركة الرواج الميناني. إضافة إلى ذلك فإن الميناء المفتوح في وجه التجارة العالمية يعتبر الركيزة الأساسية على المستوى الوطني من حيث تجهيز الموانئ. وبجانب هذا الأخير ستساهم المحطة الحرارية في تدعيم وسائل إنتاج الطاقة الكهربائية كما سيساعد خط السكة الحديدية الذي يربط الجديدة والميناء بالنواصر على انفتاح المدينة ومنطقتها أكثر فأكثر على المناطق الأخرى.

هذا وتتمتع الجديدة الكبرى بمحيط ملائم يؤهلها لكي تصبح قطباً هاماً في ميدان السياحة.

اعلام ومآثر دكالة، دراسة انجزت بمناسبة المهرجان الثقافي لدكالة، نيابة إقليم الجديدة، أبريل 1981، التصميم التوجيهي للتهيئة العمرانية للجديدة الكبرى، التقرير النهائي، 1983 ؛ *الندوية الإقليمية للتجارة والصناعة بالجديدة*، شتنبر 1995.

إدريس المرابط

* * يحتل إقليم الجديدة موقعا متميزاً وسط السهول والهضاب الأطلنطية بالمغرب الشمالي. وهو ينتمي إلى المنطقة الاقتصادية الوسطى، تحده الأقاليم التالية : من الشمال سطات، ومن الجنوب الشرقي قلعة السراغنة، ومن الجنوب أسفي ومن الغرب المحيط الأطلنطي. تأسس الإقليم سنة 1967 ومساحته تتجاوز 6000 كلم^2 يعني حوالي 0,85٪ من مساحة المغرب بينما وصل عدد سكانه خلال الإحصاء الأخير إلى 970.894 نسمة يعني أكثر من 3٪ من مجموع سكان المغرب.

يطابق إقليم الجديدة جغرافيا، الوحدة السهلية المعروفة بدكالة التي تنتمي إلى السهول والهضاب الأطلنطية الوسطى. وقد دأبت كل الدراسات المونوغرافية على ان تميز داخل منطقة دكالة بين ميدانين مختلفين :

- "الساحل" : ويمتد بين أزمور شمالا وأسفي جنوبا، على مسافة 150 كلم تقريبا، بعرض يتراوح ما بين 20 و50 كلم، وهو مجال كثباني متصلبة تمتد بموازاة ساحل المحيط الاطلنطي، مما يعيق تصريف السهل. ويمكن أن نميز في منطقة "الساحل" بين :

القسم الشمالي الشرقي : بين أم الربيع ومسطحات الجديدة، تكون فيه الغضون الكثبانية متحررة من الدقة، ومورفولوجية الكثبان منتظمة : تتوالى الأعراف على مسافات طويلة، مع الحفاظ على نفس الاتجاه : جنوب غربي جنوبي شمال شرقي شمالي، تفصل بينهما منخفضات بيكثيبية مغمورة بالدقة الرملية.

القسم الأوسط بين الجرف الأصفر ورأس بدوزة، يبدو على شكل تراصف لأعراف الكثبان بشكل مواز للساحل الأطلنطي على عرض 20 كلم تقريبا.

شريط ساحلي ضيق، عرضه بضعة كيلومترات، ونعني به الولجة التي توافق مسطحة بَرِّي البحر التي ترجع إلى الزمان الولجي، يحدها من الشرق جرف ميت، ولايحميها من المحيط إلا شريط كثباني يترك مياه البحر تكتسحه، مُشَكِّلة بذلك بحيرات شاطئية : الوليدية، سيدي موسى...

- "السهل الداخلي" : وهو سهل رسوبي ارتبط بعمليات الإغران خلال الرباعي. شبه منبسط ينحني بشكل خفيف من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، وأهم المجاري المائية بهذا السهل موسمية تميز فيها بين وديان رئيسية : الفارغ وبوشان، وأخرى أقل أهمية : العوجة، السواني، أمطل گراندو ... ورسم هذه الأودية معقد، فإلى جانب السلان الحية المرتبطة بوجود انحدار كاف، هناك سلان ميتة تشكل سلسلة من المنخفضات المغلقة تقريبا.

وواد الفارغ هو الوحيد الذي له منفذ، يجري من الجنوب إلى الشمال ثم يميل نحو الشمال الشرقي، ليصب في نهر أم الربيع بسبب الأسر. أما الوديان الأخرى فإنها تتيه وسط السهل، الشيء الذي يؤدي إلى وفرة الضايات في وسط السهل، الذي يشكل بذلك منخفضا مغلقا منحبسا، خصوصا، وأن كثبان الساحل تقف حاجزاً أمام وصول الوديان إلى المحيط.

ذلك أنه بعد تراجع البحر البليوسيني تكونت الكثبان الساحلية، وأصبح السهل يستقبل مواداً قارية عبر محاور هيدروغرافية نازلة من الجنوب، من الرحامنة. وبموازاة

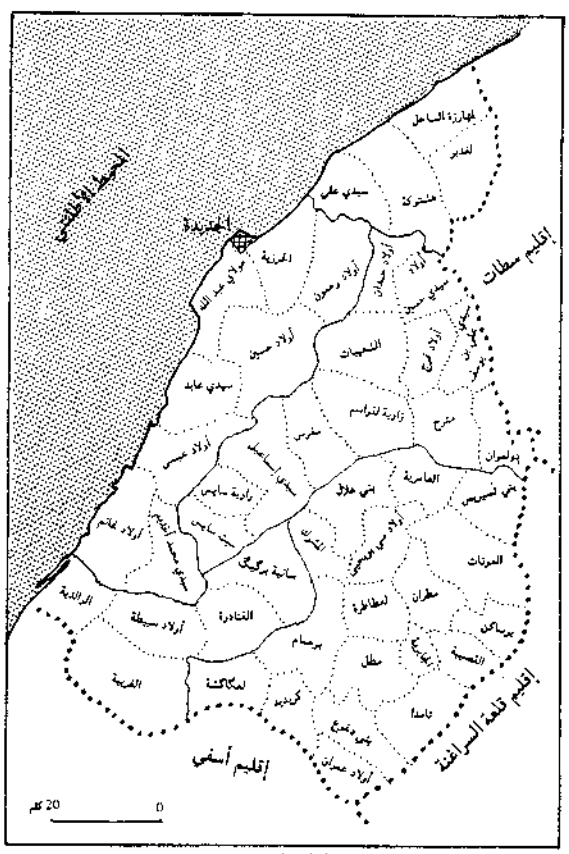

إقليم الجديدة

التهدل الذي شهده السهل، كان "الساحل" يعرف انتهاضا، الشيء الذي أعطانا سهلا حبيسا في الداخل.

ويمتاز السهل الداخلي - عكس "الساحل" - بأتربة متنوعة، مرتبطة بظروف غمر السهل خلال الزمن الرابع. هذا التنوع سمح باستغلال أقصى مساحة ممكنة في الزراعة، وقد تصل نسبة استغلال الأراضي للزراعة إلى 90٪ في بعض المجالات.

غير أنه مقابل هذه التربات المتنوعة والجيدة، تعرف دكالة خصاصا من حيث كميات التساقطات. وعلى قلتها (متوسط 350 ملم / السنة)، تتميز هذه التساقطات بعدم الانتظام من فصل إلى آخر ومن سنة إلى أخرى، الشيء الذي يجعل الإنتاج الفلاحي مرتبطا بكمية التساقطات. ومما يزيد الطين بلة أن المنطقة لاتتوفر على مجاري مائية دائمة باستثناء نهر أم الربيع الذي يحادي المنطقة. غير أن المناطق المحادية لساحل المحيط تستفيد، علاوة على الرطوبة الجوية، من التساقطات الخفية (ضباب، ندى ...) الشيء الذي يفسر تطور المبقلات بالوجلة.

وعلى الرغم من هذه الظروف يتميز الإقليم، ومنذ الماضي، بكثافات سكانية مرتفعة، ما فتئت تتطور باضطراد منذ مطلع هذا القرن :

السنوات	1917	1936	1952	1960	1971	1982	1994
الكثافة (ن/كلم^2)	32	62	64.8	81.6	89.5	127.2	161.8

تطور هذه الكثافات مرتبط بتزايد السكان، ذلك ان عدد السكان بالإقليم قد مر من حوالي 194 ألف نسمة سنة 1917 إلى حوالي 372 ألف نسمة سنة 1936، يعني تضاعفوا، تقريبا، خلال عشرين سنة. وقد بلغ عددهم خلال الإحصاء الأخير 970.894 نسمة وبذلك يكونون قد تضاعفوا 5 مرات ما بين 1917 و1994، رغم أن المنطقة عرفت نزيفا ديموغرافيا خلال الثلاثينيات والاربعينيات تجلى في حركة هجرة كثيفة، الشيء الذي جعل من دكالة منطقة طرد للسكان وهي سمة مازالت تميزها لحد الآن، ونلاحظ ذلك من خلال مقارنة نسب تزايد سكان الإقليم مع متوسط تزايد مجموع السكان المغاربة.

السنوات	1960	1971	/ التزايد العام 70.60	1982	/ التزايد العام 82.71	1994	/ التزايد العام 94.82
مجموع سكان الإقليم	489.637	590.923	٪17.14	766.198	٪22.87	970.894	٪21.08
سكان الأرياف	430.759	498.738	٪13.6	616.161	٪19.06	730.826	٪15.7
مجموع سكان المغرب	11.626.470	15.379.259	٪24.4	20.419.555	٪24.7	26.073.593	٪21.68

ويلاحظ أن تطور السكان والكثافة السكانية كان عاما وشمل جميع المجالات بما في ذلك الجماعات الموجودة بمنطقة "الساحل" التي لا توفر نفس الإمكانيات التي يوفرها السهل الداخلي، بل نجد كثافة بعض الجماعات القروية القريبة من مدينتي الجديدة وأزمور تفوق 180 نسمة / الكلم^2.

الدائرة	الجماعة	عدد السكان سنة 1994	الكثافة نسمة / كلم2
أزمور	شتوكة	26160	167.7
	الحوزية	23358	194.7
	لغديرة	15301	109.3
	لهارزة الساحل	15183	126.5
	أولاد رحمون	19415	138.7
	سيدي عليبن حمدوش	24297	195.1
الجديدة	مولاي عبد الله	30926	192.4
	أولاد عيسى	18518	118.3
	أولاد غان	20889	122.8
	أولاد حسابن	25090	132.9
	سيدي عابد	16421	136.8
	سيدي امحمد اخديم	8945	59.3
سيدي بنور	بني هلال	16663	140.0
	بني تسبريس	13734	124.9
	بوحمان	23401	146.0
	الجابرية	16159	179.5
	خميس القصيبة	6229	45.1
	كدية بني دغوغة	16603	108.5
	كريديد	11925	114.7
	لعگاگشة	13343	149.9
	العامرية	12622	130.1
	العونات	18143	117.8
	العطاطرة	13105	102.4
	المشرك	13063	163.3
	مطران	11744	117.4
	مطل	10715	107.2
	أولاد عمران	11784	86.0
	أولاد بوساكن	8353	59.7
	أولاد سي بويحيى	17636	137.8
	تامدا	9840	120
سيدي اسماعيل	بولعوان	14154	141.5
	الشعيبات	10173	97.8
	متوح	25102	228.2
	مفرس	12436	91.4
	أولاد حمدان	14552	121.3
	أولاد سيدي علي بنيوسف	10618	101.1
	أولاد افرج	14517	145.2
	سبت سايس	9311	97.0

الدائرة	الجماعة	عدد السكان سنة 1994	الكثافة نسمة / كلم2
سيدي اسماعيل	سيد حسابن بن ع. الرحمان	6984	60.7
	سيدي إسماعيل	22712	162.2
	زاوية سايس	9349	93.5
	زاوية لقواسم	10878	100.7
الزمامرة	الغناردة	28031	210.7
	الغربية	23121	131.3
	الوالبدية	13073	109.9
	أولاد سبيطة	20251	125.0
	سانية برگيگ	29116	173.3

في حين وصل عدد سكان المراكز الحضرية بالإقليم خلال الاحصاء الأخير إلى 240.068 نسمة، موزعين على 5 بلديات وعدة مراكز أخرى، يتطورون بوتيرة سريعة جدا تفوق نسبتها 50٪، رغم أنه وحتى بداية هذا القرن لم تكن دكالة تتوفر إلا على مدينتين هما الجديدة وأزمور، لم يكن يتعدى سكانهما 36.000 نسمة.

المدينة / السنة	1960	1971	1982	1994.
البلديات				
الجديدة	40302	55501	81455	119083
سيدي بنور	5479	11140	23429	34225
أزمور	12449	17182	24774	32739
بئر الجديد	-	2982	5359	10540
الزمامرة	-	1464	4761	10310
المراكز الأخرى				
أحد أولاد افرج	-	1267	3603	7731
الوالبدية	648	865	2642	4414
مولاي عبد الله	-	-	-	3806
أربعاء العونات	-	443	1857	3434
سيدي إسماعيل	-	1341	2157	3279
سيدي بوزيد	-	-	-	483

ويعزى هذا التطور السريع للمراكز الحضرية بدكالة إلى مجموعة من العوامل يمكن إجمالها فيما يلي :

- التطور المشهود الذي تعرفه منطقة الجديدة الكبرى (الشريط الذي يربط بين أزمور والجرف) من حيث استقرار الأنشطة الاقتصادية التي تتمحور حول مشاريع المركبات الصناعية الكيماوية المرتبطة بالجرف الأصفر.

- تطور بعض الصناعات المرتبطة بتكرير المنتجات الفلاحية : شمندر سكري، قطن، علف .. بالسهل الداخلي.

- تطور الوظائف ومناصب الشغل المرتبطة بالتسيير الفلاحي لقطاع دكالة المسقي.

ذلك انه بالإضافة إلى الفلاحة البعلية والتدجين الكثيف كنشاطين رئيسيين لمجمل السكان الريفيين بالأقاليم، تتطور الزراعة المسقية، خصوصا، بواسطة الري الكبير في السهل الداخلي. وقد استفادت دكالة من سياسة السدود بتجهيز قطاع سقوي، يمكن أن تصل مساحته على المستوى القريب والمتوسط إلى أكثر من 120 ألف هكتار.

ولاعداد قطاع دكالة المسقي كان لا بد من القيام بعدة تجهيزات أساسية، وهي :

- بناء سد ايمفوت خلال الفترة ما بين 1939 و1944 وكان الهدف منه، آنذاك، هو إنتاج الطاقة الكهربائية، يحفظ 85 مليون م^3 من مياه نهر أم الربيع، غير أن مميزاته الأساسية وصعود حباسته، لم يؤخذ فيها بعين الاعتبار حاجيات السقي، وهذا هو السبب الذي جعل سقي دكالة يفرض بناء نفق.

- النفق المدفون Galerie tête morte : نتيجة انعراج مجرى أم الربيع، ونتيجة وعورة الأصواح التي تُقطّعها عدة أخاديد، فإن جلب المياه لسقي سهل دكالة، فرض بناء نفق مدفون، طوله 17 كلم وقطره 5.3 متر. وقد تم تشييده ما بين سنتي 1947 و1953.

- قنوات السقي : انطلاقا من سنة 1950 تم البدء في تشييد قناة رئيسية Canal principal bas service تمدد النفق المدفون طولها 128 كلم وصبيبها 36 مترا مكعبا في الثانية. وقد تم تشييد قناة وسطية Canal intermédiaire لسقي دائرة سيدي بنور التي توجد جنوب القناة الرئيسية، ومن تم في مستوى أعلى منها، والانحناء العام لسهل دكالة هو من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. ويبلغ طول هذه القناة الوسطية 25 كلم تُزَود بالماء من القناة الرئيسية بواسطة محطة ضخ. وتتفرع عن القناتين المذكورتين مجموعة من القنوات الثانوية والثلاثية المحمولة، تتفرع عنها قنوات من التراب تصل حتى الحقول في الدوائر المسقية بالجاذبية.

- تشييد 13 محطة ضخ، منها محطة لضغط المياه لسقي الدوائر المجهزة بطريقة الرش وهي : بولعوان، الزمامرة، الغربية، وتوسيع اخرى : سيدي إسماعيل والفارغ.

وتصل المساحة المسقية، حاليا، بواسطة الري الكبير إلى 61.000 هكتار، وسيمكن انجاز الشطر الثاني من مشروع الاعداد الهيدروفلاحي لدكالة، والذي بدأ تجهيزه فعلا منذ 1992، إلى رفع المساحة المسقية إلى 125.000 هكتار، وهو ما يعني أكثر من 22٪ من المساحة الزراعية

بالاقليم. غير أن الثقل الديموغرافي والاستقرار المبكر للسكان والتملك الفردي للأراضي وتجزيئها يطرح عدة عوائق أمام عصرنة الأرياف بدكالة، مما يدفع بالفلاحين إلى النزعة نحو التخصص في التدجين، وخصوصا، الأبقار.

إ. خياطي، *تحول النبات الفلاحية في القطاعات المسقية، نظام الأكّارة في سهل دكالة المسقي*، د. د. ع. جغرافية، الرباط 1988 ؛ (غير منشور)، مديرية الاحصاء، *السكان القانونيون حسب الإحصاء العام للسكان والسكنى*، الرباط، 1960، 1971، 1982، 1994.

M. Ayad, *L'organisation de l'espace rural dans le plateau d'El Jadida et le Sahel d'Azemmour : Etude de géographie rurale cartographique*. Th. 3ème cycle, Rabat 1982 ; R. Fosset, *Société rurale et organisation de l'espace : Les bas plateaux atlantiques du Maroc moyen : Chaouia, Doukkala, Abda*, Th. Doctorat, Montpellier III, 1979 ; *Pression démographique et système de culture dans les plaines atlantiques nord-occidentales* in *La Grande Encyclopédie du Maroc : Géographie humaine*, Rabat., 1987.

إسماعيل خياطي

الجديدة (المدرسة -) بمكناس ثالث مدرسة مرينية بهذه المدينة، تقع بقبة السوق (العطارين سابقا) بجوار الجامع الكبير، وتشتهر - خطأ - باسم البوعنانية نسبة إلى السلطان أبي عنان المريني والحال أنها من إنشاء والده أبي الحسن (731 - 752 هـ / 1331 - 1351 م)، فقد ورد اسم مؤسسها وتاريخ تأسيسها منقوشا في خشب (قناطير) صحن المدرسة، وداخل مصلاها على اللوحة الرخامية لأوقافها، وفي القطعة الشعرية التي تطوق محرابها.

وروى محمد ابن غازي عن والده (*الروض الهتون*، ص. 37) ان أبا الحسن قدّم للنظر علي بنائها قاضيه على مكناس عبد الله بن أبي الغمر، وأنه لما أُخبر بتمام بنائها جاء إليها ليراها، فقعد على كرسي من كراسي الوضوء حول صهريجها، وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها فغرقّها في الصهريج قبل أن يطالع فيها وأنشد :

لابأس بالغالي إذا قبل حسنْ ليس لما قرّتْ به العينُ ثَمَنْ

وقد نسب الحسن الوزان (*وصف افريقيا*، ص. 179) هذا البيت غلطاً لأبي عنان المريني وعنه نقل الكثيرون هذا الخطأ.

ووقف أبو الحسن على المدرسة الجديدة عدداً من العقارات المختلفة داخل مدينة مكناس وخارجها للإنفاق على أساتذتها وطلبتها وقومتها، سجلت كلها في رخامة التحبيس التي تعلو الجدار الواقع يمين الداخل لمصلاها. وهي أجمل مدارس مكناس المرينية وأحسنها نقشا، ذات باب مرونق تعلوه قنطرة من خشب بها تزويق وكتابات بخط أنيق، وعن يمين الباب ويساره صورة محرابين من جبس بهما تخريم وتعلوهما نقوش ذات أشكال مختلفة منقوشة في الجبس. وعن يمين الواقف أمام الباب ويساره وخلفه ثلاثة أقواس عظيمة أمام الباب ويساره وخلفه بها نقوش تعلوها قبة جميلة هي قبة السوق وهي من مآثر المولى إسماعيل بناها عام 1109 هـ/ 97. 1698.

وعلى جانبي الباب مصراعان فخمان مصفحان بقطع منقوشة من النحاس الأصفر. ويسلك الباب إلى ممر متسع يبلغ طوله ثلاثة عشر متراً وعرضه 2،4 م يعلوه سقف من الخشب، وفي اتجاه الداخل مدارج تصعد إلى الطابق العلوي من المدرسة.

تتكون المدرسة من قاعة للصلاة والدراسة، وغرف لإيواء الطلبة، موزعة بين طابقين ومبضأة.

ففي نهاية الممر المذكور إلى اليمين يواجه الداخل باباً وسط سياج من الخشب المنقوش بأشكال هندسية غاية في الدقة، وفوقه قنطرة من خشب نقش فيها : "العز والتمكين والفتح المبين لمولانا أبي الحسن أمير المسلمين" مكرراً في كل القناطر الكبرى المحيطة بالصحن من ثلاث جهات.

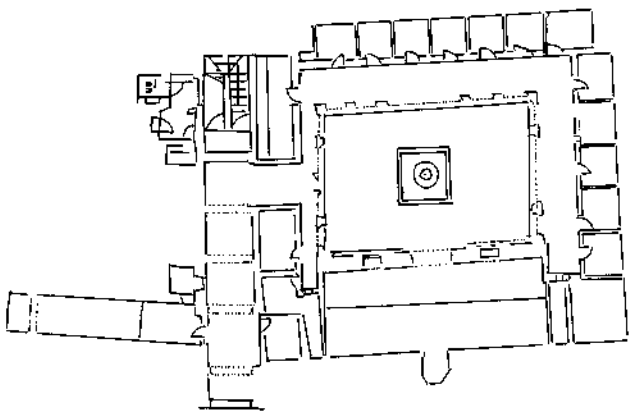

المدرسة الجديدة

يفضي الباب إلى صحن كبير مستطيل الشكل (11،40 م × 7،40 م)، أرضيته مكسوة بالزليج المدودب والمزهري، وفي وسطه بركة ماء دائرية من المرمر الأبيض يبلغ قطرها 1،80 م منتصبة داخل مربع (3 × 3 م) مغطى بالزليج الملون.

وإلى يمين الصحن يوجد بيت الصلاة (قبة المدرسة) وهو مستطيل الشكل (12،15 × 4،65)، ذو باب كبير يزين أسلفه من الجهتين زليج جميل غاية في التنسيق والتزويق متوج بسورة الإخلاص من الجانبين بالخط الكوفي، وفوق الزليج نقوش في غاية الدقة والجمال فوقها مقربصات تتصل في الأعلى على شكل قوس (2،20 م) تحيط به آيات قرآنية، وعن يمين الباب ويساره بابان صغيران جميلان تعلوهما نقوش دقيقة.

ويتوسط جدار القبلة محراب تزهو جدرانه بنقوش وزخارف جبسية، وعن يمينه ويساره صورة محرابين مكتوب فيهما أبيات شعرية تشير إلى المؤسس وتاريخ التأسيس.

ويغطي بيت الصلاة سقف من الخشب المنقوش تحته حزام من الجبس به نقوش ذات أشكال هندسية، وتحت الحزام صور محاريب من الجبس تحيط بالمصلى من جميع الجهات وتتخللها من ناحية القبلة سبع شمسيات، وتعلو الجدار على اليمين رخامة التحبيس.

وعلى يمين الخارج من بيت الصلاة وأمامه أروقة (ممرات) تنتظم فيها غرف لسكنى الطلبة، وقد توجت حيطانها من أعلى بنقوش جبسيّة ذات أشكال هندسية. ويفصل الأروقة عن الصحن سياج (شباك) من الخشب المنقوش نقشا دقيقاً منتظماً، وتتخلل السياج وجدار بيت الصلاة أساطين (سوار) تحمل أقواسا من الخشب المزخرف بنقوش جميلة تعلوها آيات من القرآن الكريم وتزدان هاته الأساطين بالزليج من أسفلها وبالجبس المنقوش من أعلاها. وتتوّج الزليج المحيط بالصحن من أسفل كتابات قرآنية منقوشة بخط مشرقي جميل. ومعلوم أن المدرسة تزخر بالآيات القرآنية التي لايتسع المجال لكتابتها جميعها هنا.

وتشرف على الصحن حلقة من الخشب المنقوش نقشا غاية في الرونق وحسن الصنعة يحيط بها مظل يعلوه قرميد أخضر. أما الطابق العلوي من المدرسة فيشتمل على غرف لسكنى الطلبة يبعضها نوافذ منقوشة تشرف على الصحن.

وبجانب المدارج التي تسلم إلى الطابق العلوي ميضأة على جانب كبير من الاتساع يتوسطها صهريج مستطيل. ولاتتوفر المدرسة ـ كباقي المدارس المرينية بمكناس ـ على صومعة، وذلك لمحاذاتها للجامع الكبير.

ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أ. مختار العبادي، الدار البيضاء، 1985، ص. 372 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، ص. 123 ؛ م. ابن غازي، *الروض الهتون*، 1988، ص. 37 ؛ الحريف الطيب، *مساجد مكناس والإقليم*، بحث لم ينشر، ص. 18. 21 ؛ م. المنوني، *التخطيط العماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور*، *مجلة الثقافة المغربية*، ع. 7، 1972، ص. 39، 53، 54.

رقية بلمقدم

جديرة (أسرة) ← گديرة

الجذام، مرض مُعدٍ قديم بالمغرب، وتعني كلمة الجذام القطع. وفي كتاب *الطب النبوي* يورد ابن قيم الجوزية (القرن التاسع / 13 م) عدداً من الأحاديث النبوية للاحتراز من الجذام مثل "فر من المجذوم كما تفر من الأسد" و "لا تديموا النظر إلى المجذوم" و"كلّم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين". ثم يعطي تعريفا للجذام بقوله "علة رديئة تحدث من انتشار المرة السوداء في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيأتها وشكلها وربما فسد في آخره اتصالها حتى تتآكل الاعضاء وتسقط ويسمى داء الأسد، وفي هذه التسمية ثلاثة أقوال للأطباء :

أحدها : أنها لكثرة ما يعتري الأسد. والثاني : لأن هذه العلة تجهم وجه صاحبها وتجعله في سحنة الأسد. والثالث : أنه يفترس من يقربه أو يدنو منه بدائه، افتراس الأسد".

وعرّف جلال الدين السيوطي في الباب التاسع والأربعين بعد المائة من كتاب *الرحمة*، الجذام بقوله : "يحد الصوت مع الغنة ويأكل لحم أطراف الأنف، ونحول لحم الأصابع، ويبس في الطبيعة وظهور الحر الردي". أما داود الانطاكي في *تذكرة أولى الالباب* فيعرفُه تعريفا أوسع بقوله "الجذام من الجذم بمعنى القطع، سمي بذلك لأنه يقطع الأعضاء أو النسل أو العمر، ويعرف بداء الأسد لجعله سحنة الإنسان كسحنة الأسد أو لأنه يعتريه أو يفترس البدن كافتراسه. وهو علة معدية موروثة ... وعلاماته بريق بياض العين محمراً، وهي أول ما يبدو حتى قيل إنها تتقدمه بنحو سبع سنين. واستدارتها، وكمودة اللون واحمرار البدن والبول ثم اسوادهما، ثم العرق الكثير الملون ثم نتنه، ثم تغير الصوت بالخشونة فالبحوحة فنتن النفس، فتقلص الأنف واستدراة الوجه، فتدرن البدن فتقيحه إن كان الجذام مقرحا، واعوجاج الاطراف ثم سقوطها".

والجذام في التعريفات الحديثة مرض معروف من قديم الزمان يصيب جلد الإنسان وأعصابه وغالبا ما يتسبب في تشويهات وعاهات مستديمة.

سبب هذا المرض مكروب من نوع الباسيل يسمى باسيل هانسن Hansen نسبة إلى النرويجي الذي اكتشف هذا المكروب في بداية السبعينات من القرن التاسع عشر.

مصدر العدوى هو الإنسان المصاب، حيث تخرج الباسيلات مع إفرازات الإصابات الجلدية والمخاطية، فتتسرب تلك الباسيلات المعدية عند الاختلاط بالمجذوم مدة طويلة.

ويتجلى الجذام بظهور بقع حمراء على جسم الإنسان، وتنتشر على الاعضاء أي اليدين والرجلين، وهي بقع منعدمة الحساسية. وقد يظهر المرض على شكل أورام وتجعدات وحبات مختلفة الاحجام وخاصة على الوجه حيث تسبب في بروزات على الجبين وعلى الخدين فيصبح وجه المريض من جراء ذلك اشبه بوجه الأسد.

ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الجذام هي :

ـ داء الأسد لأنه يجعل وجه الانسان منتفخا كوجه الأسد.

ـ داء الفيل لأن أعضاء الانسان تصبح بفعل تآكل الأصابع شبيهة بأرجل الفيل.

ـ داء السرطان حيث تصبح أعضاء الإنسان شبيهة بسرطان البحر.

وتكمن خطورة الجذام في كون المريض يفقد حساسية الأطراف فتساقط إرباً إرباً بالتدريج.

وقد عرف المغرب الجذام منذ عصور قديمة غير أننا

لانملك معلومات مستفيضة عن أصله وبداياته، وإن كانت الدراسات التي أنجزها الفرنسيون عن هذا الداء خلال فترة الحماية تجعل أصوله بالمغرب مرتبطة بما تدفق على هذا البلد من هجرات، حيث يربط أصحاب هذه الدراسات انتشار الجذام وتوطنه بالمغرب بالهجرات الفينيقية والقرطاجنية واليهودية والعربية، مستندين في ذلك على ندرة الجذام لدى البربر، وتوطنه في المناطق التي استقرت بها الموجات البشرية التي أمت منطقة الساحل الشمالي للمغرب وسواحل المحيط الأطلسي.

وقل أن نجد لدى مؤرخينا وأخبارينا حديثا عن الجذام وعشيانه داخل المجتمع إلا ما كان من بعض الإشارات القليلة المتفرقة. فصاحب روض القرطاس يورد في معرض حديثة عن أبي يوسف يعقوب المريني أنه أجرى الجرايات على الفقراء والمرضى والمجاذيم.

وتحدث الحسن الوزان في وصف افريقيا أثناء وصفه لمدينة فاس وأرباضها، عن "ربض يسكنه المجذومون يحتوي على مائتي دار تقريباً ... يقدّم إلى هؤلاء المرضى كل ما هو ضروري بحيث لايحتاجون إلى شيء، ويقوم رؤساؤهم بتخليص المدينة من كل مجذوم، ولهم السلطة لإخراج كل من رأوه مصابا بهذا الداء من فاس وإسكانه بهذا الربض".

وإذا رجعنا إلى الرحالة والأطباء الذين زاروا المغرب نجد بين ثنايا مؤلفاتهم معلومات أغزر تفيدنا في التعرف على الجذام وحياة الجذمى وتوزيعهم الجغرافي فالدكتور ليارد Leared يذكر في كتابه *Morocco and the Moors* أنه زار حارة الجذمى بمراكش في سنة 1875 ولاحظ أنه لم يكن يسمح لهم بدخول المدينة وأن العلاج الوحيد كان هو الاغتسال بماء سقاية سيدي بنور، وهو ولي يوجد قرب باب الحارة.

وتحدث الدكتور رينو Raynaud الذي قضى مدة بمحجر الصويرة، في كتابه حول الصحة والطب بالمغرب، الذي أصدره في سنة 1902، عن الجذام حيث ذكر بأن هذا الداء معروف منذ القديم بالمغرب، وقدم وصفا مستفيضا لاعراضه وعواقبه، وأعطى بعض المعلومات عن دواوير المجذومين في ضواحي مدينة الجديدة، وأورد بعض طرق علاج الجذام لدى السكان.

ولاحظ بعده الدكتور وينجيربر Weisgerber في سنة 1903، أن الجذام متوطن بالمغرب بينما قدم ماسينيون Massignon في كتابه الصادر سنة 1906 تحت عنوان : *المغرب في السنوات الأولى للقرن السادس عشر* معلومات عن حارة للمجذومين بفاس تضم 200 كانون يطلق عليها المارستان أو ربض المرضى، وقد أصبحت هذه الحارة في بداية القرن العشرين أثرا بعد عين، إلا ما كان من كهف يسمى كهف الغول، وهي تسمية يبدو أنها مرتبطة بما كان يلحق المجاذيم من تشويهات تجعل وجوههم اشبه بالاغوال. وإلى عهد قريب كان بفشتالة شمال فاس، دوار قديم يؤمه الجذمى ويعيشون فيه مع عائلاتهم، يسمى دوار سيدي أحمد الغول.

ومع توافد الأطباء وجيوش الاحتلال الفرنسيين على المغرب، بعد سنة 1912 كان الجذام وما يخلفه من تشويهات وعاهات، من بين الأمراض التي شدت إليها اهتمام الأطباء، فكثرت الدراسات حول الجذام حتى بلغ عدد ما كتب عنه من سنة 1914 إلى سنة 1954، تسعة وثمانين بحثاً، أحرز قصب السبق فيها ثلةٌ من جهابذة أطباء الحماية الفرنسية أمثال Colombani وDescrops وDekester وFlye Ste Marie وRemfinger.

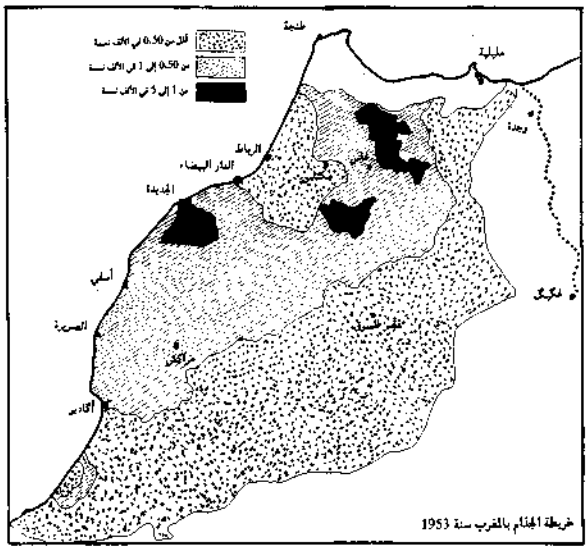

بدأت أولى الدراسات حول الجذام سنة 1914 مستفيدة مما كانت تقدمه المجموعات الصحية المتنقلة في تقاريرها من أوصاف لحالات الجذام، فتمكن الطب الفرنسي بالمغرب من توسيع المعارف حول هذا الداء، والبحث في أعراضه ومواصفاته وتطوراته، واستقامت على أثر ذلك حصيلة مهمة من المعلومات عن هذا المرض المخيف، اجمعت على أن الجذام بالمغرب يتميز بكل مميزات هذا الداء في مناطق أخرى وفي العصور الوسطى الأوربية.

وبسبب خطورة هذا الداء، وما كان يعتري الناس من هلع إزاءه وتخوف من عدواه، فقد كان المصابون به ينتبذون من أهلهم وذويهم مكانا قصيا، ويعيشون منعزلين في أماكن مزرّبة، بعيداً عن تجمع السكان، تسمى الحارات، يأتيهم رزقهم من الصدقات يطلبونها في "الگاعات" أثناء فترة درس الحبوب، أو في الأسواق والمواسم. كما كان المجذومون يرتدون لباسا خاصا وطربوشا من الدوم، ويحملون نواقيس يقرعونها حتى يتحاشاهم المارة.

وتفيدنا الرواية الشفوية أن الجذمى كانوا يعزلون أحيانا خارج الدوار، ويتركون تحت خيمة في أسافل مجرى مائي، لايسبب اغتسالهم منه أي خطر على الآخرين، وكانت جماعة الدوار تأتيهم بالأكل، حيث يضعه حامله على بعد بضعة أمتار من الخيمة، فيلتقطه أحد المجاذيم بعد أن

يكون الشخص الذي أتى به قد توارى. وقد بلغ وعي الناس بخطورة الجذام وأثره على حياة المبتلى به إلى حد أنه إذا تشاجر اثنان أو تظلم شخص على شخص آخر دعا المظلوم على ظالمه بقوله : "الله يديك للحارة" أو "الله يعطيك جذام الحارة"، وإن كانت كلمة حارة لاتعني فقط ذلك المكان المزرِّب الذي ينتبذ فيه المجذومون، بل إنها تشير في بعض مناطق المغرب إلى ما يفيد معنى سَقَر أو جهنم.

وسعيا وراء تخفيف ما يعانيه المصابون من جراء هذا الداء، حيث كانوا بالإضافة إلى ماهم فيه من العزل والنبذ يدفنون في زاوية منعزلة من المقبرة أو في مقبرة خاصة، وتوارى جثثُهم التراب دون غسل، فإنهم دأبوا على ارتياد الأضرحة والأولياء طلبا لكشف الضر، وخاصة ضريح أبي العباس السبتي الذي كانوا يعتبرونه شيخهم وكاشف بلواهم والذي كانوا يرفعون دعواتهم لمن تصدق عليهم باسمه، حتى إن العامة كانوا يطلقون عليهم اسم "أولاد سيدي بلعباس".

وإذا نظرنا إلى التوزيع الجغرافي للجذام بالمغرب خلال فترة الحماية ألفيناه يتوطن في منطقتين أساسيتين يفصل بينهما نهر سبو هما منطقة فاس وضواحيها الشمالية ومنطقة دكالة في قسمها الجنوبي.

بالنسبة للمنطقة الأولى : ترى معظم الدراسات التي أنجزت في هذا الباب وخاصة منها دراسة فلي سانت ماري Flye Ste Marie سنة 1933، أن الجذام وصل إلى مدينة فاس بسبب الوافدين عليها من خدم ومرضى وحمالين وغيرهم، من القبائل المحيطة بها جهة الشمال، مثل بني سادن ولمطة، ولحيانية، وأولاد جامع، وهي قبائل معروفة باحتضانها لعدد كبير من المجذومين.

وكانت مدينة فاس تقدم ظروفا مثالية لجلب المجذومين وذوي العاهات لتوفرها على ماء عذب لايضر بحصف الجذام ولايثير أية آلام في البقع المنتشرة على جلد المريض متى اغتسل به. ثم إن المدينة بضمها لكثير من مزارات الأولياء والأضرحة (مولاي إدريس سبدي علي بوغالب...) كانت محجا لعدد من الجذمى ومقصداً لذوي العاهات حتى يتقربوا من أوليائها زلفى عسى أن يكشف ذلك ما يقض مضاجعهم من أضرار. هذا بالإضافة إلى وجود مدينة فاس على مقربة من حامة مولاي يعقوب، التي كان يؤمها الناس من أرجاء المغرب لعلاج كل الأمراض الجلدية.

وقد اسفرت دراسة فلي Flye المذكورة اعتماداً على عينة من حالة جذام في شمال المغرب عن نتيجة مفادها أن أكبر نسبة من المصابين من العينة تتراوح أعمارهم ما بين 20 و40 سنة، كما يوضح ذلك الجدول التالي :

الأعمار	نسبة المصابين من العينة
من 10 إلى 15 سنة	٪11
من 15 إلى 20 سنة	٪7.5
من 20 إلى 30 سنة	٪24
من 30 إلى 40 سنة	٪38
من 40 إلى 50 سنة	٪15
من 50 إلى 60 سنة	٪4.5

أما المنطقة الثانية أي جنوب دكالة، فقد تمكنا من التعرف على عثيان الجذام بها اعتمادا على دراسة أنجزها أحد المراقبين المدنيين هو دومزيير De Mazières سنة 1932، تناول فيها الجذام بجنوب دكالة من خلال الطب العربي والرواية الشفوية. ومن أهم ما أفادته به هذه الدراسة أنها مكنت من التعرف على المجذمات أو حارات الجذمى بهذه المنطقة، وهي ثلاث :

أولاها : تقع في قبيلة أولاد عمرو لغنادرة، على بعد عشرة كيلو مترات من خميس الزمامرة. وهي مزربة بالصبار، على مقربة من مجموعة من الآبار ذات المياه العذبة. تسمى حارة "بخليجة".

كانت هذه الحارة تمور بالنشاط زمن المولى سليمان، حيث كان الجذمى يملكون يومئذ أراضي يزرعونها، ولايؤدون زكاة ولامكوسا، كما لم يكونوا يخضعون لاي نوع من السخرة. وكان عدد الجذمى بها يقارب المائتين معظمهم من دكالة، وبعضهم من عبدة، والرحامنة وحمر والشاوية، غير أن الحارة أصبحت خلاء من أهلها في عهد مولاي عبد العزيز، وأضحت في ثلاثينات هذا القرن عبارة عن رسوم عافيات.

الحارة الثانية وتسمى حارة "بَخْشَنِّي"، تقع على بعد خمسة كيلومترات شرق سيدي بنور قرب ضريح سيدي مَحمد العوني حيث يخصص جزء من المقبرة لدفن الموتى من المجذومين. ازدهرت هذه الحارة في عهد مولاي الحسن، ويبدو من آثارها، حسب دومزيير DE Mazières أنها كانت كبيرة المساحة، محاطة بأحواش من الصبار، وتتوفر على خمسين بئرا من الماء العذب، بالإضافة إلى سوق كان يقام قربها كل سبت. وفي السنوات التي تلت وفاة مولاي الحسن، تدهورت أحوال أهلها بعد أن صودرت أراضيهم، واندثرت الحارة ومعها السوق، بعد أن تشتت من كان بها من الجذمى، وانتهى أمرها مع توقيع الحماية.

الحارة الثالثة هي حارة أولاد عمران : يذكر دومزيير De Mazières في دراسته أنه لاوجود لمعالمها في الوقت الذي قام فيه بتحرياته حولها، أي في بداية الثلاثينيات، غير أن قدماء القبيلة في ذلك الوقت كانوا يعرفون مكانها حيث يذكرون أنها كانت في الأول قرب سوق أربعاء أولاد عمران، ثم انتقلت إلى الضفة الأخرى لنهر بوشان عند بني

دغوغ. كانت هذه الحارة تضم خمسين عائلة من المجاذيم، وكانت تسمى "الحارة" فقط ازدهرت كسابقاتها أيام مولاي الحسن، لكنها خلت من أهلها واندثرت مع اشتباب الحماية.

ويمكن أن نلاحظ مع دومزيير أن الحارات الثلاث في دكالة، كانت توجد قرب ثلاثة أسواق من أهم الأسواق بالمنطقة، الأمر الذي يتمكن معه المجذومون من ممارسة التسول كسبيل لجلب الرزق. كما أن الحارات الثلاث كانت كلها تتوفر على آبار ماؤها عذب فرات في منطقة معروفة بملوحة مياهها. مما يمكن المرضى من الاغتسال دون أن يضر ذلك بجلودهم. . .

وكما عدد الجذمى في المغرب غير مستقر، فحسب الاحصاءات التي كانت تقدمها أجهزة الصحة في عهد الحماية، فان عدد الجذمى كان يتارجح ما بين 164 و800 مع أخذنا بعين الاعتبار أن عدداً كبيراً من الجذمى وخاصة في مراحل المرض الأولى، لم يكونوا يجسرون على الإعلان عن أنفسهم، مما قد يضخم العدد المذكور أو يزيد عليه قليلا. وهذه بعض الأرقام التي أوردتها بعض التقارير المتعلقة بأنشطة إدارة الصحة العمومية، وهي معطيات لاتعكس في رأينا حقيقة الأمور. إذ أنها لاتخص سوى المسجلين من مجذومي المدن، والواقع أن العدد الكبير من المصابين كان يعيش بالبادية

السنوات	عدد الجذمى
1925	302
1937	458
1939	326
1940	292
1941	268
1942	164
1943	160
1947	183
1952	800

كيف كان الجذمى يعالجون ؟ بالإضافة إلى انتباذهم في الحارة أو قرب ولي من الأولياء المعروفين عند الناس بعلاج الجذام، أمثال سيدي بلعباس السبتي بمراكش، وسيدي مبارك بوگدرة شرق أسفي، وبومهدي الغوتي بدكالة، وغيرهم، فان المجذومين كانوا يستعملون بعض الوصفات العلاجية الواردة عند كل من السيوطي في كتاب الرحمة، والانطاكي في تذكرة أولى الألباب، إذ يوصي الأول في الباب التاسع والأربعين والمائة، بطبخ الخرمل وأغصانه وأصله وأوراقه وما يوجد منه، بماء نظيف طاهر، ويجعل على رأس المريض.

ويوصي الثاني بالمبادرة بالفصد، ثم يقول : "فلقدبلونا علاج هذه العلة، فلا نسطر فيها إلا ما جُرب أو طابق القوانين"، وينصح المريض بتلطيف الغذاء، والاقتصار على مرق الفراريج برقيق خبز السميد، وما يليها من صغار الضأن، والدهن والسكر والزبيب بالفستق واللب الحليب لمدة أسبوع، ثم يتحسى مرق الأفاعي ولحمها، وخاصة تلك التي تسلخ جلودها كل سنة.

وشاعت بين الناس وصفات أخرى مثل استعمال دم السحالف، وطبيخ أوراق الدفلة، ونقيع العشبة الرومية Salspareille بالإضافة إلى أكل لحم الضفادع، أول لحم الخمير، والجراد.

أما الطب العصري، الذي دخل مع الوافدين الأوربيين، فإنه يقترح علاجات تنطلق من تشخيص المرض، ومعرفة المكروب المسبب له وان كان عزل المجذوم عن أهله وعشيرته وجيرانه يبقى قاسما مشتركا بين الطب التقليدي والعصري.

وفي هذا الإطار أصدرت الجهات المختصة بالصحة في إدارة الحماية، على لسان أحد كبار الأطباء، هو جول كولباني J. Colombani مجموعة من الإجراءات الوقائية، قصد تطويق الجذام، والعمل على الحد من انتشاره والقضاء عليه. وتتمثل هذه الاجراءات في :

- اعتبار الجذام من الأمراض التي يجب الاعلان عنها اجباريا، أي أن على المصاب، وعلى أقاربه الاعلان بأنه مصاب بالجذام.

- احصاء الجذمى ومعرفة عدد المصابين. وقد سُخر لهذه المهمة بالإضافة إلى ممرضي المستوصفات والمجموعات الصحية المتنقلة، شيوخ الدواوير ومقدموها.

- عزل المصابين وجمعهم حول ولي من الأولياء، كما هو الشأن في سيدي بلگاسم قرب بن أحمد، وتمكينهم من أسباب العيش من الزراعة والرعي على الخصوص.

- حراسة تجمع الجذمى وفرض الإقامة الاجبارية عليهم في الأماكن المخصصة لهم، وتنقية لباسهم وسكناهم والأواني التي يستعملونها.

- عزل الأطفال عن الكبار، وعزل الجذمى ذوي القروح المفتوحة والظاهرة، وخاصة قروح الأنف التي تنبعث منها المكروبات المسببة للجذام إلى الخارج.

- مباشرة علاج الجذمى.

وقد استعمل الطب الفرنسي في علاج الجذام بعض الأدوية التي كان المغاربة يستعملونها مثل العشبة الرومية التي عالج بها الدكتور Rollier بعض الجذمى، وكان العلاج بهذه العشبة، التي أثبتت فعاليتها، ولونسبيا، في مواجهة باسيل هانسن، يقتضي أن يداوم المريض ما بين 20 و40 يوما، فجدع النقيع المركز منها مع اتباع نظام محدد في التغذية.

الشخص قبل استعمال العشبة الرومية

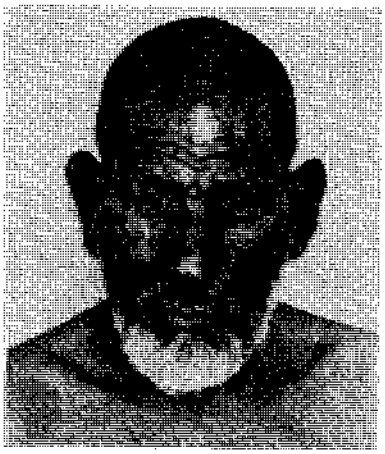

نفس الشخص بعد سبعة أشهر، باستعمال العشبة الرومية

إلى جانب استعمال العشبة الرومية، استفاد الأطباء الفرنسيون في علاج الجذام من مركبات السلفون Les Sulfones التي يرمز إليها ب : D.D.S. كما استعملت مادة Tbl بالإضافة إلى حقن زيت Chaulmoogra.

وقد أعطت هذه العلاجات نتائج مهمة.

غير أن الجذام ظل يعيث في المغاربة بسبب محدودية وسائل تطويقه، (لم تكن توجد في سنة 1956 سوى ثلاثة مراكز لعلاج الجذام : في فاس ومراكش والدار البيضاء، ولا تستوعب إلا أعداداً قليلة من الجذمى)، وانخفاض مستوى العيش، وخاصة في البوادي. كما أن ازدياد توغل الطب داخل المجتمع المغربي مكن من الكشف عن حالات كثيرة من الجذام تكاد تبدو ومعها الاحصاءات المقدمة سابقا، ضئيلة وغير ذات شأن، ذلك أنه من بداية الخمسينات وإلى حدود صيف 1956، كثر الحديث في الأوساط الطبية المهتمة بالأمراض الجلدية عن مشكلة الجذام الذي تفاقم أمره وتكاثر عدد المصابين به، حيث قدرت أعداد المبتلين بهذا الداء بـ 10.000 من المغاربة المسلمين، في شهر يونيو 1956، الأمر الذي يدعو إلى كثير من الاستغراب.

ابن منظور، *لسان العرب* ؛ ابن قيم الجوزية، *الطب النبوي* ؛ ج. السيوطي، *الرحمة في الطب والحكمة* ؛ داود الأنطاكي، *تذكرة* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ عثمان الكاديكي، *الأمراض المعدية : الرواية الشفوية*.

Bulletin de l'Institut d'Hygiène du Maroc ; Maroc Médical : Etude sur l'Hygiène et la médecine au Maroc.

بوجمعة رويان

وفي عام 1960 تأسس المركز الوطني المختص بالجذام (C.N.L.)، وشُرع في السنة نفسها في قبول المجذومين في المستشفيات، خاصة مستشفى عين الشق بالدار البيضاء. ومن يناير 1950 إلى 31 دجنبر 1992 تم تسجيل 8000 مريض تقريباً، جلهم من البادية (76.60٪) يمثل الذكور منهم نسبة (68.60٪)، وتزيد أعمار أغلبيتهم عن 15 سنة (87.19٪).

بفضل الجهود التي بذلت منذ الخمسينات من القرن العشرين لمحاربة الجذام، أخذت دائرة هذا الداء تضيق سنة بعد أخرى إلى حد أن الخبراء يرون أن المغرب سيتخلص نهائياً منه في عام 2000.

Ministère de la Santé Publique, Direction de l'Epidémiologie et des Programmes Sanitaires., *Guide-Lepre*, Rabat. 1993.

محمد الأمين البزاز

الجذامي، أسرة فاسية عالمة أصلها من الأندلس من مالقة وسرقسطة والمرية، انتقل بعض أفرادها إلى المغرب منذ قرون واستوطن معظمهم المدينة الإدريسية.

الجذامي، أحمد بن محمد بن عبد الملك القرطبي السبتي، عالم طبيب مشارك تلقى علومه بمسقط رأسه، وأقام باشبيلية ردحاً من الزمان، وروى عن أبي محمد بن عبيد الله وغيره قبل أن ينتقل إلى العدوة المغربية.

وإلى جانب مهارة الجذامي في الطب، كان عالما بالحديث النبوي، صاحب ضبط وإتقان، ومشاركة في الأدب. ومع ذلك فمعلوماتنا عنه قليلة، إذ لم يترجم له إلا ابن الأبار في *التكملة*، وقد يكون خصه ابن عبد الملك بترجمة فيما فُقد من كتابه *الذيل والتكملة* لأنه كان معاصراً له.

ابن الابار، *التكملة لكتاب الصلة*، القاهرة، تح. إبراهيم الابياري، 1983 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط (ج 2) 1974 ؛ ع. العزيز بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، المحمدية، (ج 2) 1975 ؛ ع. الوهاب ابن منصور، *اعلام المغرب العربي* (ج 4) الرباط 1986.

محمد المغراوي

الجذامي، عليّ بن عبد الله المالقي الفاسي "الشيخ الفقيه الراوية قاضي الجماعة بجزيرة الأندلس والخطيب بها" *(جنى زهر الآس)* تخرج على يد كبار علماء الأندلس كعبد

الله التجيبي وأحمد الطنجالي وأبي القاسم الحميري وأضرابهم، وانتقل إلى فاس أولاً عام سبعة وستين وسبعمائة ثم رجع إليها ثانياً عام ثمانية وثمانين وسبعمائة واستقر بها نهائياً واشتغل بالتدريس وأخذ عنه كبار فقهاء المدينة الإدريسية كيحيى السراج، وولده أبي القاسم.

لا يعرف تاريخ وفاة علي الجذامي، وإنما يظن أنه توفي في آخر القرن الثامن أو أول التاسع (14 ـ 15 م).

ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

الجذامي، محمد بن حكيم السرقسطي الفاسي يكني أبا جعفر، سكن غرناطة قبل أن ينتقل إلى فاس ويستوطنها "وكان إماماً نحوياً لغوياً مقرئاً مجوداً عارفاً بعلم الكلام وأصول الفقه محصلاً لهما، متقدماً في النحو واللغة حافظاً للفقه ..." (*جنى زهر الآس*) تولى القضاء والفتوى بفاس، ودرّس بها *كتاب سيبويه* وغيره في قواعد اللغة، وتخرج على يده عدد من النحاة. وألّف *شرح الايضاح* لأبي علي الفارسي، وكان قيماً على تدريسه كذلك، كما ألف *كتابين في الجدل* كبيراً وصغيراً، وعقيدة جيدة.

توفي بفاس، وقيل بتلمسان، عام 533 / 1138. وقيل عام 530 أو 538.

إ. ابن فرحون، *الديباج*، 300 ـ 301 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 265 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

الجذامي، محمد بن **شعيب** البلنسي السلوي، انتقل إلى عدوة المغرب ولقي كبار الصالحين بسبتة ومراكش واستقر بسلا فنسب إليها. صوفي صالح خصص له التادلي في *التشوف* ترجمة مطوله ذكر له فيها مقامات عالية وكرامات متواترة.

توفي بالجزيرة الخضراء سنة 604 / 1207.

ي. ابن الزيات، *التشوف*، 409 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 276.

محمد حجي

الجراد، حشرات مضرة بالمنتجات الفلاحية، واحدته جرادة للمذكر والمؤنث. سمي بالجراد لأن أسرابه تجرد وجه الأرض من النبات أثناء تنقلاتها. له عدة أسماء بالأمازيغية حسب المناطق المغربية نذكر منها تاوضيط ـ تامورغيت ـ تاياروت ـ تابيلالت.

الجراد أنواع عديدة، ويضاف إجمالاً إلى طائفة الحشرات المجنحة Insectes Ptérygotes وهو من رتبة مستقيمات الأجنحة Orthoptera ومرتبة Caeliferes التي تتميز بقصر الزُّباني Antennes وبقصر الذنب المغرز للبيض عند الإناث. ينحدر الجراد إلى عمارة الجنادب Acridoïdea ولها 7000 نوع في العالم مقسمة إلى ثلاث فصيلات أهمها فصيلة الجراديات Acrididae ممثلة في المغرب بثلاث عشيرات تشمل أنواعاً مضرة جداً بالنباتات : عشيرة Truxalinae يمثلها نوع الجراد المغربي ويسمى علمياً Dociostaurus maroccanus وبالفرنسية Criquet marocain والأنجليزية Moroccan locust. الإناث أكبر من الذكور طولاً ولاتتعدى 4.5 سم، وتزن مابين 2 ـ 3 غرامات. توزيعه الجغرافي ينحصر على المناطق الجافة وشبه الجافة المجاورة للبحر المتوسط. تلد الإناث ما بين 50 و200 بيضة بداخل أنظومة وتضعها بداخل التراب لتعطي صغاراً بعد مرور 7 ـ 9 أشهر. لا تلد الأنثى أكثر من 3 مرات في حياتها التي تدوم مابين خمسة وسبعة أشهر.

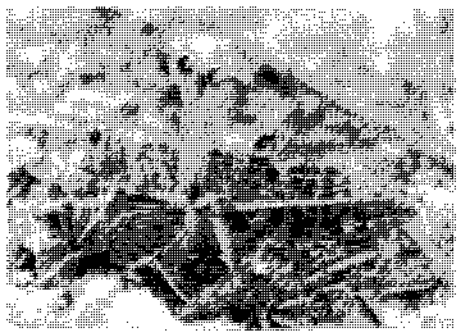

عشيرة الجراديات Acridinae ويمثلها نوع الجراد الرَّحّال المسمى علميا Locusta migratoria وبالفرنسية Criquet migrateur وبالأنجليزية Migratory locust. لا يتعدى طوله 5 سنتمترات ويزن 3 غرامات. يعيش في المناطق الصحراوية الأفريقية والأسيوية، وكثيراً ما يقوم بغزو الشمال والجنوب لموطنه الأصلي بحثاً عن الأكل فينتشر في جميع أنحاء إفريقيا الشمالية مخلفا وراءه أضراراً بالغة في المنتجات الزراعية. تعيش الكبار مدة 6 أشهر تقريباً، وتلد الأنثى أكثر من عشر مرات في حياتها وتضع في كل مرة من 200 إلى 250 بيضة بداخل أنظومة تَرَدُّمها في التراب وتخرج الصغار بعد 12 يوماً.

عشيرة Cyrtacanthcridinae ويمثلها نوعان في المغرب:

ـ الجراد الصحراوي المهاجر المُسمَّى علميا Schistocerca gregaria، وبالفرنسية Criquet pélerin، وبالأنجليزية Desert locust وهو أخطر أنواع الجراد أثناء انتشاره.

ـ الجراد الأحمر المُسمَّى علميا Nomadacris septemfasciata، وبالفرنسية Criquet nomade ou rouge وبالأنجليزية Red locust.

لكل هذه الأنواع رأس يحمل عينين مركبتين تُكونان جهازاً بصريا معقداً يمكنان الجرادة من النظر حوله إلى جميع الجهات. يتكون الفم من فكين علويين وفكين سفليين كلها ماضغة طاحنة وقوية تساعد الحشرة على قضم النباتات وقشر جذور الأشجار. توجد علي المنطقة الجبهية زبانتان

بمثابة مقر الأعضاء الحواسية كالسمع واللمس. تتكون كل منهما من عدد كبير من الفصلات تتحرك فيما بينها بواسطة عضلات باطنية. يلتحم الصدر مع الرأس وينقسم إلى ثلاثة أجزاء يتوفر كل واحد منها على زوج من الأرجل مما يفسر تسمية الحشرات بسداسيات الأرجل. تتكون القوائم من عدة أجزاء متفصلة فيما بينها. وأرجل الزوج الثالث طويلة الساق ونطاطة تمكن الجراد من القفز. الفخذ محزز ومخطط يحك الجراد جناحيه عليه فتحدث صرصارة متواصلة تسمع من بعيد خلال النهار.

للجرادة زوجان من الأجنحة متفاوتة ومستقيمة تتمفصل كلها على الصدر Thorax وهي آية في الجمال والإبداع، فهي غشائية مكونة من ورقتين صفيحتين تسري بها عروق تعطي للجناح مظهر تشبيك غير منتظم. تندرج في هذه العروق الألياف العصبية وأنابيب التنفس، وهي قنوات مجهرية متفرعة وممتلئة بالهواء مما يجعلها صالحة للطيران.

تتكون القطعة الثالثة من البطن وَيَحْمل في مؤخرته زوائد تلج فيها الأعضاء الحسية وأعضاء التناسل. يتكون البطن من عشر قطع عليها مياسم تعرف بفتحات التنفس تتصل بالخارج عن طريق الأنابيب التي تسري على طول الجسم كله. تتنفس الجرادة الأوكسجين بفضل هذه الأنابيب وتنقله إلى كافة الأنسجة والأجهزة. يقوم الزوج أثناء مرحلة التوالد بتلاطف مع الزوجة ثم يعتضل ويرتهش أي يركب بعضه بعضا وبعد ذلك تُثبت الإناث أذنابها بداخل التراب أو الرمال لتبيض. يشبه البيض في حجمه حبوب الأرز "Riz" ويوضع عادة بداخل غشاء يحمل ما بين 20 و70 بيضة. يسمى بيض الجراد السرء وبعد تفقيسه يكون سروة وإذا تحرك فهو دبّى. يخرج على وجه الأرض ليمر من عدة مراحل قبل أن يصير جرادة. أول ما يخرج من بيضه يسمى القَمَص وهو دودي الشكل، يتحول إلى اليرقان ثم إلى المُسَيَّح بعد أن تظهر الأرجل. وفي بَدْء طيرانه يسمى الكُتْفان وقبل أن تستوي جناحاه يسمى الخَيفان ويتحول بعد ذلك إلى جرادة، وتدوم هذه المراحل ما بين 30 و45 يوماً وذلك حسب الحرارة ونسبة رطوبة الجو ووفرة الأكل.

من المعروف أن الجراد الصحراوي يتوفر على مرحلتين في طريقة عيشه تتجليان من خلال مظهره وترتبطان بالعوامل الطبيعية وخاصة منها وفرة الأكل والحرارة والرطوبة الجوية.

- في حالة الأكل بالموطن الأصلي يتخذ الجراد مرحلة انعزالية ويعيش منفرداً ويصير لونه فاتحاً، يأكل النباتات نهاراً ويستريح ليلاً ولايبتعد عن مكان ولادته.

- في حالة الجفاف وقلة النباتات بمكان الولادة يتخذ الجراد مرحلة سربية Phase grégaire. يسعى الأفراد إلى البحث عن النبات مما يُؤدي إلى تجمعها حول الحشائش النادرة فَتَخْلق فيها غريزة التجمع فيتغير لونها ليصير مصفراً داكناً تَتَخَلله بُقع سوداء على ساقيه وجناحيه. ينتج هذا التغيير المظهري والفزيولوجي عن التكتل والازدحام حول الأعشاب النادرة الشيء الذي يدفع الجراد إلى الهجرة إلى أماكن غنية بالنباتات. يفوق عدد أفراد الأسراب عادةً مئات الآلاف تتنقل نهاراً وتستريحُ ليلاً.

تقف الأسراب على كل وجه مخضر من الأرض لتُجَرده من النبات ثم تستأنف رحلتها، وفي استطاعتها أن تقطع مسافات تتعدى 5000 كلم. وتموت عن سن لا تتعدى 6 أشهر، تبيض الإناث خلالها حوالي 12 مرة تعطي صغاراً تطير بعد شهر وتهاجر بدورها.

يشتد نشاط الجراد صباحاً ويستريحُ في منتصف النهار نظراً لشدة الحرارة، ثم يستأنف نشاطه إلى غروب الشمس لينام ليلاً فوق الأشجار والنباتات الصغيرة. يصل عدد أفراد السرب أحياناً 120 ملياراً، وكل مليون من الأفراد يأكل 3 أطنان من الحشائش كل يوم - أي كل فرد يأكل ما يعادل وزنه كل يوم وأحياناً يضاعفه -. تغطي الأسراب أحياناً 500 هكتار وتزن أكثر من 200 طن. يتطلب نمو الجراد حرارة مرتفعة وطقساً جافاً مما يفسر عدم وجوده في المناطق المغربية المرتفعة الرطوبة.

عرف الإنسان انتشار الجراد على منتجاته الفلاحية وتخريبها منذ أقدم العصور، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الأعراف (الآية : 132) *(فأرسلنا عليهم الطوفان والجرادَ والقُمّل والضفادع والدم آيات مفصلات)* ويرجع من تصفهم إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

يعتبر المغرب من الدول التي عرفت عدة غزوات للجراد خلفت خسائر قوية تقدر بملايين السنتيمات، نذكر أهمها التي وقعت خلال سنة 1929 - 1930 وسنة 1954 وسنة 1987 - 1988 حيث وصل الجراد إلى شواطئ البحر المتوسط شمالاً، وبعضه قطع البحر ليَصل إلى جنوب أوربا.

حاول الإنسان التصدي لظاهرة الجراد التي تعد من الكوارث الطبيعية، وذلك باستخدام عدة وسائل كإحراقه وردمه وتغيير اتجاهاته واستعمال المبيدات بواسطة الطائرة، إلا أن القضاء عليه يبقى مستحيلاً نظراً لكثرة توالده ولتحركاته القوية في كل الاتجاهات.

أجريت عدة بحوث علمية بالمغرب حول معيشة الجراد وبيولوجيته أدت إلى معرفة أماكن التوالد الأصلية التي توجد كلها بالمناطق الصحراوية الممتدة من مالي إلى السودان. وقد تأسس أخيراً بأيت مَلُّول قرب أگادير مركز الأبحاث لمحاربة الجراد، مهمته الأساسية المراقبة المشددة لظهور أسراب الجراد ومقاومته. تأتي الأسراب عادة إلى المغرب من موريطانيا ومن شرق البلاد وتحارب بواسطة مبيدات سامة كثيراً ما تخلف اضراراً بالحيوانات الأخرى.

تصاب صغار الجراد بأمراض ناتجة عن البكتيريا أو الفطريات نذكر منها Bactérioses - Ricketsioses، وأحياناً يتطفل عليها عدة أنواع من مزدوجات الأجنحة كالذباب

مثلاً. من بين الحيوانات التي تأكل الجراد نذكر العضايا والطيور كالوَرْوار والبوم واللقلاق والصقر وكذلك العقارب.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988 ؛ أمين المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

M. Boulard, *Les Orthoptères, Grande Encyclopédie Alpha des Sciences et des Techniques. Zoologie*, Paris, 1984 : 30 - 41 ; H. Cangardel, *Essais anti-acridiens. Campagnes 1957 - 58 et 1958 - 59. Cah. Rech. Agron.*, 1960, 10 : 111 - 140 ; G. Thewys, *Essais d'utilisation du DDVPC2 : 2(Dichlorovinyl - phosphate) en lutte antiacridienne, Campagne 1968 - 1969. Al Awamia*, 1970, 34 : 1 - 46 p ; M. Decamps, *Contribution à la faune du Maroc, 3. Acridoïdea du Maroc saharien et Dericorythinae (Orthoptera). Bull. Soc. Ent. France*, 1970, 75 : 24 - 36.

محمد رمضاني

* * الجراد بالمغرب في العصر القديم. ترجع أقدم الشهادات الأثرية المتعلقة بهذه الحشرة للفترة النيوليتية (Neolithique)، ففي إحدى الطبقات بمنجم من مناجم التّاسلي (Tassili) عثر على احجار مسطحة موجودة فوق طبقة من الفحم الحجري وبقايا جراد ملتصقة بهذه الأحجار الشيء الذي دفع الباحثين إلى الاعتقاد بوجود ما يمكن تسميته بأماكن حرق هذه الحشرات "Aire de grillage".

إلى جانب الآثار، حملت الكتابات القديمة إشارات إلى الجراد، فالمؤرخ هيرودوت (IV, 172) يتحدث عن شعب النازامون، كشعب يقوم بتجفيف الجراد تحت الشمس وأكله بعد سقيه بالحليب. هذه العملية استمرت في فترات لاحقة. وهناك مؤرخون آخرون تحدثوا عن عملية التغذية بالجراد عند اللوبيين (Dioscoride II, 52) أو عند الايثوبيين.

ولدى المؤرخ ديودور الصقلي (III, 29) نصادف إشارة إلى آكلي الجراد (Acridophages) في صحراء النوبة والذين يتغذون فقط بالجراد بعد تمليحه، وقد استمرت هذه العادة خلال العصر الوسيط وفي الفترة الحديثة، فابن بطوطة (XIV) يتحدث عن "الصيادين" الذين يستيقظون باكراً قبل طلوع الشمس ليشغلون فترة استرخاء وفتور الجراد أما المؤرخ ليون الافريقي من جهته يصرح بأن رحل الصحراء كانوا يعتبرون مجيئ الجراد كحادث سعيد.

أن الجراد كان دائماً يرتحل من السودان ليحل بشمال افريقيا وإذا كان يعتبر كغذاء بالنسبة للأهالي كما جاء على لسان هيرودوت وديوسكوريد، فإنه يعتبر أحياناً أخرى بمثابة آفة مرسلة نتيجة غضب الآلهة كما أشار إلى ذلك بلنيوس الشيخ (XI, 104) فقد عرفت منطقة قرطاج سنة 125 ق. م طاعونا كبيراً أتى على قسم من ساكنتها وقد أشار عدد من المؤرخين كتيتوس ليڤيوس، والقديس أغسطين (*C.D.* III, 38) و(*Ad. Pag.* V, 11, 2 - Paul Orose (5 إلى أن أسرابا كبيرة من الجراد هي التي كانت وراء انتشار هذا الطاعون في كل شمال افريقيا حتى إلى حدود قورينائية ويكفينا أن نستدل على ذلك بنص للمؤرخ P. Orose السابق الذكر والذي يصف بشكل دقيق هذه الآفة التي حلت بهذه المنطقة يقول "لم تكتف أسراب الجراد بالإتيان على الحبوب المزروعة والأعشاب وجذورها والأشجار ولحاها بل أتت حتى على اليابس أيضاً إلا أن رياحا حملتها للبحر ثم رمت بها الأمواج نحو الشاطئ وانبعثت رائحة قاتلة من أحشاء هذه الحشرات فَعَمَّ طاعون ضرب الحيوانات والطيور والقطيع".

وفي نوميديا هلك حوالي ثمانين ألف شخص وفي المنطقة الساحلية بين قرطاج وأوتيكا حوالي 200 ألف وبالقرب من أوتيكا، استؤصل حوالي ثلاثين ألف جندي يشكلون جيش افريقيا الروماني، ويضيف القديس اغسطين بأن عشرة آلاف جندي من بين 30.000 نجوا من هذا الوباء الفتاك.

ولا ندري هل لنفس الفترة التاريخية يشير المؤرخ Varron حينما يؤكد شهادة بلينوس (VIII, 104) حيث يقول بأن الجراد أخلى مدينة في افريقيا من سكانها. لا يهمنا إذا كان تعفن (Putréfaction) الجراد هو الذي كان وراء هذا الوباء، فربط العلاقة بين الجراد والطاعون تبدو نقطة مشتركة في القديم، المؤرخ poseidonis اعتماد على سطرابون (XVII, 3, 10) يعتبر ليبيا الداخلية جافة بسبب انتشار الأوبئة وتفريخ أو تكاثر الجراد.

هذه الآفة نجد لها ذكراً بعد ذلك بسبعة قرون فالمؤرخ Corripe (Joh. II, 196 - 203) يشير إلى الخسائر التي أحدثتها هذه الحشرات حيث وصفها بمثابة طاعون مهول "Horrida Pestis". وكان طبيعيا أن تنظم حملات لمحاربة الجراد من طرف السلطات الرومانية، ففي إيطاليا أشار تتيوس ليڤيوس إلى إرسال ممثل عن الإدارة سنة 173 ق. م من أجل محاربة الجراد في مقاطعة "Apulie" أما المؤرخ بلنيوس فقد أشار إلى وجود قانون في قورينائية (Lex de Locustis) هذا القانون الذي يلزم القيام بمحاربة الجراد ثلاث مرات في السنة عن طريق إبادة بيض الجراد فصغاره فالجراد الكبير، ومن لم يمتثل للقرار يتابع قضائياً.

ثم أضاف المؤرخ بلنيوس قائلاً بأنه في جزيرة لمنوس كان الموظفون أنفسهم يعملون على إبادة الجراد وفي سوريا كانت تستعمل السلطة العسكرية (Militare imperium) لمحاربته. وبمدينة Dougga (بتونس) عثر على نقيشة مؤرخة بين 48 - 49 م (*CIL*VIII, 26517) تشير إلى وجود موظف مكلف بمحاربة الجراد في مجموع تراب قرطاج (Curator Lucustae) ولم تغب هذه الحشرة عن الصورة الفنية في الفترة القديمة فقد مثلث في افريقيا بايحاءات رمزية حيث إنها كانت تدفع الأذى والعين البشرية (Valeur apotro païque) وحملت إحدى الفسيفساء التونسية (سوسة) صورة لأحد الأرواح المجنحة Génie ailé وهو يحاول صيد جرادة، وبمدينة تمگاد عثر على نصب تذكاري للاله ساتورنوس يحمل تمثيلاً لجرادة إلى جانب مقدم الإهداء.

- وحسب الباحث Leglay، أن صاحب الإهداء بتصويره للجرادة، يرغب في إبطال ظاهرة الجراد برمتها.

J. Desanges, *Un curateur de la sauterelle sur la portica de Carthage en 48 - 49 de notre ère, EOS* LXIV, 1976, 281-286 ; G. Camps, *Acridophages*, E. B. I, 1984, p. 111-112 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord* I, p. 135 ; L. Foucher, *Inventaire des Mosaïques*, Feuille 57 de *l'Atlas Archéologique de Sousse*, p. 107, n° 57234 pl. LV. ; *Priape ithy phallique, Karthago* VI, 1956, 173 - 177 ; Stein, *Locusta, Real Encyclopadie*, Col. 1711 ; F. Lacroix, *Procédés agricoles, R. A.*, 1870, p. 119.

بل الفايدة عبد العزيز

* * وفي العصر الوسيط تعرض المغرب، بحكم موقعه على أطراف الصحراء ومناخه شبه الجاف، لموجات الجراد التي اختلفت بين الأسراب المحلية المحدودة وبين الأسراب الجوالة الكاسحة، وتطالعنا مصادر هذا العصر بإشارات عن أسراب الجراد التي اكتسحت كل بلاد المغرب وقطعت البحر المتوسط لتحطّ في أرض الأندلس محدثة نفس الأضرار (*القرطاس*، 96). ومنذئذ والمغاربة يحاربونه مثل بقية الشعوب بالأساليب المتاحة لهم، بعضها له طابع تجريبي وعلمي، وبعضها لايخلو من شعوذة. فلمحاربة اليرقات (مردة) عمد السكان منذ القديم وإلى اليوم إلى حفر أخاديد وخنادق عريضة يتم ملؤها بالنخالة والأعشاب الجافة ويتم اضرام النار فيها بعدما تمثلي بصغار الجراد الزاحفة. أما الأسراب التي تطير فمحاربتها أقل نجاعة. إذ يقوم السكان في الصباح الباكر أو تحت الأضواء في منتصف الليل أي عندما تنخفض درجة الحرارة، فيجمعون الجراد بالمكانس والشطبات بعد إسقاطه من أعلى الأشجار، وتملأ بها الأكياس ليتم بعد ذلك إتلافها أو بيعها (ابن بطوطة، *تحفة النظار*، ص. 680 و681). على أن هذه العملية تتطلب تجنيد عدد كبير من الأفراد ولا تستطيع تغطية كل المساحات التي يحطّ عليها الجراد.

أصبح الجراد في ظروف غير محددة بالضبط، ولعلها ظروف المجاعات، يباع في الأسواق ويستهلك إما مسلوقاً أو مقلياً ومملحاً (الإدريسي، *نزهة المشتاق*)، وبذلك صار الجراد مادة غذائية تباع في الأسواق في البوادي والمدن.

ومن سكان البوادي وخاصة في المناطق المتاخمة للصحراء من يقوم بتجفيف كميات كبيرة من الجراد عن طريق حرارة الشمس، ويخزنها في مزاود كمادة غذائية احتياطية، ومنهم من كان يطحنه ويحتفظ بدقيقه خالصاً أو مخلوطاً بدقيق النبق أو الشعير المقلو (زمّيتة).

وتلخيصاً لأهم الفترات الوسيطيّة التي تعرض فيها المغرب والأندلس للجراد وضعنا الجدول التالي متضمناً التقديرات الواردة في المصادر.

المكان	الزمن	التقديرات	المصادر
سوس	ق 5 هـ / 11 م	كثير، يؤكل مقلياً ومملحاً	الادريسي، *نزهة المشتاق*، ج ص
مراكش	عهد علي بن يوسف المرابطي	يباع منه يوميا 30 حملا حواليّ (4800 كلج)	الحميري، *الروض المعطار*، ص الإدريسي، *نزهة المشتاق*
اغمات	ق 6 هـ / 12 م	كثير	التادلي، *التشوف*
الأندلس	سنة 232 هـ	كثير	ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 96
المغرب	سنة 361 هـ	كثير	ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 101
المغرب	سنة 377 هـ	عم البلاد وفتك بها	ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 101
الأندلس	381 إلى 384 هـ	الجراد الكبير فوق النهاية	ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 115
المغرب	سنة 617 هـ		
المغرب	624 هـ	الجراد المنتشر	ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 273
المغرب	379 هـ	أكل جميع زروع المغرب فلم يترك أخضر	ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 274 ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 274
حاحة	سنة 919 هـ	كان الجراد كثيراً ضعف عدد السنابل	الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، 1 / 83

ولاستكمال النظرة التاريخية لموجات الجراد التي عرفها المغرب نورد هذه الكارثة ضمن غيرها من الكوارث التي عرفتها بلادنا طيلة اثني عشر قرناً من الزمن والتي تسببت في المجاعات.

القرن	القحط	الوباء		أسباب مختلفة	أسباب غير محددة
ق 3 هـ / 9 م	x	x			
ق 4 هـ / 10 م	x	x			xx
ق 5 هـ / 11 م	x				x
ق 6 هـ / 12 م		x			x
ق 7 هـ / 13 م	xxxxx	xxxx		x زحف الرمال	xx
ق 8 هـ / 14 م	xx				xx
ق 9 هـ / 15 م		x		-	xx
ق 10 هـ / 16 م	xxxx	xx			

ملحوظة : x تعني عدد الكوارث المشار إليها في المصادر خلال القرن.

الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ط. نابولي، د. ت ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972 ؛ ب. ابن الزيات، *التشوف*، الرباط 1958 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية، الرباط ؛ مارمول كربخال، *افريقيا*، الطبعة الفرنسية ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، البيضاء، 1954 ؛ ابن بطوطة، *تحفة النظار*... بيروت 1968.

Revue pour l'étude des calamités, Genève, 1948.

محمد حجاج الطريل

* * وفي العصر الحديث، استمر الجراد في هجماته على المغرب ولم تبخل المصادر التاريخية بتقديم معلومات عنه ولو متقطعة، ولا تبخل، أحياناً، بوصف الخسائر التي خلفها. ومن خلالها يظهر أنه كان يفد بالخصوص في

السنوات العجاف، مما كان يؤدي إلى مجاعات خطيرة، خاصة في الجنوب.

وتتحدث رواية من سوس عن غزو الجراد في مطلع القرن الرابع عشر (20 م) فتقول : "في هذه السنة تكالب الجراد على السوس، فلم يبق شجراً ولا حجراً، وصارت الأرض قاعاً صفصفاً، وأقام سبع سنين من عام 1320 إلى 1327 (1902 - 1909)، وهو سبب الغلاء المتقدم، ولكن صار (الجراد) جل معيشة أهل البلد، من حيوان آدمي أو بهيمي، والعادة المطردة عند أهل السوس أن الجراد إذا غاب عنهم غاب سبع سنين، وإذا ورد أقام سبع سنين". أما أهم السنوات (الميلادية) التي ظهر فيها، فهي التالية : 846 ؛ 873 ؛ 971 ؛ 987 ؛ 991 ؛ 993 ؛ 1018 ؛ 1020 ؛ 1227 ؛ 1279؛ 1281 ؛ 1348 ؛ 1355 ؛ 1376 ؛ 1435 ؛ 1513 ؛ 1517؛ 1540 ؛ 1541 ؛ 1571 ؛ 1579 ؛ 1605 ؛ 1639 ؛ 1659 ؛ 1710؛ 1726 ؛ 1754 ؛ 1755 ؛ 1761 ؛ 1775 ؛ 1778 ؛ 1780؛ 1799 ؛ 1813 ؛ 1815 ؛ 1820 ؛ 1839 ؛ 1847 ؛ 1860 ؛ 1866؛ 1867 ؛ 1871 ؛ 1878 ؛ 1890 ؛ 1891 ؛ 1897 ؛ 1902؛ 1908 ؛ 1910 ؛ 1948 ؛ 1849 ؛ 1953 ؛ 1955 ؛ 1960 ؛ 1961؛ 1963 ؛ 1986 ؛ 1988.

لم يقف المغرب مكتوف اليدين أمام هذه الغزوات، بل كان يعمل على مكافحتها بوسائله المتاحة مثلما كان يفعل في العصر الوسيط وما قبله. وهكذا فخلال غزوه عام 1308 / 1891، أمر المولى الحسن سكان مراكش ونواحيها بالخروج إلى البادية لمكافحة الجراد لمدة ثلاثة أيام. وقد ذكر دي لامرتنيير (De la Martinière) عند مروره بجبال الأطلس في السنة نفسها، أن السكان كانوا "من أعالي مدرجات جبالهم يكافحون الجراد بقرع الطبول، وطلقات النار وصراخ الجميع". ولم تكن مثل هذه الإجراءات عديمة الجدوى، إذ نقرأ في وثيقة ترجع إلى عام 1263 / 1847 : "انقطع نسل الجراد بالحرق والقتل لاجتماع الأيدي عليه". ولحماية البساتين المجاورة للمدن، كان يتم حفر خندق كبير حول كل مدينة، تزرع حافته بقصب كثيف، مائل في اتجاهه بشكل يجعل الجراد، عند محاذاته لأطراف القصب العليا، يسقط داخل الخندق، فيلتهم هناك بعضه بعضاً. وقد أكد القنصل الفرنسي شنيي (Chenier) أن بساتين الكروم في الرباط ودور المدينة سلمت في سنة 1193 / 1779 بفضل هذا النوع من الدفاع. وابتداء من العام 1315 / 1897 نظم المستوطنون الأوربيون في جل المراسي المغربية التجارية اكتتابات لجمع التبرعات قصد مكافحة الجراد. كما أصدر المخزن في العام نفسه أوامره إلى مختلف العمال وقواد القبائل "بإطلاق النداء لجمعه (الجراد) وحيازة ما يأتيهم منه بسوم ثلاثة ريالات للقنطار، وجعل حفر لديهم منه وردمه ثم ردم التراب فيها أو حرقه".

بيد أن تنظيم عملية الإبادة لم يتخذ طابعاً رسمياً إلا بعد صدور ظهير ثاني رمضان عام 1348 / فاتح فبراير 1930 الذي ألزم أصحاب الأراضي الزراعية ومستغليها بإشعار السلطات بوجود الجراد فور ظهوره في أراضيهم، وتزويدها بكافة المعلومات عنه ؛ ونص الظهير أيضاً على إلزامهم بتنفيذ التدابير التي تتخذها السلطات وتتخلص في جمع الجراد وبيضه واستعمال المبيدات، من سم، وحامض، وجير، وحرق.

وقد تقدمت وسائل مكافحة الجراد في المغرب منذ السبعينيات من القرن العشرين. وفي العام 1394 / 1974 تم تجنيد مستشكفين للبحث عنه، وخصصت طائرات لترصده، وخلال غزوة 1408 / 1988، شاركت في عملية الإبادة خمس وثلاثون طائرة مروحية، ومئات من السيارات المجهزة بوسائل الرش، بالإضافة إلى تعبئة آلاف من التقنيين ؛ واستعملت فرق المحاربة مبيدات متنوعة مثل "الملثيون"، و"الفنيتروثيوم"، و"الكاربايريل"، وقدمت عدة دول أوربية والولايات الامبريكية المتحدة والمملكة العربية السعودية مساعداتها المالية وعدة أجهزة للمغرب. غير أن الخطر مازال يهدد البلاد كغيرها من بلدان المنطقة. ويرى المختصون أن مادة "ديبلدرين" هي الكفيلة بإعطاء نتائج فعالة، غير أن هذا النوع من المبيدات محرم الاستعمال، إذ له مفعول يظل قائماً لمدة خمسة إلى ستة أسابيع، ويمكنه بالتالي أن يسري إلى المنظومة الغذائية.

م. الأمين البزاز، *تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب*، الدار البيضاء، 1992.

Ch. Boix, *Années de disette, années d'abondance : sécheresse et pluies au Maroc, B.S.G.* (Paris), mars 1872; B. Rosenberger - H. Triki, *Famines et épidémie au Maroc aux XVIe et XVIIe siècles, H.T.*, Vol. V, 1974, pp. 109 - 175 ; Vol. VI, 1975, pp. 5 - 103.

محمد الأمين البزاز

جراد البحر (cigales de mer)، يعتبر جراد البحر من القشريات، وهي حيوانات لافقرية تتميز بجسم محاط بقشرة مكونة أساسا من الكلس والدرعة. وتنتمي بين القشريات إلى عشاريات الأرجل أي أنها تتوفر على خمسة أزواج من الزوائد الصدرية، أو الأرجل، تمكنها من المشي والتحرك. ورغم انتماء جراد البحر إلى نفس المجموعة الحيوانية التي ينتمي إليها الاربيان فجراد البحر لا يسبح إلا نادرا عند كبره بينما يقضي الإربيان معظم حياته سابحا في السماء.

وتحت اسم "جراد البحر" هناك من يُصنف في نفس الوقت ما يطلق عليه اسم langousta وما يطلق عليه اسم "cigales de mer"، إلا أن هناك من يخصص هذه التسمية للفئة الثانية فقط التي على كل حال ليس لها أسماء عربية تشتهر بها. أما نحن فنفضل الاختيار الثاني، وسنذكر أسباب ذلك عندما سنتطرق إلى كلمة "قشريات" في الأجزاء المقبلة لهذه المعلمة.

من بين القشريات عشاريات الأرجل والزاحفات reptantia هناك ثلاث مجموعات إحداها تسمى macroures

ينتمي إليها جراد البحر، تتميز بمنطقة بطنية كبيرة نسبيا تنتهي بزوائد على شكل مضرب يتمكن بفضلها جراد البحر من الوثوب إلى الوراء. وحتى داخل هاته المجموعة macroures التي ذكرنا خصائصها، هناك مجموعتان اثنتان : مجموعة تنتمي إليها القشريات التي تتوفر على ملاقط كعقرب البحر Homard أو سلطعون المياه القارية ecrevisse ومجموعة أخرى ليست لها ملاقط كجراد البحر.

يتنفس جراد البحر كمجموع القشريات المائية عن طريق خياشيم توجد على يمين وعلى شمال الصدر تمكنه من امتصاص مادة الأكسجين مباشرة من الماء. كما يتغذى بما يضمه ماء البحر من حيوانات صغيرة. أمّا عن توالده، فجراد البحر كالعديد من القشريات عشاريات الأرجل، يتكون من زوجين اثنين ذكر وأنثى يلتقيان وقت التوالد فيخصب الذكر بويضات الأنثى، وإذا كانت البويضة بعد نقفها تعطي مثلا عند عقرب البحر صغارا يشبهون إلى حد كبير شكل الكبار فإن صغار جراد البحر تخرج من البويضة في شكل لا يمت بأية صلة إلى شكل الكبار وهي بالتالي مضطرة لاستكمال نموها وتطورها بين العوالق خارج جسم الأم قبل أن يصبح شكلها كشكل من أعطاها الحياة.

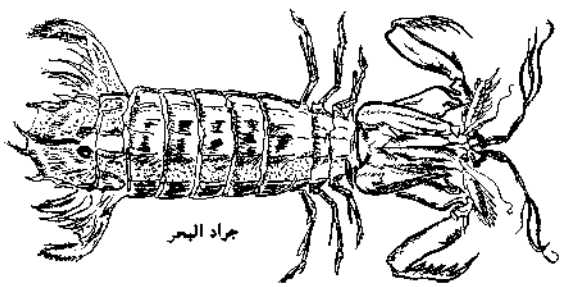
جراد البحر

يوجد في المغرب أربعة أنواع من جراد البحر هي scyllarides ،scyllaeus postelli ،scyllarus aretus pygmaens وكذلك Scyllarides latus ولا شك أن من أهم هاته الأنواع النوع الأخير الذي يمكن أن يفوق أربعين سنتمترا طولا والذي له قيمة تجارية كبيرة يعيش كذلك على الصخور في أعماق متوسطة وعلى طول السواحل المتوسطية والأطلسية للمغرب.

محمد المنبوي

جرادة (جبال -) تمتد جبال جرادة بالمغرب الشمالي الشرقي، وتُعرف كذلك بجبال النُّتُق (الهورست) وبسلسلة وجدة. تتخذ الكتلة الجبلية شكلاً طولياً حيث تشرف في الغرب على سهل تافرطا بحوض ملوية، يفصلها عن سلسلة بني إزْناسن في الشمال ممر تاوريرت - العيون - وجدة. أما في الجنوب فهي محاذية للهوامش الشمالية للهضاب العليا. إذا كان طولها لا يقل عن 120 كلم داخل التراب المغربي، حيث تستمر بالتراب الجزائري، فإن عرضها لايزيد في أقصى الحالات عن 30 كلم. أعلى قمة تتمثل في جبل أُوسرطان حيث يزيد عن 1700 م (انظر مادة بوخوالي). وعند هوامش الكتلة غالباً ما تكون القمم ضَعيفة الارتفاع حيث يحصل المرور بشكل تدريجي إلى الهضاب والسهول. إذا كانت الواجهة الغربية من السلسلة متكتلة، خاصة بمنطقة مركشوم - بوخوالي، فإنها تنفرج في اتجاه الشرق حيث تتجزأ إلى قسمين يفصلهما منخفض مطروح، مجموعة گافايت - جرادة تمتد بالجنوب، ومجموعة الزكارة بالشمال، في الواجهة الشرقية تتلاشى الجبال إلى مجموعة من المتن لتكتسب من جديد تماسكها ابتداء من رأس عصفور (اسم لجبال جرادة) في الواقع رغم تسميتها بالجبال، فقليلاً ما نجد الأعراف ممتدة بشكل واضح، إذ تغلب السطوح المنبسطة والخفيفة الانحدار، تنتهي بإفريزات صخرية قوية، مما يُكسبها الطابع الهضبي في كثير من جهاتها.

يغالب الانتظام على الهوامش الجنوبية للكتلة، وذلك على خلاف الواجهة الشمالية التي تتعدد بها النتوءات والمنخفضات المتقدمة نحو داخل السلسلة كما هو شأن حوض تنشرفي وحوض تنزات ومطروح.

تتميز جبال جرادة بمناجمها المعدنية حيث شرع في استغلالها بشكل مبكر منذ تطبيق الحماية الفرنسية على المغرب. فرغم الشروع في استخراج المعادن من أغلب المناجم منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجهة الشرقية فإن الدراسات الشمولية للمنطقة الجبلية وأحواضها المعدنية، لم تبدأ إلا بعد 1940 مع B. Owodenko، وG. Lucas. ومجموعة من الجيولوجيين والجغرافيين المغاربة خلال العقود الأخيرة.

من مميزات جبال جرادة اقتراب القاعدة الهرسينية من السطح، مما يسمح ببروزها في كثير من الجهات مثل حوض جرادة وبهرة تنشرفي وعلى طول بعض الانكسارات وداخل بطون بعض الأودية المتعمقة. تتميز سحناتها بتعاقب الإرسابات البحرية والقارية، وطفوحات بركانية وصعود صخور مندسة على شكل گرانيت وديوريت بحوض تنشرفي).

فعلى خلاف النظامين، السيلوري والديفوني الذين بقيت معالمهما غير واضحة في طبقاتية المنطقة، فان الصخور المنتمية للفيزي الأعلى أصبحت تشكل الركيزة الأساسية للجبال. يتوفر حوض جرادة على غنى طبقاتي قلما يوجد له نظير بالمغرب. امتد الإرساب منذ أواسط الفيزي ليستمر حتى الوستفالي الذي يعتبر أهم مرحلة لامتلاء الحوض الفحمي، وذلك بتعاقب سحنات بحرية، من شست وحث وصلصال وكلس حي فتاتي. مع سحنات قارية، نهر - دلتاوية قادمة من الشمال. تعاقب تلك الأنظمة البحرية والقارية والتهدل المزامن للإرساب اعتبرت ظروفاً مثلى لوجود الفحم الحجري بهذا الجزء من الكتلة القديمة.

تعرضت القاعدة الهرسينية لحركات تكتونية مما أدى إلى حدوث التواءات وانكسارات متعددة بالركيزة التي تقوم عليها الجبال بهذا الإقليم. نتيجة لتراجع البحر بشكل مبكر عن القاعدة القديمة، فإنها تعرضت إلى تعرية نشيطة أدت إلى تفسخها وتحريك موادها. يمكن القول إن الأحواض المتهدلة، الحوض الفحمي لجرادة، لم يكن معرضاً للزوال واحتفظ بذلك على ثرواته المعدنية.

في بداية الزمن الثاني عاد البحر من جديد ليغطي المنطقة، تم بذلك تحريك الفسخات المحمرة خلال الترياس وتوزيعها بشكل متفاوت السمك تبعاً للتفاوت التضاريسي الذي اكتسبته الكتلة قبل الغمر الترياسي.

تميزت إرساباته بطغيان المادة المحمرة الطينية والتي تتوسطها مستويات كلسية وطفوحات بزلتية تتميز بغنى مستوياتها العليا بمعادن مختلفة، خاصة المنغنيز.

على خلاف الترياس الذي غطى مناطق دون أُخرى، فان الطبقات الكلسية اللياسية تعتبر الكساء الرئيسي لكل جبال جرادة حيث تغطي كل البروزات الصخرية السابقة. لكن اشتد التفاوت في سمك الطبقات الجوراسية وفي اختلاف سحناتها وذلك من جهة إلى أخرى، حسب النشاط التكتوني المحلي، إذ تهدلت مناطق دون أخرى، وطغت بذلك السحنات الفتاتية بالواجهة الشرقية والسحنات الصلصالية والكلسية بغربها. تميزت الطبقات الكلسية الدولوميتية باحتوائها لمعادن الرصاص والزنك، خاصة بمناطق توسيت وسيدي بوبكر وسيدي لحسن.

أمام انفتاح واتساع المحيط الأطلنتي تراجع البحر بالتدريج عن الإقليم، حيث توقف به الإرساب البحري من جديد منذ أواخر الكمبريدجي. لكن رغم تراجع البحر عن المنطقة فإن الجبال لم تنتهض لتكتسب معالمها الحالية والأساسية إلا نتيجة الحركات التكتونية الأيوسينية الأطلسية مما أدى إلى نشاط التعرية من جديد خلال الزمن الجيولوجي الثالث، إذ لم تغط البحار النيوجينية إلا الهوامش الشمالية المنخفضة المحاذية لكتلة الهورست. أدت التعرية إلى إفراغ الأحواض وتعميق أجراف الانكسارات بالكتلة الجبلية مما أدى إلى نشر المواد على شكل مخاريط واسعة عند أغلب واجهات جبال جرادة.

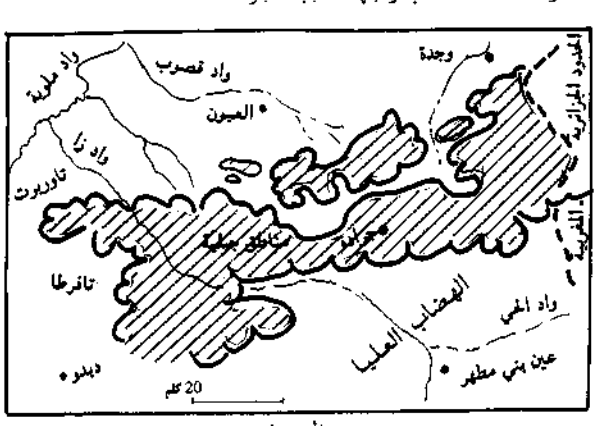

جبال جرادة

تعتبر الكتلة الجبلية أهم خزان للماء بالنسبة لأغلب هوامشها التي تغلب عليها القحولة والجفاف. يعتبر واد المي (واد زا) المحور الهدرولوجي الرئيسي بالمنطقة، وذلك بكونه يصرف كل مياه الواجهة الجنوبية للسلسلة، ويتميز بدوام جريانه ابتداء من عيون گافايت. لعل أهم خصائصه تكمن في الفيضانات المهولة التي يعرفها واد زا، حيث يرتفع صبيبه بشكل فجائي مباغث للسكان نتيجة اتساع حوضه الذي يمتد على 18.000 كلم^2، ونتيجة حدوث أمطار مركزة وعنيفة خلال فصلي الصيف والخريف على الخصوص قد تؤدي في الحالة القصوى إلى ارتفاع الصبيب اللحظي من 3 إلى 900 م مكعب / ثانية. للحد من خطورة هذه الفيضانات التي تقتلع المصاطب وتهدد مافوقها من المنشآت البشرية، ولتوفير المياه للري والشراب. تعرف حالياً جبال جرادة بناء أوّل سد بحوض الغراس حيث يتعمق واد زا على شكل خوانق عميقة. سيؤدي هذا المشروع إلى توفير المياه الصالحة للشرب لمدينة وجدة على الخُصُوص، وفك العزلة عن مجموعة من دواوير الجبل التي ستمر بها الطرق المعبدة. أما الواجهة الشمالية للجبال، فقد تصرف مياهها مجموعة من الأودية الموسمية الجريان، مثل واد إسلي الذي يلتقي بتافنة بالجزائر، ثم واد القصب وواد بوصدان اللذين يصبان بملوية.

نظراً لموقع الجبال فإن الكتل الهوائية الغربية تصل جافة وضعيفة التأثير عليها، إذ أغلب التساقطات تنتج عن اضطرابات جوية شبه محلية تتكون فوق البحر المتوسط. تتوصل القمم المرتفعة بتهاطل معدله 450 مم كما هو شأن جبل بوخوالي، و200 إلى 350 مم عند هوامش الكتلة. تنخفض الحرارة بشدة خلال فصل الشتاء مما قد يؤدي إلى حدوث الصقيع خلال شهرين على الأقل. أما في الصيف فتزيد الحرارة القصوى عن 40 درجة داخل المنخفضات الجبلية والسفوح الجنوبية. تؤدي هذه الظروف الصعبة إلى الحد من الفترة الإنباتية وإفلاس بعض الزراعات التي تزهر بشكل مبكر.

يتمايز الغطاء النباتي حسب الارتفاع والتوجيه، إذ نجد بالقمم المرتفعة غابة حقيقية من البلوط الأخضر، والشجر العفصي والبونيقي والعرعر. أما على السفوح المشمسة فتسود على الخصوص الحلفاء، وشجيرات العرعر. يحصل المرور داخل الأحواض وعند هوامش الجبال بشكل سريع إلى التشكيلات النباتية السهوبية المكونة من الحلفاء والعُنّاب وشجيرات رعوية مثل الشيح. لكن تجب الإشارة إلى أن هذه التشكيلات النباتية تتعرض حالياً إلى إتلاف سريع، إما بالرعي الجائر أو بالاجتثاث لصالح ممارسة الزراعة البعلية.

أغلب سكان جبل جرادة أمازيغ انحدروا من قبائل زناتة القادمة إلى المنطقة من السهوب التونسية. فرغم الكثافة الضّعيفة للسكان، إذ لا تتجاوز إلا في أقصى

الحالات 20 نسمة / كلم، فإن تردد سنوات الجفاف أدى إلى اشتداد الضغط على المواد الطبيعية الجبلية، حيث كثيراً ما تصعد القطعان في أوقات الشدة إلى القمم الجبلية مما يؤدي إلى إتلاف الشجيرات والأغصان المفضلة لدى القطعان.

** جرادة ـ مدينة ومنجم ـ : حسب ذاكرة السكان، كانت جرادة شبه فارغة في بداية القرن، لكن منذ اكتشاف المنجم الفحمي سنة 1927، أخذ الدوار التقليدي المبني بالخيام يتطور بسرعة إلى مركز حضري ليرتقي حالياً إلى مستوى مقر عمالة. التساؤل عن استمرارية النمو والازدهار تبقى من أهم ما يروج في أذهان أغلب سكان جرادة ومختلف المسؤولين بمؤسسات الدولة بالإقليم، إذ من المفيد معرفة ما إذا كان النمو السريع قائماً على أسس متينة تضمن استمرار الدينامية الحالية لمختلف الأنشطة، أم أن التوازن الحالي قائم على أسس هشة مما قد يعرض المدينة إلى أزمات اقتصادية واجتماعية خطيرة. في الواقع، ارتبط تطور المدينة بنشاط منجم الفحم الذي أدى إلى نزوح السكان إليه بشكل مستمر. ففي سنة 1982 كان عدد السكان بجرادة حوالي 43000 نسمة وأصبح سنة 1994 يزيد عن 59000 نسمة. كانت المدينة في بدايتها عبارة عن أحياء للعمال، لكن بسبب ظهور خدمات مختلفة واشتداد الجفاف بالبوادي المجاورة، سرعان ما امتد النسيج الحضري الفوضوي حول أحياء العمال وأوراش المنجم التي أصبحت متداخلة (صورة تداخل اوراش المنجم بالمدينة).

تمتد المدينة حالياً على مساحة 1600 هكتار، منها 1200 هكتار يعتبر بناؤها صعب التجهيز لكونه بني بشكل متستر وفوضوي. أغلب الأزقة ضيقة، غير منفتحة وبالتالي ضعيفة التهوية، مما يؤدي إلى استقرار غبار الفحم بها وتفاحش أمراض "السيليكوز".

يبدو من خلال التقارير الحالية لوزارة الطاقة والمعادن *(Panoramas)* أن الاحتياطي من الفحم أصبح ضعيفاً مما قد يهدد الوظيفة الرئيسية لمدينة جرادة. فرغم امتداد الحوض على طول قدره 25 كلم وعرض يزيد عن 4 كلمترات، فإن الدراسات قللت من التفاؤل الذي ساد إلى حدود 1986، حيث كان يقدر بأكثر من 100 مليون طن، إلا أن التقرير السنوي للوزارة سنة 1992، أصبح يتحدث، حسب المعطيات الجديدة، عن 23 مليون طنا فقط. إذا كان الأمر كذلك، واعتباراً للوتيرة الحالية للإنتاج، فإن مدينة جرادة ستفقد وظيفتها الرئيسية في أقل من 30 سنة !

في الواقع، عاش المنجم فترات صعبة متعددة نتيجة تقلبات أسعار الأنتراسيت في العالم، مما أدى إلى التفكير في غلق المنجم، لكن، اعتباراً للعواقب الاقتصادية والاجتماعية التي قد يخلفها ذلك على سكان جرادة، تدخلت الدولة غيرما مرة لمساعدة المنجم على تجاوز الصعاب. لهذه الأهداف، حاولت الدولة، باسم "مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية" (B.R.P.M.)، شراء الأسهم التي كانت تملكها الشركات والأبناك الأوربية. في بداية الأمر كانت الدولة تملك فقط 33٪ من رأسمال "مفاحم شمال

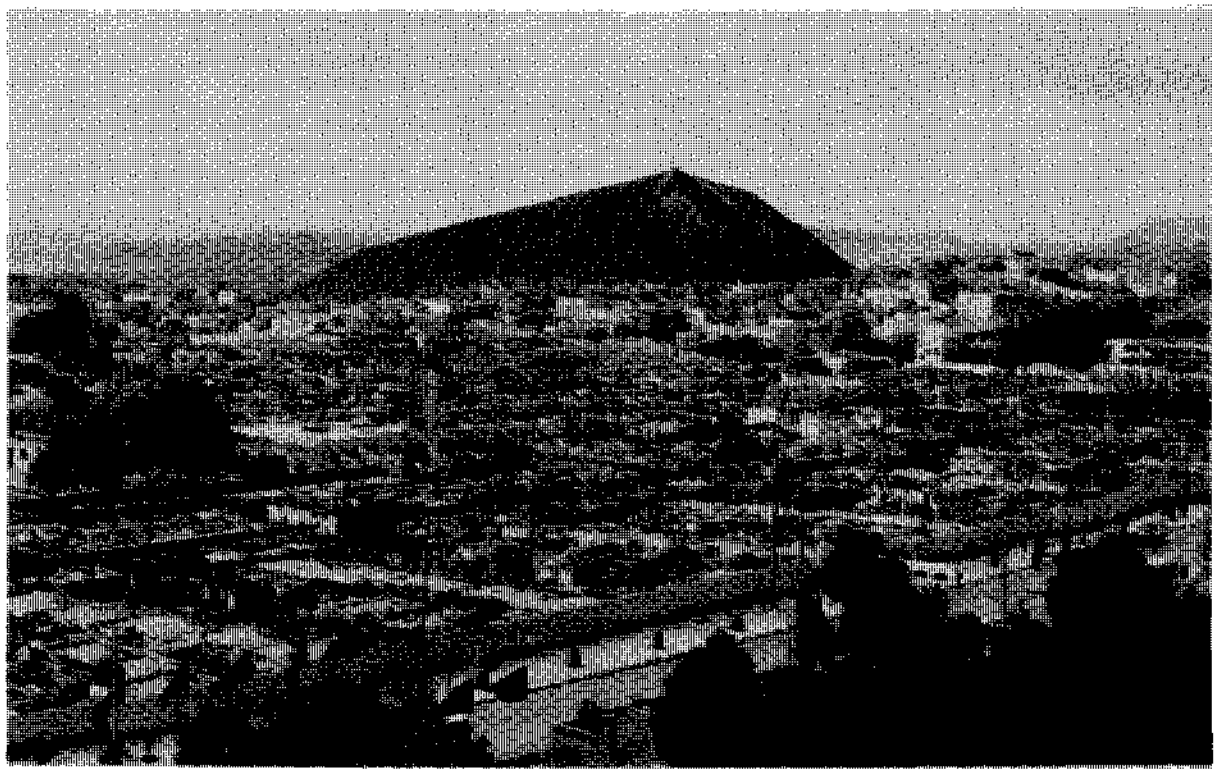

جانب من مدينة جرادة :
(تداخل الأحياء بتلال نفايات الفحم)

إفريقيا" (Charbonnages Nord Africains)، ونفس القدر "بالشركة الشريفة لمفاحم جرادة"، لكن في سنة 1964 أصبحت الدولة تملك نصف رأسمال المنجم، لتصل إلى 98٪ سنة 1972 حيث أطلق على الشركة اسم "مفاحم المغرب" (Charbonnages du Maroc). أصبح إذ ذاك من السهل على الدولة مساعدة إدارة المنجم للتغلب على مختلف الصعاب لضمان الشغل لساكنة جرادة وسد حاجيات المغرب من الأنتراسيت.

تراوح استخراج الفحم ما بين مائة ومائتي ألف طن سنوياً، وذلك ما بين 1936 و1954، ثم ما بين مائتين وأربعمائة ألف طن إلى حدود 1951، ليرتفع الإنتاج إلى عتبة خمسمائة ألف طن سنة 1971، وإلى أكثر من ثمانمائة ألف طن سنة 1982. ابتداء من هذه الفترة أصبحت رغبة المسؤولين، المتفائلين للاحتياط، العمل على توفير كل الشروط اللازمة لرفع استخراج الفحم إلى مليون طن سنة 1988، وليصل ابتداء من سنة 1993 إلى مليوني طن، وذلك لسد حاجيات معمل توليد الطاقة ومختلف الطلبات الوطنية الأخرى.

أمام صعوبة بيع الأنتراسيت بالخارج، وأمام حاجة المغرب إلى الطاقة الكهربائية قررت الدولة بناء معمل لتوليد الطاقة الحرارية بجرادة - حاسي بلال، سنة 1971، أدى ذلك إلى جر الماء وبناء مرافق لغسل الفحم للرفع من تركزه حتى يصبح قابلاً للاستعمال بعد خلطه بنسبة من الكوك (Coke) المستورد، وبذلك أصبح المعمل يستهلك سنوياً حوالي سبعمائة ألف طن من الأنتراسيت مما يدل على أن الاحتياطي الحالي سيضمن استمرار دوران المعمل خلال ثلاثين سنة فقط، وأصبح بذلك الإنتاج الحالي لايسد حتى حاجيات المعمل، حيث تراوح الإنتاج ما بين 1990 و1995 ما بين أربعمائة وستمائة ألف طن ! أصبح بذلك المنجم لا يسد رغبات المعمل والزبناء التقليديين مثل معامل السكر والإسمنت وبعض المحركات للقطارات والبواخر.

من الصعاب التي تعترض حالياً مناجم جرادة، بالإضافة إلى ضآلة الاحتياطي، عمق الآبار الذي أصبح يتجاوز 400 م وصعوبة استخراج الفحم حيث أصبح معدل حوادث الشغل يتعدى 2000 حادثة / سنة، منها 43٪ ناتجة عن تهدل وسقوط الجلاميد على العمال داخل الأعماق. أدى استفحال هذه الظاهرة إلى الهروب المستمر للعمال، إذ يجب البحث عن 50٪ من عمال العمق سنوياً، حيث يتم إدخال عمال جدد، تنقصهم الخبرة والتجربة مما يؤدي إلى قلة الإنتاج وارتفاع الحوادث.

فرغم أن مدينة جرادة ارتقت بسرعة، من مركز مستقل إلى دائرة وعمالة، فإن التجهيزات المتوفرة لاتكفي حاجيات ومتطلبات السكان الأساسية، إذْ رَغم امتداد شبكة التطهير على 28 كلم، فإن 25٪ من المنازل لاتزال غير مرتبطة بقنوات التطهير (تقرير وزارة الصحة، 1995)، كما لاتزال بعض الأحياء تفتقر إلى الإنارة كما هو الأمر بحاسي بلال.

تتمثل التجهيزات الصحية في وجود مصحتين وصيدليتين وطبيبين. التجهيزات السوسيو - ثقافية تتلخص في وجود مكتبتين وقاعة للسينما وقاعة المسرح ومركز الشباب وثلاثين مسجداً. تتوفر مدينة جرادة على عشر مدارس للتعليم الأساسي، منها ثلاث للتعليم الخاص، وإعداديتين وثانويتين. كما تجدر الإشارة إلى أن مكتب التكوين المهني وإنعاش الشغل، بتعاون مع وزارة الطاقة والمعادن، أحدث مراكز للتكوين المهني، أصبحت تحتوي على شعب متعددة أهمها، الاليكتروميكانيك وميكانيك السيارات والنجارة والمطالة والقصدرة والترصيص وكهرباء البناء والخياطة. استفاد من هذه الشعب خلال موسم 1995 حوالي 430 متدرباً. ينعقد بجرادة سوق أسبوعي مهم خاص لبيع المواد الاستهلاكية مثل الخضر والفواكه واللحوم والحبوب. نتيجة وجود قدرة استهلاكية مهمة نسبياً، وهكذا فإن مركز جرادة يعتبر المنشط الرئيسي للحياة الاقتصادية بالإقليم.

** إقليم جرادة أنشئ في إطار تعميم سياسة اللامركزية وتقريب الإدارة من المواطن، أحدثت بموجب التقسيم الإداري الجديد عمالة جرادة سنة 1994. يمتد الإقليم على أغلب جبال جرادة والهوامش الشمالية للهضاب العليا (انظر خريطة التقسيم الإداري للإقليم) ويشمل بذلك المناجم الأساسية التي شرع في استغلالها منذ بداية القرن، ومجموعة من أراضي الرعي والزراعة البعلية.

كان عدد سكان المنطقة، حسب إحصاء سنة 1982 بلغ 132.964 نسمة، ليرتفع حالياً إلى 149.886 نسمة (إحصاء 1994). يبدو من خلال هذه الأرقام أن تزايد السكان لايزيد عن 1٪، لكن يجب اعتبار الهجرة إلى خارج الإقليم ونعلم أنها نشيطة في كل جهات المغرب الشرقي. أما إذا اعتبرنا حركة السكان داخل الإقليم نفسه، فنلاحظ أن البادية أصبحت غير مفضلة، تشكل منطقة الطرد للسكان، حيث قل عدد السكان بها حالياً، على ما كان عليه سنة 1982. نكون بذلك أمام إقليم مراكزه الحضرية ينمو سكانها بحوالي 2.6٪، والأرياف يَتناقص سكانها بحوالي (0.7٪-). اشتد إفراغ البوادي، رغم ضُعْف كثافة سكانها، من جراء تعاقب سنوات الجفاف والفقر، إلى التجهيزات الضرورية مثل الصحة والتعليم والطرق والماء الشروب.

التقسيم الإداري لإقليم جرادة وتوزيع السكان (1994)

يبدو أن هذا الإقليم الفتي تعترضه صعاب مختلفة، أهمها الفقر إلى التجهيزات الأساسية، إذ أغلب الجماعات القروية بدون مصحة، كما نجد طبيباً واحداً لحوالي 25.000 نسمة، وسيارة إسعاف لأكثر من 70 ألف نسمة (إحصاء لوزارة الصحة 1995). يعاني الإقليم من استنزاف الثروات المعدنية مما أدى إلى غلق أغلب المناجم، كما أن تقارير البحث والتنقيب غير متفائلة. فمناجم تويسيت التي شرع في استغلالها منذ سنة 1930، استنزف ما بها من الرصاص والزنك، حيث كانت تشغل ما معدله ثمانمائة عامل، إلا أن الشركة اضطرت إلى غلق المنجم منذ 1975. حالياً لم يعد بعض العمال يشتغلون إلا في غسل نفايات المنجم داخل التجهيزات المهمة التي لازالت قائمة. وقد حاولت الوزارة تنشيط المركز باستمرار التكوين في "المدرسة التطبيقية للمعادن".

عرفت مناجم سيدي بوبكر نفس المصير، إذ شرع في استغلالها سنة 1926، واستطاعت شركة الزليجة التغلب على مختلف الصعاب التي اعترضتها، حيث تمكنت من استخراج حوالي مليوني طن من الرصاص والزنك المركز قبل غلق المنجم سنة 1968، وذلك بعد التأكد من نفاد الاحتياطي الذي قدر في بداية الأمر بأكثر من 26 مليون طن. ويستمر حالياً بعض العمال في جمع الفضلات وغسلها كما هو الأمر بتويسيت.

في الواجهة الغربية من جبال جرادة تم غلق مناجم تاتورالت ومناجم مرگشوم وسيدي لحسن.

لايزال القطاع المنجمي بإقليم جرادة يشغل حالياً ما يقرب من سبعمائة ألف شخص، لكن أكثر من خمسين ألف، في مناجم جرادة وحدها. وبذلك يكون بذلك النشاط المعدني هو الركيزة الأساسية لأغلب مراكز الإقليم، حيث يستفيد منها، بشكل مباشر أو غير مباشر، ما يزيد عن ثلث سكان الإقليم. انطلاقاً من هذه الاعتبارات، تبقى الصعوبة الأساسية للإقليم إيجاد أنشطة موازية، بإمكانها أن تعوض استخراج الفحم عند نفاده، وتضمن بذلك استمرارية النمو للإقليم.

فإذا كانت الموارد المعدنية أشرفت على نهايتها، يبقى من اللازم إعادة الاعتبار للأرياف التي يتم إفراغها واندثار مواردها الطبيعية. لاشك أن الإقليم يتوفر على مؤهلات طبيعية وبشرية لممارسة النشاط الرعوي الذي يمكن أن يصبح مورداً رئيسياً للإقليم (انظر مادة بني مطهر) إذا ما تم توفير الشروط الضرورية مثل فك العزلة عن الجماعات بفتح الطرق والتنقيب على الماء وخاصة استصلاح المراعي وضبط استغلالها. من اللازم الشروع في دراسة أسباب الاختلاف البيئي وهجرة السكان في الأرياف، والحفاظ على الموارد التي من شأنها أن ترفع التحدي وتضمن الرخاء للإقليم، وهي الماء والتربة والغطاء النباتي.

استخرجت من إقليم جرادة خلال نصف قرن موارد أساسية استفادت منها خزينة الدولة، حالياً أخذ يعاني من تراكم مشاكل غلق المناجم، والتي هي مرشحة للتفاقم إن لم يتم التفكير بجد في إعادة هيكلة النسيج الاقتصادي للإقليم.

دائرة جرادة		دائرة عين بني مطهر		دائرة دبدو	
الجماعة	عدد السكان	الجماعة	عدد السكان	الجماعة	عدد السكان
1 ـ گنايت	2.395	6 ـ تيولي	7.577	11 ـ العطف	1.186
2 ـ قنفودة	5.560	7 ـ بني مطهر	5.207	12 ـ أولاد محمد	3.487
3 ـ لعوينات	4.055	8 ـ مريجة	2.198	13 ـ سيدي بلقاسم	11.580
4 ـ لبخاتة	2.617	9 ـ أولاد غزيل	5.596	14 ـ سيدي لحسن	10.258
5 ـ رأس عصفور	1.446	10 ـ أولاد سيدي عبد الحكيم	3.001		

توسيع سكان إقليم جرادة

شاكر الميلود، *دراسة جيومرفلوجية للهوامش الشمالية الغربية لسلسلة الهورست*، د. د. ع. الرباط، سنة 1985 ؛ مديرية الإحصاء (1982، 1994) ؛ وزارة الصحة (إحصاء التجهيزات الصحية، 1995).

A. Laouina, *Le Maroc nord oriental : reliefs, modelés et dynamique du calcaire*, Oujda, 1987 ; Ministère de l'Energie et des Mines, *Panoramas et rapports annuels sur l'activité minière* ; B. Owodenko, *Le bassin houiller du Jerada, notes et mém. serv. géol., Maroc*, n° 207, 1976.

شاكر الميلود

الجرّاري، ـ بكسر الجيم وفتح الراء الأولى مخففة ـ أسرة رباطية عريقة تنتسب إلى أولاد جَرّار ـ بفتح الجيم

والراء المشددة ـ القبيلة العربية الشهيرة بسوس (انظر أولاد جرّار). ومن المعلوم أن فرقة مهمة من الجرّاريين، استقرت بقصبة الرباط ضمن جيش الأوداية، فنسبت إليهم وصارت تعرف بقضية الأوداية. ولاندري متى ولاكيف خُففت راء الأسرة الرباطية. ومن أشهر الجرّاريّين الرباطيين :

الجرّاري، عبد الله بن العباس، الفقيه الأستاذ المقرئ المؤرخ المؤلف المكثر. ولد بمدينة الرباط في 4 شعبان 1322 / 14 أكتوبر 1904. ولم يكد يبلغ الثالثة من عمره حتى أدخله أبوه الكتّاب القرآني فحفظ كتاب الله على يد الأستاذين محمد الشياظمي ومحمد المهدي متجينوش. وبعد ذلك أقبل على الدروس العلمية وحضر مجالس عدد من شيوخ الرباط، أمثال محمد بن العياشي ومحمد بن التهامي الرغاي ومحمد المدني ابن الحسني ومحمد بن عبد السلام السايح وأبي شعيب الدكالي ومحمد ابن العربي العلوي أيام كان رئيساً بمجلس الاستئناف الشرعي بالرباط. وأخذ عن أحمد بن المأمون البلغيشي وعبد الرحمان بن القرشي وغيرهم من كبار علماء فاس الذين أقاموا مدة بحكم وظيفهم في رباط الفتح، كما حضر أيضاً دروس الأديب التهامي الغربي.

لم يكتف عبد الله الجراري بذلك بل كان يخط برنامجاً للمراجعة في بيته مع بعض رفقائه، ويتراسل مع بعض المتضلعين في التوقيت والحساب ليتعلم منهم هذا الفن. ودرس في شبابه الموسيقى لمدة وجيزة. وزاد من تنوع ثقافته كثرة أسفاره واتصاله بمختلف فئات الناس، خصوصاً أهل العلم والثقافة في شتى أنحاء البلاد، كما أنه فتح منزله لرواد العلم والثقافة فأضحى نادياً ثقافياً ابتداء من سنة 1930.

بدأ عبد الله الجراري حياته التعليمية باكراً عند ما أخذ يلقى دروساً في الزاوية المباركية سنة 1920. ثم أسس مدرسة خاصة ـ وابتداء من سنة 1926 شارك إلى جانب الشباب السلفي في معركة محاربة البدع ـ وكوّن سنة 1928 فرقة مسرحية سماها جوق السعي والفضيلة، ضمت تلاميذ مدرسته. وأحرز على جائزة التأليف المسرحي عندما قدم مسرحية للمباراة التي نظمتها إحدى الجمعيات في نفس السنة.

وأثناء حوادث الظهير البربري ألقي عليه القبض يوم 11 يوليوز 1930 إثر إلقائه خطبتين : الأولى في مسجد سيدي الغندور والثانية في الجامع الأعظم، وحكم عليه بالسجن، ثم سرح بعد حين.

وفي سنة 1932 التحق عبد الله الجراري بالتعليم الرسمي كمدرس. وفي سنة 1937 أحرز شهادة العالمية بالقرويين. وفي السنوات الأولى لإنشاء الإذاعة كان يرتل القرآن الكريم ويلقي أحاديث ودروساً في التفسير وعدة محاضرات إذاعية. وابتداء من سنة 1940 انخرط في سلك كتّاب المخزن بالقصر الملكي وكُلّف بتفتيش الكتاتيب القرآنية والتعليم الحرّ وتفتيش مدارس البنات في المغرب، كما أسندت إليه مهمة التدريس بالمعهد المولوي بعد تأسيسه سنة 1942.

وفي سنة 1947 عينه الملك محمد الخامس عضواً في اللجنة الملكية للتأليف، فألف فيها الجزء الأخير من كتابه الذي كان بدأه من قبل وهو *دروس التاريخ المغربي* الذي طبع لأول مرة على نفقة عاهل البلاد.

وبسبب ما كان له من مواقف ضد إدارة الحماية تمّ إبعاده عن التفتيش أثناء أزمة سنة 1953. وبعد الاستقلال رجع إلى مهمة التفتيش، وشارك المترجم في عدة لجان ومؤتمرات داخلية وخارجية وكان عضواً في رابطة العلماء، واتحاد الكتاب، وعضواً في المجلس العلمي للعدوتين الرباط وسلا الذي عين فيه في 12 يوليوز 1981.

ألّف عبد الله الجراري عدة كتب منها المطبوع ومنها المخطوط. فمن المطبوع : *دروس التاريخ المغربي* في خمسة أجزاء *وتقدم العرب في العلوم وأستاذيتهم لأوربا وشذرات تاريخية من 1900 إلى 1950 وصفحة من صفحات الكتلة الوطنية* وتجليها في أحداث المطالبة بالاستقلال عام 1944 *ومن أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*وكتابان في *الموسيقى* و*ورقات في مساجد الرباط وزواياه*. كما أنجز ستة تراجم لعلماء في سلسلة *شخصيات مغربية* ؛ وغير ذلك.

وبعد تقاعده انخرط في هيئة التدريس بدار القرآن التي ساهم في تأسيسها بالرباط حيث درّس فن التجويد والنحو والتاريخ والسيرة والتربية الدينية. وشارك في حلقات التعليم بجامع السنة وهو تعليم نظمته وزارة الأوقاف التي كلفته بالإشراف على التربية الدينية في مديرية الشؤون الإسلامية في 3 يوليوز 1973.

وقد ألقى آخر درس بمسجد السنة يوماً واحداً قبل وفاته. وتوفي يوم الأربعاء حادي عشر ربيع الثاني عام 1403 / 26 يناير 1983 ودفن بمسقط رأسه في مقبرة الشهداء.

عبد الله الجراري، من أعلام الفكر بالعدوتين، 1969 ؛ عباس الجراري، *العالم المجاهد عبد الله الجراري*، سلسلة *شخصيات*

مغربية، الدار البيضاء، 1985 ؛ *عهد الوفاء، تأبين فقيد الدين والعلم والوطنية عبد الله بن العباس الجراري رحمه الله*، الدار البيضاء، 1983.

عبد الإله الفاسي

الجرامنة ← أولاد جرمون

جرائدة الجليقي، هكذا تسميه المصادر المغربية، واسمه الإسباني Giraldo Sempavor. كان فارسا مغامرا ذا جرأة في شن الغارات على الحصون الأندلسية، وضايق كثيراً ولاة الموحدين في الأقاليم مما جعل ابن الرنك Alfonso Entiquez ملك البرتغال يستعين به وبرجاله في حربه ضد المسلمين، فقام بعدة غارات استولى فيها على عدة حصون بغرب الأندلس في سنتي 560 ـ 561 / 1164 ـ 1165، واستولى على حصن جلمانية Jurimina قرب بطليوس، واتخذه منطلقا لتحركاته لحساب ملك البرتغال. كما استعان به محمد بن سعد ابن مردنيش، وأنزله في بعض حصون شرق الأندلس، وأصبح سنة 563 / 1167 يعيث فسادا بنواحي غرناطة، وهزم جيشا موحديا في احدى غاراته على ناحية رندة. ثم عاد ليشارك مع ابن الرنك في حصار بطليوس في السنة التالية، إلاّ أن الموحدين نظموا حملة عسكرية قوية لرفع الحصار عن بطليوس واستعانوا بفرناندو ملك ليون الذي كان حليفا لهم، فانهزم ملك البرتغال وأسر، ثم أطلق سراحه، وفر جرائدة، واستمر يعيث فسادا بمنطقة بطليوس إلى أن أبرم صلح مع ابن الرنك سنة 568 / 1172، فاستسلم جرائدة للخليفة يوسف بن عبد المومن بإشبيلية أوائل السنة التالية، ودخل في خدمة الموحدين، وجاز إلى المغرب ونزل مراكش، ثم أرسله الخليفة إلى السوس على رأس فرقته من المرتزقة الروم، ومن هناك كان يحاول الاتصال بابن الرنك بأشبونة ليعلمه بمكانه من السوس على ساحل البحر، ويعده بالدخول في خدمته مرة أخرى، لكن رسائله وقعت بأيدي الخليفة يوسف بعد عودته من الأندلس سنة 571 / 1175، فاستقدم جرائدة إلى مراكش، وكتب إلى عامله على درعة موسى بن عبد الصمد "إذا وجهنا لكم جرندة وأصحابه فقسموهم على القبائل واقتلوه لأنا أخذنا عليه كتب الدلس" (*أخبار المهدي*، 89).

ثم أمر الخليفة العلج بالتوجه إلى درعة، وقال له : "هي أحسن لك من السوس. فسار مع أصحابه، وكان عددهم ثلاثمائة وخمسين، من ايفرخان (جمع افروخ وهو الفتى أو الشاب بالأمازيغية) فلما وصلوا فعل بهم موسى ما أمره به أمير المؤمنين" (*أخبار المهدي*، 89) وكان ذلك سنة 571 / 1175.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، (قسم الموحدين) الدار البيضاء، 1985؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*، الرباط، 1971 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، تح. عبد الهادي التازي، بيروت، 1964 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، (ج. 6) بيروت.

محمد المغراوي

جُرَاوَة، مدينة وقصبة مندثرتان بالمغرب الشرقي كانتا تقعان على الطريق الرئيسية بين مدينتي وجدة والناظور، وبالتحديد بين أحفير وأبركان حيث توجد قرية عين الرگادة. ويعرف الناس بالقرب منها من جهة الشرق مكانا يدعى جراوة. وقد كانت بهذه الجهة إلى أوائل الستينيات من هذا القرن بقايا سور قديم من الطوب قد يكون من بقايا مدينة جراوة أو قصبتها. وحسب الجغرافيين القدماء كانت المدينة في بسيط من الأرض تبعد عن البحر بستّة أميال، وقد بُني حصن تابع لها يقع إلى الجنوب منها على بعد أربعة أميال أي بقرب جبال بني إزناسن، فتكون البقايا المشار إليها هي لهذا الحصن أو لمدينة جراوة نفسها.

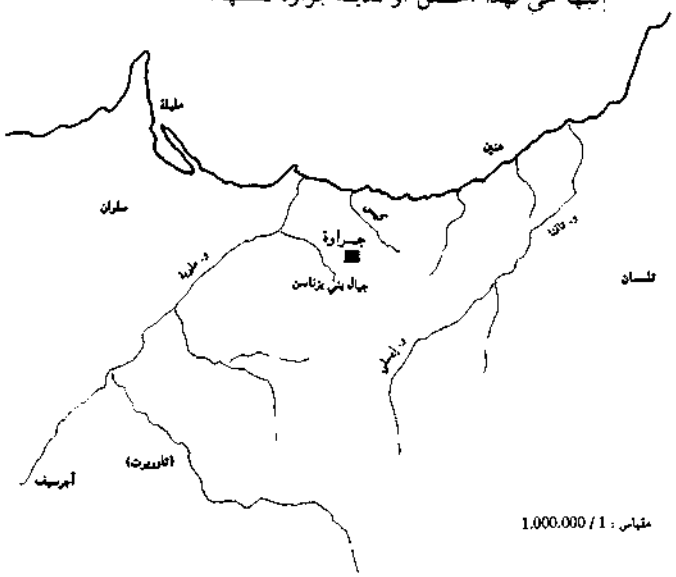

وبالنسبة لهذه المدينة (ويسميها الحميري : جراوة مكناسة) كانت تتوسطها قصبة، ويحيط بها سور مبنيّ بالطوب له بابان شرقيان وثالث شمالي ورابع غربي، وحولها أرباض، وداخلها آبار عذبة، وبها خمسة حمّامات وجامع. ويصفها الإدريسي بأنها كانت مدينة عامرة، ويصفها صاحب *البيان المغرب* بكونها أشرف المدائن (في المنطقة). وحواليها بساتين عريضة للزرع والضّرع (البكري) ويحيط بها من القبائل مطغرة (مدغرة) شمالاً وبنو يفرن شرقا وبنو إزناتن (كذا) جنوباً وزواغة غرباً، إضافة إلى قبائل أخرى حولها مثل ودانة ويغمر الجبل وبني راسين وبني باداسن وبني وريمّش. ويحدّد بُعدُ مدينة جراوة عن البحر بنحو ستّة أميال، ويسمى مرساها باسم تابحريت أو تافرجنيت، وتسمّى في *البيان* : أكاس، ويبدو أنّ هذا الاسم الأخير تطوّر إلى كيس وهو اسم النهر الصغير الذي يجري من مرتفعات أحفير في اتجاه البحر ليشكل حتّى مصبّه جزءاً من الحدود الحالية بين المغرب والجزائر،

وعلى الجانب الغربي للمصبّ توجد مدينة السعيدية بشاطئها الرملي، وعلى الجانب الشرقي للمصبّ بنحو ثلاثة كلمترات توجد مدينة مرسى بلمهيدي الجزائرية التي يمكن وجود مرسى طبيعية بها قديماً قد تكون هي تابحريت أو أكاس المذكورة. ويحدّد البكري بُعد "مرسى جراوة" عن جزر ملوية (جزر كبدانة حالياً) بثمانية مراحل في البرّ.

أسس مدينة جُراوة سنة 257 (أو 259) الأمير الإدريسي أبو العيش عيسى بن إدريس بن محمد بن سليمان (أخي إدريس الأكبر) بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، واتخذها عاصمة لإمارته التي كانت تمتدّ شرقاً إلى تلمسان وغرباً إلى مليلية وجنوباً إلى نهر صاء (أو صاع) الذي أعطى اسمه للمدينة الواقعة عليه والتي سميّت على الأرجح فيما بعد تاوريرت. هذه الإمارة هي إرث من ولاية إدريسية كانت تحت حكم محمد ابن سليمان، فاستقلّ أبناؤه بها كما حدث في ولايات إدريسية أخرى أيام ضعف أمراء فاس، وانقسم السليمانيون على أنفسهم، وكان أشهرهم أبو العيش المذكور حفيد محمد ابن سليمان. ويبدو أن إمارته نعمت بنوع من الاستقرار في ظل ضعف الحكم المركزي بفاس وضعف جيرانها من جهة الجنوب أمراء سجلماسة المدراريين، ومن جهة الشرق أمراء تاهرت الرستميين وذلك خلال النصف الثاني من القرن الثالث، على عكس ماسيحدث خلال الثلث الأول من القرن اللاحق في ظل حكم ابنه عيسى الذي تولى حكم الإمارة بعد موت أبيه سنة 291 (أو 296). فمع التحرك الفاطمي نحو المغرب وبداية المنافسة الأمويّة وانحياز القبائل لهذا الطرف أو ذاك أصبحت إمارة ابن أبي العيش تعاني من توالي الضغط عليها خاصّة بعد تحوّل الأمير الزناتي موسى ابن أبي العافية لصالح أمويي الأندلس وتلقيه الدعم البحري منهم منذ سنة 319، وقد كانت مواجهاته متوالية مع الأدارسة عامة بحيث توالت الاصطدامات بينه وبين أمير جراوة الحسن بن أبي العيش، مما جعل هذا يبني حصناً احتياطياً جنوب جراوة أقرب إلى جبال بني إزناسن سمّاه المنصورة. وقد لجأ إليه، كما حدث سنة 319 (*البيان*، 196). ويذكر صاحب *القرطاس* (ص. 84) أن ابن أبي العيش تحصّن بمدينة مليلة خلال هذه الفترة أو بعدها، وصلها عبر مرسى أكاس ثم جزر ملوية (*البيان*، 194)، ويبدو أنه استرجع إمارته سنة 323 على الأبعد خلال حملة القائد الفاطمي ميسور الفتى على المغرب الأقصى (البكري، 128). وخلال توجيه الأسطول الأموي إلى سواحل المنطقة سنة 324 أو 325 سقطت جراوة من جديد بيد ابن أبي العافية وتحصّن أميرها بالجبال المجاورة، ثم لم يلبث أن استعاد عاصمته وكذلك مدينة تلمسان. وظلت الأحوال بين أمير جراوة وابن أبي العافية بين مدّ وجزر تتخللها هدنات لا تلبث أن تنتقض، خاصّة وأن معظم أتباع ابن أبي العافية زناتيون رعاة ومعظم أتباع ابن أبي العيش زراع مستقرّون فيما يبدو.

وتتحدّث رواية في *البيان المغرب* (201) عن كيفية نهاية مدينة جراوة : بأن أهلها كاتبوا ابن أبي العافية ـ ربما تحت ضغطه عليهم بالحصار ـ وضمنوا له دخول المدينة، فلجأ ابن أبي العيش إلى حصن المنصورة. ولما دخل ابن أبي العافية جراوة دعا أهل المنصورة إلى الأمان، فأجابه بعضهم وتغلّب على سائرهم وقتل جماعة منهم. وأسر أولاد الحسن ابن أبي العيش وغنم خيله وسلاحه وأحرق المدينة بالنار وانصرف إلى محلّته. كان هذا الحادث على الأرجح سنة 338 هـ، وهي فترة انشغال الفاطميين بمشاكلهم في افريقية. ولم تحدثنا المصادر بعد ذلك عن تجديد مدينة جراوة أو إمارتها.

ابن حيان، *المقتبس*، 5 : 307، 382، 414 (طبعة 1979) ؛ أ. البكري، *وصف افريقية والمغرب*، ص. 89، 142 ـ 143، باريس 1265 ؛ ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ص 248، طبعة القاهرة ؛ ابن عبد المنعم الحميري، *الروض المعطار*، 162 ـ 163، تح. إحسان عباس ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، 1 : 137، 194، 196، 199، 201، 204، 205، ط. بيروت ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ص. 84، الرباط 1973.

أحمد عزاوي

الجَرْبي، نوع من الأقمشة التي كانت متداولة في مغرب القرن الماضي والقرون السالفة، وهو من الصوف الجيد الدقيق النسج الذي يكاد المرء لا يفرق فيه بين السدوة واللحمة (= السدى والطعمة أو القيام). كان المغاربة الموسرون يتخذون منه الجلابيب والسلاهم والأكسية الرفيعة. اشتهرت في إنتاجه جزيرة جربة التونسية فنُسب إليها. وقد كانت الخرقة الجربية تتنافس على مستوى الجودة في المغرب وخارجه داخل البلدان المغاربية مع خرقة السوسدي وخرقة وزان وخرقة بزو.

R. Dozy, *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amsterdam, 1845 ; A. Pignol (et al.), *Costumes et parures dans le monde arabe*, 1987 ; G. Marçais, *Le costume musulman d'Alger*, Alger, 1930 ; R. Le Tourneau, *Fès avant le Protectorat*, Casablanca, 1949.

محمد بوسلام

جَرْجير، نبات يدعى أيضاً "گرگاز" أو "الحَارَّة" أو "بُوحَمُّو" أو "الخَرْدَل"، إلى غير ذلك من الأسماء العديدة، ويُطلق على عدة أنواع تنتمي إلى أجناس مختلفة من فصيلة الصليبيات cruciferae أو brassicaceae. وهذه الأجناس هي سِينَاپِيسْ sinapis وبْرَاسِيكَا brassica وراڤَانُوسْ raphanus وإيروكا eruca وإيرُوكَاسْتْرُوم erucastrum وديْلُوتَاكْسِيس diplotaxis. ومن بين هذه الأنواع نجد بعض الخضر مثل اللفت والفجل.

وأغلب الأنواع البرية الموجودة طبيعيا بالمغرب من الجرجير حولية أو ثنائية الحول، تكثر في فصل الربيع، لكنها قليلة المنفعة بالنسبة للرعي ماعدا بعض الأنواع التي تستعمل في تحسين المراعي.

تستعمل بذور بعض الأنواع مثل سينابيس نيگرا sinapis nigra لصناعة مادة الخردل moutarde الذي يزيد من الشهية بتناوله مع الطعام.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

الجرادة، قرية تاريخية بقبيلة أنجرة تشرف دورها على منخفض خصب يلتقي فيه واد الروث بواد الرميلة، وهما رافدا واد الخميس. كما تشرف الجردة على مدينة القصر الصغير من جهة الجنوب الغربي. ويُبرز التقسيم الإداري انتماء قرية الجردة إلى فرقة البرقوقيين، وبها يمر الطريق الرابط بين تطوان والقصر الصغير عبر سوق خميس أنجرة.

والجردة هي التي عناها أبو عبيد البكري بقرية عين الشمس، وقال عنها : "قرية نصر بن جدو، عامرة آهلة، بها جامع وبساتين كثيرة ويوم سوقها يوم الخميس". ومما زاد الأمر تأكيداً قوله : "ويتصل بعين الشمس جبل تار مليل"، الذي تحققنا من أنه جبل تطسويرا (طيط سويرا) الحالي المقابل للقرية. وقد حددت لنا *حوليات القصر الصغير* موضع الجامع المشار إليه من جانب البكري، إذ كان موضعه شمال القرية بجوار مغارس فسيحة. فلم يبق علينا سوى التوصل إلى معنى اسم الجردة ومتى عرفت بهذا الاسم. وهذا لابد أن يكون قد حدث قبل القرن التاسع (15م). حسبما أفادتنا به نفس الحوليات التي تعرفنا على مكانة القرية من الوجهة الاقتصادية عام 863 / 1459، فرجالها أغنياء بما كانوا يملكونه من رؤوس الأبقار البالغ عددها آنذاك نحو ألف وخمسمائة رأس بالإضافة إلى عدد وافر من الأغنام. ويعود الرواج التجاري بالقرية إلى أهمية السوق الأسبوعية المنعقدة بالقرية يوم الخميس، إذ أنه كان مقصد تجار النواحي المجاورة. ويبين هذا أن السوق المقصودة من طرف الحوليات هو سوق خميس أنجرة، وأن مكان السوق الحالي محول عن سوق الجردة الأصلي نتيجة الضغوط البرتغالية المتوالية عليها منذ بداية احتلال القصر الصغير عام 861 / 1458.

علم حاكم القصر الصغير ضون ضوارتي دي منيسيس Duarte de Meneses بالدور الحربي الذي اضطلعت به الجردة خلال الحصار المغربي لمدينة القصر الصغير بأعيانها ومجاهديها البالغ عددهم نحو خمسمائة محارب وبوجود عدد من الأسرى البرتغاليين بيد أحد أعيان القرية، فنظم ضدها أربع غارات، تمت أولاها يوم 12 نوفمبر 1459 (25 محرم عام 863) والثانية يوم 21 أكتوبر 1461 (16 محرم عام 866)، غنم البرتغاليون أثناءها نحو 300 رأس من البقر ومجموع ما كان بها من الأغنام، بينما لم تكن للغارتين التاليتين نتائج تذكر.

ولاريب أن الوجود البرتغالي بالقصر الصغير خلال اثنين وتسعين عاما ثم ما جاء إثر ذلك من تخريب المدينة وبقائها خالية قد أثر كثيراً على ساكنة الجردة ودورها الاقتصادي، سيما بعد انتقال محلة السوق نحو الجنوب إلى مقره الحالي. وربما كان لذلك انعكاس طويل المدى على الشكل الذي ظهرت به الجردة خلال الفترة الاستعمارية إلى اليوم. فقد بلغت دور القرية حسب إحصاء ما قبل سنة 1931 سبع عشرة داراً، أي نحو مائة نسمة فقط.

أ. البكري، *المغرب*، ص. 108 ؛ *ضابط الأمور الوطنية بالمنطقة الخليفية*، ص. 38 ؛ ج. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري*، ا. *Vademecum*, 20 ; *Geografia de Marruecos*, p. 199 ; Zurara, *Cronica de D. Duarte de Meneses*, p. 185 - 186 - 237 - 240 - 271 - 301.

حسن الفگيگي

جرار، عبد القادر. مقاوم ولد سنة 1929 بدوار أيت حدو بتالسينت، انضم لصفوف المقاومة وعمل تحت مسؤولية بلعيد حيث شارك في عدة هجومات ومعارك، من أهمها معركة بني ونيف والمنابهة ولخوابي وغيرها، واستمر في عمله البطولي إلى بزوغ فجر الاستقلال حيث توفي بتاريخ 18 دجنبر سنة 1995.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.

أولاد **جرار**، قبيلة سوسية يتوزع ترابها في أقصى الهامش الجنوبي لسهل تيزنيت عند قدم الأطلس الصغير الغربي، أي في منطقة اتصال السهل بالجبل. ويعدّ مجالها أغنى المجالات السهلية بأزغار لتوفر الفرشة المائية. يحدها شمالاً تيزنيت، وجنوباً الأخصاص، وشرقاً إيداوبّعْقيل وتازروالت وغرباً أيت بْرايِيم.

تنتسب القبيلة إلى فرع ذوي حسان من عرب معقل الذي كانت مجالاته تتحدد إلى الجنوب من تراب ذوي منصور، من درعة إلى البحر المحيط. ويبدو أن استفادة قبيلة أولاد جرار من الرقعة الترابية التي تستوطنها مرتبط

بالخدمة العسكرية للحكام، وخاصة بعد أن استصرخ بها علي الزكندري في صراعه مع آخر حكام الدولة الموحدية عام 615 / 1218 بتارودانت. وإذا كانت الوثائق المحلية والمصادر التاريخية تشير إلى هيمنة هذه القبيلة، على غرار القبائل المعقلية الأخرى، على جزء كبير من سهل سوس، فإنه يعتقد أن ذلك ارتبط بالظرفية السياسية التي خلقها الوجود البرتغالي بالسواحل الاطلنتكية، حيث وقع التحالف بين الطرفين. ومن تجليات هذه الهيمنة فرضها الإتاوات على القبائل، وتحكمها في المسالك التجارية القادمة من السودان الغربي ودخولها في حروب مع الجزوليين.

كان لظهور الحركة السعدية، كرد فعل القبائل الجزولية على الضغط الذي عانت منه قبائل الأطلس الصغير المحاصرة، أن طادرت المجموعات البشرية المستقرة بأزغار على أراضيها، وتملكت ما كان في ملكيتها في السابق أو زادت في ذلك، مما قلص من مجال استقرار أولاد جرار، وبدأت قوتها في الاضمحلال. وما تبقى منها اندمج مع السكان المحليين.

وعلى الرغم من ذلك فإنها ساهمت بشكل كبير في حملة أحمد المنصور الذهبي على السودان بستين سرجة وتسعمائة من المرافقين صحبة أهل بونعمان. كما أعلنت العصيان على المولى الرشيد في طريقه نحو إيليغ عام 1080 / 1670 نظراً لما لاقاه عربُ الشبانات بأحواز مراكش من طرف السلطان. ولما قام يزيد بن محمد الملقب ببودربالة ثائراً بسوس عام 1127 / 1715 اعتمد على قبيلة أولاد جرار قبل أن يُعدم بمراكش. كما استقطبها بوحلايس أثناء تمرده بالمنطقة سنة 1207 / 1793.

كانت رئاسة أولاد جرار قبل أسرة آل بورحيم، بيد أحمد ابن سلمون الركادي وبيهي النكيضي بقرية أگوراي. ويمثل ظهور آل بورحيم (نسبة إلى عبد الرحمان) بداية مرحلة جديدة في مسار قبيلة أولاد جرار، وكانت رئاسة علي بن بورحيم بداية فعلية لاستتباب الأمر للأسرة، بعد أن قطع دابر الطرف المنافس (آل النكّيضي). ويبدو من خلال وثائق مخزنية ومحلية ترجع إلى القرن الثالث عشر (19 م) أن قواد أولاد جرار كانوا يضطلعون بوظائف في غاية الأهمية، وكان للقبيلة ضلع كبير في الصراعات المحلية التي تمليها ظاهرة اللّف (تحكّات ـ تاكّوزولت) بحيث لعبت دوراً مهماً في مواجهة طموحات إيليغ للنزول إلى أزغار تيزنيت. وفي هذا السياق كان موضع إيغير ملّولن الجبلي مثار نزاع تقليدي بين الطرفين، وترتب عنه مجموعة من التحالفات.

بلغت قبيلة أولاد جرار أوج قوتها وشهرتها مع القائد عياد الجراري الذي أبان عن دهاء وفطنة سياسية في تسيير أمور أولاد جرار. ولما قام الشيخ أحمد الهيبة يدعو إلى الجهاد ضد الفرنسيين، كانت القبيلة من ضمن القبائل السوسية التي ناصرت الشيخ، كما أصبحت أراضيها منطلقاً لعمليات تهدئة القبائل الجبلية حتى حدود سنة 1352 / 1934.

م. الاگرّاري، *روضة الأفنان* (مقدمة التحقيق) ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر*، 6 : 77 ـ 87 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 172 ؛ *وثائق دار إيليغ* (المجلد الخاص بقواد أولاد جرار) ؛ حمدي أنوش، مادة *بورحيم*، *العلمة*، ج 5 ؛ إ. الحساني، *ديوان قبائل سوس* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الأجزاء 3، 4، 16، 18، 19.

L. Justinard, *Un grand chef berbère : le Caïd Goundafi ; Un petit royaume berbère : le Tazeroualt*, Paris, 1954 ; *Notes sur l'histoire du Sous au XVIe siècle*, *A-M*, T. 23, 1933, p. 73 - 92 - 99 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc*, Paris, 1930 ; A. Le Chatelier, *Tribus du sud ouest marocain : bassins côtiers entre Sous et Draa*, Paris, 1891 ; H. Dugard, *La colonne du Sous 1917*, Paris, 1918 ; M. et E. Gouvion, *Kitab A'ayan Al-Maghrib Al Akça*, Alger, 1939.

أحمد بومزگو

الجرّاري، أحمد بن حسن ويعرف بابن سيد المالقي. أصل سلفه من سوس المغرب. قال ابن الأبار : (وليس باللص، وانما توافقا في الاسم والكنية والنسبة، ذاك من إشبيلية، وهو كناني النسب، وكلاهما أقرأ الأدب والعربية).

وصاحبنا من كبار النحاة والأدب بالأندلس، وله حظ في قرض الشعر الجيد. درس الحديث واللغة والأدب على أقطاب عصره. فروى عن أبي الحسن يونس بن محمد بن مغيث، وأبي الحسين سليمان بن الطراوة، وأبي عبد الله سليمان بن أخت غانم، وأبي القاسم أحمد بن محمد بن ورد.

وقد نالته وحشة من قبل القاضي أبي محمد بن أحمد الوحيدي لأمور تقولت إليه اضطرته إلى التحول عن مالقة إلى قرطبة فسكنها نحو أربعة أعوام، ثم استمال جانب الوحيدي حتى لان له وخاطبه بالعود إلى وطنه، فرجع مكروماً مبروراً إلى أن ولي خطة القضاء ابن حسون فاختص به وبآله وحظي لديهم).

بعدها انتقل إلى مراكش واستخلصه الخليفة عبد المومن لتأديب أبنائه، فسما قدره، وعظم صيته، وارتقى محله وأقام على ذلك إلى أن توفي بمراكش بعد سنة 560 هـ بقليل 1164 م.

ابن الأبار، *تحفة القادم*، 44 ؛ م. ابن عبد المالك، *الذيل والتكملة*، 1 : 92 ؛ *الصفدي الوافي بالوفيات*، 6 : 307 ؛ البلفيقي، *المقتضب من تحفة القادم*، 44 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين*، 1 : 465 ؛ ع. بنمنصور، *اعلام المغرب العربي*، 3 : 302.

محمد حجي

الجرّاري، أحمد بن الطاهر، ولد بمراكش حوالي عام 1295 / 1878 وترعرع بدرب قايد راسو بحي هيلانة. وحفظ القرآن على يد والده العلامة الفلكي السيد الطاهر الذي كان يعمل في بلاط السلطان الحسن الأول، ثم بلاط

السلطان المولى عبد العزيز.

تمكن من اللغة العربية، وسبر أغوارها منذ حداثة سنه، ونهل من الشعر العربي والملحون وتتلمذ في الملحون على يد خاله شيخ لگريحة في زمانه الشيخ المعطي لحسوك.

عاش الشاعر الجرّاري سنوات من حياته عيشة راضية، ثم انقلبت إلى حجيم تلظى بنارها، ومما زاد في أزماته فراقه مع زوجته، وفقده لبصره.

وقد عاشر مجموعة من شعراء الملحون نذكر منهم عباس بوستة والسيد إسماعيل والسيد الطبال وحسن بنشقرون وغيرهم.

توفي سنة 1359 / 1940 بعد أيام من سقوطه من أعلى سطح داره. ومما يؤسف له أنه رحمه الله لم يعتن بجمع شعره وتدوينه، ولم يبق منه إلا ما هو في ذاكرة حفاظ الملحون وهو قليل.

روايات شفوية : أ. متفكر، *أعلام مراكش*، مخطوط.

أحمد متفكر

الجرّاري الأوديّي، إدريس بن حسّان الرباطي. من فصيل أولاد جرّار المنتقلين إلى قصبة الأوداية. كان من الوجهاء والأعيان الفضلا والقواد المحنكين، ومن أبرز عمال السلطان مولاي عبد الرحمان، وأعقلهم وأرجحهم وأنصحهم، وحظي لديه بالمكانة العالية والمنزلة السامية.

كان أول ما ولاّه عمالة وجدة، وقد أبدى في واقعة الأوداية الشهيرة مع السلطان المذكور ما دلّ على حسن طويته وصدق خدمته. فولاه القيادة على الأوداية بناحية الرباط، وبقي كذلك إلى أن توفي سنة 1255 / 1839، ودفن بالزاوية القادرية بالرباط.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 227، 228 ؛ م. دنية، *مجالس الانبساط*، 218.

حسن أميلي

الجرّاري الأوديّي، عثمان من أعيان الرباط ورجال الدولة في عهد السلطانين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ. تولّى منصب نائب وزير الحربية أثناء نزاع السلطان عبد العزيز مع أخيه في جمادى الأولى عام 1325 / منتصف سنة 1907. وبعد أن عينت الحكومة الفرنسية الجنرال ليوطي مندوباً لمنطقة الحدود (19 مايو 1908)، طالبت السلطان عبد العزيز بتعيين مندوب عنه للتعاون مع نظيره الفرنسي والسهر على تطبيق اتفاقيات الحدود التي وقعت بالجزائر سنة 1902. فعين السلطان عبد العزيز تحت الضغوط الفرنسية عثمان الجرّاري مندوباً سامياً للحدود يوم 22 ربيع الثاني عام 1326 / 29 مايو 1908، رغم أن الاتفاقيات المذكورة لاتنص على المنصب المشار إليه، بل نصت على تعيين مفوضين عن الدولتين لحل مشاكل الحدود في عين المكان. وكان السلطان عبد العزيز قد امتثل لمقررات الاتفاقيات المذكورة، فعيّن محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي مفوضا عنه بوجدة سنة 1904، إلا أنه أعفاه من منصبه سنة 1905، وظل المنصب شاغراً إلى حين دخول الجيش الفرنسي إلى مدينة وجدة في منتصف صفر عام 1325 / نهاية شهر مارس 1907. وبعد الاحتلال تولى أحمد بن كروم، عامل وجدة، مهمة المفوض من طرف المغرب للنظر في مشاكل الحدود إلى جانب مهمته السابقة.

التحق عثمان الجرّاري بمقر عمله بوجدة في أوائل رجب عام 1326 / بداية شهر غشت 1908. فوضعه الجنرال ليوطي أمام الأمر الواقع، بعد أن أحدث مراكز للجمارك بكل من السعيدية وأحفير وعين بني مطهر، بالإضافة إلى مراكز للحراسة بهدف محاربة التهريب، فوافق المندوب السامي المغربي على الإجراءات المتخذة من طرف ليوطي. واستغل ليوطي أيضاً حضور المندوب السامي المغربي بوجدة لإضفاء المشروعية على القرارات المتخذة بشأن الحدود. إلا أن أصداء الهزائم المتتالية التي لحقت بالسلطان عبد العزيز في صيف سنة 1908 أثرت على سلوك المندوب السامي المغربي، فحاول الالتحاق بطنجة خوفاً من سطوة السلطان الجديد. وطلب من ليوطي التدخل لدى السلطان عبد الحفيظ بهدف حماية أهله ومصالحه بالرباط. ووقع عثمان الجراري في حيرة من أمره فيما يتعلق بالمبادرة إلى مبايعة السلطان عبد الحفيظ أو الالتزام ببيعة السلطان عبد العزيز. لكن تحت ضغط السكان وبموافقة السلطات الفرنسية، أعلن عثمان الجراري ولاءه للسلطان الجديد إسوة بكبار موظفي المخزن بدار النيابة بطنجة، وعُقدت البيعة للسلطان عبد الحفيظ في نهاية شهر غشت 1908. وبعد إلحاح شديد من قبل عثمان الجرّاري لأجل العودة إلى الرباط، وبعد ضمانات من السلطات الفرنسية التي حصل على حمايتها، عاد إلى فاس في نهاية شهر أكتوبر 1908، فعينه السلطان عبد الحفيظ على رأس معمل السلاح بفاس سنة 1909، ورفض تعيين خلف له بعد أن تفطن إلى أن السلطات الفرنسية كانت تنوي تسخير المندوب السامي المذكور لاتخاذ عدة قرارات باسم السلطان، لكن أمام الضغوط الفرنسية وبعد توقيع اتفاق 14 يناير 1910 (القسم الخاص بالحدود)، الذي نص على تعيين مندوبين ساميين للحدود من جانب الدولتين، عين السلطان عبد الحفيظ عبد السلام ابن عبد الصادق مندوباً سامياً للمغرب لمنطقة الحدود في شهر أبريل سنة 1910.

وثائق خ. ح *كناش رقم 773*، (بعض الاتفاقيات المغربية الفرنسية. 1319 / 1322) ؛ *كناش رقم 606*، خ. ح (بعض الاتفاقيات المبرمة بين المغرب وفرنسا ما بين 1319 / 1328) ؛ *معلمة المغرب*، مادة أحفير، ص. 155.

A. Bernard, *Les confins algéro-marocains*, Paris, 1911 ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912.

عكاشة برحاب

الجراري الأوديّي، مَحمد بن إدريس بن حُمّان، قائد محنك تولّى عمالة الدار البيضاء ثم عمالة الجديدة، وكان أبوه سابق الترجمة عاملاً لوجدة أواسط القرن الثالث عشر (19 م).

لا نعرف المناصب التي تقلدها مَحمد الجرّاري قبل أن تسند إليه شؤون الدار البيضاء سنة 1279 / 1862. وكانت توليته هاته قد حدثت يوم كانت المدينة "خالية قفراً ليس بها أكثر من عشرين داراً" حسب تعبير العباس ابن إبراهيم في كتابه *الإعلام* بعد أن كانت سنة 1270 / 1854 لايتعدى المبنيّ فيها بالحجر خمسة منازل، حسبما جاء في تقرير القنصل الفرنسي أو گوست بومبي A. Beaumier. أما سكانها فقد قفز عددهم من 1000 نسمة سنة 1850 إلى 7.000 شخص سنة 1875، يوم غادرها الجرّاري إلى منصبه الجديد بمدينة الجديدة، مع قلة من الساكنة الأوربية بها.

ومما ينبغي أن نشير إليه هو أن هاته القلة الضعيفة من الأوربيين أخذت تبحث عن سكن يؤويها بالمدينة، فقرر المخزن أن يبني لها أماكن للسكنى والتجارة معاً على قاعدة 6٪ المعروفة أي أنه يكريها عقاراته بسوم 6٪ في السنة من مجموع ثمن كفلة البناء.

تفشت في الدار البيضاء وغيرها من المدن الشاطئية، ظاهرة الحماية القنصلية والتجارية والخلطة مع الأجانب في الفلاحة وتربية المواشي في البوادي المجاورة. وقد راعت هاته القضية العامل الجراري وأحزنته فكتب سنة 1282 / 1865 رسالة إلى مَحمد بن عبد الرحمان برگاش النائب السلطاني جاء فيها :

"... ورأيتُ ـ أيها الأخ ـ تساقط المسلمين اليوم على أهل الحمايات، ونسبة جميع أموالهم إليهم، وبذلهم عريض المال في تحصيل الحماية، ومساعدة التجار والأقناص لهم في ذلك، ولاحد له ولاحصر، بل تعطلت الأوامر المخزنية رأساً. والأمر الآن في غاية الازدياد، ولايكاد يوجد أحد على الإطلاق إلا وله تعلق إما بالتجار أو القُنْصُ، وإما بمن احتمى بهم، وهلم جراً ... وكادت كذلك أن تعطل الأوامر الشرعية لكثرة تعلق المسلمين وتملقهم وضراعتهم للتجار والأقناص، مع بذل جميع أموالهم، ونسبتها كلها أو نصفها لهم. ومَنْ لاشيء له يشهد أن في ذمته كذا وكذا مالاً للتاجر أو من تعلق به، كي يُجْعَل له تمييز وتشريف واكتساب جاه بذلك ...".

في هاته الظروف بالذات كان الجرّاري عاملاً على المدينة، ولايتسع المجال للإفاضة في هذا الموضوع. وإنما أشير إلى جماعة من سكان الدار البيضاء اتهموه في السنة الثالثة من ولايته بالخيانة والتواطؤ، فمن هؤلاء المستنكرين لموقفه محمد بن الحاج قاسم حصار السلاوي الذي كان أميناً بالمدينة، فقال للسلطان سنة 1280 / 1864 إنه سمع أن "القائد مَحمد الجرّاري كان شريكا مع الذميين المشترين كنطردة الدار البيضاء وأسواقها" وأنه كان "يخبرهم بما يكون فيه الخسارة" وأنهم "فرقوا ألفي مثقال رشاوي على من يظن به ذلك ليعينهم على إثبات الخسارة". ومعنى هذا أن العامل كان متواطئاً مع المشترين لمنفعة الدار البيضاء لينال نصيباً عن سكوته. ولعل السلطان وجه من يحقق له هذا فثبت لديه كذب هذا الخبر الزائف.

ومهما يكن فقد ظل الجرّاري مثالاً للموظف المحنك ومكث إلى سنة 1291 / 1875 وهي السنة التي نقل فيها إلى الجديدة المحتاجة إلى رجل في مثل حزمه، بينما عين للولاية على الدار البيضاء الحاج عبد الله حصار السلاوي شقيق الأمين محمد حصار المشار إليه أعلاه.

ولما أسند مولاي الحسن أمر الجديدة إلى الجرّاري قال له "إننا أعفيناك من ولاية الدار البيضاء وولّيناك على الجديدة. ولم نعزلك عنها سخطاً لسيرتك ولاهضماً لجانب خدمتك، وإنما اقتضت المصلحة تقديم الأهم فالمهم".

وذلك أن الجديدة صارت مثل الدار البيضاء قطباً ومركزاً للاستيطان الأوربي وبدأ العمران يزدهر فيها. فبعد أن كان سكانها المغاربة 2500 نسمة سنة 1872 صاروا 9000 شخص سنة 1892، مع تزايد الوافدين الأوربيين عليها بالعشرات كل سنة، وخلطتهم للمغاربة المسلمين واليهود من أجل حركتهم التجارية تصديراً واستيراداً. وكان تعيين الجرّاري عليها يقصد به تطبيق الخبرة والحنكة التي اكتسبها بالدار البيضاء على مدينة الجديدة التي أخذت تنال حظاً وافراً من الحركة العمرانية والاقتصادية.

أشير إلى العلاقات الطيبة التي كانت بين العامل الجراري والمؤرخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي صاحب *الاستقصا* الذي كان آنذاك عدلاً بمرسى الجديدة، وفيها تعرف على الجراري فأهداه ـ كما قال ابناه مَحمد وجعفر ـ أكياساً مملوءة أوراقاً أعانته على تحرير تاريخ المغرب. وقد توثقت الصداقة بين الرجلين توثقاً شديداً فنوه به الناصري واصفاً إياه بأنه "من أمثل عمال السلطان وأعقلهم وأرجحهم وأنصحهم ... ظهرت كفايته ونصيحته، وحمدت سيرته وولايته ..."

وكما وشي بالعامل الجراري في الدار البيضاء تجددت به الكتابة بالجديدة في الشهور السابقة لوفاته، وذلك أن أناساً نُعتوا بأنهم "خدام أهل الجديدة" بعثوا في 13 ربيع الثاني عام 1307 "لشريف الحضرة شكاية في 28 صفر الفارط، وجددوا، بعد البحث، على ما قبض من إيالة العامل السيد مَحمد الجراري ـ من عام 1293 إلى تاريخه ـ على وجه الظلم والتعدي وسجن ضعفائهم وأخذ مالهم باطلاً، وجعل معه ثلاثة خلفاء : ولده وابن عمه ووصيفاً يقال له بوجمعة، واشتغلوا هنا بما لايرضاه الله ورسوله، مع اليهود والنصارى. وقدرُ ما قبض من أهل البلاد وأهل النوايل وفرضة الأعياد من الغريبة والاغناضرة والامنادلة يصل سيدنا بيانُ ذلك داخله".

فما كان من السلطان إلا أن بعث هاته الرسالة إلى القائد الجراري الذي أجاب عنها بعد خمسة أيام بأن هذا من

تخرصات أولاد الشيخ يسّف الفَرْجي "ومنهم الحاج محمد ابن يسّف المحتمي بإسبانيا والناظر الحاج مَحمد ولد الحمدونية الجديدي وغيرهم ممن ذكر، وهم في حماية السويد والبرازيل والبردقيز والألمان والطليان والنجليز والدانمارك". وكان الجراري قد قبض على اثنين من أولاد الشيخ يسف القاطنين بأولاد فرج. وختم جوابه بأن ليس له إلا خليفة واحد هو ابنه عمر، ناعتاً إياه بـ"الحزم والضبط والنباهة". ولا نجد مبرراً لشكاية "خدام أهل الجديدة" سوى أنه قبل صدورها ببضعة أشهر كان قد أطلع السلطان على أحوال "أولاد الشيخ يسف السبعة المتلبسين بالحمايات، المتقلبين من دولة لأخرى، آكلي رمضان جهاراً " أنه كان في سنة 1296 / 1879 من خلال رسالة وجهها إلى برگاش اقترح أن يرفع عن المسلمين التأديب بالسوط مثلما فُعل مع اليهود، وشرح كلامه فيها أن اليهود كانوا يعاقبون بالسجن فقط، وأن المسلمين كانوا يُزجرون بالسوط والسجن معاً "ولاسبيل إلى حسم هذا الداء إلابإبطال هذا القانون من أصله، مع أنه لا أصل له، أو يرفع هذا التأديب بالضرب حتى عن المسلمين لتَحصل المساواة". وبالرغم عن هاته الحصافة الفكرية اتهمه اليهود في السنة المذكورة نفسها بأنه كان متعسفاً عليهم، فرفعت المسألة إلى السلطان فأمره بالكف عنهم.

وفي 29 جمادى الأولى عام 1307 / 21 يناير 1890 توفي مَحمد الجراري رحمه الله. ومع ذلك لم يستسلم خصومه المعلومون والمجهولون، فرفعوا بعد موته بيومين كتاباً إلى السلطان طالبين منه الإعفاء من أهل العامل المتوفى وذاكرين أن الجديدة كانت من قبل يتصرف فيها الأمناء، ثم أضيفت إلى أزمور.

ويفهم من عبارة "الإعفاء من أهل العامل المتوفى" أن ابنه عمر كان - هو أو غيره من قرابة العامل الهالك - يطمح إلى الولاية على المدينة. لكن السلطان لم يفعل، إذ عين بعد ذلك عدداً من الأمناء للقيام بشؤون المدينة، كان أولهم محمد بن العربي برادة المتوفى بالجديدة سنة 1894.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 2 : 804. 814. 280 ؛ 3 : 972. 973. 998 ؛ 4 : 1417 ؛ *ذيل الإتحاف الوجيز الجديد*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 35 ؛ 9 : 150 ؛ ل. بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء*، تعريب، ع. الخلادي ص 261 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 222 ؛ *مجلة الوثائق*، 4 : 480 ؛ 5 : 445. 446 ؛ *الوثائق الملكية* :آل برگاش ؛ *وثائق آل بنسعيد*.

J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*. Tome III, p. 18, 371.

مصطفى بوشعراء

الجرّاري، الحبيب بن علي البوسليماني السگراتي أصلاً، الجراري مسكناً وداراً. فقيه أديب صوفيّ مدرّس نفّاع. اشتغل ككاتب مترسل مع رؤساء أولاد جرّار من إد بورحيم، كالقائد عياد بن مَحمد - فتحاً - وابن عبد الله، إذ كان هؤلاء الرؤساء حريصين على ألاّ تخلو مجالسهم من العلماء والأدباء.

ألّف ابنهُ الأديب عليّ الجراري آتي الترجمة كتاباً سماه *الخصيب في آثار الحبيب*، جمع فيه رسائله وقصائده. وقد اعتمد عليه محمد المختار السوسي في الترجمة التي كتبها لهذا العالم في *المعسول*.

توفي الحبيب الجراري في 11 حجة عام 1352 / 27 مارس 1934.

علي الجراري، *الخصيب في آثار الحبيب*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 244.

الجرّاري، عليّ بن الحبيب بن علي البوسليماني السگراتي، من مؤرخي سوس في النصف الثاني من القرن الرابع عشر (20 م). نشأ في بيت علم وبيئة أدب، فحفظ القرآن وأمهات المتون. وأخذ عن أبيه الفقيه الأديب الصوفي وعن ابن عمه السيد محمد بن الطيب بن علي الجرّاري بعض فنون العلم، كالنحو واللغة والأدب والفقه، ثم ذهب لدى العلامة عبد العزيز بن محمد الأدوزي أو سيدي المحفوظ النسب بمدرسة سيدي بوعبدلي فأقام في الأخذ عنه أعواماً. ثم قفل لدارهم معيناً والده في الكتابة والرسائل لرؤساء أولاد جرّار من إدْ بُورحيم كالقائد عياد بن مَحمد - فتحاً - وابنه عبد الله. ولما تُوفي والد المترجم خلفه فيما كان قائماً به من ذلك لما لهؤلاء الرؤساء من الولوع بالعلماء والأدباء لاتخلو مجالسهم من أرباب المعارف والقوافي.

له كتاب سماه *الخصيب في آثار الحبيب*، يعني والده، نقل لبّه في *المعسول* بترجمة الممدوح ؛ وله كتاب *تحلية الطروس في آثار رجالات سوس*، كان صاحب *المعسول* يستمد منه ويعتمد عليه كما صرح به. مازال مخطوطاً مع قلة نسخه، لم يطبع لاهو ولا الخصيب.

ثم مرض المترجم مرضاً مزمناً ألزمه الفراش ما شاء الله إلى أن أسلم الروح لباريها حوالي عام 1370/ 1951.

علي الجراري، *الخصيب في آثار الحبيب*، مخطوط ؛ *تحلية الطروس في آثار رجالات سوس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 261. 262.

الرشيد المصلوت

الجرّاري، عمر المراكشي. أستاذ مقرئ أخذ القرآن برواياته في بعض مدارس رأس الوادي بسوس، ثم التحق ببلدة تامازت فأخذ بعض المتون على يد الأستاذ محمد بن عبد الملك، ومنها التحق بمدرسة السعادات في قبيلة أبي السباع، فدرس عند السيد العربي السباعي وتاقت نفسه إلى الاستزادة من العلم فشد الرحال إلى مدينة مراكش،

وهناك التقى بالشيخ أبي شعيب الدكالي الذي حفزه للذهاب إلى الأزهر الذي التحق به سنة 1933، فأخذ عن شيوخ الأزهر التفسير والحديث والتجويد والقراءات وبعض الفنون.

وفي سنة 1339 / 1920 رجع إلى المغرب، فمر بالشيخ أبي شعيب الدكالي بالرباط، وهو إذ ذاك وزير العدلية، فكتب له رسالة إلى بعض المراكشيين يوصيه به خيراً. وكان رحمه الله لايزال محافظاً على لباسه المشرقي، مما أثار إعجاب الناس الذين أقبلوا عليه إقبالاً في دروسه التفسيرية والحديثية مناوبة بين العشاءين في مسجد سيدي عبد العزيز. ثم انتقل للزاوية النظيفية بطلب من الشيخ النظيفي، لكن الفقيه الجراري المتشبع بالروح السلفية، لم يرقه ما شاهده في الزاوية من تصرفات تسيء إلى الدين في نظره، فصدرت منه انتقادات وندد يوماً على المنبر بتقديم الورْد على الحزب الراتب بعد المغرب، فكان ذلك أحد الأسباب التي أخرج بها من الزاوية.

فتح دروساً أخرى بالجامعة اليوسفية. وكان يلقيها بلهجة لا هي مغربية ولا هي مصرية، بل مزيج بينهما. لقد أقبل على التدريس والوعظ فترة زمنية أحس بعدها بأنه محتاج إلى مورد للرزق، فاشتغل بالتجارة من غير استنكاف، فقايض في أحد فنادق "ثلاثة فحور" في تجارة السكر، انتقل بعدها إلى اتخاذ سيارة لنقل البضائع والركاب بالأجرة. ثم تولى قضاء أمزميز ما يقرب من سنتين، كان فيها مثال النزاهة والعفة، ثم بدا له أن يتخلى عن مهمة القضاء، فرجع إلى مدينة مراكش، واشترى دارين يتبلّغ من كرائهما بالاقتصاد، واختار الانزواء عن الناس، وقلما يرى في المجتمع، حتى إنه ربما يترك التدريس بين العشاءين في مسجد سيدي بوعمرو القسطلي بروض العروس، الذي صار يدرس فيه منذ سكن هذا الحي بعد رجوعه من أمزميز.

توفي رحمه الله بمراكش عام 1364 / 1944 تاركا *فهرسة* لاتزال مخطوطة.

عمر الجراري نفسه، *فهرسة : روايات شفوية* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 8 : 144.

أحمد متفكر

الجرّاري، مَحمد بن مهدي الدرعي، نسبة إلى قبيلة أولاد جرّار المعقلية بسوس (*المعسول*، 19 : 148) هاجر والده ضمن جماعة إلى وادي درعة خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع (15 م) ورغم أن المصادر لم تسعفنا بأي إشارة عن مكان مهجر المهدي الجّراري بواحات درعة، وهل كان من العلماء أو من عامة الناس، فإننا نعتقد أنه استوطن واحة فزواطة من درعة الوسطى، ذلك أن هذه الواحة قد استقبلت في نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العاشر الهجريين (نهاية ق 15 ومطلع 16م)، عدداً من علماء جزولة، لما كانت تموج به من مدارس علمية بجهات تاگمادارت وتامگروت وتافگروت ببني علي بسافلة فزواطة. وفي نفس الوقت كانت زوايا هذه الواحة تهتز بحلقات الذكر التي كان يعقدها مريدو وأتباع الطريقة الجزولية. ناهيك بأن واحة فزواطة، كانت آنذاك تعيش إرهاص ميلاد الإمارة السعدية، حيث كان محمد بن عبد الرحمان الزيداني (محمد القائم بأمر الله) عالم تاگمادارت وأحد أتباع الطريقة الجزولية البارزين بها، يكثر من ذكر المبشرات بالملك في مجالسه الخاصة، وأنه سيكون من نصيب أبنائه.

في هذا الجو المفعم بمجالس العلم وحلقات الذكر، ولد مَحمد بن مهدي الجرّاري بإحدى زوايا واحة فزواطة في العشر الأواخر من ذي الحجة عام 902 / غشت 1497. لا نكاد نعرف شيئاً عن تعليمه الأوّلي. وعلى يد من تلقى مبادئ القراءة والكتابة.

وبعد هذه المرحلة، نجد مَحمد بن مهدي طالباً للعلم بالزاوية البكرية، فلزم فحل الأسرة البكرية، وأحد علمائها العاملين، مَحمد بن علي البكري، حتى تخرج عليه متبحراً في جل العلوم اللغوية والشرعية.

يبدو أن نباهة مَحمد بن مهدي وجديته في التحصيل هي التي جعلت شيخه البكري ينتدبه مدرساً إلى جانبه. وبعدما ثبتت العائلة السعدية أقدامها في الحكم، انتدب بعض سلاطينها علماء الزاوية البكرية لبعض المهام التعليمية، ومنهم شيخ الجراري (*حضارة وادي درعة*، 138)، فانتقل من الزاوية البكرية بفزواطة إلى واحة ترناتة، حيث أقطعه عبد الله أو عياد، أحد قواد السعديين، جملة من الأراضي بالواد الميت وسط ترناتة، فاستصلح الجراري هذه الأراضي؛ وأقام بها زاوية علمية لاتزال تعرف إلى اليوم بزاوية ابن مهدي.

كانت شهرة الجرّاري قد تجاوزت حدود بلاد درعة إلى ما جاورها، لذلك ما كاد ينتهي من بناء زاويته بترناتة حتى أضحت كعبة لطلاب العلم من سوس وتافيلالت والصحراء وبلاد السوادان، ناهيك عن طلبة وادي درعة.

تجرد ابن المهدي الجرّاري لنشر العلم بزاويته وكانت له نية خالصة في إفادة المتعلمين، وقابلية عجيبة في التدريس (*الحركة*، 2 : 534). فانتفع به خلق كثير ممن قرأ عليه لحسن خلقه وسلامة طويته على حد تعبير تلميذه عبد الواحد السجلماسي. كانت الدراسة بهذه الزاوية تنطلق مع التباشير الأولى للفجر وتستمر على ساق الجد إلى مابعد العتمة، وهي عادة كانت سائدة بالمراكز العلمية في الجنوب المغربي من سوس غرباً إلى تافيلالت شرقاً مروراً بوادي درعة (*مدارس سوس*، 14-15) وكان التلاميذ والطلبة يتلقون دروساً في مختلف العلوم التي تدرس بالزاوية، كل حسب مستواه ومداركه العقلية، تحت نظر الشيخ ابن مهدي

مباشرة، أو تحت نظر من يساعده من كبار الطلبة والعلماء النازلين بالزاوية.

كانت لمحمد بن مهدي الجراري طريقة خاصة في التدريس، تعتمد على أسس ثلاث لخصها عبد الواحد السجلماسي بقوله "وسيرته في الإقراء تصحيح المتن وحل المشكل وإيضاح المقفل ... وزيادة غيرها ضررها بالمتعلم أكثر من نفعها" (*الدرر المرصعة*، 254) وهذا الأسلوب التعليمي في إفادة المتعلمين هو الذي جعل بعض الباحثين يرى أن الجراري، قد نظّر لمدرسة تعليمية هي مدرسة الجنوب (*الحركة*، 1 : 95). وقد انتشر هذا الأسلوب التعليمي المبسط مع أفواج المتخرجين من زاوية الشيخ الجراري بمدارس درعة وتافيلالت وسوس ومراكش.

يتضح من خلال أسماء الكتب المعتمدة للتدريس بزاوية الشيخ الجراري، والتي سطرها عبد الواحد بن أحمد السجلماسي في *فهرسته* أن العلوم التي كانت تدرس بزاوية الشيخ الجرّاري، لا تختلف في جوهرها عمّا كان يُلقن بمختلف جهات المغرب وخاصة بمدارس فاس ومراكش وتارودانت. وهكذا كان الشيخ الجرّاري يلقى دروسا عالية في التفسير بابن عطية وفي الفقه والتوحيد *بمختصر ابن الحاجب ومختصر خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني والتهذيب للبرادعي وصغرى السنوسي*، وفي الحديث النبوي *بصحيح البخاري والأربعين النووية*، وفي المواريث *بأرجوزتي* التلمساني والونشريسي، وفي العروض *بقصيدة الخزرجية*، وفي النحو *بالمغني* لابن هشام *وقوانين* ابن أبي الربيع *والألفية واللامية* لابن مالك.

ونظراً لكون الشيخ الجرّاري يعتبر من السالكين لطريق القوم فقد كان يهذب نفوس طلبته بإلقاء دروس رفيعة المتسوى في التصوف *بالحكم* لابن عطاء الله وكتاب *التشوف* للتادلي *وكنز الأسرار* للزموري.

وقد تخرج على يد الشيخ ابن مهدي جمٌّ غفير من العلماء الأفذاذ بدرعة منهم أحمد ادفال الأكتاوي، وقد أجازه الشيخ الجرّاري إجازة عامة (*الإعلام*، 2 : 294) ورئيس الفقهاء والفضلاء في زمانه عبد الله ابن مسعود التافكروتي (*الدرر المرصعة*، 194) ومن سجلماسة عبد الواحد بن أحمد الشريف الحسني، وقد أهله علمه لمنصب الفتوى بمراكش والتدريس بجامع الأشراف بنفس المدينة على عهد السلطان أحمد المنصور السعدي (*الحركة*، 2 : 407) واعترافا منه بفضل شيخه الجرّاري في تكوينه كتب له ترجمة حافلة في فهرسته التي لاتزال إلى اليوم أهم مصدر عن حياة هذا الشيخ.

وقد تعدد السوسيون المتخرجون عن الشيخ الجرّاري ومن أبرزهم سعيد بن علي الهوزالي الذي كان في وقت ما الساعد الايمن للشيخ في القيام بمهام التدريس بالزاوية، وتولى قضاء تارودانت في عهد السلطان عبد الله الغالب، ولم يلهه القضاء عن التدريس فكان يلقى دروساً في مختلف العلوم بالمسجد الأعظم بتارودانت إلى أن وافته المنية في مطلع القرن الحادي عشر (17 م).

وبالرغم على أن الشيخ الجرّاري لم يغادر درعة فإن عدداً من العلماء المعاصرين له أجازوه، فممن أجازه إجازة عامة مطلقة من المغاربة، إمام المحدثين في وقته عبد الرحمان سقين السفياني وإمام المعقول والمنقول أبو عبد الله محمد خروف التونسي دفين مدينة فاس (*فهرس الفهارس*، 1 : 375). وأجازه من المشارقة ناصر الدين بن حسن اللقاني المالكي، وناصر الدين الطبلاوي الشافعي، والعلامة أحمد ابن حمزة الرملي الأنصاري (*الدرر المرصعة*، 255)، وتتفق جل المصادر التي أرخت لحياة الشيخ ابن مهدي الجرّاري على القول بأنه أفنى حياته في تعلم العلم وتعليمه وبذله لعباد الله، وكان مواظباً على أوراده وأذكاره مقبلاً على ربه معرضاً عن الدنيا، رافضاً صلات ولاة عصره.

للشيخ ابن مهدي الجرّاري *شرح لطيف لغريب قطرب*، وقد طبع هذا الكتيب مؤخراً بعناية أحد الباحثين ونشر ضمن سلسلة تراث التأليف اللغوي بالمغرب. وقد أسلم الشيخ الجرّاري الروح لباريها يوم 22 جمادى الأولى عام 979 / 12 أكتوبر 1571 ودفن بزاويته بالواد الميت شرق مدينة زاگورة الحالية.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مخطوط ؛ م. التمنرگالي، *العقود الجوهرية*، مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، ج. 2، الرباط 1974 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إحسان عباس، بيروت، 1982 ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، الطبعة 2 ـ البيضاء، 1984 ؛ م. المنوني، *حضارة وادي درعة، دعوة الحق*، 2، 1973 ؛ م. محمد حجي، *الحركة الفكرية*، فضالة، 1977 ـ 1978.

أحمد البوزيدي

الجَرّاري، يحيى بن عبد الله بن مسعود البكري السوسي، سليل بيت علم وتصوف ؛ جدّه مسعود من تلامذة الشيخ مَحمد بن أبي بكر الدلائي. وأما هو فقد قضى حياته في مجالس العلم طالباً وأستاذاً داخل المراكز العلمية بالمغرب لتحصيل المعارف وأسانيد الطرق الصوفية ولقاء المشايخ واستجازتهم. وقد أمد الله في عمره حتى صار يعدّ من المعمّرين، فأخذ وأعطى وانتهى به مطافه العلمي إلى مدينة فاس، وبها أجاز الشيخ محمد التهامي ابن رحمون وولديه برواية فهرسته المسماة *ضوء المصباح في الاسانيد الصحاح*، وأجاز أيضاً الشيخ عبد القادر بن أحمد الكوهن برواية *دلائل الخيرات*. وقد تساءل عبد الحي الكتاني عن سبب إقتصار الكوهن على هذا الكتاب مع ان الجراري له باع طويل في مختلف العلوم. وأما اهتمامه بالمجال الصوفي فيتجلى في أسانيد الطرق الصوفية التي حصل عليها ومنها سند الطريقة القادرية إجازة من الشيخ

المختار الكنتي، وسند الطريقة الوزانية عن الشيخ مولاي أحمد بن مولاي الطيب الوزاني المتوفي سنة 1194.

ورغم أن الشيخ يحيى الجراري عاش فترة طويلة فلم تصلنا من مؤلفاته إلا الفهرسة المذكورة التي تكمن أهميتها في إلقاء الضوء على الحركة العلمية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 . 19 م). أول أسانيده فيها القرآن الكريم ثم السير والمغازي، ثم التوحيد والفقه والنحو والمنطق والبيان والأدب والعروض والتصوف. وقد أورد فيها أسماء شيوخه الخمسة عشر الذين أجازوه إجازة عامة، منهم والده عبد الله والشيخ محمد بن يحي الشبي الأزاريفي الحامدي والمختار الكنتي وأحمد الغربي الرباطي.

توفي عام 1344 / 1925.

ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، المجلد الأول والثاني ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 2 : 305 ؛ *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2570 ؛ خ. الزركلي، *الإعلام*، 9 : 192.

محمد ماكامان

الجَرّاوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الغفجومي، ينتسب إلى قبيلة جراوة الزناتية، وهو من "بني غفجوم بطن من القبيلة المذكورة، وإن لم يشتهر بالنسبة إلى هذا البطن، وكان محلهم بتادلا".

ولد على ما يرجَّح بتادلا ودرس بها ثم بمراكش وفاس وبالأندلس، حيث أخذ عن بعض علمائها كأبي الفضل بن الأعلم، وأبي العباس ابن سيد المعروف باللص.

اشتهر الجراوي بنظم الشعر وروايته، حلاّه ابن الأبار بقوله : "كان عالماً بالآداب، حافظا، بليغ اللسان، شاعراً مفلقاً، وقد وقفت على ديوان شعره، وألف للسلطان كتاباً في معنى الحماسة لحبيب سماه *صفوة الأدب ونخبة كلام العرب* وكان شيخنا أبو الحسن سهل بن مالك يثني على هذا التأليف".

وقال عنه ابن خلكان في ترجمة السلطان يوسف بن عبد المومن : "وكان هذا الأديب - أي الجراوي - نهاية في حفظ الأشعار القديمة والمحدثة، وتقدم في هذا الشأن، وجالس به عبد المومن، ثم ولده يوسف ثم ولده يعقوب" وذلك ما أكّده ابن سعيد : "ومن شيوخ أدباء المغرب، رزق طول العمر والجاه، ومجالسة الخلفاء، فأول من جالسه منهم عبد المومن، ثم جالس أبا يعقوب، ثم جالس المنصور، وصنف له كتاب *صفوة الأدب* المشهور بحماسة الگورائي".

حظي الجراوي بمكانة رفيعة لدى الخلفاء الموحدين، فهو شاعر بني عبد المومن، مدحهم في أكثر من مناسبة، وقد بلغت قصائد مدحه لهم سبعاً وثلاثين قصيدة، تنتظم في ثلاثة وخمسمائة بيت، إضافة إلى أشعار هجائية انتظمت في مقطوعات وقصائد، كما أن له مقطوعات في الشكوى تشير إلى محنته في آخر أيامه بعد أن كان مقدماً عند الخليفة عبد المومن، فنقل عنه ابن سعيد قوله : "تعساً لطول العمر الذي أخّرني لمعاشرة هؤلاء الأنذال ! وعهدي بالخليفة عبد المومن يقول لي في جبل الفتح : "يا أبا العباس ! إنّا نباهي بك أهل الأندلس". من غرر شعره في مدح السلطان يعقوب المنصور الموحدي داليته التي مطلعها :

أدركت آمال الشريعة في الفدا وتركت نظم جموعهم متبدّدا

اهتم بجمع شعر الجراوي بعد أن ضاع *ديوانه* الأستاذ محمد الفاسي في كتابه *شاعر الخلافة الموحدية*، ومحمد بن تاويت في كتابه *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، وحسن الشبيهي في كتابه *أبو العباس الجراوي شاعر الموحدين*، وأخيراً علي كردي في كتابه *ديوان الجراوي*، وقد اعتمد هؤلاء جميعا على نقول وردت في كتب التاريخ والتراجم والأدب في فترات متقاربة.

وتذكر المصادر أن الجراوي ألف للخليفة يعقوب المنصور الموحدي كتاباً سماه "*صفوة الأدب ونخبة كلام العرب*" وعُرف بالحماسة المغربية، نهج فيه نهج أبي تمام في حماسته، واختصره بأمر من الخليفة وسماه *مختصر صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب*. وصفه ابن خلكان بأنه "مجموع مليح أحسن في اختياره كل الإحسان". ولا يعرف اليوم من هذا الكتاب إلاّ نسخة خطية محفوظة بمكتبة الفاتح بتركيا، وعنها حققه محمد رضوان الداية، وصدر في جزءين.

وقد رتب الجراوي موضوعات كتابه في أبواب المدح والفخر والمراثي والنسيب والأوصاف والأمثال والحكم والملح وذم النقائص والزهد والمواعظ. وصنّف اختياراته في كل باب مرتبة ترتيباً زمنياً، وبدأ في كل باب بشعراء المشرق ثم بشعراء المغرب والأندلس.

ويرى عبد الله گنون، بعد أن اطلع على *مقدمة الصفوة* أن الجراوي "كان ذا عارضة قوية، وملكة متصرفة في أغراض الشعر، جريئاً على النقد، مرصداً للشعراء، يأخذ عليهم الفلتات، ولا يُقيل لهم عثرة، مع أن هذا مختصر الكتاب، فما ظنك بالأصل".

أمّا عن شعره، فيقول الأستاذ گنون : "كان شاعراً مفلقاً، حسن البديهة، بليغ القول، مداحاً هجاء، متصرفاً في غير ذلك من الفنون، وكان كثير المحفوظ من الشعر، بصيراً بجيّده، مستظهراً بذلك على شعراء وقته، كثير الغضّ مما يأتون به، ولو كان في أعلى طبقة، متعرضاً بذلك لهجومهم وتحاملهم عليه، ولكنه لا يبالي بشيء، ولا يخشى من أحد".

أقحم الجراوي في شعره عقيدة الموحدين وتعاليم ابن تومرت، مستعملاً مصطلحاتهم وعباراتهم في مدحياته، فالخليفة الممدوح مهدي، وهو عزّ الدين وإمام الهدى.

لقد شكّلت الواجهة الدينية عنصراً أساسياً في أمداح الجراوي، فاتخذها منطلقاً لمبادئ آمن بها وردّدها في شعره، باعتبار المذهب الموحدي استمراراً للفضائل الإسلامية وامتداداً للرسالة النبوية، ومن ثمّ، فهو من شعراء الدولة

الموحدية المقدمين، المنتصرين لمبادئها، المدافعين عن عقيدتها، وهو كما معتقه أبو بحر صفوان ابن إدريس : "شاعر الخلافة" دون منازع.

تضاربت الأقوال حول سنة وفاته، فذكر ابن سعيد أنه توفي سنة 603 هـ، وابن خلكان سنة 595 هـ، وابن الأبار سنة 609 هـ. وزاد في *الإعلام* "أن وفاته كانت بإشبيلية يوم 27 صفر سنة 609 هـ، ونُقل إلى مراكش، فدفن خارج باب الدباغين".

ابن سعيد، *الغصون اليانعة*، 98، 100 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، 1 : 158 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 7 : 239 ؛ ابن صفوان، *زاد المسافر*، 49 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 115 ؛ ع. گنون، *ذكريات مشاهير المغرب*، عدد 6 ؛ م. الفاسي، *الجراوي شاعر الخلافة الموحدية* ؛ الشبيهي حسني، *الجراوي شاعر الموحدين* ؛ علي كردي، *ديوان الجراوي* ؛ م. ابن تاويت، *الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى*، 1 : 116 ؛ كلية آداب بني ملال، *ندوة الجراوي* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ق، تح. الكتاني وابن تاويت ؛ ت. المريني، *ملحوظات حول الحماسة المغربية والبيانية*، نشر في ندوة أعمال تادلا، المجال، التاريخ الثقافة، مجلة كلية آداب بني ملال، 349.

نجاة المريني

الجَرَّايْ، بمناطق الواحات المغربية، هو الذي يسهر على تنظيم عمليات توزيع الماء والإشراف على السواقي وصيانتها. وقد تطور مدلول اللفظ عند قبائل القصور، فبات يطلق على الشخص الذي يتم اختياره، ضمن جماعة القبيلة إلى جانب الشيخ، ليمثل عظمه أو فخذته تبعاً لأعراف وتقاليد القبائل بالواحات. ويأتي هذا التداخل بين وظيفة الجَرَّايْ الأصلية واللاحقة من كونه يتم اختياره وانتخابه في كلتا الحالتين لرجاحة عقله وحرصه على الأمانة والمسؤولية ومراعاة شؤون الجماعة التي اختارته.

ويحمل الجَرَّايْ عند قبائل أيت عطّا اسم المَزْرَاگْ، وعند أولاد يحيى اسم "الزَّازي" *(وثائق محلية)*. وقد يحمل عند بعض القبائل الأخرى اسم الرَّفَّاد أو الضامن إلى غير ذلك من الألفاظ التي تنطوي على معنى التكفل والالتزام بما تقرره الجماعة وشيخ القبيلة.

يتم اختيار الجَرَّايْ، تبعاً لأعراف وتقاليد هذه القبيلة أو تلك على رأس كل سنة أو كل سنتين مع تجديد أعضاء الجماعة والشيخ، حيث تحدد الشروط والضوابط العرفية التي تنظم العلاقات الداخلية بين مختلف "العظام" التي تتشكل منها قبيلة القصر.

تنحصر وظيفة الجَرَّايْ، بعد اختياره ضمن جماعة القبيلة، في السهر مع رفقائه على المصالح العامة لقبيلة القصر (القرية في الواحة) والدفاع عن مصالح عظمه أو فخذته أمام الجماعة والشيخ، وضمان تنفيذ قرارت الجماعة طبقا للضوابط العرفية للقبيلة. وفي عهد الاحتلال، حرصت سلطة الجماعة على التغيير التدريجي للهياكل السياسية عند قبائل القصور، فألغت العمل بالضوابط العرفية، ومنصب الشيخ عند كل قبيلة، وسمحت لكل قبيلة باختيار "أعيانها"، ومن بين هؤلاء الأعيان يتم اختيار الجَرَّايْ بإرادة ضابط الشؤون الأهلية أو القائد. ومن هنا نلاحظ التطور الذي طرأ على وظيفة الجَرَّايْ، فبعد أن كان مسؤولاً أمام عظمه أو فخذته أصبح في عهد الحماية مسؤولاً أمام ضابط الشؤون الأهلية، كما أن مدة تمثيليته لم تعد محدودة في سنة أو سنتين بل قد تمتد طيلة حياته، وقد يتوارث أبناؤه منصبه. وانطلاقاً من موقعه القريب من سلطة الحماية ومن في ركابها من قواد وخلفاء، باتت وظيفة الجَرَّايْ أمْنية بحتة، فهو "عين وأُذن المخزن" في القبيلة، وهو المسؤول عما يقع فيها من أحداث. وأضحى يتمتع بنفوذ واسع يسجن من يشاء ويسرح من يشاء. وبعد الاستقلال، ظل دور الجَرَّايْ على ما هو عليه في عهد الحماية، وقد استبدل اسم الجَرَّايْ في الوثائق الرسمية الحديثة وأصبح يعرف "بالمقدم" أو عون السلطة، وسمح له هذا الاسم الجديد بتوسيع مجال نفوذه وتعزيز مركزه في الأوساط القبلية بالجنوب.

أ. البوزيدي، *التاريخ الاجتماعي لدرعة*، البيضاء، 1994 ؛ كرزابي مبارك، *الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لدرعة الوسطى*، 1932، 1956، بحث لنيل الإجازة من كلية الآداب أگادير، 1990 ؛ *وثائق محلية* في صورة الكاتب.

G. Spillmann, *Les pays inaccessibles du Haut Draa*, *R.G.M.* n° 2, 1929.

أحمد البوزيدي

الجرسيفي ← الگرسيفي

الجرف الأخضر، يطلق هذا الاسم على جبل قليل الارتفاع شمال شرق المغرب، له جانب يمتدّ عمودياً من القمّة إلى القاعدة. وسمّي بالأخضر نظراً لكونه يوجد في منطقة خضراء تحاذيها غابة من الصنوبر، وبأسفله توجد سهول تمتدّ عبر وادي إسلي.

يُطلّ الجرف الأخضر على نهر إسلي، من أجل ذلك يشكل نقطة استراتيجية هامّة لعبت دوراً حاسما في معركة إسلي يوم 29 رجب عام 1260 / 14 غشت 1844 بين القوات الفرنسية القادمة من الجزائر وبين القوات المغربية التي كان يقودها محمد بن السلطان مولاي عبد الرحمان.

J. Dresch - Joly F., *Géographie du Maroc* ; L. Voinot, *Oujda et l'Amalat*.

أحمد بنجلون

الجرف الأصفر - تاريخ - كان الأوربيون يسمونه الجرف الأبيض Cap Blanc. يقع على بعد سبعة عشر

كيلومتراً جنوب مدينة الجديدة. وكان هذا الجرف، قبل تحويله إلى ميناء، منتزها من أجمل المنتزهات، يقصده الزوار من كل مكان، لأنه بالإضافة إلى كونه يشرف على البحر، كان كذلك يُطل على غابة ملتفة الأشجار تجري بها عين ماء عذبة تحمل اسم عين السراحنة.

ويظن بعض الكتاب أن القرطاجي حنون توقف في هذا المكان في القرن السادس قبل الميلاد لإقامة معبد به، غير أن هذه الرواية بعيدة الاحتمال حيث إن الوصف الطوبوغرافي الذي أعطاه حنون لا ينطبق على الجرف الأصفر، وإنما على رأس القنط Cap Cantin، هذا بالإضافة إلى أنه لاوجود حالياً لأي أثر للمعبد المذكور بالجرف الأصفر.

وبالرغم على الأعمال الجبارة الحديثة التي غيّرت منظر الجرف الأصفر الجميل وحولته إلى ميناء عظيم وإلى منطقة صناعية لمادة الفوسفاط، فإن قرية صغيرة تحمل اسم "دوار الرّقّاصة" مازالت قائمة فوق هذا الجرف، على الطريق الذاهبة من الجديدة إلى الوليدية. كانت تحف بهذه القرية إلى عهد قريب بعض أشجار أرگان، مما يبعث على الظن أن غابة أرگان كانت تصل في القديم إلى دكالة وتغطي بعض أجزائها.

ويقول سكان هذه الناحية القدامى إن عين الماء المذكورة كانت تسمى "عين السراحنة" لأنها كانت مورداً لأسراب الخيول التي تتوارد عليها كل يوم، وقد تكون هذه الخيول هي تلك التي كان الرّقّاصة من الدوار المذكور ينقلون عليها البريد من مدينة الجديدة، بعد أن أصبحت ميناء مُهمّاً، إلى عاصمتي المغرب فاس ومراكش وإلى طنجة، مَقرّ المفوضيات الأوربيّة.

م. الشياظمي، *حسن الدلالة على ما انقرض من حواضر دكالة*، مخطوط.

J. Goulven, *Le Cercle des Doukkala*.

محمد الشياظمي

* * من الناحية الجغرافية، تكون الجرف الأصفر في أواسط الزمن الجيولوجي الرابع نتيجة انتهاض عرفته الطبيعية، ككل، الشيء الذي أدى إلى تعمق التعرية الساحلية وبالتالي إلى نحت الشاطئ، فاعطتنا جرفا تعلوه كثبان شاطئية متصلبة متضمنة اصدافا بحرية مختلفة، وتحيط به شواطئ شبه صخرية ونميز فيه بين :

- الجرف الميت في الجنوب من الجرف الاصفر، في اتجاه أسفي
- الجرف الحي في الشمال في اتجاه الجديدة

ميناء الجرف الأصفر حديث النشأة لم يفتتح للملاحة البحرية إلا في سنة 1982، وهو متخصص في الفوسفاط ومشتقاته، مجهز بشكل يجعله مفتوحا في وجه الملاحة البحرية على اختلاف أصنافها، ويمكنه استقبال السفن في أي وقت. وهو أول ميناء وطني من حيث الأعماق المائية المهمة التي تصل إلى 16 متر وتسمح باستقبال السفن العملاقة التي تصل حمولتها إلى 120.000 طن.

ولهذا الجرف الطبيعي مميزات خولت له حماية المنطقة البحرية من الرياح والعواصف من الجنوب الغربي، أضيفت إليها تجهيزات ومنشآت جديدة أصبحت تميز ميناء الجرف الأصفر، يمكن أن نوجزها في العناصر التالية :

- تبلغ مساحة الميناء 340 هكتارا، منها :

200 هكتار عبارة عن حوض مائي محمي، يقيه حاجز رئيسي طوله 3100 م وآخر عرضي بطول 1250 م.

110 هكتار من المسطحات مجهزة بالماء والكهرباء وشبكة التطهير والطرق. 30 هكتار عبارة عن منطقة إضافية.

- يتوفر الميناء على أرصفة بطول 1955 م، مع تفاوت في طول مراكز الرسو، وهي موزعة على :

الرصيف التجاري ويشمل المراكز 13،10 ومركز رو - رو.

رصيف المعادن والفوسفاط ويشمل المراكز من 1 إلى 9.

- يتوفر الميناء على ممر يسع أكثر من 100 طن لمناولة وتفريغ البواخر.

- وهناك ميناء للصيد تصل مساحته إلى 52.000 $م^2$، يتوفر على سوق للسمك مساحته 960 $م^2$، ومصنع للثلج.

- تضاف إلى هذا منطقة مجهزة لاحتضان ورش بحري ذي حجم دولي لبناء واصلاح السفن. وهذه كلها تجهيزات تجعل الطاقة الاستيعابية لميناء الجرف الأصفر تصل إلى 50 مليون طن. لكن الميناء لا يعالج، حالياً، إلا حوالي 5،5 مليون طن، وذلك مرتبط بتخصص الميناء في الفوسفاط. فتزايد الطلب العالمي على هذه المادة ومشتقاتها وتوسيع استغلال الثروات المعدنية الوطنية وعدم مسايرة مينائي الدار البيضاء وأسفي لهذه الحركة، ومن أجل مسايرة الاتجاه العالمي في استعمال السفن العملاقة (للتخفيض من تكاليف النقل)، كان من الضروري إنشاء ميناء جديد يتوفر على أعماق مياه مهمة، ويتميز بموقع وسط بالنسبة لأهم مناجم الفوسفاط بالمغرب وبالقرب من مينائي أسفي والبيضاء، فوقع اختيار موضع الجرف الأصفر.

هكذا، إذن، جاء بناء ميناء الجرف الأصفر كدعامة أساسية للنقل البحري ومتنفس جديد للموانئ المغربية خصوصا البيضاء والمحمدية وأسفي، وما فتيء الحجم الاجمالي للرواج التجاري يتطور منذ افتتاح هذا الميناء أمام الملاحة سنة 1982.

السنة	1982	1983	1984	1985	1986	1987	1988
الرواج (بالطن)	74263	305867	493479	106241	1501481	2673931	6699865

السنة	1989	1990	1991	1992	1993	1994
الرواج (بالطن)	4852763	5645855	4764677	5132924	5607956	5567070

غير أن هذا لا يخفي عنا حقيقة كون هذا الميناء ميناء معدنياً بالدرجة الأولى متخصص في تصدير الفوسفاط والحامض الفوسفوري واستيراد المواد الضرورية لتحويل الفوسفاط.

البضاعة / السنوات	1990	1991	1992	1993	1994
1 ـ الصادرات :					
الحامض الفوسفوري	950.106	1.042.117	1.114.247	1.110.598	1.418.812
الاسمدة	1.798.275	1.587.473	1.383.362	1.794.998	1.210.034
الفوسفاط	737.768	128.696	552.727	408.074	802.181
2 ـ الواردات :					
الكبريت	1.677.168	1.322.598	1.426.145	1.433.998	1.450.240
الأمونياك	405.260	384.203	312.468	456.538	290.613
الفحم	-	57.585	18.303	34.050	297.481
الغاز	32.263	36.066	53.795	58.095	60.217
الحبوب	-	107.873	186.872	256.743	5.250
مختلفات (صاد + وار)	45.015	98.066	85.005	54.862	32.242
المجموع	5.645.855	4.764.677	5.132.924	5.607.956	5.567.070

تطور بنية الرواج التجاري بميناء الجرف الأصفر
ما بين 1990 و1994 (بالطن)

ومن المعلوم أن الموارد الفوسفاطية بالمغرب تشكل 3 / 4 الاحتياطي العالمي. وبفعل الاستغلال المتواصل لهذه الثروة يعتبر المغرب أول مصدر عالمي للفوسفاط وهو يطمح إلى تدعيم دوره المتميز في التجارة العالمية للفوسفاط. وقد وظفت لهذه الغاية استثمارات هائلة من قبل المكتب الشريف للفوسفاط الذي يهدف إلى رفع الإنتاج السنوي من الفوسفاط إلى 60 مليون طن في حدود سنة 2000.

غير أن هناك شقاً آخر من هذه الخطة المرسومة والمتمثل في إقامة وحدات صناعية لتحويل الفوسفاط محليا والرفع من قيمته، وهذا ما يفسر ميلاد قطب للتنمية بالجرف الأصفر يحتوي بالإضافة إلى الميناء الكبير على مؤسسات للصناعة الكيماوية والمعروفة تحت اسم مغرب فوسفور 3 و4.

وهذا الدور المعدني الذي يلعبه الجرف الأصفر تأكد مع مشروع بناء أكبر محطة حرارية بالمغرب ومع مشروع توسيع المركبات الكيماوية المرتبطة بالفوسفاط (والمقصود هو مشروع بناء مركب جديد لتصفية الحامض الفوسفوري في إطار الشراكة المغربية البلجيكية والذي قدرت تكاليف إقامته بـ 50 مليون دولار أمريكي).

غير أن التجهيزات التي يحتضنها الميناء والموقع المهم الذي يحتله وسط المغرب الأطلنطي وقربه من العاصمة الاقتصادية لم يكن لها تأثير فعّال في تطور هذا القطب وبالتالي فنحن أمام ميناء واستثمارات غير مستغلة بالشكل المطلوب. وهذا ما جعل المسؤولين يفكرون في عدة حلول منها إقامة منطقة دولية حرة، وإقامة وتجهيز منطقة

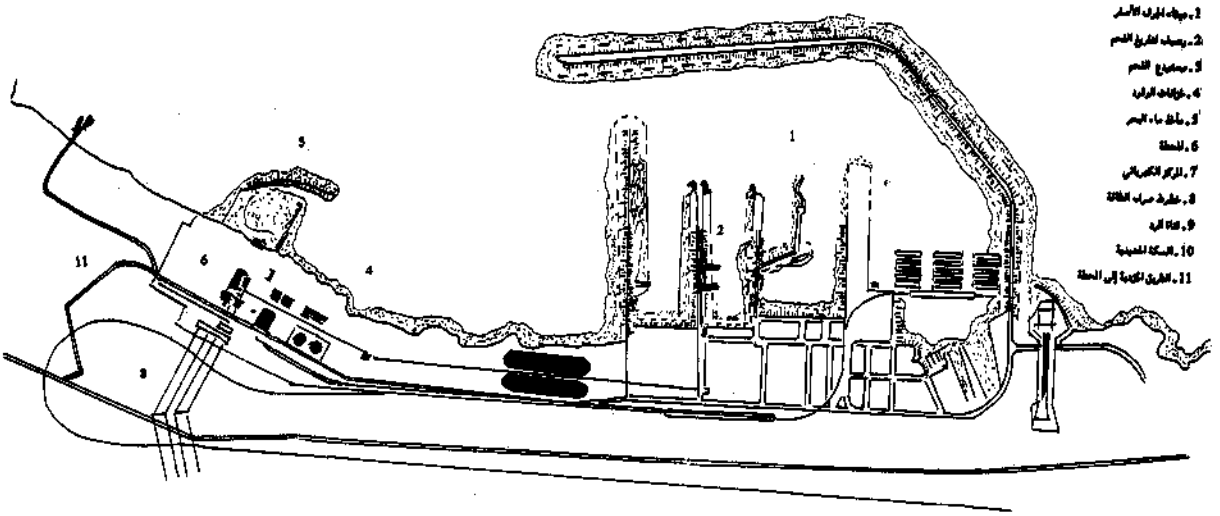

الجرف الأصفر

صناعية لاستقبال الاستثمارات الأجنبية. وتبلغ مساحة المنطقة الصناعية للجرف الأصفر 145 هكتارا سيتم تجهيزها قريبا من طرف الخواص، بعد أن تحسم عملية اقتناء الأراضي التي قام بها مكتب استغلال الموانئ.

تحريات ميدانية واستطلاعات : تقارير غير منشورة لمكتب استغلال الموانئ ODEP.

إسماعيل خياطي

جرف الملحة (اثنين -)، بلدة تقع على الطريق الرابطة بين مدينتي فاس ووزان وتفصلها عن نهر ورغة جنوباً ثلاثة كيلومترات. البلدة تابعة لإقليم سيدي قاسم، بعيدة عن عاصمة الإقليم بنحو مائة كيلومتر. يُقام فيها سوق أسبوعي يوم الاثنين.

تحريات خاصة.

المختار بلعربي

أولاد **جرمون**، أسرة عربية نابهة في قبيلة سفيان وجُشم الهلالية، قامت بأدوار سياسية على عهد الموحدين والمرينيين، وكان رؤساؤها الأولون يسمون جرمون، فنسب إليهم أبناؤهم وأحفادهم ودُعوا "أولاد جرمون" أو "الجرامنة"، وتسلسلت الرآسة فيهم طيلة فترة حكم الموحدين والمرينيين (انظر مادة جشم).

ثم تراجع نفوذ الجرامنة أصحاب الزعامة في عرب سفيان في العهد المريني بوفاة مسعود بن كانون. وعلا كعب منافسيهم من بني المهلهل أصهار المرينيين شيوخ عرب الخلط. لكن زعامة قومهم استمرت فيهم حتى بعد تراجع عزتهم لدى السلاطين من بني عبد الحق. ذكر ابن خلدون أنه أدرك شيخا منهم لعهد السلطان أبي عنان فارس هو يعقوب بن علي بن منصور بن عيسى بن يعقوب ابن جرمون بن عيسى بن جرمون (*العبر*، 6 : 39 وانظر مادة جشم). وعموما فقد ضعف نفوذ الجرامنة بضعف عصبية عرب سفيان ولين شوكتهم بابتعادهم عن البداوة شيئاً فشيئاً وميلهم إلى حياة الترف ورغبد العيش والتمتع بما أنعم عليهم به الخلفاء من أنعام مقابل الخدمة زمان الموحدين. لكن بقي منهم من استمر على حياة البداوة في القرن الثامن (14 م) وكان ينتجع أرض السوس وقفاره كبطني الحرث والكلابية، فبقيت فيهم لذلك شدة بأس. وقد كانت رياسة هؤلاء زمان ابن خلدون في أولاد مطاوع (أولاد مطاع) من الحرث الذين اشتهر منهم منصور بن يعيش شيخ العرب المقرب من الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن علي ابن الأمير أبي علي عمر المريني الذي استبد بمراكش سنة 776 / 1374. ومعلوم أن هذا الأخير قد ألقى القبض على شيخ أولاد مطاوع بعد كل ما كان له من المكانة الرفيعة لديه فقتله وأودع كبار قومه سجونه لعيشهم في ضواحي مراكش وإفسادهم للسابلة. فذهبت بذلك ريحهم وحصدت شوكتهم (*العبر*، 6 : 39 ؛ *الاستقصا*، 2 : 174 وانظر مادة جشم).

مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ ابن عذاري، *البيان*، قسم *الموحدين*، الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1970 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6 وج. 7، بيروت، 1958 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، 1954 ؛ مصطفى أبو ضيف أحمد، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين* (524-876 / 1130-1472)، الدار البيضاء، 1982.

جرمون بن عيسى، شيخ عرب سفيان في عهد الخليفة الرشيد الموحدي، امتنع من مبايعة عبد الله العادل ابن منصور والوصول إليه. ثم انحاز بعد ذلك إلى جانب يحيى بن الناصر بعد أن بويع سنة 624 / 1227 نكاية في أعدائه من ذوي عصبيته عرب الخلط أنصار الخليفة المامون وبنيه (*العبر*، 6 : 339 ؛ *الاستقصا*، 2 : 172، 232 و234).

ارتبط الحديث عن مشاركة عيسى بن جرمون في الحياة السياسية في العهد الموحدي بمناصرته ليحيى بن الناصر ودعمه له في صراعه حول الخلافة ضد منافسه المامون وأنصاره من عرب الخلط بزعامة هلال بن حميدان وهسكورة بزعامة عمر بن وقاريط. لكن شيخ عرب سفيان لم يندفع على ما يبدو في مؤازرته ليحيى بن الناصر ولم يسعفه في كل ما يريد، بل تحكمت في علاقته به درجة تقربه من عرب الخلط ودرجة ابتعاده عنهم، يناصره متى خالفوا عليه ويتخلى عنه متى انحاشوا إليه. وهذا ما يفسر تأرجحه في علاقته به بين الطاعة والعصيان. يشهد على ذلك امتناعه عن الخروج معه إلى جبل تينمل في جمادى الآخرة سنة 626 / ماي 1229 لما فر أمام جيوش عمه المامون. وعدم حضوره المواجهة التي دارت بينهما في السنة الموالية، وكانت الدائرة فيها على يحيى بن الناصر وجموعه، ثم مشاركته له في الغارة التي شنها على مراكش سنة 628 / 1231 إلى جانب أبي سعيد عثمان بن وانودين شيخ هنتاتة وهدموا خلالها الكنيسة التي كان قد بناها المامون لجنوده من المرتزقة النصارى. في وقت كان فيه المامون محاصراً لأخيه أبي موسى عمران الثائر عليه بمدينة سبتة (*العبر*، 6: 342 ؛ *الاستقصا*، 2 : 240).

ولما تولى الرشيد الخلافة بعد مهلك أبيه، وهو في طريقه إلى مراكش عائدا إليها من سبتة في أواخر سنة 629 / 1232 وبداية سنة 630 / 1233، ألحق الهزيمة بيحيى بن الناصر وشيخ عرب سفيان جرمون بن عيسى، وانتُهب لهذا الأخير من الأموال والذخائر ما لا يحيط به حصر ولا حساب. فضعفت بذلك شوكة عرب سفيان وقلت أموالهم (*البيان*، قسم الموحدين، 300 ؛ *أثر القبائل العربية*، 103-104).

وحدث أن خالف مسعود بن حميدان الذي تولى مشيخة عرب الخلط بعد أخيه هلال على الرشيد، فاستدرجه الخليفة حتى وفد عليه بمراكش وقتله في جماعة من قومه سنة 632 / 1235 ثم تولى أمر الخلط بعده يحيى بن هلال بن حميدان وفر بقومه إلى يحيى بن الناصر وحاصر معه مراكش حتى استولى عليها وأرغم الرشيد على الفرار منها في اتجاه سجلماسة (*العبر*، 6 : 40 ؛ *الاستقصا*، 2 : 174) فكان ذلك إيذانا بتحول عرب سفيان وشيخهم جرمون بن عيسى إلى طاعة الرشيد بسبب انحياز أعدائه عرب الخلط ليحيى ابن الناصر.

ولما استكمل الخليفة الرشيد استعداده بمدينة سجلماسة بعد مكوثه بها سنة كاملة استفاد خلالها دون شك من موارد التجارة الصحراوية، خاطب جرمون بن عيسى في شأن مناصرته فاستجاب إليه، وضم قومه إلى جيوشه، وقصد معه مراكش عام 633 / 1236. وتقدم إليهم يحيى بن الناصر مع أنصاره من هسكورة وعرب الخلط، فدارت رحى الحرب بين الطرفين عشرة أيام متتالية اتجه بعدها المرتزقة النصارى الذين كانوا في جيش الرشيد إلى جهة الخلط فأجهزوا عليهم وأرغموهم على الفرار بما خف من أهلهم وأولادهم وتركوا جميع طارفهم وتلادهم. فانهزمت جيوش يحيى بانهزامهم (*البيان*، قسم الموحدين، 331 ـ 333).

عمل الرشيد بعد ذلك على إضعاف عرب الخلط فعين خيار عماله وكفاة رجاله على البلاد التي كانوا يستولون عليها وهي صنهاجة تاسفرت ودكالة ورگراگة. ثم عمل بالمقابل على ترتيب منازل عرب سفيان وتحسين أحوالهم، فكثرت جموعهم وقويت شوكتهم بمن انضاف إليهم ممن كان من أتباع أعدائهم الخلط. وجعل شيخهم جرمون بن عيسى من خاصته وأهل المشورة بمجلسه (*البيان*، قسم الموحدي، 333 ـ 334).

استغل جرمون بن عيسى صلته الوطيدة بالرشيد فسعى إلى إقصاء منافسيه من شيوخ عرب جشم عن مجلس الخليفة. ومن ذلك إلحاحه عليه في قتل شيخ العاصم حسن ابن زيد العاصمي وشيخ بني جابر فائد بن عامر وأخيه قائد حتى أصدر أمره بذلك من مدينة فاس إلى واليه على مراكش الشيخ أبي علي بن الشيخ أبي محمد عبد العزيز، فضرب أعناقهم، وذلك في آخر سنة 633 / 1236 (*البيان*، قسم المرحدين، 337). كما لا يستبعد أن يكون شيخ عرب سفيان وراء النكبة التي تعرض لها الخلط بأمر من الخليفة الرشيد سنة 635 / 1238. لما استجلب شيوخهم وسجنهم ثم وجه الأجناد إلى دواويرهم فأتوا على ما فيها، وسبق نساؤهم وذريتهم إلى مراكش فامتلأت منهم الأسواق والسكك حتى تساوت الحرة العربية الصريحة والأمة في العبودية، وأذن لأعدائهم من سفيان وبني جابر في ستر بناتهم، ثم أجلاهم إلى بلاد السوس فاختلت أحوالهم ولاقوا الأهوال (*البيان*، قسم الموحدين، 346 و358).

استمر جرمون بن عيسى على طاعته للخليفة الرشيد حتى سنة 638 / 1240 فتحول إلى طاعة الأمير المريني أبي معرف محمد بن عبدالحق. ذلك أنه نادمه ذات ليلة حتى سكر وحمل عليه وهو سكران يرقص طربا. ولما أفاق ندم وفر إلى المرينيين حياء مما وقع له مع الرشيد (*العبر*، 6 : 38 ؛ *الذخيرة السنية*، 60 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

كانت وفاة جرمون بن عيسى سنة 639 / 1241 قبل وفاة الخليفة الرشيد بسنة، وانتقلت زعامة سفيان من بعده إلى ابنه كانون.

ابن **جرمون، عبد الرحمان** بن يعقوب، قدمه الخليفة المرتضى على قومه بعد سماعه بمقتل أبيه يعقوب ليضمن استمرار عرب سفيان على الطاعة والخدمة، لكنه عجز عن القيام بمهمته على أحسن وجه. فقد اتخذ هذا الشيخ كلاً من يوسف بن أورزج ويعقوب بن علوان وزراء له فلم يحسنا النصيحة إليه وشجعاه على التمادي في الاستخفاف بالأمور واستغلال مكانته لدى الخليفة لتحقيق أغراضه الشخصية والقيام بأعمال النهب (*البيان*، قسم الموحدين، 426 ؛ *العبر*، 6 : 38 ؛ *الاستقصا*، 2 : 172).

ساءت علاقة عبد الرحمان بالخليفة بعد فترة وجيزة من تعيينه زعيما في قومه ففر إلى المرينيين. ويرجع السبب في ذلك إلى أنه لما نزل في بعض الأيام بوادي تانسيفت بدواره وجموعه، خرج للنزهة فصادف ذلك مرور قافلة تجار، فأمر بنهبها، وكان في حالة سكر. ولما أفاق من سكره ورأى أن الجرأة عظيمة في قطع السبل والمسالك رحل إلى الأمير أبي بكر بن عبد الحق ونكث طاعة الموحدين (*البيان*، قسم الموحدين، 426).

بقي عبد الرحمان هذا ملازما للمرينيين إلى أن عاد عواج بن هلال بن حميدان أحد أمراء الخلط إلى مراكش معلنا انحياشه من جديد لصف الموحدين وخروجه عن طاعة أعدائهم المرينيين فلقي جزيل الإحسان وغاية الإكرام لدى الخليفة المرتضى. ولما علم بذلك شيخ عرب سفيان كاتب الخليفة في طلب العفو والعودة إلى خدمته فأسعفه في طلبه، حتى إذا وصل مراكش أمر بقتله مع وزيريه يوسف ابن أورزج ويعقوب بن علوان وعواج بن هلال أمير الخلط، وحُزَّت رؤوسهم أجمعين وعلقت على باب دكالة، وذلك سنة 654 / 1256 (*البيان*، قسم الموحدي، 427). وفي *العبر* أن مقتل عواج بن هلال كان بتدبير من علي بن أبي علي الخلطي شيخ عرب الخلط المقرب من الخليفة الذي أغزاه مباشرة بعد عودته لطاعة الموحدين وأرفقه بمن قتله في غزاتة (*العبر*، 6 : 41).

ابن **جرمون، عبيد الله** هو ابن جرمون بن عيسى، يكنى أبا زمام. كان مقدما في قومه الجرامنة المعروفين

بأولاد مرية لما التحق عبد الرحمان ابن أخيه يعقوب ببني مرين. استدعاه الخليفة المرتضى إلى مراكش وقدمه على عرب سفيان، لكنه عجز عن القيام بالأمر لافتقاره إلى الحنكة والتجربة وسداد الرأي. فأعفاه من مهمته وعين مكانه مسعود بن كانون ابن جرمون سنة 654 / 1256 (*البيان*، قسم الموحدين، 426 ؛ *العبر*، 6 : 39 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

ابن **جرمون، كانون** هو ابن جرمون بن عيسى سابق الترجمة. يكنى أبا الحديد، وكان يقال له الأحمر لكونه أسمر اللون (*البيان*، قسم الموحدين، 385). علا كعبه عند الخليفة السعيد بن المامون حتى أصبح كبير شيوخ مجلسه بعد أن تقبض هذا الخليفة على جملة من شيوخ الموحدين واستصفى أموالهم، لكن هذه العلاقة الودية بين شيخ عرب سفيان والخليفة السعيد لم تدم طويلا. فقد تغير كانون على الخليفة وأعلن عصيانه له ووقف في صف أعدائه بمجرد سماعه لعرب الخلط بالعودة من بلاد السوس إلى تامسنا وتقربه منهم.

يؤكد ذلك الصحبة والمودة التي جمعته بأبي محمد بن وانودين كبير أشياخ الموحدين وأعدى أعداء الخليفة السعيد، ومساعدته له بعد فراره من سجنه بأزمور وإمداده له بمائة وخمسين فارسا أوصلوه إلى موطنه في جبال درن (*البيان*، *قسم الموحدين*، 369-370).

ومن ذلك تحالفه مع الأمير أبي بكر بن عبد الحق المريني ومشاركته إلى جانبه في محاربة الموحدين سنة 643 / 1245 لما التقى الجمعان في تامسنا، واتفاقه معه على خطة كلفت الخليفة السعيد جهدا كبيرا وشغلته عن التحدي بفعالية ضد أعدائه المرينيين. ذلك أنهما اتفقا على أن يكف عرب سفيان عن القتال بعد ساعات من الشروع في المواجهة وأن يتظاهر المرينيون بالهزيمة ويتراجعوا نحو الغرب لاستدراج الخليفة السعيد، في حين يتجه كانون وقومه أثناء ذلك نحو مراكش. لكن الخليفة فطن إلى خطتهم فتخلى عن ملاحقة المرينيين وجد في السير مقتفيا أثر شيخ عرب سفيان خوفا من تمكنه من دخول العاصمة كما دخلها أبوه جرمون بن عيسى قبل ذلك رفقة يحيى بن الناصر في غياب الخليفة المامون أثناء محاصرته لسبتة عام 628 / 1231 (*البيان*، *قسم الموحدين*، 371-372 ؛ *العبر*، 6 : 38 ؛ *الاستقصا*، 2: 173).

لكن كانون بن جرمون لم يتجه نحو مراكش بعد سماعه بمطاردة الخليفة له، بل غير الوجهة نحو مدينة أزمور واستولى عليها واستأصل أهلها استئصالا، واستطالت جموعه عليهم بأنواع الظلم والاعتداء، وأغرمهم الأموال. حتى إذا علم برجوع الخليفة السعيد إلى جهة دكالة خرج منها إلى جبل الحديد، لكن جيوش الموحدين اعترضت طريقه وهزمته. ففر مع من نجا من أتباعه إلى بني مرين (*البيان*، قسم الموحدين، 372 ؛ *العبر*، 6 : 38 و347 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

عاد كانون بن جرمون إلى طاعة الخليفة السعيد في تاريخ غير معروف، وربما كان ذلك في نفس سنة عصيانه له أي سنة 643 / 1245، إذ فيها بعث السعيد إلى أبي محمد ابن وانودين بعشرة من وجوه الموحدين ليبلغوه عفوه عنه وزوال ما كان في خاطره عليه. ويدعوه للمجيء إلى العاصمة مراكش. لكن ابن وانودين شكر له ذلك، وطلب منه أن يكون سكناه في بلده تافيوت بجبل درن (*البيان*، قسم الموحدين، 370 ؛ *العبر*، 6 : 346). ولا يستبعد أن يكون عفو الخليفة قد شمل أيضا كانون بن جرمون بالنظر للمودة والصحبة التي كانت تجمعه بابن وانودين المعفوّ عنه، ولما كان له من المكانة والحظوة لدى الخليفة في فترة خدمته له بحيث كان كبير شيوخ العرب بمجلسه (*الاستقصا*، 2 : 247).

غير أن المؤكد في عودة شيخ سفيان إلى طاعة الخليفة السعيد هو أنه حضر معه حركته إلى تلمسان، حركة انطلقت من مراكش في الخامس عشر من شهر ذي الحجة سنة 645 / 1247. وصارت له مكانة متميزة بين الخاصة وأهل المشورة أثناءها إلى حين هلاكه على يد عرب الخلط في الفتنة التي نشبت بينهم وبين قومه في محلة الخليفة بالقرب من تلمسان قبل يوم واحد من تاريخ وفاة الخليفة السعيد. ومعلوم أن مهلك هذا الأخير كان في قلعة تامزردكت على يد بني عبد الواد يوم الثلاثاء منسلخ صفر عام 646 / 23 يونيه 1248. وقام بأمر عرب سفيان من الجرامنة بعده أخوه يعقوب بن جرمون (*البيان*، *قسم الموحدين*، 385 ؛ *الدخيرة السنية*، 72 ؛ *العبر*، 6 : 38 و347 ؛ 7 : 110 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

ابن **جرمون، مسعود** بن كانون بن جرمون بن عيسى، يكنى أبا سرحان. قدمه الخليفة المرتضى على قومه بعد أن أخر عمه عبيد الله الذي لم ينجح في مهمته. واستقامت أحوال عرب سفيان في فترة زعامته لهم، وتأرجحت علاقتهم بذوي السلطان بين التبعية للموحدين تارة وللمرينيين تارة أخرى. كما بلغت شوكتهم أوج قوتها معه حتى طمع في الاستبداد وأخذ البيعة ودعا لنفسه بعد انهيار حكم الموحدين.

شارك مسعوداً في زعامة قومه زمان الخليفة المرتضى وأبي دبوس كل من حطوش (أو علوش) وعيسى ابني عمه يعقوب بن جرمون ولم يظهر منهما طمع في الاستئثار بالزعامة دونه ولا الرغبة في إبعاده عنها، بل كانا سندا له إلى أن توفي حطوش سنة 669 / 1270 وبقي عيسى على دعمه ومساندته له طيلة فترة زعامته (*العبر*، 6 : 39).

حضر مسعود بن كانون الحملة الموحدية التي قادها أبو زكرياء يحيى بن عبد الله بن وانودين في اتجاه تامسنا

قصد إبعاد المرينيين عنها بعد أن حلوا بها سنة 659 / 1261 بقيادة أميرهم يعقوب بن عبد الحق بهدف الرعي والكلأ وتوطيد العلاقات الودية مع حلفائهم من عرب جشم. ومعلوم أن الموحدين قد انهزموا في لقائهم بالمرينيين في هذه الحملة في معركة أم الرجلين على وادي أم الربيع بسبب تقاعس بعض بطون جشم عن القتال. وهذا ما يستفاد مما قاله ابن وانودين للخليفة المرتضى لما عاد إليه مهزوما قال : العفو يا أمير المومنين، لما غدر بنو جابر وانكسروا من ناحيتهم انكسر الناس بجملتهم. وكان أول من بادر وفر إلى المرينيين علي بن أبي علي الخلطي (*البيان*، قسم الموحدين، 427 و428 ؛ *الذخيرة السنية*، 95 و96 ؛ *القرطاس*، 303 ؛ *العبر*، 6 : 350 ؛ *الاستقصا*، 2 : 255). خلا الجو بذلك لشيخ عرب سفيان واستأثر بالحظوة لدى الخليفة.

ولما التجأ أبو دبوس إلى الأمير يعقوب بن عبد الحق المريني وأعانه بالجيوش والأموال وكتب له مع ذلك إلى عرب جشم ليكونوا معه يدا واحدة ضد المرتضى وبدأت جموعه تتكاثر بمن انحاش إليه من القبائل، اتهم الخليفة الموحدي شيخ عرب سفيان مسعود بن كانون بمحاولة نقض العهد والالتحاق بصف أبي دبوس، فأمر باعتقاله سنة 664 / 1266 إلى جانب شيخ بني جابر إسماعيل بن قيطون، وكان ذلك سببا في انقلاب عرب سفيان عليه وخروجهم عن طاعته وانحيازهم لجانب أبي دبوس بمبادرة من حطوش بن يعقوب بن جرمون (*البيان*، قسم الموحدي، 435 ـ 436 ؛ *العبر*، 6 : 351).

وحدث أن أمر المرتضى بقتل إسماعيل بن قيطون في سجنه فخاف حطوش بن يعقوب بن جرمون أن يؤول مصير مسعود بن كانون شيخ عرب سفيان إلى مثل ذلك. وكان أبو دبوس في ذلك الوقت يعد العدة لدخول العاصمة مراكش بعدما علم أنها خالية من الأجناد، وندب حطوش ليسبقه إليها ويحارب كل من يخرج إليه من أهلها، فوصلها والناس في صلاة الجمعة وضرب رمحه في باب الشريعة فبات سكانها تلك الليلة خائفين وأودعوا أموالهم بالقيسارية (*البيان*، قسم الموحدين، 437 ـ 438).

ولما دخل أبو دبوس مراكش يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم سنة 665 / 1267 أخرج مسعود بن كانون من سجنه. وفر المرتضى إلى أزمور فألقى عليه القبض بها وإليها، وبعث إلى الخليفة أبي دبوس يعلمه بشأنه. ثم أرسل إليه في طلبه كل من أبي موسى عمران وأبي سرحان مسعود بن كانون السفياني وجماعة من عرب سفيان، وأوصاهم بتوصيله إليه وتمثيله بين يديه. ثم بعث إليهم بكتاب يأمرهم فيه بقتله قبل الوصول به إلى العاصمة ففعلوا. وذلك في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة 665 / 1267 (*البيان*، قسم الموحدين، 443 ـ 444 و449 ؛ *الاستقصا*، 2 : 258).

اعتمد أبو دبوس على عرب سفيان في محاربته لأعدائه اعتمادا كليا، وأصبح شيخهم مسعود بن كانون من أقرب المقربين إليه، في الوقت الذي صار فيه عرب الخلط من خاصة بني مرين، بعد أن أصهر الأمير يعقوب بن عبد الحق لأبي عطية مهلهل بن يحيى الخلطي وتزوج من ابنته عائشة أم السلطان أبي سعيد عثمان الثاني. فقد عين هذا الخليفة شيخ عرب سفيان قائداً على كل العرب في جيوشه، وأوكل إليه أمر حراسة البلاد من فساد الخارجين عن الطاعة من القبائل العربية، كما اعتمد عليه في فتح معاقل سوس ومحاربة بني يدر بها (*البيان*، قسم الموحدين، 460 ـ 461 ؛ *الاستقصا*، 2 : 175).

ولما جاهر أبو دبوس بالخلاف على الأمير المريني يعقوب ابن عبد الحق ونهض هذا الأخير إليه سنة 666 / 1268 فشغله عن ذلك يغمراسن بن زيان حسب الاتفاق الذي كان بينه وبين الخليفة الموحدي، شارك مسعود بن كانون في تلك الأحداث بفعالية كبيرة مدفوعاً بالرغبة في القضاء على المرينيين حلفاء أعدائه عرب الخلط. وعمل على تحريض الخليفة وتشجيعه على مواجهة المرينيين إلى أن قرر الخروج إليهم، فأظهر الأمير المريني العجز عن اللقاء ليبعد الموحدين عن العاصمة، ثم أغار عليهم وألحق بهم الهزيمة وقتل الخليفة أبا دبوس في أوائل محرم سنة 668 / 1269 معلنا بذلك نهاية الحكم الموحدي.

وفي سنة 677 / 1278 أعلن مسعود بن كانون خروجه عن المرينيين ببلاد نفيس وأخذ البيعة من جميع عرب سفيان. في وقت كان فيه السلطان يعقوب بن عبد الحق يستعد للجواز إلى الأندلس برسم الجهاد، فأسرع بالرجوع إلى مراكش حتى إذا وصلها فر مسعود إلى جبل سكسيوة وتمنع به، فلاحقه السلطان المريني وأقام عليه الحصار به وأقسم أن لا يرحل عنه قبل القضاء عليه أو الموت دون ذلك. ولما طال مقامه هنالك، واشتد بالمقابل الحصار البري والبحري الذي فرضه ملك قشتالة على الجزيرة الخضراء، أرسل ولده الأمير يوسف إلى طنجة وأمره بالعبور إلى الأندلس لإعانة أهل الجزيرة، فتم له ذلك يوم 8 ربيع الأول سنة 678 / 20 يوليوز 1279. ثم كتب إلى أبيه يعلمه بانتصاره على القشتاليين يوم عيد المولد النبوي من السنة المذكورة. فتلقى السلطان يعقوب هذا الخبر وهو على حصاره لشيخ عرب سفيان (*القرطاس*، 330 ـ 331).

اضطر السلطان المريني إلى رفع الحصار على مسعود ابن كانون أمام الغارات التي كان يشنها يغمراسن بن زيان سلطان بني عبد الواد على المنطقة الشرقية للمغرب الأقصى، فخرج في جموعه إليه وألحق الهزيمة به سنة 679. ثم عاد إلى مراكش في آخر شوال سنة 680 / 10 فبراير 1282 لمواصلة الحصار على مسعود بن كانون، لكن وفاة هذا الأخير في التاريخ المذكور حالت دون ذلك، فتزوج السلطان المريني من زوجة شيخ عرب سفيان في شهر محرم

من سنة 681 / أبريل 1282 لاستمالة هؤلاء الأعراب وضمان ولائهم. فعادوا إلى الطاعة وشاركوه في جوازه الرابع إلى الأندلس برسم الجهاد، باستثناء منصور بن مسعود بن كانون الذي فر إلى هسكورة وبقي بها إلى أن عاد إلى خدمة المرينيين أيام السلطان يوسف بن يعقوب. وفد عليه وهو محاصر لتلمسان سنة 706 / 1306 فتقبله (*القرطاس*، 334 . 337 و353 . 356 و406 ؛ *العبر*، 6 : 38 . 39).

ابن **جرمون، يعقوب**، ابن آخر لجرمون بن عيسى المتقدم، تولى زعامة قومه بعد مقتل أخيه كانون على يد عرب الخلط في حملة الخليفة السعيد على تلمسان. ولما تولى أبو حفص عمر المرتضى خلافة الموحدين وامتحن شيوخ الخلط بعد أن استقدمهم إلى مراكش وأمر بقتل سبعين منهم، بسبب ما كان من تأخرهم عن القتال في المواجهة ضد بني عبد الواد، ومبادرتهم إلى نهب محلة الخليفة السعيد بمجرد سماعهم بمقتله (*البيان*، قسم الموحدين، 405). وكان من الطبيعي بعد أن افتتح هذا الخليفة عهده بالانتقام من عرب الخلط أن يتقرب منه أعداؤهم عرب سفيان، فأنعم على شيخهم يعقوب بن جرمون بجزيل الإنعام وأعطاه الأملاك بحوز مراكش وتوطدت العلاقة الودية بينهما.

ثم تغير ما بينهما في سنة 649 / 1251 لأسباب لم تفصح عنها المصادر التاريخية. فقد قدم في هذه السنة موسى بن زيان الونكاسي وأخوه علي على الخليفة المرتضى بعد خلافهما مع الأمير المريني أبي بكر بن عبد الحق. فأغرياه بقتال المرينيين في وقت كان فيه هؤلاء قد استولوا على سلا ورباط الفتح. فنهض إليهم بعد أن استدعى شيخ عرب سفيان يعقوب بن جرمون للخروج معه، وكان اللقاء بين الطرفين في مكان يعرف بأمان إيملولن. ولما تيقن الأمير المريني من قوة جيوش المرتضى حاول الجنوح إلى الصلح، وراسل الخليفة في ذلك لكنه لم يجبه إليه، فعمد إلى التظاهر بالهزيمة والتراجع ليصل بالموحدين إلى الكمائن التي نصبها لهم، لكنهم توقفوا عن مطاردته حيث فطنوا إلى خطته. ثم التجأ بعد ذلك إلى الحيلة للنيل من قوة جموع المرتضى، وكاتب يعقوب بن جرمون في شأن التخلي عن الخليفة فأسعفه إلى غرضه. وتم الاتفاق بينهما على رحيل عرب سفيان عن المحلة بعد إشاعة خبر التوصل إلى اتفاق للصلح بين المرتضى والأمير أبي بكر بن عبد الحق. فسبّب تنفيذ هذه الخطة في رحيل محلة الموحدين عن أمان إيملولن في اتجاه أزمور ومنها إلى مراكش، وتبعتهم جيوش بني مرين واستولت على جملة من أحمال وأثقال الخليفة (*البيان*، قسم الموحدين، 401 ؛ *العبر*، 6 : 38 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

ورغم ما كان ليعقوب بن جرمون من دور فعال في هزيمة الموحدين بأمان إيملولن فإن المرتضى عفا عن هذه الفعلة الفادحة وقربه منه مجددا وجعله من خاصة مجلسه ورجال مشورته واستعان به في حروبه ضد أعدائه ووظفه في إضعاف المتمردين على الخلافة الموحدية من شيوخ بطون عرب جشم كما هو الحال بالنسبة لشيخ بني جابر يعقوب بن محمد بن قيطون الذي أعلن عصيانه للمرتضى بعدما كان من ذوي الحظوة والمكانة الرفيعة لديه، فجهز له الخليفة جيشاً سنة 652 أوكل أمر قيادته لأبي الحسن يعلى وأوصاه بالتنسيق مع شيخ عرب سفيان في شأن القبض على شيخ بني جابر، وحمّله ظهيراً عين بموجبه يعقوب بن جرمون شيخا على جميع عرب جشم. وقد تمكن قائد هذه الحملة من تحقيق الأهداف التي خرج من أجلها وألقى القبض على شيخ بني جابر ووزيره ابن مسلم بمساعدة يعقوب بن جرمون وعاد بهما إلى مراكش (*البيان*، 405 . 406 ؛ *العبر*، 6 : 449).

استمر يعقوب بن جرمون على علاقته الودية بالخليفة المرتضى إلى أن قتله ابنا أخيه كانون بن جرمون مسعود وعلي سنة 653 / 1255 انتقاماً لأخيهما محمد الذي تمّ اغتياله بأمر من الهالك بعدما صار يضاهيه في الجاه والنفوذ وفي الحل والعقد وينافسه على الزعامة (*البيان*، قسم الموحدين، 387). وقد ورد في *العبر والاستقصا* أن وفاة يعقوب كانت عام 659 / 1261 وهو خطأ بحجة إجماع المصادر التاريخية الأخرى على أن زعامة كل من ابنه عبد الرحمان وأخيه عبيد الله بن جرمون كانت على التوالي بين سنة 653 / 1255 وسنة 654 / 1256 (*العبر*، 6 : 38 ؛ *الاستقصا*، 2 : 173).

حسن حافظي علوي

الجرموني أو الجرني، أبو بكر بن محمد المهدي المراكشي. ولد سنة 1343 / 1924 بمدينة مراكش، من أب يمتهن حرفة الشكايرية (صنع الجرابات) من مريدي الطريقة التجانية المرتبطين بالزاوية الكنسوسية بالمواسين. التحق أبو بكر بكتّاب الفقيه ابن علال وهو ابن خمس سنوات، وبقي فيه إلى أن حفظ القرآن الكريم وبعض المتون التي كان الفقيه يحرص على تحفيظها لتلامذته. بعد ذلك شرع في قراءة العلم على شيوخ مراكش، والحضور في مجالسهم التي كانت تعقد بمساجد هذه المدينة وزواياها، وأول شيخ حضر عنده ولازمه مدة طويلة هو الفقيه الورع عبد السلام السميح، ثم العلامة محمد بن عبد القادر العلوي المعروف بمْسُّو وغيرهما. كان يدعى في صغره وشبابه بالجرموني، ثمّ صار اسمه في الحالة المدينة "الجرني". لكن نسب الجرموني بقي غالباً عليه. ولما أُسس النظام بالجامعة اليوسفية سنة 1338 / 1939 التحق بها كطالب رسمي، يحضر حلقات الدروس على مشايخ العلم إلى أن حصل على شهادة العالمية سنة 1369 / 1949، وأسندت إليه على إثرها إدارة مدرسة الفلاح الحسنية الحرة الكائنة بالقصبة، خلفا للشاعر المدني الحمراوي.

وفي سنة 1372 / 1952 عين أبو بكر الجرموني أستاذاً بالجامعة اليوسفية بعد أن كان ينوب عن السيد إبراهيم الضرير المتوفى بالديار المقدسة. وقد برهن عن مقدرة كبيرة، وموهبة في مهنة التدريس، وشهد له الكل بعطائه الكبير، ونجاحه في امتلاك انتباه طلابه، إلى جانب هذا كان يعطي دروساً اختيارية للراغبين فيها، إما في بيته أو في بعض المساجد.

وفي سنة 1386 / 1966 انتقل للتدريس بثانوية عبد المومن من مؤسسات التعليم العصري بمراكش وبقي فيها إلى أن أحيل على التقاعد.

ورغم فقر الأسرة التي نشأ أبو بكر بين أحضانها، والدراسة الأصلية بالجامعة اليوسفية المشبعة بالروح العربية الإسلامية، استطاع أن يلزم نفسه منذ طفولته بتعلم اللغة الفرنسية التي كان يحضر دروسها بصفة اختيارية بمدرسة القنارية، كما اتجهت همته لمتابعة دروس الترجمة بالمراسلة بمعهد كان خاصاً بذلك، دون أن تعوقه عوائق الحياة ومشاغل المهنة إلى أن حصل على دبلوم الترجمة من معهد الدراسات العليا بالرباط، وتعلم كذلك اللغة الأنجليزية.

وإذا اتسمت تصرفاته في الشطر الأول من حياته بالجدية والنشاط الدؤوب سياسياً وأدبياً، فإن الشطر الثاني من حياته وما أعقبها من أمراض نفسية لم تعطله عن مزاولة نشاطه في ميدان الترجمة من الفرنسية أو الانجليزية إلى العربية. ومن أعماله المترجمة :

تعاونيات الإنتاج بالاتحاد السوفياتي ؛ *رسوم حية من الفن الفارسي* ؛ *تاريخ افريقيا* ؛ *مفتاح التقدم الاقتصادي* ؛ *شمال افريقيا* ؛ *الانسان الحر* ؛ *أحاديث علمية* ؛ *الحكمة المادية* ؛ *موجز التربية وعلم النفس*.

شارك أبو بكر الجرموني في كثير من الأنشطة الوطنية قبل الاستقلال وبعده في كلا الحزبين : حزب الاستقلال، وحزب الشورى والاستقلال الذي انتقل إليه بعد انفصاله عن الحزب الأول لأسباب يطول شرحها. كما ساهم في بعض المهرجانات الأدبية التي أقيمت بمختلف المناسبات، وخصوصاً مناسبات عيد العرش، وقد أذيعت له بعض القصائد بإذاعة مراكش عندما سمحت السلطات المحلية بذلك.

وهو شاعر مطبوع لا يتكلف الشعر، لأن ملكة الشعر متأصلة فيه. لكن الذي يؤسف له أنه مرَّ بأزمة نفسية حادة أثرت على مسيرة حياته، اضطرته إلى العزلة والابتعاد عن الناس، إلاَّ من فئة قليلة تعد على الأصابع، وظل في هذه العزلة يعاني الأزمة النفسية إلى أن التحق بالرفيق الأعلى مأسوفاً عليه، وعلى تراثه الشعري الذي أتلفه بيده حرقاً، وحرم عشاق الأدب من الوقوف على عصارة فكره، وخلاصة تجاربه. لقد نظم في جل أغراض الشعر، وعايش أحداث وطنه الصغير المغرب، ووطنه الكبير العربي والإفريقي.

ومن شعره قصيدة نظمها سنة 1367 / 1947 بمناسبة عيد العروبة، يقول فيها :

هذا سنا العيد في أوطاننا انبثقا ... يضفي على الكون من لألائه ألقا
يجلوه ملتمع الرواء رائقـــه ... فيملأ النفس إشراقاً ومؤتلقـــا

توفي بمراكش مساء يوم الاثنين 25 رمضان عام 1409 / فاتح ماي 1989 على الساعة الثامنة ليلاً إثر مرض ودفن بمقبرة باب أغمات بعد صلاة العصر في اليوم الموالي.

أحمد متفكر، *ذيل الإعلام عن حل مراكش وأغمات من الأعلام*. مخطوط.

الجرناوي، محمد العياشي بن الحاج إبراهيم بن محمد ابن زيدان. وُلد بمدينة مراكش بحي هيلانة درب اشتوكة حوالي عام 1277 / 1860. ودرس بمسقط رأسه، ثم رحل إلى فاس التي بقي بها مدة ثلاث سنوات. من شيوخه : الحاج عبد السلام بن المعطي وبوشعيب الشاوي ومحمد بن علي الزعراوي ومحمد بن محمد بناني ومحمد بن جعفر الكتاني وأحمد ابن الخياط، وغيرهم.

درَّس بعد رجوعه إلى مراكش في جامعة ابن يوسف مدة إلى أن كُلف بمراقبة الأملاك المخزنية، ثم استقال ليتفرغ للتدريس بمسجد درب مجّاط بهيلانة مع تعاطي الإفتاء. من مؤلفاته التي لازالت مخطوطة عند ولده : *شرح مختصر الشيخ خليل* ؛ *شرح ورقات إمام الحرمين* ؛ *إحياء الميت*.

توفي بمسقط رأسه سنة 1357 هـ / 1938، ودفن بمقبرة باب أغمات.

أ. متفكر، *ذيل الأعلام*، مخطوط.

أحمد متفكر

الجرندي، بيت شهير بفاس أصله من الأندلس، أنجب عدداً من الفقهاء والأدباء والصالحين، ومازال الجرنديون حتى اليوم بمدينة فاس. وقد أحصاهم مؤلف *جنى زهر الآس* وذكر مساكنهم بعدوة الأندلس من العاصمة الإدريسية.

الجرندي، أحمد بن علي بن عبد الرحمان الفاسي. عالم عامل وولي صالح. أخذ عن كبار شيوخ فاس أمثال

عبد القادر الفاسي، وأحمد بن عبد الله مَعْنْ. درّس ونفع، وسلك بالمريدين طريق القوم، ومنهم العارف الشهير عبد العزيز الدباغ كما أشار إلى ذلك في بداية كتاب *الإبريز*.

كان أحمد الجرنديّ إماماً بجامع الشرفاء ومدرساً به، وعُين للقضاء بفاس فاحتال للتخلص منه بإظهار البله والحمق وخسيس الأفعال حتى أقيل منه.

توفي بعد عشاء الجمعة خامس عشر محرم عام 1125 / 19 فبراير 1713 ودفن قرب سيدي بوغالب من حومة صريوة داخل باب الفتوح.

الجرنديّ، عبد العزيز بن أحمد الفاسي. كان ـ كأبيه ـ عالماً مشاركاً مدرساً. توفي بفاس ضحوة يوم السبت خامس عشر ربيع الأول عام 1177 / 23 شتنبر 1763 ودفن بروضتهم في حومة صَريوَة داخل باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 16 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2379.

محمد حجي

الجرني، أحمد مبارك من فخذة أولاد ابن الكرن بالرحامنة، فقيه وعالم بالنحو، عينه السلطان المولى عبد الرحمان لتربية أولاده المولى بوعزة والمولى الرشيد والمولى علي والمولى العباس.

كانت وفاته سنة 1304 هـ / 1886 ودفن بمقبرة باب أغمات بمراكش.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 223.

محمد ماگامان

الجرني، أبو بكر ← **الجرموني، أبو بكر**

الجروز، إبراهيم بن عبد الكريم، فقيه مدرس بمكناس، عاش في القرن السابع الهجري، وامتدّ به العمر حتى بداية القرن الثامن. كان يستظهر كتاب *ابن يونس* (*الروض الهتون*، ص. 44). كما كان يقرر في دروسه الفقهية أقوال الأئمة وكلام الناس والمُختصِرين، ويعلم الصبيان ويدرّس *المدونة*.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 44 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 1 : 263.

أحمد الوارث

الجريدة الرسمية بالمغرب *(Bulletin Officiel)*، راودت المخزن فكرة إنشاء جريدة رسمية منذ 1907 على الأقل عندما تعاقد المخزن العزيزي مع الأخوين نمور قصد إصدار دورية تحت عنوان "الدولة الشريفة". ولما باءت هذه المحاولة بالفشل، أعاد المخزن الحفيظي الكرة من جديد وكلف الصدر الأعظم الحاج محمد المقري، سنة 1911، بمباشرة مفاوضات مع شارل روني لوكلير Charles René-Leclerc، صحافي مستعرب ومندوب للجنة المغرب Le Comité du Maroc، من أجل تأسيس مطبعة وطنية وجريدة رسمية. وفعلا تم التوصل بين الطرفين إلى اتفاق يجعل روني لوكلير في خدمة المخزن ابتداء من فاتح يناير 1912 حيث أصبح مديراً عاماً للمطبعة الوطنية وللجريدة الرسمية اللتين اختير لهما مقر مؤقت في بناية "المطبعة المغربية" الكائنة بزنقة تطوان في طنجة. وكان المدير الفرنسي قد لقي التشجيع من لدن وزارة خارجية بلاده ومن ممثليها في المغرب ؛ ذلك أن روني لوكلير قد أكد لمسؤولي بلاده بأن دخوله في خدمة السلطات المغربية لا يمكن إلا أن يخدم مصلحة السياسة الفرنسية في المغرب. وفي هذا الصدد، زودت المفوضية الفرنسية بطنجة شارل روني لوكلير بنسخ من الجريدة الرسمية التونسية للاستئناس بها في القيام بمهمته الجديدة. ولما كانت هذه المهمة تتنافى مع استمرار تقلده لوظيفة المندوب العام للجنة المغرب في طنجة، فإنه قدم لها استقالته بتاريخ 20 يناير 1912، مع التأكيد بأنه يضع نفسه رهن إشارتها بصفة غير رسمية.

لم يتحقق المشروع على الشكل الذي صممه المخزن ؛ ذلك أن المغرب سرعان ما فقد استقلاله بالتوقيع على معاهدة فاس في 30 مارس 1912. وهكذا تم إجهاض المشروع الأول لترى الجريدة الرسمية النور في ظل واقع جديد أصبحت القوى الاستعمارية تتمسك بزمام أمور البلاد.

صدر العدد الأول من "الجريدة الرسمية" في الرباط باللغة الفرنسية، بتاريخ فاتح نونبر 1912. ويتضمن هذا العداد، بالإضافة إلى نص الوثيقة التي نزعت من المغرب بإصدار جريدة رسمية، باللغتين العربية والفرنسية، في البلاد. ومما ينص عليه هذا القرار في مادته الثالثة أن إدارة وتحرير الجريدة الرسمية مهمة موكولة إلى رئيس الديوان المدني للمقيم العام.

وبعد مرور ما يقرب من أربعة أشهر على ظهور الجريدة الرسمية باللغة الفرنسية، صدرت رصيفتها بالعربية في 25 فبراير 1913 الموافق 16 جمادى الأولى 1331، تحت عنوان "الجريدة الرسمية للدولة المغربية الشريفة المحمية". ومبدئياً لم تكن هذه الأخيرة إلا ترجمة لما يصدر في زميلتها باللغة الفرنسية، غير أن القاعدة لم تحترم بصفة صارمة إذ في بعض الحالات يتم الاكتفاء في النسخة العربية بالإحالة على الطبعة الفرنسية. فعلى سبيل المثال، نشر القانون المنظم للصحافة والمطبوعات في "الجريدة الرسمية" باللغة الفرنسية (العدد 79، فاتح مايو 1914) وشغل فيها حيزاً

Samedi 1er Novembre 1913 — Le Numéro : 0.20 centimes — 1re ANNÉE — N° 1.

EMPIRE CHÉRIFIEN

Protectorat de la République Française
AU MAROC

Bulletin Officiel

ABONNEMENTS

	Maroc	Union postale	Etranger
6 Mois	3.00	4	5
1 An	5	7	9

EDITION FRANÇAISE

Hebdomadaire

ON PEUT S'ABONNER :
A la Trésorerie du Protectorat à Rabat.
A l'Imprimerie Générale à Casablanca.
Et dans tous les bureaux de poste.

SOMMAIRE

I. — Arrêté portant création d'un Bulletin officiel.
II. — Promulgation du Dahir du Sultan modifié [illegible].
III. — Arrêté viziriel relatif à la Police et au Service pour l'organisation du Recrutement Européen dans l'Empire Chérifien.
IV. — Loi approuvant le traité du Protectorat.
V. — Télégrammes échangés entre le Président de la République Française et S. M. le Sultan Moulay Youssef.
VI. — Traité soumettant le Gouvernement du Maroc à la République Française.
VII. — Arrêté viziriel relatif à l'organisation du Contrôle Général Civil et [illegible] des services civils.
VIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
IX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
X. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XIV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XVI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XVII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XVIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XIX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXIV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXVI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXVII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXVIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXIX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXXI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXXII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXXIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXXIV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXXV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXXVI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXXVII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXXVIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XXXIX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XL. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XLI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XLII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XLIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XLIV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XLV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XLVI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XLVII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XLVIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XLIX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
L. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LIV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LVI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LVII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LVIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LIX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXIV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXVI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXVII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXVIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXIX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXIV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXVI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXVII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXVIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXIX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXXI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXXII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXXIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXXIV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXXV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXXVI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXXVII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXXVIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
LXXXIX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XC. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XCI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XCII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XCIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XCIV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XCV. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XCVI. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XCVII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XCVIII. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
XCIX. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.
C. — Arrêté viziriel relatif à la création d'un Service [illegible] et [illegible] Maroc-Méditerranée.

LE COMMISSAIRE RÉSIDENT GÉNÉRAL,

Arrête :

Article 1er. — Il est créé un Bulletin officiel du Gouvernement Chérifien et du Protectorat de la République Française au Maroc destiné à publier les décrets et décisions du Gouvernement Chérifien, du Commissaire Résident Général, les arrêtés, avis et documents du Protectorat de la République Française au Maroc dont les insertions au Bulletin officiel sont prescrites par les dahirs et décisions du Gouvernement Chérifien et du Commissaire Résident Général.

Article 2. — Le Bulletin officiel comporte une partie française et une partie arabe.

Article 3. — La direction et la rédaction du Bulletin officiel sont assurées par le Chef du Cabinet civil du Résident Général.

Rabat, le 2 Septembre 1912.

LYAUTEY.

A la suite de l'allocution de Sa Majesté MOULAHAFID, les Ulémas, les Oudémas et les notables de la Ville Chérifienne, représentant le Gouvernement Chérifien, se sont réunis au Dar El Maghzen le 29 Ramadan 1330-18 Août 1912 pour procéder à la prestation de Ser Majesté MOULAY YOUSSEF comme Sultan du Maroc.

Les Ulémas, les Oudémas et les notables des cinq villes de Casablanca, Rabat, Fès, Meknès et Marrakech, ainsi que les caïds des tribus, ont accompagné Sa Majesté le Sultan Moulay Youssef à la Mosquée Hassan pour l'hommage qu'ils ont rendu au Sultan.

TRAITÉ conclu entre la France et le Maroc le 30 Mars 1912, pour l'Organisation du Protectorat Français dans l'Empire Chérifien.

Le Gouvernement de la République Française et le Gouvernement de Sa Majesté Chérifienne, soucieux d'établir un Maroc un régime régulier fondé sur l'ordre intérieur et la sécurité générale qui permettra l'introduction desquelles que et assurera le développement économique du pays, sont convenus des dispositions suivantes :

Article I. — Le Gouvernement de la République Française et Sa Majesté le Sultan sont d'accord pour établir au Maroc un nouveau régime comportant les réformes administratives, judiciaires, scolaires, économiques, financières et militaires que le Gouvernement Français jugera utile d'introduire sur le territoire marocain.

Le régime sauvegardera la situation religieuse, le respect et le prestige traditionnel du Sultan, l'exercice de la religion musulmane et des institutions religieuses, notamment de celles des habous. Il comportera l'organisation d'un Makhzen chérifien régulier.

Le Gouvernement de la République se concertera avec le Gouvernement Espagnol au sujet des intérêts que ce dernier pourrait avoir dans la partie septentrionale et de ses possessions sur la côte méditerranéenne.

De même, la ville de Tanger conservera son organisation municipale.

Art. II. — Sa Majesté le Sultan adhère entièrement, pour le Gouvernement Français, aux réformes ci-dessus prévues. Le Maghzen, aux représentations diplomatiques et consulaires auprès duquel paraîtront nécessaires en matière de l'ordre et de la sécurité des transactions commerciales et à ce qu'il prenne toute action de police que leurs et dans les cas homologués.

Art. III. — Le Gouvernement de la République prêtera l'concours de prêter un constant appui à Sa Majesté Chérifienne contre tout danger qui menacerait Sa personne ou Son trône ou qui compromettrait la tranquillité de Ses États. Le même appui sera prêté à l'héritier du trône et à ses successeurs.

Art. IV. — Les réformes que nécessitera le nouveau régime de protectorat seront étudiées, sur la proposition du Gouvernement Français, par Sa Majesté Chérifienne ou par les autorités auxquelles elle en aura délégué le pouvoir. Elles seront de même des règlements nouveaux, et des modifications aux règlements existants.

السنة الأول — ثمن النسخة عشرون سانتيم — عدد 1

الجريدة الرسمية

للدولة الشريفة ولحماية الجمهورية الفرنسية بالمغرب

قيمة الاشتراك

داخل المملكة الشريفة	خارج المملكة الشريفة
6 ثلاثة أشهر 3.50	6 ثلاثة أشهر 4.50
من ستة أشهر 6.—	من ستة أشهر 8.—
من سنة 10.—	من سنة 15.—

الاشتراك يجب على الراغبين في الاشتراك أن يتقدموا بكتوبهم إلى مطبعة دار الجريدة الرسمية للدولة الشريفة بالرباط وفي جميع مكاتب البريد بالمغرب وتبتدئ الاشتراكات من أول الشهر

رباط الفتح في 16 جمادي الأول عام 1331	الموافق 28 نيسان سنة 1913

الباب الأول فيما يتعلق بالترشيح

الفصل الأول

أن المرشحين بإدارات البلدية البريدية يقع عليها توشيحهم باسمائهم ثم لأجل ذلك بمقتضى قرار من وزير البحرية الأعظم في تعيين التاريخ الذي يقع فيه الامتحان لمدة البحريين الشبان التطوعين وكذلك الكيفية الرابع فيه الامتحان والشروط التي يجري عليها والقرار المذكور يصدر قبل تاريخ الامتحان بعشرة أشهر على الأقل كما يعين في هذا القرار عدد جملة الوظائف الرابع في خاتمها الامتحان من جهة وعدد ما يخص منها بالمتطوعين الذين لا يمكنهم توشيحهم صورة رسمية في المستقبل الأحد أن يستظهروا بشهادة اللغة العربية العالية من قبل المدرسة العليا بالرباط .

والمشترون المتطوعون يمكن توشيحهم بصورة رسمية بعد مضي سنة واحدة من تاريخ تسليمهم ؛ وذلك بمحضر على تقرير رؤساء الادارات أما المشترون المتطوعون الذين رشحوا بعد امتحان بشرط انهم يجتازا سنة التسليل بحصولهم على شهادة معرفة اللغة العربية ويجب عليهم أن

ديوسنة ما يهذا العدد من الظهائر الشريفة

1 — ظهير شريف في تعيين وظائف بعض إدارة الدولة الشريفة

2 — ظهير شريف فيما يرجع للترشيح وقائد الدولة الشريفة وتوشيحهم وترقيتهم الخ .

3 — ظهير شريف فيما يرجع لمرتبات وقائد الادارة المدنية .

4 — ظهير شريف فيما يرجع لمحاصلات المكتبي .

5 — ظهير شريف معين لقدر مداخيات عائد أسعار البيت

المجد لله وحده

* * *

يعلم من حكمتنا هذا أعزه الله فيه من التعيين فيمن أحوال المرشحين بمقدمة البحرية وعدم اهمال من يستحق الترقي منهم وإجراء ما يقتضيه احوال وتأديب من يستحق التأديب بما يجب هذا لذلك مشروطا بكتمان السعي عليه فيما ذكر بحول الله .

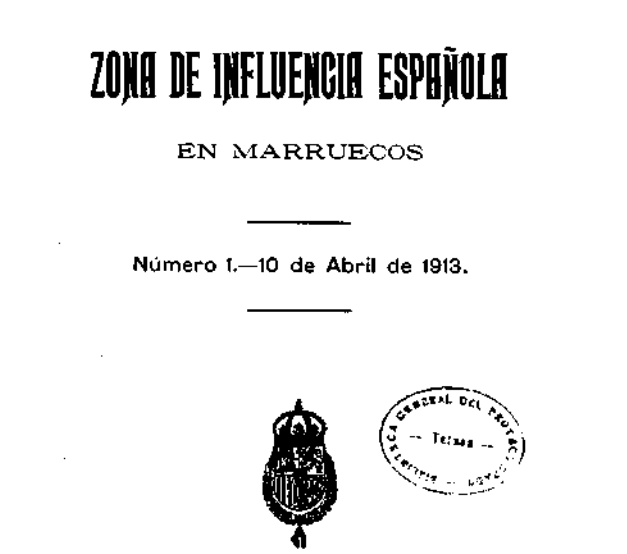

BOLETÍN OFICIAL

DE LA

ZONA DE INFLUENCIA ESPAÑOLA

EN MARRUECOS

Número 1.—10 de Abril de 1913.

MADRID
IMPRENTA DEL MINISTERIO DE ESTADO
1913

Convenio hispano-francés de 27 de Noviembre de 1912.

SU MAJESTAD EL REY DE ESPAÑA Y EL PRESIDENTE DE LA REPÚBLICA FRANCESA,

Deseosos de precisar la situación respectiva de España y Francia con relación al Imperio Xerifiano,

Considerando, por otra parte, que el presente Convenio les ofrece ocasión propicia de afirmar sus sentimientos de amistad recíproca y su voluntad de armonizar los intereses de los dos países en Marruecos;

Han nombrado al efecto por sus Plenipotenciarios, á saber:

SU MAJESTAD EL REY DE ESPAÑA,

Al Excelentísimo Señor Don MANUEL GARCÍA PRIETO, MARQUÉS DE ALHUCEMAS, Senador vitalicio, Ministro de Estado, Caballero Gran Cruz de la Orden Civil de Alfonso XII, condecorado con la Medalla de Oro de Alfonso XIII, etc., etc., etc., y

يربو عن خمس صفحات (ص. 296 إلى 301)، في حين اكتفت الطبعة العربية ببضعة سطور أحالت فيها على النص المذكور (العدد 52، فاتح مايو 1914، ص. 185). وهذا ما يفسر كون أعداد الطبعة العربية عادة ما تصدر في سمك أقل من الطبعة الفرنسية.

وفي 13 يونيو 1913، أنشئت بقرار من المقيم العام ليوطي مصلحة خاصة بالجريدة الرسمية وكلت إليها مهمة تدبير وتحرير وإدارة الدورية في منطقة الاحتلال الفرنسي. ويستشف من لائحة الأشخاص المعينين آنذاك لهذه المأمورية أن الإدارة الاستعمارية لم تستعن بمغاربة في عملية الترجمة، وإنما عولت على رعايا من أقطار مجاورة (الباي إبراهيم حميدة).

صدرت الدورية أسبوعياً واختلف عدد صفحاتها حسب وفرة المواد أو قلتها. وكان مضمونها ينقسم إلى قسمين : الأول رسمي والثاني غير رسمي. فأما الأول فهو عبارة عن ظهائر شريفية، وقرارات وزارية ومقيمية، ومراسيم وتعليمات مختلف المصالح الحكومية (صحة، تعليم، فلاحة، أشغال عمومية...). وتتجاور فيها ترقيات الموظفين، المدنيين والعسكريين، فرنسيين ومغاربة، مع الإنتقالات والترسيمات والإقالات وغيرها. كما تتخللها أحياناً مقتبسات من الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية.

وأما القسم غير الرسمي من الدورية فهو عبارة عن أخبار مختلفة ذات صبغة عامة. فمنها ما يتناول الأوضاع السياسية والعسكرية خلال فترة معينة، ومنها ما يتطرق إلى أحوال مرفق من المرافق الحكومية. وتضاف إلى ذلك بعض الإعلانات القضائية والإدارية (أحكام، مزاد علني، تصفيات الشركات...)، وكثيراً ما يحتل الإشهار التجاري المؤدى عنه صفحات من الجريدة.

ظلت الجريدة الرسمية تصدر طيلة فترة "الحماية" تحت إشراف الإقامة العامة. ولما تم إعلان استقلال البلاد، وكلت إدارتها إلى الحكومة المغربية ؛ ودشنت هذه الحقبة الجديدة بالعدد 2263 الحامل لتاريخ 9 مارس 1956.

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية بنانط ؛ بعض أعداد الجريدة الرسمية باللغتين العربية والفرنسية.

جامع بيضا

* * وبالمنطقة الخليفية بشمال المغرب الخاضعة للحماية الاسبانية أصدرت وزارة الخارجية الإسبانية بمديد العدد الأول من الجريدة الرسمية بتاريخ 10 أبريل سنة 1913 قبل أن يستقر إصدار الجريدة الرسمية لهذه المنطقة أسبوعياً بمدينة تطوان. وخلال عقود الحماية الزائدة عن أربعة، لم يعرف صدور الطبعة الإسبانية من الجريدة الرسمية أي تعثر، عكس الطبقة العربية التي ظل صدورها صباح كل جمعة غير منتظم، نتيجة بطء عمل المستعمرين الإسبان في إنجاز الترجمة، وعدم اطمئنان الإدارة الاستعمارية إلى الاستعانة بالعنصر المغربي الثنائي اللغة، مكتفية ـ عند الضرورة ـ باللجوء إلى بعض الفقهاء الموظفين لديها عدولاً ومستشارين فيما يخص القضايا الشرعية.

وبقضاء الجنرال فرانكو على النظام الجمهوري القصير العمر، وإقامته حكماً عسكرياً بديلاً عنه في إسبانيا، مستتراً خلف إعادة صورية للنظام الملكي، قررت الإقامة العامة للحماية بتطوان، إصدار *الجريدة الرسمية* في سلسلة جديدة، بدءاً من 30 يناير سنة 1936، والتي تابعت الصدور حتى آخر أعداد طبعتها العربية بتاريخ 30 مارس 1956، وطبعتها الإسبانية بتاريخ 6 يوليوز 1956. محتفظة في كلتا السلسلتين والطبعتين بمقياس : 21 سم × 15 سم، مع اختلاف في عدد الصفحات، حيث تراوح متوسط العربية بين : 40 و45 صفحة، ومتوسط الإسبانية بين 25 و30 صفحة. وقد تماثلت محتويات أعدادها بلغتيها، باستثناء حالات نادرة أملتها مبررات عارضة.

والجدير بالإشارة إصدار قطاعين متخصصين في جهاز الحكومة الخليفية بتطوان جريدتين رسميتين إضافيتين بالعربية فقط، أصدر أولاهما زعيم الوحدة الأستاذ عبد الخالق الطريس حين توليه وزارة الأحباس، وثانيتهما الفقيه الموسوعي الغزير التأليف الحاج أحمد الرهوني خلال توليه وزارة العدلية، وتابع خلفه في الوزارة الفقيه محمد بن التهامي أفيلال إصدارها بعض الوقت. كما صدرت بالإسبانية فقط، جريدة رسمية تعنى بشؤون البلديات. بيد أن تعثر انتظام صدور جميعها، وعدم توفر الكافي من مواد مجالاتها، أجبرها على التوقف.

مجموعات الجرائد الرسمية بالمنطقة الخليفية، بالعربية والإسبانية.

المهدي الدليرو

ابن **جرير** (مدينة شمال مراكش) ← **بن گرير**

أولاد **جرير**، قبيلة عربية تقطن في جنوب شرق المغرب. وتنقسم إلى فرعين : المفالحة والعساسة، وينقسمان بدورهما إلى فرقتين غير متساويتين في عدد الدواوير والخيام. فالمفالحة يتكونون من فرقتين : 1) ـ أولاد المير 2) وأولاد دادة. وقد بلغ مجموع خيام الفرقتين حسب تقديرات أخذت عام 1893 حوالي 120 خيمة ويضم فرع العساسة فرقتين هما : 1) أولاد قويدر 2) وأولاد بديار ويضمان معا حوالي 184 خيمة.

إنّ أصول قبيلة أولاد جرير كغيرها من قبائل الجنوب الشرقي المغربي، يلفّهاالغموض، فباستثناء الإشارة الواردة عند ابن خلدون من أن أولاد جرير ينتهون بنسبهم إلى عرب الأثبج حسب التسلسل الآتي : أولاد جرير بن علوان بن محمد بن لقمان بن خليفة، وهم بطن من بطون لطيف المنتمية للاثبج، فإنه لم يشر إليهم مصدر آخر سواه.

ونظراً لمحافظتهم على حياة البداوة والترحال كغيرهم في الصحراء، ولطول أمد افتراقهم عن أصولهم الأولى وحرصهم على وصل الفروع بالجذور كغيرهم من القبائل المهتمة بالمحافظة على أنسابها ووقائع أيامها، فإنهم اختلقوا لأنفسهم رواية لشجرة نسب يدعون من خلالها أن فرع المفالحة يشكل نواة قبيلة أولاد جرير وهم في الأصل جزء من قبيلة "حميان" التي كانت تستقر في العهد المريني في منطقة الجنوب الشرقي المغربي. بينما يتشكل فرع العساسة من عناصر مختلطة تنتمي إلى الشعابنة والمهابة، والدخيسة توات وأنگاد وأولاد الحاج وغيرهم.

والجدير بالذكر أن فرقة المطارفة من قبيلة حميان تنتمي إلى بطن لطيف من الأثبج حسب قول ابن خلدون. وأن بطون الأثبج وبني عامر كانت تقطن بصحراء بني يزيد قبل رحيلها واستقرارها بصحراء تلمسان بدعوة من أميرها يغمراسن ابن زيان.

يشكل أولاد جرير اليوم قبيلة صغيرة بالنظر إلى غيرها من القبائل الكبيرة في المنطقة كذوي منيع وبني كيل وحميان وأولاد سيدي الشيخ. ولما كانت مواطنهم تتقاطع مع مواطن ذوي منيع فإنهم دخلوا في حلف حمائي شبه دائم مع ذوي منيع يحاربون ويسالمون سوياً مَنْ ينازعهم المراعي ونقط الماء في المنطقة، كبني گيل والعمور وغيرهم. تمتد مجالات رعي قبيلة أولاد جرير في الجنوب من وادي الناموس "قرب فجيج" شرقاً إلى وادي إگلي غرباً. وتمتد في الشمال على معظم بلاد الظهرة حسبما ادعى قوادهم في رسالتهم إلى الحاكم الفرنسي ببشار بتاريخ 24 ربيع الأول عام 1329 / 15 مارس 1911 بدعوى أن معظم الآبار المحفورة في الظهرة وهوامشها الجنوبية حفرها أسلافهم وأسلاف ذوي منيع كما جاء في الرسالة. وهم يشاركون على هذا الأساس قبيلة بني گيل في رعي مواشيهم في الظهرة.

ويملك أولاد جرير كثيراً من النخيل في واحات تابعة لقصور بشار واكدة وفندي وموغل وغيرها. وكانت الزاوية القندوسية تمارس نفوذاً قوياً على القبيلة، لذلك كانت تقوم بدورها التحكيمي في معظم نزاعات أولاد جرير مع القبائل الأخرى. أما علاقتها مع المخزن فيترجمها تبادل الرسائل بين أعيان وقواد القبيلة وبين السلطان وعماله في أقاليم وجدة وفجيج وتافيلالت، وكذلك قيام شيوخ القبيلة أحياناً بتشكيل وفد لزيارة السلطان بفاس في مناسبات تجديد البيعة أو التهنئة بالعيد أو لرفع الشكاوي ضد الغير. وقد تشكل وفد منهم لزيارة السلطان مولاي الحسن عام 1310 / 1893 ضم كبار شيوخ القبيلة آنذاك وهم بالتوالي : الغازي ولد أحمد منصور من فرقة أولاد المير، ومحمد بن مقدم من فرقة أولاد دادة، ومحمد ولد سليمان من فرقة أولاد قويدر، ومومن ولد دحمان من فرقة أولاد بديار، استقبلهم السلطان وعينهم قواداً على فرقهم.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 88 ؛ مصطفى أبوضيف، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين*، 1982؛ *مذكرة عن قبيلة أولاد جرير* كتبها الضابط رينو Renault في عين الصفراء بتاريخ 20 شتنبر 1895، أرشيف بلاد ماوراء البحر .A.O.M 20H23.. إكس أن بروفانس ؛ مذكرة كتبها أودينو Odinot بتاريخ 12 مارس 1912، أرشيف ڤانسين .1H.1062 باريز.

S. Sayagh, *La France et les frontières Maroco-Algériennes, 1873-1902*, Paris, 1986

أحمد مزيان

الجريري، أسرة سلوية عريقة في العلم والصلاح، يُعرف أفرادها بابن الفقيه البرهوني نسبة إلى جدهم الأعلى الذي اشتهر بهذه الكنية وجرت على أبنائه من بعده. أنجب هذا البيت طائفة من الأعلام الذين كان لهم باع طويل في التدريس والإفتاء والقضاء، وكان منهم عدول وفقهاء، عرفوا بالعفة والصدق والفضل، أمثال :

الجريري، إبراهيم بن محمد ابن الفقيه السلاوي. أخذ عن أبيه القاضي محمد الجريري آتي الترجمة وعن غيره من العلماء السلاويين. وكان سنة 1282 / 1866 من عدول سلا، واستمر في عمله هذا إلى أن توفي قاضي البلد أبو بكر بن مَحمد ـ فتحاً ـ عواد سنة 1296 / 1879 فأسند إليه القضاء ومكث كذلك إلى وفاته.

كان إبراهيم الجريري عالماً محققاً، يختم صحيح *البخاري* بالمسجد الأعظم فتنفذ له صلة يستعين بها من مال الأحباس. وفي سنة 1301 / 1884 نفذت له قطعة أرض للحرائة بولجة سلا. كان قاضياً متحرياً صريح الشرع في أحكامه وفي جميع أموره. توفي بسلا يوم عاشر ربيع الثاني عام 1302 / 27 يناير 1885.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 63 ؛ أبو بكر القادري، *العلامة المفتي أحمد الجريري، شيخ الجماعة بسلا* 1277 ـ 1353، ص. 12 ؛ مصطفى بوشعراء، *التعريف*، ج. 2 ص. 57 و172 و177.

الجريري، أحمد بن **إبراهيم** بن محمد ابن الفقيه السلاوي، ولد عام 1277 / 1861 بمدينة سلا، وأمه بنت الفقيه المدرس الحسن بن أحمد بناصر معنينو، فهو قد أخذ العلم من أطرافه. قرأ على أهل بلده من المؤدبين والفقهاء، فاستظهر القرآن على يد الأساتذة الحاج أحمد خضُّور والحاج محمد بريطل الكبير، ودرس العلم على يد أبيه القاضي الحاج إبراهيم وأحمد بن خالد الناصري وعبد الله بن الهاشمي ابن خضراء والحاج محمد بن عبد السلام ابن الحاج. وفي سنة 1298 / 1881 شد الرحال إلى مدينة فاس فنزل بمدرسة العطارين ومكث بها مدة إلى عام 1302 / 1885، تتلمذ خلالها على كبار شيوخ فاس في ذلك العصر

أمثال محمد ابن المدني گنون وأحمد ابن الخياط ومحمد بن قاسم القادري ومحمد ابن التهامي الوزاني.

ولما رجع إلى مسقط رأسه صار يلقي دروساً بمختلف المساجد، فكان يدرس بين الظهرين الأصول بالمسجد الأعظم، وعلوم العربية والفقه بالزاوية الناصرية، ويقرأ السيرة النبوية بضريح سيدي أحمد حجي حتى عد شيخ الجماعة بدون منازع، إذ تخرج على يده جمهور من أعلام سلا كالقاضيين الهاشمي بن عبد الله ابن خضراء وعبد القادر بن محمد التُّهامي الوزاني، ومحمد العربي وأخيه جعفر ابني أحمد بن خالد الناصري، وأبي بكر بن الطاهر زنيبر وحجي زنيبر والحاج محمد بن أبي بكر التطواني والحاج محمد بن أبي بكر المريني والحاج محمد بن الحاج الطيب الصبيحي وأحمد بن محمد الصبيحي وزين العابدين ابن عبود وأحمد بن بنعاشر ابن عبد النبي الذي كان ملازماً له.

وإلى جانب التدريس المتواصل تصدر أحمد ابن الفقيه للإفتاء، فكانت فتاويه محكمة لا تخرج أبداً عن الراجح والمشهور من مذهب مالك. وكان قاسياً كل القسوة وعنيفاً أشد العنف على كل من سوّلت له نفسه أن يفتي الناس عن جهل أو عن طمع. فكان في أقواله كلها وفتاويه بأكملها مجادلاً بارعاً وأصولياً محققاً ومجتهداً مجدداً. حارب البدع والشعوذة، واتخذ موقفاً مشرفاً من مسألة الظهير البربري.

خلّف ذرية صالحة كما خلف عدداً كبيراً من الفتاوى عني بجمعها تلميذه الوفي أحمد ابن عبد النبي، فقد نسخها بخطه الجميل في كناش كبير. وحملت الشهامة ناظر الخزانة الصبيحية السيد الحاج عبد الله الصبيحي على نشرها بتحقيق الفقيه مصطفى النجار فخرجت في 352 صفحة، ورتبها في خمسة أبواب تتفرع إلى واحد وعشرين فصلاً واثنتين وسبعين ومائة فتوى :

الباب الأول : الأحوال الشخصية (21 فتوى)
الباب الثاني : البنوة والنيابة الشرعية (19 فتوى)
الباب الثالث : الالتزامات والعقود (36 فتوى)
الباب الرابع : الوصية والوقف (30 فتوى)
الباب الخامس : الشهادات والدعاوى (66 فتوى)

كان الفقيه أحمد الجريري رحمه الله شديد الورع، لايقبض شيئاً عن فتاواه العديدة الوفيرة زاهداً منكراً لذاته، بسيطاً في مأكله ومشربه وملبسه وفراشه، مُعرضاً عن جميع الوظائف المخزنية، واهباً نفسه للعلم والتعليم والقراءة والتحصيل والإرشاد، قانعاً بما كانت تدره عليه تجارته الصغيرة ومايُغله عليه بستانه الذي كان أحياناً يرى مشتغلاً فيه بنفسه، مكتفياً بذلك وبما ورثه عن والديه من متاع.

ومن شدة تواضعه أنه كان لا يريد من أحد أن يعوله، بل كان يشتري خبزته من الفران ويأكلها، تاركاً أهله يتزودون بما عجنوه في البيت. ويستنكف من أن يحمل له أحد من الناس حقيبة أو قفة، بل كان يتولى ذلك بنفسه مهما شق عليه. وقد شاهدت مراراً بعيني تلميذه الحاج أحمد بن عبد النبي يحمل قفته بنفسه ويقول لمن تطوع لإعانته : "دعني أحمل وزري ووسخي بنفسي" وهي صفة ورثها عن شيخه المترجم.

كان أحمد الجريري - منذ شبابه - مصاباً بمرض في عينيه، وذهب لأجل العلاج إلى مدينة قادس بإسبانيا سنة 1315 / 1898 فعوفي، لكن قبل وفاته بسنتين عاوده المرض حتى كفّ بصره.

توفي رحمه الله بمسقط رأسه سلا يوم تاسع ربيع الثاني عام 1353 / 22 يوليوز 1934، وشيّع جنازته جمهور غفير من تلامذته والمعجبين بسيرته الحميدة، ودفن بروضة الزاوية القادرية. وبعد أربعين يوماً أقيمت له حفلة تأبينية حضرها جم غفير من الناس ألقيت خلالها كلمات وقصائد كلها في شمائل هذا الشيخ الجليل القدوة الصالح المصلح.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 35-39 ؛ أبو بكر القادري، *العلامة المفتي أحمد الجريري*، الدار البيضاء، 1985، ص. 6-30 ؛ م. بوشعراء، *الذيل الجديد للإتحاف الوجيز*، مخطوط؛ *روايات شفوية*.

الجريري، أحمد ابن **الفقيه** البرهوني لا نعرف اسم أبيه، وإنما تدل الوثائق على أنه كان من عدول مدينة سلا المنتصبين للشهادة بها. وكان بقيد الحياة سنة عام 1142/ 1729.

الجريري، بناصر بن محمد ابن الفقيه السلاوي، الفقيه لعله أخو القاضي إبراهيم سابق الترجمة، كان من الأساتذة المدرسين بأحد الكتاتيب بسلا، وكان عام 1278 / 1862 بقيد الحياة، وهو من الذين انتفعوا من الصلة التي صرفت لعدد من المؤدّبين وحملة القرآن بمدينة سلا في هذا التاريخ.

م. بوشعراء، *التعريف*، 2 : 55.

الجريري، الحسن بن إبراهيم ابن الفقيه، فقيه مشارك أخذ عن علماء بلدته وفي مقدمتهم المؤرخ أحمد بن خالد الناصري، وعن جماعة من شيوخ علماء القرويين بفاس. ولما رجع لمسقط رأسه انخرط في سلك الموظفين ببعض المراسي، ثم اشتغل بخطه العدالة سائر حياته. توفي بسلا صباح يوم الاثنين 17 جمادى الثانية عام 1335 / 10 أبريل 1917.

ع. الله الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 290 ـ 291 ؛ *تقاييد خاصة*.

الجريري، محمد بن أحمد ابن الفقيه السلاوي، نعته محمد ابن علي الدكالي السلاوي بالأديب الكبير، المشارك الدراكة الشهير، وقال إنه كان مدرساً نفاعاً ومحققاً في العلوم كلها، له اليد الطولى في البلاغة والفقه والتفسير والحديث، أديباً يحفظ *مقامات الحريري*، ذا خط رائق. وقد عُرف بشرحه لمنظومة أحمد ابن الونّان التواتي من أهل القرن الثاني عشر (18 م) المعروفة *بالشمقمقية* التي مدح بها السلطان محمد بن عبد الله والتي مطلعها :

مهلاً على رسْلِك حادي الأينُق ولا تكلّفها بما لم تُطـــق

ولما أكمل شرحها في مائة كراسة أهداه إلى السلطان مولاي سليمان الذي كتب بخطه في طررها : "من منّ الله على عبده سليمان أن ملّكه هذا الشرح العجيب ..." ووصله بصلة سنية.

لم نعرف شيوخ هذا العالم الجريري، ولعل منهم محمد ابن الطاهر المير السلاوي المتوفى سنة 1180. فقد ترجم له محمد بن علي الدكالي في *الإتحاف الوجيز* بأنه كان شيخاً محدثاً وبحراً عباباً في معرفة الحديث والتفسير، وأنه أخذ عن بعض علماء المشرق. وحيث إن المير مات قبل الجريري بستين سنة فلا يبعد أن يكون المترجم أخذ عنه.

كان الجريري مدرساً نفاعاً يلقي دروساً في التفسير يحضرها الجم الغفير من أهل العدوتين سلا والرباط.

تقلد خطة القضاء بسلا عام 1222 / 1807 فكان فيها محمود السيرة. غير أنه استعفى السلطان مولاي سليمان منها فأعفاه.

توفي محمد الجريري بسلا عام 1240 / 24 . 1825 ودفن خارج باب المعلّقة.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز*، ص. 125 و128 و129، نشر الخزانة الصبيحية بسلا ؛ *إتحاف أشراف الملا*، ص. 106، مخطوط ومصور الخزانة الصبيحية بسلا ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 36 و263.

مصطفى بوشعراء

الجزاء، مصطلح فقهي جرى به العمل في المغرب، شرحه الفقهاء والنوازليون بأنه كراء على التبقية أو "كراء جرت العادة فيه بين الناس أن يمضي حكمه ويستمر" (*المعيار*، 7 : 52). وأول إشارة للجزاء بهذا المعنى وردت في المصادر التاريخية تتعلق ببناء مدينة فاس، فقد أمر إدريس الناس بالبناء، ولتشجيعهم وحثهم على الإسراع فيه، سمح لمن ابتنى داره قبل اكتمال بناء السور بامتلاكها، ومن بنى بعد ذلك كان ما بيده من حيازة كراء مستديماً، واشتهرت بسبب ذلك عدة جزاءات في مدينة فاس مثل (جزاء ابن برقوقة).

وفي العهد الموحدي توسع الجزاء ليشمل الأراضي الزراعية والمباني، وتجاوز أراضي المخزن ليشمل الأراضي المصادرة. وأبرز مثال لذلك قبيلة هزميرة، فقد تمت تصفيتها في إطار سياسة التمييز التي بدأت في عهد المهدي وصودرت ممتلكاتها "ووزعت جوائز لكل قبيلة جائزة" (*نظم الجمان*، ص. 94) فالجزاء بالمعنى الذي عرضنا له ـ وتقرأ الكلمة في اللسان العامي : (گزا) بجيم معقودة ساكنة ـ نوع من الحيازة والتصرف في الأملاك المخزنية أو الحبسيّة، لا هي ملكية خالصة ولا هي كراء عادي، بل هي منزلة بينهما، وتوجد اليوم في العديد من المدن العتيقة أحياء سكنية تعرف باسم (الجزا) أشهرها حي (الجزا) بمدينة الرباط الذي يعد اليوم جزءاً من شارع محمد الخامس.

ويبدو من الدراسات الميدانية ومن الروايات الشفوية أن هذا النوع من الحيازة والتصرف استمر إلى أيامنا هذه وشمل أملاكاً غير الأملاك المخزنية واتخذ اسماً ومصطلحاً آخر هو (الزينة)، وانتشارها أوسع من الجزاء وتقتصر على المباني السكنية والتجارية ولا تشمل الضيعات والأراضي الزراعية، وحسب رأي السكان فلاهي ملكية ولاهي كراء محدد بعقد ولا هي رهن أو هبة، وبهذه الصفة تم انتقال أراضي الجزاء ـ ومازال ـ من متصرف إلى آخر بالبيع والشراء والتوارث.

تجاوز الجزاء العقارات والأراضي الفلاحية ليشمل الماء. فالحقّ في الماء ـ وخاصة ماء السقي ـ كان يباع ويشتري ويكرى، ولعل دخوله في الجزاء كان ظاهرة مستجدة فأثار مشاكل بين الأطراف المعنية عرضت على الفقهاء والمفتين، ومنها قضية تتعلق بماء محبس على مسجد، فكان الجواب: "التحبيس لا يُبطل الجزاء) (*المعيار*، 7 : 52 و53).

ويبدو أن الجزاء الذي كان محصناً من الناحية الشرعية قد تضايق منه ذوو الحقوق أفراداً كانوا أم جماعات، مؤسسات ومخزناً، ففرض على المستفيدين من الجزاء خاصة أواخر العهد المريني ضريبة عرفت بمغرم الجزاء (*نفاضة الجراب*، ص. 324) واعتبرت في نظر المتضررين منها مظلمة كان بعض سلاطين بني مرين عند توليته يسارع إلى إزالتها ضمن بدع أخرى لتلميع صورته وافتتاح عهده باليمن والبركة. وترد في المصادر التاريخية تعابير تقليدية عن ذلك منها : "هَدم المروس وازال المكوس" ويتحدث صاحب *"المسند"* ان من عظيم ما فعله أبو الحسن

المريني رفعه للعديد من المظالم والمغارم ومنها مغرم الجزاء.

ابن القطان، *نظم الجمان*، تح. محمود علي مكي تطوان، د. ت ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر 1981 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، الجزء الثاني ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، بيروت.

محمد حجاج الطويل

الجزائر والمغرب عرفا نفس المصير عند الفتح الإسلامي سنة 62 هـ على يد عقبة بن نافع، حيث أصبحا تابعين للولاة المقيمين في القيروان من قبل الخلفاء الأمويين ثم العباسيين في الشرق. ولما ساءت الأحوال الداخلية ببلاد المغرب وانتشر فيه الخوارج انفصل كل من المغرب والجزائر عن نظر ولاة القيروان : تكونت إمارة بني مدرار الصفرية (138 ـ 354 / 755 ـ 965) في سجلماسة وبسطوا نفوذهم على جنوب المغرب الأقصى، وتلتها إمارة بني رستم الإباضية في تاهرت (160 ـ 296 / 776 ـ 908) وخضع لهم معظم المغرب الأدنى. وكان التعاون والتآزر على أشده بين الإمارتين الخارجيتين الجزائرية والمغربية.

تكرس استقلال المغرب الأقصى بقيام الدولة الإدريسية التي كانت حجر الأساس للدولة المغربية المستمرة إلى الوقت الحاضر. ولم تلبث الجزائر أن خلعت ربقة شيعة تونس بعد أن تأسست فيها دولة بني حماد الصنهاجيين (398 ـ 547 / 1007 ـ 1152 م) الذين حكموا المغرب الأوسط من حاضرتهم قلعة بني حماد ثم من بجاية، إلى أن قامت دولة الموحدين بمراكش ووحدت المغرب الإسلامي كله تحت سلطتها، من برقة إلى المحيط ومن الأندلس إلى الصحراء، وقد دام عصر الوحدة مع الموحدين أزيد من قرن عرفت بلاد المغرب والأندلس خلاله أزهى عصورها في كل الميادين السياسية والعسكرية والفكرية والعمرانية والحضارية.

وفي غمرة الانقسام الذي عمّ الامبراطورية الموحدية بعد أفول نجمها، قام بنو عبد الواد الزيانيون، عمّال الموحدين سابقاً في تلمسان، بتأسيس دولة في المغرب الأوسط استمرت ثلاثة قرون، ولو أنها ظلّت تُهاجَمُ باستمرار من طرف الحفصيين في تونس الذي استبدوا بدورهم بتلك المنطقة واعتبروا أنفسهم ورثة الموحدين، ومن طرف المرينيين بفاس الذين حلت دولتهم محل دولة الموحدين. فكان الزيانيون يتبعون تارة هؤلاء وتارة أولئك، إلى أن تدهورت سلطتهم واحتل الإسبانيون بجاية والجزائر ووهران وغيرها واستنجد الأهالي بالمجاهدين التركيين عرّوج وخير الدين (باربروس) لتحرير الثغور المحتلة، فلم تمض سنوات معدودات حتى انتهى أمر بني عبد الواد وأصبحت الجزائر إيالة تركية تابعة للباب العالي (924 / 1518 م).

دخلت العلاقات المغربية الجزائرية لأول مرة مرحلة توتر وصراع عنيف لم يكن ليخف إلا في فترات قصيرة طيلة القرون الثلاثة التي ظلت فيها الجزائر خاضعة للأتراك. ذلك أن هؤلاء كانوا يُمنّون أنفسهم بامتلاك المغرب الأقصى الذي بقي وحده خارجاً عن نفوذهم بعد أن بسطت الخلافة العثمانية حكمها المباشر على سائر البلاد العربية. وتجب الإشارة إلى أن الجزائريين لم يكونوا طرفاً في هذا النزاع، وأن حدوداً اصطناعية أقيمت لأول مرة بين البلدين الشقيقين، لكنها مع ذلك لم تستطع أن تمنع الاتصال بين المغاربة والجزائريين أو أن تصدّ موجة الهجرة التي شملت أسراً علمية من وهران وتلمسان وتجمعات قروية كقبيلة بني عامر الدين التحقوا بالمغرب الأقصى في فترات مختلفة. استنكافاً من عنف الانكشارية.

وقد عمل الفرنسيون، منذ احتلالهم للجزائر سنة 1246/ 1830 م، على تقوية الحدود والسدود بين الجزائر والمغرب، لا سيما إثر الدعم القوي الذي تلقاه الأمير المجاهد عبد القادر الجزائري من المغرب حكومة وشعباً، وتمكّنه من تحرير غربي الجزائر وفصله عن فرنسا لسنوات عديدة. (انظر : الجزائري عبد القادر).

وبالرغم على فرض الحماية الفرنسية على المغرب واستمرار احتلال الجزائر فقد تمكن الوطنيون المغاربة والجزائريون من إعادة ربط صلات الأخوة والتعاون بين حركاتهم التحريرية السياسية والمقاومة المسلحة التي انتهت بانعتاق القطرين الشقيقين واستعادة الحرية والاستقلال.

إبراهيم، ابن الرقيق، *تاريخ افريقية والمغرب*، تح. ع. العلمي الزيدان وآخر، بيروت، 1990 ؛ محمد التنسي، *تاريخ بني زيان ملوك تلمسان*، تح. محمود بوعياد، الجزائر، 1985 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء التاسع، الدار البيضاء، 1956 ؛ ع. الجيلالي، *تاريخ الجزائر العام*، بيروت، 1965 ؛ أ. توفيق المدني، *كتاب الجزائر*، الجزائر، 1350 ؛ *حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا*، الجزائر د. ت ؛ ع. العزيز سالم، *المغرب الكبير*، الجزء الثاني، بيروت، 1981.

محمد حجي

* * من نافلة القول أن العلاقات بين المغرب والجزائر متعددة المناحي والتخصصات تستدعي بالتالي مقاربة علمية مناسبة. فمن زاوية علم السياسة الخارجية، فإن هذه العلاقات تبدو من خلال التبادل الدبلوماسي وعقد المعاهدات الدولية، وتعليق الأوفاق أي أن معالجتها تتطلب مقاربة تفكيكية Approche déconstructiviste كما أن البراديغم الدولتي "Paradigme étatique" هو النموذج الأمثل في مثل هذه الدراسة نظراً لواقعيته. فهو ينطلق من "محورية الدولة" "Centralité de l'Etat" القائمة على نظرية توازن القوى وهاجس السيادة الوطنية غير القابلة للتصرف أو للاختراق على حساب نظرية القوى العميقة "Forces profondes" التي نادى بها المؤرخ بيير رونوفان Pierre Renouvin.

إذا فحصنا الفترة التي تبدأ مع استقلال الجزائر، إلى اليوم، أي في فترة عقود ثلاثة، فإن النقد التحليلي النزيه

يكشف لنا عن جدلية التعاون والصراع، عن وجود دائرة الانفراج ثم التوتر بين دولتين جارتين تنتميان إلى نفس الأرومة وتنخرطان في مجموعة قيم حضارية Communauté de valeurs وتتقاسمان رصيداً نضالياً وتتطلعان إلى مستقبل مشترك في إطار اتحاد المغرب العربي. هذه العلاقات الأخوية تتجاذ بها إذن جدلية الاستمرارية والقطيعة وتكشف الدورة التاريخية التي فتحتها في حياة البلدين حصولهما على الاستقلال تبلور واقع كل دولة منفصل ومختلف. وهذا الواقع يطبع سلوك كل منهما في أموره الداخلية والخارجية. ولهذه السياسة الخارجية محددات وألويات ودوائر تتسم بالاختلاف أكثر من التقاطع لديهما. ولعل النهج السياسي والاقتصادي الداخلي كان يفسر لعقود خلت هذا الأختلاف. كما أن استئثار الدولة ـ الوطنية ـ وخاصة في الجزائر ـ بمواقع صنع القرار السياسي تم للتعويض عن غياب الدولة كمفهوم محوري خلال الفترة الاستعمارية.

هذا التباين في المنظور السياسي، وهذا الواقع المنفصل والمختلف لا ينفيان وجود تقاطعات مع ذلك. بل إن هناك مرحلة شهدت فيها هذه العلاقات الثنائية ازدهارا عكسته العديد من الاتفاقيات المبرمة بين البلدين في العديد من المجالات، وكان مع تكون مؤشرة على وجود "وفاق" "Entente" و"تعايش" "Coexistence" بين دولتين جارتين. غير أن هناك متغيرات سرعان ما تعكر صفو هذه العلاقات وتأخذ وتيرة وأشكالا من التوتر والحرب الباردة وقد تذهب إلى حد الحرب الساخنة (كما وقع في حرب أكتوبر 1963 التي تعرف بحرب الرمال) أو بالحرب غير المباشرة عبر جماعات "البوليساريو" منذ عام 1976، التي تقدم لها الجزائر بسخاء دعما مطلقا وغطاء دبلوماسيا ومدداً جيوستراتيجيا الخ. وذلك لمعاكسة المغرب في استرجاع صحرائه بالطرق الدولية المشروعة بدءا بحكم محكمة العدل الدولية الشهير يوم 15 أكتوبر 1975 التي أقرت بأن الصحراء ليست أرضا خلاء كما كانت تزعم اسبانيا، وأن ثمّة روابط البيعة التي تجمع السلطان برعاياه في الصحراء الغربية والبيعة لا تقل معنى عن السيادة في مفهوم القانون الدولي، ومروراً بمعاهدة مدريد التي أنهت الوجود الاستعماري في الصحراء، ونهاية بمقررات هيئة الأمم المتحدة التي أوكل إليها بتنظيم الاستفتاء المرتقب والمؤجل لمرات عديدة. وإذا كانت الجزائر تؤيد ظاهرياً تطبيق هذا المبدأ فإنها في الواقع تعمد إلى عرقلته كما تكشف عن ذلك أعمال لجنة إثبات الهوية. والواقع أن موقفها ثابت لم يتغير وهو تطبيق مبدأ التوازن Principe d'équilibre أي انتهاج كل سياسية من شأنها أن تحرم المغرب من جذوره الإفريقية وإشعاعة في جنوب القارة، وذلك من منظور الواقعية السياسية الذي يوظف المبادئ لحساب المصالح.

هناك إذن جدلية الثابت والمتغير التي تحكم سلوك ووتيرة هذه العلاقات الثنائية، وهذا ما يفسر كون هذه العلاقات توصف في الغالب بأنها "عادية"، كما تكون بين الدول، أن أنها غير "استثنائية"، أو "متميزة" كما تصح بها قاموس العلاقات بين الدول.

ووصف العلاقات بين الجزائر والمغرب بأنها "عادية" جاء على لسان الوزير الأول الجزائري السيد أويحيى لدى زيارته لتونس يوم 22 / 12 / 1996. وهذا التعبير الدقيق يجسد حالة جوار جغرافي، طبيعته ميتة (راجع شؤون مغربية، الاقتصادية، علاقات عادية بين الجزائر والمغرب، العدد الحادي عشر يناير 1997، ص. 3).

وقد اعتاد المغرب والجزائر في الثلاثين سنة ونيف أن تكون بينهما حالة لا علاقات، فإن الحدود المقفلة منذ حادثة فندق أسني بمراكش في غشت 1994 كانت مقفلة أيضا في فترة مضت، وفتح تلك الحدود يعتبر استثناء وإقفالها هو الحالة العادية منذ خمسين سنة تقريبا (نفس المصدر، ص. 3).

هذا المشهد الذي يتأرجح بين فتح الحدود وإقفالها والمتزامن مع فترة إقامة علاقات عادية والدخول في فترة "اللاعلاقات" يؤثر على وتيرة الإنتاج الاتفاقي Production conventionnelle بين الدولتين ويفسر محدوديتها بل وتراجعها.

السؤال المطروح هنا ما هو الإطار القانوني المنظم لهذه العلاقات وما هي مميزاته ؟

إن مختلف الجوانب التي تجسّد علاقات التعاون بين الجزائر والمغرب تنظمها مجموعة من النصوص القانونية المتنوعة التي جاءت نتيجة العديد من اللقاءات والمحادثات على جميع الأصعدة. فتقنين هذه العلاقات جاء متزامناً مع زيارة الملك الحسن الثاني إلى الجزائر لأول مرة خلال الفترة الممتدة ما بين 13 و15 مارس 1963 صدر في أعقابها بيان مشترك يقضي بالشروع في المفاوضات بين المغرب والجزائر. كما تم خلالها التوقيع على مجموعة من المعاهدات المهمة، نذكر منها على سبيل المثال : اتفاقية الاستيطان Convention d'établissement، واتفاقية حول العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، واتفاقية حول المساعدة المتبادلة والتعاون القضائي، واتفاقية حول التعاون الإداري والتقني، إلى جانب اتفاقيات في المجال الثقافي والبريد والبحث الزراعي.

ومباشرة بعد هذا التوقيع عمد الطرفان إلى توقيع سلسلة جديدة من الاتفاقيات تمثلت في الاتفاق حول تكوين أعوان وأطر للصناعة والمعادن والطاقة، وآخر خاص بالنقل الجوي، إضافة إلى اتفاقيتين متعلقتين بالتعاون والمساعدة المتبادلة في ميادين الصناعة وتبادل بعض الرسائل.

ولم تنته هذه الفترة الأولى من وضع الإطار القانوني للعلاقات المغربية الجزائرية إلا في عام 1965 بتوقيع برتكول إضافي للاتفاقية التجارية والتعريفية الموقعة في

نونبر 1965. من المؤكد أن هذه المرحلة زاخرة بالعديد من المعاهدات القطاعية، من أبرزها الاتفاقية الدبلوماسية والقنصلية التي تنص على أن يقوم البلدان بدراسة المشاكل المطروحة أو التي تعترض علاقتهما، ويجتمعان دوريا لاتخاذ مواقف موحدة في ميدان السياسة الخارجية "Positions communes en matière de politique étrangère" على صعيد المنظمات الدولية، وأن يبتعد كل طرف عن اتباع سياسة أو إبرام اتفاقية تتعارض ومصالح الطرف الآخر ؛ وأن يقوم كل بلد بتمثيل مصالح البد الآخر دبلوماسيا أو قنصليا إذا ما طلب منه ذلك، وأن يتشاور الجانبان فيما يتعلق بتوزيع تمثيلهما الدبلوماسي أو القنصلي بالخارج.

وتلت هذه المرحلة التي تعد فترة زاهية في عهد العلاقات الدبلومسية مرحلة ثانية دشنت في عام 1969 بعد أن ظهرت لدى الطرفيين الرغبة المشتركة في الرقي بها إلى مستوى أحسن، وذلك بمحاولة تجاوز الخلافات الثنائية الناتجة أساسا عن النزاع الحدودي، وقد انطلقت هذه المرحلة من الناحية الفعلية بزيارة الرئيس هواري بومدين للمغرب في يناير من نفس السنة حيث وقع الجانبان المغربي والجزائري ابتداء من هذه المناسبة، وإلى حدود عام 1973 العديد من الاتفاقيات والبرتكولات دعمت مسيرة البلدين فيما يتعلق بتقنين وتوسيع العلاقات الثنائية. توصل الطرفان خلال عام 1969 إلى توقيع معاهدة الأخوة وحسن الجوار لمدة عشرين سنة، وهي تنص على إرساء سلم دائم وصداقة متينة وحوار مستمر بين البلدين، ودعم العلاقات المشتركة في جميع الميادين قصد تطوير التعاون لمصلحتهما. وبمقتضى الفصل الخامس من هذه الاتفاقية الأساسية "يتعهد الطرفان بعدم الانخراط في أي حلف أو تحالف موجه ضد أحدهما" كما يتعهدان أيضا بحل جميع القضايا المعلقة بواسطة لجان ثنائية أو بوسائل ملائمة.

وقد تم الاحتفال بمرور عشرين سنة على إبرام هذه المعاهدة خلال زيارة الرئيس الجزائري الشادلي بن جديد إلى المغرب في يناير 1989.

إلى جانب هذه الاتفاقية ـ الأساس تمّ إبرام العديد من الاتفاقيات القطاعية كتلك التي تهم الخزينة العامة المغربية ونظيرتها الجزائرية، وتلك المعاهدة المبرمة في عام 1971 حول المساعدة المتبادلة في الميدان الإداري بهدف زجر المخالفات الجمركية وبرتكول إضافي للاتفاقية التجارية والتعريفية إضافة إلى بعض المحاضر الصادرة عن اللجنة المختلطة المغربية الجزائرية. وخلال عام 1972 وقع البلدان برتكولا إضافيا آخر للاتفاقية التجارية والتعريفية المبرمة عام 1964، واتفاقية لرسم الحدود بين البلدين، وأخرى تتعلق بالاستغلال المشترك لمنجم الحديد الموجود في غارة جبيلات، واتفاقية متعلقة بإنشاء شركة للبناء والاستغلال المشترك لمعمل الاسمنت بمدينة وجدة. وقد اختتمت فترة السبعينات بتوقيع اتفاقية تجارية وتعريفية جديدة في عام 1973.

والملاحظ أن هذه المرحلة الغنية بإبرام معاهدات ثنائية ذات شأن كبير في رسم علاقات الدولتين وحسم خلافهما الحدودي جاءت نتيجة رغبة قائدي البلدين في تصفية المشاكل العالقة بينهما. وهذا يفسر توالي الزيارات الرسمية وتوقيع العديد من الأوفاق في مختلف القطاعات، غير أنه سرعان ما سوف تخبو وتيرة التعاون ويسود الجفاء والقطيعة الدبلوماسية في المرحلة الثالثة التي تزامنت مع موقف الجزائر من استرجاع المغرب لصحرائه المغتصبة. وقد ظهر هذا الموقف العدائي منذ انطلاق المسيرة الخضراء في 6 نونبر 1975 أمام مجلس الأمن الدولي، وتجلى بوضوح من خلال اعتراف الجزائر بالجمهورية الصحراوية ضداً على الشرعية الدولية وتناقضا مع مبدأ الاستفتاء حيث لا يمكن استباق النتائج قبل تنظيم الاستفتاء، ومن العبث إذن الاعتراف بدولة لا تتوفر على مقوماتها الضرورية.

ثم عادت الحدود إلى الإقفال بعد طرد المواطنين المغاربة المقيمين في الجزائر في عام 1977 لخلق أوضاع اقتصادية والانتقام من المغرب. وظلت القطيعة سائدة من عام 1976 إلى مايو 1988 تاريخ استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين في أعقاب عقد مؤتمر القمة العربي في الجزائر. وكانت المناسبة سانحة لعقد لقاء بين الملك الحسن الثاني والرئيس السابق بن جديد ومؤشراً على إعطاء ديناميكية للعلاقات الثنائية توجت بتوقيع عدد من الاتفاقيات والبرتكولات وباجتماع اللجان المختلطة لإعادة الروح إلى الاتفاقات السابقة التي تعطلت بتأثير الجمود السياسي الذي طبع علاقات البلدين: من أهم ما تم التوقيع عليه البرتكول الخاص بدراسة وبناء أنبوب الغاز الطبيعي "المغرب العربي ـ أوربا" في يبراير 1989 واتفاقية في الميدان الإعلامي واتفاقية تجارية وتعريفية وأخرى بإنشاء لجنة مختلطة كبرى واتفاقية حول إلغاء ازدواجية الضرائب.

والملاحظ أن بداية عقد السبعينات عرف إبرام عدد من الاتفاقيات في مجال التعاون الإداري المتبادل لزجر المخالفات الجمركية ؛ وفي مجال التعاون التجاري...

ومن جرد سريع لمجمل هذه الارفاق الثنائية التي تمثل الإطار القانوني للعلاقات بين البلدين، نسجل أن عددها يزيد على المائة موزعة بين اتفاقيات وبرتكولات ومحاضر اجتماع للجان المختلطة وبلاغات مشتركة ورسائل تبادل وبرامج تنفيذية. وكلها تعبر عن التزام الدولتين بما تتضمنه من مقتضيات وتخضع للقانون الدولي وفق ما تحكمه معاهدة فيينا للمعاهدات الدولية لعام 1969.

لهذا الإطار العام مميزات نود الإشارة إليها في عجالة.

تكمن هذه المميزات في نوعها وتطبيقها والهدف المنشود منها.

أولا : من حيث النوع، فإن الإطار الذي يحكم هذه العلاقات ينقسم إلى ستة أنواع :

1 ـ ثلاثة وثلاثون اتفاقية أو اتفاق.

2 ـ عشرة برتكولات اتفاق أو ملاحق أو إضافات.

3 ـ أربعة بلاغات مشتركة.

4 ـ ثماني تبادل رسائل.

5 ـ ستة وثلاثون محضر اجتماع اللجن المختلطة الكبرى أو المتخصصة.

6 ـ ثمانية برامج تنفيذية.

إلا أن محاضر الاجتماع 35٪ من العدد الإجمالي والاتفاقيات 32٪ من مجموع النصوص تمثل أغلبية ثلثي النصوص المبرمة بين الطرفين. وإذا كان صنف "محاضر الاجتماع" هو السائد فمردّ ذلك إلى ما شهدته الساحة من محادثات ومفاوضات، فإن وفرة الاتفاقيات يمكن إرجاعها إلى مؤشر على الدفع بالعلاقات الثنائية إلى ما يطمح إليه البلدان من توثيق عرى التعاون والتضامن.

ثانيا : من حيث التطبيق، تنقسم هذه النصوص إلى إلى أصناف ثلاثة يمكن إجمالها كالتالي :

1) صنف من النصوص يدخل حيز التنفيذ بمجرد التوقيع عليه بناء على تنقية الشكل المبسط Accord en forme simple، والتي ليست في حاجة إلى اتباع مسطرة التصديق. ومن بين هذه النصوص نجد محاضر الاجتماعات، والإعلانات المشتركة، والبرامج وبعض الاتفاقيات التي تنص على هذا الشرط. مثال ذلك الفصل الثامن من الاتفاقية الجمركية والتعريفية الموقعة بين المغرب والجزائر بالرباط في نونبر 1963.

2) صنف النصوص التي دخلت إلى حير التطبيق المؤقت Application provisoire، كما هو الشأن بالنسبة للاتفاق المتعلق بإحداث لجنة مختلطة مغربية جزائرية للتعاون الاقتصادي والثقافي والعلمي المبرم بالجزائر يوم 23 أبريل 1963، وهذا النوع من النصوص ينفذ بمجرد التوقيع عنه..

3) صنف النصوص التي لا يمكن تنفيذها إلا بعد تبادل وثائق التصديق Echange des instruments de ratification أو نشرها في الجريدة الرسمية، أو بعد المصادقة عليها حسب المقتضيات الدستورية لكلا البلدين. نذكر منها على سبيل المثال "معاهدة الأخوة وحسن الجوار والتعاون" المبرمة بين البلدين بتاريخ 15 يناير 1969، والمعاهدة المتعلقة برسم الحدود الموقعة بالرباط يوم 15 يونيه 1972. وقد تبادل الطرفان وثائق التصديق عليها بالجزائر يوم 15 يونيه 1989 لتدخل بذلك في حيز التنفيذ واضعة بذلك تسوية لمشكل الحدود. والمصادقة المغربية تأتي - كما قال جلالة الملك في خطاب العرش يوم 3 مارس 1989 - بعد أن زالت كل المعوقات التي كانت تحول دون مبادرة المغرب بالمصادقة على هذه المعاهدة التي سبق للجزائر أن صادقت عليها ونشرتها بالجريدة الرسمية. أما اتفاقية استغلال منجم حديد كارة جبيلات التي تم التوقيع عليها في عام 1972 فإنها لم يتم تبادل وثائق التصديق عليها كما كان مقرراً.

ثالثا : من حيث الهدف الحقيقي من هذه النصوص :

إن الغرض من وضع إطار قانوني لهذه العلاقات الثنائية جاء ليؤكد الرغبة في إظهار حسن النوايا من الطرفين المتعاقدين، غير أن الواقع يكشف أن إبرام هذه المعاهدات ـ إذا استثنينا المرحلة الأولى ـ جاءت لتجاوز أزمة حادة في العلاقات الثنائية. كما أن المصادقة على العديد منها يأتي متأخراً.

ويرى بعض المحللين أن كمّ هذه الاتفاقيات لا يمثل قوة بل بالعكس يشكل ضعفا إلى جانب كونها ذات مضمون عام وغير محدد، الشيء الذي لم تسفر عنه نتائج ملموسة، وسيدفع بالجانبين إلى الاهتداء بأسس تفاهم ذات طبيعة اقتصادية في إطار مغاربي.

إن الدبلوماسية المتعددة الأطراف Diplomatie multilatérale المبنية على أساس إحياء مشروع المغرب العربي تستخدم في فترة الأزمة التي تمر بها العلاقات المغربية الجزائرية كأسلوب بديل للدبلوماسية الثنائية Diplomatie bilatérale. غير أن هذه الصيغة تظل مع ذلك استثنائية أو بعبارة أدق "احتياطية". إذا علمنا أن حصيلة الاتفاقيات المبرمة داخل هذا الإطار المؤسساتي النافذة لا تزيد على خمس من ضمن خمس وثلاثين اتفاقية تختلف موضوعاتها وتتباين إجراءاتها، مما يشكك في قدرة أداء هذه المجموعة الإقليمية لوظيفتها. ومن الجليّ أنها تتأثر سلباً أو إيجاباً بالعلاقات القائمة بين أطرافها وخاصة منها العلاقات المغربية الجزائرية التي تمثل قطب الرحى في هذا التجمع.

نصوص المعاهدات والاتفاقيات المشار إليها داخل النص.

عبد القادر القادري

الجزائري، أبو **بكر** بن عبد الوهاب العلوي الطنجي، ترجمان مقتدر وصحافي شهير. ولد بقنسطينة بالجزائر حوالي عام 1287 / 1870، وتلقى تعليمه العربي والفرنسي بعاصمة الجزائر، وعُين هناك "بَاشْ عدل". ثم انتقل إلى مدينة طنجة هو وأسرته فاستقرّ بها ثلاثة أعوام قبل أن يتوجه إلى برلين ليشغل منصب أستاذ اللغة العربية بإحدى كلياتها، واستمر في عمله هذا نحو عشرة أعوام. وحضر سنة 1906 مؤتمر الجزيرة الخضراء بصفته ترجمان الوفد المغربي. وعرضت عليه الحكومة المغربية منصباً فقبله ورجع إلى طنجة حيث عين نائب مندوب الجلالة الشريفة في شركة التبغ بطنجة.

وأثناء الحرب العظمى الأولى (1914 ـ 1918) أُلقي عليه القبض هو وزوجته الألمانية وأولاده منها وسيقوا إلى السجن لأفكاره السياسية الوطنية التي اشتهر بها، ثم

أفرج عنهم بعد انتهاء الحرب وأُلزم بالإقامة الجبرية بمدينة سلا، فاستقر بها أعواماً يعيش مع معارفه السلاويين في جو من المحبة والتقدير، وتعرّفت إليه في تلك الحقبة من الزمن، إذ كان يزور منزلنا بسلا لصداقته لشقيقي عبد اللطيف الصبيحي ـ رحمهما الله ـ.

وعرفت فيه الرجل المهيب العالم الأديب الغيور على بلاده وعروبته، فكانت الشخصيات المرموقة بسلا تتشوف إلى الاجتماع معه والتمتع بحديثه الشيق المفيد، وهو لايلبي إلا استدعاء مَن يُوافقه في طبعه وميوله ومبادئه.

وعلاوة على ثقافته العربية والألمانية الواسعة وحفظه لغُرر الأدب والشعر النفيس فإنه كان يحسن الضرب على العود ويهوى الموسيقى العربية ـ ذا شمم وعلو همة تكاد تحسبه أميراً إذا أقبل في زيّه العربي وهندامه الأنيق، لا يضيره شئ إلا ما كان عليه من قلة ذات اليد مع كثرة الأولاد.

ثم انتهت مدة إقامته بسلا فأُذن له بالرجوع لطنجة ورُدت إليه دارُه بعد رفع الشقاف عن الأملاك الألمانية أو التي هي على ملك من كان يتمتع بحماية الألمان أو داخلا في معناها، فجاء يودع أخي، وأذكر أنه كتب على ورقة مستطيلة بالرصاص : لا إله إلا الله مُحمد رسول الله. وقسم الورقة شطرين، أمسك الشطر الأول وأعطانا الشطر الثاني، ثم انصرف. وبلغني عن طريق صهره بطنجة أخيراً وهو الفاضل صاحب الطابع التونسي، أنه بعد رجوعه لطنجة فتح مكتب مدافع، ثم أسس صحيفة عربية أسبوعية سماها : *إظهار الحق*، وكان هو محررها.

وتوفي رحمه الله بطنجة يوم الاثنين 22 ذي القعدة عام 1348 / 21 أبريل 1930.

أبو بكر الصبيحي، *مختصر تاريخ سلا*، مخطوط المؤلف في خ. ص.

أبو بكر الصبيحي

الجزائري، بلقاسم بن العربي عشاش، أحد التراجمة الجزائريين الذين دخلوا المغرب بعد توقيع معاهدة الحماية وكان في العشرينات ترجماناً في بلدية سلا إلى جانب المراقب المدني جان كوستي مؤلف كتاب *Les grandes familles indigènes de Salé*.

وقد نقل بلقاسم عشاش هذا الكتاب إلى اللغة العربية بدون عنوان، وأهداه باسمه إلى باشا سلا الحاج محمد الصبيحي (الصفحة الأولى من النص المترجم بخط عشاش نفسه) وقد تمت الترجمة بعد نحو سنة من انتهاء مؤلفه الفرنسي من تحريره في 3 يناير 1925. (انتهاء الترجمة في فاتح شعبان عام 1344 / 14 فبراير 1926). وأضاف المترجم باباً رابعاً سماه الخاتمة بعد الأبواب الثلاثة التي بنى عليها المولف كوستي كتابه، وفيه يظهر نبل عشاش وغيرته واعتزازه بالحضارة العربية الإسلامية حيث قدم إلى الشبيبة السلوية نصائح قيمة للإقبال على التعليم واتخاذ السلف الصالح قدوة وعدم الاغترار بمظاهر الحضارة الغربية وتقليدها تقليداً أعمى.

وقد حققت الأستاذة نجاة المريني *بيوتات مدينة سلا* ووضعت له تعليقات وملاحظات ونشرته الخزانة العلمية الصبيحية سنة 1989.

توفي بلقاسم عشاش خلال الأربعينات في حدود عام 1360 / 1941.

ب. عشاش نفسه، *بيوتات مدينة سلا* (الاهداء والخاتمة) ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 36 ؛ م. حجي، *فهرس مخطوطات الخزانة العلمية الصبيحية*، ص. 425 ؛ ن. المريني، *بيوتات مدينة سلا*، التقديم، ص. 3 ـ 17.

محمد حجي

الجزائري، عبد القادر (الأمير ـ) بن محيي الدين. مقاوم شهير للاستعمار الفرنسي.

ا ـ تمثل مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري (1248 ـ 1263 / 1832 ـ 1847) لحظة تاريخية هامة في التاريخ المغاربي المعاصر، وذلك من أوجه ثلاثة : فإلى جانب نوعية التحدي الاستعماري الذي فجّر المقاومة الجزائرية بقيادة الأمير، هناك الرهان المغاربي الذي انطوت عليه، وحيوية الطاقات الجهادية التي استندت إليها.

أما نوعية التحدي الاستعماري، فتستمد مقوماتها من طبيعة واتجاه الحملة العسكرية الفرنسية التي بدأت باحتلال الجزائر العاصمة (13 محرم عام 1246 / 4 يوليوز 1830) وتواصلت بغزو متذبذب للبلاد الجزائرية عامة (1246 ـ 1253 / 1830 ـ 1837)، وانتهت بمشروع الاحتلال العسكري الشامل والدائم للجزائر (1254 ـ 1263 / 1838 ـ 1847).

وأمام بسالة الجزائريين في المقاومة وعبقرية الأمير في تدبير القيادة السياسية والعسكرية لها، وظفت الدولة الغازية كل أسباب القوة العسكرية، رجالاً وعتاداً، مما

تتوفر عليه لتدمير الدولة الجزائرية الفتية، في مرحلة أولى (1255 ـ 1257 / 1839 ـ 1841) وتدمير مقومات الصمود بل الوجود للشعب الجزائري، في مرحلة ثانية : سياسة الأرض المحروقة التي انتهجها بيجو Bugeaud سنوات (1255 ـ 1257 / 1841 ـ 1846). كتب أحد ضباط الجنرال بيجو لتبرير أعمال التدمير : "يجب أن نهاجمهم (أي الجزائريين) في صميم الممتلكات المنقولة وفي حصاد زروع القبائل لإرغامهم على الخضوع. إن حضارة أفضل تمنح لهذه البلاد يجب أن تكون تبريراً (لهذه الأفعال) في نظر الإنسانية، كما تكون تبريراً، أمل ذلك، عند الله".

وإزاء هذا التحدي الاستعماري، في بعده الجزائري خصوصاً وفي أبعاده الإقليمية عموماً، وفي مستهدفاته السياسية والدينية والحضارية للأقطار المغاربية بصفة أعم، فقد أمسى التضامن المغاربي لمواجهة الأخطار المحدقة، رهاناً دقيقاً لاستمرار المقاومة الجزائرية، بقيادة الأمير عبد القادر، وشرطاً حيوياً لدعم صمودها.

وتشكل معطيات التضامن المغربي، دولة وشعبا، مع المقاومة الجزائرية على مدى فترة المواجهة العسكرية للاحتلال (1246 ـ 1263 / 1830 ـ 1847)، فصلاً تاريخياً حافلاً، ما يزال مجهولاً في تفاصيله، وفي تقدير مستوياته الكمية (إمدادات السلاح / المئونة / الرجال) وفي تقييم عناصره المعنوية (الدعم السياسي / الإسناد المعنوي / التعبئة الشعبية إلخ..)

وتجمع المصادر الفرنسية التي رصدت بشكل دقيق مسار الدعم المغربي لحركة المقاومة الجزائرية، كما وكيفا، على أن نهوض واستمرار هذه المقاومة ظل متناسباً طردياً مع حركة الدعم المغربي هذه. فقد واصل السلطان عبد الرحمان دعمه للأمير عبد القادر بكيفية مستمرة وكثيفة إلى حدود عام 1259 / 1843، معبئا في ذلك مجهوداً مالياً وعينياً، كانت له انعكاسات عميقة على خزينة الدولة.

وبعد فترة نكوص قصيرة، صادفت لجوء الأمير إلى منطقة الحدود الشرقية للمغرب، على إثر الحملات الهجومية التي قادها بيجو، منذ سنة 1257 / 1841، استؤنفت حركة الدعم، بأشكال مختلفة، طغى عليها الجانب الشعبي، إلى حدود عام 1263 / 1847.

وفي غمرة هذا التضامن المغربي ـ الجزائري في مواجهة الاحتلال الفرنسي، تفجرت مكامن القوة الذاتية وانكشفت حيوية الطاقات الكفاحية التي تزخر بها الشعوب المغاربية، وتجد طريقها إلى الفعل والإنجاز عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن العقيدة وحماية الكيان ومواجهة العدوان.

2 ـ وتشكل تجربة الأمير عبد القادر الجزائري (1223 ـ 1300 / 1808 ـ 1883) نموذجا حيا يمكن أن تتمخض عنه لحظة تاريخية حاسمة مثل تلك التي تفاعلت فيها إرادة المقاومة لدى الشعب مع عبقرية رجال أفذاذ في صورة الأمير عبد القادر. فقد استلم الأمير عبد القادر مشعل المقاومة من أبيه محيي الدين، في ظل ظروف عصيبة، اتسمت بثلاث سمات رئيسية :

أولاها : فشل محاولات السلطان مولاي عبد الرحمان من أجل تأطير وقنونة المقاومة الجزائرية في الإقليم الوهراني بالرغم من المجهودات التي بذلها منذ أن قرر الاستجابة لطلب النجدة الجزائرية والقبول ببيعة أهل تلمسان. ولقد كان لتصرف جيش الأوداية، أثناء حملة تلمسان الأولى، بقيادة الأمير مولاي علي، وفشل الحملة الثانية بقيادة ابن العمري في تقويم الوضع وهيكلة حركة المقاومة ـ أبلغ الأثر في نفوس الجزائريين وفي نفس السلطان على السواء. ولقد اقتنع مولاي عبد الرحمان، على ضوء نتائج هاتين الحملتين، بأن تدخلاً مغربياً مباشراً لمقاومة الغزو الفرنسي للجزائر لم يكن متاحاً بسبب فشل المحاولتين، ولا مناسباً بسبب الضغط الفرنسي على المغرب.

ثانيها : تصاعد القمع والاضطهاد اللذين مارسهما الجنرال بوايبي في الإقليم الوهراني عقب جلاء القوات المغربية عن المنطقة، إذ ما انفك يردد هذا الجنرال : "إن أفضل لغة مع هؤلاء القوم هي إنزال الضربات القاضية التي تفزع وترهب". وبفضل سياسة ومنهجية القتل، بدون محاكمة، التي اتبعها مع المشبوه فيهم من الجزائريين، فقد ساد جو مثقل من الرعب والفزع في وسط الجزائريين.

ثالثها : انعدام عنصر الوحدة والاتساق في مقاومة الجزائريين للغزو والاحتلال، وذلك في غياب قطب سياسي كفيل باستقطاب المقاومات المتفرقة وتعبئة القوات الحية، من جهة، وفي عدم توفر مركز موحد للقرار يتولى اصدار التوجيهات المشتركة، واتخاذ القرارات الموحدة، من جهة أخرى. وفي ظل هذه الشروط المحبطة، حاول محيي الدين، الذي كان يحظى باحترام وتقدير عدد من القبائل الوهرانية وخاصة قبائل جشم وبني عامر، باعتباره مقدما للزاوية القادرية ذات النفوذ الواسع بالجزائر ـ حاول قيادة حركة المقاومة.

بيد أن سن الرجل، من جانب، ومحدودية قدراته العسكرية، من جانب آخر، حالا دون تمكنه من قيادة حركة المقاومة بما يتطلبه الموقف من حركية وحيوية وفعالية.

ويبدو أن فشل محاولاته لاقتحام مدينة وهران، بالرغم من انخراط اثنتين وثلاثين قبيلة جزائرية في حركية جهادية، بلغ تعداد المجندين من صفوفها نحو 12.000 رجلاً، أقنعته بضرورة تسليم مشعل القيادة وترشيح أصغر أبنائه، عبد القادر، لرئاسة حركة المقارمة.

ويبدو أن القبائل الجزائرية الملتفة حول زعامة الشيخ محيي الدين، قد صادقت بكيفية جماعية وحماسية، خلال الاجتماع الذي عقدته في سهل اغريس، يوم 28 جمادى الثانية عام 1248 / 22 نونبر 1832، على تعيين عبد القادر أميراً للجهاد، خلفاً لأبيه. ومما لاشك فيه، أن الخصال

النادرة التي جمعها شخص الأمير الشاب (24 سنة) قد استقطبت إجماع القبائل المجاهدة. فقد كان عبد القادر معروفاً بحزمه في العمل بروح ونص القرآن والحديث، صارما في تطبيق تعاليم الدين. "وكان الأمير يصرح بدون تردد : سوف أحكم والكتاب في يدي، وإذا اقتضى الكتاب بأن أجهز على عنق أخي بذبحه فلسوف أقدم على ذلك بنفسي".

وعلى امتداد حياته الجهادية لم يحد الأمير قيد أنملة على هذا النهج الصارم في الحكم بين الناس وتدبير قضاياهم. وإلى جانب كونه رجل عقيدة ومبدأ، فقد كان الأمير صاحب جرأة في المواجهة وشجاعة في النضال، كان يتصدر المجاهدين في الإجهاز على العدو ويتقدم الصفوف في الاشتباك، غير مبال بمصيره الشخصي ولامكترث بمخاطر الاقتحام. وقد حدث أكثر من مرة أن سقط جواده من تحته، صريعاً تحت وابل الرصاص، فكان الأمير يتطي، بخفة وجرأة، حصانا آخر ويواصل القتال.

وإلى جانب هذه الشجاعة النادرة في الجهاد التي أكسبته حنكة لا تعادلها حنكة في فن القتال والاقتحام، فقد كانت مواهب الأمير في تخطيط وتدبير المعارك وفي ابتكار أساليب الهجوم والتفنن في أصناف الكر والفر، وإرهاق الخصم وإرباك صفوفه، على كثرة عددها ووفرة عتادها، ما جعله يؤسس لنمط جديد في علوم الحرب، وهو نمط حرب العصابات الذي ستأخذه عنه كافة الحركات التحريرية، ابتداء من محمد بن عبد الكريم إلى حركة التحرير الجزائرية.

ولكن عبقرية الأمير عبد القادر تأخذ أبعادا أخرى، عندما نتأمل حركته الجهادية في ظل المشروع المجتمعي الذي أطر هذه الحركة وأمدها بأبعادها الحقيقية، فقد اتجه الأمير، منذ تقلده إمارة الجهاد، إلى جعل حركة المقاومة ضد الغزو والاحتلال أداة لبناء كيان جزائري متماسك، كما دأب على توظيف مقومات هذا الكيان الناشئ في دعم وتوسيع حركة المقاومة الوطنية. وفي ظل هذه الجدلية الحية بين المقاومة والإنشاء، بين الجهاد وتحديث الدولة، تكمن عبقرية الرجل، ويمتد بعد نظره.

وهكذا، فقد واكب المرحلة الأولى في مسار المقاومة الجزائرية، وهي مرحلة صعود (1247 ـ 1253 / 1832 ـ 1837)، جهد إنشائي في مجال بناء كيان وطني جزائري، على أنقاض الكيان التركي المنهار، فقد وظف الأمير الانتصارات التي حققها ضد الجيش الفرنسي، خلال هذه المرحلة، في توحيد القبائل وقطع دابر الزعامات التقليدية وقمع المتنطعين وصهر فعاليات المجتمع الجزائري، السياسية منها والدينية في إطار وحدة وطنية متماسكة، من بجاية إلى تلمسان، ومن عين مهدى إلى تنس.

كما شهدت المرحلة الثانية في مسار مقاومته (1254 ـ 1256 / 1838 ـ 1840)، وهي مرحلة توطيد للمجال الترابي المحرر، إقبال الأمير على إقامة وتدعيم أسس دولة حديثة. فقد استثمر اتفاقية تافنا (26 صفر عام 1253 / 30 مايه 1837) التي اعترفت بسيادته على نحو ثلثي التراب الجزائري، من أجل تنظيم الإدارة والجيش والجباية والعدل وسك عملة وطنية، وإحكام تقسيم وتنظيم المجال الترابي وإحداث بعض الصناعات الحربية وتنظيم اقتصاد حرب، وهي كلها أسس ومقومات استهدفت بناء دولة جزائرية حديثة، تستلهم روح العصر وتتجه إلى تأصيل مقوماته واستيعاب مستجداته.

ولئن كانت الصعوبات التي عرفتها حركة المقاومة الجزائرية، خلال المرحلة الثالثة من مسارها (1257 ـ 1260 / 1841 ـ 1844) قد قلصت، إلى حدّ ما، الهامش المتاح في مجال الإنشاء والتنظيم، فإن حيوية البنيات الدولتية المنشأة وقدرتها على التكيف مع شروط الجهاد والمقاومة، قد مكنتها من الثبات والصمود، لم تتمكن استراتيجية الجنرال بيجو لتدمير الدولة والمجتمع الجزائريين، معا، من اجتثاث جذورها الممتدة في أعماق البلاد.

بل سرعان ما تستعيد حركيتها وتجدد وظيفيتها بمجرد مايستعيد الأمير روح المبادرة في القتال. وهذا ما حدث فعلاً، خلال المرحلة الرابعة والأخيرة، في مسار حركة المقاومة (1261 ـ 1262 / 1845 ـ 1846) وهي مرحلة تصعيد ومحاولة استعادة الأخذ بزمام المبادأة.

3 ـ بيد أن إصرار الدولة الغازية على إنهاء وتوطيد احتلال الجزائر وتعبئتها لقوات عسكرية وآليات حربية ضخمة (بلغت علاقة القوى العسكرية بين الطرفين 1 إلى 15) بقيادة بيجو، للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر ـ قد أفضى بالأخير إلى الالتجاء بدائرته، مرة أخرى، إلى شرق المغرب (1263 ـ 1264 نهاية 1846 ـ نهاية 1847)، كما فعل، سابقاً، في منعطف عام 1259 ـ 1260 / 1843 ـ 1844.

ولكن وضع المغرب، خلال هذا الظرف العصيب (1263 ـ 1264 / 1844 ـ 1847)، لم يكن يسمح للسلطان مولاي عبد الرحمان، باحتضان الأمير، في المنطقة الشمالية ـ الشرقية (الريف / المغرب الشرقي) للبلاد، والتغاضي عن مبادراته السياسية والعسكرية بها. فالبلاد كانت ماتزال تحت صدمة هزيمة معركة إيسلي (29 رجب عام 1260 / 14 غشت 1844) التي خاضها المغرب ضد القوات الفرنسية، ثمنا لانخراطه التام في دعم المقاومة الجزائرية. وكانت الضغوط الدبلوماسية الفرنسية، المشفوعة بالتهديدات العسكرية، قد بلغت أوجها لإرغام السلطان على تنفيذ مقتضيات الفصل الرابع من معاهدة السلم (شعبان ـ رمضان عام 1260 / شتنبر 1844)، بصدد تجميد حركة الأمير أوطرده خارج المغرب.

كما أن نشاط الأمير في الريف والمغرب الشرقي، واتساع دائرة انخراط القبائل الريفية والشرقية (بني

إزناسن، أنكاد، الأحلاف، قلعية، بني توزين، المطالسة إلخ) في تأييد حركته قد أثار شكوك السلطان حول نواياه الحقيقية فضلاً عما يترتب عن ذلك النشاط من انعكاسات سلبية على سلطة الدولة المغربية وهيبتها بالنسبة لجزء كبير من ترابها.

وقد تظافرت هذه العوامل مجتمعة لإحداث شرخ عميق، سياسي ونفسي، في علاقة السلطان بالأمير، أدت في نهاية المطاف إلى سعي مولاي عبد الرحمان إلى إخراج عبد القادر من التراب المغربي ثم اضطراره إلى محاربته وطرده، الأمر الذي أفضى إلى استسلامه للسلطات العسكرية الفرنسية على الحدود المغربية الوهرانية (محرم 1264 / دسمبر 1847).

وفي ظل هذه المفارقة الدرامية التي طالت هذا الفصل المُشرق في حركة التضامن المغربي - الجزائري لمواجهة المد الاستعماري، في منتصف القرن الماضي، يبدو من العسير إصدار حكم تاريخي فاصل لصالح هذا الطرف أو ذاك، في شأن مواجهة متطلبات الظرف القائم آنذاك، والتعامل مع معطياته الموضوعية وحقائقه العنيدة.

فموقف الأمير عبد القادر، من موقعه الجهادي - النضالي، يظل موقفا مشروعا في إصراره على مواصلة الجهاد ومطالبته بتواصل التضامن الإسلامي، عموماً واستمرارية الانخراط المغربي في مجهود المقاومة والتحرير بصفة خاصة. ويستمد هذا الموقف المبدئي مبرراته من ازدواجية المشروعية التي أسست وأطرت مقاومته : المشروعية الجهادية التي أضحت شرعية بحكم الفتاوي الفقهية الصادرة في الموضوع، من المغرب (فتوى الفقيه التسولي عام 1253 - 1837) إلى المشرق (فتوى الشيخ عليش مصر) من جهة، والمشروعية السياسية التي استمدها الأمير من سلطان المغرب، الذي عضد مشروعه الجهادي، وزكى حركته النضالية من جهة أخرى حيث خاطبه : "مَجِّد الله الذي جعل منك درعا للإسلام والمسلمين، وقيضك للجهاد في هذا العصر وأسدل عليك رداء عنايته. كن موقنا بنصر الله وثق بتحقيق وعده ولاتنزعج بالأقاويل الفارغة التي يرددها عدو الله عن طريق شياطينه عن كثرة عدده وعدته (..) فلا تهن ولاتستكن فإنك منتصر ولا محالة ..." (ترجمة النص الفرنسي، لرسالة بعث بها السلطان مولاي عبد الرحمان إلى الأمير بتاريخ 17 محرم عام 1256 / 21 مارس 1840 (وثائق الخارجية الفرنسية). هكذا ظل السلطان يدعم الأمير ويشد في عضده. لكن موقف السلطان، اعتبارا لموقعه السياسي، يظل موقفا مفهوماً ومسؤولاً على ضوء موازين القوى ما بين حركة المقاومة، من جانب، وحركة المد الاستعماري، في اندفاعه وعنفوانه، من جهة أخرى. ذلك أن انحسار حركة المقاومة الجزائرية أمام ضخامة وقوة الحشد العسكري الفرنسي، منذ سنة 1257 / 1841، من جهة، وانهيار قوة الردع المغربي، عقب هزيمة إسلي (رجب - شعبان 1260 / غشت 1844) من جهة أخرى، قد أقنع السلطان بضرورة التزام موقف واقعي يروم معالجة شروط الخاص (الموضع الجزائري) من منظور توفير شروط الحفاظ على مصلحة العام. وهذا هو معنى قول صاحب *الاستقصا* في تبرير تغير موقف السلطان من الأمير : "إلا أن ضرر الحاج عبد القادر للفرنسيين كان مقصوراً على قتل النفوس واستلاب الأموال، وأما الفرنسيس فكان ضرره بالمسلمين عائداً على تملك بلادهم وتنقصها من أطرافها، ودام ذلك مدة من ست عشرة سنة" (ص. 44). وفي منشأ هذه المفارقة الدرامية ما بين الموقف المبدئي المشروع للأمير عبد القادر والموقف السياسي الواقعي للسلطان عبد الرحمان، يكمن التدخل الأجنبي - الفرنسي الذي حاول فصم عرى كل الروابط المغاربية، وفي مقدمتها الروابط السياسية والأواصر التضامنية.

ومهما يكن، فإن شخصية الأمير، المتعددة الأبعاد، ودوره الحاسم في تنظيم وتأطير حركة المقاومة الجزائرية ضد الغزو والاحتلال وإشعاعه المغاربي، السياسي والإنشائي، مما يجعل منه رمزاً مغاربياً - بل إنسانيا - نادر التكرار، في مشاريع التحرير والإنهاض. ولعل أحسن شهادة تبرز رمزية الرجل وتجسد الأبعاد الجزائرية والمغربية والإسلامية لشخصه ودوره، ما صرح به، في حقه، ألد أعدائه، وهو المارشال بيجو - عندما كتب يقول : إننا نرتكب خطأ فادحا عندما نعتقد أننا نحارب مجرد رئيس أنصار متحمس (Chef de partisans) يقود سبعة أو ثمانية آلاف فارس. إننا ننسى أننا نواجه الأمة العربية برمتها ... إننا نعرف التأثير الكبير الذي يمارسه على العرب، بفعل عبقريته وتدينه الكبير، وبفعل النفوذ الذي اكتسبه خلال عشر سنوات من الحكم. إن نفوذه على الناس لقوي جدا، فليست هناك قبيلة واحدة تستطيع مقاومته. بل إن حضوره نفسه ليس ضرورياً. إن عبد القادر ليس مجرد نصير متحمس (Partisan) بل هو مدّعي مشروع للسيادة، نظراً للخدمات التي قدمها للأمة العربية وللدِّين، وهو بسبب ذلك يستقطب الحب الجامع لكل الرعايا التي حكم".

ولامراء، فإن قوة واستمرارية ذلك "الحب الجامع" الذي ظل يحظى به الأمير عبد القادر هو الذي جعل الحكومة الفرنسية تنقض وعدها بالسماح له بالاستقرار بمكة المكرمة، بمجرد استسلامه. فقد ظلت تتوجس خيفة من نفوذه القوي ومن قدرته الفائقة على تجاوز أحلك الظروف واختراق أقسى الأوضاع.

وهكذا، فقد اقتيد عبد القادر بعد استسلامه (16 محرم عام 1264 / دسمبر 1847) إلى حصن لامالاك قريبا من مدينة تولون، حيث بقي أسيراً نحو ستة عشر شهراً يعاني مرارة الخيانة وآلام الاغتراب. ولئن كان البعد القتالي، في شخصه، قد اختفى في ظل قبضة الأسر، فإن بعده الورعي - التصوفي - الروحي، قد تكشف وتدفق بكل

قوة : فقد انقطع الأمير إلى العبادة والدراسة والتأمل ورعاية الأهل والأصحاب الذين ظلوا في رفقته (نحو مائة شخص) في الأسر. ومع ذلك، فإن مقامه بفرنسا أمسى جحيما يزداد لهيبه يوماً بعد يوم. كان الأمير يصرخ في وجه مرافقه الفرنسي دوماً : "نبقى في فرنسا ! إننا لا نتكلم لغتكم وليست لنا عاداتكم ولا قوانينكم ولا دينكم وكل شيء فينا، حتى لباس نسائنا، يثير سخريتكم. ألا تفهمون، إذن، إنه الموت".

ومن أجل التخلص من سجنه المزدوج، سجن المنفى، وسجن المقام الفرنسي، باشر الأمير كفاحا مريراً، قوامه الاحتجاج والكتابة والتضرع والإقناع والتهديد، أملا في وفاء فرنسا بوعدها بالسماح له بالاستقرار في ديار الإسلام : "فلو كانت كل خزائن الدنيا قد اجتمعت في تلابيب سلهامي، وطلب مني موازنتها مع حريتي، فإنني سأختار حريتي"، هكذا ردّ الأمير على بيجو الذي نصحه بالعدول عن فكرة الاستقرار بالمشرق وقبول مسكن فاخر بفرنسا : "إنني لا أطلب سماحا ولاحظوة ؛ إنني أطلب تنفيذ الالتزامات التي اتُّخذت نحوي .."

وهكذا، فبعد معاناة حصن لامالاك (ربيع الثاني 1263 - محرم 1264 / أبريل 1847 - دجنبر 1847) وآلام قصر بو (جمادى الأولى - حجة عام 1264 / نهاية أبريل - بداية نونبر 1848) ومعاناة قصر أمبواز (حجة 1264 - حجة 1268 / نونبر 1848 - أكتوبر 1852). يتلقى الأمير، في غمرة من التأثر العميق قرار إطلاق سراحه، مباشرة من الأمير لوي بونابارت الذي قدم بنفسه إلى مقر أسره قصر امبواز، لتبليغه إياه (2 محرم عام 1269 / 16 أكتوبر 1852). وفي تحديد مغزى هذا الموقف المؤثر، يقول الأمير عبد القادر : "إن بعضهم (أي الفرنسيين) تمكن من سحقي، وبعضهم الآخر تمكن من تكبيلي، ولكن لوي نابليون هو الوحيد الذي هزمني". يغادر الأمير، في ربيع الأول عام 1269 / دجنبر 1852)، قصر أمبواز في اتجاه بروس التركية، على متن سفينة فرنسية. وفي هذه المدينة الساحلية الهادئة، ينقطع الأمير إلى العبادة والدراسة وتربية أطفاله. ولكن مقامه الجديد، بهذه المدينة، لم يستحث حماسه، فقد وجد نفسه في عزلة شديدة، بسبب ازدراء الموظفين الأتراك لحيثياته السياسية وتبرم الفقهاء بمكانته العلمية وانشغال السكان الإغريق والأتراك عنه وعدم اهتمامهم به، مما اضطر الأمير إلى طلب تغيير مقر إقامته، والرحيل إلى مدينة دمشق. وفي هذه المدينة السورية الحاشدة، يستقر الأمير (سنة 1271 - 1855) يلفه جو مفعم بالحفاوة وحسن الاستقبال. وفيها يقضي عبد القادر ما تبقى من حياته مدبراً عن السياسة، مبتعداً عن الشؤون العمومية، منقطعاً للعبادة والدراسة وتربية الأطفال والاهتمام بشؤون المغاربيين المقيمين بدمشق.

ولقد أكسبته حيثياته الجهادية والسياسية، ومواقفه الحيادية إزاء الشؤون العمومية مكانة اجتماعية ومعنوية كبيرة، مكنته، أحياناً، من أن يلعب دوراً حاسماً في تطويق الصراعات الإثنية والدينية والسياسية المتفجرة ما بين المسلمين والمسيحيين، بالشام، كما حدث في حجة 1276 / يوليوز 1860.

ولكن يبدو أن وفاءه الثابت للعهد الذي قطعه على نفسه بعدم العودة إلى مناهضة فرنسا بالجزائر (رسالة خطية إلى نابليون الثالث)، وتشبعه العميق بروح التسامح الديني والإثني الذي كيف سلوكه منذ تحريره، لم يكونا دائماً موضع تفهم من قبل فرقائه المسلمين، خاصة في ذلك الظرف الدقيق الذي كان يتسم بحدة الصراعات السياسية والمشاحنات الدينية التي يؤطرها ويشرط تفاعلاتها المد الاستعماري خلال القرن الماضي. ومهما يكن، فإن الرجل الذي رفع راية الجهاد والمقاومة وتحدى بقوة الإيمان والسلاح والتنظيم أعتى وأضخم حملة غزو استعمارية - قد أدرك منذ اضطراره إلى الاستسلام، أن دوره السياسي - الجهادي، قد انتهى وأنه لم يبق له إلاّ أن يسعى، بوسائل التوجيه والموعظة الحسنة، إلى تحصين دينه من وطأة الغازين ودعم معنوية مواطنيه في وجه المحتلين، وذلك في انتظار تبدل الأحوال وتطور موازين القوى. وذلك ما يستفاد من قوله، "عندما أمرني الله بالنهوض فقد نهضت، وأطلقت البارود ما استطعت، وحينما أمرني الله بوقف القتال فقد أطعت أوامر العلي سبحانه. فعندئذ تخليت عن الحكم وجئت إليكم..."، مخاطباً لوي نابليون.

وطيلة منفاه الشامي (1269 - 1300 / 1852 - 1883) انخرطت أقواله وأفعاله في هذا المسعى الجهادي - المعنوي الذي لم يحد عنه قيد أنملة، إلى أن انطفأت شعلته في فجر يوم 19 رجب عام 1300 / 26 مايه 1883، محاطا بولده ورفاقه. وبوفاته يختم فصل حافل في تاريخ المقاومة الجزائرية والمغاربية، كان له اعمق الأثر في تعميق وتكريس البعد المغاربي لحركة المقاومة الوطنية على الصعيد المغاربي خلال النصف الأول من القرن العشرين.

محمد عبد القادر، *تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر*. جزآن، الأسكندرية 1930 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*. البيضاء 1959 الجزء التاسع ؛ *الوثائق*، مجموعات دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية - المطبعة الملكية، المجموعة الأولى 1396 / 1976.

F. Guizot, *Mémoire pour servir à l'histoire de mon temps*, T. VII, 1865, Paris, 1858 - 1867, 8 vol. ; C.-H. Churchill (colonel), *Vie d'Abd el-Kader*, Alger, 1974, trad. de l'Anglais : *Life of Abdelkader*, London, 1867 ; Paul Azan, *L'Emir Abd el Kader, 1808 - 1883 : du fanatisme musulman au patriotisme français*, Paris, 1925; *Par l'épée et la charrue, Ecrits et discours de Bugeaud*, Paris ; Archives du Ministère des Affaires Etrangères, Correspondance politique, Maroc, Vol. 3-19 ; G. Yver, *Correspondance du Capitaine Daumas, consul à Mascara*, Alger, 1912.

محمد الاخصاصي

الجزائري، عبد المالك بن محيي الدين بن الأمير عبد القادر الجزائري، شخصية ما يزال الغموض يكتنف الكثير من تفاصيل حياتها، رغم أن صاحبها لعب أدواراً ذات أهمية خاصة في فترتين متميزتين من تاريخ الاستعمار في المغرب : الأولى خلال الحرب العالمية الأولى من جمادى الأولى عام 1333 / مارس 1915 إلى صفر عام 1337 / نوفمبر 1918، والثانية من بداية سنة 1339 / 1921 إلى مقتله في بداية حجة عام 1342 / غشت 1924.

وُلد عبد المالك الجزائري في سوريا وعمل ضابطاً في الجيش التركي (Laroui, 356) قبل أن يأتي للجزائر في نهاية القرن الماضي. وأثناء وجوده في سوريا، كان عبد المالك مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بعمه علي باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان من العناصر النشيطة في الجمعية التركية "الاتحاد والترقي"، التي تعرّض اعضاؤها في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لحملات اعتقال واسعة النطاق أدت إلى هروب كثير من عناصر الجمعية إلى فرنسا وشمال أفريقيا في نهاية القرن الماضي. وعليّ باشا هذا، كان يلعب دوراً أساسياً في تهييج وإثارة بلدان شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى، وقد كان يتردد كثيراً علي تونس والجزائر قبل اندلاع الحرب، وكانت السلطات الفرنسية في هذين البلدين تستقبله بحفاوة واهتمام كبيرين (Lyautey, III : 39).

لكن بعض المؤرخين المغاربة يثيرون كثيراً من الشكوك حول نوايا عبد المالك الجزائري، ويرون أن نشاطاته مثيرة للشبهات (Laroui, 356)، وأنه "مغامر خطير وجاسوس دولي شهير عمل مع المخابرات الأنجليزية قبل أن يلتحق بالجزائر وينخرط في جيشها الفرنسي" (ابن منصور، 1 : 320). دخل عبد المالك الجزائري إلى المغرب عن طريق فگيگ في سنة 1320 / 1902 (البوعياشي، 1 : 86)، وانضم للجيلالي الزرهوني (بوحمارة) بواسطة الطيب ابن أبي عمامة (ابن زيدان، 1 : 407)، ثم انحاز للسلطان المولى عبد العزيز وأصبح قائداً لإحدى الفرق المخزنية. وعندما تولى السلطان عبد الحفيظ، أسرت قواته عبد المالك الجزائري، ولكنه أطلق سراحه بطلب من فرنسا بدعوى أنه من رعاياها (ابن منصور، 1 : 320). ودخل عبد المالك في خدمة السلطان المولى عبد الحفيظ وأصبح في عهده مفتشاً لقوات البوليس بالموانئ المغربية، ثم أصبح مفتشاً لقوات البوليس بطنجة بعد معاهدة الحماية، وظل في منصبه هذا حتى اختفى فجأة في 25 ربيع الثاني عام 1333 / 13 مارس عام 1915 (*B.C.A.F.*, juin / juillet 1915 : 162).

غادر عبد المالك مدينة طنجة بعد أن رهن بعض ممتلكاته وأرسل عائلته إلى إسبانيا. وفي شهر شوال 1333 / غشت 1915 وصل إلى منطقة تازا واستقر عند قبيلة غياثة (*B.C.A.F.*, septembre 1915 : 228) ومنذ هذا التاريخ، بدأ الوضع يتغير في هذه المنطقة، كما بدأ اسم عبد المالك الجزائري يتردد كثيراً في التقارير التي كان يرسلها المقيم العام الفرنسي الجنرال ليوطي إلى الحكومة الفرنسية، وهو غالباً ما كان يرد ضمن المعلومات الخاصة بالنشاط الألماني العسكري والسياسي في المغرب، وبما تقوم به السلطات الإسبانية في منطقة نفوذها من دعم لهذا النشاط. وقد اعتبرته هذه التقارير من أخطر الزعماء الذين واجهوا فرنسا وهددوا عملها ومشاريعها في المغرب، وذلك بفضل انتمائه لعائلة الأمير عبد القادر الجزائري واستغلاله الذكي لهذه القرابة في علاقاته واتصالاته بالقبائل، وكذلك بفضل ثقافته الواسعة ومعرفته بالمغرب والمغاربة ورجال الحمايتين الفرنسية والاسبانية، ثم بفضل تكوينه العسكري واعتماده على دعم ألماني قوي بالدعاية والمال والسلاح والرجال، وعلى ما كان يحصل عليه من تسهيلات في منطقة النفوذ الإسباني، ثم بفضل استقراره في منطقة فاس / تازا، وهي منطقة ذات موقع إستراتيجي في منتهى الأهمية، لأنها تربط بين شرق المغرب وغربه، أي بين الجزائر والمحيط الأطلسي، ولأن بها قبائل تركب الحدود بين منطقتي النفوذ الفرنسية والاسبانية، وهي قبائل لم تكن قد خضعت بعدُ لا لفرنسا ولا لإسبانيا، وتتميز بانتشارها الواسع في مناطق جغرافية منيعة وبعدائها لكل تغلغل أجنبي (Lyautey, III : 33 -37). وحسب تقارير ليوطي، فإنه بفضل مجهودات عبد المالك ونشاطاته، تَعَرّض المغرب في الفترة من منتصف سنة 1333 / 1915 إلى منتصف سنة 1334 / 1916 إلى هزات شديدة عَرّضت الوجود الفرنسي للخطر رغم واجهة النشاط الاقتصادي والمعارض والأشغال العمومية التي كانت فرنسا تريد بها إلهاء الرأي العام الوطني وخداعه وإقناعه برسوخ قواعد وجودها في المغرب. كما أنه نجح في هذه الفترة في استقطاب بعض الشخصيات المؤثرة من قبيلة بني ورياغل وهي أقوى قبائل الريف على الإطلاق. وقد زار عائلة

الخطابي في أجدير، وحصل على دعم ومساندة رب العائلة الفقيه عبد الكريم الخطابي (البوعياشي، 1 : 86 ـ 90)، كما زار قبيلة بني توزين في شوال ـ قعدة 1333 / سبتمبر 1915 (Ayache, 232)، وزار مناطق أخرى ليدعو الريفيين لمحاربة فرنسا. ويبدو أن علاقة عبد المالك بالفقيه عبد الكريم وبابنه القاضي بمليلية محمد بن عبد الكريم الخطابي كانت وثيقة جداً في هذه الفترة، فقد كان الفقيه عبد الكريم يقوم بنفسه بتزويد عبد المالك بما يحتاج إليه من مال (محمد عمر، 58)، بل إنه قام برفقة عدة مئات من الريفيين بزيارته في مقر إقامته في نهاية غشت 1916 (Ayache, 236). وفي نفس الوقت اتصل عبد المالك بأحمد الريسوني وارتبط معه بعلاقات وثيقة مما زاد من تأثيره في المنطقة (Lyautey, 3 : 224). ومن أجل وضع حد لكل هذا، نلاحظ أن المجهود العسكري الفرنسي بدأ يتركز في هذه الفترة في منطقة فاس / تازا، مما أرغم عبد المالك على الانسحاب من جنوب تازا والاستقرار على خط الحدود مع منطقة النفوذ الإسباني.

ورغم ذلك فإن منطقة فاس ـ تازا لم تبق بعيدة عن تأثيرات عبد المالك، إذ أنّ سنة 1335 / 1917 تميزت بما يقوم به من مجهودات سياسية كبيرة لتعبئة قبائل هذه المنطقة ضد الفرنسيين مما أرغم المقيم العام ليوطي على زيارة مدينة تازا في بداية رمضان عام 1335 / يوليو 1917 لمراقبة الوضع عن قرب، ثم لدعم القوات الفرنسية في المنطقة بمزيد من الرجال والعتاد (Lyautey, III : 245, 246). وقد تحدث ليوطي في أحد تقاريره بتاريخ 28 جمادى الثانية عام 1336 / 10 أبريل 1918 عن وصول عبد المالك إلى قبيلة تسمسان للتفاوض من أجل شراء شاطئ سيدي إدريس لتتم فيه عملية إنزال السلاح الألماني، كما أشار إلى ما قام به من اتصالات ببعض القبائل الريفية من أجل بناء مهابط طائرات على أراضيها. ويُعلق ليوطي على ذلك بأنه "إذا كان صحيحاً ما أشيع عن بناء مهابط طائرات في أراضي بعض القبائل الريفية، فإن الطائرات الألمانية تستطيع عندئذ أن تمر من أجواء الريف الأوسط وأن تهاجم التجمعات العسكرية الفرنسية بل وبعض المدن في منطقتنا ثم تعود من حيث أتت" (Lyautey, III : 298).

وضعت نهاية الحرب العالمية الأولى حدا لنشاطات عبد المالك الجزائري، ونظراً للظروف التي سادت المغرب والعالم بعد الحرب، فقد اضطر إلى الانسحاب خلال شهر صفر عام 1337 / نونبر 1918 إلى داخل منطقة النفوذ الإسباني (Lyautey, III : 321).

ومنذ هذا التاريخ اختفى عبد المالك الجزائري تماماً عن الأنظار، خاصة وأن فرنسا كانت تطالب إسبانيا بتسليمه إليها، ولم يظهر مرة أخرى إلا في بداية سنة 1339 / 1921 بالضفة اليمنى لنهر ورغة في مولاي عين جنان على بعد عشرة كلم من المركز الفرنسي بمديونة (Lyautey, IV : 144).

وسرعان ما استرجع عبد المالك كل ما كان لديه من نفوذ وتأثير في منطقة أعالي ورغة، ويذكر المارشال ليوطي في أحد تقاريره لوزير الحربية الفرنسية بتاريخ 18 قعدة عام 1339 / 25 يوليوز 1921 "أن القبائل المجاورة لورغة والتي كان البعض منها يدور في الفلك الفرنسي انضمت كلها لعبد المالك ... وهذا الأخير يحكم المنطقة التي يسيطر عليها بعدل وحكمة ورزانة مع محافظة على التقاليد والأعراف ... وهو الآن لايظهر أي عداء للفرنسيين، ولكنه لايتحدث عن الاستسلام، وإنما عن هدنة، وهو يرغب في الاتفاق مع فرنسا على استقلال منطقة ورغة وإقامة دولة مستقلة عن المخزن استقلالاً كاملاً وبعيدة عن نفوذ كلتا الدولتين فرنسا وإسبانيا. وعدد قواته تبلغ الآن 6000 بندقية، وسلاحه حديث" (Lyautey, IV : 145). هذه الفترة النشيطة من حياة عبد المالك الجزائري استمرت إلى مقتله في بداية محرم عام 1343 / غشت 1924، وقد تميزت بحدوث تطورات جعلت اهتماماته تتجه نحو منطقة النفوذ الإسباني بعد أن كانت طيلة الفترة السابقة تتجه نحو منطقة النفوذ الفرنسي، وسبب ذلك هو حدوث معركة أنوال في 21 يوليو 1921، وانهزام القوات الإسبانية في منطقة مليلية وظهور محمد بن عبد الكريم الخطابي كزعيم على رأس المقاومة الريفية ضد الاحتلال الإسباني وشروعه في تنظيم قبائل الريف وتعبئتها في المناطق المستقلة ومحاولته ضم القبائل الأخرى بما في ذلك قبائل منطقة ورغة التي كان عبد المالك يسيطر على بعضها.

كان محمد بن عبد الكريم الخطابي ووالده وكثير من أفراد قبيلة بني ورياغل وغيرهم من قبائل الريف الأوسط يعرفون عبد المالك، ويعرفون جيداً ما يفعله في المنطقة التي يسيطر عليها. ولذلك حاول محمد بن عبد الكريم التقرب به وإقناعه بالانضمام للثورة الريفية ضد الإسبان. ومن أجل ذلك زاره بمقر إقامته بقبيلة مرنيسة في نهاية عام 1921. لكنه فشل في محاولته، بل اضطر للانسحاب بسرعه من منطقة مرنيسة والعودة إلى أجدير بعد أن بدأ عبد المالك يثير القبائل ضده ويشيع أنه يعمل لمصلحة الفرنسيين. (مخطوطة سانبي، 23). وفي جمادى الأولى عام 1341 / نهاية عام 1922، كان عبد المالك ما يزال يسيطر على منطقة أعالي ورغة ويفرض سيطرته على قبائل گزناية ومرنيسة وبني عمرت المجاورة لقبيلة بني ورياغل من ناحية الجنوب، بل إنه كان قد نجح في إقامة جبهة ضد الثورة الريفية ضمت عبد الرحمان الدرقاوي صاحب النفوذ القوي في قبيلة بني زروال، وعمر بن حميدو المرنيسي زعيم قبيلة مرنيسة، واستطاع بذلك أن يقطع الطريق لمنطقة النفوذ الفرنسية على القبائل الريفية التي كانت تضطر للذهاب إلى هناك للبيع والشراء عندما تتوقف العلاقات التجارية مع إسبانيا. ولكن الأحوال بدأت تتغير عندما أعلن محمد ابن عبد الكريم استقلال الريف

في جمادى عام 1341 / يناير 1923، وبدأ بعض أبناء قبيلتي بني عمرت وگزناية يتركون قوات عبد المالك وينضمون للثورة الريفية في بداية مارس من نفس العام، وبصفة خاصة بعد إعلان زعماء بني زروال تأييدهم لمحمد بن عبد الكريم (S.H.A.T., Carton 3H - 102). وفي منتصف شعبان عام 1341 نهاية مارس 1923 جرت معارك ضارية بين أنصار محمد بن عبد الكريم وقوات عبد المالك، انهزم فيها هذا الأخير وانسحب تماماً من منطقة أعالي ورغة والتجأ إلى تطوان في 4 قعدة عام 1341 / 18 يونيو 1923. ولم يمر بعض الوقت حتى أصبح قائداً على إحدى الفرق الوطنية بالقوات الإسبانية في منطقة مليلية (مخطوط سانيي، 26)، وكانت مهمته الأساسية هي تعبئة القبائل الريفية في المنطقة المحتلة وتجنيد الريفيين ضد محمد بن عبد الكريم (البوعياشي، 2 : 319).

وفي نهاية حجة عام 1342 / يوليوز 1924، قررت قيادة مليلية التوغل في غرب عزيب ميضار في أراضي بني توزين الجارة الشرقية لقبيلة بني وريا غل، وكلفت عبد المالك بالقيام بهذه المهمة بمالديه من قوات وطنية، ودعمته بمدفعية قوية، وهيأت ميدان عملياته العسكرية بقذف جوّي كثيف. وتمت المواجهة بين قوات عبد المالك والقوات الريفية في منطقة عزيب ميضار، وجرت معركة عنيفة بين الطرفين انتهت في نفس اليوم بمقتل عبد المالك وعدد كبير من جنود القوتين. وقد نقل جثمان عبد المالك إلى تطوان ودفن هناك، وكان ذلك بتاريخ 8 محرم عام 1343 / 9 غشت 1924 (S.H.A.T., Carton 3 H - 133).

كان لمقتل عبد المالك الجزائري تأثير كبير على القبائل الريفية من ناحية، وعلى الإسبان من ناحية أخرى، فقد أنهى مقتله بالنسبة للقبائل الريفية جنوب الريف مرحلة لعب فيها عبدالمالك دوراً رئيسياً منذ منتصف عام 1333 / 1915، وهي مرحلة تميزت بصفة خاصة بالعداء للفرنسيين في الجنوب، والتعايش مع الإسبان في الشمالين الشرقي والغربي. أما بالنسبة للإسبان فقد كان مقتل عبد المالك الذي كان مثل أحمد الريسوني ركناً أساسياً من أركان وجودهم بالمنطقة نكسة مؤلمة لم يحسبوا لها حساباً. فقد كانوا يعقدون عليه آمالاً كبيرة في منافسة محمد بن عبد الكريم في المنطقة الشرقية، كالآمال التي كانوا يعقدونها على أحمد الريسوني في المنطقة الغربية. وكانت أول نتيجة لمقتل عبد المالك هي القضاء على كل ما تبقى من تأثيره على قبائل أعالي ورغة، وبدأت بذلك مرحلة جديدة تميزت بتوجه قبائل هذه المنطقة للحرب ضد الإسبان في الشمال بعد أن كانت مهمتها لعدة سنوات التوجه للحرب ضد الفرنسيين في الجنوب. وأصبحت هذه المنطقة منذ هذا الوقت الحقل الذي تتزود منه دولة الريف بما تحتاج إليه من قمح، وهو الطريق الذي يربط المنطقة الريفية بمنطقة النفوذ الفرنسية وتتزود منه الدولة الريفية بما تحتاج إليه من غذاء وذخيرة وسلاح.

ع. ابن منصور، *أعلام المغرب العربي* ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية ومراحل النضال* ؛ م. الخطابي، *مذكرات الريفيون*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس* ؛ م. عمر، *أسد الريف محمد عبد الكريم الخطابي*.

G. Ayache, *Les origines de la guerre du Rif* ; *B.C.A.F.*, juin - juillet 1915, septembre 1915 ; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain* ; Lyautey l'Africain, *Textes et lettres du Maréchal Lyautey*, III - IV ; Vincennes, S.H.A.T., Cartons 3H - 102 / 3H - 133 Maroc.

عثمان بناني

الجزائري، علي (الحاج -) بوطالب الحشمي، من قرابة المجاهد عبد القادر بن محيي الدين الجزائري. ولد الحاج علي بمدينة بسكرة من نواحي مستغانم، وعاش بالمغرب حياة كلها نشاط متنوع وغريب. التجأ إلى المغرب سنة 1295 / 1878 بعد أن كانت حكمت عليه السلطات الفرنسية بالسجن لأنه سب أحد رجال الشرطة الفرنسيين، ثم طردته من الجزائر وحجزت أملاكه. كان الحاج علي رجلا ذكياً ودساساً عميلاً لعدد من الدول الأجنبية.

عمل لفائدة ألمانيا، وسبب ذلك أن تيودور ڤيبير T. Weber لما كان قنصلا لألمانيا بدمشق تعرّف على المجاهد عبد القادر بن محيي الدين الذي كان منفياً هناك. وحيث إن الحاج علي بوطالب من أقارب المجاهد استخدمه لديه لما عين وزيراً لألمانيا بطنجة. قام الدكتور أوسكار لينس O. Lenz الألماني أو النمساوي العالم الجغرافي والرحالة بسفرة إلى السودان ابتداء من المغرب سنة 1228 / 1880 كان الحاج علي بوطالب أحد رفقائه وتقاضى عن أتعابه عمولة أربعة آلاف فرنك. وتذكر المصادر الفرنسية أنه هو الذي عرض على لينس خدماته، وأنه لما عاد من رحلته صار يقول للناس إنه ذهب إلى السودان وتنبكتُ للمذاكرة مع علماء السودان في مسائل الفقه والتفسير.

كما أن دوراً تجارية ألمانية استخدمته عندها. ففي سنة 1308 / 1890 ترافق مع الصحافي الفرنسي ده كيرديك شيني de Kerdec Cheny أي أ. ڤيال A. Vial (صاحب جريدة *دياريو دي طانخير* Diario de Tanger، الناطقة بالإسبانية والصادرة بطنجة) في سفر إلى فاس ليقترح على المخزن اقتناء مدافع كروب. وكان فيما بين 1323 / 1905 و1324 / 1906 في خدمة المخابرات الألمانية إلى أن صار عميلا لدار مانيسمان التجارية.

أما مع العثمانيين فقد كان مرشحاً لشغل منصب قنصلي أو ديبلوماسي لفائدتهم بطنجة. فقد رحل إلى الأستانة لهذا الغرض في جمادى الثانية - رجب 1302 / أبريل 1885. وبعد خمسة عشر شهراً أوفد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مبعوثاً إلى المغرب، وصل إلى طنجة في شوال 1303 / يوليوز 1886، وكان اسم هذا المبعوث علي باي وهو جزائري الأصل أيضاً. وكان الهدف من هاته الزيارة التحقيق في مزاعم بوطالب حول نوايا السلطان في ربط اتصالات مع الأتراك من جهة أولى، وسبر أغوار مولاي الحسن في الموضوع نفسه من جهة أخرى. ولئن لم

يستقبل السلطان هذا المبعوث وإنما خلع عليه ووصله بمبلغ مالي، فقد تبين لعلي باي أن الحاج علي بوطالب لم يكن صادقاً الصدق كله. إذ كان مولاي الحسن لا يريد أن يربط علائق مع العثمانيين اقترحتها ألمانيا وعارضتها فرنسا التي كانت بالمرصاد لمنافستها وجارتها.

وكان مولاي عبد العزيز ينوي ربط علاقات مع الأتراك. فالتحق الحاج علي بوطالب بإسطنبول في ربيع سنة 1320 / 1902 آملا أن يكون هو الفائز بهذا التعيين. غير أن الحكومة التركية أعرضت عنه ورفضت الدخول في مذاكرات معه.

ويقال إن الحاج علي بوطالب كان عميلا لإنجلترا أيضاً. لكن الثابت أنه كان يعمل لفائدة فرنسا، استخدمه كل من أوگوست ده ڤيرنويلي A. de Vernouillet ولاديلاس أورديگة L. Ordéga سفيري فرنسا بطنجة دون أن يعلما أن له يداً ضليعة مع ألمانيا ومخابراتها. ولم يطلع أورديگة على ذلك إلا سنة 1302 / 1884، بعد أن كان بوطالب قد خاض في دسائس هذا المفوض الفرنسي ورهطه.

وفي سنة 1891 لما رفض سكان توات الانصياع إلى ما كان يُدعون إليه من التنصل من بيعة مولاي الحسن، طلبت مفوضية فرنسا من الحاج علي بوطالب وساطته لدى بوعمامة البوشيخي لاستمالته إليها، فكان مآل ذلك هو الفشل، بينما كانت تعلم حكومة فرنسا أنه عميل لفائدة ألمانيا. فغادر الحاج علي بوطالب المغرب وقصد الجزائر للتشغيب على فرنسا هناك، وجمع من ذلك أموالا طائلة واتصل بالألمانيين المقيمين بالجزائر. وكان غرضه العاجل هو الحصول على تأييد العديد من الطوائف الدينية السرية في العالم الإفريقي. ولم تقطع فرنسا علاقتها مع الحاج علي إلا سنة 1314 / 1896، فاتهمته بالتجارة في الأسلحة وتهريبها، وعملت على تفتيش منزله وسجنه لبضعة أشهر. ولم يكن دور المترجم هيناً في الكواليس سواء سنة 1299 / 1882 أو بعد وفاة مولاي الحسن.

هذا ما ورد عنه في بعض المصنفات الأوربية. أما الوثائق المغربية فلم تخل من ذكره والتحدث عن أحواله. ففي سنة 1302 / 1885 جاء في رسالة سلطانية إلى الطريس أنه "انفصل عن الفرانصيص، ولم يبق بينه وبينهم علاقة، وتخالط مع المركان وغيره، وانفصل عنهم". وزادت تقول إن "أهل دار الفرنصيص بطنجة حملوه إليها رغماً عنه، وحتموا عليه الرجوع لخدمتهم، فامتنع من ذلك، ولم يقصروا في إذايته، فتفلّت لعند وصيفنا الحاج سعيد جسوس بجبل طارق".

وفي رسالة أخرى صادرة عن قنصل فرنسا بالصويرة (ولعله أوريليان لاكوسط A. Lacoste) إشارة إلى أن الحاج علي بوطالب كان عميلا لدى قواد سوس سنة 1304 / 1887. فقد ورد فيها أن هذا القنصل كلفه بالدخول في مذاكرات مع محمد بن الحسين أُهاشم واصفا إياه بأنه "رجل عاقل ضابط في الأمور، ويعرف أحكام الأشياء كلها... وبيده مكاتب الدولة المعلومة...".

أما السلطات المغربية فكانت تتأفف منه. فهذا عامل بني مالك بالغرب إدريس الحباسي اشتكى سنة 1312 / 1895 لدى السلطان الذي قال للطريس : "إن واحداً من أهل طنجة يسمى بعلي بوطالب الفرنصيصي قد أفرط في التعرض والخوض في إيالته من غير قانون، كرومي صبنيولي يدعى بالأعرج (،وهو ريكاردو گونصاليث R. Gonzalez) ويهودي بالعرائش في حماية البرازيل... فنامرك أن تكلم نوابهم في شأنهم ليكفوهم ويجسلوهم عن حدهم".

وزيادة على ذلك كان للحاج علي بوطالب شراكة في الفلاحة وعزائب بقبيلة سفيان سنة 1325 / 1907 والخواص كانوا يكيلون له التهم بأكثر من ذلك. فهذا مَحمد صادق العطار الشامي الوكيل المتجول من قبل السلطان عبد الحميد الثاني قد نسب إليه التآمر على حياته، فطلب من المخزن أن يضمن له السلامة من إذاية بوطالب ولئن لم يأت بيان عن نوع الإذاية وأسباب احتمالها بين رجلين كانت لهما اتصالات بالأتراك، فقد يكون ذلك من باب حرب الأشباح المتعاركة في الظلام. ففي رسالة الشامي إلى الطريس سنة 1319 / 1901. جاء أن "رجلا يدعي بحاج علي بوطالب ومعه آخران مسيحيان متحقق بنفسي أن مرادهما قتلي، فأحببت أن أعلمكم بأن تكونوا منه على بال. إن وقع واقع فمنهم، وأنتم الشهود على ذلك. ولذا أطلب - زيادة على الخمسة والعشرين ألف فرنك - ضامن الروح بحضور عدولهم إن كانوا هم الداعين لي بحضرتكم. وإن كان غيرهم فمنه الدراهم ومنهم الضامن".

ومهما يكن فالرجل كان غامضاً يعمل في الظلام وفي النور معاً. فكان في رسائله الكثيرة اللحن يخبر السلطان بما كانت تكتبه الصحافة الأجنبية حول المغرب سنة 1305 / 1888، وبما كانت فرنسا تحاوله من الهجوم على فجيج.

وهكذا كانت له علاقة بالصحافة فلما نشأت جريدة "المغرب" الأسبوعية بالعربية بطنجة سنة 1307 / 1889 كان مراسلا لها كتب فيها قصيدة في مدح السلطان أوردها محمد ابن العياشي سكيرج في مخطوطه *رياض البهجة في أخبار طنجة* كما كتب في نفس السنة بجريدة *المغرب* مقالا عنوانه *"الدلالة بطنجة"* رداً على مقال صدر ضده من قبل، متحدثاً فيه عن "القنصل المدعي بالباشدورية ... الذي اختاره تاجر الحمايات موضعاً لسره ... وتظاهر بالنصرانية، ودعى نفسه جورج. ولم يلبث حتى عاد فأدعى بالإسلامية، وكان يتزيا ... بزي علماء إسطنبول، فلبس تلك البذلة الخضراء، واعتم بالعمامة البيضاء، لكي يخيل للبسطاء أنه شريف مكاوي".

المقال الذي تعمدت إيراد فقرات منه والقصيدة التي أشرت إليها لا تعنيان أنه كان أديباً ولا شاعراً. فقد وقفت على رسائل كتبها بخطه طافحة بأغلاط نحوية وصرفية وإملائية وبتعابير ركيكة وعامية لا يصلح معها أن ندعوه كاتباً ولا شاعراً، ولا يجوز ذلك إلا إن كان هناك سمي آخر له. فالشاعر والكاتب غيره بدون شك.

هاته نبذة عن رجل حوّلة، غريب الأطوار كانت وفاته بطنجة سنة 1327 / 1909.

م. بوشعرا، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، ج. 4 ص. 1478 - 1481؛ العدد التاسع من *"المغرب"* الصادر في 9 يوليوز، 1908 ؛ *الوثائق*

الملكية : وثائق تطوان : كناش مكاتيب الطابع الشريف، رقم 1695 خ. ع حرف الدال : محمد بن العياشي سكيرج، *رياض البهجة في أخبار طنجة*، الجزء الأول، الورقة 32، مصور الخزانة الصبيحية.

Pierre Guillen, *L'Allemagne et le Maroc : 1870 - 1904*, pp. 681, 683, 69, 119, 164, 183, 184 ; J.-L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Tome IV, p. 83 ; Henri de la Martinière, *Souvenirs du Maroc : Voyages et missions : 1882 - 1918*, p. 113.

مصطفى بوشعراء

الجزائري، محمد الصالح مُيسة، أديب صفحي جزائري هاجر إلى المغرب في جملة الجزائرين الذين جاؤوه بعد فرض الحماية الفرنسية. ولا ندري ما إذا كان اشتغل في بداية مقامه بالمغرب بالترجمة في إحدى الإدارات كما هو شأن مواطنيه المزدوجي اللغة، وكل ما نعرف أنه أسس سنة 1932 بالرباط *مجلة المغرب*، وتولى إدارتها ورآسة تحريرها. كان يضع كعنوان فرعي في أعداد السنة الأولى "مجلة شهرية" ثم غيّر فأصبح في السنة الثانية : "أول نشرة عربية حرة صدرت بالمغرب"، ومنذ السنة الثالثة "صار شعار المجلة : تثقيفية عمرانية أدبية".

كانت *مجلة المغرب* تصدر بانتظام، وتعالج بشيء غير قليل من الاعتدال والحذر مواضيع تهم ماضي المغرب وحاضره، ويغلب عليها طابع التجديد والإصلاح والحيوية. يشارك في تحريرها نخبه من شيوخ المغرب وشبابه، كمفتي سلا أبي بكر زنيبر ومندوب المعارف محمد الحجوي والشاعر الفاسي محمد غريّط، إلى جانب محمد الفاسي ومحمد حصار وسعيد حجي وأحمد بلافريج وعبد الكبير الفاسي.

كان محمد الصالح مُيسة يحرر في كل عدد افتتاحية أو مقالة رئيسية لا يوقعهما باسمه الصريح وإنما بحرف "م". أسلوبه متين سليم خال من الحشو والاستطراد، وأفكاره نيرة قومية لاتشوبها إلا ما تستلتزمه الظروف من مجاملة ومرونة قد تبدو لنا اليوم مبالغاً فيها.

آخر عدد وقفت عليه من *مجلة المغرب* هو الصادر ضمن السنة الخامسة في رجب ـ شعبان 1355 / شتنبر ـ أكتوبر 1936. ويبدو أن تطور أزمة 1937 وما أسفرت عنه من اعتقال الوطنيين والتضييق على الحريات العامة دفع بمدير المجلة إلى توقيفها إن لم تكن قد أُوقفت بقرار عسكري. وتغيب عنّا أخبار محمد الصالح ميسة بعد ذلك إلى أن توفي بالدار البيضاء حوالي عام 1363 / 1943.

م. الصالح ميسة، *مجلة المغرب*، المجموعة ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3182.

محمد حجي

الجزر المغربية. هناك أقاليم أرخبيلية في العالم تتشكل الحياة فيها من تداخل وثيق بين اليابسة والبحر، من أهمها مجمعات في شرق آسيا وبحر الكرايبي والمحيط الهادي والهندي وأقربها منا في شرق البحر الأبيض المتوسط.

لا يوجد المغرب من ضمن هذه البلاد بحال من الأحوال !

بل وإن موضوع الجزر عندنا يمكن أن يبدو من الغرابات، لا يُشار إلا للقول بأنها غير موجودة. والواقع أن اعتبارا من هذا القبيل صحيح إلى حد بعيد، حيث لا شيء يبرر معالجة الموضوع حقيقة إلا كتكملة للدراسات البنيوية حول التراب المغربي، تركز خاصة على سواحله محاولة التبرير العلمي لخلوها من ظروف التجزير. الاستثناءات قليلة جدا، تتمثل في تلك الشذرات المتواضعة التي تظهر محليا على الساحل المتوسطي والصخور المعزولة في عرض الواجهة المحيطية، التي لا تصير أكثر وضوحا إلا في ما اصطلح عليه بأرخبيل الصويرة، ثم المجمع الحقيقي للجزر الخالدات.

أكيد أن باستثناء الجزر الخالدات، فإن الجزيرات العائمة قبالة السواحل المغربية ضعيفة الأهمية من الوجهة الاقتصادية والبشرية، تكاد تنحصر أدوارها في الميدان الاستراتيجي والبيئي. لذا فإن هذا المدخل العام لموضوع الجزر هو أساسا معالجة طبيعية للأساليب البنيوية التي ينفتح بها المغرب على مياهه الإقليمية في واجهتيه البحرية والمحيطية.

1) مناقشة عامة لظروف التجزير في السواحل المغربية.

كلما وُجد ظرف من ظروف التجزير إلا لازمه عامل يخفف من مفعول أو يلغيه بالمرة. فانطلاقا من القاعدة العامة التي تربط الجزر بالمحاولات الفتية والنشيطة بنائيا، صار من المنتظر العثور عليها قبالة الساحل المتوسطي بصفة تفضيلية. لكن عامل الإلغاء هنا هو أن المحاور البنيوية للريف والأعراف الناتجة تمتد بموازاة تامة مع الساحل مسهمة في تنعيمه. الاستثناء الوحيد يخص المضيق الذي تتعارض الأعراف فيه مع الساحل الشيء الذي جعل من اليابسة المغربية عنا عنقا ممتدة في اتجاه البنيات الأندلسية.

العكس صحيح بالنسبة للساحل الأطلنتي الذي يقطع جل البنيات القارية لكنها مع ذلك لم تستطع أن تبرز في عرضه لأنها إما قديمة، ضعيفة الأشكال البنيوية، مثل محاور الهضبة الوسطى والأطلس الصغير، أو أنها تكون قد فقدت مؤخرا عنفوانها قُبيل الساحل فتغوص تحت البحر دون أثر بارز كما هو الشأن بالنسبة للأطلس الكبير الذي لم يفلح في أن يشكل أكثر من النتوء الساحلي لرأس إغير.

على هذا الأساس، فإن العوامل المورفوبنيوية لم تستطع أن تكون فاعلة. فماذا عن التطور العميق لحركة صفائح القشرة الأرضية وتأثيرها في ظاهرة التجزير ؟

معقول أن يكون الساحل الأطلنتي خاليا من الجزر لأنه ناتج عن عملية فتق للقشرة الأرضية. هذه العملية التي بدأت بالنسبة للمغرب إبان النظام التـرياسي. لكن من المنتظر أن يكون نصيب الساحل المتوسطي غير ذلك، حيث يصادف نطاق رتق وتصادم للصفائح المفروض أن تكثر فيه مظاهر الانتهاض والبركنة. وقد ارتبطت هذه العملية بتكوين السلاسل الجبلية جهة الساحل المغربي والأوروبي المقابل على السواء منذ النصف الأول من الحقب الثالث. لكن بعد ذلك انتابت بحر البرهان، وهو الحوض المتوسطي المحصور بين المغرب والأندلس، انهيارات رباعية عنيفة جعلت منه هوة سحيقة تكاد تكون نظيفة من الجزر. ومن المؤشرات على هذا الوضع أن الرصيف القاري، وهو الشريط البحري الضحل الموالي للساحل والذي يقل عمقه عن 200م، يتراوح عرضه جهة المحيط ما بين عشرين ومائة كلم، في حين يمكن أن يقل هذا العرض عن الكيلومتر الواحد جهة البحر المتوسط وهو لا يزيد فيه أبدا على العشرين كلم.

لذا فإن مظاهر التجزير في الساحلين معا هي مجرد فلتات من قبيل الاستثناء، أذنت بها بعض المستويات الرباعية المفصولة مباشرة عن الساحل، وهي قريبة وصغيرة، وبعض الأشكال البركانية.

2) الوضع الخاص بالساحل المتوسطي المغربي.

1.2) عوامل التجزير في الساحل المتوسطي

يطل المغرب الشمالي على جزء يسير من البحر الأبيض المتوسط الغربي، لكنه جزء تام التميز. ذلك أن البحر المتوسط الغربي ينقسم إلى حوضين مختلفي الأصل والتركيب : حوض شمالي اجتمعت فيه أسباب التجزير ويسمى بحوض البروفانس وهو محصور بين سواحل فرنسا وإسبانيا وكورسيكا وساردانيا وجزر الباليار. وحوض جنوبي يوجد بين الحوض الأول وساحل الجزائر والمغرب. الواجهة المغربية منه تهم بحر البرهان، وهو الامتداد الغربي للحوض المغاربي، الذي يغسل سواحل الريف والأندلس (شكل 1).

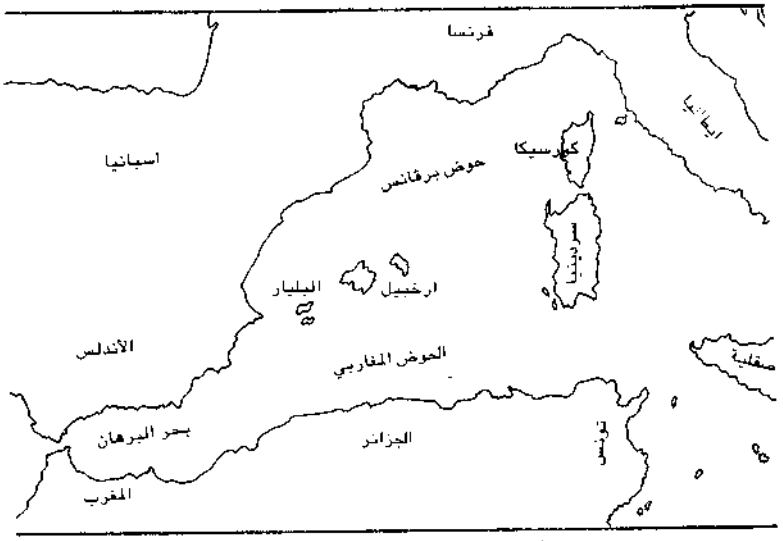

شكل 1 تقسيمات الحوض الغربي من البحر المتوسط

الحوض الشمالي، الغني بالجزر الكبيرة، كان في الماضي جزءا من أوروبا، فصلته بعد ذلك البنائية الأوليگوسينية عن القارة الأم مقطعة إياه إلى جزر أهمها كورسيكا، ساردانيا وأرخبيل الباليار.

أما حوض البرهان فهو متكون من منخفضات واسعة يتوسطها مرتفع جزيرة البرهان ذو الطبيعة البركانية وهو يوافق ما اصطلح عليه بالميدان الداخلي المرتبط بنائيا بالميدان الخارجي المتمثل في جل السلسلتين الجبليتين الريفية بالمغرب والبيتية بالأندلس

انطلق النشاط البنائي ابتداء من الإيوسين، وقد تمثل في انغراز الصفيحة الإفريقية تحت صحيفة البرهان والتضييق التدريجي للحوض البحري. نجم عنه انتهاض السلاسل الجبلية في الهالة الخارجية، وتحويل الميدان الداخلي، هنا حوض البرهان، إلى حوض "داخل قوس" نشط بركانيا على الخصوص خلال الميوسين معطيا البركنة الأنديسيتية في وسط البحر (جزيرة البرهان) وكذلك في العديد من النقاط القارية القريبة من الساحل الإفريقي.

2.2) تصنيف الأشكال بالساحل المتوسطي

على أساس هذه التطورات جاء الساحل الريفي متشكلا من رؤوس وخلجان صغيرة وقدات صخرية داخل البحر ناتجة جزئيا عن البركنة وكذلك على الصدوع البنيوية في القواعد الصخرية المكونة للقشرة.

جرد هذه الأشكال من الغرب إلى الشرق ينطلق من رأس الميناء بشبه جزيرة سبتة ثم رأس الطيفور (الرأس الأسود) وجزيرة بوزرع (جزيرة يگرشميت). فرأس الصيادين، وجزيرتا قوس قزح، وصخرة غمارة، ثم الجزيرات الصغيرة داخل خليج الحسيمة بين الرأس الجديد ورأس الطرف، ثم شبه الجزيرة الكبيرة للناضور - مليلية المنتهي إلى رأس وجزر المذراة وبجواره شبه الجزيرة الرملية التي تغلق سبخة بوعرق المسماة بالبحر الصغير. وأخيراً الجزر الجعفرية قبالة رأس الماء (شكل 2).

يمكن تصنيف هذه الأشكال إلى ثلاث حالات رئيسية :

الأولى في الغرب وهي مرتبطة بالكتلة القديمة، الثانية في الوسط ولها علاقة بكارست الحقب الثاني، والثالثة في الشرق وجلها من أصل بركاني.

1.2.2) القطاع الغربي

يرافق الساحل المتوسطي الغربي شريط من المنكشفات القديمة والمتحولة على طول حوالي 120 كلم، من سبتة إلى رأس الصيادين، وعرض يتراوح بين عشر وعشرين كلم. تشرف عليه من الداخل السلسلة الكلسية الممتدة من حلقة الحوز الموالية لضفة المضيق إلى القمم المطلة على شفشاون وباب تازة من علو يزيد على 2000 م. بين هذه الأعراف وخط الساحل، أعطت الصخور القديمة والمتحولة جبالا متوسطة وتلالا كثيرا ما تسيطر مباشرة على صفحة البحر.

غالبا ما توافق نتوءات الساحل صخورا من نوع خاص

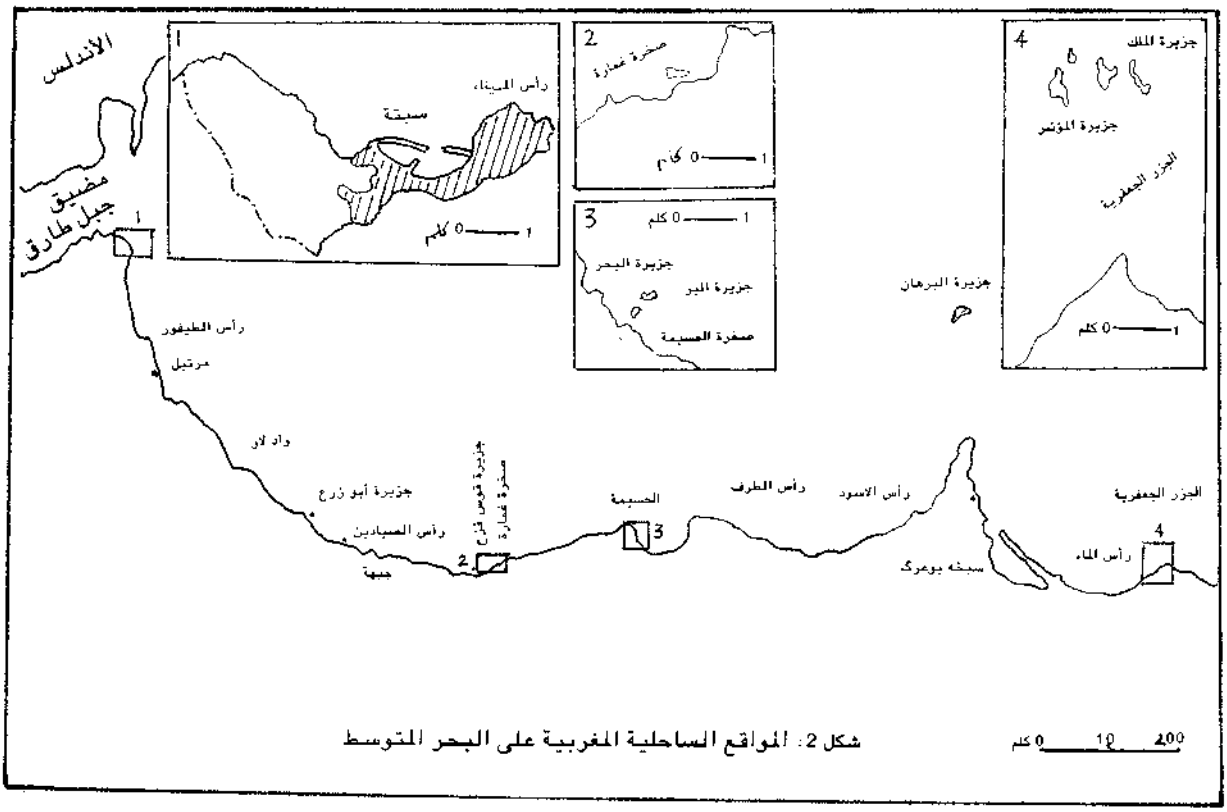

شكل 2: المواقع الساحلية المغربية على البحر المتوسط

تسمح صلابتها أو بنيتها المعزّلة بتقدمها على حساب البحر أو تشظيتها بداخله.

- كذلك الحال بالنسبة لشبه جزيرة سبتة في الزاوية الشرقية من المضيق، والرأس الأسود الذي يوجد بموازاتها على بعد ثلاثين كلم من الجنوب. كلاهما متكون من الغنس، الصخر المتحول ذي الخاصيات الگرانيتية، المدعم بعروق اللبتيت الناتج من أعلى درجات التحول الإقليمي.

يتميز موقع سبتة باختراق الغنس من طرف بروز صغير من البيريدوتيت،، وهو من الصخور النارية النادرية جدا في المغرب حيث لا يكاد يوجد إلا في هذا المجال الشمالي الأقصى مع أكبر منكشف له في بني بوزرع.

أما في الرأس الأسود (كابونيگرو أو راس الطيفور) خمادة الغنس الصلبة تشكل كتلة دائرية لا يربطها بالقارة إلا منكشف من الميكاشيست القابل للتعرية السهلة.

- رأس بني بوزرع والجزيرة المقابلة هي عبارة عن نتوءات صغيرة مكونة من أكلاس مرجانية صلبة ورصيص ينتميان للحقب الأول، على الهامش الخارجي لمنكشفات البيريدوتيت الواسعة لبني بوزرع.

2.2.2) القطاع الأوسط

يمتد القطاع الأوسط من رأس الصيادين في الغرب إلى أجدير وسط خليج الحسيمة.

يتميز هذا القطاع بكونه الوحيد في الساحل المتوسطي المغربي الذي يطغى عليه التشكيل الكلسي. ذلك أن الشريط القديم والمتحول الذي كان يرافق الساحل في الشمال الغربي يختفي نهائيا كمجال متخصص. والسبب أن الصلب الكلسي المتميز الذي كان يشرف عليه من الداخل في مجالات تطوان وشفشاون قد تعرض إلى عملية انخلاع مباشر ذي مضرب ش ـ ج غ. يربط خط الانخلاع هذا بين باب تازة ورأس الصيادين ويمتد داخل البحر. وقد ترتب عنه انهيار للصلب الكلسي وتحول زحزحه عن موقعه الداخلي تجاه الساحل، حيث تسبب في نتوء رأس الصيادين، وكون إلى الشرق منه كتلة بقوية إلى حدود الحسيمة. ثم يغوص في البحر فلا يظهر إلا في إقليم القبائل الجزائري (شكل 3).

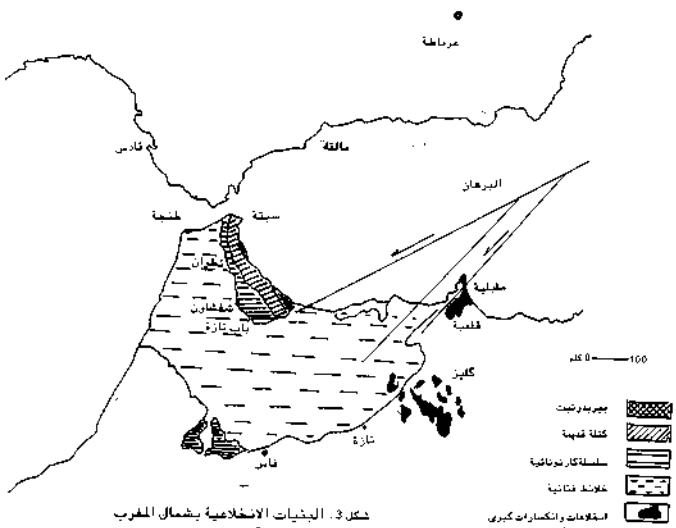

شكل 3: البنيات الانخلاعية بشمال المغرب

- رأس الصيادين يبدو كجسم دخيل متقدم في البحر، طبيعته الكلسية الصلبة الشبيهة بمواد الصلب الكلسي الكبير، معزولة هنا بين آخر منكشفات شيست الحقب القديم غربا، والفليش الكريتاسي المنتمي لطية تيزرين الزاحفة شرقا.

- أما مجموعة الجزر الصغيرة المحيطة بكتلة بقوبة وهي من الغرب إلى الشرق : صخرتا قوس قزح، وصخرتا غمارة، والجزيرات الصغيرة لخليج الحسيمة، فهي على ما يبدو بروزات لتشكيل كارستي مغمور من طرف البحر. يؤيد ذلك أن بقوبة ذاتها هي الجزء المكشوف فقط من كتلة أكبر بكثير قوامها الكلس والدولومي والترياسي والليلسي، يوجد جلها تحت البحر.

يشكل الطرف الشرقي من كتلة بقوبة الكاربوناتية الرأس الغربي من خليج الحسيمة (الرأس الجديد)، على أن الرأس الشرقي من الخليج مكون من بروزات بركانية تشير إلى الانتقال إلى القطاع الشرقي (رأس الطرف).

3.2.2) القطاع الشرقي

كل الجهات المتقدمة داخل البحر في هذه الجهة، كانت رؤوسا أو جزرا، لها علاقة بالتظاهرات البركانية الحديثة، الميو - بليو - رباعية. وتدور في فلك مجموعة قلعية البركانية الكبيرة.

ومن أهم مظاهرها : رأس الطرف، في النهاية الشرقية من خليج الحسيمة، وراس المذراة، شمال الناضور، ثم الجزر الجعفرية بالإضافة إلى جزيرة البرهان. هناك علاقة بين نوع الأدفاق البركانية من الوجهة الصخرية والتحقيبية، وبين طبيعة الأشكال الظاهرة على السطح. ذلك أن تدفقات البازلت المائعة المنتمية للبليورباعي قد أعطت مساحات واسعة مسلحة بهذا الصخر الشديد الصلابة. في حين أعطت طفوحات التراكيت والأندسيت الأكثر لزوجة أجهزة بركانية واضحة المعالم.

- رأس الطرف، كتلة بركانية عريضة مرتبطة بحادث النكور وهو ثاني أهم الصدوع التي تفلق القشرة في الشمال المغربي بين انخلاعي رأس الصيادين في الغرب ومليلية في الشرق.

- مجموعة رأس المذراة (رأس المذاري الثلاثة) وتوابعها ومنها الجزر الجعفرية، تنتمي كلها لنفس الوحدة التطويرية. فهي على تشتتها، تنتظم حسب نطاق هائل ج غ - ش ش، يمتد من جهاز گليز شمال گرسيف إلى حدود رأس القطة بجوار مدينة المرية الأندلسية عبر قلعية وجزيرة البرهان في وسط البحر، وذلك على مدى حوالي 500 كلم.

الأصل في هذا النطاق هو الانخلاع الياسر لمليلية (شكل 3) كما أن نفس الترتيب بزيادة ممال التغاير الكيماوي والعدداني للصخور البركانية، المعتبرة حسب الجهات، يوحي بوضع شبيه بالأقواس الجزيرية الموجودة حول المحيط الهادي والتي تسبك كل هذه التظاهرات البركانية داخل نموذج رتق بين الصفيحة الإفريقية وصفيحة البرهان، وإن كان هذا النموذج لازال مثار أخذ ورد من حيث التفصيل.

- الأشكال الخارجة عن التصنيف الثلاثي للساحل المتوسطي

أهمها توجد بضفة المضيق بين سبتة وطنجة وهي عبارة عن ثلاثة رؤوس كبرى ناجمة عن التقاطع المتعامد بين رسم الساحل واتجاه المحاور العرفية الرئيسية للريف الغربي. أكثرها توغلا صوب الشمال رأس اللبوة الذي يمثل نهاية الأعراف الشرقية. هنا ينتهي جبل موسى الكلسي في البحر على هيئة "أعمدة هرقل" البارزة على الضفة الريفية قبالة صخرة جبل طارق في الضفة الأندلسية. أما الرأسان الآخران (رأس ملاباطا ورأس سبرطيل) فإنهما يدينان بعنفوانهما للتسليح الحثي الذي يرصف القواعد الشيستية والصلصالية، وبخاصة الحث النوميدي السليسي المقاوم للتفسخ.

على العموم، ساحل البحر المتوسط وعر متزلف، مرصوف بالجبال والتلال. من ذلك ضعف البنيات التحتية للمواصلات به، إلا ما كان من بعض السهول الضيقة الموجودة عند مصاب السيول الرئيسية المنحدرة من الجبال كوادي مرتيل ووادي لاو، وأكبر منها واديا غيس والنكور.

كما أن الملء بالرواسب ينال الزوايا المجاورة للرؤوس.

فمثلاً، شبه جزيرة بوعرق هي من نفس القبيل محاولة لتلطيف الزاوية الكبيرة المحتلة لإبط رأس الناضور - مليلية (المذاري الثلاثة). لكن التعبئة لازالت غير كافية، منها الشريط الرملي الضيق الذي يمتد على مدى 25 كلم بين عرض البحر وجوف الخليج الذي تحول إلى هور واسع هو سبخة بوعرق (أو البحر الصغيرة).

3) الوضع الخاص بالساحل الأطلنتي المغربي

1.3) عوامل تطور الساحل الاطلنتي

- السبب الأول في تعذر وجود أية جزر في الساحل الاطلنتي مرتبط بأصله الفتقي، حيث إن خط الانفصال عن أمريكا بقي سليما من الشوائب. لكن العديد من الأحداث البنائية والغمرية الرسوبية قد طرأت بعد الترياس، تاريخ الفتق، وقد تركت آثاراً حاسمة داخل القارة لكنها لم تؤثر بصفة واضحة على الساحل. أهم هذه الأحداث التعبئة الجوراسية لخدات صدوع التحويل المتعامدة مع حدّ الفتق الرئيسي وأهمها الخدة الأطلسية، ثم الغمر الواسع الكريتاسي الأوسط فالبنائية الأطلسية التي أسست خلال الحقب الثالث الجبال الالتوائية ورفعت الهضاب والكتل القديمة.

الواضح أن هذه العمليات الانتهاضية لم تحدث في الساحل الأطلنتي إلا خليجين واسعين : الأول بين الريف والميدان الأطلسي، بما فيه المسيطا، وهو خليج الغرب واللكوس، والثاني بين الميدان الأطلسي والدرع الإفريقي وهو خليج سوس.

- السبب الثاني، هو طبيعة التطور الرباعي الذي عمل بانتظام على تنعيم الساحل وتلطيف هوامشه بواسائل خاصة في الترميم والصيانة. وقد تم ذلك على إيقاع تواتر الغمر والانحسار الحاصلين بفعل تضافر عاملي تغير المنسوب العام لمستوى سطح البحر من جهة والبنائية من جهة أخرى.

ففي فترات الانحسار، تعمل التيارات البحرية الغالبة، ويبدو أن غالبتها من الشمال الشرقي، على إقفال المخابيء والخلجان من الخارج بتوفير مغاليق رملية. في حين تساعد العاليات الجبلية المجاورة المناخ المتوسطي المتفاوت الرطوبة، الغالب على الرباعي، على تعبئة دواخل الخلجان بواسطة التغرين النشيط المعهود فيه. وبما أن فترات الانحسار هاته توافق، حسب النموذج التطوري التقليدي بعض الترطيب المناخي، فإن الجهات الداخلية من الأشرطة الرملية تعرف تحجزاً بواسطة المياه القارية المشبعة بالكلس، فيتحقق تصلب الحث والكلكارنيت. وبهذا تكون الرسوم الأساسية للسواحل على شكل حمالات قد تهيأت.

أما في فترات الغمر فيحصل تحت الأشرطة الحثية عل شكل أجراف متفاوتة الحدة، وترصيفها بمواد فتاتية متفاوتة الخشونة. يتم ذلك بصفة متوازية مع الرسم الأساسي يدعمه ويؤكده.

تواتر هذه العمليات، يراكم مستويات الرباعي بالتراكب أو يسبكها على شكل مدرج يؤرخ بوضوح لمختلف فترات الرباعي.

يمكن التمثيل لهذا النموذج بجلاء تام على ساحل الدار البيضاء أو ساحل البدوزة شمال آسفي، وغيرهما كثير.

تحققُ آليات من هذا القبيل يوفر الترميم المستمر للسواحل، ويحُول دون تكون الفراغات والانفصامات المهينة للتجزير. تعبئة الفراغات الممكنة يُساعد عليها كذلك تكوين المتقنات والمعشبات الساحلية التي تعمل على إلغاء الأهوار الساحلية الضحلة، وضمّها إلي القارة كما هو الشأن بين طنجة وأصيلة أو بداخل الوجة بين الجديدة وآسفي. فاعلية دور المعشبات في إطماء الأهوار تزيد عندنا بفعل الإشباع الكلسي الغالب لكل مياه السيلان، الشيء الذي يسرع برصرصة العشب الساحلي أو المصبّي وتحويله إلى أكلاس محشوة بالمواد الفتانية المتنوعة.

2.3) مبادئ في تصنيف الأشكال بالساحل الأطلنتي

طول الساحل ووفرة البنيات يُعدّدان عناصر التصنيف لكن يمكن إجمالها في فئات كبرى هي : السواحل الرملية على الشاطئ السهول، السواحل الجرفية على هامش الجبال والمرتفعات، والأرصفة الرملية الحثية على طول الهضاب.

1.2.3) السواحل الرملية على شاطئ السهول توجد أساسا على مستوى السهول الفيضية الوظيفية مثل اللكوس والغرب، أو السهول الفيضية الحائلة مثل سوس. الأشرطة الكثيفة الرملية عندها عريضة وسميكة وتعرف حركة مهمة كما هو الشأن في سوس حيث إنها تهدد المنشآت البشرية. المستويات الساحلية حديثة على مدي واسع. حمولة المحور الفيضي (نهر سبو مثلا) دقيقة تشكل مخروطا تحت بحري ممتد الابعاد تتوزع رماله وأطماؤه بانتظام بفعل التيارات.

إمكانيات التجزير منعدمة

2.2.3) السواحل الجرفية على هامش الجبال المرتفعات وهي أنواع منها :

* ذات الأجراف النشيطة المتقاطعة مع الأعراف الأطلسية من جنوب الصويرة إلى أگادير. ضعف انتهاض البنيات في هذه النهاية الغربية للأطلس الكبير لم يعط أكثر من رؤوس متقدمة إزاء المحيط على مستوى أهم الأعراف الجبلية : رأس الحديد (شمال الصويرة)، رأس تافلني ورأس إغير.

* ذات الأجراف الميتة المتقاطعة مع كتلة الأطلس الصغير في محيط إفني التي لم تعط أية نتوءات بارزة إذ يوافق الساحل قُطر بهرة قديمة مفرغة، هي نصف بهرة إفني.

* ذات الأجراف المتوسطة والصغيرة والمساطح الصخرية الممتدة على ساحل الهضبة الوسطى بين الرباط جنوب الدار البيضاء. تُوجد في عرضها قدّات صخرية ينتمي بعضها لمنكشفات الحقب الأول، تتعلق بها محليا بقايا من الحث الرباعي.

3.2.3) الأرصفة الرملية ـ الحثية على طول الهضاب

وهي ممثلة على مدى واسع، تهم جهتين رئيسيتين :

* ساحل المسبطا من جنوب الدار البيضاء إلى آسفي. وهو يخص هنا الشكل النوعي للوجة الذي يتجلى في وضعه النموذجي بين الجرف الأصفر ورأس البدوزة. أضف إلى ذلك سواحل رملية أوسع في الامتداد الجنوبي من آسفي إلى جنوب الصويرة.

* الساحل الصحراوي من فم درعة إلى النواديبو.

على العموم تظهر بجلاء في هذه الأرصفة محاور الكثبان الرملية المتصلبة والموازية للساحل، والتي تنتظم بصفة متفاوتة وحسب نماذج مختلفة عبر البليوسين والرباعي. يَشْرُ هذه المحاور من طرف البحر وإغراق بعضها والتسرب إلى المنخفضات البيكثيبية استطاع خلق بعض فرص التجزير المتواضعة وخاصة أشباه الجزر والخلجان.

4.2.3) الجزر البركانية : نموذج أرخبيل الخالدات (كناريا)

وهو موافق لوضع الفتق الذي يعرفه الساحل الأطلنتي، وإن كانت له خصوصيات نوعية. كما أنه مرتبط بتوقيت الأحداث البنائية في القارة (شكل 4).

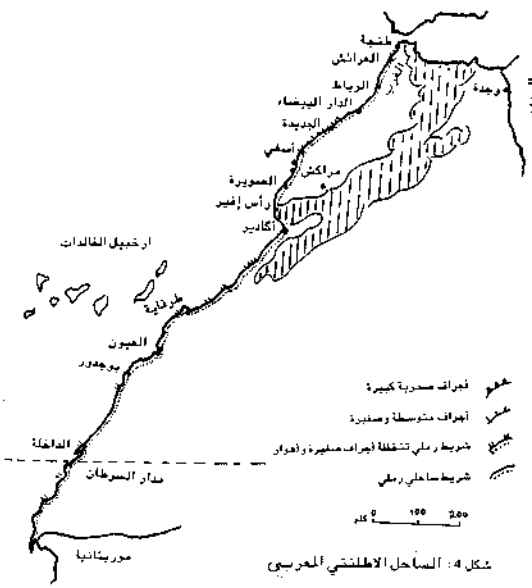

شكل 4 : الساحل الاطلنتي المغربي

3.3) نماذج من حالات التجزير وشبه التجزير بالواجهة الأطلنتية

يبدو من تصنيف التشكيل على السواحل أن حظوظ التجزير، الضعيفة عموما، ليست بذات أثر إلا في مجالين : على هامش الهضبة الوسطى، وهي الأضعف، وعلى طول الهضاب الكلسية الحثية، زيادة على أرخبيل كناريا.

1.3.3) فلتات التجزير جلها قدات من الكتلة القديمة معزولة أو ملحومة إلى القارة بالحث الرباعي على شكل أشباه جزر ورؤوس. الأمثلة متعددة وتخص مثلا في مجال الدار البيضاء ـ المحمدية تضاريس متخلفة منها المنحوت في كوارتزيت وشيست الكمبري. كما هو الشأن بالنسبة لرأس فضالة (المحمدية) رأس العنق، عين الذئاب، سيدي عبد الرحمان، دار بوعزة ... بزيادة شذرات الصخور السوداء، عكاشة.

2.3.3) الأشكال المتخلفة عن بتر الأشرطة الكثيفة المتصلبة هذه الأشكال أكثر وأكبر من السابقة منها الناتج عن غزو البحر للأعراف الكثيبية المتحجرة وفي هذه الحال قطع متخلفة محاطة بالماء مرصوصة على مدى خطي يعطي فكرة عن الرسم الأصلي للمحور الكثيبي. من هذا النموذج أمثلة السلاسل الصخرية في عرض تمارة والصخيرات جنوب الرباط، وخاصة مجمع الأشكال المرتبطة بالصويرة.

هناك أشكال أخرى حافظ فيها المحور الكثيبي الموازي للساحل على نقطة ارتكاز قارية، مشكلا شبه جزيرة تضم خليجا، يتراوح عمقه ما بين 20 و25 كلم، كما هو الأمر بالنسبة لخليج وادي الذهب المحمي بواسطة شبه جزيرة الداخلة، وخليج السلوقيين المحمي بشريط النواديبو ـ لكويرة.

أهم هذه الإرهاصات التجزيرية على الإطلاق ما اصطلح على تسميته بأرخبيل الصويرة (شكل 5).

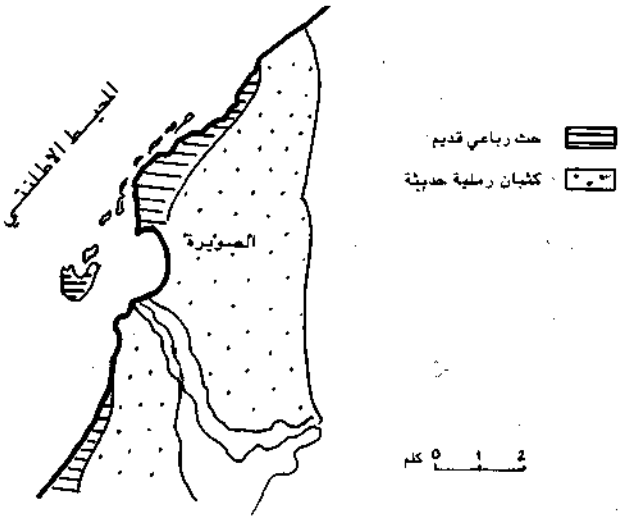

شكل 5 : ظروف التجزير بالصويرة

يتكون الأرخبيل من مجموعة صخور، ستة منها ترقى إلى مستوى جزيرات صغيرة. يعتبر الأرخبيل الصغير موقعا بيئيا ذا بال. حيث اختير من بين المواقع المغربية ذات القيمة البيولوجية والإيكولوجية (SIBE) وهو يأوي جالية من الصقور الجزيرية كما يشكل محطة بالنسبة للطيور المهاجرة.

3.3.3) أرخبيل كناريا : عناصره وحدها تستحق كناية الجزر بصفة وافية. عددها سبعة قبالة مدينة مدينة طرفاية. وهي كتل بركانية صرفة الأصل تضم بداخلها مواد رسوبية من النوع الفتاتي القاري المشتق من القواعد البركانية، وكذلك رواسب الغمور البحرية. أهم أزمات البركنة حدثت خلال المبوسين، البليوسين والرباعي. أنواع الصخور البركانية ليست من طبيعة الأدفاق التي تخرج من محور الفتق الرئيسي الذي يوجد في وسط المحيط (بازلت طوليتي) ولكنها من نوع المواد المنبعثة من هوامش القارات (بازلت ألقي، ريوليت ...).

جل فترات البركنة مزامنة للفترات البنائية المعروفة في القارة، وكذلك مضارب خطوط الضعف وحتى أهم فترات الغمر البحري كالفترة الساحلية المسماة بالمغربية التي عمت جل الساحل الأطلنتي المغربي خلال البليوسين الأوسط.

الدراسة البنيوية لظروف التجزير على السواحل المغربية هي في الواقع دراسة التشكيل في هذه السواحل انعدام أو ضعف ظروف التجزير مرتبطة بتوفر الشروط المناقضة التي قضت بترميم وتنعيم السواحل فجاءت جل قطاعاتها مستوية ارتباطا بآليات تطور الحقب الرابع وبالتالي كانت السواحل ضعيفة المخابئ لا توفر المواتية لإنشاء الموانئ وتنشيط حركة صيد بحري تقليدية وانفتاح كبير على البلاد الأجنبية، رغم غنى المياه الاقليمية بالثروات السمكية فلم تنشط هذه الحركة إلا بعد توفر وسائل التجاوز المالية والتقنية.

معلوم كذلك أن عددا من هذه المواقع اللصيقة بالساحل أو الشديدة القرب منه تابع للنفوذ السياسي الأجنبية.

لا شك أن في البنيات الطبيعية للبلدان ما يفسر ولو في منطلقاتها بعض السلوكات الحضارية للشعوب.

J. Andrieu, J.M. Fantboté et M. Mattauer, *Sur un modèle explicatif de l'arc de Gibraltar. Earth Plan. Sc. Let.*, 12, 1971 ; J.M. Auzende, J. Bonnin and J.L. Olivet, *The origin of the western Mediterranean basin. J. Geol. Soc.*, London, vol. 129, 1973 ; G. Beaudet, *Le plateau central marocain et ses bordures, étude géomorphologique*, Rabat, 1969 ; Ch. Delarue et R. Brousse, *Volcanisme miocène en subduction au Maroc à l'extrémité orientale de l'Arc de Gibraltar. C.R. Acad. Sci.*, 279 D, 1974 ; M. Durand-Delga, L. Hottinger, J. Marçais, M. Mattauer, Y. Milliard et G. Suter, *Données actuelles sur la structure du Rif, Soc. Géol. Fr.*, 1960 - 62 ; A. El Gharbaoui, *La terre et l'homme dans la péninsule tingitane*, Paris, 1981 ; M. Gigout, *Etudes géologiques sur la Méséta marocaine occidentale : arrière-pays de Casablanca, Mazagan et Safi*), Paris, 1951 ; A. Guilcher et F. Joly, *Recherches sur la morphologie de la Côte atlantique du Maroc*, Paris, 1954 ; E. Jérémine et J. Marçais, *La région volcanique des Beni Bou Yahi, Soc. Géol. Fr.*, hors sér., 1960 - 62 ; D.E. Karig, *Origin and*

development of marginal basins in the Western Pacific. J. Geophys. Res., 76, 1971 ; *Structural history of the Mariana Island or system. Geol. Soc. Am. Bull.*, 82, 1971 ; J. Lietz and H.U. Schmincke, *Miocene - Pliocene sea - level changes and volcanic phases on Gran Canaria, Canary Islands in the light of new K-Ar ages. Palaeogeogr., Palaeoclimatol., Palaeocol.*, 18, 1975 ; J.C., Vidal, *Structure actuelle et evolution depuis le miocène de la chaîne rifaine partie sud de l'arc de Gibraltar. Bull. Soc. Géol. Fr.*, t. 19, n° 4, p. 789 - 796.

إدريس الفاسي

الجَزَر أو "خيزو" بالعامية المغربية أو جُعدة "بشمال المغرب أو "اسفناريَة" بالشرق العربي على دَوكُوس كارُوطا Daucus carota النوع النباتي من الخضر الذي ينتمي إلى فصيلة الخيميات umbelliferae.

والجزر نبات عشبي ذو جذر وتدي، ثنائي الحول في الأصل لكنه ينضج في سنة واحدة قبل البدء في الإزهار. أوراقه مركبة ريشية وأزهاره مجتمعَة على شكل خيمية. وهو أصناف عديدة تختلف في الشكل واللون والمذاق.

زرع الجزر في حوض البحر المتوسط منذ أكثر من ألفي سنة. وعرفه الفينيقيون والإغريق والرومان. ثم انتشرت زراعته بكل أصنافه في جميع أنحاء العالم، كما هو الشأن بالمغرب، حيث يزرع في جميع الأراضي المسقية من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب.

وتعطي التربة المكونة من الطمي الرملي أحسن النتائج، وذلك ما نجده في ساحل دكالة مثل منطقة الوليديه على سبيل المثال.

يعتبر الجزر من الخضر المفضلة عند المغاربة الذين يأكلون جذره الوتدي نيئا أو مطهوا في السلاطة أو الطاجين أو كمشروب مع عصير البرتقال. كما يستعمل في شكل مُربّى.

بالإضافة إلى هذا تعتبر أوراق الجزر من الأعشاب المفضلة عند الحيوانات المدجّنة مثل الأرانب والأغنام والأبقار.

أبحاث شخصية ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، 1962، تر. د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة.

عبد المالك بنعبيد

الجزّار، عبد الله السلوي ← **حجّي** عبد الله الجزار

الجزار، عبد الله المكناسي، صوفي كبير ذو أحوال غريبة، وكرامات عجيبة، عاش خلال القرن الحادي عشر (17 م)، واشتهر في بداية أمره بين ذويه وغيرهم من سكان جبل زرهون وحاضرة مكناس بممارسته لمهنة الجزارة، كما عرف بين الجزارين والزبناء "بورعه في البيع والشراء، فلا يشتري الغنم إلاّ من قوم عرف طيب مَكْسبهم ثم يذبحها فيبيعها بأرجح ميزان، وما فضل له من الربح يذهب به لزاوية الشيخ عبد الله الخياط (بجبل زرهون) ... فيفرقه على الفقراء "(*جواهر*، 77 ب).

وبعد ذلك، انقطع عبد الله الجزار لحياته الصوفية، وتختلف المصادر في تحديد سنده الصوفي، فبعضهم يرى أنه زرّوقي الطريقة، أخذ مبادئها عن الشيخ عبد الله الخياط الرفاعي الزرهوني عن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني عن الشيخ أحمد زروق الفاسي، (*جواهر*، 77 ب). بينما اعتبره البعض الثاني جزولياً بحكم أخذه عن الشيخ الحارثي ابن موسى دفين بهت بحوز مكناس عن موسى بن علي دفين بهت أيضاً بسنده إلى الشيخ أحمد الحارثي دفين مكناس وأحد كبار تلامذة مؤسس الطريقة الجزولية الشيخ محمد بن سليمان الجزولي (نشر، 3 : 59).

ونحن نرجح الرأي الذي يعتبره جزولي الطريقة ؛ لاعتبارين اثنين : الأول كونه لم يدرك الشيخ عبد الله الخياط، لأن التاريخ يأبى ذلك، فالشيخ الخياط توفي سنة 939 هـ / 1533 م، بينما توفي الشيخ عبد الله الجزار المترجم له سنة 1061 / 1651 (*إتحاف*، 4 : 511)، أي بفارق زمني يصل إلى 122 سنة، ومن جهة أخرى، أن السند المنقوش في لوح خشبي ملصق بجدار ضريح المترجم له يعتبره ينتهي إلى الشيخ الجزولي عبر الشيخ الكامل مَحمد بن عيسى الفهدي دفين مكناس، (*إتحاف*، 4 : 510).

هذا، ورغم انتساب عبد الله الجزار للطائفة الجزولية وسلوكه طريقتها، فإن ذلك لا يمنع من القول بأنّه صحب شيوخاً من أتباع الطريقة الزروقية على سبيل التبرك، على غرار كثير من صوفية المغرب في عصره الذين كانوا جزوليين ـ زروقيين، طالما أنهم جميعاً ينضوون تحت لوا، الشاذلية. كما لايبعد أن يكون قد تبرك في هذا الصدد ببعض شيوخ أو أتباع الزاوية الخياطية نفسها خلال القرن الحادي عشر (17 م) أي بعد مرور عقود كثيرة من السنين على وفاة مؤسسها الشيخ عبد الله الخياط.

وقد وُصف الشيخ عبد الله الجزار بأنه "كان من كُمّل العارفين المتبرك بهم ... (وأنه) كان ورعا سنيا (*جواهر*، 77 ب ؛ *إتحاف*، 4 : 509)، بينما انفرد صاحب *نشر المثاني* بالقول" إنه من الصلحاء الملامتية "(*نشر*، 3 : 59)، ورغم أن القادري لم يوضح طبيعة ملامتيته، فإننا نعتقد أن الشيخ الجزار تبنى في مسلكه هذا ـ وعلى غرار كثير من ملامتية عصره ـ الأصول الأولى للتعاليم التي وضعها المؤسسون الأوائل لهذا التيار، والقائمة على أساسين تلخصهما في التعريف المتداول للملامتي وهو "من لام نفسه ولامه الناس على ما يُظهر، وهو مَن أظهر ما لايُبطن"، دون تفريط في التكاليف الدينية، عكس بعض

الملامتيين ممن كانوا ساقطي التكليف في المغرب والمشرق على حد سواء. ومما شجعنا على وصف ملامتية المترجم له بالاعتدال هو تصنيف كتب التراجم له ضمن خانة التصوف السني، كما رأينا. والظاهر أن تأثره بتعاليم ومبادئ التصوف الشاذلي الملتزم الذي مثلته الزروقية والجزولية في عصره كان وراء اعتداله في مسلكه الملامتي. وحسبنا علماً أن الشيخ عبد الله الجزار، سلك طريق الشاذلية قبل أن يكون ملامتيا، وتَشَبَّعَ بمبادئ التصوف الزروقي - والجزولي قبل أن يتأثر بتعاليم الملامتية.

وهذا كلّه يَسْمَحُ لَنَا بأن نقول إن التعاليم التي تبناها الشيخ عبد الله الجزار السالك الملامتي، سنية سنداً وأصولاً. بل لعل هذا المسلك هو الذي جعل من ترجم له لايهتم بملامتيته. بل إن صاحب *نشر المثاني*، الذي أثار هذه المسألة، لم يشر إليها إلاّ عرضاً في ترجمة تلميذه الشيخ الشهير أبي العباس أحمد حجي دفين سلا، والمتوفى سنة 1103 / 1692 (*نشر*، 3، 58 - 59).

ولم نقف على زائد يتعلق بترجمة هذا الصالح المكناسي غير ما هو منقوش في الخشب على ضريحه نقلناه من كتاب *إتحاف أعلام الناس* (4 : 510 - 511) ومنه :

هذا ضريح سامي المقادر مسن ... قد شاع في الآفاق والأقطارِ
قف ضارعاً متذللاً تلقَ المنى ... تُكفَ النوائب تَحْظَ بالأوطارِ
إن الوقوف ببابهم أصلُ الغنى ... ما في وقوفك ساعةً من عارِ
وإذاقصدت لمثل عبد الله ذا ... فاقصد وسل مولاكَ بالجزارِ

توفي الشيخ عبد الله الجزار أواخر ذي الحجة عام 1061 / دجنبر 1651. وقبره شهير بمدينة مكناس بالقرب من الجامع الأعظم.

م. الخياطي، *جواهر السماط في ذكر مناقب سيدي عبد الله الخياط*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، ج 3، الرباط، 1407 - 1986 ؛ ع. عفيفي، *الملامتية والصوفية وأهل الفتوة*، القاهرة، 1956.

أحمد الوارث

جَزْنَايَة أو زُنَاية - بحذف أولها - والنسبة إليها جَزْنَائي. ويُنطق بها اليوم گزْنَاية - بتشديد النون - والنسبة إليها أگزنَّاي. وهي قبائل ذات أصل عربي يمني حميري انصهرت في قبائل نفزاوة الزناتية فصارت في عدادها. هذا الأصل العربي ذكره ابن خلدون في معرض حديثه عن نفزاوة وبطونهم وتصاريف أحوالهم.

تشغل قبائل گزناية مجالاً جغرافياً واسعاً في الريف الأوسط الداخلي، يمتدُّ على طول حوالي مائة كلم من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. تُحيط بها مجموعة من القبائل هي بني ورياغل وبني توزين في الشمال والشمال الشرقي والمطالسة في الشرق، وبني عَمَّارْتْ والبرانس في الغرب، وهوارة في الجنوب.

تضاريس گزيانة في أغلبها جبلية ذات صخور شِسْتية، يتدرج عليها الغطاء النباتي تبعاً لكمية التساقطات ما بين غابات وأحراش إلى سهوب من الحلفاء والنباتات شبه الصحراوية، علماً أن أغلبية السفوح الرطبة قد تم تشجيرها بأشجار الكروم والتين والزياتين في إطار مشروع تنمية الريف.

لا يخلو بيت من بيوت گزناية الحالية من مهاجر أو أكثر إلى خارج الوطن وخصوصاً إلى هولندا وألمانيا بقصد العمل، أما الباقون فهم في الغالب من العجزة والمتقاعدين العائدين ومن النساء والأطفال، وقلة من الشباب الذين لم يجدوا إلى الهجرة سبيلاً، وهم يتعاطون إما للزراعة المسقية على ضفاف الأودية وعلى المدرجات، وإما للزراعة البورية الضيقة وتربية الماشية من أبقار وماعز في الغالب.

كانت گزنَاية نظراً لموقعها وصعوبة تضاريسها مأوى للكثير من الهاربين والمضطهدين على مَرِّ التاريخ، ومن ذلك مثلاً عددٌ من الشرفاء الأدارسة الفارِّين من بطش موسى بن أبي العافية الذين استوطنوا المنطقة وتناسلوا فيها وانصهروا مع أهلها وأصبحوا في عدادهم، فتكونت من مجموع هؤلاء وأولئك ساكنةٌ تنقسم إلى عدة أقسام هي: بني يونس وأمزدورار وبني عاصم وبني مَحمد وأولاد بنعيسى وأكنول والجبارنة ومغراوة ...

ذكر لي بعض شيوخ المنطقة وأعيانها أن بني يونس فرعان : بني يونس العليا، ومن دواويرهم أزرو وتيزي وسلي وتَاغلاسْت والحمام وحضرية وأولاد علي وإيحُورثَنْ ؛ وبني يونس السفلى، ومن دواويرهم : العرقوب وهم شرفاء أدارسة وتاسْنيتْ وبوعنقود وبني حازم وخَبَّابَة وسيدي علي بورقبة وإزُولاَلْ.

ومن دواوير إمزدورار : عين الحمراء وأجدير وإغْنَاجَنْ وتَاسْلِوينْ وأفرْزَازْ. وتامجونت وبورد والماء علي وبوزينب ولعزيب ...

ومن دواوير بني عاصم : هيبل وإخَوَّانن وإيهرُّوشن وبني زروال وإهرُسن وإبقريِّين وإكعبونن وإقرُّوعن وأبرارْت وإزكريتَن وإيَار وحْدُود وهؤلاء شرفاء أدارسة.

ومن دواوير بني مَحمد : أولاد زيان ودَرَّاج وأيْت تاير وبني بوجطُّو وأيْت مسعود ...

أمّا أولاد علي بنعيسى، وكلهم شرفاء، فمن دواويرهم : أولاد عيسى وتيغْزَة ولحْفَايَر والدواوير وتيزي نْرَى، وقد كانت مقراً لجيش التحرير لكثرة كهوفها ومخابئها - وَاوْنْكور وسيدي أحمدُ ومُوسى والدُّواية وشَعْشُو عَن والغُرْفات ...

ومن دواوير أكنول : إزمُّورن وبويسلي وأولاد عبد الله والناضور وتغَزْرتين - والمرج وتاشرِّيَانْت وغَمَّارت وصاغور وتغمبوسين ...

وكذلك الجبارنة من دواويرهم : حمُّو بن عمر والجبارنة، وكانت تعرف بدار القائد المذبوح، والعثامنة وأولاد حدّو وسيوَانْ والسياح، وهم شرفاء أدارسة، وويزغت ومَلاّل وبوحدود ...

عرفت جَزْناية منذ القدم بكثرة مساجدها وتعاطي أهلها لحفظ القرآن وتدارس العلوم الشرعية، ومن مساجدها العتيقة مسجد العرقوب ومسجد تاستيت ومسجد تاغيلاست ومسجد الدوابر ...

وقد ذكر لي بعض المسنين أن حوالي ثمانية أعشار من أهل جبل العرقوب كانوا قبل الاستقلال يحفظون القرآن، وأن عدداً كبيراً من إناث نفس الجبل في أولاد علي بنعيسى يحفظنه كذلك، وهذا أمر ينفي الافتراءات التي ادّعاها موليبراس Mouliéras في كتابه *المغرب المجهول* *Le Maroc Inconnu*.

ولعل ما يدعم فكرة انتشار التعليم أن التاريخ يحفظ أسماء عديدة لعلماء أجلاء من أبناء المنطقة نذكر منهم : أبا الحسن علي الجزنائي صاحب كتاب *جنى زهرة الآس*، ومحمد ابن شعيب الجزنائي من العلماء الذين اصطحبهم أبو الحسن المريني معه من تازا في حملته إلى إفريقية (تونس) ؛ وكذلك الشيخ الفقيه المشارك الحيسوبي الناظم الفرضي عمر بن عبد العزيز بن يوسف الجزنائي، ذكره العلمي في *نوازله* وقال عنه مُحققها : "له رجز في *علم الأوفاق* ؛ وشرحه ؛ وله *نوازل فقهية*، أخذ عنه أبو الحسن بن موسى بن هارون المطغري ..."

لا نعرف بالضبط متى استقر بطن من بطون جزناية في جبال بني إزناسن الجنوبية وانصهر مع سكانها وأصبح يُشكل اليوم قسماً مهماً من أقسام قبائل بني ادرار التي تشكل بدورها مع أهل تاغَجّيرت وأولاد الغازي مجموع قبائل بني خالد اليزناسنية المتاخمة للحدود مع الجزائر ؛ إلا أن الغالب على الظن أن مُكوِّن هذا البطن قد هاجر إلى المنطقة في أواخر القرن الحادي عشر (17 م) وذلك حسب ما تجمع لدي من معلومات خصوصاً تلك التي استقيتها من تقاييد اثنين من حفدته المتأخرين، وهما : الفقيه موساوي محمد بن بنعيسى والشيخ الإمام عبد العزيز بن عبد القادر الغول رحمهما الله، وفيها يذكران أن هذا الجد المهاجر هو مَحمد أحجار المعروف ببلاد امْسيرْدَة الجزائرية على الحدود مع المغرب لأنه نزل بها أول الأمر قبل أن يستقر ببني إزناسن عندما قدم مهاجراً من العرقوب بگزناية الريف.

وفيما يتعلق بنسبه فإن الراجح عندي حسب المعلومات المشار إليها هو أنه أحد أبناء علي بن عزوز جدّ الحجّاريين الذين ما زالوا يقيمون بالعرقوب، وعلي بن عزوز هذا يوجد ضريحه غير بعيد عن العاصمة التونسية، مات هناك ودفن عند رجوعه من الحج، وقبره مزارة إلى اليوم. وهو علي بن عزوز ابن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن يحيى بن مَحمد ابن يوسف بن داود بن عبد الله بن الطالب بن أحمد بن إبراهيم بن خلف الله بن المنير بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن إسحاق بن أحمد بن محمد بن إدريس ابن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبذلك يكون الجزنائيون المستقرون حالياً في بني إزناسن والمعدودون ضمن قبائل بني ادرار من أصل إدريسيّ شريف.

ترك مَحمد أحجّار ولدين هما عمرو ومُحمد الملقب يَشُّو، ومن هذين الفرعين تنسُّل هؤلاء الجزنائيون اليزناسنيون، علماً أن سلالة يشُّو تجمع كلها تحت اسم أولاد يشو أو بنيشّو، ومنهم الطائفة التي تحمل لقب "يشُّوني".

أما أولاد عمرو فهم طائفتان كبيرتان : أولاد موسى وأولاد سليمان، تفرعت عنهما طوائف صغرى كثيرة وذلك لأن جدهم عمرو ترك خمسة ذكور هم : عبد الله وقدور وسليمان وموسى ومحمد فلم ينجب منهم إلا موسى وسليمان.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 135 ؛ م. العلمي، *النوازل*، 1 : 374 والهامش ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 264 ؛ م. المنوني، *ورقات*، 324 ؛ محمد العباسي، *شجرة الإدريسيين*، 1 ؛ *تقاييد خاصة*.

Moulieras, *Le Maroc inconnu*, 118 - 121 ; De Lacroix - De Lamartinière, *Documents*, 1 / 338 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat*, 195.

محمد مرزاق

الجزنائي، بيت قديم في فاس، أصلهم من الريف الأوسط الداخلي، وكان منهم فقهاء وأدباء ومؤلفون.

الجزنائي، أحمد بن محمد بن شعيب التازي الدار الفاسي الاستقرار، يكنى أبا العباس ويرجع نسبه إلى قبيلة جزناية المستوطنة ببلاد الريف الغربي، غلبت عليه النسبة إلى جده فعرف بابن شعيب.

وإذا كانت المصادر التي ترجمت للجزنائي لم تذكر تاريخا لولادته فإنها على العكس من ذلك قدمت لنا معلومات كثيرة تخص جوانب هامة من حياته الفكرية والعلمية.

تتلمذ ابن شعيب الجزنائي بفاس على مجموعة من كبار أساتذة عصره أمثال أبي عبد الله محمد بن أجروم في النحو، وأبي عبد الله محمد بن رُشيد في الحديث والفقه، وأخذ علوم الطب والهيئة بتونس عن الشيخ الطبيب يعقوب ابن أحمد راس.

وقد أجمعت نفس المصادر على وصفه بالفقيه الأديب، الكاتب الفيلسوف، الطبيب النباتي، المنجم الميقاتي، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تشيد بقدرته الفكرية وبراعته الأدبية ومشاركته في علوم متنوعة عقلية ونقلية، وتؤكد على مكانته العلمية بين علماء وقته.

كان المؤرخ الأندلسي أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر من أشد المعجبين بشخصية ابن شعيب الجزنائي، وعبر عن

اندهاشه من درايته ـ وهو البربري الأصل ـ بمدارك الإعراب، وإتيانه من الفصاحة بما يثير الانتباه والإعجاب. وأنه لو كان من الأعراب لشمل في شعرائها، وحمل راية الكلام في أمرائها. كما اعترف ابن خلدون بما كان لابن شعيب الجزنائي من شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين، وأكد على إمامته في نقد الشعر. وبالفعل برع الجزنائي في قرض الشعر إذ حفظت لنا المصادر بعض قصائده في فنون متعددة كالرثاء والمناجاة والوجدان والشعر الفلسفي. وله أيضاً محاورات شعرية بينه وبين الفقيه العالم أبي جعفر بن صفوان (أو ابن رضوان) حول علم الصناعة (الكيمياء).

ومن الأبيات المأثورة عنه بيتان كان السلطان أبو الحسن المريني يحفظها وينشدهما عند العطاء والبذل وهما (من الرمل):

يا إلهي يا إلهـــي ليس يخفي الحال عنكـا
كلهم يطلب منـــي وأنا أطلب منكـــا

إلى جانب ذلك مارس ابن شعيب كتابة العلامة واشتغل بالتطبيب لدى كل من الملكين المرينيّين أبي سعيد عثمان وأبي الحسن علي. وإذا كان هذا يبرهن على منزلة صاحبنا عندهما وخاصة عند أبي الحسن، والعلاقات الطيبة التي كانت تجمع بينهما فإن ابن مرزوق يشير ـ مع ذلك ـ إلى أن السلطان كان ينفر من كاتبه الجزنائي لأسباب لم يذكرها صراحة، لكننا نفهم من كلامه أن أبا الحسن كان يمقت أهل التنجيم والناظرين فيه، وابن شعيب ـ كما نعرف ـ يعد واحداً منهم بالإضافة إلى اشتغاله بالعلوم الفلسفية، ولعل هذا هو السبب الرئيسي في حدوث تلك النفرة. وقد حاول ابن مرزوق أن ينفي عن صاحبه كل ما يطعن في اعتقاداته كاشتغاله بالعلوم الفلسفية حيث امتحنه بنفسه وذاكره وباحثه أكثر من مرة دون أن يكشف شيئاً يخدش في اعتقاده، فإننا نجهل اليوم كل شيء عن مؤلفاته وكتاباته في الفلسفة والطب وغيرهما. وحتى قصائده الشعرية لا نعرف منها إلا أبياتا معدودة متناثرة في المصادر.

توفي أحمد بن شعيب الجزنائي بعيداً عن بلده بتونس يوم عيد الأضحى من سنة 749 / فاتح مارس 1349 م بسبب الطاعون الأسود الذي جرف بلاد شمال افريقيا وغيرها وأهلك كثيراً من العلماء الذين رافقوا السلطان أبا الحسن المريني في حملته إلى افريقيا في نفس التاريخ.

ل. ابن الخطيب، *ريحانة الكتاب*، تح. م. عنان، القاهرة، 1982، ج 2، ص 407 ؛ *أوصاف الناس في التواريخ والصلات*، تح. م. كمال شبانة، المحمدية، د. ت. ص 106. 107 ؛ *الإحاطة*، تح. م. عنان، الطبعة الثانية، القاهرة، 1973، ج 1، ص 272. 277 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، ص 375، 437. 439 ؛ إ. ابن الأحمر، *نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان*، تح. م. رضوان الدّاية، بيروت، 1967، ص 240. 243. 335. 340 ؛ *نثير الجمان في شعر من نظمني وإياهم الزمان*، تح. م. رضوان الداية، بيروت، 1976، ص 254. 255 ؛ ع. ابن خلدون، *التعريف*، تح. ابن تاويت الطنجي، 1951، ص 48 و49 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص 119. 121. 186. 303 ؛ *درة الحجال*، تح. م. الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط 1، 1970، ص 45 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351، ص 68 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. ع. الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، ج 5، ص 67 ؛ ع. گنون، *ابن عبدون، أحمد بن شعيب الجزنائي ـ ضمن سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب*، العدد 16، تطوان، د. ت.

رشيد السلامي

الجزنائي، علي، اشتهر بكنيته أبي الحسن، وبكتابه *جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس*، وعلى الأصح فإنّ كتابه هذا يزيح عن شخصية بعض ظلال النسيان والإهمال الذي تسبب فيه معاصروه رغم كونهم نقلوا عنه، وأجمعوا على أن الكتاب من تأليفه. وقد مكنت إعادة قراءة مصنفه المذكور من العثور على إشارات كانت ـ على بساطتها ـ كفيلة بكسر الصمت، واستحضار صورة الرجل.

وأول ما نعرف عنه أنه ينتمي إلى قبيلة جَزْنَاية (أگزنّاية) الريفية المستقرة شمالي تازا. كما أنه عاش في القرن الثامن (14 م) إذ عاصر الاضطرابات التي عمت المغرب بعد نكبة السلطان أبي الحسن المريني بالقيروان وغرق أسطوله أمام ساحل بجاية (750 / 49. 1350). ويظهر أن الكتاب ألف في حدود هاته المرحلة، فآخر سنة وردت فيه هي سنة 766 / 64. 1365. أما معلوماته فيسوقها في إطار منهج لمّح إليه في الخاتمة، وهو أن عمله لا يعدو التقييد لما سمعه من الناس، أو اختصره من المؤلفات التي نلاحظ أنه حَرص على تعيين المعتمد منها ثم أضاف مشاهداته وما وقف على وصفه بنفسه، وبذلك نستطيع أن نضفي عليه صفة المؤرخ إلى جانب صفة الفقيه القادر على مناقشة الفتاوي والأديب المشارك في قرض الشعر.

وعلى الرغم من كونه فقيهاً متوسط الأسلوب، لا تخلو كتابته من أخطاء فإن كفاءته ظهرت أكثر في قوة تعبيره أثناء وصف الأشكال والألوان، وعند تسمية الأشياء الفنية والتقنية حتى ليحسبه الإنسان من أهل الحرفة. والجزنائي حسب مقدمته كان متطلعاً إلى الوظيفة إن لم يكن فعلاً قد شغل منصباً في الدولة، كما أنه عاش قريباً من مجال سيطرة الوزراء، فهو يهدي كتابه إلى الوزير عمر الياباني وينعته في مستهله بأضخم النعوت وأفخم الأوصاف. ويتضح أنه لم يستسغ هذا التمجيد إذ نراه يحذف هاته المقدمة بعد اختفاء هذا الوزير المستبد. ولذلك أصبحت للكتاب نسختان أكثرهما رواجاً هي النسخة المختصرة. أما النسخة المطولة فهي التي اعتمدها عبد الوهاب ابن منصور في تحقيق الكتاب، وفي إعطاء هاته الصورة التي استقينا منها ملخصاً يحل عليّ الجزنائي محله بين أعلام وطنه.

ع. ابن منصور، ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، مقدمة هذا الكتاب، الطبعة الثانية، 1411 هـ / 1991 م.

نفيسة الذهبي

الجزنائي، عمر بن عبد الرحمان أو بن عبد العزيز بن يوسف الفاسي. ذكره ابن القاضي في *جذوة الاقتباس* في جملة فقهاء فاس، وحلاّه بـ"الفقيه الحيسوبي الناظم الناثر الفرضي". كما ورد في *المعيار* بعض فتاويه. وممن أخذ عن الجزنائي الفقيه علي بن موسى ابن هارون المطغري.

ألّف الجزنائي مسائل فقهية، ونظماً في الأوفاق وشرحه.

توفي بعد سنة 911 / 1505.

أ. الونشريسي، *المعيار*، 1 : 344 و355 و357 و360، 361 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 495 ؛ *درة الحجال*، 3 : 204 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل*، 197 ؛ م. ابن تاويت، *الرافي بالأدب العربي*، 2 : 613.

محمد حجي

جزولة، - بالجنوب - قبيلة تاريخية كبرى، تستوطن وتراقب سلسلة جبال الأطلس الصغير وبعضا من مسالك الصحراء المجاورة. هكذا يورد الجغرافيون العرب هذه الصيغة من حيث هي كتسمية، إلا أنه من اللازم لفهم الإشكال الذي تطرحه هذه التسمية، الانتباه إلى أن الأمر لا يتعلق بقبيلة تاريخية أكثر مما يتعلق بصيغة تحريفيه أسهمت في تعقيد رموز التاريخ المحلي، شأنها في ذلك شأن كلمة جيتول Getules التي أوردتها المصادر القديمة.

إننا إذا أخذنا فصائل شعب لايمتلك إلا لسانه الأصلي، ولايمكن للكلمة أن تكون بالنسبة إليه إلا كلمة ذلك اللسان، وهو بالتالي غير معرض للكلمة الغريبة المطلسمة، سنجد أن فصائل كهذه لايمكنها أبداً الخروج عن قاموسها النابع من نظامها اللساني. من هنا فإن صيغة إيگزولن تعد هي الصيغة الأمازيغية الوحيدة الضرورية لفك رموز التاريخ المحلي، لارتباطها بعدة معان يختلف كل منها باختلاف الاصطلاحات المحلية.

تفيد كلمة إيگزولن الإنتاج وتربية الأغنام (De Foucauld, *Dictionnaire*, II, 543, 787 - 908 ; III, 1065 ; E. Laoust, *Mots*, 474 - 483) أمّا صيغة إيكسّولن فتفيد سكان سلسلة جبال الكست (الأطلس الصغير) التي تستمد بدورها تسميتها من جودة ووفرة أصواف أغنامها. أما صيغة إيگزُولن فتعني صغار القامة المرتبطين عادة بسكنى الجبل. على أن لهذه الصيغة معنى رابعاً مستمداً من مفهوم توركزة الذي يفيد معنى الشجاعة والرجولة.

نرى إذن أن الصيغة الأصلية تدرك بشكل مغاير تماماً، وبدقة أكثر، فالمسألة لاتتعلق بقبيلة تاريخية أكثر مما تتعلق بتحريف لتسمية أخذتها فصائل وتجزئات محمّلة بكل التصنيفات المقولية الممكنة. وهذا ما يعني في كل الحالات أن معنى التسمية لايفيد معنى إثنيا بقدر ما يكشف عن نمط معيشي. ما يؤكد هذا المعطى هو شروط التداخل والتلاقح بين فصائل بشرية عرفت حسب المؤرخين القدامى تحولات مجتمعية ومجالية حتى في المناطق التي بزغت فيها وحيث اتخذت شكل فصائل متميزة بعضها عن بعض. هذا ما أوضحه بُوليب Polybe الذي ميز "قبائل الأوطولول الجيشوليين" عن "الجيشوليين الدرعيين" وعن "الإثيوبيين الدرعيين". أما پلين Pline الذي يعد أكثر الكتاب القدامى ذكراً للجيشول في كتابه الخامس وبالفقرة 201 من كتابه السادس، فإنه يعتبر الأطولول (إيوالتيتن - إدا أولتيت) وحدهم أقوى "القبائل الجيشولية" مضيفاً أنهم يمثلون دون غيرهم اتحادية قبلية. تكمن أهمية هذه المقولة في كونها تكتسي بعداً أساسياً يكشف عن شمولية الاستعمال اللفظي لصيغة الجيشول التي تتجاوز كما نرى منطقة الأطلس الصغير إلى امتداد الصحراء الأطلسية. وهو طابع دلالي يدفع بمختلف فصائل واتحاديات إيزناگن (صنهاجة عند الجغرافيين العرب) تحت صيغة الجيشول القدامى. فحتى إذا فصلنا هذه الاتحاديات عن باقي الإيثيوبيين الأحباش، تأكدنا من أن صيغة إيگزولن كانت تهيمن في ميدان الدلالة اللسنية ذات الطبيعة التصنيفية.

هذا ما يؤكده الباحث Vysychil الذي استطاع أن يثبت انطلاقاً من مقاربة لسنية الارتباط الفعلي بين صيغتي إيگزولن وايگدالن (گدالة) مزكيا فكرة انتمائهما إلى نفس الأصل. لم يكن من شأن ممارسة إيگزولن وإيگدالن أن تختلف عن ممارسات القبائل الصنهاجية الأخرى كإيليمضن (لمطة) وإيويليميضن (لمتونة) وإيسّوفن (مسُوفة) الخ. وإذا كنا نجهل بالضبط إلى أي مدى يمكن دمج الأحباش الحراطين بهذه التقسيمات الجيتولية، فإن شروط التلاقح والتداخل تتبلور وتتقوى انطلاقاً من إشارات ابن حوقل (*صورة*، 99 - 100) وابن خلدون (*العبر*، *H.B* : II, 3). إن وجود لسان تصاقبي (Onomatopique) بدائي مشترك يعد أمراً واقعياً ومعياراً قاراً لتغليب حقيقة تاريخية مشتركة من الجوار والتداخل.

إننا إذا اعتمدنا مصادر الجغرافيين العرب خلال عهد المرابطين استخلصنا الارتباط العضوي الذي كان يجمع مجالياً بين جزولة ولمطة وهوارة. فالتحالف كقاعدة للتعامل يحيلنا إلى معيار يصلح كأرضية لتحديد النزعة المشتركة. لم تكن هذه النزعة تقتصر على مراقبة الأطلس الصغير وباني ووادي نون، بل كانت تمتد حسب أبي عبيد البكري إلى ملتقى جميع مسالك الصحراء الأطلسية بوانوزمين لغزو القوافل والإبل. إلا أن هذه النزعة لاتكفي وحدها لتلمس واستكشاف المبادئ الأساسية لنظام التحالفات. هذا ما أكده عبد الواحد المراكشي حين أضاف بأن مجال القبيلتين جزولة ولمطة يعد حكراً على أبنائهما. فبينما لم يكن يسمح لغير جزولة بالإقامة طويلاً بالمحمدية وإيگلي، كانت نول لمطة ممنوعة على غير اللمطيين لا يسمح للغرباء بالإقامة بها إلا المدة الكافية لإبرام عمليات تجارية. نرى

من هنا أن مثل هذه المقاييس العملية تفصح عن احتكار تام ومستمر للمجال يبدو يومها المبدأ الأساسي للنزعة الذاتية. على أنه يصعب جداً الوصول من خلال هذه المصادر إلى قوانين اجتماعية مكملة لهذه السمات الرئيسية ولنَسق من الممارسات المشتركة. يجب انتظار الغزو الموحدي للمنطقة لنكشف عن مواقف مختلفة. فبعدما تمكن الموحدون من غزو حصون جزولة ومدنها بالأطلس الصغير بعد محاولات متكررة، يفيد البيذق وابن عذاري أن توحيد القبيلة قد شق جبهة تحالفها مع لمطة التي واصلت صمودها إلى سنة 547 / 1153. فبعدما كانت القبيلتان قد شكلتا عنصرين هامين اعتمدهما المرابطون في سياستهم الهجومية إلى ما وراء تلمسان، جاء التسلط الموحدي ليضعهما أمام محك الخضوع السياسي والهجرة والتفكك التدريجي.

نصل من هنا إلى صيغة جديدة تكشف أن ما كان مبتدأه المصلحة المشتركة أصبح منتهاه انعدام التطابق في المواقف أمام الغزو الموحدي. إذا حاولنا أن نعرض لخصائص ما بعد هذا الغزو خلال منتصف القرن السادس (12 م)، سنسجل أنه بينما حافظت فصائل إيگزولن على هيكلتها بحكم استسلامها، تسبب التقتيل الجماعي والهجرة إلى الصحراء في تفكيك فصائل إيليمِيضن المحلية. هذا ما سيؤكده ابن سعيد ابتداء من بداية القرن الموالي ليكشف عن وجود قرائن تثبت عدم انصهار ما تبقى من الفصائل اللمطية في قبيلة جزولة (إيگزولن) وقيام كل فصيلة منها على الذاتية الفردانية. على هذا الأساس سيتبلور المحيط المجتمعي الجديد كتغيير خالص عن بداية استقرار إيگزولن بتاگاوست وتغاجيجت عاصمتي وادي نول بعد نول لمطة.

ومع ابن خلدون سيتحدد السياق الأوسع الذي كونته مجموع شروط الحياة بالأطلس الصغير وباني ووادي نون الساقية الحمراء منذ وصول المعقليين الشبانات وذوي حسان إليها. لقد تكالبت الكوارث الطبيعية والاجتماعية على هذه المناطق خلال القرن الثامن (14 م) لتجعل من صيغة جزولة إيگزولن النواة المركزية للغور السكاني اللمطي - الجزولي - الحرطاني. وإذا كان تبني المشجرات العربية وخاصة منها الشريفة قد بدأت تربط منذ ما قبل هذه الحقبة أشكال التفاعل القبلي بشروط مجتمعية، فإن الوصول المعقلي تسبب بشكل واضح في تقلبات وتموجات المناخ المجتمعي. هكذا تتراكم داخل نفسية إيگزولن تغييرات وانزلاقات لا تكاد تحسُّ والتي تجد تعبيراً لها بعد أمد طويل، في وفرة مشجرات الشرف (م. السوسي، *إيليغ*، 3. 10). وإذا نحن حاولنا دراسة نفسية جزولة خلال القرنين التاسع والعاشر (15 - 16 م) وجدناها محصورة فيما تتضمنه من أغراض.

أهم هذه الأغراض يعد هو تلك التحولات المجتمعية التي اتخذت ببلاد جزولة منذ نهاية الموحدين شكل صراع مذهبي بين السنيين وبقايا المتشبثين بالمذهبين الشيعي والخارجي. كانت مختلف أشكال هذا الصراع تتفاعل بكيفية محسوسة جداً مع كل تقلبات وتموجات المناخ العام بمدينة تامدولت. هذه المدينة ظلت إلى حدود بداية القرن الثامن (14 م) بمثابه العاصمة الدينية والثقافية التي عرفت ببلاد جزولة تراكمات عقائدية بطيئة دونت منذ المرابطين مراحل انتقالية أكثر قوة من باقي الجهات الأخرى. وإذا كان الصراع العقائدي يبدو السبب الأساسي في تخريب هذه العاصمة، فكل الذين ينسبون أنفسهم اليوم ببلاد إيگزولن لجعفر بن علي بن أبي طالب يرون أن أصلهم من تامدولت (م. السوسي، *المعسول*، 18 : 167). كما أنه إذا لم يتسن لسكان تامدولت المحافظة على خصوصياتهم المذهبية، فإن مالم يقع توضيحه هو الدور الخصوصي للرواية الشفوية في الكشف عن خبايا هذه الفترة الحاسمة. إن خصائص الرواية الشفوية بوصفها دليلاً لاواعياً تجعل منها أكثر الأدوات ملاءمة لتوجيه البحث. لم تصل الأبحاث الميدانية الحالية إلى سر تعدد الاحتمالات بشأن تشكل لفي تاگوزولت وتاحگات على امتداد الأطلس الصغير وباني. فمشكله صراع المذاهب تعدّ من أعقد الأسباب في بلورة هذين اللفين لا توفر إلا صورة منفصلة لاتسمح بأكثر من رؤية ساذجة ومجردة. يبقى دور طاعون عام 749 / 1348 الجارف كأساس لمرحلة من الصراع المفتوح بين الغور السكاني الأقدم والواردين عليه تحت ضغط المد المعقلي من أيت أ مُربيط وإدا أُوحريبل وسكتانة. تحتل بذلك الهجرة إلى بلاد إيگزولن حيزاً شاسعاً لايمكنه أن يجيب عن كثير من الأسئلة حول تنوع العلاقات الفردية والجماعية بين فصائل وقبائل اللفين.

لم يكن حمل اللثام والتحلي بالخناجر مقصوراً على صنهاجة الصحراء دون باقي أهالي الأطلس الصغير. فكتابات Pline, Polybe تشهد على أن إدا اولتيت (ولتيتة) كانوا يتميزون بنفس المواصفات كرعاة أغنام يراقبون جبل الكست. أما إيمجّاضن (مجاط)، فإن تعدد فصائلهم بالصحراء وبجبال الأطلس الصغير يشهد على مدى حجم انتشارهم. فنحن إذن أمام صيغ قرابية وأشكال متمايزة تكشف للمدقق عن تنوع العلاقات التحالفية داخل كيان شبه متحول يجسد الخراطين الغور السكاني الجزولي الأقدم. لايسعنا في هذه المنظومة إلا أن نتعرض لقضايا ملموسة تحدثنا عن نوعية العلاقات بين مكونات إيگزولن. فنحن إذا توجهنا إلى أگرض القريبة من مكان ولادة عبد الله بن ياسين الجزولي مؤسس دولة المرابطين خلال القرن الخامس (11 م) (انظر مادة تگجگالت ايت تيكني *بالعلمة*)، وجدنا نظاماً من المعايير المجتمعية يكذب على امتداد القرون كل النماذج السائدة حول سلّم التراتب الاجتماعي بين هؤلاء وأولئك. فقد وصل إلى عين المكان سيدي محند أوبراهيم الشيخ قطب سوس الثاني خلال القرن العاشر (16 م) ليجد أكثر المحليين احتفاءً بمقدمه هم

الحراطين وأشدهم تذمراً هم المرابطين. أدى تناقض المصالح تدريجياً إلى بلورة تحالف دائم بين القطب والحراطين في مواجهة المرابطين. ومن القرائن التي تكشف حقاً مدي عمق التحالف بين الطرفين استئثار الحراطين إلى يومنا هذا بقسم من الذبائح الموجهة إلى ضريح الشيخ (*المعسول*، 18 : 170) إننا إذا ما حاولنا من وجهة نظر موضوعية حقاً تحديد معالم الهوية الجزولية بمنطقة أقا القريبة مثلاً، وجدنا الحراطين يستعملون السلاح الناري إلى مابعد جمادى الثانية عام 1130 / أبريل - ماي 1718 في قتال المرابطين، مساندين في ذلك من طرف حفدة القطب محمد بن مبارك الأقاوي (م. السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 65). فهل يمكن اعتبار هذه الخصائص المحلية ذات أهمية نسبية ؟ إن نوعية العلاقات القائمة بمجمل بلاد جزولة بين الغور الحرطاني والغور المتبقي من جزولة ليكمل هذه الصورة بما يحد بشكل حاسم من السائد المعياري حول وضعية الحراطين المتردية. فالمنظور السائد من خلال الدراسات الحديث بهذا الشأن يعد ساذجاً ودون أي أساس في واقع الأحداث.

إن التداخل والتلاقح بوصفهما أداة أمثل للتعبير عن كيان من القبائل والفصائل ليعكسان نظام الصيغ التكاملية بين فصائل جزولة. ومن الملائم أن نوضح هنا دور الأقطاب الصوفيين الجزوليين وغيرهم الذين رأيناهم يتخذون مواقف تحالفية مع الحراطين الذين لم يرد أي تمييز لهم خلال المصادر عن باقي الفصائل المحلية. فإذا كان محمد بن مبارك المصمودي الأقاوي الذي تصفه المصادر المعاصرة بالولاية الكبرى والخصوصية العظمى، قد جعل من التساكن والسلم أداته لتثبيت سلطته الروحية والسياسية على الغور السكاني، فذلك لعلمه بقواعد المعاملات المحلية. لقد كان يدرك أنه مهما كان عمق الاختلافات ذات الطابع السياسي والحربي والتاريخي، فإن من شأن الرئيس أن يثبت السلم ويعيد إلى الأسواق أمانها. لم تكن أقا بعيدة عن تمارت حيث ولد مؤسس دولة المرابطين الذي كان يمثل رمزاً حياً يومها ونموذجاً يقتدى به. لقد نقل محمد بن مبارك وبلّغ ما فهم من علم واستكشف أو ورث من عادات. وهو بذلك ينهج نهج الإمام الذي يرفض الإمارة ويعين لها ويؤسس أرضيتها السياسية والدينية. لقد نمت وترعرعت دولة جزولة على يديه بعد أن عين لها من يراه أميراً لائقاً. (*مناهل الصفا - الدوحة*). كان من بين أشياخ محمد بن مبارك الأقاوي القطب سيدي محمد بن سليمان الجزولي. ويعد هذا القطب أكبر وجه للجهاد ضد المد المسيحي. فهو الذي وضع تردد وحيرة جزولة في سياقها الجهادي. ويكمن خطابه الأساسي في قدرته على تحريض الجزوليين ضد الإيبيريين وحلفائهم المحليين. كانت أشكال بث الخطاب الجزولي قد اعتمدت الصرامة والنزعة السلطوية التي ميزت الإمام عبد الله بن ياسين. وبهذا يكون الخطاب المباشر للإمام الجزولي في تقديم الأثر الحي المتولد عن إمام المرابطين قد طبع محمد ابن مبارك الأقاوي. ندرك من هنا لماذا استطاع هذا الأخير أن يمثل الرمز الكبير الذي عكس اتجاهات وأشكال التعامل الممكنة مع النموذج المرابطي الأمثل.

مثل الحراطين الوارد ذكرهم بصورة *الأرض* لابن حوقل قسماً من جيش وأمراء المرابطين قبل وبعد ابن ياسين. وهي حقيقة لا يمكنها إلا أن تحدد هوية إيگزولن الشاملة في إطار من التنوع والخصوصيات المتعددة. لقد حددت التيارات الإسلامية لحيوية الوجود الحرطاني تعبيرها المحلي في صيغة تاكوشت. وهي صيغة تقوم عند تخوم القواعد الكلامية حول الهوية الجزولية. فعلى عكس ما يذهب إليه المتعلمون من أبناء المنطقة في رواياتهم المكتوبة، نجد التحدث العفوي عن تاكوشت لايستعصي بسبب فردانية مّا أو أية خصائص مميزة أخرى. بل إن في صيغة تاكوشت نفسها ما يقتضي مقارنتها بصيغة تاگوزولت في تأكيدها علي وجود عالم داخلي خاص يتوفر على ما يكفي من الطاقة الحيوية لاستمراريته عبد القرون. فالصيغة تعد وطيدة العلاقة بظروف الاستعمال الشفوي العفوي حيث تبدو كمن يجسد وضعية اجتماعية متماسكة. أية رواية حول تاگوزولت مهما كانت دالة وتامة بذاتها لاتكون سوى جزء من تيار التواصل اللفظي المستمر بصيغة تاكوشت.

هذا ما يمكن أن يتأكد منه أي متفحص للوثائق المحلية بالمنطقة الممتدة من رأس الوادي إلى المحيط الأطلسي مروراً بجبال الأطلس الصغير ووادي درعة. كان الارتباط العضوي بالمكان يعتبر المكمل اللفظي الذي يصوغ المكونة البشرية علي صيغة (أيت المكان الفلاني). وهي صيغة قد تجمع بين عدة وحدات قرابية متفاوتة الارتباط النسبي مما يسلب كل وحدة هويتها الخاصة. كما لم يكن من شأن التقسيمات على الأثلاث أو الأرباع أو الأخماس أن تؤثر بشكل حاسم في تيار التواصل القرابي بين تجزآت الوحدة القرابية الواسعة الانتشار. بل نجد صيغ تاكوشت وتاگوزولت وتحگات تظل وحدها المستوى الأعلى للانقسامات الذاتية. فنجد السلطان أحمد المنصور الذهبي سنة 988 / 1580 وقد حرر إدا اوزدُّوت وإدا أوكنسوس من الوظائف المخزنية لأنهم كانوا في "فتنة" مع من كانت تنسبهم الرواية المحلية يومها إلى عبد الله بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب (*ديوان قبائل سوس*، 110). كما نجد في نفس الديوان فصائل ايت موسى ا ُوداود وأهل تاحگات وغيرها من الفصائل المناهضة للهوية الجزولية ضمن جرد يتعمد الخلط بين هؤلاء وأولئك. وهو بذلك يجبر الخطاب السعدي على التجسد والتحقق في تعبير مخزني محدد يندمج مباشرة في السياق غير المعبر عنه. نسجل هنا بأن أشكال التمايز الإثني لا يمكنها أن تبدو جلية في الحالة الغالبة التي تربط الفصيلة باسم مكان استقرارها. أما حين تتحدد الهوية من خلال جد اسمي، فإنها تعبر عن نواة صلبة ودائمة للتوجه المجتمعي القبلي.

نرى إذن تداخل الأشكال المركبة لفصائل جزولة إيگزولن يتولد عن طبيعة تنظيمية لأنماط السلوك إزاء الجار، ونسجل بأن هذه الصيغة غالباً ما تدخل في السياق اللفظي للإفصاح عن قوة الشعور الجماعي في حالة تعرض أي تجزئة للغزو، وكأن هذا الغزو قد شمل مجمل إيگزولن. إلا أنه يصعب انطلاقاً من هذا الشعور الجماعي الوقوف على الفرق بين معاملة إيگزولن لبعضهم البعض ومعاملتهم مع غيرهم كتحگات مثلاً. فثمة منهجية لم تعن بها حتى الآن الدراسات هي البحث في الروابط المتضمنة داخل مختلف الصيغ المنبثقة عن إيگزولن. ذلك لأن من شأن هذا الحوار الداخلي أن يخضع للدرس مجمل الأدوات المقروءة والمسموعة في حدود مقالات وتحدثات معينة. وبناءً على ذلك، فإن كل العلاقات بين مختلف الصيغ تعالج أشكال التكون المفهمي الأولي. بهذه الكيفية يصير تاريخ الصيغ اللسنية تاريخا للأشكال المنفصلة التي تنمو بالرغم عن كتلة الهياكل المتداخلة في مجموعها.

ع. الأدوزي، *اليعقوبيون*، مخطوط ؛ محمد الإگراري، *روضة الأفنان*، مخطوط ؛ م. البعقيلي، *مناقب البعقيلي*، تح. م. المختار السوسي، 1987 ؛ ع. الشنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ علي ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب* ؛ إبراهيم الحساني، *ديوان قبائل سوس في عهد السلطان المنصور الذهبي*، تح. عمر أفا، 1989 ؛ عبد العظيم الزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط، خ. ع 1622 ؛ عبد العظيم الزموري الأصغر، *تقييد حول الشرفاء بالمغرب*، مخطوط، خ. ع 1512 ؛ م. المختار السوسي، *الإلغيات* ؛ *إيليغ قديماً وحديثاً* ؛ *الترياق المداوي* ؛ *خلال جزولة* ؛ *رجالات العلم بسوس* ؛ *سوس العالمة* ؛ *مدارس سوس العتيقة* ؛ *المعسول* ؛ *من أفواه الرجال* ؛ محمد العثماني، *ألواح جزولة والتشريع الإسلامي*، مخطوط ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، القاهرة، 3 أجزاء، 1970 ـ 1974 ؛ م. الأمين الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، القاهرة، 1958 ؛ الحبيب البوسليماني، *روضة الأزهار ونزهة الأبصار*، مخطوط ؛ أحمد بن المهدي الغزال العيساوي الجزولي، *النور الكامل في مناقب فحل الرجال الكامل سيدي محمد بن عيسى*، مطبعة مصر، بدون تاريخ؛ محمد سالم ولد لحبيب ولد لحسين ولد عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تح. مصطفى ناعمي، 1992.

M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc : Maurétanie tingitane*, A.M., 1904, p. 342 ; J. Desanges, *Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'ouest du Nil*, Dakar, 1962 ; Id. *Recherches sur l'activité des méditerranéens aux confins de l'Afrique, VIe av.-IVap J.C.*, Rome, 1978 ; R. Mauny, *Autour d'un texte bien controversé : le périple de Polybe, 146 av. J.C.*, *Hesp.*, XXXVI, 1949 ; M. Naïmi, *Nul Lamta ou l'éveil du sens étymologique*, in *Le Nom Géographique : Patrimoine et communication*, actes du premier colloque national sur les noms géographiques, Rabat, 1992 ; P. Pedech, *Un texte discuté de Pline : Le voyage de Polybe en Afrique, Histoire Naturelle*, tomes V, IX, X, *R.E.L.*, XXXIII, 1955, 318-332 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie tingitane*, Paris, 1877 ; Albert (Lieutenant), *Renseignements sur la tribu des Ilaten Sous. Anti-Atlas*, Arch. S.A.H., 1914, 13 p. ; Id. *Les Ida Ubaqil*, Arch. S.H.A., 1915, 9 p. ; Aubert (Capitaine), *Les Harratine de l'annexe de Tafingoult*, Arch. S.H.A., 1913 ; Lieutenant Bourguignon, *Tizñit*, Arch. S.H.A., 10 p., 1913 ; Id, *Reconnaissance aux Ida ou Zekri*, Arch. S.H.A., 20 p., 1917 ; Capitaine Buffe, *Les Ahl Tata*, Arch. S.H.A., 15 p., 1938 ; Id. *Les Id ou Blal*, Arch. S.H.A., 15 p., 1938 ; Capitaine Chotti, *Aït Oumribete*, Arch. S.H.A., 1950 ; Lieutenant Delétis, *Les Ahl Tissint*, Arch. S.H.A., 17 p., 1915 ; Capitaine Gascon, *Etude sur les "leffs" Tahouggat et Igouzoulen dans les tribus de l'annexe des Aït Baha*, Arch. S.H.A., 27 p., 1946 ; Id, *Les Aït Ouadrim*, Arch. S.H.A., 7 p., 1916 ; Capitaine Moureau, *Les sociétés des Oasis. Une race : Les Harratin*, Arch. S.H.A., 18 p., 1955; Capitaine Parent, *Confédération des Ammeln*, Arch. S.H.A., 39 p., 1953 ; Capitaine de Reure, *Les Ahl Aglou*, Arch. S.H.A., 1938 ; P. de Cenival et T. Monod, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Sénégal* par Valentin Fernandès 1506 - 1507, Paris, 1938 ; G.S. Colin, *Des juifs nomades retrouvés dans le Sahara marocain au XVIe siècle, Mélanges Lopez-Cenival*, 53-66, Paris, 1945 ; C. de Foucauld, *Reconnaissance au Maroc, 1883-1884*, 2 vol., 188 ; Jacques Meuniée D., *Greniers-citadelles au Maroc*, 249 p., Paris, 1951, 2 vol. ; Id, *Hiérarchie sociale au Maroc présaharien, Hesp.*, 1958, 3-4, 239-269 ; Id, *Sur l'histoire des populations sahariennes, ROMM*, n° 11, 1er sem. 1972 ; L. Justinard, *Poèmes chleuhs recueillis au Sous, R.M.M.*, 1925, 2ème trim. ; Id. *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe s., Hesp.*, 1925, 3 ; 1926, 4 ; Id, *Notes sur l'histoire du Sous au XVIe siècle, A.M.*, XXIX, 1933 ; Id, *Notes d'histoire et de littérature berbère, Hesp.*, 1949, 3-4 ; A. de La Porte Des Vaux, *Notes sur le peuplement juif du Sous, BESM*, XV, 1952, n° 54, n° 55, 629-632 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du XVIe s. : Tableau géographique d'après Léon L'Africain*, Alger, 1906 ; R. Montagne, *Les berbères et le makhzen*, Paris, 1930 ; Id. *La limite du Maroc et du Sahara atlantique, VIIe congrès de l'IHEM*, Paris, 1930 ; V. Monteil, *Gens et choses du Bani, Hesp.*, 1946, 3-4 ; B. Rosenberger, *Tamdult, H.T.*, 1970.

مصطفى ناعمي

جزولة، ـ بالشمال ـ حسبما ورد شكل اللفظ بالوثائق المخزنية. وينطق بها محلياً إگزولن وإيزولن. فرقة تحتل المرتبة الثانية من حيث عدد سكانها ضمن قبيلة بني بويفرور القلعية بعد بني بوغمرن. تشغل المداشر المكونة لها التلال الجنوبية الغربية من كتلة جبل وكسان. موزعة حول مجرى واد سوق خميس جزولة من لدن منبعه بعين بوهرازة إلى مدخله في سهب براقة عند جبل أفرا (العافية).

ليست لدينا معلومات أولية عن سبب إطلاق اسم جزولة على التجمع السكاني الأصلي الوارد على أرض بني بويفرور، وما إذا كانت له علاقة بجزولة الجنوب المغربي. وكل ما أمكن التوصل إليه أن الاسم ذا الدلالة البشرية جد قديم، وربما وجدنا العلة في وصول أولى فيالق جيش

الموحدين إلى قلعية سنة 535 هـ بقيادة عبد الرحمان بن زگو الذي استنزل قائد المرابطين ماكسن بن المغز من قلعة مليلة (ح. الفگيگي، *قلعية*، 1 : 40). وحجتنا على قدم استقرار جماعة جزولة بالمكان تحول الدلالة البشرية إلى مجرد دلالة جغرافية وإدارية قبل سنة 939 / 1533، حسب المستنتج من تقييد نسب قبيلة قلعية.

يبين التقييد إطار التشكيلة السكانية الجديدة المكونة آنذاك لفرقة جزولة نتيجة اندفاع فلول بني مرين وأحلافهم نحو أراضي الشمال الغربي المغربي. هكذا سجلت وثيقة نسب قبيلة قلعية هجرة الأسرة الخرباشية (إخرباشن) وهي من قبيلة سجع الهلالية، استقرت بين مجرى واد الخميس بقربة من تل إدمْراونْ. ثم الحمر (إحمرون) الهلاليين الذين حلوا بالمكان خلال القرن السابع (13 م)، استقروا بموضع تحاضيتْ. وإعراصن (أولاد أعراص) الواردين من مدشر العرص الكائن ببني يطوفت مع بداية الدولة الوطاسية. أول من نعرف منهم بقلعية قائدها علي أعراص (*معلمة المغرب*، 2 : 512) استقروا بجوار تل أفرا. وكذلك أولاد يحيى إعلاتن الذين هاجروا من بني توزين قبل القرن العاشر (16م) موطنهم جنوب تل أفرا. ونضيف إليهم أولاد زكري (إزكرياتن) ويوجدون حالياً أيضاً بجوار أفرا. ثم سلطانة (إسلطانن). الذين أشار التقييد المذكور إلى أصلهم الفگيگي، استقروا بإبركانن بموضع تالانيجْضاضْ. ثم بني محمد كانوا مستقرين بجوار تل أفرا. وأولاد يعيشْ (بولعيش) هاجروا إلى فرقة جزولة من بني مسارة.

وقد أشار موليراس (A. Moulieras) إلى سوق خميس جزولة (*Le Maroc inconnu*, 166) الوارد بالمصادر الاسبانية العائدة إلى بداية القرن الحالي أن فوقة جزولة تكونت آنذاك من ثلاثمائة كانون أي نحو ألف وخمسمائة نسمة. وإلى غاية 1931 لم يطرأ على هذا العدد أي تغيير ملحوظ (*Vademecum*, 53).

وبتتبع الوثائق المخزنية نتعرف على دور الفرقة في سياق أحداث قلعية على عهد السلطان الحسن الأول، ومن خلال ذلك التتبع وجدنا أنها هي التي تزعمت التمرد على قائد قبيلة قلعية المعروف المختار ألغم، وبه انتزعت استقلال خمس بني بويفرور لصالح أحد أعيانها المعروف حميدة بن شلال العلاتي سنة 1298 / 1881 (*معلمة المغرب*، 6 : 1903). ونعلم كذلك أن النزاع الذي احتدم بين ابن شلال والأمين محمد المحرق كان من ورائه بعض أعيان فرقة جرولة، وهي نفس الفرقة التي تولت العصيان على قائدها ابن شلال سنة 1306.

ونعرف منذ سنة 1308 شيخين من شيوخ جزولة هما : عمر بن الكنش الجزولي ومحمد بن الدريوش الجزولي، استدعاهما الحسن الأول للمشاركة، ضمن أعيان الريف كافة لحضور مراسيم تعيين حدود توسعة أراضي مليلة المحتلة، ومراقبة سير عمليات الرسم وفق الاتفاق المبرم بين المخزن المركزي والإسبان في تلك السنة. ومن أعيان جزولة كذلك أولاد خوجة.

مرت تجمعات فرقة جزولة بمرحلة جد خطيرة منذ بداية القرن الحالي، ابتداء من التجاء بوحمارة الزرهوني إلى قلعية عام 1905 أولاً، وخلال الزحف الإسباني على أراضيها سنة 1909 ثانياً، وأثناء الثورة الريفية في المقام الثالث.

لعبت فرقة جزولة البويفرورية دوراً أساسياً خلال ثورة بوحمارة بالشمال الشرقي منذ توصله ببيعة أهل الخمس عام 1903 واستقراره بقصبة سلوان ابتداء من 25 أكتوبر سنة 1905 ومساندة قائده محمد بن حميدة بن شلال العلاتي (*مذكرات التراث المغربي*، 5 : 37).

ولم يطل ولاء الفرقة لقائدها ولبوحمارة، إذ سرعان ما استجابت لنداء المجاهد الشريف أمزيان والالتفاف حوله لمناهضة حركة الثائر بوحمارة. ففي أكتوبر 1908 جمع الشريف جيشا مؤلفا من قبائل ناحية الكرط، زحف به نحو خميس جزولة، وتمت له هناك مبايعة المولى عبد الحفيظ لأول مرة، بعد دخوله إلى مدينة فاس أول يونيه 1908. وبتلك القوات انجلت قوات بوحمارة عن قصبة سلوان وانكشف الخطر عن أراضي جزولة.

خرجت فرقة جزولة من نطاق محنة وجود بوحمارة لتندمج كلية في حركة مقاومة الزحف الإسباني خاصة، إذ أن سوق الخميس كان نقطة تمركز المجاهدين المنضوين تحت لواء الشريف محمد أمزيان، كما أن معدن جبل وكسان الذي ظل مصدر إغراء أساسي للقوات الحربية الإسبانية. يقع بأراضيها.

دق ناقوس الخطر بالنسبة لجزولة منذ مستهل خريف سنة 1909، إذ أن الجيش الإسباني احتل مدينة الناظور يوم 25 شتمبر السنة، وحل بقصبة سلوان بعد سهب بوعرگ، كما أنه بنى قلعة تينگمرت (Tauima) في نفس السنة على تل بارز جنوب جزولة مشرف على بحيرة بوعرگ (*معلمة المغرب*، 7)، وغدت أراضي الفرقة مطوقة من جهاتها الثلاث باستثناء الشمال. ولكن الوقت الحاسم تمثل في الزحف الإسباني بلفيفه الاجنبي نحو سوق الخميس يوم 30 شتمبر 1909، لتتم بساحته معركة كبرى بقيادة الشريف محمد أمزيان، كان من نتائجها مقتل الجنرال دْيِيثْ ڤيكاريو (Diez Vicario) وتأخير وصول الإسبان لأزغنغان إلى يوم 26 نوفمبر 1909 (*مذكرات التراث المغربي*، 6 : 58).

ونسجل خلال هذه المرحلة الأولى من مقاومة جزولة للإسبان، إثر استشهاد الشريف محمد أمزيان (15 ماي 1912) هجرة تجمعات فرقة جزولة وتوزعها على مختلف جهات الريف الشرقي، سيما إلى ناحية گرط وبني بويحيى والمطالسة. وتعرف حركة الهجرة من ميدان القتال محليا بلفظ : "تيرَوْلِوينْ".

وسيعود اسم جزولة إلى الظهور مرة أخرى في مستهل الثورة الريفية، ذلك أن الإسبان كانوا قد اتخذوا من سوق الخميس مركزاً لقواتهم لمراقبة تحركات المجاهدين المتمركزين بسوق جمعة قبيلة بني سعيد، بجبل ماوْرو، فبمجرد الإعلان عن انتصار المجاهدين في معركة أنوال (22 يوليوز 1921)، هب المجاهدون للانقضاض على حاميات الجيش الإسباني. فبالنسبة لفرقة جزولة دبر رجالها الهجوم على ثكنة تينگمرت يوم 25 يوليوز 1921 وعلى مركز سوق الخميس يوم 28 يوليوز من نفس السنة، وتم الاستيلاء عليهما، إلا أن الإسبان عادوا إلى التمكن منهما ثانية في ديسمبر السنة (*معارك الثورة الريفية*، 83 - 114).

يؤكد فرار تجمعات جزولة وعودة الإسبان إلى احتلال مدينة أزغنغان تاريخ انتهاء انعقاد سوق خميس جزولة بمكانه المعتاد، إذ أن الإسبان جعلوا من أزغنغان المركز العسكري والإداري الرئيسي لعموم خمس بني بويفرور. وقد ترتب عن هذا الإجراء نقل سوق الخميس إلى المركز المذكور.

احتل موضع سوق خميس جزولة أواسط أراضي الفرقة بطلعة المختار، وهو معروف اليوم بسوق الخميس القديم، قصده آنذاك علاوة على أخماس قبيلة قلعية أهل الگرط من بني وكيل العسارى وأولاد شعيب خاصة.

مجهول، تقييد نسب قبيلة قلعية، مخطوطة خاصة ؛ وثائق الخزانة الحسنية، بالرباط ؛ كناش 192 ؛ وثائق مديرية الوثائق الملكية ؛ ح. الفگيگي، *قلعية ؛ معلمة المغرب*، ج.3 و6 ؛ العربي الورياشي، *الكشف والبيان* ؛ م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية، ومضات مضيئة عن الحرب الريفية ؛ ضابط الأمور الوطنية ؛ خريطة طبوغرافية لسنة 1935 ؛ رواية شفوية وبحث ميداني ؛ مذكرات التراث المغربي.*

A. Moulieras, *Le Maroc inconnu* ; E. Maldonado, *El Rogui* ; *Historia de las Campanas de Marruecos* ; *Nomenclator, Cabilas* ; M. Campos, *Espana belica* ; A. Riera, *Espana en Marruecos* ; E.L. Alarcon, *Melilla 1909* ; G. Calvo, *Espana en Marruecos* ; A. S. Orts.

حسن الفگيگي

جزولة (سبت -)، يقع مركز سبت جزولة على الطريق الرئيسية رقم 8 الرابطة بين الدار البيضاء وأگدير على بعد 27 كلم من أسفي نحو الجنوب. وبحكم موقعه فهو يؤدي عدة وظائف داخل بلاد عبده.

يشكل سبت جزولة مركزاً تجارياً كبيراً باعتبار سوقه الأسبوعي الذي يعدّ أكبر سوق بمنطقة تانسيفت ومن الأسواق المهمة بالمغرب على العموم. فهو يستقطب أكثر من 3000 تاجر من الشاوية إلى سوس. ويتوافد عليه الزوار من عبدة والشياظمة وبلاد احمر. وترجع أهميته كمركز تجاري أيضاً إلى تجارته القارة التي تتكون من ما يزيد عن 500 متجر منها 25 للبيع بالجملة. ولتجار الجملة بسبت جزولة نشاط كبير في بيع المواد الغذائية وعلف الماشية والإسمنت... ويشمل نفوذهم بلاد الشياظمة وعبدة، ويمارسون منافسة قوية بالنسبة لتجار أسفي والصويرة حتى داخل المدن. ولسبت جزولة أيضاً دور كبير في ميدان تجميع المواد الفلاحية من حبوب وخضر وفواكه قصد توجيهها نحو الأسواق الاستهلاكية مثل أگادير وأسفي والدار البيضاء ومراكش أو نحو التصنيع بأسفي وخاصة الزيتون وزهرة الكبر.

يعتبر مركز سبت جزولة أيضاً مركزاً مهماً للحرف الإنتاجية في بلاد عبدة. فهو يضم ما يزيد عن مائة وحدة للإنتاج في ميدان الخشب والحديد والرخام والزيت ومواد البناء والنسيج والبلاستيك والفضة ... ويتم تسويق إنتاج هذه المواد مباشرة في أسواق عبدة والشياظمة أو عبر مدن أگادير وأسفي ومراكش.

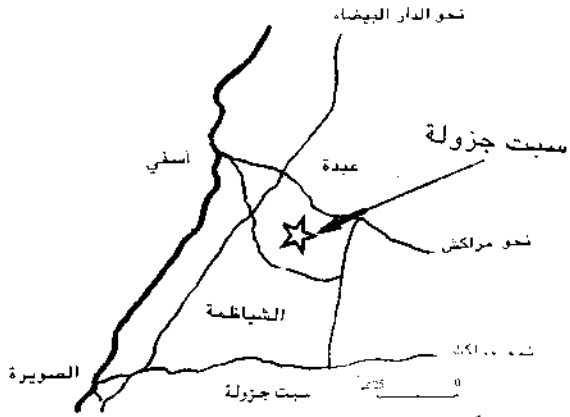

يشكل سبت جزولة كذلك مركزا كبيرا للخدمات. فهو عبارة عن محطة طرقية نشيطة ليل نهار بين البوادي ومدينة أسفي وعلى محور الدار البيضاء - أگادير. وبالإضافة إلى التركز الكبير لسيارات الأجرة والحافلات الذي يرتبط بهذا الدور فهو يشكل أيضاً تمركزاً أكبر للخدمات المرتبطة بالطريق من مقاه ومطاعم ومختلف خدمات الصيانة والإصلاح.

يعتبر أيضاً سبت جزولة مركزاً إدارياً لايخلو من أهمية داخل عبدة. فهو مقر دائرة جزولة ومرافق إدارية واجتماعية تشغل 400 موظف. ويتوقع أن تتصاعد مكانتها في ميدان الشغل مع ترقيته سنة 1992 إلى رتبة بلدية، ومع تزايد حجمه الديغرافي حيث انتقل عدد سكانه من 4555 نسمة سنة 1982 إلى 10363 سنة 1994.

M. Antona, *La région des Abda*, Rabat, 1931, 211p. ; R. Fosset, *Le réseau urbain des bas plateaux atlantiques moyens du Maroc*, Tours, 1977, p. 165 - 175 ; *Société rurale et organisation de l'espace : Les bas plateaux atlantiques du Maroc moyen*, Thèse d'Etat, Montpellier, 1979, 970 p. ; J. Pegurier, *L'intégration urbaine dans le Sud-Ouest marocain, BESM* N° 131 - 132, 1976, p. 133 - 163 ; *Espaces urbains en formation dans le Tensift*, Rabat, 1981, 443 p.

المصطفى شويكي

جَزوليت، أو گزوليت أسرة رباطية أندلسية، ورد ذكرها في مراجع منها *تاريخ رباط الفتح* لعبد الله

السويسي، وفي *وثائق* بمكتبة المكي جزولیت وابنه أحمد. يستبعد انتماء آل جزولیت لأصل عربي، كما أن انتماءها إلى أصل أمازيغي غير وارد. ويرجّحُ أنها موريسكية من المهاجرين من الأندلس بعد سقوط غرناطة. ومعلوم أن عائلات منهم استوطنت مدن الشاون وتطوان والقصر الكبير وفاس وسلا والرباط ؛ ولعل أصل جزولیت من قلعة گاسوليس. وعرف منهم مجاهدون بحريّون أمثال :

جزولیت، محمد الرباطي من ريّاس أسطول الجهاد بصب أبي رقراق خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (17 م). وقد تعرضت سفينته لهجوم مركب حربي هولندي تحت إمرة القبطان بارنت يانسن B. Janssen وكاد العدو يستولي على السفينة وقائدها جزولیت لولا مراوغة هذا الأخير واتجاهه نحو أعالي البحار. كان هذا الحادث موضوع شكاية مغربية إلى الولايات العامة بلاهاي بسبب معاهدة السلم القائمة آنذاك بين البلدين.

H. De Castrie. *S.I.H.M., Pays-Bas*, 1ère série, 4 : 326 - 327.

جزولیت، المختار بن المكي بن محمد بن المكي بن الجيلالي الرباطي مقاوم شهير، وهو سبط محمد بن عبد الرحمان فرج من ابنته زهراء. ولد بمدينة الرباط سنة 1914، وهو صغير إخوته وأخواته. وتربّى في وسط أسرة محافظة، كان والده تاجراً مولعاً بقراءة كتب التاريخ، وكانت والدته أما لستة أبناء وثلاث بنات.

تيتم المختار وهو ابن ثمانية أعوام بعد وفاة والده سنة 1922، فحضنته أمه وخاله عمر فرج، وكفله أخوه أحمد الذي أشرف على تربيته ورعايته، فأدخله الكتاب حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن، ثم تابع دراسته بثانوية مولاي يوسف، كما انتهل من الفكر السلفي على يد الشيخ أبي شعيب الدكالي الذي كان يلقي دروسه بالزاوية الناصرية، ثم انكب المختار طوال حياته على المطالعة والتحصيل والتكوين الذاتي المستمر حتى غدا من أبرز الشباب المثقف بمدينته.

نشأ المختار جزولیت وسط جو من المواجهات الداخلية والصراعات الدولية، فقد ولد بعد سنتين من عقد الحماية الفرنسية على المغرب، ومع بداية الحرب العالمية الأولى، ونشأ في فترة كانت فيها حركة المقاومة المسلحة المغربية ضد الوجود الاستعماري الفرنسي والإسباني في عنفوانها، كما عاصر مرحلة المقاومة السياسية انطلاقاً من أحداث صدور الظهير البربري سنة 1930 إلى ظهور التنظيمات السياسية ما بين سنتي 1933 و1937، وما صدر عنها من جرائد ومجلات وطنية أغنى خزانته منها، وشارك وهو شاب يافع في الأحداث التي أدت إلى توقيع وثيقة المطالبة باستقلال المغرب يوم 11 يناير سنة 1944.

تأثر المختار بالمبادئ الوطنية والأفكار التحررية، وانخرط في كتلة العمل الوطني وأصبح عضواً نشيطاً فيها، فكان مسامراً ومرشداً وخطيباً...

وفي سنة 1935 أصبح مدرساً بالمدرسة الغازية الحرة التي تخرجت منها الأفواج الأولى من مدرسي وأساتذة مدينة الرباط.

وفي سنة 1937 عندما أقدمت الإقامة العامة الفرنسية على إغلاق المدارس الحرة وإلقاء القبض على مسيريها، تشجع المختار جزولیت وتحمل مسؤولية المؤسسة التي كان يعمل بها كمدرس، فأصبح انطلاقاً من هذا التاريخ متابعاً من لدن أعوان السلطات الاستعمارية وجواسيسها.

وعلى إثر تقديم عريضة المطالبة بالاستقلال، وبعد تأطيره ومشاركته في المظاهرات التي أقيمت بمدينة الرباط يوم 29 يناير 1944، ألقي القبض على الشاب جزولیت وأودع في سجن لعلو داخل الزنزانة رقم 12 لينتظر مصيره المحتوم، ألا وهو الحكم بالإعدام الذي صدر في حقه عن المحكمة العسكرية الفرنسية.

وفي صبيحة يوم الثلاثاء 11 ربيع الأول سنة 1363/ 7 مارس 1944 ليلة عيد المولد النبوي نفذ حكم الإعدام رمياً بالرصاص في الشاب المختار جزولیت بساحة الرماية على شاطئ المحيط الأطلنتي بالقرب من الهرهورة، ودفن في مقبرة بعقوب المنصور.

خليل بن أحمد جزولیت، *المختار جزولیت شهيد انتفاضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944*، مخطوط.

خليل بن أحمد جزولیت

الجزولي، أسرة سوسية عريقة تنتسب إلى قبيلة جزولة الكبرى التي تكوّن شطراً مهماً من سكان سوس. ولها فروع في فاس والرباط وغيرهما. ذكر في *جنى زهر الآس* أن بيت الجزولي بفاس بيت علم وثروة وحسب كان منهم شيوخ كثيرون ستأتي تراجم بعضهم، وكذلك بيت الجزولي بالرباط من أعرق بيوت هذه المدينة، وسيذكر كذلك بعض رجالهم.

الجزولي، إبراهيم (الحاج -) بن محمد الرباطي، من بيت أولاد لمبرو الأندلسي. من أعلام الموسيقى والطرب، من مواليد منتصف القرن الثالث عشر (19 م)، كان أديباً فاضلاً إلى جانب تعاطيه للنشاط التجاري، قبل أن تنصرف همته إلى فن الموسيقى، وصنعة الانشاد والتلحين الصوتي، فشغف بذلك وانقطع له حتى برع فيه براعة لم تعرف لغيره، مما بوأه صدر مجالس الأمداح النبوية، فكان لايتقدم عليه غيره عند حضوره ؛ وظل كذلك إلى وفاته سنة 1325 / 1907.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 262 . 263.

حسن أميلي

الجزولي، أبو موسى النحوي، عيسى بن عبد العزيز بن يَلْبَخْت بن وماريلي، نسبة إلى جزولة، اليَزْدَكْتَني عزواً إلى اليزدكتن، وهم فخذ من جزولة، من أمه تيلّمان بنت تيفاوت، من موضع يدعى "إيد أُوغردا" من أرض جزولة، وفي هذا النسب كَلِم من اللسان البربري تحتاج إلى ضبط وتفسير تولى شأنهما ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة*، فنحيل عليه في ذلك تخففا منه واختصاراً فيه. فأما أبو موسى سليل هذا النسب البربري الصميم من طرفيه فقد شاء له قدره أن يكون رئيس النحو العربي في الغرب الإسلامي في القرن السادس الهجري (12 م)، ولم يكن في ذلك خروجا مما عليه الحال، ذلك أن الشأن في النهضات الكبرى أن تكون معالمها متكافئة المستويات، متكاملة العناصر، وعليه فإن العهد الذي يوجد فيه فيلسوف كابن رشد، وطبيب كابن زهر، وجغرافي كالشريف الإدريسي، ومفسر كالحرالّي، وصوفي كأبي العباس السبتي، وما ضاهى ذلك، تقتضي الحال أن يكون كبير النحاة فيه من طراز أبي موسى حتى لايكون من الفلتات أو من الشذوذ.

ولد أبو موسى الجزولي عام 540 / 1145 وشرّق بعد أن شدا بموطنه من أوليات العلوم ما يتأهل به للقاء الأشياخ الكبار، وإنه لمن جزاف الكلام أن نقول عنه إنه ابتدأ رحلته خاوي الوفاض إلا من محبة العلم، فإذا هو في الزمن القليل - يجادل المتمرسين في دقائق النحو بمجلس ابن بري شيخ العربية لوقته في مصر، أو يجادل تارة أخرى في مسائل الأصول بمجلس أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الإشبيلي البجائي الملقب بالأصولي لقوته واقتداره في علم الأصول، اللهم إلا أن يكون الأمر فتحا، وأيا ما كان فإن أبا موسى أخذ عن ثلة من الأشياخ ذاهباً ومقيماً وآيباً، منهم بترتيب الوفيات : مهذب الدين أبو المحاسن مهلب بن الحسن بن بركات المهلبي المصري البهنسي النحوي اللغوي (ت. 572 هـ) ؛ صدر الدين أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلَفي (ت. 576 هـ)، أخذ عنه بالإسكندرية فيمن كان يأخذ عنه من المُشرِّقين والمُغرِّبين ؛ أبو محمد عبد الله بن برّي بن عبد الجبار المصري (ت. 582 هـ)، وهو أجل شيوخه في العربية ؛ أبو محمد الحجري، شيخ في القراءات والحديث، تخرج به جمع من العلماء المغاربة (ت. 591 هـ) ؛ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الإشبيلي أصلاً، البجائي داراً ومنشأ، كان متحققاً بالأصول، واشتهر بذلك فعرف بالأصولي، وكان عنده تهمُّم بعلوم الأوائل فاتجهت إليه التهم من ذلك، فجفاه سلطانه، وارتابت به العامة، وكان عاقبة أمره أن مات مهجوراً ببجاية سنة 612 هـ ؛ أبو الطاهر إسماعيل بن ظافر بن عبد الله العقيلي، من نبلاء العلماء المصريين عارف بالقراءات ماهر بالعربية، إلى دين متين، (ت. 623 هـ) ؛ أبو حفص عمر بن أبي بكر بن إبراهيم التميمي الصقلي، أخذ عنه أبو موسى بالإسكندرية عندما ما قفل من حجه ؛ أبو محمد ابن عبيد الله الذي سمع منه *صحيح البخاري*. وفي الظن أن له شيوخا كثيرين غير من نسيهم التاريخ.

تكاثر تلاميذ أبي موسى لما كان عليه من حسن الإلقاء، وجودة التفهيم، وبركة الإقراء، فأخذ عنه أعلام، منهم - بسياق التاريخ - أبو الحجّاج يوسف بن يحيى بن عبد الرحمان التادلي المعروف بابن الزيات (ت. 627 هـ)، فقيه أديب لغوي، له كتاب *التشوف إلى رجال التصوف* وله *نهاية المقامات في رواية المقامات* وهو شرح على مقامات الحريري، ومنهم زين الدين أبو زكرياء يحيى بن معط بن عبد النور الزواوي (ت. 628 هـ)، وهو من أنبه تلاميذ أبي موسى، وأشدهم تأثراً به، وأحرصهم على نشر آرائه، وهو صاحب الأرجوزة المسماة *بالدرة الألفية، في علم العربية* التي كانت طليعة ألفيه ابن مالك المسماة *بالخلاصة*، وأبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي الحميري، من أعيان الأندلس فصاحة وعلما وتصنيفا، توفي شهيداً في واقعة "أنيشة" وهو يحمل راية المسلمين بيده سنة 634 هـ، وأبو عبد الله محمد بن قاسم بن منداس، المتوفى بالجزائر سنة 643 هـ، كان واسع الاطلاع على النحو، عارفاً بأقوال النحاة، مواظبا على الإقراء، وكان *قانون أبي موسى* في جملة ما يدرسه من المتون النحوية، ومنهم أبو جعفر أحمد ابن محمد المروري، (ت. 650 هـ) كان متحققا بالنحو، ومعه حظ من اللغة، وكان قد لازم أبا موسى حتى كاد يستنفد ما عنده، وأبو النصر فتح بن حماد الجزيري، فقيه أصولي منطقي نحوي بعد ذلك عروضي، طوف بالآفاق، ودرس بالنظامية، وعمر أوقاته بإقراء النحو، ثم كانت وفاته بمصر سنة 663 هـ، ومنهم آخرون ذكرهم مترجموه، أو الذين ألفوا في طبقات النحاة، فلم نرد أن نأتي بهم على الاستقصاء.

أفاد أبو موسى بمجالسه في حياته، ثم أفاد بعد وفاته بمؤلفاته التي عرفنا منها عن مترجميه ما يأتي :

1 - *القانون*، وهو أعرف مؤلفاته، وسيأتي الكلام في التعريف به عن قريب.

2 ـ *شرح أبي موسى عليه*، بسط فيه الكلام عن مسائله، وانتهى فيه إلى باب التوكيد، ومات قبل إتمامه، وهو في حكم المفقود إلا نقولا منه جاءت في بعض شروح القانون الباقية.

3 ـ *شرح إيضاح الفارسي إجمالا*، (مفقود).

4 ـ *شرح شواهده استقلالا*، (مفقود).

5 ـ *شرح أصول ابن السراج*، (ضائع).

6 ـ *أمال في النحو*، ذكرها ابن خلكان في *الوفيات*، وقال بشأنها ما نصه : "سمعت أن له أمالي في النحو، ولكنها لم تشتهر".

7 ـ *تعليقات على كتاب سيبويه*، (ضائع).

8 ـ *تنبيهات على مفصل الزمخشري*، (مفقود).

9 ـ *اختصار شرح ابن جني على ديوان المتنبي المسمى بالفسر*، قال عنه ابن خلكان في وفياته : "ورأيت له اختصار الفسر لابن جني في *شرح ديوان المتنبي*".

10 ـ *شرح قصيدة بانت سعاد* لكعب بن زهير، نشر بعناية المستشرق روني باسيه بالجزائر سنة 1910 م، ثم هَلُمَّ إلى الحديث عن *القانون* :

تعددت أسماء *القانون* في الكتب التي ترجمت أبا موسى، فهو *المقدمة*، وهو *الجزولية*، وهو *المقدمة الجزولية* تارة أخرى، وهو *الكراس*، *والكراسة* بالتأنيث، وهو *الاعتماد*، *والتقييد*، *والتعليقة*، وكل ذلك أسماء لمسمّى واحد ليس إلاّ، والظاهر أن أبا موسى كان يمليه من غير كتاب، فغيّره بالنقص والزيادة وتبديل الشكل اعتباراً بالمستويات ورعيا لمقتضى الأحوال، فاختلفت أسماؤه لذلك عند الآخذين والمدرسين والشارحين.

ضغط أبو موسى في *قانونه* مسائل النحو ضغطاً قلّل كثيرها، ثم زاد على ذلك فأعراهُ من الأمثلة، وأخْلاهُ من الشواهد إمعانا منه في الإيجاز، فأدى ذلك الاكتناز البالغ إلى عسر فهمه حتى على المتخصّصين في النحو، وذلك ما جَرّأ أحدهم على أن يقول فيه : "أنا ما أعرف هذه المقدمة، ولايلزم من كوني ما أعرفها أني لا أعرف النحو"، فاقتضت الحال أن توضع عليه الشروح التي تيسر منه العسير، وذلك ما انتدبت له طائفة من جلة النحاة، عرفنا منهم زهاء العشرين، منهم ـ بنسق التاريخ ـ : تلميذه زين الدين أبو زكريا ، يحيى بن معط الزواوي، وأبو إسحاق العطار، واسم شرحه عليه : *المشكاة والنبراس، في شرح الكراس*، منه مخطوطة بمكتبة القرويين بفاس، ولأبي علي عمر بن محمد ابن عمر الأزدي الإشبيلي النحوي الملقب بـ "الشلوبين" عليه ثلاثة شروح : أحدها سماه *التوطئة* وهو وجيز ميسر، وقد طبع محققا بعناية الدكتور يوسف مطوع من الكويت، والثاني منها يقال فيه *الشرح الصغير*، وقد قام بتحقيقه الشيخ ناصر الطريم من كلية اللغة العربية بالرياض ومنح به درجة جامعية، والثالث يعرف *بالشرح الكبير* ومنه بقية مخطوطة في أوراق وشرحه جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر الكردي المصري المعروف بابن الحاجب، ومنه مخطوطة بمكتبة القرويين بفاس، وشرحه علم الدين أبو محمد القاسم ابن أحمد بن الموفق اللورقي (ت. 661 هـ)، وسمّى شرحه *المباحث الكاملية*، وهو أكمل شروح *القانون* وأوفاها، منه مخطوطة بدار الكتب بخط جمال الدين أبي محمد الحسين ابن بدر المعروف بابن إياز، والشرح هذا حققه وأعده للطبع الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد، الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وشرحه محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني صاحب *الألفية*، وسمّى شرحه *المنهاج الجلي، في شرح القانون الجزولي*، وشرحه علي بن محمد الخشني الغرناطي المنسوب بالأبّذي، ومن شراحه أبو بكر محمد بن علي الجذامي الأندلسي المعروف بابن الفخار، ومنهم بدر الدين أبو محمد الحسن بن القاسم المرادي المراكشي المعروف بابن أم قاسم نزيل مصر، (ت. 749 هـ) ؛ وتمادى العمل في شرح القانون دواليك حتى مطالع القرن العاشر، فعرفنا عندها شارحا هو السيد علي ابن ميمون المغربي الفاسي (ت. 917 هـ).

وعلى *القانون* أعمال أخرى تشير إلى مزيد من التهمّم به، من ذلك عَقْدُهُ نظماً من قِبَل أبي عمرو بن غياث الشريشي (ت. 619 هـ)، ونظمه أيضاً شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي (ت. 709 هـ)، واختصره أبو منصور الشيعي (ت. 626 هـ)، ولأبي عبد الله محمد بن الحسن بن علي التميمي القلعي عمل عليه سماه : *حدق العيون، في تنقيح القانون*، وكان القلعي هذا فقيهاً نحوياً لغوياً، وكانت وفاته سنة 709 هـ.

رُزق القانون الحظوة عند العلماء، وأتْبع الثناء الحسن على مدى الأعصار، من ذلك قول ابن خلكان في *الوفيات* بشأنه : "وصنف فيه (يريد النحو) المقدمة التي سماها *بالقانون*، ولقد أتى فيها بالعجائب، وهي في غاية الإيجاز مع الاشتمال على كثير من النحو، ولم يسبق إلى مثلها"، وقال عنه ابن مالك صاحب *الألفية* من مقدمة شرحه عليه مانصه : "إن كتاب *القانون* في النحو لشيخ الإسلام الفاضل عيسى أبي موسى الجزولي وإن كان صغير الحجم، لكنه كثير العلم، مشتمل على لباب الأدب، منطو على سر كلام العرب، متضمن للنكات الغريبة التي خلا منها أكثر شروح النحو ..."، وقرظه مجد الدين ابن الظهير الإربلي شعراً فقال :

مقدمة في النحوذات نتيجة ... تناهت فأغنت عن مقدمة أخرى
حبانا بها بحر من العلم زاخر ... ولا عجب للبحر أن يقذف الدرا

وقال فيها ابن حوط مادحا :

كراسة في النحو لكنها ... تحوي من العلم كراريسا
صغيرة الحجم وقد أسست ... قواعد الصنعة تأسيسا
قد مخض الزبد بها نحوه ... فاستوجب الشكر أبو موسى

من *القانون* مخطوطة بدار الكتب المصرية، وهي ضمن المكتبة التيمورية، برقم (363 نحو) في 73 صفحة، تمت

كتابتها عام 1318 هـ، وهي منتسخة من مخطوطة باستنبول كان انتساخها سنة 738 هـ.

حُقق *القانون* بعناية الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد، واعتمد في تحقيقه مخطوطة المكتبة التيمورية، واستعان فيه بمخطوطة من شرح اللورقي عليه المسمّى *بالمباحث الكاملية على المقدمة الجزولية*، واستعان فيه أيضاً بمخطوطة من الشرح الصغير عليه لأبي عليّ الشلوبين، وطبع هذا التحقيق بالقاهرة سنة 1988 م.

لم يكن النحو علم أبي موسى الذي لايحسن سواه، بل كانت له مشاركة في جملة من العلوم نوّه بها ابن عبد الملك في *الذيل والتكملة*، فقال : "كان كبير النحاة غير مدافع، حافظاً للغة، وافر الحظ من الفقه، بارعاً في أصوله، متعلقاً بطرف من الحديث. "ويضيف ابن خلكان في *الوفيات* إلى ذلك علم القراءات فيقول : "وكان إماما في القراءات"، ثم يتبع ذلك بقوله : ذكر بعض أصحابه أنه حضر عنده ليقرأ عليه قراءة أبي عمرو، فقال له بعض الحاضرين : أتريد أن تقرأ على الشيخ النحو ؟ قال : فقلت : لا، فسألني آخر كذلك فقلت : لا، فأنشد الشيخ وقال : قل لهم :

لست للنحو جتتكسم ... لا ولا فيه أرغب
خل زيداً لشأنه ... أينما شاء يذهب
أنا مالي ولا مرى ... أبد الدهر يُضرب

ولكن ابن الجزري قال في *غاية النهاية* بعد إيراد هذه الحكاية : قلت "لاأعرف على من قرأ ولا من قرأ عليه"، كأنه يتشكك في علم أبي موسى بالقراءات، وهو كان يشتغل بالمنطق، بآية ما كانت عليه بحوثه من صحة تقسيم، ودقة تبويب، وقوة استدلال، وحسن تعليل، ووجاهة تأويل.

طوّف أبو موسى في الآفاق يتعلم ويعلّم، ثم كانت مراكش خاتمة تطوافه، فانتصب فيها للتدريس، فانثال الطلبة على مجالسه من داخل المغرب ومن خارجه، وكان أبو موسى ما كان من سعة الاطلاع على دقائق النحو وغريبه وشاذه، إلى ما كان عنده من جودة تفهيم وحسن إيراد، وبركة تعليم، فعرف أهل العلم قدره، وكان إلى ذلك متين الديانة شديد الورع، بالغ الأمر في الزهد، يخشوشن في عيشه، ويتبذل في لباسه فأحبته العامة، واعتقدت فيه، والمتوقع من الساسة وقتئذ أن يوجسوا من مثله خيفة، وذلك ما كان من المنصور الذي ارتاب فيه، وخشي أن يكون منطوياً على شر يبتغيه به، فامتحنه، فوجده على سلامة، فأدناه منه، ووالى عليه إنعامه، وأحسن الظن به، وصلّى خلفه، وأوصى في مرض موته أن يتولى أبو موسى غسله، وتولاه ابنه الناصر من بعده فكان يحضره مجالسه، ويستصحبه في أسفاره، ويبعثه في المهمات.

توفي أبو موسى عام 607 / 1210، وهو في سفارة من قبل الناصر الموحدي إلى أزمور في تهدئة نزاع قبلي بين بعض الصنهاجيين، فتفاوض أهل الرأي هناك في تعيين مدفنه، فقال بعضهم يُدفن في تربة الشيخ أبي شعيب السارية عساه يجد بركة أبي شعيب، وكان آخرون منهم على خلاف تلك النية فقالوا : يدفن إزاءه لعل أبا شعيب يجد بركة أبي موسى، فإنهما يتماثلان في الصلاح، ثم يزيد عليه أبو موسى بفضيلة العلم.

ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، 9 : 307 ؛ القفطي، *إنباه الرواة*، 2 : 378 - 380 ؛ ابن الأبار، *التكملة*، 2 : 650 ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، 3 : 488 - 450 ؛ ابن عبد الملك، القسم الأول من السفر الثامن من *الذيل والتكملة*، 246 - 254 ؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 5 : 633 ؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، 13 : 67 ؛ ابن الجزري، *غاية النهاية*، 1 : 611 ؛ الدلجي، *الفلاكة والمفلوكون*، 191 ؛ السيوطي، *بغية الوعاة*، 2 : 236 ؛ ابن العماد، *الشذرات*، 5 : 26 ؛ ابن أبي شنب، *دائرة المعارف الإسلامية*، 6 : 445 - 450 في الترجمة العربية، إسماعيل الباباني، *هدية العارفين*، 2 : 807 - 808 ؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، 5 : 349 - 350 من الترجمة العربية ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 9 : 404 - 412 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 5 : 104 ؛ ع. گنون، *ذكريات* برقم 19 ؛ م. المنوني، *العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين*، 62 - 63 ؛ الدكتور شعبان عبد الوهاب محمد، الباب الأول من *تحقيق المقدمة الجزولية*، 1 : 83 ؛ أحمد الزواوي، *أبو موسى الجزولي، عرض لحياته العلمية، ومنهجه في البحث، وتأثيره في حقل النحو*، المحمدية (المغرب) 1984 م ؛ ابن المعلم التاورتي، *تقييدات في أبي موسى الجزولي* (مخطوط).

أحمد الشرقاوي إقبال

الجزولي، بوشعيب (الحاج -) بن محمد الرباطي أخو إبراهيم الجزولي المتقدم الترجمة وموسيقي مثله. كان شيخاً تقياً صالحاً ذاكراً خاشعاً، أهّلته مكانته الصوفية ليصبح مقدماً للطريقة الحراقية بالرباط، وذاع صيته في مجال المديح النبوي في محافل الأخيار، ومجامع الأذكار، متأثراً بشقيقه إبراهيم، حتى أصبح مقدماً في مجالس الأمداح بعد وفاة هذا الأخير، لايضاهيه أحد إلى حين وفاته سنة 1327 / 1909.

م. بوجندار، *الاغتباط*، ص. 263.

حسن أمبلي

الجزولي، الحسن بن عيسى وقيل بن عبد الله الفاسي، صوفي زاهد، لقي عدة مشايخ، منهم ابن عسكر الشفشاوني الذي ذكر أنه انتفع به، ونسبه في الطريق لعبد العزيز التباع، وعلي الهبري الوارثيني دفين داخل باب الفتوح، وعاصر أحمد بن موسى المرابي الذي نعته بإمام أئمة وقته وبأنه كان راعي دواب الشيخ الغزواني ونسبه له في الطريق. وقد استبعد المهدي الفاسي في كتابه *متع الأسماع* نسبة الحسن الجزولي للتباع وأكد على صحة نسبته للغزواني. ورجّح ابن عيشون أن يكون قد أخذ عن الشيخين معاً.

توفي عام 992 / 1584 وقد جاوز المائة سنة ودفن خارج باب الفتوح.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، ص. 16 ؛ *متع الأسماع*، 73 ؛ م. ابن عيشون، *الروض العطر الأنفاس* (مرقون)، ص. 209 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2، 279.

زهرة النظام

الجزولي، عبد الرحمان السوسي شيخ جماعة مجاهدي جزولة التي حلت بميدان سبتة المحتلة تلبية لنداء رئيس المجاهدين عبّو بن محمد المجكسي. وصل الجزولي وجماعته في آخر عام 819 ـ 1416. وعن وصولهم يقول الإخباري البرتغالي "كومس إيانس دي زورارا" (Gomes Eanes de Zurara) : "جاء أولئك المسلمون من جهة جزولة، ولم ياتوا بأكثر من اثني عشر أو ثلاثة عشر فارساً، استجابة لنداء عبّو"، وسمى رئيسهم عبد الرحمان (Auderane). وقد أخبرنا زورارا بعد ذلك أن الشيخ الجزولي عاد إلى موطنه جزولة إثر مأساة الحصار المريني لسبتة المحتلة عامي 1418 ـ 1419 واستشهاد عدد كبير من رؤوس الجهاد، ليعود إلى الميدان بمعية نحو مائة فارس وألف من المشاة. وكانت الجماعة الجزولية القوّة الجهادية الوحيدة الحاضرة بميدان سبتة خلال سنوات 1420 و1424.

بتتبع العمليات الجهادية التي قادها الشيخ عبد الرحمان الجزولي، وجدنا أن الجماعة كانت تنطلق من جبل ومدشر مرتبطين باسم جزولة، نقدر حسب الأوصاف الطبوغرافية المستخلصة من تحركاتها، أن المكان كان بمقربة من جبل شندر الحالي الذي سماه البرتغاليون Oteyro dos Gazulus أي كدية الجزوليين.

لم تختلف طريقة الجزوليين عما علمناه من خطة عبّو ابن محمد الحربية المعتمدة على نصب الكمائن. وقد سجل لنا زورارا من الغارات الجزولية مثالين، وتمت الغارة الأخيرة سنة 1424، واستغل الشيخ عبد الرحمان للوصول إلى الميدان طالعي بريش وبرج أويات. وقد كانت العمليات الهامة التي قادها مرتبطة بوصول مجاهدي جبل حبيب بقيادة مقدمه الحسن الأنجري، أحد مساعدي عبّو بن محمد منذ عام 822 / 1419.

اختفت عنا أخبار الشيخ عبد الرحمان ومعه جماعة جزولة بعد سنة 828 / 1424 ولم نعرف عنهم شيئاً بعد ذلك، وربما دلنا هذا الاختفاء على مغادرة الجماعة الجزولية لميدان سبتة بعد ثمان سنوات من وجودها به.

ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الايبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، 1 : 147.

G.E. de Zurara, *Crónica de don Pedro de Meneses*. T. 1, chap. 47, p. 187-189 ; chap. 82, p. 340 ; T. 2, chap. 2, p. 486-489 ; chap. 7, p. 499-502 ; *Crónica de don Duarte de Menesses*, p. 55 ; *Collecção de libros inéditos*, p. 539 - 550 - 565 ; J. Mascarenhas, *Historia de Ceuta*, p. 148, Lisboa, 1648.

حسن الفكيكي

الجزولي، عبد الرحمان بن عفان الفاسي، ذكر الونشريسي في *وفياته* أنه ولد سنة 650 هـ ووصفه ابن مرزوق في *مسنده* ـ وهو معاصر له ـ بشيخ الفقهاء سنا وحفظا، وبشيخ الشيوخ وواحد وقته.

تتلمذ عبد الرحمان على ثلة من كبار علماء زمانه، وأخذ عنهم ما تيسر له من علوم الفقه والحديث وخاصة مايتعلق بمذهب مالك *كالمدونة ورسالة* ابن أبي زيد القيرواني. فقد أخذ المدونة عن عبد الرحمان الرجراجي وأبي الفضل راشد الوليدي وأبي عمران الجورائي، وعبد الصادق الصبان ويوسف بن موسى بن أبي عيسى الغساني السبتي وأبي محمد عبد الصمد. وقرأ عليه الفقه وغيره نخبة من علماء المغرب من أمثال الشيخ الحافظ أبي عمران موسى ابن محمد بن معطي العبدوسي، ومحمد بن عبد الرحمن بن سعد التميمي التَسلي الكرْسوطي. كما أخذ عنه أبو الحسن الصُغيِّر الزرويلي، وسعيد بن محمد الهسكوري ثم خالد بن عيسى البلوي صاحب رحلة *تاج المفرق في تحلية علماء المشرق*، سمع عليه كثيراً من *رسالة* ابن أبي زيد ومن *التهذيب* وغيرهما. ومما يؤكد علو كعب عبد الرحمان الجزولي في المذهب المالكي وفروعه أن مجلسه كان يحضره أكثر من ألف فقيه جلُّهم يستظهر *المدونة*.

اقترنت شهرة الجزولي بشروحه على *الرسالة* القيروانية حيث قيدت عنه في مجالس تدريس *الرسالة* بفاس تقاييد عديدة نذكر منها ثلاثة : الأولى في سبعة أسفار وهي المعروفة بالمُسَبَّع، والثانية في ثلاثة أسفار والثالثة في سفرين. وقد ذاع صيت هذه التقاييد في كل أنحاء المغرب وانتفع الناس بها وحفظها الطلبة. ويذكر المقري في هذا السياق، نقلاً عن القاضي عبد الواحد الونشريسي عن والده الشيخ أحمد بن يحيي الونشريسي مؤلف *المعيار* أن "مَن مَلكَ المُسَبَّع من الجزولي، وتقييد البحمدي عن أبي الحسن (الصغير)، أو حصلت له عناية بنقلها، فهو عالم العالم بأسره، وحائز مذهب إمام دار الهجرة على التمام، والقائم بأمره" (*أزهار الرياض*، 3 : 36). وهذا الاهتمام البالغ بشروح الجزولي للرسالة لم يكن مقتصراً على القرن الثامن (14 م) فحسب، بل تعداه إلى فترة الحكم الوطاسي ومابعده، إذ يؤكد أحمد الونشريسي (ت. 914 هـ ـ 1508 م) أنه شاهد طلبة حضرة فاس يتهافتون على تقاييد الجزولي ويتنافسون في اقتنائها بالأثمان الباهظة (المصدر السابق، 3 : 36).

أجمعت المصادر على أن الجزولي عُمِّر وطعن في السن فلم يحل ذلك دون استمراره في التدريس بجامع القرويين إلى أن وافته المنية. لكن هذه المصادر نفسها اختلفت في أمرين : الأول حول المدة التي عاشها، إذ تشير مرة إلى أنه

عمّر أكثر من مئة وعشرين سنة، وتذكر مرة أخرى أنه مات عن تسعين سنة. أما الأمر الثاني فيتعلق بتاريخ وفاته إذ يلاحظ أن أغلب الروايات لم تحدد سنة معينة لذلك، بل أوردت تواريخ مختلفة ومتباعدة نسبياً مثل سنة 740 هـ و741 هـ و745 هـ و746 هـ. ومن المفيد هنا أن نشير إلى الحادثة التي وقعت للجزولي وكانت سبباً في وفاته لعلنا نصل إلى تاريخ مرجح.

فقد ذكر ابن مرزوق، وهو شاهد عيان، أن الجزولي لما التقى بالسلطان أبي الحسن المريني على وادي سبو حين قدومه من تلمسان بعد فتحها وتردده في أحوازها بين سنتي 737 هـ و738 هـ، اقترب منه وحاول النزول عن دابته التي كان يركبها لكنه سقط، فنزل أبو الحسن بدوره عن فرسه إجلالا له وتعظيماً واحتراماً لشيوخه، فاحتضنه وعانقه ثم تولى بنفسه حمله على دابته. أما ابن القاضي وأحمد بابَ التنبكتي فقد اعتبرا أن هذا اللقاء تم عند رجوع السلطان من وقعة طريف سنة 740 هـ، وأن سقوط عبد الرحمان على الأرض أدى إلى ضعضعة عظام جسمه المنهوك مما تسبب في موته بعد ذلك بسنة واحدة أي عام 741 هـ، وأصح الأقوال أنه توفي لعشر بقين من ذي قعدة عام أربعين وسبعمائة. بل ويشير التنبكتي إلى أن محمد المقري الجد كتب في بعض تقاييده أنه دخل يوماً على عبد الرحمان الجزولي وهو يجود بنفسه ويعاني من الألم فسأله عن السبب فأخبره بتفاصيل لقائه بالسلطان وما وقع له أثناء ذلك. وبهذا يكون قد عاش حوالي تسعين سنة.

م. ابن مرزوق، *المسند*، الجزائر، 1981، ص. 155 ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، القاهرة، 1975، 3 : 131 ؛ ابن قنفد، *أنس الفقير*، الرباط، 1965، ص. 24 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1974، ص. 186، 401، 402، 519، 554 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351 هـ، ص. 165، 166 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، المحمدية، 1980، ج 3، ص. 23، 24، 29، 36 ؛ م. حجي (محقق) *ألف سنة من الوفيات* في ثلاثة كتب، الرباط، 1976، ص. 80، 111، 193.

رشيد السلامي

الجزولي، عبد الرحمان أبو قصبة. تزعم ثورة قوية ضد الموحدين في السنوات الأولى لخلافة محمد الناصر (595 / 1198) وأتت هذه الثورة في سياق عدد من الثورات والانشقاقات التي عرفتها الدولة الموحدية في أوج قوتها، حيث عبرت كثير من قبائل المغرب الأقصى عن رفضها للحكم الموحدي، لكن الموحدين فضلوا خيار المواجهة الحاسمة لاستئصال كل محاولة للخروج عن سلطتهم أو تهديدها، وتمكنوا بذلك من المحافظة على وحدة البلاد وإفشال حركات التمرد التي قام أغلبها من دون برنامج أو تصور واضح.

أعلن الجزولي ثورته سنة 597 / 1200 ـ 1201 بمنطقة السوس، وتحديداً بحصن تيونوين الذي يصفه ابن عذاري بأنه "على قديم الزمان مجبول من فيه من أهله على الشقاق والارتداد" (*البيان*، قسم الموحدين، 348).

نلاحظ أن عبد الواحد المراكشي هو المؤرخ الذي أعار أخبار هذه الثورة أهمية في حين اختزلت باقي المصادر أخبارها أو أهملتها، ومن خلال الإشارات المقتضبة حولها نلمس أنها شكلت تهديداً فعلياً للدولة الموحدية نظرا لاتفاق جموع غفيرة من أهل منطقة السوس والقبائل المجاورة حول الجزولي وتمكنهم من هزم عدة حملات عسكرية موحدية، فلم يزل الموحدون "يجهزون إليه العساكر بعد العساكر، وفي كل ذلك يهزمهم إلى أن بعثوا بعثا من الموحدين والغز وأصناف الجند" (*المعجب*، 449).

لا ندري هل كانت تلك الهزائم بسبب قوة أتباع الجزولي وإحكام تنظيمهم، أم أن الأمر يعود إلى سوء تقدير الموحدين لقوة هذا التمرد، واكتفائهم بإرسال حملات صغيرة.

لقد جاء قيام هذه الثورة في وقت كان فيه الخليفة محمد الناصر منشغلاً بالحركة إلى بلاد رجراجة (*البيان*، 239 و348)، مما جعله يكتفي بإرسال حملات ربما كان الهدف منها هو التشويش على هذه الثورة في انتظار حملة قوية، وفعلاً نظمت حملة تطلبت أعداداً ضخمة وتجنيداً لمختلف فرق الجيش الموحدي، ويؤكد ابن عذاري أنه "لم يبق من الموحدين أحد في حال ثورته إلا استقر بهذه البلاد في قتاله" (*البيان*، 348).

سارت الحملة إلى بلاد السوس وبدأت بإنذار المصامدة وغيرهم من القبائل المجاورة لهم وتحذيرهم من عواقب مساندة الجزولي، وتم ترغيبهم في لزوم الطاعة للمخزن الموحدي. فتحركت كثير من القبائل وانضمت إلى الجيش الموحدي مسهلة عليه نسبيا مهمة القضاء على ما تبقى من قوة. أبي قصبة الجزولي، وقد أثر ذلك سلبا على البناء البشري لحركته، فوقع فيها تصدع أدى إلى انفضاض أغلب الجموع من حوله، ووقع قتل كبير فيمن تبقى من أتباعه، وقبض عليه وقتل واحتز رأسه وحمل إلى مراكش وعلق على باب الشريعة.

لا نعرف شيئا عن المضمون الثوري لهذه الانتفاضة التي لم يظهر لنا من خلال الإشارات القليلة حولها إلا وجهها القبلي، في حين يقدم ابن عذاري إشارة سريعة مفادها أن الجزولي كان مولعا بالسحر، مما يدفعنا إلى التساؤل هل كان للتأثير النفسي والتركيز على الغيبيات دور في إخضاع الجزولي لأتباعه، أم أن الأمر يتعلق بنموذج زعيم قبلي اعتمد على عصبيته القبلية، وربما دمويته، كما بدا على ذلك اللقب الذي كان يطلق عليه باللسان الأمازيغي والذي معناه "ابن الجزارة" (*المعجب*، 449) ؟

وبالمقابل فإن الموحدين لم يكن أمامهم سوى خيار المواجهة لهذا التحدي الكبير في منطقة كانت حساسة

بالنسبة لدولتهم، باعتبار أن القبائل المصمودية كانت تشكل العمق القبلي للدولة ومصدر قوتها البشرية.

ورغم قصر المدة التي استغرقتها هذه الثورة فإنها شغلت الموحدين وشوشت على بعض مشاريعهم في ضبط الأمن خاصة بالأندلس وإفريقية، ومع ذلك فقد تم فتح جزيرة ميورقة أسبوعا واحداً بعد القضاء على ثورة الجزولي. وكان انهيار ثورة الجزولي ومقتله سنة 598 / 1202.

ع.المراكشي، *المعجب*، الدار البيضاء، 1978 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب (قسم الموحدين)* الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. ابن خلدون، *كتاب العبر* (ج 6) بيروت، 1956 ؛ النويري، *تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (نهاية الأرب)* تح. مصطفى أبو ضيف، الدار البيضاء، 1988.

محمد المغراوي

الجزولي، مَحمد بن **سليمان** الشيخ الشهير بسيدي ابن سليمان، من أعلام التصوف المغربي الإسلامي، إليه انتهت الطريقة الشاذلية في عصره، وعنه تفرعت جملة من الطرق التي يكثر أتباعها في المغرب بصفة خاصة : كالطريقة التباعية والغزوانية والفلاحية والبكرية والعيساوية والشرقاوية والبوعمرية. اشتهر بالنسبة إلى جده الثاني سليمان. فهو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن سليمان السملالي السوسي.

يرجع المؤرخون نسبه إلى علي بن أبي طالب، وقد اعتمدوا على قوله : "ليس العزيز من تعزز بالقبيلة وحسن الجاه، وإنما العزيز من تعزز بالشرف والنسب. أنا شريف في النسب، جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (*ممتع الأسماع*، ص. 5 ؛ *إظهار الكمال*، ص. 236). وقد نظم عبد السلام بن الطيب القادري هذا النسب في كتابه *الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف* (ص. 31-32) وعرض للخلل الحاصل فيه وهو عدم اتفاق النسابين على وجود ابن لعبد الله اسمه جعفر مشيراً إلى سقوط اسم عديّ بينهما.

ويستبعد محمد المهدي الفاسي انتساب الجزولي إلى الأشراف الحسنيين حسب ما ورد في نسخة "معتبرة" - كما قال - من *دلائل الخيرات*، بل يرجّح انتسابه إلى الحسنيين، خاصة وأن المعروف أن سليمان بن عبد الله الكامل بن حسن نزل بتلمسان ودخل أكثر أولاده إلى لمطة وسوس الأقصى، فلا يبعد أن يكون اسمه قد سقط في تسلسل النسب (*ممتع الأسماع*، ص. 3).

يكتنف سيرة الجزولي كثير من الغموض : فالمراحل غير واضحة، والآراء فيها متضاربة. كما يطغى الجانب الأسطوري على الواقع مما يجعل الخروج من هذا كله برسم موضوعي لسيرة الشيخ من الصعوبة بمكان.

رأى الجزولي النور في مدشر تَانْكُرْتْ في سوس ببلاد الساحل على واد يعرف بهذا الاسم. ولا نعرف متى كان ذلك على وجه التحديد (أواخر القرن الثامن). ويصعب التقدير ما دامت المصادر لم تشر إلى عمره عند وفاته، واختلف في تحديد تاريخ وفاته نفسه.

خرج الجزولي من بلاده لقتال وقع بها (*الاستقصا*، 4 : 122)، فقد عرفت سوس في آخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع صراعات داخلية، إذ كانت من أكثر المناطق خروجا على المخزن الوطاسي ورفضا لسلطته من جهة، ومواجهة للاستعمار البرتغالي الذي تسرب إلى المنطقة (R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 827).

قصد الجزولي مدينة فاس لطلب العلم فنزل بمدرسة الصفارين. وكان يعيش حياة عزلة وتأمل، إذ لم يكن يُدخل أحداً إلى غرفته التي كان يخلو فيها بنفسه بعدما نقش على جدرانها كلمات : الموت - الموت ... وهذا مظهر من مظاهر عدم الاستقرار، والبحث عن شيخ مرب يمكن السلوك على يديه. لذلك اضطر الجزولي للسفر إلى المشرق للاتصال بالعلماء والشيوخ المربين. وتحدد الروايات المدة التي قضاها في سياحته بسبع سنوات، طاف فيها مدن الحجاز ومصر، ومدينة القدس وأخذ بالأزهر على عبد العزيز العجمي (*ممتع الأسماع*، 22).

ويبدو أنه لم يعثر على ضالته، مع طول أمد جولته، وتنوع أماكن زيارته، فعاد إلى المغرب وحل بفاس من جديد، وإن كان الأمر قد اختلط على بعض المصادر، فلم تميز بين رحلته العلمية الأولى، وهذه السفرة الثانية إلى فاس. وفيها ألف كتابه *دلائل الخيرات* معتمداً في مصادره على كتب خزانة القرويين (*إظهار الكمال*، 238) والتقى بالإمام زروق الذي أرشده إلى الشيخ المربي، والمعين على سلوك الطريق ؛ وهو أبو عبد الله محمد أمغار الصغير بتيط (*تحفة الكرام*).

نزل الجزولي عند شيخه أمغار، وأخذ عنه ورد الشاذلية ودخل في فترة خلوة وتأمل وعبادة بإشارة منه - حسبما قيل - إلا أنها طالت حتى بلغت أربع عشرة سنة. فلم يخرج منها إلا وقد أخذت الكرامات تصدر عنه، حسب تعبير صاحب *ممتع الأسماع* (ص. 11).

وكان مشدداً على نفسه يمضي الليل والنهار في تلاوة أوراده، وهي : سلكتان من *دلائل الخيرات*، ومائة ألف من بسم الله الرحمن الرحيم، وسلكة وربع سلكة من *القرآن الكريم* يختمها كل ليلة (*إظهار الكمال*، 270)، وفدية من بسم الله الرحمن الرحيم.

وتختلف الروايات حول توقيت زيارته لمراكش وتعرفه بها إلى مريده عبد العزيز التباع وأسرته بحي القصور. فهناك من يجعلها بعد خلوته وعودته من تيط، وهناك من يجعلها بعد رجوعه مباشرة من فاس. وفي الحالتين يبقى تحديدها الزمني غير ممكن ما دمنا نجهل كذلك تاريخ ميلاد التباع الذي كان طفلاً صغيراً آنذاك.

ويبدو أن فترة الخلوة والتأمل كانت كافية لاكتمال الطريقة وبروزها لدى الجزولي. فشرع في نشرها بين مريديه وتلامذته. وكانت أسفي من المدن الأولى التي ظهر فيها نفوذ الجزولي، ساعد على ذلك استعداد أهلها لتقبل الطريقة : فقد انتشرت فيها من قبل طريقة أبي محمد صالح، وبالقرب منها كان رباط كوز وهرتنانة، هذه الزاوية التي كانت تعرف تعاليم الشاذلية. فشيخها أبو سعيد عثمان الهرتناني هو شيخ أبي عبد الله محمد الصغير أمغار الذي أخذ عنه الجزولي، إضافة إلى وقوعها في منطقة لها تاريخ عريق في التصوف وتقديس الأولياء : وهي رگراگة. فبعض رجالها مدفونون عند مصب تانسيفت بالقرب من المدينة. لهذا بلغ مريدوه بها خمسة وستين ألفا وستمائة واثني عشر، الشئ الذي جعل السلطات المرينية تتضايق منهم، خاصة وأن الفترة كانت فترة ضعف السلطان المركزي بفاس مع ما يترتب على مثل هذه الحالة من ظهور الدويلات الطامعة في الحكم. فأمره الوالي بمغادرة المدينة.

كان مصير الجزولي المضايقة في كل المدن والقرى التي زارها ولنفس الأسباب. وبالمقابل ازداد مريدوه وأنصاره بعد انتشار خطر الاحتلال الأجنبي للشواطئ المغربية، ويأس الناس من قدرة الدولة الحاكمة الضعيفة على مواجهة الأحداث.

ففي ماسة بسوس تم إجبار الجزولي بعد فترة قصيرة من حلوله بها على الخروج، فنزل بأفوغال من بلاد الشياظمة، وتمكن روبير مونتاني، وبيير دوسنيڤال R. Montagne et P. de Cénival من التعرف إلى القرية التي نزل فيها الشيخ وصارت تعرف باسم أحد ذرا *(Les Berbères et le Makhzen)* وفيها اتجه نحو التعليم وتربية المريدين. وقضى زهاء سبع سنوات متنقلا بينها وبين تازروت، فكثر أتباعه وتلامذته بهما. وسمّه حاكمها بعدما تضايق منهم.

وقع الاختلاف حول تاريخ مقتله إذ جعلوه بين تسع وستين وثمانمائة وخمس وسبعين وثمانمائة للهجرة. ويرجح الشيخ زروق سنة سبعين وثمانمائة لأن الفقيه أبا عبد الله محمد بن قاسم القوري تلقى سؤالا في شأن عمرو المغيطي الذي قام بعد مقتل الجزولي طالبا بثأره. وبما أن القوري قد توفي سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة (*فهرس ابن غازي*، ص. 75) فان الشيخ يكون قد توفي قبل هذا التاريخ بالطبع (*ممتع الاسماع*، ص. 11 ـ 12).

ومما يشار عند ذكر وفاة الجزولي مصير التابوت الذي يحوي رفاته بعد وفاته، والصراع الذي دار بين الشياظمة وحاحة حول امتلاكه، وتقديمهم له أثناء حروبهم يحصل لهم النصر، ثم نقله السعديون إلى مراكش بعدما دفن مدة بأفوغال، وبنوا ضريحه الموجود في الحي الذي يحمل اسمه (سيدي ابن سليمان).

وبالرغم من أن علاقة الجزولي بمدينة مراكش كانت واهية إذ لم يزرها إلا مرة واحدة في حياته، حيث التقى بتلميذه عبد العزيز التباع، فإنه اعتُبر واحداً من رجالاتها السبعة، بعد ما نقل إليها جثمانه، ويعود هذا الاختيار إلى ما أدركته طريقته من شهرة ومكانة في المغرب وخارجه، فحلت محل الطريقة الشاذلية وتفرعت إلى طرق عديدة كما ذكرنا.

آثاره : *دلائل الخيرات*، النسخة السهلية منقولة عن المؤلف مخطوطة الخزانة اليوسفية بمراكش (عدد 377)، وللدلائل عدة طبعات ؛ *عقيدة الجزولي*، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط ضمن مجموع (رقم 7245 من 24 إلى 36) ؛ *رسالة التوحيد*، توجد أوائلها في خزانة ابن يوسف (تحت عدد 587 من ص. 41 إلى 43) ؛ *كتاب الزهد* : توجد أوائله في خزانة ابن يوسف بمراكش (رقم 587 من 43 إلى 44) ؛ *أجوبة في الدنيا والدين* : مخطوطة الخزانة العامة بالرباط (رقم 731 ق ص. *15 ـ 16*) ؛ *من كلام الشيخ الجزولي* : في *ممتع الأسماع*، ط حجرية وفي *بادرة الاستعجال*. مخطوطة خاصة بالرباط ؛ *حزب الشيخ* أو *الحزب الكبير* مخطوط خ ع بتطوان (رقم 447) ؛ *حزب الفلاح* أو *الحزب الصغير* مخطوط خ ع بتطوان (رقم 447).

وقد جمعت آثار الجزولي في ملحق كتابي *محمد بن سليمان الجزولي : مقاربة تحليلية لكتابته الصوفية* ط. مراكش 1993.

م. ابن غازي، *فهرس ابن غازي*، تح. محمد الزاهي الرباط 1979 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، ط. حجرية 1305 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ط. الدار البيضاء ؛ ع. القادري، *الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف*، مخطوط خ ع رقم 310 ؛ ع. ابن إبراهيم، *إظهار الكمال في تتميم مناقب أولياء مراكش السبعة رجال*، مخطوط خ ح رقم 232 ؛ *الإعلام*، ط. الرباط 1974 ـ 82 ؛ حسين بن مصطفى المنفلوطي، *تحفة الكرام في بعض مناقب غوث الأنام قطب جزولة*، مخطوط خ ع، رقم 925.

حسن جلاب

الجزولي، محمد بن العباس (الحاج ـ) بن الحسن السوسي. درس بمسقط رأسه سوس وبفاس حيث يعد من أبرز تلامذة الشيخ التاودي ابن سودة. كان عالماً مشاركاً ذا نزعة صوفية، وألف فهرساً سماه *المواهب القدوسية في بعض المشايخ الصوفية مع بعض المصنفات البهية والمسلسلات النبوية* ذكر فيه بتفصيل أسانيده في مختلف الطرق الصوفية كالقادرية والخلوتية والزروقية والشاذلية وغيرها، وأثبت فيها نصوص إجازات شيوخه. وقد لخص هذا الفهرس صاحب *الإعلام* في نحو سبع صفحات.

ع. إبن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 163 ـ 170 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2495.

الجزولي، محمد بن **عرفة** الفاسي، فقيه صالح من رجال القرن العاشر (16 م) وهو دفين باب الفتوح بحومة الجيزيين عن يمين المار إلى باب الحمراء حيث يجوز لوادي الزيتون.

إ. ابن الأحمر وغيره، *بيوتات فاس*، 42 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 105 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

محمد حجي

الجزولي، محمد بن **علي** بن عبد الرزاق الفاسي، عرف أيضا بابن الحاج أو ابن أبي حاج وابن عبد الرزاق نسبة إلى جده رأس بيت بني عبد الرزاق أحد بيوتات فاس. اشتهر محمد الجزولي، إلى جانب الجاه المادي، بتصدره في علوم اللغة والأدب والفقه والتصوف. كان جده عبد الرزاق تلميذ أبي مدين الغوث أحد كبار صوفية المغرب في العصر الموحدي (*التشوف*، 327-330). كما كان والده علي من أبرز فقهاء فاس وصلحائها ومحدثيها وحفاظها اشتهر بالرحلة إلى الحج والأخذ عن علماء المشرق.

نشأ محمد الجزولي في هذا المناخ العلمي والصوفي وأخذ يقتفي خطوات والده وجده في اعتماد نفس وسائل التكوين الذاتي والقيام بالرحلة إلى مختلف البلاد الإسلامية للاتصال بعلمائها والرواية عنهم. فأخذ عن محمد ابن عمر بن رشيد الفهري السبتي علوم الحديث. وارتحل إلى تونس حيث لقي القاضي أبا اسحاق بن عبد الرفيع وأبا عبد الله النفزاوي ومحمد بن الحسين الزبيدي وابن جماعة وابن سرور وغيرهم من مشايخ عاصمة الدولة الحفصية، فأخذ عنهم. كما أخذ التصوف عن والده ولبس منه الخرقة، وعن شيخ التصوف بتلمسان أبي عبد الله محمد الإمام.

انعكس هذا التكوين العلمي المتين على شخصية الجزولي وثقافته فوصفته المصادر بالعالم الكبير، وركزت على براعته في الترسل وجودته في الأدب وقدرته على الخطابة والإقناع وتفننه في المعارف كالفقه وعلوم الحديث وخاصة علم الأصول الذي كان له فيه التقدم، وكان يعقد له مجلساً بجامع القرويين يحضره الطلاب والأساتذة على السواء.

أخذ عن الجزولي مجموعة من العلماء بفاس، أمثال القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي الزقندري والخطيب ابن مرزوق والفقيه محمد بن سعيد بن عثمان الشهير بانقشابو والمؤرخ عبد الرحمان بن خلدون والأديب لسان الدين بن الخطيب وغيرهم كثير.

حظي الجزولي بثقة ملوك بني مرين فقلدوه مناصب غاية في الأهمية كالقضاء والخطبة والإمامة لمدة زمنية تستغرق فترة حكم ثلاثة ملوك هم أبو سعيد وأبو الحسن وأبو عنان. غير أن المصادر اختلفت حول هذا الموضوع، فإذا كان صاحب *بيوتات فاس* قد أشار إلى أن الجزولي تولى الخطبة والقضاء معا بفاس في عهد كل من الملوك الثلاثة المذكورين، فإن ابن مرزوق ذكر أنه كان قاضي الجماعة بحضرة فاس وخطيب جامع القرويين بها أيام السلطان أبي الحسن فقط. أما ابن القاضي فقد أكد أنه تولى الخطتين معا في عهد السلطانين أبي سعيد وأبي الحسن، مقابل ذلك ذكر علي الجزنائي وكذلك ابن القاضي أن الجزولي عُزل عن القضاء بعد وفاة السلطان أبي الحسن واستبدل به الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد المقري فيما استمر يزاول مناصب الخطبة بجامع القرويين خلال بداية حكم أبي عنان إلى أن ظهر عجزه الصحي وعوض في هذا المنصب أيضا بالفقيه عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الصبر في يوم الجمعة الرابع عشر لجمادى الأولى من سنة 758 / 1357. لكن ابن خلدون والقاضي النباهي خالفا هذا الرأي وبينا أن الجزولي عزل من جميع مهامه بعد ثورة أبي عنان على والده أبي الحسن واستبداده بملك المغرب، فلزم بيته مع استمرار عناية السلطان الجديد به وبقاء الجراية عليه إلى حين وفاته.

على أية حال لم يكن هذا الجانب الرسمي في حياة الجزولي طابعا عاما لشخصيته ولعلاقته بالسلطة، فكل المصادر التي ترجمت له أجمعت على أنه كان معظما محبوبا عند السلطانين أبي الحسن وأبي عنان، وكانت له معهما علاقات طيبة واتصالات مباشرة. فقد ذكر عن السلطان أبي الحسن أنه كان يقربه في مجالسه العلمية التي يعقدها بقصره، ويقرأ بين يديه *الموطأ* ومختصر *ابن الحاجب* وكتاب *التهذيب*. كما كان يشاوره في بعض القضايا المهمة، وعينه مع القاضي المفتي أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى وكبير الشرفاء أبي عبد الله محمد ابن عمران وثلة من الفقهاء للنظر في قضية تهم أحد الأشخاص الذين ادعوا الانتماء إلى النسب الشريف، والإشراف على ضبط وإحصاء الشرفاء بالمغرب في ذلك الوقت. كما يعرف عن الجزولي أنه كان ضمن وفد ضم أيضا إبراهيم بن أبي حاتم العزفي، توجه إلى تونس من طرف السلطان أبي سعيد عثمان المريني سنة 731 / 1331 وكلف بخطبة ابنة السلطان الحفصي أبي يحيى للأمير أبي الحسن المريني. كما لقي الجزولي اهتماما كبيرا من طرف السلطان أبي عنان حيث كان يستدعيه كذلك إلى مجالسه العلمية الخاصة ويأخذ عنه علوم الحديث ويقرأ عليه القرآن برواياته المختلفة.

ومما يؤخذ على المترجم أنه كان له ولد يرتشي من المتقاضين ولا ينهاه حتى قال فيه محمد بن يحيى العزفي أبياتا منها :

فتحت لنجلك باب الفتوح وأغلقت للناس باب الشريعة

وتختلط ترجمة محمد بن علي الجزولي في بعض كتب التراجم بآخر يماثله اسماً ونسباً وعصراً، ويظن البعض أنهما شخص واحد.

توفي بمدينة فاس عن سن عالية في رابع ذي القعدة عام 758 / 19 أكتوبر 1357.

ي. الجزنائي، *جنى زهرة الآس*، الرباط، 1967، ص. 64 ؛ ل. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، تح. أحمد مختار العبادي، الدار البيضاء، د. ت.، 2 : 63 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، تح. ماريا خيسوس بيغيرا، الجزائر، 1981، ص. 125، 138، 147، 148، 153، 262، 263، 368، 486 ؛ النباهي، *المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا*، بيروت، ص. 135، 136، 170 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، بيروت، 1968، 7 : 524 ؛ *التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا*، تح. محمد ابن تاويت الطنجي، القاهرة، 1951، ص. 65، 66 ؛ إ. ابن الأحمر، *روضة النسرين*، الرباط، 1962، ص. 26 ؛ *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 50، 51 ؛ *نثير الجمان*، تح. محمد رضوان الداية، بيروت، 1976، ص. 355، 357 ؛ أ. ابن قنفذ، *أنس الفقير*، تح. محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، 1965، ص. 35، 36 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، الرباط، 1981، 7 : 172 ؛ 8 : 9 ؛ م. ابن غازي، *التعلل برسوم الإسناد*، تح. محمد الزاهي، الدار البيضاء، 1979، ص. 108 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 64، 65، 229، 230، 300، 461 ؛ *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، ط. 1، 1971، 2 : 240، 241، 266 ؛ أ. بابا التنبكتي، *نيل الابتهاج*، مصر، 1351، ص. 249، 271 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، تح. عبد السلام الهراس وسعيد أحمد أعراب، المحمدية، 1980، ج. 2 : 316 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، المطبعة الحجرية الفاسية، 1316، 3 : 275، 276 ؛ م. حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 82، 122، 209.

M. Kably. *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du moyen âge*. Paris, 1986, p. 268.

رشيد السلامي

الجزولي، محمد بن **محمد** بن شيخ المادحين الحاج بوشعيب الرباطي. ولد عام 1306 / 1889 ودرس بمسقط رأسه على والده وعلماء المدينة وفي مقدمتهم الشيخ أبو شعيب الدكالي. كان أديباً شاعراً جزل العبارة فياض الشعور طويل النفس في الشعر. انتقل إلى العرائش واستقر بها فيما بين عام 1332 و1338 / 1913 و1919 لغرض لم يفصح عنه. ولما رجع إلى الرباط انخرط في سلك الوظيف وعين كاتباً بالمحكمة العليا. وبقي يعمل خمس سنين كانت أخصب سني حياته الأدبية، نظم خلالها قصائد طنّانة في انتصار الأتراك على اليونان، ومدح الشيخ شعيب الدكالي وختماته للبخاري، ونظم مولديتين مدح فيهما السلطان المولى يوسف، بالإضافة إلى مساجلات شعرية مع كبار الأدباء أمثال أحمد ابن المواز وأحمد بن المامون البلغيثي، ومحمد بوجندار الذي كانت تربطه به صداقة حميمة. وقد شارك الجزولي في الاحتجاج ضد تهجمات المستعمرين وتطاولاتهم على المغاربة، واضطر من أجل ذلك إلى التخلي عن الوظيف ليشتغل في الأعمال الحرة، فنجح وأخفق وكان عاقبة أمره يسراً. كانت له مواقف مشرّفة ضد الظهير البربري، ووقع على عريضة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال، وتعرض خلال أزمة سنة 1953 إلى مداهمات عسكرية وسجن عذب.

نشر الجزولي مقالاً مطولاً بعنوان *لا طرق في الإسلام* رد فيه على كتاب *غاية الانتصار ونهاية الانكسار* لمحمد الشرقي الرباطي الذي دافع عن التصوف والمتصوفة. ونشر ديوانه في كتاب *ذكريات من ربيع الحياة*.

توفي بمسقط رأسه بالرباط في تاسع رمضان عام 1393 / 6 أكتوبر 1973.

محمد الجزولي نفسه، *ذكريات من ربيع الحياة*، الرباط، 1971 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، مجلة كلية الآداب بالرباط، ع. 19، 1994 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة *أعلام المغرب*، 9 : 3449 ؛ حزب الاستقلال، *قائمة الشرف*، الرباط، 1988.

محمد حجي

الجزولي، الناجم (الثائر على الموحدين) من المعلوم أن جزولة هي إحدى القبائل الصنهاجية الكبرى التي كانت مواطنها تمتدّ من جنوب سهل سوس إلى الشرق من حوض نهر درعة عبر السفوح الجنوبية للأطلس الصغير الذي يسمّيه ابن سعيد جبل جزولة. هذه القبيلة ظلّت مرتبطة بالحكم المرابطي إلى سنواته الأخيرة (*رسائل موحدية*، عدد 2، 4)، وعندما قامت الثورات ضد الموحدين في جنوب المغرب الأقصى كانت جزولة إحدى القبائل المهمة التي دعّمتها، فكانت من مؤيدي القائد المرابطي الصحراوي وابن هود الماسي (الذي يسمّيه البيذق، فيما يبدو، عمر الخياط ص، 67)، وساهمت في الاضطرابات التي قامت ضدّ الخليفة عبد المومن الموحدي خلال غيابه بالمغرب الأوسط سنتي 547 ـ 548 هـ (البيذق 77، 84) ... لكنّ أهمّ ثورات الجنوب هي التي أخذت تظهر منذ عهد الخليفة الناصر مثل ثورة عبد الرحمان المكنّى بأبي قصبة (سنة 597)، فقد "دعا لنفسه واشتد خوف الموحدين منه، وهزم لهم بعوثا عدّة، إلى أن وجّهوا إليه قوات عسكرية مهمّة تعاونت معها بعض القبائل المجاورة، فانهزم وقتل، وحمل

رأسه إلى مراكش سنة 597 (*المعجب*). وفي سنة 600 ظهر الثائر الأندلسي المعروف بابن الفرس الذي ادعّى أنه القحطاني الذي يعيد العدل إلى الأرض، وكثر أتباعه من جزولة ولمطة إلى درعة ودعوه بالخليفة، ثم أمكن لجيوش الناصر التغلّب عليه قبل الحركة إلى إفريقية. وهذا الثائر - ابن الفرس - لم يذكره صاحب *المعجب* مما جعل البعض يعتبره هو أبا قصبة، إلا أن هذا اسمُه عبد الرحمان ومن جزولة، وابن االفرس اسمه عبد الرحيم ومن غرناطة وهو أحد فقهاء عصره، ونُقل عن ابن عبد الملك المراكشي صاحب *الذيل* أن رأس أبي قصبة المعلق بأحد أبواب مراكش هو الذي حفز ابن الفرس لينحو منحاه لطلب الحكم.

وخلال غياب الناصر في حملته إلى إفريقية (601 - 603) ظهرت ثورة جديدة بالجنوب على يد شخص ادعّى أنه عبيدي، ثم تحرك إلى الشمال إلى أن قُضي عليه.

وربما كانت أخطر ثورة ضدّ الموحدين بإقليم السوس هي التي قادها مَن تسمّيه المصادر بشائر جزولة أو الناجم بجزولة الذي استغل هزيمة العقاب وتمزق الجيش الموحدي بعدها ثم موت الناصر وتولي ابنه المستنصر وهو صغير السلطة تحت كفالة وزرائه، إذ نجد لهذه الثورة أصداء في كتاب *المعجب* وفي بعض *الرسائل الموحدية* لكن بدون تفاصيل. ولعلّ ما يبيّن خطورة هذه الثورة هو ما اظهره الموحدون من الأفراح بعد مقتله سنة 612، فعمّت "البشرى في أواسط البلاد وأطرافها" (*رسائل موحدية*، ع 99)، وهو ما لاحظه المراكشي الذي كان بالأندلس آنذاك (*المعجب*، 329). وكان لثورة الناجم الجزولي ذيول طويلة، استمرت بالجنوب الغربي في العهد الموحدي بما يسمى بثورة بني يدّر التي وجدت في جزولة وقبائل أخرى بالمنطقة دعما لها جعلها تستمر بشكل متقطع إلى أواخر عهد هذه الدولة.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*؛ ع. المراكشي، *المعجب* (315 - 317)؛ ابن سعيد، *المغرب في حلي المغرب*، ق 1 / 2، ص. 111، القاهرة 1964؛ *بسط الأرض في الطول والعرض أو كتاب الجغرافيا*، بيروت 1970 (ص. 58)؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ط - تطوان، ص. 215، 243؛ ابن الزبير، *صلة الصلة*، ق 3 / ص. 228، تح. الهراس؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 522 - 523؛ أ. عزاوي، *رسائل موحدية* القسم 1، عدد : 2، 4، 97، 98، 99، 100، 101 (كلية الآداب بالقنيطرة) القسم 2 د. د. ع، مرقونة) ص. 139 - 140 - 149 - 151.

أحمد عزاوي

الجزوليّة (طريقة صوفية) تكاد كل كتب الطبقات والسلسلات تتفق على اتصال الطريقة الجزولية بالشيخ أبي الحسن الشاذلي، فقد أخذ محمد بن سليمان الجزولي عن محمد أمغار (من رباط تيط) عن سعيد الهرتناني (من رباط هرتنانة) عن عبد الرحمان الرجراجي. عن أحمد عنوس البدوي. عن أحمد القرافي. عن محمد المغربي. عن أبي الحسن الشاذلي (*دوحة الناشر*، 3 - 4؛ *سلسلة الأنوار*، 31 - 32؛ *المواهب القدسية*، 408 - 409) ونظم العلماء هذا السند تسهيلاً لحفظه. (*التشوف الصغير*، ص. 75ب).

وقد بنى الشاذلي طريقته على المواظبة على الذكر والصلاة على النبي، ولم يشترط اتخاذ الشيخ إذ بوسع السالك أن يصل حتى إلى القطبانية بدون وساطة، كما أنه لم يشترط اتخاذ رباط أو زاوية. لكن عرفت الشاذلية تغييراً على أيدي تلامذة أبي الحسن الشاذلي، ولخص ابن الخطيب مبادئ الشاذلية في عبارة (لا إله إلا الله) وجعل سلوك السالكين تسعة أصناف يَبدأ من إفراد كلمة الإخلاص باللسان وتنتهي بمرتبة الفناء أي التوحيد وإسقاط التدبير مع الحق (*روضة التعريف*، 2 : 629). وأحصى جورج دراگ تسع عشرة طريقة متفرعة عن الشاذلية في المغرب العربي (*Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*) أشهرها الطريقة الجزولية والطريقة الزروقية اللتان خصص لهما محمد المهدي الفاسي مؤلفه *تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقية*، تحدث فيه عن مبادئهما وطبقاتهما وأتباع كل طبقة.

تقوم الطريقة الجزولية على المبادئ التالية :

- الدعوة إلى التوحيد ومعرفة الذات الإلهية : اهتم الجزولي بهذا الموضوع اهتماماً كبيراً فخصص له *رسالة التوحيد*، وعقد فصلاً من عقيدته تحت عنوان : في معرفة الله. وكان محور إحدى مراسلاته : أين الله ؟ وفي هذه الموضوعات يورد الآيات الدالة على التوحيد والتنزيه : ليس كمثله شئ، قل هو الله أحد، الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم.

والتوحيد في نظره يتكون من أربعة أقسام من الصفات هي : الصفات الذاتية، والصفات المعنوية، والصفات السلبية، والصفات الفعلية. وينتهي إلى أن الصفات والذات شيء واحد - كما هو مذهب أهل السنة - : فالله عالم قادر بذاته، متجنبا الوقوع في الجسمية (الصفات الزائدة على الذات) أو في التعدد (الصفات المستقلة عن الذات).

وقد بنى جزءاً من حزبه الكبير على فكرته هذه في التوحيد (*رسالة التوحيد*، 43 - 44 ؛ *وعقيدته*، 33 - 34).

يختم الجزولي حديثه عن معرفة الخالق بقوله : المعرفة أنوار تلمع في القلوب لأنها ممهدة للإيمان، فمن عرف الله آمن به، والإيمان محله القلب، (*رسالة التوحيد*، 43 - 44 ؛ *وعقيدته*، 33 - 34). ويجيب على سؤال العامة (أين الله ؟) بقوله تعالى : وهو معكم أينما كنتم. قريب من غير اتصال، وبعيد من غير انفصال وتطرح هذه الأسئلة البسيطة التي يوجهها العامة والمريدون المبتدئون إلى الشيخ بعض المشكلات الكلامية : فالقرب والبعد يتصلان بالمسافة، والمسافة في حقه تعالى محال، والقول بوجوده داخل الأشياء أو خارجها اعتراف بوجوده في جهة معلومة، لهذا يلجأ الجزولي إلى التأويل، فلا هو داخل الأشياء ولا هو

خارجها لقوله تعالى *(ليس كمثله شَيْء)* والقول بوجوده في السماء يُؤوَّل بعلوه وجلاله وانفراده بصفة الكمال التي لا تدرك بالعقل والقياس. والقول بوجوده في الأرض يؤول بتعظيمه وذكره وهيبته ومحبته والاستئناس به في قلوب العارفين الذين لايفترون على ذكره. جلَّ الملك الحق عن الحلول في القلوب والاستقرار والتمكين في المكان (*عقيدة الجزولي*، 33 ؛ *أجوبة في الدنيا والدين*، 15) وفي هذا التأويل إقرار بوحدة الخالق وتنزيهه وتعظيمه، وقد دعا شيخ الجزولية إلى جعل هذا التعظيم هدفا مقصوداً بالعبادة قبل أي شيء آخر (لاتشتغلوا بالنفوس ولا بالقلوب، واشتغلوا بتعظيم علام الغيوب ... فمن اشتغل بمخالفة نفسه أوتصفية قلبه فليس بعابد لله تعالى (*ممتع الأسماع*، 23. 24 ؛ *بادرة الاستعجال*، 51 ؛ *إظهار الكمال*، 157) والعناية بالله تسبق ما عداها (ليس العناية مَن تَعنَّى بالأموال والأولاد. إنما العناية مَنْ تَعنَّى برب الأرباب، وليس العزيز مَن تعزَّز بالقبيلة وبالأموال والأولاد وإنما العزيز من تعزز بالله وصفته) (*ممتع الأسماع*، 5 ؛ *بادرة الاستعجال*، 50 ؛ *إظهار الكمال*، 236).

ولعل المقصود هنا مناهضة ما كان يعرفه عصر الجزولي من تحزّبات قبلية ومنافرات لاسبيل إلى إزالتها إلا بجمع كلمة القبائل على صعيد واحد : عبادة الله والإخلاص له ليتم التدرج بعد ذلك في مدارج السلوك والطريق.

ـ المعرفة الصوفية : لم يخرج شيخ الجزوليّة عن مقولات الصوفية في المعرفة، فهي حدسية بالمقارنة مع المعرفة الفقهية البرهانية، تتميز بقوة اليقين، وكشف الحجاب، ومحو الشكوك والأوهام، الشيء الذي يؤدي إلى الاقتراب من الله، وقد ميز بين علم الأرض ـ وهو علم الفقهاء أو ماسماه بعلم الظاهر وهو المأخوذ من الانبياء وأصله الوحي، وبين علم السماء أو علم الباطن وهو المأخوذ من الله تعالى بواسطة الإلهام وسواطع الأنوار (*أجوبة في الدنيا والدين*، 15) مبينا أن علمه من النوع الأخير (الباطن) : لا تقولوا رحمكم الله إني آخذ العلم من الأرض أو من السماء، بل آخذه من غير أرض ولاسماء. (*ممتع الأسماع*، 6 ؛ *بادرة الاستعجال*، 50)، بمعنى أنه يستمده مباشرة من الخالق. وفي إحدى مناجاته إشارة إلى ذلك : وألهمتك الاستماع مني (*ممتع الاسماع*، 26 ؛ *إظهار الكمال*، 260).

ـ الإسلام والإيمان : أولى الجزولي في *رسالة العقيدة* هذا الموضوع أهمية كبيرة، وحلل فيها تفاصيل قواعد الإسلام والإيمان مما يدل على أنها كانت موجهة لعامة الناس والمبتدئين من المريدين. فهو يسمي غير المسلمين "بالمجانين أعداء الله" "*ومن يَبْتَغ غَيْرَ الاسلام ديناً فلن يُقبل منه*". ويوضح الجزولي معنى الإسلام بتفسير مبسط لأركانه الخمسة محللاً معاني وشروط الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج، ويأتي الإيمان بعد الإسلام ومكملاً له، إذ أن أركان الإسلام تهم الظاهر، فالعامل بها مسلم، إلا أن المسلم الحقيقي هو الذي : "يلبس حلة الإيمان على باطنه وقواعده المألوفة التي بين المومنين معروفة" (*العقيدة*، 25. 28).

وللإيمان دعائم وشروط وحقيقة ومراتب :

ـ دعائمه : النظر إلى الأشياء لقوله تعالى *(أفلا يَنْظُرون إلى الإبل كيف خُلقَت)*.

ـ شروطه : منها التقوى لقوله تعالى *(واتقُوا اللهَ الذي أنتُم به مُومنون)*. وعلمٌ دون جهل، وإخلاص دون شرك، ويقين دون شك واستواء الظاهر والباطن.

ـ حقيقته : المحبة، لقوله صلى الله عليه وسلم "لا يبلغ أحدكم حقيقةَ الإيمان حتى يُحِبَّ لأخيه المؤمن ما يُحِب لنفسه".

ـ مراتبه أربعة : لكل واحدة منها قواعد :

الإسلام (بقواعده المعروفة) السلامة ؛ والإيمان (بقواعده المذكورة) ؛ والإحسان، ومعناه أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك حيث لا تراه.

وأصوله أربعة : الصبر والشكر والرضى والتوكل (*العقيدة*، 35).

بعد الشروط التوضيحية لمفهوم الإسلام والإيمان وقواعدهما يلتقي الجزولي مع مضمون حديث جبريل الذي يجعل الدين قائماً على ثلاث مقامات، هي الإسلام والإيمان والاحسان.

أما شيخ التلقين فاعتبره شيخ الجزوليّة ضرورة لابد منها، بل لقد عانى بنفسه في سبيل الاهتداء إلى الشيخ المربي، وزار الشرق والمغرب قبل مصادفة شيخه ومربيه في "تبط"، لذلك ورد في كتاباته : من شرط التائب أن يقتدي بشيخ عالم بالظاهر والباطن (*ممتع الاسماع*، 23 ؛ *إظهار الكمال*، 256). ويعتبر السير إليه واجباً مهما كلف ذلك من متاعب ومشاق "فعليك بالمشي إليه ولو كان في بغداد. المشي إليهم ـ الأقطاب ـ نور ورحمة وسر في القلوب) (*ممتع الأسماع*، 6 ؛ *بادرة الاستعجال*، 49) وهذا السير في حد ذاته بداية فعلية في التربية وجزء منها، فلا يأتي فوقهم إلا النور المحمدي : (أقطاب هذه الأمة أنوارهم مع الصحابة رضي الله عنهم، ليس فوقهم إلا نور المصطفى صلى الله عليه وسلم". (*ممتع الأسماع*، 5 ؛ *بادرة الاستعجال*، 49) ويميز بين نوعين من الشيوخ :

ـ المقطوع : وهو الذي سلك طريق المجاهدة ولم يصل إلى طريق المشاهدة فرجع إلى الخلق يدعوهم إلى الله، فدعاؤه على الحقيقة إنما هو للمجاهدة فقط لأنه لم يصل إلى المشاهدة، ومن تعلق به انقطع.

ـ الواصل : هو الذي وصل إلى مقام المشاهدة وغاب في أنوار الكمال ولم يشغله شيء عن الملك الحق، وهو الذي إن رجع إلى الخلق رجع بأنوار وعلوم وأحكام، من تبعه تعلم وتنور، وفهم مالم يفهمه غيره من أتباع المقطوعين (*ممتع الأسماع*، 24 ؛ *إظهار الكمال*، 258) فالمجاهدة مقام

المبتدئين، أما المشاهدة فمقام المنتهين الواصلين (*أجوبة في الدنيا والدين*، 15) ويصل الشيخ إلى هذه المرتبة بعد التدرج في مقامات الطريق : الإخلاص والتمكن والمشاهدة والفناء والأنس (*ممتع الأسماع*، 26 ؛ *إظهار الكمال*، 260) ويبلغ الذروة عندما يصل إلى ما وصل إليه الجزولي عندما قال في بعض مناجاته الإلهامية : اكتبوا ما سمعتم مني فإني واسطة بينكم وبين الحق. الحق يُلهم، والعبد يَفهم، ومن ألهم إلى الصواب وجب عليه النطق، لأن فيه منفعة الغير. (*ممتع الأسماع*، 25 ؛ *إظهار الكمال*، 258) أي عندما يبلغ درجة المشاهدة وتكشف دونه الحجب آنذاك يعتبر نفسه قطب الأقطاب (من لم يُفتح له على يديك لا يُفتح عليه أبداً) (*ممتع الأسماع*، 27 ؛ *إظهار الكمال*، 261).

ولابد للمريد الراغب في سلوك الطريق ـ عند الجزوليّة ـ من البدء بالتوبة، فعلى التائب أن ينتهي عما كان يفعله من شر، ويقوم بأعمال الخير ما استطاع، ويجتهد في ذلك ويهجر الفجار، ويحب الاخيار، ويتبع سنة محمد عليه السلام، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداءه، ويداوم على ذكر الله والصلاة على نبيه، ولايترك الصلاة في وقتها، ولايفسد العمل بالرياء، ولايعجب بنفسه في أعماله وأقواله وأفعاله، ويكون كلامه حكمة، وصمته تفكراً، ونظره اعتباراً، ويتعلم العلم الذي يقربه إلى الله سبحانه (*ممتع الأسماع*، 23 ؛ *بادرة الاستعجال*، 50).

يعتبر الجزوليون التوبة حدثاً مهماً، وخطوة أساسية في سبيل الاهتداء إلى طريق الله، والالتزام بالجادة، لذلك دأب الشيخ وأتباعه من بعده على قص بعض شعر التائب إعلانا لتوبته، وقد انتقد الفقيه الخروبي عند مجيئه إلى المغرب ذلك، ورد عليه أبو عمرو المراكشي وابن أبي محلى. وعلامات التوبة تسع : الحسرة والندامة والإنابة والخشوع والتواضع والابتهال والمداومة على الذكر والرضا بالقضاء وحسن الظن بالمولى.

وهناك سبعة أشياء تفسد التوبة وتحول دون ارتقاء التائب وتحقيق هدفه، وهي الحقد والحسد والعجب والرياء والكبر وحب المَحْمَدَة ولذة الرياسة.

قال الجزولي : واعلم أن من كان في قلبه ثلاثة أمور وهو يدعو إلى الله بالتوبة فهو زنديق. الافتخار بالعلم وسوء الخلق وسوء الظن بالخلق (*ممتع الأسماع*، 24 ؛ *بادرة الاستعجال*، 51).

ويحدد الجزولي العلوم التي يجب على المريد أن يتعلمها وهي قبل كلّ شيء تلك التي تُعرِّفه بخالقه ودينه، وبعد ذلك مايتصل بالتصوف وآدابه، لهذا تناول قواعد الدين بالدراسة والتحليل في عقيدته قبل غيرها من الموضوعات الصوفية.

وهو يرى أن العلوم الناجعة العلمُ بالله وصفاته، ثم العلم بأحكام الله وبأمره، ثم العلم بآفات الأرواح والأسرار والنظر، ثم العلم بآداب المجالسة والمراقبة والمشاهدة والمحادثة والمكالمة والاستماع (*ممتع الأسماع*، 23 ؛ *إظهار الكمال*، 257). فيكون البدء بمعرفة الشريعة أو علم الظاهر، وهو العلم بما هو حلال وحرام، ثم معرفة الحقيقة والطريقة أو علم الباطن وهو علم السلوك إلى الله ومعرفة أسراره ومواهبه في مخلوقاته.

ولابد أن تعترض المريد عراقيل وعقبات لايتغلب عليها إلا باتباع إرشادات الشيخ وتعليماته، أخطرها الشك، والوسواس الذي يأتيه من مجالسة أهل السوء. وقد وضع الجزولي آداباً تُمكّن المريد من تجاوز هذه الصعوبات والاستفادة من علوم شيخه المربي.

آداب المريد : تحدد الطريقة الجزوليّة هذه الآداب في علاقة المريد بشيخه وبغيره من المريدين، وبعامة الناس وصدقه في سلوك الطريق والسبل المؤدية إلى التدرج فيها :

أ ـ آدابه مع شيخه : يجمع الصوفية على ضرورة احترام الشيخ والامتثال لأوامره وخدمته، ولا نكاد نجد قطباً من الأقطاب لم يتفان في خدمة شيخه في انتظار أن يأذن له بالانصراف لفتح زاويته في مكان معين. ويعتبر الجزولي تأدب المريد مع شيخه كتأدبه مع ربه، لأن حرمته كحرمة النبي. قال : من تأدب مع شيخه تأدب مع ربه، وحرمة الشيخ على المريدين كحرمة النبي مع الأصحاب. وقد كان الجزولي أكثر دقة بوضع قانون محدد لهذه العلاقة في مختلف أحوال المريد، بنوده عشرون :

خمسة منها في حال الجلوس وهي : السكينة والوقار والهيبة والحياء والخوف ؛ وخمسة في حالة الغيبة، وهي : المراقبة نحوه والافتقار إليه والتواضع والاستمساك بعنايته والمداومة على ذكر فضائله في قلبه بالتعظيم ؛ وخمسة في حال ذكره، هي : النظر إليه والرجاء فيه والاستنصار ببركته والنظر فيما بينك وبينه من العقيدة ؛ والخمسة التي في حال المحبة، هي : مداومة الحب ومداومة الشوق والحمى نحوه والهيج، والانذهال من الاشتياق إليه (*ممتع الأسماع*، 27 ؛ *إظهار الكمال*، 261).

وهذه الآداب تسهم في تربية المريد وتمكنه من تذوق المعاني الواردة في المنازل ؛ كالإخلاص والاستقامة والصدق والصبر والحب ...

ب ـ المجالسة والمخاطبة : يحث الجزولي مريديه على اختيار الجليس، فما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح، ولاهلك من هلك إلا بمجالسة من هلك، لذلك فإن في مجالسة الأخيار نجاة وفوزاً، وللجليس تأثير مباشر على التدرج في مقامات التصوف (فمن جلس مع الفجار قسا قلبه، ومن جالس الأبرار استنار قلبه) وينصحهم بتفادي العموم وعدم مخالطتهم في فترة التلقين، لأن هذه المخالطة تذهب بنور القلب وهيبة الوجه، وعلى العكس من ذلك يدعوهم إلى الاجتهاد في مخالطة الخصوص، ففي مخالطتهم فوز بثلاث خصال : اكتساب العلم وصفاء القلب وسلامة الصدر (*ممتع الأسماع*، 27 ؛ *إظهار الكمال*، 261).

وللمجلس في حد ذاته آداب يجب التقيد بها وخاصة عند انتهائه، بأن يتلو القائم هذا الدعاء (سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك) (*متع الأسماع*، 28 ؛ *إظهار الكمال*، 262) فيتم ذكر الله وحمده عند الشروع في المجلس وعند الانتهاء منه.

ج ـ الصدق : ولا يمكن لطموح المريد أن يتحقق ولجهوده أن تثمر بدون التزام الصدق في الحال والمآل، والإخلاص في كل عمل وحركة، ويأتيان في المقام الثاني بعد التوبة والاستقامة، وهما المفضيان إلى المراقبة والمشاهدة لدى الصوفية. وعلاوة على ذلك يعتبر الجزولي الصدق نوراً، في لزومه فلاح وفوز، وفي تركه غفلة وخسران، ويقول : عليك بالصدق والرعاية، والصدق مع الله نور، والمعرفة برهان، والالتفات إلى غيره بهتان، وضياع حقوقه حرمان، والغفلة عن ذكره خسران (*متع الأسماع*، 28 ؛ *إظهار الكمال*، 263).

د ـ المداومة على ذكر الله والصلاة على رسوله : فبهما تطمئن القلوب وتعرف الطريق إلى الله.

والذكر من أنجع وسائل التطهير وتصفية الفؤاد، به تطمئن القلوب، وترتفع الحجب، ويترقى المريد في مقامات التصوف، وقد عبر الجزولي عن هذه المعاني بقوله : القلوب أجنة والأذكار أشجار ومعرفة معاني الأسماء ماء، ومشاهدة الجلال والجمال والكمال ثمار ... (*متع الأسماع*، 28 ؛ *إظهار الكمال*، 261) فثمار الذكر إذن هي بلوغ درجة المعرفة أو المشاهدة، وهي أعلى المقامات. وآداب الذكر ثلاثة : معرفة المذكور : وهو الخالق تعالى، وتكون بالتدبر عند القراءة.والذكر بالقلب لا باللسان، والهيجان في الذكر قد يبلغ حد الجذب. والتفكر في الغيب.

ومن صيغ الذكر المعتمدة في الطريقة الجزوليّة : الهَيْلَلَةُ والحَوقلة والاستغفار والصلوات على النبي بصيغها وأنواعها، وهي التي جمعها الشيخ في أحزابه وكتابه *دلائل الخيرات*. وللهيللة مكانة كبيرة بين صيغ الأذكار عند الجزوليّة وسائر الصوفية لذا تحدثوا عن مزاياها وثمراتها ولعل مرد ذلك إلى الحديث الذي روى فيه علي بن أبي طالب تلقين الرسول له ذكر (لا إله إلا الله).

ويتدرج المريد في ذكره من ذكر اللسان مع انشغال القلب وهو البداية، إلى ذكر الجوارح الذي يؤدي إلى الفناء في الصفة أو الاسم، وتسليم الأمر لله إثبات الصفة القديمة لله إلى ذكر القلب الذي يؤدي إلى الفناء والاستغراق في الذات الإلهية، وقلّ من يعرفه، ويصير فيه الصوفي قادراً على المشاهدة ويتم هذا بتدرج المريد : من ذكر مع وجود غفلة الي ذكر مع وجود يقظة وإلى ذكر مع وجود حضور وإلي ذكر مع غيبة عما سوى المذكور فيصير الذاكر مذكوراً، والطالب مطلوباً، والواصل موصولاً، وهو المقام الذي يشير إليه الحديث الذي أوله : "مايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ...": وهي النتيجة التي وصل إليها عبد الرحمان بن محمد الفاسي في شرحه لأقوال الجزولي السابقة الذكر : فحينئذ يكون ذاكراً ربه من غير شعور بوجوده ولابكسبه، وإنما يجري ذلك عليه (*متع الأسماع*، 26 ؛ *إظهار الكمال*، 260). ويقوم على قراءة *البسملة ودلائل الخيرات والقرآن الكريم* ليلاً ونهاراً.

أمّا المقامات فهي مراحل يسلكها الصوفي للوصول إلى مرحلة الفناء في الذات الإلهية بموت الروح البشرية من حيث طبيعتها العارضة وانبعاثها في الروح الأصليّة، وتنتهي كلها بما يسمونه المعرفة الصوفية أو المشاهدة، حيث تُزال الحجب وتتجلى الأشياء، ولم يتناول شيخ الجزوليّة موضوع المقامات بتفصيل، لكنها وردت عرضاً في بعض مراسلاته نلخصها كالتالي :

ـ التوبة : فالمريد لابد له أن يبدأ بالتوبة عما بدر منه والكفّ عن الشر ويقدم على فعل الخير ويصاحب الأخيار ويداوم على الذكر.

ـ الزهد : لا تتم التوبة إلا بدفع الدنيا من القلب ولا تدفع الدنيا إلا بالزهد الحقيقي، ولا يقوم الزهد ويرسخ في القلب إلا بالصدق الوافي. والزهد الحقيقي يكون بعد وجود الدنيا، فإذا كان القلب عامراً بربه، واثقاً به، متوكلاً عليه لايلتفت إليها إلا إذا أراد بذلها لله مخلصاً، وكذا الملبس والمسكن. ذلك لأن القلب لايجد شفاءه ولا دواءه في الإسراف في الطعام وبسط الجوارح، وإنما في الجوع (*كتاب الزهد*، 44).

ـ المجاهدة : والزهد هو بداية المجاهدة ومحو الصفات المذمومة، وبالمجاهدة تتم مخالفة النفس والهوى، واكتسابها للصفات المحمودة، وتلونها بها صفة بعد صفة، وترك الراحة وهجران الشهوات، وموافقة السنة، وكثرة البكاء على مافات وهو مقام المبتدئين.

ـ المراقبة : هي حفظ الروح من ارتكاب الإثم، ويسمي الجزولي هذا المقام مقام الحياء والامتنان، وهو مقام المتوسطين، وعنده أن المجاهدة والمراقبة مقامان مكتسبان للعبد، فيعطيهما مرتبة المقام كما ورد عند الصوفية والمتصف بالثبوت والاستقرار لأن المريد يبلغه بجهده.

ـ المشاهدة : عبارة عن وجود الحق من غير ريبة ولا تهمة .. وهي لأرباب التمكين ويعتبرها الجزولي مقام المنتهين، وهي جذب ليس للعبد فيه اكتساب (*أجوبة في الدنيا والدين*، 15).

وهو ما يدعوه الصوفية "بالحال" أي هبة إلهية يهبها الله لعبيده تتخذ أشكالا بوسع السالك وحده إحصاؤها ووصفها. ويُجمل الجزولي مفهوم السعي الصوفي أو السفر من مبنى الكون إلى معناه ومن الظاهر إلى الباطن (الظاهر المجاهدة والباطن المشاهدة). وهو الانتقال من مقام المبتدئين إلى مقام المنتهين بعد معاناة وجهود، ويعطي لهذه المقامات الثلاثة دلالة أخرى، فيسميها :

ـ مقام التوحيد : (أو علم اليقين) وهو تجريد الذات

الإلهية عن كل مايتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان.

- مقام التفريد : (أي حق اليقين) وهو الاستدلال بالصانع على المصنوعات، وهو عبارة عن فناء العبد في الحق، والبقاء به علماً وشهوداً وحالاً، لاعلماً فقط (*أجوبة في الدنيا والدين*، 15).

وقد عبر الجزولي عن قطعه هذه المقامات، وبلوغه الهدف المنشود في كثير من مناجاته، كقوله : تهت ووصلت وصولا لم يصله أحدٌ قط، وقوله : غبت في أنوار كماله ومشاهدة جلاله وجماله. وقوله : كماله قد أفناني عما سواه. (*ممتع الأسماع*، 6.5 ؛ *بادرة الاستعجال*، 49-50).

ولعل من أهم ما تميزت به الطريقة الجزوليّة الدعوةُ إلى الجهاد ومواجهة الدخيل الأجنبي خاصة بعدما ظهر عجز السلطة المركزية أواخر العهد المريني وفي العهد الوطاسي عن أخذ زمام الحكم وإخماد الثورات والتمردات الجهوية، فدعا الشيخ الجزولي إلى الجهاد وكان يقول : دولتنا دولة المجتهدين المجاهدين في سبيل الله. (*ممتع الأسماع*، 6.5) وكان نشاطه مركزاً على شواطئ ماسة بفضل ما توفّر له من مريدين وأتباع هناك. واتسع عمل الجزوليين في ميدان الجهاد بعد وفاة الشيخ.

وقد قسم محمد المهدي الفاسي أتباع الشيخ الجزولي إلى طبقات تكوّن أهم فروع الطريقة الجزولية في كتابه *تحفة أهل الصديقية* وهم : طبقة أبي عبد الله محمد السهلي الملقب بالصغير، كان قرب وادي اللبن بفاس وتوفي سنة 918 / 1512 ؛ وطبقة عبد العزيز التباع الحرار - توفي بمراكش سنة : 914 هـ / 1508 م ؛ وطبقة أبي العباس أحمد الحارثي السفياني، توفي بمكناس في العشرة الأولى من القرن العاشر الهجري (16 م) ؛ طبقة أبي محمد الحسن بن عمر أجانا ؛ وطبقة أبي عبد الله محمد الأمين ؛ وطبقة سلامة بن أبي سلامة ؛ وطبقة أبي عثمان سعيد بن محمد الدكالي ؛ وطبقة سعيد الراعي. وعن هؤلاء وتلامذتهم تفرعت طرق أخرى هي الغزوانية والبوعمرية والفلاحية وغيرها.

مؤلفات الجزولي الواردة في ترجمته بهذا الجزء من المعلمة : ل. ابن الخطيب، *روضة التعريف*، تح. محمد الكتاني الدار البيضاء 1970 ؛ م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، تح. محمد حجي، الرباط ؛ أ. ابن عطية، *سلسلة الأنوار*، مخطوط خ. ع. 2458 ك ؛ م. الصومعي، *التشوف الصغير*، مخطوط خ. ع. 1103 د ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط خ. ع. 79 ج ؛ *ممتع الأسماع*، ط. حجرية ؛ محمد بن العباس الجزولي، *المواهب القدسية*، مخطوط خ. ع. 97 ج ؛ محمد الغالي بن المكي، *بادرة الاستعجال في مناقب السبعة رجال*، مخطوط خ. ع بالرباط ؛ ع. ابن إبراهيم، *إظهار الكمال*، مخطوط خ ح 232 ؛ ح. جلاب، *محمد بن سليمان الجزولي*، ط مراكش 1993.

G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*, Paris, 1951.

حسن جلاب

جزيرة المليحة (معركة -)، في سنة 1489 حاول الملك البرتغالي جواو الثاني، الذي شغلته الكشوف الجغرافية والبحث عن طريق بحري للوصول إلى الهند عن التوسع بالمغرب، تحصين موقع هذه الجزيرة وترك حامية به. ويمكن إرجاع ذلك التحول في السياسة البرتغالية إلى الأوضاع التي كانت الثغور الشمالية الأربعة (سبتة والقصر وطنجة وأصيلا) تعاني منها بسبب حالة الحصار المفروضة عليها، وبسبب فشل المحاولات الرامية إلى خلق مناطق آمنة حولها تزودها بالأقوات وتدفع الضرائب وتقبل على أسواقها، وبذلك مثلت تلك الثغور عبئاً مالياً أرهق ميزانية الدولة، إذ كانت حسب تقديرات البعض تبتلع لوحدها عشر مداخيل الدولة البرتغالية (سنة 1477). كما اعتقد المسؤولون أن التحكم في ذلك الموقع المحمي طبيعيا يقلل من خطورة العمليات الجهادية التي كانت تنطلق من مدينة القصر الكبير، ويمنع الإمدادات الوطاسية من المس بالمكتسبات البرتغالية بمنطقة الهبط. وإذا كانت تلك العوامل المالية والاستراتيجية قد تحكمت في اختيار الموقع، فإن عاملا آخر تحكم في التوقيت. لقد توصل الملك البرتغالي من البابوية ابتداء من إعلان قرارها بتاريخ 18 فبراير 1486 بمساعدة مالية وجبائية سخية مقابل تعهده بإعلان الحرب الصليبية بالمغرب والهجوم عليه خلال الثلاث سنوات اللاحقة. وقد انتهت المدة في فبراير 1489، الأمر الذي حتم على العاهل البرتغالي تنفيذ التزامه ليتسنى له تقديم طلب مساعدة جديدة. وبالفعل أصدر البابا قرارا جديدا في 19 فبراير 1491 بعد أن اقتنع بما ذكره الملك البرتغالي الذي حول هزيمته إلى انتصار، إذ ادعى أن الوطاسي ألح في طلب إمضاء الهدنة وإعلان الصلح، وقدم مقابل ذلك تنازلات ترابية كثيرة.

ويبقى الحسن الوزان المؤلف المغربي الوحيد الذي أورد معلومات تفيد إلى حد ما في معرفة الظروف التي فشلت فيها المحاولة البرتغالية، بينما يطغى الغموض على ما أورده الكراسي عن الواقعة. ومن حسن الحظ أن الرسالة التي بعثها العاهل البرتغالي يوم 21 شتنبر 1489 إلى البابا لتبرير فشله في محاولته تلك تعطي معلومات وتفاصيل عن الموقع وما شيد البرتغاليون به، وكذا عن ردود الفعل التي واجهتهم وظروف انسحابهم منه. كما أن تلك الرسالة لا تترك أدنى شك بشأن توقيت المحاولة التي تمت في شهر يونيو وليس فبراير كما يدعي البعض.

وتجمع المصادر على كون الحصار الذي ضربه محمد الشيخ الوطاسي على البرتغاليين حال دون إتمام تحصين الموقع الذي كان لا يزال بسيطا ومن الخشب. كما حال

إغلاق النهر برمي الحجارة وجذوع الأشجار فيه دون توصل البرتغاليين بما كانوا في حاجة إليه من إمدادات. ومن جهة أخرى، تفشت الحمى بين رجال الحامية البرتغالية بسبب المستنقعات. وبذلك اضطر البرتغاليون إلى التفاوض للتمكن من الانسحاب. ويبدو أنهم دفعوا الثمن غاليا فقد ذكر الوزان أنهم لم ينسحبوا إلا بعد دفع "غرامة حربية ضخمة".

وتشير رسالة جواو السابقة الذكر، إلى أن محلة الوطاسي كانت تضم أربعة آلاف فارس، فضلا عن عدد لا يحصى من المشاة. وأضافت أن السلطان قسم جيشه إلى قسمين، خيم كل واحد منهما على ضفة من ضفتي النهر، وأنه أمر بسد النهر وبتحصين "كل ضفة بحائط متين من الحجارة والخشب، حيث وضعوا على كل جانب آلات موجهة نحو النهر، ومنعوا السفن من الدخول إليه، وحالوا بذلك دون وصول الزاد إلى جنودنا". واعتمدت الحامية المكونة حسب نفس الرسالة من 1500 شخص على المدفعية وعلى التحصينات والخنادق التي حفرت حول الموقع، إلى حد أنه خلال الأربعين يوما التي دامها الحصار، "لم يجرؤ لا ملك فاس، ولا رؤساء جنده على الاقتراب منه أو مهاجمته من أية جهة، ولكنهم بتمديدهم للحصار كانوا يعتقدون أنهم سيرغمون رجالنا على الاستسلام تحت وطأة المرض". وأكدت الرسالة الملكية على الوباء الذي تفشى بين البرتغاليين، والذي "سبب لجلهم الحمى، الأمر الذي كنا نخشاه أكثر بكثير من أي شيء آخر" وأرجع الملك البرتغالي قرار تخريب الحصن والجلاء عنه إلى ذلك الوباء. كما أرجعت الرسالة الملكية ميل الوطاسي إلى السلم وطلب التفاوض إلى علمه باستعداد الملك البرتغالي لعبور البحر في شتنبر.

ولم يحقق محمد الشيخ الذي كان يواجه ثورة الشاوية، والذي كان جيشه يفتقر للمدفعية، أي مكسب عسكري أو سياسي من ذلك الانتصار، بل على العكس من ذلك، بادر إلى تجديد العمل بالهدنة التي كان قد أمضاها لمدة عشرين سنة بعد سقوط أصيلا، مضيفا إليها مدة عشر سنوات أخرى (*معاهدة تشميش*، 27 غشت 1489).

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط، ط. 2، ص. 309 - 310 ؛ م. الكراسي، *عروسة المسائل*، الرباط، 1963، ص. 15 - 17 ؛ أ. بوشرب، *وثيقة برتغالية جديدة تتعلق بواقعة المليحة*، *مجلة كلية الآداب، فاس*، ع. 2 - 3، 1979 - 1980، ص. 376 - 387.

C. M. Witte, *Une lettre inédite du Roi Jean II au Pape Innocent VIII sur l'affaire de Graciosa*, *Studia*, Lisboa, 1958, p. 91 - 100 ; D. Lopes, *Os Portugues em Marrocos*, in *História de Portugal*, Dir. D. Peres, Barcelos, 1931, Vol. III.

أحمد بوشرب

** أما موقع جزيرة المليحة والحصن البرتغالي بها Forte Graciosa فإن تحرياتنا أرشدتنا إلى تعيين موقع أخر غير الذي عينه الباحث البرتغالي بيير دي سنفال (Pierre de Cenival)، وسار على نهجه الباحث الإسباني تماس غرثيا فيكيراس (Tomas Garcia Figueras). ومعلوم أن الباحثين المذكورين عينا لحصن گراسيوسا موقعا متوسطا بالمرحلة الفاصلة بين العرائش والقصر الكبير، في الوقت الذي نرى البحث عن الحصن في نقطة غير بعيدة عن مصب واد اللكوس حيث يرسم مجراه ثنيات ثلاثا بارزة على شكل أشباه الجزر.

لقد سرنا في تحقيق الموقع باتباع طرق ثلاث : اعتبار المسافات الفاصلة بين المصب والحصن ؛ تتبع عمليات تزويد الحصن بمواد البناء والعتاد الحربي عن طريق مصب اللكوس ؛ تتبع الوصف المرافق للحصار المغربي لتحديد موقع مرابطة الجيش الوطاسي. وفق ذلك كان علينا ترجيح الموقع الذي حدده الإخباري البرتغالي برناردو رودريگيس (Bernardo Rodrigues)، صاحب *حوليات أصيلا* (*Anais de Arzila*) القريب من سنة الحدث، سيما وأنه وقف عند آثار گراسيوسا خلال إحدى زياراته لمدينة العرائش حوالي سنة 1538 ذاكراً أن قرية جديدة قد تكونت بالمكان تدعى "فونشال" (Funchal).

وأمام كل تلك التحريات لن يسعنا سوى الإشارة إلى موقع حصن الجزيرة في نقطة واقعة من قوس الثنية النهرية الثانية لواد اللكوس مما يقابل مدينة تشمس الأثرية شرقا وقرية الهوتة الواقعة على الضفة اليسرى من نفس الثنية النهرية الثانية غربا، وسوق الخميس الذي كان موضعه آنذاك على الضفة اليمنى من مصب الواد مقابل قرية الركادة.

وبهذه النتيجة نصحح الموقع الي أشار إليه بيير دي سنفال، إذ أنه خص للحصن موقعا قريبا من القصر الكبير عند نقطة ما قبل التقاء واد المخازن بواد اللكوس، وهذا الموقع لا يبعد عن القصر الكبير إلا بنحو أربعة فراسخ (.....). كما أن الآثار المكتشفة المعلن عنها من طرف "تماس گرسيا فگيراس" موضحا بأنها خرائب حصن گرسيوسا البرتغالي هي حتما من الآثار التي لا تمت للجزيرة بصلة.

اتفقت المصادر على أن سنة الغزو البرتغالي لحصن جزيرة اللكوس هي 895 هـ / 1489 م، بدءاً من شهر شعبان / يونيه إلى أن تم الجلاء عنه قبل يوم 25 شوال / 21 شتمبر السنة. ونعلم عن الحصار المغربي أن محمد الشيخ الوطاسي حضر بقوات مكونة من فرسان الشاوية والخلوط بلغ عددها نحو أربعة آلاف ومن عدد من المشاة لم تذكر المصادر تقديراتهم. وكان برفقة السلطان ابنه الأكبر يحيى، وعلي بن راشد من قواد الهبط، ولا يمكن استثناء حضور طلحة العروسي قائد القصر الكبير آنذاك.

تمكن الجيش الوطاسي من إحباط المغامرة البرتغالية بجزيرة اللكوس، بعد أن ضرب الحصار على ممر الإمدادات

البرتغالية بالمصب من موقع سوق الخميس بعد أربعين يوما من الحصار، مما أدى في النهاية إلى استسلام قوات جواو الثاني وتوقيع هدنة الجلاء يوم 25 شوال 895 / 21 شتمبر 1489.

أ. ابن القاضي، *لقط الفرائد*، 271 - 272 ؛ م. الكراسي، *عروسة المسائل*، 15 - 17 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، 1 : 239 ؛ مارمول، *إفريقيا*، 2 : 195 - 196 ؛ م. العربي الفاسي، *المرآة*، 145 - 146 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، مرقون د. الدولة، الرباط، 1991.

Garcia de Resende, *C. De D. Joao 2 e Mescelanea*, p. 100 - 101 - 103 - 120 - 124 - 127 ; Rui de Pina, *C. De D. Joao 2*, chap. 28, p. 78, Chap. 31, p. 81 - 96 - 97 - 100 - 101 ; *Colleccao de libros ineditos para a Historia de Portugal*, p. 96 - 101 ; Bernardo Rodrigues, *Anais de Arzila*, 2 : 91 - 93 - 94 - 96 - 101 - 105 - 155 - 156 - 204 ; P. Cenival, *S.I.H.M., Portugal*, T.I, p. 15 ; T. G. Figueras, *Expedicion de los portugueses al rio de Larache, y fundacion de la fortaleza Graciosa*.

حسن الفكيكي

الجزيري، أو الگزيري أسرة تطوانية هاجرت من الجزائر، وهي على غير قياس، وتطلق على كل مهاجر من الجزائر إلى تطوان بعد الاحتلال الفرنسي عام 1246 هـ. وقديماً كان الجزيري يُطلق على أهل الجزيرة الخضراء بالأندلس بعد سقوطها وهجرتهم منها. وفي عام 1130 هـ ورد ذكر الحاج محمد الجزيري الأندلسي. وقد انقرضت هذه العائلة الآن، أعني الأندلسية.

وممن اشتهر بهذه النسبة من مهاجرة الجزائر الفقيه العلامة الأديب النابغ السيد عيسى الجزيري التطواني وابنه السيد أحمد الجزيري من سكان الربض الأسفل، ورد ذكره عام 1191 هـ.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ج مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، حرف ج نسخة المؤلف بخطه بخزانته.

محمد بوخبزة

الجزيري، العربي، رايس بحري من أصل جزائري، انخرط في صفوف العاملين بالأسطول المغربي على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكان أحد خمسة رياس معتمدين بمرسى طنجة، مرتبا ضمن طائفة أهل المشرق من رجال البحر. وكان في سنة 1187 / 1773 يقود غليوطة مجهزة بأربعة مدافع، وستة وعشرين مجذافا، ويسير طاقما مكونا من خمسين بحاراً، وهي السنة التي تلقى خلالها من پاطونييه (Pathonier) نائب القنصل الفرسي شينيي (Chenier) جواز مرور لاتقاء الملاحقة الفرنسية.

Chenier, *Journal du Consulat Général de France à Maroc*, p. 142.

حسن أميلي

الجزيري، علي بن محمد بن رزين أو محمد بن عبد الله، عالم ثائر أندلسي من أهل الجزيرة الخضراء. أخذ بقسط وافر من العلوم، وكان يعنى بشكل خاص "بحفظ المتشابهات وما يؤول منه إلى الروايات" حسب ابن عذاري.

تُقدم المصادر روايتين مختلفتين عن شخصية الثائر الجزيري، فرواية ابن عذاري التي ينقلها عن مؤرخ رسمي للدولة الموحدية هو ابن صاحب الصلاة، تقدم الجزيري في صورة غامضة. أما رواية ابن سعيد المغربي فتبدو أكثر هدوءاً في التعرض لشخصية هذا الثائر جاعلة منه أحد الناقمين على الموحدين بسبب ما آلت إليه الأوضاع في دولتهم من ظهور الترف ومظاهر الأبهة والانحراف عن تعاليم المهدي ابن تومرت التي كان الجزيري أحد الغيورين عليها ! ومن ثم تعطي هذه الرواية عنه صورة عالم ذي نزعة إصلاحية وطموح إلى أحياء تعاليم المهدي. وتورد بعض الأبيات التي يعلن فيها الجزيري جانبا من طموحه، حيث يقول :

في أم رأسي سرٌّ ... يبدو لكم بعد حين
لأطلبن مرادي ... إن كان سعدي معيني
أولاً فأكتبَ ممن ... سعى لإظهار ديني

حاول الجزيري أن يقوم بمغامرة شجاعة حيث إنه لم يعلن ثورته على الموحدين من مناطق الأطراف كما يفعل الثوار عادة، ولكنه فضل مواجهة السلطة الموحدية في عاصمتها، حيث انتقل إلى مراكش، مستغلاً وجود الخليفة المنصور باشبيلية، وفيها بدأ دعايته. وقد أصدر الخليفة أمرا بطرده من مراكش، فبدأ يتجول في المدن والمناطق المغربية ويبث دعوته سراً لاسيما بين العامة حيث كان يخاطبهم ببراعة وتأثير حتى عظم أمره وتبعه خلق كثير، فأصبح بذلك يشكل خطراً حقيقياً على الدولة، ونشطت حركة البحث عنه وترصدته العيون في كل مكان، لكنه كان ينجح في الإفلات من المطاردة.

ثم ظهر بمراكش ثانية، فأمر والي المدينة السيد أبو حفص بمطاردته والبحث عنه أينما وجد، فغادرها وظهر بمدينة فاس، وأخذ يختلط "بعامتها وأوباشها"، فتبعه منهم أعداد، ورفع خبره إلى واليها ابن ومازير الذي ألقى القبض على عدد من أتباعه وقتلهم. في حين تمكن الجزيري من الفرار مرة أخرى، واختفى ولم يعد يوقف له على أثر.

ونظراً لتحرك هذا الثائر داخل المدن الكبرى في الدولة الموحدية وعلى أعين مسؤوليها، فإنه اتبع طريقة في الدعاية تنطوي على قدر من الحيلة، فأشاع بين الناس أنه ساحر عليم، وأنه يظهر في صور الحيوانات كالحمير والقطط والكلاب وغيرها.

ويظهر أنه بعد قتل مجموعة من أتباع الجزيري بفاس، استشعر الخطر، فتمكن من العبور إلى الأندلس. وكتب المنصور الذي كان موجوداً بها إلى سائر ولاتها وعمالها

بأوصاف وامارات الجزيري لإلقاء القبض عليه. واجتهد المسؤولون في البحث عنه، فشاع أنه أُلقي عليه القبض في مالقة، وقبض على كثير ممن التف حوله بمن فيهم أحد إخوانه، وأُحضروا إلى إشبيلية، لكن الجزيري تمكن من الفرار من جديد عن طريق إرشاء القاضي المكلف به. وفعلاً تم قتل كل أتباعه وكان عددهم تسعة وتسعين شخصاً، وقتل القاضي أيضاً على تفريطه، وتتبع الموحدون بالقتل كل من اشتبهوا بصلته بالثائر الجزيري.

لم تتوقف مطاردة الجزيري بعد ذلك حتى ألقي القبض عليه ببعض قرى مرسية، وأُخذ إلى إشبيلية وحُمل إلى مكان جلوس الموحدين وطيف به على الحاضرين، وهو ينكر مانسب إليه، وانتهى الأمر بتعذيبه وصلبه، وأرسل رأسه إلى مراكش سنة 586 / 1190.

ومما يؤكد أن حركة الجزيري كانت تحديا للدولة الموحدية وهي في أوج قوتها، فقد سارع الشعراء إلى نظم القصائد في امتداح المنصور وتهنئته بالقضاء على "فتنة الجزيري"، فمن ذلك لائية الشاعر أبي العباس الجراوي التي مطلعها :

جد الجزيري في إتلاف مهجته حتى تورط في وِرْد بلا صَدَرِ

لا تقدم لنا المصادر أسماء شخصيات معروفة سواء من العلماء أو زعماء القبائل أو غيرهم ممّن ساندوه، والعالم الوحيد الذي اتهم بمساندته هو أبو الحسين ابن الفخار المالقي، ثبتت براءته من ذلك إلى جانب من ألقي عليه القبض بمالقة.

يلاحظ إذن أن أتباع الجزيري وزعماء حركته كانوا من العامة، إلى حد أن المئات ممن قتل من أتباعه لا نجد ذكرا لأسمائهم في المصادر، مما يترك انطباعا بأن هذه الحركة كانت في الواقع حركة عوام مأخوذين بما كان الجزيري يشيعه عن نفسه من معرفة للغيب، ولانستبعد مع ذلك أن تكون المصادر الرسمية في العصر الموحدي قد ركزت من جهتها على وجهة النظر الرسمية دون سواها.

ابن سعيد المغربي، *المغرب في حلى المغرب*، القاهرة، 1978، 1 : 323 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب (قسم الموحدين)* الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، ج 4 - بيروت 1964 ؛ ع. ابن-خلدون، *العبر* (ج 6) بيروت، 1956 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* (ج 4) بيروت 1968 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين* (ج 2) القاهرة، 1964.

Ferhat Halima, *Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles : les siècles de la foi*, Casablanca, 1993.

محمد المغراوي

الجزيري، عيسى (مولاي -) التطواني، لعل أصله من الجزيرة الخضراء بالأندلس، ولكن سكيرج وصفه بالحسني، يعني أنه شريف النسب. الفقيه العلامة الأديب المتفنن البارع المقرئ الحكيم صَناع اليد، جميل الخط. ذكر سكيرج من أعماله الفنية أنه كتب المصحف الشريف كله في صفحة واحدة بخطه الرائق. كما كان يكتب بالخط الشرقي، كتب به سورة *طه* في إطار مزخرف غاية في الإبداع والجمال، وتقدّم إلى نساج بنسج لواء لمخدومه الباشا أحمد فعجز، فأخذ المنسج وباشر ذلك بنفسه، فتم اللواء على صورة الإطار المذكور.

كان عيسى الجزيري مختصا بالباشا أحمد بن علي الريفي. وهو الذي كتب له الكتابات والأشعار المنقوشة على جدران قصره (القصر الملكي الآن بالمشور السعيد بتطوان) كما أنه هو الذي كتب الكتابات الموجودة إلى الآن على المآثر التاريخية بتطوان ومازال معظمها موجوداً يشهد ببراعة المترجم له في الأدب والصناعة.

وبعد انتصار الحاج عُمر لُوقَش على خصمه الباشا أحمد طلب المترجَمَ له ليعاقبه ففر منه إلى مخدومه بطنجة. وظل معه إلى أن قُتل ومات لوقش بتاروداَنت، فعاد الجزيري إلى تطوان واتصل بالقائد الحاج محمد لُوقَش بن الحاج عمر المذكور وخدمه واختص به، ومدحه *ببديعية دالية* من الكامل *وشرحها* بشرحين يوجدان بالخزانة الداودية بخطه، وعلى الشرح الكبير تقاريظ، منها للأديب محمد مفضل الأندلسي، والقاضي محمد ابن طريقة. كما ألف الجزيري *كتاباً عجيباً في القراآت السبع*.

توفي بتطوان أواخر ربيع الثاني عام 1169 / أواخر يناير 1756.

سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ص. 50 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، ط. تطوان 3 / 61 ؛ *مختصر تاريخ تطوان*، ص. 288.

محمد بوخبزة

الجزيري، فاتح بن حمادة القصري، الشاعر الأديب. ولد بالجزيرة الخضراء بالأندلس وانتقل إلى مدينة القصر الكبير، وأخذ عن علمائها وتصدر لتدريس الأدب بها بالمسجد الذي خلد اسمه بالمدينة وهو مسجد الجزيري الذي مازال موجوداً بحي الشريعة، فانتقل رحمه الله إلى المشرق وتولى القضاء بأسيوط بالقطر المصري وتوفي هناك عام 663 / 64 . 1265. وقد أصبح شافعيّ المذهب وله عدة مؤلفات ومنظومات شعرية، منها *نظم المفصل* للزمخشري، *ونظم سيرة بن هشام*، يوجد المجلد الخامس منه بالخزانة الملكية تحت رقم 1688، ويحتوي على 8185 بيتاً من الشعر، كما أن له نظماً آخر *لكتاب الإشارات* لابن سينا، *ومنظومة في العروض*.

محمد بوخلفة، *المدارس والتعليم بمدينة القصر الكبير من بداية القرن السادس الهجري وما بعده*، ضمن الملحق التاريخي والثقافي لجمعية البحث التاريخي والاجتماعي، الذكرى 28 لعيد العرش، مارس، 1989.

الحسين البعاوي

ابن **جزي**، بيت شهير بالأندلس والمغرب، وهم عرب قحطانيون من بني كلب من كهلان. سكنوا غرناطة، وانتقل

بعضهم إلى فاس منذ عهد قديم، وكان منهم علماء وكتاب وأدباء، وانقرضوا اليوم من فاس.

ابن **جزي، محمد** بن أبي القاسم محمد بن أحمد الغرناطي ثم الفاسي. أديب كبير شاعر ناثر، ولد بغرناطة في شوال عام 721 / أكتوبر - نونبر 1321. قال عنه إسماعيل ابن الأحمر : "طلع في سماء العلوم بَدْرًا مُشرقا، وسارت براعته غربا ومَشرقا، وسما بشعره فوق الفرقدين، كما أربَى بنثره على الشِّعرَى والبُطَيْن، له باع مديد في التاريخ واللغة والحساب والفقه والنحو والبيان والآداب بصيرا بالأصول والفروع والحديث، عارفاً بالماضي من الشعر والحديث ... ومع تَفَنُّنه في العلوم فهو في الشعر قد نَبَغ، وما بلغ أحدٌ من شعراء عصره منه ما بلغ ؛ بل سَلَّموا التقدُّم فيه إليه، وألْقَوْا زمام الاعتراف بذلك في يديه ؛ ودخلوا تحت راية الأدب التي حمل، إذ ظهر ساطع براعته ظهور الشمس بالحَمَل".

كتب لبني الأحمر ملوك غرناطة ثم تنكروا له فانتقل إلى فاس، وحظي في بلاط السلطان أبي عنان المريني، وفيه لقي الرحالة ابن بطوطة وأملى عليه رحلته *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، فألفها ابن جزي ورتبها بأمر من أبي عنان.

توفي ابن جزي بداره من المدينة البيضاء (فاس الجديد) قرب المغرب من يوم الثلاثاء 29 شوال عام 757 / 25 أكتوبر 1356 ودفن يوم الأربعاء بعد صلاة العصر وراء الحائط الشرقي بالجامع الأعظم.

ل. ابن الخطيب، *الإحاطة*، 2 : 186 - 195 ؛ أ. ابن حجر، *الدرر الكامنة*، 4 : 165 ؛ ابن الأحمر، *نثير الجمان*، تح. م. الداية، 292 - 307 ؛ أ. المقري، *أزهار الرياض*، 3 : 189 - 203 ؛ *نفح الطيب*، 5 : 526 - 539 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 222 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

جَسُّوس، أسرة من أقدم وأعرق البيوتات الفاسية التي اشتهر رجالها، عبر الحقب والسنين، في ميادين العلم والتدريس والتجارة والدبلوماسية والأمانة في المراسي. وبالرغم من عدم تمكننا من الوقوف على موطنها الأصلي قبل الاستقرار بمدينة فاس أولا، ثم الرباط وتطوان فيما بعد، وهل هي من هذه الأسر الأندلسية العديدة النازحة من "الفردوس المفقود"، بعد سقوط غرناطة ؟ أم هي من هذه المجموعات البشرية التي استوطنت مدينة المولى إدريس، شأنها شأن سائر الأسر الفاسية الأخرى ؟ فإننا نجد ذكراً وآثاراً لبعض أفرادها، ابتداء من القرن العاشر (16 م).

على أن هناك احتمالا آخر، يُفيد بأن هذه الأسرة من البلديين الذين اعتنقوا الإسلام. وفي هذا الصدد، أورد الضُّعَيف الرباطي، في سياق حديثه عن الخلاف الحادث بين السلطان المولى إسماعيل وبعض علماء فاس وفقهائها، في مسألة جمع العبيد وتمليك الحراطين، ما يلي : "...وكانت بينه وبينهم مُحاورة، وفي آخر المجلس قام مولانا إسماعيل مُغتاظاً فقبضه السيد عبد السلام جسوس من طرف ثوبه وقال له : اجلس تسمع ما قال جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فنثر ثوبه وخرج، فقال له محمد بن قاسم عليلش : ما فعل بك ذلك إلا لأنه حديث عهد بالإسلام، وذلك منه كراهة فيك وفي جدك ؛ فقبضه وأمر بتعذيبه كما تقدم...".

ومهما يكن من أمر، فإن بيت آل جسوس كان يتكون من عدد من الفروع والفرق، نورد فيما يلي بعض مشاهير هذه الفرق بفاس، وفي مقدمتهم، فرقة الفقيه الشيخ عبد السلام بن حمدون جسوس (ت. 1121 / 1709). والفرقة الثانية من آل جسوس يمثلها شيخ الجماعة في وقته مَحمد ابن قاسم جسوس (ت. 1182 / 1767) ابن أخي عبد السلام المذكور آنفاً. والفرقة الثالثة يمثلها الفقيه الصوفي محمد بن عبد اللطيف جسوس (ت. 1273 / 1855). وتعرف الفرقة الرابعة بعائلة ناظر القرويين، التاجر حمّاد بن عبد العزيز جسوس الذي كان يشغل منصب النظارة في أواسط شهر محرم من سنة 1272 هـ / أواخر شتنبر 1855. أما رأس الفرقة الخامسة، وتُدعى عائلة شيخ ركب الحجيج بفاس، فهو عليّ جسوس. ورئيس الفرقة السادسة التاجر مُحمد بن العباس جسوس، وكان حيّا في حدود سنة 1340 / 1921 - 1922، وكان له أولاد ثلاثة هم مُحمد وأبو بكر وعبد الرحمان. ويتكون الفرع السابع من هذه الأسرة التي لم نأت على ذكر كل فروعها من الإخوة التجار مُحمد وأحمد وأبي بكر، أبناء مَحمد جسوس. وكان هذا الفرع من أغنى وأنشط الأسر الفاسية في القرن الثالث عشر (19 م)، وعرفت تجارتهم رواجاً داخل البلاد وخارجها. وقد توفي الابن الأول وهو مُحمد عن غير عقب ذكور. وأمّا الثاني، أحمد، فقد خلف أربعة أبناء ذكوراً، هم عبد السلام وعبد الكريم اللذان تُوفّيا في سنّ الشباب عن غير عقب، وعبد القادر ومحمد العيساوي اللذان كانا على قيد الحياة في حدود سنة 1340 / 1921 - 1922. وأمّا ثالث الأبناء، وهو أبو بكر، فقد أنجب من الأبناء الذكور تسعة وهم في السن على التوالي، مُحمد وإدريس ومَحمد وعبد المجيد وابن سالم وعبد الوهاب وعبد الواحد وعمر وعبد الرحمان. وكان جميعهم على قيد الحياة في حدود سنة 1340 / 1921 - 1922.

ويُعد الحاج حدو جسوس وسعيد بن أحمد جسوس الذي قد يكون ابن الحاج حدو، من أبرز رجالات جسوس. ولعلهما من الفرع الذي استوطن مدينة تطوان أو مدينة الرباط. وقد عرفت تجارة كل من الرجلين، في بداية أمرهما، نجاحاً كبيراً ورواجاً واسعاً، داخل المغرب وخارجه، وأقبلت عليهما الدنيا واستُخدما في وظائف مخزنية عليا.

فالأول عُيّن قُنصلا للمغرب بمدينة جبل طارق سنة 1256 / 1841، ثلاث سنوات بعد أن عزل السلطان المولى عبد الرحمان يهودا ابن عليل من هذا المنصب الذي تولاه بعده الحاج حدّو جسوس إلى غاية سنة 1273 / 1856، وعندها عُين مكانه الأمين التاجر الكبير محمد الرزيني التطواني حتى سنة 1274 / 1857. وفي هذه السنة تقلد مهام القنصلية المغربية بالمدينة الأنجليزية المذكورة الحاج سعيد بن أحمد جسوس إلى غاية سنة 1307 / 1890، حيث وافته منيته وأقبر بمدينة تطوان، كما دفن قبله بنفس المدينة الحاج حدو جسوس.

ومعلوم أن منصب قنصل المغرب بجبل طارق كان يكتسي أهمية بالغة لا يُسند إلا لكبار التجار الذين لهم إلمام ببعض اللغات الأوربية ومكنتهم تجارتهم الرائجة وإقامتهم في مدن أوربا من الاطلاع على عادات وأحوال أهل هذه الدّيار.

هذا وقد ورد كثيراً ذكر العديد من أفراد آل جسوس في الوثائق والسجلات المخزنية، سيما أولئك الذين استخدموا في الأمانة بالمراسي المغربية، طيلة القرن الماضي، من بينهم الأمين مصطفى جسوس في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، والأمين عبد السلام جسوس وولده محمد اللذان كانا من أبرز أمناء المراسي المرموقين في عهدي السلطان المولى الحسن وخلفه المولى عبد العزيز.

خ. ح : *الوثائق الزيدانية*، عدد 12607 ز، المجلدان 19 و25 ؛ *كنانيش* بنفس الخزانة، رقم 46 و370 و404 و*كنانيش* بليمني. م. و. م. ر، مع طنجة ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الجزءان 2 و3 ؛ *معجم طبقات المؤلفين*، مخطوط خ. ح، رقم 12564 ز ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مرقون، خ، ح، رقم 10651 ز ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، مخطوط خ. ع. رقم 1287 د ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1959-1979، الأجزاء 2 و3 و5 و8 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخطوط، خ. ع. عدد 1281 ك ؛ أ. الناصري السلوي، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 1954-1956، الأجزاء 7 و8 و9 ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، الرباط، 1986 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، *الرباط*، 1984، 1 : 83.

J.L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, Paris, 1963, t. 2 et 3.

جسوس، أحمد بن قاسم الرباطي، من الفرقة التي هاجرت من فاس إلى مدينة الرباط للاستقرار والعيش بها بعد نكبة ومقتل الشيخ عبد السلام جسوس بفاس، في سنة 1121 / 1709. وقد ترجم له تلميذه، مؤرخ الرباط، محمد بوجندار، في *الاغتباط* ومحمد بن علي دنية، في *مجالس الانبساط*، كما ذكره، عدة مرات، مؤرخ مكناس عبد الرحمان بن زيدان في *إتحاف أعلام الناس*... وحلاه بوجندار بقوله : "شيخنا العلامة الأديب المجيد... فخر الرباط وشاعره وناظم دره ونثره...".

ولد أحمد بن قاسم جسوس بالرباط في حدود سنة 1270 / 1862-1863، في أسرة ميسورة، نشط أبناؤها في ميادين العلم والتجارة والخدمة المخزنية. وقد سهر أبوه الذي كان يعمل أميناً في الجهاز المخزني، على تربيته وتكوينه تكويناً أصيلا، ارتكز بالأساس على الدراسات القرآنية والفقهية واللغوية والأدبية. وخلال المرحلة الأولى من تعلمه بمسقط رأسه رباط الفتح، تمكن المترجم من حفظ القرآن الكريم، وحفظ منظومات النحو وماشابهها من المتون التي كان يتسلح بها كل مقبل على الدراسة في عصره ؛ ومن بين كبار الأساتيذ الذين أسعفه الحظ بالتتلمذ عليهم، شيخ الجماعة في وقته بمدينة الرباط إبراهيم بن محمد التادلي (1242-1311 / 1827-1892)، والشيخ العربي بن السائح (1229-1309 / 1813-1891-1892)، والعلامة الصوفي عمر بن مَحمد عاشور (ت. 1314 / 1896-1897).

وفي فترة ثانية شد الرحال إلى مدينة فاس، طالبا المزيد من المعرفة والعلم، فتسنى له حضور دروس بعض مشاهير علماء مدينة فاس، ومن بينهم أحمد بن أحمد بناني كلاً، ومحمد بن المدني گنون (ت. 1302 / 1885)، ومُحمد بن التهامي الوزاني (ت. 1311 / 1894)، ومَحمد بن قاسم القادري (ت. 1331 / 1913)، والطيب بن أبي بكر ابن كيران (ت. 1314 / 1896).

وبعد قضاء وطره من السماع والحفظ والتحصيل، تاقت نفسه إلى التجوال والترحال، أولا في المغرب، وثانيا خارجه. وهكذا قام برحلة طوف فيها بمراكش وطنجة وتطوان، حيث التقى بعلماء وأدباء هذه الحواضر. ثم بعد ذلك، سافر سنة 1304 / 1887، إلى بلاد الكنانة وأدّى بالمناسبة فريضة الحج. يقول بوجندار عن سفره هذا : "...وتلاقى بعلماء الكل وأخذ وسمع واستجاز واستفاد...".

ولا شك أن فترة التكوين والتحصيل وإشباع نهم وفضول المثقف بلغت منتهاها لدى أحمد بن قاسم أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، أي عندما بلغ من العمر حوالي ثلاثين سنة.

وبعد العودة إلى الرباط، اشتغل أول الأمر في الإشهاد والتوثيق مع القاضي علي بن أحمد دنية الرباطي (ت. 1325 / 1907). ثم اشتغل عدلا في أمانة المراسي بالدار البيضاء وطنجة وفي البنيقة المراكشية (أي الجهاز المالي المكلف بالصوائر المخزنية). إلا أن الرجل سرعان ما أنف من العمل في الوظيف المخزني، متعللا بضعف بنيته وبعدم القدرة على الاشتغال باستمرار في المهام المسندة إليه. ولهذا عاد إلى بلده، وتفرغ للتدريس والتأليف. ومما يُنسب إليه من مصنفات وتآليف، نذكر ما يلي : *تعليق على الموطأ* ؛ *الإغراء بمسائل الاستبراء* ؛ *افتتاح البخاري وختمه* ؛ *ختم الشمائل الموسوم بزهر الخمائل أو زهر الخمائل من دوحة الشمائل*". وله كذلك أشعار كثيرة لو جمعت

لجاءت ديوانا. ومما يُؤكد شاعرية الرجل ذوقه الرفيع، وولعه بالموسيقى إلى درجة أنه كان يتقن العزف على بعض آلاتها.

وأما في حقل التدريس، فكان يلقي دروسه في الزاوية التجانية لأنه كان تجاني الطريقة، وله اعتقاد كبير في شيخها، وكذلك بالمسجد الأعظم بمسقط رأسه. وكان موضوع درسه *شرح ألفية ابن مالك*، *والمختصر الخليلي* بشرح الدردير، *وشمائل الترمذي*، *والأربعين النووية*، *وهمزية البوصيري*، *ورسالة ابن أبي زيد القيرواني*، *والموطأ*... ويبدو من شهادة تلميذه المؤرخ بوجندار، أن الفقيه جسوس كان بارعاً في طريقة تبليغ معلوماته، موفقا فيها، حيث يقول في هذا الصدد : "... كان عذب الإلقاء، أنيق التعبير، حسن الإدراك والفهم...".

ومن أوجه النشاط الأدبي والثقافي، السائد في وقت المترجم له، تلكم المحاورات والمساجلات التي كانت تجري بين أدباء الوقت، فيتبادلون التهاني والتحيات، ويتداولون بعضا من القضايا الفكرية والأدبية التي كانت تشغل بالهم وتثير قريحتهم وذلك بواسطة تبادل قصائد شعرية أو نصوص نثرية، وهي طريقة التواصل والتحاور الوحيدة السائدة في وقتهم، بسبب انعدام وسائل التواصل الحديثة التي لم يعرفها المثقف المغربي إلا في حدود الثلاثينات من قرننا الحالي. وعلى هذا النحو كان أحمد بن قاسم جسوس يربط الاتصال ببعض الأدباء والفقهاء المرموقين في وقته، كالقاضي أبي حامد محمد المكي بن محمد البطاوري (ت. 1354 / 1936)، والقاضي أحمد بن المامون البلغيثي (ت. 1325 / 1907)، والأديب عبد القادر بن عبد الله لُبريس (ت. 1332 / 1914)، والقاضي أحمد الزعيمي (ت. 1329 / 1911). ومما قاله المترجم له في إحدى المجلسات الحميمية المنعقدة بمحضر بعض هؤلاء، وخاصة أحمد بن المامون البلغيثي المذكور، والفصل فصل ربيع في بدايته، نونية رائعة جاء فيها :

بواكر الزهر جاءتنا تحييننا ... أحْبب بها نفحة بالروح تُحيينا

جاء النسيم بها صُبحا على مهل ... وظل يهدي لنا ورداً ونسرينا

كما أورد له مؤرخ مكناس، في *إتحافه*، قصائد من نظمه، قالها بمناسبات شتى، إنسانية وفكرية وسياسية.

ويفيد صاحب *الاغتباط*، من جهته، بأن المترجم له كان ذا "جسم نحيف وجسد نحيل" معلقا على حالته الصحية وما اعتراه من مرض، في آخر حياته، حيث لزم الفراش مدة طويلة.

هكذا كان أحمد بن قاسم جسوس، فقيها معلما، وأديبا شاعرا، بل فنانا، جماعة للكتب والمؤلفات، حتى تكونت لديه خزانة كانت تعد من أغنى الخزانات الخاصة في وقته، ولا شك أنه يُمثل أحسن تمثيل هذ الجيل من المثقفين المغاربة النشطين والفاعلين في الحقل الثقافي بالمغرب، في فترة ما قبل الحماية.

وافاه أجله المحتوم في 13 ذي القعدة 1331 / 14 أكتوبر 1913، ولم يعقب وأُقبر بالزاوية الناصرية برباط الفتح.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، الرباط، 1929 ـ 1933، الجزءان 1 و2 ؛ *معجم طبقات المؤلفين في عهد الدولة العلوية*، مخطوط خ. ح. رقم 12564 ز، جذاذة رقم 56 ؛ محمد بن علي دنية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986 ؛ م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف الوجيز، تاريخ العدوتين*، تح. مصطفى بوشعراء، الرباط، 1986.

مصطفى الشابي

جسوس، بنسالم بن أبي بكر الفاسي (1919 ـ 1991). نشأ في بيت من بيوتات فاس المرموقة بنشاطها في التجارة، فلقد كانت أسرته من تلك الأسر القليلة التي هاجر بعض أفرادها إلى إنجلترا وإلى مدينة مانشستر بالضبط منذ سنة 1884 لتوطيد أسباب المبادلات التجارية مع ذلك البلد خاصة ومع القارة الأوربية على وجه العموم. وتلقى بنسالم جسوس دراسته الأولى في الكتّاب ثم التحق بثانوية المولى إدريس في فاس وكان من تلامذتها من سنة 1934 إلى سنة 1942 ومنها انتقل إلى مدينة استراسبورك شرقي فرنسا لمتابعة دروسه في كلية الصيدلة فمنها تخرج صيدليا سنة 1947 فعاد لوطنه ومسقط رأسه وفتح أول صيدلية عصرية يشرف عليها صيدلي مغربي في فاس فإنه كان من تلك الثلة المعدودة من المثقفين المغاربة الذين تخرجوا من الجامعات الفرنسية على امتداد حقبة الحماية، وتخرج أمثاله على قلتهم آنذاك كان مما يثلج صدور المغاربة ويخفف من غبن الاحتلال الأجنبي لما كان يثبت من قدرة أبناء المغرب على مجاراة أبناء المعمر في أرقى وأعصي الحلبات.

كان بنسالم جسوس على بينة من ذلك واعيا بما كان على جيله من المسؤوليات، فكان نضاله ملموسا في حزب الاستقلال، وما أن صار يمارس مهنته حتى انتخب عضوا في المجلس البلدي في فاس سنة 1948 في تلك الفترة التي أبت فيها الحركة الوطنية إلا أن تجرب مدى استعداد سلطات الحماية للتعامل السليم مع الوطنيين، ولكن التجربة سرعان ما باءت بالفشل لما بدا من خداع أساطنة الاستعمار ومن مكرهم، فإنهم أقدموا على نفي الملك الشرعي للبلاد وكان لا بد أن يؤدي بنسالم جسوس ثمن جبروت الحماية شأنه في ذلك شأن كل الوطنيين، فإن الإقامة العامة التي كان الماسك بزمامها يومئذ الجنرال گيوم أمرت باختطافه في دجنبر 1953 وظلت متكتمة على ذلك

بناء على رواية المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان مدعية أن لا علم لها بمصيره، وكان ذلك من الأعمال الإرهابية شبه الرسمية للانتقام من عمليات الفدائيين المغاربة ولكن إخفاء شخصية من مستوى بن سالم جسوس لم يكن من الأمور الهينة سيما وأنه كان متزوجا من سيدة فرنسية، ولكل ذلك اضطر المختطفون إلى إطلاق سراحه في شهر ماي 1954 بعد أن أعطوا مرة أخرى في شخصه مثالا عن اسخفافهم.

ولما استعاد الوطن كامل سيادته كان بن سالم جسوس من تلك الأطر القليلة التي عليها المعول لبناء الاستقلال فإنه جعل حياته منذ 1956 إلى تاريخ وفاته وقفا على خدمة مصالح بلده تارة في الأجهزة الحكومية العليا وتارة في ميدان المقاومة الخاصة. وهكذا فإنه كان فيما بين 1956 و1960 عضوا في المجلس الوطني الاستشاري ورئيسا للجنة الاقتصادية في تلك المؤسسة، كما كان عضوا في مجلس التخطيط بصفة كونه رئيسا للمجلس الوطني للصيدلة ورئيسا للغرفة التجارية والصناعية في فاس، كما كان في ذات الوقت مندوب الحكومة لدى شركة الطاقة الكهربائية ولدى شركة السكك الحديدية وهما في طور الانتقال من الأيادي الفرنسية إلى الأيادي المغربية. ثم إن المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه عينه عاملا على مدينة فاس سنة 1961 وعينه صاحب الجلالة الحسن الثاني عاملا على مدينة طنجة سنة 1962 ومنها أسند إليه وزارة الأشغال العمومية سنة 1963 فلم يقض فيها إلاّ بضعة أشهر حيث عين سفيراً للمغرب لدى دول البينيلوكس الثلاثة وهي هولاندا وبلجيكا واللوكسانبورك ومعتمداً لدى المجموعة الاقتصادية الأوربية ومارس تلك المسؤوليات من شهر 1963 إلى أكتوبر 1972 فكان ذلك أطول ما أسند إليه من المهام الرسمية العليا، وهو الذي قاد جولات المفاوضات التي انتهت باتفاقية الشراكة الأولى مع المجموعة الاقتصادية الأوربية المبرمة في الرباط يوم 31 مارس 1969 وما عاد من سفارة بروسيل إلا ليتبوأ منصب وزير المالية فتحمل أعباء تلك الحقيبة إلى سنة 1974 ثم عين رئيسا مديراً عاماً للشركة الوطنية للاستثمار فهو الذي أرسى قواعدها وظل يشرف عليها إلى سنة 1978. وكان من آخر ما قام به من المهام الرسمية أو شبه الرسمية رئاسته للصندوق المهني المغربي للمعاشات وذلك من 1977 إلى أن وافاه الأجل المحتوم، وأيضاً رئاسته للكونفدرالية العامة الاقتصادية المغربية وهي نقابة أرباب المعامل والمقاولات في المغرب وذلك فيما بين 1985 و1988.

هكذا كان بنسالم جسوس تشخيصا ناصعا لجيله وهو جيل بناء صرح المغرب الجديد الذي كان عليه أن يفند الدعاية الاستعمارية القاضية بقصر هم المغاربة وبعجزهم عن مسايرة تيارات ومتطلبات المعاصرة. فلم يكن بنسالم جسوس من أول صيادلة المغرب بل كان واضع اللبنات الأساسية لصناعة الصيدلة في المغرب، ولم يكن رجل الدولة ورجل الأعمال والمقاولات بل كان رجل فكر واطلاع ومشاركة ممن لا يغلب لديه النظر على العمل ولا العمل على النظر. وقد شارك في العديد من الملتقيات الدولية في إطار منظمة الأمم العربية كما شارك في مفاوضات "الكاط" وهي الاتفاقية السابقة حول حرية المبادلات التجارية في العالم وكان عضواً في لجنة العشرين المقامة للنظر في إصلاح النظام النقدي العالمي، هذا إلى جانب ما كان يدير من الشركات التجارية والصناعية الخاصة التي كان يترأس مجالس إدارتها، وكان يؤدي تلك المهام كلها بمنتهى الحيوية والمثابرة، وكان يجتذب قلوب جميع من كان يتعامل معه بما حباه الله به من الفطنة واللباقة وخفة الروح، وكانت مجالسته مما يستحيل أن يحصل منها الملل فإنه كان آية في النكتة والفكاهة الطريفة الراقية، ولذلك نال رضى كل من ساقته مهامه الكبرى إلى معاملته من الملوك ورؤساء الدول، فأغدقوا عليه الجوائز والأوسمة، فكان له أوسمة مغربية وبلجيكية وولوكسانبوركية وإيطالية وأردنية وإفوارية وفرنسية.

توفي يوم السبت 25 جمادى الثانية عام 1411 / 12 يناير 1991 مذكوراً في جميع الأوساط بلسان الخير.

Charle-André Julien, *Le Maroc face aux impérialismes. 1415 - 1956*, Paris 1978.

إبراهيم بوطالب

جسوس، عبد السلام بن حمدون الفاسي، علامة مشارك في اللغة والفقه والحديث والتفسير والأصول والبيان إلى غير ذلك من العلوم التي كانت تكوّن أساس البرنامج الدراسي والمعرفي لرجال عصره.

وبما أنه كان ينتمي إلى هذه النخبة الحضرية المحظوظة، فإنه تتلمذ على كبار الشيوخ ومشاهير العلماء في وقته، منهم العالم عبد القادر الفاسي، ومبارة الأكبر والحسن اليوسي وأحمد ابن الحاج وأبو سالم العياشي... يقول صاحب *زهر الأس في بيوتات فاس* : "إن معاصريه كانوا يستشيرونه في الأمور الدينية والدنيوية"، مما يعني أن الرجل كان عالما مرموقا مشاركا، يحظى بتقدير وثقة معاصريه ولا يتردد في الادلاء برأيه فيما كان يعرض على الجماعة من أمور مستعصية، سياسية واجتماعية، جاهراً ومنددا بما كان يراه منافيا للشريعة الإسلامية أو مُضراً بالجماعة. وهذا ما جعله يتزعم في مدينة فاس، بل في المغرب كله، حركة الاحتجاج والإدانة التي حدثت، حين أمر السلطان المولى إسماعيل، سنة 1120 / 1708 . 1709، بجمع العبيد والحراطين، أينما وجدوا، وتمليكهم للدولة، كيفما كانت وضعيتهم الاجتماعية، ليجعل منهم قوة عسكرية رادعة، تدين له بالولاء وحده، (جيش عبيد البخاري)، يسخر أفرادها كما شاء في تطويع البلاد، وإسكات القوم والعباد، ولكن في نفس الوقت للدفاع والذب عن حوزة الوطن وطرد الإيبيريين من المراكز والثغور التي مازالوا يحتلونها منذ زمن الفوضى وضعف الحكم في القرن التاسع (15 م). فكان الفقيه عبد السلام جسوس أول من عارض علانية مشروع السلطان، وندّد به، معتبراً إيّاه منافيا للشريعة الإسلامية لما تضمنه من قهر وحيف وظلم لجماعة كبيرة من المسلمين، الأمر الذي اغتاظ له السلطان ولم ينفع التهديد والترهيب، ولا اللين والترغيب. في حمل الفقيه

جسوس على الإقلاع والتخلي عن موقفه المتصلب في مسألة العبيد. فسجن وامتُحن، وصودرت أمواله وممتلكاته، وهو مصيرٌ عرفه سائر أفراد عائلته بفاس، وقد تكون هذه الفترة منطلق هجرة عدد من أبناء عمومة الفقيه عبد السلام جسوس، إلى جهات مختلفة من البلاد، وبالخصوص إلى مدينتي الرباط وتطوان.

يقول محمد بوجندار في الاغتباط متحدثا عن أحد أفراد العائلة الجسوسية بالرباط، وهو عبد الله بن الطيب جسوس (ت. 1188 / 1774 ـ 1775) ما يلي : "... انتقل والده الطيب مع أخيه الفقيه السيد عبد العزيز لما وقعت لابن قاسم جسوس (ابن أخ الفقيه عبد السلام جسوس) القضية الشهيرة في التاريخ...".

وقد كتب عبد السلام جسوس قبل اغتياله بيومين شهادة وجدت بخطه يبين فيها تمسكه بالحق والشريعة في موقفه الثابت اقتداء بأئمة السلف الذين لم يؤثروا أموالهم ولا أبدانهم على دينهم حين أُكرهوا على ما لم يظهر لهم وجهه في الشرع (*نشر الثاني*، 3 : 208) وقد وُجد مقتولا في ليلة 25 ربيع الثاني عام 1121 / 4 يوليو 1709، بسجن القلعة بفاس، وبوفاته انتهت معارضة علماء فاس لمسألة جمع وتمليك العبيد.

جسوس، عبد الله بن عبد السلام بن حمدون الفاسي، كان ـ كأبيه ـ فقيهاً مشاركاً أديباً، توفي عام 1136 / 23 ـ 1724. ولم يعقب، فانقرض بموته هذا الفرع من آل جسوس بفاس.

م. القادري، *نشر الثاني*، 3 : 207 ـ 208 و280 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخطوط خ. ع ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط 1987، ص. 387.

مصطفى الشابي

جسوس، محمد بن **عبد اللطيف** الفاسي، فقيه صوفي مدرس مؤلف، له في التصوف *نصرة الفقير* ؛ وفي الذكر والسماع كتاب *النصح العام لمن قال ربي الله ثم استقام*، فرغ منه في أواخر عام ستين ومائتين وألف. وله أيضاً *كناشة علمية* حافلة.

توفي بفاس في عاشر رجب عام 1273 / 6 مارس 1857. ودفن بروضتهم بالقباب.

ع. ابن سودة، *دليل*، 2 : 466 ؛ *إتحاف المطالع ؛ موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2607 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 194 و3 : 26.

جسوس، مَحمد بن **قاسم** بن **عبد السلام** الرباطي الذي تنسب إليه مدرسة جسوس الحرة بالرباط، ولد وتربى مع إخوته في دارهم بحي مولاي إبراهيم بالرباط. وهو واحد من خمسة إخوة هم أحمد الشاعر سابق الترجمة والحاج أبو بكر والحسن والحسين.

أصهر مَحمد جسوس إلى آل والزهرا فتزوج السيدة رحمة بنت مَحمد والزهراء، وكانت امرأة صالحة، يذكر محمد حسن الوزاني في أحد مؤلفاته أن لها أيادي بيضاء في الحركة الوطنية أسدتها لرجالها عندما كانوا يجتمعون مع ابن أخت زوجها أحمد بلافريج بدارها، فكانت تحسن استقبالهم ورعايتهم. وفي سنة 1304 / 1887 حجّ مَحمد جسوس مع أخيه أحمد واصطحب معه إلى الديار المقدسة على نفقته ثلة من أقربائه وأصدقائه مثل خاله الحاج عمر ابن جلون والحاج محمد بن إدريس بوهلال الملقب بالميزان، ومحمد بن يحيى بلامينو .

كانت أسرة جسوس من الأسر الموسرة بالرباط. ومنذ عهد السلطان المولى سليمان اكتسبت غنى وافراً بعدما اشترى منهم المخزن الأراضي التي شيد عليها السلطان الملاح. ومنذ ذلك الحين نمت ثرواتهم وامتدت أملاكهم العقارية فانتشرت على مساحات كبيرة وخصوصاً بحي الليمون بالرباط. وبفضل غنى مَحمد جسوس وإخوته تمكنوا من القيام بأسفار كثيرة إلى أوربا والشرق، وأصبحت لهم صلات مع مصر والشام وتركيا والحجاز فملكوا بعض العقارات هناك كما جعلتهم أسفارهم ينفتحون على الحضارات الأخرى فكانوا من أوائل المتفتحين التقدميين.

كان مَحمد جسوس مع عدد من أعيان الرباط يساهمون في أعمال اجتماعية خيرية وإحسانية لفائدة العائلات الرباطية المحتاجة، يخصصون صدقة كل خميس سميت "خبز الخميس". ولهم جماعة مشرفة على "بستان الحرمين" بالرباط كانت تُرسل ريع هذا البستان إلى المشرفين على الحرمين الشريفين لتغطية بعض المصاريف كشراء الزرابي اللازمة وتسديد أجور عبيد الحرم (الأغوات).

لم يرزق مَحمد جسوس ـ مثل أخيه الشاعر أحمد ـ أولاداً لذلك اعتبر ابن أخته الوطني الشهير أحمد بلافريج ابنه الروحي فاهتم به وأعانه على دراسته سواء بالمغرب أو بالقاهرة أو بفرنسا. ووهب له ثلث ما يملك، ومن جملة ذلك عرصة جسوس التي بنيت عليها المدرسة التي حملت اسم مَحمد جسوس وذلك سنة 1934 وقد بنيت هذه المدرسة بمساهمة عدد من أهل الرباط مثل آل التازي، كالحاج مَحمد والحاج عبد القادر التازي ومحمد بن الحاج أحمد بناني المدعو حميدو بناني وآخرين. أما الذي أشرف على البناء وراعاه بالجهد والحضور فهو الحاج عباس التازي.

لم ير مَحمد جسوس هذه المؤسسة لأنه كان هاجر إلى المشرق وتوفي بالمدينة المنورة ودفن هناك في حدود عام 1354 / 1935.

م. بوجندار، *الاغتباط*، الرباط، 1987، ص. 62 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، 1969 ؛ م. دينية، *مجالس الانبساط*، الرباط، 1986، ص. 302 ؛ روايات شفوية لمحمد الأمين بلگناوي، ومحمد الصباحي مدير مدرسة جسوس.

عبد الإله الفاسي

جسوس، محمد بن قاسم بن محمد الفاسي. الأنزه الفقيه العلامة المحقق المحدث الصوفي الموفق المشارك الحجة... ولد في سنة 1089 / 1678 ـ 1679 بفاس، وهو ابن أخي الفقيه عبد السلام جسوس، السابق الذكر. وابن قاسم هذا، كان معاصراً للفقيه العلامة عبد القادر بوخريص، قاضي فاس الشهير، وله عدة مصنفات في الفقه والتفسير والحديث، منها : *شرح خليل* في تسعة أجزاء ؛ *وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني*، في أربعة أجزاء ؛ *وشرحان على حكم ابن عطاء الله* ؛ *وشرح الشمائل*. وهو من العلماء الذين استشارهم السلطان سيدي محمد ابن عبد الله (1171. 1204 / 1757 ـ 1790) في مسألة إقرار ضريبة المكس على أسواق مدينة فاس وغيرها من الحواضر المغربية.

أخذ عنه عدد من كبار العلماء والفقهاء في وقته، نذكر منهم إدريس بن مَحمد بن إدريس العراقي ومحمد التاودي ابن سودة. وقد خلّف ولدين مُحمداً وعبد الرحمان، وكلاهما كان على قيد الحياة في رجب 1197 / 1782، وتوفي أولهما مُخلفا ولدين من عقبه وهنا مُحمد وعبد العزيز.

توفي المترجم بفاس في 4 رجب 1182 / 26 نونبر 1767.

م. القادري، *نشر الثاني*، 4 : 188 ؛ م. الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط خ. ع ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2393 ـ 2394.

مصطفى الشابي

ابن **جشّار**، بيت قديم في فاس، أصلهم من قبيلة مغيلة، ويقال لهم في بعض الرسوم "أجَشّار". وقد انقرضت هذه الأسرة اليوم في فاس.

ابن **جشّار، محمد** بن أبي غالب المغيلي الفاسي. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، كان ينوب عن قاضي مدينة فاس، ويخطب في بعض مساجدها. توفي سنة 898 / 1492 ودفن خارج باب الفتوح.

إ. ابن الأحمر، *بيوتات فاس*، 68 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 243 ـ 244 ؛ *لقط الفرائد* ؛ *ألف سنة من الوفيات*، 153 و273 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 88 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

جُشَم، قبيلة عربية من قيس غيلان بن مضر. أورد كل من ابن حزم وابن خلدون نسب جدهم معرفين باسمه على النحو التالي : جشم بن معاوية بن بكو بن وتزن بن منصور ابن عكرمة بن حصفة بن قيس غيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (*جمهرة أنساب العرب*، 269 و482 ؛ *العبر*، 6 : 38).

انضم بنو جشم إلى بني هلال بأفريقية، واستوطنوا معهم البلاد الغربية منها في الوقت الذي استوطن بنو سليم البلاد الشرقية. ولكون جموعهم كانت وفيرة العدد، مقارنة مع من سواهم، إلى جانب جموع الأثبج من هلال بن عامر، علت أيديهم على الجميع، وتغلبوا على الضواحي والأمصار في أفريقية، وصارت لهم عزة على دولة الزيريين الصنهاجيين (*العبر*، 6 : 28 ؛ *الاستقصا*، 2 : 168).

يعود تاريخ أول اتصال بين العرب الهلاليين والموحدين إلى عهد عبد المومن بن علي الگومي. فهو أول من ألحق عدداً لا يستهان به منهم بجيوشه سنة (الأخماس) 555 / 1160 في منطقة وهران لما طلبت منه شيوخ عرب بني رياح وبني جُشم وبني عدي الإذن بالرجوع إلى أفريقية فأذن لهم، ونقل منهم إلى المغرب ألفاً من كل قبيلة بعيالاتهم وأبنائهم (*القرطاس*، 199 ؛ *المن بالإمامة*، 90). ثم استغل بعد ذلك الخليفة أبو يعقوب يوسف طبيعتهم الحربية ووظفها في جهاده بالأندلس، كما استعان بهم السيد أبو حفص عمر في حروبه ضد ابن مردنيش بمرسية سنة 560 / 1165 (*المن بالإمامة*، 199).

لكن انتقال الأعداد الوفيرة منهم إلى المغرب الأقصى لم يتم إلا في سنة 584 / 1188 على عهد يعقوب المنصور، الذي أوقع بجموعهم بعد حروب عديدة وشردهم في صحاري المغرب الأدنى، عقابا لهم على مناصرتهم لعدو الموحدين علي بن غانية منذ خلوله ببجاية قادما إليها من جزر البليار سنة 581 / 1185.

أنزل المنصور قبائل جُشم بعد تغريبتهم ببلاد تامسنا، ما بين سلا ومراكش، فلم ينتجعوا بعدها قفرا ولا أبعدو رحلة (*العبر*، 6 : 37 ؛ *الاستقصا*، 2 : 168 ـ 169). في حين أنزل رياح التي رافقتهم في الرحلة ببلاد الهبط وأزغار، أي بمنطقتي جبالة والغرب. وكان قصده من هذا الترحيل كسر شوكة إخوانهم بأفريقية من جهة، وتقوية جيشه بهم من جهة ثانية (*قبائل المغرب*، 1 : 408 ؛ *أثر القبائل العربية*، 67 ـ 84).

استفادت دولة الموحدين من هؤلاء الأعراب استفادة كبيرة في فترة قوتها. ثم انقلبوا عليها في مرحلة التراجع وكان لهم دور كبير في إضعافها والقضاء عليها بما سببوه من مشاكل للخلفاء المتأخرين. ولما أقام المرينيون دولتهم على أنقاض الحكم الموحدي لم تكن في المغرب الأقصى حامية أكثر نفوذاً وشوكة منهم لوفرة أعدادهم وشدة بأسهم، فاضطروا إلى شن الحرب عليهم تارة ومهادنتهم تارة أخرى إلى أن استكانوا لعزهم وصولتهم (*العبر*، 6 : 37 ـ 38).

غلب اسم جُشم على من انضاف إليها من القبائل من بني هلال التي انتقلت إلى المغرب بانتقالها وانصهرت فيها وصارت في عدادها بعد شغل مجالات تامسنا، وهي قبائل قرة والعاصم ومقدم والأثبج والخلط (*العبر*، 6 : 37). ثم تميز جمهور هذه القبائل بعد حلولهم بالمغرب الأقصى إلى أربع مجموعات قبلية كبرى هي مقدم والعاصم، وبني جابر، وسفيان، والخلط (*العبر*، 6 : 37 ؛ *الاستقصا*، 2 : 170 ـ 171).

تنتسب قبيلة قرة إلى قرة بن عبد مناف بن أبي ربيعة ابن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة (*الاستقصا*، 2 : 170). لم يرد اسم هذه القبيلة بين أسماء القبائل القوية في جُشم في القرن السابع (13 م)، أي في فترة الاعتزاز على خلفاء بني مرين. وقد يفهم من ذلك أنه لم يكن لها حضور قوي ولا تأثير كبير في مجريات تلك الأحداث. لكن ابن خلدون ذكر في معرض حديثه عن نسب أولاد جرمون، شيوخ عرب سفيان، أن بعض المؤرخين يزعمون بأنهم من بني قرة هؤلاء (*العبر*، 6 : 38). وبذلك تكون هذه القبيلة قد انصهرت في سفيان حتى صارت منهم، ثم اختصت بعد ذلك بالزعامة فيهم.

أما العاصم ومقدم فهما من أبناء مشرف بن أثبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة (*العبر*، 6 : 33 ؛ *الاستقصا*، 2 : 170). كان لهم عدد وقوة بين الأثابج في افريقية بل كانوا أشرف العرب وأنبههم شأنا (*وصف افريقيا*، 1 : 42). ثم انصهروا في جُشم بعد تغريبتهم، وأسكنهم المنصور دكالة. وصاروا في عداد عساكر الموحدين كباقي إخوانهم من جشم، وأدوا للخلفاء من بني عبد المومن الجبايات قبل أن ينقلبوا عليهم في مرحلة الضعف.

ناصر زعيم العاصم حسن بن يزيد يحيى بن الناصر في صراعه ضد الخليفة المامون وابنه الرشيد. ولما هلك يحيى سنة 633 / 1236 أمر المنصور الرشيد بقتل زعيم العاصم مع شيخي بني جابر قائد وفائد ابني عامر. وصارت زعامتهم بعد ذلك لأبي عياد وبنيه الذين اشتهر منهم عياد بن عياد لما كان له من دور في الجهاد بالأندلس إلى جانب يعقوب بن عبد الحق المريني، وما عرف به من تأرجح بين الطاعة والعصيان لسلاطين بني مرين. ذلك أنه فر إلى أعدائهم بني عبد الواد سنة 690 / 1291، كما فر إلى بلاد السوس سنة 707 / 1307. واستمرت الزعامة في بنيه إلى أن ضعفت شوكة قومه من العاصم ومقدم وانصهروا في غيرهم من جشم (*العبر*، 6 : 43). وعموما فإن العاصم ومقدم لم يكن لهما تأثير قوي في مجريات الأحداث ولا ظهور متميز على الساحة السياسية بعد مجيئهم إلى المغرب الأقصى، لأن عزتهم تراجعت بمجرد انضمامهم لجشم.

أما عرب الخلط فهم بطن من عقيل ـ بالتصغير ـ وهو من بني عوف ومن بني معاوية ابني المنتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة المذكور في الأنساب المتقدمة لكل من قرة والعاصم ومقدم. فالخلط، إذن، تجتمع مع هذه القبائل الثلاث في عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر. وعليه فإن هذه القبائل إنما نسبت في المغرب إلى جُشم تغليطا في النسب (*العبر*، 6 : 40 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 42 ؛ *الاستقصا*، 2 : 170).

صار للخلط عزة ونفوذ على الموحدين بعد استقرارهم بتامسنا وساهموا إلى أبعد الحدود في إضعاف نفوذ الخلفاء من بني عبد المؤمن في المائة السابعة للهجرة بفعل تحالفهم مع شيوخ هسكورة وأمراء بني مرين من جهة ثانية. ولا يمكن فهم طبيعة العلاقة التي جمعت بين الخلط والموحدين في القرن السابع (13 م) إلا على ضوء صراعهم مع ذوي عصبيتهم عرب سفيان الذين كانت لهم الغلبة والجاه والسيادة على مجموع القبائل المندرجة في جشم في العصر الموحدي.

كان شيخ الخلط في عهد العادل بن المنصور الموحدي هو هلال بن حميدان بن مقدم بن محمد بن هبيرة بن عواج. فخالف على العادل وألحق الهزيمة بجيوشه، ثم بعث إلى المامون سنة 625 / 1228 واتبعه الموحدون في ذلك. في حين انحاش عرب سفيان إلى يحيى بن الناصر، لأنه لم يحدث أن اجتمعوا مع الخلط على طاعة أمير واحد. وبقي هلال على خدمته للمامون إلى أن هلك هذا الأخير سنة 629 / 1232، فبايع لابنه الرشيد وجاء به إلى مراكش وألحق الهزيمة بيحيى بن الناصر وحلفائه من عرب سفيان (*العبر*، 6 : 40).

تولى زعامة الخلط بعد هلال بن حميدان أخوه مسعود الذي عرف بصداقته وتحالفه مع عمر بن وقاريط شيخ هسكورة. ولما أعلنت هسكورة خروجها عن طاعة الرشيد أغرى شيخها زعيم الخلط بالخلاف فخالف. ثم استدرجه الرشيد حتى تغير ما بينه وبين الهساكرة من ود فقدم عليه إلى مراكش في جماعة من قومه فقتله سنة 632 / 1235 (*العبر*، 6 : 40).

خلف مسعوداً على الزعامة يحيى بن هلال بن حميدان فأعلن مناصرته ليحيى بن الناصر انتقاما مما فعله الرشيد بعمه مسعود وأبقى على تحالف قومه مع هسكورة، وشارك في محاصرة مراكش سنة 632 / 1235 حتى خرج الرشيد عنها. ولما تمكن الرشيد من العودة إلى عاصمة ملكه سنه 633 / 1236، بعد أن قضى سنة كاملة في سجلماسة، وفر ابن وقاريط إلى الأندلس خوفا من عادية الخليفة، عاود الخلط طاعتهم للموحدين وقاموا بطرد يحيى بن الناصر حتى يضمنوا بذلك عفو الرشيد عنهم. لكن هذا الأخير ألقى القبض على علي ووشاح ابني هلال بن حميدان وسجنهما بآزمور سنة 635 / 1238، ثم أطلق سراحهما بعد ذلك وعمل على استدراج مشيخة الخلط إلى أن تمكن منهم فقتلهم جميعا (*العبر*، 6 : 41).

أثرت هذه النكبة على قوة الخلط وأضعفت نفوذهم، لكنها زادت بالمقابل في قوة أعدائهم عرب سفيان. ثم تعرضوا لنكبة أخرى زمان حكم الخليفة المرتضى عقاباً على ما فعلوه بالخليفة السعيد في حملته على تلمسان، لأنهم كانوا السبب في إضعاف صفوف الموحدين نتيجة الحروب التي شنوها على عرب سفيان أثناء الحملة، كما كانوا أول المبادرين إلى نهب المحلة بعد سماعهم بمقتل السعيد على يد بني عبد الواد سنة 646 / 1248 لذلك عمل المرتضى على استدراج شيوخهم حتى قدموا عليه إلى مراكش سنة 652 / 1254 فقتلهم جميعا إلا عواج بن هلال الذي فر إلى بني مرين، ثم عين عليهم علي بن أبي علي الخلطي. أما عواج ابن هلال فعاد إلى الطاعة وقتل فور وصوله إلى مراكش (*العبر*، 6 : 41 ـ 42).

لم يستمر علي بن أبي علي الخلطي على وفائه للمرتضى وقتا طويلا، ويرجع السبب في ذلك إلى علو كعب مسعود بن كانون شيخ سفيان لدى هذا الخليفة، ففر إلى بني مرين في وقعة أم الرجلين التي دارت رحاها بين الموحدين والمرينيين بوادي أم الربيع سنة 659 / 1261، أو في السنة بعدها. وصارت جموع الخلط منذ ذلك الوقت شيعة لبني مرين ثم تعززت العلاقة بينهما بعد أن أصهر يعقوب ابن عبد الحق المريني لأحد أشياخهم، وهو مهلهل بن يحيى ابن مقدم، في ابنته عائشة أم السلطان أبي سعيد عثمان الثاني. ولم يزل مهلهل زعيما عليهم إلى أن هلك سنة 695 / 1261 فتولى الزعامة بعد ابنه عطية الذي عاصر كل من السلطانين أبي سعيد عثمان وابنه أبي الحسن علي. وبعثه هذا الأخير سفيراً إلى سلطان مصر محمد الناصر بن قلاوون (*القرطاس*، 302 ؛ *العبر*، 6 : 41 ؛ *الاستقصا*، 2 : 175).

قام بأمرهم من بعده ابنه عيسى بن عطية ثم ابن أخيه زمام بن إبراهيم بن عطية الذي بلغ أعلى المبالغ من العز والترف والدالة على السلطان والقرب من مجلسه إلى أن هلك. فتولى بعده أخوه أحمد بن إبراهيم ثم أخوه سليمان ابن إبراهيم ثم أخوهما مبارك بن إبراهيم ثم ابنه محمد. فتلاشت عصبيتهم ولحق نفوذهم الوهن في أواخر القرن الثامن (14 م) قال ابن خلدون : "إلا أن الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائتين من السنين (*العبر*، 6 : 41 ؛ *الاستقصا*، 2 : 175 ـ 176).

ولما انقرضت دولة بني مرين وجاءت دولة الشرفاء السعديين انحاش عرب الخلط إلى أبي عبد الله محمد الشيخ المعروف بالمهدي ثم جرّوا عليه الهزيمة في حربه ضد أبي حسون الوطاسي وأنصاره من الأتراك. ولما استقل محمد الشيخ بالأمر أبعدهم عن الجندية ووظف عليهم الخراج ومحا اسمهم من ديوان الخدمة، ونقل أعيانهم إلى مراكش واتخذهم رهائن عنده. ثم أعاد أحمد المنصور نصفهم إلى الجندية بعد أن رأى قتالهم وإبلاءهم البلاء الحسن يوم وادي المخازن، ونقل النصف الآخر إلى أزغار (سهل الغرب) فاستوطنوه. لكنهم أكثروا الفساد وكثرت الشكاية بهم فضرب عليهم مغرما سبعين ألفاً فلم يزيدوا إلا شدة. ثم قرر إبعادهم إلى منطقة تگزارين ببلاد الصحراء فامتنعوا من ذلك. فبعث إليهم القائد موسى بن أبي حمادة العمري فانتزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة وحكم فيهم السيف. قال الناصري : ثم ختموا أعمالهم بفعلتهم الشنعاء، وهي قتلهم ولي الله المجاهد أبا عبد الله سيدي مَحمد العياشي، فما زلنا نسمع أن قبيلة الخلط إنما سُلبوا العز منذ قتلهم للولي المذكور سنة 1051 / 1641 (*الاستقصا*، 2 : 176 ـ 177).

أما بنو جابر، وهم القبيل الثالث من حيث الأهمية في جمهور جُشم بعد الخلط وسفيان، فيقال إنهم من سدراته، إحدى بطون قبيلة لواتة. وربما كان السبب في نسبتهم إليهم أنهم تحيزوا بعد ضعف شوكتهم، كما هو الحال بالنسبة للعاصم ومقدم، إلى سفح الجبل بتادلا تاركين بسائط تامسنا الفسيحة لغيرهم من البطون القوية في جشم. وصاروا يترددون على السهل تارة ويأوون إلى الجبل تارة أخرى كلما أحسوا بالخطر يداهمهم على عادة جيرانهم الجدد من قبائل صناگة. فاستدل من قال بنسبتهم لسدراته بموطنهم وجوارهم لهؤلاء، وقال بأن وردیغة التي كانت فيها زعامة بني جابر ليسوا من جشم (*العبر*، 6 : 42 ؛ *قبائل المغرب*، 420).

انحاش بنو جابر إلى يحيى بن الناصر في صراعه ضد المامون وابنه الرشيد، ولما أمر الرشيد بقتل شيخهم قائد بن عامر وأخيه فائد سنة 633 / 1236 رفقة حسن بن يزيد شيخ العاصم ومقدم، كما مر معنا، تولى أمرهم بعدهما يعقوب ابن محمد بن قيطون. ولما تولى المرتضى الخلافة أمر باعتقاله وعين عليهم يعقوب بن كانون بن جرمون من غير عصبيتهم، وهو من سفيان. ثم تولى مشيختهم بعده إسماعيل بن يعقوب بن محمد بن قيطون (*العبر*، 6 : 38 و42). وعموماً فإنه لم يكن لبني جابر دور مهم في تطور الأحداث بمنطقة تامسنا في القرن السابع (13 م) كما لم يكن لهم تأثير كبير في التوازنات التي تحكمت في طبيعة العلاقة بين بطون جشم والموحدين، لأن قوتهم لم تكن في مستوى قوة غيرهم من القبائل ذات العصائب.

ظهر بنو جابر بفعالية على مسرح الأحداث السياسية في النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) مع شيخهم حسين ابن علي الورديغي وابنه الناصر. التجأ إليهم الوزير المريني الحسن بن عمر بعد خروجه عن طاعة السلطان أبي سالم إبراهيم سنة 760 / 1359 فآزروه. ثم نهضت إليهم عساكر السلطان فأمكنوا منه. كما لحق بهم الأمير أبو الفضل بن السلطان أبي سالم بعد فراره من مراكش سنة 768 / 1367، وإعلانه العصيان للسلطان عبد العزيز المريني فلم يجيبوه إلى دعوته، فاضطر إلى اللحاق بجيرانهم برابرة

صناكة. كما لحق بهم في أثناء هذه الفتن الأمير عبد الرحمان بن أبي يفلوسن علي بن أبي علي عمر المريني، فطالب الوزير عمر بن عبد الله شيخ بني جابر بطرده عنهم فطردوه.

مكنت هذه الأحداث الناصر بن حسين بن علي الورديغي من الدربة والمراس على الفتن، وكان ذلك سببا في فساد علاقته بالسلاطين المرينيين والوزراء المستبدين عليهم ودخوله سجن المرينيين ومكوثه به سنتين. ثم تم العفو عنه بعد ذلك، فتوجه إلى المشرق برسم أداء الفريضة. وبعد عودته أودعه الوزير أبو بكر بن غازي السجن مرة ثانية ونقل رياسة بني جابر إلى بني علي هؤلاء (*العبر*، 6 : 42 ؛ *قبائل المغرب*، 1 : 420).

وتعد سفيان أهم بطون جشم وأقواها على الإطلاق. كانت لهم الرياسة بين جميع هذه القبائل عند مجيئهم إلى المغرب الأقصى، وكان الخلط ينازعونهم تلك الرياسة، واستمروا على ذلك طيلة فترة حكم الموحدين. ولما ضعف أمر بني عبد المومن بعد معركة العقاب سنة 609 / 1212، وأعلنت الكثير من مناطق بلاد المغرب استقلالها عن دار الخلافة بمراكش، اعتمد الخلفاء عليهم في جميع حروبهم ضد أعدائهم فكان لهم عزة ودالة واعتزاز عليهم لكثرتهم وقرب عهدهم من البداوة.

ولا يمكن فهم علاقة عرب سفيان بالموحدين في القرن السابع (13 م) بمعزل عن خلافهم مع عرب الخلط. فقد كانوا يحالفون الخلفاء طالما بعّد هؤلاء أعداءهم الخلط عن الخدمة ثم يخالفون عليهم كلما قربوهم منهم. وهذا ما يفسر تأرجح طاعتهم بين يحيى بن الناصر والرشيد وبين المرتضى وأبي بكر بن عبد الحق المريني ثم يعقوب بن عبد الحق من بعده (انظر مادة ابن جرمون).

كان شيخ سفيان في عهد الخليفة المامون وبنيه، جرمون ابن عيسى، فناصر يحيى بن الناصر ثم انقلب عليه لما تقرب من شيخ الخلط مسعود بن حميدان. كما خلع طاعة الموحدين على عهد الخليفة الرشيد، بعدما كان مقربا لديه، والتجأ إلى بني مرين سنة 638 / 1240. وكانت وفاته سنة 639 / 1241 (*العبر*، 6 : 38). وسار أبناؤه وحفدته من الذين خلفوه على الزعامة على هذا النهج في تعاملهم مع الخلفاء الموحدين، محكومين في ذلك بطبيعة العلاقة التي كانت تجمع بين كل خليفة وشيوخ عرب الخلط (انظر تطور الزعامة في أولاد جرمون في الرسم أسفله، وانظر مادة ابن جرمون).

ارتبطت فترة قوة عرب سفيان وسيادتهم على جميع عرب جشم بالعصر الموحدي. ومع حلول العصر المريني انتقلت الزعامة في جشم إلى عرب الخلط بعد أن أصهر السلطان يعقوب بن عبد الحق لبني المهلهل منهم وقدمهم على جميع عرب المغرب. وانحازت جموع سفيان منذ ذلك الحين إلى أطراف تامسنا مما يلي أسفي، كما فعل العاصم ومقدم وبنو جابر قبلهم، تاركة مكانها للخلط الذين صارت لهم سورة غلب على كل ذوي عصبيتهم من جشم، بحكم علاقات القربى التي جمعتهم بذوي السلطان في القرن الثامن (14 م).

ولما ضعفت شوكة سفيان في العهد المريني بقي منهم من كان ينتجع أرض سوس وقفاره كبطني الحارث والكلابية، فبقيت فيهم لذلك شدة بأس لاستمرارهم على حياة البداوة. وكانت رياستهم في أولاد مطاوع من الحارث. ومن أشهر شيوخهم منصور بن يعيش الذي قتله عبد الرحمان بن أبي يفلوسن علي بن أبي علي عمر المريني بمراكش سنة 776 / 1374. وذكر الوزان أن الحارث كانوا ينتجعون سهول حاحة مع الشياظمة في القرن العاشر (16 م) وكانوا يتقاضون خراجا من أهل تلك المناطق.

ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، بيروت، 1983 ؛ ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، بيروت، 1987 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1970 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6، بيروت، 1988 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج. 1، الرباط، 1982 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 2، البيضاء، 1954 ؛ ع. بنمنصور، *قبائل المغرب*، ج. 1، الرباط 1968 ؛ مصطفى أبو ضيف أحمد، *أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين* (524 - 876 / 1130 - 1472)، البيضاء، 1982.

حسن حافظي علوي

الجُشْنة، جنس من الطيور الصغيرة القد، الحسنة الصوت، تشبه القنابر والذُّعَر في الحجم واللون وطريقة المعيشة، ينطق بها في الشرق عُزَيْزاء، وكذلك هي في المعاجم، ويسمى الجنس علمياً Anthus وبالفرنسية والأنجليزية Pipit وبالإسبانية Bispita، ويضم اثنى عشر نوعاً كلها من القواطع، معظمها يشتو في ضواحي إفريقيا الاستوائية الشمالية ويتوالد في أوربا في بداية فصل الصيف. تتخذ ستة أنواع منها مضيق جبل طارق ممراً لها أثناء الهجرة مما يجعل عدة وحدات منها تتوزع على معظم بقاع المغرب خلال شهور شتنبر وأكتوبر ونونبر، وقبل العودة إلى أوروبا، ابتداء من مارس إلى يونيو. عدم استقرار هذه الطيور في المغرب لم يعط للأنواع أسماء خاصة بها من طرف العامة فمنهم من يشتبه له بالذّعرة أو سيسي" لكثرة اهتزاز ذَيْلها، ومنهم من يسميها القُبَّرة "القُوبَع".

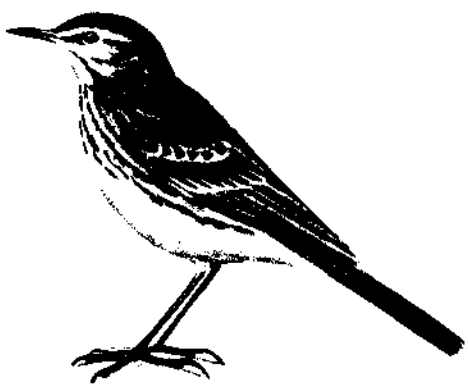

الإناث شبيهة بالذكور، ويتراوح طولها حسب الأنواع ما بين 14.5 و17 سم، ولا يتعدى وزنها 21 غرام. يبلغ طول بسطة الجناحين 26 سم. الذيل والأقدام طويلة. المنقار بُنيّ داكن ورقيق. الصدر والجوانب محززة بخطوط طولية رمادية وسوداء أو صفراء أو بنية حسب الأنواع. تتغذى من الحشرات والعناكب والديدان، تلتقطها عادة وسط الحقول والمزارع، ولا تقترب من الغابات إلا نادرا. تبني عشها على الأرض تحت الأعشاب أو تحت الأحجار. تبتدئ مرحلة التوالد في شهر أبريل، وأحياناً تتوالد مرتين في السنة مابين أبريل ويونيو. تضع الأنثى من 4 إلى 5 بيضات، ونادراً ستة، منقطة بالبُني والرّمادي، يبلغ طولها 21.6 × 15.7 ملم. تدوم مدة الحضانة 13 ـ 14 يوماً ولا تغادر الصغار الأوكار إلا بعد 12 ـ 14 يوماً.

جشنةُ الحقول Pipit Rousseline = Anthus campestris هو النوع الوحيد الذي يتوالد في المغرب بصفة منتظمة في المناطق الجافة وشبه الجافة من البلاد. تتوالد عدة وحدات منه في أوروبا الجنوبية والوسطى، ومجموعات أخرى تتوالد في الجزائر وتونس، وكلها تعود إلى افريقيا لتشتو. من بين الأنواع التي تقضي في المغرب ما بين شهرين وأربعة أشهر : جشنة الأشجار Anthus trivalis وجشنة المراعي Anthus pratensis. يكثر عددهما في معظم المناطق المغربية في شهر شتنبر وفي شهري مارس وأبريل لدى عودتهما إلى أوروبا قصد التوالد وقضاء فصل الصيف في أواسط أوروبا وشمالها.

تعتبر الأنواع الأخرى من الطيور العابرة للمغرب أثناء الهجرة، ولا تقضي فيه إلاّ بضعة أيام، مما يقلل من مشاهدتها ويجعل منها طيوراً نادرة في البلاد. منها جشنة الصخور Anthus spinoletta التي تقضي معظم أوقاتها في أوربا، ومنها بضعة أفراد تشتو في السهول الساحلية الغربية والشمالية من المغرب. جشنة ريشارد Anthus novaeseelandae وجشنة شقراء العنق Anthus cervinus تتوالدان شمال الدول الإسكندنافية وسيبريا، ويشاهد منها عدة مجموعات في المغرب خلال شهري مارس وأبريل، وأحياناً في شهر شتنبر.

تَمّت مشاهدة زوجين من نوع Anthus leucophrys بضواحي ورزازات في شهر أبريل من سنة 1981، ويتطلب الأمر من المختصين في علم الطيور المزيد من المشاهدة للتأكد من عبور هذا النوع لبلاد المغرب خلال هجرته.

أ. المعلوف، *معجم الحيوان*، القاهرة، 1932.

P.C. Beaubrun et M. Thevenot, *Recensement hivernal d'oiseaux d'eau au Maroc, janvier 86-87-88*, Doc. Inst. Sci., Rabat, 1988 ; H. Heinzel, R. Fitter et J. Parslow, *The Birds of Britain and Europe With N. Africa and Middle East*, London 1984 : 208 - 211.

محمد رمضاني

الجعابية، حرفيون متخصصون في فتل خيوط القطن والحرير المعروفة بالصابرة، يديرونها حتى تنبرم، فتجمع على جعاب خاصة من قصب من أجل استعمالها في توشية الملابس الأهلية. ويسميهم بعض الناس في عدة حواضر : "الطرابنية". إلا أن الطرابنية يختلفون عن الجعابية في اعتمادهم على أداة حديثة لإدارة الخيوط مستوردة من أوربا تدعى الطورنو Torno، وهي كلمة إسبانية الأصل تعني ناعورة الفتل والإدارة الحلزونية.

يقوم الجعابية بمهمة الفتل بعقد عدة خيوط من حرير في مكان قار، ومباشرة إدارته بواسطة مغزل يشبه مغزل الصوف، وإعادة إدارته كلما توقف إلى أن يصل ذلك إلى حد مطلوب، فتجمع الخيوط ويحكم وثاقها وتلفّ على الجعاب القصبية وتعوض بغيرها. ومازلنا نرى البعض من هؤلاء الجعابية إلى يومنا هذا يقومون بنفس العمل في كل حي يتوفر على خياطين للملابس التقليدية، إلا أنهم لايشكلون حرفة كما كانوا، بل غالباً ما يتبعون الخياطين.

وترتبط حرفة الجعابية ارتباطاً وثيقاً بتفصيل الملابس وخياطتها. وتستعمل الخيوط المحضرة بدقة وإتقان لتوشية ملابس الذكور والإناث وتزيينها، لكن أكثرها تستهلكه الأردية النسوية. وقد يكون الجعابي هو نفسه خياطاً وجعابياً، وقد يستعين في الغالب بعدة متعلمين. في هذه الحالة يحدد لهم الخياط المواصفات المطلوبة ويقدّم أدوات العمل ومادته الأولية، وعادة ما يكون هؤلاء المتعلمون أنفسهم مساعدي الخياط وعاملين تحت إمرته.

S. Ben Khalifa, *Le Costume dans la tradition, Echanges*, n° 3 vol. I, année 1979 ; J.P. Bernes, *Arts et objets du Maroc, ABC Décor*, n° hors série, 1974 ; P. Champion, *Le Maroc et ses villes d'art*, Paris, 1931 ; J. Galloti, *Les Métiers d'art au Maroc, France - Maroc*, n° 4. N. Lakhlifi, *L'Artisanat de production à Meknès*, thèse de 3ème cycle, Toulouse 1985.

محمد بوسلام

الجعايدي ← الجعيدي

جعفر رايس، من العلوج الأنجليزيّي الأصل العاملين في الأسطول الجهادي بمصب أبي رقراق خلال القرن الحادي عشر (17 م)، تحت إشراف مراد رايس. اختص جعفر بالعمل الجهادي في بحر المانش والمياه الاقليمية لانجلترا ؛ وقد نجح خلال موسم عام 1039 ـ 1040 / 1630 في الاستيلاء على غنيمة مهمة من القماش ؛ وقد شيعها صوب مرسى أبي رقراق تحت إشراف ثلاثة علوج من طاقمه، لكن سفينتين أنجليزيتين تمكنتا من اعتراض غنيمته والاستحواذ على محتوياتها، بما فيها أسراه الإسبان الستة، وعلوجه الثلاثة وقد دفع هذا التجاوز بديوان سلا إلى الشكاية كتابة لدي العاهل الانجليزي شارل

الأول، لاسيما وأن روح التذمّر أخذت تسود في أوساط الرياس ومولّي السفن الذين أصبحوا يطالبون بمصادرة ممتلكات التجار الأنجليز المقيمين بالرباط كرد فعل على الخرق المتكرر لاتفاقية السلم الموقعة سنة 1036 / 1627.

De Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série - Angleterre. T. III, p. 91.

حسن أميلي

الجعفري، أسرة سلوية قديمة كانت تتعاطى خطة العدالة واشتهر أفرادها بحمل العلم والفقه والخطابة بالمسجد الأعظم. وقد انقرضت اليوم من سلا، ولم أقف إلا على اثنين من رجالها وهما :

الجعفري، الطاهر (الحاج -) بن عثمان، كان من فقهاء سلا يباشر خطة العدالة بسلا سنة 1180 وبعدها، وكان خطيب جمعة وتوفي سنة 1219 هجرية.

الجعفري، عثمان بن الحاج الطاهر بن عثمان، كان فقيهاً كأبيه، منتصباً للعدالة بسلا وكان ما يزال بقيد الحياة سنة 1233 لأنه نسخ في تلك السنة بعض الكتب.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، ص. 337 ؛ م. حجي، *فهرس الخزانة الصبيحية*، ص 215 و460 ؛ *رسوم الخزانة الصبيحية*.

مصطفى بوشعراء

الجُعَيْدي، أسرة تطوانية تنتسب للشرف وقد نوزعت فيه. ومنها مَن يُنسب للأندلس كما في رسوم عدلية، ومنها من ينسب لأبي الجعد مركز الزاوية الشرقاوية بتادلا. والجعيدي تكتب هكذا بدون ألف في الوثائق والكتب، وينطق بها ممدوة العين "الجعايدي" وقد تكتب هكذا. استوطنت هذه الأسرة تطوان قديماً، وكان منها عدول وحرفيون وأثرياء ؛ واشتهر منها الشيخ أبو الحسن علي بن مسعود الجعيدي الصوفي الشهير صاحب الضريح المعروف بحي العيون من تطوان. وأقدم منه أبو زكرياء يحيى بن زكرياء الأنصاري الجُعيدي من مدينة (بلنسية) ؛ كان من العلماء الصالحين توفي سنة 619 هـ.

أما الجعيدون السلاويون فينحدرون من الشيخ علي بن مسعود الجعيدي دفين تطوان المتوفى بها عام 1030. ويذكرون في بعض الرسوم أسماء جدود عليّ المذكور متصله بإدريس بن إدريس باني فاس، تتخللها أسماء بربرية مثل تلكال ويجعد ويلمان، وهي إلى ذلك لاتصح من حيث العدد إذا طبقنا قاعدة ابن خلدون في الموضوع. والذين نزحوا إلى سلا من حفدة الشيخ علي بن مسعود الجعيدي جاؤوها في القرن الثاني عشر (18 م). وانتقل بعضهم إلى المقام بالعدوة الأخرى، رباط الفتح.

ومما يذكر أن عبد القادر بن العباس الجعيدي كان أميناً للطبجية والبحرية بمرسى العدوتين وأميناً لديوان الجهاد عام 1203 / 1788، وهو جد الجعيديين السلاويين الحاليين. وكان من الفرع السلاوي بجميع أفراده حرفيون من دباغين وفلاحين وتجار وفقهاء وعدول وبحريون ومجاهدون.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، ج 3 حرف ج، مخطوط ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، نسخة المؤلف بخطه بخزانته بتطوان ؛ *رسوم عدلية* في خ. ص ؛ م. بوشعراء، *الملحق الثاني لكتاب الإتحاف الوجيز*، مخطوط ؛ *التعريف*، الجزء الثاني.

محمد بوخبزة ومصطفى بوشعراء

الجعيدي، إبراهيم (الحاج -) بحار، كان سنة 1292/ 1875 من بين رجال البحرية بسلا، وكان حتى سنة 1311 / 1894 لايزال حيّاً يشتغل في البحر، وهو غير إبراهيم بن عمر الجعيدي آتي الترجمة.

الجعيدي، إبراهيم بن **عمر** بن عبد القادر، ولد بسلا حوالي عام 1297 / 1880، ومات أبوه وهو صغير فكفله جده لأمه الصوفي المقدم الحاج عمر جلزيم، ولم يمكث بالكتّاب القرآني إلا يسيراً وتعلّم صنعة الحصر التي

كان لها نَفاق بسلا آنذاك، وأصبح في النهاية من أكبر صناع الحصر بل وأمين هذه الحنطة لمدة طويلة، واستغنى بها، إذ أصبحت مصنوعاته تسوق إلى خارج سلا ؛ واشتغل إلى جانب ذلك بالفلاحة، وحج مرتين، واقتنى دار المفتي الشيخ أحمد بن الفقيه الجريري بحي رأس الشجرة من طالعة سلا، وعاش فيها إلى أن وافته المنية بعد أن عُمر نيفاً ومائة سنة.

وقبيل وفاته سجلت معه مندوبة جريدة *الميثاق الوطني* حديثاً طويلاً شيقاً حول حياته وذكرياته عن عهد الطفولة وعادات السلاويين في الزواج والعلاقات العائلية، وحياة الصناع والتجار والرقيق وعموم الأسواق وأجواق الطرب.

توفي إبراهيم الجعيدي بسلا صبيحة يوم تاسع شعبان عام اثنين وأربعمائة وألف / 2 يونيه 1982.

الجعيدي، إدريس بن مَحمد بن إدريس بن عبد القادر بن الخياط بن علي بن عبد الله بن علي بن مسعود (الجد ـ) ولد بمدينة سلا في أواخر الأربعينات من القرن الثالث عشر (19 م).

نشأ صاحب الترجمة في جو صلاح وعلم وأدب متميز كانت تعيشه مدينة سلا. ومما لاشك فيه أن إدريس الجعيدي لما يوصف به من شغف بالعلم وحب لأهله، قد درس هو الآخر على نفس الأساتذة الذين درس عليهم رفيقه المؤرخ السلاوي أحمد الناصري، غير أن إدريس اهتم بدراسة الرياضيات وعلم الفلك والهندسة، وبرع في ذلك كاختصاص، كما جاء عند ولده عبد القادر في إحدى أوراقه المخطوطة : "أن والده (إدريس الجعيدي المترجم) كان تبرز في هذا الفن وغيره، وتميز تحقيقاً وتدقيقاً وتنظيراً واستخرج الكنوز الغامضة من قعر معادنها، وقد أخذ هذه العلوم عن عدة علماء ... منهم سيدي الجيلالي الرحالي بمكناس ... ثم أخذ والدي أيضاً على الشريف المتفنن سيدي عبد السلام العلمي، وله تآليف عديدة وصنع رخامات ... كما أخذ والدي عن مولاي أحمد الصويري الذي قرأ هذه الفنون بأوربة بأمرمولوي، وأخذ عن علماء أربعة قرأوا بإيطاليا وغيرها، منهم الحاج إدريس الشاوي الذي برز في الهندسة وعلم الرماية بالمدافع وغيرها، وعن السيد المختار الرغاي وعن السيد أحمد بناني الفاسي الذي كلف آخر عمره بمكينة ضرب السكة بفاس، وعن والده. كان يأخذ عنهم ويباشر معهم العمل ؛ كما أخذ عن العلامة أحمد بورقية الذي كان يدرس تآليف اقليدس في الهندسة برباط الفتح. وإذا أصابه عذر كالمرض يستنيب والدي في الدروس بالرباط ... وأخذ عن الحاج محمد التركي الرباطي وهلم جرا، كما أخذ أيضاً عن الحبابي الكبير الموقت بالقرويين عام 1303 هـ ...".

شهد المؤرخ الناصري للمترجم بذلك حيث قال عنه "...الفقيه الأديب فلكي العصر وحاسبه الشريف أبو العلاء إدريس بن محمد الجعيدي السلاوي ..." وبنفس الوصف ذكره العباس بن إبراهيم، وقال عنه أحمد الصبيحي "...وكان رحمه الله بارعاً في الأدب والعلوم الرياضية، إليه المنتهى في الهندسة وأحكام النجوم والتوقيت والتعديل والحساب والفرائض وغير ذلك، مع مشاركة في فنون شتى؛ وجال في بلاد الشرق وحج عام 1277 هـ ..."

مما لاشك فيه أن إدريس الجعيدي استفاد من سفره هذا إلى الشرق العربي الناهض. كما سجل مشاهد رحلته السفارية إلى أوربا صحبة السفير الحاج محمد الزبيدي الذي عينه السلطان الحسن الأول لزيارة أربعة دول أوربية، هي فرنسا وبلجيكا وانجلترا وإيطاليا في صيف سنة 1876م. ويقول صاحب الترجمة إنه بعد تعيينه كاتبا في سفارة الزبيدي : اقترح عليّ المؤرخ الناصري ... أن أجعل رحلة في سفري ... تكون جامعة لكل خبر غريب ولما نراه في الأوطان من كل أمر عجيب ..." وبالفعل سجل الجعيدي في رحلته السفارية هاته التي سماها *إتحاف الأخيار بغرائب الأخبار* الأشياء التي يفتقدها في مجتمعه الأصلي، وعالج الكثير من الأمور التي كانت تشغل الفكر المغربي في ذلك العصر، وتعامل مع الحضارة الغربية بلهجة إيجابية توحي بالتبني بعيداً عن الانبهار الغبي. كما يكشف تفاصيل تحركات سفارة الزبيدي ويجعلنا نعيشها من أولها إلى نهايتها. وتعتبر رحلته هذه أكبر وأغزر رحلة مغربية سفارية إلى أوربا بقيت مخطوطة أكثر من قرن من الزمن قابعة داخل خزانة عائلته بسلا مجهولة حتى كشف عنها حفيده مَحمد الجعيدي فزودنا بها مشكوراً، فقمنا بتحقيقها لتهيئ دبلوم الدراسات العليا وهي اليوم مرقونة محققة بخزانة كلية الآداب الرباط.

أما عن باقي مؤلفات الجعيدي فيذكرها الأديب أحمد الصبيحي بقوله "... وله *اختصار بعض مقالات اقليدس في الهندسة*، وكتاب الرحلة المسمى *تحفة الأخيار بغرائب الأخبار* وهي نسختان صغرى وكبرى، اشتملت الصغرى على أخبار سفره من بلاد الغرب إلى بلاد الفرنج ... والكبرى على ذلك أيضاً وعلى أخبار الفرنج من لدن الهجرة النبوية إلى عصر مؤلفها، وضم لذلك أخبار الدولة العلوية من أولها إلى أواسط مدة مولاي الحسن رحمه الله ..." مختصر مقالات أقليدس في الهندسة موجود بالخزانة الصبيحية بسلا. أما الرحلة الكبرى فلم أعثر عليها رغم البحث الطويل، كما ترك لنا الجعيدي العديد من القصائد الشعرية نشر المؤرخ الناصري بعضها بعد أن أدخل عليها بعض التلقيح والتهذيب حتى جعلها في مستوى القصائد الموزونة، فالجعيدي لم يكن شاعراً بالمعنى العروضي التقليدي. كما كان الجعيدي يتراسل مع المؤرخ الناصري الذي أشار في فهرسته بالخزانة الناصرية إلى أن الجعيدي وجه له *رسالة حول فن الموسيقى* مازالت مجهولة.

توفي إدريس الجعيدي عصر يوم الأحد 22 صفر عام

1308 / 7 أكتوبر 1890 ودفن بضريح ولي الله تعالى سيدي علي المليح من بلده سلا كما جاء في كناشة أحمد الصبيحي *الفالوذج*.

م. داود، *تاريخ تطوان*، القسم 3 من المجلد الأول، ص. 332 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف اعلام الناس* ...، 3 : 306 ؛ م. القادري، *التقاط الدرر* ...، ج 1 : 140 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 151 و170 ؛ ع. الجراري، *أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين*، 2 : 175 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 39 ؛ أ. الصبيحي، *الفالوذج*، *كناشة علمية* مخطوطة خ. ع. بسلا رقم 426 ؛ *كشكول* (الصبيحي) ج 3 رقم 428 بالخزانة الصبيحية بسلا.

عز المغرب معنينو

الجعيدي، إدريس بن **محمد** بن إدريس (الحفيد) ولد بمدينة سلا عام 1318 / 1900 وكان كجده صاحب الرحلة فقيهاً حسوبيّاً موثقاً ولوعاً بالرصد والفلك، عمل مدة عدلاً بسلا، ثم انتقل إلى العضوية بمجلس الاستيناف الشرعي بالرباط. له *تأليف في نسب الجعيديين وتراجم أعلامهم*.

توفي في حادثة سير مع جماعة من أعيان مدينة سلا سنة 1360 / 1941.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1360 ؛ *دليل*، 1 : 48 رقم 254 ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، 2 : 275 ؛ *جريدة السعادة*، عدد 5108.

الجعيدي، التهامي بن العباس، لعله كان يشتغل بالجندية قبل أن يصبح مؤذناً بأحد مساجد سلا. له *رسائل* إلى ابن عمته محمد بن عزوز الجعيدي الذي كان يقطن بفاس بحومة العيون، ومنها رسالتان مهمتان كتبهما التهامي إليه سنة 1268 / 1851، يصف فيهما مقاومة أهل سلا لقصف الأسطول الفرنسي في هذه السنة وما خلّف من خسائر في الأرواح والبنايات. وكان حياً سنة 1278 / 1862.

م. بوشعراء، الملحق الثاني لكتاب "*الإتحاف الوجيز*" لمحمد بن علي الدكالي، ص. 200. 204 ؛ *التعريف*، ج 2 ص. 52 و54 و60 و155 و225.

مصطفى بوشعراء

الجعيدي، علي بن مسعود بن تكال الأندلسي الأصل، يُنسب للشرف من ذرية زكرياء بن إدريس ونُوزع فيه، وهناك وثائق متعارضة بين الإثبات والنفي.

الشيخ الصوفي الكبير، المعتقد الشهير، قدم تطوان بعد الألف من الهجرة، وصادف خروج بقية المسلمين من غرناطة ونواحيها، فنزل خارج تطوان بموضع سُمِّي بعدُ بحي العيون، ووجد المكان فارغاً فاشترى أرضاً واسعة تمتد فيما سُمي بعدُ شارع الوطية إلى باب النوادر، وجعله من أوقاف الجامع الذي بناه ثمة (ومازال ماثلا عامراً شهيراً) واجتزى منه وممن بعده من النظار من بنوا هنالك دورهم وأطرزتهم، وبطول الأمد تنوسي الجزاء واستقل الناس بالملك، وكان بدء بناء الجامع عام عشرة وألف، وتم بناؤه عام ثلاثين وألف، وعاش الشيخ علي بعد تمامه عامين. وعُمر مائة وعشرين سنة. وكان سكناه هناك بدرب يسمى باسمه (درب الجعيدي) ومازالت داره موجودة به بالقرب من ضريحه ودار ضيوفه.

كان موضع المسجد مجزرة بها عُشب، ويقال إنّ الموضع كان دار دباغة (ولعل هذا هو الصواب لما هناك من ماء غزير يجري تحت جدران المسجد وبلاطه الأول. اكتشف بعضه في الإصلاح الأخير. ولتساقط ملاط الجدران من جراء الملح وشدة الرطوبة). وسبب بناء الجامع أن الشيخ يوسف الفاسي أمر مريديه أن يبنوا لهم رباطاً (زاوية) هناك فشرعوا في البناء في موضع المسجد، فقدم عليهم المترجم له من قبيلة أنجرة وكان له بها أراض وضياع ومواش (ومازال بعض ذلك في أوقافه) فسألهم عن شيخهم. فقالوا : سيدي يوسف الفاسي، فقال لهم : أنا شيخي سيدي يوسف التليدي، وشاركهم في البناء وقال إني أريده جامعاً للخطبة، فكتبوا لشيخهم الفاسي بذلك، فأمرهم أن يتركوه يتم البناء جامعاً كما أراد، وأن يبنوا زاوية بمكان آخر، فابتعدوا بنحو رمية سهم وبنوا رباطهم قبالة (القنا الكبير). ولما أكمل المترجم بناء الجامع بعث له سيدي يوسف خشب السقوف وبابا. قال الفقيه الرهوني : ومازال الباب موجوداً إلى الآن قبالة ضريح سيدي أحمد بوسلهام.

قلت : وقد أدركت أنا هذا الباب الضخم وآخرَ أقل منه، ثم أزيلا عند ترميم المسجد الأول.

أخذ علي الجعيدي عن الشيخ منصور بن عبد المنعم الصنهاجي وغيره، و أخذ عنه أبو الحسن علي المصيمدي صاحب المسجد المشهور باسمه غير بعيد عن جامع شيخه يسمى الآن : جامع الميندي، وهو تصحيف المصيمدي تصغير المصمودي.

وللمترجم *تائية* طويلة من بحر الطويل في التعبير عن أذواقه ومقاماته وشطحاته، وهي سقيمة الوزن اشتهرت وتداولها الصوفية، وشرحها الشيخ أبو العباس أحمد ابن عجيبة، شرحه موجود بأيدي الناس مخطوط.

توفي الشيخ علي الجعيدي في 18 ربيع الثاني عام اثنين وثلاثين وألف / 19 فبراير 1623، ودفن قرب جامعه، وضريحه مشهور، ورثاه أبو حامد العربي بن أبي المحاسن الفاسي برثيتة طويلة تدل على ماله من الفضائل والمزايا أوردها عبد الرحمان الفاسي في *ابتهاج القلوب* وهي طويلة، كما ذكر الفقيه داود مرثية أخرى فيه جيدة لم يعرف قائلها.

م. الإفراني، *صفوة من انتشر*، ص. 78 ط حجر ؛ م. القادري، *نشر المثاني*، 1 : 260، تح. حجي والتوفيق ؛ أ. ابن عجيبة، *شرح*

تائية الجعيدي، مخطوط ؛ ج. سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص. 4 مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 4 / 71 مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 330.

محمد بوخبزة

الجعيدي، عمر مقاوم ولد سنة 1331 / 1912 بمدينة طنجة، التحق بصفوف المقاومة المسلحة السرية بمدينة الدار البيضاء عقب نفي ملك البلاد، حيث قام بتنفيذ عدة عمليات فدائية بتأطير من المقاومين السادة البصري وبالنعيلات وحسن الأعرج وغيرهم إلى أن أطل فجر الاستقلال. وقد ظل من الرجال المخلصين لوطنه حتى فاجأته المنية بالدار البيضاء يوم 4 شتنبر 1995.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.

الجعيدي، عمر بن العباس بن المكي .ولد بفاس عام 1290 / 1873، وبها نشأ وتلقى تعليمه الموسيقي على يد جهابذة الفن أمثال عبد السلام البريهي، وعازفي الكمان الشهيرين المعلم سعيد والمعلم منصور. وقد اتخذ من بيته ملتقى مهرة الحفاظ والمنشدين فكان يستمع إليهم ويحفظ عنهم، إلى أن بلغ مكانة مرموقة. وقد شكل إلى جانب معاصريه محمد بن عبد السلام البريهي ومحمد بن إدريس المطيري الثالوث الشهير الذي اجتمع عنده من مستعملات الموسيقى الأندلسية ما افترق عند غيرهم.

وقد عمت شهرة الجعيدي الآفاق، فاستقدمه السلطان مولاي عبد العزيز إلى قصره بالرباط لتدريب جوق الخمسة والخمسين وتلقين الإماء والخدم أصول الموسيقى الأندلسية عزفاً وإنشاداً. ولما أفضى الملك إلى المرحوم محمد الخامس عام 1347 / 1927 عين عمر الجعيدي على رأس الجوق الأندلسي بالقصر الملكي.

كان عمر الجعيدي من بين أعضاء الوفد الذي مثل المغرب في مؤتمر الموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة عام 1351 / 1932 بصفته رئيساً فنياً للبعثة.

ومن منجزاته الفنية ترتيب وتنسيق أنغام المشالية الكبرى.

توفي عمر الجعيدي وهو رئيس للجوق الأندلسي بالقصر الملكي بالرباط عام 1372 / 1952.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1372 ؛ *معرفة شخصية* ؛ *روايات شفوية*.

الجعيدي، محمد بن عمر بن العباس، ولد بمدينة فاس في بداية العقد الثاني من هذا القرن، ونشأ في أحضان أسرة مفعمة بحب الفن والعلم معاً، فالتحق بالقرويين حيث أخذ عن شيوخها نصيباً من علوم اللغة والدين. وكان في ذات الوقت يحضر مجالس والده الفنية فينهل من مواردها المعارف الموسيقية. ولما انتقلت أسرته إلى الرباط عُين الابن موظفاً بوزارة العدل، ثم لما توفي والده خلفه في منصبه كرئيس للجوق الأندلسي بالقصر الملكي، فتفرغ حينئذ للعمل الموسيقي وأصبح مسؤولاً عن جوق الخمسة والخمسين، فكان مجط تقدير الفنانين، يرجعون إليه في ضبط الميازين وتحقيق الصنعات النادرة "والنواعر" المثقلة بالشغل والأنغام. وبذلك عدت طريقته امتداداً للرواية الجعيدية مثلما تعد اليوم طريق الحاج عبد الكريم الرايس امتداداً للرواية البريهية.

وقد أغنى محمد بن عمر الجعيدي الرصيد الموسيقي للإذاعة الوطنية بتسجيلات كثيرة من أروعها تسجيله ميزان قائم ونصف الحجاز المشرقي، وقوامه خمس وعشرون صنعة قدم لها بتوشية. وهو إنجاز هام أحيى من خلاله ذكرى والده عمر الجعيدي، وسد به نقصا ظل يعاني منه *كناش الحايك* الذي يخلو من هذا الميزان.

توفي محمد بن عمر الجعيدي سنة 1399 / 1978 عن عمر يناهز الستة والستين عاماً.

معرفة شخصية ؛ *وروايات شفوية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الجعيدي، محمد الفاسي عامل تطوان على عهد السلطان مولاي سليمان. ولاه عمالتها بعد عزل سلفه السيد عبد الكريم اللواجري. كان محمد الجعيدي مستقلاً بهذه العمالة، ولم يكن نائباً عن العامل السيد محمد السلاوي كمن قبله. وجه إليه السلطان مولاي سليمان (1202 - 1238 هـ) رسالة غفلاً من التاريخ إليه وإلى أربعة من قواد أيت يوسي بناحية صفرو يقول لهم فيها : "فنأمركم أن تردوا على حملته أولاد عبّاد متاعهم، وقولوا لأولاد الشيخ سيدي الحسن البوسي : أبوكم ساد بالورع، وأنتم يهلكهم الله بالطمع".

لم يلبث محمد الجعيدي أن عُزل بالعامل السيد أحمد العرايشي لأنه كان ياتي أعمالاً مخالفة للمروءة، وكان ذلك في حدود عام واحد وعشرين ومائتين وألف.

صورة الظهير

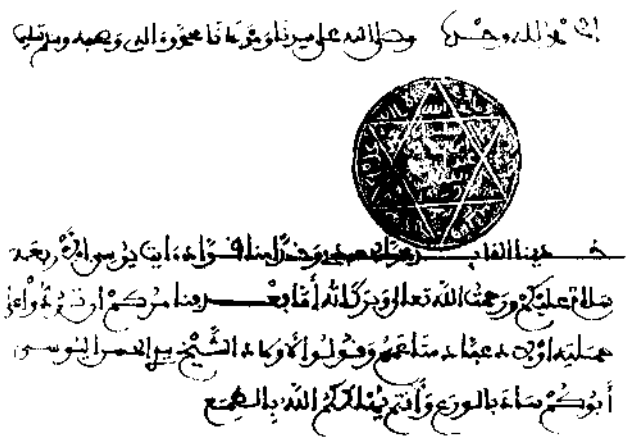

الوثائق الملكية ؛ ج. سكيرج، *نزهة الإخوان*، ص. 43 (مخطوط) ؛ أ. الرهوني، *مختصر عمدة الراوين*، ص. 79 مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 242.

محمد بوخبزة ومصطفى بوشعراء

جغالف، أسرة سلوية نبيلة أنجبت عدداً من الفقهاء والأمناء وكبار موظفي المخزن، وهي نَزُورٌ أخذت اليوم في الانقراض. وكان منها أفراد يتعاطون خطة العدالة بسلا والأمانة بالمراسي المغربية، كما كان منها تجار كبار يستوردون البضائع الأوربية في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن.

جْغالف، أحمد كان أميناً بمرسى العرائش وغيرها من المراسي المغربية وقبْل أن يتولى هذه المناصب المخزنية كانت له تجارة واسعة بمدينة سلا وبخاصة في المواد المستوردة. واشتهر بقاعته الأنيقة التي كانت تضم جميع أنواع الساعات الحائطية في ذلك الوقت، فكانت قبلة الزوّار من المغاربة والأوربيين.

توفي بسلا حوالي عام 1341 / 1922.

جْغالف، الطاهر بن عبد الله كان سنة 1205 أميناً بمرسى العدوتين، وكان مايزال بقيد الحياة عام 1219.

جْغالف، عبد الله بن أحمد تاجر ثريّ خلف أباه سابق الترجمة في التجارة لما عين أميناً ابتداء من سنة 1318 / 1900 وتكاثر شركاؤه واتسعت معاملاته حتى عدّ من كبار التجار السلاويين في عصره، وعليه وعليهم قرئ ظهير التحذير من المخاطرة بمتاعهم بالتعامل مع الولاة.

جْغالف، عبد الله بن أحمد، فقيه كان سنة 1180 من عدول سلا المنتصبين للشهادة في المعاملات والأحوال الشخصية.

جْغالف، محمد بن أحمد، لعله شقيق عبد الله بن أحمد الفقيه المذكور آنفاً، وكان سنة 1214 من عدول سلا المنتصبين للشهادة، ومن أمناء المخزن في المرسى.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. أحمد العماري، ص 366 و368 ؛ *رسوم عدلية* في خ. ص ؛ م. بوشعراء، *الذيل الجديد من الإتحاف الوجيز*، مخطوط ؛ *التعريف*، 2 : 220 و258 ؛ *وثائق آل بنسعيد* ؛ *إحصاء كتب خزانة المسجد الأعظم* بسلا سنة 1219.

مصطفى بوشعراء

الجغرافيا بالمغرب، تطور البحث، تعتبر الجغرافيا مادة حديثة داخل دائرة المعارف الأوروبية. وقد وُصفت بأنها أحدث من ذلك في بلداننا على أساس ظهورها المتأخر في ظل الفترة الاستعمارية. والواقع غير ذلك تماما. إذ أن الجغرافيا الأوربية المرتبطة بالكشوفات والمصاحبة للتوسع الاستعماري هي نوع خاص من الجغرافيا لم يُثْمِرْ في الواقع أية منهجية علمية تُذكر، بل ربما أنتج سلوكات معرفية طالما عرقلت تحول المادة إلى علم قائم الذات. ظهرت قبلها بكثير، دراسات جغرافية متنوعة في سياق بدايات تطور العلوم خلال القرون الأولى لانتشار الإسلام بالمغرب. وقد اعتمدت هذه الدراسات مسارا تصاعديا سما بها إلى مراتب منهجية رفيعة. لكنها عرفت انتكاسا واضحا في غمرة الحركة التوسعية الأوروبية التي طبعت العصر الحديث.

1 ـ عرف تطور الجغرافيا بالمغرب بين القرنين الثالث والثامن (9 و14 م) ثلاث مراحل بدأت بالوصف الغالب للأقوام والأمصار وانتهت إلى محاولة تفسير البيئات المندمجة.

1 ـ 1 ـ تميزت المرحلة الأولى باستكشاف وعرض مظاهر الشمال الإفريقي والمناطق المجاورة بإفريقيا جنوب الصحرا، وأوروبا وباقي العالم مع التركيز على البلاد الإسلامية.

حصل تجميع المعلومات عن طريق الأسفار كما كان الشأن بالنسبة للتاجر الأندلسي إبراهيم بن يعقوب (القرن الرابع / 10 م) الذي خبر شخصيات أوربا الغربية وبلاد الصقالبة وكذلك عن طريق الاطلاع الواسع على المراجع الأصلية والوثائق واستشفاف الأخبار بهاجس التأكد منها باستعمال مناهج المحدثين، وقد اعتمد هذه المعالجة البكري الغرناطي (القرن الخامس / 11 م) في تأليفه *المسالك والممالك* حيث حاول وصف العالم المعروف آنذاك بما في ذلك التنظيمات السياسية والحياة الاقتصادية.

بالإضافة لهذا المجهود في التعرف علي البلدان وتدوين خصائصها، الذي سبق عهد الكشوف الأوروبية الأولى بستة قرون، هناك محاولات لخلق أدوات تربوية تسهل عملية الاطلاع يدل عليها إنشاء البكري لمعجم جغرافي.

1 ـ 2 ـ خلقت المرحلة الثانية الأدوات الحقيقية للمعرفة الجغرافية الحديثة. وذلك على الخصوص من خلال أعمال الشريف الإدريسي السبتي (القرن السادس / 12 م) الذي كرس جهده لإحكام المطابقة بين المعلومات والمجال الجغرافي. وهي نقلة حاسمة من مستوى التركيم الصرف للمعلومات إلى مستوى تنظيم الوقائع وحصرها داخل الحيز المجالي. وقد أتقن الإدريسي تصوير المعلومة الجغرافية كما جاءت في كتاب *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق* وتهييئها للعرض بالاستعمال المكثف للخريطة إلى حد يمكن اعتباره معه كأول عالم أبدع منظومة المعلومات الجغرافية.

بموازاة مع هذا التطور المنهجي، تواصلت تقاليد الاستكشاف المباشر بغرض الإمداد بالمرجعية المعلوماتية المتجددة.

وقد وصل هذا التقليد إلى أوجه مع ابن بطوطة (القرن الثامن / 14 م) الذي أنفق حوالي ثلاثين سنة من عمره لقطع مسافة مائة وعشرين ألف كيلومتر عبر إفريقيا وآسيا وأوروبا، على امتداد العالم المعروف.

1 . 3 . عرفت المرحلة الثالثة تنامي الدراسات المندمجة مع إرهاصات تنظير الظواهر الجغرافية، وقد تربع ابن خلدون (القرن الثامن ومستهل (التاسع / 14 . 15 م) وتميز بوصفه قطب التنظير في العلوم الإنسانية عامة حيث حاول فهم تطور المجتمعات البشرية انطلاقا من تفصيل كل العوامل ومن ضمنها العوامل البيئية واضعا بذلك قواعد الدراسات الحديثة. وقد جاءت *المقدمة* بمنهجية ضبط السببية البيئية. اختص الجزء الأول منها مثلاً بدراسة الوسط الطبيعي وتأثيره على التجمعات البشرية وتعرضت الأجزاء الخمسة الأخرى لجغرافيات الأرياف والمدن والجغرافيا الثقافية وأشكال الحكم والاقتصاد السياسي. اعتمدت المعالجة النهج الاستقرائي بصفة منتظمة على أساس الملاحظة المباشرة والوقائع الملموسة، مستبعدة التأمل الفلسفي لحساب التحليل البيئي الطبيعي والنفسي، بما فيه معطيات المناخ وعلوم الإنسان والأجناس والسكان.

خلال القرن الموالي، تزامنت النهضة والمدّ الأوروبيان مع مرحلة اختلال مزمن انتاب العالم العربي، أنهت الفترة الكلاسيكية للجغرافية بالمغرب.

ظهور أعمال من نوع الجغرافيا العامة أو وصف إفريقيا على يد الحسن الوزان (القرن العاشر / 16 م). رغم زخم المعلومات فيها ورصانة التناول وأهمية الشبوع التالي في أوربا. قد برهنت من خلال عزلتها ويُتْمها على نكوص الحركية العلمية في بلداننا.

2 ـ انحرافات البحث الجغرافي في القرن العشرين

قضى السطو الاستعماري بتجاهل التراث المعرفي الوطني، مؤسّساً حركة اكتشاف جديدة للمغرب كامتداد متأخر لعصر الكشوف الذي انطلق منذ (القرن التاسع / 15 م).

اضطلع بهذه المهمة أفراد الجيش ورجال الأعمال والاطلاع من بين الفرنسيين النازحين منتهجين دراسات مُغرقة في الوصفية والانتفاعية. تبدى العمل الجغرافي الناتج إذاك في حُلة عصرية تَدّعي اعتماد المنهج العلمي وإن كانت تتوخى بث أفكار مُسبَقة قوامُها أن التدخل الأوربي في الشمال الإفريقي يهدف إلى إنعاش الإنتاجية الفلاحية وإرجاع الإقليم إلى سابق عهده حين كان خزان الخبز بالنسبة للأمبراطورية الرومانية، وإزالة آثار المغرب الإسلامي باعتباره في زعمهم مسلسل مُطاحَنات قبلية خربت الاقتصاد الوطني.

انتظم مختلف المهتمين الأجانب في إطار مجتمع جغرافي فرنسي مقفل اتخذ له مجلة متخصصة منذ سنة 1916 تحت ريادة الجغرافي العسكري القبطان دي سوگونزاك، الذي أعلن في العدد الأول من المجلة أن "المغرب بلد رائع اكتسبه المعمرون وأعدُّوه لحصاد وشيك".

لكن الأراضي الخصبة، القابلة للاستغلال المكثف، حَظيتْ وحدها بعناية المعمرين حيث ظهر منذ البداية تقسيم عملي للبلاد" مع مفهوم "المغرب النافع".

استمرت المجلة في الصدور بصيغتها الأولى إلى حدود 1949، عوضتها نشرة *"المذكرات المغربية"* بين 1952 و1961 بأسلوب جديد دالٌ على الفترة الانتقالية السابقة مباشرة واللاحقة لحدث الاستقلال.

3 ـ الاختيارات المنهجية في جغرافيا المغرب المستقل.

ربما أمكن اعتبار العشر سنوات اللاحقة لتأسيس الجامعة هي الأكثر إيجابية بالنسبة للمادة منذ بداية القرن. ذلك أن الجامعة المغربية العصرية كانت قد تأسست سنة 1958 بالرباط وشرعت في بناء هياكلها. وأصبحت الجغرافيا مادة نشيطة في شعبة متخصصة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية وكذلك بشعبة الخرائطية الجيومرفلوجية "بالمعهد العلمي" المجاور. في هذه الأثناء، وفد على المغرب أساتذة فرنسيون لاعلاقة لهم بالماضي الاستعماري، حاولوا ترسيخ التكوين الجغرافي على الأسس المعمول بها في جامعاتهم. فسخروا خبراتهم التربوية والمعرفية في تنشيط التدريس والبحث ورفعوا من مستوى النشرة التي أصبحت *مجلة جغرافية المغرب* ابتداء من سنة 1962.

ورث المغربُ المستقل عن هذه التجربة، بالإضافة إلى أنشطة التربية والبحث بالكلية والمعهد ومجموعة من الأطر المغربية المكوَّنة، والجمعية والمجلة، بنية أساسيةً أخرى هي "اللجنة الوطنية للجغرافيا" التي أنتجت بصفة خاصة عدداً من اللوحات الخريطية المؤلفة للأطلس الجغرافي للمغرب والتي تعالج مواضيع شتّى منها : الاقتصاد المعدني، الصيد البحري، التساقطات المطرية، الغابات، ولوحات مختلفة متعلقة بالنشاط الفلاحي والسكان.

أهم حدث وقع بعد ذلك يَهُمُّ ضبط الهوية التنظيمية للمادة حيث تمّ تعريب الدراسة الجغرافية ومغربة التأطير سنة 1973. كما أن التأطير الجمعوي السابق الذي كان عبارة عن نادٍ أجنبي غَيَّرَ اسمه بصفة معبرّة إلى "الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة"، ثم بدأ صدور *مجلة جغرافية المغرب* (السلسلة الجديدة) منذ سنة 1977 بإشراف هيئة تسيير وتحرير مغربية وظهور أولى المقالات باللغة العربية إضافة إلى البحوث باللغة الفرنسية التي يشترط أن تتوفر على ملخصات موسعة بالعربية.

شاع تدريس الجغرافيا بصفة ملحوظة بتعدد الجامعات على مدى التراب الوطني إضافة إلى تلقين المادة في العديد من المؤسسات الأخرى كمادة أساسية أو تكميلية، كما هو

الشأن بمعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة والمعهد الوطني للتهيئة ومعهد السياحة وكليات الحقوق والمراكز التربوية الجهوية ...

وقد أنتج الطلبة المتقدمون رُكاما من رسائل السلك الثالث وأطروحات الدولة في مختلف تخصصات الجغرافيا الطبيعية منها والبشرية، غطت مناطق واسعة من المغرب مرفوقة بالتحاليل المختبرية والإحصاءات والاستطلاعات الميدانية والخرائط المتنوعة. حيث بدأت شعب الجغرافيا تتحول تدريجيا إلى قَيِّم على التراب الوطني يَخْبَرُ مختلف جوانبه ويجسُّ أحواله ويتتبع تطوراته.

لكن مع ذلك تَبَيَّنَ أن الجغرافيا الموروثة عن التكوين الأجنبي، حتى في أبهَى مظاهرها، مادة وصفية إخبارية، بقيت متأثرة بوقع الكشوف وطبيعتها الأولى كأداة للتوسع الاستعماري. كما أنها عانت من امتناع أصحابها بالذات، أو بالأحرى عدم قدرتهم، على تأسيس آليات الحتمية الجغرافية الكفيلة وحدها بأن تُحوِّل المادة إلى علم قائم الذات مَبْنِيٍّ على السببية العلمية. وسبب هذا التأخر المنهجي المرحلي أن الإرهاصات الأولى لوضع الحتمية الجغرافية كانت من فعل رواد لازالوا لم يمتلكوا التكوين الكافي في قوانين المجال، فجاءت النظريات ضعيفة، لاشك قابلة للتحسن. وجاء الحكم عليها متسرعاً حيث عوّض الحث على التمكن من المناهج واكتساب الأدوات العلمية المواتية، كانت إدانة المبدإ ذاته المستعمل للسببية في التحليل الجغرافي. وكان بذلك الحكم على المادة بأن تبقى تقريرية، في موقع مهتز لا هو من الأدب المقبول ولا هو قد تمكن من أسسه العلمية حتى يصبح قابلا للتطبيق النافع.

اكتست الأزمة حدة خاصة لما اكتمل إشباع كل المنافذ في قطاع التعليم. وطُرحت الغاية من التكوين بإلحاح. وبدأت الظروف تُحَتِّمُ اختيار المناهج القابلة للتطبيق مروراً بضبط الأسس العلمية للمادة. من المحاولات الجادة في ابتداع أسلاك تطبيقية لتكوين الإطار النافع.

ظهرت الحلول الحقيقية مع انفتاح الجامعيين على عالم التهيئ والإنتاج والتطبيق. واتضح الدور الذي يمكن أن يلعبه الجغرافي داخل مجموعات متعددة الاختصاصات في مشاريع تهيئة المجال وإحصاء ومراقبة توازنات الثروات.

كما تَبيَّن أن نزعة التخصص المبالغ فيه والفاصل بين ما هو طبيعي وما هو بشري لا يستجيب دائماً للمتطلبات العملية لتهيئة المجال. وأصبح الجغرافيون المتمرسون، من ذوي التكوين المشارك، يلعبون الأدوار الأولى في مجموعات التهيئة المتضمنة للمهندسين الزراعيين، والغابويين وأصحاب الاقتصاد والاجتماع.

وقد سارع الجغرافيون إلى تكملة معارفهم ومهاراتهم بالانفتاح المتزايد على مختلف الجامعات الأجنبية. والقيام بمشاريع مشتركة وتنويع لغات العلم والتعامل من عربية وفرنسية وأنجليزية وإسبانية ...

وهكذا وبدون سابق إصرار، يعود البحث الجغرافي المغربي إلى المنظور التقليدي الذي ساد خلال العصور الذهبية من أجل تطويره، مُحاكاةً للإدريسي في التركيز على الجانب التجريبي، ولابن خلدون في التعميم والتنظير.

صحيح أن تحويل الاتجاه المنهجي الذي تعرضت له الجغرافيا بالمغرب خلال القرن الرابع عشر (20 م)، قد تسبب في خلق مشاكل مجانية مرتبطة بتاريخ أوروبا، لكنه مع ذلك أخرج أنظمة التعليم من تقوقعها وأطلعها على ما يروج في العالم. أما الاختيارات الحاسمة فإنها لم تتحقق إلا خلال العشرين سنة الأخيرة، تحت ضغط المشاكل البيئية المطروحة بكل المقاييس والتي توجد في صلب الاهتمام الجغرافي لكونه يُعْنَى بتعريف عوامل المجال من حيثُ طبيعتُها وتفاعلها في منظومة متفاوتة التوازن هي ذاتها صورة المجتمعات والحضارات.

مصطفى عياد، *الشريف الإدريسي، معلمة المغرب*، صفحة، 279، 1989 ؛ محمد زنيبر، *ابن بطوطة، معلمة المغرب*، الجزء الرابع، ص، 1268، 1991؛ حسن الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، 1983.

D.J. Zeigler and D. Fassi, *Rediscovering the roots of moroccan geography in era of interdependence. The Geographical Bulletin*, 1996 ; J. Vattier, *Au Maroc utile. B.G.M.*, 3, 1923, 314 ; Le Comité de Rédaction, *Editorial - Revue de Géographie du Maroc*, 10, 3-5, 1986.

الجغرافيات القديمة للمغرب، الاطلاع على الجغرافيات القديمة للتراب المغربي، زيادة على أنه يفيد في معرفة البنيات الرئيسية التي تهيكل المجال وظروف ومظاهر تطورها، فهو كذلك يُعين على فهم جانب مهم من التحولات الشاملة التي شهدها العالم عبر تاريخه الطبيعي نظراً للموقع الأساسي والأدوار الحاسمة التي لعبتها بنياته في تفصل الصفائح القارية (شكل 1).

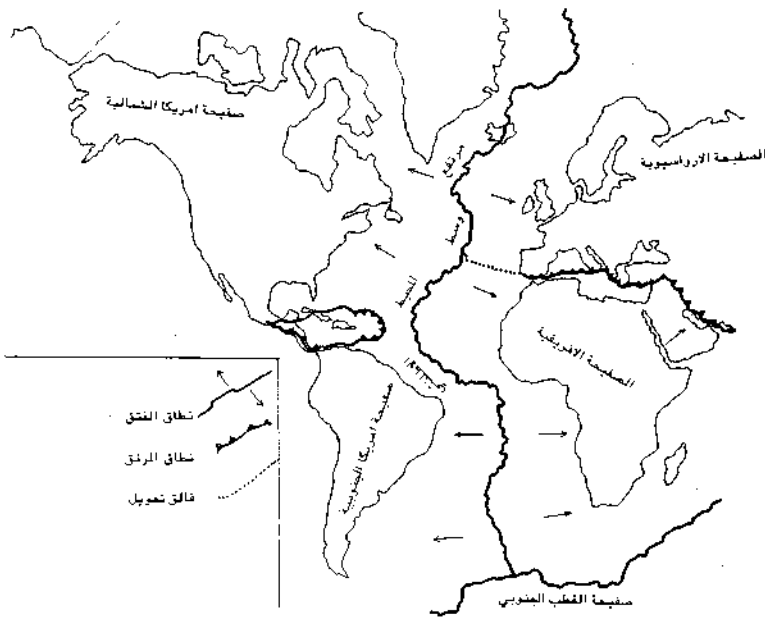

شكل 1 : موقع المغرب من التقسيمات الصفيحية الكبرى للقشرة الارضية

أهم الأحداث الطبيعية هي أولاً البنائية الهرسينية التي ترجع للحقب الجيولوجي الأول (حقب الحياة القديمة) والتي وإن عفى عنها الزمن كسلسلات جبلية حقيقية حطمتها التعرية، فإنها لازالت تشكل بنيات عميقة مؤثرة.

جاء بعدها تعمقٌ واحدٍ من أهم الشروخ التي أصابت قارة گوندوانا الأصلية، تسربت إليه المياه في مستهل الحقب الثاني (حقب الحياة الوسطى) ليكون البداية المتواضعة للمحيط الأطلنتي.

تخلل الحقبُ الثالث والرابع (حقب الحياة الحديثة) الأزمات البنائية الكبرى التي أسهمت في تشييد أهم الجبال المغربية، ومعها بعض التقلبات البيومناخية التي أكملت المشهد الطبيعي العام الذي يشكل المجال المغربي الحالي.

لا يمكن التعامل المعقلن مع التراب المغربي، شأنه في ذلك شأن كل المجالات الأخرى، بدون معرفة كافية لجسمه الطبيعي ماضياً وحاضراً.

1 ـ حقب الحياة القديمة والبنائية الهرسينية. لا تتوفر الأزمنة قبل الكمبرية في المغرب إلا على معلومات قليلة هي الأوضح في المغرب الجنوبي : الأطلس الصغير والمناطق الصحراوية التي هي أقدم المناطق المغربية على الإطلاق. حركات بنائية موغلة في القدم بدأت تأسيس شذرات متقطعة لما سيكون عليه المغرب في الهامش الشمالي للراسخ غرب الإفريقي.

من الوجهة المناخية، هناك شواهد تدل على تحقق فترة جليدية على أن أزمنة ما قبل الكمبري قد انتهت في ظروف أكثر حرارة تشهد عليها السلسلة البنفسجية للآدودوني.

1.1 ـ أهم أحداث النصف الأول من حقب الحياة القديمة. آثار البنائية الكاليدونية غير واضحة وصعبة الفصل عن البنائية الهرسينية التي تلتها.

لكن جل الموشرات تدل على خاصيتين طبعتا النصف الأول من الحقب الأول.

ـ الخاصية الأولى هي نوع من الارتباط بين المغرب (أو شمال غرب إفريقيا) وشرق أمريكا الشمالية وجنوب غرب أوروبا.

ـ الخاصية الثانية هي تغاير واضح في الأوضاع المناخية عرف تطرفات عنيفة.

كان المغرب على العموم، في هذه المرحلة عبارة عن مسطحة تغمرها في الغالب بحارٌ ضحلة لكنها تعرف فترات بروز وانغمار متلاحقة. أهمها في وسط الكمبري على ما يبدو ظهور صلب مسيطن مغربي أدت التعرية النشيطة فيه إلى تركيم مواد سميكة في النطاق الأبلاشي.

انعكست الآية في الأوردوفيسي حيث أصبح النطاق الابلاشي هو الذي يزود غرب المغرب بمواد فتاتية تتشابه سحناتُها ومستحتاتها مع وسط إيبيريا والهضبة الأرموريكية الوسطى بفرنسا.

اختُتم الأوردوفيسي في ظل مناخ بارد جمدي. ذلك أن المغرب والأقاليم المحيطة كانت توجد في العروض العليا المحادية للقطب الجنوبي متأثرة بالرواسب والنشاط الجليدي الذي طبع الصفحة الجليدية العظمى التي كانت تغطي آنذاك الصحراء الافريقية.

يُعتبر ذوبان الصفحة الجليدية هو المسؤول عن الغمور البحرية الواسعة التي غطت المغرب بعد ذلك خلال السيلوري.

الدفءُ الذي تحقق خلال الديڤوني سمح بتحول المجال إلى تناثر هائل للحشفات المرجانية، مع تغاير محسوس للسحنات من الغرب إلى الشرق. السبب في هذا التغاير راجع لأهمية البنائية الأكادية التي قضت بالإبراز النهائي للسلسلة الأبلاشية، معطية توضعات أكثر فتاتية في غرب المغرب الموالي مباشرة للسلسلة الجبلية الأمريكية الحديثة الانتصاب آنذاك.

2.1 ـ البنائية الهرسينية ضمن أحداث النصف الثاني من حقب الحياة القديمة. الحدث الرئيسي هو تحول الأسلوب البنائي السائد من الحركات التمددية التي طبعت النصف الأول من حقب الحياة القديمة إلى نظام انضغاطي شامل اتضحت معالمه ابتداء من الديڤوني العلوي. ترتب عن هذا التحول تكون سلاسل التوائية تتخللها أحواض رسوبية ذات أصل انخلاعي في المغرب كما هو الشأن في شرق أمريكا الشمالية، تتفق مضارب الحوادث البنائية في كونها شمالية شرقية جنوبية غربية. كما أن هذه الأحواض الديڤونية الكاربونية اشتغلت كأحواض فتاتية، قارية في أمريكا، بحرية في المغرب.

لكن من خصائص البحار الكاربونية المغربية أنها انسحبت تدريجيا في اتجاه الشرق مُقفلة الأحواض الغربية الواحد تلو الآخر. الشيء الذي يفسر أن كل هذه الأحواض في الريف المسبطا أو الأطلس، غير منتجة للفحم باستثناء الأحواض الشرقية التي بقيت بحرية في جرادة حتى أدركت الفحمي الڤستفالي المنتج.

وقد حصلت نفس التطورات في المناطق الجنوبية حيث ارتفعت الجهات الغربية التي كانت بحرية في الدينانسي، طاردة البحار إلى الشرق في اتجاه حوض بَشّار منذ النامووري وإلى الڤستفالي.

من الملاحظ إذن أن هناك تفاوتا واضحاً في توقيت البنائية الهرسينية. تفاوت آخر ينتاب أساليب التشويه. الاختلاف واضح بين منطقتين كبيرتين :

منطقة الأطلس الصغير الوسطي والشرقي، وهي ضعيفة التشوه، منعدمة التحول ؛

والمنطقة الشمالية (المسيطا والأطلس) التي تعتبر حقيقة ميدان البنائية الجبلية الهرسينية الحقيقية.

يفصل بينهما النطاق الانخلاعي الأولي للأطلس ذو الحركة المياسرة النشيطة في الشق الشمالي الغربي. يعرف هذا المجال النشيط تعقيدات، منها على الخصوص أن المحاور البنيوية في الشمال منقلبة جهة الغرب في حين أنها في الجنوب منقلبة إلى الشرق.

خلال هذه العمليات التي ميّزت بين جهات المغرب الهرسيني، عرفت مجموع القارة الگوندوانية القديمة حركة شمولية في اتجاه الجنوب جنوب غربي محدثة مع الراسخ الشمال أمريكي انخلاعا مُياميناً.

2 ـ انفتاح الغالق الأطلنتي والتشييد الجبلي الأطلسي خلال حقبي الحياة الوسطى والحديثة.

1.2 ـ بداية الانغلاق الأطلنتي. يكاد الترياس السفلي والوسطي أن يكون منعدم الأثر في مجموع التراب المغربي. جل المواد التريـاسية هنا تنتمي للترياس العلوي وهي تُوجد على محورين اثنين :

محور أول يجمع بين الأطلس الكبير الغربي والأطلس المتوسط ؛ ومحور ثان بهم الواجهة الأطلنتية. وقد استمدت موادها أساساً من غمر ضحل متفرع عن بحر التيتس.

هذان المحوران هما سلسلة من الخسفات توضعت بها مواد فتاتية مثل حث الأوكايدن في الأطلس الكبير، من أصل قاري، تلتها سلسلة بحرية من الأطيان والأطماء والإبخارات تتوسطها في غالب الحالات اندساسات واسعة من الصخور البركانية أهمها البازلت الدولريتي التوليتي. انتشار المواد البحرية يتعدى بكثير القواعد الفتاتية الأولى، وتغلب الحمرة على كليهما.

تحتل التطورات التريـاسية موقعاً متميزاً في انطلاق تكوين الشخصية الحقيقية لجغرافية بنيات المغرب. حيث إن الخسفة الأطلنتية ذات المضرب الشمال شرقي ـ الجنوب غربي كانت هي أول معلمة في انفتاح المجال البحري الأطلنتي. أما الخسفة الثانية فإنها لعبت دوراً حاسماً في هيكلة المغرب بوصفها رسمت مواقع السلسلة الأطلسية.

من خصائص البنائية التريـاسية كذلك أن بوادر الانفتاق الذي شق المحيط الأطلنتي قد انطلقت ابتداء من الجنوب في اتجاه الشمال على أساس انكسار أصلي. خطٌ بنائي ثان هو الحادث الجنوب أطلسي (شرق شمال شرق ـ غرب جنوب غرب). يفصل بين ميدان مغربي شمالي يتميز بغناه الإبخاري عن ميدان جنوبي تغلب فيه الفُتاتيات.

أما النطاقات الريفية الداخلية فهي وحدها خالفت بوضوح الوضعية في باقي المغرب حيث تضم ترياساً ذا سحنة "آلبية" بحرية تغلب عليه المواد الكاربوناطية، بالإضافة إلى أدفاق بركانية تنتمي إلى فترات مبكرة (شكل 2).

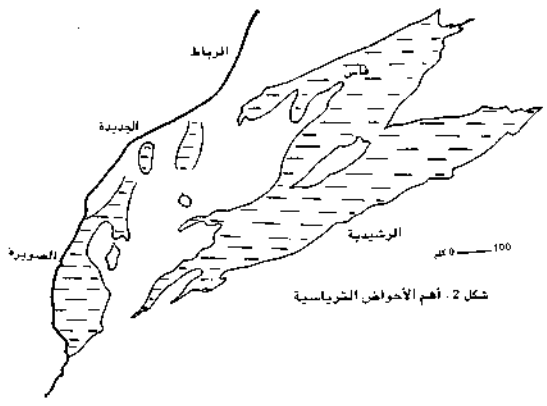

شكل 2 : أهم الأحواض التريـاسية

2.2 ـ انزلاق القارة الإفريقية في اتجاه الشرق. من أجلى التكونات في التنظيمات الصخرسوبية المغربية الثنائي المتناقض السحنات : التريـاس الفتاتي الأحمر، البركاني الهش واللياس الكاربوناطي الغالب التجانس والصلابة. ومع ذلك، فإن اللياس لا يعتبر غمرا مستقلاً ولكن تعميقاً واضحاً لحجم البحار التي همت التريـاس العلوي واتساعاً لمجال انتشارها. حيث لم يسلم من التغطية البحرية إلا الميدان الصحراوي والمسيطا.

تنتمي المجالات البحرية اللياسية إلى إقليمين مختلفين : أطلنتي، لازال ضيقاً، في الجنوب الغربي والغرب، تغلب عليه الأكلاس ؛ متوسطي (من التيتس) يشمل الهضاب العليا، الأطلس المتوسط والأطلس الكبير الوسطي والشرقي، بها تفوق للسحنات الدولومية (شكل 3).

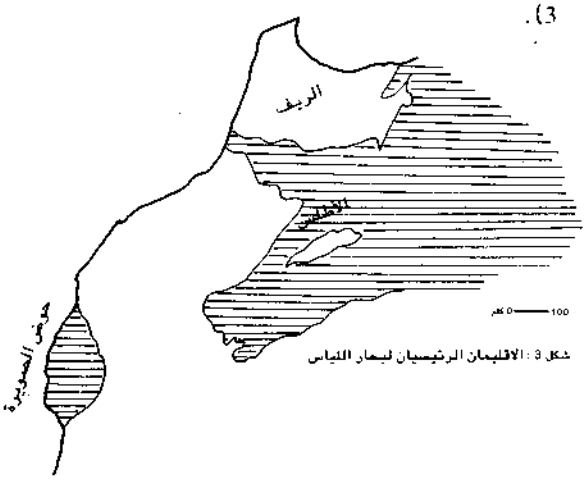

شكل 3 : الاقليمان الرئيسيان لبحار اللياس

عرف الجوراسي الوسيط انحساراً عاماً للبحار، كشف عن مجموع الأراضي باستثناء الريف، حتى في الأخدود الأطلسي، فإن معالم الإطماء قد بدأت تغلب بتزايد سحنات الأوساط الضحلة، عقبتها البحيرات والمستنقعات ثم الأرض اليابسة.

كان التحريك البنائي حاسماً في هذه الفترة في المجال الأطلسي عامة، وقد بلغ أوْجَهُ في الأطلس الوسطي حيث تهيكلت المحاور الكبرى للسلسلة مصحوبة بتدفقات بركانية وعمليات تحول واسعة. وقد بقي الوضع على هذه الحال في معظم الحيز الأطلسي حتى الكريطاسي.

3.2 ـ مظاهر التقارب البنائي لإفريقيا وأوروبا بين حقب الحياة الحديثة والوضع الراهن. يشهد الكريطاسي السفلي استمرار توسع المحيط الأطلنتي، فبعد الانفتاح المتتالي للمحيط جهة الشمال، تدشن القارة الإفريقية بحركتها ضد الساعية وانفراج المحيط الأطلنتي الجنوبي، انزلاقها صوب الشمال وارتطامها بالقارة الأوروبية (شكل 1).

نتج عن هذه الحركات القارية الكبرى، بداية بنائية انضغاطية شملت جل التراب المغربي.

يواصل الأطلس التـرسـيب القـاري الذي بدأه في الجوراسي العلوي. تتعمق النطاقات الخارجية في الريف،

ويستقبل حوضُ كتامة البحري مقادير هائلة من المواد الفتاتية.

أكبرُ حدث عرفه الكريطاسي الوسطي هو الغمر البحري الكاسح الذي ربط بين الأطلنتي والبحر المتوسط. لم يبق مكشوفاً من الأراضي المغربية إلا بعض الجزر الموافقة تقريباً لأقاليم السايس، الرحامنة، الجبيلات، والأطلس الصغير.

بحار هذه الفترة ضحلة، استقبلت رواسب دقيقة وغنية بالمواد العضوية، أدّت في نهاية الكريطاسي إلى توضع نسقين متزامنين : النضيد الحُمَّري (الشيست البتومين) المعروف حالياً في أطلس متوسط تمحضيت كمناجم محروقات ممكنة ؛ والتراكمات الفوسفاطية الواسعة الانتشار في الهضاب الداخلية.

استغرق التراجع البحري والشخوص التدريجي للمجال القاري جزءاً كبيراً من النصف الأول من الثلاثي مع تسارع ملحوظ خلال الإيوسين الوسطي حيث بدأت سيادةُ التطورات القارية مع حصول فترات متميزة احتلت فيها بحيراتُ المياه العذبة أجزاء من المناطق الداخلية.

تفاقمت مع مرور الزمن، نتائج التلاقي الإفريقي الأوروبي المستمر والمتزايد حيث حصلت بنائية تقصير سَرَتْ في جل الأراضي انطلاقاً من الشمال، وانعكست خلال النيوجين بالرفع الشامل للأطلس.

يمكن اعتبار النظام الميوسيني الفترة التي حصلت فيها الجغرافيا المغربية على أهم عناصر تقسيمها الحالي وإن كانت لازالت خافتة، أما البليوسيني والرباعي فقد أبدعا المعالم النهائية. ذلك أن البليوسيني الذي مَيَّزَ بوضوح بين الوحدات المورفوبنيوية شهد اكتمال مواصفات المنخفضات البيجبلية مثل تلك التي تتخلل الشمال الشرقي والأخدود جنوب الريفي وتادلا والحوز والبلاد الوطيئة جنوب الأطلس. وقد شهدت هذه المناطق ظاهرة هامة تجلت في تكاثر البحيرات على شكل حمالة واسعة تكاد تكون متصلة في اختراقها البلاد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. ساعد عليها ولاشك التقلبات المناخية الحاسمة التي عرفها المغرب في هذه الآونة حيث اختلفت السلسلة الطويلة للمناخات المدارية الحارة والتي كان أن ارتفعت في أواخرها وتيرة الفترات الجافة، وعوضتها سلسلة المناخات المتوسطية مبتدئة بفترة قريبة من الاعتدال سهلت ولاشك تجميع المياه العذبة داخل بحيرات واسعة.

منذ أواسط البليوسين وحتى الآن، أصبح الاصطدام بين القارتين أعنف إلى حدّ توقف انزلاق هامشي الصفيحتين وإرتاج الحركة بينهما بصفة نهائية. طاقة الانضغاط التي كانت تتبدد جُزئياً بفعل الانزلاق أصبحت توظف بأكملها في رفع القارة. من ذلك أن البليورباعي هو الذي أكسب المغرب أهم أحجامه الجبلية بعد أن اكتفت الأدوار السابقة بهيكلتها وتشخيصها تشخيصا متواضعا.

تميَّز الرباعي بتناوب العمليات في كل شيء. ذلك أن المناخ المتوسطي الغالب عليه قد عرف ذبذبات مختلفة تعاقبت فيها الرطوبة والجفاف. وهكذا فقد تفاقمت ظاهرة الجفاف في المراحل الأولى من الرباعي القديم (الملوياتي) وأواخر الرباعي الأوسط (التانسفتي) إلى حدّ تعميم القشرنة الكلسية في مجموع الأتربة المغربية الموروثة عن هاتين المرحلتين. كما أن الرطوبة قد عرفت تزايداً قياسياً في الدور الأول من الرباعي الأوسط (العميري) والدور الأخير من الرباعي قبل الحالي (السلطاني) مع امتياز خاص للحقبة الأخيرة حيث تميزت، على ما يبدو من الدراسات العدانية على الخصوص، باعتدال حراري واضح إضافة إلى الترطيب الشامل.

كذلك تحققت العمليات البنائية على مراحل متتابعة تخللتها أزمات ضمن الأدوار الملوياتية، والعميرية والسلطانية.

بناءً على هذا الشريط العام من الأحداث، فبالرّغم من أن المغرب يتوفر على بنيات متنوعة جداً بها منكشفات من كل الحقب ومن جل الأدوار، فإنه يُعتبر من المجالات ذات الأشكال الفتية المطبوعة بالأنشطة الحديثة السريعة التطور.

معرفة التطور الجيولوجي للمغرب الذي يعرض لتواتر الجغرافيات القديمة تُفيد ولاشك في تَمَثُّل الخطوط العريضة لمكامن المعادن والفرشات المائية الجوفية، ولتنوع الأتربة والتشكيلات النَّباتية، ولأنظمة التشكيل على السفوح واستنباط قواعد سلوكات ذوي القرار الاقتصادي والتنموي حتى لا تأتي مُخلّة بالتوازنات البيئية التي تحكُم استقرار وازدهار الحضارات.

H.M Salvan, *L'évolution du problème des évaporites et ses conséquences sur l'interprétation des gisements marocains. Mines et Géologie*, Rabat, 27, p. 5 - 30, 1968 ; R. Du Dresnay, *Extension et développement des phénomènes récifaux jurassiques dans le domaine atlasique marocain, particulièrement au Lias moyen. Bull. Soc. Géol. Fr.*, (7), 13, p. 46 - 56, 1971 ; A. Michard, *Eléments de géologie Marocaine, Notes et Mém. Serv. Géol.*, Rabat, 252, 408 p., 1976 ; Tarbuck and F.K. Lutgens, *The Earth, An introduction to physical geology*, C.E. Merrill Pub. Company, 1984 ; A. Pique, *Géologie du Maroc, les domaines régionaux et leur évolution structurale*, Rabat, 284 p., 1994.

إدريس الفاسي

جغمي، أحمد مقاوم من مواليد 1340 / 1921 بتافراوت، انخرط في صفوف جيش التحرير بمنطقة أيت باعمران ضمن المقاطعة الثانية عشرة بمركز حانوت بيلا تحت مسؤولية إدريس الحارثي. وقد شارك في عدة معارك وهجومات خاضتها فرق جيش التحرير ضد قوات ومراكز الاستعمار الإسباني بالمنطقة، خصوصاً أثناء اندلاع انتفاضة قبائل أيت باعمران يوم 23 نونبر سنة 11 / 1959 والتي حقق فيها المجاهدون نصراً كبير.

توفي بتاريخ 18 جمادى الثانية عام 1416 / 13 نونبر 1995.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.

الجفاف المناخي هو خصاص في كميات التساقطات خلال مدة زمنية، وهو ظاهرة تهم المناخات الرطبة والشبه الرطبة بالأساس، إذ يجب التمييز هنا ما بين الجفاف والقحولة التي تهم المناطق التي يتميز مناخها بندرة التساقطات، فالجفاف بعبارة أخرى ظاهرة استثنائية بالنسبة للمناخات الرطبة بينما القحولة هي خاصية تلازم المناخات الجافة.

التعاريف المناخية لكلمة جفاف تركّز على مدى العجز في التساقطات التي يكون لها طبعا وقع على عناصر الميزانية المائية، والكلمة غالباً ما يتضمن مدلولها لدى عامة الناس خصائص تهم في نفس الوقت الأسباب والنتائج.

استأثرت الظاهرة باهتمام الدراسات المناخية عقب ظهورها واستفحالها في منطقة الساحل الإفريقي في بداية السبعينات، وازداد هذا الاهتمام غداة تعدد حالات الجفاف خلال الثمانينيات لاسيما وأنه أصبح منذ ذلك الحين يُتوفر على إمكانيات للتتبع والتعرف على عدد من خصائص هذه الظاهرة، فكان من نتائج ذلك بداية ظهور دراسات متخصصة تتناول من خلال مناهج وطرق نوعية الظاهرة في محاولة لفهمها وتفسيرها تشكّل اليوم ما يصطلح على تسميته بعلم مناخ الجفاف.

الخصائص العامة للمناخ المطري المغربي : يتميز المناخ المطري المغربي بتغايرية هامة تجعله يعرف تعاقب فترات رطبة وأخرى أقل رطوبة أو جافة حيث تسجل الكميات عموماً نقصاناً كبيراً بالنسبة للمعدل العام.

فقد شهد هذا المناخ المطري منذ بداية القرن تردد فترات قلت فيها التساقطات السنوية عن المعدل العام أو العادي بنسب متفاوتة تجعل ما يصطلح عليه بالسنة العادية لا يتحقق.

فإذا وضعنا المناخ المغربي في إطاره العام أي إنتمائه إلى النوع المتوسطي نجد أن من بين خصائصه العامة عدم الانتظام الكبير لتساقطاته، ولعل أبرز مثال لهذه الخاصية هو أن نمر مثلاً من سنة جافة جداً سنة 94 ـ 1995 إلى سنة رطبة جداً خلال السنة الموالية 95 ـ 1996.

يرتبط المناخ المطري المغربي إلى حد كبير بظروف الحركة الهوائية العامة عند هذا العرض التي تظلّ شديدة التأثر بتزحزح نظام الضغط نحو الشمال ونحو الجنوب تبعاً لحركة الشمس الظاهرية.

هذا التزحزح الفصلي هو الذي يحكم آليات الدورة الهوائية العامة عند عرض المغرب (رسم رقم 1) الذي يشكل طبعاً إحدى الخصوصيات المناخية لهذه المنطقة باعتبارها منطقة انتقالية أو هامشية بالسنة للمؤثرات المناخية السائدة في العروض المعتدلة، ومن ثمة تميز المناخ المطري لهذه المناطق بخصائص نوعية يلعب فيها هذا التزحزح دوراً أساسياً يعطي لنظام التساقطات إيقاعه الفصلي ويحدد نمط توزيعه.

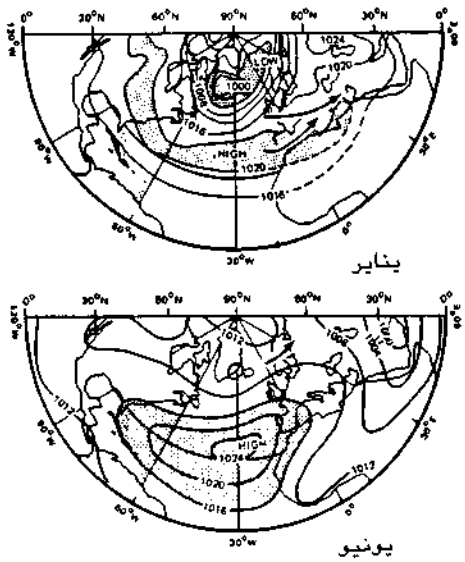

الرسم رقم 1 : يظهر الرسم التغيرات التي تحدث على نظام الحركة الهوائية عند السطح وتأثيرها على الحالة الجوية والتساقطات في المغرب خلال شهري يناير ويوليوز تبعا لحركة الشمس الظاهرية (P. Lamb et Alix)

انتقال نظام الضغط خلال الصيف نحو الشمال وبالأخص خلية الضغط المرتفع الشبه المداري يسفر عن انتقال مسارات الاضطرابات نحو الشمال أيضاً، لذلك تعرف هذه العروض جفافها المميز خلال هذه الفصل الذي يكون إحدى الخصائص الأساسية للمناخ المتوسطي، في حين أن استقرار هذه الخلية خلال الفصول الأخرى عند عرض السواحل المغربية الجنوبية يمكّن من فسح المجال أمام المسارات المختلفة للاضطرابات لكي تهم هذه العروض، ومن ثمة تحقيق نظام مطري تتركز فيه التساقطات أساساً خلال الفترة الممتدة من أكتوبر إلى ماي تبرز خلالها نهاية عظمى أولى للتساقطات خلال نهاية الخريف وبداية الشتاء أي في نونبر ودجنبر، ونهاية عظمى ثانية خلال بداية الربيع أي في مارس وأبريل.

الحديث عن ظاهرة الجفاف في المغرب يؤدي بنا إلى الحديث عن الخصائص العامة لهذه التغايرية، فبوجه عام يظهر تتبع التطور البيسنوي للتساقطات في المغرب أن منذ بداية القرن الحالي إلي حوالي الثلاثينيات كان مجمل الكميات المتساقطة إلى حد ما وفي الغالب أقل من المعدل العام بلغ خلاله العجز نسبة مهمة في الجنوب بوجه خاص، تلته فترة شبه رطبة حوّل الأربعينيات تخللتها فترة جفاف خلال 44 ـ 1945 وتعتبر هذه السنة من بين أجف السنوات التي عرفتها عموماً جل المحطات المغربية (الرسم رقم 2) والتي استمرت نسبياً إلى نهاية الخمسينيات باستثناء بعض السنوات المتفرقة التي كانت نسبياً جد رطبة همت بوجه خاص المناطق الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الأطلس الكبير خلال سنوات 1950 و1960.

إنطلاقاً من بداية الستينات إلى حوالي السبعينيات تعاقبت على المغرب سنوات جد رطبة استمرت في بعض المناطق إلى نهاية السبعينيات وخاصة في منطقة السايس.

منذ نهاية السبعينيات والمغرب يعرف استقرار ظروف مناخية تتميز علي وجه الخصوص بسيادة فترات جفاف شبه

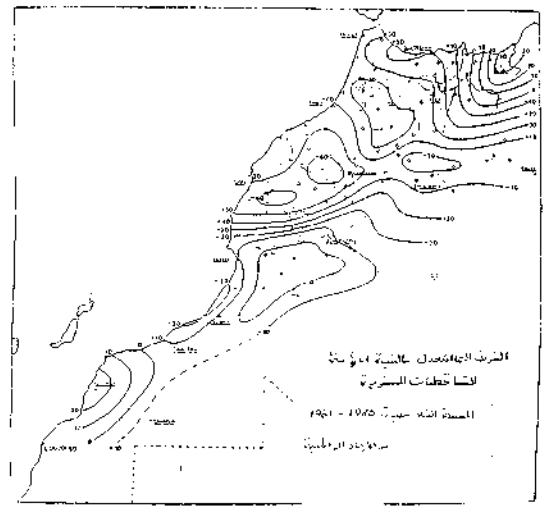

عامة تهم بحدة متفاوتة جميع المناطق المغربية لاسيما وان هذه الحدة تتمثل في امتدادها الزمني على مدى سنوات متتالية استمرت خلال الثمانينيات من 79 . 1980 إلى 84 . 1985 وبلغت ذروتها خلال 82 . 1983 وتكررت مرة أخرى خلال النصف الأول من التسعينيات بلغت أيضاً ذروة أخرى خلال سنة 94 . 1995.

حتى تكون لنا فكرة تامة عن حالة الجفاف في المغرب نورد خرائط تظهر نسبة العجز في الكميات السنوية للتساقطات خلال هذه الفترة (الرسم رقم 3).

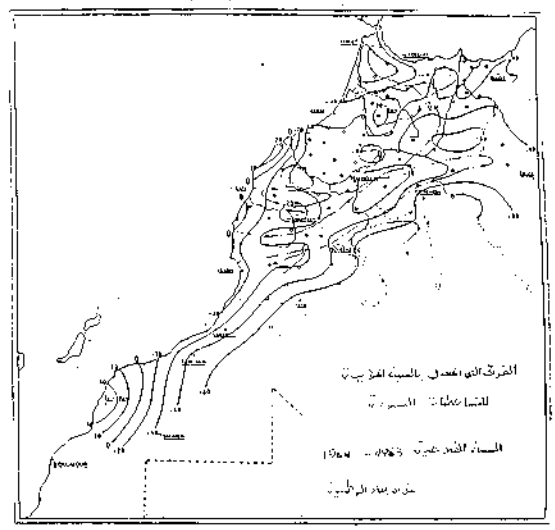

- سنة 1980 . 1981 عجز في كل المناطق المغربية بنسب متفاوتة باستثناء الشمال الشرقي الذي عرف نسباً تعدت المعدل.

- سنة 1981 . 1982 عجز في كل المناطق المغربية باستثناء الجنوب الشرقي.

طنجة

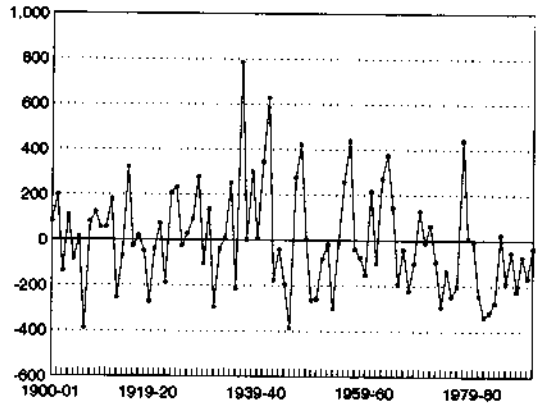

الدار البيضاء

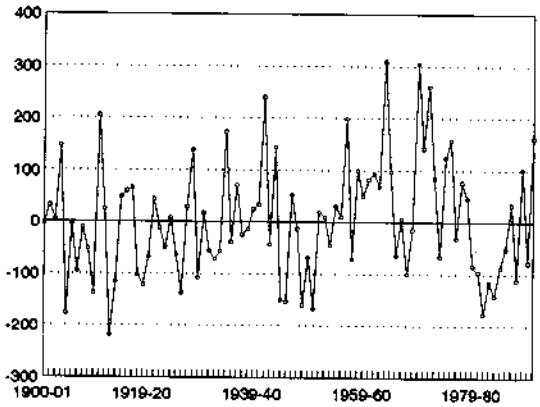

الصويرة

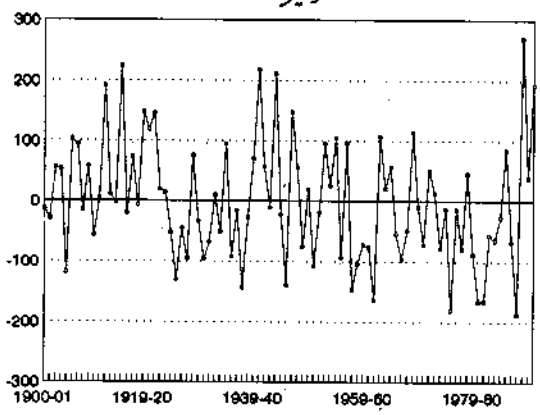

- سنة 1982 . 1983 جافة في كل المناطق المغربية بدون استثناء.

- سنة 1983 . 1984 عجز في كل المناطق المغربية باستثناء منطقة ضيقة من الشريط الساحلي الأطلسي.

- سنة 1984 . 1985 سنة شبه عادية في الجنوب الغربي وجافة في باقي المناطق.

وهكذا وعلى الرغم من حدة سنوات الجفاف فإنها هاته ليست ظاهرة فريدة في المناخ المغربي، فإذا إعتبرنا العجز خلال سنة واحدة مثلاً أو خلال بضعة شهور كفترة يناير - أبريل مثلاً فاننا نلاحظ أن هناك حدة مماثلة من حيث العجز خلال سنوات : 1935 . 1945 . 1950 ، كما إن هناك فترات سنوات متتالية كفترتي 1935 . 1938 و1958 . 1961

اللتين عرفتا على الأقل ثلاث سنوات متتالية سادت فيها ظروف الجفاف.

أما إذا إعتبرنا السنة الفلاحية أو المناخية من شتنبر إلى غشت فإن جفاف الثمانينيات يبدو من حيث المدة الزمنية التي استغرقها ظاهرة فريدة من نوعها، وعلى الرغم من أن فترة جفاف الثمانينيات بحدتها قد أعقبتها فترة أخرى لها تقريباً نفس الحدة بل فاقتها أحياناً خلال بعض سنوات التسعينيات فإنه ليس هناك ما يؤكد على أن هناك دورات تمر بها هذه التغايرية نستطيع من خلالها أن نتعرف على نظام هذه الدورة.

إنه لمن السهل جداً أن نقول أن تردد فترات الجفاف يخضع لدورة يمكن التكهن بها لكن من الوجهة المنهجية والعلمية فإن كانت هناك دورات فهي ذات فائدة لمعرفة تردد الظاهرة في الماضي لكن ليس لها قيمة تكهنية يقينية ولايمكنها أن تعبر في الواقع إلا على جزء صغير من مدى التغايرية التي تهم التساقطات. فقد طبقت Sh. Nicholson (1984) على معطيات التساقطات السنوية والفصلية لحوالي 20 محطة مغربية تتوفر على مدة ملاحظة تبتدئ من سنة 1931 طريقة التحليل الاحصائي المسماة Analyse Spectrale والجدير بالذكر أن هذه الطريقة هي المعمول بها في الطرق الاحصائية عامة لتحديد الدورات أو Cycles ولم تحصل إلا على نتائج جد متواضعة لها مدلول إحصائي، لكن تؤكد كذلك على أن هذه النتائج تظل ذات قيمة مناخية محدودة مادام ليس لها الامتداد الجغرافي اللازم حتى تكون خاصية أساسية تشترك فيها منطقة معينة.

من ناحية أخرى إذا اعتبرنا الخمسين سنة الأخيرة يبدو أن ليس هناك نزعة لا لارتفاع التساقطات ولا لانخفضها في المغرب، لكن عندما نعتبر مدة أقصر فإن هناك فعلاً تطوراً نحو انخفاض الكميات بالنسبة للسنة الفلاحية منذ سنة 71 . 1972 ويعزى ذلك إلى الرطوبة الغير العادية التي عرفتها السنوات ما بين 68 . 1969 . 70 . 1971.

تبيّن دراسة توزيع التساقطات على مستوى الفصول أن كميات الشتاء (دجنبر ـ يناير ـ فبراير) والربيع (مارس ـ أبريل ـ ماي) سجلت إلى حدما تزايداً في الكميات المسجلة، لكن بالمقابل كميات الخريف (شتنبر ـ أكتوبر ـ نونبر) هي في تناقص مستمر.

وعليه يمكن القول بأنّ ليس هناك مؤشر واضح يظهر أن المناخ المطري المغربي هو في تطور مستمر نحو ظروف قحولة متميزة. فانخفاض تساقطات الخريف يقابلها ارتفاع للكميات خلال فصول الشتاء والربيع، فحدة جفاف الصيف المميزة للمناخ المتوسطي بوجه عام والمناخ المغربي بوجه خاص هي التي ازدادت وازدادت معها استمراريتها النسبية داخل فصل الخريف لكن دون أن يؤدي ذلك إلى التأثير على الكميات السنوية.

ترتبط التساقطات في المغرب بالوضعية التي تكون عليها الحركة الهوائية العامة في عرض المغرب التي تؤدي إلى جعل التيارات الهوائية في الاجواء العليا تأتي من الشمال وتمكّن من جعل الوضعية في السطح ملائمة لتقدم المنخفضات الجوية والاضطرابات المرتبطة بها نحو الجنوب لكي تهم المناطق المغربية. فإذا لم تتحقق هذه الظروف الجوية واستقرت أخرى معاكسة لها تمنع من تقدم مسارات الاضطرابات نحو الجنوب عقب استقرار الضغوط الجوية المرتفعة الشبه المدارية فوق المغرب أو في عرض سواحله الغربية لفترة طويلة خلال الفصل الممطر فاننا نكون في ظروف حالة جفاف.

الأسباب الكامنة وراء استقرار مثل هذه الحالات ولفترة غير عادية في المغرب ليست معروفة لحد الآن، وإن كانت هناك بعض المحاولات لتفسير الظاهرة التي تأخذ بعين الاعتبار نوعية المقاربات المعتمدة في هذا النوع من الدراسة والقائمة على نوعية الترابط الموجودة بين مختلف عناصر النظام المناخي مع التركيز بالأساس على العلاقة الموجودة بين حرارة مياه سطح المحيط والهواء الملامس له وعمليات تحول الطاقة الحرارية إلى طاقة حركية داخل الهواء تكون هي العامل الأساسي داخل دينامية الحركة الهوائية انطلاقاً من كونه يخلق الطاقة الحركية التي تؤثر على بنية الهواء.

وقد ركزت دراسات عديدة في هذا المجال على مفعول حرارة مياه سطح المحيط ودورها داخل التغايرية بوجه عام وعلى ظاهرة الجفاف بوجه خاص. فاعتبار حرارة مياه سطح المحيط كسبب مباشر للتغايرية المناخية يأتي من كون أن طبقات الهواء السفلى الملامسة لهذا السطح تتأثر من خلال التغيرات التي تحدثها هذه الحرارة على طاقة الهواء على حمل الرطوبة التي تسفر بدورها على تعديلات على مستوى البنية العمودية للهواء ومن ثمة على التغيرات الزمانية والمكانية للحركة الهوائية العامة.

وهكذا فإن ظاهرة الجفاف تحدث مثلاً في منطقة الشمال الشرقي البرازيلي حسب S. Hastenrath (1977) كلما تميزت حرارة مياه سطح المحيط بارتفاع نسبي على كل من المحيط الأطلسي الشمالي وشرق المحيط الهادي ومياه باردة بصفة غير عادية عند جنوب المناطق الاستوائية من المحيط الأطلسي.

واعتبار الظروف الحرارية لسطح المحيط من جهة أخرى كنتيجة تتمثل في دور الوسيط الذي يلعبه المحيط ليس فقط في المكان وإنما أيضاً في الزمان، فإيصال الحرارة يحدث من مكان لآخر ومن وقت معين لآخر، فالعلاقة هنا ليست ثابتة في الزمان ولكنها علاقة فيزيائية لنقل الطاقة، تنظم التفاعل الذي يحصل ما بين المحيط المداري والغلاف الجوي، وبالتالي يكون لها دور في التغايرية المناخية الشيء الذي يؤدي إلى سلسلة من الانعكاسات على دينامية الهواء، وهذا النوع من العلاقات يعرف داخل ما

يسمى بعلم مناخ الجفاف بـ Téléconnexion وهو تعبير عن التفاعل الحاصل ما بين حرارة سطح مياه المحيط والغلاف الجوي الذي يُنظر إليه من خلال هذا المنظور على أنه في آن واحد نتيجة لحادث سابق وسبب لأخر لاحق.

البحث في هذا النوع من العلاقات والتركيز خاصة على العلاقات المتداخلة ما بين المحيط المداري والغلاف الجوي واعتباره كسبب رئيسي للتغايرية المناخية والجفاف في مختلف بقاع الأرض أضحى اليوم من المسلمات، وان كان يجب ايجاد هذه العلاقة أولا.

والجدير بالذكر أن الفكرة في حد ذاتها ليست وليدة اليوم بل إنها اعتُمدت كمحاولة للتنبؤ بحدة الموسميات في الهند خلال القرن الماضي حيث اقترح Blanford سنة 1884 أن سبب التغير في الظروف المناخية في السهول الشمالية الغربية للهند إنما يعود إلى تأثير مفعول امتداد وسمك الثلوج على الهيمالايا وذلك أن التزايد في كمية الثلج واستمراره حتى خلال فصل الربيع يؤدي إلى أمطار أقل خلال فصل الصيف.

كما أن الفكرة ذاتها ارتبطت أكثر باسم G. Walker (1928) وخاصة ما يتعلق بما يسمى اليوم بدورة Walker فقد ربط هذا الأخير ما بين تساقطات يونيو - شتنبر في الهند والضغط عند السطح خلال فترة أبريل - ماي التي تسبقها، وذلك عند خط عرض 30 من أمريكا الجنوبية.

علاقة التفاعل هاته أصبحت اليوم أيضاً مرادفة لكلمة ENSO وهي مركبة من الحروف الأولي لكلمة El Niño وظاهرة مرتبطة بدورها بتيار بحري حارّ يهمّ السواحل الشرقية من المحيط الهادي جنوب الإكواتور وشمال البيرو، وهي مناطق في الحالات العادية تكون تحت تأثير مفعول تيارات باردة. وهذه الظاهرة تظهر تقريباً خلال كل سنة بحدة متفاوتة خلال فترة أعياد الميلاد المسحية ومن ثمة تسميتها El Niño (تعني الرضيع بالإسبانية) والظاهرة إذن هي تغيير جذري في حرارة مياه سطح المحيط عند هذه المناطق حيث تصبح حرارة المياه نسبيا مرتفعة بصفة غير عادية، فتحدث انقلابا في بنية الهواء عند هذه المناطق، وبالتالي عكس ظروف الدورة الهوائية ولذلك تقرن بكلمة أخرى Southern Oscillation أي الذبذبات الجنوبية وهي تسمية أقترحها G. Walker (1932) تعبّر عن هذا العكس في ظروف الدورة الهوائية داخل المنطقة الاستوائية، وهي تغييرات شبه منتظمة لنظام الضغط عند هذه العروض، وسميت بالجنوبية لأن هناك مثيلات لها في شمال المحيط الهادي North Pacific Oscillation (NPO) وأخرى في شمال المحيط الأطلسي تسمى North Atlantic Oscillation (NAO) ويمكن القول بأن إيجاد هذا النوع من العلاقة الترابطية ما زال يكتنفه هو الأخر بعض الغموض، حيث إن حدة هذه الظاهرة نفسها متغيرة كثيراً. فخلال المائة سنة الماضية حدثت حوالي خمس حالات جفاف حادة في الهند وذلك خلال سنوات 1877 - 1899 - 1918 - 1972 - 1979 لم تصل خلالها ظاهرة El Niño ذروتها إلا خلال سنة 1979، كما أن خلال سنوات جفاف أخرى كسنوات 1905 و1920 لم يحدث خلالهما وجود ظاهرة El Niño وعلى النقيض من ذلك فقد حدث أن بلغت هذه الظاهرة حدة قصوى خلال سنة 1844 و1937 لكن دون أن يصادف ذلك حدوث جفاف في الهند.

وعليه فان هذا يوحي بأن البحث في هذا النوع من العلاقات الذي هو جد متداول الآن قد أفرز جانبا آخر ألا وهو التعقيد الكبير الذي يطبع تغايرية الحركة الهوائية العامة في المناطق الاستوائية والذي يفهم أن الأمر قد حسم فيها مع نظرية "المدخنة الاستوائية"، فكثير هي تفاصيل هذه العلاقات التي هي غير مفهومة إلى حد الآن، لكن الذي يمكن أن يسلّم به هو دور هذه الظاهرة بالنسبة للجفاف في وسط وجنوب أمريكا أي المناطق التي هي تحت التأثير المباشر، فالعلاقة الطبيعية ما بين ارتفاع أو انخفاض حرارة مياه المحيط بشكل غير عادي ونظام الحركة الهوائية المحلية والتساقطات في الأراضي القريبة منها يمكن إثباتها بسهولة.

وفيما يتعلق بالمغرب لا نتوفر في الوقت الراهن إلا على دراسات قليلة جداً البعض منها يكاد يكون عبارة عن حاله إثبات للظاهرة، وعدد قليل منها يعمل على التركيز على محاولة فهمها وتشخيصها.

أهم تصور نظري يحاول تفسير التغايرية العامة للتساقطات وحالات الجفاف الذي يعرفه المغرب يرتبط بظاهرة NAO أو الذبذبات الشمال الاطلنتي قوامها من الناحية المناخية أن هناك حالة تناوب جوية عند السطح ما بين مناطق الضغوط المرتفعة الشبه المدارية والمركزة عند جزر الأسور، والضغوط المنخفضة الشبه القطبية عند جنوب وشرق كرويلاند. والتناوب الذي يحصل في الوضعية الجوية عند هذه المنطقة يتلخص في كونه يتميز بحالة تناسبية عكسية ما بين الخليتين : ارتفاع غير عادي للضغوط الجوية المرتفعة الشبه المدارية للأسور يقابله انخفاض غير عادي للضغوط المنخفضة الشبه القطبية أو العكس.

وحالة ذبذبات الشمال الأطلنتي تحدد حدة اتجاه المجال الضغطي باتجاه القطب، ومن خلاله سرعة واتجاه الرياح الغربية للعروض الوسطى التي تؤثر بالتالي على مسارات الاضطرابات عند هذه العروض وعلى الرغم من أن هذه الذبذبات الشمالية الاطلنتية قد اكتشفت مع مثيلاتها من طرف G. Walker إلا أن الاهتمام العلمي بها لم يبرز إلا في السنين الأخيرة حينما أصبحت اليوم الموضوع الرئيسي لمجموعة من الدراسات المناخية حول الاختلافات الحرارية خلال فصل الشتاء ما بين كرويلاند وشمال أوربا، وقد أدى تطور هذه الدراسات بالنسبة لهذا الموضوع بالذات إلى أن استخرج دليل هو عبارة عن الفرق في معدل الضغط خلال

فصل الشتاء (دجنبر ـ يناير ـ فبراير) ما بين محطة Delgadas في جزر الأسور ومحطة Akureyri في إسلندا، ومن ثمة بدأ الاهتمام أيضاً بالاختلافات في مظاهر الضغط في الأجواء العليا وبالأخص عند سطح 500 ملبار.

وضع P. Lamb و R.A. Peppler (1987) اعتمادا على دليل Rogers (1984) ثلاثة دلائل بالنسبة للتساقطات في المغرب تأخذ بعين الاعتبار أهم المحطات المغربية. ومن خلال هذه الدلائل يتبين أن التساقطات في المغرب وخلال ستة أشهر الشتاء، هي ذات علاقة تناسبية عكسية بحالات الذبذبات الشمال الاطلنتي، فأعلى الكميات المطرية في المغرب تتناسب والقيم السلبية لهذا الدليل، أي في الوقت الذي يكون فيه هذا الأخير في حالة انخفاض غير عادي للضغط المرتفع الشبه المداري للأسور وارتفاع غير عادي للمنخفض الشبه القطبي لإسلندا، وهي نفس الوضعية التي تتميز بضعف في قوة الرياح الغربية، بينما انخفاض كميات التساقطات في المغرب تنزع للارتباط بالحالة المعاكسة.

هذه العلاقة العكسية ما بين التساقطات في المغرب وNAO تكون نسبيا قوية عند المناطق الساحلية الأطلسية وبالأخص في الشمال، وذلك طبعاً لكون هذه المناطق هي التي تكون أكثر مواجهة لمسارات الاضطرابات القادمة في أغلب الأحيان من الغرب والشمال الغربي.

تؤكد هذه النتائج على أن التساقطات في المغرب لاترتبط فقط بالضغط المرتفع الشبه المداري لجزر الأسور، إنما أيضاً بالضغط المنخفض الشبه القطبي لإسلندا. معنى ذلك أنه متى كانت هناك ظروف جوية تعمل على تقوية المجال الضغطي ما بين الخلتين أي في الحالة القصوى لNAO أي ارتفاع غير عادي للضغط المرتفع الشبه المداري وانخفاض غير عادي للضغط المنخفض الشبه القطبي سيسفر ذلك عن مجال ضغطي قوي ما بين الخليتين مما يؤدي إلي تقوية سرعة الرياح الغربية عند المنطقة المعتدلة تكون من نتائجه المباشرة أن تبقى مسالك مسارات الاضطرابات أكثر فأكثر شمالية، وعندها تستقر في المغرب ظروف جفاف تتمثل في سيادة ضغوط جوية مرتفعة لفترة طويلة وغير عادية.

H. F. Blanford, *On the connection of the Himalya Snowfall and seasons of drought in India. Proceedings Royal Society London*, 37 03, 1884 ; S. Hastenrath - L. Heller, *Dynamics of climatic hazards on northest Brazil Quarterly, journal of the royal Meteorological Society* 103, (0) 77 - 92, 1977 ; P.J. Lamb - R.A. Peppler, *North Atlantic Oscillation : Concept and an Application. Bulletin Am. Meteo. Society* Vol. 68. n° 10, 1987 ; S.E. Nicholson - T.M.L. Wigley, *La Sécheresse au Maroc. II Analyse Statistique des années pluviometriques.* Rapport au Conseil Supérieur de l'eau, 1984 ; J.L. Rogers, *The Association between the north Atlantic Oscillation and the Southern Oscillation on the Northern Hemisphere. Month. Wea. Review*, 112, 1984, 1999-2015 ; G.I. Walker, *World weather, Quarterly. Jour. of the Roy. Meteo. Society* 54 pp., 1928 ; G.T. Walker - E.W. Bliss, *World weather. Mem. Roy. Meteo. Soc.* 44. 53. 84, 1932.

علي البليشي

* * لمزيد فهم ظاهرة الجفاف بالمغرب يمكن تحليل العوامل المناخية والأحداث التاريخية على المقابلة بين منهجين مختلفين في تقصي الماضي المناخي : بعض الوثائق التاريخية منها على الخصوص : *نشر المثاني* للقادري *والاستقصا* للناصري *والمجاعات والأوبئة في مغرب القرن 16 و17* للتريكي وروزنبرجي، من جهة، ومن جهة أخرى التحقيب المناخي الذي وضعه ستوكتون على أساس الحلقات السنوية لنمو الأشجار تحت تأثير التساقطات المطرية والذي يشمل القرون العشرة الأخيرة من تاريخ المغرب باستعمال جذوع الشجر المأخوذ من شعاب الزاد وتونفيت.

يشترك جانب من التحليل المناخي والتحليل التاريخي في هاجس تفسير تواتر الأحداث على أساس تطور دوري محتمل، له في علم المناخ أهمية قصوى إذ لو تأكد وجوده لأصبح هو الأساس في التنبؤ بأحوال الطقس على المدى المتوسط والبعيد، ولأعطى للهيئة الهائمة للحالات الجوية عبر السنين منطقا داخليا يُخضعها للتحليل العلمي ويُطوعها للتخطيط الاستراتيجي.

وإن كان لم يكتمل بعد، فإن البحث في هذا المنهج قد قطع أشواطاً بعيدة في بلدان مثل الولايات المتحدة والسويد وانجلترا وفرنسا وألمانيا واليابان. أما في ما يخص المغرب، فإن دراسة ستوكتون في علم مناخ الأشجار قد مكنت من وضع جدول زمني للتساقطات المطرية والجفاف لعدة قرون. وبالطبع، فإن لهذه الطريقة حدودها المنهجية إضافة إلى أن البحث فيها عندنا لازال في بدايته.

تأتي بعد ذلك المسألة الحاسمة في العلاقة بين الظروف الطبيعية وتاريخ المجتمعات. فإذا كانت الحتمية التي يتعلق بها الجغرافيون الكلاسيكيون قد تمّ تجاوزها، فإن التساؤل... حول هامش الحرية التي يتمتع بها الإنسان تجاه ضغوط الطبيعة، يظل مطروحاً. وبعبارة أخرى، هل هناك تزامن تام بين المناخ والمجتمع في تطورهما المطرد ؟ أو هناك عوارض تعوق هذا التطور التزامني ؟ لا يمكننا سوى تقديم بعض عناصر الإجابة بالنسبة لحالة المغرب لأن البحث حول تاريخ المناخ مازال في بدايته، والأرشيفات، وإن وجدت، فهي غير مدروسة كما أنها مفقودة بالنسبة لفترات معينة، ولا تسمح بالجواب القاطع عن الأسئلة المطروحة. وفي الحقيقة إن التأخر في دراسة تاريخ المناخ بالمغرب يشكل عائقا كبيرا للتعرف على ماضي مجتمعاتنا.

1) تتحدث المصادر الموجودة عن ثلاث كوارث في القرن الخامس عشر : وباءان قاتلان في 1441 ـ 1442 و1468 ـ 1469. وقد ساهم سقوط غرناطة في عودة الوباء سنة 1493

في فاس، حيث هاجر إلى المغرب عدد كبير من الأندلسيين الذين يحتمل أن يكونوا سببا في وقوع الكارثة.

أما فيما يخص التحولات المناخية فإن المساهمة الهامة لعلم تحقيب الأشجار (Dendrochronologie) تتيح تقديم بعض عناصر التفسير.

بماذا تخبرنا عن القرن الخامس عشر ؟ إنه قرن مبارك من السماء ! في 1415 احتل البرتغاليون مدينة سبتة إلى 1521 ـ 1522 بداية سنوات الكوارث الطبيعية في القرن السادس عشر لم تحدث إلا كارثة جفاف واحدة. فعلم تحقيب الأشجار (Dendrochronologie) يعكس بكل أمانة ما نعرفة من دراسة الوثائق فسنوات 1461 ـ 1469، كانت فعلا سنوات جافة تلتها أوبئة. (انظر الرسم البياني الذي أعده ستوكتون وفريقه) وباستثناء هذه السنة فإن الرسم البياني للتساقطات يظل فوق المتوسط. وهذا أمر مثير حقا، لأنه القرن الوحيد الذي شهد هذه الأحوال المناخية الجيدة.

2) الكوارث الديمغرافية في القرن السادس عشر.

ويتعلق الأمر على الخصوص بالأزمة التي انطلقت مع جفاف 1521 ـ 1522 والتي ميزت التاريخ الديمغرافي خلال ثلاثة قرون.

يقول روزنبرجيه والتريكي بخصوص هذا الجفاف : "سيعرف المغرب مجاعة فظيعة، ستظل ذكراها عالقة بالأذهان لمدة طويلة (...) وسيتحالف الطاعون مع الجفاف في هذه الكارثة القاتلة". (انظر رسم 1).

ما هو ميكانيزم هذا الحدث ؟

ـ عرفت سنة 1520 جفافا قاسيا، لكن المناطق المسقية لم تتضرر كثيراً.

ـ خريف جاف في 1521، المجاعة وارتفاع أسعار المعيشة.

ـ 1522 ـ 1523 كانت سيئة للغاية بحيث تبدو السنة التي قبلها أحسن منها.

ـ توقف الجفاف في 1524، لكنه ترك وراءه الأسى، ماتت الأشجار وجفت المراعي، وتقلص حجم قطعان الماشية.

بين 1524، نهاية الجفاف، والوباء في 1552 ـ 1558 حدث تحسن محسوس في أحوال المناخ، غير أنه ظل تحت المتوسط، مع بعض فترات الجفاف الخفيفة في 1545. ولم ينقلب هذا الاتجاه إلا في 1552، حيث شهدت السهول الأطلسية مجاعات في 1521 ـ 1522، باستثناء سوس.

غير أنه بحدوث إصابات وبائية سنة 1557 ـ 1558، فإن آثار هذا الجفاف المستمر طيلة 35 سنة، وجد أرضية خصبة لاستفحال الطاعون.

وبالمقابل كان النصف الثاني من القرن السادس عشر طيبا، على الرغم من أنه عرف وباءين في 1580 ومن 1597 إلى 1610. وفي الحالتين لم تكن هناك علاقة سببية بين الجفاف والوباء، لأن الرسم البياني للتساقطات يخبرنا أن سنوات 1552 إلى 1600 كانت فوق المتوسط. ولا تخبرنا النصوص إلا عن مجاعة بسبب جفاف 1604 ـ 1608.

في هذه الظروف كيف يمكن الفصل بين آثار الجفاف ووباء الطاعون ؟ إذا كان الجفاف والوباء يفعلان بشكل منفصل، فإن آثارهما تختلف في الاتساع وحدود المجال. ومازال البحث التاريخي غير قادر على تحديد مختلف هذه الأبعاد. تخبرنا المعطيات المأخوذة عن دراسة حلقات الشجر أن النصف الثاني من القرن السادس عشر كانت أحواله المناخية طيبة.

غير أنه من سنة 1550 إلى 1610 شهد المغرب ثلاثة أوبئة متتالية. وسواء كان هناك تزامن في الظاهرتين أو تقارب في التتابع، فإن آثارهما تكاثفت ونتائجهما كانت مريعة، كان الوهن قد اشتد بالناس من جراء المجاعة، فجاء الوباء ليقضي عليهم.

بماذا يخبرنا علم تحقيب الأشجار(Dendrochronologie) ؟ إذا كانت هذه المعطيات مطابقة لما نعرف عن جفاف 1521 و1522 وامتداداته، فإنه ليس هناك ترابط بين الجفاف والأوبئة خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر (انظر رسم 2).

انطلاقا من هذه الاعتبارات، يمكن أن نحدد بعض الاتجاهات أو بعض المؤشرات :

ـ عندما يسود عنصر الوباء تحصل نتيجتان أساسيتان:

ـ الأولى على المستوى الديمغرافي : يؤدي التراجع العنيف للسكان بفعل الأوبئة إلى فوضى شاملة من جراء الوفيات الكثيرة. عدم صمود أية بنية : جهاز الدولة، السلطات المحلية، مختلف الفئات الاجتماعية من الأعلى إلى أسفل السلم الاجتماعي. تآكل المجتمع.

ـ أما على المستوى البسيكولوجي : فإن الوباء يثير هلعا لا مثيل له في وسط السكان. في أحوال الجفاف، يحافظ الناس على ديناميتهم ويحاولون البحث عن مصادر التغذية أو يعوضوها بحركيتهم وهجرتهم عن ندرة المواد ولا يفقدون الأمل. كما يُصَلُّون طلبا لغيث السماء أما في حالة الوباء، فإن الناس يستسلمون للقدر وللموت دون حراك.

ـ بعض النتائج القطاعية :

ـ موت ثلث أو نصف السكان حسب المناطق. كانت الإصابات قليلة في سوس والصحراء والمناطق الجبلية. بينما كانت الخسائر كبيرة في الشاوية ودكالة. والقول بأن 100 ألف شخص قد ماتت، تقدير متواضع. كما نتج عن هذا الوضع فراغ سكاني كبير في بعض المناطق لمدة طويلة. ففي نهاية القرن الخامس عشر لم يكن عدد سكان المغرب يتجاوز 3.5 مليون إلى 4 ملايين نسمة. وفي بداية القرن السادس عشر لم يتجاوز عدد السكان هذا القدر. ولم يزد عدد السكان إلا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

- حدث توزيع جديد للسكان عبر حملات هجرة متعددة وكان الاتجاه السائد هو النزوح القوي من المناطق الصحراوية والجبلية إلى السهول. وكان الفراغ الناتج عن الكوارث الديمغرافية يلعب دور الجذب.

- مع تقلص عدد السكان يلجأ الإنسان لتعويض النقص في الأيدي العاملة إلى الرعي على حساب الزراعة.

هكذا ازدهر الاقتصاد شبه الرعوي في السهول الخصبة.

وجذب هذا الفراغ سكان الصحراء والجبال، فنتج عن ذلك شغب قبلي، واضطرابات وغياب الأمن مما عرقل حركة الناس والمنتجات كما أن الاختلافات الإقليمية احتدت، فقد مست الأزمة أيضا مناطق الريف والسهول القارية كالحوز وتادلا. وارتفعت الأثمان، مما ضاعف الخصاص وهدد تموين المدن، وحدث شبه شلل في نشاطها الاقتصادي، فضعفت الصناعة التقليدية والتجارة الخارجية، ولم تعد المناطق الغنية تقوى على مد يد المساعدة لما حولها.

- تزايد دور الصلحاء والأولياء والزوايا في ظروف الأزمة. فأمام عجز الوطاسيين (1471 - 1554) عن تنظيم تموين الناس استطاعت مؤسسة الزاوية أن تؤطر أعمال الخير والإحسان، وتنظم التضامن بتوزيعها للموارد. وكان هذا أحد أسباب صعود الزوايا منذ القرن الخامس عشر وتعزيز نفوذها في القرن السادس عشر.

فالأتقياء يمكنهم القيام بدور فعال في أحوال الأزمة : دور التحكيم ودور اجتماعي لتعويض ضعف أو انعدام جهاز الدولة. لكنهم عملوا بالأساس على تأجيج مقاومة المحتل البرتغالي. لقد ساعد عملهم الديني وبركتهم على تقوية الصوفية، وانتشار تدين شعبي يتمحور حول المعيش اليومي للناس. فتطور الصوفية كان بلا شك مرتبطا بوضعية الأزمة التي كانت تفسر باعتبارها عقابا إلاهيا.

- النتائج السياسية على البناء الاجتماعي للدولة :

أثبتت أزمة 1521 - 1523 وجود علاقات بين الكوارث وسلطة الدولة. فقد ساعدت على ظهور سلالة حاكمة جديدة وهي سلالة السعديين، في حين انهارت دولة الوطاسيين. لم تتأثر اسبانيا كثيرا بالأزمة، لأن جهاز الدولة بها استطاع المواجهة سواء عن طريق استيراد القمح أو بتنظيم توزيعه على السكان.

بينما لم تصمد البرتغال كثيراً أمام الأزمة لأنها كانت منشغلة باحتلال شواطئ الأطلسي. إن تراجع الدخل الضريبي الذي كانت البرتغال تستخلصه من السهول الأطلسية التي أصابها الجفاف، وضرورة تموين المراكز البرتغالية انطلاقا من البرتغال التي أصبحت عبء كبيرا كل ذلك حد من الخطر البرتغالي. وكان ضعف البرتغال أيضا ناتجا عن هذا الوضع ولذلك لم يستفد كثيراً من ضعف المغرب زمن الاحتلال.

كانت موازين القوى مختلفة لصالح دول شبه الجزيرة الإيبيرية. وكان ضعف البنى السياسية والإدارية للمغرب لا يسمح له باستيراد القمح من الخارج. بينما استطاعت إسبانيا أن تصل إلى تركيا لمواجهة مصائب الجفاف. أما الوطاسيون، حسب ليون الإفريقي فكانت تعوزهم الإمكانيات المالية، وكان تنظيمهم الإداري ضعيف السيطرة على مجموع البلاد. فلمواجهة كوارث المجاعات لم يكن الوطاسيون يتوفرون لا على السلطة السياسية، ولا على جهاز الدولة القادر على تنظيم التموين.

فقد المغرب احتكاره للتجارة الصحراوية بعدما تحولت الطرق للجزائر وتونس، وحوصرت شواطئه من طرف الإسبان والبرتغال، مما منعه من ممارسة التجارة عبر البحر، وعانى من خسارة ديمغرافية كبيرة. وأدى تظافر هذه العناصر إلى إضعاف السلطة السياسية كما ضعفت السلطات المحلية من جراء المجاعات والأوبئة، وأصبح جهاز الدولة عاجزاً عن الفعل. وهذا ما يفسر انطلاق أعمال العنف. كما أن الصراعات الأهلية، بعد سقوط دولة الوطاسيين وصعود السعديين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، ستكون بداية مرحلة جديدة في تاريخ المغرب، مختلفة عن القرون الوسطى، حيث ستتميز بانهيار الحياة الحضرية وظهور مراكز قروية مرتبطة بالزوايا وازدهار دور الشرفاء. وستمتد مميزات هذا الوضع إلى نهاية القرن التاسع عشر.

3) الدولة كضابط لآثار الجفاف خلال النصف الثاني من القرن XVII

إذا كان القرن السادس عشر قد عرف جفاف 1521 - 1523 ووبائين في 1557 - 1558 و1579 - 1580، فإن القرن السابع عشر لم يفلت من هذه الكوارث الطبيعية : سبع وعشرون فترة جفاف أصابت المغرب في هذا القرن، وإحدى عشرة فترة في القرن السابق ويعكس علم تحقيب الأشجار هذا التفاقم بصورة واضحة.

وبالإضافة إلى الجفاف، فإن سنوات 1597 - 1608 شهدت وباءً فظيعا حل بالبلاد وكانت آثاره متعددة انهيار سلطة السعديين التي عرفت صراعات داخلية للطامعين في الحكم، وظهور أبي محلّي، مهدي آخر ساهم إلى جانب المجاعة والفوضى والعنف في اضطراب النفوس.

وقد تلت هذه الفاجعة، بعد 15 سنة، فترة جفاف قاسية استمرت ست سنوات من 1626 إلى 1631 وستؤدي المجاعة والفوضى إلى تعميق أزمة الدولة. في هذه الظروف ستتشكل شيئا فشيئا، وخلال هذه العقود المضطربة، مباشرة بعد الجفاف في 1660 و1662، دولة جديدة، هي دولة الشرفاء العلويين.

وسواء في مراحل التأسيس في عهد مولاي رشيد أو عند إرساء دعائم الدولة في عهد مولاي إسماعيل، فإن المغرب شهد فترات الجفاف من 1672 إلى 1727.

عرف عهد السلطان الكبير - مولاي إسماعيل - خمس فترات جفاف، الأولى لم تكن طويلة من سنة إلى سنتين 1672 - 1673 و1679 - 1680 و1682 - 1683. بينما كان في

بداية تقوية هياكل الدولة ومحاولة إخراج البلاد من حالة الفوضى والانهيار الاقتصادي. وشهد المغرب بعد ذلك فترتين من الجفاف استمرت الأولى ثلاث سنوات والثانية أربع سنوات، من 1693 إلى 1695 ومن 1714 إلى 1717.

وتدل دراسة حلقات الشجر التي قام بها ستوكتون على هذه الفترات بدقة لا مثيل لها، ومن الطبيعي أن تكون لهذه الكوارث آثار سلبية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. على أن عهد المولى إسماعيل كان عهدا قويا، فهو عهد الاستقرار والتقدم حيث إن مجهود إعادة بناء الدولة أعطى ثماره المتمثلة في عودة الأمن وضمان المبادلات وتموين الناس بسهولة.

كيف نفسر هذه المفارقة ؟ إنها ترتبط بالدور الذي تلعبه الدولة في مواجهة الكوارث. فدور السلطان في تنظيم السوق ومراقبتها وارتفاع أسعار الحبوب والمواد يكون حاسما. فالسلطان يتدخل للحد من ارتفاع أسعار الحبوب عن طريق إنزال ما تحتويه مخازنه للسوق من أجل تلبية الطلب والحفاظ على سعر مناسب.

يفيدنا جوزي دي ليون بشهادات مهمة بهذا الخصوص حيث يقول : "أمر المولى إسماعيل في إحدى فترات الغلاء التي تسببت في موت الكثير من الناس (ربما كانت 1679 . 1680) كل الذين يمتلكون خزائن من الحبوب أن يخرجوها للسوق. وبدأ بأبنائه، على أساس أن يكون السعر أقل سبع أو ثمان مرات مما هو موجود في السوق، وضعف سعر سنوات الصابة. وقد عزز أمره هذا بتهديد المخلين به، بالإعدام ونزع ممتلكاتهم. وكان لهذا الأمر تأثير مباشر على الأسعار حيث نزلت في السوق إلى قرابة 23 ريال وقاربت الأثمان العادية".

كما تم إعدام أحد الباشوات المحتكرين، ونزعت ممتلكاته لتوزع على الفقراء. هكذا قضى على الاحتكار، وبدا السلطان كضابط حاسم لميكانيزمات السوق بتدخله وتوزيعه للمخازن التي يملكها كبار الشخصيات في فترات أزمة التعذية.

إن أهم خلاصة تتعلق بأهمية البحث العلمي في ميدان التاريخ المناخي فالمعرفة المنهجية لتاريخنا المناخي تمكننا من معرفة أفضل لأنفسنا ولإمكانياتنا ومحدوديتها.

لقد لعب الجفاف في الماضي، بالإضافة إلى الأوبئة، دوراً خطيراً في النزيف الديمغرافي الذي أصاب البلاد مدة أربعة قرون وشكل عائقا في طريق تطورها. ويأتي الجفاف اليوم في البلاد في ظروف مغايرة، إنه لا يهدد التوازن الديمغرافي غير أن النمو الديمغرافي المتزايد يعمق من الآثار السلبية للجفاف ويهدد الناس في طريقة عيشهم، كما يهدد البيئة المغربية والتوازن البيو ـ مناخي في بلادنا، هذا التوازن قد يصير غير قادر على تلبية الحاجيات الغذائية للأحياء !

محمد الناصري

الجفريات، قصائد من شعر الملحون، تعدّ من صور النقد السياسي ومتابعة الأحداث والوقائع بعين أخرى ترتفع عن رؤية العامة لهذه الأحداث، كما تعدّ الجفريات أيضاً مظهراً من مظاهر التنبؤ والإرهاصات التي تجري في محيط شاعر الملحون، ومايعايشه في مجتمعه من قريب أو من بعيد. ويلاحظ المتأمل في "أدب الجفريات" أن الصور الشعرية التي يعدّها شاعر الملحون كانت ـ هي الأخرى ـ تخترق الغلاف الضيق عند الجماهير لتنادي أعمق أعماق الوجدان المغربي ومشاعر الغافلين.

وفي عهد الاستعمار لعبت الجفريات دوراً مهماً في إثارة مشاعرالذين بهرهم الوجود الاستعماري بمظاهره الحديثة وما نصبه العدوُّ من أشراك للبسطاء، فكانت كلمات الجفر تخرج من بين الشفاه هديراً يحدث القلق والاضطراب، ويضع حداً للمكايد والأهوال لأن بها تتيقظ مشاعر الجماعة الشعبية.

وبهذا كان فنّ الجفريات في الشعر الملحون، فنّاً أصيلاً، وهو عبارة عن قصائد و"عروبيات" يتأمل فيها شاعر الملحون أحوال مجتمعه ذاكراً فيها عيوب وقته، مشيراً إلى مناكر أهله المنتشرة هنا وهناك، معتمداً في نفس الوقت علي "الرمز" بالحيوان، والتلميح والإشارة، وعلى التشبيه والمقارنة وضروب أخرى من التحايل الذي كان يستخدم فيه إيهام القارئ بكثير من الدلالات والرموز وغير ذلك من وسائل فنّ الخطاب في أشكاله البلاغية المختلفة وما كانت تدعو إليه الحاجة أيضاً من تقية وهروب من المسؤولية. وفي هذه الأشكال الخطابية كان شاعر الملحون متأملاً في أحوال مجتمعه، يتنبأ بما ستفضي إليه هذه الأحوال من وقائع وأحداث. فهو ينظر إليها نظرة استكشافية تتنبأ بما سيحدث وتبسط للجمهور العريض ما صعب عليه فهمه وإدراكه.

كانت نصوص هذه "الجفريات " علي تلقائيتها بمثابة الصاعقة فوق رؤوس الحبابرة وأعداء البلاد، التجأ فيها الشاعر الشعبي إلى الصياغة الرمزية في معالجته لقضاياتهمُ عامة المواطنين.

من الصعب تحديد الزمان لبعض "الجفريات"، إلا من خلال ما يروى حولها من روايات شفاهية، لتقادم عهدها وتداولها في ساحة الإنشاد عند "الجوالة" في بعض الأسواق، وعند شيوخ الكزيحة في محافل أهل الملحون. باستثناء جفريات قليلة يشار فيها إلى تاريخ النظم، وبه يعرف العهد الذي عاش فيه الناظم. ومن أشهر شعراء الجفريات المتأخرين الشيخ محمد النجار الذي عاش في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171 ـ 1207)، والشيخان قدور العلمي وولد رزين، والمتصوف عبد الله وعلي دفين الصحراء المعروف بجفريته (فَرعَنْت البُوم) وقد اختلفت الروايات في تحديد الفترة التي عاش فيها، والظاهر من بعض نصوص الملحون أنه توفي في نهاية القرن

الثاني عشر (18 م). ومطلع جفريته :

فَرْعَنَتْ اليَوْمَ على البِيزَانْ ثَوْلاَتْ

بَيَّنَتْ نَيَّابُهَا ودَرَكَتْ الصُّولا

والسبعْ خْشَى مَن الضبَعْ بعد الزَّفْرانْ

الزَمْ التحذيرْ خافْ مَنْ وَلَدْ الغُولا

... هذا قَولْ الأجْفَار، ياراوي الأبْيَاتْ

فيهْ مْعاني، لَمَنْ دْراها مقبُولا

مَنْ عَلَم الغَيْب، يا السَّامَعْ منقُولا

ومن روائع الجفريات المتداولة حتى اليوم بين شيوخ الملحون :

أ ـ جفرية : "عام حْضَاشْ" ..

ب ـ جفرية : "الزمانْ الخايبْ" ..

جـ ـ جفرية : "كلبْ الرُّوم" ..

د ـ جفرية : "آشْ يصبَّرْني" ..

هـ ـ جفرية : "بان حقْ العَيَّارْ" ..

م. الفاسي، *معلمة الملحون*، الأجزاء الثلاثة الأولى : ع. الملحوني، *سلسلة ديوان الملحون*، العدد الأول، 1990 ؛ زائد الأعداد 2 و3 و4. *كنانيش الملحون مخطوطة*.

عبد الرحمان الملحوني

جَكَرَانْدَا، مِيمُوزِيفُولِيَا Jacaranda mimosifolia نبات شجري من فصيلة البغنونيات Bignoniaceae قد يتجاوز علوه 15 م. تاجه مستدير وقليل الكثافة. قشرة جذعه ذات لون رمادي داكن. أوراقه نفضية متقابلة، مركبة، ريشية. تحتوي كل ورقة على 16 زوجاً من الريشات على الأقل. وكل ريشة مركبة من 14 زوجاً من الوريقات البيضوية الشكل.

جكرندا

تجتمع أزهار جَكَرَانْدَا على شكل عشكول هرمي. ذرفية كأس الأزهار ذو خمسة أسنان. وتُويجها أنبوبي أزرق اللون. الثمرة علبية ذات فلقتين خشبية تشبه في شكلها المحار، رمادية اللون، وتحتوي على بذور مجنحة. أصل هذا النوع من البرازيل. أُدخل في بلدان يشبه مناخها المناخ المتوسطي.

أما في المغرب فيستعمل نبات جَكَرَانْدَا كشجرة زينة في الحدائق والشوارع بجل مدن السواحل والسهول المغربية. وهكذا نجده مزينا لشوارع گليز في مراكش وابن بطوطة الذي يمر بجانب المعاهد والكليات ووزارة التعليم بالرباط.

يستعمل جَكَرَانْدَا للزينة نظراً لجمال أوراقه وأزهاره وثماره. وهو يتحمل التقليم (الزبير).

أبحاث خاصة.

Metro et Sauvage, *Flore des végétaux ligneux de la Mamora ; La Nature du Maroc, Soc. des Scien. Natur. et physique du Maroc*, 1955.

عبدالمالك بنعبيد

ابن **جلال**، أسرة علمية فاسية أصلها من تلمسان. دخل جدهم محمد بن عبد الرحمان ابن جلال المغراوي التلمساني إلى فاس عام 958 / 1550، في جملة من العلماء الذين هاجروا من الجزائر بعد استحكام الحكم العسكري التركي. فتصدر بها للإمامة والخطابة والإفتاء والتدريس، وكان من جملة الآخذين عنه كبار مشايخ العلم والتصوف الفاسيين أمثال الإمام أحمد المنجور والشيخين رضوان الجنوي وأبي المحاسن يوسف الفاسي. وعقّب الشيخ ابن جلال أبناء وأحفاداً تسلسل فيهم العلم، وكادوا يستبدون بإمامة وخطابة جامع القرويين وجامع الأندلس إلى غاية انتصاف القرن الحادي عشر (17 م)، زيادة على تقلدهم مناصب الإفتاء والنظارة والتدريس والانتصاب للشهادة، وكان بعضهم الواسطة المعتبرة في الأسانيد العلمية للعديد من مشاهير بني الجد الفاسيين. ويمتد هذا الطور النشيط من تاريخ هذه الأسرة من عام 958 إلى عام 1079 / 1550 ـ 67 ـ 1668، ويدخل هذا القبيل بعد ذلك في طور الخمول حتى لا نكاد نجد ذكراً في مطلع القرن الثالث عشر (19 م) إلا لإحدى حفيدات الشيخ إبن جلال وابنتها تحبسان مالهما على إمام وطلبة مسجد كائن بحومة العيون بفاس، ولما صنف عبد الكبير الكتاني (ت. 1350 / 1932) كتابه زهر *الآس في بيوتات فاس* كان أولاد ابن جلال قد انقرضوا من الحاضرة الفاسية.

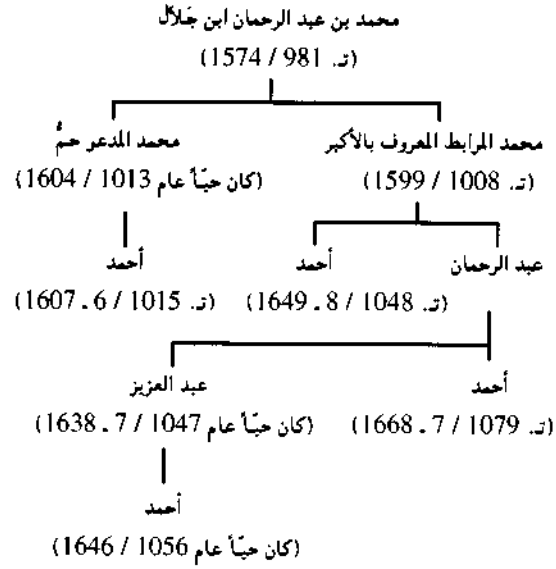

النابهون من أسرة ابن جلال الفاسية

ابن **جلال، أحمد** بن **عبد الرحمان** بن محمد المرابط (ت. 1079 / 7 . 1668)، تتلمذ على علماء أسرته كما أخذ عن الشيخين محمد العربي الفاسي (ت. 1052 / 1642) وعبد القادر الفاسي (ت. 1091 / 1680). فتضلع في النحو والفقه وشارك في غيرهما، وتصدر للتدريس، ومن تلامذته الأعلام المؤلفان الكبيران عبد الرحمان الفاسي (ت. 1096 / 1685) وابن عمه محمد المهدي الفاسي (ت. 1109 / 1698).

ابن **جلال، أحمد** بن **عبد العزيز** بن عبد الرحمان ابن محمد المرابط، كان حيّاً عام 1056 / 1646، معدوداً في جملة العدول المبرزين بسماط فاس.

ابن **جلال، أحمد** بن **محمد** المدعو حمُّ (ت. 1015 / 6. 1607)، تولى مثل جده ووالده خطة الخطابة بجامع الأندلس بفاس، وربما تكون المنية قد أدركته في حياة أبيه.

ابن **جلال، أحمد** بن **محمد المرابط** (ت. 1048 / 8. 1649)، فقيه متمكن تولى الخطابة والافتاء والتدريس بفاس، ومن بين تلامذته ابن أخيه أحمد بن عبد الرحمان المترجم آنفاً.

ابن **جلال، عبد العزيز** بن عبد الرحمان بن محمد المرابط، كان حيّاً عام 1047 / 7 . 1638، معدوداً من عدول سماط فاس المبرزين.

ابن **جلال، محمد** بن **عبد الرحمان** المغراوي. أحد أعلام الفقه والتصوف التلمسانيين الوافدين على المغرب على عهد السعديين، وقد دخل إلى فاس في صدر خلافة السلطان محمد الشيخ المهدي عام 958 / 1550، بعد نهوض ماهد دولة الشرفاء الزيدانيين إلى تلمسان واستيلائه عليها وعلى أعمالها إلى وادي شلف عام 957 / 1549. وتتصل وفادته بحركة الهجرة الواسعة التي همت أعيان الحاضرة الزيانية، الذين سيتلاحقون بالحاضرة الإدريسية في هجرتين كبيرتين، تمت أولاهما أيام السلطان المذكور عام 961 / 1554، وحدثت الثانية على عهد نجله وخليفته السلطان عبد الله الغالب عام 968 / 1562 ؛ وذلك في سياق التنافس حول تلمسان بين الدولة السعدية الناشئة وأتراك الإيالة الجزائرية في ضم المغرب الأقصى إلى الامبراطورية العثمانية، والوصول بحدودها الغربية إلى المحيط الأطلسي.

وكما امتاز الشيخ محمد ابن جلال في دخوله إلى المغرب بالتفرد والسبق عن الجماعتين التلمسانيتين اللتين ستلحقان به، فإن علاقته بالأتراك تختص كذلك عن العلاقة التي نظمت بين هؤلاء وبلدبيه : وإذا كان خاصة تلمسان من أهل الفقه والتصوف من شيعة الأتراك، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من فقهاء وفقراء حواضر وبوادي المغرب الأوسط، فإن الشيخ ابن جلال يتصل بالترك من طريق أوسع يفيض عن تاريخ مملكة تلمسان، ويسبق معمعتها التي تجابه فيها العثمانيون والإسبانيون، وانتهت ببيعة أميرها للسلطان سليم ؛ كما يغطي نفوذه المنطقة الغربية بأكملها من المغرب الأوسط، ويمتد إلى جهات كثيرة من المغرب الأقصى ؛ ونعني بذلك انتسابه إلى الطريقة الراشدية، التي أسسها الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي (ت. 931 / 1524)، خلال الربع الأول من القرن العاشر (16م)، وتفرعت عنها طوائف وزوايا عديدة في المغربين الأوسط والأقصى. وقد وصل الشيخ أحمد بن يوسف حبله بالأخوين عروج وخير الدين ماهدي دولة الأتراك بالمغرب الأوسط منذ أولية ظهورهما به، وآزرهما في حربهما ضد الزيانيين وحلفائهم الإسبانيين، وخاض معهما معمعة تلمسان، التي أسفرت عن استشهاد عروج (924 / 1518)، وسجن الشيخ أحمد بن يوسف، ولم تزد علاقة أتباعهما من بعدهما إلا وثوقاً ورسوخاً، ودامت حتى تاريخ الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1245 / 1830.

وقد رأى الشيخ ابن جلال النور هو والطريقة الراشدية في وقت متقارب من فجر المائة العاشرة للهجرة، وشب في بيت من البيوتات الراشيدية الشهيرة طينا ودينا : فوالده الشيخ عبد الرحمان بن أحمد ابن جلال من أعلام الطبقة الأولى في هذه الطريقة، ومن كبار صحب الراشدي وملازميه، فهرع على أثر أبيه في النسبة إلى الراشدية والمحبة في شيخها، ونيف على العقدين من عمره يوم أهيل الثرى على نعش الشيخ أحمد بن يوسف.

ولما كان لرجال التصوف من أهل المغرب الأوسط يد في زوال ملك الزيانيين، وقيام دولة الأتراك بهذا الصقع، فقد قبل قياساً بضلوع نفس اليد في الدسائس والمؤامرات التي مهد الترك بها لبسط نفوذهم على المغرب الأقصى، وتم تعيين إخوان الطريقة الراشدية بالذات، وجُعلوا معاول هدم وتخريب مسخرة من قبل حكام الإيالة الجزائرية، لتقويض الدولة السعدية الناشئة، والمنافسة لهم على تلمسان وأعمالها.

والواقع أن تاريخ الطريقة الراشدية في المغرب الأقصى حكمته الجرأة الفكرية التي انبنى عليها المذهب الصوفي الذي ابتدعه الشيخ أحمد بن يوسف، ولا أثر لتنافس العثمانيين والسعديين في مجرياته : وإذا كان مشكل الطائفة اليوسفية المتفرعة بالمغرب الأقصى عن الراشدية، سيبلغ ذروته أيام استقرار الشيخ ابن جلال بفاس، وبالضبط خلافة السلطان عبد الله الغالب (965-982 / 1557-1574)، حيث شكل أحد أحداث حكمه البارزة، وإحدى القضايا الفكرية التي شغلت بال علماء فاس على هذا العهد، والذي انتهى بامتحان المخزن السعدي لاتباع هذه الطائفة ؛ فإن الأمر لا يزيد على التأريخ لطور من أطوار مكافحة الطريقة الراشدية شيخاً ومذهباً وأتباعاً، من لدن دخولها إلى المغرب الأقصى في حياة الشيخ أحمد بن يوسف إلى هلم جراً، وهذا من قبل كل من الوطاسيين والسعديين ثم العلويين من بعدهم.

وقد حاق مكر الأتراك بالسلطان محمد الشيخ المهدي، وغدر به صالح الكاهية ورهطه من الانكشارية، وفصلوا رأسه عن جسده (29 ذو الحجة 964 / 23 أكتوبر 1557)، وحملوه في مخلاة، وعلقوه بالقسطنطينية إلى أن تلاشى ؛ فما تأثرت سيرة الشيخ ابن جلال بهذا الحادث، ولا نقصت منزلته عند نجله وخليفته السلطان عبد الله الغالب، الذي حفظ له نفس العناية والرعاية اللتين تمتع بهما منذ دخوله المغرب، وأقره على الخطط التي ولاه إياها والده، من فتيا وإمامة وخطابة وتدريس، وهي أرفع المناصب بالحاضرة الفاسية على وجه الخصوص، وفي المغرب السعدي على وجه العموم، والتي تكفل رخاء وتوفر سعة الرزق ؛ بل وأنعم عليه بالإمامة والخطابة بجامع القرويين فقام بهما خير قيام ثلاث عشر سنة، بعد أن خطب بجامع الأندلس ثمان سنين، وفي ذلك رفعة في القدر وزيادة في الأجر ؛ كما استصحبه الغالب معه في رحلته إلى سوس عام 980 / 1572، فأقام معه مدة من سنة، قدمه خلالها للإقراء بالجامع الكبير في المحمدية.

ومن الحق أن العامل السياسي لا يفسر وحده حظوة الشيخ ابن جلال، إذ كان مثله مثل بقية العلماء التلمسانيين المهاجرين إلى المغرب على شيء من التقدم في عدد من العلوم، وقد اختص هو بالامتياز في عمل أُهمل بالمغرب اهمالاً يكاد يكون تاماً، وهو علم الكلام الذي ازدهر بتلمسان على يد كل من الإمامين محمد بن يوسف السنوسي (ت. 895 / 1490) وأحمد ابن زكري (ت. 899 / 1493) ؛ وقد عمل الشيخ ابن جلال وبلديوه على نشر مصنفاتهما بين المغاربة الذين اعتمدوها وراجت بينهم وكتبوا عليها شروحا وتعاليق عديدة ؛ وسند الشيخ ابن جلال فيها سند عال، إذ أخذ عن الشيخ أبي عثمان سعيد الشهير بالكفيف، الذي صحب الشيخين السنوسي وابن زكري ؛ وظل هذا السند من الأسانيد المعتبرة في كتب الفهارس المغربية إلى هلم جراً.

وأخذ الشيخ ابن جلال كذلك على الشيخ عبد المالك البرجي، خاتمة العلماء التونسيين، الذي ورد على تلمسان واستقر بها إلى أن توفي في صدر العشرة الرابعة من المائة العاشرة للهجرة ؛ كما تتلمذ على شيخ الجماعة بتلمسان محمد ابن موسى المتوفى في أول العشرة الخامسة من نفس المائة، وعلى الشيخ أحمد بن أطاع الله، وعلى الشيخ سعيد المقري.

فتن الشيخ ابن جلال معاصريه المغاربة من مشايخ وطلبة بسمته الحسن وتؤدته وسكينته ووقاره وحفظ مهجته وهمته وسخائه، وإن لم ينظر بعضهم بعين الرضى إلى أناقته في الملبس وركوبه الفرس الذكر، على خلاف عادة فقهاء فاس المعاصرين ومن قبلهم في التقشف وعدم التنعيم والبعد عن الرئاسة، فاتهموه بتبديل السيرة العلمية، ورأوا في اقتداء أبناء جنسه به موت العلم وإهانة من انتسب إليه.

وعندما وفد الشيخ ابن جلال على فاس كان يبلغ من العمر خمسين عاماً، وخلال ما يزيد على العشرين سنة التي قضاها بها، ستعترف له الحاضرة السعدية بالرئاسة العلمية، وبعمادة علمائها، ومشيخة الجماعة بها. وقد تنافس معاصروه في علومه والاقتباس من فهومه، وكان من بين تلامذته الأعلام الشيخ رضوان الجنوي (ت. 991 / 1583)، والإمام أحمد المنجور (ت. 995 / 1587)، والشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي (ت. 1013 / 4-1605).

توفي محمد ابن جلال بفاس عام 981 / 1574 ودفن بقرب ضريح الشيخ علي أبي غالب من عدوة الأندلس.

ابن **جلال، محمد** المدعو **حمّ** بن محمد بن عبد الرحمان، كان حيّاً عام 1013 / 1604، خلف أخاه محمداً المرابط على خطابة وإمامة جامع الأندلس، وبه صلّى على الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي بعد وفاته (ت. 18 ربيع الأول 1013 / 14 غشت 1604)، ولعله كان لا يزال على قيد الحياة عام 1020 / 1611، وأن نظارة أحباس فاس قد آلت إليه.

ابن **جلال، محمد المرابط** بن محمد بن عبد الرحمان (ت. 10 محرم 1008 / 2 غشت 1599)، ويدعى كذلك بمحمد

الأكبر تمييزاً له عن أخيه الأصغر محمد حمّ المذكور قبله. تتلمذ على أبيه وعلى أبي القاسم بن محمد ابن إبراهيم الدكالي المشنزائي (ت. 978 / 70 ـ 1571) وغيرهما. ولي بعد وفاة والده (ت. 981 / 1574) الخطابة والإمامة بالقرويين، وبقي بها نحواً من ستة أشهر، ثم نقل إلى جامع الأندلس، وبها صلّى على الشيخ رضوان الجنوي بعد وفاته (ت. 991 / 1583)، وقد دفن محمد المرابط بروضة أبيه.

م. ابن عسكر، *دوحة*، 117، 120، 123، 129 ـ 130 ؛ أ. المنجور، *فهرس*، 78 ؛ م. ابن مريم، *البستان*، 260 ـ 261 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 324 ـ 325 ؛ *درة*، 2 : 214، رقم 663 ؛ *لقط*، 312 ؛ أ. بابا، *نيل*، تح. ع. ع. الهرامة، طرابلس، 599، رقم 733 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، ط. حجرية. 9، 10، 20، 72، 175 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج*، تح. ح. الدازي، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 41، 96، 202، 226 ـ 227، 323، 333 ـ 334، 347، 349 ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة*، مخطوط خ. ع. 76 جـ، 68 ؛ *ممتع*، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 93 ؛ م. الطيب الفاسي، *أسهل المقاصد*، مخطوط خ. ع. 2843 د، 86 ؛ م. الاقراني، صفوة، ط. حجرية، 8، 43، 93، 101 ـ 102، 212 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 75، 92 ـ 93، 138، 372 ؛ 2 : 179 ـ 180، *التقاط*، 2 : 34 ؛ م. الحفناوي، *تعريف الخلف*، 2 : 413 ـ 415 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 26 ـ 28 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 185، رقم 1085 ؛ ع. الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط خ. ع. 1281 ك، 445 ـ 451، 462 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 890، 982، 999 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 357 ؛ م. المنوني، *ملامح من تطور المغرب العربي*، 83 ؛ م. مزين، *فاس وباديتها*، 1 : 23 ؛ ع. نجمي، *عكاكزة*، د. د. ع، كلية الآداب بالرباط، 233 ـ 239.

A. Cour, *L'établissement des dynasties des chérifs*, 97, 127, 139 ; J. Berque, *Un maître de l'heure renoncé*, in *"L'intérieur du Maghreb"*, 100, N° 1.

عبد الله نجمي

الجِلباب (لباس) ← الجلاّبَة

الجُلْبَان، وينطق عامة أهل المغرب (الجَلْبَانَة) ويدعوه المشارقة البازلاء هو بيسُومْ سَاتيفُوم Pisum sativum وهو نوع نباتي ينتمي إلى فصيلة الفراشيات Papilionaceae. أصل الجُلْبَان المغروس يرجع إلى أنواع وأصناف عديدة توجد طبيعيا بحوض البحر المتوسط.

إنه نبات حولي أخضر متسلق بالمعاليق أو زاحف. أوراقه مركبة. أزهاره بيضاء أو ملونة فراشية الشكل. ثماره على شكل قرون محتوية بداخلها على بذور مستديرة ملساء أو مجعدة وذات ألوان مختلفة حسب الأصناف.

زرع الجُلْبَان منذ أقدم العصور في حوض البحر المتوسط. وقد عرفه الفراعنة والإغريق والرومان، لكن زراعته لم تتسع على نطاق واسع إلاّ بعد العصر الوسيط.

تزرع في المغرب أصناف عديدة من الجُلْبَان. منها التي تنضج باكراً ومنها التي تتأخر في نضجها. وتنتشر زراعة الجُلْبَان في الأراضي المسقية أو البورية من السهول والهضاب والجبال المتوسطة الارتفاع، أي في الطوابق تحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي، واستثنائياً فوق المتوسطي. أما من حيث البيومناخات بالنسبة للزراعة البورية فإنها تصادف في المناطق الرطبة وشبه الرطبة وشبه الجافة واستثنائيا الجافة في السنوات الممطرة.

لكن أكثر الكميات من الجُلْبَان تنتج في السهول شبه الرطبة وشبه الجافة حيث يزرع الجُلْبَان مسقياً أو في الأراضي البورية.

يزرع الجُلْبَان من أجل بذوره التي تستخدم للاستهلاك الآدمي أو الحيواني. كما تستعمل أوراقه خضراء أو يابسة في العلف أو التسميد الأخضر.

توكل البذور خضراء طازجة أو معلبة، أو يابسة أو على هيئة دقيق أو مفصصة.

يكثر إنتاج بذور الجُلْبَان الطازجة في المغرب بصفة متواصلة ما بين نهاية فصل الخريف ونهاية فصل الربيع.

تعرف صناعة تعليب الجُلْبَان بالمغرب نموا متواصلاً في السنوات الأخيرة، وذلك نظراً للطلب المتزايد لهذه المادة التي يسهل استعمالها في تهييئ الأطعمة وخاصة في المطاعم العمومية.

أبحاث خاصة ؛ ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

الجُلْجُلاَن، يدعى السِّمْسم بالمشرق العربي، هو بذور النوع النباتي سيزَامُومْ إنْديكُومْ Sesamum indicum الذي ينتمي إلى فصيلة الخيميات Umbelliferae.

إنه نوع عشبي وحولي يزرع لبذوره ذات القيمة الغذائية الرفيعة ولكونه يساعد على الشفاء ويعطي الحليب للأم المرضعة. وقد عرف بالهند والصين منذ أقدم العصور ومنها امتد انتشاره إلى مناطق حارة أخرى من العالم. ويزرع اليوم في بلدان عديدة بأسيا وأمريكا اللاتينية وإفريقيا كالمغرب.

تستعمل بذور الجلجلان ذات الحجم الصغير في عدة أشكال من الأطعمة والحلويات والسلاطة والخبز والفطائر. كما يستخلص منها "زيت الجلجلان" أو "زيت السِّمْسم" الذي يستعمل في الطبخ والأغراض الطبية وفي صناعة المارگرين ومنتجات غذائية أخرى، والصابون والعطور.

ألبرت هيل، *النبات الاقتصادي*، ترجمة، د. ع. زاهر وآخرين، القاهرة، 1962.

عبد المالك بنعبيد

الجلد، صناعة من أقدم الصناعات بالمغرب. ومن أسسها وفرة جلود المعز والغنم وحتى البقر. فسكان المغرب

إذا كانوا من الرحل أو أنصاف الرحل كان غالب معاشهم على تربية الحيوانات، وإذا كانوا من المستقرين زاوجو بين الزراعة وتربية الماشية في توازن حكيم بالنسبة للمقتضيات الجهوية. وقد اشتهر المغرب في حوض البحر المتوسط وأوربا وبلاد السودان (إفريقيا جنوبي الصحراء) بصناعة الجلد حتى إن كلمة Maroquin التي تعني جلد الماعز المدبوغ الملون أو أشياء مصنوعة منها قد دخلت في الاستعمال اللغوي الأوربي منذ القرن التاسع (15 م) مقترنة باسم المغرب المشتق من مراكش في هذه اللغات. ومن الشواهد على هذا القدم وهذه الشهرة كثرة دور الدباغة في جميع المدن التاريخية ومواضعها في أقدم الحومات الحضرية.

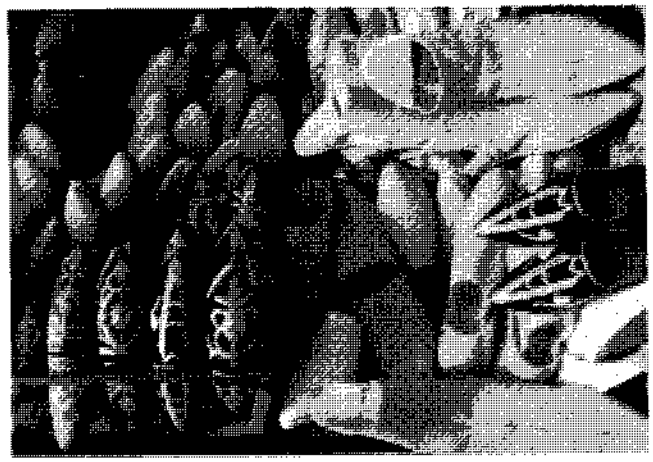

يضاف إلى ذلك إشارات في نصوص التراث تدل على العناية بالجلد ومكانته في صادرات المغرب خاما أو مدبوغا أو مصنوعا. ومن آيات هذه الصناعة التاريخية ما نجده في تسفير بعض الكتب وتغميد بعض السيوف وإبداع بعض الجرابات النفيسة التزويق أو بعض أسرجة الخيل الرائقة التوشية، والأرائك وهذا بالإضافة إلى الأحذية والأحزمة التي يزيّن النسائي منها بخيوط مذهبة في الغالب. كما يكون بعضها مبطنا بالحرير.

وتعتبر طائفة صناع الجلد من دباغين وخرازين وطرافين وسماطين من أهم الحرف في صناعات المغرب التاريخية، وذلك بكثرة من يشتغلون بها ويعيشون منها، وبالتقاليد المراعاة فيها وقواعد حسبتها والطرائف والعوائد المرتبطة بها.

منذ منافسة المصنوعات البلاستيكية وغيرها لصناعة الجلد في المغرب في هذا القرن وهي تتراجع، ولكن عهد ما بعد الاستقلال عرف عودة النشاط إلى هذا القطاع وتجدد حيويته بل وبروز العاملين فيه في ميدان المنافسة والقدرة على التطور سواء في ميدان المصنوعات التي تستعمل في الحياة اليومية أو في مصنوعات يُحتاج إليها في المناسبات الخاصة أو من مصنوعات فنية وجمالية على أذواق أهل البلد أو أذواق السياح على السواء.

وقد تخطت صناعة الجلد من الوراثة التقليدية بالنسبة لبعض المصنوعات إلى عصر المعامل التي تستخدم الآليات وتشغل أعداداً وافرة من اليد العاملة. ومن الأمثلة على ذلك صناعة الجاكيتات الجلدية العصرية.

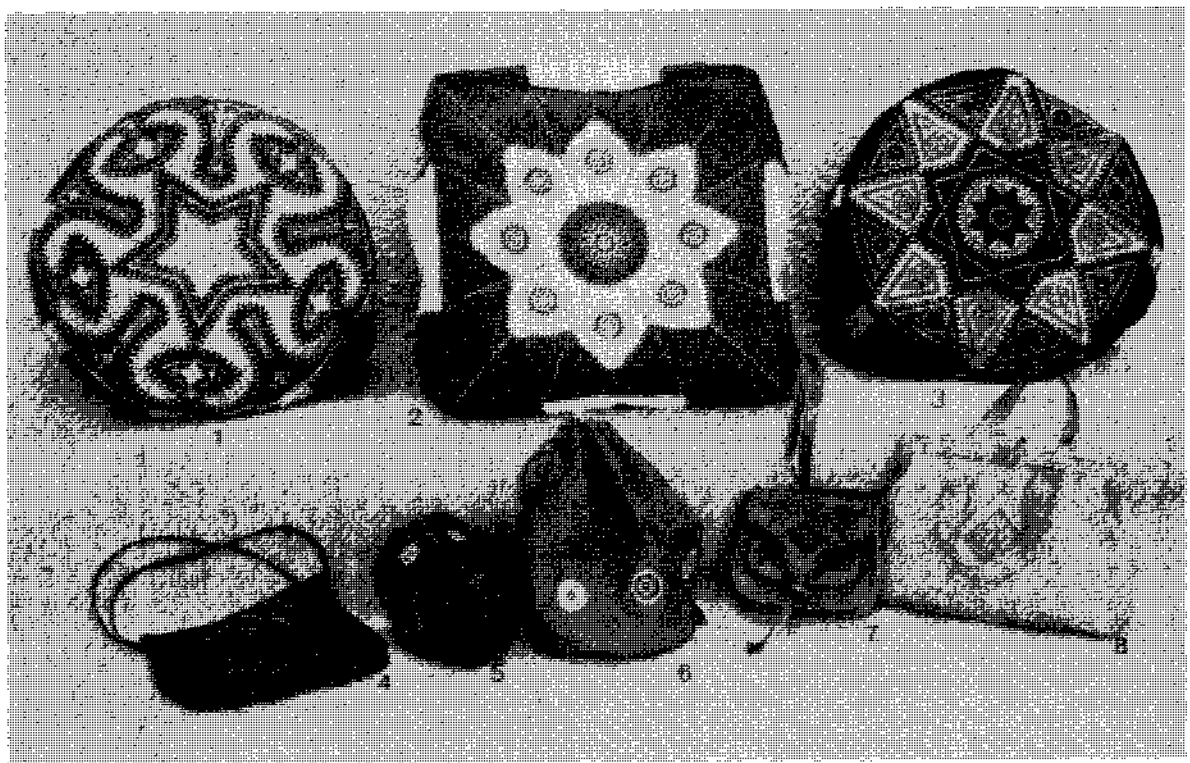

ومن أجل مساعدة الصناع على تطوير أساليبهم أحدثت وزارة الصناعة التقليدية مراكز للتكوين المهني في هذا الفن ومركبات للصناعة والعرض والبيع.

ويظل اللون المحلي مرتبطا بصناعة الجلد حيث تشتهر مدن دون غيرها بمصنوعات متميزة على أنماط معروفة. ومن أهم مراكز هذه الصناعة مدن فاس ومراكش وتطوان والدار البيضاء. ولبعض البوادي ميزتها في هذه الصناعة مثل الريف والواحات الصحراوية. وفي كل مكان يحاول الصناع الاستجابة لطلب الزبناء ومراعاة أذواق المستهلكين.

يبلغ عدد وحدات صناعة الجلد بالمغرب حوالي 15.000، تشغّل ما يزيد عن 50.000 صانع (لا يدخل في عددهم الأولاد المتعلمون). أي معدل 3.3 صانع لكل وحدة والعاملون في السكافة 40٪ من هذا العدد وصانعو الأحذية و30٪ وصناع المتبكرات الأخرى حوالي 15٪ ويُصنع بفاس 27٪ من الإنتاج وبمراكش 27٪ وبالدار البيضاء 23٪ واليد العاملة من صناعة الجلد بالدار البيضاء حوالي 20.000 صانع وفي فاس حوالي 14.000.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ر. لوتورنو، *فاس قبل الحماية* ؛ *وثائق وزارة الصناعة التقليدية والشؤون الاجتماعية* بالرباط.

G. Deverdun, *Marrakech des origines à 1912* ; Ministère de l'Artisanat et des Affaires Sociales, *Les arts du cuir.*

* * كان الجلد في العصر الوسيط، إلى جانب الصوف، من أكثر المنتجات الحيوانية التي اشتهر المغرب بها منذ القدم، وقد استمر المغرب منتجاً ومصدراً لهذه المادة طيلة العصر الوسيط، حتى إن ابن خلدون ـ وهو من العصر الوسيط الأدني ـ اعترف للمغرب بالتفوق في هذا المضمار، بل إنه اعتبر دبغ الجلود ونسج الصوف الصناعة الوحيدة التي برع فيها المغاربة لكثرة موادها الخام ببلادهم، غير أن أسباب هذا الازدهار في اعتقادنا لا يرتبط فقط بكمية المواد الخام بل وبقانون العرض والطلب ووجود يد عاملة ماهرة في الدباغة والصناعة، ووفرة المواد اللازمة للدباغة، بدليل أن الرعي وتربية المواشي قد ازدهر في فترات تاريخية مختلفة وفي جهات كثيرة من المعمور ولم تقم صناعة مزدهرة للجلود إلا في مراكز معينة وجد محدودة ؛ والقصد هنا إلى الدباغة الصناعية الموجهة للسوق والصناعة الجلدية الاستهلاكية، أما الدباغة المحلية والإنتاج العائلي المحدود فهو أكثر انتشاراً في الزمان والمكان.

وردت الإشارات الأولى لكثرة الجلود في المغرب وخاصة جلود الأغنام في بداية العصر الوسيط، حيث كان تعسف بعض العمال سبباً في ثورة السكان. ومن أمثلة تلك التعسفات ذبح الكثير من الأغنام بصفة عشوائية بحثاً عن الجلود العسلية (*الاستقصا*، 106).

وذكر المقدسي في *حسن التقاسيم* (ص 238) ما يفيد أن المغاربة لايهتمون بجلود الأغنام لكثرتها، أما الإشارات الأولى عن الدباغة والجلود المدبوغة فقد جاءت عند صاحب *معجم البلدان* إذ قال عن مدينة أغمات إنها تُصدر الجلود المدبوغة، وقد اشتهرت بجودة صناعتها طيلة العصر الوسيط الأعلى والأوسط، أي إلى نهاية الدولة الموحدية، وقد أكد ذلك صاحب كتاب *التشوف* (ص 238) عن مدينة مراكش التي استطاعت ان تتفوق على مدينة أغمات في هذه الصناعة ؛ وإلى جانب مدينتي أغمات ومراكش وجدت مراكز أخرى ازدهرت فيها صناعة الجلود إمّا بشكل متواصل خلال العصر الوسيط أو في فترة من فتراته، مثل مدن فاس ـ تازا ـ سبتة ـ سلا ـ نفيس ـ ماسة ـ نول إيجلي. وفي العهد الموحدي ازدهرت هذه الصناعة في العاصمة مراكش ونفقت لدرجة أن إنتاجها لم يعد يفي بحاجياتها فجلبت الجلود والصناع من هسكورة، وفي مدينة فاس ارتفع عدد المدابغ لدرجة أنه أصبح يقلق راحة الناس بروائح الجلود النيئة وتلويث المياه ويضايق المارة في الأزقة بأحمال الجلود الخام والمدبوغة، فتم إخراج المدابغ إلى أرباض المدينة (*القرطاس*، 48 ؛ *جني زهرة الآس*، 44) ؛ فالمسألة هنا خاضعة بالأساس لتزايد الطلب على الجلود، فازدهار هذه الصناعة أو تدهورها مرتبط بالأساس بقانون السوق، إذ بعد انخفاض الطلب بسبب التخريب الذي تعرضت له المدن في العصر الوسيط الأدنى والتراجع الديموغرافي والفلاحي الذي عرفته الفترة، وتدنّي المستوى المعيشي للسكان الذي عرفته البلاد أواخر العهد المريني، كل ذلك أثر بشكل مباشر على الصناعة الجلدية فلم تبق من المراكز العديدة التي عرضنا لها اعلاه سوى منطقة هسكورة ومدينة فاس، رغم ازدهار الرعي على حساب الزراعة.

وتحدث الحسن الوزان عن هذين المركزين بتفصيل (*وصف افريقيا*، 129 ـ 132 ـ 134) ففي مدينة فاس عرفت صناعة الجلود (دباغة وتصنيعاً) تطوراً كبيراً في مطلع القرن العاشر (16 م) حتى إن دور الدباغة تنوعت وتخصصت في دباغة نوع من الجلود (مدابغ جلود الماعز، مدابغ جلود البقر، مدابغ جلود الأغنام) وعن قبيلة هسكورة قال : يكاد كل سكانها يشتغلون بالدباغة ويقصدها تجار فاس وغيرهم لشراء الجلود.

من أشهر أنواع الجلود المدبوغة الجلد الغدامسي والجلد القرطبي، وهي أنواع سميت باسم المناطق التي صنعت فيها أول مرة، لكن المغرب كان منتجاً لها بكميات كبيرة فاقت ماتنتجه تلك المناطق إذ كان مصدراً لها، ومما يستدل به على جودتها أنها بعثت في الهدايا السلطانية إلى الخارج (البكري، *المغرب*، 152 ؛ *المسند الصحيح*، ص 453 ؛ *وصف افريقيا*، ا : 32 ـ 129 ـ 248).

ارتبطت صناعة الجلود والدباغة إضافة إلى ما سبق بوفرة المواد المساعدة مثل الحناء وتاكّاووت ولحاء بعض

الانتاج	المكان	الزمان والعهد	المصادر والملاحظات
اسكافيون	تدنست	الوطاسي ـ السعدي	*وصف افريقيا* 1 / 77
نعال من جلد الجمال والبقر	اداوزگواغن	" "	*وصف افريقيا* 1 / 81
اسكافيون يهود	أيت داود	" "	*وصف افريقيا* 1 / 83
الجلد القرطبي	تيبوت	" "	*وصف افريقيا* 1 / 92
الجلود المدبوغة	ناحية هسكورة	" "	*وصف افريقيا* 1 / 129
بين الجلود في فاس ومكناسة	تكوداست	" "	*وصف افريقيا* 1 / 132
الدباغون	مدينة الجمعة	" "	*وصف افريقيا* 1 / 133
تصدير الجلود	مدينة بزو	" "	*وصف افريقيا* 1 / 134
جلد اللمط	جبل تنزيته	" "	قيمة الواحد بفاس 8 مثاقيل، *وصف افريقيا* 1 / 137
الجلد القرطبي	مدينة تفزة	" "	تفزة حاضرة تادلا، *وصف افريقيا* 1 / 139
بائعو الأحذية	مدينة فاس	" "	150 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 184
الخرازون لأحذية الأطفال	مدينة فاس	" "	50 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 184
صانعو النطق الجلدية والخفاف والأزمة	مدينة فاس	" "	50 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 184
بائعو اللجم والسروج	مدينة فاس	" "	80 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 184
صانعو الدلاء الجلدية للآبار	مدينة فاس	" "	*وصف افريقيا* 1 / 188
صناعة الأحذية الخشنة للفلاحين	مدينة فاس	" "	150 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 188
صناع التروس والدرقات الجلدية	مدينة فاس	" "	150 دكانا، *وصف افريقيا* 1 / 188
صانعو جلود السروج من جلد الماعز	مدينة فاس	" "	*وصف افريقيا* 1 / 189
الخرازون صانعو أحذية الاعيان	مدينة فاس	" "	*وصف افريقيا* 1 / 189
الدباغون يؤدون عن كل جلد دبغوه	مدينة فاس	" "	يجتمع من هذه الضريبة ألف مثقال، *وصف افريقيا* 1 / 204

الأشجار، وقد كان المغرب منتجاً لها بكميات تفوق حاجياته فيصدر الفائض منها مثل الحناء (*المغرب*، 152 ؛ *نزهة المشتاق*، 1 : 22) ؛ لكن تقلص هذه الصناعة في نهاية العصر الوسيط واستمرارها في مراكز محدودة لايعني أن المواد الخام انعدمت أوقلت، بل يرجع بالدرجة الأولى إلى الاضطرابات السياسية والاجتماعية وتراجع الإنتاج الفلاحي وتدهور المستوى المعيشي وسيادة الرعي والتنقل، فالمراكز القليلة التي احتفظت بالإنتاج استطاعت أن تكون ثروة كبيرة بسبب الأرباح التي تُدرّها عليها دباغة الجلود، وقد لاحظ الحسن الوزان في هذا الشأن أن قبيلة هسكورة قد تفوقت مادياً على دكالة بسبب صناعتها الجلدية (*وصف افريقيا*، 1 : 129)، وأشار بالأرقام إلى "أن جبل بني فنزكار في إقليم الهبط" يغل ستة آلاف مثقال سنوياً لتصديره الشمع وجلود البقر إلى جنوة والبرتغال (*وصف افريقيا*، 1 : 248). وبدخول المغرب تحت النفوذ الأمبريالي والاستعماري أي منذ الاستعمار البرتغالي والإسباني إلى الامبريالية الأروبية كانت الجلود الخام والمدبوغة من أبرز صادراته إلى هذه البلدان، وبظهور الآلات والمدابغ العصرية جمع المغرب منذ بداية هذا القرن مابين المدابغ العصرية ودور الدباغة التقليدية، ونتج عن ذلك ازدواجية في المنتجات الناجمة عن النوعين منتجات جلدية تقليدية ومنتجات عصرية.

من المفارقات الطريفة أن لباس الجلد اعتبر قديماً رمزاً ودلالة على مستوى اجتماعي متدن فلم يكن يلبس الجلود الساذجة أو المدبوغة سوى الفقراء، أما اليوم فلباس الجلد يدل على العكس، ولباس الفراء كان وما يزال زمزاً ودلالة على الغنى والمستوى الاجتماعي الراقي.

ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 1، المقدمة، بيروت ؛ أ. الناصري السلاوي، *الاستقصا*، ج 1 الدار البيضاء، 1954 ؛ المقدسي، *حسن التقاسيم*، 1957 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، مصر، 1906 ؛ ي. التادلي، *التشوف*، الرباط، 1958 و1984 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1972، الجزنائي، *جني زهرة الآس*، الرباط، 1967، ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط 1980 ؛ ابن مرزوق، *المسند*، الجزائر، 1987 ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق*، ط. نابولي.

محمد حجاج الطويل

ابن **جلداسن، مسعود**، يكنّى أبا عثمان، أحد أشياخ قبيلة هسكورة بجبل درن في أواخر عهد الموحدين، وقد قويت سلطته على هذه المنطقة في مرحلة ضعف الدولة وفي خضم الصراع بين الموحدين والمرينيين، ويظهر أنه كان ميالاً إلى الاستقلال عن سلطة الخليفة الموحدي المرتضى، حيث سارع إلى دعم إدريس أبي دبوس عند إعلان انفصاله والدعوة إلى نفسه سنة 663 / 1264.

فبعد انصراف أبي دبوس من فاس التي توجه إليها طالبا العون من أمير المسلمين أبي يوسف المريني على حصار مراكش، كاتَب أشياخ الموحدين يدعوهم إلى بيعته فتلقته وفود العرب، ثم بايعه ابن جلداسن وأظهر الحماس لمطالبته، مما جعل أبا دبوس يتوجه من فاس إلى جبل هسكورة وينزل عند ابن جلداسن في صفر سنة 663 / نونبر ـ دجنبر 1264. وهناك أصبح الناس يفدون إليه فيعدهم بالإحسان والإنعام، فطاعت له قبيلة هزرجة وجميع قبائل هسكورة بتشجيع ابن جلداسن، وتوافدت عليه وفود العرب والموحدين والجند، وكذا فرقة الروم التي كانت في الجيش الموحدي. وكان استقرار إدريس أبي دبوس بجبل هسكورة مدة سنة كاملة استغرقها في اعداد العدة للهجوم على مراكش التي تمكن من دخولها يوم 22 محرم 665 / 23 أكتوبر 1266.

إن سوء تفاهم ما ـ لا نعرف سببه ـ قد حصل بين الخليفة الموحدي الجديد إدريس الواثق وبين ابن جلداسن أحدث وحشة بينهما، مما جعل إدريس الواثق يعزم على تنظيم حركة لجبل هسكورة لتاديب ابن جلداسن في شعبان سنة 665 / أبريل ـ ماي 1267. وأثناء مسيرته أرسل الواثق أبا فارس عبد العزيز بن عطوش رسولا إلى مسعود ابن جلداسن لاختبار أحواله، فعاد الرسول يحمل أخباراً سارة مُطْمَئنة تؤكد أن ابن جلداسن لايزال على السمع والطاعة، فاكتفى الواثق بذلك وتركه في جبله، وتنحى عن جهة هسكورة قاصدا السوس.

لكن ابن جلداسن أظهر الطاعة ليحول دون مهاجمة الموحدين له، أما موقفه الحقيقي فقد بقي رافضاً للواثق حيث سنجده يسارع مرة أخرى إلى مساندة عبد العزيز بن السعيد الموحدين في رغبته في الخروج عن طاعة إدريس الواثق، وجرت بين ابن جلداسن والأمير الموحدي مراسلات واتصالات، ومن سوء حظ هذا المتطلع إلى الخلافة، فإن الرسالة التي وجهها إلى ابن جلداسن يعلن فيها نواياه وقعت في يد الواثق الذي لم يتردد في إعطاء أوامره للسيد أبي زيد عبد الرحمان بن أبي عمران عامله على مراكش بقتل عبد العزيز بن السعيد الموحدي، وانكشفت بذلك نوايا ابن جلداسن، فامتنع في منطقته الجبلية متمرداً على سلطة الخليفة الواثق الذي لم تسعفه الظروف، فقتل بعد أقل من سنتين، وانتهت بنهايته دولة الموحدين.

ابن عذاري، *البيان المغرب (قسم الموحدين)* الدار البيضاء، 1985 ؛ ابن أبي زرع، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس*، القاهرة، 1964.

ابن **جلداسن، يلول**، يكنى أبا داود وينتمي إلى إحدى القبائل الأمازيغية التي ناصرت الدعوة الموحدية، ولعلها قبيلة هسكورة. ولاتذكر المصادر شيئاً عن ابن جلداسن في المغرب، وتهتم فقط بنشاطه بالأندلس، حيث كان من الأطر المغربية التي اعتمدت عليها الخلافة الموحدية في القيام بالمسؤوليات الإدارية والعسكرية بالأندلس نظراً لما عرف

عن الموحدين من تحفظ وصراحة في التعامل مع شؤون هذا القطر.

ففي سنة 557 / 1161 أي في أواخر خلافة عبد المومن قام وإلى إشبيلية الأمير أبو يعقوب يوسف بن عبد المومن بتعيين ابن جلداسن في خطة "أشغال الموحدين" بإشبيلية، أي شؤونها الإدارية والمالية، ومحمد ابن المعلم الأيلاتي في "شغل المخزن" بها. وكان ابن جلداسن وابن المعلم يعملان معاً تحت نظر "صاحب أشغال المخزن" أبي إسحاق براز بن محمد المسوفي، ونلاحظ من خلال أسماء هؤلاء المسؤولين الثلاثة انتماءهم إلى القبائل المصمودية والصنهاجية.

كان ابن جلداسن يقوم في مهمته هذه بالتنسيق مع ابن المعلم حيث كانا "يجتمعان كل غدوة على المصالح، ويفترقان إلى النصائح. وأقاما على هذا من تاريخ مشي السيد الأعلى أبي يعقوب إلى الحضرة بالاستدعاء مدة إلى أن كانت وفاة الخليفة (عبد المومن)" (*المن بالإمامة*، 207).

وبعد تولي يوسف للخلافة، أقر ابن جلداسن على نظره في الأشغال، وأضاف إليه "النظر في الأسهام"، بينما أفرد أبا عبد الله ابن المعلم الأيلاتي "بإشراف الأعمال" بإشبيلية. وبصفتهما مسؤولين رسميين في إشبيلية نجدهما سنة 561 / 1165 في طليعة مستقبلي الوالي الجديد لإشبيلية أبي عبد الله بن أبي إبراهيم (*المن بالإمامة*، 295) ويبدو أن ابن المعلم قد صدر منه تفريط أوجب إخضاعه للمحاسبة ومراجعة أعماله ثم عزله، وأسندت المهام التي كان يتولاها إلى ابن جلداسن الذي تدل ترقياته المتعددة على أنه كان أقدر على إثبات كفاءته في القيام بما كان يسند إليه من مسؤوليات، وتم هذا التغيير أثناء زيارة الخليفة يوسف بن عبد المومن إلى إشبيلية في شوال سنة 566 / يونيه - يوليوز 1171 (*البيان المغرب*، 121).

هكذا أصبح ابن جلداسن "مشرف إشبيلية وأمين أمير المؤمنين"، مما يدل على مدى الثقة التي كان يحظى بها لدى الخليفة الذي كلفه بالإشراف على مشروع زراعي هام تمثل في غرس مساحات شاسعة من الأراضي بضواحي إشبيلية حول قصور البحيرة بأنواع جيدة من الزيتون وأشجار الفواكه المختلفة، وذلك سنة 567 / 71 - 1172، فكان تحت نظر ابن جلداسن "وعمله تقييد الإنفاق في الاغتراس والبناء في الشهادة على ذلك كل يوم" (*المن بالإمامة*، 467).

وعندما أمر الخليفة يوسف ببناء المسجد الكبير بإشبيلية كلف أيضاً ابن جلداسن نظراً لثقته به حتى وصفه ابن صاحب الصلاة "بخاصة أمير المومنين ومشرفه على الأعمال" (نفس المصدر، 476)، فكان مسؤولا عن تقييد الإنفاق على المشروع، ويظهر أن ثقة الخليفة بابن جلداسن كانت في محلها، إذا عرفنا أن هذا المشروع عرف تقصيراً وخيانة من بعض المساهمين فيه من العلماء والشخصيات الأندلسية مثل أبي بكر ابن زهر وأبي بكر الياناقي و"عبد الرحمن بن أبي مروان بن سعيد العنسي الغرناطي، فظهرت على كتابه وأصحابه خيانة فعزل وعزلوا واستبدلوا، ورجع النظر إلى أبي داود (ابن جلداسن) واستبد مع خاصته تحت أمر إبراهيم الدباغ مع مشاركة ابن زهر المذكور" (*المن*، 476).

ولم يزل ابن جلداسن يترقى في سلم الإدارة الموحدية بالأندلس حتى أصبح عاملاً على إشبيلية، وعند عبور الخليفة يوسف إلى الأندلس برسم الحملة على شنترين في صفر عام 580 / ماي - يونيه 1184، نزل إشبيلية، وعند توجهه للجهاد كلف عامله ابن جلداسن بمشروع معماري ضخم تمثل في بناء سور حصين على قصبة إشبيلية، وبناء صومعة للمسجد الكبير تكون في اتصال مع السور المذكور، وبناء دار صنعة للقطائع، فبدأ أبو داود ابن جلداسن في هدم مجموعة من الدور التي تقع في موقع المشروع، وشرع في حفر أساس السور لكن المنية عاجلته بعد شهر ونصف من ذلك سنة 580 / 1184، ثم توفي الخليفة يوسف متأثراً بجراحه في غزوة شنترين بعد مدة قليلة، فلما بويع الخليفة المنصور عين عاملا جديداً على إشبيلية خلفا لابن جلداسن، وتعطل مشروع بناء صومعة جامع إشبيلية إلى أن زارها الخليفة المنصور سنة 584 / 88 - 1189 فأعطى أوامره بإصلاح المسجد الجامع وإتمام بناء صومعته الذي استغرق سنوات من العمل.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة*، تح. ع. التازي، بيروت، 1964 ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، تح. مجموعة من الأساتذة، الدار البيضاء، 1985 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*، عصر الموحدين، القاهرة، 1964.

محمد المغراوي

الجلسة، مصطلح فقهي مغربي، وهي حسب العمل الفاسي : "عقدة خاصة بدكان أو كل مكان في ملك الأوقاف وضع فيه المكتري تجهيزات معينة". ويعرفها ميبو (ص 70) بأنها كراء دار أو حمام أو حانوت أو فندق. وعلى المكتري أن يرمم ما تلاشى بالشيء المُكرى أو يزينه. وقد شاعت الجلسة في أملاك الأوقاف بصفة خاصة، ولذلك اعتبرها الفقهاء ضرباً من إجارة الوقف ونوعاً من أنواع الانتفاع بالأعيان الموقوفة واستغلالها والتصرف فيها. ولم تكن خاصة بدور السكنى بل نجدها غالباً في الدكاكين والمطاحن والمعامل والمدابغ والفنادق. وهي كراء لأمد معلوم.

لم تكن كلمة الجلسة معروفة في كل أنحاء المغرب، بل كانت شائعة في مدن فاس ومكناس وسلا والرباط وتطوان وشفشاون والعرائش والقصر الكبير وغيرها من مدن الشمال، في حين يقابلها اسم الحلاوة في مراكش. ومنشأ الجلسة حسب تفسير الفقهاء إنما سببه تجزئة المنفعة، بحيث إن مالك المنفعة إذا شارك غيره فيها، فمن كان منهما

ملازماً للجلوس بها سمي مالك الجلسة، وسمى الآخر مالك المنفعة تمييزاً بينهما، فالأساس المصطلح عليها في ذلك يرجع لجانب المنفعة فقط. فإذا باع ذلك الجالس حصته يسمى بائع الجلسة أو المفتاح، وإذا باع الآخر حصته يسمى بائع المنفعة بالاسم العام أو الزينة باعتبار الاسم الخاص، ولاتقويم للجلسة إلا برضى صاحبي المنفعة والجلسة معاً، فلا يختص أحدهما برأي دون الاخر، ولا يُلزم أحدُهما الآخر بما يراه من الكراء ولا من رفع اليد والأنقاض ولو اندرست العدة التي هي لصاحب الجلسة، إلاّ أن الكراء الواجب لذي الأصل لازم لذي الجلسة سواء انتفع أم لا (ع. گنون، *جنى زهرة الآس في شرح نظم عمل فاس*، ص 70). وبالرغم من أن الجلسة لاتستند إلى نص شرعي فقد صارت متداولة نتيجة للعادات المتكررة وسكون النفوس إليها.

كذلك الجلسةُ والجزاءُ ... جرى على التبقية القضاءُ

وقد أثارت مشروعية الجلسة جدلا بين الفقهاء خاصة فيما بين القرنين العاشر والحادي عشر (16 ـ 17م)، واعتبر البعض أن الأصل في مشروعيتها ـ وغيرها من المنافع الوقفية ـ هي فقط المصلحة ببيع منفعة الوقف المعطل والمتلاشي بثمن مقسط على الشهور أو السنين بيعاً معبراً عنه بالجلسة، وفي هذا يقول عبد القادر الفاسي (ت. 1091) : "إن الأصل فيما ذكر إنما هو المنفعة المتملكة بعقد الكراء ولا فرق في ذلك بين الحوانيت والفدادين وغيرها، إذ كل منها عقد كراء وان كانت المدة والأجل مختلفة" (*حوالة كبرى مكناس*، ص. 140).

إلا أن بعض الفقهاء لم يجيزوا العمل بالجلسة واعتبروها من الباطل المضاد لنصوص الشرع، بدعة لايوجد لها ذكر عند الفقهاء المتقدمين :

والجلسة التي جرت بفاس ... لدى الحوانيت بلا التباس
ليس لها في الشرع أصلٌ يُعلمُ ... ولاقياسٌ قاله مَنْ يفهمُ

وفي هذا الإطار قال عبد الواحد ابن عاشر (ت. 1040 هـ) ما يفيد أن الجلسة ليست لها زكائز وقواعد شرعية : "إن الجلسات ومن جملتها عدة الأرحى كل ذلك لا أصل له، ولكن جرت عادة أهل فاس باعتبارها والاعتماد عليها" (ع. گنون، *شرح نظم عمل فاس*، ص 70). وقد أجاب الشيخ محمد ميارة (ت. 1072) حينما سئل عن الجلسة التي جرى بها عمل الناس في الحوانيت هل جائزة أم ممنوعة ؟ وما وجه منعها إن كانت ممنوعة ؟ فأجاب : "أما مسألة الجلسة، فلم أقف على نص فيها ولا أظنه يوجد لأنها محض اصطلاح من المتأخرين".

ونفس الشيء ذهب إليه مفتي فاس وقاضيها محمد بن الحسن المجاصي (ت. 1103 هـ) في *نوازله*، من كون الجلسة من الوسائل الرديئة التي أمكن للأشخاص بواسطها التمتع بمنافعها".

وأضاف : "وقد أفتى جماعة من المحققين كابن جلال وابن عاشر والمقري وغيرهم أن الجلسة بدعة باطلة وبلية متى أمكن التنصل منها أزيلت .. فالحزم غلق أبواب الجُلس إن أمكن الوصول إليه" (*حوالة كبرى مكناس* (5) ص 143 ـ 144).

ومع أن هؤلاء العلماء لم يؤكدوا على الجلسة وتحفظوا في قبولها فإنها أصبحت عرفا جاريا العمل به خاصة في ممتلكات الأحباس وبالأخص في الدكاكين، قال الشيخ القاضي بنسودة في جواب بيَّن فيه العرف الجاري وما وقع عليه العمل" الجلسة جارية مجرى الغرس في أراضي الأحباس وهي على التبقية في حوانيت الحبس" (المصدر السابق) ويضيف المجاطي : "والجُلس ... عمت بها البلوى، ودخلت بيد مُلاكها بالثمن الوفار وطال الأمر فيها في الأزمنة الكثيرة" (محمد بنعبد الله، *ناظر الوقف* 12، ص 47).

وعن أصل الجُلس يتحدث القاضي العربي بردلة (ت. 1133 هـ) بقوله : "ليعلم الواقف عليه أن أصل الجُلس ومصلحتها التي روعيت في إحداثها هي أن الذي تُملَّكُ له الجلسة ويمكَّنُ منها، وحاصلها المربوط عليه، ومعناها الذي يرجع إليه حالها هو كون الكراء له على التبقية لايخرج إلا إن رضي بالخروج أو يخل بالمصلحة التي روعيت في إحداثها" (*حوالة أحباس كبرى مكناس*، رقم 5 ص 142).

فللجلسة شروط تتخلص في : "أن يكون مَن تُملَّكُ له الجلسة ويمكَّن منها أن يجعل الأصل بيده على التبقية بكراء المثل، يكون على الحانوت مثلاً بمثابة الناظر عليها، ويقوم بأمورها ويحوطها، ويناضل على حقوقها ومرافقها، ويسعى في عمارتها، ويقف لإصلاحها وقوف المالك على ملكه العزيز عليه، ويكون مع ذلك متكفلاً بوجيبتها للحبس على النصف غير مماطل ولامسوف، عمرت الحانوت أو خلت نفقت أو كسدت، كان مرغوباً فيها أو مرغوباً عنها" (*حوالة كبرى مكناس* (5) ص 142).

إذن يعدّ صاحب الجلسة بمثابة المالك، له حق التصرف التام بالبيع والشراء، والهدم والبناء وجميع تصرفات أرباب الملك، وليس لصاحب الأصل الحق في مراجعته أو إخراجه مادام قائماً بمصلحة الملك مراعياً له محافظاً عليه، فإذا أخل بشرط من شروطها كما إذا تغافل صاحب الجلسة عن الملك وأهمله وتركه عرضة للخراب والتهديم أو إذا لم يلتزم للحبس بالوجيب أو نحو ذلك فلا يبقى له فيه جلسة.

والجلسة كما سبق الذكر كراء لأمد معلوم. وقد جعل القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي هذه المدة سنة واحدة فقط ـ (خلافاً للجزاء الذي قد يكون كراء لأمد طويل أو على التأبيد) ـ فإذا انقضت المدة التي وقع عليها العقد ووقع التشاح. يقول القاضي ابن سودة : "ألزم ذو الجلسة بكراء وسط على المعروف وقت التشاح، وألزم ذو الأصل قبوله، وان اتفقا على تقويم الجلسة قومت قيمة عدل لاعلى أنها نقض منفصلة عن الأصل، وان شاء ذو الجلسة رفع أنقاضه التي لاحق لغيره فيها فله ذلك، ولا مقال لرب

الأصل في إلزامه المكث بكراء وسط ولا تقويم عليه ولا قلع لأنها جارية مجرى الأجزية وعقودها. ولايخفى حكمها الجاري في الأحباس ..." (ع. گنون، *العمل الفاسي*، ص 71).

وإذا مات صاحب الجلسة يرثها ورثته ويقومون مقامه على القدر المقرر. فلا يحقّ لناظر الأحباس كان أو غيره أن يحوز المفتاح من الورثة، وللورثة حق التصرف في المفتاح المعبر عنه في العرف بالجلسة بأن يقتسموهُ على فرائضهم أو أن يتخلوا عنه لبعضهم بعضاً أو لغيرهم بعوض أو بغير عوض كما أنه يباع ويوفى منه دينه ويصير إلى بيت المال إذا لم يكن له وارث.

ويشوب الغموض تاريخ ظهور الجلسة وكيفية ظهورها، ويمكن التأكيد أن ظهورها مرتبط بضعف سلطة المخزن، فالاضطرابات التي عرفها المغرب أواخر العصر المريني وما تعرضت له الأحباس من نهب وسلب وما ترتب عن ذلك من تضاؤل لمداخيل الأحباس كانت إحدى أسباب ظهور الجلسة، فالراجح إذاً أن هذه الأخيرة، بدأت في الظهور مع نهاية الحكم المريني في القرن التاسع (15 م) خاصة وأن أحمد بن يحيى الونشريسي (ت. 914 هـ) في *المعيار* في القسم المتضمن لنوازل الأحباس لم يتطرق إلى الجلسة، في حين تحدث عن الجزاء والكراء في صفحات عديدة من كتابه.

وحدد ميليو نشوء الجلسة في ظرف ثلاثة قرون بين القرن الثامن والعاشر الهجريين، ففي تلك الحقبة نشأت وتطورت وأخذت شكلها النهائي. إلا أن الفترة التي صارت فيها الجلسة عرفاً معمولاً به شابها الغموض. وبمقارنة بسيطة لمضمون النصوص التي تحدثت عن الجلسة مع العصر الذي عاش فيه مؤلفوها يمكن تحديد هذا التاريخ بالتقريب وان كانت غير بعيدة من بداية العصر العلوي، ففي الفترة بين القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ناقشت مدرسة فقهاء فاس بإمعان ودقة شرعية الجلسة وانتهت بالاتفاق على شكلها (القانوني)، وصارت فيما بعد كما يقول محمد بن الحسن المجاصي، بعدد الأملاك الحبسية (ميو، *تجزئة الأحباس*، ص 42).

وفي عهد المولى إسماعيل أثير جدل حول الجلسة، وأعيد النظر فيها لما ثبت لدى قاضي الحضرة المكناسية أبي مدين محمد بن الحسين السوسي (ت. 1120 هـ) ضررُها بالنسبة للأحباس فحكم" بإبطال حكم الشركة بين أصحاب الجُلس المالكة لجميع الأصل في جميع الحوانيت الموقوفة إبطالاً كلياً" (*حوالة أحباس كبرى مكناس* (5) ص 183). إلا أن ذلك لم يحل دون استمرارها وصار الناس في العهود التالية يتنافسون في شرائها، وألحقوها بالأصول، حتى إنها كانت تشتري للأيتام والمحاجر لكونها مأمونة، والراجح أن سبب ذلك يعود إلى ضعف الجهاز المشرف على الأحباس، وتهاون النظار الذين لم يعودوا قادرين على النظر بجد فيما يعترض سير مؤسستهم من مشاكل، واستولى الخواص على الأملاك الحبسية ولم تعد الأحباس تملك سوى الاسم لأن الجلس صارت تباع وتشترى وتورث دون علم النظار أحياناً.

إن نشأة الجلسة وتطورها في الظروف السالفة الذكر أدى إلى تجزئة المنفعة وإخراج بعض الأملاك من يد الأحباس مما كانت له عواقب وخيمة على مداخيل الأوقاف وسير المرافق التي كانت تمون من تلك المداخيل. وقد تمت محاولات لتدارك ذلك في بداية عهد الحماية فصدرت عدة ظهائر ضبطت الجلسة وغيرها من المنافع منها ظهير 27 يناير 1914، وظهير 2 يونيو 1415 وظهير 8 يوليوز 1916؛ كما صدر في 31 مارس 1938 ظهير في شأن تصفية الأملاك الحبسية من شوائب الجلسة وغيرها... وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن الجلسة تفرعت عنها أنواع أخرى من المناقع كالزينة والمفتاح والاستغراق.

حوالة أحباس كبرى مكناس، رقم 5، ص 138. 144 ؛ *النصوص التشريعية التنظيمية الخاصة بالأوقاف* : 1973 ؛ ع. گنون، "جنى زهر الآس في شرح نظم عمل فاس" ، القاهرة، د. ت . ص، 70. 71؛ بلمقدم رقية، *أوقاف مكناس في عهد مولاي إسماعيل*، الجزء الأول، ص. 108. 116، الجزء الثاني، ص. 465. 484.

E. Michaux Bellaire, *Le gza et la guelsa*, R.M.M., 1911, p. 217 - 248 ; L. Millot, *Demembrement des Habous*, Paris, 1918.

رقية بلمقدم

الجَلْكا أو الجُلْكَى Lampraie، سمكة تنتمي إلى الفقريات، وهي من أكثرها بدائية لا من حيث التكوين ولا من حيث طريقة العيش، وقد صنفها العديد من العلماء القدامى من بين الأسماك إلا أن الدراسات الحديثة خلقت لهذا النوع ولأمثاله مجموعة تصنيفية جديدة أطلق عليها اسم "Agnather" وما يمكننا نحن نسميه "اللافكيات" أي الحيوانات الفقريات التي لها فم مستدير كالمحجم لا يتحكم في تحريكه فكّان.

للجلكا جسم ثعباني الشكل قد يصل طوله ما بين عشرين سنتمترا وحوالي متر تقريبا مدعوم داخليا بجهاز عظمي عضرفي يمتد من مقدمة الرأس حتى مؤخرة الذنب. تتحرك الجلكا بواسطة أربعة زعانف اثنان منها ظهرية (مؤخرة الظهر) والثالثة ذنبية والرابعة إستية.

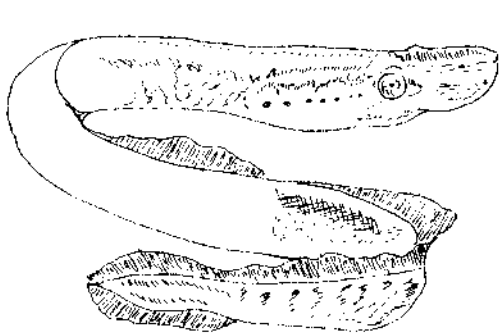

تتغذى الجلكا معظم حياتها كالعلقة على دم ضحاياها من الأسماك وتتنفس بواسطة سبعة جيوب خيشومية تصلها بالوسط الخارجي سبعة فتحات جانبية. ولا تتوالد الجلكات إلا مرة واحدة طوال حياتها حيث أن دُنُّو الوقت التي تعطي فيه الحياة يعتبر في نفس الوقت دُنُّواً لنهاية حياتها. وبالفعل عندما يقترب وقت التجانس يبدأ الذكور بالهجرة نحو المياه القارية (الوديان والأنهار) حيث تتغير ألوانها وسلوكها، فيبدأ كل واحد منها بالبحث عن كثبان رملية يشق فيها خطوطا يدفن فيها نفسه في انتظار وصول الإناث. بعد حضور هاته الأخيرة مثقلة ببيضها يتم جلبها من طرف الذكور إلى تلك الخطوط لتضع فيها بيضها قبل أن تخصب من طرف هؤلاء ليختفي بعد ذلك الكل إناثا وذكورا وإلى الأبد.

بعد نقْف البيض تخرج الصغار في شكل مغاير بالنسبة للكبار، فتطمر نفسها في الوحل وتتغذى بالحيوانات الدقيقة الحجم، وكذلك بالمواد العضوية الموجودة في الوحل وفي الماء إلى أن تكبر قليلا فتبدأ بالهجرة إلى البحر عبر مصبات الأنهار، فتبحث لنفسها عن أسماك تلتصق بها بواسطة فمها الدائري الشكل والذي يُوظف كمِحْجَم يمكنها من امتصاص دم ضحاياها خاصة أن لسانها بخشونة المِبْرد يمكنها بحركاته من تمزيق جلد الضحايا وتفتيت لحمها والاستفادة من دمها وفتات لحمها.

يوجد في المغرب نوعان اثنان من الجلكات، ولا شك أن أشهرها هو Petromyzon marinus الذي يبلغ حوالي المتر طولا والذي ينتشر في المنطقة المتوسطية والأطلسية الشمالية.

قد يستفيد الإنسان من لحم الجلكات في عاداته الغذائية كما يستفيد من لحوم الأسماك إلا أن تناولها يفرض طبخها لمدة طويلة تسمح بتطهير دمها من السموم التي تؤدي إلى أمراض الجهاز العصبي عند الإنسان.

H.W. Fowler, *The marine fisher of west Africa. Bull. Am. Mus. Hist.* vol. LXX, fast 1 : 14.1936, 93 p. : P. Bougis, *Les poissons marins*, Tome 1 / 2, p. 201-234 ; A.C. Camprell et Nicholls, *Guide de la faune et de la flore littorales du mers d'Europe*, Genève, 322 p., 1968 : H. Ph. Dollfus, *Première contribution : l'établissement d'un fichier ichtyologique de Maroc atlantique de Tanger à l'embouchure de l'Oued Dra. Trav. Inst. Sci. chérif., Zoologie*, 6 : 226 p., 1955.

محمد منيوي

الجلاّبة، أو الجلاّب أو الجلاّبية، لباس معروف محرف على ألسن عامة الناس من أهل المغرب هكذا عن لفظة الجلباب العربية الأصل. وهو عباءة واسعة عريضة تتألف من ثلاثة أجزاء رئيسية يندمج بعضها في بعض بواسطة الخياطة اليدوية. غطاء الرأس ويسمى "القب" وغطاء اليدين يعرف بالأكمام وغطاء البدن ويدعى "الكسدة". وهي لباس خارجي يوضع فوق الملابس الداخلية، يشبه إلى حد كبير العباءة المتداولة في مصر المعروفة بالگلاّبية (بجيم مقعودة) لكنها تختلف عنها في أنها مخيطة من الأمام من العنق إلى الرجلين ولها قب خاص بتغطية الرأس.

يتخذ الجلاّب من جميع الأثواب والألوان، ويختلف قماشه وحجم نسيجه وحجم قبه وعرض أكمامه واتساع كسدته باختلاف المناطق والفئات الاجتماعية وفصول السنة. كان في بداية أمره لباساً خاصاً بالذكور ثم انتقل استعماله إلى عالم النساء، وسرعان ما أصبح الجلاّب النسوي متميزاً عن جلاب الذكور بجودة قماشه ورشاقة أشكاله وتعدد أنواع خياطته وتوشيته وتهذيبه، وكان الجنسان معاً ذكوراً وإناثاً يتخذونه من أقمشة الصوف المتينة الدافئة في الفصول الباردة، ومن ملف خفيف أو قطن أو كتان في الفصول المعتدلة والحارة.

يقتني الشخص، ذكراً أو أنثى، قماشاً يختاره من سوق القيسارية أو يشتريه من عند الدرّاز "خرقة" واحدة ويأخذه إلى الخياط ليباشر تقطيعه وتفصيله علي مقاس القد والأطراف. وبعد الانتهاء من عملية الخياطة يصبح القماش جلباباً صالحاً للارتداء اشتهر عند الناس بأن له سبع فتحات : فتحة القب والعنق ومدخل اليد اليمنى واليسرى وفتحة في الجانب الأيسر والأيمن وفتحة الأسفل (حاجيتك علي اللي تبدأ بالجيم والجيم صنعوها الفهّام، وداروا لها سبع فَامْ، بحال جهنّم).

وقد كان الجلاّب في بداية أمره واسعاً فضفاضاً ثم أصبح فيما بعد أكثر اقتراباً من الجسم دون أن يحدد ملامح البدن أو يحصرها. وإذا كان "الحسبيّون" و "الزمنيون" لمدة طويلة إلى فترة مابعد الخمسينات لايرتدونه إلا مهوى واسعاً فضفاضاً، فإن شباب الجيل الجديد أصبحوا لايلبسونه إلا مقدوداً ملامساً للأعضاء (sur mesure).

وتذكر كل المصادر التاريخية دون استثناء أن رداء الجلاّب بشكله المعروف اليوم لم يكن متداولا بين الناس قبل القرن الثالث عشر (19 م) ويؤكد البعض منها بأن انتشاره

بين عموم السكان لم يبدأ إلا في نهاية القرن المذكور. وقد حل ارتداؤه بالتدريج محل "الكسا"، الذي كان يوضع فوق اللباس الداخلي كرداء خارجي، وبدأ يتراجع وحلّ الجلباب شيئاً فشيئاً محل "الكسا" بعد أن كان أمره لايتعدى أوساط المخزن والأقلبة من ذوي اليسر والثراء. وباستمرار التطور، أُقصي "الكسا" من التداول وعوّضه "الجلاّب" الذي أصبح يرتدى فوق الملابس الداخلية إمّا مع السلهام أو بدونه.

وما كاد ينتهي النصف الأول من القرن الرابع عشر (20 م) حتى خرج "الكسا" من التداول، إلا في حالات نادرة ولم يحافظ على استمراره كرداء يلبس تحت السلهام إلا في بعض الحفلات الرسمية خاصة لدي أوساط المخزن. وقد أصبح "الكساء" حالياً مجرد قطعة متحفية وعوضه الجلاّب الذي تطورت أشكاله وألوانه وساد استعماله عند جميع طبقات المجتمع.

وفي مغرب عهد الحماية أصبح الجلباب رمزاً أساسياً من رموز الهندام المغربي. لذلك استعملته الحركة الوطنية في معركة معاكسة الاستعمار كوسيلة من وسائل المقاومة وصيانة الهوية الوطنية والدفاع عن الذات بالإضافة إلى رديفه الطربوش.

عبد الله التليدي، *المطرب في مشاهير أولياء المغرب*، طنجة 1987؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، الجزء الأول، الدار البيضاء 1960 ؛ م. شماعو، *المجتمع المغربي كما عرفته*، الرباط 1980 ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب*، الجزء الأول، الرباط 1976 ؛ *جريدة الاتحاد الاشتراكي*، عدد 3625 بتاريخ 13 يوليوز 1993.

R. Montagne, *Où en est l'évolution sociale du Maroc*, *L'Afrique et l'Asie*, n° 9, 1er trim. 1950 ; R. Landau, *The beauty of Morocco*, *London 1951* ; L. Brunot, *Au seuil de la vie marocaine*, Casablanca, 1950 ; A. Sefrioui, *Le costume citadin*, in *La Grande Encyclopédie du Maroc*, vol. 2, Rabat 1987 ; *Archives marocaines*, tome 15, année 1909 ; W. Marçais, *Djellab*, *E.I.*, 1ère éd., tome 1, année 1913.

محمد بوسلام

جلّول، محمد مقاوم ولد سنة 1903 بمدينة بركان تاوريرت، وكان من رجال الحركة الوطنية المجاهدين ومن المسؤولين الرئيسين عن ثورة 17 غشت 1953 التي اندلعت بمدينة بركان ومركز تافوغالت حيث انتفضت قبائل بني ازناسن انتفاضة عارمة ضد الاستعمار، الأمر الذي عرضه للاعتقال والحكم عليه بالسجن لمدة سنتين قضاها بسجن العادر، وكان بيته في بركان منتدى لعقد الاجتماعات وتنظيم اللقاءات السرية للوطنيين.

توفي بمسقط رأسه في 8 شعبان عام 1415 / 10 يناير 1995.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المحاربين وأعضاء جيش التحرير.

ابن **جلون** أو ابن جلّول ـ باللام ـ أو بنجلون ـ كلمة واحدة ـ أسرة كبيرة في المغرب تتألف من عدة فروع، قلما يعرف فرع منها مايربطه بالفروع الأخرى، ويميز بعضها أحياناً بنعوت خاصة، مثل ابن جلون الأندلسي ـ التوبي ـ الجبينة ـ الضخامة، الخ ... ويبقى القاسم المشترك بين هؤلاء وأولئك هو اعتبارهم جميعاً من أصل فاسي وإن كان بعضهم يكوّنون أسراً كبرى بأسفي وتطوان والرباط وغيرها.

أورد عبد الكبير الكتاني في *زهرة الآس* أن أصول هذه الأسرة بربرية، وجعلها تنتمي إلى قبيلة گومية الموجودة بالمغرب الأوسط، وذكر أن عناصر عديدة من هذه الأسرة رحلت إلى الأندلس في عهد عبد المؤمن الموحدّي، وتكاثروا وتفرّعوا ونسوا أصولهم البربرية. ولما كانت النكبة الأندلسية نزحت منهم أفواج هامّة إلى المغرب على الخصوص، بينما استوطنت بعض الأسر منهم الجزائر وتونس وبعض أقطار الشرق العربي.

نعلم بناء علي الواقع الملحوظ وحسب الأخبار المنقولة أنهم اختاروا الإقامة بفاس، وهي يومئذ قبلة الأندلسيين الأولى، وبعضهم نزل بطنجة وآخرون بتطوان، قبل ان يستوطنوا مدناً أخرى بالمغرب، مثل وجدة وأسفي والجديدة والصويرة، إمّا للتجارة وإمّا استجابة لداعي المخزن الذي عيّنهم في وظائف هناك، مثل القضاء أو نظارة الأوقاف أو أمانة المرسى، فأسسوا فروعاً للأسرة الكبرى في هذه المدن.

ومن الملاحظ أن بعضهم يضيف نسبة "الگومي" إلى اسمه العائلي، ومنهم من اتخذ لأبنائه أسماء لها رنّة بربرية كما فعل والد العالم بعلم الحساب والموسيقى الشيخ حدّو بنجلون الذي كان يلقّن فنونه بالقرويين في غضون النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م)، وقد كان يلازمه تلامذة كثيرون نذكر من بينهم الشيخ إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي المتوفى عام 1311 هـ. وعلى غرار والد الشيخ حدّو، أذكر أحد أجدادي الذي سمى أحد أبنائه حمُّ الذي كان في وقته من أقطاب أسفي.

وفي تطوان، سمّى بعض عناصر هذه الأسرة بناتهم بأسماء تارة ذات رنّة بربرية مثل "رقّوشة" و "قامة" وتارة ذات رنّة إسبانية مثل "رانيا" و "رينة" وغيرهما، علماً أن هذا الاسم الأخير يعني ملكة.

وسألني أكثر من واحد هل اسم الأسرة يكتب في الختام باللام أو بالنون وما هو الأصحّ، وهل اسم الأسرة المسبوق بـ "ابن" و"بن" يكتب في كلمة واحدة أو في شقين ؟ إن الموجود في كتب التراجم هو ابن جلون" ـ وأحياناً باللام في الأخير، لكن ادماج الكلمتين في اسم واحد "بنجلون" إنما حدث مع استحداث الحالة المدنية، وهذا ما وقع فعلاً عام 1952 بفاس والدار البيضاء مع الاتفاق الضمني على أن اسم الأسرة يختم بـ "النون" مع الحفاظ باللام لمن ألحّ في ذلك ممّن يعنيهم الأمر. إن اسم هذه الأسرة المختوم باللام

موجود بفاس ووجدة والرباط ومدن أخرى وحتى في البوادي، ذلك أن لفظ جلول كان يستعمل ومايزال، لتسمية الجيلالي الذي ينادي جلول كعبد العزيز الذي ينادى عزّوز وعبد القادر قدّور وخديجة خدّوج وغير ذلك من الأسماء التي تُحرَّف تحريفاً، إما تكريماً لحامليها وإما تحقيراً لهم.

وجاء في *زهرة الآس* كذلك : "بني جلول بيت قديم بفاس ينسب إلى الشيخ الشهير والولي الصالح سيدي عبد الجليل المدعو جلول بن الحاج العبساوي، من أولاد عيسى القبيلة المعروفة بالغرب والحاج الذي ينسب إليه ليس هو والده وأبوه حسّاً، وإنما والده المعنوي وشيخه سيدي الحاج الرامي التواتي دفين خارج باب عجيسة، وقد عاصر السلطان السعدي محمد الشيخ الملقّب بالمهدي". ثم أضاف : "كان صاحب الترجمة مجذوباً هائماً، مولها غائباً في الله لم يهتم بأي شيء من متاع الدنيا ولم يتزوج (...) كان يمشي في الأزقة ويقول : "انصروا جلول، الله ينصر السلطان جلول. ان بن جلول تاگيدة الغرب (يعني عمدته) وتوفي جلول هذا يوم 17 شوال 1037 هـ / 20 يونيه 1628م وضريحه معروف بداره الكائنة بأقصى دربه المشهور به، وقبره مزار متبرك به".

إلى جانب جلول، ذكر مؤلف *زهر الآس* بعض الأسماء من أسرة ابن جلون - بالنون - دون أن يتعرّض لأصولهم ولا إلى إشكالية الخط بخصوص اللام أو النون. ويذهب اليوم مؤيدو كتابة الاسم بالنون إلى قياسه على ابن زيدون وابن خلدون وابن حمدون ... بدعوى أن آل بن جلون نزحوا إلى المغرب قادمين من الأندلس على إثر النكبة التاريخية المعروفة. بقي أن أقول كلمة عامة في حق جميع فروع هذه الأسرة وهي : أن الحياة المغربية تزخر بأسماء لامعة من جميع عناصر آل ابن جلون وأنّ التصور العام لدى الناس هو أن آل بنجلون "أصحاب تجارة أساساً" وهذا غير صحيح مطلقاً، لأن منهم كذلك رجال علم وفكر، ومنهم قضاة ورجال قانون، ومنهم أصحاب حرف وصناعات.

عبد الكبير الكتاني، *زهر الآس*، مخطوط، خ. ع ؛ أ. بنجلون، *بحث خاص*، مخطوط.

ابن **جلون، أحمد** بن **محمد** التطواني ولد عام 1335 / 1917 وتلقى تعليمه بكتّاب كان يحادي المسجد الأعظم، ثم تابع تكوينه بمدرسة حرّة وبمعهد إسباني بتطوان. انخرط في سلك الحركة الوطنية مع أصدقائه الذين أسسوا حزب الاصلاح الوطني، عام 1355 / 1936، بزعامة عبد الخالق الطريّس. في عام 1383 / 1963، انتخب أحمد ابن جلون عضواً في أول برلمان بعد الاستقلال، وذلك باسم حزب الاستقلال وهو الذي أسس مدرسة "الحياة" الحرة بتطوان.

توفي في شهر ذي الحجة 1412 / يونيه عام 1992 بمرتيل.

ابن **جلون، أحمد** بن **الطاهر** الرباطي، وصفه صاحب *الاغتباط* بالفقيه العلامة النزيه الناسك البركة الأبر، كما حلاّه تلميذه الأديب ابن عمرو في فهرسته بعبارات متقاربة. أخذ العلم عن شيخه القاضي أبي العباس الحكمي، ومارس التدريس ونظم الشعر الملحون في الأمداح، حسب ما ورد في تقاييد معاصريه. واشهر قصيدة ملحونة طويلة أنشأها كانت في مدح مكة المكرّمة. وله كذلك شعر موزون في الغزل، تميز برشيق البراعة وأنيق العبارة، مثل الميمية التي مطلعها :

خليلي، ما بال الفؤاد مكلّـــمُ ... وعقلك حيرانٌ وهو متيـــمُ
فان كان من فرط الصبابة والهوى ... فان قتيل الحب لاشك يُرحـمُ

توفي يوم الأربعاء 25 جمادى الثانية عام 1234 / 21 أبريل 1819.

ابن **جلون، أحمد بن محمد** بن الهاشمي التطواني، حفظ القرآن بمسقط رأسه ثم رحل إلى فاس وتلقى نصيباً من العلم على شيوخ القرويين، ورجع إلى تطوان عام 1322/ 1904 واشتغل بالتدريس في الزاوية الدرقاوية وكان متأثراً بالشيخ الصوفي أحمد ابن عجيبة.

توفي بتطوان عام 1344/ 1925.

ابن **جلّون، إدريس** (الحاج -) ← ابن **جلون التسولي**

ابن **جلون، إدريس** بن محمد بن بناصر، ولد بأسفي عام 1287 / 1871، وبعدما تلقى تكوينه الأساسي بكتّاب مشهور بدرب الصومعة، انخرط في سلك طلبة الشيخ محمد المطاعي الذي كان يلقي دروسه بالمسجد الأعظم. وموازاة مع ذلك، مال إلى ممارسة التجارة، وتعلّم مبادئ الموسيقى كان أديباً محبّاً للشعر الغنائي الأندلسي يحفظ كثيراً من موشحاته.

إلى جانب ذلك كان يجالس أهل العلم وخاصة منهم أصحاب الطريقة الدرقاوية التي كانت زاويتها عامرة بأسفي، هي زاوية النخبة والأسر المرموقة، وكان مشهوراً بكرمه ينفق يومياً على عدد من الأسر الفقيرة.

وافته المنية بالجديدة عام 1353 / 1934.

ابن **جلون، بناصر** بن حمُّ بن الطيب الأسفي. تلقى تعليمه القرآني بأسفي، ثم رحل إلى مراكش طلباً للعلم، ومنها ذهب إلى فاس لنفس الغاية، ولما عاد إلى أسفي انتصب للعدالة وتلقى الشهادات إلى أن تولى أمانة مرسى أسفي عام 1281 / 1864، خلفا لوالده حمُّ بن الطيب ابن جلون.

توفي في شهر شعبان 1286 / نونبر 1869.

أحمد بنجلون

ابن **جلون التويمي، إدريس** (الحاج -) ولد بفاس عام 1315 / 1897. وبها تلقى تعليمه الأولى. تفتقت موهبته الفنية وهو مايزال يافعا، فأخذ يتعلم على شيوخ المدينة فنون الإنشاد والعزف، وهكذا تتلمذ على محمد بن العربي ابن جلون، ومحمد البريهي، وعمر الجعيدي، ومحمد المطيري، والمنشد أحمد زويتن. ولما بلغ السابعة عشرة من عمره انتقل إلى مدينة الدار البيضاء حيث تابع تعليمه الثانوي بانتظام، ثم انقطع إلى بعض مشايخ العلم والدين يأخذ عنهم.

وجد الحاج إدريس في مسكنه الجديد ما حفزه على الاهتمام بالموسيقى الأندلسية، فكان من دعاة تأسيس "جمعية هواة الموسيقى الأندلسية" عام 1355 / 1937 وفي عام 1378 / 1958 عمل بتعاون مع ثلة من رجال الفن لعقد مؤتمر وطني للجمعية، حضره ولي عهد المملكة المغربية يومئذ، وشارك فيه هواة من مختلف المدن المغربية. وكان لهذه الجمعية إشعاع فني كبير، تمثل في تأسيس مدرسة لتعلم موسيقى "الآلة"، وإنشاء جوق "أصدقاء زرياب".

أنجز الحاج إدريس ابن جلون أعمالاً جليلة في مجال التعريف بمستعملات الموسيقى الأندلسية وتعليمها، واستكمال ميازينها. وأهم تلك الأعمال : تأليف كتاب *الدروس الأولية للموسيقى الأندلسية* في جزءين تضمنا مجموع الصنعات والميازين التي قررت وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية تلقينها بالمعاهد الموسيقية ؛ وتحقيق كناش الحايك وإصداره في كتاب تحت عنوان *التراث العربي المغربي في الموسيقى* ـ مستعملات نوبات الطرب الأندلسي المغربي : شعر ـ توشيح ـ أزجال ـ براول. وكان ذلك عام 1401 / 1981. وقد مهد له بمقدمة استعرض فيها بعض ما أنجزه المؤتمر الثاني للموسيقى العربية بفاس عام 1388 / 1969 بخصوص ضبط طبوع الموسيقى الأندلسية ؛ *وإعادة تركيب ميزان قائم ونصف الحجاز المشرقي* في تسعة وعشرين صنعة مستعيناً بما تفرق في الكنانيش وصدور الحفاظ ؛ *وإعادة تركيب ميزان قائم ونصف الرصد* من ستة وعشرين صنعة. وقد عمد الحاج إدريس ابن جلون إلى تلحين أغلب صنعات هذين الميزانين، وذلك وفق الأسلوب المتوارث.

شارك المترجم في لجنة تسجيل النوبات الأندلسية التي أحدثتها وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية خلال الستينات إلى جانب الحاج عبد الكريم الرايس ومحمد العربي التمسماني والمرحوم مولاي أحمد الوكيلي، وتم بالفعل تسجيل ثمان نوبات.

وبالإضافة إلى ما سبق شارك في أشغال المؤتمر الثاني للموسيقى العربية الذي انعقد بفاس عام 1969 الذي كان موضوعه "وصول الفن الموسيقي العربي إلى المغرب". كما حضر المؤتمر الدولي للموسيقى العربية المنعقد ببغداد سنة 1964، وكان من بين الموقعين على المذكرة التي رفعها المؤتمر إلى جامعة الدول العربية لحثها على إنشاء المجمع العربي للموسيقى. وقد حرص على تمثيل المغرب في مؤتمرات المجمع منذ تأسيسه، فشارك في دوراته الخمس الأوائل : يناير 1971 بطرابلس ؛ يبراير 1972 بالقاهرة ؛ يوليوز 1973 بالجزائر ؛ يبراير 1974 ببغداد ؛ أكتوبر 1977 بالرباط، أغنى هذه المؤتمرات ببحوث ودراسات أنجزها حول الموسيقى الأندلسية خاصة. وقد كرّمه المؤتمر السادس المنعقد بطرابلس في أبريل 1981 عندما قرر قبوله عضواً منتسباً في المجمع، وهي درجة تخول لمن أثبت إسهامه في إثراء المجمع العربي للموسيقى.

وبعد حياة حافلة بالعمل المتواصل أسلم الحاج إدريس ابن جلون روحه إلى بارئه في 29 محرم عام 1403/ 16 نونبر 1982 عن عمر يناهز الخامسة والثمانين.

إ. ابن جلون نفسه، *الدروس الأولية للموسيقى الأندلسية* ؛ *التراث العربي المغربي في الموسيقى* 1981 ؛ *معرفة شخصية* ؛ *وروايات شفوية*.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **جلون التويمي، عبد الكريم** بن بناصر. ولد بفاس عام 1329 / 1911، وبها تلقى التعليم الابتدائي، والثانوي في ثانوية مولاي إدريس، ثم انتقل إلى الرباط لمتابعة تكوينه في معهد الدراسات العليا المغربية" حيث حصل على بروفي الدراسات القضائية والإدارية المغربية، وواصل تكوينه إلى أن حصل على الإجازة في الحقوق والإجازة في الآداب.

في عام 1934، عيّن قاضياً بالمحكمة العليا الشريفة. وفي 11 يناير 1944، كان من من بين الموقعين على عريضة المطالبة بالاستقلال، وشارك في مظاهرة أمام القصر الملكي يوم 29 يناير 1944 وعلى إثر ذلك. تمّ فصله عن الوظيفة العمومية ابتداء من فاتح فبراير 1944.

تم انتخابه عضواً في اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال، وأخذ يمارس المحاماة بفاس ابتداء من أبريل 1948 إلى أن أُلقي عليه القبض عام 1950 بسبب نشاطه الوطني فحكم عليه بثلاثة أشهر حبساً بالرباط. وبعد خروجه من السجن مُنع من ممارسة مهنته بفاس. ثم سمح له بذلك ابتداء من يونيو 1952، إلى أن القي عليه القبض مرّة أخرى يوم 10 دجنبر 1952 فحكم عليه بالسجن في أغبالو جنوب المغرب. وأفرج عنه يوم 5 أكتوبر 1954.

بعد استقلال المغرب، عيّن عبد الكريم ابن جلون وزيراً للعدل في أوائل حكومة مغربية، ثم وزيراً للتربية الوطنية والشبيبة والرياضة من عام 1958 إلى عام 1960. وبعد ذلك رجع إلى ممارسة المحاماة بفاس وعين نقيبا للمحامين ثم انتخب رئيساً لمكتب النقباء بالمغرب. رافع في كثير من القضايا سواء بمراكش أو بالدار البيضاء أو بفاس في المحاكمات السياسية التي أعقبت بعض الاضطرابات في المغرب. وخلال هذه الفترة، كان يشارك في الندوات القانونية والثقافية، فتترك تدخلاته أثراً حميداً لدى المتتبعين لهذا النوع من الأنشطة.

توفي بفاس يوم 15 محرم 1397 / 26 دجنبر 1977.

أحمد بنلجون

ابن **جلّون الجبينة، عبد القادر** بن محمد. ولد بفاس يوم 6 ربيع الأول عام 1326 / 11 أبريل 1980. تابع تكوينه الأساسي بالكتّاب وبمدرسة عربية حرة. وبعد نيله شهادة الدروس الابتدائية، درس في ثانوية مولاي إدريس. وعندما حصل على شهادة الدراسات الثانوية الإسلامية وشهادة بروفي دراسات السلك الأول الذي كان خاصّاً بالتعليم الفرنسي توجّه إلى فرنسا لاتمام دراسة فدخل إلى ليسي جانسون دوسايبي حيث نجح في البكالوريا بقسميها

الأول والثاني، شعبة الآداب الكلاسيكية، وفي عام 1929، شرع في الدراسات القانونية وسجل في نفس الوقت في المدرسة الحرة للدراسات السياسية، وتخرج منها في شعبة "المالية الخاصّة".

تميز عبد القادر ابن جلون بنشاط كبير في جمعية طلبة شمال افريقيا، إلى جانب عدد من خيرة شباب المغرب والجزائر وتونس، وكان مقر الجمعية المذكورة بباريس. وفي عام 1931، شارك بمعية محمد حسن الوزاني وأحمد بلافريج ومحمد الفاسي ومحمد الخلطي، في تأليف كتاب بالفرنسية عنوانه : *عاصفة تجتاح المغرب* تطرق إلى السياسة الخرقاء التي تنهجها فرنسا بالمغرب خصوصاً بعد صدور الظهير البربري، وتضمن نقداً لاذعاً لهذه السياسة. وفي نفس الوقت كان ينشر مقالات سياسية تحت اسم مستعار وهو "مسلم بربري" وفي عام 1932، شارك مع محمد حسن الوزاني والاشتراكي الفرنسي روبير جان لونگي R.J. Longuet في انشاء مجلة مغرب وهي دورية فرنسية شهرية، يوقع فيها مقالاته مرّة بالحرفين "ع ـ ب" ومرّة باسم "قدور" وتارة أخرى تحت لقب "الزنبور". وبعد أن أوقفت السلطات الفرنسية هذه المجلة أنشأ عبد القادر ابن جلون وأصدقاؤه المغاربة والفرنسون مجلة *أطلس*.

وفي سنة 1934، حصل على الإجازة في الحقوق من جامعة باريس، فعاد إلى المغرب قصد العمل في المحاماة. وتدرّب على المهنة تحت اشراف محامين فرنسيين مشهورين وبعد ثلاث سنوات (1937) استقل بعمله في الدار البيضاء.

إلى جانب المحاماة، كان لعبد القادر ابن جلون أنشطة موازية، منها أنه انتخب رئيساً لفريق الوداد البيضاوي لكرة القدم عام 1948، وقد عاش مع هذا الفريق بعض سنوات مجده، إذ هو الذي قاده إلى الجزائر للمشاركة في دوري الفرق البطلة لشمال افريقيا وكان اللقاء تاريخياً بفضل الصبغة الوطنية ـ في مدلولها السياسي ـ التي كانت لفريق الوداد.

في عام 1946، انتخب نائب الأمين العام لحزب الشورى والاستقلال وهو المنصب الذي سيحتفظ به مدّة عشر سنوات وفي عام 1947، ساهم بقسط وافر في إنشاء جريدة *الرأي العام* لسان حزب الشورى والاستقلال، فكان أحياناً يحرر الافتتاحيات وانطلق منذ عام 1951، يحضر بعض أعمال هيئة الأمم المتحدة بباريس (قصر شايو) وبنيويورك، وكان يتناول الكلمة بصفته مقرراً لحزب الشورى والاستقلال، مطالباً بحقوق المغرب في السيادة والاستقلال.

أثناء قيامه بالمحاماة وفي عهد الاستعمار ظل مجنّداً للدفاع عن الوطنين والمقاومين المغاربة أمام المحكمة العسكرية بالدار البيضاء. وذاع صيته في هذا المجال، وتميز بفصاحة اللسان وسداد الرأي ومهارة المرافعة، فحظي بتقدير المواطنين وباحترام سلطات الحماية.

لكن بعدما تأزمت العلاقات المغربية الفرنسية على إثر

نفي المغفور له الملك محمد الخامس، لم ينج عبد القادر من شراسة الإرهاب الفرنسي بالمغرب المعروف بـ "الوجود الفرنسي" وهو التنظيم الذي تأسس بالدار البيضاء بعد انفجار قنبلة السوق المركزي. فأخذ يتلقى منه تهديدات بالقتل، ومعاكسات في الطريق واستفزازات من بعض الفرنسيين. وتأكد له أن التهديدات حقيقية يوم ألقيت قنبلة على منزله، لكنه لم يصب منها إلا بخسارات مادية، ويوم قررت الشرطة الفرنسية مراقبة تحركاته ومكالماته الهاتفية. فهاجر إلى سويسرا واستقر بمدينة لوزان. وفي شهر غشت من عام 1955، انتدبه حزب الشورى والاستقلال لعضوية الوفد المغربي الذي تشكل لإجراء محادثات تمهيدية مع السلطات الفرنسية بمدينة إيكس لي بان قصد إيجاد حل للأزمة المغربية الفرنسية.

وبعد رجوع محمد الخامس من المنفى في منتصف نونبر 1955، شارك عبدالقادر ابن جلون في المفاوضات المغربية الفرنسية بباريس لإنهاء عقد الحماية واسترجاع المغرب لسيادته واستقلاله.

وفي مارس 1956، بعد الإعلان عن الاستقلال عُين عبد القادر وزيراً للمالية في أول حكومة مغربية برئاسة مبارك البكاي. وفي أوائل عام 1957، انتخب بالإجماع أول نقيب مغربي للمحامين بالدار البيضاء.

ومن عام 1961 إلى عام 1967، عُين وزيراً للشغل والشؤون الاجتماعية، ثم وزيراً للعدل. وبعد عام 1967. فضّل الابتعاد عن الحقل السياسي ليتفرغ إلى المحاماة، وفتح مكتبه للمتدربين، فاستقبل العديد منهم. وانعكس هذا النشاط في المحاماة على سمعته وخبرته وثقافته. فارتفعت مكانته بين المحامين، في المحافل الوطنية والأجنبية، وصار يمثل المغرب في المناظرات الدولية التي لها علاقة بالمحاماة والحقوق، ثم وقع عليه الاختيار من السلطات المغربية ليكون مستشاراً ومرافعا عن حقوق المغرب في ملفات المنازعات المغربية الفرنسية.

وقد أناط به الملك الحسن الثاني مهمة تقديم الملف المغربي المتعلق بالقضية الموريتانية في جمعية الأمم المتحدة، كما أوفده فيما بعد إلى باريس في إطار قضية الدليمي.

كان عبد القادر بنجلون موازاة مع انشطته السياسية والمهنية عضواً في "النادي الفرنسي المغربي" لكنه انسحب منه احتجاجاً على السياسة الفرنسية القمعية. وعضواً "بنادي الحلفاء" في باريس، و "نادي الاسد" بالمغرب، وجمعية قدماء طلبة مدرسة العلوم السياسية (فرنسا) و"جمعية المحامين العرب".

توفي بالدار البيضاء يوم الجمعة سادس ذي القعدة عام 1409 / 8 ماي 1992 ووضع جثمانه في كهف أسرته بمقبرة الشهداء بالدار البيضاء.

وثائق عائلية خاصة.

لطيفة بنجلون ـ العروي

تعريب أحمد بنجلون

ابن **جلون الجبينة، محمد** بن **محمد** بن المفضل الفاسي، كان تاجراً كبيراً ـ كأبيه آتي الترجمة ـ إلا أنه بدّد ثروته بالتزلف إلى الحكّام حتى اضطر إلى بيع داره وأصبح خليفة لباشا فاس. ثم عين أميناً لمرسى الدار البيضاء، وظل بها إلى مات يوم الأحد خامس جمادى الثانية عام 1374 / 30 يناير 1955.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3298.

ابن **جلون الجبينة، محمد** بن **المفضل** الفاسي، لعله أول من لُقب بالجبينة من أولاد ابن جلون. كان تاجراً كبيراً ومثرياً شهيراً. توفي بفاس يوم الأحد متم قعدة عام 1322 / 5 فبراير 1905.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب*، 8 : 2836.

ابن **جلون، الحبيب** بن الطالب الفاسي. كان أبوه شيخ ركب الحجاج، واشتغل هو بالتجارة فاستغنى وتأثّل مالاً. قُتل بجامع القرويين أثناء خطبة الجمعة رابع ربيع الأول عام 1282، هجم عليه سوسيٌ وطعنه بسكين على حين غرة، فقام أبناء الضحية وقتلوا السوسي في الحين، وقام هرج بالمسجد بحيث لم يسمع الخطبة ذلك اليوم إلا القليل من المصلين. واختلف الناس في سبب الاغتيال، فقيل إن السوسي طلب منه مالاً فمنعه، وقيل غير ذلك.

توفي منتصف ليلة السبت خامس ربيع الأول عام 1282 / 29 يوليوز 1865.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2628.

ابن **جلون، حدُّو** (الحاج ـ) شيخ جماعة الموسيقيين بفاس في القرن الثالث عشر (19 م). تخرج على يده نخبة من مهرة هذا الفن في مجالات العزف والغناء والتلقين. تلقى تعلميه عن الفنان عبد الحق الجابري. وقد أخذ عنه الموسيقى عالم الرباط إبراهيم التادلي ونعته بقوله : "كان أشيب، لا أحد في وقته يعرف ميزان الموسيقى سواه بصوته ويده، ويجلس مع صغار أرباب الموسيقى فيتميز صوته لحسنه. وكان آية في ضرب العود لاغير، وفي ضرب الطر الذي هو لجام الموسيقى وأساسها" وقد نسب إليه أنه أعاد تلحين أشعار ميزان القائم ونصف من نوبة غريبة الحسين الذي كان قد ضاع من قبل.

إ. التادلي، *أغاني السقا*، آخر الباب السابع.

عبد العزيز بن عبد الجليل

ابن **جلون، الحسن** (الحاج ـ) وُلد في 20 محرم عام 1319 / 9 ماي 1901 بفاس، وبها نشأ ودرس دراسة مزدوجة : في القرويين وفي المدارس العصرية، وكان من

مؤسسي جمعية قدماء ثانوية مولاي إدريس التي تعتبر أول جمعية أسست في عهد الحماية وأسهمت في إذكاء الروح الوطنية. شارك في أول بعثة تعليمية إلى الخارج، كما شارك في تأسيس مدرسة مولاي الحسن الحرة بالدار البيضاء، وأسس عدة شركات تجارية وصناعية. وكان من الموقعين على عريضة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال. وبعد نفي محمد الخامس سنة 1953 أبعد المترجم إلى سويسرا هو وعائلته وظل بها إلى أن رجع محمد الخامس إلى عرشه.

توفي بالدار البيضاء ليلة الأحد رابع محرم عام 1418 / 11 ماي 1997 ودفن بها عصر يوم الأحد الموالي، في موكب سار فيه حشد حاشد من الوطنيين والتجار وغيرهم.

حزب الاستقلال، *قائمة الشرف*، الرباط، 1988، ص. 38 ؛ جريدة *العلم*، العدد 17180 يوم الاثنين 5 محرم 1418 / 12.5.97.

ابن **جلون، الحسن** بن **عبد المجيد** الفاسي ولد عام 1290 / 1873 وبها درس على أعلام فقهاء عصره، فتخرّج مشاركاً في مختلف العلوم اللغوية والشرعية، متخصصاً "في الحساب والفرائض والمحاصاة، تخرج على يده عدة من الطلبة في هذا الفن".

من مؤلفاته *شرح على كتاب القلصادي في الحساب والجبر والمقابلة*. توفي بفاس صباح يوم عيد الفطر فاتح شوال عام 1370 / 6 يوليوز 1951 ؛ ودفن بروضة الشامبين بالقباب.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3262.

محمد حجي

ابن **جلون، حمّو** بن الطيب الأسفي، كان من أعيان مدينة أسفي ومن أهل الفضل. أتى ذكره في الوثائق العدلية بأنه كان من كبار تجار أسفي ملاكاً للعقارات محباً للفقراء والفقهاء، تولى أمانة ميناء أسفي في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان من عام 1260 إلى عام 1267 / 1844 - 1850 حيث انقطع عنها بطلب منه. لكنه أعيد إليها مرّة أخرى بعد عشر سنوات في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان من عام 1277 هـ إلى عام 1281 (1860 - 1864).

يوجد بمدينة أسفي زقاق يحمل اسم ابن جلون لأن حمّو المذكور كان يسكنه، وله به عدة منازل في ملكه، وأبوه الطيب هو الجد المعروف لحدّ الآن لكل أفراد أسرة ابن جلون بأسفي.

توفي بمسقط رأسه عام 1281 / 1864.

رسوم عدلية خاصة بمدينة أسفي.

أحمد بنجلون

ابن **جلون، الطالب الفاسي**، اشتهرت كتابته مدمجاً "بنجلون". أحد التجار البارزين بمدينة فاس خلال عهد السلطانيين المولى سليمان (1207 - 1238 - 1792 - 1822) والمولى عبد الرحمان بن هشام (1238 - 1276 / 1822 - 1859). استطاع هذا التاجر أن يجمع ثروة هائلة من تجارته مع تنبكتو والسودان، كما كانت له علاقات تجارية مع أوربا وبعض بلدان البحر المتوسط. ويقول عنه صاحب *زهر الآس في بيوتات فاس* إنه أدرك من الأصول مالاحصر له، سواء بالمدينة أو بأحوازها. وكان السلطان المولى سليمان قد عينه أميناً بفاس وأسند إليه مهمة الإشراف على بيت المال بالمدينة. وعلى الرغم من المكانة الخاصة التي كان هذا التاجر يتمتع بها ضمن خدام الدولة فإن ذلك لم يمنعه من المشاركة في "فتنة فاس" (1820 - 1822) التي كادت أن تعصف بحكم المولى سليمان.

ولما وصل المولى عبد الرحمان إلى الحكم في سنة 1238/ 1822 لم يواخذه على مشاركته في تلك الفتنة ولم يعاقبه كما فعل ببعض أعيان فاس الضالعين في التمرد، بل قربه السلطان إليه وجعله وزيراً له ومنحه امتيازات تجارية هامة سمحت له باحتكار تجارة بعض المواد المصدرة. ويقول عنه عبد الكبير ابن هاشم الكتاني إنه كانت له مع المولى عبد الرحمان "اليد الطولى ... والمكانة العظمى والكلمة المسموعة النافذة". ومن المهمات التي كلّفه بها السلطان كذلك رئاسته لركب الحجاج نظراً لمروءته وتوفره على ما يقوم به الركب ذهاباً وإياباً". ويقال عنه إنه كان آخر شيوخ الركب إذ أدّى احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين إلى تعطيل الطريق البرية التي كان يسلكها الحجاج المغاربة.

توفي الطالب ابن جلون في حدود سنة 1260 / 1844 - 1845.

ع. الكتاني، *زهر الآس في بيوتات فاس*، مخطوط، خ. ع. رقم 1281ك ؛ *وثائق وزارة الخارجية البريطانية*.

محمد المنصور

ابن **جلون، الطالب** بن **إدريس** بن محمد الأسفي، ولد عام 1326 / 1908، وكان من الرعيل الأول الذي ولج المدرسة الفرنسية المغربية دون الانفصال عن التكوين العربي

الأصيل الذي تلقاه على يد الفقيه المشهور في وقته المعطي العبدي الدكالي. وما كاد يُنهي المرحلة الابتدائية حتى أبدى اهتماماً بأخبار ثورة الريف ومضى يعرب عن سخطه على الاستعمار الفرنسي، ويدعو للتخلص منه، ورفض التوظيف في الإدارة الفرنسية.

لم تكن السلطات الحاكمة تعبأ بما تصفه من تهور في سلوكه، إلا أن الباشا كان يحذر أولياءه من مغبة هذا السلوك الذي بدا غريباً لدى شاب من أسرة معروفة قدمت خدمات للمخزن.

كان ردّ الطالب على هذه التحذيرات أن شكل فرقة موسيقية هاوية، اتخذها وسيلة للتضليل، فتركته السلطات يمارس "هوايته" في حين كان هو وجماعته يتناقشون سبل استرجاع السيادة الوطنية، ويتبادلون الرأي حول أخبار الريف ونشاط المقاومة في الجبال والصحراء، والسعي سرّيا لإيقاظ الوعي المحلي، لاسيما بعدما أخذت ترد إلى أسفي نشرات سرية عن الحركة الوطنية وهي تحمل كلمات الزعيمين محمد حسن الوزاني وعلال الفاسي وشيوخ القرويين.

إلى جانب الاهتمام بالسياسة، كان الطالب ابن جلون مهتماً باستكمال تكوينه. وعزم على الذهاب إلى مصر، لكن سلطات الحماية لم تسمح له بذلك وتضايقت السلطات المحلية منه، لاسيما بعدما أخذ الناس يلقبونه "بالوطني" وهو الذي ما فتئ يتردد على فاس مروراً بالرباط. ونصحه باشا المدينة بالرحيل إلى مدينة أخرى قبل أن يصاب بأذى، فعظم عليه الأمر وأحزنه فراق رفاقه وهم من خيرة شباب المدينة، فذهب إلى أقرب مدينة من أسفي وهي الجديدة حيث كان له أصدقاء "وطنيون" مثل قاسم العراقي والغالي المسفر وغيرهما، فساعدوه على الاستقرار وفتحوا له مكتباً لما يسمى "كاتب عمومي" لتحرير بعض الشهادات والعقود باللغة الفرنسية.

كانت عيون الشرطة تحصي أنفاسه، فكفّ بمضض عن أي نشاط سياسي إلى أن يتعرف على البيئة التي هو فيها. لكن انتفاضة الحركة الوطنية بفاس والرباط وسلا، عام 1937، دفعته إلى التحرك، فقام يبث الروح الوطنية في زبنائه وجيرانه وبين تجار الجديدة، فألقي عليه القبض ورمي به في السجن، بل في خلية تقع تحت الأسوار البرتغالية وتعاني الكثير من الرطوبة والعفن. وبقي بدون محاكمة في هذا الوضع أكثر من شهرين، إلى أن وقعت تدخلات أعيان الجديدة، المسفّرين والعراقيين والقادريين وآل الخطيب والدكالي المعروف في وقته، محمد بوملحة، ومحمد بوجبار الذي كان وزيراً للمالية في حكومة محمد بن عبد الكريم الخطابي والذي صار، بعد نفيه إلى الجديدة، من وجهاء هذه المدينة. أسفر تدخل هؤلاء عن الإفراج عن الطيب ابن جلون بقرار من المراقب المدني، ونفيه إلى مدينة الصويرة، وهي يومئذ بمثابة جزيرة قارية بعيدة عن أي حركة وطنية.

ومن حسن حظ الطالب ابن جلون أن كان له بالصويرة صهر - هو عمر البونجيمي - من كبار تجارها وأحد "هيئة الأربعين" الذين كانت سلطات الحماية تدعوهم من حين لآخر إلى الاجتماع وتستشيرهم في شوون المدينة التي كانت كالعلبة، جوانبها ليست قابلة للتمطيط، "وفيها ما يمكن أن يكون فيها".

وعن طريق صهره، تعرف الطالب على أعيان آخرين تجار وأغنياء، مثل محمد بوضاض ومحمد بن الحاج بوشعيب الشعيبي والحاج بوهلال ومحمد برإنگال وغيرهم، فمنحوه تقديرهم وعطفهم وأعربوا عن تفهمهم لمقاصده، ولكن بينوا له عدم جدوى أي حركة وطنية بالصويرة لأن موقعها الجغرافي حكم عليها بالانعزال عن باقي مدن المغرب حتى عدت بمثابة سجن لسكانها ومنفى للذين غضب عليهم الاستعمار.

تعرف الطالب ابن جلون هناك أيضاً على القائد حدُّو من جماعة محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي كان بدوره منفياً بالصويرة. وكانا يلتقيان ويتحدثان في أي موضوع قد يخوض فيه منفيان سياسيان لهما عدو مشترك، هو الاستعمار. وبقدر ما كان الطالب سياسياً في حديثه، بقدر ما كانت "الخبرة" تنقص حدُّو فيطلق العنان للسانه وتصل عباراته إلى آذان السلطات الفرنسية. وتدخل قائد شياظمة الكبير، سعيد خبان، فعرض على الطالب أن يشغله بحظيرة قصره بمسكالة، مع ضمان المأوى وكل الحاجيات، معلما لأبنائه اللغتين العربية والفرنسية. ولئن كانت عائلة خبان من الذين أطاعوا النظام الجديد، فإنها مع ذلك كانت تكن منذ القرن الماضي حبّاً وولاء للوطن والعرش.

وفي أوائل عام 1940، أشعر الطالب في منفاه باسترجاع حرية تنقله، فعاد إلى الجديدة رغم إغراءات القائد خبان. واستأنف عمله المهني بالجديدة بعدما التزم شفوياً بالابتعاد عن السياسة. لكن أحداث عام 1944 التي اهتزت لها كبريات المدن، أغرته "بنقض العهد"، فمضى يحرك المشاعر خفية وواصل نشاطه السياسي الخفي إلى عام 1947، وهو العام الذي تقلد فيه الطاغي الجنرال جوان الولاية الاستعمارية على المغرب، خلفا لإيريك لابون (Erik Laboune) المنفتح شيئاً ما. وأشعره شرطي مغربي من قدماء المحاربين الذين قاتلوا بجانب الجيوش الفرنسية ضد الألمان، أنه مهدّد بالاعتقال. فلم يلبث إلا قليلاً حتى انتقل إلى الرباط حيث ساعده الوطنيون على ضمان عيشه، فكانوا يأتونه بأعمال إدارية ينجزها في بيته ويتقاضى عليها أجراً، مثل حسابات الضرائب ومراجعتها، وضبط مدخولات الأملاك المخزنية. وقد أوصى له بهذه الأعمال، كل من أحمد بلمليح، ومحمد التازي وهما يومئذ بالجديدة، من موظفي المخزن في المالية والأملاك المخزنية.

وفي عام 1949، لبّى الطالب ابن جلون داعي الواجب الوطني فانتقل إلى سطات، عاصمة معمري الشاوية فراح

يعمل على توعية القوم مع فئة قليلة لا تجاوز عدد أصابع اليد.

المناسبة الوطنية الوحيدة التي كان الشعب المغربي يحتفل بها وهو يتطلع إلى الحرية والانعتاق، هي عيد العرش. وعشية كل يوم 18 نونبر، كان الطالب يعتقل ويتعرض للضرب والإهانة في مخفر شرطة سطات قبل أن يقدم إلى الباشا الذي يواخذه بالقذف في فرنسا ومحاولة إثارة الفوضى والشغب، ثم يخلّي سبيله. وكم من مرة كان الباشا يستدعيه وينهاه ويأمره بالكف عن "السياسة"، إلى أن ألقي عليه القبض في أوائل نونبر 1952 بسبب مهرجان خطابي وطني نظمه بسطات على إثر حوادث الدار البيضاء الدامية. فحكم عليه بعام سجنا وبالأشغال الشاقة بسجن "علي مؤمن" في ناحية سطات.

وفي دجنبر 1953، بعدما أنهى مدة الاعتقال، منعه الباشا من الإقامة بسطات، فاستقر بالدار البيضاء، وهناك، نشط مع المقاومة. وكان يقدم إلى سطات متستراً في زي النساء، بتواطئ مع سائق لحافلة نقل، معروف باسم حميدو، وكانت الحافلة في ملك أحد السطاتيين. وكان يتردّد على سطات في مهام لها صلة بالمقاومة.

ومع استرجاع المغرب استقلاله، عاد الطالب ابن جلون إلى سطات وساهم في تنظيم الشبيبة الاستقلالية محلياً، رافضاً كل منصب إداري وكل راتب، قائلاً بأنه خلق للعمل الحرّ، وجهاده كان في سبيل الله والوطن. وبقي يعيش كريماً معزّزاً لم يطالب بمقابل لما قدّمه من خدمات للوطن. وليس له أي ملف لدي "المندوبية السامية لشؤون المقاومين وقدماء جيش التحرير". كان فاضلاً، ذكياً، كريم الأخلاق جميل السيرة، كريم المائدة جواداً مع أهله والغير. وإذا ما نصحه أحد أقاربه بالتوفير، أجابه : "لك الساعة التي أنت فيها". وعندما وافاه الأجل المحتوم يوم الجمعة 24 رجب عام 1398 / متم يونيه 1978 لم يترك لأهله مالاً ولا عقاراً.

أحمد بنجلون

ابن **جلون، الطيب** بن بوجيدة الرباطي، أصله من فاس. "الفقيه العلامة العاكف على عبادة الله البركة المسنّ المحدث المفضال" *(الاغتباط)*. كان معاصراً للعالمين الرباطيين الأديب محمد ابن عمرو الذي ذكره في *فهرسه* وأثنى عليه، والقاضي أحمد الحكمي الذي صحبه إلى آخر حياته وأوصى أن يكون المصلي عليه.

توفي بالرباط عام 1226 / 1811.

م. بوجندار، *الاغتباط*، 317 ؛ م. ابن عمرو، *فهرس*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2485.

ابن **جلون، عبد القادر** ← ابن **جلون الجميعنة**...

ابن **جلون، عبد الكريم** بن بناصر ← ابن **جلون، التويمي**...

ابن **جلون، عبد الكريم** بن محمد بن الهاشمي التطواني، انتقل إلى فاس بعدما تلقى تكوينه الأساسي بمسقط رأسه تطوان لتلقي العلم بالقرويين. ولما رجع إلى تطوان عام 1295 / 1878 اشتغل بالتجارة حتى صار له فيها باع طويل، وقد اشتهر بمهارته وذكائه، الأمر الذي جعل المخزن يكلّفه بمهام لدى ممثلي الدول الأجنبية بطنجة بواسطة مندوب السلطان، ومارس مهمة العدالة بميناء طنجة، ثم ميناء الصويرة وغيرهما، كما أنه كان يتردّد على أسفي في مهمات إدارية أو لزيارة صهره محمد بريشة (التطواني) ناظر الأوقاف.

توفي بتطوان عام 1339 / 1920.

ابن **جلون، عبد المجيد** الفاسي أصلاً. ولد بالدار البيضاء عام 1337 / 1919، ورحل مع أسرته إلى انكلترا وعمره خمسة أشهر، وهناك تلقى جزءاً من دراسته الابتدائية وأتمّها بفاس بعد رجوع أسرته، وعمره يومئذ تسعة أعوام. ثم التحق بالقرويين. وفي عام 1355 / 1936 سافر إلى القاهرة للدراسة فالتحق بالجامعة المصرية وحصل على الإجازة في الآداب ثم حصل على الدبلوم العالي من معهد التحرير والترجمة والصحافة.

شارك عبد المجيد ابن جلون في تأسيس مكتب المغرب العربي في القاهرة، وظل يشغل منصب مدير المكتب من عام 1949 إلى عام 1956. وفي هذا المكتب، قام بنشاط مكثف من أجل التعريف بقضية الشمال الافريقي عامّة والقضية المغربية خاصّة، وذلك إلى جانب عدد من أقطاب الحركة الوطنية المغربية.

وشارك في تدبير استقبال البطل الريفي محمد بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة عندما مرّت بقنال السويس الباخرة التي كانت تقله من منفاه بجزيرة لاريينيون إلى فرنسا.

عاد عبد المجيد ابن جلون إلى المغرب في سنة 1956 حيث تولّى رئاسة تحرير جريدة "العلم" لسان حزب الاستقلال. والتحق سنة 1958 بوزارة الخارجية، ليعيّن أول قائم مقام ثم أول سفير للمغرب في باكستان، وبعد ذلك

رجع إلى المغرب حيث سمي سفيراً بالإدارة المذكرة بوزارة الخارجية، وبقي في هذا المنصب إلى أن أدركته الوفاة.

من مؤلفاته : *مارس استقلالك ؛ في الطفولة ؛ وادي الدماء ؛ معركة الوادي ؛ المغرب في الأدب الانجليزي ؛ جولات في مغرب أمس ؛ براعم ؛ لولا الإنسان.*

يتجلى من كتاباته، أنه وطني ملتزم، يدعو على طريقته إلى التحرر من الاستعمار. وقد شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات الدولية، مثل مؤتمر باندونگ باندونيسيا الذي تمخضت عنه وحدة الشعوب الإفريقية والأسيوية.

توفي بالرباط في شهر شوال عام 1401 / غشت 1981.

ع. ابن جلون نفسه، *مؤلفاته المذكورة أعلاه ؛ جريدة العلم، وصحف وطنية أخرى.*

محمد حجي

ابن **جلون، عبد الوهاب** بن محمد المراكشي وُلد بمراكش عام 1323 / 1905 وبها حفظ القرآن ودرس العلوم اللغوية والشرعية بجامع ابن يوسف على الشيوخ أحمد بن الحاج المحجوب المراكشي والحسن بن الحفيان السعيدي الشاوي ومحمد بن إسماعيل الدكالي، ثم رحل إلي فاس لإكمال دراسته، عام 1348 / 1929 وقطن بمدرسة الصفارين ودرس بمعهد القرويين دراسة حرة قبل التنظيم ودرس بعده أيضاً على مولاي عبد الله الفضيلي والحسين العراقي والطائع ابن الحاج السلمي محمد بن الحاج السلمي وغيرهم.

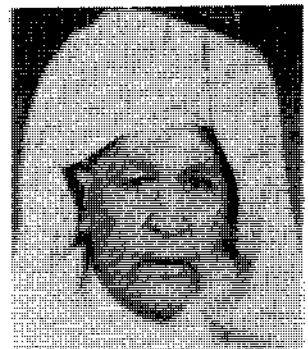

وبعد رجوعه إلى مسقط رأسه صار يتطوع بإلقاء دروس فقهية بجامع ابن يوسف والزاوية الناصرية وعين ضمن لائحة العدول ثم ساهم في مباراة التدريس النظامي بكلية ابن يوسف فنجح وسُمّي أستاذاً بها عام 1365 / 1945 وبقي قائما بمهامه بها إلى أن أحيل على التقاعد سنة 1370 / 1950 فاستأنف انتحال خطة العدالة بمراكش إلى أن أدركته الوفاة مساء يوم الاثنين 23 شوال عام 1412 / 20 أبريل 1992 عن سن يناهز التسعين ودفن بمقبرة باب دكالة بمراكش.

عبد العزيز بن عبد الوهاب ابن جلون

ابن **جلون، العربي** بن عبد الكريم التطواني، ولد عام 1326 / 1908، وتلقى تعليمه الأولي بتطوان في نفس الكتّاب القرآني الذي تعلم فيه الأمير مولاي الحسن بن المهدي وعبد الخالق الطريس فنشأت صداقة متينة بين الثلاثة، لاسيما وأنهم متقاربو السن ومن حي واحد. وعندما أتم الأمير تعليمه القرآني استكمل تكوينه داخل القصر وكان العربي ابن جلون من بين الجماعة القليلة الذين وقع عليهم الاختيار لمرافقة الأمير الفتى. أما الطريس وآخرون فإنهم آثروا متابعة دراساتهم باسبانيا أو مصر أو غيرهما.

عندما آلت الخلافة السلطانية بتطوان إلى الأمير مولاي الحسن عام 1344 / 1925، خلفا لوالده المهدي المتوفى، قرّب الخليفة الجديد الفتى زملاءه في الدراسة، وهكذا ظل العربي ابن جلون يتلقى تربية مخزنية ولا يفارق القصر، إذ عينه الخليفة الشاب عضواً في ديوانه مما جعله يحتك برجالات السلطة الإسبانية وبعلماء تطوان من بينهم عبد السلام بنونة ومحمد داود ـ كما كان يلتقي بشخصيات من أقرباء الخليفة.

بعد الأحداث الدامية التي شهدتها تطوان عام 1368 / 1948 على أيدي القوات الإسبانية، عينه مولاي الحسن بن المهدي خليفة للباشا وهو المنصب الذي بقي فيه إلى ان نال المغرب استقلاله وتوحدت المنطقتان الشمالية والجنوبية.

كان العربي ابن جلون ذكياً ذا بصيرة كبرى مستقيماً نزيهاً كريماً فاضلاً، متأثراً بالتربية المخزنية والقومية التي تلقاها إلى جانب الأمير. وعندما غادر المنصب الإداري، بقي منزله قبلة للزوار من علية أهل تطوان ومن طرف كل الذين كانوا يلجؤون إليه لمساعدتهم على قضاء حاجاتهم.

توفي في غضون محرم عام 1412 / يوليوز 1992.

وثائق عائلية وروايات شفوية.

ابن **جلون، عزوز** بن الطيب. ولد بأسفي وبه نشأ وحفظ القرآن، ثم تعاطى التجارة في المنتجات المستوردة من أوربا إلى أسفي، وكان له وكلاء بمراكش والصويرة، ممّا جعله يرقّى إلى رتبة كبار التجار في النسيج المعروف "المَلْف" و "سارگة" التي تنسب إليه (سارگة ابن جلون) استغنى وامتلك عقارات عديدة. كان سخياً معطاء بغير حساب للفقراء ويلقى ضيوفه بالجود والكرم.

توفي عام 1289 / 1872 حسب ما ورد في عدة الإرائة المتعلقة به.

رسم تركته العدلي ؛ روايات شفوية.

أحمد بنجلون

ابن **جلون، علال** بن محمد الفاسي، عالم مشارك، ألف في التفسير والحديث. له *تعاليق على تفسير الكشاف*

للزمخشري، *وتعاليق على إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم* للأبّي، *وتقاييد على مصابيح السنة* للبغوي، إلى غير ذلك.

توفي بفاس صبيحة يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى عام 1292 / 20 يونيه 1875. ودفن بالروضة المجاورة لزاوية سيدي الخياط بدرب الحرة من حي الطالعة.

ابن **جلون، علي** الفاسي. أديب كاتب اشتغل بالسياسة وألّف كتاباً في ترجمة الأمير اليزيد ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله سماه *طلوع البدر السعيد بوزارة مولانا اليزيد*، مخطوط بالخزانة العامة.

توفي حوالي عام 1230 / 1814.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، موسوعة *أعلام المغرب*، 7 : 2496 ؛ *دليل*، 1 : 155 ـ 156.

أحمد بنجلون

ابن **جلون، عمر**، وجه بارز من وجوه المعارضة السياسية الوطنية، وقائد فذ من قادة حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، ازداد صيته السياسي وشهرته الوطنية ذيوعا وانتشارا بعد حادث اغتياله الشنيع قرب منزله بمدينة الدار البيضاء.

ولد الفقيد ببركنت، ناحية وجدة، عام 1934، من أب عامل بالمكتب الوطني للكهرباء، وتلقى دراسته الابتدائية والثانوية في مسقط رأسه ثم في وجدة، حيث حصل على الباكالوريا. التحق بعد ذلك بباريس حيث تابع دراسته العليا، فحصل على الليسانس في الحقوق ثم دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، وبعدهما دبلوم المدرسة العليا للبريد، حيث نال الدرجة الأولى في فوج المتخرجين سنة 1959 ـ 1960.

ولقد عرفه المغاربة بفرنسا خلال إقامته الدراسية بباريس، شابا مناضلا لا يفتر عن العمل من أجل التبشير بمبادئ التقدم والعدالة ؛ كافح في أوساط الطلاب والعمال بفرنسا، وتحمل مسؤولية الاتحاد الوطني لطلبة المغرب، كما انتخب رئيسا لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا التي ظل رئيسا شرفيا لها. وبصفته رئيسا لهذه الجمعية كرس جهدا كبيرا لإسناد ومناصرة الثورة الجزائرية.

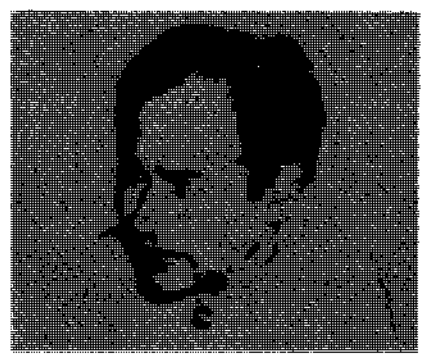

وبعد التحاقه بالمغرب، عين مديرا إقليميا للبريد بالنيابة في الدار البيضاء، ثم مديرا إقليميا في الرباط، حيث عرفه عمال وموظفو البريد مناضلا نقابيا بينهم، اضطلع بالنصيب الأكبر في تنظيم وفي قيادة كفاحهم من أجل تحقيق مطالبهم.

ـ يمثل عمر بن جلون، بانخراطه الكامل في الحقل السياسي، وبحيويته الطافحة في ممارسة الكفاح وبالتزامه الدائم بقضايا الفئات الاجتماعية الواسعة المهضومة الحقوق، وبإشعاعه الفكري، تحليلا للإشكالية السياسية ـ الاقتصادية الوطنية، وتأملا في المعضلات النظرية والفكرية واستيعابا ذكيا لانعكاسات وتفاعلات المحيط الجهوي والدولي مع القضايا الوطنية الخاصة ـ يمثل بحكم كل هذه الأبعاد لنشاطه، نموذجا حيا لجيل جديد تتواصل به مسيرة الحركة الوطنية في ظل الاستقلال.

بيد أن الظرف السياسي الدقيق الذي اكتنف عقدي الستينات والسبعينات، والذي أطر نشاط وكفاح هذا الجيل الوطني المتحفز على شاكلة عمر بن جلون، قد أحاط هذا الكفاح الوطني المشروع بشروط صعبة مشحونة بشتى المخاطر والملمات. وقد نال عمر ابن جلون حظه من هذه المخاطر وتحمل فعلا في سبيل مبادئه وأفكاره تضحيات جمة، فقد تعرض عام 1961 لعدد من المضايقات والإيذاءات المختلفة، بسبب نشاطه في صفوف الطبقة العاملة، حيث لعب دورا رئيسيا في التحضير لإضراب الموظفين في يوليوز 1961، ثم في إضراب قطاع البريد في دجنبر من نفس السنة. ثم اعتقل يوم 16 يوليوز 1963، ضمن حملة الاعتقالات الواسعة النطاق التي تعرض لها قادة ومسؤولو ومناضلو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وحكم عليه بالإعدام يوم 14 مارس 1964 ثم ما لبث أن أطلق سراحه يوم 14 أبريل 1965. وبمجرد استئناف نشاطه السياسي تمّ إيقافه من جديد يوم 16 مارس 1966، وبقي في السجن مدة عام ونصف حيث أفرج عنه يوم 21 شتنبر 1967.

ـ ولقد عرف نشاطه النقابي وكفاحه السياسي وإشعاعه الفكري وصيته الوطني خطا تصاعديا متواصلا خلال الفترة الممتدة من شتنبر 1967 ـ دجنبر 1975. فقد انخرط بقوة وحماس في إعادة تنظيم صفوف الطبقة العاملة، فأشرف على إعادة هيكلة قطاعي البريد والتعليم وذلك في اتجاه إعادة هيكلة كافة القطاعات النقابية الأخرى.

كما احتضن بقوة وحماس قضية الشعب الفلسطيني التي هزت ضمير العرب والعالم كله، على إثر المواجهة العسكرية المباشرة ما بين مقاتلي فتح وجيش الاحتلال الاسرائيلي في بلدة الكرامة بالأردن، في ربيع 1966. فوظف عمر الشهيد كل طاقاته الفكرية والسياسية والنضالية لدعم شعب فلسطين والتعريف بقضيته وكفاحه وبطولاته، عبر جريدة "فلسطين" التي أصدرها حزبه وتولى هو توجيهها وتغذية صفحاتها.

وفي نفس الوقت انقطع عمر إلى جانب ثلة من صحبه، إلى إعادة تنظيم وهيكلة حزبه ـ الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، بما يضمن له مزيدا من التماسك التنظيمي والممارسة الديمقراطية والتطور الفكري والفعالية السياسية، وهو المجهود الذي توج بانعقاد المؤتمر الاستثنائي، في يناير 1975، هذا المؤتمر الذي شكل تحولا سياسيا وفكريا هاما في مسيرة هذه المؤسسة السياسية الوطنية.

وعلى امتداد هذه الحقبة الزاخرة بنشاط وعطاء عمر بن جلون، تحمل الفقيد مخاطر ومعاناة في ذاته، وذات رفاقه وذات حزبه. فقد توصل الفقيد بطرد ملغوم لم ينفجر لحسن الحظ، يوم 13 يناير 1973، ثم اعتقل يوم الجمعة 9 مارس 1973، ضمن العديد من رفاقه الاتحاديين المعتقلين، وأطلق سراحه في 16 غشت 1974.

لكن هذه الاضطهادات والمعاناة لم تفت في عضده، فقد واصل نضاله السياسي بحزم وقوة، وعلى كافة المستويات. فقد استأنف إصدار جريدة *المحرر* التي تولى إدارتها منذ 1972، يوم 23 نونبر 1974، وانخرط بإيمان وتفان في معركة الصحراء المغربية التي رفع لواءها جلالة الملك الحسن الثاني، وقاد معركة سياسية وفكرية، دفاعا عن الأفكار والمبادئ التي يحملها. فقد كان إيمانه راسخا بحتمية التطور والتغيير بالبلاد، كما كان الفكر الاشتراكي والنهج الديمقراطي والمجال المغاربي والتضامن الأممي، تشكل بالنسبة إليه المرتكز الرصين والإطار الضروري لسياسة بديلة، جديرة بإحداث التطور والتحول اللذين تنشدهما البلاد. ولئن كان الإسهام الفكري والاجتهاد النظري لعمر ابن جلون كبيراً ومؤثرا في حظيرة جيل كامل من الشباب والأطر والمناضلين في صفوف حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، فإن حرص الرجل أن يظل ملتصقا بالشعب، ومتقمصا روحه، مستوعبا مشاكله ومشاغله وأحاسيسه لا يعدوه شيء آخر.

عرفتُ الفقيد مؤمنا أعمق الإيمان بربه وبمقدسات شعبه، كريم الأخلاق، خالص الطوية، طافحا بالحماس والتفاؤل والمحبة، لا تعرف الضغينة ولا التعصب إلى فؤاده سبيلا، ولا ينال من تسامحه ودمث أخلاقه أي اعتبار، سواء كان سياسيا أو سلوكيا أو فكريا. فقد كان يمارس النضال كنوع من الصوفية السياسية. فلطالما ردد على مسامع القوم : "إن النضال هو مسألة أخلاق. وكل من انحطت أخلاقه واستسلم لملذاته فلا يحق له أن يكون مناضلا. إن من انحرف أخلاقيا وسياسيا لا يمكنه أن يعيش وراء قضبان السجون....".

ولا مراء فإن يد الإجرام التي أقدمت على اغتياله في الساعة الثالثة والنصف بعد زوال يوم الخميس 14 حجة عام 1395 / 18 دجنبر 1975، إنما رامت بالأساس اغتيال هذه التأليفة العجيبة في كيان مناضل سياسي.. تأليفة الإيمان بالله والشعب وبالتقدم وذلك اعتباراً لما كان لها من وقع على ضمير المواطنين ولما كان يمكن أن يكون لها من تأثير على إيقاع التحول والتبدل بالبلاد.

محمد الاخصاصي

ابن **جلون**، أبو **عياد الفاسي** ولادةً ونشأةً وقراراً وتربيةً، قال في *النشر* : "وهو ورياغلي الأصل، وربّي عند ابن جلون الفاسي فدُعي به. وليس هو في الأصل ابن جلون.

كان في أول أمره مولعاً بالدندنة، وله صوت حسن، ويضرب على العود. لقي الشيخ الصوفي الحاج الخياط وصحبه، فكان يطلب منه أن يعطيه مما أعطاه الله. والحاج الخياط يقول له : إنك لاتطيق !

ولما توفي الحاج الخياط تغير حال أبي عياد. وبقي ملازماً لزاوية شيخه بالشرشور، وأكثر الزيارة والانحياش إلى أهل وزان ومن ينتسب إليهم حتى عظم أمره، وغلبت عليه أوصاف الجذب والملامتية وأصبح بهلولاً ساقط التكليف. يفعل أفعالاً ينكرها الشرع. وعامة أهل فاس مطبقون على ولايته، وكثيراً ما يقصدونه في مهماتهم.

كانت لصاحب الترجمة كرامات كثيرة. ذكر بعضها معاصره محمد الزبادي في كتابه *سلوك الطريق الوارية* ...

لزم أبو عياد ـ في آخر عمره ـ داراً بحومة الصاغة من عدوة فاس القرويين، يفد الناس عليه بها لزيارته ويأتونه بالصدقات.

وتوفي في أول رجب في وباء عام 1163 / 6 يونيه ـ 1750 ودفن بدار القباج من حومة الصاغة بعدوة فاس القرويين، وقبره بها مشهور مزخرف بنقوش.

م. القادري، *الإكليل*، تح مارية دادي ؛ *الالتقاط*، ص 410، ع 535، ص 280، ع 726 ؛ *نشر المثاني*، 4 : 67 ـ 68 ؛ م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية*، 276 ـ 281 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 150.

دادي مارية

ابن **جلون، محمد** بن **إدريس** بن محمد الأسفي، ولد عام 1328 / 1910 وكان من الأفواج الأولى التي ولجت المدرسة الفرنسية ـ المغربية، وبعدما حصل على شهادة الدروس الابتدائية، اختارته السلطات المحلية ضمن عدد من

أبناء الأعيان ليلتحقوا بالمدرسة العسكرية بمكناس التي أسست سنة 1916 لاستقطاب نخبة من الشبان المغاربة، يتلقون فيها تربية حسب التقاليد الفرنسية. ولكنه لم يقض فيها إلا بضعة أشهر حتى اتفق مع فريق من زملائه على مقاطعة المدرسة العسكرية ورجع إلى أسفي وجعل يتردّد على الحلقات الدراسية التي كان ينظمها الشيخ عبد الله بن محمد بنهيمة وغيره. ولم يطل به هذا الوضع حتى دفعته الضرورة إلى العمل. فالتحق بمكتب التسجيل والتنبر بأسفي.

سرعان ما تألق في عمله واكتسب من الخبرة والحنكة ما جعل القاضي والعدول وغيرهم يسمونه "الترجمان" ولايشيرون إليه إلا بهذا الاسم. وعدته الإدارة الفرنسية من جملة الأوفياء لها. لكن الشاب محمداً لم يكن يكشف في البداية عن مكنونات نفسه ولا عن آرائه وهو يتأجّج حماساً لما يرد من أخبار عن المقاومة المغربية في الريف والأطلس والصحراء. كانت جماعته تتألّف من شبّان واعين، مثل عبد الرحمان بن عبد الله الشقوري والمهدي الگراوي ومَحمد بلكاهية والتهامي الوزاني محتسب أسفي، كانوا في أواخر العشرينات يتجاوبون مع الاتجاه السلفي الإصلاحي المغربي، كما راحوا يتعاطفون مع الحركة الوطنية الناشئة. ولما شعرت السلطات الاستعمارية بعواطفهم الوطنية فرّقتهم عام 1933 وذلك بنقل محمد بن إدريس ابن جلون إلى الجديدة، والمهدي الگراوي إلى مراكش ومحمد بلكاهية إلى أگادير. غير أن الجماعة بقيت ملتحمة الأوصال رغم تباعد المسافات، فبقي أفرادها يلتقون في كل مناسبة مواتية بدعوى إحياء صلة الرحم بينهم. وكم من تداخل عائلي يربطهم ! وإذا ما اجتمعوا في الجديدة كان العلامة السلفي محمد الرافعي يزيد في تنوير عقولهم الفتية ويذكي حماسهم الوطني.

ساند محمد بن إدريس ابن جلون وأصحابه كتلة العمل الوطني عندما تأسست، وكانوا يواظبون على مطالعة جرائدها ويبدون إعجاباً كبيراً بمحمد حسن الوزاني. وعندما انشقّت الكتلة، أعلنوا انضمامهم إلى "الحركة القومية" فصاروا يُعرَفون "بالقوميين". واستمرّوا طبلة حياتهم أوفياء لمبادئ الشورى. وكان محمد بن إدريس ابن جلون من مؤسسي خلية قومية بالجديدة بعضوية محمد الهلالي وأحمد التباري والفقيه المختار خليل وغيرهم.

في يناير 1944، نقل محمد بن إدريس ابن جلون إلى الصويرة في نفس مهمته الإدارية وبترقية هامة في اختصاصه، وأدرج في رتبة أعيان المدينة. وفي عام 1949، نقل إلى سطات ونشط مع الخلية القومية هناك قبل غشت 1953 وقد كان يشرف عليها العالم المجاهد أحمد أيت البهلولي وظل في نشاطه إلى أن توفي بنفس المدينة يوم 22 رجب عام 1373 / 28 مارس 1954.

ابن **جلون، محمد** بن **بناصر** بن حَمُّو أحد أعيان مدينة أسفي في عصره، كان يجمع بين ماكسبه من معرفة في الدين والشريعة والعقود والالتزامات، وممارسة تجارة رابحة في الحبوب وتصدير المنتجات المحلية إلى أوربا. كان مثالا في النزاهة والاستقامة والفضل، أسندت إليه مهمّة أمانة المرسى، فلم يلبث فيها إلا زهاء سنتين حتى التمس إعفاءه منها، وواصل ممارسة التجارة الحرة إلى أن توفي بعد إصابته بطاعون ضرب أسفي عام 1289 / 1872.

أ. بنجلون، *عائلات أسفي*، مخطوط ؛ *تاريخ أسفي*، مخطوط ؛ م. الصديقي، *إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة*.

أحمد بنجلون

ابن **جلون، محمد** بن **الطيب** بن بوجيدة الرباطي، الفاسي أصلاً. حلاه الأديب محمد ابن عمرو في *فهرسه* بقوله : "الفقيه العلامة الأديب الزكي الدراكة الأوحد ذو الشمائل الباهرة الالباب، والنسبة النافعة إذا ما انقطعت الأسباب". تولى الخطابة على التولي في جامع القصبة وجامع مولاي سليمان بالسويقة والجامع الأعظم، ثم صرف عنها واشتغل عدلاً في مرسى الرباط وامتُحن بالسجن في جملة من امتُحن من أمنائها وعدولها إلى أن سُرحوا بعد حين.

توفي يوم الأربعاء سابع قعدة عام 1230 / 11 أكتوبر 1815 ورثاه الأديب ابن عمرو برائية طويلة أثبت نصّها كاملاً في *الاغتباط*.

م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، تح. م. البوزيدي، 2 : 617. 619 ؛ م. بوجندار، *الاغتباط*، 141. 143 ؛ م. ابن عمرو، *فهرس*، مخطوط ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7. 2493.

محمد حجي

ابن **جلون، مَحمد** بن **محمد** الرباطي نشأ وتعلم في مسقط رأسه وأخذ على مشايخ هذه المدينة قبل أن يسافر في طلب العلم إلى فاس ومراكش ووزّان، وكان من خواص الأديب ابن عمرو الرباطي الذي ذكره في *فهرسته* وقال إنه من جملة من أخذوا نصيباً من العلم عن القاضي أبي العباس الحكمي ووصفه "بالمحدّث الأديب، الفقيه العلامة السري الأسمى النزيه الأوحد". كان من المستخدمين بمرسى الرباط إلى أن أقاله من هذه المهمة الوزير محمد السلاوي في عهد السلطان مولاي سليمان. وكان خطيباً بالجامع السليماني في عهد الناظر العربي ملين، ومن جملة الذين امتحنوا بسبب تهمة ألصقت بهم في عهد السلطان المذكور، وهم الناظر، وعدول وأمناء المرسى. وغضب السلطان عليهم وعلى أهل الرباط الذين ناهضوا القائد عشعاش، فوبّخهم جميعاً بما فيهم قاضيهم عبد القادر مورينو.

ثم إن السلطان تراجع وأمر باحضار الفقيه مَحمد بن محمد بنجلون وأجلسه عن اليمين وأخذ يلاطفه ويكلّمه بلين. وغداة هذا الحادث، ولاّه السلطان خطة القضاء بالرباط. وكان كثيراً ماينوب عنه في هذه المهمّة الأديب ابن عمرو المتقدّم الذكر. إلى جانب ذلك كان مَحمد ابن جلون يلقي دروساً في الجامع الأعظم بالرباط يحضرها عدد كبير من الناس من بينهم الأمير إبراهيم ابن السلطان. كما كان يجالس الأدباء. وله مساجلة شهيرة مع أدباء العدوتين. قاموا بها في ضريح عبد الله ابن ياسين، وكان ممن حضرها أوب محمد صالح بن الشيخ أحمد الحكمي، والفقيه أحمد ابن خضراء، محمد بن التهامي وغيرهم.

توفي المترجم له يوم الأربعاء 12 شوال 1234 / 4 غشت 1819.

م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ م. الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*.

أحمد بنجلون

ابن **جلون، محمد العدني** بن علال الفاسي. ولد عام أربعة وستين ومائتين وألف / 1848 ودَرَس في مسقط رأسه على والده وغيره من علماء القرويين، فتخرج "علامة مشاركاً مطلعاً مدرساً محصلاً" اشتغل بالتدريس وبرّز فيه على صغر سنه، وأخذ عنه جمّ غفير من العلماء، منهم محمد بن جعفر الكتاني مؤلف *سلوة الأنفاس* الذي قال عنه : "ما رأيت قراءة أعجب من قراءته ولا أشد تحقيقاً ولا أعظم تلخيصاً وجمعاً". له مؤلفات كثيرة، منها جزء *في الأحاديث المتواترة* ؛ وآخر *فيمن غيّر المصطفى اسمه* ؛ *وانتشاق الفرج بعد الأزمة من حضرة المسمى عين الرحمة* ؛ *والطرفة العتيقة المهداة لخير الخليقة* ؛ *ونزهة ذوى العقل السليم في بعض علوم باسم الله الرحمان الرحيم* ؛ *وحديقة الأزهار المهداة لسيد الأبرار في التحذير من تعاطي علم الكيمياء والكنوز والنار* ؛ *واللآلي اليتيمة فيما يتعلق بالفاحشة العظيمة* ؛ *وسفر الإجازات* فصّل القول فيه صاحب *فهرس الفهارس*، إلى غير ذلك.

توفي بمسقط رأسه في منتصف ليلة الرابع عشر من ربيع الثاني عام 1298 / 16 مارس 1881، ودفن بروضة أولاد ابن جلون بالقباب خارج باب الفتوح.

م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 363 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 1053 . 1054 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 36 . 37 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع، موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2669 ؛ *دليل*، 325 و331.

محمد حجي

ابن **جلون، الهاشمي** (الحاج -) تشير الوثائق العدلية التي بين أيدينا إلى أنه كان على قيد الحياة عام 1265 / 1848 يمارس التجارة بأسفي وتطوان، وأنه كان من كبار التجار. ولدينا كذلك وثيقة أخرى حرّرت بأسفي عام 1325 / 1907 يتبيّن من خلالها أنه توفي قبل هذا التاريخ الأخير لأنها تذكر أسماء ورثته وتجدر الإشارة إلى أن الحاج الهاشمي هذا هو الجدّ المعروف لحدّ الآن لفرقة آل بنجلون بتطوان.

مراسلات مخزنية ؛ *وثائق خاصة* ؛ *وأبحاث شخصية* ؛ أ. بنجلون، *عائلات أسفي*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، الجزء 5.

أحمد بنجلون

الجمارك أو الديوانة المشتقة من كلمة ديوان. وقد كتب ابن خلدون في *المقدمة* ضمن الفصل الرابع والثلاثين في مراتب الملك والسلطان وألقابها أن ديوان الأعمال والجبايات يعدّ من الوظائف الضرورية للمُلْك لأنه يقوم بأعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج وتسطيرها ضمن كتاب شاهد بتفاصيل ذلك، ينبني على الحساب ولا يقوم به إلا المهرة من أهل الأعمال ويسمى هذا الكتاب بالديوان.

ولقد عرفت البشرية النظام الجمركي (الديوانة) منذ القدم، كما تحدثنا بذلك الكتب التاريخية، منذ عهد فرعون، مروراً بالقرطاجنيين فاليونان والرومان ثم أوروبا.

أما فيما يتعلق بالتنظيم المالي والجمركي العربي الإسلامي فيجب التأكيد على خصوصية هذا النظام وقوته وأصالته حيث تذكر كتب التاريخ اجراءات عمر بن الخطاب الضريبية في السواد والشام والجزيرة واجراءات الأمويين والعباسيين ومميزات كل التدابير المتخذة في هذا السياق منذ الفتح الإسلامي.

يمكن أن تعالج الأسس التنظيمية للجمارك بالمغرب في إطارها التاريخي من خلال رصد ثلاث مراحل رئيسية من تاريخ المغرب : قبل الحماية، خلال الحماية، بعد الاستقلال.

1 ـ الأسس التنظيمية للجمارك قبل الحماية.

كانت المبادرة الأولى للمبادلات التجارية الدولية منذ سنة 585 / 1189 حيث أبرم المغرب مع مدينة بيزا بايطاليا اتفاقية كمبادرة تجارية أولى تخضع للشروط الجمركية.

وابتداء من القرن السادس (12 م) سنّ السلاطين المغاربة الرسوم الجمركية على النصارى الذين يفدون على الموانئ المغربية وذلك بنسبة 10٪ تطبق على الضريبة الدينية أو ما يعرف "بالذمة". وبتاريخ 13 / 9 / 1631 وقّع المغرب اتفاقية مع فرنسا بشأن الواجبات الجمركية، تخضع بمقتضاها البضائع المستوردة لرسم 10٪ من القيمة عن الاستيراد و5٪ عن التصدير. كما عقد في نفس السياق اتفاقية مع اسبانيا سنة 1799 ومع حكومة البلاد المنخفضة بتاريخ 18 / 5 / 1856 ومع بريطانيا العظمى بتاريخ 9 / 12 / 1856 ومع اسبانيا بتاريخ 20 / 11 / 1861 ومع بلجيكا في 4 / 1 / 1862 ومع ألمانيا بتاريخ 1 / 1 /

1890 ومع فرنسا سنة 1767 وبتاريخ 24 / 10 / 1892 تحددت الواجبات المستحقة للتصدير والاستيراد.

ويندرج إصلاح إدارة الجمارك (الديوانة) بالمغرب ضمن الجهود التي بذلها السلاطين في أواخر القرن الثالث عشر (19 م) للتغلب على الأزمة المالية والاقتصادية التي كانت تعرفها البلاد. ويتجلى هذا الإصلاح في تنظيم جديد لهيئة "أمناء المراسي" كانت له انعكاسات إيجابية على باقي دواليب الدولة، وخلال هذه الفترة كان المغرب يمارس التجارة البحرية الخارجية عبر مراسي الصويرة وآسفي والجديدة والدار البيضاء، والعدوتين والعرائش وتطوان وطنجة بالإضافة إلى المركز البري المفتوح للتجارة الخارجية بمليلية. وكان يعهد لأمناء المراسي بمراقبة هذه التجارة.

وقد عرفت أمانة المراسي تنظيما دقيقا في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان سنة 1278 / 1872 الذي حاول ضبط مداخيل الجمارك من خلال ضبط أمانتها بعدما ثبت لديه ما يقع بالمراسي من تساهل في الواردات والصادرات حتى ادى ذلك، استاذاً إلى ظهير السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى الوزير محمد بركاش بتاريخ 21 مارس 1862 (موافق متم رمضان 1278) إلى ضياع مال بها له قدر ويال.

ومن مميزات مقتضيات إصلاح 1862 الذي ادخله السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان على إدارة الجمارك نذكر :

- تعيين أمينين بكل مرسى يتصفان بالاستقامة، أحدهما ينتسب إلى المرسى والثاني أجنبي عنها.
- استقلال الأمينين في الإشراف على المداخيل الجمركية دون تدخل العمال
- تعيين أمين أعلى يراقب أمناء المرسى ولقد كلف بهذه المهمة الحاج محمد بنيس
- تخصيص راتب شهري للأمناء مقداره تسعون ريالاً للأمين الأجنبي عن المرسي وستون ريالا للأمين الذي ينتمي إليها
- تحريم مزاولة التجارة على الأمناء بالمرسى التي يعملون بها

وفي عهد السلطان المولى الحسن الأول (1873 - 1894) تم تعزيز تنظيم الجمارك باتخاذ مجموعة من الإجراءات تتمثل في ازدياد عدد الأمناء، حيث تم تعيين أمينين أو ثلاثة أمناء في كل المراسي، كما أصبح جهاز الأمانة يتألف من أمينين أجنبيين عن المرسى في جل الحالات، والثالث هو وحده الذي يكون من أهل المرسى، علاوة على ضبط أماكن وأوقات العمل.

ينص الفصل الأول من قانون تنظيم الديوانة سنة 1862 على أن الديوانة تغلق على الساعة الثالثة بكل الزوال ويعمل الأمناء في مكان خاص بهم يعرف بـ "دار الاعشار" ويطلق عادة على الديوان كل المجمع الجمركي المتكون من دار الأعشار وملحقاتها. وتتكون هذه الملحقات من خزائن لحفظ البضائع المصدرة والمستوردة، ويجري توسيعها كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وأمام استفحال العجز المالي عمل السلطان مولاي الحسن الذي لم يرث خزينة فارغة فحسب بل ورث دينا ثقيلا كان تسديده يكلفه نصف مداخيل الجمارك المغربية لمدة تزيد عن عشر سنوات لفائدة الإسبان علاوة على الدين الذي ظل يسدده للأنجليز إلى غاية سنة 1881. فضلا عن ذلك هناك النفقات التي يجب تخصيصها للفرق العسكرية الحديثة التي أنشأها على النمط الأوربي تكوينا وتدريبا.

أمام هذا الوضع المزري فكر السلطان في حلول تستهدف عقلنة تدبير وترشيد الإدارة الجمركية بالعمل على رفع ايرادات الدولة دون تغيير مقادير الضرائب وتستند هذه الاجراءات إلى العناصر الجوهرية الآتية :

- اختيار الأمناء، وتعيينهم بناء على معايير محددة : يتم تعيين الأمناء بظهائر سلطانية مصدرة بطابع كبير. وكان الأمناء ينتمون إلى فئات اجتماعية موسرة ومشهورة. ويبدو أن انتقاء الامناء من بين الاغنياء يشكل ضمانة مادية للدولة التي قد تمد إليهم يدها كلما صدرت عنهم مخالفات أو اختلاسات. كما أن يسر الامناء المادي من شأنه أن يكف أطماعهم في مال الرعية والدولة.
- تحديد رواتب وهيكل تنظيمي لإدارة الجمارك : تتميز إدارة الجمارك بتسلسلها الإداري حيث تشمل :
- الجمركيين : تضم هذه الفئة الامناء والعدول ومعرب بيانات السفن والناسخ والواقف بالديوانة على المارکة
- والمشرفين على سير المرسى : وهم القبطان أو رئيس الديوانة وخليفته وكاتبه.
- والفنيين : وهم المقيد بالخزين ومسير الرافعة ومصلح القوارب ومقلب الدرهم أي الذي يعبر النقود ويقوم بفرز زائفها ورديئها وصاحب الميزان.
- والحراس : تشمل هذه الفئة المخازنية والعساسين.

بلغ الراتب الشهري لأمناء مرسى العدوتين سنة 1893 - 1894 أربعة وثمانين ريالا لكل من الأمينين الأجنبيين عن المدينة وأربعين ريالا واثنى عشر بليونا للأمين الذي ينتمي إليها. أما العدلان فكان يتقاضى كل واحد منهما عشرين ريالا بينما كان راتب أمين ديوانة مليلية سنة 1894 لا يتجاوز ثلاثين ريالا للواحد، وراتب العدلين الذين معهما يبلغ عشرة ريال لكل واحد. ولعل تخصيص رواتب منتظمة للأمناء هو للحيلولة دون توليهم بأنفسهم استخلاص هذه الرواتب لما في ذلك من أخطار الابتزاز. كما يستهدف تحديد فترة توليهم في المراسي حتى لا يدفعهم طول مقامهم بالمنصب إلى الميل إلى الاستبداد. فضلاً عن ذلك كان المخزن يختار أمناء المستفاد وأمناء المراسي على الخصوص من التجار الذين هم أعرف بالسوق والمبادلات وأكثرهم اتصالا بالأجانب لأن مزاولتهم التجارة تكسبهم حنكة وخبرة

مالية ودربة في المعاملات كان المخزن في حاجة ماسة إليها. بحكم ندرة أطره المتخصصة. وهكذا تمكنت أسر حضرية معروفة من ولوج أمانة المراسي. ففي سنة 1887 عين السلطان بمرسى طنجة السادة :

الطالب عثمان ابن جلون التويمي الفاسي والحاج عبد المجيد برگاش الرباطي والحاج محمد العسال الطنجي. كما عين بمرسى الصويرة الطالب أحمد التازي الفاسي والطالب عبد السلام غرسية التطواني والطالب عبد الرحمان بن الحسن الصويري، وبمرسى أسفي عين الحاج بناصر الحلو الفاسي والحاج محمد عواد السلاوي، وبمرسى الدار البيضاء عين الطالب عبد الوهاب بن الحاج محمد بنيس الفاسي والطالب محمد فرج الرباطي.

ويسجل المؤرخون أن المناصب المخزنية وخاصة منها أمانة المراسي كانت عاملا في اغتناء الأمناء مؤكدين أن هذا الغنى المكتسب كان في الواقع لاحقا لغنى الأسرة التي يرشح أفرادها لهذه المناصب ؛ وربما كان الحصول على هذا المنصب نفسه يقتضي تقديم مقابل مالي لا يستطيع تحمله إلا من اتسعت يده.

- تحديد فترة التدريب ومدة التولي : استطاعت الأستاذة نعيمة هراج التوزاني أن تقدر الفترة التي كان ستغرقها تدريب أمناء المراسي بالمقارنة بين تاريخ إعفاء بعض الأمناء من مهامهم وتاريخ تسليم وثائق ومخزونات إدارتهم للامناء الذين خلفوهم فلا حظت أن مدة التدريب تتراوح ما بين شهرين ونصف وأربعة أشهر وقد يكون سبب اختلاف فترة التدريب ناتجاً عن تفاوت نشاط الديوانة.

أما مدة التوالي فهي تختلف حسب أصناف الامناء، فهي على العموم أقصر بالنسبة لأمناء المراسي والصائر والمستفاد منها بالنسبة لغيرهم.

فمن خلال لائحة بأسماء أمناء مرسى الدار البيضاء وأخرى بأسماء أمناء مرسى العرائش لاحظت الأستاذة التوزاني أنه وقع تغيير الأمناء بالمدينتين سبع مرات في الفترة ما بين 1874 و1880 أي بمعدل سنة لكل تولية. لكن هذه المدة صارت تطول، بل تنتظم ابتداء من سنة 1880 ليصبح تغيير الأمناء يتم كل سنتين. فقد عين أمناء لكل المراسي المغربية في يناير 1887 واستمروا في مناصبهم إلى أواخر سنة 1889، وقائمة أمناء المراسي للعرائش تبرز أن التغيير تم بانتظام سنة 1889 تم سنة 1891 و1893.

- وضع قوانين ومساطير تنظيمية مكتوبة رهن إشارة أمناء المراسي. يمكن أن نسوق مثال كتاب *شروط الخدمة بالمرسى*، *والتقييد* الذي يشمل كيفية خدمة الأمناء مرتبا على ثمانية وعشرين فصلاً.

* * *

- أهداف ووظائف أمناء المراسي : عمل السلطان مولاي الحسن الأول على تنظيم الجهاز الجمركي وذلك بتشكيل الهيكل التنظيمي لإدارة الجمارك وتعيين مجموعة من أعيان التجار كامناء حيث عهد إليهم بالقيام بعدة مهام تتمثل في العناصر الآتية :

أ - مراقبة الواردات والصادرات : يعهد إلى الأمناء بمراقبة التجارة الخارجية حيث لا يسمحون إلا بتصدير أو استيراد البضائع التي لا تحظر الدولة المتاجرة فيها، كما يخضعون بعضها لشروط تصدير الحبوب وبعض أصناف المواشي لمدة ثلاثة أشهر من كل سنة خلال فترة لا تتجاوز ثلاث سنوات. وكان السلطان يحدد قدر البضاعة الجائز تصديرها والمرسى الذي تصدر منه والهدف الذي تصدر من أجله.

فعلى سبيل المثال عندما أمر السلطان سنة 1883 بتصدير الشيران لصالح الولايات المتحدة أخبر بذلك أمناء مرسى طنجة : "أننا أنعمنا على دولة الماركان بتسريح وسق ستة آلاف رأس من الثيران في كل سنة (...) على شرط أن يكون وسقها من مرسى طنجة، وعلى شرط أنه إذا كملت السنة، وبقي لهم شيء من الستة آلاف، يلغون وسقه ويتركونه أصلا في السنين التي بعدها، وعلى شرط أن يسقوا ذلك لعسكرهم ومراكبهم لا لتجارهم (...) فنأمر خدامنا أمناء مرسى طنجة أن يسرحوا لهم وسق ذلك على الشروط المذكورة".

واحتراماً لهذه الشروط رفض أمناء مرسى الصويرة سنة 1885 تصدير بقرة واحدة، وعندما تغاضى رئيس المرسى عن تهريب البقرة في غيبة الأمناء ليلا كان عقابه العزل والسجن.

أما فيما يتعلق بمراقبة الواردات، فإن الأمناء يمنعون كل البضائع المحظورة على الخواص مثل السلاح الذي لا يستورده إلا المخزن، وهناك سلع أخرى يبيح استيرادها لحساب الأجانب كالتبغ والخمور ولكن وفق تقنينات وشروط خاصة.

ب - فرض وجباية الرسوم الجمركية : تعد الرسوم الجمركية المغربية رسوما اتفاقية. وتسمى الرسوم التي تفرض علي الواردات باسم الأعشار لأنها تساوي عشر ثمن البضاعة. ويعتمد على أسعار السوق المحلية في تقدير قيمة البضاعة قبل فرض رسم يبلغ 10٪ من هذا الثمن، وتدعى رسوم الصادرات الصاكة وهي رسوم نوعية تختلف باختلاف نوع البضاعة.

وعلاوة على تقدير الرسوم على السلع المصدرة والمستوردة يقوم الأمناء بجباية هذه الرسوم مقابل تقديم "توصل" لصاحب البضاعة. وكانت تعفى من كل رسم السلع التي تنقل بحراً من مرسى مغربي إلى آخر. كما تصادر كل بضاعة ضبطت غير خاضعة لهذه الرسوم الجمركية. وتشير الأستاذة التوزاني إلى مجموعة من سجلات مداخيل ديوانة مليلية التي تضبط المقادير المتحصلة من البضائع المهربة التي وقعت مصادرتها.

غير أنه يجب أن نسجل أن تسديد هذه الرسوم الجمركية

لم يكن دائما يتم على الفور بل قد يؤجل بناء على امتياز كان السلطان يمنحه لكبار التجار.

وفضلاً على جباية الرسوم الجمركية على البضائع كان الأمناء يجبون رسوما على السفن التجارية التي ترسو بالميناء تدعى "واجب المخطاف".

ج ـ تسلم أعشار الحبوب العينية من القبائل المجاورة : كانت المراسي تستعمل كذلك مستودعات للأعشار العينية من الحبوب القادمة من القبائل المحادية لهذه المراسي، والقصد من توجيه الحرص إلى هذه المراسي هو لتصديرها من أجل الحصول على العملة اللازمة لتسديد بعض الديون المترتبة على المخزن.

د ـ النيابة عن المخزن في الإشراف على عمليات الاستيراد والتصدير :

تتمثل هذه النيابة في قيام أمناء المرسى باستيراد أو تصدير بعض البضائع لحساب المخزن كاستيراد ثياب لصنع لباس الجيش المغربي أو استيراد بضائع تستلزم تعاقداً خاصاً كالسلاح. أما دورهم في التصدير فيتمثل في تسليم البضائع إلى الطرف الذي تعاقد معه المخزن كتصدير القمح والشعير لبعض الدور التجارية الأجنبية.

هـ ـ الإنفاق على المرسى والمدينة والنواحي المجاورة لها : يقوم أمناء المراسي باداء رواتب موظفي المرسى بكل درجاتهم كما يؤدون كل النفقات المتعلقة بسير المرسى وتجهيز مرافقه الضرورية كالموازين والقوارب وأرصفة الميناء وأسواره وبرجه.

كما كان الأمناء ينفقون على املاك المخزن ومنشآته العمومية وعلى رجاله.

وتشتمل النفقات المنشآت الدفاعية كالابراج، والمدنيّة كالسجون. أما النفقات على رجال المخزن فهي إما نفقات دائمة كالنفقات الخاصة بالجيوش ورواتب بعض الموظفين بالمدينة كالعمال ورواتب الشرفاء من حاشية السلطان، أو نفقات طارئة كجعالات الجيوش التي تقيم مؤقتا بالمرسى وأكسية الجيش وصلات كتاب العمال والشرفاء.

و ـ النفقات على مستوى البلاد : وهي تشمل نفقات مرصودة على نطاق البلاد عامة، كتسديد الديون الخارجية وتمويل بعض المشاريع العامة كسك العملة الفضية وتمويل التجهيزات العسكرية (المعدات، التكوين، البعثات المغربية للخارج).

وأخيراً نذكر أن سلطة الأمناء وإن اتسعت كانت تخضع لرقابة محكمة تتمثل في متابعة تصرفها بواسطة المراسلات وطلب الكشوف الحسابية والتفتيش في عين المكان. وكانت المحاسبة تشمل كل فترة قضاها الامناء في مناصبهم وتمتد إلى فحص الكنانيش واختبار سلامة كل العمليات الحسابية.

وقد ارتبط اصلاح إدارة الجمارك في العهد الحسني بتعيين أمناء المراسي الذين يجمعون الأموال، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، الناتجة عن الرسوم الجمركية وينفقون تلك الأموال جزئيا أو كليا لسد الحاجات المحلية وفق اللامركزية التي طبعت هذا النظام. ويعزى صرف أموال الدولة في المكان الذي جمعت فيه دون أن يرسل إلى بيوت المال المركزية إلى تخلف النظام النقدي الذي لم يعرف إلا القطع المعدنية دون الاوراق أو غيرها من الوسائل العملية التي تسهل نقل القيم.

وتنطوي ملامح هذا الاصلاح على أصالة في المبادرة المغربية طالما أنكرتها الكتابات الغربية الممهدة للاستعمار ككتابات الفرنسي ميشو بلير Michaux Bellaire حول تنظيم المالية بالمغرب، وكتاب المؤلف الامريكي J. Waterby حول "أمير المؤمنين" حيث يخلص المؤلفان إلى أن التنظيم المالي بالمغرب قبل الحماية كانت تطبعه القوة والفوضى والتعسف في جمع الضرائب وعسكرتها من أجل دفع رواتب الجيوش وقمع ثورات القبائل، علاوة على عدم ملاءمة الإدارة في تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية.

غير أنه يجب أن تذكر أن من خصائص النظام المالي المغربي تركيزه على أسس أخلاقية لجهاز الأمانة الحسنية وهو ما تفادت الأبحاث الأجنبية التعرض له واستخراج مميزاته الرائدة.

* * *

2 ـ الأسس التنظيمية للجمارك خلال الحماية :

أما النظام الجمركي إبان الجماعة فقد تشكل كما لا حظنا ذلك نتيجة عدة اتفاقيات أبرمها المغرب مع القوى الأجنبية في وقت كان يعاني من وضعية مالية سيئة بسبب ثقل الديون ونقص المداخيل وإلحاح النفقات وانخفاض قيمة العملة. الشيء الذي جعل هذه الاتفاقيات تمهد للتدخل السياسي بالبلاد. ولقد عمل عقد الجزيرة سنة 1906 على ترسيخ شرط الدولة الأكثر رعاية، لتستفيد منها جميع القُوى العظمى، كما اهتم بهيكلة النظام الجمركي وذلك بتحديد تعرفة الرسوم الجمركية في 10٪ من القيمة إضافة إلى 2,5٪ على البضائع المستوردة كما حدد جزاءات عن المخالفات الجمركية والتهريب، وأخيراً أحدث ما يعرف بلجنة القيمة في الجمرك لتحديد قيمة البضائع وتمكن الاصلاحات العميقة التي عرفها النظام الجمركي المغربي أثناء الحماية نتيجة لهذا التطور في التوفيق بين التصنيف التقليدي لثلاثة أشكال من الضرائب الدينية (الزكاة، العشور، الهدية) ضرائب السيادة (الجزية، الخراج، المؤونة، السخرة، الغرامة) وضرائب تجارية (المكوس والجمارك) وتكييف العادات التقليدية الجبائية مع الجبايات الحديثة بإحداث مجموعة من الضرائب غير المباشرة التي تدخل ضمنها حقوق الجمارك.

ويستند النظام الجمركي المغربي إلى عدة مبادئ أهمها :

ـ الحرية التجارية والمساواة الاقتصادية

- الوحدة الجمركية لمجموع تراب الدولة المغربية
- التعرفة الجمركية الموحدة على أساس قيمي

ونتيجة لتراكم الديون على المملكة المغربية إبان الحماية قامت فرنسا بمراقبة إدارة الديون، استناداً إلى عقد الجزيرة الخضراء ابتداء من سنة 1918.

ومن جهة أخرى حدد ظهير 9 يونيو 1917 ومرسوم 16 أبريل 1926 أسس التشريع الفرنسي المتعلق بتنظيم المالية العامة ورقابتها.

وبتاريخ 28 أبريل 1918 ارتبطت مصلحة الجمارك بالإدارة العامة للمالية. وبتاريخ صدر ظهير 16 دسمبر 1918 الذي نظم إدارة الجمارك المغربية. وبتاريخ 9 شتنبر 1939 صدر الظهير الشريف المتعلق بتنظيم قواعد الحماية الاقتصادية وتحديد البضائع التي يمكن استيرادها.

* * *

3 - الأسس التنظيمية للجمارك بعد الاستقلال.

حرص المغرب منذ حصوله على الاستقلال على تبني تنظيم شامل لإدارة الجمارك ينسجم مع وضعيته الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، وهكذا منذ صدور الظهير الشريف بتاريخ 5 يونيو 1957 المتعلق بإحداث التعرفة الجمركية بمقادير مختلفة تبعا للمواد المستوردة وعلى أساس قانون موحد للاستيراد بنسبة 10٪ إضافة إلى رسم خاص بنسبة 2.5٪. وبعد هذه المرحلة توالت النصوص التشريعية والتنظيمية لإدارة الجمارك. ومن أهم المحطات المهمة في هذا الاصلاح نذكر :

- انخراط المغرب سنة 1969 في اتفاقية مجلس التعاون الجمركي المعروف بمصنف بروكسيل 1950 الذي يتم بموجبه تصنيف البضائع على أساس نوع الصنف وأصل البضاعة ومصدرها.

- إصدار سنة 1972 تعرفة جمركية تتضمن وثيقتين منفصلتين : التعرفة والمدونة العامة للمواد.

- اتخاذ مجموعة من الاجراءات لتشجيع الصادرات والاستثمار في إطار مخطط التنمية 1973 - 1977 بمقتضى ظهير 17 أبريل 1973 الذي يسن ما يعرف بالأنظمة الاقتصادية في الجمرك.

- صدور مدونة الجمارك والضرائب غير المباشرة في يونيو 1994، وبذلك اكتمل الصرح التنظيمي والتشريعي لهذه الإدارة الذي يستمد فلسفته من خصوصيات البنيات الاقتصادية والاجتماعية والحاجيات الوطنية وما تستلزمه من تكييف مستمر يساير تطورات التجارة الدولية والعولمة والاتفاقيات والمعاهدات الدولية.

وفي خضم هذا التطور أصبحت إدارة الجمارك تقوم بعدة مهام فهي تعد رافدا من الروافد المهمة للخزينة بفضل المبالغ التي تغذي بها الخزينة والمحصل عليها من الرسوم والمكوس المفروضة على الصادرات والواردات والضرائب غير المباشرة. كما تقوم بمراقبة التبادل الخارجي للدولة قصد توفير الحماية اللازمة للإنتاج الوطني من المنافسة الأجنبية بفرض رسوم جمركية أعلى وتخفيضها بالنسبة لأدوات التجهيز أو المواد الأولية.

وعلى المستوى الوظيفي تسهر إدارة الجمارك على مراقبة البضائع الداخلة والخارجة عبر الحدود الجمركية ومدى مطابقتها وخضوعها للاجراءات القانونية الصحية والأمنية والمالية. واستناداً إلى المدونة يمكن أن نسوق الادوار الآتية :

- تطبيق تعرفة الجمارك على الواردات والصادرات
- مراقبة البضائع والأشخاص
- السهر على التدابير الصحية والأخلاقية بمراقبة تهريب المخدرات وتهريب السلع.
- مراقبة جودة بعض المواد الفلاحية.
- مساعدة رجال الشرطة في إلقاء القبض على الأشخاص المبحوث عنهم عند اجتيازهم الحدود.
- مراقبة التدابير المتعلقة بالصيد في البحار والأنهار.
- مراقبة البواخر بالمياه الاقليمية والتأكد من سلامة وثائق ملكية الباخرة.
- مراقبة الإرساليات بواسطة البريد.
- مراقبة هوية الأشخاص.

ولبلوغ هذه الأهداف نصت مدونة الجمارك في الفصول من 24 إلى 45 على مجموعة من الشروط التي يجب توفيرها في ميدان عمل الإدارة ترتبط بمكاتب ومراكز الجمارك وسلطة أعوانها ووظائفهم وخاصة الحضانة والحماية التي يجب ضمانها لهم أثناء قيامهم بمهامهم.

ع. ابن خلدون، *المقدمة*، بيروت ؛ إ. حركات، *النشاط الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط*، الدار البيضاء، 1996 ؛ د. غيداء خزنة كاتبي، *الخراج*، مركز دراسات الوحدة العربية، 1994 ؛ م. حركات، *الاقتصاد السياسي، مراحل تكوين المعرفة الاقتصادية*، الرباط، 1996 ؛ نعيمة هراج التوزاني، *الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن*، بالرباط، 1979 ؛ محمد برادة غزيول، *مدونة وتنظيمات الجمارك والضرائب غير المباشرة*، 1995.

Abdellah Laroui, *Histoire du Maghreb*, T. I et T. 2, Paris 1976 ; My Larbi El Alaoui, *Le droit douanier au Maroc*, 1997 ; Mohamed Lahbabi, *Le gouvernement marocain à l'aube du XX siècle*, Casablanca, 1975 ; Kacem Taj, *Dédouanement des marchandises au Maroc* ; J. Bastid et H. Demunieux, *Les douanes*, Paris ; Paul Bradinet, *Le régime douanier du Maroc*, Thèse de Doctorat, Bordeaux 1932 ; *Memorendum sur le régime du commerce extérieur du Maroc réalisé par l'administration des douanes* ; M. Hajji, *Les droits de douane au Maroc*, Thèse, Paris 1981 ; M. Hosni, *La repression des fraudes commerciales en droit marocain*, Thèse, Paris X, 1985 ; J.L. Miège, *Le Maroc d'Algésiras et la souveraineté économique*, Tanger, 3 T, 1957 ; *Le Maroc et l'Europe*, 4 tomes, Rabat 1975 ; Bequet, *Contrebande et contrebandiers*, Paris ; H. Tremeau, *Le droit douanier*, Paris 1988 ; Mohamed Harakat, *Le droit de contrôle supérieur des finances publiques au Maroc*, Rabat 1992 ; *L'audit dans le secteur public au Maroc*, Rabat, 1994.

محمد حركات

الجماعة الحضرية والقروية، شخص معنوي عمومي ترابي يتمتع بالشخصية الاعتبارية والاستقلال المالي ويدبر شؤونها مجلس جماعي منتخب مباشرة من سكانها.

والجماعة في المغرب لها جذور تاريخية ضاربة في القدم إذ ترجع إلى "جْماعة" التي كانت تهتم بشؤون سكان القبيلة وتنظم أمورهم المشتركة وينفذ قراراتها زعيم يطلق عليه أمغار أو الشيخ.

ولما جاءت الحماية نظمت المجالس الحضرية بنصوص قانونية على رأسها ظهير 8 أبريل 1917 وكان أعضاء هذه المجالس معينين كما كان على رأسها سلطة مزدوجة : الباشا ورئيس المصالح البلدية في المدن والقائد والمراقب المدني أو العسكري في القبادات.

وقم تم تنظيم المجالس الجماعية الأولى بعد الاستقلال بواسطة ظهير 28 ذي الحجة 1379 (23 . 6 . 1960) بشأن نظام الجماعات، وكان هذا النص يميز بين المجالس الحضرية والقروية، ولم تكن لها نفس الاختصاصات ولا نفس الموارد المالية. وقد بقي هذا النص مطبقا مدة ست عشرة سنة إلى أن حل محله ظهير 5 شوال 1396 (30 . 9 . 1976) بمثابة قانون يتعلق بالتنظيم الجماعي. وقد اختفت نظريا التفرقة بين المجالس الحضرية والقروية في هذا النص على الأقل على مستوى الاختصاصات.

ووصل عدد المجالس الحضرية (البلديات) إلى 248 بينما وصل عدد الجماعات القروية إلى 1298 جماعة وهذا حسب التقسيم الجماعي لغشت 1992.

وقصد الإحاطة بهذا الصنف من الجماعات المحلية يجدر استعراض طريقة انتخاب أعضائها والأجهزة التي تتكون منها المجالس الجماعية ثم توضيح اختصاصاتها التي نص عليها القانون، ونتساءل بعد ذلك عن مواردها المالية ونختم بالوصاية التي تمارسها الدولة على المجالس الجماعية.

يتكون المجلس الجماعي من عدد من الأعضاء يتفاوت حسب عدد سكان الجماعة فالحد الأدنى 11 عضواً إذا لم يتعد سكان الجماعة 7500 نسمة والحد الأقصى هو 41 في الجماعات التي يزيد سكانها على 300.001 نسمة. ويتم انتخاب هؤلاء الأعضاء بواسطة الاقتراع الفردي بالأغلبية النسبية في دورة واحدة، وتدوم العضوية ست سنوات.

- يسير المجلس مكتب يتكون من رئيس المجلس وعدد من المساعدين يتفاوت حسب سكان الجماعة، وأقله مساعدان في الجماعة التي لا يزيد سكانها على 7500 نسمة ويصل إلى سبعة في الجماعات التي يزيد سكانها على 225.000 نسمة.

وينتخب الرئيس ومساعدوه بالاقتراع السري والأغلبية المطلقة في الدورتين الأوليين ويكتفي في الدورة الثالثة بالأغلبية النسبية.

ويضم المكتب كاتبا أو عدة كتاب لتحرير محاضر الجلسات وضبطها، ومقررا للميزانية وأحيانا مقرراً مساعداً مهمته تقديم التقديرات المالية والحسابات الإدارية.

وتنشئ المجالس على الأقل لجنتين دائمتين هما : لجنة المالية والميزانية ولجنة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية، وتنشأ لجن أخرى حسب الحاجة في ميدان التعمير والسكنى، والثقافة، والمحافظة على البيئة إلى آخره ...

يعقد المجلس الجماعي أربع دورات عادية في السنة (فبراير وأبريل وغشت وأكتوبر) ويمكن أن تسترسل كل دورة أسبوعين، وعمليا فإنها لا تستغرق إلا بضع ساعات، ويمكن بمبادرة من الرئيس أو ثلث الأعضاء أو بطلب من السلطة المحلية عقد دورة غير عادية.

ويهيئ الرئيس جدول الأعمال بتعاون مع أعضاء المكتب ثم يرسل للسلطة المحلية التي لها أن تضيف إليه نقطاً أخرى داخل أجل 8 أيام. ويهيئ الرئيس بعد ذلك الجدول النهائي الذي يوجهه مع الاستدعاء إلى الأعضاء لحضور الدورة.

لا يمكن أن تفتح الدورة إلا إذا حضر نصف الأعضاء فأكثر بعد الاستدعاء الأول، فإن كان أقل توجه استدعاءات ثانية، وفي هذه الحالة لا تنعقد الدورة إلا إذا حضر ثلث الأعضاء وإن لم يحضر توجه استدعاءات ثالثة ينعقد بعدها المجلس أيا كان عدد الحاضرين.

ويتم التصويت على المداولات بالإقتراع العلني وبالأغلبية المطلقة، وعند تعادل الأصوات يرجح جانب الرئيس. ويمكن أن يكون التصويت سريا إذا طلب ذلك ثلث الأعضاء أو كانت الجلسة مخصصة لانتخاب أو تعيين.

وجلسات المجلس عمومية يمكن أن يحضرها المواطنون إلا إذا قرر الرئيس عقد جلسة سرية إما بمبادرة منه أو بناء على طلب السلطة المحلية أو ثلاثة مستشارين.

يجب التمييز منذ الميثاق الجماعي الصادر في 30 . 9 . 1976 بين اختصاصات المجلس واختصاصات الرئيس من جهة وبين اختصاصات هذا الأخير ورجل السلطة المحلية من جهة أخرى.

يمارس الملجس الجماعي عدة اختصاصات تدخل في إطار ما يسمى بالشؤون المحلية، وأولى الأمور التي يهتم بها هي الميزانية لأنها ضرورية لممارسة بقية الاختصاصات الأخرى. وتعرف الميزانية بأنها الوثيقة التي يقرر بموجبها في مجموع تحملات وموارد الجماعة، وتنقسم الميزانية إلى جزءين : التسيير والتجهيز فكما أن للتسيير موارده ونفقاته فكذلك الشأن بالنسبة للتجهيز.

وقد تشمل الميزانية العامة ميزانيات ملحقة وحسابات خصوصية. ويجب أن تكون الميزانية متوازنة بين مداخيلها ونفقاتها، وإذا ظهر فائض في الجزء الأول (التسيير) وجب تخصيصه للجزء الثاني (التجهيز أو الاستثمار).

ويمكن تصنيف موارد الميزانية إلى الموارد الخاصة بالتسيير وأخرى خاصة بالتجهيز، فالأولى تشمل ما يلي :

المداخيل الجبائية (الضرائب والرسوم) ومنتوج الخدمات التي تقوم بها الجماعة وكذا مداخيل ممتلكات الجماعة (البنايات الأسواق محطات وقوف السيارات إلى آخره...) ومدخول الامتيازات وحصة الجماعة من الضريبة على القيمة المضافة من أجل توازن ميزانية التسيير.

أما موارد التجهيز فيمكن اجمالها في الآتي : الاعتمادات المحولة وفائض ميزانية السنة المنصرمة ومنتوج المبيعات والقروض المبرمة ومعونات التجهيز المقدمة من الدولة أو المؤسسات العمومية أو الأجنبية ومساهمات تمويل المشاريع أو التجهيزات. وفيما يخص القروض يجب على الجماعات أن تطلب ذلك من صندوق التجهيز الجماعي الذي أصبح منظما على شكل مؤسسة عمومية وهي بمثابة بنك الجماعات المحلية يأخذ نسبة 14٪ من الفوائد على القروض التي منحها للجماعات الحضرية و12٪ بالنسبة للجماعات القروية.

ويمكن اختزال نفقات تسيير الجماعة في الأوجه التالية:

- تعويضات وأتعاب مكتب وأعضاء المجلس الجماعي؛
- مرتبات وأجور وتعويضات موظفي ومستخدمي الجماعة ؛
- تجهيز ونفقات تسيير المصالح الجماعية والمرافق العامة؛
- أداء الحصص السنوية للقروض المبرمة (مع صندوق التجهيز الجماعي) ؛
- معونات الجمعيات الثقافية والرياضية والاجتماعية...
- نفقات مختلفة وطارئة ؛

ويلاحظ أن نفقات الموظفين والمستخدمين وتعويضات المستشارين تهيمن على أكثر من نصف ميزانية التسيير، وفي الجماعات القروية تصل نفقات التسير إلى 80٪ من الميزانية.

وتشمل نفقات ميزانية التجهيز الأمور التالية :

- تغطية عجز السنة السالفة
- اقتناء منقولات (أثاث المكاتب والأدوات اللازمة لها، وكذا الآلات المتنقلة الخ ...)
- إنجاز أشغال التأسيس الأول والإصلاحات الكبرى (الطرق، الماء، الكهرباء، الأسواق ...)
- اقتناء الأراضي والعقارات
- إنجاز التجهيزات المتكاملة
- استعمال أموال المساهمة

والملاحظ أن كثيراً من الجماعات تعجز عن القيام بتجهيزات جديدة إلا إذا التجأت إلى الاقتراض من صندوق التجهيز الجماعي أو الحصول على مساعدات الدولة وخاصة في إطار حصة الجماعات المحلية من الضريبة على القيمة المضافة.

أما الاختصاصات الأخرى فينص الميثاق الجماعي لسنة 1979 بشأنها على أن المجلس "يفصل ... بمداولاته في قضايا الجماعة ويتخذ لهذه الغاية التدابير اللازمة ليضمن للجماعة كامل نموها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ..."

ولتحقيق ذلك يمكن له أن يهيئ مخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية للجماعة ويحدد برنامج تجهيز مجالها في إطار الوسائل المتوفرة لديها والوسائل الموضوعة رهن إشارتها. كما يقترح المجلس على الإدارة المركزية أو الاقليمية أو الجهوية الأعمال الواجب القيام بها للنهوض بتنمية الجماعة.

كما يقوم المجلس الجماعي بإحداث وتنظيم المرافق العمومية الجماعية وتدبير شؤونها بواسطة الوكالة المباشرة أو الوكالة المستقلة أو الامتياز. ففيما يخص النقل العمومي يتم تدبيره بواسطة الامتياز عن طريق الحافلات التابعة للشركات الخاصة، كما تقوم بذلك أيضاً الوكالة المستقلة للنقل الحضري. أما المرفق الذي يتم تسييره بواسطة الوكالة المباشرة فهناك الحالة المدنية والتطهير الصلب والسائل وما إلى ذلك.

ويساهم المجلس في إعداد مشاريع وثائق التعمير. وتعرض عليه في هذا الإطار مشاريع المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية وتصميم التنطيق وتصميم التهيئة وكذا تصميم النمو لدراسته وإبداء الملاحظات اللازمة.

ويختص المجلس لتحديد شروط المحافظة على الملك الغابوي واستغلاله واستثماره في حدود ما يسمح به القانون.

ويهيئ الأنظمة العامة التي تهم شؤون طرق المواصلات والبناء والمحافظة على الصحة في نطاق القوانين والأنظمة المعمول بها. ويحدد نوع أساس الضرائب والتعاريف وقواعد استخلاص مختلف الاداءات والوجيبات والحقوق المختلفة التي تقبض لفائدة الجماعة.

يلعب الرئيس دوراً بارزاً في حياة المجلس وتسييره، فهو الذي ينفذ مقررات ومداولات المجلس ويتخذ التدابير لهذا الغرض ويسهر على مراقبة تنفيذها، كما أنه يعتبر ممثل الجماعة في جميع الحياة الإدارية والمدنية كإنجاز أعمال الكراء والبيع والاقتناء وإبرام صفقات الأشغال والأدوات وتقديم الخدمات وكذا قبول الهبات والوصايا، ويتخذ القرارت لأجل تحديدالضرائب والاداءات والوجيبات طبقا للتشريع المعمول به في هذا الميدان : ويقوم بالمحافظة على ممتلكات الجماعة وإدارة شؤونها، كما أنه يمثل الجماعة أمام المحاكم، ويمكن له دون مداولة من المجلس أن يقيم الدعاوي المتعلقة بالحيازة أو بجميع الأعمال التحفيظية أو الموقفة لسقوط الحق ويدافع عن التعرضات المقدمة ضد اللوائح الموضوعة لتحصيل ديون الجماعة، كما يجوز له تقديم كل طلب لدى قاضي المستعجلات وتتبع القضية عند استئنافها.

واختصاصات الرئيس في هذا تستقل عن اختصاصات

المجلس بمعنى أنه لا يحتاج إلى مداولة من المجلس لأنه يصبح عندما يمارسها ممثلا للدولة، فهو الذي يسهر على المحافظة على الأمن فيمكن أن يتولى رئيس المجلس تلقائيا وعلى نفقة المعنيين بالأمر طبق الشروط المحددة بمرسوم 26 مايو 1980 تنفيذ جميع التدابير الرامية إلى استتباب أمن أو ضمان سلامة المرور والصحة والنظافة والمحافظة على الصحة العمومية الداخلة في اختصاصه (ف 46).

كما أنه هو الذي يسير المصالح الجماعية، ويعتبر الرئيس التسلسي للموظفين التابعين لهذه المصالح الجماعية والذين يخضعون في نظامهم الإداري لقانون الوظيفة العمومية مع استثناء المسائل التي ينص عليها مرسوم 27 / 9 / 1977 بمثابة النظام الأساسي لموظفي الجماعات (ج. ر. عدد 3387 ص 1068). وكذلك هو الذي يتولى التعيين في المناصب طبقا لمقتضيات النظام الأساسي الخاص، كما يعين الأعوان المؤقتين والمياومين والعرضيين ويدير شؤونهم، (ف48).

ويعتبر ضابط الحالة المدنية، ويتخذ قرار التخلي في ميدان نزع الملكية للمنفعة العامة، ويمنح رخص البناء.

لقد حدد الفصل 44 من قانون التنظيم الجماعي الاختصاصات التي تمارسها السلطة المحلية بمعزل عن الملجس الجماعي. وينص هذا الفصل في فقرته الثانية على ما يلي :

"أما السلطة المحلية التي تمثل السلطة المركزية في دائرة نفوذ الجماعة فيبقى معهودا إليها بمهمة ضابط الشرطة القضائية وتبقى مختصة بالمحافظة علي النظام والأمن العمومي بتراب الجماعة. وتحتفظ كذلك بالاختصاصات المسندة إليها بموجب النصوص التشريعية والتنظيمية المعمول بها في الميادين الآتية :

الحق في تأسيس الجمعيات العمرمية والصحافة، النقابات المهنية، الانتخابات، تسخير الأشخاص والممتلكات، التنظيم العام للبلاد في حالة الحرب، تنظيم استيراد الأسلحة والذخائر وترويجها وحملها وإيداعها وبيعها ومراقبتها واستعمالها، شرطة الصيد البري، تنظيم استيراد المتفجرات وترويجها وبيعها وإيداعها ومراقبتها واستعمالها، تنظيم استغلال المقاطع، جوازات السفر، تنظيم محاكم الجماعات والمقاطعات، الإكراه البدني، تنظيم الاتجار في المشروبات الكحولية أو الممزوجة بالكحول، زجر السكر العلني، مراقبة الاسطوانات وغيرها من التسجيلات الفونوغرافية، الاشهار بواسطة الاعلانات واللوحات والإعلامات والشعارات، مراقبة الأثمان، المهن الحرة، التشريع الخاص بالشغل ولا سيما النزاعات الاجتماعية، هجرة الشغالين، الوقاية من الأمراض العقلية وعلاجها، الخدمة العسكرية الاجبارية والملك العائلي".

ويتضح من هذا النص أن اختصاصات السلطة المحلية قد وردت على سبيل الحصر عكس اختصاصات المجلس الجماعي التي هي عامة. أما المسائل التي نص عليها القانون فهي عبارة عن أمثلة الأمر الذي يؤكد على أن المجلس الجماعي هو الذي يجب أن يلعب الدور الأساسي في ميدان التدبير الجماعي وتحقيق المصالح العامة للسكان.

إن الذي يحول دون اعتبار الجماعات المحلية تتمتع بلامركزية حقيقية هو عدم منحها حق النظر في جميع الشؤون المحلية، ومن جهة أخرى الوصاية والرقابة التي تخضع لها ليس فقط لكي تكون مقرراتها قابلة للتنفيذ، بل تفرض رقابة حتى على الأعضاء وعلى الرئيس، والغاية من هذه الرقابة هي ضمان قيام المجالس بوظائفها وعدم خروجها عن مجال اختصاصاتها، لأن الجماعات لا تتمتع إلا باستقلال إداري.

ويمارس الرقابة السياسية الرأي العام بصفة مستمرة عن طريق الصحافة والنشر وأساليب التأثير المختلفة كما يمارسها عند إجراء الانتخابات لتجديد أعضاء هذه الجماعات.

ولكن الرقابة الدائمة هي الوصاية المفروضة على هذه المجالس وهي تمارس إما على مداولات المجلس أو على أعضائه أو على رئيس المجلس.

ع. الرحمن البكريوي، *الوجيز في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1990.

Saïd Benbachir, *L'administration locale du Maroc*, Casablanca, 1969 ; Driss Basri (sous la direction), *"Précis de fiscalité des collectivités locales et de leurs groupements"*, Rabat, 1993.

عبد الرحمن البكريوي

الجماعة الموحدية، تنظيم أحدثه المهدي بن تومرت في بداية دعوته، يعتمد على انتظام أتباعه طبقات حسب الأسبقية في اتّباع هذه الدعوة، بحيث تحتل "الجماعة" المرتبة الأولى، وسمّي أعضاؤها أيت عشرة، وهم ينتمون إلي عصبيات مختلفة جعل منهم المهدي مجلسا استشارياً في الأمور العظام، وكان يحاول أن يتشبّه بما عرف في عهد الرسول عليه السلام (ص) كالأصحاب العشرة والبيعة تحت الشجرة ... فكانت الجماعة أو العشرة أول من بايع المهدي تحت شجرة خرّوب بعد انتقاله من مجال قبيلته هرغة المصمودية إلى تينملل بجبل درن (الأطلس الكبير) جنوب مدينة مراكش إيذانا ببدء العمل المسلّح ضدّ المرابطين خاصّة منذ سنة 518 هـ. أما الطبقة الثانية في تنظيم المهدي فعرفت بـ "أيت خمسين"، هذا إضافة إلى تنظيم قبلي يضع قبيلة هرغة في القمّة. ولتجنّب مشكل العصبيات أحدث المهدي نظام المؤاخاة بين أتباعه الغرباء (المهاجرين) وأتباعه من المصامدة، ومن المعلوم أن لنظام الطبقات هذا امتيازات عامة.

وبالنسبة لأعضاء "الجماعة" يوجد اتفاق حول أغلب الاسماء وهم :

- عبد المومن بن عليّ الكومي الزناتي (من كومية بنواحي تلمسان)، وهو أول خلفاء المهدي ومؤسس الدولة الموحدية ومورّث حكمها في سلالته، غير أنّ صاحب *المعجب* ذكره في الرتبة الثانية ضمن الجماعة بعد المسمّى عبد الواحد الشرقي.

- أبو حفص عمر بن علي اسمه في *المعجب* عبد الله الصنهاجي المعروف بأزناگ. وقاد أول غزوة بعد موت المهدي ضدّ المرابطين (البيذق، 44)، توفي خلال الحركة الطويلة لعبد المومن ببلاد غمارة (البيذق، 54).

- أبو الربيع سليمان بن مخلوف أحضري، وعرف عند أهل أغمات بابن البقال وابن تاعظميت، تولى الكتابة عن المهدي، ويذكر صاحب *المقتبس* وفاته في معركة البحيرة.

- أبو إبراهيم إسماعيل بن يسلاّي الخزرجي (واسمه في *القرطاس* إبراهيم بن إسماعيل)، تولّى مهمّة القضاء أيام المهدي بتينملل، يذكره البيذق ضمن الخمسة الأوائل السابقين لبيعة عبد المومن وبعد وفاة المهدي (ص 45)، وكان سبب نجاة عبد المومن من محاولة اغتيال بالمغرب الأوسط.

- أبو عمران موسى بن تمارى الگدميوي، وهو أمين الجماعة في عهد المهدي، لم يرد اسمه عند البيذق ولا عند صاحب *الحلل*، ذكر صاحب *المقتبس* أنه استشهد في البحيرة، ولعله غير أبي عمران موسى بن سليمان الضرير صهر عبد المومن الذي كان يستخلفه على مراكش خلال غيابه عنها، وهو من أيت خمسين (*المقتبس*).

- أبو يحيى أبو بكر بن يگيت، وهو عند المراكشي من أهل تينملل، وعند ابن أبي زرع أنه هنتاتي، ولم يرد اسمه عند البيذق. ذكر صاحب *المقتبس* وفاته في معركة البحيرة التي حدثت مع المرابطين خارج مراكش سنة 524 هـ.

- أبو عبد الله محمد بن سليمان من أهل أنسا، كان يؤمّ الناس في الصلاة خلال غياب المهدي، مات في معركة البحيرة.

- عبد الله بن يعلى الزناتي، من أهل تازا، اشتهر بابن ملوية أو ابن ملويات، ارتد عن دعوة المهدي بعد وفاته فقتله رجال گنفيسة.

- أبو محمد عبد الله بن محسن الونشريسي المعروف بالبشير، وقد أورد ابن الأثير نماذج من استعمال المهدي للونشريسي في عمليات "التمييز" بين المصدّقين بدعوته والمتشككين فيها، فكان سبب هلاك الآلاف من الناس، كما قاد ضدّ المرابطين عمليات عسكرية آخرها وأشهرها معركة البحيرة خارج مراكش (*الكامل*، 8 : 297 - 298).

- أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي أحد شيوخ قبيلة هنتاتة، واسمه الأصلي فصكة بن ومزال إينتي. قاد أبو حفص عمليات عسكرية هامّة سواء خلال الحركة الموحدية أو في دولة عبد المومن وابنه يوسف، وكان له دور أساسي في دعم حكمهما إلى أن توفي بمراكش بسبب الطاعون سنة 571، واحتفظ أبناؤه بمكانة متميزة في الدولة إلى أن توفّرت لهم ظروف إنشاء الدولة الحفصية في إفريقية أوائل القرن اللاحق معتبرينها استمراراً للدولة الموحدية التي آلت إلى الضعف ثم السقوط.

هذا الترتيب لأسماء الجماعة وضعه صاحب *المقتبس* وأضاف اسمين آخرين هما أبو موسى عيسى بن موسى الصودي (ورد اسمه عند البيذق أيضاً)، وأبو محمد عبد العزيز الغيغائي. أما صاحب *القرطاس* فسمّى أحد العشرة أبا عثمان بن يخلف، وأورد صاحب *الحلل الموشية* اسمي أبي إبراهيم وإسماعيل بن موسى، وأكد صاحب *المعجب* على أولية المسمّى عبد الواحد الشرقي فجعله قبل اسم عبد المومن، ومن المحتمل أنّ عبد الواحد الشرقي هذا هو الذي سمّاه صاحب *القرطاس* عبد الواحد الحضري. وذكر صاحب *المعجب* عضواً آخر في الجماعة هو أيّوب الجدميوي الذي تولّى قسمة الإقطاع بين الموحدين في أول أمرهم، ثم قال : وانضاف إلى الجماعة خلق من قبائلهم فعُدّوا فيهم ونُسبوا إليهم.

أ. البيذق، *أخبار المهدي بن تومرت*، ط. الرباط 1971 (ص 34. 35) ؛ مجهول، *المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب*، الرباط 1971، ص 30 وما بعدها ؛ ع. الواحد المراكشي، *المعجب* ط. القاهرة 1950، ص 337. 339 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ط. الرباط 1973 (ص 176. 177) ؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، ج 8 (أحداث سنة 514) ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 6 : 469. 470، بيروت؛ مجهول، *الحلل الموشية*، الدار البيضاء 1979، ص 108. 109 ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*، ق 1 (173. 174) ؛ الفريدبل، *الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي*، تر. ع. الرحمن بدوي، بيروت 1981، ص 253. 263.

أحمد عزاوي

الجَمْرَة، اسم يُطلق على أنواع نباتية برية أو أنواع مزروعة للزينة، تشبه الأقحوان، ولها أزهار ذات لون أحمر أو برتقالي، گگاليندُولاَ ألگريانزيسْ Calendula algeriensis وگاليندُولاَ أرْفيتريسْ Calendula arvensis، وهي تنتمي مع أنواع وأجناس أخرى إلى فصيلة المركبات Compositae أو النحميات Asteracèae. يحتوي الجنس على أنواع أخرى لها أزهار ذات لون أصفر يختلف كثيراً عن ألوان الجمرة.

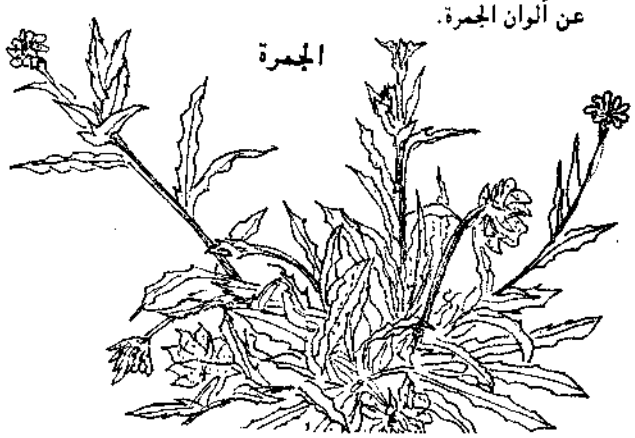

الجمرة

والجمرة نبات حولي بالنسبة للنوعين المذكورين أعلاه أو معمر بالنسبة للأنواع الأخرى. لها أوراق بسيطة أو مفصصة وأزهار مجتمعة على شكل رؤيس ذات ألوان مختلفة تعطي للحقول والهضاب والتلال منظراً جميلاً.

تكثر أنواع الجمرة البرية في البيومناخات الجافة وشبه الجافة وشبه الرطبة من الطوابق النباتية لتحت المتوسطي والمتوسطي الدافئ والمتوسطي.

أنواع الجمرة لا أهمية لها بالنسبة للرعي لكنها تستعمل للزينة أو في التطبيب الشعبي لتوسيع الأوعية الدموية بتخفيض الضغط الدموي ولتنظيف الوجه ولعلاج الأضرار اللاحقة بالجلد من الحروق ولدغات الحشرات إلى غير ذلك.

أبحاث شخصية.

عبد المالك بنعبيد

الجمعة، مدينة وسيطية بناحية الغرب، تعرف أيضاً بجمعة القراوش وجمعة الحمام وعين القراوش، وهي من إحداث السلطان يعقوب المنصور المريني في موضع غير بعيد عن موقع تافرطاست، بناها تخليدا لمكان دفن والده الأمير عبد الحق بن محيو المريني وأخيه أبي العلاء إدريس بعد مقتلهما على يد بني رياح الهلاليين في معركة واجرهان يوم 22 جمادى الثانية عام 614 / 26 شتنبر 1217.

تعود أولى الإشارات المتعلقة بظهور هذه المدينة إلى سنة 684 / 1285 بمناسبة صدور أمر يعقوب المنصور لبناء ضريح والده وإحداث مسجد وزاوية بجانبه، وتخصيص أرض زراعية لهما وقفا لجري الصيانة ومختلف الخدمات.

تقع جمعة القراوش عند حد اتصال سهل الغرب بمقدمة جبال الريف على الضفة اليمنى لنهر ورغة، شرق قيادة جرف الملحة بنحو ستة كيلومترات، شمال الطريق المتجه من الجرف إلى مدينة فاس، في مكان هادئ كثير المياه، يغلب على سطحه الانبساط جنوب دوار معارف عين قراوش الحالي من مجاري المياه. أما الواد المشار إليه من طرف مارمول كربخال فالمعتقد أنه هو المسمى واد حمد الله المار من جهة الشرق في اتجاه ورغة، وسماه مترجم الكتاب واد الركيلة. ورغم البعد النسبي لهذا الوادي فقد شكل إلى يومنا المصدر الرئيسي للمجال الفلاحي.

ونظراً للموقع الذي احتلته مدينة الجمعة بالنسبة للطرق التجارية المتصلة بالعاصمة المرينية فإنها لم تلبث أن نالت حظها من الانتعاش الاقتصادي بصفتها إحدى محطات المرور في الاتجاهات الأربع مما زاد في اتساع العمران والسكان. ولاشك أن هناك توسعا أيضاً في المجال الحرفي.

وقد تملكتنا الحيرة والعجب أثناء زيارتنا للمكان لاختفاء جميع معالم المدينة باستثناء المكتشف من آثارها سنة 1980. فلا يظهر اليوم على السطح سوى رسم قاعة مستطيلة طولها 5.35 أمتار وعرضها 4.90 أمتار تتضمن رسم حوض مربع الشكل. كما كشفت الحفريات عن وجود بعض الأعمدة، ونظام للري ينطلق من الشرق إلى الغرب، إلى جانب بقايا من الصناعة الفخارية الوسيطية. إلا أن الحفريات لم تكشف الغطاء الأثري بعد عن الجوانب الرئيسية التي شيدت حولها المدينة.

وبناء على ذلك فليس للضريح والزاوية والمسجد الملحقين به اليوم أي أثر. ولعل تتبع المدينة بما تسمح به المصادر القليلة المتوفرة سيساعدنا على تصور حجمها وأنشطتها.

ونشير إلى أننا لا نتوفر على البيانات الكافية الدالة على تقديرات عدد السكان. ففي الوقت الذي اكتفى مارمول بقوله : "كانت آهلة بالسكان في حياة الأمير (يعقوب المنصور) ومن خلفه "وجدنا الحسن الوزان يقدر العدد بثمانية آلاف كانون أي ما يوافق نحو أربعين ألف ساكن، مما يفهم أن مساحة المدينة امتدت إلى التلال المقابلة لضريح سيدي علي العواج.

ولا شك أن ما زاد في إعلاء مقام مدينة الجمعة أيام أبي الحسن المريني إقدامه على تجديد بناء كل من الضريح والزاوية والمسجد وما أضافه من المرافق الأخرى، بل وبما حرص عليه من رفع مردود وقفها بمضاعفة مساحة الأرض المحبسة من محرث أربعين زوجا المسجلة على عهد يعقوب المنصور إلى محرث ثمانين زوجا وخصصت للوافدين على المزارة والزاوية الأرزاق والفوائد العظيمة كما يذكر ابن مرزوق.

بلغت مدينة الجمعة على عهد أبي عنان أوج ازدهارها، إذ أنه أنفق بدوره بمناسبة زيارته لها سنة 758 / 1259 الأموال على الضريح والزاوية لتجميل بنيانهما وزخرفة جدرانهما. وقد ترك لنا ابن الحاج النميري في *فيض العباب* وصفا حيا لضريح عبد الحق المريني. فمنه نعلم أن بناية الضريح كانت ضخمة تتركب من جامع كبير متصل بالقبة شامخ البنيان تظهر عليه آثار الجلالة ودلائل السعادة.

عمرت مدينة الجمعة بعد ذلك زهاء قرن من الزمن في ظروف لا نعرفها إلا من خلال الفوضى التي عمت البلاد في النصف الثاني من القرن الثامن (14 م) من جراء التنافس الأسري المريني على العرش، مما أدخل المدينة في مرحلة الإهمال وتعرض أوقافها للسطو إلى أن أعلن الحسن الوزان عن التخريب الذي كان سبب نهايتها واندراسها في نطاق المدن المخربة أثناء الجولات الحربية المتعاقبة الجارية بين السلطان أبي سعيد عثمان وأخيه أو قريبه سعيد المريني في مستهل القرن التاسع (15 م).

تظهر درجة الخراب الذي أصاب المدينة من الأوصاف المقدمة من طرف كل من الحسن الوزان ومارمول كربخال، مما يدل على أن الوطاسيين والسعديين بعدهم لم يلتفتوا إليها بتاتا فزادت معالمها بالتدريج اختفاء واندثارا. فالوزان جعل منها مجرد مكان لا توجد به سوى مطامير العرب تحت حراستهم واحتكارهم. ومارمول أضاف إلى ذلك استمرار وجود بعض الطواحين بجوار النهر القريب منها.

ويدلنا المصير الذي آلت إليه مدينة الجمعة بعد تخريبها

أنها أصبحت منتجعا ومجالات لعرب الخلط، وقد اشتهر من شيوخهم القائد قرواش على عهد أحمد الوطاسي وكان بجانبه عام 941 / 1534 في غزوة ضد مدينة أصيلا، ومنذ ذلك ارتبط اسم موضع المدينة بالشيخ الخلطي، إذ أن مارمول كربخال سمى المدينة جمعة قرواش. ومازال المكان إلى اليوم يعرف بعين قرواش، وليس هناك ما يدل على سابق عهدها.

ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، الرباط 1990 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط 1973 ؛ ابن مرزوق، *المسند الصحيح*، الجزائر 1981 ؛ ابن خلدون، *العبر*، ج 7، لبنان 1959 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الرباط 1980 ؛ مارمول كربخال، *إفريقيا*، ج 2، الرباط 1989 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 4، البيضاء 1955 ؛ ح. الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، مرقون، الرباط 1991 ؛ *التحري الميداني*.

J. Bensliman Hassar, *Ain Karouach un nouveau site archéologique dans le Garb. B.A.M.* 12. 1980 ; M. Kabli, *Société, pouvoir et religion au Maroc à la fin du Moyen âge*. Paris, 1986 ; L. Massignon, *Le Maroc dans les premières années du 16e siècle*. Alger, 1906 ; Patric Cressier, *Prospection géophysique sur le site mediéval d'Ain Karouach*. *B.A.M.* 14. 1981.

أحمد قدور

فم **الجُمعة**، مدينة تقع على بعد حوالي 130 كلم من مدينة مراكش، في اتجاه شرقيها، غير بعيد عن الطريق التجارية القديمة الواصلة بين فاس ودمنات. وقد كونت في بعض الأوقات ـ أكبر تجمع بشري، ضمن قبيلة هنتيفة، المنضوية تحت لواء قبيلة هسكورة المندثرة (Répertoire, 468) وتحتل داخل القبيلة المذكورة موقعاً وسطاً.

أما موضعها فهو شبيه بمواضع مدن دير الأطلس الواقعة عند مخارج الأودية. مثل إ م ـ نْ ـ تانوت وفم الحصن وفم العنصر وغيرها ... فهي في مؤخرة دير الأطلس المتوسط الغربي، على ضفتي مخرج شعب من مرتفعات السلسلة الجبلية المذكورة.

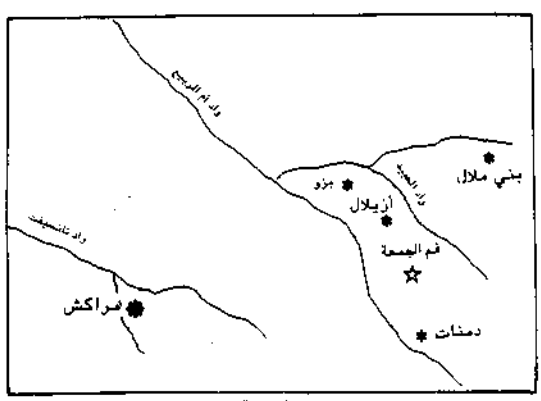

فم الجمعة

يبدو أن بناء فم الجمعة لم يكن وليد إرادة سياسية أو عسكرية، كما أن اختيار موضعها لم يكن عفوياً ؛ لأنه يوفر المنعة اللازمة لحمايتها، ويتخلل المجال المحيط بها انبساط وخصب ؛ ولاسيما في الجهة الشمالية الغربية. ويخترقها جدول ماء. كما لاتستبعد أنها قد كونت ـ بعد بنائها ـ مرحلة في الطريق الواصلة بين دمنات وبزو لاحتلالها موقعاً وسطاً بين المدينتين. ومن ثم يظهر أن وظيفتها الأولى تجلت في توفير الأمن للقوافل التجارية، التي كانت ترتاد تلك الطريق.

أول من أشار إليها ـ فيما نعلم ـ هو الحسن الوزان (*وصف افريقيا*، 1 : 133)، حيث ذكر أن مدينة الجمعة بنيت في أيامه، وقدر عدد سكانها بنحو خمسمائة كانون. ووصفها بالغنى والنماء قائلاً : "وفيها عيون عديدة وحدائق كثيرة مليئة بكل أنواع الأشجار المثمرة، لاسيما بعدد وافر من أشجار الجوز الضخمة. وجميع التلال المحدقة بهذه الجبال مكسوةٌ بحقول الشعير والكثير من أشجار الزيتون.

كان يستوطنها في ذلك العهد كثير من أهل الحرف والصنائع، ولاسيما الدباغين والسراجين والحدادين. واشتهرت على الأخص، بصناعة صفائح الخيل والدروع التي كانت تصدر إلى مختلف جهات البلاد، ولاسيما مدينة فاس ؛ وربما كان تجارها يبادلون سلعهم مع بلاد السودان، إذ يشير الوزان إلى أنهم كانوا : "يستبدلونها بالعبيد والنيلة وجلود بعض الحيوانات التي تعيش في الصحراء". كما كانوا يجلبون الأغطية والملابس وبعض الأدوات من مدينة فاس (م. س).

ولعل بُعد فم الجمعة عن بؤر التوتر ـ في ذلك الوقت ـ وقربها من مدينة دمنات هو ما جعلها تشهد تلك الحركة التجارية النشيطة بالرغم عن تنكبها عن الطريق التجارية الرئيسية الرابطة بين الجنوب والشمال.

ويتحدث عنها مارمول ـ بعد ذلك ـ بنفس العبارة تقريبا. إلا أنه يشير إلى وجود مصانع بها لمعالجة الحديد الذي يحمل منها ليباع على شكل قضبان. وذكر أنها كانت قرية قديمة "فيها مسجد عتيق شهير" ؛ ورغم أنها ليست مسورة فإنها شديدة المنعة بسبب موقعها "على صخرة وعرة جداً" (*افريقيا*، 2 : 111).

وإذا كنا نجهل كل شيء عن فم الجمعة خلال القرن السابع عشر، فمن المؤكد أن أهميتها قد تزايدت في القرن الموالي، مع دخول الطريقة الناصرية إليها، فقد تأسست بها زاوية ناصرية على يد الشيخ حمزة بن مَحمد الصغير بن مَحمد ابن ناصر الدرعي، دعيت منذئذ زاوية سيدي حمزة (*طلعة المشتري*، 2 : 146 و L. Voinot, 15). وإذا كنا لا نعرف شيئاً عن بداية زاوية فم الجمعة الناصرية ؛ فإن كتاب *الدرة الجليلة في مناقب الخليفة* يعطينا بعض الإشارات عن تلامذة ناصريين استقروا بها في تلك الحقبة ـ القرن الثاني عشر (18 م) ـ أولهم أحمد بن محمد الهوزالي الذي استوطن بموقع في شمالها الغربي يدعى بُوحَمُّ. كان هذا

الرجل عالماً مشاركاً، برع بصفة خاصة في علم القراءات ؛ وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أحمد الخليفة، الذي أمره باستيطان تلك المنطقة. وهنالك اشتهر بتدريس كتاب الله، وإطعام الطعام ؛ فانتفع به خلق كثير، وتخرج به تلاميذ عديدون، منهم : محمد الدرعي وإبراهيم الدمناتي وأحمد ابن عياد السكتاني، وإبراهيم بن حسين الابزيوي. ولم يزل كذا دأبه في نشر العلم وبثه، ورفع الراية للزائرين حتى وفاته سنة 1134 / 1722 (*الدرة الجليلة*، 270 - 271).

وبعده تصدر لتلقين العلم ببوحمٍّ من فم الجمعة ولده أحمد بن أحمد الهوزالي، الذي كان عالماً بالمنقول والمعقول ؛ ولاسيما علم القراءات والنحو والفقه والحديث والنوازل. يشير الخليفتي إلى أنه صنف تأليفاً في أحكام القراءات، وأن النوازل كانت تترى عليه من مختلف الجهات.

وثالثهم يدعى إبراهيم أُحمد، اشتغل بدوره بالتدريس في بوحمٍّ، حتى وفاته بالوباء الواقع هنالك، سنة 1155 / 1742.

نستنتج مما سبق أن فم الجمعة أصبحت في ذلك العهد مركز إشعاع يؤمه طلبة العلم ومريد والانخراط في سلك الطريقة الناصرية ؛ لاسيما وقد اشتهر بعض رجالها بالعلم والصلاح ؛ الشيء الذي جعلهم يضطلعون ببعض المهام الاجتماعية ؛ كالتوسط في النزاعات والتحكيم في الخصومات، والفصل فيما قد ينزل بالناس من مستجدات تدعو إليها ضرورات معاشهم ومعادهم، وهي أمور لها بالغ الأهمية خاصة في عهد الفترة، حيث اضطربت الأحوال، وعمت الأوحال ؛ وصارت البوادي متروكة بنفسها يأكل قويها ضعيفها.

ولعل تلاميذ الناصريين وذرية شيخ تامگروت قد استمروا على حالهم فيما بعد، كما يشير إلى ذلك أحمد بن خالد الناصري (*طلعة المشتري*، 2 : 146).

وحين مرّ شارل دوفوكو بفم الجمعة، فيما بين 4 و5 أكتوبر سنة 1883 - في وجهته إلى دمنات - لاحظ أن اسم الجمعة لم يعد مطابقاً لها، لأن سوقها الأسبوعي ينعقد يوم الاثنين. ومن ثم دعاها "اثنين نتيفة" (*Reconnaissance*، 76). وذكر أن ذلك التجمع البشري صار ينقسم إلى ثلاث مجموعات سكنية، تتوزع على ضفتي الجدول المائي الذي يخترقها ؛ وتحيط بها البساتين الغناء، وتكثر حواليها أشجار الزيتون. وقدر عدد سكانها بحوالي 1500 نسمة، من بينهم 200 من اليهود الذين كانوا يمارسون تجارة نافقة، مع دمنات ويزو والقبائل المجاورة.

وفي سنة 1923 يشير ڤوانو Voinot إلى أن الشيخ المتولي على زاوية سيدي حمزة بفم الجمعة هو الأمين الناصري ؛ وأن الزائرين ما يزالون يتوافدون إليها من دكالة والشاوية وغيرها ؛ الأمر الذي جعلها تؤثل كثيراً من الممتلكات التي وقفت حبساً عليها (*Zaouias*، 15).

لكل ذلك صنفت فم الجمعة كأكبر تجمع بشري في قبيلة هنتيفة، في إحصاء سنة 1936، إذ بلغ تعداد سكانها 5728 من بينهم 714 من اليهود (*Répertoire*، 468). وهكذا يكون عدد سكانها قد تضاعف أربع مرات تقريباً في غضون نصف قرن : من 1500 سنة 1883 إلى 5728 سنة 1936. وهذا ربما كان راجعاً - إضافة إلى العوامل السابقة - إلى شق الطريق الثانوية الواصلة بين يزو ودمنات، الشيء الذي جعل المرور عبر فم الجمعة أمراً إجبارياً ؛ مع ما يترتب على ذلك من رواج تجاري وتوسع عمراني ...

وقد تزايد نمو فم الجمعة بعد سنة 1956 وتوسعها العمراني بتأسيس بعض المنشآت الاجتماعية والإدارية، مثلما حدث في ميادين التعليم والصحة والبريد والداخلية...

ح. الوزان، *وصف افريقيا*، الترجمة العربية : م. كاربخال، *افريقيا*، الترجمة العربية : أ. أحمد بن خالد الناصري، *طلعة المشتري* ؛ مَحمد بن عبد الله الخليفتي، *الدرة الجليلة*، مخطوط.

Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; L. Voinot, *Les Zaouias de Marrakech et région* ; *Répertoire alphabétique*.

أحمد عمالك

جمعة الحمام ← الجمعة

جمعة سحيم، مركز حضري بسهل عبدة يأخذ اسمه عن قبيلة سحيم إحدى أهم فخذات قبيلة ربيعة العربية بعبدة، ويقع على بعد 43 كلم شمال مدينة آسفي على الطريق الوطنية رقم 1 على محور الجديدة - آسفي. ومنذ سنة 1992 رقيت جمعة سحيم إلى مرتبة بلدية بعد أن كانت مركزاً مستقلاً منذ سنة 1957.

تصل مساحة المدار الحضري لبلدية جمعة سحيم إلى 106 كلم^2، وتحده الجماعات القروية التالية : من الشمال جماعة لَحْضَر، ومن الشمال الشرقي احد البخاتي، ومن الشرق جماعتا الگرعاني والمصابيح، ومن الجنوب ثلاثاء بوگدرة، ومن الغرب جماعة سيدي عيسى.

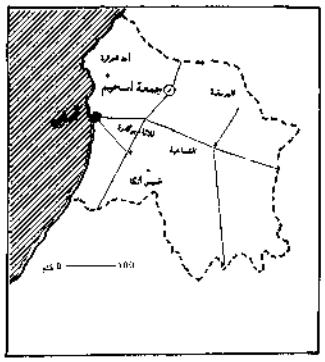

موقع جمعة سحيم

ارتبطت نشأة هذا المركز وتطوره بالسوق الأسبوعي وسط سهل غني وخصب (منطقة التيرس)، حيث يعتبر من أهم الأسواق بالمغرب وأكبر سوق أسبوعي بعبدة.

تقدر عدد الخيام التي تنصب فيه أسبوعيا بـ1300 خيمة، إضافة إلى ما يعرض فيه من الأعداد المهمة من الماشية (1200 رأس من الأبقار و1500 رأس من الأغنام)، وتصل مداخيله إلى أكثر من 3.5 مليون درهم سنوياً.

ورغم أن جمعة سحيم صنفت مركزاً مستقلاً، منذ عقود، فإن جفاف المنطقة وقربها من مدينة أسفي ومراكز أخرى كَسَبْت گزولة وثلاثاء بوگدرة جنوباً وخميس الزمامرة شمالاً، إضافة إلى عدم توفر الظروف لتطور أنشطة اقتصادية أخرى، لم تجعل هذا المركز يعرف تطوراً ملموساً إلا في العقد الأخير. وهكذا فإن عدد السكان تراجع في الستينات لكنه تضاعف خلال السبعينات وتزايد بنسبة تفوق 150٪ خلال الفترة ما بين 1982 و1994 كما يوضح الجدول التالي :

السنوات	1960	1971	1982	1994
عدد السكان	3.265	2.482	5.157	13.548

وقد أدى موقع جمعة سحيم على محور مهم للمواصلات بين الشمال والجنوب إلى تحولات مجالية واضحة، ذلك أن المركز يتكون من عدة وحدات مجالية منفصلة على طول الطريق الوطنية رقم 1. فبالإضافة إلى بعض القرى الأصلية التي تحيط بالبلدية هنا وهناك، كدواوير شهدة وأولاد مبمون والعميرات وأولاد عزوز وأولاد التومي والجديان وغيرها، هناك عدة تجزئات مجهزة طبقا لتصميم التهيئة المصادق عليه بتاريخ 17 يونيو 1981 كتجزئة الدولة، وتجزئة وادي المخازن، وتجزئة تعاونية عبدة، وتجزئة باكريم ... ويعتبر الحي الإداري والشارع الرئيسي أهم هذه الوحدات المجالية. فبالإضافة إلى الإدارات المتعددة المتفرقة بالمدينة، هناك محاولة لخلق نواة إدارية محورها البلدية والباشوية في الشمال الشرقي، ثم هناك الشارع الرئيسي الذي تتركز به أهم الأنشطة التجارية (بجمعة سحيم 150 دكانا و15 مقهى شعبي و12 جزاراً ومحطتان للوقود)، الشيء الذي يعني أننا بصدد محطة طريقية لا تتطور بنفس الوتيرة التي تتطور بها مراكز أخرى في موقع مشابه وبنفس الإقليم كَسَبْت گزولة مثلاً.

غير أن مركز جمعة سحيم يتوفر على عدة عوامل يمكن أن تساعد على الزيادة من نموه مستقبلاً، من أهمها توفره على بنيات إدارية قادرة على التطور وعلى استيعاب التغيرات المرتبطة بالتحول الزراعي للمنطقة موازاة مع تجهيز الشطر الثاني من الدائرة السقوية العليا لقطاع عبدة ودكالة قبل نهاية هذا القرن. إلا أنه يظل مركزاً ناقص التجهيز، حيث لم تعمم بعد التجهيزات الجماعية من كهرباء وماء شروب وواد حار، إذ لاتتجاوز نسبة المستفيدين من هذه التجهيزات 50٪، الشيء الذي يفرض على المدينة إعادة هيكلة القرى التي أدمجت في المدار الحضري، وبذل مجهودات جبارة في ميادين متعددة بواسطتها يمكن لها أن تهيكل ظهيرها الغني.

تحريات ميدانية : مديرية الإحصاء، *نتائج الإحصاء العام للسكان والسكنى*، الرباط 1971، 1982 و1994.

A. Antona, *La région des Abda*, Rabat 1950 ; Chambre Mixte Française d'Agriculture, de Commerce et d'Industrie de Safi et sa région, *Safi et sa région*, Casablanca, 1951.

إسماعيل خياطي

جمعة القراوش ← الجمعة

الجمل، حيوان أهلي من الثدييات العاشبة الكبيرة الأجسام الطويلة الأعناق والصغيرة الرؤوس. ينتمي إلى رتبة المجترات مزدوجات الأصابع الشفنيات الأرجل Ruminants Artiodactyles. تنتهي القوائم بأصبعين اثنين، لها أظافر ولا حوافر لها كما هو معتاد عند باقي أنواع المجترات الأخرى. ينتمي الجمل إلى فصيلة الإبليات Tylopidae أو الجمليات Camelidae المتكونة من جنس لاما Lama الذي يعيش في القارة الأمريكية وجنس الجمل Camelus. ومنه نموذجان : الجمل ذو سنامين أو الفالج والبختي يسمى علميا Camelus bactrianus وبالفرنسية Chameau وبالأنجليزية Camel ويعيش في القارة الأسوية. والجمل الذي يعيش في الصحراء وفي الجزيرة العربية وفي المغرب وسائر إفريقيا يتوفر على سنام واحد يعلو ظهره يسمى الجمل العربي ويدعى علميا Camelus dromedarius وبالفرنسية Dromadaire وبالأنجليزية Dromedary وبالاسبانية Dromedario وله أسماء كثيرة في اللسان العربي منها الإبل وتطلق على مجموعة من الجمال ذكرُها الجمل وأنثاها الناقة وتجمع على نِياق ونُوق وأنْياق وأنوق وأيْنُق وأنْوُق. وكلمة الجمل تُجمع على جِمال وأجْمال وجُمْل وجُمالة وجمائل. يسمى الصغير بعد الولادة جَدَعا ومهْراً وبعد بلوغه سن الخامسة يدعى بَعيراً للذكور والإناث، ويطلق اسم البازل على كل ما تَبُتت نابه من الإبل وذلك بعد بلوغه السنة التاسعة من عمره.

للجمل عدة أسماء بالبربرية حسب المناطق بالمغرب منها أُلْغم ج إلْغمان وتالغمت للناقة، أرام وأرعام وأماگور وألّم وأميس يُجمع على إمَنسان. ضروبه عديدة منها الجمل المهري Méhari نسبة لقبيلة مَهْرة بن حيدان في اليمن، مشهور بسرعته وبذكائه، يُجْمع على مهارى ومهار ومهاري.

من الأرجح أن الانسان عرف الجمل منذ ما يزيد عن عشرين قرنا قبل المسيح، ودجّنه ليقدم له خدمات عديدة في المناطق الصحراوية كحمل البضائع والأسفار والحرث، وما يزال هذا الحيوان يلعب دورا هاما في حياة الإنسان

الاجتماعية والاقتصادية (التغذية واللباس والصناعة التقليدية بواسطة الجلود والوبر).

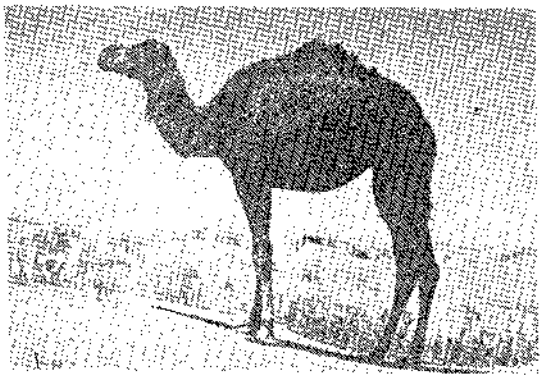

لا يُعرف لهذا النوع أفراد متوحشة في أيامنا هذه. كثيراً ما يُجعل من الفالج ذى السنامين فحلا للنُّوق فتولد منها البخاتي أو البَخْتي وهو نتاج مركب يسمى في خراسان Boghdi وهو فالج ذو سنامين قابل للتوالد كالفحل الأب مما جعل المصنفين في علم الحيوانات يتضاربون في فصل النوعين ذي سنام واحد وذي سنامين، ومنهم من يعتبرها ضروبا تنتمي إلى نوع واحد.

الجمل العربي وحيد السنام شائع عند مربي المواشي في المناطق الجافة وشبه الجافة في المغرب. يفوق علوه عند الغارب مترين ويبلغ علوه إلى قمة الرأس 2.5 أمتار. يتعدى وزنه أحيانا 500 كلغ وشائع بين 350 و400 كلغ. وللمقارنة فإن الجمل ذا السنامين يصل وزنه إلى 700 كلغ وطوله جمعا بين الرأس والجسم ثلاثة أمتار ونصف وعلوه يفوق المترين.

يعلو ظهر الجمل العربي سنام وهو عبارة عن خزانات دهنية وطاقية تمكن الحيوان من البقاء والصبر على ما يزيد عن أربعة أيام بدون أكل وشرب، وهذا نتاج سيرورة تتكيف مع الحياة الصحراوية والسهبية الشاقة. تنتهي قوائمه الطويلة بأظلاف عريضة تساعده على المشي في الأماكن الرملية. يكسو جسمه وبر ناعم متوسط في بعض الأماكن يقي الحيوان من الحرارة اللاسعة في النهار ومن البرد أثناء الميل. تتوفر الجفون على أهداب طويلة، المناخير ذات عضلات بإمكانها الإغلاق بإحكام، وهاتان الخاصيتان من الاحتياطات التي يتمتع بها الجمل لمواجهة الزوابع الرملية في المناطق الصحراوية. النصف الأمامي من الفك العلوي يبدو خاليا من الأسنان حيث لا يحمل إلاّ نابا وقارضة في كل جانب، صيغة أسنانه كالتالي : 1/3 قوارض، 1/1 أنياب، 3/2 أضراس أمامية، 3/3 أضراس = 34 سنا، وتُقرِّبه هذه الصيغة من الغنم والمعز.

تنخفض حرارة الجسم ليلا لتبلغ 33.7 درجة مئوية وترتفع إلى 40.5 درجة مئوية في الأوقات المرتفعة نهاراً وذلك لكي لا تيأثر الجمل بالتفاوت الحراري ما بينه وبين المحيط الخارجي. يحتوي الجلد على كمية قليلة من الغدد العرقية، والعروق الدموية التي تغذي الجلد غليظة تعترض لتبخر الماء من الدم مما يجعل مكونات الدم قليلة التغيرات ويتماشى هذا مع انقطاع الجمل للأكل والشرب عدة أيام.

في استطاعة الجمل أن يتناول 90 ـ 100 لتراً دفعة واحدة بعد عطش ثلاثة أيام ولا يمكنه أن يتحمل العطش أكثر من خمسة أيام يقوم خلالها بعمل شاق ويمكنه أن يتخلى عن الماء أكثر من أسبوع في حالة الراحة.

يعمر الجمل حوالي أربعين سنة وتكثر حرارته الحيوانية "Rut" خلال فصل الخريف، فيكثر رُغاؤه ويزداد قلقه، وكثيراً ما يخرج من فمه غشاء أحمر كروي الشكل أثناء غضبه. تدوم مدة الحمل 12 ـ 13 شهراً وتضع الناقة عادة صغيرها ما بين شهر يناير ومارس، يقف الصغير على أرجله بعد ثلاث ساعات بعد الولادة ويتمكن المشي بعد خمس ساعات.

تعود الناقة إلى قطيع الإبل لترعى مع صغيرها بعد يومين أو ثلاثة فيتغذى من لبن أمه ريثما تنبت أسنانه فيأكل الأعشاب ويُحْزم ضرع الناقة ليبقى الحليب لمالك الإبل ولا يرضع الصغير الحليب إلا نادراً.

جل المغاربة في الجنوب ينتجون الجمال ومنها معايشهم وهي أكثر مكاسبهم.

يتكون القطيع من الإبل في المناطق الجنوبية المغربية من عشرة إلى مائة فرد وأحياناً أكثر، تأكل الأعشاب ويُقدم لها أحياناً الكلأ وحبوب الشعير ويتراوح عدد رؤوس الجمال في المغرب ما بين 33.000 و46.000 كما يوضح ذلك الجدول الآتي :

1986	1985	1984	1983	1982	1981
37421	39951	41108	42559	46881	46732
	1992	1991	1990	1988	1987
	38845	32563	33775	35797	40778

تشتهر المناطق الجنوبية والشرقية من بلادنا بعدة أسواق مخصصة لبيع الجمال نذكر منها سوق گلميم، ويفضل مربُو الإبل شراء الأنياق الصغيرة التي لم تُنجب بعد. يعتني الراعي بقطيع إبله فتألفه ويألفها، وكثيرا ما يعود بعض الأفراد إلى صاحبها بعد بيعها رغم المسافات الطوال مما يدل على الارتباط بمكان الولادة.

يتمتع الجمل بحاسة شم قوية حيث يمكنه التعرف والتنبؤ بقطيع الإبل على بعد يتعدى ستة كيلومترات.

يقدم الجمل للإنسان عدة خدمات كاستعماله لحمل البضائع المعروضة في الأسواق ونقلها من سوق لآخر مما أدى إلى تسميتها بالقوافل التجارية المشهورة عند العرب منذ قدم العصور. كما أن الجمل استعمل في حمل السلاح إلى

جانب استعماله في الحرث والسفر وحمل خيام الصحراويين الرحل.

يقطع الجمل مسافات تتعدى 160 كلم في يوم واحد بدون توقف وذلك بسرعة يقدر معدها بستة عشر كلم في الساعة مما يجعل منه حيواناً أسرع من الفرس في المسافات الطوال. تنظم في المناطق الجنوبية مسابقات للجمال وتعطى جوائز تشجيعية هامة لأفضل المربين.

تعيش بداخل أمعاء الإبل عدة أنواع من طفيليات الخيطيات Nematoda يتبادلها مع الغنم والمعز إلى جانب عدة أنواع من البراغيث والقرادة تعيش على جلوده، وكثيراً ما تصاب الجمال المسنة باضطرابات مرضية ناتجة عن يرقات الدودة الوحيدة Echinococcus granulosus التي تسبب مرض Hydatitose.

م. الشهابي، *معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية*، بيروت، 1988.

Annuaire statistique du Maroc, 1986, 1990, 1994.

محمد رمضاني

* * وعن تاريخ دخول الجمل إلى إفريقيا واستخدامه ببلاد المغرب لا يعرف ذلك بنوع من الدقة. ذكر R. Mauny أن الصحراء الافريقية عرفت وجود نوع من الجمال يعرف باسم Camelus Thomazi منذ البليوليتي Paléolithique الأوسط. وأضاف أن الجمال دخلت بلاد مصر بواسطة شعوب الهكسوس بعد سنة 1680 ق. م، لأن هيرودوت تحدث عن استخدامها في الجيش من طرف المصريين بعد هذا التاريخ. ثم وُجدت بأعداد قليلة في غرب وادي النيل منذ بداية القرن الثالث ق. م (*Tableau géographique*, 287 - 288). وذهب كل من Gautier وGidinho إلى القول بأنها دخلت بلاد المغرب في القرنين الثالث والرابع الميلاديين (*l'économie*, 100 و*passé*, 182). في حين ذهب آخرون إلى أن ذلك تم في القرن الثاني الميلادي (*His. générale de l'Afrique*, 384) ومهما يكن من أمر فإن أغلب هذه الآراء تربط بين شيوع استخدام الجمل ببلاد المغرب وسيطرة الرومان على هذه المناطق.

كان لتعاطي عدد كبير من قبائل بلاد المغرب للترحال أثر كبير في تكاثر قطعات الإبل بالصحراء الواقعة بين واحات المغرب الأقصى وحوض وادي السنيغال التي ظلت أهم منطقة لتربية الجمال في الصحراء الافريقية عبر العصور. فقد تعاقبت على شغل هذا المجال جموع صنهاجة الجنوب وزناتة وعرب المعقل، وكلها قبائل اعتمدت الظعن والنجعة ببلاد القفر، وكان الجمل خير معين لها على التأقلم مع هذا الوسط الطبيعي لما يمتاز به من الخصائص مقارنة مع غيره من الحيوانات.

تظل صنهاجة الرمال أكثر هذه القبائل تعاطيا لتربية الإبل. ومرد ذلك إلى قدم عهدها في الاحتكاك بمناطق القفر. على خلاف زناتة التي ولت ظهرها لهذا المجال ابتداءً من القرن السابع (13 م) وكذلك الشأن بالنسبة لذوي عبيد الله وذوي منصور من عرب المعقل الذين نزحت أغلب بطونهم نحو مناطق الشمال ولم تعد حاجتهم ماسة إلى الجمل كما كان عليه الحال ببلاد الصحراء. أما ذوي حسان منهم فلم يعجزوا عن الظعن كباقي بني عمومتهم واستمروا على التنقل بصحراء بلاد المغرب إلى جانب من بقي من بطون صنهاجة بها. فلازموا الجمل واعتنوا بتربيته لما تقتضيه الضرورة وحاجة الإنسان ببلاد القفر. وهذا ما يفسر وجود الجمال بأعداد وفيرة في صحراء بلاد المغرب منذ أقدم العصور وإلى أيامنا هذه.

لا تجود المصادر التاريخية والجغرافية بالكثير من المعلومات عن أعداد قطعان الإبل ببلاد الصحراء. ذكر ابن حوقل في القرن الرابع (10 م) أن سكان صحاري بلاد المغرب الأقصى لهم من الجمال مالا تدانيها في الكثرة إبل العرب (*صورة الأرض*، 95) وذكر ابن أبي زرع في معرض حديثه عن استنجاد أهل سجلماسة بعبد الله بن ياسين، أن هذا الأخير خرج من بلاد الصحراء في الموفي عشرين لصفر سنة 447 / الأحد 21 ماي 1055 م في جيش عظيم من المرابطين. ولمّا وصل بلاد درعة أخرج عنها عامل سجلماسة ووجد في مراعيها خمسين ألف ناقة كانت في ملكية الأمير مسعود بن وانودين المغراوي (*القرطاس*، 128). وذكر ابن عذاري أنه في مفتتح عام 450 / 1058 م خرج الزناتيون من مغراوة عن طاعة المرابطين فنهض إليهم أبو بكر بن عمر من سجلماسة إلى درعة فقاتلهم وغنم إبلهم ومواشيهم (*البيان*، 4 : 15). ووردت في بعض المصادر أيضاً معلومات قليلة عن أعداد الإبل المستخدمة في الحروب من طرف صنهاجة الجنوب التي اشتهرت بالبسالة والجرأة والفروسية على الإبل حتى صار هذا النوع من القتال فنّاً خاصاً بها وأسلوبا ميّزها عن غيرها. فقد كان الأمير تيلوتان بن تكلان أمير صنهاجة المتوفى سنة 222 / 837 يركب في مائة ألف نجيب (البكري، 159) وكان يعتمد في حروبه على الإبل لإضعاف صفوف الخصم، بأن كان ينفرها ويصوبها نحو معسكر الأعداء على حين غفلة فتأتي على جميع من بها دوساً لهم ووطئا عليهم (*صورة الأرض*، 98). وذكر البكري أيضاً أن المرابطين اتجهوا للسيطرة على سجلماسة أول مرة بعد تخطيهم الحافة الشمالية للصحراء في حملة قوامها ثلاثون ألف جمل (ص 167).

تؤكد هذه الإشارات ـ على قلتها ـ وجود أعداد كثيرة من الجمال في مناطق واحات المغرب الأقصى والصحراء الواقعة جنوبها. فقد وجد هذا الحيوان في هذا الوسط الطبيعي الظروف الملائمة لنموه وتكاثره بشكل جيد. فالجمل يفضل الأعشاب الشوكية لما فيها من ملوحة، كما أنه لا يوافقه إلا الماء الملح. ومعلوم أن أغلب ما ينبط ببلاد

الصحراء يكون زعاقا لأن أغلب أراضيها سبخة (البكري، 157) لذلك عرف قطاع تربية هذا الحيوان حيوية ونشاطا كبيرين مقارنة مع تربية غيره من الحيوانات، حتى إن ثمن الفرس الواحد من خيول الصحراء كان يصل في بعض الأحيان إلى ألف مثقال أو مائة بعير كما هو الحال في القرن العاشر (16 م) حسب شهادة الوزان (*وصف افريقيا*، 2 : 263).

ولاشك أن انتعاش قطاع التجارة الصحراوية عبر المسالك العربية في القرن الرابع (10 م) قد شجع سكان بلاد الصحراء على التعاطي لتربية الإبل بشكل مكثف. فقد تزايد الطلب على هذا الحيوان لأنه كان وسيلة النقل الوحيدة القادرة على إنجاح الرحلة في اتجاه بلاد السودان عبر الصحراء الكبرى. ذكر الإدريسي في القرن السادس (12 م) أن تجار أغمات الذين كانوا يسافرون إلى بلاد السودان بمختلف أنواع السلع كان منهم في القافلة المائة جمل والسبعون والثمانون جملا كلها موقورة (*وصف إفريقيا الشمالية*، 42). كما وصلت أعداد الإبل في بعض القوافل في العصر الوسيط إلى اثني عشر ألف راحلة (*العبر*، 7 : 70).

كانت سجلماسة في القرن الثامن (14 م) أهم سوق لبيع الجمال ببلاد المغرب حسب شهادة ابن بطوطة (*الرحلة*، 2 : 773) وليس هناك ما ينفي أن هذه المدينة قد لعبت نفس الدور في المراحل السابقة لهذا التاريخ. بالنظر للمكانة التي كانت لها في الإشراف على التجارة الصحراوية طيلة قرون عديدة من التاريخ الوسيط، وبالنظر لتزايد طلب التجار على هذا الحيوان بعد أن أصبحت المسالك التجارية الغربية تخترق وسط الصحراء للمرور بملاحة تاتنتال، التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم تغازى، ابتداء من القرن الخامس (11 م).

هكذا مثّل الجمل وسيلة النقل الأكثر استعمالا بمناطق بلاد الصحراء من قبل المشتغلين بالتجارة الصحراوية، فهذا البحوان يستطيع حمل ما بين 120 و150 كيلوغرام، ويمكنه قطع ما بين ثلاثين وأربعين كيلومتر في اليوم الواحد، واليوم من المشي يتراوح ما بين عشر وإحدى عشرة ساعة، أي يسير بمعدل 3 إلى 4 كيلومتر في الساعة. علما بأن القوافل كانت تسير الساعات المتأخرة من الليل والساعات الأولى من الصباح ثم تحط الرحال وقت ارتفاع درجة الحرارة لتستأنف السير في أول وقت العصر (*Tableau géographique*، 395 و*L'économie*، 113 و*وصف افريقيا الشمالية*، 18).

وبالإضافة إلى قدرة الجمل على حمل الأثقال وتحمله قساوة الظروف الطبيعية ببلاد الصحراء فإن التجار المتجهين إلى بلاد السودان كانوا يعمدون إلى اصطحاب جمال فارغة من الأحمال ويعطشونها قبل ورودها الماء لتتناول منه الكثير ثم يشدون أفواهها حتى لاتجتر. فإذا نشف ما في أسقيتهم واحتاجوا إلى الماء نحروا واحداً منها وترمقوا بما في بطنه (*آثار البلاد*، 19 ؛ *وصف افريقيا*، 1 : 69).

وعموما فإن الجمل ظلّ أهم وسيلة للتنقل ببلاد الصحراء وخير معين على تأقلم الإنسان مع سبل العيش بها. لذلك اعتبر البعض أن استخدامه في ذلك الوسط القاحل في العصور الغابرة أحدث ثورة اقتصادية يمكن مقارنة نتائجها بدون مبالغة مع نتائج ما أحدثه استخدام السكك الحديدية والسيارة والطائرة في العصور الحديثة (*Le passé*، 195).

يوجد اليوم بالمغرب نوعان من الجمال يحمل كل منها اسم القبيلة التي اشتهرت بتربيته. وهما الجمال الشبانية نسبة للشبانات وجمال الركيبات نسبة للقبيلة التي تحمل نفس الاسم وتسمى أيضاً بالمهاري. وهذه الجمال من ذوات السنام الواحد، والاختلاف بينها في كون النوع الأول له قدرة فائقة على تحمل الأثقال رغم صغر حجمه، في حين يمتاز الثاني بضخامته وسرعته في قطع المسافات (*Le Tafilalet*، 102).

ابن حوقل، *صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، باريس، 1965 ؛ ش. الإدريسي، *وصف افريقيا الشمالية والصحراوية*، الجزائر، 1957 ؛ ابن عذاري، *البيان*، ج 4، بيروت، 1983 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، الرباط، 1970 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج 7، بيروت، 1988 ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج 2، الرباط، 1982 ؛ مارمول، *افريقيا*، الرباط، 1984.

R. Faure, *Le Tafilalet : étude d'un secteur traditionel d'irrigation*, Paris, 1969 ; R. Mauny, *Tableau géographique de l'ouest africain d'après les sources écrites la tradition et l'archéologie*, Dakar, 1961 ; Codinho, *L'économie de l'empire portugais. XV-XVIè*, Paris, 1930 ; *Histoire générale de l'Afrique*, II *Afrique ancienne*, Paris, 1987 ; Gautier, *Le passé de l'Afrique du Nord*, Paris, 1964.

حسن حافظي علوي

الجمل، (مغارة -) بجبال بني إزناسن في المغرب الشرقي : تنتشر مغارات عديدة ذات قيمة تاريخية وعلمية وسياحية بجبال بني إزناسن كمغارة - إيفري انتافاغين وإيفري الغولا، ومغارة الحمام ومغارة الجمل، وتعتبر هذه الأخيرة من طرف المتخصصين في ميدان الجيومورفولوجيا انها كارست باطني من الأحجام الكبيرة.

تقع مغارة الجمل عند ملتقى خط طول 778.6 كلم وخط عرض 475 كلم، وارتفاع 55 م. وتوجد على بعد حوالي 72 كلم من مدينة وجدة، و 12 كلم جنوب مدينة بركان على الطريق الثانوية الرابطة بين بركان وقرية تافوغالت عبر خوانق واد زگزل وتغاسروت، وتنفتح مغارة الجمل في السفح الجنوبي لجبل أغبل أعشام، بين خانقي واد

الفروج وراد مولاي إدريس اللّذين يرفدان واد زگزل.

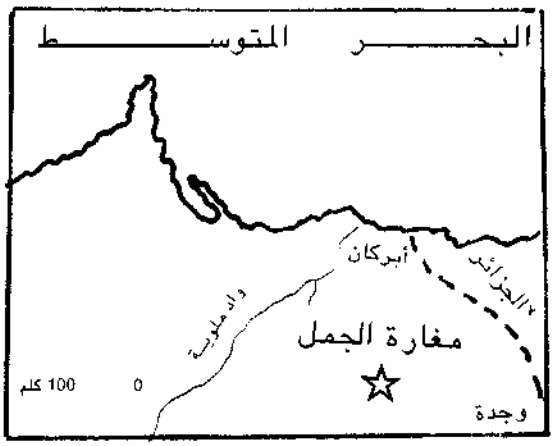

أما من الناحية الجيولوجية فقد تكونت المغارة في الصخور الكلسية ـ الدلوميتية ذات التفاذية العالية التي ترجع إلى الزمن الجيولوجي الثاني : إلى اللياس الأسفل من عصر الجوراسي، وتشكل هذه المواد هوامش جبال بني إزناسن حيث مواد القاعدة القديمة من شست وگرانيت، الجزء الأوسط.

تعرف مغارة الجمل جهويا بتَسْراكوتْ وتعني بالبربرية البئر، أو السرداب الذي يمتص الإنسان فيتيه بداخله، إلاّ أن هذه التسمية في الواقع لاتتطابق مع الاسم الذي جاءت به "مغارة الجمل" لأن اسم أو مصطلح "الجمل" يقابله بالبربرية "ألْغَمْ" وأصلاً أطلق هذا الاسم "مغارة الجمل" لأن بداخل المغارة شكلاً ضخماً على هيئة جمل (الصورة 1) وأهل المنطقة يعرفون هذا جيداً.

والجمل شكل نحت في المغارة لا شكل تساقط، وقد نسجت حوله مجموعة من الأساطير، أهمها أن النساء اللواتي لاينجبن يزرن هذا "الجمل" ويطفن حوله على أمل الإنجاب.

تتكون مغارة الجمل من ثلاثة مستويات أو طوابق : المستوى الأرضي أو الأسفل، المستوى الأوسط ثم المستوى الأعلى ؛ ويمكن الدُّخول إليها عبر مدخلين : مدخل أسفل يوجد على مستوى 5 أمتار من سليل واد الفروج ويعتبر أصل "العين" أو النبع La Résurgence الذي تتدفق منه المياه خلال فترة نشاط المغارة، وهي توافق بالطبع الفصل المطير من السنة.

وهذا المدخل الأسفل يأخذ شكلاً دائرياً يصل قُطره إلى 5.5 م أمّا المدخل الثاني فهو المدخل العلوي الذي ينفتح في سفح جبل أغبل أعشام ويوجد على علو 50 م من مستوى سليل واد الفروج وهو نصف دائري يصل قطره إلى 20 م.

أ ـ المستوى الأرضي : وهو المستوى الذي يرتبط مباشرة بالمدخل الأسفل أو النبع وهو ينقسم إلى رواق رئيسي وأروقة أخرى ثانوية متفرعة عنه. ويأخذ الرواق الرئيسي اتجاه غرب ـــ شرق ويمتد على مسافة 40 م، ثم ينعرج ليأخذ اتجاه شمال ـ جنوب على مسافة 80 م، كما أن جدرانه مغلفة بغطاءات من الكلسيت (les draperies) وبتراكمات كاربوناتية أخرى مختلفة الأحجام.

وينتهي هذا الرواق في قاعة كبرى تصل مساحتها إلى 750 م. وهي ذات الأبعاد التالية : الطول 30 م والعرض 25 م. والعلو 60 م، ومن هذه القاعة الكبري تتفرع شبكة من الأروقة الضيقة ذات الاتجاهات المختلفة.

يوجد المستوى الأوسط أو الانتقالي فوق المستوى السابق ويتم الوصول إليه عبر حافة وعرة جد مائلة يصل مداها إلى حوالي عشرة أمتار انطلاقاً من القاعة الكبرى أو القاعة المركزية التي تميز المستوى الأرضي. ويُميز هذا المستوى مدخل طويل يمتد على مسافة 60 م ويأخذ اتجاه شمال ـ جنوب، ثم رواق ضيق ينتهي بقاعة كبرى تكسو جدرانه غطاءات كاربوناتية ملساء، وأحيانا قد تأخذ هذه التراكمات الكاربوناتية شكل نوازل وصواعد.

المستوى الأعلى : هو آخر مستوى نصل إليه بعد اجتياز حافة صعبة انطلاقاً من المستوى الأوسط. وهذا المستوى الأعلى عبارة عن رواق مستطيل الشكل يمتد على مسافة 65 م إلى غاية المدخل المعلق، وهو يأخذ اتجاه شرق ـ غرب. ويبقى دور تحلل الكلس جد مهم عند هذا المستوى حيث إن التراكمات الكاربوناتية تأخذ أشكالاً مهمة ومتنوعة. من غطاءات وتغليفات لجدران المغارة، وتدفقات في شكل نوازل وصواعد، وأهمها التدفق الذي يأخذ هيئة "جمل". وأحياناً أخرى نجد سراديب كارستية مهمة.

إن هذا التنوع من حيث الأشكال الباطنية : شبكة وسراديب وقاعات، جعل مغارة الجمل تكتسي أهمية بالغة من الناحية الجيومورفولوجية الكارستية ولاسيما لشيخوختها : إذ أن عمر المغارة بالنسبة لجيومورفولوجية السطح، حيث إن مغارة الجمل عبارة عن مجرى مائي باطني يمكن إرجاعه إلى الظروف المناخية السالفة من التاريخ الجيولوجي للمنطقة خاصة خلال الفترات الرطبة التي سمحت بتكوين مثل هذه الشبكة الكارستية الباطنية.

ومن الناحية الليتولوجية (الصخرية) تتميز المغارة بوجود طاقم كبير من الصخور الكاربوناتية. الممثلة في الصخور الكلسية الدلومتية ـ اللياسية / الجوراسية، والكونگلوميرا الميوسيني التي تتميز بالنفاذية العالية.

قد تكون العمليات الميكانيكية لعبت دوراً في إفراغ القاعات، ثم إن المياه العدوانية ساهمت باستغلال الشقوق والانكسارات الموجودة في الصخور محلياً، والتي هيأت وسطاً ملائماً وسمحت بتكوين مختلف الأشكال الباطنية.

تعرف مغارة الجمل حالياً نشاطاً واضحاً خلال الفترات الممطرة من السنة حيث يرتفع مستوى المياه ليصل الصبيب عند النبع La Résurgence إلى 80 ل / ث وقد يتعدى إلى 1184 ل / ث كما حدث بتاريخ 7 / 4 / 1972.

أمّا خلال الفترات الجافة فقد يتحول داخل المغارة إلى مجموعة برك محصورة وقد تجف تماماً.

بحث ميداني.

عبد الخالق غازي

الجمل، أسرة فاسية من ذرية الشيخ الصوفي علي بن عبد الرحمان العمراني الشهير بالجمل المتوفى بفاس عام 1194 هـ / 1780 م. وقد اشتهر من هذه الأسرة علمان بممارستهما لفن الموسيقى الأندلسية أواخر القرن الثالث عشر (19 م) أخذ عنهما بعض مسعملات هذا الفن عالمُ الرباط المشارك إبراهيم التادلي خلال إقامته للدراسة بفاس، وأتى على ذكرهما من بين أساتذته في الموسيقى في كتابه *أغاني السّيقا*. وهما رشيد والغالي.

الجمل رشيد، تعلم الموسيقى على يد الحاج حدو ابن جلون الفاسي، وفاق استاذه في جمال الصوت، "فقد كانت له في صوته ترنيمات إذا أرسلها أذهلت الألباب" وإلى ذلك فقد كان آية في ضرب الرباب. كان حياً في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

إبراهيم التادلي، *أغاني السيقا ومعاني الموسيقى*، مخطوط، الفصل 5 من الباب 7. ص. 76. 77.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الجمل، علي بن عبد الرحمان بن محمد الحسني العمراني، صوفي كبير من شرفاء بني عمران، دفين قبيلة بني حسان القريبة من تطوان، ينتهي نسبه إلى عبد الله بن إدريس بن إدريس، اشتهر بلقبه الجمل اسم الحيوان المعروف، لأنه وجد مرة بعيراً راقداً في الطريق فرفعه بقوته ووضعه خارج الطريق. فقال من شاهده : هذا هو الجمل حقيقة، فلقب من يومه الجمل. ومن العجائب قول الشيخ محمد بن جعفر الكتاني : وهو ملقب عند ملائكة الرحمن بالجمال.

استوطن فاسا مدة وأخذ بها عن أبي عبد الله جسوس التصوف، وأولع بعقيدة التوحيد الخاص الذي قد يؤول على مذهب وحْدة الوجود وكُتبها وقوانينها، وألف كتاباً في ذلك، والتحق بخدمة المخزن. ثم تخلى عنها وهرب خائفاً إلى تونس وأخذ عن صوفيتها، ثم رجع إلى المغرب فلقي بمدينة وَزّان عام 1153 هـ الشريف الطيب الوزاني وأخذ عنه. ثم أمّ فاسا واتصل من عامه بشيخه العربي بن عبد الله معْن الأندلسي ولازمه للخدمة ستة عشر عاماً، انتقل بعدها إلى تطوان فأخذ بها عن شيخ مغمور يسمى عبد الله الشريف، ولازمه عامين وتخرج به. وعاد إلى فاس فانتصب للتربية الصوفية بعد وفاة شيخه العربي معن وأخذ عنه الجم الغفير، وأشهر تلامذته الشيخ العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية وفروعها بالمغرب وغيره، وأسس زاويته الشهيرة بحومة الرميلة من عدوة الأندلس بفاس وظل بها إلى أن توفي، له ولمريديه أحوال غريبة انتقدها عليهم الشيخ ابن عبد السلام الناصري في كتاب المزايا فيما أحدث من البدع بام الزوايا، له *رسائل صوفية* مدونة في مجلد مازالت تقرأ إلى الآن بزاويته، سمعتُ بعضها ثمة من مريديها.

كانت وفاته عشية السبت 29 ربيع الأول عام 1194 / فاتح أبريل 1780 هـ ق وقد جاوز المائة من عمره.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين في تاريخ تطاوين*، مخطوط، 4 : 53 ؛ م. الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 1 : 360 طبع حجر بفاس.

محمد بوخبزة

الجمل، الغالي شقيق رشيد. سابق الترجمة، وكان جيد العزف على الكمان. وعاش مثله في النصف الثاني من القرن الثالث عشر (19 م).

إبراهيم التادلي، *أغاني السقا ومعاني الموسيقى*، الفصل الخامس من الباب السابع، ص. 76. 77.

عبد العزيز بن عبد الجليل

الجمّال، محمد عامل تطوان من قبل السلطان مولاي سليمان نيابة عن القائد السيد أحمد بن مَحمد فتحا العرائشي، وبقي المترجم عاملاً بالنيابة إلى أن جمع مالاً كثيراً من دار الأعشارو (الصاكة) وغيرها، وسافر به للحضرة السلطانية (فاس) وبقي بها، فولى السلطان بدله القائد الحاج عبد الرحمان اشعاش للمرة الثالثة. كان هذا بعد عام 1220 / 1805.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، 2 : 47 ؛ *مختصر العمدة*، ص 79 مخطوط.

محمد بوخبزة

الجَمّالية، زورق ضخم يتميز بجؤجؤه الحاد وكوثله المربع، كان يستعمل بمرسى أبي رقراق كفلك لنقل الركاب والبضائع ما بين السفن الراسية عند مدخل المصب ورصيف المرسى معتمداً فقط على المجاذيف. وقد ظل هذا النوع من الزوارق مستعملا بمصب أبي رقراق حتى منتصف القرن العشرين.

Brunot, *La mer dans les traditions...*, 249.

حسن أميلي

الجُمّاني، (أهل -) إذا كان البحث التاريخي والتخصص المونوغرافي يطمح لإنارة المسكوت عنه في تاريخ قبائل وادي نون. فإن الاقتصار على الفخذات بالرغم من أهميته البارزة في حصر النتائج على مستوى أكثر تصغيراً لايتأتي إلا من خلال تفكيك بنية المكونات إلى

أبسط درجات الانشطار التفصيلي وبالتالي ضرورة الحفر في خصوصيات العائلات منفردة من أجل تكوين صورة أكثر موضوعية وقابلة لتغيير التوجهات والاهتمامات، بمعنى المرور من سطح الميكرو قبلي قصد فهم ميكانيزمات الماكرو قبلي.

وإذ يعد أيت حماد أعلي - بالرغم من صعوبة التدقيق فيهم - أضخم وأهم فصيلة مكونة لقبيلة أزوافيط بوادي نون، في وضع تحتفظ فيه أسرة أهل المعطي بوضعية سيادية ونافذة منذ مدة من الزمن (معلمة، 2. 365)، فتطبيق هذا النموذج عليها يمكننا من رصد أو مخالفة أهم المعطيات الكامنة وراء التجربة التاريخية لعائلة أهل الجُمّاني، إحدى الأسر المنتمية لأهل المعطي مع استنطاق الظرفية والمتغيرات المجالية والخصوصيات المرتبطة بأفراد هاته العائلة.

إن انتقال أهل المعطي من أوزرولت إلى أسرير جاء على مايبدو ولبدا للتنقلات الجيومجالية التي عرفتها قبيلة أزوافيط والتي كرست هذا المدشر كمركز هام وحيوي للقبيلة تتأطر عبره أهم الوظائف الاقتصادية والسياسية الداخلية والخارجية، لذلك فإن المعطي الذي وفرت له أملاكه الواسعة والمتمثلة في قطعان الإبل ونوبات الماء والمرس بأوزرولت تطلعات متزايدة تفسر انتقاله إلى أسرير، وحتى وإن كانت الرواية الشفوية ترجع ذلك إلى صراعه مع أخواله (أهل مبارك أسعيد) فإنها ترى أن التوسع الاقتصادي للمعطي يفسر هذا الخلاف، ويأتي استقراره أيضاً في الحدود بين أيت بلقاسم وأهل حايين المتمتعين بنفوذ حربي وسياسي متزايد آنذاك ليكرس ضخامة الدور الإستراتيجي الذي سيحظى به أهل المعطي لحفظ التوازنات أو الإخلال بها داخل مدشر أسرير. وفي صلب هذا الوضع ينفرد الجماني ابن المعطي عن أخواله بخصوصيات بارزة تكاد ضمنيا تخالف المعطيات التي جرى عليها باقي أفراد عائلته، فالرواية الشفوية تتحدث عن الجماني كرحالة كبير مع التركيز خاصة على العمل التجاري الذي كان يوصله إلى تنبكتو وتاودني، بينما تقتضي نجعاته الإقامة دوماً في المنطقة الممتدة بين وادي نون والساقية الحمراء.

ونشير هنا إلى أن روايات أخرى لم تغفل التلميح إلى المقدرة الحربية الهائلة التي تمتع بها الجماني في شبابه والتي رسمت له أبعاداً مميزة داخل الذاكرة الجماعية، إلا أن هذا الاختيار بالرغم مما تحاول الرواية إلصاقه وتثبيته هنا قد تغير مع مرور الزمن، إذ لن يتأخر الجماني في استغلال ذلك لصالح ممارسته التجارية، ولعل زواجه من أولاد دليم يدخل في إطار عام لايمكن له أن يكون إلا تمتينا لهذا العمل من حيث اعتبار هؤلاء حملة كباراً للسلاح على طول منطقة انتجاعه في وقت اتضح فيه تفكك الأهمية العسكرية لقبيلة العروسيين، ويعتبر ذلك طبعاً محاولة لتمتين التحالف الاستراتيجي دون أن يبلغ حد الحماية أو الاحتماء، بل إن مصاهرة الجماني أيضاً مع أهل حايين وخاصة فخذ أهل هيبة تعد تزكية لروابطه على المستوى المحلي لأن تطليق هذا البعد سيحكم على تطلعاته وخصوصياته لامحالة بالانهيار أمام عنف الصراعات الداخلية على مستوى قبيلة أزوافيط آنذاك والتي لم تمر دون أن تعصف ببعض أبنائه، وقد نفهم أيضاً من مصاهرته مع أولاد بو السباع رغبة في الجمع على مستوى ذاتي وشخصي بين تراكم تجربة حمل السلاح والشهرة التجارية وبين الاستفادة من النهج الديني الذي كان يضطلع به السباعيون كسلطة ناجعة إذا نحن استحضرنا تجاوز أنشطته إلى ما وراء الساقية الحمراء، هذا فيما يتعلق بالشطر الأول.

أما من جهة ثانية فالتفوق العسكري والسياسي لأيت احماد أعليو إضافة إلى القيمة الاستراتيجية الشهيرة التي حظي بها اسرير فيما يتعلق بالعلميات الاقتصادية (التجارة - الزراعة - الرعي) علاوة على التمركز البارز للمسالك والمحاور الصحراوية الأطلسية في يد اتحادية ومتانة الهياكل الإدارية والعسكرية لهاته الأخيرة على نفس المواقع، من شأنها أن تنجب نوعاً خاصاً من أوجه التحالفات الاجتماعية يبررها توزع الادوار والمعطيات المرتبطة بالأنشطة الاقتصادية المعاشية مع اقتسام هام لميكانيزمات مراقبة المجال في ما اصطلح عليه بالمعاهدات الحمائية المتجسدة في عملية الذبح أو النحر كبروتوكول للمعاملات تنظمه القيمة الخاصة للحامي ومكانته الاجتماعية تخفي تعبداً لانماط السلوكات المصلحية (*جوامع*، 67).

وهكذا تتحدث الرواية الشفوية عن حماية الجماني لعدد من الفصائل تأتي في مقدمتها التهالات والفقرا من قبائل الركيبات (La Chapelle, 76) دون أن يعترضنا في تجربة الجماني نفسه ما يكذب أو ينفي هاته الامكانية نظراً للميزة الكبيرة التي استطاع مراكمتها ضمن مسار من الاختيارات المتنوعة، على أن المحجوب ولد الجماني، الذي تسعفنا وثيقة للتهالات حمايته لتزيد من تأكيدها هذا المعطي، يبدو أنه قد اختار طريق والده مع أن الرواية الشفوية تؤكد على تراجع نسبي في أنشطته التجارية مقارنة مع ماضي والده. غير أن مشاركته الفعلية في العمليات العسكرية ساهمت ولاشك في حفظ هذا الإرث في وقت كان باقي أهل المعطي قد دشنوا إغراق اهتماماتهم في الأعمال السلطوية القائدية على وجه الخصوص، حيث نجد لحبيب وعلي وباهي قد تعاقبوا على هذا التوجه الذي تشهد عليه الرسائل السلطانية للعلويين الأواخر، لدرجة أن الباحث دولاشابيل يرى في شخص أحمد ولد المعطي من بداية القرن زعيما لكل قبيلة أزوافيط (La Chapelle, 94)، فلماذا أيضاً قبل أهل بوعيدة من أيت لحسن (الرويبيات) تزويج إحدى بناتهم للمحجوب إذا نحن أكدنا على ضوابطهم الخاصة في هذا الصدد ؟ وكيف كان يحظى

المحجوب ولد الجماني باحترام بالغ يخول له دخول گلميم والرجوع منه في عز الصراع والمواجهة المحلية ؟ في حين نجد محمد سالم ولد الجماني أيضاً يعيد نفس العمل الدائري مع هجرات العمل الحربي والاحتفاظ بطابع سلمي لم يمنعه مع ذلك من ايواء عدد مهم من فصائل قبيلة مختلفة إلى حدود منتصف القرن خاصة أثناء موسم الولي سيدي محمد بن عمرو باسرير بينما اختار إدريس تزكية مكانته الشخصية والزواج من أهل التركيزي.

وفي الختام يحق لنا التساؤل حول دور كل هاته المعطيات التي تمكننا من رصدها في هاته العجالة، في التحكم في الأنشطة التجارية لأبناء محمد سالم بالسينغال (أحمد والمحجوب) بعد انهيار المسالك التقليدية بشكل واضح بعد التحكم الفرنسي. ثم بموريتانيا (مبارك والمحجوب حالياً) إضافة إلى توجهاتهم الخاصة التي ستجيب بشكل واضح لسلفهم الجماني على مستوى القبيلة ؟ في هذا الصدد نستطيع أن نقول إن التاريخ يملك في شكل لايدع مجالا للشك عاملاً حاسماً يتضح معه أنه بمثابة خيط موجه لممارسة دامت أزيد من قرن من الزمن سنرجو من ورائها الالتفات إلى أهميه وأخاف المنهج الذي حددناه في مقدمة هذا العرض.

م. سالم بن لحبيب بن لحسين بن عبد الحي، *جوامع المهمات في أمور الرقيبات*، تحقيق م. ناعمي، البيضاء، 1992 ؛ *معلمة المغرب*، الجزء الثاني.

F. De La Chapelle, *Les Tekna du S.O. Marocain, étude géographique, historique et sociologique*. Paris, 1934.

أحمد جوماني

جَمُّوحة، فخذة كبيرة تنتمي إلى فرقة أولاد امراح، إحدى الفرق المكونة لقبيلة مزاب، وقُدر عدد خيام جموحة سنة 1914 بنحو سبعمائة وثلاث وتسعين خيمة، وكان عدد دواويرها حوالي أحد عشر دوارا، وإلى هذه الفخذة ينتمي دوار أولاد سيدي حجاج الذي توجد به زاوية سيدي حجاج الذي بلغ عدد خيامه في التاريخ أعلاه حوالي مائة وثمانين خيمة. وقد ولي الفرنسيون عبد السلام بن المكي الحجّاجي قائداً على أولاد مراح بعد احتلالهم للشاوية وتنظيمهم لإدارة مزاب والأعشاش.

Villes et tribus du Maroc. Casablanca et Chaouia, T. II.

علال الخديمي

جَمُّوع، بيت من بيوتات فاس العريقة، كان منهم الفقيه العدل المبرّز عبد الخالق بن أحمد جَمُّوع، من عدول القرن الثاني عشر (18 م) ؛ والحاج الطيب جمّوع مالك فدان الجزّار خارج باب عجيسة عام 1244 / 1828، وكان له ثلاثة أولاد العربي والطيب والحاج أحمد. ومازالت بقيتهم بفاس عن قلة.

ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

جَمُّوع، مسعود بن محمد الفاسي داراً، السجلماسي أصلاً، والسلاوي وفاة ومدفنا، يكنّي أبا سرحان، الولي الصالح المحدث الراوية الحافظ الدراكة، كان عالماً بفني المنقول والمعقول من حديث وفقه وتصوف وتفسير وبيان وسير ونحو ولغة، خيراً ديناً ورعاً، لايرى إلا مدرساً أو تالياً أو ناسخاً، جيد الخط. كان من شيوخه عبد القادر الفاسي وولده محمد، وخلّف عدة تآليف في السير والقراءة والرسم والمنطق.

انتقل إلى سلا في أواخر حياته في ربيع الثاني عام 1118 / 1706 م واستقر بزاوية سيدي أحمد حجي، وظل يدرس بها وبالمسجد الأعظم إلى أن توفي في جمادى الأولى عام 1119 هـ / 1707 م ودفن بالزاوية المذكورة، بعدما استفاد من علمه عدد من تلامذته وعلى رأسهم أحمد ابن عاشر الحافي، وأبو مدين حجي.

م. ابن علي الدكالي، *الإتحاف*، 107 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، 1119 ؛ *دليل مؤرخ المغرب*.

حسن أميلي

الجَمُّون، ضريبة كان سكان سجلماسة وسائر بلاد القبلة يؤدونها للمخزن المريني على النخل والزرع ويجتمع من جبايتها أحمال من الذهب. أسقطها عنهم أبو الحسن المريني واقتصروا بعدها على الزكاة والعشر كباقي أهل البوادي ببلاد المغرب الذين أسقط عنهم جملة من الضرائب غير الشرعية اعتادوا تأديتها لمن سبقه من السلاطين كالخرص والبرنس والضيافة والإنزال والقاعة والخطيئة (*المسند*، 283 . 284).

ولا وجود لكلمة الجمُّون في معاجم اللغة العربية، غير أنها مازالت مستعملة في اللسان العامي بمنطقة تافيلالت إلى اليوم وينطقها المحليون بحيم مصرية. أي الگمّون والجمع الگمامين وتصغيرها الگميمنة بتاء التأنيث. وتعني الفدان بمعنى المزرعة.

يتكون الجمون أو الگمون من مجموعة من الأحواض، ويستعمل في غالب الأحيان للدلالة على الفدان المغروس بمختلف أنواع الأشجار خاصة النخيل الذي يستغل في ذات الآن لزراعة القمح أو الشعير أو الذرة أو الفصّة أو غيرها. في حين يستعمل لفظ الأحواض للدلالة على المساحة المزروعة بالخضر وتسمى أيضاً البحيرة، وهي غالباً ماتكون ضيقة المساحة وخالية من وجود الأشجار.

م. ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن*، الجزائر، 1981 ؛ ابن منظور، *لسان العرب*، بيروت د. ت ؛ حسن حافظي علوي،

سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن (14 م) مساهمة في دراسة مجتمع الواحات في العصر الوسيط، مرقونة بكلية الآداب بفاس 1989.

حسن حافظي علوي

الجمني، إدريس بن عبد الرحمان، صحافي من الرعايا التونسيين الذين استقروا في المغرب إبان الفترة الاستعمارية. أصدر جريدة *العزيمة* بالعربية و*La Volonté* بالفرنسية (1951)، وقد ناصبتا الحركة الوطنية المغربية العداء الكبير، بإيعاز من الإقامة العامة. وعلى عكس ذلك، ناصرتا كلا من التهامي الأگلاوي وعبد الحي الكتاني ومحمد ابن عرفة. وقد تعرضت مكاتب العزيمة لعملية فدائية، يوم 7 دجنبر 1952، أسفرت عن إلحاق أضرار مادية بها نتج عنها احتجاب الجريدة لمدة أربعة أسابيع، ويعتبر الجمني نموذجا لبعض المرتزقة الأجانب الذين سخرتهم الإقامة العامة في إطار سياستها "الأهلية".

J. Baïda, *La presse marocaine*, Rabat, 1996.

جامع بيضا

ابن **جميل، محمد** القصري، كان يعرف بالمعلم لمزاولته التدريس ،على مايبدو، وكان من أصحاب الشيخ أبي مدين الغوث دفين تلمسان، صحبه عندما كان مقيماً بفاس، فأخذ عنه الطريق والعلوم العرفانية. ويروي صاحب *أنس الفقير* قصة طريفة عن ابن جميل القصري تبين عن كرمه ومعاشرته لخيرة القوم. ومن خلال ذكر نفس المرجع لمن عاصرهم ابن جميل من أمثال أبي عبد الله الزياني وأبي زكرياء السائح وأبي عبد الله التاودي وفاطمة الأندلسية يظهر أن ابن جميل عاش في أواخر العصر الموحدي حين بدأت حركة التصوف تتخذ من القصر الكبير مركزاً لها، وأن ابن جميل يعد من أهم من خلف أبا الحسن علي بن خلف بن غالب الأندلسي في القيام بمهمة الدعوة معاصراً في ذلك فاطمة الأندلسية المتصوفة التي أخذت بدورها عن أبي مدين الغوث السلوك والطريق.

دفن ابن جميل القصري في رباط أبي الحسن علي بن خلف بن غالب بالقصر الكبير وشيد عليه ضريح استمر موجوداً إلى أن هدم من قبل المجلس البلدي عندما قام بتحويط المقبرة الكبرى بالمدينة في أواخر الثمانينات من هذا القرن.

م. ابن خليفة، *القصر الكبير، أعلام أدبية، وفكرية وتاريخية*، طنجة، 1994.

الحسين البعاوي

ابن **جميلة**، بيت عريق بفاس، لم يذكر النسابون أصلهم، وإنما اشتهر منهم في العصر المريني فقيه زاهد نادر المثال :

ابن **جميلة، سعيد** بن محمد الفاسي، أبو عثمان، فقيه كبير من طبقة الإمامين عبد العزيز القوري وإبراهيم بن عبد الله البزناسني. طلبه السلطان أبو الحسن المريني أن يقلّده قضاء مدينة فاس فأبى، وأقسم السلطان إن لم يقبل القضاء ليجعلن القيد على ساقية فازداد إباءً وقال : الكبل عليّ أسهلُ من صعب القضاء، فقيّده بالادهم ولم يزل به على ساقيه إلى أن مات في حدود عام 750 / 1349.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 2 : 519 ؛ *درة الحجال*، 2 : 773 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 317 ؛ ع. الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

محمد حجي

الجميلي، محمد بن المعطي الشاوي، من أعيان أولاد سعيد، ينتمي لفخذة مْوالينْ الحضرة، لعب دوراً كبيراً في انتفاضة الشاوية بين 1903 و1907. كان الجميلي من زعماء الانتفاضة الذين يتخذون قرارات الحرب والهدنة. محارباً شديد المراس، اشتهر باتباعه للمرابط محمد بن الطيب البوعزاوي. وقد برز الجميلي كمجاهد صلب وقائد من قواد الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، حيث شارك في معارك الدار البيضاء، سطات 1907 ـ 1908. وبعد فرض الاحتلال على قبيلته أولاد سعيد سنة 1908، استسلم للفرنسيين فولوه القيادة على مْوالينْ الحضرة، وهي فرقة كبيرة كان عدد خيامها سنة 1913 يصل إلى ألف وخمسمائة وخمس وتسعين خيمة.

تحريات ميدانية.

Villes et tribus du Maroc, Casablanca et la Chaouia, T. I-II.

علال الخديمي

ابن **جناح**، أبو الوليد **مروان**، هذا هو الاسم الذي عرف به عند العرب ويعرفه اليهود بيونه ابن جناح أي "بعل كنفام" وتعني ذا الجناحين، أما النصارى فيعرفونه تحت اسم "يونه مارينوس" Yona Marinus.

اختلف الدارسون حول مكان ولادة ابن جناح، ففي الوقت الذي يرجعه مولاي المامون المريني إلى قرطبة في بحثه لنيل دبلوم الدراسات العليا في موضوع كتاب *اللمع* للنحوي اليهودي الأندلسي أبي الوليد مروان بن جناح نقل النص إلى الحرف العربي تقديم وتعليق (1987 ص. 35). يرجع ابراهام لريدو في كتابه *أسماء يهود المغرب* مكان ولادة ابن جناح إلى فاسْ، ويوافقه في ذلك يوسف بنايم في كتابه *ملخي غبانان* ص. 55 (ب) الذي ينسب مكان ولادة ابن جناح إلى فاس أو إلى إحدى المدن المغربية الأخرى.

وسواء ولد بقرطبة أو بفاس فلا يعرف شيء عن تاريخ ولادته، وإنما يعرف أنه عاش في أواخر القرن الرابع (10 م) وينحدر من عائلة غنية حرصت على أن يكون تكوينه

مزدوجا عربياً وعبرياً حيث قضى ابن جناح فترة شبابه بليسانة تلقى فيها تعليمه العبري على يد مجموعة من العلماء، منهم ابن جقطلة، وابن حيوج إذ كانت ليسانة معروفة بعلمائها اليهود ودراساتها التلمودية. ورغم تفوقه في دراسة التلمود إلا أنه لم يكن يصنف نفسه ضمن رجال التلمود، وذلك لاحتقار هؤلاء لعلم النحو الذي كان ابن جناح يعتبره من أرقى وأرفع العلوم. ولما أنهى ابن جناح دراسته بليسانة عاد إلى قرطبة لينهل من معارفها العربية، فدرس الفلسفة اليونانية والطب والادب العربية، ثم غادرها بعد سقوط إمارة الحاجب محمد بن أبي عامر واندلاع حرب أهلية ليستقر ابن جناح في سقرسطة التي كانت بالنسبة له منفى حقيقيا إلى أن وافته المنية سنة 442 / 1050 م.

عرفت المرحلة التاريخية التي كان يعيش فيها ابن جناح غليانا على المستوى الثقافي والفكري جاء نتيجة وجود عدة أعلام عرب ويهود، وكذلك نتيجة الجو الديني الذي كان يتسم بالتسامح بين الديانات السماوية الثلاث فضلا عن الحمولة الثقافية التي خلقتها الجدالات الفلسفية والنحوية. وعلى ذكر هذه الأخيرة فقد استفاد ابن جناح من كل من يهودا بان قريش ومناحيم بن سروق ودوناش بن لبراط خاصة يهودا بان داود حيوج حيث يورد نحوم المقدسي في مقدمة معجمه *المرشد الكافي* (S. Munk, J.A. Juillet 1850, p. 32) كيف كانت هذه الاستفادة من أسلافه، وذلك في قوله : "وهكذا كان اللغويون المتقدمون يعتقدون جميعهم الأفعال الثنائية والأفعال الفردية (الأحادية) إلى أن ظهر أبو زكريا حيوج وأقام الدلائل والبراهين على أنه لا يوجد فعل على أقل من ثلاثة حروف وبين سر الأحرف اللينة والأحرف المندغمة والأحرف المنقلبة فثبت الحق وبطل كل ما سواه. ثم جاء بعده الشيخ أبو الوليد مروان بن جناح وزاد ذلك بيانا ووضوحا.

كانت هذه هي القاعدة التي انطلق منها أبو الوليد مروان ابن جناح لينقحها ويصححها، ويعتبر من الأوائل الذين وضعوا القواعد العلمية للنحو العبري.

ألف ابن جناح جميع مؤلفاته باللغة العربية وترجمت للعبرية والفرنسية وغيرها.

أهم مؤلفاته *كتاب التنقيح* يدور موضوعه حول التراث واللغة العبرية قسمه إلى قسمين الجزء الأول منه يعرف *بكتاب اللمع*، أما الجزء الثاني من هذا المصنّف فيعرّف *بكتاب الأصول*، وقد ترجم هذا الأخير على يد ابن تبون إلى اللغة العبرية تحت عنوان *سفر هاشور راشيم* أي الجذور. ومن مؤلفاته أيضا : *كتاب المستلحق* ويدور موضوعه حول النحو ؛ *وكتاب التنبيه* وهو جدال حول أمور نحوية ؛ *وكتاب التسوية* وهو عبارة عن جدال في النحو ؛ *وكتاب التلخيص* في الطب.

وهناك ترجمة فرنسية لكتاب اللمع وهي لـ :

Metzger, *Livre des parterres fleuris*, Paris, 1899.

نشرت مجموع هذه الأعمال بالعربية والفرنسية على يد :

Joseph et Hartwig Derenbourg

Opuscules et traités d'Abul-Walid Marwan Ibn Janah de Cordoue, Paris, 1880.

ربيعة رحيم

جنادة، صيغة مشتقة من الجند، تستعمل بمنطقة الريف الشرقي خاصة للدلالة على إدالات القصبات ومحطات حراسة الحدود المشرفة على مراكز الوجود الأجنبي. وهناك عدة جنادات :

جنادة رباط الكرمة، هكذا دعيت من خلال الوثائق المخزنية في منتصف القرن الثالث عشر (19م)، ودعي الرباط قبل ذلك برباط مليلة منذ تأسيسه في أوائل القرن العاشر (16م)، وهو واقع على ظهر كدية متوارية عن أنظار جنود مليلة، على الضفة اليسرى من مجرى واد المدور، وهو الذي عناه محمد بن أحمد العشماوي أثناء تعداد أسر ورتدغير النازحة من فكيك حين ذكر أن فرقة منهم بجنادة تدعى بأولاد ورياش.

بدأ تاريخ رباط الكرمة من توقيع اتفاق 24 غشت 1859 بين السلطان محمد بن عبد الرحمان وإسبان مليلة المحتلة في شأن توسيع حدودها، إذ أن هذا الاتفاق والاتفاقيات التالية له، خاصة اتفاق سنة 1863 نصت على إخلاء جنادة من حماتها وهدم مباني الرباط وما به من شجر، سيما شجرة التين البارزة بساحتها ومسجدها بصفة خاصة، وهو ما تم خلال السنوات التالية. وإلى غاية سنة 1871 كانت جنادة رباط الكرمة وأراضيها ملكاً للإسبان داخلة في حدود التوسعة الممنوحة لهم، وهي السنة التي كثر الجدال فيها بين المخزن والإسبان في شأن تحويل مجرى واد المدور ابتداء من النقطة التي يشرف منها رباط الكرمة. وشيد الإسبان بالمكان برجا سموه "برج يانتياغو" (Fuerte de Santiago) وباختفاء رباط الكرمة أصبح المجال مفتوحا أمام ظهور جنادة قصبة فرخانة.

محمد العشماوي، *التحقيق في النسب الوثيق*، مخطوط خ. ع. ؛ ح. الفكيكي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*، ج. ١.

جنادة قصبة فرخانة، أو دار المخزن حسبما تعرف به محلياً، واقعة بالحوض الأوسط من واد فرخانة (يدعى محلياً واد أضَرْضُور)، أحد روافد واد المدور على ضفته اليمنى بمدشر إجهرتن المندرج ضمن فرقة فرخانة، إحدى فرق خمس مزوجة، حسب تقسيمات الوقت المؤرخ له. وهي عبارة عن قصبة تحتل مساحة مدرج نهري منبسط، اختير لها موضع في نقطة غير بعيدة عن خط الحدود الداخلة إلى

مليلة من جهة فرخانة، وتشرف عليها من جهة الجنوب قبة ضريح سيدي ورياش. وتدعوها الوثائق المخزنية أيضاً ثغر ومرسى جنادة (ذي القعدة 1304).

تأسست القصبة بمساعدة سكان أخماس قبيلة قلعية عن طريقة توزيع المساهمة والنوبة بين أخماسها، تحت إشراف قائد القبيلة المعروف وهو المختار ألغم على عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وبأمر منه. ونجد أصل الفكرة فيما استوجبه الفصل الخامس من اتفاق 24 محرم 1.276 / 24 غشت 1859 والاتفاق التالي له في 4 شوال 1276 / 26 أبريل 1860، وبما تم التأكيد عليه في الاتفاقيات الملحقة، إذ أن الاتفاقين الأساسيين نصا على إحداث حراسة مخزنية دائمة مكونة من غير أهل الريف تحت إشراف قائد من رتبة عالية.

وأغلب الظن أن البناء تم في آخر أيام السلطان محمد ابن عبد الرحمان، إذ أننا نعلم أن القصبة كانت قائمة سنة 1291 / 1874 تؤدي وظيفتها التي أوجدت من أجلها، على الرغم من أن الوثائق المخزنية لم تصرح باسمها إلا في 14 حجة 1298 / 1880 (*نهليل، رسائل شريفة* رقم 55). جاء التصريح باسم جنادة إثر طلب السفير الإسباني بطنجة تطبيق البندين الخامس والسادس من الاتفاقين الأساسيين المذكورين وتوجيه قائد مع ما يكفيه من القوة العسكرية. أما بناء القصبة فلم تشر إليه سوى وثيقة واحدة بتاريخ 19 جمادى الثانية عام 1308 / 1890.

تبرز المعالم المتبقاة من القصبة في مساحة قطعة شبه مربعة الشكل، طولها من الشرق إلى الغرب نحو مائة متر وعرضها نحو ثمانين مترا، حسب المقاييس المقدمة لنا في عين المكان، تشغل مساحتها الداخلية اليوم مندوبية الفلاحة بفرخانة. ولم نتمكن من الكشف عن المساحة الداخلية، والمعول على ما أظهرته الوثائق المخزنية. من جملة تلك المرافق :

1) مرافق سكنية، واحد منها خاص بإقامة كبراء الإدالة، تتصل به غرفة الاستقبالات والاجتماعات، وهو المعروف في الوثائق المخزنية بالدار، وبها سميت بدار المخزن. ويوجد إلى جانب الدار بيوت لانستطيع تحديد عددها ولكنها تفوق الأربعة، منها غرفة مخصصة للاحتفاظ بالمسجونين إلى أن يحين نقلهم خارج القصبة. (متم شوال 1310 كناش 679 ص 120). ووجدت كذلك ساحة وراء المسجد خارجة عن القصبة، بنى فيها تاجر من فرخانة بيتا يؤدي كراءه (5 شوال 1308 كناش 468).

وتدل كل القرائن على أن عسكر القصبة كان مستقراً خارج مساحة القصبة، مما يفسر قلة المرافق السكنية. وهناك عدة إشارات دالة على ذلك (19 جمدى الثانية 1308 ك 175). فالمعتقد إذاً أن عسكر إدالة جنادة كانوا موزعين على مختلف دور المحيط الخارجي مقابل الكراء.

2) وبني بجوار القصبة مسجد، كان ملتصقاً ببناء القصبة وله مدخلان، الأول يتصل به من داخل القصبة وهو الباب الخاص بساكنيها، ويرتبط الباب الثاني بالساحة الخارجة عن محيط القصبة، وهو الباب العمومي (10 شوال 1308 ك. 468). كان المسجد في حاجة إلى الإصلاح، فشرع في إصلاحه في ذي الحجة من عام 1304 وانتهى من أشغاله في ربيع الثاني 1304 (4 رمضان 1305 ك. 362 ص 7).

تم التفكير في إحداث مرافق تجارية للقيام بوظائف المسجد وصيانتها، ولتلك الغاية أقيمت بإزاء المسجد حوانيت محبسة عليه تستغل بالكراء، منها حانوتان داخل القصبة وهما بباب المسجد الداخلي (10 شوال 1308 ك. 468. و19 ربيع الثاني 1319).

3) وللقصبة قطعة أرض مخزنية صغيرة المساحة لصالحها، وهي محيطة بمساحة المسجد الخارجة عن القصبة (23 و29 رجب 1330 ك 353 ـ 5 رجب 1308 ك 175). وقد عمد المكتري الفرخاني للقطعة إلى بناء عدة حوانيت بها وقهوة مشرفة على المجسد، وقد تم هدم الأخيرة نتيجة اشتغالها بالتهريب من مليلة. (9 جمادى الأولى 1306 ـ 5 رجب 1308 ك. 175 ـ 24 ربيع الأول 1309 ك. 468 ص. 250. و19 ربيع الثاني 1319 ك. 671). وتحدثت وثيقة عن قطعة أرض ممتدة أمام الباب الرئيسي للقصبة من جهة الجنوب لاتزال إلى اليوم معدودة من الأملاك المخزنية.

استوجبت رداءة الطريقة والمواد التي بنيت بها القصبة اللجوء إلى الإصلاح من حين لآخر. ونعرف عن إصلاح بناء القصبة أن السلطان الحسن الأول كلف به أولا الأمين ميمون ابن المختار الفرخاني عام 1306، خاصة إصلاح دار المخزن (5 قعدة 1307) ثم القائد حم بن الهادي القلعي، فتم ذلك بمساهمات القبيلة، (8 و10 شوال 1309 كناش 193 و23 شوال 1310 كناش 679 ص. 86).

وكان المطلوب إدارة القصبة بالسور، إلا أن المولى الحسن لم ير بعد استشاراته في ذلك فائدة (23 شوال 1310) غير أننا اكتشفنا أثناء زيارتنا الأخيرة 14 أبريل 1996 أن القصبة محاطة بسور كبير، تبين أن بناءه تم خلال عهد المولى عبد العزيز، قبل عام 1321 وهذا التاريخ الأخير هو الذي تعرضت فيه القصبة للتخريب على يد جنود الروكي بوحمارة.

ويظهر داعي إنشاء جنادة قصبة فرخانة ودورها الذي أحدثت من أجله بوضوح في المقروء من تعيين القواد المتعاقبين بها : فقائد الإدالة أو الحدود بتعيينه يصبح الممثل المخزني الوحيد القائم بدور الوساطة بين حاكم مليلة وعمال قلعية. وهو مدعو كذلك إلى بحث وسائل تحسين الجوار بين الطرفين المتنازعين. (21 شوال 1300) 12 حجة 1308 ك. 468 و20 شعبان 1309 و16 رمضان 1312) ومن واجب رئيس الإدالة أيضاً منع الهجومات التي يقوم بها أهل قلعية ضد حدود مليلة. (24 ربيع 2. 1308) وغالباً

ما كان تعيين القواد وتجديد عدد عسكر الإدالة ناتجاً عن الضغط الإسباني.

إذا استثنينا الفترة التي عرفتها القصبة تحت نظر قائد قلعية المختار ألغم، (10 قعدة 1290) فإن عدد قواد الإدالة القائمين بها بلغ تسعة قواد وكلهم من القوات المخزنية الأجانب عن قبيلة قلعية. وربما كان لزيارة السلطان الحسن الأول لقلعية عام 1291 / 874 علاقة بتعيين أول قائد مخزني لحراسة الحدود، (*الاستقصا*، 9 : 143).

نعلم أن الحكومة الإسبانية لم تقبل التأكيد على تنفيذ البند الخامس والسادس من الاتفاقيتين إلا بعد أن كانت في حاجة ماسة إلى بناء الأبراج المتاخمة للحدود، سيما بناء برج سيدي ورياش المجاور لقصبة جنادة فرخانة. وإذا كنا نعلم أن طلب بناء تلك الأبراج قد بدأ خلال أواخر سنة 1293 / 1876 وتمت الموافقة المغربية عليه، لم يصعب علينا إدراك طرح الإسبان مسألة تعمير جنادة بالقوات المخزنية (14 حجة عام 1295 / 25 نوفمبر 1878 نهليل، *رسائل شريفة*، رقم 42).

استمدت قصبة فرخانة قوادها من عدة قصبات وجدنا في مقدمتها : قصبة العرائش (نهليل، *رسائل شريفة*، رقم 55. 28 جمادى الأولى 1299 / 12 قعدة 1301) وهذه هي المرة الأولى التي نعلم فيها بوجود القوات المخزنية في جنادة قصبة فرخانة ثم قصبة عيون سيدي ملوك التي كان بها الجيش الشرگي وقصبتي وجدة وفاس : ومن هذه الأخيرة كان يأتي عسكر الشراردة.

ويمكن التعرف على دور إدالة جنادة من خلال تتبع الضغط الإسباني على المخزن الحسني. فالملاحظ أنه استمر منذ بداية القرن الرابع عشر (شوال 1300 ك. 117 ص. 41 و18 ذي القعدة 1300 ك. 117 ص 41. 155). و18 ذي القعدة 1300 و25 محرم 1301) وبلغ حدته إثر الإعلان عن اعتراض قلعية على بناء الأبراج وتمثل الدور أيضاً في اتفاق تعيين حدود مليلة (6 رمضان 08) وإصرار الإسبان على بناء برج سيدي ورياش وانعقاد اتفاق يوم 6 رمضان سنة 1311 (12 و14 و15 و17 ربيع الثاني و5 و18 و19 و20 جمادى الثانية و2 و4 رجب 1311)، الممهد لاتفاق 28 قعدة 1311 / 2 يونيه 1894، وتاليه اتفاق 29 شعبان 1312/ 24 أبريل 1895، 1977 وما ردده اتفاق مدريد بتاريخ 12 محرم 1313. ومن قواد جنادة في مرحلتها الأخيرة القائد الحاج محمد أنفلوس الحاحي (16 رمضان 1312) والبشير بن سناح الشرگي (7 شعبان 1315 و4 ربيع الأول 1316) الذي بقي بجنادة إلى حين تخريب القصبة على يد جنود بوحمارة عام 1321 / 1903 (19 صفر 1 و3 ربيع النبوي 1316 و3 ربيع النبوي 1316 و3 رمضان 1319).

وفي موضوع نهاية جنادة لمّح البشير بن سناح بوصول بوحمارة إلى موضع الزبوجة من بني بويحيي، مشيراً إلى ضرورة حماية قصبة جنادة بالمزيد من القوات (فاتح عام 1321) وبالفعل تم حصار جنادة (28 جمادى الأولى 321 ك. 763 ص 258) حين قصدتها قوات بوحمارة يوم فاتح محرم وتم تخريب أهم مرافقها يوم 20 محرم 1321 / 13 أبريل 1903 (كناش 763 ص 168. و16 و17 محرم 1321 ك. 763 ص 167. 168). وهو الوضع الذي مايزال سائداً إلى يومنا هذا.

وثائق وكناشيش الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق بالرباط المدرجة ضمن النص لسنوات : ما بين 1295 و1321 ؛ الناصري، *الاستقصا*، 9 : 143 ؛ *مذكرات المغرب*، ج. 5 ؛ ثريا برادة، *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، مرقون، الرباط 1984 ؛ *زيارة ميدانية* في غشت سنة 1975 و14 أبريل 1996.

Documentos presentados a las Cortes en la legislatura de 1891 por el Ministro ; A. Moulieras, *Maroc inconnu*, I : 164, de Estado, Madrid 1891.

جنادة كبدانة، ليست لدينا معلومات كثيرة عنها، إذ أن دورها كان أقل من سابقتها ،فموقعها دال على ذلك. وهي واقعة في أعلى رأس كبدانة المشرف على المرسى وعلى بعد نحو خمسة كيلو مترات عن جزر كبدانة أو الشفارين (Chafarinas) المقابلة لها. وقد وقفنا عند موضع جنادة كبدانة يوم 15 غشت عام 1975 وقمنا باستجواب بعض شيوخ أولاد الحاج، كما تعرفنا على بنيانها ويدعى بالبرج. وبرباط كبدانة (28 رمضان 1307 ك. 166). وتؤكد الوثائق المخزنية أن لا أثر لقصبة هناك مثلما قد يوحي لفظ البرج، وقد سبق للقائد بوصفية الكبداني أن طلب إذن بناء قصبة بالمكان وتعميرها بالجند سنة 1307 ولكن لم يتلق أي جواب عن ذلك.

وجنادة كبدانة خلال القرن الماضي، مطابقة لما هي عليه اليوم : بناء بسيط مبتكون من مساحة مستطيلة صغيرة مؤلفة حالياً من باحة ومسجد متصل بها وقبة لأحد الصلحاء من الشرفاء الأدارسة المقيمين بالمكان. ويظهر أنهم كانوا القائمين بالشؤون الدينية على الأقل مما نعرفه منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر (18 م) على عهد السلطان محمد بن عبد الله، ومن هناك نرى أن جنادة كبدانة كانت مجرد محطة صغيرة لحراسة جزر الشفارين بعد تسرب الاسبان إليها عام 1264 / 1847.

تأسست جنادة كبدانة كالعادة على يد القبيلة وبمساهمتها على عهد السلطان محمد بن عبد الله العلوي على أكبر تقدير، كان المشرفَ على الحراسة مرابط إدريسي تدعوه الوثائق الاسبانية سيدي البشير. وهو المقدم المرابط سيدي البشير بن محمد بن أحمد بن الطاهر. وقفنا على اسمه من المقروء على رخامة ضريح حفيده السيد محمد الهادي بن عبد الرحمان بن محمد بن البشير.

عمل سيدي البشير بالتنسيق مع المجاهد القلعي محمد الرتبي، فقام باعتراض السفن الإسبانية المارة بساحل كبدانة، وقد سماه الإسبان آنذاك بالوحش الرهيب (مليلة

13 فبراير 1786 ملف 4.320 علبة 2 (A.H.N. Estado (قلعية : 2 / 347). نجد أخباره في مذكرتي كبيبرو وميراندا.

وضعت الحراسة بمسجد رباط كبدانة مثلما تسميه الوثيقة. (21 حجة 1300) من الوثيقة نفسها نعرف الغاية من إيجاد الحراسة : منع المسلمين من ركوب البحر إلى جزر "الشفارين" بقصد البيع والشراء مع الإسبان، وكذا منع نزول القوارب الإسبانية. يدعي أحد أئمة المسجد أن ابن البشير رتب له السلطان أجراً 50 مثقالاً (8 رمضان 1307 أيضاً 13 و25 رمضان ك. 166 ص. 93 و9 شوال 1309 ك. 1933).

ونظمت الحراسة على يد جماعات قبيلة كبدانة وذلك بحصة ثلاثة حراس لكل جماعة من الجماعات الست، وبذلك بلغ عدد أفراد الحراسة ثمانية عشر حارساً في وقت واحد. هذا هو المستخلص من اللقاءات مع شيوخ القبيلة ومن مراسلة القائد محمد بوصفية الكبداني على عهد الحسن الأول. (15 رجب 1307 ك. 166).

ولمسجد جنادة أرض محبسة (فاتح صفر 1300) رملية غير صالحة للفلاحة قائمة بجوار الرباط على ظهر الكتلة الصخرية المغطاة بالرمال.

ولجنادة مرسى أيضاً، فتحه القائد عمر هرفوف في وجه التجار اليهود والإسبان لتصدير الحلفا، (21 حجة 1300 و14 رجب 301)، ومن أجل ذلك دعيت جنادة ثغراً، وبنيت بالقرب من جنادة دار المخزن بأرض البرج لسكنى القواد. كانت الدار مخزناً للحبوب أحدث بها أكثر من خمس مطامير جماعية لتلك الغاية.

وإلى غاية 1307 كان بناء جنادة في حاجة إلى إصلاح. هذا هو ما طلبه رجال الحراسة من ميمون بن المختار الفرخاني، حين زيارته التفقدية خلال شهر رجب. وقد قوم الأمين إصلاح بنائها بنحو 330 ريال إن بقيت على حالها الأول بالطين، وبأكثر إن كانت ستصلح بالجير. ويظهر أن السلطان قدم لقبيلة كبدانة أمر المساهمة في الاصلاح على يد قائدها محمد بوصفية (14 ربيع لثاني 1307 ك. 172). (15 رجب ك. 166 و20 شوال و5 ذي القعدة 1307 ك. 172). ولاتزال حال جنادة على الوضع القديم المنحصر في بناء المسجد. وهناك خرائب كثيرة منتشرة على ظهر كدية البرج غارقة في الرمال. أشار إسباني سنة 1911 إلى وجود آثار برج مشرف على جزر الشفارين يعتقد أنه بني على عهد المولى عبد العزيز.

جنادة جمعة جبل ماورو الواقعة بقبيلة بني سعيد، في منبسط يحتل الزاوية الجنوبية الغربية من جبل ماورو بقبيلة بني سعيد الريفية وعلى الضفة اليسرى من مجرى واد كرط. وكان الموضع مكانا لانعاقد سوق يوم الجمعة منذ ما قبل القرن الرابع عشر (19 م) إلى أن أصبح مركزاً للمقاومة في بداية القرن الموالي، حينما استولى بوحمارة على قلعية واستقر بقصبة سلوان.

أصبحت جنادة بني سعيد نقطة ارتكاز للشريف محمد أمزيان لتعبئة قبائل الريف الشرقي، ومن ورائها قبائل بني ورياغل التي كانت السند الرئيسي للمجاهد في عملياته الحربية سواء ضد بوحمارة أو الإسبان بعده. ومن نفس جنادة نظم الشريف الزحف نحو قصبة سلوان وطرد بوحمارة من القصبة في عام 1908.

وإلى جنادة جمعة جبل ماورو تراجع الشريف محمد أمزيان حين استيلاء الاسبان على قلعية بانتهاء المرحلة الحربية الأولى المعروفة لديهم بجبل أگرگور (Gurugu) سنة 1909 وبداية مرحلة حروب الكرط سنة 1911. وعند نفس الموضع سينتهي المجاهدون الريفيون لقيادة حركاتهم المسجلة ضد الإسبان المتمركزين بسوق خميس جزولة وقصبة سلوان وقشلة تيغمارت المستحدثة. وقد بقيت جنادة الجمعة قائمة إلى أن تم استيلاء الإسبان عليها بعد استشهاد الشريف محمد أمزيان يوم 15 ماي 1912.

5) وهناك أيضاً ماعرف بجنادة بني يطفت بالريف الغربي. غير أن الغالب عليها هو الاسم المحول إلى سنادة وبه اشتهرت. ولهذا السبب سنرجئ الحديث عنها إلى حرف السين من هذه المعلمة.

إلى جانب التحريات الميدانية راجعنا : محمد العشماوي، *التحقيق في النسب الوثيق*، مخطوط، خ. ع ؛ ح. الفكيكي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*. ج 1 : 109، 144، 151، 120. 161، 162، 163، 182 ؛ ج. 2 : 300، 305، 327، 337، 352، 353، 355. 356، 360، 361، 364، 365، 390، 391، 394، 400، 404، 405 ؛ 2 : 345 وثائق وكنانيش خ. ح. ومديرية الوثائق بالرباط المدرجة ضمن النص لسنوات : مابين 1295 و1321 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 143 ؛ *مذكرات المغرب*، ج 5 ؛ ثريا برادة، *الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر*، د. د. ع. مرقون، الرباط 1984 ؛ *زيارة ميدانية* في غشت سنة 1975 و 14 أبريل 1996 ؛ *وثائق* الخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية المدرجة بالنص.

A. Riera, *España en Marruecos : Cronica de la Campaña de 1909*, Buenos Aires, 1910 ; D. Berenguer, *Campanas en el Rif y Yebala*, Madrid, 1947 ; Enrique Lopez, *Yabala*, Madrid, 1947 ; Capitan X, *Verdades amargas sobre la campaña de 1909 en el Rif*, Madrid 1910 ; A. Sierra Artes, *Recuerdos de la guerra del Rif, 1911 - 1912*, Barcelona, 1914 ; Alarcon, *Melilla*, Madrid, 1909.

حسن الفكيكي

جنان الحارثي بمراكش، كانت أرض هذه المدينة قبل مجيء المرابطين إليها جرداء، قاحلة (يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء) (*الاستبصار*، 1 : 59).

وبعد تأسيس المدينة بذل المرابطون جهوداً كبيرة في تغيير بيئتها من مفازة قليلة الماء إلى جنات غناء، واستمر ذلك المجهود في العصر الموحدي، حتى صرنا نسمع شاهد

عيان يقول عنها (ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وأعنابا وفواكه وجميع الثمرات، وأكثر شجرها الزيتون ...) (*الإعلام*، 1 : 59).

وقد تحدث كل من ابن اليسع والحسن الوزان عن نظام الري بالمدينة وما تزخر به من حدائق وبساتين. ومن أشهر حدائق المدينة : أگدال والمنارة والمامونية وعرصة مولاي عبد السلام، وعرصة ابن إدريس وجنان الحارثي الذي يساق إليه الكلام. ومع تكاثر سكان المدينة واتساع حركة البناء بها تقلص هذا الإرث الكبير وبدأ البناء يزحف على الجنات والعراصي ومازال في كثير من الأحياء يَحمل الاسم الأصلي للعرصة : كحومة عرصة إيهري، وعرصة الحامض، وعرصة علي وُصالح، وعرصة المسفيوي، وعرصة با سيدي، وسيدي عباد، والرويضات، ومؤخراً عراصي أمَرْشِيش والمَرسْتَان.

يعتبر جنان الحارثي واحداً من أكبر جنات مدينة مراكش، ولعل اسمه راجع إلى مالكه، كما جرت العادة في تسمية الجنات والعراصي بأسماء مالكيها. يقع خارج الباب الجديد في موقع مهم بوسط المدينة الجديدة. وكانت مساحته واسعة. ارتبط في الذاكرة الشعبية كفضاء للنزهة والاستمتاع بالطبيعة والخضرة والأشجار والمياه.

تقلصت مساحته منذ فترة الحماية بتخصيص جزء منه لملاعب رياضية، منها ملعب الحارثي : لكرة القدم وكرة السلة ... وخصص جانب كبير منه كذلك لإقامة حديقة للحيوانات، كانت مزدهرة خلال الفترة المذكورة، وتضم في بدايات الاستقلال أنواعاً من الحيوانات والطيور يُقبل السكان كباراً وصغاراً على مشاهدتها. وقد تم الاستغناء عنها منذ سنوات ومازالت بيوت القردة والغزلان وأقفاص الوحوش والطيور وربوة أوداد قائمة بسقوفها وأحواضها وأطلالها حتى اليوم.

كما كان ينظّم بين أغصان جنان الحارثي المعرض الكبير للجنوب، تعرض فيه المنتجات الفلاحية والصناعية للمغرب عامة ولجنوبه خاصة. وقد أعيد تنظيمه منذ بضع سنوات بعد توقف طويل. كما كانت تقام بمنتزه الحارثي وبين أغصانه وسواقيه احتفالات سلطان الطلبة أثناء عطلة فصل الربيع خلال عقدي الثلاثينات والأربعينات يحضرها طلبة ابن يوسف والسلطان، وتتبادل بها الخطب، وتقدم فيها أنواع المأكولات، في جو من المرح والترفيه والاستجمام.

وإلى جانب ذلك شيدت في جنان الحارثي بنايات ومرافق مهمة : كغرفة التجارة والصناعة، والمعهد الموسيقي، وإدارة جمعية الأطلس الكبير، والقاعة الزجاجية الكبرى للمحاضرات والعروض، وغير ذلك من المرافق.

ومع ذلك مازال جنان الحارثي فسيحاً مليئاً بالمنتزهات الجميلة بمراكش، يؤمه عموم سكان مراكش للنزهة والاستجمام في فصل الربيع، وللاحتماء من حرارة الطقس في فصل الصيف، وأكثر أشجاره الزيتون والنخيل والتوت والكالبتوس.

ح. جلاب، *الحركة الصوفية بمراكش*، الجزء 1، مراكش 1995 ؛ الجزء 1 ؛ *معجم عراصي مدينة مراكش*، مجلة التراث الشعبي، عدد 5 : 1981 ؛ مؤلف مجهول، *الاستبصار في عجائب الأمصار*، ط. الاسكندرية 1958 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، تر. محمد حجي ومحمد الأخضر، ط. الرباط ؛ غ. ابن إبراهيم، *الإعلام*، الرباط 1974.

حسن جلاب

جنان ابن حليمة ← حديقة التجارب بمكناس
ابن الجناوي (أسرة) ← بلكناوي
الجندور ← الگندوز

الجُنْدي، اسم عائلة تطوانية أندلسية قديمة انقرضت الآن، عرف منها المعلم علي الجندي الأندلسي كان حياً عام 1089 هـ ومحمد بن عبد الرحمان الجندي الأندلسي كان حياً عام 1197 هـ والفقيه الأديب أحمد بن محمد الجندي الأندلسي من عدول تطوان وعلمائها شاهد الاحتلال الإسباني تطوان الأول عام 1279 هـ وقد نيف على الثمانين في عمره، ورثاها بقصيدة شعرية.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط، ج 3 حرف ج ؛ م. داود، *عائلات تطوان*، نسخة المؤلف بخطه في خزانته.

محمد بوخبزة

الجندي، أحمد الفاسي أصله من فاس الجديد ثم استوطن الدار البيضاء. تولى وزارة التجارة والصناعة والمعادن والصناعة التقليدية والبحرية التجارية في الحكومة السابعة بعد الاستقلال (من 2 يونيه 1961 إلى 5 يناير 1963). قال عنه في *إتحاف المطالع* : "وقد اكتسب من تلك الوزارة أموالاً وأصولا كثيرة".

توفي بالدار البيضاء عشية يوم الثلاثاء 27 محرم عام 1389 / 16 أبريل 1969، وبها دفن.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 9 : 3414.

Fatima Abou el Karam, *Répertoire des gouvernements du Royaume du Maroc, 1955 - 1988*, Casablanca, 1988.

محمد حجي

الجنسية في الفقه القانوني المعاصر هي تلك الرابطة القانونية والسياسية التي ينتسب بموجبها الفرد إلى شعب دولة معينة. وقد دأبت التشريعات الوطنية في مختلف الدول على وضع إطار قانوني لتحديد طبيعة هذه الرابطة، وبيان عناصرها، وشروط تحققها، وحالات انتفائها. فوضعت أحكاماً ومقتضيات تنظم الحالات التي يكتسب فيها الشخص الجنسية، إما بصفة أصلية، أو بصفة تبعية. كما حددت الشروط التي يتعين أن تتحقق في الشخص

الأجنبي الذي يرغب في الحصول على جنسية بلد معين، وهو ما يعرف بحالة طلب التجنيس.

وقد دأبت مختلف القوانين على تحديد الآثار القانونية التي تترتب على منح الجنسية، وحالات سحبها وفقدانها وزوالها والتجريد منها، وغير ذلك مما يتصل بوسائل إثباتها.

والمؤكد في سائر التشريعات الوضعية المعاصرة، هو أن تمتع الشخص بجنسية دولة معينة، تترتب عنه جملة من النتائج القانونية التي تحدد نظام الحقوق والالتزامات التي يخضع لها. وبذلك لا يقتصر انتسابه لدولة معينة على مجرد الارتباط السياسي والقانوني، بل يصبح كذلك انتسابا نفسيا واجتماعيا. يصبح الشخص بمقتضاه خاضعا للنظام الاجتماعي والثقافي السائد في البلد، ويمارس حقوقه الوطنية كباقي المواطنين الآخرين. وترجع الأصول التاريخية لنظام الجنسية إلى فكرة الانتماء التي كانت قائمة في المجتمعات القديمة على أساس صلة القرابة، إذ كان النظام الاجتماعي قبل ظهور الدولة بالمفهوم الحديث، معتمداً في مكوناته الرئيسية على تشكيلات فرعية تتمثل في الأسرة والقبيلة والعشيرة. وكانت الروابط التي تجمع بين أفراد هذه التشكيلات هي روابط الولادة والسلالة والقرابة والعرف ووحدة الأصل. التي يقوم على أساسها انتماء الفرد للنظام الاجتماعي السائد، وفي ضوئها تتحدد مكانته ووظيفته وامتيازاته داخل هذا النظام.

ولعل مصطلح الجنسية نفسه Nationalité، وهو مصطلح حديث يعكس جزءاً من هذه الحقيقة، فهو مشتق من الأصل اللاتيني Natus الذي يعني الولادة من أصل مشترك. وهي أحد العناصر التي كانت تُمنح الجنسية على أساسها في المدن الإغريقية والرومانية القديمة.

لكن التطور الذي عرفته الحضارات الإنسانية في التاريخ قد انعكس بشكل مباشر على العناصر التي يقوم عليها نظام الجنسية، فبعد قيام الدول والامبراطوريات الكبرى القديمة، كالدول المصرية الفرعونية الموحدة في عهد "مينا" حوالي 3200 قبل الميلاد، ودولة بابل في بلاد ما بين النهرين، والأمبراطورية الرومانية الغربية بقيادة الإسكندر الأكبر، لم يعد أساس انتماء الفرد للدولة أو الامبراطورية التي يعيش في كنفها هو العرق أو القرابة أو السلالة، بقدر ما أصبح الانتماء قائماً على أساس الخضوع للسلطة الحاكمة والولاء السياسي لها، وذلك بسبب تعدد اللغات والأعراف والتقاليد والسلالات التي أصبحت خصائص مشتركة تميز شعوب هذه الدول والامبراطوريات.

أما في العصور الوسطى وبالضبط في الفترات التي انتشر فيها نظام الإقطاع."Régime féodal" اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا فإن فكرة الجنسية أصبحت قائمة إلى جانب الولاء السياسية، على علاقة التبعية القائمة بين صاحب الإقطاعية والرعايا الخاضعة لسلطته وحكمه.

ولكن هذه العلاقة التي شكلت أساس الانتماء والتكتل السياسي خلال فترة سيادة نظام الإقطاع ما فتئت تتلاشى بعد أفول نجم هذا النظام واندحاره. إذ مع بروز عصر النهضة وسيادة الأنظمة السياسية الملكية، أصبحت فكرة الجنسية قائمة على فكرة الخضوع للسلطة الملكية. وبذلك أصبحت الرابطة الجامعة بين أفراد الدولة الواحدة هي رابطة الخضوع لحكم الملك وسلطانه المطلق. ولكن بروز الحركات القومية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وقيام جملة من الثورات التي تركت آثارها واضحة في مجرى التاريخ المعاصر، كالثورة الفرنسية سنة 1789، وبروز عدد من النظريات الفلسفية والسياسية، جعلت أنظمة الحكم تقوم على قواعد جديدة، ومبادئ مختلفة لما كان سائداً في الماضي، بحيث أصبحت الدول تقوم على أساس قومي. وأصبح هناك نوع من التطابق بين مفهوم الدولة ككيان سياسي وقانوني، وبين الأمة ككيان اجتماعي. وترتب عن ذلك أن مفهوم الجنسية صار مفهوماً قومياً يستند في قيامه على عناصر اللغة والتاريخ والعرق ... الخ ومن ثم أصبح نظام الجنسية قائما على أساس الانتماء القومي، إذ أن التطابق الذي حدث في لحظات من التاريخ الأوربي على الخصوص بين الأمة والدولة، لم يدم طويلا، بل حدث بعد ذلك انفصال بينهما جعل الدولة تنظيماً سياسياً وقانونياً وإدارياً واسعاً يقوم على استيعاب حساسيات قومية متعددة. وهي واقعة تاريخية أدت إلى تغيير حقيقي في طبيعة العلاقة القائمة بين الفرد والدولة، التي لم تعد علاقة على أساس اللغة أو التاريخ أو العرق. بل أصبحت قائمة على أساس الانتماء السياسي والقانوني الذي تعتبره اليوم التشريعات الوضعية المعاصرة جوهر فكرة الجنسية وقاعدتها العامة، التي دأبت مختلف الدول على تنظيمها عن طريق إقرار قواعد خاصة، تمثل نظاماً قانونياً متميزاً يحدد الأسس التي يمكن للمواطن بناء عليها الحصول بصفة تلقائية على جنسية البلد الذي يقوم فوق أرضه، أو الحالات التي يمكنه فيها المطالبة باكتسابها كالولادة والإقامة والزواج، كما يقر الشروط الواجب توفرها في كل حالة والآثار القانونية المترتبة عنها.

وعلى خلاف هذه الأنظمة القانونية، فإن التشريع الإسلامي من جهته قد وضع جملة من القواعد والمبادئ التي يقوم عليها نظام الجنسية والأساس الشرعي الذي يقوم عليه هذا النظام.

فالنسبة للشريعة الإسلامية، تقوم فكرة الجنسية على أساس عقدي قوامه الانتماء للملة الإسلامية واتباع شريعة الإسلام. ومن ثم فقد ارتبط نظام العلاقة بين الفرد والدولة في تاريخ المجتمع الإسلامي بالتقسيم الجغرافي الذي أملته ضرورة الواقع من أجل تحديد مجال سيادة الدولة الإسلامية. وهو المجال الذي قام على أساس التمييز بين دار الإسلام ودار الحرب. فدار الإسلام تتمثل في المجال

الجغرافي الذي كانت تطبق فيه أحكام الشريعة الإسلامية، حيث يتكون المجتمع من غالبية مسلمة، وأقلية غير مسلمة.

وإذا كانت الغالبية المسلمة تخضع في معتقداتها وعباداتها ومعاملاتها وسلوكها لشريعة الإسلام، فإن الأقلية من غير المسلمين ومن مختلف الديانات كانت تخضع لنظام تشريعي خاص، يقوم في أساسه على التفريق بين ما يعرف بأهل الذمة من جهة، والمستأمنين من جهة أخرى.

فالأولون من أهل الذمة، تربطهم بدولة الإسلام رابطة تعاقدية يكون لهم بمقتضاها حق التمتع بعدة امتيازات، من بينها حقهم في التوطن الدائم في دار الإسلام، وحقهم في الحماية التي تضمنها لهم الدولة الإسلامية في أموالهم وأنفسهم وحقهم في إقامة شعائر دينهم وعقيدتهم. ومقابل ذلك، يكون من واجبهم الالتزام بعدم موالاة أعداء المسلمين، وعدم الطعن في عقيدة الإسلام، وأداء الجزية في شكل مبالغ مالية أو عينية مقدرة ومحددة لبيت مال المسلمين.

أما الآخرون من المستأمنين، فقد كانوا يدخلون دار الإسلام بموجب عقد أمان، يعفون بمقتضاه من كثير من التكاليف المالية، وتضمن لهم الدولة الحماية فوق أرضها لمدة معينة، كما تكون إقامتهم بها إقامة مؤقتة ولمدة محدودة.

والمستخلص من كل ذلك، أن فكرة الجنسية في المجتمع الإسلامي - على خلاف التشريعات الوضعية - لم تكن قائمة على أساس اللغة والعرق والتاريخ، وإنما كانت مستندة لمبدإ الانتماء للعقيدة الإسلامية، ومبنية على أساس التشبث بأوامرها. كما أن أهل الذمة من غير المسلمين كانوا يُعتبرون من رعايا الدولة الإسلامية بناء على عقد الذمة الذي كان يجمعهم ويربطهم بدولة الإسلام التي يقيمون فوق أرضها ويخضعون لسلطانها، في حين كان المستأمنون يعتبرون في حكم الأجانب، ويتمتعون بحق الإقامة المؤقتة فوق أرض الإسلام، وفق ما تحدده بنود الأمان الذي يربطهم بالدولة، وبذلك كانوا يستفيدون من وضعية خاصة شبيهة بما يعرف اليوم في التشريعات الحديثة بالمركز القانوني للأجانب.

هذا التنظيم المبني على قواعد الشريعة الإسلامية، هو الذي كان سائداً في المغرب إلى حدود فترة ما قبل الحماية الفرنسية والاسبانية التي عرفها المغرب ابتداء من سنة 1912. فخلال أواخر القرن الثالث عشر (19 م)، وهي المرحلة التي عرفت التوقيع من قبل المغرب على مجموعة من المعاهدات والأوفاق الدولية مع دول مختلفة، أصبح نظام الجنسية موضوع تشريعات خاصة، كما أصبح مرتبطاً بما كان يعرف خلال هذه المرحلة بنظام الامتيازات والحمايات التي كانت تستفيد منها مجموعة من الأجانب في المغرب، وفئات واسعة من اليهود المغاربة وبعض المسلمين من التجار والمستخدمين العاملين في القنصليات الأجنبية وأصبحوا بموجبه غير خاضعين للمحاكم المغربية.

وقد عرف هذا النظام توسعا وانتشاراً متزايداً دفع حكومة المغرب إلى الاحتجاج لدى مختلف الدول الأجنبية لما صار يتضمنه من انتهاك سافر لحقوق الدولة المغربية وسيادتها، ولا سيما في مجال القضاء، الذي يمثل أحد أهم مظاهر السيادة. وقد تطورت الأوضاع، مما دفع بالمغرب إلى إبرام عدة اتفاقيات مع عدد من الدول الأوربية. وكانت عبارة "رعايا السلطان" أو "رعايا سلطان المغرب" أو "رعايا سلطان مراكش" التي ترد ضمن مقتضيات المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي أبرمها السلطان سيدي محمد بن عبد الله، هي العبارة السياسية والتشريعية التي يشار بها إلى المغاربة، وأصبح يعرف بها حملة الجنسية المغربية منهم، خلال القرن الثالث عشر (19 م).

ومن ثم لم تعد الديانة الإسلامية المعيار الوحيد لتمتيع الشخص بالجنسية المغربية أو منحه حق اكتسابها، بل أصبح المعيار الإقليمي (الانتساب والولادة فوق الأرض المغربية) إلى جانب المعيار السياسي (الولاء للسلطة السياسية) هو الأساس الذي أصبحت تستند إليه الدولة المغربية من أجل تمكين الأشخاص من الحصول على الجنسية المغربية أو اكتسابها.

وفي كل الأحوال، كانت القاعدة المطردة والمشهورة في تاريخ المغاربة منذ القديم، والتي بموجبها "يولد المغربي مغربيا ويموت مغربيا" هي القاعدة المطبقة بالنسبة للمغاربة الوطنيين، وهي قاعدة تستمد مرجعيتها من عقد البيعة المستمرة التي اعتبرت أساساً لبناء شرعية الحكم وممارسة السلطة في تاريخ المغرب، بكيفية متواترة تتجدد مع تجدد أنظمة الحكم وقيام الدول.

وقد أكدت هذه القاعدة أولُ مادة تشريعية مكتوبة تتصل بالنظام الحديث للجنسية المغربية، هي المادة (15) من اتفاقية مدريد المبرمة بين المغرب وثلاث عشرة دولة أوربية في أواخر القرن الماضي حوالي سنة 1880 ميلادية والتي جاء في الفقرة الأولى منها :

"كل رعية مغربي تجنس بجنسية أجنبية في الخارج يتعين عليه، بعد قضاء مدة مساوية للمدة اللازمة للحصول على الجنسية الأجنبية، أن يختار بين الخضوع لقوانين المملكة المغربية وبين مغادرة التراب الوطني، مالم يثبت أن التجنيس المذكور قد تم الحصول عليه بعد موافقة السلطان".

وقد أكدت مضامين هذه المادة مقتضيات الفصل (19) من قانون الجنسية المغربي الحالي، واعتمدها المغرب من بين دفوعاته أمام محكمة العدل الدولية بلاهاي إثر عرض قضية الصحراء المغربية عليها سنة 1975.

وخلال فترة الحماية ارتبط نظام الجنسية بنظام الحماية

نفسه، ارتبط به بكل معطياته التاريخية والسياسية والقانونية. فقد نصت معاهدة الحماية الفرنسية الموقعة بفاس يوم 30 مارس 1912 على "أن ممثلي فرنسا الديبلوماسيين والقنصليين مكلفون بتمثيل الرعايا المغاربة وحماية مصالحهم في الخارج".

وقد كرست هذه المقتضيات تقييداً واضحاً على سيادة الدولة المغربية في مجال السياسة الخارجية، فضلاً عما رتبته من نتائج قانونية وسياسية بالنسبة لنظام الجنسية لا سيما بالنسبة للمغاربة الحاملين للجنسية المغربية بصفة أصلية.

فقد أصبح هؤلاء يخضعون لنظامين مختلفين : أحدهما يطبق في الداخل فيعتبرون بموجبه رعايا سلطان المغرب، ويتمتعون في ظله بالجنسية المغربية الأصلية. وثانيهما يطبق عليهم في الخارج ويعاملون بموجبه معاملة الرعايا الفرنسيين بناء على قاعدة تمثيلهم من قبل الممثلين الديبلوماسيين والقناصلة الفرنسيين العاملين بالمصالح الفرنسية لدى الدول الأجنبية. مما أصبح معه المغاربة يحملون جنسيتهم في بلدهم، ويفقدونها إذا خرجوا منه حتى أضحت من المفارقات الغريبة، أن نجد المغاربة والتونسيين مثلاً وغيرهم من رعايا الدول الخاضعة للحماية الفرنسية تطالب فرنسا لدى المحاكم المصرية اعتبارهم رياعا فرنسيين، وذلك بمناسبة قيام بعض النزاعات القضائية. بل أكثر من ذلك لم يبق الأمر في إطار القضاء، بل كرسته اتفاقية وقعت بين فرنسا ومصر في الخامس والعشرين من شهر مارس 1925.

وإلى جانب معاهدة الحماية نجد أن قضايا الجنسية في المغرب خلال هذه الفترة لم تعرف نظاماً قانونياً موحداً ومنسجماً ومضبوطاً، بل صدرت خلال العشريات الأولى لفترة الحماية جملة من النصوص والمقتضيات التي نظمت بعض الجوانب المتعلقة بالجنسية المغربية الأصلية وبإجراءات اكتساب الجنسية الفرنسية في المغرب، حكمها التعارض والتناقض. وكرس المنطق الاستعماري فيها امتياز تطبيق التشريع الفرنسي في المغرب من أجل تقوية وضعية المتجنسين بالجنسية الفرنسية فوق أرض المغرب.

ففي 29 أبريل 1920 أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية مرسوما يخص تجنيس الأجانب المقيمين في المغرب بالجنسية الفرنسية، واعتمد هذا النص في منح الجنسية الفرنسية فقط على معيار الإقامة في المغرب دون قيد أو شرط آخر، على خلاف ما كان معمولا به في فرنسا نفسها وفي سائر البلاد الأخرى، وذلك من أجل تقوية الوجود الفرنسي من جهة، وتخفيف وطأة الالتزامات التي تعهدت بها فرنسا للدول المتنازلة عن امتيازاتها من جهة أخرى، متى أصبح رعايا تلك الدول من الفرنسيين. وأكثر من ذلك فإن السلطات الاستعمارية جعلت مدة الإقامة اللازمة بالمغرب من أجل الحصول على الجنسية المغربية ثلاث سنوات في حين قلصت هذه المدة إلى سنة واحدة إذا كان الشخص قد قدم خدمات جليلة لفرنسا". وهي إشارة دالة عن النوايا الاستعمارية الدفينة التي لا تخفى مضامينها وأبعادها.

وفي الثامن من نوفمبر 1921 أصدر رئيس الجمهورية الفرنسية مرسوما آخر خاصا بالجنسية الأصلية الفرنسية في المغرب، واشترط فيه ثلاثة شروط من أجل الحصول عليها. وهي أن يولد المولود في منطقة الحماية الفرنسية، وأن يكون من أبوين أحدهما تابع كأجنبي للمحاكم الفرنسية في المغرب، وأن يكون أحد أبويه مولوداً أيضاً في المغرب.

ويلاحظ أن المشرّع الفرنسي من خلال هذا النص قد أخذ بالأساسين الرئيسيين اللذين يقوم عليهما نظام الجنسية في التشريعات الحديثة، أولهما حق الدم من جهة، وحق الإقليم من جهة أخرى. وقد اعتبر الأجنبي من أجل تطبيق هذا النص هو الشخص التابع لدولة تنازلت عن امتيازاتها في المغرب، وقد كان ذلك من أجل تقوية عدد الجالية الفرنسية بالمغرب في الدرجة الأولى.

وفي نفس تاريخ صدور هذا النص أي الثامن من نوفمبر 1921 صدر ظهير شريف من أجل تنظيم الجنسية المغربية. والناظر في مضمون المادة الفريدة التي يتكون منها هذا الظهير يستنتج أنه ينظم الجنسية الفرنسية بالمغرب أكثر من تنظيمه للجنسية المغربية، فهو يعتبر مغربيا كل من ولد في المغرب من أبوين أجنبين وُلد أحدهما فيه، مستثنيا الفرنسيين الوطنيين والمواطنين والتابعين لفرنسا من غير المغاربة، والحق أن هذا النص لا يقر سوى نوع من الاكتساب الوهمي للجنسية المغربية، كما تم التعليق عليه بحق خلال التحضير لقانون الجنسية الجاري به العمل حاليا في المغرب.

وزيادة على ذلك كانت المحاكم تطبق أحكام المرسوم الفرنسي الصادر في نفس التاريخ وتبعد هذا الظهير عن مجال التطبيق، عملاً بالقاعدة الاستعمارية التي سارت عليها كثير من البلاد آنذاك والقاضية بسريان قانون الدولة الحامية بدل قانون الدولة المحمية في حالة التعارض بين أحكام كل منهما.

وفي سنة 1934 صدر مرسوم فرنسي في الخامس والعشرين من شهر يناير، يستثني رعايا سلطان المغرب من فئة الأشخاص الذين يجوز لهم اكتساب الجنسية الفرنسية بناء على الولادة في فرنسا من أب أجنبي موطنه في المغرب باستثناء منطقة الحماية الإسبانية.

وأخيراً في 2 أكتوبر 1948 صدر مرسوم فرنسي اشترط من أجل اكتساب الجنسية الفرنسية موافقة سلطان المغرب بالنسبة للشخص المولود من أب مغربي وأم فرنسية وذلك انسجاما مع أحكام المادة (19) من القانون الفرنسي للجنسية.

وكانت هذه أهم المقتضيات القانونية التي صدرت خلال فترة الحماية المطبقة في المغرب بالنسبة للمنطقة الخاضعة

للحماية الفرنسية، في حين كانت المنطقة الخاضعة للنفوذ الإسباني لا تتوفر على أي مرجعية تشريعية بها، وإنما كان السائد عوض ذلك هو نظام البطاقة الشخصية التي يتعين على كل فرد أن يحملها سواء كان وطنيا أو أجنبيا، وهي بطاقة تتجدد كل سنة، وإن كانت لا تكفي في تحديد جنسية حاملها، فقد كانت تستعمل وسيلة للإثبات عند حدوث نزاع أو قيام خلاف. في حين كانت منطقة طنجة الدولية تخضع لمقتضيات الظهير الشريف المشار إليه. باعتبار الملك المغربي كان صاحب السيادة والولاية العامة في المنطقة.

وعند استقلال البلاد، عملت السلطات العمومية جاهدة من أجل إصدار قانون موحد ينظم الجنسية المغربية، وهو العمل الذي توج بصدور الظهير الشريف رقم 1.58.250 بتاريخ 21 صفر الخير 1378 (6 سبتمبر 1958) بمثابة قانون الجنسية المغربية متضمنا ستة وأربعين فصلاً مندرجة ضمن سبعة أبواب، تناولت الجوانب التالية :

الباب الأول، ويتضمن جملة من المقتضيات العامة المتصلة بالمصادر القانونية المعتمدة في مسائل الجنسية بما في ذلك المعاهدات والأوفاق الدولية، التي تقع المصادقة عليها ويتم نشرها، كما تهم هذه المقتضيات نطاق تطبيق قانون الجنسية من حيث الزمان، ومن حيث الأشخاص بما في ذلك تحديد سن الرشد القانوني، ثم من حيث المكان من خلال تحديد المقصود قانونا بعبارة "المغرب" باعتباره مجموع التراب المغربي والمياه الاقليمية والسفن والطائرات ذات الجنسية المغربية.

الباب الثاني وتحدد فصوله المقتضيات القانونية المطبقة على الجنسية الأصلية ولا سيما منها الجنسية التي يتمتع بها الشخص بناء على حق الدم، وذلك في حالتين اثنين، أولاهما : حالة الولد المنحدر من أب مغربي، وثانيتهما : حالة الولد المولود من أم مغربية وأب مجهول، ثم بناء على حق الإقليم، وذلك في حالتين : أولاهما : حالة الولد المولود في المغرب من أم مغربية وأب لا جنسية له، وثانيهما : حالة الولد المولود في المغرب من أبوين مجهولين، وهذه الحالة الأخيرة تنطبق على وضعية الأطفال اللقطاء الذين اعتبر المشرع أنهم مولودون في المغرب مالم يثبت خلاف ذلك، تفاديا لحالة انعدام الجنسية. وقد وردت في هذا الباب كذلك أحكام مشتركة تتعلق بعلاقة النسب بالجنسية.

الباب الثالث وقد حدد المشرع فيها المقتضيات المتصلة باكتساب الجنسية المغربية مميزاً بين اكتسابها بقوة القانون عن طريق الولادة أو الإقامة في المغرب وبين اكتسابها عن طريق التجنيس، محدداً لشروطه والاستثناءات الواردة عليه، والاجراءات المتعلقة بوثيقة التجنيس وسحبها، وأخيراً طريقة استرجاع الجنسية المغربية والآثار القانونية المترتبة على اكتسابها والقيود المفروضة على أهمية المتجنس طيلة مدة خمس سنوات، واستفادة الأبناء القاصرين المنحدرين من الأشخاص المكتسبين للجنسية المغربية من نفس الحق.

الباب الرابع وقد تناول فيه المشرع حالات فقدان الجنسية وآثارها القانونية، وحالات التجريد منها، والمسطرة القانونية المتبعة في ذلك.

الباب الخامس خُصص لاستعراض الإجراءات الإدارية المتعلقة بإيداع الطلبات والتصريحات المقدمة لاكتساب الجنسية المغربية، وحالات عدم القبول، والرفض، والتعرض، ومسطرة دراسة التصريح وإشهار الظهائر والمراسيم المتعلقة بالجنسية في الجريدة الرسمية للدولة.

أما الباب السادس فيحدد المقتضيات المتعلقة بإثبات الجنسية سواء كانت أصلية أو مكتسبة، وإثبات فقدانها والتجريد منها، بما في ذلك الإثبات القضائي إلى جانب الأحكام المتعلقة بالمنازعات القضائية المثارة بشأنها سواء تعلق الأمر بالاختصاص أو الدفع بالجنسية قبل البت في نزاع قضائي، وغير ذلك من الأحكام الإجرائية المتعلقة بالدعاوى على اختلاف أنواعها الرئيسية أو القائمة بموجب الإحالة أو العارضة وما يطبق من مسطرة في حالة قيام هذه المنازعات.

وأخيراً الباب السابع الذي يقرر مقتضيات انتقالية استثنائية وتطبيقية تهم فترة صدور قانون الجنسية، من بينها الأحكام الفريدة التي تتضمنتها المقتضيات القاضية بأن كل شخص أصله من بلاد تتألف أغلبية سكانها من جماعة لغتها العربية أو دينها الإسلام، وينسب إلى تلك الجماعة يخول له هذا القانون، مع مراعاة حق وزير العدل في المعارضة طبقا لأحكام الفصلين 26 و27 أعلاه، أن يصرح داخل أجل سنة ابتداء من تاريخ نشر هذا القانون باختيار الجنسية المغربية ...." وقد اشترط المشرع لذلك شروطاً منها أن يكون موظن الشخص وإقامته بالمغرب في تاريخ تشر قانون الجنسية، وأن يثبت زيادة على ذلك إقامة اعتيادية في المغرب لمدة (15) سنة على الأقل، أو ممارسة وظيفة عمومية في الإدارة المغربية منذ (10) سنوات على الأقل، أو الزواج من امرأة مغربية بالإضافة إلى السكن في المغرب منذ سنة على الأقل بشرط أن يكون الزواج غير منحل.

وقد أقرت هذه المقتضيات كذلك، حق الشخص بالتصريح في اختياره الجنسية المغربية إذا كان أصله من منطقة مجاورة للحدود المغربية إذا جعل محل سكناه وإقامته فوق التراب المغربي، وذلك خلال سنة من تاريخ نشر المرسوم الذي تعين بموجبه المناطق المجاورة للحدود المغربية.

وقد صدر تطبيقاً للفصل (33) من هذا القانون قرار عن وزير العدل بتاريخ 27 أكتوبر 1958، جعل وكلاء الملك بالمحاكم الابتدائية هم المختصين وحدهم بتسليم شهادات

الجنسية للأشخاص الذين يثبتون أنهم يتمتعون بالجنسية المغربية، كما صدر في تاريخ 11 نونبر 1958 منشور عن وزير العدل يشرح المسطرة القانونية والإدارية الواجب اتباعها، والإجراءات اللازم اتخاذها من أجل تنظيم الوثائق المتعلقة بالجنسية، كما صدرت عدة مناشير مماثلة متصلة بالموضوع موجهة إلى السادة وكلاء الملك خلال سنوات 1975، 1979 و1983 تهم بالخصوص التدابير التي يتعين اتخاذها فيما يتعلق بطلبات اكتساب الجنسية، والمنازعات القضائية المثارة بشأنها.

وتعتبر هذه المناشير إلى جانب قانون الجنسية الصادر لسنة 1958 والمقتضيات المتعلقة بالجنسية والواردة في بعض الاتفاقيات الدولية التي صادقت عليها السلطات العمومية وتم نشرها في الجريدة الرسمية، هي مجموع النصوص والأحكام القانونية المتعلقة بنظام الجنسية المطبقة في المغرب اليوم.

أحمد زوكاغي، *أحكام القانون الدولي الخاص في التشريع المغربي - الجنسية*، الرباط، 1992 ؛ *وثائق الجنسية المغربية*، الرباط، 1994 ؛ إبراهيم عبد الباقي، *الجنسية في قوانين دول المغرب العربي الكبير*، تونس، 1971 ؛ أحمد عبد الكريم سلامة، *المبسوط في شرح نظام الجنسية*، الطبعة الأولى، مصر 1993 ؛ مَحمد أحمد بن عبود، *مركز الأجانب في المغرب*، الرباط، الطبعة الثالثة، المغرب 1988 ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، الرباط، أربعة أجزاء، 1989.

عبد الإله فونتير

الجنّان، أسرة مكناسية معظمهم من قدماء سكان مكناس وهم يتفرعون إلى ثلاث فرق :

الفريق الأول : فصيلة الأوسيين من الأنصار، ويصعد ذكر أول اسم منهم وهو أبو جعفر أحمد بن محمد الأوسي الجنان إلى أواسط القرن الثامن الهجري (14 م) ينَوّه به لسان الدين ابن الخطيب في *نفاضة الجراب* ويبرزه ضمن الجماعة الذين لقيهم بمكناس، في زيارته لها عام 761 / 1360.

وبعد أبي جعفر هذا تتتابع الإشارة لهذا الفريق حسب الإشارات التالية : أ ـ " *وثيقة النسبة الكتانية الشريفة*، المؤرخة بأواسط شوال عام 930 / أواسط غشت 1524، فياتي بين شهودها اسم أبي سعيد بن الشيخ أبي عبد الله محمد الجنان الأنصاري، مع اسم أبي الحسن علي بن محمد ابن الجنان الأنصاري. ثم ياتي عقد زواج أحمد بن عبد الله الجنّان الأنصاري، بتاريخ 23 جمادى الأولى 1022 / 11 يوليوز 1613، فوثيقة سكان مكناس في العصر الإسماعيلي، بتاريخ أوائل المحرم عام 1121 / أواسط مارس 1709، حيث ترد بها هذه الفقرة : "أولاد الجنان من الأنصار : أوس".

ومن متأخري هذا الفريق فيما يبدو : التاجر المعتمر بقيسارية البز : الحاج الحسين ابن محمد الجنان، المتوفي عن أولاده : الحاج مُحمد وأحمد ومَحمد والعلمي وعبد السلام والمهدي.

الفريق الثاني : بنو الجنّان أخوال الشيخ ابن غازي، فيذكر أنهم الذين اشتهروا بهذه النسبة في زمنه القرن التاسع (15 م) غير أنه لم يوضح مُنتماهم ولم يسم واحداً من رجالهم، وإنما نوّه بالمستوى الثقافي لوالدته رحمة بنت محمد الجنان، فكانت ـ حسب الروض الهتون ـ قد حفظت كثيراً من الأحاديث الصحاح، وكادت أن تحيط حفظاً بالأدعية الواردة في المصنفات الصحاح، وكانت ملازمة لدرس القرآن العزيز في المصحف، وتعلمت كثيراً من تفسير قصصه وأخباره، تلقيا لذلك وغيره من زوجها الأول.

الفريق الثالث : بنو الجنّان الذين أصلهم من فاس، ويرجع الفضيلي بقبيلهم في فاس إلى الفهريين ويضيف أن أوليتهم من جيّان، ثم دخلوا العدوة وسكنوا منها فاسا ومكناسة. ومن ساكني المدينة الأخيرة منهم : الطالب السيد عثمان الجنان الفاسي الأصل، وهو والد الطلبة : محمد والهادي وإدريس، والأخير هو أب الأستاذ العالم عبد النبي الجنان المحتسب الحالي بمكناس.

ونختم بالإشارة إلى عالم رياضي من هذه الأسرة دون أن نتبين فريقه، وقد نزح عن بلدته مكناس للسكنى بمراكش، وبهذه المناسبة كتب له القاضي عباس ابن إبراهيم ترجمة. ولايزال في حي ابن خضرا بمكناس، سكة تحمل اسم "درب الجنان" جوار مسجد الجنان هناك.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، الرباط، ص 46. 48 و51 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 323 و458 ؛ *النزع اللطيف، وثيقة النسبة الكتانية الشريفة*، الدار البيضاء، ص 214 ؛ إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 2 : 364.

محمد المنوني

الجنّان، أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي المكناسي، فقيه، عدل، إخباري، أديب مشارك. يعود فضل التعريف به إلى لسان الدين ابن الخطيب، فقد كان من جملة العلماء الذين لقيهم عند زيارته لمكناس عام 761 هـ وتحدث عنهم في رحلته المسماة : *تفاضة الجراب في علالة الاغتراب* (طبعة القاهرة، ص. 376. 377) حيث قال : "ومنهم الشيخ الفقيه العدل الأديب الإخباري المشارك أبو جعفر أحمد بن محمد بن إبراهيم الأوسي الجنّان، من أهل الظرف والانطباع والفضيلة، وهو كاتب عاقد للشروط، ناظم ناثر مشارك في فنون من العلم، له تصنيف حسن في ثلاثة أسفار اسمه *المنهل المورود في شرح المقصد المحمود* شرح فيه *وثائق ابن القاسم* فأربى على الإجادة، بيانا وإفادة، وناولني إياه، وأذن في حمله عنه، وأنشدني كثيراً من شعره".

وأورد ابن الخطيب بعضا من أشعاره ومحاوراته ومراجعاته له.

وعن ابن الخطيب نقل كل من ابن غازي في *الروض الهتون* وابن القاضي في *جذوة الاقتباس* والمقري في *نفح الطيب* وابن زيدان في *الإتحاف*. ويضيف ابن غازي قائلاً إن هذا الجنان ليس من بني الجنان المشهورين في مكناس ومنهم أخواله. ولم يقف أن ترجم له على تاريخ وفاته.

م. ابن غازي، *الروض الهتون*، ص. 47 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، 1 : 152 ؛ أ. المقري، *نفح الطيب*، 7 : 272. 273 ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 322. 224.

أحمد الوارث

الجنّان، أحمد بن محمد بن عبد السلام المكناسي. رجل إداري وسياسي مسحنك تقلب في عدة وظائف إدارية بمكناس، فكان أمين المواريث ثم خليفة باشوياً ثم باشا بنفس المدينة إلى أن عزل خلال الأزمة السياسية سنة 1953 لانحياشه إلى جانب الوطنيين ضد الاستعمار. وبعد الاستقلال رقي إلى منصب عامل بمكناس. وبها توفي عام 1392 / 1972.

الجنّان، رحمة ← **الجنّان**، أسرة

الجنّان، محمد بن أحمد الغرناطي الفاسي، أحد العلماء المذكورين في سلسلة الأسانيد العلمية بمدينة فاس، فهو يروي مباشرة عن ابن مجبر، والقدومي، والمنجور، والسراج وغيرهم. كما أنه تصدر للتدريس، فكانت له مجالس حسنة في علوم اللغة والفرائض والحساب، غير أنه اشتهر كفقيه مالكي متخصص في *إقراء الشيخ خليل*. وله عليه حاشية مختصرة تداولها الطلبة بكثرة إلى جانب ملازمتهم لدروسه الحديثية وروايتهم عنه.

عايش الشيخ الجنان الهزة السياسية القوية التي عرفتها فاس في آخر العهد السعدي، ورفض المشاركة في إصدار الفتوى التي طالب بها محمد الشيخ المأمون العلماء استبراء لدينه. ويتضح من سيرته أنه لم ينقطع عن التعليم وقيامه بإمامة ضريح مولاي إدريس رغم طعنه في السن.

توفي آخر ذي الحجة سنة 1050 / أوائل أبريل 1641.

أ. ابن القاضي، *درة*، ج 2 : 236 ؛ ع. الفاسي، *تحفة الأكابر*، مخطوط، إشارات في ص 51 و 57 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 58 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 379 ؛ *التقاط الدرر*، بيروت 1983، ص. 111 ؛ أ. ابن عجيبة، *ازهار البستان*، مخطوط، 230 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، الدار البيضاء، 4 : 19، 6 : 22 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 3 : 58 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، بيروت، 1982، 1 : 301، خ. الزركلي، *الأعلام*.

نفيسة الذهبي

الجنّان، محمد الطايع المكناسي ثم المراكشي. عالم فلكي ماهر في التوقيت والربع المجيد والحساب والتعديل، يدرس ذلك بجامع ابن يوسف. وممن أخذه عنه المحجوب بن محمد الحمري، ومحمد بن الحاج عزوز شنطيط الأندلسي المراكشي موقت جامع ابن يوسف بمراكش أواخر عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان وأوائل عهد ابنه الحسن الأول. وصاحب الحصة التوقيتية التي يتداولها المراكشيون ويعتمدونها.

توفي الجنان عام 1299 / 1881.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 46.

الجنّان، المكي الفاسي، من شيوخ إبراهيم التادلي الرباطي، ذكره في إجازته لابن خليفة وقال إنه خاتمة علماء الرياضة والفلسفة، وإنه قرأ عليه الكرة السنية لابن الشاطر في التعديل وغيرها، ولازمه سنين أيام دراسته بفاس في عشرة السبعينات من القرن الثالث عشر (19 م).

كان الجنّان مؤقتاً بجامع فاس الجديد وتوفي في حدود 1300 / 1882.

إ. التادلي، *الإجازة*، مخطوطة، خ. ع رقم 1427 ك آخر مجموع ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، *موسوعة أعلام المغرب*، 7 : 2680.

محمد حجي

ابن **الجنان، يوسف** بن يحيى ابن الحاج تنقل بين سكنى قصر عبد الكريم ومالقة وسجلماسة، واستوطن في آخر حياته أغمات وريكة.

كان أديباً شاعراً سيال القريحة في النظم والنثر، وإن كان نظمه متوسطاً، وقد أورد صديقه ابن عبد الملك المراكشي في الترجمة التي خصصها له في *"الذيل والتكملة"* نماذج من شعره ونثره.

وكان نساخاً ماهراً، جيد الخط، سريع الكتابة مداوماً عليها، لم يخف مترجمه إعجابه بجودة كتابته وكثرة نسخه إلى درجة أنه "قل كتاب يستعمل مشهور إلا نسخه" (*الذيل*، 8 : 439)، ورأى له "مما نسخ مع اشتغاله بما ذكر أزيد من مائة مجلد في مدة ليست بالمديدة" (نفسه).

واشتغل ابن الجنّان في الكتابة عن الولاة والقضاة، فكتب أيام سكناه بقصر عبد الكريم لقاضيها عبد الكريم ابن عمران، وكتب بمالقة للمتأمّر بها بعد زوال حكم الموحدين عنها عبد الله بن علي ابن زنون. واشتغل إضافة إلى ذلك بعقد الشروط في دكانه، وبكتابة "أزمة المجابي السلطانية"، أي سجلات مداخيل جباية الدولة.

كان ابن عبد الملك على صداقة متينة بابن الجنان، يزوره بأغمات وريكة التي كان استقراره بها للكتابة عن واليها من قبل المرينيين أبي عمر المتوسي المليانى.

توفي ابن الجنان في بداية عصر المرينيين في القرن السابع (13 م) لكن تاريخ وفاته طمس في مخطوطة *الذيل والتكملة*.

م. ابن عبد الملك المراكشي، *الذيل والتكملة*، تح. م. بنشريفة، الرباط، (ج 8) 1984 ؛ م. المنوني، *تاريخ الوراقة المغربية*، الرباط، 1991.

محمد المغراوي

جنّون ← گنّون

جَنّينُو، أسرة تطوانية أندلسية بربرية موفورة العدد، ذكرت عام 1129 هـ نبغ فيها في التجارة والصناعة أفراد منهم المعلم الحاج العربي جنّينو وفي عام 1143 هـ كان السيد علي بن موسى جَنّينُو الأندلسي ناظراً لأحباس جامع العيون بتطوان.

محمد بوخبزة

جنوب إفريقيا والمغرب، بالرغم من أن العلاقات بين المغرب وجنوب إفريقيا لم تبدأ رسمياً إلا سنة 1992، فإن عمرها في الواقع يمتد إلى حوالي أربعة عقود عرفت خلالها ثلاث مراحل تتميز كل منها بمميزات خاصة.

المرحلة الأولى إبتدأت مع استقلال المغرب وإلى حدود سنة 1963، وقد تميزت بتحالف المغرب مع الدول والمنظمات الراديكالية الإفريقية التي كانت تلتقي في معارضتها للاستعمار ولنظام الميز العنصري باعتبارهما امتداداً للنظام الرأسمالي ولسياسات القوى الغربية. وقد شكلت هذه الدول مجموعة الدار البيضاء في المؤتمر الذي احتضنه المغرب في يناير 1961 وحضره الرؤساء الأفارقة الذين تزعموا سياسة المواجهة مع الغرب مثل نكروما وسيكوتوري وموديبوكيتا وعبدالناصر. وبالرغم من أن المغرب ظل دائما يؤيد القرارات المنددة بالأبارتايد في المؤتمرات والمنظمات الإقليمية والدولية، إلا أن انتماءه إلى مجموعة الدار البيضاء سينتهي عمليا بالتغيير الذي عرفته الدبلوماسية المغربية بعد إنهاء مهام حكومة عبد الله إبراهيم، وفشل مجموعة الدار البيضاء في الاستمرار بسبب عجزها عن مواجهة الخلافات بين أعضائها. خلال هذه الفترة، ربط المغرب علاقات مع المؤتمر الوطني الإفريقي المحظور وقتها في جنوب افريقيا، واستقبل زعيمه نيلسون مانديلا سنة 1962 وقدّم له مساعدات مالية وعسكرية.

وابتدأت المرحلة الثانية سنة 1963، على إثر حرب الحدود بين المغرب والجزائر، وتميزت بتحالف المغرب مع الأنظمة الإفريقية المحافظة والموالية للغرب ترجم إلى مشاركة المغرب العسكرية في الزايير في أبريل 1977 وفي ماي 1978. وقد شكل هذا التحالف مع الغرب أرضية سياسية مشتركة بين المغرب وجنوب إفريقيا. وبالإضافة إلى ذلك فقد اقتصر الخلاف بين المغرب ونظام جنوب إفريقيا على المطالبة بإلغاء القوانين العنصرية، على عكس البلدان والحركات الإفريقية الراديكالية التي كانت تربط نهاية الميز العنصري بالقضاء على النظام الرأسمالي وتأسيس المجتمع الاشتراكي. وقد تميزت العلاقات بين البلدين خلال هذه المدة بالسرية تعرّض المغرب بسببها لانتقادات الدول الاشتراكية والتيارات اليسارية.

المرحلة الثالثة، بدأت بانتخابات 1990 في جنوب إفريقيا التي أعلنت بداية تصفية نظام الأبارتايد، فقد مهد انتخاب ديكلبرك لتحول العلاقات المغربية مع جنوب افريقيا إلى علاقات رسمية بدأت بزيارة هذا الأخير للمغرب سنة 1990، وتبعتها زيارات لمانديلا سنتي 1993 و1994. كما أن هذه المرحلة تميزت ببداية العلاقات الدبلوماسية بين البلدين التي ابتدأت رسميا بفتح مكتب لرعاية مصالح جنوب إفريقيا في الرباط ومقابله في بريتوريا سنة 1992، ثم إلى رفع التمثيلية إلى مستوى السفارة في مارس 1994. وتتميز هذه المرحلة بسعي دبلوماسية البلدين لحل المشاكل السياسية الإفريقية وبالاهتمام بالقضايا الاقتصادية.

بالنسبة للموضوع الأول، سعى البلدان إلى العمل على إيجاد حل للأزمات الإفريقية على رأسها أزمة أنغولا. وتلتقي دبلوماسية البلدين بالنسبة لأنغولا في علاقات المغرب الوطيدة مع جوناس سافيمبي رئيس منظمة اليونيتا، وفي رغبة جنوب إفريقيا في أن تتحول إلى قوة دبلوماسية فعالة على الصعيد القاري. وكان المغرب هيّأ قمة مصغرة حول أنغولا في نهاية نوفمبر 1994 ضمت بالإضافة إلى المغرب كلا من الرئيس مانديلا، وبطرس غالي، السكرتير العام للأمم المتحدة.

أما بالنسبة للقضايا الاقتصادية، فتشكل العلاقات المغربية الجنوب - إفريقية حالة عادية من علاقات بلدان الجنوب، حيث تتميز باللاتكافؤ في إمكانياتهما الاقتصادية وبضعف حجم مبادلاتهما التجارية وصعوبة نموها تتجلى الفوارق الاقتصادية بين البلدين في الناتج القومي الإجمالي الذي وصل سنة 1993 إلى 118.2 مليار دولار في جنوب إفريقيا مقارنة بما يعادل 26.6 مليار دولار بالنسبة للمغرب. كما أن الدخل الفردي لجنوب إفريقيا في نفس السنة بلغ 2.980 دولار وهو ما يشكل حوالي ثلاثة أضعاف مثيله في المغرب. وتميزت العلاقات التجارية بين البلدين في الفترة 1994 - 1995 بضعف حجمها، وفائض ميزان التبادل التجاري لصالح جنوب إفريقيا بالرغم من بوادر تقلص تدريجي لهذا العجز. فحجم المبادلات التجارية بين البلدين بلغ سنة 1994 حوالي 430 مليون درهما، لم تشكل الصادرات المغربية منها إلا 10 ملايين درهما. وتراجعت هذه المبادلات سنة 1995 إلى 255 مليون

درهما، بينما عرفت صادرات المغرب إلى جنوب افريقيا ارتفاعا طفيفا وصل إلى حوالي 13 مليون درهما. وازداد حجم واردات المغرب من جنوب إفريقيا تقلصا خلال الأحد عشر شهرا الأولى من سنة 1996 في الوقت الذي تضاعفت فيه الصادرات المغربية لتصل إلى حوالي 23 مليون درهما.

عبد الحي مودن

جنوة والمغرب، شكلت مدينة جنوة الإيطالية جمهورية مستقلة منذ القرن الحادي عشر الميلادي. وتعود الاتصالات الرسمية بين جنوة والمغرب إلى عصر المرابطين لما وقع الطرفان معاهدة سلم وتجارة سنة 1137 عقب أحداث قرصنة متبادلة بينهما. وتشكل هذه المعاهدة إحدى أقدم المعاهدات المعروفة التي أبرمتها جنوة مع بلاد المغرب (Jehel, *Les Gênois*, p. 21 et suiv.). يلف الغموض العلاقات الجنوية المغربية قبل منتصف القرن السادس (12م). غير أن معلوماتنا تتراكم عنها أكثر بعد هذه الفترة، وخاصة في جانبها التجاري، بفضل العقود التي كتبها بعض الموثقين الجنويين. أقدم هذه العقود كتبها جون سكريب John Scribe (1154 . 1191)، ثم تليها عقود غليوم كاسنس Guglielmo Cassinese (1190 . 1192) وعقود جيوڤاني دي غويبرتو Giovanni di Guiberto (1200 . 1206) وسنة 1211 (Balletto, p. 6).

وقد استمرت العلميات البحرية المتبادلة بين جنوة والمغرب، مع قيام الدولة الموحدية أبرزها عملية سنة 1154، وذلك لما اعترضت سفن للموحدين Massamutins. كما تسميهم المصادر الجنوية ـ سبيل سفينة جنوية كانت عائدة من الإسكندرية (Lopez, *Studi*, p. 11). ويمكن القول إن حضور الجنويين بالمغرب قبل توقيعهم معاهدة 1161 مع عبد المومن بن علي كان ضعيفاً، إذ كانت معظم الرحلات التي تقوم بها السفن الجنوية نحو المغرب تتم بعد رجوعها من المشرق (*Studi*, p. 22).

لقد شكلت معاهدة سنة 1161 منعطفاً في العلاقات الجنوية المغربية إذ وسعت من أفق التجارة الجنوية بالدولة الموحدية وكرست تفوق الجنويين على حساب البيزيين (Mascarello, p. 65). نصت هذه المعاهدة على تخفيض الضرائب الجمركية المفروضة على الجنويين بالموانئ الموحدية من 10٪ إلى 8٪ باستثناء بجاية التي تم الاحتفاظ فيها بها بنسبة 10٪، كما نصت على أن تستفيد كومونة جنوة من خمس الضرائب الجمركية المستخلصة من ميناء بجاية (Krueger, p. 379). امتدت صلاحية معاهدة 1161 لمدة 15 سنة، ثم جدد العمل بها عقب سفارة أو برتودي نيغرو Oberto de Nigro وغليوم زربينو Guglielmo Zerbino اللذين وصلا إلى سبتة في سنة 1191 (Krueger, p. 379).

كان ميناء سبتة أهم ميناء مغربي ترتاده السفن الجنوية، إذ كان يستقطب نصف الاستثمارات التجارية الجنوية ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن السادس (12 م)، وكانت سلا آخر مركز وصلت إليه السفن الجنوية بالمغرب الأقصى خلال هذه الفترة (Schaube, 340 - 339). واستمرت سبتة في الحفاظ على ريادتها ضمن الموانئ التي تعامل معها الجنويون بالدولة الموحدية في الربع الأول من القرن السابع (13 م)، وكان ترتيب هذه الموانئ ضمن الاهتمامات التجارية الجنوية كالتالي : سبتة، تونس ثم بجاية (Balletto, p. 8).

لعل من أهم ما طبع حضور الجنويين بالدولة الموحدية خلال النصف الأول من القرن السابع (13 م) مساهمتهم في بعثات تبشيرية بالمغرب وقيامهم بحملة عسكرية على سبتة.

ففي 10 أكتوبر 1227 قتل سبعة مبشرين فرنسسكانيين بسبتة لاشك في أن بعضهم كان من الجنويين. لقد كان البابا إينوسان الرابع جنوياً من أسرة فيسكي Fieschi، ومن المعلوم أن عدة بابوات أرسلوا رسائل إلى الخلفاء الموحدين تهم الحضور الديني والتجاري للجنويين بالدولة الموحدية. وقد صدرت هذه الرسائل من هنوريوس Honorius III في 1226 وغريغوار التاسع Gregoire IX في 1233 و1237 وإينوسان الرابع Innocent IV في 1246 و1251 (Jehel, *Studi Magrebini*, p. 68) أما عن الحملة الجنوية على سبتة فقد انطلقت مع تدخل الجنويين بها لما دبّ الصراع بين الخليفة الموحدي الرشيد وأبي العباس اليانشتي الذي بايعه أهل سبتة حاكماً عليهم. وقد وصل السفير الجنوي جاكوبردي مارينو Jacopo de Marino إلى سبتة في 1233. غير أن المحوليات الجنوية لاتفصح عن أهداف ونتائج هذه السفارة. وبدون شك فإنها كانت ذات علاقة مباشرة بوضعية الجنويين بسبتة عقب الصراع الذي تجدد بين الموحدين وأهل المدينة الذين بايعوا اليانشتي (Di Tucci, p. 278).

وبينما كانت سبتة تنعم بالاستقرار والرخاء على عهد اليانشتي، تعرضت لهجوم في أواخر ذي القعدة عام 631 / منتصف غشت 1234 من طرف جنود مسيحيين تسميهم المصادر اللاتينية بكلكيرني Calcurini. وقد فر بعض الجنويين من سبتة باتجاه مالقة حيث جهزوا سفينتين على متنها 600 فارس للهجوم على سبتة، بينما فر البعض الآخر منهم إلى جنوة. وبموازاة مع ذلك طلب اليانشتي مساعدة الجنويين لمواجهة كلكيرني مقابل الالتزام بتغطية نصف تكاليف الحملة (Lopez, *Studi*, p. 13). غير أن كلكيرني انسحبوا من سبتة قبل وصول الأسطول الجنوي الذي كان قد أقلع من جنوة في شتنبر 1234. وبعد هذا الانسحاب اشتط الجنويون في مطالبتهم اليانشتي بالتعويض عن الخسائر التي لحقت بهم من جراء مساهمتهم في إنقاذ المدينة (Di Tucci, p. 282). وقد تشكك اليانشتي في نوايا الجنويين الذين راموا السيطرة على سبتة، فاستنفر القبائل المحلية

التي نهبت وأحرقت فندق الجنويين بها (ابن عذاري، ص 350). وبعد فشل المفاوضات بين البانشتي والجنويين بعث هؤلاء أسطولا مؤلفا من 120 قطعة تحت قيادة أو غني ليركاريو Ugone Lercario أواخر مارس 1235. وبحكم عدم تكافؤ القوة العسكرية بين الطرفين قبل البانشتي التفاوض مع الجنويين للانسحاب من المدينة والتوقيع على صلح مقابل 400 ألف دينار ذهبي كتعويض عن خسائر الجنويين (Latrie, p. 151). وهكذا ساهمت حملة الجنويين على سبتة في توطيد حضورهم بها أكثر من أي وقت مضى (Schaube, p. 350).

إن أول إشارة إلى تعامل المرينيين رسمياً مع جنوة بعد أن انفردوا بحكم المغرب الأقصى تتعلق بارسال سفارة إلى أبي يعقوب لما كان بحصن تازوطة، يصف ابن أبي زرع هدية السفير الجنوي بأنها "هدية جليلة فيها شجرة محوهة بالذهب عليها أطيار تصوت بحركات هندسية مثل ما صنع للمتوكل العباسي" (*القرطاس*، ص 382).

ومن المفيد الإشارة إلى أن هذه السفارة قد جرت في نفس السنة (1291) التي قام خلالها الأخوان الجنويان ڤيفالدي Vivaldi انطلاقاً من أسفي بمحاولتهما الفاشلة لتجاوز رأس بوجدور. ومن المعلوم أن أسفي كانت آخر نقطة وصل إليها الجنويون على المحيط الأطلسي في القرن السابع (13 م) (Ciasca, p. 450). وفي سياق السفارات المتبادلة بين المغرب وجنوة تتحدث وثيقة ميورقية عن تقديم حاكم جزيرة ميورقة سنة 1346 إذنا بالمرور لسفير مغربي كان عائداً من جنوة باتجاه المغرب (Dufourcq, *Aperçu*, p. 730)، غير أننا لانعلم مرة أخرى الهدف من هذه السفارة.

لقد كان عهد أبي عنان أكثر عهود الدولة المرينية انفتاحاً على الأوربيين، بدليل أن أهم المعاهدات المرينية المبرمة مع الدول والمدن الأوربية تمت خلال فترة حكمه. في هذا الصدد عقد الجنويون معاهدة سلم وتجارة مع أبي عنان حددت نسبة الضرائب الواجب على الجنويين أداؤها بالموانئ المرينية، كما نصت على توقيت عمليات القرصنة التي كان يقوم بها الجنويون على المغرب (فيض العباب، ص. 30).

نظراً لحاجة الجنويين المتزايدة إلى الذهب السوداني المجلوب عبر المغرب. ومع منتصف القرن الثامن (14 م) فإن الحضور الجنوي لم يعد مقتصراً على الموانئ، بل استقر بعض الجنويين بالمناطق الداخلية مثل سجلماسة للتزود بالأخبار المتعلقة بتجارة القوافل (Meunié, T. 1, p. 404).

ورغم الضعف الذي ألم بالمغرب عقب اغتيال أبي عنان، يبدو أن الجنويين استمروا في تأكيد حضورهم به. يذكر الوزان أن التي على الوادي في بني عمير في الطريق إلى فاس "بنيت حسب تصميمات معلم جنوي كان تاجراً مقرباً كثيراً إلى الملك في ذلك العهد" أبو سعيد الثالث (800-823 هـ) (ج. 1 ص. 220). حرصت جنوة على ربط علاقات تجارية مع المغرب لحاجتها الماسة إلى بعض المواد، وخاصة منها المواد التي تدخل في الصناعة النسيجية. وتجدر الإشارة هنا إلى نوع جيد من الصوف متميز بليونته يرد بالوثائق الجنوية تحت اسم مرينوس Merinos، وحسب بعض الدارسين فإن هذه التسمية مقترنة باسم المرينيين (Renouard, *Etudes*, T. 1, p. 398). كما استورد الجنويون من المغرب الحبوب والنيلة والزيوت وشمع العسل والتمور والشب والجلود المدبوغة وغير المدبوغة (Pegolotti, p. 273 et suiv.) والمرجان (Schaube, p. 344) والسكر (Ferhat, p. 273) والذهب (Lopez, *Studi*, p. 55). وقد شكلت الحبوب والجلود ثابتا من ثوابت الصادرات المغربية نحو السودان. فبخصوص الجلود يذكر الوزان أنه كان يقام بإحدى جبال الهبط "يوم السبت سوق كبير يؤمه مختلف التجار بمن فيهم الجنويون لشراء السلع وجلود البقر لإرسالها إلى جنوة" (ج 1 ص 248). أما واردات المغرب من جنوة فكانت تتمثل في التوابل المشرقية (Krueger, p. 386) والحرير والقنب والزرابي البغدادية (Schaube, 344) والخمور (Jehel, *Les Gênois*, p. 344). وقد استمرت العلاقات التجارية بين المغرب وجنوة في العصور الحديثة. ففي القرن الحادي عشر (17 م) كانت سفن جنوة تحمل الثياب وغيرها من منتجات أوربا لتشحن بسلا الحبوب والجلود وغيرها من المواد (حركات، 2 : 432).

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن الحاج النميري، *فيض العباب*، تح. محمد بن شقرون ؛ ابن عذاري، *البيان*، *قسم المرحدين* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا*، ج. 1 ؛ إ. حركات، *المغرب عبر التاريخ*، ج. 2.

L. Balletto, *Da Genova al Maghreb 1222 - 1226, archivo storia Sardo di Sassari*, 1982 ; R. Ciasca, *Un centro marocchino del traffico genovese nel Medio Evo, Rivista internazionale di scienze sociali*, T. XLIII, fasc. 4, 1935 ; R. Di Tucci, *Documentt inediti sulla spedizione e sulla Mahona dei Genovesi a Ceuta*, Gênes, 1935 ; Ch. Dufourcq, *Aperçu sur le commerce entre Gênes et le Maghrib au XIII siècle*, in *Mélanges offerts à E. Perroy*, Paris, 1973 ; G. Jehel, *Les Gênois en Méditerranée Occidentale. fin XI - début XIV siècle* Paris, 1993 ; Ibid, *Gênes et le Maghreb au Moyen Age, Studi Maghrebini*, XXII, Napoli, 1990 ; H.C. Krueger, *Genoeve trade with North Africa, Speculum*, VIII, 1933 ; R. Lopez, *Studi sull' economia genevese nel Medio Evo, I Genevesi in Africa occidentale*, Turin, 1936 ; A. Mascarello, *Quelques aspects des activités italiennes dans le Maghreb médieval, Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb*, Alger, N. 5, 1968 ; B. Pegolotti, *La Pratia della meratura*, éd. Allan Evans, Cambridge (Mss), 1936 ; H. Ferhat, *Sabta des origines au XIV siècle*, Rabat, 1994.

الجنوي، أحمد، قائد سلوي تجهل مدى قرابته من القائد الشهير سعيد الجنوي المتوفى سنة 1065 / 1655 ؛ وإن كانت المعطيات تدفعنا إلى الاعتقاد بوجود تلك القرابة، لكونه القائد المتولي أمر مدن مصب أبي رقراق بعد سعد، تحت اشراف الأمير عبد الله الدلائي، والمتولي شؤون القصبة عقب مغادرة هذا الأخير للمنطقة تحت ضغط الخضر

غيلان سنة 1071 / 1661. وقد مكث أحمد الجنوي بالقصبة إلى حين اضطراره لتسليمها إلى غيلان في 24 صفر عام 1073 / 8 أكتوبر 1662.

وقد قام غيلان بترك شؤون القصبة تحت تصرف أحمد الجنوي، بمساعدة الحامية السوسية المستقرة بها منذ سنة 1048 / 1638، إلى أن بدا له اتخاذ إجراءات جديدة لتقوية سلطة أخيه ونائبه عن المنطقة، فقام بطرد الحامية والقائد الجنوي سنة 1076 / 1665.

De Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série. Pays Bas. T. VI. p. 625.

حسن أميلي

الجنوي، رضوان بن عبد الله، ولد بتطوان أو فاس عام 912 / 1506 ويسلك مؤرخو التصوف المغربي الشيخ رضوان بن عبد الله الجنوي ضمن أعلام الطبقة الثالثة من الجزولية، ومقابل هذا اليسر والوضوح في تعيين رتبته من السلسلة الشاذلية، ودرجته في فرعها الجزولي، باعتبار أخذه عن الشيخ عبد الله الغزواني (ت. 935 / 1529)، هناك حيرة عظيمة وتردد كبير في تقدير مكانته ليس في تاريخ التصوف المغربي فحسب، بل وفي تاريخ التصوف الإسلامي بوجه عام : فهذا تلميذه محمد القصار (ت. 1012 / 1604) يقول إن أبا النعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت. 430 / 1039)، مصنف *حلية الأولياء وطبقة الأصفياء*، لو أدرك الشيخ أبا النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي لجعله في صدر حليته المقصورة على الخلفاء الراشدين وباقي العشرة المبشرين بالجنة ومن داناهم من زهاد الصحابة وأهل الصُّفّة، أو مع أويس بن عامر القرني (ت. 37 / 657) سيد الطبقة الأولى من التابعين. ويرى معاصر آخر للشيخ رضوان الجنوي من علماء الوقت أن الزمان لم يسمح بمثله من عهد الشيخ محمد بن عباد الرندي (ت. 792 / 1390) أشهر صوفية المغرب خلال المائة الثامنة للهجرة، وهذا رأي يكسف بدر الشيخين محمد بن سليمان الجزولي (ت. 870 / 5. 1466) وأحمد رزوق (ت. 899 / 1493)، اللذين انتشرت الشاذلية من طريقهما، ويعد الشيخ رضوان الجنوي من أتباع أتباعهما. ويشهد معاصره القاضي عبد الواحد الحميدي (ت. 1003 / 1595) أنه لم ير أحسن منه في الصلاح في عصره، كما يقرر الشاذلي أحمد بن أبي محلي (ت. 1022 / 1613) أنه ليس في الوقت من يُقتدى به غيره. ولا يشذّ عن الإجماع على شهرة دين وصلاح وعلم الشيخ رضوان الجنوي سوى معاصره محمد بن عسكر (ت. 986 / 1578)، الذي يقصيه من دوحة *الناشر* التي صنفها في مشاهير القرن العاشر الهجري، ولا عبرة بهذا الاستثناء المحكوم بظرفه السياسي المحموم، والذي لم يمنع الناس من إفراد المجلدات والأسفار في مناقب وكرامات وأحوال الشيخ رضوان الجنوي.

تمتاز سيرة الشيخ رضوان الجنوي بالأثر القوي لحدث النشأة فيها، وهو أمر قل نظيره في سير أعلام التصوف، التي تظل المراحل المبكرة منها والسابقة للاشتهار بالصلاح هملاً، فما بالك بالنشأة الأولى. وإنها لنشأة عجيبة حقاً : فالأب نصراني من مدينة جنوة الإيطالية، انطلق فرسه ذات ليلة من مربطه وخرج يدور في أزقة المدينة وهو يعدو خلفه، إلى أن دلف إلى كنيسة وجدها مشرعة الأبواب، فدخل باثرة متخوفا أن يشعر به سدنتها فتلحقه منهم اذاية، فأخرجه ورده إلى مربطه كما كان، وهو في ذلك لم يتلاق بأحد ولا أبصره أحد ؛ فلما أصبح النهار وجد جنوة تقوم وتقعد بأهلها والناس في فرح عظيم، فسأل عن ذلك فقيل له إن المسيح جاء البارحة على فرسه إلى الكنيسة المعلومة فراث فرسه فيها، وأن الناس يؤدحمون على ذلك الروث حتى بيع قدر الذرة منه بمال جزيل، فعلم أن النصارى على ضلال، فهجر وطنه في حدود عام 890 / 1485، ونزل بثغر تطوان الذي جدد بناءه في تاريخ قريب المهاجرون الأندلسيون الذين نزحوا إلى المغرب قبيل سقوط مملكة غرناطة، فأسلم وتسمى عبد الله، ثم انتقل إلى فاس واتخذها داراً. أما الأم فيهودية أندلسية، هاجرت إلى المغرب إثر انهيار دولة الاسلام بالأندلس، فأسلمت وتزوجها عبد الله الجنوي، فولد له أولاد عدة، منهم صاحب الترجمة الذي ولد عام 912 / 6. 1507. ولا نعلم السن التي كان عليها رضوان يوم خروج والده للحج، وهو خروج لم تعقبه عودة، إذ انقطع خبره ولم يقف أحد على حقيقته، فقيل إن النصارى أسروه فعرفوه وأحرقوه، وقيل حج ومات بالبلاد المشرقية.

وكانت عواقب الانتساب إلى هذا البيت ستكون خفيفة الوطأة، غير بعيدة الأثر، لو لم تختص فاس خلال هذا العصر بظاهرة التعصب ضد حديثي العهد بالإسلام من اليهود والمسيحيين، ولمزهم وتعييرهم بتسميات المهاجرين والإسلاميين والبلديين والعوام والعلوج، ولم يكن الاشتهار بالعلم أو الصلاح ليعلو على النسب، ولبث العلماء الفاسيون الذين عرف أصلهم اليهودي مرهقين تحت ضغطة بني جنسهم المتعصبين الساعين في تأخيرهم وحرمانهم من المناصب الشرعية السامية كالقضاء والفتيا والإمامة والخطابة، ولو تعدد أجدادهم المسلمون، فما بالك بالشيخ رضوان الجنوي الذي لم يسبق الإسلام إلا في والديه فقط، ويتسمى باسم رضوان الشائع في الأعلاج، ويتلقب بالجنوي رغم أنه فاسي الدار والمنشأ والولادة والوفاة. ويعبر الشيخ رضوان الجنوي عن نشأته هاته بقوله "خرجت من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين"، وهو اقتباس من الآية السادسة والستين من سورة النحل "وان لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين"، وفيه تشبيه بين نشأته وخلق اللبن في مكان وسط بين الدم والفرث الذي هو فضالة العلف في الكرش وتفله، وخروجه خالصا صافيا ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث، مع شدة الاتصال والاكتناف.

وكما لم يكن للشيخ رضوان الجنوي خيار في نسبه الطيني، كذلك لم يكن له خيار في نسبه الديني. وإذا كانت سيرته تنحو إلى القول بسبق الولاية والصلاح له في الأزل، وتحتج برؤيا حصلت لوالده وعبرت بأنه يلد ولداً صالحاً، وإذا كان العصر عصر روحانية وتصوف، يوافق أمثاله من ذوي النفوس المرهفة، ويرشحهم للصدارة والزعامة، فإن انتسابه إلى التصوف ورجاله، واهتداءه إلى عمدته في الطريق، ولقاءه بشيخه الذي لم يتشوف لمخلوق سواه حياً كان أو ميتاً قبل أن يقضي نحبه عام 935 / 1529، ونعني به الشيخ عبد الله الغزواني، كل ذلك تمّ دون قصد منه ولا سابق تدبير : وقد استقر الغزواني بفاس ما بين عامي 919 و927 / 1513 و1521، وخلال هذه الثماني سنين، التي درج فيها رضوان من طور الطفولة إلى طور المراهقة، تم اللقاء الأول بينهما، في لحظة غير معلومة من هذه المدة، وفي وقت كان الشيخ الغزواني يتوضأ بزاويته الكائنة باب القليعة، فوجد أمامه رضوان الطفل أو المراهق، فرشه بغرفة من ماء وضوئه، فاختصرت هذه الرشيشة ـ التي للشيخ رضوان فيها أمداح ـ أطواراً مديدة من أعمار رجالات التصوف، تنقضي في البحث عن الشيخ العمدة وتصرف في دروب الاهتداء إليه.

واتخذ الشيخ الغزواني داراً مراكش التي ستخضع قريباً من مقامه بها للسعديين في حدود عام 930 / 1524، الذي يؤرخ لاشتعال فتيل الحرب بينهم وبين الوطاسيين، الذين بادروا إلى حصارها دون أن يتمكنوا منها. ورغم ضلوع الشيخ الغزواني في فشل ريح الوطاسيين، الذين لم تعد جيوشهم تتعدى تادلا وأحوازها بعد ذلك، ولم يعد لهم وصول لمراكش ولا بلوغ لأرباضها، فإن رضوان وهو في إبان حداثته سيستخف ببطش حكام فاس، وسيدفعه تشوفه إلى زيارة الشيخ الغزواني وتطلعه إلى صحبته إلى أخذ السمت إلى مراكش في رفقة من زواره، وسيدخلها في غرة شعبان عام 935 / أبريل 1529، وقد نيف على العقدين من عمره.

وكأن رضوان ألهم عندما لم يستطع على لقاء شيخه صبراً، ذلك أن الأجل لم يمتد بالشيخ الغزواني إلى ما بعد الشهر الرابع من تاريخ صحبته له، وقضى نحبه يوم ثامن ذي الحجة عام 935 / 12 غشت 1529. ورغم قصر أمد هذه الصحبة، التي لم تعمر أكثر من الثلث الأخير من العام المذكور، فإن رضوان قد انجمع خلالها بهمته على شيخه، ولازم طاعته وخدمته، واستغرق في مشاهدة طلعته وأحواله، واستغنى بوجوده عن غيره، حتى إنه استعفى من زيارة ضريح الشيخ أبي العباس السبتي كبير صلحاء مراكش. ولم تخف على الشيخ الغزواني مواهبه، فلم يكلفه بشيء مما كان يأمر به أصحابه من أعمال الحراثة والفلاحة والغرس، وتركه على حاله واشتغاله بالقراءة والنسخ، بل قدمه للصلاة به وبأصحابه. ومكث رضوان بمراكش عام 936 / 29 . 1530 بتمامه، متسليا عن وفاة شيخه بالقراءة وطلب العلم، على خفوت جذوة الحياة العلمية بهذه الحاضرة على هذا العهد.

وستؤذن أوبة رضوان إلى فاس في مطلع عام 937 / 1530 ببداية طور نشيط من سيرته، انتسب خلاله إلى العديد من الصوفية الأعلام، وتتلمذ أثناءه على جملة من العلماء الأعيان، متنقلا ما بين حلقات العلم بالمدارس والمساجد وحلقات التصوف بالزوايا، وزائراً المعاهد العلمية القريبة من الحاضرة الإدريسية، ومكاتباً من بعد من المشايخ الذين يطلب علمهم الظاهر والباطن ؛ فاتسعت دائرته في الطريقة الشاذلية، وتعدد الأسانيد التي تصله بالامام الشاذلي (ت. 656 / 8 . 1259)، من طريق الشيخين الجزولي وزروق معاً، وإن كانت أسانيده في الزروقية أوسع من أسانيده في الجزولية. أما السند الذي يذكره له تلميذه القصار في فهرسه، والذي يصله بالشيخين عبد القادر الجيلاني (ت. 561 / 1167) وأبي الحسن الشاذلي، فليس من أسانيد القوم، وإنما هي رواية محضة على العادة في رواية الكتب.

وأول من انتسب إليه الشيخ رضوان بعد عودته إلى فاس الشيخ محمد بن علي الهراوي الزمراني المعروف بالطالب (ت. 964 و965 / 1557 و1558)، المتصدر يومئذ لمشيخة زاوية القليعة الغزوانية ؛ ثم أخذ عن الشيخ محمد ابن علي المعروف بالحاج الشطيبي (ت. 963 / 1556)، المنقطع بمدشر تازغدرة من قبيلة بني زروال، وعن يحيى بن بكار الغمدي (ت. 960 أو 961 / 1552 أو 1553)، الذي هاجر إليه بأهله بجبل وبلان فراراً من الفتنة التي اشتعلت بفاس وقد طرق السعديون أبوابها تمهيداً لدخولها عام 956 / 1549 ؛ وعن الشيخ محمد بن جلال المغراوي التلمساني (ت. 981 / 1574)، الذي استوطن فاساً عام 958 / 1550 ؛ وعن الشيخ محمد بن علي الخروبي الجزائري (ت. 963 / 1556)، الذي دخل المغرب أول مرة عام 959 / 1552.

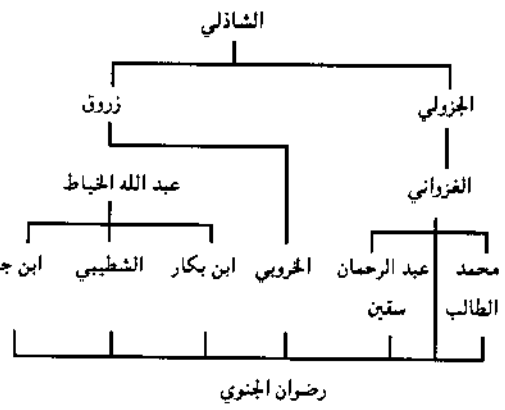

ولا يجحد الشيخ رضوان الجنوي منة أحد من مشايخه، ورغم أنه يتساوى مع محمد الطالب في الأخذ عن الغزواني، فإنه صحبه حين وجد الفقراء بزاوية شيخه الكائنة

بباب القليعة قد اجتمعوا عليه، وأقامه في الصحبة مقام شيخه زمناً طويلاً، وفي ملازمته كانت شدة مجاهدته وخدمته ؛ وكان إذا ذكر شيخه الشطيبي يعظم أمره ويجل قدره ؛ وظل يكاتب شيخه الخروبي ويستفتيه في أمور التصوف وقد بلغ فيه ما بلغ، لكنه مع ذلك يرى أن نفعه إنما حصل من شيخين دون غيرهما، وهما الغزواني وعبد الرحمان سقين (ت. 956 / 1549)، اللذان يقول فيهما : من أعظم النعم معرفتي بالشيخين الغزواني وسقين، فإن الغزواني حرث وغرس وسقين سقى ونقى". وإذا كان نفع الشيخ الغزواني يتصل بالجانب الصوفي من شخصيته، فإن نفع الشيخ سقين يتصل بالجانب العلمي منها، وما كانت رئاسة علم الحديث وإمامة المحدثين لتنتهيا إليه في وقته، ويستجيزه كبراء عصره وعلى رأسهم السلطان أحمد المنصور الذهبي (ت. 1012 / 1603)، لو لا ملازمته لشيخه سقين محدث المغرب وراويته في زمانه، واختصاصه به السنين الطويلة محصلاً ما عنده من علم ورواية وسند متصل بالحافظ أحمد بن حجر (ت. 852 / 1448)، عن إبراهيم القلقشندي (ت. 922 / 1516)، وزكريا الأنصاري (ت. 925 / 1519)، وعبد العزيز بن فهد (ت. 922 / 1516)، ومحمد السخاوي (ت. 902 / 6 - 1497) ؛ وهو أعلى سند في علم الحديث وروايته في المغرب من تاريخه إلى هلم جراً.

ولا يتسع مقام هذه المادة لبسط السيرة الروحية للشيخ رضوان الجنوي، وإبراز أثرها البعيد والمتميز في تاريخ التصوف المغربي خلال القرن العاشر (16 م) وهو أثر لا تنظر إليه المصادر خارج سياق تاريخ الطريقة الشاذلية العام، وترى أنه يؤرخ لطور نهوض بعد كبو وعثار، وإحياء رسوم مندرسة الآثار، واشعاع بعد خبو أنوار. ومن الحق أن السند الصوفي للشيخ رضوان الجنوي شاذلي محض لا يتشعب إلى أية طريقة أخرى غير الطريقة الشاذلية، وأن التأسي بالامام الشاذلي واضح في سيرته كالنهار لا يحتاج إلى دليل، وإنه اختص بزيارة ضريح شيخه عبد السلام بن مشيش (ت. 622 / 1225)، ودأب على التردد إليه شاباً وكهلاً وشيخاً، وتلك آيات على محبته في الشاذلي وشيخه ابن مشيش، وتعلقه بمزار جبل العلم القريب الذي يستحضر فيه نفحات مراز صحراء عيذاب البعيد.

ولما كانت الطريقة الشاذلية تقول بتنوع الطرق إلى الله، وبمبدأ الاستحسان الي يقرُّ حق الصوفي في الاختصاص بالطريق الذي يتفق مع قدرته واستعداده الطبيعي، فلا عجب إذا ما اقتربت السيرة الروحية للشيخ رضوان الجنوي من صور الزهد الإسلامي في عهوده الأولى، وشابهت سير كبار "الخائفين" و"البكائين" من أهل القرنين الأول والثاني للهجرة، والذين سلك مسلكهم في شدة الخشية والخشوع وكثرة البكاء. ومناسبة البكاء مسترسلة في يومه لا تكاد تنقطع، لارتباطها بسماع القرآن وانفعاله لمعانيه انفعالاً عظيماً، فيقف في أثناء القراءة يبكي، ولا يرتفع البكاء عنه إلا بعد مدة، سواء كان يستمع إلى بعض طلبته في درس القراءات، أو كان يرتل في الصلاة والناس خلفه قيام، ومن ثم أطلق عليه شيخه سقين تسمية رضوان البكاء، كما كانت تصدر عنه في بعض الأوقات - إذا كان في القراءة أو غيرها - صيحة عظيمة لغلبة الوجد عليه.

وتجسد صورة رضوان البكاء عرامة شخصيته الصوفية، وتلخص أثرها المتميز والبعيد في تاريخ التصوف المغربي خلال القرن العاشر (16 م) ليس لاستلهامها من خصائص الحياة الروحية التي عرفتها العهود الإسلامية الأولى فحسب، بل ومن تعبيرها عن مشاعر وعواطف مغاربة هذا القرن، والتي سمتها الخوف الذي ترتب عن تمثل ذهني وانعكاس نفسي لأحداث العصر الجسيمة، من تفرق أمر المغرب أيادي سبأ، وتمكن حملة الصليب من أكنافه، وتواتر الطواعين والقحوط والمجاعات بأرضه، ودخول أهله القرن العاشر الذي استوى خاصتهم وعامتهم في الاعتقاد بانتهاء عامه الألف بفناء الدنيا وأفول دولة الاسلام. فاستقر في الأذهان والنفوس أن سوء الحال وتسلط الجور من الحكام وظهور أعداء الاسلام ما هو إلا بوء بغضب من الله، لفساد الزمان وأهله من الخاصة والعامة، وللتهاون في أمر العقيدة والدين. واتخذ واقع المغرب الحالك، على المستويين الذهني والنفسي، صورة عقاب الدنيا الذي يسبق ويمهد لعقاب الآخرة الأشد والأنكى، وما أقرب الآخرة من الدنيا في تصور واعتقاد مغاربة القرن العاشر ! فتكون الصورة السائدة التي رسمها القائمون على الرئاسة الروحية لأتباعهم عن أنفسهم هي صورة العبد السوء الذي لا يحق له أن يقف من الخالق إلا موقف الرجل الخائف، والذي لا بد له أن يحقق في معاملته مع الله الخشية من عقاب الدنيا والرهبة من عقاب الآخرة، لبؤس يومه وغده، وكان الخوف الذي رنق على أذهان وأفئدة أهل هذا العصر السمة البارزة للعبادة التي كانوا يعبدون. وإذا كانت مدرسة "الخائفين" و"البكائين" قد أعقبتها مدرسة "المحبين" في تاريخ التصوف الإسلامي، فإن ظهور الشيخ رضوان الجنوي بالخوف والبكاء، قد تم في خضم تيار المحبين الذي عملت الطريقة الراشدية على إحيائه ونشره في المغرب منذ فجر المائة العاشرة للهجرة.

ولما كان الاستحسان أساس الصورة الروحية المتميزة والقوية التي اشتهر بها الشيخ رضوان الجنوي، وهو مبدأ مشروط في الطريقة الشاذلية بالتقيد بالشريعة، فإنه "كان كله شريعة" كما قال الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي (ت. 1013 / 1604)، وما دام قد بنى المعاملة بينه وبين الخالق على الخشية والمراقبة، فمدار العبادة عنده على الطاعة الكاملة والاتباع الشديد لأحكام الشرع وآداب السنة، وقد عبر عن درجة ترسمه بالشريعة بقوله "لو مثلت لي الشريعة بين يدي كأنها دار أو حصن، وقيل لي اختر لنفسك يا رضوان إما أن تهتك هذا الحصن وإما أن يجز

عنقك، لقلت يجز عنقي ولا أسقط منه مقدار ذرة من التراب"، فاتسمت أحواله كلها بالصدق قولاً وفعلاً، وما لم يظهر لأصحابه وجهه من ذلك سألوه فأخبرهم لعلمهم أنه لا يتحرك ولا يسكن إلا بوجه صحيح.

ومن ثم أقبل الشيخ رضوان الجنوي على الأعمال عبادات وطاعات، في يقظة وعدم غفلة أو فتور، مع مراعاة الأوقات، وشدة الورع في التصرفات، والابتعاد عن الرخص، والإقبال على الجد. فباع نومه بالسهر، وعمر أوقاته بالصلاة والتلاوة والذكر، وحافظ على استعمال الأوراد والأذكار والأدعية المختلفة باختلاف الأحوال ؛ وأفنى عمره في التدريس، فتأدب على يديه صبيان الحاضرة الفاسية، وقرأ عليه أعيان الدولة السعدية، واختص في علوم الحديث والتصوف والقراءات والفقه وقواعد اللغة ؛ وعكف على المطالعة والتأليف والتقييد والنسخ ؛ وتصدر في نفس الآن لتربية السالكين وتهذيب المريدين وكشف مشكلاتهم وتفصيل أحوالهم ؛ وبادر إلى رد المظالم ؛ وغير ذلك مما لا يمكن حصره من أعمال حياة مليئة الأوقات بمختلف أنواع الطاعات والعبادات، وقد صور الشيخ رضوان الجنوي مقدار استغراقه في هذا الشأن بقوله "أوقاتنا والحمد لله معمورة ولو قيل لي غداً تموت لم أجد مستزاداً".

وظهور الشيخ رضوان الجنوي بالأعمال والطاعات إخلاصاً وصدقاً، لم يمنعه من إسقاط الشهرة بجميع مظاهرها والدعاوي بجميع أنواعها محواً للرياء ومجاهدة للنفس : فاستعفى حين عرض عليه شيخه سقين أرضاً تحرث بخمسة أزواج، قصد تأسيس زاوية يجمع فيها المريدين ويطعم بها الواردين، ولو استجاب لألقى حجرعثرة في طريق بيت بني الجد، وذهب بحظوظ الزاوية الفاسية في الظهور والاشتهار. وتبرأ من دعوى الشيخوخة، ونهى أتباعه عن الاعتقاد في صلاحه، ودأب على مخاطبتهم يا أصحاب ويا إخوان، وجعلهم أنداداً، ورأى أنه إنما يتعاون معهم على الدين وليس لهم بشيخ. ولم يترك أحداً يقبل يده، وكان يقول "ما يمد يده للتقبيل إلا أحد ثلاثة، مأذون أو مجنون أو طرمون، ولست بواحد منهم"، والطرمون في العامية المستهزئ بالناس. ولم يرم ربط الصلات مع كبار الصوفية والعلماء المشارقة الذين سمعوا به وتشوفوا إليه، مثل الشيخ محمد البكري (ت. 994 / 1586)، الذي بعث له بكتب من مصر، وشاركه مكاتبة في إجازة تلميذيه الشهيرين السلطان أحمد المنصور والإمام محمدالقصار. كما لم يوافق نفسه على حظ من الحظوظ الدنيوية من جاه أو مال، فانتحل أسباب معاشه من أجر التدريس ونساخة أمهات كتب الحديث بخطه الذي كان في غاية الجودة والرونق. وتورع عن أخذ المال الذي بيد الحكام سواء كان وقفاً أو هبة، بل تحرى أن يأخذ أجراً من الصبية الذين يترددون على مكتبه للتعلم والذين يعلم أن آباءهم يتولون خططا مخزنية.

وإدبار الشيخ رضوان الجنوي عن الدنيا وأهلها هو الذي يفسر ضمور الدور السياسي في سيرته، فرغم أنه عاش أكثر من نصف عمره في كنف الدولة الوطاسية، فإنه لم تعرف له مشايعة لأمرائها، ولا مشاركة في مجريات الصراع الذي دار بينهم وبين الشرفاء الزيدانيين، بل إنه هرع إلى مراكش وقد خضعت للسعديين، وهو في إبان حداثته، تشوفاً إلى زيارة وصحبة الشيخ الغزواني خصم الوطاسيين، ولم تمض خمسة شهور على مقامه بها حتى وقعت الهزيمة على الجموع الوطاسية بأنماي، وذلك في شهر ذي القعدة من عام 935 / شتنبر 1529، شهراً واحداً بعد وفاة الشيخ الغزواني. وكذلك خرج الشيخ رضوان الجنوي بأهله إلى جبل ويلان وهاجر فاساً لما حاصرتها الجيوش السعدية عام 956 / 1549، معبراً بذلك عن اعتزاله للفريقين، وعدم اقتفائه لأثر شيخه الغزواني في تشيعه للسعديين.

وإذا كنا نجهل موقف الوطاسيين من الشيخ رضوان الجنوي، فإننا نعلم أن السعديين قابلوا إعراضه وزهده بالإقبال الشديد عليه والرعي الكبير لجانبه. وقد بذل السلطان محمد الشيخ (ت. 964 / 1557) ما في وسعه لاستمالته والتقرب إليه : فمباشرة بعد ظفره بفاس أول مرة عام 956 / 1549، وافق علماءها على تولية الشيخ رضوان على العدول المنتصبين بها للشهادة، وأن لا تصح البينة إلا بموافقته، وأنه هو الذي يقبل من أحب ويترك من أحب، وكتب له بذلك على جهة الجبر، وبعث له بكتابه مع الشيخ محمد اليسيتني (ت. 959 / 1551)، في رهط من أعوانه، فأنف ؛ ووصله بقسط من الهبات التي وزعها على العلماء والطلبة، فامتنع من أخذها ؛ بل إنه تشوف إلى مقابلته ورؤيته، وأرسل له في ذلك مع ابن شيخه محمد بن يحيى ابن بكار الغمدي (ت. 975 / 1567)، فلم يجبه إلى طلبه.

ولا نعلم مصدر البراءة الموجهة إلى الذي بيده مال المساكين، والآمرة بصرف منحة شهرية للشيخ رضوان، هل صدرت عن السلطان محمد الشيخ أم عن نجله وخليفته السلطان عبد الله الغالب بالله (965 - 982 / 1557 - 1574). والذي سعى في استصدارها هو محمد بن بكار المذكور بطلب من أحد صحب الشيخ رضوان، وكان مآلها الرفض من قبله. ولم يقتصر تحبب الشرفاء الزيدانيين إلى الشيخ رضوان الجنوي على السلاطين وحدهم دون بقية أفراد البيت السعدي، وقد أهدته أخت السلطان عبد الله الغالب جمالاً محملة قمحاً.

وسار السلطان عبد المالك المعتصم (984 - 986 / 1576 - 1578) على سنن سلفه في وصل الشيخ رضوان الجنوي وإكرامه، وأوفد إليه رسوله بمال وبراءة، فرد متاعه إليه. وأخيراً جاءه الطلب الذي لا يسعه رده، وذلك من السلطان أحمد المنصور (986 - 1012 / 1578 - 1603)، واسطة عقد الدولة السعدية، الذي قصده في قراءة *صحيح البخاري* عليه، فأجابه إلى طلبه، وأجازه فيه، وكتب له بالإجازة

على النسخة الرائقة التي أنشأها هذا السلطان العالم من الكتاب المذكور، كما أخذ عنه أمهات أخرى في علم الحديث. وقبول الشيخ رضوان الجنوي بالسلطان أحمد المنصور تلميذاً لا يعني قبوله بنواله وعطائه، وقد بعث له زرعاً لداره، فأفرغه حملته بها في غيابه، فلما جاء أمرهم بنقله، فرفعوه وكنس موضعه، وتتبع الثقب في الحائط بعود في يده يخرج ما فيها من الحبوب.

وإذا كان السلاطين السعديون يقصدون الشيخ رضوان الجنوي بهباتهم وعطاياهم، فلا يقبلها منهم ويردها تورعاً وزهداً، فإنه كان يقصدهم بدوره، بشخصه تارة وبمكاتباته تارة أخرى، في رد المظالم ورفع المناكر، فيعملون بما يأمر به من معروف، ويتحملون منه، لعلمهم بقيامه لله بحجته في عباده وبلاده، وقصده النصح للشريعة، وعدم خوفه في الله لومة لائم، وشدة شكيمته على الظلمة وعدم اكتراثه بهم. وقد طلب من السلطان مرة عزل حاكم فاس فعزله، لأنه مر به وهو يفصل بين الناس، فتقدم إليه وسأله : أيها الحاكم أتعرف *ابن الحاجب* ؟ فقال له لا، فقال له : أتعرف خليلا ؟ فقال لا، فقال له " أتعرف *الرسالة* ؟ فقال له لا إنما أنا حاكم، فقال له : بأي شيء تحكم بين الناس، لا والله لا يحل السكوت عن هذا. وكتب إلى السلطان عبد المالك المعتصم يصف له حال أرباب مخزنه، وما جروه على الرعية من ظلم وطغيان، ونقتصر من كتابه هذا على الفقرة التالية "كثر الفساد وأهله، وضعف الدين وأهله، من طغيان الرماة وخدام جانبكم، لأنهم كالذئاب الضارية والسباع العادية، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، بل ما تأمرهم به الشياطين والنفوس الامارة". وكان يتوجه في بعض المظالم إلى تلميذه السلطان أحمد المنصور مرفوقاً ببعض خواص أصحابه، فيجلس السلطان بين يديه، هو وقاضي الجماعة عبد الواحد الحميدي (ت. 1003 / 1595)، ومفتي فاس وشيخ الجماعة يحيى السراج (ت. 1007 / 1598)، والقواد، ويستمعون في حسن أدب لنصائحه وأمره بالالتفات إلى الرعية. وكان الشيخ رضوان الجنوي قد ابتدر إلى حضور معركة وادي المخازن، وخرج إليها مع أهل فاس وقد نيف على السبعين، رغبا في الأجر وطمعا في الشهادة، وكان من جملة الأعيان الذين حضروا مشهدها العظيم. فلما تحقق النصر، وتمت بيعة السلطان أحمد المنصور، سارع إلى مكاتبته مصرحاً بالرأي الذي اجتمعت عليه الرعية من المبادرة إلى تحرير الثغور المحتلة وانتهاز الفرصة السانحة، وعبّر عن هذا الاتجاه في الفقرة التالية من كتابه "وإلى هذا فالله الله في الحزم وإمضاء العزم، وهو ما ظهر لرعيتكم من انتهاز هذه الفرصة الممكنة في هذا الوقت، من الحركة لمدائن الكفار التي هي طنجة وأصيلا وسبتة، فإنهم في هذه الساعة في دهش وخزي وخذلان". ونبهه في كتاب آخر إلى واجب فداء الأسارى المسيحيين بالمجاهدين المغاربة الذين وقعوا في أسر الإيبريين، وليس بالمال وإهمال افتكاك المسلمين.

وكما كانت للشيخ رضوان الجنوي دالة المشيخة على السلطان أحمد المنصور، كذلك كانت له على العديد من أعيان دولته، من أرباب الخطط الشرعية السامية من قضاء وفتيا وامامة وخطابة، من أعلام الحياة الفكرية على عهد الدولة السعدية، ومنهم : مفتي فاس وخطيب القرويين محمد القصار (ت. 1012 / 1604) الذي انتهت إليه رئاسة الحديث من بعده، وشيخ الجماعة ومفتي حضرة الامامة مراكش عبد الواحد بن أحمد الحسني السجلماسي (ت. 1003 / 1595)، وقاضي شفشاون أحمد بن الحسن بن عرضون الزجلي (ت. 992 / 1584)، ومؤدب أبناء الشرفاء الزيدانيين وسراة دولتهم محمد بن يوسف الترغي (ت. 1009 / 1600 . 1601)، والعالم المعقولي الحسن الهداجي الدرعي المعروف بالدراوي (ت. 1006 / 1598) المتصدر للتدريس بدرعة وفاس وزاوية الدلاء، والعالم أحمد بن محمد الأندلسي المعروف بحُبيب نزيل فاس (ت. 1013 / 1604)، وغيرهم من العلماء الأعيان الذين تتلمذوا على الشيخ رضوان الجنوي وأخذوا عنه.

ويمتاز على عموم تلامذته وأتباعه كل من أبي القاسم ابن عبد الواحد المخلوفي (ت. 1002 / 1594)، وأحمد بن موسى المرابي (ت. 1034 / 4 . 1625)، اللذين سرت فيهما نفحته الصوفية، وعرفا بشدة ملازمتهما له. وقد قدم الشيخ أبو النعيم الأول على سائر أصحابه، وأوصاهم عليه، وقال لهم فيه "حضور سيدي أبي القاسم بهذا المجلس من نعم الله علينا، فهو والله نعم الصاحب". وقدمه في الصلاة كما فعل معه شيخه الغزواني، وكان في مرض موته إذا سأله أحد يأمره بالجواب. أما المرابي الذي انتسب إلى الشيخ رضوان عام 977 / 69 . 1570، فقد قربه وخصه بتجميع البطائق التي كان يثبت فيها أقواله وأشعاره، ومكنه من مادة *تحفة الاخوان*، التي شرع في تأليفها عام 992 / 1584، وأخرجها في مجلدين.

ولم يكن للشيخ رضوان الجنوي من الأهل سوى زوجته التي لم يخلف منها ولداً ذكراً إلا ابنة واحدة، ومن ثم جاء لقباه أبو النعيم وأبو الرضى المنسوبان إلى اسمه لا إلى عقبه. وقد زوج ابنته الوحيدة هاته لتلميذه أبي القاسم المخلوفي، ولها عقب بفاس يعرفون بأولاد ابن المبارك، أما زوجته التي رضي بها بلاء وأذى له في حياته، فقد تزوجها تلميذه المرابي من بعده، وخلد شرورها في التحفة.

وقد جمع المرابي ما تفرق من نظم الشيخ رضوان الجنوي في ديوان سماه *المسك المختوم فيما للشيخ أبي النعيم من المنظوم*، وجعله مسك ختام *التحفة* ؛ وللشيخ رضوان أيضا شعر حسن في الأمداح النبوية، وأمداح في رشيشة شيخه عبد الله الغزواني، و*نظم رجال حلية الأولياء* لأبي نعيم الأصبهاني، وهي أرجوزة في ألف ونيف من الأبيات، ذكر في آخرها أنه انتهى منها عام 982 / 1574. أما تآليفه المنثورة فهي *فهرسة*، و*تأليف في ذم الغيبة*، جلب فيه أقوال

العلماء فيها، ومناسبته شدة تحرزه من الغيبة، وحفظه للسانه بحيث كان لا يذكر غائباً ولا يسمح بذكر من غاب إلا بما اقتضاه العلم، وله *تخريج أحاديث الشهاب* للقاضي القضاعي، و*تأليف في الفقه* يذكر له دون تحديد موضوعه أو عنوانه، وتقييدات كثيرة.

وحدثت وفاة الشيخ رضوان الجنوي بمنزله في زنقة العنوز من عدوة الأندلس من فاس، وذلك ليلة رابع عشر ربيع الأول عام واحد وتسعين وتسعمائة / 7 أبريل 1583، وصلي عليه من الغد بعد صلاة ظهر يوم الخميس بجامع الأندلس، كأنه لم يخلف موعده الذي دأب عليه في حياته من تخصيص يوم الخميس للإشراف والقيام بنفسه على تنظيف هذا الجامع. وصلى عليه إمام هذا الجامع وخطيبه محمد المرابط نجل شيخه محمد بن جلال المغراوي التلمساني (ت. 1008 / 1599)، ودفن بأعلى مطرح الجنة، وحضر جنازته أهل فاس البالي والقديم، وعلى رأسهم أمير الوقت وولي العهد محمد الشيخ المامون (ت. 1022 / 1613)، ولم يدفن إلا بعد صلاة العصر بعد مشقة عظيمة من الازدحام، ولم يرجع الناس من جنازته إلى أن غاب القرص. وعدّت وفاته من الأحداث الجسام التي عرفها عام 991 / 1583، بل إن كتب التاريخ لا تذكر هذا العام إلا بهذا الحدث الجلل. واتخذ الجنان الذي دفن به الشيخ رضوان الجنوي مقبرة لدفن الأموات، وبني عليه بيت، جدد بناءه بعد خرابه السلطان المولى الحسن (1290 ـ 1312 / 1873 ـ 1894).

ولم يترك الشيخ رضوان الجنوي من متخلفه بعد تجهيزه إلا الحصيرة التي كان يصلي عليها والخيط الذي كان يشمر به أكمامه للوضوء، فبيع ذلك بثمن غال، ورفع ثمنه لابنته التي لم يترك معها عاصباً، فامتنعت من قبضه، فاشترى به أصحابه موضعاً بجوار حمام الجياد من حومة البليدة وفندق اليهودي من عدوة فاس القرويين، واتخذوه زاوية يتلون فيها أوراده، واجتمعوا فيها على صاحبه وصهره أبي القاسم المخلوفي، واشتهرت بزاوية سيدي رضوان.

أ. المرابي، *تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان*، مخطوط خ ع، 154 ك ؛ م. القصار، *فهرس*، مخطوط خ ع، 1427 ك، ضمن مجمع ؛ 207 ـ 214 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 1 : 197 ؛ *درة*، 1 : 274 ـ 275 ؛ *لقط*، 318 ـ 319 ؛ أ. المقري، *روضة*، 35 ؛ م. العربي الفاسي، *مرآة*، ط. حجرية، 69، 72، 138، 164، 209، 214، 233، 234 ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة*، مخطوط خ ع، 76 جـ، 40 ؛ *ممتع*، تح. ع. العمراوي وع. مراد، 8، 45، 93 ـ 94 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، تح. ز. النظام، د.د.ع، كلية الآداب بالرباط، 1 : 210 ـ 219 ؛ أ. ابن عطية، *سلسلة الأنوار*، مخطوط خ ع، 2458 ك، 114 ـ 115 ؛ م. الافراني، *نزهة*، نشر هوداس، 130 ـ 131، 172، 238 ؛ *صفوة*، ط. حجرية، 6 ـ 8، 9، 14، 16، 17، 42، 43، 61، 66، 79، 94، 98، 125 ؛ م. القادري، *نشر*، 1 : 89 ؛ م. الحضيكي، *طبقات*، تح. أ. بومسزگو، د.د.ع، كلية الآداب بالرباط، 34، 45، 65، 143، 149، 185 ـ 186، 272، 368، 387، 393، 314، 316 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 65، 191 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ط. حجرية، 2 : 257 ـ 262 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 3 : 227 ـ 236 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، تح. إ. عباس، 1 : 233، 235، 245، 248، 265، 285، 353، 434 ـ 436 ؛ 2 : 257، 628، 764، 765، 775، 965، 966، 981، 987، 988 ؛ م. مخلوف، *شجرة النور*، 286، رقم 1092 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء*، تر. ع. الخلادي، 166، 179 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 3 : 27 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 117، 187، 195، 196 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 24، 121، 154، 274، 359.

عبد الله نجمي

الجنوي، سعيد السلوي القائد الذي تضيف إليه الوثائق صفة "الأمين"، قائد سلا الشهير خلال فترة تبعيتها للسلطة الدلائية. نصبه محمد الحاج الدلائي سنة 1051 / 1641 على رأس مدينة سلا القديمة، لوثوقه في ولائه أكثر من العنصر والأندلسي، وسرعان ما أصبح أمين سر الحاكم الفعلي لمدن معسب أبي رقراق عبد الله بن محمد الحاج الدلائي الملقب في الوثائق الاوربية "بأمير سلا"، وأسندت له النيابة والإشراف على قواد القصبة، وسلا الجديدة (الرباط) وسلا القديمة منذ سنة 1062 / 1651، متحكماً في إدارة المنطقة بنفوذ متعاظم بسبب الامتياز الذي كان يحظى به من طرف الأمير، بالإضافة إلى إشرافه على الأنشطة التجارية والدبلوماسية، وتسيير المفاوضات مع ممثلي الدول الأوربية وخاصة الأقاليم المتحدة. وقد ظل رجل الإمارة الدلائية القوي إلى أن توفي في ذي الحجة سنة 1065 / أكتوبر 1655.

م. حجي، *الزاوية الدلائية*، ص 172 ـ 74.

De Castries, *S.I.H.M.*, 1ère série, Pays Bas, T. V, p.

حسن أميلي

الجَنّوي، محمد بن الحسن العمراني الحسني المدعو الكبير، من أئمة وأعلام القرن (18 م) الثاني عشر الهجري وأشياخ كبار العلماء أمثال الفقيه المجتهد محمد الرهوني، الذي خصص حيزاً كبيراً من *حاشيته على الزرقاني* للتعريف به، وأحمد الحضيكي السوسي، ومحمد بن عجيبة التطواني وسليمان الحوات الشفشاوني ومحمد بن عبد السلام الناصري الدرعي وغيرهم. أجمع تلامذته وشيوخه على نعته "بالإمام العلامة" و"الفقيه" و"المفتي" و"خاتمة المدققين والمحققين"، كما وسموه "بالصلاح" و"المروءة التامة" و"الدين المتين" و"الزهد"، ووصفه شيخه وشيخ الجماعة محمد بن قاسم جسوس "بوحيد زمانه وفريد عصره وأوانه علماً وعملاً".

ولد محمد بن الحسن الجَنّوي (بفتح الجيم والنون) بمدشر أسجن قرب وزان في رجب من عام 1135 / أبريل ـ

ماي 1723 في بيت علم وشرف، وقد تفرد محمد بن الصادق ابن ريسون، وهو نسابة الشرفاء العلميين على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، بنسبة مترجمنا إلى البيت العمراني الحسني. نشأ محمد الجنوي وحفظ القرآن في قريته ثم انتقل في طلب العلم إلى القصر الكبير ثم إلى الزاوية الريسونية بتازروت ثم إلى تطوان وأخيراً إلى فاس.

تتلمذ محمد الجَنَوي في هذه المراكز العلمية الشمالية حيث لجأ عدد من كبار العلماء أيام الفترة الموالية لوفاة المولى إسماعيل ثم خلال مجاعة 1150 . 1151 / 1739 . 1737، على كبار أشياخ الوقت من العلماء العاملين المجتهدين أمثال أحمد الورزيزي الكبير ومحمد بن قاسم جسوس وعمر الفاسي ومحمد التاودي ابن سودة. ففي تطوان أخذ عن الشيخ أحمد الورزيزي الكبير الذي عرف بمواجهاته مع سلطان الوقت في إطار قيامه بواجب الحسبة والنصح، وبإشراقاته الصوفية التي دفعت بعض معاصريه إلى اتهامه بالاعتزال. أما بفاس فقد تتلمذ المترجم على شيخ الجماعة محمد بن قاسم جسوس الذي كان يعتبر "بحراً لايجاري في شتى العلوم، معقولها ومنقولها"، ورجلاً ديناً زاهداً" بعيداً عن جميع الأسباب المخلة بالمروءة". وقد رأينا كيف أن هذا العالم الجليل بالغ في مدح محمد الجنوي الذي وصفه "بوحيد عصره علماً وعملاً. كما أخذ المترجم عن عمر الفاسي علم الكلام والعقيدة الأشعرية، هذان المجالان اللذان لم يكن يشارك أبا حفص فيهما أحد من علماء وقته. ومن أشياخ مترجمنا كذلك العالم المسن محمد التاودي ابن سودة الذي خلف محمد بن قاسم جسوس في مشيخة الجماعة والذي كان يكن لمحمد الجنوي محبة وتقديراً كبيرين كانا السبب في لقاء هذا الأخير بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله.

أما شيخ الجَنَوي في التصوف والطريقة فهو، حسب ما أورد ابن عجيبة في *أزهاره*، الولي مولاي أحمد الصقلي. ومعلوم أن هذا الولي الصالح كان يحترف بيع العطور ويتعاطى قراءة كتب القوم وارتياد مجالسهم قبل أن يلتقي خلال رحلاته الحجازية الثلاث بالشيخ محمد بنسالم الحفناوي المصري ويتلقى منه الإذن بنشر الطريقة الخلوتية بالمغرب. وبالفعل، فقد كان مولاي أحمد الصقلي في آخر أيامه شيخ هذه الطريقة بفاس والقائم بالدعوة إليها. ساق الرهوني في ترجمة شيخه إجازة محمد بنسالم الحفناوي للجنوي واستدعاء هذا الأخير له بالإجازة، وهو ما يهمنا في هذا المقام لأن هذه الرسالة تؤكد انتماء مترجمنا للجماعة الخلوتية.

كل من ترجم للشيخ الجَنَوي يشير إلى عظيم اعتنائه بطلب العلم وتلقينه، إلى حد أنه أصبح "إماماً في كل فن" (الرهوني) و"أروع مثال لمدرسي وقته" (الخضيكي). وكانت له طريقة متميزة في التدريس أشاد بها كل تلامذته. فسليمان الحوات تعجب من "حفظه وحسن إملائه بلسان جبلي"، وابن عجيبة أشار إلى "تحريره وتدقيقه للمسائل وعدم رضاه بالتقليد في شيء من علومه" مضيفا أن دروسه كانت كلها ممزوجة بالعبادة". أما الرهوني الذي صاحب المترجم وخدمه مدة طويلة فقد وصف بدقة المنهج الذي كان يتبعه في محاضراته فهو "لم يكن يقتصر في دروسه على شرح معين بل يطالع ما أمكن من الشروح والحواشي ويراجع المسائل في أصولها ويعارض النقول بين المردود والمقبول هكذا في التفسير والحديث والكلام والفقه والأصول والنحو والبيان والمنطق والتصوف".

هذه الطريقة في تحقيق وتدقيق النصوص والإتقان في البحث جعلت الناس تلجأ إليه في حل المشكلات خصوصاً وأن فتاويه لم يكن يردها أو يخالفها قاض أو حاكم.

هذا فيما يخص محمد بن الحسن الجنوي العالم والمدرس والمفتي، أما الجنَوي الإنسان فقد وصفه معاصروه بالتعفف والزهد في الدنيا "يحب الخمول ويفر من الشهرة ولايرغب في ملاقاة أولي الأمر"، وإذا اشتدت به الحاجة خرج يلازم عند شرفاء وزان للخطبة والصلاة وتدريس العلم"، وفي السراء يعود إلى مجالس العلماء بفاس. كان هذا دأبه، حسب قول أحمد بن عجيبة، "إلى أن أخذته شبكة الأقدار" ودخل الخدمة المخزنية . إشارة إلى أنه لم يسع في ذلك لكنه لم يستطع مخالفة أمر الأمير. وكان السبب في ذلك أن الشيخ محمد التاودي ابن سودة أثنى عليه وعلى سعة علمه وحسن خلقه بحضور السلطان سيدي محمد بن عبد الله فأمر هذا الأخير بإحضاره من وزان، وكان ذلك حوالي عام 1184 / 1770. وجيء بالجنوي لمكناس فأكرمه السلطان وكلفه بالتدريس والخطبة والصلاة في جامعها الكبير، ثم نقله بعد ذلك إلى طنجة وإلى تطوان وأخيراً إلى مراكش حيث وافاه الأجل. وكان في تنقله هذا بأمر من السلطان خيرٌ عميم حيث مكن عدداً كبيراً من الطلبة من الانتفاع به والأخذ عنه. وهذه جملة حسنات السلطان سيدي محمد بن عبد الله ومساهماته في نشر العلم وتعميمه.

ولعل بعض معاصري محمد بن الحسن الجنَوي قد عابوا عليه قبوله للخدمة السلطانية وللمال المخزني المشبوه، لذلك فان تلميذه محمد الرهوني قد ارتأى في مقدمة حاشيته أن يرد على هذه الاتهامات ويؤكد على صلاح شيخه وورعه حيث "لم ير منه قط ما يوجب ثلما وما يلحق به وصما" سواء قبل الخدمة المخزنية أو بعدها.

ومما يؤكد صرامة الجنَوي في دينه واستمراره في القيام بواجب الحسبة حتى بعد الخدمة السلطانية ما أورده عدد من مترجميه حول ظروف وفاته. فقد نقل محمد داوود عن أحد تلامذة الجنوي، وهو محمد سكيرج التطواني، أن السلطان طلب من مترجمنا "الموافقة على فتوى في جواز استخلاص بعض الأموال من الرعية فأجابه بأن أموال الناس حرام كعرضهم، فحصل سوء تفاهم مما دفع المترجم إلى

الذهاب لروضة سيدي عبد الله الغزواني وطلب من الله ألا يلاقيه بالسلطان بعدها، فقبضه الله إليه".

أما سليمان الحوات فذكر في أسباب ومواصفات وفاة الجنوي المفاجئة أن السلطان سيدي محمد كان قد استدعاه لحضرته بمراكش "للمباحثة معه والتمذهب بمذهب السلطان المذكور في أمر كان مصمما عليه في حق بعض الأئمة الصالحين" ويشير الحوات هنا إلى تبني السلطان للعقيدة الحنبلية ودعوته علماء وقته لتبني موقفه من بعض أعلام العقيدة الأشعرية أمثال الغزالي وعياض وابن السبكي ... لكن الجنوي رفض أن يجاري السلطان في موقفه" إذ كان شديد الشكيمة في أمره صلبا في دينه، ولما قدم من بين يديه توسل إلى الله أن يقبض روحه قبل أن يلقاه ثانية"، وكان الأمر كذلك فقد مات الجنوي بعد ثلاثة أيام من لقائه بالسلطان سيدي محمد يوم 13 رمضان 1200 / يوليوز 1786.

إذا كان محمد الجَنَوي لم يترك مؤلفات أو كتبا فانه قد خلّف بصماته على الحياة العلمية في القرن الثاني عشر (18 م) من خلال الأشياخ الذين تخرجوا على يديه وخلّدوا سنده وطريقته في البحث على صفحات مؤلفاتهم. وعلى رأس هؤلاء آخر الفقهاء المجتهدين في المغرب بن أحمد الرهوني. فقد أورد صاحب *الفكر السامي* أن هذا الأخير اعتمد في حاشيته على "طرر شيخه أبي عبد الله محمد بن الحسن الجنوي"، التي كانت له على الزرقاني والحطاب والمواق والشيخ مصطفى الرماصي والشيخ بناني، كما اعتمد على طريقته في البحث والتحقيق والتدقيق، حيث "ينقل في حاشيته كلام المتقدمين بلفظه مما يفصح أغلاطا كثيرة وقعت لمن قبله في الاختصارات والملخصات".

م. محمد داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الأول، ص. 99 - 101 ؛ ع. بن إبراهيم المراكشي، *الإعلام*، 6 : 93 - 108 ؛ س. الحوات، *ثمرة أنسي في التعريف بنفسي*، مخطوط، رقم ك 1264 ؛ أحمد ابن عجيبة، *أزهار البستان في طبقات الأعيان*، مخطوط رقم ك 286، خ. ع. الرباط ؛ محمد بن الصادق ابن رسيون، *فهرسة*، مخطوطة رقم ج 71، خ. ع. الرباط ؛ م. الحضيكي، *مناقب*، مخطوط رقم د 1124، خ. ع. الرباط ؛ م. الرهوني، *حاشية على شرح عبد الباقي الزرقاني*، مصر، الجزء 1، 16 - 25.

فاطمة الحراق

الجَنَوي، محمد بن محمد بن الحسن العمراني الحسني التطواني (ابن الفقيه الجنوي الكبير) الفقيه العلامة النوازلي المفتي المدرس المحصل الفهامة. حاز رئاسة الفقه في زمانه، ودارت عليه الفتوى بتطوان ونواحيها غير مُزاحَم.

أخذ عن أبيه ومشايخ عصره. وتولى مكان أبيه، وهو في قيد الحياة، الخطابة والتدريس بجامع العيون من تطوان.

قال المؤرخ الرهوني التطواني : حدثني شيخنا الشريف العلامة البركة سيدي محمد بن أحمد البقالي رحمه الله أن هذا الشيخ كان أعلم من أبيه بالنوازل والأحكام.

ومن أقواله المشهورة : "ان (دَرْقاوة) - يعني الطائفة الصوفية المشهورة بالمغرب المنسوبة إلى الشيخ العربي الدرقاوي - قاموا في هذا القطر، والنصارى الفرنسيس قاموا في قطرهم، يعني الثورة الفرنسية سنة 1203 / 1789، وكلهم ينشأ منهم فسادٌ هذا العالم".

حكى عنه هذه القولة المؤرخ سكيرج التطواني. وعلق عليها الفقيه الرهوني المؤرخ بهامش نسخته من تاريخ السكيرج بقوله : انظر إلى هذه المقالة ما أبشعها !

أما سكيرج فعقب عليها بما يفيد الموافقة. وأما الأستاذ محمد داود فأسهب في التعقيب والتنظير بما يحسن الاطلاعُ عليه. والمهم أن خبر الثورة الفرنسية بلغ المغرب مشوها بفعل أعدائها مما جعل المترجم له يتوقع منها - ومن حركة التصوف الدرقاوي - فساد العالم. والجدير بالذكر أن المترجم له كان ضمن جمع العلماء الموشح لمناظرة الفقيه محمد بن محمد المكودي التازي الذي نكب مع الشيخ أحمد ابن عجيبة وأتباعه على يد عامل تطوان حُمان الصريري بالسجن، في حادثة الصوفية التي ألف فيها المكودي المذكور كتابه الإرشاد والتبيان وقد رأى المترجم له ما أحدثه الصوفية من فوضى في البلد بما عرف عنهم مما يسمونه التجريد وسلب الإدارة - وهو تخلي المريد عن العمل إقباله على إصلاح نفسه بمخالفتها بارتكاب مالا يليق مما يخالف العقل والنقل - وهذا ملحظ المترجم له بقولته المذكورة.

توفي بتطوان عام 1214 / 99 - 1800.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 9 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 6 : 195 ؛ ابن عجيبة، *أزهار البستان*، مخطوط، ص 205 ؛ م. المكودي التازي، *الإرشاد والتبيان لرد ما أحدثه الرؤساء من أهل تطوان*، مخطوط، ص. 23.

الجَنَوي، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن العمراني الحسني التطواني (الحفيد) الفقيه العلامة المفتي النوازلي المدرس القاضي، أخذ عن أبيه وأقرانه من علماء بلده.

اشتهر بالتحقيق والفتوى وإتقان خطة القضاء. ولاّه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام العلوي قضاء مدينة وزان، ثم مسقط رأسه تطوان، ثم أعفاه منه، ثم ولاه مرة ثانية واستمر قاضياً بتطوان بها إلى أن توفي رحمه الله عام 1271 / 54 - 1855.

أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 6 : 9.

محمد بوخبزة

الجنوي، مراد أو جَنْوَة مراد، رايس بحري من العلوج الايطاليين العاملين في أسطول الجهاد بمصب أبي

رقراق خلال فترة حكم ديوان القصبة الأندلسي في منتصف القرن الحادي عشر (17 م). كان من ضمن المجاهدين النشيطين خلال موسم 1047/ 1637، لكن اضطرته الظروف الملاحية آنذاك إلى اللجوء إلى ميناء لاروشيل (La Rochelle) الفرنسي ؛ حيث قامت السلطات الفرنسية بمصادرة سفينته. وقد أثار هذا الحدث حفيظة الديوان، ودفعهم إلى الاحتجاج، والقيام بردود فعل ضد القنصل الفرنسي بسلا الجديدة ومحاصرته والمطالبة بسجنه ومصادرة ممتلكاته، لولا تدخل الحاكم عبد الله القصري، ووعده الأندلسيين باستعادة ماضاع منهم.

De Castrie, *S.I.H.M.*, 1ère série, France, T. III, p. 536 - 37.

حسن أميلي

جَنْيَارة، منطقة خصبة بين فاس وطنجة ورد الكلام عنها عند أبي عبيد البكري هكذا : "جنيارة والنسبة إليها جنياري وجنيوري، ومن كرت إلى موضع يقال له جناوة، قال محمد : جنيارة ويعرف بالجبل الأشهب" (*المغرب*، ص 111)، وجاءت عند صاحب *الاستبصار* (188) : "بلد جنيارة" وفي (*البيان المغرب*، 1 : 235) "حصن جنيارة في الجبل الأشهب" : أما كتاب *الروض المعطار* (ص. 176) فذكرها هكذا : "جنيارة مدينة بين فاس وطنجة قرى كثيرة جامعة عامرة وزرع وضرع في جبل سهل أبيض مثل الطيلسان يسمى الجبل الأشهب".

الواقع أن الحميري في *الروض المعطار* ومن حذا حذوه، من قدماء المؤلفين ومن الدارسين المحدثين وقعوا في خطأ بيّن نتج عن قراءة غير متأنية للمصادر التي ورد فيها اسم جنيارة أول مرة ؛ فأساليب كُتّاب العصر الوسيط ومنها أسلوب أبي عبيد البكري والإدريسي مثلاً تذكر المدن أحياناً باسماء جهاتها أو بما اشتهرت به مثل قولهم عن مدينة البصرة المغربية مدينة الألبان ومدينة الذبان لكثرة البانها، ومثل قولهم مدينة السوس أو مدينة درعة والمقصود عاصمة المنطقة والأمثلة كثيرة، فالمقصود إذن قاعدة المنطقة أو المدينة الرئيسية فيها أو باللغة الإدارية الحالية عاصمة الإقليم، فالبكري مثلاً تحدث عن أكبر مدينة في منطقة درعة بقوله : "وقاعدة درعة "تيوميتين" (*المغرب*، ص 156) وتحدث غيره عن مدينة درعة ويقصد تيوميتين، على أن آخرين ساروا مع اللفظ فتحدثوا عن مدينة درعة ! وقد تنبه بعض الكتاب الوسيطيين لذلك فقال مصححاً "وليست درعة مدينة "وانما قرى وعمائر متصلة ..." وبنفس الأسلوب ذكرت مدينة جنيارة، ويقصد بها قاعدة المنطقة والمدينة الرئيسية فيها، وهي يجاجين أو اجاجن كما ورد عند البكري (*المغرب*، ص 114 و129).

وتعرف اليوم بـ أسجن أو أزجن، وهي مركز جماعة قروية على كلمترات قليلة شمال غرب مدينة وزان (*خريطة المغرب العامة* مقياس 1.000.000 : 1). لايتعلق الأمر إذن بمدينة اسمها جنيارة لأن الحميري نفسه قد وقع له التباس فهو يقول : "جنيارة مدينة بين فاس وطنجة، قرى كثيرة..."، وجنيارة هي المنطقة التي تقع فيها مدينة وزان وأزجن وقد اشتهرت بخصوبتها الشديدة تارة باسمها وتارة تحت اسم الجبل الأشهب وجبل صرصر، وعرفت منذ القديم نشاطاً فلاحياً مكثفاً نتج عنه انتشار التجمعات السكنية على المرتفعات والسفوح المطلة على الأودية : "... قرى كثيرة جامعة عامرة وزرع وضرع ..." (*الروض المعطار*، 176)، ولشدة خصوبة أرض جنيارة ضرب بها المثل وشبهت بالدجاجة التي "إن أصابها ديك" أتت بالبيض وان لم يصبها ديك أتت بالبيض، تحتك في الغبار وتلد" (*الروض المعطار*) وسياق ذلك أن رجلا أراد أن يقتني ضيعة ببلاد المغرب فسأل شيخاً من العارفين فقال له : عليه ببلد جنيارة فإنها مثل الدجاجة ؛ وبلد جنيارة قلّما تخلف لا في خصب ولا في جذب" أي أنها تخرج غلاتها وتعطي خيراتها الفلاحية سواء في السنوات الممطرة الخصبة أو في سنوات المحل والجذب (*الروض المعطار*، 176).

بعد مرور أزيد من خمسة قرون على وصف مصادر العصر الوسيط الأعلى للمنطقة، يأتي الحسن الوزان فيتحدث قائلاً عن أزجن : "مدينة بناها قدماء الأفارقة (المغاربة) على جبل بعيدة عن نهر (الكوس) بنحو عشرة أميال وهذه الأميال العشرة في سهل توجد به الحقول المحروثة، وبساتين هذه البلدة ومعظم الأراضي الفلاحية في الجبل (*وصف افريقيا*، 1 : 237). وتستمر أرض المنطقة تحت أسماء أخرى (اسم جنيارة اختفى منذ العصر الوسيط) في العطاء والخصب تيناً وزيتوناً وغلات أخرى.

أ. البكري، *المغرب*، الجزائر، 1911 ؛ مجهول، *كتاب الاستبصار*، الاسكندرية، 1958 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، بيروت، 1957 ؛ الحسن الوزان، *وصف افريقيا*، الرباط، 1980.

Carte générale du Maroc, Echelle 1 : 100.000 ; J. Martin (et al.), *Géographie du Maroc*, Paris, 1967.

محمد حجاج الطريل

الجنياري، أسرة فاسية مشهورة بالعلم والفقه والتصوف. يعود أصلها إلى قبيلة أو منطقة جنيارة التي تحدد المصادر الجغرافية موقعها بين فاس وطنجة (انظر جنيارة). انتقل بنو الجنياري إلى مدينة فاس فاستوطنوها خلال فترة غير محددة من العصر الوسيط وتصدوا للعلم والعرفان بجامع القرويين واتصلوا بكبار علمائه وفقهائه. وقد برز في هذه الأسرة مجموعة من العلماء والفقهاء والقضاة والخطباء، منهم القاضي الجنياري، لم تذكر المصادر اسمه كاملا واكتفت فقط بالإشارة إلى أنه تقلد القضاء بمدينة فاس في القرن التاسع وعُزل عن القضاء في نفس اليوم الذي عزل فيه كل من الفقيه أحمد بن سعيد الحباك القيجميسي عن الخطبة والفقيه القوري عن الإفتاء.

وهناك جنياريّان آخران لم يذكر مترجموهما غير كنيتيهما، وهما أبو عمران الجنياري، من شيوخ وأولياء

مدينة فاس الصالحين المباركين. أدرك الشيخ الصوفي أبا مدين الغوث فسمع منه وأخذ عنه. عُمِّر طويلاً ومات عن سن تصل إلى مائة وثلاث. توفي سنة 642 / 1244 أو سنة 649 / 1251 ؛ وأبو مدين الجنياري أحد صلحاء وصوفية المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن السابع وبداية القرن الثامن. كان له اتصال بالفقيه المجتهد جمال الدين عثمان بن عمر ابن الحاجب (ت. 646 / 1248). يُذكر أن أبا مدين الجنياري لقي ابن الحاجب سنة 644 هـ واستشاره في أمر أراد أن يصنعه، وطلب منه أن يدعو له، فدعا له وأنشده هذين البيتين :

فوض الأمر إلى من دبّرهْ ... فسواء ما له من مقدّرهْ
لا تُؤمِّل غير مولاك ومِلْ ... منه في كلّ الأمور الخيَرهْ

لا يعرف بالتحديد تاريخ وفاته، إلا أنه كان حيا في بداية القرن الثامن الهجري معاصرا لصاحب *الذخيرة السنية*. وقد انقرضت اليوم أسرة الجنياري بفاس.

أ. البكري، *المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب*، نشر دوسلان، باريز، 1965، ص. 111، 114 ؛ مجهول، *الاستبصار في عجائب الامصار*، نشر سعد زغلول عبد الحميد، الدار البيضاء، 1985، ص. 188 ؛ الحميري، *الروض المعطار*، تح. إحسان عباس، بيروت، ط. 1، 1984، ص. 176 ؛ ابن الاحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 69 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 : 314 ؛ أ. باب التنبكتي، *نيل الابتهاج*، بيروت، د. ت، ص. 82 ؛ مجهول، *الذخيرة السنية*، الرباط، 1972، ص. 63، 74، 80 ؛ ع. الكبير الكتاني، *جنى زهر الآس*، مخطوط.

الجنياري، عبد الله بن محمد، كان شيخاً صالحاً، كثير الصوم وتلاوة القرآن. تقلد الخطبة بجامع القرويين أيام السلطان أبي الحسن المريني منذ سنة 748 / 1348 خلفاً للفقيه المحدث أبي الفضل محمد بن يحيى المزدغي. وبقي في خطته إلى أن توفي يوم الخميس السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة 750 / 12 غشت 1349.

ع. الجزيائي، *جنى زهرة الآس*، ط. 2، الرباط، 1991، ص. 63 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 64.

الجنياري، محمد أحد فقهاء فاس وخطيب جامع القرويين بها، ولا نعرف إن كان ابن من قبله وهل خلفه في الخطبة بالقرويين.

توفي سنة 778 / 1377.

إ. ابن الاحمر، *بيوتات فاس الكبرى*، الرباط، 1972، ص. 69 ؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، تح. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، 1971، 2 : 274 ؛ *جذوة الاقتباس*، الرباط، 1973، ص. 236 ؛ م. حجي (محقق)، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط، 1976، ص. 128.

رشيد السلامي

الجنيدي، سالم بن العربي الحمري الأسفي أبو حامد، ولد عام 1231 / 1815 وتكوّن تكويناً فقهياً متيناً، حلاّه الكانوني في *جواهر الكمال* "بالفقيه المعمّر المقرئ الصالح الناسك. كان من العلماء العاملين، والأئمة المرضيين، دؤوباً على نشر العلم والقراءات السبع، دارت عليه الفتوى ببلده مع الثقة والأمانة والتقوى، غزير الدمعة رقيق القلب لا يرقأ له دمع إذا سمع قراءة القرآن حتى يسكت القارئ مهما طال الحال، وتلك عادته. تولى خطة العدالة ثم تخلّى عنها في آخر عمره".

قرأ في عبدة على أبي الطيب بن أبي مهدي الطواجيني وولده محمد وقد أجازاه في القراءات عن محمد بن عبد السلام الفاسي آخر القراء بالمغرب ومؤلف كتاب *المحادي في علم القراءات* بواسطة الشيخين عبد الله السگياطي الشيظمي، والتهامي الأوبيري الحمري.

رحل إلى فاس عام نيف وخمسين ومائتين وألف فأخذ عن بدر الدين الحمومي ومحمد بن عبد الرحمان الحجرتي، وأحمد المرنيسي ومن في طبقتهم. ورجع من فاس عام واحد وستين ومائتين وألف فدخل مراكش وصحب الشيخ الصوفي أبا بكر الناصري واقتدى به وذهب معه إلى تامگروت، ثم صحب بعده ولده محمداً الناصري.

اشتغل بالتدريس في مسقط رأسه، وأخذ عنه جماعة، منهم ولده فضول الجنيدي آتي الترجمة، والفقهاء أولاد أبي شيخه الطيب الحمري، كما أخذ عنه الشيخ عبد الحي الكتاني حين لقيه ببلاد اخمر بعبدة، وأدركته الوفاة ببلده ليلة الثامن عشر من جمادى الأولى عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف / 14 أبريل 1914 وقد نيّف على المائة سنة من غير هرم ولا اختلال عقل.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، ج 2 مخطوط ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 : 33، 34 ؛ ع. الكتاني، *فهرس الفهارس*، 2 : 849.

الجنيدي، فضول بن سالم الحمري الأسفي، قال في حقه الكانوني في *جواهر الكمال* : "الفقيه العلامة العدل البركة المدرس النفاع الناسك، من خيار أهل العلم، كانت له عناية بنشر العلم والقراءات".

درس العلم والقراءات بمسقط رأسه على والده الشيخ سالم الجنيدي سابق الترجمة، وعلى الفقيه أحمد بن أبي الطيب، ثم رحل إلى مراكش فأخذ عن الحاج محمد وزنيط والحاج علي بن سليمان الدمناتي وغيرهما، وأخذ التصوف عن الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني وسلب إليه الإرادة.

تولى في آخر عمره خطة العدالة فكانت فيها محنته وسجن بعين علي مومن لأمر لم يفصح عنه مترجمه. وتوفي في السجن وهو ساجد بعد ظهر يوم الجمعة [25] ذي الحجة عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف / 17 يوليوز 1925.

م. الكانوني، *جواهر الكمال*، الجزء الثاني، مخطوط، ص 115.

محمد حجي

جنْيُوس (Genius) عند الرومان عبارة عن قوة أو روح خفية تنشأ مع البشر وتقوم بحمايتهم حسب تعريف المؤرخ سرڤيوس (Servius, *ad georg*, 1, 302). وقد حاول البعض أن يجعل من هذه القوة، قوة مرتبطة بمبدأ الخصوبة، ويبدو أن الباحث G. Dumezil قد وضح بشكل قطعي بأن الأمر يتعلق بتأليه شخصية (Divinisation d'une personnalité) قد تكون شخصية إنسان أو شخصية مكان.

وأقدم شكل لهذه العبادة، هي عبادة جنيوس الفرد : "Genius" بالنسبة للذكور، وجنيو Juno بالنسبة للإناث، وكل شخص له قوة خفية تختلف عن قوة جاره، أما داخل محيط العائلة فالعبادة كانت توجه إلى رب العائلة (Pater Familias) ثم أصبحت بعد توجه إلى "جنيوس المنزل" "Genius Domus" ولم تعرف عبادة هذا الأخير انتشاراً واسعاً في افريقيا، فلا نتوفر إلا على نقائش قليلة عثر عليها في كل من مدن، لمبيز (Lambèse) وتيبيليس Thibilis بولاية نوميديا، ومدينة پورتوس ماكنوس "Portus Magnus" بموريطانيا القيصرية، أما في موريطانيا الطنجية فقد عثر بولبلي على نقيشة موجهة إلى جنيوس المنزل من طرف شخص يدعى (IAM, 2, 351), T. FL (avius) Germanus.

إلى جانب جنيوس الأفراد والعائلات، ارتبطت هذه القوة الخفية بالمدن سواء كانت مستعمرات (Colonies) أو مستلحقات (Municipes) وهذا مايمكن أن نترجمه بـ "رجال البلاد" أن الجنيوسي يمثل المدينة التي يحميها وهو تشخيص لها، ويبدو أن العبادة المخصصة له عرفت انتشاراً في اسبانيا وافريقيا، وكان يشرف عليها في الغالب موظفو المستلحقات أو المستلحقات نفسها وقد عثر في وليلي على نقيشة مهداة إلى جنيوس المستلحقة المقدسي "Genius sanctus municippi" من طرف حاكم الامبراطور (Procurateur) المدعو يوليوس أگريانوس (*BAM*, 16, 1985 - 86, p. 191).

ويمكن لهذا الجنيوس أن يكون محدد الاسم كما هو الشأن بالنسبة لهرقل في مدينة لمطة الكبرى بليبيا (*IRT*, 296) وأبولون بمقاطعة Henchir el Abiod بولاية البروقنصلية (CIL, VIII, 20207).

لم تقتصر هذه العبادة على الأشخاص فقط بل تتعدّتها إلى الأماكن، والاسم الذي كان يطلق على هذه القوى هو "جنيوس المكان" (Genius Loci) وقليلاً ما كان هذا المكان محدداً. إن أغلب الوثائق التي حملت ذكراً لهذه العبادة نجدها في نوميديا وموريطانيا، وكانت من اختصاص الموظفين والجنود السامين ولعل ما يؤكد ذلة هو الاهداء الذي عثر عليه "بعين الشقور" والمقدم من طرف فلاڤيوس نيون (Flavius Néon)، قائد كتيبة الاستوريين والغالبسيين على شرف "جنيوس المكان" الذي قد يعني المعسكر لأن الأمر يتعلق ببناء مقر القائد (Praetorium) من طرف أفراد جنده. والأمثلة المتعلقة "بجنيوس المعسكرات" عثر عليها في كل من معسكر "Bu Njem" بليبيا (AE, 1976, 699, 700) ومعسكر Tisavar بولاية "بيزاصينا" (*CIL*, VIII, 22759) ومعسكر Zoui بنوميديا (CIL, VIII, 17625).

ولاننسى ذكر نقيشة كانت محط نقاش بين الباحثين، وهي التي عثر عليها بمعسكر سيدي موسى بوفري (موريطانيا الطنجية) (*IAM*, 2, 814). هذه النقيشة مكسرة وبالتالي كانت مجالا للتاويلات والفرضيات. هل هو إهداء موجه إلى "جنيوس المكان" (Genio ULPII) على اعتبار أن "اولبيوم" هو الاسم القديم لمعسكر سيدي موسى بوفري (انظر *المعلمة* 3، ص 914 - 915) أم أن الأمر يتعلق بجنيوس الامبراطور تراجان "Genio ULPIO".

تبدو الفرضية الثانية أكثر قبولاً نظراً لكون مقدّم الإهداء فابيوس فلاكوسى هو قائد الكتيبة البارثية التي كانت أكثر التصاقا بالامبراطور تراجان. ومما يوضح ذلك النقيشة التي عثر عليها بسيدي موسى بوفري أو المقدمة إلى ربة مجهولة تحمل لقب أغسطس وتحمل إشارة لهذه الكتيبة البارثية (*BAM*, 16, 1985 - 86, p. 191).

وعثر في وليلي على نقيشة موجهة إلى جنيوس الأماكن إلى جانب الحوريات (Nymphae)، هذا الجنيوس يمكن أن يكون تعبيراً عن الشعبان خاصة وأننا نعرف الدور الذي احتله في المعتقدات الإفريقية. فقد اعتبر كحامي المنزل والمغارات وكذا كروح للأماكن الباردة كالعيون وللحامات ولعل النقيشة التي عثر عليها بحامة "Aquae Flavianae" بنوميديا والمقدمة إلى الحوريات والشعبان "Draco" تشير إلى الخصائص الطبية لهذا الجنيوس (*CIL*, VIII, 17722).

إن ما يمكن استخلاصه هو كون العبادة الموجهة إلى "الجنيوس" في مختلف مظاهره عرفت انتشاراً من حدود موريطانيا الطنجية إلى ليبيا الحالية، وهذا الانتشار له ارتباط بسياسة الرومنة رغم وجود جوهر محلي ان الأشكال المرتبطة بهذه العبادة كانت مزدهرة قبل مجيء الرومان واستمرت بعد مرحلة الغزو وحتى بعد سقوط الدولة الرومانية. ولعل مايؤكد ذلك هو استمرارية العبادة في اشكال جديدة حيث تم تعويض "جنيوس المنزل" مثلاً بـ "مُولْ الدار" أو جنيوس المياه "Genius Aquae" بـ"مُولْ العين" وعلى مستوى المدينة فان هذه الاستمرارية نجدها في شكل "رجال البلاد" الذين عوضوا "جني" المستعمرات والمستلحقات.

Daremberg - Saglio, *Dictionnaire des antiquités grecques et romaines*, S.V. *Genius* ; G. Dumezil, *Encore Genius. Hommages à R. Shilling*, Paris 1983, p. 84 - 92 ; M. Leglay, *Le culte du serpent dans les cultes africaines. Hommages à W. Deonna*, 1957, p. 338 - 353 ;

Dermenghen, *Le culte des saints dans l'Islam Maghrebin*, Paris, 1954 ; *CIL*, VIII, *Corpus des inscriptions latines* ; *AE*, *Année epigraphique* ; *IAM*, *Inscuptions antiques du Maroc, 2, inscuptions latines*, Paris 1982 ; M. Lenoir, *BAM*, 16, 1985 - 86, p. 191 et suiv.

عبد العزيز بلفايدة

الجهاد البحري، من القرن التاسع إلى الثاني عشر (15 - 18 م) من المعلوم أن احتلال عدد من الثغور المغربية خلال القرن التاسع (15 م) يعود إلى رغبة الإيبيريين في إبعاد المغاربة عن البحر، والحدّ من الجهاد البحري العثماني الذي نشط بالسواحل المتوسطية، خوفاً من سقوط الموانئ المغربية في أيدي العثمانيين. وقد اعتبر بعض الباحثين الأوربين أن البرتغاليين والإسبان نجحوا في تلك المهمة، وحالوا بالاحتلال المذكور دون قيام المغاربة بأي نشاط بحري يضر بملاحتهم أو بأمن سواحلهم. إلا أن وثائق ومصادر إيبيرية كثيرة تنفي هذا الادعاء، وتؤكد أن المغاربة اعتمدوا، مبكراً، ورغم احتلال أهم وأنشط المرافئ، الجهاد البحري وسيلة من وسائل الصمود والمقاومة والرد على هجمات المسيحيين. وقد اتخذ المجاهدون من العرائش وتطوان وسلا وبادس منطلقاً لمطاردة السفن الإيبيرية وتخريب السواحل الإسبانية والبرتغالية.

نقف في المصادر البرتغالية على إشارات مفيدة إلى العمليات الجهادية التي نظمها المغاربة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر. أشار الإخباري البرتغالي ايانس دي زورارا Eanes de Zurara إلى محاولات البرتغاليين بعد احتلالهم لسبتة القضاء على النشاط البحري المغربي والغرناطي، وإلى المعارك البحرية التي خاضوها ضد السفن الإسلامية بالمضيق والبحر المتوسط، وادعى أن الانتصار حالف فيها المسيحيين. يبدو أن تلك العمليات العسكرية والهجمات التي تعرضت لها بعض المرافئ الجهادية قد أضرت بالملاحة المغربية والغرناطية على السواء. إلا أن النشاط البحري سرعان ما انتعش وتقوى باستقرار الأندلسيين بعدد من الموانئ الشمالية المغربية، وبوصول الأتراك في مطلع القرن العاشر (16 م).

وخصص الإخباري دو گويش (Damião de Gois) أربعة فصول لهجمات ناجحة نظمها مجاهدو العرائش وتطوان فيما بين 1516 و1521 استهدفت سفنا برتغالية. فخلال التاريخ الأول، استولى مجاهدو العرائش على "كرفيلا" برتغالية كانت تتأهب لدخول ميناء أصيلا، وكانت تحمل عدداً من البرتغاليين بعضهم من النبلاء. وفي نفس السنة، تمكن مجاهدو تطوان من أسر سفينة برتغالية أخرى. وذكر نفس المؤلف ضمن أحداث سنة 1520 ماحققه أخوان من تطوان سماهما خاكروس (Xacros)، كان لكل واحد منهما مركب خاص، إذ "ألحقا لمدة أربع سنوات متتالية أضراراً بليغة بالمنطقة الممتدة بين سبتة والعرائش وجبل طارق وBarbaçote". وقد اضطر نفس الإخباري، وهو يسرد تلك المنجزات، إلى الاعتراف بأن "المسلمين كانوا حاذقين في أمور البحر". وذكر دو گويش أن الهجمات التي كانت تنطلق من تطوان دفعت بالملك البرتغالي إلى التفكير في إغلاق مصب نهر مرتيل. وحث العاهل الإسباني من جهته جاره على إنجاز العمل المذكور في رسالة مؤرخة في 5 ماي 1520 أورد المؤلف محتواها : "ألح عليه بأن يشيد حصنا في أقرب الآجال للدفاع عن المسيحية وحماية ممالكها بذلك المصب، لجعل حد للأضرار والخسائر التي يتسبب منها مسلمو تلك الجهة بواسطة مراكبهم وسفنهم فما بين الساحل (المغربي) والمضيق وغيرهما." وأشار الإخباري المذكور إلى أن الملك الإسباني طلب من العاهل البرتغالي السماح له، في حالة تعذر البناء عليه، بإنجازه وتحمل مصاريفه".

وتعرض الإخباري البرتغالي دو سوزا (de Sousa) لذكر حروب بحرية أخرى دارت بين مجاهدي تطوان والعرائش من جهة، وقطع من الأسطول المذكور بالمضيق حتمته المضايقات التي سببها النشاط الجهادي المغربي والتركي للبرتغاليين. فقد ذكر ضمن أحداث سنة 1529 معركة بحرية وقعت بين مركب تطواني وآخر برتغالي كان متوجها صوب أصيلا. وتعرض نفس الإخباري إلى معركة أخرى دارت بين ثلاثة مراكب من بادس وقطعة من الأسطول البرتغالي المكلف بحماية المضيق.

ومما لا شك فيه أن الإخباريين المذكورين لم يذكرا كل المعارك البحرية بين المغاربة والإيبيريين، وأنهما، كغيرهما من المسيحيين، اعتمدا التقليل من أهمية تلك الانتصارات المغربية.

ووقفنا بمحاضر محاكم التفتيش الدينية البرتغالية على مايضيف إلى ماسبق ذكره حقيقة بالغة الأهمية، إذ تؤكد بما لايدع مجالاً للشك أن الجهاد البحري لم يقتصر على سكان المدن الساحلية وعلى ذوي العادات والخبرات البحرية، بل شمل كذلك أشخاصاً ينتمون إلى مناطق داخلية كالقصر الكبير ومراكش وتارودانت وفاس. فقد كان من المغاربة الذين مثلوا أمام المحققين أشخاص أسروا بعد هجوم فاشل على السواحل أو السفن البرتغالية ينتمون إلى المدن المذكورة. وبذلك يكون المغاربة، من بدو وحضر، قد أسهموا في ذلك المجهود الوطني الذي صاحب وعزز الجهاد البري الذي كان الرأي العام الوطني، المؤطر من لدن الفقهاء والمتصوفة، يوليه أهمية قصوى (راجع مادة جهاد بري).

وأطّر الجهاد البحري وأشرف عليه قواد المدن التي لم تكن محتلة كتطوان وسلا وبادس قبل احتلالها (1508 ثم 1564). وأسهم قائد القصر الكبير بدوره في هذا النشاط انطلاقاً من ميناء العرائش الذي كان تحت نفوذه. واعتمد القواد المذكورون على بحارين مغاربة وأطر أتراك وعلوج. فقد ذكر دوسوزا de Sousa أن بحارا برتغاليا من أصيلا

التجأ إلى القصر الكبير حيث أسلم. وخصه القائد بمركب يحمل بحارة مغاربة وأتراكا لمهاجمة الجنوب البرتغالي ومنطقة الأندلس الإسبانية، حيث استطاع أن يغنم ويأسر الكثير. فقد هاجم يوماً مدينة "فارو" البرتغالية على رأس أسطول صغير يضم سفينتين جزائريتين وثلاث سفن من بادس وتطوان والعرائش. واستطاع أسر خمسين أو ستين من سكان تلك المدينة. وفي طريق العودة، استولى على سفينة برتغالية كانت راجعة من جزيرة الرأس الأخضر. محملة قطنا وعاجا، وكانت تحمل عشرين بحارا. وهاجم مرة أخرى مدينة "سان لوكار" الإسبانية ودخل الوادي الكبير في اتجاه إشبيلية، الأمر الذي "فرض على الملك يوحنا إرسال أسطول... لحماية "الغرب" [الجنوب البرتغالي] والمضيق وطرد هؤلاء القراصنة وإكراههم على الانسحاب إلى قواعدهم". وأشار نفس الإخباري إلى استيلاء مجاهدي سلا على سفينة برتغالية.

نشير إلى أن محاضر محاكم التفتيش الدينية تؤكد بما لايدع مجالا للشك أن نشاط سلا الجهادي لايعود إلى استقرار الهرناشيين بها في بداية القرن الحادي عشر (17 م)، بل يعود إلي العقود الأولى من القرن السابق. فقد كان في ملكية قائدها عدد من المراكب، كان جل رؤسائها من الأتراك والعلوج. فمن خلال محاكمة البحار الجنوي الأصل المسمى فتشنتي جينوفيس Vicente Genives، الذي أسر سنة 1550 بعد هجوم فاشل على الجنوب البرتغالي، وحوكم بتهمة الردة واعتناق الإسلام ومحاربة المسيحيين، نعلم حقائق هامة وجديدة عن النشاط البحري بالمدينة المذكورة. فقد كان هذا البحّار إيطالي الأصل، أسره الأتراك بالساحل الإسباني في سفينة جنوية وحملوه إلى الجزائر حيث أسلم وعمره آنذاك ثمان عشرة سنة. وقد تمسك بإسلامه وأبلى البلاء الحسن في مطاردة السفن المسيحية ومهاجمة السواحل الإيبيرية، وأسر عشرات المسيحيين. وقد عمل بالجزائر وبادس والعرائش وتطوان وسلا. وكان حين أسره في خدمة قائد المدينة الأخيرة، ولم يكن سنه يتجاوز آنذاك الثلاثين سنة. وذكر أحد شهود عيان أمام المحكمة أنه لما كان أسيرا بسلا، شاهد المتهم عائداً إلى تلك المدينة بسفينتين برتغاليتين محملتين قمحا كان موجها إلى ثغر مازيغن، وكان على متنها ستة عشر فرداً. كما ذكر أن العلج المذكور هاجم مرة قادس و "سان لوكار" وأسر سبع أو ثمان سفن. ومن خلال نفس المحضر، نعلم أن كلا من قائد سلا و "أمير بادس" كان يملك سفنا. وتخبرنا شهادة أخري، بأن المتهم كان في خدمة قائد بادس سنة 1542، وأنه أسر مرة ثلاثة وثلاثين برتغاليا في مركب كان متوجها إلى سبتة.

وبالطبع، لم تكن السفن الجهادية لتهدد، نظراً لعددها ونوعيتها، المكتسبات الإيبيرية بالمغرب العربي، ولم يكن بإمكانها ضرب حصار على الثغور المحتلة والحيلولة دون توصلها بالأقوات والعتاد، كما لم تكن النتائج المحصل عليها في مستوى الضربات الموجعة التي ألحقتها مثلاً القرصنة الفرنسية بالأسطول التجاري البرتغالي. إلا أن تلك العمليات الجهادية شوشت على الإيبريين وزادت من مشاكلهم العسكرية والمالية.

وتنبه الشرفاء السعديون مبكراً إلى ضرورة إنشاء أسطول لحماية السواحل المغربية، وإفشال المخططات التوسعية الإيبيرية والعثمانية. وحاولت الدولة، كما تؤكد ذلك محاكمة بعض البحارة الذين سقطوا في شباك محاكم التفتيش، الاستفادة من خبرات من كان يُقبل منهم على الموانئ المغربية، وإغراءهم للإقامة بها ولتأطير الجهاد البحري بها. ويبدو أن المحاولات المبذولة من لدن السلاطين الأوائل قد أتت أكلها إذ أصبح الأسطول المغربي يتكون في عهد عبد الله الغالب من ثلاثين قطعة، ومن أربعين في عهد أخيه عبد الملك المعتصم. ومعلوم أن المنصور أولى الأسطول عناية خاصة، إلا أن الأزمة التي عرفها المغرب بعد وفاته سنة 1603 عصفت بكل تلك الجهود.

وإذا كانت نواة الأسطول السعدي قد تلاشت مع اندلاع الحرب الأهلية التي تسبب فيها أبناء المنصور وحفدته، فإن هجرة الحرناشيين إلى القصبة الموحدية على الضفة الجنوبية لأبي رقراق (1017 / 1608)، واستقطابهم لعدد هام من مطرودي الأندلس، واستقرارهم في "سلا الجديدة"، بالجزء الغربي من رباط الفتح، فيما بين سنتي 1018 . 1023 / 1609 . 1612 أعطى المغرب قوة بحرية ضاربة، اتخذت من المبادرة الشعبية أسسا لإقامتها، ومن الجهاد المقدس أسلوباً لعملياتها، ومن مرسى سلا الجديد قاعدة لمواسمها، مما أكسب المنطقة شهرة عالمية ضاهت صيت قاعدة الجزائر، كأنشط مرفأ جهادي وأقصى قاعدة للملاحة الإسلامية.

وما كان لحركة الجهاد البحري السلاوي هذه أن تحقق ذلك النجاح لولا بروز منصب أبي رقراق كأقرب نقطة إلى مضيق جبل طارق المحتل من لدن الإيبريين، ومتاخمته للخطوط الملاحية الأطلسية النشيطة، واستفادته من الصراع المحتدم بين الدول الأوروبية الذي تعدى مجاله القاري ليشمل المجال الحيوي الأطلسي، الأمر الذي سمح للبحرية السلاوية بلعب دور مؤثر في الملاحة التجارية العالمية في ساحة تمتد من الجزر الخالدات جنوباً إلى إسلنده شمالاً، ومن بحر المانش شرقاً إلى سواحل كندا غرباً، متأثرة بالدوافع الدينية ـ النفسية العميقة، القائمة على الصراع التقليدي بين العالمين الإسلامي والمسيحي عامة، وعلى الرغبة في الانتقام من إسبانيا خاصة، مع ما كان يوفره ذلك من مردودية اقتصادية ومن تمجيد شعبي، إذ لم يكن "أحد يحظى في أوساط العامة بالتقدير والإعجاب قدر ما كان يحظى به أولئك المجاهدون" (الأب دان : ص 72).

إن ما شجع المستقرين الجدد بالضفة الجنوبية للمصب

على الانخراط في الجهاد البحري، هو التنافر الاجتماعي الحاصل بينهم وبين العناصر الأصلية المحيطة بهم، مما حال دون اندماجهم في وسطهم الجديد، ودفعهم للتحول كليا نحو المجال البحري الذي كان يشهد سنوياً مرور مائتي سفينة تجارية إسبانية، مستغلين نشوء نواة أسطول جهادي على يد اللاجئ الغرناطي الرايس الدغالي، وضعف القبضة السعدية في المنطقة، وثراء المسولين الحرناشيين. وكان لسقوط المعمورة في يد الاسبان (1023 / 1614)، أثر فعال في الانطلاقة الفعلية للجهاد البحري، بلجوء عدد من العلوج والمغامرين إلى سلا لتتحد المجهودات في شن حرب استنزافية ضد مصالح إسبانيا خاصة، ودول أوروبا عامة، انتقل معها مسرح العمليات من المياه الاقليمية المغربية إلى الغزو المتكرر لبحار شمال أوربا، وسيطرة سفن الجهاد على بحر المانش وسواحل انجلترا، تحت رئاسة العلج الهولندي الشهير موراطو رايس، الذي أسندت إليه إمارة البحر منذ سنة 1033 / 1622.

زودت هذه النجاحات العمليات الجهادية بالحوافر المطلوبة، ذلك أن الأعشار المفروضة على مداخيل موسم جهادي واحد في جمرك سلا تضاهي سنة ضريبية في المغرب على عهد أحمد المنصور، دون الآثار الاقتصادية الأخرى المتمثلة في إعادة بيع المغانم للتجار الأوربيين المتوافدين على المنطقة. وبذلك بدا الجهاد البحري بمثابة صناعة حقيقية بكافة مواصفاتها، من تمويل يغذيه الأندلسيون والمداخيل السنوية، وأدوات عمل من سفن وتجهيزات، تساهم الأوراش القائمة عند قدم صومعة حسان في جزء منها، بينما وفرت المغانم الجزء الأعظم بعد إدخال تحسينات عليها تلائم طبيعة العمل، مما جعل الأسطول العامل يتراوح سنوياً بين ثلاثين وأربعين قطعة من مختلف الأنواع فيما بين سنتي 1031 - 1035 / 1622 - 1626.

وسيكون لهذا التحول أثر كبير في دفع رجال الجهاد البحري إلى تأسيس نظام جمهوري خاص بالضفة الجنوبية، معلنين الانفصال التام عن السلطة السعدية المتخاذلة فيما بين سنتي 1036 - 1051 / 1627 - 1641، لإتاحة المزيد من الاستقلالية للعمل الجهادي، وتحقيق أزهى فتراته، حيث عززت سفن المجاهدين - التي بلغت خمسين وحدة سنة 1047 / 1637، قبضتها على النواحي الشرقية للمحيط الأطلنطية، ووصلت عملياتها إلى جزيرة إيسلندة، وسواحل "الأرض الجديدة" (Terre Neuve) بشرق كندا، بل قد يكون بعضها بلغ شواطئ أمريكا الجنوبية (J. Montri : P 86) وبلغت مداخيل جمرك مرسى بسلا من أعشار المغانم خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1039 - 1049 / 1629 - 1639 سبعة وعشرين مليون دوكا رغم توقف المواسم الجهادية جزئياً أو كلياً بعض السنوات من جراء الحرب الأهلية بين جرناشيي القصبة وبين أندلسيي سلا الجديدة (1033 / 1629)، وكذا فترات حصار العياشي المتكررة للضفة الجنوبية، وخاصة منذ سنة 1048 / 1638، إلى حين مقتله سنة 1051 / 1641، في أعقاب صراعه مع الدلائيين.

وبسيطرة الدلائيين على مراكز سلا الثلاثة، تمتع الجهاد البحري بالاستقرار السياسي والاجتماعي الذي كان في أمس الحاجة إليه، مما فتح الباب أمام الانحراط الفعلي لسكان سلا القديمة فيه إلى جانب الأندلسيين، وأعطى دفعة جديدة للعمليات الجهادية، وانتظاماً متواصلاً للمواسم، أصبح معها لقب "الرايس السلاوي" يثير الرعب في نفوس ربابنة وبحارة مختلف الأساطيل الأوربية وسكان السواحل، وصار معروفاً في أوساطهم باسم "وباء المسيحية"، ولم تتمكن أوربا من تأمين خطوطها الملاحية رغم دوريات الخفر والملاحقة والحصارات المتتالية على مرسى سلا، والضغوط العسكرية والدبلوماسية لإجبار الدلائيين والمجاهدين على توقيع معاهدات السلم وحرية التجارة واحترامها.

وأضرت الاضطرابات السياسية التي عرفتها المنطقة في ما بين سنتي 1071 - 1077 / 1660 - 1666 من جراء الصراع بين الدلائيين والخضر غيلان، والتي استمرت إلى حين سيطرة مولاي الرشيد العلوي على سلا، بالعمليات الجهادية السلاوية التي عرفت توقفا واضحاً. وتبعا لذلك، انتقلت المبادرة من يد السلاويين إلى مجاهدي الجزائر، ولم يعرف الوضع عودة إلى طبيعته الأصلية إلا خلال عهد السلطان المذكور. إلا أن تجريد الجهاد البحري من طابعه الشعبي ووضعه تحت الإشراف المباشر للسلطة المركزية كان مؤشراً على نهاية استقلالية الجهاد السلاوي.

وتعزز هذا التحول في عهد المولى إسماعيل، الذي جعل كافة سفن الجهاد ورجالاته تحت إمرته، وأخضع مردودية العمليات من مغانم وأسرى لمراقبة الدولة، وجعل الجهاد البحري ورقة ضغط في سياسته الخارجية، بتحريك السفن ضد هذه الدولة أو تلك، معتمدا في ذلك على عدد رياس مصب أبي رقراق، وعلى رأسهم المجاهد الشهير عبد الله ابن عائشة الذي تمكن خلال حياته الجهادية (1083 - 1110 / 1672 - 1698)، من تحقيق أكثر من ثلاثين عملية غنيمة في فترة تراجعت خلالها مقومات العمل الجهادي، بسبب إعراض المسولين والبحارة المحنكين عن الانخراط فيه لضعف المردودية الناتج عن احتكار الدولة لأدواته ونتائجه، إلى جانب تنامي قوة الردع الأوربية ومراقبتها الشديدة لتجارة التهريب، مما حرم الأسطول من الإمدادات التقنية المطلوبة، وأدى إلى تناقص كفاءته إلى أقل من عشر سفن سنويا، رغم المجهودات المبذولة من قبل مولاي إسماعيل، الأمر الذي اضطر معه في الأخير إلى الرضوخ للضغوط الأوربية العنيفة، وخاصة ضغوط الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، إذ نقل في سنة 1110 / 1698، أمير بحريته ابن عائشة المذكور من مجال الجهاد إلى مجال الدبلوماسية ليقوم بسفارته الشهيرة إلى باريس، وبذلك انتهت آخر مرحلة ناصعة من تاريخ البحرية المغربية.

إن الشهرة الكبيرة التي حققها المجاهدون السلاويون، وذيوع صيتهم عالميا تحت لقب "قراصنة سلا" تعود بالدرجة الأولى إلى تكتيكاتهم، إذ تجمع أغلب الوثائق والمؤلفات على أن أسطولهم كان دون مستوى أساطيل الجهاد الأخرى في الجزائر وتونس، سواء من الناحية العسكرية أو التقنية. كما أن الأسطول المذكور لم يكن في حجم النتائج المحققة طوال القرن الحادي عشر (17 م) التي تعود في الحقيقة إلى فعالية المجاهدين وحسن تنظيمهم، ومهارة تسييرهم، وحسن استغلالهم للخلافات الأوربية.

لم يكن رياس البحر السلاويون يعترفون - قبل العهد العلوي - بأية سلطة أخرى غير سلطة المولين الأندلسيين، مما فتح أمامهم مجالاً أرحب لتنفيذ الارتجال العسكري والمبادرة الملاحية الحرة وفق ما تقتضيه العمليات الجهادية ومواسمها التي كانت في العادة تدوم من أبريل إلى نهاية شتنبر، منطلقين في مجموعات مكونة من سفينتين إلى ثلاث، تمتاز بالسرعة والقوة العسكرية الضاربة، وبسرعة المناورة المظهرية، وبخضوعها لإشراف رياس سلويين أو أندلسيين أو علوج مختارين بعناية فائقة من قبل الساهرين على مؤسسة الجهاد. وخولت لأولئك الرياس صلاحيات واسعة قبل وأثناء المواسم، من اختيار الطاقم والمتطوعين، إلى سلطتهم التامة على متن السفن وفق الأعراف والتقاليد الجاري بها العمل، إلى تحفيز المشاركين لإنجاز العمليات الجسورة التي من شأنها تحقيق مغنم هام يوفر تعويضات مرضية لكل فرد وفق نظام أسهم يراعي المراتب والوظائف.

وقد كان الطاقم العادي للسفينة الجهادية يتراوح بين مائة ومائتي بحار حسب حجمها، يتفرع تنظيمياً إلى أربع وحدات متخصصة، تكلف كل منها بوظيفة معينة، وتتعاون جميعها خلال اللحظات الحاسمة وهي : قيادة السفينة والفريق التقني وطاقم السفينة وفريق الانقضاض.

شكّل العنصر الأندلسي - ومعه المغربي والتركي - رأس هذه القوة، إذ من بين تسعة وأربعين أمدتنا وثائق القرن الحادي عشر (17 م) بمعلومات عنهم، شكل هؤلاء ثمانية وثلاثين رايسا بحريا، في حين كان دور العلوج من أصول مختلفة، وخاصة الأقاليم المتحدة، هاماً، سواء على مستوى القيادة أو في تسيير السفن. وكلف لأسرى المسيحيون، اعتباراً لأشتغالهم سلفا على متن السفن التجارية الأوربية، بنفس المهام. وكان من لاخبرة له منهم يكلف بمهمة التجذيف.

واستمرت السفن الجهادية خلال القرن الثاني عشر (18 م) في القيام ببعض العمليات المتفرقة التي لم ترق إلى مستوى القرن السابق، أعقبها توقف شبه تام خلال فترة الأزمة التي تلت وفاة مولاي إسماعيل (1140 - 1171 - 1727 - 1757)، إلى حين تولية حفيده سيدي محمد بن عبد الله الذي حاول استعادة مجد البحرية المغربية بالاعتماد على رياس مصب أبي رقراق، مدغما كفاءتهم البشرية باستقطاب رجال البحر من الجزائر وتونس، بغية تنشيط العمليات الجهادية. إلا أن محاولته هذه لم يكتب لها النجاح نظراً للفارق التقني الكبير الذي أصبح يفصل بين البحرية المغربية والبحريات الأوربية، إلى جانب ضعف الإمكانيات الملاحية، وافتقار المغرب إلى مواد وتجهيزات السفانة، وتضاؤل الإمدادات الأوربية بفعل المراقبة الشديدة لتجارة التهريب، والردع الأوربي القوي، مما جعل النتائج لاتتجاوز كثيراً مستوى الخسائر، مما جعل السلطان يكتفي باستغلال ورقة الجهاد لفرض الجزيات على بعض الدول مثل الدنمارك والسويد والبندقية والنمسا، والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية، أو كورقة ضغط في سياسته الخارجية مع الدول الرئيسية مثل فرنسا وإنجلترة وإسبانيا.

وبفشل محاولة سيدي محمد بن عبد الله، دخل الأسطول الجهادي مرحلة نهايته الفعلية، وبداية اندثار الحضور الملاحي المغربي، والذي سيترسخ في عهد ولده مولاي سليمان بإعلانه التخلي النهائي عن الجهاد البحري سنة 1233 / 1817.

أ. بوشرب، *المغاربة والبحر*، مجلة بحوث، كلية الآداب المحمدية، ع. 4، 1991، ص. 53 - 70 ؛ الفكيكي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة (1415 - 1574)*، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، الرباط ؛ ح. أميلي، *الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن 17 م*، "رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب الرباط، 1989.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc de D. de Gois. extraits de la chronique du Roi Dom Manuel de Portugal*, Rabat, 1937 ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, extraits des "*Annales de Jean III de Luis de Sousa*", Paris, 1940, 208 p. ; R. Coindreau, *Les corsaires de Salé*, Paris, 1948 ; A. Timoule, *Le Maroc à travers les chroniques maritimes*, 2ème éd, Casablanca, 1989 ; H. de Castries (et al.), *Sources Inédtes de l'histoire du Maroc*, 1ère et 2ème série.

أحمد بوشرب وحسن أميلي

الجهاد البري (ضد الاحتلال البرتغالي) لم يكن التعثر الذي عرفه الغزو البرتغالي بالمغرب وليد قلة الإمكانيات البشرية والمالية لدى البرتغاليين فحسب، بل ترتب كذلك عن معاكسة المغاربة العنيفة والمختلفة المظاهر له، كما تجلى ذلك من خلال الفواجع التي مُني بها الغزاة بطنجة والمليحة والمعمورة. واختلفت مظاهر المقاومة المغربية : فزيادة على مقاطعة الثغور ومنع أي شيء من الدخول إليها، عرضها المغاربة لعلميات عسكرية اختلفت خطورتها. وكان من هذه العمليات ما تم على يد القبائل والمجاهدين، ومنها ما تم على يد جيوش الأنظمة القائمة آنذاك بالمغرب : الوطاسيين، والهنتاتين والشرفاء السعديين. لذا سنعرض لمختلف مظاهر المقاومة الشعبية، وماحققته من نتائج قبل الانتقال للمقاومة الرسمية.

الجهاد الشعبي : كان رد فعل المغاربة على سقوط

بعض المدن الساحلية واحتلالها من طرف البرتغاليين عنيفا وفوريا، ذلك أن البرتغاليين عانوا من صمود وهجمات كل القبائل المغربية القريبة من تلك الثغور، كما تؤكد ذلك المصادر المغربية والبرتغالية. فقد وصف المستعرب البرتغالي D. Lopes أوضاع الثغور المحتلة بقوله : "كنا نبقى داخل الثغور كما لو كنا على ظهر سفننا، إلا أن السفن كانت تمخر البحار بحرية، ناشرة نفوذنا وملحقة الهزائم بالأعداء، في حين كانت الثغور في كل مكان جامدة ومعرضة باستمرار لأمواج المغاربة العنيفة".

وشمل رد فعل المغاربة كل المناطق وكل الفئات الاجتماعية. فقد كان المجاهدون المرابطون أو المشاركون في الحركات لاينتمون إلى القبائل المجاورة للثغور وحدها، بل كانت أعداد مهمة منهم تنحدر من مدن داخلية كفاس ومكناس، أو تنتمي إلى مناطق نائية كدرعة وتافلالت. وكان هؤلاء المجاهدون لايكتفون بالمرابطة ومحاربة العدو، بل كانوا يتدخلون لدى الحكام المترددين أو المتقاعسين عن الجهاد لدفعهم إلى تحمل مسؤولياتهم. وهكذا اضطر بعض السلاطين إلى تنظيم "حركات" تحت ضغوط قام بها الفقهاء، وأصبح المغاربة يولون الجهاد أهمية قصوى، ويجعلون منه واجبا ضروريا على كل مغربي، حتى إن من الفقهاء والمتصوفة من امتنع عن الاتصال بالسلاطين الوطاسيين الذين تأكد تقاعسهم عن واجب الجهاد، وتفاوضهم مع النصارى، كما امتنعوا عن مجالستهم وأخذ هباتهم. وكان منهم من لم يُخف عداءه للدولة، وناهضها وحث الناس على عصيانها، وبذل مجهوداً سياسياً ضخماً للدعاية لأسرة الشرفاء السعديين الذين كان الأمل معقوداً عليهم في القيام بمهمة الجهاد. وكان على رأس هؤلاء المعارضين للدولة الوطاسية، المتصوفة المنتمون للطريقة الجزولية، كعبد الله العزواني الذي تعرض من جراء ذلك للسجن، وأبي الروابن، وعلي بن أحمد الدوار الذي كان يصيح بأعلى صوته وسط فاس : "اخرجوا يابني مرين، والله ماتترككم ببلادنا ..." (*الدوحة*، ص 81).

وتشدد بعض المجاهدين وجعلوا من القيام بمهمة الجهاد أحسن مقياس للرجولة، واعتبروا إمامة من تقاعس عنه باطلة. فلقد عاد، إن صحت رواية ابن عسكر، الفقيه محمد بن يحيى البهلولي من إحدى الغارات التي نظمت ضد البرتغاليين بالهبط، فوجد الناس قد انتهوا من الصلاة على زوجته التي وافتها المنية، فأمر مرافقيه والحاضرين بإعادة الصلاة عليها. ولما لامه الناس على ذلك قال : "صلاتكم الأولى عليها فاسدة لكونها بغير إمام، فقالوا كيف ذلك يا سيدي ؟ فقال إن من شروط الإمام الذكورية، وهي مفقودة في صاحبكم، لأن الذي لم يتقلد سيفا قط في سبيل الله ولم يضرب به ولايعرف الحرب ... فكيف يعد إماما ذكرا ؟ بل إمامكم والله من جملة النساء ..." (*الدوحة*، 60. (61).

اتخذ الجهاد الشعبي عدة أشكال :

- مقاطعة الثغور المحتلة وتكفير من بقي بها وإباحة دمه، ونعت الخاضعين للغزاة "بعبيد النصارى". فقد كفر المغاربة يحيى أو تعفوفت، ربما بعد صدور فتاوى في حقه، لعمالته مع البرتغاليين. وقد أحرجه هذا الموقف كثيراً إذ اضطر إلى التأكيد في عدة مناسبات على تمسكه بدينه وغيرته عليه. وقد عبر عن هذا الإحراج في رسالة إلى أحد أصدقائه البرتغاليين : "يقول المسلمون : إنني نصراني، ويقول النصارى إنني مسلم، أتأرجح هكذا دون أن أعرف أين أضع نفسي". (راجع مادة تعفوفت).

- اختطاف المحتلين والذين يفاجأون خارج أسوار الثغور من مسيحيين ويهود. واستطاع المغاربة نصب كمائن حرمت الغزاة من الراحة ومن إمكانية القيام بنشاط زراعي حول الثغور التي يحتلونها.

- ضرب حصار على الثغور المحتلة، وحرمانها مما كانت في حاجة إليه من مواد وحطب وكلأ ...

ونظراً لضعف السلطة المركزية، عرفت عمليات الجهاد الشعبي نوعين من التأطير :

ا - كان المتصوفة والفقهاء في مقدمة المجاهدين والمشجعين على القيام بذلك الواجب. وقد تبين لهم أن النجاح في تلك المهمة يقتضي القيام بأعمال متكاملة :

- الجهاد والمرابطة والعمل على تحرير الثغور المحتلة والتضييق على حامياتها. وذكر ابن عسكر الشفشاوني أسماء اثني عشر فقيها مجاهدا كان منهم من استشهد أو أسر. وتزخر الوثائق والمصادر البرتغالية بالإشارات إلى الأدوار التي لعبتها هذه الفئة في حث عموم الناس والحكام على الجهاد، وإلى المحاولات التي بذلتها لإبعاد القبائل العملاء عن البرتغاليين.

- نشر التعليم : اعتبر الفقهاء هذا العمل مكملاً للعمل الأول، فلقد ذكر ابن عسكر ان العالم عبد الله الورياغلي الذي كان يقيم بالقصر الكبير "... كان من عادته أن يشتغل بالتدريس في فصل الشتاء والربيع، ويخرج في الصيف والخريف يرابط بثغور القبائل الهبطية ..." (دوحة، 31).

- الوعظ والإرشاد ومحاربة البدع، وحث الناس على التمسك بالدين وعلى الجهاد. وأخذت هذه المهمة وقتاً كبيراً من الفقيه عبد الله الهبطي الذي كان يجوب البوادي الهبطية صحبة عشرات المريدين للاتصال بالسكان ووعظهم وإبعادهم عن البدع التي استحدثوها، كما بعث بعدد كبير من الرسائل إلى القبائل لنفس الغاية. ونظم *ألفية* ذكر فيها كل البدع التي أبعدت الناس عن دينهم وحثهم على التخلي عنها، وعلى العودة إلى تعاليم الكتاب والسنة. كما حث المغاربة على حمل السلاح وتحرير الثغور (دوحة، 7). وألف محمد ابن يجبش التازي *كتابا في الجهاد* ذكّر فيه المغاربة بما تعاني منه سواحل المغرب، ونبه إلى خطورة مايمكن أن يقع إذا لم يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم. واستعمل في

ذلك النثر والنظم وكل الحجج الممكنة لإقناع المغاربة بضرورة حمل السلاح والرد على التحدي (التذكير بالجنة، وبما حل بالسكان بسبب الأسر والهزائم، التذكير بما حل بالمعاهد الدينية ...)

2 ـ وفضلاً عن الفقهاء والمتصوفة انتصب بعض القواد، وخصوصاً بالهبط لتأطير الجهاد. وقد كان أشهرهم وأكثرهم نفوذاً قائد الشاون. ومعلوم أن شفشاون شُيدت أساساً لتأطير الجهاد والمرابطة بالهبط. وقد تنبه البرتغاليون إلى خطورة المشروع فحرضوا عملاءهم عى قتل المؤسس، قبل أن يتم بناء المدينة. وخلفه أخوه علي بن راشد الذي اشتهر كثيراً بالجهاد، والذي أسر مرة لمدة قصيرة. وبعد وفاته سنة 917 / 1511، خلفه ابنه إبراهيم ابن راشد الذي أعطى للجهاد نفسا جديداً، مما جعل البرتغاليين يعانون من عملياته كثيراً لكونه أصبح قائد كل جيوش الهبط. كما أبلت مدينة تطوان البلاء الحسن تحت قيادة المنظري في الجهاد البري والبحري، فقد لاحظ الوزان أن مظاهير المدينة كانت تضم ثلاثة آلاف أسير مسيحي. وساهم قائد القصر الكبير، عبد الواحد بن طلحة العروسي، بدوره في العمليات العسكرية. وما أعطى لعمليات هؤلاء القواد فعالية كبرى هو أنهم :

ـ كانوا أحراراً في التخطيط لعملياتهم العسكرية وفي اختيار أوقاتها وأهدافها.

ـ لم يكونوا يلتزمون باحترام الهدنة التي كان البرتغاليون يمضونها مع الوطاسيين، الشيء الذي كان يجعل الغزاة يعانون باستمرار من حالة الحرب.

ـ كانت عملياتهم العسكرية تخضع لتنسيق محكم، مما أعطاها خطورة كبرى، وسمح لها بتجنيد أعداد ضخمة من المحاربين.

واستطاع المجاهدون، المؤطرون من لدن المتصوفة ولفقهاء أو القواد، الحصول على نتائج مهمة، ذلك أن أهم سلاح اعتمدوا عليه، تمثل في عامل المفاجأة الذي كانت العمليات العسكرية الرسمية تفتقر إليه.

ولهذا سقط عدد من البرتغاليين في الكمائن التي نصبها المجاهدون لهم، وأضحى مجرد ذكر اسم بعض المجاهدين يحدث الرعب في نفوس برتغاليي الثغور. فلقد نتج عن استشهاد أحد هؤلاء المجاهدين إقامة برتغاليي أصيلا لحفلات كبرى لأنهم قالوا : "... كان دائماً في مقدمة الصفوف لمهاجمتهنا، وكان يعرضنا وحده لحروب أكثر مما كانت تعرضنا لها كل المنطقة المجاورة للقصر والشاون..." (L. de Sousa). وتزخر المصادر البرتغالية بالإشارات إلى الكمائن التي نصبها المجاهدون حول الثغور وإلى معاناة الغزاة من ذلك، وانحصارهم بسببها داخل الأسوار. وقد أورد الإخباري R. Rodrigues الذي أقام مدة طويلة بأصيلا، تفاصيل معبرة في هذا الشأن.

كان من نتائج تلك العمليات العسكرية، حرمان البرتغاليين من منطقة مسالمة تؤدي الضرائب وتزود الثغور بالمواد الغذائية، وحماية القبائل القريبة من الثغور والرد على الغارات البرتغالية بما هو أعنف منها (كما تم بالهبط سنتي 1511 ـ 1512)، والإلحاح بالغارات على كل من سولت له نفسه التعامل مع النصارى (1512). ولهذا لم يكن البرتغاليون يتحكمون بالهبط إلا في المدن الساحلية، وكان انعدام هؤلاء القواد بالسوس هو ما دفع بالفقهاء إلى مبايعة الشرفاء السعديين لجعل حد لسطوة برتغالي أگدير، كما تسبب انعدامهم بدكالة في الإشعاع السياسي المؤقت الذي عرفته كل من أسفي وأزمور. وحتى في هذه المنطقة، لم تطل سطوة البرتغاليين. فقد ضيق المجاهدون الخناق على أزمور وحرموا المحتلين من استعمال النهر الذي أحرقت به عدة مراكب، وأسر به عدد من الصيادين، كما حُرم البرتغاليون وحلفاؤهم من إمكانية استغلال البادية بكل اطمئنان. ،كان عدد من أولئك المجاهدين يفدون من منطقة "سلا"، وأصبح بعضهم معروفاً من لدن برتغاليي أزمور لكثرة نشاطهم هناك.

أما الجهاد الرسمي فقد امتاز بمجموعة من الخصائص رغم اختلاف الأنظمة :

ـ لم تكن مقاومة الغزو البرتغالي تحظى بكل اهتمام السلاطين المرينيين والوطاسيين والهنتاتيين لقلة إمكانياتهم المالية والعسكرية (كان الوطاسي ينتظر توصله بالزكوات قبل تنظيم بعض الحركات)، ولانشغالهم بالحروب الداخلية ضد الثائرين. وحدّ افتقار تلك العمليات لعامل المفاجأة من خطورتها، إذ كان خبر الاستعداد يصل إلى مسامع البرتغاليين قبل الغارة بمدة طويلة، مما كان يسمح لهم باتخاذ كل الترتيبات وطلب المساعدة من البرتغال ومادير أو من الثغور الأخرى. لذلك كانت النتائج التي حصل عليها المسؤولون المغاربة جد هزيلة، ودون مستوى ما تطلبته عملياتهم العسكرية من جهود وضحايا. لقد كانت قوة الإيبيريين تكمن في مناعة تحصيناتهم وكثرة مدافعهم، ولهذا كانوا يتفادون الاصطدام مع جيوش سلاطين المغرب المتفوقة من ناحية الأعداد، وكانوا يكتفون بإغلاق أبواب مدنهم وانتظار مغادرة تلك الجيوش للمنطقة. وبما أن السلاطين كانوا يفتقرون إلى المدافع والأسلحة النارية وإلى وسائل الحصار ومصالح التموين، وبما أن غالبية الجنود كانت من المتطوعين، فإن حصارهم للثغور المحتلة كان يدوم مدة قصيرة.

وكان المغاربة يكتفون في هذه الغارات بنسف محاصيل البرتغاليين وأسر من فوجيء منهم خارج أسوار المدينة. ولهذا كانت العمليات العسكرية عبارة عن حركات مؤقتة لاتدوم طويلاً، ولاتجعل البرتغاليين يعانون باستمرار من حالة الحرب والحصار. وكان افتقار المغاربة إلى أسطول يفقد العمليات البرية مفعولها، إذ كان المحاصرون يتوصلون بكل ماهم في حاجة إليه عن طريق البحر.

وكلفت هذه النتائج الهزيلة السلطان الوطاسي عدداً

كبيراً من الضحايا بسبب طلقات المدفعية البرتغالية المنصوبة على أبراج المدن. فحسب الوزان، وهو شاهد عيان، كانت كل حركة وطاسية بالهبط تفقد الوطاسي ما لايقل عن خمسمائة من المحاربين.

وتعود هذه النتائج السيئة بالإضافة إلى قلة الإمكانيات، إلى انعدام التنسيق بين جيوش الوطاسيين والهنتاتيين والسعديين، إذ لم تتم ولو عملية عسكرية مشتركة ضد البرتغاليين، وذلك رغم الجهود التي بذلها السلطان محمد البرتغالي، والتي كلف بها الحسن الوزان سنتي 1514 و1515. ومما قلل من فعالية الهجمات المنظمة من لدن الوطاسيين والشرفاء السعديين، محاصرة مدينة معينة والانتقال بعد ذلك لمحاصرة أخرى، كما فعل محمد البرتغالي الذي كان يهاجم أصيلا قبل أن ينتقل إلي الهجوم على طنجة أو العكس. وكان أحمد الأعرج يحاصر أسفي دون أزمور أو أگدير، الأمر الذي كان يسمح للبرتغاليين بإرسال مساعدات عسكرية ضخمة للمدينة المحاصرة.

ونظراً لهذه النتائج الهزيلة، ولعجز المسؤولين المغاربة عن تحرير الثغور، أصبح كل ما يهدفون إليه من عملياتهم العسكرية هو الحيلولة دون تحكم البرتغاليين في المناطق الداخلية، وحرمانهم من المنتجات المحلية. ولهذا كانت جل الحركات تتم خلال فصل الصيف، لمنع القبائل الخاضعة من أداء الضرائب ومن بيع الحبوب للبرتغاليين. ولتحقيق هذه الغاية، كانوا يلجأون إلى إفقار القبائل الخاضعة، بالإلحاح عليها بالغارات، كما تم بدكالة خلال سنوات : 1514. 1515. 1517. 1518، وقد ذاقت قبائل المنطقة الأمرين من تلك الحركات التي أسهمت في النقص الخطير في الحبوب الذي عانت منه المنطقة، بعد 1516، وخصوصاً خلال مجاعة 1521 الكبرى.

نتج هذا الموقف الذي اتخذه المسؤولون المغاربة عن تقويم سياسي خاطئ: إذ اعتقدوا أن سطوة البرتغاليين تعود إلى تعامل بعض القبائل معهم. لذا عملوا على إبعادها عنهم، دون توفير وسائل الصمود لها، ودون حمايتها من الغارات البرتغالية. وبما أن ذلك لم يتم لهم، فإنهم ألحوا على تلك القبائل بالغارات، وحالوا دون استفادتها من محاصيلها، مما جعلها بين نارين، تتعرض لهجوم البرتغاليين في حالة عصيانها، وللحركات الوطاسية في حالة الخضوع للنصارى.

وكان هذا التصور للجهاد بالسهول الغربية سبب نفور القبائل من الوطاسيين والتجائها إلى الشرفاء السعديين المستقرين منذ 1513 جنوب نهر تانسيفت.

صادف تأسيس الدولة الوطاسية سقوط مدينتي أصيلا وطنجة في أيدي البرتغاليين، وسقوط غرناطة في أيدي الإسبان، الأمر الذي جعل المغاربة ينظرون لها نظرة شوم، ويحملونها مسؤولية ما حل بالبلاد والعباد من إهانات، خصوصاً وأن محمداً الشيخ الوطاسي (1472. 1505) أعطى الأولوية لتأسيس دولته وإخضاع البلاد لسلطته، وكان تبعا لذلك أميل إلى التفاوض وتقديم تنازلات للغزاة. فبعد احتلال أصيلا، أمضى معهم هدنة لمدة عشرين سنة، وسمح لهم باحتلال ماشاؤوا من الحصون والثغور الهبطية. وقد سمحت لم تلك الهدنة بدخول طنجة بدون حرب، واقتطاع العرائش لأحد النبلاء. ولم يحسن استغلال انتصاره بالجزيرة سنة 1489، واكتفى بتمديد الهدنة لعشر سنوات أخرى. ولم تخبرنا المصادر إلا بحملة واحدة نظمها ضد برتغاليي طنجة وأصيلا سنة 1501. إلا أن ابنه محمد البرتغالي (1505. 1526) كان أكثر اهتماماً بالجهاد، ونظم عمليات هددت المكتسبات البرتغالية بالهبط ودكالة، كان بعضها خطيراً. فقد حاصر طنجة سنة 1511، وكاد أن يحررها، كما استطاعت جيوشه اقتحام أسوار أصيلا ودخولها سنة 1508، وإن لم يحسن استغلال هذا الانتصار وتمكن البرتغاليون الذين احتموا بالقصبة من التوصل بمساعدات من ماديرا والبرتغال. وعرّض السلطان ضواحي أصيلا وطنجة لغارات خطيرة خلال سنتي 1511. 1512. كما الحقت جيوشه التي كان يقودها أخوه الناصر بالبرتغاليين الذين حصنوا المعمورة (المهدية الحالية) هزيمة كبرى، اعتبرت أكبر هزيمة مُني بها البرتغال إلى ذلك التاريخ، إذ مات منهم أربعة آلاف شخص، وتكبدوا خسائر مادية هامة. ونزولا عند رغبة الدكاليين الذين التجاؤا إليه بعد احتلال أزمور في شتنبر 1513، اهتم السلطان الوطاسي بأوضاع دكالة التي تحركت جيوشه في اتجاهها سنوات 1514. 1515. 1517. 1518. ورغم أن تلك الحركات لم تسمح بتحرير أي من الثغور؛ فإنها زعزعت المكتسبات البرتغالية، وحدت من سطوة حاميتي أزمور وأسفي اللتين كانتا تعيثان في المنطقة فساداً.

وبخلاف محمد البرتغالي، كان ابنه أحمد (1526. 1548) أميل إلى التقاعس والتواطؤ مع البرتغاليين لخوفه من الشرفاء السعديين الذين سبق لأبيه أن حاصرهم بمراكش سنة 1523، خصوصاً وأن نفوذهم تزايد بالمنطقة، وأن إمكانياتهم العسكرية قد تضاعفت. لقد أصبح السلطان الوطاسي يجعل من القضاء على خصومه أول أولوياته، وللوصول إلى غايته قام بعملين متكاملين، فرضا عليه تناسي الجهاد والتواطؤ مع البرتغاليين.

تجسد العمل الأول في إعلان الحرب على السعديين : حصار مراكش (1527)، واقعة أغماي (1530)، ومعركتا بوعقبة (1536)، وادي درنة (1545). أما العمل الثاني، فتمثل في محاولاته الرامية إلى الحصول على حلف وطاسي ـ برتغالي للقضاء على الشرفاء السعديين، والهادفة إلى الحصول على مساعدة عسكرية برتغالية لاحتلال ميناء تركوكو بحاحة الذي كان السعديون يتزودون فيه بالأسلحة والذخيرة. ولتحقيق الغايتين المذكورتين، كلف قائد الشاون بالتفاوض مع قبطان أصيلا وقائده على تادلا باتصال مع

قبطان أزمور. إلا أن الملك البرتغالي الذي بدأ منذ 1529 يفكر في إخلاء بعض الثغور، لم يعر عروض الوطاسي أي أهتمام. وبذلك يكون الوطاسيون قد عجزوا عن تحرير الثغور، واقتصر عملهم على تحرير المعمورة وزعزعة المكتسبات البرتغالية بدكالة.

ولم يكن للهنتاتيين بدورهم ما يكفي من الوسائل لمعاكسة التوسع البرتغالي بدكالة، ومنع احتلال ثغورها ومد النفوذ المسيحي في الداخل، رغم التجاء القبائل اليهم، ورغم وعد أمير مراكش لها بالمشاركة في الحصار الكبير الذي ضربته على أسفي في دجنبر 1510. وبعد أن أصبح التوسع البرتغالي بمنطقة دكالة يقترب من منطقة الحوز، اضطر الناصر الهنتاتي إلى التحرك سنة 1512. إلا أنه تكبد هزيمتين على يد البرتغاليين، وأخرى على يد عميلهم يحيى أو تعفوفت. وتفاديا لاصطدام جديد مع برتغاليي أسفي، التزم باتخاذ موقف الحياد خلال الهجوم الذي استهدف أزمور في شتنبر 1513. وأمام تزايد نفوذ البرتغاليين بالمنطقة، يقال إن الناصر ربما فكر في الدخول تحت حماية التاج البرتغالي، والسماح له بإرسال حامية برتغالية إلي مراكش. إلا أن المشروع لم يعرف النور. ولم يعجز الهنتاتيون عن منع نشر النفوذ البرتغالي بدكالة والحوز فحسب، بل عجزوا حتى عن منع الهجوم على عاصمة دولتهم التي تعرضت لهجومين، (1514، 1515)، ووعيا منهم بضعفهم احتموا بالسعديين.

ومعلوم أن لمبايعة القائم بأمر الله علاقة بالغزو البرتغالي وبرغبة السوسيين في وضع حد لتعسفات النصارى، خصوصاً وأن الوطاسيين البعيدين عن المنطقة كانوا قليلي الإمكانات، مشغولين بالجهاد في مناطق أخرى. ويمكن تقسيم جهاد الشرفاء السعديين إلى مرحلتين :

- تميزت المرحلة الأولى، التي امتدت من تاريخ المبايعة إلى دخول مراكش، بقيام الشرفاء بهذه المهمة باسم الوطاسيين الذين كانوا يدينون لهم بولاء اسمي. كوّن القائم بأمر الله سنة 1511 نواة جيش رسمي يضم خمسمائة محارب، أصبحوا بعد ثلاث سنوات، ثلاثة آلاف، هذا فضلاً عن المتطوعين من جزولة وباقي بربر وعرب السوس. وبعد مضايقة عملاء البرتغاليين بالمنطقة، ضرب القائم بأمر الله سنة 1511 حصارا على فونتي المحتلة منذ 1505 لكن هذا الحصار لم يهدد البرتغاليين لافتقاره لوسائل الحصار وللمدفعية.

لم يطل مقام القائم بأمر الله بالسوس، إذ انتقل سنة 1513 إلى الشياظمة بطلب ملح من سكانها الذين كان برتغاليو أسفي وعميلهم يحيى أو تعفوفت يضايقونهم. واستقر القائم بأمر الله بتدنيست (أفوغال في المصادر المغربية) قرب قبر الإمام الجزولي. وكان قبل ذلك قد تنازل عن السلطة لابنه الأكبر أحمد، وعين ابنه الآخر محمداً خليفة بالسوس. وحاول السعديون الحصول على الأسلحة والذخيرة لمحاربة البرتغاليين بنفس السلاح. لذا فتحوا ميناءين صغيرين بحاحة، تفطنا وتركوكو، في وجه التجار الإسبان والفرنسيين والإيطاليين وحتى البرتغاليين، الذين تقاطروا عليهما لرغبتهم في تكسير الاحتكار الملكي للتجارة بالمغرب، وفي الاستفادة من الإعفاء الضريبي بالمرفأين.

ونجح برتغاليو أسفي، المساندون من لدن يحيى وقبائله، في جعل أحمد الأعرج في حالة دفاع، وذلك بالإلحاح عليه بالغارات خلال 1514 و1515، وطرده من المعاقل التي التجأ إليها (راجع مادتي تدنيست، أگلاگل)، وبخلق عميل هناك لشغله في حروب داخل منطقة الشياظمة، حالت دون نقل عمليات السعديين إلى شمال نهر تانسيفت. ودون اتصاله بقبائل دكالة المرغمة على الرضوخ. وعلى الرغم من المشاكل المذكورة، استطاع أخوه أحمد في بداية العشرينات من القرن تحقيق مكتسبات مهمة. فقد استطاع محمد الشيخ ضرب حصار دائم على أگادير وقطع الطرق المؤدية إليها، ومنع أي شيء من الدخول إليها، واستطاع أخوه أحمد تهديد المكتسبات البرتغالية تهديداً خطيراً بعد 1518، أي بعد قتل أكبر قباطنة أسفي (1516)، واغتيال يحيى أو تعفوفت (1518). وألحق أحمد هزيمة لكراء بحامية أسفي وأسر قبطانها سنة 1522، وضرب حصاراً على الثغر وحال دون وصول أي شيء إليه، الأمر الذي أرغم القبطان الجديد على إمضاء هدنة معه اعتبرت مهينة للبرتغال، لكونه قبل بمقتضاها أن تؤدي ضواحي وأرباض أسفي الضرائب للسعدي. ومعلوم أن هذه الانتصارات كانت سبب استدعاء الهنتاتي لأحمد الأعزج وتخليه له عن السلطة.

أما المرحلة الثانية لجهاد السعديين فقد شغلتهم حروبهم ضد الوطاسيين عن تكريس مجهودهم للجهاد، وكان عليهم، لإفشال مخططات الوطاسين والتفرغ لمحاربتهم، إمضاء هدنة مع المسيحيين. لذا لم ينزل الشرفاء بكل ثقلهم على الثغور إلا مرتين، واحدة بأگدير سنة 1533، والأخرى بأسفي في السنة التالية. وقد تبين للأخوين من الحصارين المذكورين ضرورة الاعتماد بشكل مكثف على المدفعية والأسلحة النارية. وهكذا أعطيا الأولوية لصنع المدافع (اعتماداً على نحاس السوس) واستيرادها، وإغراء الأتراك والعلوج برواتب مرتفعة. ومعلوم أن الانتصار الكبير المحقق بأگدير سنة 1541، الذي نتج عنه قتل أو أسر كل أفراد الحامية البرتغالية، يعود أولا وقبل كل شيء لدور المدفعية الثقيلة في تحطيم أسوار الثغر. وكانت الهزيمة كبرى، أفزعت المسؤولين بلشبونة، وأكرهتهم على إخلاء أسفي وأزمور (1541) بدون حرب. وبعد دخول محمد الشيخ إلى فاس، وتوحيده للمغرب، خاف البرتغاليون من جديد وتخلّوا عن أصيلا والقصر الصغير (1550). إلا أن محمداً

الشيخ وخلفاءه لم يعملوا على تحرير باقي الثغور المحتلة (راجع مادة ثغور) لأسباب كثيرة أهمها ثلاثة :

- الخلاف الذي نشب بين الأخوين محمد الشيخ وأحمد بعد تحرير أگادير حول توزيع الغنائم وحول ولاية العهد بعد أن أصبح الأعرج يفكر في تعيين ابنه. وتسبب الخلاف في معركتين كسبهما محمد الشيخ، وعزل أخاه أحمد.

- انشغال محمد الشيخ بمحاربة الوطاسيين.

- خوف السلاطين السعديين من الأطماع التوسعية العثمانية بالمغرب، الأمر الذي جعلهم يميلون إلى التقرب من الإيبيريين، أو على الأقل جعل الأتراك يعتقدون ذلك. وهكذا بقيت ثغور محتلة هي، مازيغن وطنجة ومليلية وسبتة وحجرتا بادس.

أ. بوشرب، *وكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور*، البيضاء، 1984 ؛ ح. الفگيگي، *مقاومة الوجود الإيبيري بالثغور الشمالية المحتلة*، أطروحة دكتوراه الدولة، كلية الآداب، الرباط.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila, cronica do século XVI*, Publ. D. Lopes, Coimbra, t. 1, (1508 - 1525), 1915, LII + 498 p., t. 2, (1525 - 1535, supplemento : 1536 - 1550), 1919, XIX + 536 p. ; R. Ricard, *Les Portugais au Maroc* de D. de Gois, extraits de *la chronique du Roi D. Manuel de Portugal*, Rabat, 1937, 268 p. ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, extraits des *Annales de Jan III de Luis de Sousa*, Paris, 1940, 208 p. ; *Mazagan et le Maroc sous le règne du Sultan Moulay Zidane, (1608 - 1627) d'après le "Discurso de Gonçalo Coutinho", gouverneur de Mazagan (1629)*, Paris, 1956, 188 p. ; *Un document portugais sur la place de Mazagan au début du XVIIème siècle*, Paris, 1932, 72 p. ; *"Notes sur la tactique militaire dans les places portugaines du Maroc"*, *Bulletin Hispanique*, XXXV, 1933, pp. 448 - 453, repris in : *Etudes sur l'histoire des Portugais au Maroc*, Coimbra, 1955, pp. 345 - 355 ; *"Le problème de l'occupation restreinte dans l'Afrique du Nord"*, *Annales, Economie, Société*, 1936 ; D. Lopes, *"Os Portugueses em Marrocos"*, in : *Historia de Portugal*, dir. D. Pires, Barcelos, 1931, t. 3, pp. 385 - 544, t. 4, pp. 78 - 121 ; P. de Cénival, *Chronique de Santa Cruz do Cabo de Gué (Agadir)*, texte portugais du XVIe siècle, Paris, 1954, 170 p. ; J. Figanier, *Historia de Santa Cruz do Cabo de Gué (Agadir), 1505 - 1541*, Lisboa, 1945, 430 p.

أحمد بوشرب

الجهة، وحدة ترابية دستورية تجسّد سياسة اللامركزية، وتعتبر بهذه الصفة إطاراً إدارياً وتنموياً وكذا حلقة وصل بين السلطة المركزية والمستوى الإقليمي والمحلي. فهي جماعة محلية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية والاختصاصات التي يقررها مجلس منتخب.

لقد نشأت رسمياً، تحت اسم المنطقة الاقتصادية، بمقتضى ظهير 16 يونيو 1971، وفي ظرفية كانت تحتّم فيها البرامج والمخططات الاقتصادية والاجتماعية أخذ البعد الجهوي بالاعتبار. وهكذا تم تقسيم المغرب إلى سبع مناطق اقتصادية، وهي 1 - الجنوب (أگادير) 2 - تنسيفت (مراكش) 3 - الوسط (الدار البيضاء) 4 - الشمال الغربي (الرباط) 5 - الوسط الشمالي (فاس) 6 - الشرق (وجدة) 7 - الوسط الجنوبي (مكناس).

تمكّن هذا التقطيع الجهوي من زرع روح الانتماء المجالي إلى وحدات أوسع من الأقاليم والعمالات، ومن خلق تقليد جهوي يتمثل في تكاثر وارتكاز الدراسات والأبحاث على تلك الوحدات الترابية. غير أن التجربة الأولى للجهوية لم تتّسم بالفعالية المرجوة في ما يخصّ التوزيع المجالي للمناطق الاقتصادية، وما يتعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي، وكذلك الإطار القانوني والتنظيمي. ذلك أنه رغم طابعها التمثيلي والأهداف المسطرة لها والمهام المنوطة بها، كانت مجالس المناطق، المتكوّنة من ممثلي العمالات والأقاليم والغرف المهنية، تفتقد عموماً روح المبادرة ولا تتوفر على الوسائل المادية والمالية الكافية. فظل دورها منحصراً، بقوة القانون أو بفعل الواقع، في الاستشارة والإخبار حول التصورات والمنجزات. أما التوجهات التنموية والاختصاصات التقريرية والتنفيذية فكانت مسندة في غالب الأحيان إلى المصالح المركزية وإلى سلطة الوصاية.

لتصحيح النقص الحاصل في الوضع القانوني للمنطقة الاقتصادية نص الدستوران المراجعان لسنتي 1992 و1996 على ترقية الجهة إلى مستوى الجماعة المحلية، ثم صدر القانون الجديد المنظم للجهات في 2 أبريل 1997، ولحقه في 17 أغسطس 1997 المرسوم المحدد لعدد الجهات وأسمائها ومراكزها ودوائر نفوذها وعدد المستشارين الواجب انتخابهم حسب كل عمالة وإقليم وجماعة محلية وهيأة ناخبة. وقد جاء هذا القانون ليس فقط لتدارك الهفوات والعيوب المتراكمة عبر سيرورة التجربة الجهوية السابقة، ولكن أيضاً قصد إبداع صيغ جديدة لإدارة وتدبير شؤون الجهة وللرفع من مستواها في شتى الميادين.

إن أول ما يسترعي الإنتباه في هذه المستجدات هو تقليص مساحة الجهات، وبالتالي الزيادة في عددها. ومن شأن ذلك مباشرة تكثيف استثمار مختلف الطاقات والوسائل الموجودة داخل الجهة، والتقليل من التباين واختلال التوازن، وأيضاً تعزيز الخصوصيات الجهوية، والتحكم الأفضل في مجموع تراب الجهة من حيث الجوانب التمثيلية والإدارية والتدبيرية والتجهيزية. أما من الناحية القطاعية والتسييرية، فقد أصبحت الجهة تتمتع باختصاصات تقريرية واسعة، كما أصبحت تتوفر على كفاءات حقيقية وإمكانات ذاتية أو نابعة من التعاون المشترك بين الجهات أو علاقات الشراكة مع الجماعات المحلية الأخرى والمؤسسات العمومية والخاصة. زد على ذلك أن الصلاحيات المخولة للجهة أصبحت ترتبط بميادين اقتصادية واجتماعية وثقافية وبيئية أهم من تلك التي تتعلق بالجماعات المحلية الأخرى، وأن قضايا تنمية الجهة أصبحت تعالج في إطار مخططات جهوية للتنمية ولتهيىء

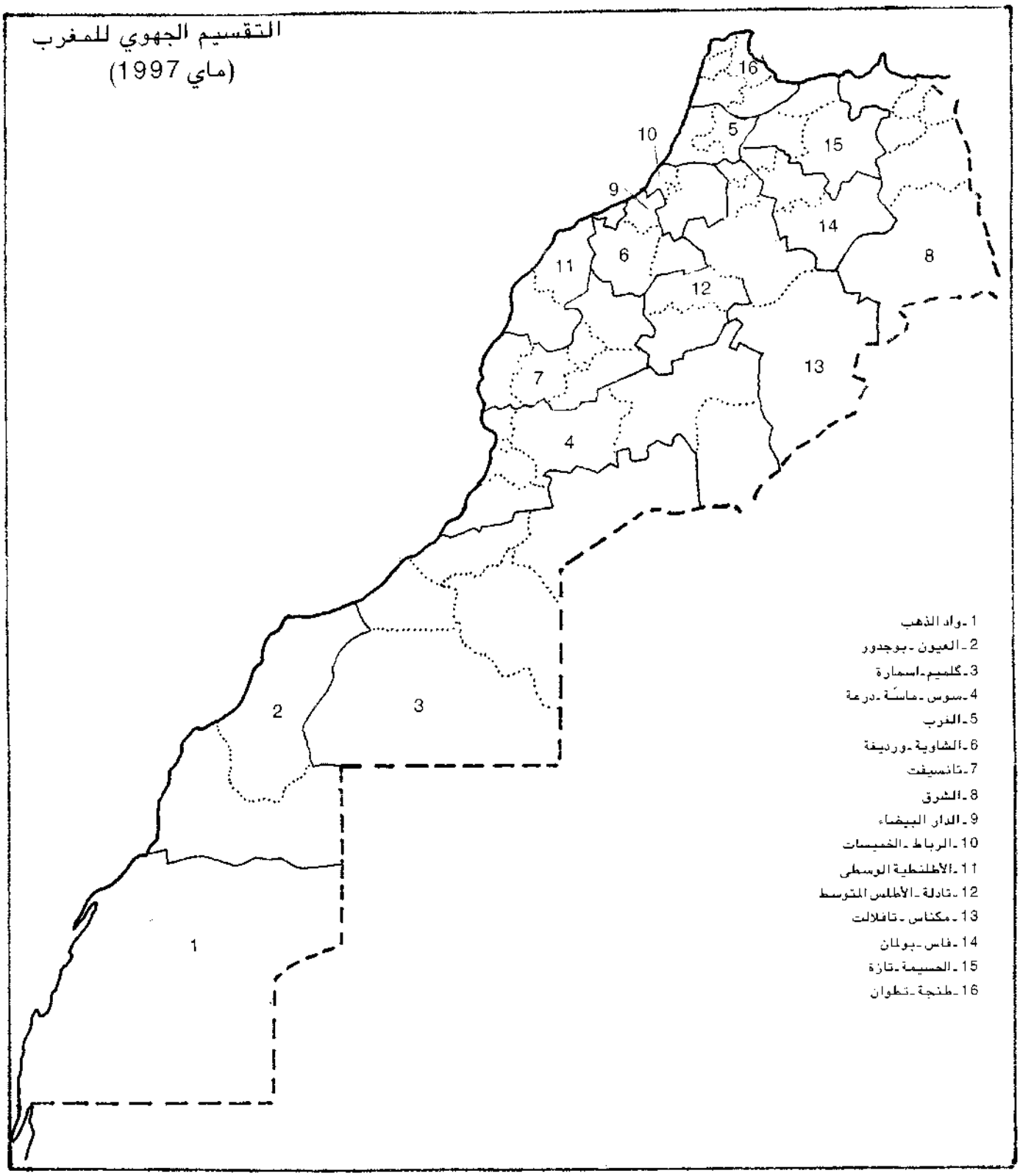
التقسيم الجهوي للمغرب
(ماي 1997)
1 ـ واد الذهب
2 ـ العيون ـ بوجدور
3 ـ گلميم ـ اسمارة
4 ـ سوس ـ ماسّة ـ درعة
5 ـ الغرب
6 ـ الشاوية ـ ورديغة
7 ـ تانسيفت
8 ـ الشرق
9 ـ الدار البيضاء
10 ـ الرباط ـ الخميسات
11 ـ الأطلنطية الوسطى
12 ـ تادلة ـ الأطلس المتوسط
13 ـ مكناس ـ تافلالت
14 ـ فاس ـ بولمان
15 ـ الحسيمة ـ تازة
16 ـ طنجة ـ تطوان

التراب وللأحواض المائية (انظر مقال "الجهوية" أسفله).

إن التغييرات والممارسات والتصريحات المتعلقة بالجهة تعبر كلها على أن الجهوية تعد من الآن اختياراً استراتيجيا. حيث يمتاز الوضع القانوني والترابي الجديد عن سابقة بتبنيه مبادئ وغايات تقضي بجعل الجهة إطاراً تنموياً أكثر ملاءمة وأكثر قابلية لإعادة هيكلة المجال الوطني. كما يتميز بإرادة بلورة سياسة اللامركزية بمنح الجهة صفة الجماعة المحلية، وبالتالي الإنتقال بها من إطار اقتصادي استشاري إلى كيان إداري واجتماعي واقتصادي.

من ثمة، إذا كانت الأهداف والمقاييس المترتبة عن المبادئ والغايات المسطرة في تقسيمي 1971 و1997 متشابهة شكلا، فإنها تختلف جوهرياً في ما بينها من حيث إمكانية التطبيق والتنفيذ على أرض الواقع. وهكذا، فإن أهم الدوافع التي روعيت في التقطيع الجهوي الحالي ظلت تتمثل في الحث على استثمار مختلف الإمكانيات والفعاليات في أرجاء البلاد، والتركيز أيضاً على إيجاد التلاؤم بين الجهات وداخل الجهة الواحدة. قد يتحقق هذا التوازن بين الجهات نتيجة تكامل أو تضامن بعضها البعض، وقد يتم ذلك داخل الجهة بالبحث عن التجانس أو التكامل الوظيفي أو كذلك التضامن بين مناطقها الغنية والفقيرة. انطلاقاً من هذه الأهداف، فقد حددت عدة عوامل تعتبر بمثابة الأسس العامة التي ترسم المعالم الكبرى للشبكة الجهوية.

إذا كانت الجهوية تستهدف التنمية الشاملة بناءً على الأوضاع الحالية وكذا المستلزمات المستقبلية، فإن العامل التاريخي يمثل ركيزة كل التقسيمات الإدارية، ويعمل على ترسيخ هوية مختلف الأقاليم والجهات التي شكلتها طبيعة الموارد وبنيات المجموعات البشرية وأساليب العيش. ولتكريس الطابع العصري للدولة، يستوجب العامل السياسي ضرورة إعطاء الأهمية للاندماج الوطني لكل أجزاء البلاد. أما العامل الجيوستراتيجي فيأخذ بالاعتبار الموقع الخاص للمناطق الموجودة على التخوم المغربية، وكذلك مختلف أبعاد المجال الوطني (المتوسطي والأطلنطي والجبلي والصحراوي).

أما المعايير الدقيقة للتقطيع الجهوي فهي تعكس إلى حد كبير تلك الاعتبارات السالفة. فعلاوة على ضرورة توفر الجهة على الحجم السكاني الكافي، يقتضي مقياس الاستقطاب الحضري وجود شبكة حضرية متراتبة وذات خصائص مميّزة، وعلى مدينة كبيرة تكون عبارة عن قطب تنموي ووظيفي يبسط نفوذه على مجموع رقعة الجهة. ويتطلب مقياس الموارد الطبيعية مراعاة تنوع وأهمية المؤهلات الطبيعية عموماً، والموارد المعدنية والمائية على وجه الخصوص. كما يتعين على الجهة أن يكون لديها مستوى معين من كثافة التجهيزات الأساسية، ولا سيما فيما يتعلق بالنقل الطرقي والحديدي. وأخيراً، يقتضي المقياس الاجتماعي ـ الاقتصادي نوعاً من التشابه في مستويات المؤشرات المتعلقة بهذه الميادين، مثل نوعية وحجم القيمة الانتاجية، وطبيعة وكثافة النسيج الصناعي والخدمات الحضرية وأهم النسب المرتبطة بالخدمات الاجتماعية.

لقد تم التعامل مع هذه الأسس بنوع من الموازنة في ما بينها، لكي تستجيب للدوافع والأهداف السياسية والإدارية والتنموية المتوخاة من التقسيم الترابي الجديد، وحتى لا يسفر هذا التقطيع الجهوي على عدم التوازن غير المرغوب فيه. من هذا المنطلق، قد تتجمع عدة مقاييس وعوامل بشكل متراتب لتفرز جهة متميزة بوضوح عن جاراتها، وقد تتحكم في ذلك معايير قليلة فقط، ولكنها حاسمة ولها وقع ملموس على جل المؤشرات الأخرى، كما هو الشأن بالنسبة للعامل الصحراوي أو الجبلي والحضري والفلاحي إلخ ..

تبعاً لذلك، جاء المشروع الجديد لتقطيع التراب الوطني إلى ستة عشر جهة، يعتمد تحديد كل مجموعة منها على جملة من المقاييس الأساسية. تتصف الجهات الصحراوية الثلاثة بخصوصيات تاريخية وبيئية، وتشترط تنميتها ضرورة اندماجها الوطني. ويرتكز تحديد مجموعة أخرى من الجهات بناءً على تجانسها الحاصل عن الظروف التاريخية والإندماج الاقتصادي والاستقطاب الحضري (سوس ـ ماسة ـ درعة، والغرب ـ الشراردة ـ بني حسن، والشاوية ـ ورديغة، ومراكش ـ تنسيفت ـ الحوز، والجهة الشرقية). كما تم تمييز جهتي الدار البيضاء الكبرى، والرباط ـ سلا ـ زمور ـ زعير وفق معياري التكامل والاستقطاب الحضري. وأخيراً، تم الاعتماد على البعد المتوسطي فيما يتعلق بجهتي تازة ـ الحسيمة، وطنجة ـ تطوان، وعلى البعدين الأطلنطي والجبلي وتكثيف استثمار مواردهما فيما يخص أربع جهات (دكالة ـ عبدة، وتادلة ـ أزلال، ومكناس ـ تافيلالت، وفاس ـ بولمان).

رغم أن الحوار السياسي لم يول الهيكلة الجهوية نفس الإهتمام الذي أولاه للقانون المنظم للجهات فإن الاستجابة للمبادئ والأهداف الواردة فيه رهينة بنوعية التقسيم المجالي وبمدى ملاءمته لها. ويرجع هذا الفتور في إعطاء المكانة اللازمة للتقطيع الجهوي إلى كون السلطة التنفيذية هي التي تولت أمره، وإلى صعوبة تقييمه، والتجربة الجديدة لم تنطلق بعد. ذلك أن التقسيم الجهوي يتطلب استقراراً لمدة من الزمن لكي يسمح بتقديم حصيلة حوله، خلافاً للقانون الذي يكون قابلاً للتطوير في كل حين وكلما دعت الضرورة إلى ذلك. ومع ذلك، هناك ملاحظات وأحياناً مؤاخذات من زوايا عديدة حول الشكل والمضمون، يمكن تسجيلها منذ الآن.

في الواقع، لا يختلف تخطيط الجهات الحالي كثيراً عن سابقه. إذ ما عدا جهة دكالة ـ عبدة التي انبثقت عن

منطقتي الوسط وتنسيفت في تجربة 1971، فإن منطقتين ظلتا كما كانتا عليه (الشرق ومكناس ـ تافيلالت)، وكل واحدة مما تبقى من المناطق تجزأت إلى جهتين على الأقل. وهكذا تفرعت عن منطقة الوسط الشمالي جهتان، وعن كل من الشمال الغربي والجنوب ثلاث جهات، وعن الوسط أربع جهات كاملة وجزء من واحدة أخرى. بالتالي وقع تكثيف الشبكة الجهوية، وبصفة خاصة على الواجهة الشمالية الغربية، إلى درجة أن محور القنيطرة ـ الجديدة، الذي كان ينتمي إلى منطقتين اقتصاديتين، أصبح مقتسماً من طرف خمس جهات.

لقد أسفر ذلك أولاً عن خلق تفاوت كبير بين الجهات فيما يتعلق بالحجم المساحي والسكاني. حيث تقلصت كثيراً رقعة بعض الجهات، خصوصاً بالنسبة للدار البيضاء الكبرى والرباط ـ سلا ... وطنجة ـ تطوان، وفي آن واحد تضخمت مساحة الجهات الجنوبية والشرقية. على سبيل المثال، فإن مساحة جهة العيون ـ بوجدور ـ الساقية الحمراء تفوق مساحة لبنان بأكثر من 13 مرة والكويت بحوالي ثمان مرات وبلدان البنيلوكس الثلاث بأكثر من مرتين، وتتعدى مساحة الأردن والبرتغال وهنغاريا والنمسا واليونان، وتقترب من مساحة تونس. أما من الناحية السكانية، وتبعاً لمبدإ التناسب والموازنة، فالأمر عكس ذلك، إذ على العموم، كلما صغرت المساحة إلا وارتفعت الكثافة السكانية وكذا مختلف المؤشرات الأخرى. لذلك نجد الجهات الصحراوية وأخرى كبيرة تتوفر على أقل عدد من السكان، والجهات الصغرى على أكبر حجم منه، اللهم إذا تدخلت عناصر أخرى، تاريخية واقتصادية بالأساس، لتغيير تلك القاعدة، كما حصل بالنسبة لسوس ـ ماسة ـ درعة ومكناس ـ تافيلالت والشرق، حيث تعد هذه الأخيرة من الجهات الكبرى والآهلة معاً، ولو أن توزيع السكان بها يعرف تبايناً واضحاً بين مناطقها.

تتميز الخريطة الجهوية كذلك بتفاوت عدد الأقاليم والعمالات وبتجزيئها كلما ظهرت الحاجة الإدارية إلى ذلك. ويرجع تاريخ إنشاء بعضها إلى عهد قريب (7 ماي 1997)، أي بين صدور مشروع التقسيم الجهوي في 17

الجهات	المساحة (1000 كلم2)	الجماعات الحضرية		الجماعات القروية		مجموع عدد الجماعات	مجموع السكان
		العدد	السكان (1000 نسمة)	العدد	السكان (1000 نسمة)		
وادي الذهب...	50.088	2	35.122	11	1.629	13	36751
العيون...	139.480	4	164.807	10	10.862	14	175669
گلميم...	133.730	11	217.954	49	168.121	60	386075
سوس...	70.880	27	896.140	212	1739.389	239	2635529
الغرب...	8.805	12	624.145	61	1000.937	73	1625082
الشاوية...	16.760	15	594.812	105	946.847	120	1541659
مراكش...	31.160	18	952.072	198	1772.132	216	2724204
الشرق	82.820	25	975.978	91	792.713	116	1768691
البيضاء الكبرى	1.615	29	2940.623	7	153.580	36	3094203
الرباط...	9.580	17	1560.846	40	424.756	57	1985602
دكالة...	13.285	12	616.106	77	1177.352	89	1793458
تادلة...	17.125	9	448.478	73	876.184	82	1324662
مكناس...	79.210	25	965.682	111	938.108	136	1903790
فاس...	19.795	14	913.888	48	408.585	62	1322473
تازة...	24.155	15	371.043	118	1348.794	133	1719837
طنجة...	11.570	13	1137.963	87	898.069	100	2036032
المجموع	710850	248	13415.659	1298	12658.058	1546	26073717

بعض الخصائص الجهوية حسب
مشروع التقسيم الجهوي، 17 أكتوبر 1996

أكتوبر 1996 ومرسومه النهائي في 17 غشت 1997.

يتعلق الأمر بإحداث إقليمي زاگورة وتاوريرت وبانشطار إقليم طنجة إلى إقليمي طنجة ـ أصيلة والفحص ـ بني مگادة. يضاف إلى هذا أن التقسيم الجديد يتضمن حالتين خاصتين في هذا الباب. حيث تتكون جهة وادي الذهب ـ الگويرة، وهي أقل الجهات سكاناً ومن أكبرها مساحة، من إقليم واحد فقط (الداخلة)، لاعتبارات بيئية وسكانية وسياسية وجيوستراتيجية، ونظراً لموقعها المتطرف في جنوب الصحراء. أما الدار البيضاء الكبرى التي تعتبر أصغر الجهات مساحة وأكثرها سكاناً، فتتألف من ثمان عمالات، مراعاة للتمركز السكاني والاقتصادي بها، واعتباراً لكونها مدينة عملاقة يقتضي الهاجس الإداري تكثيف تقطيعها للتحكم الأفضل في ضبطها وتدبير شؤونها. ما عدا هذين الاستثنائين فإن تركيبة الجهات الأخرى من حيث عدد الأقاليم لا تخضع ظاهراً لمقاييس السكان والمساحة ومستوى الموارد والقطاعات الاقتصادية، أكثر مما تخضع لعوامل الجوار والتجانس والاستقطاب الحضري والعلاقات التاريخية. مثال ذلك جهة سوس ـ ماسة الواسعة التي تضم سبعة أقاليم، في حين أن جهة العيون المجاورة، والتي تعد أكبر جهة في المغرب، لا تحتوي على سوى إقليمين، مثلها مثل بعض الجهات الصغيرة (الغرب ... ودكالة ... وتادلة ...).

لقد قام التقسيم الجديد بمحاولة تصحيح التوجهات السابقة التي كانت ترجح مبدأ التوازن بين الجهات على التوازن داخل الجهة. فعمل على تقليص مساحتها والتركيز عموماً على أسس الجوار والتجانس والتكامل، حتى يتم الحصول على جهات تنسجم داخلها المكونات الترابية، ولا تكتفي كل واحدة منها، كما حدث في السابق، بالحصول على جزء من الجبال والسهول والهضاب والسواحل. هذا ما أفرز جهات تتسم بنوع من وحدة أوساطها، وعلى الخصوص فيما يتعلق بالجهات الصحراوية والغرب ... والشاوية ... والرباط ... ودكالة ... وتازة ... غير أن اعتماد التجانس يؤدي بالضرورة إلى التمايز بين الجهات من حيث نوعية وحجم المؤشرات الاجتماعية والموارد والتجهيزات والقيمة الانتاجية. وبالتالي، قد نجد جهات غنية وأخرى فقيرة أو ذات أجزاء متفاوتة الأهمية.

لكن رسم الحدود الجهوية يطابق الغلاف الإداري ويشمل الأقاليم برمتها، ولا يحترم دائما وحدة الأوساط الخاصة التي تتطلب تدخلات مناسبة، مثلما يحترمها العديد من المشاريع والبرامج والتنظيمات التنموية. صحيح أن احتمال انتماء أجزاء الإقليم الواحد إلى جهتين أو أكثر قد يطرح عدة مشاكل تسييرية وتقنية، لا سيما وأن الجهوية الحالية تستهدف كذلك ترسيخ الدور الإداري للجهات، ولكن ضم الجهات لأقاليم كاملة يترتب عنه في نصف الحالات تقريباً تباين نوعي وكمي بين المناطق المنتمية لنفس الجهة، والذي يصعب معه تحقيق التكامل المرغوب. ويبلغ اختلال التوازن بين المناطق ذروته بالنسبة لثلاث جهات. وهي جهات مديدة ومتنافرة الأجزاء، تعمل على إدماج مجموعة من الأقاليم وطنياً واقتصادياً، وتتخذ أقطابها الحضرية وأكثر مناطقها حيوية مواقع منحرفة. هكذا تتراكب جهة مكناس ـ تافيلالت على البعدين الجبلي والصحراوي، كما تحتوي على سهل فلاحي غني، ولا تتوفر على منفذ بحري مثل جهتي فاس ـ بولمان وتادلة ـ أزلال. كما تمتد منطقة الشرق على قطاع فلاحي مسقي وعلى الأبعاد الثلاث، المتوسطي والجبلي والصحراوي. وتتوفر جهة سوس ... بدورها على قطاع فلاحي مسقي وعلى ثلاثة أوساط (الصحراوي والجبلي والأطلنتي)، رغم نزع الأقاليم الصحراوية وبعض الأقاليم شبه الصحراوية منها في التقطيع الجديد.

على الرغم من النية المعلنة لخلق تنافس بين المناطق والجهات، وإتاحة إمكانية التضامن والتكامل بينها، فإن فقدان التوازن فيما بينها من شأنه الإنعكاس سلباً على السيرورة التنموية. ذلك أن نقص وسائل الإنعاش الاقتصادي والفرق الشاسع أحياناً بين المؤهلات المجالية يعرقلان التنمية الذاتية، وبالأحرى التنافس الحقيقي والتكافل الفعال. والحالة هذه، يخشى أن يعاد إنتاج نفس الظروف المادية التي كانت سائدة في التجربة السابقة، والتي أفشلتها برمتها، فتتم مركزة المبادرة الحرة والاستثمارات الانتاجية والتجهيزية في المناطق المحظوظة مسبقاً، وتتعمق الهوة بين المدن والأرياف، وبين القطاعات المسقية والمناطق البعلية، وعموماً بين المناطق الفقيرة والغنية. يخشى أيضاً أن يمتد عدم التساوي في وتيرة النمو بين المناطق والجهات، فتتحول الرغبة في التكامل والتعاضد إلى سيطرة منطقة أو مدينة على كافة التراب الجهوي، علماً بأن التبعية والوصاية المجاليتين تتنافيان مع القانون التنظيمي ومع المهام الجديدة المنوطة بالجهة.

من زاوية أخرى، لا يخفى دور المدينة في هيكلة المجال وكذا أهمية الشبكة الحضرية في تشكيل دعامة أساسية لسياسة إعداد التراب ولإقامة التجهيزات والأنشطة التنموية. في هذا الصدد، وباستثناء الدار البيضاء التي تشع على الصعيد الوطني، والداخلة التي تعتبر مدينة صغيرة شبه وحيدة في جهة واسعة جداً، فإن جل الجهات الأخرى تتوفر على أقطاب حضرية رئيسية، ولو أنها متفاوتة الحجم والأهمية، وأنها تتخذ مواقع متطرفة في الغالب عن الوسط، وأن بعضها يعرف تضخماً عمرانياً واحتكاراً وظيفياً يضيقان الحصار على المراكز الصغيرة، وحتى المتوسطة أحياناً. زد على ذلك أن توزيع مختلف أحجام المدن على الجهات لم يتم بنوع من التعادل والتناسب، وهو ما خلف شبكات حضرية غير مكتملة أو ضعيفة التراتب في بعض الحالات، وأنتج أخرى مقتسمة بين جهتين أو أكثر. بالإضافة إلى ذلك، فقد أسفر الهاجس

الإداري، الذي يقضي باعتبار الأقاليم كاملة، عن جهات متعددة أوثنائية النفوذ الحضري، كما هو الشأن بالنسبة لطنجة ـ تطوان وأسفي ـ الجديدة ... بل هناك جهتان تخضع فيهما، من الناحية الإدارية، المدينة الأكبر للمدينة الأصغر (الحسيمة ـ تازة وسطات ـ خريبگة).

أخيراً، تجدر الإشارة إلى أن دور التقطيع الجهوي لا يقتصر فقط على إيجاد وحدات ترابية تتسم ما أمكن بالتوازنات التي تبحث عن الصيغة الملائمة لبناء الجهة وعن الحد من مختلف الفوارق، بل يسعى أيضاً إلى تحويل الجهة من الإطار الاقتصادي المحض، الذي كان سائداً في التجربة الجهوية السالفة، إلى الكيان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإداري الذي يعيشه السكان ويلجأون إليه في حياتهم اليومية. ولعل عامل الإحساس بالانتماء، الذي كان مفقوداً في السابق هو الذي خلف عقليات إدارية وسلوكات لدى مختلف الفاعلين المحليين كانت تعرقل بدرجات متفاوتة سيرورة الجهوية. بينما كلما تقلصت مساحة الانتساب المجالي وتم تكثيف الإرتباطات التاريخية والمبادلات والمعاملات والاستقطاب الحضري إلا وتوطد عامل الإحساس بالانتماء.

إن ترسيخ ذلك العامل يتطلب وقتاً كافياً لتكييف الذهنيات والسلوكات المحلية وجعلها تستأنس مع الإطار الجهوي الواسع. بذلك، يكون التقسيم الترابي السابق قد عمل على تمتين الترابطات الموروثة بين المناطق، وعلى نسج علاقات جديدة بينها. لكنه، بعد 26 سنة ولأسباب سيكواجتماعية وأخرى مصلحية ومنفعية، لازالت بعض ردود الفعل تظهر هنا وهناك حول مسألة انضمام بعض المناطق إلى بعضها. كما هو الشأن بالنسبة لتفضيل انتماء إقليم الحسيمة إلى وحدة تشمل إقليم الناظور (شريطة أن ينزع هذا الأخير من الجهة الشرقية)، عن انتسابه إلى جهة تشمل إقليم تازة. كذلك، ظل إقليم تافيلالت إلى الآن منتميا إلى جهة مكناس، رغم الحجم الكبير والشكل المديد لهذه الجهة، ورغم التشابه والارتباطات القائمة بينه وبين إقليم ورزازات، الذي ظل منتسباً إلى جهة أگادير.. بدل انتمائه إلى جهة مراكش... وقد تمكن التقسيم الجديد من تكريس بعض العلاقات السابقة (فاس مع شمال الأطلس المتوسط، والصويرة مع مراكش رغم انفتاحها المطرد على إقليمي أسفي وأگادير...). إلا أن عدم إعارة الاهتمام اللازم لبعض العوامل الجديدة ولبعض الأوساط الخاصة أدى إلى خلق كيانات ذات هيئة اصطناعية جزئياً أو كلياً، مثال ذلك عزل العاصمة الاقتصادية عن العاصمة السياسية بواسطة إقليم بنسليمان الذي أصبح ينتمي إلى جهة الشاوية... عوض انضمامه إلى جهة الدار البيضاء الكبرى أو جهة الرباط...

ظهير 16 يونيو 1971 المتعلق بإحداث المناطق الاقتصادية، مشروع التقسيم الجهوي، وزارة الداخلية، 17 أكتوبر 1996 ؛ القانون 47.96 المنظم للجهات (ظهير 2 أبريل 1997) ؛ مرسوم 2.97.246 المحدد لعدد الجهات وأسمائها ودوائر نفوذها وعدد المستشارين... (17 غشت 1997) ؛ الصحف الوطنية (1996 ـ 1997).

J. Lajugie, P. Delfaud, C. Lacour, *Espace régional et aménagement du territoire*, Paris, 1985 ; G. Vedel/Dir. *Edification d'un Etat moderne : le Maroc de Hassan II*, Paris, 1986 ; D. Basri, *L'administration territoriale : l'expérience marocaine*, Paris, 1990 ; *La décentralisation au Maroc : de la commune à la région*, Paris, 1994 ; *Revue Marocaine d'Administration Locale et de Développement, Région, Régionalisation et Développement régional*, Rabat, 1996, N° 8, Série "Thèmes actuels".

الجهوية بالمغرب، مفهوم تنظيمي وتنموي يرتكز على مبدأي التمثيلية واللامركزية في إطار الحفاظ على وحدة البلاد وهويتها. يتضمن جانبا تحليلياً تعمل فيه الدراسات الجهوية على تمييز وتحديد وحدات ترابية تتداخل فيما بينها وتتسم بالتجانس أو التكامل. كما يتضمن هذا المفهوم جانباً عملياً تفضي إليه تلك الدراسات، ويقضي بوضع برامج قطاعية تستوطن في تلك الوحدات الإدارية. بذلك تكون الجهوية تدل في آن واحد على نوع من أنواع التقسيم المجالي للبلاد وعلى صيغة من صيغ تدبير الشؤون العامة في إطار جهات تتعدى رقعتها مساحة الوحدات الصغرى التي تهتم بشؤون التنمية المحلية.

بل أصبح يتسع هذا المفهوم لدى الدارسين والإداريين والتقنيين ليشمل شيئاً فشيئاً كل التدابير والإجراءات الخاصة بالجهة، بما في ذلك عمليات التنظيم الجهوي وإعداد التراب على المستوى الجهوي. والواقع أن الجهوية تعتبر مظهراً أساسياً في إعداد التراب الذي يمثل مفهوماً ذا خصائص أكثر شمولية واندماجاً، حيث يقوم على النظر من جديد في العلاقات والتوازنات القطاعية، وعلى إعادة هيكلة المجال الجهوي، وفق خطط تنموية تعدل الأنظمة الإنتاجية وتعيد توزيع المظاهر الاقتصادية والاجتماعية الرئيسية، مثل التجهيزات الأولية والمشتركة وطرق المواصلات والسكن ومراكز الأنشطة والشبكات الحضرية.

نظراً لاختلاف وتنوع المناطق المغربية، من حيث المكونات البيئية والمؤهلات البشرية والاقتصادية، فإن البعد الجهوي والمحلي كان دائماً حاضراً في تصور وإنجاز كل عملية تنظيمية أو استثمارية وتجهيزية وتعميرية. غير أن حضور الخلفية المجالية كان متفاوتاً في المكان والزمن، وكانت تمليه باستمرار ضغوط الطلب والظرفية وتلبية الحاجيات الأساسية للسكان والسير العادي للنظام الإداري والقطاعات الإنتاجية والاجتماعية، أكثر مما كان يخضع لسياسة طوعية شاملة ومندمجة تنبني في إطار جهوي مؤسسي ملائم وتقوم على تسخير كل الطاقات والإمكانات

للبحث عن التوازن المحلي والوطني.

لم تتبلور الملامح الأولى للسياسة الجهوية إلا في مناطق وقطاعات محدودة، خاصة مع قدوم تصاميم التنمية الاقتصادية والاجتماعية في بداية الستينات، ثم سياسة إعداد التراب الوطني والتعمير وكذا تجهيز واستثمار الدوائر المسقية الكبرى.

أما التاريخ الرسمي لإحداث الجهات فيرجع إلى سنة 1971، حيث تم تأسيسها بمقتضى ظهير 16 يونيو 1971. بعد ذلك ارتقت المناطق الاقتصادية إلى صف الجماعات المحلية طبقاً للمراجعتين المتلاحقتين للدستور في سنتي 1992 و1996، كما هو شأن الأقاليم والعمالات التي انضافت بهذه الصفة إلى الجماعات الحضرية والقروية السابقة وعقب استفتاء 13 شتنبر 1996. لقد تمَّ وضعُ مشروع القانون المنظم للجهات (17 أكتوبر) الذي عرضه الملك على الأحزاب السياسية قصد إبداء الرأي، قبل أن يناقش ويصادق عليه من طرف الحكومة ثم البرلمان (27 مارس 1997)، ليخرج الظهير المنظم للجهات إلى حيّز الوجود في 2 أبريل 1997.

في نهاية الستينات، نبعت السياسة الجهوية المستلهمة من التجربة الفرنسية في أهم مضامينها لتلبية الرغبة في الحد من آثار اختلال الهيكلة المجالية والقطاعية الموروثة عن الفترة الاستعمارية، ونتيجة لتعثر السياسة اللامركزية التي أخذ ينهجها المغرب المستقل، والتي اصطدمت بغياب الإطار المحلي المطابق والبنيات والأجهزة التنظيمية الملائمة. فتم التفكير في ضم مجموعة من الأقاليم فيما بينها لخلق منطقة اقتصادية لها رقعة كافية تتجاوز مساحة الإقليم الواحد، وتفوق طاقات وإمكانات إنجازه واستيعابه للمشاريع التنموية الكبرى، كإقامة المنشآت التجهيزية الكبرى والمعامل والجامعات والمطارات والطرق الرئيسية.

اعتماداً على هذا المنطلق، واعتباراً للتكامل أو قابلية التكامل بين مكونات المناطق كشرط أساسي لخلق التوازن المنشود في توزيع الأجزاء الفقيرة والأجزاء الغنية بين تلك المناطق أو داخل كل واحدة منها، وقع تحديد جملة من المعايير البشرية والاقتصادية التي يلزم على كل منطقة أن تتوفر فيها، وهي معايير كمية بالدرجة الأولى في معظمها. يتعلق الأمر أساساً بعدد السكان المناسب وأهمية وتنوع المؤهلات الطبيعية والمعدنية بين الوحدات المجالية المتجانسة والانتماء إلى أحواض نهرية تمكن من السقي، ونوعية وحجم القيمة الإنتاجية ومستوى التجهيزات الأساسية، ولا سيما فيما يخص النقل الطرقي والحديدي، وأخيراً وجود شبكة حضرية مكتملة أو في طريق التكوين، تكون متماسكة حول القطب الجهوي.

وهكذا توصلت الدراسات التمهيدية المتعددة الجوانب إلى تقطيع المغرب سنة 1971 إلى سبع مناطق اقتصادية تحتضن كل واحدة منها مجلساً جهوياً يتكون من مندوبي مجالس العمالات والأقاليم وممثلي الغرف المهنية، إلا أن اختصاصات المجلس ولجنه الأربع كانت ذات صبغة استشارية محضة تتمثل في الإخبار وتلقي المعلومات حول تصور وإنجاز البرامج التنموية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية وإعداد التراب الوطني على المستوى الجهوي.

الجهات	المراكز	الأقاليم
الجنوب	أگادير	أگادير، ورزازات، طرفاية
تانسيفت	مراكش	مراكش، أسفي
الوسط	الدار البيضاء	الدار البيضاء، الجديدة، سطات، خريبگة، بني ملال
الشمال الغربي	الرباط	الرباط، القنيطرة، تطوان، طنجة
الوسط الشمالي	فاس	فاس، تازة، الحسيمة
الشرق	وجدة	وجدة، الناظور
الوسط الجنوبي	مكناس	مكناس، قصر السوق

مراكز وتركيبة الجهات ـ 16 يونيه 1971

أما على الصعيد الوطني فأوكلت مهمة الإشراف على النظام الجهوي لثلاثة أجهزة إدارية مركزية، وهي اللجنة الإدارية لتهيئ التراب الوطني وقسم التخطيط والتنمية الجهوية واللجنة الوطنية للتنمية الجهوية، وقد أسندت لهذه الأخيرة مهمة التنسيق بين المجالس الجهوية والمستويات المركزية.

يتبين من خلال الدور المنوط بالجهات وشروط سيرورة اشتغالها، أن النتائج التنموية المحصل عليها لا يمكن أن يكون لها وقع كبير يذكر على أرض الواقع، بالمقارنة مع ما كان ينتظر منها، وما كان مطروحاً عليها آنذاك من تحديات في سائر القطاعات والمناطق. ويرجع ذلك بالدرجة الأولى إلى الإطار القانوني والتنظيمي للجهة الذي كان أصلاً مبتوراً وغير متوازن.

أمام سيادة دواليب الإدارة الوصية على السلطة التمثيلية، وتغلب الهاجس الإداري والسياسي لديها على الهم الاقتصادي والاجتماعي، والذي يتجلى في تكوين الجهات من أقاليم كاملة، كان حضور المجالس الجهوية هزيلاً بحكم القانون الذي لا يخول لها حق المبادرة والتقرير، ولا يمنحها الوسائل المادية والمالية الكافية لبلورة أهدافها، وكذلك بفعل الواقع الذي جعل نوعية تركيبتها ومستوى أطرها وكيفية تسيير أعمالها والبت في مختلف القضايا المعروضة عليها تكون مشوبة بكثير من الخلل والضعف.

بالتالي، لم تفلح المجالس في جعل المؤسسة الجهوية تشكل حلقة وصل متينة تربط بالفعالية المرغوبة بين السلطة المركزية والمستوى المحلي. فكان على السلطة التقريرية والعملية التنموية أن تنتقلا إما إلى الصعيد المركزي فيما يخص التوجهات العامة للمشاريع الكبرى، أو

إلى الأقاليم والعمالات بالنسبة لإنجاز مختلف البرامج، بل حتى الهياكل الإدارية نفسها لم تكن تساير المتطلبات التنظيمية لسياسة الجهوية بما فيه الكفاية من احترام الديمقراطية المحلية وشروط العقلنة والحداثة، ولم يكن حتى مسؤوليها على قناعة تامة بمغازيها ومراميها، وعلى استعداد كامل لتنفيذ مضامينها.

لم تتمكن الجهوية التي انتهجت ابتداءً من 1971 من تحقيق الأهداف التي خلقت من أجلها، وأهمها نقل الإنتاجية داخل الجهة والتخفيف من التفاوتات في سائر المقومات الاقتصادية بين الجهات. بل تضاعف التمركز السكاني والحضري والتجهيزي والاستثماري والاجتماعي في الجهات وأجزاء الجهات التي كانت أصلاً أكثر حظاً، أي في جهتي الوسط والوسط الشمالي، وعلى الخصوص في المحور الرابط بين القنيطرة والجديدة وبعض الأقطاب الجهوية الكبرى. بينما كانت الأولوية قد أعطيت في التقطيع الترابي وتسطير الأهداف للتوازن بين الجهات، بدل التوازن داخل الجهة الواحدة.

لقد استأثرت الدوائر المسقية الغنية بجل جهود الدولة والقطاع الخاص، تمشياً مع سياسة الانفتاح والتصدير، وتعمقت الهوة بينها وبين المناطق الفلاحية الأخرى التي عانت، فضلاً عن ذلك، من ظرفية سيئة تتسم بتعاقب سنوات وفترات الجفاف، ولا سيما منذ بداية الثمانينات. كما أخذت تتجدر التفاوتات بين العالم الريفي والوسط الحضري الذي صار محط هجرة قوية تتفاقم ظاهرتها باستمرار. كما أن الرأسمال الخاص بدوره تعامل في توطين أنشطته ومنشآته بطابع من الانتقاء المجالي والتركيز في المدن والمناطق الأكثر دينامية، ولم يخضع لتوجهات الجهوية التي وفرت له عملياً تدابير تشجيعية لكي يتنمى ويستثمر في إطار جهوي مناسب وفي جميع أنحاء المغرب.

ترتبت عن كل هذه العوامل عواقب وخيمة على الميادين الاقتصادية والاجتماعية، وظهرت عوائق حالت دون تحقيق التوازن المطلوب داخل وبين المناطق، وبرزت اختلالات في معالم وأشكال ووظائف الشبكات الحضرية التي تعتبر بمثابة العمود الفقري لسياسة إعداد التراب الوطني. علاوة على ذلك، أخذت تشكو الهيكلة الحضرية للجهات على وجه الخصوص من عدم تراتبية بعض الشبكات الحضرية، وتقاسم بعض الشبكات بين جهات مختلفة وعدم المساواة في توزيع المدن الكبيرة والمتوسطة بين المناطق.

صحيح أن النتائج التي آلت إليها هذه التجربة كانت على العموم محدودة ومتفاوتة التأثير. لكنها خلّفت دراسات متنوعة على الصعيد الجهوي، وأفرزت تراكماً للخبرات، وللثغرات والهفوات كذلك، والتي من اللازم على التجربة اللاحقة أن تتجنبها. بل نجح الامتحان الأول هذا في خلق تقليد جهوي تدريجي يحفّز على تدارك الأوضاع والبحث عن السبل الكفيلة بالنهوض بالجهة، وذلك بدءاً بسنّ قوانين مناسبة، تتميّز بالابتكار في إيجاد المجال الأكثر ملاءمة، والصلاحيات الأوسع، والتمثيلية الأمتن والأكثر نزاهة، والتي تسمح للهيئة الجهوية أيضاً أن تتمتع بالمقدار الكافي من الإمكانيات المادية، وأن تدبر شؤونها بنوع من التوازن بينها وبين سلطة الوصاية. وهكذا تضافرت عدة عوامل في مطلع التسعينات، نبعت عنها رغبة أكيدة وتوجهات جديدة لخوض تجربة أكثر نضجاً وقابلية للتحقيق.

كان من المنتظر في الحقيقة أن يعاد النظر في التنظيم الجهوي السابق على ضوء تراكم التجارب الجهوية، بأخطائها وبإيجابياتها، لمدة أكثر من عقدين، وبصفة خاصة عندما أقبل المغرب على منعرج تاريخي بداية من سنة 1992. حيث أفضت الإصلاحات الدستورية إلى تغيير التوازنات القائمة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ثم أعقبتها تعديلات أخرى أتى بها الدستور المراجع لسنة 1996، الذي أريد له أن يكون دستور الديمقراطية المحلية واللامركزية الجهوية بامتياز. وأهم ما أسفرت عنه هذه المستجدات هو إنشاء مجلس المستشارين المنبثق عن الجهات وتدعيم مسلسل اللامركزية الجهوية وتعديلات خاصة ببعض المؤسسات الدستورية، أهمها مجلس الحسابات والمجلس الدستوري.

من ثمة أصبح الاختيار الجهوي بمثابة ركن لا محيد عنه من الأركان التي تتأسس عليها السياسة المغربية. ذلك أن من شأن تعزيز الخصوصيات والأصالة الجهوية ترسيخ وحدة البلاد وإغناء وتأكيد الهوية الوطنية. زد على ذلك أن الملك نفسه تولى في عدة مناسبات حث أحزاب الأغلبية الحاكمة وأحزاب المعارضة على السواء، على تبني سلوك سياسي جديد في المناقشات واتخاذ القرارات الجهوية. ويعتمد هذا السلوك على مبدأي الحوار والتراضي، خصوصاً فيما يتعلق بتهييء التناوب على الحكم على أحسن وجه والتعجيل بتفعيل المؤسسات الدستورية. في هذا المناخ النفسي حدث التوافق بين الحكومة ومجلس النواب وداخل الفرق البرلمانية، وتمت المناقشة والمصادقة على مشاريع القانون المنظم للجهات والجماعات المحلية الأخرى وغرفتي البرلمان ومدونة الانتخابات. وقد سبق أن وقعت الحكومة وجل الأحزاب يوم 28 فبراير 1997 على تصريح مشترك يعد بمثابة ميثاق شرف يحدد التزام الطرفين فيما يخص ضمان نزاهة الانتخابات وسلامة الأجهزة التمثيلية.

لعل أول ما يسترعي الانتباه في الحديث عن النهج الجديد للجهوية هو توفر الجهة الآن دستورياً وقانونياً على وضعية تخول لها صفة الجماعة المحلية، المتمتعة بالشخصية المعنوية والاستقلالية المالية، كسائر الجماعات الأخرى والعمالات والأقاليم والجماعات القروية والحضرية. رغم مختلف المؤاخذات على التقسيم الجهوي الجديد الواردة أعلاه (*الجهة، معلمة المغرب*)، من دون شك أن نقص حجم

رقعتها، نتيجة رفع عددها من سبع إلى ست عشرة جهة، سيسمح بالتحكم أكثر في مكوناتها الترابية والقطاعية، كما سيتيح إمكانية أكبر لإيجاد ذلك الانسجام وذلك التوازن المفقودين سابقاً داخل الجهة وبين مختلف وحداتها المتجاورة.

وبما أن إعادة تصور وهيكلة الجهوية قد جعلت من الجهة مجالاً لإسقاط قرارات إجرائية وفي ميادين موسعة للإسهام في العلمية التنموية، فإنها تعززت كإطار للتنمية الشمولية. كما أن اعتبارها كمجال لإحدى صيغ التنظيم الإداري والتمثيلي، وتكليفها بمعالجة قضايا أهم من تلك التي تعالج على مستوى الجماعات الأخرى، لدليل على الرغبة في تحويلها من كيان اقتصادي صرف إلى كيان للحياة الإدارية والاجتماعية أيضاً، وعلى ارتقاء اللامركزية من نطاق الجماعة إلى نطاق الجهة.

أضف إلى ذلك أنه يجوز للجهة، وحسب أهداف وشروط معينة لإنجاز المشاريع الموحدة، أن تتعاون مع جهات أخرى محادية لها في لجان مشتركة، وأن تربط علاقات شراكة مع مختلف الجماعات المحلية الأخرى أو مع المؤسسات العمومية والقطاع الخاص. وفي هذه الحالات ستتمدد أو تتقلص دائرة نفوذها وحدودها التنموية. ومهما يكن من أمر كذلك، فإن البعد المجالي الوطني حاضر أيضاً لدى الجهة، ويحتم عليها أن تنخرط فيه سواءً عبر تمثيلها في مجلس النواب ومجلس المستشارين، داخل البرلمان أو في جلسات المجلس الجهوي، أو عن طريق إبداء رأيها حول التصاميم الوطنية أو البت في القضايا التي تنقلها لها الدولة، وعند تهيىء التصاميم الجهوية.

تتجلى المظاهر التحديدية لمحتوى الجهوية في توسيع ميادين المشاركة والعمليات التنموية، التي يختزلها النص القانوني المنظم للجهة في عبارة "تناط بالجهات ... مهمة المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للجماعة الجهوية ..."، ويقرر المجلس الجهوي "التدابير الواجب اتخاذها لضمان تنميتها". ويمكن تجميع هذه الوظائف وتصنيفها في أربعة أنواع.

النوع الأول من الاختصاصات التي يمارسها المجلس الجهوي تدخل في إطار مسؤولياته الذاتية. ويتعلق الأمر بمهام اقتصادية (القيام بأعمال لإنعاش الاستثمارات وتشجيع إنجازها على أرض الواقع، خصوصاً عن طريق إنشاء، وتنظيم مناطق صناعية ومناطق الأنشطة الأخرى) وأخرى بيئية (القيام بكل الإجراءات التي تعمل على حماية البيئة، وعلى عقلنة وتدبير الموارد المائية، وكذلك ضمان المحافظة على المميزات المعمارية الجهوية وإنعاشها)، وأخيراً اجتماعية وثقافية (اتخاذ جميع التدابير الضرورية في ميدان التكوين المهني وذات الطابع الاجتماعي والثقافي، ومزاولة كل عمل لازم لإنعاش التشغيل.

الجهات	المراكز	العمالات والأقاليم
1 ـ وادي الذهب ـ الگويرة	ـ الداخلة	ـ وادي الذهب.
2 ـ العيون ـ بوجدور ـ الساقية الحمراء	ـ العيون	ـ العيون ـ بوجدور.
3 ـ گلميم ـ السمارة	ـ گلميم	ـ گلميم، طاطا، أسّا ـ الزاگ، السّمارة، طانطان.
4 ـ سوس ـ ماسّة ـ درعة	ـ أگادير	ـ أگادير إداوتانان، إنزگان ـ أيت ملّول، شتوكة ـ أيت باها، تارودانت، تيزنيت، ورزازات، زاگورة
5 ـ الغرب ـ الشراردة ـ بني حسن	ـ القنيطرة	ـ القنيطرة، سيدي قاسم
6 ـ الشاوية ـ وردية	ـ سطات	ـ سطات، خريبگة، بنسليمان
7 ـ تانسيفت	ـ مراكش ـ المنارة	ـ مراكش ـ المنارة، مراكش ـ المدينة، سيدي يوسف بن علي، الحوز، شيشاوة، قلعة السراغنة، الصويرة.
8 ـ الشرق	ـ وجدة ـ أنگاد	ـ وجدة ـ أنگاد، جرادة، بركان، تاوريرت، فگيگ، الناضور
9 ـ الدار البيضاء الكبرى	ـ الدار البيضاء	ـ الدار البيضاء ـ أنفا، عين السبع ـ الحي المحمدي، عين الشق ـ الحي الحسني، بن مسيك ـ سيدي عثمان، الفداء درب السلطان، مشور الدار البيضاء، سيدي البرنوصي ـ زناتة، المحمدية.
10 ـ الرباط ـ سلا ـ زمور ـ زعير	ـ الرباط	ـ الرباط، الصخيرات ـ تمارة، سلا، الخميسات
11 ـ دكالة ـ عبدة	ـ أسفي	ـ أسفي، الجديدة.
12 ـ تادلة ـ أزلال	ـ بني ملال	ـ بني ملال، أزلال
13 ـ مكناس ـ تافيلالت	ـ مكناس ـ المنزه	ـ مكناس ـ المنزه، الإسماعيلية الحاجب، إفران، خنيفرة، الرشيدية.
14 ـ فاس ـ بولمان	ـ فاس الجديد ـ دار الدبيبغ	ـ فاس الجديد ـ دار الدبيبغ، فاس المدينة، زواغة ـ مولاي يعقوب، صفرو، بولمان.
15 ـ تازة ـ الحسيمة	ـ الحسيمة	ـ الحسيمة، تازة، تاونات.
16 ـ طنجة ـ تطوان	ـ طنجة ـ أصيلة	ـ تطوان، شفشاون، طنجة ـ أصيلا، الفحص ـ بني مكادة، العرائش.

مراكز وتركيبة الجهات ـ 17 أغسطس 1997

والأنشطة الاجتماعية والثقافية، والقيام بأعمال في ميدان إنعاش الرياضة، واعتماد كل التدابير والسبل الرامية إلى إنعاش وتمتين أعمال التضامن الاجتماعي، وكذا الأعمال ذات الطابع الإحساني).

النوع الثاني من الأختصاصات يتمثل في تلك التي يمكن أن تفوّضها الدولة إلى المجلس الجهوي، وأهمها القيام بالتجهيزات ذات الفائدة الجهوية، وإقامة وصيانة المستشفيات والثانويات والمؤسسات الجامعية وتوزيع المنح، وتكوين أعوان وأطر الجماعات المحلية.

أما النوع الثالث فيهم الاتفاقيات التي يتم السماح للمجلس بإبرامها حول كل عملية تنموية ضرورية مع الدولة أو أي شخص معنوي خاضع للقانون العام. ومن الأمثلة التي يعينها القانون المنظم لجان التعاون المشترك بين الجهات، والتي يمكن أن تتكون لإنجاز أعمال مشتركة أو إقامة تجهيزات ذات فائدة مشتركة أو تدبير أموال بكل جهة منها تكون موجهة لتمويل أشغال مشتركة وتغطية بعض نفقات التسيير المشتركة. تعد هذه اللجان مؤسسات عامة تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، ويتكون أعضاؤها من ثلاثة مناديب لكل جهة ينتخبهم المجلس من بين أعضائه.

النوع الرابع والأخير من الاختصاصات يمارسها المجلس في حالة تجاوز ميدان اختصاصاته الخاصة به أو المسندة إليه أو المسموح له القيام بها من طرف الدولة، أو بسبب ضعف وسائله المادية والمالية. يقوم بمقتضاها بإبداء رأيه والإدلاء باقتراحات في الأعمال ذات المصلحة العامة التي تساعد على تنمية الجهة، وهي أعمال تتولاها الإدارة أو أي شخص معنوي من أشخاص القانون العام. يتعلق الأمر بجوانب ثلاث، اجتماعية (إقامة المؤسسات الجامعية والمستشفيات في الجهة) وبيئية (الإسهام في ضبط السياسة المائية على الصعيد الوطني إذا طلبت الدولة وهيئاتها المختصة منه الإدلاء برأيه) واقتصادية على وجه الخصوص (محتوى المخطط الوطني للتنمية في الجوانب التي تهم الجهة، وإقامة المرافق العامة الجهوية وتقرير تنظيمها وتدبير شؤونها، وسياسة إعداد التراب الوطني والتعمير، وكل التدابير المتعلقة باختيار الاستثمارات التي يتم عزم توظيفها من طرف الدولة أو الأشخاص المعنويين الخاضعين للقانون العام داخل حدود الجهة).

يتبين إذن أن الجهة تساهم بالتفكير والمبادرة وإبداء الرأي في ميادين شتى، ولكنها مقيدة بأن تتبنى سلوكاً يتميز بطابع الاحترام الصارم للتشريعات والتنظيمات الجاري بها العمل. بل تكون مطالبة أحياناً بالامتناع الكلي عن الخوض في بعض المواضيع. من هذا الباب ينبغي للمجلس الجهوي أن يزاول مهامه مع وجوب مراعاة الاختصاصات المخولة للهيئات والجماعات الأخرى، وألا يتداول طبعاً في قضايا يكون غير مؤهل لها، ولا سيما تلك التي تمس وحدة الأمة والبلاد. كما لا يجوز أن يسفر التعاون بين الجهات أو بين الجهة وسائر الجماعات المحلية الأخرى عن نوع من التبعية والوصاية فيما بينها. غير أن النص المنظم للجهة ينزع في كثير من الحالات إلى توظيف ظاهرة الغموض كإحدى مكونات المنهجية المتبعة في تداول بعض المفاهيم أو التعامل مع بعض المواضيع. حيث تارة تسمى الأشياء بصريح العبارة وتارة تترك مبهمة وقابلة للتأويل وتعدد المعاني. من هذه الأخيرة نجد عبارات "شؤون مصلحة الجهة" و"اختصاصات المجلس" و"كل التدابير والإجراءات" التي تهم ميداناً من الميادين، وخصوصاً الجانب الثقافي الذي ورد ملتبساً وغير مفصل، وبالتالي قابلاً لجميع احتمالات الفهم.

من زاوية أخرى، يستنتج من خلال تقنين العلاقة بين المجالس التمثيلية والسلطة التنفيذية أن حرية المبادرة الجهوية تكون محددة بمدى السماح بها من طرف سلطة الوصاية. وهكذا، تكون إمكانية قيام اتفاقيات فيما بين الجهات أو بينها وبين الجماعات المحلية الأخرى مرهونة بإمكانية إذن وزير الداخلية بذلك، وليس بمحض اختيار المجالس الجهوية النابع عن الحاجة الملحة والمصلحة الذاتية للجهة. زيادة على ذلك فإن مختلف العلاقات الخارجية للمجلس الجهوي لا تتم مباشرة، بالنظر إلى الاعتبارات التنظيمية التي يمليها الهاجس الإداري، ولا تتحقق إلا بطريقة التراتبية الإدارية عن طريق العامل الجهوي. كما هو الشأن في جميع الاتصالات والاقتراحات التي يدلي بها المجلس إلى الإدارة ومختلف المؤسسات والمصالح المختصة على الصعيدين المركزي والجهوي لإنعاش الجهة. ومن المؤكد أن هذه القيود تحد من روح المبادرة وتقلل من فعالية التشاور.

إذا كان مضمون الجهوية يتميز بتنوع صلاحيات المجلس الجهوي وامتدادها على ميادين وحقول عديدة، فإن المنهجية الجديدة المعتمدة لممارسة الاختصاصات ترتكز على الدراسات والاستشارات والخطط الإدارية المسبقة التي قد يطول أو يقصر مفعولها على المدى الزمني، وأيضاً على تحكيم مؤسسات تستهدف ضمان سلامة سيرورة الجهوية.

هكذا يتكلف المجلس حسب اختصاصاته الذاتية بوضع نوعين من التصاميم التنموية : المخطط الجهوي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والمخطط الجهوي لتهيىء التراب. علاوة على ذلك يساهم المجلس في إعداد المخطط المديري للتهيئة المندمجة لمياه الحوض المائي، إذا كان يغطي كلياً أو جزئياً رقعة الجهة، وذلك لضمان عقلنة تدبير الموارد المائية للجهة. ومن المعلوم أن تحضير هذه المخططات مصحوب بثلاثة شروط قانونية رئيسية.

أولاً، يتعين عليها التوفيق بين أهدافها وأهداف المخططات الوطنية، ومراعاة مختلف التوجهات المعتمدة من

طرف الدولة على المستوى الوطني، ولا سيما بالنسبة للمخطط الجهوي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والمخطط الجهوي لتهيئ التراب.

ثانياً، يلزم على المجلس الجهوي أن يحيل هذين المشروعين إلى مؤسستين مركزتين للموافقة عليهما، الأول إلى المجلس الأعلى للإنعاش الوطني والتخطيط، والثاني إلى اللجنة الوزارية لتهيئة التراب الوطني.

وأخيراً، يتم تحضير المخطط الجهوي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية "في حدود الوسائل الخاصة بالجهة وتلك الموضوعة رهن تصرفها"، أي أن إعداده يتم بناءً على واقعية صرفة تتحدد بحجم الوسائل المتوفرة، ولا يتم وفق مشروع مكتمل، والتخطيط إلى المستقبل بنظرة شمولية ومندمجة تستجيب لجميع التطلعات التي تطمح إليها الجهة.

إضافة إلى ذلك، يستعين رئيس المجلس الجهوي في ممارسة اختصاصاته بمكلفين بمهمة وبمكلفين بالدراسات. وهم موظفون تلحقهم الإدارة لديه أو يقوم بتوظيفهم مباشرة بعقدة للاشتغال تحت سلطته وبتنسيق مع الكاتب العام للجهة. من ضمن أهم ما يتميز به سير أعمال المجلس الجهوي أيضاً، تكوين سبع لجان دائمة على الأقل لدراسة المسائل الواجب عرضها على المجلس الجهوي العام، يرأسها مندوبون يُعينهم رئيس الملجس من بين أعضاء المكتب أو من بين أعضاء المجلس عند اللزوم. وتختص هذه اللجان في المسائل التالية : "المالية والميزانية، والتخطيط وإعداد التراب الوطني، والمسائل الاقتصادية والاجتماعية وإنعاش الشغل، والمسائل الفلاحية والتنمية القروية، والصحة والمحافظة على الصحة، والتعمير والبيئة، وأخيراً الثقافة والتعليم والتكوين المهني". ونظراً لأهمية اللجنة الخاصة بمسائل التخطيط وإعداد التراب الوطني، فقد يكن لرئيس المجلس الجهوي بنفسه أن يتولى رآستها.

رغم كل جهود تدعيم تأطير الجهوية واللامركزية، فإن التوجهات الجديدة غير متبوعة بتصور واضح لطبيعة الطاقات والموارد البشرية التي ستباشر المسؤوليات الجهوية البالغة الأهمية. بل وقع إغفال تدقيق جانب الرأسمال البشري الذي يعد أحد أهم الركائز التي تنبني عليها السياسة الجهوية. والحال أنه يشترط أن تكون على رأس الجهة أطر مهيأة ومكونة، تكون متحلية بالمصداقية اللازمة والكفاءة الضرورية والقدرات العالية التي تتلاءم مع المتطلبات والتحولات المرتقبة.

لقد أبانت التجارب السابقة أن من شأن سوء تسيير أشغال وبرامج الجماعات المحلية سيادة سلطة الوصاية على التمثيلية الجماعية، وكذا خلق الكثير من العراقيل التي تعترض إرساء وتطور مبدإ التنمية المحلية. لهذا الغرض يتكلف جهازان قضائيان على الخصوص بالسهر ما أمكن على ضمان السير العادي للحياة الجماعية والتحكيم في حالة المنازعات داخل المجلس الجهوي وبينه وبين السلطة الوصية.

يعتبر المجلس الجهوي للحسابات مؤسسة جديدة أحدثت وفقاً لتغييرات دستور 1996، بهدف "مراقبة حسابات الجماعات المحلية وهيئاتها وكيفية قيامها بتدبير شؤونها". تراقب سلامة حسابات الموارد والنفقات التي يتكلف بها المحاسب العمومي للجهة، والآمر بالصرف وكل مسؤول فعلي على تسييرها. كما تمارس رقابة على ميزانية الجهة. في هذا الإطار ينص القانون المنظم للجهة بصفة خاصة على قضية حيوية تتعلق بالحساب الإداري، وهي مسألة حيوية قد تنتج أساساً عن رفض طريقة تدبير الحياة الجماعية. حيث يمكن أن يلجأ وزير الداخلية إلى إحالة الأمر على المجلس الجهوي للحسابات، إذا تم رفضه من طرف رئيس المجلس الجهوي للجهة بالتعليلات الضرورية، ثم امتنع بعد طلب الوزير عن القيام بدراسة جديدة لذلك الرفض، فتشبث به. وأخيراً تعهد إلى المجلس الجهوي للحسابات مهمة مراقبة التسيير في جميع أوجهه، للنظر في مدى مشروعية البرامج من حيث الأهداف والوسائل والتكاليف والنتائج المالية.

نسبة المقاعد المخصّصة للجماعات المحلية
والهيآت الناخبة في تكوين مجالس الجهات

	المقاعد المخصصة لمجالس البلديات والجماعات القروية		المقاعد المخصصة لمجالس العمالات والأقاليم		المقاعد المخصصة للغرف المهنية		المقاعد المخصصة لممثلي المأجورين	
	أ	ب	أ	ب	أ	ب	أ	ب
النسبة المتوسطة	-	45.5	-	14	-	31	-	9.5
النسبة الدنيا	11	37	1	6	12	14	3	5.5
النسبة العليا	3	53	9	18	11	43	1	14.5

أ - رقم الجهات : 1 ـ وادي الذهب ـ الكويرة. 3 ـ گلميم ـ السمارة. 9 ـ الدار البيضاء الكبرى. 11 ـ دكالة ـ عبدة. 12 ـ تادلا ـ أزلال.

ب - النسبة المائوية.

يلاحظ في هذا الصدد، ورغم وضوح مسطرة اللجوء إلى هذا الجهاز وتحديد الآجال لذلك، أن التدخل الفاصل يتم بطريقة بعدية، من دون التوفر على إجراءات توجيهية مقررة سلفاً، وتحول دون وقوع مشكلات قد تخل بالتنظيم الجهوي والديمقراطية المحلية، وبالعلاقات بين سلطة الوصاية والسلطة الجماعية. كما أن أمام المجلس الجهوي للحسابات مهام جسيمة، يصعب عليه إنجازها على الوجه الأكمل من دون تقديم مساعدة الجميع له للتصدي لكل التجاوزات والخروقات.

أما المؤسسة القضائية الدستورية الثانية فتتمثل في المحاكم الإدارية التي يمكن اللجوء إليها من كلا الطرفين، أي سلطة الوصاية والمجلس الجهوي، وتستهدف المحكمة الإدارية من جهة الحد من سلطة الوصاية والتحكيم بينها وبين المجالس الجهوية، ومن جهة أخرى مراقبة سلامة عمليات تأسيس تلك المجالس وقانونية قراراته. بذلك تتولى البت في الطعون الخاصة بكل مراحل العمليات الانتخابية لمستشاري المجالس الجهوية أو لأعضاء المكاتب المسيرة لها. كما تعلن بطلب من العامل الجهوي أو أي طرف يعنيه الأمر، عن إلغاء قرارات المجلس الجهوي إذا كانت خارجة عن اختصاصاته أو كانت باطلة أصلاً من جراء تناقضها مع النصوص والتشريعات التنظيمية الجاري بها العمل أو عقب مساهمة مستشار جهوي في اتخاذ قرار يجني منه فائدة شخصية أو لصالح شخص ينوب عنه. كما يجوز إحالة الأمر على المحكمة الإدارية إذا تعرض العامل الجهوي على قرارات المجلس أو إذا توفرت فيها شروط البطلان السابقة الذكر، وطلب المجلس القيام بدراسة جديدة فلم يقم بها.

بالمقابل يمكن لرئيس المجلس الجهوي أن يرفع إلى المحكمة مسألة رفض وزير الداخلية أو العامل الجهوي تنفيذ قرارات المجلس المتعلقة بالميزانية وبمجموعة من المسائل المالية والجبائية ومن المعاملات العقارية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ميزان القوى في حالة النزاع يعطي نوعاً من الامتياز إلى سلطة الوصاية، إذ يتوقف بحكم القانون تنفيذ كل قرارات المجلس الجهوي، إذا كانت هي المدعية، إلى أن تبت المحكمة في ذلك. ولا تطبق نفس المسطرة إذا كان رئيس المجلس الجهوي هو المشتكي. زد على ذلك أن العامل الجهوي هو ممثل الجهة لدى المحاكم، ولا يمكن له أن يقوم بعملية قضائية دون موافقة المجلس الجهوي، إلا أنه يجوز له ذلك من دون طلب الموافقة في حالة التقاضي المتعلقة بالحيازة أو المرفوعة إلى القضاء المستعجل. يضاف إلى هذا أن هناك الآن نقصاً في المحاكم الإدارية وأنها تشكو من صعوبة مسايرة تكوين القضاة لتطبيق وتنفيذ النصوص القانونية الجديدة المعقدة.

ظهير 16 يونيو 1971 المتعلق بإحداث الجهات ؛ *القانون 96.47* المنظم للجهات (ظهير 2 أبريل 1997) ؛ *تصاميم التنمية الاقتصادية والاجتماعية* ؛ *دساتير المملكة المغربية* ؛ *الجريدة الرسمية* ؛ المهدي بنمبرة، *الجماعات المحلية والممارسة المالية بالمغرب*، مراكش، 1994 ؛ *المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية*، *الجهة، الجهوية والتنمية المحلية*، العدد 8 الرباط، 1996.

M. Philipponneau, *Décentralisation et régionalisation*, Paris, 1981 ; J. Lajugie, P. Delfaud, C. Lacour, *Espace régional et aménagement du territoire*, Paris, 1985 ; D. Basri, *L'administration territoriale, l'expérience marocaine*, Paris, 1990 ; *Revue Marocaine des Finances Publiques et d'Economie*, N° spécial, *Décentralisation / déconcentration*, N° 8, Rabat, 1992.

مصطفى عياد

جواز السفر والتأشير القنصلي بالمغرب. كان لهما مدلول واستعمال متقاربان في القرن الثاني عشر (18 م) ولم يكن سفر المغاربة قبل ذلك إلى البلدان الإسلامية في آسيا وإفريقيا يتطلب جوازاً وتأشيراً، وكذلك سفر المسلمين من هذه البلدان إلى المغرب باعتبار أن المسلم لايعدّ أجنبياً في ديار الاسلام. واستمر ذلك إلى أن تسلط الاستعمار الغربي على العالم الإسلامي وما تلاه من تجزئة وتقسيم فرسمت الحدود وبدأ تطبيق فرض الجواز في الموانئ أولاً، بينما ظلت التنقلات البرية عملياً بعيدة عن هذا التطبيق، خاصة في مناطق البدو. وكمثال على ذلك نشير إلى تنقل قبائل البدو المغاربة والجزائريين حتى بعد فرض معاهدة للامغنية سنة 1845 التي ترسم الحدود بين المغرب والجزائر الخاضعة للاستعمار الفرنسي.

يبقى أن مسألة التأشير القنصلي لم تكن تطرح إلا بمناسبة التنقل بين المغرب والدول المسيحية، بعدما بدأت بإقامة قناصل لها بالمغرب، تلك الممارسة التي تعممت لتشمل في نهاية القرن الثاني عشر (18 م) أغلب دول أوربا ثم الولايات المتحدة الأمريكية. وفي بعض هذه الدول أقام المغرب بدوره ممثلين قنصليين، وعقد معها معاهدات تضمن معظمها مقتضيات عن التأشير القنصلي.

يعتبر التأشير من الاختصاصات الإدارية للقناصل، وهي اختصاصات اتسع نطاقها وتنظمت بالتدريج. وقد جرى العمل على أن التأشير القنصلي يشمل :

- إعطاء رعايا دولة القنصل جوازات وغيرها من أوراق السفر.

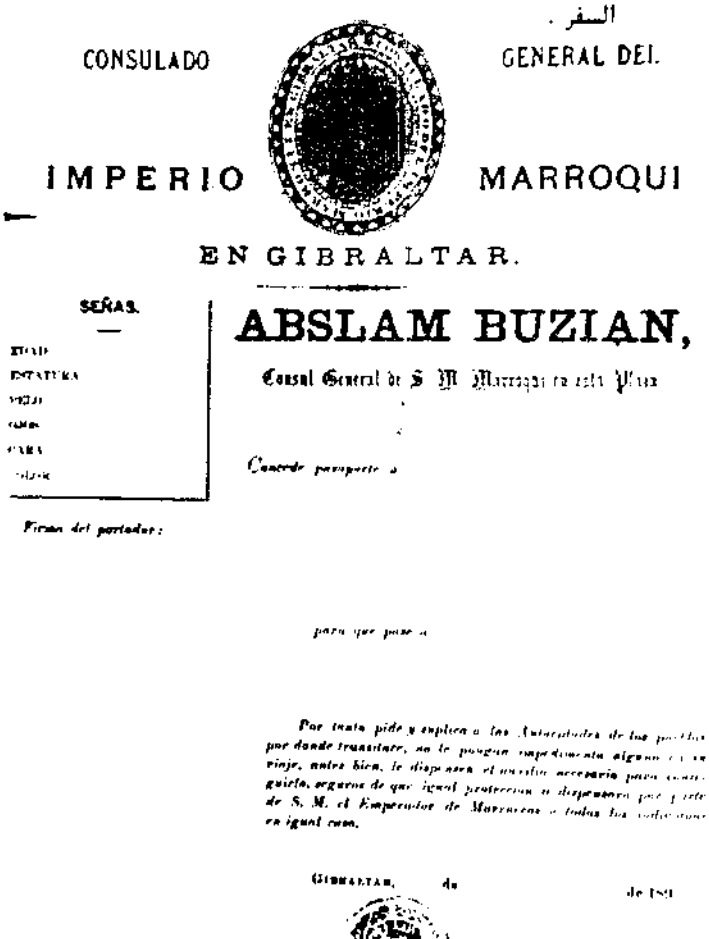
CONSULADO GENERAL DEL IMPERIO MARROQUI EN GIBRALTAR.

ABSLAM BUZIAN,

SEÑAS.

Firma del portador:

para que pase a

Por tanto pido y suplico a las Autoridades de los puertos por donde transitare, no le pongan impedimento alguno en su viaje, antes bien, le dispensen el auxilio necesario para cuanto guiere, seguros de que igual proteccion le dispensarán por parte de S. M. el Emperador de Marruecos a todos los subditos de S. M. en igual caso.

GIBRALTAR, de de 18

- التأشير والمصادقة على العقود والوثائق الأخرى.
- منع تأشيرة للأجانب الراغبين في دخول إقليم دولة القنصل.

وبالرجوع للممارسة وللمعاهدات المغربية نلاحظ أن أهمية كبيرة أعطيت للجوازات والتأشيرات في مجال الملاحة البحرية. ذلك أن ضمان حرية الملاحة وأمن السفن وبالتالي حرية وأمن التجارة كان هو الدافع الأساسي لسعي الدول الغربية إلى عقد معاهدات سلم مع المغرب. وهكذا نصت المعاهدات على ضرورة توفر السفن المغربية والأجنبية على جوازات ووثائق عبرت عنها المعاهدات بتسميات مختلفة، سواء في نصها العربي أو الأجنبي، ومن ذلك : "مراكب تجار الدولتين يدخلون إلى أي مرسى شاؤوا من الجهتين، وتتوجه المراكب المذكورة *بالكواغيد* المعلومة ... (*معاهدة المغرب مع اسبانيا سنة 1799*، فصل 16). تفسر نفس المعاهدة في الفصل 17، جوازات سفن الإسبان يسلمها حاكم بلدهم في المرسى التي يسافرون منها، لكن جواز سفن التجار المغاربة يسلمها لهم قناصل اسبانيا بالمغرب. كيف يفسر هذا الوضع مع ملاحظة أن باقي المعاهدات الموقعة من طرف المغرب تقضي بأن الجواز يتسلمه المواطنون من سلطات دولتهم، فنقرأ مثلاً : "إذا التقت سفن سيدنا نصره الله الجهادية بقراصين الفرنصيص أو غيرها من سفنهم البارز كانية حاملة لسنجاف الفرانصيص وعندهم *باسبورط* من قبل سلطانهم على الوجه المصطلح عليه كما هو مرسوم آخر هذه الشروط فلا يتعرض لهم ..." (*معاهدة مع فرنسا سنة 1767*، فصل 3).

والمغرب بدوره كان يعطي لسفن مواطنيه جوازات تثبت جنسيتها. وتوجد صوره لنموذج الجواز المغربي يحمل الطابع السلطاني الكبير لمولاي سليمان، مؤرخ في 25 جمادى الأولى عام 1228 / 26 ماي 1813 ونصه :

"يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعلى أمره أن البرقيتي المسمى ... له زوج اصوارى وعدد مدافعه ... وعدد بحريته ... رائسه هو حامل سنجقها المنصور بالله، فلا يتعرض له أحد من الأجناس المصالحين مع جانبنا العلي بالله ..." هذا الجواز يسمح للرايس بالحصول على تأشير قناصل الدول الممثلة في المغرب، بحيث نقرأ في نهاية نص الجواز المغربي "... فعليه نامر كافة القونصوات الواقفين بإيالتنا المحروسة بالله بإعطائهم كتابتهم ..." (Fumey, doc. XI). هذا التأشير القنصلي الذي يمنح للسفن المغربية تعبر عنه *معاهدة 1767* مع فرنسا بـ : "خط يد *القونصو*"، وتورد نموذج "خط يد القنصو المصطلح عليه الذي يكون عند (سفن سيدنا نصره الله)" وهو : "كاتبه فلان قنصل الفرنصيص بإيالة سيدنا نصره الله بثغر كذا. نعلم كل من رأى هذه الأحرف أن المركب المسمى كذا، ورئيسه فلان، وفيه كذا، وهو من ثغر كذا، فإنه ومن معه من إيالة السلطان المنصور بالله سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله سلطان مراكش ومن انضاف إليه، رجاله كذا، مدافعه كذا.

أما قناصل انجلترا في المغرب فيسلمون للسفن التجارية المغربية "شهادة" (*معاهدة مع انجلترا سنة 1801 و1824*، فصل 16).

وإذا كانت التسميات التي أطلقت على التأشيرات القنصلية مختلفة ونماذجها كذلك فإن الثابت هو ضرورة توفر السفن المغربية التجارية قبل الإبحار على كل الوثائق الجاري بها العمل مثل الجواز المغربي وتأشيرة القنصل الأجنبي. هذه التأشيرة تفيد في حالة ما إذا أرادت السفينة المغربية دخول أحد موانئ دولة القنصل المؤشر، وفي حالة تنظيم اللقاء في أعالي البحار بينها وبين سفينة حربية أجنبية، وذلك لأن السفن الحربية كان لها حق التأكد من أوراق وهوية السفن التجارية.

وتنص بعض المعاهدات على أن التأشيرة القنصلية تغني عن الوثائق الأخرى، فالسفن الحربية الفرنسية إذا التقت بالسفن المغربية "لايطالبونهم بشيء إلا بإظهار خط يد القونصو الفرنصيصي المستوطن بإيالة سيدنا" (معاهدة *مع فرنسا، سنة 1767*، فصل 3). والسفن الأنجليزية إذا لقيت "مركباً من مراكب سلطان مراكش أو لأحد من رعيته فإنه يخلى سبيله إذا كانت عند رئيس المركب إجازة بخط يد العامل المسلم أو معه شهادة قونصوا الانجليز أو نائبه..." (*معاهدة سنة 1801*، فصل 16).

هذه المقتضيات التي نصت عليها المعاهدات لم تكن مجرد حبر على ورق، بل إن كثيراً من الوثائق المغربية والأجنبية تنص صراحة على حرص الرياس والمخزن على توفر السفن على الوثائق اللازمة، ومن ذلك رسالة من مولاي عبد الرحمان إلى محمد أشعاش مؤرخة في 19 جمادى الثانية 1257 / 8 غشت 1841 : " ... وعليه فلتأمر رؤساء المراكب الحمارة وغيرهم بأن لا يسافر أحد منهم حتى تكون عنده فيتورة مركبه جامعة لجميع ما حمل فيه، ومعها كواغد البحر المعلومة للسفر" (*وثائق خ ح*، عهدم عبد الرحمان، مج 7 / 2). توضح نفس الرسالة سبب تأكيد السلطان على عدم قبول أي سفينة لاتتوفر على تلك الوثائق وذلك "... ليلاً يحمل شيئاً لتجار رعيتنا فيؤخذ في يده". هذا التحذير أتى بعدما كثر عدد السفن الحربية الإسبانية في مضيق جبل طارق، التي تعترض السفن التجارية وتصادر حمولة كل مركب أوراقه ناقصة. وقد سبق أن نصت *معاهدة سنة 1799* في الفصل 38 على ضرورة توفر التجار الذين يصدرون مواد من المغرب لإسبانيا على شهادة يمنحها لهم قناصل اسبانيا "... مبيناً فيه ماوسقه..."، وهذا طبعاً زيادة على ما يسمى الجواز القنصلي أو خط يد الفونصو، أي التأشيرة.

وتتأثر مسألة جواز السفر والتأشير القنصلي بما يطرأ على العلاقات الدولية من توتر، ففي سنة 1801 مثلاً رفض القنصل الامريكي بطنجة تسليم جوازات إبحار للسفن

المغربية التي كان مولاي سليمان يريد إرسالها إلى طرابلس، محملة بالقمح، لمساعدة أهلها على تجاوز الأزمة التي كانت تعاني منها ليبيا نظراً للقحط وللحصار البحري الذي فرضته عليها الولايات المتحدة الامريكية (*معلمة المغرب*، 3 : 749).

ومن باب التأشير القنصلي أيضاً تأشير القنصل المقيم في إحدى المراسي المغربية على أوراق سفن رعايا دولته التي تزور المغرب، وهذه التأشيرة يدلى بها قبطان السفينة إذا التقى في البحر مع سفينة حربية " ... ولايلزمون مراكيب صارض بإظهار كاغيط سوى ما أخذوه من عند قونصهم الذي هو بالمرسة التي خرجوا منها ..." (*معاهدة مع سردينيا سنة 1825*، فصل 9).

ومما تقدم نلاحظ أن بعض المعاهدات نصت على أن الوثائق، سواء كانت جوازاً أو تأشيرة، لها شكل محدد تتفق عليه الدولتان المتعاقدتان، ونصت معاهدات أخرى علي أن ذلك الشكل يمكن تغييره، لكن لا يمكن إدخال أي تغيير إلاّ بعد إعلام الطرف الآخر (*معاهدة مع اسبانيا سنة 1799*، فصل 16 ؛ مع سردينيا سنة 1825، فصل 8). وهذه قاعدة كانت محترمة حتى في حال عدم النص عليها. وتضيف *معاهدة سنة 1799* مع إسبانيا (فصل 16) تفصيلاً مفاده أن جوازات السفن التجارية الإسبانية والمغربية تُحرَّر بكيفية خاصة، بحيث يكون فحصها ومراقبة صحتها غير متوقف على معرفة القراءة. وتستثني المعاهدات الموقعة بين المغرب والدول الأوربية المراكب الصغير، مثل قوارب الصيد، من الزامية التوفر على الجواز والتأشيرة (*معاهدة مع اسبانيا سنة 1799*، فصل 16 ؛ *مع سردينيا سنة 1825*، فصل 8)، واستمر الأمر على هذه الحال رغم مطالبة بعض الدول الأوربية بإلزام قوارب أهل الريف بالجواز. فقد رفض مولاي عبد الرحمان طلباً في الموضوع قدمته فرنسا بعد احتلال الجزائر، ضمن سياستها الرامية إلى إضعاف المقاومة الجزائرية وسد كل المنافذ في وجه الدعم المغربي. ومما جاء في جواب السلطان إلى دى لبرط خليفة قونصو الفرنصيص بتاريخ 4 صفر 1248 / 3 يوليوز 1332 : "... وما ذكرت في شأن فلاتك أهل الريف فإنا لا نحدث ما لم يكن في القديم ولا نبتدعه، كما لا نترك ما كان فيه ولا ندعه، ففلاتكهم دائماً إنما تسافر في سواحل البحر وتتردد فيما بين بلادهم ولا يتعدونها، ومن بلادهم إلى تطوان لا غير، ولا يخرجون من تحت رعايتنا، فلا يحتاجون إلى باسبورط لعدم احتياجهم إليه في الماضي ..." (Fumey, *doc.* XIV).

لكن بعد ذلك اشترطت *معاهدة سنة 1861 مع اسبانيا*، (فصل 25) على القوارب الريفية أن لا تسافر حتى تحصل على جواز من لدن حكام المواقع الإسبانية بالبحر المتوسط، أو من لدن القناصل الإسبان، إذا كان أصحاب هذه القوارب يسكنون ميناء مغربيا به قنصل إسباني.

هكذا يظهر أن مسألة التأشير القنصلي قد سايرت التطورات التي عرفها المغرب وتغير موازين القوى لصالح الأطراف الأوربية، خاصة بعد هزيمتي 1844 و1860.

وهنا تجدر الإشارة إلى نوع آخر من التأشير القنصل في مجال الملاحة، ظهر بالمغرب بعد سنة 1840 م وهو تأشير الشهادات الصحية التي تسلم للسفن الواردة على المراسي المغربية أو المنطلقة منها، فرضه المجلس الصحي الدولي بطنجة، الذي شكلته هيئة القناصل المسيحيين الذين يمثلون الدول الأجنبية بالمغرب، (*المجلس الصحي الدولي بالمغرب*، 71).

في مجال تنقل الأشخاص، نلاحظ أن جل المعاهدات الموقعة بين المغرب والدول المسيحية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (18 - 19 م). تنص على حق وحرية رعايا كل دولة متعاقدة في الذهاب إلى إقليم الدولة الأخرى (*معاهدة مع فرنسا سنة 1767*، فصل 2 ؛ *مع اسبانيا سنة 1767*، فصل 11 ؛ *مع الولايات م. أ. سنة 1786* و1836، فصل 14 ؛ *مع الصقليتين سنة 1834*، فصل 1 ؛ ...).

لكن إذا أخذنا أمثلة وفحصناها نجد اختلافات بين مانصت عليه معاهدة مع دولة، ومانصت عليه أخرى مع دولة ثانية، وكذلك بالنسبة للدولة الواحدة بين معاهدتين وقعتهما مع المغرب في ظروف مختلفة. وكتوضيح للحالة الثانية نذكر بالنسبة لاسبانيا أن *معاهدة سنة 1767*، فصل 11، تقرر تمتع الإسبان بالحرية الكاملة للإقامه في المغرب، وللمغاربة في اسبانيا. لكن معاهدة سنة 1799، فصل 3، تضع شروطاً لهذه الهجرة : - "لايدخل من إحدى الدولتين للأخرى إلا من كان من أهل المروءة والحياء ...".

- المغاربة والاسبان يجب أن يتوفروا على جوازات سفر، فالإسباني الراغب في السفر إلى المغرب يتسلم "البسبرط من حاكم البلد التي خرج منها مبيناً فيه سبب قدومه"، وعند وصوله إلى المغرب يجب أن يتم فحص هذا الجواز من طرف قنصل إسبانيا العام أو نواب القناصل أو الوكلاء. أما المغربي الذي يريد الذهاب لاسبانيا "فلا يقبل إلا إذا أتى ببسبرط القنصو الكبير أو نائبه".

هذه المقتضيات قبل أن تسنها المعاهدة كانت قد قررتها ممارسة الدولة المغربية، فقد سبق للسلطان محمد بن عبد الله أن أصدر أمراً مؤرخاً في 15 ربيع الثاني 1202 / 24 يناير 1788، يمنع سفر المغاربة إلى "بر النصارى" إلا إذا توفرت شروط هي :

- أن يكون الشخص ذا مروءة وعقل ودين.
- أن يذهب إلى طنجة ويقدم للسلطات المختصة معلومات عن سفره : إلى أين يتجه، وكم ستدوم إقامته في الخارج. يكتب ذلك ويذيله بتوقيع يلزم باحترامه.
- عند توفر الشروط السابقة، يُمنح الشخص الذي يريد السفر تأشيرة من طرف القنصل الإسباني، يعبر عنها الأمر السلطاني، بقوله "... يكتب له قونصو الاصبنيول ليطرة لحاكم البلاد الذي هو متوجه إليها ببر النصارى كلها" (*وثائق تطوان*، مج 1677 / 58).

ويُبَرر فرض الجواز على المسافرين المغاربة والإسبان برغبة البلدين في الحفاظ على استمرار علاقة السلم والصداقة بينهما، ومنع تنقل الأشخاص الذين يمكن أن يؤدي سلوكهم أو مواقفهم وآراؤهم إلى اضطراب تلك العلاقة الودية. هذا التبرير تم التنصيص عليه في الفصل الثالث من *معاهدة سنة 1799*. أما باقي المعاهدات التي وقعها المغرب فلا تنص على الجواز والتأشير، بل تقرر بصفة عامة حرية مجئ واستقرار رعايا دولة متعاقدة في إقليم الدولة الأخرى. فمعاهدة سنة 1801 مع انجلترا مثلاً تنص صراحة على : "رعية سلطان الانجليز لهم الإتيان بمراكبهم وسلعهم وأنواع متاجرهم إلى كل ناحية من نواحي سلطان مراكش والدخول إليها والمقام بها والسكنى من غير أمد محدود ..." (فصل 3). كذلك يمكن للانجليز مغادرة المغرب بكل حرية (فصل 27). أما رعايا سردينيا فيحتاجون عند مغادرة المغرب إلى تأشير قنصل دولتهم (*معاهدة سنة 1825*، فصل 4).

نعود إلى *معاهدة سنة 1799* بين المغرب وإسبانيا، التي فرضت الجواز عند الدخول إلى أحد البلدين، فنجدها تقرر حرية الإسبان في مغادرة المغرب متى شاءوا، دون حاجة إلى إذن السلطات المغربية، لكنهم يحتاجون إلى موافقة القنصل الإسباني، وذلك بهدف البحث والتأكد من أن هؤلاء الإسبان لم تترتب عليهم ديون أو التزامات أخرى من الواجب عليهم الوفاء بها قبل رحيلهم. ويُعامل المغاربة بالمثل في إسبانيا "وكذلك المسلمون في أرض إصبانية، يسافرون منها متى شاءوا من غير توقف على إذن حاكم ولاغيره، إلا إذا كان على أحد حق حتى يؤديه ..." (فصل 10).

ومرة أخرى، يتغير الوضع في مجال التنقل والهجرة بين المغرب وإسبانيا تبعاً لتغير الظروف العامة. فمعاهدة *سنة 1861*، فصل 4، تنص على "رعية حضرة سلطانة اسبانية لهم أن يسافروا ويستقروا ويسكنوا حيث شاءوا بإيالة حضرة سلطان مراكشة دون تعرض ولا منع من أحد ..."، وهذا يعني حرية دخول الإسبان للمغرب، مع عدم اشترط جواز وتأشير. هذا النص لم يكن مجرد إجراء شكلي، بل ترجم إلى الواقع، حيث وفد على المغرب بعد سنة 1868 كثير من الإسبان، وبلغت هجرتهم حداً قياسياً بعد مؤتمر مدريد حتى أصبح عدد المستوطنين الإسبان بالمغرب يقدر سنة 1897 بـ 8.000 شخص، أي ما يعادل حوالي 90٪ من مجموع الأوربيين الذين ارتفع عددهم في نهاية القرن الثالث عشر (19 م) إلى حوالي عشرة آلاف شخص مقابل 250 شخصاً تقريباً سنة 1832 (*الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1 : 148 ـ 153).

فيما يخص دور القناصل المغاربة، تفيدنا الوثائق أنه كان من مهام القنصل العام للمغرب بجبل طارق منح جوازات سفر للرعايا المغاربة (*وثائق مديرية الوثائق الملكية*، مح اسبانيا، رقم 2 ومح جبل طارق). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الجوازات لم تكن تطلب فقط في حالة السفر لدولة أوربية بل صار المغاربة يحتاجون إليها حتى في حالة السفر إلى الجزائر بحراً والدخول إلى أحد موانئها خصوصاً منذ سنة 1844 (Schroeter, p. 84).

كذلك صار القنصل المغربي بجبل طارق يمنح "تسريح ركوب" للرعايا المتوجهين إلى العاصمة العثمانية (*وثائق م. و. م، مح جبل طارق*). وتوجد صورة لنموذج الجواز المغربي، صادر عن القنصلية العامة للمغرب بجبل طارق أيام ولاية عبد السلام بوزيان. (*البحث العلمي*، عدد 29. 30، ص 194).

وثائق، خ ح، عهد م. عبد الرحمان، مح 7 / 2 ؛ وثائق تطوان، مح 167 / 58 ؛ *وثائق مديرية الوثائق الملكية*، مح جبل طارق ومح اسبانيا 2 ؛ محمد المنصور، *معلمة المغرب*، 3 : 749 ؛ محمد الأمين البزاز، *المجلس الصحي الدولي بالمغرب*، 71 ؛ مصطفى بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1 : 148 ـ 153.

Furney, *Choix de Correspondances Marocaines*, 1ère partie, p. 27 et 33 ; R. Guillien et J. Vincent, *Lexique de termes juridiques*, Paris, 1981, p. 431 ; Schroeter, *Merchants and pedlars of Essaouira*, p. 84.

حياة الغراس

تم طبع هذا الجزء من معلمة المغرب بمطابع سلا
في صفر عام 1419 / يونيو 1998
وأعيد طبعه في جمادى الأولى عام 1433/ أبريل 2012

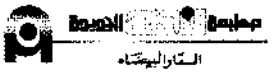

مـــطـــــــابـــع ســـــــــلا

19، زنقـــة الحافـــظ السلفـــي
المعـــــاريف ـ الدار البيضـــاء

✆ : 05.22.25.65.65

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**
Mohammed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohmed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.
Brahime BOUTALEB, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour la Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha AYADA, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction

même partielles sous quelque forme que ce soit.

Imprimerie de Salé

19, Rue El Hafid Salafi
Maârif - Casablanca
Tél.: 05.22.25.65.65

Copyright © IMPRIMERIE DE SALÉ - 1998
ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome IX) 9981 - 03 - 009 - 0

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé
"SALA"

1998 - 1419

Encyclopédie
du
Maroc